
KÖPRÜLÜ KÜT.
127



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي انزل القرآن كلاما مؤلفا منظما • ونزله بحسب المصالح منجما • وجعله بالتحميد مفتتحا وبالاستعاذة مختتما
واوحاه على قسمين متشابها ومحكما • وفصله سورا وسوره آيات • وميز بينهن بفصول وغايات • وما هي الا
صفات مبتدئ مبتدع • وسمات منشئ مخترع • فسبحان من استأثر بالاولية والقدم • ووسم كل شيء سواه
بالحدوث عن العدم • انشاه كتابا ساطعا تبيانه • قاطعا برهانه • وحيا ناطقا ببينات وحجج • قرآنا عربيا
غير ذي عوج • مفتاحا للمنافع الدينية والدنياوية • مصدقا لما بين يديه من الكتب السماوية • معجزا باقيا
دون كل معجز على وجه كل زمان • دائرا من بين سائر الكتب على كل لسان في كل مكان • افحم به من طولب بمعارضته
من العرب العرباء • وابكم به من تحدى به من مصاقع الخطباء • فلم يتصد للاتيان بما يوازيه او يدانيه واحد من فصحائهم • ولم ينهض
لمقدار اقصر سورة منه ناهض من بلغائهم • على انهم كانوا اكثر من حصى البطحاء • واوفر عددا من رمال الدهناء • ولم ينبض
منهم عرق العصبية مع اشتهارهم بالافراط في المضادة والمضارة • والقائهم الشراشر على المعازة والمعارة
ولقائهم دون المناضلة عن احسابهم الخطط • وركوبهم في كل ما يرومونه الشطط • ان اتاهم احد بمفخرة اتوه بمفاخر
وان رماهم بمأثرة رموه بمآثر • وقد جرد لهم الحجة اولا والسيف آخرا فلم يعارضوا الا السيف وحده • على ان السيف
القاضب مخراق لاعب ان لم تمض الحجة حده • فما اعرضوا عن معارضة الحجة الا لعلمهم ان البحر قد زخر فطم على
اللوالب • وان الشمس قد اشرقت فطمست نور الكواكب • والصلوة على خير من اوحي اليه حبيب الله ابي القاسم
محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم • ذي اللواء المرفوع في بني لؤي • ذي الفرع المنيف في عبد مناف بن قصي
المثبت بالعصمة • المؤيد بالحكمة • الشادخ الغرة الواضح التحجيل • النبي الامي المكتوب في التوراة
والانجيل • وعلى آله الاطهار • وخلفائه من الاختان والاصهار • وعلى جميع المهاجرين والانصار •

اعلم ان متن كل علم وعمود كل صناعة طبقات العلماء فيه متدانية • واقدام الصناع فيه متقاربة او متساوية • ان سبق
العالم العالم لم يسبقه الا بخطى يسيرة • او تقدم الصانع الصانع لم يتقدمه الا بمسافة قصيرة • وانما الذي
تباينت فيه الرتب • وتحاكت فيه الركب • ووقع فيه الاستباق والتناضل • وعظم فيه التفاوت والتفاضل
حتى انتهى الامر الى امد من الوهم متباعد • وترقى الى ان عد الف بواحد • ما في العلوم والصناعات من محاسن النكت
والفقر • ومن لطائف معان يدق فيها مباحث الفكر • ومن غوامض اسرار محتجبة وراء استار لا يكشف
عنها من الخاصة الا اوحدهم واخصهم • والا واسطتهم وفصهم • وعامتهم عماة عن ادراك حقائقها باحداقهم
عناة في يد التقليد لا يمن عليهم بجز نواصيهم واطلاقهم • ثم ان املأ العلوم بما يغمر القرائح • وانهضها
بما يبهر الالباب القوارح • من غرائب نكت يلطف مسلكها • ومستودعات اسرار يدق سلكها • علم التفسير
الذي لا يتم لتعاطيه • واجالة النظر فيه • كل ذي علم كما ذكر الجاحظ في كتاب نظم القرآن • فالفقيه وان برز على

الاقران

الاقران في علم الفتاوى والاحكام • والمتكلم وان بز اهل الدنيا في صناعة الكلام • وحافظ القصص والاخبار
وان كان من ابن القرية احفظ • والواعظ وان كان من الحسن البصري اوعظ • والنحوي وان كان انحى من سيبويه
واللغوي وان علك اللغات بقوة لحييه • لا يتصدى منهم احد لسلوك تلك الطرائق • ولا يغوص على شيء
من تلك الحقائق • الا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن • وهما علم المعاني وعلم البيان • وتمهل في
ارتيادهما آونة • وتعب في التنقير عنهما ازمنة • وبعثته على تتبع مظانهما همة في معرفة لطائف حجة الله
وحرص على استيضاح معجزة رسول الله • بعد ان يكون آخذا من سائر العلوم بحظ • جامعا بين امرين تحقيق
وحفظ • كثير المطالعات • طويل المراجعات • قد رجع زمانا ورجع اليه • ورد ورد عليه • فارسا في علم
الاعراب • مقدما في حملة الكتاب • وكان مع ذلك مسترسل الطبيعة منقادها • مشتعل القريحة وقادها
يقظان النفس دراكا للمحة وان لطف شانها • منتبها على الرمزة وان خفي مكانها • لا كزا جاسيا • ولا غليظا جافيا
متصرفا ذا دربة باساليب النظم والنثر • مرتاضا غير ريض بتلقيح بنات الفكر • قد علم كيف يرتب الكلام ويؤلف
وكيف ينظم ويرصف • طالما دفع الى مضايقه • ووقع في مداحضه ومزالقه • ولقد رأيت اخواننا في الدين من
افاضل الفئة الناجية العدلية • الجامعين بين علم العربية والاصول الدينية • كلما رجعوا الي في تفسير آية
فابرزت لهم بعض الحقائق من الحجب • افاضوا في الاستحسان والتعجب • واستطيروا شوقا الى مصنف يضم
اطرافا من ذلك حتى اجتمعوا الي مقترحين ان املي عليهم الكشف عن حقائق التنزيل • وعيون الاقاويل
في وجوه التأويل • فاستعفيت فابوا الا المراجعة والاستشفاع بعظماء الدين • وعلماء العدل والتوحيد
والذي حداني على الاستعفاء على علمي انهم طلبوا ما الاجابة اليه واجبة • لان الخوض فيه كفرض العين
ما ارى عليه الزمان من رثاثة احواله • وركاكة رجاله • وتقاصر هممهم عن ادنى عدد هذا العلم فضلا
ان تترقى الى الكلام المؤسس على علمي المعاني والبيان • فامليت عليهم مسألة في الفواتح • وطائفة من الكلام
في حقائق سورة البقرة • وكان كلاما مبسوطا كثير السؤال والجواب • طويل الذيول والاذناب • وانما حاولت
به التنبيه على غزارة نكت هذا العلم • وان يكون لهم منارا ينتحونه • ومثالا يحتذونه • فلما صمم العزم على
معاودة جوار الله • والاناخة بحرم الله • فتوجهت تلقاء مكة وجدت في مجتازي بكل بلد من فيه مسكة من اهلها
وقليل ما هم عطشى الاكباد الى العثور على ذلك المملى • متطلعين الى ايناسه • حراصا على اقتباسه • فهز ما رأيت
من عطفي • وحرك الساكن من نشاطي • فلما حططت الرحل بمكة اذا انا بالشعبة السنية من الدوحة الحسنية
الامير الشريف الامام شرف آل رسول الله • ابي الحسن علي بن حمزة بن وهاس ادام الله مجده • وهو النكتة والشامة
في بني الحسن مع كثرة محاسنهم • وجموم مناقبهم • اعطش الناس كبدا • والهبهم حشى • واوفاهم رغبة حتى ذكر
انه كان يحدث نفسه في مدة غيبتي عن الحجاز مع تزاحم ما هو فيه من المشاغل • بقطع الفيافي وطي المهامه • والوفادة
علينا بخوارزم • ليتوصل الى اصابة هذا الغرض • فقلت قد ضاقت علي المستعفى الحيل • وعيت به العلل ورأيتني
قد اخذت مني السن • وتقعقع الشن • وناهزت العشر التي سمتها العرب دقاقة الرقاب • فاخذت في طريقة
اخصر من الاولى مع ضمان التكثير من الفوائد • والفحص عن السرائر • ووفق الله وسدد • ففرغ منه في مقدار خلافة
ابي بكر الصديق رضي الله عنه • وكان يقدر تمامه في اكثر من ثلاثين سنة • وما هي الا آية من آيات هذا البيت المحرم
وبركة افيضت علي من بركات هذا الحرم المعظم • اسأل الله تعالى ان يجعل ما تعبت فيه منه سببا ينجيني
ونورا لي على الصراط يسعى بين يدي وبيميني • ونعم المسؤول

سورة فاتحة الكتاب سبع ايات

سورة فاتحة الكتاب مكية وقيل مكية ومدنية لانها نزلت بمكة مرة وبالمدينة اخرى وتسمى ام القرآن لاشتمالها
على المعاني التي في القرآن من الثناء على الله بما هو اهله ومن التعبد بالامر والنهي ومن الوعد والوعيد
وسورة الكنز والوافية لذلك وسورة الحمد والمثاني لانها تثنى في كل ركعة وسورة الصلوة لانها تكون

فاصلة او مجزية بقرآتها فيها وسورة الشفاء والشافية وهي سبع آيات بالاتفاق الا ان منهم من عد انعمت عليهم دون
التسمية ومنهم من مذهبه على العكس

بسم الله الرحمن الرحيم

قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها على ان التسمية ليست بآية من الفاتحة ولا من غيرها من السور وانما كتبت للفصل والتبرك
بالابتداء بها كما بدئ بذكرها في كل امر ذي بال وهو مذهب ابي حنيفة ومن تابعه ولذلك لا يجهر بها عندهم في الصلوة
وقراء مكة والكوفة وفقهاؤهما على انها آية من الفاتحة ومن كل سورة وعليه الشافعي واصحابه ولذلك يجهرون بها
وقالوا قد اثبتها السلف في المصحف مع توصيتهم بتجريد القرآن ولذلك لم يثبتوا آمين فلولا انها من القرآن
لما اثبتوها وعن ابن عباس رضي الله عنهما من تركها فقد ترك مائة واربع عشرة آية من كتاب الله تعالى
فان قلت بم تعلقت الباء قلت بمحذوف تقديره بسم الله اقرأ او اتلو لان الذي يتلو التسمية مقروء
كما ان المسافر اذا حل او ارتحل فقال بسم الله والبركات كان المعنى بسم الله احل وبسم الله ارتحل وكذلك الذابح
وكل فاعل يبدأ في فعله بسم الله كان مضمرا ما جعل التسمية مبدأ له ونظيره في حذف متعلق الجار قوله تعالى في تسع آيات
الى فرعون وقومه اي اذهب في تسع آيات وكذلك قول العرب في الدعاء للمعرس بالرفاء والبنين وقول الاعرابي
باليمن والبركة اي اعرست او نكحت ومنه قوله فقلت الى الطعام فقال منهم فريق يحسد الانس الطعاما فان قلت
لم قدرت المحذوف متأخرا قلت لان الاهم من الفعل والمتعلق به هو المتعلق به لانهم كانوا يبدؤن باسماء آلهتهم
فيقولون باسم اللات باسم العزى فوجب ان يقصد الموحد معنى اختصاص اسم الله عز وعلا وذلك بتقديمه وتأخير
الفعل كما فعل في قوله اياك نعبد حيث صرح بتقديم الاسم ارادة الاختصاص والدليل عليه قوله بسم الله مجراها ومرساها
فان قلت فقد قال اقرأ باسم ربك فقدم الفعل قلت هناك تقديم الفعل اوقع لانها اول سورة نزلت فكان الامر
بالقراءة اهم فان قلت ما معنى تعلق اسم الله تعالى بالقراءة قلت فيه وجهان احدهما ان يتعلق بها تعلق القلم
في قولك كتبت بالقلم على معنى ان المؤمن لما اعتقد ان فعله لا يجيء معتدا به في الشرع واقعا على السنة حتى يصدر بذكر
اسم الله تعالى لقوله عليه الصلوة والسلام كل امر ذي بال لم يبدأ فيه باسم الله فهو ابتر والا كان فعلا كلا فعل جعل فعله مفعولا
باسم الله كما يفعل الكتب بالقلم والثاني ان يتعلق بها تعلق الدهن بالانبات في قوله تنبت بالدهن على معنى متبركا
باسم الله اقرأ وكذلك قول الداعي للمعرس بالرفاء والبنين معناه اعرست ملتبسا بالرفاء والبنين وهذا الوجه اعرب واحسن
فان قلت فكيف قال الله متبركا باسم الله اقرأ قلت هذا مقول على السنة العباد كما يقول الرجل الشعر على
لسان غيره وكذلك قوله الحمد لله رب العالمين الى آخره وكثير من القرآن على هذا المنهاج ومعناه تعليم عباده
كيف يتبركون باسمه وكيف يحمدونه ويمجدونه ويعظمونه فان قلت من حق حروف المعاني التي جاءت
على حرف واحد ان تبنى على الفتحة التي هي اخت السكون نحو كاف التشبيه ولام الابتداء وواو العطف
وفائه وغير ذلك فما بال لام الاضافة وبائها بنيتا على الكسر قلت اما اللام فللفصل بينها وبين لام الابتداء
واما الباء فلكونها لازمة للحرفية والجر والاسم احد الاسماء التي بنوا اوائلها على السكون فاذا نطقوا بها مبتدئين
زادوا همزة لئلا يقع ابتداؤهم بالساكن اذ كان دأبهم ان يبتدؤا بالمتحرك ويقفوا على الساكن لسلامة لغتهم
عن كل لكنة وبشاعة ولوضعها على غاية من الاحكام والرصانة واذا وقعت في الدرج لم يفتقر الى زيادة شيء ومنهم
من لم يزدها واستغنى عنها بتحريك الساكن فقال سم وسم قال ● بسم الذي في كل سورة سمه ● وهو من الاسماء
المحذوفة كيد ودم واصله سمو بدليل تصريفه كاسماء وسمي وسميت واشتقاقه من السمو لان التسمية تنويه بالمسمى
واشارة بذكره ومنه قيل للقب النبز من النبز بمعنى النبر وهو رفع الصوت والنبز قشر النخلة الاعلى فان قلت
فلم حذفت الالف في الخط واثبتت في قوله باسم ربك قلت قد اتبعوا في حذفها حكم الدرج دون الابتداء الذي
عليه وضع الخط لكثرة الاستعمال وقالوا اطولت الباء تعويضا من طرح الالف وعن عمر بن عبد العزيز انه قال لكاتبه
طول الباء واظهر السينات ودور الميم والله اصله الاله قال معاذ الاله ان تكون كظبية ونظيره الناس
اصله الاناس قال ● ان المنايا يطلعن على الاناس الآمنينا ● فحذفت الهمزة وعوض عنها حرف التعريف
ولذلك قيل في النداء يا الله بالقطع كما يقال يا اله والاله من اسماء الاجناس كالرجل والفرس اسم يقع على كل معبود

بحق او باطل ثم غلب على المعبود بحق كما ان النجم اسم لكل كوكب ثم غلب على الثريا وكذلك السنة على عام القحط
والبيت على الكعبة والكتاب على كتاب سيبويه واما الله بحذف الهمزة فمختص بالمعبود بالحق لم يطلق على غيره
ومن هذا الاسم اشتق تأله واله واستأله كما قيل استنوق واستحجر من الناقة والحجر فان قلت اسم هو ام
صفة قلت بل اسم غير صفة الا تراك تصفه ولا تصف به لا تقول شيء اله كما لا تقول شيء رجل وتقول اله واحد
صمد كما تقول رجل كريم خير وايضا فان صفاته تعالى لا بد لها من موصوف تجري عليه فلو جعلتها كلها صفات بقيت
غير جارية على اسم موصوف بها وهذا محال فان قلت هل لهذا الاسم اشتقاق قلت معنى الاشتقاق
ان ينتظم الصيغتين معنى واحد وصيغة هذا الاسم وصيغة قولهم اله اذا تحير ومن اخواته دله وعله ينتظمهما معنى
التحير والدهشة وذلك ان الاوهام تتحير في معرفة المعبود وتدهش الفطن ولذلك كثر الضلال وفشا الباطل
وقل النظر الصحيح فان قلت هل تفخم لامه قلت نعم قد ذكر الزجاج ان تفخيمها سنة وعلى ذلك العرب
كلهم واطباقهم عليه دليل انهم ورثوه كابرا عن كابر ● الرحمن فعلان من رحم كغضبان وسكران من غضب وسكر
وكذلك الرحيم فعيل منه كمريض وسقيم من مرض وسقم وفي الرحمن من المبالغة ما ليس في الرحيم ولذلك قالوا
رحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا ويقولون ان الزيادة في البناء لزيادة المعنى وقال الزجاج في الغضبان هو
الممتلي غضبا ومما طن على اذني من ملح العرب انهم يسمون مركبا من مراكبهم بالشقدف وهو مركب خفيف ليس في
ثقل محامل العراق فقلت في طريق الطائف لرجل منهم ما اسم هذا المحمل اردت المحمل العراقي فقال اليس ذاك
اسمه الشقدف قلت بلى قال هذا اسمه الشقنداف فزاد في بناء الاسم لزيادة المسمى وهو من الصفات الغالبة
كالدبران والعيوق والصعق لم يستعمل في غير الله عز وعلا كما ان الله من الاسماء الغالبة واما قول بني حنيفة في
مسيلمة رحمان اليمامة وقول شاعرهم فيه ● وانت غيث الورى لا زلت رحمانا ● فباب من تعنتهم في كفرهم فان قلت
كيف تقول الله رحمان أتصرفه ام لا قلت اقيسه على اخواته من بابه اعني نحو عطشان وغرثان وسكران فلا
اصرفه فان قلت قد شرط في امتناع صرف فعلان ان يكون فعلان فعلى واختصاصه بالله يحظر ان يكون فعلان فعلى
فلم تمنعه الصرف قلت كما حظر ذلك ان يكون له مؤنث على فعلى كعطشى فقد حظر ان يكون له مؤنث على فعلانة
كندمانة فاذا لا عبرة بامتناع التأنيث للاختصاص العارض فوجب الرجوع الى الاصل قبل الاختصاص وهو
القياس على نظائره فان قلت ما معنى وصف الله تعالى بالرحمة ومعناها العطف والحنو ومنها الرحم لانعطافها
على ما فيها قلت هو مجاز عن انعامه على عباده لان الملك اذا عطف على رعيته ورق لهم اصابهم بمعروفه وانعامه
كما انه اذا ادركته الفظاظة والقسوة عنف بهم ومنعهم خيره ومعروفه فان قلت فلم قدم ما هو ابلغ من الوصفين
على ما هو دونه والقياس الترقي من الادنى الى الاعلى كقولهم فلان عالم نحرير وشجاع باسل وجواد فياض قلت
لما قال الرحمن فتناول جلائل النعم وعظائمها واصولها اردفه الرحيم كالتتمة والرديف ليتناول ما دق منها ولطف

الحمد لله رب العالمين

الحمد والمدح اخوان وهو الثناء والنداء على الجميل من نعمة وغيرها تقول حمدت
الرجل على انعامه وحمدته على حسبه وشجاعته واما الشكر فعلى النعمة خاصة وهو بالقلب واللسان والجوارح
قال ● افادتكم النعماء مني ثلاثة ● يدي ولساني والضمير المحجبا ● والحمد باللسان وحده فهو احدى شعب الشكر
ومنه قوله عليه الصلوة والسلام الحمد رأس الشكر ما شكر الله عبد لم يحمده وانما جعله رأس الشكر لان ذكر النعمة
باللسان والثناء على موليها اشيع لها وادل على مكانها من الاعتقاد وآداب الجوارح لخفاء عمل القلب وما
في عمل الجوارح من الاحتمال بخلاف عمل اللسان وهو النطق الذي يفصح عن كل خفي ويجلي كل مشتبه والحمد نقيضه الذم
والشكر نقيضه الكفران ● وارتفاع الحمد بالابتداء وخبره الظرف الذي هو لله واصله النصب الذي هو قراءة
بعضهم باضمار فعله على انه من المصادر التي تنصبها العرب بافعال مضمرة في معنى الاخبار كقولهم شكرا وكفرا وعجبا
وما اشبه ذلك ومنها سبحانك ومعاذ الله ينزلونها منزلة افعالها ويسدون بها مسدها ولذلك لا يستعملونها
معها ويجعلون استعمالها كالشريعة المنسوخة والعدل بها عن النصب الى الرفع على الابتداء للدلالة على ثبات المعنى
واستقراره ومنه قوله تعالى قالوا سلاما قال سلام رفع السلام الثاني للدلالة على ان ابراهيم صلوات الله عليه

جيء بها اسمية لان الرفع دل على معنى ثبات السلام لهم دون تجدده وحدوثه والمعنى نحمد الله حمدا ولذلك قيل اياك نعبد واياك نستعين لانه بيان لحمدهم له كانه قيل كيف تحمدون فقيل اياك نعبد فان قلت ما معنى التعريف فيه قلت هو نحو التعريف في ارسلها العراك وهو تعريف الجنس ومعناه الاشارة الى ما يعرفه كل احد من ان الحمد ما هو والعراك ما هو من بين اجناس الافعال والاستغراق الذي يتوهمه كثير من الناس وهم منهم وقرأ الحسن البصري الحمدِ لله بكسر الدال لاتباعها اللام وقرأ ابرهيم بن ابي عبلة الحمدُ لُله بضم اللام لاتباعها الدال والذي جسرهما على ذلك والاتباع انما يكون في كلمة واحدة كقولهم منحدُرُ الجبل ومغيرة تنزل الكلمتين منزلة كلمة واحدة لكثرة استعمالهما مقترنتين واشف القراءتين قراءة ابرهيم حيث جعل الحركة البنائية تابعة للاعرابية التي هي اقوى بخلاف قراءة الحسن الرب المالك ومنه قول صفوان لابي سفيان لان يربني رجل من قريش احب الي من ان يربني رجل من هوازن تقول ربه يربه فهو رب كما تقول نم عليه ينم فهو نم ويجوز ان يكون وصفا بالمصدر للمبالغة كما وصف بالعدل ولم يطلق الرب الا في الله وحده وهو في غيره على التقييد بالاضافة كقولهم رب الدار ورب الناقة قال تعالى ارجع الى ربك انه ربي احسن مثواي وقرأ زيد بن علي رب العالمين بالنصب على المدح وقيل بما دل عليه الحمد لله كانه قال نحمد الله رب العالمين العالم اسم لذوي العلم من الملائكة والثقلين وقيل كل ما علم به الخالق من الاجسام والاعراض فان قلت لم جمع قلت ليشمل كل جنس مما سمي به فان قلت فهو اسم غير صفة وانما تجمع بالواو والنون صفات العقلاء او ما في حكمها من الاعلام قلت ساغ ذلك لمعنى الوصفية فيه وهي الدلالة على معنى العلم

الرحمن الرحيم مالك يوم الدين

قرئ ملك يوم الدين ومالك وملْك بتخفيف اللام وقرأ ابو حنيفة مَلَكَ يومَ الدين بلفظ الفعل ونصب اليوم وقرأ ابو هريرة مالكَ بالنصب وقرأ غيره ملكَ وهو نصب على المدح ومنهم من قرأ مالكٌ بالرفع وملك هو الاختيار لانه قراءة اهل الحرمين ولقوله لمن الملك اليوم ولقوله ملك الناس ولان الملك يعم والملك يخص ويوم الدين يوم الجزاء ومنه قولهم كما تدين تدان وبيت الحماسة ولم يبق سوى العدوا ن دناهم كما دانوا فان قلت ما هذه الاضافة قلت هي اضافة اسم الفاعل الى الظرف على طريق الاتساع مجرى مجرى المفعول به كقولهم يا سارق الليلة اهل الدار والمعنى على الظرفية ومعناه مالك الامر كله في يوم الدين كقوله لمن الملك اليوم فان قلت فاضافة اسم الفاعل اضافة غير حقيقية فلا تكون معطية معنى التعريف فكيف ساغ وقوعه صفة للمعرفة قلت انما تكون غير حقيقية اذا اريد باسم الفاعل الحال او الاستقبال فكان في تقدير الانفصال كقولك مالك الساعة او غدا فاما اذا قصد معنى الماضي كقولك هو مالك عبده امس او زمان مستمر كقولك زيد مالك العبيد كانت الاضافة حقيقية كقولك مولى العبيد وهذا هو المعنى في مالك يوم الدين ويجوز ان يكون المعنى ملك الامور يوم الدين كقوله تعالى ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ونادى اصحاب الاعراف والدليل عليه قراءة ابي حنيفة ملك يوم الدين وهذه الاوصاف التي اجريت على الله سبحانه وتعالى من كونه ربا مالكا للعالمين لا يخرج منهم شيء من ملكوته وربوبيته ومن كونه منعما بالنعم كلها الظاهرة والباطنة والجلائل والدقائق ومن كونه مالكا للامر كله في العاقبة يوم الثواب والعقاب بعد الدلالة على اختصاص الحمد به وانه به حقيق في قوله الحمد لله دليل على ان من كانت هذه صفاته لم يكن احد احق منه بالحمد والثناء عليه بما هو اهله

اياك نعبد واياك نستعين

ايا ضمير منفصل للمنصوب واللواحق التي تلحقه من الكاف والهاء والياء في قولك اياك واياه واياي لبيان الخطاب والغيبة والتكلم ولا محل لها من الاعراب كما لا محل للكاف في ارايتك وليست باسماء مضمرة وهو مذهب الاخفش وعليه المحققون واما ما حكاه الخليل عن بعض العرب اذا بلغ الرجل الستين فاياه وايا الشواب فشيء شاذ لا يعول عليه وتقديم المفعول لقصد الاختصاص كما قال الله تعالى قل افغير الله تأمروني اعبد قل اغير الله ابغي ربا والمعنى نخصك بالعبادة ونخصك بطلب المعونة وقرئ اياك بتخفيف الياء وأياك بفتح الهمزة والتشديد وهياك بقلب الهمزة هاء قال طفيل الغنوي فهياك والامر الذي ان تراحبت موارده ضاقت عليك مصادره والعبادة اقصى غاية الخضوع والتذلل ومنه ثوب ذو عبدة اذا كان في غاية الصفاقة وقوة النسج ولذلك لم يستعمل الا في الخضوع لله تعالى لانه مولى اعظم النعم فكان حقيقا باقصى غاية الخضوع فان قلت لم عدل عن لفظ الغيبة الى لفظ الخطاب قلت

هذا يسمى الالتفات في علم البيان قد يكون من الغيبة الى الخطاب ومن الخطاب الى الغيبة ومن الغيبة الى التكلم كقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم وقوله تعالى والله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه وقد التفت امرؤ القيس ثلاث التفاتات في ثلاثة ابيات تطاول ليلك بالاثمد ونام الخلي ولم ترقد وبات وباتت له ليلة كليلة ذي العائر الارمد وذلك من نبإ جاءني وخبرته عن ابي الاسود وذلك على عادة افتنانهم في الكلام وتصرفهم فيه ولان الكلام اذا نقل من اسلوب الى اسلوب كان ذلك احسن تطرية لنشاط السامع وايقاظا للاصغاء اليه من اجرائه على اسلوب واحد وقد تختص مواقعه بفوائد ومما اختص به هذا الموضع انه لما ذكر الحقيق بالحمد واجرى عليه تلك الصفات العظام تعلق العلم بمعلوم عظيم الشان حقيق بالثناء وغاية الخضوع له والاستعانة في المهمات فخوطب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات فقيل اياك يا من هذه صفاته نخص بالعبادة والاستعانة لا نعبد غيرك ولا نستعينه ليكون الخطاب ادل على ان العبادة له لذلك التميز الذي لا تحق العبادة الا به فان قلت لم قرنت الاستعانة بالعبادة قلت ليجمع بين ما يتقرب به العباد الى ربهم وبين ما يطلبونه ويحتاجون اليه من جهته فان قلت فلم قدمت العبادة على الاستعانة قلت لان تقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة ليستوجبوا الاجابة اليها فان قلت لم اطلقت الاستعانة قلت ليتناول كل مستعان فيه والاحسن ان تراد الاستعانة به وبتوفيقه على اداء العبادة ويكون قوله اهدنا بيانا للمطلوب من المعونة كانه قيل كيف اعينكم فقالوا اهدنا الصراط المستقيم وانما كان احسن لتلاؤم الكلام واخذ بعضه بحجزة بعض وقرأ ابن حبيش نستعين بكسر النون

اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم

هدى اصله ان يتعدى باللام او الى كقوله ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم وانك لتهدي الى صراط مستقيم فعومل معاملة اختار في قوله واختار موسى قومه ومعنى طلب الهداية وهم مهتدون طلب زيادة الهدى بمنح الالطاف كما في قوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وعن علي وابي رضي الله عنهما اهدنا ثبتنا وصيغة الامر والدعاء واحدة لان كل واحد منهما طلب وانما يتفاوتان في الرتبة وقرأ عبد الله ارشدنا السراط الجادة من سرط الشيء اذا ابتلعه لانه يسترط السابلة اذا سلكوه كما سمي لقما لانه يلتقمهم والصراط من قلب السين صادا لاجل الطاء كقولك مصيطر في مسيطر وقد تشم الصاد صوت الزاي وقرئ بهن جميعا وفصحاهن اخلاص الصاد وهي لغة قريش وهي الثابتة في الامام ويجمع صرطا نحو كتاب وكتب ويذكر ويؤنث كالطريق والسبيل والمراد به طريق الحق وهو ملة الاسلام صراط الذين انعمت عليهم بدل من الصراط المستقيم وهو في حكم تكرير العامل كانه قيل اهدنا الصراط المستقيم اهدنا صراط الذين انعمت عليهم كما قال تعالى للذين استضعفوا لمن آمن منهم فان قلت ما فائدة البدل وهلا قيل اهدنا صراط الذين انعمت عليهم قلت فائدته التوكيد لما فيه من التثنية والتكرير والاشعار بان الطريق المستقيم بيانه وتفسيره صراط المسلمين ليكون ذلك شهادة لصراط المسلمين بالاستقامة على ابلغ وجه وآكده كما تقول هل ادلك على اكرم الناس وافضلهم فلان فيكون ذلك ابلغ في وصفه بالكرم والفضل من قولك هل ادلك على فلان الاكرم الافضل لانك ثنيت ذكره مجملا اولا ومفصلا ثانيا واوقعت فلانا تفسيرا وايضاحا للاكرم الافضل فجعلته علما في الكرم والفضل فكانك قلت من اراد رجلا جامعا للخصلتين فعليه بفلان فهو المشخص المعين لاجتماعهما فيه غير مدافع ولا منازع والذين انعمت عليهم هم المؤمنون واطلق الانعام ليشمل كل انعام لان من انعم الله عليه بنعمة الاسلام لم تبق نعمة الا اصابته واشتملت عليه وعن ابن عباس رضي الله عنهما هم اصحاب موسى عليه السلام قبل ان يغيروا وقيل هم الانبياء وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه صراط من انعمت عليهم

غير المغضوب عليهم ولا الضالين

غير المغضوب عليهم بدل من الذين انعمت عليهم على معنى ان المنعم عليهم هم الذين سلموا من غضب الله تعالى والضلال او صفة على معنى انهم جمعوا بين النعمة المطلقة وهي نعمة الايمان وبين السلامة من غضب الله والضلال فان قلت كيف صح ان يقع غير صفة للمعرفة وهو لا يتعرف وان اضيف الى المعارف قلت الذين انعمت عليهم لا توقيت فيه فهو كقوله ولقد امر على اللئيم يسبني فمضيت ثمة قلت لا يعنيني ولان المغضوب عليهم والضالين خلاف المنعم عليهم فليس في غير اذا الابهام

الذي يأبى عليه أن يتعرف. وقرئ بالنصب على الحال وهي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر بن الخطاب رضي الله عنه وروية عن ابن كثير وذو الحال الضمير في عليهم والعامل أنعمت وقيل المغضوب عليهم هم اليهود لقوله تعالى من لعنه الله وغضب عليه والضالون هم النصارى لقوله تعالى قد ضلوا من قبل. فإن قلت ما معنى غضب الله. قلت هو إرادة الانتقام من العصاة وإنزال العقوبة بهم وأن يفعل بهم ما يفعله الملك إذا غضب على من تحت يده نعوذ بالله من غضبه ونسأله رضاه ورحمته. فإن قلت أي فرق بين عليهم الأولى والثانية. قلت الأولى محلها النصب على المفعولية والثانية محلها الرفع على الفاعلية. فإن قلت لم دخلت لا في ولا الضالين. قلت لما في غير من معنى النفي كأنه قيل لا المغضوب عليهم ولا الضالين وتقول أنا زيدا غير ضارب مع امتناع قولك أنا زيدا مثل ضارب لأنه بمنزلة قولك أنا زيدا لا ضارب. وعن عمر وعلي رضي الله عنهما أنهما قرآ وغير الضالين. وقرأ أيوب السختياني ولا الضألين بالهمز كما قرأ عمرو بن عبيد ولا جأن وهذه لغة من جد في الهرب من التقاء الساكنين ومنها ما حكاه أبو زيد شأبة ودأبة. آمين صوت سمي به الفعل الذي هو استجب كما أن رويد وحيهل وهلم أصوات سميت بها الأفعال التي هي أمهل وأسرع وأقبل. وعن ابن عباس رضي الله عنه سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى آمين فقال افعل. وفيه لغتان مد ألفه وقصرها قال. ويرحم الله عبدا قال آمينا. وقال. أمين فزاد الله ما بيننا بعدا. وعن النبي صلى الله عليه وسلم لقنني جبريل عليه السلام آمين عند فراغي من قراءة الفاتحة وقال إنه كالختم على الكتاب وليس من القرآن بدليل أنه لم يثبت في المصاحف وعن الحسن لا يقولها الإمام لأنه الداعي وعن أبي حنيفة رحمه الله تعالى مثله والمشهور عنه وعن أصحابه أنه يخفيها وروى الإخفاء عبد الله بن مغفل وأنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعند الشافعي رحمه الله تعالى يجهر بها وعن وائل بن حجر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأ ولا الضالين قال آمين ورفع بها صوته. عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لأبي بن كعب رضي الله عنه ألا أخبرك بسورة لم ينزل في التوراة والإنجيل والقرآن مثلها قلت بلى يا رسول الله قال فاتحة الكتاب إنها السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته. وعن حذيفة بن اليمان أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرأ صبي من صبيانهم في الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم بذلك العذاب أربعين سنة

سورة البقرة مكية مائتان وثمانون وسبع آيات

وفي رواية مدنية وهي مائتان وسبع وثمانون آية غير آية نزلت يوم عرفة بمنى وهي قوله تعالى واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله

بسم الله الرحمن الرحيم. الم. اعلم أن الألفاظ التي يتهجى بها أسماء مسمياتها الحروف المبسوطة التي منها ركبت الكلم فقولك ضاد اسم سمي به ضه من ضرب إذا تهجيته وكذلك را با اسمان لقولك ره به وقد روعيت في هذه التسمية لطيفة وهي أن المسميات لما كانت ألفاظا كأساميها وهي حروف وحدان والأسامي عدد حروفها مرتق إلى الثلاثة اتجه لهم طريق إلى أن يدلوا في التسمية على المسمى فلم يغفلوها وجعلوا المسمى صدر كل اسم منها كما ترى إلا الألف فإنهم استعاروا الهمزة مكان مسماها لأنه لا يكون إلا ساكنا. ومما يضاهيها في إيداع اللفظ دلالة على المعنى التهليل والحوقلة والحيعلة والبسملة. وحكمها ما لم تلها العوامل أن تكون ساكنة الأعجاز موقوفة كأسماء الأعداد فيقال ألف لام ميم كما تقول واحد اثنان ثلاثة فإذا وليتها العوامل أدركها الإعراب تقول هذه ألف وكتبت ألفا ونظرت إلى ألف وهكذا كل اسم عمدت إلى تأدية ذاته فحسب قبل أن يحدث فيه بدخول العوامل شيء من تأثيراتها فحقك أن تلفظ به موقوفا ألا ترى أنك إذا أردت أن تلقي على الحاسب أجناسا مختلفة ليرفع حسبانها كيف تصنع وكيف تلقيها أغفالا من سمة الإعراب فتقول دار غلام جارية ثوب بساط ولو أعربت ركبت شططا. فإن قلت لم قضيت لهذه الألفاظ بالاسمية وهلا زعمت أنها حروف كما وقع في عبارات المتقدمين. قلت قد استوضحت بالبرهان النير أنها أسماء غير حروف فعلمت أن قولهم خليق بأن يصرف إلى التسامح وقد وجدناهم متسامحين في تسمية كثير من الأسماء التي لا يقدح إشكال في

كالظروف

كالظروف وغيرها بالحروف مستعملين الحرف في معنى الكلمة وذلك أن قولك ألف دلالة على أوسط حروف قال وقام ودلالة فرس على الحيوان المخصوص لا فصل فيما يرجع إلى التسمية بين الدلالتين ألا ترى أن الحرف ما دل على معنى في غيره وهذا كما ترى دال على معنى في نفسه. ولأنها متصرف فيها بالإمالة كقولك با تا وبالتفخيم كقولك يا ها وبالتعريف والتنكير والجمع والتصغير والوصف والإسناد والإضافة وجميع ما للأسماء المتصرفة. ثم إني عثرت من جانب الخليل بن أحمد على نص في ذلك قال سيبويه قال الخليل يوما وسأل أصحابه كيف تقولون إذا أردتم أن تلفظوا بالكاف التي في لك والباء التي في ضرب فقيل نقول باء كاف فقال إنما جئتم بالاسم ولم تلفظوا بالحرف وقال أقول كه به. وذكر أبو علي في كتاب الحجة في يس وإمالة يا أنهم قالوا في النداء يا زيد فأمالوا وإن كان حرفا قال فإذا كانوا قد أمالوا ما لا يمال من الحروف من أجل الياء فلأن يميلوا الاسم الذي هو ياسين أجدر ألا ترى أن هذه الحروف أسماء لما يلفظ بها. فإن قلت من أي قبيل هي من الأسماء أمعربة أم مبنية. قلت بل هي أسماء معربة وإنما سكنت سكون زيد وعمرو وغيرهما من الأسماء حيث لا يمسها إعراب لفقد مقتضيه وموجبه والدليل على أن سكونها وقف وليس ببناء أنها لو بنيت لحذي بها حذو كيف وأين وهؤلاء ولم يقل صاد قاف نون مجموعا فيها بين الساكنين. فإن قلت فلم لفظ المتهجي بما آخره ألف منها مقصورا فلما أعرب مد فقال هذه باء وياء وهاء وذلك يخيل أن وزانها وزان قولك لا مقصورة فإذا جعلتها اسما مددت فقلت كتبت لاء. قلت هذا التخييل يضمحل بما لخصته من الدليل والسبب في أن قصرت متهجاة ومدت حين مسها الإعراب أن حال التهجي خليقة بالأخف الأوجز واستعمالها فيه أكثر. فإن قلت قد تبين أنها أسماء لحروف المعجم وأنها من قبيل المعربة وأن سكونها عند الهجاء لأجل الوقف فما وجه وقوعها على هذه الصورة فواتح للسور. قلت فيه أوجه أحدها وعليه إطباق الأكثر أنها أسماء للسور وقد ترجم صاحب الكتاب الباب الذي كسره على ذكرها في حد ما لا ينصرف بباب أسماء السور وهي في ذلك على ضربين أحدهما ما لا يتأتى فيه إعراب نحو كهيعص والمر والثاني ما يتأتى فيه الإعراب وهو إما أن يكون اسما فردا كصاد وقاف ونون أو أسماء عدة مجموعها على زنة مفرد كحم وطس ويس فإنها موازنة لهابيل وقابيل وكذلك طسم يتأتى فيها أن تفتح نونها وتصير ميم مضمومة إلى طس فيجعلا اسما واحدا كدارابجرد فالنوع الأول محكي ليس إلا وأما النوع الثاني فسائغ فيه الأمران الإعراب والحكاية قال قاتل محمد بن طلحة السجاد وهو شريح بن أوفى العبسي. يذكرني حاميم والرمح شاجر. فهلا تلا حاميم قبل التقدم. فأعرب حاميم ومنعها الصرف وهكذا كل ما أعرب من أخواتها لاجتماع سببي منع الصرف فيها وهما العلمية والتأنيث والحكاية أن تجيء بالقول بعد نقله على استبقاء صورته الأولى كقولك دعني من تمرتان وبدأت بالحمد لله وقرأت سورة أنزلناها وقال. وجدنا في كتاب بني تميم. أحق الخيل بالركض المعار. وقال ذو الرمة. سمعت الناس ينتجعون غيثا. فقلت لصيدح انتجعي بلالا. وقال الآخر. تنادوا بالرحيل غدا. وفي ترحالهم نفسي. وروي مضموما ومجرورا. ويقول أهل الحجاز في استعلام من يقول رأيت زيدا من زيدا وقال سيبويه سمعت من العرب لا من أين يا فتى. فإن قلت فما وجه قراءة من قرأ صاد وقاف ونون مفتوحات. قلت الوجه أن يقال ذاك نصب وليس بفتح وإنما لم يصحبه التنوين لامتناع الصرف على ما ذكرت وانتصابها بفعل مضمر نحو اذكر وقد أجاز سيبويه مثل ذلك في حم وطس ويس لو قرئ به وحكى أبو سعيد السيرافي أن بعضهم قرأ ياسين ويجوز أن يقال حركت لالتقاء الساكنين كما قرأ من قرأ ولا الضألين. فإن قلت هلا زعمت أنها مقسم بها وأنها نصبت نصب قولهم نعم الله لأفعلن وأي الله لأفعلن على حذف حرف الجر وإعمال فعل القسم وقال ذو الرمة. ألا رب من قلبي له الله ناصح. وقال الآخر. فذاك أمانة الله الثريد. قلت إن القرآن والقلم بعد هذه الفواتح محلوف بهما فلو زعمت ذلك لجمعت بين قسمين على مقسم عليه واحد وقد استكرهوا ذلك قال الخليل في قوله تعالى والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى وما خلق الذكر والأنثى الواوان الأخريان ليستا بمنزلة الأولى ولكنهما الواوان اللتان تضمان الأسماء إلى الأسماء في قولك مررت بزيد وعمرو والأولى بمنزلة الباء والتاء قال سيبويه قلت للخليل فلم لا تكون الأخريان بمنزلة الأولى فقال إنما أقسم بهذه الأشياء على شيء ولو كان انقضى قسمه بالأول على شيء لجاز أن يستعمل كلاما آخر فيكون كقولك بالله لأفعلن تالله لأخرجن اليوم ولا يقوى أن تقول وحقك وحق زيد لأفعلن والواو الأخيرة واو قسم

لايجوز الا مستكرها قال وتقول وحياتي ثم حياتك لافعلن فثم ههنا بمنزلة الواو هذا ولا سبيل فيما نحن بصدده
الى ان تجعل الواو للعطف لمخالفة الثاني الاول في الاعراب فان قلت فقدرها مجرورة باضمار الباء
القسمية لا بحذفها فقد جاء عنهم الله لافعلن مجرورا ونظيره قولهم لاه ابوك غير انها فتحت في موضع الجر لكونها
غير مصروفة واجعل الواو للعطف حتى يستتب لك المصير الى نحو ما اشرت اليه قلت هذا لا يبعد عن الصواب
ويعضده ما رووا عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال اقسم الله بهذه الحروف فان قلت فما وجه قراءة بعضهم
صاد وقاف بالكسر قلت وجهها ما ذكرت من التحريك لالتقاء الساكنين والذي يبسط من عذر المحرك ان
الوقف لما استمر بهذه الاسامي شاكلت لذلك ما اجتمع في آخره ساكنان من المبنيات فعوملت تارة معاملة
الآن واخرى معاملة هؤلاء فان قلت هل تسوغ لي في المحكية مثل ما سوغت لي في المعربة من ارادة معنى
القسم قلت لا عليك في ذلك وان تقدر حرف القسم مضمرا في نحو قوله تعالى حم والكتاب المبين كانه قيل
اقسم بهذه السورة وبالكتاب المبين انا جعلناه واما قوله عليه الصلوة والسلام حم لا ينصرون فيصلح
ان يقضى له بالجر والنصب جميعا على حذف الجار واضماره فان قلت فما معنى تسمية السور بهذه الالفاظ
خاصة قلت كان المعنى في ذلك الاشعار بان الفرقان ليس الا كلما عربية معروفة التركيب من مسميات
هذه الالفاظ كما قال الله تعالى قرآنا عربيا فان قلت فما بالها مكتوبة في المصحف على صور الحروف انفسها
لا على صور اساميها قلت لان الكلم لما كانت مركبة من ذوات الحروف واستمرت العادة متى تهجيت ومتى قيل
للكاتب اكتب كيت وكيت ان يلفظ بالاسماء وتقع في الكتابة الحروف انفسها عمل على تلك الشاكلة المالوفة
في كتابة هذه الفواتح وايضا فان شهرة امرها واقامة السن الاسود والاحمر لها وان اللافظ بها غير متهجاة لا يحلى
بطائل منها وان بعضها مفرد لا يخطر ببال غير ما هو عليه من مورده امنت وقوع اللبس فيها وقد اتفقت في خط
المصحف اشياء خارجة عن القياسات التي بنى عليها علم الخط والهجاء ثم ما عاد ذلك بضير ولا نقصان لاستقامة
اللفظ وبقاء الحفظ وكان اتباع خط المصحف سنة لا تخالف قال عبد الله بن درستويه في كتابه المترجم بكتاب
الكتاب المتمم في الخط والهجاء خطان لا يقاسان خط المصحف لانه سنة وخط العروض لانه يثبت فيه ما اثبته
اللفظ ويسقط عنه ما اسقطه والوجه الثاني ان يكون ورود هذه الاسماء هكذا مسرودة على نمط التعديد
كالايقاظ وقرع العصا لمن تحدى بالقرآن وبغرابة نظمه وكالتحريك للنظر في ان هذا المتلو عليهم وقد عجزوا عنه
عن آخرهم كلام منظوم من عين ما ينظمون منه كلامهم ليؤديهم النظر الى ان يستيقنوا ان لم تتساقط مقدرتهم
دونه ولم تظهر معجزتهم عن ان ياتوا بمثله بعد المراجعات المتطاولة وهم امراء الكلام وزعماء الحوار وهم الحراص على
التساجل في اقتضاب الخطب والمتهالكون على الافتنان في القصيد والرجز ولم يبلغ من الجزالة وحسن النظم
المبالغ التي بذت بلاغة كل ناطق وشقت غبار كل سابق ولم يتجاوز الحد الخارج من قوى الفصحاء ولم يقع وراء
مطامح اعين البصراء الا لانه ليس بكلام البشر وانه كلام خالق القوى والقدر وهذا القول من القوة والخلاقة
بالقبول بمنزل ولناصره على الاول ان يقول ان القرآن انما نزل بلسان العرب مصبوبا في اساليبهم واستعمالاتهم
والعرب لم تتجاوز ما سموا به مجموع اسمين ولم يسم احد منهم بمجموع ثلثة اسماء واربعة وخمسة والقول بانها اسماء السور
حقيقة يخرج الى ما ليس في لسان العرب ويؤدي ايضا الى صيرورة الاسم والمسمى واحدا فان اعترضت عليه بانه
قول معقول على وجه الدهر وانه لا سبيل الى رده اجابك بان له محملا سوى ما يذهب اليه وانه نظير قول الناس فلان يروي
قفا نبك وعفت الديار ويقول الرجل لصاحبه ما قرأت فيقول الحمد لله وبراءة من الله ورسوله ويوصيكم الله
في اولادكم والله نور السموات والارض وليست هذه الجمل باسامي هذه القصائد وهذه السور والآي وانما تعني
رواية القصيدة التي ذاك استهلالها وتلاوة السورة او الآية التي تلك فاتحتها فلما جرى الكلام على اسلوب من
يقصد التسمية واستفيد منها ما يستفاد من التسمية قالوا ذلك على سبيل المجاز دون الحقيقة وللمجيب عن
الاعتراض على الوجه الاول ان يقول التسمية بثلثة اسماء فصاعدا مستنكر لعمري وخروج عن كلام العرب
ولكن اذا جعلت اسما واحدا على طريقة حضرموت فاما غير مركبة منثورة نثر اسماء العدد فلا استنكار فيها لانها م

باب

باب التسمية باحقه ان يحكى حكاية كما سموا تأبط شرا وبرق نحره وشاب قرناها وكما لو سمي بزيد منطلق او ببيت شعر
وناهيك بتسوية سيبويه بين التسمية بالجملة والبيت من الشعر وبين التسمية بطائفة من اسماء حروف المعجم
دلالة قاطعة على صحة ذلك واما تسمية السورة كلها بفاتحتها فليست بتصيير الاسم والمسمى واحدا لانها تسمية مؤلف
بمفرد والمؤلف غير المفرد الا ترى انهم جعلوا اسم الحرف مؤلفا منه ومن حرفين مضمومين اليه كقولهم صاد فلم
يكن من جعل الاسم والمسمى واحدا حيث كان الاسم مؤلفا والمسمى مفردا والوجه الثالث ان ترد السور
مصدرة بذلك ليكون اول ما يقرع الاسماع مستقلا بوجه من الاعراب وتقدمة من دلائل الاعجاز وذلك ان
النطق بالحروف انفسها كانت العرب فيه مستوية الاقدام الاميون منهم واهل الكتاب بخلاف النطق باسامي
الحروف فانه كان مختصا بمن خط وقرأ وخالط اهل الكتاب وتعلم منهم وكان مستغربا مستبعدا من الامي التكلم بها
استبعاد الخط والتلاوة كما قال الله عز وجل وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون
فكان حكم النطق بذلك مع اشتهار انه لم يكن ممن اقتبس شيئا من اهله حكم الاقاصيص المذكورة في القرآن
التي لم تكن قريش ومن دان دينها في شيء من الاحاطة بها في ان ذلك حاصل له من جهة الوحي وشاهد بصحة نبوته
وبمنزلة ان يتكلم بالرطانة من غير ان يسمعها من احد واعلم انك اذا تاملت ما اورده الله تعالى في الفواتح من
هذه الاسماء وجدتها نصف اسامي حروف المعجم اربعة عشر سواء وهي الالف واللام والميم والصاد والراء والكاف
والهاء والياء والعين والطاء والسين والحاء والقاف والنون في تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم
ثم اذا نظرت في هذه الاربعة عشر وجدتها مشتملة على انصاف اجناس الحروف بيان ذلك ان فيها من المهموسة
نصفها الصاد والكاف والهاء والسين والحاء ومن المجهورة نصفها الالف واللام والميم والراء والعين والطاء
والقاف والياء والنون ومن الشديدة نصفها الالف والطاء والكاف والقاف ومن الرخوة نصفها
اللام والميم والراء والصاد والهاء والعين والسين والحاء والياء والنون ومن المطبقة نصفها الصاد
والطاء ومن المنفتحة نصفها الالف واللام والميم والراء والكاف والهاء والعين والسين والحاء والقاف والياء والنون
ومن المستعلية نصفها القاف والصاد والطاء ومن المنخفضة نصفها الالف واللام والميم والراء والكاف والهاء
والياء والعين والسين والحاء والنون ومن حروف القلقلة نصفها القاف والطاء ثم اذا استقريت
الكلم وتراكيبها رايت الحروف التي الغى الله تعالى ذكرها من هذه الاجناس المعدودة مكثورة بالمذكورة منها فسبحان
الذي دقت في كل شيء حكمته وقد علمت ان معظم الشيء وجله ينزل منزلة كله وهو المطابق للطائف التنزيل
واختصاراته فكان الله عز اسمه عدد على العرب الالفاظ التي منها تراكيب كلامهم اشارة الى ما ذكرت من التبكيت
لهم والزام الحجة اياهم ومما يدل على انه تعمد بالذكر من حروف المعجم اكثرها وقوعا في تراكيب الكلم ان الالف واللام
لما تكاثر وقوعهما فيها جاءتا في معظم هذه الفواتح مكررتين وهي فواتح سورة البقرة وآل عمران والروم والعنكبوت
ولقمان والسجدة والاعراف والرعد ويونس وابراهيم وهود ويوسف والحجر فان قلت فهلا عددت باجمعها
في اول القرآن وما لها جاءت مفرقة على السور قلت لان اعادة التنبيه على ان المتحدى به مؤلف
منها لا غير وتجديده في غير موضع واحد اوصل الى الغرض واقر له في الاسماع والقلوب من ان يفرد ذكره مرة
وكذلك مذهب كل تكرير جاء في القرآن فمطلوب به تمكين المكرر في النفوس وتقريره فان قلت فهلا
جاءت على وتيرة واحدة ولم اختلفت اعداد حروفها فوردت ص وق ون على حرف وطه وطس ويس
وحم على حرفين والم والر وطسم على ثلثة احرف والمص والمر على اربعة احرف وكهيعص وحمعسق على خمسة احرف
قلت هذا على عادة افتنانهم في اساليب الكلام وتصرفهم فيه على طرق شتى ومذاهب عدة وكما ان ابنية كلماتهم
على حرف وحرفين الى خمسة احرف لم تتجاوز ذلك سلك بهذه الفواتح ذلك المسلك فان قلت فما وجه
اختصاص كل سورة بالفاتحة التي اختصت بها قلت اذا كان الغرض هو التنبيه والمبادي كلها في تادية
هذا الغرض سواء لا مفاضلة لكان تطلب وجه الاختصاص ساقطا كما اذا سمى الرجل بعض اولاده زيدا والآخر
عمرا لم يقل له لم خصصت ولدك هذا بزيد وذاك بعمرو لان الغرض هو التمييز وهو حاصل اية سلك وكذلك لا يقال

لم سمي هذا الجنس بالرجل وذلك بالفرس ولم قيل للاعتماد الضرب وللانتصاب القيام ولنقيضه القعود
فان قلت ما بالهم عدوا بعض هذه الفواتح آية دون بعض قلت هذا علم توقيفي لا مجال للقياس فيه
كمعرفة السور اما الم فآية حيث وقعت من السور المفتتحة بها وهي ست وكذلك المص آية والمر لم تعد آية
والر ليست بآية في سورها الخمس وطسم آية في سورتيها وطه ويس آيتان وطس ليست بآية وحم آية
في سورها كلها وحم عسق آيتان وكهيعص آية واحدة وص وق ون ثلاثتها لم تعد آية هذا مذهب الكوفيين
ومن عداهم لم يعدوا شيئا منها آية فان قلت فكيف عد ما هو في حكم كلمة واحدة آية قلت كما عد
الرحمن وحده ومدهامتان وحدها آيتين على طريق التوقيف فان قلت ما حكمها في باب الوقف
يوقف على جميعها وقف التمام اذا حملت على معنى مستقل غير محتاج الى ما بعده وذلك اذا لم تجعل اسماء للسور
ونعق بها كما ينعق بالاصوات او جعلت وحدها اخبار ابتداء محذوف كقوله تعالى الم الله اي هذه الم ثم
ابتدأ فقال الله لا اله الا هو فان قلت هل لهذه الفواتح محل من الاعراب قلت نعم لها محل فيمن
جعلها اسماء للسور لانها عنده كسائر الاسماء والاعلام فان قلت ما محلها قلت يحتمل الاوجه الثلثة
اما الرفع فعلى الابتداء واما النصب والجر فلما مر من صحة القسم بها وكونها بمنزلة الله والله على اللغتين ومن لم
يجعلها اسماء للسور لم يتصور ان يكون لها محل في مذهبه كما لا محل للجمل المبتدأة وللمفردات المعددة

ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ● فان قلت لم صحت الاشارة

بذلك الى ما ليس ببعيد قلت وقعت الاشارة الى الم بعد ما سبق التكلم به وتقضى والمتقضي في
حكم المتباعد وهذا في كل كلام يحدث الرجل بحديث ثم يقول وذلك ما لا شك فيه ويحسب الحاسب ثم يقول
فذلك كذا وكذا وقال تعالى لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك وقال ذلكما مما علمني ربي ولانه لما وصل من
المرسل الى المرسل اليه وقع في حد البعد كما تقول لصاحبك وقد اعطيته شيئا احتفظ بذلك وقيل معناه
ذلك الكتاب الذي وعدوا به فان قلت لم ذكر اسم الاشارة والمشار اليه مؤنث وهو السورة
قلت لا اخلو من ان اجعل الكتاب خبره او صفته فان جعلته خبره كان ذلك في معناه ومسماه مسماه فجاز
اجراء حكمه عليه في التذكير كما اجري عليه في التأنيث في قولهم من كانت امك وان جعلته صفته فانما اشير به
الى الكتاب صريحا لان اسم الاشارة مشار به الى الجنس الواقع صفة له تقول هند ذلك الانسان او ذلك
الشخص فعل كذا وقال الذبياني ● نبئت نعما على الهجران عاتبة ● سقيا ورعيا لذاك العاتب الزاري ●
فان قلت اخبرني عن تأليف ذلك الكتاب مع الم قلت ان جعلت الم اسما للسورة ففي التأليف
وجوه ان يكون مبتدأ وذلك مبتدأ ثانيا والكتاب خبره والجملة خبر المبتدأ الاول ومعناه ان ذلك هو الكتاب
الكامل كان ما عداه من الكتب في مقابلته ناقص وانه الذي يستاهل ان يسمى كتابا كما تقول هو الرجل اي الكامل
في الرجولية الجامع لما يكون في الرجال من مرضيات الخصال وكما قال ● وان الذي حانت بفلج دماؤهم ● هم القوم
كل القوم يا ام خالد ● وان يكون الكتاب صفة ومعناه هو ذلك الكتاب الموعود وان يكون الم خبر مبتدأ
محذوف اي هذه الم ويكون ذلك خبرا ثانيا او بدلا على ان الكتاب صفة وان يكون هذه الم جملة وذلك
الكتاب جملة اخرى وان جعلت الم بمنزلة الصوت كان ذلك مبتدأ خبره الكتاب اي ذلك الكتاب المنزل
هو الكتاب الكامل او الكتاب صفته والخبر ما بعده او قدر مبتدأ محذوف اي هو يعني المؤلف من هذه الحروف
ذلك الكتاب وقرأ عبد الله الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه وتأليف هذا ظاهر ● والريب مصدر رابني اذا
حصل فيك الريبة وحقيقة الريبة قلق النفس واضطرابها ومنه ما روى الحسن بن علي رضي الله عنهما
انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الشك ريبة وان الصدق
طمانينة اي فان كون الامر مشكوكا فيه مما تقلق له النفس ولا تستقر وكونه صحيحا صادقا مما تطمئن له وتسكن
ومنه ريب الزمان وهو ما يقلق النفوس ويشخص بالقلوب من نوائبه ومنه انه مر عليه الصلوة والسلام
بظبي حاقف فقال لا يربه احد بشيء فان قلت كيف نفي الريب على سبيل الاستغراق وكم من مرتاب فيه

قلت ما نفي ان احدا لا يرتاب فيه وانما المنفي كونه متعلقا للريب ومظنة له لانه من وضوح الدلالة
وسطوع البرهان بحيث لا ينبغي لمرتاب ان يقع فيه الا ترى الى قوله وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا
فاتوا بسورة من مثله فما ابعد وجود الريب منهم وانما عرفهم الطريق الى مزيل الريب وهو ان يحزروا انفسهم
ويروزوا قواهم في البلاغة هل تتم للمعارضة ام تتضاءل دونها فيتحققوا عند عجزهم ان ليس فيه مجال للشبهة
ولا مدخل للريبة فان قلت فهلا قدم الظرف على الريب كما قدم على الغول في قوله لا فيها غول
قلت لان القصد في ايلاء الريب حرف النفي نفي الريب عنه واثبات انه حق وصدق لا باطل
ولا كذب كما كان المشركون يدعونه ولو اولي الظرف لقصد الى ما يبعد عن المراد وهو ان كتابا آخر فيه الريب
لا فيه كما قصد في قوله لا فيها غول تفضيل خمر الجنة على خمور الدنيا بانها لا تغتال العقول كما تغتالها هي كانه
قيل ليس فيها ما في غيرها من هذا العيب والنقيصة وقرأ ابو الشعثاء لا ريب فيه بالرفع والفرق بينها
وبين المشهورة ان المشهورة توجب الاستغراق وهذه تجوزه والوقف على فيه هو المشهور وعن نافع وعاصم انهما
وقفا على لا ريب فلا بد للواقف من ان ينوي خبرا ونظيره قوله تعالى قالوا لا ضير وقول العرب لا باس وهي كثيرة في لسان
اهل الحجاز والتقدير لا ريب فيه فيه هدى ● الهدى مصدر على فعل كالسرى والبكا وهو الدلالة الموصلة الى البغية
بدليل وقوع الضلالة في مقابلته قال تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى وقال تعالى لعلى هدى او في
ضلال مبين ويقال مهدي في موضع المدح كمهتد ولان اهتدى مطاوع هدى ولن يكون المطاوع في خلاف معنى اصله
الا ترى الى نحو غمه فاغتم وكسره فانكسر واشباه ذلك فان قلت فلم قيل هدى للمتقين والمتقون مهتدون
قلت هو كقولك للعزيز المكرم اعزك الله واكرمك تريد طلب الزيادة الى ما هو ثابت فيه واستدامته
كما قال تعالى اهدنا الصراط المستقيم ووجه آخر وهو انه سماهم عند مشارفتهم لاكتساء لباس التقوى متقين
كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلا فله سلبه ● وعن ابن عباس رضي الله عنهما اذا اراد احدكم الحج
فليعجل فانه يمرض المريض وتضل الضالة وتكون الحاجة فسمى المشارف للقتل والمرض والضلال قتيلا ومريضا
وضالة ومنه قوله عز وجل ولا يلدوا الا فاجرا كفارا اي صائرا الى الفجور والكفر فان قلت فهلا قيل هدى
للضالين قلت لان الضالين فريقان فريق علم بقاؤهم على الضلالة وهم المطبوع على قلوبهم وفريق علم
ان مصيرهم الى الهدى فلا يكون هدى للفريق الباقين على الضلالة فبقي ان يكون هدى لهؤلاء فلو جيء بالعبارة
المفصحة عن ذلك لقيل هدى للصائرين الى الهدى بعد الضلال فاختصر الكلام باجرائه على الطريقة التي ذكرنا فقيل
هدى للمتقين وايضا فقد جعل ذلك سلما الى تصدير السورة التي هي اولى الزهراوين وسنام القرآن واول المثاني
بذكر اولياء الله والمرتضين من عباده ● والمتقي في اللغة اسم فاعل من قولهم وقاه فاتقى والوقاية فرط الصيانة
ومنه فرس واق وهذه الدابة تقي من وجاها اذا اصابه ظلع من غلظ الارض ورقة الحافر فهو يقي حافره ان يصيبه ادنى
شيء يؤلمه وهو في الشريعة الذي يقي نفسه تعاطي ما يستحق به العقوبة من فعل او ترك واختلف في الصغائر وقيل
الصحيح انه لا يتناولها لانها تقع مكفرة عن مجتنب الكبائر وقيل يطلق على الرجل اسم المؤمن لظاهر الحال والمتقي
لا يطلق الا عن خبرة كما لا يجوز اطلاق العدل الا على المختبر ومحل هدى للمتقين الرفع لانه خبر مبتدأ محذوف او خبر مع
لا ريب فيه لذلك او مبتدأ اذا جعل الظرف المقدم خبرا عنه ويجوز ان ينصب على الحال والعامل فيه معنى الاشارة
او الظرف والذي هو ارسخ عرقا في البلاغة ان يضرب عن هذه المحال صفحا وان يقال ان قوله الم جملة برأسها او طائفة
من حروف المعجم مستقلة بنفسها وذلك الكتاب جملة ثانية ولا ريب فيه ثالثة وهدى للمتقين رابعة وقد اصيب بترتيبها
مفصل البلاغة وموجب حسن النظم حيث جيء بها متناسقة هكذا من غير حرف نسق وذلك لمجيئها متآخية آخذا
بعضها بعنق بعض فالثانية متحدة بالاولى معتنقة لها وهلم جرا الى الثالثة والرابعة بيان ذلك انه نبه
اولا على انه الكلام المتحدى به ثم اشير اليه بانه الكتاب المنعوت بغاية الكمال فكان تقريرا لجهة التحدي وشدا
من اعضاده ثم نفى عنه ان يتشبث به طرف من الريب فكان شهادة وتسجيلا بكماله لانه لا كمال اكمل مما للحق واليقين
ولا نقص انقص مما للباطل والشبهة وقيل لبعض العلماء فيم لذتك فقال في حجة تتبختر اتضاحا وفي شبهة

تنصيصا افصاحا ثم اخبر عنه بانه هدى للمتقين فقرر بذلك كونه يقينا لا يحوم الشك حوله وحقا لا ياتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه ثم لم تخل كل واحدة من الاربع بعد ان رتبت هذا الترتيب الانيق ونظمت
هذا النظم السري من نكتة ذات جزالة ففي الاولى الحذف والرمز الى الغرض بالطف وجه وارشقه وفي
الثانية ما في التعريف من الفخامة وفي الثالثة ما في تقديم الريب على الظرف وفي الرابعة الحذف ووضع
المصدر الذي هو هدى موضع الوصف الذي هو هاد وايراده منكرا والايجاز في ذكر المتقين زادنا الله
اطلاعا على اسرار كلامه وتبيينا لنكت تنزيله وتوفيقا للعمل بما فيه

الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون

الذين يؤمنون اما موصول
بالمتقين على انه صفة مجرورة او مدح منصوب او مرفوع بتقدير اعني الذين يؤمنون او هم الذين يؤمنون
واما مقتطع من المتقين مرفوع على الابتداء مخبر عنه باولئك على هدى فاذا كان موصولا كان الوقف على
المتقين حسنا غير تام واذا كان مقتطعا كان وقفا تاما فان قلت ما هذه الصفة اواردة بيانا
وكشفا للمتقين او مسرودة مع المتقين تفيد غير فايدتها ام جاءت على سبيل المدح والثناء كصفات الله
تعالى الجارية عليه تمجيدا قلت يحتمل ان ترد على طريق البيان والكشف لاشتمالها على ما اسست عليه
حال المتقين من فعل الحسنات وترك السيئات اما الفعل فقد انطوى تحت ذكر الايمان الذي هو اساس الحسنات
ومنصبها وذكر الصلوة والصدقة لان هاتين اما العبادات البدنية والمالية وهما العيار على غيرهما الم تر كيف
سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوة عماد الدين وجعل الفاصل بين الاسلام والكفر ترك الصلوة وسمى الزكوة
قنطرة الاسلام وقال تعالى وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة فلما كانتا بهذه المثابة كان من شانهما
استجرار سائر العبادات واستتباعها ومن ثم اختصر الكلام اختصارا بان استغنى عن عد الطاعات بذكر
ما هو كالعنوان لها والذي اذا وجد لم تتوقف اخواته ان تقترن به مع ما في ذلك من الافصاح عن فضل هاتين
العبادتين واما الترك فكذلك الا ترى الى قوله ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر ويحتمل ان لا تكون بيانا
للمتقين وتكون صفة براسها دالة على فعل الطاعات ويراد بالمتقين الذين يجتنبون المعاصي ويحتمل ان
تكون مدحا للموصوفين بالتقوى وتخصيصا للايمان بالغيب واقام الصلوة وايتاء الزكوة بالذكر اظهارا
لانافتهما على سائر ما يدخل تحت حقيقة هذا الاسم من الحسنات والايمان افعال من الامن يقال امنته
وآمنته غيري ثم يقال آمنه اذا صدقه وحقيقته آمنه التكذيب والمخالفة واما تعديته بالباء فلتضمينه
معنى اقر واعترف واما ما حكى ابو زيد عن العرب ما آمنت ان اجد صحابة اي ما وثقت فحقيقته صرت
ذا امن به اي ذا سكون وطمانينة وكلا الوجهين حسن في يؤمنون بالغيب اي يعترفون به او يثقون
بانه حق ويجوز ان لا يكون بالغيب صلة للايمان وان يكون في موضع الحال اي يؤمنون غائبين عن المؤمن
به وحقيقته ملتبسين بالغيب كما قال عز وعلا الذين يخشون ربهم بالغيب ليعلم اني لم اخنه
بالغيب ويعضده ما روي ان اصحاب عبد الله ذكروا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وايمانهم
فقال ابن مسعود ان امر محمد كان بينا لمن رآه والذي لا اله غيره ما آمن مؤمن افضل من ايمان بغيب ثم قرا
هذه الآية فان قلت ما المراد بالغيب ان جعلته صلة وان جعلته حالا قلت ان جعلته صلة
كان بمعنى الغائب اما تسمية بالمصدر من قولك غاب الشيء غيبا كما سمي الشاهد بالشهادة قال الله تعالى
عالم الغيب والشهادة والعرب تسمي المطمئن من الارض غيبا وعن النضر بن شميل شربت الابل حتى وارت
غيوب كلاها يريد بالغيب الخمصة التي تكون في موضع الكلية اذا بطنت الدابة انخمصت واما ان يكون فيعلا
فخفف كما قيل قيل واصله قيّل والمراد به الخفي الذي لا ينفذ فيه ابتداء الا علم اللطيف الخبير وانما نعلم منه نحن
ما اعلمناه او نصب لنا دليلا عليه ولهذا لا يجوز ان يطلق فيقال فلان يعلم الغيب وذلك نحو الصانع وصفاته
والنبوات وما يتعلق بها والبعث والنشور والحساب والوعد والوعيد وغير ذلك وان جعلته حالا كان بمعنى
الغيبة فان قلت ما الايمان الصحيح قلت ان يعتقد الحق ويعرب عنه بلسانه ويصدقه بعمله فمن اخل

بالاعتقاد وان شهد وعمل فهو منافق ومن اخل بالشهادة فهو كافر ومن اخل بالعمل فهو فاسق ومعنى اقامة
الصلوة تعديل اركانها وحفظها من ان يقع زيغ في فرايضها وسننها وآدابها من اقام العود اذا قومه او الدوام
عليها والمحافظة كما قال تعالى الذين هم على صلاتهم دائمون والذين هم على صلواتهم يحافظون من قامت السوق اذا
نفقت واقامها قال اقامت غزالة سوق الضراب لاهل العراقين حولا قميطا لانها اذا حوفظ عليها
كانت كالشيء النافق الذي تتوجه اليه الرغبات ويتنافس فيه المحصلون واذا عطلت واضيعت كانت
كالشيء الكاسد الذي لا يرغب فيه او التجلد والتشمر لادائها وان لا يكون في مؤديها فتور عنها ولا توان
من قولهم قام بالامر وقامت الحرب على ساقها وفي ضده قعد عن الامر وتقاعد عنه اذا تقاعس وتثبط او
اداؤها فعبر عن الاداء بالاقامة لان القيام بعض اركانها كما عبر عنه بالقنوت وبالركوع وبالسجود وقالوا
سبح اذا صلى لوجود التسبيح فيها فلولا انه كان من المسبحين والصلوة فعلة من صلى كالزكوة من زكى
وكتبتها بالواو على لفظ المفخم وحقيقة صلى حرك الصلوين لان المصلي يفعل ذلك في ركوعه وسجوده
ونظيره كفر اليهودي اذا طاطا راسه وانحنى عند تعظيم صاحبه لانه ينثني على الكاذتين وهما الكافرتان
فقيل للداعي مصل تشبيها في تخشعه بالراكع والساجد واسناد الرزق الى نفسه للاعلام بانهم ينفقون
الحلال المطلق الذي يستاهل ان يضاف الى الله ويسمى رزقا منه وادخل من التبعيضية صيانة لهم
وكفا عن الاسراف والتبذير المنهي عنه وقدم مفعول الفعل دلالة على كونه اهم كانه قال ويخصون بعض المال الحلال
بالتصدق به وجائز ان يراد به الزكوة المفروضة لاقترانه باخت الزكوة وشقيقتها وهي الصلوة وان تراد
هي وغيرها من النفقات في سبل الخير لمجيئه مطلقا يصلح ان يتناول كل منفق وانفق الشيء وانفده اخوان وعن
يعقوب نفق الشيء ونفد واحد وكل ما جاء مما فاؤه نون وعينه فاء فدال على معنى الخروج والذهاب ونحو ذلك اذا تاملت

والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون

فان قلت والذين يؤمنون اهم غير الاولين ام هم الاولون وانما وسط العاطف كما يوسط بين
الصفات في قولك هو الشجاع والجواد وفي قوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم
وقوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب قلت يحتمل ان يراد بهؤلاء مؤمنو اهل الكتاب
كعبد الله بن سلام واضرابه من الذين آمنوا فاشتمل ايمانهم على كل وحي انزل من عند الله وايقنوا بالآخرة ايقانا
زال معه ما كانوا عليه من انه لا يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وان النار لن تمسهم الا اياما معدودات
واجتماعهم على الاقرار بالنشاة الاخرى واعادة الارواح في الاجساد ثم افتراقهم فرقتين منهم من قال تجري حالهم في
التلذذ بالمطاعم والمشارب والمناكح على حسب مجراها في الدنيا ودفعه آخرون فزعموا ان ذلك انما
احتيج اليه في هذه الدار من اجل نماء الاجسام ولمكان التوالد والتناسل واهل الجنة مستغنون عنه فلا يتلذذون
الا بالنسيم والارواح العبقة والسماع اللذيذ والفرح والسرور واختلافهم في الدوام والانقطاع فيكون المعطوف
غير المعطوف عليه ويحتمل ان يراد وصف الاولين ووسط العاطف على معنى انهم الجامعون بين تلك
الصفات وهذه فان قلت فاذا اريد بهؤلاء غير اولئك فهل يدخلون في جملة المتقين ام لا قلت
ان عطفتهم على الذين يؤمنون بالغيب دخلوا وكانت صفة التقوى مشتملة على الفريقين من مؤمني اهل الكتاب
وغيرهم وان عطفتهم على المتقين لم يدخلوا وكانه قيل هدى للمتقين وهدى للذين يؤمنون بما انزل اليك
فان قلت قوله بما انزل اليك ان عني به القرآن باسره والشريعة عن آخرها فلم يكن ذلك منزلا وقت
ايمانهم فكيف قيل انزل بلفظ المضي وان اريد المقدار الذي سبق انزاله وقت ايمانهم فهو ايمان ببعض المنزل واشتمال
الايمان على الجميع سابقه ومترقبه واجب قلت المراد المنزل كله وانما عبر عنه بلفظ المضي وان كان بعضه
مترقبا تغليبا للموجود على ما لم يوجد كما يغلب المتكلم على المخاطب والمخاطب على الغائب فيقال انا وانت فعلنا وانت
وزيد تفعلان ولانه اذا كان بعضه نازلا وبعضه منتظر النزول جعل كان كله قد نزل وانتهى نزوله ويدل عليه قوله
انا سمعنا كتابا من بعد موسى لم يسمعوا جميع الكتاب ولا كان كله منزلا ولكن سبيله سبيل ما ذكرنا ونظيره قولك كلما

خطب به فلان فهو فصيح وما تكلم بشيء الا وهو نادر ولا تريد بهذا الماضي منه فحسب دون الآتي لكونه معقودا ببعض
ومربوطا به بماضيه وقرأ يزيد بن قطيب بما انزل اليك وما انزل من قبلك على لفظ ما سمي فاعله وفي تقديم الآخرة
وبناء يوقنون على هم تعريض باهل الكتاب وبما كانوا عليه من اثبات امر الآخرة على خلاف حقيقته وان قولهم ليس
بصادر عن ايقان وان اليقين ما عليه من آمن بما انزل اليك وما انزل من قبلك والايقان اتقان العلم بانتفاء
الشك والشبهة عنه والآخرة تانيث الآخر الذي هو نقيض الاول وهي صفة الدار بدليل قوله تعالى تلك الدار
الآخرة وهي من الصفات الغالبة وكذلك الدنيا وعن نافع انه خففها بان حذف الهمزة والقى حركتها على اللام كقوله
دابة الارض وقرأ ابو حية النميري يوقنون بالهمز جعل الضمة في جار الواو كانها فيه فقلبها قلب واو وجوه ووقتت
ونحوه قال لحب المؤقدان الى مؤسى وجعدة اذ اضاءهما الوقود **اولئك على هدى من ربهم
واولئك هم المفلحون** اولئك على هدى الجملة في محل الرفع ان كان الذين يؤمنون بالغيب
مبتدا والا فلا محل لها ونظم الكلام على الوجهين انك اذا نويت الابتداء بالذين يؤمنون بالغيب فقد ذهبت
به مذهب الاستيناف وذلك انه لما قيل هدى للمتقين فاختص المتقون بان الكتاب لهم هدى اتجه لسائل
ان يسأل فيقول ما بال المتقين مخصوصين بذلك فوقع قوله الذين يؤمنون بالغيب الى ساقته كانه جواب
لهذا السؤال المقدر وجيء بصفة المتقين المنطوية تحتها خصائصهم التي استوجبوا بها من الله ان يلطف بهم
ويفعل بهم ما لا يفعل بمن ليسوا على صفتهم اي الذين هؤلاء عقائدهم واعمالهم احقاء بان يهديهم الله ويعطيهم
الفلاح ونظيره قولك احب رسول الله صلى الله عليه وسلم الانصار الذين قارعوا دونه وكشفوا الكرب عن وجهه اولئك
اهل للمحبة وان جعلته تابعا للمتقين وقع الاستيناف على اولئك كانه قيل ما للمستقلين بهذه الصفات
قد اختصوا بالهدى فاجيب بان اولئك الموصوفين غير مستبعد ان يفوزوا دون الناس بالهدى عاجلا وبالفلاح
آجلا **واعلم** ان هذا النوع من الاستيناف يجيء تارة باعادة اسم من استونف عنه الحديث كقولك قد احسنت
الى زيد زيد حقيق بالاحسان وتارة باعادة صفته كقولك احسنت الى زيد صديقك القديم اهل لذلك منك
فيكون الاستيناف باعادة الصفة احسن وابلغ لانطوائها على بيان الموجب وتلخيصه **فان قلت**
هل يجوز ان يجري الموصول الاول على المتقين وان يرتفع الثاني على الابتداء واولئك خبره **قلت** نعم على
ان يجعل اختصاصهم بالهدى والفلاح تعريضا باهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بنبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهم ظانون انهم على الهدى وطامعون انهم ينالون الفلاح عند الله وفي اسم الاشارة الذي هو اولئك ايذان
بان ما يرد عقيبه فالمذكورون قبله اهل لاكتسابه من اجل الخصال التي عددت لهم كما قال حاتم ولله صعلوك
ثم عدد له خصالا فاضلة ثم عقب تعديدها بقوله فذلك ان يهلك فحسنى ثناؤه وان عاش لم يقعد ضعيفا مذمما
ومعنى الاستعلاء في قوله على هدى مثل لتمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه وتمسكهم به شبهت حالهم بحال من
اعتلى الشيء وركبه ونحوه هو على الحق وعلى الباطل وقد صرحوا بذلك في قولهم جعل الغواية مركبا وامتطى الجهل واقتعد
غارب الهوى ومعنى هدى من ربهم اي منحوه من عنده واوتوه من قبله وهو اللطف والتوفيق الذي اعتضدوا به على
اعمال الخير والترقي الى الافضل فالافضل ونكر هدى ليفيد ضربا مبهما لا يبلغ كنهه ولا يقادر قدره كانه قيل على اي
هدى كما تقول لو ابصرت فلانا لابصرت رجلا قال الهذلي فلا وابي الطير المربة بالضحى على خالد لقد وقعت على لحم
والنون في من ربهم ادغمت بغنة وبغير غنة قال الكسائي وحمزة ويزيد وورش في رواية والهاشمي عن ابن كثير
لم يغنوها وقد اغنها الباقون الا ابا عمرو فقد روي عنه فيها روايتان وفي تكرير اولئك تنبيه على انهم كما ثبتت لهم
الاثرة بالهدى فهي ثابتة لهم بالفلاح فجعلت كل واحدة من الاثرتين في تميزهم بها عن غيرهم بالمثابة التي لو انفردت
كفت مميزة على حيالها **فان قلت** لم جاء مع العاطف وما الفرق بينه وبين قوله اولئك كالانعام بل هم اضل
اولئك هم الغافلون **قلت** قد اختلف الخبران ههنا فلذلك دخل العاطف بخلاف الخبرين ثمة
فانهما متفقان لان التسجيل عليهم بالغفلة وتشبيههم بالبهائم شيء واحد فكانت الجملة الثانية مقررة لما في
الاولى فهي من العطف بمعزل وهم فصل وفائدته الدلالة على ان الوارد بعده خبر لا صفة والتوكيد وايجاب ان فائدة

المسند

المسند ثابتة للمسند اليه دون غيره او هو مبتدا والمفلحون خبره والجملة خبر اولئك ومعنى التعريف في
المفلحون الدلالة على ان المتقين هم الناس الذين بلغك انهم يفلحون في الآخرة كما اذا بلغك ان انسانا
قد تاب من اهل بلدك فاستخبرت من هو فقيل زيد التائب اي هو الذي اخبرت بتوبته او على انهم الذين ان
حصلت صفة المفلحين وتحققوا ما هم وتصوروا بصورتهم الحقيقية فهم هم لا يعدون تلك الحقيقة كما
تقول لصاحبك هل عرفت الاسد وما جبل عليه من فرط الاقدام ان زيدا هو هو فانظر كيف كرر الله عز وجل
التنبيه على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله احد على طرق شتى وهي ذكر اسم الاشارة وتكريره وتعريف
المفلحين وتوسيط الفصل بينه وبين اولئك ليبصرك مراتبهم ويرغبك في طلب ما طلبوا وينشطك
لتقديم ما قدموا ويثبطك عن الطمع الفارغ والرجاء الكاذب والتمني على الله ما لا تقتضيه حكمته ولم تسبق
به كلمته اللهم زينا بلباس التقوى واحشرنا في زمرة من صدرت بذكرهم سورة البقرة والمفلح
الفائز بالبغية كانه الذي انفتحت له وجوه الظفر ولم تستغلق عليه والمفلج بالجيم مثله ومنه قولهم للمطلقة
استفلجي بامرك بالحاء والجيم والتركيب دال على معنى الشق والفتح وكذلك اخواته في الفاء والعين نحو فلق
وفلذ وفلى **ان الذين كفروا سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم
لا يؤمنون** لما قدم ذكر اوليائه وخالصة عباده بصفاتهم التي اهلتهم لاصابة الزلفى عنده وبين
ان الكتاب هدى ولطف بهم خاصة قفى على اثره بذكر اضدادهم وهم العتاة المردة من الكفار الذين لا ينفع فيهم
الهدى ولا يجدي عليهم اللطف وسواء عليهم وجود الكتاب وعدمه وانذار الرسول وسكوته **فان قلت**
لم قطعت قصة الكفار عن قصة المؤمنين ولم تعطف كنحو قوله تعالى ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم
وغيره من الآي الكثيرة **قلت** ليس وزان ما بين القصتين وزان ما ذكرت لان الاولى فيما نحن فيه مسوقة
لذكر الكتاب وانه هدى للمتقين وسيقت الثانية لان الكفار من صفتهم كيت وكيت فبين الجملتين تباين في
الغرض والاسلوب وهما على حد لا مجال فيه للعاطف **فان قلت** هذا اذا زعمت ان الذين يؤمنون جار على
المتقين فاما اذا ابتدأته وبنيت الكلام لصفة المؤمنين ثم عقبته بكلام آخر في صفة اضدادهم كان مثل تلك الآي
المتلوة **قلت** قد مر لي ان الكلام المبتدا عقيب المتقين سبيله الاستيناف وانه مبني على تقدير سؤال
فذلك ادراج له في حكم المتقين وتابع له في المعنى وان كان مبتدا في اللفظ فهو في الحقيقة كالجاري عليه والتعريف
في الذين كفروا يجوز ان يكون للعهد وان يراد بهم ناس باعيانهم كابي لهب وابي جهل والوليد بن المغيرة واضرابهم وان
يكون للجنس متناولا كل من صمم على كفره تصميما لا يرعوي بعده وغيرهم ودل على تناوله للمصرين الحديث
عنهم باستواء الانذار وتركه عليهم وسواء اسم بمعنى الاستواء وصف به كما يوصف بالمصادر ومنه قوله تعالى
تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم في اربعة ايام سواء للسائلين بمعنى مستوية وارتفاعه على انه خبر لان وانذرتهم
ام لم تنذرهم في موضع المرتفع على الفاعلية كانه قيل ان الذين كفروا مستو عليهم انذارك وعدمه كما تقول ان زيدا مختصم اخوه
وابن عمه او يكون انذرتهم ام لم تنذرهم في موضع الابتداء وسواء خبرا مقدما بمعنى سواء عليهم انذارك وعدمه والجملة
خبر لان **فان قلت** الفعل ابدا خبر لا مخبر عنه فكيف صح الاخبار عنه في هذا الكلام **قلت** هو من جنس الكلام المهجور
فيه جانب اللفظ الى جانب المعنى وقد وجدنا العرب يميلون في مواضع من كلامهم مع المعاني ميلا بينا من ذلك قولهم لا تأكل
السمك وتشرب اللبن معناه لا يكن منك اكل السمك وشرب اللبن وان كان ظاهر اللفظ على ما لا يصح من عطف الاسم على
الفعل والهمزة وام مجردتان لمعنى الاستواء وقد انسلخ عنهما معنى الاستفهام راسا قال سيبويه جرى هذا اللفظ على
حرف الاستفهام كما جرى على حرف النداء قولك اللهم اغفر لنا ايتها العصابة يعني ان هذا جرى على صورة الاستفهام ولا
استفهام كما ان ذلك جرى على صورة النداء ولا نداء ومعنى الاستواء استواؤهما في علم المستفهم عنهما لانه قد علم ان
احد الامرين كائن اما الانذار واما عدمه ولكن لا بعينه فكلاهما معلوم بعلم غير معين وفي ءانذرتهم تحقيق الهمزتين والتخفيف
اعرب واكثر وتخفيف الثانية بين بين وتوسيط الف بينهما محققتين وبتوسطها والثانية بين بين وبحذف
حرف الاستفهام وبحذفه والقاء حركته على الساكن قبله كما قرئ قد افلح **فان قلت** ما تقول فيمن يقلب

الثانية الفا قلت هو لاحن خارج من كلام العرب خروجين احدهما الاقدام على جمع الساكنين على غير حده وحده ان يكون الاول حرف لين والثاني حرفا مدغما نحو قوله الضالين وخويصة والثاني اخطاء طريق التخفيف لان طريق تخفيف الهمزة المتحركة المفتوح ما قبلها ان تخرج بين بين فاما القلب الفا فهو تخفيف الهمزة الساكنة المفتوح ما قبلها كهمزة راس والانذار التخويف من عقاب الله تعالى بالزجر عن المعاصي فان قلت ما موقع لا يؤمنون قلت اما ان تكون جملة مؤكدة للجملة قبلها او خبرا لان والجملة قبلها اعتراض

ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم الختم والكتم اخوان لان في الاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم عليه كتما له وتغطية لئلا يتوصل اليه ولا يطلع عليه والغشاوة الغطاء فعالة من غشاه اذا غطاه وهذا البناء لما يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة فان قلت ما معنى الختم على القلوب والاسماع وتغشية الابصار قلت لا ختم ولا تغشية ثم على الحقيقة وانما هو من باب المجاز ويحتمل ان يكون من كلا نوعيه وهما الاستعارة والتمثيل اما الاستعارة فان تجعل قلوبهم لان الحق لا ينفذ فيها ولا يخلص الى ضمائرها من قبل اعراضهم عنه واستكبارهم عن قبوله واعتقاده واسماعهم لانها تمجه وتنبو عن الاصغاء اليه وتعاف استماعه كانها مستوثق منها بالختم وابصارهم لانها لا تجتلي آيات الله المعروضة ودلائله المنصوبة كما تجتليها اعين المعتبرين المستبصرين كانما غطي عليها وحجبت وحيل بينها وبين الادراك واما التمثيل فان تمثل حيث لم يستنفعوا بها في الاغراض الدينية التي كلفوها وخلقوا من اجلها باشياء ضرب حجاز بينها وبين الاستنفاع بها بالختم والتغطية وقد جعل بعض المازنيين الحبسة في اللسان والعي ختما عليه فقال ختم الاله على لسان عذافر ختما فليس على الكلام بقادر واذا اراد النطق خلت لسانه لحما تحركه لصقر ناقر فان قلت فلم اسند الختم الى الله تعالى واسناده اليه يدل على المنع من قبول الحق والتوصل اليه بطرقه وهو قبيح والله يتعالى عن فعل القبيح علوا كبيرا لعلمه بقبحه وعلمه بغناه عنه وقد نص على تنزيه ذاته بقوله تعالى وما انا بظلام للعبيد وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين ان الله لا يامر بالفحشاء ونظائر ذلك مما نطق به التنزيل قلت القصد الى صفة القلوب بانها كالمختوم عليها واما اسناد الختم الى الله عز وجل فلينبه على ان هذه الصفة في فرط تمكنها وثبات قدمها كالشيء الخلقي غير العرضي الا ترى الى قولهم فلان مجبول على كذا ومفطور عليه يريدون انه بليغ في الثبات عليه وكيف يتخيل ما خيل اليك وقد وردت الآية ناعية على الكفار شناعة صفتهم وسماجة حالهم ونيط بذلك الوعيد بعذاب عظيم ويجوز ان تضرب الجملة كما هي وهي ختم الله تعالى على قلوبهم مثلا كقولهم سال به الوادي اذا هلك وطارت به العنقاء اذا اطال الغيبة وليس للوادي ولا للعنقاء عمل في هلاكه ولا في طول غيبته وانما هو تمثيل مثلت حاله في هلاكه بحال من سال به الوادي وفي طول غيبته بحال من طارت به العنقاء فكذلك مثلت حال قلوبهم فيما كانت عليه من التجافي عن الحق بحال قلوب ختم الله عليها نحو قلوب الاغتام التي هي في خلوها عن الفطن كقلوب البهائم او بحال قلوب البهائم انفسها او بحال قلوب مقدر ختم الله عليها حتى لا تعي شيئا ولا تفقه وليس له عز وجل فعل في تجافيها عن الحق ونبوها عن قبوله وهو متعال عن ذلك ويجوز ان يستعار الاسناد في نفسه من غير الله فيكون الختم مسندا الى اسم الله على سبيل المجاز وهو لغيره حقيقة تفسير هذا ان للفعل ملابسات شتى يلابس الفاعل والمفعول به والمصدر والزمان والمكان والمسبب له فاسناده الى الفاعل حقيقة وقد يسند الى هذه الاشياء على طريق المجاز المسمى استعارة وذلك لمضاهاتها الفاعل في ملابسة الفعل كما يضاهي الرجل الاسد في جراءته فيستعار له اسمه فيقال في المفعول به عيشة راضية وماء دافق وفي عكسه سيل مفعم وفي المصدر شعر شاعر وذيل ذائل وفي الزمان نهاره صائم وليله قائم وفي المكان طريق سائر ونهر جار واهل مكة يقولون صلى المقام وفي المسبب بنى الامير المدينة وناقة ضبوث وحلوب وقال اذا رد عافي القدر من يستعيرها فالشيطان هو الخاتم في الحقيقة او الكافر الا ان الله سبحانه لما كان هو الذي اقدره ومكنه اسند اليه الختم كما يسند الفعل الى المسبب ووجه رابع وهو انهم لما كانوا على القطع والبت ممن لا يؤمن ولا تغني عنهم الآيات والنذر ولا تجدي عليهم الالطاف المحصلة ولا المقربة ان اعطوها لم يبق بعد استحكام العلم

بانه

بانه لا طريق الى ان يؤمنوا طوعا واختيارا ولا طريق الى ايمانهم الا القسر والالجاء واذا لم يبق طريق الا ان يقسرهم الله تعالى ويلجئهم ثم لم يقسرهم ولم يلجئهم لئلا ينتقض الغرض في التكليف عبر عن ترك القسر والالجاء بالختم اشعارا بانهم الذين ترامى امرهم في التصميم على الكفر والاصرار عليه الى حد لا ينتهون عنه الا بالقسر والالجاء وهي الغاية القصوى في وصف لجاجهم في الغي واستشرائهم في الضلال والبغي ووجه خامس وهو ان يكون حكاية لما كانت الكفرة يقولونه تهكما بهم من قولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب ونظيره في الحكاية والتهكم قوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تاتيهم البينة فان قلت اللفظ يحتمل ان تكون الاسماع داخلة في حكم الختم وفي حكم التغشية فعلى ايهما يعول قلت على دخولها في حكم الختم لقوله عز وجل وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ولوقفهم على سمعهم دون قلوبهم فان قلت اي فائدة في تكرير الجار في قوله وعلى سمعهم قلت لو لم يكرر لكان انتظاما للقلوب والاسماع في تعدية واحدة وحين استجد للاسماع تعدية على حدة كان ادل على شدة الختم في الموضعين ووحد السمع كما وحد البطن في قوله كلوا في بعض بطنكم تعفوا يفعلون ذلك اذا امن اللبس فاذا لم يؤمن كقولك فرسهم وثوبهم وانت تريد الجمع رفضوه ولك ان تقول السمع مصدر في اصله والمصادر لا تجمع فلمح الاصل يدل عليه جمع الاذن في قوله وفي آذاننا وقر وان تقدر مضافا محذوفا اي وعلى حواس سمعهم وقرا ابن ابي عبلة وعلى اسماعهم فان قلت ما اشبع ابا عمرو والكسائي من امالة ابصارهم ما فيه من حرف الاستعلاء وهو الصاد قلت لان الراء المكسورة تغلب المستعلية لما فيها من التكرير فكان فيها كسرتين وذلك اعون شيء على الامالة وان يمال له ما لا يمال والبصر نور العين وهو ما يبصر به الرائي ويدرك المرئيات كما ان البصيرة نور القلب وهو ما به يستبصر ويتامل وكانهما جوهران لطيفان خلقهما الله تعالى فيهما آلتين للابصار والاستبصار وقرئ غشاوة بالكسر والنصب وغشاوة بالضم والرفع وغشاوة بالفتح والنصب وغشوة بالكسر والرفع وغشوة بالفتح والرفع والنصب وعشاوة بالعين غير المعجمة والرفع من العشا والعذاب مثل النكال بناء ومعنى لانك تقول اعذب عن الشيء اذا امسك عنه كما تقول نكل عنه ومنه العذب لانه يقمع العطش ويردعه بخلاف الملح فانه يزيده ويدل عليه تسميتهم اياه نقاخا لانه ينقخ العطش اي يكسره وفراتا لانه يرفته على القلب ثم اتسع فيه فسمي كل الم فادح عذابا وان لم يكن نكالا اي عقابا يرتدع به الجاني عن المعاودة والفرق بين العظيم والكبير ان العظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير فكان العظيم فوق الكبير كما ان الحقير دون الصغير ويستعملان في الجثث والاحداث جميعا تقول رجل عظيم وكبير تريد جثته او خطره ومعنى التنكير ان على ابصارهم نوعا من الاغطية غير ما يتعارفه الناس وهو غطاء التعامي عن آيات الله تعالى ولهم من الآلام العظام نوع عظيم لا يعلم كنهه الا الله اللهم اجرنا من عذابك ولا تبلنا بسخطك يا واسع المغفرة

ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين افتتح سبحانه بذكر الذين اخلصوا دينهم لله وواطات فيه قلوبهم السنتهم ووافق سرهم علنهم وفعلهم قولهم ثم ثنى بالذين محضوا الكفر ظاهرا وباطنا قلوبا والسنة ثم ثلث بالذين آمنوا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم وابطنوا خلاف ما اظهروا وهم الذين قال فيهم مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء وسماهم المنافقين وكانوا اخبث الكفرة وابغضهم اليه وامقتهم عنده لانهم خلطوا بالكفر تمويها وتدليسا وبالشرك استهزاء وخداعا ولذلك انزل فيهم ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ووصف حال الذين كفروا في آيتين وحال الذين نافقوا في ثلاث عشرة آية نعى عليهم فيها خبثهم ومكرهم وفضحهم وسفههم واستجهلهم واستهزا بهم وتهكم بفعلهم وسجل بطغيانهم وعمههم ودعاهم صما بكما عميا وضرب لهم الامثال الشنيعة وقصة المنافقين عن آخرها معطوفة على قصة الذين كفروا كما تعطف الجملة على الجملة واصل ناس اناس حذفت همزته تخفيفا كما قيل لوقة في الوقة وحذفها مع لام التعريف كاللازم لا يكاد يقال الاناس ويشهد لاصله انسان واناس واناسي وانس وسموا لظهورهم وانهم يؤنسون اي

يبصرون كما سمي الجن لاجتنانهم ولذلك سموا بشرا ووزن ناس فعال لان الزنة على الاصول الا تراك تقول
في وزن قه افعل وليس معك الا العين وحدها وهو من اسماء الجمع كرخال جمع رخل وهو الانثى من اولاد الضان
واما نويس فمن المصغر الجاري على خلاف مكبره كانيسيان ورويجل ولام التعريف فيه للجنس ويجوز ان يكون للعهد
والاشارة الى الذين كفروا المار ذكرهم كانه قيل ومن هولاء من يقول وهم عبد الله بن ابي واصحابه ومن كان
في حالهم من اهل التصميم على النفاق ونظير موقعه موقع القوم في قولك نزلت بني فلان فلم يقروني والقوم لئام
ومن في من يقول موصوفة كانه قيل ومن الناس ناس يقولون كذا كقوله تعالى ومنهم الذين يؤذون النبي
فان قلت كيف يجعلون بعض اولئك والمنافقون غير المختوم على قلوبهم قلت الكفر جمع
الفريقين معا وصيرهم جنسا واحدا وكون المنافقين نوعا من نوعي هذا الجنس مغايرا للنوع الآخر بزيادة
زادها على الكفر الجامع بينهما من الخديعة والاستهزاء لا يخرجهم ان يكونوا بعضا من الجنس فان الاجناس انما تنوعت
لمغايرات بين بعضها وبعض وتلك المغايرات انما تأتي بالنوعية ولا تأبى الدخول تحت الجنسية فان قلت
لم اختص بالذكر الايمان بالله والايمان باليوم الآخر قلت اختصاصهما بالذكر كشف عن افراطهم
في الخبث وتماديهم في الدعارة لان القوم كانوا يهودا وايمان اليهود بالله ليس بايمان لقولهم عزير ابن الله
وكذلك ايمانهم باليوم الآخر لانهم يعتقدونه على خلاف صفته فكان قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر خبثا مضاعفا
وكفرا موجبا لان قولهم هذا لو صدر عنهم لا على وجه النفاق وعقيدتهم عقيدتهم فهو كفر لا ايمان فاذا
قالوه على وجه النفاق خديعة للمسلمين واستهزاء بهم واروهم انهم مثلهم في الايمان الحقيقي كان خبثا الى
خبث وكفرا الى كفر وايضا فقد اوهموا في هذا المقال انهم احتازوا الايمان من جانبيه واكتنفوه من قطريه
واحاطوا باوله وآخره وفي تكرير الباء انهم ادعوا كل واحد من الايمانين على صفة الصحة والاستحكام
فان قلت كيف طابق قوله وما هم بمؤمنين قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر والاول في ذكر شان
الفعل لا الفاعل والثاني في ذكر شان الفاعل لا الفعل قلت القصد الى انكار ما ادعوه ونفيه
فسلك في ذلك طريق يؤدي الى الغرض المطلوب وفيه من التوكيد والمبالغة ما ليس في غيره وهو اخراج
ذواتهم وانفسهم من ان تكون طائفة من طوائف المؤمنين لما علم من حالهم المنافية لحال الداخلين في
الايمان واذا شهد عليهم بانهم في انفسهم على هذه الصفة فقد انطوى تحت الشهادة عليهم بذلك نفي ما انتحلوا
اثباته لانفسهم على سبيل القطع والبت ونحوه قال تعالى يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها
هو ابلغ من قولك وما يخرجون منها فان قلت فلم جاء الايمان مطلقا في الثاني وهو مقيد في الاول
قلت يحتمل ان يراد التقييد ويترك لدلالة المذكور عليه وان يراد بالاطلاق انهم ليسوا من الايمان
في شيء قط لا من الايمان بالله وباليوم الآخر ولا من الايمان بغيرهما فان قلت ما المراد باليوم الآخر
قلت يجوز ان يراد به الوقت الذي لا حد له وهو الابد الدائم الذي لا ينقطع لتأخره عن الاوقات المنقضية
وان يراد به الوقت المحدود من النشور الى ان يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار لانه آخر الاوقات المحدودة
الذي لا حد للوقت بعده ● يخادعون ● والذين آمنوا وما يخادعون الا انفسهم وما
يشعرون ● والخدع ان يوهم صاحبه خلاف ما يريد به من المكروه من قولهم ضب خادع وخدع اذا
امر الحارش يده على باب جحره اوهمه اقباله عليه ثم خرج من باب آخر فان قلت كيف ذلك ومخادعة الله
والمؤمنين لا تصح لان العالم الذي لا يخفى عليه خافية لا يخدع والحكيم الذي لا يفعل القبيح لا يخدع والمؤمنون وان جاز
ان يخدعوا لم يجز ان يخدعوا الا ترى الى قوله ● واستمطروا من قريش كل منخدع ● وقول ذي الرمة ● ان الحكيم
وذا الاسلام يختلب ● فقد جاء النعت بالانخداع ولم يأت بالخدع قلت فيه وجوه احدها ان يقال كانت
صورة صنعهم مع الله حيث يتظاهرون بالايمان وهم كافرون صورة صنع الخادعين وصورة صنع الله معهم

حيث

حيث امر باجراء احكام المسلمين عليهم وهم عنده في عداد شرار الكفرة واهل الدرك الاسفل من النار صورة
صنع الخادع وكذلك صورة صنع المؤمنين معهم حيث امتثلوا امر الله فيهم فاجروا احكامهم عليهم والثاني
ان يكون ذلك ترجمة عن معتقدهم وظنهم ان الله ممن يصح خداعه لان من كان ادعاؤه الايمان بالله نفاقا
لم يكن عارفا بالله ولا بصفاته ولا ان لذاته تعلقا بكل معلوم ولانه غني عن فعل القبائح فلم يبعد من مثله
تجويز ان يكون الله في زعمه مخدوعا ومصابا بالمكروه من وجه خفي وتجويز ان يدلس على عباده ويخدعهم والثالث
ان يذكر الله ويراد به الرسول لانه خليفته في ارضه والناطق عنه باوامره ونواهيه مع عباده كما يقال قال الملك
كذا ورسم كذا وانما القائل والراسم وزيره او بعض خاصته الذين قولهم قوله ورسمهم رسمه مصداقه قوله تعالى
ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم ومن يطع الرسول فقد اطاع الله والرابع ان يكون
من قولهم اعجبني زيد وكرمه فيكون المعنى يخادعون الذين آمنوا بالله وفائدة هذه الطريقة قوة الاختصاص ولما
كان المؤمنون من الله بمكان سلك بهم ذلك المسلك ومثله والله ورسوله احق ان يرضوه وكذلك
ان الذين يؤذون الله ورسوله ونظيره في كلامهم علمت زيدا فاضلا الغرض فيه ذكر احاطة العلم بفضل
زيد لا به نفسه لانه كان معلوما له قديما كانه قيل علمت فضل زيد ولكن ذكر زيد توطئة وتمهيد لذكر فضله
فان قلت هل للاقتصار بخادعت على واحد وجه صحيح قلت وجهه ان يقال عني به فعلت الا انه
اخرج في زنة فاعلت لان الزنة في اصلها للمغالبة والمباراة والفعل متى غولب فيه فاعله جاء ابلغ واحكم
منه اذا زاوله وحده من غير مغالب ولا مبار لزيادة قوة الداعي اليه ويعضده قراءة من قرا يخدعون الله
والذين آمنوا وهو ابو حيوة ويخادعون بيان ليقول ويجوز ان يكون مستانفا كانه قيل ولم يدعون الايمان كاذبين
وما رفقهم في ذلك فقيل يخادعون فان قلت عم كانوا يخادعون قلت كانوا يخادعون عن
اغراض لهم ومقاصد منها متاركتهم واعفاؤهم عن المحاربة وعما يطرقون به من سواهم من الكفار ومنها اصطناعهم
بما يصطنعون به المؤمنين من اكرامهم والاحسان اليهم واعطائهم الحظوظ من المغانم ونحو ذلك من الفوائد ومنها
اطلاعهم لاختلاطهم بهم على الاسرار التي كانوا حراصا على اذاعتها الى منابذيهم فان قلت فلو اظهر عليهم حتى
لا يصلوا الى هذه الاغراض بخداعهم عنها قلت لم يظهر عليهم لما احاط به علما من المصالح التي لو اظهر عليهم لانقلبت
مفاسد والاستبقاء ابليس وذريته وتاركهم وما هم عليه من اغواء المنافقين وتلقينهم النفاق اشد من ذلك ولكن
السبب فيه لما علمه تعالى من المصلحة فان قلت ما المراد بقوله وما يخادعون الا انفسهم قلت يجوز
ان يراد وما يعاملون تلك المعاملة المشبهة بمعاملة المخادعين الا انفسهم لان ضررها يلحقهم ومكرها يحيق بهم كما
تقول فلان يضار فلانا وما يضار الا نفسه اي دائرة الضرار راجعة اليه وغير متخطية اياه وان يراد حقيقة المخادعة
اي وهم في ذلك يخدعون انفسهم حيث يمنونها الاباطيل ويكذبونها فيما يحدثونها به وانفسهم كذلك تمنيهم
وتحدثهم بالاماني وان يراد وما يخدعون فجيء به على لفظ يفاعلون للمبالغة وقرئ وما يخدعون ويخدعون من خدع
ويخدعون بفتح الياء بمعنى يختدعون ويخدعون ويخادعون على لفظ ما لم يسم فاعله والنفس ذات الشيء وحقيقته
يقال عندي كذا نفسا ثم قيل للقلب نفس لان النفس به الا ترى الى قولهم المرء باصغريه وكذلك بمعنى الروح وللدم نفس
لان قوامها بالدم وللماء نفس لفرط حاجتها اليه قال الله تعالى وجعلنا من الماء كل شيء حي وحقيقة نفس الرجل بمعنى
اصيبت نفسه كقولهم صدر الرجل وقولهم فلان يؤامر نفسه اذا تردد في الامر واتجه له رايان وداعيان لا يدري على ايهما
يعرج كانهم ارادوا داعيي النفس وهاجسي النفس فسموهما نفسين اما لصدورهما عن النفس واما لان الداعيين لما كانا
كالمشيرين عليه والداعيين له شبهوهما بذاتين فسموهما نفسين والمراد بالانفس هاهنا ذواتهم والمعنى بمخادعتهم
ذواتهم ان الخداع لاصق بهم لا يعدوهم الى غيرهم ولا يتخطاهم الى من سواهم ويجوز ان يراد قلوبهم ودواعيهم وآراؤهم
والشعور علم الشيء علم حس من الشعار ومشاعر الانسان حواسه والمعنى ان لحوق ضرر ذلك بهم كالمحسوس

وهم [illegible] • في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم
بما كانوا يكذبون • واستعمال المرض في القلب يجوز أن يكون حقيقة ومجازا فالحقيقة أن يراد
الألم كالنقول في جوفه مرض والمجاز أن يستعار لبعض أعراض القلب كسوء الاعتقاد والغل والحسد والميل إلى المعاصي
والعزم عليها واستشعار الهوى والجبن والضعف وغير ذلك مما هو فساد وآفة شبيهة بالمرض كما استعيرت
الصحة والسلامة في نقائض ذلك والمراد به هنا ما في قلوبهم من سوء الاعتقاد والكفر أو من الغل والحسد والبغضاء
لأن صدورهم كانت تغلي على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين غلا وحنقا ويبغضونهم البغضاء التي وصفها الله
في قوله قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر ويتحرقون عليهم حسدا إن تمسسكم حسنة تسؤهم
وناهيك بما كان من ابن أبي وقول سعد بن عبادة لرسول الله صلى الله عليه وسلم اعف عنه يا رسول الله واصفح فوالله
لقد أعطاك الله الذي أعطاك ولقد اصطلح أهل هذه البحيرة أن يعصبوه بالعصابة فلما رد الله ذلك بالحق الذي
أعطاكه شرق بذلك أو يراد به ما تداخل قلوبهم من الضعف والجبن والخور لأن قلوبهم كانت قوية إما لقوة طمعهم
فيما كانوا يتحدثون به أن ريح الإسلام تهب حينا ثم تسكن ولواءه يخفق أياما ثم يقر فضعفت حين ملكها اليأس
عند إنزال الله على رسوله صلى الله عليه وسلم النصر وإظهار دين الحق على الدين كله وإما لجراءتهم وجسارتهم في الحروب
فضعفت جبنا وخورا حين قذف الله في قلوبهم الرعب وشاهدوا شوكة المسلمين وإمداد الله لهم بالملائكة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نصرت بالرعب مسيرة شهر • ومعنى زيادة الله لهم مرضا أنه كلما أنزل على رسوله الوحي
فسمعوه كفروا به فازدادوا كفرا إلى كفرهم فكأن الله هو الذي زادهم ما ازدادوه إسنادا للفعل إلى المسبب له
كما أسنده إلى السورة في قوله فزادتهم رجسا إلى رجسهم لكونها سببا أو كلما زاد رسوله نصرة وتبسطا في البلاد
ونقصا من أطراف الأرض ازدادوا حسدا أو غلا وبغضا وازدادت قلوبهم ضعفا وقلة طمع فيما عقدوا به رجاءهم
وجبنا وخورا ويحتمل أن يراد بزيادة المرض الطبع وقرأ أبو عمرو في رواية الأصمعي مرض ومرضا بسكون الراء يقال
ألم فهو أليم كوجع فهو وجيع وصف العذاب به نحو قوله • تحية بينهم ضرب وجيع • وهو على طريقة قولهم جد جده والألم
في الحقيقة للمؤلم كما أن الجد للجاد • والمراد بكذبهم قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر وفيه رمز إلى قبح الكذب وسماجته
وتخييل أن العذاب الأليم لاحق بهم من أجل كذبهم ونحوه قوله تعالى مما خطاياهم أغرقوا والقوم كفرة وإنما خصت الخطيات
استعظاما لها وتنفيرا عن ارتكابها والكذب الإخبار بالشيء على خلاف ما هو به وهو قبيح كله • وأما ما روي عن إبراهيم
صلوات الله عليه أنه كذب ثلاث كذبات فالمراد التعريض ولكن لما كانت صورته صورة الكذب سمي به • وعن أبي بكر
رضي الله عنه وروي مرفوعا إياكم والكذب فإنه مجانب للإيمان • وقرئ يكذبون من كذبه الذي هو نقيض صدقه أو من
كذب الذي هو للمبالغة كما بولغ في صدق فقيل صدق ونظيرهما بان الشيء وبين وقلص الثوب وقلص أو بمعنى الكثرة
كقولهم موتت البهائم وبركت الإبل أو من قولهم كذب الوحشي إذا جرى شوطا ثم وقف لينظر ما وراءه لأن المنافق
متحير متردد ولذلك قيل له مذبذب وقال عليه الصلوة والسلام مثل المنافق مثل الشاة العائرة بين
الغنمين تعير إلى هذه مرة وإلى هذه مرة • وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن
مصلحون • ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون • وإذا قيل لهم آمنوا
كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن
لا يعلمون • وإذا قيل لهم معطوف على يكذبون ويجوز أن يعطف على يقول آمنا لأنك لو قلت ومن الناس
من إذا قيل لهم لا تفسدوا كان صحيحا والأول أوجه • والفساد خروج الشيء عن حال الاستقامة وكونه منتفعا به
ونقيضه الصلاح وهو الحصول على الحالة المستقيمة النافعة والفساد في الأرض تهييج الحروب والفتن لأن في ذلك
فساد ما في الأرض وانتفاء الاستقامة عن أحوال الناس والزروع والمنافع الدينية والدنياوية قال الله تعالى وإذا
تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء • ومنه قيل لحرب

كانت

كانت بين طي حرب الفساد • وكان فساد المنافقين في الأرض أنهم كانوا يمايلون الكفار ويمالونهم على المسلمين
بإفشاء أسرارهم إليهم وإغرائهم عليهم وذلك مما يؤدي إلى هيج الفتن بينهم فلما كان ذلك من صنيعهم مؤديا
إلى الفساد قيل لهم لا تفسدوا كما تقول للرجل لا تقتل نفسك بيدك ولا تلق نفسك في النار إذا أقدم على
ما هذه عاقبته • وإنما لقصر الحكم على شيء كقولك إنما ينطلق زيد أو لقصر الشيء على حكم كقولك إنما زيد كاتب
ومعنى إنما نحن مصلحون أن صفة المصلحين خلصت لهم وتمحضت من غير شائبة قادح فيها من وجه من وجوه
الفساد • وألا مركبة من همزة الاستفهام وحرف النفي لإعطاء معنى التنبيه على تحقق ما بعدها والاستفهام إذا
دخل على النفي أفاد تحقيقا كقوله تعالى أليس ذلك بقادر ولكونها في هذا المنصب من التحقيق لا تكاد تقع الجملة
بعدها إلا مصدرة بنحو ما يتلقى به القسم وأختها التي هي أما من مقدمات اليمين وطلائعها • أما والذي لا يعلم الغيب غيره
أما والذي أبكى وأضحك • رد الله ما ادعوه من الانتظام في جملة المصلحين أبلغ رد وأدله على سخط عظيم والمبالغة
فيه من جهة الاستئناف وما في كلتا الكلمتين ألا وإن من التأكيدين وتعريف الخبر وتوسيط الفصل وقوله لا يشعرون
أتوهم في النصيحة من وجهين أحدهما تقبيح ما كانوا عليه لبعده من الصواب وجره إلى الفساد والفتنة • والثاني تبصيرهم
الطريق الأسد من اتباع ذوي الأحلام ودخولهم في عدادهم فكان من جوابهم أن سفهوهم لفرط سفههم وجهلوهم لتمادي
جهلهم وفي ذلك تسلية للعالم مما يلقى من الجهلة • فإن قلت كيف صح أن يسند قيل إلى لا تفسدوا وآمنوا
وإسناد الفعل إلى الفعل مما لا يصح • قلت الذي لا يصح هو إسناد الفعل إلى معنى الفعل وهذا إسناد له إلى
لفظه كأنه قيل وإذا قيل لهم هذا القول أو هذا الكلام فهو من نحو قولك ألف ضرب من ثلاثة أحرف ومنه قولهم زعموا
مطية الكذب • وما في نحو كما يجوز أن تكون كافة مثلها في ربما أو مصدرية مثلها في بما رحبت • واللام في الناس للعهد
أي كما آمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه وهم ناس معهودون أو عبد الله بن سلام وأشياعه لأنهم من جلدتهم
ومن أبناء جنسهم أي كما آمن أصحابكم وإخوانكم أو للجنس أي كما آمن الكاملون في الإنسانية أو جعل المؤمنون كأنهم
الناس على الحقيقة ومن عداهم كالبهائم في فقد التمييز بين الحق والباطل • والاستفهام في أنؤمن في معنى الإنكار
واللام في السفهاء مشار بها إلى الناس كما تقول لصاحبك إن زيدا قد سعى بك فيقول أوقد فعل السفيه • ويجوز أن
تكون للجنس وينطوي تحته الجاري ذكرهم على زعمهم واعتقادهم لأنهم عندهم أعرق الناس في السفه • فإن قلت لم
سفهوهم واستركوا عقولهم وهم العقلاء المراجيح • قلت لأنهم لجهلهم وإخلالهم بالنظر وإنصاف أنفسهم
اعتقدوا أن ما هم فيه هو الحق وأن ما عداه باطل ومن ركب متن الباطل كان سفيها ولأنهم كانوا في رياسة وبسطة
في قومهم ويسار وكان أكثر المؤمنين فقراء ومنهم موال كصهيب وبلال وخباب فدعوهم سفهاء تحقيرا لشأنهم أو أرادوا
عبد الله بن سلام وأشياعه ومفارقتهم دينهم وما غاظهم من إسلامهم وفت في أعضادهم قالوا ذلك على سبيل التجلد
توقيا من الشماتة بهم مع علمهم أنهم من السفه بمعزل • والسفه سخافة العقل وخفة الحلم • فإن قلت لم فصلت
هذه الآية بلا يعلمون والتي قبلها بلا يشعرون • قلت لأن أمر الديانة والوقوف على أن المؤمنين على الحق وهم
على الباطل يحتاج إلى نظر واستدلال حتى يكتسب الناظر المعرفة • وأما النفاق وما فيه من البغي المؤدي إلى الفتنة
والفساد في الأرض فأمر دنياوي مبني على العادات معلوم عند الناس خصوصا عند العرب في جاهليتهم وما كان
قائما بينهم من التغاور والتناجز والتحارب والتحازب فهو كالمحسوس المشاهد ولأنه قد ذكر السفه وهو جهل فكان ذكر
العلم معه أحسن طباقا له • وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم
قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزؤن • الله يستهزئ بهم ويمدهم في
طغيانهم يعمهون • مساق هذه الآية بخلاف ما سيقت له أول قصة المنافقين فليس بتكرير
لأن تلك في بيان مذهبهم والترجمة عن نفاقهم وهذه في بيان ما كانوا يعملون عليه مع المؤمنين من التكذيب لهم
والاستهزاء بهم ولقائهم بوجوه المصادقين وإيهامهم أنهم معهم فإذا فارقوهم إلى شطار دينهم صدقوهم

ما في قلوبهم وروي ان عبد الله بن ابي واصحابه خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال عبد الله انظروا كيف ارد هؤلاء السفهاء عنكم فاخذ بيد ابي بكر رضي الله عنه فقال مرحبا بالصديق
سيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار الباذل نفسه وماله ثم اخذ بيد عمر رضي الله عنه
فقال مرحبا بسيد بني عدي بن كعب الفاروق القوي في دين الله الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم اخذ بيد علي رضي الله عنه فقال مرحبا بابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه سيد بني هاشم ما خلا رسول الله
فقال علي رضي الله عنه اتق الله يا عبد الله ولا تنافق فان المنافقين شر خليقة الله تعالى فقال عبد الله مهلا ابا الحسن
الي تقول هذا والله ان ايماننا كايمانكم وتصديقنا كتصديقكم ثم افترقوا فقال لاصحابه كيف رايتموني فعلت فاثنوا
عليه خيرا فنزلت ويقال لقيته ولاقيته اذا استقبلته قريبا منه وهو جاري تلاقي ومراوقي وقرا ابو حنيفة واذا لاقوا
وخلوت بفلان واليه اذا انفردت معه ويجوز ان يكون من خلا بمعنى مضى وخلاك ذم اي عداك ومضى عنك
ومنه القرون الخالية ومن خلوت به اذا سخرت منه وهو من قولك خلا فلان بعرض فلان يعبث به ومعناه
واذا انهوا السخرية بالمؤمنين الى شياطينهم وحدثوهم بها كما تقول احمد اليك فلانا واذمه اليك وشياطينهم
الذين ماثلوا الشياطين في تمردهم وقد جعل سيبويه نون الشيطان في موضع من كتابه اصلية وفي آخر زائدة
والدليل على اصالتها قولهم تشيطن واشتقاقه من شطن اذا بعد لبعده عن الصلاح والخير ومن شاط اذا بطل اذا
جعلت نونه زائدة ومن اسمائه الباطل انا معكم انا مصاحبوكم وموافقوكم على دينكم فان قلت لم كانت
مخاطبتهم المؤمنين بالجملة الفعلية وشياطينهم بالاسمية محققة بان قلت ليس ما خاطبوا به المؤمنين جديرا باقوى
الكلامين واوكدهما لانهم في ادعاء حدوث الايمان منهم ونشئه من قبلهم لا في ادعاء انهم اوحديون في الايمان غير مشقوق
فيه غبارهم وذلك اما لان انفسهم لا تساعدهم عليه اذ ليس لهم من عقائدهم باعث ومحرك وهكذا كل قول لم يصدر عن اريحية
وصدق رغبة واعتقاد واما لانه لا يروج عنهم لو قالوه على لفظ التوكيد والمبالغة وكيف يقولونه ويطمعون في رواجه
وهم بين ظهراني المهاجرين والانصار الذين مثلهم في التوراة والانجيل الا ترى الى حكاية الله تعالى قول المؤمنين ربنا
اننا آمنا واما مخاطبة اخوانهم فهم فيما اخبروا به عن انفسهم من الثبات على اليهودية والقرار على اعتقاد الكفر والبعد
من ان يزلوا عنه على صدق رغبة ووفور نشاط وارتياح للتكلم به وما قالوه من ذلك فهو رائج عنهم متقبل منهم
فكان مظنة للتحقيق ومئنة للتوكيد فان قلت انى تعلق قوله انما نحن مستهزءون بقوله انا معكم قلت
هو توكيد له لان قوله انا معكم معناه الثبات على اليهودية وقوله انما نحن مستهزءون رد للاسلام ودفع له منهم لان
المستهزئ بالشيء المستخف به منكر له ودافع لكونه معتدا به ودفع نقيض الشيء تاكيد لثباته او بدل منه لان من
حقر الاسلام فقد عظم الكفر او استئناف كانهم اعترضوا عليهم حين قالوا لهم انا معكم فقالوا فما بالكم ان صح
انكم معنا توافقون اهل الاسلام فقالوا انما نحن مستهزءون والاستهزاء السخرية والاستخفاف واصل الباب
الخفة من الهزء وهو القتل السريع وهزا يهزا مات على المكان عن بعض العرب مشيت فلغبت فظننت لاهزان
على مكاني وناقته تهزا به اي تسرع وتخف فان قلت لا يجوز الاستهزاء على الله تعالى لانه متعال عن القبيح
والسخرية من باب العيب والجهل الا ترى الى قوله قالوا اتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين فما معنى
استهزائه بهم قلت معناه انزال الهوان والحقارة بهم لان المستهزئ غرضه الذي يرميه هو طلب الخفة والزراية
بمن يهزا به وادخال الهوان والحقارة عليه والاشتقاق كما ذكرنا شاهد لذلك وقد كثر التهكم في كلام الله تعالى
بالكفرة والمراد به تحقير شانهم وازدراء امرهم والدلالة على ان مذاهبهم حقيقة بان يسخر منها الساخرون ويضحك
الضاحكون ويجوز ان يراد به ما مر في يخادعون من انه يجري عليهم احكام المسلمين في الظاهر وهو مبطن بادخار ما يراد
بهم من العذاب وقيل سمي جزاء الاستهزاء باسمه كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه
فان قلت كيف ابتدئ قوله الله يستهزئ بهم ولم يعطف على الكلام قبله قلت هو استئناف

في غاية الجزالة والفخامة وفيه ان الله عز وجل هو الذي يستهزئ بهم الاستهزاء الابلغ الذي ليس استهزاؤهم اليه
باستهزاء ولا يؤبه له في مقابلته لما ينزل بهم من النكال ويحل بهم من الهوان والذل وفيه ان الله تعالى هو الذي يتولى
الاستهزاء بهم انتقاما للمؤمنين ولا يحوج المؤمنين الى ان يعارضوهم باستهزاء مثله فان قلت فهلا قيل الله
مستهزئ بهم ليكون طبقا لقوله انما نحن مستهزءون قلت لان يستهزئ يفيد حدوث الاستهزاء وتجدده
وقتا بعد وقت وهكذا كانت نكايات الله فيهم وبلاياه النازلة بهم اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة
او مرتين وما كانوا يخلون في اكثر اوقاتهم من تهتك استار وتكشف اسرار ونزول في شانهم واستشعار
حذر من ان ينزل فيهم يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزءوا ان الله مخرج
ما تحذرون ويمدهم في طغيانهم يعمهون من مد الجيش وامده اذا زاده والحقه بما يقويه ويكثره وكذلك
مد الدواة وامدها زادها ما يصلحها ومددت السراج والارض اذا استصلحتهما بالزيت والسماد ومده الشيطان
في الغي وامده اذا واصله بالوساوس حتى يتلاحق غيه ويزداد انهماكا فيه فان قلت لم زعمت انه من المدد
دون المد في العمر والاملاء والامهال قلت كفاك دليلا على انه من المدد دون المد في العمر قراءة
ابن كثير وابن محيصن ويمدهم وقراءة نافع واخوانهم يمدونهم على ان الذي بمعنى امهله انما هو مد له مع اللام كاملى له
فان قلت فكيف جاز ان يوليهم الله مددا في الطغيان وهو فعل الشيطان الا ترى الى قوله
واخوانهم يمدونهم في الغي قلت اما ان يحمل على انهم لما منعهم الله تعالى الطافه التي يمنحها المؤمنين
وخذلهم بسبب كفرهم واصرارهم عليه بقيت قلوبهم يتزايد الرين والظلمة فيها تزايد الانشراح والنور في
قلوب المؤمنين فسمي ذلك التزايد مددا واسند الى الله سبحانه لانه مسبب عن فعله بهم بسبب كفرهم واما على
منع القسر والالجاء واما ان يسند فعل الشيطان الى الله تعالى لانه بتمكينه واقداره والتخلية بينه وبين اغواء
عباده فان قلت فما حملهم على تفسير المد في الطغيان بالامهال وموضوع اللغة كما ذكرت لا يطاوع عليه
قلت استجرهم الى ذلك خوف الاقدام على ان يسندوا الى الله ما اسندوا الى الشياطين ولكن المعنى الصحيح
ما طابقه اللفظ وشهد لصحته والا كان منه بمنزلة الاروى من النعام ومن حق مفسر كتاب الله الباهر وكلامه المعجز ان
يتعاهد في مذاهبه بقاء النظم على حسنه والبلاغة على كمالها وما وقع به التحدي سليما من القادح فاذا لم يتعاهد اوضاع
اللغة فهو من تعاهد النظم والبلاغة على مراحل ويعضد ما قلناه قول الحسن في تفسيره في ضلالتهم يتمادون وان هؤلاء
من اهل الطبع والطغيان الغلو في الكفر ومجاوزة الحد في العتو وقرا زيد بن علي رضي الله عنهما في طغيانهم بالكسر وهما
لغتان كلقيان ولقيان وغنيان وغنيان فان قلت اي نكتة في اضافته اليهم قلت فيها ان
الطغيان والتمادي في الضلالة مما اقترفته انفسهم واجترحته ايديهم وان الله برئ منهم ردا لاعتقاد الكفرة
القائلين لو شاء الله ما اشركنا ونفيا لوهم من عسى يتوهم عند اسناد المد الى ذاته لو لم يضف الطغيان اليهم
ان الطغيان فعله فلما اسند المد اليه على الطريق الذي ذكر اضاف الطغيان اليهم ليميط الشبهة ويقلعها
ويدفع في صدر من يلحد في صفاته ومصداق ذلك انه حين اسند المد الى الشياطين اطلق الغي ولم يقيده بالاضافة
في قوله واخوانهم يمدونهم في الغي والعمه مثل العمى الا ان العمى عام في البصر والرأي والعمه في الرأي خاصة وهو التحير
والتردد لا يدري اين يتوجه ومنه قوله بالجاهلين العمه اي الذين لا رأي لهم ولا دراية لهم بالطرق وسلكت ارضا عمهاء
لا منار بها **أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم**
وما كانوا مهتدين ومعنى اشتراء الضلالة بالهدى اختيارها عليه واستبدالها به على
سبيل الاستعارة لان الاشتراء فيه اعطاء بدل واخذ آخر ومنه اخذت بالجمة راسا ازعرا وبالثنايا الواضحات
الدردرا وبالطويل العمر عمرا جيدرا كما اشترى المسلم اذ تنصرا وعن وهب قال الله عز وجل فيما يعيب به
بني اسرائيل تفقهون لغير الدين وتعلمون لغير العمل وتبتاعون الدنيا بعمل الآخرة فان قلت كيف اشتروا

الضلالة بالهدى وما كانوا على هدى قلت جعلوا لتمكنهم منه واعراضه لهم كأنه في ايديهم فاذا تركوه الى الضلالة
فقد عطلوه واستبدلوا به ولان الدين القيم هو فطرة الله التي فطر الناس عليها فكل من ضل فهو مستبدل خلاف الفطرة
والضلالة الجور عن القصد وفقد الاهتداء يقال ضل منزله وضل دريص نفقه فاستعير للذهاب عن الصواب في
الدين والربح الفضل على رأس المال ولذلك سمي الشف من قولك اشف بعض ولده على بعض اذا فضله ولهذا
على هذا شف والتجارة صناعة التاجر وهو الذي يبيع ويشتري للربح وناقة تاجرة كأنها من حسنها وسمنها
تبيع نفسها وقرأ ابن ابي عبلة تجاراتهم فان قلت كيف اسند الخسران الى التجارة وهو لاصحابها قلت
هو من الاسناد المجازي وهو ان يسند الفعل الى شيء يتلبس بالذي هو في الحقيقة له كما تلبست التجارة بالمشترين
فان قلت هل يصح ربح عبدك وخسرت جاريتك على الاسناد المجازي قلت نعم اذا دلت الحال
وكذلك الشرط في صحة رأيت اسدا وانت تريد المقدام ان لم تقم حال دالة لم يصح فان قلت هب ان
شري الضلالة بالهدى وقع مجازا في معنى الاستبدال فما معنى ذكر الربح والتجارة كأن ثم مبايعة على الحقيقة
قلت هذا من الصنعة البديعة التي تبلغ بالمجاز الذروة العليا وهو ان تساق كلمة مساق المجاز ثم تقفى
باشكال لها واخوات اذا تلاحقن لم تر كلاما احسن ديباجة واكثر ماء ورونقا منه وهو المجاز المرشح وذلك
نحو قول العرب في البليد كأن اذني قلبه خطلاوان جعلوه كالحمار ثم رشحوا ذلك روما لتحقيق البلادة فادعوا
لقلبه اذنين وادعوا لهما الخطل ليمثلوا البلادة تمثيلا يلحقها ببلادة الحمار مشاهدة معاينة ونحوه ولما رأيت
النسر عز ابن داية وعشش في وكريه جاش له صدري لما شبه الشيب بالنسر والشعر الفاحم بالغراب
اتبعه ذكر التعشيش والوكر ونحوه قول بعض فتاكهم في امه فما ام الردين وان ادلت بعالمة باخلاق الكرام
اذا الشيطان قصع في قفاها تنفقناه بالحبل التؤام اي اذا دخل الشيطان في قفاها استخرجناه من نافقائه
بالحبل المثنى المحكم يريد اذا احردت واساءت الخلق اجتهدنا في ازالة غضبها واماطة ما يسوء من خلقها استعار التقصيع اولا
ثم ضم اليه التنفق ثم الحبل التؤام وكذلك لما ذكر الله سبحانه الشرى اتبعه ما يشاكله ويواخيه وما يكمل ويتم
بانضمامه اليه تمثيلا لخسارهم وتصويرا لحقيقته فان قلت فما معنى قوله فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين
قلت معناه ان الذي يطلبه التجار في متصرفاتهم شيئان سلامة رأس المال والربح وهؤلاء قد اضاعوا الطلبتين
معا لان رأس مالهم كان هو الهدى فلم يبق لهم مع الضلالة وحين لم يبق في ايديهم الا الضلالة لم يوصفوا باصابة
الربح وان ظفروا بما ظفروا به من الاغراض الدنيوية لان الضال خاسر دامر ولانه لا يقال لمن لم يسلم له رأس ماله قد ربح
وما كانوا مهتدين لطرق التجارة كما يكون التجار المتصرفون العالمون بما يربح فيه ويخسر

مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون صم بكم عمي فهم لا يرجعون

لما جاء بحقيقة صفتهم عقبها بضرب المثل زيادة في الكشف وتتميما للبيان ولضرب العرب الامثال واستحضار العلماء المثل
والنظائر شأن ليس بالخفي في ابراز خبيات المعاني ورفع الاستار عن الحقائق حتى تريك المتخيل في صورة المتحقق
والمتوهم في معرض المتيقن والغائب كأنه مشاهد وفيه تبكيت للخصم الالد وقمع لسورة الجامح الابي ولامر ما
اكثر الله تعالى في كتابه المبين وفي سائر كتبه امثاله وفشت في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم والانبياء والحكماء
قال الله تعالى وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون ومن سور الانجيل سورة الامثال والمثل في اصل
كلامهم بمعنى المثل وهو النظير يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده
مثل ولم يضربوا مثلا ولا رأوه اهلا للتسيير ولا جديرا بالتداول والقبول الا قولا فيه غرابة من بعض الوجوه ومن ثم
حوفظ عليه وحمي من التغيير فان قلت ما معنى مثلهم كمثل الذي استوقد نارا وما مثل المنافقين ومثل الذي استوقد
نارا حتى شبه احد المثلين بصاحبه قلت قد استعير المثل استعارة الاسد للمقدام للحال او الصفة او القصة

اذا كان لها شأن وفيها غرابة كأنه قيل حالهم العجيبة الشأن كحال الذي استوقد نارا وكذلك قوله مثل
الجنة التي وعد المتقون اي وفيما قصصنا عليك من العجائب قصة الجنة العجيبة ثم اخذ في بيان عجائبها ولله
المثل الاعلى اي الوصف الذي له شأن من العظمة والجلالة مثلهم في التوراة اي صفتهم وشأنهم المتعجب منه ولما في
التمثيل من معنى الغرابة قالوا فلان مثلة في الخير والشر فاشتقوا منه صفة للعجيب الشأن فان قلت كيف
مثلت الجماعة بالواحد قلت وضع الذي موضع الذين كقوله وخضتم كالذي خاضوا والذي سوغ وضع الذي
موضع الذين ولم يجز وضع القائم موضع القائمين ولا نحوه من الصفات امران احدهما ان الذي لكونه وصلة الى وصف
كل معرفة بجملة وتكاثر وقوعه في كلامهم ولكونه مستطالا بصلته حقيق بالتخفيف ولذلك نهكوه بالحذف
فحذفوا ياءه ثم كسرته ثم اقتصروا به على اللام وحدها في اسماء الفاعلين والمفعولين والثاني ان جمعه ليس بمنزلة جمع
غيره بالواو والنون انما ذلك علامة لزيادة الدلالة الا ترى ان سائر الموصولات لفظ الجمع والواحد فيهن واحد
او قصد جنس المستوقدين او اريد الجمع او الفوج الذي استوقد نارا على ان المنافقين وذواتهم لم يشبهوا بذات
المستوقد حتى يلزم منه تشبيه الجماعة بالواحد انما شبهت قصتهم بقصة المستوقد ونحوه قوله تعالى مثل الذين
حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا وقوله ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت ووقود النار
سطوعها وارتفاع لهبها ومن اخواته وقد في الجبل اذا صعد وعلا والنار جوهر لطيف مضيء حار محرق والنور
ضوءها وضوء كل نير وهو نقيض الظلمة واشتقاقها من نار ينور اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا والنور مشتق
منها والاضاءة فرط الانارة ومصداق ذلك قوله هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وهي في الآية
متعدية ويحتمل ان تكون غير متعدية مسندة الى ما حوله والتأنيث للحمل على المعنى لان ما حول المستوقد اماكن
واشياء ويعضده قراءة ابن ابي عبلة ضاءت وفيه وجه آخر وهو ان يستتر في الفعل ضمير النار ويجعل
اشراق ضوء النار حوله بمنزلة اشراق النار نفسها على ان ما مزيدة او موصولة في معنى الامكنة وحوله نصب على الظرف
وتأليفه للدوران والاطافة وقيل للعام حول لانه يدور فان قلت اين جواب لما قلت فيه
وجهان احدهما ان جوابه ذهب الله بنورهم والثاني انه محذوف كما حذف في قوله فلما ذهبوا به وانما جاز حذفه
لاستطالة الكلام مع امن الالباس للدال عليه وكان الحذف اولى من الاثبات لما فيه من الوجازة مع الاعراب عن
الصفة التي حصل عليها المستوقد بما هو ابلغ من اللفظ في اداء المعنى كأنه قيل فلما اضاءت ما حوله خمدت
فبقوا خابطين في ظلام متحيرين متحسرين على فوت الضوء خائبين بعد الكدح في احياء النار فان قلت
فاذا قدر الجواب محذوفا فبم يتعلق ذهب الله بنورهم قلت يكون كلاما مستأنفا كأنهم لما شبهت حالهم
بحال المستوقد الذي طفئت ناره اعترض سائل فقال ما بالهم قد اشبهت حالهم حال هذا المستوقد فقيل له
ذهب الله بنورهم او يكون بدلا من جملة التمثيل على سبيل البيان فان قلت قد رجع الضمير في هذا الوجه الى
المنافقين فما مرجعه في الوجه الثاني قلت مرجعه الذي استوقد لانه في معنى الجمع واما جمع هذا الضمير وتوحيده
في حوله فللحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى اخرى فان قلت فما معنى اسناد الفعل الى الله تعالى في قوله ذهب الله
بنورهم قلت اذا طفئت النار بسبب سماوي ريح او مطر فقد اطفأها الله وذهب بنور المستوقد ووجه آخر
وهو ان يكون المستوقد في هذا الوجه مستوقد نار لا يرضاها الله ثم اما ان تكون نارا مجازية كنار الفتنة والعداوة للاسلام
وتلك النار متقاصرة مدة اشتعالها قليلة البقاء الا ترى الى قوله كلما اوقدوا نارا للحرب اطفأها الله واما نارا
حقيقية اوقدها الغواة ليتوصلوا بالاستضاءة بها الى بعض المعاصي ويهتدوا بها في طرق العيث فاطفأها الله
وخيب امانيهم فان قلت كيف صح في النار المجازية ان توصف بالاضاءة ما حول المستوقد قلت
هو خارج على طريقة المجاز المرشح فاحسن تدبره فان قلت هلا قيل ذهب الله بضوئهم لقوله فلما اضاءت
قلت ذكر النور ابلغ لان الضوء فيه دلالة على الزيادة فلو قيل ذهب الله بضوئهم لاوهم الذهاب بالزيادة

وبقاء ما يسمى نوراً والغرض ازالة النور عنهم رأساً وطمسه اصلاً الا ترى كيف ذكر عقيبه وتركهم في ظلمات والظلمة عبارة
عن عدم النور وانطماسه وكيف جمعها وكيف نكرها وكيف اتبعها ما يدل على انها ظلمة مبهمة لا يتراءى فيها شبحان
وهو قوله لا يبصرون فان قلت فلم وصفت بالاضاءة قلت هذا على مذهب قولهم للباطل صولة ثم يضمحل
ولريح الضلالة عصفة ثم تخفت ونار العرفج مثل لنزوة كل طماح والفرق بين اذهبه وذهب به ان معنى
اذهبه ازاله وجعله ذاهباً ويقال ذهب به اذا استصحبه ومضى به معه وذهب السلطان بماله اخذه فلما ذهبوا
اذ لذهب كل اله بما خلق ومنه ذهبت به الخيلاء والمعنى اخذ الله نورهم وامسكه وما يمسك الله فلا مرسل
له فهو ابلغ من الاذهاب وقرأ اليماني اذهب الله نورهم وترك بمعنى طرح وخلى اذا علق بواحد كقوله تركه
ترك ظبي ظله فاذا علق بشيئين كان مضمناً معنى صير فيجري مجرى افعال القلوب كقول عنترة فتركته جزر
السباع ينشنه ومنه قوله وتركهم في ظلمات اصله هم في ظلمات ثم دخل ترك فنصب الجزئين والظلمة
عدم النور وقيل عرض ينافي النور واشتقاقها من قولهم ما ظلمك ان تفعل كذا اي ما منعك وشغلك لانها
تسد البصر وتمنع الرؤية وقرأ الحسن ظلْمات بسكون اللام وقرأ اليماني ظلمة على التوحيد والمفعول الساقط
من لا يبصرون من قبيل المتروك المطرح الذي لا يلتفت الى اخطاره بالبال لا من قبيل المقدر المنوي كأن الفعل غير
متعد اصلاً نحو يعمهون في قوله ويذرهم في طغيانهم يعمهون فان قلت فيم شبهت حالهم بحال المستوقد
قلت في انهم غب الاضاءة خبطوا في ظلمة وتورطوا في حيرة فان قلت وأين الاضاءة في حال المنافق
وهل هو ابداً الا حائر خابط في ظلمات الكفر قلت المراد ما استضاؤا به قليلاً من الانتفاع بالكلمة المجراة
على السنتهم ووراء استضاءتهم بنور هذه الكلمة ظلمة النفاق التي ترمي بهم الى ظلمة سخط الله وظلمة العقاب
السرمد ويجوز ان يشبه بذهاب الله بنور المستوقد اطلاع الله على اسرارهم وما افتضحوا به بين المؤمنين واتسموا به
من سمة النفاق والاوجه ان يراد الطبع لقوله صم بكم عمي وفي الآية تفسير آخر وهو انهم لما وصفوا بانهم اشتروا
الضلالة بالهدى عقب ذلك بهذا التمثيل ليمثل هداهم الذي باعوه بالنار المضيئة ما حول المستوقد والضلالة
التي اشتروها وطبع بها على قلوبهم بذهاب الله بنورهم وتركه اياهم في الظلمات وتنكير النار للتعظيم كانت حواسهم
سليمة ولكن لما سدوا عن الاصاخة الى الحق مسامعهم وأبوا ان ينطقوا به السنتهم وان ينظروا ويتبصروا
بعيونهم جعلوا كأنما ايفت مشاعرهم وانتقضت بناها التي بنيت عليها للاحساس والادراك كقوله
صم اذا سمعوا خيراً ذكرت به وان ذكرت بسوء عندهم اذنوا اصم عما ساءه سميع اصم عن الشيء الذي
لا اريد واسمع خلق الله حين اريد فاصممت عمراً واعميته عن الجود والفخر يوم الفخار فان قلت
كيف طريقته عند علماء البيان قلت طريقة قولهم هم ليوث للشجعان وبحور للاسخياء الا ان هذا في
الصفات وذلك في الاسماء وقد جاءت الاستعارة في الاسماء والصفات والافعال جميعاً تقول رأيت
ليوثاً ورأيت صماً عن الخير ودجا الاسلام واضاء الحق فان قلت هل يسمى ما في الآية استعارة قلت
مختلف فيه والمحققون على تسميته تشبيهاً بليغاً لا استعارة لان المستعار له مذكور وهم المنافقون والاستعارة
انما تطلق حيث يطوى ذكر المستعار له ويجعل الكلام خلواً عنه صالحاً لان يراد به المنقول عنه والمنقول اليه لولا دلالة
الحال او فحوى الكلام كقول زهير لدى اسد شاكي السلاح مقذف له لبد اظفاره لم تقلم ومن ثم ترى المفلقين
السحرة منهم كأنهم يتناسون التشبيه ويضربون عن توهمه صفحاً قال ابو تمام ويصعد حتى يظن الجهول بان له حاجة
في السماء ولبعضهم لا تحسبوا ان في سرباله رجلاً ففيه غيث وليث مسبل مشبل وليس لقائل ان
يقول طوى ذكرهم عن الجملة بحذف المبتدأ فاتسلق بذلك الى تسميته استعارة لانه في حكم المنطوق به نظيره
قول من يخاطب الحجاج اسد علي وفي الحروب نعامة فتخاء تنفر من صفير الصافر ومعنى لا يرجعون
انهم لا يعودون الى الهدى بعد ان باعوه او عن الضلالة بعد ان اشتروها تسجيلاً عليهم بالطبع او اراد انهم بمنزلة

المتحيرين

المتحيرين الذين بقوا جامدين في مكاناتهم لا يبرحون ولا يدرون ايتقدمون ام يتأخرون وكيف يرجعون
الى حيث ابتدؤا منه ● او كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون
اصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين
ثنى الله سبحانه في شأنهم بتمثيل آخر ليكون كشفاً لحالهم بعد كشف وايضاحاً غب ايضاح وكما يجب على
البليغ في مظان الاجمال والايجاز ان يجمل ويوجز فكذلك الواجب عليه في موارد التفصيل والاشباع
ان يفصل ويشبع انشد الجاحظ يرمون بالخطب الطوال وتارة وحي الملاحظ خيفة الرقباء ومما ثنى
من التمثيل في التنزيل قوله وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما
يستوي الاحياء ولا الاموات والا ترى الى ذي الرمة كيف صنع في قصيدته اذاك ام نمش بالوشي اكرعه
اذاك ام خاضب بالسي مرتعه فان قلت قد شبه المنافق في التمثيل الاول بالمستوقد ناراً واظهاره
الايمان بالاضاءة وانقطاع انتفاعه بانطفاء النار فماذا شبه في التمثيل الثاني بالصيب وبالظلمات وبالرعد والبرق
وبالصواعق قلت لقائل ان يقول شبه دين الاسلام بالصيب لان القلوب تحيا به حياة الارض بالمطر وما يتعلق
به من شبه الكفار بالظلمات وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق وما يصيبهم من الافزاع والبلايا والفتن من
جهة اهل الاسلام بالصواعق والمعنى او كمثل ذوي صيب والمراد كمثل قوم اخذتهم السماء على هذه الصفة فلقوا فيها
ما لقوا فان قلت هذا تشبيه اشياء باشياء فاين ذكر المشبهات وهلا صرح به كما في قوله وما يستوي الاعمى والبصير
والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء وفي قول امرئ القيس كأن قلوب الطير رطباً ويابساً لدى وكرها العناب
والحشف البالي قلت كما جاء ذلك صريحاً فقد جاء مطوياً ذكره على سنن الاستعارة كقوله تعالى وما يستوي البحران هذا
عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون ورجلاً سلماً لرجل والصحيح الذي
عليه علماء البيان لا يتخطونه ان التمثيلين جميعاً من جملة التمثيلات المركبة دون المفرقة لا يتكلف لواحد واحد
شيء يقدر شبهه به وهو القول الفحل والمذهب الجزل بيانه ان العرب تأخذ اشياء فرادى معزولاً بعضها من بعض
لم يأخذ هذا بحجزة ذاك فتشبهها بنظائرها كما فعل امرؤ القيس وجاء في القرآن وتشبه كيفية حاصلة من مجموع اشياء
قد تضامت وتلاصقت حتى عادت شيئاً واحداً باخرى مثلها كقوله تعالى مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها الآية
الغرض تشبيه حال اليهود في جهلها بما معها من التوراة وآياتها الباهرة بحال الحمار في جهله بما يحمل من اسفار الحكمة
وتساوي الحالتين عنده من حمل اسفار الحكمة وحمل ما سواها من الاوقار ولا يشعر من ذلك الا بما يمر به من الكد
والتعب وكقوله واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء المراد قلة بقاء زهرة الدنيا كقلة بقاء الخضر فاما ان
يراد تشبيه الافراد بالافراد غير منوط بعضها ببعض ومصيرة شيئاً واحداً فلا فكذلك لما وصف وقوع المنافقين في ضلالتهم
وما خبطوا فيه من الحيرة والدهشة شبهت حيرتهم وشدة الامر عليهم بما يكابد من طفئت ناره بعد ايقادها في ظلمة الليل
وكذلك من اخذته السماء في الليلة المظلمة مع رعد وبرق وخوف من الصواعق فان قلت الذي كنت تقدره
في المفرق من المشبهات من حذف المضاف وهو قولك او كمثل ذوي صيب هل تقدر مثله في المركب منه قلت
لولا طلب الراجع في قوله يجعلون اصابعهم في آذانهم ما يرجع اليه لكنت مستغنياً عن تقديره لاني اراعي الكيفية
المنتزعة من مجموع الكلام فلا علي أولي حرف التشبيه مفرداً يتأتى التشبيه به ام لم يله الا ترى الى قوله انما مثل الحياة الدنيا
الآية كيف ولي الماء الكاف وليس الغرض تشبيه الدنيا بالماء ولا بمفرد آخر يتمحل لتقديره ومما هو بين في هذا قول لبيد
وما الناس الا كالديار واهلها بها يوم حلوها وغدواً بلاقع لم يشبه الناس بالديار وانما شبه وجودهم في الدنيا
وسرعة زوالهم وفناءهم بحلول اهل الديار فيها ووشك نهوضهم عنها وتركها خلاء خاوية فان قلت اي التمثيلين
ابلغ قلت الثاني لانه ادل على فرط الحيرة وشدة الامر وفظاعته ولذلك اخر وهم يتدرجون في نحو هذا من الاهون
الى الاغلظ فان قلت لم عطف احد التمثيلين على الآخر بحرف الشك قلت او في اصلها لتساوي شيئين

فصاعدا في الشك ثم اتسع فيهما فاستعيرت للتساوي في غير الشك وذلك قولك جالس الحسن او ابن سيرين
تريد انهما سيان في استصواب ان يجالسا ومنه قوله تعالى ولا تطع منهم آثما او كفورا اي الآثم والكفور متساويان
في وجوب عصيانهما فكذلك قوله او كصيب معناه ان كيفية قصة المنافقين مشبهة لكيفيتي هاتين القصتين
وان القصتين سواء في استقلال كل واحدة منهما بوجه التمثيل فبايتهما مثلتها فانت مصيب وان مثلتها
بهما جميعا فكذلك • والصيب المطر الذي يصوب اي ينزل ويقع ويقال للسحاب صيب ايضا قال الشماخ واسحم
دان صادق الرعد صيب • وتنكير صيب لانه اريد نوع من المطر شديد هائل كما نكرت النار في التمثيل الاول
وقرئ كصائب والصيب ابلغ • والسماء هذه المظلة وعن الحسن انها موج مكفوف **فان قلت** قوله
من السماء ما الفائدة في ذكره والصيب لا يكون الا من السماء **قلت** الفائدة فيه انه جاء بالسماء معرفة فنفى
ان يتصوب من سماء اي من افق واحد من بين سائر الآفاق لان كل افق من آفاقها سماء كما ان كل طبقة
من الطباق سماء في قوله واوحى في كل سماء امرها والدليل عليه قوله ومن بعد ارض بيننا وسماء والمعنى انه
غمام مطبق آخذ بآفاق السماء كما جاء بصيب وفيه مبالغات من جهة التركيب والبناء والتنكير امد ذلك
بان جعله مطبقا وفيه ان السحاب من السماء ينحدر ومنه ياخذ ماءه لا كزعم من يزعم انه ياخذه من البحر ويؤيده
قوله تعالى وينزل من السماء من جبال فيها من برد **فان قلت** بم ارتفع ظلمات **قلت** بالظرف على
الاتفاق لاعتماده على موصوف والرعد الصوت الذي يسمع من السحاب كان اجرام السحاب تضطرب وتنتقض
اذا حدتها الريح فتصوت عند ذلك من الارتعاد • والبرق الذي يلمع من السحاب من برق الشيء بريقا اذا لمع
قلت قد جعل الصيب مكانا للظلمات فلا يخلو ان يراد به السحاب والمطر فايهما اريد فظلماته
اما ظلمات السحاب فاذا كان اسحم مطبقا فظلمتا سحمته وتطبيقه مضمومة اليهما ظلمة الليل واما ظلمات المطر
فظلمة تكاثفه وانتساجه بتتابع القطر وظلمة اظلال غمامه مع ظلمة الليل **فان قلت** كيف يكون المطر مكانا للبرق
والرعد وانما مكانهما السحاب **قلت** اذا كانا في اعلاه ومصبه وملتبسين في الجملة به فهما فيه الا تراك تقول
فلان في البلد وما هو الا في حيز يشغله جرمه **فان قلت** هلا جمع الرعد والبرق اخذا بالابلغ كقول البحتري
يا عارضا متلفعا ببروده • يختال بين بروقه ورعوده • وكما قيل ظلمات **قلت** فيه وجهان احدهما ان يراد
العينان ولكنهما لما كانا مصدرين في الاصل يقال رعدت السماء رعدا وبرقت برقا روعي حكم اصلهما بان ترك جمعهما
وان اريد الجمع • والثاني ان يراد الحدثان كانه قيل وارعاد وابراق وانما جاءت هذه الاشياء منكرات لان المراد
انواع منها كانه قيل فيه ظلمات داجية ورعد قاصف وبرق خاطف وجاز رجوع الضمير في يجعلون الى اصحاب
الصيب مع كونه محذوفا قائما مقامه الصيب كما قال او هم قائلون لان المحذوف باق معناه وان سقط لفظه
الا ترى الى حسان كيف عول على بقاء معناه في قوله • يسقون من ورد البريص عليهم • بردى يصفق بالرحيق السلسل
حيث ذكر يصفق لان المعنى ماء بردى ولا محل ليجعلون لكونه مستانفا لانه لما ذكر الرعد والبرق على ما يؤذن
بالشدة والهول فكان قائلا قال فكيف حالهم مع مثل ذلك الرعد فقيل يجعلون اصابعهم في آذانهم ثم قال
فكيف حالهم مع مثل ذلك البرق فقيل يكاد البرق يخطف ابصارهم **فان قلت** رأس الاصبع هو الذي
يجعل في الاذن فهلا قيل اناملهم **قلت** هذا من الاتساعات في اللغة التي لا يكاد الحاصر يحصرها كقوله فاغسلوا
وجوهكم وايديكم فاقطعوا ايديهما اراد البعض الذي هو الى المرفق والذي هو الى الرسغ ايضا ففي ذكر الاصابع من المبالغة
ما ليس في ذكر الانامل **فان قلت** فالاصبع التي تسد بها الاذن اصبع خاصة فلم ذكر الاسم العام دون الخاص
قلت لان السبابة فعالة من السب فكان اجتنابها اولى بآداب القرآن الا ترى انهم قد استبشعوها فكنوا
عنها بالمسبحة والسباحة والمهللة والدعاءة **فان قلت** فهلا ذكر بعض هذه الكنايات **قلت**
هي الفاظ مستحدثة لم يتعارفها الناس في ذلك العهد وانما احدثوها بعد • وقوله من الصواعق متعلق بيجعلون

اي من

اي من اجل الصواعق يجعلون اصابعهم في آذانهم كقولك سقاه من العيمة • والصاعقة قصفة رعد تنقض
معها شقة من نار قالوا تنقدح من السحاب اذا اصطكت اجرامه وهي نار لطيفة حديدة لا تمر بشيء الا اتت
عليه الا انها مع حدتها سريعة الخمود يحكى انها سقطت على نخلة فاحرقت نحو النصف ثم طفئت ويقال صعقته
اذا اهلكته فصعق اي مات اما بشدة الصوت او بالاحراق ومنه قوله تعالى وخر موسى صعقا وقرا الحسن من
الصواقع وليس بقلب للصواعق لان كلا البنائين سواء في التصرف واذا استويا كان كل واحد بناء على حياله
الا تراك تقول صقعه على راسه وصقع الديك وخطيب مصقع مجهر بخطبته ونظيره جبذ في جذب ليس بقلبه لاستوائهما
في التصرف وبناؤها اما ان يكون صفة لقصفة الرعد او للرعد والتاء مبالغة كما في الراوية او مصدرا كالكاذبة
والعافية وقرا ابن ابي ليلى حذار الموت وانتصب على انه مفعول له كقوله • واغفر عوراء الكريم ادخاره
والموت فساد بنية الحيوان وقيل عرض لا يصح معه احساس معاقب للحياة • واحاطة الله بالكافرين مجاز
والمعنى انهم لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط به حقيقة وهذه الجملة اعتراض لا محل لها **يكاد البرق**
يخطف ابصارهم كلما اضاء لهم مشوا فيه واذا اظلم عليهم قاموا
ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم ان الله على كل شيء قدير
الخطف الاخذ بسرعة وقرا مجاهد يخطف بكسر الطاء والفتح افصح واعلى وعن ابن مسعود يختطف وعن الحسن
يخطف بفتح الياء والخاء واصله يختطف وعنه يخطف بكسرهما على اتباع الياء الخاء وعن زيد بن علي
يخطف من خطف وعن ابي يتخطف من قوله ويتخطف الناس من حولهم كلما اضاء لهم استئناف ثالث
كانه جواب لمن يقول كيف يصنعون في تارتي خفوق البرق وخفيته وهذا تمثيل لشدة الامر على المنافقين
بشدته على اصحاب الصيب وما هم فيه من غاية التحير والجهل بما ياتون وما يذرون اذا صادفوا من البرق خفقة
مع خوف ان يخطف ابصارهم انتهزوا تلك الخفقة فرصة فخطوا خطوات يسيرة فاذا خفي وفتر لمعانه بقوا
واقفين متقيدين عن الحركة ولو شاء الله لزاد في قصيف الرعد فاصمهم او في ضوء البرق فاعماهم • واضاء اما
متعد بمعنى كلما نور لهم ممشى ومسلكا اخذوه والمفعول محذوف واما غير متعد بمعنى كلما لمع لهم مشوا في مطرح
نوره وملقى ضوئه ويعضده قراءة ابن ابي عبلة كلما ضاء لهم • والمشي جنس الحركة المخصوصة فاذا اشتد
فهو سعي فاذا ازداد فهو عدو **فان قلت** كيف قيل مع الاضاءة كلما ومع الاظلام اذا **قلت**
لانهم حراص على وجود ما همهم به معقود من امكان المشي وتاتيه فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها وليس كذلك
التوقف والتحبس • واظلم يحتمل ان يكون غير متعد وهو الظاهر وان يكون متعديا منقولا من ظلم الليل ويشهد له
قراءة يزيد بن قطيب اظلم على ما لم يسم فاعله وجاء في شعر حبيب • هما اظلما حالي ثمت اجليا • ظلاميهما عن وجه
امرد اشيب • وهو وان كان محدثا لا يستشهد بشعره في اللغة فهو من علماء العربية فاجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه
الا ترى الى قول العلماء الدليل عليه بيت الحماسة فيقتنعون بذلك لوثوقهم بروايته واتقانه • ومعنى قاموا وقفوا
وثبتوا في مكانهم ومنه قامت السوق اذا ركدت وقام الماء جمد • ومفعول شاء محذوف لان الجواب يدل عليه
لان المعنى لو شاء الله ان يذهب بسمعهم وابصارهم لذهب بها ولقد تكاثر هذا الحذف في شاء واراد لا يكادون
يبرزون المفعول الا في الشيء المستغرب كنحو قوله • فلو شئت ان ابكي دما لبكيته • وقوله تعالى لو اردنا ان نتخذ
لهوا لاتخذناه ولو اراد الله ان يتخذ ولدا • واراد ولو شاء الله لذهب بسمعهم بقصيف الرعد وابصارهم
بوميض البرق وقرا ابن ابي عبلة لاذهب باسماعهم بزيادة الباء كقوله ولا تلقوا بايديكم • والشيء ما صح ان يعلم
ويخبر عنه قال سيبويه في ساقة الباب المترجم بباب مجاري اواخر الكلم من العربية وانما يخرج التانيث من التذكير
الا ترى ان الشيء يقع على كل ما اخبر عنه من قبل ان يعلم اذكر هو ام انثى والشيء مذكر وهو اعم العام كما ان الله
اخص الخاص يجري على الجسم والعرض والقديم تقول شيء لا كالاشياء اي معلوم لا كسائر المعلومات وعلى المعدوم

والمحال **فان قلت** كيف قيل على كل شىء قدير وفى الاشياء ما لا تعلق به للقادر كالمستحيل وفعل قادر آخر **قلت** مشروط فى حق القادر ان لا يكون الفعل مستحيلا فالمستحيل مستثنى فى نفسه عند ذكر القادر على الاشياء كلها فكانه قيل على كل شىء مستقيم قدير ونظيره فلان امير على الناس اى على من وراءه منهم ولم يدخل فيهم نفسه وان كان من جملة الناس واما الفعل بين قادرين فمختلف فيه **فان قلت** مم اشتقاق القدير **قلت** من التقدير لانه يوقع فعله على مقدار قوته واستطاعته وما يتميز به عن العاجز يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون لما عدد الله تعالى فرق المكلفين من المؤمنين والكفار والمنافقين وذكر صفاتهم واحوالهم ومصارف امورهم وما اختصت به كل فرقة مما يسعدها ويشقيها ويحظيها عند الله ويرديها اقبل عليهم بالخطاب وهو من الالتفات المذكور عند قوله اياك نعبد واياك نستعين وهو فن من الكلام جزل فيه هز وتحريك من السامع كما انك اذا قلت لصاحبك حاكيا عن ثالث لكما ان فلانا من قصته كيت وكيت وقصصت عليه ما فرط منه ثم عدلت بخطابك الى الثالث فقلت يا فلان من حقك ان تلزم الطريقة الحميدة فى مجارى امورك وتستوى على جادة السداد فى مصادرك ومواردك نبهته بالتفاتك نحوه فضل تنبيه واستدعيت اصغاءه الى ارشادك زيادة استدعاء واوجدته بالانتقال من الغيبة الى المواجهة هازا من طبعه ما لا يجده اذا استمرت على لفظ الغيبة وهكذا الافتنان فى الحديث والخروج فيه من صنف الى صنف يستفتح الاذان للاستماع ويستهش الانفس للقبول وبلغنا باسناد صحيح عن ابراهيم عن علقمة ان كل شىء نزل فيه يا ايها الناس فهو مكى ويا ايها الذين امنوا فهو مدنى فقوله يا ايها الناس اعبدوا ربكم خطاب لمشركى مكة ويا حرف وضع فى اصله لندا البعيد صوت يهتف به الرجل بمن يناديه واما نداء القريب فله اى والهمزة ثم استعمل فى مناداة من سهى وغفل وان قرب تنزيلا له منزلة من بعد فاذا نودى به القريب المفاطن فذلك للتاكيد المؤذن بان الخطاب الذى يتلوه معنى به جدا **فان قلت** فما بال الداعى يقول فى جؤاره يا رب ويا الله وهو اقرب اليه من حبل الوريد والسمع والبصر **قلت** هو استقصار منه لنفسه واستبعاد لها من مظان الزلفى وما يقربه الى رضوان الله ومنازل المقربين هضما لنفسه واقرارا عليها بالتفريط فى جنب الله مع فرط التهالك على استجابة دعوته والاذن لندائه وابتهاله واى وصلة الى نداء ما فيه الالف واللام كما ان ذو والذى وصلتان الى الوصف باسماء الاجناس ووصف المعارف بالجمل وهو اسم مبهم يفتقر الى ما يوضحه ويزيل ابهامه فلا بد ان يردفه اسم جنس او ما يجرى مجراه يتصف به حتى يصح المقصود بالنداء فالذى يعمل فيه حرف النداء هو اى والاسم التابع له صفته كقولك يا زيد الظريف الا ان ايا لا يستقل بنفسه استقلال زيد فلم ينفك من الصفة وفى هذا التدرج من الابهام الى التوضيح ضرب من التاكيد والتشديد وكلمة التنبيه المقحمة بين الصفة وموصوفها لفائدتين معاضدة حرف النداء ومكانفته بتاكيد معناه ووقوعها عوضا مما يستحقه اى من الاضافة **فان قلت** لم كثر النداء على هذه الطريقة ما لم يكثر فى غيره **قلت** لاستقلاله باوجه من التاكيد واسباب من المبالغة لان كل ما نادى الله له عباده من اوامره ونواهيه وعظاته وزواجره ووعده ووعيده واقتصاص اخبار الامم الدارجة عليهم وغير ذلك مما انطق به كتابه امور عظام وخطوب جسام ومعان عليهم ان يتيقظوا لها ويميلوا بقلوبهم وبصائرهم اليها وهم عنها غافلون فاقتضى الحال ان ينادوا بالآكد الابلغ **فان قلت** لا يخلو الامر بالعبادة من ان يكون متوجها الى المؤمنين والكافرين جميعا او الى كفار مكة خاصة على ما روى عن علقمة والحسن فالمؤمنون عابدون ربهم فكيف امروا بما هم متلبسون به وهل هو الا كقول القائل فلو انى فعلت كنت كمن تسأله وهو قائم ان يقوما واما الكفار فلا يعرفون الله ولا يقرون به فكيف يعبدونه **قلت** المراد بعبادة المؤمنين ازديادهم منها واقبالهم وثباتهم عليها واما عبادة الكفار فمشروط فيها ما لا بد لها منه وهو الاقرار كما يشترط على المامور بالصلوة شرائطها

من الوضوء والنية وغيرهما وما لا بد للفعل منه فهو مندرج تحت الامر به وان لم يذكر حيث لم ينفعل الا به وكان من لوازمه على ان مشركى مكة كانوا يعرفون الله ويعترفون به ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله **فان قلت** فقد جعلت قوله اعبدوا متناولا لشيئين معا الامر بالعبادة والامر بازديادها **قلت** الازدياد من العبادة عبادة وليس شيأ آخر **فان قلت** ربكم ما المراد به **قلت** كان المشركون معتقدين ربوبيتين ربوبية الله وربوبية آلهتهم فان خصوا بالخطاب فالمراد به اسم يشتركه فيه رب السموات والارض والآلهة التى كانوا يسمونها اربابا وكان قوله الذى خلقكم صفة موضحة مميزة وان كان الخطاب للفرق جميعا فالمراد به ربكم على الحقيقة والذى خلقكم صفة جرت عليه على طريق المدح والتعظيم ولا يمتنع هذا الوجه فى خطاب الكفرة خاصة الا ان الاول اوضح واصح والخلق ايجاد الشىء على تقدير واستواء يقال خلق النعل اذا قدرها وسواها بالقياس وقرأ ابو عمرو خلقكم بالادغام وقرأ ابو السميفع وخلق من قبلكم وفى قراءة زيد بن على والذين من قبلكم وهى قراءة مشكلة ووجهها على اشكالها ان يقال اقحم الموصول الثانى بين الاول وصلته تاكيدا كما اقحم جرير فى قوله يا تيم تيم عدى لا ابا لكم تيما الثانى بين الاول وما اضيف اليه وكاقحامهم لام الاضافة بين المضاف والمضاف اليه ولعل للترجى او الاشفاق تقول لعل زيدا يكرمنى ولعله يهيننى وقال الله تعالى لعله يتذكر او يخشى لعل الساعة قريب الا ترى الى قوله والذين آمنوا مشفقون منها وقد جاءت على سبيل الاطماع فى مواضع من القرآن ولكن لانه اطماع من كريم رحيم اذا اطمع فعل ما يطمع فيه لا محالة لجرى اطماعه مجرى وعده المحتوم وفاؤه به قال من قال ان لعل بمعنى كى ولكن الحقيقة ما القيت اليك وايضا فمن ديدن الملوك وما عليه اوضاع امرهم ورسومهم ان يقتصروا فى مواعيدهم التى يوطنون انفسهم على انجازها على ان يقولوا عسى ولعل ونحوهما من الكلمات او يخيلوا اخالة او يظفر منهم بالرمزة او الابتسامة او النظرة الحلوة فاذا عثر على شىء من ذلك منهم لم يبق للطالب ما عندهم شك فى النجاح والفوز بالمطلوب فعلى مثله ورد كلام مالك الملك ذى العزة والكبرياء او يجيء على طريقة الاطماع دون التحقيق لئلا يتكل العباد كقوله يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم **فان قلت** فلعل التى فى الآية ما معناها وما موقعها **قلت** ليست مما ذكرناه فى شىء لان قوله خلقكم لعلكم تتقون لا يجوز ان يحمل على رجاء الله تقواهم لان الرجاء لا يجوز على عالم الغيب والشهادة وحمله على ان يخلقهم راجين للتقوى ليس بسديد ايضا ولكن لعل واقعة فى الآية موقع المجاز لا الحقيقة لان الله عز وجل خلق عباده ليتعبدهم بالتكليف وركب فيهم العقول والشهوات وازاح العلة فى اقدارهم وتمكينهم وهداهم النجدين ووضع فى ايديهم زمام الاختيار واراد منهم الخير والتقوى فهم فى صورة المرجو منهم ان يتقوا لترجح امرهم وهم مختارون بين الطاعة والعصيان كما ترجحت حال المرتجى بين ان يفعل وان لا يفعل ومصداقه قوله عز وجل ليبلوكم ايكم احسن عملا وانما يبلو ويختبر من تخفى عليه العواقب ولكن شبه بالاختبار بناء امرهم على الاختيار **فان قلت** كما خلق المخاطبين لعلهم يتقون فكذلك خلق الذين من قبلهم لذلك فلم قصره عليهم دون من قبلهم **قلت** لم يقصره عليهم ولكن غلب المخاطبين على الغائبين فى اللفظ والمعنى على ارادتهم جميعا **فان قلت** فهلا قيل تعبدون لاجل اعبدوا او اتقوا لمكان تتقون ليتجاوب طرفا النظم **قلت** ليست التقوى غير العبادة حتى يؤدى ذلك الى تنافر النظم وانما التقوى قصارى امر العابد ومنتهى جهده فاذا قال اعبدوا ربكم الذى خلقكم للاستيلاء على اقصى غايات العبادات كان ابعث على العبادة واشد الزاما لها واثبت لها فى النفوس ونحوه ان تقول لعبدك احمل خريطة الكتب فما ملكتك يمينى الا لجر الاثقال ولو قلت لحمل خرائط الكتب لم يقع من نفسه ذلك الموقع الذى جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون قدم سبحانه من موجبات عبادته وملزمات حق الشكر له خلقهم احياء قادرين اولا لانه سابقة اصول النعم ومقدمتها والسبب فى التمكن من العبادة والشكر وغيرهما ثم خلق الارض التى هى مكانهم ومستقرهم الذى لا بد لهم منه وهى بمنزلة

عرصة المسكن ومتقلبه ومفترشه ثم خلق السماء التي هي كالقبة المضروبة والخيمة المطنبة على هذا القرار ثم ما سوّاه
عز وجل من شبه عقد النكاح بين المقلّة والمظلّة بانزال الماء منها عليها والاخراج به من بطنها اشباه النسل
المنتج من الحيوان من الوان الثمار رزقا لبني آدم ليكون لهم ذلك معتبرا ومتسلقا الى النظر الموصل الى التوحيد
والاعتراف ونعمة يتعرفونها فيقابلونها بلازم الشكر ويتفكرون في خلق انفسهم وخلق ما فوقهم وما تحتهم
وان شيئا من هذه المخلوقات كلها لا يقدر على ايجاد شيء منها فيتيقنوا عند ذلك ان لا بد لها من خالق ليس
كمثلها حتى لا يجعلوا المخلوقات له اندادا وهم يعلمون انها لا تقدر على نحو ما هو قادر عليه والموصول مع صلته
اما ان يكون في محل النصب وصفا كالذي خلقكم او على المدح والتعظيم واما ان يكون رفعا على الابتداء وفيه
ما في النصب من المدح وقرأ يزيد الشامي بساطا وقرأ طلحة مهادا ومعنى جعلها فراشا وبساطا ومهادا
للناس انهم يقعدون عليها وينامون ويتقلبون كما يتقلب احدهم على فراشه وبساطه ومهاده **فان قلت**
هل فيه دليل على ان الارض مسطحة وليست بكرية **قلت** ليس فيه الا ان الناس يفترشونها كما يفعلون
بالمفارش وسواء كانت على شكل السطح او شكل الكرة فالافتراش غير مستنكر ولا مدفوع لعظم حجمها واتساع جرمها
وتباعد اطرافها واذا كان متسهلا في الجبل وهو وتد من اوتاد الارض فهو في الارض ذات الطول والعرض اسهل والبناء
مصدر سمي به المبني بيتا كان او قبة او خباء او طرافا وابنية العرب اخبيتهم ومنه بنى على امرأته لانهم كانوا
اذا تزوجوا ضربوا عليها خباء جديدا **فان قلت** ما معنى اخراج الثمرات بالماء وانما خرجت بقدرته
ومشيئته **قلت** المعنى انه جعل الماء سببا في خروجها ومادة لها كماء الفحل في خلق الولد وهو قادر على ان
ينشئ الاجناس كلها بلا اسباب ولا مواد كما انشأ نفوس الاسباب والمواد ولكن له في انشاء الاشياء مدرجا
لها من حال الى حال وناقلا من مرتبة الى مرتبة حكما ودواعي يجدد فيها لملائكته والنظار بعيون الاستبصار من عباده عبرا
وافكارا صالحة وزيادة طمأنينة وسكون الى عظيم قدرته وغرائب حكمته ليس ذلك في انشائها بغتة من غير تدريج
وترتيب ومن في من الثمرات للتبعيض بشهادة قوله فاخرجنا به من كل الثمرات وقوله فاخرجنا به ثمرات ولان
المنكّرين اعني ماء ورزقا يكتنفانه وقد قصد بتنكيرهما معنى البعضية فكأنه قيل وانزلنا من السماء بعض الماء فاخرجنا
به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهذا هو المطابق لصحة المعنى لانه لم ينزل من السماء الماء كله ولا اخرج بالمطر جميع
الثمرات ولا جعل الرزق كله في الثمرات ويجوز ان يكون للبيان كقولك انفقت من الدراهم الفا **فان قلت**
بم انتصب رزقا **قلت** ان كانت من للتبعيض كان انتصابه بانه مفعول له وان كانت مبينة كان مفعولا
لاخرج **فان قلت** فالثمر المخرج بماء السماء كثير جم فلم قيل الثمرات دون الثمر والثمار **قلت** فيه وجهان
احدهما ان يقصد بالثمرات جماعة الثمرة التي في قولك فلان ادركت ثمرة بستانه تريد ثماره ونظيره قولهم كلمة
الحويدرة لقصيدته وقولهم للقرية المدرة وانما هي مدر متلاحق والثاني ان الجموع يتعاور بعضها موضع بعض
لالتقائها في الجمعية كقوله تعالى كم تركوا من جنات وثلاثة قروء ويعضد الوجه الاول قراءة محمد بن السميفع من الثمرة
على التوحيد ولكم صفة جارية على الرزق ان اريد به العين وان جعل اسما للمعنى فهو مفعول به كانه قيل رزقا اياكم
فان قلت بم تعلق فلا تجعلوا **قلت** فيه ثلاثة اوجه ان يتعلق بالامر اي اعبدوا ربكم فلا تجعلوا له اندادا
لان اصل العبادة واساسها التوحيد وان لا يجعل لله ند او شريك او بلعل على ان ينتصب تجعلوا انتصاب
فاطلع في قوله عز وجل لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الى اله موسى في رواية حفص عن عاصم اي خلقكم
لكي تتقوا وتخافوا عقابه فلا تشبهوه بخلقه او بالذي جعل لكم اذا رفعته على الابتداء اي هو الذي خصكم بهذه الآيات
العظيمة والدلائل النيرة الشاهدة بالوحدانية فلا تتخذوا له شركاء والند المثل ولا يقال الا للمثل المخالف المناوي
قال جرير • اتيما تجعلون اليّ ندا • وما تيم لذي حسب نديد • وناددت الرجل خالفته ونافرته من ند ندودا
اذا نفر ومعنى قولهم ليس لله ند ولا ضد نفي ما يسد مسده ونفي ما ينافيه **فان قلت** كانوا يسمون اصنامهم

باسمه ويعظمونها بما يعظم به من القرب وما كانوا يزعمون انها تخالف الله وتناويه **قلت** لما تقربوا اليها وعظموها
وسموها آلهة اشبهت حالهم حال من يعتقد انها آلهة مثله قادرة على مخالفته ومضادته فقيل لهم ذلك على سبيل
التهكم وكما تهكم بهم بلفظ الند شنع عليهم واستفظع شأنهم بان جعلوا لله اندادا كثيرة لمن لا يصح ان يكون له ند قط
وفي ذلك قال زيد بن عمرو بن نفيل حين فارق دين قومه • اربا واحدا ام الف رب • ادين اذا تقسمت الامور •
وقرأ محمد بن السميفع فلا تجعلوا لله ندا **فان قلت** ما معنى وانتم تعلمون **قلت** معناه وحالكم
وصفتكم انكم من صحة تمييزكم بين الصحيح والفاسد والمعرفة بدقائق الامور وغوامض الاحوال والاصابة في التدابير
والدهاء والفطنة بمنزلة لا تدفعون عنه وهكذا كانت العرب خصوصا ساكنوا الحرم من قريش وكنانة لا يصطلى
بنارهم في استحكام المعرفة بالامور وحسن الاحاطة بها ومفعول تعلمون متروك كانه قيل وانتم من اهل المعرفة
والعلم والتوبيخ فيه آكد اي انتم العرافون المميزون ثم ان ما انتم عليه في امر ديانتكم من جعل الاصنام لله اندادا
هو غاية الجهل ونهاية سخافة العقل ويجوز ان يقدر وانتم تعلمون انه لا يماثل اي وانتم تعلمون ما بينه وبينها من
التفاوت او وانتم تعلمون انها لا تفعل مثل افعاله كقوله تعالى هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء •

وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم
مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ • لما احتج عليهم بما يثبت الوحدانية ويحققها
ويبطل الاشراك ويهدمه وعلم الطريق الى اثبات ذلك وتصحيحه وعرفهم ان من اشرك فقد كابر عقله وغطى على
ما انعم عليه من معرفته وتمييزه عطف على ذلك ما هو الحجة على اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما يدحض الشبهة في
كون القرآن معجزة واراهم كيف يتعرفون اهو من عند الله كما يدعي ام هو من عند نفسه كما يدعون بارشادهم الى ان
يحزروا انفسهم ويذوقوا طباعهم وهم ابناء جنسه واهل جلدته **فان قلت** لم قيل مما نزلنا بلفظ التنزيل
دون الانزال **قلت** لان المراد النزول على سبيل التدريج والتنجيم وهو من مجازه لمكان التحدي وذلك انهم
كانوا يقولون لو كان هذا من عند الله مخالفا لما يكون من عند الناس لم ينزل هكذا نجوما سورة بعد سورة وآيات
غب آيات على حسب النوازل وكفاء الحوادث وعلى سنن ما نرى عليه اهل الخطابة والشعر من وجود ما يوجد منهم
مفرقا حينا فحينا وشيئا فشيئا حسب ما يعن لهم من الاحوال المتجددة والحاجات السانحة لا يلقي الناظم ديوان
شعره دفعة ولا يرمي الناثر بمجموع خطبه او رسائله ضربة فلو انزله الله لانزله خلاف هذه العادة جملة واحدة قال الله تعالى
وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة فقيل ان ارتبتم في هذا الذي وقع انزاله هكذا على مهل وتدريج
فهاتوا انتم نوبة واحدة من نوبه وهلموا نجما فردا من نجومه سورة من اقصر السور او آيات شتى مفتريات وهذه غاية
التبكيت ومنتهى ازاحة العلل وقرئ على عبادنا يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم وامته • والسورة الطائفة
من القرآن المترجمة التي اقلها ثلاث آيات وواوها ان كانت اصلا فاما ان تسمى بسورة المدينة وهي حائطها لانها
طائفة من القرآن محدودة محوزة على حيالها كالبلد المسور او لانها محتوية على فنون من العلم واجناس من الفوائد
كاحتواء سورة المدينة على ما فيها واما ان تسمى بالسورة التي هي الرتبة قال النابغة • ورهط حراب وقد سورة
في المجد ليس غرابها بمطار • لاحد معنيين لان السور بمنزلة المنازل والمراتب يترقى فيها القاري وهي ايضا في انفسها
مترتبة طوال واوساط وقصار او لرفعة شأنها وجلالة محلها في الدين وان جعلت واوها منقلبة عن همزة
فلانها قطعة وطائفة من القرآن كالسورة التي هي البقية من الشيء والفضلة منه **فان قلت** ما فائدة تفصيل
القرآن وتقطيعه سورا **قلت** ليست الفائدة في ذلك واحدة ولامر ما انزل الله تعالى التوراة والانجيل والزبور
وسائر ما اوحاه الى انبيائه على هذا المنهاج مسورة مترجمة السور وبوب المصنفون في كل فن كتبهم ابوابا موشحة
الصدور بالتراجم • ومن فوائده ان الجنس اذا انطوت تحته انواع واشتمل على اصناف كان احسن وانبل وافخم
من ان يكون بيانا واحدا • ومنها ان القاري اذا ختم سورة او بابا من الكتاب ثم اخذ في آخر كان انشط له

واهز لعطفه وابعث على الدرس والتحصيل منه لو استمر على الكتاب بطوله ومثله المسافر اذا علم انه قطع ميلا
او طوى فرسخا او انتهى الى راس بريد نفس ذلك منه ونشطه للسير ومن ثم جزا القراء القرآن اسباعا واجزاء وعشورا
واخماسا ومنها ان الحافظ اذا حذق السورة اعتقد انه اخذ من كتاب الله تعالى طائفة مستقلة بنفسها لها
فاتحة وخاتمة فيعظم عنده ما حفظه ويجل في نفسه ويغتبط به ومنه حديث انس رضي الله عنه كان الرجل اذا قرا
البقرة وآل عمران جد فينا ومن ثم كانت القراءة في الصلوة بسورة تامة افضل ومنها ان التفصيل بسبب
تلاحق الاشكال والنظائر وملاءمة بعضها لبعض وبذلك تتلاحظ المعاني ويتجاذب النظم الى غير ذلك من الفوائد
والمنافع من مثله متعلق بسورة صفة لها اي بسورة كائنة من مثله والضمير لما نزلنا او لعبدنا ويجوز ان يتعلق
بقوله فاتوا والضمير للعبد فان قلت وما مثله حتى ياتوا بسورة من ذلك المثل قلت معناه فاتوا
بسورة مما هو على صفته في البيان الغريب وعلو الطبقة في حسن النظم او فاتوا ممن هو على حاله من كونه بشرا عربيا
او اميا لم يقرا الكتب ولم ياخذ من العلماء ولا قصد الى مثل ونظير هنالك ولكنه نحو قول القبعثري للحجاج وقد
قال له لاحملنك على الادهم مثل الامير حمل على الادهم والاشهب اراد من كان على صفة الامير من السلطان
والقدرة وبسطة اليد ولم يقصد احدا يجعله مثلا للحجاج ورد الضمير الى المنزل اوجه لقوله تعالى فاتوا بسورة من
مثله فاتوا بعشر سور مثله على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله ولان القرآن جدير بسلامة الترتيب
والوقوع على اصح الاساليب والكلام مع رد الضمير الى المنزل احسن ترتيبا وذلك ان الحديث في المنزل
لا في المنزل عليه وهو مسوق اليه ومربوط به فحقه ان لا يفك عنه برد الضمير الى غيره الا ترى ان المعنى وان ارتبتم
في ان محمدا منزل عليه فهاتوا قرآنا من مثله ولانهم اذا خوطبوا جميعا وهم الجم الغفير بان ياتوا بطائفة يسيرة من
جنس ما اتى به هذا الواحد كان ابلغ في التحدي من ان يقال لهم ليات واحد آخر بنحو ما اتى به هذا الواحد ولان
هذا التفسير هو الملائم لقوله وادعوا شهداءكم والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر او القائم بالشهادة ومعنى
دون ادنى مكان من الشيء ومنه الشيء الدون وهو الدني الحقير ودون الكتب اذا جمعها لان جمع الاشياء
ادناء بعضها من بعض وتقليل المسافة بينها يقال هذا دون ذاك اذا كان احط منه قليلا ودونك هذا
اصله خذه من دونك اي من ادنى مكان منك فاختصر واستعير للتفاوت في الاحوال والرتب فقيل زيد
دون عمرو في الشرف والعلم ومنه قول من قال لعدوه وقد راه بالثناء عليه انا دون هذا وفوق ما في
نفسك واتسع فيه فاستعمل في كل تجاوز حد الى حد وتخطي حكم الى حكم قال الله تعالى لا يتخذ المومنون الكافرين
اولياء من دون المومنين اي لا يتجاوزوا ولاية المومنين الى ولاية الكافرين وقال امية يا نفس ما لك
دون الله من واق اي اذا تجاوزت وقاية الله ولم تناليها لم يقك غيره من دون الله متعلق بادعوا
او بشهداءكم فمعنا ادعوا الذين اتخذتموهم آلهة من دون الله وزعمتم انهم يشهدون لكم يوم القيمة
انكم على الحق او ادعوا الذين يشهدون لكم بين يدي الله من قول الاعشى تريك القذى من دونها وهي دونه
اي تريك القذى قدامها وهي قدام القذى لرقتها وصفائها وفي امرهم ان يستظهروا بالجماد الذي
لا ينطق في معارضة القرآن المعجز بفصاحته غاية التهكم بهم او ادعوا شهداءكم من دون الله اي من دون
اوليائه ومن غير المومنين ليشهدوا لكم انكم اتيتم بمثله وهذا من المساهلة وارخاء العنان والاشعار
بان شهداءهم وهم مدارة القوم الذين هم وجوه المشاهد وفرسان المقاولة والمناقلة تابى عليهم
الطباع وتجمح بهم الانسانية والانفة ان يرضوا لانفسهم الشهادة بصحة الفاسد البين عندهم
فساده واستقامة المحال الجلي في عقولهم احالته وتعليقه بالدعاء في هذا الوجه جائز وان علقته بالشهداء
فمعناه ادعوا من دون الله شهداءكم يعني لا تستشهدوا بالله ولا تقولوا الله يشهد ان ما ندعيه حق كما يقول
العاجز عن اقامة البينة على صحة دعواه وادعوا الشهداء من الناس الذين شهادتهم بينة تصحح بها الدعاوى

عند

عند الحكام وهذا تعجيز لهم وبيان لانقطاعهم وانخزالهم وان الحجة قد بهرتهم ولم تبق لهم متشبثا غير قولهم الله
يشهد انا لصادقون وقولهم هذا تسجيل منهم على انفسهم بتناهي العجز وسقوط القدرة وعن بعض العرب انه
سئل عن نسبه فقال قرشي والحمد لله فقيل له قولك الحمد لله في هذا المقام ريبة او ادعوا من دون الله شهداءكم
يعني ان الله شاهدكم لانه اقرب اليكم من حبل الوريد وهو بينكم وبين اعناق رواحلكم والجن والانس شاهدوكم فادعوا
كل من يشهدكم واستظهروا به من الجن والانس الا الله تعالى لانه القادر وحده على ان ياتي بمثله دون كل شاهد
من شهدائكم فهو في معنى قوله قل لئن اجتمعت الانس والجن الآية **فان لم تفعلوا ولن تفعلوا**
فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين لما ارشدهم
الى الجهة التي منها يتعرفون امر النبي صلى الله عليه وسلم وما جاء به حتى يعثروا على حقيقته وسره وامتياز حقه
من باطله قال لهم فاذا لم تعارضوه ولم يتسهل لكم ما تبغون وبان لكم انه معجوز عنه فقد صرح الحق عن محضه ووجب
التصديق فآمنوا وخافوا العذاب المعد لمن كذب وفيه دليلان على اثبات النبوة صحة كون المتحدى به معجزا والاخبار
بانهم لن يفعلوا وهو غيب لا يعلمه الا الله فان قلت انتفاء اتيانهم بالسورة واجب فهلا جيء باذا
الذي للوجوب دون ان الذي للشك قلت فيه وجهان احدهما ان يساق القول معهم على حسب
حسبانهم وطمعهم فان العجز عن المعارضة كان قبل التامل كالمشكوك فيه لديهم لاتكالهم على فصاحتهم واقتدارهم
على الكلام والثاني ان يتهكم بهم كما يقول الموصوف بالقوة الواثق من نفسه بالغلبة على من يقاويه ان
غلبتك لم ابق عليك وهو يعلم انه غالبه ويتيقنه تهكما به فان قلت لم عبر عن الاتيان بالفعل واي
فائدة في تركه اليه قلت لانه فعل من الافعال تقول اتيت فلانا فيقال لك نعم ما فعلت والفائدة فيه انه
جار مجرى الكناية التي تعطيك اختصارا ووجازة تغنيك عن طول المكني عنه الا ترى ان الرجل يقول ضربت
زيدا في موضع كذا على صفة كذا وشتمته ونكلت به ويعد كيفيات وافعالا فتقول له بئسما فعلت ولو ذكرت
ما انبته عليه لطال عليك وكذلك لو لم يعدل عن لفظ الاتيان الى لفظ الفعل لاستطيل ان يقال فان لم
ياتوا بسورة من مثله فان قلت ولن تفعلوا ما محلها قلت لا محل لها لانها جملة اعتراضية
فان قلت ما حقيقة لن في باب النفي قلت لا ولن اختان في نفي المستقبل الا ان في لن توكيدا
وتشديدا تقول لصاحبك لا اقيم غدا فان انكر عليك قلت لن اقيم غدا كما تقول اني مقيم واني لمقيم وهي عند
الخليل في احدى الروايتين عنه اصلها لا ان وعند الفراء لا ابدلت الفها نونا وعند سيبويه واحدى الروايتين
عن الخليل حرف مقتضب لتاكيد نفي المستقبل فان قلت من اين لك انه اخبار بالغيب على ما هو به حتى
يكون معجزة قلت لانهم لو عارضوه بشيء لم يمتنع ان يتواصفه الناس ويتناقلوه اذ خفاء مثله فيما عليه
مبنى العادة محال لا سيما والطاعنون فيه اكثر عددا من الذابين عنه فحين لم ينقل علم انه اخبار بالغيب على
ما هو به فكان معجزة فان قلت ما معنى اشتراطه في اتقاء النار انتفاء اتيانهم بسورة من مثله
قلت انهم اذا لم ياتوا بها وتبين عجزهم عن المعارضة صح عندهم صدق رسول الله واذا صح عندهم صدقه ثم
لزموا العناد ولم ينقادوا ولم يشايعوا استوجبوا العقاب بالنار فقيل لهم ان استبنتم العجز فاتركوا
العناد فوضع فاتقوا النار موضعه لان اتقاء النار لصيقه وضميمه ترك العناد من حيث انه من نتائجه لان من
اتقى النار ترك المعاندة ونظيره ان يقول الملك لحشمه ان اردتم الكرامة عندي فاحذروا سخطي يريد فاطيعوني
واتبعوا امري وافعلوا ما هو نتيجة حذر السخط وهو من باب الكناية التي هي شعبة من شعب البلاغة وفائدته الايجاز
الذي هو من حلية القرآن وتهويل شان العناد بانابة اتقاء النار منابه وابرازه في صورته مشيعا ذلك بتهويل
صفة النار وتفظيع امرها والوقود ما ترفع به النار واما المصدر فمضموم وقد جاء فيه الفتح قال سيبويه وسمعنا
من العرب من يقول وقدت النار وقودا عاليا ثم قال والوقود اكثر والوقود الحطب وقرا عيسى بن عمر الهمداني

بالضم تسمية بالمصدر كما تقول فلان فخر قومه وزين بلده ويجوز ان يكون مثل قولك حياة المصباح السليط اى ليست حياة الا به **فان قلت** صلة الذى والتى يجب ان يكون قصة معلومة للمخاطب فكيف علم اولئك ان نار الآخرة توقد بالناس والحجارة **قلت** لا يمتنع ان يتقدم لهم بذلك سماع من اهل الكتاب او سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم او سمعوا قبل هذه الآية قوله تعالى فى سورة التحريم نارا وقودها الناس والحجارة **فان قلت** فلم جاءت النار الموصوفة بهذه الجملة منكرة فى سورة التحريم وههنا معرفة **قلت** تلك الآية نزلت بمكة فعرفوا منها نارا موصوفة بهذه الصفة ثم نزلت هذه بالمدينة مشارا بها الى ما عرفوه اولا **فان قلت** ما معنى قوله وقودها الناس والحجارة **قلت** معناه انها نار ممتازة عن غيرها من النيران بانها لا تتقد الا بالناس والحجارة وبان غيرها ان اريد احراق الناس بها او احماء الحجارة اوقدت اولا بوقود ثم طرح فيها ما يراد احراقه او احماؤه وتلك اعاذنا الله تعالى منها برحمته الواسعة توقد بنفس ما تحرق وتحمى بالنار وبانها لافراط حرها وشدة ذكائها اذا اتصلت بما لا تشتعل به نار اشتعلت وارتفع لهبها **فان قلت** انار الجحيم كلها موقودة بالناس والحجارة ام هى نيران شتى منها نار بهذه الصفة **قلت** بل هى نيران شتى منها نار توقد بالناس والحجارة يدل على ذلك تنكيرها فى قوله قوا انفسكم واهليكم نارا فانذرتكم نارا تلظى ولعل لكفار الجن وشياطينهم نارا وقودها الشياطين كما ان لكفرة الانس نارا وقودها هم جزاء لكل جنس بما يشاكله من العذاب **فان قلت** لم قرن الناس بالحجارة وجعلت الحجارة معهم وقودا **قلت** لانهم قرنوا بها انفسهم فى الدنيا حيث نحتوها اصناما وجعلوها لله اندادا وعبدوها من دونه قال الله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم فتلك الآية مفسرة لما نحن فيه فقوله انكم وما تعبدون من دون الله فى معنى الناس والحجارة وحصب جهنم فى معنى وقودها ولما اعتقد الكفار فى حجارتهم المعبودة من دون الله انها الشفعاء والشهداء الذين يستشفعون بهم ويستدفعون المضار عن انفسهم بمكانهم جعلها الله تعالى عذابهم فقرنهم بها محماة فى نار جهنم ابلاغا فى ايلامهم واغراقا فى تحسيرهم ونحوه ما يفعله بالكانزين الذين جعلوا ذهبهم وفضتهم عدة وذخيرة فشحوا بها ومنعوها من الحقوق حيث يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وقيل هى حجارة الكبريت وهو تخصيص بغير دليل وذهاب عما هو المعنى الصحيح الواقع المشهود له بمعانى التنزيل اعدت هيئت لهم وجعلت عدة لعذابهم وقرأ عبد الله اعتدت من العتاد بمعنى العدة

وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات تجرى من تحتها الانهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل واتوا به متشابها ولهم فيها ازواج مطهرة وهم فيها خالدون

من عادته عز وجل فى كتابه ان يذكر الترغيب مع الترهيب ويشفع البشارة بالانذار ارادة التنشيط لاكتساب ما يزلف والتثبيط عن اقتراف ما يتلف فلما ذكر الكفار واعمالهم واوعدهم بالعقاب قفاه ببشارة عباده الذين جمعوا بين التصديق والاعمال الصالحة من فعل الطاعات وترك المعاصى وحموها من الاحباط بالكفر والكبائر بالثواب **فان قلت** من المامور بقوله وبشر **قلت** يجوز ان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم وان يكون كل احد كما قال عليه الصلوة والسلام بشر المشائين الى المساجد فى الظلم بالنور التام يوم القيمة لم يامر بذلك احدا بعينه وانما كل احد مامور به وهذا الوجه احسن واجزل لانه يؤذن بان الامر لعظمه وفخامة شانه محقوق بان يبشر به كل من قدر على البشارة به **فان قلت** علام عطف هذا الامر ولم يسبق امر ولا نهى يصح عطفه عليه **قلت** ليس الذى اعتمد بالعطف هو الامر حتى يطلب له مشاكل من امر او نهى يعطف عليه انما المعتمد بالعطف هو جملة وصف ثواب المؤمنين فهى معطوفة على جملة وصف عقاب الكافرين كما تقول زيد يعاقب بالقيد والارهاق وبشر عمرا بالعفو والاطلاق ولك ان تقول هو معطوف على قوله فاتقوا كما تقول يا بنى تميم احذروا عقوبة ما جنيتم وبشر يا فلان بنى اسد باحسانى اليهم وفى قراءة زيد بن على رضى الله عنهما وبشر على لفظ المبنى للمفعول عطفا على اعدت والبشارة

الاخبار بما يظهر سرور المخبر به ومن ثم قال العلماء اذا قال لعبيده ايكم بشرنى بقدوم فلان فهو حر فبشروه فرادى عتق اولهم لانه هو الذى اظهر سروره بخبره دون الباقين ولو قال مكان بشرنى اخبرنى عتقوا جميعا لانهم جميعا اخبروه ومنه البشرة لظاهر الجلد وتباشير الصبح ما ظهر من اوائل ضوئه واما فبشرهم بعذاب اليم فمن العكس فى الكلام الذى يقصد به الاستهزاء الزائد فى غيظ المستهزا به وتالمه واغتمامه كما يقول الرجل لعدوه ابشر بقتل ذريتك ونهب مالك ومنه قوله فاعتبوا بالصيلم والصالحة نحو الحسنة فى جريها مجرى الاسم قال الحطيئة كيف الهجاء وما تنفك صالحة من آل لام بظهر الغيب تاتينى والصالحات كل ما استقام من الاعمال بدليل العقل والكتاب والسنة واللام للجنس **فان قلت** اى فرق بين لام الجنس داخلة على المفرد وبينها داخلة على المجموع **قلت** اذا دخلت على المفرد كان صالحا لان يراد به الجنس الى ان يحاط به وان يراد به بعضه الى الواحد منه واذا دخلت على المجموع صلح ان يراد به جميع الجنس وان يراد بعضه لا الى الواحد لان وزانه فى تناول الجمعية فى الجنس وزان المفرد فى تناول الجنسية والجمعية فى جمل الجنس لا فى وحدانه **فان قلت** فما المراد بهذا المجموع مع اللام **قلت** الجملة من الاعمال الصحيحة المستقيمة فى الدين على حسب حال المؤمن فى مواجب التكليف ان لهم جنات والجنة البستان من النخل والشجر المتكاثف المظلل بالتفاف اغصانه قال زهير تسقى جنة سحقا اى نخلا طوالا والتركيب دائر على معنى الستر فكانها لتكاثفها وتظليلها سميت بالجنة التى هى المرة من مصدر جنه اذا ستره كانها سترة واحدة لفرط التفافها وسميت دار الثواب جنة لما فيها من الجنان **فان قلت** الجنة مخلوقة ام لا **قلت** قد اختلف فى ذلك والذى يقول انها مخلوقة يستدل بسكنى آدم وحواء الجنة وبمجيئها فى القرآن على نهج الاسماء الغالبة اللاحقة بالاعلام كالنبى والرسول والكتاب ونحوها **فان قلت** ما معنى جمع الجنة وتنكيرها **قلت** الجنة اسم لدار الثواب كلها وهى مشتملة على جنان كثيرة مرتبة مراتب على حسب استحقاق العاملين لكل طبقة منهم جنة من تلك الجنان **فان قلت** اما يشترط فى استحقاق الثواب بالايمان والعمل الصالح ان لا يحبطهما المكلف بالكفر والاقدام على الكبائر وان لا يندم على ما اوجده من فعل الطاعة وترك المعصية فهلا شرط ذلك **قلت** لما جعل الثواب مستحقا بالايمان والعمل الصالح والبشارة مختصة بمن يتولاهما وركز فى العقول ان الاحسان انما يستحق فاعله عليه المثوبة والثناء اذا لم يتعقبه بما يفسده ويذهب بحسنه وانه لا يبقى مع وجود مفسده احسانا واعلم النبى صلى الله عليه وسلم وهو اكرم الناس عليه واعزهم لئن اشركت ليحبطن عملك وقال للمؤمنين ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم كان اشتراط حفظهما من الاحباط والندم كالداخل تحت الذكر تجرى من تحتها الانهار **فان قلت** كيف صورة جرى الانهار من تحتها **قلت** كما ترى الاشجار النابتة على شواطئ الانهار الجارية وعن مسروق ان انهار الجنة تجرى فى غير اخدود وانزه البساتين واكرمها منظرا ما كانت اشجاره مظللة والانهار فى خلالها مطردة ولولا ان الماء الجارى من النعمة العظمى واللذة الكبرى وان الجنان والرياض وان كانت آنق شئ واحسنه لا تروق النواظر ولا تبهج الانفس ولا تجلب الاريحية والنشاط حتى يجرى فيها الماء والا كان الانس الاعظم فائتا والسرور الاوفر مفقودا وكانت كتماثيل لا ارواح فيها وصور لا حياة لها لما جاء الله تعالى بذكر الجنات الا مشفوعا بذكر الانهار الجارية من تحتها مسوقين على قران واحد كالشيئين لا بد لاحدهما من صاحبه ولما قدمه على سائر نعوتها والنهر المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر يقال لبردى نهر دمشق وللنيل نهر مصر واللغة العالية النهر بفتح الهاء ومدار التركيب على السعة واسناد الجرى الى الانهار من الاسناد المجازى كقولهم بنو فلان يطأهم الطريق وصيد عليه يومان **فان قلت** لم نكرت الجنات وعرفت الانهار **قلت** اما تنكير الجنات فقد ذكر واما تعريف الانهار فان يراد الجنس كما تقول لفلان بستان فيه الماء الجارى والتين والعنب والوان الفواكه تشير الى الاجناس التى فى علم المخاطب او يراد انهارها فعوض التعريف باللام من تعريف الاضافة كقوله واشتعل الرأس شيبا او يشار باللام الى الانهار المذكورة فى قوله فيها انهار من ماء غير آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه الآية وقوله كلما رزقوا لا يخلو من ان يكون

صفة ثانية لجنات او خبر مبتدا محذوف او جملة مستانفة لانه لما قيل ان لهم جنات لم يخل خلد السامع ان يقع
فيه اثمار تلك الجنات اشباه ثمار جنات الدنيا ام اجناس اخر لا تشابه هذه الاجناس فقيل ان ثمارها اشباه ثمار جنات
الدنيا اي اجناسها اجناسها وان تفاوتت الى غاية لا يعلمها الا الله فان قلت ما موقع من ثمرة
قلت هو كقولك كلما اكلت من بستانك شيئا من الرمان حمدتك فموقع من ثمرة موقع قولك من الرمان
كانه قيل كلما رزقوا من الجنات من اي ثمرة كانت من تفاحها او رمانها او عنبها او غير ذلك رزقا قالوا
ذلك فمن الاولى والثانية كلتاهما لابتداء الغاية لان الرزق قد ابتدئ من الجنات والرزق من الجنات قد ابتدئ
من ثمرة وتنزيله تنزيل ان تقول رزقني فلان فيقال لك من اين فتقول من بستانه فيقال من اي ثمرة رزقك
من بستانه فتقول من الرمان وتحريره ان رزقوا جعل مطلقا مبتدا من ضمير الجنات ثم جعل مقيدا بالابتداء
من ضمير الجنات مبتدا من ثمرة وليس المراد بالثمرة التفاحة الواحدة او الرمانة الفذة على هذا التفسير وانما المراد
النوع من انواع الثمار ووجه آخر وهو ان يكون من ثمرة بيانا على منهاج قولك رايت منك اسدا تريد انت اسد
وعلى هذا يصح ان يراد بالثمرة النوع من الثمار والجناة الواحدة فان قلت كيف قيل هذا الذي رزقنا من
قبل وكيف تكون ذات الحاضر عندهم في الجنة هي ذات الذي رزقوه في الدنيا قلت معناه هذا مثل
الذي رزقنا من قبل وشبهه بدليل قوله واتوا به متشابها وهذا كقولك ابو يوسف ابو حنيفة تريد انه لاستحكام الشبه
كان ذاته ذاته فان قلت الام يرجع الضمير في قوله واتوا به قلت الى المرزوق في الدنيا والاخرة جميعا
لان قوله هذا الذي رزقنا من قبل انطوى تحته ذكر ما رزقوه في الدارين ونظيره قوله تعالى ان يكن غنيا او فقيرا فالله
اولى بهما اي بجنسي الغني والفقير لدلالة قوله غنيا او فقيرا على الجنسين ولو رجع الضمير الى المتكلم به لقيل اولى به على
التوحيد فان قلت لاي غرض يتشابه ثمر الدنيا وثمر الجنة وما بال ثمر الجنة لم تكن اجناسا اخر قلت لان
الانسان بالمالوف آنس والى المعهود اميل واذا راى ما لم يالفه نفر عنه طبعه وعافته نفسه ولانه اذا ظفر بشيء من
جنس ما سلف له به عهد وتقدم له معه الف وراى فيه مزية ظاهرة وفضيلة بينة وتفاوتا بينه وبين ما عهد بليغا افرط
ابتهاجه واغتباطه وطال استعجابه واستغرابه وتبين كنه النعمة فيه وتحقق مقدار الغبطة به ولو كان جنسا
لم يعهده وان كان فائقا حسب ان ذلك الجنس لا يكون الا كذلك فلا يتبين موقع النعمة حق التبين فحين ابصروا
الرمانة من رمان الدنيا ومبلغها من الحجم وان الكبرى لا تفضل عن حد البطيخة الصغيرة ثم يبصرون رمان الجنة تشبع
السكن والنبقة من نبق الدنيا في حجم الفلكة ثم يرون نبق الجنة كقلال هجر كما راوا ظل الشجرة من شجر الدنيا
وقدر امتداده ثم يرون الشجرة في الجنة يسير الراكب المغذ في ظلها مائة عام لا يقطعه كان ذلك ابين للفضل واظهر للمزية واجلب
للسرور وازيد في التعجب من ان يفاجئوا ذلك الرمان وذلك النبق من غير عهد سابق بجنسهما وترديدهم هذا القول
ونطقهم به عند كل ثمرة يرزقونها دليل على تناهي الامر وتمادي الحال في ظهور المزية وتمام الفضيلة وعلى ان ذلك التفاوت
العظيم هو الذي يستملي تعجبهم ويستدعي تبجحهم في كل اوان وعن مسروق نخل الجنة نضيد من اصلها الى فرعها وثمرها امثال القلال
كلما نزعت ثمرة عادت مكانها اخرى وانهارها تجري في غير اخدود والعنقود اثنا عشر ذراعا ويجوز ان يرجع الضمير في واتوا به الى
الرزق كما ان هذا اشارة اليه ويكون المعنى ان ما يرزقونه من ثمرات الجنة ياتيهم متجانسا في نفسه كما يحكى عن الحسن يؤتى احدهم بالصحفة فياكل
منها ثم يؤتى بالاخرى فيقول هذا الذي اتينا به من قبل فيقول الملك كل فاللون واحد والطعم مختلف وعنه عليه الصلوة
والسلام والذي نفس محمد بيده ان الرجل من اهل الجنة ليتناول الثمرة لياكلها فما هي بواصلة الى فيه حتى يبدل الله مكانها مثلها
فاذا ابصروها والهيئة هيئة الاولى قالوا ذلك والتفسير الاول هو هو فان قلت كيف موقع قوله واتوا به متشابها
من نظم الكلام قلت هو كقولك فلان احسن بفلان ونعم ما فعل وراى من الراي كذا وكان صوابا ومنه قوله تعالى
وجعلوا اعزة اهلها اذلة وكذلك يفعلون وما اشبه ذلك من الجمل التي تساق في الكلام معترضة للتقرير والمراد بتطهير
الازواج ان طهرن مما يختص بالنساء من الحيض والاستحاضة وما لا يختص بهن من الاقذار والادناس ويجوز لمجيئه مطلقا ان يدخل

تحته الطهر من دنس الطباع وطبع الاخلاق الذي عليه نساء الدنيا مما يكتسبن بانفسهن ومما ياخذنه من اعراق السوء
والمناصب الردية والمناشي المفسدة ومن سائر عيوبهن ومثالبهن وخبثهن وكيدهن فان قلت فهلا
جاءت الصفة مجموعة كالموصوف قلت هما لغتان فصيحتان يقال النساء فعلن وهن فاعلات وفواعل
والنساء فعلت وهي فاعلة ومنه بيت الحماسة واذا العذارى بالدخان تقنعت واستعجلت نصب القدور فملت
والمعنى وجماعة ازواج مطهرة وقرا زيد بن علي مطهرات وقرا عبيد بن عمير مطهرة بمعنى متطهرة وفي كلام بعض العرب
ما احوجني الى بيت الله فاطهر به اطهرة اي فاتطهر به تطهرة فان قلت هلا قيل طاهرة قلت
في مطهرة فخامة لصفتهن ليست في طاهرة وهي الاشعار بان مطهرا طهرهن وليس ذلك الا الله عز وجل المريد لعباده
الصالحين ان يخول لهم كل مزية فيما اعد لهم والخلد الثبات الدائم والبقاء اللازم الذي لا ينقطع قال الله تعالى
وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد افان مت فهم الخالدون وقال امرؤ القيس الا انعم صباحا ايها الطلل البالي
وهل ينعمن من كان في العصر الخالي وهل ينعمن الا سعيد مخلد قليل الهموم ما يبيت باوجال

ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها فاما الذين آمنوا
فيعلمون انه الحق من ربهم واما الذين كفروا فيقولون ماذا اراد الله بهذا
مثلا يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل به الا الفاسقين

سيقت هذه الاية لبيان ان ما استنكره الجهلة والسفهاء واهل العناد والمراء من الكفار واستغربوه من ان تكون المحقرات من
الاشياء مضروبا بها المثل ليس بموضع للاستنكار والاستغراب من قبل ان التمثيل انما يصار اليه لما فيه من كشف المعنى
ورفع الحجاب عن الغرض المطلوب وادناء المتوهم من المشاهد فان كان المتمثل له عظيما كان المتمثل به مثله وان كان حقيرا كان
المتمثل به كذلك فليس العظم والحقارة في المضروب به المثل اذا الا امرا تستدعيه حال المتمثل له وتستجره الى نفسها فيعمل الضارب
للمثل على حسب تلك القضية الا ترى الى الحق لما كان واضحا جليا ابلج كيف تمثل له بالضياء والنور والى الباطل
لما كان بضد صفته كيف تمثل له بالظلمة ولما كانت حال الالهة التي جعلها الكفار اندادا لله تعالى لا حال احقر منها واقل
ولذلك جعل بيت العنكبوت مثلها في الضعف والوهن وجعلت اقل من الذباب واخس قدرا وضربت لها البعوضة
فالذي دونها مثلا لم يستنكر ولم يستبدع ولم يقل للمتمثل استحي من تمثيلها بالبعوضة لانه مصيب في تمثيله محق
في قوله سائق للمثل على قضية مضربه محتذ على مثال ما يحتذيه ويستدعيه ولبيان ان المؤمنين الذين عادتهم الانصاف
والعمل على العدل والتسوية والنظر في الامور بناظر العقل اذا سمعوا بمثل هذا التمثيل علموا انه الحق الذي لا تمر الشبهة
بساحته والصواب الذي لا يرتع الخطا حوله وان الكفار الذين غلبهم الجهل على عقولهم وغصبهم على بصائرهم فلا يتفطنون
ولا يلقون اذهانهم او عرفوا انه الحق الا ان حب الرياسة وهوى الالف والعادة لا تخليهم ان ينصفوا فاذا سمعوه عاندوا
وكابروا وقضوا عليه بالبطلان وقابلوه بالانكار وان ذلك سبب زيادة هدى المؤمنين وانهماك الفاسقين في غيهم
وضلالهم والعجب منهم كيف انكروا ذلك وما زال الناس يضربون الامثال بالبهائم والطيور والوحوش واحناش الارض
والحشرات والهوام وهذه امثال العرب بين ايديهم مسيرة في حواضرهم وبواديهم وقد تمثلوا فيها باحقر الاشياء
فقالوا اجمع من ذرة واجرا من الذباب واسمع من قراد واصرد من جرادة واضعف من فراشة وآكل من السوس وقالوا
في البعوضة اضعف من بعوضة واعز من مخ البعوض وكلفتني مخ البعوض ولقد ضربت الامثال في الانجيل
بالاشياء المحقرة كالزوان والنخالة وحبة الخردل والحصاة والارضة والدود والزنابير والتمثيل بهذه الاشياء وباحقر
منها لا يخفى استقامته وصحته على من به ادنى مسكة ولكن ديدن المحجوج المبهوت الذي لا يبقى له متمسك بدليل ولا
متشبث بامارة ولا اقناع ان يرمي لفرط الحيرة والعجز عن اعمال الحيلة بدفع الواضح وانكار المستقيم والتعويل
على المكابرة والمغالطة اذا لم يجد سوى ذلك معولا وعن الحسن وقتادة لما ذكر الله تعالى الذباب والعنكبوت في كتابه
وضرب للمشركين به المثل ضحكت اليهود وقالوا ما يشبه هذا كلام الله فانزل الله تعالى هذه الاية والحياء تغير وانكسار

يعتري الانسان من تخوف ما يعاب به ويذم واشتقاقه من الحياة يقال حيي الرجل كما يقال نسي وحشي وشظي الفرس اذا اعتلت هذه الاعضاء جعل الحيي لما يعتريه من الانكسار والتغير منتكس القوة منتقص الحياة كما قالوا فلان هلك حياء من كذا ومات حياء ورايت الهلاك في وجهه من شدة الحياء وذاب حياء وجمد في مكانه خجلا فان قلت كيف جاز وصف القديم سبحانه به ولا يجوز عليه التغير والخوف والذم وذلك في حديث سلمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله حيي كريم يستحيي اذا رفع اليه العبد يديه ان يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا قلت هو جار على سبيل التمثيل مثل تركه تخييب العبد وانه لا يرد يديه صفرا من عطائه لكرمه بترك من يترك رد المحتاج اليه حياء منه وكذلك معنى قوله ان الله لا يستحيي اي لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيي ان يتمثل بها لحقارتها ويجوز ان تقع هذه العبارة في كلام الكفرة فقالوا اما يستحيي رب محمد ان يضرب مثلا بالذباب والعنكبوت فجاءت على سبيل المقابلة واطباق الجواب على السؤال وهو فن من كلامهم بديع وطراز عجيب منه قول ابي تمام من مبلغ افناء يعرب كلها اني بنيت الجار قبل المنزل • وشهد رجل عند شريح فقال انك لسبط الشهادة فقال الرجل انها لم تجعد عني فقال لله بلادك وقبل شهادته فالذي سوغ بناء الجار وتجعيد الشهادة هو مراعاة المشاكلة ولولا بناء الدار لم يصح بناء الجار وسبوطة الشهادة لامتنع تجعيدها ولله در امر التنزيل واحاطته بفنون البلاغة وشعبها لا تكاد تستغرب منها فنا الا عثرت عليه فيه على اقوم مناهجه واسد مدارجه وقد استعير الحياء فيما لا يصح فيه اذا ما استحين الماء يعرض نفسه كرعن بسبت في اناء من الورد • وقرا ابن كثير في رواية شبل يستحي بياء واحدة وفيه لغتان التعدي بالجار والتعدي بنفسه يقولون استحييت منه واستحييته وهما محتملتان هنا • وضرب المثل اعتماده وصنعه من ضرب اللبن وضرب الخاتم وفي الحديث اصطنع رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتما من ذهب • وما هذه ابهامية وهي التي اذا اقترنت باسم نكرة ابهمته ابهاما وزادته شياعا وعموما كقولك اعطني كتابا ما تريد اي كتاب كان او صلة للتاكيد كالتي في قوله فبما نقضهم ميثاقهم كانه قيل لا يستحيي ان يضرب مثلا حقا او البتة هذا اذا انتصبت بعوضة فان رفعتها فهي موصولة صلتها الجملة لان التقدير هو بعوضة فحذف صدر الجملة كما حذف في تماما على الذي احسن ووجه اخر حسن جميل وهو ان تكون التي فيها معنى الاستفهام لما استنكفوا من تمثيل الله لاصنامهم بالمحقرات قال ان الله لا يستحيي ان يضرب للانداد ما شاء من الاشياء المحقرة مثلا بله البعوضة فما فوقها كما يقال فلان لا يبالي بما وهب ما دينار ودينار ان • والمعنى ان الله تعالى يمثل للانداد وحقارة شانها بما لا شيء اصغر منه واقل كما لو مثل بالجزء الذي لا يتجزا وبما لا يدرك لتناهيه في صغره الا هو وحده بلطفه او بالمعدوم كما تقول العرب اقل من لا شيء في العدد ولقد تم بقوله تعالى ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهذه القراءة تعزى الى رؤبة بن العجاج وهو امضغ العرب للشيح والقيصوم المشهود له بالفصاحة وكانوا يشبهون به الحسن وما اظنه ذهب في هذه القراءة الا الى هذا الوجه وهو المطابق لفصاحته وانتصب بعوضة بانها عطف بيان لمثلا او مفعول ليضرب ومثلا حال عن النكرة مقدمة عليه او انتصابا مفعولين مجرى ضرب مجرى جعل • واشتقاق البعوضة من البعض وهو القطع كالبضع والعضب يقال بعضه البعوض وانشد • لنعم البيت بيت ابي دثار • اذا ما خاف بعض القوم بعضا • ومنه بعض الشيء لانه قطعة منه والبعوض في اصله صفة على فعول كالقطوع فغلبت وكذلك الخموش • فما فوقها فيه معنيان احدهما فما تجاوزها وزاد عليها في المعنى الذي ضربت فيه مثلا وهو القلة والحقارة نحو قولك لمن يقول فلان اسفل الناس هو فوق ذلك تريد هو ابلغ واعرق فيما وصف به من السفالة والنذالة • والثاني فما زاد عليها في الحجم كانه قصد بذلك رد ما استنكروه من ضرب المثل بالذباب والعنكبوت لانهما اكبر من البعوضة كما تقول لصاحبك وقد ذم من عرفته يشح بادنى شيء فقال فلان يبخل بالدرهم والدرهمين هو لا يبالي ان يبخل بنصف درهم فما فوقه تريد بما فوقه ما بخل فيه وهو الدرهم والدرهمان كانك قلت فضلا عن الدرهم والدرهمين ونحوه في الاحتمالين ما يحكى في صحيح مسلم عن ابراهيم عن الاسود قال دخل شباب من قريش على عائشة وهي بمنى وهم يضحكون فقالت ما يضحككم فقالوا فلان خر على طنب فسطاط فكادت عنقه او عينه ان تذهب فقالت لا تضحكوا اني

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها الا كتبت له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة يحتمل ما عدا الشوكة وتجاوزها في القلة وهي نحو نخبة النملة في قوله عليه الصلوة والسلام ما اصاب المؤمن من مكروه فهو كفارة لخطاياه حتى نخبة النملة وهي عضتها ويحتمل ما هو اشد من الشوكة واوجع كالخرور على طنب الفسطاط فان قلت كيف يضرب المثل بما دون البعوضة وهي النهاية في الصغر قلت ليس كذلك فان جناح البعوضة اقل منها واصغر بدرجات وقد ضربه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلا للدنيا وفي خلق الله تعالى حيوان اصغر منها ومن جناحها بمراتب ربما رايت في تضاعيف الكتب العتيقة دويبة لا يكاد يجليها للبصر الحاد الا تحركها فاذا سكنت فالسكون يواريها ثم اذا لوحت لها بيدك حادت عنها وتجنبت مضرتها فسبحان من يدرك صورة تلك واعضاءها الظاهرة والباطنة وتفاصيل خلقتها ويبصر بصرها ويطلع على ضميرها ولعل في خلقه ما هو اصغر منها واصغر سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون وانشدت لبعضهم • يا من يرى مد البعوض جناحها • في ظلمة الليل البهيم الاليل • ويرى عروق نياطها في نحرها • والمخ في تلك العظام النحل • اغفر لعبد تاب من فرطاته • ما كان منه في الزمان الاول • واما حرف فيه معنى الشرط ولذلك يجاب بالفاء وفائدته في الكلام ان يعطيه فضل توكيد تقول زيد ذاهب فاذا قصدت توكيد ذلك وانه لا محالة ذاهب وانه بصدد الذهاب وانه منه عزيمة قلت اما زيد فذاهب ولذلك قال سيبويه في تفسيره مهما يكن من شيء فزيد ذاهب وهذا التفسير مدل بفائدتين بيان كونه توكيدا وانه في معنى الشرط ففي ايراد الجملتين مصدرتين به وان لم يقل فالذين آمنوا يعلمون والذين كفروا يقولون احماد عظيم لامر المؤمنين واعتداد بعلمهم انه الحق ونعي على الكافرين اغفالهم وعنادهم ورميهم بالكلمة الحمقاء • والحق الثابت الذي لا يسوغ انكاره يقال حق الامر اذا ثبت ووجب وحقت كلمة ربك وثوب محقق محكم النسج • وماذا فيه وجهان ان يكون ذا اسما موصولا بمعنى الذي فيكون كلمتين وان يكون ذا مركبة مع ما مجعولتين اسما واحدا فيكون كلمة واحدة فهو على الوجه الاول مرفوع المحل على الابتداء وخبره ذا مع صلته وعلى الثاني منصوب المحل في حكم ما وحده لو قلت ما اراد الله والاصوب في جوابه ان يجيء على الاول مرفوعا وعلى الثاني منصوبا ليطابق الجواب السؤال وقد جوزوا عكس ذلك كما تقول في جواب من قال ما رايت خير اي المرئي خير وفي جواب ماذا رايت خيرا اي رايت خيرا وقرئ قوله تعالى ويسالونك ماذا ينفقون قل العفو بالرفع والنصب على التقديرين والارادة نقيض الكراهة وهي مصدر اردت الشيء اذا طلبته نفسك ومال اليه قلبك • وفي حدود المتكلمين الارادة معنى يوجب للحي حالا لاجلها يقع منه الفعل على وجه دون وجه • وقد اختلفوا في ارادة الله تعالى فبعضهم على ان للباري مثل صفة المريد منا التي هي القصد وهو امر زائد على كونه عالما غير ساه وبعضهم على ان معنى ارادته لافعاله هو انه فعلها وهو غير ساه ولا مكره ومعنى ارادته لافعال غيره انه امر بها والضمير في انه الحق للمثل او لان يضرب وفي قولهم ماذا اراد الله بهذا مثلا استرذال واستحقار كما قالت عائشة رضي الله عنها في عبد الله بن عمرو بن العاص يا عجبا لابن عمرو هذا • ومثلا نصب على التمييز كقولك لمن اجاب بجواب غث ماذا اردت بهذا جوابا ولمن حمل سلاحا رديا كيف تنتفع بهذا سلاحا او على الحال كقوله هذه ناقة الله لكم آية • وقوله يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا جار مجرى التفسير والبيان للجملتين المصدرتين باما وان فريق العالمين بانه الحق وفريق الجاهلين المستهزئين به كلاهما موصوف بالكثرة وان العلم بكونه حقا من باب الهدى الذي ازداد به المؤمنون نورا الى نورهم وان الجهل بحسن مورده من باب الضلالة التي زادت الجهلة خبطا في ظلماتهم فان قلت لم وصف المهديون بالكثرة والقلة صفتهم وقليل من عبادي الشكور وقليل ما هم الناس كابل مائة لا تجد فيها راحلة وجدت الناس اخبر تقله قلت اهل الهدى كثير في انفسهم وحين يوصفون بالقلة انما يوصفون بها بالقياس الى اهل الضلال وايضا فان القليل من المهديين كثير في الحقيقة وان قلوا في الصورة فسموا ذهابا الى الحقيقة كثيرا • ان الكرام كثير في البلاد وان • قلوا كما غيرهم قل وان كثروا • واسناد الاضلال الى الله تعالى اسناد الفعل الى السبب لانه لما ضرب المثل فضل به قوم واهتدى به قوم تسبب لضلالهم وهداهم • وعن مالك بن دينار رحمه الله تعالى انه دخل على محبوس قد اخذ بمال عليه وقيد فقال يا ابا يحيى اما ترى ما نحن فيه من القيود فرفع مالك راسه فراى سلة فقال لمن

هذه السنة فقال لي فامر بها تنزل فاذا دجاج واخبصة فقال مالك هذه وضعت القيود على رجلك وقرأ زيد بن علي
يُضَل به كثير وكذلك وما يُضَل به الا الفاسقون • والفسق الخروج عن القصد قال رؤبة فواسقا عن قصدها جوائرا
والفاسق في الشريعة الخارج عن امر الله تعالى بارتكاب الكبيرة النازل بين المنزلتين اي بين منزلة المؤمن والكافر وقالوا
ان اول من حد له هذا الحد ابو حذيفة واصل بن عطاء رضي الله عنه وعن اشياعه وكونه بين بين فان حكمه حكم المؤمن
في انه يناكح ويوارث ويغسل ويصلى عليه ويدفن في مقابر المسلمين وهو كالكافر في الذم واللعن والبراءة منه واعتقاد
عداوته وان لا تقبل له شهادة ومذهب مالك بن انس والزيدية ان الصلوة لا تجزي خلفه ويقال للخلفاء المردة من الكفار
الفسقة وقد جاء الاستعمالان في كتاب الله تعالى بئس الاسم الفسوق بعد الايمان يريد اللمز والتنابز ان المنافقين
هم الفاسقون • **الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله
به ان يوصل ويفسدون في الارض اولئك هم الخاسرون** • النقض الفسخ
وفك التركيب فان قلت من اين ساغ استعمال النقض في ابطال العهد قلت من حيث تسميتهم العهد بالحبل على
سبيل الاستعارة لما فيه من ثبات الوصلة بين المتعاهدين ومنه قول ابن التيهان في بيعة العقبة ان بيننا وبين القوم
حبالا ونحن قاطعوها فنخشى ان الله اعزك واظهرك ان ترجع الى قومك وهذا من اسرار البلاغة ولطائفها ان يسكتوا
عن ذكر الشيء المستعار ثم يرمزوا اليه بذكر شيء من روادفه فينبهوا بتلك الرمزة على مكانه ونحوه قولك شجاع يفترس
اقرانه وعالم يغترف منه الناس واذا تزوجت امرأة فاستوثرها لم تقل هذا الا وقد نبهت على الشجاع والعالم بانهما اسد
وبحر وعلى المرأة بانها فراش والعهد الموثق وعهد اليه في كذا اذا اوصاه به ووثقه عليه واستعهد منه اذا اشترط عليه واستوثق
منه والمراد بهؤلاء الناقضين لعهد الله احبار اليهود المتعنتين او منافقوهم او الكفار جميعا فان قلت فما المراد
بعهد الله قلت ما ركز في عقولهم من الحجة على التوحيد كانه امر وصاهم به ووثقه عليهم وهو معنى قوله واشهدهم على
انفسهم الست بربكم قالوا بلى واخذ الميثاق عليهم بانهم اذا بعث اليهم رسول يصدقه الله بمعجزاته صدقوه واتبعوه ولم
يكتموا ذكره فيما تقدمه من الكتب المنزلة عليهم كقوله واوفوا بعهدي اوف بعهدكم وقوله في الانجيل لعيسى صلوات الله عليه
سانزل عليك كتابا فيه نبأ بني اسرائيل وما اريتهم اياهم من الآيات وما انعمت عليهم وما نقضوا من ميثاقهم الذي واثقوا به وما
ضيعوا من عهدي اليهم وحسن صنيعي للذين قاموا بميثاقي الله واوفوا بعهدي ونصري اياهم وكيف انزل بأسي ونقمتي بالذين
غدروا ونقضوا ميثاقي ولم يفوا بعهدي لان اليهود فعلوا باسم عيسى ما فعلوا باسم محمد صلوات الله وسلامه عليهما من التحريف
والجحود وكفروا به كما كفروا به وقيل هو اخذ الله العهد عليهم ان لا يسفكوا دماءهم ولا يبغي بعضهم على بعض ولا يقطعوا
ارحامهم وقيل عهد الله الى خلقه ثلثة عهود العهد الاول الذي اخذه على ذرية آدم الاقرار بربوبيته وهو قوله واذ
اخذ ربك وعهد خص به النبيين ان يبلغوا الرسالة ويقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه وهو قوله واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم
وعهد خص به العلماء وهو قوله واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه • والضمير في ميثاقه
للعهد وهو ما وثقوا به عهد الله من قبوله والزامه انفسهم ويجوز ان يكون بمعنى توثقته كما ان الميعاد والميلاد بمعنى الوعد
والولادة ويجوز ان يرجع الضمير الى الله اي من بعد توثقته عليهم او من بعد ما وثق به عهده من آياته وكتبه وانذار رسله ومعنى قطعهم
ما امر الله به ان يوصل قطعهم الارحام وموالاة المؤمنين وقيل قطعهم بين الانبياء من الوصلة والاتحاد والاجتماع
على الحق في ايمانهم ببعض وكفرهم ببعض فان قلت ما الامر قلت طلب الفعل ممن هو دونك وبعثه عليه
وبه سمي الامر الذي هو واحد الامور لان الداعي الذي يدعو اليه من يتولاه شبه بآمر يأمره به فقيل له امر تسمية للمفعول
بالمصدر كانه مأمور به كما قيل له شأن والشأن الطلب والقصد يقال شأنت شأنه اي قصدت قصده هم الخاسرون
لانهم استبدلوا النقض بالوفاء والقطع بالوصل والفساد بالصلاح وعقابها بثوابها • **كيف تكفرون بالله
وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون** • معنى الهمزة التي في
كيف مثله في قولك اتكفرون بالله ومعكم ما يصرفكم عن الكفر ويدعوكم الى الايمان وهو الانكار والتعجب ونظيره قولك اتطير

بغير

بغير جناح وكيف تطير بغير جناح قولك اتطير بغير جناح انكار للطيران لانه مستحيل بغير جناح واما الكفر
فغير مستحيل مع ما ذكر من الاماتة والاحياء قد اخرج في صورة المستحيل لما قوي من الصارف عن الكفر والداعي
الى الايمان فان قلت فقد تبين امر الهمزة وانها لانكار الفعل والايذان باستحالته في نفسه او لقوة الصارف عنه
فما تقول في كيف حيث كان انكارا للحال التي يقع عليها كفرهم قلت حال الشيء تابعة لذاته فاذا امتنع ثبوت الذات
تبعه امتناع ثبوت الحال فكان انكار حال الكفر لانها تبع ذات الكفر ورديفها انكارا لذات الكفر وثباتها على طريق الكناية
وذلك اقوى لانكار الكفر وابلغ وتحريره انه اذا انكر ان يكون لكفرهم حال يوجد عليها وقد علم ان كل موجود لا ينفك
من حال وصفة عند وجوده ومحال ان يوجد بغير صفة من الصفات كان انكارا لوجوده على الطريق البرهاني الواو في قوله
وكنتم امواتا للحال فان قلت فكيف صح ان يكون حالا وهو ماض ولا يقال جئت وقام الامير ولكن وقد قام الا
ان تضمر قد قلت لم تدخل الواو على كنتم امواتا وحده ولكن على جملة قوله كنتم امواتا الى ترجعون كانه قيل كيف
تكفرون بالله وقصتكم هذه وحالكم انكم كنتم امواتا نطفا في اصلاب آبائكم فجعلكم احياء ثم يميتكم بعد هذه الحياة
ثم يحييكم بعد الموت ثم يحاسبكم فان قلت بعض القصة ماض وبعضها مستقبل والماضي والمستقبل كلاهما لا يصح
ان يقع حالا حتى يكون فعلا حاضرا وقت وجود ما هو حال عنه فما الحاضر الذي وقع حالا قلت هو العلم بالقصة كانه
قيل كيف تكفرون وانتم عالمون بهذه القصة وباولها وآخرها فان قلت فقد آل المعنى الى قولك على اي حال
تكفرون في حال علمكم بهذه القصة فما وجه صحته قلت قد ذكرنا ان معنى الاستفهام في كيف للانكار فان انكار الحال
متضمن لانكار الذات على سبيل الكناية فكانه قيل ما اعجب كفركم مع علمكم بحالكم هذه فان قلت ان اتصل علمهم
بانهم كانوا امواتا فاحياهم ثم يميتهم فلم يتصل بالاحياء الثاني والرجوع قلت قد تمكنوا من العلم بهما بالدلائل
الموصلة اليه فكان بمنزلة حصول العلم وكثير منهم علموا ثم عاندوا • والاموات جمع ميت كالاقوال في جمع قيل
فان قلت كيف قيل لهم اموات في حال كونهم جمادا وانما يقال ميت فيما يصح فيه الحياة من البنى قلت
بل يقال ذلك لعادم الحيوة كقوله بلدة ميتا وآية لهم الارض الميتة اموات غير احياء ويجوز ان يكون استعارة
لاجتماعهما في ان لا روح ولا احساس فان قلت ما المراد بالاحياء الثاني قلت يجوز ان يراد به الاحياء
في القبر وبالرجوع النشور وان يراد به النشور وبالرجوع المصير الى الجزاء فان قلت لم كان العطف الاول
بالفاء والاعقاب بثم قلت لان الاحياء الاول قد يعقب الموت بغير تراخ واما الموت فقد تراخى عن الاحياء
والاحياء الثاني كذلك متراخ عن الموت ان اريد به النشور تراخيا ظاهرا وان اريد به احياء القبر فمنه يكتسب
العلم بتراخيه والرجوع الى الجزاء ايضا متراخ عن النشور فان قلت من اين انكر اجتماع الكفر مع القصة التي
ذكرها الا انها مشتملة على آيات بينات تصرفهم عن الكفر ام على نعم جسام حقها ان تشكر ولا تكفر قلت تحتمل
الامرين جميعا لانها عدة آيات وهي مع كونها آيات من اعظم النعم • **هو الذي خلق لكم ما في
الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم** •
لكم لاجلكم ولانتفاعكم به في دنياكم ودينكم اما الانتفاع الدنيوي فالنظر فيه وما فيه من عجائب الصنع الدالة على الصانع
القادر الحكيم وما فيه من التذكير بالآخرة وبثوابها وعقابها لاشتماله على اسباب الانس واللذة من فنون المطاعم والمشارب
والفواكه والمناكح والمراكب والمناظر الحسنة البهية وعلى اسباب الوحشة والمشقة من انواع المكاره كالنيران
والصواعق والسباع والاحناش والسموم والغموم والمخاوف • واستدل بقوله خلق لكم على ان الاشياء التي يصح ان
ينتفع بها ولم تجر مجرى المحظورات في العقل خلقت في الاصل مباحة مطلقا لكل احد ان يتناولها ويستنفع بها
فان قلت هل لقول من زعم ان المعنى خلق لكم الارض وما فيها وجه صحة قلت ان اراد بالارض الجهات
السفلية [2] وجميعا نصب على الحال من الموصول الثاني • والاستواء الاعتدال والاستقامة يقال استوى العود وغيره
اذا قام واعتدل ثم قيل استوى اليه كالسهم المرسل اذا قصده قصدا مستويا من غير ان يلوي على شيء ومنه استعير قوله

[2] دون الغبراء كما يذكر السماء ويراد الجهات العلوية جاز ذلك فان الغبراء وما فيها واقعة في الجهات السفلية صح

ثم استوى الى السماء اى قصد اليها بارادته ومشيئته بعد خلق ما فى الارض من غير ان يريد فيما بين ذلك خلق شىء آخر
والمراد بالسماء جهات العلو كانه قيل ثم استوى الى فوق • والضمير فى فسواهن ضمير مبهم وسبع سموات تفسيره كقولهم
ربه رجلا وقيل الضمير راجع الى السماء والسماء فى معنى الجنس وقيل جمع سماءة والوجه العربى هو الاول ومعنى تسويتهن
تعديل خلقهن وتقويمه واخلاؤه من العوج والفطور او اتمام خلقهن • وهو بكل شىء عليم فمن ثم خلقهن خلقا مستويا محكما
من غير تفاوت مع خلق ما فى الارض على حسب حاجات اهلها ومنافعهم ومصالحهم • ما فسرت به معنى استوى
الى السماء يناقضه ثم لاعطائه معنى التراخى والمهلة • ثم هنا لما بين الخلقين من التفاوت وفضل خلق السموات
على خلق الارض لا للتراخى فى الوقت كقوله ثم كان من الذين آمنوا على انه لو كان لمعنى التراخى فى الوقت لم يلزم ما اعترضت به
لان المعنى انه حين قصد الى السماء لم يحدث فيما بين ذلك اى فى تضاعيف القصد اليها خلقا آخر فان قلت
اما يناقض هذا قوله والارض بعد ذلك دحاها قلت لا لان جرم الارض تقدم خلقه خلق السماء وما دحوها فمتأخر
وعن الحسن خلق الله الارض فى موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان ملتزق بها ثم اصعد الدخان وخلق منه السموات
وامسك الفهر فى موضعها وبسط منها الارض فذلك قوله كانتا رتقا ففتقناهما وهو الالتزاق • وَإِذْ قَالَ
رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً • واذ نصب باضمار اذكر ويجوز ان ينتصب بقالوا
والملائكة جمع ملأك على الاصل كالشمائل فى جمع شمأل والحاق التاء لتأنيث الجمع وجاعل من جعل الذى له مفعولان ودخل على
المبتدا والخبر وهما قولك فى الارض خليفة فكانا مفعوليه ومعناه مصير فى الارض خليفة • والخليفة من يخلف غيره والمعنى خليفة
منكم لانهم سكان الارض فخلفهم فيها آدم وذريته • فهلا قيل خلائف او خلفاء • اريد بالخليفة آدم
واستغنى بذكره عن ذكر بنيه كما يستغنى بذكر اب القبيلة فى قولك مضر وهاشم او اريد من يخلفكم او خلفا يخلفكم فوحد لذلك
وقرئ خليقة بالقاف • ويجوز ان يراد خليفة منى لان آدم كان خليفة الله تعالى فى ارضه وكذلك كل نبى انا جعلناك
خليفة فى الارض فان قلت لاى غرض اخبرهم بذلك قلت ليسألوا ذلك السؤال ويجابوا بما اجيبوا
فيعرفوا الحكمة فى استخلافهم قبل كونهم صيانة لهم عن اعتراض الشبهة فى وقت استخلافهم وقيل ليعلم عباده المشاورة
فى امورهم قبل ان يقدموا عليها وعرضها على ثقاتهم ونصحائهم وان كان هو بعلمه وحكمته البالغة غنيا عن المشاورة
قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ
قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ • اتجعل فيها تعجب من ان يستخلف مكان اهل الطاعة اهل المعصية وهو الحكيم
الذى لا يفعل الا الخير ولا يريد الا الخير • فان قلت من اين عرفوا ذلك حتى تعجبوا منه وانما هو غيب • قلت
عرفوه باخبار من الله تعالى او من جهة اللوح او ثبت فى علمهم ان الملائكة وحدهم هم الخلق المعصومون وكل خلق سواهم
ليسوا على صفتهم او قاسوا احد الثقلين على الآخر حيث اسكنوا الارض فافسدوا فيها قبل سكنى الملائكة • وقرئ
ويسفك بضم الفاء ويسفك ويسفّك من اسفك وسفّك • والواو فى ونحن للحال كما تقول اتحسن الى فلان
وانا احق منه بالاحسان • والتسبيح تبعيد الله من السوء وكذلك تقديسه من سبح فى الماء والارض وقدس فى الارض
اذا ذهب فيها وابعد • وبحمدك فى موضع الحال اى نسبح حامدين وملتبسين بحمدك لانه لولا انعامك علينا بالتوفيق
واللطف لم نتمكن من عبادتك اعلم ما لا تعلمون اى اعلم من المصالح فى ذلك ما هو خفى عليكم فان قلت هلا بين لهم تلك
المصالح قلت كفى العباد ان يعلموا ان افعال الله تعالى كلها حسنة وحكمة وان خفى عليهم وجه الحسن والحكمة على انه قد بين
لهم بعض ذلك فيما اتبعه من قوله • وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي
بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ • قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ
أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ • قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ
إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ • واشتقاقهم
آدم من الادمة ومن اديم الارض نحو اشتقاقهم يعقوب من العقب وادريس من الدرس وابليس من الابلاس وما آدم الا

اسم

اسم اعجمى واقرب امره ان يكون على فاعل كآزر وعابر وعازر وشالخ وفالغ واشباه ذلك • الاسماء كلها اى اسماء
المسميات فحذف المضاف اليه لكونه معلوما مدلولا عليه بذكر الاسماء لان الاسم لا بد له من مسمى وعوض منه اللام كقوله تعالى
واشتعل الرأس شيبا فان قلت هلا زعمت انه حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وان الاصل وعلم آدم
مسميات الاسماء قلت لان التعليم وجب تعليقه بالاسماء لا بالمسميات لقوله انبئونى باسماء هؤلاء انبئهم
باسمائهم فلما انبأهم باسمائهم فكما علق الانباء بالاسماء لا بالمسميات ولم يقل انبئونى بهؤلاء وانبئهم بهم وجب تعليق
التعليم بها • فان قلت فما معنى تعليمه اسماء المسميات • اراه الاجناس التى خلقها وعلمه ان هذا اسمه
فرس وهذا اسمه بعير وهذا اسمه كذا وعلمه احوالها وما يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية • ثم عرضهم
اى عرض المسميات وانما ذكر لان فى المسميات العقلاء فغلبهم وانما استنبأهم وقد علم عجزهم عن الانباء على سبيل
التبكيت • ان كنتم صادقين يعنى فى زعمكم انى استخلف فى الارض مفسدين سفاكين للدماء ارادة للرد عليهم
وان فيمن يستخلفه من الفوائد العلمية التى هى اصول الفوائد كلها ما يستأهلون لاجله ان يستخلفوا فاراهم بذلك
وبين لهم بعض ما اجمل من ذكر المصالح فى استخلافهم فى قوله انى اعلم ما لا تعلمون وقوله الم اقل لكم انى اعلم غيب السموات والارض
استحضار لقوله انى اعلم ما لا تعلمون الا انه جاء به على وجه البسط من ذلك واشرح وقرئ وعلم آدم على البناء للمفعول
وقرأ عبد الله عرضهن وقرأ ابى عرضها والمعنى عرض مسمياتهن او مسمياتها لان العرض لا يصح فى الاسماء وقرئ انبيهم
بقلب الهمزة ياء وانبهم بحذفها والهاء مكسورة فيهما • وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا
إِلَّا إِبْلِيسَ • السجود لله تعالى على سبيل العبادة ولغيره على وجه التكرمة كما سجدت الملائكة لآدم وابو يوسف
واخوته له ويجوز ان تختلف الاحوال والاوقات فيه وقرأ ابو جعفر للملائكة اسجدوا بضم التاء للاتباع ولا يجوز استهلاك
الحركة الاعرابية بحركة الاتباع الا فى لغة ضعيفة كقولهم الحمد لله • الا ابليس استثناء متصل لانه كان جنيا واحدا
بين اظهر الالوف من الملائكة مغمورا بهم فغلبوا عليه فى قوله فسجدوا ثم استثنى منهم استثناء واحد منهم ويجوز ان
يجعل منقطعا • أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ • وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ
وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ
الظَّالِمِينَ • ابى امتنع مما امر به واستكبر عنه وكان من الكافرين من جنس كفرة الجن وشياطينهم فلذلك ابى
واستكبر كقوله كان من الجن ففسق عن امر ربه • السكنى من السكون لانها نوع من اللبث والاستقرار وانت تاكيد
للمستكن فى اسكن ليصح العطف عليه • ورغدا وصف للمصدر اى اكلا رغدا واسعا رافها • حيث للمكان المبهم اى
اى مكان من الجنة شئتما اطلق لهما الاكل من الجنة على وجه التوسعة البالغة المزيحة للعلة حيث لم يحظر عليهما بعض الاكل
ولا بعض المواضع الجامعة للماكولات من الجنة حتى لا يبقى لهما عذر فى التناول من شجرة واحدة من بين اشجارها الفائتة
للحصر وكانت الشجرة فيما قيل الحنطة او الكرمة او التينة • وقرئ تقربا بكسر التاء وهذى والشجرة بكسر الشين والشيرة بكسر الشين
والياء وعن ابى عمرو انه كرههما وقال يقرأ بها برابر مكة وسودانها • من الظالمين من الذين ظلموا انفسهم بمعصية الله فتكونا
جزم عطف على تقربا او نصب جواب للنهى • فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ
وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ
الضمير فى عنها للشجرة اى فحملهما الشيطان على الزلة بسببها وتحقيقه فاصدر الشيطان زلتهما عنها وعن هذه مثلها فى قوله
وما فعلته عن امرى وقوله ينهون عن اكل وعن شرب • وقيل فازلهما عن الجنة بمعنى اذهبهما عنها وابعدهما كما تقول زل عن
مرتبته وزل عنى ذاك اذا ذهب عنك وزل من الشهر كذا • وقرئ فازالهما فاخرجهما مما كانا فيه من النعيم والكرامة او من الجنة ان
كان الضمير للشجرة فى عنها وقرأ عبد الله فوسوس لهما الشيطان عنها وهذا دليل على ان الضمير للشجرة لان المعنى صدرت وسوسته
عنها فان قلت كيف توصل الى ازلالهما ووسوسته لهما بعدما قيل له اخرج منها فانك رجيم قلت
يجوز ان يمنع دخولها على جهة التقريب والتكرمة كدخول الملائكة ولا يمنع ان يدخلها على جهة الوسوسة ابتلاء لآدم وحواء

حزب

وقيل كان يدنو من السماء فيكلمهما وقيل قام عند الباب فنادى وروي انه اراد الدخول فمنعته الخزنة فدخل في فم الحية حتى دخلت به وهم لا يشعرون • قلنا اهبطوا الخطاب لآدم وحواء وابليس وقيل والحية والصحيح انه لآدم وحواء والمراد هما وذريتهما لانهما لما كانا اصلي الانس ومتشعبهم جعلا كانهما الانس كلهم والدليل عليه قوله قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو ويدل على ذلك قوله فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وما هو الا حكم يعم الناس كلهم • ومعنى بعضكم لبعض عدو ما عليه الناس من التعادي والتباغي وتضليل بعضهم لبعض والهبوط النزول الى الارض • مستقر موضع استقرار ومتاع تمتع بالعيش الى حين يريد الى يوم القيمة وقيل الى الموت • فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم • معنى تلقي الكلمات استقبالها بالاخذ والقبول والعمل بها حين علمها وقرئ بنصب آدم ورفع الكلمات على انها استقبلته بان بلغته واتصلت به • فان قلت ما هن قلت قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا الآية • وعن ابن مسعود رضي الله عنه ان احب الكلام الى الله تعالى ما قاله ابونا آدم حين اقترف الخطيئة سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت • وعن ابن عباس قال يا رب الم تخلقني بيدك قال بلى قال يا رب الم تنفخ في الروح من روحك قال بلى قال يا رب الم تسبق رحمتك غضبك قال بلى قال الم تسكني جنتك قال بلى قال يا رب ان تبت واصلحت اراجعي انت الى الجنة قال نعم • واكتفى بذكر توبة آدم دون حواء لانها كانت تبعا له كما طوي ذكر النساء في اكثر القرآن والسنة لذلك وقد ذكرها في قوله قالا ربنا ظلمنا انفسنا • فتاب عليه فرجع عليه بالرحمة والقبول • قلنا اهبطوا منها جميعا فاما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون • والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون • فان قلت لم كرر قلنا اهبطوا قلت للتاكيد ولما نيط به من زيادة قوله فاما يأتينكم مني هدى فان قلت ما جواب الشرط الاول قلت الشرط الثاني مع جوابه كقولك ان جئتني فان قدرت احسنت اليك والمعنى فاما يأتينكم مني هدى برسول ابعثه اليكم وكتاب انزله عليكم بدليل قوله والذين كفروا وكذبوا باياتنا في مقابلة قوله فمن تبع هداي فان قلت فلم جيء بكلمة الشك واتيان الهدى كائن لا محالة لوجوبه قلت للايذان بان الايمان بالله والتوحيد لا يشترط فيه بعثة الرسول وانزال الكتب وانه ان لم يبعث رسولا ولم ينزل كتابا كان الايمان به وتوحيده واجبا لما ركب فيهم من العقول ونصب لهم من الادلة ومكنهم من النظر والاستدلال فان قلت الخطيئة التي اهبط بها آدم ان كانت كبيرة فالكبيرة لا تجوز على الانبياء وان كانت صغيرة فلم جرى عليه ما جرى بسببها من نزع اللباس والاخراج من الجنة والاهباط من السماء كما فعل بابليس ونسبته الى الغي والعصيان ونسيان العهد وعدم العزيمة والحاجة الى التوبة قلت ما كانت الا صغيرة مغمورة باعمال قلبه من الاخلاص والافكار الصالحة التي هي اجل الاعمال واعظم الطاعات وانما جرى عليه ما جرى تعظيما للخطيئة وتفظيعا لشانها وتهويلا ليكون ذلك لطفا له ولذريته في اجتناب الخطايا واتقاء المآثم والتنبيه على انه اخرج من الجنة بخطيئة واحدة فكيف يدخلها ذو خطايا جمة وقرئ فمن تبع هدي على لغة هذيل فلا خوف بالفتح • يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واوفوا بعهدي اوف بعهدكم واياي فارهبون • اسرائيل هو يعقوب عليه السلام لقب له ومعناه في لسانهم صفوة الله وقيل عبد الله وهو بزنة ابراهيم واسمعيل غير منصرف مثلهما لوجود العلمية والعجمة وقرئ اسرائل واسرال • وذكرهم النعمة ان لا يخلوا بشكرها ويعتدوا بها ويستعظموها ويطيعوا مانحها واراد بها ما انعم على آبائهم مما عدد عليهم من الانجاء من فرعون وعذابه ومن الغرق ومن العفو عن اتخاذ العجل والتوبة عليهم وغير ذلك وما انعم به عليهم من ادراك زمن محمد صلى الله عليه وسلم المبشر به في التوراة والانجيل والعهد يضاف الى المعاهد والمعاهد جميعا يقال اوفيت بعهدي اي بما عاهدت عليه كقوله ومن اوفى بعهده من الله واوفيت بعهدك اي بما عاهدتك عليه

ومعنى

ومعنى واوفوا بعهدي واوفوا بما عاهدتموني عليه من الايمان بي والطاعة لي كقوله ومن اوفى بما عاهد عليه الله ومنهم من عاهد الله رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه • اوف بعهدكم بما عاهدتكم عليه من حسن الثواب على حسناتكم • واياي فارهبون فيه وجوه من التوكيد تقدم الضمير المنفصل وتاخير المتصل والفاء الموجبة معطوفا عليه تقديره واياي ارهبوا فارهبون وان احدهما مضمر والثاني مظهر وما في ذلك من تكرار الرهبة وهو من قولك زيدا رهبته وهو اوكد في افادة الاختصاص من اياك نعبد • وقرئ اوف بالتشديد اي ابالغ بالوفاء بعهدكم كقوله من جاء بالحسنة فله خير منها • ويجوز ان يريد بقوله واوفوا بعهدي ما عاهدوا عليه ووعدوه من الايمان بنبي الرحمة والكتاب المعجز ويدل عليه قوله وآمنوا بما انزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا اول كافر به • اول من كفر به واول فريق واول فوج كافر به او ولا يكن كل واحد منكم اول كافر به كقولك كسانا حلة اي كل واحد منا وهذا تعريض بانه كان يجب ان يكونوا اول من يؤمن به لمعرفتهم به وبصفته ولانهم كانوا المبشرين بزمان من اوحي اليه والمستفتحين على الذين كفروا وكانوا يعدون اتباعه اول الناس كلهم فلما بعث كان امرهم على العكس كقوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة الى قوله وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ويجوز ان يراد ولا تكونوا مثل اول كافر به يعني من اشرك به من اهل مكة اي ولا تكونوا وانتم تعرفونه مذكورا في التوراة موصوفا مثل من لم يعرفه وهو مشرك لا كتاب له وقيل الضمير في به لما معكم لانهم اذا كفروا بما يصدقه فقد كفروا به • ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا واياي فاتقون • والاشتراء استعارة للاستبدال كقوله اشتروا الضلالة بالهدى وقوله • كما اشترى المسلم اذ تنصرا • فاني شريت الحلم بعدك بالجهل • يعني لا تستبدلوا باياتي ثمنا قليلا والا فالثمن هو المشترى به والثمن القليل الرياسة التي كانت لهم في قومهم خافوا عليها الفوات لو اصبحوا اتباعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاستبدلوها وهي بدل قليل ومتاع يسير بايات الله وبالحق الذي كل كثير اليه قليل وكل كبير اليه حقير فما بال القليل الحقير وقيل كانت عامتهم يعطون احبارهم من زروعهم وثمارهم ويهدون اليهم الهدايا ويرشونهم الرشا على تحريفهم الكلم وتسهيلهم لهم ما صعب عليهم من الشرائع وكان ملوكهم يدرون عليهم الاموال ليكتموا او يحرفوا • ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وانتم تعلمون • الباء التي في الباطل ان كانت صلة مثلها في قولك لبست الشيء بالشيء وخلطته به كان المعنى ولا تكتبوا في التوراة ما ليس منها فيختلط الحق المنزل بالباطل حتى لا يميز بين حقها وباطلكم وان كانت باء الاستعانة كالتي في قولك كتبت بالقلم كان المعنى ولا تجعلوا الحق ملتبسا مشتبها بباطلكم الذي تكتبونه • وتكتموا جزم داخل تحت حكم النهي بمعنى ولا تكتموا او منصوب باضمار ان والواو بمعنى الجمع اي ولا تجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمان الحق كقولك لا تاكل السمك وتشرب اللبن فان قلت لبسهم وكتمانهم ليسا بفعلين متميزين حتى ينهوا عن الجمع بينهما لانهم اذا لبسوا الحق بالباطل فقد كتموا الحق قلت بل هما متميزان لان لبس الحق بالباطل ما ذكرنا من كتبتهم في التوراة ما ليس منها وكتمانهم الحق ان يقولوا لا نجد في التوراة صفة محمد او حكم كذا او يمحوا ذلك او يكتبوه على خلاف ما هو عليه وفي مصحف عبد الله وتكتمون بمعنى كاتمين • وانتم تعلمون في حال علمكم انكم لابسون كاتمون وهو اقبح لهم لان الجهل بالقبيح ربما عذر راكبه • واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة واركعوا مع الراكعين • واقيموا الصلوة يعني صلوة المسلمين وزكوتهم واركعوا مع الراكعين منهم لان اليهود لا ركوع في صلاتهم وقيل الركوع الخضوع والانقياد لما يلزمهم في دين الله ويجوز ان يراد بالركوع الصلوة كما يعبر عنها بالسجود وان يكون امرا بان يصلى مع المصلين يعني في الجماعة كانه قيل واقيموا الصلوة وصلوها مع المصلين لا منفردين • اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب افلا تعقلون • الهمزة للتقرير مع التوبيخ والتعجيب من حالهم • والبر سعة الخير والمعروف ومنه البر لسعته ويتناول كل خير ومنه قولهم صدقت وبررت وكان الاحبار يامرون من نصحوه في السر من اقاربهم باتباع محمد صلى الله عليه وسلم ولا يتبعونه وقيل كانوا يامرون بالصدقة ولا يتصدقون واذا اتوا بالصدقات ليفرقوها خانوا فيها

وعن محمد بن واسع بلغني ان ناسا من اهل الجنة اطلعوا على ناس من اهل النار فقالوا لهم قد كنتم تأمروننا باشياء عملناها فدخلنا الجنة قالوا كنا نأمركم بها ونخالف الى غيرها • وتنسون انفسكم وتتركونها من البر كالمنسيات وانتم تتلون الكتاب تبكيت مثل قوله وانتم تعلمون يعني تتلون التوراة وفيها نعت محمد او فيها الوعيد على الخيانة وترك البر ومخالفة القول العمل افلا تعقلون توبيخ عظيم بمعنى افلا تفطنون لقبح ما اقدمتم عليه حتى يصدكم استقباحه عن ارتكابه فكانكم في ذلك مسلوبون العقول لان العقول تاباه وتدفعه ونحوه اف لكم ولما تعبدون من دون الله افلا تعقلون

واستعينوا بالصبر والصلوة وانها لكبيرة الا على الخاشعين • الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون • واستعينوا على حوائجكم الى الله بالصبر والصلوة اي بالجمع بينهما وان تصلوا صابرين على تكاليف الصلوة محتملين لمشاقها وما يجب فيها من اخلاص القلب وحفظ النيات ودفع الوساوس ومراعاة الآداب والاحتراس من المكاره مع الخشية والخضوع واستحضار العلم بانه انتصاب بين يدي جبار السموات والارض ليسأل فك الرقاب عن سخطه وعذابه ومنه قوله تعالى وأمر اهلك بالصلوة واصطبر عليها او واستعينوا على البلايا والنوائب بالصبر عليها والالتجاء الى الصلوة عند وقوعها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه امر فزع الى الصلوة وعن ابن عباس انه نعي اليه اخوه قثم وهو في سفر فاسترجع وتنحى عن الطريق فصلى ركعتين اطال فيهما الجلوس ثم قام يمشي الى راحلته وهو يقول واستعينوا بالصبر والصلوة وقيل الصبر الصوم لانه حبس عن المفطرات ومنه قيل لشهر الصيام شهر الصبر ويجوز ان يراد بالصلوة الدعاء وان يستعان على البلاء بالصبر والالتجاء الى الله في دفعه • وانها الضمير للصلوة او للاستعانة ويجوز ان يكون لجميع الامور التي امر بها بنو اسرائيل ونهوا عنها من قوله اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم الى قوله واستعينوا لكبيرة لشاقة ثقيلة من قولك كبر على المشركين ما تدعوهم اليه فان قلت ما لها لم تثقل على الخاشعين والخشوع في نفسه مما يثقل قلت لانهم يتوقعون ما ادخر للصابرين على متاعبها فتهون عليهم الا ترى الى قوله الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم اي يتوقعون لقاء ثوابه ونيل ما عنده ويطمعون فيه وفي مصحف عبد الله يعلمون ومعناه يعلمون انه لا بد من لقاء الجزاء فيعملون على حسب ذلك وكذلك فسر يظنون بيتيقنون واما من لم يوقن بالجزاء ولم يرج الثواب كانت عليه مشقة خالصة فثقلت عليه كالمنافقين والمرائين باعمالهم ومثاله من وعد على بعض الاعمال والصنائع اجرة زائدة على مقدار عمله فتراه يزاوله برغبة ونشاط وانشراح صدر ومضاحكة لحاضريه كانه يستلذ مزاولته بخلاف عامل يتسخره بعض الظلمة ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعلت قرة عيني في الصلوة وكان يقول يا بلال روحنا بها والخشوع الاخبات والتطامن ومنه الخشعة للرملة المتطامنة واما الخضوع فاللين والانقياد ومنه خضعت بقولها اذا لينته

يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين • واني فضلتكم نصب عطف على نعمتي اي اذكروا نعمتي وتفضيلي على العالمين على الجم الغفير من الناس كقوله باركنا فيها للعالمين يقال رأيت عالما من الناس يراد الكثرة • واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون • يوما يريد يوم القيمة لا تجزي لا تقضي عنها شيئا من الحقوق ومنه الحديث في جذعة ابن نيار تجزي عنك ولا تجزي عن احد بعدك وشيئا مفعول به ويجوز ان يكون في موضع مصدر اي قليلا من الجزاء كقوله ولا يظلمون شيئا ومن قرأ لا تجزئ من اجزأ عنه اذا اغنى عنه فلا يكون في قراءته الا بمعنى شيئا من الاجزاء وقرأ ابو السرار الغنوي لا تجزي نسمة عن نسمة شيئا وهذه الجملة منصوبة المحل صفة ليوما فان قلت فاين العائد منها الى الموصوف قلت هو محذوف تقديره لا تجزي فيه ونحوه ما انشده ابو علي تروح من الحي ام تبتكر وماذا عليك بان تنتظر اي تنتظر فيه ومنهم من ينزل فيقول اتسع فيه فاجري مجرى المفعول به فحذف الجار ثم حذف الضمير كما حذف من قوله ام مال اصابوا ومعنى التنكير ان نفسا من الانفس لا تجزي عن نفس منها شيئا من الاشياء وهو الاقناط الكلي القطاع للمطامع

وكذلك قوله تعالى ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل اي فدية لانها معادلة للمفدى ومنه الحديث لا يقبل منه صرف ولا عدل اي توبة ولا فدية وقرأ قتادة ولا يقبل منها شفاعة على بناء الفعل للفاعل وهو الله عز وجل ونصب الشفاعة وقيل كانت اليهود تزعم ان آباءهم الانبياء يشفعون لهم فاويسوا فان قلت هل فيه دليل على ان الشفاعة لا تقبل للعصاة قلت نعم لانه نفى ان تقضي نفس عن نفس حقا اخلت به من فعل او ترك ثم نفى ان يقبل منها شفاعة شفيع فعلم انها لا تقبل للعصاة فان قلت الضمير في ولا يقبل منها الى اي النفسين يرجع قلت الى الثانية العاصية غير المجزي عنها وهي التي لا يؤخذ منها عدل ومعنى لا يقبل منها شفاعة ان جاءت بشفاعة شفيع لم يقبل منها ويجوز ان يرجع الى النفس الاولى على انها لو شفعت لها لم تقبل شفاعتها كما لا تجزي عنها شيئا ولو اعطت عدلا عنها لم يؤخذ منها ولا هم ينصرون يعني ما دلت عليه النفس المنكرة من النفوس الكثيرة والتذكير بمعنى العباد والاناسي كما تقول ثلثة انفس

واذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم • اصل آل اهل ولذلك يصغر باهيل فابدلت هاؤه الفا وخص استعماله باولي الخطر والشأن كالملوك واشباههم ولا يقال آل الاسكاف والحجام وفرعون علم لمن ملك العمالقة كقيصر لملك الروم وكسرى لملك الفرس ولعتو الفراعنة اشتقوا تفرعن فلان اذا عتا وتجبر وفي ملح بعضهم قد جاءه الموسى الكلوم فزاد في اقصى تفرعنه وفرط عرامه وقرئ انجيناكم ونجيتكم يسومونكم من سامه خسفا اذا اولاه ظلما قال عمرو بن كلثوم اذا ما الملك سام الناس خسفا ابينا ان نقر الخسف فينا واصله من سام السلعة اذا طلبها كانه بمعنى يبغونكم سوء العذاب ويريدونكم عليه والسوء مصدر السيء يقال اعوذ بالله من سوء الخلق وسوء الفعل يراد قبحهما ومعنى سوء العذاب والعذاب كله سيء اشده وافظعه كانه قبحه بالاضافة الى سائره ويذبحون بيان لقوله يسومونكم ولذلك ترك العاطف وقرأ الزهري يذبحون بالتخفيف كقولك قطعت الثياب وقطعتها وانما فعلوا بهم ذلك لان الكهنة انذروا فرعون بانه يولد مولود يكون على يده هلاكه كما انذر نمروذ فلم يغن عنهما اجتهادهما في التحفظ وكان ما شاء الله والبلاء المحنة ان اشير بذلكم الى صنيع فرعون والنعمة ان اشير به الى الانجاء

واذ فرقنا بكم البحر فانجيناكم واغرقنا آل فرعون وانتم تنظرون • فرقنا فصلنا بين بعضه وبعض حتى صارت فيه مسالك لكم وقرئ فرقنا بمعنى فصلنا يقال فرق بين الشيئين وفرق بين الاشياء لان المسالك كانت اثني عشر على عدد الاسباط فان قلت ما معنى بكم قلت فيه اوجه ان يراد انهم كانوا يسلكونه ويتفرق الماء عند سلوكهم فكانما فرق بهم كما يفرق بين الشيئين بما يوسط بينهما وان يراد فرقناه بسببكم وبسبب انجائكم وان يكون في موضع الحال بمعنى فرقناه ملتبسا بكم كقوله تدوس بنا الجماجم والتريبا اي تدوسها ونحن راكبوها وروي ان بني اسرائيل قالوا لموسى اين اصحابنا لا نراهم قال سيروا فانهم على طريق مثل طريقكم قالوا لا نرضى حتى نراهم فقال اللهم اعني على اخلاقهم السيئة فاوحي اليه ان قل بعصاك هكذا فقال بها على الحيطان فصارت فيها كوى فتراءوا وتسامعوا كلامهم وانتم تنظرون الى ذلك وتشاهدونه لا تشكون فيه

واذ واعدنا موسى اربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون • ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون • واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون • لما دخل بنو اسرائيل مصر بعد هلاك فرعون ولم يكن لهم كتاب ينتهون اليه وعد الله موسى ان ينزل عليه التوراة وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذي الحجة وقيل اربعين ليلة لان الشهور غررها بالليالي وقرئ واعدنا لان الله تعالى وعده الوحي ووعده هو المجيء للميقات الى الطور من بعده من بعد مضيه الى الطور وانتم ظالمون باشراككم ثم عفونا عنكم حين تبتم من بعد ذلك من بعد ارتكابكم الامر العظيم وهو اتخاذكم العجل لعلكم تشكرون ارادة ان تشكروا النعمة في العفو عنكم الكتاب والفرقان يعني الجامع بين كونه كتابا منزلا وفرقانا يفرق بين الحق

والباطل يعني التورية كقولك رأيت الغيث والليث تريد الرجل الجامع بين الجود والجرأة ونحوه قوله تعالى ولقد
آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرا يعني الكتاب الجامع بين كونه فرقانا وضياء وذكرا او التورية والبرهان
الفارق بين الكفر والايمان من العصا واليد وغيرهما من الآيات او الشرع الفارق بين الحلال والحرام وقيل
الفرقان انفراق البحر وقيل النصر الذي فرق بينه وبين عدوه كقوله يوم الفرقان يريد يوم بدر • **واذ قال
موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم
ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم** • حمل قوله فاقتلوا انفسكم على
الظاهر وهو البخع وقيل معناه قتل بعضهم بعضا وقيل امر من لم يعبد العجل ان يقتلوا العبدة • وروي ان الرجل
كان يبصر ولده ووالده وجاره وقريبه فلم يمكنهم المضي لامر الله فارسل الله ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون تحتها
وامروا ان يحتبوا بافنية بيوتهم ويأخذ الذين لم يعبدوا العجل سيوفهم وقيل لهم اصبروا فلعن الله من مد طرفه او حل حبوته
او اتقى بيد او رجل فيقولون آمين فقتلوهم الى المساء حتى دعا موسى وهرون وقالا يا رب هلكت بنو اسرائيل
البقية البقية فكشفت السحابة ونزلت التوبة فسقطت الشفار من ايديهم وكانت القتلى سبعين الفا
• ما الفرق بين الفاءات • الاولى للتسبيب لا غير لان الظلم سبب التوبة والثانية
للتعقيب لان المعنى فاعزموا على التوبة فاقتلوا انفسكم من قبل ان الله تعالى جعل توبتهم قتل انفسهم ويجوز ان يكون
القتل تمام توبتهم فيكون المعنى فتوبوا فاتبعوا التوبة القتل تتمة لتوبتكم • والثالثة متعلقة بمحذوف ولا يخلو اما
ان ينتظم في قول موسى لهم فتتعلق بشرط محذوف كانه قال فان فعلتم فقد تاب عليكم واما ان يكون خطابا
من الله لهم على طريق الالتفات فيكون التقدير ففعلتم ما امركم به موسى فتاب عليكم بارئكم • فان قلت
من اين اختص هذا الموضع بذكر البارئ • قلت البارئ هو الذي خلق الخلق بريئا من التفاوت ما ترى في خلق
الرحمن من تفاوت ومتميزا بعضه من بعض بالاشكال المختلفة والصور المتباينة فكان فيه تقريع بما كان منهم من ترك
عبادة العالم الحكيم الذي براهم بلطف حكمته على الاشكال المختلفة ابرياء من التفاوت والتنافر الى عبادة البقر التي
هي مثل في الغباوة والبلادة في امثال العرب ابلد من ثور حتى عرضوا انفسهم لسخط الله تعالى ونزول امره بان يفك
ما ركبه من خلقهم وينثر ما نظم من صورهم واشكالهم حين لم يشكروا النعمة في ذلك وغمطوها بعبادة من لا يقدر على
شيء منها • **واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتكم الصاعقة
وانتم تنظرون • ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون** • قيل القائلون
السبعون الذين صعقوا وقيل قاله عشرة آلاف منهم • جهرة عيانا وهي مصدر من قولك جهر بالقراءة وبالدعاء كأن
الذي يرى بالعين جاهر بالرؤية والذي يرى بالقلب مخافت بها وانتصابها على المصدر لانها نوع من الرؤية فنصب بفعلها كما
تنصب القرفصاء بفعل الجلوس او على الحال بمعنى ذوي جهرة وقرئ جهرة بفتح الهاء وهي اما مصدر كالغلبة واما
جمع جاهر وفي هذا الكلام دليل على ان موسى عليه السلام رادهم القول وعرفهم ان رؤية ما لا يجوز عليه ان يكون في جهة محال
وان من استجاز على الله تعالى الرؤية فقد جعله من جملة الاجسام او الاعراض فرادوه بعد بيان الحجة ووضوح البرهان
ولجوا فكانوا في الكفر كعبدة العجل فسلط عليهم الصعقة كما سلط على اولئك القتل تسوية بين الكفرين ودلالة
على عظمهما بعظم المحنة • والصاعقة ما صعقهم اي اماتهم قيل نار وقعت من السماء فاحرقتهم وقيل صيحة جاءت من السماء
وقيل ارسل الله تعالى جنودا سمعوا بحسها فخروا صعقين ميتين يوما وليلة وموسى عليه السلام لم تكن صعقته موتا بل
غشية بدليل قوله فلما افاق • والظاهر انه اصابهم ما ينظرون اليه لقوله وانتم تنظرون • وقرأ علي رضي الله عنه
فاخذتكم الصعقة لعلكم تشكرون نعمة البعث بعد الموت او نعمة الله بعد ما كفرتموها اذ رأيتم بأس الله في
رميكم بالصاعقة واذاقتكم الموت • **وظللنا عليكم الغمام وانزلنا عليكم المن والسلوى
كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون** • وظللنا وجعلنا

الغمام

الغمام يظلكم وذلك في التيه سخر الله لهم السحاب يسير بسيرهم يظلهم من الشمس وينزل بالليل عمود من نار يسيرون
في ضوئه وثيابهم لا تتسخ ولا تبلى وينزل عليهم المن وهو الترنجبين مثل الثلج من طلوع الفجر الى طلوع الشمس لكل انسان
صاع ويبعث الله الجنوب فتحشر عليهم السلوى وهي السماني فيذبح الرجل منها ما يكفيه • كلوا على ارادة القول
وما ظلمونا يعني فظلموا بان كفروا هذه النعم وما ظلمونا فاختصر الكلام بحذفه لدلالة وما ظلمونا عليه • **واذ قلنا
ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا
حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين** • القرية بيت المقدس وقيل اريحا من قرى
الشام امروا بدخولها بعد التيه والباب باب القرية وقيل هو باب القبة التي كانوا يصلون اليها وهم لم يدخلوا
بيت المقدس في حيوة موسى امروا بالسجود عند الانتهاء الى الباب شكرا لله وتواضعا وقيل السجود ان ينحنوا
ويتطامنوا داخلين ليكون دخولهم بخشوع واخبات • وقيل طوطئ لهم الباب ليخفضوا رؤسهم فلم يخفضوها ودخلوا
متزحفين على اوراكهم • حطة فعلة من الحط كالجلسة والركبة وهي خبر مبتدأ محذوف اي مسألتنا حطة
او امرك حطة والاصل النصب بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة وانما رفعت لتعطي معنى الثبات كقوله صبر جميل فكلانا
مبتلى • والاصل صبرا على اصبر صبرا وقرأ ابن ابي عبلة بالنصب على الاصل وقيل معناه امرنا حطة اي ان نحط في
هذه القرية ونستقر فيها • فان قلت • هل يجوز ان تنصب حطة في قراءة من نصبها بقولوا على معنى قولوا هذه
الكلمة • قلت • لا يبعد والاجود ان تنصب باضمار فعلها وتنتصب محل ذلك المضمر بقولوا • وقرئ يغفر
لكم على البناء للمفعول بالياء والتاء • وسنزيد المحسنين اي من كان محسنا منكم كانت تلك الكلمة سببا في زيادة ثوابه
ومن كان مسيئا كانت له توبة ومغفرة • **فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم فانزلنا على
الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون** • فبدل الذين ظلموا اي وضعوا مكان حطة
قولا غيرها يعني انهم امروا بقول معناه التوبة والاستغفار فخالفوه الى قول ليس معناه معنى ما امروا به ولم يمتثلوا امر الله
وليس الغرض انهم امروا بلفظ بعينه وهو لفظ الحطة فجاؤا بلفظ آخر لانهم لو جاؤا بلفظ آخر مستقل بمعنى ما امروا
به لم يؤاخذوا به كما لو قالوا مكان حطة نستغفرك ونتوب اليك او اللهم اعف عنا وما اشبه ذلك وقيل قالوا مكان حطة حنطة
وقيل قالوا بالنبطية حطا سمقاثا اي حنطة حمراء استهزاء منهم بما قيل لهم وعدولا عن طلب ما عند الله الى طلب ما يشتهون
من اعراض الدنيا • وفي تكرير الذين ظلموا زيادة في تقبيح امرهم وايذان بان انزال الرجز عليهم لظلمهم وقد جاء في سورة الاعراف
فارسلنا عليهم على الاضمار والرجز العذاب وقرئ بضم الراء • وروي انه مات منهم في ساعة بالطاعون اربعة وعشرون الفا
وقيل سبعون الفا • **واذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر
فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس مشربهم كلوا واشربوا من
رزق الله ولا تعثوا في الارض مفسدين** • عطشوا في التيه فدعا لهم موسى بالسقيا
فقيل له اضرب بعصاك الحجر واللام اما للعهد والاشارة الى حجر معلوم فقد روي انه حجر طوري حمله معه وكان حجرا
مربعا له اربعة اوجه تنبع من كل وجه ثلث اعين لكل سبط عين تسيل في جدول الى السبط الذي امران يسقيهم
وكانوا ستمائة الف وسعة المعسكر اثنا عشر ميلا • وقيل اهبطه آدم من الجنة فتوارثوه حتى وقع الى شعيب فدفعه اليه
مع العصا • وقيل هو الحجر الذي وضع عليه ثوبه حين اغتسل اذ رموه بالادرة ففر به فقال له جبريل يقول الله عز وجل
ارفع هذا الحجر فان فيه قدرة ولك فيه معجزة فحمله في مخلاته • واما للجنس اي اضرب الشيء الذي يقال له الحجر وعن الحسن
لم يأمره ان يضرب حجرا بعينه قال وهذا اظهر في الحجة وابين في القدرة • وروي انهم قالوا كيف بنا لو افضينا الى ارض
ليس فيها حجارة فحمل حجرا في مخلاته فحيثما نزلوا القاه • وقيل كان يضربه بعصاه فينفجر ويضربه بها فييبس فقالوا
ان فقد موسى عصاه متنا عطشا فاوحى اليه لا تقرع الحجارة وكلمها تطعك لعلهم يعتبرون • وقيل كان من رخام
وكان ذراعا في ذراع • وقيل مثل رأس الانسان • وقيل كان من آس الجنة طوله عشرة اذرع على طول موسى وله

شجتان تتقدان في الظلمة وكان يحمل على حمار فانفجرت الفاء متعلقة بمحذوف اي فضرب فانفجرت او فان ضربت فقد انفجرت كما ذكرنا في قوله فتاب عليكم وهي على هذا فاء فصيحة لا تقع الا في كلام بليغ وقرئ عشرة بكسر الشين وبفتحها وهما لغتان كل اناس كل سبط مشربهم عينهم التي يشربون منها كلوا على ارادة القول من رزق الله مما رزقكم الله من الطعام وهو المن والسلوى واشربوا من ماء العيون وقيل الماء ينبت منه الزروع والثمار فهو رزق يؤكل منه ويشرب والعثي اشد الفساد فقيل لهم لا تمادوا في الفساد في حال فسادكم لانهم كانوا متمادين فيه • واذ قلتم

يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال اتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير اهبطوا مصرا فان لكم ما سألتم • كانوا فلاحة فنزعوا الى عكرهم فاجموا ما كانوا فيه من النعمة وطلبت انفسهم الشقاء • على طعام واحد اراد ما رزقوا في التيه من المن والسلوى فان قلت هما طعامان فما لهم قالوا على طعام واحد قلت ارادوا بالواحد ما لا يختلف ولا يتبدل ولو كان على مائدة الرجل الوان عدة يداوم عليها كل يوم لا يبدلها قيل لا يأكل فلان الا طعاما واحدا يراد بالوحدة نفي التبدل والاختلاف ويجوز ان يريدوا انهما ضرب واحد لانهما معا من طعام اهل التلذذ والترف ونحن قوم فلاحة اهل زراعات فما نريد الا ما ألفناه وضرينا به من الاشياء المتفاوتة كالبقول والحبوب ونحو ذلك • ومعنى يخرج لنا يظهر لنا ويوجد والبقل ما انبتته الارض من الخضر والمراد به اطايب البقول التي يأكلها الناس كالنعناع والكرفس والكراث واشباهها وقرئ وقثائها بالضم • والفوم الحنطة ومنه فوموا لنا اي اخبزوا وقيل الثوم ويدل عليه قراءة ابن مسعود وثومها وهو للعدس والبصل اوفق • الذي هو ادنى الذي هو اقرب منزلة وادون مقدارا والدنو والقرب يعبر بهما عن قلة المقدار فيقال هو داني المحل وقريب المنزلة كما يعبر بالبعد عن عكس ذلك فيقال بعيد المحل وبعيد الهمة يريدون الرفعة والعلو وقرأ زهير الفرقبي ادنأ بالهمزة من الدناءة • اهبطوا مصرا وقرئ اهبطوا بالضم اي انحدروا اليه من التيه يقال هبط الوادي اذا نزل به وهبط منه اذا خرج • وبلاد التيه ما بين بيت المقدس الى قنسرين وهي اثنا عشر فرسخا في ثمانية فراسخ ويحتمل ان يريد العلم وانما صرف مع اجتماع السببين فيه وهما التعريف والتأنيث لسكون وسطه كقوله ونوحا ولوطا وفيهما العجمة والتعريف وان اريد به البلد فما فيه الا سبب واحد وان يريد مصرا من الامصار وفي مصحف عبد الله وقرأ به الاعمش اهبطوا مصر بغير تنوين كقوله ادخلوا مصر وقيل هو مصرايم فعرب •

وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ذلك بانهم كانوا يكفرون بايات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون • وضربت عليهم الذلة جعلت الذلة محيطة بهم مشتملة عليهم فهم فيها كما يكون في القبة من ضربت عليه او الصقت بهم حتى لزمتهم ضربة لازب كما يضرب الطين على الحائط فيلزمه فاليهود صاغرون اذلاء اهل مسكنة ومدقعة اما على الحقيقة واما لتصاغرهم وتفاقرهم خيفة ان تضاعف عليهم الجزية • وباءوا بغضب من الله من قولك باء فلان بفلان اذا كان حقيقا بان يقتل به لمساواته له ومكافاته اي صاروا احقاء بغضبه • ذلك اشارة الى ما تقدم من ضرب الذلة والمسكنة والخلافة بالغضب اي ذلك بسبب كفرهم وقتلهم الانبياء وقد قتلت اليهود لعنوا اشعيا وزكريا ويحيى وغيرهم فان قلت قتل الانبياء لا يكون الا بغير الحق فما فائدة ذكره قلت معناه انهم قتلوهم بغير الحق عندهم لانهم لم يقتلوا ولا افسدوا في الارض فيقتلوا وانما نصحوهم ودعوهم الى ما ينفعهم فقتلوهم فلو سئلوا وانصفوا من انفسهم لم يذكروا وجها يستحقون به القتل عندهم وقرأ علي رضي الله عنه ويقتّلون بالتشديد • ذلك تكرار للاشارة بما عصوا بسبب ارتكابهم انواع المعاصي واعتدائهم حدود الله في كل شيء مع كفرهم بايات الله وقتلهم الانبياء وقيل هو اعتداؤهم في السبت ويجوز ان يشار بذلك الى الكفر وقتل الانبياء على معنى ان ذلك بسبب عصيانهم واعتدائهم لانهم انهمكوا فيهما وغلوا حتى قست قلوبهم فجسروا على جحود الايات وقتل الانبياء او ذلك الكفر والقتل مع ما عصوا •

ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون • ان الذين آمنوا بألسنتهم من غير مواطأة القلوب وهم المنافقون والذين هادوا والذين تهودوا يقال هاد يهود وتهود اذا دخل في اليهودية وهو هائد والجمع هود والنصارى وهو جمع نصران يقال رجل نصران وامرأة نصرانة قال نصرانة لم تحنف • والياء في نصراني للمبالغة كالتي في احمري سموا بذلك لانهم نصروا المسيح والصابئين وهو من صبأ اذا خرج من الدين وهم قوم عدلوا عن دين اليهودية والنصرانية وعبدوا الملائكة من آمن من هؤلاء الكفرة ايمانا خالصا ودخل في ملة الاسلام اصيلا وعمل صالحا فلهم اجرهم الذي يستوجبونه بايمانهم وعملهم فان قلت ما محل من آمن قلت الرفع ان جعلته مبتدأ خبره فلهم اجرهم والنصب ان جعلته بدلا من اسم ان والمعطوف عليه فخبر ان في الوجه الاول الجملة كما هي وفي الثاني فلهم والفاء لتضمن من معنى الشرط •

واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون • واذ اخذنا ميثاقكم بالعمل على ما في التوراة ورفعنا فوقكم الطور حتى قبلتم واعطيتم الميثاق وذلك ان موسى عليه السلام جاءهم بالالواح فرأوا ما فيها من الآصار والتكاليف الشاقة فكبرت عليهم وأبوا قبولها فامر جبريل فقلع الطور من اصله ورفعه فظلله فوقهم وقال لهم موسى ان قبلتم والا القي عليكم حتى قبلوا خذوا على ارادة القول ما آتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزيمة واذكروا ما فيه واحفظوا ما في الكتاب وادرسوه ولا تنسوه ولا تغفلوا عنه لعلكم تتقون رجاء منكم ان تكونوا متقين او قلنا خذوا واذكروا ارادة ان تتقوا •

ثم توليتم من بعد ذلك فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين • ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين • فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين • ثم توليتم ثم اعرضتم عن الميثاق والوفاء به فلولا فضل الله عليكم بتوفيقكم للتوبة لخسرتم وقرئ خذوا ما آتيتكم وتذكروا واذكروا • السبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت يوم السبت وان ناسا منهم اعتدوا فيه اي جاوزوا ما حد لهم فيه من التجرد للعبادة وتعظيمه واشتغلوا بالصيد وذلك ان الله تعالى ابتلاهم فما كان يبقى حوت في البحر الا اخرج خرطومه يوم السبت فاذا مضى تفرقت كما قال تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم فحفروا حياضا عند البحر وشرعوا اليها الجداول فكانت الحيتان تدخلها فيصطادونها يوم الاحد فذلك الحبس في الحياض هو اعتداؤهم قردة خاسئين خبران اي كونوا جامعين بين القردية والخسوء وهو الصغار والطرد فجعلناها يعني المسخة نكالا عبرة تنكل من اعتبر بها اي تمنعه ومنه النكل القيد لما بين يديها لما قبلها وما خلفها وما بعدها من الامم والقرون لان مسختهم ذكرت في كتب الاولين فاعتبروا بها واعتبر بها من بلغتهم من الآخرين او اريد بما بين يديها ما بحضرتها من القرى والامم وقيل نكالا عقوبة منكلة لما بين يديها لاجل ما تقدمها من ذنوبهم وما تأخر منها وموعظة للمتقين الذين نهوهم عن الاعتداء من صالحي قومهم او لكل متق سمعها •

واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة قالوا اتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين • كان في بني اسرائيل شيخ موسر فقتل ابنه بنو اخيه ليرثوه وطرحوه على باب مدينة ثم جاءوا يطالبون بديته فامرهم الله تعالى ان يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيى فيخبرهم بقاتله قالوا اتتخذنا هزؤا اتجعلنا مكان هزؤ او اهل هزؤ او مهزوءا بنا او الهزؤ نفسه لفرط الاستهزاء من الجاهلين لان الهزؤ في مثل هذا من باب الجهل والسفه وقرئ هزؤا بالضمتين وهزءا بسكون الزاي نحو كفؤا وكفءا وقرأ حفص هزوا بالضمتين والواو وكذلك كفوا والعياذ واللياذ من واد واحد •

قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون • في قراءة عبد الله سل لنا ربك ما هي سؤال عن حالها وصفتها وذلك انهم تعجبوا من بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت فيحيى فسألوا عن صفة تلك البقرة العجيبة الشأن الخارجة عما عليه البقر والفارض المسنة وقد فرضت فروضا قال خفاف بن ندبة

لعمري لقد اعطيت ضيفك فارضا • تساق اليه ما تقوم على رجل •

وكانها سميت فارضا لانها فرضت سنها اي قطعتها

وبلغت آخرها والبكر الفتية والعوان النصف قال: نواعم بين أبكار وعون. وقد عونت. فإن قلت: بين يقتضي
شيئين فصاعدا فمن أين جاز دخوله على ذلك؟ قلت: لأنه في معنى شيئين حيث وقع مشارا به إلى ما ذكر من الفارض
والبكر. فإن قلت: كيف جاز أن يشار به إلى مؤنثين وإنما هو للإشارة إلى واحد مذكر؟ قلت: جاز ذلك
على تأويل ما ذكر وما تقدم للاختصار في الكلام كما جعلوا افعل نائبا عن أفعال جمة تذكر قبله تقول للرجل نعم ما فعلت وقد ذكر
لك أفعالا كثيرة وقصة طويلة كما تقول له ما أحسن ذاك. وقد يجري الضمير مجرى اسم الإشارة في هذا قال أبو عبيدة قلت
لرؤبة في قوله: فيها خطوط من سواد وبلق * كأنه في الجلد توليع البهق. إن أردت الخطوط فقل كأنها وإن أردت
السواد والبلق فقل كأنهما فقال أردت كأن ذاك ويلك. والذي حسن منه ذلك أن أسماء الإشارة تثنيتها وجمعها
وتأنيثها ليست على الحقيقة وكذلك الموصولات ولذلك جاء الذي بمعنى الجمع. ما تؤمرون أي ما تؤمرونه بمعنى تؤمرون
به من قولهم أمرتك الخير أو أمركم بمعنى مأموركم تسمية للمفعول بالمصدر كضرب الأمير. قالوا ادع لنا ربك يبين
لنا ما لونها قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين. الفقوع أشد
ما يكون من الصفرة وأنصعه يقال في التوكيد أصفر فاقع ووارس كما يقال أسود حالك وحانك وأبيض يقق ولهق
وأحمر قانئ وذريحي وأخضر ناضر ومدهام وأورق خطباني وأرمك رداني. فإن قلت: فاقع هاهنا واقع
خبرا عن اللون فلم يقع توكيدا لصفراء. قلت: لم يقع خبرا عن اللون وإنما وقع توكيدا لصفراء إلا أنه ارتفع اللون
به ارتفاع الفاعل واللون سببها وملتبس بها فلم يكن فرق بين قولك صفراء فاقعة وصفراء فاقع لونها.
فإن قلت: فهلا قيل صفراء فاقعة وأي فائدة في ذكر اللون؟ قلت: الفائدة فيه التوكيد لأن
اللون اسم للهيئة وهي الصفرة فكأنه قيل شديدة الصفرة صفرتها فهو من قولك جد جده وجنونك مجنون
وعن وهب إذا نظرت إليها خيل إليك أن شعاع الشمس يخرج من جلدها. والسرور لذة في القلب عند حصول
نفع أو توقعه. وعن علي رضي الله عنه من لبس نعلا صفراء قل همه لقوله تسر الناظرين. وعن الحسن البصري صفراء
فاقع لونها سوداء شديدة السواد ولعله مستعار من صفة الإبل لأن سوادها تعلوه صفرة وبه فسر قوله تعالى جمالات
صفر قال الأعشى: تلك خيلي منه وتلك ركابي * هن صفر أولادها كالزبيب. قالوا ادع لنا ربك
يبين لنا ما هي إن البقر تشابه علينا وإنا إن شاء الله لمهتدون. ما هي مرة ثانية
تكرير للسؤال عن حالها وصفتها واستكشاف زائد ليزدادوا بيانا لوصفها. وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو اعترضوا
أدنى بقرة فذبحوها لكفتهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم والاستقصاء شؤم. وعن بعض الخلفاء أنه كتب إلى عامله
بأن يذهب إلى قوم فيقطع أشجارهم ويهدم دورهم فكتب إليه بأيهما أبدأ فقال إن قلت لك بقطع الشجر سألتني
بأي نوع منها أبدأ. وعن عمر بن عبد العزيز إذا أمرتك أن تعطي فلانا شاة سألتني أضأن أم ماعز فإن بينت لك
قلت أذكر أم أنثى فإن أخبرتك قلت أسوداء أم بيضاء فإذا أمرتك بشيء فلا تراجعني. وفي الحديث أعظم الناس جرما
من سأل عن شيء لم يحرم فحرم لأجل مسألته. إن البقر تشابه علينا أي إن البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثير
فاشتبه علينا أيها نذبح. وقرئ تشابه بمعنى تتشابه بطرح التاء وإدغامها في الشين وتشابهت ومتشابهة
وقرأ محمد ذو الشامة إن الباقر يشابه بالياء والتشديد. وجاء في الحديث لو لم يستثنوا لما بينت لهم آخر الأبد
أي لو لم يقولوا إن شاء الله. والمعنى إنا لمهتدون إلى البقرة المراد ذبحها أو إلى ما خفي علينا من أمر القاتل. قال إنه يقول
إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقي الحرث مسلمة لا شية فيها قالوا الآن
جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون. لا ذلول صفة لبقرة بمعنى بقرة غير ذلول يعني لم
تذلل للكراب وإثارة الأرض ولا هي من النواضح التي يسنى عليها لسقي الحروث ولا الأولى للنفي والثانية مزيدة لتوكيد الأولى
لأن المعنى لا ذلول تثير وتسقي على أن الفعلين صفتان لذلول كأنه قيل لا ذلول مثيرة وساقية. وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي
لا ذلول بمعنى لا ذلول هناك أي حيث هي وهو نفي لذلها ولأن توصف به فيقال هي ذلول ونحوه قولك مررت بقوم

لا بخيل

لا بخيل ولا جبان أي فيهم أو حيث هم. وقرئ تسقي بضم التاء من أسقى. مسلمة سلمها الله تعالى من العيوب أو
معفاة من العمل سلمها أهلها منه كقوله: أو معبر الظهر ينبي عن وليته * ما حج ربه في الدنيا ولا اعتمرا
أو مخلصة اللون من سلم له كذا إذا خلص له لم يشب صفرتها شيء من الألوان. لا شية فيها لا لمعة في نقبتها من لون آخر
سوى الصفرة فهي صفراء كلها حتى قرنها وظلفها وهي في الأصل مصدر وشاه وشيا وشية إذا خلط بلونه لونا آخر ومنه
ثور موشى القوائم. الآن جئت بالحق أي بحقيقة وصف البقرة وما بقي إشكال في أمرها. فذبحوها أي فحصلوا البقرة الجامعة
لهذه الأوصاف كلها فذبحوها. وقوله وما كادوا يفعلون استثقال لاستقصائهم واستبطاء لهم وأنهم لتطويلهم المفرط
وكثرة استكشافهم ما كادوا يذبحونها وما كادت تنتهي سؤالاتهم وما كاد ينقطع خيط إسهابهم فيها وتعمقهم. وقيل
وما كادوا يذبحونها لغلاء ثمنها. وقيل لخوف الفضيحة في ظهور القاتل. وروي أنه كان في بني إسرائيل شيخ صالح
له عجلة فأتى بها الغيضة وقال اللهم إني استودعتكها لابني حتى يكبر. وكان برا بوالديه فشبت وكانت من أحسن البقر
وأسمنه فساوموها اليتيم وأمه حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا وكانت البقرة إذ ذاك بثلاثة دنانير وكانوا طلبوا
البقرة الموصوفة أربعين سنة. فإن قلت: كانت البقرة التي تناولها الأمر بقرة من شق البقر غير مخصوصة
ثم انقلبت مخصوصة بلون وصفات فذبحوا المخصوصة فما فعل الأمر الأول؟ قلت: رجع منسوخا لانتقال الحكم إلى البقرة
المخصوصة والنسخ قبل الفعل جائز على أن الخطاب كان لإبهامه متناولا لهذه البقرة الموصوفة كما تناول غيرها ولو وقع
الذبح عليها بحكم الخطاب قبل التخصيص لكان امتثالا له فكذلك إذا وقع عليها بعد التخصيص. وإذ قتلتم
نفسا فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون. وإذ قتلتم خوطبت الجماعة لوجود القتل
فيهم. فادارأتم فاختلفتم واختصمتم في شأنها لأن المتخاصمين يدرأ بعضهم بعضا أي يدفعه ويزحمه أو تدافعتم
بمعنى طرح قتلها بعضكم على بعض فدفع المطروح عليه الطارح أو لأن الطرح في نفسه دفع أو دفع بعضكم بعضا عن البراءة واتهمه
والله مخرج ما كنتم تكتمون مظهر لا محالة ما كتمتم من أمر القتل لا يتركه مكتوما. فإن قلت: كيف أعمل مخرج وهو في معنى
المضي؟ قلت: قد حكي ما كان مستقبلا في وقت التدارؤ كما حكي الحاضر في قوله باسط ذراعيه. وهذه الجملة اعتراض
بين المعطوف والمعطوف عليه وهما فادارأتم فقلنا. والضمير في اضربوه إما أن يرجع إلى النفس والتذكير على تأويل الشخص
والإنسان وإما إلى القتيل لما دل عليه من قوله ما كنتم تكتمون. فقلنا اضربوه ببعضها كذلك
يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون. ببعضها ببعض البقرة واختلف في البعض
الذي ضرب به فقيل لسانها وقيل فخذها اليمنى وقيل عجبها وقيل العظم الذي يلي الغضروف وهو أصل الأذن
وقيل الأذن وقيل البضعة بين الكتفين. والمعنى فضربوه فحيي فحذف ذلك لدلالة قوله كذلك يحيي الله الموتى
روي أنهم لما ضربوه قام بإذن الله تعالى وأوداجه تشخب دما وقال قتلني فلان وفلان لابني عمه ثم سقط ميتا فأخذا
وقتلا ولم يورث قاتل بعد ذلك. كذلك يحيي الله الموتى إما أن يكون خطابا للذين حضروا حياة القتيل بمعنى وقلنا
لهم كذلك يحيي الله الموتى يوم القيامة. ويريكم آياته ودلائله على أنه قادر على كل شيء. لعلكم تعقلون تعملون على قضية
عقولكم وأن من قدر على إحياء نفس واحدة قدر على إحياء الأنفس كلها لعدم الاختصاص حتى لا تنكروا البعث وإما
أن يكون خطابا للمنكرين في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم. فإن قلت: هلا أحياه ابتداء ولم شرط في
إحيائه ذبح البقرة وضربه ببعضها؟ قلت: في الأسباب والشروط فوائد وحكم وإنما شرط ذلك لما في ذبح
البقرة من التقرب وأداء التكليف واكتساب الثواب والإشعار بحسن تقديم القربة على الطلب وما في التشديد عليهم
لتشديدهم من اللطف لهم وللآخرين في ترك التشديد والمسارعة إلى امتثال أوامر الله تعالى وارتسامها على الفور
من غير تفتيش وتكثير سؤال ونفع اليتيم بالتجارة الرابحة والدلالة على بركة البر بالأبوين والشفقة على الأولاد وتجهيل
الهازئ بما لا يعلم كنهه ولا يطلع على حقيقته من كلام الحكماء وبيان أن من حق المتقرب إلى ربه أن يتنوق في اختيار
ما يتقرب به وأن يختاره فتي السن غير قحم ولا ضرع حسن اللون بريئا من العيوب يونق من نظر إليه وأن يغالي بثمنه

كما روي عن عمر رضي الله عنه انه ضحّى بنجيبة بثلثمائة دينار وان الزيادة في الخطاب نسخ له وان النسخ قبل الفعل جائز وان لم يجز قبل وقت الفعل وامكانه لاداءه الى البداء وليتعلم بما امر من مس الميت بالميت وحصول الحيوة عقيبه ان المؤثر هو المسبب لا الاسباب لان الموتين الحاصلين في الجسمين لا يعقل ان يتولد منهما حيوة فان قلت فالقصة لم تقص على ترتيبها وكان حقها ان يقدم ذكر القتيل والضرب ببعض البقرة على الامر بذبحها وان يقال واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها فقلنا اذبحوا بقرة واضربوه ببعضها قلت كل ما قص من قصص بني اسرائيل انما قص تعديدا لما وجد منهم من الجنايات وتقريعا لهم عليها ولما جدد فيهم من الآيات العظام وهاتان قصتان كل واحدة منهما مستقلة بنوع من التقريع وان كانتا متصلتين متحدتين فالاولى لتقريعهم على الاستهزاء وترك المسارعة الى الامتثال وما يتبع ذلك والثانية للتقريع على قتل النفس المحرمة وما تبعه من الآية العظيمة وانما قدمت قصة الامر بذبح البقرة على ذكر القتيل لانه لو عمل على عكسه لكانت قصة واحدة ولذهب الغرض في تثنية التقريع ولقد روعيت نكتة بعد ما استونفت الثانية استيناف قصة برأسها ان وصلت بالاولى دلالة على اتحادهما بضمير البقرة لا باسمها الصريح في قوله اضربوه ببعضها حتى تبين انهما قصتان فيما يرجع الى التقريع وتثنيته باخراج الثانية مخرج الاستيناف مع تأخيرها وانها قصة واحدة بالضمير الراجع الى البقرة معنى

ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون

ثم قست استبعاد القسوة من بعد ما ذكر مما يوجب لين القلوب ورقتها ونحوه ثم انتم تمترون وصفة القلوب بالقسوة والغلظ مثل لنبوها عن الاعتبار وان المواعظ لا تؤثر فيها وذلك اشارة الى احياء القتيل او الى جميع ما تقدم من الآيات المعدودة فهي كالحجارة في قسوتها مثل الحجارة او اشد قسوة منها واشد معطوف على الكاف اما على معنى او مثل اشد قسوة فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وتعضده قراءة الاعمش بنصب الدال عطفا على الحجارة واما على او هي في انفسها اشد قسوة والمعنى ان من عرف حالها شبهها بالحجارة او بجوهر اقسى منها وهو الحديد مثلا او من عرفها شبهها بالحجارة او قال هي اقسى من الحجارة فان قلت لم قيل اشد قسوة وفعل القسوة مما يخرج منه افعل التفضيل وفعل التعجب قلت لكونه ابين وادل على فرط القسوة ووجه آخر وهو ان لا يقصد معنى الاقسى ولكن قصد وصف القسوة بالشدة كأنه قيل اشتدت قسوة الحجارة وقلوبهم اشد قسوة وقرئ قساوة وترك ضمير المفضل عليه لعدم الالباس كقولك زيد كريم وعمرو اكرم وقوله وان من الحجارة بيان لفضل قلوبهم على الحجارة في شدة القسوة وتقرير لقوله او اشد قسوة وقرئ وان بالتخفيف وهي ان المخففة من الثقيلة التي تلزمها اللام الفارقة ومنها قوله وان كل لما جميع والتفجر التفتح بالسعة والكثرة وقرأ مالك بن دينار ينفجر يشقق يتشقق وبه قرأ الاعمش والمعنى ان من الحجارة ما فيه خروق واسعة يتدفق منها الماء الكثير الغزير ومنها ما ينشق انشقاقا بالطول او بالعرض فينبع منه الماء ايضا يهبط يتردى من اعلى الجبل وقرئ بضم الباء والخشية مجاز عن انقيادها لامر الله وانها لا تمتنع على ما يريد فيها وقلوب هؤلاء لا تنقاد ولا تفعل ما امرت به وقرئ يعملون بالياء والتاء وهو وعيد

افتطمعون ان يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون

افتطمعون الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ان يؤمنوا لكم ان يحدثوا الايمان لاجل دعوتكم ويستجيبوا لكم كقوله فآمن له لوط يعني اليهود وقد كان فريق منهم طائفة فيمن سلف منهم يسمعون كلام الله وهو ما يتلونه من التورية ثم يحرفونه كما حرفوا صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وآية الرجم وقيل كان قوم من السبعين المختارين سمعوا كلام الله تعالى حين كلم موسى بالطور وما امر به ونهى ثم قالوا سمعنا الله يقول في آخره ان استطعتم ان تفعلوا هذه الاشياء فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا فلا بأس وقرئ كلم الله من بعد ما عقلوه من بعد ما فهموه وضبطوه بعقولهم ولم يبق لهم شبهة في صحته وهم يعلمون انهم كاذبون مفترون والمعنى ان كفر هؤلاء وحرفوا فلهم سابقة في ذلك

واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلا بعضهم الى بعض

قالوا اتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم افلا تعقلون • اولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون

واذا لقوا يعني اليهود قالوا اي منافقوهم آمنا بانكم على الحق وان محمدا هو الرسول المبشر به واذا خلا بعضهم الذين لم ينافقوا الى بعض الذين نافقوا قالوا عاتبين عليهم اتحدثونهم بما فتح الله عليكم بما بين لكم في التورية من صفة محمد صلى الله عليه وسلم او قال المنافقون لاعقابهم يرونهم التصلب في دينهم اتحدثونهم انكارا عليهم ان يفتحوا عليهم شيئا في كتابهم فينافقون المؤمنين وينافقون اليهود ليحاجوكم به عند ربكم ليحتجوا عليكم بما انزل ربكم في كتابه جعلوا محاجتهم به وقولهم هو في كتابكم هكذا محاجة عند الله الا تراك تقول هو في كتاب الله هكذا وهو عند الله هكذا بمعنى واحد يعلم جميع ما يسرون وما يعلنون ومن ذلك اسرارهم الكفر واعلانهم الايمان

ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب الا اماني وان هم الا يظنون

ومنهم اميون جهلة لا يحسنون الكتب فيطالعوا التورية ويتحققوا ما فيها لا يعلمون الكتاب التورية الا اماني الا ما هم عليه من امانيهم وان الله يعفو عنهم ويرحمهم ولا يؤاخذهم بخطاياهم وان آباءهم الانبياء يشفعون لهم وما يمنيهم احبارهم من ان النار لا تمسهم الا اياما معدودة وقيل الا اكاذيب مختلقة سمعوها من علمائهم فتقبلوها على التقليد قال اعرابي لابن داب في شيء حدث به اهذا شيء رويته ام شيء تمنيته اي اختلقته وقيل الا ما يقرؤن من قوله تمنى كتاب الله اول ليله والاشتقاق من منى اذا قدر لان المتمني يقدر في نفسه ويحزر ما يتمناه وكذلك المختلق والقارئ يقدر ان كلمة كذا بعد كذا والا اماني من الاستثناء المنقطع وقرئ اماني بالتخفيف ذكر العلماء الذين عاندوا بالتحريف مع العلم والاستيقان ثم العوام الذين قلدوهم ونبه على انهم في الضلال سواء لان العالم عليه ان يعمل بعلمه وعلى العامي ان لا يرضى بالتقليد والظن وهو متمكن من العلم

فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون

يكتبون الكتاب المحرف بايديهم تأكيد وهو من مجاز التأكيد كما تقول لمن ينكر معرفة ما كتبه يا هذا كتبته بيمينك هذه مما يكسبون من الرشى

وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة قل اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده ام تقولون على الله ما لا تعلمون

اياما معدودة اربعين يوما عدد ايام عبادة العجل وعن مجاهد كانوا يقولون مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وانما نعذب مكان كل الف سنة يوما فلن يخلف متعلق بمحذوف تقديره ان اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده ام اما ان تكون معادلة بمعنى اي الامرين كائن على سبيل التقرير للعلم بوقوع احدهما ويجوز ان تكون منقطعة

بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئته فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون • والذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون

بلى اثبات لما بعد حرف النفي وهو قوله لن تمسنا النار اي بلى تمسكم ابدا بدليل قوله هم فيها خالدون من كسب سيئة من السيئات يعني كبيرة من الكبائر واحاطت به خطيئته تلك واستولت عليه كما يحيط العدو ولم يتفص عنها بالتوبة وقرئ خطاياه وخطيئاته وقيل في الاحاطة كان ذنبه اغلب من طاعته وسأل رجل الحسن فقال سبحان الله الا اراك ذا لحية وما تدري ما الخطيئة انظر في المصحف فكل آية نهى الله عنها واخبرك انه من عمل بها ادخله النار فهي الخطيئة المحيطة

واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا

لا تعبدون اخبار في معنى النهي كما تقول تذهب الى فلان تقول له كذا تريد الامر وهو ابلغ من صريح الامر والنهي لانه كأنه سورع الى الامتثال والانتهاء فهو يخبر عنه وتنصره قراءة عبد الله وابي لا تعبدوا ولا بد من ارادة القول ويدل عليه ايضا وقولوا وقوله وبالوالدين احسانا اما ان يقدر وتحسنون بالوالدين او واحسنوا وقيل هو جواب قوله اخذنا ميثاق بني اسرائيل اجراء له مجرى القسم كأنه قيل واذ اقسمنا عليهم لا تعبدون وقيل معناه ان لا تعبدوا فلما حذفت ان رفع كقوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى ويدل عليه قراءة عبد الله ان لا تعبدوا ويحتمل ان لا تعبدوا

ان تكون ان فيه مفسرة وان تكون ان مع الفعل بدلا عن الميثاق كانه قيل اخذنا ميثاق بني اسرائيل توحيدهم وقرئ
بالتاء حكاية لما خوطبوا به وبالياء لانهم غيب حسنا اي قولا هو حسن في نفسه لافراط حسنه وقرئ حسنا وحسنى
على المصدر كبشرى وَاَقِيمُوا الصلوة وآتوا الزكوة ثم توليتم الا قليلا منكم وانتم
معرضون واذ اخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم من
دياركم ثم اقررتم وانتم تشهدون ثم توليتم على طريقة الالتفات اي توليتم عن الميثاق
ورفضتموه الا قليلا منكم قيل هم الذين اسلموا منهم وانتم معرضون وانتم قوم عادتكم الاعراض عن المواثيق والتولية لا
تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم لا يفعل ذلك بعضكم ببعض جعل غير الرجل نفسه اذا اتصل به اصلا او دينا وقيل
اذا قتل غيره فكانما قتل نفسه لانه يقتص منه ثم اقررتم بالميثاق واعترفتم على انفسكم بلزومه وانتم تشهدون عليها كقولك
فلان مقر على نفسه بكذا شاهد عليها وقيل وانتم تشهدون اليوم يا معشر اليهود على اقرار اسلافكم بهذا الميثاق
ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم
بالاثم والعدوان وان ياتوكم اسارى تفدوهم وهو محرم عليكم اخراجهم افتؤمنون
ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحيوة الدنيا ويوم
القيمة يردون الى اشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون ثم انتم هؤلاء استبعاد لما اسند
اليهم من القتل والاجلاء والعدوان بعد اخذ الميثاق منهم واقرارهم وشهادتهم والمعنى ثم انتم بعد ذلك هؤلاء المشاهدون
يعني انكم قوم آخرون غير اولئك المقرين تنزيلا لتغير الصفة منزلة تغير الذات كما تقول رجعت بغير الوجه الذي خرجت
به وقوله تقتلون بيان لقوله ثم انتم هؤلاء وقيل هؤلاء موصول بمعنى الذين وقرئ تظاهرون بحذف التاء وادغامها
وتتظاهرون باثباتها وتظهرون بمعنى تتظهرون اي تتعاونون عليهم وقرئ تفدوهم وتفادوهم واسرى واسارى وهو
ضمير الشان ويجوز ان يكون مبهما تفسيره اخراجهم افتؤمنون ببعض الكتاب اي بالفداء وتكفرون ببعض اي بالقتال
والاجلاء وذلك ان قريظة كانوا حلفاء الاوس والنضير حلفاء الخزرج فكان كل فريق يقاتل مع حلفائه واذا غلبوا
خربوا ديارهم واخرجوهم واذا اسر رجل من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه فعيرتهم العرب وقالت كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم
فيقولون امرنا ان نفديهم وحرم علينا قتالهم ولكنا نستحيي ان نذل حلفاءنا الا خزي كقتل بني قريظة واسرهم واجلاء
بني النضير وقيل الجزية وانما رد من فعل منهم ذلك الى اشد العذاب لان عصيانه اشد وقرئ تردون وتعملون بالياء
والتاء فلا يخفف عنهم عذاب الدنيا بنقصان الجزية ولا ينصرهم احد بالدفع عنهم وكذلك عذاب الآخرة اولئك
الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون ولقد
آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى ابن مريم البينات وايدناه
بروح القدس افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا
تقتلون الكتاب التورية آتاه اياه جملة واحدة ويقال قفاه اذا اتبعه من القفا نحو ذنبه من الذنب
وقفاه به اتبعه اياه يعني وارسلنا على اثره الكثير من الرسل كقوله ثم ارسلنا رسلنا تترى وهم يوشع واشمويل
وشمعون وداود وسليمان وشعيا وارميا وعزير وحزقيل والياس واليسع ويونس وزكريا ويحيى وغيرهم وقيل
عيسى بالسريانية ايشوع ومريم بمعنى الخادم وقيل مريم بالعربية من النساء كالزير من الرجال وبه فسر قول رؤبة
قلت لزير لم تصله مريمه ووزن مريم عند النحويين مفعل لان فعيلا بفتح الفاء لم يثبت في الابنية كما ثبت نحو
عثير وعليب البينات المعجزات الواضحات والحجج كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات وقرئ
وآيدناه ومنه آجده بالجيم اذا قواه يقال الحمد لله الذي آجدني بعد ضعف واوجدني بعد فقر بروح القدس بالروح المقدسة
كما تقول حاتم الجود ورجل صدق فوصفها بالقدس كما قال وروح منه فوصفه بالاختصاص والتقريب للكرامة وقيل لانه
لم تضمه الاصلاب والارحام الطوامث وقيل جبريل وقيل الانجيل كما قال في القرآن روحا من امرنا وقيل

قال ابو البقاء كون هولاء بمعنى الذين مذهب الكوفيين والبصريون لا يجوزون ذلك

الزير من الرجال الذي يكثر زيارة النساء ومريم التي تكثر زيارة الرجال ... كثيرا

باسم الله الاعظم الذي كان يحيي الموتى بذكره والمعنى ولقد آتينا يا بني اسرائيل انبياءكم ما آتيناهم افكلما جاءكم
رسول منهم بالحق استكبرتم عن الايمان فوسط بين الفاء وما تعلقت به همزة التوبيخ والتعجيب من شانهم ويجوز ان يريد
ولقد آتيناهم ما آتيناهم ففعلتم ما فعلتم ثم وبخهم على ذلك ودخول الفاء لعطفه على المقدر وانما قيل
وفريقا تقتلون قلت هو على وجهين ان يراد الحال الماضية لان الامر فظيع فاريد استحضاره في النفوس وتصويره
في القلوب وان يراد وفريقا تقتلونهم بعد لانكم حولتم قتل محمد لولا اني اعصمه منكم ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة وقال
صلى الله عليه وسلم عند موته ما زالت اكلة خيبر تعاودني فهذا اوان قطعت ابهري وقالوا قلوبنا غلف
بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما يؤمنون غلف جمع اغلف اي هي خلقة وجبلة مغشاة
باغطية لا يتوصل اليها ما جاء به محمد ولا تفقهه مستعار من الاغلف الذي لم يختن كقولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه
ثم رد الله ان تكون قلوبهم مخلوقة كذلك لانها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق بان الله لعنهم وخذلهم
بسبب كفرهم فهم الذين غلفوا قلوبهم بما احدثوا من الكفر الزائغ عن الفطرة وتسببوا بذلك لمنع الالطاف التي
تكون للمتوقع ايمانهم وللمؤمنين فقليلا ما يؤمنون وما مزيدة وهو ايمانهم ببعض الكتاب ويجوز ان تكون القلة بمعنى
العدم وقيل غلف تخفيف غلف جمع غلاف اي قلوبنا اوعية للعلم فنحن مستغنون بما عندنا عن غيره وروي عن ابي عمرو
قلوبنا غلف بضمتين ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل
يستفتحون على الذين كفروا فلعنة الله على الكافرين كتاب من عند الله يعني القرآن
مصدق لما معهم من كتابهم لا يخالفه وقرئ مصدقا على الحال فان قلت كيف جاز نصبها عن النكرة
قلت اذا وصف النكرة تخصص فصح انتصاب الحال عنه وقد وصف كتاب بقوله من عند الله وجواب لما محذوف
وهو نحو كذبوا به واستهانوا بمجيئه وما اشبه ذلك يستفتحون على الذين كفروا يستنصرون على المشركين اذا قاتلوهم
قالوا اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد نعته وصفته في التورية ويقولون لاعدائهم المشركين
قد اظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم وقيل معنى يستفتحون يفتحون عليهم ويعرفونهم ان
نبيا يبعث منهم قد قرب اوانه والسين للمبالغة اي يسألون انفسهم الفتح عليهم كالسين في استعجب واستسخر او يسأل
بعضهم بعضا ان يفتح عليهم فلما جاءهم ما عرفوا من الحق كفروا به بغيا وحسدا وحرصا على الرياسة على الكافرين
اي عليهم وضعا للظاهر موضع المضمر للدلالة على ان اللعنة لحقتهم لكفرهم واللام للعهد ويجوز ان تكون للجنس ويدخلوا فيه
دخولا اوليا بئسما اشتروا به انفسهم ان يكفروا بما انزل الله بغيا ان ينزل الله
من فضله على من يشاء من عباده فباءوا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين
ما نكرة منصوبة مفسرة لفاعل بئس بمعنى بئس شيئا اشتروا به انفسهم والمخصوص بالذم ان يكفروا واشتروا بمعنى باعوا
بغيا حسدا وطلبا لما ليس لهم وهو علة اشتروا ان ينزل لان ينزل او على ان ينزل اي حسدوه على ان ينزل الله من
فضله الذي هو الوحي على من يشاء وتقتضي حكمته ارساله فباءوا بغضب على غضب فصاروا احقاء بغضب مترادف
لانهم كفروا بنبي الحق وبغوا عليه وقيل كفروا بمحمد بعد عيسى عليهما الصلوة والسلام وقيل بعد قولهم عزير ابن الله
وقولهم يد الله مغلولة وغير ذلك من انواع كفرهم واذا قيل لهم آمنوا بما انزل الله قالوا نؤمن
بما انزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم قل فلم تقتلون انبياء
الله من قبل ان كنتم مؤمنين ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم
ظالمون واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا
قالوا سمعنا وعصينا واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم قل بئسما يامركم به ايمانكم ان كنتم
مؤمنين بما انزل الله مطلق فيما انزل الله من كل كتاب قالوا نؤمن بما انزل علينا مقيد بالتورية ويكفرون
بما وراءه اي قالوا ذلك والحال انهم يكفرون بما وراء التورية وهو الحق مصدقا لما معهم منها غير مخالف له وفيه رد لمقالتهم

لانهم اذا كفروا بايات التورية فقد كفروا بها ثم اعترض عليهم بقتلهم الانبياء مع ادعائهم الايمان بالتورية والتورية لا تسوغ قتل الانبياء. وانتم ظالمون يجوز ان يكون حالا اي عبدتم العجل وانتم واضعون العبادة غير موضعها وان يكون اعتراضا بمعنى وانتم قوم عادتكم الظلم. وكرر رفع الطور لما نيط به من زيادة ليست مع الاولى مع ما فيه من التوكيد. واسمعوا ما امرتم به في التورية. قالوا سمعنا قولك وعصينا امرك. فان قلت فكيف طابق قوله جوابهم. قلت طابقه من حيث انه قال لهم اسمعوا وليكن سماعكم سماع تقبل وطاعة فقالوا سمعنا ولكن لا سماع طاعة. واشربوا في قلوبهم العجل اي تداخلهم حبه والحرص على عبادته كما يتداخل الثوب الصبغ. وقوله في قلوبهم بيان لمكان الاشراب كقوله انما يأكلون في بطونهم نارا. بكفرهم بسبب كفرهم. بئسما يأمركم به ايمانكم بالتورية لانه ليس في التورية عبادة العجاجيل واضافة الامر الى ايمانهم تهكم كما قال قوم شعيب اصلواتك تأمرك وكذلك اضافة الايمان اليهم. وقوله ان كنتم مؤمنين تشكيك في ايمانهم وقدح في صحة دعواهم له.

قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين

خالصة نصب على الحال من الدار الآخرة والمراد الجنة اي سالمة لكم خاصة بكم ليس لاحد سواكم فيها حق يعني ان صح قولكم لن يدخل الجنة الا من كان هودا والناس للجنس وقيل للعهد وهم المسلمون. فتمنوا الموت لان من ايقن انه من اهل الجنة اشتاق اليها وتمنى سرعة الوصول الى النعيم والتخلص من الدار ذات الشوائب كما روي عن المبشرين بالجنة ما روي كان علي رضي الله عنه يطوف بين الصفين في غلالة فقال له ابنه الحسن ما هذا بزي المحاربين فقال يا بني لا يبالي ابوك على الموت سقط ام عليه سقط الموت. وعن حذيفة انه كان يتمنى الموت فلما احتضر قال حبيب جاء على فاقة لا افلح من ندم يعني على التمني. وقال عمار بصفين الآن الاقي الاحبة محمدا وحزبه. وكان كل واحد من العشرة يحب الموت ويحن اليه. وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه وما بقي على وجه الارض يهودي.

ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم والله عليم بالظالمين

بما قدمت ايديهم بما اسلفوا من موجبات النار من الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به وتحريف كتاب الله وسائر انواع الكفر والعصيان. وقوله ولن يتمنوه ابدا من المعجزات لانه اخبار بالغيب وكان كما اخبر به كقوله ولن تفعلوا. فان قلت ما ادراك انهم لم يتمنوا. قلت لانهم لو تمنوا لنقل ذلك كما نقل سائر الحوادث ولكان ناقلوه من اهل الكتاب وغيرهم من اولي المطاعن في الاسلام اكثر من الذر وليس منهم احد نقل ذلك. فان قلت التمني من اعمال القلوب وهو سر لا يطلع عليه احد فمن اين علمت انهم لم يتمنوا. قلت ليس التمني من اعمال القلوب انما هو قول الانسان بلسانه ليت لي كذا فاذا قاله قالوا تمنى وليت كلمة التمني ومحال ان يقع التحدي بما في الضمائر والقلوب ولو كان التمني بالقلوب وتمنوا لقالوا قد تمنينا الموت في قلوبنا ولم ينقل انهم قالوا ذلك. فان قلت لم يقولوه لانهم علموا انهم لا يصدقون. قلت كم حكي عنهم من اشياء قاولوا بها المسلمين من الافتراء على الله تعالى وتحريف كتابه وغير ذلك مما علموا انهم غير مصدقين فيه ولا محمل له الا الكذب البحت ولم يبالوا فكيف يمتنعون من ان يقولوا ان التمني من افعال القلوب وقد فعلناه مع احتمال ان يكونوا صادقين في قولهم واخبارهم عن ضمائرهم وكان الرجل يخبر عن نفسه بالايمان فيصدق مع احتمال ان يكون كاذبا لانه امر خاف لا سبيل الى الاطلاع عليه. والله عليم بالظالمين تهديد لهم.

ولتجدنهم احرص الناس على حيوة ومن الذين اشركوا يود احدهم لو يعمر الف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر والله بصير بما يعملون

هو من وجد بمعنى علم المتعدي الى مفعولين في قولهم وجدت زيدا ذا الحفاظ ومفعولاه هم احرص. فان قلت لم قال على حيوة بالتنكير. قلت لانه اراد حيوة مخصوصة وهي الحيوة المتطاولة ولذلك كانت القراءة بها اوقع من قراءة ابي على الحيوة. ومن الذين اشركوا محمول على المعنى لان معنى احرص الناس احرص من الناس. فان قلت الم يدخل الذين اشركوا تحت الناس. قلت بلى ولكنهم افردوا بالذكر لان حرصهم شديد ويجوز ان يراد واحرص من الذين اشركوا فحذف لدلالة احرص الناس عليه وفيه توبيخ عظيم لان الذين اشركوا لا يؤمنون بعاقبة ولا يعرفون الا الحيوة الدنيا فحرصهم عليها

لايستبعد

لا يستبعد لانها جنتهم فاذا زاد عليهم في الحرص من له كتاب وهو مقر بالجزاء كان حقيقا باعظم التوبيخ. فان قلت لم زاد حرصهم على حرص المشركين. قلت لانهم علموا لعلمهم بحالهم انهم صائرون الى النار لا محالة والمشركون لا يعلمون ذلك. وقيل اراد بالذين اشركوا المجوس لانهم كانوا يقولون لملوكهم عش الف نيروز والف مهرجان. وعن ابن عباس هو قول الاعاجم زي هزار سال. وقيل ومن الذين اشركوا كلام مبتدأ اي ومنهم ناس يود احدهم على حذف الموصوف كقوله وما منا الا له مقام معلوم. والذين اشركوا على هذا مشار به الى اليهود لانهم قالوا عزير ابن الله. والضمير في وما هو لاحدهم وان يعمر فاعل بمزحزحه اي وما احدهم بمن يزحزحه من النار تعميره. وقيل الضمير لما دل عليه يعمر من مصدره وان يعمر بدل منه. ويجوز ان يكون هو مبهما وان يعمر موضحه. والزحزحة التبعيد والانحاء. فان قلت يود احدهم ما موقعه. قلت هو بيان لزيادة حرصهم على طريق الاستئناف. فان قلت كيف اتصل لو يعمر بيود احدهم. قلت هي حكاية لودادتهم ولو في معنى التمني وكان القياس لو اعمر الا انه جرى على لفظ الغيبة لقوله يود احدهم كقولك حلف بالله ليفعلن.

قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين

روي ان عبد الله بن صوريا من احبار فدك حاج رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله عمن يهبط عليه بالوحي فقال جبرئيل فقال ذاك عدونا ولو كان غيره لآمنا بك وقد عادانا مرارا واشدها انه انزل على نبينا ان بيت المقدس سيخربه بخت نصر فبعثنا من يقتله فلقيه ببابل غلاما مسكينا فدفع عنه جبريل وقال ان كان ربكم امره بهلاككم فانه لا يسلطكم عليه وان لم يكن اياه فعلى اي حق تقتلونه. وقيل امره الله ان يجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا. وروي انه كان لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ارض باعلى المدينة وكان ممره على مدراس اليهود وكان يجلس اليهم ويسمع كلامهم فقالوا يا عمر قد احببناك وانا لنطمع فيك فقال والله ما اجيئكم لحبكم ولا اسألكم لاني شاك في ديني وانما ادخل عليكم لازداد بصيرة في امر محمد صلى الله عليه وسلم وارى آثاره في كتابكم ثم سألهم عن جبريل فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على اسرارنا وهو صاحب كل خسف وعذاب وان ميكائيل يجيء بالخصب والسلام فقال لهم وما منزلتهما من الله قالوا اقرب منزلة جبرائيل عن يمينه وميكائيل عن يساره وميكائيل عدو لجبرائيل فقال عمر رضي الله عنه لئن كانا كما تقولون فما هما بعدوين ولانتم اكفر من الحمير ومن كان عدوا لاحدهما كان عدوا للآخر ومن كان عدوا لهما كان عدوا لله تعالى ثم رجع عمر فوجد جبرائيل قد سبقه بالوحي فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد وافقك ربك يا عمر فقال عمر رضي الله عنه لقد رأيتني في دين الله بعد ذلك اصلب من الحجر. وقرئ جبرئيل بوزن قفشليل وجبرئل بحذف الياء وجبريل بحذف الهمزة وجبريل بوزن قنديل وجبرال بلام شديدة وجبرائيل بوزن جبراعيل وجبرائل بوزن جبراعل. ومنع الصرف فيه للتعريف والعجمة. وقيل معناه عبد الله. الضمير في نزله للقرآن ونحو هذا الاضمار اعني اضمار ما لم يسبق ذكره فيه فخامة لشأن صاحبه حيث يجعل لفرط شهرته كانه يدل على نفسه ويكتفي عن اسمه الصريح بذكر شيء من صفاته. على قلبك اي حفظه اياك وفهمك. باذن الله بتيسيره وتسهيله. فان قلت كان حق الكلام ان يقال على قلبي. قلت جاءت على حكاية كلام الله كما تكلم به كانه قيل قل ما تكلمت به من قولي من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك. فان قلت كيف استقام قوله فانه نزله جزاء للشرط. قلت فيه وجهان احدهما ان عادى جبريل احد من اهل الكتاب فلا وجه لمعاداته حيث نزل كتابا مصدقا للكتب بين يديه فلو انصفوا لاحبوه وشكروا له صنيعه في انزاله ما ينفعهم ويصحح المنزل عليهم. والثاني ان عاداه احد فالسبب في عداوته انه نزل عليك القرآن مصدقا لكتابهم وموافقا له وهم كارهون للقرآن ولموافقته لكتابهم ولذلك كانوا يحرفونه ويجحدون موافقته له كقولك ان عاداك فلان فقد آذيته واسأت اليه.

من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين

افرد الملكان بالذكر لفضلهما كانهما من جنس آخر وهو مما ذكر ان التغاير في الوصف ينزل منزلة التغاير في الذات. وقرئ ميكال بوزن قنطار وميكائيل كميكاعيل وميكائل كميكاعل وميكئل كميكعل وميكئيل كميكعيل. قال ابن جني العرب اذا نطقت بالاعجمي خلطت فيه. عدو للكافرين اراد

عدو لهم فجاء بالظاهر ليدل على ان الله انما عاداهم لكفرهم وان عداوة الملائكة كفر واذا كانت عداوة الانبياء كفرا
فما بال الملائكة وهم اشرف والمعنى من عاداهم عاداه الله وعاقبه اشد العقاب ● **ولقد انزلنا اليك**
آيات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون ● الا الفاسقون الا المتمردون من الكفرة وعن الحسن
اذا استعمل الفسق في نوع من المعاصي وقع على اعظم ذلك النوع من كفر وغيره ● وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال
ابن صوريا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما جئتنا بشيء نعرفه وما انزل عليك من آية فنتبعك لها فنزلت واللام
في الفاسقون للجنس والاحسن ان يكون اشارة الى اهل الكتاب ● **اوكلما عاهدوا عهدا نبذه فريق**
منهم بل اكثرهم لا يؤمنون ● الواو في اوكلما للعطف على محذوف معناه أكفروا بالآيات البينات وكلما
عاهدوا وقرأ ابو السمال بسكون الواو على ان الفاسقون بمعنى الذين فسقوا فكأنه قيل وما يكفر بها الا الذين فسقوا
او نقضوا عهد الله مرارا كثيرة وقرئ عوهدوا وعهدوا واليهود موسومون بالغدر ونقض العهود وكم اخذ الله تعالى
الميثاق منهم ومن آبائهم فنقضوا وكم عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يفوا الذين عاهدت منهم ثم ينقضون
عهدهم في كل مرة والنبذ الرمي بالذمام ورفضه وقرأ عبد الله نقضه فريق منهم وقال فريق منهم لان منهم من لم
ينقض بل اكثرهم لا يؤمنون بالتوراة وليسوا من الدين في شيء فلا يعدون نقض المواثيق ذنبا ولا يبالون به
ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب
كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون ● كتاب الله يعني التوراة لانهم بكفرهم برسول الله
المصدق لما معهم كافرون بها نابذون لها وقيل كتاب الله القرآن نبذوه بعد ما لزمهم تلقيه بالقبول كأنهم لا يعلمون انه كتاب الله
لا يداخلهم فيه شك يعني ان علمهم بذلك رصين ولكنهم كابروا وعاندوا ونبذوه وراء ظهورهم مثل لتركهم واعراضهم عنه
مثل بما يرمى به وراء الظهر استغناء عنه وقلة التفات اليه ● وعن الشعبي هو بين ايديهم يقرؤنه ولكنهم نبذوا العمل به
وعن سفيان ادرجوه في الديباج والحرير وحلوه بالذهب ولم يحلوا حلاله ولم يحرموا حرامه ● **واتبعوا ما تتلوا**
الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر
وما انزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة
فلا تكفر ● واتبعوا اي نبذوا كتاب الله واتبعوا ما تتلوا الشياطين يعني واتبعوا كتب السحر والشعوذة
التي كانت تقرؤها على ملك سليمان اي على عهد ملكه وفي زمانه وذلك ان الشياطين كانوا يسترقون السمع ثم يضمون
الى ما سمعوا اكاذيب يلفقونها ويلقونها الى الكهنة وقد دونوها في كتب يقرؤنها ويعلمونها الناس وفشا ذلك
في زمن سليمان حتى قالوا ان الجن تعلم الغيب وكانوا يقولون هذا علم سليمان وما تم لسليمان ملكه الا بهذا العلم وبه
تسخر الانس والجن والريح التي تجري بامره وما كفر سليمان تكذيب للشياطين ودفع لما بهتت به سليمان من اعتقاد السحر
والعمل به وسماه كفرا ولكن الشياطين هم الذين كفروا باستعمال السحر وتدوينه يعلمون الناس السحر يقصدون به اغواءهم
واضلالهم وما انزل على الملكين عطف على السحر اي ويعلمونهم ما انزل على الملكين وقيل هو عطف على ما تتلوا اي واتبعوا
ما انزل وهاروت وماروت عطف بيان للملكين علمان لهما والذي انزل عليهما هو علم السحر ابتلاء من الله تعالى للناس من
تعلمه منهم وعمل به كان كافرا ومن تجنبه او تعلمه لا ليعمل به ولكن ليتوقاه ولئلا يغتر به كان مؤمنا ● عرفت الشر لا للشر
لكن لتوقيه كما ابتلى قوم طالوت بالنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني ● وقرأ الحسن على الملكين بكسر
اللام على ان المنزل عليهما علم السحر كانا ملكين ببابل وما يعلم الملكان احدا حتى ينبهاه وينصحاه ويقولا له انما نحن فتنة
اي ابتلاء واختبار من الله فلا تكفر فلا تتعلم معتقدا انه حق فتكفر ● **فيتعلمون منهما ما يفرقون به**
بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من احد الا باذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا
ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا به انفسهم لو كانوا
يعلمون ولو انهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون ● فيتعلمون الضمير

لما دل عليه من احد اي فيتعلم الناس من الملكين ما يفرقون به بين المرء وزوجه اي علم السحر الذي يكون سببا في التفريق
بين الزوجين من حيلة وتمويه كالنفث في العقد ونحو ذلك مما يحدث الله عنده الفرك والنشوز والخلاف ابتلاء
منه لان السحر له اثر في نفسه بدليل قوله وما هم بضارين به من احد الا باذن الله لانه ربما احدث الله تعالى عنده فعلا
من افعاله وربما لم يحدث ● ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم لانهم يقصدون به الشر وفيه ان اجتنابه اصلح كتعلم الفلسفة
التي لا يؤمن ان تجر الى الغواية ● ولقد علم هؤلاء اليهود ان من اشتراه اي استبدل ما تتلوا الشياطين على كتاب الله
ما له في الآخرة من خلاق من نصيب ولبئس ما شروا به انفسهم اي باعوها وقرأ الحسن الشياطون وعن بعض العرب
بستان فلان حوله بساتون وقد ذكر وجهه فيما بعد وقرأ الزهري هاروت وماروت بالرفع على هما هاروت وماروت
وهما اسمان اعجميان بدليل منع الصرف ولو كانا من الهرت والمرت وهو الكسر كما زعم بعضهم لانصرفا وقرأ طلحة
وما يعلمان من اعلم وقرئ بين المرء بضم الميم وكسرها مع الهمز والمر بالتشديد على تقدير التخفيف والوقف كقولهم
فرج واجراء الوصل مجرى الوقف وقرأ الاعمش وما هم بضاري به بطرح النون والاضافة الى احد والفصل بينهما بالظرف
فان قلت كيف يضاف الى احد وهو مجرور بمن قلت جعل الجار جزءا من المجرور فان قلت
كيف اثبت لهم العلم اولا في قوله ولقد علموا على سبيل التوكيد القسمي ثم نفاه عنهم في قوله لو كانوا يعلمون قلت معناه
لو كانوا يعملون بعلمهم جعلهم حين لم يعملوا به كأنهم منسلخون عنه ● ولو انهم آمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن
واتقوا الله فتركوا ما هم عليه من نبذ كتاب الله واتباع كتب الشياطين لمثوبة من عند الله خير وقرئ لمثوبة كمشورة
ومشورة لو كانوا يعلمون ان ثواب الله خير مما هم فيه وقد علموا لكنه جهلهم لترك العمل بالعلم فان قلت
كيف اوثرت الجملة الاسمية على الفعلية في جواب لو قلت لما في ذلك من الدلالة على ثبات المثوبة
واستقرارها كما عدل عن النصب الى الرفع في سلام عليكم لذلك فان قلت فهلا قيل لمثوبة الله خير
قلت لان المعنى لشيء من الثواب خير لهم ويجوز ان يكون قوله ولو انهم آمنوا تمنيا لايمانهم على سبيل المجاز عن
ارادة الله ايمانهم واختيارهم له كأنه قيل وليتهم آمنوا ثم ابتدئ لمثوبة من عند الله خير ● **يا ايها الذين آمنوا**
لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب اليم ● كان المسلمون يقولون
لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا القى عليهم شيئا من العلم راعنا يا رسول الله اي راقبنا وانتظرنا وتأن بنا حتى نفهمه
ونحفظه وكانت لليهود كلمة يتسابون بها عبرانية او سريانية وهي راعينا فلما سمعوا بقول المؤمنين راعنا افترصوه
وخاطبوا به الرسول صلى الله عليه وسلم وهم يعنون به تلك المسبة فنهي المؤمنون عنها وامروا بما هو في معناها وهو انظرنا
من نظره اذا انتظره وقرأ ابي انظرنا من النظرة اي امهلنا حتى نحفظ وقرأ عبد الله بن مسعود راعونا على انهم كانوا
يخاطبونه بلفظ الجمع للتوقير وقرأ الحسن راعنا بالتنوين من الرعن وهو الهوج اي لا تقولوا قولا راعنا منسوبا الى الرعن بمعنى
رعنيا كدارع ولابن لانه لما اشبه قولهم راعينا وكان سببا في السب اتصف بالرعن واسمعوا واحسنوا سماع ما يكلمكم به رسول الله
صلى الله عليه وسلم ويلقي عليكم من المسائل باذان واعية واذهان حاضرة حتى لا تحتاجوا الى الاستعادة وطلب المراعاة او واسمعوا
سماع قبول وطاعة ولا يكن سماعكم مثل سماع اليهود حيث قالوا سمعنا وعصينا او واسمعوا ما امرتم به بجد حتى لا ترجعوا الى ما نهيتم
عنه تأكيدا عليهم ترك تلك الكلمة ● وروي ان سعد بن معاذ سمعها منهم فقال يا اعداء الله عليكم لعنة الله والذي نفسي بيده لئن
سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله صلى الله عليه وسلم لاضربن عنقه قالوا اولستم تقولونها فنزلت وللكافرين ولليهود
الذين تهاونوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وسبوه عذاب اليم ● **ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا**
المشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل
العظيم ● من الاولى للبيان لان الذين كفروا جنس تحته نوعان اهل الكتاب والمشركون كقوله لم يكن الذين كفروا
من اهل الكتاب والمشركين والثانية مزيدة لاستغراق الخير والثالثة لابتداء الغاية والخير الوحي وكذلك الرحمة
كقوله اهم يقسمون رحمة ربك والمعنى انهم يرون انفسهم احق بان يوحى اليهم فيحسدونكم وما يحبون ان ينزل عليكم شيء من الوحي

والله يختص بالنبوة من يشاء ولا يشاء الا ما تقتضيه الحكمة والله ذو الفضل العظيم اشعار بان ايتاء النبوة من الفضل العظيم كقوله ان فضله كان عليك كبيرا

ما ننسخ من آية او ننسها نأت بخير منها او مثلها الم تعلم ان الله على كل شيء قدير

روي انهم طعنوا في النسخ فقالوا الا ترون الى محمد يأمر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه ويقول اليوم قولا ويرجع عنه غدا فنزلت وقرئ ما ننسخ من آية وما ننسخ بضم النون من انسخ او ننسأها وقرئ ننسها وننسها بالتشديد وتنسها وتنسها على خطاب الرسول وقرأ عبد الله ما ننسك من آية او ننسخها وقرأ حذيفة ما ننسخ من آية او ننسكها ونسخ الآية ازالتها بابدال اخرى مكانها وانساخها الامر بنسخها وهو ان يأمر جبريل بان يجعلها منسوخة بالاعلام بنسخها ونسؤها تأخيرها واذهابها لا الى بدل وانساؤها ان يذهب بحفظها عن القلوب والمعنى ان كل آية يذهب بها على ما توجبه المصلحة من ازالة لفظها وحكمها معا او من ازالة احدهما الى بدل او غير بدل نأت بآية خير منها للعباد اي بآية العمل بها اكثر للثواب او مثلها في ذلك على كل شيء قدير فهو يقدر على الخير وما هو خير منه وعلى مثله في الخير

الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير ام تريدون ان تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل

له ملك السموات والارض فهو يملك اموركم ويدبرها ويجريها على حسب ما يصلحكم وهو اعلم بما يتعبدكم به من ناسخ ومنسوخ لما بين لهم انه مالك امورهم ومدبرها على حسب مصالحهم من نسخ الآيات وغيره وقررهم على ذلك بقوله الم تعلم اراد ان يوصيهم بالثقة به فيما هو اصلح لهم مما يتعبدهم به وينزل عليهم وان لا يقترحوا على رسولهم ما اقترحه آباء اليهود على موسى من الاشياء التي كانت عاقبتها وبالا عليهم كقولهم اجعل لنا الها ارنا الله جهرة وغير ذلك ومن يتبدل الكفر بالايمان ومن ترك الثقة بالآيات المنزلة وشك فيها واقترح غيرها فقد ضل سواء السبيل

ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بامره ان الله على كل شيء قدير

روي ان فنحاص بن عازوراء وزيد بن قيس ونفرا من اليهود قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة احد الم تروا ما اصابكم ولو كنتم على الحق ما هزمتم فارجعوا الى ديننا فهو خير لكم وافضل ونحن اهدى منكم سبيلا فقال عمار كيف نقض العهد فيكم قالوا شديد قال فاني قد عاهدت ان لا اكفر بمحمد ما عشت فقالت اليهود اما هذا فقد صبأ وقال حذيفة واما انا فقد رضيت بالله ربا وبمحمد نبيا وبالاسلام دينا وبالقرآن اماما وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين اخوانا ثم اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبراه فقال اصبتما خيرا وافلحتما فنزلت **فان قلت** بم تعلق قوله من عند انفسهم **قلت** فيه وجهان احدهما ان يتعلق بود على معنى انهم تمنوا ان ترتدوا عن دينكم وتمنيهم ذلك من عند انفسهم ومن قبل شهوتهم لا من قبل التدين والميل مع الحق لانهم ودوا ذلك من بعد ما تبين لهم انكم على الحق فكيف يكون تمنيهم من قبل الحق واما ان يتعلق بحسدا اي حسدا متبالغا منبعثا من اصل نفوسهم فاعفوا واصفحوا فاسلكوا معهم سبيل العفو والصفح عما يكون منهم من الجهل والعداوة حتى يأتي الله بامره الذي هو قتل بني قريظة واجلاء بني النضير واذلالهم بضرب الجزية عليهم ان الله على كل شيء قدير فهو يقدر على الانتقام منهم

واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله ان الله بما تعملون بصير وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى تلك امانيهم قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين

من خير من حسنة صلوة او صدقة او غيرهما تجدوه عند الله تجدوا ثوابه عنده ان الله بما تعملون بصير عالم لا يضيع عنده عمل عامل الضمير في وقالوا لاهل الكتاب من اليهود والنصارى والمعنى وقالت اليهود لن يدخل الجنة الا من كان هودا وقالت النصارى لن يدخل الجنة الا من كان نصارى فلف بين القولين ثقة بان السامع يرد الى كل فريق قوله وامنا من الالباس لما علم من التعادي بين الفريقين وتضليل كل واحد منهما لصاحبه ونحوه وقالوا كونوا هودا او نصارى والهود جمع هائد كعائذ وعوذ وبازل وبزل **فان قلت** كيف قيل كان هودا على

توحيد

توحيد الاسم وجمع الخبر **قلت** حمل الاسم على لفظ من والخبر على معناه كقراءة الحسن الا من هو صالوا الجحيم وقوله فان له نار جهنم خالدين فيها وقرأ ابي بن كعب الا من كان يهوديا او نصرانيا **فان قلت** لم قال تلك امانيهم وقولهم لن يدخل الجنة امنية واحدة **قلت** اشير بها الى الاماني المذكورة وهي امنيتهم ان لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم وامنيتهم ان يردوهم كفارا وامنيتهم ان لا يدخل الجنة غيرهم اي تلك الاماني الباطلة امانيهم وقوله قل هاتوا برهانكم متصل بقولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وتلك امانيهم اعتراض او اريد امثال تلك الامنية امانيهم على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه يريد ان امانيهم جميعا في البطلان مثل امنيتهم هذه والامنية افعولة من التمني مثل الاضحوكة والاعجوبة هاتوا برهانكم هلموا حجتكم على اختصاصكم بدخول الجنة ان كنتم صادقين في دعواكم وهذا اهدم شيء لمذهب المقلدين وان كل قول لا دليل عليه فهو باطل غير ثابت وهات صوت بمنزلة هاء في معنى احضر

بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن فله اجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون

بلى اثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة من اسلم وجهه لله من اخلص نفسه له لا يشرك به غيره وهو محسن في عمله فله اجره الذي يستوجبه **فان قلت** من اسلم وجهه كيف موقعه **قلت** يجوز ان يكون بلى ردا لقولهم ثم يقع من اسلم كلاما مبتدأ ويكون من متضمنا لمعنى الشرط وجوابه فله اجره وان يكون من اسلم فاعلا لفعل محذوف اي بلى يدخلها من اسلم ويكون قوله فله اجره كلاما معطوفا على يدخلها من اسلم

وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون

على شيء يصح ويعتد به وهذه مبالغة عظيمة لان المحال والمعدوم يقع عليهما اسم الشيء فاذا نفى اطلاق اسم الشيء عليه فقد بولغ في ترك الاعتداد به الى ما ليس بعده وهذا كقولهم اقل من لا شيء وهم يتلون الكتاب الواو للحال والكتاب للجنس اي قالوا ذلك وحالهم انهم من اهل العلم والتلاوة للكتب وحق من حمل التورية او الانجيل او غيرهما من كتب الله وآمن به ان لا يكفر بالباقي لان كل واحد من الكتابين مصدق للثاني شاهد بصحته وكذلك كتب الله جميعا متواردة على تصديق بعضها بعضا كذلك اي مثل ذلك الذي سمعت به على ذلك المنهاج قال الجهلة الذين لا علم عندهم ولا كتاب كعبدة الاصنام والمعطلة ونحوهم قالوا لكل اهل دين ليسوا على شيء وهذا توبيخ عظيم لهم حيث نظموا انفسهم مع علمهم في سلك من لا يعلم وروي ان وفد نجران لما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاهم احبار اليهود فتناظروا حتى ارتفعت اصواتهم فقالت اليهود ما انتم على شيء من الدين وكفروا بعيسى والانجيل وقالت النصارى لهم نحوه وكفروا بموسى والتورية فالله يحكم بين اليهود والنصارى يوم القيمة بما يقسم لكل فريق منهم من العقاب الذي استحقه وعن الحسن حكم الله بينهم ان يكذبهم ويدخلهم النار

ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها اولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم

ان يذكر ثاني مفعولي منع لانك تقول منعته كذا ومثله وما منعنا ان نرسل وما منع الناس ان يؤمنوا ويجوز ان يحذف حرف الجر مع ان ولك ان تنصبه مفعولا له بمعنى منعها كراهة ان يذكر وهو حكم عام لجنس مساجد الله وان مانعها من ذكر الله تعالى مفرط في الظلم والسبب فيه ان النصارى كانوا يطرحون في بيت المقدس الاذى ويمنعون الناس ان يصلوا فيه وان الروم غزوا اهله فخربوه واحرقوا التورية وقتلوا وسبوا وقيل منع المشركين رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية **فان قلت** فكيف قيل مساجد الله وانما وقع المنع والتخريب على مسجد واحد وهو بيت المقدس او المسجد الحرام **قلت** لا بأس ان يجيء الحكم عاما وان كان السبب خاصا كما تقول لمن آذى صالحا واحدا ومن اظلم ممن آذى الصالحين وكما قال الله عز وعلا ويل لكل همزة لمزة والمنزول فيه الاخنس بن شريق وسعى في خرابها بانقطاع الذكر او بتخريب البنيان وينبغي ان يراد بمن منع العموم كما اريد بمساجد الله ولا يراد الذين منعوا باعيانهم من اولئك النصارى والمشركين اولئك ما كان لهم

ما كان لهم ان يدخلوها اى ما كان ينبغى لهم ان يدخلوا مساجد الله الا خائفين على حال التهيب وارتعاد الفرائص من المؤمنين
ان يبطشوا بهم فضلا ان يستولوا عليها ويلوها ويمنعوا المؤمنين منها والمعنى ما كان الحق والواجب الا ذلك لولا ظلم الكفرة
وعتوهم وقيل ما كان لهم فى حكم الله يعنى ان الله تعالى قد حكم وكتب فى اللوح انه ينصر المؤمنين ويقويهم حتى لا يدخلوها
الا خائفين روى انه لا يدخل بيت المقدس احد من النصارى الا متنكرا مسارقة وقال قتادة لا يوجد نصرانى
فى بيت المقدس الا انهك ضربا وابلغ اليه فى العقوبة وقيل نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا لا يحجن بعد هذا العام
مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان وقرأ عبد الله الا خيفا وهو مثل صيم وقد اختلف الفقهاء فى دخول الكافر
المسجد فجوزه ابو حنيفة ولم يجوزه مالك وفرق الشافعى بين المسجد الحرام وغيره وقيل معناه النهى عن تمكينهم من الدخول
والتخلية بينهم وبينه كقوله وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله خزى قتل وسبى او ذلة بضرب الجزية وقيل فتح مدائنهم
قسطنطينية ورومية وعمورية ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله ان
الله واسع عليم وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له ما فى السموات والارض كل له قانتون
ولله المشرق والمغرب اى بلاد المشرق والمغرب والارض كلها لله هو مالكها ومتوليها فاينما تولوا ففى اى مكان
فعلتم التولية يعنى تولية وجوهكم شطر القبلة بدليل قوله فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم
شطره فثم وجه الله اى جهته التى امر بها ورضيها والمعنى انكم اذا منعتم ان تصلوا فى المسجد الحرام او فى بيت المقدس
فقد جعلت لكم الارض مسجدا فصلوا فى اى بقعة شئتم من بقاعها وافعلوا التولية فيها فان التولية ممكنة فى كل
مكان لا يختص امكانها فى مسجد دون مسجد ولا فى مكان دون مكان ان الله واسع الرحمة يريد التوسعة على عباده
والتيسير عليهم عليم بمصالحهم وعن ابن عمر رضى الله عنهما نزلت فى صلوة المسافر على الراحلة اينما توجهت
وعن عطاء عميت القبلة على قوم فصلوا الى انحاء مختلفة فلما اصبحوا تبينوا خطأهم فعذروا وقيل معناه فاينما
تولوا للدعاء والذكر ولم يرد الصلوة وقرأ الحسن فاينما تولوا بفتح التاء من التولى يريد فاينما توجهوا القبلة
وقالوا وقرئ بغير واو يريد الذين قالوا المسيح ابن الله وعزير ابن الله والملائكة بنات الله سبحانه تنزيه له عن ذلك
وتبعيد بل له ما فى السموات والارض هو خالقه ومالكه ومن جملته الملائكة وعزير والمسيح كل له قانتون منقادون
لا يمتنع شئ منهم على تكوينه وتقديره ومشيته ومن كان بهذه الصفة لم يجانس ومن حق الولد ان يكون من جنس الوالد
والتنوين فى كل عوض من المضاف اليه اى كل ما فى السموات والارض ويجوز ان يراد كل من جعلوه لله ولدا له قانتون
مطيعون عابدون مقرون بالربوبية منكرون لما اضافوا اليهم فان قلت كيف جاء بما الذى لغير اولى العلم
مع قوله قانتون قلت هو كقوله سبحان ما سخركن لنا وكأنه جاء بما دون من تحقيرا لهم وتصغيرا لشأنهم كقوله
وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا اى الملائكة بديع السموات والارض واذا قضى امرا فانما يقول له كن
فيكون يقال بدع الشئ فهو بديع كقولك بزع الرجل فهو بزيع وبديع السموات من اضافة الصفة المشبهة
الى فاعلها اى بديع سمواته وارضه وقيل البديع بمعنى المبدع كما ان السميع فى قول عمرو امن ريحانة الداعى السميع
بمعنى المسمع وفيه نظر كن فيكون من كان التامة اى احدث فيحدث وهذا مجاز من الكلام وتمثيل ولا قول ثم كما لا قول
فى قوله اذ قالت الانساع للبطن الحقى وانما المعنى ان ما قضاه من الامور واراد كونه فانما يتكون ويدخل تحت الوجود
من غير امتناع ولا توقف كالمامور المطيع الذى يؤمر فيمتثل لا يتوقف ولا يمتنع ولا يكون منه الاباء اكد بهذا استبعاد الولادة
لان من كان بهذه الصفة من القدرة كانت حاله مباينة لاحوال الاجسام فى توالدها وقرئ بديع السموات مجرورا على انه
بدل من الضمير فى له وقرأ المنصور بالنصب على المدح وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله
او تأتينا آية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم قد بينا
الآيات لقوم يوقنون وقال الذين لا يعلمون وقال الجهلة من المشركين وقيل من اهل الكتاب ونفى
عنهم العلم لانهم لم يعملوا به لولا يكلمنا الله هلا يكلمنا كما يكلم الملائكة وكلم موسى استكبارا منهم وعتوا او تأتينا

آية

آية جحودا لان يكون ما اتاهم من آيات الله آيات واستهانة بها تشابهت قلوبهم اى قلوب هؤلاء ومن قبلهم
فى العمى كقوله اتواصوا به قد بينا الآيات لقوم يوقنون اى ينصفون فيوقنون انها آيات يجب الاعتراف بها والاذعان لها
والاكتفاء بها عن غيرها انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسأل عن اصحاب
الجحيم ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل ان هدى الله
هو الهدى ولئن اتبعت اهواءهم بعد الذى جاءك من العلم ما لك من الله من ولى
ولا نصير انا ارسلناك لان تبشر وتنذر لا لتجبر على الايمان وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وتسرية عنه لانه كان يغتم ويضيق صدره لاصرارهم وتصميمهم على الكفر ولا نسألك عن اصحاب الجحيم ما لهم لم يؤمنوا
بعد ان بلغت وبلغت جهدك فى دعوتهم كقوله فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب وقرئ ولا تسأل على النهى روى
انه قال ليت شعرى ما فعل ابواى فنهى عن السؤال عن احوال الكفرة والاهتمام باعداء الله وقيل معناه تعظيم ما وقع فيه الكفار
من العذاب كما تقول كيف فلان سائلا عن الواقع فى بلية فيقال لك لا تسأل عنه ووجه التعظيم ان المستخبر يجزع ان يجرى على
لسانه ما هو فيه لفظاعته فلا تسأله ولا تكلفه ما يضجره او انت يا مستخبر لا تقدر على استماع خبره لايحاشه السامع واضجاره
فلا تسأل وتعضد القراءة الاولى قراءة عبد الله ولن تسأل وقراءة ابى وما تسأل كانهم قالوا لن نرضى عنك وان ابلغت
فى طلب رضانا حتى تتبع ملتنا اقناطا منهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن دخولهم فى الاسلام فحكى الله عز وجل كلامهم ولذلك
قال قل ان هدى الله هو الهدى على طريقة اجابتهم عن قولهم يعنى ان هدى الله الذى هو الاسلام هو الهدى بالحق والذى يصح ان
يسمى هدى وهو الهدى كله ليس وراءه هدى وما تدعون الى اتباعه ما هو بهدى انما هو هوى الا ترى الى قوله ولئن اتبعت اهواءهم
اى اقوالهم التى هى اهواء وبدع بعد الذى جاءك من العلم اى من الدين المعلوم صحته بالبراهين الصحيحة الذين آتيناهم
الكتاب يتلونه حق تلاوته اولئك يؤمنون به ومن يكفر به فاولئك هم الخاسرون
يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم وانى فضلتكم على العالمين واتقوا يوما
لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون
الذين آتيناهم الكتاب هم مؤمنوا اهل الكتاب يتلونه حق تلاوته لا يحرفونه ولا يغيرون ما فيه من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
اولئك يؤمنون بكتابهم دون المحرفين ومن يكفر به من المحرفين فاولئك هم الخاسرون حيث اشتروا الضلالة بالهدى
واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال انى جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتى قال
لا ينال عهدى الظالمين ابتلى ابراهيم ربه بكلمات اختبره باوامر ونواه واختبار الله عبده
مجاز عن تمكينه من اختيار احد الامرين ما يريد الله وما يشتهيه العبد كانه يمتحنه ما يكون منه حتى يجازيه على حسب ذلك
وقرأ ابو حنيفة رح وهى قراءة ابن عباس رضى الله عنهما ابراهيم ربه رفع ابراهيم ونصب ربه والمعنى انه دعاه بكلمات
من الدعاء فعل المختبر هل يجيبه اليهن ام لا فان قلت الفاعل فى القراءة المشهورة يلى الفعل فى التقدير
فتعليق الضمير به اضمار قبل الذكر قلت الاضمار قبل الذكر ان يقال ابتلى ربه ابراهيم فاما ابتلى ابراهيم ربه
او ابتلى ربه ابراهيم فليس واحد منهما باضمار قبل الذكر اما الاول فقد ذكر فيه صاحب الضمير ذكرا ظاهرا واما الثانى فابراهيم
فيه متقدم فى المعنى وليس كذلك ابتلى ربه ابراهيم فان الضمير فيه قد تقدم لفظا ومعنى فلا سبيل الى صحته والمستكن فى
فاتمهن فى احدى القراءتين لابراهيم بمعنى فقام بهن حق القيام واداهن احسن التأدية من غير تفريط وتوان ونحوه وابراهيم
الذى وفى وفى الاخرى لله تعالى بمعنى فاعطاه ما طلبه لم ينقص منه شيئا ويعضده ما روى عن مقاتل انه فسر الكلمات بما
سأل ابراهيم ربه فى قوله رب اجعل هذا بلدا آمنا واجعلنا مسلمين لك وابعث فيهم رسولا ربنا تقبل منا
فان قلت ما العامل فى اذ قلت اما مضمر نحو واذكر اذ ابتلى او واذ ابتلاه كان كيت وكيت واما قال انى جاعلك فان قلت
فما موقع قال قلت هو على الاول استيناف كانه قيل فماذا قال له ربه حين اتم الكلمات فقيل قال انى جاعلك للناس
اماما وعلى الثانى جملة معطوفة على ما قبلها ويجوز ان يكون بيانا لقوله ابتلى وتفسيرا له فيراد بالكلمات ما ذكره من الامامة

وتطهير البيت ورفع قواعده والإسلام قبل ذلك في قوله إذ قال له ربه أسلم • وقيل في الكلمات هي خمس في الرأس الفرق وقص الشارب والسواك والمضمضة والاستنشاق وخمس في البدن الختان والاستحداد والاستنجاء وتقليم الأظفار ونتف الإبط • وقيل ابتلاه الله تعالى بثلاثين سهما من شرائع الإسلام عشر في براءة التائبون العابدون وعشر في الأحزاب إن المسلمين والمسلمات وعشر في المؤمنون وسأل سائل إلى قوله والذين هم على صلواتهم يحافظون • وقيل هي مناسك الحج كالطواف والسعي والرمي والإحرام والتعريف وغيرهن • وقيل ابتلاه بالكوكب والقمر والشمس والختان وذبح ابنه والنار والهجرة • والإمام اسم من يؤتم به على زنة الآلة كالإزار اسم لما يؤتزر به أي يأتمون بك في دينهم • ومن ذريتي عطف على الكاف كأنه قال وجاعل بعض ذريتي كما يقال لك سأكرمك فتقول وزيدا • لا ينال عهدي الظالمين وقرئ الظالمون أي من كان ظالما من ذريتك لا يناله استخلافي وعهدي إليه بالإمامة وإنما ينال من كان عادلا بريئا من الظلم • وقالوا في هذا دليل على أن الفاسق لا يصلح للإمامة وكيف يصلح لها من لا يجوز حكمه وشهادته ولا تجب طاعته ولا يقبل خبره ولا يقدم للصلاة • وكان أبو حنيفة رحمه الله تعالى يفتي سرا بوجوب نصرة زيد بن علي رضوان الله عليه وحمل المال إليه والخروج معه على اللص المتغلب المتسمي بالإمام كالدوانيقي وأشباهه • وقالت له امرأة أشرت على ابني بالخروج مع إبراهيم ومحمد ابني عبد الله بن الحسن حتى قتل فقال ليتني مكان ابنك • وكان يقول في المنصور وأشياعه لو أرادوا بناء مسجد وأرادوني على عد آجره لما فعلت • وعن ابن عيينة لا يكون الظالم إماما وكيف يجوز نصب الظالم للإمامة والإمام إنما هو لكف الظلمة فإذا نصب من كان ظالما في نفسه فقد جاء المثل السائر من استرعى الذئب ظلم •

وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود

والبيت اسم غالب للكعبة كالنجم للثريا • مثابة للناس مباءة ومرجعا للحجاج والعمار يتفرقون عنه ثم يثوبون إليه أي يثوب إليه أعيان الذين يزورونه أو أمثالهم • وأمنا وموضع أمن كقوله حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم ولأن الجاني يأوي إليه فلا يتعرض له حتى يخرج • وقرئ مثابات لأنه مثابة لكل من الناس لا يختص به واحد منهم سواء العاكف فيه والبادي • واتخذوا على إرادة القول أي وقلنا اتخذوا منه موضع صلاة تصلون فيه وهو على وجه الاختيار والاستحباب دون الوجوب • وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أخذ بيد عمر فقال هذا مقام إبراهيم فقال عمر أفلا نتخذه مصلى يريد أفلا نؤثره لفضله بالصلاة فيه تبركا به وتيمنا بموطئ قدم إبراهيم فقال لم أومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت • وعن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استلم الحجر ورمل ثلاثة أشواط ومشى أربعة حتى إذا فرغ عمد إلى مقام إبراهيم فصلى خلفه ركعتين وقرأ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى • وقيل مصلى مدعى • ومقام إبراهيم الحجر الذي فيه أثر قدميه والموضع الذي كان فيه الحجر حين وضع عليه قدميه وهو الموضع الذي يسمى مقام إبراهيم • وعن عمر رضي الله عنه أنه سأل المطلب بن أبي وداعة هل تدري أين كان موضعه الأول قال نعم فأراه موضعه اليوم • وعن عطاء مقام إبراهيم عرفة والمزدلفة والجمار لأنه قام في هذه المواضع ودعا فيها • وعن النخعي الحرم كله مقام إبراهيم • وقرئ واتخذوا بلفظ الماضي عطفا على جعلنا أي واتخذ الناس من مكان إبراهيم الذي وسم به لاهتمامه به وإسكان ذريته عنده قبلة يصلون إليها • عهدنا أمرناهما أن طهرا بيتي بأن طهرا أو أي طهرا والمعنى طهراه من الأوثان والأنجاس وطواف الجنب والحائض والخبائث كلها أو أخلصاه لهؤلاء لا يغشه غيرهم • والعاكفين المجاورين الذين عكفوا عنده أي أقاموا لا يبرحون أو المعتكفين ويجوز أن يريد بالعاكفين الواقفين يعني القائمين في الصلاة كما قال للطائفين والقائمين والركع السجود والمعنى للطائفين والمصلين لأن القيام والركوع والسجود هيئات المصلي •

وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فأمتعه قليلا ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير

اجعل هذا البلد أو هذا المكان بلدا آمنا ذا أمن كقوله عيشة راضية أو آمنا من فيه كقولك ليل نائم • ومن آمن منهم بدل من أهله يعني وارزق المؤمنين من أهله خاصة • ومن كفر عطف على من آمن كما عطف ومن ذريتي على الكاف في جاعلك

قوله زنة الآلة يعني على وزن الإمام الذي هو خشبة البناء التي يسوى بها البناء

فإن قلت لم خص إبراهيم صلوات الله عليه المؤمنين حتى رد عليه • قلت قاس الرزق على الإمامة فعرف الفرق بينهما لأن الاستخلاف استرعاء يختص بمن ينصح للمرعي وأبعد الناس عن النصيحة الظالم بخلاف الرزق فإنه قد يكون استدراجا للمرزوق وإلزاما للحجة له • والمعنى وأرزق من كفر فأمتعه ويجوز أن يكون ومن كفر مبتدأ متضمنا معنى الشرط وقوله فأمتعه جوابا للشرط أي ومن كفر فأنا أمتعه وقرئ فأمتعه • فأضطره أي ألزه إلى عذاب النار لز المضطر الذي لا يملك الامتناع مما اضطر إليه • وقرأ أبي فنمتعه قليلا ثم نضطره • وقرأ يحيى بن وثاب فإضطره بكسر الهمزة • وقرأ ابن عباس فأمتعه قليلا ثم اضطره على لفظ الأمر والمراد الدعاء من إبراهيم دعا ربه بذلك • فإن قلت فكيف تقدير الكلام على هذه القراءة • قلت في قال ضمير إبراهيم أي قال إبراهيم بعد مسألته اختصاص المؤمنين بالرزق ومن كفر فأمتعه قليلا ثم اضطره • وقرأ ابن محيصن فأطره بإدغام الضاد في الطاء كما قالوا اطجع وهي لغة مرذولة لأن الضاد من الحروف الخمسة التي يدغم فيها ما يجاورها ولا تدغم هي فيما يجاورها وهي حروف ضم شفر •

وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم • ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم

يرفع حكاية حال ماضية • والقواعد جمع قاعدة وهي الأساس والأصل لما فوقه وهي صفة غالبة ومعناها الثابتة ومنه قعدك الله أي أسأل الله أن يقعدك أي يثبتك • ورفع الأساس البناء عليها لأنها إذا بني عليها نقلت عن هيئة الانخفاض إلى هيئة الارتفاع وتطاولت بعد التقاصر • ويجوز أن يكون المراد بها سافات البناء لأن كل ساف قاعدة للذي يبنى عليه ويوضع فوقه ومعنى رفع القواعد رفعها بالبناء لأنه إذا وضع سافا فوق ساف فقد رفع السافات • ويجوز أن يكون المعنى وإذ يرفع إبراهيم ما قعد من البيت أي استوطأ يعني جعل هيئته القاعدة المستوطئة مرتفعة عالية بالبناء • وروي أنه كان مؤسسا قبل إبراهيم فبنى على الأساس • وروي أن الله تعالى أنزل البيت ياقوتة من يواقيت الجنة له بابان من زمرد أخضر شرقي وغربي وقال لآدم أهبطت لك ما يطاف به كما يطاف حول عرشي فتوجه آدم من أرض الهند إليه ماشيا وتلقته الملائكة فقالوا بر حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام وحج آدم أربعين حجة من أرض الهند إلى مكة على رجليه فكان على ذلك إلى أن رفعه الله تعالى أيام الطوفان إلى السماء الرابعة فهو البيت المعمور ثم إن الله تعالى أمر إبراهيم ببنائه وعرفه جبريل مكانه • وقيل بعث الله سحابة أظلته ونودي أن ابن على ظلها لا تزد ولا تنقص • وقيل بناه من خمسة أجبل طور سينا وطور زيتا ولبنان والجودي وأسسه من حراء • وجاءه جبريل بالحجر الأسود من السماء • وقيل تمخض أبو قبيس فانشق عنه وقد خبئ فيه في أيام الطوفان وكان ياقوتة بيضاء من الجنة فلما لمسته الحيض في الجاهلية اسود • وقيل كان إبراهيم يبني وإسماعيل يناوله الحجارة • ربنا أي يقولان ربنا وهذا الفعل في محل النصب على الحال وقد أظهره عبد الله في قراءته ومعناه يرفعانها قائلين ربنا إنك أنت السميع لدعائنا العليم بضمائرنا ونياتنا • فإن قلت هلا قيل قواعد البيت وأي فرق بين العبارتين • قلت في إبهام القواعد وتبيينها بعد الإبهام ما ليس في إضافتها لما في الإيضاح بعد الإبهام من تفخيم لشأن المبين • مسلمين لك مخلصين لك أوجهنا من قوله أسلم وجهه لله أو مستسلمين يقال أسلم له وسلم واستسلم إذا خضع وأذعن والمعنى زدنا إخلاصا أو إذعانا لك • وقرئ مسلمين على الجمع كأنهما أرادا أنفسهما وهاجر أو أجريا التثنية على حكم الجمع لأنها منه • ومن ذريتنا واجعل من ذريتنا أمة مسلمة لك ومن للتبعيض أو للتبيين كقوله وعد الله الذين آمنوا منكم • فإن قلت لم خصا ذريتهما بالدعاء • قلت لأنهم أحق بالشفقة والنصيحة قوا أنفسكم وأهليكم نارا ولأن أولاد الأنبياء إذا صلحوا صلح بهم غيرهم وشايعوهم على الخير ألا ترى أن المتقدمين من العلماء والكبراء إذا كانوا على السداد كيف يتسببون لسداد من وراءهم • وقيل أراد بالأمة أمة محمد صلى الله عليه وسلم • وأرنا منقول من رأى بمعنى أبصر أو عرف ولذلك لم يتجاوز مفعولين وبصرنا متعبداتنا في الحج أو عرفناها • وقيل مذابحنا • وقرئ وأرنا بسكون الراء قياسا على فخذ في فخذ وقد استرذلت لأن الكسرة منقولة من الهمزة الساقطة دليل عليها فإسقاطها إجحاف

وقرأ ابو عمرو باشمام الكسرة وقرأ عبد الله وارهم مناسكهم وتب علينا ما فرط منا من الصغائر او استتابة لذريتنا

ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم ● وابعث فيهم في الامة المسلمة رسولا منهم من انفسهم روي انه قيل له قد استجيب لك وهو في آخر الزمان فبعث الله فيهم محمدا صلى الله عليه وسلم قال عليه الصلوة والسلام انا دعوة ابي ابراهيم وبشرى عيسى ورؤيا امي يتلو عليهم آياتك يقرأ عليهم ويبلغهم ما توحي اليه من دلائل وحدانيتك وصدق انبيائك ويعلمهم الكتاب القرآن والحكمة الشريعة وبيان الاحكام ويزكيهم ويطهرهم من الشرك وسائر الارجاس كقوله ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ● **ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين** ● ومن يرغب انكار واستبعاد لان يكون في العقلاء من يرغب عن الحق الواضح الذي هو ملة ابراهيم ومن سفه في محل الرفع على البدل من الضمير في يرغب وصح البدل لان من يرغب غير موجب كقولك هل جاءك احد الا زيد سفه نفسه امتهنها واستخف بها واصل السفه الخفة ومنه زمام سفيه وقيل انتصاب النفس على التمييز نحو غبن رأيه والم رأسه ويجوز ان يكون في شذوذ تعريف المميز نحو قوله ● ولا بفزارة الشعر الرقابا ● اجب الظهر ليس له سنام ● وقيل معناه سفه في نفسه فحذف الجار كقولهم زيد ظني مقيم اي في ظني والوجه هو الاول وكفى شاهدا له ما جاء في الحديث الكبر ان تسفه الحق وتغمص الناس وذلك انه اذا رغب عما لا يرغب عنه عاقل قط فقد بالغ في اذالة نفسه وتعجيزها حيث خالف بها كل نفس عاقلة ولقد اصطفيناه بيان لخطأ رأي من يرغب عن ملته لان من جمع الكرامة عند الله في الدارين بان كان صفوته وخيرته في الدنيا وكان مشهودا له بالاستقامة على الخير في الآخرة لم يكن احد اولى بالرغبة في طريقته منه ● **اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين** ● اذ قال ظرف لاصطفيناه اي اخترناه في ذلك الوقت او انتصب باضمار اذكر استشهادا على ما ذكر من حاله كانه قيل اذكر ذلك الوقت لتعلم انه المصطفى الصالح الذي لا يرغب عن ملة مثله ومعنى قال له اسلم اخطر بباله النظر في الدلائل المؤدية الى المعرفة والاسلام فقال اسلمت اي فنظر وعرف وقيل اسلم اي اذعن واطع وروي ان عبد الله بن سلام دعا ابني اخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام فقال لهما قد علمتما ان الله تعالى قال في التورية اني باعث من ولد اسمعيل نبيا اسمه احمد فمن آمن به فقد اهتدى ورشد ومن لم يؤمن به فهو ملعون فاسلم سلمة وابى مهاجر ان يسلم فنزلت ● **ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون** ● قرئ واوصى وهي في مصاحف اهل الحجاز والشام والضمير في بها لقوله اسلمت لرب العالمين على تأويل الكلمة او الجملة ونحوه رجوع الضمير في قوله وجعلها كلمة باقية الى قوله انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني وقوله كلمة باقية دليل على ان التأنيث على تأويل الكلمة ويعقوب عطف على ابراهيم داخل في حكمه والمعنى ووصى بها يعقوب بنيه ايضا وقرئ ويعقوب بالنصب عطفا على بنيه ومعناه ووصى بها ابراهيم بنيه ونافلته يعقوب يا بني على اضمار القول عند البصريين وعند الكوفيين متعلق بوصى لانه في معنى القول ونحوه قول القائل ● رجلان من ضبة اخبرانا ● انا رأينا رجلا عريانا ● بكسر الهمزة فهو بتقدير القول عندنا وعندهم يتعلق بفعل الاخبار وفي قراءة ابي وابن مسعود ان يا بني اصطفى لكم الدين اعطاكم الدين الذي هو صفوة الاديان وهو دين الاسلام ووفقكم للاخذ به فلا تموتن معناه فلا يكن موتكم الا على حال كونكم ثابتين على الاسلام فالنهي في الحقيقة عن كونهم على خلاف حال الاسلام اذا ماتوا كقولك لا تصل الا وانت خاشع فلا تنهاه عن الصلوة ولكن عن ترك الخشوع في حال صلوته ● فان قلت ● فاي نكتة في ادخال حرف النهي على الصلوة وليس بمنهي عنها ● قلت ● النكتة فيه اظهار ان الصلوة التي لا خشوع فيها كلا صلوة فكانه قال انهاك عنها اذا لم تصلها على هذه الحالة الا ترى الى قوله عليه الصلوة والسلام لا صلوة لجار المسجد الا في المسجد فانه كالتصريح بقولك لجار المسجد لا تصل الا في المسجد وكذلك المعنى في الآية اظهار ان موتهم لا على حال الثبات على الاسلام موت لا خير فيه وانه ليس بموت السعداء وان من حق هذا الموت ان لا يحل فيهم وتقول في الامر

مت وانت شهيد وليس مرادك الامر بالموت ولكن بالكون على صفة الشهداء اذا مات وانما امرته بالموت اعتدادا منك بالميتة واظهارا لفضلها على غيرها وانها حقيقة بان يحث عليها ● **ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق الها واحدا ونحن له مسلمون** ● ام كنتم شهداء ام المنقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر اي ما كنتم حاضرين يعقوب عليه السلام اذ حضره الموت اي حين احتضر والخطاب للمؤمنين بمعنى ما شاهدتم ذلك وانما حصل لكم العلم به من طريق الوحي وقيل الخطاب لليهود لانهم كانوا يقولون ما مات نبي الا على اليهودية الا انهم لو شهدوه وسمعوا ما قاله لبنيه وما قالوه لظهر لهم حرصه على ملة الاسلام ولما ادعوا عليه اليهودية فالآية منافية لقولهم فكيف يقال لهم ام كنتم شهداء ولكن الوجه ان تكون ام متصلة على ان يقدر قبلها محذوف كانه قيل اتدعون على الانبياء اليهودية ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت يعني ان اوائلكم من بني اسرائيل كانوا مشاهدين له اذ اراد بنيه على التوحيد وملة الاسلام وقد علمتم ذلك فما لكم تدعون على الانبياء ما هم منه براء وقرئ حضر بكسر الضاد وهي لغة ● ما تعبدون اي شيء تعبدون وما عامة في كل شيء فاذا علم فرق بما ومن وكفاك دليلا قول العلماء من لما يعقل ولو قيل من تعبدون لم يعم الا اولي العلم وحدهم ويجوز ان يقال ما تعبدون سؤال عن صفة المعبود كما تقول ما زيد تريد افقيه ام طبيب ام غير ذلك من الصفات وابراهيم واسمعيل واسحق عطف بيان لآبائك وجعل اسمعيل وهو عمه من جملة آبائه لان العم اب والخالة ام لانخراطهما في سلك واحد وهو الاخوة لا تفاوت بينهما ومنه قوله صلى الله عليه وسلم عم الرجل صنو ابيه اي لا تفاوت بينهما كما لا تفاوت بين صنوي النخلة وقال في العباس هذا بقية آبائي ● وقال ردوا علي ابي فاني اخشى ان تفعل به قريش ما فعلت ثقيف بعروة بن مسعود وقرأ ابي واله ابراهيم بطرح آبائك وقرئ ابيك وفيه وجهان ان يكون واحدا وابراهيم وحده عطف بيان له وان يكون جمعا بالواو والنون قال ● وفديننا بالابينا ● الها واحدا بدل من اله آبائك كقوله بالناصية ناصية كاذبة او على الاختصاص اي نريد باله آبائك الها واحدا ونحن له مسلمون حال من فاعل نعبد او من مفعوله لرجوع الهاء اليه في له ويجوز ان تكون جملة معطوفة على نعبد وان تكون جملة اعتراضية مؤكدة اي ومن حالنا انا له مسلمون مخلصون التوحيد او مذعنون ● **تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون** ● تلك اشارة الى الامة المذكورة التي هي ابراهيم ويعقوب وبنوهما الموحدون والمعنى ان احدا لا ينفعه كسب غيره متقدما كان او متأخرا فكما ان اولئك لا ينفعهم الا ما اكتسبوا فكذلك انتم لا ينفعكم الا ما اكتسبتم وذلك انهم افتخروا بآبائهم ونحوه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني هاشم لا يأتيني الناس باعمالهم وتأتوني بانسابكم ولا تسألون عما كانوا يعملون ولا تؤاخذون بسيئاتهم كما لا تنفعكم حسناتهم ● **وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا قل بل ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين** ● بل ملة ابراهيم بل نكون ملة ابراهيم اي اهل ملته كقول عدي بن حاتم اني من دين اي من اهل دين وقيل بل نتبع ملة ابراهيم وقرئ ملة ابراهيم بالرفع اي ملته ملتنا او امرنا ملته او نحن ملته بمعنى اهل ملته وحنيفا حال من المضاف اليه كقولك رأيت وجه هند قائمة ● والحنيف المائل عن كل دين باطل الى دين الحق والحنف الميل في القدمين وتحنف اذا مال وانشد ● ولكنا خلقنا اذ خلقنا ● حنيفا ديننا عن كل دين ● وما كان من المشركين تعريض باهل الكتاب وغيرهم لان كلا منهم يدعي اتباع ابراهيم وهو على الشرك ● **قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون** ● قولوا خطاب للمؤمنين ويجوز ان يكون خطابا للكافرين اي قولوا لتكونوا على الحق والا فانتم على الباطل وكذلك قوله بل ملة ابراهيم يجوز ان يكون على بل اتبعوا انتم ملة ابراهيم او كونوا اهل ملته ● والسبط الحافد وكان الحسن والحسين سبطي رسول الله صلى الله عليه وسلم والاسباط حفدة يعقوب ذراري ابنائه الاثني عشر لا نفرق بين احد منهم لا نؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى

واحد في معنى الجماعة ولذلك صح دخول بين عليه فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن
تولوا فإنما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم بمثل ما آمنتم
به من باب التبكيت لأن دين الحق واحد لا مثل له وهو دين الإسلام ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه
فلا يوجد إذن دين آخر يماثل دين الإسلام في كونه حقا حتى إن آمنوا بذلك الدين المماثل له كانوا مهتدين فقيل
فإن آمنوا بكلمة الشك على سبيل الفرض والتقدير أي فإن حصلوا دينا آخر مثل دينكم مساويا له في الصحة
والسداد فقد اهتدوا وفيه أن دينهم الذي هم عليه وكل دين سواه مغاير له غير مماثل لأنه حق وهدى وما سواه
باطل وضلال ونحو هذا قولك للرجل الذي تشير عليه هذا هو الرأي الصواب فإن كان عندك رأي أصوب منه فاعمل
به وقد علمت أن لا أصوب من رأيك ولكنك تريد تبكيت صاحبك وتوقيفه على أن ما رأيت لا رأي وراءه ويجوز أن
لا يكون الباء صلة وتكون باء الاستعانة كقولك كتبت بالقلم وعملت بالقدوم أي فإن دخلوا في الإيمان بشهادة
مثل شهادتكم التي آمنتم بها وقرأ ابن عباس وابن مسعود بما آمنتم به وقرأ أبي بالذي آمنتم به وإن تولوا عما تقولون
لهم ولم ينصفوا فما هم إلا في شقاق أي في مناواة ومعاندة لا غير وليسوا من طلب الحق في شيء أو فإن تولوا عن الشهادة
والدخول في الإيمان بها فسيكفيكهم الله ضمان من الله لإظهار رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم وقد أنجز وعده
بقتل قريظة وسبيهم وإجلاء بني النضير ومعنى السين أن ذلك كائن لا محالة وإن تأخر إلى حين وهو السميع العليم
وعيد لهم أي يسمع ما ينطقون به ويعلم ما يضمرون من الحسد والغل وهو معاقبهم عليه أو وعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم
بمعنى يسمع ما تدعو به ويعلم نيتك وما تريده من إظهار دين الحق وهو مستجيب لك وموصلك إلى مرادك
صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون صبغة الله مصدر
مؤكد منتصب عن قوله آمنا بالله كما انتصب وعد الله عما تقدمه وهي فعلة من صبغ كالجلسة من جلس وهي الحالة
التي يقع عليها الصبغ والمعنى تطهير الله لأن الإيمان يطهر النفوس والأصل فيه أن النصارى كانوا يغمسون أولادهم
في ماء أصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم وإذا فعل الواحد منهم بولده ذلك قال الآن صار نصرانيا حقا
فأمر المسلمون بأن يقولوا لهم قولوا آمنا وصبغنا الله بالإيمان صبغة لا مثل صبغتنا وطهرنا به تطهيرا لا مثل
تطهيرنا أو يقول المسلمون صبغنا الله بالإيمان صبغة ولم نصبغ صبغتكم وإنما جيء بلفظ الصبغة على طريق
المشاكلة كما تقول لمن يغرس الأشجار اغرس كما يغرس فلان تريد رجلا يصطنع الكرام ومن أحسن من الله صبغة
يعني أنه يصبغ عباده بالإيمان ويطهرهم به من أوضار الكفر فلا صبغة أحسن من صبغته وقوله ونحن له عابدون عطف
على آمنا بالله وهذا العطف يرد قول من زعم أن صبغة الله بدل من ملة إبراهيم أو نصب على الإغراء بمعنى
عليكم صبغة الله لما فيه من فك النظم وإخراج الكلام عن التئامه واتساقه وانتصابها على أنها مصدر مؤكد هو
الذي ذكره سيبويه والقول ما قالت حذام قل أتحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم ولنا
أعمالنا ولكم أعمالكم ونحن له مخلصون قرأ زيد بن ثابت أتحاجونا بإدغام النون والمعنى
أتجادلوننا في شأن الله واصطفائه النبي من العرب دونكم وتقولون لو أنزل الله على أحد لأنزل علينا وترونكم
أحق بالنبوة منا وهو ربنا وربكم نشترك جميعا في أننا عباده وهو ربنا وهو يصيب برحمته وكرامته من يشاء من عباده
هم فوضى في ذلك لا يختص به عجمي دون عربي إذا كان أهلا للكرامة ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم يعني أن العمل هو أساس الأمر
وبه العبرة وكما أن لكم أعمالا يعتبرها الله في إعطاء الكرامة ومنعها نحن كذلك ثم قال ونحن له مخلصون فجاء بما هو
سبب الكرامة أي نحن له موحدون نخلصه بالإيمان فلا تستبعدوا أن يؤهل أهل إخلاصه لكرامته بالنبوة وكانوا يقولون
نحن أحق بأن تكون النبوة فينا لأنا أهل الكتاب والعرب عبدة أوثان أم يقولون إن إبراهيم
وإسمعيل وإسحق ويعقوب والأسباط كانوا هودا أو نصارى قل أأنتم أعلم
أم الله ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون

تلك

تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون أم تقولون
يحتمل فيمن قرأ بالتاء أن تكون أم معادلة للهمزة في أتحاجوننا بمعنى أي الأمرين تأتون المحاجة في حكمة الله أم
ادعاء اليهودية والنصرانية على الأنبياء والمراد بالاستفهام عنهما إنكارهما معا وأن تكون منقطعة بمعنى بل أتقولون
والهمزة للإنكار أيضا وفيمن قرأ بالياء لا تكون إلا منقطعة قل أأنتم أعلم أم الله يعني أن الله شهد لهم بملة الإسلام
في قوله ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله أي كتم شهادة الله
التي عنده أنه شهد بها وهي شهادته لإبراهيم بالحنيفية ويحتمل معنيين أحدهما أن أهل الكتاب لا أحد أظلم منهم لأنهم كتموا هذه الشهادة
وهم عالمون بها والثاني أنا لو كتمنا هذه الشهادة لم يكن أحد أظلم منا فلا نكتمها وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله تعالى لمحمد
صلى الله عليه وسلم بالنبوة في كتبهم وسائر شهاداته ومن في قوله شهادة عنده من الله مثلها في قولك هذه شهادة مني
لفلان إذا شهدت له ومثله براءة من الله ورسوله سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم
التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم سيقول السفهاء
الخفاف الأحلام وهم اليهود لكراهتهم التوجه إلى الكعبة وأنهم لا يرون النسخ وقيل المنافقون لحرصهم على الطعن والاستهزاء وقيل
المشركون قالوا رغب عن قبلة آبائه ثم رجع إليها والله ليرجعن إلى دينهم فإن قلت أي فائدة في الإخبار بقولهم
قبل وقوعه قلت فائدته أن مفاجأة المكروه أشد والعلم به قبل وقوعه أبعد من الاضطراب إذا وقع لما يتقدمه من
توطين النفس وأن الجواب العتيد قبل الحاجة إليه أقطع للخصم وأرد لشغبه وقبل الرمي يراش السهم ما ولاهم ما صرفهم عن
قبلتهم وهي بيت المقدس لله المشرق والمغرب أي بلاد المشرق والمغرب والأرض كلها يهدي من يشاء من أهلها إلى صراط
مستقيم وهو ما توجب الحكمة والمصلحة من توجيههم تارة إلى بيت المقدس وأخرى إلى الكعبة وكذلك جعلناكم
أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وكذلك جعلناكم ومثل
ذلك الجعل العجيب جعلناكم أمة وسطا خيارا وهي صفة بالاسم الذي هو وسط الشيء ولذلك استوى فيه الواحد والجمع
والمذكر والمؤنث ونحوه قوله صلى الله عليه وسلم أنطوا الثبجة يريد الوسيطة بين السمينة والعجفاء وصفا بالثبج وهو
وسط الظهر إلا أنه ألحق تاء التأنيث مراعاة لحق الوصف وقيل للخيار وسط لأن الأطراف يتسارع إليها الخلل والأعوار
والأوساط محمية محوطة ومنه قول الطائي كانت هي الوسط المحمي فاكتنفت بها الحوادث حتى أصبحت طرفا وقد اكتريت
بمكة جمل أعرابي للحج فقال أعطني من سطاتهنه أراد من خيار الدنانير أو عدولا لأن الوسط عدل بين الأطراف ليس إلى
بعضها أقرب من بعض لتكونوا شهداء على الناس روي أن الأمم يوم القيامة يجحدون تبليغ الأنبياء فيطالب الله الأنبياء
بالبينة على أنهم قد بلغوا وهو أعلم فيؤتى بأمة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون فيقول الأمم من أين عرفتم فيقولون
علمنا ذلك بإخبار الله في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد صلى الله عليه وسلم فيسأل عن حال أمته فيزكيهم
ويشهد بعدالتهم وذلك قوله فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا فإن قلت هلا قيل
لكم شهيدا وشهادته لهم لا عليهم قلت لما كان الشهيد كالرقيب والمهيمن على المشهود له جيء بكلمة الاستعلاء ومنه
قوله تعالى والله على كل شيء شهيد كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد وقيل لتكونوا شهداء على الناس في
الدنيا فيما لا يصح إلا بشهادة العدول الأخيار ويكون الرسول عليكم شهيدا يزكيكم ويعلم بعدالتكم فإن قلت لم أخرت
صلة الشهادة أولا وقدمت آخرا قلت لأن الغرض في الأول إثبات شهادتهم على الأمم وفي الآخر اختصاصهم
بكون الرسول شهيدا عليهم وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول
ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله وما كان الله
ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرءوف رحيم التي كنت عليها ليست بصفة للقبلة إنما هي ثاني
مفعولي جعل يريد وما جعلنا القبلة الجهة التي كنت عليها وهي الكعبة لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي بمكة إلى
الكعبة ثم أمر بالصلاة إلى صخرة بيت المقدس بعد الهجرة تألفا لليهود ثم حول إلى الكعبة فيقول وما جعلنا القبلة التي تجب

ان تستقبلها الجهة التي كنت عليها اولا بمكة يعني وما رددناك اليها الا امتحانا للناس وابتلاء لنعلم الثابت على الاسلام
الصادق فيه ممن هو على حرف ينكص على عقبيه لقلقه فيرتد كقوله وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا الآية ويجوز ان
يكون بيانا للحكمة في جعل بيت المقدس قبلة يعني ان اصل امرك ان تستقبل الكعبة وان استقبالك بيت المقدس
كان امرا عارضا لغرض وانما جعلنا القبلة الجهة التي كنت عليها قبل وقتك هذا وهي بيت المقدس لنمتحن الناس وننظر من
يتبع الرسول منهم ومن لا يتبعه وينفر عنه • وعن ابن عباس رضي الله عنهما كانت قبلته بمكة بيت المقدس الا انه كان يجعل الكعبة
بينه وبينه • فان قلت كيف قال لنعلم ولم يزل عالما بذلك قلت معناه لنعلمه علما يتعلق به الجزاء وهو
ان يعلمه موجودا حاصلا ونحوه ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين وقيل ليعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمؤمنون وانما اسند علمهم الى ذاته لانهم خواصه واهل الزلفى عنده وقيل معناه لنميز التابع من الناكص كما قال
ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التمييز لان العلم به يقع التمييز • وان كانت لكبيرة هي ان المخففة التي
يلزمها اللام الفارقة والضمير في كانت لما دل عليه قوله وما جعلنا القبلة التي كنت عليها من الردة او التحويلة او الجعلة
ويجوز ان يكون للقبلة لكبيرة لثقيلة شاقة الا على الذين هدى الله الا على الثابتين الصادقين في اتباع الرسول الذين
لطف الله بهم وكانوا اهلا للطف وما كان الله ليضيع ايمانكم اي ثباتكم على الايمان وانكم لم تزلوا ولم ترتابوا بل شكر صنيعكم
واعد لكم الثواب العظيم ويجوز ان يراد وما كان الله ليترك تحويلكم لعلمه ان تركه مفسدة واضاعة لايمانكم وقيل من
كان صلى الى بيت المقدس قبل التحويل فصلوته غير ضائعة • عن ابن عباس رضي الله عنهما لما وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى الكعبة قالوا كيف بمن مات قبل التحويل من اخواننا فنزلت لرءوف رحيم لا يضيع اجورهم ولا يترك ما يصلحهم ويحكى عن
الحجاج انه قال للحسن ما رأيك في ابي تراب فقرأ قوله الا على الذين هدى الله ثم قال وعلي منهم وهو ابن عم رسول الله
صلى الله عليه وسلم وختنه على ابنته واقرب الناس اليه واحبهم وقرئ الا ليعلم على البناء للمفعول ومعنى العلم المعرفة
ويجوز ان تكون من متضمنة لمعنى الاستفهام معلقا عنها العلم كقولك علمت ازيد في الدار ام عمرو وقرأ ابن ابي اسحق
على عقبيه بسكون القاف وقرأ اليزيدي لكبيرة بالرفع ووجهها ان تكون كان مزيدة كما في قوله وجيران لنا كانوا كرام
والاصل وان هي لكبيرة كقولك ان زيد لمنطلق ثم وان كانت لكبيرة وقرئ ليضيع بالتشديد • قد نرى
تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد
الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره • قد نرى ربما نرى ومعناه كثرة الرؤية كقوله
قد اترك القرن مصفرا انامله • تقلب وجهك تردد وجهك وتصرف نظرك في جهة السماء وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يتوقع من ربه ان يحوله الى الكعبة لانها قبلة ابيه ابراهيم وادعى للعرب الى الايمان لانها مفخرتهم ومزارهم ومطافهم
ولمخالفة اليهود فكان يراعي نزول جبريل والوحي بالتحويل فلنولينك فلنعطينك ولنمكننك من استقبالها من
قولك وليته كذا اذا جعلته واليا عليه او فلنجعلنك تلي سمتها دون سمت بيت المقدس ترضاها تحبها وتميل اليها
لاغراضك الصحيحة التي اضمرتها ووافقت مشيئة الله تعالى وحكمته شطر المسجد الحرام نحوه قال • واظعن بالقوم شطر الملوك
وقرأ ابي تلقاء المسجد الحرام • عن البراء بن عازب رضي الله عنه قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فصلى نحو بيت المقدس
ستة عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة وقيل كان ذلك في رجب بعد زوال الشمس قبل قتال بدر بشهرين ورسول الله
صلى الله عليه وسلم في مسجد بني سلمة وقد صلى باصحابه ركعتين من صلوة الظهر فتحول في الصلوة واستقبل الميزاب
وحول الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال فسمي المسجد مسجد القبلتين وشطر المسجد نصب على الظرف اي
اجعل تولية الوجه تلقاء المسجد اي في جهته وسمته لان استقبال عين القبلة فيه حرج عظيم على البعيد وذكر المسجد الحرام دون
الكعبة دليل على ان الواجب مراعاة الجهة دون العين • وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه
الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون • انه الحق اي التحويل الى الكعبة هو الحق لانه كان في
بشارة انبيائهم برسول الله صلى الله عليه وسلم انه يصلي الى القبلتين يعملون قرئ بالياء والتاء •

ابو تراب كنية علي رضي الله عنه كناه بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم روى البخاري رح في صحيحه باسناده عن سهل بن سعد قال جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت فاطمة رضي الله عنها فلم يجد عليا في البيت فقال اين ابن عمك قالت كان بيني وبينه شيء فغاضبني فخرج فلم يقل عندي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لانسان انظر اين هو فجاء فقال يا رسول الله هو في المسجد راقد فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مضطجع قد سقط رداؤه عن شقه واصابه تراب فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسحه ويقول قم ابا تراب قم ابا تراب ٥

قال القاضي وذلك يدل على كمال ادبه حيث استغرق لم يبال ٥

تمامه
حتى اذا خفق المجدح
... ٥

ولئن

ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما انت بتابع قبلتهم
وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم انك
اذا لمن الظالمين • ما تبعوا جواب القسم المحذوف سد مسد جواب الشرط بكل آية بكل برهان قاطع ان
التوجه الى الكعبة هو الحق ما تبعوا قبلتك لان تركهم اتباعك ليس عن شبهة تزيلها بايراد الحجة انما هو عن مكابرة وعناد
مع علمهم لما في كتبهم من نعتك انك على الحق وما انت بتابع قبلتهم حسم لاطماعهم اذ كانوا ماجوا في ذلك وقالوا لو ثبت
على قبلتنا لكنا نرجو ان يكون صاحبنا الذي ننتظره وطمعوا في رجوعه الى قبلتهم وقرئ بتابع قبلتهم على الاضافة وما بعضهم
بتابع قبلة بعض يعني انهم مع اتفاقهم على مخالفتك مختلفون في شان القبلة لا يرجى اتفاقهم كما لا يرجى موافقتهم
لك وذلك ان اليهود تستقبل بيت المقدس والنصارى مطلع الشمس اخبر عز وعلا عن تصلب كل حزب فيما
هو فيه وثباته عليه فالمحق منهم لا يزل عن مذهبه لتمسكه بالبرهان والمبطل لا يقلع عن باطله لشدة شكيمته في عناده
وقوله ولئن اتبعت اهواءهم بعد الافصاح عن حقيقة حاله المعلومة عنده في قوله وما انت بتابع قبلتهم كلام وارد على سبيل
الفرض والتقدير بمعنى ولئن اتبعتهم مثلا بعد وضوح البرهان والاحاطة بحقيقة الامر انك اذا لمن المرتكبين الظلم الفاحش
وفي ذلك لطف للسامعين وزيادة تحذير واستفظاع لحال من يترك الدليل بعد انارته ويتبع الهوى وتهييج
والهاب للثبات على الحق • فان قلت كيف قال وما انت بتابع قبلتهم ولهم قبلتان لليهود قبلة وللنصارى قبلة
قلت كلتا القبلتين باطلة مخالفة لقبلة الحق فكانتا بحكم الاتحاد في البطلان قبلة واحدة • الذين آتيناهم
الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون • الحق
من ربك فلا تكونن من الممترين • يعرفونه يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم معرفة جلية يميزون
بينه وبين غيره بالوصف المعين المشخص كما يعرفون ابناءهم لا يشتبه عليهم ابناؤهم وابناء غيرهم وعن عمر رضي الله عنه
انه سأل عبد الله بن سلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا اعلم به مني بابني قال ولم قال لاني لست اشك في
محمد صلى الله عليه وسلم انه نبي فاما ولدي فلعل والدته خانت فقبل عمر رأسه • وجاز الاضمار وان لم يسبق ذكره لان
الكلام يدل عليه ولا يلتبس على السامع ومثل هذا الاضمار فيه تفخيم واشعار بانه لشهرته وكونه علما معلوما بغير اعلام وقيل
الضمير للعلم او القرآن او تحويل القبلة وقوله كما يعرفون ابناءهم يشهد للاول وينصره الحديث عن عبد الله بن سلام ٥
فان قلت لم اختص الابناء قلت لان الذكور اشهر واعرف وهم لصحبة الآباء الزم وبقلوبهم الصق
وقال فريقا منهم استثناء لمن آمن منهم او لجهالهم الذين قال فيهم ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب • الحق من ربك
يحتمل ان يكون الحق خبر مبتدأ محذوف اي هو الحق او مبتدأ خبره من ربك وفيه وجهان ان يكون اللام للعهد والاشارة
الى الحق الذي عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم او الى الحق الذي في قوله ليكتمون الحق اي هذا الذي يكتمونه هو الحق من ربك
وان يكون للجنس على معنى الحق من الله لا من غيره يعني ان الحق ما ثبت انه من الله تعالى كالذي انت عليه وما لم يثبت انه من الله
كالذي عليه اهل الكتاب فهو الباطل • فان قلت اذا جعلت الحق خبر مبتدأ فما محل من ربك قلت يجوز ان
يكون خبرا بعد خبر وان يكون حالا وقرأ علي رضي الله عنه الحق من ربك على الابدال من الاول اي يكتمون الحق الحق من ربك
فلا تكونن من الممترين الشاكين في كتمانهم الحق مع علمهم او في انه من ربك • ولكل وجهة هو موليها
فاستبقوا الخيرات اينما تكونوا يأت بكم الله جميعا ان الله على كل شيء قدير •
ولكل من اهل الاديان المختلفة وجهة قبلة وفي قراءة ابي ولكل قبلة هو موليها وجهه فحذف احد المفعولين وقيل
هو لله تعالى اي الله موليها اياه وقرئ ولكل وجهة على الاضافة والمعنى وكل وجهة الله موليها فزيدت اللام لتقدم المفعول
كقولك لزيد ضربت ولزيد ابوه ضاربه وقرأ ابن عامر هو مولاها اي هو مولى تلك الجهة قد وليها والمعنى لكل امة قبلة تتوجه
اليها منكم ومن غيركم فاستبقوا انتم الخيرات واسبقوا اليها غيركم من امر القبلة وغيره ومعنى آخر وهو ان يراد ولكل
منكم يا امة محمد وجهة اي جهة يصلي اليها جنوبية او شمالية او شرقية او غربية فاستبقوا الخيرات اينما تكونوا

يأت بكم الله جميعا للجزاء من موافق ومخالف لا تعجزونه ويجوز ان يكون المعنى فاستبقوا الفاضلات من الجهات وهي الجهات المسامتة للكعبة وان اختلفت اينما تكونوا من الجهات المختلفة يأت بكم الله جميعا يجمعكم ويجعل صلوتكم كأنها الى جهة واحدة وكانكم تصلون حاضري المسجد الحرام ● **ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وانه للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون** ● **ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشوني ولاتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون** ● ومن حيث خرجت ومن اي بلد خرجت للسفر فول وجهك شطر المسجد الحرام اذا صليت وانه وان هذا المامور به وقرئ يعملون بالياء والتاء وهذا التكرير لتاكيد امر القبلة وتشديده لان النسخ من مظان الفتنة والشبهة وتسويل الشيطان والحاجة الى التفصلة بينه وبين البداء ذكر عليهم ليثبتوا ويعزموا ويجدوا ولانه نيط بكل واحد ما لم ينط بالآخر فاختلف فوايدها الا الذين ظلموا استثناء من الناس ومعناه لئلا يكون حجة لاحد من اليهود الا للمعاندين منهم القائلين ما ترك قبلتنا الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا لبلده ولو كان على الحق للزم قبلة الانبياء **فان قلت** اي حجة كانت تكون للمنصفين منهم لو لم يحول حتى احترز من تلك الحجة ولم يبال بحجة المعاندين **قلت** كانوا يقولون ما له لم يحول الى قبلة ابيه ابراهيم كما هو مذكور في نعته في التورية **فان قلت** كيف اطلق اسم الحجة على قول المعاندين **قلت** لانهم يسوقونه سياق الحجة ويجوز ان يكون المعنى لئلا يكون للعرب عليكم حجة واعتراض في ترككم التوجه الى الكعبة التي هي قبلة ابراهيم واسمعيل ابي العرب الا الذين ظلموا منهم وهم اهل مكة حين يقولون بدا له فرجع الى قبلة آبائه ويوشك ان يرجع الى دينهم وقرأ زيد بن علي رضي الله عنهما الا الذين ظلموا منهم على ان الا للتنبيه ووقف على حجة ثم استانف منبها فلا تخشوهم فلا تخافوا مطاعنهم في قبلتكم فانهم لا يضرونكم واخشوني فلا تخالفوا امري وما رايته مصلحة لكم ولاتم متعلق اللام محذوف معناه ولاتمامي النعمة عليكم وارادتي اهتداءكم امرتكم بذلك او يعطف على علة مقدرة كانه قيل واخشوني لاوفقكم ولاتم نعمتي عليكم وقيل هو معطوف على لئلا يكون وفي الحديث تمام النعمة دخول الجنة وعن علي رضي الله عنه تمام النعمة الموت على الاسلام ● **كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون** ● **فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون** ● **يا ايها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلوة ان الله مع الصابرين** ● **ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل احياء ولكن لا تشعرون** ● كما ارسلنا اما ان يتعلق بما قبله اي ولاتم نعمتي عليكم في الآخرة بالثواب كما اتممتها عليكم في الدنيا بارسال الرسل او بما بعده اي كما ذكرتم بارسال الرسول فاذكروني بالطاعة اذكركم بالثواب واشكروا لي ما انعمت به عليكم ولا تكفرون بالجحد والعصيان اموات بل احياء اموات بل هم احياء ولكن لا تشعرون كيف حالهم في حيوتهم ● وعن الحسن ان الشهداء احياء عند الله تعرض ارزاقهم على ارواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما تعرض النار على ارواح آل فرعون غدوة وعشيا فيصل اليهم الوجع ● وعن مجاهد يرزقون ثمر الجنة ويجدون ريحها وليسوا فيها وقالوا يجوز ان يجمع الله من اجزاء الشهيد جملة فيحييها ويوصل اليها النعيم وان كانت في حجم الذرة وقيل نزلت في شهداء بدر وكانوا اربعة عشر ● **ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين** ● **الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون** ● **اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون** ● ولنبلونكم ولنصيبنكم بذلك اصابة تشبه فعل المختبر لاحوالكم هل تصبرون وتثبتون على ما انتم عليه من الطاعة وتسلمون لامر الله وحكمه ام لا بشيء بقليل من كل واحد من هذه البلايا وطرف منه وبشر الصابرين المسترجعين عند البلاء لان الاسترجاع تسليم واذعان ● وعن النبي صلى الله عليه وسلم من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه

وروى

وروى انه طفئ سراج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا لله وانا اليه راجعون فقيل امصيبة هي قال نعم كل شيء يؤذي المؤمن فهو له مصيبة ● وانما قلله في قوله بشيء ليؤذن ان كل بلاء اصاب الانسان وان جل ففوقه ما يقل اليه ويخفف عليهم ويريهم ان رحمته معهم في كل حال لا تزايلهم وانما وعدهم ذلك قبل كونه ليوطنوا عليه نفوسهم ونقص عطف على شيء او على الخوف بمعنى وشيء من نقص الاموال والخطاب في وبشر لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل من يتاتى منه البشارة ● وعن الشافعي رحمه الله تعالى الخوف خوف الله والجوع صيام شهر رمضان والنقص من الاموال الزكوات والصدقات ومن الانفس الامراض ومن الثمرات موت الاولاد ● وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة اقبضتم ولد عبدي فيقولون نعم فيقول اقبضتم ثمرة قلبه فيقولون نعم فيقول الله تعالى ماذا قال عبدي فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد ● والصلوة الحنو والتعطف فوضعت موضع الرأفة وجمع بينها وبين الرحمة كقوله تعالى رأفة ورحمة رؤف رحيم والمعنى عليهم رأفة بعد رأفة ورحمة اي رحمة واولئك هم المهتدون لطريق الصواب حيث استرجعوا وسلموا لامر الله تعالى ● **ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم** ● الصفا والمروة علمان للجبلين كالصمان والمقطم والشعائر جمع شعيرة وهي العلامة اي من اعلام مناسكه ومتعبداته والحج القصد والاعتمار الزيارة فغلبا على قصد البيت وزيارته للنسكين المعروفين وهما في المعاني كالنجم والبيت في الاعيان واصل يطوف يتطوف فادغم وقرئ ان يطوف من طاف **فان قلت** كيف قيل انهما من شعائر الله ثم قيل لا جناح عليه ان يطوف بهما **قلت** كان على الصفا اساف وعلى المروة نائلة وهما صنمان يروى انهما كانا رجلا وامرأة زنيا في الكعبة فمسخا حجرين فوضعا عليهما ليعتبر بهما فلما طالت المدة عبدا من دون الله تعالى فكان اهل الجاهلية اذا سعوا مسحوهما فلما جاء الاسلام وكسرت الاوثان كره المسلمون الطواف بينهما لاجل فعل الجاهلية وان لا يكون عليهم جناح في ذلك فرفع عنهم الجناح واختلف في السعي فمن قائل هو تطوع بدليل رفع الجناح وما فيه من التخيير بين الفعل والترك كقوله فلا جناح عليهما ان يتراجعا وغير ذلك ولقوله ومن تطوع خيرا كقوله فمن تطوع خيرا فهو خير له ويروى ذلك عن انس وابن عباس وابن الزبير وتنصره قراءة ابن مسعود فلا جناح عليه ان لا يطوف بهما وعن ابي حنيفة رحمه الله تعالى انه واجب وليس بركن وعلى تاركه دم وعند الاولين لا شيء عليه وعند مالك والشافعي رحمهما الله تعالى هو ركن لقوله صلى الله عليه وسلم اسعوا فان الله كتب عليكم السعي وقرئ ومن يطوع بمعنى ومن يتطوع فادغم وفي قراءة عبد الله ومن يتطوع بخير ● **ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون** ● **الا الذين تابوا واصلحوا وبينوا فاولئك اتوب عليهم وانا التواب الرحيم** ● ان الذين يكتمون من احبار اليهود ما انزلنا في التورية من البينات من الآيات الشاهدة على امر محمد صلى الله عليه وسلم والهدى والهداية بوصفه الى اتباعه والايمان به من بعد ما بيناه ولخصناه للناس في الكتاب في التورية لم ندع فيه موضع اشكال ولا اشتباه على احد منهم فعمدوا الى ذلك المبين الملخص فكتموه ولبسوا على الناس اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون الذين يتاتى منهم اللعن عليهم وهم الملائكة والمؤمنون من الثقلين واصلحوا ما افسدوا من احوالهم وتداركوا ما فرط منهم وبينوا ما بينه الله في كتابهم فكتموه او بينوا للناس ما احدثوه من توبتهم ليمحوا سمة الكفر عنهم ويعرفوا بضد ما كانوا يعرفون به ويقتدي بهم غيرهم من المفسدين ● **ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار اولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين** ● **خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون** ● ان الذين كفروا يعني الذين ماتوا من هؤلاء الكاتمين ولم يتوبوا ذكر لعنتهم احياء ثم لعنتهم امواتا وقرأ الحسن والملائكة والناس اجمعون بالرفع عطفا على محل اسم الله لانه فاعل في التقدير كقولك عجبت من ضرب زيد وعمرو تريد من ان ضرب زيد وعمرو كانه قيل

أولئك عليهم ان لعنهم الله والملائكة. **فان قلت** ما معنى قوله والناس أجمعين وفي الناس المسلم والكافر
قلت اراد بالناس من يعتد بلعنه وهم المؤمنون وقيل يوم القيمة يلعن بعضهم بعضا. خالدين فيها اي في
اللعنة وقيل في النار الا انها اضمرت تفخيما لشانها وتهويلا. ولا هم ينظرون من الانظار اي لا يمهلون ولا يؤجلون او
لا ينظرون ليعتذروا او لا ينظر اليهم نظر رحمة. **وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم**
إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر
بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث
فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم
يعقلون. إله واحد فرد في الالهية لا شريك له فيها ولا يصح ان يسمى غيره الها. ولا اله الا هو تقرير للوحدانية
بنفي غيره واثباته. الرحمن الرحيم المولي لجميع النعم اصولها وفروعها ولا شيء سواه بهذه الصفة فان كل ما سواه اما
نعمة واما منعم عليه. وقيل كان للمشركين حول الكعبة ثلاثمائة وستون صنما فلما سمعوا بهذه الآية تعجبوا وقالوا ان
كنت صادقا فأت بآية نعرف بها صدقك فنزلت ان في خلق السموات والارض. واختلاف الليل والنهار
واعتقابهما لان كل واحد منهما يعقب الآخر كقوله جعل الليل والنهار خلفة. بما ينفع الناس بالذي ينفعهم او بما يحمل فيها
او بنفع الناس. **فان قلت** قوله وبث فيها عطف على انزل ام احيا **قلت** الظاهر انه عطف على انزل
داخل تحت حكم الصلة لان قوله فاحيا به الارض عطف على انزل فاتصل به وصارا جميعا كالشيء الواحد فكأنه قيل وما انزل في الارض
من ماء وبث فيها من كل دابة ويجوز عطفه على احيا على معنى فاحيا بالمطر الارض وبث فيها من كل دابة به لانهم ينمون بالخصب
ويعيشون بالحيا. وتصريف الرياح في مهابها قبولا ودبورا وجنوبا وشمالا وفي احوالها حارة وباردة وعاصفة ولينة
وعقيما ولواقح وقيل تارة بالرحمة وتارة بالعذاب. والسحاب المسخر لتسخير الرياح تقلبه في الجو بمشيئة الله يمطر حيث شاء.
لآيات لقوم يعقلون ينظرون بعيون عقولهم ويعتبرون لانها دلائل على عظيم القدرة وباهر الحكمة. وعن النبي صلى الله عليه وسلم
ويل لمن قرأ هذه الآية فمج بها اي لم يتفكر فيها ولم يعتبر بها. وقرئ والفلك بضمتين وتصريف الريح. **ومن الناس**
من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله ولو يرى
الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب. إذ
تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب. وقال
الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرأوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات
عليهم وما هم بخارجين من النار. أندادا امثالا من الاصنام وقيل من الرؤساء الذين كانوا يتبعونهم و
ينزلون على اوامرهم ونواهيهم واستدل بقوله اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا. ومعنى يحبونهم يعظمونهم ويخضعون
لهم تعظيم المحبوب. كحب الله كتعظيم الله والخضوع له اي كما يحب الله على انه مصدر مبني للمفعول وانما استغنى عن ذكر من
يحبه لانه غير ملتبس وقيل كحبهم الله اي يسوون بينه وبينهم في محبتهم لانهم كانوا يقرون بالله ويتقربون اليه فاذا
ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين. اشد حبا لله لانهم لا يعدلون عنه الى غيره بخلاف المشركين فانهم يعدلون
عن اندادهم الى الله عند الشدائد فيفزعون اليه ويخضعون له ويجعلونهم وسائط بينهم وبينه فيقولون هؤلاء شفعاؤنا
عند الله ويعبدون الصنم زمانا ثم يرفضونه الى غيره او ياكلونه كما اكلت باهلة الهها من حيس عام المجاعة. الذين ظلموا
اشارة الى متخذي الانداد اي ولو يعلم هؤلاء الذين ارتكبوا الظلم العظيم بشركهم ان القدرة كلها لله على كل شيء من العقاب
والثواب دون اندادهم ويعلمون شدة عقابه للظالمين اذا عاينوا العذاب يوم القيمة لكان منهم ما لا يدخل تحت الوصف
من الندم والحسرة ووقوع العلم بظلمهم وضلالهم فحذف الجواب كما في قوله ولو ترى اذ وقفوا وقولهم لو رأيت فلانا والسياط تأخذه
وقرئ ولو ترى على خطاب الرسول او كل مخاطب اي ولو ترى ذلك لرأيت امرا عظيما وقرئ اذ يرون على البناء للمفعول
واذ في المستقبل كقوله ونادى اصحاب الجنة. اذ تبرأ بدل من اذ يرون العذاب اي تبرأ المتبوعون وهم الرؤساء من

الاتباع

الاتباع وقرأ مجاهد الاول على البناء للفاعل والثاني على البناء للمفعول اي تبرأ الاتباع من الرؤساء. ورأوا العذاب
الواو للحال اي تبرأوا في حال رؤيتهم العذاب. وتقطعت عطف على تبرأ. او الاسباب الوصل التي كانت بينهم من الاتفاق على
دين واحد ومن الانساب والمحاب والاتباع والاستتباع كقوله لقد تقطع بينكم. لو في معنى التمني ولذلك اجيب بالفاء
الذي كان يجاب به التمني كانه قيل ليت لنا كرة فنتبرأ منهم. كذلك مثل ذلك الارآء الفظيع يريهم الله اعمالهم حسرات
اي ندامات وحسرات ثالث مفاعيل اري ومعناه ان اعمالهم تنقلب حسرات عليهم فلا يرون الا حسرات مكان اعمالهم. وما هم
بخارجين هم بمنزلته في قوله هم يفرشون اللبد كل طمرة في دلالته على قوة امرهم فيما اسند اليهم لا على الاختصاص
يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو
مبين. إنما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون. وإذا
قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم
لا يعقلون شيئا ولا يهتدون. حلالا مفعول كلوا او حال مما في الارض. طيبا طاهرا من كل شبهة
ولا تتبعوا خطوات الشيطان فتدخلوا في حرام او شبهة او تحريم حلال او تحليل حرام. ومن للتبعيض لان كل ما في الارض
ليس بمأكول وقرئ خطوات بضمتين وخطوات بضمة وسكون وخطؤات بضمتين وهمزة جعلت الضمة على الطاء
كأنها على الواو وخطوات بفتحتين وخطوات بفتحة وسكون والخطوة المرة من الخطو والخطوة ما بين قدمي الخاطي
وهما كالغرفة والغرفة والقبضة والقبضة يقال اتبع خطواته ووطئ على عقبه اذا اقتدى به واستن بسنته.
مبين ظاهر العداوة لا خفاء به. انما يأمركم بيان لوجوب الانتهاء عن اتباعه وظهور عداوته اي لا يأمركم بخير قط
انما يأمركم بالسوء بالقبيح والفحشاء وما يتجاوز الحد في القبح من العظائم وقيل السوء ما لا حد فيه والفحشاء ما يجب فيه
الحد. وان تقولوا على الله ما لا تعلمون وهو قولكم هذا حلال وهذا حرام بغير علم ويدخل فيه كل ما يضاف الى الله عز وجل
مما لا يجوز عليه. **فان قلت** كيف كان الشيطان آمرا مع قوله ليس لك عليهم سلطان **قلت**
شبه تزيينه وبعثه على الشر بأمر الآمر كما تقول امرتني نفسي بكذا وتحته رمز الى انكم منه بمنزلة المأمورين لطاعتكم له
وقبولكم وساوسه ولذلك قال ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله وقال الله عز وجل
ان النفس لامارة بالسوء لما كان الانسان يطيعها فيعطيها ما اشتهت. لهم الضمير للناس وعدل بالخطاب عنهم
على طريقة الالتفات للنداء على ضلالهم لانه لا ضال اضل من المقلد كانه يقول للعقلاء انظروا الى هؤلاء الحمقى ماذا
يقولون. قيل هم المشركون وقيل هم طائفة من اليهود دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاسلام فقالوا بل نتبع
ما الفينا عليه آباءنا فانهم كانوا خيرا منا واعلم. والفينا بمعنى وجدنا بدليل قوله بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا. اولو كان آباؤهم
الواو للحال والهمزة بمعنى الرد والتعجب معناه ايتبعونهم ولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا من الدين ولا يهتدون للصواب.
ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون
لا بد من مضاف محذوف تقديره ومثل داعي الذين كفروا كمثل الذي ينعق او ومثل الذين كفروا كالبهائم الذي ينعق والمعنى
ومثل داعيهم الى الايمان في انهم لا يسمعون من الدعاء الا جرس النغمة ودوي الصوت من غير القاء اذهان ولا استبصار
كمثل الناعق بالبهائم التي لا تسمع الا دعاء الناعق ونداءه الذي هو تصويت بها وزجر لها ولا تفقه شيئا آخر ولا تعي كما يعي
العقلاء ويعون. ويجوز ان يراد بما لا يسمع الاصم الاصلخ الذي لا يسمع من كلام الرافع صوته بكلامه الا النداء والتصويت
لا غير من غير فهم الحروف. وقيل معناه ومثلهم في اتباعهم آباءهم وتقليدهم كمثل البهائم التي لا تسمع الا ظاهر الصوت
ولا تفهم ما تحته فكذلك هؤلاء يتبعونهم على ظاهر حالهم ولا يفقهون أهم على حق ام باطل. وقيل معناه ومثلهم في دعائهم
الاصنام كمثل الناعق بما لا يسمع الا ان قوله الا دعاء ونداء لا يساعد عليه لان الاصنام لا تسمع شيئا. والنعيق التصويت يقال
نعق المؤذن ونعق الراعي بالضأن قال الاخطل. فانعق بضأنك يا جرير فانما. منتك نفسك في الخلاء ضلالا.
واما نعق الغراب فبالغين المعجمة. صم بكم عمي رفع على الذم. **يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات**

ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون ۝ انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم

من طيبات ما رزقناكم من مستلذاته لان كل ما رزقه الله لا يكون الا حلالا واشكروا لله الذي رزقكموها ان كنتم اياه تعبدون ان صح انكم تختصونه بالعبادة وتقرون انه مولى النعم وعن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى اني والجن والانس في نبأ عظيم اخلق ويعبد غيري وارزق ويشكر غيري حرم وقرئ حرم على البناء للفاعل وحرم على البناء للمفعول وحرم بوزن كرم اهل به لغير الله اي رفع به الصوت للصنم وذلك قول اهل الجاهلية باسم اللات والعزى غير باغ على مضطر آخر بالاستيثار عليه ولا عاد سد الجوعة **فان قلت** في الميتات ما يحل وهو السمك والجراد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احلت لي ميتتان ودمان **قلت** قصد ما يتفاهمه الناس ويتعارفونه في العادة الا ترى ان القائل اذا قال اكل فلان ميتة لم يسبق الوهم الى السمك والجراد كما لو قال اكل دما لم يسبق الى الكبد والطحال ولاعتبار العادة والتعارف قالوا من حلف لا ياكل لحما فاكل سمكا لم يحنث وان اكل لحما في الحقيقة وقال الله تعالى لتاكلوا منه لحما طريا وشبهوه بمن حلف لا يركب دابة فركب كافرا لم يحنث وان سماه الله دابة في قوله ان شر الدواب عند الله الذين كفروا **فان قلت** فما له ذكر لحم الخنزير دون شحمه **قلت** لان الشحم داخل في ذكر اللحم لكونه تابعا له وصفة فيه بدليل قولهم لحم سمين يريدون انه شحيم

ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا اولئك ما ياكلون في بطونهم الا النار ولا يكلمهم الله يوم القيمة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم ۝

في بطونهم ملء بطونهم تقول اكل فلان في بطنه واكل في بعض بطنه الا النار لانه اذا اكل ما يتلبس بالنار لكونها عقوبة عليه فكانه اكل النار ومنه قولهم فلان اكل الدم اذا اكل الدية التي هي بدل منه قال

اكلت دما ان لم ارعك بضرة ۝ وقال ياكلن كل ليلة اكافا ۝ اراد ثمن الاكاف فسماه اكافا لتلبسه به بكونه ثمنا له ولا يكلمهم الله تعريض بحرمانهم حال اهل الجنة في تكرمة الله اياهم بكلامه وتزكيتهم بالثناء عليهم وقيل نفي الكلام عبارة عن غضبه عليهم كمن غضب على صاحبه فصرمه وقطع كلامه وقيل لا يكلمهم بما يحبون ولكن بنحو قوله اخسؤا فيها ولا تكلمون

اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما اصبرهم على النار ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق وان الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد

فما اصبرهم على النار تعجب من حالهم في التباسهم بموجبات النار من غير مبالاة منهم كما تقول لمن يتعرض لما يوجب غضب السلطان ما اصبرك على القيد والسجن تريد انه لا يتعرض لذلك الا من هو شديد الصبر على العذاب وقيل فما اصبرهم فاي شيء صبرهم يقال اصبره على كذا وصبره بمعنى وهذا اصل معنى فعل التعجب والذي روي عن الكسائي انه قال اخبرني قاضي اليمن بمكة اختصم الي رجلان من العرب فحلف احدهما على حق صاحبه فقال له ما اصبرك على الله فمعناه ما اصبرك على عذاب الله ذلك بان الله نزل اي ذلك العذاب بسبب ان الله نزل ما نزل من الكتب بالحق وان الذين اختلفوا في كتب الله فقالوا في بعضها حق وفي بعضها باطل وهم اهل الكتاب لفي شقاق لفي خلاف بعيد عن الحق والكتاب للجنس او كفرهم ذلك بسبب ان الله نزل القرآن بالحق كما يعلمون وان الذين اختلفوا فيه من المشركين فقال بعضهم سحر وبعضهم شعر وبعضهم اساطير لفي شقاق بعيد يعني ان اولئك لو لم يختلفوا ولم يشاقوا لما جسر هؤلاء ان يكفروا

ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملئكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب واقام الصلوة وآتى الزكوة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون ۝

البر اسم للخير ولكل فعل مرضي ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب الخطاب لاهل الكتاب لان اليهود تصلي قبل المغرب الى بيت المقدس والنصارى قبل المشرق وذلك انهم اكثروا الخوض في امر القبلة

حين

حين حول رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكعبة وزعم كل واحد من الفريقين ان البر التوجه الى قبلته فرد عليهم وقيل ليس البر فيما انتم عليه فانه منسوخ خارج من البر ولكن البر ما نبينه وقيل كثر خوض المسلمين واهل الكتاب في امر القبلة فقيل ليس البر العظيم الذي يجب ان تذهلوا بشأنه عن سائر صنوف البر امر القبلة ولكن البر الذي يجب الاهتمام به وصرف الهمة اليه بر من آمن وقام بهذه الاعمال وقرئ ليس البر بالنصب على انه خبر مقدم وقرأ عبد الله بان تولوا على ادخال الباء على الخبر للتاكيد كقولك ليس المنطلق زيد ولكن البر من آمن على تاويل حذف المضاف اي بر من آمن او يتاول البر بمعنى ذي البر او كما قالت فانما هي اقبال وادبار وعن المبرد لو كنت ممن يقرأ القرآن لقرأت ولكن البر بفتح الباء وقرئ ولكن البار وقرأ ابن عامر ونافع ولكن البر بالتخفيف والكتاب جنس كتب الله او القرآن على حبه مع حب المال والشح به كما قال ابن مسعود رضي الله عنه ان تؤتيه وانت صحيح شحيح تأمل العيش وتخشى الفقر ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقيل على حب الله وقيل على حب الايتاء يريد ان يعطيه وهو طيب النفس باعطائه وقدم ذوي القربى لانهم احق قال صلى الله عليه وسلم صدقتك على المسكين صدقة وعلى ذي رحمك اثنتان لانها صدقة وصلة وقال افضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح واطلق ذوي القربى واليتامى والمراد الفقراء منهم لعدم الالتباس والمسكين الدائم السكون الى الناس لانه لا شيء له كالمسكير الدائم السكر وابن السبيل المسافر المنقطع وجعل ابنا للسبيل لملازمته له كما يقال للص القاطع ابن الطريق وقيل هو الضيف لان السبيل يرعف به والسائلين المستطعمين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للسائل حق وان جاء على ظهر فرسه وفي الرقاب وفي معاونة المكاتبين حتى يفكوا رقابهم وقيل في ابتياع الرقاب واعتاقها وقيل في فك الاسارى **فان قلت** قد ذكر ايتاء المال في هذه الوجوه ثم قفاه بايتاء الزكوة فهل دل ذلك على ان في المال حقا سوى الزكوة **قلت** يحتمل ذلك وعن الشعبي ان في المال حقا سوى الزكوة وتلا هذه الآية ويحتمل ان يكون ذلك بيان مصارف الزكوة او يكون حثا على نوافل الصدقات والمبار وفي الحديث نسخت الزكوة كل صدقة يعني وجوبها وروي ليس في المال حق سوى الزكوة والموفون عطف على من آمن واخرج الصابرين منصوبا على الاختصاص والمدح اظهارا لفضل الصبر في الشدائد ومواطن القتال على سائر الاعمال وقرئ والصابرون وقرئ والموفين والصابرين والبأساء الفقر والشدة والضراء المرض والزمانة صدقوا كانوا صادقين جادين في الدين

يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى فمن عفي له من اخيه شيء فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب اليم ۝

عن عمر بن عبد العزيز والحسن البصري وعطاء وعكرمة وهو مذهب مالك والشافعي رحمهم الله تعالى ان الحر لا يقتل بالعبد والذكر لا يقتل بالانثى اخذا بهذه الآية ويقولون هي مفسرة لما ابهم في قوله النفس بالنفس ولان تلك واردة لحكاية ما كتب في التوراة على اهلها وهذه خوطب بها المسلمون وكتب عليهم ما فيها وعن سعيد بن المسيب والشعبي والنخعي وقتادة والثوري وهو مذهب ابي حنيفة واصحابه رحمهم الله تعالى انها منسوخة بقوله ان النفس بالنفس والقصاص ثابت بين العبد والحر والذكر والانثى ويستدلون بقوله صلى الله عليه وسلم المسلمون تتكافؤ دماؤهم وبان التفاضل غير معتبر في الانفس بدليل ان جماعة لو قتلوا واحدا قتلوا به وروي انه كان بين حيين من احياء العرب دماء في الجاهلية وكان لاحدهما طول على الآخر فاقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالانثى والاثنين بالواحد فتحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جاء الله تعالى بالاسلام فنزلت وامرهم بان يتباوؤا فمن عفي له من اخيه شيء معناه فمن عفي له من جهة اخيه شيء من العفو على انه كقولك سير بزيد بعض السير وطائفة من السير ولا يصح ان يكون شيء في معنى المفعول به لان عفا لا يتعدى الى مفعول به الا بواسطة واخوه هو ولي المقتول وقيل له اخوه لانه لابسه من قبل انه ولي الدم ومطالبه به كما تقول للرجل قل لصاحبك كذا لمن بينه وبينه ادنى ملابسة او ذكره بلفظ الاخوة ليعطف احدهما على صاحبه بذكر ما هو ثابت بينهما من الجنسية والاسلام **فان قلت** ان عفا يتعدى بعن لا باللام فما وجه قوله فمن عفي له **قلت** يتعدى بعن الى الجاني والى الذنب

فيقال عفوت عن فلان وعن ذنبه قال الله تعالى عفا الله عنك وقال عفا الله عنها فاذا تعدى الى الذنب قيل عفوت
لفلان عما جنى كما تقول غفرت له ذنبه وتجاوزت له عنه وعلى هذا ما في الآية كانه قيل فمن عفي له عن جنايته فاستغنى عن
ذكر الجناية **فان قلت** هلا فسرت عفي بترك حتى يكون شيء في معنى المفعول به **قلت** لان عفا الشيء بمعنى
تركه ليس بثبت ولكن اعفاه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم واعفوا اللحى **فان قلت** فقد ثبت قولهم عفا
اثره اذا محاه وازاله فهلا جعلت معناه فمن محي له من اخيه شيء **قلت** عبارة قلقة في مكانها والعفو في
باب الجنايات عبارة متداولة مشهورة في الكتاب والسنة واستعمال الناس فلا يعدل عنها الى اخرى قلقة نابية
عن مكانها وترى كثيرا ممن يتعاطى هذا العلم يجترئ اذا اعضل عليه تخريج وجه للمشكل من كلام الله تعالى على اختراع
لغة وادعاء على العرب ما لا تعرفه وهذه جرأة يستعاذ بالله تعالى منها **فان قلت** لم قيل شيء من العفو
قلت للاشعار بانه اذا عفي له طرف من العفو وبعض منه بان يعفى عن بعض الدم او عفا عنه بعض الورثة تم
العفو وسقط القصاص ولم تجب الا الدية فاتباع بالمعروف فليكن اتباع بالمعروف فليكن اتباع او فالامر اتباع وهذه
توصية للمعفو عنه والعافي جميعا يعني فليتبع الولي القاتل بالمعروف بان لا يعنف به ولا يطالبه الا مطالبة جميلة
وليؤد اليه القاتل بدل الدم اداء باحسان بان لا يمطله ولا يبخسه ذلك الحكم المذكور من العفو والدية تخفيف من ربكم
ورحمة لان اهل التورية كتب عليهم القصاص البتة وحرم العفو واخذ الدية وعلى اهل الانجيل العفو وحرم القصاص والدية
وخيرت هذه الامة بين الثلاث القصاص والدية والعفو توسعة عليهم وتيسيرا فمن اعتدى بعد ذلك التخفيف فتجاوز
ما شرع من قتل غير القاتل او القتل بعد اخذ الدية فقد كان الولي في الجاهلية يؤمن القاتل بقبوله الدية ثم يظفر به فيقتله
فله عذاب اليم نوع من العذاب شديد الالم في الآخرة وعن قتادة العذاب الاليم ان يقتل لا محالة ولا يقبل منه دية لقوله
صلى الله عليه وسلم لا اعافي احدا قتل بعد اخذه الدية **ولكم في القصاص حيوة يا اولي الالباب**
لعلكم تتقون ولكم في القصاص حيوة كلام فصيح لما فيه من الغرابة وهو ان القصاص قتل وتفويت للحيوة
وقد جعل مكانا وظرفا للحياة ومن اصابة محز البلاغة بتعريف القصاص وتنكير الحيوة لان المعنى ولكم في هذا الجنس من الحكم
الذي هو القصاص حيوة عظيمة وذلك انهم كانوا يقتلون بالواحد الجماعة وكم قتل مهلهل باخيه كليب حتى كاد يفني
بكر بن وائل وكان يقتل بالمقتول غير قاتله فتثور الفتنة ويقع بينهم التناحر فلما جاء الاسلام بشرع القصاص كانت
فيه حيوة اي حيوة او نوع من الحيوة وهي الحيوة الحاصلة بالارتداع عن القتل لوقوع العلم بالاقتصاص من القاتل لانه اذا
هم بالقتل فعلم انه يقتص منه فارتدع سلم صاحبه من القتل وسلم هو من القود فكان القصاص سبب حيوة نفسين
وقرأ ابو الجوزاء ولكم في القصص حيوة اي فيما قص عليكم من حكم القتل والقصاص وقيل القصص القرآن اي لكم في
القرآن حيوة للقلوب كقوله روحا من امرنا ويحيى من حي عن بينة لعلكم تتقون اي اريتكم ما في القصاص من استبقاء
الارواح وحفظ النفوس لعلكم تتقون تعملون عمل اهل التقوى في المحافظة على القصاص والحكم به وهو خطاب له فضل اختصاص
بالائمة **كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين**
بالمعروف حقا على المتقين فمن بدله بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه ان الله
سميع عليم فمن خاف من موص جنفا او اثما فاصلح بينهم فلا اثم عليه ان الله غفور
رحيم اذا حضر احدكم الموت اذا دنا منه وظهرت اماراته خيرا مالا كثيرا وعن عائشة رضي الله عنها ان رجلا
اراد الوصية وله عيال واربعمائة دينار فقالت ما ارى فيه فضلا واراد آخر ان يوصي فسالته كم مالك فقال ثلثة الاف
قالت كم عيالك قال اربعة قالت انما قال الله تعالى ان ترك خيرا وان هذا الشيء يسير فاتركه لعيالك وعن علي
رضي الله عنه ان مولى له اراد ان يوصي وله سبعمائة فمنعه وقال قال الله تعالى ان ترك خيرا والخير هو المال وليس لك مال والوصية
فاعل كتب وذكر فعلها للفاصل ولانها بمعنى ان يوصي ولذلك ذكر الراجع في قوله فمن بدله بعد ما سمعه والوصية للوارث
كانت في بدء الاسلام فنسخت باية المواريث وبقوله صلى الله عليه وسلم ان الله اعطى كل ذي حق حقه الا لا وصية لوارث

تناحر القوم على الشيء تشاحوا عليه وهو حسادة تناحروا ايضا تقاتلوا

وتلقي الامة اياه بالقبول حتى لحق بالمتواتر وان كان من الآحاد لانهم لا يتلقون بالقبول الا الثبت الذي صحت روايته
وقيل لم تنسخ والوارث يجمع له بين الوصية والميراث بحكم الآيتين وقيل ما هي بمخالفة لآية المواريث ومعناها كتب عليكم
ما اوصى به الله من توريث الوالدين والاقربين من قوله تعالى يوصيكم الله في اولادكم او كتب على المحتضر ان يوصي للوالدين
والاقربين بتوفير ما اوصى به الله تعالى لهم وان لا ينقص من انصبائهم بالمعروف بالعدل وهو ان لا يوصي للغني ويدع الفقير ولا
يتجاوز الثلث حقا مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا فمن بدله فمن غير الايصاء عن وجهه ان كان موافقا للشرع من الاوصياء
والشهود بعد ما سمعه وتحققه فانما اثمه على الذين يبدلونه فما اثم الايصاء المغير او التبديل الا على مبدليه دون غيرهم من
الموصي والموصى له لانهما بريان من الحيف ان الله سميع عليم وعيد للمبدل فمن خاف فمن توقع وعلم وهذا في كلامهم
شائع يقولون اخاف ان ترسل السماء يريدون التوقع والظن الغالب الجاري مجرى العلم جنفا ميلا عن الحق بالخطا
في الوصية او اثما او تعمدا للحيف فاصلح بينهم بين الموصى لهم وهم الوالدان والاقربون باجرائهم على طريق الشرع فلا اثم عليه
حينئذ لان تبديله تبديل باطل الى حق ذكر من يبدل بالباطل ثم من يبدل بالحق ليعلم ان كل تبديل لا يؤثم
يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون اياما
معدودات فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر وعلى الذين يطيقونه فدية
طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون كما كتب
على الذين من قبلكم على الانبياء والامم من لدن آدم الى عهدكم قال علي رضي الله عنه اولهم آدم يعني ان الصوم عبادة
قديمة اصيلة ما اخلى الله تعالى امة من افتراضها عليهم لم يفرضها عليكم وحدكم لعلكم تتقون بالمحافظة عليها وتعظيمها
لاصالتها وقدمها او لعلكم تتقون المعاصي لان الصائم اظلف لنفسه واردع لها من مواقعة السوء قال صلى الله
عليه وسلم فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء او لعلكم تنتظمون في زمرة المتقين لان الصوم شعارهم وقيل معناه
انه كصومهم في عدد الايام وهو شهر رمضان كتب على اهل الانجيل فاصابهم موتان فزادوا عشرا قبله وعشرا بعده فجعلوه خمسين يوما
وقيل كان وقوعه في البرد الشديد والحر الشديد فشق عليهم في اسفارهم ومعايشهم فجعلوه بين الشتاء والربيع وزادوا
عشرين يوما كفارة لتحويله عن وقته وقيل الايام المعدودات عاشوراء وثلثة ايام من كل شهر كتب على رسول الله
صلى الله عليه وسلم صيامها حين هاجر ثم نسخت بشهر رمضان وقيل كتب عليكم كما كتب عليهم ان يتقوا المفطر بعد ان
يصلوا العشاء وبعد ان يناموا ثم نسخ ذلك بقوله احل لكم ليلة الصيام الآية ومعنى معدودات موقتات بعدد
معلوم او قلائل كقوله دراهم معدودة واصله ان المال القليل يقدر بالعدد ويتحكر فيه والكثير يهال هيلا ويحثى حثيا وانتصاب
اياما بالصيام كقولك نويت الخروج يوم الجمعة او على سفر او راكب سفر فعدة فعليه عدة وقرئ بالنصب بمعنى
فليصم عدة وهذا على سبيل الرخصة وقيل مكتوب عليهما ان يفطرا ويصوما عدة من ايام اخر واختلف في المرض
المبيح للافطار فمن قائل كل مرض لان الله تعالى لم يخص مرضا دون مرض كما لم يخص سفرا دون سفر فكما ان لكل مسافر
ان يفطر فكذلك كل مريض وعن ابن سيرين انه دخل عليه في رمضان وهو ياكل فاعتل بوجع اصبعه وسئل
مالك عن الرجل يصيبه الرمد الشديد او الصداع المضر وليس به مرض يضجعه فقال انه في سعة من الافطار وقائل هو
المرض الذي يعسر معه الصوم ويزيد فيه لقوله تعالى يريد الله بكم اليسر وعن الشافعي لا يفطر حتى يجهده الجهد
غير المحتمل واختلف ايضا في القضاء فعامة العلماء على التخيير وعن ابي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه ان الله تعالى
لم يرخص لكم في فطره وهو يريد ان يشق عليكم في قضائه ان شئت فواتر وان شئت ففرق وعن علي وابن عمر
والشعبي وغيرهم انه يقضي كما فات متتابعا وفي قراءة ابي فعدة من ايام اخر متتابعات **فان قلت**
فكيف قيل فعدة على التنكير ولم يقل فعدتها اي فعدة الايام المعدودات **قلت** لما قيل فعدة والعدة
بمعنى المعدود فامر بان يصوم اياما معدودة مكانها علم انه لا يؤتى بعد على عددها فاغنى ذلك عن التعريف بالاضافة
وعلى الذين يطيقونه وعلى المطيقين للصيام الذين لا عذر بهم ان افطروا فدية طعام مسكين نصف صاع من بر

او صاع من غيره عند اهل العراق وعند اهل الحجاز مد وكان ذلك فى بدء الاسلام فرض عليهم الصوم ولم يتعودوه فاشتد عليهم فرخص لهم فى الافطار والفدية وقرأ ابن عباس رضى الله عنهما يطوقونه تفعيل من الطوق اما بمعنى الطاقة او القلادة اى يكلفونه او يقلدونه ويقال لهم صوموا وعنه يتطوقونه بمعنى يتكلفونه او يتقلدونه ويطوقونه بادغام التاء فى الطاء ويطيقونه ويطيقونه بمعنى يتطيقونه واصلهما يطيوقونه ويتطيوقونه على انهما من فيعل وتفيعل من الطوق فادغمت الياء فى الواو بعد قلبها ياء كقولهم تديّر المكان وما بها ديار وفيه وجهان احدهما نحو معنى يطيقونه والثانى يكلفونه او يتكلفونه على جهد منهم وعسر وهم الشيوخ والعجائز وحكم هؤلاء الافطار والفدية وهو على هذا الوجه ثابت غير منسوخ ويجوز ان يكون هذا معنى يطيقونه اى يصومونه جهدهم وطاقتهم ومبلغ وسعهم فمن تطوع خيرا فزاد على مقدار الفدية فهو خير له فالتطوع خير له او الخير وقرئ فمن يطوع بمعنى يتطوع وان تصوموا ايها المطيقون او المطوقون وحملتم على انفسكم وجهدتم طاقتكم خير لكم من الفدية وتطوع الخير ويجوز ان ينتظم فى الخطاب المريض والمسافر ايضا وفى قراءة ابى والصيام خير لكم

شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون

الرمضان مصدر رمض اذا احترق من الرمضاء فاضيف اليه الشهر وجعل علما ومنع الصرف للتعريف والالف والنون كما قيل ابن داية للغراب باضافة الابن الى داية البعير لكثرة وقوعه عليها اذا دبرت **فان قلت** لم سمى شهر رمضان **قلت** الصوم فيه عبادة قديمة فكانهم سموه بذلك لارتماضهم فيه من حر الجوع ومقاساة شدته كما سموه ناتقا لانه كان ينتقهم اى يزعجهم اضجارا بشدته عليهم وقيل لما نقلوا اسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالازمنة التى وقعت فيها فوافق هذا الشهر ايام رمض الحر **فان قلت** فاذا كانت التسمية واقعة مع المضاف والمضاف اليه جميعا فما وجه ما جاء فى الاحاديث من نحو قوله صلى الله عليه وسلم من صام رمضان ايمانا واحتسابا من ادرك رمضان فلم يغفر له **قلت** هو من باب الحذف لامن الالباس كما قال بما اعيى النطاسى حذيما اراد ابن حذيم وارتفاعه على انه مبتدأ خبره الذى انزل فيه القرآن او على انه بدل من الصيام فى قوله كتب عليكم الصيام او على انه خبر مبتدأ محذوف وقرئ بالنصب على صوموا شهر رمضان او على الابدال من اياما معدودات او على انه مفعول وان تصوموا ومعنى انزل فيه القرآن ابتدئ فيه انزاله وكان ذلك فى ليلة القدر وقيل انزل جملة الى سماء الدنيا ثم نزل الى الارض نجوما وقيل انزل فى شأنه القرآن وهو قوله كتب عليكم الصيام كما تقول انزل فى عمر كذا وفى على كذا وعن النبى صلى الله عليه وسلم نزلت صحف ابراهيم اول ليلة من رمضان وانزلت التوراة لست مضين والانجيل لثلاث عشرة والقرآن لاربع وعشرين هدى للناس وبينات نصب على الحال اى انزل وهو هداية للناس الى الحق وهو آيات واضحات مكشوفات مما يهدى الى الحق ويفرق بين الحق والباطل **فان قلت** ما معنى قوله وبينات من الهدى بعد قوله هدى للناس **قلت** ذكر اولا انه هدى ثم ذكر انه بينات من جملة ما هدى به الله تعالى وفرق به بين الحق والباطل من وحيه وكتبه السماوية الهادية الفارقة بين الهدى والضلال فمن شهد منكم الشهر فليصمه فمن كان شاهدا اى حاضرا مقيما غير مسافر فى الشهر فليصم فيه ولا يفطر والشهر منصوب على الظرف وكذلك الهاء فى فليصمه ولا يكون مفعولا به كقولك شهدت الجمعة لان المقيم والمسافر كلاهما شاهدان للشهر يريد الله ان ييسر عليكم ولا يعسر وقد نفى عنكم الحرج فى الدين وامركم بالحنيفية السمحة التى لا اصر فيها ومن جملة ذلك ما رخص لكم فيه من اباحة الفطر فى السفر والمرض ومن الناس من فرض الفطر على المريض والمسافر حتى زعم ان من صام منهما فعليه الاعادة وقرئ اليسر والعسر بضمتين الفعل المعلل محذوف مدلول عليه بما سبق تقديره ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون شرع ذلك يعنى جملة ما ذكر من امر الشاهد بصوم

الشهر وامر المرخص له بمراعاة عدة ما افطر فيه ومن الترخيص فى اباحة الفطر فقوله لتكملوا علة الامر بمراعاة العدة ولتكبروا علة ما علم من كيفية القضاء والخروج عن عهدة الفطر ولعلكم تشكرون علة الترخيص والتيسير وهذا نوع من اللف لطيف المسلك لا يكاد يهتدى الى تبينه الا النقاب المحدث من علماء البيان وانما عدى فعل التكبير بحرف الاستعلاء لكونه مضمنا معنى الحمد كانه قيل ولتكبروا الله حامدين على ما هداكم ومعنى ولعلكم تشكرون وارادة ان تشكروا وقرئ ولتكملوا بالتشديد **فان قلت** هل يصح ان يكون ولتكملوا معطوفا على علة مقدرة كانه قيل لتعلموا ما تعملون ولتكملوا العدة او على اليسر كانه قيل يريد الله بكم اليسر ويريد بكم لتكملوا كقوله يريدون ليطفئوا **قلت** لا يبعد ذلك والاول اوجه **فان قلت** ما المراد بالتكبير **قلت** تعظيم الله والثناء عليه وقيل هو تكبير يوم الفطر وقيل هو التكبير عند الاهلال

واذا سألك عبادى عنى فانى قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون

فانى قريب تمثيل لحاله فى سهولة اجابته لمن دعاه وسرعة انجاحه حاجة من سأله بحال من قرب مكانه فاذا دعى اسرعت تلبيته ونحوه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وقوله صلى الله عليه وسلم هو بينكم وبين اعناق رواحلكم وروى ان اعرابيا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت فليستجيبوا لى اذا دعوتهم للايمان والطاعة كما انى اجيبهم اذا دعونى لحوائجهم وقرئ يرشدون ويرشدون بفتح الشين وكسرها

احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم هن لباس لكم وانتم لباس لهن علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ثم اتموا الصيام الى الليل ولا تباشروهن وانتم عاكفون فى المساجد تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون

كان الرجل اذا امسى حل له الاكل والشرب والجماع الى ان يصلى العشاء الآخرة او يرقد فاذا صلاها او رقد ولم يفطر حرم عليه الطعام والشراب والنساء الى القابلة ثم ان عمر رضى الله عنه واقع اهله بعد صلوة العشاء الآخرة فلما اغتسل اخذ يبكى ويلوم نفسه فاتى النبى صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله انى اعتذر الى الله واليك من نفسى هذه الخاطئة واخبره بما فعل فقال صلى الله عليه وسلم ما كنت جديرا بذلك يا عمر فقام رجال فاعترفوا بما كانوا صنعوا بعد العشاء فنزلت وقرئ احل لكم ليلة الصيام الرفث اى احل الله وقرأ عبد الله الرفوث وهو الافصاح بما يجب ان يكنى عنه كلفظ النيك وقد ارفث الرجل وعن ابن عباس انه انشد وهو محرم وهن يمشين بنا هميسا ان تصدق الطير ننك لميسا فقيل له ارفثت فقال انما الرفث ما كان عند النساء وقال الله تعالى فلا رفث ولا فسوق فكنى به عن الجماع لانه لا يكاد يخلو من شىء من ذلك **فان قلت** لم كنى ههنا بلفظ الرفث الدال على معنى القبح بخلاف قوله وقد افضى بعضكم الى بعض فلما تغشاها باشروهن او لامستم النساء دخلتم بهن فأتوا حرثكم من قبل ان تمسوهن فما استمتعتم به منهن ولا تقربوهن **قلت** استهجانا لما وجد منهم قبل الاباحة كما سماه اختيانا لانفسهم **فان قلت** لم عدى الرفث بالى **قلت** لتضمينه معنى الافضاء لما كان الرجل والمرأة يعتنقان ويشتمل كل واحد منهما على صاحبه فى عناقه شبه باللباس المشتمل عليه قال الجعدى اذا ما الضجيع ثنى عطفها تثنت فكانت عليه لباسا **فان قلت** ما موقع قوله هن لباس لكم **قلت** هو استيناف كالبيان لسبب الاحلال وهو انه اذا كانت بينكم وبينهن مثل هذه المخالطة والملابسة قل صبركم عنهن وصعب عليكم اجتنابهن فلذلك رخص لكم فى مباشرتهن تختانون انفسكم تظلمونها وتنقصونها حظها من الخير والاختيان من الخيانة كالاكتساب من الكسب فيه زيادة وشدة فتاب عليكم حين تبتم مما ارتكبتم من المحظور وابتغوا ما كتب الله لكم واطلبوا ما قسم الله لكم واثبت فى اللوح من الولد بالمباشرة اى لا تباشروا لقضاء الشهوة وحدها ولكن لابتغاء ما وضع الله له النكاح من التناسل وقيل هو نهى عن العزل لانه فى الحرائر وقيل وابتغوا المحل الذى كتبه الله لكم وحلله دون ما لم يكتب لكم من المحل المحرم وعن قتادة وابتغوا ما كتب الله لكم من الاباحة بعد الحظر وقرأ ابن عباس رضى الله عنهما واتبعوا وقرأ الاعمش واتوا وقيل معناه واطلبوا

ليلة القدر وما كتب الله لكم من الثواب ان اصبتموها وقمتموها وهو قريب من بدع التفاسير الخيط الابيض اول ما يبدو من
الفجر المعترض في الافق كالخيط الممدود والخيط الاسود ما يمتد معه من غبش الليل شبها بخيطين ابيض واسود قال
ابو دواد فلما اضاءت لنا سدفة ولاح من الصبح خيط انارا وقوله من الفجر بيان للخيط الابيض واكتفى به
عن بيان الخيط الاسود لان بيان احدهما بيان للثاني ويجوز ان يكون من للتبعيض لانه بعض الفجر واوله فان قلت
اهذا من باب الاستعارة ام من باب التشبيه قلت قوله من الفجر اخرجه من باب الاستعارة كما ان قولك رايت
اسدا مجاز فاذا زدت من فلان رجع تشبيها فان قلت فلم زيد من الفجر حتى كان تشبيها وهلا اقتصر به
على الاستعارة التي هي ابلغ من التشبيه وادخل في الفصاحة قلت لان من شرط المستعار ان يدل عليه الحال او
الكلام ولو لم يذكر من الفجر لم يعلم ان الخيطين مستعاران فزيد من الفجر فكان تشبيها بليغا وخرج من ان يكون استعارة
فان قلت فكيف التبس على عدي بن حاتم مع هذا البيان حتى قال عمدت الى عقالين ابيض واسود فجعلتهما تحت
وسادتي فكنت اقوم من الليل فانظر اليهما فلا يتبين لي الابيض من الاسود فلما غدوت اصبحت الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاخبرته فضحك وقال ان كان وسادك لعريضا وروي انك لعريض القفا انما ذاك بياض النهار وسواد الليل
قلت غفل عن البيان ولذلك عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم قفاه لانه مما يستدل به على بلاهة الرجل
وقلة فطنته وانشدتني بعض البدويات لبدوي عريض القفا ميزانه في شماله قد انحص من حسب القراريط شاربه
فان قلت فما تقول فيما روي عن سهل بن سعد انها نزلت ولم ينزل من الفجر فكان رجال
اذا ارادوا الصوم ربط احدهم في رجله الخيط الابيض والخيط الاسود فلا يزال ياكل ويشرب حتى يتبينا له فنزل
بعد ذلك من الفجر فعلموا انما يعني بذلك الليل والنهار وكيف جاز تاخير البيان وهو يشبه العبث حيث لا يفهم منه
المراد اذ ليس باستعارة لفقد الدلالة ولا بتشبيه قبل ذكر الفجر فلا يفهم منه اذن الا الحقيقة وهي غير مرادة
قلت اما من لا يجوز تاخير البيان وهم اكثر الفقهاء والمتكلمين وهو مذهب ابي علي وابي هاشم فلم يصح عندهم
هذا الحديث واما من يجوزه فيقول ليس بعبث لان المخاطب يستفيد منه وجوب الخطاب ويعزم على فعله اذا استوضح
المراد به ثم اتموا الصيام الى الليل قالوا فيه دليل على جواز النية بالنهار في صوم رمضان وعلى جواز تاخير الغسل
الى الفجر وعلى نفي صوم الوصال عاكفون في المساجد معتكفون فيها والاعتكاف ان يحبس نفسه في المسجد
يتعبد فيه والمراد بالمباشرة الجماع لما تقدم من قوله احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم فالآن باشروهن وقيل
معناه ولا تلامسوهن لشهوة والجماع يفسد الاعتكاف وكذلك اذا لمس او قبل فانزل وعن قتادة كان الرجل اذا
اعتكف خرج فباشر امراته ثم رجع الى المسجد فنهاهم الله تعالى عن ذلك وقالوا فيه دليل على ان الاعتكاف لا يكون الا في
المسجد وانه لا يختص به مسجد دون مسجد وقيل لا يجوز الا في مسجد نبي وهو احد المساجد الثلثة وقيل في مسجد جامع
والعامة على انه في مسجد جماعة وقرا مجاهد في المسجد تلك الاحكام التي ذكرت حدود الله فلا تقربوها فلا تغشوها فان قلت
كيف قيل فلا تقربوها مع قوله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله قلت من كان في طاعة الله والعمل بشرائعه فهو متصرف
في حيز الحق فنهي ان يتعداه لان من تعداه وقع في حيز الباطل ثم بولغ في ذلك فنهي ان يقرب الحد الذي هو الحاجز بين
حيزي الحق والباطل لئلا يداني الباطل وان يكون في الواسطة متباعدا عن الطرف فضلا ان يتخطاه كما قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان لكل ملك حمى وحمى الله محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه فالرتع حول الحمى وقربان حيزه
واحد ويجوز ان يريد بحدود الله محارمه ومناهيه خصوصا لقوله ولا تباشروهن وهي حدود لا تقرب

ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتاكلوا فريقا من اموال الناس بالاثم وانتم تعلمون

ولا ياكل بعضكم مال بعض بالباطل بالوجه الذي لم يبحه الله تعالى ولم يشرعه ولا تدلوا بها ولا تلقوا امرها
والحكومة فيها الى الحكام لتاكلوا بالتحاكم فريقا طائفة من اموال الناس بالاثم بشهادة الزور او باليمين الكاذبة او بالصلح مع العلم
بان المقضي له ظالم وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال للخصمين انما انا بشر وانتم تختصمون الي ولعل بعضكم
الحن بحجته من بعض فاقضي له على نحو ما اسمع منه فمن قضيت له بشيء من حق اخيه فلا ياخذن منه شيئا فانما اقضي
له قطعة من نار فبكيا وقال كل واحد منهما حقي لصاحبي فقال اذهبا فتوخيا ثم استهما ثم ليحلل كل واحد منكما صاحبه

وقيل وتدلوا بها وتلقوا بعضها الى الحكام رشوة على وجه الرشوة وتدلوا مجزوم داخل في حكم النهي او منصوب باضمار
ان كقوله وتكتموا الحق وانتم تعلمون انكم على الباطل وارتكاب المعصية مع العلم بقبحها اقبح وصاحبه احق بالتوبيخ

يسألونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس والحج وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى واتوا البيوت من ابوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون

روي ان معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم الانصاري قالا يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا مثل الخيط ثم يزيد حتى يمتلي
ويستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا لا يكون على حالة واحدة فنزلت مواقيت معالم يوقت بها الناس مزارعهم
ومتاجرهم ومحال ديونهم وصومهم وفطرهم وعدد نسائهم وايام حيضهن ومدد حملهن وغير ذلك ومعالم
للحج يعرف بها وقته كان ناس من الانصار اذا احرموا لم يدخل احد منهم حائطا ولا دارا ولا فسطاطا من باب
فان كان من اهل المدر نقب نقبا في ظهر بيته منه يدخل ويخرج او يتخذ سلما يصعد فيه وان كان من اهل الوبر خرج
من خلف الخباء فقيل لهم ليس البر بتحرجكم من دخول الباب ولكن البر من اتقى ما حرم الله تعالى فان قلت
ما وجه اتصاله بما قبله قلت كانه قيل لهم عند سؤالهم عن الاهلة وعن الحكمة في نقصانها وتمامها معلوم ان
كل ما يفعله الله عز وعلا لا يكون الا حكمة بالغة ومصلحة لعباده فدعوا السؤال عنه وانظروا في واحدة تفعلونها
انتم مما ليس من البر في شيء وانتم تحسبونها برا او يجوز ان يجري ذلك على طريق الاستطراد لما ذكر انها مواقيت للحج
لانه كان من افعالهم في الحج ويحتمل ان يكون هذا تمثيلا لتعكيسهم في سؤالهم وان مثلهم فيه كمثل من ترك باب البيت
ويدخله من ظهره والمعنى ليس البر وما ينبغي ان تكونوا عليه بان تعكسوا في مسائلكم ولكن البر بر من اتقى ذلك وتجنبه
ولم يجسر على مثله ثم قال واتوا البيوت من ابوابها اي وباشروا الامور من وجوهها التي يجب ان تباشر عليها ولا
تعكسوا والمراد وجوب توطين النفوس وربط القلوب على ان جميع افعال الله تعالى حكمة وصواب من غير اختلاج شبهة
ولا اعتراض شك في ذلك حتى لا يسال عنه لما في السؤال من الاتهام بمقارنة الشك لا يسال عما يفعل وهم يسالون

وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين واقتلوهم حيث ثقفتموهم واخرجوهم من حيث اخرجوكم والفتنة اشد من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين فان انتهوا فان الله غفور رحيم

المقاتلة في سبيل الله هو
الجهاد لاعلاء كلمة الله واعزاز الدين الذين يقاتلونكم يناجزونكم القتال دون المحاجزين وعلى هذا يكون منسوخا
بقوله تعالى وقاتلوا المشركين كافة وعن الربيع بن انس هي اول آية نزلت في القتال بالمدينة فكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقاتل من قاتل ويكف عمن كف او الذين يناصبونكم القتال دون من ليس من اهل المناصبة من الشيوخ
والصبيان والرهبان والنساء او الكفرة كلهم لانهم جميعا مضادون للمسلمين قاصدون لمقاتلتهم فهم في حكم
المقاتلة قاتلوا او لم يقاتلوا وقيل لما صد المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية صالحوه على ان
يرجع من قابل فيخلوا له مكة ثلثة ايام فرجع لعمرة القضاء وخاف المسلمون ان لا تفي لهم قريش ويصدوهم ويقاتلوهم
في الحرم وفي الشهر الحرام وكرهوا ذلك فنزلت واطلق لهم قتال الذين يقاتلونهم منهم في الحرم والشهر الحرام ورفع
الجناح في ذلك ولا تعتدوا بابتداء القتال او بقتال من نهيتم عن قتاله من النساء والشيوخ والصبيان والذين
بينكم وبينهم عهد او بالمثلة او بالمفاجاة من غير دعوة حيث ثقفتموهم حيث وجدتموهم في حل او حرم والثقف
وجود على وجه الاخذ والغلبة ومنه رجل ثقف سريع الاخذ لاقرانه قال فاما تثقفوني فاقتلوني فمن اثقف
فليس الى خلود من حيث اخرجوكم اي من مكة وقد فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن لم يسلم منهم يوم الفتح والفتنة
اشد من القتل اي المحنة والبلاء الذي ينزل بالانسان يتعذب به اشد عليه من القتل وقيل لبعض الحكماء ما اشد
من الموت قال الذي يتمنى فيه الموت جعل الاخراج من الوطن من الفتن والمحن التي يتمنى عندها الموت ومنه قول

القايل لقتل بحد السيف أهون موقعا على النفس من قتل بحد فراق وقيل الفتنة عذاب الآخرة ذوقوا
فتنتكم وقيل الشرك أعظم من القتل في الحرم وذلك أنهم كانوا يستعظمون القتل في الحرم ويعيبون به المسلمين
فقيل والشرك الذي هم عليه أشد وأعظم مما يستعظمونه ويجوز أن يراد وفتنتهم إياكم بصدكم عن المسجد الحرام أشد
من قتلكم إياهم في الحرم أو من قتلهم إياكم إن قتلوكم فلا تبالوا بقتالهم وقرئ ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فإن قتلوكم
جعل وقوع القتل في بعضهم كوقوعه فيهم يقال قتلنا بنو فلان وقال فإن تقتلونا نقتلكم فإن انتهوا عن الشرك
والقتال كقوله إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله
فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات
قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا
أن الله مع المتقين وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة
وأحسنوا إن الله يحب المحسنين حتى لا تكون فتنة أي شرك ويكون الدين لله خالصا ليس
للشيطان فيه نصيب فإن انتهوا عن الشرك فلا عدوان إلا على الظالمين فلا تعدوا على المنتهين لأن مقاتلة المنتهين
عدوان وظلم فوضع قوله إلا على الظالمين موضع على المنتهين أو فلا تظلموا إلا الظالمين غير المنتهين سمي جزاء الظالمين
ظلما للمشاكلة كقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه أو أريد أنكم إن تعرضتم لهم بعد الانتهاء كنتم ظالمين فيسلط
عليكم من يعدو عليكم قاتلهم المشركون عام الحديبية في الشهر الحرام فقيل لهم عند خروجهم لعمرة القضاء وكراهتهم
القتال وذلك في ذي القعدة الشهر الحرام بالشهر الحرام أي هذا الشهر بذاك الشهر وهتكه بهتكه يعني تهتكون حرمته
عليهم كما هتكوا حرمته عليكم والحرمات قصاص أي وكل حرمة يجري فيها القصاص من هتك حرمة أي حرمة كانت
اقتص منه بأن تهتك له حرمة فحين هتكوا حرمة شهركم فافعلوا بهم نحو ذلك ولا تبالوا وأكد ذلك بقوله فمن اعتدى عليكم
فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله في حال كونكم منتصرين ممن اعتدى عليكم فلا تعتدوا إلى ما لا يحل لكم
الباء في بأيديكم مزيدة مثلها في أعطى بيده للمنقاد والمعنى ولا تقبضوا التهلكة أيديكم أي لا تجعلوها آخذة بأيديكم مالكة
لكم وقيل بأيديكم بأنفسكم وقيل تقديره ولا تلقوا أنفسكم بأيديكم كما يقال أهلك فلان نفسه بيده إذا تسبب لهلاكها
والمعنى النهي عن ترك الإنفاق في سبيل الله لأنه سبب الهلاك أو عن الإسراف في النفقة حتى يفقر نفسه ويضيع
عياله أو عن الاستقتال والإخطار بالنفس أو عن ترك الغزو الذي هو تقوية للعدو وروي أن رجلا من المهاجرين
حمل على صف العدو فصاح به الناس ألقى بيده إلى التهلكة فقال أبو أيوب الأنصاري نحن أعلم بهذه الآية وإنما
أنزلت فينا صحبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنصرناه وشهدنا معه المشاهد وآثرناه على أهالينا وأموالنا
وأولادنا فلما فشا الإسلام وكثر أهله ووضعت الحرب أوزارها رجعنا إلى أهالينا وأولادنا وأموالنا نصلحها
ونقيم فيها فكانت التهلكة الإقامة في الأهل والمال وترك الجهاد وحكى أبو علي في الحلبيات عن أبي عبيدة التهلكة
والهلاك والهلك واحد قال فدل هذا من قول أبي عبيدة على أن التهلكة مصدر ومثلها ما حكاه سيبويه من قولهم التضرة
والتسرة ونحوها في الأعيان التنضبة والتتفلة ويجوز أن يقال أصلها التهلكة كالتجربة والتبصرة ونحوهما على أنها مصدر
من هلّك فأبدلت من الكسرة ضمة كما جاء الجوار في الجوار وأتموا الحج والعمرة لله فإن أحصرتم
فما استيسر من الهدي ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي محله فمن كان منكم مريضا
أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك فإذا أمنتم فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر
من الهدي فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة ذلك
لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام واتقوا الله واعلموا أن الله شديد العقاب
وأتموا الحج والعمرة لله ائتوا بهما تامين كاملين بمناسكهما وشرائطهما لوجه الله من غير توان ولا نقصان يقع منكم
فيهما قال تمام الحج أن تقف المطايا على خرقاء واضعة اللثام جعل الوقوف عليها كبعض مناسك الحج الذي لا يتم

وهو ذو القعدة صح

خرقاء اسم عشيقة ذي الرمة

الآية

الآية وقيل إتمامهما أن تحرم بهما من دويرة أهلك روي ذلك عن علي وابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم وقيل
أن تفرد لكل واحد منهما سفرا كما قال محمد حجة كوفية وعمرة كوفية أفضل وقيل أن تكون النفقة حلالا وقيل أن
تخلصوهما للعبادة ولا تشوبوهما بشيء من التجارة والأغراض الدنيوية **فإن قلت** هل فيه دليل على وجوب العمرة
قلت ما هو إلا أمر بإتمامهما ولا دليل في ذلك على كونهما واجبين أو تطوعين فقد يؤمر بإتمام الواجب
والتطوع جميعا إلا أن تقول الأمر بإتمامهما أمر بأدائهما بدليل قراءة من قرأ وأقيموا الحج والعمرة والأمر للوجوب في أصله
إلا أن يدل دليل على خلاف الوجوب كما دل في قوله فاصطادوا فانتشروا ونحو ذلك فيقال لك فقد دل الدليل على نفي
الوجوب وهو ما روي أنه قيل يا رسول الله العمرة واجبة مثل الحج قال لا ولكن أن تعتمر خير لك وعنه الحج جهاد والعمرة تطوع
فإن قلت فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال إن العمرة لقرينة الحج وعن عمر رضي الله عنه
أن رجلا قال له إني وجدت الحج والعمرة مكتوبين علي أهللت بهما جميعا فقال هديت لسنة نبيك وقد نظمت
مع الحج في الأمر بالإتمام فكانت واجبة مثل الحج **قلت** كونها قرينة للحج أن القارن يقرن بينهما وأنهما يقترنان
في الذكر فيقال حج فلان واعتمر والحجاج والعمار ولأنها الحج الأصغر ولا دليل في ذلك على كونها قرينة له في الوجوب وأما حديث
عمر رضي الله عنه فقد فسر الرجل كونهما مكتوبين عليه بقوله أهللت بهما وإذا أهل بالعمرة وجبت عليه كما إذا كبر بالتطوع من الصلوة
والدليل الذي ذكرناه أخرج العمرة من صفة الوجوب فبقي الحج وحده فيها فهما بمنزلة قولك صم شهر رمضان وستة من شوال
في أنك تأمره بفرض وتطوع وقرأ علي وابن مسعود والشعبي والعمرة لله بالرفع كأنهم قصدوا بذلك إخراجها عن
حكم الحج وهو الوجوب فإن أحصرتم يقال أحصر فلان إذا منعه أمر من خوف أو مرض أو عجز قال الله تعالى الذين أحصروا
في سبيل الله وقال ابن ميادة وما هجر ليلى أن تكون تباعدت عليك ولا أن أحصرتك شغول وحصر إذا حبسه
عدو عن المضي أو سجن ومنه قيل للمحبس الحصير وللملك الحصير لأنه محجوب هذا هو الأكثر في كلامهم وهما بمعنى المنع في كل شيء مثل
صده وأصده وكذلك قال الفراء وأبو عمرو الشيباني وعليه قول أبي حنيفة رحمه الله تعالى كل منع عنده من عدو
كان أو مرض أو غيرهما معتبر في إثبات حكم الإحصار وعند مالك والشافعي رحمهما الله تعالى منع العدو وحده وعن
النبي صلى الله عليه وسلم من كسر أو عرج فقد حل وعليه الحج من قابل فما استيسر من الهدي فما تيسر منه يقال يسر الأمر
واستيسر كما يقال صعب واستصعب والهدي جمع هدية كما يقال في جدية السرج جدي وقرئ من الهدي بالتشديد
جمع هدية كمطية ومطي يعني فإن منعتم من المضي إلى البيت وأنتم محرمون بحج أو عمرة فعليكم إذا أردتم التحلل ما استيسر
من الهدي من بعير أو بقرة أو شاة **فإن قلت** أين ومتى ينحر هدي المحصر **قلت** إن كان حاجا فبالحرم
متى شاء عند أبي حنيفة رح يبعث به ويجعل للمبعوث على يده يوم أمار وعندهما في أيام النحر وإن كان معتمرا فبالحرم
في كل وقت عندهم جميعا ما استيسر رفع بالابتداء أي فعليه ما استيسر أو نصب على فاهدوا ما استيسر ولا تحلقوا رؤوسكم
الخطاب للمحصرين أي لا تحلوا حتى تعلموا أن الهدي الذي بعثتموه إلى الحرم بلغ محله أي مكانه الذي يجب نحره فيه ومحل الدين
وقت وجوب قضائه وهو ظاهر على مذهب أبي حنيفة رحمه الله تعالى **فإن قلت** فإن النبي صلى الله عليه وسلم نحر
هديه حيث أحصر **قلت** كان محصره طرف الحديبية الذي إلى أسفل مكة وهو من الحرم وعن الزهري أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم نحر هديه في الحرم وقال الواقدي الحديبية هي طرف الحرم على تسعة أميال من مكة فمن كان منكم مريضا
فمن كان به مرض يحوجه إلى الحلق أو به أذى من رأسه وهو القمل أو الجراحة فعليه إذا احتلق فدية من صيام ثلاثة أيام أو صدقة
على ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من بر أو نسك وهو شاة وعن كعب بن عجرة أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال له لعلك آذاك هوامك قال نعم يا رسول الله قال احلق رأسك وصم ثلاثة أيام أو أطعم ستة مساكين
أو انسك شاة وكان كعب رضي الله عنه يقول فيّ نزلت هذه الآية وروي أنه مر به وقد قرح رأسه فقال كفى بهذا أذى
وأمره أن يحلق ويطعم أو يصوم والنسك مصدر وقيل جمع نسيكة وقرأ الحسن أو نسك بالتخفيف فإذا أمنتم
الإحصار يعني فإذا لم تحصروا وكنتم في حال أمن وسعة فمن تمتع أي استمتع بالعمرة إلى الحج واستمتاعه بالعمرة إلى وقت الحج

وللملك الحصير صح

الجدية بتسكين الدال المهملة شيء محشو تحت دفتي السرج

استعاعه بالتقرب بها الى الله تعالى قبل الانتفاع بتقربه بالحج وقيل اذا احل من عمرة انتفع باستباحة ما كان محرما عليه
الى ان يحرم بالحج فما استيسر من الهدى وهو هدى المتعة وهو نسك عند ابى حنيفة ويأكل منه وعند الشافعى يجرى مجرى
الجنايات ولا يأكل منه ويذبحه يوم النحر عندنا وعنده يجوز ذبحه اذا احرم بحجته فمن لم يجد الهدى فعليه صيام ثلثة ايام فى
الحج اى فى وقته وهو اشهره ما بين الاحرامين احرام العمرة واحرام الحج وهو مذهب ابى حنيفة رحمه الله تعالى والافضل
ان يصوم يوم التروية وعرفة ويوما قبلهما وان مضى هذا الوقت لم يجزه الا الدم وعند الشافعى رحمه الله تعالى لا تصام الا بعد
الاحرام بالحج تمسكا بظاهر قوله فى الحج وسبعة اذا رجعتم يعنى اذا نفرتم وفرغتم من افعال الحج عند ابى حنيفة وعنده اى الشافعى
هو الرجوع الى اهاليهم وقرا ابن ابى عبلة وسبعة بالنصب عطفا على محل ثلثة ايام كانه قيل فصيام ثلثة ايام كقوله او اطعام
فى يوم ذى مسغبة يتيما ما فائدة الفذلكة الواو قد تجى للاباحة فى نحو قولك جالس
الحسن او ابن سيرين الا ترى انه لو جالسهما جميعا او واحدا منهما كان ممتثلا ففذلكت نفيا لتوهم الاباحة وايضا
ففائدة الفذلكة فى كل حساب ان يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا ليحاط به من جهتين فيتأكد العلم وفى امثال العرب
علمان خير من علم وكذلك كاملة تأكيد آخر وفيه زيادة توصية بصيامها وان لا يتهاون بها ولا ينقص من عددها
كما تقول للرجل اذا كان لك اهتمام بامر تأمره به وكان منك بمنزل الله الله لا تقصر وقيل كاملة فى وقوعها
بدلا من الهدى وفى قراءة ابى فصيام ثلثة ايام متتابعات ذلك اشارة الى التمتع عند ابى حنيفة واصحابه لا متعة ولا
قران لحاضرى المسجد الحرام عندهم ومن تمتع منهم او قرن كان عليه دم وهو دم جناية لا يأكل منه واما القارن والمتمتع من
اهل الآفاق فدمهما دم نسك يأكلان منه وعند الشافعى اشارة الى الحكم الذى هو وجوب الهدى والصيام ولم
يوجب عليهم شيئا وحاضروا المسجد الحرام اهل المواقيت فمن دونها الى مكة عند ابى حنيفة وعنده اهل الحرم ومن كان
من الحرم على مسافة لا تقصر فيها الصلوة واتقوا الله فى المحافظة على حدوده وما امركم به ونهاكم عنه فى الحج وغيره
واعلموا ان الله شديد العقاب لمن خالفه ليكون علمكم بشدة عقابه لطفا لكم فى التقوى **الحج اشهر معلومات**

فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج وما تفعلوا من خير
يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يا اولى الالباب

اى وقت الحج اشهر كقولك البرد شهران والاشهر المعلومات شوال وذو القعدة وعشر ذى الحجة عند ابى حنيفة
وعند الشافعى تسع ذى الحجة وليلة عيد النحر وعند مالك ذو الحجة كله فان قلت ما فائدة توقيت الحج
بهذه الاشهر قلت فائدته ان شيئا من افعال الحج لا يصح الا فيها والاحرام بالحج لا ينعقد ايضا عند الشافعى
فى غيرها وعند ابى حنيفة ينعقد الا انه مكروه فان قلت فكيف كان الشهران وبعض الثالث اشهرا
قلت اسم الجمع يشترك فيه ما وراء الواحد بدليل قوله تعالى فقد صغت قلوبكما فلا سؤال فيه اذا وانما كان
يكون موضعا للسؤال لو قيل ثلثة اشهر معلومات وقيل نزل بعض الشهر منزلة كله كما يقال رأيتك سنة كذا او
على عهد فلان ولعل العهد عشرون سنة او اكثر وانما رآه فى ساعة منها فان قلت ما وجه مذهب مالك وهو
مروى عن عروة بن الزبير قلت قالوا وجهه ان العمرة غير مستحبة فيها عند عمر وابن عمر رضى الله عنهما فكانها مخلصة
للحج لا مجال فيها للعمرة وعن عمر انه كان يخفق الناس بالدرة وينهاهم عن الاعتمار فيهن وعن ابن عمر انه قال لرجل
ان اطعتنى انتظرت حتى اذا اهللت المحرم خرجت الى ذات عرق فاهللت منها بعمرة وقالوا العل من مذهب
عروة جواز تأخير طواف الزيارة الى آخر ذى الحجة معلومات معروفات عند الناس لا يشكلن عليهم وفيه ان الشرع لم يأت على
خلاف ما عرفوه وانما جاء مقررا له فمن فرض فيهن الحج فمن الزمه نفسه بالتلبية او بتقليد الهدى وسوقه عند ابى حنيفة
وعند الشافعى بالنية فلا رفث فلا جماع لانه يفسده او فلا فحش من الكلام ولا فسوق ولا خروج عن حدود الشريعة
وقيل هو السباب والتنابز بالالقاب ولا جدال ولا مراء مع الرفقاء والخدم والمكارين وانما امر باجتناب ذلك وهو
واجب الاجتناب فى كل حال لانه مع الحج اسمج كلبس الحرير فى الصلوة والتطريب فى قراءة القرآن والمراد بالنفى وجوب

ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم فاذا افضتم من عرفات

انتفائها وانها حقيقة بان لا تكون وقرئ المنفيات الثلث بالنصب وبالرفع وقرا ابو عمرو وابن كثير الاولين
بالرفع والآخر بالنصب لانهما حملا الاولين على معنى النهى كانه قيل فلا يكونن رفث ولا فسوق والثالث على معنى
الاخبار بانتفاء الجدال كانه قيل ولا شك ولا خلاف فى الحج وذلك ان قريشا كانت تخالف سائر العرب فتقف
بالمشعر الحرام وسائر العرب يقفون بعرفة وكانوا يقدمون الحج سنة ويؤخرونه سنة وهو النسئ فرد الى وقت
واحد ورد الوقوف الى عرفة فاخبر الله انه قد ارتفع الخلاف فى الحج واستدل على ان المنهى عنه هو الرفث والفسوق دون
الجدال بقوله صلى الله عليه وسلم من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج كهيئة يوم ولدته امه وانه لم يذكر الجدال وما تفعلوا
من خير يعلمه الله حث على الخير عقيب النهى عن الشر وان يستعملوا مكان القبيح من الكلام الحسن ومكان الفسوق البر
والتقوى ومكان الجدال الوفاق والاخلاق الجميلة او جعل فعل الخير عبارة عن ضبط انفسهم حتى لا يوجد منهم ما نهوا عنه
وينصره قوله وتزودوا فان خير الزاد التقوى اى اجعلوا زادكم الى الآخرة اتقاء القبائح فان خير الزاد اتقاؤها وقيل
كان اهل اليمن لا يتزودون ويقولون نحن متوكلون ونحن نحج بيت الله افلا يطعمنا فيكونون كلا على الناس فنزلت
فيهم ومعناه وتزودوا واتقوا الاستطعام وابرام الناس والتثقيل عليهم فان خير الزاد التقوى واتقون
وخافوا عقابى يا اولى الالباب يعنى ان قضية اللب تقوى الله ومن لم يتقه من الالباء فكانه لا لب له فضلا من
ربكم عطاء منه وتفضلا وهو النفع والربح بالتجارة وكان ناس من العرب يتأثمون ان يتجروا ايام الحج واذا دخل
العشر كفوا عن البيع والشرى فلم تقم لهم سوق ويسمون من يخرج بالتجارة الداج ويقولون هؤلاء الداج وليسوا
بالحاج وقيل كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقهم فى الجاهلية يتجرون فيها فى ايام الموسم وكانت معايشهم منها
فلما جاء الاسلام تأثموا فرفع عنهم الجناح فى ذلك وابيح لهم وانما يباح ما لم يشغل عن العبادة وعن ابن عمر رضى الله عنهما
ان رجلا قال له انا قوم نكرى فى هذا الوجه وان قوما يزعمون ان لا حج لنا فقال سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم عما
سألت فلم يرد عليه حتى نزل ليس عليكم جناح فدعا به فقال انتم حجاج وعن عمر رضى الله عنه انه قيل له هل كنتم تكرهون
التجارة فى الحج فقال وهل كانت معايشنا الا من التجارة فى الحج وقرا ابن عباس رضى الله عنهما فضلا من ربكم فى مواسم الحج
ان تبتغوا فى ان تبتغوا افضتم دفعتم بكثرة وهو من افاضة الماء وهو صبه بكثرة واصله افضتم انفسكم فترك ذكر المفعول
كما ترك فى دفعوا من موضع كذا وصبوا وفى حديث ابى بكر رضى الله عنه صب فى دقران وهو يحرش بعيره بمحجنه ويقال
افاضوا فى الحديث واهضبوا فيه وعرفات علم للموقف سمى بجمع كاذرعات فان قلت هلا منعت الصرف
وفيها السببان التعريف والتأنيث قلت لا يخلو التأنيث اما ان يكون بالتاء التى فى لفظها واما بتاء مقدرة
كما فى سعاد فالتى فى لفظها ليست للتأنيث وانما هى مع الالف التى قبلها علامة جمع المؤنث ولا يصح تقدير التاء فيها لان
هذه التاء لاختصاصها بجمع المؤنث مانعة من تقديرها كما لا تقدر تاء التأنيث فى بنت لان التاء التى هى بدل من الواو
لاختصاصها بالمؤنث كتاء التأنيث فابت تقديرها وقالوا سميت بذلك لانها وصفت لابراهيم عليه السلام فلما
ابصرها عرفها وقيل ان جبريل حين كان يدور به فى المشاعر اراه اياها فقال قد عرفت وقيل التقى فيها آدم
وحواء فتعارفا وقيل لان الناس يتعارفون فيها والله اعلم بحقيقة ذلك وهى من الاسماء المرتجلة لان المعرفة لا
تعرف فى اسماء الاجناس الا ان تكون جمع عارف وقيل فيه دليل على وجوب الوقوف بعرفة لان الافاضة لا تكون الا
بعده وعن النبى صلى الله عليه وسلم الحج عرفة فمن ادرك عرفة فقد ادرك الحج **فاذكروا الله عند**
المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وان كنتم من قبله لمن الضالين

فاذكروا الله بالتلبية والتهليل والتكبير والثناء والدعوات وقيل بصلوة المغرب والعشاء والمشعر الحرام قزح
وهو الجبل الذى يقف عليه الامام وعليه الميقدة وقيل المشعر الحرام ما بين جبلى المزدلفة من مأزمى عرفة الى وادى محسر
وليس المأزمان ولا وادى محسر من المشعر الحرام والصحيح انه الجبل لما روى جابر ان النبى صلى الله عليه وسلم لما صلى الفجر
يعنى بالمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى اتى المشعر الحرام فدعا وكبر وهلل ولم يزل واقفا حتى اسفر وقوله تعالى عند المشعر الحرام

معناه مما يلي المشعر الحرام قريبا منه وذلك للفضل كالقرب من جبل الرحمة والا فالمزدلفة كلها موقف الا وادي محسر او جعلت اعقاب المزدلفة لكونها في حكم المشعر ومتصلة به عند المشعر والمشعر المعلم لانه معلم للعبادة ووصف بالحرام لحرمته وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه نظر الى الناس ليلة جمع فقال لقد ادركت الناس هذه الليلة لا ينامون وقيل سميت المزدلفة وجمعا لان آدم اجتمع فيها مع حواء وازدلف اليها اي دنا منها وعن قتادة لانه يجمع فيها بين الصلوتين ويجوز ان يقال وصفت بفعل اهلها لانهم يزدلفون الى الله اي يتقربون بالوقوف فيها كما هداكم ما مصدرية او كافة والمعنى اذكروه ذكرا حسنا كما هداكم هداية حسنة او اذكروه كما علمكم كيف تذكرونه لا تعدلوا عنه وان كنتم من قبله من قبل الهدى لمن الضالين الجاهلين لا تعرفون كيف تذكرونه وتعبدونه وان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة ثم افيضوا من حيث افاض الناس واستغفروا الله ان الله غفور رحيم فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم اباءكم او اشد ذكرا فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار اولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب ثم افيضوا ثم لتكن افاضتكم من حيث افاض الناس ولا تكن من المزدلفة وذلك لما كان عليه الحمس من الترفع على الناس والتعالي عليهم وتعظمهم عن ان يساووهم في الموقف وقولهم نحن اهل الله وقطان حرمه فلا نخرج منه فيقفون بجمع وسائر الناس بعرفات فان قلت فكيف موقع ثم قلت نحو موقعها في قولك احسن الى الناس ثم لا تحسن الى غير كريم تأتي بثم لتفاوت ما بين الاحسان الى الكريم والاحسان الى غيره وبعد ما بينهما فكذلك حين امرهم بالذكر عند الافاضة من عرفات قال ثم افيضوا لتفاوت ما بين الافاضتين فان احدهما صواب والثانية خطأ وقيل ثم افيضوا من حيث افاض الناس وهم الحمس اي من المزدلفة الى منى بعد الافاضة من عرفات وقرئ من حيث افاض الناسي بكسر السين اي الناسي وهو آدم من قوله ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي يعني ان الافاضة من عرفات شرع قديم فلا تخالفوا واستغفروا الله من مخالفتكم في الموقف ونحو ذلك من جاهليتكم فاذا قضيتم مناسككم فاذا فرغتم من عباداتكم الحجية ونفرتم فاذكروا الله كذكركم آباءكم فاكثروا ذكر الله وبالغوا فيه كما تفعلون في ذكر آبائكم ومفاخرهم وايامهم وكانوا اذا قضوا مناسكهم وقفوا بين المسجد بمنى وبين الجبل فيعددون فضائل آبائهم ويذكرون محاسن ايامهم او اشد ذكرا في موضع جر عطف على ما اضيف اليه الذكر في قوله كذكركم كما تقول كذكر قريش آباءهم او قوم اشد منهم ذكرا او في موضع نصب عطف على آباءكم بمعنى او اشد ذكرا من آبائكم على ان ذكرا من فعل المذكور فمن الناس من يقول معناه اكثروا ذكر الله ودعاءه فان الناس من بين مقل لا يطلب بذكر الله الا اغراض الدنيا ومكثر يطلب خير الدارين فكونوا من المكثرين آتنا في الدنيا اجعل ايتاءنا اي اعطاءنا في الدنيا خاصة وما له في الآخرة من خلاق اي من طلب خلاق وهو النصيب او ما لهذا الداعي في الآخرة من نصيب لان همه مقصور على الدنيا والحسنتان ما هو طلبة الصالحين في الدنيا من الصحة والكفاف والتوفيق في الخير وطلبتهم في الآخرة من الثواب وعن علي رضي الله عنه الحسنة في الدنيا المرأة الصالحة وفي الآخرة الحوراء وعذاب النار امرأة السوء اولئك الداعون بالحسنتين لهم نصيب مما كسبوا اي نصيب من جنس ما كسبوا من الاعمال الحسنة وهو الثواب الذي هو المنافع الحسنة او من اجل ما كسبوا كقوله مما خطيئاتهم اغرقوا او لهم نصيب مما دعوا به نعطيهم منه ما يستوجبونه بحسب مصالحهم في الدنيا واستحقاقهم في الآخرة وسمي الدعاء كسبا لانه من الاعمال والاعمال موصوفة بالكسب بما كسبت ايديكم ويجوز ان يكون اولئك للفريقين جميعا وان لكل فريق نصيبا من جنس ما كسبوا والله سريع الحساب يوشك ان يقيم القيمة ويحاسب العباد فبادروا اكثار الذكر وطلب الآخرة او وصف نفسه بسرعة حساب الخلائق على كثرة عددهم وكثرة اعمالهم ليدل على كمال قدرته ووجوب الحذر منه روي انه يحاسب الخلائق في قدر حلب شاة وروي في مقدار فواق ناقة وروي في مقدار لمحة واذكروا الله في ايام معدودات فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه ومن تأخر فلا اثم عليه لمن اتقى واتقوا الله واعلموا انكم اليه تحشرون الايام المعدودات ايام التشريق وذكر الله فيها التكبير في ادبار الصلوات وعند الجمار وعن عمر رضي الله عنه انه كان يكبر في فسطاطه بمنى فيكبر

الاحمس المكان الصلب والاحمس ايضا الشديد الصلب في الدين وانما سميت قريش وكنانة حمسا لتشددهم في دينهم لانهم كانوا لا يستظلون ايام منى ولا يدخلون البيوت من ابوابها ولا يسلون السمن ولا يلتقطون الجلة

الفواق ما بين الحلبتين من الوقت لانها تحلب ثم تترك سويعة يرضعها الفصيل لتدر ثم تحلب يقال ما اقام عنده الا فواقا وفي الحديث العيادة قدر فواق الناقة

من

من حوله حتى يكبر الناس في الطريق وفي الطواف فمن تعجل فمن عجل في النفر واستعجل النفر وتعجل واستعجل يجيئان مطاوعين بمعنى عجل يقال تعجل في الامر واستعجل ومتعديين يقال تعجل الذهاب واستعجله والمطاوعة اوفق لقوله تعالى ومن تأخر كما هي كذلك في قوله: قد يدرك المتأني بعض حاجته * وقد يكون مع المستعجل الزلل * لاجل التأني في يومين بعد يوم النحر ويوم القر وهو الذي تسميه اهل مكة يوم الرؤوس واليوم بعده ينفر اذا فرغ من رمي الجمار كما يفعل الناس اليوم وهو مذهب الشافعي رحمه الله تعالى ويروى عن قتادة وعند ابي حنيفة واصحابه رحمهم الله تعالى ينفر قبل طلوع الفجر ومن تأخر حتى رمى في اليوم الثالث والرمي في اليوم الثالث يجوز تقديمه على الزوال عند ابي حنيفة وعند الشافعي لا يجوز فان قلت كيف قال فلا اثم عليه عند التعجل والتأخر جميعا قلت دلالة على ان التعجل والتأخر مخير فيهما كانه قيل فتعجلوا او تأخروا فان قلت أليس التأخر بافضل قلت بلى ويجوز ان يقع التخيير بين الفاضل والافضل كما خير المسافر بين الصوم والافطار وان كان الصوم افضل وقيل ان اهل الجاهلية كانوا فريقين منهم من جعل المتعجل آثما ومنهم من جعل المتأخر آثما فورد القرآن بنفي المأثم عنهما جميعا لمن اتقى اي ذلك التخيير ونفي الاثم عن المتعجل والمتأخر لاجل الحاج المتقي لئلا يتخالج في قلبه شيء منهما فيحسب ان احدهما يرهق صاحبه آثام في الاقدام عليه لان ذا التقوى حذر متحرز من كل ما يريبه ولانه هو الحاج على الحقيقة عند الله ثم قال واتقوا الله ليعبأ بكم ويجوز ان يراد ذلك الذي مر ذكره من احكام الحج وغيره لمن اتقى لانه هو المنتفع به دون من سواه كقوله ذلك خير للذين يريدون وجه الله ومن الناس من يعجبك قوله في الحيوة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو الد الخصام يعجبك قوله اي يروقك ويعظم في قلبك ومنه الشيء العجيب الذي يعظم في النفس وهو الاخنس بن شريق كان رجلا حلو المنطق اذا لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم ألان له القول وادعى انه يحبه وانه مسلم وقال يعلم الله اني صادق وقيل هو عام في المنافقين كانت تحلولي السنتهم وقلوبهم امر من الصبر فان قلت بم يتعلق قوله في الحيوة الدنيا قلت بالقول اي يعجبك ما يقوله في معنى الدنيا لان ادعاءه المحبة بالباطل يطلب به حظا من حظوظ الدنيا ولا يريد به الآخرة كما تراد بالايمان الحقيقي والمحبة الصادقة للرسول فكلامه اذن في الدنيا لا في الآخرة ويجوز ان يتعلق بيعجبك اي قوله حلو فصيح في الدنيا فهو يعجبك ولا يعجبك في الآخرة لما يرهقه في الموقف من الحبسة واللكنة او لانه لا يؤذن له في الكلام فلا يتكلم حتى يعجبك كلامه ويشهد الله على ما في قلبه اي يحلف ويقول الله شاهد على ما في قلبي من محبتك ومن الاسلام وقرئ ويشهد الله وفي مصحف ابي ويستشهد الله وهو الد الخصام وهو شديد الجدال والعداوة للمسلمين وقيل كان بينه وبين ثقيف خصومة فبيتهم ليلا واهلك مواشيهم واحرق زروعهم والخصام المخاصمة واضافة الالد بمعنى في كقولهم ثبت الغدر او جعل الخصام الدا على المبالغة وقيل الخصام جمع خصم كصعب وصعاب بمعنى وهو اشد الخصوم خصومة واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد واذا تولى عنك وذهب بعد الانة القول واحلاء المنطق سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل كما فعل بثقيف وقيل واذا تولى واذا كان واليا فعل ما يفعله ولاة السوء من الفساد في الارض باهلاك الحرث والنسل وقيل يظهر الظلم حتى يمنع الله بشؤم ظلمه القطر فيهلك الحرث والنسل وقرئ ويهلك الحرث والنسل على ان الفعل للحرث والنسل والرفع للعطف على سعى وقرأ الحسن بفتح اللام وهي لغة نحو ابى يأبى وروي عنه ويهلك على البناء للمفعول اخذته العزة بالاثم من قولك اخذته بكذا اذا حملته عليه والزمته اياه اي حملته العزة التي فيه وحمية الجاهلية على الاثم الذي ينهى عنه والزمته ارتكابه وان لا يخلي عنه ضرارا ولجاجا او على رد قول الواعظ ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤف بالعباد يا ايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين فان زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا ان الله عزيز حكيم

يشري نفسه يبيعها اي يبذلها في الجهاد وقيل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يقتل وقيل نزلت في صهيب بن سنان اراده المشركون على ترك الاسلام وقتلوا نفرا كانوا معه فقال لهم انا شيخ كبير ان كنت معكم لم انفعكم وان كنت عليكم لم اضركم فخلوني وما انا عليه وخذوا مالي فقبلوا منه ماله واتى المدينة والله رؤف بالعباد حيث كلفهم الجهاد فعرضهم لثواب الشهداء ❁ السلم بكسر السين وفتحها وقرأ الاعمش بفتح السين واللام وهو الاستسلام والطاعة اي استسلموا لله واطيعوه كافة لا يخرج منكم احد عن طاعته وقيل هو الاسلام والخطاب لاهل الكتاب لانهم آمنوا بنبيهم وكتابهم او للمنافقين لانهم آمنوا بألسنتهم ويجوز ان يكون كافة حالا من السلم لانها تؤنث كما تؤنث الحرب قال السلم تأخذ منها ما رضيت به ❁ والحرب يكفيك من انفاسها جرع ❁ على ان المؤمنين امروا بان يدخلوا في الطاعات كلها وان لا يدخلوا في طاعة دون طاعة او في شعب الاسلام وشرائعه كلها وان لا يخلوا بشيء منها ❁ وعن عبد الله بن سلام انه استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقيم على السبت وان يقرأ من التورية في صلوته بالليل وكافة من الكف كانهم كفوا ان يخرج منهم احد باجتماعهم فان زللتم عن الدخول في السلم من بعد ما جاءتكم البينات اي الحجج والشواهد على ان ما دعيتم الى الدخول فيه هو الحق فاعلموا ان الله عزيز غالب لا يعجزه الانتقام منكم حكيم لا ينتقم الا بحق ❁ وروي ان قارئا قرأ غفور رحيم فسمعه اعرابي فانكره ولم يقرأ القرآن وقال ان كان هذا كلام الله فلا يقول كذا الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل لانه اغراء عليه وقرأ ابو السمال زللتم بكسر اللام وهما لغتان كضللت وضللت ❁ **هل ينظرون الا ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الامر والى الله ترجع الامور ❁ سل بني اسرائيل كم آتيناهم من آية بينة ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فان الله شديد العقاب** ❁ اتيان الله اتيان امره وبأسه كقوله او يأتي امر ربك فجاءهم بأسنا ويجوز ان يكون المأتي به محذوفا بمعنى ان يأتيهم الله ببأسه او بنقمته للدلالة عليه بقوله فان الله عزيز في ظلل جمع ظلة وهي ما اظلك وقرئ ظلال وهي جمع ظلة كقلة وقلال او جمع ظل وقرئ والملائكة بالرفع كقوله هل ينظرون الا ان تأتيهم الملائكة وبالجر عطفا على ظلل او على الغمام **فان قلت** لم يأتيهم العذاب في الغمام **قلت** لان الغمام مظنة الرحمة فاذا نزل منه العذاب كان الامر افظع واهول لان الشر اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اغم كما ان الخير اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اسر فكيف اذا جاء الشر من حيث يحتسب الخير ولذلك كانت الصاعقة من العذاب المستفظع لمجيئها من حيث يتوقع الغيث ومن ثم اشتد على المتفكرين في كتاب الله تعالى قوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ❁ وقضي الامر واتم امر اهلاكهم وتدميرهم وفرغ منه وقرأ معاذ بن جبل رضي الله عنه وقضاء الامر على المصدر المرفوع عطفا على الملائكة وقرئ ترجع وترجع على البناء للفاعل والمفعول بالتأنيث والتذكير فيهما سل امر للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد وهذا السؤال سؤال تقريع كما تسأل الكفرة يوم القيمة كم آتيناهم من آية بينة على ايدي انبيائهم وهي معجزاتهم او من آية في الكتب شاهدة على صحة دين الاسلام ونعمة الله تعالى آياته وهي اجل نعمة من الله عز وجل لانها اسباب الهدى والنجاة من الضلالة وتبديلهم اياها ان الله تعالى اظهرها ليكونوا اسباب الهدى فجعلوها اسباب ضلالتهم كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم او حرفوا آيات الكتب الدالة على دين محمد صلى الله عليه وسلم ~~فان قلت~~ كم استفهامية او خبرية **قلت** يحتمل الامرين ومعنى الاستفهام فيها للتقرير **فان قلت** ما معنى من بعد ما جاءته **قلت** معناه من بعد ما تمكن من معرفتها او عرفها كقوله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه لانه اذا لم يتمكن من معرفتها او لم يعرفها فكانها غائبة عنه وقرئ ومن يبدل بالتخفيف ❁ **زين للذين كفروا الحيوة الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة والله يرزق من يشاء بغير حساب** ❁ المزين هو الشيطان زين لهم الدنيا وحسنها في اعينهم بوساوسه وحببها اليهم فلا يريدون غيرها ويجوز ان يكون الله تعالى قد زينها لهم بان خذلهم حتى استحسنوها واحبوها او جعل امهال المزين تزيينا ويدل عليه قراءة من قرأ زين للذين كفروا الحيوة الدنيا على البناء للفاعل ويسخرون من الذين آمنوا اي الكفرة يسخرون من

الموٴمنين

الموٴمنين الذين لا حظ لهم من الدنيا كابن مسعود وعمار وصهيب وغيرهم اي لا يريدون غيرها وهم يسخرون ممن لا حظ له فيها او ممن يطلب غيرها والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة لانهم في عليين من السماء وهم في سجين من الارض او حالهم عالية لحالهم لانهم في كرامة وهم في هوان او هم عالون عليهم متطاولون يضحكون منهم كما يتطاول هؤلاء عليهم في الدنيا ويرون الفضل لهم عليهم فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون ❁ والله يرزق من يشاء بغير حساب بغير تقدير يعني انه يوسع على من توجب الحكمة التوسعة عليه كما وسع على قارون وغيره فهذه التوسعة عليكم من جهة الله تعالى لما فيها من الحكمة وهي استدراجكم بالنعمة ولو كانت كرامة لكان اولياؤه المؤمنون احق بها منكم **فان قلت** لم قال من الذين آمنوا ثم قال والذين اتقوا **قلت** ليريك انه لا يسعد عنده الا المؤمن المتقي وليكون بعثا للمؤمنين على التقوى اذا سمعوا ذلك ❁ **كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه الا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم** ❁ كان الناس امة واحدة متفقين على دين الاسلام فبعث الله النبيين يريد فاختلفوا فبعث الله وانما حذف لدلالة قوله ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه عليه وفي قراءة عبد الله كان الناس امة واحدة فاختلفوا فبعث الله النبيين والدليل عليه قوله عز وعلا وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا وقيل كان الناس امة واحدة كفارا فبعث الله النبيين فاختلفوا عليهم والاول اوجه **فان قلت** متى كان الناس امة واحدة متفقين على الحق **قلت** عن ابن عباس انه كان بين آدم وبين نوح عشرة قرون على شريعة من الحق فاختلفوا وقيل هم نوح ومن كان معه في السفينة وانزل معهم الكتاب يريد الجنس او مع كل واحد منهم كتابه ليحكم الله او الكتاب او النبي المنزل عليه فيما اختلفوا فيه في الحق ودين الاسلام الذي اختلفوا فيه بعد الاتفاق وما اختلف فيه في الحق الا الذين اوتوه الا الذين اوتوا الكتاب المنزل لازالة الاختلاف اي ازدادوا في الاختلاف لما انزل عليهم الكتاب وجعلوا نزول الكتاب سببا في شدة الاختلاف واستحكامه بغيا بينهم حسدا بينهم وظلما لحرصهم على الدنيا وقلة انصاف منهم ومن الحق بيان لما اختلفوا فيه اي فهدى الله الذين آمنوا للحق الذي اختلف فيه من اختلف ❁ **ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله الا ان نصر الله قريب ❁ يسألونك ماذا ينفقون قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فان الله به عليم** ❁ ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها للتقرير وانكار الحسبان واستبعاده لما ذكر ما كانت عليه الامم من الاختلاف على النبيين بعد مجيء البينات تشجيعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على الثبات والصبر مع الذين اختلفوا عليه من المشركين واهل الكتاب وانكارهم لآياته وعداوتهم له قال لهم على طريقة الالتفات التي هي ابلغ ام حسبتم ولما فيها معنى التوقع وهي في النفي نظيرة قد في الاثبات والمعنى ان اتيان ذلك متوقع منتظر مثل الذين خلوا حالهم التي هي مثل في الشدة ومستهم بيان للمثل وهو استيناف كان قائلا قال كيف كان ذلك المثل فقيل مستهم البأساء وزلزلوا وازعجوا ازعاجا شديدا شبيها بالزلزلة بما اصابهم من الاهوال والافزاع حتى يقول الرسول الى الغاية التي قال الرسول ومن معه فيها متى نصر الله اي بلغ بهم الضجر ولم يبق لهم صبر حتى قالوا ذلك ومعناه طلب النصر وتمنيه واستطالة زمان الشدة وفي هذه الغاية دليل على تناهي الامر في الشدة وتماديه في العظم لان الرسل لا يقادر قدر ثباتهم واضطبارهم وضبطهم لانفسهم فاذا لم يبق لهم صبر حتى ضجوا كان ذلك الغاية في الشدة التي لا مطمح وراءها ❁ الا ان نصر الله قريب على ارادة القول يعني فقيل لهم ذلك اجابة لهم الى طلبتهم من عاجل النصر ❁ وقرئ حتى يقول بالنصب على اضمار ان ومعنى الاستقبال لان ان علم له وبالرفع على انه في معنى الحال كقولك شربت الابل حتى يجيء البعير يجر بطنه الا انها حال ماضية محكية **فان قلت**

كيف طابق الجواب السؤال في قوله قل ما انفقتم وهم قد سألوا عن بيان ما ينفقون واجيبوا ببيان المصرف **قلت**
قد تضمن قوله ما انفقتم من خير بيان ما ينفقونه وهو كل خير وبني الكلام على ما هو اهم وهو بيان المصرف لان النفقة
لا يعتد بها الا ان تقع موقعها ان الصنيعة لا تكون صنيعة حتى يصاب بها طريق المصنع وعن ابن عباس رضي
انه جاء عمرو بن الجموح وهو شيخ هم وله مال عظيم فقال ماذا ننفق من اموالنا واين نضعها فنزلت وعن السدي هي منسوخة
بفرض الزكوة وعن الحسن هي في التطوع

كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون

وهو كره لكم من الكراهة بدليل قوله وعسى ان تكرهوا شيئا ثم اما ان يكون بمعنى الكراهة على وضع المصدر موضع الوصف مبالغة
كقولها فانما هي اقبال وادبار كانه في نفسه كراهة لفرط كراهتهم له واما ان يكون فعلا بمعنى مفعول كالخبز بمعنى المخبوز
اي وهو مكروه لكم وقرأ السلمي بالفتح على ان يكون بمعنى المضموم كالضعف والضعف ويجوز ان يكون بمعنى الاكراه على
سبيل المجاز كانهم اكرهوا عليه لشدة كراهتهم له ومشقته عليهم ومنه قوله تعالى حملته امه كرها ووضعته كرها
قوله وعسى ان تكرهوا شيئا جميع ما كلفوه فان النفوس تكرهه وتنفر عنه وتحب خلافه والله يعلم ما يصلحكم وما هو خير لكم
وانتم لا تعلمون ذلك

يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج اهله منه اكبر عند الله والفتنة اكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن جحش على
سرية في جمادى الآخرة قبل قتال بدر بشهرين ليترصد عيرا لقريش فيها عمرو بن عبد الله الحضرمي وثلثة معه فقتلوه واسروا
اثنين واستاقوا العير وفيها من تجارة الطائف وكان ذلك اول يوم من رجب وهم يظنونه من جمادى الآخرة فقالت قريش
قد استحل محمد الشهر الحرام شهرا يأمن فيه الخائف ويبذعر فيه الناس الى معايشهم فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم
العير وعظم ذلك على اصحاب السرية وقالوا ما نبرح حتى تنزل توبتنا ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم العير والاسارى
وعن ابن عباس رضي الله عنهما لما نزلت اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنيمة والمعنى يسألك الكفار او المسلمون عن
القتال في الشهر الحرام وقتال فيه بدل الاشتمال من الشهر وفي قراءة عبد الله عن قتال فيه على تكرير العامل كقوله للذين استضعفوا
لمن آمن منهم وقرأ عكرمة قتل فيه قل قتل فيه كبير اي اثم كبير وعن عطاء انه سئل عن القتال في الشهر الحرام فحلف بالله
ما يحل للناس ان يغزوا في الحرم ولا في الشهر الحرام الا ان يقاتلوا فيه وما نسخت واكثر الاقاويل على انها منسوخة
بقوله تعالى واقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وصد عن سبيل الله مبتدأ وخبره اكبر يعني وكبائر قريش من صدهم عن
سبيل الله والمسجد الحرام وكفرهم بالله واخراج اهل المسجد الحرام وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون اكبر عند الله
مما فعلته السرية من القتال في الشهر الحرام على سبيل الخطأ والبناء على الظن والفتنة الاخراج او الشرك والمسجد الحرام عطف
على سبيل الله ولا يجوز ان يعطف على الهاء في به ولا يزالون يقاتلونكم اخبار عن دوام عداوة الكفار للمسلمين وانهم لا ينفكون
عنها حتى يردوهم عن دينهم وحتى معناها التعليل كقولك فلان يعبد الله حتى يدخل الجنة اي يقاتلونكم كي يردوكم وان استطاعوا
استبعاد لاستطاعتهم كقول الرجل لعدوه ان ظفرت بي فلا تبق علي وهو واثق بانه لا يظفر به ومن يرتدد منكم ومن
يرجع عن دينه الى دينهم ويطاوعهم على رده اليه فيمت على الردة فاولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة لما يفوتهم
باحداث الردة مما للمسلمين في الدنيا من ثمرات الاسلام وباستدامتها والموت عليها من ثواب الآخرة وبها احتج الشافعي
على ان الردة لا تحبط الاعمال حتى يموت عليها وعند ابي حنيفة انها تحبطها وان رجع مسلما ان الذين آمنوا والذين هاجروا
روي ان عبد الله بن جحش واصحابه حين قتلوا الحضرمي ظن قوم انهم ان سلموا من الاثم فليس لهم اجر فنزلت اولئك يرجون

رحمة الله وعن قتادة هؤلاء خيار هذه الامة ثم جعلهم الله تعالى اهل رجاء كما تسمعون وانه من رجا طلب ومن خاف
هرب

يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما اكبر من نفعهما ويسئلونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة

نزلت في الخمر اربع آيات نزلت بمكة ومن ثمرات النخيل والاعناب
تتخذون منه سكرا وكان المسلمون يشربونها وهي لهم حلال ثم ان عمر ومعاذا ونفرا من الصحابة قالوا يا رسول الله
افتنا في الخمر فانها مذهبة للعقل مسلبة للمال فنزلت فيهما اثم كبير ومنافع للناس فشربها قوم وتركها آخرون
ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ناسا منهم فشربوا وسكروا فأم بعضهم فقرأ قل يا ايها الكافرون اعبد ما تعبدون فنزلت
لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى فقل من يشربها ثم دعا عتبان بن مالك قوما فيهم سعد بن ابي وقاص فلما سكروا افتخروا
وتناشدوا حتى انشد سعد شعرا فيه هجاء الانصار فضربه انصاري بلحي بعير فشجه موضحة فشكى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال عمر رضي الله عنه اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت انما الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون فقال عمر انتهينا
يا رب وعن علي رضي الله عنه لو وقعت قطرة في بئر فبنيت مكانها منارة لم اؤذن عليها ولو وقعت في بحر ثم جف
ونبت فيه الكلأ لم ارعه وعن ابن عمر رضي الله عنهما لو ادخلت اصبعي فيه لم تتبعني وهذا هو الايمان حقا وهم الذين اتقوا الله
حق تقاته والخمر ما غلا واشتد وقذف بالزبد من عصير العنب وهو حرام وكذلك نقيع الزبيب والتمر الذي لم يطبخ فان طبخ حتى
ذهب ثلثاه ثم غلا واشتد ذهب خبثه ونصيب الشيطان وحل شربه ما دون السكر اذا لم يقصد بشربه اللهو والطرب عند ابي حنيفة
وعن بعض الصحابة لان اقول مرارا هو حلال احب الي من ان اقول مرة هو حرام ولان اخر من السماء فاتقطع قطعا احب الي من
ان اتناول منه قطرة وعند اكثر الفقهاء هو حرام كالخمر وكذلك كل ما اسكر من كل شراب وسميت خمرا لتغطيتها العقل
والتمييز كما سميت سكرا لانها تسكرهما اي تحجزهما وكانها سميت بالمصدر من خمره خمرا اذا ستره للمبالغة والميسر القمار
مصدر من يسر كالموعد والمرجع من فعلهما يقال يسرته اذا قمرته واشتقاقه من اليسر لانه اخذ مال الرجل بيسر وسهولة
من غير كد ولا تعب او من اليسار لانه سلب يساره وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان الرجل في الجاهلية يخاطر على اهله وماله
قال اقول لهم بالشعب اذ ييسرونني اي يفعلون بي ما يفعل الياسرون بالميسور **فان قلت**
كيف صفة الميسر **قلت** كانت لهم عشرة اقدح وهي الازلام والاقلام الفذ والتوأم والرقيب والحلس
والنافس والمسبل والمعلى والمنيح والسفيح والوغد لكل واحد منها نصيب معلوم من جزور ينحرونها ويجزؤنها
عشرة اجزاء وقيل ثمانية وعشرين الا الثلثة وهي المنيح والسفيح والوغد ولبعضهم لي في الدنيا سهام ليس فيهن ربيح
واساميهن وغد وسفيح ومنيح للفذ سهم وللتوأم سهمان وللرقيب ثلثة وللحلس اربعة وللنافس خمسة
وللمسبل ستة وللمعلى سبعة يجعلونها في الربابة وهي خريطة ويضعونها على يدي عدل ثم يجلجلها ويدخل يده فيخرج
باسم رجل رجل قدحا منها فمن خرج له قدح من ذوات الانصباء اخذ النصيب الموسوم به ذلك القدح ومن خرج
له قدح مما لا نصيب له لم يأخذ شيئا وغرم ثمن الجزور كله وكانوا يدفعون تلك الانصباء للفقراء ولا ياكلون منها ويفتخرون
بذلك ويذمون من لم يدخل فيه ويسمونه البرم وفي حكم الميسر انواع القمار من النرد والشطرنج وغيرهما وعن النبي
صلى الله عليه وسلم اياكم وهاتين الكعبتين المشئومتين فانهما من ميسر العجم وعن علي رضي الله عنه ان النرد والشطرنج
من الميسر وعن ابن سيرين كل شيء فيه خطر فهو من الميسر والمعنى يسئلونك عما في تعاطيهما بدليل قوله قل فيهما اثم
كبير واثمهما وعقاب الاثم في تعاطيهما اكبر من نفعهما وهو الالتذاذ بشرب الخمر والقمار والطرب فيهما والتوصل بهما الى
مصادقات الفتيان ومعاشراتهم والنيل من مطاعمهم ومشاربهم واعطياتهم وسلب الاموال بالقمار والافتخار على
الابرام وقرئ اثم كثير بالثاء وفي قراءة ابي واثمهما اقرب ومعنى الكثرة ان اصحاب الشرب والقمار يقترفون فيهما
الآثام من وجوه كثيرة العفو نقيض الجهد وهو ان ينفق ما لا يبلغ انفاقه منه الجهد واستفراغ الوسع قال خذي العفو
مني تستديمي مودتي وقيل للارض السهلة العفو وقرئ بالرفع والنصب وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا
اتاه ببيضة من ذهب اصابها في بعض المغازي فقال خذها مني صدقة فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتاه من الجانب الايمن
فقال مثله فاعرض عنه ثم اتاه من الجانب الايسر فاعرض عنه فقال هاتها مغضبا فاخذها فحذفه بها حذفا لو اصابه لشجه او عقره

ثم قال يجيء احدكم بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس انما الصدقة عن ظهر غنى ۞ في الدنيا والآخرة اما ان يتعلق
بتتفكرون فيكون المعنى لعلكم تتفكرون فيما يتعلق بالدارين فتأخذون بما هو اصلح لكم كما بينت لكم ان العفو اصلح
من الجهد في النفقة او تتفكرون في الدارين فتؤثرون ابقاهما واكثرهما منافع ويجوز ان يكون اشارة الى قوله واثمهما
اكبر من نفعهما لتتفكروا في عقاب الاثم في الآخرة والنفع في الدنيا حتى لا تختاروا النفع العاجل على النجاة من العقاب
العظيم واما ان يتعلق بيبين على معنى يبين لكم الآيات في امر الدارين وفيما يتعلق بهما لعلكم تتفكرون

**ويسئلونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير وان تخالطوهم فاخوانكم ۞ والله يعلم المفسد
من المصلح ولو شاء الله لاعنتكم ان الله عزيز حكيم ۞**

لما نزلت ان الذين يأكلون اموال
اليتامى ظلما اعتزلوا اليتامى وتحاموهم وتركوا مخالطتهم والقيام باموالهم والاهتمام بمصالحهم فشق ذلك عليهم وكاد
يوقعهم في الحرج فنزلت اصلاح لهم خير اي مداخلتهم على وجه الاصلاح لهم ولاموالهم خير من مجانبتهم وان تخالطوهم
وتعاشروهم ولم تجانبوهم فهم اخوانكم في الدين ومن حق الاخ ان يخالط اخاه وقد حملت المخالطة على المصاهرة والله
يعلم المفسد من المصلح اي لا يخفى على الله تعالى من داخلهم بافساد واصلاح فيجازيه على حسب مداخلته فاحذروه ولا تتحروا
غير الاصلاح ولو شاء الله لاعنتكم لحملكم على العنت وهو المشقة واحرجكم فلم يطلق لكم مداخلتهم وقرأ طاوس قل
اصلاح اليهم ومعناه ايصال الصلاح اليهم وقرئ لاعنتكم بطرح الهمزة والقاء حركتها على اللام وكذلك فلا اثم عليه
ان الله عزيز غالب يقدر على ان يعنت عباده ويحرجهم ولكنه حكيم لا يكلف الا ما يتسع فيه طاقتهم

**ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولامة مؤمنة خير من مشركة ولو اعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى
يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو اعجبكم اولئك يدعون الى النار ۞ والله يدعوا الى الجنة
والمغفرة باذنه ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون ۞**

ولا تنكحوا وقرئ بضم التاء اي لا تزوجوهن او ولا
تزوجوهن والمشركات الحربيات والآية ثابتة وقيل المشركات الحربيات والكتابيات جميعا لان اهل الكتاب من اهل
الشرك لقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله الى قوله سبحانه وتعالى عما يشركون وهي منسوخة
بقوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم وسورة المائدة كلها ثابتة لم ينسخ منها شيء قط وهو قول ابن عباس
والاوزاعي ۞ وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث مرثد بن ابي مرثد الغنوي الى مكة ليخرج منها اناسا من المسلمين
وكان يهوى امرأة في الجاهلية اسمها عناق فاتته وقالت الا تخلو فقال ويحك ان الاسلام حال بيننا فقالت فهل لك
ان تتزوج بي قال نعم ولكن ارجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأمره فاستأمره فنزلت ولامة مؤمنة خير
من مشركة ولو اعجبتكم ولامرأة مؤمنة حرة كانت او مملوكة وكذلك ولعبد مؤمن لان الناس كلهم عبيد الله واماؤه
ولو اعجبتكم ولو كان الحال ان المشركة تعجبكم وتحبونها فان المؤمنة خير منها مع ذلك اولئك اشارة الى المشركات
والمشركين يدعون الى النار اي يدعون الى الكفر فحقهم ان لا يوالوا ولا يصاهروا ولا يكون بينهم وبين المؤمنين الا المناصبة
والقتال والله يدعوا الى الجنة يعني اولياء الله تعالى وهم المؤمنون يدعون الى الجنة والمغفرة وما يوصل اليهما فهم الذين
يجب موالاتهم ومصاهرتهم وان يؤثروا على غيرهم باذنه بتيسير الله تعالى وتوفيقه للعمل الذي يستحق به المغفرة والجنة وقرأ
الحسن والمغفرة باذنه بالرفع اي والمغفرة حاصلة بتيسيره

**ويسئلونك عن المحيض قل هو اذى
فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فاذا تطهرن فأتوهن من حيث امركم
الله ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ۞**

المحيض مصدر يقال حاضت محيضا كقولك
جاء مجيئا وبات مبيتا قل هو اذى اي الحيض شيء يستقذر ويؤذي من يقربه نفرة منه وكراهة له فاعتزلوا النساء
فاجتنبوهن يعني فاجتنبوا مجامعتهن ۞ روي ان اهل الجاهلية كانوا اذا حاضت المرأة لم يؤاكلوها ولم يشاربوها
ولم يجالسوها على فرش ولم يساكنوها في بيت كفعل اليهود والمجوس فلما نزلت اخذ المسلمون بظاهر اعتزالهن فاخرجوهن
من بيوتهم فقال ناس من الاعراب يا رسول الله البرد شديد والثياب قليلة فان آثرناهن بالثياب هلك سائر اهل البيت
وان استأثرنا بها هلكت الحيض فقال صلى الله عليه وسلم انما امرتم ان تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ولم يأمركم باخراجهن
من البيوت كفعل الاعاجم وقيل ان النصارى كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض واليهود كانوا يعتزلونهن في كل شيء

فأمر

فأمر الله تعالى بالاقتصاد بين الامرين ۞ وبين الفقهاء خلاف في الاعتزال فابو حنيفة وابو يوسف رحمهما الله تعالى
يوجبان اعتزال ما اشتمل عليه الازار ومحمد بن الحسن رحمه الله تعالى لا يوجب الا اعتزال الفرج وروى محمد حديث عائشة رضي الله عنها
ان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما سألها هل يباشر الرجل امرأته وهي حائض فقالت تشد ازارها على سفلتها ثم ليباشرها
ان شاء ۞ وما روى زيد بن اسلم رضي الله عنه ان رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم ما يحل لي من امرأتي وهي حائض قال لتشد
عليها ازارها ثم شأنك باعلاها ثم قال محمد وهذا قول ابي حنيفة وقد جاء ما هو ارخص من هذا عن عائشة رضي الله عنها انها
قالت يجتنب شعار الدم وله ما سوى ذلك ۞ وقرئ يطهرن بالتشديد اي يتطهرن بدليل قوله فاذا تطهرن وقرأ
عبد الله يتطهرن ويطهرن بالتخفيف والتطهر الاغتسال والطهر انقطاع دم الحيض وكلتا القراءتين مما يجب العمل
فذهب ابو حنيفة الى ان له ان يقربها في اكثر الحيض بعد انقطاع الدم وان لم تغتسل وفي اقل الحيض لا يقربها حتى تغتسل
وفي اقل الحيض لا يقربها حتى تغتسل او يمضي عليها وقت صلوة وذهب الشافعي الى انه لا يقربها حتى تطهر وتتطهر فيجمع بين
الامرين وهو قول واضح ويعضده قوله فاذا تطهرن فأتوهن من حيث امركم الله من المأتي الذي امركم الله به
وحلله لكم وهو القبل ان الله يحب التوابين مما عسى يندر منهم من ارتكاب ما نهوا عنه من ذلك ويحب المتطهرين المتنزهين
عن الفواحش او ان الله يحب التوابين الذين يطهرون انفسهم بطهرة التوبة من كل ذنب ويحب المتطهرين من
جميع الاقذار كمجامعة الحائض والطاهر قبل الغسل واتيان ما ليس بمباح وغير ذلك

**نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم
انى شئتم وقدموا لانفسكم واتقوا الله واعلموا انكم ملاقوه وبشر المؤمنين ۞ ولا تجعلوا
الله عرضة لايمانكم ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس والله سميع عليم ۞**

حرث لكم مواضع حرث لكم وهذا مجاز شبههن بالمحارث تشبيها لما يلقى في ارحامهن من النطف التي منها النسل
بالبذور وقوله فأتوا حرثكم انى شئتم تمثيل اي فأتوهن كما تأتون اراضيكم التي تريدون ان تحرثوها من اي جهة
شئتم لا تحظر عليكم جهة دون جهة والمعنى جامعوهن من اي شق اردتم بعد ان يكون المأتي واحدا وهو موضع الحرث
وقوله هو اذى فاعتزلوا النساء من حيث امركم الله فأتوا حرثكم انى شئتم من الكنايات اللطيفة والتعريضات المستحسنة
وهذه واشباهها في كلام الله آداب حسنة على المؤمنين ان يتعلموها ويتأدبوا بها ويتكلفوا امثالها في محاوراتهم ومكاتباتهم
وروي ان اليهود كانوا يقولون من جامع امرأته وهي مجبية من دبرها في قبلها كان ولدها احول فذكر ذلك لرسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال كذبت اليهود ونزلت ۞ وقدموا لانفسكم ما يجب تقديمه من الاعمال الصالحة وما هو خلاف ما نهيتكم
وقيل هو طلب الولد وقيل التسمية على الوطء واتقوا الله فلا تجترئوا على المناهي واعلموا انكم ملاقوه فتزودوا ما لا تفتضحون به
وبشر المؤمنين المستوجبين للمدح والتعظيم بترك القبائح وفعل الحسنات ۞ فان قلت ما موقع قوله
نساؤكم حرث لكم مما قبله قلت موقعه موقع البيان والتوضيح لقوله فأتوهن من حيث امركم الله يعني ان المأتي
الذي امركم الله به هو مكان الحرث ترجمة وتفسيرا او ازالة للشبهة ودلالة على ان الغرض الاصيل في الاتيان هو
طلب النسل لا قضاء الشهوة فلا تأتوهن الا من المأتي الذي يتعلق به هذا الغرض ۞ فان قلت ما بال
جاء بغير واو ثلث مرات ثم مع الواو ثلثا قلت كان سؤالهم عن تلك الحوادث الاول وقع في احوال
متفرقة فلم يؤت بحرف العطف لان كل واحد من السؤالات سؤال مبتدأ وسألوا عن الحوادث الاخر في وقت واحد
فجيء بحرف الجمع لذلك كأنه قيل يجمعون لك بين السؤال عن الخمر والميسر والسؤال عن الانفاق والسؤال عن كذا وكذا
العرضة فعلة بمعنى مفعول كالقبضة والغرفة وهي اسم ما تعرضه دون الشيء من عرض العود على الاناء فيعترض
دونه ويصير حاجزا ومانعا منه تقول فلان عرضة دون الخير والعرضة ايضا المعرض للامر قال ۞ فلا تجعلوني عرضة للوائم
ومعنى الآية على الاول ان الرجل كان يحلف على بعض الخيرات من صلة رحم او اصلاح ذات بين او احسان الى احد او
عبادة ثم يقول اخاف الله ان احنث في يميني فيترك البر ارادة البر في يمينه فقيل لهم ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم اي
حاجزا لما حلفتم عليه وسمي المحلوف عليه يمينا لتلبسه باليمين كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن سمرة اذا
حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فأت الذي هو خير وكفر عن يمينك اي على شيء مما يحلف عليه وقوله ان تبروا
وتتقوا وتصلحوا عطف بيان لايمانكم اي للامور المحلوف عليها التي هي البر والتقوى والاصلاح بين الناس

فان قلت بم تعلقت اللام في لايمانكم قلت بالفعل اي ولا تجعلوا الله لايمانكم برزخا وحجازا ويجوز ان يتعلق بعرضة لما فيها من معنى الاعتراض بمعنى لا تجعلوه شيئا يعترض البر من اعترضني كذا ويجوز ان يكون اللام للتعليل ويتعلق ان تبروا بالفعل او بالعرضة اي ولا تجعلوا الله لاجل ايمانكم به عرضة لان تبروا ومعناها على الاخرى ولا تجعلوا الله معرضا لايمانكم فتبتذلوه بكثرة الحلف به ولذلك ذم من انزل فيه ولا تطع كل حلاف مهين باشنع المذام وجعل الحلاف مقدمتها وان تبروا علة للنهي اي ارادة ان تبروا وتتقوا وتصلحوا لان الحلاف مجترئ على الله تعالى غير معظم له فلا يكون برا متقيا ولا يثق به الناس فلا يدخلونه في وساطاتهم واصلاح ذات بينهم لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والله غفور حليم اللغو الساقط الذي لا يعتد به من كلام وغيره ولذلك قيل لما لا يعتد به في الدية من اولاد الابل لغو واللغو من اليمين الساقط الذي لا يعتد به في الايمان وهو الذي لا عقد معه والدليل عليه ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان بما كسبت قلوبكم واختلف الفقهاء فيه فعند ابي حنيفة واصحابه رحمهم الله تعالى هو ان يحلف على الشيء يظنه على ما حلف عليه ثم يظهر خلافه وعند الشافعي رحمه الله تعالى هو قول العرب لا والله وبلى والله مما يؤكدون به كلامهم ولا يخطر ببالهم الحلف ولو قيل لواحد منهم سمعتك اليوم تحلف في المسجد الحرام لانكر ذلك ولعله قال لا والله الف مرة وفيه معنيان احدهما لا يؤاخذكم اي لا يعاقبكم بلغو اليمين الذي يحلفه احدكم بالظن ولكن يعاقبكم بما كسبت قلوبكم اي اقترفته من اثم القصد الى الكذب في اليمين وهو ان يحلف على ما يعلم انه خلاف ما يقوله وهي اليمين الغموس والثاني لا يؤاخذكم اي لا يلزمكم الكفارة بلغو اليمين الذي لا قصد معه ولكن يلزمكم الكفارة بما كسبت قلوبكم اي بما نوت قلوبكم وقصدت من الايمان ولم يكن كسب اللسان وحده والله غفور حليم حيث لم يؤاخذكم باللغو في ايمانكم للذين يؤلون من نسائهم تربص اربعة اشهر فان فاؤا فان الله غفور رحيم وان عزموا الطلاق فان الله سميع عليم قرا عبد الله آلوا من نسائهم وقرا ابن عباس رضي الله عنهما يقسمون من نسائهم فان قلت كيف عدي بمن وهو معدى بعلى قلت قد ضمن في هذا القسم المخصوص معنى البعد فكانه قيل يبعدون من نسائهم مولين او مقسمين ويجوز ان يراد لهم من نسائهم تربص اربعة اشهر كقولك لي منك كذا والايلاء من المراة ان يقول والله لا اقربك اربعة اشهر فصاعدا على التقييد بالاشهر او لا اقربك على الاطلاق ولا يكون فيما دون اربعة اشهر الا ما يحكى عن ابرهيم النخعي وحكم ذلك انه اذا فاء اليها في المدة بالوطي ان امكنه او بالقول ان عجز صح الفيء وحنث القادر ولزمته كفارة اليمين ولا كفارة على العاجز وان مضت الاربعة الاشهر بانت بتطليقة عند ابي حنيفة رحمه الله تعالى وعند الشافعي رحمه الله تعالى لا يصح الايلاء الا في اكثر من اربعة اشهر ثم يوقف المولي فاما ان يفيء واما ان يطلق وان ابى طلق عليه الحاكم ومعنى قوله فان فاؤا فان فاؤا في الاشهر بدليل قراءة عبد الله فان فاؤا فيهن فان الله غفور رحيم يغفر للمولين ما عسى يقدمون عليه من طلب ضرار النساء بالايلاء وهو الغالب وان كان يجوز ان يكون على رضى منهن اشفاقا منهن على الولد من الغيل او لبعض الاسباب لاجل الفيئة التي هي مثل التوبة وان عزموا الطلاق فتربصوا الى مضي المدة فان الله سميع عليم وعيد على اصرارهم وتركهم الفيئة وعلى قول الشافعي معناه فان فاؤا وان عزموا بعد مضي المدة فان قلت كيف موقع الفاء اذا كانت الفيئة قبل انتهاء مدة التربص قلت موقع صحيح لان قوله فان فاؤا وان عزموا تفصيل لقوله للذين يؤلون من نسائهم والتفصيل يعقب المفصل كما تقول انا نزيلكم هذا الشهر فان احمدتكم اقمت عندكم الى آخره والا لم اقم الا ريثما اتحول فان قلت ما تقول في قوله فان الله سميع عليم وعزمهم الطلاق مما يعلم ولا يسمع قلت الغالب ان العازم للطلاق وترك الفيئة والضرار لا يخلو من مقاولة ودمدمة ولا بد له من ان يحدث نفسه ويناجيها بذلك وذلك حديث لا يسمعه الا الله عز وجل كما يسمع وسوسة الشيطان والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلثة قروء ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر وبعولتهن احق بردهن في ذلك ان ارادوا اصلاحا ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم والمطلقات اراد المدخول بهن من ذوات الاقراء فان قلت كيف جازت ارادتهن خاصة واللفظ يقتضي العموم قلت بل اللفظ مطلق في تناول الجنس صالح لكله

وبعضه

وبعضه فجاء في احد ما يصلح له كالاسم المشترك فان قلت فما معنى الاخبار عنهن بالتربص قلت هو خبر في معنى الامر واصل الكلام وليتربص المطلقات واخراج الامر في صورة الخبر تاكيد للامر واشعار بانه مما يجب ان يتلقى بالمسارعة الى امتثاله فكانهن امتثلن الامر بالتربص فهو يخبر عنه موجودا ونحوه قولهم في الدعاء رحمك الله اخرج في صورة الخبر ثقة بالاستجابة فكانما وجدت الرحمة فهو يخبر عنها وبناؤه على المبتدا مما زاده ايضا فضل تاكيد ولو قيل وتتربص المطلقات لم تكن بتلك الوكادة فان قلت هلا قيل تربصن ثلثة قروء كما قيل تربص اربعة اشهر وما معنى ذكر الانفس قلت في ذكر الانفس تهييج لهن على التربص وزيادة بعث لان فيه ما يستنكفن منه فيحملهن على ان يتربصن وذلك ان انفس النساء طوامح الى الرجال فامرن ان يقمعن انفسهن ويغلبنها على الطموح ويجبرنها على التربص والقروء جمع قرء او قرء وهو الحيض بدليل قوله صلى الله عليه وسلم دعي الصلوة ايام اقرائك وقوله طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان ولم يقل طهران وقوله تعالى واللائي يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلثة اشهر فاقام الاشهر مقام الحيض دون الاطهار ولان الغرض الاصيل في العدة استبراء الرحم والحيض هو الذي تستبرأ به الارحام دون الطهر ولذلك كان الاستبراء من الامة بالحيضة ويقال اقرأت المراة اذا حاضت وامراة مقرئ وقال ابو عمرو بن العلاء دفع فلان جاريته الى فلانة تقرئها اي تمسكها عندها حتى تحيض للاستبراء فان قلت فما تقول في قوله تعالى فطلقوهن لعدتهن والطلاق المشروع انما هو في الطهر قلت معناه مستقبلات لعدتهن كما تقول لقيته لثلاث بقين من الشهر تريد مستقبلا لثلاث وعدتهن الحيض الثلاث فان قلت فما تقول في قول الاعشى لما ضاع فيها من قروء نسائكا قلت اراد لما ضاع فيها من عدة نسائك لشهرة القرء عندهم في الاعتداد به اي من مدة طويلة كالمدة التي تعتد فيها النساء استطال مدة غيبته عن اهله كل عام لاقتحامه في الحروب والغارات وانه يمر على نسائه مدة العدة ضائعة لا يضاجعهن فيها او اراد من اوقات نسائك فان القرء والقارئ جاءا في معنى الوقت ولم يرد لا حيضا ولا طهرا فان قلت فعلام انتصب ثلثة قروء قلت على انه مفعول به كقولك المحتكر يتربص الغلاء اي يتربصن مضي ثلثة قروء او على انه ظرف اي يتربصن مدة ثلثة قروء فان قلت لم جاء المميز على جمع الكثرة دون القلة التي هي الاقراء قلت يتسعون في ذلك فيستعملون كل واحد من الجمعين مكان الآخر لاشتراكهما في الجمعية الا ترى الى قوله بانفسهن وما هي الا نفوس كثيرة ولعل القروء كانت اكثر استعمالا في جمع قرء من الاقراء فاوثر عليه تنزيلا للقليل الاستعمال منزلة المهمل فيكون مثل قولهم ثلثة شسوع وقرا الزهري ثلثة قرو بغير همز ما خلق الله في ارحامهن من الولد او من دم الحيض وذلك اذا ارادت المراة فراق زوجها فكتمت حملها لئلا ينتظر بطلاقها ان تضع ولئلا يشفق على الولد فيترك تسريحها او كتمت حيضها وقالت وهي حائض قد طهرت استعجالا للطلاق ويجوز ان يراد اللاتي يبغين اسقاط ما في بطونهن من الاجنة فلا يعترفن به ويجحدنه لذلك فجعل كتمان ما في ارحامهن كناية عن اسقاطه ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر تعظيم لفعلهن وان من آمن بالله وبعقابه لا يجترئ على مثله من العظائم والبعول جمع بعل والتاء لاحقة لتانيث الجمع كما في الحزونة والسهولة ويجوز ان يراد بالبعولة المصدر من قولك بعل حسن البعولة يعني واهل بعولتهن احق بردهن وفي قراءة ابي بردتهن في ذلك في مدة ذلك التربص فان قلت كيف جعلوا احق بالرجعة كان للنساء حقا فيها قلت المعنى ان الرجل اذا اراد الرجعة وابتها المراة وجب ايثار قوله على قولها وان كان لها حق في الرجعة ان ارادوا بالرجعة اصلاحا لما بينهم وبينهن واحسانا اليهن ولم يريدوا مضارتهن ولهن مثل الذي عليهن ويجب لهن من الحق على الرجال مثل الذي يجب لهم عليهن بالمعروف بالوجه الذي لا ينكر في الشرع وعادات الناس فلا يكلفنهم ما ليس لهن ولا يكلفونهن ما ليس لهم ولا يعنف احد الزوجين صاحبه والمراد بالمماثلة مماثلة الواجب الواجب في كونه حسنة لا في جنس الفعل فلا يجب عليه اذا غسلت ثيابه او خبزت له ان يفعل نحو ذلك ولكن يقابله بما يليق بالرجال درجة زيادة في الحق وفضيلة قيل المراة تنال من اللذة مثل ما ينال الرجل وله الفضيلة بقيامه عليها وانفاقه في مصالحها الطلاق مرتان فامساك بمعروف او تسريح باحسان ولا يحل لكم ان تاخذوا مما آتيتموهن شيئا الا ان يخافا الا يقيما حدود الله فان خفتم الا يقيما حدود الله فلا

جناح عليهما فيما افتدت به تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله
فاولئك هم الظالمون ◦ الطلاق بمعنى التطليق كالسلام بمعنى التسليم اى التطليق الشرعى تطليقة بعد
تطليقة على التفريق دون الجمع والارسال دفعة واحدة ولم يرد بالمرتين التثنية ولكن التكرير كقوله تعالى ثم ارجع
البصر كرتين اى كرة بعد كرة لا كرتين اثنتين ونحو ذلك من التثانى التى يراد بها التكرير قولهم لبيك وسعديك وحنانيك
وهذاذيك ودواليك وقوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان تخيير لهم بعد ان علمهم كيف يطلقون بين ان
يمسكوا النساء بحسن العشرة والقيام بمواجبهن وبين ان يسرحوهن السراح الجميل الذى علمهم وقيل معناه الطلاق
الرجعى مرتان لانه لا رجعة بعد الثلث فامساك بمعروف اى برجعة او تسريح باحسان اى بان لا يراجعها حتى تبين بالعدة
او بان لا يراجعها مراجعة يريد بها تطويل العدة عليها وضرارها وقيل بان يطلقها الثالثة فى الطهر الثالث ◦
وروى ان سائلا سال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اين الثالثة فقال صلى الله عليه وسلم او تسريح باحسان وعند
ابى حنيفة واصحابه رحمهم الله تعالى الجمع بين الطلقتين والثلاث بدعة والسنة ان لا يوقع عليها الا واحدة فى طهر لم يجامعها
فيه لما روى فى حديث ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له انما السنة ان تستقبل الطهر استقبالا
فتطلقها لكل قرء تطليقة وعند الشافعى رحمه الله تعالى لا باس بارسال الثلاث لحديث العجلانى الذى لاعن امراته فطلقها
ثلاثا بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينكر عليه روى ان جميلة بنت عبد الله بن ابى كانت تحت ثابت بن قيس بن شماس
وكانت تبغضه وهو يحبها فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله لا انا ولا ثابت لا يجمع راسى وراسه شىء
والله ما اعيب عليه فى دين ولا خلق ولكنى اكره الكفر فى الاسلام ما اطيقه بغضا انى رفعت جانب الخباء فرايته اقبل
فى عدة فاذا هو اشدهم سوادا واقصرهم قامة واقبحهم وجها فنزلت وكان قد اصدقها حديقة فاختلعت منه بها وهو
اول خلع وقع فى الاسلام فان قلت لمن الخطاب فى قوله ولا يحل لكم ان تاخذوا ان قلت للازواج لم يطابقه
قوله فان خفتم الا يقيما حدود الله وان قلت للائمة والحكام فهؤلاء ليسوا باخذين منهن ولا بموتيهن قلت
يجوز الامران جميعا ان يكون اول الخطاب للازواج وآخره للائمة والحكام ونحو ذلك غير عزيز فى القرآن وغيره وان يكون
الخطاب كله للائمة والحكام لانهم الذين يامرون بالاخذ والايتاء عند الترافع اليهم فكانهم الآخذون والمؤتون
مما آتيتموهن مما اعطيتموهن من الصدقات الا ان يخافا الا يقيما حدود الله الا ان يخاف الزوجان ترك اقامة
حدود الله فيما يلزمهما من مواجب الزوجية لما يحدث من نشوز المراة وسوء خلقها فلا جناح عليهما فلا جناح على الرجل
فيما اخذ ولا عليها فيما اعطت فيما افتدت به فيما فدت به نفسها واختلعت به من بذل ما اوتيت من المهر والخلع
بالزيادة على المهر مكروه وهو جائز فى الحكم ◦ وروى ان امراة نشزت على زوجها فرفعت الى عمر رضى الله عنه فاباتها
فى بيت الزبل ثلث ليال ثم دعاها فقال كيف وجدت مبيتك فقالت ما بت منذ كنت عنده اقر لعينى منهن فقال لزوجها
اخلعها ولو بقرطها قال قتادة يعنى بمالها كله هذا اذا كان النشوز منها فان كان منه كره له ان ياخذ منها شيئا
وقرئ الا ان يخافا على البناء للمفعول وابدال ان لا يقيما من الف الضمير وهو من بدل الاشتمال كقولك خيف زيد
تركه اقامة حدود الله ونحوه واسروا النجوى الذين ظلموا وتعضده قراءة عبد الله الا ان تخافوا وفى قراءة ابى
الا ان يظنا ويجوز ان يكون الخوف بمعنى الظن يقولون اخاف ان يكون كذا وافرق ان يكون يريدون اظن ◦
فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره فان طلقها فلا جناح عليهما ان يتراجعا
ان ظنا ان يقيما حدود الله وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون ◦ فان طلقها الطلاق
المذكور الموصوف بالتكرار فى قوله الطلاق مرتان واستوفى نصابه او فان طلقها مرة ثالثة بعد المرتين فلا تحل له من بعد
التطليق حتى تنكح زوجا غيره والنكاح يسند الى المراة كما يسند الى الرجل كالتزوج ومنه قولهم فلانة ناكح فى بنى فلان وقد تعلق
من اقتصر على العقد فى التحليل بظاهره وهو سعيد بن المسيب والذى عليه الجمهور انه لا بد من الاصابة لما روى عروة عن
عائشة رضى الله عنها ان امراة رفاعة جاءت الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالت ان رفاعة طلقنى فبت طلاقى وان عبد الرحمن
بن الزبير تزوجنى وانما معه مثل هدبة الثوب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتريدين ان ترجعى الى رفاعة قالت نعم فقال
صلى الله عليه وسلم لا حتى تذوقى عسيلته ويذوق عسيلتك ◦ وروى انها لبثت ما شاء الله تعالى ثم رجعت فقالت انه قد كان

مسنى

مسنى فقال لها كذبت فى قولك الاول فلن اصدقك فى الآخر فلبثت حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتت ابا بكر رضى الله عنه
فقالت ارجع الى زوجى الاول فقال قد عهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال لك ما قال فلا ترجعى اليه فلما قبض ابو بكر رضى الله عنه
قالت لعمر رضى الله عنه مثله فقال ان اتيتنى بعد مرتك هذه لارجمنك فمنعها فان قلت فما تقول فى النكاح
المعقود بشرط التحليل قلت ذهب سفيان والاوزاعى وابو عبيد ومالك وغيرهم الى انه غير جائز وهو جائز عند
ابى حنيفة رح مع الكراهة وعنه انهما ان اضمرا التحليل ولم يصرحا به فلا كراهة ◦ وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه لعن المحلل
والمحلل له ◦ وعن عمر رضى الله عنه لا اوتى بمحلل ولا محلل له الا رجمتهما ◦ وعن عثمان رضى الله عنه لا الا نكاح رغبة غير دلسة
فان طلقها الزوج الثانى ان يتراجعا ان يرجع كل واحد منهما الى صاحبه بالزواج ان ظنا ان كان فى ظنهما انهما
يقيمان حقوق الزوجية ولم يقل ان علما انهما يقيمان لان اليقين مغيب عنهما لا يعلمه الا الله ومن فسر الظن ههنا
بالعلم فقد وهم من طريق اللفظ والمعنى لانك لا تقول علمت ان يقوم زيد ولكن علمت انه يقوم ولان الانسان لا يعلم
ما فى الغد وانما يظن ظنا ◦ واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف او
سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ولا
تتخذوا آيات الله هزوا واذكروا نعمة الله عليكم وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة
يعظكم به واتقوا الله واعلموا ان الله بكل شىء عليم ◦ فبلغن اجلهن اى آخر عدتهن
وشارفن منتهاها والاجل يقع على المدة كلها وعلى آخرها يقال لعمر الانسان اجل وللموت الذى ينتهى به اجل وكذلك
الغاية والامد يقول النحويون من لابتداء الغاية والى لانتهاء الغاية وقال اذا انتهى امده ◦ ويتسع فى البلوغ ايضا فيقال
بلغ البلد اذا شارفه وداناه ويقال قد وصلت ولم يصل وانما شارف ولانه قد علم ان الامساك بعد تقضى الاجل
لا وجه له لانها بعد تقضيه غير زوجة له وفى غير عدة منه فلا سبيل له عليها فامسكوهن بمعروف فاما ان يراجعها من
غير طلب ضرار بالمراجعة او سرحوهن بمعروف واما ان يخليها حتى تنقضى عدتها وتبين من غير ضرار ولا تمسكوهن
ضرارا كان الرجل يطلق المراة ويتركها حتى يقرب انقضاء عدتها ثم يراجعها لا عن حاجة ولكن ليطول العدة عليها
فهو الامساك ضرارا لتعتدوا لتظلموهن وقيل لتلجئوهن الى الافتداء فقد ظلم نفسه بتعريضها لعقاب الله تعالى
ولا تتخذوا آيات الله هزوا اى جدوا فى الاخذ بها والعمل بما فيها وارعوها حق رعايتها والا فقد اتخذتموها هزوا ولعبا
ويقال لمن لم يجد فى الامر انما انت لاعب وهازئ ويقال كن يهوديا والا فلا تلعب بالتوراة ◦ وقيل كان الرجل يطلق
ويعتق ويتزوج ويقول كنت لاعبا ◦ وعن النبى صلى الله عليه وسلم ثلث جدهن جد وهزلهن جد الطلاق والنكاح
والرجعة واذكروا نعمة الله عليكم بالاسلام وبنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة من القرآن
والسنة وذكرها مقابلتها بالشكر والقيام بحقها يعظكم به بما انزل عليكم ◦ واذا طلقتم النساء فبلغن
اجلهن فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن اذا تراضوا بينهم بالمعروف ذلك
يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ذلك ازكى لكم واطهر
والله يعلم وانتم لا تعلمون ◦ فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن اما ان يخاطب به الازواج الذين يعضلون نساءهم
بعد انقضاء العدة ظلما وقسرا ولحمية الجاهلية لا يتركونهن يتزوجن من شئن من الازواج والمعنى ان ينكحن ازواجهن
الذين يرغبن فيهم ويصلحون لهن واما ان يخاطب به الاولياء فى عضلهن ان يرجعن الى ازواجهن ◦ روى انها
نزلت فى معقل بن يسار حين عضل اخته ان ترجع الى الزوج الاول وقيل فى جابر بن عبد الله حين عضل بنت عم له والوجه
ان يكون خطابا للناس اى لا يوجد فيما بينكم عضل لانه اذا وجد بينهم وهم راضون كانوا فى حكم العاضلين والعضل الحبس
والتضييق ومنه عضلت الدجاجة اذا نشب بيضها فلم يخرج وانشد لابن هرمة ◦ وان قصائدى لك فاصطنعنى
عقائل قد عضلن عن النكاح ◦ وبلوغ الاجل على الحقيقة وعن الشافعى رحمه الله تعالى دل سياق الكلامين على افتراق
البلوغين اذا تراضوا اذا تراضى الخطاب والنساء بالمعروف بما يحسن فى الدين والمروءة من الشرائط وقيل بمهر المثل

ومن مذهب أبي حنيفة رحمه الله تعالى أنها إذا زوجت نفسها بأقل من مهر مثلها فللأولياء أن يعترضوا **فإن قلت**
لمن الخطاب في قوله ذلك يوعظ به **قلت** يجوز أن يكون لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولكل أحد
ذلكم خير لكم وأطهر أزكى لكم وأطهر من أدناس الآثام وقيل أزكى وأطهر أفضل وأطيب والله يعلم ما في ذلك
من الزكاء والطهر وأنتم لا تعلمونه أو والله يعلم ما تستصلحون به من الأحكام والشرائع وأنتم تجهلونه

**والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وعلى المولود له
رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا تكلف نفس إلا وسعها لا تضار والدة بولدها
ولا مولود له بولده وعلى الوارث مثل ذلك فإن أرادا فصالا عن تراض منهما وتشاور
فلا جناح عليهما وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم إذا سلمتم ما آتيتم
بالمعروف واتقوا الله واعلموا أن الله بما تعملون بصير**

يرضعن مثل يتربصن في أنه خبر في معنى الأمر المؤكد كاملين توكيد كقوله تلك عشرة كاملة لأنه مما يتسامح فيه فتقول أقمت عند فلان حولين ولم تستكملهما
وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما أن يكمل الرضاعة وقرئ الرضاعة بكسر الراء والرضعة وأن تتم الرضاعة وأن يتم
الرضاعة برفع الفعل تشبيها لأن بما لتآخيهما في التأويل **فإن قلت** كيف اتصل قوله لمن أراد بما قبله
قلت هو بيان لمن توجه إليه الحكم كقوله هيت لك لك بيان للمهيت به أي هذا الحكم لمن أراد إتمام الرضاع
وعن قتادة حولين كاملين ثم أنزل الله تعالى اليسر والتخفيف فقال لمن أراد أن يتم الرضاعة أراد أنه يجوز النقصان
وعن الحسن ليس ذلك بوقت لا ينقص منه بعد أن لا يكون في الفطام ضرر وقيل اللام متعلقة بيرضعن كما تقول
أرضعت فلانة لفلان ولده أي يرضعن حولين لمن أراد أن يتم الرضاعة من الآباء لأن الأب يجب عليه إرضاع الولد دون
الأم وعليه أن يتخذ له ظئرا إلا إذا تطوعت الأم بإرضاعه وهي مندوبة إلى ذلك ولا تجبر عليه ولا يجوز استئجار الأم عند
أبي حنيفة رحمه الله تعالى ما دامت زوجة أو معتدة من نكاح وعند الشافعي رحمه الله تعالى يجوز فإذا انقضت عدتها جاز
بالاتفاق **فإن قلت** فما بال الوالدات مأمورات بأن يرضعن أولادهن **قلت** إما أن يكون أمرا
على وجه الندب وإما على وجه الوجوب إذا لم يقبل الصبي إلا ثدي أمه أو لم يوجد له ظئر أو كان الأب عاجزا عن الاستئجار
وقيل أراد الوالدات المطلقات وإيجاب النفقة والكسوة لأجل الرضاع وعلى المولود له وعلى الذي يولد له وهو الوالد
وله في محل الرفع على الفاعلية نحو عليهم في غير المغضوب عليهم **فإن قلت** لم قيل المولود له دون الوالد **قلت**
ليعلم أن الوالدات إنما ولدن لهم لأن الأولاد للآباء ولذلك ينسبون إليهم لا إلى الأمهات وأنشد للمأمون بن الرشيد
وإنما أمهات الناس أوعية ... مستودعات وللأبناء آباء
فكان عليهم أن يرزقوهن ويكسوهن إذا أرضعن
ولدهم كالأظآر ألا ترى أنه ذكره باسم الوالد حيث لم يكن هذا المعنى وهو قوله واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود
هو جاز عن والده شيئا بالمعروف تفسيره ما يعقبه وهو أن لا يكلف واحد منهما ما ليس في وسعه ولا يتضارا وقرئ لا تكلف
بفتح التاء ولا نكلف بالنون وقرئ لا تضار برفع الراء والتاء على الإخبار وهو يحتمل البناء للفاعل والمفعول وأن يكون
الأصل تضارر بكسر الراء وتضارر بفتحها وقرأ لا تضار بالفتح أكثر القراء وقرأ الحسن بالكسر على النهي وهو محتمل للبنائين
ويبين ذلك أنه قرئ لا تضارر ولا تضارر بالجزم وفتح الراء الأولى وكسرها وقرأ أبو جعفر لا تضار بالسكون
مع التشديد على نية الوقف وعن الأعرج لا تضار بالسكون والتخفيف وهو من ضاره يضيره ونوى الوقف كما نواه
أبو عمرو في اختلاس الضمة فظنه الراوي سكونا وعن كاتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا تضرر والمعنى لا تضار والدة
زوجها بسبب ولدها وهو أن تعنف به وتطلب منه ما ليس بعدل من الرزق والكسوة وأن تشغل قلبه بالتفريط في شأن
الولد وأن تقول بعد ما ألفها الصبي اطلب له ظئرا وما أشبه ذلك ولا يضار مولود له امرأته بسبب ولده بأن يمنعها
شيئا مما وجب عليه من رزقها وكسوتها ولا يأخذه منها وهي تريد إرضاعه ولا يكرهها على الإرضاع وكذلك إذا كان
مبنيا للمفعول فهو نهي عن أن يلحق بها الضرار من قبل الزوج وعن أن يلحق الضرار بالزوج من قبلها بسبب الولد ويجوز أن

هيت به وهوت به أي صاح به ودعاه

يكون

يكون تضار بمعنى تضر وأن يكون الباء من صلته أي لا تضر والدة بولدها فلا تسيء غذاءه وتعهده ولا تفرط فيما
ينبغي له ولا تدفعه إلى الأب بعد ما ألفها ولا يضر الوالد به بأن ينتزعه من يدها أو يقصر في حقها فتقصر هي في حق الولد
فإن قلت كيف قيل بولدها وبولده **قلت** لما نهيت المرأة عن المضارة أضيف إليها الولد استعطافا
لها عليه وأنه ليس بأجنبي منها فمن حقها أن تشفق عليه وكذلك الوالد وعلى الوارث عطف على قوله وعلى المولود له رزقهن
وكسوتهن وما بينهما تفسير للمعروف معترض بين المعطوف والمعطوف عليه فكان المعنى وعلى وارث المولود له مثل ما وجب
عليه من الرزق والكسوة أي إن مات المولود له لزم من يرثه أن يقوم مقامه في أن يرزقها ويكسوها بالشريطة التي ذكرت
من المعروف وتجنب الضرار وقيل هو وارث الصبي الذي لو مات الصبي ورثه واختلفوا فعند ابن أبي ليلى كل من ورثه
وعند أبي حنيفة رح من كان ذا رحم محرم منه وعند الشافعي رح لا نفقة فيما عدا الولاد وقيل من ورثه من عصبته مثل
الجد والأخ وابن الأخ والعم وابن العم وقيل المراد وارث الأب وهو الصبي نفسه وأنه إن مات أبوه وورثه وجبت عليه أجرة
رضاعه في ماله إن كان له مال فإن لم يكن له مال أجبرت الأم على إرضاعه وقيل على الوارث على الباقي من الأبوين من قوله
واجعله الوارث منا فإن أرادا فصالا صادرا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما في ذلك زادا على الحولين
أو نقصا وهذه توسعة بعد التحديد وقيل هو في غاية الحولين لا يتجاوز وإنما اعتبر تراضيهما في الفصال وتشاورهما أما
الأب فلا كلام فيه وأما الأم فلأنها أحق بالتربية وهي أعلم بحال الصبي وقرئ فإن أرادا استرضع منقول من أرضع يقال أرضعت
المرأة الصبي واسترضعها الصبي فتعديه إلى مفعولين كما تقول أنجح الحاجة واستنجحته الحاجة والمعنى أن تسترضعوا المراضع
أولادكم فحذف أحد المفعولين للاستغناء عنه كما تقول استنجحت الحاجة ولا تذكر من استنجحته وكذلك حكم كل مفعولين لم يكن
أحدهما عبارة عن الأول إذا سلمتم إلى المراضع ما آتيتم ما أردتم إيتاءه كقوله تعالى إذا قمتم إلى الصلوة وقرئ ما أتيتم
من أتى إليه إحسانا إذا فعله ومنه قوله تعالى إنه كان وعده مأتيا أي مفعولا وروى شيبان عن عاصم ما أوتيتم
أي ما آتاكم الله وأقدركم عليه من الأجرة ونحوه وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه وليس التسليم بشرط للجواز والصحة وإنما
هو ندب إلى الأولى ويجوز أن يكون بعثا على أن يكون الشيء الذي تعطاه المرضع من أهنأ ما يكون لتكون طيبة النفس راضية
فيعود ذلك إصلاحا لشأن الصبي واحتياطا في أمره فأمروا بإيتائه ناجزا يدا بيد كأنه قيل إذا أديتم إليهن يدا بيد
ما أعطيتموهن بالمعروف متعلق بسلمتم أمروا أن يكونوا عند تسليم الأجرة مستبشري الوجوه ناطقين بالقول
الجميل مطيبين لأنفس المراضع بما أمكن حتى يؤمن تفريطهن بقطع معاذيرهن

**والذين يتوفون منكم
ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا فإذا بلغن أجلهن فلا
جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف والله بما تعملون خبير**

والذين يتوفون منكم على تقدير حذف المضاف أراد وأزواج الذين يتوفون منكم يتربصن وقيل معناه يتربصن بعدهم كقولهم السمن
منوان بدرهم وقرئ يتوفون بفتح الياء أي يستوفون آجالهم وهي قراءة علي والذي يحكى أن أبا الأسود الدؤلي كان
يمشي خلف جنازة فقال له رجل من المتوفي بكسر الفاء فقال الله تعالى وكان أحد الأسباب الباعثة لعلي رضي الله عنه
على أن أمره بأن يضع كتابا في النحو تناقضه هذه القراءة يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا يعتددن بهذه المدة
وهي أربعة أشهر وعشرة أيام وقيل عشرا ذهابا إلى الليالي والأيام داخلة معها ولا تراهم قط يستعملون التذكير فيه
ذاهبين إلى الأيام تقول صمت عشرا ولو ذكرت خرجت من كلامهم ومن البين فيه قوله تعالى إن لبثتم إلا عشرا ثم
إن لبثتم إلا يوما فإذا بلغن أجلهن فإذا انقضت عدتهن فلا جناح عليكم أيها الأئمة وجماعة المسلمين فيما فعلن
في أنفسهن من التعرض للخطاب بالمعروف بالوجه الذي لا ينكره الشرع والمعنى أنهن لو فعلن ما هو منكر كان على الأئمة أن
يكفوهن وإن فرطوا كان عليهم الجناح

**ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء أو أكننتم
في أنفسكم علم الله أنكم ستذكرونهن ولكن لا تواعدوهن سرا إلا أن تقولوا قولا معروفا
ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم
فاحذروه واعلموا أن الله غفور حليم**

فيما عرضتم به هو أن يقول لها إنك لجميلة أو نافقة أو
صالحة ومن غرضي أن أتزوج وعسى الله أن ييسر لي امرأة صالحة ونحو ذلك من الكلام الموهم أنه يريد نكاحها حتى تحبس

نفسها عليه ان رغبت فيه ولا يصرح بالنكاح فيقول انى اريد ان انكحك او اتزوجك او اخطبك • وروى ابن المبارك
عن عبد الرحمن بن سليمان عن خالته قالت دخل على ابو جعفر محمد بن على وانا فى عدتى فقال قد علمت قرابتى من رسول الله
صلى الله عليه وسلم وحق جدى على رضى الله عنه وقدمى فى الاسلام فقلت غفر الله لك اتخطبنى فى عدتى وانت يؤخذ عنك
فقال او قد فعلت انما اخبرتك بقرابتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضعى قد دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على ام سلمة
وكانت عند ابن عمها ابى سلمة فتوفى عنها فلم يزل يذكر لها منزلته من الله تعالى وهو متحامل على يده حتى اثر الحصير فى يده
من شدة تحامله عليها فما كانت تلك خطبة • **فان قلت** اى فرق بين الكناية والتعريض **قلت**
الكناية ان تذكر الشئ بغير لفظه الموضوع له والتعريض ان تذكر شيئا تدل به على شئ لم تذكره كما يقول المحتاج المحتاج اليه
جئتك لاسلم عليك ولانظر الى وجهك الكريم ولذلك قالوا • وحسبك بالتسليم منى تقاضيا • وكانه امالة
الكلام الى عرض يدل على الغرض ويسمى التلويح لانه يلوح منه ما تريده • او اكننتم فى انفسكم او سترتم واضمرتم فى قلوبكم
فلم تذكروه بالسنتكم لا معرضين ولا مصرحين • علم الله انكم ستذكرونهن لا محالة ولا تنفكون عن النطق برغبتكم
فيهن ولا تصبرون عنه وفيه طرف من التوبيخ كقوله علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم • ابن المستدرك
بقوله ولكن لا تواعدوهن سرا • هو محذوف لدلالة ستذكرونهن عليه تقديره علم الله انكم ستذكرونهن
فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن سرا والسر وقع كناية عن النكاح الذى هو الوطء لانه مما يسر قال الاعشى
ولا تقربن جارة ان سرها • عليك حرام فانكحن او تابدا • ثم عبر به عن النكاح الذى هو العقد لانه سبب فيه كما فعل
بالنكاح الا ان تقولوا قولا معروفا وهو ان تعرضوا ولا تصرحوا **فان قلت** بم يتعلق حرف الاستثناء **قلت**
بلا تواعدوهن اى لا تواعدوهن مواعدة قط الا مواعدة معروفة غير منكرة او لا تواعدوهن الا بان تقولوا اى لا تواعدوهن
الا بالتعريض ولا يجوز ان يكون استثناء منقطعا من سرا لادائه الى قولك لا تواعدوهن الا التعريض وقيل معناه
لا تواعدوهن جماعا وهو ان يقول لها ان نكحتك كان كيت وكيت يريد ما يجرى بينهما تحت اللحاف الا ان تقولوا قولا
معروفا يعنى من غير رفث ولا افحاش فى الكلام وقيل لا تواعدوهن سرا اى فى السر على ان المواعدة فى السر عبارة
عن المواعدة بما يستهجن لان مسارتهن فى الغالب بما يستحيى من المجاهرة به • وعن ابن عباس رضى الله عنهما الا ان
تقولوا قولا معروفا هو ان يتواثقا على ان لا تتزوج غيره • ولا تعزموا عقدة النكاح من عزم الامر وعزم عليه وذكر العزم مبالغة
فى النهى عن عقدة النكاح فى العدة لان العزم على الفعل يتقدمه فاذا نهى عنه كان عن الفعل انهى ومعناه ولا تعزموا
عقد عقدة النكاح وقيل معناه ولا تقطعوا عقدة النكاح وحقيقة العزم القطع بدليل قوله صلى الله عليه وسلم
لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل وروى لمن لم يبيت الصيام • حتى يبلغ الكتاب اجله يعنى ما كتب وفرض من العدة
يعلم ما فى انفسكم من العزم على ما لا يجوز فاحذروه ولا تعزموا عليه غفور حليم لا يعاجلكم بالعقوبة • لا جناح عليكم
ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن او تفرضوا لهن فريضة ومتعوهن على الموسع قدره وعلى
المقتر قدره متاعا بالمعروف حقا على المحسنين • وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد
فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم الا ان يعفون او يعفو الذى بيده عقدة النكاح وان
تعفوا اقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم ان الله بما تعملون بصير • لا جناح عليكم لا تبعة
عليكم من ايجاب مهر ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن ما لم تجامعوهن او تفرضوا لهن فريضة الا ان تفرضوا لهن فريضة
او حتى تفرضوا وفرض الفريضة تسمية المهر وذلك ان المطلقة غير المدخول بها ان سمى لها مهر فلها نصف المسمى وان لم
يسم لها فليس لها نصف مهر المثل ولكن المتعة والدليل على ان الجناح تبعة المهر قوله وان طلقتموهن الى قوله فنصف ما فرضتم
اثبات للجناح المنفى ثمة • والمتعة درع وملحفة وخمار على حسب الحال عند ابى حنيفة رحمه الله تعالى الا ان يكون مهر مثلها اقل
من ذلك فلها الاقل من نصف مهر المثل ومن المتعة ولا ينقص عن خمسة دراهم لان اقل المهر عشرة دراهم فلا ينقص من نصفها
والموسع الذى له السعة والمقتر الضيق الحال وقدره مقداره الذى يطيقه لان ما يطيقه هو الذى يختص به • وقرئ بفتح
الدال والقدر والقدر لغتان • وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لرجل من الانصار تزوج امراة ولم يسم لها مهرا ثم
طلقها قبل ان يمسها امتعتها قال لم يكن عندى شئ قال متعها بقلنسوتك • وعند اصحابنا رحمهم الله تعالى لا تجب المتعة

الا لهذه وحدها وتستحب لسائر المطلقات ولا تجب • متاعا تاكيد لمتعوهن يعنى تمتيعا بالمعروف بالوجه الذى يحسن فى
الشرع والمروة حقا صفة لمتاعا اى متاعا واجبا عليهم او حق ذلك حقا على المحسنين على الذين يحسنون الى المطلقات
بالتمتيع وسماهم قبل الفعل محسنين كما قال صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلا فله سلبه • الا ان يعفون يريد المطلقات
فان قلت اى فرق بين قولك الرجال يعفون والنساء يعفون **قلت** الواو فى الاول ضميرهم والنون
علم الرفع والواو فى الثانى لام الفعل والنون ضميرهن والفعل مبنى لا اثر فى لفظه للعامل وهو فى محل النصب ويعفو عطف
على محله • والذى بيده عقدة النكاح الولى يعنى الا ان تعفو المطلقات عن ازواجهن فلا يطالبنهم بنصف المهر
وتقول المراة ما رانى ولا خدمته ولا استمتع بى فكيف اخذ منه شيئا او يعفو الولى الذى يلى عقد نكاحهن وهو مذهب
الشافعى رحمه الله تعالى وقيل هو الزوج وعفوه ان يسوق اليها المهر كملا وهو مذهب ابى حنيفة رحمه الله تعالى
والاول ظاهر الصحة وتسمية الزيادة على الحق عفوا فيها نظر الا ان يقال كان الغالب عندهم ان يسوق اليها المهر عند
التزوج فاذا طلقها استحق ان يطالبها بنصف ما ساق اليها فاذا ترك المطالبة فقد عفا عنها او سماه عفوا على
طريق المشاكلة • وعن جبير بن مطعم انه تزوج امراة وطلقها قبل ان يدخل بها فاكمل لها الصداق وقال انا احق
بالعفو • وعنه انه دخل على سعد بن ابى وقاص فعرض عليه بنتا له فتزوجها فلما خرج طلقها وبعث اليها بالصداق
كاملا فقيل له لم تزوجتها قال عرضها على فكرهت رده قيل فلم بعثت بالصداق قال فاين الفضل • ولا تنسوا الفضل
اى ولا تنسوا ان يتفضل بعضكم على بعض ولا تستقصوا وقرا الحسن او يعفو الذى باسكان الواو
واسكان الواو والياء فى موضع النصب تشبيه لهما بالالف لانهما اختاها وقرا ابو نهيك وان يعفوا بالياء وقرئ
ولا تنسوا الفضل بكسر الواو • حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين
فان خفتم فرجالا او ركبانا فاذا امنتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون •
والصلوة الوسطى اى الوسطى بين الصلوات او الفضلى من قولهم للافضل الاوسط وانما افردت وعطفت على الصلوات
لانفرادها بالفضل وهى صلوة العصر وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال يوم الاحزاب شغلونا عن الصلوة الوسطى صلوة
العصر ملا الله بيوتهم نارا • وقال صلى الله عليه وسلم انها الصلوة التى شغل عنها سليمان بن داود حتى توارت بالحجاب
وعن حفصة رضى الله عنها انها قالت لمن كتب لها المصحف اذا بلغت هذه الآية فلا تكتبها حتى املها عليك كما سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها فاملت عليه والصلوة الوسطى صلوة العصر • وروى عن عائشة وابن عباس
رضى الله عنهم والصلوة الوسطى وصلوة العصر بالواو فعلى هذه القراءة يكون التخصيص لصلوتين احديهما الصلوة
الوسطى اما الظهر واما الفجر واما المغرب على اختلاف الروايات فيها والثانية العصر وقيل فضلها لما فى وقتها
من اشتغال الناس بتجاراتهم ومعايشهم • وعن ابن عمر رضى الله عنهما هى صلوة الظهر لانها فى وسط النهار وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يصليها بالهاجرة ولم تكن صلوة اشد على اصحابه منها • وعن مجاهد هى الفجر لانها بين
صلوتى النهار وصلوتى الليل • وعن قبيصة بن ذويب هى المغرب لانها وتر النهار ولا تنقص فى السفر من ثلاث
وقرا عبد الله وعلى الصلوة الوسطى • وقرات عائشة والصلوة الوسطى بالنصب على المدح والاختصاص وقرا
نافع الوسطى • وقوموا لله فى الصلوة قانتين ذاكرين الله تعالى فى قيامكم والقنوت ان تذكر الله قائما
وعن عكرمة كانوا يتكلمون فى الصلوة فنهوا • وعن مجاهد هو الركود وكف الايدى والبصر • وروى انهم كانوا اذا
قام احدهم الى الصلوة هاب الرحمن ان يمد بصره او يلتفت او يقلب الحصا او يحدث نفسه بشئ من امور الدنيا فان خفتم
فان كان بكم خوف من عدو او غيره فرجالا فصلوا راجلين وهو جمع راجل كقائم وقيام او رجل يقال رجل رجل
اى راجل وقرئ فرجالا بضم الراء ورجالا بالتشديد ورجلا وعند ابى حنيفة رحمه الله تعالى لا يصلون فى حال
المشى والمسايفة ما لم يمكن الوقوف وعند الشافعى رحمه الله تعالى يصلون فى كل حال والراكب يومى ويسقط عنه
التوجه الى القبلة • فاذا امنتم فاذا زال خوفكم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون من صلوة الامن او فاذا امنتم
فاشكروا الله على الامن واذكروه بالعبادة كما احسن اليكم بما علمكم من الشرائع وكيف تصلون فى حال الخوف وفى حال
الامن • والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول غير

الاخراج فان خرجن فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن من معروف والله عزيز حكيم
تقديره فيمن قرأ وصية بالرفع ووصية الذين يتوفون منكم او وحكم الذين يتوفون وصية لازواجهم او والذين
يتوفون اهل وصية لازواجهم ومن قرأ بالنصب والذين يتوفون يوصون وصية كقولك انما انت سير البريد
باضمار تسير او والزم الذين يتوفون منكم وصية ويدل عليه قراءة عبد الله كتب عليكم الوصية لازواجكم متاعا الى الحول
مكان قوله والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول وقرأ ابي متاع لازواجهم متاعا
وروي عنه فمتاع لازواجهم ومتاعا نصب بالوصية الا اذا اضمرت يوصون فانه نصب بالفعل وعلى قراءة ابي متاعا
نصب بمتاع لانه في معنى التمتيع كقولك الحمد لله حمد الشاكرين واعجبني ضرب لك زيدا ضربا شديدا وغير اخراج مصدر
مؤكد كقولك هذا القول غير ما تقول او بدل منه او حال من الازواج اي غير مخرجات والمعنى ان حق الذين يتوفون
عن ازواجهم ان يوصوا قبل ان يحتضروا بان تمتع ازواجهم بعدهم حولا كاملا اي ينفق عليهن من تركته ولا يخرجن
من مساكنهن وكان ذلك في اول الاسلام ثم نسخت المدة بقوله اربعة اشهر وعشرا وقيل نسخ ما زاد منه على
هذا المقدار ونسخت النفقة بالارث الذي هو الربع والثمن واختلف في السكنى فعند ابي حنيفة واصحابه لا سكنى لهن
فيما فعلن في انفسهن من التزين والتعرض للخطاب من معروف مما ليس بمنكر شرعا **فان قلت** كيف نسخت
الآية المتقدمة المتأخرة **قلت** قد تكون الآية متقدمة في التلاوة وهي متأخرة في التنزيل كقوله تعالى سيقول السفهاء
مع قوله قد نرى تقلب وجهك في السماء وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين كذلك
يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون وللمطلقات متاع عمم المطلقات بايجاب المتعة لهن بعد
ما اوجبها لواحدة منهن وهي المطلقة غير المدخول بها وقال حقا على المتقين كما قال ثم حقا على المحسنين وعن سعيد بن
جبير وابي العالية والزهري انها واجبة لكل مطلقة وقيل قد تناولت التمتيع الواجب والمستحب جميعا وقيل المراد بالمتاع
نفقة العدة الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله
موتوا ثم احياهم ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون
الم تر تقرير لمن سمع بقصتهم من اهل الكتاب واخبار الاولين وتعجيب من شأنهم ويجوز ان يخاطب به من لم ير ولم
يسمع لان هذا الكلام جرى مجرى المثل في معنى التعجيب روي ان اهل داوردان قرية قبل واسط وقع فيهم الطاعون
فخرجوا هاربين فاماتهم الله ثم احياهم ليعتبروا ويعلموا انه لا مفر من حكم الله وقضائه وقيل مر عليهم حزقيل بعد
زمان طويل وقد عريت عظامهم وتفرقت اوصالهم فلوى شدقه واصابعه تعجبا مما رأى فاوحي اليه ناد فيهم ان
قوموا باذن الله فنادى فنظر اليهم قياما يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت وقيل هم قوم من بني اسرائيل
دعاهم ملكهم الى الجهاد فهربوا حذرا من الموت فاماتهم الله عز وجل ثمانية ايام ثم احياهم وهم الوف فيه دليل على
الالوف الكثيرة واختلف في ذلك فقيل عشرة وقيل ثلثون وقيل سبعون ومن بدع التفاسير الوف متآلفون
جمع آلف كقاعد وقعود **فان قلت** ما معنى قوله فقال لهم الله موتوا **قلت** معناه فاماتهم وانما جيء
به على هذه العبارة للدلالة على انهم ماتوا ميتة رجل واحد بامر الله ومشيئته وتلك ميتة خارجة عن العادة كانهم امروا
بشيء فامتثلوه امتثالا من غير اباء ولا توقف كقوله تعالى انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون وهذا تشجيع
للمسلمين على الجهاد والتعرض للشهادة وان الموت اذا لم يكن منه بد ولم ينفع منه مفر فاولى ان يكون في سبيل الله
لذو فضل على الناس حيث يبصرهم ما يعتبرون به ويستبصرون كما بصر اولئك وكما بصركم باقتصاص خبرهم او لذو فضل على
الناس حيث احيا اولئك ليعتبروا ويفوزوا ولو شاء لتركهم موتى الى يوم البعث والدليل على انه ساق هذه القصة
بعثا على الجهاد ما اتبعه من الامر بالقتال في سبيل الله وقاتلوا في سبيل الله واعلموا ان الله سميع
عليم واعلموا ان الله سميع يسمع ما يقوله المتخلفون والسابقون عليم بما يضمرونه وهو من وراء الجزاء
من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة والله يقبض ويبسط
واليه ترجعون اقراض الله مثل لتقديم العمل الذي يطلب به ثوابه والقرض الحسن اما المجاهدة في نفسها واما النفقة
في سبيل الله اضعافا كثيرة قيل الواحد بسبعمائة وعن السدي كثيرة لا يعلم كنهها الا الله والله يقبض ويبسط يوسع

على

على عباده ويقتر فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم لا يبدلكم الضيقة بالسعة واليه ترجعون فيجازيكم على ما قدمتم
الم تر الى الملإ من بني اسرائيل من بعد موسى اذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل
الله قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا قالوا وما لنا الا نقاتل في سبيل
الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم والله عليم بالظالمين
لنبي لهم ابعث هو يوشع او شمعون او اشمويل ابعث لنا ملكا انهض للقتال معنا اميرا نصدر في تدبير الحرب عن رأيه وننتهي
الى امره طلبوا من نبيهم نحو ما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من التأمير على الجيوش التي كان يجهزها ومن امرهم بطاعته
وامتثال اوامره وروي انه امر الناس اذا سافروا ان يجعلوا احدهم اميرا عليهم نقاتل قرئ بالنون والجزم على الجواب
وبالنون والرفع على انه حال اي ابعثه لنا مقدرين القتال او استئناف كانه قيل لهم ما تصنعون بالملك فقالوا نقاتل وقرئ يقاتل
بالياء والجزم على الجواب وبالرفع على انه صفة لملكا وخبر عسيتم ان لا تقاتلوا يعني هل الامر كما اتوقعه انكم لا تقاتلون اراد ان يقول
عسيتم ان لا تقاتلوا بمعنى اتوقع جبنكم عن القتال فادخل هل مستفهما عما هو متوقع عنده ومظنون واراد بالاستفهام التقرير
وتثبيت ان المتوقع كائن وانه صائب في توقعه كقوله تعالى هل اتى على الانسان معناه التقرير وقرئ عسيتم بكسر السين
وهي ضعيفة وما لنا ان لا نقاتل واي داع لنا الى ترك القتال واي غرض لنا فيه وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا وذلك ان
قوم جالوت كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين فاسروا من ابناء ملوكهم اربعمائة واربعين الا قليلا
منهم قيل كان القليل منهم ثلثمائة وثلثة عشر على عدد اهل بدر والله عليم بالظالمين وعيد لهم على ظلمهم في القعود عن القتال
وترك الجهاد وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا انى يكون له الملك علينا
ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة
في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم وقال لهم نبيهم ان آية ملكه
ان يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون تحمله الملائكة
ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين طالوت اسم اعجمي كجالوت وداود وانما امتنع من الصرف لتعريفه وعجمته
وزعموا انه من الطول لما وصف به من البسطة في الجسم ووزنه ان كان من الطول فعلوت منه اصله طولوت الا ان امتناع صرفه
يدفع ان يكون منه الا ان يقال هو اسم عبراني وافق عربيا كما وافق حنطا حنطة وبشمالاها رخمانا رحيما بسم الله الرحمن الرحيم
فهو من الطول لو كان عربيا وكان احد سببيه العجمة لكونه عبرانيا انى كيف ومن اين وهو انكار لتملكه عليهم واستبعاد له
فان قلت ما الفرق بين الواوين في ونحن احق ولم يؤت **قلت** الاولى للحال والثانية لعطف الجملة على الجملة الواقعة
حالا قد انتظمتهما معا في حكم واو الحال والمعنى كيف يتملك علينا والحال انه لا يستحق التملك لوجود من هو احق بالملك وانه فقير
ولا بد للملك من مال يعتضد به وانما قالوا ذلك لان النبوة كانت في سبط لاوي بن يعقوب والملك في سبط يهوذا ولم يكن
طالوت من احد السبطين ولانه كان رجلا سقاء او دباغا فقيرا وروي ان نبيهم دعا الله تعالى حين طلبوا منه ملكا فاتي
بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت قال ان الله اصطفاه عليكم يريد ان الله هو الذي اختاره
عليكم وهو اعلم بالمصالح منكم ولا اعتراض على حكم الله ثم ذكر مصلحتين انفع مما ذكروا من النسب والمال وهما العلم المبسوط
والجسامة والظاهر ان المراد بالعلم المعرفة بما طلبوه لاجله من امر الحرب ويجوز ان يكون عالما بالديانات وبغيرها وقيل قد
اوحي اليه ونبئ وذلك ان الملك لا بد ان يكون من اهل العلم فان الجاهل مزدرى غير منتفع به وان يكون جسيما يملأ العين
جهارة لانه اعظم في النفوس واهيب في القلوب والبسطة السعة والامتداد وروي ان الرجل القائم كان يمد يده
فينال رأسه يؤتي ملكه من يشاء اي الملك له غير منازع فيه فهو يؤتيه من يشاء من يستصلحه للملك والله واسع الفضل
والعطاء يوسع على من ليس له سعة من المال ويغنيه بعد الفقر عليم بمن يصطفيه للملك فلما فصل طالوت بالجنود
قال ان الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني الا من اغترف غرفة
بيده فشربوا منه الا قليلا منهم فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت

وجنوده قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله
مع الصابرين ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت
اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فهزموهم باذن الله وقتل داود جالوت وآتاه الله
الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض
ولكن الله ذو فضل على العالمين تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وانك لمن
المرسلين التابوت صندوق التوراة وكان موسى عليه السلام اذا قاتل قدمه فكانت تسكن نفوس بني اسرائيل
ولا يفرون والسكينة السكون والطمأنينة وقيل هي صورة كانت فيه من زبرجد او ياقوت لها رأس كرأس الهر وذنب
كذنبه وجناحان فتئن فيزف التابوت نحو العدو وهم يمضون معه فاذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر وعن علي
رضي الله عنه كان لها وجه كوجه الانسان وفيها ريح هفافة والبقية هي رضاض الالواح وعصا موسى وثيابه وشيء من التوراة
وكان رفعه الله تعالى بعد موسى فنزلت به الملائكة تحمله وهم ينظرون اليه فكان ذلك آية لاصطفاء الله طالوت وقيل كان
مع موسى ومع انبياء بني اسرائيل بعده يستفتحون به فلما غيرت بنو اسرائيل غلبهم عليه الكفار فكان في ارض جالوت فلما اراد الله
ان يملك طالوت اصابهم ببلاء حتى هلكت خمس مدائن فقالوا هذا بسبب التابوت بين اظهرنا فوضعوه على ثورين فساقتهما
الملائكة الى طالوت وقيل كان من خشب الشمشار مموها بالذهب نحوا من ثلاثة اذرع في ذراعين وقرأ ابي وزيد
بن ثابت التابوه بالهاء وهي لغة الانصار فان قلت ما وزن التابوت قلت لا يخلو من ان يكون
فعلوتا او فاعولا فلا يكون فاعولا لقلة نحو سلس وقلق ولانه تركيب غير معروف فلا يجوز ترك المعروف اليه
فهو اذن فعلوت من التوب وهو الرجوع لانه ظرف توضع فيه الاشياء وتودعه فلا يزال يرجع اليه ما يخرج منه وصاحبه
يرجع اليه فيما يحتاج اليه من مودعاته واما من قرأ بالهاء فهو فاعول عنده الا فيمن جعل هاءه بدلا من التاء لاجتماعهما
في الهمس وانهما من حروف الزيادة ولذلك ابدلت من تاء التأنيث وقرأ ابو السمال سكينة بفتح السين والتشديد
وهو غريب وقرئ يحمله بالياء مما ترك آل موسى وآل هرون الانبياء من بني يعقوب
بعدهما لان عمران هو ابن قاهث بن لاوي بن يعقوب فكان اولاد يعقوب آلهما ويجوز ان يراد مما تركه موسى وهرون
والآل مقحم لتفخيم شأنهما فصل عن موضع كذا اذا انفصل عنه وجاوزه واصله فصل نفسه ثم كثر محذوف المفعول
حتى صار في حكم غير المتعدي كانفصل وقيل فصل عن البلد فصولا ويجوز ان يكون فصله فصلا وفصل فصولا كوقف وصد
ونحوهما والمعنى انفصل عن بلده بالجنود روي انه قال لقومه لا يخرج معي رجل بنى بناء لم يفرغ منه ولا تاجر مشتغل بالتجارة
ولا متزوج بامرأة لم يبن عليها ولا ابتغي الا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع اليه ممن اختار ثمانون الفا وكان الوقت قيظا
وسلكوا مفازة فسألوا ان يجري الله تعالى لهم نهرا فقال ان الله مبتليكم بما اقترحتموه من النهر فمن شرب منه فمن ابتدأ
شربه من النهر بان كرع فيه فليس مني فليس بمتصل بي ومتحد معي من قولهم فلان مني كانه بعضه لاختلاطهما واتحادهما ويجوز
ان يراد فليس من جملتي واشياعي ومن لم يطعمه ومن لم يذقه من طعم الشيء اذا ذاقه ومنه طعم الشيء لمذاقه قال
وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا الا ترى كيف عطف عليه البرد وهو النوم ويقال ما ذقت غماضا ونحوه من الابتلاء
ما ابتلي به اهل ايلة من ترك الصيد مع اتيان الحيتان شرعا بل هو اشد منه واصعب وانما عرف ذلك طالوت باخبار من
النبي وان كان نبيا كما يروى عن بعضهم فبالوحي وقرئ بنهر بالسكون فان قلت مم استثنى قوله الا من اغترف
قلت من قوله فمن شرب منه فليس مني والجملة الثانية في حكم المتأخرة الا انها قدمت للعناية كما قدم والصابئون
في قوله ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون ومعناه الرخصة في اغتراف الغرفة باليد دون الكروع والدليل عليه قوله
فشربوا منه اي فكرعوا فيه الا قليلا منهم وقرئ غرفة بالفتح بمعنى المصدر وبالضم بمعنى المغروف وقرأ ابي والاعمش
الا قليل بالرفع وهذا من ميلهم مع المعنى والاعراض عن اللفظ جانبا وهو باب جليل من علم العربية فلما كان معنى فشربوا منه
في معنى فلم يطيعوه حمل عليه كانه قيل فلم يطيعوه الا قليل منهم ونحوه قول الفرزدق لم يدع من المال الا مسحتا او مجلف

كانه

كانه قال لم يبق من المال الا مسحت او مجلف وقيل لم يبق مع طالوت الا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا والذين آمنوا
معه يعني القليل قال الذين يظنون انهم يعني الخلص منهم الذين نصبوا بين اعينهم لقاء الله وايقنوه او
الذين تيقنوا انهم يستشهدون عما قريب ويلقون الله والمؤمنون مختلفون في قوة اليقين ونصوع البصيرة
وقيل الضمير في قالوا لا طاقة لنا للكثير الذين انخزلوا والذين يظنون هم القليل الذين ثبتوا معه كانهم تقاولوا
بذلك والنهر بينهما يظهر اولئك عذرهم في الانخزال ويرد عليهم هؤلاء ما يعتذرون به وروي ان الغرفة كانت
تكفي الرجل لشربه واداوته والذين شربوا منه اسودت شفاههم وغلبهم العطش وجالوت جبار من العمالقة
من اولاد عمليق بن عاد وكانت بيضته فيها ثلاثمائة رطل وثبت اقدامنا وهب لنا ما تثبت به في مداحض الحرب
من قوة القلوب والقاء الرعب في قلب العدو ونحو ذلك من الاسباب كان ايشا ابو داود في عسكر طالوت
مع ستة من بنيه وكان داود سابعهم وهو صغير يرعى الغنم فاوحى الى اشمويل ان داود بن ايشا هو الذي يقتل جالوت
فطلبه من ابيه فجاءه وقد مر في طريقه بثلاثة احجار دعاه كل واحد منها ان احملني وقالت له انك تقتل بنا جالوت فحملها في
مخلاته ورمى بها جالوت فقتله وزوجه طالوت بنته وروي انه حسده واراد قتله ثم تاب وآتاه الله الملك
في مشارق الارض المقدسة ومغاربها وما اجتمعت بنو اسرائيل على ملك قط قبل داود عليه السلام والحكمة والنبوة
وعلمه مما يشاء من صنعة الدروع وكلام الطير والدواب وغير ذلك ولولا دفع الله الناس ولولا ان الله يدفع
بعض الناس ببعض ويكف بهم فسادهم لغلب المفسدون وفسدت الارض وبطلت منافعها وتعطلت مصالحها
من الحرث والنسل وسائر ما يعمر الارض وقيل ولولا ان الله ينصر المسلمين على الكفار لفسدت الارض بعيث الكفار
فيها وقتل المسلمين او لو لم يدفعهم بهم لعم الكفر ونزلت السخطة فاستؤصل اهل الارض تلك آيات الله يعني
القصص التي اقتصها من حديث الالوف واماتتهم واحيائهم وتمليك طالوت واظهاره بالآية التي هي نزول التابوت
من السماء وغلبة الجبابرة على يد صبي بالحق باليقين الذي لا يشك فيه اهل الكتاب لانه في كتبهم كذلك وانك لمن المرسلين
حيث تخبر بها من غير ان تعرف بقراءة كتاب ولا سماع اخبار تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض
منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى ابن مريم البينات وايدناه بروح
القدس ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا
فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد
تلك الرسل اشارة الى جماعة الرسل التي ذكرت قصصها في السورة او التي ثبت علمها عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
فضلنا بعضهم على بعض لما اوجب ذلك من تفاضلهم في الحسنات منهم من كلم الله منهم من فضله الله بان كلمه من غير
سفير وهو موسى عليه السلام وقرئ كلم الله بالنصب وقرأ اليماني كالم الله من المكالمة ويدل عليه قولهم كليم الله بمعنى مكالمه
ورفع بعضهم درجات اي ومنهم من رفعه على سائر الانبياء فكان بعد تفاوتهم في الفضل افضل منهم بدرجات كثيرة والظاهر
انه اراد محمدا صلى الله عليه وسلم لانه هو المفضل عليهم حيث اوتي ما لم يؤته احد من الآيات المتكاثرة المرتقية الى الف آية او اكثر
ولو لم يؤت الا القرآن وحده لكفى به فضلا منيفا على سائر ما اوتي الانبياء لانه المعجزة الباقية على وجه الدهر دون
سائر المعجزات وفي هذا الابهام من تفخيم فضله واعلاء قدره ما لا يخفى لما فيه من الشهادة على انه العلم الفرد الذي
لا يشتبه والمتميز الذي لا يلتبس ويقال للرجل من فعل هذا فيقول احدكم او بعضكم يريد به الذي تعورف واشتهر بنحوه من
الافعال فيكون افخم من التصريح به وانوه بصاحبه وسئل الحطيئة عن اشعر الناس فذكر زهيرا والنابغة ثم قال ولو شئت
لذكرت الثالث اراد نفسه ولو قال ولو شئت لذكرت نفسي لم يفخم امره ويجوز ان يريد ابرهيم ومحمدا وغيرهما من اولي العزم
من الرسل وعن ابن عباس كنا في المسجد نتذاكر فضل الانبياء فذكرنا نوحا بطول عبادته وابرهيم بخلته وموسى بتكليم الله اياه
وعيسى برفعه الى السماء وقلنا رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل منهم بعث الى الناس كافة وغفر له ما تقدم من ذنبه
وما تأخر وهو خاتم الانبياء فدخل صلى الله عليه وسلم فقال فيم انتم فذكرنا له فقال لا ينبغي لاحد ان يكون خيرا من يحيى بن زكريا
فذكر انه لم يعمل سيئة قط ولم يهم بها فان قلت فلم خص موسى وعيسى من بين الانبياء بالذكر قلت
لما اوتيا من الآيات العظيمة والمعجزات الباهرة ولقد بين الله تعالى وجه التفضيل حيث جعل التكليم من الفضل وهو آية من الآيات

فلما كان هذان النبيان قد اوتيا ما اوتيا من عظام الآيات خصا بالذكر في باب التفضيل وهذا دليل بين ان من زيد تفضيلا بالآيات منهم فقد فضل على غيره ولما كان نبينا صلى الله عليه وسلم هو الذي اوتي منها ما لم يؤت احد في كثرتها وعظمها كان هو المشهود له باحراز قصبات الفضل غير مدافع اللهم ارزقنا شفاعته يوم الدين ولو شاء الله مشيئة الجاء وقسر ما اقتتل الذين من بعد الرسل لاختلافهم في الدين وتشعب مذاهبهم وتكفير بعضهم بعضا ولكن اختلفوا فمنهم من آمن لالتزامه دين الانبياء ومنهم من كفر لاعراضه عنه ولو شاء الله ما اقتتلوا كرره للتاكيد ولكن الله يفعل ما يريد من الخذلان والعصمة

يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون انفقوا مما رزقناكم اراد الانفاق الواجب لاتصال الوعيد به من قبل ان ياتي يوم لا تقدرون فيه على تدارك ما فاتكم من الانفاق لانه لا بيع حتى تبتاعوا ما تنفقونه ولا خلة حتى يسامحكم اخلاؤكم به وان اردتم ان يحط عنكم ما في ذمتكم من الواجب لم تجدوا شفيعا يشفع لكم في حط الواجبات لان الشفاعة ثم في زيادة الفضل لا غير والكافرون هم الظالمون اراد والتاركون الزكوة هم الظالمون فقال والكافرون للتغليظ كما قال في آخر آية الحج ومن كفر مكان ومن لم يحج ولانه جعل ترك الزكوة من صفات الكفار في قوله وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة وقرئ لا بيع ولا خلة ولا شفاعة بالرفع

الله لا اله الا هو الحي القيوم لا تاخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الارض من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء وسع كرسيه السموات والارض ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم

الحي الباقي الذي لا سبيل عليه للفناء وهو على اصطلاح المتكلمين الذي يصح ان يعلم ويقدر والقيوم الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه وقرئ القيام والقيم والسنة ما يتقدم النوم من الفتور الذي يسمى النعاس قال ابن الرقاع العاملي وسنان اقصده النعاس فرنقت في عينه سنة وليس بنائم اي لا ياخذه نعاس ولا نوم وهو تاكيد للقيوم لان من جاز عليه ذلك استحال ان يكون قيوما ومنه حديث موسى عليه السلام انه سال الملائكة وكان ذلك من قومه كطلب الروية اينام ربنا فاوحى الله اليهم ان يوقظوه ثلثا ولا يتركوه ينام ثم قال خذ بيدك قارورتين مملوتين فاخذهما والقى الله تعالى عليه النعاس فضرب احديهما على الاخرى فانكسرتا ثم اوحى اليه قل لهولاء اني امسك السموات والارض بقدرتي فلو اخذني نوم او نعاس لزالتا من ذا الذي يشفع عنده بيان لملكوته وكبريائه وان احدا لا يتمالك ان يتكلم يوم القيمة الا اذا اذن له في الكلام كقوله تعالى لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ما كان قبلهم وما يكون بعدهم والضمير لما في السموات والارض لان فيهم العقلاء او لما دل عليه من ذا من الملائكة والانبياء من علمه من معلوماته الا بما شاء الا بما علم الكرسي ما يجلس عليه ولا يفضل عن مقعد القاعد وفي قوله وسع كرسيه اربعة اوجه احدها ان كرسيه لم يضق عن السموات والارض لبسطته وسعته وما هو الا تصوير لعظمته وتخييل فقط ولا كرسي ثم ولا قعود ولا قاعد كقوله تعالى وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه من غير تصور قبضة وطي ويمين وانما هو تخييل لعظمة شانه وتمثيل حسي الا ترى الى قوله تعالى وما قدروا الله حق قدره والثاني وسع علمه وسمي العلم كرسيا تسمية بمكانه الذي هو كرسي العالم والثالث وسع ملكه تسمية بمكانه الذي هو كرسي الملك والرابع ما روي انه خلق كرسيا هو بين يدي العرش دونه السموات والارض وهو الى العرش كاصغر شيء وعن الحسن الكرسي هو العرش ولا يؤده ولا يثقله ولا يشق عليه حفظهما حفظ السموات والارض وهو العلي الشان العظيم الملك والقدرة

فان قلت كيف ترتبت الجمل في آية الكرسي من غير حرف عطف **قلت** ما منها جملة الا وهي واردة على سبيل البيان لما ترتبت عليه والبيان متحد بالمبين فلو توسط بينهما عاطف لكان كما تقول العرب بين العصا ولحائها فالاولى بيان لقيامه بتدبير الخلق وكونه مهيمنا عليه غير ساه عنه والثانية لكونه مالكا لما يدبره والثالثة لكبرياء شانه والرابعة لاحاطته باحوال الخلق وعلمه بالمرتضى منهم المستوجب للشفاعة وغير المرتضى والخامسة لسعة علمه وتعلقه بالمعلومات كلها او لجلاله وعظم قدره **فان قلت** لم فضلت هذه الآية حتى ورد في فضلها ما ورد منه قوله صلى الله عليه وسلم ما قرئت هذه الآية في دار الا اهتجرتها الشياطين ثلثين يوما ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة اربعين ليلة يا علي علمها ولدك واهلك

وجبرائيل

وجيرانك فما نزلت آية اعظم منها وعن علي رضي الله عنه سمعت نبيكم على اعواد المنبر وهو يقول من قرا آية الكرسي في دبر كل صلوة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق او عابد ومن قراها اذا اخذ مضجعه امنه الله تعالى على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله وتذاكر الصحابة افضل ما في القرآن فقال لهم علي اين انتم عن آية الكرسي ثم قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا علي سيد البشر آدم وسيد العرب محمد ولا فخر وسيد الفرس سلمان وسيد الروم صهيب وسيد الحبشة بلال وسيد الجبال الطور وسيد الايام يوم الجمعة وسيد الكلام القرآن وسيد القرآن البقرة وسيد البقرة آية الكرسي **قلت** لما فضلت له سورة الاخلاص من اشتمالها على توحيد الله تعالى وتعظيمه وتمجيده وصفاته العظمى ولا مذكور اعظم من رب العزة فما كان ذكرا له كان افضل من سائر الاذكار وبهذا يعلم ان اشرف العلوم واعلاها منزلة عند الله علم اهل العدل والتوحيد ولا يغرنك عنه كثرة اعدائه فان العرانين تلقاها محسدة

لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم لا اكراه في الدين اي لم يجر الله امر الايمان على الاجبار والقسر ولكن على التمكين والاختيار ونحوه قوله ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين اي لو شاء لقسرهم على الايمان ولكنه لم يفعل وبنى الامر على الاختيار قد تبين الرشد من الغي قد تميز الايمان من الكفر بالدلائل الواضحة فمن يكفر بالطاغوت فمن اختار الكفر بالشيطان او الاصنام والايمان بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها من الحبل الوثيق المحكم المامون انفصامها اي انقطاعها وهذا تمثيل للمعلوم بالنظر والاستدلال بالمشاهد المحسوس حتى يتصوره السامع كانه ينظر اليه بعينه فيحكم اعتقاده والتيقن به وقيل هو اخبار في معنى النهي اي لا تكرهوا في الدين ثم قال بعضهم هو منسوخ بقوله جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وقيل هو في اهل الكتاب خاصة لانهم حصنوا انفسهم باداء الجزية وروي انه كان لانصاري من بني سالم بن عوف ابنان فتنصرا قبل ان يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قدما المدينة فلزمهما ابوهما فقال والله لا ادعكما حتى تسلما فابيا فاختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الانصاري يا رسول الله ايدخل بعضي النار وانا انظر فنزلت فخلاهما

الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون الله ولي الذين آمنوا اي ارادوا ان يؤمنوا يلطف بهم حتى يخرجهم بلطفه وتاييده من الكفر الى الايمان والذين كفروا اي صمموا على الكفر امرهم على عكس ذلك او الله ولي المؤمنين يخرجهم من الشبه في الدين ان وقعت لهم بما يهديهم ويوفقهم له من حلها حتى يخرجوا منها الى نور اليقين والذين كفروا اولياؤهم الشياطين يخرجونهم من نور البينات التي تظهر لهم الى ظلمات الشك والشبهة

الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه ان آتاه الله الملك اذ قال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال انا احيي واميت قال ابراهيم فان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين الم تر تعجيب من محاجة نمرود في الله تعالى وكفره به ان آتاه الله الملك متعلق بحاج على وجهين احدهما حاج لان آتاه الله الملك على معنى ان ايتاء الملك ابطره واورثه الكبر والعتو فحاج لذلك او على انه وضع المحاجة في ربه موضع ما وجب عليه من الشكر على ان آتاه الله الملك فكان المحاجة كانت لذلك كما تقول عاداني فلان لاني احسنت اليه تريد انه عكس ما كان يجب عليه من الموالاة لاجل الاحسان ونحوه قوله تعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون والثاني حاج وقت ان آتاه الله الملك **فان قلت** كيف جاز ان يؤتي الله الملك الكافر **قلت** فيه قولان ان آتاه ما غلب به وتسلط من المال والخدم والاتباع واما التغليب والتسليط فلا وقيل ملكه امتحانا لعباده واذ قال نصب بحاج او بدل من ان آتاه اذا جعل بمعنى الوقت انا احيي واميت يريد اعفو عن القتل واقتل وكان الاعتراض عتيدا ولكن ابراهيم صلى الله عليه وسلم لما سمع جوابه الاحمق لم يحاجه فيه ولكن انتقل الى ما لا يقدر فيه على نحو ذلك الجواب ليبهته اول شيء وهذا دليل على جواز الانتقال للمجادل من حجة الى حجة وقرئ فبهت الذي كفر اي فغلب ابراهيم الكافر وقرا ابو حيوة فبهت بوزن قرب وقيل كانت هذه المحاجة حين كسر الاصنام وسجنه نمرود ثم اخرجه من السجن ليحرقه فقال له من ربك الذي تدعو اليه فقال ربي الذي يحيي ويميت

او كالذي مر على قرية وهي

خاوية على عروشها قال انى يحيى هذه الله بعد موتها فاماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما او بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر الى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال اعلم ان الله على كل شيء قدير

او كالذى معناه او ارايت مثل الذى فحذف لدلالة الم تر عليه لان كلتيهما كلمة تعجب ويجوز ان يحمل على المعنى دون اللفظ كانه قيل ارايت كالذى حاج ابراهيم او كالذى مر على قرية والمار كان كافرا بالبعث وهو الظاهر لانتظامه مع نمرود فى سلك ولكلمة الاستبعاد التى هى انى يحيى وقيل هو عزير او الخضر اراد ان يعاين احياء الموتى ليزداد بصيرة كما طلبه ابراهيم وقوله انى يحيى اعتراف بالعجز عن معرفة طريقة الاحياء واستعظام لقدرة المحيى والقرية بيت المقدس حين خربه بخت نصر وقيل هى التى خرج منها الالوف وهى خاوية على عروشها تفسيره فيما بعد يوما او بعض يوم بناء على الظن روى انه مات ضحى وبعث بعد مائة سنة قبل غيبوبة الشمس فقال قبل النظر الى الشمس يوما ثم التفت فراى بقية من الشمس فقال او بعض يوم وروى ان طعامه كان تينا وعنبا وشرابه عصيرا او لبنا فوجد التين والعنب كما جنيا والشراب على حاله لم يتسنه لم يتغير والهاء اصلية او هاء سكت واشتقاقه من السنة على الوجهين لان لامها هاء او واو وذلك ان الشىء يتغير بمرور الزمان وقيل اصله يتسنن من الحما المسنون فقلبت نونه حرف علة كتقضى البازى ويجوز ان يكون معنى لم يتسنه لم تمر عليه السنون كانه لم يلبث وفى قراءة عبد الله فانظر الى طعامك وهذا شرابك لم يتسن وقرأ ابى لم يسنه بادغام التاء فى السين وانظر الى حمارك كيف تفرقت عظامه ونخرت وكان له حمار قد ربطه ويجوز ان يراد وانظر اليه سالما فى مكانه كما ربطته وذلك من اعظم الآيات ان يعيشه مائة عام من غير علف ولا ماء كما حفظ طعامه وشرابه من التغير ولنجعلك آية للناس فعلنا ذلك يريد احياءه بعد الموت وحفظ ما معه وقيل اتى قومه راكب حماره وقال انا عزير فكذبوه فقال هاتوا التوراة فاخذ يهذها هذا عن ظهر قلبه وهم ينظرون فى الكتاب فما خرم حرفا فقالوا هو ابن الله ولم يقرأ التوراة ظاهرا احد قبل عزير فذلك كونه آية وقيل رجع الى منزله فراى اولاده شيوخا وهو شاب فاذا حدثهم بحديث قالوا حديث مائة سنة والى العظام عظام الحمار او عظام الموتى الذين تعجب من احيائهم كيف ننشرها كيف نحييها وقرأ الحسن ننشرها من نشر الله الموتى بمعنى انشرهم فنشروا وقرئ بالزاى بمعنى نحركها ونرفع بعضها الى بعض للتركيب وفاعل تبين مضمر تقديره فلما تبين له ان الله على كل شىء قدير قال اعلم ان الله على كل شىء قدير فحذف الاول لدلالة الثانى عليه كما فى قولهم ضربنى وضربت زيدا ويجوز فلما تبين له ما اشكل عليه يعنى امر احياء الموتى وقرأ ابن عباس رضى الله عنه فلما تبين له على البناء للمفعول وقرئ قال اعلم على لفظ الامر وقرأ عبد الله قيل اعلم **فان قلت** فان كان المار كافرا فكيف يسوغ ان يكلمه الله **قلت** كان الكلام بعد البعث ولم يكن اذ ذاك كافرا

واذ قال ابراهيم رب ارنى كيف تحيى الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى قال فخذ اربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم ان الله عزيز حكيم

ارنى بصرنى **فان قلت** كيف قال له اولم تؤمن وقد علم انه اثبت الناس ايمانا **قلت** ليجيب بما اجاب به لما فيه من الفائدة الجليلة للسامعين وبلى ايجاب لما بعد النفى معناه بلى آمنت ولكن ليطمئن قلبى ليزيد سكونا وطمأنينة بمضامة علم الضرورة علم الاستدلال وتظاهر الادلة اسكن للقلوب وازيد للبصيرة واليقين ولان علم الاستدلال يجوز معه التشكيك بخلاف العلم الضرورى فاراد بطمأنينة القلب العلم الذى لا مجال فيه للتشكيك **فان قلت** بم تعلقت اللام فى ليطمئن **قلت** بمحذوف تقديره ولكن سألت ذلك ارادة طمأنينة القلب فخذ اربعة من الطير قيل طاووسا وديكا وغرابا وحمامة فصرهن اليك بضم الصاد وكسرها بمعنى فاملهن واضممهن اليك قال ولكن اطراف الرماح تصورها وقال وفرع يصير الجيد وحف كانه على الليت قنوان الكروم الدوالح وقرأ ابن عباس رضى الله عنهما فصرهن بضم الصاد وكسرها وتشديد الراء من صره يصره ويصره اذا جمعه نحو ضره يضره ويضره وعنه فصرهن من التصرية وهى الجمع ايضا ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم جزئهن وفرق اجزاءهن على الجبال والمعنى على كل جبل من الجبال التى بحضرتك وفى ارضك قيل كانت اربعة اجبل وعن السدى سبعة ثم ادعهن وقل لهن تعالين باذن الله يأتينك سعيا ساعيات مسرعات فى طيرانهن او فى مشيهن

على ارجلهن **فان قلت** ما معنى امره بضمها الى نفسه بعد ان ياخذها **قلت** ليتاملها ويعرف اشكالها وهيئاتها وحلاها لئلا تلتبس عليه بعد الاحياء ولا يتوهم انها غير تلك ولذلك قال يأتينك سعيا وروى انه امر ان يذبحها وينتف ريشها ويقطعها ويفرق اجزاءها ويخلط ريشها ودماءها ولحومها وان يمسك رؤوسها ثم امر ان يجعل اجزاءها على الجبال على كل جبل ربعا من كل طائر ثم يصيح بها تعالين باذن الله فجعل كل جزء يطير الى الآخر حتى صارت جثثا ثم اقبلن فانضممن الى رؤوسهن كل جثة الى رأسها وقرئ جزؤا بضمتين وجزا بالتشديد ووجهه انه خفف بطرح همزته ثم شدد كما يشدد فى الوقف اجراء للوصل مجرى الوقف

مثل الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون

مثل الذين ينفقون لا بد من حذف مضاف اى مثل نفقتهم كمثل حبة او مثلهم كمثل باذر حبة والمنبت هو الله ولكن الحبة لما كانت سببا اسند اليها الانبات كما يسند الى الارض والى الماء ومعنى انباتها سبع سنابل ان تخرج ساقا يتشعب منها سبع شعب لكل واحدة سنبلة وهذا التمثيل تصوير للاضعاف كانها ماثلة بين عينى الناظر **فان قلت** كيف صح هذا التمثيل والممثل به غير موجود **قلت** بل هو موجود فى الدخن والذرة وغيرهما وربما فرخت ساق البرة فى الاراضى القوية المغلة فيبلغ حبها هذا المبلغ ولو لم يوجد لكان صحيحا على سبيل الفرض والتقدير **فان قلت** هلا قيل سبع سنبلات على حقه من التمييز بجمع القلة كما قال وسبع سنبلات خضر **قلت** هذا لما قدمت عند قوله تعالى ثلاثة قروء من وقوع امثلة الجمع متعاورة مواقعها والله يضاعف لمن يشاء اى يضاعف تلك المضاعفة لمن يشاء لا لكل منفق لتفاوت احوال المنفقين او يضاعف سبع المائة ويزيد عليها اضعافها لمن يستوجب ذلك المن ان يعتد على من احسن اليه باحسانه ويريه انه اصطنعه واوجب عليه حقا له وكانوا يقولون اذا صنعتم صنيعة فانسوها ولبعضهم وان امرأ اسدى الى صنيعة وذكرنيها مرة لبخيل وفى نوابغ الكلم صنوان من منح سائله ومن ومن منع نائله وضن وفيها طعم الآلاء احلى من المن وهى امر من الآلاء مع المن والاذى ان يتطاول عليه بسبب ما انعم عليه ومعنى ثم اظهار التفاوت بين الانفاق وترك المن والاذى وان تركهما خير من نفس الانفاق كما جعل الاستقامة على الايمان خيرا من الدخول فيه بقوله ثم استقاموا **فان قلت** اى فرق بين قوله لهم اجرهم وقوله فيما بعد فلهم اجرهم **قلت** الموصول لم يضمن ههنا معنى الشرط وضمنه ثمة والفرق بينهما من جهة المعنى ان الفاء فيها دلالة على ان الانفاق به استحق الاجر وطرحها عار عن تلك الدلالة

قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى والله غنى حليم يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فاصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شىء مما كسبوا والله لا يهدى القوم الكافرين

قول معروف رد جميل ومغفرة وعفو عن السائل اذا وجد منه ما يثقل على المسؤول او نيل مغفرة من الله بسبب الرد الجميل او وعفو من جهة السائل لانه اذا رده ردا جميلا عذره خير من صدقة يتبعها اذى وصح الاخبار عن المبتدأ النكرة لاختصاصه بالصفة والله غنى لا حاجة به الى منفق يمن ويؤذى حليم عن معاجلته بالعقوبة وهذا سخط منه ووعيد له ثم بالغ فى ذلك بما اتبعه كالذى ينفق ماله اى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كابطال المنافق الذى ينفق ماله رئاء الناس لا يريد بانفاقه رضا الله تعالى ولا ثواب الآخرة فمثله كمثل صفوان مثله ونفقته التى لا ينتفع بها البتة بصفوان بحجر املس عليه تراب وقرأ سعيد بن المسيب صفوان بوزن كروان فاصابه وابل مطر عظيم القطر فتركه صلدا اجرد نقيا من التراب الذى كان عليه ومنه صلد جبين الاصلع اذا برق لا يقدرون على شىء مما كسبوا كقوله فجعلناه هباء منثورا ويجوز ان يكون الكاف فى محل النصب على الحال اى لا تبطلوا صدقاتكم مماثلين الذى ينفق **فان قلت** كيف قال لا يقدرون بعد قوله كالذى ينفق **قلت** اراد بالذى ينفق الجنس او الفريق الذى ينفق ولان من والذى يتعاقبان فكانه قيل كمن ينفق

ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم كمثل جنة بربوة اصابها وابل فآتت اكلها ضعفين فان لم

يصبها وابل فطل بما تعملون بصير • وتثبيتا من انفسهم وليثبتوا منها ببذل المال الذى هو شقيق الروح وبذله اشق شىء على النفس على سائر العبادات الشاقة وعلى الايمان لان النفس اذا ريضت بالتحامل عليها وتكليفها ما يصعب عليها ذلت خاضعة لصاحبها وقل طمعها فى اتباعه لشهواتها وبالعكس فكان انفاق المال تثبيتا لها على الايمان واليقين ويجوز ان يراد وتصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء من اصل انفسهم لانه اذا انفق المسلم ماله فى سبيل الله علم ان تصديقه وايمانه بالثواب من اصل نفسه ومن اخلاص قلبه ومن على التفسير الاول للتبعيض مثلها فى قولهم هز من عطفه وحرك من نشاطه وعلى الثانى لابتداء الغاية كقوله تعالى حسدا من عند انفسهم ويحتمل ان يكون المعنى وتثبيتا من انفسهم عند المؤمنين انها صادقة الايمان مخلصة فيه وتعضده قراءة مجاهد وتبيينا من انفسهم • فان قلت فما معنى التبعيض • قلت معناه ان من بذل ماله لوجه الله فقد ثبت بعض نفسه ومن بذل ماله وروحه معا فهو الذى ثبتها كلها وتجاهدون فى سبيل الله باموالكم وانفسكم والمعنى ومثل نفقة هؤلاء فى زكائها عند الله كمثل جنة وهى البستان بربوة بمكان مرتفع وخصها لان الشجر فيها ازكى واحسن ثمرا اصابها وابل مطر عظيم القطر فآتت اكلها ثمرتها ضعفين مثلى ما كانت تثمر بسبب الوابل فان لم يصبها وابل فطل مطر صغير القطر يكفيها لكرم منبتها او مثل حالهم عند الله بالجنة على الربوة ونفقتهم الكثيرة والقليلة بالوابل والطل وكما ان كل واحد من المطرين يضعف اكل الجنة فكذلك نفقتهم كثيرة كانت او قليلة بعد ان يطلب بها وجه الله ويبذل فيها الوسع زاكية عند الله زائدة فى زلفاهم وحسن حالهم عنده وقرئ كمثل حبة وبربوة بالحركات الثلث واكلها بضمتين • ايود احدكم ان تكون له جنة من نخيل واعناب تجرى من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات واصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون • الهمزة فى ايود للانكار وقرئ له جنات وذرية ضعاف والاعصار الريح التى تستدير فى الارض ثم تسطع نحو السماء كالعمود وهذا مثل لمن يعمل الاعمال الحسنة لا يبتغى بها وجه الله فاذا كان يوم القيمة وجدها محبطة فيتحسر عند ذلك حسرة من كانت له جنة من ابهى الجنان واجمعها للثمار فبلغ الكبر وله اولاد ضعاف والجنة معاشهم ومنتعشهم فهلكت بالصاعقة • وعن عمر رضى الله عنه انه سأل عنها الصحابة فقالوا الله اعلم فغضب وقال قولوا نعلم او لا نعلم فقال ابن عباس رضى الله عنهما فى نفسى شىء منها يا امير المؤمنين قال قل يا ابن اخى ولا تحقر نفسك قال ضرب مثلا لعمل قال لاى عمل قال لرجل غنى يعمل الحسنات ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصى حتى اغرق اعماله كلها • وعن الحسن هذا مثل قل والله من يعقله من الناس شيخ كبير ضعف جسمه وكثر صبيانه افقر ما كان الى جنته وان احدكم والله افقر ما يكون الى عمله اذا انقطعت عنه الدنيا • فان قلت كيف قال جنة من نخيل واعناب ثم قال له فيها من كل الثمرات • قلت النخيل والاعناب لما كانا اكرم الشجر واكثرها منافع خصهما بالذكر وجعل الجنة منهما وان كانت محتوية على سائر الاشجار تغليبا لهما على غيرهما ثم اردفهما ذكر كل الثمرات ويجوز ان يريد بالثمرات المنافع التى كانت تحصل له فيها كقوله تعالى وكان له ثمر بعد قوله جنتين من اعناب وحففناهما بنخل • فان قلت علام عطف قوله واصابه الكبر • قلت الواو للحال لا للعطف ومعناه ان تكون له جنة وقد اصابه الكبر وقيل يقال وددت ان يكون كذا ووددت لو كان كذا فحمل العطف على المعنى كانه قيل ايود احدكم لو كانت له جنة واصابه الكبر • يا ايها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه الا ان تغمضوا فيه واعلموا ان الله غنى حميد • من طيبات ما كسبتم من جياد مكسوباتكم ومما اخرجنا لكم من الحب والثمر والمعادن وغيرها • فان قلت فهلا قيل وما اخرجنا لكم عطفا على ما كسبتم حتى يشتمل الطيب على المكسوب والمخرج من الارض • قلت معناه ومن طيبات ما اخرجنا لكم الا انه حذف لذكر الطيبات ولا تقصدوا المال الردى منه تنفقون تخصونه بالانفاق وهو فى محل الحال وقرأ عبد الله ولا تأمموا وقرأ ابن عباس ولا تيمموا بضم التاء ويممه وتيممه سواء فى معنى قصده ولستم بآخذيه وحالكم انكم لا تأخذونه فى حقوقكم الا بان تغمضوا فيه الا بان تتسامحوا فى اخذه وتترخصوا فيه من قولك اغمض فلان عن بعض حقه اذا غض بصره ويقال للبائع اغمض اى لا تستقص كانك لا تبصر وقال الطرماح

لم يفتنا بالوتر قوم وللضيـ ـم رجال يرضون بالاغماض

وقرأ الزهرى تغمضوا واغمض وغمض بمعنى وعن قتادة تغمضوا اى تغمضوا البصر

من غمض يغمض ويغمض وقرأ قتادة تغمضوا على البناء للمفعول بمعنى الا ان تدخلوا فيه وتجذبوا اليه وقيل الا ان توجدوا مغمضين • وعن الحسن لو وجدتموه فى السوق يباع ما اخذتموه حتى يهضم لكم من ثمنه • وعن ابن عباس رضى الله عنهما كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه • الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم • يعدكم الفقر اى يعدكم فى الانفاق الفقر ويقول لكم ان عاقبة انفاقكم ان تفتقروا وقرئ الفقر بالضم والفقر بفتحتين والوعد يستعمل فى الخير والشر قال الله تعالى النار وعدها الله الذين كفروا ويأمركم بالفحشاء ويغريكم على البخل ومنع الصدقات اغراء الآمر للمأمور والفاحش عند العرب البخيل والله يعدكم فى الانفاق مغفرة لذنوبكم وكفارة لها وفضلا وان يخلف عليكم افضل مما انفقتم او وثوابا عليه فى الآخرة • يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا وما يذكر الا اولوا الالباب • يؤتى الحكمة يوفق للعلم والعمل به والحكيم عند الله تعالى هو العالم العامل وقرئ ومن يؤت الحكمة بمعنى ومن يؤته الله الحكمة وهكذا قرأ الاعمش وخيرا كثيرا تنكير تعظيم كانه قال فقد اوتى اى خير كثير • وما يذكر الا اولوا الالباب يريد الحكماء العلماء العمال والمراد الحث على العمل بما تضمنت الآى فى معنى الانفاق • وما انفقتم من نفقة او نذرتم من نذر فان الله يعلمه وما للظالمين من انصار • وما انفقتم من نفقة فى سبيل الله او فى سبيل الشيطان او نذرتم من نذر فى طاعة الله او فى معصيته فان الله يعلمه لا يخفى عليه وهو مجازيكم عليه وما للظالمين الذين يمنعون الصدقات او ينفقون اموالهم فى المعاصى او لا يوفون بالنذور او ينذرون فى المعاصى من انصار ممن ينصرهم من الله تعالى ويمنعهم من عقابه • ان تبدوا الصدقات فنعما هى وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ونكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير • ما فى نعما نكرة غير موصولة ولا موصوفة ومعنى فنعما هى فنعم شيئا ابداؤها وقرئ بكسر النون وفتحها وان تخفوها وتؤتوها الفقراء وتصيبوا بها مصارفها مع الاخفاء فهو خير لكم فالاخفاء خير لكم والمراد الصدقات المتطوع بها فان الافضل فى الفرائض ان يجاهر بها • وعن ابن عباس رضى الله عنهما صدقات السر فى التطوع تفضل علانيتها سبعين ضعفا وصدقة الفريضة علانيتها افضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا وانما كانت المجاهرة بالفرائض افضل لنفى التهمة حتى اذا كان المزكى ممن لا يعرف باليسار كان اخفاؤه افضل والمتطوع ان اراد ان يقتدى به كان اظهاره افضل ونكفر قرئ بالنون مرفوعا عطفا على محل ما بعد الفاء او على انه خبر مبتدأ محذوف اى ونحن نكفر او على انه جملة من فعل وفاعل مبتدأة ومجزوما عطفا على محل الفاء وما بعده لانه جواب الشرط وقرئ ويكفر بالياء مرفوعا والفعل لله او للاخفاء وتكفر بالتاء مرفوعا ومجزوما والفعل للصدقات وقرأ الحسن بالياء والنصب باضمار ان ومعناه ان تخفوها يكن خيرا لكم وان يكفر عنكم • ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء وما تنفقوا من خير فلانفسكم وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف اليكم وانتم لا تظلمون • ليس عليك هداهم لا يجب عليك ان تجعلهم مهديين الى الانتهاء عما نهوا عنه من المن والاذى والانفاق من الخبيث وغير ذلك وما عليك الا ان تبلغهم النواهى فحسب ولكن الله يهدى من يشاء يلطف بمن يعلم ان اللطف ينفع فيه فينتهى عما نهى عنه • وما تنفقوا من خير من مال فلانفسكم فهو لانفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا به على الناس ولا تؤذوهم بالتطاول عليهم وما تنفقون وليس نفقتكم الا ابتغاء وجه الله ولطلب ما عنده فما بالكم تمنون بها وتنفقون الخبيث الذى لا يوجه مثله الى الله تعالى • وما تنفقوا من خير يوف اليكم ثوابه اضعافا مضاعفة فلا عذر لكم فى ان ترغبوا عن انفاقه وان يكون على احسن الوجوه واجملها • وقيل حجت اسماء بنت ابى بكر رضى الله عنهما فاتتها امها تسألها وهى مشركة فابت ان تعطيها فنزلت • وعن سعيد بن جبير كانوا يتقون ان يرضخوا لقراباتهم من المشركين وروى ان ناسا من المسلمين كانت لهم اصهار فى اليهود ورضاع وقد كانوا ينفقون عليهم قبل الاسلام فلما اسلموا كرهوا ان ينفعوهم • وعن بعض العلماء لو كان شر خلق الله لكان لك ثواب نفقتك واختلف فى الواجب فجوز ابو حنيفة رحمه الله تعالى صرف صدقة الفطر الى اهل الذمة وابى غيره • للفقراء الذين احصروا فى سبيل الله لا يستطيعون ضربا فى الارض يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس الحافا وما تنفقوا من خير فان الله به عليم • الجار متعلق بمحذوف والمعنى اعمدوا للفقراء او اجعلوا

ما تنفقون للفقراء كقوله في تسع آيات ويجوز ان يكون خبر مبتدأ محذوف اي صدقاتكم للفقراء والذين احصروا
في سبيل الله هم الذين احصرهم الجهاد لا يستطيعون لاشتغالكم به ضربا في الارض للكسب وقيل هم اصحاب الصفة وهم
نحو من اربعمائة رجل من مهاجري قريش لم يكن لهم مساكن في المدينة ولا عشائر فكانوا في صفة المسجد وهي سقيفته يتعلمون
القرآن بالليل ويرضخون النوى بالنهار وكانوا يخرجون في كل سرية يبعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن كان عنده فضل
اتاهم به اذا امسى وعن ابن عباس رضي الله عنهما وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما على اصحاب الصفة فرأى فقرهم
وجهدهم وطيب قلوبهم فقال ابشروا يا اصحاب الصفة فمن بقي على النعت الذي انتم عليه راضيا بما فيه فانه من رفقائي
يحسبهم الجاهل بحالهم اغنياء من التعفف مستغنين من اجل تعففهم عن المسألة تعرفهم بسيماهم من صفرة الوجه ورثاثة
الحال والالحاف الالحاح وهو اللزوم وان لا يفارق الا بشيء يعطاه من قولهم لحفني من فضل لحافه اي اعطاني من فضل ما عنده
وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يحب الحيي الحليم المتعفف ويبغض البذي السآل الملحف ومعناه انهم ان سألوا سألوا بتلطف
ولم يلحوا وقيل هو نفي للسؤال والالحاف جميعا كقوله على لاحب لا يهتدى بمناره يريد نفي المنار والاهتداء
الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم
ولا هم يحزنون بالليل والنهار سرا وعلانية يعمون الاوقات والاحوال بالصدقة لحرصهم على الخير فكلما نزلت
بهم حاجة محتاج عجلوا قضاءها ولم يؤخروه ولم يتعللوا بوقت ولا حال وقيل نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه
حين تصدق باربعين الف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة في السر وعشرة في العلانية وعن ابن عباس رضي الله عنهما
نزلت في علي رضي الله عنه لم يملك الا اربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية وقيل نزلت
في علف الخيل وارتباطها في سبيل الله وعن ابي هريرة رضي الله عنه كان اذا مر بفرس سمين قرأ هذه الآية الذين يأكلون
الربوا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بانهم قالوا انما البيع
مثل الربوا واحل الله البيع وحرم الربوا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف
وامره الى الله ومن عاد فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون الربوا كتب بالواو على لغة من
يفخم كما كتبت الصلوة والزكوة وزيدت الالف بعدها تشبيها بواو الجمع لا يقومون اذا بعثوا من قبورهم الا كما يقوم الذي
يتخبطه الشيطان اي المصروع وتخبط الشيطان من زعمات العرب يزعمون ان الشيطان يخبط الانسان فيصرع والخبط
الضرب على غير استواء كخبط العشواء فورد على ما كانوا يعتقدون والمس الجنون ورجل ممسوس وهذا ايضا من زعماتهم
وان الجني يمسه فيختلط عقله وكذلك جن الرجل معناه ضربته الجن ورأيتهم لهم في الجن قصص واخبار وعجائب وانكار
ذلك عندهم كانكار المشاهدات فان قلت بم يتعلق قوله من المس قلت بلا يقومون اي لا يقومون
من المس الذي بهم الا كما يقوم المصروع ويجوز ان يتعلق بيقوم اي كما يقوم المصروع من جنونه والمعنى انهم يقومون يوم القيمة
مخبلين كالمصروعين تلك سيماهم يعرفون بها عند اهل الموقف وقيل الذين يخرجون من الاجداث يوفضون الا
اكلة الربوا فانهم ينهضون ويسقطون كالمصروعين لانهم اكلوا الربوا فارباه الله تعالى في بطونهم حتى اثقلهم فلا يقدرون على
الايفاض ذلك العقاب بسبب قولهم انما البيع مثل الربوا فان قلت هلا قيل انما الربوا مثل البيع لان
الكلام في الربوا لا في البيع فوجب ان يقال انما شبهوا الربوا بالبيع فاستحلوه وكانت شبهتهم انهم قالوا لو اشترى الرجل
ما لا يساوي الا درهما بدرهمين جاز فكذلك اذا باع درهما بدرهمين قلت جيء به على طريق المبالغة وهو انه قد بلغ من
اعتقادهم في حل الربوا انهم جعلوه اصلا وقانونا في الحل حتى شبهوا به البيع وقوله واحل الله البيع وحرم الربوا انكار لتسويتهم
بينهما ودلالة على ان القياس يهدمه النص لانه جعل الدليل على بطلان قياسهم احلال الله وتحريمه فمن جاءه موعظة من ربه فمن
بلغه وعظ من الله تعالى وزجر بالنهي عن الربوا فانتهى فتبع النهي وامتنع فله ما سلف فلا يؤاخذ بما مضى منه لانه اخذ قبل نزول التحريم
وامره الى الله يحكم في شأنه يوم القيمة وليس من امره اليكم شيء فلا تطالبوه به ومن عاد الى الربوا فاولئك اصحاب النار هم فيها
خالدون وهذا دليل بين على تخليد الفساق وذكر فعل الموعظة لان تأنيثها غير حقيقي ولانها في معنى الوعظ وقرأ ابي والحسن
فمن جاءته يمحق الله الربوا ويربي الصدقات والله لا يحب كل كفار اثيم
يمحق الله الربوا يذهب ببركته ويهلك المال الذي يدخل فيه وعن ابن مسعود رضي الله عنه الربوا وان كثر الى قل

يربي

ويربي الصدقات ما يتصدق به بان يضاعف عليه الثواب ويزيد المال الذي اخرجت منه الصدقة ويبارك فيه
وفي الحديث ما نقصت زكوة من مال قط كل كفار اثيم تغليظ في امر الربوا وايذان بانه من فعل الكفار لا من فعل
المسلمين ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة لهم اجرهم
عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا
ما بقي من الربوا ان كنتم مؤمنين اخذوا ما شرطوا على الناس من الربوا وبقيت لهم بقايا فامروا
ان يتركوها ولا يطالبوا بها روي انها نزلت في ثقيف وكان لهم على قوم من قريش مال فطالبوهم عند المحل بالمال والربوا
وقرأ الحسن ما بقي بقلب الياء الفا على لغة طي وعنه ما بقي بياء ساكنة ومنه قول جرير هو الخليفة فارضوا ما رضي لكم
ماضي العزيمة ما في حكمه جنف ان كنتم مؤمنين ان صح ايمانكم يعني ان دليل صحة الايمان وثباته امتثال ما امرتم به
فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله وان تبتم فلكم رؤس اموالكم لا تظلمون ولا تظلمون
فاذنوا بحرب فاعلموا بها من اذن بالشيء اذا علم به وقرئ فآذنوا فاعلموا بها غيركم وهو من الاذن وهو الاستماع لانه من طرق العلم
وقرأ الحسن فايقنوا وهو دليل لقراءة العامة فان قلت هلا قيل بحرب الله ورسوله قلت كان هذا ابلغ لان
المعنى فاذنوا بنوع من الحرب عظيم من عند الله ورسوله وروي انها لما نزلت قالت ثقيف لا يدي لنا بحرب الله ورسوله وان
تبتم من الارتباء فلكم رؤس اموالكم لا تظلمون المديونين بطلب الزيادة عليها ولا تظلمون بالنقصان منها فان قلت
هذا حكمهم ان تابوا فما حكمهم ان لم يتوبوا قلت قالوا يكون مالهم فيئا للمسلمين وروى المفضل عن عاصم لا تظلمون ولا تظلمون
وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وان تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون وان كان
ذو عسرة وان وقع غريم من غرمائكم ذو عسرة اي ذو اعسار وقرأ عثمان ذا عسرة على وان كان الغريم ذا عسرة وقرئ ومن كان
ذا عسرة فنظرة فالحكم او فالامر نظرة وهي الانظار وقرئ فنظرة بسكون الظاء وقرأ عطاء فناظره بمعنى فصاحب الحق
ناظره اي منتظره او صاحب نظرته على طريقة النسب كقولهم مكان عاشب وباقل بمعنى ذو عشب وذو بقل وعنه
فناظره على الامر بمعنى فسامحه بالنظرة وباشره بها الى ميسرة الى يسار وقرئ بضم السين كمقبرة ومقبرة ومشرقة
ومشرقة وقرئ بهما مضافين بحذف التاء عند الاضافة كقوله واخلفوك عد الامر الذي وعدوا وقوله واقام
الصلوة وان تصدقوا خير لكم ندب الى ان يتصدقوا برؤس اموالهم على من اعسر من غرمائهم او ببعضها كقوله وان تعفوا
اقرب للتقوى وقيل اريد بالتصدق الانظار لقوله صلى الله عليه وسلم لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره الا كان له بكل يوم
صدقة ان كنتم تعلمون انه خير لكم فتعملوا به جعل من لا يعمل به وان علمه كانه لا يعلمه وقرئ تصدقوا بتخفيف الصاد على
حذف التاء واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون
ترجعون قرئ على البناء للفاعل والمفعول وقرئ يرجعون بالياء على طريقة الالتفات وقرأ عبد الله تردون وقرأ
ابي تصيرون وعن ابن عباس انها آخر آية نزل بها جبريل وقال ضعها في رأس المائتين والثمانين من البقرة وعاش
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها احدا وعشرين يوما وقيل احدا وثمانين وقيل سبعة ايام وقيل ثلث ساعات
يا ايها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل
ولا يأب كاتب ان يكتب كما علمه الله فليكتب وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه
ولا يبخس منه شيئا فان كان الذي عليه الحق سفيها او ضعيفا او لا يستطيع ان يمل هو
فليملل وليه بالعدل واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل
وامرأتان ممن ترضون من الشهداء ان تضل احديهما فتذكر احديهما الاخرى ولا يأب الشهداء
اذا ما دعوا ولا تسأموا ان تكتبوه صغيرا او كبيرا الى اجله ذلكم اقسط عند الله واقوم للشهادة
وادنى الا ترتابوا الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح الا تكتبوها
واشهدوا اذا تبايعتم ولا يضار كاتب ولا شهيد اذا تداينتم اذا داين بعضكم بعضا يقال
داينت الرجل اذا عاملته بدين معطيا او آخذا كما تقول بايعته اذا بعته او باعك قال رؤبة داينت اروى والديون تقضى
فمطلت بعضا وادت بعضا والمعنى اذا تعاملتم بدين مؤجل فاكتبوه فان قلت هلا قيل اذا تداينتم الى اجل مسمى

واى حاجة الى ذكر الدين كما قال داينت اروى ولم يقل بدين قلت ذكر ليرجع الضمير اليه فى قوله فاكتبوه اذ لو لم يذكر
لوجب ان يقال فاكتبوا الدين فلم يكن النظم بذلك الحسن ولانه ابين لتنويع الدين الى موجل وحال فان قلت
ما فائدة قوله مسمى قلت ليعلم ان من حق الاجل ان يكون معلوما كالتوقيت بالسنة والاشهر والايام ولو قال
الى الحصاد او الدياس او رجوع الحاج لم يجز لعدم التسمية وانما امر بكتبة الدين لان ذلك اوثق وآمن من النسيان
وابعد من الجحود والامر للندب وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان المراد به السلم وقال لما حرم الله تعالى الربوا اباح السلف
المضمون الى اجل معلوم فى كتابه وانزل فيه اطول آية بالعدل متعلق بكاتب صفة له اى كاتب مامون على ما يكتب
يكتب بالسوية والاحتياط لا يزيد على ما يجب ان يكتب ولا ينقص وفيه ان يكون الكاتب فقيها عالما بالشروط
حتى يجى مكتوبه معدلا بالشرع وهو امر للمتداينين بتخير الكاتب وان لا يستكتبوا الا فقيها دينا ولا ياب كاتب
ولا يمتنع احد من الكتاب وهو معنى تنكير كاتب ان يكتب كما علمه الله مثل ما علمه الله تعالى كتابة الوثايق لا يبدل ولا
يغير وقيل هو كقوله تعالى واحسن كما احسن الله اليك اى ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله بتعليمها وعن الشعبى هى
فرض كفاية وكما علمه الله يجوز ان يتعلق بان يكتب وبقوله فليكتب فان قلت اى فرق بين الوجهين
قلت ان علقته بان يكتب فقد نهى عن الامتناع من الكتابة المقيدة ثم قيل له فليكتب يعنى فليكتب تلك الكتابة
لا يعدل عنها للتوكيد وان علقته بقوله فليكتب فقد نهى عن الامتناع من الكتابة على سبيل الاطلاق ثم امر بها مقيدة
وليملل الذى عليه الحق ولا يكن المملى الا من وجب عليه الحق لانه هو المشهود على ثباته فى ذمته واقراره به والاملاء والاملال
لغتان قد نطق بهما القرآن فهى تملى عليه ولا يبخس منه من الحق شيئا والبخس النقص وقرى شيا بطرح الهمزة وشيا
بالتشديد سفيها محجورا عليه لتبذيره وجهله بالتصرف او ضعيفا صبيا او شيخا مختلا او لا يستطيع ان يمل هو او
غير مستطيع للاملاء بنفسه لعى به او خرس فليملل وليه الذى يلى امره من وصى ان كان سفيها او صبيا او وكيل
ان كان غير مستطيع او ترجمان يمل عنه وهو يصدقه وقوله ان يمل هو فيه انه غير مستطيع بنفسه ولكن بغيره وهو الذى
يترجم عنه واستشهدوا شهيدين واطلبوا ان يشهد لكم شهيدان على الدين من رجالكم من رجال المؤمنين والحرية والبلوغ
شرط مع الاسلام عند عامة المشايخ وعن على كرم الله وجهه لا يجوز شهادة العبد فى شى وعند شريح وابن سيرين
وعثمان البتى انها جايزة ويجوز عند ابى حنيفة رح شهادة الكفار بعضهم على بعض على اختلاف الملل فان لم يكونا فان لم
يكن الشهيدان رجلين فرجل وامراتان فليشهد رجل وامراتان وشهادة النساء مع الرجال مقبولة عند ابى حنيفة رح
فيما عدا الحدود والقصاص ممن ترضون ممن تعرفون عدالتهم ان تضل احديهما ان لا تهتدى احداهما للشهادة بان تنساها
من ضل الطريق اذا لم يهتد له وانتصابه على انه مفعول له اى ارادة ان تضل فان قلت كيف يكون ضلالها مرادا لله
قلت لما كان الضلال سببا للاذكار والاذكار مسببا عنه وهم ينزلون كل واحد من السبب والمسبب منزلة
الآخر لالتباسهما واتصالهما كانت ارادة الضلال المسبب عنه الاذكار ارادة للاذكار فكانه قيل ارادة ان تذكر احديهما
الاخرى ان ضلت ونظيره قولهم اعددت الخشبة ان يميل الحائط فادعمه واعددت السلاح ان يجى عدو فادفعه وقرى
فتذكر بالتخفيف والتشديد وهما لغتان وفتذاكر وقرا حمزة ان تضل احديهما على الشرط فتذكر بالرفع والتشديد
كقوله تعالى ومن عاد فينتقم الله منه وقرى ان تضل احديهما على البناء للمفعول والتانيث ومن بدع التفاسير
فتذكر فتجعل احديهما الاخرى ذكرا يعنى انهما اذا اجتمعتا كانتا بمنزلة الذكر اذا ما دعوا ليقيموا الشهادة وقيل
ليستشهدوا وقيل لهم شهداء قبل التحمل تنزيلا لما يشارف منزلة الكاين وعن قتادة كان الرجل يطوف فى
الحواء العظيم فيه القوم فلا يتبعه منهم احد فنزلت كنى بالسام عن الكسل لان الكسل صفة المنافق ومنه الحديث
لا يقول المؤمن كسلت ويجوز ان يراد من كثرت مداينته فاحتاج ان يكتب لكل دين صغير او كبير كتابا فربما مل كثرة
الكتب والضمير فى تكتبوه للدين او الحق صغيرا او كبيرا على اى حال كان الحق من صغير او كبير ويجوز ان يكون الضمير
للكتاب وان تكتبوه مختصرا او مشبعا ولا تخلوا بكتابته الى اجله الى وقته الذى اتفق الغريمان على تسميته ذلكم
اشارة الى ان تكتبوه لانه فى معنى المصدر اى ذلكم الكتب اقسط اعدل من القسط واقوم للشهادة واعون على اقامة
الشهادة وادنى ان لا ترتابوا واقرب من انتفاء الريب فان قلت مم بنى افعلا التفضيل اعنى اقسط واقوم

الحواء جماعة بيوت العرب من الناس
مجتمعة والجمع الاحوية ﻫ

قلت

قلت يجوز على مذهب سيبويه ان يكونا مبنيين من اقسط واقام وان يكون اقسط من قاسط على طريقة النسب
بمعنى ذى قسط واقوم من قويم وقرى ولا يسأموا ان يكتبوه بالياء فيهما فان قلت ما معنى تجارة حاضرة
وسواء كانت المبايعة بدين او بعين فالتجارة حاضرة وما معنى ادارتها بينهم قلت اريد بالتجارة ما يتجر
فيه من الابدال ومعنى ادارتها بينهم تعاطيهم اياها يدا بيد والمعنى الا ان تتبايعوا بيعا ناجزا يدا بيد فلا باس
بان لا يكتبوه لانه لا يتوهم فيه ما يتوهم فى التداين وقرى تجارة حاضرة بالرفع على كان التامة وقيل هى الناقصة على ان
الاسم تجارة حاضرة والخبر تديرونها وبالنصب على الا ان تكون التجارة تجارة حاضرة كقوله (اى الكتاب سيبويه) بنى اسد هل تعلمون
بلاءنا اذا كان يوما ذا كواكب اشنعا اى اذا كان اليوم يوما واشهدوا اذا تبايعتم امر بالاشهاد على التبايع مطلقا
ناجزا او كاليا لانه احوط وابعد مما عسى يقع من الاختلاف ويجوز ان يراد واشهدوا اذا تبايعتم هذا التبايع يعنى التجارة
الحاضرة على ان الاشهاد كاف فيه دون الكتابة وعن الحسن ان شاء اشهد وان شاء لم يشهد وعن الضحاك هى عزيمة من الله
ولو على باقة بقل ولا يضار يحتمل البناء للفاعل والمفعول والدليل عليه قراءة عمر رضى الله عنه ولا يضارر بالاظهار
والكسر وقراءة ابن عباس رضى الله عنهما ولا يضارر بالاظهار والفتح والمعنى نهى الكاتب والشهيد عن ترك الاجابة
الى ما يطلب منهما وعن التحريف والزيادة والنقصان او النهى عن الضرار بهما بان يعجلا عن مهم ويلزا او لا يعطى الكاتب
حقه من الجعل او يحمل الشهيد مؤنة مجيئه من بلد وقرا الحسن ولا يضار بالكسر وان تفعلوا فانه فسوق
بكم واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شىء عليم وان تفعلوا وان تضاروا فانه فان
الضرار فسوق بكم وقيل وان تفعلوا شيئا مما نهيتم عنه وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان
مقبوضة فان امن بعضكم بعضا فليؤد الذى اؤتمن امانته وليتق الله ربه ولا تكتموا
الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه والله بما تعملون عليم على سفر مسافرين وقرا ابن عباس
وابى كتابا وقال ابن عباس ارايت ان وجدت الكاتب ولم تجد الصحيفة والدواة وقرا ابو العالية كتبا وقرا الحسن
كتابا جمع كاتب فرهن فالذى يستوثق به رهن وقرى فرهن بضم الهاء وسكونها وهو جمع رهن كسقف وسقف
وفرهان فان قلت لم شرط السفر فى الارتهان ولا يختص به سفر دون حضر وقد رهن رسول الله
صلى الله عليه وسلم درعه فى غير سفر قلت ليس الغرض تجويز الارتهان فى السفر خاصة ولكن السفر لما كان مظنة لاعواز
الكتب والاشهاد امر على سبيل الارشاد الى حفظ المال من كان على سفر بان يقيم التوثق بالارتهان مقام التوثق بالكتب
والاشهاد وعن مجاهد والضحاك انهما لم يجوزاه الا فى حال السفر اخذا بظاهر الآية واما القبض فلا بد من اعتباره وعند مالك
يصح الارتهان بالايجاب والقبول بدون القبض فان امن بعضكم بعضا فان امن بعض الداينين بعض المديونين لحسن ظنه
وقرا ابى فان اومن اى آمنه الناس ووصفوا المديون بالامانة والوفاء والاستغناء عن الارتهان من مثله فليؤد الذى
ائتمن لانه حث للمديون ان يكون عند ظن الداين به وامنه منه وائتمانه له وان يؤدى اليه الحق الذى ائتمنه عليه فلم يرتهن
منه وسمى الدين امانة وهو مضمون لايتمانه عليه بترك الارتهان منه والقراءة ان تنطق بهمزة ساكنة بعد الذال او يا فتقول
الذى اؤتمن او الذى ايتمن وعن عاصم انه قرا الذتمن بادغام الياء فى التاء قياسا على اتسر فى الافتعال من اليسر
وليس بصحيح لان الياء منقلبة عن الهمزة فهى فى حكم الهمزة واتزر عامى وكذلك ريا فى رؤيا آثم خبر ان وقلبه
رفع باثم على الفاعلية كانه قيل فانه يأثم قلبه ويجوز ان يرتفع قلبه بالابتداء وآثم خبر مقدم والجملة خبر ان فان قلت
هلا اقتصر على قوله فانه آثم وما فائدة ذكر القلب والجملة هى الآثمة لا القلب وحده قلت كتمان الشهادة هو ان
يضمرها ولا يتكلم بها فلما كان آثما مقترفا بالقلب اسند اليه لان اسناد الفعل الى الجارحة التى تعمل بها ابلغ الا تراك
تقول اذا اردت التوكيد هذا مما ابصرته عينى ومما سمعته اذنى ومما عرفه قلبى ولان القلب هو رئيس الاعضاء والمضغة
التى ان صلحت صلح الجسد كله وان فسدت فسد الجسد كله فكانه قيل فقد تمكن الاثم فى اصل نفسه وملك
اشرف مكان فيه ولئلا يظن ان كتمان الشهادة من الآثام المتعلقة باللسان فقط وليعلم ان
القلب اصل متعلقه ومعدن اقترافه واللسان ترجمان عنه ولان افعال القلوب اعظم من افعال سائر الجوارح
وهى لها كالاصول التى تتشعب منها الا ترى ان اصل الحسنات والسيئات الايمان والكفر وهما من افعال القلوب

فاذا جعل كتمان الشهادة من آثام القلوب فقد شهد له بانه من معاظم الذنوب وعن ابن عباس رضي الله عنهما اكبر الكبائر الاشراك بالله لقوله تعالى فقد حرم الله عليه الجنة وشهادة الزور وكتمان الشهادة وقرئ قلبه بالفتح كقوله سفه نفسه وقرأ ابن ابي عبلة اثم قلبه اي جعله آثما

لله ما في السموات وما في الارض وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير

وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يعني من السوء يحاسبكم به الله فيغفر لمن استوجب المغفرة بالتوبة مما اظهر منه او اضمر ويعذب من يشاء ممن استوجب العقوبة بالاصرار ولا يدخل فيما يخفيه الانسان الوساوس وحديث النفس لان ذلك مما ليس في وسعه الخلو منه ولكن ما اعتقده وعزم عليه وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما انه تلاها فقال لئن اخذنا الله تعالى بهذا لنهلكن ثم بكى حتى سمع نشيجه فذكر لابن عباس فقال يغفر الله لابي عبد الرحمن قد وجد المسلمون منها مثل ما وجد فنزل لا يكلف الله وقرئ فيغفر ويعذب مجزومين عطفا على جواب الشرط ومرفوعين على فهو يغفر ويعذب فان قلت كيف يقرأ الجازم قلت يظهر الراء ويدغم الباء ومدغم الراء في اللام لاحن مخطئ خطأ فاحشا وراويه عن ابي عمرو مخطئ مرتين لانه يلحن وينسب الى اعلم الناس بالعربية ما يؤذن بجهل عظيم والسبب في نحو هذه الروايات قلة ضبط الرواة والسبب في قلة الضبط قلة الدراية ولا يضبط نحو هذا الا اهل النحو وقرأ الاعمش يغفر بغير فاء مجزوما على البدل من يحاسبكم كقوله

متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا ❊ تجد حطبا جزلا ونارا تأججا

ومعنى هذا البدل التفصيل لجملة الحساب لان التفصيل اوضح من المفصل فهو جار مجرى بدل البعض من الكل او بدل الاشتمال كقولك ضربت زيدا رأسه واحببت زيدا عقله وهذا البدل واقع في الافعال وقوعه في الاسماء لحاجة القبيلين الى البيان

آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير

والمؤمنون ان عطف على الرسول كان الضمير الذي التنوين نائب عنه في كل راجعا الى الرسول والمؤمنين اي كلهم آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله من المذكورين ووقف عليه وان كان مبتدأ كان الضمير للمؤمنين ووحد ضمير كل في آمن على معنى كل واحد منهم آمن وكان يجوز ان يجمع كقوله وكل اتوه داخرين وقرأ ابن عباس وكتابه يريد القرآن او الجنس وعنه الكتاب اكثر من الكتب فان قلت كيف يكون الواحد اكثر من الجمع قلت لانه اذا اريد بالواحد الجنس والجنسية قائمة في وحدان الجنس كلها لم يخرج منه شيء واما الجمع فلا يدخل تحته الا ما فيه الجنسية من الجموع لا نفرق وعن ابي عمرو ولا يفرق بالياء على ان الفعل لكل وقرأ عبد الله لا يفرقون واحد في معنى الجمع كقوله فما منكم من احد عنه حاجزين ولذلك دخل عليه بين سمعنا اجبنا غفرانك منصوب باضمار فعله يقال غفرانك لا كفرانك اي نستغفرك ولا نكفرك وقرئ وكتبه ورسله بالسكون

لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين

الوسع ما يسع الانسان ولا يضيق عليه ولا يحرج فيه اي لا يكلفها الا ما يتسع فيه طوقه ويتيسر عليه دون مدى الطاقة والمجهود وهذا اخبار عن عدله ورحمته كقوله يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر لانه كان في امكان الانسان وطاقته ان يصلي اكثر من الخمس ويصوم اكثر من الشهر ويحج اكثر من حجة وقرأ ابن ابي عبلة وسعها بالفتح لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ينفعها ما كسبت من خير ويضرها ما اكتسبت من شر لا يؤاخذ بذنبها غيرها ولا يثاب غيرها بطاعتها فان قلت لم خص الخير بالكسب والشر بالاكتساب قلت في الاكتساب اعتمال فلما كان الشر مما تشتهيه النفس وهي منجذبة اليه وامارة به كانت في تحصيله اعمل واجد فجعلت لذلك مكتسبة فيه ولما لم تكن كذلك في باب الخير وصفت بما لا دلالة فيه على الاعتمال اي لا تؤاخذنا بالنسيان او الخطأ ان فرطنا فان قلت النسيان والخطأ متجاوز عنهما فما معنى الدعاء بترك المؤاخذة بهما قلت ذكر النسيان والخطأ والمراد بهما ما هما مسببان عنه من التفريط والاغفال الا ترى الى قوله وما انسانيه الا الشيطان والشيطان لا يقدر على فعل النسيان وانما يوسوس فيكون

وسوسته

الاقوال المضطرب فاعرف

وسوسته سببا للتفريط الذي منه النسيان ولانهم كانوا متقين الله حق تقاته فما كانت تفرط منهم فرطة الا على وجه النسيان والخطأ فكان وصفهم بالدعاء بذلك ايذانا ببراءة ساحتهم عما يؤاخذون به كانه قيل ان كان النسيان والخطأ مما يؤاخذ به فما فيهم سبب مؤاخذة الا الخطأ والنسيان ويجوز ان يدعو الانسان بما علم انه حاصل له قبل الدعاء من فضل الله عز وجل لاستدامته والاعتداد او بالنعمة فيه الاصر العبء الذي يأصر حامله اي يحبسه مكانه لا يستقل به لثقله استعير للتكليف الشاق من نحو قتل الانفس وقطع موضع النجاسة من الجلد والثوب وغير ذلك وقرئ آصارا على الجمع وفي قراءة ابي ولا تحمل علينا بالتشديد فان قلت اي فرق بين هذه التشديدة والتي في ولا تحملنا قلت هذه للمبالغة في حمل عليه وتلك لنقل حمله من مفعول واحد الى مفعولين ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به من العقوبات النازلة بمن قبلنا طلبوا الاعفاء عن التكليفات الشاقة التي كلفها من قبلهم ثم عما نزل عليهم من العقوبات على تفريطهم في المحافظة عليها وقيل المراد به الشاق الذي لا يكاد يستطاع من التكاليف وهذا تكرير لقوله لا تحمل علينا اصرا مولانا سيدنا ونحن عبيدك او ناصرنا او متولي امورنا فانصرنا فمن حق المولى ان ينصر عبيده او فان ذلك عادتك او فان ذلك من امورنا التي عليك توليها وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دعا بهذه الدعوات قيل له عند كل كلمة قد فعلت وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه وعنه صلى الله عليه وسلم اوتيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يؤتهن نبي قبلي وعنه صلى الله عليه وسلم انزل الله آيتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق بالفي سنة من قرأهما بعد العشاء الآخرة اجزأتاه عن قيام الليل فان قلت هل يجوز ان يقال قرأت سورة البقرة او قرأت البقرة قلت لا بأس بذلك وقد جاء في حديث النبي صلى الله عليه وسلم من آخر سورة البقرة وخواتيم سورة البقرة وعن علي رضي الله عنه خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه انه رمى الجمرة ثم قال من ههنا والذي لا اله غيره رمى الذي انزلت عليه سورة البقرة ولا فرق بين قولك سورة الزخرف وسورة الممتحنة والى له واذا قيل قرأت البقرة لم يشكل ان المراد سورة البقرة كقولك سأل القرية وعن بعضهم انه كره ذلك وقال يقال قرأت السورة التي تذكر فيها البقرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم السورة التي تذكر فيها البقرة فسطاط القرآن فتعلموها فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولن تستطيعها البطلة قيل وما البطلة قال السحرة

سورة آل عمران مدنية مائتا آية

بسم الله الرحمن الرحيم الم الله لا اله الا هو الحي القيوم

ميم حقها ان يوقف عليها كما وقف على الف ولام وان يبدأ ما بعدها كما تقول واحد اثنان وهي قراءة عاصم واما فتحها فهي حركة الهمزة ألقيت عليها حين اسقطت للتخفيف فان قلت كيف جاز القاء حركتها عليها وهي همزة وصل لا تثبت في درج الكلام فلا تثبت حركتها لان ثبات حركتها كثباتها قلت هذا ليس بدرج لان ميم في حكم الوقف والسكون والهمزة في حكم الثابت وانما حذفت تخفيفا وألقيت حركتها على الساكن قبلها لتدل عليها ونظيره قولهم واحد اثنان بالقاء حركة الهمزة على الدال فان قلت هلا زعمت انها حركة لالتقاء الساكنين قلت لان التقاء الساكنين لا يبالى به في باب الوقف وذلك قولهم هذا ابراهيم وداود واسحق ولو كان التقاء الساكنين في حال الوقف يوجب التحريك لحرك الميمان في الف لام ميم لالتقاء الساكنين ولما انتظر ساكن آخر فان قلت انما لم يحركوا لالتقاء الساكنين في ميم لانهم ارادوا الوقف وامكنهم النطق بساكنين فاذا جاء بساكن ثالث لم يمكن الا التحريك فحركوا قلت الدليل على ان الحركة ليست لملاقاة الساكن انه كان يمكنهم ان يقولوا واحد اثنان بسكون الدال مع طرح الهمزة فيجمعوا بين ساكنين كما قالوا اصيم ومديق فلما حركوا الدال علم ان حركتها هي الهمزة الساقطة لا غير وليست لالتقاء الساكنين فان قلت فما وجه قراءة عمرو بن عبيد بالكسر قلت هذه القراءة على توهم التحريك لالتقاء الساكنين وما هي بمقبولة

نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وانزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس وانزل الفرقان ان الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام

والتوراة والانجيل

قوله ولن تستطيعها البطلة ان تحفظها ويجوز ان يكون من باب حذف المضاف والمضاف اليه كقوله تعالى فقبضت قبضة من اثر الرسول اي من اثر حافر فرس الرسول

اسمان اعجميان وتكلف اشتقاقهما من الورى والنجل ووزنهما بتفعلة وافعيل انما يصح بعد كونهما عربيين وقرأ الحسن الانجيل بفتح الهمزة وهو دليل على العجمة لان افعيل بفتح الهمزة عديم في اوزان العرب فان قلت لم قيل نزل الكتاب وانزل التورية والانجيل قلت لان القرآن نزل منجما ونزل الكتابان جملة وقرأ الاعمش نزل عليك الكتاب بالتخفيف ورفع الكتاب هدى للناس اى لقوم موسى وعيسى ومن قال نحن متعبدون بشرائع من قبلنا فسره على العموم فان قلت ما المراد بالفرقان قلت جنس الكتب السماوية لان كلها فرقان يفرق بين الحق والباطل او الكتب التى ذكرها كانه قال بعد ذكر الكتب الثلثة وانزل ما يفرق به بين الحق والباطل من كتبه او من هذه الكتب اوارا والكتاب الرابع وهو الزبور كما قال وآتينا داود زبورا وهو ظاهر او كرر ذكر القرآن بما هو نعت له ومدح من كونه فارقا بين الحق والباطل بعدما ذكره باسم الجنس تعظيما لشانه واظهارا لفضله بآيات الله من كتبه المنزلة وغيرها ذو انتقام له انتقام شديد لا يقدر على مثله منتقم ان الله لا يخفى عليه شئ فى الارض ولا فى السماء هو الذى يصوركم فى الارحام كيف يشاء لا اله الا هو العزيز الحكيم

لا يخفى عليه شئ فى العالم فعبر عنه بالسماء والارض فهو مطلع على كفر من كفر وايمان من آمن وهو مجازيهم عليه كيف يشاء من الصور المختلفة المتفاوتة وقرأ طاوس تصوركم اى صوركم لنفسه ولتعبده كقولك اثلت مالا اذا جعلته اثلة اى اصلا وتاثلته اذا اثلته لنفسك وعن سعيد بن جبير هذا حجاج على من زعم ان عيسى كان ربا كانه قيل هو مصور فى الرحم على انه عبد كغيره وكان يخفى عليه ما لا يخفى على الله هو الذى انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات فاما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تاويله وما يعلم تاويله الا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا اولوا الالباب ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب محكمات احكمت عبارتها بان حفظت من الاحتمال والاشتباه متشابهات مشتبهات محتملات هن ام الكتاب اى اصل الكتاب تحمل المتشابهات عليها وترد اليها ومثال ذلك لا تدركه الابصار الى ربها ناظرة لا يامر بالفحشاء امرنا مترفيها فان قلت فهلا كان القرآن كله محكما قلت لو كان كله محكما لتعلق الناس به لسهولة ماخذه ولاعرضوا عما يحتاجون فيه الى الفحص والتامل من النظر والاستدلال ولو فعلوا ذلك لعطلوا الطريق الذى لا يتوصل الى معرفة الله وتوحيده الا به ولما فى المتشابه من الابتلاء والتمييز بين الثابت على الحق والمتزلزل فيه ولما فى تقادح العلماء واتعابهم القرائح فى استخراج معانيه ورده الى المحكم من الفوائد الجليلة والعلوم الجمة ونيل الدرجات عند الله تعالى ولان المؤمن المعتقد ان لا مناقضة فى كلام الله ولا اختلاف اذا راى فيه ما يتناقض فى ظاهره واهمه طلب ما يوفق بينه ويجريه على سنن واحد ففكر وراجع نفسه وغيره ففتح الله عليه وتبين مطابقة المتشابه المحكم ازداد طمأنينة الى معتقده وقوة فى ايقانه الذين فى قلوبهم زيغ هم اهل البدع فيتبعون ما تشابه منه فيتعلقون بالمتشابه الذى يحتمل ما يذهب اليه المبتدع مما لا يطابق المحكم ويحتمل ما يطابقه من قول اهل الحق ابتغاء الفتنة طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم ويضلوهم وابتغاء تاويله وطلب ان يأولوه التاويل الذى يشتهونه وما يعلم تاويله الا الله والراسخون فى العلم اى لا يهتدى الى تاويله الحق الذى يجب ان يحمل عليه الا الله وعباده الذين رسخوا فى العلم اى ثبتوا فيه وتمكنوا وعضوا فيه بضرس قاطع ومنهم من يقف على قوله الا الله ويبتدى والراسخون فى العلم يقولون ويفسرون المتشابه بما استاثر الله تعالى بعلمه وبمعرفة الحكمة فيه من آياته كعدد الزبانية ونحوه والاول هو الوجه ويقولون كلام مستانف موضح لحال الراسخين بمعنى هؤلاء العالمون بالتاويل يقولون آمنا به اى بالمتشابه كل من عند ربنا اى كل واحد منه ومن المحكم من عنده او بالكتاب كل من متشابهه ومحكمه من عند الله الحكيم الذى لا يتناقض كلامه ولا يختلف كتابه وما يذكر الا اولوا الالباب مدح للراسخين بالقاء الذهن وحسن التامل ويجوز ان يكون يقولون حالا من الراسخين وقرأ عبد الله ان تاويله الا عند الله وقرأ ابى ويقول الراسخون لا تزغ قلوبنا لا تبلنا ببلايا تزيغ فيها قلوبنا بعد اذ هديتنا وارشدتنا لدينك او لا تمنعنا الطافك بعد اذ لطفت بنا من لدنك رحمة من عندك نعمة بالتوفيق والمعونة وقرئ لا تزغ قلوبنا بالتاء والياء ورفع القلوب ربنا انك جامع الناس

ليوم

ليوم لا ريب فيه ان الله لا يخلف الميعاد ان الذين كفروا لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا واولئك هم وقود النار كداب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا باياتنا فاخذهم الله بذنوبهم والله شديد العقاب جامع الناس ليوم اى تجمعهم لحساب يوم او لجزاء يوم كقوله يوم يجمعكم ليوم الجمع وقرئ جامع الناس على الاصل ان الله لا يخلف الميعاد معناه ان الالهية تنافى خلف الميعاد كقولك ان الجواد لا يخيب سائله والميعاد الموعد وقرأ على رضى الله عنه لن تغنى بسكون الياء وهذا من الجد فى استثقال الحركة على حرف اللين من فى قوله من الله مثله فى قوله ان الظن لا يغنى من الحق شيئا والمعنى لن تغنى عنهم من رحمة الله او من طاعة الله شيئا اى بدل رحمته وطاعته وبدل الحق ومنه ولا ينفع ذا الجد منك الجد اى لا ينفعه جده وحظه من الدنيا بدلك اى بدل طاعتك وعبادتك وما عندك وفى معناه قوله تعالى وما اموالكم ولا اولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى وقرئ وقود بالضم بمعنى اهل وقودها والمراد بالذين كفروا من كفر برسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس هم قريظة والنضير الداب مصدر داب فى العمل اذا كدح فيه فوضع موضع ما عليه الانسان من شانه وحاله والكاف مرفوع المحل تقديره داب هؤلاء الكفرة كداب من قبلهم من آل فرعون وغيرهم ويجوز ان ينتصب محل الكاف بلن تغنى او بالوقود اى لن تغنى عنهم مثل ما لم تغن عن اولئك او توقد بهم النار كما توقد بهم كما تقول انك لتظلم الناس كداب ابيك تريد كظلم ابيك ومثل ما كان يظلمهم وان فلانا لمحارف كداب ابيه كما حورف ابوه كذبوا باياتنا تفسير لدابهم ما فعلوا وفعل بهم على انه جواب سؤال مقدر عن حالهم قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد قد كان لكم آية فى فئتين التقتا فئة تقاتل فى سبيل الله واخرى كافرة يرونهم مثليهم راى العين والله يؤيد بنصره من يشاء ان فى ذلك لعبرة لاولى الابصار قل للذين كفروا هم مشركو مكة ستغلبون يعنى يوم بدر وقيل هم اليهود لما غلب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر قالوا هذا والله النبى الامى الذى بشرنا به موسى وهموا باتباعه فقال بعضهم لا تعجلوا حتى ننظر الى وقعة اخرى فلما كان يوم احد شكوا وقيل جمعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد وقعة بدر فى سوق قينقاع فقال يا معشر اليهود احذروا مثل ما نزل بقريش واسلموا قبل ان ينزل بكم ما نزل بهم فقد عرفتم انى نبى مرسل فقالوا لا يغرنك انك لقيت قوما اغمارا لا علم لهم بالحرب فاصبت منهم فرصة لئن قاتلتنا لعلمت انا نحن الناس فنزلت وقرئ سيغلبون ويحشرون بالياء كقوله قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف على قل لهم قولى لك سيغلبون فان قلت اى فرق بين القراءتين من حيث المعنى قلت معنى القراءة بالتاء الامر بان يخبرهم بما سيجرى عليهم من الغلبة والحشر الى جهنم فهو اخبار بمعنى ستغلبون وتحشرون وهو الكائن من نفس المتوعد به والذى يدل عليه اللفظ ومعنى القراءة بالياء الامر بان يحكى لهم ما اخبره به من وعيدهم بلفظه كانه قال اد اليهم هذا القول الذى هو قولى لك سيغلبون ويحشرون قد كان لكم آية الخطاب لمشركى قريش فى فئتين التقتا يوم بدر يرونهم مثليهم يرى المشركون المسلمين مثلى عدد المشركين قريبا من الفين او مثلى عدد المسلمين ستمائة ونيفا وعشرين اراهم الله تعالى اياهم مع قلتهم اضعافهم ليهابوهم ويجبنوا عن قتالهم وكان ذلك مددا لهم من الله تعالى كما امدهم بالملائكة والدليل عليه قراءة نافع ترونهم بالتاء اى ترون يا مشركى قريش المسلمين مثلى فئتكم الكافرة او مثلى انفسهم فان قلت هذا مناقض لقوله فى سورة الانفال ويقللكم فى اعينهم قلت قللوا اولا فى اعينهم حتى اجترؤا عليهم فلما لاقوهم كثروا فى اعينهم حتى غلبوا فكان التقليل والتكثير فى حالين مختلفين ونظيره من المحمول على اختلاف الاحوال قوله تعالى فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان وقوله وقفوهم انهم مسؤلون وتقليلهم تارة وتكثيرهم اخرى فى اعينهم ابلغ فى القدرة واظهار الآية وقيل يرى المسلمون المشركين مثلى المسلمين على ما قرر عليه امرهم من مقاومة الواحد الاثنين فى قوله فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين بعد ما كلفوا ان يقاوم الواحد العشرة فى قوله ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ولذلك وصف ضعفهم بالقلة لانه قليل بالاضافة الى العشرة الاضعاف وكان الكافرون ثلثة امثالهم وقراءة نافع لا تساعد عليه وقرأ ابن مصرف يرونهم على البناء للمفعول بالياء والتاء اى يريهم الله ذلك بقدرته وقرئ فئة تقاتل واخرى كافرة بالجر على البدل من فئتين وبالنصب على الاختصاص او على الحال من الضمير فى التقتا راى العين يعنى رؤية ظاهرة مكشوفة لا لبس فيها معاينة كسائر المعاينات

المحارفة الحرمان نقيض المجدودة اى المرزوق
محارف لا يجوز له الرزق
مغرب

والله يؤيد بنصره من يشاء كما ايد اهل بدر بتكثيرهم في عين العدو • زين للناس حب الشهوات من النساء
والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث
ذلك متاع الحيوة الدنيا والله عنده حسن المآب • زين للناس المزين هو الله سبحانه
للابتلاء كقوله انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ويدل عليه قراءة مجاهد زين للناس على تسمية الفاعل
وعن الحسن الشيطان والله زينها لهم لانا لا نعلم احدا اذم لها من خالقها حب الشهوات جعل الاعيان التي ذكرها
شهوات مبالغة في كونها مشتهاة محروصا على الاستمتاع بها والوجه ان يقصد تخسيسها فيسميها شهوات
لان الشهوة مسترذلة عند الحكماء مذموم من اتبعها شاهد على نفسه بالبهيمية وقال زين للناس حب الشهوات ثم
جاء بالتفسير ليقرر اولا في النفوس ان المزين لهم حبه ما هو الا شهوات لا غير ثم يفسره بهذه الاجناس فيكون
اقوى لتخسيسها وادل على ذم من يستعظمها ويتهالك عليها ويرجح طلبها على طلب ما عند الله • والقنطار المال
الكثير قيل ملء مسك ثور وعن سعيد بن جبير مائة الف دينار ولقد جاء الاسلام يوم جاء وبمكة مائة رجل قد قنطروا
والمقنطرة مبنية من لفظ القنطار للتوكيد كقولهم الف مؤلفة وبدرة مبدرة • والمسومة المعلمة من السومة
وهي العلامة او المطهمة او المرعية من اسام الدابة وسومها والانعام الازواج الثمانية ذلك المذكور متاع
الحيوة الدنيا • قل اؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها وازواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد •
الذين يقولون ربنا اننا امنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار • الصابرين والصادقين
والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار • شهد الله انه لا اله الا هو
والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم • ان الدين
عند الله الاسلام • للذين اتقوا عند ربهم جنات كلام مستانف فيه دلالة على بيان ما هو خير من ذلكم
كما تقول هل ادلك على رجل عالم عندي رجل من صفته كيت وكيت ويجوز ان يتعلق اللام بخير واختص المتقين لانهم
هم المنتفعون به وترتفع جنات على هو جنات وتنصره قراءة من قرأ جنات بالجر على البدل من خير والله بصير بالعباد
يثيب ويعاقب على الاستحقاق او بصير بالذين اتقوا وباحوالهم فلذلك اعد لهم الجنات • الذين يقولون نصب
على المدح او رفع ويجوز الجر صفة للمتقين او للعباد والواو المتوسطة بين الصفات للدلالة على كمالهم في كل واحدة منها
وقد مر الكلام في ذلك وخص الاسحار لانهم كانوا يقدمون قيام الليل فيحسن طلب الحاجة بعده اليه يصعد الكلم الطيب
والعمل الصالح يرفعه • وعن الحسن كانوا يصلون في اول الليل حتى اذا كان السحر اخذوا في الدعاء والاستغفار
هذا نهارهم وهذا ليلهم • شهد الله شبهت دلالته على وحدانيته بافعاله الخاصة التي لا يقدر عليها غيره وبما اوحى من آياته الناطقة
بالتوحيد كسورة الاخلاص وآية الكرسي وغيرهما بشهادة الشاهد في البيان والكشف وكذلك اقرار الملائكة واولي
العلم بذلك واحتجاجهم عليه • قائما بالقسط مقيما للعدل فيما يقسم من الارزاق والآجال ويثيب ويعاقب وما يأمر به
عباده من انصاف بعضهم لبعض والعمل على السوية فيما بينهم وانتصابه على انه حال مؤكدة منه كقوله وهو الحق مصدقا
فان قلت لم جاز افراده بنصب الحال دون المعطوفين عليه ولو قلت جاءني زيد وعمرو راكبا لم يجز **قلت**
انما جاز هذا لعدم الالباس كما في قوله ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة ان انتصب نافلة حالا عن يعقوب ولو
قلت جاءني زيد وهند راكبا جاز لتميزه بالذكورة او على المدح **فان قلت** اليس من حق المنتصب على المدح
ان يكون معرفة كقولك الحمد لله الحميد • انا معشر الانبياء لا نورث • انا بني نهشل لا ندعي لاب **قلت** قد جاء
نكرة كما جاء معرفة وانشد سيبويه فيما جاء منه نكرة قول الهذلي • ويأوي الى نسوة عطل • وشعثا مراضيع مثل
السعالي • **فان قلت** هل يجوز ان يكون صفة للمنفي كانه قيل لا اله قائما بالقسط الا هو **قلت** لا يبعد
فقد رأيناهم يتسعون في الفصل بين الصفة والموصوف **فان قلت** قد جعلته حالا من فاعل شهد
فهل يصح ان ينتصب حالا عن هو في لا اله الا هو **قلت** نعم لانها حال مؤكدة والحال المؤكدة لا تستدعي ان يكون في
الجملة التي هي زيادة في فائدتها عامل فيها كقولك انا عبد الله شجاعا وكذلك لو قلت لا رجل الا عبد الله شجاعا وهو اوجه

راقين

من انتصابه

من انتصابه عن فاعل شهد وكذلك انتصابه على المدح **فان قلت** هل دخل قيامه بالقسط في حكم
شهادة الله والملائكة واولي العلم كما دخلت الوحدانية **قلت** نعم اذا جعلته حالا من هو او نصبا على المدح
منه او صفة للمنفي كانه قيل شهد الله والملائكة واولوا العلم انه لا اله الا هو وانه قائم بالقسط وقرأ عبد الله القائم
بالقسط على انه بدل من هو او خبر مبتدأ محذوف وقرأ ابو حنيفة قيما بالقسط العزيز الحكيم صفتان مقررتان لما وصف
به ذاته من الوحدانية والعدل يعني انه العزيز الذي لا يغالبه اله آخر الحكيم الذي لا يعدل عن العدل في افعاله **فان قلت**
ما المراد باولي العلم الذين عظمهم هذا التعظيم حيث جمعهم معه ومع الملائكة في الشهادة على وحدانيته وعدله **قلت**
هم الذين يثبتون وحدانيته وعدله بالحجج الساطعة والبراهين القاطعة وهم علماء العدل والتوحيد وقرئ انه بالفتح وان
الدين بالكسر على ان الفعل واقع على انه بمعنى شهد الله على انه او بانه وقوله ان الدين عند الله الاسلام جملة مستأنفة
مؤكدة للجملة الاولى **فان قلت** ما فائدة هذا التوكيد **قلت** فائدته ان قوله لا اله الا هو توحيد
وقوله قائما بالقسط تعديل فاذا اردفه قوله ان الدين عند الله الاسلام فقد آذن ان الاسلام هو العدل والتوحيد
وهو الدين عند الله وما عداه فليس عنده في شيء من الدين وفيه ان من ذهب الى تشبيه او ما يؤدي اليه كاجازة الرؤية
او ذهب الى الجبر الذي هو محض الجور لم يكن على دين الله الذي هو الاسلام وهذا بين جلي كما ترى وقرئا مفتوحين على
ان الثاني بدل من الاول كانه قيل شهد الله ان الدين عند الله الاسلام والبدل هو المبدل منه في المعنى فكان بيانا صريحا
لان دين الله هو التوحيد والعدل وقرئ الاول بالكسر والثاني بالفتح على ان الفعل واقع على ان وما بينهما اعتراض مؤكد وهذا
ايضا شاهد على ان دين الاسلام هو العدل والتوحيد فترى القراآت كلها متعاضدة على ذلك وقرأ عبد الله ان لا اله الا
هو وقرأ ابي ان الدين عند الله للاسلام وهي معضدة لقراءة من فتح الاول وكسر الثانية وقرئ شهداء لله بالنصب على انه حال
من المذكورين قبله وبالرفع على هم شهداء لله **فان قلت** فعلام عطف على هذه القراءة والملائكة واولوا العلم
قلت على الضمير في شهداء وجاز لوقوع الفاصل بينهما **فان قلت** لم كرر قوله لا اله الا هو **قلت**
ذكره اولا للدلالة على اختصاصه بالوحدانية وانه لا اله الا تلك الذات المتميزة ثم ذكره ثانيا بعد ما قرن باثبات الوحدانية
اثبات العدل للدلالة على اختصاصه بالامرين كانه قال لا اله الا هذا الموصوف بالصفتين ولذلك قرن به قوله العزيز
الحكيم لتضمنهما معنى الوحدانية والعدل • وما اختلف الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم
العلم بغيا بينهم ومن يكفر بايات الله فان الله سريع الحساب • الذين اوتوا
الكتاب اهل الكتاب من اليهود والنصارى واختلافهم انهم تركوا الاسلام وهو التوحيد والعدل من بعد ما جاءهم العلم
انه الحق الذي لا محيد عنه فثلثت النصارى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالوا كنا احق بان تكون النبوة فينا من قريش
لانهم اميون ونحن اهل كتاب وهذا تجوير لله تعالى بغيا بينهم اي ما كان ذلك الاختلاف وتظاهر هؤلاء بمذهب وهؤلاء
بمذهب الا حسدا بينهم وطلبا منهم للرياسة وحظوظ الدنيا واستتباع كل فريق ناسا يطؤون اعقابهم لا شبهة في الاسلام
وقيل هو اختلافهم في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم حيث آمن به بعض وكفر بعض وقيل هو اختلافهم في الايمان بالانبياء
فمنهم من آمن بموسى ومنهم من آمن بعيسى وقيل هم اليهود واختلافهم ان موسى عليه السلام حين احتضر استودع التورية
سبعين حبرا من بني اسرائيل وجعلهم امناء عليها واستخلف يوشع فلما مضى قرن بعد قرن اختلف ابناء السبعين بعد ما
جاءهم علم التورية بغيا بينهم وتحاسدا على حظوظ الدنيا والرياسة وقيل هم النصارى واختلافهم في امر عيسى بعد ما جاءهم
العلم انه عبد الله ورسوله • فان حاجوك فقل اسلمت وجهي لله ومن اتبعن وقل للذين
اوتوا الكتاب والاميين ءاسلمتم فان اسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك
البلاغ والله بصير بالعباد • فان حاجوك فان جادلوك في الدين فقل اسلمت وجهي لله اي اخلصت
نفسي وجملتي لله وحده لم اجعل فيها لغيره شريكا بان اعبده وادعوه الها معه يعني ان ديني دين التوحيد وهو الدين القديم
الذي ثبتت عندكم صحته كما ثبتت عندي وما جئت بشيء بديع حتى تجادلوني فيه ونحوه قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء
بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا فهو دفع للمحاجة بان ما هو عليه ومن معه من المؤمنين هو حق اليقين الذي
لا لبس فيه فما معنى المحاجة فيه • ومن اتبعن عطف على التاء في اسلمت وحسن للفاصل ويجوز ان تكون الواو بمعنى مع

فيكون مفعولا معه وقل للذين اوتوا الكتاب من اليهود والنصارى والاميين والذين لا كتاب لهم من مشركي العرب أأسلمتم
يعني انه قد اتاكم من البينات ما يوجب الاسلام ويقتضي حصوله لا محالة فهل اسلمتم ام انتم بعد على كفركم ونظيره قوله
لمن لخصت له المسئلة ولم يبق من طرق البيان والكشف طريقا الا سلكته فهل فهمتها لا ام لك ومنه قوله عز وجل
فهل انتم منتهون بعد ما ذكر الصوارف عن الخمر والميسر وفي هذا الاستفهام استقصار وتعيير بالمعاندة وقلة الانصاف
لان المنصف اذا تجلت له الحجة لم يتوقف اذعانه للحق وللمعاند بعد تجلي الحجة ما يضرب اسدادا بينه وبين الاذعان وكذلك
في هل فهمتها توبيخ بالبلادة وكلة القريحة وفي فهل انتم منتهون بالتقاعد عن الانتهاء والحرص الشديد على تعاطي
المنهي عنه فان اسلموا فقد اهتدوا فقد نفعوا انفسهم حيث خرجوا من الضلال الى الهدى ومن الظلمة الى النور
وان تولوا لم يضروك فانك رسول منبه ما عليك الا ان تبلغ الرسالة وتنبه على طريق الهدى ان الذين
يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يامرون بالقسط
من الناس فبشرهم بعذاب اليم اولئك الذين حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة وما
لهم من ناصرين قرأ الحسن يقتلون النبيين وقرأ حمزة ويقاتلون الذين يامرون وقرأ عبد الله وقاتلوا وقرأ
ابي يقتلون النبيين والذين يامرون وهم اهل الكتاب قتل اولوهم الانبياء وقتلوا اتباعهم وهم راضون بما فعلوا
وكانوا حول قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لولا عصمة الله تعالى وعن ابي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه قلت يا رسول الله
اي الناس اشد عذابا يوم القيامة قال رجل قتل نبيا او رجلا امر بمعروف ونهى عن منكر ثم قرأها ثم قال يا ابا عبيدة قتلت بنو اسرائيل
ثلثة واربعين نبيا من اول النهار في ساعة واحدة فقام مائة واثنا عشر رجلا من عباد بني اسرائيل فامروا قتلتهم بالمعروف
ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعا من آخر النهار في الدنيا والآخرة لان لهم اللعنة والخزي في الدنيا والعذاب في الآخرة
فان قلت لم دخلت الفاء في خبر ان قلت لتضمن اسمها معنى الجزاء كانه قيل الذين يكفرون فبشرهم بمعنى من
يكفر فبشرهم وان لا تغير معنى الابتداء فكان دخولها كلا دخول ولو كان مكانها ليت او لعل لامتنع ادخال الفاء لتغير معنى الابتداء
الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى
فريق منهم وهم معرضون ذلك بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات
وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه ووفيت
كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون اوتوا نصيبا من الكتاب يريد احبار اليهود وانهم حصلوا نصيبا
وافرا من التورية ومن اما للتبعيض واما للبيان او حصلوا من جنس الكتب المنزلة او من اللوح التورية وهي نصيب
عظيم يدعون الى كتاب الله وهو التورية ليحكم بينهم وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مدارسهم فدعاهم فقال
له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على اي دين انت قال على ملة ابراهيم قالا ان ابراهيم كان يهوديا قال لهما ان بيننا
وبينكم التورية فهلموا اليها فابيا وقيل نزلت في الرجم وقد اختلفوا فيه وعن الحسن وقتادة كتاب الله القرآن لانهم قد
علموا انه كتاب الله لم يشكوا فيه ثم يتولى فريق منهم استبعاد لتوليهم بعد علمهم بان الرجوع الى كتاب الله واجب وهم معرضون
وهم قوم لا يزال الاعراض ديدنهم وقرئ ليحكم على البناء للمفعول والوجه ان يراد ما وقع من الاختلاف والتعادي
بين من اسلم من احبارهم وبين من لم يسلم وانهم دعوا الى كتاب الله الذي لا اختلاف بينهم في صحته وهو التورية ليحكم بين المحق
والمبطل منهم ثم يتولى فريق منهم وهم الذين لم يسلموا وذلك ان قوله ليحكم بينهم يقتضي ان يكون اختلافا وتعاديا بينهم لا فيما
بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك التولي والاعراض بسبب تسهيلهم على انفسهم امر العقاب وطمعهم في الخروج
من النار بعد ايام قلائل كما طمعت المجبرة والحشوية وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون من ان آباءهم الانبياء يشفعون لهم
كما غرت اولئك شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم في كبائرهم فكيف اذا جمعناهم فكيف يصنعون فكيف تكون حالهم وهو
استعظام لما اعد لهم وتهويل لهم وانهم يقعون فيما لا حيلة في دفعه والتخلص منه وان ما حدثوا به انفسهم وسهلوه عليها
تعلل بباطل وتطمع بما لا يكون وروي ان اول راية ترفع لاهل الموقف من رايات الكفار راية اليهود فيفضحهم الله عز وجل
على رؤس الاشهاد ثم يامر بهم الى النار وهم لا يظلمون يرجع الى كل نفس على المعنى لانه في معنى كل انسان كما تقول ثلثة
انفس تريد ثلثة اناسي قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك

ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير
الميم في اللهم عوض من يا ولذلك لا يجتمعان وهذا بعض خصائص هذا الاسم كما اختص بالتاء في القسم وبدخول حرف النداء
عليه وفيه لام التعريف وبقطع همزته في يا الله وبغير ذلك مالك الملك اي تملك جنس الملك فتتصرف فيه تصرف الملاك فيما
يملكون تؤتي الملك من تشاء تعطي من تشاء النصيب الذي قسمت له واقتضته حكمتك من الملك وتنزع الملك ممن تشاء
النصيب الذي اعطيته منه فالملك الاول عام شامل والملكان الآخران خاصان بعضان من الكل روي ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم حين افتتح مكة وعد امته ملك فارس والروم فقال المنافقون واليهود هيهات هيهات من اين لمحمد ملك فارس
والروم هم اعز وامنع من ذلك وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خط الخندق عام الاحزاب وقطع لكل عشرة اربعين
ذراعا واخذوا يحفرون خرج من بطن الخندق صخرة كالتل العظيم لم تعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم يخبره فاخذ المعول من سلمان فضربها ضربة صدعها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها لكان مصباحا في جوف
بيت مظلم وكبر وكبر المسلمون وقال اضاءت لي منها قصور الحيرة كانها انياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال اضاءت لي منها
القصور الحمر من ارض الروم ثم ضرب الثالثة فقال اضاءت لي قصور صنعاء واخبرني جبريل ان امتي ظاهرة على كلها فابشروا
فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وانها تفتح لكم وانتم انما
تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون ان تبرزوا فنزلت فان قلت كيف قال بيدك الخير فذكر الخير دون
الشر قلت لان الكلام انما وقع في الخير الذي يسوقه الى المؤمنين وهو الذي انكرته الكفرة فقال بيدك الخير تؤتيه اولياءك
على رغم من اعدائك ولان كل افعال الله تعالى من نافع وضار صادر عن الحكمة والمصلحة فهو خير كله كايتاء الملك ونزعه
تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق
من تشاء بغير حساب ثم ذكر قدرته الباهرة بذكر حال الليل والنهار في المعاقبة بينهما وحال الحي والميت في اخراج
احدهما من الآخر وعطف عليه رزقه بغير حساب دلالة على ان من قدر على تلك الافعال العظيمة المحيرة للافهام ثم قدر
ان يرزق بغير حساب من يشاء من عباده فهو قادر على ان ينزع الملك من العجم ويذلهم ويؤتيه العرب ويعزهم وفي بعض
الكتب انا الله ملك الملوك قلوب الملوك ونواصيهم بيدي فان العباد اطاعوني جعلتهم عليهم رحمة وان العباد عصوني
جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا الي اعطفهم عليكم وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم
كما تكونون يولى عليكم لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك
فليس من الله في شيء الا ان تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه والى الله
المصير نهوا ان يوالوا الكافرين لقرابة بينهم او صداقة قبل الاسلام او غير ذلك من الاسباب التي يتصادق
ويتعاشر وقد كرر ذلك في القرآن ومن يتولهم منكم فانه منهم لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء لا تجد قوما يؤمنون بالله
الآية والمحبة في الله والبغض في الله باب عظيم واصل من اصول الايمان من دون المؤمنين يعني ان لكم في موالاة
المؤمنين مندوحة عن موالاة الكافرين فلا تؤثروهم عليهم ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء ومن يوال الكفرة
فليس من ولاية الله في شيء يقع عليه اسم الولاية يعني انه منسلخ من ولاية الله رأسا وهذا امر معقول فان موالاة الولي
وموالاة عدوه متنافيان قال تود عدوي ثم تزعم انني صديقك ليس النوك عنك بعازب الا ان تتقوا
منهم تقاة الا ان تخافوا من جهتهم امرا يجب اتقاؤه وقرئ تقية قيل للمتقي تقاة وتقية كقولهم ضرب الامير لمضروبه
رخص لهم في موالاتهم اذا خافوهم والمراد بتلك الموالاة مخالقة ومعاشرة ظاهرة والقلب مطمئن بالعداوة والبغضاء
وانتظار زوال المانع من قشر العصا كقول عيسى صلوات الله عليه وسلامه كن وسطا وامش جانبا ويحذركم الله نفسه
فلا تتعرضوا لسخطه بموالاة اعدائه وهذا وعيد شديد ويجوز ان يضمن تتقوا معنى تحذروا وتخافوا فيعدى بمن وينتصب
تقاة او تقية على المصدر كقوله تعالى اتقوا الله حق تقاته قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه
يعلمه الله ويعلم ما في السموات وما في الارض والله على كل شيء قدير يوم تجد
كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا
ويحذركم الله نفسه والله رؤف بالعباد ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه من ولاية الكفار

او غيرها مما لا يرضى الله يعلمه ولم يخف عليه وهو الذي يعلم ما في السموات وما في الارض ولا يخفى عليه منه شيء قط فلا يخفى
عليه سركم وعلنكم والله على كل شيء قدير فهو قادر على عقوبتكم وهذا بيان لقوله ويحذركم الله نفسه لان نفسه وهي ذاته المتميزة
عن سائر الذوات متصفة بعلم ذاتي لا يختص بمعلوم دون معلوم فهي متعلقة بالمعلومات كلها وبقدرة ذاتية لا
تختص بمقدور دون مقدور فهي قادرة على المقدورات كلها فكان حقها ان تحذر وتتقى فلا يجسر احد على قبيح ولا
يقصر عن واجب فان ذلك مطلع عليه لا محالة فلاحق به العقاب ولو علم بعض عبيد السلطان انه اراد الاطلاع على
احواله فوكل همه بما يورد ويصدر ونصب عليه عيونا وبث من يتجسس عن بواطن اموره لاخذ حذره وتيقظ في امره
واتقى كل ما يتوقع فيه الاسترابة به فما بال من علم ان العالم الذات الذي يعلم السر واخفى مهيمن عليه وهو آمن
اللهم انا نعوذ بك من اغترارنا بسترك يوم تجد منصوب بتود والضمير في بينه لليوم اي يوم القيمة حين تجد
كل نفس خيرها وشرها حاضرين تتمنى لو ان بينها وبين ذلك اليوم وهوله امدا بعيدا ويجوز ان ينتصب يوم تجد بمضمر نحو
اذكر ويقع ما عملت وحده ويرتفع وما عملت على الابتداء وتود خبره اي والذي عملته من سوء تود هي لو تباعد ما بينها
وبينه ولا يصح ان تكون ما شرطية لارتفاع تود **فان قلت** فهل يصح ان تكون شرطية على قراءة
عبد الله ودت **قلت** لا كلام في صحته ولكن الحمل على الابتداء والخبر اوقع في المعنى لانه حكاية الكائن في ذلك
اليوم واثبت لموافقة قراءة العامة ويجوز ان يعطف وما عملت على ما عملت ويكون تود حالا اي يوم تجد
عملها محضرا وادة تباعد ما بينها وبين اليوم او عمل السوء محضرا كقوله ووجدوا ما عملوا حاضرا يعني مكتوبا في صحفهم يقرؤنه ونحوه
فينبئهم بما عملوا احصاه الله ونسوه والامد المسافة كقوله يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين وكرر قوله
ويحذركم الله نفسه ليكون على بال منهم لا يغفلون عنه والله رؤف بالعباد يعني ان تحذيره نفسه وتعريفه حالها من العلم
والقدرة من الرأفة العظيمة بالعباد لانهم اذا عرفوه حق المعرفة وحذروه دعاهم ذلك الى طلب رضاه واجتناب سخطه
وعن الحسن من رأفته بهم ان حذرهم نفسه ويجوز ان يريد انه مع كونه محذورا لعلمه وقدرته مرجو لسعة رحمته كقوله تعالى
ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب اليم **قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر
لكم ذنوبكم والله غفور رحيم** محبة العباد لله تعالى مجاز عن ارادة نفوسهم اختصاصه بالعبادة
دون غيره ورغبتهم فيها ومحبة الله عباده ان يرضى عنهم ويحمد فعلهم والمعنى ان كنتم مريدين لعبادة الله على الحقيقة
فاتبعوني حتى يصح ما تدعونه من ارادة عبادته يرض عنكم ويغفر لكم وعن الحسن زعم اقوام على عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم انهم يحبون الله فاراد ان يجعل لقولهم تصديقا من عمل فمن ادعى محبته وخالف سنة رسوله فهو كذاب
وكتاب الله يكذبه واذا رأيت من يذكر محبة الله ويصفق بيديه مع ذكرها ويطرب وينعر ويصعق فلا تشك في
انه لا يعرف ما الله ولا يدري ما محبة الله وما تصفيقه وطربه ونعرته وصعقته الا انه تصور في نفسه الخبيثة صورة
مستملحة معشقة فسماها الله بجهله ودعارته ثم صفق وطرب ونعر وصعق على تصورها وربما رأيت المني قد ملأ
ازار ذلك المحب عند صعقته وحمقى العامة حواليه قد ملؤا اردانهم بالدموع لما رققهم من حاله وترى يحبون ويحبكم
ويحبكم من حبة بحبة قال اخبت ابا ثروان من حب تمره واعلم ان الرزق بالحجاز ارزق ووالله لولا تمره
ما حببته ولا كان ادنى من عبيد ومشرق **قل اطيعوا الله والرسول فان تولوا فان الله
لا يحب الكافرين ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل
عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم**
فان تولوا يحتمل ان يكون ماضيا وان يكون مضارعا بمعنى فان تتولوا ويدخل في جملة ما يقول الرسول لهم آل ابراهيم
اسمعيل واسحق واولادهما وآل عمران موسى وهرون ابنا عمران بن يصهر وقيل عيسى بن مريم ومريم بنت عمران
ابن ماثان وبين العمرانين الف وثمانمائة سنة وذرية بدل من آل ابراهيم وآل عمران بعضها من بعض يعني ان
الآلين ذرية واحدة متسلسلة بعضها متشعب من بعض موسى وهرون من عمران وعمران من يصهر ويصهر
من قاهث وقاهث من لاوى ولاوى من يعقوب ويعقوب من اسحق وكذلك عيسى بن مريم بنت عمران بن ماثان
بن سليمان بن داود بن ايشى بن يهوذا بن يعقوب بن اسحق وقد دخل في آل ابراهيم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل

قوله لا يعرف ما الله اي ما عظمة الله وجلاله
كقوله صلى الله عليه وسلم للاعرابي
اتدري ما الله الحديث

عبيد ومشرق ولدا الشاعر
وفي هذا الشعر اقوال وهو
اختلاف ذكره الرواة
وهو بيت الشعر

بين ماثان وسليمان وبين
ايشى ويهوذا اختلاف من
نسخة جار الله

بعضها من بعض في الدين كقوله المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض والله سميع عليم يعلم من يصلح للاصطفاء او يعلم
ان بعضهم من بعض في الدين او سميع عليم لقول امرأة عمران ونيتها **اذ قالت امرأت عمران رب اني نذرت
لك ما في بطني محررا فتقبل مني انك انت السميع العليم** واذ منصوب به وقيل باضمار
اذكر وامرأة عمران هي امرأة عمران بن ماثان ام مريم البتول جدة عيسى صلوات الله عليه وهي حنة بنت فاقوذ
وقوله اذ قالت امرأة عمران على اثر قوله وآل عمران مما يرجح ان عمران هو عمران بن ماثان جد عيسى والقول الآخر يرجحه
ان موسى يقرن بابراهيم كثيرا في الذكر **فان قلت** كانت لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم اكبر من موسى
وهرون ولعمران بن ماثان مريم البتول فما ادراك ان عمران هذا هو ابو مريم البتول دون عمران ابي مريم التي هي اخت موسى وهرون **قلت** كفى بكفالة زكريا
دليلا على انه عمران ابو البتول لان زكريا بن آذن وعمران بن ماثان كانا في عصر واحد وقد تزوج زكريا بنته ايشاع
اخت مريم فكان يحيى وعيسى ابني خالة روي انها كانت عاقرا لم تلد الى ان عجزت فبينا هي في ظل شجرة بصرت
بطائر يطعم فرخا له فتحركت نفسها للولد وتمنته فقالت اللهم ان لك علي نذرا شكرا ان رزقتني ولدا ان اتصدق
به على بيت المقدس فيكون من سدنته وخدمه فحملت بمريم وهلك عمران وهي حامل محررا معتقا لخدمة بيت المقدس
لا يد لي عليه ولا استخدمه ولا اشغله بشيء وكان هذا النوع من النذر مشروعا عندهم وروي انهم كانوا ينذرون
هذا النذر فاذا بلغ الغلام خير بين ان يفعل وان لا يفعل وعن الشعبي محررا مخلصا للعبادة وما كان التحرير الا
للغلمان وانما بنت الامر على التقدير او طلبت ان ترزق ذكرا **فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها
انثى والله اعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى واني سميتها مريم واني اعيذها بك
وذريتها من الشيطان الرجيم** فلما وضعتها الضمير لما في بطني وانما انث على المعنى لان ما في بطنها
كان انثى في علم الله تعالى او على تأويل الحبلة او النفس او النسمة **فان قلت** كيف جاز انتصاب انثى حالا
من الضمير في وضعتها وهو كقولك وضعت الانثى انثى **قلت** الاصل وضعته انثى وانما انث لتانيث الحال
لان الحال وذا الحال لشيء واحد كما انث الاسم في ما كانت امك لتانيث الخبر ونظيره قوله تعالى فان كانتا اثنتين
واما على تأويل الحبلة او النسمة فهو ظاهر كانه قيل اني وضعت الحبلة او النسمة انثى **فان قلت** فلم قالت اني
وضعتها انثى وما ارادت الى هذا القول **قلت** قالته تحسرا على ما رأت من خيبة رجائها وعكس تقديرها فتحزنت الى ربها
لانها كانت ترجو وتقدر ان تلد ذكرا ولذلك نذرته محررا للسدانة ولتكلمها بذلك على وجه التحسر والتحزن قال الله تعالى
والله اعلم بما وضعت تعظيما لموضوعها وتجهيلا لها بقدر ما وهب لها منه ومعناه والله اعلم بالشيء الذي وضعت وما
علق به من عظائم الامور وان يجعله وولده آية للعالمين وهي جاهلة بذلك فلذلك تحسرت وفي قراءة ابن عباس والله اعلم
بما وضعت على خطاب الله تعالى لها اي انك لا تعلمين قدر هذا الموهوب وما علم الله من عظم شانه وعلو قدره وقرئ وضعت
بمعنى ولعل لله فيه سرا وحكمة ولعل هذه الانثى خير من الذكر تسلية لنفسها **فان قلت** فما معنى قوله وليس
الذكر كالانثى **قلت** هو بيان لما في قوله والله اعلم بما وضعت من التعظيم للموضوع والرفع منه ومعناه وليس الذكر الذي
طلبت كالانثى التي وهبت لها واللام فيهما للعهد **فان قلت** علام عطف قوله واني سميتها مريم
قلت هو عطف على اني وضعتها انثى وما بينهما جملتان معترضتان كقوله وانه لقسم لو تعلمون عظيم **فان قلت**
فلم ذكرت تسميتها مريم لربها **قلت** لان مريم في لغتهم بمعنى العابدة فارادت بذلك التقرب والطلب اليه ان
يعصمها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها وان يصدق فيها ظنها بها الا ترى كيف اتبعته طلب الاعاذة لها ولولدها من
الشيطان واغوائه وما يروى من الحديث ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا من
مس الشيطان اياه الا مريم وابنها فالله اعلم بصحته فان صح فمعناه ان كل مولود يطمع الشيطان في اغوائه الا مريم وابنها
فانهما كانا معصومين وكذلك كل من كان في صفتهما كقوله لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين واستهلاله
صارخا من مسه تخييل وتصوير لطمعه فيه كانه يمسه ويضرب بيده عليه ويقول هذا ممن اغويه ونحوه من التخييل قول ابن الرومي
لما تؤذن الدنيا به من صروفها يكون بكاء الطفل ساعة يولد واما حقيقة المس والنخس كما يتوهم اهل الحشو فكلا
ولو سلط ابليس على الناس ينخسهم لامتلأت الدنيا صراخا وعياطا مما يبلونا به من نخسه **فتقبلها ربها بقبول حسن**

وأنبتها نباتا حسنا وكفلها زكرياء كلما دخل عليها زكرياء المحراب وجد عندها
رزقا قال يا مريم انى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء
بغير حساب فتقبلها ربها فرضي بها في النذر مكان الذكر بقبول حسن فيه وجهان احدهما ان يكون
القبول اسم ما يقبل به الشيء كالسعوط واللدود لما يسعط به ويلد وهو اختصاصه لها باقامتها مقام الذكر في النذر
ولم تقبل قبلها انثى في ذلك او بان تسلمها من امها عقيب الولادة قبل ان تنشأ وتصلح للسدانة روي ان
حنة حين ولدت مريم لفتها في خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار ابناء هرون وهم في بيت المقدس كالحجبة
في الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم وكانت بنو ماثان
رؤس بني اسرائيل واحبارهم وملوكهم فقال لهم زكرياء انا احق بها عندي خالتها فقالوا لا حتى نقترع عليها فانطلقوا
وكانوا سبعة وعشرين الى نهر فالقوا فيه اقلامهم فارتفع قلم زكرياء فوق الماء ورسبت اقلامهم فتكفلها والثاني
ان يكون مصدرا على تقدير حذف المضاف بمعنى فتقبلها بذي قبول حسن اي بامر ذي قبول حسن وهو الاختصاص
ويجوز ان يكون معنى فتقبلها فاستقبلها كقولك تعجله بمعنى استعجله وتقصاه بمعنى استقصاه وهو كثير في كلامهم
من استقبل الامر اذا اخذه باوله وعنفوانه قال القطامي وخير الامر ما استقبلت منه وليس بان تتبعه اتباعا
ومنه المثل خذ الامر بقوابله اي فاخذها في اول امرها حين ولدت بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا مجاز عن التربية الحسنة
العائدة عليها بما يصلحها في جميع احوالها وقرئ وكفلها زكرياء بوزن وعملها وكفلها زكرياء بتشديد الفاء ونصب
زكرياء والفعل لله تعالى بمعنى وضمها اليه وجعله كافلا لها وضامنا لمصالحها وتؤيده قراءة ابي واكفلها من قوله تعالى
اكفلنيها وقرأ مجاهد فتقبلها ربها وانبتها وكفلها على لفظ الامر في الافعال الثلثة ونصب ربها تدعو بذلك اي
فاقبلها يا ربها وربها واجعل زكرياء كافلا لها قيل بنى لها زكرياء عليه السلام محرابا في المسجد اي غرفة تصعد
اليها بسلم وقيل المحراب اشرف المجالس ومقدمها كانها وضعت في اشرف موضع من بيت المقدس وقيل كانت
مساجدهم تسمى المحاريب وروي انه كان لا يدخل عليها الا هو وحده وكان اذا خرج غلق عليها سبعة ابواب وجد عندها
رزقا كان رزقها ينزل عليها من الجنة ولم ترضع ثديا قط فكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف
في الشتاء انى لك هذا من اين لك هذا الرزق الذي لا يشبه ارزاق الدنيا وهو آت في غير حينه والابواب
مغلقة عليك لا سبيل للداخل به اليك قالت هو من عند الله فلا تستبعد قيل تكلمت وهي صغيرة كما تكلم عيسى
في المهد وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه جاع في زمن قحط فاهدت اليه فاطمة رضي الله عنها رغيفين وبضعة لحم آثرته
بها فرجع بها اليها وقال هلمي يا بنية فكشفت عن الطبق فاذا هو مملوء خبزا ولحما فبهتت وعلمت انها نزلت من عند الله
فقال لها صلى الله عليه وسلم انى لك هذا فقالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال صلى الله عليه وسلم
الحمد لله الذي جعلك شبيهة سيدة نساء بني اسرائيل ثم جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب والحسن والحسين وجميع
اهل بيته عليه فاكلوا حتى شبعوا وبقي الطعام كما هو فاوسعت فاطمة على جيرانها ان الله يرزق من جملة كلام مريم او
من كلام رب العزة عز من قائل بغير حساب بغير تقدير لكثرته او تفضلا بغير محاسبة ومجازاة على عمل بحسب الاستحقاق
هنالك دعا زكرياء ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء
هنالك في ذلك المكان حيث هو قاعد عند مريم في المحراب او في ذلك الوقت فقد يستعار هنا وثم وحيث
للزمان لما رأى حال مريم في كرامتها على الله تعالى ومنزلتها رغب في ان يكون له من ايشاع ولد مثل ولد اختها حنة
في النجابة والكرامة على الله وان كانت عاقرا عجوزا فقد كانت اختها كذلك وقيل لما رأى الفاكهة في غير
وقتها انتبه على جواز ولادة العاقر ذرية ولدا والذرية تقع على الواحد والجمع سميع الدعاء مجيبه
فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب ان الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة
من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين قال رب انى يكون لي غلام وقد
بلغني الكبر وامرأتي عاقر قال كذلك الله يفعل ما يشاء قرئ فناداه الملائكة وقيل
ناداه جبريل وانما قيل الملائكة على قولهم فلان يركب الخيل ان الله يبشرك بالفتح على بان الله وبالكسر على ارادة القول

او لان النداء نوع من القول وقرئ يبشرك ويبشرك من بشره وابشره ويبشرك بفتح الياء من بشره ويحيى
ان كان اعجميا وهو الظاهر فمنع صرفه للتعريف والعجمة كموسى وعيسى وان كان عربيا فللتعريف ووزن الفعل
كيعمر مصدقا بكلمة من الله مصدقا بعيسى مؤمنا به قيل هو اول من آمن به وسمي عيسى كلمة لانه لم يوجد الا بكلمة
وحدها وهي قوله كن من غير سبب آخر وقيل مصدقا بكلمة من الله مؤمنا بكتاب منه وسمي الكتاب كلمة كما قيل كلمة
الحويدرة لقصيدته وسيدا الذي يسود قومه اي يفوقهم في الشرف وكان يحيى فائقا لقومه وفائقا للناس كلهم
في انه لم يركب سيئة قط ويا لها من سيادة وحصورا الذي لا يقرب النساء حصرا لنفسه اي منعا لها من الشهوات
وقيل هو الذي لا يدخل مع القوم في الميسر قال الاخطل وشارب مربح بالكاس نادمني لا بالحصور ولا فيها بسوار
فاستعير لمن لا يدخل في اللعب واللهو وقد روي انه مر وهو طفل بصبيان فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت
من الصالحين ناشئا من الصالحين لانه كان من اصلاب الانبياء او كائنا من جملة الصالحين كقوله وانه في الآخرة لمن
الصالحين انى يكون لي غلام استبعاد من حيث العادة كما قالت مريم وقد بلغني الكبر كقولهم ادركته السن العالية
والمعنى اثر في الكبر واضعفني وكانت له تسع وتسعون سنة ولامرأته ثمان وتسعون سنة كذلك اي يفعل الله ما
يشاء من الافعال العجيبة مثل ذلك الفعل وهو خلق الولد بين الشيخ الفاني والعجوز العاقر او كذلك الله مبتدأ
وخبر اي على نحو هذه الصفة الله ويفعل ما يشاء بيان له اي يفعل ما يريد من الافاعيل الخارقة للعادات قال رب
اجعل لي آية قال آيتك الا تكلم الناس ثلاثة ايام الا رمزا واذكر ربك كثيرا وسبح
بالعشي والابكار آية علامة اعرف بها الحبل لاتلقى النعمة اذا جاءت بالشكر قال آيتك ان لا تقدر على
تكليم الناس ثلثة ايام وانما خص تكليم الناس ليعلمه انه يحبس لسانه عن القدرة على تكليمهم خاصة مع ابقاء قدرته على التكلم
بذكر الله ولذلك قال واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار يعني في ايام عجزك عن تكليم الناس وهي من الآيات الباهرة
فان قلت لم حبس لسانه عن كلام الناس قلت ليخلص المدة لذكر الله لا يشغل لسانه بغيره توفرا
منه على قضاء حق تلك النعمة الجسيمة وشكرها الذي طلب الآية من اجله كانه لما طلب الآية من اجل الشكر قيل له آيتك ان
نحبس لسانك الا عن الشكر واحسن الجواب واوقعه ما كان مشتقا من السؤال ومنتزعا منه الا رمزا الا اشارة بيد او
رأس او غيرهما واصله التحرك يقال ارتمز اذا تحرك ومنه قيل للبحر الراموز وقرأ يحيى بن وثاب الا رمزا بضمتين جمع
رموز كرسول ورسل وقرئ رمزا بفتحتين جمع رامز كخادم وخدم وهو حال منه ومن الناس دفعة كقوله متى ما
تلقني فردين ترجف روانف اليتيك وتستطارا بمعنى الا مترامزين كما يكلم الناس الاخرس بالاشارة ويكلمهم
والعشي من حين تزول الشمس الى ان تغيب والابكار من طلوع الفجر الى وقت الضحى وقرئ والابكار بفتح الهمزة
جمع بكر كسحر واسحار يقال اتيته بكرا بفتحتين فان قلت الرمز ليس من جنس الكلام فكيف استثني منه
قلت لما ادى مؤدى الكلام وفهم منه ما يفهم منه سمي كلاما ويجوز ان يكون استثناء منقطعا
واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء
العالمين يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين يا مريم روي انهم كلموها
شفاها معجزة لزكرياء او ارهاصا لنبوة عيسى اصطفاك اولا حين تقبلك من امك ورباك واختصك بالكرامة
السنية وطهرك مما يستقذر من الافعال ومما قذفك به اليهود واصطفاك آخرا على نساء العالمين بان وهب
لك عيسى من غير اب ولم يكن ذلك لاحد من النساء امرت بالصلوة بذكر القنوت والسجود لكونهما من هيئات
الصلوة واركانها ثم قيل لها واركعي مع الراكعين بمعنى ولتكن صلوتك مع المصلين اي في الجماعة او وانظمي نفسك
في جملة المصلين وكوني معهم في عدادهم ولا تكوني في عداد غيرهم ويحتمل ان يكون في زمانها من كان يقوم ويسجد في
صلوته ولا يركع وفيه من يركع فامرت بان تركع مع الراكعين ولا تكون مع من لا يركع ذلك من انباء الغيب
نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ
يختصمون ذلك اشارة الى ما سبق من نباء زكرياء ويحيى ومريم وعيسى يعني ان ذلك من الغيوب التي
لم تعرفها الا بالوحي فان قلت لم نفيت المشاهدة وانتفاؤها معلوم بغير شبهة وترك نفي استماع الانباء

اللدود ما يصب من الادوية في شق الفم والسعوط دواء يصب في الانف ق

في نسخة اختها الصغير مريم ه

من حفاظها وهو موهوم **قلت** كان معلوما عندهم علما يقينا انه ليس من اهل السماع والقراءة وكانوا منكرين
للوحي فلم يبق الا المشاهدة وهي في غاية الاستبعاد والاستحالة فنفيت على سبيل التهكم بالمنكرين للوحي مع علمهم
بانه لا سماع له ولا قراءة ونحوه وما كنت بجانب الغربي وما كنت بجانب الطور وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم اقلامهم
ازلامهم وهي قداحهم التي طرحوها في النهر مقترعين وقيل هي الاقلام التي كانوا يكتبون بها التوراة اختاروها للقرعة
تبركا بها اذ يختصمون في شانها تنافسا في التكفل بها **فان قلت** ايهم يكفل بم يتعلق **قلت**
بمحذوف دل عليه يلقون اقلامهم كانه قيل يلقونها ينظرون ايهم يكفل او ليعلموا او يقولون اذ قالت الملائكة
يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا والاخرة
ومن المقربين ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين قالت رب انى يكون لي
ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء اذا قضى امرا فانما يقول له
كن فيكون المسيح لقب من الالقاب المشرفة كالصديق والفاروق واصله مشيحا بالعبرانية ومعناه المبارك
كقوله وجعلني مباركا اينما كنت وكذلك عيسى معرب ايشوع ومشتقهما من المسح والعيس كالراقم في الماء
فان قلت اذ قالت بم يتعلق **قلت** هو بدل من واذ قالت الملائكة ويجوز ان يبدل من اذ يختصمون
على ان الاختصام والبشارة وقعا في زمان واسع كما تقول لقيته سنة كذا **فان قلت** لم قيل عيسى ابن مريم
والخطاب لمريم **قلت** لان الابناء ينسبون الى الاباء لا الى الامهات فاعلمت بنسبته اليها انه يولد من
غير اب فلا ينسب الا الى امه وبذلك فضلت واصطفيت على نساء العالمين **فان قلت**
لم ذكر ضمير الكلمة **قلت** لان المسمى بها مذكر **فان قلت** لم قيل اسمه المسيح عيسى ابن مريم وهذه ثلثة
اشياء الاسم منها عيسى واما المسيح والابن فلقب وصفة **قلت** الاسم للمسمى علامة يعرف بها ويتميز من غيره
فكانه قيل الذي يعرف به ويتميز ممن سواه مجموع هذه الثلثة وجيها حال من كلمة وكذلك قوله ومن المقربين ويكلم ومن
الصالحين اي يبشرك به موصوفا بهذه الصفات وصح انتصاب الحال من النكرة لكونها موصوفة والوجاهة في الدنيا
النبوة والتقدم على الناس وفي الاخرة الشفاعة وعلو الدرجة في الجنة وكونه من المقربين رفعه الى السماء وصحبته
للملائكة والمهد ما يمهد للصبي من مضجعه سمي بالمصدر وفي المهد في محل النصب على الحال وكهلا عطف عليه بمعنى ويكلم
الناس طفلا وكهلا ومعناه يكلم الناس في هاتين الحالتين كلام الانبياء من غير تفاوت بين حال الطفولة
وحال الكهولة التي يستحكم فيها العقل ويستنبأ فيها الانبياء ومن بدع التفاسير ان قولها رب نداء لجبريل بمعنى
يا سيدي ويعلمه الكتاب والحكمة والتورية والانجيل ورسولا الى بني اسرائيل اني قد
جئتكم باية من ربكم اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله
وابرئ الاكمه والابرص واحيي الموتى باذن الله وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون في
بيوتكم ان في ذلك لاية لكم ان كنتم مؤمنين ونعلمه عطف على يبشرك او على وجيها او على يخلق
او هو كلام مبتدأ وقرأ عاصم ونافع ويعلمه بالياء **فان قلت** علام تحمل ورسولا ومصدقا من المنصوبات المتقدمة
وقوله اني قد جئتكم ولما بين يدي يابى حمله عليها **قلت** هو من المضايق وفيه وجهان احدهما ان يضمر له وارسلت
على ارادة القول تقديره ويعلمه الكتاب والحكمة ويقول ارسلت رسولا باني قد جئتكم ومصدقا لما بين يدي والثاني
ان الرسول والمصدق فيهما معنى النطق فكانه قيل وناطقا باني قد جئتكم وناطقا باني اصدق ما بين يدي وقرأ اليزيدي
ورسول عطفا على كلمة اني قد جئتكم اصله ارسلت باني قد جئتكم فحذف الجار وانتصب بالفعل واني اخلق نصب
بدل من اني قد جئتكم او جر بدل من اية او رفع على هي اني اخلق لكم وقرئ اني بالكسر على الاستيناف اي اقدر لكم
شيئا مثل صورة الطير فانفخ فيه الضمير للكاف اي في ذلك الشيء المماثل لهيئة الطير فيكون طيرا فيصير طيرا كسائر الطيور
حيا طيارا وقرأ عبد الله فانفخها قال كالهبرقي ينحى بنفخ الفحما وقيل لم يخلق غير الخفاش الاكمه الذي
ولد اعمى وقيل هو الممسوح العين ويقال لم يكن في هذه الامة اكمه غير قتادة بن دعامة السدوسي صاحب التفسير وروي
انه ربما اجتمع عليه خمسون الفا من المرضى من اطاق منهم اتاه ومن لم يطق اتاه عيسى وما كانت مداواته الا بالدعاء وحده

وكرر باذن الله دفعا لوهم من توهم فيه اللاهوتية وروي انه احيا سام بن نوح وهم ينظرون فقالوا هذا سحر فارنا
اية فقال يا فلان اكلت كذا ويا فلان خبئ لك كذا وقرئ تذخرون بالذال والتخفيف ولاحل لكم بعض
الذي حرم عليكم وجئتكم باية من ربكم فاتقوا الله واطيعون ان الله ربي وربكم
فاعبدوه هذا صراط مستقيم ولاحل رد على قوله باية من ربكم اي جئتكم باية من ربكم ولاحل لكم ويجوز
ان يكون مصدقا مردودا عليه ايضا اي جئتكم باية وجئتكم مصدقا وما حرم الله عليهم في شريعة موسى الشحوم والثروب
ولحوم الابل والسمك وكل ذي ظفر فاحل لهم عيسى بعض ذلك وقيل احل لهم من السمك والطير ما لا صيصة له واختلفوا
في احلاله لهم السبت وقرئ حرم عليكم على تسمية الفاعل وهو ما بين يدي من التورية او الله عز وجل او موسى صلى الله عليه وسلم
لان ذكر التورية دل عليه ولانه كان معلوما عندهم وقرئ حرم بوزن كرم وجئتكم باية من ربكم شاهدة على صحة رسالتي وهي
قوله ان الله ربي وربكم لان جميع الرسل كانوا على هذا القول لم يختلفوا فيه وقرئ بالفتح على البدل من اية وقوله فاتقوا الله
واطيعون اعتراض **فان قلت** كيف جعل هذا القول اية من ربه **قلت** لان الله تعالى جعله علامة يعرف بها
انه رسول كسائر الرسل حيث هداه للنظر في ادلة العقل والاستدلال ويجوز ان يكون تكريرا لقوله جئتكم باية من ربكم اي جئتكم
باية بعد اخرى مما ذكرت لكم من خلق الطير والابراء والاحياء والانباء بالخفيات وبغيره من ولادتي بغير اب ومن كلامي
في المهد ومن سائر ذلك وقرأ عبد الله وجئتكم بايات من ربكم فاتقوا الله لما جئتكم به من الايات واطيعون فيما ادعوكم
اليه ثم ابتدأ فقال ان الله ربي وربكم ومعنى قراءة من فتح ولان الله ربي وربكم فاعبدوه كقوله لايلاف قريش فليعبدوا
ويجوز ان يكون المعنى وجئتكم باية على ان الله ربي وربكم وما بينهما اعتراض فلما احس عيسى منهم الكفر
قال من انصاري الى الله قال الحواريون نحن انصار الله امنا بالله واشهد بانا
مسلمون ربنا امنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين ومكروا ومكر
الله والله خير الماكرين اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك ورافعك الي ومطهرك من الذين
كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيمة ثم الي مرجعكم فاحكم بينكم فيما كنتم
فيه تختلفون فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والاخرة وما لهم من ناصرين
واما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم والله لا يحب الظالمين ذلك نتلوه
عليك من الايات والذكر الحكيم فلما احس فلما علم منهم الكفر علما لا شبهة فيه كعلم ما يدرك بالحواس الى الله
من صلة انصاري مضمنا معنى الاضافة كانه قيل من الذين يضيفون انفسهم الى الله ينصرونني كما ينصرني او يتعلق بمحذوف
حالا من الياء اي من انصاري ذاهبا الى الله ملتجئا اليه نحن انصار الله اي انصار دينه ورسوله وحواري الرجل صفوته
وخالصته ومنه قيل للحضريات الحواريات لخلوص الوانهن ونظافتهن قال فقل للحواريات يبكين غيرنا ولا يبكنا الا الكلاب النوابح
وفي وزنه الحوالي وهو الكثير الحيلة وانما طلبوا منه شهادته باسلامهم تاكيدا لايمانهم لان الرسل يشهدون يوم القيمة لقومهم
وعليهم مع الانبياء الذين يشهدون لاممهم او مع الذين يشهدون بالوحدانية وقيل مع امة محمد صلى الله عليه وسلم لانهم
شهداء على الناس ومكروا الواو لكفار بني اسرائيل الذين احس منهم الكفر ومكرهم انهم وكلوا به من يقتله غيلة ومكر الله تعالى ان رفع
عيسى الى السماء والقى شبهه على من اراد اغتياله حتى قتل والله خير الماكرين اقواهم مكرا وانفذهم كيدا واقدرهم على
العقاب من حيث لا يشعر المعاقب اذ قال الله ظرف لخير الماكرين او لمكر الله اني متوفيك اي مستوفي اجلك
ومعناه اني عاصمك من ان يقتلك الكفار ومؤخرك الى اجل كتبته لك ومميتك حتف انفك لا قتلا بايديهم ورافعك
الي الى سمائي ومقر ملائكتي ومطهرك من الذين كفروا من سوء جوارهم وخبث صحبتهم وقيل متوفيك قابضك من الارض
من توفيت مالي على فلان اذا استوفيته وقيل مميتك في وقتك بعد النزول من السماء ورافعك الان وقيل
متوفي نفسك بالنوم من قوله والتي لم تمت في منامها ورافعك وانت نائم حتى لا يلحقك خوف وتستيقظ وانت في
السماء امن مقرب فوق الذين كفروا الى يوم القيمة يعلونهم بالحجة وفي اكثر الاحوال بها وبالسيف ومتبعوه هم المسلمون
لانهم متبعوه في اصل الاسلام وان اختلفت الشرائع دون الذين كذبوه وكذبوا عليه من اليهود والنصارى فاحكم بينهم تفسير
الحكم قوله فاعذبهم فنوفيهم اجورهم وقرئ فيوفيهم بالياء ذلك اشارة الى ما سبق من نبإ عيسى وغيره وهو مبتدأ خبره نتلوه

ومن الآيات خبر بعد خبر او خبر مبتدأ محذوف ويجوز ان يكون ذلك بمعنى الذي ونتلوه صلته ومن الآيات الخبر ويجوز ان
ينتصب ذلك بمضمر يفسره نتلوه والذكر الحكيم القرآن وصف بصفة من هو من سببه او كانه ينطق بالحكمة لكثرة حكمه
ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ان مثل عيسى ان
شان عيسى وحاله الغريبة كشان آدم وقوله خلقه من تراب جملة مفسرة لما له شبه عيسى بآدم اى خلق آدم من تراب
ولم يكن ثمة اب ولا ام فكذلك حال عيسى **فان قلت** كيف شبه به وقد وجد هو بغير اب ووجد آدم بغير اب وام
قلت هو مثيله في احد الطرفين فلا يمنع اختصاصه دونه بالطرف الآخر من تشبيهه به لان المماثلة مشاركة في بعض
الاوصاف ولانه شبه به في انه وجد وجودا خارجا عن العادة المستمرة وهما في ذلك نظيران ولان الوجود من غير اب وام
اغرب واخرق للعادة من الوجود من غير اب فشبه الغريب بالاغرب ليكون اقطع للخصم واحسم لمادة شبهته اذا نظر
فيما هو اغرب مما استغربه وعن بعض العلماء انه اسر بالروم فقال لهم لم تعبدون عيسى قالوا لانه لا اب له قال فآدم اولى لانه
لا ابوين له قالوا كان يحيي الموتى قال فحزقيل اولى لان عيسى احيا اربعة نفر واحيا حزقيل ثمانية الآف قالوا كان يبرئ الاكمه
والابرص قال فجرجيس اولى لانه طبخ واحرق ثم قام سالما خلقه من تراب قدره جسدا من طين ثم قال له كن اى انشأه بشرا
كقوله ثم انشأناه خلقا آخر فيكون حكاية حال ماضية الحق من ربك فلا تكن من الممترين فمن حاجك
فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم
وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين الحق من ربك خبر مبتدأ
محذوف اى هو الحق كقول اهل خيبر محمد والخميس ونهيه عن الامتراء وجل رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكون ممتريا من باب
التهييج لزيادة الثبات والطمأنينة وان يكون لطفا لغيره فمن حاجك من النصارى فيه في عيسى من بعد ما جاءك من العلم
اى من البينات الموجبة للعلم تعالوا هلموا والمراد المجيء بالرأي والعزم كما تقول تعال نفكر في هذه المسئلة ندع ابناءنا وابناءكم
اى يدع كل مني ومنكم ابناءه ونساءه ونفسه الى المباهلة ثم نبتهل ثم نتباهل بان نقول بهلة الله على الكاذب منا ومنكم
والبهلة بالفتح والضم اللعنة وبهله الله لعنه او ابعده من رحمته من قولك بهله اذا اهمله وناقة باهل لا صرار عليها واصل
الابتهال هذا ثم استعمل في كل دعاء يجتهد فيه وان لم يكن التعانا وروي انه لما دعاهم الى المباهلة قالوا حتى نرجع وننظر
فلما تخالوا قالوا للعاقب وكان ذا رأيهم يا عبد المسيح ما ترى فقال والله لقد عرفتم يا معشر النصارى ان محمدا نبي مرسل
ولقد جاءكم بالفصل من امر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولئن فعلتم لتهلكن فان ابيتم الا
الف دينكم والاقامة على ما انتم عليه فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد غدا محتضنا الحسين
آخذا بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها وهو يقول اذا انا دعوت فامنوا فقال اسقف نجران يا معشر النصارى
اني لارى وجوها لو شاء الله ان يزيل جبلا من مكانه لازاله بها فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض نصراني الى يوم القيمة
فقالوا يا ابا القاسم رأينا ان لا نباهلك وان نقرك على دينك ونثبت على ديننا قال فاذا ابيتم المباهلة فاسلموا يكن
لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم فابوا قال فاني اناجزكم فقالوا ما لنا بحرب العرب طاقة ولكن نصالحك على ان لا تغزونا ولا
تخيفنا ولا تردنا عن ديننا على ان نؤدي اليك كل عام الفي حلة الف في صفر والف في رجب وثلاثين درعا عادية
من حديد فصالحهم على ذلك وقال والذي نفسي بيده ان الهلاك قد تدلى على اهل نجران ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير
ولاضطرم عليهم الوادي نارا ولاستأصل الله نجران واهله حتى الطير على رؤس الشجر ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى
يهلكوا وعن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج وعليه مرط مرحل من شعر اسود فجاء الحسن فادخله
ثم جاء الحسين فادخله ثم فاطمة ثم علي ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت **فان قلت** ما كان دعاؤه
الى المباهلة الا ليتبين الكاذب منه ومن خصمه وذلك امر يختص به وبمن يكاذبه فما معنى ضم الابناء والنساء **قلت**
ذلك آكد في الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه حيث استجرأ على تعريض اعزته وافلاذ كبده واحب الناس اليه لذلك
ولم يقتصر على تعريض نفسه له وعلى ثقته بكذب خصمه حتى يهلك خصمه مع احبته واعزته هلاك الاستئصال ان تمت المباهلة وخص
الابناء والنساء لانهم اعز الاهل والصقهم بالقلوب وربما فداهم الرجل بنفسه وحارب دونهم حتى يقتل ومن ثمة كانوا يسوقون
مع انفسهم الظعائن في الحروب لتمنعهم من الهرب ويسمون الذادة عنها بارواحهم حماة الحقائق وقدمهم في الذكر على الانفس

قيل المراد بالانفس بنو العم ... لا يجوز ان تقول ادعو فلانا وفلانا نفسي ... حاضر

الصرار خرقة تشد على اطباء الناقة لئلا يرضعها فصيلها

الظعينة المرأة ما دامت في الهودج

ليتنبه على لطف مكانهم وقرب منزلتهم وليؤذن بانهم مقدمون على الانفس مفدون بها وفيه دليل لا شيء اقوى منه على فضل
اصحاب الكساء عليهم السلام وفيه برهان واضح على صحة نبوة النبي صلى الله عليه وسلم لانه لم يرو احد من موافق ولا مخالف انهم
اجابوا الى ذلك ان هذا لهو القصص الحق وما من اله الا الله وان الله لهو العزيز
الحكيم ان هذا الذي قص عليك من نبأ عيسى لهو القصص الحق وقرئ بتحريك الهاء على الاصل وبالسكون لان
اللام تنزل من هو منزلة بعضه فخفف كما خفف عضد وهو اما فصل بين اسم ان وخبرها واما مبتدأ والقصص الحق خبره
والجملة خبر ان **فان قلت** لم جاز دخول اللام على الفصل **قلت** اذا جاز دخولها على الخبر كان دخولها على
الفصل اجوز لانه اقرب الى المبتدأ منه واصلها ان تدخل على المبتدأ ومن في قوله وما من اله الا الله في افادة معنى الاستغراق
والمراد الرد على النصارى في تثليثهم فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين قل يا اهل الكتاب
تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا
بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون يا اهل الكتاب
لم تحاجون في ابراهيم وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده افلا تعقلون ها انتم
هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وانتم لا تعلمون
ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين فان الله عليم
بالمفسدين وعيد لهم بالعذاب المذكور في قوله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون يا اهل الكتاب قيل هم اهل
الكتابين وقيل وفد نجران وقيل يهود المدينة سواء بيننا وبينكم مستوية بيننا وبينكم لا يختلف فيها القرآن والتورية
والانجيل وتفسير الكلمة قوله الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله يعني تعالوا اليها
حتى لا نقول عزير ابن الله ولا المسيح ابن الله لان كل واحد منهما بعضنا بشر مثلنا ولا نطيع احبارنا فيما احدثوا من التحريم
والتحليل من غير رجوع الى ما شرع الله كقوله اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما امروا الا ليعبدوا
الها واحدا وعن عدي بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله قال اليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتاخذون بقولهم قال نعم
قال هو ذاك وعن الفضيل لا ابالي اطعت مخلوقا في معصية الخالق او صليت لغير القبلة وقرئ كلمة بسكون اللام
وقرأ الحسن سواء بالنصب بمعنى استوت استواء فان تولوا عن التوحيد فقولوا اشهدوا بانا مسلمون اى لزمتكم الحجة
فوجب عليكم ان تعترفوا وتسلموا بانا مسلمون دونكم كما يقول الغالب للمغلوب في جدال او صراع او غيرهما اعترف باني
انا الغالب وسلم لي الغلبة ويجوز ان يكون من باب التعريض ومعناه اشهدوا واعترفوا بانكم كافرون حيث توليتم
عن الحق بعد ظهوره زعم كل فريق من اليهود والنصارى ان ابراهيم كان منهم وجادلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمؤمنين فيه فقيل لهم ان اليهودية انما حدثت بعد نزول التورية والنصرانية بعد نزول الانجيل وبين ابراهيم وموسى الف سنة
وبينه وبين عيسى الفان فكيف يكون ابراهيم على دين لم يحدث الا بعد عهده بازمنة متطاولة افلا تعقلون حتى تجادلوا مثل
هذا الجدال المحال ها انتم هؤلاء ها للتنبيه وانتم مبتدأ وهؤلاء خبره وحاججتم جملة مستأنفة مبينة للجملة الاولى يعني
انتم هؤلاء الاشخاص الحمقى وبيان حماقتكم وقلة عقولكم انكم جادلتم فيما لكم به علم مما نطق به التوراة والانجيل فلم تحاجون
فيما ليس لكم به علم ولا ذكر له في كتابيكم من دين ابراهيم وعن الاخفش ها انتم هو أأنتم على الاستفهام فقلبت الهمزة هاء
ومعنى الاستفهام التعجب من حماقتهم وقيل هؤلاء بمعنى الذين وحاججتم صلته والله يعلم علم ما حاججتم فيه وانتم جاهلون
به ثم اعلمهم بانه بريء من دينكم وما كان الا حنيفا مسلما وما كان من المشركين كما لم يكن منكم او اراد بالمشركين اليهود والنصارى
لاشراكهم به عزيرا والمسيح ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا
والله ولي المؤمنين ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون
الا انفسهم وما يشعرون يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وانتم تشهدون
ان اولى الناس بابراهيم ان اخصهم به واقربهم منه من الولي وهو القرب للذين اتبعوه في زمانه وبعده وهذا النبي
خصوصا والذين آمنوا من امته وقرئ وهذا النبي بالنصب عطفا على الهاء في اتبعوه اى اتبعوه واتبعوا هذا النبي
وبالجر عطفا على ابراهيم ودت طائفة هم اليهود دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا الى اليهودية وما يضلون الا انفسهم

وما يعود وبال الاضلال الا عليهم لان العذاب يضاعف لهم بضلالهم واضلالهم او وما يقدرون على اضلال المسلمين
وانما يضلون امثالهم من اشياعهم بآيات الله بالتورية والانجيل وكفرهم بها انهم لا يؤمنون بما نطقت به من صحة
نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيرها وشهادتهم اعترافهم بانها آيات الله او تكفرون بالقرآن ودلائل نبوة الرسول
وانتم تشهدون نعته في الكتابين او تكفرون بآيات الله جميعا وانتم تعلمون انها حق يا أهل الكتاب لم تلبسون
الحق بالباطل وتكتمون الحق وانتم تعلمون وقالت طائفة من اهل الكتاب آمنوا بالذي
انزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون ولا تؤمنوا الا لمن
تبع دينكم قل ان الهدى هدى الله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم قل
ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم يختص برحمته من
يشاء والله ذو الفضل العظيم قرئ تلبّسون بالتشديد وقرأ يحيى بن وثاب تلبسون بفتح
الباء اى تكتسون الحق مع الباطل كقوله صلى الله عليه وسلم كلابس ثوبي زور وقوله اذا هو بالمجد ارتدى وتأزرا
وجه النهار اوله قال من كان مسرورا بمقتل مالك فليأت نسوتنا بوجه نهار والمعنى اظهروا الايمان بما
انزل على المسلمين في اول النهار واكفروا به في آخره لعلهم يشكون في دينهم ويقولون ما رجعوا وهم اهل كتاب وعلم الا
لامر قد تبين لهم فيرجعون برجوعكم وقيل تواطأ اثنا عشر من احبار يهود خيبر وقال بعضهم لبعض ادخلوا في دين محمد
اول النهار من غير اعتقاد واكفروا به آخر النهار وقولوا انا نظرنا في كتبنا وشاورنا علماءنا فوجدنا محمدا ليس بذلك
المنعوت وظهر لنا كذبه وبطلان دينه فاذا فعلتم ذلك شك اصحابه في دينهم وقيل هو في شأن القبلة لما صرفت
الى الكعبة قال كعب بن الاشرف لاصحابه آمنوا بما انزل عليهم من الصلوة الى الكعبة وصلوا اليها في اول النهار ثم اكفروا به
في آخره وصلوا الى الصخرة لعلهم يقولون هم اعلم منا وقد رجعوا فيرجعون ولا تؤمنوا متعلق بقوله ان يؤتى احد وما بينهما
اعتراض اى ولا تظهروا ايمانكم بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لاهل دينكم دون غيرهم ارادوا اسروا تصديقكم بان المسلمين قد
اوتوا من كتب الله مثل ما اوتيتم ولا تفشوه الا الى اشياعكم وحدهم دون المسلمين لئلا يزيدهم ثباتا ودون المشركين لئلا
يدعوهم الى الاسلام او يحاجوكم عند ربكم عطف على ان يؤتى والضمير في يحاجوكم لاحد لانه في معنى الجمع بمعنى ولا تؤمنوا لغير
اتباعكم ان المسلمين يحاجونكم يوم القيامة بالحق ويغالبونكم عند الله تعالى بالحجة فان قلت فما معنى الاعتراض
قلت معناه ان الهدى هدى الله من شاء ان يلطف به حتى يسلم او يزيد ثباته على الاسلام كان ذلك ولم ينفع كيدكم
وحيلكم وزيكم تصديقكم عن المسلمين والمشركين وكذلك قوله قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء يريد الهداية والتوفيق
او يتم الكلام عند قوله الا لمن تبع دينكم على معنى ولا تؤمنوا هذا الايمان الظاهر وهو ايمانهم وجه النهار الا لمن تبع دينكم الا لمن كانوا
تابعين لدينكم ممن اسلموا منكم لان رجوعهم كان ارجى عندهم من رجوع من سواهم ولان اسلامهم كان اغيظ لهم وقوله ان يؤتى
معناه لان يؤتى احد مثل ما اوتيتم قلتم ذلك ودبرتموه لا لشيء آخر يعني ان ما بكم من الحسد والبغي ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم
من فضل العلم والكتاب دعاكم الى ان قلتم ما قلتم والدليل عليه قراءة ابن كثير أان يؤتى احد بزيادة همزة الاستفهام للتقرير
والتوبيخ بمعنى الان يؤتى احد فان قلت فما معنى قوله او يحاجوكم على هذا قلت معناه دبرتم ما دبرتم
لان يؤتى احد مثل ما اوتيتم ولما يتصل به عند كفركم به من محاجتهم لكم عند ربكم ويجوز ان يكون هدى الله بدلا من الهدى وان يؤتى
احد خبر ان على معنى قل ان هدى الله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم فيقرعوا باطلكم بحقهم ويدحضوا حجتكم
وقرئ ان يؤتى احد على ان النافية وهو متصل بكلام اهل الكتاب اى ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم وقولوا لهم ما يؤتى احد مثل
ما اوتيتم حتى يحاجوكم عند ربكم يعني ما يؤتون مثله فلا يحاجونكم ويجوز ان ينتصب ان يؤتى بفعل مضمر يدل عليه قوله ولا تؤمنوا الا
لمن تبع دينكم كانه قيل قل ان الهدى هدى الله فلا تنكروا ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم لان قولهم ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم انكار
لان يؤتى احد مثل ما اوتوا ومن اهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان
تأمنه بدينار لا يؤده اليك الا ما دمت عليه قائما ذلك بانهم قالوا ليس علينا في الاميين
سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون عن ابن عباس رضي الله عنهما من ان تأمنه بقنطار
هو عبد الله بن سلام استودعه رجل من قريش الفا ومائتي اوقية ذهبا فاداه اليه ومن ان تأمنه بدينار فنحاص بن

عازورا

عازورا استودعه رجل من قريش دينارا فجحده وخانه وقيل المأمونون على الكثير النصارى لغلبة الامانة عليهم والخائنون
في القليل اليهود لغلبة الخيانة عليهم الا ما دمت عليه قائما الا مدة دوامك عليه يا صاحب الحق قائما على رأسه متوكلا عليه
بالمطالبة والتعنيف او بالرفع الى الحاكم واقامة البينة عليه وقرئ يؤده بكسر الهاء والوصل وبكسرها بغير وصل وبسكونها
وقرأ يحيى بن وثاب تئمنه بكسر التاء ودمت بكسر الدال من دام يدام وذلك اشارة الى ترك الاداء الذي دل عليه
لا يؤده اى تركهم اداء الحقوق بسبب قولهم ليس علينا في الاميين سبيل اى لا يتطرق علينا عتاب وذم في شأن الاميين
يعنون الذين ليسوا من اهل الكتاب وما فعلنا بهم من حبس اموالهم والاضرار بهم لانهم ليسوا على ديننا وكانوا يستحلون ظلم
من خالفهم ويقولون لم يجعل لهم في كتابنا حرمة وقيل بايع اليهود رجالا من قريش فلما اسلموا تقاضوهم فقالوا ليس
لكم علينا حق حيث تركتم دينكم وادعوا انهم وجدوا ذلك في كتابهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عند نزولها كذب
اعداء الله ما من شيء في الجاهلية الا وهو تحت قدمي الا الامانة فانها مؤداة الى البر والفاجر وعن ابن عباس رضي الله عنهما
انه سأله رجل فقال انا نصيب في الغزو من اموال اهل الذمة الدجاجة والشاة قال فتقولون ماذا قال نقول ليس علينا
في ذلك بأس قال هذا كما قال اهل الكتاب ليس علينا في الاميين سبيل انهم اذا ادوا الجزية لم تحل لكم اموالهم الا بطيبة
انفسهم ويقولون على الله الكذب بادعائهم ان ذلك في كتابهم وهم يعلمون انهم كاذبون بلى من اوفى بعهده
واتقى فان الله يحب المتقين ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا
قليلا اولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيمة ولا
يزكيهم ولهم عذاب اليم بلى اثبات لما نفوه من السبيل عليهم في الاميين اى بلى عليهم سبيل فيهم وقوله
من اوفى بعهده جملة مستأنفة مقررة للجملة التي سدت بلى مسدها والضمير في بعهده راجع الى من اوفى على ان كل
من اوفى بما عاهد عليه واتقى الله في ترك الخيانة والغدر فان الله يحبه فان قلت فهذا عام يتخيل انه لو وفى
اهل الكتاب بعهودهم وتركوا الخيانة لكسبوا محبة الله قلت اجل لانهم اذا اوفوا بالعهود وفوا اول شيء بالعهد الاعظم
وهو ما اخذ عليهم في كتابهم من الايمان برسول مصدق لما معهم ولو اتقوا الله في ترك الخيانة لاتقوه في ترك الكذب على الله
وتحريف كلمه ويجوز ان يرجع الضمير الى الله تعالى على ان كل من وفى بعهد الله واتقاه فان الله يحبه ويدخل في ذلك الايمان وغيره
من الصالحات وما وجب اتقاؤه من الكفر واعمال السوء فان قلت فاين الضمير الراجع من الجزاء الى من قلت
عموم المتقين قام مقام رجوع الضمير وعن ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في عبد الله بن سلام وبحيرا الراهب
ونظرائهما من مسلمة اهل الكتاب يشترون يستبدلون بعهد الله بما عاهدوه عليه من الايمان بالرسول المصدق لما معهم
وبايمانهم وبما حلفوا به من قولهم والله لنؤمنن به ولننصرنه ثمنا قليلا متاع الدنيا من الترؤس والارتشاء ونحو ذلك
وقيل نزلت في ابي رافع ولبابة بن ابي الحقيق وحيي بن اخطب حرفوا التورية وبدلوا صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم
واخذوا الرشوة على ذلك وقيل جاءت جماعة من اليهود الى كعب بن الاشرف في سنة اصابتهم ممتارين فقال لهم
هل تعلمون ان هذا الرجل رسول الله قالوا نعم قال قد هممت ان اميركم واكسوكم فحرمكم الله خيرا كثيرا فقالوا لعله شبه علينا
فرويدا حتى نلقاه فانطلقوا فكتبوا صفة غير صفته ثم رجعوا اليه وقالوا قد غلطنا وليس هو بالنعت الذي نعت لنا ففرح
ومارهم وعن الاشعث بن قيس نزلت في كانت بيني وبين رجل خصومة في بئر فاختصمنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال شاهداك او يمينه فقلت اذن يحلف ولا يبالي فقال من حلف على يمين يستحق بها مالا هو فيها فاجر لقي الله وهو عليه
غضبان وقيل نزلت في رجل اقام سلعة في السوق فحلف لقد اعطي بها ما لم يعط والوجه ان نزولها في
اهل الكتاب وقوله بعهد الله يقوي رجوع الضمير في بعهده الى الله تعالى ولا ينظر اليهم مجاز عن الاستهانة بهم والسخط
عليهم تقول فلان لا ينظر الى فلان تريد نفي اعتداده به واحسانه اليه ولا يزكيهم ولا يثني عليهم فان قلت
اي فرق بين استعماله فيمن يجوز عليه النظر وفيمن لا يجوز عليه قلت اصله فيمن يجوز عليه النظر الكناية لان من اعتد
بالانسان التفت اليه واعاره نظر عينيه ثم كثر حتى صار عبارة عن الاعتداد والاحسان وان لم يكن ثم نظر ثم جاء فيمن
لا يجوز عليه النظر مجردا لمعنى الاحسان مجازا عما وقع كناية عنه فيمن يجوز عليه النظر وان منهم لفريقا يلوون
السنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما

هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون • ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون • لوتيقاهم كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف وحيي بن اخطب وغيرهم يلوون السنتهم بالكتاب يفتلونها بقراءته عن الصحيح الى المحرف وقرا اهل المدينة يلوّون بالتشديد كقوله لووا رؤسهم وعن مجاهد وابن كثير يلون ووجهه انهما قلبا الواو المضمومة همزة ثم خففوها بحذفها والقاء حركتها على الساكن قبلها **فان قلت** الام يرجع الضمير في لتحسبوه **قلت** الى ما دل عليه يلوون السنتهم بالكتاب وهو المحرف ويجوز ان يراد يعطفون السنتهم بشبه الكتاب لتحسبوا ذلك الشبه من الكتاب وقرئ ليحسبوه بالياء بمعنى يفعلون ذلك ليحسبه المسلمون من الكتاب ويقولون هو من عند الله تاكيد لقوله هو من الكتاب وزيادة تشنيع عليهم وتسجيل بالكذب ودلالة على انهم لا يعرضون ولا يورّون وانما يصرحون بانه في التوراة هكذا وقد انزله الله على موسى كذلك لفرط جرأتهم على الله وقساوة قلوبهم ويأسهم من الآخرة • وعن ابن عباس هم اليهود الذين قدموا على كعب بن الاشرف غيروا التورية وكتبوا كتابا بدلوا فيه صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذت قريظة ما كتبوه فخلطوه بالكتاب الذي عندهم • ما كان لبشر تكذيب لمن اعتقد عبادة عيسى وقيل ان ابا رافع القرظي والسيد من نصارى نجران قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم اتريد ان نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله ان نعبد غير الله او ان نامر بغير عبادة الله فما بذلك بعثني ولا بذلك امرني فنزلت • وقيل قال رجل يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض افلا نسجد لك قال لا ينبغي ان يسجد لاحد من دون الله ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله والحكم والحكمة وهي السنة ولكن كونوا ربانيين ولكن يقول كونوا والرباني منسوب الى الرب بزيادة الالف والنون كما يقال رقباني ولحياني وهو الشديد التمسك بدين الله وطاعته • وعن محمد بن الحنفية انه قال حين مات ابن عباس اليوم مات رباني هذه الامة • وعن الحسن ربانيين علماء فقهاء وقيل علماء معلمين وكانوا يقولون الشارع الرباني العالم العامل المعلم بما كنتم بسبب كونكم عالمين وبسبب كونكم دارسين للعلم اوجب ان تكون الربانية التي هي قوة التمسك بطاعة الله مسببة عن العلم والدراسة وكفى به دليلا على خيبة سعي من جهد نفسه وكد روحه في جمع العلم ثم لم يجعله ذريعة الى العمل فكان مثله مثل من غرس شجرة حسناء تونقه بمنظرها ولا تنفعه بثمرها وقرئ تعلمون من التعلم وتعلّمون من التعليم تدرسون تقرؤن وقرئ تدرّسون من التدريس وتُدرِسون على ان ادرس بمعنى درس كاكرم وكرم وانزل ونزل وتدّرسون من التدرّس ويجوز ان يكون معناه ومعنى تدرسون بالتخفيف تدرسونه على الناس كقوله لتقرأه على الناس فيكون معناهما معنى تدرّسون من التدريس وفيه ان من علم ودرس العلم ولم يعمل به فليس من الله في شيء وان السبب بينه وبين ربه منقطع حيث لم تثبت النسبة اليه الا للمتمسكين بطاعته • ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا ايامركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون • واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال ءاقررتم واخذتم على ذلكم اصري قالوا اقررنا قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين • قرئ ولا يامركم بالنصب عطفا على ثم يقول وفيه وجهان احدهما ان تجعل لا مزيدة لتاكيد معنى النفي في قوله ما كان لبشر والمعنى ما كان لبشر ان يستنبئه الله وينصبه للدعاء الى اختصاص الله تعالى بالعبادة وترك الانداد ثم يامر الناس بان يكونوا عبادا له ويامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا كما تقول ما كان لزيد ان اكرمه ثم يهينني ويستخفني والثاني ان تجعل لا غير مزيدة والمعنى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينهى قريشا عن عبادة الملائكة واليهود والنصارى عن عبادة عزير والمسيح فلما قالوا اتريد ان نتخذك ربا قيل لهم ما كان لبشر ان يستنبئه الله تعالى ثم يامر الناس بعبادته وينهاهم عن عبادة الملائكة والانبياء • والقراءة بالرفع على ابتداء الكلام اظهر وتنصرها قراءة عبد الله ولن يامركم والضمير في ولا يامركم وايامركم للبشر وقيل لله والهمزة في ايامركم للانكار بعد اذ انتم مسلمون دليل على ان المخاطبين كانوا مسلمين وهم الذين استاذنوه ان يسجدوا له • ميثاق النبيين فيه غير وجه احدها ان يكون على ظاهره من اخذ الميثاق على النبيين بذلك والثاني ان يضيف الميثاق الى النبيين اضافته الى الموثق عليه كما تقول ميثاق الله وعهد الله كانه قيل واذ اخذ الله

الميثاق الذي وثقه الانبياء على اممهم • والثالث ان يراد ميثاق اولاد النبيين وهم بنو اسرائيل على حذف المضاف والرابع ان يراد اهل الكتاب وان يرد على زعمهم تهكما بهم لانهم كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة من محمد لانا اهل الكتاب ومنا كان النبيون ويدل عليه قراءة ابي وابن مسعود واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب واللام في لما آتيتكم لام التوطئة لان اخذ الميثاق في معنى الاستحلاف وفي لتؤمنن جواب القسم وما تحتمل ان تكون المتضمنة لمعنى الشرط ولتؤمنن ساد مسد جواب القسم والشرط جميعا وان تكون موصولة بمعنى للذي آتيتكموه لتؤمنن به وقرئ لما آتيناكم وقرا حمزة لما آتيتكم بكسر اللام ومعناه لاجل ايتائي اياكم بعض الكتاب والحكمة ثم لمجيء رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به على ان ما مصدرية والفعلان معها اعني آتيتكم وجاءكم في معنى المصدرين واللام داخلة للتعليل على معنى اخذ الله ميثاقهم لتؤمنن بالرسول ولتنصرنه لاجل اني آتيتكم الحكمة وان الرسول الذي آمركم بالايمان ونصرته موافق لكم غير مخالف ويجوز ان تكون ما موصولة **فان قلت** كيف يجوز ذلك والعطف على آتيناكم وهو قوله ثم جاءكم لا يجوز ان يدخل تحت حكم الصلة لانك لا تقول للذي جاءكم رسول مصدق لما معكم **قلت** بلى لان ما معكم في معنى ما آتيتكم فكانه قيل للذي آتيتكموه وجاءكم مصدق له وقرا سعيد بن جبير لمّا بالتشديد بمعنى حين آتيتكم بعض الكتاب والحكمة ثم جاءكم رسول مصدق له وجب عليكم الايمان به ونصرته وقيل اصله لمن ما فاستثقلوا اجتماع ثلث ميمات وهي الميمان والنون المنقلبة ميما بادغامها في الميم فحذفوا احداها فصارت لما ومعناه لمن اجل ما آتيتكم لتؤمنن به وهذا نحو من قراءة حمزة في المعنى اصري عهدي وقرئ أُصري بالضم وسمي اصرا لانه مما يؤصر اي يشد ويعقد ومنه الاصار الذي يعقد به ويجوز ان يكون المضموم لغة في اصر كعبر وعبر وان يكون جمع اصار فاشهدوا فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار وانا على ذلك من اقراركم وتشاهدكم من الشاهدين وهذا توكيد عليهم وتحذير من الرجوع اذا علموا بشهادة الله تعالى وشهادة بعضهم على بعض وقيل الخطاب للملائكة • فمن تولى بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون • افغير دين الله يبغون وله اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها واليه يرجعون • فمن تولى بعد ذلك الميثاق والتوكيد فاولئك هم الفاسقون اي المتمردون من الكفار ودخلت همزة الانكار على الفاء العاطفة جملة على جملة والمعنى فاولئك هم الفاسقون فغير دين الله يبغون ثم توسطت الهمزة بينهما ويجوز ان يعطف على محذوف تقديره ايتولون فغير دين الله يبغون وقدم المفعول الذي هو غير دين الله على فعله لانه اهم من حيث ان الانكار الذي هو معنى الهمزة متوجه الى المعبود بالباطل روي ان اهل الكتاب اختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اختلفوا فيه من دين ابراهيم عليه السلام وكل واحد من الفريقين ادعى انه اولى به فقال صلى الله عليه وسلم كلا الفريقين بري من دين ابراهيم فقالوا ما نرضى بقضائك ولا ناخذ بدينك فنزلت وقرئ يبغون بالياء وترجعون بالتاء وهي قراءة ابي عمرو لان الباغين هم المتولون والراجعون جميع الناس وقرئا بالياء معا وبالتاء معا طوعا بالنظر في الادلة والانصاف من نفسه وكرها بالسيف او بمعاينة ما يلجئ الى الاسلام كنتق الجبل على بني اسرائيل وادراك الغرق فرعون والاشفاء على الموت فلما راوا باسنا قالوا آمنا بالله وحده وانتصب طوعا وكرها على الحال بمعنى طائعين ومكرهين • قل آمنا بالله وما انزل علينا وما انزل على ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون • ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين • كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهدي القوم الظالمين • اولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين • خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون • امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يخبر عن نفسه وعمن معه بالايمان فلذلك وحد الضمير في قل وجمع في آمنا ويجوز بان يؤمر بان يتكلم عن نفسه كما يتكلم الملوك اجلالا من الله تعالى لقدر نبيه صلى الله عليه وسلم **فان قلت** لم عدي انزل في هذه الآية بحرف الاستعلاء وفيما تقدم من مثلها بحرف الانتهاء **قلت** لوجود المعنيين جميعا لان الوحي ينزل من فوق وينتهي الى الرسل فجاء تارة باحد المعنيين واخرى بالآخر ومن قال انما قيل علينا لقوله قل والينا لقوله قولوا تفرقة بين الرسول والمؤمنين لان الرسول ياتيه الوحي

ما في الصحاح الاصار والايصر حبل قصير يشد به من اسفل الخباء الى وتد
ح

على طريق الاستعلاء وبأنهم على وجه الانتهاء فقد تعسّف الا ترى الى قوله بما انزل اليك وانزلنا اليك الكتاب وفي
والى قوله آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا ونحن له مسلمون موحدون مخلصون انفسنا له لا نجعل له شريكا في
عبادتها ثم قال ومن يبتغ غير الاسلام يعني غير التوحيد واسلام الوجه لله دينا فلن يقبل منه من الخاسرين من الذين
وقعوا في الخسران مطلقا من غير تقييد للشياع وقرئ ومن يبتغ غير الاسلام بالادغام كيف يهدي الله قوما
كيف يلطف بهم وليسوا من اهل اللطف لما علم الله من تصميمهم على كفرهم ودل على تصميمهم بانهم كفروا بعد ايمانهم وبعد
ما شهدوا بان الرسول حق وبعد ما جاءتهم الشواهد من القرآن وسائر المعجزات التي تثبت بمثلها النبوة وهم اليهود
كفروا بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد ان كانوا مؤمنين به وذلك حين عاينوا ما يوجب قوة ايمانهم من البينات
وقيل نزلت في رهط كانوا اسلموا ثم رجعوا عن الاسلام ولحقوا بمكة منهم طعمة بن ابيرق ووحوح بن الاسلت والحارث
ابن سويد بن الصامت **فان قلت** علام عطف قوله وشهدوا **قلت** فيه وجهان ان يعطف على
ما في ايمانهم من معنى الفعل لان معناه بعد ان آمنوا كقوله تعالى فاصدق واكن وقول الشاعر مشائيم ليسوا
مصلحين عشيرة ولا ناعب ويجوز ان تكون الواو للحال باضمار قد بمعنى كفروا وقد شهدوا ان الرسول حق
والله لا يهدي لا يلطف بالقوم الظالمين المعاندين الذين علم ان اللطف لا ينفعهم الا الذين تابوا من
بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا
كفرا لن تقبل توبتهم واولئك هم الضالون ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن
يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى به اولئك لهم عذاب اليم وما لهم من ناصرين
الا الذين تابوا من بعد ذلك الكفر العظيم والارتداد واصلحوا ما افسدوا او ودخلوا في الصلاح قيل نزلت
في الحارث بن سويد حين ندم على ردته وارسل الى قومه ان سلوا هل لي من توبة فارسل اليه اخوه الجلاس بالآية
فاقبل الى المدينة فتاب وقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم توبته ثم ازدادوا كفرا هم اليهود كفروا بعيسى والانجيل
بعد ايمانهم بموسى والتورية ثم ازدادوا كفرا بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن او كفروا برسول الله بعد ما كانوا
به مؤمنين قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا باصرارهم على ذلك وطعنهم فيه في كل وقت وعداوتهم له ونقضهم ميثاقه
وفتنتهم للمؤمنين وصدهم عن الايمان به وسخريتهم بكل آية تنزل وقيل نزلت في الذين ارتدوا ولحقوا بمكة وازديادهم
الكفر ان قالوا نقيم بمكة نتربص بمحمد ريب المنون وان اردنا الرجعة نافقنا باظهار التوبة **فان قلت**
قد علم ان المرتد كيف ما ازداد كفرا فانه مقبول التوبة اذا تاب فما معنى لن تقبل توبتهم **قلت** جعلت عبارة
عن الموت على الكفر لان الذي لا تقبل توبته من الكفار هو الذي يموت على الكفر كانه قيل ان اليهود او المرتدين الذين
فعلوا ما فعلوا مائتون على الكفر داخلون في جملة من لا تقبل توبتهم **فان قلت** فلم قيل في احدى الآيتين
لن تقبل بغير فاء وفي الاخرى فلن يقبل **قلت** قد اوذن بالفاء ان الكلام بني على الشرط والجزاء وان سبب
امتناع قبول الفدية هو الموت على الكفر وبترك الفاء ان الكلام مبتدأ وخبر ولا دليل فيه على التسبيب كما تقول الذي
جاءني له درهم لم تجعل المجيء سببا في استحقاق الدرهم بخلاف قولك فله درهم **فان قلت** فحين كان معنى لن تقبل
توبتهم بمعنى الموت على الكفر فهلا جعل الموت على الكفر مسببا عن ارتدادهم وازديادهم الكفر لما في ذلك من قساوة القلوب
وركوب الرين وجره الى الموت على الكفر **قلت** لانه كم من مرتد مزداد للكفر يرجع الى الاسلام ولا يموت على الكفر
فان قلت فاي فائدة في هذه الكناية اعني ان كنى عن الموت على الكفر بامتناع قبول التوبة **قلت** الفائدة
فيها جليلة وهي التغليظ في شأن اولئك الفريق من الكفار وابراز حالهم في صورة حال الآيسين من الرحمة التي هي اغلظ
الاحوال واشدها الا ترى ان الموت على الكفر انما يخاف من اجل اليأس من الرحمة ذهبا نصب على التمييز وقرأ الاعمش
ذهب بالرفع ردا على ملء كما يقال عندي عشرون نفسا رجال **فان قلت** كيف موقع قوله ولو افتدى به
قلت هو كلام محمول على المعنى كانه قيل فلن تقبل من احدهم فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا ويجوز ان يراد ولو افتدى
بمثله كقوله تعالى ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه والمثل يحذف كثيرا في كلامهم كقولك ضربته ضرب زيد
تريد مثل ضربه وابو يوسف ابو حنيفة تريد مثله ولا هيثم الليلة للمطي وقضية ولا ابا حسن لها تريد ولا مثل هيثم ولا مثل

تمامه
الا بين غزابها
قال ابن جني في الخصائص هو من اغلاط
العرب لانه توهم الباء فعطف

ابا حسن

ابا حسن لانه يراد في مثل قولهم مثلك لا يفعل كذا تريد انت وذلك ان المثلين يسد احدهما مسد الآخر فكانا
في حكم شيء واحد وان يراد فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا كان قد تصدق به ولو افتدى به ايضا لم يقبل منه
وقرئ فلن يقبل من احدهم على البناء للفاعل وهو الله عز وجل ونصب ملء وملء الارض بتخفيف الهمزتين
لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شيء فان الله به عليم
لن تنالوا البر لن تبلغوا حقيقة البر ولن تكونوا ابرارا وقيل لن تنالوا بر الله وهو ثوابه حتى تنفقوا مما تحبون حتى
تكون نفقتكم من اموالكم التي تحبونها وتؤثرونها كقوله انفقوا من طيبات ما كسبتم وكان السلف رحمهم الله تعالى
اذا احبوا شيئا جعلوه لله تعالى وروي انها لما نزلت جاء ابو طلحة فقال يا رسول الله ان احب اموالي الي بيرحاء
فضعها يا رسول الله حيث اراك الله فقال صلى الله عليه وسلم بخ بخ ذاك مال رابح او مال رائح واني ارى ان
تجعلها في الاقربين فقال ابو طلحة افعل يا رسول الله فقسمها في اقاربه وجاء زيد بن حارثة بفرس له كان يحبها
فقال هذه في سبيل الله فحمل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم اسامة بن زيد فكان زيدا وجد في نفسه وقال انما اردت
ان اتصدق به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ان الله تعالى قد قبلها منك وكتب عمر رضي الله عنه الى ابي موسى
الاشعري ان يبتاع له جارية من سبي جلولاء يوم فتحت مدائن كسرى فلما جاءت اعجبته فقال ان الله تعالى يقول
لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فاعتقها ونزل بابي ذر رضي الله عنه ضيف فقال للراعي ائتني بخير ابلي فجاء بناقة
مهزولة فقال خنتني فقال وجدت خير الابل فحلها فذكرت يوم حاجتكم اليه فقال ان يوم حاجتي اليه ليوم اوضع في حفرتي
وقرأ عبد الله حتى تنفقوا بعض ما تحبون وهذا دليل على ان من في مما تحبون للتبعيض ونحوه اخذت من المال ومن في
من شيء لتبيين ما تنفقوا اي من اي شيء كان طيب تحبونه او خبيث تكرهونه فان الله به عليم يعلم كل شيء تنفقونه فمجازيكم
بحسبه كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل
التورية قل فاتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين كل الطعام كل المطعومات او كل انواع الطعام
والحل مصدر يقال حل الشيء حلا كقولك ذلت الدابة ذلا وعز الرجل عزا وفي حديث عائشة رضي الله عنها كنت اطيبه
لحله وحرمه ولذلك استوى في الوصف به المذكر والمؤنث والواحد والجمع قال الله تعالى لا هن حل لهم والذي حرم اسرائيل
وهو يعقوب عليه السلام على نفسه لحوم الابل والبانها وقيل العروق كان به عرق النسا فنذر ان شفي ان يحرم على نفسه
احب الطعام اليه وكان ذلك احبه اليه فحرمه وقيل اشارت عليه الاطباء باجتنابه ففعل وذلك باذن من الله تعالى
فهو كتحريم الله ابتداء والمعنى ان المطاعم كلها لم تزل حلالا لبني اسرائيل من قبل انزال التورية وتحريم ما حرم عليهم منها
لظلمهم وبغيهم لم يحرم منها شيء قبل ذلك غير المطعوم الواحد الذي حرمه ابوهم اسرائيل على نفسه فتبعوه على تحريمه وهو رد على
اليهود وتكذيب لهم حيث ارادوا براءة ساحتهم مما نعى عليهم في قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم
طيبات احلت لهم الى قوله عذابا اليما وفي قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما
الى قوله ذلك جزيناهم ببغيهم وجحود ما غاظهم واشمأزوا منه وامتعضوا مما نطق به القرآن من تحريم الطيبات عليهم لبغيهم
وظلمهم فقالوا لسنا باول من حرمت عليه وما هو الا تحريم قديم كانت محرمة على نوح وعلى ابراهيم ومن بعده من بني اسرائيل
وهلم جرا الى ان انتهى التحريم الينا فحرمت علينا كما حرمت على من قبلنا وغرضهم تكذيب شهادة الله تعالى عليهم
بالبغي والظلم والصد عن سبيل الله واكل الربوا واخذ اموال الناس بالباطل وما عدد من مساويهم التي كلما ارتكبوا
منها كبيرة حرم عليهم نوع من الطيبات عقوبة لهم قل فاتوا بالتورية فاتلوها امر بان يحاجهم بكتابهم ويبكتهم بما هو ناطق به
من ان تحريم ما حرم عليهم تحريم حادث بسبب ظلمهم وبغيهم لا تحريم قديم كما يدعونه فروي انهم لم يجسروا على اخراج التورية
وبهتوا وانقلبوا صاغرين وفي ذلك الحجة البينة على صدق النبي صلى الله عليه وسلم وعلى جواز النسخ الذي ينكرونه
فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فاولئك هم الظالمون قل صدق الله
فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين ان اول بيت وضع للناس
للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين فمن افترى على الله الكذب بزعمه ان ذلك كان محرما على بني اسرائيل
قبل انزال التورية من بعد ما لزمهم من الحجة القاطعة فاولئك هم الظالمون المكابرون الذين لا ينصفون من انفسهم

ولا يلتفتون الى البينات قل صدق الله تعريض بكذبهم كقوله ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون اي ثبت
ان الله تعالى صادق فيما انزل وانتم الكاذبون فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا وهي ملة الاسلام التي عليها محمد صلى الله عليه وسلم
ومن آمن معه حتى تتخلصوا من اليهودية التي ورطتكم في فساد دينكم ودنياكم حيث اضطرتكم الى تحريف كتاب الله تعالى
لتسوية اغراضكم والزمتكم تحريم الطيبات التي احلها الله تعالى لابراهيم عليه السلام ولمن تبعه ان اول بيت وضع للناس صفة
والواضع هو الله تعالى تدل عليه قراءة من قرأ وضع للناس بتسمية الفاعل وهو الله ومعنى وضع الله بيتا للناس انه جعله
متعبدا لهم فكانه قال ان اول متعبد للناس الكعبة وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل عن اول مسجد وضع
للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما قال اربعون سنة وعن علي رضي الله عنه ان رجلا قال له هو
اول بيت قال لا قد كان قبله بيوت ولكنه اول بيت وضع للناس مباركا فيه الهدى والرحمة والبركة واول من بناه
ابراهيم ثم بناه قوم من العرب من جرهم ثم هدم فبنته العمالقة ثم هدم فبناه قريش وعن ابن عباس هو اول بيت حج
بعد الطوفان وقيل هو اول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق السماء والارض خلقه قبل الارض بالفي عام وكان زبدة
بيضاء على الماء فدحيت الارض تحته وقيل هو اول بيت بناه آدم في الارض وقيل لما اهبط آدم قالت له الملائكة
طف حول هذا البيت فلقد طفنا قبلك بالفي عام وكان في موضعه قبل آدم بيت يقال له الضراح فرفع في الطوفان
الى السماء الرابعة يطوف به ملائكة السموات للذي ببكة للبيت الذي ببكة وهي علم للبلد الحرام ومكة وبكة لغتان
فيه نحو قولهم النبيط والنميط في اسم موضع بالدهناء ونحوه من الاعتقاب امر راتب وراتم وحمى مخطة ومحبطة
وقيل مكة البلد وبكة موضع المسجد وقيل اشتقاقها من بكه اذا زحمه لازدحام الناس فيها وعن قتادة يبك
الناس بعضهم بعضا الرجال والنساء يصلي بعضهم بين يدي بعض لا يصلح ذلك الا بمكة كانها سميت ببكة وهي الزحمة
قال اذا الشريب اخذته الاكة فخله حتى يبك بكة وقيل تبك اعناق الجبابرة اي تدقها لم يقصدها جبار
الا قصمه الله تعالى مباركا كثير الخير لما يحصل لمن حجه واعتمره وعكف عنده وطاف حوله من الثواب وتكفير الذنوب وانتصابه على
الحال من المستكن في الظرف لان التقدير للذي ببكة هو والعامل فيه المقدر في الظرف من فعل الاستقرار وهدى للعالمين لانه
قبلتهم ومتعبدهم فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا مقام ابراهيم عطف
بيان لقوله آيات بينات فان قلت كيف صح بيان الجماعة بالواحد قلت فيه وجهان احدهما ان يجعل
وحده بمنزلة آيات كثيرة لظهور شانه وقوة دلالته على قدرة الله تعالى ونبوة ابراهيم عليه السلام من تاثير قدمه في حجر
صلد كقوله تعالى ان ابراهيم كان امة والثاني اشتماله على آيات لان اثر القدم في الصخرة الصماء آية وغوصه فيها
الى الكعبين آية والانة بعض الصخرة دون بعض آية وابقاؤه دون سائر آيات الانبياء عليهم السلام آية لابراهيم
خاصة وحفظه مع كثرة اعدائه من المشركين واهل الكتاب والملاحدة الوف سنة آية ويجوز ان يراد فيه آيات بينات
مقام ابراهيم وامن من دخله لان الاثنين نوع من الجمع كالثلاثة والاربعة ويجوز ان تذكر هاتان الآيتان ويطوى ذكر غيرهما
دلالة على تكاثر الآيات كانه قيل فيه آيات بينات مقام ابراهيم وامن من دخله وكثير سواهما ونحوه في طي الذكر قول
جرير كانت حنيفة اثلاثا فثلثهم من العبيد وثلث من مواليها ومنه قوله صلى الله عليه وسلم حبب الي
من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرة عيني في الصلوة وقرأ ابن عباس وأبي ومجاهد وابو جعفر المدني في رواية
قتيبة آية بينة على التوحيد وفيها دليل على ان مقام ابراهيم واقع وحده عطف بيان فان قلت
كيف اجزت ان يكون مقام ابراهيم والامن عطف بيان للآيات وقوله ومن دخله كان آمنا جملة مستانفة اما ابتدائية
واما شرطية قلت اجزت ذلك من حيث المعنى لان قوله ومن دخله كان آمنا دل على امن داخله فكانه قيل فيه آيات
بينات مقام ابراهيم وامن داخله الا ترى انك لو قلت فيه آية بينة من دخله كان آمنا صح لانه في معنى قولك فيه آية بينة
امن من دخله فان قلت كيف كان سبب هذا الاثر قلت فيه قولان اصحهما انه لما ارتفع بنيان الكعبة
وضعف ابراهيم عن رفع الحجارة قام على هذا الحجر فغاصت فيه قدماه وقيل انه جاء زائرا من الشام الى مكة فقالت له امرأة
اسمعيل انزل حتى تغسل رأسك فلم ينزل فجاءته بهذا الحجر فوضعته على شقه الايمن فوضع قدمه عليه حتى غسلت شق رأسه
ثم حولته الى شقه الايسر حتى غسلت الشق الآخر فبقي اثر قدميه عليه ومعنى ومن دخله كان آمنا معنى قوله اولم يروا انا

جعلنا

جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم وذلك بدعوة ابراهيم عليه السلام رب اجعل هذا البلد آمنا وكان الرجل لو
جر كل جريرة ثم لجأ الى الحرم لم يطلب وعن عمر رضي الله عنه لو ظفرت فيه بقاتل الخطاب ما مسسته حتى يخرج منه
وعند ابي حنيفة رحمه الله تعالى من لزمه القتل في الحل بقصاص او ردة او زنا فالتجأ الى الحرم لم يتعرض له الا انه لا يؤوى
ولا يطعم ولا يسقى ولا يبايع حتى يضطر الى الخروج وقيل آمنا من النار وعن النبي صلى الله عليه وسلم من مات في احد الحرمين
بعث يوم القيمة آمنا وعنه صلى الله عليه وسلم الحجون والبقيع يؤخذ باطرافهما وينثران في الجنة وهما مقبرتا
مكة والمدينة وعن ابن مسعود رضي الله عنه وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثنية الحجون وليس بها يومئذ مقبرة
فقال يبعث الله من هذه البقعة ومن هذا الحرم كله سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر يدخلون الجنة بغير حساب
يشفع كل واحد منهم في سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر وعن النبي صلى الله عليه وسلم من صبر على حر مكة ساعة من
نهار تباعدت منه جهنم مسيرة مائتي عام ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا
ومن كفر فان الله غني عن العالمين من استطاع بدل من الناس وروي ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم فسر الاستطاعة بالزاد والراحلة وكذا عن ابن عباس وابن عمر وعليه اكثر العلماء وعن ابن الزبير هو على قدر
القوة ومذهب مالك ان الرجل اذا وثق بقوته لزمه وعنه ذلك على قدر الطاقة وقد يجد الزاد والراحلة من لا يقدر
على السفر وقد يقدر عليه من لا راحلة له ولا زاد وعن الضحاك اذا قدر ان يؤجر نفسه فهو مستطيع وقيل له في ذلك فقال
ان كان لبعضهم ميراث بمكة اكان يتركه بل كان ينطلق اليه ولو حبوا فكذلك يجب عليه الحج والضمير في اليه للبيت او للحج وكل
ما اتى الى الشيء فهو سبيل اليه وفي هذا الكلام انواع من التاكيد والتشديد منها قوله ولله على الناس حج البيت يعني انه حق
واجب لله تعالى في رقاب الناس لا ينفكون عن ادائه والخروج عن عهدته ومنها انه ذكر الناس ثم ابدل عنه من
استطاع اليه سبيلا وفيه ضربان من التاكيد احدهما ان الابدال تثنية للمراد وتكرير له والثاني ان الايضاح بعد الابهام
والتفصيل بعد الاجمال ايراد له في صورتين مختلفتين ومنها قوله ومن كفر مكان ومن لم يحج تغليظا على تارك الحج
ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا او نصرانيا ونحوه من التغليظ من ترك
الصلوة متعمدا فقد كفر ومنها ذكر الاستغناء عنه وذلك مما يدل على المقت والسخط والخذلان ومنها قوله عن العالمين
وان لم يقل عنه وما فيه من الدلالة على الاستغناء عنه ببرهان لانه اذا استغنى عن العالمين تناوله الاستغناء لا محالة ولانه
يدل على الاستغناء الكامل فكان ادل على عظم السخط الذي وقع عبارة عنه وعن سعيد بن المسيب نزلت في اليهود فانهم
قالوا الحج الى مكة غير واجب وروي انه لما نزل قوله ولله على الناس حج البيت جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل
الاديان كلهم فخطبهم فقال ان الله كتب عليكم الحج فحجوا فآمنت به ملة واحدة وهم المسلمون وكفرت به خمس ملل قالوا لا نؤمن
به ولا نصلي اليه ولا نحجه فنزل ومن كفر وعن النبي صلى الله عليه وسلم حجوا قبل ان لا تحجوا فانه قد هدم البيت مرتين ويرفع
في الثالثة وروي حجوا قبل ان لا تحجوا حجوا قبل ان يمنع البر جانبه وعن ابن مسعود رضي الله عنه حجوا هذا البيت
قبل ان تنبت في البادية شجرة لا تأكل منها دابة الا نفقت وعن عمر رضي الله عنه لو ترك الناس الحج عاما واحدا ما نوظروا
وقرئ حج البيت بالكسر قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على
ما تعملون قل يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا وانتم
شهداء وما الله بغافل عما تعملون والله شهيد الواو للحال والمعنى لم تكفرون بآيات الله التي تدلكم على
صدق محمد صلى الله عليه وسلم والحال ان الله شهيد على اعمالكم فمجازيكم عليها وهذه الحال توجب ان لا تجسروا على الكفر بآياته
قرأ الحسن تصدون من اصده عن سبيل الله عن دين حق علم انه سبيل الله التي امر بسلوكها وهو دين الاسلام وكانوا يفتنون
المؤمنين ويحتالون لصدهم عنه ويمنعون من اراد الدخول فيه بجهدهم وقيل اتت اليهود الاوس والخزرج فذكروهم ما كان
بينهم في الجاهلية من العداوات والحروب ليعودوا لمثله تبغونها عوجا تطلبون لها اعوجاجا وميلا عن القصد والاستقامة
فان قلت كيف تبغونها عوجا وهو محال قلت فيه معنيان احدهما انكم تلبسون على الناس حتى
توهموهم ان فيها عوجا بقولكم ان شريعة موسى لا تنسخ وبتغييركم صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وجهها ونحو ذلك والثاني
انكم تتعبون انفسكم في اخفاء الحق وابتغاء ما لا يتاتى لكم من وجود العوج فيما هو اقوم من كل مستقيم وانتم شهداء انها

سبيل الله التي لا يصد عنها الا ضال مضل او انتم شهداء بين اهل دينكم عدول يثقون باقوالكم ويستشهدونكم
في عظائم امورهم وهم الاحبار وما الله بغافل وعيد ومحل تبغونها نصب على الحال قيل مر شاس بن قيس اليهودي وكان
عظيم الكفر شديد الطعن على المسلمين شديد الحسد لهم على نفر من الانصار من الاوس والخزرج في مجلس لهم يتحدثون فغاظه
ذلك حيث تالفوا واجتمعوا بعد الذي كان بينهم في الجاهلية من العداوة وقال ما لنا معهم اذا اجتمعوا من قرار فامر شابا
من اليهود ان يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعاث وينشدهم بعض ما قيل فيه من الاشعار وكان يوما اقتتلت فيه الاوس والخزرج
وكان الظفر فيه للاوس ففعل فتنازع القوم عند ذلك وتفاخروا وتغاضبوا وقالوا السلاح السلاح فبلغ النبي صلى الله
عليه وسلم فخرج اليهم فيمن معه من المهاجرين والانصار فقال اتدعون الجاهلية وانا بين اظهركم بعد اذ اكرمكم الله بالاسلام
وقطع به عنكم امر الجاهلية والف بينكم فعرف القوم انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا السلاح وبكوا وعانق
بعضهم بعضا ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فما كان يوم اقبح اولا واحسن آخرا من ذلك اليوم
يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين وكيف
تكفرون وانتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط
مستقيم وكيف تكفرون معنى الاستفهام فيه الانكار والتعجيب والمعنى من اين يتطرق اليكم الكفر والحال ان
آيات الله وهي القرآن المعجز تتلى عليكم على لسان الرسول غضة طرية وبين اظهركم رسول الله ينبهكم ويعظكم ويزيح
شبهكم ومن يعتصم بالله ومن يتمسك بدينه ويجوز ان يكون حثا لهم على الالتجاء اليه في دفع شرور الكفار ومكايدهم فقد هدي
فقد حصل له الهدى لا محالة كما تقول اذا جئت فلانا فقد افلحت كان الهدى قد حصل فهو يخبر عنه حاصلا ومعنى التوقع
في قد ظاهر لان المعتصم بالله متوقع للهدى كما ان قاصد الكريم متوقع للفلاح عنده يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله
حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا
واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا
حفرة من النار فانقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ولتكن منكم امة
يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون حق تقاته واجب
تقواه وما يحق منها وهو القيام بالواجب واجتناب المحارم ونحوه فاتقوا الله ما استطعتم يريد بالغوا في التقوى حتى لا تتركوا
من المستطاع منها شيئا وعن عبد الله هو ان يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى وروي مرفوعا وقيل هو
ان لا تاخذه في الله لومة لائم ويقوم بالقسط ولو على نفسه او ابنه او ابيه وقيل لا يتقي الله عبد حق تقاته حتى يخزن لسانه
والتقاة من اتقى كالتؤدة من اتأد ولا تموتن معناه ولا تكونن على حال سوى حال الاسلام اذا ادرككم الموت كما تقول
لمن تستعين به على لقاء العدو لا تاتني الا وانت على حصان فلا تنهاه عن الاتيان ولكنك تنهاه عن خلاف الحال التي
شرطت عليه في وقت الاتيان قولهم اعتصمت بحبله يجوز ان يكون تمثيلا لاستظهاره به ووثوقه بحمايته بامتساك المتدلي
من مكان مرتفع بحبل وثيق يامن انقطاعه وان يكون الحبل استعارة لعهده والاعتصام لوثوقه بالعهد او ترشيحا لاستعارة
الحبل بما يناسبه والمعنى واجتمعوا على استعانتكم بالله ووثوقكم به ولا تفرقوا عنه او واجتمعوا على التمسك بعهده الى
عباده وهو الايمان والطاعة او بكتابه لقول النبي صلى الله عليه وسلم القرآن حبل الله المتين لا تنقضي عجائبه ولا يخلق
عن كثرة الرد من قال به صدق ومن عمل به رشد ومن اعتصم به هدي الى صراط مستقيم ولا تفرقوا ولا تتفرقوا عن الحق
بوقوع الاختلاف بينكم كما اختلفت اليهود والنصارى او كما كنتم متفرقين في الجاهلية متدابرين يعادي بعضكم بعضا
ويحاربه او ولا تحدثوا ما يكون عنه التفرق ويزول معه الاجتماع والالفة التي انتم عليها مما ياباه جامعكم والمؤلف بينكم
وهو اتباع الحق والتمسك بالاسلام كانوا في الجاهلية بينهم الاحن والعداوات والحروب المتواصلة فالف الله تعالى
بين قلوبهم بالاسلام وقذف فيها المحبة فتحابوا وتوافقوا وصاروا اخوانا متراحمين متناصحين مجتمعين على امر واحد قد
نظم بينهم وازال الاختلاف وهو الاخوة في الله تعالى وقيل هم الاوس والخزرج كانا اخوين لاب وام فوقعت
بينهما العداوة وتطاولت الحروب مائة وعشرين سنة الى ان اطفا الله تعالى ذلك بالاسلام والف بينهم برسول الله صلى
الله عليه وسلم وكنتم على شفا حفرة من النار وكنتم مشفين على ان تقعوا في نار جهنم لما كنتم عليه من الكفر فانقذكم منها بالاسلام

والضمير للحفرة او للنار او للشفا وانما انث لاضافته الى الحفرة وهو منها كما قال كما شرقت صدر القناة من الدم
وشفا الحفرة وشفتها حرفها بالتذكير والتانيث ولامها واو الا انها في المذكر مقلوبة وفي المؤنث محذوفة ونحو
الشفا والشفة الجانب والجانبة فان قلت كيف جعلوا على حرف حفرة من النار قلت لو ماتوا على
ما كانوا عليه وقعوا في النار فمثلت حياتهم التي يتوقع بعدها الوقوع في النار بالقعود على حرفها مشفين على الوقوع فيها
كذلك مثل ذلك البيان البليغ يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ارادة ان تزدادوا هدى ولتكن منكم امة من للتبعيض
لان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفايات ولانه لا يصلح له الا من علم المعروف والمنكر وعلم كيف يرتب الامر
في اقامته وكيف يباشر فان الجاهل ربما نهى عن معروف وامر بمنكر وربما عرف الحكم في مذهبه وجهله في مذهب صاحبه فنهاه عن
غير منكر وقد يغلظ في موضع اللين ويلين في موضع الغلظة وينكر على من لا يزيده انكاره الا تماديا او على من الانكار عليه عبث
كالانكار على اصحاب المآصر والجلادين واضرابهم وقيل من للتبيين بمعنى وكونوا امة تامرون كقوله تعالى كنتم خير امة
اخرجت للناس تامرون واولئك هم المفلحون هم الاخصاء بالفلاح دون غيرهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم
انه سئل وهو على المنبر من خير الناس قال آمرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر واتقاهم لله واوصلهم وعنه صلى الله عليه وسلم
من امر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في ارضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه وعن علي رضي الله عنه افضل الجهاد
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن شنئ الفاسقين وغضب لله غضب الله له وعن حذيفة ياتي على الناس زمان
تكون فيهم جيفة الحمار احب اليهم من مؤمن يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر وعن سفيان الثوري اذا كان الرجل
محببا في جيرانه محمودا عند اخوانه فاعلم انه مداهن والامر بالمعروف تابع للمامور به ان كان واجبا فواجب وان كان ندبا
فندب واما النهي عن المنكر فواجب كله لان جميع المنكر تركه واجب لاتصافه بالقبح فان قلت ما طريق
الوجوب قلت قد اختلف فيه الشيخان رحمهما الله تعالى فعند ابي علي السمع والعقل وعند ابي هاشم السمع وحده
فان قلت ما شرائط النهي قلت ان يعلم الناهي ان ما ينكره قبيح لانه اذا لم يعلم لم يامن من ان ينكر
الحسن وان لا يكون ما ينهى عنه واقعا لان الواقع لا يحسن النهي عنه وانما يحسن الذم عليه والنهي عن امثاله وان لا يغلب على
ظنه ان المنهي يزيد في منكراته وان لا يغلب على ظنه ان نهيه لا يؤثر لانه عبث فان قلت فما شروط الوجوب
قلت ان يغلب على ظنه وقوع المعصية نحو ان يرى الشارب قد تهيا لشرب الخمر باعداد آلاته وان لا يغلب على
ظنه انه ان انكر لحقته مضرة عظيمة فان قلت كيف يباشر الانكار قلت يبتدئ بالسهل فان
لم ينفع ترقى الى الصعب لان الغرض كف المنكر قال الله تعالى فاصلحوا بينهما ثم قال فقاتلوا فان قلت
فمن يباشره قلت كل مسلم تمكن منه واختص بشرائطه وقد اجمعوا على ان من رأى غيره تارك الصلاة وجب عليه
الانكار لانه معلوم قبحه لكل احد واما الانكار الذي بالقتال فالامام وخلفاؤه اولى لانهم اعلم بالسياسة ومعهم عدتها
فان قلت فمن يؤمر وينهى قلت كل مكلف وغير المكلف اذا هم بضرر غيره منع كالصبيان
والمجانين وينهى الصبيان عن المحرمات حتى لا يتعودوها كما يؤخذون بالصلاة ليمرنوا عليها فان قلت
هل يجب على مرتكب المنكر ان ينهى عما يرتكبه قلت نعم يجب عليه لان تركه ارتكابه وانكاره واجبان عليه فبتركه احد
الواجبين لا يسقط عنه الواجب الآخر وعن السلف مروا بالخير وان لم تفعلوا وعن الحسن انه سمع مطرف بن
عبد الله يقول لا اقول ما لا افعل فقال واينا يفعل ما يقول ود الشيطان لو ظفر بهذه منكم فلا يامر احد بمعروف ولا
ينهى عن منكر فان قلت كيف قيل يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف قلت الدعاء الى الخير عام في
التكاليف من الافعال والتروك والامر بالمعروف والنهي عن المنكر خاص فجيء بالعام ثم عطف عليه الخاص ايذانا بفضله كقوله
والصلاة الوسطى ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات واولئك
لهم عذاب عظيم كالذين تفرقوا واختلفوا وهم اليهود والنصارى من بعد ما جاءهم البينات الموجبة للاتفاق
على كلمة واحدة وهي كلمة الحق وقيل هم مبتدعوا هذه الامة وهم المشبهة والمجبرة والحشوية واشباههم يوم تبيض
وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم
تكفرون واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون تلك

آيات الله نتلوها عليك بالحق وما الله يريد ظلما للعالمين ولله ما في السموات
وما في الارض والى الله ترجع الامور كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف
وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن اهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون واكثرهم
الفاسقون يوم تبيض وجوه نصب بالظرف وهو لهم او باضمار اذكر وقرئ تبيض وتسود بكسر حرف المضارعة
وتبياض وتسواد والبياض من النور والسواد من الظلمة فمن كان من اهل نور الحق وسم ببياض اللون واسفاره
واشراقه وابيضت صحيفته واشرقت وسعى النور بين يديه وبيمينه ومن كان من اهل ظلمة الباطل وسم بسواد اللون
وكسوفه وكمده واسودت صحيفته واظلمت واحاطت به الظلمة من كل جانب نعوذ بالله وبسعة رحمته من ظلمات الباطل
واهله اكفرتم فيقال لهم اكفرتم والهمزة للتوبيخ والتعجب من حالهم والظاهر انهم اهل الكتاب وكفرهم بعد الايمان تكذيبهم
برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد اعترافهم به قبل مجيئه وعن عطاء تبيض وجوه المهاجرين والانصار وتسود وجوه
بني قريظة والنضير وقيل هم المرتدون وقيل اهل البدع والاهواء وعن ابي امامة رضي الله عنه هم الخوارج ولما
رآهم على درج دمشق دمعت عيناه ثم قال كلاب النار هؤلاء شر قتلى تحت اديم السماء وخير قتلى تحت اديم السماء الذين
قتلهم هؤلاء فقال له ابو غالب اشيء تقوله برايك ام شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بل سمعته من رسول الله غير مرة
قال فما شانك دمعت عيناك قال رحمة لهم كانوا من اهل الاسلام فكفروا ثم قرأ هذه الآية ثم اخذ بيده فقال ان بارضك
منهم بارضك منهم كثيرا فاعاذك الله منهم وقيل هم جميع الكفار لاعراضهم عما اوجبه الاقرار حين اشهدهم على انفسهم الست
بربكم قالوا بلى ففي رحمة الله ففي نعمته وهي الثواب المخلد فان قلت كيف موقع قوله هم فيها خالدون بعد قوله
ففي رحمة الله قلت موقع الاستيناف كانه قيل كيف يكونون فيها فقيل هم فيها خالدون لا يظعنون عنها ولا يموتون
تلك آيات الله الواردة في الوعد والوعيد نتلوها عليك ملتبسة بالحق والعدل من جزاء المحسن والمسيء بما يستوجبانه
وما الله يريد ظلما فياخذ احدا بغير جرم او يزيد في عقاب مجرم او ينقص من ثواب محسن ونكر ظلما وقال للعالمين على معنى
ما يريد شيئا من الظلم لاحد من خلقه فسبحان من يحلم عمن يصفه بارادة القبائح والرضا بها كان عبارة عن وجود الشيء
في زمان ماض على سبيل الابهام وليس فيه دليل على عدم سابق ولا على انقطاع طارئ ومنه قوله تعالى وكان الله غفورا
رحيما ومنه قوله تعالى كنتم خير امة كانه قيل وجدتم خير امة وقيل كنتم في علم الله تعالى خير امة وقيل كنتم في الامم قبلكم مذكورين
بانكم خير امة موصوفين به اخرجت اظهرت وقوله تامرون كلام مستانف بين به كونهم خير امة كما تقول زيد كريم يطعم الناس
ويكسوهم ويقوم بما يصلحهم وتؤمنون بالله جعل الايمان بكل ما يجب الايمان به ايمانا بالله لان من آمن ببعض ما يجب الايمان به من
رسول او كتاب او بعث او حساب او عقاب او ثواب او غير ذلك لم يعتد بايمانه فكانه غير مؤمن بالله تعالى ويقولون نؤمن
ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقا والدليل عليه قوله تعالى ولو آمن اهل الكتاب
مع ايمانهم بالله لكان خيرا لهم مما هم عليه لانهم آثروا دينهم على دين الاسلام حبا للرياسة واستتباع العوام
ولو آمنوا لكان لهم من الرياسة والاتباع وحظوظ الدنيا ما هو خير مما آثروا دين الباطل لاجله مع الفوز بما وعدوه على الايمان
من ايتاء الاجر مرتين منهم المؤمنون كعبد الله بن سلام واصحابه واكثرهم الفاسقون المتمردون في الكفر لن يضروكم
الا اذى وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ثم لا ينصرون ضربت عليهم الذلة اينما ثقفوا الا
بحبل من الله وحبل من الناس وباؤوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك
بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون
لن يضروكم الا اذى الا ضررا مقتصرا على اذى بقول من طعن في الدين او تهديد او نحو ذلك وان يقاتلوكم يولوكم الادبار منهزمين
ولا يضروكم بقتل او اسر ثم لا ينصرون ثم لا يكون لهم نصر من احد ولا يمنعون منكم وفيه تثبيت لمن اسلم منهم لانهم كانوا يؤذونهم
بالتلهي بهم وتوبيخهم وتضليلهم وتهديدهم بانهم لا يقدرون ان يتجاوزوا الاذى بالقول الى ضرر يبالي به مع انه وعدهم الغلبة
عليهم والانتقام منهم وان عاقبة امرهم الخذلان والذل فان قلت هلا جزم المعطوف في قوله ثم لا ينصرون
قلت عدل به عن حكم الجزاء الى حكم الاخبار ابتداء كانه قيل ثم اخبركم انهم لا ينصرون فان قلت فاي فرق
بين رفعه وجزمه في المعنى قلت لو جزم لكان نفي النصر مقيدا بمقاتلتهم كتولية الادبار وحين رفع كان نفي النصر وعدا

مطلقا كانه قال ثم شانهم وقصتهم التي اخبركم عنها وابشركم بها بعد التولية انهم مخذولون منتف عنهم النصر والقوة
لا ينهضون بعدها بجناح ولا يستقيم لهم امر وكان كما اخبر من حال بني قريظة والنضير وبني قينقاع ويهود خيبر
فان قلت فما الذي عطف عليه هذا الخبر قلت جملة الشرط والجزاء كانه قيل اخبركم انهم ان يقاتلوكم ينهزموا
ثم اخبركم انهم لا ينصرون فان قلت فما معنى التراخي في ثم قلت التراخي في المرتبة لان الاخبار بتسليط
الخذلان عليهم اعظم من الاخبار بتوليتهم الادبار فان قلت ما موقع الجملتين اعني منهم المؤمنون ولن يضروكم
قلت هما كلامان واردان على طريق الاستطراد عند اجراء ذكر اهل الكتاب كما يقول القائل وعلى ذكر فلان فان
من شانه كيت وكيت ولذلك جاء من غير عاطف بحبل من الله في محل النصب على الحال بتقدير الا معتصمين او متمسكين
او متلبسين بحبل من الله وهو استثناء من اعم عام الاحوال والمعنى ضربت عليهم الذلة في عامة الاحوال الا في حال
اعتصامهم بحبل الله وحبل الناس يعني ذمة الله تعالى وذمة المسلمين اي لا عز لهم قط الا هذه الواحدة وهي التجاؤهم
الى الذمة لما قبلوه من الجزية وباؤوا بغضب من الله استوجبوه وضربت عليهم المسكنة كما يضرب البيت على اهله فهم ساكنون
في المسكنة غير ظاعنين عنها وهم اليهود عليهم لعنة الله وغضبه ذلك اشارة الى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبواء
بغضب الله تعالى اي ذلك كائن بسبب كفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء ثم قال ذلك بما عصوا اي ذلك كائن بسبب عصيانهم
لله تعالى واعتدائهم لحدوده ليعلم ان الكفر وحده ليس بسبب في استحقاق سخط الله وان سخط الله يستحق بركوب المعاصي
كما يستحق بالكفر ونحوه مما خطيئاتهم اغرقوا واخذهم الربوا وقد نهوا عنه واكلهم اموال الناس بالباطل ليسوا سواء
من اهل الكتاب امة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله
واليوم الآخر ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات واولئك من
الصالحين وما تفعلوا من خير فلن تكفروه والله عليم بالمتقين ان الذين كفروا
لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون
الضمير في ليسوا لاهل الكتاب اي ليس اهل الكتاب مستوين وقوله من اهل الكتاب امة قائمة كلام مستانف لبيان قوله
ليسوا سواء كما وقع قوله تامرون بالمعروف بيانا لقوله كنتم خير امة امة قائمة مستقيمة عادلة من قولك اقمت العود فقام
بمعنى استقام وهم الذين اسلموا منهم وعبر عن تهجدهم بتلاوة القرآن في ساعات الليل مع السجود لانه ابين لما يفعلون
وادل على حسن صورة امرهم وقيل عنى صلوة العشاء لان اهل الكتاب لا يصلونها وعن ابن مسعود رضي الله عنه اخر رسول
الله صلى الله عليه وسلم صلوة العشاء ثم خرج الى المسجد فاذا الناس ينتظرون الصلوة فقال اما انه ليس من اهل الاديان
احد يذكر الله هذه الساعة غيركم وقرا هذه الآية وقوله يتلون ويؤمنون في محل الرفع صفتان لامة اي امة قائمة
تالون مؤمنون وصفهم بخصائص ما كانت في اليهود من تلاوة آيات الله بالليل ساجدين ومن الايمان بالله لان ايمانهم به
كلا ايمان لاشراكهم به عزيرا وكفرهم ببعض الكتب والرسل دون بعض ومن الايمان باليوم الآخر لانهم يصفونه بخلاف صفته
ومن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لانهم كانوا مداهنين ومن المسارعة في الخيرات لانهم كانوا متباطئين عنها غير راغبين فيها
والمسارعة في الخير فرط الرغبة فيه لان من رغب في الامر سارع في توليه والقيام به وآثر الفور على التراخي واولئك الموصوفون
بما وصفوا به من جملة الصالحين الذين صلحت احوالهم عند الله تعالى ورضيهم واستحقوا ثناءه عليهم ويجوز ان يريد بالصالحين المسلمين
فلن تكفروه لما جاء وصف الله جل وعلا بالشكر في قوله والله شكور حليم في معنى توفية الثواب نفى عنه نقيض ذلك فان قلت
لم عدي الى مفعولين وشكر وكفر لا يتعديان الا الى واحد تقول شكر النعمة وكفرها قلت ضمن معنى الحرمان فكانه قيل فلن تحرموه
بمعنى فلن تحرموا جزاءه وقرئ تفعلوا وتكفروه بالياء والتاء والله عليم بالمتقين بشارة للمتقين بجزيل الثواب ودلالة
على انه لا يفوز عنده الا اهل التقوى مثل ما ينفقون في هذه الحيوة الدنيا كمثل ريح فيها صر اصابت
حرث قوم ظلموا انفسهم فاهلكته وما ظلمهم الله ولكن انفسهم يظلمون الصر الريح
الباردة نحو الصرصر قال لا تعدلن اتاويين تضربهم نكباء صر باصحاب المحلات كما قالت ليلى الاخيلية ولم تغلب
الخصم الالد وتملا الجفان سديفا يوم نكباء صرصر فان قلت فما معنى قوله كمثل ريح فيها صر قلت فيه اوجه
احدها ان الصر في صفة الريح بمعنى الباردة فوصف بها القرة بمعنى فيها قرة صر كما تقول برد بارد على المبالغة والثاني

ان يكون الصر مصدرا في الاصل بمعنى البرد فجي به على اصله الثالث ان يكون من قوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله
اسوة حسنة ومن قولك ان ضيعني فلان ففي الله كاف وكافل قال وفي الرحمن للضعفاء كافي شبه ما كانوا
ينفقون من اموالهم في المكارم والمفاخر وكسب الثناء وحسن الذكر بين الناس لا يبتغون به وجه الله تعالى بالزرع الذي
حسه البرد فذهب حطاما وقيل هو ما كانوا يتقربون به الى الله تعالى مع كفرهم وقيل ما انفقوا في عداوة
رسول الله صلى الله عليه وسلم فضاع عنهم لانهم لم يبلغوا بانفاقه ما انفقوه لاجله وشبه بحرث قوم ظلموا انفسهم فاهلك
عقوبة لهم على معاصيهم لان الاهلاك عن سخط اشد وابلغ **فان قلت** الغرض تشبيه ما انفقوا في قلة جدواه
وضياعه بالحرث الذي ضربته الصر والكلام غير مطابق للغرض حيث جعل ما ينفقون ممثلا بالريح **قلت** هو من التشبيه
المركب الذي مر في تفسير قوله كمثل الذي استوقد نارا ويجوز ان يراد مثل اهلاك ما ينفقون كمثل اهلاك ريح او مثل
ما ينفقون كمثل مهلك ريح وهو الحرث وقرئ تنفقون بالتاء وما ظلمهم الله الضمير للمنفقين على معنى وما ظلمهم الله بان لم
يقبل نفقاتهم ولكنهم ظلموا انفسهم حيث لم ياتوا بها مستحقة للقبول او لاصحاب الحرث الذين ظلموا انفسهم اي وما ظلمهم الله
باهلاك حرثهم ولكن ظلموا انفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة وقرئ ولكن بالتشديد بمعنى ولكن انفسهم يظلمونها هم ولا
يجوز ان يراد ولكنه انفسهم يظلمون على اسقاط ضمير الشان لانه انما يجوز في الشعر **يا ايها الذين امنوا**
لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يالونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من افواههم
وما تخفي صدورهم اكبر قد بينا لكم الايات ان كنتم تعقلون بطانة الرجل ووليجته خصيصه
وصفيه الذي يفضي اليه بشقوره ثقة به شبه ببطانة الثوب كما يقال فلان شعاري وعن النبي صلى الله عليه وسلم الانصار
شعار والناس دثار من دونكم من دون ابناء جنسكم وهم المسلمون ويجوز تعلقه بلا تتخذوا وببطانة على الوصف
اي بطانة كائنة من دونكم مجاورة لكم لا يالونكم خبالا يقال الا في الامر يالو اذا قصر فيه ثم استعمل معدى الى مفعولين
في قولهم لا آلوك نصحا ولا آلوك جهدا على التضمين والمعنى لا امنعك نصحا ولا انقصكه والخبال الفساد ودوا ما عنتم
ودوا عنتكم على ان ما مصدرية والعنت شدة الضرر والمشقة واصله انهياض العظم بعد جبره اي تمنوا ان يضروكم
في دينكم ودنياكم اشد الضرر وابلغه قد بدت البغضاء من افواههم لانهم لا يتمالكون مع ضبطهم انفسهم وتحاملهم عليها
ان ينفلت من السنتهم ما يعلم به بغضهم للمسلمين وعن قتادة قد بدت البغضاء لاوليائهم من المنافقين والكفار لاطلاع
بعضهم بعضا على ذلك وفي قراءة عبد الله قد بدا البغضاء قد بينا لكم الايات الدالة على وجوب الاخلاص في الدين وموالاة
اولياء الله تعالى ومعاداة اعدائه ان كنتم تعقلون ما بين لكم فعملتم به **فان قلت** كيف موقع هذه الجمل
قلت يجوز ان يكون لا يالونكم صفة للبطانة وكذلك قد بدت البغضاء كانه قيل بطانة غير آليكم خبالا بادية
بغضاؤهم واما قد بينا فكلام مبتدا او احسن منه وابلغ ان تكون مستانفات كلها على وجه التعليل للنهي عن اتخاذهم
بطانة **ها انتم اولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله واذا لقوكم قالوا آمنا**
واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور
ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها وان تصبروا وتتقوا لا يضركم
كيدهم شيئا ان الله بما تعملون محيط ها للتنبيه وانتم مبتدا واولاء خبره اي انتم اولاء الخاطئون في
موالاة منافقي اهل الكتاب وقوله تحبونهم ولا يحبونكم بيان لخطاهم في موالاتهم حيث يبذلون محبتهم لاهل البغضاء
وقيل اولاء موصول تحبونهم صلته والواو في وتؤمنون للحال وانتصابها من لا يحبونكم اي لا يحبونكم والحال انكم تؤمنون
بكتابهم كله وهم مع ذلك يبغضونكم فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بشيء من كتابكم وفيه توبيخ شديد بانهم في باطلهم اصلب منكم
في حقكم ونحوه فانهم يالمون كما تالمون وترجون من الله ما لا يرجون ويوصف المغتاظ والنادم بعض الانامل والبنان
والابهام قال الحارث بن ظالم المري فاقتل اقواما لئاما اذلة يعضون من غيظ رؤس الاباهم قل موتوا
بغيظكم دعاء عليهم بان يزداد غيظهم حتى يهلكوا به والمراد بزيادة الغيظ زيادة ما يغيظهم من قوة الاسلام وعز
اهله وما لهم في ذلك من الذل والخزي والتبار ان الله عليم بذات الصدور فهو يعلم ما في صدور المنافقين من الحنق والبغضاء
وما يكون منهم في حال خلو بعضهم ببعض وهو كلام داخل في جملة المقول او خارج منها **فان قلت** فكيف معناه

الشقور الحاجة الباطنة اللاصقة
بالقلب اي واحد شقر تقول اخبرته
بشقوري كما تقول افضيت اليه
بعجري وبجري ٥

على الوجهين **قلت** اذا كان داخلا في جملة المقول فمعناه اخبرهم بما يسرونه من عضهم الانامل غيظا اذا
خلوا وقل لهم ان الله عليم بما هو اخفى مما تسرونه بينكم وهو مضمرات الصدور فلا تظنوا ان شيئا من اسراركم يخفى عليه واذا
كان خارجا فمعناه قل لهم ذلك يا محمد ولا تتعجب من اطلاعي اياك على ما يسرون فاني اعلم ما هو اخفى من ذلك وهو ما اضمروه
في صدورهم ولم يظهروه بالسنتهم ويجوز ان لا يكون ثمة قول وان يكون قوله قل موتوا بغيظكم امرا لرسول الله صلى الله
عليه وسلم بطيب النفس وقوة الرجاء والاستبشار بوعد الله ان يهلكوا غيظا باعزاز الاسلام واذلالهم به كانه قيل حدث
نفسك بذلك الحسنة الرخاء والخصب والنصرة والغنيمة ونحوها من المنافع والسيئة ما كان ضد ذلك وهذا بيان
لفرط معاداتهم حيث يحسدونهم على ما نالهم من الخير ويشمتون بهم فيما اصابهم من الشدة [illegible] كيف وصفت
الحسنة بالمس والسيئة بالاصابة [illegible] المس مستعار لمعنى الاصابة فكان المعنى واحدا الا ترى الى قوله ان
تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك مصيبة ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك
اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا وان تصبروا على عداوتهم وتتقوا ما نهيتم عنه من موالاتهم او ان تصبروا على
تكاليف الدين ومشاقه وتتقوا الله في اجتنابكم محارمه كنتم في كنف الله فلا يضركم كيدهم وقرئ لا يضركم من ضاره يضيره
ويضركم على ان ضمة الراء لاتباع ضمة الضاد كقولك مد يا هذا وروى المفضل عن عاصم لا يضركم بفتح الراء وهذا تعليم
من الله تعالى وارشاد الى ان يستعان على كيد العدو بالصبر والتقوى وقد قال الحكماء اذا اردت ان تكبت من يحسدك فازدد
فضلا في نفسك ان الله بما تعملون من الصبر والتقوى وغيرهما محيط ففاعل بكم ما انتم اهله وقرئ بالياء بمعنى انه عالم
بما يعملون في عداوتكم فمعاقبهم عليه **واذ غدوت من اهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال**
والله سميع عليم واذكر اذ غدوت من اهلك بالمدينة وهو غدوه الى احد من حجرة عائشة رضي الله عنها
روي ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعاء فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه ودعا عبد الله بن ابي بن سلول
ولم يدعه قط قبلها فاستشاره فقال عبد الله واكثر الانصار يا رسول الله اقم بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها
الى عدو قط الا اصاب منا ولا دخلها علينا الا اصبنا منه فكيف وانت فينا فدعهم فان اقاموا اقاموا بشر مجلس وان
دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم والنساء والصبيان بالحجارة وان رجعوا رجعوا خائبين وقال بعضهم يا رسول الله اخرج
بنا الى هؤلاء الاكلب لا يرون انا قد جبنا عنهم وقال صلى الله عليه وسلم اني قد رايت في منامي بقرا مذبحة حولي فاولتها
خيرا ورايت في ذباب سيفي ثلما فاولته هزيمة ورايت كاني ادخلت يدي في درع حصينة فاولتها المدينة فان
رايتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم فقال رجال من المسلمين قد فاتتهم بدر واكرمهم الله بالشهادة يوم احد اخرج بنا
الى اعدائنا فلم يزالوا به حتى دخل فلبس لامته فلما راوه قد لبس لامته ندموا وقالوا بئس ما صنعنا نشير على رسول الله
صلى الله عليه وسلم والوحي ياتيه وقالوا اصنع يا رسول الله ما رايت فقال لا ينبغي لنبي ان يلبس لامته فيضعها حتى
يقاتل فخرج يوم الجمعة بعد صلوة الجمعة واصبح بالشعب من احد يوم السبت للنصف من شوال فمشى على رجليه فجعل يصف
اصحابه للقتال كانما يقوم بهم القدح ان راى صدرا خارجا قال تاخر وكان نزوله في عدوة الوادي وجعل عسكره وظهره
الى احد وامر عبد الله بن جبير على الرماة وقال لهم انضحوا عنا بالنبل لا ياتونا من ورائنا تبوئ المؤمنين تنزلهم وقرا
عبد الله للمؤمنين بمعنى تسوي لهم وتهيئ مقاعد للقتال مواطن ومواقف وقد اتسع في قعد وقام حتى اجريا مجرى صار
واستعمل المقعد والمقام في معنى المكان ومنه قوله تعالى في مقعد صدق قبل ان تقوم من مقامك من مجلسك وموضع حكمك
والله سميع لاقوالكم عليم بنياتكم وضمائركم **اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا والله وليهما**
وعلى الله فليتوكل المؤمنون ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة فاتقوا الله
لعلكم تشكرون اذ همت بدل من اذ غدوت او عمل فيه معنى سميع عليم والطائفتان حيان من الانصار بنو سلمة
من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وهما الجناحان خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في الف وقيل في تسعمائة وخمسين والمشركون
في ثلاثة الاف ووعدهم الفتح ان صبروا فانخزل عبد الله بن ابي بثلث الناس وقال يا قوم علام نقتل انفسنا واولادنا
فتبعهم عمرو بن حزم الانصاري فقال انشدكم الله في نبيكم وانفسكم فقال عبد الله لو نعلم قتالا لاتبعناكم فهم الحيان باتباع
عبد الله فعصمهم الله تعالى فمضوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس رضي الله عنهما اضمروا ان يرجعوا فعزم الله

لهم على الرشد فثبتوا او الظاهر انها ما كانت الا همة وحديث نفس كما لا تخلو النفس عند الشدة من بعض الهلع ثم يردها
صاحبها الى الثبات والصبر ويوطنها على احتمال المكروه كما قال عمرو بن الاطنابة: اقول لها اذا جشأت وجاشت
مكانك تحمدي او تستريحي. حتى قال معوية: عليكم بحفظ الشعر فقد كدت اضع رجلي في الركاب يوم صفين فما ثبتني
الا قول عمرو بن الاطنابة. ولو كانت عزيمة لما ثبتت معها الولاية والله تعالى يقول والله وليهما ويجوز ان يراد والله ناصرهما
ومتولي امرهما فما لهما تفشلان ولا تتوكلان على الله. فان قلت ما معنى ما روي من قول بعضهم عند نزول
الآية والله ما يسرنا انا لم نهم بالذي هممنا به وقد اخبرنا الله تعالى بانه ولينا. قلت معنى ذلك فرط الاستبشار
بما حصل لهم من الشرف بثناء الله تعالى وانزاله فيهم آية ناطقة بصحة الولاية وان تلك الهمة غير الماخوذ بها لانها لم
تكن عن عزيمة وتصميم كانت سببا لنزولها. والفشل الجبن والخور. وقرأ عبد الله والله وليهم كقوله وان طائفتان
من المؤمنين اقتتلوا. امرهم بان لا يتوكلوا الا عليه ولا يفوضوا امورهم الا اليه ثم ذكرهم ما يوجب عليهم التوكل مما يسر
لهم من الفتح يوم بدر وهم في حال قلة وذلة. والاذلة جمع قلة والذلان جمع الكثرة وجاء بجمع القلة ليدل على انهم
على ذلتهم كانوا قليلا وذلتهم ما كان بهم من ضعف الحال وقلة السلاح والمال والمركوب وذلك انهم خرجوا على النواضح يعتقب
النفر منهم على البعير الواحد وما كان معهم الا فرس واحد وقلتهم انهم كانوا ثلثمائة وبضعة عشر وكان عدوهم في حال كثرة
زهاء الف مقاتل ومعهم مائة فرس والشكة والشوكة. وبدر اسم ماء بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى بدرا فسمي به
فاتقوا الله في الثبات مع رسوله لعلكم تشكرون بتقواكم ما انعم به عليكم من نصرته او لعلكم ينعم الله عليكم نعمة اخرى
تشكرونها فوضع الشكر موضع الانعام لانه سبب له. اذ تقول للمؤمنين الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلثة
آلاف من الملائكة منزلين بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم
بخمسة آلاف من الملائكة مسومين. اذ تقول ظرف لنصركم على ان تقول لهم ذلك يوم بدر او بدل ثان
من اذ غدوت على ان يقوله لهم يوم احد. فان قلت كيف يصح ان يقول لهم يوم احد ولم تنزل فيه الملائكة
قلت قاله لهم مع اشتراط الصبر والتقوى عليهم فلم يصبروا عن الغنائم ولم يتقوا حيث خالفوا امر رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلذلك لم تنزل الملائكة ولو تموا على ما شرط عليهم لنزلت وانما قدم لهم الوعد بنزول الملائكة لتقوى
قلوبهم ويعزموا على الثبات ويثقوا بنصر الله تعالى. ومعنى الن يكفيكم انكار ان لا يكفيهم الامداد بثلثة آلاف من الملائكة وانما
جيء بلن الذي هو لتاكيد النفي للاشعار بانهم كانوا لقلتهم وضعفهم وكثرة عدوهم وشوكته كالآيسين من النصر. وبلى ايجاب
لما بعد لن بمعنى بل يكفيكم الامداد بهم فاوجب الكفاية ثم قال ان تصبروا وتتقوا يمددكم باكثر من ذلك العدد مسومين
للقتال. ويأتوكم يعني المشركين من فورهم هذا من قولك قفل من غزوته وخرج من فوره الى غزوة اخرى وجاء فلان
ورجع من فوره. ومنه قول ابي حنيفة رحمه الله تعالى الامر على الفور لا على التراخي وهو مصدر من فارت القدر اذا غلت
فاستعير للسرعة ثم سميت به الحالة التي لا ريث فيها ولا تعريج على شيء من صاحبها فقيل خرج من فوره كما تقول من ساعته
لم يلبث. والمعنى انهم ان ياتوكم من ساعتهم هذه يمددكم ربكم بالملائكة في حال اتيانهم لا يتاخر نزولهم عن اتيانهم لا يتاخر
نزولهم عن اتيانهم يريد ان الله يعجل نصركم وييسر فتحكم ان صبرتم واتقيتم. وقرئ منزلين بالتشديد ومنزلين بكسر الزاي
بمعنى منزلين النصر. ومسومين بفتح الواو وكسرها بمعنى معلمين ومعلمين انفسهم او خيلهم. قال الكلبي معلمين بعمائم
صفر مرخاة على اكتافهم. وعن الضحاك معلمين بالصوف الابيض في نواصي الدواب واذنابها. وعن مجاهد مجزوزة اذناب
خيلهم. وعن قتادة كانوا على خيل بلق. وعن عروة بن الزبير كانت عمامة الزبير يوم بدر صفراء فنزلت الملائكة كذلك
وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لاصحابه تسوموا فان الملائكة قد تسومت. وما جعله الله الا بشرى
لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم ليقطع طرفا من الذين
كفروا او يكبتهم فينقلبوا خائبين ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم
ظالمون ولله ما في السموات وما في الارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور
رحيم. وما جعله الله الهاء لان يمدكم اي وما جعل الله امدادكم بالملائكة الا بشارة لكم بانكم تنصرون ولتطمئن به
قلوبكم كما كانت السكينة لبني اسرائيل بشارة بالنصر وطمأنينة لقلوبهم. وما النصر الا من عند الله لا من عند المقاتلة اذا

جاش القلب اذا اضطرب عند الفزع

تكاثروا

تكاثروا ولا من عند الملائكة والسكينة ولكن ذلك مما يقوي به الله رجاء النصرة والطمع في الرحمة ويربط على قلوب المجاهدين
العزيز الذي لا يغالب في حكمه الحكيم الذي يعطي النصر ويمنعه لما يرى من المصلحة. ليقطع طرفا من الذين كفروا ليهلك طائفة
منهم بالقتل والاسر وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين من رؤساء قريش وصناديدهم. او يكبتهم او يخزيهم
ويغيظهم بالهزيمة فينقلبوا خائبين غير ظافرين بمبتغاهم ونحوه ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا. ويقال
كبته بمعنى كبده اذا ضرب كبده بالغيظ والحرقة. وقيل في قول ابي الطيب: لاكبت حاسدا واري عدوا. هو من الكبد
والرئة. واللام متعلقة بقوله ولقد نصركم الله او بقوله وما النصر الا من عند الله. او يتوب عطف على ما قبله وليس لك
من الامر شيء اعتراض والمعنى ان الله تعالى مالك امرهم فاما ان يهلكهم او يهزمهم او يتوب عليهم ان اسلموا او يعذبهم
ان اصروا على الكفر وليس لك من امرهم شيء انما انت عبد مبعوث لانذارهم ومجاهدتهم. وقيل ان يتوب منصوب
باضمار ان وان يتوب في حكم اسم معطوف باو على الامر او على شيء اي ليس لك من امرهم شيء او من التوبة عليهم او
من تعذيبهم او ليس لك من امرهم شيء او التوبة عليهم او تعذيبهم. وقيل او بمعنى الا ان كقولك لالزمنك او
تعطيني حقي على معنى ليس لك من امرهم شيء الا ان يتوب الله عليهم فتفرح بحالهم او يعذبهم فتتشفى منهم. وقيل شجه عتبة بن
ابي وقاص يوم احد وكسر رباعيته فجعل يمسح الدم عن وجهه وسالم مولى ابي حذيفة يغسل عن وجهه الدم وهو
يقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى ربهم فنزلت. وقيل اراد ان يدعو عليهم فنهاه الله
لعلمه ان فيهم من يؤمن. عن الحسن رحمه الله تعالى يغفر لمن يشاء بالتوبة ولا يشاء ان يغفر الا للتائبين ويعذب من
يشاء ولا يشاء ان يعذب الا المستوجبين للعذاب. وعن عطاء يغفر لمن يتوب اليه ويعذب من لقيه ظالما. واتباعه
قوله او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون تفسير بين لمن يشاء وانهم المتوب عليهم او الظالمون. ولكن اهل الاهواء
والبدع يتصامون ويتعامون عن آيات الله تعالى فيخبطون خبط عشواء ويطيبون انفسهم بما يفترون على ابن عباس
رضي الله عنهما من قولهم يهب الذنب الكبير لمن يشاء ويعذب من يشاء على الذنب الصغير. يا ايها الذين آمنوا
لا تأكلوا الربوا اضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون واتقوا النار
التي اعدت للكافرين واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون. لا تأكلوا الربوا
اضعافا مضاعفة نهي عن الربوا مع توبيخ بما كانوا عليه من تضعيفه كان الرجل منهم اذا بلغ الدين محله زاد في الاجل
فاستغرق بالشيء الطفيف مال المديون. واتقوا النار التي اعدت للكافرين كان ابو حنيفة رحمه الله تعالى يقول
هي اخوف آية في القرآن حيث اوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين ان لم يتقوه في اجتناب محارمه وقد امد
ذلك بما اتبعه من تعليق رجاء المؤمنين لرحمته بتوفرهم على طاعته وطاعة رسوله. ومن تأمل هذه الآيات وامثالها
لم يحدث نفسه بالاطماع الفارغة والتمني على الله عز وعلا. وفي ذكره تعالى لعل وعسى في نحو هذه المواضع وان قال الناس ما قالوا
ما لا يخفى على العارف الفطن من دقة مسلك التقوى وصعوبة اصابة رضا الله تعالى وعزة التوصل الى رحمته وثوابه.
وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين الذين
ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين
والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر
الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم
وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ونعم اجر العاملين. في مصاحف اهل المدينة والشام
سارعوا بغير واو وقرأ الباقون بالواو وينصره قراءة ابي وعبد الله وسابقوا. ومعنى المسارعة الى المغفرة والجنة
الاقبال على ما يستحقان به. عرضها السموات والارض اي عرضها عرض السموات والارض كقوله عرضها كعرض السماء والارض
والمراد وصفها بالسعة والبسطة فشبهت باوسع ما علمه الناس من خلقه وابسطه وخص العرض لانه في العادة ادنى من الطول
للمبالغة كقوله بطائنها من استبرق. وعن ابن عباس رضي الله عنهما كسبع سموات وسبع ارضين لو وصل بعضها ببعض
في السراء والضراء في حال الرخاء واليسر وحال الضيقة والعسر لا يخلون بان ينفقوا في كلتا الحالتين ما قدروا عليه من
كثير او قليل كما يحكى عن بعض السلف انه ربما تصدق ببصلة. وعن عائشة رضي الله عنها انها تصدقت بحبة عنب

او في جميع الاحوال لانها لا تخلو من حال مسرة ومضرة لا تمنعهم حال فرح وسرور ولا حال محنة وبلاء من المعروف وسواء عليهم
كان الواحد منهم في عرس او حبس فانه لا يدع الاحسان وافتتح بذكر الانفاق لانه اشق شيء على النفس وادله على الاخلاص
ولانه كان في ذلك الوقت اعظم الاعمال للحاجة اليه في مجاهدة العدو ومواساة فقراء المسلمين كظم القربة اذا ملاها
وشد فاها وكظم البعير اذا لم يجتر ومنه كظم الغيظ وهو ان يمسك على ما في نفسه منه بالصبر ولا يظهر له اثرا وعن
النبي صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملا الله قلبه امنا وايمانا وعن عايشة رضي الله عنها ان خادما
لها غاظها فقالت لله در التقوى ما تركت لذي غيظ شفاء والعافين عن الناس اذا جنى عليهم احد لم يواخذوه وروي
ينادي مناد يوم القيمة اين الذين كانت اجورهم على الله تعالى فلا يقوم الا من عفا وعن ابن عيينة انه رواه للرشيد وقد
غضب على رجل فخلاه وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان هولاء في امتي قليل الا من عصم الله وقد كانوا كثيرا في الامم التي
مضت والله يحب المحسنين يجوز ان تكون اللام للجنس فيتناول كل محسن ويدخل تحته هولاء المذكورون وان تكون للعهد
فتكون اشارة الى هولاء والذين عطف على المتقين اي اعدت للمتقين وللتائبين وقوله اولئك اشارة الى الفريقين ويجوز
ان يكون والذين مبتدا خبره اولئك فاحشة فعلة متزايدة القبح او ظلموا انفسهم او اذنبوا اي ذنب كان مما يواخذون
به وقيل الفاحشة الزنا وظلم النفس ما دونه من القبلة واللمسة ونحوهما وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة ذكروا الله
تذكروا عقابه او وعيده او نهيه او حقه العظيم وجلاله الموجب للخشية والحياء منه فاستغفروا لذنوبهم فتابوا عنها لقبحها
نادمين عازمين ومن يغفر الذنوب الا الله وصف لذاته بسعة الرحمة وقرب المغفرة وان التائب من الذنب عنده كمن لا ذنب
له وانه لا مفزع للمذنبين الا فضله وكرمه وان عدله يوجب المغفرة للتائب لان العبد اذا جاء في الاعتذار والتنصل باقصى
ما يقدر عليه وجب العفو والتجاوز وفيه تطييب لنفوس العباد وتنشيط للتوبة وبعث عليها وردع عن الياس والقنوط وان
الذنوب وان جلت فان عفوه اجل وكرمه اعظم والمعنى انه وحده معه مصححات المغفرة وهذه جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه
ولم يصروا ولم يقيموا على قبيح فعلهم غير مستغفرين وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة
وروي لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار وهم يعلمون حال من فعل الاصرار وحرف النفي منصب عليهما معا والمعنى وليسوا
ممن يصرون على الذنوب وهم عالمون بقبحها وبالنهي عنها والوعيد عليها لانه قد يعذر من لا يعلم قبح القبيح وفي هذه الايات
بيان قاطع ان الذين امنوا على ثلث طبقات متقون وتائبون ومصرون وان الجنة للمتقين والتائبين منهم دون المصرين
ومن خالف في ذلك فقد كابر عقله وعاند ربه ونعم اجر العاملين بعد قوله جزاؤهم لانهما في معنى واحد وانما خالف بين اللفظين
لزيادة التنبيه على ان ذلك جزاء واجب على عمل واجر مستحق عليه لا كما يقول المبطلون وروي ان الله عز وجل اوحى
الى موسى عليه السلام ما اقل حياء من يطمع في جنتي بغير عمل كيف اجود برحمتي على من يبخل بطاعتي وعن شهر بن حوشب طلب
الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب وانتظار الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور وارتجاء الرحمة ممن لا يطاع حمق وجهالة
وعن الحسن يقول الله تعالى يوم القيمة جوزوا الصراط بعفوي وادخلوا الجنة برحمتي واقتسموها باعمالكم وعن رابعة البصرية
انها كانت تنشد ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ان السفينة لا تجري على اليبس والمخصوص بالمدح محذوف تقديره
ونعم اجر العاملين ذلك يعني المغفرة والجنات قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا
كيف كان عاقبة المكذبين هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين قد خلت من قبلكم
سنن يريد ما سنه الله تعالى في الامم المكذبين من وقايعه كقوله وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل ثم لا
يجدون وليا ولا نصيرا سنة الله قد خلت من قبل هذا بيان للناس ايضاح لسوء عاقبة ما هم عليه من التكذيب يعني
حثهم على النظر في سوء عواقب المكذبين قبلهم والاعتبار بما يعاينون من آثار هلاكهم وهدى وموعظة للمتقين يعني
انه مع كونه بيانا وتنبيها للمكذبين فهو زيادة تثبيت وموعظة للذين اتقوا من المومنين ويجوز ان يكون قوله قد
خلت جملة معترضة للبعث على الايمان وما يستحق به ما ذكر من اجر العاملين ويكون قوله هذا بيان اشارة الى ما لخص
وبين من امر المتقين والتائبين والمصرين ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مومنين
ولا تهنوا ولا تحزنوا تسلية من الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم وللمومنين عما اصابهم يوم احد وتقوية من قلوبهم يعني
ولا تضعفوا عن الجهاد لما اصابكم اي لا يورثنكم ذلك وهنا وجبنا ولا تبالوا به ولا تحزنوا على من قتل منكم وجرح وانتم الاعلون

وحالكم

وحالكم انكم اعلى منهم واغلب لانكم اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا منكم يوم احد او وانتم الاعلون شانا لان
قتالكم لله تعالى ولاعلاء كلمته وقتالهم للشيطان ولاعلاء كلمة الكفر ولان قتلاكم في الجنة وقتلاهم في النار او هي بشارة
لهم بالعلو والغلبة اي وانتم الاعلون في العاقبة وان جندنا لهم الغالبون ان كنتم مومنين متعلق بالنهي بمعنى
ولا تهنوا ان صح ايمانكم على ان صحة الايمان توجب قوة القلب والثقة بصنع الله تعالى وقلة المبالاة باعدائه او
بالاعلون اي ان كنتم مصدقين بما يعدكم الله ويبشركم به من الغلبة ان يمسسكم قرح فقد مس القوم
قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين امنوا ويتخذ منكم
شهداء والله لا يحب الظالمين وليمحص الله الذين امنوا ويمحق الكافرين
وقرئ قرح بفتح القاف وضمها وهما لغتان كالضعف والضعف وقيل هو بالفتح الجراح وبالضم المها وقرا ابو السمال
قرح بفتحتين وقيل القرح والقرح كالطرد والطرد والمعنى ان نالوا منكم يوم احد فقد نلتم منهم قبله يوم بدر ثم لم
يضعف ذلك قلوبهم ولم يثبطهم عن معاودتكم بالقتال فانتم اولى ان لا تضعفوا ونحوه فانهم يالمون كما تالمون وترجون
من الله ما لا يرجون وقيل كان ذلك يوم احد فقد نالوا منهم قبل ان يخالفوا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
فان قلت كيف قيل قرح مثله وما كان قرحهم يوم احد مثل قرح المشركين قلت بل كان مثله ولقد
قتل يومئذ خلق من الكفار الا ترى الى قوله تعالى ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم
في الامر وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون وتلك الايام تلك مبتدا والايام صفته ونداولها خبره ويجوز ان يكون تلك
الايام مبتدا وخبرا كما تقول هي الايام تبلى كل جديد والمراد بالايام اوقات الظفر والغلبة نداولها نصرفها بين الناس
نديل تارة لهولاء وتارة لهولاء كقوله وهو من ابيات الكتاب فيوما علينا ويوما لنا ويوما نساء ويوما نسر وفي امثالهم
الحرب سجال وعن ابي سفيان انه صعد الجبل يوم احد فمكث ساعة ثم قال اين ابن ابي كبشة اين ابن ابي قحافة اين
ابن الخطاب فقال عمر رضي الله عنه هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا ابو بكر وها انا عمر فقال ابو سفيان يوم بيوم والايام
دول والحرب سجال فقال عمر رضي الله عنه لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار فقال انكم تزعمون ذلك فقد خبنا اذن
وخسرنا والمداولة مثل المعاورة قال يرد المياه فلا يزال مداولا في الناس بين تمثل وسماع يقال داولت
بينهم الشيء فتداولوه وليعلم الله الذين امنوا فيه وجهان احدهما ان يكون المعلل محذوفا معناه وليتميز الثابتون
على الايمان من الذين على حرف فعلنا ذلك وهو من باب التمثيل بمعنى فعلنا ذلك فعل من يريد ان يعلم من الثابت على الايمان
منكم من غير الثابت والا فالله عز وجل لم يزل عالما بالاشياء قبل كونها وقيل معناه وليعلمهم علما يتعلق به الجزاء
وهو ان يعلمهم موجودا منهم الثبات والثاني ان تكون العلة محذوفة وهذا عطف عليه معناه وفعلنا ذلك ليكون
كيت وكيت وليعلم الله وانما حذف للايذان بان المصلحة فيما فعل ليست بواحدة ليسليهم عما جرى عليهم وليبصرهم
ان العبد يسوءه ما يجري عليه من المصائب ولا يشعر ان لله تعالى في ذلك من المصالح ما هو غافل عنه ويتخذ منكم شهداء
وليكرم ناسا منكم بالشهادة يريد المستشهدين يوم احد او وليتخذ منكم من يصلح للشهادة على الامم يوم القيمة
بما يبتلي به صبركم من الشدائد من قوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس والله لا يحب الظالمين اعتراض بين بعض التعليل
وبعض ومعناه والله لا يحب من ليس من هولاء الثابتين على الايمان المجاهدين في سبيل الله الممحصين من الذنوب
والتمحيص التطهير والتصفية ويمحق الكافرين ويهلكهم يعني ان كانت الدولة على المومنين فللتمييز والاستشهاد والتمحيص
وغير ذلك مما هو اصلح لهم وان كانت على الكافرين فلمحقهم ومحو آثارهم ام حسبتم ان تدخلوا الجنة
ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار
ولما يعلم الله بمعنى ولما تجاهدوا لان العلم متعلق بالمعلوم فنزل نفي العلم منزلة نفي متعلقه لانه منتف بانتفائه يقول الرجل
ما علم الله في فلان خيرا يريد ما فيه خير حتى يعلمه ولما بمعنى لم الا ان فيه ضربا من التوقع فدل على نفي الجهاد فيما مضى وعلى توقعه
فيما يستقبل وتقول وعدني ان يفعل كذا ولما يفعل تريد ولم يفعل وانا اتوقع فعله وقرئ ولما يعلم الله بفتح الميم وقيل
اراد النون الخفيفة ولما يعلمن فحذفها ويعلم الصابرين نصب باضمار ان والواو بمعنى الجمع كقولك لا تاكل السمك وتشرب
اللبن وقرا الحسن بالجزم على العطف وروى عبد الوارث عن ابي عمرو ويعلم بالرفع على ان الواو للحال كانه قيل ولما تجاهدوا

وانتم صابرون ولقد كنتم تمنون الموت من قبل ان تلقوه فقد رأيتموه وانتم تنظرون
وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افائن مات او قتل انقلبتم على اعقابكم ومن
ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين وما كان لنفس ان
تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا ولقد كنتم تمنون الموت خوطب به الذين لم يشهدوا بدرا
وكانوا يتمنون ان يحضروا مشهدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصيبوا من كرامة الشهادة ما نال شهداء بدر وهم
الذين الحوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج الى المشركين وكان رأيه في الاقامة بالمدينة يعني وكنتم تمنون
الموت قبل ان تشاهدوه وتعرفوا شدته وصعوبة مقاساته فقد رأيتموه وانتم تنظرون اي رأيتموه معاينين مشاهدين
له حين قتل بين ايديكم من قتل من اخوانكم واقاربكم وشارفتم ان تقتلوا وهذا توبيخ لهم على تمنيهم الموت وعلى ما تسببوا له
من خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحاحهم عليه ثم انهزامهم عنه وقلة ثباتهم عنده فان قلت كيف يجوز تمني
الشهادة وفي تمنيها تمني غلبة الكافر المسلم قلت قصد متمني الشهادة الى نيل كرامة الشهداء لا غير ولا يذهب وهمه
الى ذلك المتضمن كما ان من يشرب دواء الطبيب النصراني قاصد الى حصول المأمول من الشفاء ولا يخطر بباله ان
فيه جر منفعة واحسان الى عدو الله وتنفيقا لصناعته ولقد قال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه حين نهض
الى مؤتة وقيل له ردكم الله تعالى لكنني اسأل الرحمن مغفرة وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا او طعنة بيدي
حران مجهزة بحربة تنفذ الاحشاء والكبدا حتى يقولوا اذا مروا على جدثي ارشدك الله من غاز وقد رشدا
لما رمى عبد الله بن قميئة الحارثي رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه اقبل يريد قتله فذب عنه مصعب
ابن عمير وهو صاحب الراية يوم بدر ويوم احد حتى قتله ابن قميئة وهو يرى انه قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قد قتلت محمدا
وصرخ صارخ الا ان محمدا قد قتل وقيل كان الصارخ الشيطان ففشا في الناس خبر قتله فانكفؤا وجعل رسول الله صلى الله
عليه وسلم يدعو الى عباد الله حتى انحازت اليه طائفة من اصحابه فلامهم على هربهم فقالوا يا رسول الله فديناك بآبائنا وامهاتنا
اتانا خبر قتلك فرعبت قلوبنا فولينا مدبرين فنزلت وروي انه لما صرخ الصارخ قال بعض المسلمين ليت عبد الله
ابن ابي يأخذ لنا امانا من ابي سفيان وقال ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا الى اخوانكم والى دينكم فقال
انس بن النضر عم انس بن مالك يا قوم ان كان قتل محمد فان رب محمد حي لا يموت وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقاتلوا على ما قاتل عليه وموتوا على ما مات عليه ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما يقول هؤلاء وابرأ اليك مما
جاء به هؤلاء ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل وعن بعض المهاجرين انه مر بانصاري يتشحط في دمه فقال يا فلان اشعرت
ان محمدا قد قتل فقال ان كان قتل فقد بلغ فقاتلوا على دينكم والمعنى وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل فسيخلو كما خلوا
وكما ان اتباعهم بقوا متمسكين بدينهم بعد خلوهم فعليكم ان تتمسكوا بدينه بعد خلوه لان الغرض من بعثة الرسول تبليغ الرسالة
والزام الحجة لا وجوده بين اظهر قومه افائن مات الفاء معلقة للجملة الشرطية بالجملة قبلها على معنى التسبيب والهمزة لانكار
ان يجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم على اعقابهم بعد هلاكه بموت او قتل مع علمهم ان خلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به
يجب ان يجعل سببا للتمسك بدين محمد صلى الله عليه وسلم لا للانقلاب عنه فان قلت لم ذكر القتل وقد علم انه لا يقتل
قلت لكونه مجوزا عند المخاطبين فان قلت اما علموه من ناحية قوله والله يعصمك من الناس قلت
هذا مما يختص بالعلماء منهم وذوي البصيرة الا ترى انهم سمعوا خبر قتله فهربوا على انه يحتمل العصمة من فتنة الناس واضلالهم
على الاعقاب والادبار عما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم به من امر الجهاد وغيره وقيل الارتداد وما ارتد احد من المسلمين
ذلك اليوم الا ما كان من قول المنافقين ويجوز ان يكون على وجه التغليظ عليهم فيما كان منهم من الفرار والانكشاف عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم واسلامه فلن يضر الله شيئا يعني فما ضر الا نفسه لان الله تعالى لا يجوز عليه المضار والمنافع وسيجزي الله
الشاكرين الذين لم ينقلبوا كانس بن النضر واضرابه وسماهم شاكرين لانهم شكروا نعمة الاسلام فيما فعلوا المعنى ان
الانفس محال ان تموت الا بمشيئة الله تعالى فاخرجه مخرج فعل لا ينبغي لاحد ان يقدم عليه الا ان يأذن له الله فيه
تمثيلا ولان ملك الموت هو الموكل بذلك فليس له ان يقبض نفسا الا باذن من الله تعالى وهو على معنيين احدهما تحريضهم على
الجهاد وتشجيعهم على لقاء العدو باعلامهم ان الحذر لا ينفع وان احدا لا يموت قبل بلوغ اجله وان خوض المهالك واقتحم المعارك

والثاني

والثاني ذكر ما صنع الله تعالى برسوله صلى الله عليه وسلم عند غلبة العدو والتفافهم عليه واسلام قومه له نهزة للمختلس من
الحفظ والكلاءة وتأخير الاجل كتابا مصدر مؤكد لان المعنى كتب الموت كتابا مؤجلا اجل معلوم لا يتقدم ولا يتأخر
ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزي الشاكرين
وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله وما ضعفوا
وما استكانوا والله يحب الصابرين وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا
ذنوبنا واسرافنا في امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فآتاهم الله
ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين ومن يرد ثواب الدنيا تعريض بالذين
شغلتهم الغنائم يوم احد نؤته منها اي من ثوابها وسنجزي الجزاء المبهم الذين شكروا نعمة الله فلم يشغلهم شيء عن الجهاد
وقرئ يؤته وسيجزي بالياء فيهما وقرئ قاتل وقتل وقتل بالتشديد والفاعل ربيون او ضمير النبي ومعه ربيون حال عنه
بمعنى قتل كائنا معه ربيون والقراءة بالتشديد تنصر الوجه الاول وعن سعيد بن جبير ما سمعنا بنبي قتل في القتال
والربيون الربانيون وقرئ بالحركات الثلاث فالفتح على القياس والضم والكسر من تغييرات النسب وقرئ فما وهنوا
بكسر الهاء والمعنى فما وهنوا عند قتل النبي وما ضعفوا عن الجهاد بعده وما استكانوا للعدو وهذا تعريض بما اصابهم
من الوهن والانكسار عند الارجاف بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وبضعفهم عند ذلك عن مجاهدة المشركين
واستكانتهم لهم حين ارادوا ان يعتضدوا بالمنافق عبد الله بن ابي في طلب الامان من ابي سفيان وما كان قولهم
الا هذا القول وهو اضافة الذنوب والاسراف الى انفسهم مع كونهم ربانيين هضما لها واستقصارا والدعاء
بالاستغفار منها مقدما على طلب تثبيت الاقدام في مواطن الحرب والنصرة على العدو ليكون طلبهم الى ربهم عن زكاء
وطهارة وخضوع اقرب الى الاستجابة فآتاهم الله ثواب الدنيا من النصرة والغنيمة والعز وطيب الذكر وخص ثواب
الآخرة بالحسن دلالة على فضله وتقدمه وانه هو المعتد به عنده تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة يا ايها
الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين
بل الله مولاكم وهو خير الناصرين ان تطيعوا الذين كفروا قال علي رضي الله عنه نزلت في قول
المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا في دينهم وعن الحسن ان تستنصحوا اليهود والنصارى
وتقبلوا منهم لانهم كانوا يستغوونهم ويوقعون لهم الشبه في الدين ويقولون لو كان نبيا حقا لما غلب ولما اصاب
اصحابه ما اصابهم وانما هو رجل حاله كحال غيره من الناس يوما له ويوما عليه وعن السدي ان تستكينوا لابي سفيان
واصحابه وتستأمنوهم يردوكم الى دينهم وقيل هو عام في جميع الكفار وان على المؤمنين ان يجانبوهم ولا يطيعوهم في
شيء ولا ينزلوا على حكمهم وعلى مشورتهم حتى لا يستجروهم الى موافقتهم بل الله مولاكم اي ناصركم لا تحتاجون معه الى نصرة احد
وولايته وقرئ بالنصب على بل اطيعوا الله مولاكم سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما
اشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين
ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر
وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم
عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين سنلقي قرئ بالنون
والياء والرعب بسكون العين وضمها قيل قذف الله تعالى في قلوب المشركين الخوف يوم احد فانهزموا
الى مكة من غير سبب لهم القوة والغلبة وقيل ذهبوا الى مكة فلما كانوا ببعض الطريق قالوا ما صنعنا شيئا
قتلنا منهم ثم تركناهم ونحن قاهرون ارجعوا فاستأصلوهم فلما عزموا على ذلك القى الله تعالى الرعب في قلوبهم فامسكوا
بما اشركوا بسبب اشراكهم اي كان السبب في القاء الله تعالى الرعب في قلوبهم ما لم ينزل به سلطانا آلهتهم لم ينزل
باشراكها حجة فان قلت كان هناك حجة حتى ينزلها الله فيصح لهم الاشراك قلت لم يعن ان
هناك حجة الا انها لم تنزل عليهم لان الشرك لا يستقيم ان تقوم عليه حجة وانما المراد نفي الحجة ونزولها جميعا كقوله
ولا ترى الضب بها ينجحر ولقد صدقكم الله وعده وعدهم الله النصر بشرط الصبر والتقوى في قوله ان تصبروا

وتستعدوا يأتوكم من فورهم هذا يمددكم ويجوز ان يكون الوعد قوله تعالى سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب فلما فشلوا
وتنازعوا الرعبهم وقيل لما رجعوا الى المدينة قال ناس من المؤمنين من اين اصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر
فنزلت وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل احدا خلف ظهره واستقبل المدينة واقام الرماة عند الجبل
وامرهم ان يثبتوا في مكانهم ولا يبرحوا كانت الدولة للمسلمين او عليهم فلما اقبل المشركون جعل الرماة يرشقون خيلهم
والباقون يضربونهم بالسيوف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم يحسونهم اي يقتلونهم قتلا ذريعا حتى اذا فشلوا
والفشل الجبن وضعف الرأي وتنازعوا فقال بعضهم قد انهزم المشركون فما موقفنا ههنا وقال بعضهم لا نخالف امر رسول الله
صلى الله عليه وسلم فممن ثبت مكانه عبد الله بن جبير امير الرماة في نفر دون العشرة وهم المعنيون بقوله ومنكم من يريد
الآخرة ونفر اعقابهم ينهبون وهم الذين ارادوا الدنيا فكر المشركون على الرماة وقتلوا عبد الله بن جبير واقبلوا
على المسلمين وحالت الريح دبورا وكانت صبا حتى هزموهم وقتلوا من قتلوا وهو قوله ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ليمتحن صبركم
على المصائب وثباتكم على الايمان عندها ولقد عفا عنكم لما علم من ندمكم على ما فرط منكم من عصيان امر رسول الله صلى الله
عليه وسلم والله ذو فضل على المؤمنين يتفضل عليهم بالعفو او هو متفضل عليهم في جميع الاحوال سواء اديل لهم او
اديل عليهم لان الابتلاء رحمة كما ان النصرة رحمة **فان قلت** اين متعلق حتى اذا **قلت**
محذوف تقديره حتى اذا فشلتم منعكم نصره ويجوز ان يكون المعنى صدقكم الله وعده الى وقت فشلكم

اذ تصعدون ولا تلوون على احد والرسول يدعوكم في اخراكم فاثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم والله خبير بما تعملون ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا يغشى طائفة منكم وطائفة قد اهمتهم انفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية

اذ تصعدون نصب بصرفكم او بقوله ليبتليكم او باضمار اذكر والاصعاد
الذهاب في الارض والابعاد فيه يقال صعد في الجبل واصعد في الارض يقال اصعدنا من مكة الى المدينة وقرأ الحسن تصعدون
يعني في الجبل وتعضد الاولى قراءة ابي اذ تصعدون في الوادي وقرأ ابو حيوة تصعّدون بفتح التاء وتشديد العين
من تصعّد في السلم وقرأ الحسن تلون بواو واحدة وقد ذكرنا وجهها وقرئ يصعدون ويلوون بالياء والرسول يدعوكم
كان يقول الي عباد الله الي عباد الله انا رسول الله من يكر فله الجنة في اخراكم في ساقتكم وجماعتكم الاخرى وهي المتأخرة
يقال جئت في آخر الناس واخراهم كما تقول في اولهم واولاهم بتأويل مقدمتهم وجماعتهم الاولى فاثابكم عطف على صرفكم اي
فجازاكم الله غما حين صرفكم عنهم وابتلاكم بسبب غم اذقتموه رسول الله بعصيانكم له او غما مضاعفا غما بعد غم وغما متصلا بغم
من الاغتمام بما ارجف به من قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم والجرح والقتل وظفر المشركين وفوت الغنيمة والنصر لكيلا تحزنوا
لتتمرنوا على تجرع الغموم وتضروا باحتمال الشدائد فلا تحزنوا فيما بعد على فائت من المنافع ولا على مصيب من المضار ويجوز ان يكون
الضمير في فاثابكم للرسول اي فآساكم في الاغتمام وكما غمكم ما نزل به من كسر الرباعية والشجة وغيرهما غمه ما نزل بكم فاثابكم غما
اغتمه لاجلكم بسبب غم اغتممتموه لاجله ولم يثربكم على عصيانكم ومخالفتكم لامره وانما فعل ذلك ليسليكم وينفس عنكم
لئلا تحزنوا على ما فاتكم من نصر الله ولا على ما اصابكم من غلبة العدو انزل الله تعالى الامن على المؤمنين وازال عنهم الخوف
الذي كان بهم حتى نعسوا وغلبهم النوم عن ابي طلحة غشينا النعاس ونحن في مصافنا فكان السيف يسقط من يد احدنا
فيأخذه وما احد الا ويميل تحت حجفته وعن الزبير لقد رأيتني مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اشتد علينا الخوف
فارسل الله تعالى علينا النوم والله اني لأسمع قول معتب بن قشير والنعاس يغشاني يقول لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا
والامنة الامن وقرئ امنة بسكون الميم كانها المرة من الامن ونعاسا بدل من امنة ويجوز ان يكون هو المفعول وامنة حالا
منه مقدمة عليه كقولك رأيت راكبا رجلا او مفعولا له بمعنى نعستم امنة ويجوز ان يكون حالا من المخاطبين بمعنى ذوي امنة
او على انه جمع آمن كبارّ وبررة يغشى قرئ بالياء والتاء ردا على النعاس او على الامنة طائفة منكم هم اهل الصدق
واليقين وطائفة هم المنافقون قد اهمتهم انفسهم ما بهم الا هم انفسهم لا هم الدين ولا هم رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمسلمين او قد اوقعتهم انفسهم وما حل بهم في الهموم والاشجان فهم في التشاكي والتباث غير الحق في حكم المصدر
ومعناه يظنون بالله غير الظن الحق الذي يجب ان يظن به وظن الجاهلية بدل منه ويجوز ان يكون المعنى يظنون بالله ظن الجاهلية

وغير الحق تأكيد ليظنون كقولك هذا القول غير ما تقول وهذا القول لا قولك وظن الجاهلية كقولك حاتم الجود ورجل صدق
تريد الظن المختص بالملة الجاهلية ويجوز ان يراد ظن اهل الجاهلية اي لا يظن مثل ذلك الظن الا اهل الشرك الجاهلون بالله

يقولون هل لنا من الامر من شيء قل ان الامر كله لله يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور

يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه هل لنا من الامر من شيء معناه هل لنا معاشر المسلمين
من امر الله نصيب قط يعنون النصر والاظهار على العدو قل ان الامر كله لله ولاوليائه المؤمنين وهو النصر والغلبة كتب الله
لاغلبن انا ورسلي وان جندنا لهم الغالبون يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك معناه يقولون لك فيما يظهرون هل لنا من الامر
من شيء سؤال المؤمنين المسترشدين وهم فيما يبطنون على النفاق يقولون في انفسهم او بعضهم لبعض منكرين لقولك
لهم ان الامر كله لله لو كان لنا من الامر شيء اي لو كان الامر كما قال محمد ان الامر كله لله ولاوليائه وانهم هم الغالبون
لما غلبنا قط ولما قتل من المسلمين من قتل في هذه المعركة قل لو كنتم في بيوتكم يعني من علم الله تعالى منه انه يقتل ويصرع
في هذه المصارع وكتب ذلك في اللوح لم يكن بد من وجوده فلو قعدتم في بيوتكم لبرز من بينكم الذين علم الله انهم يقتلون
الى مضاجعهم وهي مصارعهم ليكون ما علم انه يكون والمعنى ان الله تعالى كتب في اللوح قتل من يقتل من المؤمنين وكتب مع
ذلك انهم الغالبون لعلمه ان العاقبة في الغلبة لهم وان دين الاسلام يظهر على الدين كله وان ما ينكبون به في بعض الاوقات
تمحيص لهم وترغيب في الشهادة وحرصهم على الشهادة مما يحرضهم على الجهاد فتحصل الغلبة وقيل معناه هل لنا من التدبير
من شيء يعنون لم نملك شيئا من التدبير حيث خرجنا من المدينة الى احد وكان علينا ان نقيم ولا نبرح كما كان رأي عبد الله بن ابي
وغيره ولو ملكنا من التدبير شيئا لما قتلنا في هذه المعركة قل ان التدبير كله لله يريد ان الله عز وعلا قد دبر الامر كما جرى
ولو اقمتم بالمدينة لم تخرجوا من بيوتكم لما نجا من قتل منكم وقرئ كتب عليهم القتال وكتب عليهم القتل على البناء للفاعل ولبرز
بالتشديد وضم الباء وليبتلي الله وليمتحن ما في صدور المؤمنين من الاخلاص ويمحص ما في قلوبهم من وساوس الشيطان
فعل ذلك او فعل ذلك لمصالح جمة وللابتلاء والتمحيص **فان قلت** كيف مواقع الجمل التي بعد قوله وطائفة
قلت قد اهمتهم صفة لطائفة ويظنون صفة اخرى او حال بمعنى قد اهمتهم انفسهم ظانين او استئناف على وجه البيان
للجملة قبلها ويقولون بدل من يظنون **فان قلت** كيف صح ان يقع ما هو مسألة عن الامر بدلا من الاخبار بالظن
قلت كانت مسألتهم صادرة عن الظن فلذلك جاز ابداله منه ويخفون حال من يقولون وقل ان الامر كله لله اعتراض
بين الحال وذي الحال ويقولون بدل من يخفون والاجود ان يكون استئنافا

ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم ان الله غفور حليم يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا في الارض او كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم والله يحيي ويميت والله بما تعملون بصير

استزلهم طلب منهم الزلل ودعاهم
اليه ببعض ما كسبوا من ذنوبهم ومعناه ان الذين انهزموا يوم احد كان السبب في توليهم انهم كانوا اطاعوا الشيطان
فاقترفوا ذنوبا فلذلك منعتهم التأييد وتقوية القلوب حتى تولوا وقيل استزلال الشيطان اياهم هو التولي وانما
دعاهم اليه بذنوب قد تقدمت لهم لان الذنب يجر الى الذنب كما ان الطاعة تجر الى الطاعة وتكون لطفا فيها وقال الحسن
استزلهم بقبول ما زين لهم من الهزيمة وقيل بعض ما كسبوا هو تركهم المركز الذي امرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالثبات
فيه فجرهم ذلك الى الهزيمة وقيل ذكرتهم تلك الخطايا فكرهوا لقاء الله تعالى معها فاخروا الجهاد حتى يصلحوا امرهم
ويجاهدوا على حال مرضية **فان قلت** لم قيل ببعض ما كسبوا **قلت** هو كقوله تعالى ويعفو عن كثير ولقد عفا
الله عنهم لتوبتهم واعتذارهم والله غفور للذنوب حليم لا يعاجل بالعقوبة وقالوا لاخوانهم اي لاجل اخوانهم كقوله وقال الذين
كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه ومعنى الاخوة اتفاق الجنس او النسب اذا ضربوا في الارض اذا سافروا فيها
وابعدوا للتجارة او غيرها او كانوا غزى جمع غاز كعاف وعفى في قوله عفى الحياض اجون وقرئ بتخفيف الزاي على

حذف التاء من غزاة **فان قلت** كيف قيل اذا ضربوا مع قالوا **قلت** هو على حكاية الحال الماضية كقولك حين تضربون في الارض **فان قلت** ما متعلق ليجعل **قلت** قالوا اي قالوا ذلك واعتقدوه ليكون حسرة في قلوبهم على ان اللام مثلها في ليكون لهم عدوا وحزنا او لا تكونوا بمعنى لا تكونوا مثلهم في النطق بذلك القول واعتقاده ليجعله الله حسرة في قلوبهم خاصة ويصون منها قلوبكم **فان قلت** ما معنى اسناد الفعل الى الله تعالى **قلت** معناه ان الله عز وجل عند اعتقادهم ذلك المعتقد الفاسد يضع الغم والحسرة في قلوبهم ويضيق صدورهم عقوبة فاعتقاده فعلهم وما يكون عنده من الغم والحسرة وضيق الصدر فعل الله عز وجل كقوله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء ويجوز ان يكون ذلك اشارة الى ما دل عليه النهي اي لا تكونوا مثلهم ليجعل الله انتفاء كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم لان مخالفتهم فيما يقولون ويعتقدون ومضادتهم مما يغمهم ويغيظهم والله يحيي ويميت رد لقولهم اي الامر بيده قد يحيي المسافر والغازي ويميت المقيم والقاعد كما يشاء وعن خالد بن الوليد رضي الله عنه انه قال عند موته ما في موضع شبر الا وفيه ضربة او طعنة وها انا ذا اموت كما يموت العير فلا نامت اعين الجبناء والله بما تعملون بصير فلا تكونوا مثلهم وقرئ بالياء يعني الذين كفروا

ولئن قتلتم في سبيل الله او متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون ولئن متم او قتلتم لالى الله تحشرون

لمغفرة جواب القسم وهو ساد مسد جواب الشرط وكذلك لالى الله تحشرون كذب الكافرين اولا في زعمهم ان من سافر من اخوانهم او غزا لو كان بالمدينة لما مات ونهى المسلمين عن ذلك لانه سبب التقاعد عن الجهاد ثم قال لهم ولئن تم عليكم ما تخافونه من الهلاك بالموت او القتل في سبيل الله فان ما تنالونه من المغفرة والرحمة بالموت في سبيل الله خير مما تجمعون من الدنيا ومنافعها لو لم تموتوا وعن ابن عباس رضي الله عنهما خير من طلاع الارض ذهبة حمراء وقرئ بالياء اي يجمع الكفار لالى الله تحشرون لالى الرحيم الواسع الرحمة المثيب العظيم الثواب تحشرون ولوقوع اسم الله تعالى هذا الموقع مع تقدم وادخال اللام على الحرف المتصل به شان ليس بالخفي وقرئ متم بضم الميم وكسرها من مات يموت ومات يمات

فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين

ما مزيدة للتوكيد والدلالة على ان لينه لهم ما كان الا برحمة من الله ونحوه فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم ومعنى الرحمة ربطه على جاشه وتوفيقه للرفق والتلطف بهم حتى اثابهم غما بغم واساهم بالمباثة بعد ما خالفوه وعصوا امره وانهزموا وتركوه ولو كنت فظا جافيا غليظ القلب قاسيه لانفضوا من حولك لتفرقوا عنك حتى لا يبقى حولك احد منهم فاعف عنهم فيما يختص بك واستغفر لهم فيما يختص بحق الله تعالى اتماما للشفقة عليهم وشاورهم في الامر يعني في امر الحرب ونحوه مما لم ينزل عليك فيه وحي لتستظهر برأيهم ولما فيه من تطييب نفوسهم والرفع من اقدارهم وعن الحسن قد علم الله انه ما به اليهم حاجة ولكنه اراد ان يستن به من بعده وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما تشاور قوم قط الا هدوا لارشد امرهم وعن ابي هريرة رضي الله عنه ما رايت احدا اكثر مشاورة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل كان سادات العرب اذا لم يشاوروا في الامر شق عليهم فامر الله رسوله بمشاورة اصحابه لئلا يثقل عليهم استبداده بالرأي دونهم وقرئ وشاورهم في بعض الامر فاذا عزمت فاذا قطعت الرأي على شيء بعد الشورى فتوكل على الله ولا تشاور بعد ذلك احدا

ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون

وما كان لنبي ان يغل ومن يغلل يات بما غل يوم القيمة ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون

ان ينصركم الله كما نصركم يوم بدر فلا احد يغلبكم وان يخذلكم كما خذلكم يوم احد فمن ذا الذي ينصركم وهذا تنبيه على ان الامر كله لله وعلى وجوب التوكل عليه ونحوه ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده من بعد خذلانه او هو من قولك ليس لك من يحسن اليك من بعد فلان تريد اذا جاوزته وقرأ عبيد بن عمير وان يخذلكم من اخذله اذا جعله مخذولا وفيه ترغيب في الطاعة وفيما يستحقون به النصر من الله تعالى والتأييد وتحذير من المعصية ومما يستوجبون به العقوبة بالخذلان وعلى الله وليخص المؤمنون ربهم بالتوكل والتفويض اليه لعلمهم انه لا ناصر سواه ولان ايمانهم يوجب ذلك ويقتضيه يقال غل شيئا من المغنم غلولا واغل اغلالا اذا اخذه في خفية يقال

طلاع الشيء ملؤه قال الاصمعي طلاع الارض ملؤها وقال الحسن لان اعلم اني بريء من النفاق احب الي من طلاع الارض ذهبا

اغل الجازر اذا سرق من اللحم شيئا مع الجلد والغل الحقد الكامن في الصدور ومنه قوله صلى الله عليه وسلم من بعثناه على عمل فغل شيئا جاء يوم القيمة يحمله على عنقه وقوله هدايا الولاة غلول وعنه ليس على المستعير غير المغل ضمان وعنه لا اغلال ولا اسلال ويقال اغله اذا وجده غالا كقولك ابخلته واجبنته ومعنى وما كان لنبي ان يغل وما صح له ذلك يعني ان النبوة تنافي الغلول وكذلك من قرأ على البناء للمفعول فهو راجع الى معنى الاول لان معناه وما صح له ان يوجد غالا ولا يوجد غالا الا اذا كان غالا وفيه وجهان احدهما ان يبرأ رسول الله من ذلك وينزه وينبه على عصمته بان النبوة والغلول متنافيان لئلا يظن به ظان شيئا منه وان لا يستريب به احد كما روي ان قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله اخذها وروي انها نزلت في غنائم احد حين ترك الرماة المركز وطلبوا الغنيمة وقالوا نخشى ان يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من اخذ شيئا فهو له وان لا يقسم الغنائم كما لم يقسم يوم بدر فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم الم اعهد اليكم ان لا تتركوا المركز حتى ياتيكم امري فقالوا تركنا بقية اخواننا وقوفا فقال صلى الله عليه وسلم بل ظننتم انا نغل ولا نقسم لكم والثاني ان يكون مبالغة في النهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ما روي انه بعث طلائع فغنمت غنائم فقسمها ولم يقسم للطلائع فنزلت يعني وما كان لنبي ان يعطي قوما ويمنع آخرين بل عليه ان يقسم بالسوية وسمي حرمان بعض الغزاة غلولا تغليظا وتقبيحا لصورة الامر ولو قرئ ان يغل من اغل بمعنى غل لجاز يات بما غل يوم القيمة يات بالشيء الذي غله بعينه يحمله كما جاء في الحديث جاء يوم القيمة يحمله على عنقه وروي الا لا اعرفن احدكم ياتي ببعير له رغاء وببقرة لها خوار وبشاة لها ثغاء فينادي يوم القيمة يا محمد يا محمد فاقول لا املك لك من الله شيئا فقد بلغتك وعن بعض جفاة العرب انه سرق نافجة مسك فتليت عليه الآية فقال اذن احملها طيبة الريح خفيفة المحمل ويجوز ان يراد ياتي بما احتمل من وباله وتبعته واثمه **فان قلت** هلا قيل ثم يوفى ما كسب ليتصل به **قلت** جيء بعام دخل تحته كل كاسب من الغال وغيره فاتصل به من حيث المعنى وهو ابلغ واثبت لانه اذا علم الغال ان كل كاسب خيرا او شرا مجزي فموفى جزاءه علم انه غير متخلص من بينهم مع عظم ما اكتسب وهم لا يظلمون اي يعدل بينهم في الجزاء كل جزاؤه على قدر كسبه

افمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله وماواه جهنم وبئس المصير هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون

هم درجات اي هم متفاوتون كما تتفاوت الدرجات كقوله انصب للمنية تعتريهم رجالي ام هم درج السيول وقيل ذوو درجات والمعنى تفاوت منازل المثابين منهم ومنازل المعاقبين او التفاوت بين الثواب والعقاب والله بصير بما يعملون عالم باعمالهم ودرجاتهم فمجازيهم على حسبها

لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلوا عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين

لقد من الله على المؤمنين على من آمن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من قومه وخص المؤمنين منهم لانهم هم المنتفعون ببعثه من انفسهم من جنسهم عربيا مثلهم وقيل من ولد اسمعيل كما انهم من ولده **فان قلت** فما وجه المنة عليهم في ان كان من انفسهم **قلت** اذا كان منهم كان اللسان واحدا فسهل اخذ ما يجب عليهم اخذه عنه وكانوا واقفين على احواله في الصدق والامانة فكان ذلك اقرب لهم الى تصديقه والوثوق به وفي كونه من انفسهم شرف لهم كقوله وانه لذكر لك ولقومك وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقراءة فاطمة رضي الله عنها من انفسهم اي من اشرفهم لان عدنان ذروة ولد اسمعيل ومضر ذروة نزار بن معد بن عدنان وخندف ذروة مضر ومدركة ذروة خندف وقريش ذروة مدركة وذروة قريش محمد صلى الله عليه وسلم وفيما خطب به ابو طالب في تزويج خديجة رضي الله عنها وقد حضر معه بنو هاشم ورؤساء مضر الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسمعيل وضئضئ معد وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا وجعلنا الحكام على الناس ثم ان ابن اخي هذا محمد بن عبد الله لا يوزن به فتى من قريش وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل وقرئ لمن من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم وفيه وجهان ان يراد لمن من الله على المؤمنين منه او بعثه اذ بعث فيهم فحذف لقيام الدلالة او يكون اذ في محل الرفع كاذا في قولك اخطب ما يكون الامير اذا كان قائما بمعنى لمن من الله على المؤمنين وقت بعثه يتلو عليهم آياته بعد ما كانوا اهل جاهلية لم يطرق اسماعهم شيء من الوحي ويزكيهم ويطهرهم من دنس القلوب بالكفر ونجاسة سائر الجوارح بملابسة المحرمات وسائر الخبائث وقيل ياخذ منهم الزكوة ويعلمهم الكتاب والحكمة القرآن والسنة

بعد ما كانوا اجهل الناس وابعدهم من دراسة العلوم وان كانوا من قبل من قبل بعثة الرسول لفي ضلال ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية وتقديره وان الشان والحديث كانوا من قبل في ضلال مبين ظاهر لا شبهة فيه

اولما اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها قلتم انى هذا قل هو من عند انفسكم ان الله على كل شيء قدير وما اصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله او ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم والله اعلم بما يكتمون

اصابتكم مصيبة يريد ما اصابهم يوم احد من قتل سبعين منهم قد اصبتم مثليها يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين ولما نصب بقلتم واصابتكم في محل الجر باضافة لما اليه وتقديره اقلتم حين اصابتكم وانى هذا نصب لانه مقول والهمزة للتقرير والتقريع **فان قلت** علام عطفت الواو هذه الجملة **قلت** على ما مضى من قصة احد من قوله ولقد صدقكم الله وعده ويجوز ان تكون معطوفة على محذوف كانه قيل افعلتم كذا وقلتم حينئذ كذا انى هذا من اين هذا كقوله انى لك هذا لقوله من عند انفسكم وقوله من عند الله والمعنى انتم السبب فيما اصابكم لاختياركم الخروج من المدينة او لتخليتكم المركز وعن علي رضي الله عنه لاخذكم الفداء من اسارى بدر قبل ان يؤذن لكم ان الله على كل شيء قدير فهو قادر على النصر وعلى منعه وعلى ان يصيب بكم تارة ويصيب منكم اخرى وما اصابكم يوم احد يوم التقى جمعكم وجمع المشركين فهو كائن باذن الله اي بتخليته استعار الاذن لتخلية الكفار وانه لم يمنعهم منهم ليبتليهم لان الاذن مخل بين المأذون له ومراده وليعلم وهو كائن ليتميز المؤمنون والمنافقون وليظهر ايمان هؤلاء ونفاق هؤلاء وقيل لهم من جملة الصلة عطف على نافقوا وانما لم يقل فقالوا لانه جواب لسؤال اقتضاه دعاء المؤمنين لهم الى القتال كانه قيل فماذا قالوا لهم فقيل قالوا لو نعلم ويجوز ان تقتصر الصلة على نافقوا ويكون وقيل لهم كلاما مبتدأ قسم الامر عليهم بين ان يقاتلوا للآخرة كما يقاتل المؤمنون وبين ان يقاتلوا ان لم يكن بهم غم الآخرة دفعا عن انفسهم واهليهم واموالهم فابوا القتال وجحدوا القدرة عليه رأسا لنفاقهم ودغلهم وذلك ما روي ان عبد الله بن ابي انخزل مع حلفائه فقيل له فقال ذلك وقيل او ادفعوا العدو بتكثيركم سواد المجاهدين وان لم تقاتلوا لان كثرة السواد مما يروع العدو ويكسر منه وعن سهل بن سعد الساعدي وقد كف بصره لو امكنني لبعت داري ولحقت بثغر من ثغور المسلمين فكنت بينهم وبين عدوهم قيل وكيف وقد ذهب بصرك قال لقوله او ادفعوا اراد اكثر سوادهم ووجه آخر وهو ان يكون معنى قولهم لو نعلم قتالا لو نعلم ما يصح ان يسمى قتالا لاتبعناكم يعنون ان ما انتم فيه لخطأ رأيكم وزللكم عن الصواب ليس بشيء ولا يقال لمثله قتال انما هو القاء بالانفس الى التهلكة لان رأي عبد الله كان في الاقامة بالمدينة وما كان يستصوب الخروج هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان يعني انهم قبل ذلك اليوم كانوا يتظاهرون بالايمان وما ظهرت منهم امارة تؤذن بكفرهم فلما انخزلوا عن عسكر المؤمنين وقالوا ما قالوا تباعدوا بذلك عن الايمان المظنون بهم واقتربوا من الكفر وقيل هم لاهل الكفر اقرب نصرة منهم لاهل الايمان لان تقليلهم سواد المسلمين بالانخزال تقوية للمشركين يقولون بافواههم لا يتجاوز ايمانهم افواههم ومخارج الحروف منهم ولا تعي قلوبهم منه شيئا وذكر الافواه مع القلوب تصوير لنفاقهم وان ايمانهم موجود في افواههم معدوم في قلوبهم خلاف صفة المؤمنين في مواطأة قلوبهم لافواههم والله اعلم بما يكتمون من النفاق وبما يجري بعضهم مع بعض من ذم المؤمنين وتجهيلهم وتخطئة رأيهم والشماتة بهم وغير ذلك لانكم تعلمون بعض ذلك علما مجملا بامارات وانا اعلم كله علم احاطة بتفاصيله وكيفياته

الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا لو اطاعونا ما قتلوا قل فادرءوا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين

الذين قالوا في اعرابه اوجه ان يكون نصبا على الذم او على الرد على الذين نافقوا او رفعا على هم الذين نافقوا او على الابدال من واو يكتمون ويجوز ان يكون مجرورا بدلا من الضمير في بافواههم او قلوبهم كقوله على حالة لو ان في القوم حاتما على جوده لضن بالماء حاتم لاخوانهم لاجل اخوانهم من جنس المنافقين المقتولين يوم احد او اخوانهم في النسب وفي سكنى الدار وقعدوا اي قالوا وقد قعدوا عن القتال لو اطاعونا اخواننا فيما امرناهم به من القعود ووافقونا فيه لما قتلوا كما لم نقتل قل فادرءوا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين معناه قل ان كنتم صادقين في انكم وجدتم الى دفع القتل سبيلا وهو القعود عن القتال فجدوا الى دفع الموت سبيلا يعني ان ذلك الدفع غير مغن عنكم لانكم ان دفعتم القتل الذي هو احد اسباب الموت لم تقدروا على دفع سائر اسبابه المبثوثة

ولابد

ولابد لكم من ان يتعلق بكم بعضها وروي انه مات يوم قالوا هذه المقالة سبعون منافقا **فان قلت** فقد كانوا صادقين في انهم دفعوا القتل عن انفسهم بالقعود فما معنى قوله ان كنتم صادقين **قلت** معناه ان النجاة من القتل يجوز ان يكون سببها القعود عن القتال وان يكون غيره لان اسباب النجاة كثيرة وقد يكون قتال الرجل سبب نجاته ولو لم يقاتل لقتل فما يدريكم ان سبب نجاتكم القعود وانكم صادقون في مقالتكم وما انكرتم ان يكون السبب غيره ووجه آخر ان كنتم صادقين في قولكم لو اطاعونا وقعدوا ما قتلوا يعني انهم لو اطاعوكم وقعدوا لقتلوا قاعدين كما قتلوا مقاتلين وقوله فادرءوا عن انفسكم الموت استهزاء بهم اي ان كنتم رجالا دفاعين لاسباب الموت فادرءوا جميع اسبابه حتى لا تموتوا

ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل وان الله لا يضيع اجر المحسنين

ولا تحسبن الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد وقرئ بالياء ولا يحسبن رسول الله صلى الله عليه وسلم او ولا يحسبن حاسب ويجوز ان يكون الذين قتلوا فاعلا ويكون التقدير ولا يحسبنهم الذين قتلوا امواتا اي ولا يحسبن الذين قتلوا انفسهم امواتا **فان قلت** كيف جاز حذف المفعول الاول **قلت** هو في الاصل مبتدأ فحذف كما حذف في قوله احياء والمعنى هم احياء لدلالة الكلام عليهما وقرئ ولا تحسبن بفتح السين وقتلوا بالتشديد واحياء بالنصب على معنى بل احسبهم احياء عند ربهم مقربون عنده ذوو زلفى كقوله فالذين عند ربك يرزقون مثل ما يرزق سائر الاحياء يأكلون ويشربون وهو تأكيد لكونهم احياء ووصف لحالهم التي هم عليها من التنعم برزق الله فرحين بما آتاهم الله من فضله وهو التوفيق في الشهادة وما ساق الله تعالى اليهم من الكرامة والتفضيل على غيرهم من كونهم احياء مقربين معجلا لهم رزق الجنة ونعيمها وعن النبي صلى الله عليه وسلم لما اصيب اخوانكم باحد جعل الله ارواحهم في اجواف طير خضر تدور في انهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي الى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش ويستبشرون باخوانهم المجاهدين الذين لم يلحقوا بهم اي لم يقتلوا فيلحقوا بهم من خلفهم قد بقوا بعدهم وهم قد تقدموهم وقيل لم يلحقوا بهم لم يدركوا فضلهم ومنزلتهم الا خوف عليهم بدل من الذين والمعنى ويستبشرون بما تبين لهم من حال من تركوا خلفهم من المؤمنين وهو انهم يبعثون آمنين يوم القيمة بشرهم الله تعالى بذلك فهم مستبشرون به وفي ذكر حال الشهداء واستبشارهم بمن خلفهم بعث للباقين بعدهم على ازدياد الطاعة والجد في الجهاد والرغبة في نيل منازل الشهداء واصابة فضلهم واحماد لحال من يرى نفسه في خير فيتمنى مثله لاخوانه في الله تعالى وبشرى للمؤمنين بالفوز في المآب وكرر يستبشرون ليعلق به ما هو بيان لقوله ان لا خوف عليهم ولا هم يحزنون من ذكر النعمة والفضل وان ذلك اجر لهم على ايمانهم يجب في عدل الله وحكمته ان يحصل لهم ولا يضيع اجرهم وقرئ وان الله بالفتح عطفا على النعمة والفضل وبالكسر على الابتداء وعلى ان الجملة اعتراض وهي قراءة الكسائي وتعضدها قراءة عبد الله والله لا يضيع

الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم

الذين استجابوا مبتدأ خبره للذين احسنوا او صفة للمؤمنين او نصب على المدح روي ان ابا سفيان واصحابه لما رجعوا من احد فبلغوا الروحاء ندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاراد ان يرهبهم ويريهم من نفسه واصحابه قوة فندب اصحابه للخروج في طلب ابي سفيان وقال لا يخرجن معنا احد الا من حضر يومنا بالامس فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مع جماعة حتى بلغوا حمراء الاسد وهي من المدينة على ثمانية اميال وكان باصحابه القرح فتحاملوا على انفسهم حتى لا يفوتهم الاجر والقى الله الرعب في قلوب المشركين فذهبوا فنزلت ومن في للذين احسنوا منهم للتبيين مثلها في قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة لان الذين استجابوا لله والرسول قد احسنوا كلهم واتقوا لا بعضهم وعن عروة بن الزبير قالت لي عائشة رضي الله عنها ان ابويك لمن الذين استجابوا لله والرسول تعني ابا بكر والزبير رضي الله عنهما الذين قال لهم الناس

ان الناس قد جمعوا لكم روي ان ابا سفيان نادى عند انصرافه من احد يا محمد موعدنا موسم بدر القابل ان شئت فقال صلى الله عليه وسلم ان شاء الله فلما كان القابل خرج ابو سفيان في اهل مكة حتى نزل مر الظهران فالقى الله الرعب في قلبه فبدا له ان يرجع فلقي نعيم بن مسعود الاشجعي وقد قدم معتمرا فقال يا نعيم اني واعدت محمدا ان نلتقي بموسم بدر وان هذا عام جدب ولا يصلحنا الا عام نرعى فيه الشجر ونشرب فيه اللبن ولكن ان خرج محمد ولم اخرج زاده ذلك جرأة فالحق بالمدينة فثبطهم ولك عندي عشر من الابل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم ما هذا بالرأي اتوكم في دياركم وقراركم فلم يفلت منكم احد الا شريد افتريدون ان تخرجوا وقد جمعوا لكم عند الموسم فوالله لا يفلت منكم احد وقيل مر بابي سفيان ركب من عبد القيس يريدون المدينة للميرة فجعل لهم حمل بعير من زبيب ان ثبطوهم فكره المسلمون الخروج فقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لاخرجن ولو لم يخرج معي احد فخرج في سبعين راكبا وهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل وقيل هي الكلمة التي قالها ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه حين القي في النار حتى وافوا بدرا واقاموا بها ثماني ليال وكانت معهم تجارات فباعوها واصابوا خيرا ثم انصرفوا الى المدينة سالمين غانمين ورجع ابو سفيان الى مكة فسمى اهل مكة جيشه جيش السويق قالوا انما خرجتم لتشربوا السويق فالناس الاولون المثبطون والآخرون ابو سفيان واصحابه فان قلت كيف قيل الناس ان كان نعيم هو المثبط وحده قلت قيل ذلك لانه من جنس الناس كما يقال فلان يركب الخيل ويلبس البرود وما له الا فرس واحد وبرد فرد ولانه حين قال ذلك لم يخل من ناس من اهل المدينة يضامونه ويصلون جناح كلامه ويثبطون مثل تثبيطه فان قلت الام رجع المستكن في فزادهم قلت الى المقول الذي هو ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم كانه قيل قالوا لهم هذا الكلام فزادهم ايمانا او الى مصدر قالوا كقولك من صدق كان خيرا له او الى الناس اذا اريد به نعيم وحده فان قلت كيف زادهم نعيم او مقوله ايمانا قلت لما لم يسمعوا قوله واخلصوا عنده النية والعزم على الجهاد واظهروا حمية الاسلام كان ذلك اثبت ليقينهم واقوى لاعتقادهم كما يزداد الايقان بتناصر الحجج ولان خروجهم على اثر تثبيطه الى وجهة العدو طاعة عظيمة والطاعات من جملة الايمان لان الايمان اعتقاد واقرار وعمل وعن ابن عمر رضي الله عنهما قلنا يا رسول الله ان الايمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار وعن عمر رضي الله عنه انه كان ياخذ بيد الرجل فيقول قم بنا نزدد ايمانا وعنه لو وزن ايمان ابي بكر رضي الله عنه بايمان هذه الامة لرجح به حسبنا الله محسبنا الله اي كافينا يقال احسبه الشيء اذا كفاه والدليل على انه بمعنى المحسب انك تقول هذا رجل حسبك فتصف به النكرة لان اضافته لكونه في معنى اسم الفاعل غير حقيقية ونعم الوكيل ونعم الموكول اليه هو فانقلبوا بنعمة من الله وهي السلامة وحذر العدو منهم وفضل وهو الربح في التجارة كقوله ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم لم يمسسهم سوء لم يلقوا ما يسوؤهم من كيد عدو واتبعوا رضوان الله بجراءتهم وخروجهم والله ذو فضل عظيم قد تفضل عليهم بالتوفيق فيما فعلوا وفي ذلك تحسير لمن تخلف عنهم واظهار لخطأ رأيهم حيث حرموا انفسهم ما فاز به هؤلاء وروي انهم قالوا هل يكون هذا غزوا فاعطاهم الله تعالى ثواب الغزو ورضي عنهم انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر انهم لن يضروا الله شيئا يريد الله الا يجعل لهم حظا في الآخرة ولهم عذاب عظيم ان الذين اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب اليم ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين الشيطان خبر ذلكم بمعنى انما ذلكم المثبط هو الشيطان ويخوف اولياءه جملة مستانفة بيان لتشيطنه او الشيطان صفة لاسم الاشارة ويخوف الخبر والمراد بالشيطان نعيم او ابو سفيان ويجوز ان يكون على تقدير حذف المضاف بمعنى انما ذلكم قول الشيطان اي قول ابليس لعنه الله يخوف اولياءه يخوفكم اولياءه الذين هم ابو سفيان واصحابه ويدل عليه قراءة ابن عباس وابن مسعود يخوفكم اولياءه وقوله فلا تخافوهم وقيل يخوف اولياءه القاعدين عن الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فان قلت فالى م رجع الضمير في فلا تخافوهم على هذا التفسير قلت الى الناس في قوله ان الناس قد جمعوا لكم فلا تخافوهم فتقعدوا عن القتال وتجبنوا وخافوني فجاهدوا مع رسولي وسارعوا الى ما يأمركم به ان كنتم مؤمنين يعني ان الايمان يقتضي ان تؤثروا خوف الله على خوف

الناس ولا تخشون احدا الا الله تعالى يسارعون في الكفر يقعون فيه سريعا ويرغبون فيه اشد رغبة وهم الذين نافقوا من المتخلفين وقيل هم قوم ارتدوا عن الاسلام فان قلت فما معنى قوله ولا يحزنك ومن حق الرسول ان يحزن لنفاق من نافق وارتداد من ارتد قلت معناه لا يحزنوك لخوف ان يضروك ويعينوا عليك الا ترى الى قوله انهم لن يضروا الله شيئا يعني انهم لا يضرون بمسارعتهم في الكفر غير انفسهم وما وبال ذلك عائدا على غيرهم ثم بين كيف يعود وباله عليهم بقوله يريد الله ان لا يجعل لهم حظا في الآخرة اي نصيبا من الثواب ولهم بدل الثواب عذاب عظيم وذلك ابلغ ما ضر به الانسان نفسه فان قلت هلا قيل لا يجعل الله لهم حظا في الآخرة واي فائدة في ذكر الارادة قلت فائدته الاشعار بان الداعي الى حرمانهم وتعذيبهم قد خلص خلوصا لم يبق معه صارف قط حين سارعوا في الكفر تنبيها على تماديهم في الطغيان وبلوغهم الغاية فيه حتى ان ارحم الراحمين يريد ان لا يرحمهم ان الذين اشتروا الكفر بالايمان اما ان يكون تكريرا لذكرهم للتاكيد والتسجيل عليهم بما اضاف اليهم واما ان يكون عاما للكفار والاول خاصا فيمن نافق من المتخلفين او ارتد عن الاسلام او على العكس وشيئا نصب على المصدر لان المعنى شيئا من الضرر وبعض الضرر الذين كفروا فيمن قرأ بالتاء نصب وانما نملي لهم خير لانفسهم بدل منه اي ولا تحسبن ان ما نملي للكافرين خير لهم وان مع ما في حيزه ينوب عن المفعولين كقوله تعالى ام تحسب ان اكثرهم يسمعون وما مصدرية بمعنى ولا تحسبن ان املاءنا خير وكان حقها في قياس علم الخط ان تكتب مفصولة ولكنها وقعت في الامام متصلة فلا يخالف وتتبع سنة الامام في خط المصاحف فان قلت كيف صح مجيء البدل ولم يذكر الا احد المفعولين ولا يجوز الاقتصار بفعل الحسبان على مفعول واحد قلت صح ذلك من حيث ان التعويل على البدل والمبدل منه في حكم المنحى الا تراك تقول جعلت متاعك بعضه فوق بعض مع امتناع سكوتك على متاعك ويجوز ان يقدر مضاف محذوف على ولا تحسبن الذين كفروا اصحاب ان الاملاء خير لانفسهم او ولا تحسبن حال الذين كفروا ان الاملاء خير لانفسهم وهو فيمن قرأ بالياء رفع والفعل متعلق بان وما في حيزه والاملاء لهم تخليتهم وشانهم مستعار من املى لفرسه اذا ارخى له الطول ليرعى كيف شاء وقيل هو امهالهم واطالة عمرهم والمعنى ولا تحسبن ان الاملاء خير لهم من منعهم او قطع آجالهم انما نملي لهم ما هذه حقها ان تكتب متصلة لانها كافة دون الاولى وهذه جملة مستانفة تعليل للجملة قبلها كانه قيل ما بالهم لا يحسبون الاملاء خيرا لهم فقيل انما نملي لهم ليزدادوا اثما فان قلت كيف جاز ان يكون ازدياد الاثم غرضا لله تعالى في املائه لهم قلت هو علة للاملاء وما كل علة بغرض الا تراك تقول قعدت عن الغزو للعجز والفاقة وخرجت من البلد لمخافة الشر وليس شيء منها بغرض لك وانما هي علل واسباب فكذلك ازدياد الاثم جعل علة للامهال وسببا فيه فان قلت كيف يكون ازدياد الاثم علة للاملاء كما كان العجز علة عن القعود عن الحرب قلت لما كان في علم الله تعالى المحيط بكل شيء انهم مزدادون اثما فكان الاملاء وقع من اجله وبسببه على طريق المجاز وقرأ يحيى بن وثاب بكسر الاولى وفتح الثانية ولا تحسبن بالياء على معنى ولا يحسبن الذين كفروا ان املاءنا لازدياد الاثم كما يفعلون وانما هو ليتوبوا ويدخلوا في الايمان وقوله انما نملي لهم خير لانفسهم اعتراض بين الفعل ومعموله ومعناه ان املاءنا خير لانفسهم ان عملوا فيه وعرفوا انعام الله عليهم بتفسيح المدة وترك المعاجلة بالعقوبة فان قلت فما معنى قوله ولهم عذاب مهين على هذه القراءة قلت معناه ولا تحسبوا ان املاءنا لزيادة الاثم وللتعذيب والواو للحال كانه قيل ليزدادوا اثما معدا لهم عذاب مهين ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فآمنوا بالله ورسله وان تؤمنوا وتتقوا فلكم اجر عظيم اللام لتاكيد النفي على ما انتم عليه من اختلاط المؤمنين المخلص والمنافقين حتى يميز الخبيث من الطيب حتى يعزل المنافق عن المخلص وقرئ يميز من ميز وفي رواية عن ابن كثير يميز من اماز بمعنى ميز فان قلت لمن الخطاب في انتم قلت للمصدقين جميعا من اهل الاخلاص والنفاق كانه قيل ما كان الله ليذر المخلصين منكم على الحال التي انتم عليها من اختلاط بعضكم ببعض وانه لا يعرف مخلصكم من منافقكم لاتفاقكم على التصديق جميعا حتى يميزهم منكم بالوحي الى نبيه واخباره باحوالكم ثم قال وما كان الله ليطلعكم على الغيب اي وما كان الله ليؤتي احدا منكم علم الغيوب فلا تتوهموا عند اخبار الرسول صلى الله عليه وسلم بنفاق الرجل واخلاص الآخر انه

وفي هذا رد على القدرية وبيان ان الخير والشر بارادة الله تعالى

الطول الحبل الذي يطول للدابة حتى ترعى

قوله او قطع آجالهم هذا بناء على مذهب ان الميت قد يقطع عليه اجله وسلامة المعتزلة تخرج عليه

يطلع على ما في القلوب اطلاع الله تعالى فيخبر عن كفرها وايمانها ولكن الله يرسل الرسول فيوحي اليه ويخبره بان في الغيب كذا
وان فلانا في قلبه النفاق وفلان في قلبه الاخلاص فيعلم ذلك من جهة اخبار الله تعالى لا من جهة اطلاعه على المغيبات
ويجوز ان يراد لا يترككم مختلطين حتى يميز الخبيث من الطيب بان يكلفكم التكاليف الصعبة التي لا يصبر عليها الا الخلص
الذين امتحن الله قلوبهم كبذل الارواح في الجهاد وانفاق الاموال في سبيل الله فيجعل ذلك عيارا على عقائدكم وشاهدا
بضمائركم حتى يعلم بعضكم ما في قلب بعض من طريق الاستدلال لا من جهة الوقوف على ذات الصدور والاطلاع عليها
فان ذلك مما استاثر الله تعالى به وما كان الله ليطلع احدا منكم على الغيب ومضمرات القلوب حتى يعلم صحيحها من
فاسدها مطلعا عليها ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فيخبره ببعض المغيبات فآمنوا بالله ورسله بان تقدروه حق
قدره وتعلموه وحده مطلعا على الغيوب وان تنزلوهم منازلهم بان تعلموهم عبادا مجتبين لا يعلمون الا ما علمهم الله تعالى
ولا يخبرون الا بما اخبرهم الله تعالى من الغيوب وليسوا من علم الغيب في شيء ● وعن السدي قال الكافرون ان كان محمد صادقا
فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر فنزلت ● ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله
هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة ولله ميراث السموات والارض
والله بما تعملون خبير ● ولا تحسبن من قرأ بالتاء قدر مضافا محذوفا اي ولا تحسبن بخل الذين يبخلون هو
خيرا لهم وكذلك من قرأ بالياء وجعل فاعل يحسبن ضمير رسول الله صلى الله عليه وسلم او ضمير احد ومن جعل فاعله الذين
يبخلون كان المفعول الاول عنده محذوفا تقديره ولا يحسبن الذين يبخلون بخلهم هو خيرا لهم والذي سوغ حذفه دلالة
يبخلون عليه وهو فصل وقرأ الاعمش بغير هو سيطوقون تفسير لقوله هو شر لهم اي سيلزمون وبال ما بخلوا به الزام الطوق
وفي امثالهم تقلدها طوق الحمامة اذا جاء بهنة يسب بها ويذم ● وقيل يجعل ما بخل به من الزكوة حية يطوقها في عنقه
يوم القيمة تنهشه من قرنه الى قدمه وتنقر رأسه وتقول انا مالك ● وعن النبي صلى الله عليه وسلم في مانع الزكوة يطوق
بشجاع اقرع وروي بشجاع اسود ● وعن النخعي سيطوقون بطوق من نار ● ولله ميراث السموات والارض اي وله ما فيهما
مما يتوارثه اهلهما من مال وغيره فما لهم يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه في سبيله ونحوه قوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه
وقرئ بما يعملون بالياء والتاء فالتاء على طريقة الالتفات وهي ابلغ في الوعيد والياء على الظاهر ● لقد سمع الله
قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق ونقول
ذوقوا عذاب الحريق ● ذلك بما قدمت ايديكم وان الله ليس بظلام للعبيد ● قال ذلك اليهود
حين سمعوا قول الله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فلا يخلو اما ان يقولوه عن اعتقاد لذلك او عن استهزاء
بالقرآن وايهما كان فالكلمة عظيمة لا تصدر الا عن متمردين في كفرهم ومعنى سماع الله تعالى له انه لم يخف عليه وانه اعد له
كفاءه من العقاب ● سنكتب ما قالوا في صحائف الحفظة او سنحفظه ونثبته في علمنا لا ننساه كما يثبت المكتوب
فان قلت كيف قال لقد سمع الله ثم قال سنكتب وهلا قيل ولقد كتبنا قلت ذكر وجود السماع اولا
مؤكدا بالقسم ثم قال سنكتب على جهة الوعيد بمعنى لن يفوتنا ابدا اثباته وتدوينه كما لن يفوتنا قتلهم الانبياء وجعل
قتلهم الانبياء قرينة له ايذانا بانهما في العظم اخوان وبان هذا ليس باول ما ركبوه من العظائم وانهم اصلاء في الكفر ولهم فيه
سوابق وان من قتل الانبياء لم يستبعد منه الاجتراء على مثل هذا القول ● وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب مع
ابي بكر رضي الله عنه الى يهود بني قينقاع يدعوهم الى الاسلام والى اقام الصلوة وايتاء الزكوة وان يقرضوا الله قرضا حسنا
فقال فنحاص اليهودي ان الله فقير حين سألنا القرض فلطمه ابو بكر في وجهه وقال لولا الذي بيننا وبينكم من العهد
لضربت عنقك فشكاه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجحد ما قاله فنزلت ونحوه قولهم يد الله مغلولة ونقول لهم ذوقوا
عذاب الحريق وننتقم منهم بان نقول لهم يوم القيمة ذوقوا عذاب الحريق كما اذقتم المسلمين الغصص يقال للمنتقم منه
احس وذق ● وقال ابو سفيان لحمزة رضي الله عنه ذق عقق ● وقرأ حمزة سيكتب بالياء على البناء للمفعول ويقول
بالياء ● وقرأ الحسن والاعرج سيكتب بالياء وتسمية الفاعل وقرأ ابن مسعود ويقال ذوقوا ذلك اشارة الى ما تقدم من عقابهم
وذكر الايدي لان اكثر الاعمال تزاول بهن فجعل كل عمل كالواقع بالايدي على سبيل التغليب فان قلت فلم عطف
قوله وان الله ليس بظلام للعبيد على ما قدمت ايديكم وكيف جعل كونه غير ظلام للعبيد شريكا لاجتراحهم السيئات في استحقاق التعذيب

قلت

قلت معنى كونه غير ظلام للعبيد انه عادل عليهم ومن العدل ان يعاقب المسيء منهم ويثيب المحسن ● الذين
قالوا ان الله عهد الينا الا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار قل قد جاءكم رسل
من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين ● فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك
جاءوا بالبينات والزبر والكتاب المنير ● عهد الينا امرنا في التورية واوصانا بان لا نؤمن لرسول حتى يأتينا
بهذه الآية الخاصة وهو ان يرينا قربانا تنزل نار من السماء فتأكله كما كان انبياء بني اسرائيل تلك آيتهم كان يقرب بالقربان
فيقوم النبي فيدعو فتنزل نار من السماء فتأكله وهذه دعوى باطلة وافتراء على الله تعالى لان اكل النار القربان لم يجب الايمان
للرسول الآتي به الا لكونه آية ومعجزة فهو اذن وسائر الآيات سواء فلا يجوز ان يعينه الله تعالى من بين الآيات وقد الزمهم
الله تعالى ان انبياءهم جاؤهم بالبينات الكثيرة التي اوجبت عليهم التصديق بها وجاؤهم ايضا بهذه الآية التي اقترحوها
فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين ان الايمان يلزمكم باتيانها وقرئ بقربان بضمتين ونظيره السلطان فان قلت
ما معنى قوله وبالذي قلتم قلت معناه وبمعنى الذي قلتموه من قولكم قربان تأكله النار ومؤداه كقوله ثم يعودون
لما قالوا اي لمعنى ما قالوا في مصاحف اهل الشام وبالزبر وهي الصحف والكتاب المنير التورية والانجيل والزبور وهذه تسلية
لرسول الله صلى الله عليه وسلم من تكذيب قومه وتكذيب اليهود ● كل نفس ذائقة الموت وانما توفون اجوركم يوم
القيمة فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور ● لتبلون
في اموالكم وانفسكم ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا وان
تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور ● قرأ اليزيدي ذائقة الموت على الاصل وقرأ الاعمش ذائقة الموت
بطرح التنوين مع النصب كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا فان قلت كيف اتصل به قوله وانما توفون اجوركم
قلت اتصاله به على ان كلكم تموتون ولا بد لكم من الموت ولا توفون اجوركم على طاعاتكم ومعاصيكم عقيب موتكم وانما
توفونها يوم قيامكم عن قبوركم فان قلت فهذا يوهم نفي ما روي ان القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النار
قلت كلمة التوفية تزيل هذا الوهم لان المعنى ان توفية الاجور وتكميلها يكون ذلك اليوم وما يكون قبل ذلك فبعض الاجور
الزحزحة التنحية والابعاد تكرير الزح وهو الجذب بعجلة فقد فاز فقد حصل له الفوز المطلق المتناول لكل ما يفاز به ولا غاية للفوز
وراء النجاة من سخط الله والعذاب السرمد ونيل رضوان الله تعالى والنعيم المخلد اللهم وفقنا لما ندرك به عندك الفوز
في المآب ● وعن النبي صلى الله عليه وسلم من احب ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم
الآخر ويأتي الى الناس ما يحب ان يؤتى اليه وهذا شامل للمحافظة على حقوق الله تعالى وحقوق العباد شبه الدنيا بالمتاع
الذي يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه ثم يتبين له فساده ورداءته والشيطان هو المدلس الغرور ● وعن سعيد بن
جبير انما هذا لمن آثرها على الآخرة فاما من طلب الآخرة بها فانها متاع بلاغ خوطب المؤمنون بذلك ليوطنوا انفسهم على احتمال
ما سيلقون من الاذى والشدائد والصبر عليها حتى اذا لقوها وهم مستعدون لا يرهقهم ما يرهق من تصيبه الشدة
بغتة فينكرها وتشمئز منها نفسه والبلاء في الانفس القتل والاسر والجراح وما يرد عليها من انواع المخاوف والمصائب وفي الاموال
الانفاق في سبيل الخير وما يقع فيها من الآفات وما يسمعون من اهل الكتاب المطاعن في الدين الحنيف وصد من اراد الايمان وتخطئة
من آمن ● وما كان من كعب بن الاشرف من هجائه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتحريض المشركين ومن فنحاص ومن بني قريظة
والنضير ● فان ذلك فان الصبر والتقوى من عزم الامور من معزومات الامور اي مما يجب العزم عليه من الامور او مما عزم الله تعالى
ان يكون اي ان ذلك عزمة من عزمات الله لا بد لكم ان تصبروا وتتقوا ● واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا
الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون
لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب
ولهم عذاب اليم ● واذ اخذ الله واذكر وقت اخذ الله ميثاق اهل الكتاب لتبيننه الضمير للكتاب اكد عليهم ايجاب بيان
الكتاب واجتناب كتمانه كما يؤكد على الرجل اذا عزم عليه وقيل له آلله لتفعلن فنبذوه وراء ظهورهم فنبذوا الميثاق
وتأكيده عليهم يعني لم يراعوه ولم يلتفتوا اليه والنبذ وراء الظهر مثل في الطرح وترك الاعتداد ونقيضه جعله نصب عينيه والقاه
بين عينيه وكفى به دليلا على انه مأخوذ على العلماء ان يبينوا الحق للناس وما علموه وان لا يكتموا منه شيئا لغرض فاسد من تسهيل

على الظلمة وتطييب لنفوسهم واستجلاب لمسارّهم او لجرّ منفعة وحطام دنيا او لتقيّة مما لا دليل عليه ولا امارة او لبخل
بالعلم وغيرة ان ينسب الى غيرهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كتم علما عن اهله الجم بلجام من نار وعن طاوس انه قال
لوهب اني ارى الله سوف يعذبك بهذه الكتب وقال والله لو كنت نبيا فكتمت العلم كما تكتمه لرأيت ان الله سيعذبك
وعن محمد بن كعب القرظي لا يحل لاحد من العلماء ان يسكت على علمه ولا يحل لجاهل ان يسكت على جهله حتى يسأل
وعن علي رضي الله عنه ما اخذ الله تعالى على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا وقرئ ليبيننه ولا
يكتمونه بالياء لانهم غيب وبالتاء على حكاية مخاطبتهم كقوله وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن لا تحسبن خطاب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم واحد المفعولين الذين يفرحون والثاني بمفازة وقوله فلا تحسبنهم تاكيد تقديره لا تحسبنهم
فلا تحسبنهم فائزين وقرئ لا تحسبن فلا تحسبنهم بضم الباء على خطاب المؤمنين ولا يحسبن فلا يحسبنهم بالياء وفتح الباء
فيهما على ان الفعل للرسول وقرأ ابو عمرو بالياء وفتح الباء في الاول وضمها في الثاني على ان الفعل للذين يفرحون والمفعول
الاول محذوف على لا يحسبنهم الذين يفرحون بمفازة بمعنى لا يحسبن انفسهم الذين يفرحون فائزين وفلا يحسبنهم تاكيد و
بما اتوا بما فعلوا واتى وجاء يستعملان بمعنى فعل قال الله تعالى انه كان وعده ماتيا لقد جئت شيئا فريا ويدل عليه قراءة
ابيّ يفرحون بما فعلوا وقرئ آتوا بمعنى اعطوا وعن علي رضي الله عنه بما اوتوا ومعنى بمفازة من العذاب بمنجاة منه
روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل اليهود عن شيء مما في التورية فكتموا الحق واخبروه بخلافه واروه انهم قد صدقوه
واستحمدوا اليه وفرحوا بما فعلوا فاطلع الله تعالى رسوله على ذلك وسلاه بما انزل من وعيدهم اي لا تحسبن اليهود الذين يفرحون
بما فعلوا من تدليسهم عليك ويحبون ان تحمدهم بما لم يفعلوا من اخبارك بالصدق عما سألتهم عنه ناجين من العذاب ومعنى
يفرحون بما اوتوا بما اوتوه من علم التورية وقيل يفرحون بما فعلوا من كتمان نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحبون ان
يحمدوا بما لم يفعلوا من اتباع دين ابراهيم حيث ادعوا ان ابراهيم كان على اليهودية وانهم على دينه وقيل هم قوم تخلفوا
عن الغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قفل اعتذروا اليه بانهم راوا المصلحة في التخلف واستحمدوا اليه بترك
الخروج وقيل هم المنافقون يفرحون بما اتوا من اظهار الايمان للمسلمين ومنافقتهم وتوصلهم بذلك الى اغراضهم
ويستحمدون اليهم بالايمان الذي لم يفعلوه على الحقيقة لابطانهم الكفر ويجوز ان يكون شاملا لكل من ياتي بحسنة فيفرح
بها فرح اعجاب ويحب ان يحمده الناس ويثنوا عليه بالديانة والزهد وبما ليس فيه ولله ملك السموات
والارض والله على كل شيء قدير ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار
لآيات لاولي الالباب ولله ملك السموات والارض فهو يملك امرهم وهو على كل شيء قدير فهو يقدر على عقابهم
لآيات لادلة واضحة على الصانع وعظيم قدرته وباهر حكمته لاولي الالباب للذين يفتحون بصائرهم للنظر والاستدلال
والاعتبار ولا ينظرون اليها نظر البهائم غافلين عما فيهما من عجائب الفطر وفي النصائح الصغار املأ عينيك من
زينة هذه الكواكب واجلهما في جملة هذه العجائب متفكرا في قدرة مقدرها متدبرا حكمة مدبرها قبل ان يسافر بك القدر
ويحال بينك وبين النظر وعن ابن عمر رضي الله عنهما قلت لعائشة رضي الله عنها اخبريني باعجب ما رأيت من رسول الله
صلى الله عليه وسلم فبكت واطالت ثم قالت كل امره عجب اتاني في ليلتي فدخل في لحافي حتى لصق جلده بجلدي ثم قال
يا عائشة هل لك ان تاذني لي الليلة في عبادة ربي فقلت يا رسول الله اني لاحب قربك واحب هواك قد اذنت لك
فقام الى قربة من ماء في البيت فتوضأ ولم يكثر من صب الماء ثم قام يصلي فقرأ من القرآن وجعل يبكي حتى بلغ الدموع
حقويه ثم جلس فحمد الله واثنى عليه وجعل يبكي ثم رفع يديه فجعل يبكي حتى رأيت دموعه قد بلت الارض فاتاه بلال يؤذنه
بصلوة الغداة فرآه يبكي فقال له يا رسول الله اتبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال يا بلال افلا اكون
عبدا شكورا ثم قال ومالي لا ابكي وقد انزل الله علي في هذه الليلة ان في خلق السموات والارض ثم قال ويل لمن قرأها ولم
يتفكر فيها وروي ويل لمن لاكها بين فكيه ولم يتأملها وعن علي رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قام
من الليل يتسوك ثم ينظر الى السماء ثم يقول ان في خلق السموات والارض وحكي ان الرجل من بني اسرائيل كان اذا
عبد الله ثلاثين سنة اظلته سحابة فعبدها فتى من فتيانهم فلم تظله فقالت له امه لعل فرطة فرطت منك في مدتك
قال ما اذكر قالت لعلك نظرت مرة الى السماء ولم تعتبر قال لعل قالت فما اتيت الا من ذاك الذين يذكرون

اي طلبوا منه ان يحمدهم

وكذا بان احدهما النصائح الصغار والآخر النصائح الكبار

موضع شد الازار

قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت
هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار يذكرون الله ذكرا دائبا على اي حال كانوا من قيام وقعود
واضطجاع لا يخلون بالذكر في اغلب احوالهم وعن ابن عمر وعروة بن الزبير وجماعة انهم خرجوا يوم العيد الى المصلى
فجعلوا يذكرون الله تعالى فقال بعضهم اما قال الله تعالى يذكرون الله قياما وقعودا فقاموا يذكرون الله على اقدامهم
وعن النبي صلى الله عليه وسلم من احب ان يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله وقيل معناه يصلون في هذه الاحوال
على حسب استطاعتهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمران بن الحصين صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع
فعلى جنب تومي ايماء وهذه حجة للشافعي رحمه الله تعالى في اضجاع المريض على جنبه كما في اللحد وعند ابي حنيفة رحمه الله تعالى
يستلقي حتى اذا وجد خفة قعد ومحل على جنوبهم نصب على الحال عطفا على ما قبله كانه قيل قياما وقعودا ومضطجعين ويتفكرون
في خلق السموات والارض وما يدل عليه خلق هذه الاجرام العظام وابداع صنعتها وما دبر فيها مما تكل الافهام عن ادراك
بعض عجائبه على عظم شان الصانع وكبرياء سلطانه وعن سفيان الثوري انه صلى خلف المقام ركعتين ثم رفع راسه الى السماء
فلما رأى الكواكب غشي عليه وكان يبول الدم من طول حزنه وفكرته وعن النبي صلى الله عليه وسلم بينا رجل مستلق على
فراشه اذ رفع راسه فنظر الى النجوم والى السماء فقال اشهد ان لك ربا وخالقا اللهم اغفر لي فنظر الله اليه فغفر له وقال صلى الله
عليه وسلم لا عبادة كالتفكر وقيل الفكرة تذهب الغفلة وتحدث للقلب الخشية كما يحدث الماء للزرع النبات وما جليت
القلوب بمثل الاحزان ولا استنارت بمثل الفكرة وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تفضلوني على يونس بن متى
فانه كان يرفع له في كل يوم مثل عمل اهل الارض قالوا وانما كان ذلك التفكر في امر الله تعالى الذي هو عمل القلب لان احدا
لا يقدر ان يعمل بجوارحه في اليوم مثل عمل اهل الارض ما خلقت هذا باطلا سبحانك على ارادة القول اي يقولون ذلك
وهو في محل الحال بمعنى يتفكرون قائلين والمعنى ما خلقته خلقا باطلا بغير حكمة بل خلقته لداعي حكمة عظيمة وهو ان تجعلها
مساكن للمكلفين وادلة لهم على معرفتك ووجوب طاعتك واجتناب معصيتك ولذلك وصل به قوله فقنا عذاب النار
لانه جزاء من عصى ولم يطع فان قلت هذا اشارة الى ماذا قلت الى الخلق على ان المراد به المخلوق
كانه قيل ويتفكرون في مخلوق السموات والارض اي فيما خلق منها ويجوز ان يكون اشارة الى السموات والارض لانها في معنى
المخلوق كانه قيل ما خلقت هذا المخلوق العجيب باطلا وفي هذا ضرب من التعظيم كقوله ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم ويجوز
ان يكون باطلا حالا من هذا وسبحانك اعتراض للتنزيه من العبث وان يخلق شيئا بغير حكمة ربنا انك من تدخل
النار فقد اخزيته وما للظالمين من انصار فقد اخزيته فقد ابلغت في اخزائه وهو نظير قوله فقد فاز
ونحوه في كلامهم من ادرك مرعى الصمان فقد ادرك ومن سبق فلانا فقد سبق وما للظالمين اللام اشارة الى من يدخل النار
واعلام بان من يدخل النار فلا ناصر له بشفاعة ولا غيرها ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان ان آمنوا
بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الابرار تقول سمعت رجلا يقول
كذا وسمعت زيدا يتكلم فتوقع الفعل على الرجل وتحذف المسموع لانك وصفته بما يسمع او جعلته حالا عنه فاغناك عن ذكره
ولولا الوصف او الحال لم يكن منه بد وان تقول سمعت كلام فلان او قوله فان قلت فاي فائدة في الجمع بين المنادي
وينادي قلت ذكر النداء مطلقا ثم مقيدا بالايمان تفخيما لشان المنادي لانه لا منادي اعظم من مناد ينادي
للايمان ونحوه قولك مررت بهاد يهدي للاسلام وذلك ان المنادي اذا اطلق ذهب الوهم الى مناد للحرب او لاطفاء
النائرة او لاغاثة المكروب او لكفاية بعض النوازل او لبعض المنافع وكذلك الهادي قد يطلق على من يهدي الطريق ويهدي
لسداد الرأي وغير ذلك فاذا قلت ينادي للايمان ويهدي للاسلام فقد رفعت من شان المنادي والهادي وفخمته
ويقال دعاه لكذا والى كذا وندبه له واليه وناداه له واليه ونحوه هداه للطريق واليه وذلك ان معنى انتهاء الغاية ومعنى
الاختصاص واقعان جميعا والمنادي هو الرسول ادعو الى الله ادع الى سبيل ربك وعن محمد بن كعب القرآن
ان آمنوا اي آمنوا او بان آمنوا ذنوبنا كبائرنا سيئاتنا صغائرنا مع الابرار مخصوصين بصحبتهم معدودين في جملتهم
والابرار جمع بر او بار كرب وارباب وصاحب واصحاب ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا
يوم القيمة انك لا تخلف الميعاد على رسلك على هذه صلة للوعد في قولك وعد الله الجنة على الطاعة

والمعنى ما وعدتنا على تصديق رسلك الا تراه كيف اتبع ذكر المنادي للايمان وهو الرسول وقوله آمنا وهو التصديق
ويجوز ان يكون متعلقا بمحذوف اى ما وعدتنا منزلا على رسلك او محمولا على رسلك لان الرسل محملون ذلك
فانما عليه ما حمل وقيل على السنة رسلك والموعود هو الثواب وقيل النصرة على الاعداء **فان قلت**
كيف دعوا الله بانجاز ما وعد والله لا يخلف الميعاد **قلت** معناه طلب التوفيق فيما يحفظ عليهم اسباب انجاز الميعاد
او هو باب من اللجا الى الله والخضوع له كما كان الانبياء عليهم السلام يستغفرون مع علمهم انهم مغفور لهم يقصدون
بذلك التذلل لربهم والتضرع اليه واللجا الذى هو سيما العبودية فاستجاب لهم ربهم انى لا اضيع عمل
عامل منكم من ذكر او انثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا واخرجوا من ديارهم واوذوا فى
سبيلى وقاتلوا وقتلوا لاكفرن عنهم سيئاتهم ولادخلنهم جنات تجرى من تحتها الانهار ثوابا
من عند الله والله عنده حسن الثواب يقال استجاب له واستجابه فلم يستجبه عند ذاك مجيب
انى لا اضيع قرئ بالفتح على حذف الباء وبالكسر على ارادة القول وقرئ لا اضيّع بالتشديد من ذكر او انثى بيان
لعامل بعضكم من بعض اى يجمع ذكوركم واناثكم اصل واحد فكل واحد منكم من الآخر اى من اصله او كانه منه لفرط اتصالكم
واتحادكم وقيل المراد وصلة الاسلام وهذه جملة معترضة بينت بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد الله تعالى
عباده العاملين وروى ان ام سلمة قالت يا رسول الله انى اسمع الله يذكر الرجال فى الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت
فالذين هاجروا تفصيل لعمل العامل منهم على سبيل التعظيم له والتفخيم كانه قال فالذين عملوا هذه الاعمال السنية الفائقة
وهى المهاجرة عن اوطانهم فارين الى الله بدينهم من دار الفتنة واضطروا الى الخروج من ديارهم التى ولدوا فيها ونشأوا
بما سامهم المشركون من الخسف واوذوا فى سبيلى من اجله وبسببه يريد سبيل الدين وقاتلوا وقتلوا او غزوا المشركين
واستشهدوا وقرئ وقتلوا بالتشديد وقتلوا وقاتلوا على التقديم بالتخفيف والتشديد وقتلوا وقتلوا على بناء الاول
للفاعل والثانى للمفعول وقتلوا وقاتلوا على بنائهما للفاعل ثوابا فى موضع المصدر المؤكد بمعنى اثابة او تثويبا من عند الله
لان قوله لاكفرن عنهم ولادخلنهم فى معنى لاثيبنهم وعنده مثل اى يختص به وبقدرته وفضله لا يثيبه غيره ولا يقدر عليه
كما يقول الرجل عندى ما تريد يريد اختصاصه به وبملكه وان لم يكن بحضرته وهذا تعليم من الله تعالى كيف يدعى وكيف يبتهل
اليه ويتضرع وتكرير ربنا من باب الابتهال واعلام بما يوجب حسن الاجابة وحسن الاثابة من احتمال المشاق فى دين الله
والصبر على صعوبة تكاليفه وقطع لاطماع الكسالى المتمنين عليه وتسجيل على من لا يرى الثواب موصولا بالعمل
بالجهل والغباوة وروى عن جعفر الصادق رضى الله عنه من حزبه امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله مما يخاف
واعطاه ما اراد وقرأ هذه الآية وعن الحسن حكى الله عنهم انهم قالوا خمس مرات ربنا ثم اخبر انه استجاب لهم الا انه
اتبع ذلك رافع الدعاء وما يستجاب به فلا بد من تقديمه بين يدى الدعاء وهو العمل الصالح لا يغرنك تقلب الذين كفروا
فى البلاد متاع قليل ثم ماواهم جهنم وبئس المهاد لا يغرنك الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
او لكل احد اى لا تنظر الى ما هم عليه من سعة الرزق والمضطرب ودرك العاجل واصابة حظوظ الدنيا ولا تغتر بظاهر
ما ترى من تبسطهم فى الارض وتصرفهم فى البلاد يتكسبون ويتجرون ويتدهقنون وعن ابن عباس هم اهل مكة وقيل
هم اليهود وروى ان ناسا من المؤمنين كانوا يرون ما كانوا فيه من الخصب والرخاء ولين العيش فيقولون ان اعداء الله
فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد **فان قلت** كيف جاز ان يغتر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك
حتى ينهى عن الاغترار به **قلت** فيه وجهان احدهما ان مدرة القوم ومتقدمهم يخاطب بشئ فيقوم خطابه مقام
خطابهم جميعا فكانه قيل لا يغرنكم والثانى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان غير مغرور بحالهم فاكد عليه ما كان عليه وثبت على
التزامه كقوله تعالى فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا تكونن من المشركين فلا تطع المكذبين وهذا فى النهى نظير قوله فى الامر
اهدنا الصراط المستقيم يا ايها الذين آمنوا آمنوا وقد جعل النهى فى الظاهر للتقلب وهو فى المعنى للمخاطب وهذا من تنزيل
السبب منزلة المسبب لان التقلب لو غره لاغتر به فمنع السبب ليمتنع المسبب وقرئ لا يغرنك بالنون الخفيفة
متاع قليل خبر مبتدأ محذوف اى ذلك متاع قليل وهو التقلب فى البلاد اراد قلته فى جنب ما فاتهم من نعيم الآخرة او فى جنب ما اعد الله
للمؤمنين من الثواب او اراد انه قليل فى نفسه لانقضائه وكل زائل قليل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الدنيا فى الآخرة الا

مثل

مثل ما يجعل احدكم اصبعه فى اليم فلينظر بم يرجع وبئس المهاد وساء ما مهدوا لانفسهم لكن الذين اتقوا ربهم
لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله وما عند الله خير للابرار
النزل والنزل ما يقام للنازل قال ابو الشعر الضبى وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا جعلنا القنا والمرهفات له نزلا
وانتصابه اما على الحال من جنات لتخصصها بالوصف والعامل اللام ويجوز ان يكون بمعنى مصدر مؤكد كانه قيل رزقا
او عطاء من عند الله وما عند الله من الكثير الدائم خير للابرار مما يتقلب فيه الفجار من القليل الزائل وقرأ مسلمة بن محارب
والاعمش نزلا بالسكون وقرأ يزيد بن القعقاع لكنّ الذين اتقوا بالتشديد وان من اهل الكتاب لمن
يؤمن بالله وما انزل اليكم وما انزل اليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا
قليلا اولئك لهم اجرهم عند ربهم ان الله سريع الحساب وان من اهل الكتاب عن مجاهد
نزلت فى عبد الله بن سلام رضى الله عنه وغيره من مسلمة اهل الكتاب وقيل فى اربعين من اهل نجران واثنين وثلاثين من
الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى عليه السلام فاسلموا وقيل فى اصحمة النجاشى ملك الحبشة ومعنى اصحمة عطية
بالعربية وذلك انه لما مات نعاه جبريل عليه السلام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه الصلوة والسلام اخرجوا فصلوا
على اخ لكم مات بغير ارضكم فخرج الى البقيع ونظر الى ارض الحبشة فابصر سرير النجاشى وصلى عليه واستغفر له فقال المنافقون
انظروا الى هذا يصلى على علج نصرانى لم يره قط وليس على دينه فنزلت ودخلت لام الابتداء على اسم ان لفصل الظرف
بينهما كقوله وان منكم لمن ليبطئن وما انزل اليكم من القرآن وما انزل اليهم من الكتابين خاشعين لله حال من فاعل يؤمن لان
من يؤمن فى معنى الجمع لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا كما يفعل من لم يسلم من احبارهم وكبارهم اولئك لهم اجرهم عند ربهم
اى ما يختص بهم من الاجر وهو ما وعده فى قوله اولئك يؤتون اجرهم مرتين يؤتكم كفلين من رحمته ان الله سريع الحساب لنفوذ
علمه فى كل شئ فهو عالم بما يستوجبه كل عامل من الاجر ويجوز ان يراد ان ما توعدون لآت قريب بعد ذكر الموعد يا ايها الذين آمنوا
اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون اصبروا على الدين وتكاليفه وصابروا اعداء الله
فى الجهاد اى غالبوهم فى الصبر على شدائد الحرب لا تكونوا اقل صبرا منهم وثباتا والمصابرة باب من الصبر ذكر بعد الصبر على ما يجب الصبر
عليه تخصيصا لشدته وصعوبته ورابطوا واقيموا فى الثغور رابطين خيلكم فيها مترصدين مستعدين للغزو قال الله تعالى
ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وعن النبى صلى الله عليه وسلم من رابط يوما وليلة فى سبيل الله كان كعدل
صيام شهر وقيامه لا يفطر ولا ينفتل عن صلوته الا لحاجة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة آل عمران اعطى
بكل آية منها امانا على جسر جهنم وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ السورة التى يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تحجب الشمس

سورة النساء مدنية
وهى مائة وخمس وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس
واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به
والارحام ان الله كان عليكم رقيبا يا ايها الناس يا بنى آدم خلقكم من نفس واحدة فرعكم من اصل واحد وهو
نفس آدم ابيكم **فان قلت** علام عطف قوله وخلق منها زوجها **قلت** فيه وجهان احدهما ان يعطف على محذوف
كانه قيل من نفس واحدة انشأها او ابتدأها وخلق منها زوجها وانما حذف لدلالة المعنى عليه والمعنى شعبكم من نفس واحدة هذه
صفتها وهى انه انشأها من تراب وخلق زوجها حواء من ضلع من اضلاعها وبث منهما نوعى جنس الانس وهما الذكور والاناث
فوصفها بصفة هى بيان وتفصيل لكيفية خلقهم منها والثانى ان يعطف على خلقكم ويكون الخطاب فى يا ايها الناس للذين
بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى خلقكم من نفس آدم لانهم من جملة الجنس المفرع منه وخلق منها امكم حواء
وبث منهما رجالا كثيرا ونساء غيركم من الامم الفائتة للحصر **فان قلت** الذى يقتضيه سداد نظم الكلام
وجزالته ان يجاء عقيب الامر بالتقوى بما يوجبها او يدعو اليها ويبعث عليها فكيف كان خلقه اياهم من نفس واحدة على التفصيل
الذى ذكره موجبا للتقوى وداعيا اليها **قلت** لان ذلك مما يدل على القدرة العظيمة ومن قدر على نحوه كان قادرا على
كل شئ ومن المقدورات عقاب العصاة فالنظر فيه يؤدى الى ان يتقى القادر عليه ويخشى عقابه ولانه يدل على النعمة السابغة

عليهم فحقهم ان يتقوه في كفرانها والتفريط فيما يلزمهم من القيام بشكرها او اراد بالتقوى تقوى خاصة وهي ان يتقوه فيما
يتصل بحفظ الحقوق بينهم فلا يقطعوا ما يجب عليهم وصله فقيل اتقوا ربكم الذي وصل بينكم حيث جعلكم صنوانا مفرعة
من ارومة واحدة فيما يجب على بعضكم لبعض فحافظوا عليه ولا تغفلوا عنه وهذا المعنى مطابق لمعاني السورة وقرئ وخالق
منها زوجها وباث منهما بلفظ اسم الفاعل وهو خبر مبتدا محذوف تقديره وهو خالق تساءلون به تتساءلون به فادغمت
التاء في السين وقرئ تساءلون بطرح التاء الثانية اي يسال بعضكم بعضا بالله وبالرحم فيقول بالله وبالرحم افعل
كذا على سبيل الاستعطاف وانا شدك الله والرحم او تسالون غيركم بالله والرحم فقيل تفاعلون موضع تفعلون للجمع
كقولك رايت الهلال وتراءيناه وتنصره قراءة من قرا تسالون به مهموزا او غير مهموز وقرئ والارحام بالحركات
الثلاث فالنصب على وجهين اما على واتقوا الله والارحام او ان تعطف على محل الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمرا
وتنصره قراءة ابن مسعود تساءلون به وبالارحام والجر على عطف الظاهر على المضمر وليس بسديد لان الضمير المتصل
متصل كاسمه والجار والمجرور كشيء واحد فكانا في قولك مررت به وزيد وهذا غلامه وزيد شديدي الاتصال فلما اشتد
الاتصال لتكرره اشبه العطف على بعض الكلمة فلم يجز ووجب تكرير العامل كقولك مررت به وبزيد وهذا غلامه وغلام
زيد الا ترى الى صحة قولك رايتك وزيدا ومررت بزيد وعمرو لما لم يقو الاتصال لانه لم يتكرر وقد تمحل لصحة هذه
القراءة بانها على تقدير تكرير الجار ونظيرها قول الشاعر فاذهب فما بك والايام من عجب والرفع على انه مبتدأ
خبره محذوف كانه قيل والارحام كذلك على معنى والارحام مما يتقى او والارحام مما يتساءل به والمعنى انهم كانوا
يقرون بان لهم خالقا وكانوا يتساءلون بذكر الله والرحم فقيل لهم اتقوا الذي خلقكم واتقوا الذي تتناشدون
به واتقوا الارحام فلا تقطعوها او واتقوا الله الذي تتعاطفون باذكاره وباذكار الرحم وقد اذن عز وجل اذ
قرن الارحام باسمه ان صلتها منه بمكان كما قال الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا وعن الحسن اذا سالك بالله
فاعطه واذا سالك بالرحم فاعطه وللرحم حجنة عند العرش ومعناه ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما الرحم معلقة بالعرش فاذا
اتاها الواصل بشت به وكلمته واذا اتاها القاطع احتجبت منه وسئل ابن عيينة عن قوله صلى الله عليه وسلم تخيروا لنطفكم فقال يقول
لاولادكم وذلك ان يضع ولده في الحلال الم تسمع قوله تعالى تساءلون به والارحام واول صلته ان يختار له الموضع الحلال فلا
يقطع رحمه ولا نسبه فان للعاهر الحجر ثم يختار الصحة ويجتنب الدعوة ولا يضعه موضع شهوة يتبع شهوته وهواه بغير هدى من الله

وآتوا اليتامى اموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم انه كان حوبا كبيرا

اليتامى الذين مات اباؤهم فانفردوا عنهم واليتم الانفراد ومنه الرملة اليتيمة والدرة اليتيمة
وقيل اليتم في الاناسي من قبل الاباء وفي البهائم من قبل الامهات **فان قلت** كيف جمع اليتيم وهو فعيل كمريض
على يتامى **قلت** فيه وجهان ان يجمع على يتمى كاسرى لان اليتم من وادي الافات والاوجاع ثم يجمع فعلى على فعالى
كاسارى وان يجوز ان يجمع على فعائل لجري اليتيم مجرى الاسماء نحو صاحب وفارس فيقال يتائم ثم يتامى على القلب وحق
هذا الاسم ان يقع على الصغار والكبار لبقاء معنى الانفراد عن الاباء الا انه غلب ان يسموا به قبل ان يبلغوا مبلغ
الرجال فاذا استغنوا بانفسهم عن كافل وقائم عليهم وانتصبوا كفاة يكفلون غيرهم ويقومون عليهم زال عنهم هذا الاسم
وكانت قريش تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم يتيم ابي طالب اما على القياس واما حكاية للحال التي كان عليها صغيرا
ناشئا في حجر عمه توضيعا له واما قوله صلى الله عليه وسلم لا يتم بعد الحلم فما هو الا تعليم شريعة لا لغة يعني انه اذا احتلم لم تجر عليه
احكام الصغار **فان قلت** فما معنى قوله تعالى وآتوا اليتامى اموالهم **قلت** اما ان يراد باليتامى الصغار
وبايتائهم الاموال ان لا يطمع فيها الاولياء والاوصياء وولاة السوء وقضاته ويكفوا عنها ايديهم الخاطفة حتى تاتي اليتامى
اذا بلغوا سالمة غير محذوفة واما ان يراد الكبار تسمية لهم يتامى على القياس او لقرب عهدهم اذا بلغوا بالصغر كما تسمى الناقة عشراء
بعد وضعها على ان فيه اشارة الى ان لا يؤخر دفع اموالهم اليهم عن حد البلوغ ولا يمطلوا ان اونس منهم الرشد وان يؤتوها قبل
ان يزول عنهم اسم اليتامى والصغار وقيل هي في رجل من غطفان كان معه مال كثير لابن اخ له يتيم فلما بلغ طلب المال فمنعه عمه
فترافعا الى النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت فلما سمعها العم قال اطعنا الله واطعنا الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير فدفع ماله اليه
فقال صلى الله عليه وسلم ومن يوق شح نفسه ويطع ربه هكذا فانه يحل داره يعني جنته فلما قبض الفتى ماله انفقه في سبيل الله تعالى

فقال

فقال النبي صلى الله عليه وسلم ثبت الاجر وبقي الوزر قالوا يا رسول الله قد عرفنا انه ثبت الاجر فكيف بقي الوزر
وهو ينفق في سبيل الله فقال ثبت اجر الغلام وبقي الوزر على والده ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تستبدلوا الحرام
وهو مال اليتامى بالحلال وهو مالكم وما ابيح لكم من المكاسب ورزق الله المبثوث في الارض فتاكلوه مكانه او لا تستبدلوا
الامر الخبيث وهو اختزال اموال اليتامى بالامر الطيب وهو حفظها والتورع منها والتفعل بمعنى الاستفعال غير عزيز
منه التعجل بمعنى الاستعجال والتاخر بمعنى الاستئخار قال ذو الرمة فيا كرم السكن الذين تحملوا عن الدار والمستخلف المتبدل
اراد وبالوم ما استخلفته الدار واستبدلته وقيل هو ان يعطي رديا وياخذ جيدا وعن السدي ان يجعل شاة مهزولة
مكان سمينة وهذا ليس بتبدل انما هو تبديل الا ان يكارم صديقا له فياخذ منه عجفاء مكان سمينة من مال الصبي ولا تاكلوا
اموالهم الى اموالكم ولا تنفقوها معها وحقيقته ولا تضموها اليها في الانفاق حتى لا تفرقوا بين اموالكم واموالهم قلة مبالاة بما
لا يحل لكم وتسوية بينه وبين الحلال **فان قلت** قد حرم عليهم اكل مال اليتامى وحده ومع اموالهم فلم ورد النهي
عن اكله معها **قلت** لانهم اذا كانوا مستغنين عن اموال اليتامى بما رزقهم الله من مال حلال وهم على ذلك يطمعون فيها
كان القبح ابلغ والذم احق ولانهم كانوا يفعلون كذلك فنعى عليهم فعلهم وسمع بهم ليكون ازجر لهم والحوب الذنب العظيم
ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ان طلاق ام ايوب لحوب فكانه قيل انه كان ذنبا عظيما كبيرا وقرا الحسن حوبا بفتح الحاء وهو مصدر
حاب حوبا وقرئ حابا ونظيره الحوب والحاب القول والقال والطرد والطرد

وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلث ورباع فان خفتم الا تعدلوا فواحدة او ما ملكت ايمانكم ذلك ادنى الا تعولوا

لما نزلت الاية في اليتامى وما في اكل اموالهم من الحوب الكبير خاف الاولياء ان يلحقهم الحوب
بترك الاقساط في حقوق اليتامى واخذوا يتحرجون من ولايتهم وكان الرجل ربما كان تحته العشر من الازواج والثمان
والست فلا يقوم بحقوقهن ولا يعدل بينهن فقيل لهم ان خفتم ترك العدل في حقوق اليتامى فتحرجتم منها فخافوا ايضا
ترك العدل بين النساء فقللوا عدد المنكوحات لان من تحرج من ذنب او تاب عنه وهو مرتكب مثله فهو غير متحرج ولا تائب
لانه انما وجب ان يتحرج من الذنب ويتاب عنه لقبحه والقبح قائم في كل ذنب وقيل كانوا لا يتحرجون من الزنا وهم يتحرجون
من ولاية اليتامى فقيل ان خفتم الجور في حق اليتامى فخافوا الزنا فانكحوا ما حل لكم من النساء ولا تحوموا حول المحرمات وقيل
كان الرجل يجد اليتيمة لها مال وجمال او يكون وليها فيتزوجها ضنا بها عن غيره فربما اجتمعت عنده عشر منهن فيخاف
لضعفهن وفقد من يغضب لهن ان يظلمهن حقوقهن ويفرط فيما يجب لهن فقيل لهم ان خفتم ان لا تقسطوا في
يتامى النساء فانكحوا من غيرهن ما طاب لكم ويقال للاناث اليتامى كما يقال للذكور وهو جمع يتيمة على القلب كما قيل ايامى
والاصل ايائم ويتائم وقرا النخعي تقسطوا بفتح التاء على ان لا مزيدة مثلها في لئلا يعلم يريد وان خفتم ان تجوروا ما طاب
لكم ما حل لكم من النساء لان منهن ما حرم كاللاتي في اية التحريم وقيل ما ذهابا الى الصفة ولان الاناث من العقلاء يجرين مجرى
غير العقلاء ومنه قوله تعالى وما ملكت ايمانكم مثنى وثلاث ورباع معدولة عن اعداد مكررة وانما منعت الصرف لما فيها من
العدلين عدلها عن صيغها وعدلها عن تكررها وهي نكرات يعرفن بلام التعريف تقول فلان ينكح المثنى والثلاث والرباع ومحلهن
النصب على الحال مما طاب تقديره فانكحوا الطيبات لكم معدودات هذا العدد ثنتين ثنتين وثلاثا ثلاثا واربعا اربعا
فان قلت الذي اطلق للناكح في الجمع ان يجمع بين ثنتين او ثلاث او اربع فما معنى التكرير في مثنى وثلاث ورباع
قلت الخطاب للجميع فوجب التكرير ليصيب كل ناكح يريد الجمع ما اراد من العدد الذي اطلق له كما تقول للجماعة اقتسموا هذا
المال وهو الف درهم درهمين درهمين وثلاثة ثلاثة واربعة اربعة ولو افردت لم يكن له معنى **فان قلت**
فلم جاء العطف بالواو دون او **قلت** كما جاء بالواو في المثال الذي حذوته لك ولو ذهبت تقول اقتسموا
هذا المال درهمين درهمين او ثلاثة ثلاثة او اربعة اربعة اعلمت انه لا يسوغ لهم ان يقتسموه الا على احد انواع
هذه القسمة وليس لهم ان يجمعوا بينها فيجعلوا بعض القسم على تثنية وبعضه على تثليث وبعضه على تربيع وذهب معنى تجويز
الجمع بين انواع القسمة الذي دلت عليه الواو وتحريره ان الواو دلت على اطلاق ان ياخذ الناكحون من ارادوا
نكاحها من النساء على طريق الجمع ان شاءوا مختلفين في تلك الاعداد وان شاءوا متفقين فيها محظورا عليهم
ذلك وقرا ابراهيم وثلث وربع على القصر من ثلاث ورباع فان خفتم ان لا تعدلوا بين هذه الاعداد كما خفتم

الاختزال الاقتطاع ه

لان معنى التبدل الاخذ ومعنى التبديل الاعطاء

ترك العدل فيما فوقها فواحدة فالزموا او فاختاروا واحدة وذروا الجمع رأسا فان الامر كله يدور مع العدل فاينما وجدتم العدل فعليكم به وقرئ فواحدةٌ بالرفع على فالمقنع واحدة او فكفت واحدة او فحسبكم واحدة ﴿او ما ملكت ايمانكم﴾ سوى في السهولة واليسر بين الحرة الواحدة وبين الاماء من غير حصر ولا توقيت عدد ولعمري انهن اقل تبعة واقصر شغبا واخف مؤنة من المهاير لا عليك اكثرت منهن ام اقللت عدلت بينهن في القسم ام لم تعدل عزلت عنهن ام لم تعزل وقرأ ابن عبلة من ملكت ﴿ذلك﴾ اشارة الى اختيار الواحدة والتسري ﴿ادنى ان لا تعولوا﴾ اقرب من ان لا تميلوا من قولهم عال الميزان عولا اذا مال وميزان فلان عائل وعال الحاكم في حكمه اذا جار وروي ان اعرابيا حكم عليه حاكم فقال له اتعول علي وقد روت عائشة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا تعولوا ان لا تجوروا والذي يحكى عن الشافعي رحمه الله تعالى انه فسر ان لا تعولوا ان لا تكثر عيالكم فوجهه ان يجعل من قولك عال الرجل عياله يعولهم كقولك مانهم يمونهم اذا انفق عليهم لان من كثر عياله لزمه ان يعولهم وفي ذلك ما يصعب عليه المحافظة على حدود الورع وكسب الحلال والرزق الطيب وكلام مثله من اعلام العلم وائمة الشرع ورؤس المجتهدين حقيق بالحمل على الصحة والسداد وان لا يظن به تحريف تعيلوا الى تعولوا فقد روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا تظنن بكلمة خرجت من في اخيك سوءا وانت تجد لها في الخير محملا وكفى بكتابنا المترجم بكتاب شافي العي من كلام الشافعي شاهدا بانه كان اعلى كعبا واطول باعا في علم كلام العرب من ان يخفى عليه مثل هذا ولكن للعلماء طرقا واساليب فسلك في تفسير هذه الكلمة طريق الكنايات **فان قلت** كيف يقل عيال من تسرى وفي السراري نحو ما في المهاير **قلت** ليس كذلك لان الغرض بالتزوج التوالد والتناسل بخلاف التسري ولذلك جاز العزل عن السراري بغير اذنهن فكان التسري مظنة لقلة الولد بالاضافة الى التزوج كتزوج الواحدة بالاضافة الى تزوج الاربع وقرأ طاوس ان لا تعيلوا من اعال الرجل اذا كثر عياله وهذه القراءة تعضد تفسير الشافعي رحمه الله من حيث المعنى الذي قصده

﴿وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا﴾ صدقاتهن مهورهن وفي حديث شريح قضى ابن عباس رضي الله عنهما لها بالصدقة وقرئ صَدْقاتهن بفتح الصاد وسكون الدال على تخفيف صَدُقاتهن وصُدْقاتهن بضم الصاد وسكون الدال جمع صُدْقة بوزن غُرْفة وقرئ صُدُقتهن بضم الصاد والدال على التوحيد وهو تثقيل صُدْقة كقولك في ظُلْمة ظُلُمة ﴿نحلة﴾ من نحله كذا اذا اعطاه اياه ووهبه له عن طيبة من نفسه نحلة ونحلا ومنه حديث ابي بكر رضي الله عنه اني كنت نحلتك جداد عشرين وسقا بالعالية وانتصابها على المصدر لان النحلة والايتاء بمعنى الاعطاء فكأنه قيل وانحلوا النساء صدقاتهن نحلة اي اعطوهن مهورهن عن طيبة انفسكم او على الحال من المخاطبين اي آتوهن صدقاتهن ناحلين طيبي النفوس بالاعطاء او من الصدقات اي منحولة معطاة عن طيبة الانفس وقيل نحلة من الله عطية من عنده وتفضلا منه عليهن وقيل النحلة الملة ونحلة الاسلام خير النحل وفلان ينتحل كذا اي يدين به والمعنى آتوهن مهورهن ديانة على انها مفعول لها ويجوز ان يكون حالا من الصدقات اي دينا من الله تعالى شرعه وفرضه والخطاب للازواج وقيل للاولياء لانهم كانوا ياخذون مهور بناتهم وكانوا يقولون هنيئا لك النافجة لمن تولد له بنت يعنون تاخذ مهرها فتنفج به مالك اي تعظمه الضمير في منه جار مجرى اسم الاشارة كأنه قيل عن شيء من ذلك كما قال تعالى قل اؤنبئكم بخير من ذلكم بعد ذكر الشهوات ومن الحجج المسموعة من افواه العرب ما روي عن رؤبة انه قيل له في قوله • كأنه في الجلد توليع البهق • فقال اردت كأن ذاك او يرجع الى ما هو في معنى الصدقات وهو الصداق لانك لو قلت وآتوا النساء صداقهن لم تخل بالمعنى فهو نحو قوله فاصدق واكن من الصالحين كأنه قيل اصدق ونفسا تمييز وتوحيدها لان الغرض بيان الجنس والواحد يدل عليه والمعنى فان وهبن لكم شيئا من الصداق وتجافت عنه نفوسهن طيبات غير مخبثات بما يضطرهن الى الهبة من شكاسة اخلاقكم وسوء معاشرتكم فكلوه فانفقوه قالوا فان وهبت له ثم طلبت منه بعد الهبة علم انها لم تطب عنه نفسا • وعن الشعبي ان رجلا اتى مع امرأته شريحا في عطية اعطتها اياه وهي تطلب ان ترجع فقال شريح رد عليها فقال الرجل اليس قد قال الله تعالى فان طبن لكم فقال لو طابت نفسها عنه لما رجعت فيه وعنه اقيلها فيما وهبت ولا اقيله لانهن يخدعن • وحكي ان رجلا من آل ابي معيط اعطته امرأته الف دينار صداقا كان لها عليه فلبث شهرا ثم طلقها فخاصمته الى عبد الملك بن مروان فقال الرجل اعطتني طيبة بها نفسها فقال عبد الملك فاين الآية التي بعدها فلا تاخذوا منه شيئا اردد عليها • وعن ابن عباس ان رسول الله

صلى الله عليه وسلم سئل عن هذه الآية فقال اذا جادت لزوجها بالعطية طائعة غير مكرهة لا يقضي به عليكم سلطان ولا يؤاخذكم الله به في الآخرة • وروي ان ناسا كانوا يتأثمون ان يرجع احدهم في شيء مما ساق الى امرأته فقال الله تعالى ان طابت نفس واحدة من غير اكراه ولا خديعة فكلوه هنيئا سائغا وفي الآية دليل على ضيق المسلك في ذلك ووجوب الاحتياط حيث بنى الشرط على طيب النفس فقيل فان طبن ولم يقل فان وهبن او سمحن اعلاما بان المراعى هو تجافي النفس عن الموهوب طيبة وقيل فان طبن لكم عن شيء منه ولم يقل فان طبن لكم عنه بعثا لهن على تقليل الموهوب • وعن الليث بن سعد لا يجوز تبرعها الا باليسير • وعن الاوزاعي لا يجوز تبرعها ما لم تلد او تقم في بيت زوجها سنة • ويجوز ان يكون تذكير الضمير لينصرف الى الصداق الواحد فيكون متناولا بعضه ولو انث لتناول ظاهره هبة الصداق كله لان بعض الصدقات واحدة منها فصاعدا الهنيء والمريء صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ اذا كان سائغا لا تنغيص فيه وقيل الهنيء ما يلذه الآكل والمريء ما يحمد عاقبته وقيل هو ما ينساغ في مجراه وقيل لمدخل الطعام من الحلقوم الى فم المعدة المريء لمروء الطعام فيه وهو انسياغه وهما وصف للمصدر اي اكلا هنيئا مريئا او حال من الضمير اي كلوه وهو هنيء مريء وقد يوقف على فكلوه ويبتدأ هنيئا مريئا على الدعاء وعلى انهما صفتان اقيمتا مقام المصدرين كأنه قيل هنأ مرأ وهذه عبارة عن التحليل والمبالغة في الاباحة وازالة التبعة

﴿ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا﴾ السفهاء المبذرون اموالهم الذين ينفقونها فيما لا ينبغي ولا يدي لهم باصلاحها وتثميرها والتصرف فيها والخطاب للاولياء واضاف الاموال اليهم لانها من جنس ما يقيم به الناس معايشهم كما قال ولا تقتلوا انفسكم فمما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات والدليل على انه خطاب للاولياء في اموال اليتامى قوله وارزقوهم فيها واكسوهم جعل الله لكم قياما اي تقومون بها وتنتعشون ولو ضيعتموها لضعتم فكأنها في انفسكم قيامكم وانتعاشكم وقرئ قيما بمعنى قياما كما جاء عوذا بمعنى عياذا وقرأ عبد الله بن عمر قواما بالواو وقوام الشيء ما يقام به كقولك هو ملاك الامر لما يملك به وكان السلف يقولون المال سلاح المؤمن ولان اترك ما لا يحاسبني الله عليه خير من ان احتاج الى الناس • وعن سفيان وكانت له بضاعة يقلبها لولاها لتمندل بي بنو العباس • وعن غيره وقيل له انها تدنيك من الدنيا لئن ادنتني من الدنيا لقد صانتني عنها وكانوا يقولون اتجروا واكتسبوا فانكم في زمان اذا احتاج احدكم كان اول ما ياكل دينه وربما رأوا رجلا في جنازة فقالوا له اذهب الى دكانك ﴿وارزقوهم فيها﴾ واجعلوها مكانا لرزقهم بان تتجروا فيها وتتربحوا حتى تكون نفقتهم من الارباح لا من صلب المال فلا ياكلها الانفاق وقيل هو امر لكل احد ان لا يخرج ماله الى احد من السفهاء قريب او اجنبي رجل او امرأة يعلم انه يضعه فيما لا ينبغي ويفسده ﴿قولا معروفا﴾ قال ابن جريج عدة جميلة ان صلحتم ورشدتم سلمنا اليكم اموالكم • وعن عطاء اذا ربحت اعطيتك وان غنمت في غزاتي جعلت لك حظا وقيل ان لم يكن ممن وجبت عليك نفقته فقل عافانا الله واياك بارك الله فيك وكل ما سكنت اليه النفس واحبته لحسنه عقلا او شرعا من قول او عمل فهو معروف وما انكرته ونفرت منه لقبحه فهو منكر •

﴿وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم ولا تاكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فلياكل بالمعروف فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم وكفى بالله حسيبا﴾ • وابتلوا اليتامى واختبروا عقولهم وذوقوا احوالهم ومعرفتهم بالتصرف قبل البلوغ حتى اذا تبينتم منهم رشدا اي هداية دفعتم اليهم اموالهم من غير تاخير عن حد البلوغ وبلوغ النكاح ان يحتلم لانه يصلح للنكاح عنده ولطلب ما هو مقصود به وهو التوالد والايناس الاستيضاح فاستعير للتبيين واختلف في الابتلاء والرشد فالابتلاء عند ابي حنيفة واصحابه ان يدفع اليه ما يتصرف فيه حتى يستبين حاله فيما يجيء منه والرشد التهدي الى وجوه التصرف وعن ابن عباس رضي الله عنهما الصلاح في العقل والحفظ للمال وعند مالك والشافعي الابتلاء ان يتتبع احواله وتصرفه في الاخذ والاعطاء ويتبصر مخايله وميله الى الدين والرشد الصلاح في الدين لان الفسق مفسدة للمال **فان قلت** فان لم يؤنس منه رشد الى حد البلوغ **قلت** عند ابي حنيفة رحمه الله تعالى ينتظر الى خمس وعشرين سنة لان مدة بلوغ الذكر عنده بالسن ثماني عشرة سنة فاذا زادت عليها سبع سنين وهي مدة معتبرة في تغير احوال الانسان لقوله صلى الله عليه وسلم

مروهم بالصلوة لسبع دفع اليه ماله وان لم يونس منه رشدا او لم يونس وعند اصحابه لا يدفع اليه الا بايناس الرشد **فان قلت** ما معنى تنكير الرشد **قلت** معناه نوعا من الرشد وهو الرشد في التصرف والتجارة او طرفا من الرشد ومخيلة من مخايله حتى لا ينتظر به تمام الرشد **فان قلت** كيف نظم هذا الكلام **قلت** ما بعد حتى الى فادفعوا اليهم اموالهم جعل غاية للابتلاء وهي حتى التي تقع بعدها الجمل كالتي في قوله • فما زالت القتلى تمج دماءها • بدجلة حتى ماء دجلة اشكل • والجملة الواقعة بعدها جملة شرطية لان اذا متضمنة معنى الشرط وفعل الشرط بلغوا النكاح وقوله فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم جملة من شرط وجزاء واقعة جوابا للشرط الاول الذي هو اذا بلغوا النكاح فكانه قيل وابتلوا اليتامى الى وقت بلوغهم واستحقاقهم دفع اموالهم اليهم بشرط ايناس الرشد منهم وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه فان احستم بمعنى احسستم قال • احسن به فهن اليه شوس • وقرئ رشدا بفتحتين ورشدا بضمتين • اسرافا وبدارا مسرفين ومبادرين كبرهم او لاسرافكم ومبادرتكم كبرهم تفرطون في انفاقها وتقولون ننفق كما نشتهي قبل ان يكبر اليتامى فينتزعوها من ايدينا ثم قسم الامر بين ان يكون الوصي غنيا وبين ان يكون فقيرا فالغني يستعف من اكلها ولا يطمع ويقتنع بما رزقه الله من الغنى اشفاقا على اليتيم وابقاء على ماله والفقير ياكل قوتا مقدرا محتاطا في تقديره على وجه الاجرة او استقراضا على ما في ذلك من الاختلاف ولفظ الاكل بالمعروف والاستعفاف مما يدل على ان للوصي حقا لقيامه عليها • وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا قال له ان في حجري يتيما افآكل من ماله قال بالمعروف غير متاثل مالا ولا واق مالك بماله فقال افاضربه قال مما كنت ضاربا منه ولدك • وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان ولي اليتيم قال له افاشرب من لبن ابله قال ان كنت تبغي ضالتها وتلوط حوضها وتهنأ جرباها وتسقيها يوم وردها فاشرب غير مضر بنسل ولا ناهك في الحلب • وعنه يضرب بيده مع ايديهم فلياكل بالمعروف ولا يلبس عمامة فما فوقها • وعن ابراهيم لا يلبس الكتان والحلل ولكن ما سد الجوعة ووارى العورة • وعن محمد بن كعب يتقرم تقرم البهمة وينزل نفسه منزلة الاجير فيما لا بد منه • وعن الشعبي ياكل من ماله بقدر ما يعين فيه • وعنه كالميتة يتناول عند الضرورة ويقضي • وعن مجاهد يستسلف فاذا ايسر ادى • وعن سعيد بن جبير ان شاء شرب فضل اللبن وركب الظهر ولبس ما يستره من الثياب واخذ القوت ولا يجاوزه فان ايسر قضاه وان اعسر فهو في حل • وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه اني انزلت نفسي من مال الله منزلة والي اليتيم ان استغنيت استعففت وان افتقرت اكلت بالمعروف واذا ايسرت قضيت واستعف ابلغ من عف كانه طالب زيادة العفة • فاشهدوا عليهم بانهم تسلموها وقبضوها وبرئت عنها ذممكم وذلك ابعد من التخاصم والتجاحد وادخل في الامانة وبراءة الساحة الا ترى انه اذا لم يشهد فادعي عليه صدق مع اليمين عند ابي حنيفة واصحابه رحمهم الله تعالى وعند مالك والشافعي رحمهما الله تعالى لا يصدق الا بالبينة فكان في الاشهاد الاستحراز من توجه الحلف المفضي الى التهمة او من وجوب الضمان اذا لم يقم البينة • وكفى بالله حسيبا اي كافيا في الشهادة عليكم بالدفع والقبض او محاسبا فعليكم بالتصادق واياكم والتكاذب • **للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه او كثر نصيبا مفروضا** • الاقربون هم المتوارثون من ذوي القرابات دون غيرهم مما قل منه او كثر بدل مما ترك بتكرير العامل ونصيبا مفروضا نصب على الاختصاص بمعنى اعني نصيبا مفروضا مقطوعا واجبا لا بد لهم من ان يحوزوه ولا يستاثر به ويجوز ان ينتصب انتصاب المصدر المؤكد كقوله فريضة من الله كانه قيل قسمة مفروضة • روي ان اوس بن صامت الانصاري ترك امراته ام كحة وثلاث بنات فزوى ابناء عمه سويد وعرفطة او قتادة وعرفجة ميراثه عنهن وكان اهل الجاهلية لا يورثون النساء والاطفال ويقولون لا يرث الا من طاعن بالرماح وذاد عن الحوزة وحاز الغنيمة فجاءت ام كحة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد الفضيخ فشكت اليه فقال ارجعي حتى انظر ما يحدث الله تعالى فنزلت فبعث اليهما لا تفرقا من مال اوس شيئا فان الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين حتى يبين فنزلت يوصيكم الله فاعطى ام كحة الثمن والبنات الثلثين والباقي ابني العم • **واذا حضر القسمة اولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا** • واذا حضر القسمة اي قسمة التركة اولوا القربى ممن لا يرث فارزقوهم منه الضمير لما ترك الوالدان والاقربون وهو امر على الندب قال الحسن كان المؤمنون يفعلون ذلك اذا اجتمعت الورثة حضرهم هؤلاء فرضخوا لهم بالشيء من رثة المتاع فحضهم الله تعالى على ذلك تاديبا من غير ان يكون فريضة قالوا ولو كان فريضة لضرب له حد ومقدار كما لغيره من الحقوق • وروي ان عبد الله

ابن عبد الرحمن بن ابي بكر رضي الله عنه قسم ميراث ابيه وعائشة رضي الله عنها حية فلم يدع في الدار احدا الا اعطاه وتلا هذه الآية وقيل هو الوجوب وقيل هو منسوخ باية المواريث كالوصية • وعن سعيد بن جبير ان ناسا يقولون نسخت والله ما نسخت ولكنها مما تهاون به الناس • والقول المعروف ان يلطفوا لهم القول ويقولوا خذوا بارك الله عليكم ويعتذروا اليهم ويستقلوا ما اعطوهم ولا يستكثروه ولا يمنوا عليهم • وعن الحسن النخعي ادركنا الناس وهم يقسمون على القرابات والمساكين واليتامى من العين يعنيان الورق والذهب فاذا قسم الورق والذهب وصارت القسمة الى الارضين والرقيق وما اشبه ذلك قالوا لهم قولا معروفا كانوا يقولون لهم بورك فيكم • **وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا** لو مع ما في حيزه صلة للذين والمراد بهم الاوصياء امروا بان يخشوا الله فيخافوا على من في حجورهم من اليتامى ويشفقوا عليهم خوفهم على ذريتهم لو تركوهم ضعافا وشفقتهم عليهم وان يقدروا ذلك في انفسهم ويصوروه حتى لا يجسروا على خلاف الشفقة والرحمة • ويجوز ان يكون المعنى وليخشوا على اليتامى من الضياع وقيل هم الذين يجلسون الى المريض فيقولون ان ذريتك لا يغنون عنك من الله شيئا فقدم مالك فيستغرقه بالوصايا فامروا بان يخشوا ربهم ويخشوا على اولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على اولاد انفسهم لو كانوا • ويجوز ان يتصل بما قبله وان يكون امرا للورثة بالشفقة على الذين يحضرون القسمة من ضعفاء اقاربهم واليتامى والمساكين وان يتصوروا انهم لو كانوا اولادهم بقوا خلفهم ضائعين محتاجين هل كانوا يخافون عليهم الحرمان والخيبة **فان قلت** ما معنى وقوع لو تركوا وجوابه صلة للذين **قلت** معناه وليخش الذين صفتهم وحالهم انهم لو شارفوا ان يتركوا خلفهم ذرية ضعافا وذلك عند احتضارهم خافوا عليهم الضياع بعدهم لذهاب كافلهم وكاسبهم كما قال القائل • لقد زاد الحيوة الي حبا • بناتي انهن من الضعاف • احاذر ان يرين البؤس بعدي • وان يشربن رنقا بعد صاف • وقرئ ضعفاء وضعافى وضعافى نحو سكارى وسكارى • والقول السديد من الاوصياء ان لا يؤذوا اليتامى ويكلموهم كما يكلمون اولادهم بالادب الحسن والترحيب ويدعوهم بيا بني ويا ولدي • ومن الجالسين الى المريض ان يقولوا له اذا اراد الوصية لا تسرف في وصيتك فتجحف باولادك مثل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد انك ان تترك ولدك اغنياء خير من ان تدعهم عالة يتكففون الناس وكان الصحابة رضي الله عنهم يستحبون ان لا تبلغ الوصية الثلث وان الخمس افضل من الربع والربع من الثلث • ومن المتقاسمين ميراثهم ان يلطفوا القول ويجملوه للحاضرين • **ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا** • ظلما ظالمين او على وجه الظلم من اولياء السوء وقضاته في بطونهم ملء بطونهم يقال اكل فلان في بطنه وفي بعض بطنه قال • كلوا في بعض بطنكم تعفوا • ومعنى ياكلون نارا ياكلون ما يجر الى النار فكانه نار في الحقيقة • وروي انه يبعث آكل مال اليتيم يوم القيامة والدخان يخرج من قبره ومن فيه وانفه واذنيه وعينيه فيعرف الناس انه كان ياكل مال اليتيم في الدنيا وقرئ سيصلون بضم الياء وتخفيف اللام وتشديدها سعيرا نارا من النيران مبهمة الوصف • **يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وان كانت واحدة فلها النصف ولابويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فلامه الثلث فان كان له اخوة فلامه السدس من بعد وصية يوصي بها او دين اباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا فريضة من الله ان الله كان عليما حكيما** • يوصيكم الله يعهد اليكم ويامركم في اولادكم في شان ميراثهم بما هو العدل والمصلحة وهذا اجمال تفصيله للذكر مثل حظ الانثيين **فان قلت** هلا قيل للانثيين مثل حظ الذكر او للانثى نصف حظ الذكر **قلت** ليبدأ ببيان حظ الذكر لفضله كما ضوعف حظه لذلك ولان قوله للذكر مثل حظ الانثيين قصد الى بيان فضل الذكر وقولك للانثيين مثل حظ الذكر قصد الى بيان نقص الانثى وما كان قصدا الى بيان فضله كان ادل على فضله من القصد الى بيان نقص غيره عنه ولانهم كانوا يورثون الذكور دون الاناث وهو السبب لورود الآية فقيل كفى الذكور ان ضوعف لهم نصيب الاناث فلا يتمادى في حظهن حتى يحرمن مع ادلائهن من القرابة بمثل ما يدلون به **فان قلت** فان حظ الانثيين الثلثان فكانه قيل للذكر الثلثان **قلت** اريد حال الاجتماع لا الانفراد اي اذا اجتمع الذكر والانثيان كان له سهمان كما ان لهما سهمين واما في حال الانفراد فالابن ياخذ المال كله والبنتان

تأخذان الثلثين والدليل على أن الغرض حكم الاجتماع أنه اتبعه حكم الانفراد وهو قوله فان كن نساء فوق
اثنتين فلهن ثلثا ما ترك والمعنى للذكر منهم أي من أولادكم فحذف الراجع اليه لأنه مفهوم كقولهم السمن منوان بدرهم
فان كن نساء فان كانت البنات أو المولودات نساء خلصا ليس معهن رجل يعني بنات ليس معهن ابن فوق
اثنتين يجوز أن يكون خبرا ثانيا لكان وأن يكون صفة لنساء أي نساء زائدات على اثنتين وان كانت واحدة
وان كانت البنت أو المولودة منفردة فذة ليس معها أخرى فلها النصف وقرئ واحدة بالرفع على كان التامة والقراءة
بالنصب أوفق لقوله فان كن نساء وقرأ زيد بن ثابت رضي الله عنه النصف بالضم والضمير في ترك للميت لأن
الآية لما كانت في الميراث علم أن التارك هو الميت **فان قلت** قوله للذكر مثل حظ الانثيين كلام مسوق
لبيان حظ الذكر من الأولاد لا لبيان حظ الانثيين فكيف صح أن يردف قوله فان كن نساء وهو لبيان حظ الاناث
قلت وان كان مسوقا لبيان حظ الذكر الا أنه لما فقه منه وتبين حظ الانثيين مع أخيهما كان كأنه مسوق للأمرين
جميعا فلذلك صح أن يقال فان كن نساء **فان قلت** هل يصح أن يكون الضميران في كن وكانت مبهمين ويكون
نساء وواحدة تفسيرا لهما على أن كان تامة **قلت** لا أبعد ذلك **فان قلت** لم قيل فان كن نساء
ولم يقل وان كانت امرأة **قلت** لأن الغرض ثم خلوصهن اناثا لا ذكر فيهن ليميز بين ما ذكر من اجتماعهن مع الذكور
في قوله للذكر مثل حظ الانثيين وبين انفرادهن وأريد ههنا أن يميز بين كون البنت مع غيرها وبين كونها وحدها لا قرينة لها
فان قلت قد ذكر حكم البنتين في حال اجتماعهما مع الابن وحكم البنات والبنت في حال الانفراد ولم يذكر
حكم البنتين في حال الانفراد فما حكمهما وما باله لم يذكر **قلت** أما حكمهما فمختلف فيه فابن عباس أبى تنزيلهما منزلة
الجماعة لقوله تعالى فان كن نساء فوق اثنتين فأعطاهما حكم الواحدة وهو ظاهر مكشوف وأما سائر الصحابة فقد
أعطوهما حكم الجماعة والذي يعلل به قولهم أن قوله للذكر مثل حظ الانثيين قد دل على أن حكم الانثيين حكم الذكر وذلك
أن الذكر كما يحوز الثلثين مع الواحدة فالانثيان كذلك يحوزان الثلثين فلما ذكر ما دل على حكم الانثيين قيل فان كن
نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك على معنى فان كن جماعة بالغات ما بلغن من العدد فلهن ما للانثيين وهو الثلثان
لا يتجاوزنه لكثرتهن ليعلم أن حكم الجماعة حكم الثنتين بغير تفاوت وقيل ان البنتين أمس رحما بالميت من الأختين
فأوجبوا لهما ما أوجب الله تعالى للأختين ولم يروا أن يقصروا بهما عن حظ من هو أبعد رحما منهما وقيل ان البنت لما
وجب لها مع أخيها الثلث كانت أحرى أن يجب لها الثلث اذا كانت مع أخت مثلها ويكون لأختها معها مثل ما كان يجب
لها أيضا مع أخيها لو انفردت معه فوجب لهما الثلثان ولأبويه الضمير للميت ولكل واحد منهما بدل من لأبويه بتكرير العامل
وفائدة هذا البدل أنه لو قيل ولأبويه الثلث لكان ظاهره الاشتراك فيه ولو قيل ولأبويه السدسان لأوهم قسمة
السدسين عليهما على التسوية وعلى خلافها **فان قلت** فهلا قيل ولكل واحد من أبويه السدس وأي فائدة في
ذكر الأبوين أولا ثم في الابدال منهما **قلت** لأن في الابدال والتفصيل بعد الاجمال تأكيدا وتشديدا كالذي تراه
في الجمع بين المفسر والتفسير والسدس مبتدأ وخبره لأبويه والبدل متوسط بينهما للبيان وقرأ الحسن ونعيم بن ميسرة
السدس بالتخفيف وكذلك الثلث والربع والثمن والولد يقع على الذكر والأنثى ويختلف حكم الأب في ذلك فان كان
ذكرا اقتصر بالأب على السدس وان كان أنثى عصب مع اعطاء السدس **فان قلت** قد بين حكم الأبوين في
الارث مع الولد ثم حكمهما مع عدمه فهلا قيل فان لم يكن له ولد فلأمه الثلث وأي فائدة في قوله وورثه أبواه **قلت**
معناه فان لم يكن له ولد وورثه أبواه فحسب فلأمه الثلث مما ترك لأنه اذا ورثه أبواه مع أحد الزوجين كان للأم ثلث
ما بقي بعد اخراج نصيب الزوج لا ثلث ما ترك الا عند ابن عباس والمعنى أن الأبوين اذا خلصا تقاسما الميراث للذكر مثل
حظ الانثيين **فان قلت** ما العلة في أن كان لها ثلث ما بقي دون ثلث المال **قلت** فيه وجهان
أحدهما أن الزوج انما استحق ما يسهم له بحق العقد لا بالقرابة فأشبه الوصية في قسمة ما وراءه والثاني أن الأب أقوى
في الارث من الأم بدليل أنه يضعف عليها اذا خلصا ويكون صاحب فرض وعصبة وجامعا بين الأمرين فلو ضرب لها الثلث
كملا لأدى الى حط نصيبه عن نصيبها ألا ترى أن امرأة لو تركت زوجا وأبوين فصار للزوج النصف وللأم الثلث والباقي
للأب حازت الأم سهمين والأب سهما واحدا فينقلب الحكم الى أن يكون للأنثى مثل حظ الذكرين فان كان له اخوة فلأمه السدس

الاخوة

الاخوة يحجبون الأم عن الثلث وان كانوا لا يرثون مع الأب فلها السدس وللأب خمسة الأسداس ويستوي في الحجب الاثنان
فصاعدا الا عند ابن عباس وعنه أنهم يأخذون السدس الذي حجبوا عنه الأم **فان قلت** فكيف صح أن
يتناول الاخوة الأخوين والجمع خلاف التثنية **قلت** الاخوة تفيد معنى الجمعية المطلقة بغير كمية والتثنية كالتثليث
والتربيع في افادة الكمية وهذا موضع الدلالة على الجمع المطلق فدل بالاخوة عليه وقرئ فلإمه بكسر الهمزة اتباعا للجرة ألا تراها
لا تكسر في قوله تعالى وجعلنا ابن مريم وأمه آية من بعد وصية متعلق بما تقدم من قسمة المواريث كلها لا بما يليه وحده
كأنه قيل قسمة هذه الأنصباء من بعد وصية يوصي بها بالتخفيف والتشديد ويوصى بها على البناء للمفعول مخففا
فان قلت ما معنى أو **قلت** معناها الاباحة وأنه ان كان أحدهما أو كلاهما قدم على قسمة الميراث كقولك
جالس الحسن أو ابن سيرين **فان قلت** لم قدمت الوصية على الدين والدين مقدم عليها في الشريعة **قلت**
لما كانت الوصية مشبهة للميراث في كونها مأخوذة من غير عوض كان اخراجها مما يشق على الورثة ويتعاظمهم ولا تطيب أنفسهم بها
فكان أداؤها مظنة للتفريط بخلاف الدين فان نفوسهم مطمئنة الى أدائه فلذلك قدمت على الدين بعثا على وجوبها والمسارعة الى
اخراجها مع الدين ولذلك جيء بكلمة أو للتسوية بينهما في الوجوب ثم أكد ذلك ورغب فيه بقوله آباؤكم وأبناؤكم أي لا تدرون
من أنفع لكم من آبائكم وأبنائكم الذين يموتون أمن أوصى منهم أم من لم يوص يعني أن من أوصى ببعض ماله فعرضكم لثواب الآخرة بامضاء
وصيته فهو أقرب لكم نفعا وأحضر جدوى ممن ترك الوصية فوفر عليكم عرض الدنيا وجعل ثواب الآخرة أقرب وأحضر من عرض
الدنيا ذهابا الى حقيقة الأمر لأن عرض الدنيا وان كان عاجلا قريبا في الصورة الا أنه فان فهو في الحقيقة الأبعد الأقصى
وثواب الآخرة وان كان آجلا الا أنه باق فهو في الحقيقة الأقرب الأدنى وقيل ان الابن ان كان أرفع درجة من أبيه
في الجنة سأل أن يرفع أبوه اليه فيرفع وكذلك الأب ان كان أرفع درجة من ابنه سأل أن يرفع ابنه اليه فأنتم لا تدرون في الدنيا
أيهم أقرب لكم نفعا وقيل فرض الله الفرائض على ما هو عنده حكمة ولو وكل ذلك اليكم لم تعلموا أيهم لكم أنفع فوضعتم أنتم الأموال
على غير حكمة وقيل الأب يجب عليه النفقة على الابن اذا احتاج وكذلك الابن اذا كان محتاجا فهما في النفع بالنفقة لا يدرى
أيهما أقرب نفعا وليس شيء من هذه الأقاويل بملائم للمعنى ولا مجاوب له لأن هذه الجملة اعتراضية ومن حق الاعتراض أن يؤكد
ما اعترض بينه ويناسبه والقول ما تقدم فريضة نصبت نصب المصدر المؤكد أي فرض ذلك فرضا ان الله كان عليما
بمصالح خلقه حكيما في كل ما فرض وقسم من المواريث وغيرها ولكم نصف ما ترك أزواجكم ان لم يكن لهن ولد
فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين ولهن الربع مما تركتم ان لم
يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين وان كان
رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس فان كانوا أكثر من ذلك
فهم شركاء في الثلث من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار وصية من
الله والله عليم حليم فان كان لهن ولد منكم أو من غيركم جعلت المرأة على النصف من الرجل بحق الزواج كما جعلت
كذلك بحق النسب والواحدة والجماعة سواء في الربع والثمن وان كان رجل يعني الميت ويورث من ورث أي يورث منه
وهو صفة لرجل وكلالة خبر كان أي وان كان رجل موروث منه كلالة أو يجعل يورث خبر كان وكلالة حال من الضمير في يورث
وقرئ يورث ويورّث بالتخفيف والتشديد على البناء للفاعل وكلالة حال أو مفعول به **فان قلت** ما الكلالة
قلت تنطلق على ثلاثة على من لم يخلف ولدا ولا والدا وعلى من ليس بولد ولا والد من المخلفين وعلى القرابة من غير جهة
الولد والوالد ومنه قولهم ما ورث المجد عن كلالة كما تقول ما صمت عن عي وما كف عن جبن والكلالة في الأصل مصدر بمعنى الكلال
وهو ذهاب القوة من الاعياء قال الأعشى فآليت لا أرثي لها من كلالة ولا من حفى حتى تلاقي محمدا فاستعيرت للقرابة
من غير جهة الولد والوالد لأنها بالاضافة الى قرابتهما كالة ضعيفة واذا جعل صفة للموروث أو الوارث فبمعنى ذي كلالة
كما تقول فلان من قرابتي تريد من ذوي قرابتي ويجوز أن يكون صفة كالهجاجة والفقاقة للأحمق **فان قلت**
فان جعلتها اسما للقرابة في الآية فعلام تنصبها **قلت** على أنها مفعول له أي يورث لأجل الكلالة أو يورث غيره
لأجلها **فان قلت** فان جعلت يورث على البناء للمفعول من أورث فما وجهه **قلت** الرجل حينئذ هو الوارث
لا الموروث **فان قلت** فالضمير في قوله فلكل واحد منهما الى من يرجع حينئذ **قلت** الى الرجل والى أخيه أو أخته

وعلى الاول اليهما فان قلت اذا رجع الضمير اليهما افاد استواءهما في حيازة السدس من غير مفاضلة الذكر على الانثى
فهل تبقى هذه الفائدة قائمة في هذا الوجه قلت نعم لانك اذا قلت السدس له او لواحد من الاخ او الاخت على التخيير فقد
سويت بين الذكر والانثى وعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه سئل عن الكلالة فقال اقول فيه برأيي فان كان صوابا
فمن الله تعالى وان كان خطأ فمني ومن الشيطان والله منه بريء الكلالة ما خلا الولد والوالد وعن عطاء والضحاك
ان الكلالة هو الموروث وعن سعيد بن جبير هو الوارث وقد اجمعوا على ان المراد اولاد الام وتدل عليه قراءة ابيّ وله اخ
او اخت من الام وقراءة سعد بن ابي وقاص وله اخ او اخت من ام وقيل انما استدل على ان الكلالة ههنا الاخوة
للام خاصة بما ذكر في آخر السورة من ان للاختين الثلثين وان للاخوة كل المال فعلم ههنا لما جعل للواحد السدس وللاثنين
الثلث ولم يزادوا على الثلث شيئا انه يعني بهم الاخوة للام والا فالكلالة عامة لمن عدا الولد والوالد من سائر الاخوة
الاخياف والاعيان واولاد العلات وغيرهم غير مضار حال اي يوصي بها وهو غير مضار لورثته وذلك ان يوصي بزيادة
على الثلث او يوصي بالثلث فما دونه ونيته مضارة ورثته ومغاضبتهم لا وجه الله تعالى وعن قتادة كره الله تعالى
الضرار في الحيوة وعند الممات ونهى عنه وعن الحسن المضارة في الدين ان يوصي بدين ليس عليه ومعناه الاقرار وصية
من الله مصدر مؤكد اي يوصيكم وصية كقوله فريضة من الله ويجوز ان تكون منصوبة بغير مضار اي لا يضار وصية من الله
وهو الثلث فما دونه بزيادته على الثلث او وصية من الله بالاولاد وان يدعهم عالة باسرافه في الوصية وينصر هذا
الوجه قراءة الحسن غير مضار وصية من الله بالاضافة والله عليم بمن جار او عدل في وصيته حليم عن الجائر لا يعاجله وهذا
وعيد فان قلت فيمن يوصي ضمير الرجل اذا جعلته الموروث فكيف تعمل اذا جعلته الوارث قلت
كما عملت في قوله تعالى فلهن ثلثا ما ترك لانه علم ان التارك والموصي هو الميت فان قلت فاين ذو الحال فيمن
قرأ يوصى بها على ما لم يسم فاعله قلت يضمر يوصي فينتصب عن فاعله لانه لما قيل يوصى بها علم ان ثم موصيا كما قال
يسبح له فيها بالغدو والاصال على ما لم يسم فاعله فعلم ان ثم مسبحا فاضمر يسبح فكما كان رجال فاعل ما يدل عليه يسبح
كان غير مضار حالا عما يدل عليه يوصى بها تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله
ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين تلك اشارة الى الاحكام
التي ذكرت في باب اليتامى والوصايا والمواريث وسماها حدودا لان الشرائع كالحدود المضروبة الموقتة للمكلفين
لا يجوز لهم ان يتجاوزوها ويتخطوها الى ما ليس لهم بحق يدخله قرئ بالياء والنون وكذلك ندخله نارا وقيل يدخله وخالدين
حملا على لفظ من ومعناه وانتصب خالدين وخالدا على الحال فان قلت هل يجوز ان يكونا صفتين لجنات ونارا
قلت لا لانهما جريا على غير من هما له فلا بد من الضمير وهو قولك خالدين هم فيها وخالدا هو فيها واللاتي
يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن اربعة منكم فان شهدوا فامسكوهن
في البيوت حتى يتوفاهن الموت او يجعل الله لهن سبيلا يأتين الفاحشة يرهقنها يقال
اتى الفاحشة وجاءها وغشيها ورهقها بمعنى وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه يأتين بالفاحشة والفاحشة الزنا
لزيادتها في القبح على كثير من القبائح فامسكوهن في البيوت فخلدوهن محبوسات في بيوتكم وكان ذلك
عقوبتهن في اول الاسلام ثم نسخ بقوله تعالى الزانية والزاني الآية ويجوز ان تكون غير منسوخة بان يترك ذكر الحد
لكونه معلوما بالكتاب والسنة ويوصي بامساكهن في البيوت بعد ان يحددن صيانة لهن عن مثل ما جرى عليهن بسبب
الخروج من البيوت والتعرض للرجال او يجعل الله لهن سبيلا هو النكاح الذي يستغنين به عن السفاح وقيل
السبيل هو الحد لانه لم يكن مشروعا ذلك الوقت فان قلت ما معنى يتوفاهن الموت والتوفي والموت
بمعنى واحد كانه قيل او يميتهن الموت قلت يجوز ان يراد حتى يتوفاهن ملائكة الموت كقوله الذين تتوفاهم الملائكة
ان الذين توفاهم الملائكة قل يتوفاكم ملك الموت او حتى يأخذهن الموت ويستوفي ارواحهن واللذان
يأتيانها منكم فآذوهما فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما ان الله كان توابا رحيما
واللذان يأتيانها منكم يريد الزاني والزانية فآذوهما فوبخوهما وذموهما وقولوا لهما اما استحييتما اما خفتما الله تعالى

الاخياف الاخوة والاخوات للام والاعيان للاب والام والعلات للاب ه

فان

فان تابا واصلحا وغيرا الحال فاعرضوا عنهما واقطعوا التوبيخ والمذمة فان التوبة تمنع استحقاق الذم والعقاب ويحتمل
ان يكون خطابا للشهود العاثرين على سرهما ويراد بالايذاء ذمهما وتعنيفهما وتهديدهما بالرفع الى الامام والحد فان تابا
قبل الرفع الى الامام فاعرضوا عنهما ولا تتعرضوا لهما وقيل نزلت الاولى في السحاقات وهذه في اللواطين وقرئ واللذان
بتشديد النون واللذأن بالهمزة وتشديد النون انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة
ثم يتوبون من قريب فاولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما التوبة من تاب الله عليه
اذا قبل توبته وغفر له يعني انما القبول والغفران واجب على الله لهؤلاء بجهالة في موضع الحال اي يعملون السوء جاهلين
سفهاء لان ارتكاب القبيح مما يدعو اليه السفه والشهوة لا مما تدعو اليه الحكمة والعقل وعن مجاهد من عصى الله تعالى فهو
جاهل حتى ينزع عن جهالته من قريب من زمان قريب والزمان القريب ما قبل حضرة الموت الا ترى الى قوله حتى اذا حضر
احدهم الموت فبين ان الاحتضار هو الوقت الذي لا تقبل فيه التوبة فبقي ما وراء ذلك في حكم القريب وعن ابن عباس
رضي الله عنهما قبل ان ينزل به سلطان الموت وعن الضحاك كل توبة قبل الموت فهو قريب وعن النخعي ما لم يؤخذ بكظمه
وروى ابو ايوب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر وعن عطاء ولو قبل موته
بفواق ناقة وعن الحسن ان ابليس قال حين اهبط الى الارض وعزتك لا افارق ابن آدم ما دام روحه في جسده فقال
وعزتي لا اغلق عليه باب التوبة ما لم يغرغر فان قلت ما معنى من في قوله من قريب قلت معناه التبعيض
اي يتوبون بعض زمان قريب كانه سمى ما بين وجود المعصية وبين حضرة الموت زمانا قريبا ففي اي جزء تاب من اجزاء
هذا الزمان فهو تائب من قريب والا فهو تائب من بعيد فان قلت ما فائدة قوله فاولئك يتوب الله عليهم بعد قوله
انما التوبة على الله لهم قلت قوله انما التوبة على الله اعلام بوجوبها عليه كما يجب على العبد بعض الطاعات وقوله
فاولئك يتوب الله عليهم عدة بانه يفي بما وجب عليه واعلام بان الغفران كائن لا محالة كما يعد العبد الوفاء بالواجب
وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن ولا
الذين يموتون وهم كفار اولئك اعتدنا لهم عذابا اليما ولا الذين يموتون عطف على الذين يعملون
السيئات سوى بين الذين سوفوا توبتهم الى حضرة الموت وبين الذين ماتوا على الكفر في انه لا توبة لهم لان حضرة الموت
اول احوال الآخرة فكما ان المائت على الكفر قد فاتته التوبة على اليقين فكذلك المسوف الى حضرة الموت لمجاوزة كل واحد منهما
اوان التكليف والاختيار اولئك اعتدنا لهم في الوعيد نظير قوله فاولئك يتوب الله عليهم في الوعد ليتبين ان الامرين كائنان
لا محالة فان قلت من المراد بالذين يعملون السيئات اهم الفساق من اهل القبلة ام الكفار قلت فيه وجهان
احدهما ان يراد الكفار لظاهر قوله وهم كفار وان يراد الفساق لان الكلام انما وقع في الزانيين والاعراض عنهما ان تابا
واصلحا ويكون قوله وهم كفار واردا على سبيل التغليظ كقوله ومن كفر فان الله غني عن العالمين وقوله صلى الله عليه وسلم
فليمت ان شاء يهوديا او نصرانيا من ترك الصلوة متعمدا فقد كفر لان من كان مصدقا ومات وهو لا يحدث نفسه بالتوبة
حاله قريبة من حال الكافر لانه لا يجترئ على ذلك الا قلب مصمت يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا
النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن الا ان يأتين بفاحشة مبينة
وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا
كثيرا وان اردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا
اتأخذونه بهتانا واثما مبينا وكيف تأخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض واخذن منكم ميثاقا
غليظا ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف انه كان فاحشة ومقتا وساء
سبيلا كانوا يبلون النساء بضروب من البلايا ويظلمونهن بانواع من الظلم فزجروا عن ذلك كان الرجل اذا مات
له قريب من اب او اخ او حميم عن امرأة ألقى ثوبه عليها وقال انا احق بها من كل احد فقيل لا يحل لكم ان ترثوا النساء
اي ان تأخذوهن على سبيل الارث كما تحاز المواريث وهن كارهات لذلك او مكرهات وقيل كان يمسكها حتى تموت
فقيل لا يحل لكم ان تمسكوهن حتى ترثوا منهن وهن غير راضيات بامساككم وكان الرجل اذا تزوج امرأة ولم تكن له
حاجة حبسها مع سوء العشرة والقهر لتفتدي منه بمالها وتختلع فقيل ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن

الكظم مجرى النفس
الفواق ما بين الحلبتين من الوقت لانها
تحلب ثم تترك سويعة يرضعها الفصيل
لتدر ثم تحلب يقال ما اقام عنده الا فواقا
وهو كناية عن قدر فواق الناقة
ه

والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت المرأة بولدها اذا اختنقت رحمها به فخرج بعضه وبقي بعضه الا ان
ياتين بفاحشة مبينة وهي النشوز وشكاسة الخلق وايذاء الزوج واهله بالبذاء والسلاطة اي الا ان يكون
العشرة من جهتهن فقد عذرتم في طلب الخلع ويدل عليه قراءة ابي الا ان يفحشن عليكم وعن الحسن الفاحشة الزنا
فان فعلت حل لزوجها ان يسالها الخلع وقيل كانوا اذا اصابت امراة الرجل فاحشة اخذ منها ما ساق اليها واخرجها
وعن ابي قلابة ومحمد بن سيرين لا يحل الخلع حتى يوجد رجل على بطنها وعن قتادة لا يحل له ان يحبسها ضرارا حتى تفتدي منه
يعني وان زنت وقيل نسخ ذلك بالحدود وكانوا يسيئون معاشرة النساء فقيل لهم وعاشروهن بالمعروف وهو
النصفة في المبيت والنفقة والاجمال في القول فان كرهتموهن فلا تفارقوهن لكراهة الانفس وحدها فربما كرهت
النفس ما هو اصلح في الدين واحمد وادنى الى الخير واحبت ما هو بضد ذلك ولكن للنظر في اسباب الصلاح وكان الرجل اذا
طمحت عينه الى استطراف امراة بهت التي تحته ورماها بفاحشة حتى يلجئها الى الافتداء منه باعطاء ما اعطاها ليصرفه الى
تزوج غيرها فقيل وان اردتم استبدال زوج الآية والقنطار المال العظيم من قنطرت الشيء اذا رفعته ومنه القنطرة
لانها بناء مشيد قال كقنطرة الرومي اقسم ربها لتكتنفن حتى تشاد بقرمد وعن عمر رضي الله عنه انه قام خطيبا
فقال ايها الناس لا تغالوا بصدق النساء فلو كانت مكرمة في الدنيا او تقوى عند الله لكان اولاكم بها رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما اصدق امراة من نسائه اكثر من اثنتي عشرة اوقية فقامت اليه امراة فقالت يا امير المؤمنين لم تمنعنا
حقا جعله الله لنا والله يقول وآتيتم احديهن قنطارا فقال عمر رضي الله عنه كل احد اعلم من عمر حتى النساء في الخدور ثم
قال لاصحابه تسمعونني اقول مثل هذا فلا تنكرونه علي حتى ترد علي امراة ليست من اعلم النساء والبهتان ان تستقبل الرجل
الرجل بامر قبيح تقذفه به وهو بريء منه لانه يبهت عند ذلك اي يتحير وانتصب بهتانا على الحال اي باهتين وآثمين او على انه
مفعول له وان لم يكن غرضا كقولك قعد عن القتال جبنا والميثاق الغليظ حق الصحبة والمضاجعة كانه قيل واخذن
منكم ميثاقا غليظا اي بافضاء بعضكم الى بعض ووصفه بالغلظ لقوته وعظمه فقد قالوا صحبة عشرين يوما قرابة فكيف بما
يجري بين الزوجين من الاتحاد والامتزاج وقيل هو قول الولي عند العقد انكحتك على ما في كتاب الله تعالى من امساك بمعروف
او تسريح باحسان وعن النبي صلى الله عليه وسلم استوصوا بالنساء خيرا فانهن عوان في ايديكم اخذتموهن بامانة الله
واستحللتم فروجهن بكلمة الله تعالى وكانوا ينكحون روابّهم وناس منهم يمقتونه من ذوي مروآتهم ويسمونه نكاح المقت
وكان المولود عليه يقال له المقتي ومن ثم قيل ومقتا كانه قيل هو فاحشة في دين الله تعالى بالغة في القبح قبيح ممقوت في
المروة ولا مزيد على ما يجمع القبحين وقرئ لا تحل لكم بالتاء على ان ترثوا بمعنى الوراثة وكرها بالفتح والضم من الكراهة والاكراه
وقرئ بفاحشة مبينة من ابانت بمعنى تبينت او بينت كما قرئ مبينة بكسر الياء وفتحها ويجعل الله بالرفع على انه في
موضع الحال واتيتم احديهن بوصل همزة احديهن كما قرئ فلا اثم عليه **فان قلت** تعضلوهن ما وجه اعرابه
قلت النصب عطفا على ان ترثوا النساء ولا لتاكيد النفي اي لا يحل لكم ان ترثوا النساء ولا ان تعضلوهن
فان قلت اي فرق بين تعدية ذهب بالباء وبينها بالهمزة **قلت** اذا عدي بالباء فمعناه الاخذ والاستصحاب
كقوله تعالى فلما ذهبوا به واما الاذهاب فكالازالة **فان قلت** الا ان ياتين ما هذا الاستثناء **قلت**
هو استثناء من اعم عام الظرف او المفعول له كانه قيل ولا تعضلوهن في جميع الاوقات الا وقت ان ياتين بفاحشة
او ولا تعضلوهن لعلة من العلل الا لان ياتين بفاحشة **فان قلت** من اي وجه صح قوله فعسى ان تكرهوا
جزاء للشرط **قلت** من حيث ان المعنى فان كرهتموهن فاصبروا عليهن مع الكراهة فلعل لكم فيما تكرهونه خيرا
كثيرا ليس فيما تحبونه **فان قلت** كيف استثنى ما قد سلف مما نكح اباؤكم **قلت** كما استثنى
غير ان سيوفهم من قوله ولا عيب فيهم يعني ان امكنكم ان تنكحوا ما قد سلف فانكحوه فلا يحل لكم غيره وذلك غير ممكن والغرض
المبالغة في تحريمه وسد الطريق الى اباحته كما يعلق بالمحال في التابيد في نحو قولهم حتى يبيض القار وحتى يلج الجمل في سم
الخياط حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات
الاخت وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة وامهات نسائكم وربائبكم اللاتي في
حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل ابنائكم الذين

العوان الاسراء والعاني الاسير وقوم عناة ونسوة عوان

قوله روابّهم جمع رابّة وهي امراة الاب

من

من اصلابكم وان تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف ان الله كان غفورا رحيما
معنى حرمت عليكم امهاتكم تحريم نكاحهن لقوله تعالى ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء ولان تحريم نكاحهن هو الذي يفهم
من تحريمهن كما يفهم من تحريم الخمر تحريم شربها ومن تحريم لحم الخنزير تحريم اكله وقرئ وبنات الاخت بتخفيف الهمزة وقد نزل الله
الرضاعة منزلة النسب حتى سمى المرضعة اما للرضيع والمراضعة اختا وكذلك زوج المرضعة ابوه وابواه جداه واخته عمته
وكل ولد ولد له من غير المرضعة قبل الرضاع وبعده فهم اخوته واخواته لابيه وام المرضعة جدته واختها خالته وكل من
ولد لها من هذا الزوج فهم اخوته واخواته لابيه وامه ومن ولد لها من غيره فهم اخوته واخواته لامه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم
يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب وقالوا تحريم الرضاع كتحريم النسب الا في مسئلتين احديهما انه لا يجوز للرجل ان يتزوج
اخت ابنه من النسب ويجوز ان يتزوج اخت ابنه من الرضاع لان المانع في النسب وطؤه امها وهذا المعنى غير موجود في الرضاع
والثانية لا يجوز ان يتزوج ام اخيه من النسب ويجوز في الرضاع لان المانع في النسب وطء الاب اياها وهذا المعنى غير موجود
في الرضاع من نسائكم متعلق بربائبكم ومعناه ان الربيبة من المراة المدخول بها محرمة على الرجل حلال له اذا لم يدخل بها
فان قلت هل يصح ان يتعلق بقوله وامهات نسائكم قلت لا يخلو اما ان يتعلق بهن وبالربائب فتكون
حرمتهن وحرمة الربائب غير مبهمتين جميعا واما ان يتعلق بهن دون الربائب فتكون حرمتهن غير مبهمة وحرمة الربائب
مبهمة فلا يجوز الاول لان معنى من مع احد المتعلقين خلاف معناه مع الاخر الا تراك اذا قلت وامهات نسائكم من نسائكم
اللاتي دخلتم بهن فقد جعلت من لبيان النساء وتمييز المدخول بهن من غير المدخول بهن واذا قلت وربائبكم من نسائكم اللاتي
دخلتم بهن فانك جاعل من لابتداء الغاية كما تقول بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم من خديجة رضي الله عنها وليس بصحيح ان
يعني بالكلمة الواحدة في خطاب واحد معنيان مختلفان ولا يجوز الثاني لان ما يليه هو الذي يستوجب التعليق به ما لم يعرض امر
لا يرد الا ان تقول اعلقه بالنساء والربائب واجعل من للاتصال كقوله تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض
فاني لست منك ولست مني ما انا من دد ولا الدد مني وامهات النساء متصلات بالنساء لانهن امهاتهن
كما ان الربائب متصلات بامهاتهن لانهن بناتهن هذا وقد اتفقوا على ان تحريم امهات النساء مبهم دون تحريم الربائب
على ما عليه ظاهر كلام الله تعالى وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في رجل تزوج امراة ثم طلقها قبل ان يدخل بها انه قال
لا باس ان يتزوج ابنتها ولا يحل له ان يتزوج امها وعن عمر وعمران بن الحصين رضي الله عنهما ان الام تحرم بنفس العقد
وعن مسروق هي مرسلة فارسلوا ما ارسل الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما ابهموا ما ابهم الله تعالى الا ما روي عن علي
وابن عباس وزيد وابن عمر وابن الزبير رضي الله عنهم انهم قرؤا وامهات نسائكم اللاتي دخلتم بهن وكان ابن عباس
يقول والله ما نزل الا هكذا وعن جابر روايتان وعن سعيد بن المسيب عن زيد اذا ماتت عنده فاخذ ميراثها
كره ان يخلف على امها واذا طلقها قبل ان يدخل بها فان شاء فعل اقام الموت مقام الدخول في ذلك كما قام مقامه في
باب المهر وسمي ولد المراة من غير زوجها ربيبا وربيبة لانه يربهما كما يرب ولده في غالب الامر ثم اتسع فيه فسميا بذلك
وان لم يربهما **فان قلت** ما فائدة قوله في حجوركم **قلت** فائدته التعليل للتحريم وانهن لاحتضانكم لهن
او لكونهن بصدد احتضانكم وفي حكم التقلب في حجوركم اذا دخلتم بامهاتهن وتمكن بدخولكم حكم الزواج وثبتت الخلطة والالفة
وجعل الله تعالى بينكم المودة والرحمة وكانت الحال خليقة بان تجروا اولادهن مجرى اولادكم كانكم في العقد على بناتهن عاقدون
على بناتكم وعن علي رضي الله عنه انه شرط ذلك في التحريم وبه اخذ داود **فان قلت** ما معنى دخلتم بهن
قلت هي كناية عن الجماع كقولهم بنى عليها وضرب عليها الحجاب يعني ادخلتموهن الستر والباء للتعدية واللمس ونحوه
يقوم مقام الدخول عند ابي حنيفة رحمه الله تعالى وعن عمر رضي الله عنه انه خلا بجارية فجردها فاستوهبها ابن له فقال انها لا تحل لك
وعن مسروق انه امر ان تباع جاريته بعد موته وقال اما اني لم اصب منها الا ما يحرمها على ولدي من اللمس والنظر
وعن الحسن في الرجل يملك الامة فيغمزها لشهوة او يقبلها او يكشفها انها لا تحل لولده بحال وعن عطاء وحماد بن
ابي سليمان اذا نظر الى فرج امراة فلا ينكح امها ولا ابنتها وعن الاوزاعي اذا دخل بالام فعراها ولمسها بيده واغلق الباب
وارخى الستر فلا يحل له نكاح ابنتها وعن ابن عباس وطاوس وعمرو بن دينار ان التحريم لا يقع الا بالجماع وحده
الذين من اصلابكم دون من تبنيتم وقد تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش الاسدية بنت اميمة عمته

البيت للنابغة واوله اذا حاولت في اسد فجورا

بنت عبد المطلب حين فارقها زيد بن حارثة وقال عز وجل لكي لا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم وان
تجمعوا في موضع الرفع عطف على المحرمات اى وحرم عليكم الجمع بين الاختين والمراد حرمة النكاح لان التحريم في الاية تحريم
النكاح ولما الجمع بينهما في ملك اليمين فعن عثمان وعلى رضي الله عنهما انهما قالا احلتهما اية وحرمتهما اية يعنيان
هذه الاية وقوله او ما ملكت ايمانكم فرجح على التحريم وعثمان التحليل الا ما قد سلف ولكن ما مضى مغفور بدليل
قوله ان الله كان غفورا رحيما والمحصنات من النساء الا ما ملكت ايمانكم كتاب الله عليكم
واحل لكم ما وراء ذلكم ان تبتغوا باموالكم محصنين غير مسافحين فما استمتعتم به منهن
فاتوهن اجورهن فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة ان الله كان
عليما حكيما والمحصنات القراءة بفتح الصاد وعن طلحة بن مصرف انه قرأ بكسر الصاد وهن ذوات الازواج
لانهن احصن فروجهن بالتزويج فهن محصنات ومحصنات الا ما ملكت ايمانكم يريد ما ملكت ايمانهم من اللاتي سبين ولهن
ازواج في دار الكفر فهن حلال لغزاة المسلمين وان كن محصنات وفي معناه قول الفرزدق وذات حليل انكحتها رماحنا
حلال لمن يبني بها لم تطلق كتاب الله عليكم مصدر مؤكد اى كتب الله ذلك عليكم كتابا وفرضه فرضا وهو تحريم ما حرم
فان قلت علام عطف قوله واحل لكم قلت على الفعل المضمر الذي نصب كتاب الله اى كتب الله عليكم
تحريم ذلك واحل لكم ما وراء ذلكم ويدل عليه قراءة اليماني كتب الله عليكم واحل لكم وروى عن اليماني كتب الله عليكم على
الجمع والرفع اى هذه فرائض الله عليكم ومن قرأ واحل لكم على البناء للمفعول فقد عطفه على حرمت ان تبتغوا
مفعول له بمعنى بين لكم ما يحل مما يحرم ارادة ان يكون ابتغاؤكم باموالكم التي جعل الله لكم قياما في حال كونكم محصنين غير مسافحين
لئلا تضيعوا اموالكم وتفقروا انفسكم فيما لا يحل لكم فتخسروا دنياكم ودينكم ولا مفسدة اعظم مما يجمع بين الخسرانين والاحصان
العفة وتحصين النفس من الوقوع في الحرام والاموال المهور وما يخرج في المناكح فان قلت اين مفعول تبتغوا
قلت يجوز ان يكون مقدرا وهو النساء والاجود ان لا يقدر وكانه قيل ان تخرجوا اموالكم ويجوز ان يكون ان تبتغوا
بدلا من ما وراء ذلكم والمسافح الزاني من السفح وهو صب المني وكان الفاجر يقول للفاجرة سافحيني وماذيني من المذي فما
استمتعتم به منهن فما استمتعتم به من المنكوحات من جماع او خلوة صحيحة او عقد عليهن فاتوهن اجورهن عليه فاسقط
الراجع الى ما لانه لا يلبس كقوله تعالى ان ذلك لمن عزم الامور باسقاط منه ويجوز ان يكون ما في معنى النساء ومن للتبعيض
او للبيان ويرجع الضمير اليه على اللفظ في به وعلى المعنى في فاتوهن واجورهن مهورهن لان المهر ثواب على البضع فريضة
حال من الاجور بمعنى مفروضة او وضعت موضع ايتاء لان الايتاء مفروض او مصدر مؤكد اى فرض ذلك فريضة فيما تراضيتم
به من بعد الفريضة فيما تحط عنه من المهر او تهب له من كله او يزيد لها على مقداره وقيل فيما تراضيا به من مقام او فراق وقيل
نزلت في المتعة التي كانت ثلثة ايام حين فتح الله مكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نسخت كان الرجل ينكح المراة وقتا معلوما
ليلة او ليلتين او اسبوعا بثوب او غير ذلك ويقضي منها وطره ثم يسرحها سميت متعة لاستمتاعه بها او لتمتيعه لها بما يعطيها
وعن عمر رضي الله عنه لا اوتى برجل تزوج امراة الى اجل الا رجمتهما بالحجارة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه اباحها ثم اصبح
يقول يا ايها الناس اني كنت امرتكم بالاستمتاع من هذه النساء الا ان الله حرم ذلك الى يوم القيمة وقيل ابيح مرتين
وحرم مرتين وعن ابن عباس هي محكمة يعني لم تنسخ وكان يقرأ فما استمتعتم به منهن الى اجل مسمى ويروى انه رجع عن ذلك
عند موته وقال اللهم اني اتوب اليك من قولي بالمتعة وقولي في الصرف ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح
المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات والله اعلم بايمانكم بعضكم
من بعض فانكحوهن باذن اهلهن واتوهن اجورهن بالمعروف محصنات غير مسافحات ولا
متخذات اخدان فاذا احصن فان اتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب
ذلك لمن خشي العنت منكم وان تصبروا خير لكم والله غفور رحيم الطول الفضل يقال لفلان
على فلان طول اى زيادة وفضل وقد طاله طولا فهو طائل قال لقد زادني حبا لنفسي انني بغيض الى كل امرئ غير طائل
ومنه قولهم ما خلا منه بطائل اى بشيء يعتد به مما له فضل وخطر ومنه الطول في الجسم لانه زيادة فيه كما ان القصر قصور فيه ونقصان
والمعنى ومن لم يستطع زيادة في المال وسعة يبلغ بها نكاح الحرة فلينكح امة قال ابن عباس من ملك ثلثمائة درهم فقد وجب

بعده
واني شقي بالعيابه وانا ي
شقيا بهم الا كريم الشمايل

علي

عليه الحج وحرم عليه نكاح الاماء وهو الظاهر وعليه مذهب الشافعي رحمه الله تعالى واما ابو حنيفة رحمه الله تعالى فيقول الغني والفقير
سواء في جواز نكاح الامة ويفسر الاية بان من لم يملك فراش الحرة على ان النكاح هو الوطء فله ان ينكح امة وفي رواية
عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال ومما وسع الله تعالى على هذه الامة نكاح الامة واليهودية والنصرانية وان كان موسرا وكذلك
قوله من فتياتكم المؤمنات والظاهر ان لا يجوز نكاح الامة الكتابية وهو مذهب اهل الحجاز وعند اهل العراق يجوز نكاحها ونكاح الامة
المؤمنة افضل فحملوه على الفضل لا على الوجوب واستشهدوا على ان الايمان ليس بشرط بوصف الحرائر به مع علمنا انه ليس بشرط
فيهن على الاتفاق ولكنه افضل فان قلت لم كان نكاح الامة منحطا عن نكاح الحرة قلت لما فيه من اتباع الولد الام
في الرق ولثبوت حق المولى فيها وفي استخدامها ولانها ممتهنة مبتذلة خراجة ولاجة وذلك كله نقصان راجع الى الناكح ومهانة
والعزة من صفات المؤمنين وقوله من فتياتكم اى من فتيات المسلمين لا من فتيات غيركم وهم المخالفون في الدين
فان قلت فما معنى قوله والله اعلم بايمانكم قلت معناه ان الله اعلم بتفاضل ما بينكم وبين ارقائكم
في الايمان ورجحانه ونقصانه فيهم وفيكم وربما كان ايمان الامة ارجح من ايمان الحرة والمراة افضل في الايمان من الرجل
وحق المؤمنين ان لا يعتبروا الا فضل الايمان لا فضل الاحساب والانساب وهذا تانيس بنكاح الاماء وترك الاستنكاف
منه بعضكم من بعض اى انتم وارقاؤكم متواصلون متناسبون لاشتراككم في الايمان لا يفضل حر عبدا الا برجحان فيه باذن اهلهن
اشتراط لاذن الموالي في نكاحهن ويحتج به لقول ابي حنيفة رحمه الله تعالى ان لهن ان يباشرن العقد بانفسهن لانه اعتبر اذن
الموالي لا عقدهم واتوهن اجورهن بالمعروف وادوا اليهن مهورهن بغير مطل وضرار واحواج الى الاقتضاء واللز
فان قلت الموالي هم ملاك مهورهن لا هن فالواجب اداؤها اليهم فلم قيل واتوهن قلت لانهن وما
في ايديهن مال الموالي فكان اداؤها اليهن اداء الى الموالي او على ان اصله فاتوا مواليهن فحذف المضاف محصنات
عفائف ولا متخذات اخدان اخلاء في السر كانه قيل غير مجاهرات بالسفاح ولا مسرات فاذا احصن بالتزويج وقرئ احصن
نصف ما على المحصنات اى الحرائر من العذاب من الحد كقوله وليشهد عذابهما ويدرأ عنها العذاب ولا رجم عليهن
لان الرجم لا يتنصف ذلك اشارة الى نكاح الاماء لمن خشي العنت منكم لمن خاف الاثم الذي تؤدي اليه غلبة الشهوة
واصل العنت انكسار العظم بعد الجبر فاستعير لكل مشقة وضرر ولا ضرر اعظم من مواقعة المآثم وقيل اريد به الحد
لانه اذا هويها خشي ان يواقعها فيحد فيتزوجها وان تصبروا في محل الرفع على الابتداء اى وصبركم عن نكاح الاماء متعففين
خير لكم وعن النبي صلى الله عليه وسلم الحرائر صلاح البيت والاماء هلاك البيت يريد الله ليبين لكم
ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم والله يريد ان يتوب
عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلا عظيما يريد الله ان يخفف
عنكم وخلق الانسان ضعيفا يريد الله ليبين لكم اصله يريد الله ان يبين لكم فزيدت اللام مؤكدة
لارادة التبيين كما زيدت في لا اباك لتاكيد اضافة الاب والمعنى يريد الله ان يبين لكم ما هو خفي عنكم من مصالحكم
وافاضل اعمالكم وان يهديكم مناهج من كان قبلكم من الانبياء والصالحين والطرق التي سلكوها في دينهم لتقتدوا بهم
ويتوب عليكم ويرشدكم الى الطاعات ان قمتم بها كانت كفارات لسيئاتكم فيتوب عليكم ويكفر لكم والله يريد ان يتوب
عليكم ان تفعلوا ما تستوجبون به ان يتوب عليكم ويريد الفجرة الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلا عظيما وهو
الميل عن القصد والحق ولا ميل اعظم منه بمساعدتهم وموافقتهم على اتباع الشهوات وقيل هم اليهود وقيل المجوس
كانوا يحلون نكاح الاخوات من الاب وبنات الاخ وبنات الاخت فلما حرمهن الله تعالى قالوا فانكم تحلون بنت الخالة
والعمة والخالة والعمة عليكم حرام فانكحوا بنات الاخ والاخت فنزلت يقول يريدون ان تكونوا زناة مثلهم يريد الله
ان يخفف عنكم باحلال نكاح الامة وغيره من الرخص وخلق الانسان ضعيفا لا يصبر عن الشهوات وعلى مشاق الطاعات
وعن سعيد بن المسيب ما ايس الشيطان من بني آدم قط الا اتاهم من قبل النساء فقد اتى على ثمانون سنة وذهبت احدى
عيني وانا اعشو بالاخرى وان اخوف ما اخاف على فتنة النساء وقرئ ان يميلوا بالياء والضمير للذين يتبعون
الشهوات وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما وخلق الانسان على البناء للفاعل ونصب الانسان وعنه ثمان آيات
في سورة النساء هي خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت يريد الله ليبين لكم والله يريد ان يتوب عليكم

يريد الله ان يخفف عنكم ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ان الله لا يغفر ان يشرك به ان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ما يفعل الله بعذابكم **يا ايها الذين آمنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا انفسكم ان الله كان بكم رحيما** بالباطل بما لم تبحه الشريعة من نحو السرقة والخيانة والغصب والقمار وعقود الربوا الا ان تكون تجارة الا ان تقع تجارة وقرئ تجارة على الا ان تكون التجارة تجارة عن تراض منكم والاستثناء منقطع معناه ولكن اقصدوا كون تجارة عن تراض او ولكن كون تجارة عن تراض غير منهي عنه وقوله عن تراض صفة لتجارة اي تجارة صادرة عن تراض وخص التجارة بالذكر لان اسباب الرزق اكثرها متعلق بها والتراضي رضى المتبايعين بما تعاقدا عليه في حال البيع وقت الايجاب والقبول وهو مذهب ابي حنيفة رحمه الله تعالى وعند الشافعي رحمه الله تعالى تفرقهما عن مجلس العقد متراضيين ولا تقتلوا انفسكم من كان من جنسكم من المؤمنين وعن الحسن لا تقتلوا اخوانكم او ولا يقتل الرجل نفسه كما يفعله بعض الجهلة وعن عمرو بن العاص انه تاوله في التيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأ علي رضي الله عنه ولا تقتّلوا بالتشديد ان الله كان بكم رحيما ما نهاكم عما يضركم الا لرحمته عليكم وقيل معناه انه امر بني اسرائيل بقتلهم انفسهم ليكون توبة لهم وتمحيصا لخطاياهم وكان بكم يا امة محمد صلى الله عليه وسلم رحيما حيث لم يكلفكم تلك التكاليف الصعبة **ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيرا** ذلك اشارة الى القتل اي ومن يقدم على قتل الانفس عدوانا وظلما لا خطأ ولا اقتصاصا وقرئ عدوانا بالكسر ونصليه بتخفيف اللام وتشديده ونصليه بفتح النون من صلاه يصليه ومنه شاة مصلية ويصليه بالياء والضمير لله عز وجل او لذلك لكونه سببا للصلي نارا اي نارا مخصوصة شديدة العذاب وكان ذلك على الله يسيرا لان الحكمة تدعو اليه ولا صارف عنه من ظلم او نحوه **ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما** كبائر ما تنهون عنه وقرئ كبير ما تنهون عنه اي ما كبر من المعاصي التي نهاكم الله عنها والرسول نكفر عنكم سيئاتكم نمط ما تستحقونه من العقاب في كل وقت على صغائركم ونجعلها كان لم تكن لزيادة الثواب المستحق على اجتنابكم الكبائر وصبركم عنها على عقاب السيئات والكبيرة والصغيرة انما وصفتا بالكبر والصغر باضافتهما اما الى طاعة او معصية او ثواب فاعلها والتكفير اماطة المستحق من العقاب بثواب ازيد او بتوبة والاحباط نقيضه وهو اماطة الثواب المستحق بعقاب ازيد او بندم على الطاعة وعن علي رضي الله عنه الكبائر سبع الشرك والقتل والقذف والزنا واكل مال اليتيم والفرار من الزحف والتعرب بعد الهجرة وزاد ابن عمر رضي الله عنهما السحر واستحلال البيت الحرام وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان رجلا قال له الكبائر سبع فقال هي الى سبعمائة اقرب لانه لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار وروي الى سبعين وقرئ يكفر بالياء ومدخلا بضم الميم وفتحها بمعنى المكان والمصدر فيهما **ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسئلوا الله من فضله ان الله كان بكل شيء عليما** ولا تتمنوا نهوا عن التحاسد وعن تمني ما فضل الله به بعض الناس على بعض من الجاه والمال لان ذلك التفضيل قسمة من الله تعالى صادرة عن حكمة وتدبير وعلم باحوال العباد وبما يصلح المقسوم له من بسط في الرزق او قبض ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض فعلى كل احد ان يرضى بما قسم له علما بان ما قسم له هو مصلحته ولو كان خلافه لكان مفسدة له ولا يحسد اخاه على حظه للرجال نصيب مما اكتسبوا جعل ما قسم لكل من الرجال والنساء على حسب ما عرف الله من حاله الموجبة للبسط او القبض كسبا له واسئلوا الله من فضله ولا تتمنوا انصباء غيركم من الفضل ولكن سلوا الله من خزائنه التي لا تنفد وقيل كان الرجال قالوا ان الله تعالى فضلنا على النساء في الدنيا لنا سهمان ولهن سهم واحد فنرجوا ان يكون لنا اجران في الآخرة على الاعمال ولهن اجر واحد فقالت ام سلمة ونسوة معها ليت الله تعالى كتب علينا الجهاد كما كتبه على الرجال فيكون لنا من الاجر مثل ما لهم فنزلت **ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون والذين عاقدت ايمانكم فآتوهم نصيبهم ان الله كان على كل شيء شهيدا** مما ترك تبيين لكل اي ولكل شيء مما ترك الوالدان والاقربون من المال جعلنا موالي يعني ورّاثا يلونه ويحرزونه او ولكل قوم جعلناهم موالي نصيب مما ترك الوالدان والاقربون على ان جعلنا موالي صفة لكل والضمير الراجع الى كل محذوف والكلام مبتدأ وخبر كما تقول لكل من خلقه الله انسانا نصيب من رزق الله اي حظ من رزق الله او ولكل احد جعلنا موالي مما ترك

اي ورّاثا مما ترك على ان من صلة موالي لانهم في معنى الوراث وفي ترك ضمير كل ثم فسّر الموالي بقوله الوالدان والاقربون كانه قيل من هم فقيل الوالدان والاقربون والذين عاقدت ايمانكم مبتدأ ضمّن معنى الشرط فوقع خبره مع الفاء وهو قوله فآتوهم نصيبهم ويجوز ان يكون منصوبا على قولك زيدا فاضربه ويجوز ان يعطف على الوالدان ويكون المضمر في فآتوهم للموالي والمراد بالذين عاقدت ايمانكم موالي الموالاة كان الرجل يعاقد الرجل فيقول دمي دمك وهدمي هدمك وثاري ثارك وحربي حربك وسلمي سلمك وترثني وارثك وتطلب بي واطلب بك وتعقل عني واعقل عنك فيكون للحليف السدس من ميراث الحليف فنسخ وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه خطب يوم الفتح فقال ما كان من حلف في الجاهلية فتمسكوا به فانه لم يزده الاسلام الا شدة ولا تحدثوا حلفا في الاسلام وعند ابي حنيفة رحمه الله تعالى لو اسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على ان يتعاقلا ويتوارثا صح عنده وورث بحق الموالاة خلافا للشافعي رحمه الله تعالى وقيل المعاقدة التبني ومعنى عاقدت ايمانكم عاقدتهم ايديكم وماسحتموهم وقرئ عقدت بالتشديد والتخفيف بمعنى عقدت عهودهم ايمانكم **الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ان الله كان عليا كبيرا** قوامون على النساء يقومون عليهن آمرين ناهين كما يقوم الولاة على الرعايا وسموا قواما لذلك والضمير في بعضهم للرجال والنساء جميعا يعني انما كانوا مسيطرين عليهن بسبب تفضيل الله بعضهم وهم الرجال على بعض وهم النساء وفيه دليل على ان الولاية انما تستحق بالفضل لا بالتغلب والاستطالة والقهر وقد ذكروا في فضل الرجال العقل والحزم والعزم والقوة والكتابة في الغالب والفروسية والرمي وان منهم الانبياء والعلماء وفيهم الامامة الكبرى والصغرى والجهاد والاذان والخطبة والاعتكاف وتكبيرات التشريق عند ابي حنيفة والشهادة في الحدود والقصاص وزيادة السهم والتعصيب في الميراث والحمالة والقسامة والولاية في النكاح والطلاق والرجعة وعدد الازواج واليهم الانتساب وهم اصحاب اللحى والعمائم وبما انفقوا وبسبب ما اخرجوا في نكاحهن من اموالهم في المهور والنفقات وروي ان سعد بن الربيع وكان نقيبا من نقباء الانصار نشزت عليه امرأته حبيبة بنت زيد بن ابي زهير فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال افرشته كريمتي فلطمها فقال لتقتص منه فنزلت فقال اردنا امرا واراد الله امرا والذي اراد الله خير ورفع القصاص واختلف في ذلك فقيل لا قصاص بين الرجل وامرأته فيما دون النفس ولو شجها ولكن يجب العقل وقيل لا قصاص الا في الجرح والقتل واما اللطمة ونحوها فلا قانتات مطيعات قائمات بما عليهن للازواج حافظات للغيب الغيب خلاف الشهادة اي حافظات لمواجب الغيب اذا كان الازواج غير شاهدين لهن حفظن ما يجب عليهن حفظه في حال الغيبة من الفروج والبيوت والاموال وعن النبي صلى الله عليه وسلم خير النساء امرأة ان نظرت اليها سرتك وان امرتها اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها وتلا الآية وقيل للغيب لاسرارهم بما حفظ الله بما حفظهن الله حين اوصى بهن الازواج في كتابه وامر رسوله فقال استوصوا بالنساء خيرا او بما حفظهن الله وعصمهن ووفقهن لحفظ الغيب او بما حفظهن حين وعدهن الثواب العظيم على حفظ الغيب واوعدهن بالعذاب الشديد على الخيانة وما مصدرية وقرئ بما حفظ الله بالنصب على ان ما موصولة اي حافظات للغيب بالامر الذي يحفظ حق الله وامانة الله وهو التعفف والتحصن والشفقة على الرجال والنصيحة لهم وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه فالصوالح قوانت حوافظ للغيب بما حفظ الله نشوزهن ونشوصها ان تعصي زوجها ولا تطمئن اليه واصله الانزعاج في المضاجع في المراقد اي لا تدخلوهن تحت اللحف وهي كناية عن الجماع وقيل هو ان يوليها ظهره في المضجع وقيل في المضاجع في بيوتهن التي يبتن فيها اي لا تبايتوهن وقرئ في المضجع وفي المضطجع وذلك لتعرف احوالهن وتحقق امرهن في النشوز امر بوعظهن اولا ثم بهجرانهن في المضاجع ثم بالضرب ان لم ينجع فيهن الوعظ والهجران وقيل معناه اكرهوهن على الجماع واربطوهن من هجر البعير اذا شده بالهجار وهذا من تفسير الثقلاء وقالوا يجب ان يكون ضربا غير مبرح ولا جارحا ولا يكسر لها عظما ويجتنب الوجه وعن النبي صلى الله عليه وسلم علق سوطك حيث يراه اهلك وعن اسماء بنت ابي بكر الصديق رضي الله عنهما كنت رابعة اربع نسوة عند الزبير بن العوام فاذا غضب على احدانا ضربها بعود المشجب حتى يكسره عليها ويروى للزبير رضي الله عنه ابيات منها ولولا بنوها حولها لخبطتها فلا تبغوا عليهن سبيلا فازيلوا عنهن التعرض بالاذى والتوبيخ والتجني وتوبوا عليهن

واجعلوا ما كان منهن كان لم يكن بعد رجوعهن الى الطاعة والانقياد وترك النشوز ان الله كان عليا كبيرا فاحذروه واعلموا
ان قدرته عليكم اعظم من قدرتكم على من تحت ايديكم ويروى ان ابا مسعود الانصاري رفع سوطه ليضرب غلاما له فبصر
به رسول الله صلى الله عليه وسلم فصاح به ابا مسعود لله اقدر عليك منك عليه فرمى بالسوط واعتق الغلام او ان الله
كان عليا كبيرا وانكم تعصونه على علو شانه وكبرياء سلطانه ثم تتوبون فيتوب عليكم فانتم احق بالعفو عمن يجني عليكم
اذا رجع • وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها ان يريدا
اصلاحا يوفق الله بينهما ان الله كان عليما خبيرا • شقاق بينهما اصله شقاقا بينهما
فاضيف الشقاق الى الظرف على طريق الاتساع كقوله بل مكر الليل والنهار واصله بل مكر في الليل والنهار او على ان جعل
البين مشاقا والليل والنهار ماكرين على قولهم نهارك صائم والضمير للزوجين ولم يجر ذكرهما لجري ما يدل عليهما وهو
الرجال والنساء حكما من اهله رجلا مقنعا رضيا يصلح لحكومة العدل والاصلاح بينهما وانما كان بعث الحكمين من اهلهما
لان الاقارب اعرف ببواطن الاحوال واطلب للصلاح وانما تسكن اليهم نفوس الزوجين وتبرز اليهم ما في ضمائرهما من الحب
والبغض وارادة الصحبة والفرقة وموجبات ذلك ومقتضياته وما تزويانه عن الاجانب ولا يحبان ان يطلعوا عليه •
فان قلت فهل للحكمين الجمع بينهما والتفريق ان رايا ذلك قلت قد اختلف فيه فقيل ليس اليهما
ذلك الا باذن الزوجين وقيل ذلك اليهما وما جعلا حكمين الا لياتيا الامر على ما يقتضيه اجتهادهما وعن عبيدة السلماني
شهدت عليا رضي الله عنه وقد جاءته امراة وزوجها ومع كل واحد فئام من الناس فاخرج هؤلاء حكما وهؤلاء حكما
فقال علي للحكمين اتدريان ما عليكما ان عليكما ان رايتما ان تفرقا فرقتما وان رايتما ان تجمعا جمعتما فقال الزوج اما الفرقة
فلا فقال علي كذبت والله لا تبرح حتى ترضى بكتاب الله تعالى لك وعليك فقالت المراة رضيت بكتاب الله لي وعلي •
وعن الحسن يجمعان ولا يفرقان وعن الشعبي ما قضى الحكمان جاز والالف في يريدا اصلاحا ضمير الحكمين وفي يوفق الله
بينهما للزوجين اي ان قصدا اصلاح ذات البين وكانت نيتهما صحيحة وقلوبهما ناصحة لوجه الله بورك في وساطتهما
واوقع الله بطيب نفسهما وحسن سعيهما بين الزوجين الوفاق والالفة والقى في نفوسهما المودة والرحمة وقيل
الضميران للحكمين اي ان قصدا اصلاح ذات البين والنصيحة للزوجين يوفق الله بينهما فيتفقان على الكلمة الواحدة
ويتساندان في طلب الوفاق حتى يحصل الغرض ويتم المراد وقيل الضميران للزوجين اي ان يريدا اصلاح ما بينهما وطلبا
الخير وان يزول عنهما الشقاق يطرح الله بينهما الالفة وابدلهما بالشقاق وفاقا وبالبغضاء مودة ان الله كان عليما خبيرا
يعلم كيف يوفق بين المختلفين ويجمع بين المفترقين لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم
واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين
والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت ايمانكم ان الله
لا يحب من كان مختالا فخورا • وبالوالدين احسانا واحسنوا بهما احسانا وبذي القربى بكل من بينكم وبينه
قربى من اخ او عم او غيرهما والجار ذي القربى الذي قرب جواره والجار الجنب الذي جواره بعيد وقيل الجار القريب
النسب والجار الجنب الاجنبي وانشد لبلعاء بن قيس • لا يجتوينا مجاور ابدا • ذو رحم او مجاور جنب • وقرئ والجار
ذا القربى نصبا على الاختصاص كما قرئ حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى تنبيها على عظم حقه لادلائه بحقي
الجوار والقربى والصاحب بالجنب هو الذي صحبك بان حصل بجنبك اما رفيقا في سفر واما جارا ملاصقا واما
شريكا في تعلم علم او حرفة واما قاعدا الى جنبك في مجلس او مسجد او غير ذلك من ادنى صحبة التامت بينك وبينه فعليك ان
ترعى ذلك الحق ولا تنساه وتجعله ذريعة الى الاحسان وقيل الصاحب بالجنب المراة وابن السبيل المسافر المنقطع به وقيل
الضيف والمختال التياه الجهول الذي يتكبر عن اكرام اقاربه واصحابه ومماليكه فلا يتحفى بهم ولا يلتفت اليهم وقرئ والجار
الجنب بفتح الجيم وسكون النون • الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله
من فضله واعتدنا للكافرين عذابا مهينا • الذين يبخلون بدل من قوله من كان مختالا فخورا او نصب على
الذم ويجوز ان يكون رفعا عليه وان يكون مبتدا خبره محذوف كانه قيل الذين يبخلون ويفعلون ويصنعون احقاء بكل ملامة
وقرئ بالبخل بضم الباء وفتحها وبفتحتين وضمتين اي يبخلون بذات ايديهم وبما في ايدي غيرهم فيامرونهم بان يبخلوا به مقتا

للسخا

للسخاء ممن وجد وفي امثال العرب ابخل من الضنين بنائل غيره • وان امرأ ضنت يداه على امرئ • بنيل يد من غيره لبخيل
ولقد راينا ممن بلي بداء البخل اذا طرق سمعه ان احدا جاد شخص بصره وحل حبوته واضطرب ودارت عيناه في
راسه كانما نهب رحله وكسرت خزانته ضجرا من ذلك وحسرة على وجوده وقيل هم اليهود كانوا ياتون رجالا من الانصار يتنصحون
لهم ويقولون لا تنفقوا اموالكم فانا نخشى عليكم الفقر ولا تدرون ما يكون وقد عابهم بكتمان نعمة الله وما آتاهم من فضل الغنى
والتفاقر الى الناس وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا انعم الله على عبد نعمة احب ان ترى نعمته عليه وبنى عامل للرشيد
قصرا حذاء قصره فنم به عنده فقال الرجل يا امير المؤمنين ان الكريم يسره ان يرى اثر نعمته فاحببت ان اسرك بالنظر الى آثار
نعمتك فاعجبه كلامه وقيل نزلت في شان اليهود الذين كتموا صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم • والذين ينفقون
اموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ومن يكن الشيطان له قرينا
فساء قرينا • رئاء الناس للفخار وليقال ما اسخاهم وما اجودهم لا ابتغاء وجه الله تعالى وقيل نزلت في مشركي مكة
المنفقين اموالهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فساء قرينا حيث حملهم على البخل والرياء وكل شر ويجوز ان يكون
وعيدا لهم بان الشيطان يقرن بهم في النار • وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وانفقوا مما
رزقهم الله وكان الله بهم عليما • وماذا عليهم واي تبعة ووبال عليهم في الايمان والانفاق في سبيل الله وهو
والمراد الذم والتوبيخ والا فكل منفعة ومفلحة في ذلك وهذا كما يقال للمنتقم ما ضرك لو عفوت وللعاق ما كان يرزؤك
لو كنت بارا وقد علم انه لا مضرة ولا مرزئة في العفو والبر ولكنه ذم وتوبيخ وتجهيل بمكان المنفعة وكان الله بهم عليما وعيد
ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما
الذرة النملة الصغيرة وفي قراءة عبد الله مثقال نملة وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه ادخل يده في التراب فرفعه ثم
نفخ فيه فقال كل واحدة من هؤلاء ذرة وقيل كل جزء من اجزاء الهباء في الكوة ذرة وفيه دليل انه لو نقص من الاجر
شيئا واصغره او زاده في العقاب لكان ظلما وانه لا يفعله لاستحالته في الحكمة لا لاستحالته في القدرة وان تك حسنة
وان يكن مثقال الذرة حسنة وانما انث ضمير المثقال لكونه مضافا الى مونث وقرئ بالرفع على كان التامة يضاعفها
يضاعف ثوابها لاستحقاقها عنده الثواب في كل وقت من الاوقات المستقبلة غير المتناهية وعن ابي عثمان النهدي
انه قال لابي هريرة رضي الله عنه بلغني عنك انك تقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى يعطي عبده المؤمن
بالحسنة الف الف حسنة قال ابو هريرة لا بل سمعته يقول ان الله تعالى يعطيه الفي الف حسنة ثم تلا هذه الآية والمراد الكثرة
لا التحديد ويؤت من لدنه اجرا عظيما ويعط صاحبها من عنده على سبيل التفضل عطاء عظيما وسماه اجرا لانه تابع للاجر لا يثبت الا بثباته
وقرئ يضعفها بالتشديد والتخفيف من ضعف وضعف وقرا ابن هرمز نضاعفها بالنون • فكيف اذا جئنا من
كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو
تسوى بهم الارض ولا يكتمون الله حديثا • فكيف يصنع هؤلاء الكفرة من اليهود وغيرهم اذا جئنا من
كل امة بشهيد يشهد عليهم بما فعلوا وهو نبيهم كقوله وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم وجئنا بك على هؤلاء المكذبين شهيدا
وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه قرا سورة النساء على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ قوله وجئنا بك على هؤلاء
شهيدا فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال حسبنا لو تسوى بهم الارض لو يدفنون فتسوى بهم الارض كما تسوى بالموتى
وقيل يودون انهم لم يبعثوا او انهم كانوا والارض سواء وقيل تصير البهائم ترابا فيودون حالها ولا يكتمون الله حديثا
ولا يقدرون على كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم وقيل الواو للحال اي يودون ان يدفنوا تحت الارض وانهم لا يكتمون الله حديثا ولا
يكذبون في قولهم والله ربنا ما كنا مشركين لانهم اذا قالوا ذلك وجحدوا ختم الله تعالى على افواههم عند ذلك وتكلمت ايديهم
وارجلهم بتكذيبهم والشهادة عليهم بالشرك فلشدة الامر عليهم يتمنون لو تسوى بهم الارض وقرئ تسوى بحذف التاء من تتسوى
يقال سويته فتسوى نحو لويته فتلوى وتسوى بادغام التاء في السين كقوله يسمعون وماضيه اسوى كازكى
يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنبا الا
عابري سبيل حتى تغتسلوا وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم
النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم ان الله كان عفوا غفورا

روي أن عبد الرحمن بن عوف صنع طعاماً وشراباً فدعا نفراً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كانت الخمر
مباحة فأكلوا وشربوا فلما ثملوا وجاءت صلاة المغرب قدموا أحدهم ليصلي بهم فقرأ اعبد ما تعبدون وأنتم عابدون
ما أعبد فنزلت فكانوا لا يشربون في أوقات الصلوات فإذا صلوا العشاء شربوها فلا يصبحون إلا وقد ذهب عنهم
السكر وعلموا ما يقولون ثم نزل تحريمها ومعنى لا تقربوا الصلاة لا تغشوها ولا تقوموا إليها واجتنبوها كقوله ولا تقربوا
الزنا ولا تقربوا الفواحش وقيل معناه ولا تقربوا مواضعها وهي المساجد كقوله صلى الله عليه وسلم جنبوا مساجدكم
صبيانكم ومجانينكم وقيل هو سكر النعاس وغلبة النوم كقوله ورانوا بسكر سناتهم كل الرنو وقرئ سكارى
بفتح السين وسكرى على أن يكون جمعاً نحو هلكى وجوعى لأن السكر علة تلحق العقل أو مفرداً بمعنى وأنتم جماعة سكرى
كقولك امرأة سكرى وسكرى بضم السين كحبلى على أن يكون صفة للجماعة وحكى جناح بن حبيش كسلى وكسلى
بالفتح والضم ولا جنباً عطف على قوله وأنتم سكارى لأن محل الجملة مع الواو النصب على الحال كأنه قيل لا تقربوا
الصلاة سكارى ولا جنباً والجنب يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لأنه اسم جرى مجرى المصدر الذي هو
الإجناب إلا عابري سبيل استثناء من عامة أحوال المخاطبين وانتصابه على الحال فإن قلت
كيف جمع بين هذه الحال والحال التي قبلها قلت كأنه قيل لا تقربوا الصلاة في حال الجنابة إلا ومعكم حال أخرى
تعذرون فيها وهي حال السفر وعبور السبيل عبارة عنه ويجوز أن لا يكون حالاً ولكن صفة لقوله جنباً أي ولا
تقربوا الصلاة جنباً غير عابري سبيل أي جنباً مقيمين غير معذورين فإن قلت كيف تصح صلاتهم
على الجنابة لعذر السفر قلت أريد بالجنب الذين لم يغتسلوا كأنه قيل لا تقربوا الصلاة غير مغتسلين حتى تغتسلوا
إلا أن تكونوا مسافرين وقال من فسر الصلاة بالمسجد معناه لا تقربوا المسجد جنباً إلا مجتازين فيه إذا كان الطريق فيه
إلى الماء أو كان الماء فيه أو احتلمتم فيه وقيل إن رجالاً من الأنصار كانت أبوابهم في المسجد فتصيبهم الجنابة ولا يجدون
ممراً إلا في المسجد فرخص لهم وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يأذن لأحد أن يجلس في المسجد أو يمر فيه وهو جنب
إلا لعلي رضي الله عنه لأن بيته كان في المسجد فإن قلت أدخل في حكم الشرط أربعة وهم المرضى والمسافرون
والمحدثون وأهل الجنابة فبمن تعلق الجزاء الذي هو الأمر بالتيمم عند عدم الماء منهم قلت الظاهر أنه تعلق بهم
جميعاً وأن المرضى إذا عدموا الماء لضعف حركتهم وعجزهم عن الوصول إليه فلهم أن يتيمموا وكذلك السفر إذا عدموه لبعده
والمحدثون وأهل الجنابة كذلك إذا لم يجدوه لبعض الأسباب وقال الزجاج الصعيد وجه الأرض تراباً كان أو غيره وإن
كان صخراً لا تراب عليه لو ضرب المتيمم يده عليه ومسح لكان ذلك طهوره وهو مذهب أبي حنيفة رحمه الله تعالى فإن قلت
فما تصنع بقوله تعالى في سورة المائدة فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه أي بعضه وهذا لا يتأتى في الصخر الذي لا تراب عليه قلت
قالوا إن من لابتداء الغاية فإن قلت قولهم إنها لابتداء الغاية قول متعسف ولا يفهم أحد من العرب من قول القائل
مسحت برأسه من الدهن ومن الماء ومن التراب إلا معنى التبعيض قلت هو كما تقول والإذعان للحق أحق من المراء إن
الله كان عفواً غفوراً كناية عن الترخيص والتيسير لأن من كانت عادته أن يعفو عن الخطائين ويغفر لهم آثر أن يكون ميسراً غير معسر
فإن قلت كيف نظم في سلك واحد بين المرضى والمسافرين وبين المحدثين والمجنبين والمرض والسفر سببان
من أسباب الرخصة والحدث سبب لوجوب الوضوء والجنابة سبب لوجوب الغسل قلت أراد سبحانه أن يرخص
للذين وجب عليهم التطهر وهم عادمون للماء في التيمم بالتراب فخص أولاً من بينهم مرضاهم وسفرهم لأنهم المتقدمون في
استحقاق بيان الرخصة لهم لكثرة المرض والسفر وغلبتهما على سائر الأسباب الموجبة للرخصة ثم عم كل من وجب
عليه التطهر وأعوزه الماء لخوف عدو أو سبع أو عدم آلة استقاء أو إرهاق في مكان لا ماء فيه أو غير ذلك مما لا يكثر كثرة المرض
والسفر وقرئ من غيط قيل هو تخفيف غيط كهين في هين والغيط بمعنى الغائط **ألم تر إلى الذين أوتوا
نصيباً من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون أن تضلوا السبيل والله أعلم بأعدائكم وكفى
بالله ولياً وكفى بالله نصيراً** ألم تر من رؤية القلب وعدي بإلى بمعنى ألم ينته علمك إليهم أو بمعنى ألم
تنظر إليهم أوتوا نصيباً من الكتاب حظاً من علم التوراة وهم أحبار اليهود يشترون الضلالة يستبدلونها بالهدى وهو
البقاء على اليهودية بعد وضوح الآيات لهم على صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه هو النبي العربي المبشر به في

التورية

التوراة والإنجيل ويريدون أن تضلوا أنتم أيها المؤمنون سبيل الحق كما ضلوه وتنخرطوا في سلكهم لا تكفيهم ضلالتهم
بل يحبون أن يضل معهم غيرهم وقرئ أن يضلوا بالياء بفتح الضاد وكسرها والله أعلم منكم بأعدائكم وقد أخبركم بعداوة
هؤلاء وأطلعكم على أحوالهم وما يريدون بكم فاحذروهم ولا تستنصحوهم في أموركم ولا تستشيروهم وكفى بالله ولياً وكفى بالله
نصيراً فثقوا بولايته ونصرته دونهم أو لا تبالوا بهم فإن الله ينصركم عليهم ويكفيكم مكرهم **من الذين هادوا يحرفون
الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا لياً بألسنتهم وطعناً
في الدين ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيراً لهم وأقوم ولكن لعنهم الله
بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلاً** من الذين بيان للذين أوتوا نصيباً من الكتاب لأنهم يهود ونصارى وقوله
والله أعلم وكفى بالله وكفى بالله جمل توسطت بين البيان والمبين على سبيل الاعتراض أو بيان لأعدائكم وما بينهما
اعتراض أو صلة لنصيراً أي ينصركم من الذين هادوا كقوله ونصرناه من القوم الذين كذبوا ويجوز أن يكون كلاماً مبتدأ على
أن يحرفون صفة مبتدأ محذوف تقديره من الذين هادوا قوم يحرفون كقوله وما الدهر إلا تارتان فمنهما أموت وأخرى أبتغي
العيش أكدح أي فمنهما تارة أموت فيها يحرفون الكلم عن مواضعه يميلونه عنها ويزيلونه لأنهم إذا بدلوه ووضعوا مكانه كلماً
غيره فقد أمالوه عن مواضعه التي وضعه الله تعالى فيها وأزالوه عنها وذلك نحو تحريفهم أسمر ربعة عن موضعه في التوراة
بوضعهم آدم طوال مكانه ونحو تحريفهم الرجم بوضعهم الحد بدله فإن قلت كيف قيل ههنا عن مواضعه وفي المائدة
من بعد مواضعه قلت أما عن مواضعه فعلى ما فسرنا من إزالته عن مواضعه التي أوجبت حكمة الله وضعه فيها بما
اقتضت شهواتهم من إبدال غيره مكانه وأما من بعد مواضعه فالمعنى أنه كانت له مواضع هو قمن بأن يكون فيها فحين
حرفوه تركوه كالغريب الذي لا موضع له بعد مواضعه ومقاره والمعنيان متقاربان وقرئ يحرفون الكلم بكسر الكاف وسكون
اللام جمع كلمة تخفيف كلمة قولهم غير مسمع حال من المخاطب أي اسمع وأنت غير مسمع وهو قول ذو وجهين يحتمل الذم أي
اسمع منا مدعواً عليك بلا سمعت لأنه لو أجيبت دعوتهم عليه لم يسمع فكان أصم غير مسمع قالوا ذلك اتكالاً على أن قولهم لا سمعت
دعوة مستجابة أو اسمع غير مجاب إلى ما تدعو إليه ومعناه غير مسمع جواباً يوافقك فكأنك لم تسمع شيئاً أو اسمع غير مسمع كلاماً ترضاه
فسمعك عنه ناب ويجوز على هذا أن يكون غير مسمع مفعول اسمع أي اسمع كلاماً غير مسمع إياك لأن أذنك لا تعيه نبواً عنه ويحتمل المدح
أي اسمع غير مسمع مكروهاً من قولك أسمع فلان فلاناً إذا سبه وكذلك قولهم راعنا يحتمل راعنا نكلمك أي ارقبنا وانتظرنا
ويحتمل شبه كلمة عبرانية أو سريانية كانوا يتسابون بها وهي راعينا فكانوا سخرية بالدين وهزءاً برسول الله صلى الله
عليه وسلم يكلمونه بكلام محتمل ينوون به الشتيمة والإهانة ويظهرون به التوقير والإكرام لياً بألسنتهم فتلاً بها وتحريفاً أي يفتلون بألسنتهم
الحق إلى الباطل حيث يضعون راعنا موضع انظرنا واسمع غير مسمع موضع لا أسمعت مكروهاً أو يفتلون بألسنتهم ما يضمرونه من الشتم
إلى ما يظهرونه من التوقير نفاقاً فإن قلت كيف جاؤوا بالقول المحتمل ذي الوجهين بعدما صرحوا وقالوا سمعنا وعصينا
قلت جميع الكفرة كانوا يواجهونه بالكفر والعصيان ولا يواجهونه بالسب ودعاء السوء ويجوز أن يقولوه فيما بينهم ويجوز
أن لا ينطقوا بذلك ولكنهم لما لم يؤمنوا به جعلوا كأنهم نطقوا به وقرئ وانظرنا من الإنظار وهو الإمهال فإن قلت
إلام يرجع الضمير في قوله لكان خيراً لهم قلت إلى أنهم قالوا لأن المعنى ولو ثبت قولهم سمعنا وأطعنا لكان قولهم ذلك خيراً
لهم وأقوم وأعدل وأسد ولكن لعنهم الله بكفرهم أي خذلهم بسبب كفرهم وأبعدهم عن ألطافه فلا يؤمنون إلا إيماناً قليلاً أي ضعيفاً
ركيكاً لا يعبأ به وهو إيمانهم بمن خلقهم مع كفرهم بغيره أو أراد بالقلة العدم كقوله قليل التشكي للمهم يصيبه أي عديم
التشكي أو إلا قليلاً منهم قد آمنوا **يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقاً لما معكم من
قبل أن نطمس وجوهاً فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله
مفعولاً** أن نطمس وجوهاً أي نمحو تخطيط صورها من عين وحاجب وأنف وفم فنردها على أدبارها فنجعلها على هيئة أدبارها
وهي الأقفاء مطموسة مثلها والفاء للتسبيب وإن جعلتها للتعقيب على أنهم توعدوا بعقابين أحدهما عقيب الآخر ردها على
أدبارها بعد طمسها فالمعنى أن نطمس وجوهاً فننكسها الوجوه إلى خلف والأقفاء إلى قدام ووجه آخر وهو أن يراد بالطمس القلب
والتغيير كما طمس أموال القبط فقلبها حجارة وبالوجوه رؤوسهم ووجهاؤهم أي من قبل أن نغير أحوال وجهائهم فنسلبهم إقبالهم
ووجاهتهم ونكسوهم صغارهم وإدبارهم أو نردهم إلى حيث جاؤوا منه وهي أذرعات الشام يريد إجلاء بني النضير فإن قلت

تمامه
كثير الهوى شتى النوى والمسالك
والشعر لتأبط شراً من قطعة أولها
إني لمهد من ثنائي فقاصد
به لابن عم الصدق شمس بن مالك
ه

لمن الراجع في قوله او نلعنهم قلت للوجوه ان اريد الوجهاء او لاصحاب الوجوه لان المعنى من قبل ان نطمس وجوه قوم او
يرجع الى الذين اوتوا الكتاب على طريقة الالتفات او نلعنهم او نخزيهم بالمسخ كما مسخنا اصحاب السبت فان قلت
فاين وقوع الوعيد قلت هو مشروط بالايمان وقد آمن منهم ناس وقيل هو منتظر ولا بد من طمس ومسخ لليهود قبل يوم القيمة
ولان الله تعالى اوعدهم باحد الامرين بطمس وجوه منهم او بلعنهم فان كان الطمس تبديل احوال رؤسائهم او اجلاءهم الى الشام فقد
كان احد الامرين وان كان غيره فقد حصل اللعن فانهم ملعونون بكل لسان والظاهر اللعن المتعارف دون المسخ الا ترى الى قوله
قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وكان امر الله مفعولا فلا بد ان يقع
احد الامرين ان لم يؤمنوا ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله
فقد افترى اثما عظيما فان قلت قد ثبت ان الله عز وعلا يغفر الشرك لمن تاب منه وانه لا يغفر
ما دون الشرك من الكبائر الا بالتوبة فما وجه قوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء قلت
الوجه ان يكون الفعل المنفي والمثبت جميعا موجهين الى قوله لمن يشاء كانه قيل ان الله لا يغفر لمن يشاء الشرك ويغفر
لمن يشاء ما دون الشرك على ان المراد بالاول من لم يتب وبالثاني من تاب ونظيره قولك ان الامير لا يبذل الدينار ويبذل
القنطار لمن يشاء تريد لا يبذل الدينار لمن لا يستاهله ويبذل القنطار لمن يستاهله فقد افترى اثما اي ارتكبه وهو مفتر مفتعل
ما لا يصح كونه الم تر الى الذين يزكون انفسهم بل الله يزكي من يشاء ولا يظلمون فتيلا
الذين يزكون انفسهم اليهود والنصارى قالوا نحن ابناء الله واحباؤه وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى
وقيل جاء رجال من اليهود الى رسول الله صلى الله عليه وسلم باطفالهم فقالوا هل على هؤلاء ذنب قال لا قالوا والله ما نحن الا
كهيئتهم ما عملناه بالنهار كفر عنا بالليل وما عملناه بالليل كفر عنا بالنهار فنزلت ويدخل فيها كل من زكى نفسه ووصفها بزكاء
العمل وزيادة الطاعة والتقوى والزلفى عند الله فان قلت اما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله اني لامين في
السماء امين في الارض قلت انما قال ذلك حين قال له المنافقون اعدل في القسمة اكذابا لهم اذ وصفوه بخلاف
ما وصفه به ربه وشتان من شهد الله تعالى له بالتزكية ومن شهد لنفسه او شهد له من لا يعلم بل الله يزكي من يشاء اعلام بان
تزكية الله هي التي يعتد بها لا تزكية غيره لانه هو العالم بمن هو اهل للتزكية ومعنى يزكي من يشاء يزكي المرتضين من عباده الذين
عرف منهم الزكاء فوصفهم به ولا يظلمون اي الذين يزكون انفسهم يعاقبون على تزكيتهم انفسهم حق جزائهم او من يشاء يثابون
على زكائهم ولا ينقص من ثوابهم ونحوه فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى انظر كيف يفترون على الله الكذب
وكفى به اثما مبينا الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت
ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا اولئك الذين لعنهم الله
ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا ام لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون الناس نقيرا
ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم
ملكا عظيما كيف يفترون على الله الكذب في زعمهم انهم عند الله ازكياء وكفى بزعمهم هذا اثما مبينا من بين سائر
آثامهم الجبت الاصنام وكل ما عبد من دون الله والطاغوت الشيطان وذلك ان حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف اليهوديين
خرجا الى مكة مع جماعة من اليهود يحالفون قريشا على محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انتم اهل كتاب وانتم اقرب الى محمد منكم الينا
فلا نامن مكركم فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن اليكم ففعلوا فهذا ايمانهم بالجبت والطاغوت لانهم سجدوا للاصنام واطاعوا ابليس
فيما فعلوا وقال ابو سفيان انحن اهدى سبيلا ام محمد فقال كعب ماذا يقول محمد قالوا يامر بعبادة الله وحده وينهى عن الشرك قال وما
دينكم قالوا نحن ولاة البيت نسقي الحاج ونقري الضيف ونفك العاني وذكروا افعالهم فقال انتم اهدى سبيلا وصف اليهود
بالبخل والحسد وهما شر خصلتين يمنعون ما اوتوا من النعمة ويتمنون ان تكون لهم نعمة غيرهم فقال ام لهم نصيب من الملك على ان
ام منقطعة ومعنى الهمزة لانكار ان يكون لهم نصيب من الملك ثم قال فاذا لا يؤتون الناس اي لو كان لهم نصيب من الملك فاذا
لا يؤتون احدا مقدار نقير لفرط بخلهم والنقير النقرة في ظهر النواة وهو مثل في القلة كالفتيل والقطمير والمراد بالملك اما ملك اهل
الدنيا واما ملك الله كقوله تعالى قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي اذا لامسكتم خشية الانفاق وهذا اوصف لهم بالشح واحسن
لطباقه نظيره من القرآن ويجوز ان يكون معنى الهمزة في ام لانكار انهم قد اوتوا نصيبا من الملك وكانوا اصحاب اموال وبساتين

القصور

وقصور مشيدة كما تكون احوال الملوك وانهم لا يؤتون احدا مما يملكون شيئا وقرا ابن مسعود رضي الله عنه فاذن لا يؤتوا على اعمال اذن
عملها الذي هو النصب وهي ملغاة في قراءة العامة كانه قيل فلا يؤتون الناس نقيرا اذن ام يحسدون الناس بل يحسدون
رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على انكار الحسد واستقباحه وكانوا يحسدونهم على ما آتاهم الله من فضله من النصرة والغلبة
وازدياد العز والتقدم كل يوم فقد آتينا الزام لهم بما عرفوه من ايتاء الله الكتاب والحكمة آل ابراهيم الذين هم اسلاف
محمد صلى الله عليه وسلم وانه ليس ببدع ان يؤتيه الله تعالى مثل ما اوتي اسلافه وعن ابن عباس الملك في آل ابراهيم ملك
يوسف وداود وسليمان وقيل استكثروا نساءه فقيل لهم كيف استكثرتم له التسع وقد كان لداود مائة ولسليمان ثلثمائة
مهيرة وسبعمائة سرية فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيرا ان الذين كفروا
باياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب ان الله
كان عزيزا حكيما والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها ابدا لهم فيها ازواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا فمنهم من اليهود من آمن
اي بما ذكر من حديث آل ابراهيم ومنهم من صد عنه وانكره مع علمه بصحته او من اليهود من آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم
ومنهم من انكر نبوته او من آل ابراهيم من آمن بابراهيم ومنهم من كفر كقوله تعالى فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون بدلناهم
جلودا غيرها ابدلناهم اياها فان قلت كيف تعذب مكان الجلود العاصية جلود لم تعص قلت
العذاب للجملة الحساسة وهي التي عصت لا للجلد وعن فضيل يجعل النضيج غير نضيج وعن النبي صلى الله عليه وسلم تبدل جلودهم
كل يوم سبع مرات وعن الحسن سبعين مرة يبدلون جلودا بيضا كالقراطيس ليذوقوا العذاب ليدوم لهم ذوقه ولا ينقطع
كقولك للعزيز اعزك الله اي ادامك على عزك وزادك فيه عزيزا لا يمتنع عليه شيء مما يريده بالمجرمين حكيما لا يعذب الا بعدل
من يستحقه ظليلا صفة مشتقة من لفظ الظل لتاكيد معناه كما يقال ليل اليل ويوم ايوم وما اشبه ذلك وهو ما كان
فينانا لا جوب فيه ودائما لا تنسخه الشمس وسجسجا لا حر فيه ولا برد وليس ذلك الا ظل الجنة رزقنا الله تعالى بتوفيقه لما
يزلف اليه التفيؤ تحت ذلك الظل وفي قراءة عبد الله سيدخلهم بالياء ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات
الى اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ان الله نعما يعظكم به ان الله كان
سميعا بصيرا ان تؤدوا الامانات الخطاب عام لكل احد في كل امانة وقيل نزلت في عثمان بن طلحة بن عبد الدار
وكان سادن الكعبة وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل مكة يوم الفتح اغلق عثمان باب الكعبة وصعد السطح وابى
ان يدفع المفتاح اليه وقال لو علمت انه رسول الله لم امنعه فلوى علي بن ابي طالب رضي الله عنه يده واخذه منه وفتح ودخل رسول الله
صلى الله عليه وسلم وصلى ركعتين فلما خرج سأله العباس رضي الله عنه ان يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة فنزلت فامر
عليا ان يرده الى عثمان ويعتذر اليه فقال عثمان لعلي اكرهت وآذيت ثم جئت ترفق فقال لقد انزل الله تعالى في شانك قرآنا وقرا
عليه الآية فقال عثمان اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فهبط جبريل واخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان السدانة في اولاد
عثمان ابدا وقيل هو خطاب للولاة باداء الامانات والحكم بالعدل وقرئ الامانة على التوحيد نعما يعظكم به ما اما ان تكون
منصوبة موصوفة بيعظكم به واما ان تكون مرفوعة موصولة به كانه قيل نعم شيئا يعظكم به او نعم الشيء الذي يعظكم به والمخصوص
بالمدح محذوف اي نعما يعظكم به ذاك وهو المامور به من اداء الامانات والعدل في الحكم وقرئ نعما بفتح النون
يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه
الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير واحسن تاويلا لما امر الولاة
باداء الامانات الى اهلها وان يحكموا بالعدل امر الناس بان يطيعوهم وينزلوا على قضاياهم والمراد باولي الامر منكم امراء الحق
لان امراء الجور الله ورسوله بريئان منهم فلا يعطفون على الله ورسوله في وجوب الطاعة لهم وانما يجمع بين الله ورسوله
والامراء الموافقين لهما في ايثار العدل واختيار الحق والامر بهما والنهي عن اضدادهما كالخلفاء الراشدين ومن تبعهم باحسان
وكان الخلفاء يقولون اطيعوني ما عدلت فيكم فان خالفت فلا طاعة لي عليكم وعن ابي حازم ان مسلمة بن عبد الملك
قال له الستم امرتم بطاعتنا في قوله واولي الامر منكم قال اليس قد نزعت عنكم اذا خالفتم الحق بقوله فان تنازعتم
في شيء فردوه الى الله والرسول وقيل هم امراء السرايا وعن النبي صلى الله عليه وسلم من اطاعني فقد اطاع الله ومن

عصاني فقد عصى الله ومن يطع اميري فقد اطاعني ومن يعص اميري فقد عصاني وقيل هم العلماء الدينون الذين يعلّمون
الناس الدين ويامرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر فان تنازعتم في شيء فان اختلفتم انتم واولوا الامر في شيء من امور الدين
فردوه الى الله ورسوله اي راجعوا فيه الى الكتاب والسنة وكيف تلزم طاعة امراء الجور وقد جنح الله الامر بطاعة اولي الامر بما لا
يبقى معه شك وهو انه امرهم اولا باداء الامانات وبالعدل في الحكم وامرهم آخرا بالرجوع الى الكتاب والسنة فيما اشكل وامراء الجور
لا يؤدون الامانة ولا يحكمون بعدل ولا يردون شيئا الى كتاب الله تعالى ولا الى سنة انما يتبعون شهواتهم حيث ذهبت بهم
فهم منسلخون عن صفات الذين هم اولوا الامر عند الله ورسوله واحق اسمائهم اللصوص المتغلبة ذلك اشارة الى الرد الى
الكتاب والسنة خير لكم واصلح واحسن تاويلا واحسن عاقبة وقيل احسن تاويلا من تاويلكم انتم **الم تر الى الذين يزعمون
انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا ان
يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا** روي ان بشرا المنافق خاصم يهوديا فدعاه اليهودي
الى النبي صلى الله عليه وسلم ودعاه المنافق الى كعب بن الاشرف ثم انهما احتكما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقضى لليهودي
فلم يرض المنافق وقال تعال نتحاكم الى عمر بن الخطاب فقال اليهودي لعمر رضي الله عنه قضى لنا رسول الله فلم يرض بقضائه فقال
للمنافق اكذلك قال نعم فقال عمر مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل عمر فاشتمل على سيفه ثم خرج فضرب عنق المنافق حتى برد ثم
قال هكذا اقضي لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله فنزلت وقال جبريل عليه السلام ان عمر فرق بين الحق والباطل فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم انت الفاروق والطاغوت كعب بن الاشرف سماه الله تعالى طاغوتا لافراطه في الطغيان وعداوة
رسول الله صلى الله عليه وسلم او على التشبيه بالشيطان والتسمية باسمه او جعل اختيار التحاكم الى غير رسول الله صلى الله عليه وسلم
على التحاكم اليه تحاكما الى الشيطان بدليل قوله وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم وقرئ بما انزل وما انزل
على البناء للفاعل وقرا عباس بن الفضل ان يكفروا بهن ذهابا بالطاغوت الى الجمع كقوله تعالى اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم
واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول رايت المنافقين يصدون عنك صدودا
وقرا الحسن تعالُوا بضم اللام على انه حذف اللام من تعاليت تخفيفا كما قالوا ما باليت به بالة واصلها بالية كعافية وكما قال
الكسائي في آية ان اصلها آيية فاعلة فحذفت اللام فلما حذفت اللام وقعت واو الجمع بعد اللام من تعالى فضمت فصار تعالوا
نحو تقدموا ومنه قول اهل مكة تعالِي بكسر اللام للمراة وفي شعر الحمداني تعالي اقاسمك الهموم تعالي والوجه فتح اللام
**فكيف اذا اصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم ثم جاؤك يحلفون بالله ان اردنا الا احسانا
وتوفيقا** فكيف يكون حالهم وكيف يصنعون يعني انهم يعجزون عند ذلك فلا يصدرون امرا ولا يوردونه اذا
اصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم من التحاكم الى غيرك واتهامهم لك في الحكم ثم جاؤك حين يصابون فيعتذرون اليك
ويحلفون ما اردنا بتحاكمنا الى غيرك الا احسانا لا اساءة وتوفيقا بين الخصمين ولم نرد مخالفة لك ولا تسخطا لحكمك
ففرج عنا بدعائك وهذا وعيد لهم على فعلهم وانهم سيندمون عليه حين لا ينفعهم الندم ولا يغني عنهم الاعتذار عند حلول
باس الله تعالى وقيل جاء اولياء المنافق يطلبون بدمه وقد اهدره الله تعالى فقالوا ما اردنا بالتحاكم الى عمر الا ان يحسن
الى صاحبنا بالحكومة العدل والتوفيق بينه وبين خصمه وما خطر ببالنا انه يحكم له بما حكم به **اولئك الذين يعلم الله
ما في قلوبهم فاعرض عنهم وعظهم وقل لهم في انفسهم قولا بليغا** فاعرض عنهم لا تعاقبهم لمصلحة في
استبقائهم ولا تزد على كفهم بالموعظة والنصيحة عما هم عليه وقل لهم في انفسهم قولا بليغا بالغ في وعظهم بالتخويف والانذار
فان قلت بم تعلق قوله في انفسهم **قلت** بقوله بليغا اي قل لهم قولا بليغا في انفسهم مؤثرا في قلوبهم يغتمّون
به اغتماما ويستشعرون منه الخوف استشعارا وهو التوعد بالقتل والاستيصال ان نجم منهم النفاق واطلع قرنه واخبرهم
ان ما في نفوسهم من الدغل والنفاق معلوم عند الله تعالى وانه لا فرق بينكم وبين المشركين وما هذه المكافة الا لاظهاركم
الايمان واسراركم الكفر واضماره فان فعلتم ما تكشفون به غطاءكم لم يبق الا السيف او يتعلق بقوله قل لهم اي قل لهم في
معنى انفسهم الخبيثة وقلوبهم المطوية على النفاق قولا بليغا وان الله يعلم ما في قلوبكم لا يخفى عليه فلا يغني عنكم ابطانه فاصلحوا
انفسكم وطهروا قلوبكم وداووها من مرض النفاق والا انزل الله بكم ما انزل بالمجاهرين بالشرك من انتقامه وشرا من ذلك
واغلظ او قل لهم في انفسهم خاليا بهم ليس معهم غيرهم مسارا لهم بالنصيحة لانها في السر انجع وفي الامحاض ادخل قولا بليغا

يبلغ منهم ويؤثر فيهم **وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله ولو انهم اذ ظلموا انفسهم
جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما**
وما ارسلنا من رسول وما ارسلنا رسولا قط الا ليطاع باذن الله بسبب اذن الله في طاعته وبانه امر المبعوث اليهم بان
يطيعوه ويتبعوه لانه مؤد عن الله فطاعته طاعة الله ومعصيته معصية الله ومن يطع الرسول فقد اطاع الله ويجوز
ان يراد بتيسير الله وتوفيقه في طاعته ولو انهم اذ ظلموا انفسهم بالتحاكم الى الطاغوت جاؤك تائبين من النفاق متنصلين
عما ارتكبوا فاستغفروا الله من ذلك بالاخلاص وبالغوا في الاعتذار اليك من ايذائك برد قضائك حتى انتصبت
شفيعا لهم الى الله ومستغفرا لوجدوا الله توابا لعلموه توابا اي لتاب عليهم ولم يقل واستغفرت لهم وعدل عنه الى
طريقة الالتفات تفخيما لشان رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيما لاستغفاره وتنبيها على ان شفاعة من اسمه الرسول
من الله تعالى بمكان **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم
حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما** فلا وربك معناه فوربك كقوله فوربك لنسئلنهم ولا مزيدة لتاكيد
معنى القسم كما زيدت في لئلا يعلم لتاكيد وجوب العلم ولا يؤمنون جواب القسم **فان قلت** هلا زعمت انها زيدت
لتظاهر لا في لا يؤمنون **قلت** يابى ذلك استواء النفي والاثبات فيه وذلك قوله فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون
انه لقول رسول كريم فيما شجر بينهم فيما اختلف بينهم واختلط ومنه الشجر لتداخل اغصانه حرجا ضيقا اي لا تضيق صدورهم
من حكمك وقيل شكا لان الشاك في ضيق من امره حتى يلوح له اليقين ويسلموا وينقادوا ويذعنوا لما تاتي به من قضائك
لا يعارضونه بشيء من قولك سلم لامر الله واسلم له وحقيقته سلم نفسه له واسلمها اذا جعلها سالمة له خالصة وتسليما
تاكيد للفعل بمنزلة تكريره كانه قيل وينقادوا لحكمه انقيادا لا شبهة فيه بظاهرهم وباطنهم **ولو انا كتبنا عليهم ان
اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم ولو انهم فعلوا ما يوعظون به لكان
خيرا لهم واشد تثبيتا** قيل نزلت في شان المنافق واليهودي وقيل في شان الزبير وحاطب بن ابي بلتعة وذلك
انهما اختصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في شراج من الحرة كانا يسقيان بهما النخل فقال اسق يا زبير ثم ارسل الماء
الى جارك فغضب حاطب وقال لان كان ابن عمتك فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اسق يا زبير ثم احبس الماء
حتى يرجع الى الجدر واستوف حقك ثم ارسله الى جارك كان قد اشار على الزبير براي فيه السعة له ولخصمه فلما احفظ
رسول الله صلى الله عليه وسلم استوعب للزبير حقه في صريح الحكم ثم خرجا فمرا على المقداد فقال قاتل الله هؤلاء يشهدون
انه رسول الله ثم يتهمونه في قضاء يقضي بينهم وايم الله لقد اذنبنا ذنبا مرة في حياة موسى عليه السلام فدعانا الى التوبة وقال
اقتلوا انفسكم ففعلنا فبلغ قتلانا سبعين الفا في طاعة ربنا حتى رضي عنا فقال ثابت بن قيس بن شماس اما والله ان الله يعلم
مني الصدق لو امرني محمد ان اقتل نفسي لقتلتها وروي انه قال ذلك ثابت وابن مسعود وعمار بن ياسر فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم والذي نفسي بيده ان من امتي رجالا الايمان اثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
انه قال والله لو امرنا ربنا لفعلنا والحمد لله الذي لم يفعل بنا ذلك فنزلت الآية في شان حاطب ونزلت في شان هؤلاء ولو
انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم اي لو اوجبنا عليهم مثل ما اوجبنا على بني اسرائيل من قتلهم انفسهم او خروجهم من
ديارهم حين استتيبوا من عبادة العجل ما فعلوه الا ناس قليل منهم وهذا توبيخ عظيم والرفع على البدل من الواو في فعلوه وقرئ
الا قليلا بالنصب على اصل الاستثناء او على الا فعلا قليلا ما يوعظون به من اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وطاعته والانقياد
لما يراه ويحكم به لانه الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى لكان خيرا لهم في عاجلهم وآجلهم واشد تثبيتا لايمانهم وابعد
من الاضطراب **واذا لآتيناهم من لدنا اجرا عظيما ولهديناهم صراطا مستقيما** واذا جواب
لسؤال مقدر كانه قيل وماذا يكون لهم ايضا بعد التثبيت فقيل واذا لو ثبتوا لآتيناهم لان اذا جواب وجزاء من لدنا اجرا
عظيما كقوله تعالى ويؤت من لدنه اجرا عظيما في ان المراد العطاء المتفضل به من عنده وتسميته اجرا لانه تابع للاجر لا يثبت الا
بثباته ولهديناهم ولالطفنا بهم ووفقناهم لازدياد الخيرات **ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين
انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا**
الصديقون افاضل صحابة الانبياء الذين تقدموا في تصديقهم مثل ابي بكر الصديق رضي الله عنه وصدقوا في اقوالهم وافعالهم

وهذا ترغيب للمؤمنين في الطاعة حيث وعدوا مرافقة اقرب عباد الله الى الله تعالى وارفعهم درجات عنده وحسن اولئك
رفيقا فيه معنى التعجب كأنه قيل وما احسن اولئك رفيقا ولاستقلاله بمعنى التعجب قرئ وحسن بسكون السين يقول المتعجب
حسن الوجه وجهك بالفتح والضم مع التسكين والرفيق كالصديق والخليط في استواء الواحد والجمع فيه ويجوز ان يكون
مفردا بيّن به الجنس في باب التمييز • وروي ان ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان شديد الحب لرسول الله صلى الله
عليه وسلم قليل الصبر عنه فاتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه وعرف الحزن في وجهه فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حاله
فقال يا رسول الله ما بي وجع غير اني اذا لم ارك اشتقت اليك واستوحشت وحشة شديدة حتى القاك فذكرت الآخرة
فخفت ان لا اراك هناك لاني عرفت انك ترفع مع النبيين وان ادخلت الجنة كنت في منزل دون منزلك وان لم ادخل
فذاك حين لا اراك ابدا فنزلت فقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى اكون احب اليه من
نفسه وابويه واهله وولده والناس اجمعين وحكي ذلك عن جماعة من الصحابة رضي الله تعالى عنهم • ذلك الفضل
من الله وكفى بالله عليما • ذلك مبتدأ والفضل صفته ومن الله الخبر ويجوز ان يكون ذلك مبتدأ
والفضل من الله خبره والمعنى ان ما اعطي المطيعون من الاجر العظيم ومرافقة المنعم عليهم من الله لانه تفضل به عليهم
تبعا لثوابهم وكفى بالله عليما بجزاء من اطاعه او اراد ان فضل المنعم عليهم ومزيتهم من الله تعالى لانهم اكتسبوا بتمكينه وتوفيقه
وكفى بالله عليما بعباده فهو يوفقهم على حسب احوالهم • يا ايها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات
او انفروا جميعا وان منكم لمن ليبطئن فان اصابتكم مصيبة قال قد انعم الله علي
اذ لم اكن معهم شهيدا • ولئن اصابكم فضل من الله ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه
مودة يا ليتني كنت معهم فافوز فوزا عظيما • حذر واحذركم الحذر والحذر بمعنى كالاثر والاثر يقال اخذ
حذره اذا تيقظ واحترز من المخوف كأنه جعل الحذر آلته التي يقي بها نفسه ويعصم بها روحه والمعنى احذروا واحترزوا
من العدو ولا تمكنوه من انفسكم فانفروا اذا نفرتم الى العدو اما ثبات جماعات متفرقات سرية بعد سرية واما جميعا
اي مجتمعين كوكبة واحدة ولا تتخاذلوا فتلقوا بانفسكم الى التهلكة وقرئ فانفروا بضم الفاء • اللام في لمن للابتداء
بمنزلتها في قوله تعالى ان الله لغفور وفي ليبطئن جواب قسم محذوف تقديره وان منكم لمن اقسم بالله ليبطئن والقسم وجوابه
صلة من والضمير الراجع منها اليه ما استكن في ليبطئن والخطاب لعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم والمبطئون
منهم المنافقون لانهم كانوا يغزون معهم نفاقا ومعنى ليبطئن ليتثاقلن وليتخلفن عن الجهاد وبطأ بمعنى ابطأ كعتم بمعنى
اعتم اذا ابطأ وقرئ ليبطئن بالتخفيف يقال بطأ علي فلان وابطأ علي وبطؤ نحو ثقل ويقال ما بطأ بك فيعدى بالباء
ويجوز ان يكون منقولا من بطؤ نحو ثقل من ثقل فيراد ليبطئن غيره وليثبطنه عن الغزو وكان هذا ديدن المنافق عبد الله
بن ابي وهو الذي ثبط الناس يوم احد فان اصابتكم مصيبة من قتل او هزيمة فضل من الله من فتح او غنيمة ليقولن وقرئ
ليقولن بضم اللام اعادة للضمير الى معنى من لان قوله لمن ليبطئن في معنى الجماعة وقوله كأن لم تكن بينكم وبينه مودة اعتراض بين الفعل
الذي هو ليقولن وبين مفعوله وهو يا ليتني والمعنى كأن لم تتقدم له معكم موادة لان المنافقين كانوا يوادون المؤمنين ويصادقونهم
في الظاهر وان كانوا يبغون لهم الغوائل في الباطن والظاهر انه تهكم لانهم كانوا اعدى عدو للمؤمنين واشدهم حسدا لهم فكيف
يوصفون بالمودة الا على وجه العكس تهكما بحالهم وقرئ فافوز بالرفع عطفا على كنت معهم لينتظم الكون معهم والفوز معنى التمني
فيكونا متمنيين جميعا ويجوز ان يكون خبر مبتدأ محذوف بمعنى فانا افوز في ذلك الوقت • فليقاتل في سبيل الله
الذين يشرون الحيوة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه
اجرا عظيما • يشرون بمعنى يشترون ويبيعون قال ابن مفرغ • وشريت بردا ليتني • من بعد برد كنت هامه
فالذين يشترون الحيوة الدنيا بالآخرة هم المبطئون وعظوا بان يغيروا ما بهم من النفاق ويخلصوا الايمان بالله ورسوله ويجاهدوا
في سبيل الله حق الجهاد والذين يبيعون هم المؤمنون الذين يستحبون الآجلة على العاجلة ويستبدلونها بها والمعنى ان صد الذين
مرضت وضعفت نياتهم عن القتال فليقاتل الثابتون المخلصون ووعد المقاتل في سبيل الله ظافرا او مظفورا به ايتاء الاجر
العظيم على اجتهاده في اعزاز دين الله • وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال
والنساء والولدان الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها واجعل لنا من لدنك

وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا • والمستضعفين فيه وجهان ان يكون مجرورا عطفا على سبيل الله
اي في سبيل الله وفي خلاص المستضعفين ومنصوبا على الاختصاص يعني واختص من سبيل الله خلاص المستضعفين لان
سبيل الله عام في كل خير وخلاص المستضعفين من المسلمين من ايدي الكفار من اعظم الخير واخصه والمستضعفون هم الذين
اسلموا بمكة وصدهم المشركون عن الهجرة فبقوا بين اظهرهم مستذلين مستضعفين يلقون منهم الاذى الشديد فكانوا يدعون
الله بالخلاص ويستنصرونه فيسر الله لبعضهم الخروج الى المدينة وبقي بعضهم الى الفتح حتى جعل الله تعالى لهم من لدنه خير ولي وناصر
وهو محمد صلى الله عليه وسلم فتولاهم احسن التولي ونصرهم اقوى النصر ولما خرج استعمل على اهل مكة عتاب بن اسيد رضي الله عنه
فراوا منه الولاية والنصرة كما ارادوا • قال ابن عباس رضي الله عنهما كان ينصر الضعيف من القوي حتى كانوا اعز بها من الظلمة
فان قلت لم ذكر الولدان قلت تسجيلا بافراط ظلمهم حيث بلغ اذاهم الولدان غير المكلفين ارغاما
لآبائهم وامهاتهم ومبغضة لهم لمكانهم ولان المستضعفين كانوا يشركون صبيانهم في دعائهم استنزالا لرحمة الله تعالى بدعاء
صغارهم الذين لم يذنبوا كما فعل قوم يونس وكما وردت السنة باخراجهم في الاستسقاء • وعن ابن عباس رضي الله عنهما كنت
انا وامي من المستضعفين من النساء والولدان • ويجوز ان يراد بالرجال والنساء الاحرار والحرائر وبالولدان العبيد والاماء
لان العبد والامة يقال لهما الوليد والوليدة وقيل للولدان والولائد الولدان لتغليب الذكور على الاناث كما يقال الآباء والاخوة
فان قلت لم ذكر الظالم وموصوفه مؤنث قلت هو وصف للقرية الا انه مسند الى اهلها فاعطي
اعراب القرية لانه صفتها وذكر لاسناده الى الاهل كما تقول من هذه القرية التي ظلم اهلها ولو انث فقيل الظالمة اهلها لجاز
لا لتأنيث الموصوف ولكن لان الاهل يذكر ويؤنث فان قلت هل يجوز من هذه القرية الظالمين اهلها قلت
نعم كما تقول التي ظلموا اهلها على لغة من يقول اكلوني البراغيث ومنه واسروا النجوى الذين ظلموا • الذين آمنوا يقاتلون
في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا اولياء الشيطان
ان كيد الشيطان كان ضعيفا • رغب الله تعالى المؤمنين ترغيبا وشجعهم تشجيعا باخبارهم انهم انما يقاتلون
في سبيل الله فهو وليهم وناصرهم واعداؤهم يقاتلون في سبيل الشيطان فلا ولي لهم الا الشيطان وكيد الشيطان للمؤمنين
الى جنب كيد الله للكافرين اضعف شيء واوهنه • الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم واقيموا الصلوة
وآتوا الزكوة فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله او اشد خشية
وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب • كفوا ايديكم اي كفوا عن القتال وذلك
ان المسلمين كانوا مكفوفين عن مقاتلة الكفار ما داموا بمكة وكانوا يتمنون ان يؤذن لهم فيه فلما كتب عليهم القتال بالمدينة
كع فريق منهم لا شكا في الدين ولا رغبة عنه ولكن نفورا عن الاخطار بالارواح وخوفا من الموت كخشية الله من اضافة المصدر الى
المفعول فان قلت ما محل كخشية الله من الاعراب قلت محلها النصب على الحال من الضمير في يخشون اي
يخشون الناس مثل اهل خشية الله اي مشبهين لاهل خشية الله او اشد خشية بمعنى او اشد خشية من اهل خشية الله
واشد معطوف على الحال فان قلت لم عدلت عن الظاهر وهو كونه صفة للمصدر ولم تقدر يخشون خشية مثل خشية الله
بمعنى مثل ما يخشى الله قلت ابى ذلك قوله او اشد خشية لانه وما عطف عليه في حكم واحد ولو قلت يخشون الناس
اشد خشية لم يكن الا حالا عن ضمير الفريق في يخشون ولم ينتصب انتصاب المصدر لانك لا تقول خشي فلان اشد خشية
فتنصب خشية وانت تريد المصدر انما تقول اشد خشية فتجره واذا نصبتها لم يكن اشد خشية الا عبارة عن الفاعل
حالا منه اللهم الا ان تجعل الخشية خاشية وذات خشية على قولهم جد جده فتزعم ان معناه يخشون الناس خشية مثل خشية الله
او خشية اشد خشية من خشية الله ويجوز على هذا ان يكون محل اشد مجرورا عطفا على خشية الله تريد كخشية الله او
كخشية اشد خشية منها • لولا اخرتنا الى اجل قريب استزادة في مدة الكف واستمهال الى وقت آخر كقوله تعالى لولا اخرتني
الى اجل قريب فاصدق • قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا • ولا تظلمون
فتيلا ولا تنقصون ادنى شيء من اجوركم على مشاق القتال فلا ترغبوا عنه وقرئ ولا يظلمون بالياء • اينما تكونوا
يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله
وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله فما لهؤلاء القوم

لا يكادون يفقهون حديثا ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن
نفسك وارسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا يدرككم بالرفع وقيل هو على حذف الفاء كانه
قيل فيدرككم الموت وشبه بقول القائل من يفعل الحسنات الله يشكرها ويجوز ان يقال حمل على ما يقع موقع اينما تكونوا
وهو اينما كنتم كما حمل ولا ناعب على ما يقع موقع ليسوا مصلحين وهو ليسوا بمصلحين فرفع كما رفع زهير يقول لا غائب لي
ولا حرم وهو قول نحوي سيبويه ويجوز ان يتصل بقوله ولا تظلمون فتيلا اي ولا تنقصون شيئا مما كتب من آجالكم
اينما تكونوا اي في ملاحم حروب او غيرها ثم ابتدأ قوله يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة والوقف على هذا الوجه على اينما تكونوا
والبروج الحصون مشيدة مرفعة وقرئ مشيدة من شاد القصر اذا رفعه او طلاه بالشيد وهو الجص وقرأ نعيم بن
ميسرة مشيدة بكسر الياء وصفا لها بفعل فاعلها مجازا كما قالوا قصيدة شاعرة وانما الشاعر فارضها السيئة تقع
على البلية والمعصية والحسنة على النعمة والطاعة قال الله تعالى وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون وقال
ان الحسنات يذهبن السيئات والمعنى وان تصبهم نعمة من خصب ورخاء نسبوها الى الله تعالى وان تصبهم بلية من قحط
وشدة اضافوها اليك وقالوا هي من عندك وما كانت الا بشومك كما حكى الله عن قوم موسى وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى
ومن معه وعن قوم صالح قالوا اطيرنا بك وبمن معك وروي عن اليهود لعنت انهم تشاءمت برسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا منذ دخل المدينة نقصت ثمارها وغلت اسعارها فرد الله تعالى عليهم بقوله قل كل من عند الله يبسط الارزاق
ويقبضها على حسب المصالح لا يكادون يفقهون حديثا فيعلموا ان الله هو القابض الباسط وكل ذلك صادر عن حكمة وصواب
ثم قال ما اصابك يا انسان خطابا عاما من حسنة اي من نعمة واحسان فمن الله تفضلا منه واحسانا وامتنانا وامتحانا
وما اصابك من سيئة اي من بلية ومصيبة فمن عندك لانك السبب فيها بما اكتسبت يداك وما اصابكم من مصيبة فبما
كسبت ايديكم ويعفو عن كثير وعن عائشة رضي الله عنها ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى
انقطاع شسع نعله الا بذنب وما يعفو الله اكثر وارسلناك للناس رسولا اي رسولا للناس جميعا لست برسول
العرب وحدهم انت رسول العرب والعجم كقوله تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا
وكفى بالله شهيدا على ذلك فما ينبغي لاحد ان يخرج عن طاعتك واتباعك من يطع الرسول فقد اطاع الله
ومن تولى فما ارسلناك عليهم حفيظا ويقولون طاعة فاذا برزوا من عندك بيت طائفة
منهم غير الذي تقول والله يكتب ما يبيتون فاعرض عنهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا
من يطع الرسول فقد اطاع الله لانه لا يامر الا بما امر الله به ولا ينهى الا عما نهى الله عنه فكانت طاعته في امتثال ما امر به والانتهاء
عما نهى عنه طاعة لله وروي انه قال من احبني فقد احب الله ومن اطاعني فقد اطاع الله فقال المنافقون الا تسمعون
الى ما يقول هذا الرجل لقد قارف الشرك وهو ينهى ان يعبد غير الله ما يريد هذا الرجل الا ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى
فنزلت ومن تولى عن الطاعة فاعرض عنه فما ارسلناك الا نذيرا لا حفيظا ومهيمنا عليهم تحفظ عليهم اعمالهم وتحاسبهم
عليها وتعاقبهم كقوله وما انت عليهم بوكيل ويقولون اذا امرتهم بشيء طاعة بالرفع اي امرنا وشاننا طاعة ويجوز النصب بمعنى
اطعناك طاعة وهذا من قول المرتسم سمعا وطاعة وسمع وطاعة ونحوه قول سيبويه وسمعنا بعض العرب الموثوق بهم يقال له
كيف اصبحت فيقول حمد الله وثناء عليه كانه قال امري وشاني حمد الله ولو نصب حمد الله وثناء عليه كان على الفعل والرفع
يدل على ثبات الطاعة واستقرارها بيت طائفة زورت طائفة وسوت غير الذي تقول خلاف ما قلت وما امرت به او
خلاف ما قالت وما ضمنت من الطاعة لانهم ابطنوا الرد لا القبول والعصيان لا الطاعة وانما ينافقون بما يقولون ويظهرون
والتبييت اما من البيتوتة لانه قضاء الامر وتدبيره بالليل يقال هذا امر بيت بليل واما من ابيات الشعر لان الشاعر
يدبرها ويسويها والله يكتب ما يبيتون يثبته في صحائف اعمالهم ويجازيهم عليه على سبيل الوعيد او يكتبه في جملة ما يوحى اليك
فيطلعك على اسرارهم فلا يحسبوا ان ابطانهم يغني عنهم فاعرض عنهم ولا تحدث نفسك بالانتقام منهم وتوكل على الله
في شانهم فان الله تعالى يكفيك معرتهم وينتقم لك منهم اذا قوي امر الاسلام وعز انصاره وقرئ بيت طائفة
بالادغام وتذكير الفعل لان تانيث الطائفة غير حقيقي ولانها في معنى الفريق والفوج افلا يتدبرون القرآن
ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا تدبر الامر تامله والنظر في ادباره وما يؤول اليه

في عاقبته ومنتهاه ثم استعمل في كل تامل فمعنى تدبر القرآن تامل معانيه وتبصر ما فيه لوجدوا فيه اختلافا كثيرا لكان الكثير منه
مختلفا متناقضا قد تفاوت نظمه وبلاغته ومعانيه فكان بعضه بالغا حد الاعجاز وبعضه قاصرا عنه يمكن معارضته وبعضه
اخبارا بالغيب قد وافق المخبر عنه وبعضه اخبارا مخالفا للمخبر عنه وبعضه دالا على معنى صحيح عند علماء المعاني وبعضه دالا
على معنى فاسد غير ملتئم فلما تجاوب كله بلاغة معجزة فائتة لقوى البلغاء وتناصر صحة معان وصدق اخبار علم انه ليس الا
من عند قادر على ما لا يقدر عليه غيره عالم بما لا يعلمه احد سواه فان قلت اليس نحو قوله فاذا هي ثعبان مبين كانها جان
فوربك لنسالنهم اجمعين فيومئذ لا يسال عن ذنبه انس ولا جان من الاختلاف قلت ليس باختلاف عند المتدبرين
واذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا به ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه
الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا
هم ناس من ضعفة المسلمين الذين لم تكن فيهم خبرة بالاحوال ولا استبطان للامور كانوا اذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله
صلى الله عليه وسلم من امن وسلامة او خوف وخلل اذاعوا به وكانت اذاعتهم مفسدة ولو ردوا ذلك الخبر الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم والى اولي الامر منهم وهم كبار الصحابة البصراء بالامور او الذين كانوا يؤمرون منهم لعلمه لعلم تدبير
ما اخبروا به الذين يستنبطونه الذين يستخرجون تدبيره بفطنتهم وتجاربهم ومعرفتهم بامور الحرب ومكائدها وقيل كانوا
يقفون من رسول الله صلى الله عليه وسلم واولي الامر على امن ووثوق بالظهور على بعض الاعداء او على خوف واستشعار
فيذيعونه فينتشر فيبلغ الاعداء فتعود اذاعتهم مفسدة ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر وفوضوه اليهم وكانوا كان لم يسمعوا
لعلم الذين يستنبطون تدبيره كيف يدبرونه وما ياتون ويذرون فيه وقيل كانوا يسمعون من افواه المنافقين شيئا
من الخبر عن السرايا مظنونا غير معلوم الصحة فيذيعونه فيعود ذلك وبالا على المؤمنين ولو ردوه الى الرسول صلى الله عليه وسلم
والى اولي الامر وقالوا نسكت حتى نسمعه منهم ونعلم هل هو مما يذاع او لا يذاع لعلمه الذين يستنبطونه منهم لعلم صحته وهل هو
مما يذاع او لا يذاع هؤلاء المذيعون وهم الذين يستنبطونه من الرسول واولي الامر اي يتلقونه منهم ويستخرجون علمه من
جهتهم يقال اذاع السر واذاع به قال اذاع به في الناس حتى كانه بعلياء نار اوقدت بثقوب ويجوز ان يكون
المعنى فعلوا به الاذاعة وهو ابلغ من اذاعوه وقرئ لعلمه باسكان اللام كقوله فان اهجه يضجر كما ضجر بازل من
الادم دبرت صفحاته وغاربه والنبط الماء يخرج من البئر اول ما تحفر وانباطه واستنباطه اخراجه واستخراجه فاستعير
لما يستخرجه الرجل بفضل ذهنه من المعاني والتدابير فيما يعضل ويهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته وهو ارسال الرسول وانزال الكتاب
والتوفيق لاتبعتم الشيطان لبقيتم على الكفر الا قليلا منكم او الا اتباعا قليلا فقاتل في سبيل الله لا تكلف
الا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله ان يكف باس الذين كفروا والله اشد باسا واشد
تنكيلا لما ذكر في الآي قبلها تثبطهم عن القتال واظهارهم الطاعة واضمارهم خلافها قال فقاتل في سبيل الله
ان افردوك وتركوك وحدك لا تكلف الا نفسك وحدها ان تقدمها الى الجهاد فان الله هو ناصرك لا الجنود فان شاء
نصرك وحدك كما ينصرك وحولك الالوف وقيل دعا الناس في بدر الصغرى الى الخروج وكان ابو سفيان واعد
رسول الله صلى الله عليه وسلم اللقاء فيها فكره بعض الناس ان يخرجوا فنزلت فخرج وما معه الا سبعون لم يلو على احد
ولو لم يتبعه احد لخرج وحده وقرئ لا تكلف بالجزم على النهي ولا نكلف بالنون وكسر اللام اي لا نكلف نحن الا نفسك وحدها
وحرض المؤمنين وما عليك في شانهم الا التحريض فحسب لا التعنيف بهم عسى الله ان يكف باس الذين كفروا وهم قريش
وقد كف باسهم فقد بدا لابي سفيان وقال هذا عام مجدب وما كان معهم زاد الا السويق ولا يلقون الا في عام مخصب فرجع
بهم والله اشد باسا من قريش واشد تنكيلا تعذيبا من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها
ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وكان الله على كل شيء مقيتا الشفاعة الحسنة
هي التي روعي بها حق مسلم ودفع بها عنه شر او جلب اليه خير وابتغي بها وجه الله ولم يؤخذ عليها رشوة وكانت في امر جائز
لا في حد من حدود الله ولا في حق من الحقوق والسيئة ما كان بخلاف ذلك وعن مسروق انه شفع شفاعة فاهدى
اليه المشفوع له جارية فغضب وردها وقال لو علمت ما في قلبك لما تكلمت في حاجتك ولا اتكلم فيما بقي منها وقيل
الشفاعة الحسنة هي الدعوة للمسلم لانها في معنى الشفاعة الى الله تعالى وعن النبي صلى الله عليه وسلم من دعا لاخيه المسلم

بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك فذلك النصيب والدعوة على المسلم بضد ذلك مقيتا شهيدا
حفيظا وقيل مقتدرا واقات على الشيء قال الزبير بن عبد المطلب وذي ضغن كففت النفس عنه وكنت على اساءته مقيتا
وقال السموأل الي الفضل ام علي اذا حوسبت اني على الحساب مقيت واشتقاقه من القوت لانه يمسك النفس
ويحفظها **واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها ان الله كان على كل شيء حسيبا**
الاحسن منها ان يقول وعليكم السلام ورحمة الله اذا قال السلام عليكم وان يزيد وبركاته اذا قال ورحمة الله وروي ان
رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليك فقال وعليك السلام ورحمة الله وقال آخر السلام عليك ورحمة
فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وقال آخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقال الرجل نقصتني
فاين ما قال الله وتلا الآية فقال انك لم تترك لي فضلا فرددت عليك مثله او ردوها او اجيبوها بمثلها ورد السلام
ورجعه جوابه بمثله لان المجيب يرد قول المسلم ويكرره وجواب التسليمة واجب والتخيير انما وقع بين الزيادة وتركها وعن ابي يوسف
رحمه الله تعالى من قال لآخر اقرئ فلانا السلام وجب عليه ان يفعل وعن النخعي السلام سنة والرد فريضة وعن ابن عباس
رضي الله عنهما الرد واجب وما من رجل يمر على قوم مسلمين فيسلم عليهم ولا يردون عليه الا نزع عنهم روح القدس وردت
عليه الملائكة ولا يرد السلام في الخطبة وقراءة القرآن جهرا ورواية الحديث وعند مذاكرة العلم والاذان والاقامة وعن
ابي يوسف لا يسلم على لاعب النرد والشطرنج والمغني والقاعد لحاجته ومطير الحمام والعاري من غير عذر في حمام او غيره
وذكر العلماء ان المستحب رد السلام على طهارة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه تيمم لرد السلام قالوا ويسلم الرجل اذا
دخل على امرأته ولا يسلم على اجنبية ويسلم الماشي على القاعد والراكب على الماشي وراكب الفرس على راكب الحمار والصغير على الكبير
والاقل على الاكثر واذا التقيا ابتدرا وعن ابي حنيفة رحمه الله تعالى لا يجهر بالرد يعني الجهر الكثير وعن النبي صلى الله عليه وسلم
اذا سلم عليكم اهل الكتاب فقولوا وعليكم اي وعليكم ما قلتم لانهم كانوا يقولون السام عليكم وروي لا تبتدئ اليهودي
بالسلام وان بدأك فقل وعليك وعن الحسن يجوز ان تقول للكافر وعليك السلام ولا تقل ورحمة الله فانها استغفار
وعن الشعبي انه قال لنصراني سلم عليه وعليك السلام ورحمة الله فقيل له فقال اليس في رحمة الله يعيش وقد رخص بعض
العلماء في ان يبدأ اهل الذمة بالسلام اذا دعت الى ذلك حادثة تحوج اليهم وروي ذلك عن النخعي وعن ابي حنيفة رحمه الله
لا تبدأه بسلام في كتاب ولا غيره وعن ابي يوسف لا تسلم عليهم ولا تصافحهم واذا دخلت فقل السلام على من اتبع الهدى
ولا بأس بالدعاء له بما يصلحه في دنياه على كل شيء حسيبا اي يحاسبكم على كل شيء من التحية وغيرها
الله لا اله الا هو ليجمعنكم الى يوم القيمة لا ريب فيه ومن اصدق من الله
حديثا لا اله الا هو اما خبر للمبتدأ او اعتراض والخبر ليجمعنكم ومعناه الله والله ليجمعنكم الى يوم القيمة اي
ليحشرنكم اليه والقيامة والقيام كالطلابة والطلاب وهي قيامهم من القبور او قيامهم للحساب قال الله تعالى يوم يقوم
الناس لرب العالمين ومن اصدق من الله حديثا لانه عز وعلا صادق لا يجوز عليه الكذب وذلك ان الكذب مستقل
بصارف عن الاقدام عليه وهو قبحه ووجه قبحه الذي هو كونه كذبا واخبارا عن الشيء بخلاف ما هو عليه فمن كذب لم يكذب الا
لانه محتاج الى ان يكذب ليجر منفعة او يدفع مضرة او هو غني عنه الا انه يجهل غناه او هو جاهل بقبحه او هو سفيه لا يفرق
بين الصدق والكذب في اخباره ولا يبالي بايهما نطق وربما كان الكذب احلى على حنكه من الصدق وعن بعض السفهاء
انه عوتب على الكذب فقال لو غرغرت لهواتك به ما فارقته وقيل لكذاب هل صدقت قط فقال لولا اني صادق
في قولي لا لقلتها فكان الحكيم الغني الذي لا يجوز عليه الحاجات العالم بكل معلوم منزها عنه كما هو منزه عن سائر القبائح
فما لكم في المنافقين فئتين والله اركسهم بما كسبوا اتريدون ان تهدوا من اضل
الله ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا فئتين نصب على الحال كقولك ما لك قائما روي
ان قوما من المنافقين استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج الى البدو معتلين باجتواء المدينة فلما خرجوا
لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون فيهم فقال بعضهم هم كفار وقال بعضهم هم مسلمون
وقيل كانوا قوما هاجروا من مكة ثم بدا لهم فرجعوا وكتبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا على دينك وما اخرجنا الا
اجتواء المدينة والاشتياق الى بلدنا وقيل هم قوم خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد ثم رجعوا وقيل هم

العرنيون

العرنيون الذين اغاروا على السرح وقتلوا يسارا وقيل هم قوم اظهروا الاسلام وقعدوا عن الهجرة ومعناه ما لكم
اختلفتم في شأن قوم نافقوا نفاقا ظاهرا وتفرقتم فيه فرقتين وما لكم لم تبتوا القول بكفرهم والله اركسهم اي ردهم
في حكم المشركين كما كانوا بما كسبوا من ارتدادهم ولحوقهم بالمشركين واحتيالهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم او اركسهم في
الكفر بان خذلهم حتى اركسوا فيه لما علم من مرض قلوبهم اتريدون ان تهدوا ان تجعلوا من جملة المهتدين من اضل الله من جعله
من جملة الضلال وحكم عليه بذلك او خذله حتى ضل وقرئ ركسهم وركسوا فيها **ودوا لو تكفرون كما كفروا**
فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فان تولوا
فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا فتكونون عطف
على تكفرون ولو نصب على جواب التمني لجاز والمعنى ودوا كفركم فكونكم معهم شرعا واحدا فيما هم عليه من الضلال
واتباع دين الآباء فلا تتولوهم وان آمنوا حتى يظاهروا ايمانهم بهجرة صحيحة هي لله ورسوله لا لغرض من اغراض الدنيا
مستقيمة ليس بعدها بداء ولا تعرب فان تولوا عن الايمان المظاهر بالهجرة الصحيحة المستقيمة فحكمهم حكم سائر المشركين
يقتلون حيث وجدوا في الحل والحرم وجانبوهم مجانبة كلية وان بذلوا لكم الولاية والنصرة فلا تقبلوا منهم
الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق او جاؤكم حصرت صدورهم ان يقاتلوكم
او يقاتلوا قومهم ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم
والقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا الا الذين يصلون استثناء من قوله فخذوهم
واقتلوهم ومعنى يصلون الى قوم ينتهون اليهم ويتصلون بهم وعن ابي عبيدة هو من الانتساب وصلت الى فلان واتصلت
به اذا انتميت اليه وقيل ان الانتساب لا اثر له في منع القتال فقد قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم من هو من
انسبائهم والقوم هم الاسلميون كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد وذلك انه وادع وقت خروجه الى
مكة هلال بن عويمر الاسلمي على ان لا يعينه ولا يعين عليه وعلى ان من وصل الى هلال ولجأ اليه فله من الجوار مثل الذي لهلال
وقيل القوم بنو بكر بن زيد مناة كانوا في الصلح او جاؤكم لا يخلو من ان يكون معطوفا على صفة قوم كانه قيل الا الذين يصلون
الى قوم معاهدين او قوم ممسكين عن القتال لا لكم ولا عليكم او على صلة الذين كانه قيل الا الذين يتصلون بالمعاهدين او
الذين لا يقاتلونكم والوجه العطف على الصلة لقوله فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا
بعد قوله فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم فقرر ان كفهم عن القتال احد سببي استحقاقهم لنفي التعرض عنهم وترك الايقاع
بهم **فان قلت** كل واحد من الاتصالين له تأثير في صحة الاستثناء واستحقاق ازالة التعرض الاتصال بالمعاهدين
والاتصال بالمكافين لان الاتصال بهؤلاء او هؤلاء دخول في حكمهم فهلا جوزت ان يكون العطف على صفة قوم ويكون قوله
فان اعتزلوكم تقريرا لحكم اتصالهم بالمكافين واختلاطهم بهم وجريهم على سننهم **قلت** هو جائز ولكن الاول اظهر واجرى
على اسلوب الكلام وفي قراءة ابي بينكم وبينهم ميثاق جاؤكم حصرت صدورهم بغير او ووجهه ان يكون جاؤكم بيانا ليصلون
او بدلا او استئنافا او صفة بعد صفة لقوم حصرت صدورهم في موضع الحال باضمار قد والدليل عليه قراءة من قرأ حصرة
صدورهم وحصرات صدورهم وحاصرات صدورهم وجعله المبرد صفة لموصوف محذوف على او جاؤكم قوما حصرت صدورهم
وقيل هو بيان لجاؤكم وهم بنو مدلج جاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مقاتلين والحصر الضيق والانقباض ان يقاتلوكم
عن ان يقاتلوكم او كراهة ان يقاتلوكم **فان قلت** كيف يجوز ان يسلط الله الكفرة على المؤمنين **قلت**
ما كانت مكافتهم الا لقذف الله الرعب في قلوبهم ولو شاء لمصلحة يراها من ابتلاء ونحوه لم يقذفه فكانوا متسلطين
مقاتلين غير مكافين فذلك معنى التسليط وقرئ فلقتلوكم بالتخفيف والتشديد فان اعتزلوكم فان لم يتعرضوا لكم
والقوا اليكم السلم اي الانقياد والاستسلام وقرئ بسكون اللام مع فتح السين فما جعل الله لكم عليهم سبيلا فما اذن لكم
في اخذهم وقتلهم **ستجدون آخرين يريدون ان يأمنوكم ويأمنوا قومهم كلما ردوا الى الفتنة اركسوا**
فيها فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم ويكفوا ايديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم
واولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا ستجدون آخرين هم قوم من اسد وغطفان كانوا اذا اتوا المدينة
اسلموا وعاهدوا ليأمنوا المسلمين فاذا رجعوا الى قومهم كفروا ونكثوا عهودهم كلما ردوا الى الفتنة كلما دعاهم قومهم

الى قتال المسلمين اركسوا فيها اى قلبوا فيها اقبح قلب واشنعه وكانوا اشر فيها من كل عدو حيث ثقفتموهم حيث تمكنتم منهم
سلطانا مبينا حجة واضحة لظهور عداوتهم وانكشاف حالهم فى الكفر والغدر واضرارهم باهل الاسلام او تسلطا ظاهرا
حيث اذنا لكم فى قتلهم ● وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير
رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى اهله الا ان يصدقوا فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن
فتحرير رقبة مؤمنة وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة
مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان الله عليما حكيما
وما كان لمؤمن وما صح له ولا استقام ولا لاق بحاله كقوله تعالى وما كان لنبى ان يغل وما كان لنا ان نعود ان يقتل مؤمنا
ابتداء غير قصاص الا خطأ الا على وجه الخطأ فان قلت بم انتصب خطأ قلت بانه مفعول له اى
ما ينبغى له ان يقتله لعلة من العلل الا للخطأ وحده ويجوز ان يكون حالا بمعنى لا يقتله فى حال من الاحوال الا فى حال
الخطأ وان يكون صفة للمصدر الا قتلا خطأ والمعنى ان من شان المؤمن ان ينتفى عنه وجود قتل المؤمن ابتداء
البتة الا اذا وجد منه خطأ من غير قصد بان يرمى كافرا فيصيب مؤمنا او يرمى شخصا على انه كافر فاذا هو مسلم وقرئ
خطاء بالمد وخطا بوزن عمى بتخفيف الهمزة وروى ان عياش بن ابى ربيعة وكان اخا ابى جهل لامه اسلم وهاجر
خوفا من قومه الى المدينة وذلك قبل هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقسمت امه لا تاكل ولا تشرب ولا يؤويها
سقف حتى يرجع فخرج ابو جهل ومعه الحارث بن زيد بن ابى انيسة فاتياه وهو فى اطم ففتل منه ابو جهل فى الذروة
والغارب وقال اليس محمد يحثك على صلة الرحم انصرف وبر امك وانت على دينك حتى نزل وذهب معهما فلما فسحا
عن المدينة كتفاه وجلده كل واحد مائة جلدة فقال للحارث هذا اخى فمن انت يا حارث لله على ان وجدتك خاليا ان
اقتلك وقدما به على امه فحلفت لا يحل كتافه او يرتد ففعل ثم هاجر بعد ذلك واسلم الحارث وهاجر فلقيه عياش بظهر قباء ولم يشعر
باسلامه فانحى عليه فقتله ثم اخبر باسلامه فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قتلته ولم اشعر باسلامه فنزلت فتحرير رقبة
فعليه تحرير رقبة والتحرير الاعتاق والحر والعتيق الكريم لان الكرم فى الاحرار كما ان اللؤم فى العبيد ومنه عتاق الخيل وعتاق
الطير لكرامها وحر الوجه اكرم موضع منه وقولهم للئيم عبد وفلان عبد الفعل اى لئيم الفعل والرقبة عبارة عن النسمة
كما عبر عنها بالراس فى قولهم فلان يملك كذا راسا من الرقيق والمراد برقبة مؤمنة كل رقبة كانت على حكم الاسلام عند عامة العلماء
وعن الحسن لا تجزئ الا رقبة قد صلت وصامت ولا تجزئ الصغيرة وقاس عليها الشافعى رحمه الله تعالى كفارة الظهار فاشترط
الايمان وقيل لما اخرج نفسا مؤمنة عن جملة الاحياء لزمه ان يدخل نفسا مثلها فى جملة الاحرار لان اطلاقها من
قيد الرق كاحيائها من قبل ان الرقيق ممنوع من تصرف الاحرار مسلمة الى اهله مؤداة الى ورثته يقتسمونها كما يقتسمون
الميراث لا فرق بينها وبين سائر التركة فى كل شىء يقضى منها الدين وتنفذ الوصية واذا لم يبق وارث فهى لبيت المال لان المسلمين
يقومون مقام الورثة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا وارث من لا وارث له ● وعن عمر رضى الله عنه انه قضى بدية المقتول
فجاءت امراة تطلب ميراثها من عقله فقال لا اعلم لك شيئا انما الدية للعصبة الذين يعقلون عنه فقام الضحاك بن سفيان الكلابى
فقال كتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يامرنى ان اورث امراة اشيم الضبابى من عقل زوجها اشيم فورثها عمر رضى الله عنه
وعن ابن مسعود رضى الله عنه يرث كل وارث من الدية غير القاتل وعن شريك لا يقضى من الدية دين ولا تنفذ وصية ○
وعن ربيعة الغرة لام الجنين وحدها وذلك خلاف قول الجماعة فان قلت على من تجب الرقبة والدية قلت
على القاتل الا ان الرقبة فى ماله والدية تتحملها عنه العاقلة فان لم تكن له عاقلة فهى فى بيت المال فان لم يكن ففى ماله
الا ان يصدقوا الا ان يتصدقوا عليه بالدية ومعناه العفو كقوله تعالى الا ان يعفون ونحوه وان تصدقوا خير لكم
وعن النبى صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة وقرأ ابى الا ان يتصدقوا فان قلت بم تعلق ان يصدقوا وما محله
قلت تعلق بعليه او بمسلمة كانه قيل وتجب عليه الدية او يسلمها الا حين يتصدقون عليه ومحلها النصب على الظرف
بتقدير حذف الزمان كقولهم اجلس ما دام زيد جالسا ويجوز ان يكون حالا من اهله بمعنى الا متصدقين ● من قوم عدو لكم
من قوم كفار اهل حرب وذلك نحو رجل اسلم فى قومه الكفار وهو بين اظهرهم لم يفارقهم فعلى قاتله الكفارة اذا قتله خطأ
وليس على عاقلته لاهله شىء لانهم كفار محاربون وقيل كان الرجل يسلم ثم ياتى قومه وهم مشركون فيغزوهم جيش المسلمين

فيقتل

فيقتل فيهم خطأ لانهم يظنونه كافرا مثلهم وان كان من قوم كفرة لهم ذمة كالمشركين الذين عاهدوا المسلمين واهل الذمة
من الكتابيين فحكمه حكم مسلم من مسلمين فمن لم يجد رقبة بمعنى لم يملكها ولا ما يتوصل به اليها فعليه صيام شهرين متتابعين توبة
من الله قبولا من الله ورحمة منه من تاب الله عليه اذا قبل توبته يعنى شرع ذلك توبة منه او فنقلكم من الرقبة الى الصوم توبة منه
ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا
عظيما ● هذه الآية فيها من التهديد والايعاد والابراق والارعاد امر عظيم وخطب غليظ ومن ثم روى عن ابن عباس
رضى الله عنهما ما روى من ان توبة قاتل المؤمن عمدا غير مقبولة وعن سفيان كان اهل العلم اذا سئلوا قالوا لا توبة له وذلك
محمول منهم على الاقتداء بسنة الله تعالى فى التغليظ والتشديد والا فكل ذنب ممحو بالتوبة وناهيك بمحو الشرك دليلا
وفى الحديث لزوال الدنيا اهون على الله من قتل امرئ مسلم وفيه لو ان رجلا قتل بالمشرق وآخر رضى بالمغرب لاشرك فى
دمه وفيه ان هذا الانسان بنيان الله ملعون من هدم بنيانه وفيه من اعان على قتل مسلم بشطر كلمة جاء
يوم القيمة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله تعالى والعجب من قوم يقرءون هذه الآية ويرون ما فيها ويسمعون هذه
الاحاديث العظيمة وقول ابن عباس بمنع التوبة ثم لا تدعهم اشعبيتهم وطماعيتهم الفارغة واتباعهم هواهم وما يخيل اليهم مناهم ان يطمعوا فى
العفو عن قاتل المؤمن بغير توبة افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها ثم ذكر سبحانه وتعالى التوبة فى قتل الخطأ لما عسى
يقع من نوع تفريط فيما يجب من الاحتياط والتحفظ فيه حسم للاطماع واى حسم قال الشاعر ● ولو نار نفخت بها اضاءت
ولكن انت تنفخ فى الرماد ● لقد اسمعت لو ناديت حيا ● ولكن لا حياة لمن تنادى ● فان قلت هل فيها
دليل على خلود من لم يتب من اهل الكبائر قلت ما ابين الدليل فيها وهو تناول قوله ومن يقتل اى قاتل كان من مسلم او
كافر تائب او غير تائب الا ان التائب اخرجه الدليل فمن ادعى اخراج المسلم غير التائب فليأت بدليل مثله ● يا ايها الذين
آمنوا اذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مؤمنا
تبتغون عرض الحيوة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم
فتبينوا ان الله كان بما تعملون خبيرا ● فتبينوا وقرئ فتثبتوا وهما من التفعل بمعنى الاستفعال اى
اطلبوا بيان الامر وثباته ولا تتهوكوا فيه من غير روية وقرئ السلم والسلام وهما الاستسلام وقيل الاسلام وقيل التسليم الذى
هو تحية اهل الاسلام لست مؤمنا وقرئ مؤمنا بفتح الميم من آمنه اى لا نؤمنك واصله ان مرداس بن نهيك
رجلا من اهل فدك اسلم ولم يسلم غيره من قومه فغزتهم سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم كان عليها غالب بن فضالة الليثى فهربوا
وبقى مرداس لثقته باسلامه فلما راى الخيل الجأ غنمه الى عاقول من الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال لا اله الا الله
محمد رسول الله السلام عليكم فقتله اسامة بن زيد واستاق غنمه فاخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد وجدا شديدا وقال
قتلتموه ارادة ما معه ثم قرأ الآية على اسامة فقال يا رسول الله استغفر لى فقال فكيف بلا اله الا الله قال اسامة فما زال
يعيدها حتى وددت ان لم اكن اسلمت الا يومئذ ثم استغفر لى وقال اعتق رقبة تبتغون عرض الحيوة الدنيا تطلبون
الغنيمة التى هى حطام سريع النفاد فهو الذى يدعوكم الى ترك التثبت وقلة البحث عن حال من تقتلونه فعند الله مغانم كثيرة
يغنمكموها تغنيكم عن قتل رجل يظهر الاسلام ويتعوذ به من التعرض له لتاخذوا ماله كذلك كنتم من قبل اول ما دخلتم فى الاسلام
سمعت من افواهكم كلمة الشهادة فحصنت دماءكم واموالكم من غير انتظار الاطلاع على مواطاة قلوبكم لالسنتكم فمن الله عليكم
بالاستقامة والاشتهار بالايمان والتقدم فيه وان صرتم اعلاما فيه فعليكم ان تفعلوا بالداخلين فى الاسلام كما فعل بكم وان تعتبروا
ظاهر الاسلام فى المكافة ولا تقولوا ان تهليل هذا لاتقاء القتل لا لصدق النية فتجعلوه سلما الى استباحة دمه وماله وقد
حرمهما الله تعالى وقوله فتبينوا تكرير للامر بالتبيين ليؤكد عليهم ان الله كان بما تعملون خبيرا فلا تتهافتوا فى القتل وكونوا
محترزين محتاطين فى ذلك ● لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير اولى الضرر والمجاهدون
فى سبيل الله باموالهم وانفسهم فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين
درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما
درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما ● غير اولى الضرر قرئ بالحركات الثلث فالرفع
صفة للقاعدون والنصب استثناء منهم او حال عنهم والجر صفة للمؤمنين والضرر المرض او العاهة من عمى او عرج

او زمانة او نحوها. وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه كنت الى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم فغشيته السكينة فوقعت فخذه على فخذي حتى خشيت ان ترضها ثم سري عنه فقال اكتب فكتبت في كتف لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون فقال ابن ام مكتوم وكان اعمى يا رسول الله وكيف بمن لا يستطيع الجهاد من المؤمنين فغشيته السكينة كذلك ثم قال اقرا يا زيد فقرات لا يستوي القاعدون من المؤمنين فقال غير اولي الضرر قال زيد انزلها الله تعالى وحدها فالحقتها والذي نفسي بيده لكاني انظر الى ملحقها عند صدع في الكتف. وعن ابن عباس رضي الله عنهما لا يستوي القاعدون عن بدر والخارجون اليها. وعن مقاتل الى تبوك. **فان قلت** معلوم ان القاعد بغير عذر والمجاهد لا يستويان فما فائدة نفي الاستواء **قلت** معناه الاذكار بما بينهما من التفاوت العظيم والبون البعيد ليانف القاعد ويترفع بنفسه عن انحطاط منزلته فيهتز للجهاد ويرغب فيه وفي ارتفاع طبقته ونحوه هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون اريد به التحريك من حمية الجاهل وانفته ليهاب الى التعلم ولينهض بنفسه عن صفة الجهل الى شرف العلم. فضل الله المجاهدين جملة موضحة لما نفي من استواء القاعدين والمجاهدين كانه قيل ما لهم لا يستوون فاجيب بذلك والمعنى على القاعدين غير اولي الضرر لكون الجملة بيانا للجملة الاولى المتضمنة لهذا الوصف. وكلا وكل فريق من القاعدين والمجاهدين وعد الله الحسنى وهي الجنة وان كان المجاهدون مفضلين على القاعدين. وعن النبي صلى الله عليه وسلم لقد خلفتم بالمدينة اقواما ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم وهم الذين صحت نياتهم ونصحت جيوبهم وكانت افئدتهم تهوي الى الجهاد وبهم ما يمنعهم من المسير من ضرر او غيره. **فان قلت** قد ذكر الله سبحانه مفضلين درجة ومفضلين درجات فمن هم **قلت** اما المفضلون درجة واحدة فهم الذين فضلوا على القاعدين الاضراء واما المفضلون درجات فالذين فضلوا على القاعدين الذين اذن لهم في التخلف اكتفاء بغيرهم لان الغزو فرض كفاية. **فان قلت** لم نصب درجة واجرا ودرجات **قلت** نصب قوله درجة لوقوعها موقع المرة من التفضيل كانه قيل فضلهم تفضيلة واحدة ونظيره قولك ضربه سوطا بمعنى ضربه ضربة واما اجرا فقد انتصب بفضل لانه في معنى اجرهم اجرا ودرجات ومغفرة ورحمة بدل من اجرا ويجوز ان ينتصب درجات نصب درجة كما تقول ضربه اسواطا بمعنى ضربات كانه قيل وفضلهم تفضيلات ونصب اجرا عظيما على انه حال عن النكرة التي هي درجات مقدمة عليها وانتصب مغفرة ورحمة باضمار فعلهما بمعنى وغفر لهم ورحمهم مغفرة ورحمة.

ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها فاولئك ماواهم جهنم وساءت مصيرا الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا

توفاهم يجوز ان يكون ماضيا كقراءة من قرا توفتهم ومضارعا بمعنى تتوفاهم كقراءة من قرا توفاهم على مضارع وفيت بمعنى ان الله تعالى يوفي الملائكة انفسهم فيتوفونها اي يمكنهم من استيفائها فيستوفونها. ظالمي انفسهم في حال ظلمهم انفسهم. قالوا قال الملائكة للمتوفين فيم كنتم في اي شيء كنتم من امر دينكم وهم ناس من اهل مكة اسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة فريضة. **فان قلت** كيف صح وقوع قوله كنا مستضعفين في الارض جوابا عن قولهم فيم كنتم وكان حق الجواب ان يقولوا كنا في كذا او لم نكن في شيء **قلت** معنى فيم كنتم التوبيخ بانهم لم يكونوا في شيء من الدين حيث قدروا على المهاجرة ولم يهاجروا فقالوا كنا مستضعفين اعتذارا مما وبخوا به واعتلالا بالاستضعاف وانهم لم يتمكنوا من الهجرة حتى يكونوا في شيء فبكتتهم الملائكة بقولهم الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها ارادوا انكم كنتم قادرين على الخروج من مكة الى بعض البلاد التي لا تمنعون فيها من اظهار دينكم ومن الهجرة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كما فعل المهاجرون الى ارض الحبشة وهذا دليل على ان الرجل اذا كان في بلد لا يتمكن فيه من اقامة امر دينه كما يجب لبعض الاسباب والعوائق عن اقامة الدين لا تنحصر او علم انه في غير بلده اقوم بحق الله وادوم على العبادة حقت عليه المهاجرة. وعن النبي صلى الله عليه وسلم من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجبت له الجنة وكان رفيق ابيه ابراهيم ونبيه محمد. اللهم ان كنت تعلم ان هجرتي اليك لم تكن الا للفرار بديني فاجعلها سببا في خاتمة الخير ودرك المرجو من فضلك والمبتغى من رحمتك وصل جواري لك بعكوفي عند بيتك بجوارك في دار كرامتك يا واسع المغفرة. ثم استثنى من اهل الوعيد المستضعفين الذين لا يستطيعون حيلة في الخروج لفقرهم وعجزهم ولا معرفة لهم بالمسالك. وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بهذه الآية الى مسلمي مكة

فقال

فقال جندب بن ضمرة او ضمرة بن جندب لبنيه احملوني فاني لست من المستضعفين واني لا اهتدي الطريق والله لا ابيت الليلة بمكة فحملوه على سرير متوجها الى المدينة وكان شيخا كبيرا فمات بالتنعيم. **فان قلت** كيف ادخل الولدان في جملة المستثنين من اهل الوعيد كانهم كانوا يستحقون الوعيد مع الرجال والنساء لو استطاعوا حيلة واهتدوا سبيلا **قلت** الرجال والنساء قد يكونون مستطيعين مهتدين وقد لا يكونون كذلك واما الولدان فلا يكونون الا عاجزين عن ذلك فلا يتوجه عليهم وعيد لان سبب خروج الرجال والنساء من جملة اهل الوعيد انما هو كونهم عاجزين فاذا كان العجز متمكنا في الولدان لا ينفكون عنه كانوا خارجين من جملتهم ضرورة هذا اذا اريد بالولدان الاطفال ويجوز ان يراد المراهقون منهم الذين عقلوا ما يعقل الرجال والنساء فيلحقوا بهم في التكليف وان اريد العبيد والاماء البالغون فلا سؤال. **فان قلت** الجملة التي هي لا يستطيعون ما موقعها **قلت** هي صفة للمستضعفين او للرجال والنساء والولدان وانما جاز ذلك والجمل نكرات لان الموصوف وان كان فيه حرف التعريف فليس لشيء بعينه كقوله ولقد امر على اللئيم يسبني.

فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا

فان قلت لم قيل عسى ان يعفو عنهم بكلمة الاطماع **قلت** للدلالة على ان ترك الهجرة امر مضيق لا توسعة فيه حتى ان المضطر البين الاضطرار من حقه ان يقول عسى الله ان يعفو عني فكيف بغيره.

ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله وكان الله غفورا رحيما

مراغما مهاجرا وطريقا يراغم بسلوكه قومه اي يفارقهم على رغم انوفهم والرغم الذل والهوان واصله لصوق الانف بالرغام وهو التراب يقال راغمت الرجل اذا فارقته وهو يكره مفارقتك لمذلة تلحقه بذلك قال النابغة الجعدي: كطود يلاذ باركانه عزيز المراغم والمذهب. وقرئ مرغما. وقرئ ثم يدركه الموت بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف وقيل رفع الكاف منقول من الهاء كانه اراد ان يقف عليها ثم نقل حركة الهاء الى الكاف كقوله: من عنزي سبني لم اضربه. وقرئ يدركه بالنصب على اضمار ان كقوله: والحق بالحجاز فاستريحا. فقد وقع اجره على الله فقد وجب ثوابه عليه وحقيقة الوجوب الوقوع والسقوط فاذا وجبت جنوبها ووجبت الشمس سقط قرصها والمعنى فقد علم الله كيف يثيبه وهو واجب عليه. وروي في قصة جندب بن ضمرة انه لما ادركه الموت اخذ يصفق بيمينه على شماله ثم قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك على ما بايعك عليه رسولك فمات حميدا فبلغ خبره اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لو توفي بالمدينة لكان اتم اجرا وقال المشركون وهم يضحكون ما ادرك هذا ما طلب فنزلت. وقالوا كل هجرة لغرض ديني من طلب علم او حج او جهاد او فرار الى بلد يزداد فيه طاعة او قناعة وزهدا في الدنيا او ابتغاء رزق طيب فهي هجرة الى الله ورسوله وان ادركه الموت في طريقه فاجره واقع على الله تعالى.

واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا

الضرب في الارض هو السفر وادنى مدة السفر الذي يجوز فيه القصر عند ابي حنيفة رحمه الله تعالى ثلاثة ايام ولياليهن سير الابل ومشي الاقدام على القصد ولا اعتبار بابطاء الضارب واسراعه فلو سار مسيرة ثلاثة ايام ولياليهن في يوم قصر ولو سار مسيرة يوم في ثلاثة ايام لم يقصر وعند الشافعي رحمه الله تعالى ادنى مدة السفر اربعة برد مسيرة يومين وقوله تعالى فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ظاهره التخيير بين القصر والاتمام وان الاتمام افضل والى التخيير ذهب الشافعي وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه اتم في السفر. وعن عائشة رضي الله عنها اعتمرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة الى مكة حتى اذا قدمت مكة قلت يا رسول الله بابي انت وامي قصرت واتممت وصمت وافطرت فقال احسنت يا عائشة وما عاب علي. وكان عثمان رضي الله عنه يتم ويقصر. وعند ابي حنيفة رحمه الله القصر في السفر عزيمة غير رخصة لا يجوز غيره. وعن عمر رضي الله عنه صلوة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم. وعن عائشة رضي الله عنها اول ما فرضت الصلوة فرضت ركعتين ركعتين فاقرت في السفر وزيدت في الحضر. **فان قلت** فما تصنع بقوله فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة **قلت** كانهم الفوا الاتمام وكانوا مظنة لان يخطر ببالهم ان عليهم نقصانا في القصر فنفى عنهم الجناح لتطيب انفسهم بالقصر ويطمئنوا اليه. وقرئ تقصروا من اقصر وجاء في الحديث اقصار الخطبة بمعنى تقصيرها وقرا الزهري تقصروا بالتشديد والقصر ثابت بنص الكتاب في حال الخوف خاصة وهو قوله ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا واما في حال الامن فبالسنة وفي قراءة عبد الله من الصلوة ان

يفتنكم ليس فيهما ان خفتم على انه مفعول له بمعنى كراهة ان يفتنكم والمراد بالفتنة القتال والتعرض بما يكره **واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا اسلحتهم فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم واسلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم وخذوا حذركم ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا** واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة يتعلق بظاهره من لا يرى صلوة الخوف بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث شرط كونه فيهم وقال من رآها بعده ان الائمة نواب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل عصر قوام بما كان يقوم به فكان الخطاب له متناولا لكل امام يكون حاضر الجماعة في حال الخوف عليه ان يؤمهم كما ام رسول الله صلى الله عليه وسلم الجماعات التي كان يحضرها والضمير في فيهم للخائفين فلتقم طائفة منهم معك فاجعلهم طائفتين فلتقم احديهما معك فصل بهم وليأخذوا اسلحتهم الضمير اما للمصلين واما لغيرهم فان كان للمصلين فقالوا يأخذون من السلاح ما لا يشغلهم عن الصلوة كالسيف والخنجر ونحوهما وان كان لغيرهم فلا كلام فيه فاذا سجدوا فليكونوا يعني غير المصلين من ورائكم يحرسونكم وصفة صلوة الخوف عند ابي حنيفة رحمه الله تعالى ان يصلي الامام باحدى الطائفتين ركعة ان كانت الصلوة ركعتين والاخرى بازاء العدو ثم تقف هذه بازاء العدو وتأتي الاخرى فيصلي بها ركعة ويتم صلوته ثم تقف بازاء العدو وتأتي الاولى فتؤدي الركعة بغير قراءة وتتم صلوتها ثم تحرس وتأتي الاخرى فتؤدي الركعة بقراءة وتتم صلوتها والسجود على ظاهره عند ابي حنيفة وعند مالك رحمه الله تعالى بمعنى الصلوة لان الامام عنده يصلي بطائفة ركعة ويقف قائما حتى تتم صلوتها وتسلم وتذهب ثم يصلي بالثانية ركعة ويقف قاعدا حتى تتم صلوتها ويسلم بهم وبعضده ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا فليصلوا معك وقرئ وامتعاتكم **فان قلت** كيف جمع بين الاسلحة وبين الحذر في الاخذ **قلت** جعل الحذر وهو التحرز والتيقظ آلة يستعملها الغازي فلذلك جمع بينه وبين الاسلحة في الاخذ وجعلا مأخوذين ونحوه قوله تعالى والذين تبوؤا الدار والايمان جعل الايمان مستقرا لهم ومتبوأ لتمكنهم فيه فلذلك جمع بينه وبين الدار في التبوء فيميلون عليكم فيشدون عليكم شدة واحدة ورخص لهم في وضع الاسلحة ان ثقل عليهم حملها بسبب ما يبلهم من مطر او يضعفهم من مرض وامرهم مع ذلك باخذ الحذر لئلا يغفلوا فيهجم عليهم العدو **فان قلت** كيف طابق الامر بالحذر قوله تعالى ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا **قلت** الامر بالحذر من العدو يوهم توقع غلبته واعتزازه فنفى عنهم ذلك الايهام باخبارهم ان الله يهين عدوهم ويخذله وينصرهم عليه لتقوى قلوبهم وليعلموا ان الامر بالحذر ليس لذلك وانما هو تعبد من الله تعالى كما قال ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة **فاذا قضيتم الصلوة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم فاذا اطمأننتم فاقيموا الصلوة ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا** فاذا قضيتم الصلوة فاذا صليتم في حال الخوف والقتال فاذكروا الله فصلوها قياما مسايفين ومقارعين وقعودا جاثين على الركب مرامين وعلى جنوبكم مثخنين بالجراح فاذا اطمأننتم حين تضع الحرب اوزارها وامنتم فاقيموا الصلوة فاقضوا ما صليتم في تلك الاحوال التي هي احوال القلق والانزعاج ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا محدودا باوقات لا يجوز اخراجها عن اوقاتها على اي حال كنتم خوف او امن وهذا ظاهر على مذهب الشافعي رحمه الله تعالى في ايجابه الصلوة على المحارب في حال المسايفة والمشي والاضطراب في المعركة اذا حضر وقتها فاذا اطمأن فعليه القضاء واما عند ابي حنيفة رحمه الله تعالى فهو معذور في تركها الى ان يطمئن وقيل معناه فاذا قضيتم صلوة الخوف فاديموا ذكر الله مهللين مكبرين مسبحين داعين بالنصرة والتأييد في كافة احوالكم من قيام وقعود واضطجاع فان ما انتم فيه من خوف وحرب جدير بذكر الله ودعائه واللجأ اليه فاذا اطمأننتم فاذا اقمتم فاقيموا الصلوة فاتموها **ولا تهنوا في ابتغاء القوم ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليما حكيما** ولا تهنوا ولا تضعفوا ولا تتوانوا في ابتغاء القوم في طلب الكفار بالقتال والتعرض به لهم ثم الزمهم الحجة بقوله ان تكونوا تألمون اي ليس ما تكابدون من الالم بالجرح والقتل مختصا بكم انما هو امر مشترك بينكم وبينهم يصيبهم كما يصيبكم ثم انهم يصبرون عليه ويتشجعون فما لكم لا تصبرون مثل صبرهم مع انكم اولى منهم بالصبر لانكم ترجون من الله ما لا يرجون من اظهار دينكم على سائر

الاديان ومن الثواب العظيم في الآخرة وقرأ الاعرج ان تكونوا تألمون بفتح الهمزة بمعنى ولا تهنوا لان تكونوا تألمون وقوله فانهم يألمون كما تألمون تعليل وقرئ فانهم يئلمون كما تيلمون وروي ان هذا في بدر الصغرى كان بهم جراح فتواكلوا وكان الله عليما حكيما لا يكلفكم شيئا ولا يأمركم ولا ينهاكم الا بما هو عالم به مما يصلحكم **انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله ولا تكن للخائنين خصيما واستغفر الله ان الله كان غفورا رحيما ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم ان الله لا يحب من كان خوانا اثيما** روي ان طعمة بن ابيرق احد بني ظفر سرق درعا من جار له اسمه قتادة بن النعمان في جراب دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه وخبأها عند زيد بن السمين رجل من اليهود فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما اخذها وما له بها علم فتركوه واتبعوا اثر الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودي فاخذوها فقال دفعها الي طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه ان يجادل عن صاحبهم وقالوا ان لم تفعل هلك وافتضح وبرئ اليهودي فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفعل وان يعاقب اليهودي وقيل هم ان يقطع يده فنزلت وروي ان طعمة هرب الى مكة وارتد ونقب حائطا بمكة ليسرق اهله فسقط الحائط عليه فقتله بما اراك الله بما عرفك واوحى اليك وعن عمر رضي الله عنه لا يقولن احدكم قضيت بما اراني الله فان الله تعالى لم يجعل ذلك الا لنبيه صلى الله عليه وسلم ولكن ليجتهد رأيه لان الرأي من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مصيبا لان الله تعالى كان يريه اياه وهو منا الظن والتكلف ولا تكن للخائنين خصيما ولا تكن لاجل الخائنين مخاصما للبرآء يعني لا تخاصم اليهود لاجل بني ظفر واستغفر الله مما هممت به من عقاب اليهودي يختانون انفسهم يخونونها بالمعصية كقوله تعالى علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم جعلت معصية العصاة خيانة منهم لانفسهم كما جعلت ظلما لها لان الضرر راجع اليهم **فان قلت** لم قيل للخائنين ويختانون انفسهم وكان السارق طعمة وحده **قلت** لوجهين احدهما ان بني ظفر شهدوا بالبرآءة ونصروه فكانوا شركاء له في الاثم والثاني انه جمع ليتناول طعمة وكل من خان خيانته فلا تخاصم لخائن قط ولا تجادل عنه **فان قلت** لم قيل خوانا اثيما على المبالغة **قلت** كان الله تعالى عالما من طعمة بالافراط في الخيانة وركوب المآثم ومن كانت تلك خاتمة امره لم يشك في حاله وقيل اذا عثرت من رجل على سيئة فاعلم ان لها اخوات وعن عمر رضي الله عنه انه امر بقطع يد سارق فجاءت امه تبكي وتقول هذه اول سرقة سرقها فاعف عنه فقال كذبت ان الله تعالى لا يؤاخذ عبده في اول مرة **يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم اذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا** يستخفون يستترون من الناس حياء منهم وخوفا من ضررهم ولا يستخفون من الله ولا يستحيون منه وهو معهم وهو عالم بهم مطلع عليهم لا يخفى عليه خاف من سرهم وكفى بهذه الآية ناعية على الناس ما هم فيه من قلة الحياء والخشية من ربهم مع علمهم ان كانوا مؤمنين انهم في حضرته لا سترة ولا غفلة ولا غيبة وليس الا الكشف الصريح والافتضاح اذ يبيتون يدبرون ويزورون واصله ان يكون بالليل ما لا يرضى من القول وهو تدبير طعمة ان يرمي بالدرع في دار زيد ليسرق دونه ويحلف ببرآءته **فان قلت** كيف سمي التدبير قولا وانما هو معنى في النفس **قلت** لما حدث بذلك نفسه سمي قولا على المجاز ويجوز ان يراد بالقول الحلف الكاذب الذي حلف به بعد ان بيته وتوريكه الذنب على اليهودي **ها انتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحيوة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيمة ام من يكون عليهم وكيلا** ها انتم هؤلاء ها للتنبيه في انتم واولاء وهما مبتدأ وخبر وجادلتم جملة مبينة لوقوع اولاء خبرا كما تقول لبعض الاسخياء انت حاتم تجود بمالك وتؤثر على نفسك ويجوز ان يكون اولاء اسما موصولا بمعنى الذين وجادلتم صلته والمعنى هبوا انكم خاصمتم عن طعمة وقومه في الدنيا فمن يخاصم عنهم في الآخرة اذا اخذهم الله تعالى بعذابه وقرأ عبد الله عنه اي عن طعمة وكيلا حافظا ومحاميا من بأس الله وانتقامه **ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما** ومن يعمل سوءا قبيحا متعديا يسوء به غيره كما فعل طعمة بقتادة واليهودي او يظلم نفسه بما يختص به كالحلف الكاذب وقيل ومن يعمل سوءا من ذنب دون الشرك او يظلم نفسه بالشرك وهذا بعث لطعمة على الاستغفار والتوبة لتلزمه الحجة مع العلم بما يكون منه او لقومه لما فرط منهم من نصرته والذب عنه **ومن يكسب اثما فانما يكسبه**

على نفسه وكان الله عليما حكيما ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا واثما مبينا فانما يكسبه على نفسه اى لا يتعداه ضرره الى غيره فليبق على نفسه من كسب السوء خطيئة صغيرة او اثما او كبيرة ثم يرم به بريئا كما رمى طعمة زيدا فقد احتمل بهتانا واثما لانه بكسب الاثم آثم وبرمي البرئ باهت فهو جامع بين الامرين وقرأ معاذ بن جبل رضي الله عنه ومن يكسب بكسر الكاف والسين المشددة واصله يكتسب

ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم ان يضلوك وما يضلون الا انفسهم وما يضرونك من شيء وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما ولولا فضل الله عليك ورحمته اى عصمته والطافه وما اوحى اليك من الاطلاع على سرهم لهمت طائفة منهم من بني ظفر ان يضلوك عن القضاء بالحق وتوخي طريق العدل مع علمهم بان الجاني هو صاحبهم فقد روي ان ناسا منهم كانوا يعلمون كنه القصة وما يضلون الا انفسهم لان وباله عليهم وما يضرونك من شيء لانك انما عملت بظاهر الحال وما كان يخطر ببالك ان الحقيقة على خلاف ذلك وعلمك ما لم تكن تعلم من خفيات الامور وضمائر القلوب او من امور الدين والشرائع ويجوز ان يراد بالطائفة بنو ظفر ويرجع الضمير في منهم الى الناس وقيل الآية في المنافقين

لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما لا خير في كثير من نجواهم من تناجي الناس الا من امر بصدقة الا نجوى من امر على انه مجرور بدل من كثير كما تقول لا خير في قيامهم الا قيام زيد ويجوز ان يكون منصوبا على الانقطاع بمعنى ولكن من امر بصدقة ففي نجواه الخير وقيل المعروف القرض وقيل اغاثة الملهوف وقيل هو عام في كل جميل ويجوز ان يراد بالصدقة الواجب وبالمعروف ما يتصدق به على سبيل التطوع وعن النبي صلى الله عليه وسلم كلام ابن آدم كله عليه لا له الا ما كان من امر بمعروف او نهي عن منكر او ذكر الله وسمع سفيان رجلا يقول ما اشد هذا الحديث فقال الم تسمع الله يقول لا خير في كثير من نجواهم فهو هذا بعينه او ما سمعته يقول والعصر ان الانسان لفي خسر فهو هذا بعينه وشرط في استيجاب الاجر العظيم ان ينوي فاعل الخير عبادة الله والتقرب به اليه وان يبتغي به وجهه خالصا لان الاعمال بالنيات فان قلت كيف قال الا من امر ثم قال ومن يفعل ذلك قلت قد ذكر الامر بالخير ليدل به على فاعله لانه اذا دخل الآمر به في زمرة الخيرين كان الفاعل فيهم ادخل ثم قال ومن يفعل ذلك فذكر الفاعل وقرن به الوعد بالاجر العظيم ويجوز ان يراد ومن يأمر بذلك فعبر عن الامر بالفعل كما يعبر به عن سائر الافعال وقرئ يؤتيه بالياء

ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا ويتبع غير سبيل المؤمنين وهو السبيل الذي هم عليه من الدين الحنيفي القيم وهو دليل على ان الاجماع حجة لا يجوز مخالفتها كما لا يجوز مخالفة الكتاب والسنة لان الله عز وعلا جمع بين اتباع غير سبيل المؤمنين وبين مشاقة الرسول في الشرط وجعل جزاءه الوعيد الشديد فكان اتباعهم واجبا كموالاة الرسول نوله ما تولى نجعله واليا لما تولى من الضلال بان نخذله ونخلي بينه وبين ما اختاره ونصله جهنم وقرئ ونصله بفتح النون من صلاه وقيل هي في طعمة وارتداده وخروجه الى مكة ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا ان الله لا يغفر ان يشرك به تكرير للتاكيد وقيل كرر لقصة طعمة وروي انه مات مشركا وقيل جاء شيخ من العرب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني شيخ منهمك في الذنوب الا اني لم اشرك بالله شيئا منذ عرفته وآمنت به ولم اتخذ من دونه وليا ولم اوقع المعاصي جراءة على الله ولا مكابرة له وما توهمت طرفة عين اني اعجز الله هربا واني لنادم تائب مستغفر فما ترى حالي عند الله فنزلت وهذا الحديث ينصر قول من فسر من يشاء بالتائب من ذنبه

ان يدعون من دونه الا اناثا وان يدعون الا شيطانا مريدا لعنه الله وقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا ولاضلنهم ولامنينهم ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا اولئك مأواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا الا اناثا هي اللات والعزى ومناة وعن الحسن لم يكن حي من احياء العرب

الا ولهم صنم يعبدونه يسمونه انثى بني فلان وقيل كانوا يقولون في اصنامهم هن بنات الله وقيل الملائكة لقولهم الملائكة بنات الله وقرئ انثى جمع انيث او اناث ووثنا واثنا بالتخفيف والتثقيل جمع وثن كقولك اسد واسد واسد وقلب الواو الفا نحو اجوه في وجوه وقرأت عائشة رضي الله عنها اوثانا وان يدعون وان يعبدون بعبادة الاصنام الا شيطانا لانه هو الذي اغراهم على عبادتها فاطاعوه فجعلت طاعتهم له عبادة لعنه الله وقال لاتخذن صفتان بمعنى شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله وهذا القول الشنيع نصيبا مفروضا مقطوعا واجبا فرضه لنفسه من قولهم فرض له في العطاء وفرض للجند رزقه قال الحسن من كل الف تسعمائة وتسعين الى النار ولامنينهم الاماني الباطلة من طول الاعمار وبلوغ الآمال ورحمة الله تعالى للمجرمين من غير توبة والخروج من النار بعد دخولها بالشفاعة ونحو ذلك وتبتيكهم الآذان فعلهم بالبحائر كانوا يشقون اذن الناقة اذا ولدت خمسة ابطن وجاء الخامس ذكرا وحرموا على انفسهم الانتفاع بها وتغييرهم خلق الله فقء عين الحامي واعفاؤه عن الركوب وقيل الخصاء وهو في قول عامة العلماء مباح في البهائم واما في بني آدم فمحظور وعند ابي حنيفة رحمه الله تعالى يكره شرى الخصيان وامساكهم واستخدامهم لان الرغبة فيهم تدعو الى خصائهم وقيل فطرة الله التي هي دين الاسلام وقيل للحسن ان عكرمة يقول هو الخصاء فقال كذب عكرمة هو دين الله وعن ابن مسعود رضي الله عنه هو الوشم وعنه لعن الله الواشرات والمتنمصات والمستوشمات المغيرات خلق الله وقيل التخنث

والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وعد الله حقا ومن اصدق من الله قيلا وعد الله حقا مصدران الاول مؤكد لنفسه والثاني مؤكد لغيره ومن اصدق من الله قيلا توكيد ثالث بليغ فان قلت ما فائدة هذه التوكيدات قلت معارضة مواعيد الشيطان الكاذبة وامانيه الباطلة لقرنائه بوعد الله الصادق لاوليائه ترغيبا للعباد في ايثار ما يستحقون به تنجز وعد الله تعالى على ما يتجرعون في عاقبته غصص اخلاف مواعيد الشيطان

ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا في ليس ضمير وعد الله اي ليس ينال ما وعد الله من الثواب بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب والخطاب للمسلمين لانه لا يتمنى وعد الله الا من آمن به وكذلك ذكر اهل الكتاب معهم لمشاركتهم لهم في الايمان بوعد الله وعن مسروق والسدي هي في المسلمين وعن الحسن ليس الايمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل ان قوما الهتهم اماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا نحسن الظن بالله وكذبوا لو احسنوا الظن به لاحسنوا العمل وقيل ان المسلمين واهل الكتاب افتخروا فقال اهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم وقال المسلمون نحن اولى منكم نبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضي على الكتب التي كانت قبله فنزلت ويحتمل ان يكون الخطاب للمشركين لقولهم ان كان الامر كما يزعم هؤلاء لنكونن خيرا منهم واحسن حالا لاوتين مالا وولدا ان لي عنده للحسنى وكان اهل الكتاب يقولون نحن ابناء الله واحباؤه لن تمسنا النار الا اياما معدودة ويعضده تقدم ذكر اهل الشرك قبله وعن مجاهد ان الخطاب للمشركين قوله تعالى من يعمل سوءا يجز به وقوله ومن يعمل من الصالحات بعد تمني اهل الكتاب نحو من قوله بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئته وقوله والذين آمنوا وعملوا الصالحات عقيب قوله وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة واذا ابطل الله تعالى الاماني واثبت ان الامر كله معقود بالعمل وان من اصلح عمله فهو الفائز ومن اساء عمله فهو الهالك تبين الامر ووضح ووجب قطع الاماني وحسم المطامع والاقبال على العمل الصالح نصح لا تعيه الآذان ولا تلقى اليه الاذهان فان قلت ما الفرق بين من الاولى والثانية قلت الاولى للتبعيض اراد ومن يعمل بعض الصالحات لان كلا لا يتمكن من كل الصالحات لاختلاف الاحوال وانما يعمل منها ما هو تكليفه وفي وسعه وكم من مكلف لا حج عليه ولا جهاد ولا زكوة وتسقط عنه الصلوة في بعض الاحوال والثانية لتبيين الابهام في ومن يعمل فان قلت كيف خص الصالحون بانهم لا يظلمون وغيرهم مثلهم في ذلك قلت فيه وجهان احدهما ان يكون الراجع في ولا يظلمون لعمال السوء وعمال الصالحات جميعا والثاني ان يكون ذكره عند احد الفريقين دالا على ذكره عند الآخر لان كلا الفريقين مجزيون باعمالهم لا تفاوت بينهم ولان ظلم المسيء ان يزاد في عقابه وارحم الراحمين معلوم انه لا يزيد في عقاب المجرم فكان ذكره مستغنى عنه واما المحسن فله ثواب وتوابع للثواب من فضل الله تعالى في حكم الثواب فجاز ان ينقص من الفضل لانه ليس بواجب فكان نفي الظلم دلالة على انه

الحامي الفحل الذي طال مكثه عندهم ومنه قوله تعالى ولا وصيلة ولا حام قال الفراء اذا لقح ولد ولده حمى ظهره فلا يركب ولا يجز وبره ولا يمنع من مرعى ه

الواشرات النساء اللاتي يحددن اطراف اسنانهن والمتنمصات اللاتي ينتفن شعر الوجه والمستوشمات من الوشم وهو ما يفعله النساء على اعضائهن من النقوش ه

لايقع نقصان في الفضل • ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة
ابراهيم حنيفا واتخذ الله ابراهيم خليلا • اسلم وجهه لله اخلص نفسه لله وجعلها سالمة له
لا يعرف لها ربا ومعبودا سواه وهو محسن وهو عامل للحسنات تارك للسيئات حنيفا حال من المتبع او من ابراهيم
كقوله بل ملة ابراهيم حنيفا وهو الذي تحنف اي مال عن الاديان كلها الى دين الاسلام واتخذ الله ابراهيم خليلا مجاز عن
اصطفائه واختصاصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله والخليل المخال وهو الذي يخالك اي يوافقك في خلالك
او يسايرك في طريقك من الخل وهو الطريق في الرمل او يسد خللك كما تسد خلله او يداخلك خلال منازلك وحجبك
فان قلت ما موقع هذه الجملة قلت هي جملة اعتراضية لا محل لها من الاعراب كنحو ما يجيء في الشعر
من قولهم والحوادث جمة فائدتها تأكيد وجوب اتباع ملته لان من بلغ من الزلفى عند الله ان اتخذه خليلا كان جديرا
بان تتبع ملته وطريقته ولو جعلتها معطوفة على الجملة قبلها لم يكن لها معنى وقيل ان ابراهيم عليه السلام بعث الى
خليل له بمصر في ازمة اصابت الناس يمتار منه فقال خليله لو كان ابراهيم يطلب الميرة لنفسه لفعلت ولكنه يريدها
للاضياف فاجتاز غلمانه ببطحاء لينة فملؤوا منها الغرائر حياء من الناس فلما اخبروا ابراهيم ساءه الخبر فحملته عيناه
وعمدت امراته الى غرارة منها فاخرجت احسن حوارى واختبزت واستنبه ابراهيم فاشتم رائحة الخبز فقال من
اين لكم فقالت امراته من خليلك المصري فقال بل من عند خليلي الله عز وجل فسماه الله خليلا • ولله ما في السموات
وما في الارض وكان الله بكل شيء محيطا • ولله ما في السموات وما في الارض متصل بذكر العمال الصالحين
والطالحين ومعناه ان له ملك اهل السموات والارض فطاعته واجبة عليهم وكان الله بكل شيء محيطا فكان عالما باعمالهم
فمجازيهم على خيرها وشرها فعليهم ان يختاروا لانفسهم ما هو اصلح لها • ويستفتونك في النساء قل الله
يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون
ان تنكحوهن والمستضعفين من الولدان وان تقوموا لليتامى بالقسط وما تفعلوا من خير
فان الله كان به عليما • ما يتلى في محل الرفع اي الله يفتيكم والمتلو في الكتاب في معنى اليتامى يعني قوله وان
خفتم ان لا تقسطوا في اليتامى وهو من قولك اعجبني زيد وكرمه ويجوز ان يكون ما يتلى عليكم مبتدأ وفي الكتاب خبره على انها
جملة معترضة والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ تعظيما للمتلو عليهم وان العدل والنصفة في حقوق اليتامى من عظائم الامور
المرفوعة الدرجات عند الله التي تجب مراعاتها والمحافظة عليها والمخل بها ظالم متهاون بما عظمه الله ونحوه في تعظيم القرآن
وانه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم ويجوز ان يكون مجرورا على القسم كانه قيل قل الله يفتيكم فيهن واقسم بما يتلى عليكم في
الكتاب والقسم ايضا لمعنى التعظيم وليس بسديد ان يعطف على المجرور في فيهن لاختلاله من حيث اللفظ والمعنى
فان قلت بم تعلق قوله في يتامى النساء قلت في الوجه الاول هو صلة يتلى اي يتلى عليكم في معناهن
ويجوز ان يكون في يتامى النساء بدلا من فيهن واما في الوجهين الاخيرين فبدل لا غير فان قلت الاضافة في
يتامى النساء ما هي قلت اضافة بمعنى من كقولك عندي سحق عمامة وقرئ في ييامى النساء بيائين
على قلب همزة ايامى ياء لا تؤتونهن ما كتب لهن وقرئ ما كتب الله لهن اي ما فرض لهن من الميراث وكان الرجل منهم
يضم اليتيمة الى نفسه ومالها فان كانت جميلة تزوجها واكل مالها وان كانت دميمة عضلها عن التزوج حتى تموت
فيرثها وترغبون ان تنكحوهن يحتمل في ان تنكحوهن لجمالهن وعن ان تنكحوهن لدمامتهن • روي ان عمر بن الخطاب
رضي الله عنه كان اذا جاءه ولي اليتيمة نظر فان كانت جميلة غنية قال زوجها غيرك والتمس لها من هو خير منك
وان كانت دميمة ولا مال لها قال تزوجها فانت احق بها والمستضعفين مجرور معطوف على يتامى النساء وكانوا
في الجاهلية انما يورثون الرجال القوام بالامور دون الاطفال والنساء ويجوز ان يكون خطابا للاوصياء كقوله ولا تتبدلوا
الخبيث بالطيب وان تقوموا مجرور كالمستضعفين بمعنى يفتيكم في يتامى النساء وفي المستضعفين وفي ان تقوموا
ويجوز ان يكون منصوبا بمعنى ويأمركم ان تقوموا وهو خطاب للائمة في ان ينظروا لهم ويستوفوا لهم حقوقهم ولا يخلوا احدا
يهتضمهم • وان امراة خافت من بعلها نشوزا او اعراضا فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما
صلحا والصلح خير واحضرت الانفس الشح وان تحسنوا وتتقوا فان الله كان بما تعملون خبيرا

خافت من بعلها توقعت منه ذلك لما لاح لها من مخايله واماراته والنشوز ان يتجافى عنها بان يمنعها نفسه ونفقته والمودة
والرحمة التي بين الرجل والمراة وان يؤذيها بسب او ضرب والاعراض ان يعرض عنها بان يقلل محادثتها ومؤانستها
وذلك لبعض الاسباب من طعن في سن او دمامة او شيء في خلق او خلق او ملال او طموح عين الى اخرى او غير ذلك فلا
بأس بهما ان يصلحا بينهما وقرئ يصالحا ويصلحا بمعنى يتصالحا ويصطلحا ونحو اصلح اصبر في اصطبر صلحا في معنى مصدر
كل واحد من الافعال الثلثة ومعنى الصلح ان يتصالحا على ان تطيب له نفسا عن القسمة او عن بعضها كما فعلت سودة
بنت زمعة حين كرهت ان يفارقها رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفت مكان عائشة من قلبه فوهبت لها يومها وكما
روي ان امراة اراد ان يطلقها زوجها لرغبته عنها وكان لها منه ولد فقالت لا تطلقني ودعني اقوم على ولدي وتقسم لي
في كل شهرين فقال ان كان هذا يصلح فهو احب الي فاقرها او تهب له بعض المهر او كله او النفقة فان لم تفعل فليس له
الا ان يمسكها باحسان او يسرحها بمعروف • والصلح خير من الفرقة او من النشوز والاعراض وسوء العشرة او خير من الخصومة
في كل شيء او الصلح خير من الخيور كما ان الخصومة شر من الشرور وهذه الجملة اعتراض وكذلك قوله واحضرت الانفس الشح
ومعنى احضار الانفس الشح ان الشح جعل حاضرا لها لا يغيب عنها ابدا ولا تنفك عنه يعني انها مطبوعة عليه والغرض
ان المراة لا تكاد تسمح بقسمتها وبغير قسمتها والرجل لا تكاد نفسه تسمح بان يقسم لها وان يمسكها اذا رغب عنها واحب غيرها
وان تحسنوا بالاقامة على نسائكم وان كرهتموهن واحببتم غيرهن وتصبروا على ذلك مراعاة لحق الصحبة وتتقوا النشوز والاعراض
وما يؤدي الى الاذى والخصومة فان الله كان بما تعملون من الاحسان والتقوى خبيرا وهو يثيبكم عليه • وكان عمران بن حطان
الخارجي من ادم بني آدم وامراته من اجملهم فاجالت في وجهه نظرها يوما ثم تابعت الحمد لله فقال ما لك قالت حمدت الله على
اني واياك من اهل الجنة قال كيف قالت لانك رزقت مثلي فشكرت ورزقت مثلك فصبرت وقد وعد الله الجنة
عباده الشاكرين والصابرين • ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا
كل الميل فتذروها كالمعلقة وان تصلحوا وتتقوا فان الله كان غفورا رحيما • وان يتفرقا
يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعا حكيما • ولن تستطيعوا ومحال ان تستطيعوا العدل بين
النساء والتسوية حتى لا يقع ميل البتة ولا زيادة ولا نقصان فيما يجب لهن فرفع لذلك عنكم تمام العدل وغايته وما كلفتم
منه الا ما تستطيعون بشرط ان تبذلوا فيه وسعكم وطاقتكم لان تكليف ما لا يستطاع داخل في حد الظلم وما ربك بظلام للعبيد
وقيل معناه ان تعدلوا في المحبة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقسم بين نسائه فيعدل ويقول هذه قسمتي فيما املك
فلا تؤاخذني فيما تملك ولا املك يعني المحبة لان عائشة رضي الله عنها كانت احب اليه وقيل ان العدل بينهن امر صعب بالغ
من الصعوبة حدا يوهم انه غير مستطاع لانه يجب ان يسوي بينهن في القسمة والنفقة والتعهد والنظر والاقبال والممالحة
والمفاكهة والمؤانسة وغيرها مما لا يكاد الحصر يأتي من ورائه فهو كالخارج من حد الاستطاعة هذا اذا كن محبوبات كلهن فكيف
اذا مال القلب مع بعضهن فلا تميلوا كل الميل فلا تجوروا على المرغوب عنها كل الجور فتمنعوها قسمتها من غير رضى منها يعني ان
اجتناب كل الميل مما هو في حد اليسر والسعة فلا تفرطوا فيه ان وقع منكم التفريط في العدل كله وفيه ضرب من التوبيخ فتذروها
كالمعلقة وهي التي ليست بذات بعل ولا مطلقة قال • هل هي الا حظة او تطليق • او صلف او بين ذاك تعليق
وفي قراءة ابي فتذروها كالمسجونة • وفي الحديث من كانت له امراتان يميل مع احديهما جاء يوم القيمة واحد شقيه مائل
وروي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعث الى ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم بمال فقالت عائشة رضي الله عنها الى
كل ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عمر بمثل هذا قالوا لا بعث الى القرشيات بمثل هذا والى غيرهن بغيره فقالت
ارفع راسك فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعدل بيننا في القسمة بماله ونفسه فرجع الرسول فاخبره فاتم لهن جميعا
وكان لمعاذ رضي الله عنه امراتان فاذا كان عند احديهما لم يتوضأ في بيت الاخرى فماتتا في الطاعون فدفنهما في قبر واحد
وان تصلحوا ما مضى من ميلكم وتتداركوه بالتوبة وتتقوا فيما يستقبل غفر الله لكم وقرئ وان يتفارقا بمعنى وان
يفارق كل واحد منهما صاحبه يغن الله كلا يرزقه زوجا خيرا من زوجه وعيشا اهنأ من عيشه والسعة الغنى والمقدرة
والواسع الغني المقتدر • ولله ما في السموات وما في الارض ولقد وصينا الذين اوتوا
الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله وان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض

وكان الله غنيا حميدا ولله ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا
من قبلكم متعلق بوصينا او باوتوا واياكم عطف على الذين اوتوا والكتاب اسم للجنس يتناول الكتب السماوية ان اتقوا
بان اتقوا او تكون ان المفسرة لان التوصية في معنى القول وقوله وان تكفروا فان لله عطف على اتقوا لان المعنى
امرناهم وامرناكم بالتقوى وقلنا لهم ولكم ان تكفروا فان لله والمعنى ان لله الخلق كلهم وهو خالقهم ومالكهم والمنعم عليهم
باصناف النعم كلها فحقه ان يكون مطاعا في خلقه غير معصي يتقون عقابه ويرجون ثوابه ولقد وصينا الذين اوتوا
الكتاب من الامم السالفة ووصيناكم ان اتقوا الله يعني انها وصية قديمة ما زال يوصي الله بها عباده لستم بها
مخصوصين لانهم بالتقوى يسعدون عنده وبها ينالون النجاة في العاقبة وقلنا لهم ولكم ان تكفروا فان لله في سماواته
وارضه من الملائكة والثقلين من يوحده ويعبده ويتقيه وكان الله مع ذلك غنيا عن خلقه وعن عبادتهم جميعا مستحقا
لان يحمد لكثرة نعمه وان لم يحمده احد منهم وتكرير قوله لله ما في السموات وما في الارض تقرير لما هو موجب تقواه ليتقوه
فيطيعوه ولا يعصوه لان الخشية والتقوى اصل الخير كله ان يشأ يذهبكم ايها الناس ويأت بآخرين
وكان الله على ذلك قديرا ان يشأ يذهبكم يفنكم ويعدمكم كما اوجدكم وانشأكم ويأت بآخرين ويوجد
انشا آخرين مكانكم او خلقا آخرين غير الانس وكان الله على ذلك من الاعدام والايجاد قديرا بليغ القدرة لا يمتنع عليه
شيء اراده وهذا غضب عليهم وتخويف وبيان لاقتداره وقيل هو خطاب لمن كان يعادي رسول الله صلى الله عليه
وسلم من العرب اي ان يشأ يمتكم ويأت بناس آخرين يوالونه ويروى انها لما نزلت ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم
بيده على ظهر سلمان وقال انهم قوم هذا يريد ابناء فارس من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب
الدنيا والآخرة وكان الله سميعا بصيرا من كان يريد ثواب الدنيا كالمجاهد يريد بجهاده الغنيمة
فعند الله ثواب الدنيا والآخرة فماله يطلب احدهما دون الآخر والذي يطلبه اخسهما لان من جاهد لله خالصا لم تخطئه
الغنيمة وله من ثواب الآخرة ما الغنيمة الى جنبه كلا شيء والمعنى فعند الله ثواب الدنيا والآخرة له ان اراده حتى يتعلق
الجزاء بالشرط يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين
والاقربين ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا وان تلووا او
تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا قوامين بالقسط مجتهدين في اقامة العدل حتى لا تجوروا شهداء
لله تقيمون شهاداتكم لوجه الله تعالى كما امرتم باقامتها ولو على انفسكم ولو كانت الشهادة على انفسكم او آبائكم او اقاربكم
فان قلت الشهادة على الوالدين والاقربين ان تقول اشهد ان لفلان على والدي كذا او على اقاربي
فما معنى الشهادة على نفسه قلت هي الاقرار على نفسه لانه في معنى الشهادة عليها بالزام الحق لها ويجوز
ان يكون المعنى وان كانت الشهادة وبالا على انفسكم او على آبائكم واقاربكم وذلك ان يشهد على من يتوقع ضرره من
سلطان ظالم او غيره ان يكن المشهود عليه غنيا فلا يمنع الشهادة عليه لغناه طلبا لرضاه او فقيرا فلا
ترحما عليه فالله اولى بهما بالغني والفقير اي بالنظر لهما وارادة مصلحتهما ولولا ان الشهادة عليهما مصلحة لهما لما شرعها
لانه انظر لعباده من كل ناظر فان قلت لم ثنى الضمير في اولى بهما وكان حقه ان يوحد لان قوله ان يكن غنيا
او فقيرا في معنى ان يكن احد هذين قلت قد رجع الضمير الى ما دل عليه قوله ان يكن غنيا او فقيرا لا الى المذكور
فلذلك ثنى ولم يفرد وهو جنس الغني وجنس الفقير كانه قيل فالله اولى بجنسي الغني والفقير اي بالاغنياء والفقراء
وفي قراءة ابي فالله اولى بهم وهي شاهدة على ذلك وقرأ عبد الله ان يكن غني او فقير على كان التامة ان تعدلوا
العدل والعدول كانه قيل فلا تتبعوا الهوى كراهة ان تعدلوا بين الناس او ارادة ان تعدلوا عن الحق وان تلووا
او تعرضوا وان تلووا السنتكم عن شهادة الحق او حكومة العدل او تعرضوا عن الشهادة بما عندكم وتمنعوها وقرئ
وان تلوا او تعرضوا بمعنى وان وليتم اقامة الشهادة او اعرضتم عن اقامتها فان الله كان بما تعملون خبيرا او بمجازاتكم عليه
يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي انزل
من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا
يا ايها الذين آمنوا خطاب للمسلمين ومعنى آمنوا اثبتوا على الايمان وداوموا عليه وازدادوه والكتاب الذي انزل من قبل

المراد

المراد به جنس ما انزل على الانبياء قبله من الكتب والدليل عليه قوله وكتبه وقرئ وكتابه على ارادة الجنس وقرئ نزل وانزل
على البناء للفاعل وقيل الخطاب لاهل الكتاب لانهم آمنوا ببعض الكتب والرسل وكفروا ببعض وروي انه لعبد الله
ابن سلام واسد واسيد ابني كعب وثعلبة بن قيس وسلام ابن اخت عبد الله بن سلام وسلمة بن اخيه ويامين بن يامين
اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا رسول الله انا نؤمن بك وبكتابك وموسى والتورية وعزير ونكفر بما سواه من الكتب
والرسل فقال صلى الله عليه وسلم بل آمنوا بالله ورسوله محمد وكتابه القرآن وبكل كتاب كان قبله فقالوا لا نفعل فنزلت
فآمنوا كلهم وقيل هو للمنافقين كانه قيل يا ايها الذين آمنوا نفاقا آمنوا اخلاصا فان قلت
كيف قيل لاهل الكتاب والكتاب الذي انزل من قبل وكانوا مؤمنين بالتورية والانجيل قلت كانوا مؤمنين بهما
فحسب وما كانوا مؤمنين بكل ما انزل من الكتب وامروا ان يؤمنوا بالجنس كله ولان ايمانهم ببعض الكتب لا يصح ايمانا به
لان طريق الايمان به هو المعجزة ولا اختصاص لها ببعض الكتب دون بعض فلو كان ايمانهم بما آمنوا به لاجل المعجزة لآمنوا
كله فحين آمنوا ببعضه علم انهم لم يعتبروا المعجزة فلم يكن ايمانهم ايمانا وهذا الذي اراد عز وجل في قوله ويقولون نؤمن ببعض
ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقا فان قلت لم قيل نزل على رسوله وانزل
من قبل قلت لان القرآن نزل مفرقا منجما في عشرين سنة بخلاف الكتب قبله ومعنى قوله ومن يكفر بالله الآية
ومن يكفر بشيء من ذلك فقد ضل لان الكفر ببعضه كفر بكله الا ترى كيف قدم الامر بالايمان به جميعا ان الذين آمنوا
ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا
لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا نفي للغفران والهداية وهي اللطف على سبيل المبالغة التي تعطيها اللام والمراد
بنفيهما نفي ما يقتضيهما وهو الايمان الخالص الثابت والمعنى ان الذين تكرر منهم الارتداد وعهد منهم ازدياد الكفر والاصرار
عليه يستبعد منهم ان يحدثوا ما يستحقون به المغفرة ويستوجبون اللطف من ايمان صحيح ثابت يرضاه الله تعالى لان قلوب
اولئك الذين هذا ديدنهم قلوب قد ضريت بالكفر ومرنت على الردة وكان الايمان اهون شيء عندهم وادونه حيث
يبدو لهم فيه كرة بعد كرة وليس المعنى انهم لو اخلصوا الايمان بعد تكرار الردة ونصحت توبتهم لم تقبل منهم ولم يغفر لهم
لان ذلك مقبول حيث هو بذل للطاقة واستفراغ للوسع ولكنه استبعاد له واستغراب وانه امر لا يكاد يكون وهكذا ترى
الفاسق الذي يتوب ثم يرجع ثم يتوب ثم يرجع لا يكاد يرجى منه الثبات والغالب انه يموت على شر حال واسمج صورة
وقيل هم اليهود آمنوا بالتورية وبموسى ثم كفروا بالانجيل وبعيسى ثم ازدادوا كفرا بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم
بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين
ايبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا بشر المنافقين وضع بشر مكان اخبر تهكما بهم
والذين نصب على الذم او رفع بمعنى اريد الذين او هم الذين وكانوا يمايلون الكفرة ويوالونهم ويقول بعضهم لبعض لا يتم امر
محمد فتولوا اليهود فان العزة لله جميعا يريد لاوليائه الذين كتب لهم العزة والغلبة على اليهود وغيرهم وقال ولله
العزة ولرسوله وللمؤمنين وقد نزل عليكم في الكتاب ان اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ
بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره انكم اذا مثلهم ان الله جامع المنافقين
والكافرين في جهنم جميعا ان اذا سمعتم هي ان المخففة من الثقيلة والمعنى انه اذا سمعتم اي نزل عليكم
ان الشان كذا والشان ما افادته الجملة بشرطها وجزائها وان مع ما في حيزها في موضع الرفع بنزل فيمن قرأ به والمنزل
عليهم في الكتاب هو ما نزل عليهم بمكة من قوله تعالى واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث
غيره وذلك ان المشركين كانوا يخوضون في ذكر القرآن في مجالسهم ويستهزئون به فنهى المسلمون عن القعود معهم ما داموا
خائضين فيه وكان احبار اليهود بالمدينة يفعلون كفعل المشركين فنهوا ان يقعدوا معهم كما نهوا عن مجالسة المشركين بمكة
وكان الذين يقاعدون الخائضين في القرآن من الاحبار هم المنافقون فقيل لهم انكم اذا مثل الاحبار في الكفر ان الله جامع
المنافقين والكافرين يعني القاعدين والمقعود معهم فان قلت الضمير في قوله فلا تقعدوا معهم الى من يرجع
قلت الى من دل عليه يكفر بها ويستهزأ بها كانه قيل فلا تقعدوا مع الكافرين بها والمستهزئين بها فان قلت
لم يكونون مثلهم بالمجالسة اليهم في وقت الخوض قلت لانهم اذا لم ينكروا عليهم كانوا راضين والراضي بالكفر كافر

فان قلت فلا كان المسلمون بمكة حين كانوا يجالسون الخائضين من المشركين منافقين قلت
لانهم كانوا لا ينكرون لعجزهم وهؤلاء لم ينكروا مع قدرتهم وقوتهم فكان ترك الانكار لرضاهم الذين يتربصون
بكم فان كان لكم فتح من الله قالوا الم نكن معكم وان كان للكافرين نصيب قالوا الم
نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين فالله يحكم بينكم يوم القيمة ولن يجعل الله
للكافرين على المؤمنين سبيلا الذين يتربصون اما بدل من الذين يتخذون واما صفة للمنافقين او
نصب على الذم منهم يتربصون بكم اى ينتظرون بكم ما يتجدد لكم من ظفر او اخفاق الم نكن معكم مظاهرين فاسهموا
لنا في الغنيمة الم نستحوذ عليكم الم نغلبكم ونتمكن من قتلكم واسركم فابقينا عليكم ونمنعكم من المسلمين بان ثبطناهم عنكم
وخيلنا لهم ما ضعفت به قلوبهم ومرضوا في قتالكم وتوانينا في مظاهرتهم عليكم فهاتوا نصيبا لنا مما اصبتم وقرئ ونمنعكم
بالنصب باضمار ان قال الحطيئة الم اك جاركم ويكون بيني وبينكم المودة والاخاء فان قلت لم سمى
ظفر المسلمين فتحا وظفر الكافرين نصيبا قلت تعظيما لشان المسلمين وتخسيسا لحظ الكافرين لان ظفر
المسلمين امر عظيم تفتح لهم ابواب السماء حتى ينزل على اوليائه واما ظفر الكافرين فما هو الا حظ دنى ولمظة من الدنيا
يصيبونها ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم واذا قاموا الى الصلوة
قاموا كسالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا يخادعون الله يفعلون ما يفعل
المخادع من اظهار الايمان وابطان الكفر وهو خادعهم وهو فاعل بهم ما يفعل الغالب في الخداع حيث تركهم معصومي
الدماء والاموال في الدنيا واعد لهم الدرك الاسفل من النار في الآخرة ولم يخلهم في العاجل من فضيحة واحلال باس
ونقمة ورعب دائم والخادع اسم فاعل من خادعته فخدعته اذا غلبته وكنت اخدع منه وقيل يعطون على الصراط نورا
كما يعطى المؤمنون فيمضون بنورهم ثم يطفأ نورهم ويبقى نور المؤمنين فينادون انظرونا نقتبس من نوركم كسالى قرئ
بضم الكاف وفتحها جمع كسلان كسكارى في سكران اى يقومون متثاقلين متقاعسين كما ترى من يفعل شيئا على كره
لا عن طيبة نفس ورغبة يراؤن الناس يقصدون بصلوتهم الرياء والسمعة ولا يذكرون الله الا قليلا ولا يصلون الا
قليلا لانهم لا يصلون قط غائبين عن عيون الناس الا ما يجاهرون به وما يجاهرون به قليل ايضا لانهم ما وجدوا مندوحة
من تكلف ما ليس في قلوبهم لم يتكلفوه او ولا يذكرون الله بالتسبيح والتهليل الا ذكرا قليلا في الندرة وكم ترى كثيرا
من المتظاهرين بالاسلام لو صحبته الايام والليالي لم تسمع منه تهليلة ولا تسبيحة ولا تحميدة ولكن حديث الدنيا يستغرق
به اوقاته لا يفتر عنه ويجوز ان يراد بالقلة العدم فان قلت ما معنى المراآت وهي مفاعلة من الرؤية
قلت فيها وجهان احدهما ان المرائي يريهم عمله وهم يرونه استحسانه والثاني ان يكون من المفاعلة بمعنى
التفعيل فيقال راءى الناس بمعنى رآهم كقولك نعمه وناعمه وفنقه وفانقه وعيش مفانق روى ابو زيد
رأت المرأة المرأة الرجل اذا امسكتها لترى وجهه ويدل عليه قراءة ابن ابي اسحق يرؤنهم بهمزة مشددة مثل يرعونهم
اى يبصرونهم اعمالهم ويراؤنهم كذلك مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ومن
يضلل الله فلن تجد له سبيلا مذبذبين اما حال كقوله ولا يذكرون عن واو يراؤن اى يراؤنهم
غير ذاكرين مذبذبين او منصوب على الذم ومعنى مذبذبين ذبذبهم الشيطان والهوى بين الايمان والكفر فهم مترددون
بينهما متحيرون وحقيقة المذبذب الذى يذب عن كلا الجانبين اى يذاد ويدفع فلا يقر في جانب واحد كما قيل
فلان يرمى به الرجوان الا ان الذبذبة فيها تكرير ليس في الذب كان المعنى كلما مال الى جانب ذب عنه وقرأ ابن عباس
مذبذبين بكسر الذال بمعنى يذبذبون قلوبهم او دينهم او رأيهم او بمعنى يتذبذبون كما جاء صلصل وتصلصل بمعنى وفي
مصحف عبد الله متذبذبين وعن ابي جعفر مدبدبين بالدال غير المعجمة وكان المعنى اخذتهم تارة في دبة وتارة
في دبة فليسوا بماضين على دبة واحدة والدبة الطريقة ومنها دبة قريش وذلك اشارة الى الكفر والايمان لا الى هؤلاء
لا منسوبين الى هؤلاء فيكونوا مؤمنين ولا الى هؤلاء فيسموا مشركين يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين
اولياء من دون المؤمنين اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا
لا تتخذوا الكافرين اولياء لا تتشبهوا بالمنافقين في اتخاذهم اليهود وغيرهم من اعداء الاسلام اولياء سلطانا مبينا حجة

حجة

الاخفاق الخيبة وعدم الظفر

بينة يعنى ان موالاة الكافرين بينة على النفاق وعن صعصعة بن صوحان انه قال لابن اخ له خالص المؤمن
وخالق الكافر والفاجر فان الفاجر يرضى منك بالخلق الحسن وانه يحق عليك ان تخالص المؤمن ان المنافقين
في الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا الا الذين تابوا واصلحوا واعتصموا
بالله واخلصوا دينهم لله فاولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا
عظيما الدرك الاسفل الطبق الذى في قعر جهنم والنار سبع دركات سميت بذلك لانها متداركة
متتابعة بعضها فوق بعض وقرئ بسكون الراء والوجه التحريك لقولهم ادراك جهنم فان قلت
لم كان المنافق اشد عذابا من الكافر قلت لانه مثله في الكفر وضم الى كفره الاستهزاء بالاسلام واهله تابوا
واصلحوا ما افسدوا من اسرارهم واحوالهم في حال النفاق واعتصموا بالله ووثقوا به كما يثق المؤمنون الخلص واخلصوا
دينهم لله لا يبتغون بطاعاتهم الا وجهه فاولئك مع المؤمنين فهم اصحاب المؤمنين ورفقاؤهم في الدارين وسوف يؤت الله
المؤمنين اجرا عظيما فيشاركونهم فيه ويساهمونهم فان قلت من المنافق قلت هو في الشريعة من
اظهر الايمان وابطن الكفر واما تسمية من ارتكب ما يفسق به بالمنافق فللتغليظ كقوله من ترك الصلوة متعمدا فقد كفر ومنه قوله
صلى الله عليه وسلم ثلث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن
خان وقيل لحذيفة رضى الله عنه من المنافق فقال الذى يصف الاسلام ولا يعمل به وقيل لابن عمر رضى الله عنهما ندخل على
السلطان ونتكلم بكلام فاذا خرجنا تكلمنا بخلافه فقال كنا نعده من النفاق وعن الحسن اتى على النفاق زمان وهو مقروع
فيه فاصبح قد عمم وقلد واعطى سيفا يعنى الحجاج ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم وكان
الله شاكرا عليما ما يفعل الله بعذابكم أيتشفى به من الغيظ ام يدرك به الثار ام يستجلب به نفعا او يستدفع
به ضررا كما يفعل الملوك بعذابهم وهو الغنى الذى لا يجوز عليه شيء من ذلك وانما هو امر اوجبته الحكمة ان يعاقب المسيء فان قمتم بشكر
وآمنتم به فقد ابعدتم عن انفسكم استحقاق العذاب وكان الله شاكرا مثيبا موفيا اجوركم عليما بحق شكركم وايمانكم
فان قلت لم قدم الشكر على الايمان قلت لان العاقل ينظر الى ما عليه من النعمة العظيمة في خلقه وتعريضه للمنافع
فيشكر شكرا مبهما فاذا انتهى به النظر الى معرفة المنعم آمن به ثم شكر شكرا مفصلا فكان الشكر متقدما على الايمان وكانه اصل التكليف
ومداره لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم وكان الله سميعا عليما ان تبدوا
خيرا او تخفوه او تعفوا عن سوء فان الله كان عفوا قديرا الا من ظلم الا جهر من ظلم استثنى من
الجهر الذى لا يحبه الله تعالى جهر المظلوم وهو ان يدعو على الظالم ويذكره بما فيه من السوء وقيل هو ان يبدأ بالشتيمة فيرد
على الشاتم ولمن انتصر بعد ظلمه وقيل ضاف رجل قوما فلم يطعموه فاصبح شاكيا فعوتب على الشكاية فنزلت وقرئ الا من ظلم
على البناء للفاعل على الانقطاع اى ولكن الظالم راكب ما لا يحبه الله فيجهر بالسوء ويجوز ان يكون من ظلم مرفوعا كانه قيل لا يحب الجهر
بالسوء الا الظالم على لغة من يقول ما جاءني زيد الا عمرو بمعنى ما جاءني الا عمرو ومنه لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله
ثم حث على العفو وان لا يجهر احد لاحد بسوء وان كان على وجه الانتصار بعد ما اطلق الجهر به وجعله محبوبا حثا على الاحب
والافضل عنده والادخل في الكرم والتخشع والعبودية وذكر ابداء الخير واخفاءه تشبيبا للعفو ثم عطف عليهما اعتدادا
وتنبيها على منزلته وان له مكانا في باب الخير وسيطا والدليل على ان العفو هو الغرض المقصود بذكر ابداء الخير واخفائه قوله
فان الله كان عفوا قديرا اى يعفو عن الجانين مع قدرته على الانتقام فعليكم ان تقتدوا بسنة الله تعالى ان الذين
يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر
ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا
جعل الذين آمنوا بالله وكفروا برسله او آمنوا بالله وببعض رسله وكفروا ببعض كافرين بالله ورسله جميعا لما ذكرنا من العلة
ومعنى اتخاذهم بين ذلك سبيلا ان يتخذوا دينا وسطا بين الايمان والكفر كقوله تعالى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ
بين ذلك سبيلا اى طريقا وسطا في القراءة وهو ما بين الجهر والمخافتة وقد اخطأوا فانه لا واسطة بين الكفر والايمان ولذلك
قال اولئك هم الكافرون حقا اى هم الكاملون في الكفر وحقا تاكيد لمضمون الجملة كقولك هو عبد الله حقا اى حق ذلك حقا وهو
كونهم كاملين في الكفر او صفة لمصدر الكافرين اى هم الذين كفروا كفرا حقا ثابتا يقينا لا شك فيه والذين آمنوا

ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله
غفورا رحيما فإن قلت كيف جاز دخول بين على أحد وهو يقتضي شيئين فصاعدا قلت
إن أحدا عام في الواحد المذكر والمؤنث وتثنيتهما وجمعهما تقول ما رأيت أحدا فتقصد العموم ألا تراك تقول إلا بني فلان وإلا
بنات فلان فالمعنى ولم يفرقوا بين اثنين منهم أو بين جماعة ومنه قوله تعالى لستن كأحد من النساء سوف يؤتيهم
أجورهم معناه أن إيتاءها كائن لا محالة وإن تأخر فالغرض به توكيد الوعد وتثبيته لا كونه متأخرا يسألك أهل
الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة
فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات فعفونا عن ذلك
وآتينا موسى سلطانا مبينا روي أن كعب بن الأشرف وفنحاص بن عازوراء وغيرهما قالوا لرسول الله
صلى الله عليه وسلم إن كنت نبيا صادقا فأتنا بكتاب من السماء جملة كما أتى به موسى فنزلت وقيل كتابا إلى فلان وكتابا
إلى فلان بأنك رسول الله وقيل كتابا نعاينه حين ينزل وإنما اقترحوا ذلك على سبيل التعنت قال الحسن ولو سألوه لكي
يتبينوا الحق لأعطاهم وفيما آتاهم كفاية فقد سألوا موسى جواب لشرط مقدر معناه إن استكبرت ما سألوه منك
فقد سألوا موسى أكبر من ذلك وإنما أسند السؤال إليهم وإن وجد من آبائهم في أيام موسى وهم النقباء السبعون لأنهم كانوا على
مذهبهم وراضين بسؤالهم ومضاهين لهم في التعنت جهرة عيانا بمعنى أرناه نره جهرة بظلمهم بسبب سؤالهم الرؤية ولو
طلبوا أمرا جائزا لما سموا ظالمين ولما أخذتهم الصاعقة كما سأل إبراهيم صلوات الله عليه وسلامه أن يريه إحياء الموتى
فلم يسمه ظالما ولا رماه بالصاعقة فتبا للمشبهة ورميا بالصواعق وآتينا موسى سلطانا مبينا تسلطا واستيلاء ظاهرا
عليهم حين أمرهم بأن يقتلوا أنفسهم حتى يتاب عليهم فأطاعوه واحتبوا بأفنيتهم والسيوف تتساقط عليهم فيا لك من
سلطان مبين ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا وقلنا لهم
لا تعدوا في السبت وأخذنا منهم ميثاقا غليظا بميثاقهم بسبب ميثاقهم ليخافوا فلا ينقضوه وقلنا
لهم والطور مظل عليهم ادخلوا الباب سجدا ولا تعدوا في السبت وقد أخذ منهم الميثاق على ذلك وقولهم سمعنا وأطعنا ومعاهدتهم
على أن يتموا عليه ثم نقضوه بعد وقرئ لا تعدوا وبإدغام التاء في الدال فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم
بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا
يؤمنون إلا قليلا وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما فبما نقضهم فبنقضهم وما مزيدة للتوكيد
فإن قلت بم تعلقت الباء وما معنى التوكيد قلت إما أن يتعلق بمحذوف كأنه قيل فبما نقضهم ميثاقهم
فعلنا بهم ما فعلنا وإما أن يتعلق بقوله حرمنا عليهم على أن قوله فبظلم من الذين هادوا بدل من قوله فبما نقضهم ميثاقهم وأما التوكيد
فمعناه تحقيق أن العقاب أو تحريم الطيبات لم يكن إلا بنقض العهد وما عطف عليه من الكفر وقتل الأنبياء وغير ذلك فإن قلت
هلا زعمت أن المحذوف الذي تعلقت به الباء ما دل عليه قوله بل طبع الله عليها فيكون التقدير فبما نقضهم ميثاقهم طبع الله على قلوبهم
بل طبع عليها بكفرهم قلت لم يصح هذا التقدير لأن قوله بل طبع الله عليها بكفرهم رد وإنكار لقولهم قلوبنا غلف فكان متعلقا
به وذلك أنهم أرادوا بقولهم قلوبنا غلف أن الله خلق قلوبنا غلفا أي في أكنة لا يتوصل إليها شيء من الذكر والموعظة كما حكى الله
عن المشركين وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم كمذهب المجبرة فقيل لهم بل خذلها الله تعالى ومنعها الألطاف بسبب كفرهم فصارت
كالمطبوع عليها لا أن تخلق غلفا غير قابلة للذكر ولا متمكنة من قبوله فإن قلت علام عطف قوله وبكفرهم قلت
الوجه أن يعطف على فبما نقضهم ويجعل قوله بل طبع الله عليها بكفرهم كلاما تبع قوله وقالوا قلوبنا غلف على وجه الاستطراد ويجوز عطفه
على ما يليه من قوله بكفرهم فإن قلت ما معنى المجيء بالكفر معطوفا على ما فيه ذكره سواء عطف على ما قبل حرف الإضراب
أو على ما بعده وهو قوله وكفرهم بآيات الله وقوله بكفرهم قلت قد تكرر منهم الكفر لأنهم كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد صلوات الله
عليهم وسلامه فعطف بعض كفرهم على بعض أو عطف مجموع المعطوف على مجموع المعطوف عليه كأنه قيل فبجمعهم بين نقض
الميثاق والكفر بآيات الله تعالى وقتل الأنبياء وقولهم قلوبنا غلف وجمعهم بين كفرهم وبهتهم مريم وافتخارهم بقتل عيسى
عاقبناهم أو بل طبع الله عليها بكفرهم وجمعهم بين كفرهم وكذا وكذا والبهتان العظيم هو التزنية وقولهم إنا قتلنا
المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه

لفي

لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه
وكان الله عزيزا حكيما فإن قلت كانوا كافرين بعيسى عليه السلام أعداء له عامدين لقتله يسمونه
الساحر بن الساحرة والفاعل بن الفاعلة فكيف قالوا إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله قلت قالوه
على وجه الاستهزاء كقول فرعون إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون ويجوز أن يضع الله الذكر الحسن مكان ذكرهم القبيح
في الحكاية عنهم رفعا لعيسى عليه السلام عما كانوا يذكرونه به وتعظيما لما أرادوا بمثله كقوله تعالى ليقولن خلقهن العزيز العليم
الذي جعل لكم الأرض مهادا روي أن رهطا من اليهود سبوه وسبوا أمه فدعا عليهم اللهم أنت ربي وبكلمتك خلقتني
اللهم العن من سبني وسب والدتي فمسخ الله من سبهما قردة وخنازير فاجتمعت اليهود على قتله فأخبره الله تعالى
بأنه يرفعه إلى السماء ويطهره من صحبة اليهود فقال لأصحابه أيكم يرضى أن يلقى عليه شبهي فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقال
رجل منهم أنا فألقى الله عليه شبهه فقتل وصلب وقيل كان رجل ينافق عيسى فلما أرادوا قتله قال أنا أدلكم عليه
فدخل بيت عيسى ورفع عيسى وألقي شبهه على المنافق فدخلوا عليه فقتلوه وهم يظنون أنه عيسى ثم اختلفوا فقال بعضهم إنه إله
لا يصح قتله وقال بعضهم إنه قد قتل وصلب وقال بعضهم إن كان هذا عيسى فأين صاحبنا وإن كان صاحبنا فأين عيسى وقال
بعضهم رفع إلى السماء وقال بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا فإن قلت شبه مسند إلى ماذا
إن جعلته مسندا إلى المسيح فالمسيح مشبه به وليس بمشبه وإن أسندته إلى المقتول فالمقتول لم يجر له ذكر قلت
هو مسند إلى الجار والمجرور وهو لهم كقولك خيل إليه كأنه قيل ولكن وقع لهم التشبيه ويجوز أن يسند إلى ضمير المقتول لأن قوله
إنا قتلنا يدل عليه كأنه قيل ولكن شبه لهم من قتلوه إلا اتباع الظن استثناء منقطع لأن اتباع الظن ليس من جنس
العلم يعني ولكنهم يتبعون الظن فإن قلت قد وصفوا بالشك والشك أن لا يترجح أحد الجائزين ثم
وصفوا بالظن والظن أن يترجح أحدهما فكيف يكونون شاكين ظانين قلت أريد أنهم شاكون ما لهم من علم قط ولكن
إن لاحت لهم أمارة فظنوا فذاك وما قتلوه يقينا وما قتلوه قتلا يقينا أو ما قتلوه متيقنين كما ادعوا ذلك في قولهم
إنا قتلنا المسيح أو يجعل يقينا تأكيدا لقوله وما قتلوه كقولك ما قتلوه حقا أي حق انتفاء قتله حقا وقيل هو من قولهم
قتلت الشيء علما ونحرته علما إذا تبالغ فيه علمك وفيه تهكم لأنه إذا نفى عنهم العلم نفيا كليا بحرف الاستغراق ثم قيل
وما علموه علم يقين وإحاطة لم يكن إلا تهكما بهم وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته
ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا ليؤمنن به جملة قسمية واقعة صفة لموصوف محذوف تقديره وإن
من أهل الكتاب أحد إلا ليؤمنن به ونحوه وما منا إلا له مقام معلوم وإن منكم إلا واردها والمعنى وما من اليهود والنصارى
أحد إلا ليؤمنن قبل موته بعيسى وبأنه عبد الله ورسوله يعني إذا عاين قبل أن تزهق روحه حين لا ينفعه إيمانه لانقطاع
وقت التكليف وعن شهر بن حوشب قال لي الحجاج آية ما قرأتها إلا تخالج في نفسي شيء منها يعني هذه الآية
وقال إني أوتى بالأسير من اليهود والنصارى فأضرب عنقه فلا أسمع منه ذلك فقلت إن اليهودي إذا حضره الموت
ضربت الملائكة دبره ووجهه وقالوا يا عدو الله أتاك عيسى نبيا فكذبت به فيقول آمنت أنه عبد نبي وتقول للنصراني أتاك
عيسى نبيا فزعمت أنه الله أو ابن الله فيؤمن أنه عبد الله ورسوله حيث لا ينفعه إيمانه قال وكان متكئا فاستوى جالسا
فنظر إلي وقال ممن قلت حدثني محمد بن علي ابن الحنفية فأخذ ينكت الأرض بقضيبه ثم قال لقد أخذتها من عين
صافية أو من معدنها قال الكلبي فقلت له ما أردت إلى أن تقول حدثني محمد بن علي ابن الحنفية قال أردت أن أغيظه يعني
بزيادة اسم علي لأنه مشهور بابن الحنفية وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه فسره كذلك فقال له عكرمة فإن أتاه رجل
فضرب عنقه قال لا تخرج نفسه حتى يحرك بها شفتيه قال وإن خر من فوق بيت أو احترق أو أكله سبع قال يتكلم بها في الهواء
ولا تخرج روحه حتى يؤمن به ويدل عليه قراءة أبي إلا ليؤمنن به قبل موتهم بضم النون على معنى وإن منهم أحد إلا سيؤمنون
به قبل موتهم لأن أحدا يصلح للجمع فإن قلت ما فائدة الإخبار بإيمانهم بعيسى قبل موتهم قلت
فائدته الوعيد وليكون علمهم بأنهم لا بد لهم من الإيمان به عن قريب عند المعاينة وأن ذلك لا ينفعهم بعثا لهم وتنبيها على
معالجة الإيمان به في أوان الانتفاع به وليكون إلزاما للحجة لهم وكذلك قوله ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا يشهد على اليهود
بأنهم كذبوه وعلى النصارى بأنهم دعوه ابن الله وقيل الضمير أن لعيسى يعني وإن منهم أحد إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى

وهم اهل الكتاب الذين يكونون في زمان نزوله روي انه ينزل من السماء في آخر الزمان فلا يبقى احد من اهل الكتاب
الا يؤمن به حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الاسلام ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال وتقع الامنة حتى ترتع
الاسود مع الابل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان بالحيات ويلبث في الارض اربعين سنة
ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه ويجوز ان يراد انه لا يبقى احد من جميع اهل الكتاب الا ليؤمنن به على
ان الله تعالى يحييهم في قبورهم في ذلك الزمان ويعلمهم نزوله وما انزل له ويؤمنون به حين لا ينفعهم ايمانهم وقيل
الضمير في به يرجع الى الله تعالى وقيل الى محمد صلى الله عليه وسلم **فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم
طيبات احلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا واخذهم الربوا وقد نهوا عنه
واكلهم اموال الناس بالباطل واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما** فبظلم من الذين هادوا فبای
ظلم منهم والمعنى ما حرمنا عليهم الطيبات الا لظلم عظيم ارتكبوه وهو ما عدد لهم من الكفر والكبائر العظيمة والطيبات
التي حرمت عليهم ما ذكره في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر وحرمت عليهم الالبان وكلما اذنبوا ذنبا صغيرا
او كبيرا حرم عليهم بعض الطيبات من المطاعم وغيرها وبصدهم عن سبيل الله كثيرا اناسا كثيرا او صدا كثيرا بالباطل
بالرشوة التي كانوا ياخذونها من سفلتهم في تحريف الكتاب **لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون
يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك والمقيمين الصلوة والمؤتون الزكوة والمؤمنون بالله
واليوم الآخر اولئك سنؤتيهم اجرا عظيما** لكن الراسخون يريد من آمن منهم كعبد الله
ابن سلام واضرابه والراسخون في العلم الثابتون فيه المتقنون المستبصرون والمؤمنون يعني المؤمنين منهم او المؤمنين
من المهاجرين والانصار وارتفع الراسخون على الابتداء ويؤمنون خبره والمقيمين نصب على المدح لبيان فضل الصلوة
وهو باب واسع قد كسره سيبويه على امثلة وشواهد ولا يلتفت الى ما زعموا من وقوعه لحنا في خط المصحف وربما التفت
اليه من لم ينظر في الكتاب ولم يعرف مذاهب العرب وما لهم في النصب على الاختصاص من الافتنان وغبي عليه ان السابقين
الاولين الذين مثلهم في التورية والانجيل كانوا ابعد همة في الغيرة على الاسلام وذب المطاعن عنه من ان يتركوا في كتاب الله
ثلمة ليسدها من بعدهم وخرقا يرفوه من يلحق بهم وقيل هو عطف على بما انزل اليك اي يؤمنون بالكتب وبالمقيمين
الصلوة وهم الانبياء وفي مصحف عبد الله والمقيمون بالواو وهي قراءة مالك بن دينار والجحدري وعيسى الثقفي
**انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده واوحينا الى ابرهيم واسمعيل
واسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمان وآتينا داود
زبورا ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله
موسى تكليما** انا اوحينا اليك جواب لاهل الكتاب عن سؤالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينزل عليهم كتابا
من السماء واحتجاج عليهم بان شانه في الوحي اليه كشان سائر الانبياء الذين سلفوا وقرئ زبورا بضم الزاي جمع زبر
وهو الكتاب ورسلا نصب بمضمر في معنى اوحينا اليك وهو ارسلنا ونبانا وما اشبه ذلك او بما فسره قصصناهم
وفي قراءة ابي ورسل قد قصصناهم عليك من قبل ورسل وعن ابرهيم ويحيى بن وثاب انهما قرآ وكلم الله بالنصب
ومن بدع التفاسير انه من الكلم وان معناه وجرح الله موسى باظفار المحن ومخالب الفتن **رسلا مبشرين
ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما**
رسلا الاوجه ان ينتصب على المدح ويجوز انتصابه على التكرير **فان قلت** كيف يكون للناس على الله حجة
قبل الرسل وهم محجوجون بما نصبه الله تعالى من الادلة التي النظر فيها موصل الى المعرفة والرسل في انفسهم لم يتوصلوا
الى المعرفة الا بالنظر في تلك الادلة ولا عرف انهم رسل الله تعالى الا بالنظر فيها **قلت** الرسل منبهون عن
الغفلة وباعثون على النظر كما ترى علماء اهل العدل والتوحيد مع تبليغ ما حملوه من تفصيل امور الدين وبيان احوال
التكليف وتعليم الشرائع فكان ارسالهم ازاحة للعلة وتتميما لالزام الحجة لئلا يقولوا لولا ارسلت الينا رسولا
فيوقظنا من سنة الغفلة وينبهنا لما وجب الانتباه له **لكن الله يشهد بما انزل اليك انزله
بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا** وقرأ السلمي لكن الله يشهد بالتشديد

قوله ولا يلتفت اشارة الى قول بعضهم ان هذا
وهم من الكاتب وروي ذلك عن عائشة رضي الله عنها
وعن عثمان رضي الله عنه انه قال ارى في المصحف لحنا
وستقيمه العرب بالسنتها وقال ابو حاتم والزجاج
هذا القول بعيد لان الصحابة كيف يتركون
في كتاب الله تعالى شيئا يصلحه غيرهم

فان قلت الاستدراك لا بد له من مستدرك فما هو في قوله لكن الله يشهد **قلت** لما سال اهل الكتاب
انزال الكتاب من السماء وتعنتوا بذلك واحتج عليهم بقوله انا اوحينا اليك قال لكن الله يشهد بمعنى انهم لا يشهدون
لكن الله يشهد وقيل لما نزل انا اوحينا اليك قالوا ما نشهد لك بهذا فنزل لكن الله يشهد ومعنى شهادة الله تعالى
بما انزل اليه اثباته لصحته باظهار المعجزات كما تثبت الدعاوى بالبينات وشهادة الملائكة شهادتهم بانه حق وصدق
فان قلت بم يجابون لو قالوا بم نعلم ان الملائكة يشهدون بذلك **قلت** يجابون بان يعلم بشهادة الله
لانه لما علم باظهار المعجزات انه شاهد بصحته علم ان الملائكة يشهدون بصحة ما شهد بصحته لان شهادتهم تبع لشهادته
فان قلت ما معنى قوله انزله بعلمه وما موقعه من الجملة التي قبله **قلت** معناه انزله متلبسا بعلمه الخاص
الذي لا يعلمه غيره وهو تاليفه على نظم واسلوب يعجز عنه كل بليغ وصاحب بيان وموقعه مما قبله موقع الجملة المفسرة
لانه بيان للشهادة وان شهادته بصحته انه انزله بالنظم المعجز الفائت للقدر وقيل انزله وهو عالم بانك اهل
لانزاله اليك وانك مبلغه وقيل انزله بما علم من مصالح العباد مشتملا عليه ويحتمل انه انزله وهو عالم به رقيب عليه حافظ
له من الشياطين برصد من الملائكة والملائكة يشهدون بذلك كما قال في آخر سورة الجن الآية الى قوله واحاط بما
لديهم والاحاطة بمعنى العلم وكفى بالله شهيدا وان لم يشهد غيره لان التصديق بالمعجزة هو الشهادة حقا قل اي شيء
اكبر شهادة قل الله **ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا
ان الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم
خالدين فيها ابدا وكان ذلك على الله يسيرا** كفروا وظلموا جمعوا بين الكفر والمعاصي وكان بعضهم
كافرين وبعضهم ظالمين اصحاب كبائر لانه لا فرق بين الفريقين في انه لا يغفر لهما الا بالتوبة ولا ليهديهم طريقا لا يلطف
بهم فيسلكون الطريق الموصل الى جهنم او لا يهديهم يوم القيمة الا طريقها يسيرا اي لا صارف له عنه **يا ايها الناس
قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيرا لكم وان تكفروا فان لله ما في السموات
والارض وكان الله عليما حكيما** فآمنوا خيرا لكم وكذلك انتهوا خيرا لكم انتصابه بمضمر وذلك انه لما بعثهم
على الايمان وعلى الانتهاء عن التثليث علم انه يحملهم على امر فقال خيرا لكم اي اقصدوا او ائتوا امرا خيرا لكم مما انتم فيه من
الكفر والتثليث وهو الايمان والتوحيد **يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق
انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه فآمنوا
بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم انما الله اله واحد سبحانه ان يكون
له ولد له ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا** لا تغلوا في دينكم غلت اليهود
في حط المسيح عن منزلته حيث جعلته مولودا لغير رشدة وغلت النصارى في رفعه عن مقداره حيث جعلوه الها
ولا تقولوا على الله الا الحق وهو تنزيهه عن الشريك والولد وقرأ جعفر بن محمد انما المسيح بوزن السكيت
وقيل لعيسى كلمة الله وكلمة منه لانه وجد بكلمته وامره لا غير من غير واسطة اب ولا نطفة وقيل له روح الله وروح منه
لذلك لانه ذو روح وجد من غير جزء من ذي روح كالنطفة المنفصلة من الاب الحي وانما اخترع اختراعا من عند الله
وقدرته خالصة ومعنى القاها الى مريم اوصلها اليها وحصلها فيها ثلاثة خبر مبتدا محذوف فان صحت الحكاية عنهم
انهم يقولون هو جوهر واحد ثلاثة اقانيم اقنوم الاب واقنوم الابن واقنوم روح القدس وانهم يريدون باقنوم
الاب الذات وباقنوم الابن العلم وباقنوم روح القدس الحيوة فتقديره الله ثلاثة والا فتقديره الآلهة ثلاثة والذي
يدل عليه القرآن التصريح منهم بان الله والمسيح ومريم ثلاثة آلهة وان المسيح ولد الله من مريم الا ترى الى قوله تعالى أانت
قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله وقالت النصارى المسيح ابن الله والمشهور المستفيض عنهم انهم يقولون
في المسيح لاهوتية وناسوتية من جهة الاب والام ويدل عليه قوله انما المسيح عيسى ابن مريم فاثبت انه ولد لمريم اتصل
بها اتصال الاولاد بامهاتهم وان اتصاله بالله عز وعلا من حيث انه رسوله وانه موجود بامره وابتداعه جسدا حيا من غير
اب فنفى ان يتصل به اتصال الابناء بالآباء وقوله سبحانه ان يكون له ولد حكاية الله اوثق من حكاية غيره ومعنى
سبحانه ان يكون له ولد اسبحه تسبيحا من ان يكون له ولد وقرأ الحسن ان يكون بكسر الهمزة ورفع النون اي سبحانه

ما يكون له ولد على ان الكلام جملتان له ما في السموات وما في الارض بيان لتنزهه عما نسب اليه يعني ان كل ما فيهما خلقه وملكه فكيف يكون بعض ملكه جزءا منه على ان الجزء انما يصح في الاجسام وهو متعال عن صفات الاجسام والاعراض وكفى بالله وكيلا يكل اليه الخلق كلهم امورهم فهو الغني عنهم وهم الفقراء اليه لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا لن يستنكف لن يانف ولن يذهب بنفسه عزة من نكفت الدمع اذا نحيته عن خدك باصبعك ولا الملائكة المقربون ولا من هو اعلى منه قدرا واعظم منه خطرا وهم الملائكة الكروبيون الذين حول العرش كجبريل وميكائيل واسرافيل ومن في طبقتهم فان قلت من اين دل قوله ولا الملائكة المقربون على المعنى ولا من فوقه قلت من حيث ان علم المعاني لا يقتضي غير ذلك وذلك ان الكلام انما سيق لرد مذهب النصارى وغلوهم في رفع عيسى عن منزلة العبودية فوجب ان يقال لهم لن يترفع عيسى عن العبودية ولا من هو ارفع منه درجة كانه قيل لن يستنكف الملائكة المقربون من العبودية فكيف بالمسيح ويدل عليه دلالة ظاهرة بينة تخصيص المقربين لكونهم ارفع الملائكة درجة واعلاهم منزلة ومثاله قول القائل وما مثله ممن يجاود حاتم ولا البحر ذو الامواج يلتج زاخره لا شبهة انه قصد بالبحر ذي الامواج ما هو فوق حاتم في الجود ومن كان له ذوق فليذق مع هذه الآية قوله تعالى ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى يعترف بالفرق البين وقرا علي رضي الله عنه عبيدا لله على التصغير وروي ان وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا عيسى قال واي شيء اقول قالوا تقول انه عبد الله ورسوله قال انه ليس بعار ان يكون عبدا لله قالوا بلى فنزلت اي لا يستنكف عيسى من ذلك فلا تستنكفوا له منه فلو كان موضع استنكاف لكان هو اولى بان يستنكف لان العار الصق به فان قلت علام عطف قوله ولا الملائكة قلت لا يخلو اما ان يعطف على المسيح او على اسم يكون او على المستتر في عبدا لما فيه من معنى الوصف لدلالته على معنى العبادة كقولك مررت برجل عبد ابوه فالعطف على المسيح هو الظاهر لاداء غيره الى ما فيه بعض انحراف عن الغرض وهو ان المسيح لا يانف ان يكون هو ولا من فوقه موصوفين بالعبودية او ان يعبد الله هو ومن فوقه فان قلت قد جعلت الملائكة وهم جماعة عبدا لله في هذا العطف فما وجهه قلت فيه وجهان احدهما ان يراد ولا كل واحد من الملائكة او ولا الملائكة المقربون ان يكونوا عبادا لله فحذف ذلك لدلالة عبد الله عليه ايجازا واما اذا عطفتهم على الضمير في عبدا فقد طاح هذا السؤال وقرئ فسنحشرهم بضم الشين وكسرها وبالنون

فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله واما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا اليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا فان قلت التفصيل غير مطابق للمفصل لانه اشتمل على الفريقين والمفصل على فريق واحد قلت هو مثل قولك جمع الامام الخوارج فمن لم يخرج عليه كساه وحمله ومن خرج عليه نكل به وصحة ذلك لوجهين احدهما ان يحذف ذكر الفريقين لدلالة التفصيل عليه ولان ذكر احدهما يدل على ذكر الثاني كما حذف احدهما في التفصيل في قوله عقيب هذا فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا به والثاني وهو ان الاحسان الى غيرهم مما يغمهم فكان داخلا في جملة التنكيل بهم فكانه قيل ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيعذب بالحسرة اذا راى اجور العاملين وبما يصيبه من عذاب الله تعالى

يا ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا البرهان والنور المبين القرآن او اراد بالبرهان دين الحق او رسول الله صلى الله عليه وسلم وبالنور المبين ما يبينه ويصدقه من الكتاب المعجز فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم اليه صراطا مستقيما في رحمة منه وفضل في ثواب مستحق وتفضل ويهديهم اليه الى عبادته صراطا مستقيما وهو طريق الاسلام والمعنى توفيقهم وتثبيتهم

يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها ان لم يكن لها ولد فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين يبين الله لكم ان تضلوا والله بكل شيء عليم روي انه آخر ما نزل من الاحكام كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في طريق مكة عام حجة الوداع فاتاه جابر بن عبد الله فقال ان لي اختا فكم آخذ من ميراثها ان ماتت وقيل كان مريضا فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقال اني كلالة فكيف اصنع في مالي فنزلت ان امرؤ هلك ارتفع امرؤ بمضمر يفسره الظاهر ومحل ليس له ولد الرفع على الصفة لا النصب على الحال اي ان هلك امرؤ غير ذي ولد والمراد بالولد الابن وهو اسم مشترك يجوز ايقاعه على الذكر وعلى الانثى لان الابن يسقط الاخت ولا تسقطها البنت الا في مذهب ابن عباس رضي الله عنهما وبالاخت التي لاب وام او لاب دون التي لام لان الله تعالى فرض لها النصف وجعل اخاها عصبة وقال للذكر مثل حظ الانثيين واما الاخت لام فلها السدس في آية المواريث مسوى بينها وبين اخيها وهو يرثها واخوها يرثها ان قدر الامر على العكس من موتها وبقائه بعدها ان لم يكن لها ولد اي ابن لان الابن يسقط الاخ دون البنت فان قلت الابن لا يسقط الاخ وحده فان الاب نظيره في الاسقاط فلم اقتصر على نفي الولد قلت بين حكم انتفاء الولد ووكل حكم انتفاء الوالد الى بيان السنة وهو قوله صلى الله عليه وسلم الحقوا الفرائض باهلها فما بقي فلاولى عصبة ذكر والاب اولى من الاخ وليسا باول حكمين بين احدهما بالكتاب والآخر بالسنة ويجوز ان يدل حكم انتفاء الولد على حكم انتفاء الوالد لان الولد اقرب الى الميت من الوالد فاذا ورث الاخ عند انتفاء الاقرب فاولى ان يرث عند انتفاء الابعد ولان الكلالة تتناول انتفاء الوالد والولد جميعا فكان ذكر انتفاء احدهما دالا على انتفاء الآخر فان قلت الى من يرجع ضمير التثنية والجمع في قوله فان كانتا اثنتين وان كانوا اخوة قلت اصله فان كان من يرث بالاخوة اثنتين وان كان من يرث بالاخوة ذكورا واناثا وانما قيل فان كانتا وان كانوا كما قيل من كانت امك فكما انث ضمير من لمكان تانيث الخبر كذلك ثني وجمع ضمير من يرث في كانتا وكانوا لمكان تثنية الخبر وجمعه والمراد بالاخوة الاخوة والاخوات تغليبا لحكم المذكورة ان تضلوا مفعول له ومعناه كراهة ان تضلوا عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة النساء فكانما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة ورث ميراثا واعطي من الاجر كمن اشترى محررا وبرئ من الشرك وكان في مشيئة الله من الذين يتجاوز عنهم

سورة المائدة مدنية

وهي مائة وثلث وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود يقال وفى بالعهد واوفى به ومنه والموفون بعهدهم والعقد العهد الموثق شبه بعقد الحبل ونحوه قول الحطيئة قوم اذا عقدوا عقدا لجارهم شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا وهي عقود الله تعالى التي عقدها على عباده والزمها اياهم من مواجب التكليف وقيل هي ما يعقدون بينهم من عقود الامانات ويتحالفون عليه ويتماسحون من المبايعات ونحوها والظاهر انها عقود الله عليهم في دينه من تحليل حلاله وتحريم حرامه وانه كلام قدم مجملا ثم عقب بالتفصيل وهو قوله احلت لكم وما بعده احلت لكم بهيمة الانعام الا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد وانتم حرم ان الله يحكم ما يريد البهيمة كل ذات اربع في البر والبحر واضافتها الى الانعام للبيان وهي الاضافة التي بمعنى من كخاتم فضة ومعناه البهيمة من الانعام الا ما يتلى عليكم الا محرم ما يتلى عليكم من القرآن من نحو قوله حرمت عليكم الميتة او الا ما يتلى عليكم آية تحريمه والانعام الازواج الثمانية وقيل بهيمة الانعام الظباء وبقر الوحش ونحوها كانهم ارادوا ما يماثل الانعام ويدانيها من جنس البهائم في الاجترار وعدم الانياب فاضيفت الى الانعام لملابسة الشبه غير محلي الصيد نصب على الحال من الضمير في لكم اي احلت لكم هذه الاشياء لا محلين الصيد وعن الاخفش ان انتصابه عن قوله اوفوا بالعقود وقوله وانتم حرم حال عن محلي الصيد كانه قيل احللنا لكم بعض الانعام في حال امتناعكم من الصيد وانتم محرمون لئلا نحرج عليكم ان الله يحكم ما يريد من الاحكام ويعلم انه حكمة ومصلحة والحرم جمع حرام وهو المحرم يا ايها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا واذا حللتم فاصطادوا ولا يجرمنكم شنآن قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله ان الله شديد العقاب الشعائر جمع شعيرة وهي اسم ما اشعر اي جعل شعارا وعلما للنسك من مواقف الحج

الجدية شيء محشو تحت دفتي السرج والرحل وما جديان وجديات بالتحريك

ه

ودامي الجمار والمطاف والمسعى والافعال التي هي علامات الحاج يعرف بها من الاحرام والطواف والسعي والحلق والنحر والشهر الحرام شهر الحج والهدي ما اهدي الى البيت وتقرب به الى الله تعالى من النسائك وهو جمع هدية كما يقال جدي في جمع جدية السرج والقلائد جمع قلادة وهي ما قلد به الهدي من نعل او عروة مزادة او لحاء شجر او غيره وآمين المسجد الحرام قاصديه وهم الحجاج والعمار واحلال هذه الاشياء ان يتهاون بحرمة الشعائر وان يحال بينها وبين المتنسكين بها وان يحدثوا في اشهر الحج ما يصدون به الناس عن الحج وان يتعرض للهدي بالغصب او بالمنع من بلوغ محله واما القلائد ففيها وجهان احدهما ان يراد بها ذوات القلائد من الهدي وهي البدن وتعطف على الهدي للاختصاص وزيادة التوصية بها لانها اشرف الهدي كقوله وجبريل وميكال كانه قيل والقلائد منها خصوصا والثاني ان ينهى عن التعرض لقلائد الهدي مبالغة في النهي عن التعرض للهدي على معنى ولا تحلوا قلائدها فضلا ان تحلوها كما قال تعالى ولا يبدين زينتهن فنهى عن ابداء الزينة مبالغة في النهي عن ابداء مواقعها ولا آمين البيت ولا تحلوا قوما قاصدين المسجد الحرام يبتغون فضلا من ربهم وهو الثواب ورضوانا وان يرضى عنهم اي لا تتعرضوا لقوم هذه صفتهم تعظيما لهم واستنكارا ان يتعرض لمثلهم قيل هي محكمة وعن النبي صلى الله عليه وسلم المائدة من آخر القرآن نزولا فاحلوا حلالها وحرموا حرامها وقال الحسن ليس فيها منسوخ وعن ابي ميسرة فيها ثماني عشرة فريضة وليس فيها منسوخ وقيل هي منسوخة وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان المسلمون والمشركون يحجون جميعا فنهى الله تعالى المسلمين ان يمنعوا احدا عن حج البيت بقوله لا تحلوا ثم نزل بعد ذلك انما المشركون نجس ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله وقال مجاهد والشعبي لا تحلوا نسخ بقوله واقتلوهم حيث وجدتموهم وفسر ابتغاء الفضل بالتجارة وابتغاء الرضوان بان المشركين كانوا يظنون في انفسهم انهم على سداد من دينهم وان الحج يقربهم الى الله فوصفهم الله بظنهم وقرأ عبد الله ولا آمي البيت الحرام على الاضافة وقرأ حميد بن قيس والاعرج تبتغون بالتاء على خطاب المؤمنين فاصطادوا اباحة للاصطياد بعد حظره عليهم كانه قيل واذا حللتم فلا جناح عليكم ان تصطادوا وقرئ بكسر الفاء وقيل هو بدل من كسر الهمزة عند الابتداء وقرئ واذا احللتم يقال حل المحرم واحل جرم يجري مجرى كسب في تعديه الى مفعول واحد واثنين تقول جرم ذنبا نحو كسبه وجرمته ذنبا نحو كسبته اياه ويقال اجرمته ذنبا على نقل المتعدي الى مفعول بالهمزة الى مفعولين كقولهم اكسبته ذنبا وعليه قراءة عبد الله ولا يجرمنكم بضم الياء واول المفعولين على القراءتين ضمير المخاطبين والثاني ان تعتدوا وان صدوكم بفتح الهمزة متعلق بالشنآن بمعنى العلة والشنآن شدة البغض وقرئ بسكون النون والمعنى ولا يكسبنكم بغض قوم لان صدوكم الاعتداء ولا يحملنكم عليه وقرئ ان صدوكم على ان الشرطية وفي قراءة عبد الله ان يصدوكم ومعنى صدهم اياكم عن المسجد الحرام منع اهل مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين يوم الحديبية عن العمرة ومعنى الاعتداء الانتقام منهم بالحاق مكروه بهم وتعاونوا على البر والتقوى على العفو والاغضاء ولا تعاونوا على الاثم والعدوان على الانتقام والتشفي ويجوز ان يراد العموم لكل بر وتقوى وكل اثم وعدوان فيتناول بعمومه العفو والانتصار حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما اكل السبع الا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وان تستقسموا بالازلام ذلكم فسق اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لاثم فان الله غفور رحيم كان اهل الجاهلية ياكلون هذه المحرمات البهيمة التي تموت حتف انفها والفصيد وهو الدم في المباعر يشوونها ويقولون لم يحرم من فصد له وما اهل لغير الله به اي رفع الصوت به لغير الله وهو قولهم باسم اللات والعزى عند ذبحه والمنخنقة التي خنقوها حتى ماتت او انخنقت بسبب والموقوذة التي اثخنوها ضربا بعصا او حجر حتى ماتت والمتردية التي تردت من جبل او في بئر والنطيحة التي نطحتها اخرى فماتت بالنطح وما اكل السبع بعضه الا ما ذكيتم الا ما ادركتم ذكاته وهو يضطرب اضطراب المذبوح وتشخب اوداجه وقرأ عبد الله والمنطوحة وفي رواية عن ابي عمرو السبع بسكون الباء وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما واكيل السبع وما ذبح على النصب كانت لهم حجارة منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويشرحون اللحم عليها يعظمونها بذلك

تام لعاقبة وانت ربك فاعبدا

ه

المرية الشيء المشدق الذي يأخذ من الشد الى السرة والجذم بالكسر اصل الشيء

ه

ويتقربون به اليها تسمى الانصاب والنصب واحد قال الاعشى وذا النصب المنصوب لا تعبدنه وقيل هو جمع والواحد نصاب وقرئ النصب بسكون الصاد وان تستقسموا بالازلام وحرم عليكم الاستقسام بالقداح كان احدهم اذا اراد سفرا او غزوا او تجارة او نكاحا او امرا من معاظم الامور ضرب بالقداح وهي مكتوب على بعضها نهاني ربي وعلى بعضها امرني ربي وبعضها غفل فان خرج الآمر مضى لطيته وان خرج الناهي امسك وان خرج الغفل اجالها عودا فمعنى الاستقسام بالازلام طلب معرفة ما قسم له مما لم يقسم له بالازلام وقيل هو الميسر وقسمتهم الجزور على الانصباء المعلومة ذلكم فسق الاشارة الى الاستقسام او الى تناول ما حرم عليهم لان المعنى حرم عليكم تناول الميتة وكذا وكذا فان قلت لم كان استقسام المسافر وغيره بالازلام لتعرف الحال فسقا قلت لانه دخول في علم الغيب الذي استأثر به علام الغيوب وقال لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله واعتقاد ان اليه طريقا الى استنباطه وقوله امرني ربي ونهاني ربي افتراء على الله تعالى وما يدريه انه امره او نهاه والكهنة والمنجمون بهذه المثابة وان كان اراد بالرب الصنم فقد روي انهم كانوا يجيلونها عند اصنامهم فامره ظاهر اليوم لم يرد به يوما بعينه وانما اراد الزمان الحاضر وما يتصل به ويدانيه من الازمنة الماضية والآتية كقولك كنت بالامس شابا وانت اليوم اشيب فلا تريد بالامس اليوم الذي قبل يومك ولا باليوم يومك ونحوه الآن في قوله الآن لما ابيض مسربتي وعضضت من نابي على جذم وقيل اريد يوم نزولها وقد نزلت يوم الجمعة وكان يوم عرفة بعد العصر في حجة الوداع يئس الذين كفروا من دينكم يئسوا منه ان يبطلوه وان ترجعوا محللين لهذه الخبائث بعد ما حرمت عليكم وقيل يئسوا من دينكم ان يغلبوه لان الله عز وجل وفى بوعده من اظهاره على الدين كله فلا تخشوهم بعد اظهار الدين وزوال الخوف من الكفار وانقلابهم مغلوبين مقهورين بعد ما كانوا غالبين واخشون واخلصوا لي الخشية اكملت لكم دينكم كفيتكم امر عدوكم وجعلت اليد العليا لكم كما يقول الملوك اليوم كمل لنا الملك وكمل لنا ما نريد اذا كفوا من ينازعهم الملك ووصلوا الى اغراضهم ومباغيهم او اكملت لكم ما تحتاجون اليه في تكليفكم من تعليم الحلال والحرام والتوقيف على الشرائع وقوانين القياس واصول الاجتهاد واتممت عليكم نعمتي بفتح مكة ودخولها آمنين ظاهرين وهدم منار الجاهلية ومناسكهم وان لم يحج معكم مشرك ولم يطف بالبيت عريان او اتممت نعمتي عليكم باكمال امر الدين والشرائع كانه قال اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي بذلك لانه لا نعمة اتم من نعمة الاسلام ورضيت لكم الاسلام دينا يعني اخترته لكم من بين الاديان وآذنتكم بانه هو الدين المرضي وحده ومن يبتغ غير الاسلام دينا ان هذه امتكم امة واحدة فان قلت بم اتصل قوله فمن اضطر قلت بذكر المحرمات وقوله ذلكم فسق اعتراض اكد به معنى التحريم وكذلك ما بعده لان تحريم هذه الخبائث من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام المنعوت بالرضا دون غيره من الملل ومعناه فمن اضطر الى الميتة او الى غيرها في مخمصة في مجاعة غير متجانف لاثم غير منحرف اليه كقوله تعالى غير باغ ولا عاد فان الله غفور لا يؤاخذه بذلك يسألونك ماذا احل لهم قل احل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما امسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه واتقوا الله ان الله سريع الحساب في السؤال معنى القول فلذلك وقع بعده ماذا احل لهم كانه قيل يقولون لك ماذا احل لهم وانما لم يقل ماذا احل لنا حكاية لما قالوه لان يسألونك بلفظ الغيبة كما تقول اقسم زيد ليفعلن ولو قيل لافعلن واحل لنا لكان صوابا وماذا مبتدأ واحل لهم خبره كقولك اي شيء احل لهم ومعناه ماذا احل لهم من المطاعم كانهم حين تلي عليهم ما حرم عليهم من خبيثات الماكل سألوا عما احل لهم منها فقيل قل احل لكم الطيبات اي ما ليس بخبيث منها وهو كل ما لم يات تحريمه في كتاب او سنة او قياس مجتهد وما علمتم من الجوارح عطف على الطيبات اي احل لكم الطيبات وصيد ما علمتم فحذف المضاف او تجعل ما شرطية وجوابها فكلوا والجوارح الكواسب من سباع البهائم والطير كالكلب والفهد والنمر والعقاب والصقر والبازي والشاهين والمكلب مؤدب الجوارح ومضريها بالصيد لصاحبها ورائضها لذلك بما علم من الحيل وطرق التأديب والتثقيف واشتقاقه من الكلب لان التأديب اكثر ما يكون في الكلاب فاشتق من لفظه لكثرته في جنسه او لان السبع يسمى كلبا ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فاكله الاسد او من الكلب الذي هو بمعنى الضراوة يقال هو كلب بكذا اذا كان ضاريا به وانتصاب مكلبين على الحال من علمتم فان قلت ما فائدة هذه الحال وقد استغنى

عما علمتم **قلت** فائدتها ان يكون من يعلم الجوارح نحريرا في علمه مدربا موصوفا بالتكليب وتعلمونهن حال ثانية او استيناف وفيه فائدة جليلة وهي ان على كل آخذ علما ان لا ياخذه الا من اقتل اهله علما وانحرهم دراية واغوصهم على لطايفه وحقايقه وان احتاج الى ان يضرب اليه اكباد الابل فكم من آخذ عن غير متقن قد ضيع ايامه وعض عند لقاء النحارير انامله مما علمكم الله من علم التكليب لانه الهام من الله ومكتسب بالعقل او مما عرفكم ان تعلموه من اتباع الصيد بارسال صاحبه وانزجاره بزجره وانصرافه بدعائه وامساك الصيد عليه وان لا ياكل منه وقرئ مكلبين بالتخفيف وافعل وفعل يشتركان كثيرا والامساك على صاحبه ان لا ياكل منه لقوله صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم وان اكل منه فلا تاكل انما امسك على نفسه وعن علي رضي الله عنه اذا اكل البازي فلا تاكل وفرق العلماء فاشترطوا في سباع البهايم ترك الاكل لانها تؤدب بالضرب ولم يشترطوه في سباع الطير ومنهم من لم يعتبر ترك الاكل اصلا ولم يفرق بين امساك الكل والبعض وعن سلمان وسعد بن ابي وقاص وابي هريرة رضي الله عنهم اذا اكل الكلب ثلثيه وبقي ثلثه وذكرت اسم الله عليه فكل **فان قلت** الام يرجع الضمير في قوله واذكروا اسم الله عليه **قلت** اما ان يرجع الى ما امسكن على معنى وسموا عليه اذا ادركتم ذكاته او الى ما علمتم من الجوارح اي سموا عليه عند ارساله

اليوم احل لكم الطيبات وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم اذا آتيتموهن اجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي اخدان ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين

طعام الذين اوتوا الكتاب قيل هو ذبائحهم وقيل جميع مطاعمهم ويستوي في ذلك جميع النصارى واليهود وعن علي رضي الله عنه انه استثنى نصارى بني تغلب وقال ليسوا على النصرانية ولم ياخذوا منها الا شرب الخمر وبه اخذ الشافعي رحمه الله تعالى وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه سئل عن ذبايح نصارى العرب فقال لا باس وهو قول عامة التابعين وبه اخذ ابو حنيفة رحمه الله تعالى واصحابه وحكم الصابئين حكم اهل الكتاب عند ابي حنيفة وقال صاحباه هم صنفان صنف يقرؤن الزبور ويعبدون الملايكة وصنف لا يقرؤن كتابا ويعبدون النجوم فهؤلاء ليسوا من اهل الكتاب واما المجوس فقد سن بهم سنة اهل الكتاب في اخذ الجزية منهم دون اكل ذبايحهم ونكاح نسائهم وقد روي عن ابن المسيب انه قال اذا كان المسلم مريضا فامر المجوسي ان يذكر اسم الله ويذبح فلا باس وقال ابو ثور وان امره بذلك في الصحة فلا باس وقد اساء وطعامكم حل لهم فلا عليكم ان تطعموهم لانه لو كان حراما عليهم طعام المؤمنين لما ساغ لهم اطعامهم المحصنات الحراير او العفايف وتخصيصهن بعث على تخير المؤمنين لنطفهم والاماء من المسلمات يصح نكاحهن بالاتفاق وكذلك نكاح غير العفايف منهن واما الاماء الكتابيات فعند ابي حنيفة رحمه الله تعالى هن كالمسلمات وخالفه الشافعي وكان ابن عمر رضي الله عنهما لا يرى نكاح الكتابيات ويحتج بقوله تعالى ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ويقول لا اعلم شركا اعظم من قولها ان ربها عيسى وعن عطاء قد اكثر الله تعالى المسلمات وانما رخص لهم يومئذ محصنين اعفاء ولا متخذي اخدان صدايق والخدن يقع على الذكر والانثى ومن يكفر بالايمان بشرايع الاسلام وما احل الله وحرم

يا ايها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق وامسحوا برؤسكم وارجلكم الى الكعبين وان كنتم جنبا فاطهروا وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون

اذا قمتم الى الصلوة كقوله فاذا قرات القرآن فاستعذ بالله وكقولك اذا ضربت غلامك فهون عليه في ان المراد ارادة الفعل **فان قلت** لم جاز ان يعبر عن ارادة الفعل بالفعل **قلت** لان الفعل يوجد بقدرة الفاعل عليه وارادته له وهي قصده اليه وميله وخلوص داعيه فكما عبر عن القدرة على الفعل بالفعل في قولهم الانسان لا يطير والاعمى لا يبصر اي لا يقدران على الطيران والابصار ومنه قوله تعالى نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين يعني انا كنا قادرين على الاعادة كذلك عبر عن ارادة الفعل بالفعل وذلك لان الفعل مسبب عن القدرة والارادة فاقيم المسبب مقام السبب للملابسة بينهما ولايجاز الكلام ونحوه من اقامة المسبب مقام السبب قولهم كما تدين تدان عبر عن الفعل المبتدا الذي هو سبب الجزاء بلفظ الجزاء الذي هو مسبب عنه وقيل معنى قمتم الى الصلوة قصدتموها لان من توجه الى الشيء وقام اليه كان قاصدا له لا محالة فعبر عن القصد له بالقيام اليه **فان قلت**

ظاهر الآية يوجب الوضوء على كل قائم الى الصلوة محدث وغير محدث فما وجهه **قلت** يحتمل ان يكون الامر للوجوب فيكون الخطاب للمحدثين خاصة وان يكون للندب وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء بعده انهم كانوا يتوضؤن لكل صلوة وعن النبي صلى الله عليه وسلم من توضا على طهر كتب الله له عشر حسنات وعنه صلى الله عليه وسلم انه كان يتوضا لكل صلوة فلما كان يوم الفتح مسح على خفيه فصلى الصلوات الخمس بوضوء واحد فقال له عمر رضي الله عنه صنعت شيئا لم تكن تصنعه فقال عمدا فعلته يا عمر يعني بيانا للجواز **فان قلت** هل يجوز ان يكون الامر شاملا للمحدثين وغيرهم لهؤلاء على وجه الايجاب ولهؤلاء على وجه الندب **قلت** لا لان تناول الكلمة الواحدة لمعنيين مختلفين من باب الالغاز والتعمية وقيل كان الوضوء لكل صلوة واجبا اول ما فرض ثم نسخ

الى تفيد معنى الغاية مطلقا فاما دخولها في الحكم وخروجها فامر يدور مع الدليل فمما فيه دليل على الخروج قوله فنظرة الى ميسرة لان الاعسار علة الانظار وبوجود الميسرة تزول العلة ولو دخلت الميسرة فيه لكان منظرا في كلتا الحالتين معسرا وموسرا وكذلك اتموا الصيام الى الليل لو دخل الليل لوجب الوصال ومما فيه دليل على الدخول قولك حفظت القرآن من اوله الى آخره لان الكلام مسوق لحفظ القرآن كله ومنه قوله تعالى من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى لوقوع العلم بانه لا يسرى به الى بيت المقدس من غير ان يدخله وقوله الى المرافق والى الكعبين لا دليل فيه على احد الامرين فاخذ كافة العلماء بالاحتياط فحكموا بدخولها في الغسل واخذ زفر وداود بالمتيقن فلم يدخلاها وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يدير الماء على مرفقيه وامسحوا برؤسكم المراد الصاق المسح بالراس وماسح بعضه ومستوعبه كلاهما ملصق للمسح براسه وقد اخذ مالك بالاحتياط فاوجب الاستيعاب او اكثره على اختلاف الرواية واخذ الشافعي باليقين فاوجب اقل ما يقع عليه اسم المسح واخذ ابو حنيفة ببيان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ما روي انه مسح على ناصيته وقدر الناصية بربع الراس قرا جماعة وارجلكم بالنصب فدل على ان الارجل مغسولة **فان قلت** فما تصنع بقراءة الجر ودخولها في حكم المسح **قلت** الارجل من بين الاعضاء الثلثة المغسولة تغسل بصب الماء عليها فكانت مظنة للاسراف المذموم المنهي عنه فعطفت على الرابع الممسوح لا لتمسح ولكن لينبه على وجوب الاقتصاد في صب الماء عليها وقيل الى الكعبين فجيء بالغاية اماطة لظن ظان يحسبها ممسوحة لان المسح لم تضرب له غاية في الشريعة وعن علي رضي الله عنه انه اشرف على فتية من قريش فراى في وضوئهم تجوزا فقال ويل للاعقاب من النار فلما سمعوا جعلوا يغسلونها غسلا ويدلكونها دلكا وعن ابن عمر كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوضا قوم واعقابهم بيض تلوح فقال ويل للاعقاب من النار وفي رواية جابر ويل للعراقيب وعن عمر رضي الله عنه انه راى رجلا يتوضا فترك باطن قدميه فامره ان يعيد الوضوء وذلك للتغليظ عليه وعن عائشة رضي الله عنها لان تقطعا احب الي من ان امسح على القدمين بغير خفين وعن عطاء والله ما علمت ان احدا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح على القدمين وقد ذهب بعض الناس الى ظاهر العطف فاوجب المسح وعن الحسن انه جمع بين الامرين وروي عن الشعبي نزل القرآن بالمسح والغسل سنة وقرا الحسن وارجلكم بالرفع بمعنى وارجلكم مغسولة او ممسوحة الى الكعبين وقرئ فاطهروا اي فطهروا ابدانكم وكذلك ليطهركم وفي قراءة عبد الله فاموا صعيدا ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج في باب الطهارة حتى لا يرخص لكم في التيمم ولكن يريد ليطهركم بالتراب اذا اعوزكم التطهر بالماء وليتم نعمته عليكم وليتم برخصه انعامه عليكم بعزائمه لعلكم تشكرون نعمته فيثيبكم

واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به اذ قلتم سمعنا واطعنا واتقوا الله ان الله عليم بذات الصدور

واذكروا نعمة الله عليكم وهي نعمة الاسلام وميثاقه الذي واثقكم به اي عاقدكم به عقدا وثيقا وهو الميثاق الذي اخذه على المسلمين حين بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في حال اليسر والعسر والمنشط والمكره فقبلوا وقالوا سمعنا واطعنا وقيل هو الميثاق ليلة العقبة وفي بيعة الرضوان

يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوى واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون

عدي يجرمنكم بحرف الاستعلاء مضمنا معنى فعل يتعدى به كانه قيل ولا يحملنكم ويجوز ان يكون قوله ان تعتدوا بمعنى على ان تعتدوا فحذف مع ان ونحوه قوله صلى الله عليه وسلم من اتبع على ملي فليتبع لانه بمعنى احيل وقرئ شنآن بالسكون ونظيره في المصادر ليان والمعنى لا يحملنكم بغضكم للمشركين على ان تتركوا العدل فتعتدوا عليهم بان تنتصروا منهم وتتشفوا مما في قلوبكم من الضغاين بارتكاب ما لا يحل لكم من مثلة

أو قذف أو قتل أولاد أو سبي نساء أو نقض عهد أو ما أشبه ذلك اعدلوا هو أقرب للتقوى نهاهم أولاً أن تحملهم البغضاء
ترك العدل ثم استأنف فصرح لهم بالأمر بالعدل تأكيداً وتشديداً ثم استأنف فذكر لهم وجه الأمر بالعدل وهو قوله
هو أقرب للتقوى أي العدل أقرب للتقوى وأدخل في مناسبتها أو أقرب إلى التقوى لكونه لطفاً فيها
وفيه تنبيه عظيم على أن وجوب العدل مع الكفار الذين هم أعداء الله إذا كان بهذه الصفة من القوة فما الظن بوجوبه مع
المؤمنين الذين هم أولياؤه وأحباؤه **وعد الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة**
وأجر عظيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم لهم مغفرة وأجر عظيم بيان للوعد
بعد تمام الكلام قبله كأنه قال قدم لهم وعداً فقيل أي شيء وعده لهم فقيل لهم مغفرة وأجر عظيم أو يكون على إرادة
القول بمعنى وعدهم وقال لهم مغفرة أو على إجراء وعد مجرى قال لأنه ضرب من القول ويجعل وعد واقعاً على الجملة التي
هي لهم مغفرة كما وقع تركنا على قوله سلام على نوح كأنه قيل وعدهم هذا القول وإذا وعدهم من لا يخلف الميعاد هذا القول
فقد وعدهم مضمونه من المغفرة والأجر العظيم وهذا القول يتلقون به عند الموت ويوم القيمة فيسرون به ويستروحون إليه ويهون
عليهم السكرات والأهوال قبل الوصول إلى الثواب **يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمت**
عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم واتقوا وعلى
فليتوكل المؤمنون روي أن المشركين رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه قاموا إلى
صلوة الظهر يصلون معاً وذلك بعسفان في غزوة ذي أنمار فلما صلوا ندموا ألا كانوا أكبوا عليهم فقالوا إن
لهم بعدها صلوة هي أحب إليهم من آبائهم وأبنائهم يعنون صلوة العصر وهموا بأن يوقعوا بهم إذا قاموا إليها فنزل
جبريل بصلوة الخوف وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بني قريظة ومعه الشيخان وعلي رضي الله عنهم يستقرضهم
دية مسلمين قتلهما عمرو بن أمية الضمري خطأ يحسبهما مشركين فقالوا نعم يا أبا القاسم اجلس حتى نطعمك ونقرضك
فأجلسوه في صفة وهموا بالفتك به وعمد عمرو بن جحاش إلى رحى عظيمة يطرحها عليه فأمسك الله يده ونزل جبريل
فأخبره فخرج وقيل نزل منزلاً وتفرق الناس في العضاه يستظلون بها فعلق رسول الله صلى الله عليه وسلم سلاحه
بشجرة فجاء أعرابي فسل سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أقبل عليه فقال من يمنعك مني قال الله قالها ثلاثاً فشام
الأعرابي السيف فصاح رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه فأخبرهم وأبى أن يعاقبه يقال بسط إليه لسانه إذا شتمه
وبسط إليه يده إذا بطش به ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء ومعنى بسط اليد مدها إلى المبطوش به ألا ترى
إلى قولهم فلان بسيط الباع ومديد الباع بمعنى فكف أيديهم عنكم منعها أن تمد إليكم **ولقد أخذ ميثاق**
بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيباً وقال إني معكم لئن أقمتم الصلوة وآتيتم
الزكوة وآمنتم برسلي وعزرتموهم وأقرضتم قرضاً حسناً لأكفرن عنكم سيئاتكم
ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل
لما استقر بنو إسرائيل بمصر بعد هلاك فرعون أمرهم الله تعالى بالمسير إلى أريحاء أرض الشام وكان يسكنها الكنعانيون
الجبابرة وقال لهم إني كتبتها لكم داراً وقراراً فاخرجوا إليها وجاهدوا من فيها وإني ناصركم وأمر موسى أن يأخذ من كل
سبط نقيباً يكون كفيلاً على قومه بالوفاء بما أمروا به توثقة عليهم فاختار النقباء وأخذ الميثاق على بني إسرائيل
وتكفل لهم به النقباء وسار بهم فلما دنا من أرض كنعان بعث النقباء يتجسسون فرأوا أجراماً عظيمة وقوة
وشوكة فهابوا ورجعوا وحدثوا قومهم وقد نهاهم موسى عليه السلام أن يحدثوهم فنكثوا الميثاق إلا كالب بن
يوفنا من سبط يهوذا ويوشع بن نون من سبط افرايم بن يوسف وكانا من النقباء والنقيب الذي ينقب عن
أحوال القوم ويفتش عنها كما قيل له عريف لأنه يتعرفها إني معكم إني ناصركم ومعينكم عزرتموهم نصرتموهم ومنعتموهم
من أيدي العدو ومنه التعزير وهو التنكيل والمنع من معاودة الفساد وقرئ بالتخفيف يقال عزرت الرجل إذا حطته
وكنفته والتعزير والتأزير من واد واحد ومنه لأنصرنك نصراً مؤزراً أي قوياً وقيل معناه ولقد
أخذنا ميثاقهم بالإيمان والتوحيد وبعثنا منهم اثني عشر ملكاً يقيمون فيهم العدل ويأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر
واللام في لئن أقمتم موطئة للقسم وفي لأكفرن جواب له وهذا الجواب ساد مسد جواب القسم والشرط جميعاً بعد ذلك

منهم

بعد

بعد ذلك الشرط المؤكد المعلق بالوعد العظيم **فإن قلت** من كفر قبل ذلك أيضاً فقد ضل سواء السبيل
قلت أجل ولكن الضلال بعده أظهر وأعظم لأن الكفر إنما عظم قبحه لعظم النعمة المكفورة فإذا زادت النعمة زاد
قبح الكفر وتمادى **فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه**
ونسوا حظاً مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلاً منهم فاعف عنهم واصفح
إن يحب المحسنين لعناهم طردناهم وأخرجناهم من رحمتنا وقيل مسخناهم وقيل ضربنا عليهم
الجزية وجعلنا قلوبهم قاسية خذلناهم ومنعناهم الألطاف حتى قست قلوبهم أو أمليناهم ولم نعاجلهم بالعقوبة
حتى قست وقرأ عبد الله قسية أي ردية مغشوشة من قولهم درهم قسي وهو من القسوة لأن الذهب والفضة
الخالصين فيهما لين والمغشوش فيه يبس وصلابة والقاسي والقاسح بالحاء أخوان في الدلالة على اليبس والصلابة
وقرئ قسية بكسر القاف للإتباع يحرفون الكلم بيان لقسوة قلوبهم لأنه لا قسوة أشد من الافتراء على الله وتغيير وحيه
ونسوا حظاً وتركوا نصيباً جزيلاً وقسطاً وافياً مما ذكروا به من التوراة يعني أن تركهم وإعراضهم عن التوراة إغفال حظ
عظيم أو قست قلوبهم وفسدت فحرفوا التوراة وزلت أشياء منها عن حفظهم وعن ابن مسعود رضي الله عنه قد ينسى
المرء بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الآية وقيل تركوا نصيب أنفسهم مما أمروا به من الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبيان نعته
ولا تزال تطلع على خائنة منهم أي هذه عادتهم وهجيراهم وكان عليها أسلافهم كانوا يخونون الرسل وهؤلاء يخونونك
ينكثون عهودك ويظاهرون المشركين على حربك ويهمون بالفتك بك وأن يسموك على خائنة على خيانة أو
فعلة ذات خيانة أو على نفس أو فرقة خائنة ويقال رجل خائنة كما يقال رجل راوية للشعر للمبالغة قال
حدثت نفسك بالوفاء ولم تكن للغدر خائنة مغل الإصبع وقرئ على خيانة منهم إلا قليلاً وهم الذين آمنوا منهم
فاعف عنهم بعث على مخالقتهم وقيل هو منسوخ بآية السيف وقيل فاعف عن مؤمنيهم ولا تؤاخذهم بما سلف منهم
ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظاً مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة
والبغضاء إلى يوم القيمة وسوف ينبئهم بما كانوا يصنعون أخذنا ميثاقهم أخذنا
من النصارى ميثاق من ذكر قبلهم من قوم موسى أي مثل ميثاقهم بالإيمان بالله والرسل وبأفعال الخير أو أخذنا من النصارى
ميثاق أنفسهم بذلك **فإن قلت** فهلا قيل من النصارى **قلت** لأنهم إنما سموا أنفسهم بذلك
ادعاء لنصرة الله وهم الذين قالوا لعيسى نحن أنصار الله ثم اختلفوا بعد نسطورية ويعقوبية وملكانية أنصاراً
للشيطان فأغرينا فألصقنا وألزمنا من غري بالشيء إذا لزمه ولصق به وأغراه غيره ومنه الغراء الذي يلصق به
بينهم بين فرق النصارى المختلفين وقيل بينهم وبين اليهود ونحوه وكذلك نولي بعض الظالمين بعضاً أو يلبسكم
شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض **يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون**
من الكتاب ويعفو عن كثير يا أهل الكتاب خطاب لليهود والنصارى مما كنتم تخفون من نحو صفة رسول الله صلى
الله عليه وسلم ومن نحو الرجم ويعفو عن كثير مما تخفونه لا يبينه إذا لم تضطر إليه مصلحة دينية ولم يكن فيه فائدة إلا افتضاحكم
وصفته مما لا بد من بيانه وكذلك الرجم وما فيه إحياء شريعة وإماتة بدعة وعن الحسن ويعفو عن كثير منكم لا يؤاخذه
قد جاءكم من نور وكتاب مبين يهدي به من اتبع رضوانه سبل السلام
ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم قد جاءكم من الله نور وكتاب
مبين يريد القرآن لكشفه ظلمات الشرك والشك ولإبانته ما كان خافياً على الناس من الحق أو لأنه ظاهر الإعجاز
من اتبع رضوانه من آمن منهم سبل السلام طرق السلامة والنجاة من عذاب الله أو سبل الله **لقد كفر الذين**
قالوا إن هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم
وأمه ومن في الأرض جميعاً و ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء
على كل شيء قدير قولهم إن الله هو المسيح معناه بت القول على أن حقيقة الله هو المسيح لا غير قيل كان في النصارى
قوم يقولون ذلك وقيل ما صرحوا به ولكن مذهبهم يؤدي إليه حيث اعتقدوا أنه يخلق ويحيي ويميت ويدبر أمر العالم
فمن يملك من الله شيئاً فمن يمنع من قدرته ومشيئته شيئاً إن أراد أن يهلك من دعوه إلهاً من المسيح وأمه دلالة على

ان المسيح عبد مخلوق كسائر العباد واراد بعطف من في الارض على المسيح وامه انهما من جنسهم لا تفاوت بينهما
وبينهم في البشرية يخلق ما يشاء اي يخلق من ذكر وانثى ويخلق من انثى من غير ذكر كما خلق عيسى ويخلق من غير ذكر وانثى كما
خلق آدم او يخلق ما يشاء كخلق الطير على يد عيسى معجزة له وكاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وغير ذلك فيجب ان
ينسب اليه ولا ينسب الى البشر المجرى على يده وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله
واحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل انتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من
يشاء ولله ملك السموات والارض وما بينهما واليه المصير ابناء الله اشياع
ابني الله عزير والمسيح كما قيل لاشياع ابي خبيب وهو عبد الله بن الزبير الخبيبون وكما كان يقول رهط مسيلمة
نحن انبياء الله ويقول اقرباء الملك وذووه وحشمه نحن الملوك ولذلك قال مؤمن آل فرعون لكم الملك اليوم
فلم يعذبكم بذنوبكم فان صح انكم ابناء الله واحباؤه فلم تذنبون وتعذبون بذنوبكم فتمسخون وتمسكم النار اياما
معدودات على زعمكم ولو كنتم ابناء الله لكنتم من جنس الاب غير فاعلين للقبائح ولا مستوجبين للعقاب ولو كنتم
احباءه لما عصيتموه ولما عاقبكم بل انتم بشر من جملة من خلق من البشر يغفر لمن يشاء وهم اهل الطاعة ويعذب من يشاء
وهم العصاة يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل ان تقولوا ما
جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير يبين لكم
اما ان يقدر المبين وهو الدين والشرائع وحذفه لظهور ما ورد الرسول لتبيينه او يقدر ما كنتم تخفون وحذفه
لتقدم ذكره او لا يقدر ويكون المعنى يبذل لكم البيان ومحله النصب على الحال اي مبينا لكم وعلى فترة متعلق بجاءكم
اي جاءكم على حين فتور من ارسال الرسل وانقطاع من الوحي ان تقولوا كراهة ان تقولوا فقد جاءكم متعلق بمحذوف
اي لا تعتذروا فقد جاءكم وقيل كان بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم خمسمائة وستون سنة وقيل ستمائة وقيل اربعمائة
ونيف وستون وعن الكلبي كان بين موسى وعيسى الف وسبعمائة سنة والف نبي وبين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم
اربعة انبياء ثلاثة من بني اسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان العبسي والمعنى الامتنان عليهم وان الرسول بعث
اليهم حين انطمست آثار الوحي احوج ما يكونون اليه ليهشوا اليه ويعدوه اعظم نعمة من الله تعالى وفتح باب الرحمة وتلزمهم
الحجة فلا يعتلوا غدا بانه لم يرسل اليهم من ينبههم عن غفلتهم واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله
عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين جعل فيكم
انبياء لانه لم يبعث في امة ما بعث في بني اسرائيل من الانبياء وجعلكم ملوكا لانه ملكهم بعد فرعون ملكه وبعد الجبابرة ملكهم
ولان الملوك تكاثروا فيهم تكاثر الانبياء وقيل كانوا مملوكين في ايدي القبط فانقذهم الله تعالى فسمى انقاذهم ملكا وقيل
الملك من له مسكن واسع فيه ماء جار وقيل من له بيت وخدم وقيل من له مال لا يحتاج معه الى تكلف الاعمال وتحمل المشاق
ما لم يؤت احدا من العالمين من فلق البحر واغراق العدو وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغير ذلك من الامور
العظام وقيل اراد عالمي زمانهم يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم ولا
ترتدوا على ادباركم فتنقلبوا خاسرين الارض المقدسة ارض بيت المقدس وقيل الطور وما حوله وقيل
الشام وقيل فلسطين ودمشق وبعض الاردن وقيل سماها الله لابراهيم ميراثا لولده حين رفع على الجبل فقيل له انظر فلك
ما ادرك بصرك وكان بيت المقدس قرار الانبياء ومسكن المؤمنين كتب الله لكم قسمها لكم وسماها او خط في اللوح انها لكم ولا
ترتدوا على ادباركم ولا تنكصوا على اعقابكم مدبرين من خوف الجبابرة جبنا وهلعا قيل لما حدثهم النقباء بحال الجبابرة
رفعوا اصواتهم بالبكاء وقالوا ليتنا متنا بمصر وقالوا تعالوا نجعل علينا رأسا ينصرف بنا الى مصر ويجوز ان يراد لا ترتدوا
على ادباركم في دينكم بمخالفتكم امر ربكم وعصيانكم نبيكم فترجعوا خاسرين ثواب الدنيا والآخرة قالوا يا موسى ان
فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون
الجبار فعال من جبره على الامر بمعنى اجبره عليه وهو العاتي الذي يجبر الناس على ما يريد قال رجلان من الذين
يخافون انعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون وعلى الله
فتوكلوا ان كنتم مؤمنين قال رجلان هما كالب ويوشع من الذين يخافون من الذين يخافون الله ويخشونه

كأنه قيل رجلان من المتقين ويجوز ان تكون الواو لبني اسرائيل والراجع الى الموصول محذوف تقديره من الذين يخافهم
بنو اسرائيل وهم الجبارون وهما رجلان منهم انعم الله عليهما بالايمان فآمنا قالا لهم ان العمالقة اجسام لا قلوب فيها
فلا تخافوهم وازحفوا اليهم فانكم غالبوهم يشجعانهم على قتالهم وقراءة من قرأ يخافون بالضم شاهدة له وكذلك انعم الله
عليهما كانه قيل من المخوفين وقيل هو من الاخافة ومعناه من الذين يخوفون من الله بالتذكرة والموعظة او يخوفهم
وعيد الله بالعقاب فان قلت ما محل انعم الله عليهما قلت ان انتظم مع قوله من الذين يخافون في حكم الوصف
رجلان فمرفوع وان جعل كلاما معترضا فلا محل له فان قلت من اين علما انهم غالبون قلت من جهة اخبار
موسى بذلك وقوله كتب الله لكم وقيل من جهة غلبة الظن وما تبيناه من عادة الله تعالى في نصرة رسله وما عهداه من
صنع الله لموسى في قهر اعدائه وما عرفاه من حال الجبابرة والباب باب قريتهم قالوا يا موسى انا لن ندخلها
ابدا ما داموا فيها فاذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون لن ندخلها نفي لدخولهم في المستقبل
على وجه التأكيد المؤيس وابدا تعليق للنفي المؤكد بالدهر المتطاول وما داموا فيها بيان للابد فاذهب انت وربك
يحتمل ان لا يقصدوا حقيقة الذهاب ولكن كما تقول كلمته فذهب يجيبني تريد معنى الارادة والقصد للجواب كانهم قالوا
اريدا قتالهم والظاهر انهم قالوا ذلك استهانة بالله ورسوله وقلة مبالاة بهما واستهزاء وقصدوا ذهابهما
حقيقة بجهلهم وجفاهم وقسوة قلوبهم التي عبدوا بها العجل وسألوا بها رؤية الله جهرة والدليل عليه مقابلة ذهابهما
بقعودهم ويحكى ان موسى وهرون خرا لوجوههما قدامهم لشدة ما ورد عليهما فهموا برجمهما ولامر ما قرن الله تعالى
اليهود بالمشركين وقدمهم عليهم في قوله لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا
قال رب اني لا املك الا نفسي واخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين
لما عصوه وتمردوا عليه وخالفوه وقالوا ما قالوا من كلمة الكفر ولم يبق معه مطيع موافق يثق به الا هرون عليه السلام
قال رب اني لا املك لنصرة دينك الا نفسي واخي وهذا من البث والحزن والشكوى الى الله والحسرة ورقة القلب التي
بمثلها تستجلب الرحمة وتستنزل النصرة ونحوه قول يعقوب عليه السلام انما اشكو بثي وحزني الى الله وعن علي
رضي الله عنه انه كان يدعو الناس على منبر الكوفة الى قتال البغاة فما اجابه الا رجلان فتنفس الصعداء ودعا لهما وقال
اين تقعان مما اريد وذكر في اعراب اخي وجوه ان يكون منصوبا عطفا على نفسي وعلى الضمير في اني بمعنى
لا املك الا نفسي وان اخي لا يملك الا نفسه ومرفوعا عطفا على محل ان واسمها كانه قيل انا لا املك الا نفسي
وهرون كذلك لا يملك الا نفسه او على الضمير في لا املك وجاز للفصل ومجرورا عطفا على الضمير في نفسي وهو
ضعيف لقبح العطف على ضمير المجرور الا بتكرير الجار فان قلت اما كان معه الرجلان المذكوران قلت
كانه لم يثق بهما كل الوثوق ولم يطمئن الى ثباتهما لما ذاق على طول الزمان واتصال الصحبة من احوال قومه وتلونهم
فلم يذكر الا النبي المعصوم الذي لا شبهة في امره ويجوز ان يقول ذلك لفرط ضجره عندما سمع منهم تقليلا لمن
يوافقه ويجوز ان يريد ومن يؤاخيني على ديني فافرق بيننا وبينهم بان تحكم لنا بما نستحق وتحكم عليهم بما يستحقون
وهو في معنى الدعاء عليهم ولذلك وصل به قوله فانها محرمة عليهم على وجه التسبيب او فباعد بيننا وبينهم وخلصنا
من صحبتهم كقوله ونجني من القوم الظالمين قال فانها محرمة عليهم اربعين سنة يتيهون في الارض
فلا تأس على القوم الفاسقين فانها فان الارض المقدسة محرمة عليهم لا يدخلونها ولا يملكونها
فان قلت كيف توفق بين هذا وبين قوله التي كتب الله لكم قلت فيه وجهان احدهما ان
يراد فانها محرمة عليهم اربعين سنة فاذا مضت الاربعون كان ما كتب فقد روي ان موسى سار بمن بقي من
بني اسرائيل وكان يوشع على مقدمته ففتح اريحا واقام فيها ما شاء الله تعالى ثم قبض وقيل لما مات موسى بعث
يوشع نبيا فاخبرهم بانه نبي الله وان الله تعالى امره بقتال الجبابرة فصدقوه وبايعوه وسار بهم الى اريحا وقتل الجبارين
واخرجهم وصار الشام كله لبني اسرائيل وقيل لم يدخل الارض المقدسة احد ممن قال انا لن ندخلها وهلكوا في
التيه ونشأت نواشئ من ذرياتهم فقاتلوا الجبارين ودخلوها والعامل في الظرف اما محرمة واما يتيهون ومعنى يتيهون
في الارض يسيرون فيها متحيرين لا يهتدون طريقا والتيه المفازة التي يتاه فيها روي انهم لبثوا اربعين سنة

فى ستة فراسخ يسيرون كل يوم جادين حتى اذا امسوا اذا هم بحيث ارتحلوا عنه وكان الغمام يظلهم من
حر الشمس ويطلع لهم عمود من نور بالليل يضيء لهم وينزل عليهم المن والسلوى ولا تطول شعورهم واذا ولد لهم مولود
كان عليه ثوب كالظفر يطول بطوله **فان قلت** فلم كانوا ينعم عليهم بتظليل الغمام وغيره وهم معاقبون
قلت كما ينزل بعض النوازل على العصاة عركا لهم وعليهم مع ذلك النعمة متظاهرة ومثل ذلك مثل الوالد
المشفق يضرب ولده ويؤذيه ليتأدب ويتثقف ولا يقطع عنه معروفه واحسانه **فان قلت** هل كان معهم
فى التيه موسى وهرون عليهما السلام **قلت** اختلف فى ذلك فقيل لم يكونا معهم لانه كان عقابا وقد طلب موسى
الى ربه ان يفرق بينهما وبينهم وقيل كانا معهم الا انه كان ذلك روحا لهما وسلاما لا عقوبة كالنار لابرهيم وملائكة
العذاب وروى ان هرون مات فى التيه ومات موسى بعده فيه بسنة ودخل يوشع اريحا بعد موته بثلثة اشهر ومات
النقباء فى التيه بغتة الا كالب ويوشع فلا تاس فلا تحزن عليهم لانه ندم على الدعاء عليهم فقيل انهم احقاء لفسقهم
بالعذاب فلا تحزن ولا تندم **واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل من احدهما**
ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال انما يتقبل الله من المتقين هما ابنا آدم
لصلبه قابيل وهابيل اوحى الله تعالى الى آدم ان يزوج كل واحد منهما توأمة الآخر وكانت توأمة قابيل اجمل واسمها
اقليما فحسد عليها اخاه وسخط فقال لهما آدم قربا قربانا فمن ايكما تقبل زوجها فتقبل قربان هابيل بان نزلت نار فاكلته
فازداد قابيل حسدا وسخطا وتوعده بالقتل وقيل هما رجلان من بنى اسرائيل بالحق تلاوة ملتبسة بالحق والصحة
او اتله نبأ ملتبسا بالصدق موافقا لما فى كتب الاولين او بالغرض الصحيح وهو تقبيح الحسد لان المشركين واهل الكتاب
كلهم كانوا يحسدون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبغون عليه او اتل عليهم وانت محق صادق واذ قربا نصب بالنبأ
اى قصتهم وحديثهم فى ذلك الوقت ويجوز ان يكون بدلا من النبأ اى اتل عليهم النبأ نبأ ذلك الوقت على تقدير حذف المضاف
والقربان اسم ما يتقرب به الى الله تعالى من نسيكة او صدقة كما ان الحلوان اسم ما يحلى اى يعطى يقال قرب صدقة وتقرب
بها لان تقرب مطاوع قرب قال الاصمعى تقربوا قرف القمع فيعدى بالباء حتى يكون بمعنى قرب **فان قلت**
كيف كان قوله انما يتقبل الله من المتقين جوابا لقوله لاقتلنك **قلت** لما كان الحسد لاخيه على تقبل قربانه هو الذى
حمله على توعده بالقتل قال له انما اتيت من قبل نفسك لانسلاخها من لباس التقوى لا من قبلى فلم تقتلنى وما لك
لا تعاتب نفسك ولا تحملها على تقوى الله التى هى السبب فى القبول فاجابه بكلام حكيم مختصر جامع لمعان وفيه دليل على
ان الله تعالى لا يقبل طاعة الا من مؤمن متق فما انعاه على اكثر العاملين اعمالهم وعن عامر بن عبد الله انه بكى حين حضرته
الوفاة فقيل له ما يبكيك فقد كنت وكنت قال انى اسمع الله تعالى يقول انما يتقبل الله من المتقين **لئن بسطت**
الى يدك لتقتلنى ما انا بباسط يدى اليك لاقتلك انى اخاف الله رب العالمين انى
اريد ان تبوء باثمى واثمك فتكون من اصحاب النار وذلك جزاء الظالمين ما انا بباسط يدى اليك
لاقتلك قيل كان اقوى من القاتل والبطش منه ولكنه تحرج عن قتل اخيه واستسلم له خوفا من الله تعالى لان الدفع لم يكن مباحا فى
ذلك الوقت قاله مجاهد وغيره انى اريد ان تبوء باثمى واثمك ان تحمل اثم قتلى لك لو قتلتك واثم قتلك لى **فان قلت**
كيف يحمل اثم قتله له ولا تزر وازرة وزر اخرى **قلت** المراد بمثل اثمى على الاتساع فى الكلام كما تقول قرأت قراءة
فلان وكتبت كتابته تريد المثل وهو اتساع فاش مستفيض لا يكاد يستعمل غيره ونحوه قوله صلى الله عليه وسلم المستبان
ما قالا فعلى البادى ما لم يعتد المظلوم على ان البادى عليه اثم سبه ومثل اثم سب صاحبه لانه كان سببا فيه الا ان الاثم
محطوط عن صاحبه معفو عنه لانه مكافئ مدافع عن عرضه الا ترى الى قوله ما لم يعتد المظلوم لانه اذا خرج من حد المكافاة واعتدى
لم يسلم **فان قلت** فحين كف هابيل عن قتل اخيه واستسلم وتحرج عما كان محظورا فى شريعته من الدفع فاين الاثم
حتى يحمل اخوه مثله فيجتمع عليه الاثمان **قلت** هو مقدر فهو يتحمل مثل الاثم المقدر كانه قال انى اريد ان تبوء بمثل اثمى لو بسطت
اليك يدى وقيل باثمى باثم قتلى واثمك الذى من اجله لم يتقبل قربانك **فان قلت** فكيف جاز ان يريد شقاوة اخيه
وتعذيبه بالنار **قلت** كان ظالما وجزاء الظالم حسن جائز ان يراد الا ترى الى قوله وذلك جزاء الظالمين
واذا جاز ان يريده الله جاز ان يريده العبد لانه لا يريد الا ما هو حسن والمراد بالاثم وبال القتل وما يجره من استحقاق العقاب

فان قلت لم جاء الشرط بلفظ الفعل والجزاء بلفظ اسم الفاعل وهو قوله لئن بسطت ما انا بباسط **قلت**
ليفيد انه لا يفعل ما يكتسب به هذا الوصف الشنيع ولذلك اكده بالباء المؤكدة للنفى **فطوعت له نفسه**
قتل اخيه فقتله فاصبح من الخاسرين فطوعت له نفسه قتل اخيه فوسعته له ويسرته من طاع له
المرتع اذا اتسع وقرأ الحسن فطاوعت وفيه وجهان ان يكون مما جاء من فاعل بمعنى فعل وان يراد ان قتل اخيه كانه دعا
نفسه الى الاقدام عليه فطاوعته ولم يمتنع وله لزيادة الربط كقولك حفظت لزيد ماله وقيل قتل وهو ابن عشرين سنة
وكان قتله عند عقبة حراء وقيل بالبصرة فى موضع المسجد الاعظم **فبعث الله غرابا يبحث فى الارض**
ليريه كيف يوارى سوأة اخيه قال يا ويلتى اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب فاوارى سوأة
اخى فاصبح من النادمين فبعث الله غرابا روى انه اول قتيل قتل على وجه الارض من بنى آدم ولما قتله تركه
بالعراء لا يدرى ما يصنع به فخاف عليه السباع فحمله فى جراب على ظهره سنة حتى اروح وعكفت عليه السباع فبعث الله
غرابين فاقتتلا فقتل احدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه ثم القاه فى الحفرة فقال يا ويلتى اعجزت وروى انه لما قتله
اسود جسده وكان ابيض فسأله آدم عن اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك اسود جسدك وروى
ان آدم عليه السلام مكث بعد قتله مائة سنة لا يضحك وانه رثاه بشعر وهو كذب بحت وما الشعر الا منحول ملحون
وقد صح ان الانبياء معصومون من الشعر ليريه الله تعالى او ليريه الغراب اى ليعلمه لانه لما كان سبب تعليمه فكانه
قصد تعليمه على سبيل المجاز سوأة اخيه عورة اخيه وما لا يجوز ان ينكشف من جسده والسوأة الفضيحة لقبحها قال
يا لقومى للسوأة السوآء اى الفضيحة العظيمة فكنى بها عنها فاوارى بالنصب على جواب الاستفهام وقرئ بالسكون
على فانا اوارى او على التسكين فى موضع النصب للتخفيف من النادمين على قتله لما تعب من حمله وتحيره فى امره
وتبين له من عجزه وتلمذه للغراب واسوداد لونه وسخط ابيه ولم يندم ندم التائبين **من اجل ذلك كتبنا**
على بنى اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس او فساد فى الارض فكانما قتل الناس جميعا
ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم ان كثيرا منهم
بعد ذلك فى الارض لمسرفون من اجل ذلك بسبب ذلك وبعلته وقيل اصله من اجل شرا اذا جناه يأجله
اجلا ومنه قول خوات بن جبير: واهل خباء صالح ذات بينهم ❊ قد احتربوا فى عاجل انا آجله ❊ كانك اذا قلت من اجلك
فعلت كذا اردت من ان جنيت فعله واوجبته ويدل عليه قولهم من جراك فعلته اى من ان جررته بمعنى جنيته وذلك اشارة
الى القتل المذكور اى من ان جنى ذلك القتل الكتب وجره كتبنا على بنى اسرائيل ومن لابتداء الغاية اى ابتداء الكتب
ونشأ من اجل ذلك ويقال فعلت كذا لاجل كذا وقد يقال اجل كذا بحذف الجار وايصال الفعل قال اجل ان الله
قد فضلكم وقرئ من اجل ذلك بحذف الهمزة وفتح النون لالقاء حركتها عليها بغير نفس بغير قتل نفس لا على وجه الاقتصاص
او فساد عطف على نفس بمعنى او بغير فساد فى الارض وهو الشرك وقيل قطع الطريق ومن احياها ومن استنقذها
من بعض اسباب الهلكة قتل او غرق او حرق او هدم او غير ذلك **فان قلت** كيف شبه الواحد بالجميع وجعل حكمه
كحكمهم **قلت** لان كل انسان يدلى بما يدلى به الآخر من الكرامة على الله وثبوت الحرمة فاذا قتل فقد اهين ما كرم على الله
وهتكت حرمته وعلى العكس فلا فرق اذا بين الواحد والجميع فى ذلك **فان قلت** فما الفائدة فى ذكر ذلك
قلت تعظيم قتل النفس واحيائها فى القلوب ليشمئز الناس عن الجسارة عليها ويتراغبوا فى المحاماة على حرمتها لان
المتعرض لقتل النفس اذا تصور قتلها بصورة قتل الناس جميعا عظم ذلك عليه فثبطه وكذلك الذى اراد احياءها وعن مجاهد
قاتل النفس جزاؤه جهنم وغضب الله والعذاب العظيم ولو قتل الناس جميعا لم يزد على ذلك وعن الحسن يا ابن آدم ارأيت
لو قتلت الناس جميعا اكنت تطمع ان يكون لك عمل يوازى ذلك فيغفر لك به كلا انه شىء سولته لك نفسك والشيطان فكذلك
اذا قتلت واحدا بعد ذلك بعد ما كتبنا عليهم وبعد مجىء الرسل بالآيات لمسرفون يعنى فى القتل لا يبالون بعظمته
انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الارض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا
او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة
عذاب عظيم يحاربون الله ورسوله يحاربون رسول الله ومحاربة المسلمين فى حكم محاربته ويسعون فى الارض فسادا

مفسدين او لان سعيهم فى الارض لما كان على طريق الفساد نزل منزلة ويفسدون فى الارض فانتصب فسادا على المعنى ويجوز ان يكون مفعولا له اى للفساد نزلت فى قوم هلال بن عويمر وكان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد وقد مر بهم قوم يريدون رسول الله صلى الله عليه وسلم فقطعوا عليهم وقيل فى العرنيين فاوحى اليه ان من جمع بين القتل واخذ المال قتل وصلب ومن افرد القتل قتل ومن افرد اخذ المال قطعت يده لاخذ المال ورجله لاخافة السبيل ومن افرد الاخافة نفى من الارض وقيل هذا حكم كل قاطع طريق كافرا كان او مسلما ومعناه ان يقتلوا من غير صلب ان افردوا القتل او يصلبوا مع القتل ان جمعوا بين القتل واخذ المال قال ابو حنيفة ومحمد رحمهما الله تعالى يصلب حيا ويطعن حتى يموت او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف ان اخذوا المال او ينفوا من الارض اذا لم يزيدوا على الاخافة وعن جماعة منهم الحسن والنخعى ان الامام مخير بين هذه العقوبات فى كل قاطع طريق من غير تفصيل والنفى الحبس عند ابى حنيفة رحمه الله وعند الشافعى رحمه الله النفى من بلد الى بلد لا يزال يطلب وهو هارب فزعا وقيل ينفى من بلده وكانوا ينفونهم الى دهلك وهو بلد فى اقصى تهامة وناصع وهو من بلاد الحبشة ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الاخرة عذاب عظيم خزى ذل وفضيحة الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم فاعلموا ان الله غفور رحيم الا الذين تابوا استثناء من المعاقبين عقاب قطع الطريق خاصة واما حكم القتل والجراح واخذ المال فالى الاولياء ان شاءوا عفوا وان شاءوا استوفوا وعن على رضى الله عنه ان الحارث بن بدر جاءه تائبا بعدما كان يقطع الطريق فقبل توبته ودرأ عنه العقوبة يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة وجاهدوا فى سبيله لعلكم تفلحون الوسيلة كل ما يتوسل به اى يتقرب من قرابة او صنيعة او غير ذلك فاستعيرت لما يتوسل به الى الله تعالى من فعل الطاعات وترك المعاصى وانشد للبيد ارى الناس لا يدرون ما قدر امرهم الا كل ذى لب الى الله واسل ان الذين كفروا لو ان لهم ما فى الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيمة ما تقبل منهم ولهم عذاب اليم ليفتدوا به ليجعلوه فدية لانفسهم وهذا تمثيل للزوم العذاب لهم وانه لا سبيل لهم الى النجاة منه بوجه وعن النبى صلى الله عليه وسلم يقال للكافر يوم القيمة ارايت لو كان لك ملء الارض ذهبا اكنت تفتدى به فيقول نعم فيقال له قد سئلت ايسر من ذلك ولو مع ما فى حيزه خبر ان فان قلت لم وحد الراجع فى قوله ليفتدوا به وقد ذكر شيئان قلت نحو قوله فانى وقيار بها لغريب او على اجراء الضمير مجرى اسم الاشارة كانه قيل ليفتدوا بذلك ويجوز ان يكون الواو فى ومثله بمعنى مع فيوحد المرجوع اليه فان قلت بم ينصب المفعول معه قلت بما يستدعيه لو من الفعل لان التقدير لو ثبت ان لهم ما فى الارض يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم قرا ابو واقد ان يخرجوا بضم الياء من اخرج ويشهد لقراءة العامة قوله تعالى بخارجين وما يروى عن عكرمة ان نافع بن الازرق قال لابن عباس يا اعمى البصر اعمى القلب تزعم ان قوما يخرجون من النار وقد قال الله تعالى وما هم بخارجين منها فقال ويحك اقرا ما فوقها هذا للكفار فيما لفقته المجبرة وليس باول تكاذيبهم وفراهم وكفاك بما فيه من مواجهة ابن الازرق ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بين اظهر اعضاده من قريش وانضاده من بنى عبد المطلب وهو حبر الامة وبحرها بالخطاب الذى لا يجسر على مثله احد من اهل الدنيا وبرفعه الى عكرمة دليلين ناصعين ان الحديث فرية ما فيها مرية والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم والسارق والسارقة رفعهما على الابتداء والخبر محذوف عند سيبويه كانه قيل وفيما فرض عليكم السارق والسارقة اى حكمهما ووجه اخر وهو ان يرتفعا بالابتداء والخبر فاقطعوا ايديهما ودخول الفاء لتضمنهما معنى الشرط لان المعنى والذى سرق والتى سرقت فاقطعوا ايديهما والاسم الموصول يضمن معنى الشرط وقرا عيسى بن عمر بالنصب وفضلها سيبويه على قراءة العامة لاجل الامر لان زيدا فاضربه احسن من زيد فاضربه ايديهما يديهما ونحوه فقد صغت قلوبكما اكتفى بتثنية المضاف اليه عن تثنية المضاف واريد باليدين اليمينان بدليل قراءة عبد الله والسارقون والسارقات فاقطعوا ايمانهم والسارق فى الشريعة من سرق من الحرز والمقطع الرسغ وعند الخوارج المنكب والمقدار الذى يجب به القطع عشرة دراهم عند ابى حنيفة رحمه الله وعند مالك والشافعى رحمهما الله ربع دينار وعن الحسن درهم وفى مواعظه احذر من قطع يدك فى درهم جزاء ونكالا مفعول لهما فمن تاب من بعد ظلمه واصلح فان

الله غفور رحيم الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شىء قدير فمن تاب من السراق من بعد ظلمه من بعد سرقته واصلح امره بالتفصى عن التبعات فان الله يتوب عليه ويسقط عنه عقاب الاخرة واما القطع فلا تسقطه التوبة عند ابى حنيفة واصحابه وعند الشافعى فى احد قوليه تسقطه من يشاء من يجب فى الحكمة تعذيبه والمغفرة له من المصرين والتائبين وقيل يسقط حد الحربى اذا سرق بالتوبة ليكون ادعى له الى الاسلام وابعد من التنفير عنه ولا يسقط عن المسلم لان فى اقامته الصلاح للمؤمنين والحيوة وكم فى القصاص حيوة فان قلت لم قدم التعذيب على المغفرة قلت لانه قوبل بذلك تقدم السرقة على التوبة يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر من الذين قالوا امنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم اخرين لم ياتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه وان لم تؤتوه فاحذروا ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم لهم فى الدنيا خزى ولهم فى الاخرة عذاب عظيم قرئ لا يحزنك بضم الياء ويسرعون والمعنى لا تهتم ولا تبال بمسارعة المنافقين فى الكفر اى فى اظهاره بما يلوح منهم من اثار الكيد للاسلام ومن موالاة المشركين فانى ناصرك عليهم وكافيك شرهم يقال اسرع فيه الشيب واسرع فيه الفساد بمعنى وقع فيه سريعا فكذلك مسارعتهم فى الكفر وقوعهم وتهافتهم فيه اسرع شىء اذا وجدوا فرصة لم يخطئوها وامنا مفعول قالوا وبافواههم متعلق بقالوا لا بامنا ومن الذين هادوا منقطع مما قبله خبر لسماعون اى ومن اليهود قوم سماعون ويجوز ان يعطف على من الذين قالوا ويرتفع سماعون على هم سماعون والضمير للفريقين او للذين هادوا ومعنى سماعون للكذب قابلون لما يفتريه الاحبار ويفتعلونه من الكذب على الله وتحريف كتابه من قولك الملك يسمع كلام فلان ومنه سمع الله لمن حمده سماعون لقوم اخرين لم ياتوك يعنى اليهود الذين لم يصلوا الى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وتجافوا عنه لما افرط فيهم من شدة البغضاء وتبالغ من العداوة اى قابلون من الاحبار ومن اولئك المفرطين فى العداوة الذين لا يقدرون ان ينظروا اليك وقيل سماعون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لاجل ان يكذبوا عليه بان يمسخوا ما سمعوا منه بالزيادة والنقصان والتبديل والتغيير سماعون من رسول الله لاجل قوم اخرين من اليهود وجهوهم عيونا ليبلغوهم ما سمعوا منه وقيل السماعون بنو قريظة والقوم الاخرون يهود خيبر يحرفون الكلم يميلونه ويزيلونه عن مواضعه التى وضعه الله فيها فيهملونه بغير مواضع بعد ان كان ذا مواضع ان اوتيتم هذا المحرف المزال عن مواضعه فخذوه واعلموا انه الحق واعملوا به وان لم تؤتوه وافتاكم محمد بخلافه فاحذروا واياكم واياه فهو الباطل والضلال وروى ان شريفا من خيبر زنى بشريفة وهما محصنان وحدهما الرجم فى التورية فكرهوا رجمهما لشرفهما فبعثوا رهطا منهم الى بنى قريظة ليسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقالوا ان امركم بالجلد والتحميم فاقبلوا وان امركم بالرجم فلا تقبلوا وارسلوا الزانيين معهم فامرهم بالرجم فابوا ان ياخذوا به فقال له جبريل اجعل بينك وبينهم ابن صوريا فقال هل تعرفون امرد ابيض اعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا قالوا نعم وهو اعلم يهودى على وجه الارض ورضوا به حكما فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدك الله الذى لا اله الا هو الذى فلق البحر لموسى ورفع فوقكم الطور وانجاكم واغرق ال فرعون والذى انزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه هل تجدون فيه الرجم على من احصن قال نعم فوثب عليه سفلة اليهود فقال خفت ان كذبته ان ينزل علينا العذاب ثم سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اشياء كان يعرفها من اعلامه فقال اشهد ان لا اله الا الله وانك محمد رسول الله النبى الامى العربى الذى بشر به المرسلون وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالزانيين فرجما عند باب مسجده ومن يرد الله فتنته تركه مفتونا وخذلانه فلن تملك له من الله شيئا فلن تستطيع له من لطف الله وتوفيقه شيئا اولئك الذين لم يرد الله ان يمنحهم من الطافه ما يطهر به قلوبهم لانهم ليسوا من اهلها لعلمه انها لا تنفع فيهم ولا تنجع ان الذين لا يؤمنون بايات الله لا يهديهم الله كيف يهدى الله قوما كفروا بعد ايمانهم سماعون للكذب اكالون للسحت فان جاؤك فاحكم بينهم او اعرض عنهم وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين السحت كل

كل ما لا يحل كسبه وهو من سحته اذا استأصله لانه مسحوت البركة كما قال تعالى يمحق الله الربوا والربوا باب منه
وقرئ السحت بالتخفيف والتثقيل والسحت بفتح السين على لفظ المصدر من سحته والسحت بفتحتين والسحت
بكسر السين وكانوا ياخذون الرشا على الاحكام وتحليل الحرام وعن الحسن كان الحاكم في بني اسرائيل اذا اتاه احدهم
برشوة جعلها في كمه فاراها اياه وتكلم بحاجته فيسمع منه ولا ينظر الى خصمه فياكل الرشوة ويسمع الكذب وحكي ان
عاملا قدم من عمله فجاءه قومه فقدم اليهم العراضة وجعل يحدثهم بما جرى له في عمله فقال اعرابي من القوم نحن كما قال
تعالى سماعون للكذب اكالون للسحت وعن النبي صلى الله عليه وسلم كل لحم انبته السحت فالنار اولى به قيل
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مخيرا اذا تحاكم اليه اهل الكتاب بين ان يحكم بينهم وبين ان لا يحكم وعن عطاء والنخعي
والشعبي انهم اذا ارتفعوا الى حكام المسلمين فان شاؤا حكموا وان شاؤا اعرضوا وقيل هو منسوخ بقوله وان احكم
بينهم بما انزل الله وعند ابي حنيفة رحمه الله تعالى ان احتكموا الينا حملوا على حكم الاسلام وان زنى منهم رجل بمسلمة او
سرق من مسلم شيئا اقيم عليه الحد واما اهل الحجاز فانهم لا يرون اقامة الحدود عليهم يذهبون الى انهم قد صولحوا على كفرهم
وهو اعظم من الحدود ويقولون ان النبي صلى الله عليه وسلم رجم اليهوديين قبل نزول الجزية فلن يضروك شيئا لانهم كانوا
لا يتحاكمون اليه الا لطلب الايسر والاهون عليهم كالجلد مكان الرجم فاذا اعرض عنهم وابى الحكومة لهم شق عليهم وتكرهوا
اعراضه عنهم وكانوا خلقاء بان يعادوه ويضاروه فامنه الله منهم بالقسط بالعدل والاحتياط كما حكم بالرجم

وكيف يحكمونك وعندهم التورية فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما اولئك بالمؤمنين

وكيف يحكمونك تعجيب من تحكيمهم لمن لا يؤمنون به وبكتابه مع ان الحكم منصوص في كتابهم الذي يدعون الايمان به ثم يتولون
من بعد ذلك ثم يعرضون من بعد تحكيمك عن حكمك الموافق لما في كتابهم لا يرضون به وما اولئك بالمؤمنين بكتابهم كما يدعون
او وما اولئك بالكاملين في الايمان على سبيل التهكم بهم فان قلت فيها حكم الله ما موضعه من الاعراب قلت
اما ان ينتصب حالا من التورية وهي مبتدأ خبره عندهم واما ان يرتفع خبرا عنها كقولك وعندهم التورية ناطقة بحكم الله تعالى
واما ان لا يكون له محل وتكون جملة مبينة لان عندهم ما يغنيهم عن التحكيم كما تقول عندك زيد ينصحك ويشير عليك بالصواب
فما تصنع بغيره فان قلت لم انثت التورية قلت لانها نظيرة لموماة ودوداة ونحوها في كلام العرب
فان قلت علام عطف ثم يتولون قلت على يحكمونك

انا انزلنا التورية فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون

فيها هدى يهدي للحق والعدل ونور يبين ما استبهم من الاحكام الذين اسلموا صفة اجريت على النبيين على سبيل المدح كالصفات
الجارية على القديم سبحانه لا للتفصلة والتوضيح واريد باجرائها التعريض باليهود وانهم بعداء من ملة الاسلام التي
هي دين الانبياء كلهم في القديم والحديث وان اليهودية بمعزل منها وقوله الذين اسلموا للذين هادوا مناد على ذلك
والربانيون والاحبار والزهاد والعلماء من ولد هرون الذين التزموا طريقة النبيين وجانبوا دين اليهود
بما استحفظوا من كتاب الله بما سألهم انبياؤهم حفظه من التورية اي بسبب سؤال انبيائهم اياهم ان يحفظوه
من التغيير والتبديل ومن في من كتاب الله للتبيين وكانوا عليه شهداء رقباء لئلا يبدل والمعنى يحكم باحكام التورية
النبيون بين موسى وعيسى للذين هادوا يحملونهم على احكام التورية لا يتركونهم ان يعدلوا عنها كما فعل رسول الله
صلى الله عليه وسلم من حملهم على حكم الرجم وارغام انوفهم وابائه عليهم ما اشتهوه من الجلد وكذلك حكم الربانيون
والاحبار المسلمون بسبب ما استحفظهم انبياؤهم من كتاب الله والقضاء باحكامه وبسبب كونهم عليه شهداء ويجوز ان
يكون الضمير في استحفظوا للانبياء والربانيين والاحبار جميعا ويكون الاستحفاظ من الله تعالى اي كلفهم الله حفظه
وان يكونوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس نهي للحكام عن خشيتهم غير الله في حكوماتهم وادهانهم فيها وامضائها على

المراضخة هدية العامل من غيره

وكان بينهما الف نبي وعيسى

خلاف

خلاف ما امروا به من العدل لخشية سلطان ظالم او خيفة اذية احد من القرباء والاصدقاء ولا تشتروا ولا تستبدلوا
ولا تستعيضوا بايات الله واحكامه ثمنا قليلا وهو الرشوة وابتغاء الجاه ورضا الناس كما حرف احبار اليهود كتاب الله
وغيروا احكامه رغبة في الدنيا وطلبا للرياسة فهلكوا ومن لم يحكم بما انزل الله مستهينا به فاولئك هم الكافرون والظالمون
والفاسقون وصف لهم بالعتو في كفرهم حين ظلموا ايات الله بالاستهانة وتمردوا بان حكموا بغيرها وعن ابن عباس
رضي الله عنهما الكافرون والظالمون والفاسقون اهل الكتاب وعنه نعم القوم انتم ما كان من حلو فلكم وما
كان من مر فهو لاهل الكتاب من جحد حكم الله كفر ومن لم يحكم به وهو مقر فهو ظالم فاسق وعن الشعبي هذه في اهل
الاسلام والظالمون في اليهود والفاسقون في النصارى وعن ابن مسعود رضي الله عنه هو عام في اليهود وغيرهم وعن
حذيفة انتم اشبه الامم سمتا ببني اسرائيل لتركبن طريقهم حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة غير اني لا ادري اتعبدون
العجل ام لا في مصحف ابي وانزل الله على بني اسرائيل فيها وفيه وان الجروح قصاص والمعطوفات كلها قرئت منصوبة
ومرفوعة والرفع للعطف على محل ان النفس لان المعنى وكتبنا عليهم النفس بالنفس اما لاجراء كتبنا مجرى قلنا واما
لان معنى الجملة التي هي قولك النفس بالنفس مما يقع عليه الكتب كما يقع عليه القراءة تقول كتبت الحمد لله وقرأت سورة
انزلناها ولذلك قال الزجاج لو قرئ ان النفس بالكسر لكان صحيحا او للاستيناف والمعنى فرضنا عليهم فيها ان النفس
ماخوذة بالنفس مقتولة بها اذا قتلتها بغير حق وكذلك العين مفقوءة بالعين والانف مجدوع بالانف والاذن مصلومة بالاذن
والسن مقلوعة بالسن والجروح قصاص ذات قصاص وهو المقاصة ومعناه ما يمكن فيه القصاص وتعرف المساواة
وعن ابن عباس كانوا لا يقتلون الرجل بالمرأة فنزلت فمن تصدق من اصحاب الحق به بالقصاص وعفا عنه فهو كفارة
له فالتصدق به كفارة للمتصدق يكفر الله تعالى من سيئاته ما تقتضيه الموازنة كسائر طاعاته وعن عبد الله بن
عمرو يهدم عنه من ذنوبه بقدر ما تصدق به وقيل فهو كفارة للجاني اذا تجاوز عنه صاحب الحق سقط عنه ما لزمه وفي قراءة
ابي فهو كفارته له يعني فالمتصدق كفارته له اي الكفارة التي يستحقها له لا ينقص منها وهو تعظيم لما فعل كقوله فاجره
على الله وترغيب في العفو

وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التورية وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التورية وهدى وموعظة للمتقين وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون

قفيته مثل عقبته اذا اتبعته ثم يقال قفيته بفلان وعقبته به فتعديه الى الثاني بزيادة
الباء فان قلت فاين المفعول الاول في الآية قلت هو محذوف والظرف الذي هو على آثارهم
كالساد مسده لانه اذا قفى به على اثره فقد قفى به اياه والضمير في آثارهم للنبيين في قوله يحكم بها النبيون الذين
اسلموا وقرأ الحسن الانجيل بفتح الهمزة فان صح عنه فلانه اعجمي خرج لعجمته عن زنات العربية كما خرج هابيل وآجر
ومصدقا عطف على محل فيه هدى ومحله النصب على الحال وهدى وموعظة يجوز ان ينتصبا على الحال كقوله مصدقا وان
ينتصبا مفعولا لهما لقوله وليحكم كانه قيل وللهدى والموعظة آتيناه الانجيل وليحكم بما انزل الله فيه من الاحكام فان قلت
فان نظمت هدى وموعظة في سلك مصدقا فما تصنع بقوله وليحكم قلت اصنع به ما صنعت بهدى وموعظة
حين جعلتهما مفعولا لهما فاقدر وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله آتيناه اياه وقرئ وليحكم على لفظ الامر بمعنى وقلنا
ليحكم وروي في قراءة ابي وان ليحكم بزيادة ان مع الامر على ان ان موصولة بالامر كقولك امرته بان قم كانه
قيل وآتيناه الانجيل وامرنا بان يحكم اهل الانجيل وقيل ان عيسى صلوات الله وسلامه عليه كان متعبدا بما في التورية من الاحكام
لان الانجيل مواعظ وزواجر والاحكام فيه قليلة وظاهر قوله وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه يرد ذلك وكذلك قوله
لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وان ساغ لقائل ان يقول معناه وليحكموا بما انزل الله فيه من ايجاب العمل باحكام التورية

وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم واحذرهم

القذة بالقذة والآلاء بالآلاء والتمر بالتمر هذه تضرب في ازالة الشبه والقذة ريش السهم

ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك فان تولوا فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم
ببعض ذنوبهم وان كثيرا من الناس لفاسقون • فان قلت اى فرق بين التعريفين فى قوله
وانزلنا اليك الكتاب وقوله لما بين يديه من الكتاب قلت الاول تعريف العهد لانه عنى به القرآن والثاني
تعريف الجنس لانه عنى به جنس الكتب المنزلة ويجوز ان يقال هو للعهد لانه لم يرد به ما يقع عليه اسم الكتاب على الاطلاق وانما اريد نوع
معلوم منه وهو ما انزل من السماء سوى القرآن ومهيمنا ورقيبا على سائر الكتب لانه يشهد لها بالصحة والثبات وقرئ ومهيمنا
عليه بفتح الميم اى هو من عليه بان حفظ من التغيير والتبديل كما قال تعالى لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والذى هيمن
عليه الله عز وجل او الحفاظ فى كل بلد لو حرف حرف منه او حركة او سكون لتنبه عليه كل احد ولاشمأزوا رادين
ومنكرين فحمن ولا تتبع معنى ولا تنحرف فلذلك عدى بعن كانه قيل ولا تنحرف عما جاءك من الحق متبعا اهواءهم لكل جعلنا
منكم ايها الناس شرعة شريعة وقرأ يحيى بن وثاب بفتح الشين ومنهاجا وطريقا واضحا فى الدين تجرون عليه وقيل هذا
دليل على انا غير متعبدين بشرائع من قبلنا لجعلكم امة واحدة جماعة متفقة على شريعة واحدة او ذوى امة واحدة
اى دين واحد لا اختلاف فيه ولكن اراد ليبلوكم فيما آتاكم من الشرائع المختلفة هل تعملون بها مذعنين معتقدين انها
مصالح قد اختلفت على حسب الاحوال والاوقات معترفين بان الله تعالى لم يقصد باختلافها الا ما اقتضته الحكمة
ام تتبعون الشبه وتفرطون فى العمل فاستبقوا الخيرات فابتدروها وتسابقوا نحوها الى الله مرجعكم استئناف
فى معنى التعليل لاستباق الخيرات فينبئكم فيخبركم بما لا تشكون معه من الجزاء الفاصل بين محقكم ومبطلكم وعاملكم
ومفرطكم فى العمل فان قلت وان احكم بينهم معطوف على ماذا قلت على الكتاب فى قوله وانزلنا
اليك الكتاب كانه قيل وانزلنا اليك ان احكم على ان ان وصلت بالامر لانه فعل كسائر الافعال ويجوز ان يكون
معطوفا على بالحق اى انزلناه بالحق وبان احكم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك ان يضلوك عنه ويستزلوك
وذلك ان كعب بن اسيد وعبد الله بن صوريا وشاس بن قيس من احبار اليهود قالوا اذهبوا بنا الى محمد نفتنه
عن دينه فقالوا يا محمد قد عرفت انا احبار اليهود وانا ان اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم ولم يخالفونا وان بيننا
وبين قومنا خصومة فنتحاكم اليك فتقضي لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك فابى ذلك رسول الله صلى الله عليه
وسلم فنزلت • فان تولوا عن الحكم بما انزل الله اليك وارادوا غيره فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض
ذنوبهم يعني بذنب التولي عن حكم الله وارادة خلافه فوضع ببعض ذنوبهم موضع ذلك واراد ان لهم ذنوبا جمة كثيرة
العدد وان هذا الذنب مع عظمه بعضها وواحد منها وهذا الابهام لتعظيم التولي واستسرافهم فى ارتكابه ونحو
البعض فى هذا الكلام ما فى قول لبيد • او يرتبط بعض النفوس حمامها • اراد نفسه وانما قصد تفخيم شأنها بهذا
الابهام كانه قال نفسا كبيرة ونفسا اى نفس فكما ان التنكير يعطي معنى التكبير وهو فى معنى البعضية فكذلك اذا
صرح بالبعض لفاسقون لمتمردون فى الكفر معتدون فيه يعني ان التولي عن حكم الله من التمرد العظيم والاعتداء
فى الكفر • افحكم الجاهلية يبغون ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون • افحكم الجاهلية
يبغون فيه وجهان احدهما ان قريظة والنضير طلبوا اليه ان يحكم بما كان يحكم به اهل الجاهلية من التفاضل بين القتلى
وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم القتلى بواء فقال بنو النضير نحن لا نرضى بذلك فنزلت والثاني ان
يكون تعييرا لليهود بانهم اهل كتاب وعلم وهم يبغون حكم الملة الجاهلية التي هي هوى وجهل لا تصدر عن كتاب ولا ترجع
الى وحي من الله تعالى • وعن الحسن هو عام فى كل من يبتغي غير حكم الله والحكم حكمان حكم بعلم فهو حكم الله وحكم
بجهل فهو حكم الشيطان • وسئل طاوس عن الرجل يفضل بعض ولده على بعض فقرأ هذه الآية • وقرئ تبغون بالتاء
والياء • وقرأ السلمي افحكم الجاهلية يبغون برفع الحكم على الابتداء وايقاع يبغون خبرا واسقاط الراجع عنه
كاسقاطه عن الصلة فى اهذا الذي بعث الله رسولا وعن الصفة فى الناس رجلان رجل اهنت ورجل اكرمت وعن الحال فى
مررت بهند يضرب زيد • وقرأ قتادة افحكم الجاهلية على ان هذا الحكم الذي يحكمون به انما يحكم به افعى نجران او نظيره
من حكام الجاهلية فارادوا بسفههم ان يكون محمد خاتم النبيين حكما كاولئك الحكام • اللام فى قوله لقوم يوقنون للبيان
كاللام فى هيت لك اى هذا الخطاب وهذا الاستفهام لقوم يوقنون فانهم هم الذين يتيقنون ان لا اعدل من الله ولا احسن حكما منه

يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم اولياء بعض ومن يتولهم
منكم فانه منهم ان الله لا يهدي القوم الظالمين • لا تتخذوهم اولياء تنصرونهم وتستنصرونهم
وتؤاخونهم وتصافونهم وتعاشرونهم معاشرة المؤمنين ثم علل النهي بقوله بعضهم اولياء بعض اى انما يوالي بعضهم بعضا
لاتحاد ملتهم واجتماعهم فى الكفر فما لمن دينه خلاف دينهم ولموالاتهم ومن يتولهم منكم فانه من جملتهم وحكمه حكمهم وهذا
تغليظ من الله تعالى وتشديد فى وجوب مجانبة المخالف فى الدين واعتزاله كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تراءى ناراهما
ومنه قول عمر لابي موسى رضي الله عنهما فى كاتبه النصراني لا تكرموهم اذ اهانهم الله ولا تأمنوهم اذ خونهم الله ولا تدنوهم اذ
اقصاهم الله وروي انه قال له ابو موسى لا قوام للبصرة الا به فقال مات النصراني والسلام يعني هب انه قد مات فما كنت
تكون صانعا حينئذ فاصنعه الساعة واستغن عنه بغيره ان الله لا يهدي القوم الظالمين يعني الذين ظلموا انفسهم بموالاة
الكفرة يمنعهم الله تعالى الطافه ويخذلهم مقتا لهم • فترى الذين فى قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون
نخشى ان تصيبنا دائرة فعسى الله ان ياتي بالفتح او امر من عنده فيصبحوا على ما اسروا
فى انفسهم نادمين • يسارعون فيهم ينكمشون فى موالاتهم ويرغبون فيها ويعتذرون بانهم لا يأمنون ان
تصيبهم دائرة من دوائر الزمان اى صرف من صروفه ودولة من دوله فيحتاجوا اليهم والى معونتهم • وعن عبادة بن الصامت
رضي الله عنه انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان لي موالي من يهود كثيرا عددهم واني ابرأ الى الله ورسوله من ولايتهم
واوالي الله ورسوله فقال عبد الله بن ابي اني رجل اخاف الدوائر ولا ابرأ من ولاية موالي وهم يهود بني قينقاع
فعسى الله ان ياتي بالفتح لرسوله على اعدائه واظهار المسلمين او امر من عنده يقطع شأفة اليهود ويجليهم عن بلادهم
فيصبح المنافقون نادمين على ما حدثوا به انفسهم وذلك انهم كانوا يشكون فى امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون نظن
ان لا يتم له امر وبالحري ان تكون الدولة والغلبة لهؤلاء • وقيل او امر من عنده او ان يؤمر النبي صلى الله عليه وسلم باظهار
اسرار المنافقين وقتلهم فيندموا على نفاقهم او امر من عند الله لا يكون للناس فيه فعل كبني النضير الذين طرح الله تعالى فى قلوبهم
الرعب فاعطوا بايديهم من غير ان يوجف عليهم بخيل ولا ركاب • ويقول الذين آمنوا اهؤلاء الذين اقسموا
بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم حبطت اعمالهم فاصبحوا خاسرين • ويقول الذين آمنوا قرئ بالنصب عطفا
على ان ياتي وبالرفع على انه كلام مبتدأ اى ويقول الذين آمنوا فى ذلك الوقت وقرئ يقول بغير واو وهي فى مصاحف مكة
والمدينة والشام كذلك على انه جواب قائل يقول فماذا يقول المؤمنون حينئذ فقيل يقول الذين آمنوا اهؤلاء الذين اقسموا
فان قلت لمن يقولون هذا القول قلت اما ان يقوله بعضهم لبعض تعجبا من حالهم واغتباطا بما من الله
عليهم من التوفيق والاخلاص اهؤلاء الذين اقسموا لكم باغلظ الايمان انهم اولياؤكم ومعاضدوكم على الكفار واما ان يقولوه
لليهود لانهم حلفوا لكم بالمعاضدة والنصرة كما حكى الله تعالى عنهم وان قوتلتم لننصرنكم حبطت اعمالهم من جملة قول المؤمنين اى
بطلت اعمالهم التي كانوا يتكلفونها فى راي اعين الناس وفيه معنى التعجب كانه قيل ما احبط اعمالهم فما اخسرهم او من قول الله عز وجل
شهادة لهم بحبوط الاعمال وتعجيبا من سوء حالهم • يا ايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف
ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين • قرئ من يرتد ومن يرتدد
وهو فى الامام بدالين وهو من الكائنات التي اخبر عنها فى القرآن قبل كونها • وقيل كان اهل الردة احدى عشرة فرقة ثلاث
فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بنو مدلج ورئيسهم ذو الحمار وهو الاسود العنسي وكان كاهنا تنبأ باليمن واستولى على
بلاده واخرج عمال رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى معاذ بن جبل والى سادات اليمن فاهلكه
الله تعالى على يدي فيروز الديلمي بيته فقتله واخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله ليلة قتل فسر المسلمون وقبض رسول الله
صلى الله عليه وسلم من الغد واتى خبره فى آخر شهر ربيع الاول • وبنو حنيفة قوم مسيلمة تنبأ وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله اما بعد فان الارض نصفها لي ونصفها لك فاجاب من محمد رسول الله
الى مسيلمة الكذاب اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فحاربه ابو بكر رضي الله عنه بجنود
المسلمين وقتل على يدي وحشي قاتل حمزة وكان يقول قتلت خير الناس فى الجاهلية وشر الناس فى الاسلام اراد فى جاهليتي
واسلامي • وبنو اسد قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خالدا رضي الله عنه فانهزم بعد القتال

الى الشام ثم اسلم وحسن اسلامه وسبع فى عهد ابى بكر رضى الله عنه فزارة قوم عيينة بن حصن وغطفان قوم قرة بن سلمة القشيرى وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة التى زوجت نفسها مسيلمة الكذاب وفيها يقول ابو العلاء المعرى فى كتاب استغفر واستغفرى امست سجاح ووالاها مسيلمة كذابة فى بنى الدنيا وكذاب وكندة قوم الاشعث بن قيس وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم بن زيد وكفى الله تعالى امرهم على يدى ابى بكر رضى الله عنه وفرقة واحدة فى عهد عمر رضى الله عنه غسان قوم جبلة بن الايهم نصرته اللطمة وسيرته الى بلاد الروم بعد اسلامه فسوف ياتى الله بقوم قيل لما نزلت اشار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ابى موسى الاشعرى فقال قوم هذا وقيل هم الفان من النخع وخمسة الاف من كندة وبجيلة وثلثة الاف من افناء الناس جاهدوا يوم القادسية وقيل هم الانصار وقيل سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم فضرب يده على عاتق سلمان وقال هذا وذووه ثم قال لو كان الايمان معلقا بالثريا لناله رجال من ابناء فارس يحبهم ويحبونه محبة العباد لربهم طاعته وابتغاء مرضاته وان لا يفعلوا ما يوجب سخطه وعقابه ومحبة الله تعالى لعباده ان يثيبهم احسن الثواب على طاعتهم ويعظمهم ويثنى عليهم ويرضى عنهم واما ما يعتقده اجهل الناس واعداهم للعلم واهله وامقتهم للشرع واسوءهم طريقة وان كانت طريقتهم عند امثالهم من الجهلة والسفهاء شيئا وهم الفرقة المفتعلة المتفعلة من الصوف وما يدينون من المحبة والعشق والتغنى على كراسيهم خربها الله تعالى وفى مراقصهم عطلها الله تعالى بابيات الغزل المقولة فى المردان الذين يسمونهم شهداء وصعقاتهم التى اين عنها صعقة موسى عند دك الطور فتعالى الله عنه علوا كبيرا ومن كلماتهم كما انه بذاته يحبهم كذلك يحبون ذاته فان الهاء راجعة الى الذات دون النعوت والصفات ومنها الحب شرطه ان تلحقه سكرات المحبة فاذا لم يكن ذلك لم تكن فيه حقيقة **فان قلت** اين الراجع من الجزاء الى الاسم المتضمن لمعنى الشرط **قلت** هو محذوف معناه فسوف ياتى الله بقوم مكانهم او بقوم غيرهم او ما اشبه ذلك اذلة جمع ذليل واما ذلول فجمعه ذلل ومن زعم انه من الذل نقيض الصعوبة فقد غبى عنه ان ذلولا لا يجمع على اذلة **فان قلت** فهلا قيل اذلة للمؤمنين اعزة على الكافرين **قلت** فيه وجهان احدهما ان يضمن الذل معنى الحنو والعطف كانه قيل عاطفين عليهم على وجه التذلل والتواضع والثانى انهم مع شرفهم وعلو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم اجنحتهم ونحوه عز وعلا اشداء على الكفار رحماء بينهم وقرئ اذلة واعزة بالنصب على الحال

يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم

ولا يخافون لومة لائم يحتمل ان تكون الواو للحال على انهم يجاهدون وحالهم فى المجاهدة خلاف حال المنافقين فانهم كانوا موالين لليهود لعنت فاذا خرجوا فى جيش المؤمنين خافوا اولياءهم اليهود فلا يعملون شيئا مما يعلمون انه يلحقهم فيه لوم من جهتهم واما المؤمنون فكانوا يجاهدون لوجه الله لا يخافون لومة لائم قط وان تكون للعطف على ان من صفتهم المجاهدة فى سبيل الله وانهم صلاب فى دينهم اذا شرعوا فى امر من امور الدين انكار منكر او امر بمعروف مضوا فيه كالمسامير المحماة لا يرعهم قول قائل ولا اعتراض معترض ولا لومة لائم يشق عليه جدهم فى انكارهم وصلابتهم فى امرهم واللومة المرة من اللوم وفيها وفى التنكير مبالغتان كانه قيل لا يخافون شيئا قط من لوم احد من اللوام وذلك اشارة الى ما وصف به القوم من المحبة والذلة والعزة والمجاهدة وانتفاء خوف اللومة يؤتيه يوفق له من يشاء ممن يعلم ان له لطفا واسع كثير الفواضل والالطاف عليم بمن هو من اهلها

انما وليكم الله ورسوله والذين امنوا الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم راكعون

عقب النهى عن موالاة من تجب معاداتهم ذكر من تجب موالاتهم بقوله انما وليكم الله ورسوله والذين امنوا ومعنى انما وجوب اختصاصهم بالموالاة **فان قلت** قد ذكرت جماعة فهلا قيل انما اولياؤكم **قلت** اصل الكلام انما وليكم الله فجعلت الولاية لله على طريق الاصالة ثم نظم فى سلك اثباتها له رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على سبيل التبع ولو قيل انما اولياؤكم الله ورسوله والذين امنوا لم يكن فى الكلام اصل وتبع وفى قراءة عبد الله انما مولاكم **فان قلت** الذين يقيمون ما محله **قلت** الرفع على البدل من الذين امنوا او على هم الذين يقيمون او النصب على المدح وفيه تمييز للخلص من الذين امنوا نفاقا او واطأت قلوبهم السنتهم الا انهم مفرطون

فى العمل وهم راكعون الواو فيه للحال اى يعملون ذلك فى حال الركوع وهو الخشوع والاخبات والتواضع لله اذا صلوا واذا زكوا وقيل هو حال من يؤتون الزكوة بمعنى يؤتونها فى حال ركوعهم فى الصلوة وانها نزلت فى على رضى الله عنه حين ساله سائل وهو راكع فى صلوته فطرح له خاتمه كانه كان مرجا فى خنصره فلم يتكلف لخلعه كثير عمل تفسد بمثله صلوته **فان قلت** كيف صح ان يكون لعلى رضى الله عنه واللفظ لفظ جماعة **قلت** جىء به على لفظ الجمع وان كان السبب فيه رجلا واحدا ليرغب الناس فى مثل فعله فينالوا مثل ثوابه ولينبه على ان سجية المؤمنين يجب ان تكون على هذه الغاية من الحرص على البر والاحسان وتفقد الفقراء حتى ان لزهم امر لا يقبل التاخير وهم فى الصلوة لم يؤخروه الى الفراغ منها

ومن يتول الله ورسوله والذين امنوا فان حزب الله هم الغالبون

فان حزب الله من اقامة الظاهر مقام المضمر ومعناه فانهم هم الغالبون ولكنهم بذلك جعلوا اعلاما لكونهم حزب الله واصل الحزب القوم يجتمعون لامر حزبهم ويحتمل ان يريد بحزب الله الرسول والمؤمنين ويكون المعنى ومن يتولهم فقد تولى حزب الله واعتضد بمن لا يغالب

يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار اولياء واتقوا الله ان كنتم مؤمنين

روى ان رفاعة بن زيد وسويد بن الحارث قد اظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما فنزلت يعنى ان اتخاذهم دينكم هزوا ولعبا لا يصح ان يقابل باتخاذكم اياهم اولياء بل يقابل ذلك بالبغضاء والشنان والمنابذة وفصل المستهزئين باهل الكتاب والكفار وان كان اهل الكتاب من الكفار اطلاقا للكفار على المشركين خاصة والدليل عليه قراءة عبد الله ومن الذين اشركوا وقرئ والكفار بالنصب والجر وتعضد قراءة الجر قراءة ابى ومن الكفار واتقوا الله فى موالاة الكفار وغيرها ان كنتم مؤمنين حقا لان الايمان حقا يابى موالاة اعداء الدين

واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها هزوا ولعبا ذلك بانهم قوم لا يعقلون

اتخذوها الضمير للصلوة او للمناداة قيل كان رجل من النصارى بالمدينة اذا سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله قال حرق الكاذب فدخلت خادمته بنار ذات ليلة وهو نائم فتطايرت منها شرارة فى البيت فاحترق البيت واحترق هو واهله وفيه دليل على ثبوت الاذان بنص الكتاب لا بالمنام وحده لا يعقلون لان لعبهم وهزوهم من افعال السفهاء والجهلة فكانه لا عقل لهم

قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا الا ان امنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل وان اكثركم فاسقون

قرأ الحسن هل تنقمون بفتح القاف والفصيح كسرها والمعنى هل تعيبون منا وتنكرون الا الايمان بالكتب المنزلة كلها وان اكثركم فاسقون **فان قلت** علام عطف قوله وان اكثركم فاسقون **قلت** فيه وجوه منها ان يعطف على ان امنا بمعنى وما تنقمون منا الا الجمع بين ايماننا وبين تمردكم وخروجكم عن الايمان كانه قيل وما تنكرون منا الا مخالفتكم حيث دخلنا فى دين الاسلام وانتم خارجون منه ويجوز ان يكون على تقدير حذف المضاف اى واعتقاد انكم فاسقون ومنها ان يعطف على المجرور اى وما تنقمون منا الا الايمان بالله وبما انزل وبان اكثركم فاسقون ويجوز ان تكون الواو بمعنى مع اى وما تنقمون منا الا الايمان مع انكم فاسقون ويجوز ان يكون تعليلا معطوفا على تعليل محذوف كانه قيل وما تنقمون منا الا الايمان لقلة انصافكم وفسقكم واتباعكم الشهوات ويدل عليه تفسير الحسن بفسقكم نقمتم ذلك علينا وروى انه اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر من اليهود فسالوه عمن يؤمن به من الرسل فقال اؤمن بالله وما انزل الينا الى قوله ونحن له مسلمون فقالوا حين سمعوا ذكر عيسى ما نعلم اهل دين اقل حظا فى الدنيا والاخرة منكم ولا دينا شرا من دينكم فنزلت وعن نعيم بن ميسرة وان اكثركم بالكسر ويحتمل ان ينتصب وان اكثركم بفعل محذوف يدل عليه هل تنقمون اى ولا تنقمون ان اكثركم فاسقون او يرتفع على الابتداء والخبر محذوف اى وفسقكم ثابت معلوم عندكم لانكم علمتم انا على الحق وانكم على الباطل الا ان حب الرياسة وكسب الاموال لا يدعكم فتنصفوا

قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت اولئك شر مكانا واضل عن سواء السبيل

ذلك اشارة الى المنقوم ولا بد من حذف مضاف قبله او قبل من تقديره بشر من اهل ذلك او دين من لعنه الله ومن لعنه الله فى محل الرفع على قولك هو من لعنه الله كقوله قل افانبئكم بشر من ذلكم النار او فى محل الجر على البدل من شر وقرئ مثوبة ومثوبة ومثالهما مشورة ومشورة **فان قلت**

المثوبة مختصة بالاحسان فكيف جاءت في الاساءة **قلت** وضعت المثوبة موضع العقوبة على طريقة قوله
تحية بينهم ضرب وجيع ومنه فبشرهم بعذاب اليم **فان قلت** المعاقبون من الفريقين هم اليهود فلم
شورك بينهم في العقوبة **قلت** كان اليهود لعنوا يزعمون ان المسلمين ضالون مستوجبون للعقاب فقيل لهم
من لعنه الله شر عقوبة في الحقيقة واليقين من اهل الاسلام في زعمكم ودعواكم وعبد الطاغوت عطف على صلة من
كانه قيل ومن عبد الطاغوت وفي قراءة ابي وعبدوا الطاغوت على المعنى وقرأ ابن مسعود ومن عبدوا وقرئ وعابد الطاغوت
عطفا على القردة وعابدي وعباد وعبد وعبد ومعناه الغلو في العبودية كقولهم رجل حذر وفطن للبليغ في الحذر
والفطنة قال ابني لبيني ان امكم امة وان اباكم عبد وعبد بوزن حطم وعبيد وعبد بضمتين
جمع عبيد وعبدة بوزن كفرة وعبد واصله عبدة فحذفت التاء للاضافة او هو كخدم في جمع خادم وعبد
وعباد واعبد وعبد الطاغوت على البناء للمفعول وحذف الراجع بمعنى وعبد الطاغوت فيهم او بينهم وعبد الطاغوت
بمعنى صار الطاغوت معبودا من دون الله كقولك امر اذا صار اميرا وعبد الطاغوت بالجر عطفا على من لعنه الله
فان قلت كيف جاز ان يجعل الله منهم عباد الطاغوت **قلت** فيه وجهان احدهما انه خذلهم
حتى عبدوها والثاني انه حكم عليهم بذلك ووصفهم به كقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا وقيل الطاغوت
العجل لانه معبود من دون الله ولان عبادتهم العجل مما زينه لهم الشيطان فكانت عبادتهم له عبادة للشيطان وهو الطاغوت
وعن ابن عباس رضي الله عنهما اطاعوا الكهنة وكل من اطاع احدا في معصية الله فقد عبده وقرأ الحسن الطاغيت وقيل
وجعل منهم القردة اصحاب السبت والخنازير كفار اهل مائدة عيسى وقيل كلا المسخين من اصحاب السبت فشبانهم مسخوا
قردة ومشايخهم مسخوا خنازير وروي انها لما نزلت كان المسلمون يعيرون اليهود ويقولون يا اخوة القردة والخنازير
فينكسون رؤسهم اولئك الملعونون الممسوخون شر مكانا جعلت الشرارة للمكان وهي لاهله وفيه مبالغة ليست في
ذلك اولئك شر واضل لدخوله في باب الكناية التي هي اخت المجاز **واذا جاؤكم قالوا آمنا وقد دخلوا**
بالكفر وهم قد خرجوا به والله اعلم بما كانوا يكتمون نزلت في ناس من اليهود كانوا يدخلون على رسول الله
صلى الله عليه وسلم يظهرون له الايمان نفاقا فاخبره الله تعالى بشأنهم وانهم يخرجون من مجلسك كما دخلوا لم يتعلق
بهم شيء مما سمعوا به من تذكيرك بآيات الله ومواعظك وقوله بالكفر وبه حالان اي دخلوا كافرين وخرجوا كافرين وتقديره
ملتبسين بالكفر وكذلك قوله وقد دخلوا وهم قد خرجوا ولذلك دخلت قد تقريبا للماضي من الحال ولمعنى آخر وهو ان امارات
النفاق كانت لائحة عليهم فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم متوقعا لاظهار الله تعالى ما كتموه فدخل حرف التوقع وهو متعلق بقوله
قالوا آمنا اي قالوا ذلك وهذه حالهم **وترى كثيرا منهم يسارعون في الاثم والعدوان واكلهم السحت**
لبئس ما كانوا يعملون لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت لبئس ما
كانوا يصنعون الاثم الكذب بدليل قوله عن قولهم الاثم والعدوان الظلم وقيل الاثم كلمة الشرك وقولهم
عزير ابن الله وقيل الاثم ما يختص بهم والعدوان ما يتعداهم الى غيرهم والمسارعة في الشيء الشروع فيه بسرعة لبئس
ما كانوا يصنعون كانهم جعلوا آثم من مرتكبي المناكير لان كل عامل لا يسمى صانعا ولا كل عمل يسمى صناعة حتى يتمكن فيه ويتدرب
وينسب اليه وكان المعنى في ذلك ان مواقع المعصية معه الشهوة التي تدعوه اليها وتحمله على ارتكابها واما الذي ينهاه
فلا شهوة معه في فعل غيره فاذا فرط في الانكار كان اشد حالا من المواقع ولعمري ان هذه الآية مما يقذ السامع وينعى
على العلماء توانيهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي اشد آية في القرآن وعن الضحاك ما في القرآن آية اخوف
عندي منها **وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه**
مبسوطتان ينفق كيف يشاء وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا
وكفرا والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله
ويسعون في الارض فسادا والله لا يحب المفسدين غل اليد وبسطها مجاز عن
البخل والجود ومنه قوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط ولا يقصد من يتكلم به اثبات
يد ولا غل ولا بسط ولا فرق عنده بين هذا الكلام وبين ما وقع مجازا عنه كانهما كلامان متعقبان على حقيقة واحدة

حتى

حتى انه يستعمل في ملك لا يعطي عطاء قط ولا يمنعه الا باشارة من غير استعمال يد وبسطها وقبضها ولو اعطى الاقطع
الى المنكب عطاء جزلا لقالوا ما ابسط يده بالنوال لان بسط اليد وقبضها عبارتان وقعتا متعاقبتين للبخل والجود
وقد استعملوها حيث لا تصح اليد كقوله جاد الحمى بسط اليدين بوابل شكرت نداه تلاعه ووهاده ولقد جعل
لبيد للشمال يدا في قوله اذ اصبحت بيد الشمال زمامها ويقال بسط اليأس كفيه في صدري فجعلت لليأس
الذي هو من المعاني لا من الاعيان كفان ومن لم ينظر في علم البيان عمي عن تبصر محجة الصواب في تاويل امثال هذه
الآية ولم يتخلص من يد الطاعن اذا عبثت به **فان قلت** قد صح ان قوله يد الله مغلولة عبارة عن
البخل فما تصنع بقوله غلت ايديهم ومن حقه ان يطابق ما تقدمه والا تنافر الكلام وزل عن سننه **قلت**
يجوز ان يكون معناه الدعاء عليهم بالبخل والنكد ومن ثم كانوا ابخل خلق الله وانكدهم ونحوه بيت الاشتر
بقيت وفري وانحرفت عن العلى ولقيت اضيافي بوجه عبوس ويجوز ان يكون دعاء عليهم بغل الايدي حقيقة
يغلون في الدنيا اسارى وفي الآخرة معذبين باغلال جهنم والطباق من حيث اللفظ وملاحظة اصل المجاز كما
تقول سبني سب الله دابره اي قطعه لان السب اصله القطع **فان قلت** كيف جاز ان يدعو الله
عليهم بما هو قبيح وهو البخل والنكد **قلت** المراد به الدعاء بالخذلان الذي تقسو به قلوبهم فيزيدون بخلا الى بخلهم
ونكدا الى نكدهم او بما هو مسبب عن البخل والنكد من لصوق العار بهم وسوء الاحدوثة التي تخزيهم وتمزق اعراضهم
فان قلت لم ثنيت اليد في قوله بل يداه مبسوطتان وهي مفردة في يد الله مغلولة **قلت**
ليكون رد قولهم وانكاره ابلغ وادل على اثبات غاية السخاء له ونفي البخل عنه وذلك ان غاية ما يبذله السخي بماله من نفسه ان
يعطيه بيديه جميعا فبنى المجاز على ذلك وقرئ ولعنوا بسكون العين وفي مصحف عبد الله بل يداه بسطتان يقال
يده بسط بالمعروف ونحوه مشية سجح وناقة سرح ينفق كيف يشاء تاكيد للوصف بالسخاء ودلالة على انه لا ينفق
الا على مقتضى الحكمة والمصلحة روي ان الله تعالى كان قد بسط على اليهود حتى كانوا من اكثر الناس مالا فلما عصوا الله تعالى
في محمد صلى الله عليه وسلم وكذبوه كف الله تعالى ما بسط عليهم من السعة فعند ذلك قال فنحاص بن عازوراء يد الله مغلولة
ورضي بقوله الآخرون فاشركوا فيه وليزيدن اي يزدادون عند نزول القرآن لحسدهم تماديا في الجحود وكفرا بآيات الله
والقينا بينهم العداوة فكلمهم ابدا مختلف وقلوبهم شتى لا يقع اتفاق بينهم ولا تعاضد كلما اوقدوا نارا كلما ارادوا
محاربة احد غلبوا وقهروا ولم يقم لهم نصر من الله على احد قط وقد اتاهم الاسلام وهم في ملك المجوس وقيل خالفوا
حكم التوراة فبعث الله تعالى عليهم بخت نصر ثم افسدوا فسلط الله تعالى عليهم فطرس الرومي ثم افسدوا فسلط الله
عليهم المجوس ثم افسدوا فسلط الله تعالى عليهم المسلمين وعن قتادة لا تلقى اليهود ببلدة الا وجدتهم من اذل الناس
ويسعون ويجتهدون في الكيد للاسلام ومحو ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم من كتبهم **ولو ان اهل الكتاب آمنوا**
واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولادخلناهم جنات النعيم ولو ان اهل الكتاب مع ما عددنا من سيئاتهم
آمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وبما جاء به وقرنوا ايمانهم بالتقوى التي هي الشريطة في الفوز بالايمان لكفرنا عنهم تلك
السيئات ولم نؤاخذهم بها ولادخلناهم مع المسلمين الجنة وفيه اعلام بعظم معاصي اليهود والنصارى وكثرة
سيئاتهم ودلالة على سعة رحمة الله تعالى وفتحه باب التوبة على كل عاص وان عظمت معاصيه وبلغت مبالغ سيئات
اليهود والنصارى وان الايمان لا ينجي ولا يسعد الا مشفوعا بالتقوى كما قال الحسن هذا العمود فاين الاطناب
ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم
منهم امة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل اقاموا احكامهما
وحدودهما وما فيهما من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وما انزل اليهم من سائر كتب الله لانهم مكلفون الايمان بجميعها
فكانها انزلت اليهم وقيل هو القرآن لوسع الله تعالى عليهم الرزق وكانوا قد قحطوا وقوله لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم
عبارة عن التوسعة وفيه ثلاثة اوجه ان يفيض عليهم بركات السماء وبركات الارض وان يكثر الاشجار المثمرة والزروع المغلة
وان يرزقهم الجنان اليانعة الثمار يجتنون ما تهدل منها من رؤس الشجر ويلتقطون ما تساقط على الارض من تحت ارجلهم
منهم امة مقتصدة طائفة حالها امم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هي الطائفة المؤمنة عبد الله بن سلام

اوله
وغداة ريح قد وزعت وقرة
وزعت كففت والقرة
البرد وقيل البلدة البارده

والمصابو ثمانية واربعون من النصارى وسائر ما يعملون فيه معنى التعجب كانه قيل وكثير منهم ما اسوأ عملهم
وقيل هم كعب بن الاشرف واصحابه والروم يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم
تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ان الله لا يهدي القوم الكافرين
بلغ ما انزل اليك جميع ما انزل اليك واي شيء انزل اليك غير مراقب في تبليغه احدا ولا خائف ان ينالك مكروه
وان لم تفعل وان لم تبلغ جميعه كما امرتك فما بلغت رسالته وقرئ رسالاته فلم تبلغ اذن ما كلفت من اداء الرسالات
ولم تؤد منها شيئا قط وذلك ان بعضها ليس باولى بالاداء من بعض فاذا لم تؤد بعضها فكانك اغفلت اداءها جميعا
كما ان من لم يؤمن ببعضها كان كمن لم يؤمن بكلها لادلاء كل منها بما يدليه غيرها وكونها لذلك في حكم شيء واحد والشيء
الواحد لا يكون مبلغا غير مبلغ مؤمنا به غير مؤمن به وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان كتمت آية لم تبلغ رسالاتي
وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثني الله برسالة فضقت بها ذرعا فاوحى الله الي ان لم تبلغ رسالاتي عذبتك
وضمن لي العصمة فقويت فان قلت وقوع قوله فما بلغت رسالته جزاء للشرط ما وجه صحته قلت
فيه وجهان احدهما انه اذا لم يمتثل امر الله تعالى في تبليغ الرسالات وكتمها كلها كانه لم يبعث رسولا كان امرا
شنيعا لا خفاء بشناعته فقيل ان لم تبلغ منها ادنى شيء وان كان كلمة واحدة فانت كمن ركب الامر الشنيع الذي
هو كتمانها كلها كما عظم قتل النفس بقوله فكانما قتل الناس جميعا والثاني ان يراد فان لم تفعل فلك ما يوجبه كتمان الوحي كله
من العقاب فوضع السبب موضع المسبب ويعضده قوله صلى الله عليه وسلم فاوحى الله الي ان لم تبلغ رسالاتي عذبتك
والله يعصمك عدة من الله تعالى بالحفظ والكلاءة والمعنى والله يضمن لك العصمة من اعدائك فما عذرك في مراقبتهم
فان قلت اين ضمان العصمة وقد شج في وجهه يوم احد وكسرت رباعيته قلت المراد انه يعصمه من القتل
وفيه ان عليه ان يحتمل كل ما دون النفس في ذات الله تعالى فما اشد تكليف الانبياء عليهم الصلوة والسلام وقيل نزلت بعد
يوم احد والناس الكفار بدليل قوله ان الله لا يهدي القوم الكافرين ومعناه انه لا يمكنهم مما يريدون انزاله بك من الهلاك
وعن انس رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت فاخرج راسه من قبة ادم فقال انصرفوا يا ايها
الناس فقد عصمني الله من الناس قل يا اهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التورية والانجيل
وما انزل اليكم من ربكم وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تاس على القوم
الكافرين لستم على شيء اي على دين يعتد به حتى يسمى شيئا لفساده وبطلانه كما تقول هذا ليس بشيء تريد تحقيره وتصغير
شانه وفي امثالهم اقل من لا شيء فلا تاس فلا تتاسف عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم فان ضرر ذلك راجع اليهم لا اليك وفي المؤمنين
غنى عنهم ان الذين امنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من امن بالله واليوم الاخر
وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والصابئون رفع على الابتداء وخبره محذوف والنية به التاخير
عما في حيز ان من اسمها وخبرها كانه قيل ان الذين امنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا والصابئون كذلك وانشد
سيبويه شاهدا له والا فاعلموا انا وانتم بغاة ما بقينا في شقاق اي فاعلموا انا بغاة وانتم كذلك
فان قلت هلا زعمت ان ارتفاعه للعطف على محل ان واسمها قلت لا يصح ذلك قبل الفراغ من الخبر
لا تقول ان زيدا وعمرو منطلقان فان قلت لم لا يصح والنية به التاخير فكانك قلت ان زيدا منطلق وعمرو
قلت لاني اذا رفعته رفعته عطفا على محل ان واسمها والعامل في محلهما هو الابتداء فيجب ان يكون هو العامل
في الخبر لان الابتداء ينتظم الجزئين في عمله كما ينتظمهما ان في عملها فلو رفعت الصابئون المنوي به التاخير بالابتداء
وقد رفعت الخبر بان لاعملت فيهما رافعين مختلفين فان قلت فقوله والصابئون معطوف لا بد
له من معطوف عليه فما هو قلت هو مع خبره المحذوف جملة معطوفة على جملة قوله ان الذين امنوا الى اخره ولا
محل لها كما لا محل للتي عطفت عليها فان قلت ما التقديم والتاخير الا لفائدة فما فائدة هذا التقديم
قلت فائدته التنبيه على ان الصابئين يتاب عليهم ان صح منهم الايمان والعمل الصالح فما الظن بغيرهم وذلك
ان الصابئين ابين هؤلاء المعدودين ضلالا واشدهم غيا وما سموا صابئين الا لانهم صبؤا عن الاديان كلها
اي خرجوا كما ان الشاعر قدم قوله وانتم تنبيها على ان المخاطبين اوغل في الوصف بالبغاة من قومه حيث عاجل

قبل الخبر الذي هو بغاة لئلا يدخل قومه في البغي قبلهم مع كونهم اوغل فيه منهم واثبت قدما فان قلت
فلو قيل والصابئين وايا كم لكان التقديم حاصلا قلت لو قيل هكذا لم يكن من التقديم في شيء لانه لا ازالة فيه عن موضعه
وانما يقال مقدم ومؤخر للمزال لا للقار في مكانه ومجرى هذه الجملة مجرى الاعتراض في الكلام فان قلت
كيف قيل الذين امنوا ثم قيل من امن قلت فيه وجهان ان يراد بالذين امنوا الذين امنوا بالسنتهم وهم المنافقون
وان يراد بمن امن من ثبت على الايمان واستقام ولم يخالجه ريبة فيه فان قلت فما محل من امن قلت
اما الرفع على الابتداء وخبره فلا خوف عليهم والفاء لتضمن المبتدا معنى الشرط ثم الجملة كما هي خبر ان واما النصب على
البدل من اسم ان وما عطف عليه او من المعطوف عليه فان قلت فاين الراجع الى اسم ان قلت
محذوف تقديره من امن منهم كما جاء في موضع اخر وقرئ والصابيون بياء صريحة وهو من تخفيف الهمزة كقراءة من
قرا يستهزيون والصابون وهو من صبوت لانهم صبوا الى اتباع الهوى والشهوات في دينهم ولم يتبعوا ادلة العقل
والسمع وفي قراءة ابي والصابئين بالنصب وبها قرا ابن كثير وقرا عبد الله يا ايها الذين امنوا والذين هادوا والصابئون
لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل وارسلنا اليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم فريقا
كذبوا وفريقا يقتلون لقد اخذنا ميثاقهم بالتوحيد وارسلنا اليهم رسلا ليقفوهم على ما ياتون وما يذرون في دينهم
كلما جاءهم رسول جملة شرطية وقعت صفة لرسلا والراجع محذوف اي رسول منهم بما لا تهوى انفسهم بما يخالف هواهم ويضاد
شهواتهم من مشاق التكليف والعمل بالشرائع فان قلت اين جواب الشرط فان قوله فريقا كذبوا وفريقا يقتلون
ناب عن الجواب لان الرسول الواحد لا يكون فريقين ولانه لا يحسن ان تقول ان اكرمت اخي اخاك اكرمت قلت
هو محذوف يدل عليه قوله فريقا كذبوا وفريقا يقتلون كانه قيل كلما جاءهم رسول منهم ناصبوه وقوله فريقا كذبوا جواب
مستانف لقائل يقول كيف فعلوا برسلهم فان قلت لم جيء باحد الفعلين ماضيا وبالاخر مضارعا قلت
جيء بيقتلون على حكاية الحال الماضية استفظاعا للقتل واستحضارا لتلك الحال الشنيعة للتعجيب منها
وحسبوا الا تكون فتنة فعموا وصموا ثم تاب الله عليهم ثم عموا وصموا كثير منهم والله
بصير بما يعملون قرئ ان لا تكون بالنصب على الظاهر وبالرفع على ان ان هي المخففة من الثقيلة اصله انه لا تكون
فتنة فخففت ان وحذف ضمير الشان فان قلت فاين مفعولا حسب قلت سد ما يشتمل عليه
صلة ان وان من المسند والمسند اليه مسد المفعولين والمعنى وحسب بنو اسرائيل انهم لا يصيبهم من الله فتنة اي بلاء
وعذاب في الدنيا والاخرة فعموا عن الدين وصموا حين عبدوا العجل ثم تابوا عن عبادة العجل فتاب الله عليهم ثم
عموا وصموا كرة ثانية بطلبهم المحال غير المعقول في صفات الله تعالى وهو الرؤية وقرئ عموا وصموا بالضم على
تقدير عماهم الله وصمهم اي رماهم وضربهم بالعمى والصمم كما يقال نزكته اذا ضربته بالنيزك وركبته اذا ضربته
بركبتك كثير منهم بدل من الضمير او على قولهم اكلوني البراغيث او هو خبر مبتدا محذوف اي اولئك كثير منهم
لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله
ربي وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة وماواه النار وما للظالمين من انصار
لم يفرق عيسى صلوات الله عليه بينه وبينهم في انه عبد مربوب كمثلهم وهو احتجاج على النصارى انه من يشرك بالله
في عبادته او فيما هو مختص به من صفاته او افعاله فقد حرم الله عليه الجنة التي هي دار الموحدين اي حرمه دخولها ومنعه
كما يمنع المحرم من المحرم عليه وما للظالمين من انصار من كلام الله تعالى على انهم ظلموا وعدلوا عن سبيل الحق فيما تقولوا
على عيسى فلذلك لم يساعدهم عليه ولم ينصر قولهم ورده وانكره وان كانوا معظمين له بذلك ورافعين من مقداره
او من قول عيسى على معنى ولا ينصركم احد فيما تقولون ولا يساعدكم عليه لاستحالته وبعده عن المعقول او لا ينصركم ناصر
في الاخرة من عذاب الله تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلثة وما من اله الا اله
واحد وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم من في قوله وما من
اله الا اله واحد للاستغراق وهي المقدرة مع لا التي لنفي الجنس في قولك لا اله الا الله والمعنى وما من اله قط في الوجود
الا اله موصوف بالوحدانية لا ثاني له وهو الله وحده لا شريك له ومن في قوله ليمسن الذين كفروا منهم للبيان

كالتي في قوله فاجتنبوا الرجس من الأوثان **فان قلت** فهلا قيل ليمسنهم عذاب اليم **قلت** في اقامة
الظاهر مقام المضمر فائدة وهي تكرير الشهادة عليهم بالكفر في قوله لقد كفر الذين قالوا وفي البيان فائدة اخرى وهي الاعلام
في تفسير الذين كفروا منهم انهم بمكان من الكفر والمعنى ليمسن الذين كفروا من النصارى خاصة عذاب اليم اي نوع شديد
الالم من العذاب كما تقول اعطني عشرين من الثياب تريد من الثياب خاصة لا من غيرها من الاجناس التي يجوز ان يتناولها
عشرون ويجوز ان تكون للتبعيض على معنى ليمسن الذين بقوا على الكفر منهم لان كثيرا منهم تابوا من النصرانية
افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم افلا يتوبون الا يتوبون بعد
هذه الشهادة المكررة عليهم بالكفر وهذا الوعيد الشديد مما هم عليه وفيه تعجيب من اصرارهم والله غفور رحيم يغفر لهؤلاء
ان تابوا ولغيرهم **ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة**
كانا ياكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر انى يؤفكون قد خلت من قبله الرسل
صفة لرسول اي ما هو الا رسول من جنس الرسل الذين خلوا من قبله جاء بآيات من الله كما اتوا بامثالها ان ابرأ الله
الابرص واحيا الموتى على يده فقد احيا العصا وجعلها حية تسعى وفلق البحر وطمس على يد موسى وان خلقه من غير ذكر
فقد خلق آدم من غير ذكر ولا انثى وامه صديقة اي وما امه ايضا الا كبعض النساء المصدقات للانبياء المؤمنات
بهم فما منزلتهما الا منزلة بشرين احدهما نبي والآخر صحابي فمن اين اشتبه عليكم امرهما حتى وصفتموهما بما لم يوصف به
سائر الانبياء وصحابتهم مع انه لا تميز ولا تفاوت بينهما وبينهم بوجه من الوجوه ثم صرح ببعدهما عما نسب اليهما في قوله
كانا ياكلان الطعام لان من احتاج الى الاغتذاء بالطعام وما يتبعه من الهضم والنفض لم يكن الا جسما مركبا من عظم ولحم
وعروق واعصاب واخلاط وامزجة مع شهوة وقرم وغير ذلك مما يدل على انه مصنوع مؤلف مدبر كغيره من الاجسام كيف
نبين لهم الآيات اي الاعلام من الادلة الظاهرة على بطلان قولهم انى يؤفكون كيف يصرفون عن استماع الحق وتامله
فان قلت ما معنى التراخي في قوله ثم انظر **قلت** معناه ما بين العجبين يعني انه بين لهم الآيات بيانا
عجبا وان اعراضهم عنها اعجب منه **قل اتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا والله**
هو السميع العليم ما لا يملك هو عيسى اي شيئا لا يستطيع ان يضركم بمثل ما يضركم به الله تعالى من البلايا
والمصائب في الانفس والاموال ولا ان ينفعكم بمثل ما ينفعكم به من صحة الابدان والسعة والخصب ولان كل ما يستطيعه
البشر من المضار والمنافع فبإقدار الله تعالى وتمكينه فكانه لا يملك منه شيئا وهذا دليل قاطع على ان امره مناف للربوبية
حيث جعله لا يستطيع ضرا ولا نفعا وصفة الرب ان يكون قادرا على كل شيء لا يخرج مقدور عن قدرته والله هو السميع
العليم متعلق باتعبدون اي اتشركون بالله ولا تخشونه وهو الذي يسمع ما تقولون ويعلم ما تعتقدون او اتعبدون
العاجز والله هو السميع العليم الذي يصح منه ان يسمع كل مسموع ويعلم كل معلوم ولن يكون كذلك الا وهو حي قادر
قل يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل واضلوا
كثيرا وضلوا عن سواء السبيل غير الحق صفة للمصدر اي لا تغلوا في دينكم غلوا غير الحق اي غلوا باطلا لان
الغلو في الدين غلوان حق وهو ان يفحص عن حقائقه ويفتش عن اباعد معانيه ويجتهد في تحصيل حججه كما يفعل المتكلمون
من اهل العدل والتوحيد رضوان الله عليهم وغلو باطل وهو ان يتجاوز الحق ويتخطاه بالاعراض عن الادلة واتباع الشبه
كما يفعل اهل الاهواء والبدع قد ضلوا من قبل هم ائمتهم في النصرانية كانوا على الضلال قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم
واضلوا كثيرا ممن شايعهم على التثليث وضلوا لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سواء السبيل حين كذبوه
وحسدوه وبغوا عليه **لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما**
عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون
نزل الله تعالى لعنهم في الزبور على لسان داود وفي الانجيل على لسان عيسى وقيل ان اهل ايلة لما اعتدوا في السبت
قال داود اللهم العنهم واجعلهم آية فمسخوا قردة ولما كفر اصحاب عيسى بعد المائدة قال عيسى اللهم عذب من كفر بعد ما اكل من
المائدة عذابا لم تعذبه احدا من العالمين والعنهم كما لعنت اصحاب السبت فاصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل
ما فيهم امراة ولا صبي ذلك بما عصوا اي لم يكن ذلك اللعن الشنيع الذي كان سبب المسخ الا لاجل المعصية والاعتداء لا لشيء

طمس مقدر والتقدير ... على يد موسى عليه السلام
ح

آخر ثم فسر المعصية والاعتداء بقوله كانوا لا يتناهون لا ينهى بعضهم بعضا عن منكر فعلوه ثم قال لبئس ما كانوا يفعلون
للتعجيب من سوء فعلهم مؤكدا لذلك بالقسم فيا حسرة على المسلمين في اعراضهم عن باب التناهي عن المناكير وقلة عبئهم
به كانه ليس من ملة الاسلام في شيء مع ما يتلون من كلام الله تعالى وما فيه من المبالغات في هذا الباب **فان قلت**
كيف وقع ترك التناهي عن المنكر تفسيرا للمعصية والاعتداء **قلت** من قبل ان الله عز وجل امر بالتناهي فكان
الاخلال به معصية وهو اعتداء لان في التناهي حسما للفساد فكان تركه على عكسه **فان قلت** ما معنى وصف
المنكر بفعلوه ولا يكون النهي بعد الفعل **قلت** معناه لا يتناهون عن معاودة منكر فعلوه او عن مثل منكر فعلوه او
عن منكر ارادوا فعله كما ترى امارات الخوض في الفسق وآلاته تسوى وتهيأ فتنكر ويجوز ان يراد لا ينتهون ولا يمتنعون
عن منكر فعلوه بل يصرون عليه ويداومون على فعله يقال تناهى عن الامر وانتهى عنه اذا امتنع منه وتركه **ترى كثيرا**
منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم انفسهم ان سخط الله عليهم وفي العذاب هم
خالدون ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما انزل اليه ما اتخذوهم اولياء ولكن كثيرا
منهم فاسقون ترى كثيرا منهم هم منافقو اهل الكتاب كانوا يوالون المشركين ويصافونهم ان سخط الله عليهم
هو المخصوص بالذم ومحله الرفع كانه قيل لبئس زادهم الى الآخرة سخط الله عليهم والمعنى موجب سخط الله ولو كانوا يؤمنون
ايمانا خالصا غير نفاق ما اتخذوا المشركين اولياء يعني ان موالاة المشركين كفى بها دليلا على نفاقهم وان ايمانهم ليس
بايمان ولكن كثيرا منهم فاسقون متمردون في كفرهم ونفاقهم وقيل معناه ولو كانوا يؤمنون بالله وموسى كما يدعون
ما اتخذوا المشركين اولياء كما لم يوالهم المسلمون **لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود**
والذين اشركوا ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بان منهم
قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم
تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين وصف الله تعالى
شدة شكيمة اليهود وصعوبة اجابتهم الى الحق ولين عريكة النصارى وسهولة ارعوائهم وميلهم الى الاسلام وجعل اليهود
قرناء المشركين في شدة العداوة للمؤمنين بل نبه على تقدم قدمهم فيها بتقديمهم على الذين اشركوا وكذلك فعل في قوله
ولتجدنهم احرص الناس على حياة ومن الذين اشركوا ولعمري انهم لكذلك واشد وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما خلا يهوديان بمسلم
الا هما بقتله وعلل سهولة مأخذ النصارى وقرب مودتهم للمؤمنين بان منهم قسيسين ورهبانا اي علماء وعبادا وانهم
قوم فيهم تواضع واستكانة ولا كبر فيهم واليهود على خلاف ذلك وفيه دليل بين على ان العلم انفع شيء واهداه الى الخير وادله
على الفوز حتى علم القسيسين وكذلك غم الآخرة والتحدث بالعاقبة وان كان في راهب والبراءة من الكبر وان كانت في
نصراني ووصفهم برقة القلوب وانهم يبكون عند استماع القرآن وذلك نحو ما يحكى عن النجاشي انه قال لجعفر بن ابي طالب
رضي الله عنه حين اجتمع في مجلسه المهاجرون الى الحبشة والمشركون وهم يغرونه عليهم ويتطلبون عنتهم عنده هل في
كتابكم ذكر مريم قال جعفر فيه سورة تنسب اليها فقرأها الى قوله تعالى ذلك عيسى ابن مريم وقرأ سورة طه الى قوله تعالى
وهل اتاك حديث موسى فبكى النجاشي وكذلك فعل قومه الذين وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم سبعون رجلا
حين قرأ عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة يس فبكوا **فان قلت** بم تعلقت اللام في قوله للذين آمنوا
قلت بعداوة ومودة على ان عداوة اليهود التي اختصت المؤمنين اشد العداوات واظهرها وان مودة النصارى
التي اختصت المؤمنين اقرب المودات وادناها وجودا واسهلها حصولا ووصف اليهود بالعداوة والنصارى
بالمودة مما يؤذن بالتفاوت ثم وصف العداوة والمودة بالاشد والاقرب **فان قلت** ما معنى قوله تفيض
من الدمع **قلت** معناه تمتلئ من الدمع حتى تفيض لان الفيض ان يمتلئ الاناء او غيره حتى يطلع ما فيه من
جوانبه فوضع الفيض الذي هو من الامتلاء موضع الامتلاء وهو من اقامة المسبب مقام السبب او قصدت المبالغة
في وصفهم بالبكاء فجعلت اعينهم كانها تفيض بانفسها اي تسيل من الدمع من اجل البكاء من قولك دمعت عينه
دمعا **فان قلت** اي فرق بين من ومن في قوله مما عرفوا من الحق **قلت** الاولى لابتداء الغاية
على ان فيض الدمع ابتدأ ونشأ من معرفة الحق وكان من اجله وبسببه والثانية لتبيين الموصول الذي هو ما عرفوا

ويحتمل معنى التبعيض على انهم عرفوا بعض الحق فابكاهم وبلغ منهم فكيف اذا عرفوه كله وقرؤا القرآن واحاطوا بالسنة
وقرئ ترى اعينهم على البناء للمفعول ربنا آمنا المراد به انشاء الايمان والدخول فيه فاكتبنا مع الشاهدين مع امة محمد
صلى الله عليه وسلم الذين هم شهداء على سائر الامم يوم القيمة لتكونوا شهداء على الناس وقالوا ذلك لانهم وجدوا ذكرهم
في الانجيل كذلك وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم
الصالحين فاثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك
جزاء المحسنين والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم وما لنا لا نؤمن بالله
انكار واستبعاد لانتفاء الايمان مع قيام موجبه وهو الطمع في انعام الله تعالى عليهم بصحبة الصالحين وقيل لما رجعوا الى
قومهم لاموهم فاجابوهم بذلك واراد وما لنا لا نؤمن بالله وحده لانهم كانوا مثلثين وذلك ليس بايمان بالله ومحل
لا نؤمن النصب على الحال بمعنى غير مؤمنين كقولك ما لك قائما والواو في ونطمع واو الحال فان قلت ما العامل في الحال
الاولى والثانية قلت العامل في الاولى ما في اللام من معنى الفعل كانه قيل اي شيء حصل لنا غير مؤمنين وفي الثانية
معنى هذا الفعل ولكن مقيدا بالحال الاولى لانك لو ازلتها وقلت وما لنا ونطمع لم يكن كلاما ويجوز ان يكون ونطمع حالا من
لا نؤمن على انهم انكروا على انفسهم انهم لا يوحدون الله ويطمعون مع ذلك ان يصحبوا الصالحين وان يكون معطوفا على لا نؤمن
على معنى وما لنا نجمع بين التثليث وبين الطمع في صحبة الصالحين او على معنى وما لنا لا نجمع بينهما بالدخول في الاسلام لان
الكافر ما ينبغي له ان يطمع في صحبة الصالحين وقرأ الحسن فآتاهم الله بما قالوا بما تكلموا به عن اعتقاد واخلاص من قولك
هذا قول فلان اي اعتقاده وما يذهب اليه يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله
لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين طيبات ما احل الله لكم ما طاب ولذ من الحلال ومعنى
لا تحرموا لا تمنعوها انفسكم كمنع التحريم او لا تقولوا حرمناها على انفسنا مبالغة منكم في العزم على تركها تزهدا منكم وتقشفا
وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف القيمة لاصحابه يوما فبالغ واشبع الكلام في الانذار فرقوا واجتمعوا في بيت
عثمان بن مظعون واتفقوا على ان لا يزالوا صائمين قائمين وان لا يناموا على الفرش ولا ياكلوا اللحم والودك ولا يقربوا
النساء والطيب ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح ويسيحوا في الارض ويجبوا مذاكيرهم فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال لهم اني لم اومر بذلك ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فاني اقوم وانام واصوم وافطر واكل
اللحم والدسم وآتي النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني فنزلت وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ياكل
الدجاج والفالوذ وكان يعجبه الحلواء والعسل وقال ان المؤمن حلو يحب الحلاوة وعن ابن مسعود رضي الله عنه ان رجلا
قال له اني حرمت الفراش فتلا هذه الآية وقال نم على فراشك وكفر عن يمينك وعن الحسن انه دعي الى طعام ومعه
فرقد السبخي واصحابه فقعدوا على المائدة وعليها الالوان من الدجاج المسمن والفالوذ وغير ذلك فاعتزل فرقد
ناحية فسال الحسن اهو صائم قالوا لا ولكنه يكره هذه الالوان فاقبل الحسن عليه وقال يا فريقد اترى لعاب النحل بلباب
البر بخالص السمن يعيبه مسلم وعنه انه قيل له فلان لا ياكل الفالوذ ويقول لا اؤدي شكره قال افيشرب
الماء البارد قيل نعم قال انه جاهل ان نعمة الله عليه في الماء البارد اكثر من نعمته عليه في الفالوذ وعنه ان الله تعالى
ادب عباده فاحسن ادبهم بقوله لينفق ذو سعة من سعته ما عاب الله تعالى قوما وسع عليهم الدنيا فتنعموا واطاعوا ولا
عذر قوما زواها عنهم فعصوه ولا تعتدوا ولا تتعدوا حدود ما احل لكم الى ما حرم عليكم او ولا تسرفوا في
تناول الطيبات او جعل تحريم الطيبات اعتداء وظلما فنهى عن الاعتداء ليدخل تحته النهي عن تحريمها دخولا اوليا
لوروده على عقبه او اراد ولا تعتدوا بذلك وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا
الله الذي انتم به مؤمنون وكلوا مما رزقكم الله اي من الوجوه الطيبة التي تسمى رزقا حلالا حال مما
رزقكم الله واتقوا الله تاكيد للتوصية بما امر به وزاده تاكيدا بقوله الذي انتم به مؤمنون لان الايمان به يوجب التقوى
في الانتهاء الى ما امر به وعما نهى عنه لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم
الايمان فكفارته اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم او كسوتهم او تحرير
رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة ايام ذلك كفارة ايمانكم اذا حلفتم واحفظوا ايمانكم كذلك

يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون اللغو في اليمين الساقط الذي لا يتعلق به حكم واختلف
فيه فعن عائشة رضي الله عنها انها سئلت عنه فقالت هو قول الرجل لا والله وبلى والله وهو مذهب الشافعي رحمه الله تعالى
وعن مجاهد هو الرجل يحلف على الشيء يرى انه كذلك وليس كما ظن وهو قول ابي حنيفة رحمه الله تعالى بما عقدتم الايمان بتعقيدكم
الايمان وهو توثيقها بالقصد والنية وروي ان الحسن سئل عن لغو اليمين وكان عنده الفرزدق فقال يا ابا سعيد
دعني اجب عنك فقال ولست بماخوذ بلغو تقوله اذا لم تعمد عاقدات العزائم وقرئ عقدتم بالتخفيف وعاقدتم
والمعنى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان اذا حنثتم فحذف وقت المؤاخذة لانه كان معلوما عندهم او بنكث ما عقدتم
فحذف المضاف فكفارته فكفارة نكثه والكفارة الفعلة التي من شانها ان تكفر الخطيئة اي تسترها من اوسط ما تطعمون
من اقصده لان منهم من يسرف في اطعام اهله ومنهم من يقتر وهو عند ابي حنيفة رح نصف صاع من بر او صاع من غيره
لكل مسكين او يغديهم ويعشيهم وعند الشافعي رح مد لكل مسكين وقرأ جعفر بن محمد اهاليكم بسكون الياء والاهالي
اسم جمع لاهل كالليالي في جمع ليلة والاراضي في جمع ارض وقولهم اهلون كقولهم ارضون بسكون الراء واما تسكين الياء
في حال النصب فللتخفيف كما قالوا رايت معدي كرب تشبيها للياء بالالف او كسوتهم عطف على محل من اوسط وقرئ
بضم الكاف ونحوه قدوة في قدوة واسوة في اسوة والكسوة ثوب يغطي العورة وعن ابن عباس رضي الله عنهما
كانت العباءة تجزي يومئذ وعن ابن عمر رضي الله عنهما ازار او قميص او رداء او كساء وعن مجاهد ثوب جامع وعن
الحسن ثوبان ابيضان وقرأ سعيد بن المسيب اليماني او كاسوتهم بمعنى او مثل ما تطعمون اهليكم اسرافا كان
او تقتيرا لا تنقصونهم عن مقدار نفقتهم ولكن تواسون بينهم وبينهم فان قلت ما محل الكاف قلت
الرفع على تقدير او طعامهم كاسوتهم بمعنى كمثل طعامهم ان لم تطعموهم الاوسط او تحرير رقبة شرط الشافعي رحمه الله تعالى
الايمان قياسا على كفارة القتل واما ابو حنيفة واصحابه رحمهم الله تعالى فقد جوزوا تحرير الرقبة الكافرة في كل
كفارة سوى القتل فان قلت ما معنى او قلت التخيير وايجاب احدى الكفارات الثلاث على الاطلاق
بايتها اخذ المكفر فقد اصاب فمن لم يجد احدها فصيام ثلثة ايام متتابعات عند ابي حنيفة متمسكا بقراءة ابي
وابن مسعود رضي الله عنهما فصيام ثلثة ايام متتابعات وعن مجاهد كل صوم متتابع الا قضاء رمضان ويخير في
كفارة اليمين ذلك المذكور كفارة ايمانكم ولو قيل تلك كفارة ايمانكم لكان صحيحا بمعنى تلك الاشياء او لتانيث الكفارة
والمعنى اذا حلفتم وحنثتم فترك ذكر الحنث لوقوع العلم بان الكفارة انما تجب بالحنث في الحلف لا بنفس الحلف والتكفير
قبل الحنث لا يجوز عند ابي حنيفة واصحابه ويجوز عند الشافعي بالمال اذا لم يعص الحانث واحفظوا ايمانكم فبروا فيها ولا
تحنثوا اراد الايمان التي الحنث فيها معصية لان الايمان اسم جنس يجوز اطلاقه على بعض الجنس وعلى كله وقيل احفظوها
بان تكفروها وقيل احفظوها كيف حلفتم بها ولا تنسوها تهاونا بها كذلك مثل ذلك البيان يبين الله لكم آياته اعلام شريعته
واحكامه لعلكم تشكرون نعمته فيما يعلمكم ويسهل عليكم المخرج منه يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر
والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون انما يريد
الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله
وعن الصلوة فهل انتم منتهون اكد تحريم الخمر والميسر وجوها من التاكيد منها تصدير الجملة بانما ومنها
انه قرنهما بعبادة الاصنام ومنه قوله صلى الله عليه وسلم شارب الخمر كعابد الوثن ومنها انه جعلهما رجسا كما قال
فاجتنبوا الرجس من الاوثان ومنها انه جعلهما من عمل الشيطان والشيطان لا ياتي منه الا الشر البحت ومنها انه امر
بالاجتناب ومنها انه جعل الاجتناب من الفلاح واذا كان الاجتناب فلاحا كان الارتكاب خيبة ومحقة ومنها انه ذكر
ما ينتج منهما من الوبال وهو وقوع التعادي والتباغض بين اصحاب الخمر والقمر وما يؤديان اليه من الصد عن ذكر الله وعن
مراعاة اوقات الصلوة وقوله فهل انتم منتهون من ابلغ ما ينهى به كانه قيل قد تلي عليكم ما فيهما من انواع الصوارف والموانع
فهل انتم مع هذه الصوارف منتهون ام انتم على ما كنتم عليه كان لم توعظوا ولم تزجروا فان قلت الام يرجع
الضمير في قوله فاجتنبوه قلت الى المضاف المحذوف كانه قيل انما شان الخمر والميسر او تعاطيهما او ما اشبه
ذلك ولذلك قال رجس من عمل الشيطان فان قلت لم جمع الخمر والميسر مع الانصاب والازلام اولا ثم

اوردهما آخرا **قلت** لان الخطاب مع المؤمنين وانما نهاهم عما كانوا يتعاطونه من شرب الخمر واللعب بالميسر وذكر الانصاب والازلام لتأكيد تحريم الخمر والميسر واظهار ان ذلك جميعا من اعمال الجاهلية واهل الشرك فوجب اجتنابه باسره وكانه لا مباينة بين من عبد صنما واشرك بالله في علم الغيب وبين من شرب خمرا او قامر ثم افردهما بالذكر ليرى ان المقصود بالذكر الخمر والميسر وقوله وعن الصلوة اختصاص للصلوة من بين الذكر كانه قيل وعن الصلوة خصوصا

واطيعوا الله واطيعوا الرسول واحذروا فان توليتم فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين

واحذروا وكونوا حذرين خاشين لانهم اذا حذروا دعاهم الحذر الى اتقاء كل سيئة وعمل كل حسنة ويجوز ان يراد واحذروا ما عليكم في الخمر والميسر او في ترك طاعة الله والرسول فان توليتم فاعلموا انكم لم تضروا بتوليكم الرسول لان الرسول ما كلف الا البلاغ المبين بالآيات وانما ضررتم انفسكم حين اعرضتم عما كلفتموه

ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا واحسنوا والله يحب المحسنين

رفع الجناح عن المؤمنين في اي شيء طعموه من مستلذات المطاعم ومشتهياتها اذا ما اتقوا ما حرم عليهم منها وآمنوا وثبتوا على الايمان والعمل الصالح وازدادوه ثم اتقوا وآمنوا ثم ثبتوا على التقوى والايمان ثم اتقوا واحسنوا ثم ثبتوا على اتقاء المعاصي واحسنوا العالم او احسنوا الى الناس وآسوهم بما رزقهم الله من الطيبات وقيل لما نزل تحريم الخمر قالت الصحابة يا رسول الله فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر ويأكلون مال الميسر فنزلت يعني ان المؤمنين لا جناح عليهم في اي شيء طعموه من المباحات اذا اتقوا المحارم ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا واحسنوا على معنى ان اولئك كانوا على هذه الصفة ثناء عليهم وحمدا لاحوالهم في الايمان والتقوى والاحسان ومثاله ان يقال لك هل على زيد فيما فعل جناح فتقول وقد علمت ان ذلك امر مباح ليس على احد في المباح جناح اذا اتقى المحارم وكان مؤمنا محسنا تريد ان زيدا تقي مؤمن محسن وانه غير مؤاخذ بما فعل

يا ايها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله ايديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب اليم

نزلت عام الحديبية ابتلاهم الله تعالى بالصيد وهم محرمون وكثر عندهم حتى كان يغشاهم في رحالهم فيستمكنون من صيده اخذا بايديهم وطعنا برماحهم ليعلم الله من يخافه بالغيب ليتميز من يخاف عقاب الله وهو غائب منتظر في الآخرة فيتقي الصيد ممن لا يخافه فيقدم عليه فمن اعتدى فصاد بعد ذلك الابتلاء فالوعيد لاحق به **فان قلت** ما معنى التقليل والتصغير في قوله بشيء من الصيد **قلت** قلل وصغر ليعلم انه ليس من الفتن العظام التي تدحض عندها اقدام الثابتين كالابتلاء ببذل الارواح والاموال وانما هو شبيه بما ابتلي به اهل ايلة من صيد السمك وانهم اذا لم يثبتوا عنده فكيف يثبتون عند ما هو اشد منه وقرأ ابراهيم يناله بالياء

يا ايها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة او كفارة طعام مساكين او عدل ذلك صياما ليذوق وبال امره عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام

حرم محرمون جمع حرام كردح في جمع رداح والتعمد ان يقتله وهو ذاكر لاحرامه او عالم ان ما يقتله مما يحرم عليه قتله فان قتله وهو ناس لاحرامه او عالم ان ما يقتله مما يحرم عليه قتله فان قتله وهو ناس لاحرامه او رمى صيدا وهو يظن انه ليس بصيد فاذا هو صيد او قصد برميه غير صيد فعدل السهم عن رميته فاصاب صيدا فهو مخطئ **فان قلت** فمحظورات الاحرام يستوي فيها العمد والخطأ فما بال التعمد مشروطا في الآية **قلت** لان مورد الآية فيمن تعمد فقد روي انه عن لهم في عمرة الحديبية حمار وحش فحمل عليه ابو اليسر فطعنه برمحه فقتله فقيل له انك قتلت الصيد وانت محرم فنزلت ولان الاصل فعل المتعمد والخطأ لاحق به للتغليظ والدليل عليه قوله ليذوق وبال امره ومن عاد فينتقم الله منه وعن الزهري نزل الكتاب بالعمد ووردت السنة بالخطأ وعن سعيد بن جبير لا ارى في الخطأ شيئا اخذا باشتراط التعمد في الآية وعن الحسن روايتان فجزاء مثل ما قتل برفع جزاء ومثل جميعا بمعنى فعليه جزاء يماثل ما قتل من الصيد وهو عند ابي حنيفة رحمه الله تعالى قيمة الصيد يقوم حيث صيد فان بلغت قيمته

ثمن هدي تخير بين ان يهدي من النعم ما قيمته قيمة الصيد وبين ان يشتري بقيمته طعاما فيعطي كل مسكين نصف صاع من بر او صاعا من غيره وان شاء صام عن طعام كل مسكين يوما فان فضل ما لا يبلغ طعام مسكين صام عنه يوما او تصدق وعند محمد والشافعي مثله نظيره من النعم فان لم يوجد له نظير من النعم عدل الى قول ابي حنيفة **فان قلت** فما يصنع من يفسر المثل بالقيمة بقوله من النعم وهو تفسير للمثل وبقوله هديا بالغ الكعبة **قلت** قد خير من اوجب القيمة بين ان يشتري بها هديا او طعاما او يصوم كما خير الله تعالى في الآية فكان قوله من النعم بيانا للهدي المشترى بالقيمة في احد وجوه التخيير لان من قوم الصيد واشترى بالقيمة هديا فاهداه فقد جزى بمثل ما قتل من النعم على ان التخيير الذي في الآية بين ان يجزي بالهدي او يكفر بالاطعام او الصوم انما يستقيم استقامة ظاهرة بغير تعسف اذا قوم ونظر بعد التقويم الى الثلثة يختار فاما اذا عمد الى النظير وجعله الواجب وحده من غير تخيير فاذا كان شيئا لا نظير له قوم حينئذ ثم تخير بين الاطعام والصوم ففيه نبو عما في الآية الا ترى الى قوله او كفارة طعام مساكين او عدل ذلك صياما كيف خير بين الاشياء الثلثة ولا سبيل الى ذلك الا بالتقويم وقرأ عبد الله فجزاؤه مثل ما قتل وقرئ فجزاء مثل ما قتل على الاضافة واصله فجزاء مثل ما قتل بنصب مثل بمعنى فعليه ان يجزي مثل ما قتل ثم اضيف كما تقول عجبت من ضرب زيدا ثم من ضرب زيد وقرأ السلمي على الاصل وقرأ محمد بن مقاتل فجزاء مثل ما قتل بنصبهما بمعنى فليجز جزاء مثل ما قتل وقرأ الحسن من النعم بسكون العين استثقل الحركة على حرف الحلق فسكنه يحكم به بمثل ما قتل ذوا عدل منكم حكمان عادلان من المسلمين قالوا وفيه دليل على ان المثل القيمة لان التقويم مما يحتاج الى النظر والاجتهاد دون الاشياء المشاهدة وعن قبيصة انه اصاب ظبيا وهو محرم فسأل عمر رضي الله عنه فشاور عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ثم امره بذبح شاة فقال قبيصة لصاحبه والله ما علم امير المؤمنين حتى سأل غيره فاقبل عليه ضربا بالدرة وقال اتغمص الفتيا وتقتل الصيد وانت محرم قال الله تعالى يحكم به ذوا عدل منكم فانا عمر وهذا عبد الرحمن وقرأ محمد بن جعفر ذو عدل منكم اراد يحكم به من يعدل منكم ولم يرد الوحدة وقيل اراد الامام هديا حال عن جزاء فيمن وصفه بمثل لان الصفة خصصته فقربته من المعرفة او بدل عن مثل فيمن نصبه او عن محله فيمن جره ويجوز ان ينتصب حالا عن الضمير في به ووصف هديا ببالغ الكعبة لان اضافته غير حقيقية ومعنى بلوغه الكعبة ان يذبح بالحرم فاما التصدق به فحيث شئت عند ابي حنيفة رحمه الله تعالى وعند الشافعي رحمه الله تعالى في الحرم **فان قلت** بم يرفع كفارة من ينصب جزاء **قلت** يجعلها خبر مبتدأ محذوف كانه قيل او الواجب عليه كفارة او يقدر فعليه ان يجزي جزاء او كفارة فيعطفها على ان يجزي وقرئ او كفارة طعام مساكين على الاضافة وهذه الاضافة مبينة كانه قيل او كفارة من طعام مساكين كقولك خاتم فضة بمعنى خاتم من فضة وقرأ الاعرج او كفارة طعام مسكين وانما وحد لانه واقع موقع التبيين فاكتفى بالواحد الدال على الجنس وقرئ او عدل ذلك بكسر العين والفرق بينهما ان عدل الشيء ما عادله من غير جنسه كالصوم والاطعام وعدله ما عدل به في المقدار ومنه عدلا الحمل لان كل واحد منهما عدل بالآخر حتى اعتدلا كان المفتوح تسمية بالمصدر والمكسور بمعنى المفعول به كالذبح ونحوه ونحوهما الحمل والحمل وذلك اشارة الى الطعام وصياما تمييز للعدل كقولك لي مثله رجلا والخيار في ذلك الى قاتل الصيد عند ابي حنيفة وعند محمد الى الحكمين ليذوق متعلق بقوله فجزاء اي فعليه ان يجازي او يكفر ليذوق سوء عاقبة هتكه لحرمة الاحرام والوبال المكروه والضرر الذي ينال في العاقبة من عمل سوء لثقله عليه ومنه قوله تعالى فاخذناه اخذا وبيلا ثقيلا والطعام الوبيل الذي يثقل على المعدة فلا يستمرأ عفا الله عما سلف لكم من الصيد في حال الاحرام قبل ان تراجعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسألوه عن جوازه وقيل عما سلف لكم في الجاهلية منه لانهم كانوا متعبدين بشرائع من قبلهم وكان الصيد فيها محرما ومن عاد الى قتل الصيد وهو محرم بعد نزول النهي عنه فينتقم الله منه ينتقم خبر مبتدأ محذوف تقديره فهو ينتقم الله منه ولذلك دخلت الفاء ونحوه فمن يؤمن بربه فلا يخاف يعني ينتقم منه في الآخرة واختلف في وجوب الكفارة على العائد فعن عطاء وابراهيم وسعيد بن جبير والحسن وجوبها وعليه عامة العلماء وعن ابن عباس وشريح انه لا كفارة عليه تعلقا بالظاهر وانه لم يذكر الكفارة

احل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما واتقوا الله الذي اليه تحشرون

صيد البحر مصيدات البحر مما يؤكل ومما لا يؤكل وطعامه وما يطعم من صيده والمعنى احل لكم الانتفاع بجميع ما يصاد في البحر واحل لكم اكل المأكول منه وهو السمك وحده عند ابي حنيفة وعند ابن ابي ليلى جميع ما يصاد منه على ان تفسير الآية عنده احل لكم صيد حيوان البحر وان تطعموه متاعا لكم مفعول له اي

التقمص المستفتى والاستفتاء

احل لكم تمتيعا لكم وهو في المفعول له بمنزلة قوله تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة في باب الحال لان قوله متاعا لكم مفعول له
مختص بالطعام كما ان نافلة حال مختصة بيعقوب يعني احل لكم طعامه تمتيعا لتنائكم يأكلونه طريا ولسيارتكم يتزودونه
قديدا كما تزود موسى عليه السلام الحوت في مسيره الى الخضر وقرئ وطعمه وصيد البر ما صيد فيه وهو ما يفرخ فيه وان كان
يعيش في الماء في بعض الاوقات كطير الماء عند ابي حنيفة رحمه الله تعالى واختلف فيه فمنهم من حرم على المحرم
كل شيء يقع عليه اسم الصيد وهو قول عمر وابن عباس رضي الله عنهم وعن ابي هريرة وعطاء ومجاهد وسعيد بن جبير انهم
اجازوا للمحرم اكل ما صاده الحلال وان صاده لاجله اذا لم يدل ولم يشر وكذلك ما ذبحه قبل احرامه وهو مذهب ابي حنيفة واصحابه
رحمهم الله تعالى وعند مالك والشافعي واحمد رحمهم الله تعالى لا يباح له ما صيد لاجله **فان قلت** ما يصنع ابو حنيفة
بعموم قوله صيد البر **قلت** قد اخذ ابو حنيفة رح بالمفهوم من قوله وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما لان ظاهره
انه صيد المحرمين دون صيد غيرهم لانهم هم المخاطبون فكأنه قيل وحرم عليكم ما صدتم في البر فيخرج منه مصيد غيرهم ومصيدهم
حين كانوا غير محرمين ويدل عليه قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما
وحرم عليكم صيد البر اي الله عز وجل وقرئ ما دمتم بكسر الدال فيمن يقول دام يدام **جعل الله الكعبة البيت
الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدي والقلائد ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما في
السموات وما في الارض وان الله بكل شيء عليم** البيت الحرام عطف بيان على جهة المدح لا على
جهة التوضيح كما تجيء الصفة كذلك قياما للناس انتعاشا لهم في امر دينهم ودنياهم ونهوضا الى اغراضهم ومقاصدهم
في معاشهم ومعادهم لما يتم لهم من امر حجهم وعمرتهم وتجارتهم وانواع منافعهم وعن عطاء بن ابي رباح لو تركوه عاما
واحدا لم ينظروا ولم يؤخروا والشهر الحرام الذي يؤدى فيه الحج وهو ذو الحجة لان لاختصاصه من بين الاشهر
باقامة موسم الحج فيه شأنا قد عرفه الله وقيل عني به جنس الاشهر الحرم والهدي والقلائد والمقلد منه خصوصا وهو البدن
لان الثواب فيه اكثر وبهاء الحج معه اظهر ذلك اشارة الى جعل الكعبة قياما للناس او الى ما ذكر من حفظ حرمة الاحرام
بترك الصيد وغيره لتعلموا ان الله يعلم كل شيء وهو عالم بما يصلحكم وينعشكم مما امركم به وكلفكم **اعلموا ان الله
شديد العقاب وان الله غفور رحيم ما على الرسول الا البلاغ والله يعلم ما تبدون
وما تكتمون** شديد العقاب لمن انتهك محارمه غفور رحيم لمن حافظ عليها ما على الرسول الا البلاغ تشديد في
ايجاب القيام بما امر به وان الرسول قد فرغ مما وجب عليه من التبليغ وقامت عليكم الحجة ولزمتكم الطاعة فلا عذر لكم
في التفريط **قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو اعجبك كثرة الخبيث فاتقوا الله يا اولي
الالباب لعلكم تفلحون** البون بين الخبيث والطيب بعيد عند الله تعالى وان كان قريبا عندكم فلا تعجبوا
بكثرة الخبيث حتى تؤثروه لكثرته على الطيب القليل فان ما تتوهمونه في الكثرة من الفضل لا يوازي النقصان في
الخبث وفوات الطيب وهو عام في حلال المال وحرامه وصالح العمل وطالحه وصحيح المذاهب وفاسدها وجيد الناس
ورديهم فاتقوا الله وآثروا الطيب وان قل على الخبيث وان كثر ومن حق هذه الآية ان تكفح بها وجوه المجبرة اذا افتخروا
بالكثرة • وكاثر بسعد ان سعدا كثيرة • ولا ترج من سعد وفاء ولا نصرا • لا يدهمنك من دهمائهم عدد • فان جلهم
بل كلهم همج • وقيل نزلت في حجاج اليمامة حين اراد المسلمون ان يوقعوا بهم فنهوا عن الايقاع بهم وان كانوا
مشركين **يا ايها الذين آمنوا لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم وان تسألوا عنها
حين ينزل القرآن تبد لكم عفا الله عنها والله غفور حليم قد سألها قوم من قبلكم
ثم اصبحوا بها كافرين** الجملة الشرطية والمعطوفة عليها اعني قوله ان تبد لكم تسؤكم وان تسألوا عنها حين ينزل
القرآن تبد لكم صفة لاشياء والمعنى لا تكثروا مسألة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تسألوه عن تكاليف شاقة
عليكم ان افتاكم بها وكلفكم اياها تغمكم وتشق عليكم وتندموا على السؤال عنها وذلك كما روي ان سراقة بن مالك او
عكاشة بن محصن قال يا رسول الله الحج علينا كل عام فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اعاد مسألته ثلث مرات فقال
صلى الله عليه وسلم ويحك وما يؤمنك ان اقول نعم والله لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت ما استطعتم ولو تركتم لكفرتم فاتركوني
ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على انبيائهم فاذا امرتكم بامر فخذوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم

تنأ بالمكان اي اقام وتنأت
بالبلد تنوءا قطنته ومنه تناء
البلد جمع تانئ ق

عن شيء فاجتنبوه وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن وان تسألوا عن هذه التكاليف الصعبة التي تسؤكم ولم تؤمروا
بتحملها فتعرضون انفسكم لغضب الله تعالى بالتفريط فيها عفا الله عنها عفا الله عما سلف من مسألتكم فلا تعودوا الى
مثلها والله غفور حليم لا يعاجلكم فيما يفرط منكم بعقوبته **فان قلت** كيف قال لا تسألوا عن اشياء ثم قال
قد سألها ولم يقل سأل عنها **قلت** الضمير في سألها ليس براجع الى اشياء حتى يجب تعديته بعن وانما هو راجع الى
المسألة التي دل عليها لا تسألوا يعني قد سأل هذه المسألة قوم من الاولين ثم اصبحوا بها اي بمرجوعها او بسببها كافرين
وذلك ان بني اسرائيل كانوا يستفتون انبياءهم عن اشياء فاذا امروا بها تركوها فهلكوا **ما جعل الله
من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب
واكثرهم لا يعقلون** كان اهل الجاهلية اذا نتجت الناقة خمسة ابطن آخرها ذكر بحروا اذنها اي شقوها
وحرموا ركوبها ولا تطرد عن ماء ولا مرعى واذا لقيها المعيي لم يركبها واسمها البحيرة وكان يقول الرجل اذا قدمت من
سفري او برئت من مرضي فناقتي سائبة وجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها وقيل كان الرجل اذا اعتق عبدا قال
هو سائبة فلا عقل بينهما ولا ميراث واذا ولدت الشاة انثى فهي لهم وان ولدت ذكرا فهو لآلهتهم فان ولدت ذكرا
وانثى قالوا وصلت اخاها فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم واذا نتجت من صلب الفحل عشرة ابطن قالوا قد حمي ظهره فلا يركب
ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى ومعنى ما جعل ما شرع ذلك ولا امر بالتبحير والتسييب وغير ذلك ولكنهم بتحريمهم
يفترون على الله الكذب واكثرهم لا يعقلون فلا ينسبون التحريم الى الله حتى يفتروا ولكنهم يقلدون في تحريمها كبارهم
**واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا
اولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون** الواو في قوله اولو كان آباؤهم واو الحال قد دخلت
عليها همزة الانكار وتقديره احسبهم ذلك ولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون والمعنى ان الاقتداء انما يصح
بالعالم المهتدي وانما يعرف اهتداؤه بالحجة **يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من
ضل اذا اهتديتم الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون** كان المؤمنون تذهب
انفسهم حسرة على اهل العتو والعناد من الكفرة يتمنون دخولهم في الاسلام فقيل لهم عليكم انفسكم وما كلفتم من اصلاحها
والمشي بها في طرق الهدى لا يضركم الضلال عن دينكم اذا كنتم مهتدين كما قال عز وجل لنبيه عليه الصلوة والسلام فلا تذهب
نفسك عليهم حسرات وكذلك من يتأسف على ما فيه الفسقة من الفجور والمعاصي ولا يزال يذكر معايبهم ومناكيرهم فهو
مخاطب به وليس المراد ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فان من تركهما مع القدرة عليهما فليس بمهتد وانما هو بعض الضلال
الذين فصلت الآية بينهم وبينه وعن ابن مسعود رضي الله عنه انها قرئت عنده فقال ان هذا ليس بزمانها انها
اليوم مقبولة ولكن يوشك ان يأتي زمان تأمرون فلا يقبل منكم فحينئذ عليكم انفسكم فهي على هذا تسلية لمن يأمر وينهى
فلا يقبل منه وبسط لعذره وعنه ليس هذا زمان تأويلها قيل فمتى قال اذا جعل دونها السيف والسوط والسجن
وعن ابي ثعلبة الخشني انه سئل عن ذلك فقال للسائل سألت عنها خبيرا سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها فقال
ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى اذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك
نفسك ودع امر العوام وان من ورائكم اياما الصبر فيهن كقبض على الجمر للعامل منهم مثل اجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله
وقيل كان الرجل اذا اسلم قالوا له سفهت آباءك ولاموه فنزلت عليكم انفسكم عليكم من اسماء الفعل بمعنى الزموا
اصلاح انفسكم ولذلك جزم جوابه وعن نافع عليكم انفسكم بالرفع وقرئ لا يضركم وفيه وجهان ان يكون خبرا مرفوعا
وتنصره قراءة ابي حيوة لا يضيركم وان يكون جوابا للامر مجزوما وانما ضمت الراء اتباعا لضمة الضاد المنقولة اليها من
الراء المدغمة والاصل لا يضرركم ويجوز ان يكون نهيا ولا يضركم بكسر الضاد وضمها من ضاره يضيره ويضوره
**يا ايها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم
او آخران من غيركم ان انتم ضربتم في الارض فاصابتكم مصيبة الموت تحبسونهما من بعد
الصلوة فيقسمان بالله ان ارتبتم لا نشتري به ثمنا ولو كان ذا قربى ولا نكتم شهادة
الله انا اذا لمن الآثمين** ارتفع اثنان على انه خبر للمبتدأ الذي هو شهادة بينكم على تقدير شهادة بينكم شهادة اثنين

او على انه فاعل شهادة بينكم على معنى فيما فرض عليكم ان يشهد اثنان وقرأ الشعبي شهادةٌ بينكم بالتنوين وقرأ الحسن
شهادةً بالنصب والتنوين على ليقم شهادةً اثنان واذا حضر ظرف للشهادة وحين الوصية بدل منه وفي ابداله منه دليل
على وجوب الوصية وانها من الامور اللازمة التي ما ينبغي ان يتهاون بها المسلم ويذهل عنها وحضور الموت مشارفته
وظهور امارات بلوغ الاجل منكم من اقاربكم من غيركم من الاجانب ان انتم ضربتم في الارض يعني ان وقع الموت في
السفر ولم يكن معكم احد من عشيرتكم فاستشهدوا اجنبيين على الوصية وجعل الاقارب اولى لانهم اعلم باحوال الميت
وبما هو اصلح وهم له انصح وقيل منكم من المسلمين ومن غيركم من اهل الذمة وقيل هو منسوخ لا تجوز شهادة الذمي
على المسلم وانما جازت في اول الاسلام لقلة المسلمين وتعذر وجودهم في حال السفر • وعن مكحول نسخها قوله
واشهدوا ذوي عدل منكم • وروي انه خرج بديل بن ابي مريم مولى عمرو بن العاص وكان من المهاجرين مع عدي بن زيد
وتميم بن اوس وكانا نصرانيين تجاراً الى الشام فمرض بديل وكتب كتاباً فيه ما معه وطرحه في متاعه ولم يخبر صاحبيه
وامرهما ان يدفعا متاعه الى اهله ومات ففتشا متاعه فاخذا اناءً من فضة فيه ثلثمائة مثقال منقوشاً بالذهب
فغيباه فاصاب اهل بديل الصحيفة فطالبوهما بالاناء فجحدا فرفعوهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت تحبسونهما
وتقفونهما وتصبرونهما للحلف من بعد الصلوة من بعد صلوة العصر لانه وقت اجتماع الناس وعن الحسن بعد العصر او
الظهر لان اهل الحجاز كانوا يقعدون للحكومة بعدها • وفي حديث بديل انها لما نزلت صلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم صلوة العصر ودعا بعدي وتميم فاستحلفهما عند المنبر فحلفا ثم وجد الاناء بمكة فقالوا انا اشتريناه من
تميم وعدي • وقيل هي صلوة اهل الذمة وهم يعظمون صلوة العصر ان ارتبتم اعتراض بين القسم والمقسم عليه والمعنى
ان ارتبتم في شانهما واتهمتموهما فحلفوهما وقيل ان اريد بهما الشاهدان فقد نسخ تحليف الشاهدين وان
اريد الوصيان فليس بمنسوخ تحليفهما • وعن علي رضي الله عنه انه كان يحلف الشاهد والراوي اذا اتهمهما والضمير
في به للقسم وفي كان للمقسم له يعني لا نستبدل بصحة القسم بالله عرضاً من الدنيا اي لا نحلف بالله كاذبين لاجل المال ولو
كان من نقسم له قريباً منا على معنى ان هذه عادتهم في صدقهم وامانتهم ابداً وانهم داخلون تحت قوله تعالى كونوا قوامين
بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين شهادة الله اي الشهادة التي امر الله بحفظها وتعظيمها
وعن الشعبي انه وقف على شهادة ثم ابتدأ آلله بالمد على طرح حرف القسم وتعويض حرف الاستفهام منه وروي
عنه بغير مد على ما ذكر سيبويه ان منهم من يحذف حرف القسم ولا يعوض منه همزة الاستفهام فيقول الله لقد كان كذا وقرئ
لملاثمين بحذف الهمزة وطرح حركتها على اللام وادغام نون من فيها كقوله تعالى عاد لولى فان قلت ما موقع
تحبسونهما قلت هو استئناف كلام كانه قيل بعد اشتراط العدالة فيهما فكيف نعمل ان ارتبنا بهما فقيل تحبسونهما
فان قلت كيف فسرت الصلوة بصلوة العصر وهي مطلقة قلت لما كانت معروفة عندهم بالتحليف
بعدها اغنى عن التقييد كما لو قلت في بعض ائمة الفقه اذا صلى اخذ في الدرس علم انها صلوة الفجر ويجوز ان تكون اللام
للجنس وان يقصد بالتحليف على اثر الصلوة ان تكون الصلوة لطفاً في النطق بالصدق وناهية عن الكذب والزور ان الصلوة
تنهى عن الفحشاء والمنكر • فان عثر على انهما استحقا اثماً فآخران يقومان مقامهما من الذين
استحق عليهم الاوليان فيقسمان بالله لشهادتنا احق من شهادتهما وما اعتدينا انا
اذاً لمن الظالمين • فان عثر فان اطلع على انهما استحقا اثماً اي فعلا ما اوجب اثماً واستوجبا ان يقال انهما لمن
الآثمين فآخران فشاهدان آخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم اي من الذين استحق عليهم الاثم ومعناه من الذين
جني عليهم وهم اهل الميت وعشيرته • وفي قصة بديل لما ظهرت خيانة الرجلين حلف رجلان من ورثته انه اناء
صاحبهما وان شهادتهما احق من شهادتهما والاوليان الاحقان بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما وارتفاعهما على
الاوليان كانه قيل ومن هما فقيل الاوليان وقيل هما بدل من الضمير في يقومان او من آخران ويجوز ان يرتفعا باستحق اي
من الذين استحق عليهم انتداب الاوليين منهم للشهادة لاطلاعهم على حقيقة الحال وقرئ الاولين على انه وصف للذين
استحق عليهم مجرور او منصوب على المدح ومعنى الاولية التقدم على الاجانب في الشهادة لكونهم احق بها وقرئ الاولين
على التثنية وانتصابه على المدح وقرأ الحسن الاولان ويحتج به من يرى رد اليمين على المدعي وابو حنيفة

واصحابه لا يرون ذلك فوجهه عندهم ان الورثة قد ادعوا على النصرانيين انهما قد اختانا فحلفا فلما ظهر كذبهما ادعيا
الشرى فيما كتما فانكر الورثة فكانت اليمين على الورثة لانكارهم الشرى فان قلت فما وجه قراءة من قرأ استحق عليهم
الاوليان على البناء للفاعل وهو علي وابي وابن عباس رضي الله عنهم قلت معناه من الورثة الذين استحق عليهم
الاوليان من بينهم بالشهادة ان يجردوهما للقيام بالشهادة ويظهروا بهما كذب الكاذبين • ذلك ادنى ان
يأتوا بالشهادة على وجهها او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم واتقوا الله واسمعوا
والله لا يهدي القوم الفاسقين • ذلك الذي تقدم من بيان الحكم ادنى ان يأتي الشهداء على نحو
تلك الحادثة بالشهادة على وجهها او يخافوا ان ترد ايمان اي تكرر ايمان شهود آخرين بعد ايمانهم فيفتضحوا بظهور كذبهم
كما جرى في قصة بديل واسمعوا سمع اجابة وقبول • يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا
لا علم لنا انك انت علام الغيوب • يوم يجمع بدل من المنصوب في قوله واتقوا الله وهو من بدل الاشتمال
كانه قيل واتقوا الله يوم جمعه او ظرف لقوله لا يهدي اي لا يهديهم طريق الجنة يومئذ كما يفعل بغيرهم او ينصب باضمار اذكر
او يوم يجمع الله الرسل كان كيت وكيت وماذا منتصب باجبتم انتصاب مصدره على معنى اي اجابة اجبتم ولو اريد الجواب
لقيل بماذا اجبتم فان قلت ما معنى سؤالهم قلت توبيخ قومهم كما كان سؤال الموؤدة توبيخاً للوائد
فان قلت فكيف يقولون لا علم لنا وقد علموا بم اجيبوا قلت يعلمون ان الغرض بالسؤال توبيخ اعدائهم
فيكلون الامر الى علمه واحاطته بما منوا به منهم وكابدوا من سوء اجابتهم اظهاراً للتشكي واللجأ الى ربهم في الانتقام منهم
وذلك اعظم على الكفرة وافت في اعضادهم واجلب لحسرتهم وسقوطهم في ايديهم اذا اجتمع توبيخ الله وتشكي انبيائه عليهم
ومثاله ان ينكب بعض الخوارج على السلطان خاصة من خواصه نكبة قد عرفها السلطان واطلع على كنهها وعزم على الانتصار
له منه فيجمع بينهما ويقول له ما فعل بك هذا الخارجي وهو عالم بما فعل به يريد توبيخه وتبكيته فيقول له انت اعلم بما فعل بي تفويضاً للامر
الى علم سلطانه واتكالاً عليه واظهاراً للشكاية وتعظيماً لما حل به منه • وقيل من هول ذلك اليوم يفزعون ويذهلون عن الجواب
ثم يجيبون بعدما تثوب اليهم عقولهم بالشهادة على اممهم • وقيل معناه علمنا ساقط مع علمك ومغمور به لانك علام الغيوب
ومن علم الخفيات لم تخف عليه الظواهر التي منها اجابة الامم لرسلهم فكانه لا علم لنا الى جنب علمك • وقيل لا علم لنا بما كان
منهم بعدنا وانما الحكم للخاتمة وكيف يخفى عليهم امرهم وقد رأوهم سود الوجوه زرق العيون موبخين وقرئ علام الغيوب بالنصب على
ان الكلام قد تم بقوله انك انت اي انك الموصوف باوصافك المعروفة من العلم وغيره ثم نصب علام الغيوب على الاختصاص او على النداء
او هو صفة لاسم ان • اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك اذ ايدتك
بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلاً واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل
واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني فتنفخ فيها فتكون طيراً باذني وتبرئ الاكمه والابرص
باذني واذ تخرج الموتى باذني واذ كففت بني اسرائيل عنك اذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا
منهم ان هذا الا سحر مبين • اذ قال الله بدل من يوم يجمع والمعنى انه يوبخ الكافرين يومئذ بسؤال الرسل عن اجابتهم
وبتعديد ما اظهر على ايديهم من الآيات العظام فكذبوهم وسموهم سحرة او جاوزوا حد التصديق الى ان اتخذوهم آلهة كما قال
بعض بني اسرائيل فيما اظهر على يد عيسى من البينات هذا سحر مبين واتخذه بعضهم وامه الهين ايدتك قويتك وقرئ آيدتك
على افعلتك بروح القدس بالكلام الذي يحيى به الدين واضافه الى القدس لانه سبب الطهر من اوضار الآثام والدليل عليه قوله
تكلم الناس وفي المهد في موضع الحال لان المعنى تكلمهم طفلاً وكهلاً الا ان في المهد فيه دليل على حد من الطفولة • وقيل روح القدس
جبرائيل عليه السلام ايد به لتثبيت الحجة فان قلت ما معنى قوله في المهد وكهلاً قلت معناه تكلمهم في هاتين
الحالتين من غير ان يتفاوت كلامك في حين الطفولة وحين الكهولة التي هي وقت كمال العقل وبلوغ الاشد والحد الذي
يستنبأ فيه الانبياء والتوراة والانجيل خصا بالذكر مما تناوله الكتاب والحكمة لان المراد بهما جنس الكتاب والحكمة وقيل الكتاب الخط
والحكمة الكلام المحكم الصواب كهيئة الطير هيئة مثل هيئة الطير باذني بتسهيلي فتنفخ فيها الضمير للكاف لانها صفة الهيئة
التي كان يخلقها عيسى وينفخ فيها ولا يرجع الى الهيئة المضاف اليها لانها ليست من خلقه ولا من نفخه في شيء وكذلك الضمير في فتكون
تخرج الموتى تخرجهم من القبور وتبعثهم • قيل اخرج سام بن نوح ورجلين وامرأة وجارية • واذ كففت بني اسرائيل عنك

يعني اليهود حين هموا بقتله وقيل لما قال الله تعالى لعيسى اذكر نعمتي عليك كان يلبس الشعر ويأكل الشجر ولا يدخر شيئا لغد يقول مع كل يوم رزقه لم يكن له بيت فيخرب ولا ولد فيموت اينما امسى بات واذ اوحيت الى الحواريين ان آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد باننا مسلمون اوحيت الى الحواريين امرتهم على ألسنة الرسل مسلمون مخلصون من اسلم وجهه لله اذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله ان كنتم مؤمنين عيسى في محل النصب على اتباع حركة الابن كقولك يا زيد بن عمرو وهي اللغة الفاشية ويجوز ان يكون مضموما كقولك يا زيد بن عمرو والدليل عليه قوله أحار بن عمرو كأني خمر لان الترخيم لا يكون الا في المضموم فان قلت كيف قالوا هل يستطيع ربك بعد ايمانهم واخلاصهم قلت ما وصفهم الله تعالى بالايمان والاخلاص وانما حكى ادعاءهم لهما ثم اتبعه قوله اذ قالوا فآذن ان دعواهم كانت باطلة وانهم كانوا شاكين وقوله هل يستطيع ربك كلام لا يرد مثله عن مؤمنين معظمين لربهم وكذلك قول عيسى عليه السلام لهم معناه اتقوا الله ولا تشكوا في اقتداره واستطاعته ولا تقترحوا عليه ولا تحكموا ما تشتهون من الآيات فتهلكوا اذا عصيتموه بعدها ان كنتم مؤمنين ان كانت دعواكم للايمان صحيحة وقرئ هل تستطيع ربك اي هل تستطيع سؤال ربك والمعنى هل تسأله ذلك من غير صارف يصرفك عن سؤاله والمائدة الخوان اذا كان عليه الطعام وهي من ماده اذا اعطاه ورفده كانها تميد من تقدم اليه قالوا نريد ان ناكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم ان قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين ونكون عليها من الشاهدين نشهد عليها عند الذين لم يحضروها من بني اسرائيل او نكون من الشاهدين لله بالوحدانية ولك بالنبوة عاكفين عليها على ان عليها في موضع الحال وكانت دعواهم لارادة ما ذكروا كدعواهم للايمان والاخلاص وانما سأل عيسى واجيب ليلزموا الحجة بكمالها ويرسل عليهم العذاب اذا خالفوا وقرئ ويعلم بالياء على البناء للمفعول وتعلم وتكون بالتاء والضمير للقلوب قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لاولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وانت خير الرازقين قال الله اني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه عذابا لا اعذبه احدا من العالمين اللهم اصله يا الله فحذف حرف النداء وعوضت منه الميم وربنا نداء ثان تكون لنا عيدا اي يكون يوم نزولها عيدا قيل هو يوم الاحد ومن ثم اتخذه النصارى عيدا وقيل العيد السرور العائد ولذلك يقال يوم عيد فكان معناه تكون لنا سرورا وفرحا وقرأ عبد الله تكن على جواب الامر ونظيرهما يرثني ويرثني لاولنا وآخرنا بدل من لنا بتكرير العامل اي لمن في زماننا من اهل ديننا ولمن يأتي بعدنا وقيل يأكل منها آخر الناس كما يأكل اولهم ويجوز للمقدمين منا والاتباع وفي قراءة زيد لاولانا واخرانا والتانيث بمعنى الامة والجماعة عذابا بمعنى تعذيبا والضمير في لا اعذبه للمصدر ولو اريد بالعذاب ما يعذب به لم يكن بد من الباء روي ان عيسى عليه السلام لما اراد الدعاء لبس صوفا ثم قال اللهم انزل علينا فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين غمامة فوقها واخرى تحتها وهم ينظرون اليها حتى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة وعقوبة وقال لهم ليقم احسنكم عملا يكشف عنها ويذكر اسم الله عليها ويأكل منها فقال شمعون رأس الحواريين انت اولى بذلك فقام عيسى فتوضأ وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك تسيل دسما وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من الوان البقول ما خلا الكراث واذا خمسة ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله امن طعام الدنيا ام من طعام الآخرة قال ليس منهما ولكنه شيء اخترعه الله تعالى بالقدرة العالية كلوا ما سألتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله فقال الحواريون يا روح الله لو اريتنا من هذه الآية آية اخرى فقال يا سمكة احيي باذن الله فاضطربت ثم قال لها عودي كما كنت فعادت مشوية ثم طارت المائدة ثم عصوا بعدها فمسخوا قردة وخنازير وروي انهم لما سمعوا بالشريطة وهي قوله فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه قالوا لا نريد فلم تنزل فقال الحسن والله ما نزلت ولو نزلت لكانت عيدا الى يوم القيمة لقوله وآخرنا والصحيح انها نزلت واذ قال الله يا عيسى ابن مريم أانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي

ولا اعلم ما في نفسك انك انت علام الغيوب سبحانك من ان يكون لك شريك ما يكون ما ينبغي لي ان اقول قولا لا يحق لي ان اقوله في نفسي في قلبي والمعنى تعلم معلومي ولا اعلم معلومك ولكنه سلك بالكلام طريق المشاكلة وهو من فصيح الكلام وبينه فقيل في نفسك لقوله في نفسي انك انت علام الغيوب تقرير للجملتين معا لان ما انطوت عليه النفوس من جملة الغيوب ولان ما يعلمه علام الغيوب لا ينتهي اليه علم احد ما قلت لهم الا ما امرتني به ان اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم وانت على كل شيء شهيد ان في قوله ان اعبدوا الله ان جعلتها مفسرة لم يكن لها بد من مفسر والمفسر اما فعل القول واما فعل الامر وكلاهما لا وجه له اما فعل القول فيحكي بعده الكلام من غير ان يتوسط بينهما حرف التفسير لا تقول ما قلت لهم الا ان اعبدوا الله ولكن ما قلت لهم الا اعبدوا الله واما فعل الامر فمسند الى ضمير الله عز وجل فلو فسرته باعبدوا الله ربي وربكم لم يستقم لان الله لا يقول اعبدوا الله ربي وربكم وان جعلتها موصولة بالفعل لم تخل من ان تكون بدلا من ما امرتني به او من الهاء في به وكلاهما غير مستقيم لان البدل هو الذي يقوم مقام المبدل منه ولا يقال ما قلت لهم الا ان اعبدوا الله بمعنى ما قلت لهم الا عبادته لان العبادة لا تقال وكذلك اذا جعلته بدلا من الهاء لانك لو اقمت ان اعبدوا الله مقام الهاء فقلت الا ما امرتني بان اعبدوا الله لم يصح لبقاء الموصول بغير راجع اليه من صلته فان قلت فكيف يصنع قلت يحمل فعل القول على معناه لان معنى ما قلت لهم الا ما امرتني به ما امرتهم الا بما امرتني به حتى يستقيم تفسيره بان اعبدوا الله ربي وربكم ويجوز ان تكون موصولة عطف بيان للهاء لا بدلا وكنت عليهم شهيدا رقيبا كالشاهد على المشهود عليه امنعهم من ان يقولوا ذلك ويتدينوا به فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم تمنعهم من القول به بما نصبت لهم من الادلة وانزلت عليهم من البينات وارسلت اليهم من الرسل ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم ان تعذبهم فانهم عبادك الذين عرفتهم عاصين جاحدين لآياتك مكذبين لانبيائك وان تغفر لهم فانك انت العزيز القوي القادر على الثواب والعقاب الحكيم الذي لا يثيب ولا يعاقب الا عن حكمة وصواب فان قلت المغفرة لا تكون للكفار فكيف قال وان تغفر لهم قلت ما قال انك تغفر لهم ولكنه بنى الكلام على ان فقال ان عذبتهم عدلت لانهم احقاء بالعذاب وان غفرت لهم مع كفرهم لم تعدم في المغفرة وجه حكمة لان المغفرة حسنة لكل مجرم في المعقول بل متى كان المجرم اعظم جرما كان العفو عنه احسن قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم قرئ هذا يوم ينفع بالرفع والاضافة وبالنصب اما على انه ظرف لقال واما على ان هذا مبتدأ والظرف خبر ومعناه هذا الذي ذكرنا من كلام عيسى واقع يوم ينفع ولا يجوز ان يكون فتحا كقوله يوم لا تملك لانه مضاف الى متمكن وقرأ الاعمش يوم ينفع بالتنوين كقوله واتقوا يوما لا تجزي فان قلت ما معنى قوله ينفع الصادقين صدقهم ان اريد صدقهم في الآخرة فليست الآخرة بدار عمل وان اريد صدقهم في الدنيا فليس بمطابق لما ورد فيه لانه في معنى الشهادة لعيسى عليه السلام بالصدق فيما يجيب به يوم القيمة قلت معناه الصدق المستمر بالصادقين في دنياهم وآخرتهم وعن قتادة متكلمان تكلما يوم القيمة اما ابليس فقال ان الله وعدكم وعد الحق فصدق يومئذ وكان قبل ذلك كاذبا فلم ينفعه صدقه واما عيسى فكان صادقا في الحيوة وبعد الممات فنفعه صدقه لله ملك السموات والارض وما فيهن وهو على كل شيء قدير فان قلت في السموات والارض العقلاء وغيرهم فهلا غلب العقلاء فقيل ومن فيهن قلت ما يتناول الاجناس كلها تناولا عاما الا تراك تقول اذا رأيت شبحا من بعيد ما هو قبل ان تعرف اعاقل هو ام غيره فكان اولى بارادة العموم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المائدة اعطي من الاجر عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات بعدد كل يهودي ونصراني تنفس في الدنيا

سورة الانعام مكية

وعن ابن عباس رضي الله عنهما غير ست آيات وهي مائة وخمس وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون جعل تعدى الى مفعول واحد اذا كان

بمعنى احدث وانشا كقوله تعالى وجعل الظلمات والنور والى مفعولين اذا كان بمعنى صير كقوله تعالى وجعلوا الملائكة
الذين هم عباد الرحمن اناثا والفرق بين الخلق والجعل ان الخلق فيه معنى التقدير وفي الجعل معنى التصيير كانشاء شيء من شيء
او تصيير شيء شيئا او نقله من مكان الى مكان ومن ذلك وجعل منها زوجها وجعل الظلمات والنور لان الظلمات
من الاجرام المتكاثفة والنور من النار وجعلناكم ازواجا اجعل الآلهة الها واحدا **فان قلت** لم افرد النور
قلت للقصد الى الجنس كقوله والملك على ارجائها او لان الظلمات كثيرة لانه ما من جنس من الاجرام الا وله ظل
وظله هو الظلمة بخلاف النور فانه من جنس واحد وهو النار **فان قلت** علام عطف قوله ثم الذين كفروا بربهم
يعدلون **قلت** اما على قوله الحمد لله على معنى ان الله حقيق بالحمد على ما خلق لانه ما خلقه الا نعمة ثم الذين كفروا بربهم يعدلون
فيكفرون نعمته واما على قوله خلق السموات على معنى انه خلق ما خلق مما لا يقدر عليه احد سواه ثم هم يعدلون به ما لا يقدر
على شيء منه **فان قلت** فما معنى ثم **قلت** استبعاد ان يعدلوا به بعد وضوح آيات قدرته وكذلك ثم انتم
تمترون استبعاد لان يمتروا فيه بعد ما ثبت انه محييهم ومميتهم وباعثهم • هو الذي خلقكم من طين ثم قضى
اجلا واجل مسمى عنده ثم انتم تمترون • ثم قضى اجلا اجل الموت واجل مسمى عنده اجل القيمة وقيل الاجل
الاول ما بين ان يخلق الى ان يموت والثاني ما بين الموت والبعث وهو البرزخ وقيل الاول النوم والثاني الموت **فان قلت**
المبتدأ النكرة اذا كان خبره ظرفا وجب تأخيره فلم جاز تقديمه في قوله واجل مسمى عنده **قلت** لانه تخصص بالصفة فقارب
المعرفة كقوله ولعبد مؤمن خير من مشرك **فان قلت** الكلام السائر ان يقال عندي ثوب جيد ولي عبد كيس وما اشبه
ذلك فما اوجب التقديم **قلت** اوجبه ان المعنى واي اجل مسمى عنده تعظيما لشان الساعة فلما جرى فيه هذا المعنى وجب
التقديم • وهو الله في السموات وفي الارض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون • في السموات
متعلق بمعنى اسم الله كانه قيل وهو المعبود فيها ومنه قوله تعالى وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله او هو المعروف بالالهية
او هو الذي يقال له الله فيها لا يشرك به في هذا الاسم ويجوز ان يكون الله في السموات خبرا بعد خبر على معنى انه الله وانه
في السموات والارض بمعنى انه عالم بما فيهما لا يخفى عليه منه شيء كان ذاته فيهما **فان قلت** كيف موقع قوله يعلم سركم وجهركم
قلت ان اردت المتوحد بالالهية كان تقريرا له لان الذي استوى في علمه السر والعلانية هو الله وحده وكذلك
اذا جعلت في السموات خبرا بعد خبر والا فهو كلام مبتدأ بمعنى هو يعلم سركم وجهركم او خبر ثالث ويعلم ما تكسبون من الخير والشر
ويثيب عليه ويعاقب • وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين • من في من آية
للاستغراق وفي من آيات ربهم للتبعيض يعني وما يظهر لهم دليل قط من الادلة التي يجب فيها النظر والاستدلال والاعتبار الا
كانوا عنه معرضين تاركين للنظر لا يلتفتون اليه ولا يرفعون به راسا لقلة خوفهم وتدبرهم للعواقب • فقد كذبوا
بالحق لما جاءهم فسوف يأتيهم انباء ما كانوا به يستهزءون • فقد كذبوا مردود على كلام محذوف كانه
قيل ان كانوا معرضين عن الآيات فقد كذبوا بما هو اعظم آية واكبرها وهو الحق لما جاءهم يعني القرآن الذي تحدوا به على تبالغهم
في الفصاحة فعجزوا عنه فسوف يأتيهم انباء الشيء الذي كانوا به يستهزءون وهو القرآن اي اخباره واحواله بمعنى سيعلمون باي
شيء استهزءوا وسيظهر لهم انه لم يكن بموضع استهزاء وذلك عند ارسال العذاب عليهم في الدنيا او يوم القيمة او عند ظهور
الاسلام وعلو كلمته • الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم
وارسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الانهار تجري من تحتهم فاهلكناهم بذنوبهم وانشانا
من بعدهم قرنا آخرين • مكن له في الارض جعل له مكانا فيها ونحوه ارض له ومنه قوله تعالى انا مكنا له في الارض اولم نمكن
لهم واما مكنته في الارض فاثبته فيها ومنه قوله تعالى ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه ولتقارب المعنيين جمع بينهما في قوله تعالى
مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم والمعنى لم نعط اهل مكة نحو ما اعطينا عادا وثمود وغيرهم من البسطة في الاجسام والسعة في
الاموال والاستظهار باسباب الدنيا والسماء المظلة لان الماء ينزل منها الى السحاب او المطر او السحاب والمدرار المغزار
فان قلت اي فائدة في ذكر انشاء قرن آخرين بعدهم **قلت** الدلالة على انه لا يتعاظمه ان يهلك قرنا
ويخرب بلاده منهم فانه قادر على ان ينشئ مكانهم آخرين يعمر بهم بلاده كقوله تعالى ولا يخاف عقباها • ولو نزلنا عليك
كتابا في قرطاس فلمسوه بايديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين • كتابا مكتوبا في قرطاس في

ورقه فلمسوه بايديهم ولم يقتصر بهم على الرؤية لئلا يقولوا سكرت ابصارنا فلا تبقى لهم علة لقالوا ان هذا الا سحر
مبين تعنتا وعنادا للحق بعد ظهوره • وقالوا لولا انزل عليه ملك ولو انزلنا ملكا لقضي الامر
ثم لا ينظرون • لقضي الامر لقضي امر اهلاكهم ثم لا ينظرون بعد نزوله طرفة عين اما لانهم اذا عاينوا الملك
قد نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في صورته وهي آية لا شيء ابين منها وايقن ثم لا يؤمنون كما قال تعالى ولو اننا نزلنا
اليهم الملائكة لم يكن بد من اهلاكهم كما اهلك اصحاب المائدة واما لانه يزول الاختيار الذي هو قاعدة التكليف عند نزول الملك
فيجب اهلاكهم واما لانهم اذا شاهدوا ملكا في صورته زهقت ارواحهم من هول ما يشاهدون ومعنى ثم بعد ما بين الامرين
قضاء الامر وعدم الانظار وجعل عدم الانظار اشد من قضاء الامر لان مفاجاة الشدة اشد من نفس الشدة
• ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون • ولو جعلناه ملكا ولو جعلنا الرسول
ملكا كما اقترحوا لانهم كانوا يقولون لولا انزل على محمد ملك وتارة يقولون ما هذا الا بشر مثلكم ولو شاء ربنا لانزل ملائكة
لجعلناه رجلا لارسلناه في صورة رجل كما كان ينزل جبرائيل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في اعم الاوقات في صورة دحية
لانهم لا يبقون مع رؤية الملائكة في صورهم وللبسنا عليهم ولخلطنا عليهم ما يخلطون على انفسهم حينئذ فانهم يقولون اذا
راوا الملك في صورة الانسان هذا انسان وليس بملك فان قال لهم الدليل على اني ملك اني جئت بالقرآن المعجز وهو
ناطق باني ملك لا بشر كذبوه كما كذبوا محمدا فاذا فعلوا ذلك خذلوا كما هم مخذولون الآن فهو لبس الله عليهم ويجوز ان
وللبسنا عليهم حينئذ ما يلبسون على انفسهم الساعة في كفرهم بآيات الله البينة وقرا ابن محيصن ولبسنا بلام واحدة
وقرا الزهري وللبسنا عليهم ما يلبسون بالتشديد • ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين
سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون • ولقد استهزئ تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان يلقى من قومه
فحاق بهم فاحاط بهم الشيء الذي كانوا يستهزءون به وهو الحق حيث اهلكوا من اجل الاستهزاء به • قل سيروا في الارض
ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين **فان قلت** اي فرق بين قوله فانظروا وبين قوله ثم انظروا
قلت جعل النظر مسببا عن السير في قوله فانظروا فكانه قيل سيروا لاجل النظر ولا تسيروا سير الغافلين واما قوله
سيروا في الارض ثم انظروا فمعناه اباحة السير في الارض للتجارة وغيرها من المنافع وايجاب النظر في آثار الهالكين ونبه على ذلك
بثم لتباعد ما بين الواجب والمباح • قل لمن ما في السموات والارض قل لله • كتب على نفسه الرحمة ليجمعنكم
الى يوم القيمة لا ريب فيه الذين خسروا انفسهم فهم لا يؤمنون • لمن ما في السموات والارض
سؤال تبكيت وقل لله تقرير لهم اي هو لله لا خلاف بيني وبينكم ولا تقدرون ان تضيفوا شيئا منه الى غيره كتب على نفسه
الرحمة اي اوجبها على ذاته في هدايتكم الى معرفته ونصب الادلة لكم على توحيده بما انتم مقرون به من خلق السموات والارض ثم اوعدهم
على اغفالهم النظر واشراكهم به من لا يقدر على خلق شيء بقوله ليجمعنكم الى يوم القيمة فيجازيكم على اشراككم وقوله الذين خسروا انفسهم
نصب على الذم او رفع اي اريد الذين خسروا انفسهم او انتم الذين خسروا انفسهم **فان قلت** كيف جعل عدم ايمانهم مسببا
عن خسرانهم والامر على العكس **قلت** معناه الذين خسروا انفسهم في علم الله لاختيارهم الكفر فهم لا يؤمنون
• وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم • وله عطف على لله ما سكن في الليل والنهار من السكنى
وتعديه بفي كما في قوله تعالى وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم وهو السميع العليم يسمع كل مسموع ويعلم كل معلوم فلا يخفى
عليه شيء مما يشتمل عليه الملوان • قل اغير الله اتخذ وليا فاطر السموات والارض وهو يطعم ولا
يطعم قل اني امرت ان اكون اول من اسلم ولا تكونن من المشركين • قل اني اخاف ان عصيت
ربي عذاب يوم عظيم • اولي غير الله همزة الاستفهام دون الفعل الذي هو اتخذ لان الانكار في اتخاذ غير الله
وليا لا في اتخاذ الولي فكان اولى بالتقديم ونحوه افغير الله تامروني اعبد آلله اذن لكم وقرئ فاطر السموات بالجر صفة لله
وبالرفع على المدح وقرا الزهري فطر • وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما عرفت ما فاطر السموات والارض حتى اتاني اعرابيان
يختصمان في بئر فقال احدهما انا فطرتها اي ابتداتها • وهو يطعم ولا يطعم وهو يرزق ولا يرزق كقوله تعالى ما اريد منهم من رزق وما اريد
ان يطعمون والمعنى ان المنافع كلها من عنده ولا يجوز عليه الانتفاع وقرئ ولا يطعم بفتح الياء وروى ابن المامون عن يعقوب وهو
يطعم ولا يطعم على بناء الاول للمفعول والثاني للفاعل والضمير لغير الله تعالى وقرا الاشهب وهو يطعم ولا يطعم على بنائهما للفاعل

وفسر بان معناه وهو يطعم ولا يستطعم وحكى الازهري اطعمت بمعنى استطعمت ونحوه افدت ويجوز ان يكون المعنى وهو يطعم
تارة ولا يطعم اخرى على حسب المصالح كقولك هو يعطي ويمنع ويبسط ويقدر ويغني ويفقر اول من اسلم لان النبي صلى الله
عليه وسلم سابق امته في الاسلام كقوله وبذلك امرت وانا اول المسلمين وكقول موسى سبحانك تبت اليك وانا اول المؤمنين
ولا تكونن وقيل لي لا تكونن من المشركين ومعناه امرت بالاسلام ونهيت عن الشرك **من يصرف عنه يومئذ
فقد رحمه وذلك الفوز المبين** من يصرف عنه العذاب يومئذ فقد رحمه الله الرحمة العظمى وهي النجاة
كقولك ان اطعمت زيدا من جوعه فقد احسنت اليه تريد فقد اتممت الاحسان اليه او فقد ادخله الجنة لان من لم يعذب
لم يكن له بد من الثواب وقرئ من يصرف عنه على البناء للفاعل والمعنى من يصرف الله عنه في ذلك اليوم فقد رحمه بمعنى
من يدفع الله عنه ويحفظه وقد علم من المدفوع عنه وترك ذكر المصروف لكونه معلوما او مذكورا قبله وهو العذاب ويجوز ان
ينتصب يومئذ بيصرف انتصاب المفعول به اي من يصرف الله عنه ذلك اليوم اي هوله فقد رحمه وتنصره هذه القراءة وقراءة
ابي رضي الله عنه من يصرف الله عنه **وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يمسسك
بخير فهو على كل شيء قدير** وان يمسسك الله بضر من مرض او فقر او غير ذلك من بلاياه فلا قادر على كشفه الا
هو وان يمسسك بخير من غنى او صحة فهو على كل شيء قدير فكان قادرا على ادامته وازالته **وهو القاهر فوق
عباده وهو الحكيم الخبير** فوق عباده تصوير للقهر والعلو بالغلبة والقدرة كقوله تعالى وانا فوقهم قاهرون
**قل اي شيء اكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم واوحي الي هذا القرآن لانذركم
به ومن بلغ ائنكم لتشهدون ان مع الله آلهة اخرى قل لا اشهد قل انما هو اله واحد
وانني بريء مما تشركون** الشيء اعم العام لوقوعه على كل ما يصح ان يعلم ويخبر عنه فيقع على القديم والجرم والعرض
والمحال والمستقيم ولذلك صح ان يقال في الله عز وجل شيء لا كالاشياء كانك قلت معلوم لا كسائر المعلومات ولا يصح
جسم لا كالاجسام واراد اي شهيد اكبر شهادة فوضع شيئا مقام شهيد ليبالغ بالتعميم قل الله شهيد بيني وبينكم يحتمل
ان يكون تمام الجواب عند قوله قل الله بمعنى الله اكبر شهادة ثم ابتدئ شهيد بيني وبينكم اي هو شهيد بيني وبينكم وان يكون
الله شهيد بيني وبينكم هو الجواب لدلالته على ان الله عز وجل اذا كان هو الشهيد بينه وبينهم فاكبر شيء شهادة شهيد له
ومن بلغ عطف على ضمير المخاطبين من اهل مكة اي لانذركم به وانذر كل من بلغه القرآن من العرب والعجم وقيل من الثقلين
وقيل من بلغه الى يوم القيمة وعن سعيد بن جبير من بلغه القرآن فكانما راى محمدا صلى الله عليه وسلم ائنكم لتشهدون تقرير
لهم مع انكار واستبعاد قل لا اشهد شهادتكم **الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم
الذين خسروا انفسهم فهم لا يؤمنون** الذين آتيناهم الكتاب يعني اليهود والنصارى يعرفونه يعرفون
رسول الله صلى الله عليه وسلم بحليته ونعته الثابت في الكتابين معرفة خالصة كما يعرفون ابناءهم بحلاهم ونعوتهم لا يخفون عليهم
ولا يلتبسون بغيرهم وهذا استشهاد لاهل مكة بمعرفة اهل الكتاب به وبصحة نبوته ثم قال الذين خسروا انفسهم من المشركين
ومن اهل الكتاب الجاحدين فهم لا يؤمنون به **ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بآياته انه
لا يفلح الظالمون** جمعوا بين امرين متناقضين فكذبوا على الله بما لا حجة عليه وكذبوا بما ثبت بالحجة البينة والبرهان
الصحيح حيث قالوا لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا وقالوا والله امرنا بها وقالوا الملائكة بنات الله وهؤلاء شفعاؤنا عند الله
ونسبوا اليه تحريم البحائر والسوائب وذهبوا فكذبوا القرآن والمعجزات وسموها سحرا ولم يؤمنوا بالرسول **ويوم
نحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون** ويوم نحشرهم
ناصبه محذوف تقديره ويوم نحشرهم كان كيت وكيت فترك ليبقى على الابهام الذي هو ادخل في التخويف اين شركاؤكم اي
آلهتكم التي جعلتموها شركاء لله وقوله الذين كنتم تزعمون معناه تزعمونهم شركاء فحذف المفعولان وقرئ يحشرهم ثم يقول
بالياء فيهما وانما يقال لهم ذلك على جهة التوبيخ ويجوز ان يشاهدوهم الا انهم حين لا ينفعونهم ولا يكون منهم ما رجوا
من الشفاعة فكانهم غيب عنهم وان يحال بينهم وبينهم في وقت التوبيخ ليفقدوهم في الساعة التي علقوا بهم الرجاء فيها
فيروا مكان خزيهم وحسرتهم **ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين**
فتنتهم كفرهم والمعنى ثم لم تكن عاقبة كفرهم الذي لزموه اعمارهم وقاتلوا عليه وافتخروا به وقالوا دين آبائنا الا جحوده والتبرؤ منه

والحلف على الانتفاء من التدين به ويجوز ان يراد ثم لم يكن جوابهم الا ان قالوا فسمي فتنة لانه كذب وقرئ تكن بالتاء فتنتهم
بالنصب وانما انث لوقوع الخبر مؤنثا كقولهم من كانت امك وقرئ بالياء ونصب الفتنة وبالياء والتاء مع رفع الفتنة
وقرئ ربنا بالنصب على النداء **انظر كيف كذبوا على انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون**
وضل عنهم وغاب عنهم ما كانوا يفترونه اي يفترون الهيته وشفاعته فان قلت كيف يصح ان يكذبوا حين
يطلعون على حقايق الامور وان الكذب والجحود لا وجه لمنفعته قلت الممتحن ينطق بما ينفعه وبما لا ينفعه من غير
تمييز بينهما حيرة ودهشا الا تراهم يقولون ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون وقد ايقنوا بالخلود ولم يشكوا فيه
وقالوا يا مالك ليقض علينا ربك وقد علموا انه لا يقضى عليهم واما قول من يقول معناه ما كنا مشركين عند انفسنا وما علمنا
انا على خطا في معتقدنا وحمل قوله انظر كيف كذبوا على انفسهم يعني في الدنيا فتمحل وتعسف وتحريف لافصح الكلام الى ما هو
عي وافحام لان المعنى الذي ذهبوا اليه ليس هذا الكلام بمترجم عنه ولا منطبق عليه وهو ناب عنه اشد النبو وما ادري ما يصنع
من ذلك تفسيره بقوله تعالى يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون انهم على شيء الا انهم هم الكاذبون بعد قوله
ويحلفون على الكذب وهم يعلمون فشبه كذبهم في الآخرة بكذبهم في الدنيا **ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على
قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى اذا جاؤك
يجادلونك يقول الذين كفروا ان هذا الا اساطير الاولين** ومنهم من يستمع اليك حين تتلو
القرآن روي انه اجتمع ابو سفيان والوليد والنضر وعتبة وشيبة وابو جهل واضرابهم يستمعون تلاوة رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالوا للنضر يا ابا قتيلة ما يقول محمد فقال والذي جعلها بيته يعني الكعبة ما ادري ما يقول الا انه يحرك
لسانه ويقول اساطير الاولين مثل ما حدثتكم عن القرون الماضية فقال ابو سفيان اني لاراه حقا فقال ابو جهل كلا
فنزلت والاكنة على القلوب والوقر في الآذان مثل في نبو قلوبهم واسماعهم عن قبوله واعتقاد صحته ووجه اسناد
الفعل الى ذاته وهو قوله وجعلنا للدلالة على انه امر ثابت فيهم لا يزول عنهم كانهم مجبولون عليه او هي حكاية لما كانوا ينطقون
به من قولهم وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب وقرئ وقرا بكسر الواو حتى اذا جاؤك يجادلونك هي حتى
التي تقع بعدها الجمل والجملة قوله اذا جاؤك يقول الذين كفروا ويجادلونك في موضع الحال ويجوز ان تكون الجارة ويكون اذا
جاؤك في محل الجر بمعنى حتى وقت مجيئهم ويجادلونك حال وقوله يقول الذين كفروا تفسير له والمعنى انه بلغ تكذيبهم الآيات الى
انهم يجادلونك ويناكرونك وفسر مجادلتهم بانهم يقولون ان هذا الا اساطير الاولين فيجعلون كلام الله واصدق الحديث
خرافات واكاذيب وهي الغاية في التكذيب **وهم ينهون عنه وينأون عنه وان يهلكون الا
انفسهم وما يشعرون** وهم ينهون الناس عن القرآن او عن الرسول واتباعه ويثبطونهم عن الايمان به وينأون
عنه بانفسهم فيضلون ويضلون وان يهلكون بذلك الا انفسهم ولا يتعداهم الضرر الى غيرهم وان كانوا يظنون انهم يضرون
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هو ابو طالب لانه كان ينهى قريشا عن التعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم وينأى عنه
فلا يؤمن به وروي انهم اجتمعوا الى ابي طالب وارادوا برسول الله صلى الله عليه وسلم سوءا فقال والله لن يصلوا اليك بجمعهم
حتى اوسد في التراب دفينا فاصدع بامرك ما عليك غضاضة وابشر بذاك وقر منه عيونا ودعوتني وزعمت انك
ناصح ولقد صدقت وكنت ثم امينا وعرضت دينا لا محالة انه من خير اديان البرية دينا لولا الملامة او حذار
مسبة لوجدتني سمحا بذاك مبينا فنزلت **ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا
نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين** ولو ترى جوابه محذوف تقديره ولو ترى لرايت امرا
شنيعا وقفوا على النار اروها حتى يعاينوها او اطلعوا عليها اطلاعا هي تحتهم او ادخلوها فعرفوا مقدار عذابها من
قولك وقفته على كذا اذا فهمته وعرفته وقرئ وقفوا على البناء للفاعل من وقف عليه وقوفا يا ليتنا نرد تم تمنيهم
ثم ابتدؤا ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين واعدين الايمان كانهم قالوا ونحن لا نكذب ونؤمن على وجه الاثبات
وشبهه سيبويه بقولهم دعني ولا اعود بمعنى دعني وانا لا اعود تركتني اولم تتركني ويجوز ان يكون معطوفا على نرد او حالا
على معنى يا ليتنا نرد غير مكذبين وكائنين من المؤمنين فيدخل في حكم التمني فان قلت يدفع ذلك قوله وانهم
لكاذبون لان المتمني لا يكون كاذبا قلت هذا تمن قد تضمن معنى العدة فجاز ان يتعلق به التكذيب كما يقول الرجل

ليت الله يرزقني مالا فاحسن اليك واكافيك على صنيعك فهذا متمن في معنى الواعد فلو رزق مالا ولم يحسن الى
صاحبه ولم يكافه كذب كانه قال ان رزقني الله مالا كافأتك على الاحسان وقرئ ولا نكذب ونكون بالنصب باضمار ان
على جواب التمني ومعناه ان رددنا لم نكذب ونكن من المؤمنين **بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل**
ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وما
نحن بمبعوثين بل بدا لهم ما كانوا يخفون من الناس من قبائحهم وفضائحهم في صحفهم وبشهادة جوارحهم عليهم
فلذلك تمنوا ما تمنوا ضجرا لا انهم عازمون على انهم لو ردوا لآمنوا وقيل هو في المنافقين وانه يظهر نفاقهم الذي كانوا
يسرونه وقيل هو في اهل الكتاب وانه يظهر لهم ما كانوا يخفونه من صحة نبوة ولو ردوا الى الدنيا بعد وقوفهم على النار
لعادوا لما نهوا عنه من الكفر والمعاصي وانهم لكاذبون فيما وعدوا من انفسهم لا يفون به وقالوا عطف على لعادوا اي
ولو ردوا لكفروا ولقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا كما كانوا يقولون قبل معاينة القيمة ويجوز ان يعطف على قوله وانهم
لكاذبون على معنى وانهم لقوم كاذبون في كل شيء وهم الذين قالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وكفى به دليلا على كذبهم
ولو ترى اذ وقفوا على ربهم قال اليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب
بما كنتم تكفرون وقفوا على ربهم مجاز عن الحبس للتوبيخ والسؤال كما يوقف العبد الجاني بين يدي سيده
ليعاتبه وقيل وقفوا على جزاء ربهم وقيل عرفوه حق التعريف قال مردود على قول قائل قال ماذا قال لهم ربهم اذ وقفوا
عليه فقيل قال اليس هذا بالحق وهذا تعيير من الله تعالى لهم على التكذيب وقولهم لما كانوا يسمعون من حديث البعث والجزاء
ما هو بحق وما هو الا باطل بما كنتم تكفرون بكفركم **قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله حتى اذا**
جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها وهم يحملون اوزارهم على
ظهورهم الا ساء ما يزرون بلقاء الله ببلوغ الآخرة وما يتصل بها وقد حقق الكلام فيه في موضع آخر وحتى
غاية لكذبوا لا لخسر لان خسرانهم لا غاية له اي ما زال بهم التكذيب الى حسرتهم وقت مجيء الساعة **فان قلت**
اما يتحسرون عند موتهم **قلت** لما كان الموت وقوعا في احوال الآخرة ومقدماتها جعل من جنس الساعة وسمي باسمها
ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات فقد قامت قيامته وجعل مجيء الساعة بعد الموت لسرعته كالواقع بغير فترة
بغتة فجاءة وانتصابها على الحال بمعنى باغتة او على المصدر كانه قيل بغتتهم الساعة بغتة فرطنا فيها الضمير للحيوة الدنيا
جيء بضميرها وان لم يجر لها ذكر لكونها معلومة او للساعة على معنى قصرنا في شانها وفي الايمان بها كما تقول فرطت في فلان
ومنه فرطت في جنب الله يحملون اوزارهم على ظهورهم كقوله فبما كسبت ايديكم لانه اعتيد حمل الاثقال على الظهور كما
الف الكسب بالايدي ساء ما يزرون بئس شيئا يزرون وزرهم كقوله تعالى ساء مثلا القوم **وما الحيوة الدنيا**
الا لعب ولهو وللدار الآخرة خير للذين يتقون افلا تعقلون جعل اعمال الدنيا لعبا ولهوا واشتغالا
بما لا يعني ولا يعقب منفعة كما تعقب اعمال الآخرة المنافع العظيمة وقوله للذين يتقون دليل على ان ما سوى اعمال المتقين
لعب ولهو وقرأ ابن عباس ولدار الآخرة وقرئ يعقلون بالتاء والياء **قد نعلم انه ليحزنك الذي**
يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون قد في قد نعلم بمعنى ربما
الذي تجيء لزيادة الفعل وكثرته كقوله ولكنه قد يهلك المال نائله والهاء في انه ضمير الشان ليحزنك قرئ
بفتح الياء وضمها والذي يقولون هو قولهم ساحر كذاب لا يكذبونك قرئ بالتشديد والتخفيف من كذبه اذا جعله
كاذبا في زعمه واكذبه اذا وجده كاذبا والمعنى ان تكذيبك امر راجع الى الله تعالى لانك رسوله المصدق بالمعجزات
فهم لا يكذبونك في الحقيقة وانما يكذبون الله تعالى بجحود آياته فانته عن حزنك لنفسك وانهم كذبوك وانت صادق
وليشغلك عن ذلك ما هو اهم وهو استعظامك بجحود آيات الله عز وجل والاستهانة بكتابه ونحوه قول السيد لغلامه اذا
اهانه بعض الناس انهم لم يهينوك وانما اهانوني ومن هذه الطريقة قوله تعالى ان الذين يبايعونك
انما يبايعون الله وقيل فانهم لا يكذبونك بقلوبهم ولكنهم يجحدون بالسنتهم وقيل فانهم لا يكذبونك لانك عندهم
الصادق الموسوم بالصدق ولكنهم يجحدون بآيات الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يسمى الامين فعرفوا انه لا يكذب في شيء ولكنهم كانوا يجحدون وكان ابو جهل يقول ما نكذبك وانك عندنا المصدق

وانما نكذب ما جئتنا به وروي ان الاخنس بن شريق قال لابي جهل يا ابا الحكم اخبرني عن محمد اصادق هو او
كاذب فانه ليس عندنا احد غيرنا فقال له والله ان محمدا لصادق وما كذب قط ولكن اذا ذهب بنو قصي باللواء
والسقاية والحجابة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش فنزلت وقوله تعالى ولكن الظالمين من اقامة الظاهر مقام
المضمر للدلالة على انهم ظلموا في جحودهم **ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا واوذوا**
حتى اتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبإ المرسلين ولقد كذبت
تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا دليل على ان قوله فانهم لا يكذبونك ليس بنفي لتكذيبه وانما هو من قولك لغلامك
ما اهانوك ولكنهم اهانوني على ما كذبوا واوذوا على تكذيبهم وايذائهم ولا مبدل لكلمات الله لمواعيده من قوله ولقد سبقت كلمتنا
لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون ولقد جاءك من نبإ المرسلين بعض انبائهم وقصصهم وما كابدوا من مصابرة المشركين
وان كان كبر عليك اعراضهم فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض او سلما في السماء
فتأتيهم بآية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين كان يكبر على النبي صلى الله
عليه وسلم كفر قومه واعراضهم عما جاء به فنزل لعلك باخع نفسك انك لا تهدي من احببت وان كان كبر عليك
اعراضهم فان استطعت ان تبتغي نفقا منفذا تنفذ فيه الى ما تحت الارض حتى تطلع لهم آية يؤمنون بها او سلما في السماء
فتأتيهم منها بآية فافعل يعني انك لا تستطيع ذلك والمراد بيان حرصه على اسلام قومه وتهالكه عليه وانه لو استطاع ان
يأتيهم بآية من تحت الارض او من فوق السماء لاتى بها رجاء ايمانهم وقيل كانوا يقترحون الآيات فكان يود ان يجابوا اليها
لتمادي حرصه على ايمانهم فقيل له ان استطعت كذا فافعل دلالة على انه بلغ من حرصه انه لو استطاع ذلك لفعله حتى يأتيهم بما
اقترحوا لعلهم يؤمنون ويجوز ان يكون ابتغاء النفق في الارض او السلم في السماء هو الاتيان بالآيات كانه قيل لو استطعت
النفوذ الى ما تحت الارض او الرقي في السماء لفعلت لعل ذلك يكون لك آية يؤمنون عنده وحذف جواب ان كما تقول
ان شئت ان تقوم بنا الى فلان نزوره ولو شاء الله لجمعهم على الهدى بان يأتيهم بآية ملجئة ولكنه لا يفعل لخروجه عن الحكمة فلا
تكونن من الجاهلين من الذين يجهلون ذلك ويرومون ما هو خلافه **انما يستجيب الذين يسمعون والموتى**
يبعثهم الله ثم اليه يرجعون انما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله مثل لقدرته على الجائهم
الى الاستجابة بانه هو الذي يبعث الموتى من القبور يوم القيمة ثم اليه يرجعون للجزاء فكان قادرا على هؤلاء الموتى بالكفر ان
يحييهم بالايمان وانت لا تقدر على ذلك وقيل معناه وهؤلاء الموتى يعني الكفرة يبعثهم الله ثم اليه يرجعون فحينئذ يسمعون
واما قبل ذلك فلا سبيل الى استماعهم وقرئ يرجعون بفتح الياء **وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه قل ان الله**
قادر على ان ينزل آية ولكن اكثرهم لا يعلمون لولا نزل عليه آية هلا انزل بمعنى انزل وقرئ ان ينزل بالتشديد
والتخفيف وذكر الفعل والفاعل مؤنث لان تأنيث آية غير حقيقي وحسن للفصل وانما قالوا ذلك مع تكاثر ما انزل من الآيات
على رسول الله صلى الله عليه وسلم لتركهم الاعتداد بما انزل عليه كانه لم ينزل عليه شيء من الآيات عنادا منهم قل ان الله قادر على
ان ينزل آية تضطرهم الى الايمان كنتق الجبل على بني اسرائيل ونحوه او آية ان جحدوها جاءهم العذاب ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الله
قادر على ان ينزل تلك الآية وان صارفا من الحكمة يصرفه عن انزالها **وما من دابة في الارض ولا طائر يطير**
بجناحيه الا امم امثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم الى ربهم يحشرون امم امثالكم مكتوبة
ارزاقها وآجالها واعمالها كما كتبت ارزاقكم وآجالكم واعمالكم ما فرطنا ما تركنا وما اغفلنا في الكتاب في اللوح المحفوظ
من شيء من ذلك لم نكتبه ولم نثبت ما وجب ان يثبت مما يختص به ثم الى ربهم يحشرون يعني الامم كلها من الدواب والطير فيعوضها
وينصف بعضها من بعض كما روي انه يأخذ للجماء من القرناء **فان قلت** كيف قيل الا امم مع افراد الدابة
والطائر **قلت** لما كان قوله وما من دابة ولا طائر دالا على معنى الاستغراق ومغنيا عن ان يقال وما من دواب
ولا طير حمل قوله الا امم على المعنى **فان قلت** هلا قيل وما من دابة ولا طائر الا امم امثالكم وما معنى زيادة قوله
في الارض ويطير بجناحيه **قلت** معنى ذلك زيادة التعميم والاحاطة كانه قيل وما من دابة قط في جميع الارضين السبع
وما من طائر قط في جو السماء من جميع ما يطير بجناحيه الا امم امثالكم محفوظة احوالها غير مهمل امرها **فان قلت**
فما الغرض من ذكر ذلك **قلت** الدلالة على عظم قدرته ولطف علمه وسعة سلطانه وتدبيره تلك الخلائق المتفاوتة

الاجناس المتكاثرة الاصناف وهو حافظ لما لها وما عليها مهيمن على احوالها لا يشغله شان عن شان وان المكلفين
ليسوا بمخصوصين بذلك دون من عداهم من سائر الحيوان وقرأ ابن ابي عبلة ولا طائر بالرفع على المحل كانه قيل
وما دابة ولا طائر وقرأ علقمة ما فرطنا بالتخفيف • والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات من
يشاء الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم • فان قلت كيف اتبعه
قوله والذين كذبوا بآياتنا قلت لما ذكر من خلائقه وآثار قدرته ما يشهد لربوبيته وينادي على عظمته قال والمكذبون
صم لا يسمعون كلام المنبه بكم لا ينطقون بالحق خابطون في ظلمات الكفر فهم غافلون عن تامل ذلك والتفكر فيه ثم قال
ايذانا بانهم من اهل الطبع من يشأ الله يضلله اي يخذله ويخله وضلاله لم يلطف به لان اللطف يجدي عليه • قل ارأيتكم
ان اتاكم عذاب الله او اتتكم الساعة اغير الله تدعون ان كنتم صادقين • بل اياه تدعون
فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وتنسون ما تشركون • ارأيتكم اخبروني والضمير الثاني لا محل له من الاعراب
لانك تقول ارأيتك زيدا ما شانه فلو جعلت للكاف محلا لكنت كانك تقول ارأيت نفسك زيدا ما شانه وهو خلف
ومتعلق الاستخبار محذوف تقديره ارأيتكم ان اتاكم عذاب الله او اتتكم الساعة من تدعون ثم بكتهم بقوله اغير الله تدعون
بمعنى اتخصون آلهتكم بالدعوة فيما هو عادتكم اذا اصابكم ضر ام تدعون الله دونها بل اياه تدعون بل تخصونه بالدعاء دون
الآلهة فيكشف ما تدعون اي ما تدعونه الى كشفه ان شاء ان اراد ان يتفضل عليكم ولم يكن مفسدة وتنسون ما تشركون
وتتركون آلهتكم او لا تذكرونها في ذلك الوقت لان اذهانكم مغمورة بذكر ربكم وحده اذ هو القادر على كشف الضر دون غيره
ويجوز ان يتعلق الاستخبار بقوله اغير الله تدعون كانه قيل ارأيتكم اغير الله تدعون ان اتاكم عذاب الله فان قلت
ان علقت الاستخبار به فما تصنع بقوله فيكشف ما تدعون اليه مع قوله او اتتكم الساعة وقوارع الساعة لا تكشف عن المشركين
قلت قد اشترط في الكشف المشيئة وهو قوله ان شاء ايذانا بانه ان فعل كان له وجه من الحكمة الا انه لا يفعل
لوجه آخر من الحكمة ارجح منه • ولقد ارسلنا الى امم من قبلك فاخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم
يتضرعون • البأساء والضراء البؤس والضر وقيل البأساء القحط والجوع والضراء المرض ونقصان الانفس
والاموال والمعنى ولقد ارسلنا اليهم الرسل فكذبوهم فاخذناهم لعلهم يتضرعون يتذللون ويتخشعون لربهم
ويتوبون عن ذنوبهم • فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان
ما كانوا يعملون • فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا معناه نفي التضرع كانه قيل فلم يتضرعوا اذ جاءهم بأسنا ولكنه
جاء بلولا ليفيد انه لم يكن لهم عذر في ترك التضرع الا عنادهم وقسوة قلوبهم واعجابهم باعمالهم التي زينها الشيطان لهم
فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة فاذا
هم مبلسون • فلما نسوا ما ذكروا به من البأساء والضراء اي تركوا الاتعاظ به ولم ينفع فيهم ولم يزجرهم
فتحنا عليهم ابواب كل شيء من الصحة والسعة وصنوف النعمة لنزاوج عليهم بين نوبتي الضراء والسراء كما يفعل الاب
المشفق بولده يخاشنه تارة ويلاطفه اخرى طلبا للصلاح حتى اذا فرحوا بما اوتوا من الخير والنعم لم يزيدوا على الفرح
والبطر من غير انتداب لشكر ولا تصد لتوبة واعتذار اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون واجمون متحسرون آيسون
فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين • فقطع دابر القوم آخرهم لم يترك
منهم احد قد استوصلت شأفتهم والحمد لله رب العالمين ايذان بوجوب الحمد لله عند هلاك الظلمة وانه من اجل
النعم واجزل القسم وقرئ فتحنا بالتشديد • قل ارأيتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم وختم على
قلوبكم من اله غير الله يأتيكم به انظر كيف نصرف الآيات ثم هم يصدفون •
ان اخذ الله سمعكم وابصاركم بان يصمكم ويعميكم وختم على قلوبكم بان يغطي عليها ما يذهب عنده فهمكم وعقلكم يأتيكم
به اي يأتيكم بذلك اجراء للضمير مجرى اسم الاشارة او بما اخذ وختم عليه يصدفون يعرضون عن الآيات بعد ظهورها
قل ارأيتكم ان اتاكم عذاب الله بغتة او جهرة هل يهلك الا القوم الظالمون
لما كانت البغتة ان يقع الامر من غير ان يشعر به وتظهر اماراته قيل بغتة او جهرة وعن الحسن ليلا او نهارا وقرئ
بغتة او جهرة هل يهلك اي ما يهلك هلاك تعذيب وسخط الا الظالمون وقرئ هل يهلك بفتح الياء •

وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين فمن آمن واصلح فلا خوف عليهم ولا هم
يحزنون • والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون • الا مبشرين ومنذرين
من آمن بهم وبما جاؤا به واطاعهم ومن كذبهم وعصاهم ولم ارسلهم ليتلهى بهم ويقترح عليهم الآيات بعد وضوح
امرهم بالبراهين القاطعة واصلح ما يجب اصلاحه مما كلف جعل العذاب ماسا كانه حي يفعل بهم ما يريد من الآلام
ومنه قولهم لقيت منه الامرين والاقورين حيث جمعوا جمع العقلاء وقوله اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا
وزفيرا • قل لا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول لكم اني ملك ان
اتبع الا ما يوحى الي قل هل يستوي الاعمى والبصير افلا تتفكرون • اي لا ادعي ما يستبعد
في العقول ان يكون لبشر من ملك خزائن الله وهي قسمه بين الخلق وارزاقه وعلم الغيب واني من الملائكة الذين هم
اشرف جنس خلقه الله وافضله واقربه منزلة منه اي لم ادع الالهية ولا الملكية لانه ليس بعد الالهية منزلة ارفع من
منزلة الملكية حتى تستبعدوا دعواي وتستنكروها وانما ادعي ما كان مثله لكثير من البشر وهو النبوة هل يستوي الاعمى
والبصير مثل للضال والمهتدي ويجوز ان يكون مثلا لمن اتبع ما يوحى اليه ومن لم يتبع او لمن ادعى المستقيم وهو النبوة او
المحال وهو الالهية والملكية افلا تتفكرون فلا تكونوا ضالين اشباه العميان او فتعلموا اني ما ادعيت ما لا يليق بالبشر او
فتعلموا ان اتباع ما يوحى الي مما لا بد منه فان قلت اعلم الغيب ما محله من الاعراب قلت النصب عطفا على محل
قوله عندي خزائن الله لانه من جملة المقول كانه قال لا اقول لكم هذا القول • وانذر به الذين يخافون ان يحشروا
الى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون • وانذر به الضمير راجع الى قوله ما يوحى الي الذين
يخافون ان يحشروا اما هم قوم داخلون في الاسلام مقرون بالبعث الا انهم مفرطون في العمل فينذرهم بما اوحي اليه لعلهم يتقون
اي يدخلون في زمرة اهل التقوى من المسلمين واما اهل الكتاب لانهم مقرون بالبعث واما ناس من المشركين علم من حالهم
انهم يخافون اذا سمعوا بحديث البعث ان يكون حقا فيهلكوا فهم ممن يرجى ان ينجع فيهم الانذار دون المتمردين منهم فامر ان
ينذر هؤلاء وقوله تعالى ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع في موضع الحال من يحشروا والمعنى يخافون ان يحشروا غير منصورين ولا مشفوعا
لهم ولا بد من هذه الحال لان كلا محشور فالمخوف انما هو الحشر على هذه الحال • ولا تطرد الذين يدعون ربهم
بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء
فتطردهم فتكون من الظالمين • ذكر غير المتقين من المسلمين وامر بانذارهم ليتقوا ثم اردفهم ذكر المتقين
منهم وامره بتقريبهم واكرامهم وان لا يطيع فيهم من اراد بهم خلاف ذلك واثنى عليهم بانهم يواصلون دعاء ربهم اي عبادته
ويواظبون عليها والمراد بذكر الغداة والعشي الدوام وقيل معناه يصلون صلاة الصبح والعصر ووسمهم بالاخلاص في عبادتهم
بقوله يريدون وجهه والوجه يعبر به عن ذات الشيء وحقيقته • روي ان رؤساء من المشركين قالوا لرسول الله
صلى الله عليه وسلم لو طردت هؤلاء الاعبد يريدون فقراء المسلمين وهم عمار وصهيب وبلال وخباب وسلمان واضرابهم
وارواح جبابهم وكانت عليهم جباب من صوف جلسنا اليك وحادثناك فقال صلى الله عليه وسلم ما انا بطارد المؤمنين
فقالوا فاقمهم عنا اذا جئناك فاذا قمنا فاقعدهم معك ان شئت قال نعم طمعا في ايمانهم وروي ان عمر رضي الله عنه قال له
لو فعلت حتى ننظر الى ما ذا يصيرون قالوا فاكتب بذلك كتابا فدعا بالصحيفة وبعلي رضي الله عنه ليكتب فنزلت فرمى
بالصحيفة واعتذر عمر من مقالته قال سلمان وخباب وصهيب فينا نزلت وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقعد
معنا وندنو منه حتى تمس ركبنا ركبته وكان يقوم عنا اذا اراد القيام فنزلت واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم
فترك القيام عنا الى ان نقوم عنه وقال الحمد لله الذي لم يمتني حتى امرني ان اصبر نفسي مع قوم من امتي معكم المحيا ومعكم
الممات • ما عليك من حسابهم من شيء كقوله ان حسابهم الا على ربي وذلك انهم طعنوا في دينهم واخلاصهم فقال
ما عليك من حسابهم من شيء بعد شهادته لهم بالاخلاص وبارادة وجه الله تعالى في اعمالهم على معنى على ما يقولون عند الله
فما يلزمك الا اعتبار الظاهر والاتسام بسيرة المتقين وان كان لهم باطن غير مرضي فحسابهم عليهم لازم لهم لا يتعداهم
اليك كما ان حسابك عليك لا يتعداك اليهم كقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى فان قلت اما كفى قوله ما
عليك من حسابهم من شيء حتى ضم اليه وما من حسابك عليهم من شيء قلت قد جعلت الجملتان بمنزلة جملة واحدة

وقصد بهما مؤدى واحد وهو المعنى في قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى ولا يستقل بهذا المعنى الا الجملتان جميعا
كانه قيل لا تؤاخذ انت ولا هم بحساب صاحبه وقيل الضمير للمشركين والمعنى لا يؤاخذون بحسابك ولا انت بحسابهم
حتى يهمك ايمانهم ويحركك الحرص عليه الى ان تطرد المؤمنين فتطردهم جواب النفي فتكون من الظالمين جواب النهي ويجوز ان
يكون عطفا على فتطردهم على وجه التسبيب لان كونه ظالما مسبب عن طردهم وقرئ بالغدوة والعشي
وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا اهؤلاء من الله عليهم من بيننا اليس الله
باعلم بالشاكرين • وكذلك فتنا ومثل ذلك الفتن العظيم فتنا بعض الناس ببعض اي ابتليناهم
بهم وذلك ان المشركين كانوا يقولون للمسلمين اهؤلاء الذين من الله عليهم من بيننا اي انعم عليهم بالتوفيق لاصابة
الحق ولما يسعدهم عنده من دوننا ونحن المتقدمون والرؤساء وهم العبيد والفقراء انكارا لان يكون امثالهم
على الحق وممنوعا عليهم من بينهم بالخير ونحوه لو كان خيرا ما سبقونا اليه ومعنى فتناهم ليقولوا
ذلك خذلناهم فافتتنوا حتى كان افتتانهم سببا لهذا القول لانه لا يقول مثل قولهم هذا الا مخذول مفتون
اليس الله باعلم بالشاكرين اي الله اعلم بمن يقع منه الايمان والشكر فيوفقه للايمان وبمن يصمم على كفره فيخذله
ويمنعه التوفيق • واذا جاءك الذين يؤمنون باياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه
الرحمة انه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده واصلح فانه غفور رحيم • وكذلك
نفصل الايات ولتستبين سبيل المجرمين • فقل سلام عليكم اما ان يكون امرا بتبليغ سلام الله اليهم
واما ان يكون امرا بان يبدأهم بالسلام اكراما لهم وتطييبا لقلوبهم وكذلك قوله تعالى كتب ربكم على نفسه الرحمة
من جملة ما يقول لهم ليسرهم ويبشرهم بسعة رحمة الله تعالى وقبوله التوبة منهم وقرئ انه فانه بالكسر على الاستيناف
كان الرحمة استفسرت فقيل انه من عمل منكم وبالفتح على الابدال من الرحمة بجهالة في موضع الحال اي عمله وهو جاهل وفيه معنيان
احدهما انه فاعل فعل الجهلة لان من عمل ما يؤدي الى الضرر في العاقبة وهو عالم بذلك او ظان فهو من اهل السفه والجهل لا من اهل
الحكمة والتدبير ومنه قول الشاعر • على انها قالت عشية زرتها • جهلت على عمد ولم تك جاهلا • والثاني انه جاهل
بما يتعلق به من المكروه والمضرة ومن حق الحكيم ان لا يقدم على شيء حتى يعلم حاله وكيفيته • وقيل انها نزلت في عمر رضي الله عنه
حين اشار باجابة الكفرة الى ما سألوا ولم يعلم انها مفسدة وقرئ وليستبين بالياء والتاء مع رفع السبيل لانها
تذكر وتؤنث وبالتاء على خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم مع نصب السبيل يقال استبان الامر وتبين واستبنته وتبينته
والمعنى ومثل ذلك التفصيل البين نفصل ايات القرآن ونلخصها في صفة احوال المجرمين من هو مطبوع على قلبه لا يرجى اسلامه
ومن ترى فيه امارة القبول وهو الذي يخاف اذا سمع ذكر القيامة ومن دخل في الاسلام الا انه لا يحفظ حدوده ولتستوضح
سبيلهم فتعامل كلا منهم بما يجب ان يعامل به فصلنا ذلك التفصيل • قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون
من دون الله قل لا اتبع اهواءكم قد ضللت اذا وما انا من المهتدين • نهيت صرفت
وزجرت بما ركب فيّ من ادلة العقل وبما اوتيت من ادلة السمع عن عبادة ما تعبدون من دون الله وفيه استجهال لهم ووصف
بالاقتحام فيما كانوا فيه على غير بصيرة قل لا اتبع اهواءكم اي لا اجري في طريقتكم التي سلكتموها في دينكم من اتباع الهوى دون
اتباع الدليل وهو بيان للسبب الذي منه وقعوا في الضلال وتنبيه لكل من اراد اصابة الحق ومجانبة الباطل قد ضللت اذا
اي ان اتبعت اهواءكم فانا ضال وما انا من الهدى في شيء يعني انكم كذلك • قل اني على بينة من ربي وكذبتم به
ما عندي ما تستعجلون به ان الحكم الا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين • قل لو
ان عندي ما تستعجلون به لقضي الامر بيني وبينكم والله اعلم بالظالمين • ولما نفى ان يكون
الهوى متبعا نبه على ما يجب اتباعه بقوله قل اني على بينة من ربي ومعنى قوله اني على بينة من ربي اني من معرفة ربي وانه
لا معبود سواه على حجة واضحة وشاهد صدق وكذبتم به انتم حيث اشركتم به غيره يقال انا على بينة من هذا الامر وانا على يقين
منه اذا كان ثابتا عندك بدليل ثم دل على استعظام تكذيبهم بالله وشدة غضبه عليهم لذلك وانهم احقاء ان يغافصوا
بالعذاب المستأصل فقال ما عندي ما تستعجلون به يعني العذاب الذي استعجلوه في قولهم فامطر علينا حجارة من السماء
ان الحكم الا لله في تأخير عذابكم يقضي الحق اي القضاء الحق في كل ما يقضي من التأخير والتعجيل في اقسامه وهو خير الفاصلين

المغافصة الاخذ على غرة وغفلة ٥

اي القاضين وقرئ يقص الحق اي يتبع الحق والحكمة فيما يحكم به ويقدره من قص اثره • لو ان عندي اي في قدرتي وامكاني
ما تستعجلون به من العذاب لقضي الامر بيني وبينكم لاهلكتكم عاجلا غضبا لربي وامتعاضا من تكذيبكم به ولتخلصت
منكم سريعا والله اعلم بالظالمين وبما يجب في الحكمة من كنه عقابهم وقيل على بينة من ربي على حجة من جهة ربي وهي
القرآن وكذبتم به اي بالبينة وذكر الضمير على تأويل البيان او القرآن فان قلت بم انتصب الحق قلت
بانه صفة لمصدر يقضي اي يقضي القضاء الحق ويجوز ان يكون مفعولا به من قولهم قضى الدرع اذا صنعها اي يصنع الحق
ويدبره وفي قراءة عبد الله يقضي بالحق فان قلت لم اسقطت الياء في الخط قلت اتباعا للخط
اللفظ وسقوطها في اللفظ لالتقاء الساكنين • وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم
ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب
ولا يابس الا في كتاب مبين • جعل للغيب مفاتح على طريق الاستعارة لان المفاتح يتوصل بها الى ما في المخازن
المستوثق منها بالاغلاق والاقفال ومن علم مفاتحها وكيف تفتح توصل اليها فاراد انه هو المتوصل الى المغيبات
وحده لا يتوصل اليها غيره كمن عنده مفاتح اقفال المخازن ويعلم فتحها فهو المتوصل الى ما في المخازن والمفاتح جمع مفتح
وهو المفتاح وقرئ مفاتيح وقيل هي جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن • ولا حبة ولا رطب ولا يابس عطف على ورقة وداخل
في حكمها كانه قيل وما يسقط من شيء من هذه الاشياء الا يعلمه وقوله الا في كتاب مبين كالتكرير لقوله الا يعلمها لان
معنى الا يعلمها ومعنى الا في كتاب مبين واحد والكتاب المبين علم الله او اللوح وقرئ ولا حبة ولا رطب ولا يابس بالرفع وفيه
وجهان ان يكون عطفا على محل من ورقة وان يكون رفعا على الابتداء وخبره الا في كتاب مبين كقولك لا رجل منهم
ولا امرأة الا في الدار • وهو الذي يتوفيكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه
ليقضى اجل مسمى ثم اليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون • وهو الذي يتوفيكم بالليل الخطاب
للكفرة اي انتم منسدحون الليل كله كالجيف ويعلم ما جرحتم بالنهار ما كسبتم من الاثام فيه ثم يبعثكم من
القبور في شأن ذلك الذي قطعتم به اعماركم من النوم بالليل وكسب الاثام بالنهار ومن اجله كقولك فيم دعوتني فيقول
في امر كذا ليقضى اجل مسمى وهو الاجل الذي سماه وضربه لبعث الموتى وجزائهم على اعمالهم ثم اليه مرجعكم وهو المرجع
الى موقف الحساب ثم ينبئكم بما كنتم تعملون في ليلكم ونهاركم • وهو القاهر فوق عباده ويرسل
عليكم حفظة حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون • حفظة ملائكة
حافظين لاعمالكم وهم الكرام الكاتبون • وعن ابي حاتم السجستاني انه كان يكتب عن الاصمعي كل شيء يلفظ به من فوائد العلم
حتى قال فيه • انت شبه الحفظة • تكتب لغط اللفظة • فقال ابو حاتم وهذا ايضا مما يكتب فان قلت
الله تعالى غني بعلمه عن كتبة الملائكة فما فائدتها قلت فيها لطف للعباد لانهم اذا علموا ان الله تعالى رقيب عليهم
والملائكة الذين هم اشرف خلقه موكلون بهم يحفظون عليهم اعمالهم ويكتبونها في صحائف تعرض على رؤوس الاشهاد في
مواقف القيامة كان ذلك ازجر لهم عن القبيح وابعد من السوء • توفته رسلنا اي استوفت روحه وهم ملك الموت
واعوانه جعلت الارض له مثل الطست يتناول من يتناوله وما من اهل بيت الا ويطوف عليهم في كل يوم مرتين وقرئ
توفاه ويجوز ان يكون ماضيا ومضارعا بمعنى تتوفاه ويفرطون بالتشديد والتخفيف فالتفريط التواني والتأخير عن الحد
والافراط مجاوزة الحد اي لا ينقصون مما امروا به ولا يزيدون فيه • ثم ردوا الى الله مولاهم الحق الا
له الحكم وهو اسرع الحاسبين • ثم ردوا الى الله اي الى حكمه وجزائه مولاهم مالكهم الذي يلي عليهم امورهم
الحق العدل الذي لا يحكم الا بالحق الا له الحكم يومئذ لا حكم فيه لغيره وهو اسرع الحاسبين لا يشغله حساب عن حساب
وقرئ الحق بالنصب على المدح كقولك الحمد لله الحق • قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا
وخفية لئن انجينا من هذه لنكونن من الشاكرين • ظلمات البر والبحر مجاز عن مخاوفهما واهوالهما
يقال لليوم الشديد يوم مظلم ويوم ذو كواكب اي اشتدت ظلمته حتى عاد كالليل ويجوز ان يراد ما يشفون عليه من الخسف
في البر والغرق في البحر بذنوبهم فاذا دعوا وتضرعوا كشف الله تعالى عنهم الخسف والغرق فنجوا من ظلماتهما لئن انجيتنا
على ارادة القول من هذه من هذه الظلمة والشدة وقرئ ينجيكم بالتخفيف والتشديد وانجانا وخفية بالضم والكسر ٥

التسدح الصرع بطحا على الوجه او القاء على الظهر منسدحون منبسطون ممتدون ٥

اشفى على الشيء اشرف عليه ٥

قل ينجيكم منها ومن كل كرب ثم انتم تشركون ● قل هو القادر على ان يبعث عليكم
عذابا من فوقكم او من تحت ارجلكم او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم باس بعض انظر
كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون ● وهو القادر هو الذي عرفتموه قادرا وهو الكامل القدرة
عذابا من فوقكم كما امطر على قوم لوط وعلى اصحاب الفيل الحجارة وارسل على قوم نوح الطوفان او من تحت ارجلكم كما اغرق
فرعون وخسف بقارون وقيل من فوقكم من قبل اكابركم وسلاطينكم ومن تحت ارجلكم من قبل سفلتكم وعبيدكم وقيل
هو حبس المطر والنبات او يلبسكم شيعا او يخلطكم فرقا مختلفين على اهواء شتى كل فرقة منكم مشايعة لامام ومعنى
خلطهم ان ينشب القتال بينهم فيختلطوا ويشتبكوا في ملاحم القتال من قوله ● وكتيبة لبستها بكتيبة حتى اذا التبست
نفضت لها يدي ● وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم سالت الله ان لا يبعث على امتي عذابا من فوقهم او من
تحت ارجلهم فاعطاني ذلك وسالته ان لا يجعل باسهم بينهم فمنعني ذلك واخبرني جبرائيل ان فناء امتي بالسيف
وعن جابر بن عبد الله لما نزل من فوقكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعوذ بوجهك فلما نزل او من تحت ارجلكم
او يلبسكم شيعا قال هاتان اهون ومعنى الآية الوعيد باحد اصناف العذاب المعدودة ● وكذب به قومك
وهو الحق قل لست عليكم بوكيل لكل نبا مستقر وسوف تعلمون ● والضمير في قوله وكذب
به راجع الى العذاب وهو الحق اي لا بد ان ينزل بهم قل لست عليكم بوكيل بحفيظ وكل الي امركم امنعكم من التكذيب
اجبارا انما انا منذر لكل نبا لكل شيء ينبا به يعني انباءهم بانهم يعذبون وايعادهم به مستقر وقت استقرار وحصول
لا بد منه وقيل الضمير في به للقرآن ● واذا رايت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم حتى
يخوضوا في حديث غيره واما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم
الظالمين ● يخوضون في آياتنا في الاستهزاء بها والطعن فيها وكانت قريش في انديتهم يفعلون ذلك
فاعرض عنهم فلا تجالسهم وقم عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره فلا باس ان تجالسهم حينئذ واما ينسينك الشيطان
وان شغلك بوسوسته حتى تنسى النهي عن مجالستهم فلا تقعد معهم بعد الذكرى بعد ان تذكر النهي وقرئ ينسينك
بالتشديد ويجوز ان يراد وان كان الشيطان ينسيك قبح مجالسة المستهزئين لانها مما تنكره العقول فلا تقعد
بعد الذكرى بعد ان ذكرناك قبحها ونبهناك عليه معهم ● وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء
ولكن ذكرى لعلهم يتقون ● وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء وما يلزم المتقين الذين يجالسونهم
شيء مما يحاسبون عليه من ذنوبهم ولكن عليهم ان يذكروهم ذكرى اي اذا سمعوهم يخوضون بالقيام عنهم واظهار الكراهة
لهم وموعظتهم لعلهم يتقون لعلهم يجتنبون الخوض حياء او كراهة لمساءتهم ويجوز ان يكون الضمير للذين يتقون
اي يذكرونهم ارادة ان يثبتوا على تقواهم ويزدادوها ● وروي ان المسلمين قالوا لئن كنا نقوم كلما استهزؤا بالقرآن
لم نستطع ان نجلس في المسجد الحرام وان نطوف فرخص لهم فان قلت ما محل ذكرى قلت يجوز ان يكون
نصبا على ولكن تذكرونهم ذكرى اي تذكيرا او رفعا على ولكن عليهم ذكرى ولا يجوز ان يكون عطفا على محل من شيء
كقولك ما في الدار من احد ولكن زيد لان قوله من حسابهم يابى ذلك ● وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا
وغرتهم الحيوة الدنيا وذكر به ان تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع
وان تعدل كل عدل لا يؤخذ منها اولئك الذين ابسلوا بما كسبوا لهم شراب من حميم وعذاب
اليم بما كانوا يكفرون ● اتخذوا دينهم لعبا ولهوا اي دينهم الذي كان يجب ان ياخذوا به لعبا ولهوا وذلك ان
عبادة الاصنام وما كانوا عليه من تحريم البحائر والسوائب وغير ذلك من باب اللعب واللهو واتباع هوى النفس والعمل بالشهوة
ومن جنس الهزل دون الجد او اتخذوا ما هو لعب ولهو من عبادة الاصنام وغيرها دينا لهم او اتخذوا دينهم الذي كلفوه
ودعوا اليه وهو دين الاسلام لعبا ولهوا حيث سخروا به واستهزؤا وقيل جعل الله لكل قوم عيدا يعظمونه ويصلون
فيه ويعمرونه بذكر الله والناس كلهم من المشركين واهل الكتاب اتخذوا عيدهم لعبا ولهوا غير المسلمين فانهم اتخذوا عيدهم
كما شرعه الله تعالى ومعنى ذرهم اعرض عنهم ولا تبال بتكذيبهم واستهزائهم ولا تشغل قلبك بهم وذكر به اي بالقرآن ان
تبسل نفس مخافة ان تسلم الى الهلكة والعذاب وترتهن بسوء كسبها واصل الابسال المنع لان المسلم اليه يمنع المسلم قال

وابسالي بني بغير جرم ● ومنه هذا عليك بسل اي حرام محظور والباسل الشجاع لامتناعه من قرنه او لانه شديد
البسور يقال بسر الرجل اذا اشتد عبوسه فاذا زاد قالوا بسل والعابس منقبض الوجه وان تعدل كل عدل اي وان تفد
كل فداء والعدل الفدية لان الفادي يعدل المفدي بمثله وكل عدل نصب على المصدر وفاعل يؤخذ منها قوله لا ضمير العدل
لان العدل ههنا مصدر فلا يسند اليه الاخذ واما في قوله ولا يؤخذ منها عدل فبمعنى المفدي به فصح اسناده اليه اولئك
اشارة الى المتخذين دينهم لعبا ولهوا قيل نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه حين دعاه ابنه عبد الرحمن الى عبادة الاوثان
قل اندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على اعقابنا بعد اذ هدانا الله
كالذي استهوته الشياطين في الارض حيران له اصحاب يدعونه الى الهدى ائتنا قل ان
هدى الله هو الهدى وامرنا لنسلم لرب العالمين ● وان اقيموا الصلوة واتقوه وهو
الذي اليه تحشرون ● وهو الذي خلق السموات والارض بالحق ويوم يقول كن فيكون
قل اندعوا انعبد من دون الله الضار النافع ما لا يقدر على نفعنا ولا مضرتنا ونرد على اعقابنا راجعين الى الشرك بعد
اذ انقذنا الله تعالى منه وهدانا للاسلام كالذي استهوته الشياطين كالذي ذهبت به مردة الجن والغيلان في الارض
في المهمه حيران تائها ضالا عن الجادة لا يدري كيف يصنع له اي لهذا المستهوي اصحاب رفقة يدعونه الى الهدى الى ان يهديه
الطريق المستوي او سمي الطريق المستقيم بالهدى يقولون له ائتنا وقد اعتسف المهمه تابعا للجن لا يجيبهم ولا ياتيهم وهذا
مبني على ما تزعمه العرب وتعتقده ان الجن تستهوي الانسان والغيلان تستولي عليه كقوله تعالى كالذي يتخبطه الشيطان
فشبه به الضال عن طريق الاسلام التابع لخطوات الشيطان والمسلمون يدعونه اليه فلا يلتفت اليهم قل ان هدى الله وهو
الاسلام هو الهدى وحده وما وراءه ضلال وغي ومن يبتغ غير الاسلام دينا فماذا بعد الحق الا الضلال فان قلت
ما محل الكاف في قوله كالذي استهوته قلت النصب على الحال من الضمير في نرد على اعقابنا اي انكص مشبهين من استهوته
الشياطين فان قلت ما معنى استهوته قلت هو استفعال من هوى في الارض اذا ذهب فيها كان
معناه طلبت هويه وحرصت عليه فان قلت ما محل امرنا قلت النصب عطفا على محل قوله ان هدى
الله هو الهدى على انهما مقولان كانه قيل قل هذا القول وقل امرنا لنسلم فان قلت ما معنى هذه اللام في لنسلم
قلت هي تعليل للامر بمعنى امرنا وقيل لنا اسلموا لاجل ان نسلم فان قلت فاذا كان هذا وارداً في
شان ابي بكر رضي الله عنه فكيف قيل للرسول قل اندعوا قلت للاتحاد الذي كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم
وبين المؤمنين خصوصا بينه وبين الصديق رضوان الله عليه فان قلت علام عطف قوله وان اقيموا قلت
على موضع لنسلم كانه قيل وامرنا ان نسلم وان اقيموا ويجوز ان يكون التقدير وامرنا لان نسلم ولان اقيموا اي للاسلام ولاقامة الصلوة
قوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير
قوله الحق مبتدا ويوم يقول خبره مقدما عليه وانتصابه بمعنى الاستقرار كقولك يوم الجمعة القتال واليوم بمعنى الحين والمعنى
انه خلق السموات والارض قائما بالحق والحكمة وحين يقول لشيء من الاشياء كن فيكون ذلك الشيء قوله الحق والحكمة اي لا يكون
شيئا من السموات والارض وسائر المكونات الا عن حكمة وصواب ويوم ينفخ ظرف لقوله وله الملك كقوله لمن الملك
اليوم ويجوز ان يكون قوله الحق فاعل يكون على معنى وحين يقول لقوله الحق اي لقضائه الحق كن فيكون قوله الحق وانتصاب
اليوم بمحذوف دل عليه قوله بالحق كانه قيل وحين يكون ويقدر يقوم بالحق عالم الغيب هو عالم الغيب وارتفاعه على المدح
واذ قال ابرهيم لابيه آزر اتتخذ اصناما آلهة اني اريك وقومك في ضلال مبين ● آزر اسم
ابي ابرهيم وفي كتب التواريخ ان اسمه بالسريانية تارخ والاقرب ان يكون وزن آزر فاعل مثل تارخ وعابر وعازر
وشالخ وفالغ وما اشبهها من اسمائهم وهو عطف بيان لابيه وقرئ آزر بالضم على النداء وقيل آزر اسم صنم فيجوز ان
ينبز به للزومه عبادته كما نبز ابن قيس بالرقيات اللاتي كان يشبب بهن فقيل ابن قيس الرقيات وفي شعر بعض المحدثين
ادعى باسماء نبزا في قبائلها ● كان اسماء اضحت بعض اسمائي ● او اريد عابد آزر فحذف المضاف واقيم المضاف اليه
مقامه وقرئ اازرا تتخذ اصناما آلهة بفتح الهمزة وكسرها بعد همزة الاستفهام وزاي ساكنة وراء منصوبة منونة
وهو اسم صنم ومعناه اتعبد ازرا على الانكار ثم قال تتخذ اصناما آلهة تثبيتا لذلك وتقريرا وهو داخل في الانكار لانه كالبيان له

وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين ● فلما جن عليه
الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما افل قال لا احب الافلين ● فلما جن عليه الليل عطف على قال
ابراهيم لابيه وقوله وكذلك نري ابراهيم جملة معترض بها بين المعطوف والمعطوف عليه والمعنى ومثل ذلك التعريف والتبصير
نعرف ابراهيم ونبصره ملكوت السموات والارض يعني الربوبية والالهية ونوفقه لمعرفتها ونرشده بما شرحنا صدره
وسددنا نظره وهديناه لطريق الاستدلال وليكون من الموقنين فعلنا ذلك ونري حكاية حال ماضية وكان ابوه وقومه
يعبدون الاصنام والشمس والقمر والكواكب فاراد ان ينبههم على الخطا في دينهم وان يرشدهم الى طريق النظر والاستدلال
ويعرفهم ان النظر الصحيح مؤد الى ان شيئا منها لا يصح ان يكون الها لقيام دليل الحدوث فيها وان وراءها محدثا
احدثها وصانعا صنعها ومدبرا دبر طلوعها وافولها وانتقالها ومسيرها وسائر احوالها هذا ربي قول من ينصف
خصمه مع علمه انه مبطل فيحكي قوله كما هو غير متعصب لمذهبه لان ذلك ادعى الى الحق وانجى من الشغب ثم يكر عليه بعد حكايته
فيبطله بالحجة لا احب الافلين لا احب عبادة الارباب المتغيرين عن حال الى حال المتنقلين من مكان الى مكان المحتجبين
بستر فان ذلك من صفات الاجرام ● فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما افل قال لئن لم يهدني
ربي لاكونن من القوم الضالين ● بازغا مبتدئا في الطلوع لئن لم يهدني ربي تنبيه لقومه على ان من اتخذ القمر
الها وهو نظير الكواكب في الافول فهو ضال وان الهداية الى الحق بتوفيق الله ولطفه ● فلما رأى الشمس بازغة
قال هذا ربي هذا اكبر فلما افلت قال يا قوم اني بريء مما تشركون ● اني وجهت وجهي
للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين ● هذا اكبر من باب استعمال النصفة
ايضا مع خصومه اني بريء مما تشركون من الاجرام التي تجعلونها شركاء لخالقها اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض
اي للذي دلت هذه المحدثات عليه وعلى انه مبتدئها ومبتدعها وقيل هذا كان نظره واستدلاله في نفسه فحكاه الله عز وجل
والاول اظهر لقوله لئن لم يهدني ربي وقوله يا قوم اني بريء مما تشركون فان قلت لم احتج عليهم بالافول دون
البزوغ وكلاهما انتقال من حال الى حال قلت الاحتجاج بالافول اظهر لانه انتقال مع خفاء واحتجاب فان قلت
ما وجه التذكير في قوله هذا ربي والاشارة للشمس قلت جعل المبتدأ مثل الخبر لكونهما عبارة عن شيء واحد كقولهم
ما جاءت حاجتك ومن كانت امك ولم تكن فتنتهم الا ان قالوا وكان اختيار هذه الطريقة واجبا لصيانة الرب عن
شبهة التانيث الا تراهم قالوا في صفات الله تعالى علام ولم يقولوا علامة وان كان العلامة ابلغ احترازا من علامة
التانيث وقرئ ترى ابراهيم ملكوت السموات بالتاء ورفع الملكوت ومعناه تبصره دلائل الربوبية ● وحاجه
قومه قال اتحاجوني في الله وقد هدان ولا اخاف ما تشركون به الا ان يشاء ربي شيئا
وسع ربي كل شيء علما افلا تتذكرون ● وحاجه قومه كانوا قد حاجوه في توحيد الله تعالى ونفي الشركاء
عنه منكرين لذلك وقد هدان يعني الى التوحيد ولا اخاف ما تشركون به وقد خوفوه ان معبوداتهم تصيبه بسوء الا
ان يشاء ربي شيئا الا وقت مشية ربي شيئا يخاف فحذف الوقت يعني لا اخاف معبوداتكم في وقت قط لانها
لا تقدر على منفعة ولا مضرة الا اذا شاء ربي ان يصيبني بمخوف من جهتها ان اصبت ذنبا استوجب به انزال
المكروه مثل ان يرجمني بكوكب او بشقة من الشمس او القمر او يجعلها قادرة على مضرتي وسع ربي كل شيء علما اي ليس
بعجب ولا مستبعد ان يكون في علمه انزال المخوف بي من جهتها افلا تتذكرون فتميزوا بين الصحيح والفاسد والقادر والعاجز
وكيف اخاف ما اشركتم ولا تخافون انكم اشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فاي
الفريقين احق بالامن ان كنتم تعلمون ● الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك
لهم الامن وهم مهتدون ● وكيف اخاف لتخويفكم شيئا مامون الخوف لا يتعلق به ضرر بوجه وانتم لا تخافون
ما يتعلق به كل خوف وهو اشراككم بالله تعالى ما لم ينزل باشراكه سلطانا اي حجة لان الاشراك لا يصح ان يكون عليه حجة
كانه قال وما لكم تنكرون علي الامن في موضع الامن ولا تنكرون على انفسكم الامن في موضع الخوف ولم يقل فاينا احق بالامن
انا ام انتم احترازا من تزكية نفسه فعدل عنه الى قوله فاي الفريقين يعني فريقي المشركين والموحدين ثم استانف
الجواب عن السؤال بقوله الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اي لم يخلطوا ايمانهم بمعصية تفسقهم وابى تفسير الظلم بالكفر لفظ اللبس

وتلك

وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم ●
وتلك اشارة الى جميع ما احتج به ابراهيم عليه السلام على قومه من قوله فلما جن عليه الليل الى قوله وهم مهتدون ومعنى آتيناها
ارشدناه اليها ووفقناه لها نرفع درجات من نشاء يعني في العلم والحكمة وقرئ بالتنوين ● ووهبنا له
اسحق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وايوب
ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزي المحسنين ● وزكريا ويحيى وعيسى والياس
كل من الصالحين ● واسمعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين
ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم واجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم
ومن ذريته الضمير لنوح او لابراهيم وداود عطف على نوحا اي وهدينا داود ومن آبائهم في موضع النصب عطفا على كلا
بمعنى وفضلنا بعض آبائهم ● ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ولو اشركوا
لحبط عنهم ما كانوا يعملون ● ولو اشركوا مع فضلهم وتقدمهم وما رفع لهم من الدرجات لكانوا كغيرهم في
حبوط اعمالهم كما قال لئن اشركت ليحبطن عملك ● اولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة
فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين ● آتيناهم الكتاب يريد الجنس فان يكفر
بها بالكتاب والحكم والنبوة هؤلاء يعني اهل مكة قوما هم الانبياء المذكورون ومن تابعهم بدليل قوله اولئك الذين هدى الله
فبهداهم اقتده وبدليل وصل قوله فان يكفر بها هؤلاء بما قبله وقيل هم اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وكل من آمن به وقيل كل
مؤمن من بني آدم وقيل الملائكة والانصار انها لهم وعن مجاهد هم الفرس ومعنى توكيلهم بها انهم وفقوا للايمان
بها والقيام بحقوقها كما يوكل الرجل بالشيء ليقوم به ويتعهده ويحافظ عليه والباء في بها صلة كافرين وفي بكافرين لتاكيد النفي
اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده قل لا اسالكم عليه اجرا ان هو الا ذكرى للعالمين
فبهداهم اقتده فاختص هداهم بالاقتداء ولا تقتد الا بهم وهذا معنى تقديم المفعول والمراد بهداهم طريقتهم في الايمان بالله
وتوحيده واصول الدين دون الشرائع فانها مختلفة وهي هدى ما لم تنسخ فاذا نسخت لم تبق هدى بخلاف اصول الدين فانها
هدى ابدا والهاء في اقتده للوقف تسقط في الدرج واستحسن ايثار الوقف لثبات الهاء في المصحف ● وما قدروا الله
حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء قل من انزل الكتاب الذي جاء به
موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم ما لم تعلموا انتم
ولا آباؤكم قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون ● وما قدروا الله حق قدره وما عرفوه حق معرفته في
الرحمة على عباده واللطف بهم حين انكروا بعثة الرسل والوحي اليهم وذلك من اعظم رحمته واجل نعمته وما ارسلناك الا رحمة
للعالمين او ما عرفوه حق معرفته في سخطه على الكافرين وشدة بطشه بهم ولم يخافوه حين جسروا على تلك المقالة العظيمة
من انكار النبوة والقائلون هم اليهود بدليل قراءة من قرأ تجعلونه بالتاء وكذلك تبدونها وتخفون وانما قالوا ذلك مبالغة
في انكار انزال القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فالزموا ما لا بد لهم من الاقرار به من انزال التورية على موسى وادرج
تحت الالزام توبيخهم وان نعى عليهم سوء جهلهم لكتابهم وتحريفهم وابداء بعض واخفاء بعض فقيل جاء به موسى وهو نور وهدى
للناس حتى غيروه ونقصوه وجعلوه قراطيس مقطعة وورقات مفرقة ليتمكنوا مما راموا من الابداء والاخفاء
وروي ان مالك بن الصيف من احبار اليهود ورؤسائهم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدك بالذي انزل التورية
على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين فانت الحبر السمين قد سمنت من مالك الذي تطعمك اليهود فضحك
القوم فغضب ثم التفت الى عمر رضي الله عنه فقال ما انزل الله على بشر من شيء فقال له قومه ويلك ما هذا الذي بلغنا
عنك قال انه اغضبني فنزعوه وجعلوا مكانه كعب بن الاشرف ● وقيل القائلون قريش وقد الزموا انزال التورية
لانهم كانوا يسمعون من اليهود بالمدينة ذكر موسى والتورية وكانوا يقولون لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم
وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا آباؤكم الخطاب لليهود اي علمتم على لسان محمد صلى الله عليه وسلم مما اوحي اليه ما لم تعلموا انتم
وانتم حملة التورية ولم يعلمه آباؤكم الاقدمون الذين كانوا اعلم منكم ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون
وقيل الخطاب لمن آمن من قريش كقوله تعالى لتنذر قوما ما انذر آباؤهم قل الله اي انزله الله فانهم لا يقدرون ان يناكروك

ثم ذرهم في خوضهم في باطلهم الذي يخوضون فيه ولا عليك بعد الزام الحجة ويقال لمن كان في عمل لا يجدي عليه انما انت
لاعب ويلعبون حال من ذرهم او من خوضهم ويجوز ان يكون في خوضهم حالا من يلعبون وان يكون صلة لذرهم
وهذا كتاب انزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه ولتنذر ام القرى ومن حولها
والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلوتهم يحافظون مبارك كثير المنافع والفوائد
ولتنذر معطوف على ما دل عليه صفة الكتاب كأنه قيل انزلناه للبركات وتصديق ما تقدمه من الكتب وللانذار وقرئ
وليُنذر بالتاء والياء وسميت مكة ام القرى لانها مكان اول بيت وضع للناس ولانها قبلة اهل القرى كلها
ومحجهم ولانها اعظم القرى شأنا ولبعض المجاورين فمن يلق في بعض القريات رحله فام القرى ملقى رحالي ومنتابي
والذين يؤمنون بالآخرة يصدقون بالعاقبة ويخافونها يؤمنون بهذا الكتاب وذلك ان اصل الدين خوف العاقبة فمن
خافها لم يزل به الخوف حتى يؤمن وخص الصلوة لانها عماد الدين ومن حافظ عليها كانت لطفا له في المحافظة على اخواتها
ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء ومن قال سانزل
مثل ما انزل الله ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا ايديهم
اخرجوا انفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق
وكنتم عن آياته تستكبرون افترى على الله كذبا فزعم ان الله تعالى بعثه نبيا او قال اوحي الي ولم يوح
اليه شيء وهو مسيلمة الحنفي الكذاب او كذاب صنعاء الاسود العنسي وعن النبي صلى الله عليه وسلم رايت فيما يرى
النائم كان في يدي سوارين من ذهب فكبرا علي واهماني فاوحى الله الي ان انفخهما فنفختهما فطارا عني فاولتهما
الكذابين اللذين انا بينهما كذاب اليمامة مسيلمة وكذاب صنعاء الاسود العنسي ومن قال سانزل مثل ما انزل
الله هو عبد الله بن سعد بن ابي سرح القرشي كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اذا املى عليه سميعا بصيرا كتب
هو عليما حكيما واذا قال عليما حكيما كتب غفورا رحيما فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الى آخر الآية
عجب عبد الله من تفصيل خلق الانسان فقال فتبارك الله احسن الخالقين فقال عليه الصلوة والسلام اكتبها فكذلك
نزلت فشك عبد الله وقال لئن كان محمد صادقا لقد اوحي الي كما اوحي اليه وان كان كاذبا لقد قلت كما قال فارتد عن الاسلام
ولحق بمكة ثم رجع مسلما قبل فتح مكة وقيل هو النضر بن الحارث والمستهزؤن ولو ترى جوابه محذوف اي لرايت امرا عظيما اذ
الظالمون يريد الذين ذكرهم من اليهود والمتنبئة فيكون اللام للعهد ويجوز ان يكون للجنس فيدخل فيه هؤلاء لاشتماله وغمرات
الموت شدائده وسكراته واصل الغمرة ما يغمر من الماء فاستعيرت للشدة الغالبة باسطوا ايديهم يبسطون اليهم ايديهم
يقولون هاتوا ارواحكم اخرجوها الينا من اجسادكم وهذه عبارة عن العنف في السياق والالحاح والتشديد في الازهاق من
غير تنفيس وامهال وانهم يفعلون بهم فعل الغريم الملظ يبسط يده الى من عليه الحق ويعنف عليه في المطالبة ولا يمهله
ويقول له اخرج الي ما لي عليك الساعة ولا اريم مكاني حتى انزعه من احداقك وقيل معناه باسطوا ايديهم عليهم
بالعذاب اخرجوا انفسكم خلصوها من ايدينا اي لا تقدرون على الخلاص اليوم تجزون يجوز ان يريدوا وقت الاماتة وما
يعذبون به من شدة النزع وان يريدوا الوقت الممتد المتطاول الذي يلحقهم فيه العذاب في البرزخ والقيمة والهون
الشديد واضافة العذاب اليه كقولك رجل سوء يريد العراقة في الهوان والتمكن فيه عن آياته تستكبرون فلا تؤمنون بها
ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى
معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم
تزعمون فرادى منفردين عن اموالكم واولادكم وما حرصتم عليه وآثرتموه من دنياكم وعن اوثانكم الذين زعمتم انها
شفعاؤكم وشركاء لله كما خلقناكم اول مرة على الهيئة التي ولدتم عليها في الانفراد وتركتم ما خولناكم ما تفضلنا
به عليكم في الدنيا فشغلتم به عن الآخرة وراء ظهوركم لم تحتملوا منه نقيرا ولا قدمتموه لانفسكم فيكم شركاء
في استعبادكم لانهم حين دعوهم آلهة وعبدوها فقد جعلوا لله شركاء فيهم وفي استعبادهم وقرئ فرادى بالتنوين وفراد
مثل ثلاث وفردى مثل سكرى فان قلت كما خلقناكم في اي محل هو قلت في محل النصب صفة
لمصدر جئتمونا اي مجيئا مثل خلقنا لكم لقد تقطع بينكم وقع التقطع بينكم كما تقول جمع بين الشيئين تريد اوقع الجمع

بينهما على اسناد الفعل الى مصدره بهذا التاويل ومن رفع فقد اسند الفعل الى الظرف كما تقول قوتل خلفكم
وامامكم وفي قراءة عبد الله لقد تقطع ما بينكم ان الله فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت
ومخرج الميت من الحي ذلكم الله فانى تؤفكون فالق الحب والنوى بالنبات والشجر وعن
مجاهد اراد الشقين اللذين في النواة والحنطة يخرج الحي من الميت اي الحيوان والنامي من النطف والبيض والحب
والنوى ومخرج هذه الاشياء الميتة من الحيوان والنامي فان قلت كيف قال ومخرج الميت من الحي بلفظ
اسم الفاعل بعد قوله يخرج الحي من الميت قلت عطفه على فالق الحب لا على الفعل ويخرج الحي من الميت موقعه موقع
الجملة المبينة لقوله فالق الحب والنوى لان فلق الحب والنوى بالنبات والشجر النامين من جنس اخراج الحي من الميت
لان النامي في حكم الحيوان الا ترى الى قوله تعالى يحيي الارض بعد موتها ذلكم الله ذلكم المحيي والمميت هو الله الذي تحق له
الربوبية فانى تؤفكون فكيف تصرفون عنه وعن توليه الى غيره فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا
والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم والاصباح مصدر سمي به الصبح وقرأ الحسن
بفتح الهمزة جمع صبح وانشد قوله افني رباحا وبني رباح تناسخ الامساء والاصباح بالكسر والفتح مصدرين وجمع
مسي وصبح فان قلت فما معنى فلق الصبح والظلمة هي التي تنفلق عن الصبح كما قال تفرى ليل عن بياض
نهار قلت فيه وجهان احدهما ان يراد فالق ظلمة الاصباح وهي الغبش في آخر الليل ومنقضاه الذي يلي الصبح
والثاني ان يراد فالق الاصباح الذي هو عمود الفجر عن بياض النهار واسفاره وقالوا انشق عمود الفجر وانصدع الفجر وسموا
الفجر فلقا بمعنى مفلوق وقال الطائي وازرق الفجر يبدو قبل ابيضه وقرئ فالق الاصباح وجاعل الليل بالنصب على المدح
وقرأ النخعي فلق الاصباح وجعل الليل السكن ما يسكن اليه الرجل ويطمئن استيناسا به واسترواحا اليه من زوج
او حبيب ومنه قيل للنار سكن لانه يستأنس بها الا تراهم سموها المؤنسة والليل يطمئن اليه المتعب بالنهار لاستراحته فيه
وجمامه ويجوز ان يراد وجعل الليل مسكونا فيه من قوله لتسكنوا فيه والشمس والقمر قرئا بالحركات الثلاث فالنصب على اضمار
فعل دل عليه جاعل الليل اي وجعل الشمس والقمر حسبانا او يعطفان على محل الليل فان قلت كيف يكون لليل
محل والاضافة حقيقية لان اسم الفاعل المضاف اليه في معنى المضي ولا تقول زيد ضارب عمرا امس قلت ما هو في معنى
المضي وانما هو دال على جعل مستمر في الازمنة المختلفة وكذلك فالق الحب وفالق الاصباح كما تقول الله قادر عالم فلا
تقصد زمانا دون زمان والجر عطف على لفظ الليل والرفع على الابتداء والخبر محذوف تقديره والشمس والقمر مجعولان
حسبانا او محسوبان حسبانا ومعنى جعل الشمس والقمر حسبانا جعلهما على حسبان لان حساب الاوقات يعلم بدورهما
وسيرهما والحسبان بالضم مصدر حسب كما ان الحسبان بالكسر مصدر حسب ونظيره الكفران والشكران ذلك اشارة
الى جعلهما حسبانا اي ذلك السير بالحساب المعلوم تقدير العزيز الذي قهرهما وسخرهما العليم بتدبيرهما وتدويرهما
وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون
في ظلمات البر والبحر في ظلمات الليل بالبر والبحر واضافها اليهما لملابستها لهما او شبه مشتبهات الطرق بالظلمات
وهو الذي انشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم
يفقهون من فتح قاف المستقر كان المستودع اسم مكان مثله او مصدرا ومن كسرها كان اسم فاعل والمستودع
اسم مفعول والمعنى فلكم مستقر في الرحم ومستودع في الصلب او مستقر فوق الارض ومستودع تحتها او فمنكم مستقر
ومنكم مستودع فان قلت لم قيل يعلمون مع ذكر النجوم ويفقهون مع ذكر انشاء بني آدم قلت
كان انشاء الانس من نفس واحدة وتصريفهم بين احوال مختلفة الطف وادق صنعة وتدبيرا فكان ذكر الفقه الذي
هو استعمال فطنة وتدقيق نظر مطابقا له وهو الذي انزل من السماء ماء فاخرجنا به نبات كل
شيء فاخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات
من اعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا الى ثمره اذا اثمر وينعه ان في
ذلكم لآيات لقوم يؤمنون فاخرجنا به بالماء نبات كل شيء نبت كل صنف من اصناف النامي يعني ان السبب واحد
وهو الماء والمسببات صنوف مفتنة كما قال تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل فاخرجنا منه من النبات

هذا البيت لابي نواس في صفة الخمر
ثم انقضى عجبي او بعضه
تردت به
واوله
كأن بقايا ما عفا من حبابه
وقبله
تفاريق شيب في سواد عذاره
تمامه
واول الغيث رش ثم ينسكب

القابه اذا لزمه لا يفارقه

خضرا شيئا غضا اخضر يقال اخضر وخضر كاعور وعور وهو ما تشعب من اصل النبات الخارج من الحبة نخرج منه من الخضر حبا متراكبا وهو السنبل وقنوان رفع بالابتداء ومن النخل خبره ومن طلعها بدل منه كانه قيل وحاصلة من طلع النخل قنوان ويجوز ان يكون الخبر محذوفا لدلالة اخرجنا عليه تقديره ومخرجة من طلع النخل قنوان ومن قرا يخرج منه حب متراكب كان قنوان عنده معطوفا على حب والقنوان جمع قنو ونظيره صنو وصنوان وقرئ بضم القاف وبفتحها على انه اسم جمع كركب لان فعلان ليس من زنات التكسير دانية سهلة المجتنى معرضة للقاطف كالشيء الداني القريب المتناول ولان النخلة وان كانت صغيرة ينالها القاعد فانها تاتي بالثمر لا تنتظر الطول وقال الحسن دانية قريب بعضها من بعض وقيل ذكر القريبة وترك ذكر البعيدة لان النعمة فيها اظهر ودل بذكر القريبة على ذكر البعيدة كقوله سرابيل تقيكم الحر وقوله وجنات من اعناب فيه وجهان احدهما ان يراد وثم جنات من اعناب اي مع النخل والثاني ان يعطف على قنوان على معنى وحاصلة او ومخرجة من النخل قنوان وجنات من اعناب اي من نبات اعناب وقرئ وجنات بالنصب عطفا على نبات كل شيء اي واخرجنا به جنات من اعناب وكذلك قوله والزيتون والرمان والاحسن ان ينتصبا على الاختصاص كقوله تعالى والمقيمين الصلوة لفضل هذين الصنفين مشتبها وغير متشابه يقال اشتبه الشيئان وتشابها كقولك استويا وتساويا والافتعال والتفاعل يشتركان كثيرا وقرئ متشابها وغير متشابه وتقديره والزيتون متشابها وغير متشابه والرمان كذلك كقوله رماني بامر كنت منه ووالدي بريئا والمعنى بعضه متشابها وبعضه غير متشابه في القدر واللون والطعم وذلك دليل على التعمد دون الاهمال انظروا الى ثمره اذا اثمر اذا اخرج ثمره كيف يخرجه ضئيلا ضعيفا لا يكاد ينتفع به وانظروا الى حال ينعه ونضجه كيف يعود شيئا جامعا لمنافع وملاذ نظر اعتبار واستبصار واستدلال على قدرة مقدره ومدبره وناقله من حال الى حال وقرئ وينعه بالضم يقال ينعت الثمرة ينعا وينعا وقرا ابن محيصن ويانعه وقرئ وثمره

وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون ان جعلت لله شركاء مفعولي جعلوا نصبت الجن بدلا من شركاء وان جعلت لله لغوا كان شركاء الجن مفعولين قدم ثانيهما على الاول **فان قلت** ما فائدة التقديم **قلت** فائدته استعظام ان يتخذ لله شريك من كان ملكا او جنيا او انسيا او غير ذلك ولذلك قدم اسم الله عز وجل على الشركاء وقرئ الجن بالرفع كانه قيل من هم فقيل الجن وبالجر على الاضافة التي للتبيين والمعنى اشركوهم في عبادته لانهم اطاعوهم كما يطاع الله عز وجل وقيل هم الذين زعموا ان الله خالق الخير وكل نافع وابليس خالق الشر وكل ضار وخلقهم وخلق الجاعلين لله شركاء ومعناه وعلموا ان الله عز وجل خالقهم دون الجن ولم يمنعهم علمهم ان يتخذوا من لا يخلق شريكا للخالق وقيل الضمير للجن وقرئ وخلقهم اي اختلاقهم للافك يعني وجعلوا لله خلقهم حيث نسبوا قبائحهم الى الله تعالى في قولهم والله امرنا بها وخرقوا له وخلقوا له اي افتعلوا له بنين وبنات وهو قول اهل الكتابين في المسيح وعزير وقول قريش في الملائكة يقال خلق الافك وخرقه واختلقه واخترقه بمعنى وسئل الحسن عنه فقال كلمة عربية كانت العرب تقولها كان الرجل اذا كذب كذبة في نادي القوم يقول له بعضهم قد خرقها والله ويجوز ان يكون من خرق الثوب اذا شقه اي اشتقوا له بنين وبنات وقرئ وخرقوا بالتشديد للتكثير لقوله بنين وبنات وقرا ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهم وحرفوا له بمعنى وزوروا له اولادا لان المزور محرف مغير للحق الى الباطل بغير علم من غير ان يعلموا حقيقة ما قالوه من خطا او صواب ولكن رميا بقول عن عمى وجهالة من غير فكر وروية **بديع السموات والارض انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم** بديع السموات من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها كقولك فلان بديع الشعر اي بديع شعره او هو بديع في السموات كقولك فلان ثبت الغدر اي ثابت فيه والمعنى انه عديم المثل فيها وقيل البديع بمعنى المبدع وارتفاعه على انه خبر مبتدا محذوف او هو مبتدا وخبره انى يكون له ولد او فاعل تعالى وقرئ بالجر ردا على قوله وجعلوا لله او على سبحانه وبالنصب على المدح وفيه ابطال الولد من ثلثة اوجه احدها ان مبتدع السموات والارض وهي اجسام عظيمة لا يستقيم ان يوصف بالولادة لان الولادة من صفات الاجسام ومخترع الاجسام لا يكون جسما حتى يكون والدا والثاني ان الولادة لا تكون الا بين زوجين من جنس واحد وهو متعال عن مجانس فلم يصح ان تكون له صاحبة فلم تصح الولادة والثالث انه ما من شيء الا وهو خالقه والعالم به ومن كان بهذه الصفة كان غنيا عن كل شيء والولد انما يطلبه المحتاج وقرئ

ولم يكن له صاحبة بالياء وانما جاز للفصل كقوله لقد ولد الاخيطل ام سوء **ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل** ذلكم اشارة الى الموصوف بما تقدم من الصفات وهو مبتدا وما بعده اخبار مترادفة وهي الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء اي ذلكم الجامع لهذه الصفات فاعبدوه مسبب عن مضمون الجملة على معنى ان من استجمعت له هذه الصفات كان هو الحقيق بالعبادة فاعبدوه ولا تعبدوا من دونه بعض خلقه ثم قال وهو على كل شيء وكيل يعني وهو مع تلك الصفات مالك لكل شيء من الارزاق والاجال رقيب على الاعمال **لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير** البصر هو الجوهر اللطيف الذي ركبه الله تعالى في حاسة النظر به تدرك المبصرات فالمعنى ان الابصار لا تتعلق به ولا تدركه لانه متعال ان يكون مبصرا في ذاته لان الابصار انما تتعلق بما كان في جهة اصلا او تابعا كالاجسام والهيئات وهو يدرك الابصار وهو للطف ادراكه للمدركات يدرك تلك الجواهر اللطيفة التي لا يدركها مدرك وهو اللطيف يلطف عن ان تدركه الابصار الخبير بكل لطيف فهو يدرك الابصار لا تلطف عن ادراكه وهذا من باب اللطف **قد جاءكم بصائر من ربكم فمن ابصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما انا عليكم بحفيظ** قد جاءكم بصائر من ربكم هو وارد على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله وما انا عليكم بحفيظ والبصيرة نور القلب الذي به يستبصر كما ان البصر نور العين الذي به تبصر اي جاءكم من الوحي والتنبيه على ما يجوز على الله عز وجل وما لا يجوز ما هو للقلوب كالبصائر فمن ابصر الحق وآمن فلنفسه ابصر واياها نفع ومن عمي عنه فعلى نفسه عمي واياها ضر بالعمى وما انا عليكم بحفيظ احفظ اعمالكم واجازيكم عليها انما انا منذر والله هو الحفيظ عليكم **وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست ولنبينه لقوم يعلمون** وليقولوا جوابه محذوف تقديره وليقولوا درست نصرفها ومعنى درست قرات وتعلمت وقرئ دارست اي دارست العلماء ودرست بمعنى قدمت هذه الآيات وعفت كما قالوا اساطير الاولين ودرست بضم الراء مبالغة في درست اي اشتد دروسها ودرست على البناء للمفعول بمعنى قرئت او عفيت ودارست وفسروها بدارست اليهود محمدا صلى الله عليه وسلم وجاز الاضمار لان الشهرة بالدراسة كانت لليهود عندهم ويجوز ان يكون الفعل للآيات وهو لاهلها اي دارس اهل الآيات وحملتها محمدا صلى الله عليه وسلم وهم اهل الكتاب ودرس اي درس محمد صلى الله عليه وسلم ودارسات اي هن دارسات اي قديمات او ذات دروس كعيشة راضية **فان قلت** اي فرق بين اللامين في ليقولوا ولنبينه **قلت** الفرق بينهما ان الاولى مجاز والثانية حقيقة وذلك ان الآيات صرفت للتبيين ولم تصرف ليقولوا دارست ولكن لما حصل هذا القول بتصريف الآيات كما حصل التبيين شبه به فسيق مساقه وقيل ليقولوا كما قيل ولنبينه **فان قلت** الام يرجع الضمير في قوله ولنبينه **قلت** الى الآيات لانها في معنى القرآن كانه قيل وكذلك نصرف القرآن او الى القرآن وان لم يجر له ذكر لكونه معلوما او الى التبيين الذي هو مصدر الفعل كقولهم ضربته زيدا ويجوز ان يراد فيمن قرا درست ودارست درست الكتاب ودارسته فيرجع الى الكتاب المقدر **اتبع ما اوحي اليك من ربك لا اله الا هو واعرض عن المشركين ولو شاء الله ما اشركوا وما جعلناك عليهم حفيظا** لا اله الا هو اعتراض اكد به ايجاب اتباع الوحي لا محل له من الاعراب ويجوز ان يكون حالا من ربك وهي حال موكدة كقوله وهو الحق مصدقا **ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم كذلك زينا لكل امة عملهم ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون** ولا تسبوا الآلهة الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله وذلك انهم قالوا عند نزول قوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم لتنتهين عن سب آلهتنا او لنهجون الهك وقيل كان المسلمون يسبون آلهتهم فنهوا لئلا يكون سبهم سببا لسب الله تعالى **فان قلت** سب الآلهة حق وطاعة فكيف صح النهي عنه وانما يصح النهي عن المعاصي **قلت** رب طاعة علم انها تكون مفسدة فتخرج عن ان تكون طاعة فيجب النهي عنها لانها معصية لا لانها طاعة كالنهي عن المنكر هو من اجل الطاعات فاذا علم انه يؤدي الى زيادة الشر انقلب معصية ووجب النهي عن ذلك النهي كما يجب النهي عن المنكر **فان قلت** فقد روي عن الحسن وابن سيرين انهما حضرا جنازة فرأى محمد نساء فرجع فقال الحسن لو تركنا الطاعة

لاجل المعصية لاسرع ذلك في ديننا قلت ليس هذا مما نحن بصدده لان حضور الرجال الجنازة طاعة
وليس بسبب لحضور النساء فانهن يحضرنها حضر الرجال او لم يحضروا بخلاف سب الآلهة وانما خيل الى محمد رحمه الله
انه مثله حتى نبه عليه الحسن عدوا ظلما وعدوانا وقرئ عدوا بضم العين وتشديد الواو وبمعناه يقال عدا فلان عدوا
وعدوا وعدوانا وعداء وعن ابن كثير عدوا بفتح العين بمعنى اعداء بغير علم على جهالة بالله وبما يجب ان يذكر
به كذلك زينا لكل امة مثل ذلك التزيين زينا لكل امة من امم الكفار سوء عملهم اي خليناهم وشانهم ولم
نكفهم حتى حسن عندهم سوء عملهم او امهلنا الشيطان حتى زين لهم او زيناه في زعمهم وقولهم ان الله امرنا بهذا
وزينه لنا فينبئهم فيخبرهم عليه ويعاتبهم ويعاقبهم واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم
آية ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون
لئن جاءتهم آية من مقترحاتهم ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله وهو قادر عليها ولكنه لا ينزلها الا على موجب الحكمة
او انما الآيات عند الله لا عندي فكيف اجيبكم اليها وآتيكم بها وما يشعركم وما يدريكم انها ان الآية التي يقترحونها اذا
جاءت لا يؤمنون بها يعني انا اعلم انها اذا جاءت لا يؤمنون بها وانتم لا تدرون بذلك وذلك ان المؤمنين كانوا
يطمعون في ايمانهم اذا جاءت تلك الآية ويتمنون مجيئها فقال عز وجل وما يدريكم انهم لا يؤمنون على معنى انكم لا تدرون
ما سبق علمي به من انهم لا يؤمنون الا ترى الى قوله كما لم يؤمنوا به اول مرة وقيل انها بمعنى لعلها من قول العرب ائت
السوق انك تشتري لحما وقال امرؤ القيس: عوجا على الطلل المحيل لاننا * نبكي الديار كما بكى ابن خذام
ويقويها قراءة ابي لعلها اذا جاءتهم لا يؤمنون وقرئ انها بالكسر على ان الكلام قد تم قبله يعني وما يشعركم انها اذا
جاءتهم لا يؤمنون اي يحلفون بانهم يؤمنون عند مجيئها وما يشعرهم ان تكون قلوبهم حينئذ كما كانت عند نزول
القرآن وغيره من الآيات مطبوعا عليها فلا يؤمنون بها ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا
به اول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون ونقلب افئدتهم ونذرهم عطف على لا يؤمنون واخل
في حكم وما يشعركم يعني وما يشعركم انهم لا يؤمنون وما يشعركم انا نقلب افئدتهم وابصارهم اي نطبع على قلوبهم
وابصارهم فلا يفقهون ولا يبصرون الحق كما كانوا عند نزول آياتنا اولا لا يؤمنون بها لكونهم مطبوعا على قلوبهم
وما يشعركم انا نذرهم في طغيانهم اي نخليهم وشانهم لا نكفهم عن الطغيان حتى يعمهوا فيه وقرئ ويقلب
ويذرهم اي الله تعالى وقرا الاعمش وتقلب افئدتهم وابصارهم على البناء للمفعول ولو اننا نزلنا
اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله
ولكن اكثرهم يجهلون ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة كما قالوا لولا انزل علينا الملائكة وكلمهم
الموتى كما قالوا فاتوا بآبائنا وحشرنا عليهم كل شيء قبلا كما قالوا او تاتي بالله والملائكة قبيلا قبلا كفلاء بصحة
ما بشرنا به وانذرنا او جماعات وقيل قبلا مقابلة وقرئ قبلا اي عيانا الا ان يشاء الله مشيئة اكراه واضطرار
ولكن اكثرهم يجهلون فيقسمون بالله جهد ايمانهم على ما لا يشعرون من حال قلوبهم عند نزول الآيات او ولكن
اكثر المسلمين يجهلون ان هؤلاء لا يؤمنون الا ان يضطرهم فيطمعون في ايمانهم اذا جاءت الآية المقترحة
وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول
غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا وكما خلينا
بينك وبين اعدائك كذلك فعلنا بمن قبلك من الانبياء واعدائهم لم نمنعهم من العداوة لما فيه من الامتحان
الذي هو سبب ظهور الثبات والصبر وكثرة الثواب والاجر وانتصب شياطين على البدل من عدوا او على انهما
مفعولان كقوله تعالى وجعلوا لله شركاء الجن يوحي بعضهم الى بعض يوسوس شياطين الجن الى شياطين الانس
وكذلك بعض الجن الى بعض وبعض الانس الى بعض وعن مالك بن دينار ان شيطان الانس اشد علي من
شياطين الجن لاني اذا تعوذت بالله ذهب شيطان الجن وشيطان الانس يجيئني فيجرني الى المعاصي عيانا
زخرف القول ما يزينه من القول والوسوسة والاغراء على المعاصي ويموهه غرورا خدعا واخذا على غرة ولو شاء
ربك ما فعلوه ما فعلوا ذلك اي الايحاء او ما اوحى بعضهم الى بعض زخرف القول بان يكفهم ولا يخليهم وشانهم

ولتصغى

ولتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون
ولتصغى جوابه محذوف تقديره وليكون ذلك جعلنا لكل نبي عدوا على ان اللام لام الصيرورة وتحقيقها
ما ذكر والضمير في اليه يرجع الى ما رجع اليه الضمير في فعلوه اي ولتميل الى ما ذكر من عداوة الانبياء ووسوسة الشياطين
افئدة الكفار وليرضوه لانفسهم وليقترفوا ما هم مقترفون من الآثام افغير الله ابتغي حكما وهو
الذي انزل اليكم الكتاب مفصلا والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق
فلا تكونن من الممترين افغير الله ابتغي حكما على ارادة القول اي قل يا محمد افغير الله اطلب حاكما يحكم بيني
وبينكم ويفصل المحق منا من المبطل وهو الذي انزل اليكم الكتاب المعجز مفصلا مبينا فيه الفصل بين الحق والباطل
والشهادة لي بالصدق وعليكم بالافتراء ثم عضد الدلالة على ان القرآن حق بعلم اهل الكتاب انه حق لتصديقه
ما عندهم وموافقته له فلا تكونن من الممترين من باب التهييج والالهاب كقوله ولا تكونن من المشركين او فلا تكونن
من الممترين في ان اهل الكتاب يعلمون انه منزل بالحق ولا يريبك جحود اكثرهم وكفرهم به ويجوز ان يكون فلا تكونن خطابا
لكل احد على معنى انه اذا تعاضدت الادلة على صحته وصدقه فما ينبغي ان يمتري فيه احد وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله
عليه وسلم خطاب لامته وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع
العليم وتمت كلمات ربك اي تم كل ما اخبر به وامر ونهى ووعد واوعد صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته
لا احد يبدل شيئا من ذلك مما هو اصدق واعدل وصدقا وعدلا نصب على الحال وقرئ كلمة ربك اي ما تكلم به وقيل
هي القرآن وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله ان يتبعون الا الظن
وان هم الا يخرصون ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين
وان تطع اكثر الناس اضلوك لان الاكثر في غالب الامر يتبعون اهواءهم ثم قال ان يتبعون الا الظن وهو ظنهم ان
آباءهم كانوا على الحق فهم يقلدونهم وان هم الا يخرصون يقدرون انهم على شيء او يكذبون في ان الله حرم كذا
واحل كذا وقرئ من يضل بضم الياء اي يضله الله تعالى فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ان كنتم بآياته
مؤمنين فكلوا مسبب عن انكار اتباع المضلين الذين يحلون الحرام ويحرمون الحلال وذلك انهم كانوا يقولون
للمسلمين انكم تزعمون انكم تعبدون الله فما قتل الله احق ان تاكلوا مما قتلتم انتم فقيل للمسلمين ان كنتم متحققين
بالايمان فكلوا مما ذكر اسم الله عليه خاصة دون ما ذكر عليه اسم غيره من آلهتهم او مات حتف انفه وما ذكر اسم الله عليه
هو المذكى ببسم الله وما لكم الا تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم
الا ما اضطررتم اليه وان كثيرا ليضلون باهوائهم بغير علم ان ربك هو اعلم بالمعتدين
وما لكم الا تاكلوا واي غرض لكم في ان لا تاكلوا وقد فصل لكم وقد بين لكم ما حرم عليكم مما لم يحرم وهو قوله تعالى حرمت عليكم
الميتة وقرئ فصل لكم ما حرم عليكم على تسمية الفاعل وهو الله عز وجل الا ما اضطررتم اليه مما حرم عليكم فانه حلال لكم
في حال الضرورة وان كثيرا ليضلون قرئ بفتح الياء وضمها اي يضلون فيحرمون ويحللون باهوائهم وشهواتهم من
غير تعلق بشريعة وذروا ظاهر الاثم وباطنه ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا
يقترفون ظاهر الاثم وباطنه ما اعلنتم منه وما اسررتم وقيل ما عملتم وما نويتم وقيل ظاهره الزنا في الحوانيت
وباطنه الصديقة في السر ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق وان الشياطين
ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم وان اطعتموهم انكم لمشركون وانه لفسق الضمير راجع الى مصدر
الفعل الذي دخل عليه حرف النهي يعني وان الاكل منه لفسق او الى الموصول على وان اكله لفسق او جعل ما لم يذكر اسم الله
عليه في نفسه فسقا فان قلت قد ذهب جماعة من المجتهدين الى جواز اكل ما لم يذكر اسم الله عليه بنسيان
او عمد قلت قد تاوله هؤلاء بالميتة وبما ذكر غير اسم الله عليه كقوله تعالى او فسقا اهل لغير الله به ليوحون ليوسوسون
الى اوليائهم من المشركين ليجادلوكم بقولهم ولا تاكلوا مما قتله الله وبهذا يرجح تاويل من تاوله بالميتة انكم لمشركون لان
من اتبع غير الله في دينه فقد اشرك به ومن حق ذي البصيرة في دينه ان لا ياكل مما لم يذكر اسم الله عليه كيفما كان لما يرى
في الآية من التشديد العظيم وان كان ابو حنيفة رحمه الله تعالى مرخصا في النسيان دون العمد ومالك والشافعي رحمهما الله تعالى فيهما

أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات
ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون ● وكذلك جعلنا في كل قرية
أكابر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون إلا بأنفسهم وما يشعرون ●

مثل الذي هداه الله بعد الضلالة ومنحه التوفيق لليقين الذي يميز به بين المحق والمبطل والمهتدي والضال بمن كان ميتا فأحياه الله وجعل له نورا يمشي به في الناس مستضيئا به فيميز بعضهم من بعض ويفصل بين حلاهم ومن بقي على الضلالة بالخابط في الظلمات لا ينفك منها ولا يتخلص ومعنى قوله كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كمن صفته هذه وهي قوله في الظلمات ليس بخارج منها بمعنى هو في الظلمات ليس بخارج كقوله مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار أي صفتها هذه وهي قوله فيها أنهار كذلك زين للكافرين زينه الشيطان أو الله عز وعلا كقوله زينا لهم أعمالهم ويدل عليه قوله وكذلك جعلنا في كل قرية يعني وكما جعلنا في مكة صناديدها ليمكروا فيها كذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها لذلك ومعناه خليناهم ليمكروا وما كففناهم عن المكر وخص الأكابر لأنهم هم الحاملون على الضلال والماكرون بالناس كقوله أمرنا مترفيها وقرئ أكبر مجرميها على قولك هم أكبر قومهم وأكابر قومهم وما يمكرون إلا بأنفسهم لأن مكرهم يحيق بهم وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتقدم موعد بالنصرة عليهم ●

وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله الله أعلم حيث يجعل رسالته سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون ●

روي أن الوليد بن المغيرة قال لو كانت النبوة حقا لكنت أولى بها منك لأني أكبر منك سنا وأكثر منك مالا وروي أن أبا جهل قال زاحمنا بنو عبد مناف في الشرف حتى إذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى إليه والله لا نرضى به ولا نتبعه أبدا إلا أن يأتينا وحي كما يأتيه فنزلت ونحوه قوله بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفا منشرة الله أعلم كلام مستأنف للإنكار عليهم وأن الله عز وجل لا يصطفي للنبوة إلا من علم أنه يصلح لها وهو أعلم بالمكان الذي يضعها فيه منهم سيصيب الذين أجرموا من أكابرها صغار وذلة بعد كبرهم وعظمتهم وعذاب شديد في الدارين من الأسر والقتل وعذاب النار ●

فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون ●

فمن يرد الله أن يهديه أن يلطف به ولا يريد أن يلطف إلا بمن له لطف يشرح صدره للإسلام يلطف به حتى يرغب في الإسلام وتسكن إليه نفسه ويحب الدخول فيه ومن يرد أن يضله أن يخذله ويخليه وشأنه وهو الذي لا لطف له يجعل صدره ضيقا حرجا يمنعه ألطافه حتى يقسو قلبه وينبو عن قبول الحق وينسد فلا يدخله الإيمان وقرئ ضيقا بالتخفيف والتشديد حرجا بالكسر وحرجا بالفتح وصفا بالمصدر كأنما يصعد في السماء كأنما يزاول أمرا غير ممكن لأن صعود السماء مثل فيما يمتنع ويبعد من الاستطاعة ويضيق عنه المقدرة وقرئ يصعد وأصله يتصعد وقرأ عبد الله يتصعد ويصاعد وأصله يتصاعد ويصعد من صعد ويصعد كذلك يجعل الله الرجس يعني الخذلان ومنع التوفيق وصفه بنقيض ما يوصف به التوفيق من الطيب أو أراد الفعل المؤدي إلى الرجس وهو العذاب من الارتجاس وهو الاضطراب ●

وهذا صراط ربك مستقيما قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون ● لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون ●

وهذا أي طريقه الذي اقتضته الحكمة وعادته في التوفيق والخذلان مستقيما عادلا مطردا وانتصابه على أنه حال مؤكدة قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون لهم دار السلام دار الله يعني الجنة أضافها إلى نفسه تعظيما لها أو دار السلامة من كل آفة وكدر عند ربهم في ضمانه كما تقول لفلان عندي حق لا ينسى أو ذخيرة لهم لا يعلمون كنهها كقوله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين وهو وليهم مواليهم ومحبهم أو ناصرهم على أعدائهم بما كانوا يعملون بسبب أعمالهم أو متوليهم بجزاء ما كانوا يعملون

ويوم يحشرهم جميعا يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس وقال أولياؤهم من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله إن ربك حكيم عليم ●

ويوم يحشرهم منصوب بمحذوف أي واذكر يوم نحشرهم أو ويوم نحشرهم قلنا يا معشر الجن أو ويوم نحشرهم وقلنا يا معشر الجن كان ما لا يوصف لفظاعته والضمير لمن يحشر من الثقلين وغيرهم والجن هم الشياطين قد استكثرتم من الإنس أضللتم منهم كثيرا أو جعلتموهم أتباعكم فحشر معكم منهم الجم الغفير كما تقول استكثر الأمير من الجنود واستكثر

تمسك أصحابنا بهذه الآية في أن الهداية والضلال من الله تعالى قال الواحدي هذه الآية تقطع كلام المعتزلة ودلت الآية على أن مشيئة الله تعالى تتعلق بإرادة الهداية والضلال

فلان

فلان من الأشياع وقال أولياؤهم من الإنس الذين أطاعوهم واستمعوا إلى وسوستهم ربنا استمتع بعضنا ببعض أي انتفع الإنس بالشياطين حيث دلوهم على الشهوات وعلى أسباب التوصل إليها وانتفع الجن بالإنس حيث أطاعوهم وساعدوهم على مرادهم وشهواتهم في إغوائهم وقيل استمتاع الإنس بالجن ما في قوله تعالى وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن وأن الرجل كان إذا نزل واديا وخاف قال أعوذ برب هذا الوادي يعني به كبير الجن واستمتاع الجن بالإنس اعتراف الإنس لهم بأنهم يقدرون على الدفع عنهم وإجارتهم لهم وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا يعنون يوم البعث وهذا الكلام اعتراف بما كان منهم من طاعة الشياطين واتباع الهوى والتكذيب بالبعث واستسلام لربهم وتحسر على حالهم خالدين فيها إلا ما شاء الله أي يخلدون في عذاب النار الأبد كله إلا ما شاء الله إلا الأوقات التي ينقلون فيها من عذاب النار إلى عذاب الزمهرير فقد روي أنهم يدخلون واديا فيه من الزمهرير ما يميز بعض أوصالهم من بعض فيتعاوون ويطلبون الرد إلى الجحيم ويكون من قول الموتور الذي ظفر بواتره ولم يزل يحرق عليه أنيابه وقد طلب إليه أن ينفس عن خناقه أهلكني الله إن نفست عنك إلا إذا شئت وقد علم أنه لا يشاء إلا التشفي منه بأقصى ما يقدر عليه من التعنيف والتشديد فيكون قوله إلا إذا شئت من أشد الوعيد مع تهكم بالموعد لخروجه في صورة الاستثناء الذي فيه إطماع إن ربك حكيم لا يفعل شيئا إلا بموجب الحكمة عليم بأن الكفار يستوجبون عذاب الأبد ●

وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون ●

نولي بعض الظالمين بعضا نخليهم حتى يتولى بعضهم بعضا كما فعل الشياطين وغواة الإنس أو نجعل بعضهم أولياء بعض يوم القيامة وقرناءهم كما كانوا في الدنيا بما كانوا يكسبون بسبب ما كسبوا من الكفر والمعاصي ●

يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين ●

يقال لهم يوم القيامة على جهة التوبيخ ألم يأتكم رسل منكم واختلف في أن الجن هل بعث إليهم رسل منهم فتعلق بعضهم بظاهر الآية ولم يفرق بين مكلفين ومكلفين أن يبعث إليهم رسول من جنسهم لأنهم به آنس وله آلف وقال آخرون الرسل من الإنس خاصة وإنما قيل رسل منكم لأنه لما جمع الثقلان في الخطاب صح ذلك وإن كان من أحدهما كقوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وقيل أراد رسل الرسل من الجن إليهم كقوله ولوا إلى قومهم منذرين وعن الكلبي كانت الرسل قبل أن بعث محمد صلى الله عليه وسلم يبعثون إلى الإنس ورسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الجن والإنس قالوا شهدنا على أنفسنا حكاية لتصديقهم وإيجابهم قوله ألم يأتكم لأن الهمزة الداخلة على نفي إتيان الرسل للإنكار فكان تقريرا لهم وقولهم شهدنا على أنفسنا إقرار منهم بأن حجة الله تعالى لازمة لهم وأنهم محجوجون بها **فإن قلت** ما لهم مقرين في هذه الآية جاحدين في قوله والله ربنا ما كنا مشركين **قلت** تتفاوت الأحوال والمواطن في ذلك اليوم المتطاول فيقرون في بعضها ويجحدون في البعض أو أريد شهادة أيديهم وأرجلهم وجلودهم حين يختم على أفواههم **فإن قلت** لم كرر ذكر شهادتهم على أنفسهم **قلت** الأولى حكاية لقولهم كيف يقولون ويعترفون والثانية ذم لهم وتخطئة لرأيهم ووصف لقلة نظرهم لأنفسهم وأنهم قوم غرتهم الحياة الدنيا واللذات الحاضرة وكان عاقبة أمرهم أن اضطروا إلى الشهادة على أنفسهم بالكفر والاستسلام لربهم واستيجاب عذابه وإنما قال ذلك تحذيرا للسامعين من مثل حالهم ●

ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون ●

ذلك إشارة إلى ما تقدم من بعثة الرسل إليهم وإنذارهم سوء العاقبة وهو خبر مبتدأ محذوف أي الأمر ذلك وأن لم يكن ربك مهلك القرى تعليل أي الأمر ما قصصنا عليك لانتفاء كون ربك مهلك القرى بظلم على أن أن هي التي تنصب الأفعال ويجوز أن تكون مخففة من الثقيلة على معنى لأن الشأن والحديث لم يكن ربك مهلك القرى بظلم ولك أن تجعله بدلا من ذلك كقوله تعالى وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع بظلم بسبب ظلم أقدموا عليه أو ظالما على أنه لو أهلكهم وهم غافلون لم ينبهوا برسول وكتاب لكان ظالما وهو متعال عن الظلم وعن كل قبيح ●

ولكل درجات مما عملوا وما ربك بغافل عما يعملون ●

ولكل من المكلفين درجات منازل مما عملوا من جزاء أعمالهم وما ربك بغافل عما يعملون بساه عنه يخفى عليه مقاديره وأحواله وما يستحق عليه من الأجر ●

وربك الغني ذو الرحمة إن يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين ● إنما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين

وربك الغني عن عباده وعن عبادتهم ذو الرحمة يترحم عليهم بالتكليف ليعرضهم للمنافع الدائمة ان يشأ يذهبكم ايها العصاة
ويستخلف من بعدكم ما يشاء من الخلق المطيع كما انشأكم من ذرية قوم آخرين من اولاد قوم آخرين لم يكونوا على مثل
صفتكم وهم اهل سفينة نوح عليه السلام **قل يا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل فسوف تعلمون**
المكانة تكون مصدرا يقال مكن مكانة اذا تمكن ابلغ التمكن وبمعنى المكان يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة وقوله
تعالى اعملوا على مكانتكم يحتمل اعملوا على تمكنكم من امركم واقصى استطاعتكم وامكانكم واعملوا على جهتكم وحالكم التي انتم
عليها يقال للرجل اذا امر ان يثبت على حاله على مكانتك يا فلان اي اثبت على ما انت عليه لا تنحرف عنه اني عامل
اي عامل على مكانتي التي انا عليها والمعنى اثبتوا على كفركم وعداوتكم لي فاني ثابت على الاسلام وعلى مصابرتكم فسوف
تعلمون اينا تكون له العاقبة المحمودة وطريقة هذا الامر طريقة قوله اعملوا ما شئتم وهي التخلية والتسجيل على المأمور
بانه لا يأتي منه الا الشر فكانه مأمور به وهو واجب عليه حتم ليس له ان يتفصى عنه ويعمل بخلافه **من تكون له**
عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون فان قلت ما موضع من قلت الرفع اذا كان بمعنى
اي وعلق عنه فعل العلم او النصب اذا كان بمعنى الذي عاقبة الدار العاقبة الحسنى التي خلق الله هذه الدار لها وهذا
طريق من الانذار لطيف المسلك فيه انصاف في المقال وادب حسن مع تضمن شدة الوعيد والوثوق بان المنذر محق
وان المنذر مبطل **وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله**
بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو
يصل الى شركائهم ساء ما يحكمون كانوا يعينون اشياء من حرث ونتاج لله واشياء منهما لآلهتهم
فاذا رأوا ما جعلوه لله زاكيا ناميا يزيد في نفسه خيرا رجعوا فجعلوه للآلهة واذا زكى ما جعلوه للاصنام تركوه لها واعتلوا
بان الله غني وانما ذاك لحبهم آلهتهم وايثارهم لها وقوله مما ذرأ فيه ان الله تعالى كان اولى بان يجعل له الزاكي لانه
هو الذي ذرأه وزكاه ولا يرد وآلهتهم لا يقدر على ذرء ولا تزكية بزعمهم وقرئ بالضم اي قد زعموا انه لله والله لم يأمرهم
بذلك ولا شرع لهم تلك القسمة التي هي من الشرك لانهم اشركوا بين الله وبين اصنامهم في القربة فلا يصل الى الله
اي لا يصل الى الوجوه التي كانوا يصرفونه اليها من قرى الضيفان والتصدق على المساكين فهو يصل الى شركائهم
من انفاق عليها بذبح نسائك عندها والاجراء على سدنتها ونحو ذلك ساء ما يحكمون في ايثار آلهتهم على الله تعالى
وعملهم ما لم يشرع لهم **وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم شركاؤهم ليردوهم**
وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون وكذلك ومثل ذلك
التزيين وهو تزيين الشرك في قسمة القربات بين الله والآلهة او ومثل ذلك التزيين البليغ الذي علم من الشياطين
والمعنى ان شركاءهم من الشياطين او من سدنة الاصنام زينوا لهم قتل اولادهم بالوأد او بنحرهم للآلهة وكان الرجل يحلف
في الجاهلية لئن ولد له كذا غلاما لينحرن احدهم كما حلف عبد المطلب وقرئ زين على البناء للفاعل الذي هو شركاؤهم ونصب قتل اولادهم
وزين على البناء للمفعول الذي هو القتل ورفع شركاؤهم باضمار فعل دل عليه زين كانه قيل لما قيل زين لهم قتل اولادهم
من زينه فقيل زينه لهم شركاؤهم واما قراءة ابن عامر قتل اولادهم شركائهم برفع القتل ونصب الاولاد
وجر الشركاء على اضافة القتل الى الشركاء والفصل بينهما بغير الظرف فشيء لو كان في مكان الضرورات وهو الشعر
لكان سمجا مردودا كما سمج ورد زج القلوص ابي مزاده فكيف به في الكلام المنثور فكيف به في القرآن المعجز بحسن
نظمه وجزالته والذي حمله على ذلك ان رأى في بعض المصاحف شركائهم مكتوبا بالياء ولو قرئ بجر الاولاد والشركاء
لان الاولاد شركاؤهم في اموالهم لوجد في ذلك مندوحة عن هذا الارتكاب ليردوهم ليهلكوهم بالاغواء وليلبسوا عليهم
دينهم وليخلطوا عليهم ويشبهوه ودينهم ما كانوا عليه من دين اسمعيل حتى زلوا عنه الى الشرك وقيل دينهم الذي وجب ان يكونوا
عليه وقيل معناه وليوقعوهم في دين ملتبس فان قلت ما معنى اللام قلت ان كان التزيين من الشياطين
فهي على حقيقة التعليل وان كان من السدنة فعلى معنى الصيرورة ولو شاء الله مشيئة قسر لما فعلوه ما فعل المشركون ما زين
لهم من القتل او ما فعل الشياطين او السدنة التزيين او الارداء او اللبس او جميع ذلك ان جعلت الضمير جاريا مجرى
اسم الاشارة وما يفترون وما يفترونه من الافك او وافتراءهم **وقالوا هذه انعام وحرث حجر**

لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم وانعام حرمت ظهورها وانعام لا يذكرون اسم الله
عليها افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون حجر فعل بمعنى مفعول كالذبح والطحن ويستوي في الوصف
به المذكر والمؤنث والواحد والجمع لان حكمه حكم الاسماء غير الصفات وقرأ الحسن وقتادة حجر بضم الحاء وعن ابن عباس
حرج وهو من التضييق وكانوا اذا عينوا اشياء من حرثهم وانعامهم لآلهتهم قالوا لا يطعمها الا من نشاء يعنون خدم
الاوثان والرجال دون النساء وانعام حرمت ظهورها هي البحائر والسوائب والحوامي وانعام لا يذكرون اسم الله عليها
في الذبح وانما يذكرون عليها اسماء الاصنام وقيل لا يحجون عليها ولا يلبون على ظهورها والمعنى انهم قسموا انعامهم
فقالوا هذه انعام حجر وهذه انعام محرمة الظهور وهذه انعام لا يذكر عليها اسم الله فجعلوها اجناسا بهواهم ونسبوا
ذلك التجنيس الى الله افتراء عليه اي فعلوا ذلك كله على جهة الافتراء وانتصابه على انه مفعول له او حال او مصدر مؤكد
لان قولهم ذلك في معنى الافتراء **وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازوا** جنا
وان يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم انه حكيم عليم قد خسر الذين قتلوا اولادهم
سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين
كانوا يقولون في اجنة البحائر والسوائب ما ولد منها حيا فهو خالص للذكور لا تأكل منه الاناث وما ولد ميتا اشترك فيه
الذكور والاناث وانث خالصة للحمل على المعنى لان ما في معنى الاجنة وذكر محرم للحمل على اللفظ ونظيره ومنهم من يستمع اليك
حتى اذا خرجوا من عندك ويجوز ان تكون التاء للمبالغة مثلها في راوية الشعر وان يكون مصدرا وقع موقع الخالص كالعافية
اي ذو خالصة ويدل عليه قراءة من قرأ خالصة بالنصب على ان قوله لذكورنا هو الخبر وخالصة مصدر مؤكد ولا يجوز ان
يكون حالا متقدمة لان المجرور لا يتقدم عليه حاله وقرأ ابن عباس خالصه على الاضافة وفي مصحف عبد الله خالص وان يكن
ميتة وان يكن ما في بطونها ميتة وقرئ وان تكن بالتأنيث على ان تكن الاجنة ميتة وقرأ اهل مكة وان تكن ميتة
بالتأنيث والرفع على كان التامة وتذكير الضمير في قوله فهم فيه شركاء لان الميتة لكل ميت ذكرا او انثى فكانه قيل وان
يكن ميت فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم اي جزاء وصفهم الكذب على الله في التحليل والتحريم من قوله وتصف السنتهم
الكذب هذا حلال وهذا حرام نزلت في ربيعة ومضر والعرب الذين كانوا يئدون بناتهم مخافة السبي والفقر سفها
بغير علم لخفة احلامهم وجهلهم بان الله هو رازق اولادهم لا هم وقرئ قتلوا بالتشديد ما رزقهم الله من البحائر والسوائب وغيرها
وهو الذي انشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا اكله والزيتون
والرمان متشابها وغير متشابه كلوا من ثمره اذا اثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا
انه لا يحب المسرفين انشأ جنات من الكروم معروشات مسموكات وغير معروشات متروكات على وجه
الارض لم تعرش وقيل المعروشات ما في الارياف والعمران مما غرسه الناس واهتموا به فعرشوه وغير معروشات
مما انبته الله وحشيا في البراري والجبال فهو غير معروش يقال عرشت الكرم اذا جعلت له دعائم وسمكا تعطف عليه القضبان
وسقف البيت عرشه مختلفا اكله في اللون والطعم والحجم والرائحة وقرئ اكله بالضم والسكون وهو ثمره الذي يؤكل
والضمير للنخل والزرع داخل في حكمه لكونه معطوفا عليه ومختلفا حال مقدرة لانه لم يكن وقت الانشاء كذلك كقوله تعالى
فادخلوها خالدين وقرئ ثمره بضمتين فان قلت ما فائدة قوله اذا اثمر وقد علم انه اذا لم يثمر لم يؤكل منه
قلت لما ابيح لهم الاكل من ثمره قيل اذا اثمر ليعلم ان اول وقت الاباحة وقت اطلاع الشجر الثمر لئلا يتوهم
انه لا يباح الا اذا ادرك واينع وآتوا حقه يوم حصاده الآية مكية والصلوة انما فرضت بالمدينة فاريد بالحق ما كان
يتصدق به على المساكين يوم الحصاد وكان ذلك واجبا حتى نسخه افتراض العشر ونصف العشر وقيل مدنية والحق
هو الزكوة المفروضة ومعناه واعزموا على ايتاء الحق واقصدوه واهتموا به يوم الحصاد حتى لا تؤخروه عن اول وقت
يمكن فيه الايتاء ولا تسرفوا في الصدقة كما روي عن ثابت بن قيس انه صرم خمسمائة نخلة ففرق ثمرها كله ولم يدخل منه شيئا
الى منزله ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا **ومن الانعام حمولة وفرشا كلوا مما رزقكم**
الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين حمولة وفرشا عطف على جنات
اي وانشأ من الانعام ما يحمل الاثقال وما يفرش للذبح او ينسج من وبره وصوفه وشعره الفرش وقيل الحمولة الكبار التي

تصلح للحمل والفرش الصغار كالفصلان والعجاجيل والغنم لانها دانية من الارض للطافة اجرامها مثل الفرش
المفروش عليها ولا تتبعوا خطوات الشيطان في التحليل والتحريم من عند انفسكم كما فعل اهل الجاهلية ثمانية ازواج
من الضأن اثنين ومن المعز اثنين قل آلذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه
ارحام الانثيين نبئوني بعلم ان كنتم صادقين ثمانية ازواج بدل من حمولة وفرشا اثنين زوجين
اثنين يريد الذكر والانثى كالجمل والناقة والثور والبقرة والكبش والنعجة والتيس والعنز والواحد اذا كان
وحده فهو فرد فاذا كان معه غيره من جنسه سمي كل واحد منهما زوجا وهما زوجان بدليل قوله خلق الزوجين الذكر والانثى
والدليل عليه قوله ثمانية ازواج ثم فسرها بقوله من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين
ونحو تسميتهم الفرد بالزوج بشرط ان يكون معه آخر من جنسه تسميتهم الزجاجة كأسا بشرط ان يكون فيها خمر والضأن
والمعز جمع ضائن وماعز كتاجر وتجر وقرئ بفتح العين وقرأ أبي ومن المعزى وقرئ اثنان على الابتداء الهمزة في
آلذكرين للانكار والمراد بالذكرين الذكر من الضأن والذكر من المعز وبالانثيين الانثى من الضأن والانثى من المعز على
طريق الجنسية والمعنى انكار ان يحرم الله من جنسي الغنم ضأنها ومعزها شيئا من نوعي ذكورها واناثها ولا مما تحمل اناث
الجنسين وكذلك الذكران من جنسي الابل والبقر والانثيان منهما وما تحمل اناثهما وذلك انهم كانوا يحرمون ذكورة الانعام
تارة واناثها تارة واولادها كيف ما كانت ذكورا او اناثا او مختلطة تارة وكانوا يقولون قد حرمها الله عز وجل فانكر
عليهم ذلك نبئوني بعلم اخبروني بامر معلوم من جهة الله يدل على تحريم ما حرمتم ان كنتم صادقين في ان الله حرمه
ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام
الانثيين ام كنتم شهداء اذ وصاكم الله بهذا فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا
ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدي القوم الظالمين ام كنتم شهداء بل اكنتم شهداء
ومعنى الهمزة الانكار يعني ام شاهدتم ربكم حين امركم بهذا التحريم وذكر المشاهدة على مذهبهم لانهم كانوا لا يؤمنون
برسول وهم يقولون الله حرم هذا الذي نحرمه فتهكم بهم في قوله ام كنتم شهداء على معنى اعرفتم التوصية به مشاهدين
لانكم لا تؤمنون بالرسل فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا فنسب اليه تحريم ما لم يحرم ليضل الناس وهو عمرو بن لحي بن قمعة
الذي بحر البحائر وسيب السوائب فان قلت كيف فصل بين بعض المعدود وبعضه ولم يوال بينه
قلت قد وقع الفاصل بينهما اعتراضا غير اجنبي من المعدود وذلك ان الله عز وجل من على عباده بانشاء الانعام
لمنافعهم وباباحتها لهم فاعترض بالاحتجاج على من حرمها والاحتجاج على من حرمها تأكيد وتشديد للتحليل والاعتراضات
في الكلام قل لا اجد فيما اوحي الي محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة او دما مسفوحا
او لحم خنزير فانه رجس او فسقا اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان
ربك غفور رحيم فيما اوحي الي تنبيه على ان التحريم انما يثبت بوحي الله وشرعه لا بهوى الانفس محرما طعاما محرما
من المطاعم التي حرمتموها الا ان يكون ميتة الا ان يكون الشيء المحرم ميتة او دما مسفوحا اي مصبوبا سائلا كالدم في العروق
لا كالكبد والطحال وقد رخص في دم العروق بعد الذبح او فسقا عطف على المنصوب قبله سمي ما اهل به لغير الله فسقا
لتوغله في باب الفسق ومنه قوله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق واهل صفة له منصوبة المحل ويجوز ان
يكون مفعولا له من اهل اي اهل لغير الله به فسقا فان قلت فعلام تعطف اهل والام يرجع الضمير في
به على هذا القول قلت يعطف على يكون ويرجع الضمير الى ما يرجع اليه المستكن في يكون فمن اضطر فمن دعته الضرورة
الى اكل شيء من هذه المحرمات غير باغ على مضطر مثله تارك لمواساته ولا عاد متجاوز قدر حاجته من تناوله فان ربك غفور
رحيم لا يؤاخذه وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما
الا ما حملت ظهورهما او الحوايا او ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون
ذو الظفر ما له اصبع من دابة او طائر وكان بعض ذوات الظفر حلالا لهم فلما ظلموا حرم عليهم ذلك فعم التحريم كل ذي ظفر
بدليل قوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وقوله ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما كقولك من زيد
اخذت ماله تريد بالاضافة زيادة الربط والمعنى انه حرم عليهم لحم كل ذي ظفر وشحمه وكل شيء منه وترك البقر والغنم على التحليل

لا تساق الا للتوكيد

الثرب شحم رقيق يغشى الكرش والامعاء
السحفة الشحمة التي على الظهر الملتزقة بالجلد
فيما بين الكتفين الى الوركين الحوايا جمع
الحاوية وهي الامعاء

لم يحرم منهما الا الشحوم الخالصة وهي الثروب وشحوم الكلى وقوله الا ما حملت ظهورهما يعني الا ما اشتمل على الظهور والجنوب
من السحفة او الحوايا او ما اشتمل على الامعاء او ما اختلط بعظم هو شحم الالية وقيل الحوايا عطف على شحومهما واو بمنزلتها
في قولهم جالس الحسن او ابن سيرين ذلك الجزاء جزيناهم وهو تحريم الطيبات ببغيهم بسبب ظلمهم وانا لصادقون فيما
اوعدنا به العصاة لا نخلفه كما لا نخلف ما وعدناه اهل الطاعة فلما عصوا وبغوا الحقنا بهم الوعيد واحللنا بهم العقاب
فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين فان كذبوك في
ذلك وزعموا ان الله واسع الرحمة وانه لا يؤاخذ بالبغي ويخلف الوعيد جودا وكرما فقل لهم ربكم ذو رحمة واسعة لاهل طاعته
ولا يرد بأسه مع سعة رحمته عن القوم المجرمين فلا تغتروا برجاء رحمته عن خوف نقمته سيقول الذين اشركوا
لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم
حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان انتم الا
تخرصون سيقول الذين اشركوا اخبار بما سوف يقولونه ولما قالوه قال وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا
من دونه من شيء يعنون بكفرهم وتمردهم ان شركهم وشرك آبائهم وتحريمهم ما احل الله بمشيئة الله وارادته ولولا مشيئته
لم يكن شيء من ذلك كمذهب المجبرة بعينه كذلك كذب الذين من قبلهم اي جاؤا بالتكذيب المطلق لان الله عز وعلا ركب في العقول
وانزل في الكتب ما دل على غناه وبراءته من مشيئة القبائح وارادتها والرسل اخبروا بذلك فمن علق وجود القبائح من الكفر
والمعاصي بمشيئة الله تعالى وارادته فقد كذب التكذيب كله وهو تكذيب الله تعالى وكتبه ورسله ونبذ ادلة السمع والعقل وراء
ظهره حتى ذاقوا بأسنا حتى انزلنا عليهم العذاب بتكذيبهم قل هل عندكم من علم من امر معلوم يصح الاحتجاج به فيما قلتم فتخرجوه لنا
وهذا من التهكم والشهادة بان مثل قولهم محال ان يكون له حجة ان تتبعون الا الظن في قولكم هذا وان انتم الا تخرصون تقدرون
ان الامر كما تزعمون او تكذبون وقرئ كذب الذين من قبلهم بالتخفيف قل فلله الحجة البالغة فلو شاء
لهداكم اجمعين قل فلله الحجة البالغة يعني فان كان الامر كما زعمتم ان ما انتم عليه بمشيئة الله فلله الحجة
البالغة عليكم على قود مذهبكم فلو شاء لهداكم اجمعين منكم ومن مخالفيكم في الدين فان تعليقكم دينكم بمشيئة الله
يقتضي ان تعلقوا دين من يخالفكم ايضا بمشيئته فتوالوهم ولا تعادوهم وتوافقوهم ولا تخالفوهم لان المشيئة تجمع بين ما انتم
عليه وبين ما هم عليه قل هلم شهداءكم الذين يشهدون ان الله حرم هذا فان شهدوا
فلا تشهد معهم ولا تتبع اهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم
بربهم يعدلون هلم يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث عند الحجازيين وبنو تميم تؤنث وتجمع والمعنى هاتوا
شهداءكم وقربوهم فان قلت كيف امرهم باستحضار شهدائهم الذين يشهدون ان الله تعالى حرم ما زعموه محرما
ثم امره بان لا يشهد معهم قلت امره باستحضارهم وهم شهداء بالباطل ليلزمهم الحجة ويلقمهم الحجر ويظهر للمشهود لهم بانقطاع
الشهداء انهم ليسوا على شيء لتساوي اقدام الشاهدين والمشهود لهم في انهم لا يرجعون الى ما يصح التمسك به وقوله فلا تشهد معهم
يعني فلا تسلم لهم ما شهدوا به ولا تصدقهم لانه اذا سلم لهم فكأنه شهد معهم مثل شهادتهم وكان واحدا منهم ولا تتبع اهواء
الذين كذبوا بآياتنا من وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على ان من كذب بآيات الله وعدل به غيره فهو متبع للهوى لا غير
لانه لو اتبع الدليل لم يكن الا مصدقا بالآيات موحدا لربه فان قلت هلا قيل قل هلم شهداء يشهدون ان الله حرم هذا
واي فرق بينه وبين المنزل قلت المراد ان يحضروا شهداءهم الذين علم انهم يشهدون لهم وينصرون قولهم وكان
المشهود لهم يقلدونهم ويثقون بهم ويعتضدون بشهادتهم فيهدم ما يقومون به فيحق الحق ويبطل الباطل فاضيفت
الشهداء اليهم لذلك وجيء بالذين للدلالة على انهم شهداء معروفون موسومون بالشهادة لهم وبنصرة مذهبهم والدليل
عليه قوله فان شهدوا فلا تشهد معهم ولو قيل هلم شهداء يشهدون لكان معناه هاتوا اناسا يشهدون بتحريم ذلك
فكان الظاهر طلب شهداء بالحق وذلك ليس بالغرض ويناقضه قوله فان شهدوا فلا تشهد معهم قل تعالوا اتل ما
حرم ربكم عليكم الا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا ولا تقتلوا اولادكم من املاق
نحن نرزقكم واياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم
الله الا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن

وليس في ذلك مذهب المجبرة لان الكفار كانوا يقولون
ذلك استهزاء ولو كان تحقيقا قال تعالى كذلك كذب
الذين من قبلهم

حتى يبلغ اشده واوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا الا وسعها واذا قلتم
فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله اوفوا ذلكم وصيكم به لعلكم تذكرون وان هذا
صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصيكم به لعلكم تتقون
تعال من الخاص الذى صار عاما واصله ان يقوله من كان فى مكان عال لمن هو اسفل منه ثم كثر واتسع فيه حتى عم ما
حرم منصوب بفعل التلاوة بمعنى اتل الذى حرمه ربكم او بحرم بمعنى اتل اى شى حرم ربكم لان التلاوة من القول وان
فى ان لا تشركوا مفسرة ولا للنهى **فان قلت** هلا قلت هى التى تنصب الفعل وجعلت ان لا تشركوا بدلا من ما حرم
قلت وجب ان يكون لا تشركوا ولا تقتلوا ولا تقربوا ولا تتبعوا السبل نواهى لانعطاف الاوامر عليها
وهى قوله وبالوالدين احسانا لان التقدير واحسنوا بالوالدين احسانا واوفوا واذا قلتم فاعدلوا وبعهد الله اوفوا
فان قلت فما تصنع بقوله وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه فيمن قرأ بالفتح وانما يستقيم عطفه على
ان لا تشركوا اذا جعلت ان هى الناصبة للفعل حتى يكون المعنى اتل عليكم نفى الاشراك والتوحيد واتل عليكم ان هذا
صراطى مستقيما **قلت** اجعل قوله وان هذا صراطى مستقيما **قلت** اجعل قوله وان هذا صراطى مستقيما علة
للاتباع بتقدير اللام كقوله تعالى وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا بمعنى ولان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه والدليل
عليه القراءة بالكسر كانه قيل واتبعوا صراطى لانه مستقيم او واتبعوا صراطى انه مستقيم **فان قلت** اذا جعلت
ان مفسرة لفعل التلاوة وهو متعلق بما حرم ربكم وجب ان يكون ما بعده منهيا عنه محرما كله كالشرك وما بعده مما
دخل عليه حرف النهى فما تصنع بالاوامر **قلت** لما وردت هذه الاوامر مع النواهى وتقدمهن جميعا فعل التحريم
واشتركن فى الدخول تحت حكمه علم ان التحريم راجع الى اضدادها وهى الاساءة الى الوالدين وبخس الكيل والميزان
وترك العدل فى القول ونكث عهد الله من املاق من اجل فقر ومن خشيته كقوله خشية املاق ما ظهر منها وما بطن مثل قوله
ظاهر الاثم وباطنه الا بالحق كالقصاص والقتل على الردة والرجم الا بالتى هى احسن الا بالخصلة التى هى احسن ما
يفعل بمال اليتيم وهى حفظه وتثميره والمعنى احفظوه عليه حتى يبلغ اشده فادفعوه اليه بالقسط بالسوية والعدل لا نكلف
نفسا الا وسعها الا ما يسعها ولا تعجز عنه وانما اتبع الامر بايفاء الكيل والميزان ذلك لان مراعاة الحد من القسط الذى
لا زيادة فيه ولا نقصان مما يجرى فيه من الحرج فامر ببلوغ الوسع وان ما وراءه معفو عنه ولو كان ذا قربى ولو كان المقول
له او عليه فى شهادة او غيرها من اهل قرابة القايل فما ينبغى ان يزيد فى القول او ينقص كقوله ولو على انفسكم او الوالدين
والاقربين وقرئ وان هذا صراطى بتخفيف ان واصله وانه هذا صراطى على ان الهاء ضمير الشان والحديث وقرأ الاعمش
وهذا صراطى وفى مصحف عبد الله وهذا صراط ربكم ولا تتبعوا السبل الطرق المختلفة فى الدين من اليهودية والنصرانية والمجوسية
وسائر البدع والضلالات فتفرق بكم فتفرقكم ايادى سبا عن سبيله عن صراط الله المستقيم وهو دين الاسلام وقرئ
فتفرق بادغام التاء وروى ابو وائل عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم انه خط خطا ثم قال هذا سبيل الرشد ثم خط
عن يمينه وعن شماله خطوطا ثم قال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم تلا هذه الآية وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه
وعن ابن عباس رضى الله عنهما هذه الآيات محكمات لم ينسخهن شى من جميع الكتب وقيل انهن ام الكتاب من عمل بهن دخل
الجنة ومن تركهن دخل النار وعن كعب الاحبار والذى نفس كعب بيده ان هذه الآيات لاول شى فى التورية
ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذى احسن وتفصيلا لكل شى وهدى ورحمة لعلهم بلقاء
ربهم يؤمنون وهذا كتاب انزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون **فان قلت**
علام عطف قوله ثم آتينا موسى الكتاب **قلت** على وصيكم به **فان قلت** كيف صح عطفه عليه بثم والايتاء قبل
التوصية بدهر طويل **قلت** هذه التوصية قديمة لم تزل توصاها كل امة على لسان نبيها كما قال ابن عباس محكمات لم ينسخهن
شى من جميع الكتب فكانه قيل ذلكم وصيكم به يا بنى آدم قديما وحديثا ثم اعظم من ذلك انا آتينا موسى الكتاب وانزلنا هذا الكتاب
المبارك وقيل هو معطوف على ما تقدم قبل شطر السورة من قوله تعالى ووهبنا له اسحق تماما على الذى احسن تماما للكرامة
والنعمة على الذى احسن على من كان محسنا صالحا يريد جنس المحسنين ويدل عليه قراءة عبد الله على الذين احسنوا او اراد
به موسى عليه السلام اى تتمة للكرامة على العبد الذى احسن الطاعة فى التبليغ وفى كل ما امر به او تماما على الذى احسن موسى من العلم

والشرايع

والشرايع من احسن الشى اذا اجاد معرفته اى زيادة على علمه على وجه التتميم وقرأ يحيى بن يعمر على الذى احسن اى على
الذى هو احسن بحذف المبتدا كقراءة من قرأ مثلا ما بعوضة بالرفع اى على الذى هو احسن دين وارضاه او آتينا موسى الكتاب
تماما اى تاما كاملا على احسن ما تكون عليه الكتب اى على الوجه والطريق الذى هو احسن وهو معنى قول الكلبى اتم له الكتاب على احسنه
ان تقولوا انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وان كنا عن دراستهم لغافلين
ان تقولوا كراهة ان تقولوا على طائفتين يريد اهل التورية واهل الانجيل وان كنا هى المخففة من الثقيلة واللام
الفارقة بينها وبين النافية والاصل وانه كنا عن دراستهم غافلين على ان الهاء ضمير الشان عن دراستهم عن قراءتهم
اى لم نعرف مثل دراستهم او تقولوا لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم فقد جاءكم
بينة من ربكم وهدى ورحمة فمن اظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها سنجزى الذين
يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون لكنا اهدى منهم لحدة اذهاننا وثقابة افهامنا
وغزارة حفظنا لايام العرب ووقايعها وخطبها واشعارها واسجاعها وامثالها على انا اميون وقرئ ان يقولوا
او يقولوا بالياء فقد جاءكم بينة من ربكم تبكيت لهم وهو قراءة من قرأ يقولوا اجل لفظ الغيبة احسن لما فيه من الالتفات
والمعنى ان صدقتم فيما كنتم تعدون من انفسكم فقد جاءكم بينة من ربكم فحذف الشرط وهو من احاسن الحذوف فمن اظلم ممن كذب
بآيات الله بعد ما عرف صحتها وصدقها او تمكن من معرفة ذلك وصدف عنها الناس فضل واضل سنجزى الذين يصدفون
عن آياتنا سوء العذاب كقوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب هل ينظرون الا
ان تأتيهم الملائكة او يأتى ربك او يأتى بعض آيات ربك يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع
نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت فى ايمانها خيرا قل انتظروا انا منتظرون
الملائكة ملائكة الموت او العذاب او يأتى ربك او يأتى كل آيات ربك بدليل قوله تعالى او يأتى بعض آيات ربك يريد آيات القيمة
والهلاك الكلى وبعض الآيات اشراط الساعة كطلوع الشمس من مغربها وغير ذلك وعن البراء بن عازب رضى الله عنه كنا
نتذاكر الساعة اذ اشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما تتذاكرون قلنا نتذاكر الساعة قال انها لا تقوم حتى
تروا قبلها عشر آيات الدخان ودابة الارض وخسفا بالمشرق وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب والدجال وطلوع
الشمس من مغربها ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى ونارا تخرج من عدن لم تكن آمنت من قبل صفة لقوله نفسا وقوله
او كسبت فى ايمانها خيرا عطف على آمنت والمعنى ان اشراط الساعة اذا جاءت وهى آيات ملجئة مضطرة ذهب اوان
التكليف عندها فلم ينفع الايمان حينئذ نفسا غير مقدمة ايمانها من قبل ظهور الآيات او مقدمة ايمانها غير كاسبة
خيرا فى ايمانها فلم يفرق كما ترى بين النفس الكافرة اذا آمنت فى غير وقت الايمان وبين النفس التى آمنت فى وقتها ولم تكسب خيرا
ليعلم ان قوله الذين آمنوا وعملوا الصالحات جمع بين قرينتين لا ينبغى ان تنفك احديهما عن الاخرى حتى يفوز صاحبها ويسعد
والا فالشقوة والهلاك قل انتظروا انا منتظرون وعيد وقرئ ان يأتيهم الملائكة بالتاء والياء وقرأ ابن سيرين لا تنفع
بالتاء لكون الايمان مضافا الى ضمير المؤنث الذى هو بعضه كقولك ذهبت بعض اصابعه ان الذين فرقوا
دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شى انما امرهم الى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون
فرقوا دينهم اختلفوا فيه كما اختلف اليهود والنصارى وفى الحديث افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة كلها فى الهاوية
الا واحدة وهى الناجية وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة كلها فى الهاوية الا واحدة وتفترق امتى على ثلاث وسبعين
كلها فى الهاوية الا واحدة وقيل فرقوا دينهم فآمنوا ببعض وكفروا ببعض وقرئ فارقوا دينهم اى تركوه وكانوا شيعا فرقا كل فرقة تشيع اماما
لها لست منهم فى شى اى من السؤال عنهم وعن تفرقهم وقيل من عقابهم وقيل هى منسوخة باية السيف من جاء بالحسنة
فله عشر امثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون عشر امثالها على اقامة صفة الجنس
المميز مقام الموصوف تقديره عشر حسنات امثالها وقرئ عشر امثالها برفعهما جميعا على الوصف وهذا اقل ما وعد من الاضعاف
وقد وعد بالواحد سبعماية ووعد ثوابا بغير حساب ومضاعفة الحسنات فضل ومكافاة السيئات عدل وهم لا يظلمون لا ينقص
من ثوابهم ولا يزاد على عقابهم قل اننى هدانى ربى الى صراط مستقيم دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا وما
كان من المشركين دينا نصب على البدل من محل الى صراط لان معناه هدانى صراطا بدليل قوله ويهديكم صراطا مستقيما والقيم فيعل

من قام كسيد من ساد وهو ابلغ من القائم وقرئ قيما والقيم مصدر بمعنى القيام وصف به وملة ابرهيم عطف بيان وحنيفا حال من ابرهيم **قل ان صلوتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك امرت وانا اول المسلمين** ان صلوتى ونسكى وعبادتى وتقربى كله وقيل وذبحى وجمع بين الصلوة والذبح كما فى قوله تعالى فصل لربك وانحر وقيل صلوتى وحجى من مناسك الحج ومحياى ومماتى وما اتيه فى حيوتى وما اموت عليه من الايمان والعمل الصالح لله رب العالمين خالصة لوجهه وبذلك من الاخلاص امرت وانا اول المسلمين لان اسلام كل نبى متقدم لاسلام امته **قل اغير الله ابغى ربا وهو رب كل شئ ولا تكسب كل نفس الا عليها ولا تزر وازرة وزر اخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون** اغير الله ابغى ربا جواب عن دعائهم له الى عبادة آلهتهم والهمزة للانكار اى منكر ان ابغى ربا غيره وهو رب كل شئ فكل من دونه مربوب ليس فى الوجود من له الربوبية غيره كما قال تعالى قل افغير الله تامرونى اعبد ولا تكسب كل نفس الا عليها جواب عن قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم **وهو الذى جعلكم خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم ان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم** جعلكم خلائف الارض لان محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين فخلفت امته سائر الامم او جعلهم يخلف بعضهم بعضا او هم خلفاء الله تعالى فى ارضه يملكونها ويتصرفون فيها ورفع بعضكم فوق بعض درجات فى الشرف والرزق ليبلوكم فيما آتاكم من نعمة الجاه والمال كيف تشكرون تلك النعمة وكيف يصنع الشريف بالوضيع والحر بالعبد والغنى بالفقير ان ربك سريع العقاب لمن كفر نعمته وانه لغفور رحيم لمن قام بشكرها ووصف العقاب بالسرعة لان ما هو آت قريب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انزلت على سورة الانعام جملة واحدة يشيعها سبعون الف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرا الانعام صلى عليه واستغفر له اولئك السبعون الف ملك بعدد كل آية من سورة الانعام يوما وليلة

سورة الاعراف مكية

غير ثمان آيات وهى واسئلهم عن القرية الى واذ نتقنا الجبل وهى مائتان وخمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم المص كتاب انزل اليك فلا يكن فى صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين كتاب خبر مبتدا محذوف اى هو كتاب وانزل اليك صفة له والمراد بالكتاب السورة فلا يكن فى صدرك حرج منه اى شك منه كقوله تعالى فان كنت فى شك مما انزلنا اليك وسمى الشك حرجا لان الشاك ضيق الصدر حرجه كما ان المتيقن منشرح الصدر منفسحه اى لا تشك فى انه منزل من الله او حرج من تبليغه لانه كان يخاف قومه وتكذيبهم له واعراضهم عنه واذاهم وكان يضيق صدره من الاداء ولا ينبسط له فامنه الله تعالى ونهاه عن المبالاة بهم **فان قلت** بم تعلق قوله لتنذر **قلت** بانزل اى انزل اليك لانذارك به او بالنهى لانه اذا لم يخفهم انذرهم وكذلك اذا ايقن انه من عند الله شجعه اليقين على الانذار لان صاحب اليقين جسور متوكل على ربه متكل على عصمته **فان قلت** فما محل ذكرى **قلت** يحتمل الحركات الثلث النصب باضمار فعلها كانه قيل لتنذر به وتذكر تذكيرا لان الذكرى اسم بمعنى التذكير والرفع عطفا على كتاب او بانه خبر مبتدا محذوف والجر للعطف على محل ان تنذر اى للانذار وللذكرى **فان قلت** النهى فى قوله فلا يكن متوجه الى الحرج فما وجهه **قلت** هو من قولهم لا ارينك هنا **اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه اولياء قليلا ما تذكرون وكم من قرية اهلكناها فجاءها باسنا بياتا او هم قائلون** اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم من القرآن والسنة ولا تتبعوا من دونه من دون الله اولياء اى ولا تتولوا من دونه من شياطين الجن والانس فيحملوكم على عبادة الاوثان والاهواء والبدع ويضلوكم عن دين الله وما انزل اليكم وامركم باتباعه وعن الحسن يا ابن آدم امرت باتباع كتاب الله تعالى وسنة محمد صلى الله عليه وسلم والله ما نزلت آية الا وهو يحب ان تعلم فيم انزلت وما معناها وقرا مالك بن دينار ولا تبتغوا من الابتغاء ومن يبتغ غير الاسلام دينا ويجوز ان يكون الضمير فى من دونه لما انزل على ولا تتبعوا من دون دين الله دين اولياء قليلا ما تذكرون حيث تتركون دين الله وتتبعون غيره وقرئ تذكرون بحذف التاء ويتذكرون بالياء وقليلا نصب بتذكرون اى

تذكرون تذكرا قليلا وما مزيدة لتوكيد القلة فجاءها فجاء اهلها باسنا بياتا مصدر واقع موقع الحال بمعنى بائتين يقال بات بياتا حسنا وبيتة حسنة وقوله هم قائلون حال معطوفة على بياتا كانه قيل فجاءهم باسنا بائتين او قائلين **فان قلت** هل يقدر حذف المضاف الذى هو الاهل قبل قرية او قبل الضمير فى اهلكناها **قلت** انما يقدر المضاف للحاجة ولا حاجة فان القرية تهلك كما يهلك اهلها وانما قدرناه قبل الضمير فى فجاءها لقوله او هم قائلون **فان قلت** لا يقال جاءنى زيد هو فارس بغير واو فما بال قوله هم قائلون **قلت** قدر بعض النحويين الواو محذوفة ورده الزجاج وقال لو قلت جاءنى زيد راجلا او هو فارس او جاءنى زيد هو فارس لم يحتج فيه الى واو لان الذكر قد عاد على الاول والصحيح انها اذا عطفت على حال قبلها حذفت الواو استثقالا لاجتماع حرفى عطف لان واو الحال هى واو العطف استعيرت للوصل فقولك جاءنى زيد راجلا او هو فارس كلام فصيح وارد على حده واما جاءنى زيد هو فارس فخبيث **فان قلت** ما معنى قوله اهلكناها فجاءها باسنا والاهلاك انما هو بعد مجئ الباس **قلت** معناه اردنا اهلاكها كقوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة وانما خص هذان الوقتان وقت البيات ووقت القيلولة لانهما وقتا الغفلة والدعة فيكون نزول العذاب فيهما اشد وافظع وقوم لوط اهلكوا بالليل وقت السحر وقوم شعيب وقت القيلولة **فما كان دعويهم اذ جاءهم باسنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين فلنسئلن الذين ارسل اليهم ولنسئلن المرسلين فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين** فما كان دعواهم ما كانوا يدعونه من دينهم وينتحلونه من مذهبهم الا اعترافهم ببطلانه وفساده وقولهم انا كنا ظالمين فيما كنا عليه ويجوز فما كان استغاثتهم الا قولهم هذا لانه لا يستغاث من الله بغيره من قولهم دعواهم يا لكعب ويجوز فما كان دعاءهم ربهم الا اعترافهم لعلمهم ان الدعاء لا ينفعهم وان لات حين دعاء فلا يزيدون على ذم انفسهم وتحسرهم على ما كان منهم ودعواهم نصب لكان وان قالوا رفع اسم له ويجوز العكس فلنسئلن الذين ارسل اليهم ارسل مسند الى الجار والمجرور وهو اليهم ومعناه فلنسئلن المرسل اليهم وهم الامم يسئلون عما اجابوا به رسلهم كما قال تعالى ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين ويسئل المرسلين عما اجيبوا به كما قال تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم فلنقصن عليهم على الرسل والمرسل اليهم ما كان منهم بعلم عالمين باحوالهم الظاهرة والباطنة واقوالهم وافعالهم وما كنا غائبين عنهم وعما وجد منهم **فان قلت** اذا كان عالما بذلك وكان يقص عليهم فما معنى سؤالهم **قلت** معناه التوبيخ والتقريع والتقرير اذا فاهوا به بالسنتهم وشهد عليهم انبياؤهم **والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون** والوزن يومئذ الحق يعنى وزن الاعمال والتمييز بين راجحها وخفيفها ورفعه على الابتداء وخبره يومئذ والحق صفته اى والوزن يوم يسئل الله الامم ورسلهم الوزن الحق اى العدل وقرئ القسط واختلف فى كيفية الوزن فقيل يوزن صحف الاعمال بميزان له لسان وكفتان ينظر اليه الخلائق تاكيدا للحجة واظهارا للنصفة وقطعا للمعذرة كما يسالهم عن اعمالهم فيعترفون بها بالسنتهم وتشهد عليهم بها ايديهم وارجلهم وجلودهم وتشهد عليهم الانبياء والملائكة والاشهاد وكما تثبت فى صحائفهم فيقرؤونها فى موقف الحساب وقيل هى عبارة عن القضاء السوى والحكم العادل فمن ثقلت موازينه جمع ميزان او موزون اى فمن رجحت اعماله الموزونة التى لها وزن وقدر وهى الحسنات او ما يوزن به حسناتهم وعن الحسن وحق لميزان توضع فيه الحسنات ان يثقل وحق لميزان توضع فيه السيئات ان يخف بما كانوا بآياتنا يظلمون يكذبون بها ظلما كقوله فظلموا بها **ولقد مكناكم فى الارض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين** مكناكم فى الارض جعلنا لكم فيها مكانا وقرارا او مكناكم فيها واقدرناكم على التصرف فيها وجعلنا لكم فيها معايش جمع معيشة وهى ما يعاش به من المطاعم والمشارب وغيرها او ما يتوصل به الى ذلك والوجه تصريح الياء وعن ابن عامر انه همز على التشبيه بصحائف ولقد خلقناكم ثم صورناكم يعنى خلقنا اباكم آدم طينا غير مصور ثم صورناه بعد ذلك الا ترى الى قوله ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم من الساجدين ممن سجد لآدم **قال ما منعك الا تسجد اذ امرتك قال انا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين قال فاهبط منها فما يكون لك ان تتكبر فيها فاخرج انك من الصاغرين** لا فى ان لا تسجد صلة بدليل قوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدى

ومثلها لئلا يعلم أهل الكتاب بمعنى ليعلم **فإن قلت** ما فائدة زيادتها **قلت** توكيد معنى الفعل الذي
يدخل عليه وتحقيقه كأنه قيل ليتحقق علم أهل الكتاب وما منعك أن تحقق السجود وتلزمه نفسك إذ أمرتك لأن أمري لك
بالسجود أوجبه عليك إيجاباً وأحتمه حتماً لا بد لك منه **فإن قلت** لم سأله عن المانع من السجود وقد علم ما منعه **قلت**
للتوبيخ ولإظهار معاندته وكفره وكبره وافتخاره بأصله وازدرائه بأصل آدم وأنه خالف أمر ربه معتقداً أنه غير واجب
عليه لما رأى أن سجود الفاضل للمفضول خارج من الصواب **فإن قلت** كيف يكون قوله أنا خير منه جواباً لما منعك
وإنما الجواب أن يقول منعني كذا **قلت** قد استأنف قصة أخبر فيها عن نفسه بالفضل على آدم وبعلة فضله عليه وهو أن أصله
من نار وأصل آدم من طين فعلم منها الجواب وزيادة عليه وهي إنكار الأمر واستبعاد أن يكون مثله مأموراً بالسجود لمثله
كأنه يقول من كان على هذه الصفة كان مستبعداً أن يؤمر بما أمر به فاهبط منها من السماء التي هي مكان المطيعين المتواضعين
إلى الأرض التي هي مقر العاصين المتكبرين من الثقلين فما يكون لك فما يصح لك أن تتكبر فيها وتعصي فاخرج إنك من الصاغرين
من أهل الصغار والهوان على الله وعلى أوليائه لتكبرك كما تقول للرجل قم صاغراً إذا أهنته وفي ضده قم راشداً وذلك أنه
لما أظهر الاستكبار ألبس الصغار وعن عمر رضي الله عنه من تواضع لله رفع الله حكمته وقال انتعش نعشك الله
ومن تكبر وعدا طوره وهصه الله إلى الأرض **قال أنظرني إلى يوم يبعثون قال إنك من المنظرين**
قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم **فإن قلت** لم أجيب إلى استنظاره
وإنما استنظر ليفسد عباده ويغويهم **قلت** لما في ذلك من ابتلاء العباد وفي مخالفته من أعظم الثواب وحكمه حكم
ما خلق في الدنيا من صنوف الزخارف وأنواع الملاذ والملاهي وما ركب في الأنفس من الشهوات ليمتحن بها عباده فبما
أغويتني فبسبب إغوائك إياي لأقعدن لهم وهو تكليفه إياه ما وقع به في الغي ولم يثبت كما ثبتت الملائكة مع كونهم أفضل
من آدم أنفساً ومناصب وعن الأصم أمرتني بالسجود فحملني الأنف على معصيتك والمعنى فبسبب وقوعي في الغي لأجتهدن
في إغوائهم حتى يفسدوا بسببي كما فسدت بسببهم **فإن قلت** بم تعلقت الباء فإن تعلقها بلأقعدن يصد عنه لام القسم
لا تقول والله بزيد لأمرن **قلت** تعلقت بفعل القسم المحذوف تقديره فبما أغويتني أقسم بالله لأقعدن أي فبسبب
إغوائك أقسم ويجوز أن تكون الباء للقسم أي فأقسم بإغوائك لأقعدن وإنما أقسم بالإغواء لأنه كان تكليفاً والتكليف من أحسن
أفعال الله تعالى لكونه تعريضاً للسعادة الأبدية فكان جديراً بأن يقسم به ومن تكاذيب المجبرة ما حكوا عن طاوس أنه كان في
المسجد الحرام فجاء رجل من كبار الفقهاء يرمى بالقدر فجلس إليه فقال له طاوس تقوم أو تقام فقام الرجل فقيل له أتقول هذا
لرجل فقيه فقال إبليس أفقه منه قال رب بما أغويتني وهذا يقول أنا أغوي نفسي وما ظنك بقوم بلغ من تهالكهم على إضافة
القبائح إلى الله سبحانه أن لفقوا الأكاذيب على الرسول والصحابة والتابعين وقيل ما للاستفهام كأنه قيل
بأي شيء أغويتني ثم ابتدأ لأقعدن وإثبات الألف إذا أدخل حرف الجر على ما الاستفهامية قليل شاذ وأصل الغي
الفساد ومنه غوى الفصيل إذا بشم والبشم فساد لأقعدن لهم صراطك المستقيم لأعترضن لهم على طريق الإسلام
كما يتعرض العدو على الطريق ليقطعه على السابلة وانتصابه على الظرف كقوله كما عسل الطريق الثعلب وشبهه
الزجاج بقولهم ضرب زيد الظهر والبطن وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه
قعد له بطريق الإسلام فقال له تدع دين آبائك فعصاه فأسلم ثم قعد له بطريق الهجرة فقال له تدع ديارك وتتغرب فعصاه
فهاجر ثم قعد له بطريق الجهاد فقال له تقاتل فتقتل فيقسم مالك وتنكح امرأتك فعصاه فقاتل **ثم لآتينهم من
بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين قال اخرج منها
مذءوماً مدحوراً لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين** ثم لآتينهم من الجهات الأربع
التي يأتي منها العدو في الغالب وهذا مثل لوسوسته إليهم وتسويله ما أمكنه وقدر عليه كقوله واستفزز من استطعت منهم بصوتك
وأجلب عليهم بخيلك ورجلك **فإن قلت** كيف قيل من بين أيديهم ومن خلفهم بحرف الابتداء وعن أيمانهم
وعن شمائلهم بحرف المجاوزة **قلت** المفعول فيه عدي إليه الفعل كما عدي إلى المفعول به فكما اختلفت حروف التعدية
في ذلك اختلفت في هذا وكانت لغة تؤخذ ولا تقاس وإنما يفتش عن صحة موقعها فقط فلما سمعناهم يقولون جلس عن يمينه
وعلى يمينه وعن شماله وعلى شماله قلنا معنى على يمينه أنه تمكن من جهة اليمين تمكن المستعلي من المستعلى عليه ومعنى عن يمينه أنه جلس

متجافيا

متجافياً عن صاحب اليمين منحرفاً عنه غير ملاصق له ثم كثر حتى استعمل في المتجافي وغيره كما ذكرنا في تعال ونحوه من المفعول به
قولهم رميت عن القوس وعلى القوس ومن القوس لأن السهم يبعد عنها ويستعليها إذا وضع على كبدها للرمي ويبتدئ
الرمي منها وكذلك قالوا جلس بين يديه وخلفه بمعنى في لأنهما ظرفان للفعل ومن بين يديه ومن خلفه لأن الفعل يقع في
بعض الجهتين كما تقول جئته من الليل تريد بعض الليل وعن شقيق ما من صباح إلا قعد لي الشيطان على أربعة مراصد
من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي أما من بين يدي فيقول لا تخف فإن الله غفور رحيم فأقرأ وإني لغفار لمن تاب
وآمن وعمل صالحاً وأما من خلفي فيخوفني الضيعة على مخلفي فأقرأ وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها وأما من قبل يميني
فيأتيني من قبل الثناء فأقرأ والعاقبة للمتقين وأما من قبل شمالي فيأتيني من قبل الشهوات فأقرأ وحيل بينهم وبين
ما يشتهون ولا تجد أكثرهم شاكرين قاله تظنياً بدليل قوله ولقد صدق عليهم إبليس ظنه وقيل سمعه من الملائكة بإخبار
الله تعالى لهم مذءوماً من ذأمه إذا ذمه وقرأ الزهري مذوماً بالتخفيف مثل مسول في مسئول واللام في لمن تبعك موطئة للقسم
ولأملأن جوابه وهو ساد مسد جواب الشرط منكم منك ومنهم فغلب ضمير المخاطب كما في قوله أنتم قوم تجهلون وروى
عصمة عن عاصم لمن تبعك بكسر اللام بمعنى لمن تبعك منهم هذا الوعيد وهو قوله لأملأن جهنم منكم أجمعين على أن لأملأن
في محل الابتداء ولمن تبعك خبره **ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما
ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري
عنهما من سوآتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين**
ويا آدم وقلنا يا آدم وقرئ هذي الشجرة وهو الأصل لأن الياء والهاء بدل منها ويقال وسوس إذا تكلم كلاماً خفياً يكرره ومنه
وسوس الحلي وهو فعل غير متعد كولولت المرأة ووعوع الذئب ورجل موسوس بكسر الواو ولا يقال موسوس بالفتح
ولكن موسوس له وموسوس إليه وهو الذي يلقي إليه الوسوسة ومعنى وسوس له فعل الوسوسة لأجله ووسوس إليه ألقاها
إليه ليبدي جعل ذلك غرضاً له ليسوءهما إذ رأيا ما يؤثران ستره وأن لا يطلع عليه مكشوفاً وفيه دليل على أن كشف العورة
من عظائم الأمور وأنه لم يزل مستهجناً في الطباع مستقبحاً في العقول **فإن قلت** ما للواو المضمومة في ووري لم
تقلب همزة كما قلبت في أويصل **قلت** لأن الثانية مدة كالألف في وارى وقد جاء في قراءة عبد الله أوري بالقلب
إلا أن تكونا ملكين وفيه دليل على أن الملائكة بالمنظر الأعلى وأن البشرية تلمح مرتبتها كلاء لا وقرئ ملكين بكسر اللام لقوله
وملك لا يبلى من الخالدين من الذين لا يموتون ويبقون في الجنة ساكنين وقرئ من سوتهما بالتوحيد وسواتهما بالواو
المشددة **وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت
لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما
الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين** وقاسمهما وأقسم لهما إني لكما لمن الناصحين **فإن قلت**
المقاسمة أن تقسم لصاحبك ويقسم لك تقول قاسمت فلاناً حالفته وتقاسما تحالفا ومنه قوله تعالى تقاسموا بالله لنبيتنه
قلت كأنه قال لهما أقسم لكما إني لكما لمن الناصحين وقالا له أتقسم بالله أنك لمن الناصحين فجعل ذلك مقاسمة بينهم أو
أقسم لهما بالنصيحة وأقسما له بقبولها أو أخرج قسم إبليس على زنة المفاعلة لأنه اجتهد فيها اجتهاد المقاسم فدلاهما فنزلهما
إلى الأكل من الشجرة بغرور بما غرهما به من القسم بالله وعن قتادة وإنما يخدع المؤمن بالله وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان
إذا رأى من عبده طاعة وحسن صلاة أعتقه فكان عبيده يفعلون ذلك طلباً للعتق فقيل له إنهم يخدعونك فقال من
خدعنا بالله انخدعنا له فلما ذاقا الشجرة وجدا طعمها آخذين في الأكل منها وقيل الشجرة هي السنبلة وقيل شجرة الكرم
بدت لهما سوآتهما أي تهافت عنهما اللباس فظهرت لهما عوراتهما وكانا لا يريانها من أنفسهما ولا أحدهما من الآخر وعن
عائشة رضي الله عنها ما رأيت منه ولا رأى مني وعن سعيد بن جبير كان لباسهما من جنس الأظفار وعن وهب كان لباسهما
نوراً يحول بينهما وبين النظر ويقال طفق يفعل كذا بمعنى جعل يفعل وقرأ أبو السمال وطفقا بالفتح يخصفان ورقة
فوق ورقة على عوراتهما ليستترا بها كما تخصف النعل بأن تجعل طرقة على طرقة وتوثق بالسيور وقرأ الحسن يخصفان
بكسر الخاء وتشديد الصاد وأصله يختصفان وقرأ الزهري يخصفان من أخصف وهو منقول من خصف أي يخصفان
أنفسهما وقرئ يخصفان من خصف بالتشديد من ورق الجنة قيل كان ورق التين ألم أنهكما عتاب من الله تعالى

وتوبيخ وتنبيه على الخطأ حيث لم يحذرا ما حذرهما الله تعالى من عداوة ابليس وروي انه قال لآدم ألم يكن لك فيما
منحتك من شجر الجنة مندوحة عن هذه الشجرة قال بلى وعزتك ولكن ما ظننت ان احدا من خلقك يحلف بك كاذبا
قال فبعزتي لاهبطنك الى الارض ثم لا تنال العيش الا كدا فاهبط وعلم صنعة الحديد وامر بالحرث فحرث وسقى وحصد
وداس وذرى وعجن وخبز قالا ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من
الخاسرين قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين
وسميا ذنبهما وان كان صغيرا مغفورا ظلما لانفسهما وقالا لنكونن من الخاسرين على عادة الاولياء والصالحين في
استعظامهم الصغير من السيئات واستصغارهم العظيم من الحسنات اهبطوا الخطاب لآدم وحواء وابليس
بعضكم لبعض عدو في موضع الحال اي متعادين يعاديهما ابليس ويعاديانه مستقر استقرار او موضع استقرار
ومتاع وتمتع بعيش الى حين الى انقضاء آجالكم وعن ثابت البناني لما اهبط آدم وحضرته الوفاة احاطت به الملائكة
فجعلت حواء تدور حولهم فقال لها خلي ملائكة ربي فانما اصابني الذي اصابني فيك فلما توفي غسلته الملائكة بماء
وسدر وترا وحنطته وكفنته في وتر من الثياب وحفروا له ولحدوا ودفنوه بسرنديب بارض الهند وقالوا لبنيه هذه
سنتكم بعده قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون يا بني آدم قد انزلنا عليكم
لباسا يواري سوآتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون
جعل ما في الارض منزلا من السماء لانه قضي ثم وكتب ومنه وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج وريشا لباس الزينة
استعير من ريش الطير لانه لباسه وزينته اي انزلنا عليكم لباسين لباسا يواري سوآتكم ولباسا يزينكم لان الزينة غرض
صحيح كما قال لتركبوها وزينة ولكم فيها جمال وقرأ عثمان رضي الله عنه ورياشا جمع ريش كشعب وشعاب ولباس التقوى
لباس الورع والخشية من الله وارتفاعه على الابتداء وخبره اما الجملة التي هي ذلك خير كانه قال ولباس التقوى هو خير لان
اسماء الاشارة تقرب من الضمائر فيما يرجع الى عود الذكر واما المفرد الذي هو خير وذلك صفة المبتدأ كانه قيل ولباس
التقوى المشار اليه خير ولا تخلو الاشارة من ان يراد بها تعظيم لباس التقوى او ان تكون اشارة الى اللباس
المواري للسوءة لان مواراة السوءة من التقوى تفضيلا له على لباس الزينة وقيل لباس التقوى خبر مبتدأ محذوف
اي وهو لباس التقوى ثم قيل ذلك خير وفي قراءة عبد الله وابي ولباس التقوى خير وقيل المراد بلباس التقوى
ما يلبس من الدروع والجواشن والمغافر وغيرها مما يتقى به في الحروب وقرئ ولباس التقوى بالنصب عطفا على لباسا
وريشا ذلك من آيات الله الدالة على فضله ورحمته على عباده يعني انزال اللباس لعلهم يذكرون فيعرفوا عظيم
النعمة وهذه الآية واردة على سبيل الاستطراد عقيب ذكر بدو السوآت وخصف الورق عليها اظهارا
للمنة فيما خلق الله تعالى من اللباس ولما في العري وكشف العورة من المهانة والفضيحة واشعارا بان التستر
باب عظيم من ابواب التقوى يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة
ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم انا جعلنا
الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون لا يفتننكم الشيطان لا يمحننكم الشيطان بان لا تدخلوا
الجنة كما محن ابويكم بان اخرجهما منها ينزع عنهما لباسهما حال اي اخرجهما نازعا لباسهما بان كان سببا في ان نزع عنهما
انه يراكم هو تعليل للنهي وتحذير من فتنته بانه بمنزلة العدو المداجي يكيدكم ويغتالكم من حيث لا تشعرون وعن مالك
ابن دينار ان عدوا يراك ولا تراه لشديد المؤنة الا من عصم الله وقبيله وجنوده من الشياطين وفيه دليل على ان
الجن لا يرون ولا يظهرون للانس وان اظهارهم انفسهم ليس في استطاعتهم وان زعم من يدعي رؤيتهم زور ومخرقة
انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون اي خلينا بينهم وبينهم لم نكفهم عنهم حتى تولوهم واطاعوهم فيما سولوا
لهم من الكفر والمعاصي وهذا تحذير آخر ابلغ من الاول فان قلت علام عطف وقبيله قلت
على الضمير في يراكم المؤكد بهو والضمير في انه ضمير الشان والحديث وقرأ اليزيدي وقبيله بالنصب وفيه وجهان ان تعطف
على اسم ان وان يكون الواو بمعنى مع واذا عطف على اسم ان وهو الضمير كان راجعا الى ابليس عليه اللعنة
واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها قل ان الله لا يامر

بالفحشاء

بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون الفاحشة ما تبالغ في قبحه من الذنوب اي اذا فعلوها
اعتذروا بان آباءهم كانوا يفعلونها فاقتدوا بهم وبان الله تعالى امرهم بان يفعلوها وكلاهما باطل من العذر
لان احدهما تقليد والتقليد ليس بطريق الى العلم والثاني افتراء على الله والحاد في صفاته كانوا يقولون لو
كره الله منا ما نفعله لنقلنا عنه وعن الحسن ان الله تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم الى العرب وهم قدرية
مجبرة يحملون ذنوبهم على الله وتصديقه قول الله عز وجل واذا فعلوا فاحشة قل ان الله لا يامر بالفحشاء لان فعل
القبيح مستحيل عليه لعدم الداعي ووجود الصارف فكيف يامر بفعله اتقولون على الله ما لا تعلمون انكار لاضافتهم
القبيح اليه وشهادة على ان مبنى قولهم على الجهل المفرط وقيل المراد بالفاحشة طوافهم بالبيت عراة
قل امر ربي بالقسط واقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم
تعودون فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة انهم اتخذوا الشياطين اولياء
من دون الله ويحسبون انهم مهتدون بالقسط بالعدل وبما قام في النفوس انه مستقيم حسن
عند كل مميز وقيل بالتوحيد واقيموا وجوهكم وقل اقيموا وجوهكم اي اقصدوا عبادته مستقيمين اليها غير عادلين الى
غيرها عند كل مسجد في كل وقت سجود او في كل مكان سجود وهو الصلوة وادعوه واعبدوه مخلصين له الدين اي الطاعة
مبتغين بها وجهه خالصا كما بدأكم تعودون كما انشأكم ابتداء يعيدكم احتج عليهم في انكارهم الاعادة بابتداء الخلق والمعنى
انه يعيدكم فيجازيكم على اعمالكم فاخلصوا له العبادة فريقا هدى وهم الذين اسلموا اي وفقهم للايمان وفريقا حق عليهم الضلالة
اي كلمة الضلالة وعلم الله تعالى انهم يضلون ولا يهتدون وانتصاب قوله وفريقا بفعل يفسره ما بعده كانه قيل وخذل فريقا
حق عليهم الضلالة انهم ان الفريق الذي حق عليهم الضلالة اتخذوا الشياطين اولياء اي تولوهم بالطاعة فيما امروهم
وهذا دليل على ان علم الله لا اثر له في ضلالتهم وانهم هم الضالون باختيارهم وتوليهم الشياطين دون الله تعالى
يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين
خذوا زينتكم اي ثيابكم ولباس زينتكم عند كل مسجد كلما صليتم او طفتم وكانوا يطوفون عراة وعن طاوس لم يامرهم
بالحرير والديباج وانما كان احدهم يطوف عريانا ويدع ثيابه وراء المسجد وان طاف وهي عليه ضرب وانتزعت منه لانهم قالوا
لا نعبد الله في ثياب اذنبنا فيها وقيل تفاؤلا ليتعروا من الذنوب كما تعروا من الثياب وقيل الزينة المشط وقيل
الطيب والسنة ان يأخذ الرجل احسن هيئته للصلوة وكان بنو عامر في ايام حجهم لا ياكلون الطعام الا قوتا ولا
ياكلون دسما يعظمون بذلك حجهم فقال المسلمون فانا احق ان نفعل فقيل لهم وكلوا واشربوا ولا تسرفوا وعن
ابن عباس رضي الله عنهما كل ما شئت والبس ما شئت ما اخطأتك خصلتان سرف ومخيلة ويحكى ان الرشيد كان له
طبيب نصراني حاذق فقال لعلي بن الحسين بن واقد ليس في كتابكم من علم الطب شيء والعلم علمان علم الابدان وعلم الاديان
فقال له قد جمع الله تعالى الطب كله في نصف آية من كتابه قال وما هي قال قوله تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا فقال النصراني
ولا يؤثر من رسولكم شيء في الطب فقال قد جمع لنا رسولنا صلى الله عليه وسلم الطب في الفاظ يسيرة قال وما هي قال قوله
المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء واعط كل بدن ما عودته فقال النصراني ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طبا
قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا
في الحيوة الدنيا خالصة يوم القيمة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون زينة الله من الثياب وكل
ما يتجمل به والطيبات من الرزق والمستلذات من الماكل والمشارب ومعنى الاستفهام فيه انكار تحريم هذه الاشياء
قيل كانوا اذا احرموا حرموا الشاة وما يخرج منها من لحمها وشحمها ولبنها قل هي للذين آمنوا في الحيوة الدنيا غير خالصة لهم
لان المشركين شركاؤهم فيها خالصة يوم القيمة لا يشركهم فيها احد فان قلت هلا قيل هي للذين آمنوا ولغيرهم
قلت لينبه على انها خلقت للذين آمنوا على طريق الاصالة وان الكفرة تبع لهم كقوله تعالى ومن كفر فامتعه قليلا
ثم اضطره الى عذاب النار وقرئ خالصة بالنصب على الحال وبالرفع على انها خبر بعد خبر قل انما حرم ربي الفواحش
ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وان
تقولوا على الله ما لا تعلمون الفواحش ما تفاحش قبحه اي تزايد وقيل هي ما يتعلق بالفروج والاثم عام لكل ذنب

وقيل شرب الخمر والبغي الظلم والكبر افرده بالذكر كما قال وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي ما لم ينزل به سلطانا فيه تهكم لانه
لا يجوز ان ينزل برهانا بان يشرك به غيره وان تقولوا على الله وان تتقولوا عليه وتفتروا الكذب من التحريم وغيره

وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ۞ يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا
يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ

ولكل امة اجل وعيد لاهل مكة بالعذاب النازل في اجل معلوم عند الله كما نزل بالامم وقرئ فاذا جاء آجالهم وقال ساعة
لانها اقل الاوقات في استعمال الناس يقول المستعجل لصاحبه في ساعة يريد اقصر وقت واقربه اما ياتينكم هي ان الشرطية
ضمت اليها ما مؤكدة لمعنى الشرط ولذلك لزمت فعلها النون الثقيلة او الخفيفة **فان قلت** فما جزاء
هذا الشرط **قلت** الفاء وما بعده من الشرط والجزاء والمعنى فمن اتقى واصلح منكم والذين كذبوا منكم وقرئ تاتينكم
بالتاء ۞

وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۞ فَمَنْ
أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا
جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا
عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ۞

فمن اظلم فمن اشنع ظلما ممن تقول على الله ما لم يقله او كذب ما قاله اولئك ينالهم
نصيبهم من الكتاب اي مما كتب لهم من الاعمار والارزاق حتى اذا جاءتهم رسلنا غاية لنيلهم نصيبهم واستيفائهم
له اي الى وقت وفاتهم وهي حتى التي يبتدأ بعدها الكلام والكلام ههنا الجملة الشرطية وهي اذا جاءتهم رسلنا قالوا
ويتوفونهم حال من الرسل اي متوفيهم والرسل ملك الموت واعوانه وما وقعت موصولة باين في خط المصحف وكان
حقها ان تفصل لانها موصولة بمعنى اين الالهة التي تدعون ضلوا عنا غابوا عنا فلا نراهم ولا ننتفع بهم اعترافا
منهم بانهم لم يكونوا على شيء فيما كانوا عليه وانهم لم يجدوه في العاقبة ۞

قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ
مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ
أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ

قال ادخلوا اي يقول الله تعالى يوم القيامة لاولئك الذين قال فيهم فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب باياته وهم كفار
العرب في امم في موضع الحال اي كائنين في جملة امم وفي غمارهم مصاحبين لهم اي ادخلوا النار مع امم قد خلت من قبلكم وتقدم
زمانهم زمانكم لعنت اختها التي ضلت بالاقتداء بها حتى اذا اداركوا فيها اي تداركوا بمعنى تلاحقوا واجتمعوا في النار
قالت اخراهم منزلة وهم الاتباع والسفلة لاولاهم منزلة وهم القادة والرؤس ومعنى لاولاهم لاجل اولاهم لان
خطابهم مع الله تعالى لا معهم عذابا ضعفا مضاعفا لكل ضعف لان كلا من القادة والاتباع كانوا ضالين مضلين
ولكن لا تعلمون قرئ بالياء والتاء ۞

وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ
بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ۞ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا
يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ۞ لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ
فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ۞

فما كان لكم علينا من فضل عطفوا هذا الكلام على قول الله تعالى للسفلة
لكل ضعف اي فقد ثبت ان لا فضل لكم علينا وانا متساوون في استحقاق الضعف فذوقوا العذاب من قول القادة
او من قول الله تعالى لهم جميعا لا تفتح لهم ابواب السماء لا يصعد لهم عمل صالح اليه يصعد الكلم الطيب كلا ان كتاب الابرار
لفي عليين وقيل ان الجنة في السماء فالمعنى لا يؤذن لهم في صعود السماء ولا يطرق لهم اليها ليدخلوا الجنة وقيل لا تصعد
ارواحهم اذا ماتوا كما تصعد ارواح المؤمنين وقيل لا تنزل عليهم البركة ولا يغاثون ففتحنا ابواب السماء وقرئ لا تفتح بالتشديد
ولا يفتح بالياء ولا تفتح بالتاء والبناء للفاعل ونصب الابواب على ان الفعل لله عز وجل وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما
الجمل بوزن القمل وسعيد بن جبير الجمل بوزن النغر وقرئ الجمل بوزن القفل والجمل بوزن النصب والجمل بوزن الحبل
ومعناها القلس الغليظ لانه حبال جمعت وجعلت جملة واحدة ۞ وعن ابن عباس ان الله تعالى احسن تشبيها من
ان يشبه بالجمل يعني ان الحبل مناسب للخيط الذي يسلك في سم الابرة والبعير لا يناسبه الا ان قراءة العامة اوقع
لان سم الابرة مثل في ضيق المسلك يقال اضيق من خرت الابرة وقالوا الدليل الماهر خريت للاهتداء في المضايق

المشبهة بخرات الابر والجمل مثل في عظم الجرم قال جسم الجمال واحلام العصافير ان الرجال ليسوا بجزر تراد منهم
الاجسام فقيل لا يدخلون الجنة حتى يكون ما لا يكون ابدا من ولوج هذا الحيوان الذي لا يلج الا في باب واسع في ثقب
الابرة وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه سئل عن الجمل فقال زوج الناقة استجهالا للسائل واشارة الى ان طلب معنى
آخر تكلف وقرئ في سم بالحركات الثلاث وقرأ عبد الله في سم المخيط والخياط والمخيط كالحزام والمحزم ما يخاط به وهو الابرة
وكذلك ومثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي المجرمين ليؤذن ان الاجرام هو السبب الموصل الى العقاب وان كل من
اجرم عوقب وقد كرره فقال وكذلك نجزي الظالمين لان كل مجرم ظالم لنفسه مهادا فراش غواش اغطية وقرئ
غواش بالرفع كقوله وله الجوار المنشآت في قراءة عبد الله ۞

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ
نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۞

لا نكلف نفسا الا وسعها جملة
معترضة بين المبتدأ والخبر للترغيب في اكتساب ما لا يكتنهه وصف الواصف من النعيم الخالد مع التعظيم بما هو في الوسع
وهو الامكان الواسع غير الضيق من الايمان والعمل الصالح وقرأ الاعمش لا تكلف نفس ۞

وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ
مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا
اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۞

من كان في قلبه غل على اخيه في الدنيا نزع منه فسلمت قلوبهم وطهرت ولم يكن بينهم الا التواد والتعاطف وعن علي
رضي الله عنه اني لارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم هدانا لهذا اي وفقنا لموجب هذا الفوز العظيم وهو
الايمان والعمل الصالح وما كنا لنهتدي اللام لتوكيد النفي يعنون وما كان يستقيم ان نكون مهتدين لولا هداية الله وتوفيقه
وفي مصاحف اهل الشام ما كنا لنهتدي بغير واو على انها جملة موضحة للاولى لقد جاءت رسل ربنا بالحق فكان لنا
لطفا وتنبيها على الاهتداء فاهتدينا يقولون ذلك سرورا واغتباطا بما نالوا وتلذذا بالتكلم لا تقربا وتعبدا
كما ترى من رزق خيرا في الدنيا يتكلم بنحو ذلك ولا يتمالك ان لا يقوله للفرح لا للقربة ان تلكم الجنة ان مخففة من الثقيلة
تقديره ونودوا بانه تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون بسبب اعمالكم لا بالتفضل كما تقول المبطلة ۞

وَنَادَى
أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا
قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ۞ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ
سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ۞

ان في ان قد وجدنا يحتمل ان تكون مخففة من
الثقيلة وان تكون مفسرة كالتي سبقت آنفا وكذلك ان لعنة الله على الظالمين وانما قالوا لهم ذلك اغتباطا
بحالهم وشماتة باصحاب النار وزيادة في غمهم وليكون حكايته لطفا لمن سمعها وكذلك قول المؤذن بينهم لعنة الله على الظالمين
وهو ملك يامره الله فينادي بينهم نداء يسمع اهل الجنة واهل النار وقرئ ان لعنة الله بالتشديد والنصب وقرأ
الاعمش ان لعنة الله بالكسر على ارادة القول او على اجراء اذن مجرى قال **فان قلت** هلا قيل ما وعدكم
ربكم كما قيل ما وعدنا ربنا **قلت** حذف ذلك تخفيفا لدلالة وعدنا عليه ولقائل ان يقول اطلق ليتناول
كل ما وعد الله من البعث والحساب والثواب والعقاب وسائر احوال القيامة لانهم كانوا مكذبين بذلك اجمع
ولان الموعود كله مما ساءهم وما نعيم اهل الجنة الا عذاب لهم فاطلق لذلك ۞

وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ
يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ۞

وبينهما حجاب يعني بين الجنة والنار او بين الفريقين وهو السور المذكور في قوله تعالى فضرب بينهم بسور وعلى الاعراف وعلى اعراف
الحجاب وهو السور المضروب بين الجنة والنار وهي اعاليه جمع عرف استعير من عرف الفرس وعرف الديك رجال من المسلمين
من آخرهم دخولا في الجنة لقصور اعمالهم كانهم المرجون لامر الله يحبسون بين الجنة والنار الى ان ياذن الله تعالى لهم في دخول
الجنة يعرفون كلا من زمر السعداء والاشقياء بسيماهم بعلامتهم التي اعلمهم الله تعالى بها يلهمهم الله تعالى ذلك
او تعرفهم الملائكة اذا نظروا الى اصحاب الجنة نادوهم بالتسليم عليهم ۞

وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ
النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۞ وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ
بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ۞ أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ

برحمة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون ۝ واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار
وراوا ما هم فيه من العذاب استعاذوا بالله وفزعوا الى رحمته ان لا يجعلهم معهم ونادوا رجالا من رؤس الكفرة يقولون
لهم اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة اشارة لهم الى اهل الجنة الذين كان الرؤساء يستهينون بهم ويحتقرونهم لفقرهم
وقلة حظوظهم من الدنيا وكانوا يقسمون ان الله لا يدخلهم الجنة ادخلوا الجنة يقال لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة وذلك
بعد ان يحبسوا على الاعراف وينظروا الى الفريقين ويعرفوهم بسيماهم ويقولوا ما يقولون وفايدة ذلك بيان ان الجزاء على
قدر الاعمال وان التقدم والتاخر على حسبها وان احدا لا يسبق عند الله الا بسبقه في العمل ولا يتخلف عنده الا بتخلفه
فيه وليرغب السامعون في حال السابقين ويحرصوا على احراز قصبتهم وليتصوروا ان كل احد يعرف ذلك اليوم بسيماه
التي استوجب ان يوسم بها من اهل الخير والشر فيرتدع المسيء عن اساءته ويزيد المحسن في احسانه وليعلم ان العصاة
يوبخهم كل احد حتى اقصر الناس عملا وقوله تعالى واذا صرفت ابصارهم فيه ان صارفا يصرف ابصارهم لينظروا فيستعيذوا
ويوبخوا وقرأ الاعمش واذا قلبت ابصارهم وقرئ ادخلوا الجنة على البناء للمفعول وقرأ عكرمة دخلوا الجنة
فان قلت كيف لاءم هذا الكلامين قوله لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون قلت ادخلوا الجنة او
دخلوا الجنة مقولا لهم لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون فان قلت ما محل قوله لم يدخلوها وهم يطمعون قلت
لا محل له لانه استيناف كان سائلا سال عن حال اصحاب الاعراف فقيل لم يدخلوها وهم يطمعون يعني حالهم ان دخولهم
الجنة استاخر عن دخول اهل الجنة فلم يدخلوها لكونهم محبوسين وهم يطمعون لم ييئسوا ويجوز ان يكون له محل بان يقع
صفة لرجال ما اغنى عنكم جمعكم المال او كثرتكم واجتماعكم وما كنتم تستكبرون واستكباركم عن الحق وعلى الناس وقرئ
تستكثرون من الكثرة ۝ ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله
قالوا ان الله حرمهما على الكافرين ۝ الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحيوة الدنيا
فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا باياتنا يجحدون ۝ افيضوا علينا من الماء فيه دليل ان الجنة
فوق النار او مما رزقكم الله من غيره من الاشربة لدخوله في حكم الافاضة ويجوز ان يراد او القوا علينا مما رزقكم الله تعالى
من الطعام والفاكهة كقوله علفتها تبنا وماء باردا ۝ وانما يطلبون ذلك مع يأسهم من الاجابة اليه حيرة في امرهم كما يفعل
المضطر الممتحن حرمهما على الكافرين منعهم شراب الجنة وطعامها كما يمنع المكلف ما يحرم عليه ويحظر كقوله حرام على عيني ان تطعما الكرى
فاليوم ننساهم نفعل بهم فعل الناسين الذين ينسون عبيدهم من الخير لا يذكرونهم به كما نسوا لقاء يومهم هذا كما فعلوا
بلقائه فعل الناسين فلم يخطروه ببالهم ولم يهتموا به ۝ ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى
ورحمة لقوم يؤمنون ۝ هل ينظرون الا تاويله يوم ياتي تاويله يقول الذين نسوه
من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا او نرد فنعمل غير
الذي كنا نعمل قد خسروا انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ۝ فصلناه على علم عالمين كيف
نفصل احكامه ومواعظه وقصصه وسائر معانيه حتى جاء حكيما قيما غير ذي عوج وقرأ ابن محيصن فضلناه بالضاد
المعجمة بمعنى فضلناه على جميع الكتب عالمين انه اهل للتفضيل عليها وهدى ورحمة حال من منصوب فصلناه كما ان
على علم حال من مرفوعه الا تاويله الا عاقبة امره وما يؤول اليه من تبين صدقه وظهور صحة ما نطق به من الوعد والوعيد
قد جاءت رسل ربنا بالحق اي تبين وصح انهم جاءوا بالحق او نرد جملة معطوفة على الجملة التي قبلها داخلة معها في حكم الاستفهام
كانه قيل هل لنا من شفعاء او هل نرد ورافعه وقوعه موقعا يصلح للاسم كما تقول ابتداء هل يضرب زيد ولا يطلب له فعل اخر
يعطف عليه فلا يقدر هل يشفع لنا شافع او نرد وقرأ ابن ابي اسحق او نرد بالنصب عطفا على فيشفعوا او يكون او بمعنى حتى
ان اي يشفعوا لنا حتى نرد فنعمل وقرأ الحسن بنصب نرد ورفع فنعمل بمعنى فنحن نعمل ۝ ان ربكم الله الذي
خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا
والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ۝ يغشي الليل
النهار وقرئ يغشي بالتشديد اي يلحق الليل بالنهار والنهار بالليل يحتملهما جميعا والدليل على الثاني قراءة حميد بن قيس
يغشى الليل النهار بفتح الياء ونصب الليل ورفع النهار اي يدرك النهار الليل ويطلبه حثيثا حسن الملاءمة لقراءة حميد

بامره

بامره بالمشيئة وتصريفه وهو متعلق بمسخرات اي خلقهن جاريات بمقتضى حكمته وتدبيره وكما يريد ان يصرفها سمي
ذلك امرا على التشبيه كانهن مامورات بذلك وقرئ والشمس والقمر والنجوم مسخرات بالرفع ولما ذكر انه خلقهن مسخرات
بامره قال الا له الخلق والامر اي هو الذي خلق الاشياء كلها وهو الذي صرفها على حسب ارادته ۝ ادعوا ربكم
تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين ۝ ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها وادعوه
خوفا وطمعا ان رحمت الله قريب من المحسنين ۝ تضرعا وخفية نصب على الحال اي ذوي
تضرع وخفية وكذلك خوفا وطمعا والتضرع تفعل من الضراعة وهي الذل اي تذللا وتملقا وقرئ خفية وعن الحسن رحمه الله
ان الله تعالى يعلم القلب التقي والدعاء الخفي ان كان الرجل لقد جمع القرآن وما يشعر به جاره وان كان الرجل لقد
فقه الفقه الكثير ولا يشعر الناس به وان كان الرجل ليصلي الصلوة الطويلة وعنده الزور وما يشعرون به ولقد ادركنا
اقواما ما كان على الارض من عمل يقدرون على ان يعملوه في السر فيكون علانية ابدا ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء
وما يسمع لهم صوت ان كان الا همسا بينهم وبين ربهم وذلك ان الله تعالى يقول ادعوا ربكم تضرعا وخفية وقد اثنى على زكريا فقال
اذ نادى ربه نداء خفيا ۝ وبين دعوة السر ودعوة العلانية سبعون ضعفا انه لا يحب المعتدين المجاوزين ما امروا به في
كل شيء من الدعاء وغيره ۝ وعن ابن جريج هو رفع الصوت بالدعاء وعنه الصياح في الدعاء مكروه وبدعة وقيل هو الاسهاب
في الدعاء ۝ وعن النبي صلى الله عليه وسلم سيكون قوم يعتدون في الدعاء وحسب المرء ان يقول اللهم اني اسئلك الجنة وما
قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرأ قوله انه لا يحب المعتدين ان رحمة الله قريب
من المحسنين كقوله تعالى واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا وانما ذكر قريب على تاويل الرحمة بالرحم او الترحم او لانه صفة
موصوف محذوف اي شيء قريب او على تشبيهه بفعيل الذي بمعنى مفعول كما شبه ذاك به فقيل قتلاء واسراء او على انه
بزنة المصدر الذي هو النقيض والضغيب او لان تانيث الرحمة غير حقيقي ۝ وهو الذي يرسل الرياح نشرا
بين يدي رحمته حتى اذا اقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فانزلنا به الماء فاخرجنا
به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون ۝ قرئ نشرا وهو مصدر نشر وانتصابه اما
لان ارسل ونشر متقاربان فكانه قيل نشرها نشرا واما على الحال بمعنى منتشرات ونشرا جمع نشور ونشرا تخفيف
نشر كرسل ورسل وقرأ مسروق نشرا بمعنى منشورات فعل بمعنى مفعول كنقض وحسب ومنه قولهم ضم نشره
وبشرا جمع بشير وبشرا وبشرا بفتح الباء مصدر من بشره بمعنى بشره اي باشرات وبشرى بين يدي رحمته امام نعمته
وهي الغيث الذي هو من اجل النعم واحسنها اثرا اقلت حملت ورفعت واشتقاق الاقلال من القلة لان الرافع
المطيق يرى الذي يرفعه قليلا سحابا ثقالا سحائب ثقالا بالماء جمع سحابة سقناه الضمير للسحاب على اللفظ ولو حمل على
المعنى كالثقال لانث كما لو حمل الوصف على اللفظ لقيل ثقيلا لبلد ميت لاجل بلد ليس فيه حيا ولسقيه وقرئ ميت
فانزلنا به بالبلد او بالسحاب او بالسوق وكذلك فاخرجنا به كذلك مثل ذلك الاخراج وهو اخراج الثمرات نخرج الموتى
لعلكم تذكرون فيؤديكم التذكر الى انه لا فرق بين الاخراجين اذ كل واحد منهما اعادة للشيء بعد انشائه ۝
والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا كذلك نصرف الايات
لقوم يشكرون ۝ البلد الطيب الارض الكريمة التربة والذي خبث الارض السبخة التي لا تنبت
ما ينتفع به باذن ربه بتيسيره وهو في موضع الحال كانه قيل يخرج نباته حسنا وافيا لانه واقع في مقابلة نكدا والنكد الذي لا خير فيه
وقرئ يخرج نباته اي يخرجه البلد وينبته وقوله والذي خبث صفة للبلد ومعناه والبلد الخبيث لا يخرج نباته الا نكدا
فحذف المضاف الذي هو النبات واقيم المضاف اليه الذي هو الراجع الى البلد مقامه الا انه كان مجرورا بارزا فانقلب مرفوعا
مستكنا لوقوعه موقع الفاعل او يقدر ونبات الذي خبث وقرئ نكدا بفتح الكاف على المصدر اي ذا نكد ونكدا بالسكون
للتخفيف كقوله نزه عن الريب بمعنى نزه وهذا مثل لمن ينجع فيه الوعظ والتنبيه من المكلفين ولمن لا يؤثر فيه شيء
من ذلك وعن مجاهد آدم وذريته منهم خبيث وطيب ۝ وعن قتادة المؤمن سمع كلام الله تعالى بعقله فوعاه وانتفع
به كالارض الطيبة اصابها الغيث فانبتت والكافر بخلاف ذلك وهذا التمثيل واقع على اثر ذكر المطر وانزاله بالبلد الميت
واخراج الثمرات به على طريق الاستطراد كذلك مثل ذلك التصريف نصرف الايات نرددها ونكررها لقوم يشكرون نعمة الله

وهم المؤمنون ليتفكروا فيها ويعتبروا بها وقرئ نصرف بالياء اي يصرفها الله تعالى لقد ارسلنا نوحا الى
قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره اني اخاف عليكم عذاب يوم
عظيم • لقد ارسلنا جواب قسم محذوف فان قلت ما لهم لا يكادون ينطقون بهذه اللام الا مع قد
وقل عنهم نحو قوله حلفت لها بالله حلفة فاجر لناموا • قلت انما كان ذلك لان الجملة القسمية
لا تساق الا تاكيدا للجملة المقسم عليها التي هي جوابها فكانت مظنة لمعنى التوقع الذي هو معنى قد عند استماع المخاطب
كلمة القسم • قيل ارسل نوح عليه السلام وهو ابن خمسين سنة وكان نجارا وهو نوح بن لمك بن متوشلخ
ابن اخنوخ واخنوخ اسم ادريس عليه السلام وقرئ غيره بالحركات الثلاث فالرفع على المحل كانه قيل ما لكم اله غيره والجر
على اللفظ والنصب على الاستثناء بمعنى ما لكم من اله الا اياه كقولك ما في الدار من احد الا زيدا وغير زيد فان قلت
ما موقع الجملتين بعد قوله اعبدوا الله قلت الاولى بيان لوجه اختصاصه بالعبادة والثانية بيان للداعي
الى عبادته لانه هو المحذور عقابه دون من كانوا يعبدونه من دون الله واليوم العظيم يوم القيمة او يوم نزول العذاب عليهم وهو
الطوفان • قال الملأ من قومه انا لنراك في ضلال مبين قال يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول
من رب العالمين • الملأ الاشراف والسادة وقيل الرجال ليس معهم نساء في ضلال في ذهاب عن طريق الصواب والحق
ومعنى الرؤية رؤية القلب فان قلت لم قال ليس بي ضلالة ولم يقل ضلال كما قالوا قلت
الضلالة اخص من الضلال فكانت ابلغ في نفي الضلال عن نفسه كانه قيل ليس بي شيء من الضلال كما لو قيل لك الك تمر
فقلت ما لي تمرة فان قلت كيف وقع قوله ولكني رسول استدراكا للانتفاء عن الضلالة قلت
كونه رسولا من الله تعالى مبلغا رسالاته ناصحا في معنى كونه على الصراط المستقيم فصح لذلك ان يكون استدراكا
للانتفاء عن الضلالة • ابلغكم رسالات ربي وانصح لكم واعلم من الله ما لا تعلمون
او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون • قرئ ابلغكم
بالتخفيف فان قلت كيف موقع قوله ابلغكم قلت فيه وجهان احدهما ان يكون كلاما مستانفا
بيانا لكونه رسول رب العالمين والثاني ان يكون صفة لرسول فان قلت كيف جاز ان يكون صفة والرسول
لفظه لفظ الغائب قلت جاز ذلك لان الرسول وقع خبرا عن ضمير المخاطب فكان في معناه كما قال
انا الذي سمتن امي حيدره • رسالات ربي ما اوحي الي في الاوقات المتطاولة او في المعاني المختلفة من الاوامر
والنواهي والمواعظ والزواجر والبشائر والنذائر ويجوز ان يريد رسالاته اليه والى الانبياء قبله من صحف جده ادريس
وهي ثلثون صحيفة ومن صحف شيث وهي خمسون صحيفة • وانصح لكم يقال نصحته ونصحت له وفي زيادة اللام مبالغة ودلالة
على امحاض النصيحة وانها وقعت خالصة للمنصوح له مقصودا بها جانبه لا غير فرب نصيحة ينتفع بها الناصح فيقصد
النفعين جميعا ولا نصيحة امحض من نصيحة الله ورسله • واعلم من الله ما لا تعلمون اي من صفات الله تعالى واحواله
يعني قدرته الباهرة وشدة بطشه على اعدائه وان باسه لا يرد عن القوم المجرمين • وقيل لم يسمعوا بقوم حل بهم العذاب
قبلهم فكانوا آمنين لا يعلمون ما علمه نوح بوحي الله تعالى اليه او اراد واعلم من جهة الله تعالى اشياء لا علم لكم بها قد
اوحي الي بها • او عجبتم الهمزة للانكار والواو للعطف والمعطوف عليه محذوف كانه قيل اكذبتم وعجبتم ان جاءكم من ان جاءكم
ذكر موعظة من ربكم على لسان رجل منكم كقوله ما وعدتنا على رسلك وذلك انهم كانوا يتعجبون من نبوة نوح ويقولون
ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين يعنون ارسال البشر ولو شاء ربنا لانزل ملائكة • لينذركم وليتقوا ليحذركم عاقبة الكفر
ولتوجد منكم التقوى وهي الخشية بسبب الانذار ولعلكم ترحمون ولترحموا بالتقوى ان وجدت منكم • فكذبوه فانجيناه
والذين معه في الفلك واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا انهم كانوا قوما عمين • والذين معه قيل
كانوا اربعين رجلا واربعين امراة وقيل تسعة بنوه سام وحام ويافث وستة ممن آمن به فان قلت
في الفلك بم يتعلق قلت هو متعلق بمعه كانه قيل والذين استقروا معه في الفلك وصحبوه في الفلك ويجوز
ان يتعلق بفعل الانجاء اي انجيناهم في السفينة من الطوفان عمين عمي القلوب غير مستبصرين وقرئ عامين والفرق بين
العمي والعامي ان العمي يدل على عمى ثابت والعامي على عمى حادث ونحوه قوله تعالى وضائق به صدرك • والى عاد

اخاهم

اخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون • قال الملأ الذين
كفروا من قومه انا لنراك في سفاهة وانا لنظنك من الكاذبين • اخاهم واحدا منهم من قولك
يا اخا العرب للواحد منهم وانما جعل واحدا منهم لانهم افهم عن رجل منهم واعرف بحاله في صدقه وامانته وهو هود بن شالخ
ابن ارفخشذ بن سام بن نوح واخاهم عطف على نوحا وهودا عطف بيان له فان قلت لم حذف
العاطف من قوله قال يا قوم ولم يقل فقال كما في قصة نوح قلت هو على تقدير سؤال سائل قال فما قال لهم هود
فقيل قال يا قوم اعبدوا الله وكذلك قال الملأ فان قلت لم وصف الملأ بالذين كفروا دون الملأ من قوم
نوح قلت كان في اشراف قوم هود من آمن به منهم مرثد بن سعد الذي اسلم وكان يكتم اسلامه فاريدت
التفرقة بالوصف ولم يكن في اشراف قوم نوح مؤمن ونحوه قوله تعالى وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة
ويجوز ان يكون وصفا واردا للذم لا غير في سفاهة في خفة حلم وسخافة عقل حيث تهجر دين قومك الى دين آخر وجعلت
السفاهة ظرفا على طريق المجاز اراد وانه متمكن فيها غير منفك عنها • قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني
رسول من رب العالمين • ابلغكم رسالات ربي وانا لكم ناصح امين • او عجبتم ان جاءكم
ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق
بسطة فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون • وفي اجابة الانبياء عليهم السلام من نسبهم الى الضلال
والسفاهة بما اجابوهم به من الكلام الصادر عن الحلم والاغضاء وترك المقابلة بما قالوا لهم مع علمهم بان خصومهم
اضل الناس واسفههم ادب حسن وخلق عظيم وحكاية الله عز وجل ذلك تعليم لعباده كيف يخاطبون السفهاء
وكيف يغضون عنهم ويسبلون اذيالهم على ما يكون منهم • ناصح امين اي عرفت فيما بينكم بالنصح والامانة فما حقي ان اتهم
او انا لكم ناصح فيما ادعوكم اليه امين على ما اقول لكم لا اكذب فيه • خلفاء من بعد قوم نوح اي خلفتموهم في الارض او جعلكم
ملوكا في الارض قد استخلفكم فيها بعدهم في الخلق بسطة فيما خلق من اجرامكم ذهابا في الطول والبدانة قيل كان اقصرهم ستين
ذراعا واطولهم مائة ذراع فاذكروا آلاء الله في استخلافكم وبسطة اجرامكم وما سواهما من عطاياه وواحد الآلاء الي نحو
اني وآناء وضلع واضلاع وعنب واعناب فان قلت اذ في قوله تعالى اذ جعلكم خلفاء ما وجه انتصابه
قلت هو مفعول به وليس بظرف اي اذكروا وقت استخلافكم • قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده
ونذر ما كان يعبد آباؤنا فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين • اجئتنا لنعبد الله
وحده انكروا واستبعدوا اختصاص الله وحده بالعبادة وترك دين الآباء في اتخاذ الاصنام شركاء معه حبا
لما نشؤوا عليه والفا لما صادفوا آباءهم يتدينون به فان قلت ما معنى المجيء في قوله اجئتنا قلت
فيه اوجه ان يكون لهود عليه السلام مكان معتزل عن قومه يتحنث فيه كما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
بحراء قبل المبعث فلما اوحي اليه جاء قومه يدعوهم وان يريدوا به الاستهزاء لانهم كانوا يعتقدون ان الله لا يرسل الا
الملائكة فكانهم قالوا اجئتنا من السماء كما يجيء الملك وان لا يريدوا حقيقة المجيء ولكن التعرض بذلك والقصد كما
يقال ذهب يشتمني ولا يراد حقيقة الذهاب كانهم قالوا اقصدتنا لنعبد الله وحده وتعرضت لنا بتكليف ذلك
فاتنا بما تعدنا استعجال منهم للعذاب • قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب اتجادلونني في
اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان فانتظروا اني معكم من المنتظرين
قد وقع عليكم اي حق عليكم ووجب او قد نزل عليكم جعل المتوقع الذي لا بد من نزوله بمنزلة الواقع ونحوه قولك لمن طلب اليك
بعض المطالب قد كان ذلك • وعن حسان ان ابنه عبد الرحمن لسعه زنبور وهو طفل فجاء يبكي فقال له يا بني ما لك
قال لسعني طوير كانه ملتف في بردي حبرة فضمه الى صدره وقال يا بني قد قلت الشعر • والرجس العذاب من
الارتجاس وهو الاضطراب في اسماء سميتموها في اشياء ما هي الا اسماء ليس تحتها مسميات لانكم تسمونها آلهة ومعنى الالهية
فيها معدوم محال وجوده وهذا كقوله ما تدعون من دونه من شيء ومعنى سميتموها سميتم بها من قولك سميته زيدا • فانجيناه
والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين • وقطع دابرهم
استيصالهم وتدميرهم عن آخرهم • وقصتهم ان عادا قد تبسطوا في البلاد ما بين عمان وحضرموت

وكانت لهم اصنام يعبدونها صداء وصمود والهباء فبعث الله تعالى اليهم هودا نبيا وكان من اوسطهم وافضلهم
حسبا فكذبوه وازدادوا عتوا وتجبرا فامسك الله تعالى عنهم القطر ثلث سنين حتى جهدوا وكان الناس اذا
نزل بهم بلاء طلبوا الى الله تعالى الفرج منه عند بيته الحرام مسلمهم ومشركهم واهل مكة اذ ذاك العماليق اولاد عمليق
ابن لاوذ بن سام بن نوح وسيدهم معوية بن بكر فجهزت عاد الى مكة من اماثلهم سبعين رجلا منهم قيل بن عنز
ومرثد بن سعد الذي كان يكتم اسلامه فلما قدموا نزلوا على معوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجا من الحرم فانزلهم واكرمهم وكانوا
اخواله واصهاره فاقاموا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان كانتا لمعوية فلما راى طول مقامهم
وذهولهم باللهو عما قدموا له اهمه ذلك وقال قد هلك اخوالي واصهاري وهؤلاء على ما هم عليه وكان يستحيي ان يكلمهم
خيفة ان يظنوا به ثقل مقامهم عليه فذكر ذلك للقينتين فقالتا قل شعرا نغنيهم به لا يدرون من قاله فقال معوية
الا يا قيل ويحك قم فهينم • لعل الله يسقينا غماما • فيسقي ارض عاد ان عادا • قد امسوا ما يبينون الكلاما
فلما غنتا به قالوا ان قومكم يتغوثون من البلاء الذي نزل بهم وقد ابطاتم عليهم فادخلوا الحرم واستسقوا لقومكم فقال
لهم مرثد بن سعد والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم وتبتم الى الله سقيتم واظهر اسلامه فقالوا لمعوية احبس
عنا مرثدا لا يقدمن معنا مكة فانه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم
فانشا الله تعالى سحابات ثلثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك فقال
اخترت السوداء فانها اكثرهن ماء فخرجت على عاد من واد لهم يقال له المغيث فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا
فجاءتهم منها ريح عقيم فاهلكتهم ونجا هود والمؤمنون معه فاتوا مكة فعبدوا الله تعالى فيها حتى ماتوا **فان قلت**
ما فائدة نفي الايمان عنهم في قوله وما كانوا مؤمنين مع اثبات التكذيب بآيات الله **قلت** هو تعريض بمن آمن
منهم كمرثد بن سعد ومن نجا مع هود عليه السلام كانه قال وقطعنا دابر الذين كذبوا منهم ولم يكن مثل من آمن منهم
ليؤذن ان الهلاك خص المكذبين ونجى الله المؤمنين **والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا**
الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية
فذروها تاكل في ارض الله ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب اليم وقرئ والى ثمود بمنع الصرف
بتاويل القبيلة والى ثمود بالصرف بتاويل الحي او باعتبار الاصل لانه اسم ابيهم الاكبر وهو ثمود بن عابر بن ارم بن سام
ابن نوح عليه السلام وقيل سميت ثمود لقلة مائها من الثمد وهو الماء القليل وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام
الى وادي القرى قد جاءتكم بينة آية ظاهرة وشاهد على صحة نبوتي وكانه قيل ما هذه البينة فقال هذه ناقة الله لكم آية
وآية نصب على الحال والعامل فيها ما دل عليه اسم الاشارة من معنى الفعل كانه قيل اشير اليها آية ولكم بيان لمن هي له
آية موجبة عليه الايمان خاصة وهم ثمود لانهم عاينوها وسائر الناس اخبروا عنها وليس الخبر كالمعاينة كانه قال لكم خصوصا
وانما اضيفت الى اسم الله تعالى تعظيما لها وتفخيما لشانها وانها جاءت من عنده مكونة من غير فحل وطروقة آية من
آياته كما تقول آية الله وروي ان عادا لما اهلكت عمرت ثمود بلادها وخلفوهم في الارض فكثروا وعمروا اعمارا
طوالا حتى ان الرجل كان يبني المسكن المحكم فينهدم في حيوته فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا في سعة ورخاء
من العيش فعتوا على الله تعالى وافسدوا في الارض وعبدوا الاوثان فبعث الله تعالى اليهم صالحا وكانوا قوما عربا وصالح
من اوسطهم نسبا فدعاهم الى الله فلم يتبعه الا قليل منهم مستضعفون فحذرهم وانذرهم فسالوه آية فقال اية
آية تريدون قالوا اخرج معنا الى عيدنا في يوم معلوم لهم من السنة فتدعو الهك وندعو آلهتنا فان استجيب لك
اتبعناك وان استجيب لنا اتبعتنا فقال صالح نعم فخرج معهم ودعوا اوثانهم وسالوها الاستجابة فلم تجبهم ثم قال سيدهم
جندع بن عمرو واشار الى صخرة منفردة في ناحية الجبل يقال لها الكاثبة اخرج لنا من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء
وبراء والمخترجة التي شاكلت البخت فان فعلت صدقناك واجبناك فاخذ صالح عليه السلام عليهم المواثيق لئن فعلت
ذلك لتؤمنن ولتصدقن قالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء
جوفاء وبراء كما وصفوا لا يعلم ما بين جنبيها الا الله تعالى وعظماؤهم ينظرون اليها ثم نتجت ولدا مثلها في العظم فآمن
جندع ورهط من قومه ومنع اعقابهم ناس من رؤسهم ان يؤمنوا فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وتشرب الماء وكانت

ترد غبا

ترد غبا فاذا كان يومها وضعت راسها في البئر فما ترفعه حتى تشرب كل ماء فيها ثم تتفحج فيحلبون ما شاؤا حتى تمتلئ اوانيهم
فيشربون ويدخرون قال ابو موسى الاشعري اتيت ارض ثمود فذرعت مصدر الناقة فوجدته ستين ذراعا وكانت الناقة
اذا وقع الحر تصيفت بظهر الوادي فتهرب منها انعامهم فتهبط الى بطنه واذا وقع البرد تشتت ببطن الوادي فتهرب مواشيهم
الى ظهره فشق ذلك عليهم وزينت عقرها لهم امرأتان عنيزة ام غنم وصدقة بنت المختار لما اضرت به من مواشيهما
وكانتا كثيرتي المواشي فعقروها واقتسموا لحمها وطبخوه فانطلق سقبها حتى رقي جبلا اسمه قارة فرغا ثلثا وكان صالح
قال لهم ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه وانفجت الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم صالح
تصبحون غدا ووجوهكم مصفرة وبعد غد ووجوهكم محمرة واليوم الثالث ووجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما راوا
العلامات طلبوا ان يقتلوه فانجاه الله تعالى الى ارض فلسطين ولما كان اليوم الرابع وارتفع الضحى تحنطوا بالصبر وتكفنوا
بالانطاع فاتتهم صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم فهلكوا تاكل في ارض الله اي الارض ارض الله والناقة ناقة الله
فذروها تاكل في ارض ربها فليست الارض لكم ولا ما فيها من النبات من انباتكم ولا تمسوها بسوء لا تضربوها ولا تطردوها
ولا تريبوها بشيء من الاذى اكراما لآية الله وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مر بالحجر في غزوة تبوك
قال لاصحابه لا يدخلن احد منكم القرية ولا تشربوا من مائها ولا تدخلوا على هؤلاء المعذبين الا ان تكونوا باكين ان يصيبكم مثل
الذي اصابهم وقال صلى الله عليه وسلم يا علي اتدري من اشقى الاولين قال الله ورسوله اعلم قال عاقر ناقة صالح
ثم قال اتدري من اشقى الآخرين قال الله ورسوله اعلم قال قاتلك وقرا ابو جعفر في رواية تاكل في ارض الله وهو في موضع
الحال بمعنى آكلة **واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبواكم في الارض تتخذون من**
سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الارض
مفسدين وبواكم ونزلكم والمباءة المنزل في الارض في ارض الحجر بين الحجاز والشام من سهولها قصورا
اي تبنونها من سهولة الارض بما تعملون منها من الرهص واللبن والآجر وقرا الحسن وتنحتون بفتح الحاء
وتنحاتون باشباع الفتحة كقوله ينباع من ذفرى غضوب جسرة **فان قلت** علام انتصب بيوتا **قلت**
على الحال كما تقول خط هذا الثوب قميصا وابر هذه القصبة قلما وهي من الحال المقدرة لان الجبل لا يكون بيتا في حال النحت
ولا الثوب ولا القصبة قميصا وقلما في حال الخياطة والبري وقيل كانوا يسكنون السهول في الصيف والجبال في الشتاء
قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم اتعلمون ان صالحا
مرسل من ربه قالوا انا بما ارسل به مؤمنون قال الذين استكبروا انا بالذي آمنتم به
كافرون للذين استضعفوا للذين استضعفهم رؤساء الكفار واستذلوهم ولمن آمن منهم بدل من الذين
استضعفوا **فان قلت** الضمير في منهم راجع الى ماذا **قلت** الى قومه او الى الذين استضعفوا **فان قلت**
هل لاختلاف المرجعين اثر في اختلاف المعنى **قلت** نعم وذلك ان الراجع اذا رجع الى قومه فقد جعل من آمن مفسرا
لمن استضعف منهم فدل ان استضعافهم كان مقصورا على المؤمنين واذا رجع الى الذين استضعفوا لم يكن الاستضعاف مقصورا
عليهم ودل ان المستضعفين كانوا مؤمنين وكافرين اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه قالوه على سبيل الطنز والسخرية
كما تقول للمجسمة اتعلمون ان الله فوق العرش **فان قلت** كيف صح قولهم انا بما ارسل به مؤمنون جوابا عنه
قلت سالوهم عن العلم بارساله فجعلوا ارساله امرا معلوما مكشوفا مسلما لا يدخله ريب كانهم قالوا العلم بارساله
وبما ارسل به مما لا كلام فيه ولا شبهة تدخله لوضوحه وانارته وانما الكلام في وجوب الايمان به فنخبركم انا به مؤمنون ولذلك كان
جواب الكفرة انا بالذي آمنتم به كافرون فوضعوا آمنتم به موضع ارسل به ردا لما جعله المؤمنون معلوما واخذوه مسلما
فعقروا الناقة وعتوا عن امر ربهم وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين
فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين فعقروا الناقة اسند العقر الى جميعهم لانه كان
برضاهم وان لم يباشره الا بعضهم وقد يقال للقبيلة الضخمة انتم فعلتم كذا وما فعله الا واحد منهم وعتوا عن امر ربهم
وتولوا عنه واستكبروا عن امتثاله عاتين وامر ربهم ما امر به على لسان صالح عليه السلام من قوله فذروها تاكل في
ارض الله او شان ربهم وهو دينه ويجوز ان يكون المعنى وصدر عتوهم عن امر ربهم كان امر ربهم بتركها كان هو السبب في عتوهم

تمامه زيادة مثل الفسيخ المقدم

وكرعن هذه ما في قوله ما فعلته عن امري ائتنا بما تعدنا اراد وابن العذاب وانما جاز الاطلاق لانه كان معلوما
واستعجالهم له لتكذيبهم به ولذلك علقوه بما هم به كافرون وهو كونه من المرسلين الرجفة الصيحة التي زلزلت
لها الارض واضطربوا لها في دارهم في بلادهم او في مساكنهم جاثمين هامدين لا يتحركون موتى يقال الناس جثم اي
قعود لا حراك بهم ولا يتنفسون نفسة ومنه المجثمة التي جاء النهي عنها وهي البهيمة التي تربط وتجمع قوائمها
لترمى وعن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما مر بالحجر قال لا تسألوا الآيات فقد سألها قوم صالح فاخذتهم
الصيحة فلم يبق منهم الا رجل واحد كان في حرم الله تعالى قالوا من هو قال ذاك ابو رغال فلما خرج من الحرم اصابه ما اصاب
قومه وروي ان صالحا كان بعثه الى قوم فخالف امره وروي انه مر بقبر ابي رغال فقال اتدرون من هذا قالوا الله
ورسوله اعلم فذكر قصة ابي رغال وانه دفن ههنا ودفن معه غصن من ذهب فابتدروه وبحثوا عنه باسيافهم فاستخرجوا
الغصن **فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين**
فتولى عنهم الظاهر انه كان مشاهدا لما جرى عليهم وانه تولى عنهم بعد ما ابصرهم جاثمين تولي مغتم متحسر على ما فاته من
ايمانهم يتحزن لهم ويقول يا قوم لقد بذلت فيكم وسعي ولم آل جهدا في ابلاغكم والنصيحة لكم ولكنكم لا تحبون الناصحين
ويجوز ان يتولى عنهم تولي ذاهب عنهم منكر لاصرارهم حين رأى العلامات قبل نزول العذاب وروي ان عقرهم الناقة
كان يوم الاربعاء ونزل بهم العذاب يوم السبت وروي انه خرج في مائة وعشرة من المسلمين وهو يبكي فالتفت
فرأى الدخان ساطعا فعلم انهم قد هلكوا وكانوا الفا وخمسمائة دار وروي انه رجع بمن معه فسكنوا ديارهم
فان قلت كيف صح خطاب الموتى وقوله ولكن لا تحبون الناصحين **قلت** قد يقول الرجل لصاحبه وهو ميت
وكان قد نصحه فلم يسمع منه حتى القى بنفسه في التهلكة يا اخي كم نصحتك وكم قلت لك فلم تقبل مني وقوله ولكن لا تحبون
الناصحين حكاية حال ماضية **ولوطا اذ قال لقومه اتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من
احد من العالمين** ولوطا وارسلنا لوطا واذ ظرف لارسلنا او واذكر لوطا واذ بدل منه بمعنى واذكر
وقت قال لقومه اتأتون الفاحشة اتفعلون السيئة المتمادية في القبح ما سبقكم بها ما عملها قبلكم والباء للتعدية
من قولك سبقته بالكرة اذا ضربتها قبله ومنه قوله صلى الله عليه وسلم سبقك بها عكاشة من احد من العالمين
من الاولى زائدة لتوكيد النفي وافادة معنى الاستغراق والثانية للتبعيض **فان قلت** ما موقع هذه الجملة
قلت هي جملة مستأنفة انكر عليهم اولا بقوله اتأتون الفاحشة ثم وبخهم عليها فقال انتم اول من عملها
او على انه جواب لسؤال مقدر كأنهم قالوا لم لا نأتيها فقال ما سبقكم بها احد فلا تفعلوا ما لم تسبقوا به **انكم لتأتون
الرجال شهوة من دون النساء بل انتم قوم مسرفون** انكم لتأتون الرجال بيان لقوله اتأتون
الفاحشة والهمزة مثلها في اتأتون للانكار والتعظيم وقرئ انكم على الاخبار المستأنف لتأتون الرجال من اتى المرأة
اذا غشيها شهوة مفعول له اي للاشتهاء لا حامل لكم عليه الا مجرد الشهوة من غير داع آخر ولا ذم اعظم منه لانه وصف
لهم بالبهيمية وانه لا داعي لهم من جهة العقل البتة كطلب النسل ونحوه او حال بمعنى مشتهين تابعين للشهوة غير ملتفتين
الى السماجة بل انتم قوم مسرفون اضرب عن الانكار الى الاخبار عنهم بالحال التي توجب ارتكاب القبائح وتدعو الى اتباع الشهوات
وهو انهم قوم عادتهم الاسراف وتجاوز الحدود في كل شيء فمن ثم اسرفوا في باب قضاء الشهوة حتى تجاوزوا المعتاد الى
غير المعتاد ونحوه بل انتم قوم عادون **وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم
انهم اناس يتطهرون** وما كان جواب قومه الا ان قالوا يعني ما اجابوه بما يكون جوابا عما كلمهم به لوط عليه
السلام من انكار الفاحشة وتعظيم امرها ووسمهم بسمة الاسراف الذي هو اصل الشر كله ولكنهم جاءوا بشيء آخر
لا يتعلق بكلامه ونصيحته من الامر باخراجه ومن معه من المؤمنين من قريتهم ضجرا بهم وبما يسمعونه من وعظهم ونصحهم وقولهم
انهم اناس يتطهرون سخرية بهم وبتطهرهم من الفواحش وافتخارا بما كانوا فيه من القذارة كما يقول الشطار من الفسقة
لبعض الصالحين اذا وعظهم ابعدوا عنا هذا المتقشف واريحونا من هذا المتزهد **فانجيناه واهله الا
امرأته كانت من الغابرين وامطرنا عليهم مطرا فانظر كيف كان عاقبة المجرمين**
واهله ومن يختص به من ذويه او من المؤمنين من الغابرين من الذين غبروا في ديارهم اي بقوا فهلكوا والتذكير لتغليب

الذكور

الذكور على الاناث وكانت كافرة موالية لاهل سدوم وروي انها التفتت فاصابها حجر فماتت وقيل كانت
المؤتفكة خمس مدائن وقيل كانوا اربعة آلاف بين الشام والمدينة فامطر الله تعالى عليهم الكبريت والنار
وقيل خسف بالمقيمين منهم وامطرت الحجارة على مسافريهم وشذاذهم وقيل امطر عليهم ثم خسف بهم وروي ان تاجرا
منهم كان في الحرم فوقف له الحجر اربعين يوما حتى قضى تجارته وخرج من الحرم فوقع عليه **فان قلت**
اي فرق بين مطر وامطر **قلت** يقال مطرتهم السماء وواد ممطور وفي نوابغ الكلم حري غير ممطور حري ان
يكون غير ممطور ومعنى مطرتهم اصابتهم بالمطر كقولهم غاثتهم ووبلتهم وجادتهم ورهمتهم ويقال امطرت عليهم كذا بمعنى
ارسلته عليهم ارسال المطر فامطر علينا حجارة من السماء وامطرنا عليهم حجارة من سجيل ومعنى وامطرنا عليهم مطرا وارسلنا
عليهم نوعا من المطر عجيبا يعني الحجارة الا ترى الى قوله فساء مطر المنذرين **والى مدين اخاهم شعيبا
قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم فاوفوا
الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها ذلكم
خير لكم ان كنتم مؤمنين** كان يقال لشعيب عليه السلام خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه وكانوا اهل بخس للمكاييل والموازين
قد جاءتكم بينة من ربكم معجزة شاهدة بصحة نبوتي اوجبت عليكم الايمان بي والاخذ بما آمركم به والانتهاء عما انهاكم عنه
فاوفوا ولا تبخسوا **فان قلت** ما كانت معجزته **قلت** قد وقع العلم بانه كانت له معجزة لقوله قد جاءتكم
بينة من ربكم ولانه لابد لمدعي النبوة من معجزة تشهد له وتصدقه والا لم تصح دعواه وكان متنبئا لا نبيا غير ان معجزته لم تذكر
في القرآن كما لم تذكر اكثر معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم فيه ومن معجزات شعيب عليه السلام ما روي من محاربة عصا
موسى عليه السلام التنين حين دفع اليه غنمه وولادة الغنم الدرع خاصة حين وعده ان يكون له الدرع من اولادها ووقوع
عصا آدم عليه السلام على يده في المرات السبع وغير ذلك من الآيات لان هذه كلها كانت قبل ان يستنبأ موسى فكانت
معجزات لشعيب **فان قلت** كيف قيل الكيل والميزان ولم يقل المكيال والميزان كما في سورة هود **قلت**
اريد بالكيل آلة الكيل وهو المكيال او سمي ما يكال به بالكيل كما قيل العيش لما يعاش به او اريد فاوفوا الكيل ووزن الميزان
ويجوز ان يكون الميزان كالميعاد والميلاد بمعنى المصدر ويقال بخسته حقه اذا نقصته اياه ومنه قيل للمكس البخس
وفي امثالهم تحسبها حمقاء وهي باخس وقيل اشياءهم لانهم كانوا يبخسون الناس كل شيء في مبايعاتهم او كانوا مكاسين
لا يدعون شيئا الا مكسوه كما يفعل امراء الحرمين وروي انهم كانوا اذا دخل الغريب بلدهم اخذوا دراهمه الجياد وقالوا
هي زيوف فقطعوها قطاعا ثم اخذوها بنقصان ظاهر او اعطوه بدلها زيوفا بعد اصلاحها بعد الاصلاح فيها اي لا تفسدوا
فيها بعد ما اصلح فيها الصالحون من الانبياء واتباعهم العاملين بشرائعهم واضافته كاضافة قوله بل مكر الليل والنهار
بمعنى بل مكركم في الليل والنهار او بعد اصلاح اهلها على حذف المضاف ذلكم اشارة الى ما ذكر من الوفاء بالكيل والميزان
وترك البخس والافساد في الارض او الى العمل بما امرهم به ونهاهم عنه ومعنى خير لكم يعني في الانسانية وحسن الاحدوثة وما تطلبونه
من التكسب والتربح لان الناس ارغب في متاجرتكم اذا عرفوا منكم الامانة والسوية ان كنتم مؤمنين مصدقين لي في قولي ذلكم خير لكم
**ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها
عوجا واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين** ولا تقعدوا
بكل صراط ولا تقتدوا بالشيطان في قوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم فتقعدوا بكل صراط اي بكل منهاج من مناهج الدين
والدليل على ان المراد بالصراط سبيل الحق قوله تعالى وتصدون عن سبيل الله ومحل توعدون وما عطف عليه النصب على الحال
اي ولا تقعدوا موعدين وصادين عن سبيل الله وباغيها عوجا **فان قلت** صراط الحق واحد وان هذا صراطي
مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله فكيف قيل بكل صراط **قلت** صراط الحق واحد ولكنه يتشعب
الى معارف وحدود واحكام كثيرة مختلفة فكانوا اذا رأوا احدا يشرع في شيء منها اوعدوه وصدوه **فان قلت**
الام يرجع الضمير في آمن به **قلت** الى كل صراط تقديره توعدون من آمن به وتصدون عنه فوضع الظاهر الذي هو
سبيل الله موضع الضمير زيادة في تقبيح امرهم ودلالة على عظم ما يصدون عنه وقيل كانوا يجلسون على الطرق والمراصد
فيقولون لمن مر بهم ان شعيبا كذاب فلا يفتننكم عن دينكم كما كان يفعل قريش بمكة وقيل كانوا يقطعون الطرق وقيل كانوا

عصابا اى تبغونها عوجا اى تطلبون لسبيل الله عوجا اى تصفونها للناس بانها سبيل معوجة غير مستقيمة لتصدوهم
عن سلوكها والدخول فيها او يكون تهكما بهم وانهم يطلبون لها ما هو محال لان طريق الحق لا يعوج واذكروا اذ كنتم قليلا
اذ مفعول به غير ظرف اى واذكروا على جهة الشكر وقت كونكم قليلا عددكم فكثركم الله تعالى ووفر عددكم قيل ان مدين
بن ابراهيم تزوج بنت لوط فولدت فرمى الله فى نسلها بالبركة والنماء فكثروا وفشوا ويجوز اذ كنتم مقلين فقراء فكثركم
فجعلكم مكثرين موسرين او كنتم اقلة اذلة فاعزكم بكثرة العدد والعدد عاقبة المفسدين اى آخر امر من افسد قبلكم من الامم
كقوم نوح وهود وصالح ولوط وكانوا اقرب العهد بما اصاب المؤتفكة وان كان طائفة منكم آمنوا بالذى
ارسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين
فاصبروا فتربصوا وانتظروا حتى يحكم الله بيننا اى بين الفريقين بان ينصر المحقين على المبطلين ويظهرهم عليهم وهذا
وعيد للكافرين بانتقام الله تعالى منهم كقوله فتربصوا انا معكم متربصون او هو موعظة للمؤمنين وحث على الصبر واحتمال
ما كان يلحقهم من اذى المشركين الى ان يحكم الله تعالى بينهم وينتقم لهم منهم ويجوز ان يكون خطابا للفريقين اى ليصبر المؤمنون على
اذى الكفار وليصبر الكفار على ما يسوءهم من ايمان من آمن منهم حتى يحكم الله فيميز الخبيث من الطيب وهو خير الحاكمين لان حكمه
حق وعدل لا يخاف فيه الحيف قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين
آمنوا معك من قريتنا او لتعودن فى ملتنا قال اولو كنا كارهين قد افترينا على الله
كذبا ان عدنا فى ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله
ربنا وسع ربنا كل شىء علما على الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت
خير الفاتحين اى ليكونن احد الامرين اخراجكم واما عودكم فى الكفر فان قلت كيف خاطبوا شعيبا
بالعود فى الكفر فى قولهم او لتعودن فى ملتنا وكيف اجابهم بقوله ان عدنا فى ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وما يكون لنا ان
نعود فيها والانبياء لا يجوز عليهم من الصغائر الا ما ليس فيه تنفير فضلا عن الكبائر فضلا عن الكفر قلت لما قالوا
لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك فعطفوا على ضميره الذين دخلوا فى الايمان منهم بعد كفرهم قالوا لتعودن فغلبوا الجماعة
على الواحد فجعلوهم عائدين جميعا اجراء للكلام على حكم التغليب وعلى ذلك اجرى شعيب عليه السلام جوابه فقال ان عدنا فى ملتكم
بعد اذ نجانا الله منها وهو يريد عود قومه الا انه نظم نفسه فى جملتهم وان كان بريئا من ذلك اجراء لكلامه على حكم التغليب
فان قلت فما معنى قوله وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله والله تعالى متعال ان يشاء ردة المؤمنين
وعودهم فى الكفر قلت معناه الا ان يشاء الله خذلاننا ومنعنا الالطاف لعلمه انها لا تنفع فينا وتكون عبثا
والعبث قبيح لا يفعله الحكيم والدليل عليه قوله وسع ربنا كل شىء علما اى هو عالم بكل شىء مما كان ومما يكون فهو يعلم احوال عباده كيف
تحول وقلوبهم كيف تتقلب وكيف تقسو بعد الرقة وتمرض بعد الصحة وترجع الى الكفر بعد الايمان على الله توكلنا فى ان يثبتنا على
الايمان ويوفقنا لازدياد الايقان ويجوز ان يكون قوله الا ان يشاء الله حسما لطمعهم فى العود لان مشيئة الله تعالى لعودهم
فى الكفر محال خارج عن الحكمة اولو كنا كارهين الهمزة للاستفهام والواو واو الحال تقديره اتعيدوننا فى ملتكم فى حال
كراهتنا ومع كوننا كارهين وما يكون لنا وما ينبغى لنا وما يصح ربنا افتح بيننا احكم بيننا والفتاحة الحكومة او اظهر امرنا
حتى ينفتح ما بيننا وبين قومنا وينكشف بان تنزل عليهم عذابا يتبين معه انهم على الباطل وانت خير الفاتحين كقوله وهو خير
الحاكمين فان قلت كيف اسلوب قوله قد افترينا على الله كذبا ان عدنا فى ملتكم قلت هو اخبار مقيد
بالشرط وفيه وجهان احدهما ان يكون كلاما مستأنفا فيه معنى التعجب كأنهم قالوا ما اكذبنا على الله ان عدنا فى الكفر بعد الاسلام
لان المرتد ابلغ فى الافتراء من الكافر لان الكافر مفتر على الله الكذب حيث يزعم ان لله ندا ولا ند له والمرتد مثله فى ذلك وزائد
عليه حيث يزعم انه قد تبين له ما خفى عليه من التمييز بين الحق والباطل والثانى ان يكون قسما على تقدير حذف اللام بمعنى والله لقد
افترينا على الله كذبا وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون
فاخذتهم الرجفة فاصبحوا فى دارهم جاثمين وقال الملأ الذين كفروا من قومه اى اشرافهم للذين دونهم
يثبطونهم عن الايمان لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون لاستبدالكم الضلالة بالهدى كقوله اولئك الذين اشتروا الضلالة
بالهدى فما ربحت تجارتهم وقيل تخسرون باتباعه فوائد البخس والتطفيف لانه ينهاكم عنهما ويحملكم على الايفاء والتسوية فان قلت

ما جواب القسم الذى وطأته اللام فى لئن اتبعتم وجواب الشرط قلت قوله انكم اذا لخاسرون ساد مسد الجوابين
الذين كذبوا شعيبا كأن لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين الذين كذبوا شعيبا
مبتدأ خبره كأن لم يغنوا فيها وكذلك كانوا هم الخاسرين وفى هذا الابتداء معنى الاختصاص كأنه قيل الذين كذبوا شعيبا هم
المخصوصون بان اهلكوا واستؤصلوا كأن لم يقيموا فى دارهم لان الذين اتبعوا شعيبا قد انجاهم الله تعالى الذين كذبوا شعيبا
هم المخصوصون بالخسران العظيم دون اتباعه فانهم الرابحون وفى هذا الاستئناف والابتداء وهذا التكرير مبالغة فى رد
مقالة الملأ لاشياعهم وتسفيه لرأيهم واستهزاء بنصحهم لقومهم واستعظام لما جرى عليهم فتولى عنهم وقال يا قوم
لقد ابلغتكم رسالات ربى ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين الاسى شدة الحزن قال العجاج
وانحلبت عيناه من فرط الاسى اشتد حزنه على قومه ثم انكر على نفسه فقال فكيف يشتد حزنى على قوم ليسوا باهل للحزن
عليهم لكفرهم واستحقاقهم ما نزل بهم ويجوز ان يريد لقد اعذرت اليكم فى الابلاغ والنصيحة والتحذير مما حل بكم فلم تسمعوا
قولى ولم تصدقونى فكيف آسى عليكم يعنى انه لا يأسى عليهم لانهم ليسوا احقاء بالاسى وقرأ يحيى بن وثاب فكيف ايسى بكسر الهمزة
وما ارسلنا فى قرية من نبى الا اخذنا اهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون
الا اخذنا اهلها بالبأساء بالبؤس والفقر والضراء بالضر والمرض لاستكبارهم عن اتباع نبيهم وتعززهم عليه لعلهم يضرعون
ليتضرعوا ويتذللوا ويحطوا اردية الكبر والعزة ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا وقالوا
قد مس آباءنا الضراء والسراء فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون ثم بدلنا مكان السيئة
الحسنة اى اعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء والمحنة الرخاء والسعة كقوله وبلوناهم بالحسنات والسيئات حتى عفوا
كثروا ونموا فى انفسهم واموالهم من قولهم عفا النبات وعفا الشحم والوبر اذا كثرت ومنه قوله صلى الله عليه وسلم واعفوا
اللحى وقال الحطيئة بمستأسد القريان عاف نباته وقال ولكنا نعض السيف منها باسوق عافيات الشحم كوم
وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء يعنى وابطرتهم النعمة واشروا فقالوا هذه عادة الدهر يعاقب فى الناس بين
الضراء والسراء وقد مس آباءنا نحو ذلك وما هو بابتلاء من الله لعباده فلم يبق بعد ابتلائهم بالحسنات والسيئات
الا ان نأخذهم بالعذاب فاخذناهم اشد الاخذ وافظعه وهو اخذهم فجاءة من غير شعور منهم ولو ان اهل القرى
آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ولكن كذبوا فاخذناهم بما كانوا يكسبون
اللام فى القرى اشارة الى القرى التى دل عليها قوله وما ارسلنا فى قرية من نبى كأنه قال ولو ان اهل تلك القرى الذين
كذبوا واهلكوا آمنوا بدل كفرهم واتقوا المعاصى مكان ارتكابها لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض لآتيناهم بالخير
بالخير من كل وجه وقيل اراد المطر والنبات ولكن كذبوا فاخذناهم بسوء كسبهم ويجوز ان تكون اللام فى القرى
للجنس فان قلت ما معنى فتح البركات عليهم قلت تيسيرها عليهم كما يتيسر امر الابواب المستغلقة
بفتحها ومنه قولهم فتحت على القارئ اذا تعذرت عليه القراءة فيسرتها عليه بالتلقين افأمن اهل القرى
ان يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون اوامن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا ضحى وهم
يلعبون افأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون بياتا
يكون بمعنى البيتوتة يقال بات بياتا ومنه قوله فجاءها بأسنا بياتا او هم قائلون ويكون بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم
يقال بيته العدو بياتا فيجوز ان يراد ان يأتيهم بأسنا بائتين او وقت بيات او مبيتا او مبيتين او يكون بمعنى تبييتا
كأنه قيل ان يبيتهم بأسنا بياتا وضحى نصب على الظرف يقال اتيته ضحى وضحيا وضحاء والضحى فى الاصل اسم لضوء الشمس
اذا اشرقت وارتفعت والفاء والواو فى افأمن واوامن حرفا عطف دخل عليهما همزة الانكار فان قلت
ما المعطوف عليه ولم عطف الاولى بالفاء والثانية بالواو قلت المعطوف عليه قوله فاخذناهم بغتة وقوله ولو ان
اهل القرى الى يكسبون وقع اعتراضا بين المعطوف والمعطوف عليه وانما عطفت بالفاء لان المعنى فعلوا وصنعوا فاخذناهم
بغتة ابعد ذلك امن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا بياتا وامنوا ان يأتيهم بأسنا ضحى وقرئ او امن على العطف
باو وهم يلعبون يشتغلون بما لا يجدى عليهم كأنهم يلعبون فان قلت فلم رجع فعطف بالفاء قوله افأمنوا مكر الله
قلت هو تكرير لقوله افأمن اهل القرى ومكر الله استعارة لاخذه العبد من حيث لا يشعر ولاستدراجه

فعلى العاقل ان يكون من خوفه من مكر الله كالمحارب الذي يخاف من عدوه الكمين والبيات والغيلة وعن الربيع بن
خثيم ان ابنته قالت له ما لي ارى الناس ينامون ولا اراك تنام قال يا بنتاه ان اباك يخاف البيات اراد قوله تعالى
ان يأتيهم بأسنا بياتا أولم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم
ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون اذا قرئ اولم يهد بالياء كان ان لو نشاء مرفوعا بانه فاعله بمعنى اولم يهد
للذين يخلفون من خلا قبلهم في ديارهم ويرثونهم ارضهم هذا الشان وهو انا لو نشاء اصبناهم بذنوبهم كما اصبنا
من قبلهم واهلكنا الوارثين كما اهلكنا الموروثين واذا قرئ بالنون فهو منصوب كانه قيل اولم يهد الله للوارثين
هذا الشان بمعنى اولم نبين لهم ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم كما اصبنا من قبلهم وانما عدي فعل الهداية باللام
لانه بمعنى التبيين فان قلت بم تعلق قوله ونطبع على قلوبهم قلت فيه اوجه ان يكون معطوفا على ما
دل عليه معنى اولم يهد لهم كانه قيل يغفلون عن الهداية ونطبع على قلوبهم او على يرثون الارض او يكون منقطعا بمعنى ونحن
نطبع على قلوبهم فان قلت هل يجوز ان يكون ونطبع بمعنى وطبعنا كما كان لو نشاء بمعنى لو شئنا ويعطف على
اصبناهم قلت لا يساعد عليه المعنى لان القوم كانوا مطبوعا على قلوبهم موصوفين بصفة من قبلهم من اقتراف
الذنوب والاصابة بها وهذا التفسير يؤدي الى خلوهم عن هذه الصفة وان الله لو شاء لاتصفوا بها
تلك القرى نقص عليك من انبائها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما
كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين تلك القرى نقص عليك من انبائها كقوله
وهذا بعلي شيخا في انه مبتدأ وخبر وحال ويجوز ان يكون القرى صفة لتلك ونقص خبرا وان يكون القرى نقص خبرا
بعد خبر فان قلت ما معنى تلك القرى حتى يكون كلاما مفيدا قلت هو مفيد ولكن بشرط التقييد بالحال كما يفيد
بالصفة في قولك هو الرجل الكريم فان قلت ما معنى الاخبار عن القرى بنقص عليك من انبائها قلت
معناه ان تلك القرى المذكورة نقص عليك بعض انبائها ولها انباء غيرها لم نقصها عليك فما كانوا ليؤمنوا عند مجيء
الرسل بالبينات بما كذبوه من آيات الله من قبل مجيء الرسل او فما كانوا ليؤمنوا الى آخر اعمارهم بما كذبوا به اولا حين
جاءتهم الرسل اي استمروا على التكذيب من لدن مجيء الرسل اليهم الى ان ماتوا مصرين لا يرعوون ولا تلين شكيمتهم في
كفرهم وعنادهم مع تكرر المواعظ عليهم وتتابع الآيات ومعنى اللام تاكيد النفي وان الايمان كان منافيا لحالهم في التصميم على
الكفر وعن مجاهد هو كقوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه كذلك مثل ذلك الطبع الشديد يطبع الله على قلوب الكافرين
وما وجدنا لاكثرهم من عهد وان وجدنا اكثرهم لفاسقين وما وجدنا لاكثرهم الضمير
للناس على الاطلاق اي وما وجدنا لاكثر الناس من عهد يعني ان اكثرهم نقض عهد الله وميثاقه في الايمان والتقوى
وان وجدنا وان الشان والحديث وجدنا اكثرهم فاسقين خارجين عن الطاعة مارقين والآية اعتراض ويجوز ان يرجع
الضمير الى الامم المذكورين وانهم كانوا اذا عاهدوا الله تعالى في ضر ومخافة لئن انجيتنا لنكونن من الشاكرين ثم نجاهم نكثوا كما قال
قوم فرعون لموسى عليه السلام لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك الى قوله اذا هم ينكثون والوجود بمعنى العلم من قولك وجدت
زيدا ذا الحفاظ بدليل دخول ان المخففة واللام الفارقة ولا يسوغ ذلك الا في المبتدأ والخبر والافعال الداخلة عليهما
ثم بعثنا من بعدهم موسى باياتنا الى فرعون وملائه فظلموا بها فانظر كيف كان عاقبة المفسدين
من بعدهم الضمير للرسل في قوله تعالى ولقد جاءتهم رسلهم او للامم فظلموا بها فكفروا بآياتنا اجرى الظلم مجرى الكفر لانهما من واد
واحد ان الشرك لظلم عظيم او فظلموا الناس بسببها حين اوعدوهم وصدوهم عنها وآذوا من آمن بها ولانه اذا وجب
الايمان بها فكفروا بدل الايمان كان كفرهم بها ظلما فلذلك قيل فظلموا بها اي كفروا بها واضعين الكفر غير موضعه وهو موضع الايمان
وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين يقال لملوك مصر الفراعنة كما يقال لملوك فارس الاكاسرة
فكانه قال يا ملك مصر وكان اسمه قابوس وقيل الوليد بن مصعب بن الريان حقيق على ان لا اقول على الله
الا الحق قد جئتكم ببينة من ربكم فارسل معي بني اسرائيل قال ان كنت جئت باية فأت بها
ان كنت من الصادقين حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق فيه اربع قراءات المشهورة وحقيق علي ان لا
اقول على الله وهي قراءة نافع وحقيق ان لا اقول وهي قراءة عبد الله وحقيق بان لا اقول وهي قراءة ابي وفي المشهورة اشكال

ولا

ولا تخلو من وجوه احدها ان يكون مما يقلب من الكلام لامن الالباس كقوله وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر ومعناه
وتشقى الضياطرة بالرماح وحقيق علي ان لا اقول وهي قراءة نافع والثاني ان ما لزمك فقد لزمته فلما كان
قول الحق حقيقا عليه كان هو حقيقا على قول الحق اي لازما له والثالث ان يضمن حقيق معنى حريص كما ضمن هيجني
معنى ذكرني في بيت الكتاب والرابع وهو الاوجه الادخل في نكت القرآن ان يغرق موسى عليه السلام في وصف نفسه
بالصدق في ذلك المقام لا سيما وقد روي ان عدو الله فرعون قال له لما قال اني رسول من رب العالمين كذبت فيقول
انا حقيق على قول الحق اي واجب على قول الحق ان اكون انا قائله والقائم به ولا يرضى الا بمثلي ناطقا به فارسل معي بني اسرائيل
فخلهم حتى يذهبوا معي راجعين الى الارض المقدسة التي هي وطنهم ومولد آبائهم وذلك ان يوسف عليه السلام لما توفي
وانقرضت الاسباط غلب فرعون نسلهم واستعبدهم فانقذهم الله تعالى بموسى وكان بين اليوم الذي دخل يوسف
مصر واليوم الذي دخله موسى اربعمائة عام فان قلت كيف قال له فأت بها بعد قوله ان كنت جئت بآية
قلت معناه ان كنت جئت من عند من ارسلك بآية فأتني بها واحضرها عندي لتصح دعواك ويثبت صدقك
فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ثعبان مبين ظاهر امره لا يشك في انه ثعبان وروي
انه كان ثعبانا ذكرا اشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل في الارض ولحيه الاعلى على سور
القصر ثم توجه نحو فرعون ليأخذه فوثب فرعون من سريره وهرب واحدث ولم يكن احدث قبل ذلك وهرب الناس
وصاحوا وحمل على الناس فانهزموا فمات منهم خمسة وعشرون الفا قتل بعضهم بعضا ودخل فرعون البيت وصاح يا موسى
خذه وانا اومن بك وارسل معك بني اسرائيل فاخذه موسى فعاد عصا ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين
فان قلت بم يتعلق للناظرين قلت يتعلق ببيضاء والمعنى فاذا هي بيضاء للنظارة ولا تكون
بيضاء للنظارة الا اذا كان بياضها بياضا عجيبا خارجا عن العادة يجتمع الناس للنظر اليه كما يجتمع النظارة للعجائب
وذلك ما يروى انه اري فرعون يده وقال ما هذه قال يدك ثم ادخلها جيبه وعليه مدرعة صوف ونزعها فاذا هي
بيضاء بياضا نورانيا غلب شعاعها شعاع الشمس وكان موسى عليه السلام آدم شديد الادمة قال الملأ
من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم من ارضكم فماذا تامرون
قالوا ارجه واخاه وارسل في المدائن حاشرين ياتوك بكل ساحر عليم ان هذا لساحر
عليم اي عالم بالسحر ماهر فيه قد اخذ عيون الناس بخدعة من خدعه حتى خيل اليهم العصا حية والآدم ابيض
فان قلت قد عزي هذا الكلام الى فرعون في سورة الشعراء وانه قاله للملأ وعزي ههنا اليهم قلت
قد قاله هو وقالوه هم فحكي قوله ثم وقولهم ههنا او قاله ابتداء فتلقنه منه الملأ فقالوه لاعقابهم او قالوه عنه للناس على
طريق التبليغ كما يفعل الملوك يرى الواحد منهم الرأي فيكلم به من يليه من الخاصة ثم تبلغه الخاصة العامة والدليل عليه انهم
اجابوه في قولهم ارجه واخاه وارسل في المدائن حاشرين ياتوك بكل ساحر عليم وقرئ سحار اي ياتوك بكل ساحر مثله في العلم
والمهارة او خير منه وكانت هذه مؤامرة مع القبط وقولهم فماذا تامرون من آمرته فامرني بكذا اذا شاورته فاشار
عليك برأي وقيل فماذا تامرون من كلام فرعون قاله للملأ لما قالوا له ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم كانه قيل
قال فماذا تامرون قالوا ارجه واخاه ومعنى ارجه واخاه اخرهما واصدرهما عنك حتى ترى رأيك فيهما وتدبر امرهما
وقيل احبسهما وقرئ ارجئه بالهمز وارجه من ارجاه وارجاه وجاء السحرة فرعون قالوا ان لنا
لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم لمن المقربين فان قلت هلا قيل وجاء السحرة
فرعون فقالوا قلت هو على تقدير سائل سال ما قالوا اذ جاؤه فاجيب بقوله قالوا ان لنا لاجرا اي جعلا على الغلبة
وقرئ ان لنا لاجرا على الاخبار واثبات الاجر العظيم وايجابه كانهم قالوا لا بد لنا من اجر والتنكير للتعظيم كقول العرب
ان له لابلا وان له لغنما يقصدون الكثرة فان قلت وانكم لمن المقربين ما الذي عطف عليه قلت
هو معطوف على محذوف سد مسده حرف الايجاب كانه قال ايجابا لقولهم ان لنا لاجرا نعم ان لكم لاجرا وانكم لمن المقربين
اراد اني لا اقتصر بكم على الثواب وحده وان لكم مع الثواب ما يقل معه الثواب وهو التقريب والتعظيم لان المثاب انما
يتهنا بما يصل اليه ويغتبط به اذا نال معه الكرامة والرفعة وروي انه قال لهم تكونون اول من يدخل وآخر من يخرج

وروي انه دعا برؤساء السحرة ومعلميهم فقال لهم ما صنعتم فقالوا علمنا سحرا لا تطيقه سحرة اهل الارض الا ان يكون امرا من السماء فانه لا طاقة لنا به وروي انهم كانوا ثمانين الفا وقيل سبعين الفا وقيل بضعة وثلثين الفا واختلفت الروايات فمن مقل ومن مكثر وقيل كان يعلمهم مجوسيان من اهل نينوى وقيل قال فرعون لا نغالب موسى الا بما هو منه يعني السحر

قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين قال القوا فلما القوا سحروا اعين الناس واسترهبوهم وجاؤا بسحر عظيم تخييرهم اياه ادب حسن راعوه معه كما يفعل اهل الصناعات اذا التقوا كالمتناظرين قبل ان يتخاوضوا في الجدال والمتصارعين قبل ان يتآخذوا للصراع وقولهم واما ان نكون نحن الملقين فيه ما يدل على رغبتهم في ان يلقوا قبله من تأكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل وتعريف الخبر او تعريف الخبر واقحام الفصل وقد سوغ لهم موسى عليه السلام ما تراغبوا فيه ازدراء لهم وقلة مبالاة بهم وثقة بما كان بصدده من التأييد السماوي وان المعجزة لن يغلبها سحر ابدا سحروا اعين الناس اروها بالحيل والشعوذة وخيلوا اليها ما الحقيقة بخلافه كقوله تعالى يخيل اليه من سحرهم انها تسعى روي انهم القوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا فاذا هي امثال الحيات قد ملأت الارض وركب بعضها بعضا واسترهبوهم وارهبوهم ارهابا شديدا كانهم استدعوا رهبتهم بسحر عظيم في باب السحر وروي انهم لونوا حبالهم وخشبهم وجعلوا فيها ما يوهم الحركة قيل جعلوا فيها الزيبق

واوحينا الى موسى ان الق عصاك فاذا هي تلقف ما يأفكون ما يأفكون ما مصدرية او موصولة بمعنى ما يأفكونه اي يقلبونه عن الحق الى الباطل ويزورونه او افكهم تسمية للمأفوك بالافك روي انها لما تلقفت ملء الوادي من الخشب والحبال رفعها موسى فرجعت عصا كما كانت واعدم الله تعالى بقدرته تلك الاجرام العظيمة او فرقها اجزاء لطيفة قالت السحرة لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين فوقع الحق فحصل وثبت ومن بدع التفاسير فوقع قلوبهم اي فاثر فيها من قولهم فاس وقيع وانقلبوا صاغرين وصاروا اذلاء مبهوتين والقي السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون والقي السحرة وخروا سجدا كانما القاهم ملق لشدة خرورهم وقيل لم يتمالكوا مما راوا فكانهم القوا عن قتادة كانوا اول النهار كفارا سحرة وفي آخره شهداء بررة وعن الحسن تراه ولد في الاسلام ونشأ بين المسلمين يبيع دينه بكذا وكذا وهؤلاء كفار نشأوا في الكفر بذلوا انفسهم لله تعالى

قال فرعون آمنتم به قبل ان آذن لكم ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها اهلها فسوف تعلمون لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ثم لاصلبنكم اجمعين آمنتم به على الاخبار اي فعلتم هذا الفعل الشنيع توبيخا لهم وتقريعا وقرئ أآمنتم بحرف الاستفهام ومعناه الانكار والاستبعاد ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة ان صنعكم هذا لحيلة احتلتموها انتم وموسى في مصر قبل ان تخرجوا منها الى هذه الصحراء قد تواطأتم على ذلك لغرض لكم وهو ان تخرجوا منها القبط وتسكنوا بني اسرائيل وكان هذا الكلام من فرعون تمويها على الناس لئلا يتبعوا السحرة في الايمان وروي ان موسى قال للساحر الاكبر اتؤمن بي ان غلبتك قال لآتين بسحر لا يغلبه سحر ولئن غلبتني لاومنن بك وفرعون يسمع فلذلك قال ما قال فسوف تعلمون وعيد اجمله ثم فصله بقوله لاقطعن وقرئ لاقطعن بالتخفيف وكذلك ثم لاصلبنكم من خلاف من كل شق طرفا وقيل انه اول من قطع من خلاف وصلب فرعون

قالوا انا الى ربنا منقلبون انا الى ربنا منقلبون فيه اوجه ان يريدوا انا لا نبالي بالموت لانقلابنا الى ربنا ورحمته وخلاصنا منك ومن لقائك او ننقلب الى الله يوم الجزاء فيثيبنا على شدة القطع والصلب او انا جميعا يعنون انفسهم وفرعون ننقلب الى الله فيحكم بيننا او انا لا محالة ميتون منقلبون الى الله فما تقدر ان تفعل بنا الا ما لا بد لنا منه وما تنقم منا الا ان آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ربنا افرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين وما تنقم منا الا ان آمنا وما تعيب منا الا الايمان بآيات الله ارادوا وما تعيب منا الا ما هو اصل المناقب والمفاخر كلها وهو الايمان ومنه قوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم افرغ علينا صبرا هب لنا صبرا واسعا واكثره علينا حتى يفيض علينا ويغمرنا كما يفرغ الماء افراغا وعن بعض السلف ان احدكم ليفرغ على اخيه ذنوبا ثم يقول قد مازحتك اي يغمره بالحياء والخجل او صب علينا ما يطهرنا من اوضار الآثام وهو الصبر على ما توعدنا به فرعون لانهم علموا انهم اذا استقاموا وصبروا كان ذلك مطهرة لهم وتوفنا مسلمين ثابتين على الاسلام

وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض ويذرك وآلهتك قال سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم وانا فوقهم قاهرون ويذرك عطف على ليفسدوا اذا لم يمنعهم وكان ذلك مؤديا الى دعوته فسادا او الى تركه وترك آلهته فكانه تركهم لذلك او هو جواب الاستفهام بالواو كما يجاب بالفاء نحو قول الحطيئة الم اك جاركم ويكون بيني وبينكم المودة والاخاء والنصب باضمار ان تقديره ايكون منك ترك موسى ويكون تركه اياك وآلهتك وقرئ ويذرك وآلهتك بالرفع عطفا على اتذر بمعنى اتذره ويذرك اي اتطلق له ذلك او يكون مستانفا او حالا على معنى اتذره وهو يذرك وآلهتك وقرأ الحسن ويذرك بالجزم كانه قيل يفسدوا كما قرئ واكن من الصالحين كانه قيل اصدق وقرأ انس رضي الله عنه ونذرك بالنون والنصب اي يصرفنا عن عبادتك فنذرها وقرئ ويذرك والاهتك اي عبادتك وروي انهم قالوا له ذلك لانه وافق السحرة على الايمان ستمائة الف نفس فارادوا بالفساد في الارض ذلك وخافوا ان يغلبوا على الملك وقيل صنع فرعون لقومه اصناما وامرهم ان يعبدوها تقربا اليه كما يعبد عبدة الاصنام الاصنام ويقولون ليقربونا الى الله زلفى ولذلك قال انا ربكم الاعلى سنقتل ابناءهم سنعيد عليهم ما كنا محناهم به من قتل الابناء ليعلموا انا على ما كنا عليه من الغلبة والقهر وانهم مقهورون تحت ايدينا كما كانوا وان غلبة موسى لا اثر لها في ملكنا واستيلائنا ولئلا يتوهم العامة انه هو المولود الذي حدث المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يده فيثبطهم ذلك عن طاعتنا ويدعوهم الى اتباعه وانه منتظر بعد

قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين قال موسى لقومه استعينوا بالله قال لهم ذلك حين قال فرعون سنقتل ابناءهم فجزعوا منه وتضجروا تسكينا لهم وتسلية ووعدهم النصرة عليهم وذكر لهم ما وعد الله تعالى بني اسرائيل من اهلاك القبط وتوريثهم ارضهم وديارهم

فان قلت لم اخليت هذه الجملة عن الواو وادخلت على التي قبلها قلت هي جملة مبتدأة مستانفة واما وقال الملأ فمعطوفة على ما سبقها من قوله قال الملأ من قوم فرعون وقوله ان الارض لله يجوز ان تكون اللام للعهد ويراد ارض مصر خاصة كقوله تعالى واورثنا الارض وان تكون للجنس فيتناول ارض مصر لانها من جنس الارض كما قال ضمرة انما المرء باصغريه فاراد بالمرء الجنس وغرضه ان يتناوله تناولا اوليا والعاقبة للمتقين بشارة بان العاقبة المحمودة للمتقين منهم ومن القبط وان المشيئة متناولة لهم وقرأ والعاقبة للمتقين بالنصب اي وابن مسعود رضي الله عنهما عطفا على الارض

قالوا اوذينا من قبل ان تأتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون اوذينا من قبل ان تأتينا ومن بعد ما جئتنا يعنون قتل ابنائهم قبل مولد موسى الى ان استنبئ واعادته عليهم بعد ذلك وما كانوا يستعبدون به ويمتهنون فيه من انواع الخدم والمهن ويمسون به من العذاب عسى ربكم ان يهلك تصريح بما رمز اليه من البشارة قبل وكشف عنه وهو اهلاك فرعون واستخلافهم بعده في ارض مصر فينظر كيف تعملون فيرى الكائن منكم من العمل حسنه وقبيحه وشكر النعمة وكفرانها ليجازيكم على حسب ما يوجد منكم وعن عمرو بن عبيد رحمه الله تعالى انه دخل على المنصور قبل الخلافة وعلى مائدته رغيف او رغيفان فطلب زيادة لعمرو فلم توجد فقرأ عمرو هذه الآية ثم دخل عليه بعد ما استخلف فذكر له ذلك وقال قد بقي فينظر كيف تعملون

ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون بالسنين بسني القحط والسنة من الاسماء الغالبة كالدابة والنجم ونحو ذلك وقد اشتقوا منها فقالوا اسنتت القوم بمعنى اقحطوا وقال ابن عباس رضي الله عنهما اما السنون فكانت لباديتهم واهل مواشيهم واما نقص الثمرات فكان في امصارهم وعن كعب يأتي على الناس زمان لا تحمل النخلة الا ثمرة لعلهم يذكرون فيتنبهوا على ان ذلك لاصرارهم على الكفر وتكذيبهم لآيات الله ولان الناس في حال الشدة اضرع خدودا والين اعطافا وارق افئدة وقيل عاش فرعون اربعمائة سنة ولم ير مكروها في ثلثمائة وعشرين سنة ولو اصابه في تلك المدة وجع او جوع او حمى لما ادعى الربوبية

فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه الا انما طائرهم عند الله ولكن اكثرهم لا يعلمون فاذا جاءتهم الحسنة من الخصب والرخاء قالوا لنا هذه اي هذه مختصة بنا ونحن مستحقوها ولم تزل النعمة والرفاهية واللام مثلها في قولك الجل للفرس وان تصبهم سيئة من ضيقة وجدب يطيروا بموسى ومن معه

يتطيروا بهم ويتشاءموا ويقولوا هذه بشؤمهم ولولا مكانهم لما اصابتنا كما قالت الكفرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم
هذه من عندك **فان قلت** كيف قيل فاذا جاءتهم باذا وتعريف الحسنة وان تصبهم سيئة بان وتنكير السيئة
قلت لان جنس الحسنة وقوعه كالواجب لكثرته واتساعه واما السيئة فلا تقع الا في الندرة ولا يقع الا شيء
منها ومنه قول بعضهم قد عددت ايام البلاء فهل عددت ايام الرخاء طائرهم عند الله اي سبب خيرهم وشرهم عند الله وهو
حكمه ومشيئته والله هو الذي شاء ما يصيبهم من الحسنة والسيئة وليس شؤم احدهم ولا يمنه بسبب فيه كقوله تعالى قل كل من عند الله
ويجوز ان يكون معناه الا انما سبب شؤمهم عند الله وهو عملهم المكتوب عنده الذي يجري عليهم ما يسوءهم لاجله ويعاقبون له بعد موتهم
بما وعدهم الله تعالى في قوله النار يعرضون عليها الآية ولا طائر اشأم من هذا وقرأ الحسن انما طيرهم عند الله وهو اسم الجمع
غير تكسير ونظيره التجر والركب وعند ابي الحسن هو تكسير **وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما
نحن لك بمؤمنين** مهما هي ما المضمنة معنى الجزاء ضمت اليها ما المزيدة المؤكدة للجزاء في قولك متى ما تخرج
اخرج اينما تكونوا يدرككم الموت فاما نذهبن بك الا ان الالف قلبت هاء استثقالا لتكرير المتجانسين وهو المذهب
السديد البصري ومن الناس من زعم ان مه هي الصوت الذي يصوت به الكاف وما للجزاء كانه قيل كف ما تأتنا
به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين **فان قلت** ما محل مهما **قلت** الرفع بمعنى ايما شيء تأتنا به او النصب بمعنى
ايما شيء تحضر تأتنا به ومن آية تبيين لمهما والضميران في به وبها راجعان الى مهما الا ان احدهما ذكر على اللفظ والثاني
على المعنى لانه في معنى الآية ونحوه قول زهير ومهما تكن عند امرئ من خليقة وان خالها تخفى على الناس تعلم وهذه الكلمة
في عداد الكلمات التي يحرفها من لا يد له في علم العربية فيضعها غير موضعها ويحسب مهما بمعنى متى ما ويقول مهما جئتني
اعطيتك وهذا من وضعه وليس من كلام واضع العربية في شيء ثم يذهب فيفسر مهما تأتنا به من آية بمعنى الوقت فيلحد في آيات الله
وهو لا يشعر وهذا واشباهه مما يوجب الجثو بين يدي الناظر في كتاب سيبويه **فان قلت** كيف سموها آية ثم قالوا لتسحرنا
بها **قلت** ما سموها آية لاعتقادهم انها آية وانما سموها اعتبارا لتسمية موسى وقصدوا بذلك الاستهزاء والتلهي
**فارسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا
وكانوا قوما مجرمين** الطوفان ما طاف بهم وغلبهم من مطر او سيل قيل طغى الماء فوق حروثهم وذلك انهم مطروا
ثمانية ايام في ظلمة شديدة لا يرون شمسا ولا قمرا ولا يقدر احد ان يخرج من داره وقيل ارسل الله تعالى عليهم السماء حتى
كادوا يهلكون وبيوت بني اسرائيل وبيوت القبط مشتبكة فامتلأت بيوت القبط ماء حتى قاموا في الماء الى تراقيهم فمن
جلس غرق ولم يدخل بيوت بني اسرائيل قطرة وفاض الماء على وجه ارضهم وركد فمنعهم من الحرث والبناء والتصرف ودام عليهم
سبعة ايام وعن ابي قلابة الطوفان الجدري وهو اول عذاب وقع فيهم فبقي في الارض وقيل هو الموتان وقيل الطاعون
فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا فرفع عنهم فما آمنوا فنبت لهم تلك السنة من الكلأ والزرع
ما لم يعهد بمثله فاقاموا شهرا فبعث الله عليهم الجراد فاكلت عامة زروعهم وثمارهم ثم اكلت كل شيء حتى الابواب وسقوف
البيوت والثياب ولم يدخل بيوت بني اسرائيل منها شيء ففزعوا الى موسى ووعدوه التوبة فكشف عنهم بعد سبعة ايام خرج
موسى عليه السلام الى الفضاء فاشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجع الجراد الى النواحي التي جاء منها فقالوا ما نحن بتاركي
ديننا فاقاموا شهرا فسلط الله تعالى عليهم القمل وهو الحمنان في قول ابي عبيدة كبار القردان وقيل الدبا وهو اولاد
الجراد قبل نبات اجنحتها وقيل البراغيث وعن سعيد بن جبير السوس فاكل ما ابقاه الجراد ولحس الارض وكان يدخل
بين ثوب احدهم وبين جلده فيمصه وكان احدهم يأكل طعاما فيمتلئ قملا وكان يخرج احدهم عشرة اجربة الى الرحى فلا يرد
منها الا يسيرا وعن سعيد بن جبير رحمه الله تعالى كان الى جنبهم كثيب اعفر فضربه موسى بعصاه فصار قملا فاخذت
اشعارهم وابشارهم واشفار عيونهم وحواجبهم ولزم جلودهم كانه الجدري فصاحوا وصرخوا وفزعوا الى موسى فرفع
عنهم فقالوا قد تحققنا الآن انك ساحر وعزة فرعون لا نصدقك ابدا فارسل الله تعالى عليهم بعد شهر الضفادع
فدخلت بيوتهم وامتلأت منها آنيتهم واطعمتهم فلا يكشف احد شيئا من ثوب ولا طعام ولا شراب الا وجد فيه الضفادع وكان
الرجل اذا اراد ان يتكلم وثبت الضفدع الى فيه وكانت تمتلئ منها مضاجعهم فلا يقدرون على الرقاد وكانت تقذف بانفسها
في القدور وهي تغلي وفي التنانير وهي تفور فشكوا الى موسى وقالوا ارحمنا هذه المرة فما بقي الا ان نتوب التوبة النصوح فلا نعود

فاخذ

فاخذ عليهم العهود ودعا فكشف الله عنهم ثم نقضوا العهد فارسل الله تعالى عليهم الدم فصارت مياههم دما فشكوا
الى فرعون فقال انه سحركم فكان يجمع بين القبطي والاسرائيلي على اناء واحد فيكون ما يلي الاسرائيلي ماء وما يلي القبطي دما
ويستقيان من ماء واحد فيخرج للقبطي الدم وللاسرائيلي الماء حتى ان المرأة القبطية تقول لجارتها الاسرائيلية اجعلي
الماء في فيك ثم مجيه في فيّ فيصير الماء في فيها دما وعطش فرعون حتى اشفى على الهلاك فكان يمص الاشجار الرطبة فاذا
مضغها صار ماؤها الطيب ملحا اجاجا وعن سعيد بن المسيب سال عليهم النيل دما وقيل سلط عليهم الرعاف
وروي ان موسى مكث فيهم بعدما غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الآيات وروي انه لما اراهم اليد والعصا ونقص
النفوس والثمرات قال يا رب ان عبدك هذا قد علا في الارض فخذه بعقوبة تجعلها له نقمة ولقومي عظة ولمن بعدي آية فحينئذ
بعث الله تعالى عليهم الطوفان ثم الجراد ثم ما بعده من النقم وقرأ الحسن والقمل بفتح القاف وسكون الميم يريد القمل المعروف
آيات مفصلات نصب على الحال ومعنى مفصلات مبينات ظاهرات لا تشكل على عاقل انها من آيات الله التي لا يقدر عليها
غيره وانها عبرة لهم ونقمة على كفرهم او فصل بين بعضها وبعض بزمان يمتحن فيه احوالهم وينظر ايستقيمون على ما وعدوا
من انفسهم ام ينكثون الزاما للحجة عليهم **ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد
عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل فلما كشفنا
عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه اذا هم ينكثون** بما عهد عندك ما مصدرية والمعنى بعهده عندك وهو
النبوة والباء اما ان تتعلق بقوله ادع لنا ربك على وجهين احدهما اسعفنا الى ما نطلب اليك من الدعاء لنا بحق ما عندك
من عهد الله وكرامته بالنبوة او ادع لنا متوسلا اليه بعهده عندك واما ان يكون قسما مجابا بلنؤمنن اي اقسمنا بعهد
الله عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك الى اجل هم بالغوه الى حد من الزمان هم بالغوه لا محالة فمعذبون فيه
لا ينفعهم ما تقدم لهم من الامهال وكشف العذاب الى حلوله اذا هم ينكثون جواب لما يعني فلما كشفنا عنهم فاجأوا
النكث وبادروه ولم يؤخروه ولكن لما كشف عنهم نكثوا **فانتقمنا منهم فاغرقناهم في اليم بانهم كذبوا
بآياتنا وكانوا عنها غافلين** فانتقمنا منهم فاردنا الانتقام منهم فاغرقناهم واليم البحر الذي لا يدرك قعره
وقيل هو لجة البحر ومعظم مائه واشتقاقه من التيمم لان المستنفعين به يقصدونه بانهم كذبوا بآياتنا اي كان اغراقهم
بسبب تكذيبهم بالآيات وغفلتهم عنها وقلة فكرهم فيها **واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون
مشارق الارض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما
صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون** القوم الذين كانوا يستضعفون
هم بنو اسرائيل كان يستضعفهم فرعون وقومه والارض ارض مصر والشام ملكها بنو اسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة
وتصرفوا كيف شاؤوا في اطرافها ونواحيها الشرقية والغربية باركنا فيها بالخصب وسعة الارزاق كلمة ربك الحسنى
قوله ونريد ان نمن على الذين استضعفوا الى قوله ما كانوا يحذرون والحسنى تأنيث الاحسن صفة للكلمة ومعنى
تمت على بني اسرائيل مضت عليهم واستمرت من قولك تم على الامر اذا مضى عليه بما صبروا بسبب صبرهم وحسبك به حاثا
على الصبر ودالا على ان من قابل البلاء بالجزع وكله الله تعالى اليه ومن قابله بالصبر وانتظار النصر ضمن الله تعالى له الفرج
وعن الحسن عجبت ممن خف كيف خف وقد سمع قوله تعالى وتلا الآية ومعنى خف طاش جزعا وقلة صبر ولم يرزن
رزانة اولي الصبر وقرأ عاصم في رواية وتمت كلمات ربك الحسنى ونظيره من آيات ربه الكبرى ما كان يصنع فرعون
وقومه ما كانوا يعملون ويسوون من العمارات وبناء القصور وما كانوا يعرشون من الجنات وهو الذي انشأ جنات
معروشات او وما كانوا يرفعون من الابنية المشيدة في السماء كصرح هامان وغيره وقرئ يعرشون بالضم والكسر وذكر
اليزيدي ان الكسر افصح وبلغني انه قرأ بعض الناس يغرسون من غرس الاشجار وما احسبه الا تصحيفا منه
وهذا آخر ما اقتص الله تعالى من نبأ فرعون والقبط وتكذيبهم بآيات الله وظلمهم ومعاصيهم ثم اتبعه اقتصاص
نبأ بني اسرائيل وما احدثوه بعد انقاذهم من ملكة فرعون واستعباده ومعاينتهم الآيات العظام ومجاوزتهم البحر من عبادة
البقر وطلب رؤية الله جهرة وغير ذلك من انواع الكفر والمعاصي ليعلم حال الانسان وانه كما وصفه ظلوم كفار جهول كنود
الا من عصمه الله تعالى وقليل من عبادي الشكور وليسلي رسول الله صلى الله عليه وسلم مما رأى من بني اسرائيل بالمدينة

وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على اصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون • روي انه عبر بهم موسى يوم عاشوراء بعد ما اهلك الله فرعون وقومه فصاموه شكرا لله تعالى فأتوا على قوم فمروا عليهم يعكفون على اصنام لهم يواظبون على عبادتها ويلازمونها قال ابن جريج كانت تماثيل بقر وذلك اول شأن العجل وقيل كانوا قوما من لخم وقيل كانوا من الكنعانيين الذين امر موسى بقتالهم وقرئ وجوّزنا بمعنى اجزنا يقال اجاز المكان وجوّزه وجاوزه بمعنى جازه كقولك اعلاه وعلّاه وعالاه وقرئ يعكفون بضم الكاف وكسرها اجعل لنا الها صنما نعكف عليه كما لهم آلهة يعكفون عليها وما كافّة للكاف ولذلك وقعت الجملة بعدها • وعن علي رضي الله عنه ان يهوديا قال له اختلفتم بعد نبيكم قبل ان يجف ماؤه فقال قلتم اجعل لنا الها ولم تجف اقدامكم انكم قوم تجهلون تعجب من قولهم على اثر ما رأوا من الآية العظمى والمعجزة الكبرى فوصفهم بالجهل المطلق واكّده لانه لا جهل اعظم مما رأى منهم ولا اشنع • ان هؤلاء متبّر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون • ان هؤلاء يعني عبدة تلك التماثيل متبّر ما هم فيه مدمّر مكسّر ما هم فيه من قولهم اناء متبّر اذا كان فضاضا ويقال لكسار الذهب التبر اي يتبّر الله ويهدم دينهم الذي هم عليه على يدي ويحطم اصنامهم هذه ويتركها رضاضا وباطل ما كانوا يعملون اي ما عملوا شيئا من عبادتها فيما سلف الا وهو باطل مضمحل لا ينتفعون به وان كان في زعمهم تقربا الى الله كما قال تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وفي ايقاع هؤلاء اسما لان وتقديم خبر المبتدا من الجملة الواقعة خبرا لها وسم لعبدة الاصنام بانهم المعرضون للتبار وانه لا يعدوهم البتة وانه لهم ضربة لازب ليحذرهم عاقبة ما طلبوا ويبغّض اليهم ما احبوا • قل اغير الله ابغيكم الها وهو فضلكم على العالمين • اغير الله ابغيكم الها اغير المستحق للعبادة اطلب لكم معبودا وهو فعل بكم ما فعل دون غيره من الاختصاص بالنعمة التي لم يعطها احدا غيركم لتختصوه بالعبادة ولا تشركوا به غيره ومعنى الهمزة الانكار والتعجب من طلبتهم مع كونهم مغمورين في نعمة الله عبادة غير الله • واذ انجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم • يسومونكم سوء العذاب يبغونكم شدة العذاب من سام السلعة اذا طلبها **فان قلت** ما محل يسومونكم **قلت** هو استئناف لا محل له ويجوز ان يكون حالا من المخاطبين او من آل فرعون وذلكم اشارة الى الانجاء او الى العذاب والبلاء النعمة او المحنة • وقرئ يقتلون بالتخفيف • وواعدنا موسى ثلاثين ليلة واتممناها بعشر فتم ميقات ربه اربعين ليلة وقال موسى لاخيه هرون اخلفني في قومي واصلح ولا تتبع سبيل المفسدين • روي ان موسى عليه السلام وعد بني اسرائيل وهو بمصر ان اهلك الله تعالى عدوهم اتاهم بكتاب من عند الله فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما هلك فرعون سأل موسى ربه الكتاب فامره بصوم ثلاثين يوما وهو شهر ذي القعدة فلما اتم الثلاثين انكر خلوف فيه فتسوّك فقال الملائكة كنا نشم من فيك رائحة المسك فافسدته بالسواك وقيل اوحى الله اليه اما علمت ان خلوف فم الصائم اطيب عندي من ريح المسك فامره الله تعالى ان يزيد عليها عشرة ايام من ذي الحجة لذلك وقيل امره الله تعالى بان يصوم ثلاثين يوما وان يعمل فيها ما يقربه من الله ثم انزلت اليه التوراة في العشر وكلم فيها ولقد اجمل ذكر الاربعين في سورة البقرة وفصلها ههنا وميقات ربه ما وقّت له من الوقت وضربه له واربعين ليلة نصب على الحال اي تم بالغا هذا العدد وهرون عطف بيان لاخيه وقرئ بالضم على النداء اخلفني في قومي كن خليفتي فيهم واصلح وكن مصلحا او واصلح ما يجب ان يصلح من امور بني اسرائيل ومن دعاك منهم الى الافساد فلا تتبعه ولا تطعه • ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب ارني انظر اليك قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما افاق قال سبحانك تبت اليك وانا اول المؤمنين • لميقاتنا لوقتنا الذي وقتنا له وحددناه ومعنى اللام الاختصاص فكانه قيل واختص مجيئه لميقاتنا كما تقول اتيته لعشر خلون من الشهر وكلمه ربه من غير واسطة كما يكلم الملك وتكليمه ان يخلق الكلام منطوقا به في بعض الاجرام كما خلقه مخطوطا في اللوح • وروي ان موسى كان يسمع ذلك الكلام من كل جهة • وعن ابن عباس رضي الله عنهما كلمه اربعين يوما واربعين ليلة وكتب له الالواح

وقيل انما كلمه في اول الاربعين • ارني انظر اليك ثاني مفعولي ارني محذوف اي ارني نفسك انظر اليك **فان قلت** الرؤية عين النظر فكيف قيل ارني انظر اليك **قلت** معنى ارني نفسك اجعلني متمكنا من رؤيتك بان تتجلى لي فانظر اليك واراك **فان قلت** فكيف قال لن تراني ولم يقل لن تنظر الي لقوله انظر اليك **قلت** لما قال ارني بمعنى اجعلني متمكنا من الرؤية التي هي الادراك علم ان الطلبة هي الرؤية لا النظر الذي لا ادراك معه فقيل لن تراني ولم يقل لن تنظر الي **فان قلت** كيف طلب موسى عليه السلام ذلك وهو من اعلم الناس بالله وصفاته وما يجوز عليه وما لا يجوز وبتعاليه عن الرؤية التي هي ادراك ببعض الحواس وذلك انما يصح فيما كان في جهة وما ليس بجسم ولا عرض فمحال ومنع المجبرة احالته في العقول غير لازم لانه ليس باول مكابرتهم وارتكابهم وكيف يكون طالبه وقد قال حين اخذت الرجفة الذين قالوا ارنا الله جهرة اتهلكنا بما فعل السفهاء منا الى قوله تضل بها من تشاء فتبرأ من فعلهم ودعاهم سفهاء وضلالا **قلت** ما كان طلب الرؤية الا ليبكت هؤلاء الذين دعاهم سفهاء وضلالا وتبرأ من فعلهم وليلقمهم الحجر وذلك انهم حين طلبوا الرؤية انكر عليهم واعلمهم الخطأ ونبههم على الحق فلجوا وتمادوا في لجاجهم وقالوا لا بد ولن نؤمن لك حتى نراه فاراد ان يسمعوا النص من عند الله باستحالة ذلك وهو قوله لن تراني ليتيقنوا وينزاح عنهم ما دخلهم من الشبهة فلذلك قال رب ارني انظر اليك **فان قلت** فهلا قال ارهم ينظروا اليك **قلت** لان الله سبحانه انما كلم موسى عليه السلام وهم يسمعون فلما سمعوا كلام رب العزة ارادوا ان يري موسى ذاته فيبصروه معه كما اسمعه كلامه فسمعوه معه ارادة مبنية على قياس فاسد فلذلك قال موسى ارني انظر اليك ولانه اذا زجر عما طلب وانكر عليه في نبوته واختصاصه وزلفته عند الله وقيل له لن يكون ذلك كان غيره اولى بالانكار ولان الرسول امام امته فكان ما يخاطب به او يخاطب راجعا اليهم وقوله انظر اليك وما فيه من معنى المقابلة التي هي محض التشبيه والتجسيم دليل على انه ترجمة عن مقترحهم وحكاية لقولهم وجل صاحب الجمل ان يجعل الله منظورا اليه مقابلا بحاسة النظر فكيف بمن هو اعرق في معرفة الله تعالى من واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد والنظام وابي الهذيل والشيخين وجميع المتكلمين **فان قلت** ما معنى لن **قلت** تأكيد النفي الذي تعطيه لا وذلك ان لا تنفي المستقبل تقول لا افعل غدا فاذا اكدت نفيها قلت لن افعل غدا والمعنى ان فعله ينافي حالي كقوله تعالى لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له فقوله تعالى لا تدركه الابصار نفي للرؤية فيما يستقبل ولن تراني تأكيد وبيان لان المنفي مناف لصفاته **فان قلت** كيف اتصل الاستدراك في قوله ولكن انظر الى الجبل بما قبله **قلت** اتصل به على معنى ان النظر الي محال فلا تطلبه ولكن عليك بنظر آخر وهو ان تنظر الى الجبل الذي يرجف بك وبمن طلبت الرؤية لاجلهم كيف افعل به وكيف اجعله دكا بسبب طلبك الرؤية لتستعظم ما اقدمت عليه بما اريك من عظم اثره كانه عز وعلا حقق عند طلب الرؤية ما مثله عند نسبة الولد اليه في قوله وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا • فان استقر مكانه كما كان مستقرا ثابتا ذاهبا في جهاته فسوف تراني تعليق لوجود الرؤية بوجود ما لا يكون من استقرار الجبل مكانه حين يدكه دكا ويسويه بالارض وهذا الكلام مدمج بعضه في بعض وارد على اسلوب عجيب ونمط بديع الا ترى كيف تخلص من النظر الى النظر بكلمة الاستدراك ثم كيف بنى الوعيد بالرجفة الكائنة بسبب طلب النظر على الشريطة في وجود الرؤية اعني قوله فان استقر مكانه فسوف تراني • فلما تجلى ربه للجبل فلما ظهر له اقتداره وتصدى له امره وارادته جعله دكا اي مدكوكا مصدر بمعنى مفعول كضرب الامير والدك والدق اخوان كالشك والشق وقرئ دكاء والدكاء اسم للرابية الناشزة من الارض كالدكة او ارضا دكاء مستوية ومنه قولهم ناقة دكاء متواضعة السنام • وعن الشعبي قال لي الربيع بن خثيم ابسط يدك دكاء اي مدها مستوية • وقرأ يحيى بن وثاب دكا اي قطعا دكا جمع دكاء • وخر موسى صعقا من هول ما رأى وصعق من باب فعلته ففعل يقال صعقته فصعق واصله من الصاعقة ويقال لها الصاقعة من صقعه اذا ضربه على رأسه ومعناه خر مغشيا عليه غشية كالموت • وروي ان الملائكة مرت عليه وهو مغشي عليه فجعلوا يلكزونه بارجلهم ويقولون يا ابن النساء الحيض اطمعت في رؤية رب العزة • فلما افاق من صعقته قال سبحانك انزهك مما لا يجوز عليك من الرؤية وغيرها تبت اليك من طلب الرؤية وانا اول المؤمنين بانك لست بمرئي ولا مدرك بشيء من الحواس **فان قلت** فان كان طلب الرؤية للغرض الذي ذكرته فمم تاب **قلت** من اجرائه تلك المقالة العظيمة وان كان لغرض صحيح على لسانه من غير اذن فيه من الله تعالى فانظر الى اعظام الله تعالى امر الرؤية في هذه الآية وكيف ارجف الجبل بطالبيها وجعله دكا وكيف اصعقهم ولم يخل كليمه من نفيان ذلك مبالغة في اعظام الامر وكيف سبح ربه

ملتجيا اليه وتائبا من اجرآء تلك الكلمة على لسانه وقال وانا اول المؤمنين ثم تعجب من المتسمين بالاسلام المتسمين باهل السنة والجماعة كيف اتخذوا هذه العظيمة مذهبا ولا يغرنك تسترهم بالبلكفة فانه من منصوبات اشياخهم والقول ما قال بعض العدلية فيهم لجماعة سموا هواهم سنة وجماعة حمر لعمري موكفة قد شبهوه بخلقه وتخوفوا شنع الورى فتستروا بالبلكفة

وتفسير آخر وهو ان يريد بقوله ارني انظر اليك عرفني نفسك تعريفا واضحا جليا كانه اراءة في جلائها باية مثل آيات القيمة التي تضطر الخلق الى معرفتك انظر اليك اعرفك معرفة اضطرار كاني انظر اليك كما جاء في الحديث سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر بمعنى ستعرفونه معرفة جلية هي في الجلاء كابصاركم القمر اذا امتلا واستوى قال لن تراني اي لن تطيق معرفتي على هذه الطريقة ولن تحتمل قوتك تلك الآية المضطرة ولكن انظر الى الجبل فاني اورد عليه واظهر له آية من تلك الآيات فان ثبت لتجليها واستقر مكانه ولم يتضعضع فسوف تثبت لها وتطيقها فلما تجلى ربه فلما ظهرت له آية من آيات قدرته وعظمته جعله دكا وخر موسى صعقا لعظم ما راى فلما افاق قال سبحانك تبت اليك مما اقترحت وتجاسرت وانا اول المؤمنين بعظمتك وجلالك وان شيا لا يقوم لبطشك وباسك

قال يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين

اصطفيتك على الناس اخترتك على اهل زمانك واثرتك عليهم برسالاتي وهي اسفار التورية وبكلامي وبتكليمي اياك فخذ ما آتيتك ما اعطيتك من شرف النبوة والحكمة وكن من الشاكرين على النعمة في ذلك فهي من اجل النعم وقيل خر موسى صعقا يوم عرفة واعطي التورية يوم النحر فان قلت كيف قيل اصطفيتك على الناس وكان هرون مصطفى مثله ونبيا قلت اجل ولكنه كان تابعا له وردا ووزيرا والكليم هو موسى والاصيل في حمل الرسالة

وكتبنا له في الالواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء فخذها بقوة وامر قومك ياخذوا باحسنها ساريكم دار الفاسقين

ذكروا في عدد الالواح وفي جوهرها وطولها انها كانت عشرة الواح وقيل سبعة وقيل لوحين وانها كانت من زمرد جاء بها جبريل عليه السلام وقيل من زبرجدة خضراء وياقوتة حمراء وقيل امر الله موسى بقطعها من صخرة صماء لينها له فقطعها بيده وشققها باصابعه وعن الحسن كانت من خشب نزلت من السماء فيها التورية وان طولها عشرة اذرع وقوله من كل شيء في محل النصب مفعول كتبنا وموعظة وتفصيلا بدل منه والمعنى كتبنا له كل شيء كان بنو اسرائيل محتاجين اليه في دينهم من المواعظ وتفصيل الاحكام وقيل انزلت التورية وهي وقر سبعين بعيرا يقرأ الجزء منه في سنة لم يقرأها الا اربعة نفر موسى ويوشع وعزير وعيسى وعن مقاتل كتب في الالواح اني انا الله الرحمن الرحيم لا تشركوا بي شيئا ولا تقطعوا السبيل ولا تحلفوا باسمي كاذبا فان من حلف باسمي كاذبا فلا ازكيه ولا تقتلوا ولا تزنوا ولا تعقوا الوالدين فخذها فقلنا له خذها عطفا على كتبنا ويجوز ان يكون بدلا من قوله فخذ ما آتيتك والضمير في خذها للالواح او لكل شيء لانه في معنى الاشياء او للرسالات او للتورية ومعنى بقوة بجد وعزيمة فعل اولي العزم من الرسل ياخذوا باحسنها اي فيها ما هو حسن واحسن كالاقتصاص والعفو والانتصار والصبر فمرهم ان يحملوا على انفسهم في الاخذ بما هو ادخل في الحسن واكثر للثواب كقوله واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم وقيل ياخذوا بما هو واجب او ندب لانه احسن من المباح ويجوز ان يراد ياخذوا بما امروا به دون ما نهوا عنه على قولك الصيف احر من الشتاء ساريكم دار الفاسقين يريد دار فرعون وقومه وهي مصر كيف اقفرت منهم ودمروا لفسقهم لتعتبروا فلا تفسقوا مثل فسقهم فينكل بكم مثل نكالهم وقيل منازل عاد وثمود والقرون الذين اهلكهم الله تعالى لفسقهم في ممركم عليها في اسفاركم وقيل دار الفاسقين نار جهنم وقرأ الحسن ساوريكم وهي لغة فاشية بالحجاز يقال اورني كذا واوريته ووجهه ان يكون من اوريت الزند كان المعنى بينه لي وانره لاستبينه وقرئ ساورثكم وهي قراءة حسنة يصححها قوله تعالى واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون

سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين

سأصرف عن آياتي بالطبع على قلوب المتكبرين وخذلانهم فلا يفكرون فيها ولا يعتبرون بها غفلة وانهماكا فيما يشغلهم عنها من شهواتهم وعن الفضيل بن عياض ذكر لنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا عظمت امتي الدنيا نزع عنها هيبة الاسلام واذا

تركوا

تركوا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر حرمت بركة الوحي وقيل ساصرفهم عن ابطالها وان اجتهدوا كما اجتهد فرعون ان يبطل آية موسى بان جمع لها السحرة فابى الله تعالى الا علو الحق وانتكاس الباطل ويجوز ساصرفهم عنها وعن الطعن فيها والاستهانة بها وتسميتها سحرا باهلاكهم وفيه انذار للمخاطبين من عاقبة الذين يصرفون عن آيات الله لتكبرهم وكفرهم بها لئلا يكونوا امثالهم فيسلك بهم سبيلهم بغير الحق فيه وجهان ان يكون حالا بمعنى يتكبرون غير محقين لان التكبر بالحق لله تعالى وحده وان يكون صلة لفعل التكبر اي يتكبرون بما ليس بحق وما هم عليه من دينهم وان يروا كل آية من الآيات المنزلة عليهم لا يؤمنوا بها وقرأ مالك بن دينار وان يروا بضم الياء وقرئ سبيل الرشد والرشد والرشاد كقولهم السقم والسقم والسقام وما اسفه من ركب المفازة فان راى طريقا مستقيما اعرض عنه وتركه وان راى معتسفا مرديا اخذ فيه وسلكه ففاعل نحو ذلك في دينه اسفه ذلك في محل النصب او الرفع على معنى ذلك الصرف بسبب تكذيبهم او صرفهم الله تعالى ذلك الصرف بسببه

والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة حبطت اعمالهم هل يجزون الا ما كانوا يعملون

ولقاء الآخرة يجوز ان يكون من اضافة المصدر الى المفعول اي ولقائهم الآخرة ومشاهدتهم احوالها ومن اضافة المصدر الى الظرف بمعنى ولقاء ما وعد الله في الآخرة

واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين

من بعده من بعد فراقه اياهم الى الطور فان قلت لم قيل واتخذ قوم موسى عجلا والمتخذ هو السامري قلت فيه وجهان احدهما ان ينسب الفعل اليهم لان رجلا منهم باشره ووجد فيما بين ظهرانيهم كما يقال بنو تميم قالوا كذا او فعلوا كذا والقائل والفاعل واحد ولانهم كانوا مريدين لاتخاذه راضين به فكانهم اجمعوا عليه والثاني ان يراد اتخذوه الها وعبدوه وقرئ من حليهم بضم الحاء والتشديد جمع حلي كثدي وثدي ومن حليهم بالكسر للاتباع كدلي ومن حليهم على التوحيد والحلي اسم ما يتحسن به من الذهب والفضة فان قلت لم قال من حليهم ولم يكن الحلي لهم انما كان عواري في ايديهم قلت الاضافة تكون بادنى ملابسة وكونها عواري في ايديهم كفى به ملابسة على انهم قد ملكوها بعد المهلكين كما ملكوا غيرها من املاكهم الا ترى الى قوله عز وعلا فاخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم كذلك واورثناها بني اسرائيل جسدا بدنا ذا لحم ودم كسائر الاجساد والخوار صوت البقر قال الحسن ان السامري قبض قبضة من تراب من اثر فرس جبرئيل يوم قطع البحر فقذفه في في العجل فكان عجلا له خوار وقرأ علي رضي الله عنه جؤار بالجيم والهمزة من جار اذا صاح وانتصاب جسدا على البدل من عجلا الم يروا حين اتخذوه الها انه لا يقدر على كلام ولا على هداية سبيل حتى لا يختاروه على من لو كان البحر مدادا لكلماته لنفد البحر قبل ان تنفد كلماته وهو الذي هدى الخلق الى سبل الحق ومناهجه بما ركز في العقول من الادلة وبما انزل في كتبه ثم ابتدا فقال اتخذوه اي اقدموا على ما اقدموا عليه من الامر المنكر وكانوا ظالمين واضعين كل شيء في غير موضعه فلم يكن اتخاذ العجل بدعا منهم ولا اول مناكيرهم

ولما سقط في ايديهم وراوا انهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين

ولما سقط في ايديهم ولما اشتد ندمهم وحسرتهم على عبادة العجل لان من شان من اشتد ندمه وحسرته ان يعض يده غما فتصير يده مسقوطا فيها لان فاه قد وقع فيها وسقط مسند الى في ايديهم وهو من باب الكناية وقرأ ابو السميفع سقط في ايديهم على تسمية الفاعل اي وقع العض فيها وقال الزجاج معناه سقط الندم في ايديهم اي في قلوبهم وانفسهم كما يقال حصل في يده مكروه وان كان محالا ان يكون في اليد تشبيها لما يحصل في القلب وفي النفس بما يحصل في اليد ويرى بالعين ورأوا انهم قد ضلوا وتبينوا ضلالهم تبينا كانهم ابصروه بعيونهم وقرئ لئن لم ترحمنا ربنا وتغفر لنا بالتاء وربنا بالنصب على النداء وهذا كلام التائبين كما قال آدم وحواء عليهما السلام وان لم تغفر لنا وترحمنا

ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا قال بئسما خلفتموني من بعدي اعجلتم امر ربكم والقى الالواح واخذ براس اخيه يجره اليه قال ابن ام ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الاعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين

الاسف الشديد الغضب فلما آسفونا انتقمنا منهم وقيل هو الحزين خلفتموني قمتم مقامي وكنتم خلفائي من بعدي وهذا الخطاب اما ان يكون لعبدة العجل من السامري واشياعه او لوجوه بني اسرائيل وهم هرون عليه السلام والمؤمنون معه ويدل عليه قوله اخلفني في قومي والمعنى بئسما خلفتموني حيث عبدتم

العجل مكان عبادة الله تعالى او حيث لم تكفوا من عبد غير الله **فان قلت** اين ما تقتضيه بئس من الفاعل والمخصوص بالذم **قلت** الفاعل مضمر يفسره ما خلفتموني والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعدي خلافتكم **فان قلت** اى معنى لقوله من بعدي بعد قوله خلفتموني **قلت** معناه من بعد ما رايتم مني من توحيد الله ونفي الشركاء عنه واخلاص العبادة له او من بعد ما كنت احمل بني اسرائيل على التوحيد واكفهم عما طمحت نحوه ابصارهم من عبادة البقر حين قالوا اجعل لنا الها كما لهم آلهة ومن حق الخلفاء ان يسيروا سيرة المستخلف من بعده ولا يخالفوه ونحوه فخلف من بعدهم خلف اى من بعد اولئك الموصوفين بالصفات الحميدة يقال عجل عن الامر اذا تركه غير تام ونقيضه تم عليه واعجله عنه غيره ويضمن معنى سبق فيعدى تعديته فيقال عجلت الامر والمعنى اعجلتم عن امر ربكم وهو انتظار موسى حافظين لعهده وما وصاكم به فبنيتم الامر على ان الميعاد قد بلغ آخره ولم ارجع اليكم فحدثتم انفسكم بموتي فغيرتم كما غيرت الامم بعد انبيائهم وروي ان السامري قال لهم حين اخرج لهم العجل وقال هذا الهكم واله موسى ان موسى لن يرجع وانه قد مات وروي انهم عدوا عشرين يوما بلياليها فجعلوها اربعين ثم احدثوا ما احدثوا والقى الالواح وطرحها لما لحقه من فرط الدهش وشدة الضجر عند استماعه حديث العجل غضبا لله تعالى وحمية لدينه وكان في نفسه حديدا شديد الغضب وكان هرون الين منه جانبا ولذلك كان احب الى بني اسرائيل من موسى وروي ان التورية كانت سبعة اسباع فلما القى الالواح تكسرت فرفع منها ستة اسباعها وبقي سبع واحد وكان فيما رفع تفصيل كل شيء وفيما بقي الهدى والرحمة واخذ براس اخيه بشعر راسه يجره اليه بذوابته وذلك لشدة ما ورد عليه من الامر الذي استفزه وذهب بفطنته وظنا باخيه انه فرط في الكف ابن ام قرئ بالفتح تشبيها بخمسة عشر وبالكسر على طرح ياء الاضافة وابن امي بالياء وابن ام بكسر الهمزة والميم وقيل كان اخاه لابيه وامه فان صح فانما اضافه الى الام اشارة الى انهما من بطن واحد وذلك ادعى الى العطف والرقة واعظم للحق الواجب ولانها كانت مؤمنة فاعتد بنسبها ولانها هي التي قاست فيه المخاوف والشدائد فذكره بحقها ان القوم استضعفوني يعني اني لم آل جهدا في كفهم بالوعظ والانذار وما بلغته طاقتي من بذل القوة في مضادتهم حتى قهروني واستضعفوني ولم يبق الا ان يقتلوني فلا تشمت بي الاعداء فلا تفعل بي ما هو امنيتهم من الاستهانة بي والاساءة الي وقرئ فلا تشمت بي الاعداء على نهي الاعداء عن الشماتة والمراد ان لا يحل به ما يشمتون به لاجله ولا تجعلني مع القوم الظالمين ولا تجعلني في موجدتك علي وعقوبتك لي قرينا لهم وصاحبا او ولا تعتقد اني واحد من الظالمين مع براءتي منهم ومن ظلمهم **قال رب اغفر لي ولاخي وادخلنا في رحمتك وانت ارحم الراحمين** لما اعتذر اليه اخوه وذكر شماتة الاعداء قال رب اغفر لي ولاخي ليرضي اخاه ويظهر لاهل الشماتة رضاه عنه فلا تتم لهم شماتتهم واستغفر لنفسه مما فرط منه الى اخيه ولاخيه ان عسى فرط في حسن الخلافة وطلب ان لا يتفرقا عن رحمته ولا تزال منتظمة لهما في الدنيا والآخرة **ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحيوة الدنيا وكذلك نجزي المفترين** غضب من ربهم وذلة الغضب ما امروا به من قتل انفسهم والذلة خروجهم من ديارهم لان ذل الغربة مثل مضروب وقيل هو ما نال ابناءهم وهم بنو قريظة والنضير من غضب الله بالقتل والجلاء ومن الذلة بضرب الجزية المفترين المتكذبين على الله تعالى ولا فرية اعظم من قول السامري هذا الهكم واله موسى ويجوز ان يتعلق في الحيوة الدنيا بالذلة وحدها ويراد سينالهم غضب في الآخرة وذلة في الحيوة الدنيا كقوله تعالى وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله **والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم** والذين عملوا السيئات من الكفر والمعاصي كلها ثم تابوا ثم رجعوا من بعدها الى الله واعتذروا اليه فآمنوا واخلصوا الايمان ان ربك من بعدها من بعد تلك العظائم لغفور لستور عليهم محاء لما كان منهم رحيم منعم عليهم بالجنة وهذا حكم عام يدخل تحته متخذو العجل ومن عداهم عظم جنايتهم اولا ثم اردفها بعظيم رحمته ليعلم ان الذنوب وان جلت وعظمت فان عفوه وكرمه اعظم واجل ولكن لا بد من حفظ الشريطة وهي وجوب التوبة والانابة وما وراءه طمع فارغ واشعبية باردة لا يلتفت اليها حازم **ولما سكت عن موسى الغضب اخذ الالواح وفي نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون** ولما سكت عن موسى الغضب هذا مثل كان الغضب كان يغريه على ما فعل ويقول له قل لقومك كذا والق الالواح

وجر براس اخيك اليك فترك النطق بذلك وقطع الاغراء ولم يستحسن هذه الكلمة ولم يستفصحها كل ذي طبع سليم وذوق صحيح الا لذلك ولانه من قبيل شعب البلاغة والا فما لقراءة معوية بن قرة ولما سكن عن موسى لا تجد النفس عندها شيئا من تلك الهزة وطرفا من تلك الروعة وقرئ ولما سكت واسكت اى اسكته الله او اخوه باعتذاره اليه وتنصله والمعنى ولما طفئ غضبه اخذ الالواح التي القاها وفي نسختها وفيما نسخ منها اى كتب والنسخة فعلة بمعنى مفعول كالخطبة لربهم يرهبون دخلت اللام لتقدم المفعول لان تاخر الفعل عن مفعوله يكسبه ضعفا ونحوه للرؤيا تعبرون وتقول لك ضربت **واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا فلما اخذتهم الرجفة قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي اتهلكنا بما فعل السفهاء منا ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء انت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين** واختار موسى قومه اى من قومه فحذف الجار واوصل الفعل كقوله منا الذي اختير الرجال سماحة قيل اختار من اثني عشر سبطا من كل سبط ستة حتى تتاموا اثنين وسبعين فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا فقال ان لمن قعد منكم مثل اجر من خرج فقعد كالب ويوشع وروي انه لم يصب الا ستين شيخا فاوحى الله تعالى اليه ان يختار من الشبان عشرة فاختارهم فاصبحوا شيوخا وقيل كانوا ابناء ما عدا العشرين ولم يتجاوزوا الاربعين قد ذهب عنهم الجهل والصبا فامرهم موسى عليه السلام ان يصوموا ويتطهروا ويطهروا ثيابهم ثم خرج بهم الى طور سيناء لميقات ربه وكان لا ياتيه الا باذن منه فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود الغمام حتى تغشى الجبل كله ودنا موسى ودخل فيه وقال للقوم ادنوا فدنوا حتى اذا دخلوا في الغمام وقعوا سجدا فسمعوه وهو يكلم موسى يامره وينهاه افعل ولا تفعل ثم انكشف الغمام فاقبلوا اليه فطلبوا الرؤية وزجرهم وانكر عليهم فقالوا يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فقال رب ارني انظر اليك يريد ان يسمعوا الرد والانكار من جهته فاجيب بلن تراني ورجف بهم الجبل فصعقوا او لما كانت الرجفة قال موسى رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي وهذا تمن منه للاهلاك قبل ان يرى ما رأى من تبعة طلب الرؤية كما يقول النادم على الامر اذا راى سوء المغبة لو شاء الله لاهلكني قبل هذا اتهلكنا بما فعل السفهاء منا يعني اتهلكنا جميعا يعني نفسه واياهم لانه انما طلب الرؤية زجرا للسفهاء وهم طلبوه سفها وجهلا ان هي الا فتنتك اى محنتك وابتلاؤك حين كلمتني وسمعوا كلامك فاستدلوا بالكلام على الرؤية استدلالا فاسدا حتى افتتنوا وضلوا تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء تضل بالمحنة الجاهلين غير الثابتين في معرفتك وتهدي العالمين بك الثابتين بالقول الثابت وجعل ذلك اضلالا من الله وهدى منه لان محنته لما كانت سببا لان ضلوا واهتدوا فكانه اضلهم بها وهداهم على الاتساع في الكلام انت ولينا مولانا القائم بامورنا **واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة انا هدنا اليك قال عذابي اصيب به من اشاء ورحمتي وسعت كل شيء فساكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكوة والذين هم باياتنا يؤمنون** واكتب لنا واثبت لنا واقسم في هذه الدنيا حسنة عافية وحيوة طيبة او توفيقا في الطاعة وفي الآخرة الجنة هدنا اليك تبنا اليك وهاد اليه يهود اذا رجع وتاب والهود جمع هائد وهو التائب ولبعضهم يا راكب الذنب هد هد واسجد كانك هدهد وقرأ ابو وجزة السعدي هدنا اليك بكسر الهاء من هاده يهيده اذا حركه وامال ويحتمل امرين ان يكون مبنيا للفاعل والمفعول بمعنى حركنا اليك انفسنا وامِلْنا او حُرِّكنا اليك وأُمِلْنا على تقدير فُعِلنا كقولك عدت يا مريض بكسر العين فعلت من العيادة ويجوز عدت بالاشمام وعدت باخلاص الضمة فيمن قال عود المريض وقول القول ويجوز على هذه اللغة ان يكون هدنا بالضم فعلنا من هاده يهيده عذابي من حاله وصفته اني اصيب به من اشاء اى من وجب على في الحكمة تعذيبه ولم يكن في العفو عنه مساغ لكونه مفسدة واما رحمتي فمن حالها وصفتها انها واسعة تبلغ كل شيء ما من مسلم ولا كافر ولا مطيع ولا عاص الا وهو متقلب في نعمتي وقرأ الحسن من اساء من الاساءة فساكتبها هذه الرحمة كتبة خاصة منكم يا بني اسرائيل للذين يكونون في آخر الزمان من امة محمد صلى الله عليه وسلم الذين هم بجميع آياتنا وكتبنا يؤمنون لا يكفرون بشيء منها **الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم**

في التورية والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم
الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه
واتبعوا النور الذي انزل معه اولئك هم المفلحون الذين يتبعون الرسول الذي نوحي اليه
كتابا مختصا به وهو القرآن النبي صاحب المعجزات الذي يجدونه يجدون نعته اولئك الذين يتبعونه من بني اسرائيل
مكتوبا عندهم في التورية والانجيل ويحل لهم الطيبات ما حرم عليهم من الاشياء الطيبة كالشحوم وغيرها او ما طاب في
الشريعة والحكم مما ذكر اسم الله عليه من الذبائح وما خلا كسبه من السحت ويحرم عليهم الخبائث ما يستخبث من نحو الدم
والميتة ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به او ما خبث في الحكم كالربوا والرشوة وغيرهما من المكاسب الخبيثة الاصر الثقل
الذي يأصر صاحبه اي يحبسه من الحراك لثقله وهو مثل لثقل تكليفهم وصعوبته نحو اشتراط قتل النفس في صحة توبتهم وكذلك
الاغلال مثل لما كان في شرائعهم من الاشياء الشاقة نحو بت القضاء بالقصاص عمدا كان او خطاء من غير شرع الدية
وقطع الاعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة من الجلد والثوب واحراق الغنائم وتحريم العروق في اللحم وتحريم السبت
وعن عطاء كانت بنو اسرائيل اذا قامت تصلي لبسوا المسوح وغلوا ايديهم الى اعناقهم وربما ثقب الرجل ترقوته وجعل
فيها طرف السلسلة واوثقها الى السارية يحبس نفسه على العبادة وقرئ آصارهم على الجمع وعزروه ومنعوه حتى
لا يقوى عليه عدو وقرئ بالتخفيف واصل العزر المنع ومنه التعزير للضرب دون الحد لانه منع من معاودة القبيح
الا تسمية الحد والحد هو المنع والنور القرآن **فان قلت** ما معنى قوله انزل معه وانما انزل مع جبرئيل **قلت**
معناه انزل مع نبوته لان استنباءه كان مصحوبا بالقرآن مشفوعا به ويجوز ان يتعلق باتبعوا اي واتبعوا القرآن
المنزل مع اتباع النبي والعمل بسنته وبما امر به ونهى عنه او اتبعوا القرآن كما اتبعه مصاحبين له في اتباعه **فان قلت**
كيف انطبق هذا الجواب على قول موسى عليه السلام ودعائه **قلت** لما دعا لنفسه ولبني اسرائيل اجيب بما هو منطو على
توبيخ بني اسرائيل على استجازتهم الرؤية على الله تعالى وعلى كفرهم بآيات الله تعالى العظام التي اجراها على يد موسى
وعرض بذلك في قوله والذين هم بآياتنا يؤمنون واريد ان يكون اسماع اوصاف اعقابهم الذين آمنوا برسول الله
صلى الله عليه وسلم وما جاء به كعبد الله بن سلام وغيره من اهل الكتابين لطفا لهم وترغيبا في اخلاص الايمان والعمل الصالح
وفي ان يحشروا معهم ولا يفرق بينهم وبين اعقابهم عن رحمة الله التي وسعت كل شيء قل يا ايها الناس اني رسول
الله اليكم جميعا الذي له ملك السموات والارض لا اله الا هو يحيي ويميت
فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون
اني رسول الله اليكم جميعا قيل بعث كل رسول الى قومه خاصة وبعث محمد صلى الله عليه وسلم الى كافة الانس وكافة الجن
وجميعا نصب على الحال من اليكم **فان قلت** الذي له ملك السموات والارض ما محله **قلت** الاحسن ان
يكون منتصبا باضمار اعني وهو الذي يسمى النصب على المدح ويجوز ان يكون جرا على الوصف وان حيل بين الصفة
والموصوف بقوله اليكم جميعا وقوله لا اله الا هو بدل من الصلة التي هي له ملك السموات والارض وكذلك يحيي ويميت
وفي لا اله الا هو بيان للجملة قبلها لان من ملك العالم كان هو الاله على الحقيقة وفي يحيي ويميت بيان لاختصاصه بالالهية
انه لا يقدر على الاحياء والاماتة غيره وكلماته وما انزل عليه وعلى من تقدمه من الرسل من كتبه ووحيه وقرئ وكلمته على الافراد
وهي القرآن او اراد جنس ما كلم به وعن مجاهد اراد عيسى بن مريم وقيل هي الكلمة التي تكون عنها عيسى وجميع خلقه وهي
قوله كن وانما قيل ان عيسى كلمة الله فخص بهذا الاسم لانه لم يكن لكونه سبب غير الكلمة ولم يكن من نطفة تمنى لعلكم
تهتدون اراد ان تهتدوا **فان قلت** هلا قيل فآمنوا بالله وبي بعد قوله اني رسول الله اليكم جميعا **قلت** عدل عن
المضمر الى الاسم الظاهر ليجري عليه الصفات التي اجريت عليه ولما في طريقة الالتفات من مزية البلاغة وليعلم ان الذي
وجب الايمان به واتباعه هو هذا الشخص المستقل بانه النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته كائنا من كان انا او غيري اظهارا
للنصفة وتفاديا من العصبية لنفسه ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون ومن قوم موسى
امة هم المؤمنون التائبون من بني اسرائيل لما ذكر الذين تزلزلوا منهم في الدين وارتابوا حتى اقدموا على العظيمتين عبادة العجل
واستجازة رؤية الله ذكر ان منهم امة موقنين ثابتين يهدون الناس بكلمة الحق ويدلونهم على الاستقامة ويرشدونهم بالحق

بعدلون

يعدلون بينهم في الحكم لا يجورون او اراد الذين وصفهم ممن ادرك النبي صلى الله عليه وسلم وآمن به من اعقابهم وقيل ان بني اسرائيل
لما قتلوا انبياءهم وكفروا وكانوا اثني عشر سبطا تبرأ سبط منهم مما صنعوا واعتذروا وسألوا الله ان يفرق بينهم وبين
اخوانهم ففتح الله لهم نفقا في الارض فساروا فيه سنة ونصفا حتى خرجوا من وراء الصين وهم هنالك
حنفاء مسلمون يستقبلون قبلتنا وذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم ان جبريل ذهب به ليلة الاسراء نحوهم فكلمهم فقال
لهم جبريل هل تعرفون من تكلمون قالوا لا قال هذا محمد النبي الامي فآمنوا به وقالوا يا رسول الله ان موسى اوصانا من ادرك
منكم احمد فليقرأ عليه مني السلام فرد محمد على موسى صلى الله عليهما وسلم السلام ثم اقرأهم عشر سور من القرآن نزلت
بمكة ولم تكن نزلت فريضة غير الصلوة والزكوة وامرهم ان يقيموا مكانهم وكانوا يسبتون فامرهم ان يجمعوا ويتركوا
السبت وعن مسروق قرئ بين يدي عبد الله فقال رجل اني منهم فقال عبد الله يعني لمن كان في مجلسه من المؤمنين
وهل تزيدون على ذلك علينا شيئا من يهدي بالحق وبه يعدل وقيل لو كانوا في طرف من الدنيا متمسكين بشريعة
ولم يبلغهم نسخها كانوا معذورين وهذا من باب الفرض والتقدير والا فقد طار الخبر بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم الى كل
افق وتغلغل في كل نفق ولم يبق الله اهل مدر ولا وبر ولا سهل ولا جبل ولا بر ولا بحر في مشارق الارض ومغاربها الا
وقد القاه اليهم وملأ مسامعهم والزمهم به الحجة وهو سائلهم عنه يوم القيمة وقطعناهم اثنتي عشرة
اسباطا امما واوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه ان اضرب بعصاك الحجر فانبجست
منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس مشربهم وظللنا عليهم الغمام وانزلنا عليهم المن
والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون
وقطعناهم وصيرناهم قطعا اي فرقا وميزنا بعضهم من بعض لقلة الالفة بينهم وقرئ وقطعناهم بالتخفيف اثنتي عشرة
اسباطا كقولك اثنتي عشرة قبيلة والاسباط اولاد الولد جمع سبط وكانوا اثنتي عشرة قبيلة من اثني عشر ولدا من يعقوب
عليه السلام **فان قلت** مميز ما عدا العشرة مفرد فما وجه مجيئه مجموعا وهلا قيل اثني عشر سبطا **قلت**
لو قيل ذلك لم يكن تحقيقا لان المراد وقطعناهم اثنتي عشرة قبيلة وكل قبيلة اسباط لا سبط فوضع اسباطا موضع قبيلة
ونظيره بين رماحي مالك ونهشل وامما بدل من اثنتي عشرة بمعنى وقطعناهم امما لان كل اسباط كانت امة عظيمة
وجماعة كثيفة العدد وكل واحدة كانت تؤم خلاف ما تؤمه الاخرى لا تكاد تأتلف وقرئ اثنتي عشرة بكسر الشين فانبجست
فانفجرت والمعنى واحد وهو الانفتاح بسعة وكثرة قال العجاج وكيف غربي دالج تبجسا **فان قلت** هلا قيل
فضرب فانبجست **قلت** لعدم الالباس وليجعل الانبجاس مسببا عن الايحاء بضرب الحجر للدلالة على ان الموحى اليه
لم يتوقف عن اتباع الامر وانه من انتفاء الشك عنه بحيث لا حاجة الى الافصاح به وقوله كل اناس نظير قوله اثنتي عشرة
اسباطا يريد كل امة من تلك الامم الثنتي عشرة والاناس اسم جمع غير تكسير نحو رخال وثناء وتؤام واخوات لها
ويجوز ان يقال ان الاصل الكسر والتكسير والضمة بدل من الكسرة كما ابدلت في نحو سكارى وغيارى من الفتحة وظللنا
عليهم الغمام وجعلناه ظليلا عليهم في التيه وكلوا على ارادة القول وما ظلمونا وما رجع الينا ضرر ظلمهم بكفرانهم النعم
ولكن كانوا يضرون انفسهم ويرجع وبال ظلمهم اليهم واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها
حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا نغفر لكم خطيئاتكم سنزيد المحسنين
فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم فارسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون
واذ قيل لهم واذكر اذ قيل لهم والقرية بيت المقدس **فان قلت** كيف اختلفت العبارة ههنا وفي سورة
البقرة **قلت** لا بأس باختلاف العبارتين اذا لم يكن هناك تناقض ولا تناقض بين قوله اسكنوا هذه القرية
فكلوا منها وبين قوله وكلوا لانهم اذا سكنوا القرية فتسببت سكناهم للاكل منها فقد جمعوا في الوجود بين سكناها
والاكل منها وسواء قدموا الحطة على دخول الباب او اخروها فهم جامعون في الايجاد بينهما وترك ذكر الرغد لا يناقض
اثباته وقوله نغفر لكم خطاياكم سنزيد المحسنين موعد بشيئين بالغفران والزيادة وطرح الواو لا يخل بذلك لانه
استيناف مرتب على تقدير قول القائل وماذا بعد الغفران فقيل له سنزيد المحسنين وكذلك زيادة منهم زيادة بيان
وارسلنا وانزلنا ويظلمون ويفسقون من واد واحد وقرئ نغفر لكم خطيئاتكم وتغفر خطاياكم وخطيئاتكم وخطيئتكم على البناء للمفعول

اوله تبجلت من اول التبجل ... (marginal note)

ولد وانبجست عيناه من فطر الاسى

ومنه اخوات لها ... رخال جمع رخل ... ثناء جمع ثني ... تؤام جمع توأم

وسئلهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر اذ يعدون في السبت اذ تأتيهم حيتانهم يوم
سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون وسئلهم
وسل اليهود وقرئ واسألهم وهذا السؤال معناه التقرير والتقريع بقديم كفرهم وتجاوزهم لحدود الله والاعلام
بان هذا من علومهم التي لا تعلم الا بكتاب او وحي فاذا اعلمهم به من لم يقرأ كتابهم علم انه من جهة الوحي ونظيره همزة الاستفهام
التي يراد بها التقرير في قولك أعدوتم في السبت والقرية ايلة وقيل مدين وقيل طبرية والعرب تسمي المدينة قرية
وعن ابي عمرو بن العلاء ما رأيت قرويين افصح من الحسن والحجاج يعني رجلين من اهل المدن حاضرة البحر قريبة منه
راكبة لشاطئه اذ يعدون في السبت اذ يتجاوزون حد الله فيه وهو اصطيادهم في يوم السبت وقد نهوا عنه
وقرئ يعدّون بمعنى يعتدون ادغمت التاء في الدال ونقلت حركتها الى العين ويعدون من الاعداد وكانوا يعدون
الات الصيد في يوم السبت وهم مأمورون بان لا يشتغلوا فيه بغير العبادة والسبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها
بترك الصيد والاشتغال بالتعبد فمعناه يعدون في تعظيم هذا اليوم وكذلك قوله يوم سبتهم معناه يوم تعظيمهم امر السبت
ويدل عليه قوله ويوم لا يسبتون وقرأ عمر بن عبد العزيز ويوم اسباتهم وقرئ لا يسبتون بضم الباء وقرأ علي رضي الله عنه
لا يُسبِتون بضم الياء من اسبتوا وعن الحسن لا يُسبَتون على البناء للمفعول اي لا يدار عليهم السبت ولا يؤمرون بان
يسبتوا فان قلت اذ يعدون واذ تأتيهم ما محلهما من الاعراب قلت اما الاول فمجرور بدل من القرية
والمراد بالقرية اهلها كأنه قيل وسلهم عن اهل القرية وقت عدوانهم في السبت وهو من بدل الاشتمال ويجوز ان يكون
منصوبا بكانت او بحاضرة واما الثاني فمنصوب بيعدون ويجوز ان يكون بدلا بعد بدل والحيتان السمك واكثر ما يستعمل العرب
الحوت في معنى السمكة شرعا ظاهرة على وجه الماء وعن الحسن تشرع على ابوابهم كأنها الكباش البيض يقال شرع علينا فلان
اذا دنا منا واشرف علينا وشرعت على فلان في بيته فرأيته يفعل كذا كذلك نبلوهم مثل ذلك البلاء الشديد نبلوهم بسبب
فسقهم واذ قالت امة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا
قالوا معذرة الى ربكم ولعلهم يتقون واذ قالت معطوف على اذ يعدون وحكمه حكمه في الاعراب
امة منهم جماعة من اهل القرية من صلحائهم الذين ركبوا الصعب والذلول في موعظتهم حتى ايسوا من قبولهم لآخرين كانوا
لا يقلعون عن وعظهم لم تعظون قوما الله مهلكهم اي مخترمهم ومطهر الارض منهم او معذبهم عذابا شديدا لتماديهم في الشر
وانما قالوا ذلك لعلمهم ان الوعظ لا ينفع فيهم قالوا معذرة الى ربكم اي موعظتنا ابلاء عذر الى الله ولئلا ننسب في النهي عن
المنكر الى بعض التفريط ولعلهم يتقون ولطمعنا في ان يتقوا بعض الاتقاء وقرئ معذرة بالنصب اي وعظناهم معذرة
الى ربكم او اعتذرنا معذرة فلما نسوا ما ذكروا به انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا
الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون فلما نسوا يعني اهل القرية فلما تركوا ما ذكرهم به الصالحون
ترك الناسي لما ينساه انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الظالمين الراكبين للمنكر فان قلت
الامة الذين قالوا لم تعظون من اي الفريقين هم امن فريق الناجين ام من المعذبين قلت من فريق الناجين
لانهم من فريق الناهين وما قالوا ما قالوا الا سائلين عن علة الوعظ والغرض فيه حيث لم يروا فيه غرضا صحيحا لعلمهم بحال
القوم واذا علم الناهي حال المنهي وان النهي لا يؤثر فيه سقط عنه النهي وربما وجب الترك لدخوله في باب العبث الا ترى
انك لو ذهبت الى المكاسين القاعدين على المآصر او الجلادين المرتبين للتعذيب لتعظهم وتكفهم عما هم فيه كان
ذلك عبثا منك ولم يكن الا سببا للتلهي بك واما الآخرون فانما لم يعرضوا عنهم اما لان يأسهم لم يستحكم كما
استحكم يأس الاولين ولم يخبروهم كما خبروهم او لفرط حرصهم وجدهم في امرهم كما وصف الله تعالى رسوله في
قوله فلعلك باخع نفسك وقيل الامة هم الموعوظون لما وعظوا قالوا للواعظين لم تعظون منا قوما تزعمون ان الله مهلكهم
او معذبهم وعن ابن عباس انه قال ليت شعري ما فعل بهؤلاء الذين قالوا لم تعظون قوما قال عكرمة فقلت له جعلني الله
فداك الا ترى انهم كرهوا ما هم عليه وخالفوهم وقالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم فلم ازل به حتى عرفته انهم قد نجوا وعن الحسن رحمه الله
نجت فرقتان وهلكت فرقة وهم الذين اخذوا الحيتان وروي ان اليهود امروا باليوم الذي امرنا به وهو يوم الجمعة
فتركوه واختاروا السبت فابتلوا به وحرم عليهم فيه الصيد وامروا بتعظيمه فكانت الحيتان تأتيهم يوم السبت شرعا

بيضا سمانا كأنها المخاض لا يرى الماء من كثرتها ويوم لا يسبتون لا تأتيهم فكانوا كذلك برهة من الدهر ثم جاءهم ابليس فقال لهم
انما نهيتم عن اخذها يوم السبت فاتخذوا حياضا تسوقون الحيتان اليها يوم السبت فلا تقدر على الخروج منها وتأخذونها
يوم الاحد واخذ رجل منهم حوتا وربط في ذنبه خيطا الى خشبة في الساحل ثم شواه يوم الاحد فوجد جاره ريح السمك فتطلع
في تنوره فقال له اني ارى الله سيعذبك فلما لم يره عذب اخذ في السبت القابل حوتين فلما رأوا ان العذاب لا يعاجلهم
صادوا واكلوا وملحوا وباعوا وكانوا نحوا من سبعين الفا فصار اهل القرية اثلاثا ثلث نهوا وكانوا نحوا من اثني عشر الفا
وثلث قالوا لم تعظون قوما وثلث هم اصحاب الخطيئة فلما لم ينتهوا قال المسلمون انا لا نساكنكم فقسموا القرية بجدار للمسلمين
باب وللمعتدين باب ولعنهم داود عليه السلام فاصبح الناهون ذات يوم في مجالسهم ولم يخرج من المعتدين احد فقالوا ان للناس
شأنا فعلوا الجدار فاذا هم قردة ففتحوا الباب ودخلوا عليهم فعرفت القرود انسباءها من الانس والانس لا يعرفون
انسباءهم من القرود فجعل القرد يأتي نسيبه فيشم ثيابه ويبكي فيقول الم ننهكم فيقول برأسه بلى وقيل صار الشباب
قردة والشيوخ خنازير وعن الحسن اكلوا والله اوخم اكلة اكلها اهلها اثقلها خزيا في الدنيا واطولها عذابا
في الآخرة هاه وايم الله ما حوت اخذه قوم فأكلوه اعظم عند الله من قتل رجل مسلم ولكن الله جعل موعدا والساعة
ادهى وامر بعذاب بئيس شديد يقال بؤس يبؤس بأسا اذا اشتد فهو بئيس وقرئ بئس بوزن حذر وبئس على تخفيف العين ونقل
حركتها الى الفاء كما يقال كبد في كبد وبيس على قلب الهمزة ياء كذيب في ذئب وبيئس على فيعل بكسر الهمزة وفتحها وبيِّس
بوزن ريس على قلب همزة بيئس ياء وادغام الياء فيها وبيس على تخفيف بيِّس كهين في هيّن وبائس على فاعل
فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين فلما عتوا عما نهوا عنه فلما
تكبروا عن ترك ما نهوا عنه كقوله وعتوا عن امر ربهم قلنا لهم كونوا قردة عبارة عن مسخهم قردة كقوله تعالى انما امره اذا
اراد شيئا ان يقول له كن فيكون والمعنى ان الله تعالى عذبهم اولا بعذاب شديد فعتوا بعد ذلك فمسخهم وقيل فلما عتوا
تكرير لقوله فلما نسوا والعذاب البئيس هو المسخ واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيمة
من يسومهم سوء العذاب ان ربك لسريع العقاب وانه لغفور رحيم تأذن ربك عزم
ربك وهو تفعل من الايذان وهو الاعلام لان العازم على الامر يحدث نفسه ويؤذنها بفعله واجري مجرى فعل القسم
كعلم الله وشهد الله ولذلك اجيب بما يجاب به القسم وهو قوله ليبعثن والمعنى واذ حتم ربك وكتب على نفسه
ليبعثن على اليهود الى يوم القيمة من يسومهم سوء العذاب فكانوا يؤدون الجزية الى المجوس الى ان بعث الله محمدا
صلى الله عليه وسلم فضربها عليهم فلا تزال مضروبة عليهم الى آخر الدهر ومعنى ليبعثن عليهم ليسلطن عليهم كقوله بعثنا عليكم عبادا
لنا اولي بأس شديد وقطعناهم في الارض امما منهم الصالحون ومنهم دون ذلك
وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون وقطعناهم في الارض امما وفرقناهم فيها فلا
يخلو بلد من فرقة منهم منهم الصالحون الذين آمنوا منهم بالمدينة او الذين وراء الصين ومنهم دون ذلك ومنهم ناس دون
ذلك الوصف منحطون عنه وهم الكفرة والفسقة فان قلت ما محل دون ذلك قلت الرفع وهو صفة
لموصوف محذوف معناه ومنهم ناس منحطون عن الصلاح ونحوه وما منا الا له مقام معلوم بمعنى وما منا احد الا له مقام وبلوناهم
بالحسنات والسيئات بالنعم والنقم لعلهم يرجعون فينيبون فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب
يأخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا وان يأتهم عرض مثله يأخذوه الم يؤخذ
عليهم ميثاق الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق ودرسوا ما فيه والدار الآخرة خير
للذين يتقون افلا تعقلون فخلف من بعد المذكورين خلف وهم الذين كانوا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ورثوا الكتاب ورثوا التورية بقيت في ايديهم بعد سلفهم يقرؤونها ويقفون على ما فيها من الاوامر والنواهي والتحليل
والتحريم ولا يعملون بها يأخذون عرض هذا الادنى اي حطام هذا الشيء الادنى يريد الدنيا وما يتمتع به منها وفي قوله هذا الادنى
تخسيس وتحقير والادنى اما من الدنو بمعنى القرب لانه عاجل قريب واما من دنو الحال وسقوطها وقلتها والمراد ما كانوا يأخذونه
من الرشى في الاحكام وعلى تحريف الكلم للتسهيل على العامة ويقولون سيغفر لنا لا يؤاخذنا الله تعالى بما اخذنا والفعل مسند الى
الجار والمجرور وهو لنا ويجوز ان يكون الاخذ الذي هو مصدر يأخذون وان يأتهم عرض مثله يأخذوه الواو للحال اي يرجون

المغفرة وهم مصرون عائدون الى مثل فعلهم غير تائبين وغفران الذنوب لا يصح الا بالتوبة والمصر لا غفران له الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب يعني قوله في التورية من ارتكب ذنبا عظيما فانه لا يغفر له الا بالتوبة ودرسوا ما فيه من اشتراط التوبة في غفران الذنوب والذي عليه المجبرة هو مذهب اليهود بعينه كما ترى وعن مالك بن دينار يأتي على الناس زمان ان قصروا عما امروا به قالوا سيغفر لنا لانا لم نشرك بالله شيئا كل امرهم الى الطمع خيارهم فيهم المداهنة فهؤلاء من هذه الامة اشباه الذين ذكرهم الله وتلا الآية والدار الآخرة خير من ذلك العرض الخسيس للذين يتقون الرشا ومحارم الله وقرئ ورثوا الكتاب وان لا تقولوا بالتاء وادارسوا بمعنى تدارسوا وافلا يعقلون بالتاء والياء **فان قلت** ما موقع ان لا يقولوا على الله الا الحق **قلت** هو عطف بيان لميثاق الكتاب ومعنى ميثاق الكتاب الميثاق المذكور في الكتاب وفيه ان اثبات المغفرة بغير توبة خروج عن ميثاق الكتاب وافتراء على الله وتقول عليه ما ليس بحق وان فسر ميثاق الكتاب بما تقدم ذكره كان ان لا يقولوا مفعولا له ومعناه لئلا يقولوا ويجوز ان تكون ان مفسرة ولا تقولوا نهيا كانه قيل الم يقل لهم لا تقولوا على الله الا الحق **فان قلت** علام عطف قوله ودرسوا ما فيه **قلت** على الم يؤخذ عليهم لانه تقرير فكانه قيل اخذ عليهم ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه

والذين يمسكون بالكتاب واقاموا الصلوة انا لا نضيع اجر المصلحين والذين يمسكون بالكتاب فيه وجهان احدهما ان يكون مرفوعا بالابتداء وخبره انا لا نضيع اجر المصلحين والمعنى انا لا نضيع اجرهم لان المصلحين في معنى الذين يمسكون بالكتاب كقوله تعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا والثاني ان يكون مجرورا عطفا على الذين يتقون ويكون قوله انا لا نضيع اعتراضا وقرئ يمسكون بالتشديد وينصره قراءة ابي والذين مسكوا بالكتاب **فان قلت** التمسك بالكتاب يشتمل على كل عبادة ومنها اقامة الصلوة فكيف افردت **قلت** اظهارا لمزية الصلوة لكونها عماد الدين وفارقة بين الكفر والايمان وقرأ ابن مسعود والذين استمسكوا بالكتاب **واذ نتقنا الجبل فوقهم كانه ظلة وظنوا انه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون** واذ نتقنا الجبل فوقهم قلعناه ورفعناه كقوله تعالى ورفعنا فوقهم الطور ومنه نتق السقاء اذا نفضه ليقتلع الزبدة منه والظلة كل ما اظلك من سقيفة او سحاب وقرئ بالطاء من اطل عليه اذا اشرف وظنوا انه واقع بهم وعلموا انه ساقط عليهم وذلك انهم ابوا ان يقبلوا احكام التورية لغلظها وثقلها فرفع الله تعالى الطور على رؤسهم مقدار عسكرهم وكان فرسخا في فرسخ وقيل لهم ان قبلتموها بما فيها والا ليقعن عليكم فلما نظروا الى الجبل خر كل رجل منهم ساجدا على حاجبه الايسر وهو ينظر بعينه اليمنى الى الجبل فرقا من سقوطه فلذلك لا ترى يهوديا يسجد الا على حاجبه الايسر ويقولون هي السجدة التي رفعت عنا بها العقوبة ولما نشر موسى الالواح وفيها كتاب الله تعالى لم يبق جبل ولا شجر ولا حجر الا اهتز فلذلك لا ترى يهوديا يقرأ عليه التورية الا اهتز وانفض لها رأسه خذوا ما آتيناكم على ارادة القول اي وقلنا خذوا ما آتيناكم او قائلين خذوا ما آتيناكم من الكتاب بقوة وعزم على احتمال مشاقه وتكاليفه واذكروا ما فيه من الاوامر والنواهي ولا تنسوه او اذكروا ما فيه من التعريض للثواب العظيم فارغبوا فيه ويجوز ان يراد خذوا ما آتيناكم من الآية العظيمة بقوة ان كنتم تطيقونه كقوله ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا واذكروا ما فيه من الدلالة على القدرة الباهرة والانذار لعلكم تتقون ما انتم عليه وقرأ ابن مسعود وتذكروا وقرئ واذكروا والمعنى وتذكروا

واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين من ظهورهم بدل من بني آدم بدل البعض من الكل ومعنى اخذ ذرياتهم من ظهورهم اخراجهم من اصلابهم نسلا بعد نسل واشهادهم على انفسهم وقوله الست بربكم قالوا بلى من باب التمثيل والتخييل ومعنى ذلك انه نصب لهم الادلة على ربوبيته ووحدانيته وشهدت بها عقولهم وبصائرهم التي ركبها فيهم وجعلها مميزة بين الضلالة والهدى فكانه اشهدهم على انفسهم وقررهم وقال الست بربكم وكانهم قالوا بلى انت ربنا شهدنا على انفسنا واقررنا بوحدانيتك وباب التمثيل واسع في كلام الله ورسوله وفي كلام العرب ونظيره قوله عز وجل انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين وقوله

اذ قالت الانساع للبطن الحق وقوله قالت له ريح الصبا قرقار ومعلوم انه لا قول ثم وانما هو تمثيل وتصوير للمعنى ان تقولوا مفعول له اي فعلنا ذلك من نصب الادلة الشاهدة على صحتها العقول كراهة ان تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين لم ننبه عليه او كراهة ان تقولوا انما اشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم فاقتدينا بهم لان نصب الادلة على التوحيد وما نبهوا عليه قائم معهم فلا عذر لهم في الاعراض عنه والاقبال على التقليد والاقتداء بالآباء كما لا عذر لآبائهم في الشرك وادلة التوحيد منصوبة لهم **فان قلت** بنو آدم وذرياتهم من هم **قلت** عني ببني آدم اسلاف اليهود الذين اشركوا بالله حيث قالوا عزير ابن الله وبذرياتهم الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اخلافهم المقتدين بآبائهم والدليل على انها في المشركين واولادهم قوله تعالى او تقولوا انما اشرك آباؤنا من قبل والدليل على انها في اليهود الآيات التي عطفت عليها هي والتي عطفت عليها هي على نمطها واسلوبها وذلك قوله واسألهم عن القرية الى واذ قالت امة منهم واذ تأذن ربك واذ نتقنا الجبل فوقهم واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا **او تقولوا انما اشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم افتهلكنا بما فعل المبطلون** **وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون** افتهلكنا بما فعل المبطلون اي كانوا السبب في شركنا لتأسيسهم الشرك وتقدمهم فيه وتركه سنة لنا وكذلك ومثل ذلك التفصيل البليغ نفصل الآيات لهم ولعلهم يرجعون وارادة ان يرجعوا عن شركهم نفصلها وقرئ ذريتهم على التوحيد وان يقولوا بالياء **واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين** واتل عليهم على اليهود نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها وهو عالم من علماء بني اسرائيل وقيل من الكنعانيين واسمه بلعم بن باعوراء اوتي علم بعض كتب الله تعالى فانسلخ منها من الآيات بان كفر بها ونبذها وراء ظهره فاتبعه الشيطان فلحقه الشيطان وادركه وصار قرينا له او فاتبعه خطواته وقرئ فاتبعه بمعنى تبعه فكان من الغاوين فصار من الضالين الكافرين روي ان قومه طلبوا اليه ان يدعو على موسى ومن معه فابى وقال كيف ادعو على من معه الملائكة فالحوا عليه ولم يزالوا به حتى فعل **ولو شئنا لرفعناه ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون** ولو شئنا لرفعناه بها لعظمناه ورفعناه الى منازل الابرار من العلماء بتلك الآيات ولكنه اخلد الى الارض مال الى الدنيا ورغب فيها وقيل مال الى السفالة **فان قلت** كيف علق رفعه بمشية الله ولم يعلق بفعله الذي يستحق به الرفع **قلت** المعنى ولو لزم العمل بالآيات ولم ينسلخ منها لرفعناه بها وذلك ان مشية الله رفعه تابعة للزومه الآيات فذكرت المشية والمراد ما هي تابعة له ومسببة عنه كانه قيل ولو لزمها لرفعناه بها الا ترى الى قوله ولكنه اخلد الى الارض فاستدرك المشية بالخلاده الذي هو فعله فوجب ان يكون ولو شئنا في معنى ما هو فعله ولو كان الكلام على ظاهره لوجب ان يقال ولو شئنا لرفعناه بها ولكنا لم نشأ فمثله كمثل الكلب فصفته التي هي مثل في الخسة والضعة كصفة الكلب في اخس احواله واذلها وهي حال دوام اللهث به واتصاله سواء حمل عليه اي شد عليه وهيج فطرد او ترك غير متعرض له بالحمل عليه وذلك ان سائر الحيوان لا يكون منه اللهث الا اذا هيج منه وحرك والا لم يلهث والكلب يتصل لهثه في الحالين جميعا وكان حق الكلام ان يقال ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى الارض فحططناه ووضعنا منزلته فوضع قوله فمثله كمثل الكلب موضع فحططناه ابلغ حط لان تمثيله بالكلب في اخس احواله واذلها في معنى ذلك وعن ابن عباس رضي الله عنهما الكلب منقطع الفؤاد يلهث ان حمل عليه او لم يحمل عليه وقيل معناه ان وعظته فهو ضال وان لم تعظه فهو ضال كالكلب ان طردته فسعى لهث وان تركته على حاله لهث **فان قلت** ما محل الجملة الشرطية **قلت** النصب على الحال كانه قيل كمثل الكلب ذليلا دائم الذلة لاهثا في الحالين وقيل لما دعا بلعم على موسى عليه السلام خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كما يلهث الكلب ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا من اليهود بعد ما قرؤا نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في التورية وذكر القرآن المعجز وما فيه وبشروا الناس باقتراب مبعثه وكانوا يستفتحون به فاقصص القصص قصص بلعم الذي هو نحو قصصهم لعلهم يتفكرون فيحذرون مثل عاقبته اذا ساروا نحو سيرته وزاغوا شبه زيغه ويعلمون انك علمته من جهة الوحي فيزدادوا ايقانا بك وتزداد الحجة لزوما لهم **ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا وانفسهم كانوا يظلمون** **من يهدي الله فهو المهتدي ومن يضلل فاولئك هم الخاسرون**

ساء مثلا القوم اى مثل القوم او ساء اصحاب مثل القوم وقرأ الجحدري ساء مثل القوم وانفسهم كانوا يظلمون اما ان يكون معطوفا على كذبوا فيدخل في حيز الصلة بمعنى الذين جمعوا بين التكذيب بآيات الله وظلم انفسهم واما ان يكون كلاما منقطعا عن الصلة بمعنى وما ظلموا الا انفسهم بالتكذيب وتقديم المفعول للاختصاص كانه قيل وخصوا انفسهم بالظلم لم يتعدها الى غيرها فهو المهتدي حمل على اللفظ واولئك هم الخاسرون حمل على المعنى ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون كثيرا من الجن والانس المطبوع على قلوبهم الذين علم الله انه لا لطف لهم وجعلهم في انهم لا يلقون اذهانهم الى معرفة الحق ولا ينظرون بعيونهم الى ما خلق الله نظر اعتبار ولا يسمعون ما يتلى عليهم من آيات الله سماع تدبر كانهم عدموا فهم القلوب وابصار العيون واسماع الآذان وجعلهم لاغراقهم في الكفر وشدة شكائمهم فيه وانه لا يأتي منهم الا افعال اهل النار مخلوقين للنار دلالة على توغلهم في الموجبات وتمكنهم فيما يؤهلهم لدخول النار ومنه كتاب عمر الى خالد بن الوليد رضي الله عنهما بلغني ان اهل الشام اتخذوا لك دلوكا عجن بخمر واني لا اظنكم آل المغيرة الا ذرء النار ويقال لمن كان عريقا في بعض الامور ما خلق فلان الا لكذا والمراد وصف حال اليهود في عظم ما اقدموا عليه من تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم مع علمهم انه النبي الموعود وانهم من جملة الكثير الذين لا يكاد الايمان يتأتى منهم كانهم خلقوا للنار اولئك كالانعام في عدم الفقه والنظر للاعتبار والاستماع للتدبر بل هم اضل من الانعام عن الفقه والاعتبار والتدبر اولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة وقيل الانعام تبصر منافعها ومضارها فتلزم بعض ما تبصره وهؤلاء اكثرهم يعلم انه معاند فيقدم على النار ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في اسمائه سيجزون ما كانوا يعملون وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون ولله الاسماء الحسنى التي هي احسن الاسماء لانها تدل على معان حسنة من تمجيد وتقديس وغير ذلك فادعوه بها فسموه بتلك الاسماء وذروا الذين يلحدون في اسمائه واتركوا تسمية الذين يميلون عن الحق والصواب فيها فيسمونه بغير الاسماء الحسنى وذلك ان يسموه بما لا يجوز عليه كما سمعنا البدو يقولون بجهلهم يا ابا المكارم يا ابيض الوجه يا نخي او ان يأبوا تسميته ببعض الاسماء الحسنى نحو ان يقولوا يا الله ولا يقولوا يا رحمن وقد قال الله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى ويجوز ان يراد ولله الاوصاف الحسنى وهي الوصف بالعدل والخير والاحسان وانتفاء شبه الخلق فصفوه بها وذروا الذين يلحدون في اوصافه فيصفونه بمشيئة القبائح وخلق الفحشاء والمنكر وبما يدخل في التشبيه كالرؤية ونحوها وقيل الحادهم في اسمائه تسميتهم الاصنام آلهة واشتقاقهم اللات من الله والعزى من العزيز كما قال ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس فاخبر ان كثيرا من الثقلين عاملون باعمال اهل النار اتبعه قوله وممن خلقنا امة يهدون بالحق وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول اذا قرأها هذه لكم وقد اعطي القوم بين ايديكم مثلها ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وعنه صلى الله عليه وسلم ان من امتي قوما على الحق حتى ينزل عيسى وعن الكلبي هم الذين آمنوا من اهل الكتاب وقيل هم العلماء والدعاة الى الدين والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون واملي لهم ان كيدي متين الاستدراج استفعال من الدرجة بمعنى الاستصعاد او الاستنزال درجة بعد درجة قال الاعشى فلو كنت في جب ثمانين قامة ورقيت اسباب السماء بسلم ليستدرجنك القول حتى تهره وتعلم اني عنكم غير مفحم ومنه درج الصبي اذا قارب بين خطاه وادرج الكتاب طواه شيئا بعد شيء ودرج القوم اذا مات بعضهم في اثر بعض ومعنى سنستدرجهم سنستدنيهم قليلا قليلا الى ما يهلكهم ويضاعف عقابهم من حيث لا يعلمون ما يراد بهم وذلك ان يواتر الله نعمه عليهم مع انهماكهم في الغي فكلما جدد عليهم نعمة ازدادوا بطرا وجددوا معصية فيتدرجون في المعاصي بسبب ترادف النعم ظانين ان مواترة النعم اثرة من الله وتقريب وانما هي خذلان منه وتبعيد فهو استدراج الله نعوذ بالله تعالى منه واملي لهم عطف على سنستدرجهم وهو داخل في حكم السين ان كيدي متين سماه كيدا لانه شبيه بالكيد من حيث انه في الظاهر احسان وفي الحقيقة خذلان اولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة ان هو الا نذير مبين اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم فباي حديث بعده يؤمنون من

يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون ما بصاحبهم محمد صلى الله عليه وسلم من جنة من جنون وكانوا يقولون شاعر مجنون وعن قتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم علا الصفا فدعاهم فخذا فخذا يحذرهم بأس الله فقال قائلهم ان صاحبكم هذا المجنون بات يهوت الى الصباح اولم ينظروا نظر استدلال في ملكوت السموات والارض فيما تدلان عليه من عظم الملك والملكوت الملك العظيم وما خلق الله من شيء وفيما خلق الله مما يقع عليه اسم الشيء من اجناس لا يحصرها العدد ولا يحيط بها الوصف وان عسى ان مخففة من الثقيلة والاصل انه عسى على ان الضمير ضمير الشأن والمعنى اولم ينظروا في ان الشأن والحديث عسى ان يكون قد اقترب اجلهم ولعلهم يموتون عما قريب فيسارعوا الى النظر وطلب الحق وما ينجيهم قبل مغافصة الاجل وحلول العقاب ويجوز ان يراد باقتراب الاجل اقتراب الساعة ويكون من كان التي فيها ضمير الشأن فان قلت بم يتعلق قوله فباي حديث بعده يؤمنون قلت بقوله عسى ان يكون قد اقترب اجلهم كانه قيل لعل اجلهم قد اقترب فما لهم لا يبادرون الايمان بالقرآن قبل الفوت وماذا ينتظرون بعد وضوح الحق وباي حديث احق منه يريدون ان يؤمنوا وقرئ ويذرهم بالياء والنون والرفع على الاستئناف ويذرهم بالياء والجزم عطفا على محل فلا هادي له كانه قيل من يضلل الله لا يهده احد ويذرهم يسألونك عن الساعة ايان مرساها قل انما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها الا هو ثقلت في السموات والارض لا تأتيكم الا بغتة يسألونك كانك حفي عنها قل انما علمها عند الله ولكن اكثر الناس لا يعلمون يسألونك قيل ان قوما من اليهود قالوا يا محمد اخبرنا متى الساعة ان كنت نبيا فانا نعلم متى هي وكان ذلك امتحانا منهم مع علمهم ان الله تعالى قد استأثر بعلمها وقيل السائلون قريش والساعة من الاسماء الغالبة كالنجم للثريا وسميت القيامة بالساعة لوقوعها بغتة او لسرعة حسابها او على العكس لطولها او لانها عند الله على طولها كساعة من الساعات عند الخلق ايان بمعنى متى وقيل اشتقاقه من اي فعلان منه لان معناه اي وقت واي فعل من اويت اليه لان البعض آو الى الكل متساند اليه قاله ابن جني وابى ان يكون من اين لانه زمان واين مكان وقرأ السلمي ايان بكسر الهمزة مرساها ارساؤها او وقت ارسائها اي اثباتها واقرارها وكل شيء ثقيل رسوه ثباته واستقراره ومنه رسا الجبل وارسى السفينة والمرسى الانجر الذي ترسى به ولا اثقل من الساعة بدليل قوله تعالى ثقلت في السموات والارض والمعنى متى يرسيها الله انما علمها اي علم وقت ارسائها عنده قد استأثر به ولم يخبر به احدا من ملك مقرب ولا نبي مرسل ليكونوا على حذر منها فيكون ذلك ادعى الى الطاعة وازجر عن المعصية كما اخفى الاجل الخاص وهو وقت الموت لذلك لا يجليها لوقتها الا هو اي لا تزال خفية لا يظهر امرها ولا يكشف خفاء علمها الا هو وحده اذا جاء بها في وقتها بغتة لا يخبر عنها قبل مجيئها احد من خلقه لاستمرار الخفاء بها على غيره الى وقت وقوعها ثقلت في السموات والارض اي كل من اهمه من الملائكة والثقلين اهمه شأن الساعة ويود ان يتجلى له علمها وشق عليه خفاؤها وثقل عليه او ثقلت فيها لان اهلها يتوقعونها ويخافون شدائدها واهوالها او لان كل شيء لا يطيقها ولا يقوم لها فهي ثقيلة فيها الا بغتة الا فجأة على غفلة منكم وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقوم سلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه كانك حفي عنها كانك عالم بها وحقيقته كانك بليغ في السؤال عنها لان من بالغ في المسألة عن الشيء والتنقير عنه استحكم علمه فيه ورصن وهذا التركيب معناه المبالغة ومنه احفاء الشارب واحفاء البقل استئصاله واحفى في المسألة اذا الحف وحفي بفلان وتحفى به بالغ في البر به وعن مجاهد استحفيت عنها السؤال حتى علمت وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه كانك حفي بها اي عالم بها بليغ في العلم بها وقيل عنها متعلق بيسألونك اي يسألونك عنها كانك حفي بها اي عالم بها وقيل ان قريشا قالوا له ان بيننا وبينك قرابة فقل لنا متى الساعة فقيل يسألونك عنها كانك حفي تتحفى بهم فتختصهم بتعليم وقتها لاجل القرابة وتزوي علمها عن غيرهم ولو اخبرت بوقتها لمصلحة عرفها الله تعالى في اخبارك به لكنت مبلغه القريب والبعيد من غير تخصيص كسائر ما اوحي اليك وقيل كانك حفي بالسؤال عنها تحبه وتؤثره يعني انك تكره السؤال عنها لانها من علم الغيب الذي استأثر الله تعالى به ولم يؤته احدا من خلقه فان قلت لم كرر يسألونك وانما علمها عند الله قلت للتأكيد ولما جاء به من زيادة قوله كانك حفي عنها وعلى هذا تكرير العلماء الحذاق في كتبهم لا يخلون المكرر من فائدة زائدة منهم محمد بن الحسن صاحب ابي حنيفة رحمهما الله تعالى ولكن اكثر الناس لا يعلمون انه العالم بها وانه المختص بالعلم بها قل لا املك لنفسي نفعا

تحفى بها اى بالغت فى اكرامه والطافه

ولا ضرا الا ما شاء الله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء
ان انا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون قل لا املك هو اظهار للعبودية والانتفاء عما يختص بالربوبية من علم
الغيب اي انا عبد ضعيف لا املك لنفسي اجتلاب نفع ولا دفع ضر كالمماليك والعبيد الا ما شاء ربي ومالكي من النفع
والدفع عني ولو كنت اعلم الغيب لكانت حالي على خلاف ما هي عليه من استكثار الخير واستغزار المنافع واجتناب السوء
والمضار حتى لا يمسني شيء منها ولم اكن غالبا مرة ومغلوبا اخرى في الحروب رابحا وخاسرا في التجارات ومصيبا ومخطئا في
التدابير ان انا الا عبد ارسلت نذيرا وبشيرا وما من شأني ان اعلم الغيب لقوم يؤمنون يجوز ان يتعلق بالنذير والبشير
جميعا لان النذارة والبشارة انما تنفعان فيهم او تتعلق بالبشير وحده ويكون المتعلق بالنذير محذوفا اي الا نذير للكافرين
وبشير لقوم يؤمنون هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها فلما
تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به فلما اثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا لنكونن
من الشاكرين من نفس واحدة هي نفس آدم وجعل منها زوجها وهي حواء خلقها من جسد آدم من ضلع من اضلاعه
او من جنسها كقوله جعل لكم من انفسكم ازواجا ليسكن اليها ليطمئن اليها ويميل ولا ينفر لان الجنس الى الجنس اميل وبه آنس
واذا كانت بعضا منه كان السكون والمحبة ابلغ كما يسكن الانسان الى ولده ويحبه محبة نفسه لكونه بضعة منه وقال ليسكن
فذكر بعد ما انث في قوله واحدة منها زوجها ذهابا الى معنى النفس ليبين ان المراد بها آدم لان الذكر هو الذي يسكن الى الانثى
ويتغشاها فكان التذكير احسن طباقا للمعنى والتغشي كناية عن الجماع وكذلك الغشيان والاتيان حملت حملا خفيفا
خف عليها ولم تلق منه ما تلقى بعض الحبالى من حملهن من الكرب والاذى ولم تستثقله كما يستثقلنه وقد تسمع بعضهن تقول
في ولدها ما كان اخفه على كبدي حين حملته فمرت به فمضت به الى وقت ميلاده من غير اخداج ولا ازلاق وقيل حملت حملا
خفيفا يعني النطفة فمرت به فقامت به وقعدت وقرأ ابن عباس فاستمرت به وقرأ يحيى بن يعمر فمرت به بالتخفيف
وقرأ غيره فمارت به من المرية كقوله افتمارونه وافتمرونه ومعناه فوقع في نفسها ظن الحمل فارتابت به فلما اثقلت حان
وقت ثقل حملها كقولك اقربت وقرئ اثقلت على البناء للمفعول اي اثقلها الحمل دعوا الله ربهما دعا آدم وحواء
ربهما ومالك امرهما الذي هو الحقيق بان يدعى ويلتجأ اليه فقالا لئن آتيتنا لئن وهبت لنا صالحا ولدا سويا قد صلح بدنه وبرئ
وقيل ولدا ذكرا لان الذكورة من الصلاح والجودة والضمير في آتيتنا ولنكونن لهما ولكل من يتناسل من ذريتهما فلما آتاهما
صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم
يخلقون ولا يستطيعون لهم نصرا ولا انفسهم ينصرون فلما آتاهما ما طلباه من الولد
الصالح السوي جعلا له شركاء اي جعل اولادهما له شركاء على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وكذلك فيما آتاهما
اي آتى اولادهما وقد دل على ذلك بقوله فتعالى الله عما يشركون حيث جمع الضمير وآدم وحواء بريئان من الشرك ومعنى اشراكهم
فيما آتاهم الله تعالى تسميتهم اولادهم بعبد العزى وعبد مناف وعبد شمس وما اشبه ذلك مكان عبد الله وعبد الرحمن وعبد الرحيم
ووجه آخر وهو ان يكون الخطاب لقريش الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم آل قصي الا ترى الى قوله في
قصة ام معبد فيا لقصي ما زوى الله عنكم به من فخار لا يجارى وسودد ويراد هو الذي خلقكم من نفس قصي وجعل من جنسها
زوجها عربية قرشية ليسكن اليها فلما آتاهما ما طلبا من الولد الصالح السوي جعلا له شركاء فيما آتاهما حيث سميا اولادهما
الاربعة بعبد مناف وعبد العزى وعبد قصي وعبد الدار وجعل الضمير في يشركون لهما ولاعقابهما الذين اقتدوا بهما في الشرك وهذا
تفسير حسن لا اشكال فيه وقرئ شركا اي ذوي شرك وهم الشركاء او احدثا لله اشراكا في الولد ايشركون اجريت الاصنام مجرى
اولي العلم في قوله وهم يخلقون بناء على اعتقادهم فيها وتسميتهم اياها آلهة والمعنى ايشركون ما لا يقدر على خلق شيء كما
يخلق الله وهم يخلقون لان الله خالقهم او لا يقدر على اختلاق شيء لانه جماد وهم يخلقون لان عبدتهم يختلقونهم فهم اعجز من
عبدتهم ولا يستطيعون لهم لعبدتهم نصرا ولا انفسهم ينصرون فيدفعون عنها ما يعتريها من الحوادث بل عبدتهم هم
الذين يدفعون عنهم ويحامون عليهم وان تدعوهم الى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم ادعوتموهم ام
انتم صامتون ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم فادعوهم فليستجيبوا
لكم ان كنتم صادقين وان تدعوهم وان تدعوا هذه الاصنام الى الهدى اي الى ما هو هدى ورشاد او الى ان

يهدوكم

يهدوكم والمعنى وان تطلبوا منهم كما تطلبون من الله الخير والهدى لا يتبعوكم الى مرادكم وطلبتكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله
ويدل عليه قوله فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين سواء عليكم ادعوتموهم ام صمتم عن دعائهم في انه لا فلاح معهم
فان قلت هلا قيل ام صمتم ولم وضعت الجملة الاسمية موضع الفعلية قلت لانهم كانوا اذا حزبهم امر دعوا الله
دون اصنامهم كقوله واذا مس الانسان ضر فكانت حالهم المستمرة ان يكونوا صامتين عن دعوتهم فقيل ان دعوتموهم لم
يفترق الحال بين احداثكم دعاءهم وبين ما انتم عليه من عادة صمتكم عن دعائهم ان الذين تدعون من دون الله اي تعبدونهم وتسمونهم
آلهة من دون الله عباد امثالكم وقوله عباد امثالكم استهزاء بهم اي قصارى امرهم ان يكونوا احياء عقلاء فان ثبت ذلك فهم عباد
امثالكم لا تفاضل بينكم ثم ابطل ان يكونوا عبادا امثالهم فقال الهم ارجل يمشون بها وقيل عباد امثالكم مملوكون امثالكم وقرأ
سعيد بن جبير ان الذين تدعون من دون الله عبادا امثالكم بتخفيف ان ونصب عبادا امثالكم والمعنى ما الذين تدعون
من دون الله عبادا امثالكم على اعمال ان النافية عمل ما الحجازية الهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطشون
بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم آذان يسمعون بها قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون
ان وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين والذين تدعون من دونه
لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون قل ادعوا شركاءكم واستعينوا بهم في عداوتي ثم كيدوني
جميعا انتم وشركاؤكم فلا تنظرون فاني لا ابالي بكم وكانوا قد خوفوه آلهتهم فامر ان
يخاطبهم بذلك كما قال قوم هود له ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء فقال لهم اني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني
جميعا ثم لا تنظرون ان وليي الله اي ناصري عليكم الله الذي نزل الكتاب الذي اوحى الي كتابه واعزني برسالته وهو
يتولى الصالحين ومن عادته ان ينصر الصالحين من عباده وانبيائه ولا يخذلهم وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا
وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين
ينظرون اليك يشبهون الناظرين لانهم صوروا اصنامهم بصورة من قلب حدقته الى الشيء ينظر اليه وهم لا يبصرون وهم
لا يدركون المرئي العفو ضد الجهد اي خذ ما عفا لك من افعال الناس واخلاقهم وما اتى منهم وتسهل من غير كلفة ولا تداقهم ولا
تطلب منهم الجهد وما يشق عليهم حتى لا ينفروا كقوله صلى الله عليه وسلم يسروا ولا تعسروا وقال خذي العفو مني تستديمي مودتي
ولا تنطقي في سورتي حين اغضب وقيل خذ الفضل وما تسهل من صدقاتهم وذلك قبل نزول آية الزكوة فلما نزلت امر
ان يأخذهم بها طوعا او كرها والعرف المعروف والجميل من الافعال واعرض عن الجاهلين ولا تكافئ السفهاء بمثل سفههم ولا
تمارهم واحلم عنهم واغض على ما يسوءك منهم وقيل لما نزلت الآية سأل جبريل فقال لا ادري حتى اسأل ثم رجع فقال
يا محمد ان ربك امرك ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وعن جعفر الصادق امر الله نبيه بمكارم
الاخلاق وليس في القرآن آية اجمع لمكارم الاخلاق منها واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله
انه سميع عليم ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم
مبصرون واخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون واما ينزغنك من الشيطان نزغ واما ينخسنك
منه نخس بان يحملك بوسوسته على خلاف ما امرت به فاستعذ بالله ولا تطعه والنزغ والنسغ الغرز والنخس كانه ينخس الناس
حين يغريهم على المعاصي وجعل النزغ نازغا كما قيل جد جده وروي انها لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يا رب
والغضب فنزل واما ينزغنك ويجوز ان يراد بنزغ الشيطان اعتراء الغضب كقول ابي بكر رضي الله عنه ان لي شيطانا
يعتريني طيف من الشيطان مكي وبصري طيف مصدر من قولهم طاف به الخيال يطيف طيفا قال اني الم بك الخيال يطيف او هو تخفيف
فيعل من طاف يطيف كلين او من طاف يطوف كهين وقرئ طائف وهو يحتمل الامرين ايضا وهو تأكيد وتقرير لما تقدم
من وجوب الاستعاذة عند نزغ الشيطان وان المتقين هذه عادتهم اذا اصابهم ادنى نزغ من الشيطان والمام بوسوسته
تذكروا ما امر الله تعالى به ونهى عنه فابصروا السداد ودفعوا ما وسوس اليهم ولم يتبعوه انفسهم واما اخوان الشياطين
الذين ليسوا بمتقين فان الشياطين يمدونهم في الغي اي يكونون مددا لهم فيه ويعضدونهم وقرئ يمدونهم من الامداد
ويمادونهم بمعنى يعاونونهم ثم لا يقصرون ثم لا يمسكون عن اغوائهم حتى يصروا ولا يرجعوا وقوله واخوانهم يمدونهم كقوله
قوم اذا الخيل جالوا في كواثبها في ان الخبر جار على غير ما هو له ويجوز ان يراد بالاخوان الشياطين ويرجع الضمير

المتعلق به الى الجاهلين فيكون الخبر جاريا على ما هو له والاول اوجه لان اخوانهم في مقابلة الذين اتقوا **فان قلت** لم جمع الضمير في اخوانهم والشيطان مفرد **قلت** المراد به الجنس كقوله تعالى اولياؤهم الطاغوت وَاِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ اِنَّمَا اَتَّبِعُ مَا يُوحَى اِلَيَّ مِنْ رَبِّي هٰذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۞ وَاِذَا قُرِئَ الْقُرْاٰنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَاَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ اجتبى الشيء بمعنى جباه لنفسه اي جمعه كقولك اجتمعه او جبى اليه فاجتباه اي اخرج كقولك جليت اليه العروس فاجتلاها ومعنى لولا اجتبيتها هلا اجتمعتها افتعالا من عند نفسك لانهم كانوا يقولون ان هذا الا افك مفترى او هلا اخذتها منزلة عليك مقترحة قل انما اتبع ما يوحى الي ولست بمفتعل للآيات او لست بمقترح لها هذا اي هذا القرآن بصائر من ربكم اي حجج بينة يعود المؤمنون بها بصراء بعد العمى او هو بمنزلة بصائر القلوب واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا ظاهره وجوب الاستماع والانصات وقت قراءة القرآن في صلوة وغير صلوة وقيل كانوا يتكلمون في الصلوة فنزلت ثم صار سنة في غير الصلوة ان ينصت القوم اذا كانوا في مجلس يقرأ فيه القرآن وقيل معناه واذا تلا عليكم الرسول القرآن عند نزوله فاستمعوا له وقيل معنى فاستمعوا له فاعملوا بما فيه ولا تجاوزوه وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْاٰصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ۞ اِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ۞ واذكر ربك في نفسك هو عام في الاذكار من قراءة القرآن والدعاء والتسبيح والتهليل وغير ذلك تضرعا وخيفة متضرعا وخايفا ودون الجهر ومتكلما كلاما دون الجهر لان الاخفاء ادخل في الاخلاص واقرب الى حسن التفكر بالغدو والآصال لفضل هذين الوقتين او اراد الدوام ومعنى بالغدو باوقات الغدو وهي الغدوات وقرئ والايصال من آصل اذا دخل في الاصيل كاقصر واعتم وهو مطابق للغدو ولا تكن من الغافلين من الذين يغفلون عن ذكر الله ويلهون عنه ان الذين عند ربك هم الملائكة صلوات الله عليهم ومعنى عند دنو الزلفة والقرب من رحمة الله وفضله لتوفرهم على طاعته وابتغاء مرضاته ويسبحونه وله يسجدون ويختصونه بالعبادة لا يشركون به غيره وهو تعريض بمن سواهم من المكلفين ۞ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الاعراف جعل الله يوم القيمة بينه وبين ابليس سترا وكان آدم شفيعا له يوم القيمة

سورة الانفال مدنية

وهي ست وسبعون آية

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ۞ يَسْاَلُونَكَ عَنِ الْاَنْفَالِ قُلِ الْاَنْفَالُ لِلّٰهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللّٰهَ ۞ وَاَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَاَطِيعُوا اللّٰهَ وَرَسُولَهُ اِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۞ النفل الغنيمة لانها من فضل الله تعالى وعطائه قال لبيد ان تقوى ربنا خير نفل والنفل ما ينفله الغازي اي يعطاه زائدا على سهمه من المغنم وهو ان يقول الامام تحريضا على البلاء في الحرب من قتل قتيلا فله سلبه او قال للسرية ما اصبتم فهو لكم او فلكم نصفه او ربعه ولا يخمس النفل ويلزم الامام الوفاء بما وعد منه وعند الشافعي قولان احدهما لا يلزم ولقد وقع اختلاف في غنائم بدر وفي قسمتها فسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تقسم ولمن الحكم في قسمتها للمهاجرين ام للانصار ام لهم جميعا فقيل له قل لهم هي لرسول الله وهو الحاكم فيها خاصة يحكم فيها بما يشاء ليس لاحد غيره فيها حكم وقيل شرط لمن كان له بلاء في ذلك اليوم ان ينفله فتسارع شبانهم حتى قتلوا سبعين واسروا سبعين فلما يسر الله تعالى الفتح اختلفوا فيما بينهم وتنازعوا فقال الشبان نحن المقاتلون وقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات كنا ردأ لكم وفئة تنحازون اليها ان انهزمتم وقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم المغنم قليل والناس كثير فان تعط هؤلاء ما شرطت لهم حرمت اصحابك فنزلت وعن سعد بن ابي وقاص قتل اخي عمير يوم بدر فقتلت به سعيد بن العاص واخذت سيفه فاعجبني فجئت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان الله قد شفى صدري من المشركين فهب لي هذا السيف فقال ليس هذا لي ولا لك اطرحه في القبض فطرحته وبي ما لا يعلمه الا الله من قتل اخي واخذ سلبي فما جاوزت الا قليلا حتى جاءني رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد انزلت سورة الانفال فقال يا سعد انك سالتني السيف

تمام وباذن الله تيسر وعجل بعد الحمد لله خلا ذلك بعد الخبر باسكان الفعل قرئ وتسبيل الخبر العقيدة باءم اليان فرقتا اصل ٥

وليس

وليس لي وانه الآن قد صار لي فاذهب فخذه وعن عبادة بن الصامت نزلت فينا يا معشر اصحاب بدر حين اختلفنا في النفل وساءت فيه اخلاقنا فنزعه الله من ايدينا فجعله لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمه بين المسلمين على السواء وكان في ذلك تقوى الله وطاعة رسوله واصلاح ذات البين وقرأ ابن محيصن يسالونكعلنفال بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام نون عن في اللام وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه يسالونك الانفال اي يسالك الشبان ما شرطت لهم من الانفال **فان قلت** ما معنى الجمع بين ذكر الله والرسول في قوله تعالى قل الانفال لله والرسول **قلت** معناه ان حكمها مختص بالله ورسوله يامر الله بقسمتها على ما تقتضيه حكمته ويمتثل الرسول امر الله فيها وليس الامر في قسمتها مفوضا الى راي احد والمراد ان الذي اقتضته حكمة الله وامر به رسوله ان يواسي المقاتلة المشروط لهم التنفيل الشيوخ الذين كانوا عند الرايات فيقاسموهم على السوية ولا يستأثروا بما شرط لهم فانهم ان لم يؤمن ان يقدح ذلك فيما بين المسلمين من التحاب والتصافي فاتقوا الله في الاختلاف والتخاصم وكونوا متآخين في الله واصلحوا ذات بينكم وتآسوا وتساعدوا فيما رزقكم الله وتفضل به عليكم وعن عطاء كان الاصلاح بينهم ان دعاهم وقال اقسموا غنائمكم بالعدل فقالوا قد اكلنا وانفقنا فقال ليرد بعضكم على بعض **فان قلت** ما حقيقة قوله ذات بينكم **قلت** احوال بينكم يعني ما بينكم من الاحوال حتى تكون احوال الفة ومحبة واتفاق كقوله بذات الصدور وهي مضمراتها لما كانت الاحوال ملابسة للبين قيل لها ذات البين كقولهم اسقني ذا اناءك يريدون ما في الاناء من الشراب وقد جعل اصلاح ذات البين وطاعة الله ورسوله من لوازم الايمان وموجباته ليعلمهم ان كمال الايمان موقوف على التوفر عليها ومعنى قوله ان كنتم مؤمنين ان كنتم كاملي الايمان واللام في قوله تعالى انما المؤمنون اشارة اليهم اي انما الكاملو الايمان الذين من صفتهم كيت وكيت والدليل عليه قوله اولئك هم المؤمنون حقا اِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ اِذَا ذُكِرَ اللّٰهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَاِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ اٰيَاتُهُ زَادَتْهُمْ اِيمَانًا وَعَلٰى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۞ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلٰوةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ۞ وجلت قلوبهم فزعت وعن ام الدرداء رضي الله عنها الوجل في القلب كاحتراق السعفة اما تجد قشعريرة قال بلى قالت فادع الله فان الدعاء يذهبه يعني فزعت لذكره استعظاما له وتهيبا من جلاله وعزة سلطانه وبطشه بالعصاة وعقابه وهذا الذكر خلاف الذكر في قوله ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله لان ذلك ذكر رحمته ورأفته وثوابه وقيل هو الرجل يريد ان يظلم او يهم بمعصية فيقال له اتق الله فينزع وقرئ وجلت بالفتح وهي لغة نحو وبق في وبق وفي قراءة عبد الله فرقت زادتهم ايمانا ازدادوا بها يقينا وطمأنينة نفس لان تظاهر الادلة اقوى للمدلول عليه واثبت لقدمه وقد حمل على زيادة العمل وعن ابي هريرة الايمان سبع وسبعون شعبة اعلاها شهادة ان لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان وعن عمر بن عبد العزيز ان للايمان سننا وفرائض وشرائع فمن استكملها استكمل الايمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الايمان وعلى ربهم يتوكلون ولا يفوضون امورهم الى غير ربهم ولا يخشون ولا يرجون الا اياه جمع بين اعمال القلوب من الخشية والاخلاص والتوكل وبين اعمال الجوارح من الصلوة والزكوة والصدقة اُولٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۞ كَمَا اَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَاِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ ۞ حقا صفة للمصدر المحذوف اي اولئك هم المؤمنون ايمانا حقا او هو مصدر مؤكد للجملة التي هي اولئك هم المؤمنون كقولك هو عبد الله حقا اي حق ذلك حقا وعن الحسن ان رجلا ساله امؤمن انت قال الايمان ايمانان فان كنت تسالني عن الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار والبعث والحساب فانا مؤمن وان كنت تسالني عن قوله انما المؤمنون فوالله لا ادري امنهم انا ام لا وعن الثوري من زعم انه مؤمن بالله حقا ثم لم يشهد انه من اهل الجنة فقد آمن بنصف الآية وهذا الزام منه يعني كما لا يقطع بانه من اهل ثواب المؤمنين حقا فلا يقطع بانه مؤمن حقا وبهذا تعلق من يستثني في الايمان وكان ابو حنيفة رحمه الله تعالى ممن لا يستثني فيه وحكي عنه انه قال لقتادة لم تستثني في ايمانك قال اتباعا لابراهيم في قوله والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين فقال له هلا اقتديت به في قوله اولم تؤمن قال بلى درجات شرف وكرامة وعلو منزلة ومغفرة وتجاوز لسيئاتهم ورزق كريم نعيم الجنة يعني لهم منافع حسنة دائمة على سبيل التعظيم

وهذا معنى الثواب كما اخرجك ربك فيه وجهان احدهما ان يرتفع محل الكاف على انه خبر مبتدا محذوف تقديره هذه الحال
كحال اخراجك يعني ان حالهم في كراهة ما رأيت من تنفيل الغزاة مثل حالهم في كراهة خروجك للحرب والثاني ان ينتصب على
انه صفة مصدر الفعل المقدر في قوله الانفال لله والرسول اي الانفال استقرت لله والرسول وثبتت مع كراهتهم
ثباتا مثل ثبات اخراج ربك اياك من بيتك وهم كارهون ومن بيتك يريد بيته بالمدينة او المدينة نفسها لانها
مهاجره ومسكنه فهي في اختصاصها به كاختصاص البيت بساكنه بالحق اي اخراجا ملتبسا بالحكمة والصواب
الذي لا محيد عنه وان فريقا من المؤمنين لكارهون في موضع الحال اي اخرجك في حال كراهتهم وذلك ان عير قريش
اقبلت من الشام فيها تجارة عظيمة ومعها اربعون راكبا منهم ابو سفيان وعمرو بن العاص وعمرو بن هشام فاخبر
جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبر المسلمين فاعجبهم تلقي العير لكثرة الخير وقلة القوم فلما خرجوا بلغ اهل مكة خبر خروجهم
فنادى ابو جهل فوق الكعبة يا اهل مكة النجاء النجاء على كل صعب وذلول عيركم اموالكم ان اصابها محمد لن تفلحوا بعدها ابدا
وقد رأت اخت العباس رؤيا فقالت لاخيها اني رأيت عجبا رأيت كان ملكا نزل من السماء فاخذ صخرة من الجبل ثم حلق
بها فلم يبق بيت من بيوت مكة الا اصابه حجر من تلك الصخرة فحدث بها العباس فقال ابو جهل ما يرضى رجالهم ان يتنبأوا
حتى تتنبأ نساؤهم فخرج ابو جهل بجميع اهل مكة وهم النفير في المثل السائر لا في العير ولا في النفير فقيل له ان العير
اخذت طريق الساحل ونجت فارجع بالناس الى مكة فقال لا والله لا يكون ذلك ابدا حتى ننحر الجزور ونشرب الخمور ونقيم
القينات والمعازف ببدر فيتسامع جميع العرب بمخرجنا وان محمدا لم يصب العير وانا قد اعضضناه فمضى بهم الى بدر
وبدر ماء كانت العرب تجتمع فيه لسوقهم يوما في السنة فنزل جبريل فقال يا محمد ان الله وعدكم احدى الطائفتين اما
العير واما قريش فاستشار النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه وقال ما تقولون ان القوم قد خرجوا من مكة على كل صعب وذلول
فالعير احب اليكم ام النفير فقالوا بل العير احب الينا من لقاء العدو فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رد عليهم فقال
ان العير قد مضت على ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فقام عند غضب النبي
صلى الله عليه وسلم ابو بكر وعمر فاحسنا ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر امرك فامض فوالله لو سرت الى عدن ابين
ما تخلف عنك رجل من الانصار ثم قال المقداد بن عمرو يا رسول الله امض لما امرك الله فانا معك حيث ما احببت
لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما
مقاتلون ما دامت عين منا تطرف فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اشيروا علي ايها الناس
وهو يريد الانصار لانهم قالوا حين بايعوه على العقبة انا برآء من ذمامك حتى تصل الى ديارنا فاذا وصلت الينا
فانت في ذمامنا نمنعك مما نمنع منه ابناءنا ونساءنا وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتخوف ان لا تكون الانصار ترى
عليها نصرته الا على عدو دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال لكانك تريدنا يا رسول الله قال اجل قال قد آمنا بك وصدقناك
وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت
فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا
عدونا انا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله تعالى يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله تعالى
ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم وبسطه قول سعد ثم قال سيروا على بركة الله تعالى وابشروا فان الله قد وعدني
احدى الطائفتين والله لكاني الآن انظر الى مصارع القوم وروي انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين فرغ
من بدر عليك بالعير ليس دونها شيء فناداه العباس وهو في وثاقه لا يصلح فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لم قال لان الله
وعدك احدى الطائفتين وقد اعطاك ما وعدك وكانت الكراهة من بعضهم لقوله تعالى وان فريقا من المؤمنين لكارهون

يجادلونك في الحق بعد ما تبين كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون والحق الذي

جادلوا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم تلقي النفير لايثارهم عليه تلقي العير بعد ما تبين بعد اعلام رسول الله صلى الله عليه
وسلم بانهم ينصرون وجدالهم قولهم ما كان خروجنا الا للعير وهلا قلت لنا لنستعد ونتأهب وذلك لكراهتهم
القتال ثم شبه حالهم في فرط فزعهم ورعبهم وهم يسار بهم الى الظفر والغنيمة بحال من يعتل الى القتل ويساق على الصغار
الى الموت المتيقن وهو مشاهد لاسبابه ناظر اليها لا يشك فيها وقيل كان خوفهم لقلة العدد وانهم كانوا رجالة

وروي

وروي انه ما كان فيهم الا فارسان **واذ يعدكم احدى الطائفتين انها لكم وتودون**
ان غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد ان يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين

اذ منصوب باضمار اذكر وانها لكم بدل من احدى الطائفتين والطائفتان العير والنفير وغير ذات الشوكة العير لانه لم
يكن فيها الا اربعون فارسا والشوكة كانت في النفير لعددهم وعدتهم والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك
ويقال شوك القنا لشباها ومنها قولهم شاكي السلاح اي تتمنون ان تكون لكم العير لانها الطائفة التي لا حدة لها ولا شدة
ولا تريدون الطائفة الاخرى ان يحق الحق ان يثبته ويعليه بكلماته بآياته المنزلة في محاربة ذات الشوكة وبما امر الملائكة
من نزولهم للنصرة وبما قضى من اسرهم وقتلهم وطرحهم في قليب بدر والدابر الآخر فاعل من دبر اذا ادبر ومنه دابرة الطائر
وقطع الدابر عبارة عن الاستيصال يعني انكم تريدون الفائدة العاجلة وسفساف الامور وان لا تلقوا ما يرزؤكم في
ابدانكم واحوالكم والله عز وعلا يريد معالي الامور وما يرجع الى عمارة الدين ونصرة الحق وعلو الكلمة والفوز في الدارين وشتان
ما بين المرادين ولذلك اختار لكم الطائفة ذات الشوكة فكسر قوتهم بضعفكم وغلب كثرتهم بقلتكم واعزكم واذلهم
وحصل لكم ما لا تعارض ادناه العير وما فيها وقرئ بكلمته على التوحيد **فان قلت** بم تعلق قوله ليحق الحق
قلت بمحذوف تقديره ليحق الحق ويبطل الباطل فعل ذلك اي ما فعله الا لهما وهو اثبات الاسلام واظهاره وابطال
الكفر ومحقه **فان قلت** أليس هذا تكريرا **قلت** لا لان المعنيين متباينان وذلك ان الاول
تمييز بين الارادتين وهذا بيان لغرضه فيما فعل من اختيار ذات الشوكة على غيرها لهم ونصرتهم عليها وانه ما نصرهم ولا خذل
اولئك الا لهذا الغرض الذي هو سيد الاغراض ويجب ان يقدر المحذوف متأخرا حتى يفيد معنى الاختصاص وينطبق عليه
المعنى وقيل قد تعلق بيقطع **فان قلت** بم تعلق اذ تستغيثون **قلت** هو بدل من اذ يعدكم وقيل
بقوله ليحق الحق ويبطل الباطل واستغاثتهم انهم لما علموا انه لا بد من القتال طفقوا يدعون الله يقولون اي رب انصرنا
على عدوك يا غياث المستغيثين اغثنا وعن عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر الى المشركين وهم الف
والى اصحابه وهم ثلثمائة فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة
لا تعبد في الارض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فاخذه ابو بكر رضي الله عنه فالقاه على منكبه والتزمه من ورائه وقال يا نبي الله
كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك اني ممدكم اصله باني ممدكم فحذف الجار وسلط عليه استجاب فنصب
محله وعن ابي عمرو انه قرأ اني ممدكم بالكسر على ارادة القول او على اجراء استجاب مجرى قال لان الاستجابة من القول
فان قلت هل قاتلت الملائكة يوم بدر **قلت** اختلف فيه فقيل نزل جبريل في خمسمائة ملك على الميمنة
وفيها ابو بكر رضي الله عنه وميكائيل في خمسمائة على الميسرة وفيها علي بن ابي طالب رضي الله عنه عليهم ثياب بيض وعمائم بيض قد
ارخوا اذنابها بين اكتافهم فقاتلت وقيل قاتلت يوم بدر ولم تقاتل يوم الاحزاب ويوم حنين وعن ابي جهل انه
قال لابن مسعود من اين كان ذلك الصوت الذي كنا نسمع ولا نرى شخصا قال من الملائكة فقال ابو جهل هم غلبونا لا انتم
وروي ان رجلا من المسلمين بينا هو يشتد في اثر رجل من المشركين اذ سمع صوت ضربة بالسوط فوقه فنظر الى المشرك
قد خر مستلقيا وشق وجهه فحدث الانصاري رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صدقت ذاك من مدد السماء وعن
ابي داود المازني تبعت رجلا من المشركين لاضربه يوم بدر فوقع راسه بين يدي قبل ان يصل اليه سيفي وقيل لم يقاتلوا
وانما كانوا يكثرون السواد ويثبتون المؤمنين والا فملك واحد كاف في اهلاك اهل الدنيا كلهم فان جبريل اهلك بريشة
من جناحه مدائن قوم لوط واهلك بلاد ثمود وقوم صالح بصيحة واحدة وقرئ مردفين بكسر الدال وفتحها من قولك ردفه اذا تبعه
ومنه قوله تعالى ردف لكم بعض الذي تستعجلون بمعنى ردفكم واردفه اياه اذا اتبعه ويقال اردفته كقولك اتبعته اذا جئت
بعده فلا يخلو المكسور الدال من ان يكون بمعنى متبعين او متبعين فان كان بمعنى متبعين فلا يخلو من ان يكون بمعنى متبعين بعضهم
بعضا او متبعين بعضهم لبعض او بمعنى متبعين اياهم المؤمنين اي يتقدمونهم فيتبعونهم انفسهم او متبعين لهم يشيعونهم ويقدمونهم
بين ايديهم وهم على ساقتهم ليكونوا على اعينهم وحفظهم او بمعنى متبعين انفسهم ملائكة آخرين او متبعين غيرهم من الملائكة ويعضد هذا الوجه
قوله تعالى في سورة آل عمران بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بخمسة آلاف من الملائكة مسومين ومن قرأ مردفين بالفتح
فهو بمعنى متبعين او متبعين وقرئ مردفين بكسر الراء وضمها وتشديد الدال واصله مرتدفين اي مترادفين او متبعين من ارتدفه

دابرة الطائر الظفر الناتئ خلف الجناح وهو بمنزلة الابهام للانسان

ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم بالف من الملائكة مردفين

فادغمت تاء الافتعال في الدال فالتقى ساكنان فحركت الراء بالكسر على الاصل او على اتباع الدال وبالضم على اتباع الميم
وعن السدي بآلاف من الملائكة على الجمع ليوافق ما في سورة آل عمران **فان قلت** فبم يعتذر لمن قرأ على التوحيد
ولم يفسر المردفين بارداف الملائكة ملائكة آخرين والمردفين بارتدافهم غيرهم **قلت** بان المراد بالالف من قاتل منهم
او الوجوه منهم الذين من سواهم اتباع لهم **وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن به قلوبكم**
وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم **فان قلت** الام يرجع الضمير في
وما جعله **قلت** الى قوله اني ممدكم لان المعنى فاستجاب لكم بامدادكم **فان قلت** ففيمن قرأ بالكسر
قلت الى قوله اني ممدكم لانه مفعول القول المضمر فهو في معنى القول ويجوز ان يرجع الى الامداد الذي يدل عليه ممدكم
الا بشرى الا بشارة لكم بالنصر كالسكينة لبني اسرائيل يعني انكم استغثتم وتضرعتم لقلتكم وذلتكم فكان الامداد بالملائكة
بشارة لكم بالنصر وتسكينا وربطا على قلوبكم وما النصر الا من عند الله يريد ولا تحسبوا النصر من الملائكة فان الناصر هو الله لكم وللملائكة
او وما النصر بالملائكة وغيرهم من الاسباب الا من عند الله والمنصور من نصره الله **اذ يغشاكم النعاس امنة منه وينزل**
عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به
الاقدام اذ يغشاكم بدل ثان من اذ يعدكم او منصوب بالنصر او بما في من عند الله من معنى الفعل او بما جعله الله او باضمار
اذكر وقرئ يغشيكم بالتخفيف والتشديد ونصب النعاس والضمير لله عز وجل وامنة مفعول له **فان قلت** اما وجب ان
يكون فاعل الفعل المعلل والعلة واحدا **قلت** بلى ولكن لما كان معنى يغشاكم النعاس تنعسون انتصب امنة على ان النعاس
والامنة لهم والمعنى اذ تنعسون امنة بمعنى امنا اي لامنكم ومنه صفة لها اي امنة حاصلة لكم من الله **فان قلت** فعلى
غير هذه القراءة **قلت** يجوز ان يكون الامنة بمعنى الايمان اي ينعسكم ايمانا منه او على يغشيكم النعاس فتنعسون امنا
فان قلت هل يجوز ان ينتصب على ان الامنة للنعاس الذي هو فاعل يغشاكم اي يغشاكم النعاس لامنه على
ان اسناد الامن الى النعاس اسناد مجازي وهو لاصحاب النعاس على الحقيقة او على انه اناكم في وقت كان من حق
النعاس في مثل ذلك الوقت المخوف ان لا يقدم على غشيانكم وانما غشيكم امنة حاصلة له من الله لولاها لم يغشكم على طريقة التمثيل
والتخييل **قلت** لا تبعد فصاحة القرآن عن احتماله وله فيه نظائر وقد الم به من قال يهاب النوم ان يغشى عيونا تهابك
فهو نفار شرود وقرئ امنة بسكون الميم ونظير امن امنة حيي حياة ونحو امن امنة رحم رحمة والمعنى ان ما كان بهم من
الخوف كان يمنعهم من النوم فلما طامن الله قلوبهم وامنهم رقدوا وعن ابن عباس النعاس في القتال امنة من الله وفي الصلاة
وسوسة من الشيطان وينزل قرئ بالتخفيف والتثقيل وقرأ الشعبي ما ليطهركم به قال ابن جني ما موصولة وصلتها حرف
الجر بما جره فكانه قال ما للطهور ورجز الشيطان وسوسته اليهم وتخويفه اياهم من العطش وقيل الجنابة لانها من تخييله وقرئ
رجس الشيطان وذلك ان ابليس تمثل لهم وكان المشركون قد سبقوهم الى الماء ونزل المسلمون في كثيب اعفر تسوخ
فيه الاقدام على غير ماء وناموا فاحتلم اكثرهم فقال لهم انتم يا اصحاب محمد تزعمون انكم على الحق وانكم تصلون على غير الوضوء وعلى الجنابة
وقد عطشتم ولو كنتم على حق ما غلبكم هؤلاء على الماء وما ينتظرون بكم الا ان يجهدكم العطش فاذا قطع العطش اعناقكم
مشوا اليكم فقتلوا من احبوا وساقوا بقيتكم الى مكة فحزنوا حزنا شديدا واشفقوا فانزل الله المطر فمطروا ليلا حتى جرى
الوادي واتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه الحياض على عدوة الوادي وسقوا الركاب واغتسلوا وتوضؤوا وتلبد الرمل
الذي كان بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه الاقدام وزالت وسوسة الشيطان وطابت النفوس والضمير في به للماء ويجوز ان
يكون للربط لان القلب اذا تمكن فيه الصبر والجرأة ثبتت القدم في مواطن القتال **اذ يوحي ربك الى الملائكة**
اني معكم فثبتوا الذين آمنوا سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الاعناق
واضربوا منهم كل بنان اذ يوحي يجوز ان يكون بدلا ثالثا من اذ يعدكم وان ينتصب بيثبت اني معكم مفعول
يوحي وقرئ اني على ارادة القول او على اجراء يوحي مجرى يقول كقوله اني ممدكم والمعنى اني معينكم على التثبيت فثبتوهم وقوله
سالقي فاضربوا يجوز ان يكون تفسيرا لقوله اني معكم فثبتوا ولا معونة اعظم من القاء الرعب في قلوب الكفرة ولا تثبيت
ابلغ من ضرب اعناقهم واجتماعهما غاية النصرة ويجوز ان يكون غير تفسير وان يراد بالتثبيت ان يخطروا ببالهم ما تقوى به قلوبهم
وتصح عزائمهم ونياتهم في القتال وان يظهروا ما يتيقنون به انهم ممدون بالملائكة وقيل كان الملك يتشبه بالرجل الذي

يعرفون

يعرفون وجهه فياتي فيقول اني سمعت المشركين يقولون والله لئن حملوا علينا لننكشفن ويمشي بين الصفين فيقول
ابشروا فان الله ناصركم لانكم تعبدونه وهؤلاء لا يعبدونه وقرئ الرعب بالتثقيل فوق الاعناق اراد اعالي الاعناق التي
هي المذابح لانها مفاصل فكان ايقاع الضرب فيها حزا او تطييرا للرؤوس وقيل اراد الرؤوس لانها فوق الاعناق يعني
ضرب الهام قال واضرب هامة البطل المشيح وقال غشيته وهو في جأواء باسلة عضبا اصاب سواء
الراس فانفلقا والبنان الاصابع يريد الاطراف والمعنى فاضربوا المقاتل والشوى لان الضرب اما واقع على مقتل او
غير مقتل فامرهم بان يجمعوا عليهم النوعين معا ويجوز ان يكون قوله سالقي الى قوله كل بنان عقيب قوله فثبتوا الذين آمنوا يعني
تلقينا للملائكة ما يثبتونهم به كانه قال قولوا لهم قولي سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب او كانهم قالوا كيف نثبتهم
فقال قولوا لهم قولي سالقي فالضاربون على هذا هم المؤمنون **ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله ومن**
يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب ذلكم فذوقوه وان للكافرين
عذاب النار ذلك اشارة الى ما اصابهم من الضرب والقتل والعقاب العاجل ومحله الرفع على الابتداء وبانهم خبره
اي ذلك العقاب وقع عليهم بسبب مشاقتهم والمشاقة مشتقة من الشق لان كلا المتعادين في شق خلاف شق صاحبه
وسئلت في المنام عن اشتقاق المعاداة فقلت لان هذا في عدوة وذاك في عدوة كما قيل المخاصمة والمشاقة لان
هذا في خصم اي في جانب وذاك في خصم وهذا في شق وذاك في شق والكاف في ذلك لخطاب الرسول او لخطاب كل احد
منكم وفي ذلكم للكفرة على طريقة الالتفات ومحل ذلكم الرفع على ذلكم العقاب او العقاب ذلكم فذوقوه ويجوز ان يكون نصبا على
عليكم ذلكم فذوقوه كقولك زيدا فاضربه وان للكافرين عطف على ذلكم في وجهيه او نصب على ان الواو بمعنى مع والمعنى ذوقوا
هذا العذاب العاجل مع الآجل الذي لكم في الآخرة فوضع الظاهر موضع الضمير وقرأ الحسن وان للكافرين بالكسر **يا ايها**
الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار زحفا حال من الذين كفروا والزحف
الجيش الدهم الذي يرى لكثرته كانه يزحف اي يدب دبيبا من زحف الصبي اذا دب على استه قليلا قليلا سمي بالمصدر والجمع
زحوف والمعنى اذا لقيتموهم للقتال وهم جم كثير وانتم قليل فلا تفروا فضلا ان تدانوهم في العدد او تساووهم او حال من الفريقين
اي اذا لقيتموهم متزاحفين هم وانتم او حال من المؤمنين كانهم اشعروا بما سيكون منهم يوم حنين حين تولوا مدبرين وهم زحف
من الزحوف اثنا عشر الفا وتقدمة نهي لهم عن الفرار يومئذ وفي قوله ومن يولهم يومئذ امارة عليه **ومن يولهم يومئذ**
دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله وماواه جهنم وبئس
المصير فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وليبلي
المؤمنين منه بلاء حسنا ان الله سميع عليم الا متحرفا لقتال هو الكر بعد الفر يخيل عدوه انه منهزم
ثم يعطف عليه وهو باب من خدع الحرب ومكايدها او متحيزا او منحازا الى فئة الى جماعة اخرى من المسلمين سوى الفئة التي هو فيها
وعن ابن عمر رضي الله عنهما خرجت سرية وانا فيهم ففروا فلما رجعوا الى المدينة استحيوا فدخلوا البيوت فقلت يا رسول الله
نحن الفرارون فقال بل انتم العكارون وانا فئتكم وانهزم رجل من القادسية فاتى المدينة الى عمر رضي الله عنه فقال
يا امير المؤمنين هلكت فررت من الزحف فقال عمر انا فئتك وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان الفرار من الزحف من اكبر الكبائر
فان قلت بم انتصب الا متحرفا **قلت** على الحال والا لغو او على الاستثناء من المولين اي ومن يولهم الا رجلا
منهم متحرفا او متحيزا وقرأ الحسن دبره بالسكون ووزن متحيز متفيعل لا متفعل لانه من حاز يحوز فبناء متفعل منه متحوز
لما هزموا اهل مكة وقتلوا واسروا اقبلوا على التفاخر فكان القائل يقول قتلت واسرت ولما طلعت قريش قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم هذه قريش قد جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك اللهم اني اسالك ما وعدتني فاتاه جبريل فقال خذ قبضة
من تراب فارمهم بها فقال لما التقى الجمعان لعلي رضي الله عنه اعطني قبضة من حصا الوادي فرمى بها في وجوههم وقال
شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل بعينيه فانهزموا وردفهم المؤمنون يقتلونهم وياسرونهم فقيل لهم فلم تقتلوهم
والفاء جواب شرط محذوف تقديره ان افتخرتم بقتلهم فانتم لم تقتلوهم ولكن الله قتلهم لانه هو الذي انزل الملائكة والقى
الرعب في قلوبهم وشاء النصر والظفر وقوى قلوبكم واذهب عنها الفزع والجزع وما رميت انت يا محمد اذ رميت ولكن الله
رمى يعني ان الرمية التي رميتها لم ترمها انت على الحقيقة لانك لو رميتها لما بلغ اثرها الا ما يبلغه اثر رمي البشر ولكنها كانت رمية الله

حيث اثرت ذلك الاثر العظيم فاثبت الرمية لرسول الله صلى الله عليه وسلم لان صورتها وجدت منه ونفاها عنه لان اثرها الذي
لا يطيقه البشر فعل الله عز وجل وكان الله هو فاعل الرمية على الحقيقة وكانها لم توجد من الرسول اصلا وقرئ ولكن الله قتلهم
ولكن الله رمى بتخفيف لكن ورفع ما بعده وليبلي المؤمنين وليعطيهم بلاء حسنا عطاء جميلا قال زهير فابلاهما
خير البلاء الذي يبلو والمعنى وللاحسان الى المؤمنين فعل ما فعل وما فعله الا لذلك ان الله سميع لدعائهم عليم باحوالهم

ذلكم وان الله موهن كيد الكافرين ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وان تنتهوا
فهو خير لكم وان تعودوا نعد ولن تغني عنكم فئتكم شيئا ولو كثرت وان الله مع
المؤمنين

ذلكم اشارة الى البلاء الحسن ومحله الرفع اي الغرض ذلكم وان الله موهن معطوف على ذلكم يعني
ان الغرض ابلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين وقرئ موهن بالتشديد وقرئ على الاضافة وعلى الاصل الذي هو التنوين
والاعمال ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح خطاب لاهل مكة على سبيل التهكم وذلك انهم حين ارادوا ان ينفروا تعلقوا باستار
الكعبة وقالوا اللهم انصر اقرانا للضيف واوصلنا للرحم وافكنا للعاني ان كان محمد على حق فانصره وان كنا على حق فانصرنا
وروي انهم قالوا اللهم انصر اعلى الجندين واهدى الفئتين واكرم الحزبين وروي ان ابا جهل قال يوم بدر اللهم اينا اجر
واقطع للرحم فاحنه اليوم اي فاهلكه وقيل ان تستفتحوا خطاب للمؤمنين وان تنتهوا للكافرين يعني وان تنتهوا عن عداوة
رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو خير لكم واسلم وان تعودوا للمحاربة نعد لنصرته عليكم وان الله قرئ بالفتح على ولان الله
معين المؤمنين كان ذلك وقرئ بالكسر وهذه اوجه وتعضدها قراءة ابن مسعود رضي الله عنه والله مع المؤمنين وقرئ
ولن يغني عنكم بالياء للفصل

يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه
وانتم تسمعون ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون ان شر الدواب
عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون

ولا تولوا قرئ بطرح احدى التائين وادغامها والضمير في عنه
لرسول الله صلى الله عليه وسلم لان المعنى واطيعوا رسول الله كقوله تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه ولان طاعة الرسول وطاعة
الله شيء واحد من يطع الرسول فقد اطاع الله فكان رجوع الضمير الى احدهما كرجوعه اليهما كقولك الاحسان والاجمال لا ينفع في فلان
ويجوز ان يرجع الى الامر بالطاعة اي ولا تولوا عن هذا الامر وامتثاله وانتم تسمعونه اي ولا تتولوا عن رسول الله ولا تخالفوه
وانتم تسمعون اي تصدقون لانكم مؤمنون لستم كالصم المكذبين من الكفرة ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا اي ادعوا السماع
وهم لا يسمعون لانهم ليسوا بمصدقين فكانهم غير سامعين والمعنى انكم تصدقون بالقرآن والنبوة فاذا توليتم عن
طاعة الرسول في بعض الامور من قسمة الغنائم وغيرها كان تصديقكم كلا تصديق واشبه سماعكم سماع من لا يؤمن ثم قال
ان شر الدواب اي ان شر من يدب على وجه الارض او ان شر البهائم الذين هم صم عن الحق لا يعقلونه جعلهم من جنس البهائم
ثم جعلهم شرها

ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون
يا ايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم واعلموا ان الله
يحول بين المرء وقلبه وانه اليه تحشرون

ولو علم الله في هؤلاء الصم البكم خيرا اي انتفاعا باللطف للطف بهم
لاسمعهم اللطف بهم حتى يسمعوا سماع المصدقين ثم قال ولو اسمعهم لتولوا يعني ولو لطف بهم لما نفع فيهم اللطف فلذلك منعهم الطافه
او ولو لطف بهم فصدقوا لارتدوا بعد ذلك وكذبوا ولم يستقيموا وقيل هم بنو عبد الدار بن قصي لم يسلم منهم الا رجلان مصعب بن
عمير وسويبط بن حرملة كانوا يقولون نحن صم بكم عمي عما جاء به محمد لا نسمعه ولا نجيبه فقتلوا جميعا باحد وكانوا اصحاب اللواء
وعن ابن جريج هم المنافقون وعن الحسن اهل الكتاب اذا دعاكم وحد الضمير ايضا كما وحده فيما قبله لان استجابة رسول الله صلى الله
عليه وسلم كاستجابته وانما يذكر احدهما مع الآخر للتوكيد والمراد بالاستجابة الطاعة والامتثال وبالدعوة البعث والتحريض وروى
ابو هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم مر على باب ابي بن كعب فناداه وهو في الصلاة فعجل في صلاته ثم جاء فقال
ما منعك عن اجابتي قال كنت اصلي قال الم تخبر فيما اوحي الي استجيبوا لله وللرسول قال لا جرم لا تدعوني الا اجبتك وفيه قولان
احدهما ان هذا مما اختص به رسول الله صلى الله عليه وسلم والثاني ان دعاءه كان لامر لم يحتمل التاخير واذا وقع مثله للمصلي
فله ان يقطع صلاته لما يحييكم من علوم الديانات والشرائع لان العلم حياة كما ان الجهل موت ولبعضهم لا تعجبن الجهول حلته
فذاك ميت وثوبه كفن وقيل لمجاهدة الكفار لانهم لو رفضوها لغلبوهم وقتلوهم كقوله ولكم في القصاص حياة وقيل للشهادة

كقوله تعالى بل احياء عند ربهم واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه يعني انه يميته فتفوته الفرصة التي هو واجدها وهي التمكن من
اخلاص القلب ومعالجة ادوائه وعلله ورده سليما كما يريده الله فاغتنموا هذه الفرصة واخلصوا قلوبكم لطاعة الله ورسوله
واعلموا انكم اليه تحشرون فيثيبكم على حسب سلامة القلوب واخلاص الطاعة وقيل معناه ان الله قد يملك على العبد قلبه
فيفسخ عزائمه ويغير نياته ومقاصده ويبدله بالخوف امنا وبالامن خوفا وبالذكر نسيانا وبالنسيان ذكرا وما اشبه
ذلك مما هو جائز على الله عز وجل فاما ما يثاب عليه العبد ويعاقب من افعال القلوب فلا والمجبرة على انه يحول بين المرء والايمان
اذا اكفره وبينه وبين الكفر اذا آمن تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وقيل معناه انه يطلع على كل ما يخطره المرء بباله
لا يخفى عليه شيء من ضمائره فكانه يحول بينه وبين قلبه وقرئ بين المر بتشديد الراء ووجهه انه قد حذف الهمزة والقى حركتها
على الراء كالخب ثم نوى الوقف على لغة من يقول مررت ببكر

واتقوا فتنة لا تصيبن الذين
ظلموا منكم خاصة واعلموا ان الله شديد العقاب

فتنة ذنبا قيل هو اقرار المنكر بين اظهرهم
وقيل افتراق الكلمة وقيل فتنة عذابا وقوله لا تصيبن لا يخلو من ان يكون جوابا للامر او نهيا بعد امر او صفة لفتنة
فاذا كانت جوابا فالمعنى ان اصابتكم لا تصيب الظالمين منكم خاصة ولكنها تعمكم وهذا كما يحكى ان علماء بني اسرائيل نهوا عن المنكر تعذيرا
فعمهم الله تعالى بالعذاب واذا كانت نهيا بعد امر فكانه قيل واحذروا ذنبا او عقابا ثم قيل لا تتعرضوا للظلم فيصيب العقاب
او اثر الذنب ووباله من ظلم منكم خاصة وكذلك اذا جعلته صفة على ارادة القول كانه قيل واتقوا فتنة مقولا فيها لا تصيبن
ونظيره قوله حتى اذا جن الظلام واختلط جاؤوا بمذق هل رايت الذئب قط اي بمذق مقول فيه هذا القول لان فيه سمارا
لون الورقة التي هي لون الذئب ويعضد المعنى الاخير قراءة ابن مسعود رضي الله عنه لتصيبن على جواب القسم المحذوف
وعن الحسن نزلت في علي وعمار وطلحة والزبير رضي الله عنهم وهو يوم الجمل خاصة قال الزبير نزلت فينا وقراناها زمانا وما
ارانا من اهلها فاذا نحن المعنيون بها وعن السدي نزلت في اهل بدر فاقتتلوا يوم الجمل وروي ان الزبير رضي الله عنه
كان يسامر النبي صلى الله عليه وسلم يوما اذ اقبل علي رضي الله عنه فضحك اليه الزبير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف حبك
لعلي فقال يا رسول الله بابي انت وامي اني احبه كحبي لولدي او اشد حبا فقال فكيف انت اذا سرت اليه تقاتله **فان قلت**
كيف جاز ان تدخل النون المؤكدة في جواب الامر **قلت** لان فيه معنى النهي اذا قلت انزل عن الدابة لا تطرحك
فلذلك جاز لا تطرحنك ولا تصيبن ولا يحطمنكم **فان قلت** فما معنى من في قوله تعالى الذين ظلموا منكم **قلت**
التبعيض على الوجه الاول والتبيين على الوجه الثاني لان المعنى لا تصيبنكم خاصة على ظلمكم لان الظلم منكم اقبح من سائر الناس

واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون في الارض تخافون ان يتخطفكم الناس فآواكم وايدكم
بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون يا ايها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول
وتخونوا اماناتكم وانتم تعلمون

اذ انتم نصب على انه مفعول به مذكور لا ظرف اي اذكروا وقت كونكم اقلة اذلة
مستضعفين في الارض ارض مكة قبل الهجرة تستضعفكم قريش تخافون ان يتخطفكم الناس لان الناس كانوا جميعا
لهم اعداء منافين مضادين فآواكم الى المدينة وايدكم بنصره بمظاهرة الانصار وبامداد الملائكة يوم بدر ورزقكم من الطيبات
من الغنائم لعلكم تشكرون ارادة ان تشكروا هذه النعم وعن قتادة كان هذا الحي من العرب اذل الناس واشقاهم عيشا واعراهم
جلدا وابينهم ضلالا يؤكلون ولا ياكلون فمكن الله تعالى لهم في البلاد ووسع لهم في الرزق والغنائم وجعلهم ملوكا ومعنى الخون
النقص كما ان معنى الوفاء التمام ومنه تخونه اذا تنقصه ثم استعمل في ضد الامانة والوفاء لانك اذا خنت الرجل في شيء فقد
ادخلت عليه النقصان فيه وقد استعير فقيل خان الدلو الكرب وخان المشتار السبب لانه اذا انقطع به فكانه لم يف به ومنه
قوله وتخونوا اماناتكم والمعنى لا تخونوا الله بان تعطلوا فرائضه ورسوله بان لا تستنوا به واماناتكم فيما بينكم بان لا تحفظوها
وانتم تعلمون تبعة ذلك ووباله وقيل وانتم تعلمون انكم تخونون يعني ان الخيانة توجد منكم عن تعمد لا عن سهو وقيل وانتم
علماء تعلمون قبح القبيح وحسن الحسن وروي ان نبي الله صلى الله عليه وسلم حاصر يهود بني قريظة احدى وعشرين ليلة فسالوا
الصلح كما صالح اخوانهم بني النضير على ان يسيروا الى اذرعات واريحاء من ارض الشام فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان
ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فابوا وقالوا ارسل الينا ابا لبابة مروان بن عبد المنذر وكان مناصحا لهم لان عياله وماله في ايديهم فبعثه
اليهم فقالوا له ما ترى هل ننزل على حكم سعد فاشار الى حلقه انه الذبح قال ابو لبابة فما زالت قدماي حتى علمت اني قد خنت الله ورسوله

فنزلت فشد نفسه على سارية من سواري المسجد وقال والله لا أذوق طعاماً ولا شراباً حتى أموت أو يتوب الله علي
فمكث سبعة أيام حتى خر مغشياً عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك فحل نفسك فقال لا والله لا أحلها حتى يكون
رسول الله هو الذي يحلني فجاءه فحله بيده فقال إن من تمام توبتي أن أهجر دار قومي التي أصبت فيها الذنب وأن أنخلع من مالي
فقال صلى الله عليه وسلم يجزئك الثلث أن تتصدق به • وعن المغيرة نزلت في قتل عثمان بن عفان وقيل أماناتكم ما ائتمنكم
الله عليه من فرائضه وحدوده **فان قلت** وتخونوا جزم هو أم نصب **قلت** يحتمل أن يكون جزماً
داخلاً في حكم النهي وأن يكون نصباً بإضمار أن كقوله تعالى وتكتموا الحق وقرأ مجاهد وتخونوا أمانتكم على التوحيد

واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم • جعل الله تعالى الأموال
والأولاد فتنة لأنهم سبب الوقوع في الفتنة وهي الإثم أو العذاب أو محنة من الله ليبلوكم كيف تحافظون فيهم على
حدوده وأن الله عنده أجر عظيم فعليكم أن تنوطوا الطلبة بما يؤدي إليه هممكم وتزهدوا في الدنيا ولا تحرصوا على جمع المال وحب
الولد حتى تورطوا أنفسكم من أجلهما كقوله المال والبنون الآية وقيل هي من جملة ما نزل في أبي لبابة وما فرط منه لأجل ماله وولده

يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم • فرقاناً نصراً لأنه يفرق بين الحق والباطل وبين الكفر بإذلال حزبه والإسلام بإعزاز أهله ومنه
قوله تعالى يوم الفرقان أو بياناً وظهوراً يشهر أمركم ويبث صيتكم وآثاركم في أقطار الأرض من قولهم بت أفعل كذا حتى سطع
الفرقان أي طلع الفجر أو مخرجاً من الشبهات وتوفيقاً وشرحاً للصدور أو تفرقة بينكم وبين غيركم من أهل الأديان وفضلاً ومزية
في الدنيا والآخرة •

وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين • لما فتح الله عليه ذكره مكر قريش به حين كان بمكة ليشكر نعمة الله تعالى في
نجاته من مكرهم واستيلائه عليهم وما أتاح الله له من حسن العاقبة والمعنى واذكر إذ يمكرون بك وذلك أن قريشاً لما أسلمت
الأنصار وبايعوه فرقوا أن يتفاقم أمره فاجتمعوا في دار الندوة متشاورين في أمره فدخل عليهم إبليس في صورة شيخ وقال
أنا شيخ من نجد ما أنا من تهامة دخلت مكة فسمعت باجتماعكم فأردت أن أحضركم ولن تعدموا مني رأياً ونصحاً فقال أبو البختري
رأيي أن تحبسوه في بيت وتشدوا وثاقه وتسدوا بابه غير كوة تلقون إليه طعامه وشرابه منها وتتربصوا به ريب المنون
فقال إبليس بئس الرأي يأتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من أيديكم فقال هشام بن عمرو رأيي أن تحملوه على جمل وتخرجوه من
بين أظهركم فلا يضركم ما صنع واسترحتم فقال بئس الرأي يفسد قوماً غيركم ويقاتلكم بهم فقال أبو جهل أنا أرى أن تأخذوا
من كل بطن غلاماً وتعطوه سيفاً صارماً فيضربوه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه في القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش
كلهم فإذا طلبوا العقل عقلناه واسترحنا فقال الشيخ صدق هذا الفتى هو أجودكم رأياً فتفرقوا على رأي أبي جهل مجمعين على
قتله فأخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره أن لا يبيت في مضجعه وأذن الله تعالى له في الهجرة فأمر علياً فنام في مضجعه
وقال له اتشح ببردتي فإنه لن يخلص إليك أمر تكرهه وباتوا مترصدين فلما أصبحوا ثاروا إلى مضجعه فأبصروا علياً فبهتوا
وخيب الله سعيهم واقتصوا أثره فأبطل مكرهم ليثبتوك ليسجنوك أو يوثقوك أو يثخنوك بالضرب والجرح من قولهم ضربوه حتى
أثبتوه لا حراك به ولا براح وفلان مثبت وجعاً وقرئ ليثبتوك بالتشديد وقرأ النخعي ليبيتوك من البيات
وعن ابن عباس رضي الله عنهما ليقيدوك وهو دليل لمن فسره بالإيثاق ويمكرون ويخفون المكائد له ويمكر الله ويخفي الله
ما أعد لهم حتى يأتيهم بغتة والله خير الماكرين أي مكره أنفذ من مكر غيره وأبلغ تأثيراً أو لأنه لا ينزل إلا ما هو حق وعدل ولا
يصيب إلا بما هو مستوجب •

وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين
لو نشاء لقلنا مثل هذا نفاجة منهم وصلف تحت الراعدة فإنهم لم يتوانوا في مشيئتهم لو ساعدتهم الاستطاعة وإلا
فما منعهم إن كانوا مستطيعين أن يشاؤوا غلبة من تحداهم وقرعهم بالعجز حتى يفوزوا بالقدح المعلى من بين فرط أنفتهم
واستنكافهم أن يغلبوا في باب البيان خاصة وأن يماتنهم واحد فيتعلقوا بامتناع المشيئة ومع ما علم وظهر ظهور الشمس
من حرصهم على أن يقهروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وتهالكهم على أن يعزوه وقيل قائله النضر بن الحارث المقتول صبراً حين سمع
اقتصاص الله تعالى أحاديث القرون لو شئت لقلت مثل هذا وهو الذي جاء من بلاد فارس بنسخة حديث رستم واسفنديار
فزعم أن هذا مثل ذاك وأنه من جملة تلك الأساطير •

وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من

عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم • وهو القائل إن كان هذا هو الحق وهذا
أسلوب من الجحود بليغ يعني إن كان القرآن هو الحق فعاقبنا على إنكاره بالسجيل كما فعلت بأصحاب الفيل أو بعذاب آخر ومراده
نفي كونه حقاً وإذا انتفى كونه حقاً لم يستوجب منكره عذاباً فكان تعليق العذاب بكونه حقاً مع اعتقاده أنه ليس بحق كتعليقه
بالمحال في قولك إن كان الباطل حقاً فأمطر علينا حجارة وقوله هو الحق تهكم بمن يقول على سبيل التخصيص والتعيين هذا هو الحق
وقرأ الأعمش هو الحق بالرفع على أن هو مبتدأ غير فصل وهو في القراءة الأولى فصل ويقال أمطرت السماء كقولك أنجمت
وأسبلت ومطرت كقولك هتنت وهتلت وقد كثر الإمطار في معنى العذاب **فان قلت** ما فائدة قوله
من السماء والإمطار لا يكون إلا منها **قلت** كأنه أريد أن يقال فأمطر علينا السجيل وهي الحجارة المسومة للعذاب
فوضع حجارة من السماء موضع السجيل كما تقول صب عليه مسرودة من حديد تريد درعاً بعذاب أليم بنوع آخر من جنس العذاب الأليم
يعني أن أمطار السجيل بعض العذاب الأليم فعذبنا به أو بنوع آخر من أنواعه • وعن معاوية أنه قال لرجل من سبأ ما أجهل
قومك حين ملكوا عليهم امرأة فقال أجهل من قومي قومك قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين دعاهم إلى الحق إن كان
هذا هو الحق فأمطر علينا حجارة ولم يقولوا إن كان هذا هو الحق فاهدنا له •

وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون • اللام لتأكيد النفي والدلالة على أن تعذيبهم وأنت
بين أظهرهم غير مستقيم في الحكمة لأن عادة الله تعالى وقضية حكمته أن لا يعذب قوماً عذاب استئصال ما دام نبيهم بين
أظهرهم وفيه إشعار بأنهم مرصدون بالعذاب إذا هاجر عنهم والدليل على هذا الإشعار قوله تعالى وما لهم أن لا يعذبهم الله
وإنما يصح هذا بعد إثبات التعذيب كأنه قال وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وهو معذبهم إذا فارقتهم وما لهم أن لا يعذبهم وهم
يستغفرون في موضع الحال ومعناه نفي الاستغفار عنهم أي ولو كانوا ممن يؤمن ويستغفر من الكفر لما عذبهم كقوله تعالى وما
كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون ولكنهم لا يؤمنون ولا يستغفرون ولا يتوقع ذلك منهم وقيل معناه
وما كان الله معذبهم وفيهم من يستغفر وهم المسلمون بين أظهرهم ممن تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من المستضعفين

وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون • وما لهم ألا يعذبهم الله وأي شيء لهم في انتفاء العذاب عنهم يعني لا حظ
لهم في ذلك وهم معذبون لا محالة وكيف لا يعذبون وحالهم أنهم يصدون عن المسجد الحرام كما صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
عام الحديبية وإخراجهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين من الصد وكانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد من
نشاء وندخل من نشاء وما كانوا أولياءه وما استحقوا مع إشراكهم وعداوتهم للدين أن يكونوا ولاة أمره وأربابه إن أولياؤه
إلا المتقون من المسلمين ليس كل مسلم أيضاً ممن يصلح لأن يلي أمره إنما يستأهل ولايته من كان براً تقياً فكيف بالكفرة عبدة
الأصنام ولكن أكثرهم لا يعلمون كأنه استثنى من كان يعلم وهو يعاند ويطلب الرياسة أو أراد بالأكثر الجميع كما يراد بالقلة العدم

وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون
المكاء فعال بوزن الثغاء والرغاء من مكا يمكو إذا صفر ومنه المكاء كأنه سمي بذلك لكثرة مكائه وأصله الصفة نحو
الوضاء والقراء وقرئ مكا بالقصر ونظيرهما البكاء والبكا والتصدية التصفيق تفعلة من الصدى أو من صد يصد
إذا أوقك من يصدون وقرأ الأعمش وما كان صلاتهم بالنصب على تقديم خبر كان على اسمه **فان قلت** ما وجه هذا الكلام
قلت هو من قوله • وما كنت أخشى أن يكون عطاؤه • أداهم سوداً أو محدرجة سمرا • والمعنى أنه وضع القيود
والسياط موضع العطاء ووضعوا المكاء والتصدية موضع الصلاة وذلك أنهم كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال والنساء
وهم مشبكون بين أصابعهم يصفرون فيها ويصفقون وكانوا يفعلون نحو ذلك إذا قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم في صلاته
يخلطون عليه فذوقوا عذاب القتل والأسر يوم بدر بسبب كفركم وأفعالكم التي لا يقدم عليها إلا الكفرة •

إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون • قيل نزلت في المطعمين يوم بدر وكان يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزائر وقيل قالوا لكل من كان له
تجارة في العير أعينوا بهذا المال على حرب محمد لعلنا ندرك منه ثارنا بما أصيب منا ببدر وقيل نزلت في أبي سفيان وقد استأجر
ليوم أحد ألفين من الأحابيش سوى من استجاش من العرب وأنفق عليهم أربعين أوقية والأوقية اثنان وأربعون مثقالاً

ليصدوا عن سبيل الله اي كان غرضهم في الانفاق الصد عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وهو سبيل الله وان لم يكن عندهم
كذلك ثم تكون عليهم حسرة اي تكون عاقبة انفاقها ندما وحسرة فكأن ذاتها تصير ندما وتنقلب حسرة ثم يغلبون آخر الامر وان
كانت الحرب بينهم وبين المؤمنين سجالا قبل ذلك فيرجعون طلقآء كتب الله لاغلبن انا ورسلي **والذين كفروا**
الى جهنم يحشرون ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض
فيركمه جميعا فيجعله في جهنم اولئك هم الخاسرون والذين كفروا والكافرون منهم الى جهنم يحشرون
لان منهم من اسلم وحسن اسلامه ليميز الله الخبيث اي الفريق الخبيث من الكفار من الفريق الطيب من المؤمنين فيجعل الفريق
الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا عبارة عن الجمع والضم حتى يتراكبوا كقوله تعالى كادوا يكونون عليه لبدا يعني لفرط ازدحامهم
اولئك اشارة الى الفريق الخبيث وقيل ليميز المال الخبيث الذي انفقه المشركون في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم
من المال الطيب الذي انفقه المسلمون كابي بكر وعثمان في نصرته فيركمه فيجعله في جهنم في جملة ما يعذبون به كقوله فتكوى بها جباههم
وجنوبهم الآية واللام على هذا متعلقة بقوله ثم تكون عليهم حسرة وعلى الاول بيحشرون واولئك اشارة الى الذين كفروا وقرئ
ليميز على التخفيف **قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وان يعودوا فقد مضت**
سنت الاولين قل للذين كفروا من ابي سفيان واصحابه اي قل لاجلهم هذا القول وهو ان ينتهوا ولو كان بمعنى خاطبهم
لقيل ان تنتهوا يغفر لكم وهي في قراءة ابن مسعود ونحوه وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه خاطبوا
به غيرهم لاجلهم ليسمعوه اي ان انتهوا عما هم عليه من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتاله بالدخول في الاسلام يغفر لهم
ما قد سلف لهم من العداوة وان يعودوا لقتاله فقد مضت سنة الاولين منهم الذين حاق بهم مكرهم يوم بدر او فقد مضت
سنة الذين تحزبوا على انبيائهم من الامم فدمروا فليتوقعوا مثل ذلك ان لم ينتهوا وقيل معناه ان الكفار اذا انتهوا
عن الكفر واسلموا غفر لهم ما سلف لهم من الكفر والمعاصي وخرجوا منها كما تنسل الشعرة من العجين ومنه قوله صلى الله
عليه وسلم الاسلام يجب ما قبله وقالوا الحربي اذا اسلم لم يبق عليه تبعة قط واما الذمي فلا يلزمه قضاء حقوق الله تعالى وتبقى
عليه حقوق الآدميين وبه احتج ابو حنيفة رحمه الله تعالى في ان المرتد اذا اسلم لم يلزمه قضاء العبادات المتروكة في حال
الردة وقبلها وفسر وان يعودوا بالارتداد وقرئ يغفر على ان الضمير لله تعالى **وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة**
ويكون الدين كله لله فان انتهوا فان الله بما يعملون بصير وان تولوا فاعلموا
ان الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة الى ان لا يوجد فيهم شرك قط ويكون
الدين كله لله ويضمحل عنهم كل دين باطل ويبقى فيهم دين الاسلام وحده فان انتهوا عن الكفر واسلموا فان الله بما يعملون بصير
يثيبهم على توبتهم واسلامهم وقرئ تعملون بالتاء فيكون المعنى بما تعملون من الجهاد في سبيله والدعوة الى دينه والاخراج
من ظلمة الكفر الى نور الاسلام بصير يجازيكم عليه احسن الجزآء وان تولوا ولم ينتهوا فان الله مولاكم اي ناصركم ومعينكم فثقوا
بولايته ونصرته **واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى**
والمساكين وابن السبيل ان كنتم آمنتم بالله وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى
الجمعان والله على كل شيء قدير ان ما غنمتم ما موصولة ومن شيء بيانه قيل من شيء حتى الخيط والمخيط
فان لله مبتدا خبره محذوف تقديره فحق او فواجب ان لله خمسه وروى الجعفي عن ابي عمرو فان لله بالكسر وتقويه
قراءة النخعي فلله خمسه والمشهورة آكد واثبت للايجاب كانه قيل فلا بد من ثبات الخمس فيه ولا سبيل الى الاخلال به والتفريط
فيه من حيث انه اذا حذف الخبر واحتمل غير واحد من المقدرات كقولك ثابت واجب حق لازم وما اشبه ذلك كان اقوى
للايجاب من النص على واحد وقرئ خمسه بالسكون **فان قلت** كيف قسمة الخمس **قلت** عند ابي حنيفة رحمه الله
انها كانت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على خمسة اسهم سهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وسهم لذوي قرباه من بني هاشم
وبني المطلب دون بني عبد شمس وبني نوفل استحقوه حينئذ بالنصرة والمظاهرة لما روي عن عثمان وجبير بن مطعم انهما قالا لرسول الله
صلى الله عليه وسلم هؤلاء اخوتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم ارأيت اخواننا بني المطلب اعطيتهم وحرمتنا
وانما نحن وهم بمنزلة واحدة فقال صلى الله عليه وسلم انهم لم يفارقونا في جاهلية ولا اسلام انما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد
وشبك بين اصابعه وثلاثة اسهم لليتامى والمساكين وابن السبيل واما بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسهمه ساقط بموته

وكذلك

وكذلك سهم ذوي القربى وانما يعطون لفقرهم فهم اسوة سائر الفقرآء ولا يعطى اغنياؤهم فيقسم على اليتامى والمساكين وابن السبيل
واما عند الشافعي رحمه الله تعالى فيقسم على خمسة اسهم سهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم يصرف الى ما كان يصرفه اليه من مصالح
المسلمين كعدة الغزاة من الكراع والسلاح ونحو ذلك وسهم لذوي القربى من اغنيائهم وفقرائهم يقسم بينهم للذكر مثل
حظ الانثيين والباقي للفرق الثلاث وعند مالك بن انس رحمه الله الامر فيه مفوض الى رأي الامام ان رأى قسمه بين هؤلآء
وان رأى اعطاه بعضهم دون بعض وان رأى غيرهم اولى واهم فغيرهم **فان قلت** ما معنى ذكر الله عز وجل وعطف
الرسول وغيره عليه **قلت** يحتمل ان يكون معنى لله وللرسول لرسول الله كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه وان
يراد بذكره ايجاب سهم سادس يصرف الى وجه من وجوه القرب وان يراد بقوله فان لله خمسه ان من حق الخمس ان
يكون متقربا به اليه لا غير ثم خص من وجوه القرب هذه الخمسة تفضيلا لها على غيرها كقوله تعالى جبريل وميكائيل فعلى الاحتمال
الاول مذهب الامامين وعلى الثاني ما قاله ابو العالية انه يقسم على ستة اسهم سهم لله تعالى يصرف الى رتاج الكعبة وعنه
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ الخمس فيضرب بيده فيه فيأخذ منه قبضة فيجعلها للكعبة ثم يقسم ما بقي على خمسة وقيل
ان سهم الله لبيت المال وعلى الثالث مذهب مالك بن انس وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه كان يقسم على ستة
لله وللرسول سهمان وسهم لاقاربه حتى قبض فاجرى ابو بكر رضي الله عنه الخمس على ثلثه وكذلك روي عن عمر رضي الله عنه ومن
بعده من الخلفآء وروي ان ابا بكر منع بني هاشم الخمس وقال انما لكم ان يعطى فقيركم ويزوج ايمكم ويخدم من لا خادم له منكم فاما الغني
منكم فهو بمنزلة ابن السبيل غني لا يعطى من الصدقة شيئا ولا يتيم موسر وعن زيد بن علي كذلك قال ليس لنا ان نبني منه
قصورا ولا ان نركب منه البراذين وقيل الخمس كله للقرابة وعن علي رضي الله عنه انه قيل له ان الله تعالى قال واليتامى
والمساكين فقال ايتامنا ومساكيننا وعن الحسن في سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لولي الامر من بعده وعن الكلبي
ان الآية نزلت ببدر وقال الواقدي كان الخمس في غزوة بني قينقاع بعد بدر بشهر وثلاثة ايام للنصف من شوال
على رأس عشرين شهرا من الهجرة **فان قلت** بم تعلق قوله ان كنتم آمنتم بالله **قلت** بمحذوف يدل عليه
واعلموا المعنى ان كنتم آمنتم بالله فاعلموا ان الخمس من الغنيمة يجب التقرب به فاقطعوا عنه اطماعكم واقتنعوا بالاخماس
الاربعة وليس المراد بالعلم العلم المجرد ولكنه العلم المضمن بالعمل والطاعة لامر الله تعالى لان العلم المجرد يستوي فيه
المؤمن والكافر وما انزلنا معطوف على بالله اي ان كنتم آمنتم بالله وبالمنزل على عبدنا كقوله وعبد الطاغوت بضمتين
يوم الفرقان يوم بدر والجمعان الفريقان من المسلمين والكافرين والمراد ما انزل عليه من الآيات والملائكة والفتح يومئذ والله
على كل شيء قدير يقدر ان ينصر القليل على الكثير والذليل على العزيز كما فعل بكم ذلك اليوم **اذ انتم بالعدوة الدنيا**
وهم بالعدوة القصوى والركب اسفل منكم ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد ولكن
ليقضي الله امرا كان مفعولا اذ بدل من يوم الفرقان والعدوة شط الوادي بالكسر والضم والفتح
وقرئ بهن وبالعدية على قلب الواو ياء لان بينها وبين الكسرة حاجزا غير حصين كما في الصبية والدنيا والقصوى تانيث
الادنى والاقصى **فان قلت** كلتاهما فعلى من بنات الواو فلم جاءت احديهما بالياء والثانية بالواو
قلت القياس هو قلب الواو ياء كالعليا واما القصوى فكالقود في مجيئه على الاصل وقد جاء القصيا الا
ان استعمال القصوى اكثر كما كثر استعمال استصوب مع مجيء استصاب واغيلت مع اغالت والعدوة الدنيا
مما يلي المدينة والقصوى مما يلي مكة والركب اسفل منكم يعني الركب الاربعين الذين كانوا يقودون العير اسفل منكم بالساحل
واسفل نصب على الظرف معناه مكانا اسفل من مكانكم وهو مرفوع المحل لانه خبر المبتدا **فان قلت** ما فائدة
هذا التوقيت وذكر مراكز الفريقين وان العير كانت اسفل منهم **قلت** الفائدة فيه الاخبار عن الحالة الدالة
على قوة شان العدو وشوكته وتكامل عدته وتمهد اسباب الغلبة وضعف شان المسلمين والتياث امرهم وان غلبتهم
في مثل هذه الحال ليست الا صنعا من الله تعالى ودليلا على ان ذلك امر لم يتيسر الا بحوله وقوته وباهر قدرته وذلك ان
العدوة القصوى التي اناخ بها المشركون كان فيها المآء وكانت ارضا لا بأس بها ولا مآء بالعدوة الدنيا وهي خبار تسوخ
فيها الارجل ولا يمشى فيها الا بتعب ومشقة وكانت العير ورآء ظهور العدو مع كثرة عددهم فكانت الحماية دونها تضاعف
حميتهم وتشحذ في المقاتلة عنها نياتهم ولهذا كانت العرب تخرج الى الحرب بظعنهم واموالهم ليبعثهم الذب عن الحرم والغيرة

اي اختلاط

على الحزم على بذل جهدهم في القتال وان لا يتركوا وراءهم ما يحدثون انفسهم بالانحياز اليه فيجمع ذلك قلوبهم ويضبط
هممهم ويوطن نفوسهم على ان لا يبرحوا مواطنهم ولا يخلوا مراكزهم ويبذلوا منتهى نجدتهم وقصارى شدتهم وفيه
تصوير ما دبر سبحانه من امر وقعة بدر ليقضي الله امرا كان مفعولا من اعزاز دينه واعلاء كلمته حين وعد المسلمين
احدى الطائفتين مبهمة غير مبينة حتى خرجوا ليأخذوا العير راغبين في الخروج وشخص بقريش مرعوبين مما
بلغهم من تعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم لاموالهم حتى نفروا ليمنعوا عيرهم وسبب الاسباب حتى اناخ هؤلاء بالعدوة
الدنيا وهؤلاء بالعدوة القصوى ووراءهم العير يحامون عليها حتى قامت الحرب على ساق وكان ما كان ولو تواعدتم اى
انتم واهل مكة وتواضعتم بينكم على موعد تلتقون فيه للقتال لخالف بعضكم بعضا فثبطكم قلتكم وكثرتهم عن الوفاء بالموعد
وثبطهم ما في قلوبهم من تهيب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين فلم يتفق لكم من التلاقي ما وفقه الله تعالى وسبب له
ليقضي متعلق بمحذوف اى ليقضي امرا كان واجبا ان يفعل وهو نصر اوليائه وقهر اعدائه دبر ذلك • ليهلك من
هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وان الله لسميع عليم • وقوله ليهلك بدل
منه واستعير الهلاك والحيوة للكفر والاسلام اى ليصدر كفر من كفر عن وضوح بينة لا عن مخالجة شبهة حتى لا تبقى له على الله
حجة ويصدر اسلام من اسلم ايضا عن يقين وعلم بانه دين الحق الذي يجب الدخول فيه والتمسك به وذلك ان ما كان من وقعة بدر
من الآيات الغر المحجلة التي من كفر بعدها كان مكابرا لنفسه مغالطا لها وقرئ ليهلك بفتح اللام وحيي باظهار التضعيف عليم
يعلم كيف يدبر اموركم ويسوي مصالحكم او لسميع عليم بكفر من كفر وعقابه وبايمان من آمن وثوابه • اذ يريكهم الله
في منامك قليلا ولو اراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم في الامر ولكن الله سلم انه عليم
بذات الصدور • اذ يريكهم الله نصب باضمار اذكر او بدل ثان من يوم الفرقان او متعلق بقوله لسميع عليم اى يعلم المصالح
اذ يقللهم في عينك في منامك في رؤياك وذلك ان الله عز وجل اراهم اياه في رؤياه قليلا فاخبر بذلك اصحابه فكان ذلك تثبيتا لهم
وتشجيعا على عدوهم وعن الحسن في منامك في عينك لانها مكان النوم كما قيل للقطيفة المنامة لانه ينام فيها وهذا تفسير فيه تعسف
وما احسب الرواية صحيحة فيه عن الحسن وما يلائم علمه بكلام العرب وفصاحته لفشلتم لجبنتم وهبتم الاقدام ولتنازعتم في الرأي
وتفرقت فيما تصنعون كلمتكم وترجحتم بين الثبات والفرار ولكن الله سلم اى عصم وانعم بالسلامة من الفشل والتنازع والاختلاف
انه عليم بذات الصدور يعلم ما سيكون فيها من الجرأة والجبن والصبر والجزع • واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا
ويقللكم في اعينهم ليقضي الله امرا كان مفعولا والى الله ترجع الامور • واذ يريكموهم الضميران
مفعولان يعني واذ يبصركم اياهم وقليلا نصب على الحال وانما قللهم في اعينهم تصديقا لرؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم وليعاينوا
ما اخبرهم به فيزداد يقينهم ويجدوا ويثبتوا قال ابن مسعود رضي الله عنه لقد قللوا في اعيننا حتى قلت لرجل الى جنبي اتراهم سبعين
قال اراهم مائة فاسرنا رجلا منهم فقلنا كم كنتم قال الفا ويقللكم في اعينهم حتى قال قائل منهم انما هم اكلة جزور فان قلت
الغرض في تقليل الكفار في اعين المؤمنين ظاهر فما الغرض في تقليل المؤمنين في اعينهم قلت قد قللهم في اعينهم قبل اللقاء
ثم كثرهم فيما بعده ليجترءوا عليهم قلة مبالاة بهم ثم تفجأهم الكثرة فيبهتوا ويهابوا ويفل شوكتهم حين يرون ما لم يكن في حسابهم
وتقديرهم وذلك قوله يرونهم مثليهم رأي العين ولئلا يستعدوا لهم وليعظم الاحتجاج عليهم في استيضاح الآية البينة من
قلتهم اولا وكثرتهم آخرا • فان قلت باي طريق يبصرون الكثير قليلا قلت بان يستر الله تعالى عنهم بعضه
بساتر او يحدث في عيونهم ما يستقلون به الكثير كما احدث في اعين الحول ما يرون به الواحد اثنين قيل لبعضهم ان الاحول
يرى الواحد اثنين وكان بين يديه ديك واحد فقال ما لي لا ارى هذين الديكين اربعة • يا ايها الذين آمنوا اذا
لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون • اذا لقيتم فئة اذا حاربتم جماعة من الكفار
ترك ان يصفها لان المؤمنين ما كانوا يلقون الا الكفار واللقاء اسم للقتال غالب فاثبتوا لقتالهم ولا تفروا واذكروا الله
كثيرا في مواطن الحرب مستظهرين بذكره مستنصرين به داعين له على عدوكم اللهم اخذلهم اللهم اقطع دابرهم لعلكم تفلحون لعلكم
تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه اشعار بان على العبد ان لا يفتر عن ذكر ربه اشغل ما يكون قلبا واكثر ما يكون هما وان
تكون نفسه مجتمعة لذلك وان كانت متوزعة عن غيره وناهيك بما في خطب امير المؤمنين في ايام صفين وفي مشاهده
مع البغاة والخوارج من البلاغة والبيان ولطائف المعاني وبليغات المواعظ والنصائح دليلا على انهم كانوا لا يشغلهم عن ذكر الله

قوله ترجحتم اى ترددتم وتميلتم من ترجح الارجوحة بالغلام ح

عزوجل

عز وجل شاغل وان تفاقم • واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم
واصبروا ان الله مع الصابرين • ولا تنازعوا وقرئ بتشديد التاء فتفشلوا منصوب باضمار ان
او مجزوم لدخوله في حكم النهي ويدل على التقديرين قراءة من قرأ وتذهب ريحكم بالتاء والنصب ويذهب ريحكم بالياء والجزم
والريح الدولة شبهت في نفوذ امرها وتمشيه بالريح وهبوبها فقيل هبت رياح فلان اذا دالت له الدولة ونفذ امره
ومنه قوله • اتنظران قليلا ريث غفلتهم • ام تعدوان فان الريح للعادي • وقيل لم يكن قط نصر الا بريح يبعثها الله
وفي الحديث نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور حذرهم بالنهي عن التنازع واختلاف الرأي نحو ما وقع لهم باحد لمخالفتهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم من فشلهم وذهاب ريحهم • ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا
ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط • كالذين خرجوا من
ديارهم هم اهل مكة حين نفروا لحماية العير فاتاهم رسول ابي سفيان وهم بالجحفة ان ارجعوا فقد سلمت عيركم فابى ابو جهل
وقال حتى نقدم بدرا نشرب بها الخمور وتعزف علينا القيان ونطعم بها من حضرنا من العرب فذلك بطرهم ورئاؤهم الناس
باطعامهم فوافوها فسقوا كؤوس المنايا مكان الخمور وناحت عليهم النوائح مكان القيان فنهاهم ان يكونوا مثلهم بطرين طربين
مرائين باعمالهم وان يكونوا من اهل التقوى والكآبة والحزن من خشية الله مخلصين اعمالهم لله تعالى • واذ زين لهم
الشيطان اعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه
وقال اني بريء منكم اني ارى ما لا ترون اني اخاف الله والله شديد العقاب • واذكر اذ
زين لهم الشيطان اعمالهم التي عملوها في معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم ووسوس اليهم انهم لا يغلبون ولا يطاقون واوهمهم
ان اتباع خطوات الشيطان وطاعته مما يجيرهم فلما تلاقى الفريقان نكص الشيطان وتبرأ منهم اى بطل كيده حين نزلت جنود الله
وكذا عن الحسن كان ذلك على سبيل الوسوسة ولم يتمثل لهم وقيل لما اجتمعت قريش واجمعت على السير ذكرت الذي بينها
وبين بني كنانة من الحرب فكاد ذلك يثنيهم فتمثل لهم ابليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم الكناني وكان من اشرافهم
في جند من الشياطين معه راية وقال لا غالب لكم اليوم واني مجيركم من بني كنانة فلما رأى الملائكة تنزل نكص وقيل كانت يده في يد
الحرث بن هشام فلما نكص قال له الحارث الى اين اتخذلنا في هذه الحال فقال اني ارى ما لا ترون ودفع في صدر الحرث وانطلق
وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغ ذلك سراقة فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم فلما اسلموا علموا
انه الشيطان وفي الحديث ما رئي ابليس يوما اصغر ولا ادحر ولا اغيظ من يوم عرفة لما يرى من نزول الرحمة الا ما رئي
يوم بدر • فان قلت هلا قيل لا غالبا لكم كما يقال لا ضاربا زيدا عندنا قلت لو كان لكم مفعولا لغالب بمعنى
لا غالبا اياكم لكان الامر كما قلت ولكنه خبر تقديره لا غالب كائن لكم • اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض
غر هؤلاء دينهم ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم • اذ يقول المنافقون بالمدينة والذين
في قلوبهم مرض يجوز ان يكون من صفة المنافقين وان يراد الذين هم على حرف ليسوا بثابتي الاقدام في الاسلام وعن الحسن
هم المشركون غر هؤلاء دينهم يعنون ان المسلمين اغتروا بدينهم وانهم يتقوون به وينصرون من اجله فخرجوا وهم ثلاثمائة
وبضعة عشر الى زهاء الف ثم قال جوابا لهم ومن يتوكل على الله فان الله عزيز غالب يسلط القليل الضعيف على الكثير القوي
ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم وذوقوا عذاب الحريق
ولو ترى ولو عاينت وشاهدت لان لو ترد المضارع الى معنى الماضي كما ترد ان الماضي الى معنى الاستقبال واذ نصب على
الظرف وقرئ يتوفى بالتاء والياء والملائكة رفعها بالفعل ويضربون حال منهم ويجوز ان يكون في يتوفى ضمير الله عز وجل
والملائكة مرفوعة بالابتداء ويضربون خبره وعن مجاهد وادبارهم استاههم ولكن الله كريم يكني وانما خصوهما بالضرب
لان الخزي والنكال في ضربها اشد وبلغني عن اهل الصين ان عقوبة الزاني عندهم ان يغمر ثم يعطى الرجل القوي
البطش شيئا عمل من حديد كهيئة الطبق فيه رزانة وله مقبض فيضرب به على دبره ضربة واحدة بقوته فيجد في نكايته
وقيل يضربون ما اقبل منهم وما ادبر وذوقوا معطوف على يضربون على ارادة القول اى ويقولون ذوقوا عذاب الحريق
اى مقدمة عذاب النار او ذوقوا عذاب الآخرة بشارة لهم به وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا بها التهبت النار
او يقال لهم يوم القيامة ذوقوا وجواب لو محذوف اى لرأيت امرا فظيعا منكرا • ذلك بما قدمت ايديكم وان

ليس بظلام للعبيد كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كفروا بآيات
الله فأخذهم الله بذنوبهم ان الله قوي شديد العقاب ذلك بأن الله لم يك
مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وان الله سميع عليم ذلك بما قدمت
ايديكم يحتمل ان يكون من كلام الله تعالى ومن كلام الملائكة وذلك رفع بالابتداء وبما قدمت خبره وان الله عطف عليه اي ذلك
العذاب بشيئين بسبب كفركم ومعاصيكم وبان الله ليس بظلام للعبيد لان تعذيب الكفار من العدل كاثابة المؤمنين وقيل
ظلام للتكثير لاجل العبيد او لان العذاب من العظم بحيث لولا الاستحقاق لكان المعذب بمثله ظلاما بليغ الظلم متفاقمه
الكاف في محل الرفع اي دأب هؤلاء مثل دأب آل فرعون ودأبهم عادتهم وعملهم الذي دأبوا فيه اي داوموا عليه
وكفروا تفسير لدأب آل فرعون وذلك اشارة الى ما حل بهم يعني ذلك العذاب والانتقام بسبب ان الله لم ينبغ له ولم
يصح في حكمته ان يغير نعمة عند قوم حتى يغيروا ما بهم من الحال فان قلت فما كان من تغيير آل فرعون ومشركي مكة
حتى غير الله نعمته عليهم ولم يكن لهم حال مرضية فيغيروها الى حال مسخوطة قلت كما تغير الحال المرضية الى
المسخوطة تغير الحال المسخوطة الى اسخط منها واولئك كانوا قبل بعثة الرسول اليهم كفرة عبدة اصنام فلما بعث اليهم
بالآيات البينات فكذبوه وعادوه وتحزبوا عليه ساعين في اراقة دمه غيروا حالهم الى اسوأ مما كانت فغير الله تعالى
ما انعم به عليهم من الامهال وعاجلهم بالعذاب وان الله سميع لما يقول مكذبوا الرسل عليم بما يفعلونه كدأب آل فرعون
والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فاهلكناهم بذنوبهم واغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين
ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون كدأب آل فرعون تكرير للتأكيد وفي قوله
بآيات ربهم زيادة دلالة على كفران النعم وجحود الحق وفي ذكر الاغراق بيان للاخذ بالذنوب وكل كانوا ظالمين وكلهم
من غرقى القبط وقتلى قريش كانوا ظالمين انفسهم بالكفر والمعاصي الذين كفروا فهم لا يؤمنون اي الذين اصروا على الكفر ولجوا
فيه فلا يتوقع منهم ايمان الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون
وهم بنو قريظة عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا يمالئوا عليه فنكثوا بان اعانوا مشركي مكة بالسلاح وقالوا نسينا
واخطأنا ثم عاهدهم فنكثوا ومالوا معهم يوم الخندق وانطلق كعب بن الاشرف الى مكة فحالفهم الذين عاهدت منهم بدل
من الذين كفروا اي الذين عاهدتهم من الذين كفروا جعلهم شر الدواب لان شر الناس الكفار وشر الكفار المصرون منهم
والناكثون للعهود وهم لا يتقون لا يخافون عاقبة الغدر ولا يبالون ما فيه من العار والنار فاما تثقفنهم في
الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون فاما تثقفنهم فاما تصادفنهم وتظفرن بهم فشرد بهم من
خلفهم ففرق عن محاربتك ومناصبتك بقتلهم شر قتلة والنكاية فيهم من وراءهم من الكفرة حتى لا يجترئ عليك بعدهم
احد اعتبارا بهم واتعاظا بحالهم وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه فشرذ بالذال المعجمة بمعنى ففرق وكأنه مقلوب شذر
من قولهم ذهبوا شذر مذر والشذر الملتقط من المعدن لتفرقه وقرأ ابو حيوة من خلفهم ومعناه فافعل التشريد
من وراءهم لانه اذا شرد الذين وراءهم فقد جعل التشريد في الوراء واوقعه فيه لان الوراء جهة المشردين واذا جعل
الوراء ظرفا للتشريد فقد دل على تشريد من فيه فلم يبق فرق بين القراءتين لعلهم يذكرون لعل المشردين من وراءهم يتعظون
واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين واما تخافن
من قوم معاهدين خيانة ونكثا بامارات تلوح لك فانبذ اليهم فاطرح اليهم العهد على سواء على طريق مستو قصد وذلك ان
تظهر لهم نبذ العهد وتخبرهم اخبارا مكشوفا بانك قطعت ما بينك وبينهم ولا تناجزهم الحرب وهم على توهم بقاء العهد
فيكون ذلك خيانة منك ان الله لا يحب الخائنين فلا يكن منك اخفاء نكث العهد والخداع وقيل على استواء في العلم
بنقض العهد وقيل على سواء في العداوة والجار والمجرور في موضع الحال كانه قيل فانبذ اليهم ثابتا على طريق قصد سوي
او حاصلين على استواء في العلم او العداوة على انها حال من النابذ والمنبوذ اليهم جميعا ولا تحسبن الذين كفروا
سبقوا انهم لا يعجزون سبقوا افلتوا وامنوا ان يظفر بهم انهم لا يعجزون انهم لا يفوتون ولا يجدون
طالبهم عاجزا عن ادراكهم وقرئ انهم بالفتح بمعنى لانهم لان كل واحدة من المكسورة والمفتوحة تعليل الا ان المكسورة على
طريق الاستيناف والمفتوحة تعليل صريح وقرئ يعجّزون بالتشديد وقرأ ابن محيصن يعجزونِ بكسر النون وقرأ الاكثر

ولا

ولا يحسبن الذين كفروا بكسر الباء وفتحها على حذف النون الخفيفة وقرأ حمزة ولا يحسبن بالياء على ان الفعل للذين
كفروا وقيل فيه اصله ان سبقوا فحذفت ان كقوله تعالى ومن آياته يريكم البرق واستدل عليه بقراءة ابن مسعود
انهم سبقوا وقيل وقع الفعل على انهم لا يعجزون على ان لا صلة وسبقوا في محل الحال بمعنى سابقين اي مفلتين او بين
وقيل معناه ولا يحسبنهم الذين كفروا سبقوا فحذف الضمير لكونه مفهوما وقيل ولا يحسبن قبيل المؤمنين الذين كفروا
سبقوا وهذه الاقاويل كلها متمحلة وليست هذه القراءة التي تفرد بها حمزة بنيرة وعن الزهري انها نزلت فيمن
افلت من قتل المشركين واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به
عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء
في سبيل الله يوف اليكم وانتم لا تظلمون من قوة من كل ما يتقوى به في الحرب من عددها وعن عقبة بن
عامر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر الا ان القوة الرمي قالها ثلاثا ومات عقبة عن سبعين قوسا
في سبيل الله وعن عكرمة هي الحصون والرباط اسم للخيل التي تربط في سبيل الله ويجوز ان تسمى بالرباط الذي هو بمعنى
المرابطة ويجوز ان يكون جمع ربيط كفصيل وفصال وقرأ الحسن ومن ربط الخيل بضم الباء وسكونها جمع رباط ويجوز ان
يكون قوله ومن رباط الخيل تخصيصا للخيل من بين ما يتقوى به كقوله تعالى وجبريل وميكال وعن ابن سيرين انه سئل
عمن اوصى بثلثه في الحصون فقال يشترى به الخيل فترابط في سبيل الله ويغزى عليها فقيل له انما اوصى في الحصون فقال
الم تسمع قول الشاعر ان الحصون الخيل لا مدر القرى ترهبون قرئ بالتخفيف والتشديد وقرأ ابن عباس ومجاهد تخزون
به والضمير راجع الى ما استطعتم عدو الله وعدوكم هم اهل مكة وآخرين من دونهم هم اليهود وقيل المنافقون وعن السدي
هم اهل فارس وقيل كفرة الجن وجاء في الحديث ان الشيطان لا يقرب صاحب فرس ولا دارا فيها فرس عتيق وروي ان
صهيل الخيل يرهب الجن وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم
جنح له واليه اذا مال والسلم يؤنث تأنيث نقيضها وهي الحرب قال السلم تأخذ منها ما رضيت به والحرب يكفيك من انفاسها جرع
وقرئ بفتح السين وكسرها وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان الآية منسوخة بقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله وعن
مجاهد بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم والصحيح ان الامر موقوف على ما يرى فيه الامام صلاح الاسلام واهله من حرب
او سلم وليس بحتم ان يقاتلوا ابدا او يجابوا الى الهدنة ابدا وقرأ الاشهب العقيلي فاجنح بضم النون وتوكل على الله
ولا تخف من ابطانهم المكر في جنوحهم الى السلم فان الله كافيك وعاصمك من مكرهم وخديعتهم قال مجاهد يريد قريظة
وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين والف
بين قلوبهم لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم
انه عزيز حكيم فان حسبك الله فان محسبك الله قال جرير اني وجدت من المكارم حسبكم ان تلبسوا خز
الثياب وتشبعوا والف بين قلوبهم التأليف بين قلوب من بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الآيات الباهرة
لان العرب لما فيهم من الحمية والعصبية والانطواء على الضغينة في ادنى شيء والقائه بين اعينهم الى ان ينتقموا لا
يكاد يأتلف فيهم قلبان ثم ائتلفت قلوبهم على اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم واتحدوا وانشأوا يرمون عن قوس واحدة
وذلك لما نظم الله من الفتهم وجمع من كلمتهم واحدث بينهم من التحاب والتواد واماط عنهم من التباغض والتماقت وكلفهم
من الحب في الله والبغض في الله ولا يقدر على ذلك الا من يملك القلوب فهو يقلبها كما شاء ويصنع فيها ما اراد
وقيل هم الاوس والخزرج كان بينهم من الحروب والوقائع ما اهلك ساداتهم ورؤساءهم ودق جماجمهم ولم يكن لبغضائهم امد
ومنتهى وبينهما التجاور الذي يهيج الضغائن ويديم التحاسد والتنافس وعادة كل طائفتين كانتا بهذه المثابة
ان تتجنب هذه ما آثرته اختها وتكرهه وتنفر عنه فانساهم الله تعالى ذلك كله حتى اتفقوا على الطاعة وتصافوا وصاروا انصارا
وعادوا اعوانا وما ذلك الا بلطيف صنعه وبليغ قدرته يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك
من المؤمنين ومن اتبعك الواو بمعنى مع وما بعده منصوب تقول حسبك وزيدا درهم ولا تجر لان عطف الظاهر
المجرور على المكني ممتنع قال فحسبك والضحاك عضب مهند والمعنى كفاك وكفى تباعك من المؤمنين الله تعالى
وكفاك المؤمنون وهذه الآية نزلت بالبيداء في غزوة بدر قبل القتال وعن ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في اسلام عمر رضي الله عنه

او [illegible] الروى ولقد علمت [illegible]

اولسه
او كانت الهيجاء وانشقت العصا

وعن سعيد بن جبير انه اسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلثة وثلثون رجلا وست نسوة ثم اسلم عمر رضي الله عنه فنزلت **يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا بانهم قوم لا يفقهون الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله والله مع الصابرين** التحريض المبالغة في الحث على الامر من الحرض وهو ان ينهكه المرض ويتبالغ فيه حتى يشفي على الموت او ان تسميه حرضا ويقول له ما اراك الا حرضا في هذا الامر وممرضا فيه ليهيجه ويحركه منه وقرئ حرص بالصاد غير المعجمة حكاها الاخفش من الحرص ويقال حركه وحرضه وحرشه وحربه بمعنى وهذه عدة من الله تعالى وبشارة بان الجماعة من المؤمنين ان صبروا غلبوا عشرة امثالهم من الكفار بعون الله تعالى وتاييده ثم قال بانهم قوم لا يفقهون اي بسبب ان الكفار قوم جهلة يقاتلون على غير احتساب وطلب ثواب كالبهائم فيقل ثباتهم ويعدمون لجهلهم بالله نصرته ويستحقون خذلانه خلاف من يقاتل على بصيرة ومعه ما يستوجب به النصر والاظهار من الله وعن ابن جريج كان عليهم ان لا يفروا ويثبت الواحد للعشرة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث حمزة في ثلثين راكبا فلقي ابا جهل في ثلثمائة راكب قيل ثم ثقل عليهم ذلك وضجوا منه وذلك بعد مدة طويلة فنسخ وخفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين وقيل كان فيهم قلة في الابتداء ثم لما كثروا بعد نزل التخفيف وقرئ ضعفا بالفتح والضم كالمكث والمكث والفقر والفقر وضعفاء جمع ضعيف وقرئ الفعل المسند الى المائة بالتاء والياء في الموضعين والمراد بالضعف الضعف في البدن وقيل في البصيرة والاستقامة في الدين وكانوا متفاوتين في ذلك **فان قلت** لم كرر المعنى الواحد وهو مقاومة الجماعة لاكثر منها مرتين قبل التخفيف وبعده **قلت** للدلالة على ان الحال مع القلة والكثرة واحدة لا تتفاوت لان الحال قد تتفاوت بين مقاومة العشرين المائتين والمائة الالف وكذلك بين مقاومة المائة المائتين والالف الالفين **ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم** وقرئ للنبي على التعريف واسارى ويثخن بالتشديد ومعنى الاثخان كثرة القتل والمبالغة فيه من قولهم اثخنته الجراحات اذا اثبتته حتى تثقل عليه الحركة واثخنه المرض اذا اثقله من الثخانة التي هي الغلظ والكثافة يعني حتى يذل الكفر ويضعفه باشاعة القتل في اهله ويعز الاسلام ويقويه بالاستيلاء والقهر ثم الاسر بعد ذلك ومعنى ما كان ما صح له وما استقام وكان هذا يوم بدر فلما كثر المسلمون نزلت فاما منا بعد واما فداء وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتي بسبعين اسيرا فيهم العباس عمه وعقيل بن ابي طالب فاستشار ابا بكر فيهم فقال قومك واهلك استبقهم لعل الله ان يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوي بها اصحابك وقال عمر كذبوك واخرجوك فقدمهم واضرب اعناقهم فان هؤلاء ائمة الكفر وان الله اغناك عن الفداء مكن عليا من عقيل وحمزة من العباس ومكني من فلان لنسيب له فلنضرب اعناقهم فقال صلى الله عليه وسلم ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون الين من اللبن وان الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل ابرهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ثم قال لاصحابه انتم اليوم عالة فلا يفلتن احد منهم الا بفداء او ضرب عنق وروي انه قال لهم ان شئتم قتلتموهم وان شئتم فاديتموهم واستشهد منكم بعدتهم فقالوا بل ناخذ الفداء فاستشهدوا باحد وكان فداء الاسارى عشرين اوقية وفداء العباس اربعين اوقية وعن محمد بن سيرين كان فداؤهم مائة اوقية والاوقية اربعون درهما وستة دنانير وروي انهم لما اخذوا الفداء نزلت الآية فدخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو وابو بكر يبكيان فقال يا رسول الله اخبرني فان وجدت بكاء بكيت وان لم اجد بكاء تباكيت فقال ابكي على اصحابك في اخذهم الفداء ولقد عرض علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه وروي انه قال لو نزل عذاب لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ لقوله الاثخان في القتل احب الي عرض الدنيا حطامها سمي بذلك لانه حدث قليل اللبث يريد الفداء والله يريد الآخرة يعني ما هو سبب الجنة من اعزاز الاسلام والاثخان في القتل وقرئ يريدون بالياء وقرا بعضهم والله يريد الآخرة بجر الآخرة على حذف المضاف وابقاء المضاف اليه على حاله كقوله ونار توقد بالليل نارا ومعناه والله يريد عرض الآخرة على التقابل يعني ثوابها والله عزيز يغلب اولياءه على اعدائه ويتمكنون منهم قتلا واسرا ويطلق

لهم الفداء ولكنه حكيم يؤخر ذلك الى ان يكثروا ويعزوا وهم يعجلون **لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم** لولا كتاب من الله سبق لولا حكم منه سبق اثباته في اللوح وهو انه لا يعاقب احدا بالخطاء وكان هذا خطا في الاجتهاد لانهم نظروا في ان استبقاءهم ربما كان سببا في اسلامهم وتوبتهم وان فداءهم يتقوى به على الجهاد في سبيل الله وخفي عليهم ان قتلهم اعز للاسلام واهيب لمن وراءهم واقل لشوكتهم وقيل كتابه انه سيحل لهم الغنائم التي اخذوها وقيل ان اهل بدر مغفور لهم وقيل انه لا يعذب قوما الا بعد تاكيد الحجة وتقديم النهي ولم يتقدم نهي عن ذلك **فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله ان الله غفور رحيم** فكلوا مما غنمتم روي انهم امسكوا عن الغنائم ولم يمدوا ايديهم اليها فنزلت وقيل هو اباحة للفداء لانه من جملة الغنائم واتقوا الله فلا تقدموا على شيء لم يعهد اليكم فيه **فان قلت** ما معنى الفاء **قلت** التسبيب والسبب محذوف معناه قد ابحت لكم الغنائم فكلوا مما غنمتم وحلالا نصب على الحال من المغنوم او صفة للمصدر اي اكلا حلالا وقوله ان الله غفور رحيم معناه انكم اذا اتقيتموه بعدما فرط منكم من استباحة الفداء قبل ان يؤذن لكم فيه غفر لكم ورحمكم وتاب عليكم **يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من الاسارى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما اخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم** في ايديكم في ملكتكم كان ايديكم قابضة عليهم وقرئ من الاسرى في قلوبكم خيرا خلوص ايمان وصحة نية يؤتكم خيرا مما اخذ منكم من الفداء اما ان يخلفكم في الدنيا اضعافه او يثيبكم في الآخرة وفي قراءة الاعمش يثبكم خيرا وعن العباس انه قال كنت مسلما لكن استكرهوني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكن ما تذكر حقا فالله يجزيك فاما ظاهر امرك فقد كان علينا وكان احد الذين ضمنوا اطعام اهل بدر وخرج بالذهب لذلك وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للعباس افد ابني اخيك عقيل بن ابي طالب ونوفل بن الحرث فقال يا محمد تركتني اتكفف قريشا ما بقيت فقال له واين الذهب الذي دفعته الى ام الفضل وقت خروجك من مكة وقلت لها ما ادري ما يصيبني في وجهي هذا فان حدث بي حدث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل فقال العباس وما يدريك قال اخبرني به ربي فقال العباس فانا اشهد انك صادق وان لا اله الا الله وانك عبده ورسوله والله لم يطلع عليه احد الا الله ولقد دفعته اليها في سواد الليل ولقد كنت مرتابا في امرك فاما اذ اخبرتني بذلك فلا ريب قال العباس فابدلني الله خيرا من ذلك لي الآن عشرون عبدا ان ادناهم ليضرب في عشرين الفا واعطاني زمزم ما احب ان لي بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة من ربي وروي انه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم مال البحرين ثمانون الفا فتوضا لصلوة الظهر وما صلى حتى فرقه وامر العباس ان ياخذ منه فاخذ ما قدر على حمله وكان يقول هذا خير مما اخذ مني وارجو المغفرة وقرا الحسن وشيبة مما اخذ منكم على البناء للفاعل **وان يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فامكن منهم والله عليم حكيم** وان يريدوا خيانتك نكث ما بايعوك عليه من الاسلام والردة واستحباب دين آبائهم فقد خانوا الله من قبل في كفرهم به ونقض ما اخذ على كل عاقل من ميثاقه فامكن منهم كما رايتم يوم بدر فسيمكن منهم ان عادوا الى الخيانة وقيل المراد بالخيانة منع ما ضمنوا من الفداء **ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا اولئك بعضهم اولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير** الذين هاجروا اي فارقوا اوطانهم وقومهم حبا لله ورسوله هم المهاجرون والذين آووهم الى ديارهم ونصروهم على اعدائهم هم الانصار بعضهم اولياء بعض اي يتولى بعضهم بعضا في الميراث وكان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون ذوي القرابات حتى نسخ ذلك بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض وقرئ من ولايتهم بالفتح والكسر اي من توليهم في الميراث ووجه الكسر ان تولي بعضهم بعضا شبه بالعمل والصناعة كانه بتوليه صاحبه يزاول امرا ويباشر عملا فعليكم النصر فواجب عليكم ان تنصروهم على المشركين الا على قوم منهم بينكم وبينهم عهد فانه لا يجوز لكم نصرهم عليهم لانهم لا يبتدؤن بالقتال اذ الميثاق مانع من ذلك **والذين كفروا بعضهم اولياء بعض الا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير** والذين كفروا بعضهم اولياء بعض ظاهره اثبات الموالاة بينهم كقوله في المسلمين اولئك بعضهم اولياء بعض ومعناه نهي المسلمين

عن موالاة الذين كفروا وموارثتهم وايجاب مباعدتهم ومصارمتهم وان كانوا اقارب وان يتركوا يتوارثون
بعضهم بعضا ثم قال الا تفعلوه اي الا تفعلوا ما امرتكم به من تواصل المسلمين وتولي بعضهم بعضا حتى في التوارث
تفضيلا لنسبة الاسلام على نسب القرابة ولم تقطعوا العلائق بينكم وبين الكفار ولم تجعلوا قراباتهم كلا قرابة تحصل فتنة
في الارض ومفسدة عظيمة لان المسلمين ما لم يصيروا يدا واحدة على الشرك كان الشرك ظاهرا والفساد زائدا
وقرئ كثير بالثاء ﴿والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا
اولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم﴾ اولئك هم المؤمنون حقا لانهم صدقوا
ايمانهم وحققوه بتحصيل مقتضياته من هجرة الوطن ومفارقة الاهل والانسلاخ من المال لاجل الدين وليس بتكرار لان
هذه الآية واردة للثناء عليهم والشهادة لهم مع الموعد الكريم والاولى للامر بالتواصل ﴿والذين آمنوا من بعد
وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب
الله ان الله بكل شيء عليم﴾ والذين آمنوا من بعد يريد اللاحقين بعد السابقين الى الهجرة
كقوله والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان الحقهم بهم وجعلهم منهم تفضلا
منه وترغيبا واولوا الارحام اولوا القرابات اولى بالتوارث وهو نسخ للتوارث بالهجرة والنصرة في كتاب الله في حكمه
وقسمته وقيل في اللوح وقيل في القرآن وهو آية المواريث وقد استدل اصحاب ابي حنيفة رحمه الله تعالى على توريث ذوي
الارحام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الانفال وبراءة فانا شفيع له يوم القيمة وشاهد انه بريء من النفاق
واعطي عشر حسنات بعدد كل منافق ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون له ايام حيوته في الدنيا

سورة التوبة مدنية

وهي مائة وثلثون وقيل تسع وعشرون آية

﴿براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين﴾ لها عدة اسماء براءة التوبة
المقشقشة المبعثرة المشردة المخزية الفاضحة المثيرة الحافرة المنكلة المدمدمة سورة العذاب
لان فيها التوبة على المؤمنين وهي تقشقش من النفاق اي تبرئ وتبعثر عن اسرار المنافقين تبحث عنها وتثيرها وتحفر عنها
وتفضحهم وتنكلهم وتشرد بهم وتخزيهم وتدمدم عليهم وعن حذيفة انكم تسمونها سورة التوبة وانما هي سورة العذاب
والله ما تركت احدا الا نالت منه **فان قلت** هلا صدرت باية التسمية كما في سائر السور **قلت**
سأل عن ذلك ابن عباس عثمان رضي الله عنهم فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا نزلت عليه السورة او الآية
قال اجعلوها في الموضع الذي يذكر فيه كذا وكذا وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا اين نضعها وكانت قصتها
شبيهة بقصتها فلذلك قرنت بينهما وكانتا تدعيان القرينتين وعن ابي بن كعب رضي الله عنه انما توهموا ذلك
لان في الانفال ذكر العهود وفي براءة نبذ العهود وسئل ابن عيينة فقال اسم الله سلام وامان فلا يكتب في النبذ والمحاربة
قال الله تعالى ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مؤمنا قيل فان النبي صلى الله عليه وسلم قد كتب الى اهل الحرب
بسم الله الرحمن الرحيم قال انما ذلك ابتداء يدعوهم ولم ينبذ اليهم الا تراه يقول سلام على من اتبع الهدى فمن دعي الى الله تعالى
فاجاب ودعي الى الجزية فاجاب فقد اتبع الهدى واما النبذ فانما هو البراءة واللعنة واهل الحرب لا يسلم عليهم ولا يقال
لا تفرق ولا تخف ومترس ولا باس هذا امان كله وقيل سورة الانفال والتوبة سورة واحدة كلتاهما نزلت في القتال
تعدان السابعة من الطول وهي سبع وما بعدها المئون وهذا قول ظاهر لانهما معا مائتان وست فهما بمنزلة احدى الطول
وقيل اختلف اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم الانفال وبراءة سورة واحدة وقال بعضهم هما سورتان
فتركت بينهما فرجة لقول من قال هما سورتان وتركت بسم الله لقول من قال هما سورة واحدة براءة خبر مبتدأ محذوف
اي هذه براءة ومن لابتداء الغاية متعلق بمحذوف وليس بصلة كما في قولك برئت من الدين والمعنى هذه براءة
واصلة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم كما تقول كتاب من فلان الى فلان ويجوز ان يكون براءة مبتدأ لتخصصها
بصفتها والخبر الى الذين عاهدتم كما تقول رجل من بني تميم في الدار وقرئ براءة بالنصب على اسمعوا براءة وقرأ اهل نجران

من الله بكسر النون والوجه الفتح مع لام التعريف لكثرته والمعنى ان الله ورسوله قد برئا من العهد الذي عاهدتم به المشركين
وانه منبوذ اليهم **فان قلت** لم علقت البراءة بالله ورسوله والمعاهدة بالمسلمين **قلت** قد اذن الله
في معاهدة المشركين اولا فاتفق المسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاهدوهم فلما نقضوا العهد اوجب الله
النبذ اليهم فخوطب المسلمون بما تجدد من ذلك فقيل لهم اعلموا ان الله ورسوله قد برئا مما عاهدتم به المشركين
﴿فسيحوا في الارض اربعة اشهر واعلموا انكم غير معجزي الله وان الله مخزي الكافرين﴾
روي انهم عاهدوا المشركين من اهل مكة وغيرهم من العرب فنكثوا الا ناسا منهم وهم بنو ضمرة وبنو كنانة فنبذ العهد الى
الناكثين وامروا ان يسيحوا في الارض اربعة اشهر آمنين اين شاؤوا لا يتعرض لهم وهي الاشهر الحرم في قوله تعالى فاذا
انسلخ الاشهر الحرم وذلك لصيانة الاشهر الحرم من القتل والقتال فيها وكان نزولها سنة تسع من الهجرة وفتح مكة
سنة ثمان وكان الامير فيها عتاب بن اسيد فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر رضي الله عنه على موسم سنة تسع ثم اتبعه
عليا رضي الله عنه راكب العضباء ليقرأها على اهل الموسم فقيل له لو بعثت بها الى ابي بكر فقال لا يؤدي عني الا رجل مني فلما
دنا علي سمع ابو بكر الرغاء فوقف وقال هذا رغاء ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما لحقه قال امير او مأمور قال مأمور وروي
ان ابا بكر لما كان ببعض الطريق هبط جبريل عليه السلام فقال يا محمد لا يبلغن رسالتك الا رجل منك فارسل عليا
فرجع ابو بكر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اشيء نزل من السماء قال نعم فسر وانت على الموسم وعلي ينادي
بالآي فلما كان قبل التروية خطب ابو بكر رضي الله عنه وحدثهم عن مناسكهم وقام علي رضي الله عنه يوم النحر عند جمرة العقبة
فقال يا ايها الناس اني رسول رسول الله اليكم فقالوا بماذا فقرأ عليهم ثلاثين او اربعين آية وعن مجاهد ثلاث عشرة
ثم قال امرت باربع ان لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة
وان يتم الى كل ذي عهد عهده فقالوا عند ذلك يا علي ابلغ ابن عمك انا قد نبذنا العهد وراء ظهورنا وانه ليس
بيننا وبينه عهد الا طعن بالرماح وضرب بالسيوف وقيل انما امر ان لا يبلغ عنه الا رجل منه لان العرب عادتها في نقض
عهودها ان يتولى ذلك على القبيلة رجل منها فلو تولاه ابو بكر لجاز ان يقولوا هذا خلاف ما نعرف فينا في نقض العهود
فازيحت علتهم بتولية علي ذلك **فان قلت** الاشهر الاربعة ما هي **قلت** عن الزهري ان براءة
نزلت في شوال فهي اربعة اشهر شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وقيل هي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر
ربيع الاول وعشر من شهر ربيع الآخر وكانت حرما لانهم اومنوا فيها وحرم قتلهم وقتالهم او على التغليب لان ذا الحجة
والمحرم منها وقيل لعشر من ذي القعدة الى عشر من شهر ربيع الاول لان الحج في تلك السنة كان في ذلك الوقت
للنسيء الذي كان فيهم ثم صار في السنة الثانية في ذي الحجة **فان قلت** ما وجه اطباق اكثر العلماء على جواز
مقاتلة المشركين في الاشهر الحرم وقد صانها الله تعالى عن ذلك **قلت** قالوا قد نسخ وجوب الصيانة واباح
قتال المشركين فيها غير معجزي الله لا تفوتونه وان امهلكم وهو مخزيكم اي مذلكم في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالعذاب
﴿واذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر ان الله بريء من المشركين ورسوله
فان تبتم فهو خير لكم وان توليتم فاعلموا انكم غير معجزي الله وبشر الذين كفروا بعذاب اليم﴾
واذان ارتفاعه كارتفاع براءة على الوجهين ثم الجملة معطوفة على مثلها ولا وجه لقول من قال انه معطوف على براءة
كما لا يقال عمرو معطوف على زيد في قولك زيد قائم وعمرو قاعد والاذان بمعنى الايذان وهو الاعلام كما ان الامان والعطاء
بمعنى الايمان والاعطاء **فان قلت** اي فرق بين معنى الجملة الاولى والثانية **قلت** تلك اخبار
بثبوت البراءة وهذه اخبار بوجوب الاعلام بما ثبت **فان قلت** لم علقت البراءة بالذين عوهدوا من المشركين
وعلق الاذان بالناس **قلت** لان البراءة مختصة بالمعاهدين والناكثين منهم واما الاذان فعام لجميع الناس
من عاهد ومن لم يعاهد ومن نكث من المعاهدين ومن لم ينكث يوم الحج الاكبر يوم عرفة وقيل يوم النحر لان فيه تمام الحج
ومعظم افعاله من الطواف والنحر والحلق والرمي وعن علي رضي الله عنه ان رجلا اخذ بلجام دابته فقال ما الحج الاكبر
قال يومك هذا خل عن دابتي وعن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف يوم النحر عند الجمرات
في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر ووصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر او جعل الوقوف بعرفة هو

الحج الاكبر لانه معظم واجباته لانه اذا فات فات الحج وكذلك ان اريد به يوم النحر لان ما يفعل فيه معظم افعال الحج فهو الحج
الاكبر وعن الحسن سمي يوم الحج الاكبر لاجتماع المسلمين والمشركين فيه وموافقته لاعياد اهل الكتاب ولم يتفق ذلك
قبله ولا بعده فعظم في قلب كل مؤمن وكافر حذفت الباء التي هي صلة الاذان تخفيفا وقرئ ان الله بالكسر لان
الاذان في معنى القول ورسوله عطف على المنوي في بريء او على محل ان المكسورة واسمها وقرئ بالنصب عطفا
على اسم ان او لان الواو بمعنى مع اي بريء معه منهم وبالجر على الجوار وقيل على القسم كقوله تعالى لعمرك ويحكى ان
اعرابيا سمع رجلا يقرؤها فقال ان كان الله بريئا من رسوله فانا منه بريء فلببه الرجل الى عمر رضي الله عنه فحكى الاعرابي
قراءته فعندها امر عمر بتعلم العربية فان تبتم من الكفر والغدر فهو خير لكم وان توليتم عن التوبة او ثبتم على التولي
والاعراض عن الاسلام والوفاء فاعلموا انكم غير سابقين الله ولا فائتين اخذه وعقابه الا الذين عاهدتم
من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم احدا فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم
ان الله يحب المتقين فان قلت مم استثنى قوله الا الذين عاهدتم قلت وجهه ان
يكون مستثنى من قوله فسيحوا في الارض لان الكلام خطاب للمسلمين ومعناه براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين
فقولوا لهم سيحوا الا الذين عاهدتم منهم ثم لم ينقضوا فاتموا اليهم عهدهم والاستثناء بمعنى الاستدراك كانه قيل بعد ان
امروا في الناكثين ولكن الذين لم ينكثوا فاتموا اليهم عهدهم ولا تجروهم مجراهم ولا تجعلوا الوفي كالغادر ان الله يحب
المتقين يعني ان قضية التقوى ان لا يسوى بين القبيلين فاتقوا الله في ذلك لم ينقصوكم شيئا لم يقتلوا منكم
احدا ولم يضروكم قط ولم يظاهروا ولم يعاونوا عليكم عدوا كما عدت بنو بكر على خزاعة عيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وظاهرتهم قريش بالسلاح حتى وفد عمرو بن سالم الخزاعي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانشده لاهم اني ناشد محمدا
حلف ابينا وابيك الاتلدا ان قريشا اخلفوك الموعدا ونقضوا ذمامك المؤكدا هم بيتونا بالحطيم هجدا
وقتلونا ركعا وسجدا فقال صلى الله عليه وسلم لا نصرت ان لم انصركم وقرئ لم ينقضوكم بالضاد معجمة اي
لم ينقضوا عهدكم ومعنى فاتموا اليهم فادوه اليهم تاما كاملا قال ابن عباس رضي الله عنهما بقي لحي من بني كنانة من عهدهم
تسعة اشهر فاتم اليهم عهدهم فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم
وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة
فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم انسلخ الشهر كقولهم انجرد الشهر وسنة جرداء والاشهر
الحرم التي ابيح فيها للناكثين ان يسيحوا فاقتلوا المشركين يعني الذين نقضوكم وظاهروا عليكم حيث وجدتموهم
من حل او حرم وخذوهم واسروهم والاخيذ الاسير واحصروهم وقيدوهم وامنعوهم من التصرف في البلاد وعن
ابن عباس حصرهم ان يحال بينهم وبين المسجد الحرام كل مرصد كل ممر ومجتاز ترصدونهم به وانتصابه على الظرف كقوله
لاقعدن لهم صراطك المستقيم فخلوا سبيلهم فاطلقوا عنهم بعد الحصر والاسر او فكفوا عنهم ولا تتعرضوا لهم كقوله
خل السبيل لمن يبني المنار به وعن ابن عباس دعوهم واتيان المسجد الحرام ان الله غفور رحيم يغفر لهم ما سلف من الكفر
والغدر وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله ثم ابلغه مامنه ذلك
بانهم قوم لا يعلمون احد مرتفع بفعل الشرط مضمرا يفسره الظاهر تقديره وان استجارك احد استجارك
ولا يرتفع بالابتداء لان ان من عوامل الفعل لا يدخل على غيره والمعنى وان جاءك احد من المشركين بعد انقضاء الاشهر
لا عهد بينك وبينه ولا ميثاق فاستامنك ليسمع ما تدعو اليه من التوحيد والقرآن وتبين ما بعثت له فامنه
حتى يسمع كلام الله ويتدبره ويطلع على حقيقة الامر ثم ابلغه بعد ذلك داره التي يامن فيها ان لم يسلم ثم قاتله ان شئت
من غير غدر ولا خيانة وهذا الحكم ثابت في كل وقت وعن الحسن هي محكمة الى يوم القيمة وعن سعيد بن جبير جاء
رجل من المشركين الى علي رضي الله عنه فقال ان اراد الرجل منا ان ياتي محمدا بعد انقضاء هذا الاجل يسمع كلام الله
او ياتيه لحاجة قتل قال لا لان الله يقول وان احد من المشركين استجارك الآية وعن السدي والضحاك هي منسوخة
بقوله فاقتلوا المشركين ذلك اي ذلك الامر يعني الامر بالاجارة في قوله فاجره بسبب انهم قوم جهلة لا يعلمون
ما الاسلام وما حقيقة ما تدعو اليه فلا بد من اعطائهم الامان حتى يسمعوا ويفهموا الحق كيف يكون للمشركين

عهد عند الله وعند رسوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم
فاستقيموا لهم ان الله يحب المتقين كيف استفهام في معنى الاستنكار والاستبعاد لان يكون
للمشركين عهد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم اضداد وغرة صدورهم يعني محال ان يثبت لهؤلاء عهد فلا تطمعوا في ذلك
ولا تحدثوا به نفوسكم ولا تفكروا في قتلهم ثم استدرك ذلك بقوله الا الذين عاهدتم اي ولكن الذين عاهدتم منهم عند
المسجد الحرام ولم يظهر منهم نكث كبني كنانة وبني ضمرة فتربصوا امرهم ولا تقاتلوهم فما استقاموا لكم على العهد فاستقيموا
لهم على مثله ان الله يحب المتقين يعني ان التربص بهم من اعمال المتقين كيف وان يظهروا عليكم
لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة يرضونكم بافواههم وتابى قلوبهم واكثرهم فاسقون كيف تكرار
لاستبعاد ثبات المشركين على العهد وحذف الفعل لكونه معلوما كما قال وخبرتماني انما الموت بالقرى فكيف
وها هضبة وقليب يريد فكيف مات اي كيف يكون لهم عهد وحالهم انهم ان يظهروا عليكم بعد ما سبق لهم من تاكيد
الايمان والمواثيق لم ينظروا في حلف ولا عهد ولم يبقوا عليكم لا يرقبوا فيكم الا لا يراعوا فيكم حلفا وقيل قرابة وانشد لحسان
لعمرك ان الك من قريش كال السقب من رال النعام وقيل الا الها وقرئ ايلا بمعناه وقيل جبرئيل
وجبرال من ذلك وقيل منه اشتق الال بمعنى القرابة كما اشتقت الرحم من الرحمن والوجه ان اشتقاق الال
بمعنى الحلف لانهم اذا تماسحوا وتحالفوا رفعوا به اصواتهم وشهروه من الال وهو الجؤار وله اليل اي انين يرفع به صوته
ودعت الليها اذا ولولت ثم قيل لكل عهد وميثاق ال وسميت به القرابة لان القرابة عقدت بين الرجلين
ما لا يعقده الميثاق يرضونكم كلام مبتدا في وصف حالهم من مخالفة الظاهر الباطن مقرر لاستبعاد الثبات منهم على العهد
واباء القلوب مخالفة ما فيها من الاضغان لما يجرونه على السنتهم من الكلام الجميل واكثرهم فاسقون متمردون خلعاء
لا مروة تزعهم ولا شمائل مرضية تردعهم كما يوجد ذلك في بعض الكفرة من التفادي عن الكذب والنكث والتعفف عما
يثلم العرض وتجر احدوثة السوء اشتروا بايات الله ثمنا قليلا فصدوا عن سبيله انهم
ساء ما كانوا يعملون استبدلوا بايات الله بالقرآن والاسلام ثمنا قليلا وهو اتباع الاهواء والشهوات
فصدوا عن سبيله فعدلوا عنها او صرفوا غيرهم وقيل هم الاعراب الذين جمعهم ابو سفيان واطعمهم لا يرقبون في
مؤمن الا ولا ذمة واولئك هم المعتدون فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة
فاخوانكم في الدين ونفصل الايات لقوم يعلمون هم المعتدون المجاوزون الغاية في الظلم والشرارة
فان تابوا عن الكفر ونقض العهد فاخوانكم فهم اخوانكم على حذف المبتدا كقوله فان لم تعلموا اباءهم فاخوانكم ونفصل الايات
ونبينها وهذا اعتراض كانه قيل وان من تامل تفصيلها فهو العالم بعثا وتحريضا على تامل ما فصل من احكام المشركين
المعاهدين وعلى المحافظة عليها وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا
ائمة الكفر انهم لا ايمان لهم لعلهم ينتهون وطعنوا في دينكم وثلبوه وعابوه فقاتلوا ائمة الكفر فقاتلوهم
فوضع ائمة الكفر موضع ضميرهم اشعارا بانهم اذا نكثوا في حال الشرك تمردا وطغيانا وطرحا لعادات الكرام الاوفياء من العرب
ثم امنوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة وصاروا اخوانا للمسلمين في الدين ثم رجعوا فارتدوا عن الاسلام ونكثوا
ما بايعوا عليه من الايمان والوفاء بالعهود وقعدوا يطعنون في دين الله ويقولون ليس دين محمد بشيء فهم ائمة الكفر
وذوو الرياسة والتقدم فيه لا يشق كافر غبارهم وقالوا اذا طعن الذمي في دين الاسلام طعنا ظاهرا جاز قتله
لان العهد معقود معه على ان لا يطعن فاذا طعن فقد نكث عهده وخرج من الذمة انهم لا ايمان لهم جمع يمين وقرئ لا ايمان
لهم اي لا اسلام لهم او لا يعطون الامان بعد الردة والنكث ولا سبيل اليه فان قلت كيف اثبت لهم
الايمان في قوله وان نكثوا ايمانهم ثم نفاها عنهم قلت اراد ايمانهم التي اظهروها ثم قال لا ايمان لهم على الحقيقة
وايمانهم ليست بايمان وبه استشهد ابو حنيفة على ان يمين الكافر لا يكون يمينا وعند الشافعي يمينهم يمين وقال معناه
انهم لا يوفون بها بدليل انه وصفها بالنكث لعلهم ينتهون متعلق بقوله فقاتلوا ائمة الكفر اي ليكن غرضكم في مقاتلتهم
بعد ما وجد منهم ما وجد من العظائم ان يكون المقاتلة سببا في انتهائهم عما هم عليه وهذا من غاية كرمه وفضله وعوده على المسيء بالرحمة
كلما عاد فان قلت كيف لفظ ائمة قلت همزة بعد همزة بين بين اي بين مخرج الهمزة والياء

وتحقيق الهمزتين قراءة مشهورة وان لم تكن بمقبولة عند البصريين واما التصريح بالياء فليس بقراءة ولا يجوز ان تكون ومن صرح به فهو لاحن محرف • الا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدؤكم اول مرة اتخشونهم فالله احق ان تخشوه ان كنتم مؤمنين • الا تقاتلون دخلت الهمزة على لا تقاتلون تقريرا لانتفاء المقاتلة ومعناه الحض عليها على سبيل المبالغة نكثوا ايمانهم التي حلفوها في المعاهدة وهموا باخراج الرسول من مكة حين تشاوروا في امره بدار الندوة حتى اذن الله تعالى له في الهجرة فخرج بنفسه وهم بدؤكم اول مرة اي وهم الذين كانت منهم البداءة بالمقاتلة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءهم اولا بالكتاب المنير وتحداهم به فعدلوا عن المعارضة لعجزهم عنها الى القتال فهم البادئون بالقتال والبادي اظلم فما يمنعكم من ان تقاتلوهم بمثله وان تصدموهم بالشر كما صدموكم وبخهم بترك مقاتلتهم وحضهم عليها ثم وصفهم بما يوجب الحض عليها ويقرر ان من كان في مثل صفاتهم من نكث العهد واخراج الرسول والبدء بالقتال من غير موجب حقيق بان لا تترك مصادمته وان يوبخ من فرط فيها اتخشونهم تقرير بالخشية منهم وتوبيخ عليها فالله احق ان تخشوه فتقاتلوا اعداءه ان كنتم مؤمنين يعني ان قضية الايمان الصحيح ان لا يخشى المؤمن الا ربه ولا يبالي بمن سواه كقوله ولا يخشون احدا الا الله • قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين • لما وبخهم الله على ترك القتال جرد لهم الامر به فقال قاتلوهم ووعدهم ليثبت قلوبهم ويصحح نياتهم انه يعذبهم بايديهم قتلا ويخزيهم اسرا ويوليهم النصر والغلبة عليهم ويشف صدور طائفة من المؤمنين وهم خزاعة قال ابن عباس رضي الله عنهما هم بطون من اليمن وسبا قدموا مكة فاسلموا فلقوا من اهلها اذى شديدا فبعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكون اليه فقال ابشروا فان الفرج قريب • ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم • ويذهب غيظ قلوبكم لما لقيتم منهم من المكروه وقد حصل الله لهم هذه المواعيد كلها فكان ذلك دليلا على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحة نبوته ويتوب الله على من يشاء ابتداء كلام واخبار بان بعض اهل مكة يتوب عن كفره وكان ذلك ايضا فقد اسلم ناس منهم وحسن اسلامهم وقرئ ويتوب بالنصب باضمار ان ودخول التوبة في جملة ما اجيب به الامر من طريق المعنى والله عليم يعلم ما سيكون كما يعلم ما قد كان حكيم لا يفعل الا ما اقتضته الحكمة • ام حسبتم ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون • ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها التوبيخ على وجود الحسبان والمعنى انكم لا تتركون على ما انتم عليه حتى يتبين الخلص منكم وهم الذين جاهدوا في سبيل الله لوجه الله ولم يتخذوا وليجة اي بطانة من الذين يضادون رسول الله والمؤمنين ولما معناها التوقع وقد دلت على ان تبين ذلك وايضاحه متوقع كائن وان الذين لم يخلصوا دينهم لله يميز بينهم وبين المخلصين وقوله ولم يتخذوا معطوف على جاهدوا وداخل في حيز الصلة كانه قيل ولما يعلم الله المجاهدين منكم والمخلصين غير المتخذين وليجة من دون الله والوليجة فعيلة من ولج كالدخيلة من دخل والمراد بنفي العلم نفي المعلوم كقول القائل ما علم الله مني ما قيل في يريد ما وجد ذلك مني • ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله شاهدين على انفسهم بالكفر اولئك حبطت اعمالهم وفي النار هم خالدون • ما كان للمشركين ما صح لهم وما استقام ان يعمروا مساجد الله يعني المسجد الحرام لقوله وعمارة المسجد الحرام واما القراءة بالجمع ففيها وجهان احدهما ان يراد المسجد الحرام وانما قيل مساجد لانه قبلة المساجد كلها وامامها فعامره كعامر جميع المساجد ولان كل بقعة منه مسجد والثاني ان يراد جنس المساجد واذا لم يصلحوا لان يعمروا جنسها دخل تحت ذلك ان لا يعمروا المسجد الحرام الذي هو صدر الجنس ومقدمته وهو آكد لان طريقه طريقة الكناية كما لو قلت فلان لا يقرأ كتب الله كنت انفى لقراءته القرآن من تصريحك بذلك وشاهدين حال من الواو في يعمروا والمعنى ما استقام لهم ان يجمعوا بين امرين متنافيين عمارة متعبدات الله مع الكفر بالله وبعبادته ومعنى شهادتهم على انفسهم بالكفر ظهور كفرهم وانهم نصبوا اصنامهم حول البيت وكانوا يطوفون عراة ويقولون لا نطوف عليها بثياب قد اصبنا فيها المعاصي وكلما طافوا شوطا سجدوا لها وقيل هو قولهم لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك وقيل قد اقبل المهاجرون والانصار على اسارى بدر فعيروهم بالشرك وطفق علي بن ابي طالب يوبخ العباس بقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطيعة الرحم واغلظ له في القول فقال العباس تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا فقالوا اولكم محاسن قالوا نعم نحن افضل منكم اجرا انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني فنزلت حبطت اعمالهم التي هي العمارة والحجابة والسقاية وفك العناة واذا هدم الكفر او الكبيرة الاعمال الثابتة الصحيحة اذا تعقبها فما ظنك بالمقارن والى ذلك اشار في قوله شاهدين حيث جعله حالا عنهم ودل على انهم قارنون بين العمارة والشهادة بالكفر على انفسهم في حال واحدة وذلك محال غير مستقيم • انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر واقام الصلوة وآتى الزكوة ولم يخش الا الله فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين • انما يعمر مساجد الله وقرئ بالتوحيد اي انما يستقيم عمارة هؤلاء وتكون معتدا بها والعمارة تتناول رم ما استرم منها وقمها وتنظيفها وتنويرها بالمصابيح وتعظيمها واعتيادها للعبادة والذكر ومن الذكر درس العلم بل هو اجله واعظمه وصيانتها مما لم تبن له المساجد من احاديث الدنيا فضلا عن فضول الحديث وعن النبي صلى الله عليه وسلم يأتي في آخر الزمان ناس من امتي يأتون المساجد فيقعدون فيها حلقا ذكرهم الدنيا وحب الدنيا لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة وفي الحديث الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش وقال النبي صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ان بيوتي في ارضي المساجد وان زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور ان يكرم زائره وعنه صلى الله عليه وسلم من الف المسجد الفه الله وقال صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالايمان وعن انس رضي الله عنه من اسرج في مسجد سراجا لم تزل الملائكة وحملة العرش تستغفر له ما دام في ذلك المسجد ضوءه • **فان قلت** هلا ذكر الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم **قلت** لما علم وشهر ان الايمان بالله قرينته الايمان بالرسول لاشتمال كلمة الشهادة والاذان والاقامة وغيرها عليهما مقترنين مزدوجين كأنهما شيء واحد غير منفك احدهما عن صاحبه انطوى تحت ذكر الايمان بالله الايمان بالرسول صلى الله عليه وسلم وقيل دل عليه بذكر اقامة الصلوة وايتاء الزكوة • **فان قلت** كيف قيل ولم يخش الا الله والمؤمن يخشى المحاذير ولا يتمالك ان لا يخشاها **قلت** هي الخشية والتقوى في ابواب الدين وان لا يختار على رضى الله رضى غيره لتوقع مخوف واذا اعترض امران احدهما حق الله والآخر حق نفسه ان يخاف الله فيؤثر حق الله على حق نفسه وقيل كانوا يخشون الاصنام ويرجونها فاريد نفي تلك الخشية عنهم فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين تبعيد للمشركين عن مواقف الاهتداء وحسم لاطماعهم في الانتفاع باعمالهم التي استعظموها وافتخروا بها واملوا عاقبتها بان الذين آمنوا وضموا الى ايمانهم العمل بالشرائع مع استشعار الخشية والتقوى اهتداؤهم دائر بين عسى ولعل فما بال المشركين يقطعون بانهم مهتدون ونائلون عند الله الحسنى وفي هذا الكلام ونحوه لطف للمؤمنين في ترجيح الخشية على الرجاء ورفض الاغترار بالله • اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين • السقاية والعمارة مصدران من سقى وعمر كالصيانة والوقاية ولا بد من مضاف محذوف تقديره اجعلتم اهل سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله وتصدقه قراءة ابن الزبير وابي وجزة السعدي وكان من القراء سقاة الحاج وعمرة المسجد الحرام والمعنى انكار ان يشبه المشركون بالمؤمنين واعمالهم المحبطة باعمالهم المثبتة وان يسوى بينهم وجعل تسويتهم ظلما بعد ظلمهم بالكفر وروي ان المشركين قالوا لليهود نحن سقاة الحجيج وعمار المسجد الحرام افنحن افضل ام محمد واصحابه فقالت لهم اليهود انتم افضل وقيل ان عليا قال للعباس يا عم الا تهاجرون الا تلحقون برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الست في افضل من الهجرة اسقي حاج بيت الله واعمر المسجد الحرام فلما نزلت قال العباس ما اراني الا تارك سقايتنا فقال صلى الله عليه وسلم اقيموا على سقايتكم فان لكم فيها خيرا • الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله واولئك هم الفائزون • هم اعظم درجة عند الله من اهل السقاية والعمارة عندكم واولئك هم الفائزون لا انتم والمختصون بالفوز دونكم • يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها ابدا ان الله عنده اجر عظيم • قرئ يبشرهم بالتخفيف والتثقيل وتنكير المبشر به لوقوعه وراء صفة الواصف وتعريف المعرف وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي في المهاجرين خاصة

يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اباءكم واخوانكم اولياء ان استحبوا الكفر على الايمان
ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم
وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها
احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى ياتي الله بامره والله
لا يهدي القوم الفاسقين كان قبل فتح مكة من امن لم يتم ايمانه الا بان يهاجر ويصارم اقاربه الكفرة
ويقطع موالاتهم فقالوا يا رسول الله ان نحن اعتزلنا من خالفنا في الدين قطعنا اباءنا وابناءنا وعشائرنا وذهبت
تجارتنا وهلكت اموالنا وخربت ديارنا وبقينا ضائعين فنزلت فهاجروا فجعل الرجل ياتيه ابنه او ابوه او اخوه او بعض
اقاربه فلا يلتفت اليه ولا ينزله ولا ينفق عليه ثم رخص لهم بعد ذلك وقيل نزلت في التسعة الذين ارتدوا
ولحقوا بمكة فنهى الله عن موالاتهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا يطعم احدكم طعم الايمان حتى يحب في الله ويبغض في الله
حتى يحب في الله ابعد الناس ويبغض في الله اقرب الناس اليه وقرئ عشيراتكم وقرأ الحسن عشائركم فتربصوا
حتى ياتي الله بامره وعيد عن ابن عباس هو فتح مكة وعن الحسن عقوبة عاجلة او اجلة وهذه اية شديدة لا ترى اشد
منها كانها تنعى على الناس ما هم عليه من رخاوة عقد الدين واضطراب حبل اليقين فلينصف اورع الناس واتقاهم
من نفسه هل يجد عنده من التصلب في ذات الله والثبات على دين الله ما يستحب له دينه على الاباء والابناء والاخوان والعشائر
والمال والمساكن وجميع حظوظ الدنيا ويتجرد منها لاجله ام يزوي الله عنه احقر شيء منها لمصلحته فلا يدري اي طرفيه اطول
ويغويه الشيطان عن اجل حظ من حظوظ الدين فلا يبالي كانما وقع على انفه ذباب فطيره لقد نصركم الله
في مواطن كثيرة ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض
بما رحبت ثم وليتم مدبرين مواطن الحرب مقاماتها ومواقفها قال وكم موطن لولاي طحت كما هوى
باجرامه من قلة النيق منهوي وامتناعه من الصرف لانه جمع وعلى صيغة لم يات عليها واحد والمواطن الكثيرة وقعات
بدر وقريظة والنضير والحديبية وخيبر وفتح مكة **فان قلت** كيف عطف الزمان على المكان وهو يوم حنين على
المواطن **قلت** معناه وموطن يوم حنين او في ايام مواطن كثيرة ويوم حنين ويجوز ان يراد بالموطن الوقت
كمقتل الحسين على ان الواجب ان يكون يوم حنين منصوبا بفعل مضمر لا بهذا الظاهر وموجب ذلك ان قوله اذ اعجبتكم
بدل من يوم حنين فلو جعلت ناصبه هذا الظاهر لم يصح لان كثرتهم لم تعجبهم في جميع تلك المواطن ولم يكونوا كثيرا في جميعها
فبقي ان يكون ناصبه فعلا خاصا به الا اذا نصبت اذ باضمار اذكر وحنين واد بين مكة والطائف كانت فيه الوقعة بين
المسلمين وهم اثنا عشر الفا الذين حضروا فتح مكة منضما اليهم الفان من الطلقاء وبين هوازن وثقيف وهم اربعة
الاف فيمن ضامهم من امداد سائر العرب وكانوا الجم الغفير فلما التقوا قال رجل من المسلمين لن نغلب اليوم من قلة فساءت
رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته وقيل قائلها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل ابو بكر رضي الله عنه وذلك قوله تعالى اذ اعجبتكم كثرتكم
فادركت المسلمين كلمة الاعجاب بالكثرة وزل عنهم ان الله تعالى هو الناصر لا كثرة الجنود فانهزموا
حتى بلغ فلهم مكة وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده وهو ثابت في مركزه لا يتحلحل ليس معه الا عمه العباس اخذا
بلجام دابته وابو سفيان بن الحارث ابن عمه وناهيك بهذه الواحدة شهادة على تناهي شجاعته ورباطة جاشه وما هي
الا من ايات النبوة وقال يا رب ائتني بما وعدتني وقال للعباس وكان صيتا صح بالناس فنادى الانصار فخذا
فخذا ثم نادى يا اصحاب الشجرة يا اصحاب سورة البقرة فكروا عنقا واحدا وهم يقولون لبيك لبيك ونزلت الملائكة عليهم الثياب البيض
على خيول بلق فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قتال المسلمين فقال هذا حين حمي الوطيس ثم اخذ كفا من تراب فرماهم
به ثم قال انهزموا ورب الكعبة فانهزموا قال العباس لكاني انظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض خلفهم على بغلته
بما رحبت ما مصدرية والباء بمعنى مع اي مع رحبها وحقيقته ملتبسة برحبها على ان الجار والمجرور في موضع
الحال كقولك دخلت عليه بثياب السفر اي ملتبسا بها لم احلها يعني مع ثياب السفر والمعنى لا تجدون موضعا تستصلحونه
لهربكم اليه ونجاتكم لفرط الرعب فكانها ضاقت عليكم ثم وليتم مدبرين ثم انهزمتم ثم انزل الله سكينته على
رسوله وعلى المؤمنين وانزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين

قوله من الطلقاء الطلقاء الذين اطلقهم النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة واطلقهم والطليق الاسير الذي اطلق عن اساره وخلي سبيله

سكينته

سكينته رحمته التي سكنوا بها وامنوا وعلى المؤمنين الذين انهزموا وقيل هم الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
حين وقع الهرب وانزل جنودا يعني الملائكة وكانوا ثمانية الاف وقيل خمسة الاف وقيل ستة عشر الفا وعذب
الذين كفروا بالقتل والاسر وسبي النساء والذراري ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء
والله غفور رحيم ثم يتوب الله اي يسلم بعد ذلك ناس منهم وروي ان ناسا منهم جاؤوا فبايعوا رسول الله
على الاسلام وقالوا يا رسول الله انت خير الناس وابر الناس وقد سبي اهلونا واولادنا واخذت اموالنا قيل
سبي يومئذ ستة الاف نفس واخذ من الابل والغنم ما لا يحصى فقال ان عندي ما ترون ان خير القول اصدقه اختاروا
اما ذراريكم ونساءكم واما اموالكم قالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيئا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان هؤلاء
جاؤوا مسلمين وانا خيرناهم بين الذراري والاموال فلم يعدلوا بالاحساب شيئا فمن كان بيده شيء وطابت نفسه ان
يرده فشانه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيئا فنعطيه مكانه قالوا رضينا وسلمنا فقال اني لا ادري
لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا ذلك الينا فرفعت اليه العرفاء انهم قد رضوا يا ايها الذين امنوا
انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وان خفتم عيلة فسوف
يغنيكم الله من فضله ان شاء ان الله عليم حكيم النجس مصدر نجس نجسا وقذر قذرا
ومعناه ذوو نجس لان معهم الشرك الذي هو بمنزلة النجس ولانهم لا يتطهرون ولا يغتسلون ولا يجتنبون النجاسات
فهي ملابسة لهم او جعلوا كانهم النجاسة بعينها مبالغة في وصفهم بها وعن ابن عباس رضي الله عنهما اعيانهم نجسة كالكلاب
والخنازير وعن الحسن من صافح مشركا توضا واهل المذاهب على خلاف هذين القولين وقرئ نجس بكسر النون وسكون
الجيم على تقدير حذف الموصوف كانه قيل انما المشركون جنس نجس او ضرب نجس واكثر ما جاء تابعا لرجس وهو
تخفيف نجس نحو كبد في كبد فلا يقربوا المسجد الحرام فلا يحجوا ولا يعتمروا كما كانوا يفعلون في الجاهلية بعد عامهم هذا بعد
حج عامهم هذا وهو عام تسع من الهجرة حين امر ابو بكر على الموسم وهو مذهب ابي حنيفة واصحابه رحمهم الله تعالى ويدل
عليه قول علي رضي الله عنه حين نادى ببراءة الا لا يحج بعد عامنا هذا مشرك ولا يمنعون من دخول الحرم والمسجد الحرام
وسائر المساجد عندهم وعند الشافعي رحمه الله يمنعون من المسجد الحرام خاصة وعند مالك رحمه الله تعالى يمنعون منه ومن غيره
من المساجد وعن عطاء ان المراد بالمسجد الحرام الحرم وان على المسلمين ان لا يمكنوهم من دخوله ونهي المشركين ان
يقربوه راجع الى نهي المسلمين عن تمكينهم منه وقيل المراد ان يمنعوا من تولي المسجد الحرام والقيام بمصالحه ويعزلوا
عن ذلك وان خفتم عيلة اي فقرا بسبب منع المشركين من الحج وما كان لكم في قدومهم عليكم من الارفاق والمكاسب
فسوف يغنيكم الله من فضله من عطائه او من تفضله بوجه اخر فارسل السماء عليهم مدرارا اغزر بها خيرهم واكثر
ميرهم واسلم اهل تبالة وجرش فحملوا الى مكة الطعام وما يعاش به فكان ذلك اعود عليهم مما خافوا العيلة لفواته
وعن ابن عباس رضي الله عنهما القى الشيطان في قلوبهم الخوف وقال من اين تاكلون فامرهم الله بقتال اهل الكتاب
واغناهم بالجزية وقيل بفتح البلاد والغنائم وقرئ عائلة بمعنى المصدر كالعافية او حالا عائلة ومعنى قوله ان شاء
ان اوجبت الحكمة اغناءكم وكان مصلحة لكم في دينكم ان الله عليم باحوالكم حكيم لا يعطي ولا يمنع الا عن حكمة وصواب
قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله
ولا يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون
من الذين اوتوا الكتاب بيان للذين مع ما في حيزه نفى عنهم الايمان بالله لان اليهود مثنية والنصارى مثلثة
وايمانهم باليوم الاخر لانهم فيه على خلاف ما يجب وتحريم ما حرم الله ورسوله لانهم لا يحرمون ما حرم في الكتاب والسنة وعن
ابي روق لا يعملون بما في التوراة والانجيل وان يدينوا دين الحق وان يعتقدوا دين الاسلام الذي هو الحق وما سواه الباطل
وقيل دين الله يقال فلان يدين بكذا اذا اتخذه دينه ومعتقده سميت جزية لانها طائفة مما على اهل الذمة ان
يجزوه اي يقضوه او لانهم يجزون بها من من عليهم بالاعفاء عن القتل عن يد اما ان يراد يد المعطي او الاخذ
فمعناه على ارادة يد المعطي حتى يعطوها عن يد اي عن يد مواتية غير ممتنعة لان من ابى وامتنع لم يعط يده بخلاف المطيع المنقاد
ولذلك قالوا اعطى بيده اذا انقاد واصحب الا ترى الى قولهم نزع يده عن الطاعة كما يقال خلع ربقة الطاعة عن عنقه

او حتى يعطوها عن يد الى يد نقدا غير نسيئة لا مبعوثا على يد احد ولكن عن يد المعطي الى يد الآخذ واما على ارادة
يد الآخذ فمعناه حتى يعطوها عن يد قاهرة مستولية او عن انعام عليهم لان قبول الجزية منهم وترك ارواحهم لهم نعمة
عظيمة عليهم وهم صاغرون اي يؤخذ منهم على الصغار والذل وهو ان يأتي بها بنفسه ماشيا غير راكب ويسلمها
وهو قائم والمتسلم جالس وان يتلتل تلتلة ويؤخذ بتلبيبه ويقال له اد الجزية وان كان يؤديها ويزج في قفاه
وتسقط بالاسلام عند ابي حنيفة ولا يسقط به خراج الارض واختلف فيمن تضرب عليه فعند ابي حنيفة رحمه الله تعالى
تضرب على كل كافر من ذمي ومجوسي وصابئ وحربي الا على مشركي العرب وحدهم روى الزهري ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم صالح عبدة الاوثان على الجزية الا من كان من العرب وقال لاهل مكة هل لكم في كلمة اذا قلتموها دانت لكم بها
العرب وادت اليكم الجزية العجم وعند الشافعي رحمه الله تعالى لا تؤخذ من مشركي العجم والمأخوذ عند ابي حنيفة في اول
كل سنة من الفقير الذي له كسب اثنا عشر درهما ومن المتوسط في الغنى ضعفها ومن المكثر ضعف الضعف ثمانية واربعون ولا
تؤخذ من فقير لا كسب له وعند الشافعي يؤخذ في آخر السنة من كل واحد دينار فقيرا كان او غنيا كان له كسب او لم يكن

وقالت اليهود عزير ابن وقالت النصارى المسيح ابن ذلك قولهم بافواههم
يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم انى يؤفكون عزير ابن الله مبتدا وخبر كقوله المسيح
ابن الله وعزير اسم اعجمي كعازر وعيزار وعزرائيل ولعجمته وتعريفه امتنع صرفه ومن نونه فقد جعله عربيا واما قول من قال سقوط
التنوين لالتقاء الساكنين كقراءة من قرأ احد الله او لان الابن وقع وصفا والخبر محذوف وهو معبودنا فتمحل عنه مندوحة
وهو قول ناس من اليهود ممن كان بالمدينة وما هو بقول كلهم عن ابن عباس رضي الله عنهما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
سلام بن مشكم ونعمان بن اوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف فقالوا ذلك وقيل قاله فنحاص وسبب هذا القول
ان اليهود قتلوا الانبياء بعد موسى عليه السلام فرفع الله تعالى عنهم التوراة ومحاها من قلوبهم فخرج عزير وهو غلام يسيح في الارض
فاتاه جبريل فقال له الى اين تذهب قال اطلب العلم فحفظه التوراة فاملاها عليهم عن ظهر لسانه لا يخرم حرفا فقالوا ما جمع الله التوراة
في صدره وهو غلام الا لانه ابنه والدليل على ان هذا القول كان فيهم ان الآية تليت عليهم فما انكروا ولا كذبوا مع تهالكهم
على التكذيب **فان قلت** كل قول يقال بالفم فما معنى قوله ذلك قولهم بافواههم **قلت** فيه وجهان احدهما
ان اراد انه قول لا يعضده برهان فما هو الا لفظ يفوهون به فارغ من معنى تحته كالالفاظ المهملة التي هي اجراس ونغم لا تدل على
معان وذلك ان القول الدال على معنى لفظه مقول بالفم ومعناه مؤثر في القلب وما لا معنى له مقول بالفم لا غير والثاني ان
يراد بالقول المذهب كقولهم قول ابي حنيفة يريدون مذهبه وما يقول به كانه قيل ذلك مذهبهم ودينهم بافواههم لا بقلوبهم
لانه لا حجة معه ولا شبهة حتى يؤثر في القلوب وذلك انهم اذا اعترفوا انه لا صاحبة له لم يبق شبهة في انتفاء الولد
يضاهئون لا بد فيه من حذف مضاف تقديره يضاهي قولهم قولهم ثم حذف المضاف واقيم الضمير المضاف اليه مقامه فانقلب
مرفوعا والمعنى ان الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى يضاهي قولهم قول قدمائهم يعني انه كفر
قديم فيهم غير مستحدث او يضاهي قول المشركين الملائكة بنات الله وقيل الضمير للنصارى اي يضاهي قولهم المسيح ابن الله قول اليهود
عزير ابن الله لانهم اقدم منهم وقرئ يضاهئون بالهمز من قولهم امرأة ضهيأ على فعيل وهي التي ضاهأت الرجال في انها
لا تحيض وهمزتها مزيدة كما في غرقئ قاتلهم الله اي هم احقاء بان يقال لهم هذا تعجبا من شناعة قولهم كما يقال لقوم ركبوا شنعاء
قاتلهم الله ما اعجب فعلهم انى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون
والمسيح بن مريم وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا سبحانه عما يشركون
اتخاذهم اربابا انهم اطاعوهم في الامر بالمعاصي وتحليل ما حرم الله تعالى وتحريم ما حلله كما تطاع الارباب في اوامرهم ونحوه تسمية
اتباع الشيطان فيما يوسوس به عبادة له بل كانوا يعبدون الجن وعن عدي بن حاتم انتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفي عنقي صليب من ذهب فقال اليسوا يحرمون ما احل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتحلونه قلت بلى قال فتلك عبادتهم
وعن فضيل ما ابالي اطعت مخلوقا في معصية الخالق او صليت لغير القبلة واما المسيح فحين جعلوه ابنا لله فقد اهلوه للعبادة
الا ترى الى قوله قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا امرتهم بذلك ادلة العقل والنصوص
في الانجيل والمسيح عليه السلام انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة سبحانه تنزيه له عن الاشراك به واستبعاد له ويجوز ان

(حاشية: تسقط الف الابن اذا وقع صفة بين علمين او لا تنون [illegible] في الخط واذا وقع خبرا اثبت نحو زيد ابن عمرو جاءني زيد بن عمرو)

(حاشية: الغرقئ قشر البيضة الاسفل وهو الذي تحت القيض)

(حاشية: تمام الحديث فلما [illegible] صلى الله عليه وسلم تلا عليه الآية اي اتخذوا احبارهم ورهبانهم [illegible] انهم لم يكونوا يعبدونهم فقال عليه الصلوة والسلام اليس كانوا يحرمون [illegible])

يكون الضمير في وما امروا للمتخذين اربابا اي وما امر هؤلاء الذين هم عندهم ارباب الا ليعبدوا الله ويوحدوه فكيف يصح
ان يكونوا اربابا وهم مأمورون مستعبدون مثلهم يريدون ان يطفئوا نور بافواههم
ويأبى الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين
الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون مثل حالهم في طلبهم ان يبطلوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
بالتكذيب بحال من يريد ان ينفخ في نور عظيم منبث في الآفاق يريد الله ان يزيده ويبلغه الغاية القصوى من الاشراق
والاضاءة ليطفئه بنفخه ويطمسه ليظهره ليظهر الرسول على الدين كله على اهل الاديان كلهم او ليظهر دين الحق على كل دين
فان قلت كيف جاز ابى الله الا كذا ولا يقال كرهت او ابغضت الا زيدا **قلت** قد اجرى ابى مجرى لم يرد
الا ترى كيف قوبل يريدون ان يطفئوا بقوله ويأبى الله وكيف اوقع موقع ولا يريد الله الا ان يتم نوره يا ايها الذين
آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل
والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل فبشرهم بعذاب اليم
معنى اكل الاموال على وجهين اما ان يستعار الاكل للاخذ الا ترى الى قولهم اخذ الطعام وتناوله واما على ان الاموال يؤكل
بها فهي سبب للاكل ومنه قوله يأكلن كل ليلة اكافا يريد علفا يشترى بثمن الاكاف ومعنى اكلهم بالباطل انهم كانوا
يأخذون الرشى في الاحكام والتخفيف والمسامحة في الشرائع والذين يكنزون يجوز ان يكون اشارة الى الكثير من الاحبار
والرهبان للدلالة على اجتماع خصلتين مذمومتين فيهم اخذ البراطيل وكنز الاموال والضن بها عن الانفاق في سبيل الخير
ويجوز ان يراد المسلمون الكانزون غير المنفقين ويقرن بينهم وبين المرتشين من اليهود والنصارى تغليظا ودلالة
على ان من يأخذ منهم السحت ومن لا يعطي منكم طيب ماله سواء في استحقاق البشارة بالعذاب الاليم وقيل نسخت الزكوة
آية الكنز وقيل هي ثابتة وانما عني بترك الانفاق في سبيل الله منع الزكوة وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما ادي زكوته فليس
بكنز وان كان باطنا وما بلغ ان يزكى فلم يزك فهو كنز وان كان ظاهرا وعن عمر رضي الله عنه ان رجلا سأله عن ارض له باعها
فقال احرز مالك الذي اخذت احفر له تحت فراش امرأتك قال اليس بكنز قال ما ادي زكوته فليس بكنز وعن ابن عمر
رضي الله عنهما كل ما اديت زكوته فليس بكنز وان كان تحت سبع ارضين وما لم تؤد زكوته فهو الذي ذكره الله وان كان على ظهر الارض
فان قلت فما تصنع بما روى سالم بن الجعد انها لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تبا للذهب تبا للفضة قالها
ثلاثا فقالوا له اي مال نتخذ قال لسانا ذاكرا وقلبا خاشعا وزوجة تعين احدكم على دينه وبقوله صلى الله عليه وسلم من ترك صفراء
او بيضاء كوي بها وتوفي رجل فوجد في مئزره دينار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كية وتوفي آخر فوجد في مئزره ديناران فقال
كيتان **قلت** كان هذا قبل ان تفرض الزكوة فاما بعد فرض الزكوة فالله اعدل واكرم من ان يجمع عبده مالا من حيث اذن
له فيه ويؤدي عنه ما اوجب عليه فيه ثم يعاقبه ولقد كان كثير من الصحابة رضي الله عنهم كعبد الرحمن بن عوف وطلحة بن عبيد الله
يقتنون الاموال ويتصرفون فيها وما عابهم احد ممن اعرض عن القنية لان الاعراض اختيار للافضل والادخل في الورع
والزهد في الدنيا والاقتناء مباح موسع لا يذم صاحبه ولكل شيء حد وما روي عن علي رضي الله عنه اربعة آلاف وما دونها
نفقة فما زاد فهو كنز كلام في الافضل **فان قلت** لم قيل ولا ينفقونها وقد ذكر شيئان **قلت** ذهابا بالضمير
الى المعنى دون اللفظ لان كل واحد منهما جملة وافية وعدة كثيرة ودراهم ودنانير فهو كقوله تعالى وان طائفتان من المؤمنين
اقتتلوا وقيل ذهب الى الكنوز وقيل الى الاموال وقيل معناه ولا ينفقونها والذهب كما ان معنى قوله فاني وقيار
بها لغريب وقيار كذلك **فان قلت** لم خصا بالذكر من بين سائر الاموال **قلت** لانهما قانون التمول
واثمان الاشياء ولا يكنزهما الا من فضلا عن حاجته ومن كثرا عنده حتى يكنزهما لم يعدم سائر اجناس الاموال فكان ذكر كنزهما
دليلا على ما سواهما يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم
هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون **فان قلت** ما معنى قوله يحمى عليها وهلا
قيل تحمى من قولك حمي الميسم واحميته ولا تقول احميت على الحديد **قلت** معناه ان النار تحمى عليها اي توقد ذات حمي
وحر شديد من قوله نار حامية ولو قيل يوم تحمى لم يعط هذا المعنى **فان قلت** فاذا كان الاحماء للنار فلم ذكر الفعل
قلت لانه مسند الى الجار والمجرور واصله يوم تحمى النار عليها فلما حذفت النار قيل يحمى عليها لانتقال الاسناد عن النار

(حاشية: اوله ان لنا احمرة عجافا)

(حاشية: اوله فمن يك امسى بالمدينة رحله)

الى عليها كما تقول رفعت القصة الى الامير فان لم تذكر القصة قلت رفع الى الامير وعن ابن عامر انه قرأ تحمى بالتاء وقرأ
ابو حيوة فيكوى بالياء **فان قلت** لم خصت هذه الاعضاء **قلت** لانهم لم يطلبوا باموالهم حيث لم
ينفقوها في سبيل الله الا الاغراض الدنيوية من وجاهة عند الناس وتقدم وان يكون ماء وجوههم مصونا عندهم يتلقون
بالجميل ويحيون بالاكرام ويحتشمون ومن اكل طيبات يتضلعون منها وينفخون جنوبهم ومن لبس ناعمة من الثياب
يطرحونها على ظهورهم كما ترى اغنياء زمانك هذه اغراضهم وطلباتهم من اموالهم لا يخطرون ببالهم قول رسول الله
صلى الله عليه وسلم ذهب اهل الدثور بالاجور وقيل لانهم كانوا اذا ابصروا الفقير عبسوا واذا ضمهم واياه مجلس
ازوروا عنه وتولوا باركانهم وولوه ظهورهم وقيل معناه يكوون على الجهات الاربع مقاديمهم ومآخيرهم وجنوبهم
هذا ما كنزتم على ارادة القول وقوله تعالى لانفسكم اي كنزتموه لتنتفع به نفوسكم وتلتذ وتحصل لها الاغراض التي حامت
حولها وما علمتم انكم كنزتموه لتستضر به انفسكم وتتعذب وهو توبيخ لهم فذوقوا ما كنتم تكنزون وقرئ تكنزون بضم النون
اي وبال المال الذي كنتم تكنزونه او وبال كونكم كانزين ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا
في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها اربعة حرم ذلك الدين القيم فلا
تظلموا فيهن انفسكم وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا ان الله مع المتقين
في كتاب الله فيما اثبته واوجبه من حكمه ورآه حكمة وصوابا وقيل في اللوح اربعة حرم ثلاثة سرد ذو القعدة وذو الحجة
والمحرم وواحد فرد وهو رجب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في خطبته في حجة الوداع الا ان الزمان قد استدار
كهيئته يوم خلق الله السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة
والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان والمعنى رجعت الاشهر الى ما كانت عليه وعاد الحج في ذي الحجة وبطل النسيء
الذي كان في الجاهلية وقد وافقت حجة الوداع ذا الحجة وكانت حجة ابي بكر رضي الله عنه قبلها في ذي القعدة ذلك الدين
القيم يعني ان تحريم الاشهر الاربعة هو الدين المستقيم دين ابرهيم واسمعيل وكانت العرب قد تمسكت به وراثة منهما
وكانوا يعظمون الاشهر الحرم ويحرمون القتال فيها حتى لو لقي الرجل قاتل ابيه او اخيه لم يهجه وسموا رجبا الاصم ومنصل الاسنة
حتى احدثت النسيء فغيروا فلا تظلموا فيهن في الحرم انفسكم اي لا تجعلوا حرامها حلالا وعن عطاء تالله ما يحل للناس ان
يغزوا في الحرم ولا في الاشهر الحرم الا ان يقاتلوا وما نسخت وعن عطاء الخراساني احلت القتال في الاشهر الحرم براءة
من الله ورسوله وقيل معناه لا تأثموا فيهن بيانا لعظم وزرها كما عظم اشهر الحج بقوله فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا
فسوق الآية وان كان ذلك محرما في سائر الشهور كافة حال من الفاعل او المفعول مع المتقين ناصرهم حثهم على التقوى
بضمان النصرة لاهلها انما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما
ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء اعمالهم والله لا يهدي القوم
الكافرين النسيء تأخير حرمة الشهر الى شهر آخر وذلك انهم كانوا اصحاب حروب وغارات فاذا جاء الشهر الحرام وهم
محاربون شق عليهم ترك المحاربة فيحلونه ويحرمون مكانه شهرا آخر حتى رفضوا تخصيص الاشهر الحرم بالتحريم فكانوا يحرمون من شهور
العام اربعة اشهر وذلك قوله ليواطئوا عدة ما حرم الله اي ليوافقوا العدة التي هي الاربعة ولا يخالفوها وقد خالفوا
التخصيص الذي هو احد الواجبين وربما زادوا في عدد الشهور فيجعلونها ثلاثة عشر او اربعة عشر ليتسع لهم الوقت ولذلك قال
عز وعلا ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا يعني من غير زيادة زادوها والضمير في يحلونه ويحرمونه للنسيء اي اذا احلوا
شهرا من الاشهر الحرم عاما رجعوا فحرموه في العام القابل روي انه حدث ذلك في كنانة لانهم كانوا فقراء محاويج الى الغارة
وكان جنادة بن عوف الكناني مطاعا في الجاهلية وكان يقوم على جمل في الموسم فيقول باعلى صوته ان آلهتكم قد احلت لكم المحرم
فاحلوه ثم يقوم في القابل فيقول ان آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه جعل النسيء زيادة في الكفر لان الكافر كلما
احدث معصية ازداد كفرا فزادتهم رجسا الى رجسهم كما ان المؤمن اذا احدث طاعة ازداد ايمانا فزادتهم ايمانا وهم
يستبشرون وقرئ يضل على البناء للمفعول ويضل بفتح الياء والضاد ويضل على ان الفعل لله عز وجل وقرأ الزهري ليوطئوا
بالتشديد والنسيء مصدر نسأه اذا اخره يقال نسأه نسأ ونساء ونسيئا كقولك مسه مسا ومساسا ومسيسا وقرئ
بهن جميعا وقرئ النسي بوزن الندي والنسء بوزن النهي وهما تخفيف النسيء والنسء **فان قلت**

ما معنى قوله فيحلوا ما حرم الله **قلت** معناه فيحلوا بمواطأة العدة وحدها من غير تخصيص ما حرم الله من القتال او من ترك
الاختصاص للاشهر بعينها زين لهم سوء اعمالهم خذلهم الله تعالى فحسبوا اعمالهم القبيحة حسنة والله لا يهدي اي لا يلطف
بهم بل يخذلهم وقرئ زين لهم سوء اعمالهم على البناء للفاعل وهو الله عز وجل يا ايها الذين آمنوا ما لكم اذا
قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض ارضيتم بالحيوة الدنيا من الآخرة فما متاع
الحيوة الدنيا في الآخرة الا قليل الا تنفروا يعذبكم عذابا اليما ويستبدل قوما غيركم ولا
تضروه شيئا والله على كل شيء قدير اثاقلتم تثاقلتم وبه قرأ الاعمش اي تباطأتم وتقاعستم وضمن
معنى الميل والاخلاد فعدي بالى والمعنى ملتم الى الدنيا وشهواتها وكرهتم مشاق السفر ومتاعبه ونحوه اخلد الى الارض واتبع
هواه وقيل ملتم الى الاقامة بارضكم ودياركم وقرئ أاثاقلتم على الاستفهام الذي معناه الانكار والتوبيخ **فان قلت**
فما العامل في اذا وحرف الاستفهام مانع ان يعمل فيه **قلت** ما دل عليه قوله اثاقلتم كما في قوله تعالى ائذا كنا ترابا ائنا لفي
خلق جديد او ما في ما لكم من معنى الفعل كانه قيل ما تصنعون اذا قيل لكم كما تعمله في الحال اذا قلت ما لك قائما وكان ذلك في
غزوة تبوك في سنة عشر بعد رجوعهم من الطائف استنفروا في وقت عسرة وقحط وقيظ مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق
عليهم وقيل ما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة الا ورى عنها بغيرها الا في غزوة تبوك ليستعد الناس تمام العدة من الآخرة
بدل الآخرة كقوله تعالى لجعلنا منكم ملائكة في الآخرة في جنب الآخرة الا تنفروا سخط عظيم على المتثاقلين حيث اوعدهم بعذاب اليم
مطلق يتناول عذاب الدارين وانه يهلكهم ويستبدل بهم قوما آخرين خيرا منهم واطوع وانه غني عنهم في نصرة دينه لا يقدح تثاقلهم فيها
شيئا وقيل الضمير للرسول اي ولا تضروه لان الله تعالى وعده ان يعصمه من الناس وان ينصره ووعد الله كائن لا محالة وقيل
يريد بقوله قوما غيركم اهل اليمن وقيل ابناء فارس والظاهر مستغن عن التخصيص الا تنصروه فقد نصره الله اذ
اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فانزل
الله سكينته عليه وايده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي
العليا والله عزيز حكيم **فان قلت** كيف يكون قوله فقد نصره الله جوابا للشرط **قلت** فيه وجهان
احدهما الا تنصروه فسينصره من نصره حين لم يكن معه الا رجل واحد ولا اقل من الواحد فدل بقوله فقد نصره الله على انه ينصره
في المستقبل كما نصره في ذلك الوقت والثاني انه اوجب له النصرة وجعله منصورا في ذلك الوقت فلن يخذل من بعده واسند
الاخراج الى الكفار كما اسنده اليهم في قوله من قريتك التي اخرجتك لانهم حين هموا باخراجه اذن الله له في الخروج فكانهم اخرجوه
ثاني اثنين احد اثنين كقوله ثالث ثلاثة وهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر الصديق رضي الله عنه يروى ان جبريل عليه السلام لما
امره بالخروج قال من يخرج معي قال ابو بكر وانتصابه على الحال وقرئ ثاني اثنين بالسكون واذ هما بدل من اذ اخرجه والغار نقب
في اعلى ثور وهو جبل في يمنى مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلاثا اذ يقول بدل ثان قيل طلع المشركون فوق الغار فاشفق ابو بكر على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان تصب اليوم ذهب دين الله فقال صلى الله عليه وسلم ما ظنك باثنين الله ثالثهما وقيل لما دخلا الغار
بعث الله تعالى حمامتين فباضتا في اسفله والعنكبوت فنسجت عليه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اعم ابصارهم
فجعلوا يترددون حول الغار ولا يفطنون قد اخذ الله بابصارهم عنه وقالوا من انكر صحبة ابي بكر فقد كفر لانكاره كلام الله
وليس ذلك لسائر الصحابة سكينته ما القي في قلبه من الامنة التي سكن عندها وعلم انهم لا يصلون اليه والجنود الملائكة يوم
بدر والاحزاب وحنين وكلمة الذين كفروا دعوتهم الى الكفر وكلمة الله دعوته الى الاسلام وقرئ وكلمة الله بالنصب
والرفع اوجه وهي فصل او مبتدأ وفيها تأكيد فضل كلمة الله في العلو وانها المختصة به دون سائر الكلم انفروا
خفافا وثقالا وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون
خفافا وثقالا خفافا في النفور لنشاطكم له وثقالا عنه لمشقته عليكم او خفافا لقلة عيالكم واذيالكم وثقالا لكثرتها
او خفافا من السلاح وثقالا منه او ركبانا ومشاة او شبانا وشيوخا او مهازيل وسمانا او صحاحا ومراضا وعن ابن ام مكتوم
انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اعلي ان انفر قال نعم حتى نزل ليس على الاعمى حرج وعن ابن عباس نسخت بقوله
ليس على الضعفاء ولا على المرضى وعن صفوان بن عمرو كنت واليا على حمص فلقيت شيخا كبيرا قد سقط حاجباه من اهل دمشق على
راحلته يريد الغزو فقلت يا عم لقد اعذر الله اليك فرفع حاجبيه وقال يا ابن اخي استنفرنا الله خفافا وثقالا الا انه من يحبه الله يبتليه

وعن الزهري خرج سعيد بن المسيب الى الغزو وقد ذهبت احدى عينيه فقيل انك عليل صاحب ضرر فقال استنفر الله
الخفيف والثقيل فان لم يمكنني الحرب كثرت السواد وحفظت المتاع وجاهدوا باموالكم وانفسكم ايجاب للجهاد بهما
ان امكن او باحدهما على حسب الحال والحاجة **لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ولكن**
بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله **لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون انفسهم** والله
يعلم انهم لكاذبون العرض ما عرض لك من منافع الدنيا يقال الدنيا عرض حاضر ياكل منه البر والفاجر
اي لو كان ما دعوا اليه غنما قريبا سهل المنال وسفرا قاصدا وسطا مقاربا الشقة المسافة الشاطة الشاقة
وقرا عيسى بن عمر بعدت عليهم الشقة بكسر العين والشين ومنه قوله يقولون لا تبعد وهم يدفنونه ولا بعد الا ما توارى
الصفائح بالله متعلق بسيحلفون او هو من جملة كلامهم والقول مراد في الوجهين اي سيحلفون يعني المتخلفين عند
رجوعك من غزوة تبوك معتذرين يقولون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم او سيحلفون بالله يقولون لو استطعنا
وقوله لخرجنا سد مسد جوابي القسم ولو جميعا والاخبار بما سوف يكون بعد القفول من حلفهم واعتذارهم وقد كان من
جملة المعجزات ومعنى الاستطاعة استطاعة العدة واستطاعة الابدان كانهم تمارضوا وقرئ لو استطعنا بضم
الواو تشبيها لها بواو الجمع في قوله فتمنوا الموت يهلكون انفسهم اما ان يكون بدلا من سيحلفون او حالا بمعنى مهلكين والمعنى
انهم يوقعونها في الهلاك بحلفهم الكاذب وما يحلفون عليه من التخلف ويحتمل ان يكون حالا من قوله لخرجنا اي لخرجنا معكم وان
اهلكنا انفسنا والقيناها في التهلكة بما نحملها من المسير في تلك الشقة وجاء به على لفظ الغائب لانه مخبر عنهم الا ترى انه
لو قيل سيحلفون بالله لو استطاعوا لخرجوا لكان سديدا يقال حلف بالله ليفعلن ولافعلن فالغيبة على حكم الاخبار
والتكلم على الحكاية **عفا** الله **عنك لم اذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم**
الكاذبين لا يستاذنك الذين يؤمنون بالله **واليوم الآخر ان يجاهدوا باموالهم**
وانفسهم والله **عليم بالمتقين** عفا الله عنك كناية عن الجناية لان العفو رادف لها ومعناه اخطات
وبئسما فعلت ولم اذنت لهم بيان لما كنى عنه بالعفو ومعناه مالك اذنت لهم في القعود عن الغزو حين استاذنوك
واعتلوا لك بعللهم وهلا استانيت بالاذن حتى يتبين لك من صدق في عذره ممن كذب فيه وقيل شيئان فعلهما
رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يؤمر بهما اذنه للمنافقين واخذه من الاسارى فعاتبه الله تعالى لا يستاذنك ليس من
عادة المؤمنين ان يستاذنوك في ان يجاهدوا وكان الخلص من المهاجرين والانصار يقولون لا نستاذن النبي صلى الله
عليه وسلم ابدا ولنجاهدن معه باموالنا وانفسنا ومعنى ان يجاهدوا في ان يجاهدوا او كراهة ان يجاهدوا والله عليم بالمتقين شهادة
لهم بالانتظام في زمرة المتقين وعدة لهم باجزل الثواب **انما يستاذنك الذين لا يؤمنون** بالله
واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون ولو ارادوا الخروج لاعدوا
له عدة ولكن كره الله **انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين** انما يستاذنك يعني
المنافقين وكانوا تسعة وثلاثين رجلا يترددون عبارة عن التحير لان التردد ديدن المتحير كما ان الثبات والاستقرار
ديدن المستبصر وقرئ عدة بمعنى عدته فعل بالعدة ما فعل بالعدة من قال واخلفوك عد الامر الذي وعدوا من
حذف تاء التانيث وتعويض المضاف اليه منها وقرئ عدة بكسر العين بغير اضافة وعدة باضافة **فان قلت**
كيف موقع حرف الاستدراك **قلت** لما كان قوله ولو ارادوا الخروج معطيا معنى نفي خروجهم واستعدادهم للغزو
قيل ولكن كره الله انبعاثهم كانه قيل ما خرجوا ولكن تثبطوا عن الخروج لكراهة انبعاثهم كما تقول ما احسن الي زيد ولكن اساء الي
فثبطهم فكسلهم وخذلهم وضعف رغبتهم في الانبعاث وقيل اقعدوا جعل القاء الله تعالى في قلوبهم كراهة الخروج
امرا بالقعود وقيل هو قول الشيطان بالوسوسة وقيل هو قولهم لانفسهم وقيل هو اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم
لهم في القعود **فان قلت** كيف جاز ان يوقع الله تعالى في نفوسهم كراهة الخروج الى الغزو وهي قبيحة تعالى الله
عن الهام القبيح **قلت** خروجهم كان مفسدة لقوله تعالى لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا فكان ايقاع كراهة
ذلك الخروج في نفوسهم حسنا ومصلحة **فان قلت** فلم خطا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الاذن لهم فيما هو مصلحة
قلت لان اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم لم يكن للنظر في هذه المصلحة ولا علمها الا بعد القفول باعلام الله تعالى

ولكن لانهم استاذنوه واعتذروا اليه وكان عليه ان يتفحص عن كنه معاذيرهم ولا يتجوز في قبولها فمن ثم اتاه العتاب
ويجوز ان يكون في تركه رسول الله صلى الله عليه وسلم الاذن لهم مع تثبيط الله تعالى اياهم مصلحة اخرى فبإذنه لهم
فقدت تلك المصلحة وذلك انهم اذا ثبطهم الله فلم ينبعثوا وكان قعودهم بغير اذن من رسول الله صلى الله عليه وسلم قامت
عليهم الحجة ولم تبق لهم معذرة ولقد تدارك الله تعالى ذلك حيث هتك استارهم وكشف اسرارهم وشهد عليهم
بالنفاق وانهم لا يؤمنون بالله واليوم الآخر **فان قلت** ما معنى قوله مع القاعدين **قلت** هو ذم لهم
وتعجيز والحاق بالنساء والصبيان والزمنى الذين شانهم القعود والجثوم في البيوت وهم القاعدون والخالفون والخوالف
ويبينه قوله تعالى رضوا بان يكونوا مع الخوالف **لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ولا اوضعوا**
خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله **عليم بالظالمين** الا خبالا ليس من
الاستثناء المنقطع في شيء كما يقولون لان الاستثناء المنقطع هو ان يكون المستثنى من غير جنس المستثنى منه
كقولك ما زادوكم خيرا الا خبالا والمستثنى منه في هذا الكلام غير مذكور واذا لم يذكر وقع الاستثناء من اعم العام الذي
هو الشيء فكان استثناء متصلا لان الخبال بعض اعم العام كانه قيل ما زادوكم شيئا الا خبالا والخبال الفساد والشر
ولا اوضعوا خلالكم ولسعوا بينكم بالتضريب والنمائم وافساد ذات البين يقال وضع البعير وضعا اذا اسرع واوضعته انا
والمعنى ولا اوضعوا ركائبهم بينكم والمراد الاسراع بالنمائم لان الراكب اسرع من الماشي وقرا ابن الزبير ولا رقصوا من رقصت الناقة
رقصا اذا اسرعت وارقصتها قال والراقصات الى منى فالغبغب وقرئ ولا اوفضوا **فان قلت**
كيف خط في المصحف ولا اوضعوا بزيادة الالف **قلت** كانت الفتحة تكتب الفا قبل الخط العربي والخط العربي
اخترع قريبا من نزول القرآن وقد بقي من ذلك الالف اثر في الطباع فكتبوا صورة الهمزة الفا وفتحتها الفا اخرى
ونحوه او لا اذبحنه يبغونكم الفتنة يحاولون ان يفتنوكم بان يوقعوا الخلاف فيما بينكم ويفسدوا نياتكم في مغزاكم وفيكم
سماعون لهم اي نمامون يسمعون حديثكم فينقلونه اليهم او فيكم قوم يسمعون للمنافقين ويطيعونهم **لقد ابتغوا الفتنة**
من قبل وقلبوا لك الامور حتى جاء الحق وظهر امر الله **وهم كارهون** لقد ابتغوا الفتنة
اي العنت ونصب الغوائل والسعي في تشتيت شملك وتفريق اصحابك عنك كما فعل عبد الله بن ابي يوم احد حين انصرف
بمن معه وعن ابن جريج وقفوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الثنية ليلة العقبة وهم اثنا عشر رجلا ليفتكوا به من قبل من قبل
غزوة تبوك وقلبوا لك الامور ودبروا لك الحيل والمكائد ودوروا الآراء في ابطال امرك وقرئ وقلبوا بالتخفيف حتى جاء
الحق وهو تاييدك ونصرك وظهر امر الله وغلب دينه وعلا شرعه **ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني الا في**
الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطة بالكافرين ائذن لي في القعود ولا تفتني ولا توقعني في الفتنة
وهي الاثم بان لا تاذن لي فاني ان تخلفت بغير اذنك اثمت وقيل ولا تلقني في الهلكة فاني اذا خرجت معك هلك مالي وعيالي
وقيل قال الجد بن قيس قد علمت الانصار اني مستهتر بالنساء فلا تفتني ببنات الاصفر يعني نساء الروم ولكني اعينك بمال
فاتركني وقرئ ولا تفتني من افتنه الا في الفتنة سقطوا اي ان الفتنة هي التي سقطوا فيها وهي فتنة التخلف وفي مصحف ابي
سقط لان من موحد اللفظ مجموع المعنى لمحيطة بالكافرين يعني انها تحيط بهم يوم القيامة او هي محيطة بهم الآن لان اسباب
الاحاطة معهم فكانهم في وسطها **ان تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك مصيبة يقولوا قد**
اخذنا امرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون ان تصبك في بعض الغزوات حسنة ظفر وغنيمة تسؤهم وان
تصبك مصيبة نكبة وشدة في بعضها نحو ما جرى يوم احد يفرحوا بحالهم في الانحراف عنك ويقولوا قد اخذنا امرنا اي
امرنا الذي نحن متسمون به من الحذر والتيقظ والعمل بالحزم من قبل من قبل ما وقع ويتولوا عن مقام التحدث بذلك والاجتماع له
الى اهليهم وهم فرحون مسرورون وقيل يتولوا اعرضوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم **قل لن يصيبنا الا ما كتب**
الله لنا هو مولانا وعلى الله **فليتوكل المؤمنون قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين**
ونحن نتربص بكم ان يصيبكم الله **بعذاب من عنده او بايدينا فتربصوا انا معكم متربصون**
قرا ابن مسعود قل هل يصيبنا وقرا طلحة هل يصيبنا بتشديد الياء ووجهه ان يكون يفيعل لا يفعل لانه من بنات الواو
لقولهم الصواب وصاب السهم يصوب وصوائب في جمع مصيبة فحق يفعل منه يصوب الا ترى الى قولهم صوب رايه

الا ان يكون من لغة من يقول صاب السهم يصيب ومن قوله اسهمي الصائبات والصيب واللام في قوله الا ما كتب الله لنا مفيدة معنى الاختصاص كانه قيل لن يصيبنا الا ما اختصنا الله باثباته وايجابه من النصرة عليكم او الشهادة الا ترى الى قوله هو مولانا الذي يتولانا ونتولاه ذلك بان الله مولى الذين آمنوا وان الكافرين لا مولى لهم وعلى الله فليتوكل المؤمنون وحق المؤمنين ان لا يتوكلوا على غير الله فليفعلوا ما هو حقهم الا احدى الحسنيين الا احدى العاقبتين اللتين كل واحدة منهما هي حسنى العواقب وهما النصرة والشهادة ونحن نتربص بكم احدى السوأيين من العواقب اما ان يصيبكم الله بعذاب من عنده وهو قارعة من السماء كما نزلت على عاد وثمود او بعذاب بايدينا وهو القتل على الكفر فتربصوا بنا ما ذكرنا من عواقبنا انا معكم متربصون ما هو عاقبتكم فلا بد ان نلقى كلنا ما نتربصه لا نتجاوزه

قل انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم انكم كنتم قوما فاسقين وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلوة الا وهم كسالى ولا ينفقون الا وهم كارهون

انفقوا يعني في سبيل الله ووجوه البر طوعا او كرها نصب على الحال اي طائعين او مكرهين **فان قلت** كيف امرهم بالانفاق ثم قال لن يتقبل منكم **قلت** هو امر في معنى الخبر كقوله قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن ومعناه لن يتقبل منكم انفقتم طوعا او كرها ونحوه قوله تعالى استغفر لهم او لا تستغفر لهم وقوله اسيئي بنا او احسني لا ملومة اي لن يغفر الله لهم استغفرت لهم ام لم تستغفر ولا نلومك اسأت الينا او احسنت **فان قلت** متى يجوز نحو هذا **قلت** اذا دل الكلام عليه كما جاز عكسه في قولك رحم الله زيدا وغفر له **فان قلت** لم فعل ذلك **قلت** لنكتة فيه وهي ان كثيرا كانه يقول للعزة امتحني لطف محلك عندي وقوة محبتي لك وعامليني بالاساءة والاحسان وانظري هل تتفاوت حالي معك مسيئة كنت او محسنة وفي معناه قول القائل اخوك الذي ان قمت بالسيف عامدا لتضربه لم يستغشك في الود وكذلك المعنى انفقوا وانظروا هل يتقبل منكم واستغفر لهم او لا تستغفر وانظر هل ترى اختلافا بين حال الاستغفار وتركه **فان قلت** ما الغرض في نفي التقبل اهو ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم تقبله منهم ورده عليهم ما يبذلون منه ام هو كونه غير مقبول عند الله ذاهبا هباء لا ثواب له **قلت** يحتمل الامرين جميعا وقوله طوعا او كرها معناه طائعين من غير الزام من الله ورسوله او ملزمين وسمي الالزام اكراها لانهم منافقون فكان الزامهم الانفاق شاقا عليهم كالاكراه او طائعين من غير اكراه من رؤسائكم لان رؤساء اهل النفاق كانوا يحملون على الانفاق لما يرون من المصلحة فيه او مكرهين من جهتهم وروي انها نزلت في الجد بن قيس حين تخلف عن غزوة تبوك وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم هذا مالي اعينك به فاتركني انكم تعليل لرد انفاقهم والمراد بالفسق التمرد والعتو انهم فاعل منع وهم وان تقبل مفعولاه وقرئ ان يقبل بالتاء والياء على البناء للمفعول ونفقاتهم ونفقتهم على الجمع والتوحيد وقرأ السلمي ان يقبل منهم نفقاتهم على ان الفعل لله عز وجل كسالى بالضم والفتح جمع كسلان نحو سكارى وغيارى في سكران وغيران وكسلهم لانهم لا يرجون بصلوتهم ثوابا ولا يخشون بتركها عقابا فهي ثقيلة عليهم كقوله وانها لكبيرة الا على الخاشعين وقرأت في بعض الاخبار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كره للمؤمن ان يقول كسلت كانه ذهب الى هذه الآية وان الكسل من صفات المنافقين فما ينبغي ان يسنده المؤمن الى نفسه **فان قلت** الكراهية خلاف الطواعية وقد جعلهم الله طائعين في قوله طوعا ثم وصفهم بانهم لا ينفقون الا وهم كارهون **قلت** المراد بطوعهم انهم يبذلونه من غير الزام من رسول الله صلى الله عليه وسلم او من رؤسائهم وما طوعهم ذاك الا عن كراهة واضطرار لا عن رغبة واختيار

فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون ويحلفون بالله انهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون

الاعجاب بالشيء ان تسر به سرور راض به متعجب من حسنه والمعنى فلا تستحسن ولا تفتتن بما اوتوا من زينة الدنيا كقوله ولا تمدن عينيك فان الله انما اعطاهم ما اعطاهم للعذاب بان عرضه للتغنم والسبي وبلاهم فيه بالآفات والمصائب وكلفهم الانفاق منه في ابواب الخير وهم كارهون له على رغم انوفهم واذاقهم انواع الكلف والمجاشم في جمعه واكتسابه وفي تربية اولادهم **فان قلت** ان صح تعليق التعذيب بارادة الله تعالى فما بال زهوق انفسهم وهم كافرون **قلت** المراد الاستدراج بالنعم كقوله تعالى انما نملي لهم ليزدادوا اثما كانه قيل ويريد ان يديم عليهم نعمته الى ان يموتوا وهم كافرون ملتهون بالتمتع عن النظر

[illegible]

للعاقبة لتمكنكم من حماية المسلمين يفرقون يخافون القتل وما يفعل بالمشركين فيتظاهرون بالاسلام تقية لو يجدون ملجأ او مغارات او مدخلا لولوا اليه وهم يجمحون ومنهم من يلمزك في الصدقات فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون ولو انهم رضوا ما آتيهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون

ملجأ مكانا يلجئون اليه متحصنين به من رأس جبل او قلعة او جزيرة او مغارات او غيرانا وقرئ بضم الميم من اغار الرجل وغار اذا دخل الغور وقيل هو تعدية غار الشيء واغرته انا يعني امكنة يغيرون فيها اشخاصهم ويجوز ان يكون من اغار الثعلب اذا اسرع بمعنى مهارب ومفار او مدخلا او نفقا يندسون فيه وينجحرون وهو مفتعل من الدخول وقرئ مدخلا من دخل ومدخلا من ادخل مكانا يدخلون فيه انفسهم وقرأ ابي بن كعب متدخلا وقرئ لوالوا اليه لالتجأوا اليه يجمحون يسرعون اسراعا لا يردهم شيء من الفرس الجموح وهو الذي اذا حمل لم يرده اللجام وقرأ انس يجمزون فسئل فقال يجمحون ويجمزون ويشتدون واحد يلمزك يعيبك في قسمة الصدقات ويطعن عليك قيل هم المؤلفة قلوبهم وقيل هو ابن ذي الخويصرة رأس الخوارج كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم غنائم حنين فقال اعدل يا رسول الله فقال ويلك ان لم اعدل فمن يعدل وقيل هو ابو الجواظ من المنافقين فقال الا ترون الى صاحبكم انما يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم وهو يزعم انه يعدل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ابا لك اما كان موسى راعيا اما كان داود راعيا فلما ذهب قال صلى الله عليه وسلم احذروا هذا واصحابه فانهم منافقون وقرئ يلمزك بالضم ويلمزك ويلامزك بالتثقيل والبناء على المفاعلة مبالغة في اللمز ثم وصفهم بان رضاهم وسخطهم لانفسهم لا للدين وما فيه صلاح اهله لان رسول الله صلى الله عليه وسلم استعطف قلوب اهل مكة يومئذ بتوفير الغنائم عليهم فضجر المنافقون منه واذا للمفاجاة اي وان لم يعطوا منها فاجأوا السخط جواب لو محذوف تقديره ولو انهم رضوا لكان خيرا لهم والمعنى ولو انهم رضوا ما اصابهم به الرسول من الغنيمة وطابت به نفوسهم وان قل نصيبهم وقالوا كفانا فضل الله وصنعه وحسبنا ما قسم لنا سيرزقنا غنيمة اخرى فيؤتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثر مما آتانا اليوم انا الى الله في ان يغنمنا ويخولنا فضله لراغبون

انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم

انما الصدقات للفقراء قصر لجنس الصدقات على الاصناف المعدودة وانها مختصة بها لا تتجاوزها الى غيرها كانه قيل انما هي لهم لا لغيرهم ونحوه قولك انما الخلافة لقريش تريد لا تتعداهم ولا تكون لغيرهم فيحتمل ان تصرف الى الاصناف كلها وان تصرف الى بعضها وعليه مذهب ابي حنيفة رحمه الله تعالى وعن ابن عباس رضي الله عنهما وغيرهما من الصحابة انهم قالوا في اي صنف وضعتها اجزاك وعن سعيد بن جبير لو نظرت الى اهل بيت من المسلمين فقراء متعففين فجبرتهم بها كان احب الي وعند الشافعي رحمه الله تعالى لا بد من صرفها الى الاصناف وعن عكرمة انها تفرق في الاصناف الثمانية وعن الزهري انه كتب الى عمر بن عبد العزيز تفريق الصدقات على الفقراء الثمانية والعاملين عليها السعاة الذين يقبضونها والمؤلفة قلوبهم اشراف من العرب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستألفهم على ان يسلموا فيرضخ لهم شيئا منها حين كان في المسلمين قلة والرقاب المكاتبون يعانون منها وقيل الاسارى وقيل تبتاع الرقاب فتعتق والغارمين الذين ركبتهم الديون ولا يملكون بعدها ما يبلغ النصاب وقيل الذين تحملوا الحمالات فتداينوا فيها وغرموا وفي سبيل الله فقراء الغزاة والحجيج المنقطع بهم وابن السبيل المسافر المنقطع عن ماله فهو فقير حيث هو غني حيث ماله فريضة في معنى المصدر المؤكد لان قوله تعالى انما الصدقات للفقراء معناه فرض الله الصدقات لهم وقرئ فريضة بالرفع **فان قلت** لم عدل عن اللام الى في في الاربعة الاخيرة **قلت** للايذان بانهم ارسخ في استحقاق التصدق عليهم ممن سبق ذكره لان في للوعاء فنبه على انهم احقاء بان توضع فيهم الصدقات ويجعلوا مظنة لها ومصبا وذلك لما في فك الرقاب من الكتابة والرق والاسر وفي فك الغارمين من الغرم من التخليص والانقاذ ولجمع الغازي الفقير او المنقطع في الحج بين الفقر والعبادة وكذلك ابن السبيل جامع بين الفقر والغربة عن الاهل والمال وتكرير في في قوله تعالى وفي سبيل الله وابن السبيل فيه فضل ترجيح لهذين على الرقاب والغارمين **فان قلت** كيف وقعت هذه الآية في تضاعيف ذكر المنافقين ومكايدهم **قلت** دل بكون هذه الاصناف مصارف الصدقات خاصة دون غيرهم على انهم ليسوا منهم

حسما لاطماعهم واشعارا باستيجابهم الحرمان وانهم بعداء عنها وعن مصارفها فما لهم وما لها وما سلطهم على التكلم فيها ولمز قاسمها

ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن قل اذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين

ورحمة للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم يحلفون بالله لكم

ليرضوكم والله ورسوله احق ان يرضوه ان كانوا مؤمنين الاذن الرجل الذي يصدق كل ما يسمع

ويقبل قول كل احد سمي بالجارحة التي هي آلة السماع كان جملته اذن سامعة ونظيره قولهم للربيئة عين وايذاؤهم له قولهم فيه

هو اذن واذن خير لكم كقولك رجل صدق يريد الجودة والصلاح كانه قيل نعم هو اذن ولكن نعم الاذن ويجوز ان يريد هو

اذن في الخير والحق وفيما يجب سماعه وقبوله وليس باذن في غير ذلك ويدل عليه قراءة حمزة ورحمة بالجر عطفا عليه اي هو اذن

خير ورحمة لا يسمع غيرهما ولا يقبله ثم فسر كونه اذن خير بانه يصدق بالله لما قام عنده من الادلة ويقبل من المؤمنين الخلص

من المهاجرين والانصار وهو رحمة لمن آمن منكم اي اظهر الايمان ايها المنافقون حيث يسمع منكم ويقبل ايمانكم الظاهر

ولا يكشف اسراركم ولا يفضحكم ولا يفعل بكم ما يفعل بالمشركين مراعاة لما رأى الله تعالى من المصلحة في الابقاء عليكم فهو اذن

[illegible]

الم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله فان له نار جهنم خالدا فيها ذلك الخزي العظيم

[illegible]

يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزءوا ان الله مخرج ما تحذرون ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم ان نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين

[illegible]

المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون ايديهم نسوا الله فنسيهم ان المنافقين هم الفاسقون وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم

[illegible]

كالذين من قبلكم كانوا اشد منكم قوة واكثر اموالا واولادا فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا اولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة واولئك هم الخاسرون

[illegible]

وانه في الآخرة لمن الصالحين ● الم ياتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم واصحاب مدين والموتفكات اتتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون ● واصحاب مدين واهل مدين وهم قوم شعيب والموتفكات مدائن قوم لوط وقيل قريات قوم لوط وهود وصالح وائتفاكهن انقلاب احوالهن عن الخير الى الشر فما كان الله ليظلمهم فما صح منه ان يظلمهم وهو حكيم لا يجوز عليه القبيح وان يعاقبهم بغير جرم ولكن ظلموا انفسهم حيث كفروا به فاستحقوا عقابه ● والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة ويطيعون الله ورسوله اولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم بعضهم اولياء بعض في مقابلة قوله في المنافقين بعضهم من بعض سيرحمهم الله السين مفيدة وجود الرحمة لا محالة وتوكد الوعد كما توكد الوعيد في قولك ساتنقم منك يوما يعني انك لا تفوتني وان تباطأ ذلك ونحوه سيجعل لهم الرحمن ودا ولسوف يعطيك ربك فترضى سوف نؤتيهم اجورهم عزيز غالب على كل شئ قادر عليه فهو يقدر على الثواب والعقاب حكيم واضع كلا موضعه على حسب الاستحقاق ● وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله اكبر ذلك هو الفوز العظيم ومساكن طيبة عن الحسن قصورا من اللؤلؤ والياقوت الاحمر والزبرجد وعدن علم بدليل قوله جنات عدن التي وعد الرحمن وعليه ما روى ابو الدرداء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عدن دار الله التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلثة النبيون والصديقون والشهداء يقول الله تعالى طوبى لمن دخلك وقيل هي مدينة في الجنة وقيل نهر جناته على حافاته ورضوان من الله اكبر وشئ من رضوان الله اكبر من ذلك كله لان رضاه سبب لكل فوز وسعادة ولانهم ينالون برضاه عنهم تعظيمه وكرامته والكرامة اكبر اصناف الثواب ولان العبد اذا علم ان مولاه راض عنه فهو اكبر في نفسه مما وراءه من النعم وانما يتهنأ له برضاه كما اذا علم بسخطه تنغصت عليه ولم يجد لها لذة وان عظمت وسمعت بعض اولي الهمة البعيدة والنفس المرة من مشايخنا يقول لا تطمح عيني ولا تنازع نفسي الى شئ مما وعد الله في دار الكرامة كما تطمح وتنازع الى رضاه عني وان احشر في زمرة المهديين المرضيين عنده ذلك اشارة الى ما وعد او الى الرضوان اي هو الفوز العظيم وحده دون ما يعده الناس فوزا وروي ان الله تعالى يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم افضل من ذلك قالوا واي شئ افضل من ذلك قال احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم ابدا ● يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأويهم جهنم وبئس المصير ● يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم وهموا بما لم ينالوا وما نقموا الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله فان يتوبوا يك خيرا لهم وان يتولوا يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا والآخرة وما لهم في الارض من ولي ولا نصير ● جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالحجة واغلظ عليهم في الجهادين جميعا ولا تحابهم وكل من وقف منه على فساد في العقيدة فهذا الحكم ثابت فيه يجاهد بالحجة ويستعمل معه الغلظة ما امكن منها ● عن ابن مسعود ان لم يستطع بيده فبلسانه وان لم يستطع فليكفهر في وجهه فان لم يستطع فبقلبه يريد الكراهة والبغضاء والتبرؤ منه وقد حمل الحسن جهاد المنافقين على اقامة الحدود عليهم اذا تعاطوا اسبابها اقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المنافقين المتخلفين فيسمع من معه منهم الجلاس ابن سويد فقال الجلاس والله لئن كان ما يقول محمد حقا لاخواننا الذين خلفناهم وهم ساداتنا واشرافنا فنحن شر من الحمير فقال عامر بن قيس الانصاري للجلاس اجل والله ان محمدا لصادق وانت شر من الحمار وبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستحضر فحلف بالله ما قال فرفع عامر يده فقال اللهم انزل على عبدك ونبيك تصديق الصادق وتكذيب الكاذب فنزل يحلفون بالله ما قالوا فقال الجلاس يا رسول الله لقد عرض الله علي التوبة والله لقد قلته وصدق عامر فتاب الجلاس وحسنت توبته وكفروا بعد اسلامهم واظهروا كفرهم بعد اظهار الاسلام وهموا بما لم ينالوا وهو الفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك عند مرجعه من تبوك توافق خمسة عشر منهم على ان يدفعوه عن راحلته الى الوادي اذا تسنم العقبة بالليل فاخذ عمار بن ياسر بخطام راحلته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها فبينما هما كذلك اذ سمع حذيفة بوقع اخفاف الابل وبقعقعة السلاح فالتفت فاذا قوم متلثمون فقال اليكم اليكم يا اعداء الله فهربوا وقيل

تصديق الكاذب وتكذيب الصادق

هم المنافقون بقتل عامر لرده على الجلاس وقيل ارادوا ان يتوجوا عبد الله بن ابي وان لم يرض رسول الله صلى الله عليه وسلم وما نقموا وما انكروا وما عابوا الا ان اغناهم الله وذلك انهم كانوا حين قدم رسول الله المدينة في ضنك من العيش لا يركبون الخيل ولا يحوزون الغنيمة فاثروا بالغنائم وقتل للجلاس مولى فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بديته اثنا عشر الفا فاستغنى فان يتوبوا هي الآية التي تاب عندها الجلاس في الدنيا والآخرة بالقتل والنار ● ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين ● فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون ● الم يعلموا ان الله يعلم سرهم ونجواهم وان الله علام الغيوب ● روي ان ثعلبة بن حاطب قال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا فقال صلى الله عليه وسلم يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذي بعثك بالحق لئن رزقني مالا لاعطين كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة فسال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقين لاخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسالاه الصدقة واقرآه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي فيه الفرائض فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا اخت الجزية وقال ارجعا حتى ارى رايي فلما رجعا قال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يكلماه يا ويح ثعلبة مرتين فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال ان الله منعني ان اقبل منك فجعل التراب على راسه فقال هذا عملك قد امرتك فلم تطعني فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء بها الى ابي بكر رضي الله عنه فلم يقبلها وجاء بها الى عمر رضي الله عنه في خلافته فلم يقبلها وهلك في زمان عثمان رضي الله عنه وقرئ لنصدقن ولنكونن بالنون الخفيفة فيهما من الصالحين قال ابن عباس رضي الله عنهما يريد الحج فاعقبهم عن الحسن وقتادة ان الضمير للبخل يعني فاورثهم البخل نفاقا متمكنا في قلوبهم لانه كان سببا فيه وداعيا اليه والظاهر ان الضمير لله عز وجل والمعنى فخذلهم حتى نافقوا وتمكن في قلوبهم نفاقهم فلا ينفك عنها الى ان يموتوا بسبب اخلافهم ما وعدوا الله من التصدق والصلاح وكونهم كاذبين ومنه جعل خلف الوعد ثلث النفاق وقرئ يكذبون بالتشديد الم تعلموا بالتاء وعن علي رضي الله عنه سرهم ونجواهم ما اسروه من النفاق والعزم على اخلاف ما وعدوه وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن في الدين وتسمية الصدقة جزية وتدبير منعها ● الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون الا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب اليم ● استغفر لهم او لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين ● الذين يلمزون محله النصب او الرفع على الذم ويجوز ان يكون في محل الجر بدلا من الضمير في سرهم ونجواهم وقرئ يلمزون بالضم المطوعين المتطوعين المتبرعين ● روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف باربعين اوقية من ذهب وقيل باربعة آلاف درهم وقال كان لي ثمانية آلاف فاقرضت ربي اربعة وامسكت اربعة لعيالي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما اعطيت وفيما امسكت فبارك الله له حتى صولحت تماضر امرأته عن ربع الثمن على ثمانين الفا وتصدق عاصم بن عدي بمائة وسق من تمر وجاء ابو عقيل الانصاري بصاع من تمر فقال بت ليلي اجر بالجرير على صاعين فتركت صاعا لعيالي وجئت بصاع فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينثره على الصدقات فلمزهم المنافقون وقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء وان كان الله ورسوله لغنيين عن صاع ابي عقيل ولكنه احب ان يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات فنزلت الا جهدهم الا طاقتهم وقرئ بالضم والفتح سخر الله منهم كقوله تعالى الله يستهزئ بهم في انه خبر غير دعاء الا ترى الى قوله ولهم عذاب اليم ● سال عبد الله بن عبد الله بن ابي رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رجلا صالحا ان يستغفر لابيه في مرضه ففعل فنزلت فقال صلى الله عليه وسلم ان الله قد رخص لي فسازيد على السبعين فنزلت سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم وقد ذكرنا ان مثل هذا الامر في معنى الخبر كانه قيل لن يغفر الله لهم استغفرت ام لم تستغفر لهم وان فيه معنى الشرط وذكرنا النكتة في المجيء به على لفظ الامر والسبعون جار مجرى المثل في كلامهم للتكثير قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه لاصبحن العاص وابن العاص سبعين الفا عاقدي النواصي ● فان قلت كيف خفي على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو افصح العرب واخبرهم باساليب الكلام وتمثيلاته والذي يفهم من ذكر هذا العدد وكثرة الاستغفار كيف وقد تلاه بقوله تعالى ذلك بانهم

البحر يمد الجبل يريد ازكان يسبق الماء فصاب صاعين

كونوا الآية فبين الصارف عن المغفرة لهم حتى قال قد رخص لي فسأزيد على السبعين **قلت** لم يخف عليه ذلك
ولكنه خيل بما قال اظهار الغاية رحمته ورأفته على من بعث اليه كقول ابراهيم ومن عصاني فانك غفور رحيم وفي اظهار النبي
الرحمة والرأفة لطف لامته ودعاء لهم الى ترحم بعضهم على بعض **فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول
الله وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر
قل نار جهنم اشد حرا لو كانوا يفقهون** المخلفون الذين استأذنوا رسول الله من المنافقين
فاذن لهم وخلفهم بالمدينة في غزوة تبوك او الذين خلفهم كسلهم ونفاقهم والشيطان بمقعدهم بقعودهم عن الغزو
خلاف رسول الله خلفه يقال اقام خلاف الحي بمعنى بعدهم ظعنوا ولم يظعن معهم ويشهد له قراءة ابي حيوة خلف رسول الله
وقيل هو بمعنى المخالفة لانهم خالفوه حيث قعد ونهض وانتصابه على انه مفعول له او حال اي قعدوا لمخالفته او
مخالفين له وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم تعريض بالمؤمنين وبتحملهم المشاق العظام لوجه الله وبما فعلوا من بذل
اموالهم وارواحهم في سبيل الله وايثارهم ذلك على الدعة والخفض وكره ذلك المنافقون وكيف لا يكرهونه وما فيهم
ما في المؤمنين من باعث الايمان ودواعي الايقان قل نار جهنم اشد حرا استجهال لهم لان من تصون من مشقة ساعة فوقع
بسبب ذلك التصون في مشقة الابد كان اجهل من كل جاهل ولبعضهم مسرة احقاب تلقيت بعدها مساءة
يوم اريها شبه الصاب فكيف بان تلقى مسرة ساعة وراء تقضيها مساءة احقاب **فليضحكوا قليلا
وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون** معناه فيضحكون قليلا ويبكون كثيرا جزاء الا انه اخرج
على لفظ الامر للدلالة على انه حتم واجب لا يكون غيره يروى ان اهل النفاق يبكون في النار عمر الدنيا لا يرقا لهم دمع
ولا يكتحلون بنوم **فان رجعك الله الى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا
معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا انكم رضيتم بالقعود اول مرة فاقعدوا مع الخالفين**
وانما قال الى طائفة منهم لان منهم من تاب من النفاق وندم على التخلف واعتذر بعذر صحيح وقيل لم يكن المخلفون كلهم
منافقين فاراد بالطائفة المنافقين منهم فاستأذنوك للخروج الى غزوة بعد غزوة تبوك وكان اسقاطهم عن ديوان الغزاة
عقوبة لهم على تخلفهم الذي علم الله انه لم يدعهم اليه الا النفاق بخلاف غيرهم من المتخلفين مع الخالفين قد مر تفسيره وقرأ
مالك بن دينار رحمه الله تعالى مع الخلفين على قصر الخالفين **فان قلت** مرة نكرة وضعت موضع المرات للتفضيل
فلم ذكر اسم التفضيل المضاف اليها وهو دال على واحدة من المرات **قلت** اكثر اللغتين هند اكبر النساء وهي اكبرهن
ثم ان قولك هي كبرى امرأة لا تكاد تعثر عليه ولكن هي اكبر امرأة واول مرة وآخر مرة وعن قتادة ذكر لنا انهم كانوا اثني عشر
رجلا قيل فيهم ما قيل **ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله
ورسوله وماتوا وهم فاسقون** وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقوم على قبور المنافقين
ويدعو لهم فلما مرض رأس النفاق عبد الله بن ابي بعث اليه ليأتيه فلما دخل عليه قال اهلكك حب اليهود فقال يا رسول الله
بعثت اليك لتستغفر لي لا لتؤنبني وسأله ان يكفنه في شعاره الذي يلي جلده ويصلي عليه فلما مات دعاه ابنه حباب
الى جنازته فسأله عن اسمه فقال انت عبد الله بن عبد الله الحباب اسم شيطان فلما هم بالصلوة عليه قال له عمر اتصلي على عدو الله
فنزلت وقيل اراد ان يصلي عليه فجذبه جبريل عليه السلام **فان قلت** كيف جازت له تكرمة المنافق
وتكفينه في قميصه **قلت** كان ذلك مكافأة له على صنيع سبق له وذلك ان العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما أخذ اسيرا ببدر لم يجد له قميصا وكان رجلا طوالا فكساه عبد الله قميصه وقال له المشركون يوم الحديبية انا لا ناذن
لمحمد ولكنا ناذن لك فقال لا ان لي في رسول الله اسوة حسنة فشكر رسول الله صلى الله عليه وسلم له ذلك واجابة له
الى مسألته اياه فقد كان صلى الله عليه وسلم لا يرد سائلا وكان يتوفر على دواعي المروة ويعمل بعادات الكرام واكرامه
لابنه الرجل الصالح فقد روي انه قال له اسألك ان تكفنه في بعض قمصانك وان تقوم على قبره ولا يشمت به الاعداء
وعلما بان تكفينه في قميصه لا ينفعه مع كفره فلا فرق بينه وبين غيره من الاكفان وليكون الباسه اياه لطفا لغيره فقد
روي انه قيل له لم وجهت اليه بقميصك وهو كافر فقال ان قميصي لن يغني عنه من الله شيئا واني اؤمل من الله ان يدخل
في الاسلام كثير بهذا السبب فيروى انه اسلم الف من الخزرج لما رأوه طلب الاستشفاء بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم

وكان

وكذلك ترحمه واستغفاره كان للدعاء الى التراحم والتعاطف لانهم اذا رأوه يترحم على من يظهر الايمان وباطنه على
خلاف ذلك دعا المسلم الى ان يتعطف على من واطأ قلبه لسانه ورآه حتما عليه **فان قلت** فكيف جازت الصلوة
عليه **قلت** لم يتقدم نهي عن الصلوة عليهم وكانوا يجرون مجرى المسلمين لظاهر ايمانهم لما في ذلك من المصلحة وعن ابن عباس
ما ادري ما هذه الصلوة الا اني اعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخادع مات صفة لاحد وانما قيل مات وماتوا
بلفظ الماضي والمعنى على الاستقبال على تقدير الكون والوجود لانه كائن موجود لا محالة انهم كفروا تعليل للنهي
**ولا تعجبك اموالهم واولادهم انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا وتزهق انفسهم
وهم كافرون** وقد اعيد قوله ولا تعجبك لان تجدد النزول له شأن في تقرير ما نزل له وتأكيده وارادة ان
يكون على بال من المخاطب لا ينساه ولا يسهو عنه وان يعتقد ان العمل به مهم يفتقر الى فضل عناية به لا سيما اذا تراخى ما
بين النزولين فاشبه الشيء الذي اهم صاحبه فهو يرجع اليه في اثناء حديثه ويتخلص اليه وانما اعيد هذا المعنى لقوته
فيما يجب ان يحذر منه **واذا انزلت سورة ان آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك
اولوا الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين** يجوز ان يراد السورة بتمامها وان يراد بعضها في
قوله واذا انزلت سورة كما يقع القرآن والكتاب على كله وعلى بعضه وقيل هي براءة لان فيها الامر بالايمان والجهاد وان
آمنوا اي بان آمنوا اولوا الطول ذووا الفضل والسعة من طال عليه طولا مع القاعدين مع الذين لهم علة وعذر في التخلف
رضوا بان يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ثم لا يفقهون ما في الجهاد
من الفوز والسعادة وما في التخلف من الشقاء والهلاك **لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا
باموالهم وانفسهم واولئك لهم الخيرات واولئك هم المفلحون اعد الله
لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم** لكن الرسول اي
ان تخلف هؤلاء فقد نهد الى الغزو من هو خير منهم واخلص نية ومعتقدا كقوله فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما
فان استكبروا فالذين عند ربك الخيرات تتناول منافع الدارين لاطلاق اللفظ وقيل الحور لقوله فيهن خيرات
**وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله
سيصيب الذين كفروا منهم عذاب اليم** المعذرون من عذر في الامر اذا قصر فيه وتوانى ولم يجد وحقيقته
ان يوهم ان له عذرا فيما يفعل ولا عذر له او المعتذرون بادغام التاء في الذال ونقل حركتها الى العين ويجوز في العين
كسر العين لالتقاء الساكنين وضمها لاتباع الميم ولكن لم تثبت بها قراءة وهم الذين يعتذرون بالباطل كقوله يعتذرون
اليكم اذا رجعتم اليهم وقرئ المعذرون بالتخفيف وهو الذي يجتهد في العذر ويحتشد فيه قيل هم اسد وغطفان قالوا
ان لنا عيالا وان بنا جهدا فائذن لنا في التخلف وقيل هم رهط عامر بن الطفيل قالوا ان غزونا معك اغارت
اعراب طيئ على اهالينا ومواشينا فقال صلى الله عليه وسلم سيغنيني الله عنكم وعن مجاهد نفر من غفار اعتذروا فلم
يعذرهم الله تعالى وعن قتادة اعتذروا بالكذب وقرئ المعذرون بتشديد العين والذال من تعذر بمعنى اعتذر
وهذا غير صحيح لان التاء لا تدغم في العين ادغامها في الطاء والزاي والصاد في المطوعين وازكى واصدق وقيل
اريد المعتذرون بالصحة وبه فسر المعذرون والمعذرون على قراءة ابن عباس الذين لم يفرطوا في العذر وقعد الذين
كذبوا الله ورسوله هم منافقو الاعراب الذين لم يجيئوا ولم يعتذروا وظهر بذلك انهم كذبوا الله ورسوله في ادعائهم
الايمان وقرأ ابي كذبوا بالتشديد سيصيب الذين كفروا منهم من الاعراب عذاب اليم في الدنيا بالقتل وفي الاخرة بالنار
**ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا
لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم** الضعفاء الهرمى
والزمنى والذين لا يجدون الفقراء قيل هم مزينة وجهينة وبنو عذرة والنصح لله ورسوله الايمان بهما وطاعتهما في السر
وتوليهما والحب والبغض فيهما كما يفعل الموالي الناصح بصاحبه على المحسنين على المعذورين الناصحين ومعنى لا سبيل عليهم لا جناح
عليهم ولا طريق للعاتب عليهم **ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم قلت لا اجد ما احملكم عليه تولوا
واعينهم تفيض من الدمع حزنا الا يجدوا ما ينفقون** قلت حال من الكاف في اتوك وقد قبله مضمرة

كما قيل في قوله تعالى او جاؤكم حصرت صدورهم اي قاما اتوك قلت لا اجد تولوا وقد حصر الله تعالى المعذورين في التخلف الذين ليس بهم في ابدانهم استطاعة والذين عدموا آلة الخروج والذين سألوا المعونة فلم يجدوها وقيل المستحملون ابو موسى واصحابه وقيل البكاؤن وهم ستة نفر من الانصار تفيض من الدمع كقولك تفيض دمعا وهو ابلغ من يفيض دمعها لان العين جعلت كان كلها دمع فائض ومن للبيان كقولك افديك من رجل ومحل الجار والمجرور النصب على التمييز الا يجدوا لئلا يجدوا ومحله نصب على انه مفعول له وناصبه المفعول له الذي هو حزنا

انما السبيل على الذين يستاذنونك وهم اغنياء رضوا بان يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون

فان قلت رضوا ما موقعه قلت هو استيناف كانه قيل ما بالهم استاذنوا وهم اغنياء فقيل رضوا بالدناءة والضعة والانتظام في جملة الخوالف وطبع الله على قلوبهم يعني ان السبب في استيذانهم رضاهم بالدناءة وخذلان الله تعالى اياهم فان قلت فهل يجوز ان يكون قوله قلت لا اجد استينافا مثله كانه قيل اذا ما اتوك لتحملهم تولوا باكين فقيل ما لهم تولوا باكين فقيل قلت لا اجد ما احملكم عليه الا انه وسط بين الشرط والجزاء كالاعتراض قلت نعم ويحسن

يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبانا الله من اخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون

لن نؤمن لكم علة للنهي عن الاعتذار لان غرض المعتذر ان يصدق فيما يعتذر به فاذا علم انه مكذب وجب عليه الاخلال وقوله قد نبانا الله من اخباركم علة لانتفاء تصديقهم لان الله عز وجل اذا اوحى الى رسوله الاعلام باخبارهم واحوالهم وما في ضمائرهم من الشر والفساد لم يستقم مع ذلك تصديقهم في معاذيرهم وسيرى الله عملكم اتنيبون ام تثبتون على كفركم ثم تردون اليه وهو عالم كل غيب وشهادة وسر وعلانية فيجازيكم على حسب ذلك

سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فاعرضوا عنهم انهم رجس وماواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون

لتعرضوا عنهم فلا توبخوهم ولا تعاتبوهم فاعرضوا عنهم فاعطوهم طلبتهم انهم رجس تعليل لترك معاتبتهم يعني ان المعاتبة لا تنفع فيهم ولا تصلحهم انما يعاتب الاديم ذو البشرة والمؤمن يوبخ على زلة تفرط منه ليطهره التوبيخ بالحمل على التوبة والاستغفار واما هؤلاء فارجاس لا سبيل الى تطهيرهم وماواهم جهنم يعني وكفتهم النار عتابا وتوبيخا فلا تتكلفوا عتابهم

يحلفون لكم لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين

لترضوا عنهم اي غرضهم في الحلف بالله طلب رضاكم لينفعهم ذلك في دنياهم فان ترضوا عنهم فان رضاكم وحدكم لا ينفعهم اذا كان الله تعالى ساخطا عليهم وكانوا عرضة لعاجل عقوبته وآجلها وقيل انما قيل ذلك لئلا يتوهم متوهم ان رضى المؤمنين يقتضي رضى الله عنهم قيل هم جد بن قيس ومعتب بن قشير واصحابهما وكانوا ثمانين رجلا منافقين فقال النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة لا تجالسوهم ولا تكلموهم وقيل جاء عبد الله بن ابي يحلف ان لا يتخلف عنه ابدا

الاعراب اشد كفرا ونفاقا واجدر ان لا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله والله عليم حكيم

الاعراب اهل البدو واشد كفرا ونفاقا من اهل الحضر لجفائهم وقسوتهم وتوحشهم ونشئهم في بعد من مجاورة العلماء ومعرفة الكتاب والسنة واجدر ان لا يعلموا واحق بجهل حدود الدين وما انزل الله من الشرائع والاحكام ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ان الجفاء والقسوة في الفدادين والله عليم يعلم حال كل احد من اهل الوبر والمدر حكيم فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم من عقابه وثوابه

ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء والله سميع عليم

مغرما غرامة وخسرانا والغرامة ما ينفقه الرجل وليس يلزمه لانه لا ينفق الا تقية من المسلمين ورياء لا لوجه الله تعالى وابتغاء المثوبة عنده ويتربص بكم دوائر الزمان دوله وعقبه لتذهب غلبتكم عليه فيتخلص من اعطاء الصدقة عليهم دائرة السوء دعاء معترض دعي عليهم بنحو ما دعوا به كقوله عز وعلا وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم وقرئ السوء بالضم وهو العذاب كما قيل له سيئة والسوء بالفتح وهو ذم الدائرة كقولك رجل سوء في نقيض قولك رجل صدق لان من دارت عليه ذام لها والله سميع لما يقولون اذا توجهت عليهم الصدقة عليم بما يضمرون وقيل هم اعراب اسد وغطفان وتميم

ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول الا انها قربة لهم سيدخلهم الله في رحمته ان الله غفور رحيم

قربات مفعول ثان ليتخذ والمعنى ان ما ينفقه سبب لحصول القربات عند الله وصلوات الرسول لان الرسول كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم كقوله صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل ابي اوفى وقال تعالى وصل عليهم فلما كان ما ينفق سببا لذلك قيل يتخذ ما ينفق قربات وصلوات الا انها شهادة من الله للمتصدق بصحة ما اعتقد من كون نفقته قربات وصلوات وتصديق لرجائه على طريق الاستيناف مع حرفي التنبيه والتحقيق المؤذنين بثبات الامر وتمكنه وكذلك سيدخلهم وما في السين من تحقيق الوعد وما ادل هذا الكلام على رضى الله عن المتصدقين وان الصدقة منه بمكان اذا اخلصت النية من صاحبها وقرئ قربة بضم الراء وهم عبد الله ذو البجادين ورهطه

والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه واعد لهم جنات تجري تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم

السابقون الاولون من المهاجرين هم الذين صلوا الى القبلتين وقيل الذين شهدوا بدرا وعن الشعبي من بايع بالحديبية وهي بيعة الرضوان ما بين الهجرتين ومن الانصار اهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة نفر واهل العقبة الثانية وكانوا سبعين والذين آمنوا حين قدم عليهم ابو زرارة مصعب بن عمير فعلمهم القرآن وقرأ عمر رضي الله عنه والانصار بالرفع عطفا على السابقون وعن عمر انه كان يرى ان قوله الذين اتبعوهم باحسان بغير واو صفة للانصار حتى قال له زيد انه بالواو فقال ائتوني بابي فقال تصديق ذلك في اول الجمعة وآخرين منهم واوسط الحشر والذين جاؤا من بعدهم وآخر الانفال والذين آمنوا من بعد وروي انه سمع رجلا يقرؤه بالواو فقال من اقرأك قال ابي فدعاه فقال اقرانيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وانك لتبيع القرظ بالبقيع قال صدقت وان شئت قلت شهدنا وغبتم ونصرنا وخذلتم وآوينا وطردتم ومن ثم قال عمر رضي الله عنه لقد كنت ارانا رفعنا رفعة لا يبلغها احد بعدنا وارتفع السابقون بالابتداء وخبره رضي الله عنهم ومعناه رضي عنهم لاعمالهم ورضوا عنه لما افاض عليهم من نعمته الدينية والدنيوية وفي مصاحف اهل مكة تجري من تحتها وهي قراءة ابن كثير وفي سائر المصاحف تحتها بغير من

وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن اهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون الى عذاب عظيم

وممن حولكم يعني حول بلدتكم وهي المدينة منافقون وهم جهينة واسلم واشجع وغفار كانوا نازلين حولها ومن اهل المدينة عطف على خبر المبتدا الذي هو ممن حولكم ويجوز ان يكون جملة معطوفة على المبتدا والخبر اذا قدرت ومن اهل المدينة قوم مردوا على النفاق على ان مردوا صفة موصوف محذوف كقوله انا ابن جلا وعلى الوجه الاول لا يخلو من ان يكون كلاما مبتدا او صفة لمنافقون فصل بينها وبينه بمعطوف على خبره مردوا على النفاق تمهروا فيه من مرن فلان على عمله ومرد عليه اذا درب به وضري حتى لان عليه ومهر فيه ودل على مرانتهم عليه ومهارتهم فيه بقوله لا تعلمهم اي يخفون عليك مع فطنتك وشهامتك وصدق فراستك لفرط تنوقهم في تحامي ما يشكك في امرهم ثم قال نحن نعلمهم اي لا يعلمهم الا الله ولا يطلع على اسرارهم غيره لانهم يبطنون الكفر في سويداوات قلوبهم ابطانا ويبرزون لك ظاهرا كظاهر المخلصين من المؤمنين لا تشك معه في ايمانهم وذلك انهم مردوا على النفاق وضروا به ولهم فيه اليد الطولى سنعذبهم مرتين قيل هما القتل وعذاب القبر وعن ابن عباس رضي الله عنهما انهم اختلفوا في هاتين المرتين فقال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا يوم الجمعة فقال اخرج يا فلان فانك منافق اخرج يا فلان فانك منافق فاخرج ناسا وفضحهم فهذا العذاب الاول والثاني عذاب القبر وعن الحسن اخذ الزكوة من اموالهم ونهك ابدانهم الى عذاب عظيم الى عذاب النار

وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله ان يتوب عليهم ان الله غفور رحيم

اعترفوا بذنوبهم اي لم يعتذروا من تخلفهم بالمعاذير الكاذبة كغيرهم ولكن اعترفوا على انفسهم بانهم بئس ما فعلوا متذممين نادمين وكانوا ثلاثة ابو لبابة مروان بن عبد المنذر واوس بن ثعلبة ووديعة بن حزام وقيل كانوا عشرة فسبعة منهم اوثقوا انفسهم لما بلغهم ما نزل في المتخلفين فايقنوا بالهلاك فاوثقوا انفسهم على سواري المسجد فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد فصلى ركعتين وكانت عادته كلما قدم من سفر فرآهم موثقين فسال عنهم فذكر له انهم اقسموا ان لا يحلوا انفسهم حتى يكون رسول الله هو الذي يحلهم فقال وانا اقسم ان لا احلهم حتى اومر فيهم فنزلت فاطلقهم وعذرهم فقالوا يا رسول الله هذه اموالنا التي خلفتنا عنك فتصدق بها وطهرنا فقال ما امرت ان آخذ من اموالكم

شيئا فنزلت خذ من اموالهم عملا صالحا خروجا الى الجهاد وآخر سيئا تخلفا عنه عن الحسن وعن الكلبي التوبة والاثم
فان قلت قد جعل كل واحد منهما مخلوطا فما المخلوط به قلت كل منهما مخلوط ومخلوط به لان المعنى خلط
كل واحد منهما بالآخر كقولك خلطت الماء واللبن تريد خلطت كل واحد منهما بصاحبه وفيه ما ليس في قولك خلطت الماء
باللبن لانك جعلت الماء مخلوطا واللبن مخلوطا به واذا قلته بالواو جعلت الماء واللبن مخلوطين ومخلوطا بهما كانك
قلت خلطت الماء باللبن واللبن بالماء ويجوز ان يكون من قولهم بعت الشاء شاة ودرهما بمعنى شاة بدرهم
فان قلت كيف قيل ان يتوب عليهم وما ذكرت توبتهم قلت اذا ذكر اعترافهم بذنوبهم وهو دليل على التوبة
فقد ذكرت توبتهم خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلوتك سكن
لهم والله سميع عليم تطهرهم صفة لصدقة وقرئ تطهرهم من اطهره بمعنى طهره وتطهرهم بالجزم
جوابا للامر ولم يقرأ وتزكيهم الا باثبات الياء والتاء في تطهرهم للخطاب او لغيبة المؤنث والتزكية مبالغة في التطهير
وزيادة فيه او بمعنى الانماء والبركة في المال وصل عليهم واعطف عليهم بالدعاء لهم وترحم والسنة ان يدعو المصدق
لصاحب الصدقة اذا اخذها وعن الشافعي رحمه الله تعالى احب ان يقول الوالي عند اخذ الصدقة آجرك الله فيما اعطيت
وجعله طهورا وبارك لك فيما ابقيت وقرئ ان صلوتك على التوحيد سكن لهم يسكنون اليه وتطمئن قلوبهم بان الله
قد تاب عليهم والله سميع يسمع اعترافهم بذنوبهم ودعاءهم عليم بما في ضمائرهم من الندم والغم لما فرط منهم
الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وان الله هو التواب
الرحيم وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم
الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون قرئ الم يعلموا بالياء والتاء وفيه وجهان احدهما ان يراد
المتوب عليهم يعني الم يعلموا قبل ان يتاب عليهم وتقبل صدقاتهم ان الله هو يقبل التوبة اذا صحت ويقبل الصدقات
اذا صدرت عن خلوص النية وهو للتخصيص والتاكيد وان الله من شانه قبول توبة التائبين وقيل معنى التخصيص
هو ان ذلك ليس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انما الله هو الذي يقبل التوبة ويردها فاقصدوه بها ووجهوها اليه
وقل لهولاء التائبين اعملوا فان عملكم لا يخفى خيرا كان او شرا على الله وعباده كما رأيتم وتبين لكم والثاني ان يراد غير التائبين
ترغيبا لهم في التوبة فقد روي انه لما تيب عليهم قال الذين لم يتوبوا هولاء الذين تابوا كانوا بالامس معنا لا يكلمون ولا
يجالسون فما لهم فنزلت فان قلت فما معنى قوله ويأخذ الصدقات قلت هو مجاز عن قبوله لها وعن
ابن مسعود رضي الله عنه ان الصدقة تقع في يد الله قبل ان تقع في يد السائل والمعنى انه يتقبلها ويضاعف عليها وقوله
فسيرى الله وعيد لهم وتحذير من عاقبة الاصرار والذهول عن التوبة وآخرون مرجون لامر الله اما يعذبهم
واما يتوب عليهم والله عليم حكيم وقرئ مرجون ومرجؤن من ارجيته وارجاته اذا اخرته ومنه المرجئة
يعني وآخرون من المتخلفين موقوف امرهم اما يعذبهم ان بقوا على الاصرار ولم يتوبوا واما يتوب عليهم ان تابوا وهم ثلثة كعب
ابن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع امر رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه ان لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم ولم يفعلوا
كما فعل ابو لبابة واصحابه من شد انفسهم على السواري واظهار الجزع والغم فلما علموا ان احدا لا ينظر اليهم فوضوا امورهم
الى الله تعالى واخلصوا نياتهم ونصحت توبتهم فرحمهم الله والله عليم حكيم وفي قراءة عبد الله غفور رحيم واما للعباد اي
خافوا عليهم العذاب وارجوا لهم الرحمة والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين
المؤمنين وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن ان اردنا الا
الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون في مصاحف اهل المدينة والشام الذين اتخذوا بغير واو
لانها قصة على حيالها وفي سائرها بالواو على عطف قصة مسجد الضرار الذي احدثه المنافقون على سائر قصصهم
روي ان بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قبا بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياتيهم فاتاهم فصلى فيه فحسدتهم
اخوتهم بنو غنم بن عوف وقالوا نبني مسجدا ونرسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي فيه ويصلي فيه ابو عامر
الراهب اذا قدم من الشام ليثبت لهم الفضل والزيادة على اخوتهم وهو الذي سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم
الفاسق وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم

حنين فلما انهزمت هوازن خرج هاربا الى الشام وارسل الى المنافقين ان استعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح
فاني ذاهب الى قيصر وآت بجنود ومخرج محمدا واصحابه من المدينة فبنوا مسجدا الى جنب مسجد قبا وقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم
بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والشاتية ونحن نحب ان تصلي لنا فيه وتدعو لنا بالبركة فقال اني على
جناح سفر وحال شغل فاذا قدمنا ان شاء الله تعالى صلينا فيه فلما قفل من غزوة تبوك سألوه اتيان المسجد فنزلت عليه
فدعا بمالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن ووحشي قاتل حمزة فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه
واحرقوه ففعل فامر ان يتخذ مكانه كناسة تلقى فيها الجيف والقمامة ومات ابو عامر بالشام بقنسرين ضرارا مضارة لاخوانهم
اصحاب مسجد قبا ومعازة وكفرا وتقوية للنفاق وتفريقا بين المؤمنين لانهم كانوا يصلون مجتمعين في مسجد قبا فيغتص بهم فارادوا
ان يتفرقوا عنه وتختلف كلمتهم وارصادا واعدادا لاجل من حارب الله ورسوله وهو الراهب اعدوه له ليصلي فيه ويظهر على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقيل كل مسجد بني مباهاة او رياء وسمعة او لغرض سوى ابتغاء وجه الله تعالى او بمال غير طيب فهو لاحق بمسجد
الضرار وعن شقيق انه لم يدرك الصلوة في مسجد بني عامر فقيل له مسجد بني فلان لم يصلوا فيه بعد فقال لا احب ان اصلي فيه
فانه بني على ضرار وكل مسجد بني على ضرار او رياء او سمعة فان اصله ينتهي الى المسجد الذي بني ضرارا وعن عطاء لما فتح الله تعالى
الامصار على عمر رضي الله عنه امر ان يبنوا المساجد وان لا يتخذوا في مدينة مسجدين يضار احدهما صاحبه فان قلت
والذين اتخذوا ما محله من الاعراب قلت محله النصب على الاختصاص كقوله والمقيمين الصلوة وقيل هو مبتدأ خبره محذوف
معناه وفيمن وصفنا الذين اتخذوا كقوله والسارق والسارقة فان قلت بم يتصل قوله من قبل قلت
باتخذوا اي اتخذوا مسجدا من قبل ان ينافق هولاء بالتخلف ان اردنا ببناء هذا المسجد الا الخصلة الحسنى او الارادة الحسنى وهي
الصلوة وذكر الله والتوسعة على المصلين لا تقم فيه ابدا لمسجد اسس على التقوى من اول يوم احق
ان تقوم فيه فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين لمسجد اسس على التقوى
قيل هو مسجد قبا اسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى فيه ايام مقامه بقبا وهي يوم الاثنين والثلثاء والاربعاء والخميس
وخرج يوم الجمعة وهو الاولى لان الموازنة بين مسجدي قبا اوقع وقيل هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وعن ابي سعيد
الخدري رضي الله عنه سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المسجد الذي اسس على التقوى فاخذ حصباء فضرب بها الارض
وقال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة من اول يوم من اول يوم من ايام وجوده فيه رجال يحبون ان يتطهروا قيل لما نزلت مشى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قبا فاذا الانصار جلوس فقال امؤمنون انتم فسكت القوم ثم اعادها
فقال عمر رضي الله عنه يا رسول الله انهم لمؤمنون وانا معهم فقال صلى الله عليه وسلم اترضون بالقضاء قالوا نعم قال اتصبرون
على البلاء قالوا نعم قال اتشكرون في الرخاء قالوا نعم قال عليه الصلوة والسلام مؤمنون ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر
الانصار ان الله عز وجل قد اثنى عليكم فما الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يا رسول الله نتبع الغائط الاحجار
الثلثة ثم نتبع الاحجار الماء فتلا النبي صلى الله عليه وسلم رجال يحبون ان يتطهروا وقرئ ان يطهروا بالادغام وقيل هو
عام في التطهر من النجاسات كلها وقيل كانوا لا ينامون الليل على الجنابة ويتبعون الماء اثر البول وعن الحسن هو
التطهر من الذنوب بالتوبة وقيل يحبون ان يتطهروا بالحمى المكفرة لذنوبهم فحموا عن آخرهم فان قلت
ما معنى المحبتين قلت محبتهم للتطهر انهم يوثرونه ويحرصون عليه حرص المحب للشي المشتهى له على ايثاره ومحبة الله
اياهم انه يرضى عنهم ويحسن اليهم كما يفعل المحب بمحبوبه افمن اسس بنيانه على تقوى من
الله ورضوان خير ام من اسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله
لا يهدي القوم الظالمين قرئ اسس بنيانه واسس بنيانه على البناء للفاعل والمفعول واسس
بنيانه جمع اساس على الاضافة واساس بنيانه بالفتح والكسر جمع اس واساس بنيانه على افعال جمع اس ايضا
واس بنيانه والمعنى افمن اسس بنيان دينه على قاعدة قوية محكمة وهي الحق الذي هو تقوى الله تعالى ورضوانه خير ام من
اسس على قاعدة هي اضعف القواعد وارخاها واقلها بقاء وهو الباطل والنفاق الذي مثله مثل شفا جرف هار في قلة
الثبات والاستمساك وضع شفا الجرف في مقابلة التقوى لانه جعل مجازا عما ينافي التقوى فان قلت فما معنى قوله
فانهار به في نار جهنم قلت لما جعل الجرف الهار مجازا عن الباطل قيل فانهار به في نار جهنم على معنى فطاح به الباطل في نار جهنم

الا انه رشح المجاز فجيء بلفظ الانهيار الذي هو للجرف وليصور ان المبطل كانه اسس بنيانا على شفا جرف من اودية جهنم فانهار به ذلك الجرف فهوى في قعرها والشفا الحرف والشفير وجرف الوادي جانبه الذي يتحفر اصله بالماء وتجرفه السيول فيبقى واهيا والهار الهائر وهو المتصدع الذي اشفى على التهدم والسقوط ووزنه فعل قصر عن فاعل كخلف عن خالف ونظيره شاك وصات في شائك وصائت والفه ليست بالف فاعل انما هي عينه واصله هور وشوك وصوت ولا ترى ابلغ من هذا الكلام ولا ادل على حقيقة الباطل وكنه امره وقرئ جرف بسكون الراء **فان قلت** فما وجه ما روى سيبويه عن عيسى بن عمر على تقوى من الله بالتنوين **قلت** قد جعل الالف للالحاق لا للتانيث كتترى فيمن نون الحقها بجعفر وفي مصحف ابي فانهارت به قواعده وقيل حفرت بقعة في مسجد الضرار فرؤي الدخان يخرج منها وروي ان مجمع بن جارية كان امامهم في مسجد الضرار فكلم بنو عمرو بن عوف اصحاب مسجد قبا عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خلافته ان ياذن لمجمع فيؤمهم في مسجدهم فقال لا ولا نعمة عين اليس بامام مسجد الضرار فقال يا امير المؤمنين لا تعجل علي فوالله لقد صليت بهم والله يعلم اني لا اعلم ما اضمروا فيه ولو علمت ما صليت معهم فيه كنت غلاما قاريا للقرآن وكانوا شيوخا لا يقرؤن شيئا فعذره وصدقه وامره بالصلوة بقومه **لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم الا ان تقطع قلوبهم والله عليم حكيم** ريبة شكا في الدين ونفاقا وكان القوم منافقين وانما حملهم على بناء ذلك المسجد كفرهم ونفاقهم كما قال الله عز وجل ضرارا وكفرا فلما هدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ازدادوا لما غاظهم من ذلك وعظم عليهم تصميما على النفاق ومقتا للاسلام فمعنى قوله تعالى لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم لا يزال هدمه سبب شك ونفاق زائد على شكهم ونفاقهم لا يزول وسمه عن قلوبهم ولا يضمحل اثره الا ان تقطع قلوبهم قطعا وتفرق اجزاء فحينئذ يسلون عنه واما ما دامت سالمة مجتمعة فالريبة باقية فيها متمكنة فيجوز ان يكون ذكر التقطيع تصويرا لحال زوال الريبة عنها ويجوز ان يراد حقيقة تقطيعها وما هو كائن منه بقتلهم او في القبور او في النار وقرئ يقطع بالياء وتقطع بالتخفيف وتقطع بفتح التاء بمعنى تتقطع وتقطع قلوبهم على ان الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم اي الا ان تقطع انت قلوبهم بقتلهم وقرأ الحسن الى ان وفي قراءة عبد الله ولو قطعت قلوبهم وعن طلحة ولو قطعت قلوبهم على خطاب الرسول او كل مخاطب وقيل معناه الا ان يتوبوا توبة تتقطع بها قلوبهم ندما واسفا على تفريطهم **ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التورية والانجيل والقرآن ومن اوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم** مثل الله تعالى اثابتهم بالجنة على بذلهم انفسهم واموالهم في سبيله بالشرى وروي تاجرهم فاغلى لهم الثمن وعن عمر رضي الله عنه فجعل لهم الصفقتين جميعا وعن الحسن انفسا هو خلقها واموالا هو رزقها وروي ان الانصار حين بايعوه على العقبة قال عبد الله بن رواحة اشترط لربك ولنفسك ما شئت قال اشترط لربي ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا واشترط لنفسي ان تمنعوني مما تمنعون منه انفسكم قالوا فاذا فعلنا ذلك فما لنا قال لكم الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل ومر برسول الله صلى الله عليه وسلم اعرابي وهو يقرؤها فقال كلام من قال كلام الله تعالى قال بيع والله مربح لا نقيله ولا نستقيله فخرج الى الغزو واستشهد يقاتلون فيه معنى الامر كقوله تعالى تجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم وقرئ فيقتلون ويقتلون على بناء الاول للفاعل والثاني للمفعول وعلى العكس وعدا مصدر مؤكد اخبر بان هذا الوعد الذي وعده للمجاهدين في سبيله وعد ثابت قد اثبته في التورية والانجيل كما اثبته في القرآن ثم قال ومن اوفى بعهده من الله لان اخلاف الميعاد قبيح لا يقدم عليه الكرام من الخلق مع جوازه عليهم لحاجتهم فكيف بالغني الذي لا يجوز عليه قبيح قط ولا ترى ترغيبا في الجهاد احسن وابلغ **التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين** التائبون رفع على المدح اي هم التائبون يعني المؤمنين المذكورين ويدل عليه قراءة عبد الله وابي رضي الله عنهما التائبين بالياء الى والحافظين نصبا على المدح ويجوز ان يكون جرا صفة للمؤمنين وجوز الزجاج ان يكون مبتدأ خبره محذوف اي التائبون العابدون من اهل الجنة ايضا وان لم يجاهدوا كقوله تعالى وكلا وعد الله الحسنى وقيل هو رفع على البدل من الضمير في يقاتلون ويجوز ان يكون مبتدأ

العابدون وما بعده خبر بعد خبر اي التائبون من الكفر على الحقيقة الجامعون لهذه الخصال وعن الحسن هم الذين تابوا عن الشرك وتبرؤا من النفاق والعابدون الذين عبدوا الله وحده واخلصوا له العبادة وحرصوا عليها والسائحون الصائمون شبهوا بذوي السياحة في الارض في امتناعهم من شهواتهم وقيل هم طلبة العلم يسيحون في الارض يطلبونه في مظانه **ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم** قيل قال لعمه ابي طالب انت اعظم الناس علي حقا واحسنهم عندي يدا فقل كلمة تجب لك بها شفاعتي فابى فقال لا ازال استغفر لك ما لم انه عنه فنزلت وقيل لما افتتح مكة سال اي ابويه احدث به عهدا فقيل امك آمنة فزار قبرها بالابواء ثم قام مستعبرا فقال اني استأذنت ربي في زيارة قبر امي فاذن لي واستاذنته في الاستغفار لها فلم ياذن لي وهذا اصح لان موت ابي طالب كان قبل الهجرة وهذا آخر ما نزل بالمدينة وقيل استغفر لابيه وقيل قال المسلمون ما يمنعنا ان نستغفر لآبائنا وذوي قراباتنا وقد استغفر ابراهيم لابيه وهذا محمد يستغفر لعمه ما كان للنبي ما صح له الاستغفار في حكم الله تعالى وحكمته من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم لانهم ماتوا على الشرك **وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه ان ابراهيم لأواه حليم** قرأ طلحة وما استغفر ابراهيم لابيه وعنه وما يستغفر ابراهيم على حكاية الحال الماضية الا عن موعدة وعدها اياه اي وعدها ابراهيم اباه وهو قوله لاستغفرن لك ويدل عليه قراءة الحسن وحماد الراوية وعدها اباه **فان قلت** كيف خفي على ابراهيم ان الاستغفار للكافر غير جائز حتى وعده **قلت** يجوز ان يظن انه ما دام يرجى منه الايمان جاز الاستغفار له على ان امتناع جواز الاستغفار للكافر انما علم بالوحي لان العقل يجوز ان يغفر الله للكافر الا ترى الى قوله صلى الله عليه وسلم لعمه لاستغفرن لك ما لم انه وعن الحسن قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانا يستغفر لآبائه المشركين فقال ونحن نستغفر لهم فنزلت وعن علي رضي الله عنه رأيت رجلا يستغفر لابويه وهما مشركان فقلت له فقال اليس قد استغفر ابراهيم **فان قلت** فما معنى قوله فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه **قلت** معناه فلما تبين له من جهة الوحي انه لن يؤمن وانه يموت كافرا وانقطع رجاؤه عنه قطع استغفاره فهو كقوله تعالى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم اواه فعال من اوه كلال من اللآل وهو الذي يكثر التأوه ومعناه انه لفرط ترحمه ورقته وحلمه كان يتعطف على ابيه الكافر ويستغفر له مع شكاسته عليه وقوله لارجمنك **وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون ان الله بكل شيء عليم ان الله له ملك السموات والارض يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير** يعني ما امر الله باتقائه واجتنابه كالاستغفار للمشركين وغيره مما نهى عنه وبين انه محظور لا يؤاخذ به عباده الذين هداهم للاسلام ولا يسميهم ضلالا ولا يخذلهم الا اذا اقدموا عليه بعد بيان حظره عليهم وعلمهم بانه واجب الاتقاء والاجتناب واما قبل العلم والبيان فلا سبيل عليهم كما لا يؤاخذون بشرب الخمر وبيع الصاع بالصاعين قبل التحريم وهذا بيان لعذر من خاف المؤاخذة بالاستغفار للمشركين قبل ورود النهي عنه وفي هذه الآية شديدة ما ينبغي ان يغفل عنها وهي ان المهدي للاسلام اذا اقدم على بعض محظورات الله تعالى داخل في حكم الاضلال والمراد بما يتقون ما يجب اتقاؤه للنهي فاما ما يعلم بالعقل كالصدق في الخبر ورد الوديعة فغير موقوف على التوقيف **لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انه بهم رؤف رحيم** تاب الله على النبي كقوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر واستغفر لذنبك وهو بعث للمؤمنين على التوبة وانه ما من مؤمن الا وهو محتاج الى التوبة والاستغفار حتى النبي والمهاجرين والانصار وابانة لفضل التوبة ومقدارها عند الله تعالى وان صفة التوابين الاوابين صفة الانبياء كما وصفهم بالصالحين ليظهر فضيلة الصلاح وقيل معناه تاب الله عليه من اذنه للمنافقين في التخلف عنه لقوله عفا الله عنك في ساعة العسرة في وقتها والساعة مستعملة في معنى الزمان المطلق كما استعملت الغداة والعشية واليوم غداة طفت علماء بكر بن وائل عشية قارعنا جذام وحميرا اذا جاء يوما وارثي يبتغي الغنى والعسرة حالهم في غزوة تبوك كانوا في عسرة من الظهر يعتقب العشرة على بعير واحد وفي حال عسرة من الزاد تزودوا التمر المدود والشعير المسوس والاهالة الزنخة وبلغت بهم الشدة ان اقتسم التمرة اثنان

وربما مصّها الجماعة ليشربوا عليها الماء ولم تكن في شدة زمان من حمارّة القيظ ومن الجدب والقحط والضيقة الشديدة كاد تزيغ قلوب فريق منهم عن الثبات على الايمان او عن اتباع الرسول في تلك الغزوة والخروج معه وفي كاد ضمير الشان وشبهه سيبويه بقوله ليس خلق الله مثله وقرئ يزيغ بالياء وفي قراءة عبد الله من بعد ما زاغت قلوب فريق منهم يريد المتخلفين من المومنين كابي لبابة وامثاله ثم تاب عليهم تكرير للتوكيد ويجوز ان يكون الضمير للفريق تاب عليهم لكيدودتهم • **وعلى الثلثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم وظنوا ان لا ملجأ من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم** • الثلثة كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن امية ومعنى خلفوا خلفوا عن الغزو وقيل عن ابي لبابة واصحابه حيث تيب عليهم بعدهم وقرئ خلفوا اي خلفوا الغازين بالمدينة او فسدوا من الخالفة وخلوف الفم وقرأ جعفر الصادق خالفوا وقرأ الاعمش وعلى الثلثة المخلفين بما رحبت برحبها اي مع سعتها وهو مثل للحيرة في امرهم كانوا لا يجدون فيها مكانا يقرون فيه قلقا وجزعا مما هم فيه وضاقت عليهم انفسهم اي قلوبهم لا يسعها انس ولا سرور لانها حرجت من فرط الوحشة والغم وظنوا وعلموا ان لا ملجأ من سخط الله الا الى استغفاره ثم تاب عليهم ليتوبوا ثم رجع عليهم بالقبول والرحمة كرة بعد اخرى ليستقيموا على توبتهم ويثبتوا او ليتوبوا ايضا فيما يستقبل ان فرطت منهم خطيئة علما منهم ان الله تواب على من تاب ولو عاد في اليوم مائة مرة • روي ان ناسا من المومنين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم من بدا له وكره مكانه فلحق به عن الحسن بلغني انه كان لاحدهم حائط كان خيرا من مائة الف درهم فقال يا حائطاه ما خلفني الا ظلك وانتظار ثمرك اذهب فانت في سبيل الله ولم يكن لآخر الا اهله فقال يا اهلاه ما بطأني ولا خلفني الا الضن بك والله لاكابدن المفاوز حتى الحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فركب ولحق به ولم يكن لآخر الا نفسه لا اهل ولا مال فقال يا نفس ما خلفني الا حب الحيوة لك والله لاكابدن الشدائد حتى الحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فتأبط زاده ولحق به قال الحسن كذلك والله المومن يتوب من ذنوبه ولا يصر عليها • وعن ابي ذر الغفاري ان بعيره ابطأ به فحمل متاعه على ظهره واتبع اثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشيا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى سواده كن ابا ذر فقال الناس هو ذاك فقال رحم الله ابا ذر يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده وعن ابي خيثمة انه بلغ بستانه وكانت له امرأة حسناء فرشت له في الظل وبسطت له الحصير وقربت اليه الرطب والماء البارد فنظر فقال ظل ظليل ورطب يانع وماء بارد وامرأة حسناء ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الضح والريح ما هذا بخير فقام فرحل ناقته واخذ سيفه ورمحه ومر كالريح فمد رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفه الى الطريق فاذا راكب يزهاه السراب فقال كن ابا خيثمة فكانه ففرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم واستغفر له • ومنهم من بقي لم يلحق به منهم الثلثة قال كعب لما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمت عليه فرد علي كالمغضب بعد ما ذكرني وقال ليت شعري ما خلف كعبا فقيل له ما خلفه الا حسن برديه والنظر في عطفيه فقال معاذ الله ما اعلم الا فضلا واسلاما ونهى عن كلامنا ايها الثلثة فتنكر لنا الناس ولم يكلمنا احد من قريب ولا بعيد فلما مضت اربعون ليلة امرنا ان نعتزل نساءنا ولا نقربهن فلما تمت خمسون ليلة اذا انا بنداء من ذروة سلع ابشر يا كعب بن مالك فخررت ساجدا وكنت كما وصفني ربي وضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم وتتابعت البشارة فلبست ثوبي وانطلقت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو جالس في المسجد وحوله المسلمون فقام الي طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وقال لتهنك توبة الله عليك فلن انساها لطلحة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يستنير استنارة القمر ابشر يا كعب بخير يوم مر عليك منذ ولدتك امك ثم تلا علينا الآية • وعن ابي بكر الوراق انه سئل عن التوبة النصوح فقال ان تضيق على التائب الارض بما رحبت وتضيق عليه نفسه كتوبة كعب بن مالك وصاحبيه • **يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين** • مع الصادقين وقرئ من الصادقين وهم الذين صدقوا في دين الله نية وقولا وعملا او الذين صدقوا في ايمانهم ومعاهدتهم الله ورسوله على الطاعة من قوله رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وقيل هم الثلثة اي كونوا مثلهم في صدقهم وثباتهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما الخطاب لمن آمن من اهل الكتاب اي كونوا مع المهاجرين

والانصار وانتظموا في جملتهم واصدقوا مثل صدقهم وقيل لمن تخلف من الطلقاء عن غزوة تبوك وعن ابن مسعود رضي الله عنه لا يصلح الكذب في جد ولا هزل ولا ان يعد احدكم صبيه ثم لا ينجزه اقرأوا ان شئتم وكونوا مع الصادقين فهل فيها من رخصة • **ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه ذلك بانهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطؤن موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح ان الله لا يضيع اجر المحسنين** • ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه امروا بان يصحبوه على البأساء والضراء وان يكابدوا معه الاهوال برغبة ونشاط واغتباط وان يلقوا انفسهم من الشدائد ما تلقاه نفسه علما بانها اعز نفس عند الله تعالى واكرمها عليه فاذا تعرضت مع كرامتها وعزتها للخوض في شدة وهول وجب على سائر الانفس ان تتهافت فيما تعرضت له ولا يكترث لها اصحابها ولا يقيموا لها وزنا وتكون اخف شيء عليهم واهونه فضلا ان يربأوا بانفسهم عن متابعتها ومصاحبتها ويضنوا بها على ما سمح بنفسه عليه وهذا نهي بليغ مع تقبيح لامرهم وتوبيخ لهم وتهييج لمتابعته بانفة وحمية ذلك اشارة الى ما دل عليه قوله ما كان لهم ان يتخلفوا من وجوب مشايعته كانه قيل ذلك الوجوب بسبب انهم لا يصيبهم شيء من عطش ولا تعب ولا مجاعة في طريق الجهاد ولا يدوسون مكانا من اماكن الكفار بحوافر خيولهم واخفاف رواحلهم وارجلهم ولا يتصرفون في ارضهم تصرفا يغيظهم ويضيق صدورهم ولا ينالون من عدو نيلا ولا يرزؤنهم شيئا بقتل او اسر او غنيمة او هزيمة او غير ذلك الا كتب لهم به عمل صالح واستوجبوا الثواب ونيل الزلفى عند الله وذلك مما يوجب المشايعة ويجوز ان يراد بالوطئ الايقاع والابادة لا الوطء بالاقدام والحوافر كقوله صلى الله عليه وسلم آخر وطأة وطئها الله بوج والموطئ اما مصدر كالمورد واما مكان فان كان مكانا فمعنى يغيظ الكفار يغيظهم وطؤه والنيل ايضا يجوز ان يكون مصدرا موكدا وان يكون بمعنى المنيل ويقال نال منه اذا رزأه ونقصه وهو عام في كل ما يسوءهم وينكبهم ويلحق بهم ضررا وفيه دليل على ان من قصد خيرا كان سعيه فيه مشكورا من قيام وقعود ومشي وكلام وغير ذلك وكذلك الشر وبهذه الآية استشهد اصحاب ابي حنيفة رحمهم الله تعالى ان المدد القادم بعد انقضاء الحرب يشارك الجيش في الغنيمة لان وطء ديارهم مما يغيظهم وينكي فيهم ولقد اسهم النبي صلى الله عليه وسلم لابني عامر وقد قدما بعد تقضي الحرب وامد ابو بكر الصديق رضي الله عنه المهاجر بن ابي امية وزياد بن ابي لبيد بعكرمة بن ابي جهل مع خمسمائة نفس فلحقوا بعد ما فتح فاسهم لهم وعند الشافعي رحمه الله لا يشارك المدد الغانمين وقرأ عبيد بن عمير ظماء بالمد يقال ظمئ ظماءة وظماء • **ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا الا كتب لهم ليجزيهم الله احسن ما كانوا يعملون** ولا ينفقون نفقة صغيرة ولو تمرة ولو علاقة سوط ولا كبيرة مثل ما انفق عثمان في جيش العسرة ولا يقطعون واديا اي ارضا في ذهابهم ومجيئهم والوادي كل منفرج بين جبال وآكام يكون منفذا للسيل وهو في الاصل فاعل من ودي اذا سال ومنه الودي وقد شاع في استعمال العرب بمعنى الارض يقولون لا تصل في وادي غيرك الا كتب لهم ذلك من الانفاق وقطع الوادي ويجوز ان يرجع الضمير فيه الى عمل صالح وقوله ليجزيهم متعلق بكتب اي اثبت في صحائفهم لاجل الجزاء • **وما كان المومنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون** • اللام لتاكيد النفي ومعناه ان نفير الكافة عن اوطانهم لطلب العلم غير صحيح ولا ممكن وفيه انه لو صح وامكن ولم يؤد الى مفسدة لوجب لوجوب التفقه على الكافة ولان طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة فلولا نفر فحين لم يمكن نفير الكافة ولم يكن مصلحة فهلا نفر من كل فرقة طائفة اي من كل جماعة كثيرة جماعة قليلة منهم يكفونهم النفير ليتفقهوا ليتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا المشاق في اخذها وتحصيلها ولينذروا قومهم وليجعلوا غرضهم ومرمى همتهم في التفقه انذار قومهم وارشادهم والنصيحة لهم لا ما ينتحيه الفقهاء من الاغراض الخسيسة ويؤمونه من المقاصد الركيكة من التصدر والترؤس والتبسط في البلاد والتشبه بالظلمة في ملابسهم ومراكبهم ومنافسة بعضهم بعضا وفشو داء الضرائر بينهم وانقلاب حماليق احدهم اذا لمح ببصره مدرسة لآخر او شرذمة جثوا بين يديه وتهالكه على ان يكون موطأ العقب دون الناس كلهم فما ابعد هؤلاء من قوله عز وجل لا يريدون علوا في الارض ولا

لعلهم يحذرون ارادة ان يحذروا الله فيعملوا اعمالا صالحا ووجه آخر وهو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا بعث
بعثا بعد غزوة تبوك وبعد ما انزل في المتخلفين من الآيات الشداد استبق المؤمنون عن آخرهم الى النفير وانقطعوا
عن استماع الوحي والتفقه في الدين فامروا ان ينفر من كل فرقة منهم طايفة الى الجهاد وتبقى اعقابهم يتفقهون حتى
لا ينقطعوا عن التفقه الذي هو الجهاد الاكبر لان الجدال بالحجة اعظم اثرا من الجلاد بالسيف وقوله ليتفقهوا الضمير فيه
للفرق الباقية بعد الطوايف النافرة من بينهم ولينذروا قومهم ولينذر الفرق الباقية قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم بما
حصلوا ايام غيبتهم من العلوم وعلى الاول الضمير للطايفة النافرة الى المدينة للتفقه يا ايها الذين آمنوا

قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا ان الله مع المتقين

يلونكم يقربون منكم والقتال واجب مع كافة الكفرة قريبهم وبعيدهم ولكن الاقرب فالاقرب اوجب ونظيره وانذر عشيرتك
الاقربين وقد حارب رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه ثم غيرهم من عرب الحجاز ثم غزا الشام وقيل هم قريظة والنضير
وفدك وخيبر وقيل الروم لانهم كانوا يسكنون الشام والشام اقرب الى المدينة من العراق وغيره وهكذا المفروض على
اهل كل ناحية ان يقاتلوا من يليهم ما لم يضطر اليهم اهل ناحية اخرى وعن ابن عمر انه سئل عن قتال الديلم فقال عليك
بالروم وقرئ غلظة بالحركات الثلث فالغلظة كالشدة والغلظة كالضغطة والغلظة كالسخطة ونحوه واغلظ عليهم
ولا تهنوا وهو يجمع الجراة والصبر على القتال وشدة العداوة والعنف في القتل والاسر ومنه ولا تاخذكم بهما رافة في
دين الله مع المتقين ينصر من اتقاه فلم يتبرا في على عدوه واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول

ايكم زادته هذه ايمانا فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون

فمنهم فمن المنافقين من يقول بعضهم لبعض ايكم زادته هذه السورة ايمانا انكارا واستهزاء بالمؤمنين
واعتقادهم زيادة الايمان بزيادة العلم الحاصل بالوحي والعمل به وايكم مرفوع بالابتداء وقرأ عبيد بن عمير ايكم بالنصب
على اضمار فعل يفسره زادته تقديره ايكم زادت زادته هذه ايمانا فزادتهم ايمانا لانها ازيد لليقين والثبات
واثلج للصدر او فزادتهم عملا فان زيادة العمل زيادة في الايمان لان الايمان يقع على الاعتقاد والعمل

واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون

فزادتهم رجسا الى رجسهم كفرا مضموما الى كفرهم لانهم كلما جددوا بتجديد الله الوحي كفرا ونفاقا ازداد كفرهم واستحكم
وتضاعف عقابهم اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين ثم لا يتوبون ولا هم
يذكرون وقرئ اولا ترون بالتاء والآية يفتنون يبتلون بالمرض والقحط وغيرهما من بلاء الله تعالى
ثم لا ينتبهون ولا يتوبون من نفاقهم ولا يذكرون ولا يعتبرون ولا ينظرون في امرهم او يبتلون بالجهاد مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم ويعاينون امره وما ينزل الله عليه من نصرته وتاييده او يفتنهم الشيطان فيكذبون وينقضون العهود
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقتلهم وينكل بهم ثم لا ينزجرون واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم

الى بعض هل يريكم من احد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بانهم قوم لا يفقهون

نظر بعضهم الى بعض تغامزوا بالعيون انكارا للوحي وسخرية قايلين هل يريكم من احد من المسلمين ان انصرفتم فانا لا نصبر
على استماعه ويغلبنا الضحك فنخاف الافتضاح بينهم او ترامقوا يتشاورون في تدبير الخروج والانسلال لواذا يقولون
هل يريكم من احد وقيل معناه واذا ما انزلت سورة في عيب المنافقين صرف الله قلوبهم دعاء عليهم بالخذلان وبصرف
قلوبهم عما في قلوب اهل الايمان من الانشراح بانهم بسبب انهم قوم لا يفقهون لا يتدبرون حتى يفقهوا

لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم

من انفسكم من جنسكم او من نسبكم عربي قرشي مثلكم ثم ذكر ما يتبع المجانسة والمناسبة من النتايج بقوله عزيز
عليه ما عنتم اي شديد عليه شاق لكونه بعضا منكم عنتكم ولقاؤكم المكروه فهو يخاف عليكم سوء العاقبة والوقوع في
العذاب حريص عليكم حتى لا يخرج احد منكم عن اتباعه والاستسعاد بدين الحق الذي جاء به بالمؤمنين منكم ومن غيركم
رؤف رحيم وقرئ من انفسكم اي من اشرفكم وافضلكم وقيل هي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفاطمة وعايشة رضي الله
عنها وقيل لم يجمع الله اسمين من اسمائه لاحد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى رؤف رحيم

فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم

فان تولوا فان اعرضوا عن الايمان بك وناصبوك فاستعن بالله وفوض اليه فهو كافيك معرتهم ولا يضرونك وهو
ناصرك عليهم وقرئ العظيم بالرفع وعن ابن عباس رضي الله عنهما العرش لا يقدر احد قدره وعن ابي بن كعب رضي الله عنه
آخر آية نزلت لقد جاءكم رسول من انفسكم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نزل علي القرآن الا آية آية وحرفا
حرفا ما خلا سورة براءة وقل هو الله احد فانهما انزلتا علي ومعهما سبعون الف صف من الملائكة

سورة يونس عليه السلام

وهي مائة وتسع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك آيات الكتاب الحكيم

الر تعديد للحروف على طريق التحدي وتلك آيات الكتاب اشارة الى ما تضمنته السورة من الآيات والكتاب السورة والحكيم
ذو الحكمة لاشتماله عليها ونطقه بها او وصف بصفة محدثه قال الاعشى وغريبة تاتي الملوك حكيمة قد قلتها ليقال من ذا قالها

اكان للناس عجبا ان اوحينا الى رجل منهم ان انذر الناس وبشر الذين آمنوا ان لهم قدم
صدق عند ربهم قال الكافرون ان هذا لسحر مبين

الهمزة لانكار التعجب والتعجيب منه
وان اوحينا اسم كان وعجبا خبره وقرأ ابن مسعود عجب فجعله اسما وهو نكرة وان اوحينا خبرا وهو معرفة كقوله يكون
مزاجها عسل وماء والاجود ان يكون كان تامة وان اوحينا بدلا من عجب فان قلت فما معنى اللام
في قوله اكان للناس عجبا وما الفرق بينه وبين قولك اكان عند الناس عجبا قلت معناه انهم جعلوه لهم
اعجوبة يتعجبون منها ونصبوه علما لهم يوجهون نحوه استهزاءهم وانكارهم وليس في عند الناس هذا المعنى والذي تعجبوا
منه ان يوحى الى بشر وان يكون رجلا من افناء رجالهم دون عظيم من عظمائهم فقد كانوا يقولون العجب ان الله لم يجد رسولا
يرسله الى الناس الا يتيم ابي طالب وان يذكر لهم البعث وينذر بالنار ويبشر بالجنة وكل واحد من هذه الامور ليس
بعجب لان الرسل المبعوثين الى الامم لم يكونوا الا بشرا مثلهم وقال الله تعالى قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين
لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا وارسال الفقير او اليتيم ليس بعجب ايضا لان الله تعالى انما يختار من استحق الاختيار لجمعه
اسباب الاستقلال بما اختير له من النبوة والغنى والتقدم في الدنيا ليس من تلك الاسباب في شيء وما اموالكم ولا اولادكم
بالتي تقربكم عندنا زلفى والبعث للجزاء على الخير والشر هو الحكمة العظمى فكيف يكون عجبا انما العجب العجيب والمنكر في العقول
تعطيل الجزاء ان انذر الناس ان هي المفسرة لان الايحاء فيه معنى القول ويجوز ان تكون المخففة من الثقيلة واصله
انه انذر الناس على معنى ان الشان قولنا انذر الناس وان لهم الباء معه محذوفة قدم صدق عند ربهم اي سابقة
وفضلا ومنزلة رفيعة فان قلت لم سميت السابقة قدما قلت لما كان السعي والسبق بالقدم
سميت المسعاة الجميلة والسابقة قدما كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد وباعا لان صاحبها يبوع بها فقيل لفلان
قدم في الخير واضافته الى صدق دلالة على زيادة فضل وانه من السوابق العظيمة وقيل مقام صدق ان هذا الكتاب وما جاء
به محمد لسحر ومن قرأ لساحر فهذا اشارة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو دليل عجزهم واعترافهم به وان كانوا كاذبين
في تسميته سحرا وفي قراءة ابي ما هذا الا سحر

ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في
ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر ما من شفيع الا من بعد اذنه ذلكم
الله ربكم فاعبدوه افلا تذكرون

يدبر يقضي ويقدر على حسب مقتضى الحكمة ويفعل فعل المتحري
للصواب الناظر في ادبار الامور وعواقبها لئلا يلقاه ما يكره آخرا والامر امر الخلق كله وامر ملكوت السموات والارض
والعرش فان قلت ما موقع هذه الجملة قلت قد دل بالجملة قبلها على عظمة شانه وملكه بخلق السموات
والارض مع بسطتها واتساعها في وقت يسير وبالاستواء على العرش واتبعها هذه الجملة لزيادة الدلالة على العظمة
وانه لا يخرج امر من الامور من قضائه وتقديره وكذلك قوله ما من شفيع الا من بعد اذنه دليل على العزة والكبرياء كقوله
يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وذلكم اشارة الى المعلوم بتلك العظمة اي ذلكم العظيم

الموصوف بما وصف به هو ربكم وهو الذي يستحق العبادة منكم فاعبدوه ووحدوه ولا تشركوا به بعض خلقه من ملك
او انسان فضلا عن جماد لا يضر ولا ينفع افلا تذكرون فان ادنى النظر والتفكر ينبهكم على الخطاء فيما انتم عليه
اليه مرجعكم جميعا وعد الله حقا انه يبدؤ الخلق ثم يعيده ليجزي الذين امنوا وعملوا
الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون
اليه مرجعكم جميعا اي لا ترجعون في العاقبة الا اليه فاستعدوا للقائه وعد الله مصدر موكد لقوله اليه مرجعكم وحقا
مصدر موكد لقوله وعد الله انه يبدؤ الخلق ثم يعيده استيناف معناه التعليل لوجوب المرجع اليه وهو ان الغرض ومقتضى
الحكمة بابتداء الخلق واعادته هو جزاء المكلفين على اعمالهم وقرئ انه يبدؤ الخلق بمعنى لانه او هو منصوب بالفعل الذي
نصب وعد الله اي وعد الله وعدا بدء الخلق ثم اعادته والمعنى اعادة الخلق بعد بدئه وقرئ وعد الله على لفظ
الفعل ويبدئ من ابدأ ويجوز ان يكون مرفوعا بما نصب حقا اي حق حقا بدء الخلق كقوله احقا عباد الله ان لست
جائيا ولا ذاهبا الا علي رقيب وقرئ حق انه يبدؤ الخلق كقولك حق ان زيدا منطلق بالقسط بالعدل وهو
متعلق بيجزي والمعنى ليجزيهم بقسطه ويوفيهم اجورهم او بقسطهم وبما اقسطوا وعدلوا ولم يظلموا حين امنوا وعملوا
صالحا لان الشرك ظلم قال الله تعالى ان الشرك لظلم عظيم والعصاة ظلام لانفسهم وهذا اوجه لمقابلة قوله بما كانوا يكفرون
هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين
والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق نفصل الايات لقوم يعلمون الياء في ضياء
منقلبة عن واو ضوء لكسرة ما قبلها وقرئ ضئاء بهمزتين بينهما الف على القلب بتقديم اللام على العين كما قيل في
عاق عقا والضياء اقوى من النور وقدره وقدر القمر والمعنى وقدر مسيره منازل او قدره ذا منازل كقوله والقمر
قدرناه منازل والحساب وحساب الاوقات من الاشهر والايام والليالي ذلك اشارة الى المذكور اي ما خلقه الا
بالحق الذي هو الحكمة البالغة ولم يخلقه عبثا وقرئ يفصل بالياء ان في اختلاف الليل والنهار
وما خلق الله في السموات والارض لايات لقوم يتقون ان الذين لا يرجون لقاءنا
ورضوا بالحيوة الدنيا واطمانوا بها والذين هم عن اياتنا غافلون اولئك ماويهم النار
بما كانوا يكسبون خص المتقين لانهم يحذرون العاقبة فيدعوهم الحذر الى النظر والتدبر لا يرجون لقاءنا
لا يتوقعونه اصلا ولا يخطرونه ببالهم لغفلتهم المستولية عليهم المذهلة باللذات وحب العاجل عن التفطن للحقايق
او لا يأملون حسن لقائنا كما يأمله السعداء او لا يخافون سوء لقائنا الذي يجب ان يخاف ورضوا بالحيوة الدنيا من الاخرة
واثروا القليل الفاني على الكثير الباقي كقوله تعالى ارضيتم بالحيوة الدنيا من الاخرة واطمانوا بها وسكنوا فيها سكون من
لا يزعج عنها فبنوا شديدا واملوا بعيدا ان الذين امنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم
بايمانهم تجري من تحتهم الانهار في جنات النعيم يهديهم ربهم بايمانهم يسددهم بسبب ايمانهم للاستقامة
على سلوك السبيل المؤدي الى الثواب ولذلك جعل تجري من تحتهم الانهار بيانا له وتفسيرا لان التمسك بسبب السعادة
كالوصول اليها ويجوز ان يريد يهديهم في الاخرة بنور ايمانهم الى طريق الجنة كقوله يوم ترى المؤمنين والمؤمنات
يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم ومنه الحديث ان المؤمن اذا خرج من قبره صور له عمله في صورة حسنة فيقول له انا عملك
فيكون له نورا وقائدا الى الجنة والكافر اذا خرج من قبره صور له عمله في صورة سيئة فيقول له انا عملك فينطلق به حتى
يدخله النار فان قلت فلقد دلت هذه الاية على ان الايمان الذي يستحق به العبد الهداية والتوفيق والنور
يوم القيمة هو ايمان مقيد وهو الايمان المقرون بالعمل الصالح والايمان الذي لم يقترن بالعمل الصالح فصاحبه لا توفيق له ولا نور
قلت الامر كذلك الا ترى كيف اوقع الصلة مجموعا فيها بين الايمان والعمل كانه قال ان الذين جمعوا بين الايمان
والعمل الصالح ثم قال بايمانهم اي بايمانهم هذا المضموم اليه العمل الصالح وهو بين واضح لا شبهة فيه دعويهم فيها سبحانك
اللهم وتحيتهم فيها سلام واخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين
دعويهم دعاؤهم لان اللهم نداء لله ومعناه اللهم انا نسبحك كقول القانت في دعاء القنوت اللهم اياك نعبد ولك
نصلي ونسجد ويجوز ان يراد بالدعاء العبادة ونظيره واعتزلكم وما تدعون من دون الله على معنى ان لا تكليف في الجنة ولا عبادة وما

عبادتهم

عبادتهم الا ان يسبحوا الله ويحمدوه وذلك ليس بعبادة انما يلهمونه فينطقون به تلذذا بلا كلفة كقوله تعالى وما كان صلاتهم
عند البيت الا مكاء وتصدية واخر دعويهم الذي هو التسبيح ان يقولوا الحمد لله رب العالمين ومعنى وتحيتهم فيها سلام
ان بعضهم يحيي بعضا بالسلام وقيل هي تحية الملائكة اياهم اضافة للمصدر الى المفعول وقيل تحية الله تعالى لهم وان
المخففة من الثقيلة واصله انه الحمد لله على ان الضمير للشان كقوله ان هالك كل من يحفى وينتعل وقرئ ان
الحمد لله بالتشديد ونصب الحمد ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي اليهم
اجلهم فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون اصله ولو يعجل الله للناس الشر
تعجيله لهم الخير فوضع استعجالهم بالخير موضع تعجيله لهم الخير اشعارا بسرعة اجابته لهم واسعافه بطلبتهم حتى كان استعجالهم بالخير
تعجيل لهم والمراد اهل مكة وقولهم امطر علينا حجارة من السماء يعني ولو عجلنا لهم الشر الذي دعوا به كما نعجل لهم الخير ونجيبهم
اليه لقضي اليهم اجلهم لاميتوا واهلكوا وقرئ لقضى اليهم اجلهم على البناء للفاعل وهو الله تعالى وينصره قراءة عبد الله
لقضينا اي ادينا وانهينا اليهم اجلهم فان قلت فكيف اتصل به قوله فنذر الذين لا يرجون لقاءنا وما معناه
قلت قوله ولو يعجل الله متضمن معنى نفي التعجيل كانه قيل ولا نعجل لهم الشر ولا نقضي اليهم اجلهم فنذرهم في
طغيانهم اي فنمهلهم ونفيض عليهم النعمة مع طغيانهم الزاما للحجة عليهم واذا مس الانسان الضر
دعانا لجنبه او قاعدا او قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كان لم يدعنا الى ضر مسه
كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون لجنبه في موضع الحال بدليل عطف الحالين عليه اي دعانا مضطجعا
او قاعدا او قائما فان قلت فما فائدة ذكر هذه الاحوال قلت معناه ان المضرور لا يزال داعيا لا يفتر
عن الدعاء حتى يزول عنه الضر فهو يدعونا في حالاته كلها ان كان منبطحا عاجز النهض متخاذل النوء او كان قاعدا لا يقدر
على القيام او كان قائما لا يطيق المشي والمضطرب الى ان يخف كل الخفة ويرزق الصحة بكمالها والمسحة بتمامها ويجوز
ان يراد ان من المضرورين من هو اشد حالا وهو صاحب الفراش ومنهم من هو اخف وهو القادر على القعود ومنهم المستطيع
للقيام وكلهم لا يستغنون عن الدعاء واستدفاع البلاء لان الانسان للجنس مر اي مضى على طريقته الاولى قبل مس الضر
ونسي حال الجهد او مر عن موقف الابتهال والتضرع لا يرجع اليه كانه لا عهد له به كان لم يدعنا كانه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشان
قال كان ثدياه حقان كذلك مثل ذلك التزيين زين للمسرفين زين الشيطان بوسوسته او الله عز وجل بخذلانه
وتخليته ما كانوا يعملون من الاعراض عن الذكر واتباع الشهوات ولقد اهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا
وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا كذلك نجزي القوم المجرمين لما ظرف لاهلكنا
والواو في وجاءتهم للحال اي ظلموا بالتكذيب وقد جاءتهم رسلهم بالحجج والشواهد على صدقهم وهي المعجزات وقوله وما كانوا
ليؤمنوا يجوز ان يكون عطفا على ظلموا وان يكون اعتراضا واللام لتاكيد النفي يعني وما كانوا يؤمنون حقا تاكيدا لنفي ايمانهم
وان الله تعالى قد علم منهم انهم يصرون على كفرهم وان الايمان مستبعد منهم والمعنى ان السبب في اهلاكهم تكذيبهم الرسل وعلم الله تعالى
انه لا فائدة في امهالهم بعد ان الزموا الحجة ببعثة الرسل كذلك مثل ذلك الجزاء يعني الاهلاك نجزي كل مجرم وهو وعيد لاهل مكة
على اجرامهم بتكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ يجزي بالياء ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم
لننظر كيف تعملون ثم جعلناكم الخطاب للذين بعث اليهم محمد صلى الله عليه وسلم اي استخلفناكم في الارض بعد القرون
التي اهلكنا لننظر اتعملون خيرا او شرا فنعاملكم على حسب عملكم وكيف في محل النصب بتعملون لا بننظر لان معنى الاستفهام
فيه يحجب ان يتقدم عليه عامله فان قلت كيف جاز النظر على الله تعالى وفيه معنى المقابلة قلت هو مستعار
للعلم المحقق الذي هو العلم بالشيء موجودا شبه بنظر الناظر وعيان المعاين في تحققه غاظهم ما في القرآن من ذم عبادة الاوثان
والوعيد للمشركين فقالوا ائت بقرآن اخر ليس فيه ما يغيظنا من ذلك نتبعك او بدله بان تجعل مكان اية عذاب اية رحمة
وتسقط ذكر الالهة وذم عبادتها فامر بان يجيب عن التبديل لانه داخل تحت قدرة الانسان وهو ان يضع مكان اية عذاب اية رحمة
مما انزل وان يسقط ذكر الالهة واما الاتيان بقرآن اخر فغير مقدور عليه للانسان ما يكون لي ما ينبغي لي وما يحل كقوله ما يكون
لي ان اقول ما ليس لي بحق ان ابدله من تلقاء نفسي من قبل نفسي وقرئ بفتح التاء من غير ان يامرني بذلك ربي ان اتبع الا
ما يوحى الي لا اتي ولا اذر شيئا من نحو ذلك الا متبعا لوحي الله تعالى واوامره ان نسخت اية تبعت النسخ وان بدلت اية

مكان آية بعث التبديل وليس الي تبديل ولا نسخ اني اخاف ان عصيت ربي بالتبديل والنسخ من عند نفسي عذاب يوم عظيم

فان قلت اما ظهر وتبين لهم العجز عن الاتيان بمثل القرآن حتى قالوا ائت بقرآن غير هذا **قلت**

بلى ولكنهم كانوا لا يعترفون بالعجز وكانوا يقولون لو نشاء لقلنا مثل هذا ويقولون افترى على الله كذبا فينسبونه الى الرسول

ويزعمونه قادرا عليه وعلى مثله مع علمهم بان العرب مع كثرة فصحائها وبلغائها اذا عجزوا كان الواحد منهم اعجز **فان قلت**

لعلهم ارادوا ائت بقرآن غير هذا او بدله من جهة الوحي كما اتيت بالقرآن من جهة واراد بقوله ما يكون لي ان اتبدله

وما يمكنني ان ابدله **قلت** يرده قوله اني اخاف ان عصيت ربي **فان قلت** فما كان غرضهم وهم ادهى

الناس وانكرهم في هذا الاقتراح **قلت** الكيد والمكر اما اقتراح ابدال قرآن بقرآن ففيه انه من عنده وانه

قادر على مثله فابدل مكانه آخر واما اقتراح التبديل والتغيير فللطمع ولاختبار الحال وانه ان وجد منه تبديل فاما ان يهلكه

فينجوا منه او لا يهلكه فيسخروا منه ويجعلوا التبديل حجة عليه وتصحيحا لافترائه على الله تعالى ● قل لو شاء الله

ما تلوته عليكم ولا ادريكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله افلا تعقلون ● لو شاء الله

ما تلوته عليكم يعني ان تلاوته ليست الا بمشيئة الله واحداثه امرا عجيبا خارجا عن العادات وهو ان يخرج رجل امي

لم يتعلم ولم يستمع ولم يشاهد العلماء ساعة من عمره ولا نشأ في بلد فيه علماء فيقرأ عليكم كتابا فصيحا يبهر كل كلام فصيح ويعلو

على كل منثور ومنظوم مشحونا بعلوم من علوم الاصول والفروع واخبار مما كان وما يكون ناطقا بالغيوب التي لا يعلمها الا الله

وقد بلغ بين ظهرانيكم اربعين سنة تطلعون على احواله ولا يخفى عليكم شيء من اسراره وما سمعتم منه حرفا من ذلك ولا عرفه به احد

من اقرب الناس منه والصقهم به ولا ادراكم به ولا اعلمكم به على لساني وقرأ الحسن ولا ادرأتكم به على لغة من يقول اعطاته

وارضاته في معنى اعطيته وارضيته وتعضده قراءة ابن عباس رضي الله عنهما ولا انذرتكم به ورواه الفراء ولا ادرأتكم

بالهمز وفيه وجهان احدهما ان تقلب الالف همزة كما قيل لبأت بالحج ورثأت الميت وحلأت السويق وذلك لان الالف

والهمزة من واد واحد الا ترى ان الالف اذا مستها الحركة انقلبت همزة والثاني ان يكون من درأته اذا دفعته وادرأته

اذا جعلته دارئا والمعنى ولا جعلتكم بتلاوته خصماء تدرأونني بالجدال وتكذبونني وعن ابن كثير ولأدراكم به بلام الابتداء

لاثبات الادراء ومعناه لو شاء الله ما تلوته انا عليكم ولاعلمكم به على لسان غيري ولكنه يمن على من يشاء من عباده فخصني

بهذه الكرامة ورآني لها اهلا دون سائر الناس فقد لبثت فيكم عمرا وقرئ عمرا بالسكون يعني فقد اقمت فيما بينكم يافعا

وكهلا فلم تعرفوني متعاطيا شيئا من نحوه ولا قدرت عليه ولا كنت متواصفا بعلم وبيان فتتهموني باختراعه افلا تعقلون فتعلموا

انه ليس الا من الله لا من مثلي وهذا جواب عما دسوه تحت قولهم ائت بقرآن غير هذا من اضافة الافتراء اليه ● فمن اظلم

ممن افترى على الله كذبا او كذب باياته انه لا يفلح المجرمون ● ممن افترى على الله كذبا يحتمل ان يريد افتراء

المشركين على الله في قولهم انه ذو شريك وذو ولد وان يكون تفاديا مما اضافوه اليه من الافتراء ● ويعبدون من

دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل اتنبئون

الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض سبحانه وتعالى عما يشركون ● ما لا يضرهم ولا ينفعهم

الاوثان التي هي جمادات لا تقدر على نفع ولا ضر وقيل ان عبدوها لا تنفعهم وان تركوا عبادتها لم تضرهم ومن حق المعبود ان

يكون مثيبا على الطاعة معاقبا على المعصية وكان اهل الطائف يعبدون اللات واهل مكة العزى ومناة واساف

ونائلة وكانوا يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وعن النضر بن الحارث اذا كان يوم القيمة شفعت لي اللات والعزى

اتنبئون الله بما لا يعلم اتخبرونه بكونهم شفعاء عنده وهو انباء بما ليس بمعلوم لله تعالى واذا لم يكن معلوما له وهو العالم بالذات

المحيط بجميع المعلومات لم يكن شيئا لان الشيء ما يعلم ويخبر عنه فكان خبرا ليس له مخبر عنه **فان قلت** كيف انباؤا

الله بذلك **قلت** هو تهكم بهم وبما ادعوه من المحال الذي هو شفاعة الاصنام واعلام بان الذي انباؤا به باطل

غير منطو تحت الصحة فكانهم يخبرونه بشيء لا يتعلق به علمه كما يخبر الرجل الرجل بما لا يعلمه وقرئ اتنبئون بالتخفيف وقوله

في السموات ولا في الارض تأكيد لنفيه لان ما لم يوجد فيهما فهو منتف معدوم يشركون بالتاء والياء وما موصولة او مصدرية

اي عن الشركاء الذين يشركونهم به او عن اشراكهم ● وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا ولولا

كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم فيما فيه يختلفون ● وما كان الناس الا امة واحدة حنفاء متفقين على

ملة واحدة من غير ان يختلفوا بينهم وذلك في عهد آدم الى ان قتل قابيل هابيل وقيل بعد الطوفان حين لم يذر الله من

الكافرين ديارا ولولا كلمة سبقت من ربك وهو تأخير الحكم بينهم الى يوم القيمة لقضي بينهم عاجلا فيما اختلفوا فيه ولميز

الحق من المبطل وسبق كلمته بالتأخير لحكمة اوجبت ان تكون هذه الدار دار تكليف وتلك دار ثواب وعقاب ●

ويقولون لولا انزل عليه آية من ربه فقل انما الغيب لله فانتظروا اني معكم من المنتظرين

وقالوا لولا انزل عليه آية من ربه ارادوا آية من الآيات التي كانوا يقترحونها وكانوا لا يعتدون بما انزل عليه من الآيات العظام

المتكاثرة التي لم ينزل على احد من الانبياء مثلها وكفى بالقرآن وحده آية باقية على وجه الدهر بديعة غريبة في الآيات دقيقة

المسلك من بين المعجزات وجعلوا نزولها كلا نزول وكانه لم ينزل عليه آية قط حتى قالوا لولا انزل عليه آية واحدة من ربه

وذلك لفرط عنادهم وتماديهم في التمرد وانهماكهم في الغي فقل انما الغيب لله اي هو المختص بعلم الغيب المستاثر لا علم

لي ولا لاحد به يعني ان الصارف عن انزال الآيات المقترحة امر مغيب لا يعلمه الا هو فانتظروا نزول ما اقترحتموه اني معكم

من المنتظرين لما يفعل الله بكم لعنادكم وجحودكم الآيات ● واذا اذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم

اذا لهم مكر في آياتنا قل الله اسرع مكرا ان رسلنا يكتبون ما تمكرون

سلط الله تعالى القحط سبع سنين على اهل مكة حتى يهلكون ثم رحمهم بالحيا فلما رحمهم طفقوا يطعنون في آيات الله تعالى ويعادون

رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكيدونه واذا الاولى للشرط والاخيرة جوابها وهي للمفاجاة والمكر اخفاء الكيد وطيه من الجارية

الممكورة المطوية الخلق ومعنى مستهم خالطتهم حتى احسوا بسوء اثرها فيهم **فان قلت** ما وصفهم بسرعة المكر

فكيف صح قوله اسرع مكرا **قلت** بلى دلت على ذلك كلمة المفاجاة كانه قال واذا رحمناهم من بعد ضراء فاجاؤا وقوع

المكر منهم وسارعوا اليه قبل ان يغسلوا رؤسهم من مس الضراء ولم يلبثوا ريثما يسيغون غصتهم والمعنى ان الله تعالى

قد دبر عقابكم وهو موقعه بكم قبل ان تدبروا كيف تعملون في اطفاء نور الاسلام ان رسلنا يكتبون اعلام بان ما تظنونه

خافيا مطويا لا يخفى على الله وهو منتقم منكم وقرئ يمكرون بالياء والتاء وقيل مكرهم قولهم سقينا بنوء كذا وعن

ابي هريرة رضي الله عنه ان الله تعالى ليصبح القوم بالنعمة ويمسيهم بها فيصبح طائفة منهم بها كافرين يقولون مطرنا بنوء كذا

هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها

جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا انهم احيط بهم دعوا الله

مخلصين له الدين لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين ● قرأ زيد بن ثابت ينشركم ومثله

قوله فانتشروا في الارض ثم اذا انتم بشر تنتشرون **فان قلت** كيف جعل الكون في الفلك غاية للتسيير في البحر

والتسيير في البحر انما هو بالكون في الفلك **قلت** لم يجعل الكون في الفلك غاية للتسيير ولكن مضمون الجملة الشرطية

الواقعة بعد حتى بما في حيزها كانه قيل يسيركم حتى اذا وقعت هذه الحادثة وكان كيت وكيت من مجيء الريح العاصف وتراكم

الامواج والظن للهلاك والدعاء بالانجاء **فان قلت** ما جواب اذا **قلت** جاءتها **فان قلت**

فدعوا **قلت** بدل من ظنوا لان دعاءهم من لوازم ظنهم الهلاك فهو ملتبس به **فان قلت** ما فائدة صرف الكلام

عن الخطاب الى الغيبة **قلت** المبالغة كانه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها ويستدعي منهم الانكار والتقبيح **فان قلت**

ما وجه قراءة ام الدرداء في الفلكي بزيادة ياء النسب **قلت** قيل هما زائدتان كما في الخارجي والاحمري ويجوز ان

يراد به اللج والماء الغمر الذي لا تجري الفلك الا فيه والضمير في جرين للفلك لانه جمع فلك كالاسد في فعل اخي فعل وفي قراءة

ام الدرداء رضي الله عنها للفلك ايضا لان الفلكي يدل عليه جاءتها جاءت الريح الطيبة اي تلقتها وقيل الضمير للفلك

من كل مكان من جميع امكنة الموج احيط بهم جعل احاطة العدو بالحي مثلا في الهلاك مخلصين له الدين من غير اشراك

به لانهم لا يدعون حينئذ غيره معه لئن انجيتنا على ارادة القول او لان دعوا من جملة القول ● فلما انجاهم اذا هم

يبغون في الارض بغير الحق يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم متاع الحيوة الدنيا ثم الينا مرجعكم

فننبئكم بما كنتم تعملون ● يبغون في الارض يفسدون فيها ويعيثون مترامين في ذلك ممعنين فيه من

قولك بغى الجرح اذا ترامى الى الفساد **فان قلت** ما معنى قوله بغير الحق والبغي لا يكون بحق **قلت** بلى وهو

استيلاء المسلمين على ارض الكفرة وهدم دورهم واحراق زروعهم وقطع اشجارهم كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ببني قريظة

وقرئ متاع الحيوة الدنيا بالنصب **فان قلت** ما الفرق بين القراءتين **قلت** اذا رفعت كان المتاع خبرا للمبتدا الذي هو بغيكم وعلى انفسكم صلته كقوله فبغى عليهم ومعناه انما بغيكم على امثالكم والذين جنسهم جنسكم يعني بغي بعضكم على بعض منفعة الحيوة الدنيا لا بقاء لها واذا نصبت فعلى انفسكم خبر غير صلة معناه انما بغيكم وبال على انفسكم ومتاع الحيوة الدنيا في موضع المصدر المؤكد كانه قيل تتمتعون متاع الحيوة الدنيا ويجوز ان يكون الرفع على هو متاع الحيوة الدنيا بعد تمام الكلام وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تمكر ولا تعن ماكرا ولا تبغ ولا تعن باغيا ولا تنكث ولا تعن ناكثا وكان يتلوها وعنه صلى الله عليه وسلم اسرع الخير ثوابا صلة الرحم واعجل الشر عقابا البغي واليمين الفاجرة وروي ثنتان يعجلهما الله في الدنيا البغي وعقوق الوالدين وعن ابن عباس رضي الله عنهما لو بغى جبل على جبل لدك الباغي وكان المامون يتمثل بهذين البيتين في اخيه · يا صاحب البغي ان البغي مصرعة · فاربع فخير فعال المرء اعدله · فلو بغى جبل يوما على جبل · لاندك منه اعاليه واسفله · وعن محمد بن كعب ثلث من كن فيه كن عليه البغي والنكث والمكر قال الله تعالى انما بغيكم على انفسكم ● انما مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض مما ياكل الناس والانعام حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت وظن اهلها انهم قادرون عليها اتيها امرنا ليلا او نهارا فجعلناها حصيدا كان لم تغن بالامس كذلك نفصل الايات لقوم يتفكرون ● هذا من التشبيه المركب شبهت حال الدنيا في سرعة تقضيها وانقراض نعيمها بعد الاقبال بحال نبات الارض في جفافه وذهابه حطاما بعد ما التف وتكاثف وزين الارض بخضرته ورفيفه فاختلط به فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا اخذت الارض زخرفها وازينت كلام فصيح جعلت الارض آخذة زخرفها على التمثيل بالعروس اذا اخذت الثياب الفاخرة من كل لون فاكتستها وتزينت بغيرها من الوان الزين واصل ازينت تزينت فادغم وبالاصل قرا عبد الله وقرئ وازينت على افعلت من غير اعلال الفعل كاغيلت اي صارت ذات زينة وازيانت بوزن ابياضت قادرون عليها متمكنون من منفعتها محصلون لثمرتها رافعون لغلتها اتيها امرنا وهو ضرب زرعها ببعض العاهات بعد امنهم واستيقانهم انه قد سلم فجعلناها فجعلنا زرعها حصيدا شبيها بما يحصد من الزرع في قطعه واستيصاله كان لم تغن كان لم يغن زرعها اي لم يلبث على حذف المضاف في هذه المواضع لا بد منه والا لم يستقم المعنى وقرا الحسن كان لم يغن بالياء على ان الضمير للمضاف المحذوف الذي هو الزرع ● وعن مروان انه قرا على المنبر كان لم تتغن بالامس من قول الاعشى · طويل الثواء طويل التغني · والامس مثل في الوقت القريب كانه قيل لم تغن آنفا ● يدعو الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم ● دار السلام الجنة اضافها الى اسمه تعظيما لها وقيل السلام السلامة لان اهلها سالمون من كل مكروه وقيل لفشو السلام بينهم وتسليم الملائكة عليهم الا قيلا سلاما سلاما ويهدي ويوفق من يشاء وهم الذين علم ان اللطف يجدي عليهم لان مشيئته تابعة لحكمته ومعناه يدعو العباد كلهم الى دار السلام ولا يدخلها الا المهديون ● للذين احسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون ● الحسنى المثوبة الحسنى وزيادة وما يزيد على المثوبة وهي التفضل ويدل عليه قوله ويزيدهم من فضله وعن علي رضي الله عنه الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة ● وعن ابن عباس رضي الله عنهما الحسنى الحسنة والزيادة عشر امثالها وعن الحسن رحمه الله عشر امثالها الى سبعمائة ضعف وعن مجاهد الزيادة مغفرة من الله ورضوان ● وعن يزيد بن شجرة الزيادة ان تمر السحابة باهل الجنة فتقول ما تريدون ان امطركم فلا يريدون شيئا الا امطرتهم وزعمت المشبهة والمجبرة ان الزيادة النظر الى وجه الله تعالى وجاءت بحديث مرقوع اذا دخل اهل الجنة الجنة نودوا ان يا اهل الجنة فيكشف الحجاب فينظرون اليه فوالله ما اعطاهم الله شيئا هو احب اليهم منه ولا يرهق وجوههم لا يغشاها قتر غبرة فيها سواد ولا ذلة ولا اثر هوان وكسوف بال والمعنى لا يرهقهم ما يرهق اهل النار اذكارا بما ينقذهم منه برحمته الا ترى الى قوله ترهقها قترة وترهقهم ذلة ● والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة ما لهم من الله من عاصم كانما اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون **فان قلت** ما وجه قوله والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وكيف يتلاءم

قلت اما ان يكون والذين كسبوا معطوفا على قوله للذين احسنوا كانه قيل وللذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها واما ان يقدر وجزاء الذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها على معنى جزاؤهم ان تجازى سيئة واحدة بسيئة مثلها لا يزاد عليها وهذا الوجه من الاول لان في الاول عطفا على عاملين وان كان الاخفش يجيزه وفي هذا دليل على ان المراد بالزيادة الفضل لانه دل بترك الزيادة على السيئة على عدله ودل ثم باثبات الزيادة على المثوبة على فضله وقرئ ويرهقهم ذلة بالياء ما لهم من الله من عاصم اي لا يعصمهم احد من سخط الله وعذابه ويجوز ما لهم من جهة الله ومن عنده من يعصمهم كما يكون للمؤمنين مظلما حال من الليل ومن قرا قطعا بالسكون جعل مظلما صفة له ويعضده قراءة ابي بن كعب كانما يغشى وجوههم قطع من الليل مظلم **فان قلت** اذا جعلت مظلما حالا من الليل فما العامل فيه **قلت** لا يخلو اما ان يكون اغشيت من قبل ان من الليل صفة لقوله قطعا فكان افضاؤه الى الموصوف كافضائه الى الصفة واما ان يكون معنى الفعل في من الليل ● ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا مكانكم انتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون ● مكانكم الزموا مكانكم لا تبرحوا حتى تنظروا ما يفعل بكم وانتم اكد به الضمير في مكانكم لسده مسد قوله الزموا وشركاؤكم عطف عليه وقرئ وشركاءكم على ان الواو بمعنى مع والعامل فيه ما في مكانكم من معنى الفعل فزيلنا بينهم ففرقنا بينهم وقطعنا اقرانهم والوصل التي كانت بينهم في الدنيا او فباعدنا بينهم بعد الجمع بينهم في الموقف وتبرؤ شركائهم منهم ومن عبادتهم كقوله تعالى اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون قالوا ضلوا عنا وقرئ فزايلنا بينهم كقولك صاعر خده وصعره وكالمته وكلمته ما كنتم ايانا تعبدون انما كنتم تعبدون الشياطين حيث امروكم ان تتخذوا لله اندادا فاطعتموهم ● فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم ان كنا عن عبادتكم لغافلين ● ان المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية وهم الملائكة والمسيح ومن عبدوه من دون الله من اولي العقل وقيل الاصنام ينطقها الله عز وجل فتشافههم بذلك مكان الشفاعة التي زعموها وعلقوا بها اطماعهم ● هنالك تبلو كل نفس ما اسلفت وردوا الى الله موليهم الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون ● هنالك في ذلك المقام في ذلك الموقف او في ذلك الوقت على استعارة اسم المكان للزمان تبلو كل نفس تختبر وتذوق ما اسلفت من العمل فتعرف كيف هو اقبيح ام حسن انافع ام ضار امقبول ام مردود كما يختبر الرجل الشيء ويتعرفه ليكتنه حاله ومنه قوله تعالى يوم تبلى السرائر وعن عاصم نبلو كل نفس بالنون ونصب كل اي نختبرها باختبار ما اسلفت من العمل فنعرف حالها بمعرفة حال عملها ان كان حسنا فهي سعيدة وان كان سيئا فهي شقية والمعنى نفعل بها فعل الخابر كقوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا ويجوز ان يراد نصيب بالبلاء وهو العذاب كل نفس عاصية بسبب ما اسلفت من الشر وقرئ تتلو اي تتبع ما اسلفت لان عمله هو الذي يهديه الى طريق الجنة او الى طريق النار او تقرا في صحيفتها ما قدمت من خير او شر مولاهم الحق ربهم الصادق ربوبيته لانهم كانوا يتولون ما ليس لربوبيته حقيقة او الذي يتولى حسابهم وثوابهم العدل الذي لا يظلم احدا وقرئ الحق بالنصب على تاكيد قوله ردوا الى الله كقولك هذا عبد الله الحق لا الباطل او على المدح كقولك الحمد لله اهل الحمد وضل عنهم ما كانوا يفترون وضاع عنهم ما كانوا يدعون انهم شركاء لله او بطل عنهم ما كانوا يختلقون من الكذب وشفاعة الآلهة ● قل من يرزقكم من السماء والارض امن يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر فسيقولون الله فقل افلا تتقون ● من السماء والارض اي يرزقكم منهما جميعا لم يقتصر برزقكم على جهة واحدة ليفيض عليكم نعمته ويوسع رحمته امن يملك السمع والابصار من يستطيع خلقهما وتسويتهما على الحد الذي سويا عليه من الفطرة العجيبة او من يحميهما ويحصنهما من الآفات مع كثرتها في المدد الطوال وهما لطيفان يؤذيهما ادنى شيء بكلاءته وحفظه ومن يدبر الامر ومن يلي تدبير امر العالم كله جاء بالعموم بعد الخصوص افلا تتقون افلا تقون انفسكم ولا تحذرون عليها عقابه فيما انتم بصدده من الضلال ● فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق الا الضلال فانى تصرفون ● فذلكم اشارة الى من هذه قدرته وافعاله ربكم الحق الثابت ربوبيته ثباتا لا ريب فيه لمن حقق النظر فماذا بعد الحق الا الضلال يعني ان الحق والضلال لا واسطة بينهما

فمن تخطى الحق وقع في الضلال فأنى تصرفون عن الحق الى الضلال وعن التوحيد الى الشرك وعن السعادة الى الشقاء ●
كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا انهم لا يؤمنون ● كذلك مثل ذلك الحق
حقت كلمة ربك اي كما حق وثبت ان الحق بعده الضلال او كما حق انهم مصروفون عن الحق فكذلك حقت كلمة ربك
على الذين فسقوا اي تمردوا في كفرهم وخرجوا الى الحد الاقصى فيه وانهم لا يؤمنون بدل من الكلمة اي حق عليهم انتفاء الايمان
وعلم الله تعالى منهم ذلك او حق عليهم كلمة الله انهم من اهل الخذلان وان ايمانهم غير كائن او اراد بالكلمة العدة بالعذاب
وانهم لا يؤمنون تعليل بمعنى لانهم لا يؤمنون ● قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده
قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده فأنى تؤفكون ● فان قلت كيف قيل لهم هل من شركائكم
من يبدأ الخلق ثم يعيده وهم غير معترفين بالاعادة قلت قد وضعت اعادة الخلق لظهور برهانها موضع ما ان
دفعه دافع كان مكابرا رادا للظاهر البين الذي لا مدخل للشبهة فيه دلالة على انهم في انكارهم لها منكرون امرا مسلما
معترفا بصحته عند العقلاء وقال لنبيه قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده فامره بان ينوب عنهم في الجواب يعني انهم لا يدعهم لجاجهم
ومكابرتهم ان ينطقوا بكلمة الحق فتكلم عنهم ● قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق قل الله
يهدي للحق افمن يهدي الى الحق احق ان يتبع امن لا يهدي الا ان يهدى فما لكم كيف تحكمون
يقال هداه للحق والى الحق فجمع بين اللغتين ويقال هدى بنفسه بمعنى اهتدى كما يقال شرى بمعنى اشترى ومنه قوله امن
لا يهدي وقرئ لا يهدي بفتح الهاء وكسرها مع تشديد الدال والاصل يهتدي فادغم وفتحت الهاء بحركة التاء او
كسرت لالتقاء الساكنين وقد كسرت الياء لاتباع ما بعدها وقرئ الا ان يهدى من هداه وهداه للمبالغة ومنه
قولهم تهدى ومعناه ان الله تعالى وحده هو الذي يهدي للحق بما ركب في المكلفين من العقول واعطاهم من التمكين للنظر
في الادلة التي نصبها لهم وبما لطف بهم ووفقهم والهمهم واخطر ببالهم ووقفهم على الشرائع فهل من شركائكم الذين
جعلتم انداد الله احد من اشرفهم كالملائكة والمسيح وعزير يهدي الى الحق مثل هداية الله تعالى ثم قال افمن يهدي الى الحق
هذه الهداية احق بالاتباع ام الذي لا يهدي اي لا يهتدي بنفسه او لا يهدي غيره الا ان يهديه الله وقيل معناه امن لا يهتدي
من الاوثان الى مكان فينتقل اليه الا ان يهدى الا ان ينقل او لا يهتدي ولا يصح منه الاهتداء الا ان ينقله الله تعالى من حاله
الا ان يجعله حيوانا مكلفا فيهديه فما لكم كيف تحكمون بالباطل حيث تزعمون انهم انداد الله ● وما يتبع اكثرهم
الا ظنا ان الظن لا يغني من الحق شيئا ان الله عليم بما يفعلون ● وما يتبع اكثرهم في اقرارهم
بالله الا ظنا لانه قول غير مستند الى برهان عندهم ان الظن في معرفة الله لا يغني من الحق وهو العلم شيئا وقيل وما يتبع
اكثرهم في قولهم للاصنام انها آلهة وانها شفعاء عند الله الا الظن والمراد بالاكثر الجميع ان الله عليم وعيد على ما يفعلون
من اتباع الظن وتقليد الآباء وقرئ تفعلون بالتاء ● وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون
الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين
وما كان هذا القرآن افتراء من دون الله ولكن كان تصديق الذي بين يديه وهو ما تقدم من الكتب المنزلة لانه معجز دونها
فهو عيار عليها وشاهد لصحتها كقوله هو الحق مصدقا لما بين يديه وقرئ ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب
على ولكن هو تصديق وتفصيل ومعنى وما كان ان يفترى وما صح وما استقام وكان محالا ان يكون مثله في علو امره
واعجازه مفترى وتفصيل الكتاب وتبيين ما كتب وفرض من الاحكام والشرائع من قوله كتاب الله عليكم فان قلت
بم اتصل قوله لا ريب فيه من رب العالمين قلت هو داخل في حيز الاستدراك كانه قال ولكن كان تصديقا وتفصيلا
منتفيا عنه الريب كائنا من رب العالمين ويجوز ان يراد ولكن كان تصديقا من رب العالمين وتفصيلا منه لا ريب في
ذلك فيكون من رب العالمين متعلقا بتصديق وتفصيل ويكون لا ريب فيه اعتراضا كما تقول زيد لا شك فيه كريم
ام يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله
ان كنتم صادقين ● ام يقولون افتراه بل ايقولون اختلقه على ان الهمزة تقرير لالزام الحجة عليهم او انكار
لقولهم واستبعاد والمعنيان متقاربان قل ان كان الامر كما تزعمون فأتوا انتم على وجه الافتراء بسورة مثله
فانتم مثلي في العربية والفصاحة ومعنى بسورة مثله اي شبيهة به في البلاغة وحسن النظم وقرئ بسورة مثله على الاضافة

اي بسورة كتاب مثله وادعوا من دون الله من استطعتم من خلقه للاستعانة به على الاتيان بمثله يعني ان الله وحده
هو القادر على ان يأتي بمثله لا يقدر على ذلك احد غيره فلا تستعينوا بوحده ثم استعينوا بكل من دونه ان كنتم صادقين انه افتراه
بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر
كيف كان عاقبة الظالمين ● بل كذبوا بل سارعوا الى التكذيب بالقرآن وفاجؤه في بديهة السماع
قبل ان يفقهوه ويعلموا كنه امره وقبل ان يتدبروه ويقفوا على تأويله ومعانيه وذلك لفرط نفورهم عما يخالف دينهم
وشرادهم عن مفارقة دين آبائهم كالناشئ على التقليد من الحشوية اذا احس بكلمة لا توافق ما نشأ عليه والفه وان
كانت اضوأ من الشمس في ظهور الصحة وبيان الاستقامة انكرها في اول وهلة واشمأز منها قبل ان يحس ادراكها
بحاسة سمعه من غير فكر في صحة او فساد لانه لم يشعر قلبه الا صحة مذهبه وفساد ما عداه من المذاهب فان قلت
ما معنى التوقع في قوله ولما يأتهم تأويله قلت معناه انهم كذبوا به على البديهة قبل التدبر ومعرفة التأويل تقليدا
للآباء وكذبوه بعد التدبر تمردا وعنادا فذمهم بالتسرع الى التكذيب قبل العلم به وجاء بكلمة التوقع ليؤذن انهم علموا
بعد علو شأنه واعجازه لما كرر عليهم التحدي ورازوا قواهم في المعارضة واستيقنوا عجزهم عن مثله فكذبوا به بغيا وحسدا
كذلك اي مثل ذلك التكذيب كذب الذين من قبلهم يعني قبل النظر في معجزات الانبياء وقبل تدبرها من غير انصاف من
انفسهم ولكن قلدوا الآباء وعاندوا وقيل هو في الذين كذبوا وهم شاكون ويجوز ان يكون معنى ولما يأتهم تأويله
ولم يأتهم بعد تأويل ما فيه من الاخبار بالغيوب اي عاقبته حتى يتبين لهم اهو كذب ام صدق يعني انه كتاب معجز من جهتين
من جهة اعجاز نظمه ومن جهة ما فيه من الاخبار بالغيوب فتسرعوا الى التكذيب به قبل ان ينظروا في نظمه وبلوغه حد الاعجاز
وقبل ان يخبروا اخباره بالمغيبات وصدقه وكذبه ● ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به
وربك اعلم بالمفسدين ● ومنهم من يؤمن به من يصدق به في نفسه ويعلم انه حق ولكنه يعاند بالتكذيب
ومنهم من يشك فيه لا يصدق به او يكون للاستقبال اي ومنهم من سيؤمن به ومنهم من سيصر وربك اعلم بالمفسدين
بالمعاندين او المصرين ● وان كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم انتم بريئون مما اعمل وانا
بريء مما تعملون ● وان كذبوك وان تموا على تكذيبك ويئست من اجابتهم فتبرأ منهم وخلهم فقد اعذرت
كقوله تعالى فان عصوك فقل اني بريء وقيل هي منسوخة بآية السيف ● ومنهم من يستمعون اليك
افانت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون ● ومنهم من ينظر اليك افانت تهدي
العمي ولو كانوا لا يبصرون ● ومنهم من يستمعون اليك معناه ومنهم ناس يستمعون اليك اذا
قرأت القرآن وعلمت الشرائع ولكنهم لا يعون ولا يقبلون وناس ينظرون اليك ويعاينون ادلة الصدق واعلام
النبوة ولكنهم لا يصدقون ثم قال اتطمع انك تقدر على اسماع الصم ولو انضم الى صممهم عدم عقولهم لان الاصم العاقل
ربما تفرس واستدل اذا وقع في صماخه دوي الصوت فاذا اجتمع سلب السمع والعقل جميعا فقد تم الامر او تحسب انك تقدر
على هداية العمي ولو انضم الى فقد البصر فقد البصيرة لان الاعمى الذي له في قلبه بصيرة قد يحدس ويتظنن واما العمى مع الحمق
فجهد البلاء يعني انهم في اليأس من ان يقبلوا ويصدقوا كالصم والعمي الذين لا عقول لهم ولا بصائر وقوله افانت افانت
دلالة على انه لا يقدر على اسماعهم وهدايتهم الا الله تعالى بالقسر والالجاء كما لا يقدر على رد الاصم والاعمى المسلوبي العقل
حديدي السمع والبصر راجحي العقل الا هو وحده ● ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس
انفسهم يظلمون ● ان الله لا يظلم الناس شيئا اي لا ينقصهم شيئا مما يتصل بمصالحهم من بعثة الرسل
وانزال الكتب ولكنهم يظلمون انفسهم بالكفر والتكذيب ويجوز ان يكون وعيدا للمكذبين يعني ان ما يلحقهم يوم القيمة من
العذاب لاحق بهم على سبيل العدل والاستيجاب ولا يظلمهم الله به ولكنهم ظلموا انفسهم باقتراف ما كان سببا فيه
ويوم يحشرهم كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار يتعارفون بينهم قد خسر الذين كذبوا
بلقاء الله وما كانوا مهتدين ● الا ساعة من النهار يستقربون وقت لبثهم في الدنيا وقيل في
القبور لهول ما يرون يتعارفون بينهم يعرف بعضهم بعضا كانهم لم يتعارفوا الا قليلا وذلك عند خروجهم من القبور
ثم ينقطع التعارف بينهم لشدة الامر عليهم فان قلت كان لم يلبثوا ويتعارفون كيف موقعهما قلت

اما الاولى فحال منهم اي نحشرهم مشبهين بمن لم يلبث الا ساعة واما الثانية فاما ان تتعلق بالظرف واما ان تكون مبينة
لقوله كان لم يلبثوا الا ساعة لان التعارف لا يبقى مع طول العهد وينقلب تناكرا قد خسر على ارادة القول اي يتعارفون
بينهم قائلين ذلك او هي شهادة من الله تعالى على خسرانهم والمعنى انهم وضعوا في تجارتهم وبيعهم الايمان بالكفر وما كانوا مهتدين
للتجارة عارفين بها وهو استيناف فيه معنى التعجب كانه قيل ما اخسرهم ● واما نرينك بعض الذي نعدهم او
نتوفينك فالينا مرجعهم ثم الله شهيد على ما يفعلون ● فالينا مرجعهم جواب نتوفينك
وجواب نرينك محذوف كانه قيل واما نرينك بعض الذي نعدهم في الدنيا فذاك او نتوفينك قبل ان نريكه فنحن نريكه في
الآخرة **فان قلت** الله شهيد على ما يفعلون في الدارين فما معنى ثم **قلت** ذكرت الشهادة والمراد
مقتضاها ونتيجتها وهو العقاب كانه قال ثم الله معاقب على ما يفعلون وقرأ ابن ابي عبلة ثم بالفتح اي هنالك
ويجوز ان يراد ان الله مؤد شهادته على افعالهم يوم القيمة حين ينطق جلودهم والسنتهم وايديهم وارجلهم شاهدة عليهم
ولكل امة رسول فاذا جاء رسولهم قضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون ● ولكل امة رسول
يبعث اليهم لينبههم على التوحيد ويدعوهم الى دين الحق فاذا جاءهم رسولهم بالبينات فكذبوه ولم يتبعوه قضي
بينهم اي بين النبي ومكذبيه بالقسط بالعدل فانجي الرسول وعذب المكذبون كقوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا
او ولكل امة من الامم يوم القيمة رسول تنسب اليه وتدعى به فاذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والايمان كقوله تعالى
وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم ● ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ● قل
لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا الا ما شاء الله لكل امة اجل اذا جاء اجلهم فلا
يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ● متى هذا الوعد استعجال لما وعدوا من العذاب استبعادا له
لا املك لنفسي ضرا من مرض او فقر ولا نفعا من صحة او غنى الا ما شاء الله استثناء منقطع اي ولكن ما شاء الله
من ذلك كائن فكيف املك لكم الضر وجلب العذاب لكل امة اجل يعني ان عذابكم له اجل مضروب عند الله وحد محدود
من الزمان اذا جاء ذلك الوقت انجز وعدكم لا محالة فلا تستعجلوا وقرأ ابن سيرين فاذا جاء آجالهم ● قل ارأيتم
ان اتيكم عذابه بياتا او نهارا ماذا يستعجل منه المجرمون ● اثم اذا ما وقع امنتم
به الآن وقد كنتم به تستعجلون ● ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد هل
تجزون الا بما كنتم تكسبون ● بياتا نصب على الظرف بمعنى وقت بيات **فان قلت**
هلا قيل ليلا او نهارا **قلت** لانه اريد ان اتاكم عذابه وقت بيات فبيتكم وانتم ساهون نائمون لا تشعرون
كما يبيت العدو المباغت والبيات بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم وكذلك قوله نهارا معناه في وقت
انتم فيه مشتغلون بطلب المعاش والكسب ونحوه بياتا وهم نائمون ضحى وهم يلعبون والضمير في منه للعذاب والمعنى ان
العذاب كله مكروه مر المذاق موجب للنفار فاي شيء تستعجلون منه وليس شيء منه يوجب الاستعجال ويجوز ان يكون
معناه التعجب كانه قيل اي شيء هول شديد تستعجلون منه ويجب ان يكون من للبيان في هذا الوجه وقيل الضمير
في منه لله تعالى **فان قلت** بم تعلق الاستفهام واين جواب الشرط **قلت** تعلق بارأيتم لان المعنى
اخبروني ماذا يستعجل منه المجرمون وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال او تعرفوا الخطأ فيه
فان قلت فهلا قيل ماذا تستعجلون منه **قلت** اريدت الدلالة على موجب ترك الاستعجال
وهو الاجرام لان من حق المجرم ان يخاف التعذيب على اجرامه ويهلك فزعا من مجيئه وان ابطأ فضلا ان يستعجله ويجوز
ان يكون ماذا يستعجل منه المجرمون جوابا للشرط كقولك ان اتيتك ماذا تطعمني ثم تتعلق الجملة بارأيتم وان يكون اثم
اذا ما وقع امنتم به جواب الشرط وماذا يستعجل منه المجرمون اعتراضا والمعنى ان اتاكم عذابه امنتم به بعد وقوعه
حين لا ينفعكم الايمان ودخول حرف الاستفهام على ثم كدخوله على الواو والفاء في قوله تعالى افأمن اهل القرى او امن
اهل القرى الآن على ارادة القول اي قيل لهم اذا امنوا بعد وقوع العذاب آلآن امنتم به وقد كنتم به تستعجلون
يعني وقد كنتم به تكذبون لان استعجالهم كان على جهة التكذيب والانكار وقرئ آلان بحذف الهمزة التي بعد اللام
والقاء حركتها على اللام ثم قيل للذين ظلموا عطف على قيل المضمر قبل آلآن ● ويستنبئونك احق هو قل

اي وربي انه لحق وما انتم بمعجزين ● ويستنبئونك ويستخبرونك فيقولون احق هو وهو استفهام على
جهة الانكار والاستهزاء وقرأ الاعمش آلحق هو وهو ادخل في الاستهزاء لتضمنه معنى التعريض بانه باطل وذلك ان
اللام للجنس فكانه قيل اهو الحق لا الباطل او اهو الذي سميتموه الحق والضمير للعذاب الموعود واي بمعنى نعم في القسم خاصة
كما ان هل بمعنى قد في الاستفهام خاصة وسمعتهم يقولون في التصديق ايو فيصلونه بواو القسم ولا ينطقون به وحده وما
انتم بمعجزين بفائتين العذاب وهو لاحق بكم لا محالة ● ولو ان لكل نفس ظلمت ما في الارض لافتدت به واسروا
الندامة لما راوا العذاب وقضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون ● الا ان لله ما في
السموات والارض الا ان وعد الله حق ولكن اكثرهم لا يعلمون ● هو يحيي ويميت واليه
ترجعون ● ظلمت صفة لنفس على ولو ان لكل نفس ظالمة ما في الارض اي ما في الدنيا اليوم من خزائنها واموالها وجميع
منافعها على كثرتها لافتدت به لجعلته فدية لها يقال فداه فافتدى ويقال افتداه ايضا بمعنى فداه واسروا الندامة لما راوا العذاب
لانهم بهتوا لرؤيتهم ما لم يحتسبوه ولم يخطر ببالهم وعاينوا من شدة الامر وتفاقمه ما سلبهم قواهم وبهرهم فلم يطيقوا عنده
بكاء ولا صراخا ولا ما يفعله الجازع سوى اسرار الندم والحسرة في القلوب كما ترى المقدم للصلب يثخنه ما دهمه من فظاعة الخطب
ويغلب حتى لا ينبس بكلمة ويبقى جامدا مبهوتا وقيل اسر رؤساؤهم الندامة من سفلتهم الذين اضلوهم حياء منهم
وخوفا من توبيخهم وقيل اسروها اخلصوها اما لان اخفاءها اخلاصها واما من قولهم سر الشيء لخالصه وفيه تهكم بهم
وباخطائهم وقت اخلاص الندامة وقيل اسروا الندامة اظهروها من قولهم اسر الشيء واشره اذا اظهره وليس هناك تجلد
وقضي بينهم اي بين الظالمين والمظلومين دل على ذلك ذكر الظلم ثم اتبع ذلك الاعلام بان له الملك كله وانه المثيب المعاقب
وما وعده من الثواب والعقاب فهو حق وهو القادر على الاحياء والاماتة لا يقدر عليهما غيره والى حسابه وجزائه المرجع ليعلم
ان الامر كذلك فيخاف ويرجى ولا يغتر به المغترون ● يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء
لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين ● قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا
هو خير مما يجمعون ● قد جاءتكم موعظة اي قد جاءكم كتاب جامع لهذه الفوائد من موعظة وتنبيه على التوحيد وهو
شفاء اي دواء لما في صدوركم من العقائد الفاسدة ودعاء الى الحق ورحمة لمن آمن به منكم اصل الكلام بفضل الله وبرحمته
فليفرحوا فبذلك فليفرحوا والتكرير للتأكيد والتقرير وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوائد الدنيا
فحذف احد الفعلين لدلالة المذكور عليه والفاء داخلة لمعنى الشرط كانه قيل ان فرحوا بشيء فليخصوهما بالفرح فانه لا مفروح
به احق منهما فليعتنوا بذلك فليفرحوا ويجوز ان يراد قد جاءتكم موعظة بفضل الله وبرحمته فبذلك فبمجيئها فليفرحوا وقرئ
فلتفرحوا بالتاء وهو الاصل والقياس وهي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روي وعنه لتأخذوا مصافكم قالها في
بعض الغزوات وفي قراءة ابي فافرحوا هو راجع الى ذلك وقرئ مما تجمعون بالياء والتاء وعن ابي بن كعب رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قل بفضل الله وبرحمته فقال بكتاب الله والاسلام وقيل فضله الاسلام ورحمته ما وعد عليه
قل ارأيتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل الله اذن لكم ام على
الله تفترون ● ارأيتم اخبروني وما انزل الله ما في موضع النصب بانزل او بارأيتم في معنى اخبروني فجعلتم منه حراما
وحلالا اي انزله الله تعالى رزقا حلالا كله فبعضتموه وقلتم هذا حلال وهذا حرام كقولهم هذه انعام وحرث حجر ما في بطون هذه
الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا آلله اذن لكم متعلق بارأيتم وقل تكرير للتوكيد والمعنى اخبروني آلله اذن لكم في التحليل
والتحريم فانتم تفعلون ذلك باذنه ام تكذبون على الله في نسبة ذلك اليه ويجوز ان تكون الهمزة للانكار وام منقطعة
بل اتفترون على الله تقريرا للافتراء وكفى بهذه الآية زاجرة زجرا بليغا عن التجوز فيما يسأل عنه من الاحكام وباعثة على
وجوب الاحتياط فيه وان لا يقول احد في شيء جائز او غير جائز الا بعد ايقان واتقان ومن لم يوقن فليتق الله وليصمت والا
فهو مفتر على الله عز وجل ● وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيمة ان
الله لذو فضل على الناس ولكن اكثرهم لا يشكرون ● يوم القيمة منصوب بالظن وهو ظن واقع
فيه يعني اي شيء ظن المفترين في ذلك اليوم ما يصنع بهم فيه وهو يوم الجزاء بالاحسان والاساءة وهو وعيد عظيم حيث ابهم
امره وقرأ عيسى بن عمر وما ظن على لفظ الفعل ومعناه واي ظن ظنوا يوم القيمة وجيء به على لفظ الماضي لانه كائن

ويجوز ان يراد بفضل الله وبرحمته م

لكان قد كان ان الله لذو فضل على الناس حيث انعم عليهم بالعقل ورحمهم بالوحي وتعليم الحلال والحرام ولكن اكثرهم لا يشكرون
هذه النعمة ولا يتبعون ما هدوا اليه

وما تكون في شان وما تتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الارض ولا في السماء ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين

وما تكون في شان ما نافية والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والشان الامر واصله الهمز بمعنى القصد
من شانت شانه اذا قصدت قصده والضمير في منه للشان لان قراءة القرآن شان من شان رسول الله
صلى الله عليه وسلم بل هو معظم شانه او للتنزيل كانه قيل وما تتلو من التنزيل من قرآن والاضمار قبل الذكر تفخيم له او لله
عز وجل ولا تعملون انتم جميعا من عمل اي عمل كان الا كنا عليكم شهودا شاهدين رقباء نحصي عليكم اذ تفيضون فيه من افاض في
الامر اذا اندفع فيه وما يعزب قرئ بالضم والكسر وما يبعد وما يغيب ومنه الروض العازب ولا اصغر من ذلك ولا اكبر
القراءة بالنصب والرفع والوجه النصب على نفي الجنس والرفع على الابتداء ليكون كلاما براسه وفي العطف على محل من مثقال
ذرة او على لفظ مثقال ذرة فتحا في موضع الجر لامتناع الصرف اشكال لان قولك لا يعزب عنه شيء الا في كتاب مشكل

فان قلت لم قدمت الارض على السماء بخلاف قوله تعالى في سورة سبا عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات
ولا في الارض **قلت** حق السماء ان تقدم على الارض ولكنه لما ذكر شهادته على شئون اهل الارض واحوالهم واعمالهم
ووصل بذلك قوله لا يعزب عنه لاءم ذلك ان قدم الارض على السماء على ان العطف بالواو حكمه حكم التثنية

الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون اولياء الله الذين يتولونه بالطاعة
ويتولاهم بالكرامة وقد فسر ذلك في قوله الذين آمنوا وكانوا يتقون فهو توليهم اياه لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الآخرة
فهو توليه اياهم وعن سعيد بن جبير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل من اولياء الله فقال هم الذين يذكر الله تعالى
برؤيتهم يعني السمت والهيئة وعن ابن عباس رضي الله عنهما الاخبات والسكينة وقيل هم المتحابون في الله تعالى
وعن عمر رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان من عباد الله عبادا ما هم بانبياء ولا شهداء يغبطهم
الانبياء والشهداء يوم القيمة لمكانهم من الله قالوا يا رسول الله خبرنا من هم وما اعمالهم فلعلنا نحبهم قال هم الذين تحابوا في الله
على غير ارحام بينهم ولا اموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى منابر من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا
يحزنون اذا حزن الناس ثم قرأ الآية

الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم الذين آمنوا نصب او رفع على
المدح او على وصف الاولياء او على الابتداء والخبر لهم البشرى والبشرى في الدنيا ما بشر الله تعالى به المؤمنين المتقين
في غير مكان من كتابه وعن النبي صلى الله عليه وسلم هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم او ترى له وعنه صلى الله عليه وسلم
ذهبت النبوة وبقيت المبشرات وقيل هي محبة الناس له والذكر الحسن وعن ابي ذر قلت لرسول الله صلى الله
عليه وسلم الرجل يعمل العمل لله ويحبه الناس فقال تلك عاجل بشرى المؤمن وعن عطاء لهم البشرى عند الموت
تاتيهم الملائكة بالرحمة قال الله تعالى تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة واما البشرى في الآخرة فتلقي
الملائكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة وما يرون من بياض وجوههم واعطاء الصحائف بايمانهم وما يقرؤون منها
وغير ذلك من البشارات لا تبديل لكلمات الله لا تغيير لاقواله ولا اخلاف لمواعيده كقوله عز من قائل ما يبدل القول لدي
وذلك اشارة الى كونهم مبشرين في الدارين وكلتا الجملتين اعتراض

ولا يحزنك قولهم ان العزة لله جميعا هو السميع العليم ولا يحزنك وقرئ ولا يحزنك من احزنه قولهم تكذيبهم وتهديدهم
وتشاورهم في تدبير هلاكك وابطال امرك وسائر ما يتكلمون به في شانك ان العزة استيناف بمعنى التعليل
كانه قيل ما لي لا احزن فقيل ان العزة لله جميعا اي ان الغلبة والقهر في ملكة الله جميعا لا يملك احد شيئا منها لا هم ولا
غيرهم فهو يغلبهم وينصرك عليهم كتب الله لاغلبن انا ورسلي انا لننصر رسلنا وقرأ ابو حيوة ان العزة بالفتح بمعنى
لان العزة على صريح التعليل ومن جعله بدلا من قولهم ثم انكره فالمنكر هو تخريجه لا ما انكر من القراءة به هو السميع العليم يسمع
ما يقولون ويعلم ما يدبرون ويعزمون عليه وهو مكافيهم بذلك

الا ان لله من في السموات ومن

في الارض وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون من في السموات ومن في الارض يعني العقلاء المميزين وهم الملائكة والثقلان وانما خصهم
ليؤذن ان هؤلاء اذا كانوا له وفي مملكته فهم عبيد كلهم وهو سبحانه وتعالى ربهم ولا يصلح احد منهم للربوبية ولا ان يكون
شريكا له فيها فما وراءهم مما لا يعقل احق ان لا يكون له ندا او شريكا وليدل على ان من اتخذ غيره ربا من ملك او انسي
فضلا عن صنم او غير ذلك فهو مبطل تابع لما ادى اليه التقليد وترك النظر ومعنى وما يتبعون شركاء اي وما يتبعون
حقيقة الشركاء وان كانوا يسمونها شركاء لان شركة الله في الربوبية محال ان يتبعون الا ظنهم انها شركاء وان
هم الا يخرصون يحزرون ويقدرون ان تكون شركاء تقديرا باطلا ويجوز ان تكون وما يتبع في معنى الاستفهام يعني
واي شيء يتبعون وشركاء على هذا نصب بيدعون وعلى الاول بيتبع وكان حقه وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء
شركاء فاقتصر على احدهما للدلالة ويجوز ان تكون ما موصولة معطوفة على من كانه قيل ولله ما يتبعه الذين يدعون من دون
الله شركاء اي وله شركاؤهم وقرأ علي بن ابي طالب رضي الله عنه تدعون بالتاء ووجهه ان يحمل وما يتبع على
الاستفهام اي واي شيء يتبع الذين تدعونهم شركاء من الملائكة والنبيين يعني انهم يتبعون الله ويطيعونه فما
لكم لا تفعلون مثل فعلهم كقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ثم صرف الكلام عن الخطاب الى الغيبة
فقال ان يتبع هؤلاء المشركون الا الظن ولا يتبعون ما يتبع الملائكة والنبيون من الحق

هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون ثم نبه على عظيم قدرته
ونعمته الشاملة لعباده التي يستحق بها ان يوحدوه بالعبادة بانه جعل لهم الليل مظلما ليسكنوا فيه مما يقاسون في
نهارهم من تعب التردد في المعاش والنهار مضيئا يبصرون فيه مطالب ارزاقهم ومكاسبهم لقوم يسمعون سماع معتبر

قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغني له ما في السموات وما في الارض ان عندكم من سلطان بهذا اتقولون على الله ما لا تعلمون سبحانه تنزيه له عن اتخاذ الولد وتعجب من كلمتهم الحمقاء
هو الغني علة لنفي الولد لان ما يطلب به الولد من يلد وما يطلبه له السبب في كله الحاجة فمن الحاجة منتفية عنه كان الولد
عنه منتفيا له ما في السموات وما في الارض فهو مستغن بملكه لهم عن اتخاذ احد منهم ولدا ان عندكم من سلطان بهذا ما عندكم
من حجة بهذا القول والباء حقها ان تتعلق بقوله ان عندكم على ان يجعل القول مكانا للسلطان كقولك ما عندكم بارضكم
موز كانه قيل ان عندكم فيما تقولون سلطان اتقولون على الله ما لا تعلمون لما نفى عنهم البرهان جعلهم غير عالمين فدل على ان
كل قول لا برهان عليه لقائله فذاك جهل وليس بعلم

قل ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع في الدنيا ثم الينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون يفترون
على الله الكذب باضافة الولد اليه متاع في الدنيا اي افتراؤهم هذا منفعة قليلة في الدنيا وذلك حيث يقيمون رياستهم
في الكفر ومناصبة النبي صلى الله عليه وسلم بالتظاهر به ثم يلقون الشقاء المؤبد بعده

واتل عليهم نبا نوح اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت فاجمعوا امركم وشركاءكم ثم لا يكن امركم عليكم غمة ثم اقضوا الي ولا تنظرون
كبر عليكم عظم عليكم وشق وثقل ومنه قوله تعالى وانها لكبيرة الا على الخاشعين ويقال تعاظمه الامر مقامي مكاني يعني نفسه كما
تقول فعلت كذا لمكان فلان وفلان ثقيل الظل ومنه ولمن خاف مقام ربه بمعنى خاف ربه او قيامي ومكثي بين اظهركم
مددا طوالا الف سنة الا خمسين عاما او مقامي وتذكيري لانهم كانوا اذا وعظوا الجماعة قاموا على ارجلهم يعظونهم
ليكون مكانهم بينا وكلامهم مسموعا كما يحكى عن عيسى صلوات الله وسلامه عليه انه كان يعظ الحواريين قائما وهم قعود فاجمعوا
امركم وشركاءكم من اجمع الامر وازمعه اذا نواه وعزم عليه قال هل اغدون يوما وامري مجمع والواو بمعنى مع
يعني فاجمعوا امركم مع شركائكم وقرأ الحسن وشركاؤكم بالرفع عطفا على الضمير المتصل وجاز من غير تاكيد بالمنفصل
لقيام الفاصل مقامه لطول الكلام كما تقول اضرب زيدا وعمرو وقرئ فاجمعوا من الجمع وشركاءكم نصب للعطف على المفعول
او لان الواو بمعنى مع وفي قراءة ابي فاجمعوا امركم وادعوا شركاءكم **فان قلت** كيف جاز اسناد الاجماع
الى الشركاء **قلت** على وجه التهكم كقوله تعالى قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون **فان قلت** ما معنى الامرين امرهم

الذي تجمعونه وامرهم الذي لا يكون عليهم غمة **قلت** اما الامر الاول فالقصد الى اهلاكه يعني فاجمعوا ما تريدون من
اهلاكي واحتشدوا فيه وابذلوا وسعكم في كيدي وانما قال ذلك اظهارًا لقلة مبالاته وثقته بما وعده ربه من كلاءته وعصمته
وانهم لن يجدوا اليه سبيلًا واما الثاني ففيه وجهان احدهما ان يراد مصاحبتهم له وما كانوا فيه معه من الحال الشديدة عليهم
المكروهة عندهم يعني ثم اهلكوني لئلا يكون عيشكم بسببي غصة وحالكم عليكم غمة اي غمًا وهمًا والغم والغمة كالكرب والكربة
والثاني ان يراد به ما اريد بالامر الاول والغمة السترة من غمه اذا ستره ومنها قوله صلى الله عليه وسلم ولا غمة في فرائض الله
اي لا تستر ولكن يجاهر بها يعني ولا يكن قصدكم الى اهلاكي مستورًا عليكم ولكن مكشوفًا مشهورًا تجاهرونني به ثم اقضوا الي ذلك
الامر الذي تريدون بي اي ادّوا اليّ قطعه وتصحيحه كقوله تعالى وقضينا اليه ذلك الامر او ادّوا اليّ ما هو حق عليكم عندكم من
هلاكي كما يقضي الرجل غريمه ولا تنظرون ولا تمهلون وقرئ ثم افضوا الي بالفاء بمعنى ثم انتهوا الي بشركم وقيل هو من افضى
الرجل اذا خرج الى الفضاء اي اصحروا الي به وابرزوه لي • فان توليتم فما سألتكم من اجر ان اجري الا
على الله وامرت ان اكون من المسلمين • فان توليتم فان اعرضتم عن تذكيري ونصيحتي فما سألتكم من اجر
فما كان عندي ما ينفركم عني وتتهموني لاجله من طمع في اموالكم وطلب اجر على عظتكم ان اجري الا على الله وهو الثواب الذي يثيبني
في الآخرة اي ما نصحتكم الا لوجه الله لا لغرض من اغراض الدنيا وامرت ان اكون من المسلمين الذين لا يأخذون على تعليم
الدين شيئًا ولا يطلبون به دنيا يريد ان ذلك مقتضى الاسلام والذي كل مسلم مأمور به والمراد ان يجعل الحجة لازمة لهم
ويبرئ ساحته فذكر ان توليهم لم يكن عن تفريط منه في سوق الامر معهم على الطريق الذي يجب ان يساق عليه وانما ذلك
لعنادهم وتمردهم لا لغير • فكذبوه فنجيناه ومن معه في الفلك وجعلناهم خلائف واغرقنا
الذين كذبوا باياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين • فكذبوه فتموا على تكذيبه وكان تكذيبهم له
في آخر المدة المتطاولة كتكذيبهم في اولها وذلك عند مشارفة الهلاك بالطوفان وجعلناهم خلائف يخلفون
الهالكين بالغرق كيف كان عاقبة المنذرين تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن انذرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مثله
وتسلية له • ثم بعثنا من بعده رسلًا الى قومهم فجاؤوهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما
كذبوا به من قبل كذلك نطبع على قلوب المعتدين • من بعده من بعد نوح رسلًا الى قومهم يعني هودًا
وصالحًا وابراهيم ولوطًا وشعيبًا فجاؤوهم بالبينات بالحجج الواضحة المثبتة لدعواهم فما كانوا ليؤمنوا فما كان ايمانهم الا
ممتنعًا كالمحال لشدة شكيمتهم في الكفر وتصميمهم عليه بما كذبوا به من قبل يريد انهم كانوا قبل بعثة الرسل اهل جاهلية مكذبين
بالحق فما وقع فصل بين حالتيهم بعد بعثة الرسل وقبلها كان لم يبعث اليهم احد كذلك نطبع مثل ذلك الطبع المحكم نطبع على
قلوب المعتدين والطبع جار مجرى الكناية عن عنادهم ولجاجهم لان الخذلان يتبعه الا ترى كيف اسند اليهم الاعتداء ووصفهم به
ثم بعثنا من بعدهم موسى وهرون الى فرعون وملائه باياتنا فاستكبروا وكانوا قومًا مجرمين
من بعدهم من بعد الرسل باياتنا بالآيات التسع فاستكبروا عن قبولها وهو اعظم الكبر ان يتهاون العبيد برسالة ربهم بعد تبينها
ويتعظموا عن تقبلها وكانوا قومًا مجرمين كفارًا ذوي آثام عظام فلذلك استكبروا عنها واجترؤوا على ردها •
فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا ان هذا لسحر مبين • فلما جاءهم الحق من عندنا فلما عرفوا انه هو
الحق وانه من عند الله لا من قبل موسى وهرون قالوا لحبهم الشهوات ان هذا لسحر مبين وهم يعلمون ان الحق ابعد شيء
من السحر الذي ليس الا تمويهًا وباطلًا • قال موسى اتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا ولا يفلح الساحرون
فان قلت هم قطعوا القول بانه سحر مبين على انه سحر فكيف قيل لهم اتقولون أسحر هذا **قلت**
فيه اوجه ان يكون معنى قوله اتقولون للحق اتعيبونه وتطعنون فيه وكان عليكم ان تذعنوا له وتعظموه من قولهم فلان يخاف
القالة وبين الناس تقاول اذا قال بعضهم لبعض ما يسوءه ونحو القول الذكر في قوله سمعنا فتى يذكرهم ثم قال أسحر هذا فانكر
ما قالوه في عيبه والطعن عليه وان يحذف مفعول اتقولون وهو ما دل عليه قولهم ان هذا لسحر مبين كانه قيل اتقولون ما تقولون
يعني قولهم ان هذا لسحر مبين ثم قال أسحر هذا وان يكون جملة قوله أسحر هذا ولا يفلح الساحرون حكاية لكلامهم كانهم
قالوا اجئتما بالسحر تطلبان به الفلاح ولا يفلح الساحرون كما قال موسى للسحرة ما جئتم به السحر ان الله سيبطله •
قالوا اجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء في الارض وما نحن

لكما بمؤمنين • وقال فرعون ائتوني بكل ساحر عليم فلما جاء السحرة قال لهم موسى
القوا ما انتم ملقون • لتلفتنا لتصرفنا واللفت والفتل اخوان ومطاوعهما الالتفات والانفتال عما
وجدنا عليه آباءنا يعنون عبادة الاصنام وتكون لكما الكبرياء اي الملك لان الملوك موصوفون بالكبرياء ولذلك قيل
للملك الجبار ووصف بالصيد والشوس ولهذا وصف ابن الرقيات مصعبًا في قوله ملكه ملك رأفة ليس فيه
جبروت منه ولا كبرياء • ينفي ما عليه الملوك من ذلك ويجوز ان يقصدوا ذمهما وانهما ان ملكا ارض مصر تجبرا وتكبرا
كما قال القبطي لموسى ان تريد الا ان تكون جبارًا في الارض وما نحن لكما بمؤمنين اي مصدقين لكما فيما جئتما به وقرئ
ويكون لكما الكبرياء بالياء • فلما القوا قال موسى ما جئتم به السحر ان الله سيبطله
ان الله لا يصلح عمل المفسدين • ما جئتم به ما موصولة واقعة مبتدأ والسحر خبر اي الذي جئتم به
هو السحر لا الذي سماه فرعون وقومه سحرًا من آيات الله وقرئ آلسحر على الاستفهام فعلى هذه القراءة ما استفهامية
اي اي شيء جئتم به أهو السحر وقرأ عبد الله ما جئتم به سحر وقرأ ابيّ ما اتيتم به سحر والمعنى لا ما اتيت به ان الله سيبطله
سيمحقه او يظهر بطلانه باظهار المعجزة على الشعوذة لا يصلح عمل المفسدين لا يثبته ولا يديمه ولكن يسلط عليه الدمار •
ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون • ويحق الله الحق ويثبته بكلماته باوامره
وقضاياه وقرئ بكلمته بامره ومشيئته • فما آمن لموسى الا ذرية من قومه على خوف من فرعون
وملائهم ان يفتنهم وان فرعون لعال في الارض وانه لمن المسرفين • فما آمن لموسى في
اول امره الا ذرية من قومه طائفة من ذراري بني اسرائيل كانه قيل الا اولاد من اولاد قومه وذلك انه دعا الآباء
فلم يجيبوه خوفًا من فرعون واجابته طائفة من ابنائهم مع الخوف وقيل الضمير في قومه لفرعون والذرية مؤمن آل فرعون
وآسية امرأته وخازنه وامرأة خازنه وماشطته **فان قلت** الام يرجع الضمير في قوله وملائهم **قلت**
الى فرعون بمعنى آل فرعون كما يقال ربيعة ومضر او لانه ذو اصحاب يأتمرون له ويجوز ان يرجع الى الذرية اي على خوف
من فرعون وخوف من اشراف بني اسرائيل لانهم كانوا يمنعون اعقابهم خوفًا من فرعون عليهم وعلى انفسهم ويدل عليه قوله تعالى ان
يفتنهم يريد ان يعذبهم فرعون لعال في الارض لغالب فيها قاهر وانه لمن المسرفين في الظلم والفساد وفي الكبر والعتو بادعائه الربوبية
وقال موسى يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين • ان كنتم آمنتم بالله
صدقتم به وبآياته فعليه توكلوا فاليه اسندوا امركم في العصمة من فرعون ثم شرط في التوكل الاسلام وهو ان يسلموا نفوسهم لله
اي يجعلوها له سالمة خالصة لا حظ للشيطان فيها لان التوكل لا يكون مع التخليط ونظيره في الكلام ان ضربك زيد فاضربه
ان كانت بك قوة • فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين • فقالوا
على الله توكلنا انما قالوا ذلك لان القوم كانوا مخلصين لا جرم ان الله سبحانه قبل توكلهم واجاب دعاءهم ونجاهم واهلك من
كانوا يخافونه وجعلهم خلفاء في ارضه فمن اراد ان يصلح للتوكل على ربه والتفويض اليه فعليه برفض التخليط الى الاخلاص ولا تجعلنا
فتنة موضع فتنة لهم اي عذاب يعذبوننا ويفتنوننا عن ديننا او فتنة لهم يفتتنون بنا ويقولون لو كان هؤلاء على الحق
لما اصيبوا • ونجنا برحمتك من القوم الكافرين • واوحينا الى موسى واخيه ان تبوءا لقومكما
بمصر بيوتًا واجعلوا بيوتكم قبلة واقيموا الصلوة وبشر المؤمنين • تبوأ المكان اتخذه مباءة
كقولك توطنه اذا اتخذه وطنًا والمعنى اجعلا بمصر بيوتًا من بيوته مباءة لقومكما ومرجعًا يرجعون اليه للعبادة والصلوة
فيه واجعلوا بيوتكم تلك قبلة اي مساجد متوجهة نحو القبلة وهي الكعبة وكان موسى ومن معه يصلون الى الكعبة وكانوا في اول امرهم
مأمورين بان يصلوا في بيوتهم في خفية من الكفرة لئلا يظهروا عليهم فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم كما كان المؤمنون على ذلك
في اول الاسلام بمكة **فان قلت** كيف نوع الخطاب فثنى اولًا ثم جمع ثم وحد آخرًا **قلت**
خوطب موسى وهرون عليهما السلام ان يتبوءا لقومهما بيوتًا ويختاراها للعبادة وذلك مما يفوض الى الانبياء ثم سيق
الخطاب عامًا لهما ولقومهما باتخاذ المساجد والصلوة فيها لان ذلك واجب على الجمهور ثم خص موسى صلوات الله عليه وسلامه
بالبشارة التي هي الغرض تعظيمًا لها وللمبشر بها • وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة
واموالًا في الحيوة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على اموالهم واشدد على

قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم ● الزينة ما يتزين به من لباس او حلى او فرش او اثاث او غير ذلك ● وعن ابن عباس كانت لهم من فسطاط مصر الى ارض الحبشة جبال فيها معادن من ذهب وفضة وزبرجد وياقوت **فان قلت** ما معنى قوله ربنا ليضلوا عن سبيلك **قلت** هو دعاء بلفظ الامر كقوله ربنا اطمس واشدد وذلك انه لما عرض عليهم آيات الله وبيناته عرضا مكررا وردد عليهم النصائح والمواعظ زمانا طويلا وحذرهم عذاب الله وانتقامه وانذرهم عاقبة ما كانوا عليه من الكفر والضلال المبين ورآهم لا يزيدون على عرض الآيات الا كفرا وعلى الانذار الا استكبارا وعلى النصيحة الا نبوا ولم يبق له مطمع فيهم وعلم بالتجربة وطول الصحبة انه لا يجيء منهم الا الغي والضلال وان ايمانهم كالمحال الذي لا يدخل تحت الصحة او علم ذلك بوحي من الله تعالى اشتد غضبه عليهم وافرط مقته وكراهته لحالهم فدعا الله عليهم بما علم انه لا يكون غيره كما تقول لعن الله ابليس واخزى الكفرة مع علمك انه لا يكون غير ذلك وليشهد عليهم بانه لم يبق له فيهم حيلة وانهم لا يستاهلون الا ان يخذلوا ويخلى بينهم وبين ضلالهم يتسكعون فيه كانه قال ليثبتوا على ما هم عليه من الضلال وليكونوا ضلالا وليطبع الله تعالى على قلوبهم فلا يؤمنوا وما على منهم هم احق بذلك واحق كما يقول الاب المشفق لولده الشاطر اذا لم يقبل منه حسرة على ما فاته من قبول النصيحة وحردا عليه لا ان يريد خلاعته واتباعه هواه ● ومعنى الشد على القلوب الاستيثاق منها حتى لا يدخلها الايمان فلا يؤمنوا جواب للدعاء الذي هو اشدد او دعاء بلفظ النهي وقد حملت اللام في ليضلوا على التعليل على انهم جعلوا نعمة الله سببا في الضلال فكانهم اوتوها ليضلوا وقوله فلا يؤمنوا عطف على ليضلوا وقوله ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم دعاء معترض بين المعطوف والمعطوف عليه وقرأ الفضل الرقاشي آتيت على الاستفهام واطمس بضم الميم

قال قد اجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون ●

قرئ دعواتكما قيل كان موسى يدعو وهرون يؤمن ويجوز ان يكونا جميعا يدعوان والمعنى ان دعاءكما مستجاب وما طلبتما كائن ولكن في وقته فاستقيما فاثبتا على ما انتما عليه من الدعوة والزيادة في الزام الحجة فقد لبث نوح في قومه الف عام الا قليلا ولا تستعجلا ● قال ابن جريج فمكث موسى بعد الدعاء اربعين سنة ● ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون اي لا تتبعا طريق الجهلة بعادة الله تعالى في تعليق الامور بالمصالح ولا تعجلا فان العجلة ليست بمصلحة وهذا كما قال تعالى لنوح عليه السلام اني اعظك ان تكون من الجاهلين ● وقرئ ولا تتبعان بالنون الخفيفة وكسرها لالتقاء الساكنين تشبيها بنون التثنية ● وتخفيف التاء من تبع

وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فاتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى اذا ادركه الغرق قال آمنت انه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين ●

قرأ الحسن وجوزنا من اجاز المكان وجاوزه وجوزه وليس من جوز الذي في بيت الاعشى ● واذا تجوزها حبال قبيلة ● لانه لو كان منه لكان حقه ان يقال وجوزنا بني اسرائيل في البحر كما قال ● كما جوز السكي في الباب فيتق ● فاتبعهم فلحقهم يقال تبعته حتى اتبعته ● وقرأ الحسن وعدوا ● وقرئ انه بالفتح على حذف الباء التي هي صلة الايمان وانه بالكسر على الاستئناف بدلا من آمنت كرر المعنى الواحد ثلاث مرات في ثلاث عبارات حرصا على القبول ثم لم يقبل منه حيث اخطأ وقته وقاله حين لم يبق له اختيار قط وكانت المرة الواحدة كافية في حال الاختيار وعند بقاء التكليف

الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ●

الآن اتؤمن الساعة في وقت الاضطرار حين ادركك الغرق وأيست من نفسك قيل قال ذلك حين الجمه الغرق يعني حين اوشك ان يغرق وقيل قاله بعد ان غرق في نفسه ● والذي يحكى انه حين قال آمنت اخذ جبريل من حال البحر فدسه في فيه فللغضب لله على الكافر في وقت قد علم ان ايمانه لا ينفعه واما ما يضم اليه من قولهم خشية ان تدركه رحمة الله فمن زيادات الباهتين لله وملائكته وفيه جهالتان احداهما ان الايمان يصح بالقلب كايمان الاخرس فحال البحر لا يمنعه والاخرى ان من كره ايمان الكافر واحب بقاءه على الكفر فهو كافر لان الرضا بالكفر كفر ● من المفسدين من الضالين المضلين عن الايمان كقوله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون ● وروي ان جبريل اتاه بفتيا ما قول الامير في عبد لرجل نشأ في ماله ونعمته فكفر نعمته وجحد حقه وادعى السيادة دونه فكتب فرعون فيه يقول ابو العباس الوليد بن مصعب جزاء العبد الخارج على سيده الكافر نعماءه ان يغرق

في البحر فلما الجمه الغرق ناوله جبريل خطه فعرفه ● فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون ● ننجيك بالتشديد والتخفيف نبعدك مما وقع فيه قومك من قعر البحر وقيل نلقيك بنجوة من الارض ● وقرئ ننحيك بالحاء نلقيك بناحية مما يلي البحر وذلك انه طرح بعد الغرق بجانب البحر قال كعب رماه الماء الى الساحل كانه ثور ● ببدنك في موضع الحال اي في الحال التي لا روح فيك وانما انت بدن او ببدنك كاملا سويا لم ينقص منه شيء ولم يتغير او عريانا لست الا بدنا من غير لباس او بدرعك قال عمرو بن معدي كرب ● اعاذل شكتي بدني وسيفي ● وكل مقلص سلس القياد ● وكان له درع من ذهب يعرف بها ● وقرأ ابو حنيفة بابدانك وهو على وجهين اما ان يكون مثل قولهم هوى باجرامه يعني ببدنك كله وافيا باجزائه او يريد بدروعك كانه كان مظاهرا بينها ● لمن خلفك آية لمن وراءك من الناس علامة وهم بنو اسرائيل وكان في انفسهم ان فرعون اعظم شانا من ان يغرق ● وروي انهم قالوا ما مات فرعون ولا يموت ابدا وقيل اخبرهم موسى عليه السلام بهلاكه فلم يصدقوه فالقاه الله تعالى على الساحل حتى عاينوه وكان مطرحه كان على ممر بني اسرائيل حتى قيل لمن خلفك وقيل لمن خلفك لمن ياتي بعدك من القرون ومعنى كونه آية ان يظهر للناس عبوديته ومهانته وان ما كان يدعيه من الربوبية باطل محال وانه مع ما كان فيه من عظم الشان وكبرياء الملك آل امره الى ما ترون لعصيانه ربه فما الظن بغيره او لتكون عبرة تعتبر بها الامم بعدك فلا يجترؤا على نحو ما اجترأت عليه اذا سمعوا بحالك وبهوانك على الله تعالى ● وقرئ لمن خلقك بالقاف اي لتكون لخالقك آية كسائر آياته ● ويجوز ان يراد ليكون طرحك على الساحل وحدك وتمييزك من بين المغرقين لئلا يشتبه على الناس امرك ولئلا يقولوا لادعائك العظيمة ان مثله لا يغرق ولا يموت آية من آيات الله تعالى التي لا يقدر عليها غيره وليعلموا ان ذلك تعمد منه لاماطة الشبهة في امرك

ولقد بوأنا بني اسرائيل مبوأ صدق ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا حتى جاءهم العلم ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون ●

مبوأ صدق منزلا صالحا مرضيا وهو مصر والشام فما اختلفوا في دينهم وما تشعبوا فيه شعبا الا من بعد ما قرؤا التورية وكسبوا العلم بدين الحق ولزمهم الثبات عليه واتحاد الكلمة وعلموا ان الاختلاف فيه تفرق عنه ● وقيل هو العلم بمحمد صلى الله عليه وسلم واختلاف بني اسرائيل وهم اهل الكتاب اختلافهم في صفته ونعته وانه هو ام ليس به بعد ما جاءهم العلم والبيان انه هو لم يرتابوا فيه كما قال الله تعالى الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم

فان كنت في شك مما انزلنا اليك فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين ● ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين ●

فان قلت كيف قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم فان كنت في شك مما انزلنا اليك مع قوله في الكفرة وانهم لفي شك منه مريب **قلت** فرق عظيم بين قوله وانهم لفي شك منه مريب باثبات الشك لهم على سبيل التاكيد والتحقيق وبين قوله فان كنت في شك بمعنى الفرض والتمثيل كانه قيل فان وقع لك شك مثلا وخيل لك الشيطان خيالا منه تقديرا فسل الذين يقرؤن الكتاب والمعنى ان الله عز وجل قدم ذكر بني اسرائيل وهم قراء الكتاب ووصفهم بان العلم قد جاءهم لان امر رسول الله صلى الله عليه وسلم مكتوب عندهم في التورية والانجيل وهم يعرفونه كما يعرفون ابناءهم فاراد ان يؤكد علمهم بصحة القرآن وصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ويبالغ في ذلك فقال فان وقع لك شك فرضا وتقديرا وسبيل من خالجته شبهة في الدين ان يسارع الى حلها واماطتها اما بالرجوع الى قوانين الدين وادلته واما بمقادحة العلماء المنبهين على الحق فسل علماء اهل الكتاب يعني انهم من الاحاطة بصحة ما انزل اليك وتحققها علما بحيث يصلحون لمراجعة مثلك ومسائلتهم فضلا عن غيرك فالغرض وصف الاحبار بالرسوخ في العلم بصحة ما انزل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لا وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشك فيه ثم قال لقد جاءك الحق من ربك اي ثبت عندك بالآيات والبراهين القاطعة ان ما اتاك هو الحق الذي لا مدخل فيه للمرية فلا تكونن من الممترين ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله اي فاثبت ودم على ما انت عليه من انتفاء المرية عنك والتكذيب بآيات الله ويجوز ان يكون على طريقة التهييج والالهاب كقوله تعالى فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا يصدنك عن آيات الله بعد اذ انزلت اليك ولزيادة التثبيت والعصمة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم عند نزوله لا اشك ولا اسأل بل اشهد انه الحق ● وعن ابن عباس رضي الله عنهما

التسكع التمادي في الباطل يقال ابن سكع

الشاطر الذي اعيا اهله خبثا

لا والله ما اشك طرفة عين ولا اسأل احدا منهم وقيل خوطب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد خطاب امته ومعناه
فان كنتم في شك مما انزلنا اليكم كقوله وانزلنا اليكم نورا مبينا وقيل الخطاب للسامع ممن يجوز عليه الشك كقول العرب
اذا عز اخوك فهن وقيل ان للنفي اي فما كنت في شك فسل يعني لا نأمرك بالسؤال لانك شاك ولكن لتزداد
يقينا كما ازداد ابراهيم عليه السلام بمعاينة احياء الموتى وقرئ فسل الذين يقرءون الكتب ● ان الذين حقت
عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل اية حتى يروا العذاب الاليم ● حقت عليهم كلمة ربك
ثبت عليهم قول الله الذي كتبه في اللوح واخبر به الملائكة انهم يموتون كفارا فلا يكون غيره وتلك كتابة معلوم لا كتابة مقدر
ومراد تعالى الله عن ذلك ● فلولا كانت قرية امنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس لما امنوا
كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا ومتعناهم الى حين ● فلولا كانت فهلا كانت
قرية واحدة من القرى التي اهلكناها تابت عن الكفر واخلصت الايمان قبل المعاينة ووقت بقاء التكليف ولم تؤخر
كما اخر فرعون الى ان اخذ بمخنقه فنفعها ايمانها بان يقبله الله منها لوقوعه في وقت الاختيار وقرأ ابي وعبد الله
فهلا كانت الا قوم يونس استثناء من القرى لان المراد اهاليها وهو استثناء منقطع بمعنى ولكن قوم يونس لما امنوا ويجوز
ان يكون متصلا والجملة في معنى النفي كانه قيل ما امنت قرية من القرى الهالكة الا قوم يونس وانتصابه على اصل الاستثناء
وقرئ بالرفع على البدل هكذا روي عن الجرمي والكسائي ● روي ان يونس عليه السلام بعث الى نينوى من ارض
الموصل فكذبوه فذهب عنهم مغاضبا فلما فقدوه خافوا نزول العذاب فلبسوا المسوح وعجوا اربعين ليلة وقيل قال
لهم يونس ان اجلكم اربعون ليلة فقالوا ان رأينا اسباب الهلاك امنا بك فلما مضت خمس وثلثون ليلة اغامت السماء
غيما اسود هائلا يدخن دخانا شديدا ثم يهبط حتى يغشى مدينتهم وتسود سطوحهم فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد
بانفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين النساء والصبيان وبين الدواب واولادها فحن بعضها الى بعض
وعلت الاصوات والعجيج واظهروا الايمان والتوبة وتضرعوا فرحمهم وكشف عنهم وكان ذلك يوم عاشوراء يوم الجمعة ● وعن
ابن مسعود رضي الله عنه بلغ من توبتهم ان ترادوا المظالم حتى ان الرجل كان يقتلع الحجر وقد وضع عليه اساس بنائه فيرده
وقيل خرجوا الى شيخ من بقية علمائهم فقالوا قد نزل بنا العذاب فما ترى فقال لهم قولوا يا حي حين لا حي ويا حي محيي الموتى
ويا حي لا اله الا انت فقالوها فكشف عنهم ● وعن الفضيل بن عياض قالوا اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وانت
اعظم منها واجل افعل بنا ما انت اهله ولا تفعل بنا ما نحن اهله ● ولو شاء ربك لامن من في الارض كلهم
جميعا افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ● ولو شاء ربك مشيئة القسر والالجاء لامن من في
الارض كلهم على وجه الاحاطة والشمول جميعا مجتمعين على الايمان مطبقين عليه لا يختلفون افانت تكره الناس يعني انما
يقدر على اكراههم واضطرارهم الى الايمان هو لا انت وايلاء الاسم حرف الاستفهام للاعلام بان الاكراه ممكن مقدور
عليه وانما الشأن في المكره من هو وما هو الا هو وحده لا يشارك فيه لانه هو القادر على ان يفعل في قلوبهم ما
يضطرون عنده الى الايمان وذلك غير مستطاع للبشر ● وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله
ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون ● وما كان لنفس يعني من النفوس التي علم انها تؤمن الا باذن الله
اي بتسهيله وهو منح الالطاف ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون وهم المصرون على الكفر كقوله صم بكم عمي فهم لا يعقلون
وسمى الخذلان رجسا وهو العذاب لانه سببه وقرئ الرجز بالزاي وقرئ ونجعل بالنون ● قل انظروا ماذا في
السموات والارض وما تغني الايات والنذر عن قوم لا يؤمنون ● ماذا في السموات والارض من
الايات والعبر وما تغني الايات والنذر والرسل المنذرون او الانذارات عن قوم لا يتوقع ايمانهم وهم
الذين لا يعقلون وقرئ وما يغني بالياء وما نافية او استفهامية ● فهل ينتظرون الا مثل ايام
الذين خلوا من قبلهم قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين ● ايام الذين خلوا من قبلهم وقائع الله
فيهم كما يقال ايام العرب لوقائعها ● ثم ننجي رسلنا والذين امنوا كذلك حقا علينا ننجي المؤمنين
ثم ننجي رسلنا معطوف على كلام محذوف يدل عليه قوله الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم كانه قيل نهلك الامم ثم
ننجي رسلنا على حكاية الاحوال الماضية والذين امنوا ومن امن معهم كذلك ننجي المؤمنين مثل ذلك الانجاء ننجي المؤمنين

منكم ونهلك المشركين وحقا علينا اعتراض يعني حق ذلك علينا حقا وقرئ ننجي بالتشديد ● قل يا ايها الناس
ان كنتم في شك من ديني فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن اعبد
الله الذي يتوفيكم وامرت ان اكون من المؤمنين ● يا ايها الناس يا اهل مكة ان كنتم في شك من ديني وصحته
وسداده فهذا ديني فاسمعوا وصفه واعرضوه على عقولكم وانظروا فيه بعين الانصاف لتعلموا انه دين لا مدخل فيه
للشك وهو اني لا اعبد الحجارة التي تعبدونها من دون من هو الهكم وخالقكم ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم وانما وصفه
بالتوفي ليريهم انه الحقيق بان يخاف ويتقى فيعبد دون ما لا يقدر على شيء وامرت ان اكون من المؤمنين يعني ان الله تعالى
امرني بذلك بما ركب في من العقل وبما اوحى الي في كتابه ● وقيل معناه ان كنتم في شك من ديني ومما انا عليه اثبت عليه
ام اتركه واوافقكم فلا تحدثوا انفسكم بالمحال ولا تشكوا في امري واقطعوا عني اطماعكم واعلموا اني لا اعبد الذين تعبدون من
دون الله ولا اختار الضلالة على الهدى كقوله تعالى قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون ● وامرت ان اكون اصله بان اكون
فحذف الجار وهذا الحذف يحتمل ان يكون من الحذف المطرد الذي هو حذف الحروف الجارة مع ان وان وان يكون من الحذف
غير المطرد وهو قوله امرتك الخير فاصدع بما تؤمر ● وان اقم وجهك للدين حنيفا ولا تكونن من المشركين
فان قلت عطف قوله وان اقم على ان اكون فيه اشكال لان ان لا تخلو من ان تكون التي للعبارة
او التي تكون مع الفعل في تأويل المصدر فلا يصح ان تكون للعبارة وان كان الامر مما يتضمن معنى القول لان عطفها على
الموصولة يأبى ذلك والقول بكونها موصولة مثل الاولى لا يساعد عليه لفظ الامر وهو اقم لان الصلة حقها ان تكون جملة
تحتمل الصدق والكذب ● قلت قد سوغ سيبويه ان توصل ان بالامر والنهي وشبه ذلك بقولهم انت الذي تفعل
على الخطاب لان الغرض وصلها بما يكون معه في معنى المصدر والامر والنهي دالان على المصدر دلالة غيرهما من الافعال
اقم وجهك استقم اليه ولا تلتفت يمينا ولا شمالا وحنيفا حال من الدين او من الوجه ● ولا تدع من
دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك اذا من الظالمين
فان فعلت معناه فان دعوت من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فكنى عنه بالفعل ايجازا فانك اذا من
الظالمين اذا جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر كأن سائلا سأل عن تبعة عبادة الاوثان وجعل من الظالمين
لانه لا ظلم اعظم من الشرك ان الشرك لظلم عظيم ● وان يمسسك الله بضر فلا كاشف
له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو
الغفور الرحيم ● اتبع النهي عن عبادة الاوثان ووصفها بانها لا تنفع ولا تضر ان الله تعالى هو الضار
النافع الذي ان اصابك بضر لم يقدر على كشفه الا هو وحده دون كل احد فكيف بالجماد الذي لا شعور به وكذلك
ان ارادك بخير لم يرد احد ما يريده بك من فضله واحسانه فكيف بالاوثان فهو الحقيق اذن بان توجه اليه العبادة
دونها وهو ابلغ من قوله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره او ارادني برحمة هل هن ممسكات رحمته
فان قلت لم ذكر المس في احدهما والارادة في الثاني ● قلت كانه اراد ان يذكر الامرين جميعا
الارادة والاصابة في كل واحد من الضر والخير وانه لا راد لما يريد منهما ولا مزيل لما يصيب منهما فاوجز الكلام بان ذكر
المس وهو الاصابة في احدهما والارادة في الاخر ليدل بما ذكر على ما ترك على انه قد ذكر الاصابة بالخير في قوله يصيب به
من يشاء من عباده والمراد بالمشيئة مشيئة المصلحة ● قل يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم
فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما انا عليكم
بوكيل ● قد جاءكم الحق فلم يبق لكم عذر ولا على الله حجة فمن اختار الهدى واتباع الحق فما نفع باختياره
الا نفسه ومن اثر الضلال فما ضر الا نفسه واللام وعلى دلا على معنى النفع والضر وكل اليهم الامر بعد ابانة الحق
وازاحة العلل وفيه حث على ايثار الهدى واطراح الضلال مع ذلك وما انا عليكم بوكيل بحفيظ موكول الى امركم
وحملكم على ما اريد انما انا بشير ونذير ● واتبع ما يوحى اليك واصبر حتى يحكم الله وهو
خير الحاكمين ● واصبر على دعوتهم واحتمال اذاهم واعراضهم حتى يحكم الله لك بالنصرة عليهم والغلبة
وروي انها لما نزلت جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الانصار فقال انكم ستجدون بعدي اثرة فاصبروا حتى تلقوني

يعني اني امرت في هذه الآية بالصبر على ما سامتني الكفرة فصبرت فاصبروا انتم على ما يسومكم الامراء الجورة قال انس فلم نصبر • وروي ان ابا قتادة تخلف عن تلقي معوية حين قدم المدينة وقد تلقته الانصار ثم دخل عليه فقال له ما لك لم تتلقنا قال لم يكن عندنا دواب قال فاين النواضح قال قطعناها في طلبك وطلب ابيك يوم بدر وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الانصار انكم ستلقون بعدي اثرة قال معوية فماذا قال قال فاصبروا حتى تلقوني قال فاصبر قال اذن نصبر فقال عبد الرحمن بن حسان • الا ابلغ معوية بن حرب • امير الظالمين نثا كلامي • بانا صابرون فمنظروكم • الى يوم التغابن والخصام • عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة يونس عليه الصلوة والسلام اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بيونس وكذب به وبعدد من غرق مع فرعون ○

سورة هود عليه السلام مكية

وهي مائة وثلث وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم • الر كتاب احكمت اياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير • الا تعبدوا الا الله انني لكم منه نذير وبشير

احكمت آياته نظمت نظما رصينا محكما لا يقع فيه نقض ولا خلل كالبناء المحكم المرصف ويجوز ان يكون نقلا بالهمزة من حكم بضم الكاف اذا صار حكيما اي جعلت حكيمة كقوله تعالى آيات الكتاب الحكيم وقيل منعت من الفساد من قولهم احكمت الدابة اذا وضعت عليها الحكمة لتمنعها من الجماح قال جرير • ابني حنيفة احكموا سفهاءكم • اني اخاف عليكم ان اغضبا • وعن قتادة احكمت من الباطل ثم فصلت كما تفصل القلائد بالفرائد من دلائل التوحيد والاحكام والمواعظ والقصص او جعلت فصولا سورة سورة وآية آية او فرقت في التنزيل ولم تنزل جملة واحدة او فصل فيها ما يحتاج اليه العباد اي بين ولخص وقرئ احكمت آياته ثم فصلت اي احكمتها انا ثم فصلتها • وعن عكرمة والضحاك ثم فصلت اي فرقت بين الحق والباطل **فان قلت** ما معنى ثم **قلت** ليس معناها التراخي في الوقت ولكن في الحال كما تقول هي محكمة احسن الاحكام ثم مفصلة احسن التفصيل وفلان كريم الاصل ثم كريم الفعل وكتاب خبر مبتدأ محذوف واحكمت صفة له وقوله من لدن حكيم خبير صفة ثانية ويجوز ان يكون خبرا بعد خبر وان يكون صلة لاحكمت وفصلت اي من عنده احكامها وتفصيلها وفيه طباق حسن لان المعنى احكمها حكيم وفصلها اي بينها وشرحها خبير عالم بكيفيات الامور ان لا تعبدوا مفعول له على معنى لان لا تعبدوا او تكون ان مفسرة لان في تفصيل الآيات معنى القول كانه قيل لا تعبدوا الا الله او امركم ان لا تعبدوا الا الله وان استغفروا اي امركم بالتوحيد والاستغفار ويجوز ان يكون كلاما مبتدأ منقطعا عما قبله على لسان النبي صلى الله عليه وسلم اغراء منه على اختصاص الله تعالى بالعبادة ويدل عليه قوله انني لكم منه نذير وبشير كانه قال ترك عبادة غير الله انني لكم منه نذير كقوله تعالى فضرب الرقاب والضمير في منه لله عز وجل اي انني لكم نذير وبشير من جهته كقوله رسول من الله او هي صلة لنذير اي انذركم منه ومن عذابه ان كفرتم وابشركم بثوابه ان آمنتم • وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم متاعا حسنا الى اجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله وان تولوا فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير • الى الله مرجعكم وهو على كل شيء قدير

فان قلت ما معنى ثم في قوله ثم توبوا اليه **قلت** معناه استغفروا من الشرك ثم ارجعوا اليه بالطاعة او استغفروا والاستغفار توبة ثم اخلصوا التوبة واستقيموا عليها كقوله تعالى ثم استقاموا يمتعكم يطول نفعكم في الدنيا بمنافع حسنة مرضية من عيشة واسعة ونعمة متتابعة الى اجل مسمى الى ان يتوفاكم كقوله تعالى فلنحيينه حيوة طيبة ويؤت كل ذي فضل فضله ويعط في الآخرة كل من كان له فضل في العمل وزيادة فيه جزاء فضله لا يبخس منه او فضله في الثواب والدرجات تتفاضل في الجنة على قدر تفاضل الطاعات وان تولوا وان تتولوا عذاب يوم كبير يوم القيمة وصف بالكبر كما وصف بالعظم والثقل وبين عذاب اليوم الكبير بان مرجعهم الى من هو قادر على كل شيء فكان قادرا على اشد ما اراد من عذابهم لا يعجزه وقرئ وان تولوا من ولى • الا انهم يثنون صدورهم

ليستخفوا

ليستخفوا منه الا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون انه عليم بذات الصدور • يثنون صدورهم يزورون عن الحق وينحرفون عنه لان من اقبل على الشيء استقبله بصدره ومن ازور عنه وانحرف ثنى عنه صدره وطوى عنه كشحه ليستخفوا منه يعني ويريدون ليستخفوا من الله فلا يطلع رسوله والمؤمنين على ازورارهم ونظير اضمار يريدون لعود المعنى الى اضماره الاضمار في قوله تعالى اضرب بعصاك البحر فانفلق معناه فضرب فانفلق ومعنى الا حين يستغشون ثيابهم ويريدون الاستخفاء حين يستغشون ثيابهم ايضا كراهة لاستماع كلام الله تعالى كقول نوح عليه السلام جعلوا اصابعهم في اذانهم واستغشوا ثيابهم ثم قال يعلم ما يسرون وما يعلنون يعني انه لا تفاوت في علمه بين اسرارهم واعلانهم فلا وجه لتوصلهم الى ما يريدون من الاستخفاء والله مطلع على ثنيهم صدورهم واستغشائهم ثيابهم ونفاقهم غير نافق عنده • روي انها نزلت في الاخنس بن شريق وكان يظهر لرسول الله صلى الله عليه وسلم المحبة وله منطق حلو وحسن سياق للحديث فكان يعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم مجالسته ومحادثته وهو يضمر خلاف ما يظهر وقيل نزلت في المنافقين وقرئ تثنوني صدورهم واثنونى افعوعل من الثني كاحلولى من الحلاوة وهو بناء مبالغة وقرئ بالتاء والياء وعن ابن عباس رضي الله عنهما لتثنوني وقرئ تثنون واصله تثنونن تفعوعل من الثن وهو ما هش وضعف من الكلأ يريد مطاوعة صدورهم للثني كما ينثني الهش من النبات او اراد ضعف ايمانهم ومرض قلوبهم وقرئ تثنئن من اثنان افعال منه ثم همز كما قيل ابياضت وادهامت وقرئ تثنوي بوزن ترعوي • وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين •

فان قلت كيف قال على الله رزقها بلفظ الوجوب وانما هو تفضل **قلت** هو تفضل الا انه لما ضمن ان يتفضل عليهم رجع التفضل واجبا كنذور العباد والمستقر مكانه من الارض ومسكنه والمستودع حيث كان مودعا قبل الاستقرار من صلب او رحم او بيضة كل كل واحد من الدواب ورزقها ومستقرها ومستودعها في اللوح يعني ذكرها في اللوح مكتوب فيه مبين • وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين • وكان عرشه على الماء اي ما كان تحته خلق قبل خلق السموات والارض وارتفاعه فوقها الا الماء وفيه دليل على ان العرش والماء كانا مخلوقين قبل السموات والارض وقيل وكان الماء على متن الريح والله اعلم بذلك وكيف ما كان فالله ممسك كل ذلك بقدرته وكلما ازدادت الاجرام كانت احوج اليه والى امساكه ليبلوكم متعلق بخلق اي خلقهن لحكمة بالغة وهي ان يجعلها مساكن لعباده وينعم عليهم فيها بفنون النعم ويكلفهم الطاعات واجتناب المعاصي فمن شكر واطاع اثابه ومن كفر وعصى عاقبه ولما اشبه ذلك اختبار المختبر قال ليبلوكم يريد ليفعل بكم ما يفعل المبتلي لاحوالكم كيف تعملون **فان قلت** كيف جاز تعليق فعل البلوى **قلت** لما في الاختبار من معنى العلم لانه طريق اليه فهو ملابس له كما تقول انظر ايهم احسن وجها واستمع ايهم احسن صوتا لان النظر والاستماع من طرق العلم **فان قلت** كيف قيل ايكم احسن عملا واعمال المؤمنين هي التي تتفاوت الى حسن واحسن منه فاما اعمال المؤمنين والكافرين فتفاوتها الى حسن وقبيح **قلت** الذين هم احسن عملا هم المتقون وهم الذين استبقوا الى تحصيل ما هو غرض الله من عباده فخصهم بالذكر واطرح ذكر من وراءهم تشريفا لهم وتنبيها على مكانهم منه وليكون ذلك لطفا للسامعين وترغيبا في حيازة فضلهم • وعن النبي صلى الله عليه وسلم ليبلوكم ايكم احسن عقلا واورع في طاعة الله • وقرئ ولئن قلت انكم مبعوثون بفتح الهمزة ووجهه ان يكون من قولهم ائت السوق انك تشتري لحما وانك تشتري بمعنى علك اي ولئن قلت لهم لعلكم مبعوثون بمعنى توقعوا بعثكم وظنوه ولا تبتوا القول بانكاره لقالوا ان هذا الا سحر مبين يعنون القول بالبعث ويجوز ان يضمن قلت معنى ذكرت ومعنى قولهم ان هذا الا سحر مبين ان البعث امر باطل وان بطلانه كبطلان السحر تشبيها له به او اشاروا بهذا الى القرآن لان القرآن هو الناطق بالبعث فاذا جعلوه سحرا فقد اندرج تحته انكار ما فيه من البعث وغيره وقرئ ان هذا الا ساحر يريدون الرسول والساحر كاذب مبطل • ولئن اخرنا عنهم العذاب

الى امة معدودة ليقولن ما يحبسه الا يوم ياتيهم ليس مصروفا عنهم وحاق بهم
ما كانوا به يستهزءون • ولئن اذقنا الانسان منا رحمة ثم نزعناها منه انه ليؤس
كفور • العذاب عذاب الآخرة وقيل عذاب يوم بدر • وعن ابن عباس قتل جبريل المستهزئين
الى امة الى جماعة من الاوقات ما يحبسه ما يمنعه من النزول استعجالا له على وجه التكذيب والاستهزاء ويوم ياتيهم
منصوب بخبر ليس ويستدل به من يستجيز تقديم خبر ليس على ليس وذلك انه اذا جاز تقديم معمول خبرها عليها كان
ذلك دليلا على جواز تقديم خبرها اذ المعمول تابع للعامل فلا يقع الا حيث يقع العامل وحاق بهم واحاط بهم ما كانوا
به يستهزءون العذاب الذي كانوا به يستعجلون وانما وضع يستهزءون موضع يستعجلون لان استعجالهم كان على جهة
الاستهزاء والمعنى ويحيق بهم الا انه جاء على عادة الله تعالى في اخباره • الانسان للجنس رحمة نعمة من صحة وامن وجدة
ثم نزعناها منه ثم سلبناه تلك النعمة انه ليؤس شديد الياس من ان تعود اليه مثل تلك النعمة المسلوبة قاطع رجاءه
من سعة فضل الله من غير صبر ولا تسليم لقضائه ولا استرجاع كفور عظيم الكفران لما سلف له من التقلب في نعمة الله نساء له
ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني انه لفرح فخور
ذهب السيئات عني اى المصائب التي ساءتني انه لفرح اشر بطر فخور على الناس بما اذاقه الله من نعمائه قد شغله
الفرح والفخر عن الشكر • الا الذين صبروا وعملوا الصالحات اولئك لهم مغفرة واجر كبير
الا الذين صبروا فان عادتهم ان نالتهم رحمة ان يشكروا وان زالت عنهم نعمة ان يصبروا • فلعلك تارك
بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك ان يقولوا لولا انزل عليه كنز او جاء معه
ملك انما انت نذير والله على كل شيء وكيل • كانوا يقترحون عليه آيات تعنتا لا استرشادا
لانهم لو كانوا مسترشدين لكانت آية واحدة مما جاء به كافية في رشادهم ومن اقتراحاتهم لولا انزل عليه كنز او
جاء معه ملك وكانوا لا يعتدون بالقرآن ويتهاونون به وبغيره مما جاء به من البينات فكان يضيق صدر رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان يلقي اليهم ما لا يقبلونه ويضحكون منه فحركه الله منه وهيجه لاداء الرسالة وطرح المبالاة بردهم
واستهزائهم واقتراحهم بقوله فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك اى لعلك تترك ان تلقيه اليهم وتبلغه اياهم مخافة
ردهم له وتهاونهم به وضائق به صدرك بان تتلوه عليهم ان يقولوا مخافة ان يقولوا لولا انزل عليه كنز اى هلا
انزل عليه ما اقترحنا نحن من الكنز والملائكة ولم ينزل عليه ما لا نريده ولا نقترحه ثم قال انما انت نذير اى ليس عليك الا ان
تنذرهم بما اوحي اليك وتبلغهم ما امرت بتبليغه ولا عليك ردوا او تهاونوا او اقترحوا والله على كل شيء وكيل
يحفظ ما يقولون وهو فاعل بهم ما يجب ان يفعل فتوكل عليه وكل امرك اليه وعليك بتبليغ الوحي بقلب فسيح وصدر منشرح غير ملتفت
الى استكبارهم ولا مبال بسفههم واستهزائهم **فان قلت** لم عدل عن ضيق الى ضائق **قلت** ليدل على
انه ضيق عارض غير ثابت لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان افسح الناس صدرا ومثله قولك زيد سيد وجواد تريد السيادة
والجود الثابتين المستقرين فاذا اردت الحدوث قلت سائد وجائد ونحوه كانوا ماخابين في بعض القراءات
وقول السمهري العكلي • بمنزلة اما اللئيم فسامن • بها وكرام الناس باد شحوبها • ام يقولون افتراه قل
فاتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين • ام
منقطعة والضمير في افتراه لما يوحى اليك تحداهم اولا بعشر سور ثم بسورة واحدة كما يقول المخاير في الخط لصاحبه
اكتب عشرة اسطر نحو ما اكتب فاذا تبين له العجز عن مثل خطه قال قد اقتصرت منك على سطر واحد مثله بمعنى امثاله
ذهابا الى مماثلة كل واحدة منها له مفتريات صفة لعشر سور لما قالوا افتريت القرآن واختلقته من عند نفسك
وليس من عند الله قاودهم على دعواهم وارخى معهم العنان وقال هبوا اني اختلقته من عند نفسي ولم يوح الي وان
الامر كما قلتم فاتوا انتم ايضا بكلام مثله مختلق من عند انفسكم فانتم عرب فصحاء مثلي لا تعجزون عن مثل ما قدرت عليه من الكلام
فان قلت كيف يكون ما ياتون به مثله وما ياتون به مفترى وهذا غير مفترى **قلت** معناه مثله
في حسن النظم والبيان وان كان مفترى • فالم يستجيبوا لكم فاعلموا انما انزل بعلم الله
وان لا اله الا هو فهل انتم مسلمون • **فان قلت** ما وجه جمع الخطاب بعد افراده وهو قوله لكم فاعلموا

بعد

بعد قوله قل **قلت** معناه فان لم يستجيبوا لك وللمؤمنين لان رسول الله والمؤمنين كانوا يتحدونهم وقد قال
في موضع آخر فان لم يستجيبوا لك فاعلم ويجوز ان يكون الجمع لتعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله • فان شئت حرمت
النساء سواكم • ووجه آخر وهو ان يكون الخطاب للمشركين والضمير في لم يستجيبوا لمن استطعتم يعني فان لم يستجب
لكم من تدعونه من دون الله الى المظاهرة على معارضته لعلمهم بالعجز عنه وان طاقتهم اقصر من ان تبلغه فاعلموا انما انزل بعلم
اى انزل ملتبسا بما لا يعلمه الا الله من نظم معجز للخلق واخبار بغيوب لا سبيل لهم اليها واعلموا عند ذلك ان
لا اله الا الله وحده وان توحيده واجب والاشراك به ظلم عظيم فهل انتم مسلمون مبايعون بالاسلام بعد هذه الحجة
القاطعة وهذا وجه حسن مطرد ومن جعل الخطاب للمسلمين فمعناه فاثبتوا على العلم الذي انتم عليه وازدادوا يقينا
وثبات قدم على انه منزل من عند الله وعلى التوحيد ومعنى فهل انتم مسلمون فهل انتم مخلصون • من كان يريد
الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون • نوف اليهم نوصل
اليهم اجور اعمالهم وافية كاملة من غير بخس في الدنيا وهو ما يرزقون فيها من الصحة والرزق وقيل هم اهل الرياء يقال
للقراء منهم اردت ان يقال فلان قارئ فقد قيل ذلك ولمن وصل الرحم وتصدق فعلت حتى يقال فلان جواد فقد قيل
ولمن قاتل فقتل قاتلت حتى يقال فلان جريء فقد قيل • وعن انس بن مالك هم اليهود والنصارى ان اعطوا سائلا
او وصلوا رحما عجل لهم ثواب ذلك بتوسعة في الرزق وصحة في البدن • وقيل هم الذين جاهدوا من المنافقين
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسهم لهم في الغنائم • وقرئ يوف بالياء على ان الفعل لله عز وجل وتوف اليهم اعمالهم
بالتاء على البناء للمفعول وفي قراءة الحسن نوفي بالتخفيف واثبات الياء لان الشرط وقع ماضيا كقوله يقول لا غائب مالي
اولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا
يعملون • وحبط ما صنعوا فيها وحبط في الآخرة ما صنعوه او صنيعهم يعني لم يكن له ثواب لانهم لم يريدوا
الآخرة انما ارادوا به الدنيا وقد وفي اليهم ما ارادوا وباطل ما كانوا يعملون اى كان عملهم في نفسه باطلا لانه لم يعمل
لوجه صحيح والعمل الباطل لا ثواب له وقرئ وبطل على الفعل وعن عاصم وباطلا بالنصب وفيه وجهان ان يكون ما
ابهامية وينتصب بيعملون ومعناه وباطلا اى باطل كانوا يعملون وان يكون بمعنى المصدر على وبطل بطلانا ما كانوا يعملون
افمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة اولئك
يؤمنون به ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده فلا تك في مرية منه انه الحق من
ربك ولكن اكثر الناس لا يؤمنون • افمن كان على بينة معناه امن كان يريد الحيوة الدنيا فمن كان
على بينة اى لا يعقبونهم في المنزلة ولا يقاربونهم يريد ان بين الفريقين تفاوتا بعيدا وتباينا بينا واراد بهم من آمن
من اليهود كعبد الله بن سلام وغيره كان على بينة من ربه اى على برهان من الله وبيان ان دين الاسلام حق وهو دليل
العقل ويتلوه ويتبع ذلك البرهان شاهد منه اى شاهد يشهد بصحته وهو القرآن منه من الله او شاهد من القرآن
فقد تقدم ذكره آنفا ومن قبله ومن قبل القرآن كتاب موسى وهو التوراة اى ويتلو ذلك البرهان ايضا من قبل القرآن
كتاب موسى وقرئ كتاب موسى بالنصب ومعناه كان على بينة من ربه وهو الدليل على ان القرآن حق ويتلوه القرآن شاهد
شاهد ممن كان على بينة كقوله وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب
ومن قبله كتاب موسى ويتلو من قبل القرآن التوراة اماما كتابا مؤتما به في الدين قدوة فيه ورحمة ونعمة عظيمة على المنزل
اليهم اولئك يعني من كان على بينة يؤمنون به يؤمنون بالقرآن ومن يكفر به من الاحزاب يعني اهل مكة ومن ضامهم من المتحزبين
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فالنار موعده فلا تك في مرية وقرئ مرية بالضم وهما الشك منه من القرآن او من الموعد
ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا اولئك يعرضون على ربهم ويقول الاشهاد هؤلاء
الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين • يعرضون على ربهم يحبسون في الموقف
وتعرض اعمالهم وتشهد عليهم الاشهاد من الملائكة والنبيين بانهم الكذابون على الله بانه اتخذ ولدا وشريكا ويقال الا لعنة الله
على الظالمين فواخزياه وافضيحتاه والاشهاد جمع شاهد او شهيد كاصحاب واشراف • الذين يصدون
عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة هم كافرون • ويبغونها عوجا يصفونها بالاعوجاج

أي مستقيمة أو يبغون أهلها أن يعوجوا بالارتداد وهم الثانية لتأكيد كفرهم بالآخرة واختصاصهم به ● أولئك
لم يكونوا معجزين في الأرض وما كان لهم من دون الله من أولياء يضاعف لهم العذاب
ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون ● أولئك لم يكونوا معجزين في الأرض أي ما كانوا
يعجزون الله في الدنيا أن يعاقبهم لو أراد عقابهم وما كان لهم من يتولاهم فينصرهم منه ويمنعهم من عقابه ولكنه أراد إنظارهم
وتأخير عقابهم إلى هذا اليوم وهو من كلام الأشهاد يضاعف لهم العذاب وقرئ يضعّف ما كانوا يستطيعون السمع
أراد أنهم لفرط تصامّهم عن استماع الحق وكراهتهم له كأنهم لا يستطيعون السمع ولعل بعض المجبرة يتوثب إذا عثر عليه
فيوقعه على أهل العدل كأنه لم يسمع الناس يقولون في كل لسان هذا كلام لا أستطيع أن أسمعه وهذا مما يمجه سمعي ويحتمل
أن يريد وما كان لهم من أولياء من دون الله وولايتها ليست بشيء فما كان لهم في الحقيقة من أولياء ثم بين نفي كونهم
أولياء بقوله ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون فكيف يصلحون للولاية وقوله يضاعف لهم العذاب اعتراض بوعيد
أولئك الذين خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ● لا جرم أنهم في الآخرة
هم الأخسرون ● خسروا أنفسهم اشتروا عبادة الآلهة بعبادة الله فكان خسرانهم في تجارتهم لا خسران
أعظم منه وهو أنهم خسروا أنفسهم وضل عنهم وبطل عنهم وضاع ما اشتروه وهو ما كانوا يفترون من الآلهة وشفاعتها لا جرم
تفسيره في مكان آخر هم الأخسرون لا تجد أحدا أبين خسرانا منهم ● إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات
وأخبتوا إلى ربهم أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون ● وأخبتوا إلى ربهم واطمأنوا
إليه وانقطعوا إلى عبادته بالخشوع والتواضع من الخبت وهي الأرض المطمئنة ومنه قولهم للشيء الدني الخبيت قال
ينفع الطيب القليل من الرزق ● ولا ينفع الكثير الخبيت ● وقيل التاء فيه بدل من الثاء ● مثل الفريقين كالأعمى
والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا أفلا تذكرون ● شبه فريق الكافرين
بالأعمى والأصم وفريق المؤمنين بالبصير والسميع وهو من اللف والطباق وفيه معنيان أن يشبه الفريق تشبيهين اثنين
كما شبه امرؤ القيس قلوب الطير بالحشف والعناب وأن يشبهه بالذي جمع بين العمى والصمم أو الذي جمع بين البصر
والسمع على أن يكون الواو في والأصم وفي والسميع لعطف الصفة على الصفة كقوله ● الصابح فالغانم فالآيب ● هل
يستويان يعني الفريقين مثلا تشبيها ● ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه إني لكم نذير مبين ● أي أرسلنا
نوحا بأني لكم نذير ومعناه أرسلناه ملتبسا بهذا الكلام وهو قوله إني لكم نذير مبين بالكسر فلما اتصل به الجار فتح كما فتح
في كأن والمعنى على الكسر وهو قولك إن زيدا كالأسد وقرئ بالكسر على إرادة القول ● أن لا تعبدوا إلا الله
إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم ● أن لا تعبدوا بدل من إني لكم نذير أي أرسلناه بأن لا تعبدوا إلا الله أو
تكون أن مفسرة متعلقة بأرسلنا أو بنذير ووصف اليوم بأليم من الإسناد المجازي لوقوع الألم فيه فإن قلت
فإذا وصف به العذاب قلت مجازي مثله لأن الأليم في الحقيقة هو المعذب ونظيرهما قولك نهارك صائم وجد جده
فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك إلا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك إلا
الذين هم أراذلنا بادي الرأي وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين ● الملأ الأشراف
من قولهم فلان ملي بكذا إذا كان مطيقا له وقد ملؤوا بالأمر لأنهم ملؤوا بكفايات الأمور واضطلعوا بها وبتدبيرها
أو لأنهم متمالئون أي متظاهرون ويتساندون أو لأنهم يملؤون القلوب هيبة والمجالس أبهة أو لأنهم ملاء
بالأحلام والآراء الصائبة ما نراك إلا بشرا مثلنا تعريض بأنهم أحق منه بالنبوة وأن الله لو أراد أن يجعلها في أحد
من البشر لجعلها فيهم فقالوا هب أنك واحد من الملأ وموازيهم في المنزلة فما جعلك أحق منهم ألا ترى إلى قولهم وما نرى
لكم علينا من فضل أو أرادوا أنه كان ينبغي أن يكون ملكا لا بشرا والأراذل جمع الأرذل كقوله أكابر مجرميها أحاسنكم أخلاقا
وقرئ بادئ الرأي بالهمز وغير الهمز يعني اتبعوك أول الرأي أو ظاهر الرأي وانتصابه على الظرف أصله وقت حدوث أول
رأيهم أو وقت حدوث ظاهر رأيهم فحذف ذلك وأقيم المضاف إليه مقامه وأرادوا أن اتباعهم لك إنما هو شيء عنّ لهم بديهة
من غير روية ونظر وإنما استرذلوا المؤمنين لفقرهم وتأخرهم في الأسباب الدنيوية لأنهم كانوا جهالا ما كانوا يعلمون إلا
ظاهرا من الحياة الدنيا فكان الأشرف عندهم من له جاه ومال كما ترى أكثر المتسمين بالإسلام يعتقدون ذلك ويبنون عليه

اكرامهم

قوله ولعل أي أن أهل السنة والجماعة يحملون قوله أي ما كانوا يستطيعون السمع على الحقيقة من نفي الاستطاعة والمعتزلة يحملونه على المجاز تمسكا بهذا الاستحالة

حاصل معنى لا جرم أنه على قول بمعنى حقا وعلى قول النفي قولهم واعتقادهم وجرم بمعنى كسب أي ليس الأمر كما قالوا وهذا كسب فعلهم أنهم الأخسرون

إكرامهم وإهانتهم ولقد زل عنهم أن التقدم في الدنيا لا يقرب أحدا من الله وإنما يبعده ولا يرفعه بل يضعه فضلا أن يجعله
سببا في الاختيار للنبوة والتأهيل لها على أن الأنبياء بعثوا مرغبين في طلب الآخرة ورفض الدنيا مزهدين فيها
مصغرين لشأنها وشأن من أخلد إليها فما أبعد حالهم من الاتصاف بما يبعد من الله والتشرف بما هو ضعة عند الله ومن
فضل من زيادة شرف علينا تؤهلكم للنبوة بل نظنكم كاذبين فيما تدعونه ● قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة
من ربي وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون
أرأيتم أخبروني إن كنت على بينة على برهان من ربي وشاهد منه يشهد بصحة دعواي وآتاني رحمة من عنده بإيتاء
البينة على أن البينة في نفسها هي الرحمة ويجوز أن يريد بالبينة المعجزة وبالرحمة النبوة فإن قلت فقوله
فعميت ظاهر على الوجه الأول فما وجهه على الوجه الثاني وحقه أن يقال فعميتا قلت الوجه أن يقدر فعميت بعد البينة
وأن يكون حذفه للاقتصار على ذكره مرة ومعنى عميت خفيت وقرئ فعميت بمعنى أخفيت وفي قراءة أبي فعماها
عليكم فإن قلت فما حقيقته قلت حقيقته أن الحجة كما جعلت بصيرة ومبصرة جعلت عمياء لأن الأعمى
لا يهتدي ولا يهدي غيره فمعنى فعميت عليكم البينة فلم تهدكم كما لو عمي على القوم دليلهم في المفازة بقوا بغير هاد فإن قلت
فما معنى قراءة أبي قلت المعنى أنهم صمموا على الإعراض عنها فخلاهم الله وتصميمهم فجعلت تلك التخلية تعمية منه والدليل
عليه قوله أنلزمكموها وأنتم لها كارهون يعني أنكرهكم على قبولها ونقسركم على الاهتداء بها وأنتم تكرهونها ولا تختارونها
ولا إكراه في الدين وقد جيء بضميري المفعولين متصلين جميعا ويجوز أن يكون الثاني منفصلا كقولك أنلزمكم إياها
ونحوه فسيكفيكهم ويجوز فسيكفيك إياهم ● وحكي عن أبي عمرو إسكان الميم ووجهه أن الحركة لم تكن إلا خلسة
خفيفة فظنها الراوي سكونا والإسكان الصريح لحن عند الخليل وسيبويه وحذاق البصريين لأن الحركة الإعرابية
لا يسوغ طرحها إلا في ضرورة الشعر ● ويا قوم لا أسألكم عليه مالا إن أجري إلا على الله
وما أنا بطارد الذين آمنوا إنهم ملاقو ربهم ولكني أراكم قوما تجهلون ● والضمير في قوله
لا أسألكم عليه راجع إلى قوله لهم إني لكم نذير مبين أن لا تعبدوا إلا الله ● وقرئ وما أنا بطارد الذين آمنوا بالتنوين على
الأصل فإن قلت ما معنى قوله إنهم ملاقو ربهم قلت معناه أنهم يلاقون الله فيعاقب من طردهم
أو يلاقونه فيجازيهم على ما في قلوبهم من إيمان صحيح ثابت كما ظهر لي منهم وما أعرف غيره منهم أو على خلاف ذلك مما تعرفونهم
به من بناء إيمانهم على بادي الرأي من غير نظر وتفكر وما علي أن أشق عن قلوبهم وأتعرف سر ذلك منهم حتى أطردهم
إن كان الأمر كما تزعمون ونحوه ولا تطرد الذين يدعون ربهم الآية أو هم مصدقون بلقاء ربهم موقنون به عالمون
أنهم ملاقوه لا محالة تجهلون تتسافهون على المؤمنين وتدعونهم أراذل من قوله ● ألا لا يجهلن أحد علينا ● أو تجهلون
لقاء ربكم أو تجهلون أنهم خير منكم ● ويا قوم من ينصرني من الله إن طردتهم أفلا تذكرون
من ينصرني من الله من يمنعني من انتقامه إن طردتهم وكانوا يسألونه أن يطردهم ليؤمنوا به أنفة من أن يكونوا معهم
على سواء ● ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول إني ملك ولا
أقول للذين تزدري أعينكم لن يؤتيهم الله خيرا الله أعلم بما في أنفسهم إني
إذا لمن الظالمين ● أعلم الغيب معطوف على عندي خزائن الله أي لا أقول عندي خزائن الله ولا أقول أنا أعلم
الغيب ومعناه لا أقول لكم عندي خزائن الله فأدعي فضلا عليكم في الغنى حتى تجحدوا فضلي بقولكم وما نرى لكم علينا من فضل
ولا أدعي علم الغيب حتى تنسبوني إلى الكذب والافتراء أو حتى أطلع على ما في نفوس أتباعي وضمائر قلوبهم ولا أقول إني ملك
حتى تقولوا ما أنت إلا بشر مثلنا ولا أحكم على من استرذلتم من المؤمنين لفقرهم أن الله لن يؤتيهم خيرا في الدنيا والآخرة
لهوانهم عليه كما تقولون مساعدة لكم ونزولا على هواكم إني إذا لمن الظالمين إن قلت شيئا من ذلك والازدراء افتعال من
زرى عليه إذا عابه وأزرى به قصر به يقال زرت عينه واقتحمته عينه ● قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت
جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين ● قال إنما يأتيكم به الله إن شاء
وما أنتم بمعجزين ● جادلتنا فأكثرت جدالنا معناه أردت جدالنا وشرعت فيه فأكثرت منه كقولك جاد فلان
فأكثر وأطاب ● فأتنا بما تعدنا من العذاب المعجل ● إنما يأتيكم به الله أي ليس الإتيان بالعذاب إلي إنما هو إلى من كفرتم به

قوله إلا في ضرورة الشعر إشارة إلى قوله فاليوم أشرب غير مستحقب إثما من الله ولا واغل

وعصيتموه ان شاء يعني ان اقتضت حكمته ان يعجله لكم وقرأ ابن عباس فاكثرت جدلنا • ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم هو ربكم واليه ترجعون • فان قلت ما وجه ترادف هذين الشرطين قلت قوله ان كان الله يريد ان يغويكم جزاؤه ما دل عليه قوله لا ينفعكم نصحي وهذا الدال في حكم ما دل عليه فوصل بشرط كما وصل الجزاء بالشرط في قولك ان احسنت الي احسنت اليك ان امكنني فان قلت فما معنى قوله ان كان الله يريد ان يغويكم قلت اذا عرف الله من الكافر الاصرار فخلاه وشأنه ولم يلجئه سمي ذلك اغواء واضلالا كما انه اذا عرف منه انه يتوب ويرعوي فلطف به سمي ارشادا وهداية وقيل ان يغويكم ان يهلككم من غوى الفصيل غوى اذا بشم فهلك ومعناه انكم اذا كنتم من التصميم على الكفر بالمنزلة التي لا ينفعكم نصائح الله ومواعظه وسائر الطافه كيف ينفعكم نصحي • ام يقولون افتريه قل ان افتريته فعلي اجرامي وانا بريء مما تجرمون • قرئ اجرامي واجرامي بلفظ المصدر والجمع كقوله تعالى والله يعلم اسرارهم واسرارهم ذكره جرم واجرام قفل واقفال وينصر الجمع ان فسره الاولون باثامي والمعنى ان صح وثبت اني افتريته فعلي عقوبة اجرامي اي افترائي وكان حقي حينئذ ان تعرضوا عني وتتألبون علي وانا بريء منه ومعنى مما تجرمون من اجرامكم في اسناد الافتراء الي فلا وجه لاعراضكم ومعاداتكم • واوحي الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون • لن يؤمن اقناط من ايمانهم وانه كالمحال الذي لا تعلق به للتوقع الا من قد آمن الا من قد وجد منه ما كان يتوقع من ايمانه وقد للتوقع وقد اصابت محزها فلا تبتئس فلا تحزن حزن بائس مستكين قال • ما يقسم الله اقبل غير مبتئس • واقعد كريما ناعم البال • والمعنى فلا تحزن بما فعلوه من تكذيبك وايذائك ومعاداتك فقد حان وقت الانتقام لك منهم • واصنع الفلك باعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون • باعيننا في موضع الحال بمعنى اصنعها محفوظا وحقيقته ملتبسا باعيننا ووحينا وكأن لله تعالى معه اعينا تكلؤه ان يزيغ في صنعته عن الصواب وان لا يحول بينه وبين عمله احد من اعدائه ووحينا وانا نوحي اليك ونلهمك كيف تصنع • وعن ابن عباس رضي الله عنهما لم يعلم كيف صنعة الفلك فاوحى الله تعالى اليه ان يصنعها مثل جؤجؤ الطائر ولا تخاطبني في الذين ظلموا ولا تدعني في شأن قومك واستدفاع العذاب عنهم بشفاعتك انهم مغرقون انهم محكوم عليهم بالاغراق قد وجب ذلك وقضي به القضاء وجف القلم فلا سبيل الى كفه كقوله تعالى يا ابراهيم اعرض عن هذا انه قد جاء امر ربك وانهم آتيهم عذاب غير مردود • ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون • ويصنع الفلك حكاية حال ماضية سخروا منه ومن عمله السفينة وكان يعملها في برية بيهاء في ابعد موضع من الماء وفي وقت عزة الماء فيه عزة شديدة فكانوا يتضاحكون ويقولون يا نوح صرت نجارا بعد ما كنت نبيا فانا نسخر منكم يعني في المستقبل كما تسخرون منا الساعة اي نسخر منكم سخرية مثل سخريتكم اذا وقع عليكم الغرق في الدنيا والحرق في الآخرة • وقيل ان تستجهلونا فيما نصنع فانا نستجهلكم فيما انتم عليه من الكفر والتعرض لسخط الله تعالى وعذابه فانتم اولى بالاستجهال منا او ان تستجهلونا فانا نستجهلكم في استجهالكم لانكم لا تستجهلون الا عن جهل بحقيقة الامر وبناء على ظاهر الحال كما هو عادة الجهلة في البعد عن الحقائق • وروي ان نوحا عليه السلام اتخذ السفينة في سنتين وكان طولها ثلاثمائة ذراع وعرضها خمسون ذراعا وطولها في السماء ثلاثون ذراعا وكانت من خشب الساج وجعل لها ثلاثة بطون فحمل في البطن الاسفل الوحوش والسباع والهوام وفي البطن الاوسط الدواب والانعام وركب هو ومن معه في البطن الاعلى مع ما يحتاج اليه من الزاد وحمل معه جسد آدم عليه السلام وجعله معترضا بين الرجال والنساء • وعن الحسن كان طولها الفا ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع • وقيل ان الحواريين قالوا لعيسى عليه السلام لو بعثت لنا رجلا شهد السفينة يحدثنا عنها فانطلق بهم حتى انتهى الى كثيب من تراب فاخذ كفا من ذلك التراب فقال اتدرون من هذا قالوا الله ورسوله اعلم قال هذا كعب بن حام قال فضرب الكثيب بعصاه فقال قم باذن الله تعالى فاذا هو قائم ينفض التراب عن رأسه وقد شاب فقال له عيسى اهكذا هلكت قال لا مت وانا شاب ولكني ظننت انها الساعة فمن ثم شبت قال حدثنا عن سفينة نوح قال كان طولها الف ذراع

ومائتي

ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع وكانت ثلاث طبقات طبقة للدواب والوحش وطبقة للانس وطبقة للطير ثم قال له عد باذن الله كما كنت فعاد ترابا • من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم • من يأتيه في محل النصب بتعلمون اي فسوف تعلمون الذي يأتيه عذاب يخزيه ويعني به اياهم ويريد بالعذاب عذاب الدنيا وهو الغرق ويحل عليه حلول الدين والحق اللازم الذي لا انفكاك له عنه عذاب مقيم وهو عذاب الآخرة • حتى اذا جاء امرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين واهلك الا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه الا قليل • حتى هي التي يبتدأ بعدها الكلام دخلت على الجملة من الشرط والجزاء فان قلت وقعت غاية لماذا قلت لقوله ويصنع الفلك اي وكان يصنعها الى ان جاء وقت الموعد فان قلت فاذا اتصلت حتى بيصنع فما تصنع بما بينهما من الكلام قلت هو حال من يصنع كأنه قال يصنعها والحال انه كلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه فان قلت فما جواب كلما قلت سخروا وقال استئناف على تقدير سؤال سائل او يجعل سخروا بدلا من مر او صفة لملأ وقال جوابا • واهلك عطف على اثنين وكذلك ومن آمن يعني واحمل اهلك والمؤمنين من غيرهم واستثنى من اهله من سبق عليه القول انه من اهل النار وما سبق عليه القول بذلك الا للعلم بانه يختار الكفر لا لتقديره عليه وارادته به تعالى الله عن ذلك قال الضحاك اراد ابنه وامرأته الا قليل • روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كانوا ثمانية نوح واهله وبنوه الثلاثة ونساؤهم • وعن محمد بن اسحق كانوا عشرة خمسة رجال وخمس نسوة وقيل كانوا اثنين وسبعين رجلا وامرأة واولاد نوح سام وحام ويافث ونساؤهم فالجميع ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء • وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرسيها ان ربي لغفور رحيم • يجوز ان يكون كلاما واحدا وكلامين فالكلام الواحد ان يتصل بسم الله باركبوا حالا من الواو بمعنى اركبوا فيها مسمين الله او قائلين بسم الله وقت اجرائها ووقت ارسائها اما لان المجرى والمرسى للوقت واما لانهما مصدران كالاجراء والارساء حذف منهما الوقت المضاف كقولهم خفوق النجم ومقدم الحاج ويجوز ان يراد مكان الاجراء والارساء وانتصابهما بما في بسم الله من معنى الفعل او بما فيه من ارادة القول والكلامان ان يكون باسم الله مجراها ومرساها جملة من مبتدأ وخبر مقتضبة اي باسم الله اجراؤها وارساؤها يروى انه كان اذا اراد ان تجري قال بسم الله فجرت واذا اراد ان ترسو قال بسم الله فرست ويجوز ان يقحم الاسم كقوله • ثم اسم السلام عليكما • ويراد بالله اجراؤها وارساؤها اي بقدرته وامره وقرئ مجراها ومرساها بفتح الميم من جرى ورسا اما مصدرين او وقتين او مكانين وقرأ مجاهد مجريها ومرسيها بلفظ اسم الفاعل مجروري المحل صفتين لله فان قلت ما معنى قولك جملة مقتضبة قلت معناه ان نوحا عليه السلام امرهم بالركوب ثم اخبرهم بان مجراها ومرساها بذكر اسم الله او بامره وقدرته ويحتمل ان تكون غير مقتضبة بان تكون في موضع الحال كقوله • وجاءنا بهم سكر علينا • فلا تكون كلاما برأسه ولكن فضلة من فضلات الكلام الاول وانتصاب هذه الحال عن ضمير الفلك كأنه قيل اركبوا فيها مجراة ومرساة باسم الله بمعنى التقدير كقوله ادخلوها خالدين ان ربي لغفور رحيم لولا مغفرته لذنوبكم ورحمته اياكم لما نجاكم • وهي تجري بهم في موج كالجبال ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين • فان قلت بم اتصل قوله وهي تجري بهم قلت بمحذوف دل عليه قوله اركبوا فيها بسم الله كأنه قيل فركبوا فيها يقولون بسم الله وهي تجري بهم اي وتجري وهم فيها في موج كالجبال يريد موج الطوفان شبه كل موجة منها بالجبل في تراكمها وارتفاعها فان قلت الموج ما يرتفع فوق الماء عند اضطرابه وزخيره وكان الماء قد التقى وطبق ما بين السماء والارض وكانت الفلك تجري في جوف الماء كما تسبح السمكة فما معنى جريها في الموج قلت كان ذلك قبل التطبيق وقبل ان يغمر الطوفان الجبال الا ترى الى قوله سآوي الى جبل يعصمني من الماء وقيل كان اسم ابنه كنعان وقيل يام • وقرأ علي رضي الله عنه ابنها والضمير لامرأته وقرأ محمد بن علي وعروة بن الزبير ابنه بفتح الهاء يريدان ابنها فاكتفيا بالفتحة عن الالف وبه ينصر مذهب الحسن قال قتادة سألته فقال والله ما كان ابنه فقلت ان الله تعالى حكى عنه ان ابني من اهلي وانت تقول لم يكن ابنه واهل الكتاب

لا يختلفون في انه كان ابنه فقال من يأخذ دينه من اهل الكتاب واستدل بقوله من اهلي ولم يقل مني ولنسبته الى امه
وجهان احدهما ان يكون ربيبا له كعمر بن ابي سلمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وان يكون لغير رشدة وهذه غضاضة
عصمت منها الانبياء عليهم السلام وقرأ السدي ونادى نوح ابناه على الندبة والترثي اي قال يا ابناه والمعزل
مفعل من عزله عنه اذا نحاه وابعده يعني وكان في مكان عزل فيه نفسه عن ابيه وعن مركب المؤمنين وقيل كان في معزل
عن دين ابيه يا بني قرئ بكسر الياء اقتصارا عليه من ياء الاضافة وبالفتح اقتصارا عليه من الالف المبدلة من ياء الاضافة
في قولك يا بنيا او سقطت الياء والالف لالتقاء الساكنين لان الراء بعدهما ساكنة ● قال سآوي الى
جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم وحال بينهما الموج
فكان من المغرقين ● الا من رحم الا الراحم وهو الله او لا عاصم اليوم من الطوفان الا من رحم الله اي الا مكان
من رحم الله من المؤمنين وكان لهم غفورا في قوله ان ربي لغفور رحيم وذلك انه لما جعل الجبل عاصما من الماء قال له لا يعصمك
اليوم معتصم قط من جبل ونحوه سوى معتصم واحد وهو مكان من رحمهم الله ونجاهم يعني السفينة وقيل لا عاصم بمعنى لا ذا
عصمة الا من رحمه الله تعالى كقوله ماء دافق وعيشة راضية وقيل الا من رحم استثناء منقطع كانه قيل
ولكن من رحمه الله فهو المعصوم كقوله تعالى ما لهم به من علم الا اتباع الظن وقرئ الا من رحم على البناء للمفعول ●
وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي
وقيل بعدا للقوم الظالمين ● نداء الارض والسماء بما ينادى به الحيوان المميز على لفظ التخصيص والاقبال
عليهما بالخطاب من بين سائر المخلوقات وهو قوله يا ارض ويا سماء ثم امرهما بما يؤمر به اهل التمييز والعقل من قوله
ابلعي ماءك واقلعي من الدلالة على الاقتدار العظيم وان السموات والارض وهذه الاجرام العظام منقادة لتكوينه
فيها ما يشاء غير ممتنعة عليه كانها عقلاء مميزون قد عرفوا عظمته وجلالته وثوابه وعقابه وقدرته على كل مقدور وتبينوا
تحتم طاعته عليهم وانقيادهم له وهم يهابونه ويفزعون من التوقف دون الامتثال له والنزول على مشيئته على الفور من غير
ريث فكما يرد عليهم امره كان المأمور به مفعولا لا حبس ولا ابطاء والبلع عبارة عن النشف والاقلاع الامساك يقال
اقلع المطر واقلعت الحمى وغيض الماء من غاضه اذا نقصه وقضي الامر وانجز ما وعد الله نوحا من هلاك قومه واستوت
واستقرت السفينة على الجودي وهو جبل بالموصل وقيل بعدا يقال بعد بعدا وبعدا اذا ارادوا البعد البعيد من حيث
الهلاك والموت ونحو ذلك ولذلك اختص بدعاء السوء ومجيء اخباره على الفعل المبني للمفعول للدلالة على الجلال
والكبرياء وان تلك الامور العظام لا تكون الا بفعل فاعل قادر وتكوين مكون قاهر وان فاعلها فاعل واحد لا يشارك
في افعاله فلا يذهب الوهم الى ان يقول غيره يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي ولا ان يقضي ذلك الامر الهائل غيره ولا
ان تستوي السفينة على متن الجودي وتستقر عليه الا بتسويته واقراره ● ولما ذكرنا من المعاني والنكت استفصح
علماء البيان هذه الآية ورقصوا لها رؤوسهم لا لتجانس الكلمتين وهما قوله ابلعي واقلعي وذلك وان كان لا يخلي
الكلام من حسن فهو كغير الملتفت اليه بازاء تلك المحاسن التي هي اللب وما عداها قشور ● وعن قتادة استقلت
بهم السفينة لعشر خلون من رجب وكانت في الماء خمسين ومائة يوم واستقرت بهم على الجودي شهرا وهبط بهم
يوم عاشوراء ● وروي انها مرت بالبيت فطافت به سبعا وقد اعتقه الله من الغرق وروي ان نوحا عليه السلام
صام يوم الهبوط وامر من معه فصاموا شكرا لله تعالى ● ونادى نوح ربه فقال رب ان ابني من اهلي
وان وعدك الحق وانت احكم الحاكمين ● ونداؤه ربه دعاؤه له وهو قوله رب مع ما بعده
من اقتضاء وعده في تنجية اهله **فان قلت** فاذا كان النداء هو قوله رب فكيف عطف فقال رب
على نادى بالفاء **قلت** اريد بالنداء ارادة النداء ولو اريد النداء نفسه لجاء كما جاء قوله اذ نادى
ربه نداء خفيا قال رب بغير فاء ● ان ابني من اهلي اي بعض اهلي لانه كان ابنه من صلبه او كان ربيبا له فهو بعض اهله
وان وعدك الحق وان كل وعد تعده فهو الحق الثابت الذي لا شك في انجازه والوفاء به وقد وعدتني ان تنجي اهلي
فما بال ولدي وانت احكم الحاكمين اي اعلم الحكام واعدلهم لانه لا فضل لحاكم على غيره الا بالعلم والعدل ورب غريق
في الجهل والجور من متقلدي الحكومة في زمانك قد لقب اقضى القضاة ومعناه احكم الحاكمين فاعتبر واستعبر ويجوز ان يكون

من الحكم على ان يبنى من الحكمة حاكم بمعنى النسبة كما قيل دارع من الدرع وحائض وطالق على مذهب الخليل ●
قال يا نوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم اني اعظك
ان تكون من الجاهلين ● انه عمل غير صالح تعليل لانتفاء كونه من اهله وفيه ايذان بان قرابة الدين غامرة
لقرابة النسب وان نسيبك في دينك ومعتقدك من الاباعد في المنصب وان كان حبشيا وكنت قرشيا
لصيقك وخصيصك ومن لم يكن على دينك وان كان امس اقاربك رحما فهو ابعد بعيد منك وجعلت ذاته
عملا غير صالح مبالغة في ذمه كقولها فانما هي اقبال وادبار ● وقيل الضمير لنداء نوح عليه السلام اي ان
هذا عمل غير صالح وليس بذاك **فان قلت** فهلا قيل انه عمل فاسد **قلت** لما نفاه عن اهله نفى عنه
صفتهم بكلمة النفي التي يستبقي معها لفظ المنفي وآذن بذلك انه انما انجى من انجى من اهله لصلاحهم لا لانهم اهلك
واقاربك وان هذا لما انتفى عنه الصلاح لم تنفعه ابوتك كقوله تعالى كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما
فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقرئ عمل غير صالح اي عملا غير صالح وقرئ فلا تسألن بكسر النون بغير ياء الاضافة
وبالنون الثقيلة بياء وبغير ياء يعني فلا تلتمس مني ملتمسا او التماسا لا تعلم اصواب هو ام غير صواب حتى تقف
على كنهه وذكر المسألة دليل على ان النداء كان قبل ان يغرق حين خاف عليه **فان قلت** لم سمي نداؤه
سؤالا ولا سؤال فيه **قلت** قد تضمن دعاؤه معنى السؤال وان لم يصرح به لانه اذا ذكر الموعد بنجاة اهله
في وقت مشارفة ولده الغرق فقد استنجز وجعل سؤال ما لا يعرف كنهه جهلا وغباوة ووعظه ان لا يعود اليه
والى امثاله من افعال الجاهلين **فان قلت** قد وعده ان ينجي اهله وما كان عنده ان ابنه ليس منهم دينا فلما
اشفى على الغرق تشابه عليه الامر لان العدة قد سبقت له وقد عرف الله حكيما لا يجوز عليه فعل القبيح وخلف الميعاد
فطلب اماطة الشبهة وطلب اماطة الشبهة واجب فلم زجر وسمي سؤاله جهلا **قلت** ان الله عز وعلا قدم له الوعد
بانجاء اهله مع استثناء من سبق عليه القول منهم فكان عليه ان يعتقد ان في جملة اهله من هو مستوجب للعذاب لكونه
غير صالح وان كلهم ليسوا بناجين وان لا تخالجه شبهة حين شارف ولده الغرق في انه من المستثنين لا من المستثنى منهم
فعوتب على ان اشتبه عليه ما يجب ان لا يشتبه ان اسألك من ان اطلب منك في المستقبل ما لا علم لي بصحته تأدبا
بأدبك واتعاظا بموعظتك ● قال رب اني اعوذ بك ان اسألك ما ليس لي به علم والا تغفر لي
وترحمني اكن من الخاسرين ● والا تغفر لي ما فرط مني من ذلك وترحمني بالتوبة علي اكن من الخاسرين اعمالا
قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى امم ممن معك وامم سنمتعهم ثم يمسهم
منا عذاب اليم ● وقرئ يا نوح اهبط بضم الباء بسلام منا مسلما محفوظا من جهتنا او مسلما عليك
مكرما وبركات عليك ومباركا عليك والبركات الخيرات النامية وقرئ وبركة عليك على التوحيد وعلى امم ممن
معك يحتمل ان تكون من للبيان فتراد الامم الذين كانوا معه في السفينة لانهم كانوا جماعات وقيل لهم امم لان
الامم تتشعب منهم وان تكون لابتداء الغاية اي على امم ناشئة ممن معك وهي الامم الى آخر الدهر وهو الوجه وقوله
وامم رفع بالابتداء وسنمتعهم صفة والخبر محذوف تقديره وممن معك امم سنمتعهم وانما حذف لان قوله ممن معك يدل
عليه والمعنى ان السلام منا والبركات عليك وعلى امم مؤمنين ينشؤون ممن معك وممن معك امم ممتعون
بالدنيا منقلبون الى النار وكان نوح عليه السلام ابا الانبياء والخلق بعد الطوفان منه وممن كان معه في السفينة
وعن محمد بن كعب القرظي دخل في ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة الى يوم القيامة وفيما بعده من المتاع والعذاب كل كافر
وعن ابن زيد هبطوا والله عنهم راض ثم اخرج منهم نسلا منهم من رحم ومنهم من عذب وقيل المراد بالامم الممتعة قوم هود
وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام ● تلك من انباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك
من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين ● تلك اشارة الى قصة نوح ومحلها الرفع على الابتداء والجمل بعدها
اخبار اي تلك القصة بعض انباء الغيب موحاة اليك مجهولة عندك وعند قومك من قبل هذا من قبل ايحائي اليك
واخباري بها او من قبل هذا العلم الذي كسبته بالوحي او من قبل هذا الوقت فاصبر على تبليغ الرسالة واذى قومك كما صبر نوح
وتوقع في العاقبة لك ولمن كذبك نحو ما قيض لنوح ولقومه ان العاقبة في الفوز والنصر والغلبة للمتقين وقرئ ولا قومك

معناه ان قومك الذين انت منهم على كثرتهم ووفور عددهم اذا لم يكن ذلك شأنهم ولا سمعوه ولا عرفوه فكيف برجل
منهم كما تقول لم يعرف هذا عبد الله ولا اهل بلده ● وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله
ما لكم من إله غيره إن أنتم إلا مفترون ● اخاهم واحدا منهم وانتصابه للعطف على ارسلنا نوحا وهودا
عطف بيان وغيره بالرفع صفة على محل الجار والمجرور وقرئ غيره بالجر صفة على اللفظ ان انتم الا مفترون تفترون على الله
الكذب باتخاذكم الاوثان له شركاء ● يا قوم لا أسألكم عليه أجرا إن أجري إلا على الذي فطرني أفلا
تعقلون ● ما من رسول الا واجه قومه بهذا القول لان شأنهم النصيحة والنصيحة لا يمحصها ولا يمحضها الا حسم المطامع
وما دام يتوهم شيء منها لم تنجع ولم تنفع افلا تعقلون اذ تردون نصيحة من لا يطلب عليها اجرا الا من الله وهو ثواب الآخرة ولا شيء
انفى للتهمة من ذلك ● ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم
قوة إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين ● قيل استغفروا ربكم آمنوا به ثم توبوا اليه من عبادة غيره لان التوبة لا تصح الا
بعد الايمان والمدرار الكثير الدرور كالمغزار وانما قصد استمالتهم الى الايمان وترغيبهم فيه بكثرة المطر وزيادة القوة لان
القوم كانوا اصحاب زروع وبساتين وعمارات حراصا عليها اشد الحرص فكانوا احوج شيء الى الماء وكانوا مدلين بما
اوتوا من شدة القوة والبطش والباس والنجدة مستحرزين بها من العدو مهيبين في كل ناحية وقيل اراد القوة في المال
وقيل القوة على النكاح وقيل حبس عنهم القطر ثلث سنين وعقمت ارحام نسائهم ● وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما
انه وفد على معوية فلما خرج تبعه بعض حجابه فقال اني رجل ذو مال ولا يولد لي فعلمني شيئا لعل الله تعالى ان يرزقني ولدا فقال عليك
بالاستغفار فكان يكثر الاستغفار حتى ربما استغفر في يوم واحد سبعمائة مرة فولد له عشرة بنين فبلغ ذلك معوية فقال
هلا سألته مم قال ذلك فوفد وفدة اخرى فسأله الرجل فقال الم تسمع قول هود ويزدكم قوة الى قوتكم وقول نوح ويمددكم باموال
وبنين ● ولا تتولوا ولا تعرضوا عني وعما ادعوكم اليه وارغبكم فيه مجرمين مصرين على اجرامكم وآثامكم ● قالوا يا هود
ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين ● ما جئتنا ببينة
كذب منهم وجحود كما قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم لولا انزل عليه آية من ربه مع فوت آياته الحصر عن قولك حال
من الضمير في تاركي آلهتنا كأنه قيل وما نترك آلهتنا صادرين عن قولك وما نحن لك بمؤمنين وما يصح من امثالنا ان يصدقوا
مثلك فيما يدعوهم اليه اقناطا له من الاجابة ● إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال إني
أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون
اعتراك مفعول نقول والا لغو والمعنى ما نقول الا قولنا اعتراك بعض آلهتنا بسوء اي خبلك ومسك بجنون لسبك
اياها وصدك عنها وعداوتك لها مكافاة لك منها على سوء فعلك بسوء الجزاء فمن ثم تتكلم بكلام المجانين وتهذي بهذيان
المبرسمين وليس بعجب من اولئك ان يسموا التوبة والاستغفار خبلا وجنونا وهم عاد اعلام الكفر واوتاد الشرك
وانما العجب من قوم من المتظاهرين بالاسلام سمعناهم يسمون التائب عن ذنوبه مجنونا والمنيب الى ربه مخبلا ولم نجدهم
معه على عشر ما كانوا عليه في ايام جاهليته من المداوة وما ذاك الا لعرق من الالحاد ابى الا ان ينبض وضب من الزندقة
اراد ان يطلع راسه وقد دلت اجوبتهم المتقدمة على ان القوم كانوا جفاة غلاظ الاكباد لا يبالون بالبهت ولا يلتفتون
الى النصح ولا تلين شكيمتهم للرشد وهذا الاخير دال على جهل مفرط وبله متناه حيث اعتقدوا في حجارة انها تنتصر وتنتقم
ولعلهم حين اجازوا العقاب كانوا يجيزون الثواب من اعظم الآيات ان يواجه بهذا الكلام رجل واحد امة
عطاشا الى اراقة دمه يرمونه عن قوس واحدة وذلك لثقته بربه وانه يعصمه منهم فلا تنشب فيه مخالبهم ونحو ذلك
قال نوح عليه السلام لقومه ثم اقضوا الي ولا تنظرون اكد براءته من آلهتهم وشركهم ووثقها بما جرت به عادة الناس
من توثيقهم الامور بشهادة الله وشهادة العباد فيقول الرجل الله شهيد على اني لا افعل كذا ويقول لقومه كونوا شهداء
على اني لا افعله ● فان قلت هلا قيل اني اشهد الله واشهدكم ● قلت لان اشهاد الله على البراءة
من الشرك اشهاد صحيح ثابت في معنى تثبيت التوحيد وشد معاقده واما اشهادهم فما هو الا تهاون بدينهم
ودلالة على قلة المبالاة بهم فحسب فعدل به عن لفظ الاول لاختلاف ما بينهما وجيء به على لفظ الامر بالشهادة كما يقول
الرجل لمن يبس الثرى بينه وبينه اشهد علي اني لا احبك تهكما به واستهانة بحاله مما تشركون من دونه من اشراككم آلهة

يبس الثرى ما بينهم اى فسد ما بينهم
مجمع الامثال

من دونه او مما تشركونه من آلهة من دونه اي انتم تجعلونها شركاء له ولم يجعل لها شركا ولم ينزل بذلك سلطانا فكيدوني
جميعا انتم وآلهتكم اعجل ما تفعلون من غير انظار فاني لا ابالي بكم وبكيدكم ولا اخاف معرتكم وان تعاونتم علي وانتم الاقوياء
الشداد فكيف تضرني آلهتكم وما هي الا جماد لا يضر ولا ينفع وكيف تنتقم مني اذا نلت منها وصددت عن عبادتها بان تخبلني
وتذهب بعقلي ● إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها
إن ربي على صراط مستقيم ● ولما ذكر توكله على الله وثقته بحفظه وكلاءته من كيدهم وصفه بما يوجب التوكل
عليه من اشتمال ربوبيته عليه وعليهم ومن كون كل دابة في قبضته وملكته وتحت قهره وسلطانه والاخذ بنواصيها تمثيل
لذلك ان ربي على صراط مستقيم يريد انه على طريق الحق والعدل في ملكه لا يفوته ظالم ولا يضيع عنده معتصم به ● فإن تولوا
فقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم ويستخلف ربي قوما غيركم ولا تضرونه شيئا إن ربي
على كل شيء حفيظ ● فان تولوا فان تتولوا ● فان قلت الابلاغ كان قبل التولي فكيف وقع جزاء للشرط
قلت معناه فان تتولوا لم اعاتب على تفريط في الابلاغ وكنتم محجوجين بان ما ارسلت به اليكم قد بلغكم فابيتم الا
تكذيب الرسالة وعداوة الرسول ويستخلف كلام مستأنف يريد ويهلككم الله ويجيء بقوم آخرين يخلفونكم في دياركم واموالكم
ولا تضرونه بتوليكم شيئا من ضرر قط لانه لا يجوز عليه المضار والمنافع وانما تضرون انفسكم ● وفي قراءة عبد الله ويستخلف
بالجزم وكذلك ولا تضروه عطفا على محل فقد ابلغتكم والمعنى ان تتولوا يعذرني ويستخلف قوما غيركم ولا تضروا الا انفسكم
على كل شيء حفيظ اي رقيب عليه مهيمن فما تخفى عليه اعمالكم ولا يغفل عن مؤاخذتكم او من كان رقيبا على الاشياء كلها
حافظا لها وكانت مفتقرة الى حفظه من المضار لم يضر مثله مثلكم ● ولما جاء أمرنا نجينا هودا والذين
آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ ● والذين آمنوا معه قيل كانوا اربعة آلاف
فان قلت ما معنى تكرير التنجية ● قلت ذكر اولا انه حين اهلك عدوهم نجاهم ثم قال ونجيناهم
من عذاب غليظ على معنى وكانت تلك التنجية من عذاب غليظ وذلك ان الله عز وعلا بعث عليهم السموم فكانت تدخل
في انوفهم وتخرج من ادبارهم فتقطعهم عضوا عضوا ● وقيل اراد بالثانية التنجية من عذاب الآخرة ولا عذاب اغلظ منه
واشد ● وقوله برحمة منا يريد بسبب الايمان الذي انعمنا عليهم بالتوفيق له ● وتلك عاد جحدوا بآيات
ربهم وعصوا رسله واتبعوا أمر كل جبار عنيد ● وتلك عاد اشارة الى قبورهم وآثارهم
كأنه قال سيحوا في الارض فانظروا اليها واعتبروا ثم استأنف وصف احوالهم فقال جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله
لانهم اذا عصوا رسولهم فقد عصوا جميع رسل الله لا نفرق بين احد من رسله وقيل لم يرسل اليهم الا هود وحده
كل جبار عنيد يريد رؤساءهم وكبراءهم ودعاتهم الى تكذيب الرسل ومعنى اتباع امرهم طاعتهم ● وأتبعوا في
هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة ألا إن عادا كفروا ربهم ألا بعدا لعاد قوم هود
ولما كانوا تابعين لهم دون الرسل جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين تكبهم على وجوههم في عذاب الله والا وتكرارها
مع النداء على كفرهم والدعاء عليهم تهويل لامرهم وتفظيع له وبعث على الاعتبار بهم والحذر من مثل حالهم ● فان قلت
بعدا دعاء بالهلاك فما معنى الدعاء به عليهم بعد هلاكهم ● قلت الدلالة على انهم كانوا مستأهلين له الا ترى الى قوله
اخوتي لا تبعدوا ابدا ● وبلى والله قد بعدوا ● قوم هود عطف بيان لعاد ● فان قلت ما الفائدة
في هذا البيان والبيان حاصل بدونه ● قلت الفائدة فيه ان يوسموا بهذه الدعوة وسما ويجعل فيهم امرا محققا لا شبهة
فيه بوجه من الوجوه لان عادا عادان الاولى القديمة التي هي قوم هود والقصة فيهم والاخرى ارم ● وإلى ثمود أخاهم صالحا
قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه
ثم توبوا إليه إن ربي قريب مجيب ● هو انشاكم من الارض لم ينشئكم منها الا هو ولم يستعمركم فيها غيره
وانشاؤهم منها خلق آدم من التراب واستعمركم وامركم بالعمارة ● والعمارة متنوعة الى واجب وندب ومباح ومكروه
وكان ملوك فارس قد اكثروا من حفر الانهار وغرس الاشجار وعمروا الاعمار الطوال مع ما كان فيهم من عسف الرعايا فسأل نبي
من انبياء زمانهم ربه عن سبب تعميرهم فاوحى الله تعالى اليه انهم عمروا بلادي فعاش فيها عبادي ● وعن معوية بن ابي سفيان
انه اخذ في احياء ارض في آخر عمره فقيل له فقال ما حملني عليه الا قول القائل ليس الفتى بفتى لا يستضاء به ● ولا يكون له في الارض آثار

وقيل استعمركم من العمر نحو استبقاكم من البقاء وقد جعل من العمرى وفيه وجهان احدهما ان يكون استعمر فى معنى اعمر كقولك استهلكه فى معنى اهلكه ومعناه اعمركم فيها دياركم ثم هو وارثها منكم عند انقضاء اعماركم والثانى ان يكون بمعنى جعلكم معمرين دياركم فيها لان الرجل اذا ورث داره من بعده فكانما اعمره اياها لانه يسكنها عمره ثم يتركها لغيره قريب دانى الرحمة سهل المطلب مجيب لمن دعاه وسأله • قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا اتنهانا ان نعبد ما يعبد اباؤنا واننا لفى شك مما تدعونا اليه مريب • فينا فيما بيننا مرجوا كانت تلوح فيك مخايل الخير وامارات الرشد فكنا نرجوك لننتفع بك وتكون مشاورا فى الامور ومسترشدا فى التدابير فلما نطقت بهذا القول انقطع رجاؤنا عنك وعلمنا ان لا خير فيك • وعن ابن عباس فاضلا خيرا نقدمك على جميعنا وقيل كنا نرجوا ان تدخل فى ديننا وتوافقنا على ما نحن عليه • يعبد اباؤنا حكاية حال ماضية مريب من ارابه اذا اوقعه فى الريبة وهى قلق النفس وانتفاء الطمانينة باليقين او من اراب الرجل اذا كان ذا ريبة على الاسناد المجازى

قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربى واتانى منه رحمة فمن ينصرنى من الله ان عصيته فما تزيدوننى غير تخسير • قيل ان كنت على بينة من ربى بحرف الشك وكان على يقين انه على بينة لان خطابه للجاحدين فكانه قال قدروا انى على بينة من ربى وانى نبى على الحقيقة وانظروا ان تابعتكم وعصيت ربى فى اوامره فمن يمنعنى من عذاب الله فما تزيدوننى اذا حينئذ غير تخسير يعنى تخسرون اعمالى وتبطلونها او فما تزيدوننى بما تقولون لى وتحملوننى عليه غير ان اخسركم اى انسبكم الى الخسران واقول لكم انكم خاسرون

ويا قوم هذه ناقة الله لكم اية فذروها تاكل فى ارض الله ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب قريب • فعقروها فقال تمتعوا فى داركم ثلثة ايام ذلك وعد غير مكذوب • اية نصب على الحال قد عمل فيها ما دل عليه اسم الاشارة من معنى الفعل **فان قلت** فبم يتعلق لكم **قلت** باية حالا منها متقدمة لانها لو تاخرت لكانت صفة لها فلما تقدمت انتصبت على الحال عذاب قريب عاجل لا يستاخر عن مسكم لها بسوء الا يسيرا وذلك ثلثة ايام ثم يقع عليكم تمتعوا استمتعوا بالعيش فى داركم فى بلدكم وتسمى البلاد الديار لانه يدار فيها اى يتصرف يقال ديار بكر لبلادهم وتقول العرب الذين حوالى مكة نحن من عرب الدار يريدون من عرب البلد وقيل فى دار الدنيا وقيل عقروها يوم الاربعاء وهلكوا يوم السبت غير مكذوب فيه فاتسع فى الظرف بحذف الحرف واجرائه مجرى المفعول به كقوله ويوم شهدناه او على المجاز كانه قيل للوعد نفى بك فاذا وفى به فقد صدق ولم يكذب او وعد غير كذب على ان المكذوب مصدر كالمجلود والمعقول بمعنى المصدر بمعنى الصدق • فلما جاء امرنا نجينا صالحا والذين امنوا معه برحمة منا ومن خزى يومئذ ان ربك هو القوى العزيز • واخذ الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا فى ديارهم جاثمين • ومن خزى يومئذ قرئ مفتوح الميم لانه مضاف الى اذ وهو غير متمكن كقوله على حين عاتبت المشيب **فان قلت** علام عطف **قلت** على نجينا لان تقديره ونجيناهم من خزى يومئذ كما قال تعالى ونجيناهم من عذاب غليظ وكانت التنجية من خزى يومئذ اى من ذله ومهانته وفضيحته ولا خزى اعظم من خزى من كان هلاكه بغضب الله تعالى وانتقامه ويجوز ان يريد بيومئذ يوم القيمة كما فسر العذاب الغليظ بعذاب الاخرة • كان لم يغنوا فيها الا ان ثمود كفروا ربهم الا بعدا لثمود • وقرئ الا ان ثمودا ولثمود كلاهما بالصرف وامتناعه فالصرف للذهاب الى الحى او الاب الاكبر ومنعه للتعريف والتانيث بمعنى القبيلة • ولقد جاءت رسلنا ابرهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فما لبث ان جاء بعجل حنيذ • رسلنا يريد الملائكة عن ابن عباس جاءه جبريل وملكان معه وقيل جبرائيل وميكائيل واسرافيل وقيل كانوا تسعة وعن السدى احد عشر بالبشرى اى البشارة بالولد وقيل بهلاك قوم لوط والظاهر الولد سلاما سلمنا عليك سلاما سلام امركم سلام وقرئ فقالوا سلما قال سلم بمعنى السلام وقيل سلم وسلام كحرم وحرام وانشد • مررنا فقلنا ايه سلم فسلمت • كما اكتل بالبرق الغمام اللوائح • فما لبث ان جاء فما لبث فى المجئ به بل عجل فيه او فما لبث مجيئه والعجل ولد البقرة ويسمى الحسيل والخبش بلغة اهل السراة وكان مال ابرهيم البقر حنيذ مشوى بالرضف فى اخدود

وقيل حنيذ يقطر دسمه من حنذت الفرس اذا القيت عليها الجل حتى تقطر عرقا ويدل عليه بعجل سمين • فلما راى ايديهم لا تصل اليه نكرهم واوجس منهم خيفة قالوا لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط • يقال نكره وانكره واستنكره ومنكور قليل فى كلامهم وكذلك انا انكرك ولكن منكر ومستنكر وانكرتك وقال الاعشى • وانكرتنى وما كان الذى نكرت • من الحوادث الا الشيب والصلعا • قيل كان ينزل فى طرف من الارض فخاف ان يريدوا به مكروها وقيل كانت عادتهم انه اذا مس من يطرقهم طعامهم امنوه والا خافوه والظاهر انه احس بانهم ملائكة ونكرهم لانه تخوف ان يكون نزولهم لامر انكره الله تعالى عليه او لتعذيب قومه الا ترى الى قولهم لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط وانما يقال ذلك لمن عرفهم ولم يعرف فيم ارسلوا فاوجس فاضمر وانما قالوا لا تخف لانهم راوا اثر الخوف والتغير فى وجهه او عرفوه بتعريف الله تعالى او علموا ان علمه بانهم ملائكة موجب الخوف لانهم كانوا لا ينزلون الا بعذاب

وامراته قائمة فضحكت فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب • وامراته قائمة قيل كانت قائمة وراء الستر تسمع تحاورهم وقيل كانت قائمة على رؤسهم تخدمهم وفى مصحف عبد الله وامراته قائمة وهو قاعد فضحكت سرورا بزوال الخيفة او بهلاك اهل الخبائث او كان ضحكها ضحك انكار لغفلتهم وقد اظلهم العذاب وقيل كانت تقول لابرهيم اضمم لوطا ابن اخيك اليك فانى اعلم انه سينزل بهؤلاء القوم عذاب فضحكت سرورا لما اتى الامر على ما توهمت وقيل فضحكت فحاضت وقرا محمد بن زياد الاعرابى فضحكت بفتح الحاء يعقوب رفع بالابتداء كانه قيل ومن وراء اسحق يعقوب موجود او مولود اى من بعده وقيل الوراء ولد الولد وعن الشعبى انه قيل له اهذا ابنك فقال نعم من الوراء وكان ولد ولده وقرئ يعقوب بالنصب كانه قيل ووهبنا لها اسحق ومن وراء اسحق يعقوب على طريقة قوله • ليسوا مصلحين عشيرة • ولا ناعب • قالت يا ويلتى االد وانا عجوز وهذا بعلى شيخا ان هذا لشىء عجيب • الالف فى يا ويلتا مبدلة من ياء الاضافة وكذلك فى يا لهفا ويا عجبا وقرا الحسن يا ويلتى بالياء على الاصل وشيخا نصب بما دل عليه اسم الاشارة وقرئ شيخ على انه خبر مبتدا محذوف اى هو شيخ او بعلى بدل من المبتدا وشيخ خبر او يكونان معا خبرين قيل بشرت ولها ثمان وتسعون سنة ولابرهيم مائة وعشرون ان هذا لشىء عجيب ان يولد ولد من هرمين وهو استبعاد من حيث العادة التى اجراها الله تعالى • قالوا اتعجبين من امر الله رحمت الله وبركاته عليكم اهل البيت انه حميد مجيد • وانما انكرت عليها الملائكة تعجبها فقالوا اتعجبين من امر الله لانها كانت فى بيت الايات ومهبط المعجزات والامور الخارقة للعادات فكان عليها ان تتوقر ولا يزدهيها ما يزدهى سائر النساء الناشئات فى غير بيوت النبوة وان تسبح الله وتمجده مكان التعجب والى ذلك اشارت الملائكة صلوات الله عليهم فى قولهم رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت ارادوا ان هذه وامثالها مما يكرمكم به رب العزة ويخصكم بالانعام به يا اهل بيت النبوة فليست بمكان عجيب وامر الله قدرته وحكمته وقوله رحمة الله وبركاته عليكم كلام مستانف علل به انكار التعجب كانه قيل اياك والتعجب فان امثال هذه الرحمة والبركة متكاثرة من الله عليكم وقيل الرحمة النبوة والبركات الاسباط من بنى اسرائيل لان الانبياء منهم وكلهم من ولد ابرهيم عليه السلام حميد فاعل ما يستوجب به الحمد من عباده مجيد كريم كثير الاحسان اليهم واهل البيت نصب على النداء او على الاختصاص لان اهل البيت مدح لهم اذ المراد اهل بيت خليل الرحمن صلوات الله وسلامه عليه • فلما ذهب عن ابرهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا فى قوم لوط ان ابرهيم لحليم اواه منيب • الروع ما اوجس من الخيفة حين نكر اضيافه والمعنى انه لما اطمان قلبه بعد الخوف وملئ سرورا بسبب البشرى بدل الغم فرغ للمجادلة **فان قلت** اين جواب لما **قلت** هو محذوف كما حذف فى قوله فلما ذهبوا به واجمعوا وقوله يجادلنا كلام مستانف دال على الجواب وتقديره اجترا على خطابنا او فطن لمجادلتنا او قال كيت وكيت ثم ابتدا فقال يجادلنا فى قوم لوط وقيل يجادلنا هو جواب لما وانما جئ به مضارعا لحكاية الحال وقيل ان لما ترد المضارع الى معنى الماضى كما ترد ان الماضى الى معنى الاستقبال وقيل معناه اخذ يجادلنا واقبل يجادلنا والمعنى يجادل رسلنا ومجادلته اياهم انهم قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية فقال ارايتم لو كان فيها خمسون رجلا من المؤمنين اتهلكونها قالوا لا قال فاربعون قالوا لا قال فثلثون قالوا لا حتى بلغ العشرة قالوا لا قال ارايتم ان كان فيها رجل واحد مسلم اتهلكونها قالوا لا قال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها

البيت
مشايم ليسوا مصلحين عشيرة
ولا ناعب الا ببين غرابها

يقال تمتع بالشىء وتمتع المنافع على العيش

الرضف الحجارة المحماة

وقيل

السراة بلاد الحبش
اليمن

والله لن قوم لوط في مغناهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما قالوا لا ان كان فيها خمسة يصلون رفع
عنهم العذاب وعن قتادة ما قوم لم يكن فيهم عشرة فيهم خير وقيل كان فيها اربعة الآف الف ان
ان ابراهيم لحليم غير عجول على كل من اساء اليه اواه كثير التأوه من الذنوب منيب تائب راجع الى الله بالتجنب
وهذه الصفات دالة على رقة القلب والرحمة فبين ان ذلك مما حمله على المجادلة فيهم رجاء ان يرفع
عنهم العذاب ويمهلوا لعلهم يحدثون التوبة والانابة كما حمله على الاستغفار لابيه يا ابراهيم اعرض عن هذا
انه قد جاء امر ربك وانهم آتيهم عذاب غير مردود يا ابراهيم على ارادة القول اي قالت
الملائكة اعرض عن هذا الجدال ان كانت الرحمة ديدنك فلا فائدة فيه انه قد جاء امر ربك وهو قضاؤه وحكمه
الذي لا يصدر الا عن صواب وحكمة والعذاب نازل بالقوم لا محالة لا مرد له بجدال ولا دعاء ولا غير ذلك
ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب
ساءه مجيئهم لوط وضيق ذرعه لانه حسب انهم انس فخاف عليهم خبث قومه وان يعجز عن مقاومتهم ومدافعتهم
وروي ان الله تعالى قال لهم لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط اربع شهادات فلما مشى معهم منطلقا بهم الى منزله قال
لهم اما بلغكم امر هذه القرية قالوا وما امرهم قال اشهد بالله انها لشر قرية في الارض عملا يقول ذلك اربع مرات
فدخلوا منزله ولم يعلم بذلك احد فخرجت امرأته فاخبرت بهم قومها يقال يوم عصيب وعصبصب اذا كان
شديدا من قولك عصبه اذا شده وجاءه قومه يهرعون اليه ومن قبل كانوا يعملون
السيئات قال يا قوم هؤلاء بناتي هن اطهر لكم فاتقوا الله ولا تخزون في
ضيفي أليس منكم رجل رشيد قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وانك لتعلم ما نريد
يهرعون كانما يدفعون دفعا ومن قبل كانوا يعملون السيئات ومن قبل ذلك الوقت كانوا يعملون
الفواحش ويكثرونها فضروا بها ومرنوا عليها وقل عندهم استقباحها فلذلك جاؤوا يهرعون مجاهرين لا يكفهم
حياء وقيل معناه وقد عرف لوط عادتهم في عمل الفواحش قبل ذلك هؤلاء بناتي اراد ان يقي اضيافه ببناته
وذلك غاية الكرم واراد هؤلاء بناتي فتزوجوهن وكان تزويج المسلمات من الكفار جائزا كما زوج رسول الله صلى
الله عليه وسلم ابنتيه من عتبة بن ابي لهب وابي العاص بن وائل قبل الوحي وهما كافران وقيل كان لهم سيدان مطاعان فاراد
ان يزوجهما ابنتيه وقرأ ابن مروان هن اطهر لكم بالنصب وضعفه سيبويه وقال احتبى ابن مروان في لحنه وعن ابي عمرو
من قرأ هن اطهر بالنصب فقد تربع في لحنه وذلك ان انتصابه على ان يجعل حالا قد عمل فيها ما في هؤلاء من معنى
الفعل كانه قيل ... او ينصب هؤلاء بفعل مضمر كانه قيل خذوا هؤلاء وبناتي بدل ويعمل هذا المضمر في الحال وهن فصل
وهذا لا يجوز لان الفصل مختص بالوقوع بين جزئي الجملة ولا يقع بين الحال وذي الحال وقد خرج له وجه لا يكون هن فيه فصلا
وذلك ان يكون هؤلاء مبتدأ وبناتي هن جملة في موضع خبر المبتدأ كقولك هذا اخي هو ويكون اطهر حالا فاتقوا الله
[illegible] عليهم ولا تخزون ولا تهينوني ولا تفضحوني من الخزي او ولا تخجلوني من الخزاية وهي الحياء في ضيفي في حق ضيوفي فانه
اذا خزي ضيف الرجل او جاره فقد خزي الرجل وذلك من عراقة الكرم واصالة المروءة أليس منكم رجل رشيد رجل واحد
يهتدي الى سبيل الحق وفعل الجميل والكف عن السوء وقرئ ولا تخزون بطرح الياء ويجوز ان يكون عرض البنات عليهم
مبالغة في تواضعهم واظهار الشدة استحياء منهم او ردوا عليه طمعا في ان يستحيوا منه ويرقوا له اذا سمعوا ذلك فيتركوا له ضيوفه
مع ظهور الامر واستقرار العلم عنده وعندهم ان لا مناكحة بينه وبينهم ومن ثم قالوا لقد علمت مستشهدين بعلمه ما لنا في بناتك
من حق لانك لا ترى مناكحتنا وما هو الا عرض سابري وقيل لما اتخذوا اتيان الذكران مذهبا ودينا لتواطؤهم
عليه كان عندهم انه هو الحق وان نكاح الاناث من الباطل فلذلك قالوا ما لنا في بناتك من حق قط لان نكاح الاناث
امر خارج من مذهبنا الذي نحن عليه ويجوز ان يقولوه على وجه الخلاعة والغرض نفي الشهوة وانك لتعلم ما نريد عنوا اتيان
الذكور وما لهم فيه من الشهوة قال لو ان لي بكم قوة او آوي الى ركن شديد جواب لو محذوف
كقوله تعالى ولو ان قرآنا سيرت به الجبال يعني لو ان لي بكم قوة لفعلت بكم وصنعت يقال ما لي به قوة وما لي به يدان لانه في معنى لا اضطلع به ولا استقل به والمعنى لو قويت عليكم بنفسي او اويت الى قوي استند اليه

واتمنع به فيحميني منكم فشبه القوي العزيز بالركن من الجبل في شدته ومنعته ولذلك قالت الملائكة وقد وجدت عليه
ان ركنك لشديد وقال النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي لوطا كان يأوي الى ركن شديد وقرئ او آوي بالنصب
باضمار ان كانه قيل لو ان لي بكم قوة او اويا كقولها للبس عباءة وتقر عيني وقرئ الى ركن بضمتين
قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك فاسر باهلك بقطع من الليل ولا يلتفت
منكم احد الا امرأتك انه مصيبها ما اصابهم ان موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب
وروي انه اغلق بابه حين جاؤوا وجعل يرادهم ما حكى الله تعالى عنه ويجادلهم فتسوروا الجدار فلما رأت الملائكة
ما لقي لوط من الكرب قالوا يا لوط ان ركنك لشديد انا رسل ربك لن يصلوا اليك فافتح الباب ودعنا واياهم
ففتح الباب فدخلوا فاستأذن جبريل ربه في عقوبتهم فاذن له فقام في الصورة التي يكون فيها فنشر جناحه وله جناحان
وعليه وشاح من در منظوم وهو براق الثنايا فضرب بجناحه وجوههم فطمس اعينهم فاعماهم كما قال الله عز وجل
فطمسنا اعينهم فصاروا لا يعرفون الطريق فخرجوا وهم يقولون النجاء النجاء فان في بيت لوط قوما سحرة لن يصلوا
اليك جملة موضحة للتي قبلها لانهم اذا كانوا رسل الله لم يصلوا اليه ولم يقدروا على ضرره وقرئ فاسر بالقطع والوصل
الا امرأتك بالرفع والنصب وروي انه قال لهم متى موعد هلاكهم قالوا الصبح فقال اريد اسرع من ذلك فقالوا أليس الصبح
بقريب وقرئ الصبح بضمتين **فان قلت** ما وجه قراءة من قرأ الا امرأتك بالنصب **قلت**
استثناها من قوله فاسر باهلك والدليل عليه قراءة عبد الله فاسر باهلك بقطع من الليل الا امرأتك ويجوز ان ينتصب
عن لا يلتفت على اصل الاستثناء وان كان الفصيح هو البدل اعني قراءة من قرأ بالرفع فابدلها عن احد وفي اخراجها مع
اهله روايتان روي انه اخرجها معهم وامر ان لا يلتفت منهم احد الا هي فلما سمعت هدة العذاب التفتت وقالت
يا قوماه فادركها حجر فقتلها وروي انه امر بان يخلفها مع قومها فان هواها اليهم فلم يسر بها واختلاف القراءتين
لاختلاف الروايتين فلما جاء امرنا جعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليها حجارة من سجيل منضود
جعلنا عاليها سافلها جعل جبريل جناحه في اسفلها ثم رفعها الى السماء حتى سمع اهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة
ثم قلبها عليهم واتبعوا الحجارة من فوقهم من سجيل قيل هي كلمة معربة من سنك كل بدليل قوله حجارة من طين وقيل هي من
اسجله اذا ارسله لانها ترسل على الظالمين بدليل قوله لنرسل عليهم حجارة وقيل مما كتب الله ان يعذب به من السجل
وسجل لفلان منضود نضد في السماء نضدا معدة للعذاب وقيل يرسل بعضه في اثر بعض متتابعا
مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد مسومة معلمة للعذاب وعن الحسن كانت معلمة
ببياض وحمرة وقيل عليها سيما يعلم بها انها ليست من حجارة الارض وقيل مكتوب على كل واحد اسم من يرمى به
وما هي من كل ظالم ببعيد وفيه وعيد لاهل مكة وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سأل جبريل فقال يعني ظالمي امتك
ما من ظالم منهم الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل الضمير للقرى اي هي قريبة من ظالمي مكة يمرون بها في مسيرهم
بعيد بشيء بعيد ويجوز ان يراد وما هي بمكان بعيد لانها وان كانت في السماء وهي مكان بعيد الا انها اذا اهويت منها
فهي اسرع شيء لحوقا بالمرمي فكانها بمكان قريب منه والى مدين اخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا
الله ما لكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان اني اراكم بخير واني اخاف عليكم
عذاب يوم محيط اني اراكم بخير يريد بثروة وسعة تغنيكم عن التطفيف او اراكم بنعمة من الله حقها ان تقابل
بغير ما تفعلون او اراكم بخير فلا تزيلوه عنكم بما انتم عليه كقول مؤمن آل فرعون يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض
فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا يوم محيط مهلك من قوله واحيط بثمره واصله من احاطة العدو **فان قلت**
وصف العذاب بالاحاطة ابلغ ام وصف اليوم بها **قلت** بل وصف اليوم لان اليوم زمان يشتمل على الحوادث
فاذا احاط بعذابه فقد اجتمع للمعذب ما اشتمل عليه منه كما اذا احاط بنعيمه ويا قوم اوفوا المكيال والميزان
بالقسط ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين **فان قلت**
النهي عن النقصان امر بالايفاء فما فائدة قوله اوفوا **قلت** نهوا اولا عن عين القبيح الذي كانوا عليه من نقص
المكيال والميزان لان في التصريح بالقبيح نعيا على المنهي وتعييرا له ثم ورد الامر بالايفاء الذي هو حسن في العقول مصرحا

بلفظ الزيادة ترغيب فيه وبعث عليه وجئ به مقيدا بالقسط اى ليكن الايفاء على وجه العدل والتسوية من غير زيادة ولا نقصان امرا بما هو الواجب لان ما جاوز العدل فضل وامر مندوب اليه وفيه توقيف على ان الموفي عليه ان ينوي بالوفاء القسط لان الايفاء وجه حسنه انه قسط وعدل فهذه ثلث فوائد البخس الهضم والنقص ويقال للمكس البخس قال زهير وفي كل ما باع امرؤ بخس درهم اى مكس درهم وكانوا يأخذون من كل شئ يباع شيئا كما يفعل السماسرة او كانوا يمكسون الناس او كانوا ينقصون من اثمان ما يشترون من الاشياء فنهوا عن ذلك والعثى في الارض نحو السرقة والغارة وقطع السبيل ويجوز ان يجعل التطفيف والبخس عثيا منهم في الارض • بقيت الله خير لكم ان كنتم مؤمنين وما انا عليكم بحفيظ • بقية الله ما يبقى لكم من الحلال بعد التنزه عما هو حرام عليكم خير لكم ان كنتم مؤمنين بشرط ان تؤمنوا فان قلت بقية الله خير للكفرة لانهم يسلمون معها من تبعة البخس والتطفيف فلم شرط الايمان قلت لظهور فائدتها مع الايمان من حصول الثواب مع النجاة من العقاب وخفاء فائدتها مع فقده لانغماس صاحبها في غمرات الكفر وفي ذلك استعظام للايمان وتنبيه على جلالة شانه ويجوز ان يراد ان كنتم مصدقين لي فيما اقول لكم وانصح به اياكم ويجوز ان يراد ما يبقى لكم عند الله من الطاعات خير لكم كقوله تعالى والباقيات الصالحات خير عند ربك واضافة البقية الى الله تعالى من حيث انها رزقه الذي يجوز ان يضاف اليه واما الحرام فلا يضاف الى الله ولا يسمى رزقا واذا اريد بها الطاعة فكما تقول طاعة الله وقرئ تقية الله بالتاء وهي تقواه ومراقبته التي تصرف عن المعاصي والقبائح وما انا عليكم بحفيظ وما بعثت لاحفظ عليكم اعمالكم واجازيكم عليها وانما بعثت مبلغا ومنبها على الخير وناصحا وقد اعذرت حين انذرت • قالوا يا شعيب اصلوتك تامرك ان نترك ما يعبد اباؤنا او ان نفعل في اموالنا ما نشاء انك لانت الحليم الرشيد كان شعيب عليه السلام كثير الصلوات وكان قومه اذا راوه يصلي تغامزوا وتضاحكوا فقصدوا بقولهم اصلوتك تامرك السخرية والهزء والصلوة وان جاز ان تكون آمرة على طريق المجاز كما كانت ناهية في قوله تعالى ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وان يقال ان الصلوة تامر بالجميل والمعروف كما يقال تدعو اليه وتبعث عليه الا انهم ساقوا الكلام مساق الطنز وجعلوا الصلوة آمرة على سبيل التهكم بصلاته وارادوا ان هذا الذي تامرنا به من ترك عبادة الاوثان باطل لا وجه لصحته وان مثله لا يدعوك اليه داعي عقل ولا يامرك به آمر فطنة فلم يبق الا ان يامرك به آمر هذيان ووسوسة شيطان وهو صلوتك التي تداوم عليها في ليلك ونهارك وعندهم انها من باب الجنون ومما يتولع به المجانين والموسوسون من بعض الاقوال والافعال ومعنى تامرك ان نترك تامرك بتكليف ان نترك ما يعبد اباؤنا فحذف المضاف الذي هو التكليف لان الانسان لا يؤمر بفعل غيره وقرئ اصلاتك بالتوحيد وقرأ ابن ابي عبلة او ان تفعل في اموالنا ما تشاء بتاء الخطاب فيهما وهو ما كان يامرهم به من ترك التطفيف والبخس والاقتناع بالحلال القليل من الحرام الكثير وقيل كان ينهاهم عن حذف الدراهم والدنانير وتقطيعها وارادوا بقولهم انك لانت الحليم الرشيد نسبته الى غاية السفه والغي ليتهكموا به كما يتهكم بالشحيح الذي لا يبض حجره فيقال له لو ابصرك حاتم لسجد لك وقيل معناه انك للمتواصف بالحلم والرشد في قومك يعنون ان ما تامر به لا يطابق حالك وما شهرت به • قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقا حسنا وما اريد ان اخالفكم الى ما انهيكم عنه ان اريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب ورزقني منه اى من لدنه رزقا حسنا وهو ما رزقه من النبوة والحكمة وقيل رزقا حسنا حلالا طيبا من غير بخس ولا تطفيف فان قلت اين جواب ارايتم وما له لم يثبت كما ثبت في قصة نوح ولوط عليهما السلام قلت جوابه محذوف وانما لم يثبت لان اثباته في القصتين دل على مكانه ومعنى الكلام ينادي عليه والمعنى اخبروني ان كنت على حجة واضحة ويقين من ربي وكنت نبيا على الحقيقة ايصح لي ان لا آمركم بترك عبادة الاوثان والكف عن المعاصي والانبياء لا يبعثون الا لذلك يقال خالفني فلان الى كذا اذا قصده وانت مول عنه وخالفني عنه اذا ولى عنه وانت قاصده ويلقاك الرجل صادرا عن الماء فتسأله عن صاحبه فيقول خالفني الى الماء يريد انه قد ذهب اليه واردا وانا ذاهب عنه صادرا ومنه قوله تعالى وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه يعني ان اسبقكم الى شهواتكم التي نهيتكم عنها لاستبد بها دونكم ان اريد الا الاصلاح ما اريد الا

ان

ان اصلحكم بموعظتي ونصيحتي وامري بالمعروف ونهيي عن المنكر ما استطعت ظرف اى مدة استطاعتي للاصلاح وما دمت متمكنا منه لا آلو فيه جهدا او بدل من الاصلاح اى المقدار الذي استطعته منه ويجوز ان يكون على تقدير حذف المضاف على قولك الا الاصلاح اصلاح ما استطعت او مفعول له كقوله ضعيف النكاية اعداءه اى ما اريد الا ان اصلح ما استطعت اصلاحه من فاسدكم وما توفيقي الا بالله وما كوني موفقا لاصابة الحق فيما آتي واذر ووقوعه موافقا لرضا الله الا بمعونته وتاييده والمعنى انه استوفق ربه في امضاء الامر على سننه وطلب منه التاييد والاظهار على عدوه وفي ضمنه تهديد للكفار وحسم لاطماعهم فيه • ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح او قوم هود او قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد • جرم مثل كسب في تعديه الى مفعول واحد والى مفعولين تقول جرم ذنبا وكسبه وجرمته ذنبا وكسبته اياه قال جرمت فزارة بعدها ان يغضبوا ومنه قوله لا يجرمنكم شقاقي ان يصيبكم اى لا يكسبنكم شقاقي اصابة العذاب وقرأ ابن كثير بضم الياء من اجرمته ذنبا اذا جعلته جارما له اى كاسبا وهو منقول من جرم المتعدي الى مفعول واحد كما نقل اكسبه المال من كسب المال وكما لا فرق بين كسبته مالا واكسبته اياه فكذلك لا فرق بين جرمته ذنبا واجرمته اياه والقراءتان مستويتان في المعنى لا تفاوت بينهما الا ان المشهورة افصح لفظا كما ان كسبته مالا افصح من اكسبته والمراد بالفصاحة انه على السنة الفصحاء من العرب الموثوق بعربيتهم ادور وهم له اكثر استعمالا وقرأ ابو حيوة ورويت عن نافع مثل ما اصاب بالفتح لاضافته الى غير متمكن كقوله لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت • وما قوم لوط منكم ببعيد يعني انهم اهلكوا في عهد قريب من عهدكم فهم اقرب الهالكين منكم او لا يبعدون منكم في الكفر والمساوي وما يستحق به الهلاك فان قلت ما لبعيد لم يرد على ما يقتضيه قوم من حمله على لفظه او معناه قلت اما ان يراد وما اهلاكهم ببعيد او وما هم بشئ بعيد او بزمان او مكان بعيد ويجوز ان يسوي في بعيد وقريب وقليل وكثير بين المذكر والمؤنث لورودها على زنة المصادر التي هي الصهيل والنهيق ونحوهما • واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه ان ربي رحيم ودود • رحيم ودود عظيم الرحمة للتائبين فاعل بهم ما يفعل البليغ المودة بمن يوده من الاحسان والاجمال • قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول وانا لنريك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما انت علينا بعزيز • قال يا قوم ارهطي اعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا ان ربي بما تعملون محيط • ما نفقه كثيرا مما تقول لانهم كانوا لا يلقون اليه اذهانهم رغبة عنه وكراهية له كقوله تعالى وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه او كانوا يفهمونه ولكنهم لم يقبلوه فكانهم لم يفقهوه وقالوا ذلك على وجه الاستهانة به كما يقول الرجل لصاحبه اذا لم يعبأ بحديثه ما ادري ما تقول او جعلوا كلامه هذيانا وتخليطا لا ينفعهم كثير منه وكيف لا يفقهون كلامه وهو خطيب الانبياء وقيل كان الثغ فينا ضعيفا لا قوة لك ولا عز فيما بيننا فلا تقدر على الامتناع منا ان اردنا بك مكروها وعن الحسن ضعيفا مهينا وقيل ضعيفا اعمى وحمير تسمي المكفوف ضعيفا كما يسمى ضريرا وليس بسديد لان فينا يأباه الا ترى انه لو قيل انا لنريك فينا اعمى لم يكن كلاما لان الاعمى اعمى فيهم وفي غيرهم ولذلك قللوا قومه حيث جعلوهم رهطا والرهط من الثلثة الى العشرة وقيل الى السبعة وانما قالوا ولولا رهطك احتراما لهم واعتدادا بهم لانهم كانوا على ملتهم لا خوفا من شوكتهم وعزتهم لرجمناك لقتلناك شر قتلة وما انت علينا بعزيز اى لا تعز علينا ولا تكرم حتى نكرمك من القتل ونرفعك عن الرجم وانما يعز علينا رهطك لانهم من اهل ديننا لم يختاروك علينا ولم يتبعوك دوننا وقد دل ايلاء ضميره حرف النفي على ان الكلام واقع في الفاعل لا في الفعل كانه قيل وما انت علينا بعزيز بل رهطك هم الاعزة علينا ولذلك قال في جوابهم ارهطي اعز عليكم من الله ولو قيل وما عززت علينا لم يصح هذا الجواب فان قلت فالكلام واقع فيه وفي رهطه وانهم الاعزة عليهم دونه فكيف صح قوله ارهطي اعز عليكم من الله قلت تهاونهم به وهو نبي الله تهاون بالله تعالى فحين عز عليهم رهطه دونه كان رهطه اعز عليهم من الله عز وجل الا ترى الى قوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله واتخذتموه وراءكم ظهريا ونسيتموه وجعلتموه كالشئ المنبوذ وراء الظهر لا يعبأ به والظهري منسوب الى الظهر والكسر من تغييرات النسب ونظيره قولهم في النسبة الى الامس امسي ان ربي بما تعملون محيط قد احاط باعمالكم علما فلا يخفى عليه شئ منها • ويا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل سوف تعلمون • على مكانتكم لا تخلو المكانة من ان تكون بمعنى المكان يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة او تكون مصدرا من مكن مكانة

اعتزال

فهو يمكين والمعنى اعملوا قادرين على جهتكم التي انتم عليها من الشرك والشنآن لي او اعملوا متمكنين من عداوتي مطيقين
لها اني عامل على حسب ما يوتيني الله تعالى من النصرة والتأييد ويمكنني ● من يأتيه عذاب يخزيه ومن
هو كاذب وارتقبوا اني معكم رقيب ● من يأتيه يجوز ان تكون من استفهامية معلقة لفعل
العلم عن عمله فيها كانه قيل سوف تعلمون ايّنا يأتيه عذاب يخزيه وايّنا هو كاذب وان تكون موصولة قد عمل فيها كانه قيل
سوف تعلمون الشقي الذي يأتيه عذاب يخزيه والذي هو كاذب فان قلت اي فرق بين ادخال الفاء ونزعها
في سوف تعلمون قلت ادخال الفاء وصل ظاهر بحرف موضوع للوصل ونزعها وصل خفي تقديري بالاستئناف
الذي هو جواب لسؤال مقدر كانهم قالوا فماذا يكون اذا عملنا نحن على مكانتنا وعملت انت فقال سوف تعلمون فوصل
تارة بالفاء وتارة بالاستئناف للتفنن في البلاغة كما هو عادة بلغاء العرب واقوى الوصلين وابلغهما الاستئناف وهو باب
من ابواب علم البيان تتكاثر محاسنه وارتقبوا وانتظروا العاقبة وما اقول لكم اني معكم رقيب اي منتظر والرقيب بمعنى
الراقب من رقبه كالضريب والصريم بمعنى الضارب والصارم او بمعنى المراقب كالعشير والنديم او بمعنى المرتقب كالفقير والرفيع
بمعنى المفتقر والمرتفع فان قلت قد ذكر عملهم على مكانتهم وعمله على مكانته ثم اتبعه ذكر عاقبة العاملين منه
ومنهم فكان القياس ان يقول من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو صادق حتى ينصرف من يأتيه عذاب يخزيه الى الجاحدين
ومن هو صادق الى النبي المبعوث اليهم قلت القياس ما ذكرت ولكنهم لما كانوا يدعونه كاذبا قال ومن هو كاذب يعني
في زعمكم ودعواكم تجهيلا لهم ● ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا واخذت
الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين ● فان قلت ما بال ساقتي قصة عاد
وقصة مدين جاءتا بالواو والساقتان الوسطيان بالفاء قلت قد وقعت الوسطيان بعد ذكر الوعد وذلك
قوله تعالى ان موعدهم الصبح ذلك وعد غير مكذوب فجيء بالفاء الذي هو للتسبيب كما تقول وعدته فلما جاء الميعاد كان كيت وكيت
واما الاخريان فلم تقعا بتلك المثابة وانما وقعتا مبتدأتين فكان حقهما ان تعطفا بحرف الجمع على ما قبلهما كما تعطف قصة
على قصة الجاثم اللازم لمكانه لا يريم كاللابد يعني ان جبريل صاح بهم صيحة فزهق روح كل واحد منهم بحيث هو قعصا ●
كأن لم يغنوا فيها الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود ● كأن لم يغنوا كأن لم يقيموا في ديارهم احياء متصرفين
مترددين البعد بمعنى البعد وهو الهلاك كالرشد بمعنى الرشد الا ترى الى قوله كما بعدت وقرأ السلمي بعدت بضم
العين والمعنى في البنائين واحد وهو نقيض القرب الا انهم ارادوا التفصلة بين البعد من جهة الهلاك وبين غيره
فغيروا البناء كما فرقوا بين ضماني الخير والشر فقالوا وعد واوعد وقراءة السلمي جارية على الاصل اعتبارا لمعنى البعد
من غير تخصيص كما يقال ذهب فلان ومضى في معنى الموت وقيل معناه بعدا لهم من رحمة الله كما بعدت ثمود منها ●
ولقد ارسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين ● بآياتنا وسلطان مبين فيه وجهان ان يراد ان
هذه الآيات فيها سلطان مبين لموسى على صدق نبوته وان يراد بالسلطان المبين العصا لانها ابهرها ●
الى فرعون وملائه فاتبعوا امر فرعون وما امر فرعون برشيد ● يقدم قومه يوم القيمة
فاوردهم النار وبئس الورد المورود ● وما امر فرعون برشيد تجهيل لمتبعيه حيث شايعوه على امره
وهو ضلال مبين لا يخفى على من له ادنى مسكة من العقل وذلك انه ادعى الالهية وهو بشر مثلهم وجاهر بالعسف والظلم
والشر الذي لا يأتي الا من شيطان مارد فمثله بمعزل من الالهية ذاتا وافعالا فاتبعوه وسلموا له دعواه وتتابعوا على امره
والامر الرشيد الذي فيه رشد اي وما في امره رشد انما هو غي صريح وضلال ظاهر مكشوف وانما يتبع العقلاء من يرشدهم
ويهديهم لا من يضللهم ويغويهم وفيه انهم عاينوا الآيات والسلطان المبين في امر موسى عليه السلام وعلموا ان معه الرشد
والحق ثم عدلوا عن اتباعه الى اتباع من ليس في امره رشد قط يقدم قومه اي كما كان قدوة لهم في الضلال كذلك يتقدمهم
الى النار وهم يتبعونه ويجوز ان يريد بقوله وما امر فرعون برشيد وما امره بصالح حميد العاقبة ويكون قوله يقدم قومه
تفسيرا لذلك وايضاحا اي كيف يرشد امر من هذه عاقبته والرشد مستعمل في كل ما يحمد ويرتضى كما استعمل الغي في
كل ما يذم ويتسخط ويقال قدمه بمعنى تقدمه ومنه قادمة الرحل كما يقال قدمه بمعنى تقدمه ومنه مقدمة الجيش واقدم
بمعنى تقدم ومنه مقدم العين فان قلت هلا قيل يقدم قومه فيوردهم ولم جيء بلفظ الماضي قلت

القعص الموت الوحي يقال مات فلان قعصا اذا اصابته ضربة او رمية فمات مكانه اقعصت الرجل اذا قتلته مكانه في الحال ٥

لان الماضي يدل على امر موجود مقطوع به فكانه قيل يقدمهم فيوردهم النار لا محالة والورد المورود الذي
ورد وه شبه بالفارط الذي يتقدم الواردة الى الماء وشبه اتباعه بالواردة ثم قيل بئس الورد الذي يردونه النار
لان الورد انما يراد لتسكين العطش وتبريد الاكباد والنار ضده ● واتبعوا في هذه لعنة ويوم
القيمة بئس الرفد المرفود ● واتبعوا في هذه في هذه الدنيا لعنة اي يلعنون في الدنيا ويلعنون في الآخرة
بئس الرفد المرفود رفدهم اي بئس العون المعان وذلك ان اللعنة في الدنيا رفد للعذاب ومدد له وقد رفدت
باللعنة في الآخرة وقيل بئس العطاء المعطى ● ذلك من انباء القرى نقصه عليك منها
قائم وحصيد ● ذلك مبتدأ من انباء القرى نقصه عليك خبر بعد خبر اي ذلك النبأ بعض انباء القرى
المهلكة مقصوص عليك ومنها الضمير للقرى اي بعضها باق وبعضها عافي الاثر كالزرع القائم على ساقه والذي حصد
فان قلت ما محل هذه الجملة قلت هي مستأنفة لا محل لها ● وما ظلمناهم ولكن
ظلموا انفسهم فما اغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما
جاء امر ربك وما زادوهم غير تتبيب ● وما ظلمناهم باهلاكنا اياهم ولكن ظلموا انفسهم بارتكاب
ما به اهلكوا فما اغنت عنهم آلهتهم فما قدرت ان ترد عنهم بأس الله يدعون يعبدون وهي حكاية حال ماضية ولما
منصوب باغنت امر ربك عذابه ونقمته تتبيب تخسير يقال تب اذا خسر وتببه غيره اذا اوقعه في الخسران ●
وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذه اليم شديد ● محل الكاف الرفع
تقديره ومثل ذلك الاخذ اخذ ربك والنصب فيمن قرأ وكذلك اخذ ربك بلفظ الفعل وقرئ اذ اخذ القرى
وهي ظالمة حال من القرى اليم شديد وجيع صعب على المأخوذ وهذا تحذير من وخامة عاقبة الظلم لكل اهل قرية ظالمة من
كفار مكة وغيرها بل لكل من ظلم غيره او نفسه بذنب يقترفه فعلى كل من اذنب ان يحذر اخذ ربه الاليم الشديد فيبادر التوبة
ولا يغتر بالامهال ● ان في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك
يوم مشهود ● ذلك اشارة الى ما قص الله من قصص الامم الهالكة بذنوبهم لآية لمن خاف لعبرة له لانه ينظر
الى ما احل الله تعالى بالمجرمين في الدنيا وما هو الا انموذج مما اعد لهم في الآخرة فاذا رأى عظمه وشدته اعتبر به عظم العذاب
الموعود فيكون له عبرة وعظة ولطفا في زيادة التقوى والخشية من الله ونحوه ان في ذلك لعبرة لمن يخشى ذلك اشارة
الى يوم القيمة لان عذاب الآخرة دل عليه والناس رفع باسم المفعول الذي هو مجموع كما يرفع بفعله اذا قلت يجمع له الناس
فان قلت لاي فائدة اوثر اسم المفعول على فعله قلت لما في اسم المفعول من دلالته على ثبات معنى
الجمع لليوم وانه يوم لا بد من ان يكون ميعادا مضروبا لجمع الناس له وانه الموصوف بذلك صفة لازمة وهو اثبت ايضا
لاسناد الجمع الى الناس وانهم لا ينفكون منه ونظيره قول المتهدد انك لمنهوب مالك محروب قومك فيه من تمكن
الوصف وثباته ما ليس في الفعل وان شئت فوازن بينه وبين قوله يوم يجمعكم ليوم الجمع تعثر على صحة ما قلت لك ومعنى يجمعون له
يجمعون لما فيه من الحساب والثواب والعقاب يوم مشهود مشهود فيه فاتسع في الظرف باجرائه مجرى المفعول به كقوله
ويوم شهدناه سليما وعامرا ● اي يشهد فيه الخلائق الموقف لا يغيب عنه احد والمراد بالمشهود الذي كثر شاهدوه
ومنه قولهم لفلان مجلس مشهود وطعام محضور قال في محفل من نواصي الناس مشهود فان قلت
ما منعك ان تجعل اليوم مشهودا في نفسه دون ان تجعله مشهودا فيه كما قال الله تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه قلت
الغرض وصف ذلك اليوم بالهول الشديد والعظم وتميزه من بين الايام فان جعلته مشهودا في نفسه فسائر الايام كذلك
مشهودات كلها ولكن يجعل مشهودا فيه حتى يحصل التميز كما تميز يوم الجمعة عن ايام الاسبوع بكونه مشهودا فيه دونها
ولم يجز ان يكون مشهودا في نفسه لان سائر ايام الاسبوع مثله يشهدها كل من يشهده وكذلك قوله فمن شهد منكم الشهر
فليصمه الشهر منتصب ظرفا لا مفعولا به وكذلك الضمير في فليصمه والمعنى فمن شهد منكم في الشهر فليصم فيه يعني فمن كان
منكم مقيما حاضرا الوطن في شهر رمضان فليصم فيه ولو نصبته مفعولا فالمسافر والمقيم كلاهما يشهدان الشهر لا يشهده المقيم
ويغيب عنه المسافر ● وما نؤخره الا لاجل معدود ● الاجل يطلق على مدة التأجيل كلها وعلى منتهاها
فيقولون انتهى الاجل وبلغ الاجل آخره ويقولون حل الاجل فاذا جاء اجلهم يراد آخر مدة التأجيل والعد انما هو للمدة لا لغايتها

قيل من الطعن الذي يدارك نوافذه تامه
ومشهد قد كفيت الغائبين اوله

ومنتهاه فيمحى قوله وما نؤخره الا لاجل معدود الا لانتهاء مدة معدودة بحذف المضاف وقرئ وما يؤخره بالياء
يوم يأت لا تكلم نفس الا باذنه فمنهم شقي وسعيد • قرئ يوم يأت بغير ياء ونحوه قولهم لا ادر
حكاه الخليل وسيبويه وحذف الياء والاجتزاء عنها بالكسرة كثير في لغة هذيل **فان قلت** فاعل يأتي ما هو
قلت الله عز وجل كقوله تعالى هل ينظرون الا ان يأتيهم الله او يأتي ربك وجاء ربك ويعضده قراءة من قرأ
وما يؤخره بالياء وقوله باذنه ويجوز ان يكون الفاعل ضمير اليوم كقوله تعالى ان تأتيهم الساعة **فان قلت**
بم انتصب الظرف **قلت** اما ان ينتصب بلا تكلم واما باضمار اذكر واما بالانتهاء المحذوف في قوله الا لاجل معدود
اي ينتهي الاجل يوم يأتي **فان قلت** فاذا جعلت الفاعل ضمير اليوم فقد جعلت اليوم وقتا لاتيان اليوم وحدد
الشيء بنفسه **قلت** المراد اتيان هوله وشدائده لا تكلم لا تتكلم وهو نظير قوله لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن
فان قلت كيف يوفق بين هذا وبين قوله تعالى يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وقوله تعالى هذا يوم لا ينطقون
ولا يؤذن لهم فيعتذرون **قلت** ذلك يوم طويل له مواقف ومواطن ففي بعضها يجادلون عن انفسهم وفي
بعضها يكفون عن الكلام فلا يؤذن لهم وفي بعضها يؤذن لهم فيتكلمون وفي بعضها يختم على افواههم وتكلم ايديهم
وتشهد ارجلهم فمنهم الضمير لاهل الموقف ولم يذكروا لان ذلك معلوم ولان قوله لا تكلم نفس يدل عليه وقد مر ذكر الناس
في قوله مجموع له الناس الشقي الذي وجبت له النار لاساءته والسعيد الذي وجبت له الجنة لاحسانه •
فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق • قراءة العامة بفتح الشين وعن الحسن شقوا
بالضم كما قرئ سعدوا والزفير اخراج النفس والشهيق رده قال الشماخ • بعيد مدى التطريب اول صوته زفير ويتلوه
شهيق محشرج • خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك ان ربك فعال
لما يريد • واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا
ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ • ما دامت السموات والارض فيه وجهان احدهما ان يراد سموات الآخرة
وارضها وهي دائمة مخلوقة للابد والدليل على ان لها سموات وارضا قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات
وقوله عز وجل واورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء ولانه لا بد لاهل الآخرة مما يقلهم ويظلهم اما سماء يخلقها الله
او يظلهم العرش وكل ما اظلك فهو سماء • والثاني ان يكون عبارة عن التأبيد ونفي الانقطاع كقول العرب ما دام تعار
وما اقام ثبير وما لاح كوكب وغير ذلك من كلمات التأبيد **فان قلت** فما معنى الاستثناء في قوله الا ما شاء
ربك وقد ثبت خلود اهل الجنة والنار في الابد من غير استثناء **قلت** هو استثناء من الخلود في عذاب النار ومن
الخلود في نعيم الجنة وذلك ان اهل النار لا يخلدون في عذاب النار وحده بل يعذبون بالزمهرير وبانواع من العذاب
سوى عذاب النار وبما هو اغلظ منها كلها وهو سخط الله تعالى عليهم وخسؤه لهم واهانته اياهم وكذلك اهل الجنة لهم
سوى الجنة ما هو اكبر منها واجل موقعا منهم وهو رضوان الله كما قال تعالى وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من
تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله اكبر ولهم ما يتفضل الله تعالى به عليهم سوى
ثواب الجنة مما لا يعرف كنهه الا هو فهو المراد بالاستثناء والدليل عليه قوله عطاء غير مجذوذ ومعنى قوله في مقابلته
ان ربك فعال لما يريد انه يفعل باهل النار ما يريد من العذاب كما يعطي اهل الجنة عطاءه الذي لا انقطاع له فتأمله
فان القرآن يفسر بعضه بعضا ولا يخدعنك عنه قول المجبرة ان المراد بالاستثناء خروج اهل الكبائر من النار بالشفاعة
فان الاستثناء الثاني ينادي على تكذيبهم ويسجل بافترائهم وما ظنك بقوم نبذوا كتاب الله لما روى لهم بعض النوابت
عن عبد الله بن عمرو بن العاص ليأتين على جهنم يوم تصفق فيه ابوابها ليس فيها احد وذلك بعد ما يلبثون فيها احقابا
وقد بلغني ان من الضلال من اغتر بهذا الحديث فاعتقد ان الكفار لا يخلدون في النار وهذا ونحوه والعياذ بالله تعالى
من الخذلان المبين زادنا الله تعالى هداية الى الحق ومعرفة بكتابه وتنبيها على ان نعقل عنه ولئن صح هذا عن ابن العاص
فمعناه انهم يخرجون من حر النار الى برد الزمهرير فذلك خلو جهنم وصفق ابوابها واقول ما كان لابن عمرو في
سيفيه ومقاتلته بهما علي بن ابي طالب ما يشغله عن تسيير هذا الحديث غير مجذوذ غير مقطوع ولكنه ممتد الى غير نهاية كقوله
لهم اجر غير ممنون • فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء ما يعبدون الا كما يعبد اباؤهم

من

من قبل وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص • لما قص قصص عبدة الاوثان وذكر ما احل بهم من
نقمته وما اعد لهم من عذابه قال فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء اي فلا تشك بعد ما انزل عليك من هذه القصص في
سوء عاقبة عبادتهم وتعرضهم بها لما اصاب امثالهم قبلهم تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعدة بالانتقام منهم
ووعيدا لهم ثم قال ما يعبدون الا كما يعبد اباؤهم يريد ان حالهم في الشرك مثل حال ابائهم من غير تفاوت بين الحالين
وقد بلغك ما نزل بابائهم فسينزل بهم مثله وهو استئناف معناه تعليل النهي عن المرية وما في مما وكما يجوز ان تكون
مصدرية وموصولة اي من عبادتهم وكعبادتهم او مما يعبدون من الاوثان ومثل ما يعبدون منها وانا لموفوهم نصيبهم
اي حظهم من العذاب كما وفينا اباءهم انصباءهم **فان قلت** كيف نصب غير منقوص حالا عن النصيب الموفى
قلت يجوز ان يوفى وهو ناقص ويوفى وهو كامل الا تراك تقول وفيته شطر حقه وثلث حقه وحقه كاملا وناقصا
ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم وانهم لفي
شك منه مريب • فاختلف فيه آمن به قوم وكفر به قوم كما اختلف في كتابك القرآن ولولا كلمة يعني كلمة الانظار
الى يوم القيامة لقضي بينهم بين قوم موسى او قومك وهذه من جملة التسلية ايضا • وان كلا لما ليوفينهم ربك
اعمالهم انه بما يعملون خبير • وان كلا التنوين عوض من المضاف اليه يعني وان كلهم وان جميع المختلفين فيه
ليوفينهم جواب قسم محذوف واللام في لما موطئة للقسم وما مزيدة والمعنى وان جميعهم والله ليوفينهم ربك
اعمالهم من حسن وقبيح وايمان وجحود وقرئ وان كلا بالتخفيف على اعمال المخففة عمل المثقلة اعتبارا لاصلها
الذي هو التثقيل وقرأ ابي وان كل لما ليوفينهم على ان ان نافية ولما بمعنى الا وقراءة عبد الله مفسرة لها وان كل
الا ليوفينهم وقرأ الزهري وسليمان بن ارقم وان كلا لما ليوفينهم بالتنوين كقوله اكلا لما والمعنى وان كلا ملمومين
بمعنى مجموعين كانه قيل وان كلا جميعا كقوله فسجد الملائكة كلهم اجمعون • فاستقم كما امرت ومن تاب
معك ولا تطغوا انه بما تعملون بصير • فاستقم كما امرت فاستقم استقامة مثل الاستقامة
التي امرت بها على جادة الحق غير عادل عنها ومن تاب معك معطوف على المستتر في استقم وانما جاز العطف عليه
ولم يؤكد بمنفصل لقيام الفاصل مقامه والمعنى فاستقم انت وليستقم من تاب عن الكفر وآمن معك ولا تطغوا ولا
تخرجوا عن حدود الله انه بما تعملون بصير عالم فهو مجازيكم به فاتقوه • وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما نزلت على رسول
الله صلى الله عليه وسلم في جميع القرآن آية كانت اشد ولا اشق عليه من هذه الآية ولهذا قال شيبتني هود والواقعة واخواتها
وروي ان اصحابه قالوا له لقد اسرع فيك الشيب فقال شيبتني هود • وعن بعضهم قال رأيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت له روي عنك انك قلت شيبتني هود فقال نعم فقلت ما الذي شيبك منها
اقصص الانبياء وهلاك الامم قال لا ولكن قوله فاستقم كما امرت • وعن جعفر الصادق فاستقم كما امرت فافتقر
الى الله بصحة العزم • ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من
دون الله من اولياء ثم لا تنصرون • قرئ ولا تركنوا بفتح الكاف وضمها مع فتح التاء وعن
ابي عمرو بكسر التاء وفتح الكاف على لغة تميم في كسرهم حروف المضارعة الا الياء في كل ما كان من باب علم يعلم ونحوه قراءة
من قرأ فتمسكم النار بكسر التاء وقرأ ابن ابي عبلة ولا تركنوا على البناء للمفعول من اركنه اذا امالة والنهي متناول
للانحطاط في هواهم والانقطاع اليهم ومصاحبتهم ومجالستهم وزيارتهم ومداهنتهم والرضا باعمالهم والتشبه بهم والتزيي
بزيهم ومد العين الى زهرتهم وذكرهم بما فيه تعظيم لهم وتأمل قوله تعالى ولا تركنوا فان الركون هو الميل اليسير وقوله الى الذين
ظلموا اي الى الذين وجد منهم الظلم ولم يقل الى الظالمين • وروي ان الموفق صلى خلف الامام فقرأ بهذه الآية فغشي عليه فلما
افاق قيل له فقال هذا فيمن ركن الى من ظلم فكيف بالظالم • وعن الحسن رحمه الله تعالى جعل الله تعالى الدين بين لاءين
ولا تطغوا ولا تركنوا • ولما خالط الزهري السلاطين كتب اليه اخ له في الدين عافانا الله واياك ابا بكر من الفتن
فقد اصبحت بحال ينبغي لمن عرفك ان يدعو لك الله ويرحمك اصبحت شيخا كبيرا وقد اثقلتك نعم الله بما فهمك من
كتابه وعلمك من سنة نبيه وليس كذلك اخذ الله تعالى الميثاق على العلماء قال الله سبحانه لتبيننه للناس ولا تكتمونه
واعلم ان ايسر ما ارتكبت واخف ما احتملت انك آنست وحشة الظالم وسهلت سبيل الغي بدنوك ممن لم يؤد حقا

ولم يزرك باطلا حين ادناك اتخذوك قطبا تدور عليك رحى باطلهم وجسرا يعبرون عليك الى بلائهم وسلما يصعدون فيك الى ضلالهم يدخلون الشك بك على العلماء ويقتادون بك قلوب الجهلاء فما ايسر ما عمروا لك فى جنب ما خربوا عليك وما اكثر ما اخذوا منك فيما افسدوا عليك من دينك فما يؤمنك ان تكون ممن قال الله فيهم فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا فانك تعامل من لا يجهل ويحفظ عليك من لا يغفل فداو دينك فقد دخله سقم وهيئ زادك فقد حضر السفر البعيد وما يخفى على الله من شئ فى الارض ولا فى السماء والسلام وقال سفيان فى جهنم واد لا يسكنه الا القراء الزائرون للملوك وعن الاوزاعى ما من شئ ابغض الى الله تعالى من عالم يزور عاملا وعن محمد بن مسلمة الذباب على العذرة احسن من قارئ على باب هؤلاء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعا لظالم بالبقاء فقد احب ان يعصى الله فى ارضه ولقد سئل سفيان عن ظالم اشرف على الهلاك فى برية هل يسقى شربة ماء فقال لا فقيل له يموت فقال دعه يموت وما لكم من دون الله من اولياء حال من قوله فتمسكم اى فتمسكم النار وانتم على هذه الحال ومعناه وما لكم من دون الله من انصار يقدرون على منعكم من عذابه لا يقدر على منعكم منه غيره ثم لا تنصرون ثم لا ينصركم هو لانه وجب فى حكمته تعذيبكم وترك الابقاء عليكم **فان قلت** فما معنى ثم **قلت** معناها الاستبعاد لان النصرة من الله تعالى مستبعدة مع استيجابهم العذاب واقتضاء حكمته له

واقم الصلوة طرفى النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين

طرفى النهار غدوة وعشية وزلفا من الليل وساعات من الليل وهى ساعاته القريبة من آخر النهار من ازلفه اذا قربه وازدلف اليه وصلوة الغداة الفجر وصلوة العشية الظهر والعصر لان ما بعد الزوال عشى وصلوة الزلف المغرب والعشاء وانتصاب طرفى النهار على الظرف لانهما مضافان الى الوقت كقولك اقمت عنده جميع النهار واتيته نصف النهار واوله وآخره تنصب هذا كله على اعطاء المضاف حكم المضاف اليه ونحوه اطراف النهار وقرئ وزلفا بضمتين وزلفا بسكون اللام وزلفى بوزن قربى فالزلف جمع زلفة كظلم فى ظلمة والزلف بالسكون نحو بسرة وبسر والزلف بضمتين نحو بسر فى بسر والزلفى بمعنى الزلفة كما ان القربى بمعنى القربة وهو ما يقرب من آخر النهار من الليل وقيل وزلفا من الليل وقربا من الليل وحقها على هذا التفسير ان تعطف على الصلوة اى اقم الصلوة طرفى النهار واقم زلفا من الليل على معنى واقم صلوات تتقرب بها الى الله عز وجل فى بعض الليل ان الحسنات يذهبن السيئات فيه وجهان احدهما ان تكفر الصغاير بالطاعات وفى الحديث ان الصلوة الى الصلوة كفارة ما بينهما ما اجتنبت الكبائر والثانى ان الحسنات يذهبن بان يكن لطفا فى تركها كقوله تعالى ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقيل نزلت فى ابى اليسر عمرو بن غزية الانصارى كان يبيع التمر فاتته امرأة فاعجبته فقال لها ان فى البيت اجود من هذا التمر فذهب بها الى بيته فضمها الى نفسه وقبلها فقالت له اتق الله فتركها وندم فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بما فعل فقال انتظر امر ربى فلما صلى صلوة العصر نزلت فقال صلى الله عليه وسلم اصليت العصر فقال نعم فقال صلى الله عليه وسلم اذهب فانها كفارة لما عملت وروى انه اتى ابا بكر رضى الله عنه فاخبره فقال استر على نفسك وتب الى الله فاتى عمر رضى الله عنه فقال له مثل ذلك ثم اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فقال عمر اهذا له خاصة ام للناس عامة فقال بل للناس عامة وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له توضأ وضوءا حسنا وصل ركعتين ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك اشارة الى قوله تعالى فاستقم فما بعده ذكرى للذاكرين عظة للمتعظين **واصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين** ثم كر الى التذكير بالصبر بعدما جاء بما هو خاتمة للتذكير وهذا الكر لفضل خصوصية ومزية وتنبيه على مكان الصبر ومحله كانه قال وعليك بما هو اهم مما ذكرت به واحق بالتوصية وهو الصبر على امتثال ما امرت به والانتهاء عما نهيت عنه فلا يتم شئ منه الا به فان الله لا يضيع اجر المحسنين جاء بما هو مشتمل على الاستقامة واقامة الصلوات والانتهاء عن الطغيان والركون الى الظالمين والصبر وغير ذلك من الحسنات **فلولا كان من القرون من قبلكم اولوا بقية ينهون عن الفساد فى الارض الا قليلا ممن انجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه وكانوا مجرمين** فلولا كان من القرون فهلا كان وقد حكوا عن الخليل كل لولا فى القرآن فمعناها هلا الا التى فى الصافات وما صحت هذه الحكاية ففى غير الصافات لولا ان

تداركه

تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما ولولا رجال مؤمنون ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم اولوا بقية اولوا فضل وخير وسمى الفضل والجودة بقية لان الرجل يستبقى مما يخرجه اجوده وافضله فصار مثلا فى الجودة والفضل ويقال فلان من بقية القوم اى من خيارهم وبه فسر بيت الحماسة ان تذنبوا ثم تأتينى بقيتكم ومنه قولهم فى الزوايا خبايا وفى الرجال بقايا ويجوز ان تكون البقية بمعنى البقوى كالتقية بمعنى التقوى اى فهلا كان منهم ذوو ابقاء على انفسهم وصيانة لها من سخط الله وعقابه وقرئ اولوا بقية بوزن لقية من بقاه يبقيه اذا راقبه وانتظره ومنه بقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم والبقية المرة من مصدره والمعنى فلولا كان منهم اولوا مراقبة وخشية من انتقام الله تعالى كانهم ينتظرون ايقاعه بهم لاشفاقهم الا قليلا استثناء منقطع معناه ولكن قليلا ممن انجينا من القرون نهوا عن الفساد وسائرهم تاركون للنهى ومن فى ممن انجينا حقها ان تكون للبيان لا للتبعيض لان النجاة انما هى للناهين وحدهم بدليل قوله عز وجل انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا **فان قلت** هل لوقوع هذا الاستثناء متصلا وجه يحمل عليه **قلت** ان جعلته متصلا على ما عليه ظاهر الكلام كان المعنى فاسدا لانه يكون تحضيضا لاولى البقية على النهى عن الفساد الا للقليل من الناجين منهم كما تقول هلا قرأ قومك القرآن الا الصلحاء منهم تريد استثناء الصلحاء من المحضضين على قراءة القرآن وان قلت فى تحضيضهم على النهى عن الفساد معنى نفيه عنهم فكانه قيل ما كان من القرون اولوا بقية الا قليلا كان استثناء متصلا ومعنى صحيحا وكان انتصابه على اصل الاستثناء وان كان الافصح ان يرفع على البدل واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه اراد بالذين ظلموا تاركى النهى عن المنكرات اى لم يهتموا بما هو ركن عظيم من اركان الدين وهو الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وعقدوا هممهم بالشهوات واتبعوا ما عرفوا فيه التنعم والترف من حب الرياسة والثروة وطلب اسباب العيش الهنى ورفضوا ما وراء ذلك ونبذوه وراء ظهورهم وقرأ ابو عمرو فى رواية الجعفى واتبع الذين ظلموا يعنى واتبعوا جزاء ما اترفوا فيه ويجوز ان يكون المعنى فى القراءة المشهورة انهم اتبعوا جزاء اترافهم وهذا معنى قوى لتقدم الانجاء كانه قيل الا قليلا ممن انجينا منهم وهلك السائر **فان قلت** علام عطف قوله واتبع الذين ظلموا **قلت** ان كان معناه واتبعوا الشهوات كان معطوفا على مضمر لان المعنى الا قليلا ممن انجينا منهم نهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا شهواتهم فهو عطف على نهوا وان كان معناه واتبعوا جزاء الاتراف فالواو للحال كانه قيل انجينا القليل وقد اتبع الذين ظلموا جزاءهم **فان قلت** فقوله وكانوا مجرمين **قلت** على اترفوا اى اتبعوا الاتراف وكونهم مجرمين لان تابع الشهوات مغمور بالآثام او اريد بالاجرام اغفالهم للشكر او على اتبعوا اى اتبعوا شهواتهم وكانوا مجرمين بذلك ويجوز ان يكون اعتراضا وحكما عليهم بانهم قوم مجرمون **وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون** كان بمعنى صح واستقام واللام لتأكيد النفى وبظلم حال من الفاعل والمعنى واستحال فى الحكمة ان يهلك الله القرى ظالما لها واهلها قوم مصلحون تنزيها لذاته عن الظلم وايذانا بان اهلاك المصلحين من الظلم وقيل الظلم الشرك ومعناه انه لا يهلك القرى بسبب شرك اهلها وهم مصلحون يتعاطون الحق فيما بينهم ولا يضمون الى شركهم فسادا آخر

ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين

ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة يعنى لاضطرهم الى ان يكونوا اهل ملة واحدة اى ملة واحدة وهى ملة الاسلام كقوله تعالى ان هذه امتكم امة واحدة وهذا الكلام يتضمن نفى الاضطرار وانه لم يضطرهم الى الاتفاق على دين الحق ولكنه مكنهم من الاختيار الذى هو اساس التكليف فاختار بعضهم الحق وبعضهم الباطل فاختلفوا فلذلك قال ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك الا ناسا هداهم الله تعالى ولطف بهم فاتفقوا على دين الحق غير مختلفين فيه ولذلك خلقهم ذلك اشارة الى ما دل عليه الكلام الاول وتضمنه يعنى ولذلك من التمكين والاختيار الذى كان عنه الاختلاف خلقهم ليثيب مختار الحق بحسن اختياره ويعاقب مختار الباطل بسوء اختياره وتمت كلمة ربك وهى قوله للملائكة لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين لعلمه بكثرة من يختار الباطل **وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك فى هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين** وكلا التنوين فيه عوض من المضاف

اليه كأنه قيل وكل نبأ نقص عليك من انباء الرسل بيان لكل وما نثبت به فؤادك بدل من كلا ويجوز ان يكون المعنى
وكل اقتصاص نقص عليك على معنى وكل نوع من انواع الاقتصاص نقص عليك يعني على الاساليب المختلفة وما نثبت به
مفعول نقص ومعنى تثبيت فؤاده زيادة يقينه وما فيه طمأنينة قلبه لان تكاثر الادلة اثبت للقلب واربط للعلم وجاءك
في هذه الحق اي في هذه السورة او في هذه الانباء المقتصة فيها ما هو حق وموعظة وذكرى • وقل للذين لا يؤمنون
اعملوا على مكانتكم انا عاملون وانتظروا انا منتظرون • وقل للذين لا يؤمنون من اهل مكة
وغيرهم اعملوا على حالكم وجهتكم التي انتم عليها انا عاملون وانتظروا بنا الدوائر انا منتظرون ان ينزل بكم نحو ما اقتص الله
من النقم النازلة باشباهكم • ولله غيب السموات والارض واليه يرجع الامر كله فاعبده
وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون • ولله غيب السموات والارض لا يخفى عليه خافية مما يجري فيهما
فلا تخفى عليه اعمالكم واليه يرجع الامر كله فلا بد ان يرجع اليه امرهم وامرك فينتقم لك منهم فاعبده وتوكل عليه فانه كافيك
وكافلك وما ربك بغافل عما يعملون وقرئ تعملون بالتاء اي انت وهم على تغليب المخاطب • عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هود
اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح ومن كذب به وهود وصالح وشعيب ولوط وابراهيم وموسى وكان يوم القيمة من السعداء ان شاء الله

سورة يوسف عليه السلام مكية

وهي مائة واحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم • الر تلك آيات الكتاب المبين
تلك اشارة الى آيات السورة والكتاب المبين السورة اي تلك الآيات التي انزلت اليك في هذه السورة آيات السورة
الظاهر امرها في اعجاز العرب وتبكيتهم او التي تبين لمن تدبرها انها من عند الله لا من عند البشر او الواضحة التي لا تشتبه
على العرب معانيها لنزولها بلسانهم او قد ابين فيها ما سألت عنه اليهود من قصة يوسف عليه السلام فقد روي ان
علماء اليهود قالوا لكبراء المشركين سلوا محمدا لم انتقل آل يعقوب عليه السلام من الشام الى مصر وعن قصة يوسف
انا انزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون • انا انزلناه انزلنا هذا الكتاب الذي فيه قصة
يوسف عليه السلام في حال كونه قرآنا عربيا وسمي بعض القرآن قرآنا لان القرآن اسم جنس يقع على كله وبعضه
لعلكم تعقلون ارادة ان تفهموه وتحيطوا بمعانيه ولا يلتبس عليكم ولو جعلناه قرآنا اعجميا لقالوا لولا فصلت آياته
نحن نقص عليك احسن القصص بما اوحينا اليك هذا القرآن وان كنت من قبله
لمن الغافلين • القصص على وجهين يكون مصدرا بمعنى الاقتصاص تقول قص الحديث يقصه قصصا
كقولك شله يشله شللا اذا طرده ويكون فعلا بمعنى مفعول كالنفض والحسب ونحوه النبأ والخبر في معنى المنبأ به
والمخبر به ويجوز ان يكون من تسمية المفعول بالمصدر كالخلق والصيد فان اريد المصدر فمعناه نحن نقص عليك
احسن الاقتصاص بما اوحينا اليك هذا القرآن اي بايحائنا اليك هذه السورة على ان يكون احسن منصوبا نصب
المصدر لاضافته اليه ويكون المقصوص محذوفا لان قوله بما اوحينا اليك هذا القرآن مغن عنه • ويجوز ان ينتصب
هذا القرآن بنقص عليك كأنه قيل نحن نقص عليك احسن الاقتصاص هذا القرآن بايحائنا اليك والمراد باحسن
الاقتصاص انه اقتص على ابدع طريقة واعجب اسلوب الا ترى ان هذا الحديث مقتص في كتب الاولين وفي كتب التواريخ
ولا ترى اقتصاصه في كتاب منها مقاربا لاقتصاصه في القرآن وان اريد بالقصص المقصوص فمعناه نحن نقص عليك احسن
ما يقص من الاحاديث وانما كان احسنه لما يتضمن من العبر والنكت والحكم والعجائب التي ليست في غيره والظاهر انه
احسن ما يقتص في بابه كما يقال في الرجل هو اعلم الناس وافضلهم يراد في فنه فان قلت مم اشتقاق القصص
قلت من قص اثره اذا اتبعه لان الذي يقص الحديث يتبع ما حفظ منه شيئا فشيئا كما يقال تلا القرآن اذا قرأه
لانه يتلو اي يتبع ما حفظ منه آية بعد آية • وان كنت ان مخففة من الثقيلة واللام هي التي تفرق بينها وبين النافية
والضمير في قبله راجع الى قوله بما اوحينا والمعنى وان الشأن والحديث كنت من قبل ايحائنا اليك من الغافلين عنه
اي من الجاهلين به ما كان لك فيه علم قط ولا طرق سمعك طرف منه • اذ قال يوسف لابيه يا ابت

اني رايت احد عشر كوكبا والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين
اذ قال يوسف بدل من احسن القصص وهو من بدل الاشتمال لان الوقت مشتمل على القصص وهو المقصوص فاذا قص وقته
فقد قص او باضمار اذكر • ويوسف اسم عبراني وقيل عربي وليس بصحيح لانه لو كان عربيا لانصرف لخلوه عن سبب آخر سوى التعريف
فان قلت فما تقول فيمن قرأ يوسف بكسر السين او يوسف بفتحها هل يجوز على قراءته ان يقال هو عربي لانه على
وزن المضارع المبني للفاعل او المفعول من آسف وانما منع الصرف للتعريف ووزن الفعل قلت لا لان القراءة
المشهورة قامت بالشهادة على ان الكلمة اعجمية فلا تكون عربية تارة واعجمية اخرى ونحو يوسف يونس
رويت فيه هذه اللغات الثلاث ولا يقال هو عربي لانه في لغتين منها بوزن المضارع من آنس واونس • وعن النبي
صلى الله عليه وسلم اذا قيل من الكريم فقولوا الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم
يا ابت بالحركات الثلاث فان قلت ما هذه التاء قلت تاء تأنيث وقعت عوضا من ياء الاضافة
والدليل انها تاء تأنيث قلبها هاء في الوقف فان قلت كيف جاز الحاق تاء التأنيث بالمذكر قلت
كما جاز نحو قولك حمامة ذكر وشاة ذكر ورجل ربعة وغلام يفعة فان قلت فلم ساغ تعويض تاء التأنيث
من ياء الاضافة قلت لان التأنيث والاضافة يتناسبان في ان كل واحد منهما زيادة مضمومة الى الاسم في
آخره فان قلت فما هذه الكسرة قلت هي الكسرة التي كانت قبل الياء في قولك يا ابي قد زحلقت
الى التاء لاقتضاء تاء التأنيث ان يكون ما قبلها مفتوحا فان قلت فما بال الكسرة لم تسقط بالفتحة التي اقتضتها التاء
وتبقى التاء ساكنة قلت امتنع ذلك فيها لانها اسم والاسماء حقها التحريك لاصالتها في الاعراب وانما جاز تسكين
الياء واصلها ان تحرك تخفيفا لانها حرف لين واما التاء فحرف صحيح نحو كاف الضمير فلزم تحريكها فان قلت
يشبه الجمع بين التاء وبين هذه الكسرة الجمع بين العوض والمعوض منه لانها في حكم الياء اذا قلت يا غلام فكما لا يجوز يا ابتي
فلا يجوز يا ابت قلت الياء والكسرة قبلها شيئان والتاء عوض من احد الشيئين وهو الياء والكسرة غير متعرض
لها فلا يجمع بين العوض والمعوض منه الا اذا جمع بين التاء والياء لا غير الا ترى الى قولهم يا ابتا مع كون الالف فيه بدلا
من الياء كيف جاز الجمع بينها وبين التاء ولم يعد ذلك جمعا بين العوض والمعوض منه فالكسرة ابعد من ذلك فان قلت
فقد دلت الكسرة في يا غلام على الاضافة لانها قرينة الياء ولصيقتها فان دلت على مثل ذلك في يا ابت فالتاء المعوضة
لغو وجودها كعدمها قلت بل حالها مع التاء كحالها مع الياء اذا قلت يا ابي فان قلت فما وجه قراءة
من قرأ بفتح التاء وضمها قلت اما من فتح فقد حذف الالف من يا ابتا واستبقى الفتحة قبلها كما فعل من
حذف الياء في يا غلام ويجوز ان يقال حركها بحركة الياء المعوض منها في قولك يا ابي واما من ضم فقد رأى اسما في
آخره تاء تأنيث فاجراه مجرى الاسماء المؤنثة بالتاء فقال يا ابت كما تقول يا ثبة من غير اعتبار لكونها عوضا من
ياء الاضافة وقرئ اني رأيت بتحريك الياء واحد عشر بسكون العين تخفيفا لتوالي المتحركات فيما هو في حكم اسم
واحد وكذلك الى تسعة عشر الا اثني عشر لئلا يلتقي ساكنان ورأيت من الرؤيا لا من الرؤية لان ما ذكره معلوم انه منام
لان الشمس والقمر لو اجتمعا مع الكواكب ساجدة ليوسف في حال اليقظة لكانت آية عظيمة ليعقوب عليه السلام ولما خفيت
عليه وعلى الناس فان قلت ما اسماء تلك الكواكب قلت روى جابر رضي الله عنه ان يهوديا جاء الى
النبي صلى الله عليه وسلم فقال له يا محمد اخبرني عن النجوم التي رآهن يوسف عليه السلام فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنزل جبريل عليه السلام فاخبره بذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم لليهودي ان اخبرتك هل تسلم قال نعم قال جربان
والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين رآها يوسف
والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له فقال اليهودي اي والله انها لاسماؤها وقيل الشمس والقمر ابواه وقيل ابوه وخالته
والكواكب اخوته • وعن وهب ان يوسف رأى وهو ابن سبع سنين ان احد عشرة عصا طوالا كانت مركوزة
في الارض كهيئة الدائرة واذا عصا صغيرة تثب عليها حتى اقتلعتها وغلبتها فوصف ذلك لابيه فقال اياك ان تذكر هذا
لاخوتك ثم رأى وهو ابن ثنتي عشرة سنة الشمس والقمر والكواكب تسجد له فقصها على ابيه فقال له لا تقصها عليهم فيبغوا لك
الغوائل وقيل كان بين رؤيا يوسف ومصير اخوته اليه اربعون سنة وقيل ثمانون فان قلت لم اخر الشمس والقمر

قلت يعطفهما على الكواكب على طريق الاختصاص بيانا لفضلهما واستبدادهما بالمزية على غيرهما من الطوالع
كما اخر جبريل وميكائيل عن الملائكة ثم عطفهما عليها لذلك ويجوز ان يكون الواو بمعنى مع اى رايت الكواكب مع الشمس والقمر
فان قلت ما معنى تكرار رايت قلت ليس بتكرار انما هو كلام مستانف على تقدير سؤال وقع جوابا له كان
يعقوب عليه السلام قال له عند قوله انى رايت احد عشر كوكبا كيف رايتها سائلا عن حال رؤيتها فقال رايتهم لى ساجدين
فان قلت لم اجريت مجرى العقلاء فى رايتهم لى ساجدين قلت لانه لما وصفها بما هو خاص بالعقلاء وهو السجود
اجرى عليها حكمهم كانها عاقلة وهذا كثير شائع فى كلامهم ان يلابس الشئ الشئ من بعض الوجوه فيعطى حكما من احكامه اظهارا
لاثر الملابسة والمقاربة ● قال يا بنى لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا
ان الشيطان للانسان عدو مبين ● عرف يعقوب عليه السلام دلالة الرؤيا على ان يوسف عليه السلام
يبلغه الله عز وجل مبلغا من الحكمة ويصطفيه للنبوة وينعم عليه بشرف الدارين كما فعل بآبائه فخاف عليه حسد الاخوة
وبغيهم والرؤيا بمعنى الرؤية الا انها مختصة بما كان منها فى المنام دون اليقظة فرق بينهما بحرفى التانيث كما قيل القربة
والقربى وقرئ رؤياك بقلب الهمزة واوا وسمع الكسائى رياك ورياك بالادغام وضم الراء وكسرها وهى ضعيفة
لان الواو فى تقدير الهمزة فلا يقوى ادغامها كما لم يقو الادغام فى قولهم اتزر من الازار واتجر من الاجر فيكيدوا منصوب
باضمار ان والمعنى ان قصصتها عليهم كادوك فان قلت هلا قيل فيكيدوك كما قيل فكيدونى قلت
ضمن معنى فعل يتعدى باللام ليفيد معنى فعل الكيد مع افادة معنى الفعل المضمن فيكون اكد وابلغ فى التخويف وذلك نحو
فيحتالوا لك الا ترى الى تاكيده بالمصدر عدو مبين ظاهر العداوة كما فعل بآدم وحواء وقوله تعالى لاقعدن لهم صراطك المستقيم
فهو يحمل على الكيد والمكر وكل شر ليورط من يحمله ولا يؤمن ان يحملهم على مثله ● وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك
من تاويل الاحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما اتمها على ابويك من قبل
ابراهيم واسحق ان ربك عليم حكيم ● وكذلك ومثل ذلك الاجتباء يجتبيك ربك يعنى وكما اجتباك
لمثل هذه الرؤيا العظيمة الدالة على شرف وعز وكبرياء شان كذلك يجتبيك لامور عظام وقوله ويعلمك كلام مبتدأ
غير داخل فى حكم التشبيه كانه قيل وهو يعلمك ويتم نعمته عليك والاجتباء الاصطفاء افتعال من جبيت الشئ اذا حصلته
لنفسك وجبيت الماء فى الحوض جمعته والاحاديث الرؤى لان الرؤيا اما حديث نفس او ملك او شيطان وتاويلها عبارتها
وتفسيرها وكان يوسف اعبر الناس للرؤيا واصحهم عبارة لها ويجوز ان يراد بتاويل الاحاديث معانى كتب الله عز وجل
وسنن الانبياء وما غمض واشتبه على الناس من اغراضها ومقاصدها يفسرها لهم ويشرحها ويدلهم على مودعات حكمها وسميت
احاديث لانه يحدث بها عن الله ورسله فيقال قال الله وقال الرسول كذا وكذا الا ترى الى قوله فباى حديث بعده يؤمنون
الله نزل احسن الحديث وهو اسم جمع للحديث وليس بجمع احدوثة ومعنى اتمام النعمة عليهم انه وصل لهم نعمة الدنيا بنعمة الآخرة
بان جعلهم انبياء فى الدنيا وملوكا ونقلهم عنها الى الدرجات العلى فى الجنة وقيل اتمها على ابراهيم بالخلة والانجاء
من النار ومن ذبح الولد وعلى اسحق بانجائه من الذبح وفدائه بذبح عظيم وباخراج يعقوب والاسباط من صلبه ● وقيل
علم يعقوب ان يوسف يكون نبيا واخوته انبياء استدلالا بضوء الكواكب فلذلك قال وعلى آل يعقوب وقيل لما بلغت
الرؤيا اخوة يوسف حسدوه وقالوا ما رضى ان يسجد له اخوته حتى يسجد له ابواه ● وقيل كان يعقوب مؤثرا له بزيادة المحبة
والشفقة لصغره ولما يرى فيه من المخايل وكان اخوته يحسدونه فلما راى الرؤيا ضاعف له المحبة فكان يضمه كل ساعة الى صدره
ولا يصبر عنه فتبالغ فيهم الحسد وقيل لما قص رؤياه على يعقوب قال هذا امر مشتت يجمعه الله لك بعد دهر طويل
وآل يعقوب اهله وهم نسله وغيرهم واصل آل اهل بدليل تصغيره على اهيل الا انه لا يستعمل الا فيمن له خطر يقال آل النبى
وآل الملك ولا يقال آل الحائك ولا آل الحجام ولكن اهلهما واراد بالابوين الجد وابا الجد لانهما فى حكم الاب فى الاضافة
ومن ثم يقولون ابن فلان وان كان بينه وبين فلان عدة وابراهيم واسحق عطف بيان لابويك ان ربك عليم يعلم
من يحق له الاجتباء حكيم لا يتم نعمته الا على من يستحقها ● لقد كان فى يوسف واخوته آيات للسائلين
فى يوسف واخوته اى فى قصتهم وحديثهم آيات علامات ودلائل على قدرة الله تعالى وحكمته فى كل شئ للسائلين
لمن سال عن قصتهم وعرفها ● وقيل آيات على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم للذين سالوه من اليهود عنها فاخبرهم

بالصحة

بالصحة من غير سماع من احد ولا قراءة كتاب ● وقرئ آية وفى بعض المصاحف عبرة ● وقيل انما قص الله تعالى على النبى
صلى الله عليه وسلم وبغى اخوته عليه لما راى من بغى قومه عليه ليتاسى به ● وقيل اسماؤهم يهوذا وروبيل وشمعون
ولاوى وربالون ويشجر ودينة ودان ونفتالى وجاد وآشر السبعة الاولون كانوا من
ليا بنت خالة يعقوب والاربعة الآخرون من سريتين زلفة وبلهة فلما توفيت ليا تزوج اختها راحيل فولدت
له بنيامين ويوسف ● اذ قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا ونحن عصبة
ان ابانا لفى ضلال مبين ● ليوسف اللام لام الابتداء وفيها تاكيد وتحقيق لمضمون الجملة اراد ان زيادة
محبته لهما امر ثابت لا شبهة فيه واخوه هو بنيامين وانما قالوا اخوه وهم جميعا اخوته لان امهما كانت واحدة وقيل احب
فى الاثنين لان افعل من لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه ولا بين المذكر والمؤنث اذا كان معه من ولا بد من الفرق مع
لام التعريف واذا اضيف جاز الامران والواو فى ونحن عصبة واو الحال يعنى انه يفضلهما فى المحبة علينا وهما اثنان
صغيران لا كفاية فيهما ولا منفعة ونحن جماعة عشرة رجال كفاة نقوم بمرافقه فنحن احق بزيادة المحبة منهما لفضلنا
بالكثرة والمنفعة عليهما ان ابانا لفى ضلال مبين اى لفى ذهاب عن طريق الصواب فى ذلك والعصبة والعصابة العشرة
فصاعدا وقيل الى الاربعين سموا بذلك لانهم جماعة تعصب بهم الامور ويستكفون النوائب ● وروى النزال بن سبرة
عن على رضى الله عنه ونحن عصبة بالنصب وقيل معناه ونحن نجتمع عصبة وعن ابن الانبارى هذا كما تقول العرب انما العامرى
عمته اى يتعهد عمته ● اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا يخل لكم وجه ابيكم وتكونوا من
بعده قوما صالحين ● اقتلوا يوسف من جملة ما حكى بعد قوله اذ قالوا كانهم اطبقوا على ذلك الا من قال لا تقتلوا
يوسف وقيل الآمر بالقتل شمعون وقيل دان والباقون كانوا راضين فجعلوا آمرين ارضا منكورة مجهولة بعيدة
من العمران وهو معنى تنكيرها واخلائها من الوصف ولابهامها من هذا الوجه نصبت نصب الظروف المبهمة يخل لكم وجه ابيكم
يقبل عليكم اقبالة واحدة لا يلتفت عنكم الى غيركم والمراد سلامة محبته لهم ممن يشاركهم فيها وينازعهم اياها فكان
ذكر الوجه لتصوير معنى اقباله عليهم لان الرجل اذا اقبل على الشئ اقبل بوجهه ويجوز ان يراد بالوجه الذات كما قال تعالى
ويبقى وجه ربك وقيل يخل لكم يفرغ لكم من الشغل بيوسف من بعده من بعد يوسف اى من بعد كفايته بالقتل او التغريب
او يرجع الضمير الى مصدر اقتلوا او اطرحوا قوما صالحين تائبين الى الله مما جنيتم عليه او يصلح ما بينكم وبين ابيكم بعذر
تتمهدونه او تصلح دنياكم وتنتظم اموركم بعده بخلو وجه ابيكم وتكونوا اما مجزوم عطفا على يخل لكم واما منصوب
باضمار ان والواو بمعنى مع كقوله وتكتموا الحق ● قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف والقوه فى غيابة
الجب يلتقطه بعض السيارة ان كنتم فاعلين ● قال قائل منهم هو يهوذا وكان احسنهم فيه
رايا وهو الذى قال فلن ابرح الارض قال لهم القتل عظيم والقوه فى غيابة الجب وهى غوره وما غاب منه عن عين الناظر
واظلم من اسفله قال المنخل ● ان انا يوما غيبتنى غيابتى ● فسيروا بسيرى فى العشيرة والاهل ● اراد غيابة حفرته
التى يدفن فيها وقرئ غيابات على الجمع وغيابات بالتشديد وقرا الجحدرى غيبة والجب البئر لم تطو لان الارض
تجب جبا لا غير يلتقطه ياخذه بعض السيارة بعض الاقوام الذين يسيرون فى الطريق وقرئ تلتقطه بالتاء على المعنى
لان بعض السيارة سيارة كقوله ● كما شرقت صدر القناة من الدم ● ومنه ذهبت بعض اصابعه ان كنتم فاعلين
ان كنتم على ان تفعلوا ما يحصل به غرضكم فهذا هو الراى ● قالوا يا ابانا ما لك لا تامنا على يوسف
وانا له لناصحون ● لا تامنا قرئ باظهار النونين وبالادغام باشمام وبغير اشمام وتيمنا بكسر التاء مع
الادغام والمعنى لم تخافنا عليه ونحن نريد له الخير ونحبه ونشفق عليه وما وجد منا فى بابه ما يدل على خلاف النصيحة والمقة
وارادوا بذلك لما عزموا على كيد يوسف استنزاله عن رايه وعادته فى حفظه منهم وفيه دليل على انه احس منهم بما اوجب
ان لا يامنهم عليه ● ارسله معنا غدا نرتع ونلعب وانا له لحافظون ● نرتع نتسع فى اكل
الفواكه وغيرها واصل الرتعة الخصب والسعة وقرئ نرتع من ارتعى يرتعى وقرئ يرتع ويلعب بالياء ويرتع من ارتع
ماشيته وقرا العلاء بن سيابة يرتع بكسر العين ويلعب بالرفع على الابتداء فان قلت كيف استجاز لهم
يعقوب عليه السلام اللعب قلت كان لعبهم الاستباق والانتضال ليضروا انفسهم بما يحتاج اليه لقتال العدو

البيت للاعشى واوله
وتشرق بالقول الذى قد اذعته
ه

ضرى الكلب بالصيد ضراوة تعود
واضراه صاحبه عوده واضراه
به اغراه ه

لا للهو بدليل قوله انا ذهبنا نستبق وانما سموه لعبا لانه في صورته **قال اني ليحزنني ان تذهبوا به واخاف ان ياكله الذئب وانتم عنه غافلون** ليحزنني اللام لام الابتداء كقوله تعالى ان ربك ليحكم بينهم ودخولها احد ما ذكره سيبويه من شبهي المضارعة اعتذر اليهم بشيئين احدهما ان ذهابهم به ومفارقته اياه مما يحزنه لانه كان لا يصبر عنه ساعة والثاني خوفه عليه من عدوة الذئب اذا غفلوا عنه برعيهم ولعبهم او قل به اهتمامهم ولم تصدق بحفظه عنايتهم وقيل راى في النوم ان الذئب قد شد على يوسف فكان يحذره فمن ثم قال ذلك فلقنهم العلة وفي امثالهم البلاء موكل بالمنطق وقرئ الذئب بالهمز على الاصل وبالتخفيف وقيل اشتقاقه من تذاءبت الريح اذا اتت من كل جهة **قالوا لئن اكله الذئب ونحن عصبة انا اذا لخاسرون** القسم محذوف تقديره والله لئن اكله الذئب واللام موطئة للقسم وقوله انا اذا لخاسرون جواب للقسم مجزئ عن جزاء الشرط والواو في ونحن عصبة واو الحال حلفوا لئن كان ما خافه من خطفة الذئب اخاهم من بينهم وحالهم انهم عشرة رجال بمثلهم تعصب الامور وتكفى الخطوب انهم اذا لقوم خاسرون اي هالكون ضعفا وخورا وعجزا او مستحقون ان يهلكوا لانه لا غناء عندهم ولا جدوى في حياتهم او مستحقون لان يدعى عليهم بالخسار والدمار وان يقال خسرهم الله ودمرهم حين اكل الذئب بعضهم وهم حاضرون وقيل ان لم نقدر على حفظ بعضنا فقد هلكت مواشينا اذا وخسرنا **فان قلت** قد اعتذر اليهم بعذرين فلم اجابوا عن احدهما دون الآخر **قلت** هو الذي كان يغيظهم ويذيقهم الامرين فاعاروه اذانا صما ولم يعبأوا به **فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه في غيابت الجب واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون** **وجاؤا اباهم عشاء يبكون** ان يجعلوه مفعول اجمعوا من قولك اجمع الامر وازمعه فاجمعوا امركم وقرئ في غيابات الجب قيل هو بئر بيت المقدس وقيل بارض الاردن وقيل بين مصر ومدين وقيل على ثلثة فراسخ من منزل يعقوب وجواب لما محذوف ومعناه فعلوا به ما فعلوا من الاذى فقد روي انهم لما برزوا به الى البرية اظهروا له العداوة واخذوا يهينونه ويضربونه وكلما استغاث بواحد منهم لم يغثه الا بالاهانة والضرب حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح يا ابتاه لو تعلم ما يصنع بابنك اولاد الاماء فقال لهم يهوذا الا اعطيتموني موثقا ان لا تقتلوه فلما ارادوا القاءه في الجب تعلق بثيابهم فنزعوها من يديه فتعلق بحائط البئر فربطوا يديه ونزعوا قميصه فقال يا اخوتاه ردوا علي قميصي اتوارى به فقالوا ادع الشمس والقمر والاحد عشر كوكبا تؤنسك ودلوه في البئر فلما بلغ نصفها القوه ليموت وكان في البئر ماء فسقط به ثم آوى الى صخرة فقام عليها وهو يبكي فنادوه فظن انها رحمة ادركتهم فاجابهم فارادوا ان يرضخوه ليقتلوه فمنعهم يهوذا وكان يهوذا ياتيه بالطعام ويروى ان ابرهيم صلوات الله عليه وسلامه حين القي في النار جرد عن ثيابه اتاه جبريل عليه السلام بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فدفعه ابرهيم الى اسحق واسحق الى يعقوب فجعله يعقوب في تميمة علقها في عنق يوسف فجاءه جبريل عليه السلام فاخرجه والبسه اياه واوحينا اليه قيل اوحي اليه في الصغر كما اوحي الى يحيى وعيسى عليهم السلام وقيل كان اذ ذاك مدركا وعن الحسن كان له سبع عشرة سنة لتنبئنهم بامرهم هذا وانما اوحي اليه ليونس في الظلمة والوحشة ويبشر بما يؤول اليه امره ومعناه لتتخلصن مما انت فيه ولتحدثن اخوتك بما فعلوا بك وهم لا يشعرون انك يوسف لعلو شانك وكبرياء سلطانك وبعد حالك عن اوهامهم ولطول العهد المبدل للهيئات والاشكال وذلك حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون دعا بالصواع فوضعه على يده ثم نقره فطن فقال انه ليخبرني هذا الجام انه كان لكم اخ من ابيكم يقال له يوسف وكان يدنيه دونكم وانكم انطلقتم به والقيتموه في غيابة الجب وقلتم لابيكم اكله الذئب وبعتموه بثمن بخس ويجوز ان يتعلق وهم لا يشعرون بقوله واوحينا على انا آنسناه بالوحي وازلنا عن قلبه الوحشة وهم لا يشعرون ذلك ويحسبون انه فرهق مستوحش لا انيس له وقرئ لننبئنهم بالنون على انه وعيد وقوله وهم لا يشعرون متعلق باوحينا لا غير وعن الحسن عشيا على تصغير عشي يقال لقيته عشيا وعشيانا واصيلا واصيلانا وروى ابن جني عشى بضم العين والقصر وقال عشوا من البكاء وروي ان امراة حاكمت الى شريح فبكت فقال له الشعبي يا ابا امية اما تراها تبكي فقال قد جاء اخوة يوسف يبكون وهم ظلمة ولا ينبغي لاحد ان يقضي الا بما امر ان يقضي من السنة المرضية **قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله**

الذئب

الذئب وما انت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين وروي انه لما سمع صوتهم فزع وقال ما لكم يا بني هل اصابكم في غنمكم شيء قالوا لا قال فما لكم واين يوسف قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق اي نتسابق والافتعال والتفاعل يشتركان كالانتضال والتناضل والارتماء والترامي وغير ذلك والمعنى نتسابق في العدو او في الرمي وجاء في التفسير ننتضل بمؤمن لنا بمصدق لنا ولو كنا صادقين ولو كنا عندك من اهل الصدق والثقة لشدة محبتك ليوسف فكيف وانت سيئ الظن بنا غير واثق بقولنا **وجاؤا على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون** كذب اي كذب او وصف بالمصدر مبالغة كانه نفس الكذب وعينه كما يقال للكذاب هو الكذب بعينه والزور بذاته ونحوه فهن به جود وانتم به بخل وقرئ كذبا بالنصب على الحال بمعنى جاؤا به كاذبين ويجوز ان يكون مفعولا له وقرات عائشة رضي الله عنها كدب بالدال غير المعجمة اي كدر وقيل طري وقال ابن جني اصله من الكدب وهو الفوف البياض الذي يخرج على اظفار الاحداث كانه دم قد اثر في قميصه روي انهم ذبحوا سخلة ولطخوه بدمها وزل عنهم ان يمزقوه وروي ان يعقوب لما سمع بخبر يوسف صاح باعلى صوته وقال اين القميص فاخذه والقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال والله ما رايت كاليوم ذئبا احلم من هذا اكل ابني ولم يمزق عليه قميصه وقيل كان في قميص يوسف ثلاث آيات كان دليلا ليعقوب على كذبهم والقاه على وجهه فارتد بصيرا ودليلا على براءة يوسف حين قد من دبر **فان قلت** على قميصه ما محله **قلت** محله النصب على الظرف كانه قيل وجاؤا فوق قميصه بدم كما تقول جاء على جماله باحمال **فان قلت** هل يجوز ان يكون حالا متقدمة **قلت** لا لان حال المجرور لا يتقدم عليه سولت سهلت من السول وهو الاسترخاء اي سهلت لكم انفسكم امرا عظيما ارتكبتموه من يوسف وهونته في اعينكم استدل على فعلهم به بما كان يعرف من حسدهم وبسلامة القميص او اوحي اليه بانهم قصدوه فصبر جميل خبر او مبتدأ لكونه موصوفا اي فامري صبر جميل او فصبر جميل امثل وفي قراءة ابي فصبرا جميلا والصبر الجميل جاء في الحديث المرفوع انه الذي لا شكوى فيه ومعناه لا شكوى فيه الى الخلق الا ترى الى قوله انما اشكو بثي وحزني الى الله وقيل لا اعايشكم على كآبة الوجه بل اكون لكم كما كنت وقيل سقط حاجبا يعقوب على عينيه فكان يرفعهما بعصابة فقيل له ما هذا فقال طول الزمان وكثرة الاحزان فاوحى الله تعالى اليه اتشكوني قال يا رب خطيئة فاغفر لي والله المستعان اي استعينه على احتمال ما تصفون من هلاك يوسف والصبر على الرزية **وجاءت سيارة فارسلوا واردهم فادلى دلوه قال يا بشراي هذا غلام واسروه بضاعة والله عليم بما يعملون** وجاءت سيارة رفقة تسير من قبل مدين الى مصر وذلك بعد ثلثة ايام من القاء يوسف في الجب فاخطؤا الطريق فنزلوا قريبا منه وكان الجب في قفرة بعيدة من العمران لم يكن الا للرعاة وقيل كان ماؤه ملحا فعذب حين القي فيه يوسف فارسلوا رجلا يقال له مالك بن ذعر الخزاعي ليطلب لهم الماء والوارد الذي يرد الماء ليستقي للقوم يا بشراي نادى البشرى كانه يقول تعالى فهذا من آونتك وقرئ يا بشراي على اضافتها الى نفسه وفي قراءة الحسن وغيره يا بشري بالياء مكان الالف جعلت الياء بمنزلة الكسرة قبل ياء الاضافة وهي لغة للعرب مشهورة سمعت اهل السروات يقولون في دعائهم يا سيدي ومولي وعن نافع يا بشراي بالسكون وليس بالوجه لما فيه من التقاء الساكنين على غير حده الا ان يقصد الوقف قيل لما ادلى دلوه اي ارسلها في الجب تعلق يوسف بالحبل فلما خرج اذا هو بغلام احسن ما يكون فقال يا بشراي هذا غلام وقيل ذهب به فلما دنا من اصحابه صاح بذلك يبشرهم به واسروه الضمير للوارد واصحابه اخفوه من الرفقة وقيل اخفوا امره ووجدانهم له في الجب وقالوا لهم دفعه الينا اهل الماء لنبيعه لهم بمصر وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان الضمير لاخوة يوسف وانهم قالوا للرفقة هذا غلام لنا قد ابق فاشتروه وسكت يوسف مخافة ان يقتلوه وبضاعة نصب على الحال اي اخفوه متاعا للتجارة والبضاعة ما بضع من المال للتجارة اي قطع والله عليم بما يعملون لم يخف عليه اسرارهم وهو وعيد لهم حيث استبضعوا ما ليس لهم او والله عليم بما يعمل اخوة يوسف بابيهم واخيهم من سوء الصنيع **وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين** وشروه وباعوه بثمن بخس مبخوس ناقص عن القيمة نقصانا ظاهرا او زيف ناقص العيار دراهم لا دنانير معدودة قليلة تعد عدا ولا توزن لانهم كانوا لا يزنون الا ما بلغ الاوقية وهي الاربعون ويعدون ما دونها وقيل للقليلة معدودة لان الكثيرة

يمنع من عدها لكثرتها وعن ابن عباس كانت عشرين درهما وعن السدي اثنين وعشرين وكانوا فيه من الزاهدين
ممن يرغب عما في يده فيبيعه بما طف من الثمن لانهم التقطوه والملتقط للشيء متهاون به لا يبالي بم باعه ولانه يخاف ان
يعرض له مستحق ينتزعه من يده فيبيعه من اول مساوم باوكس الثمن ويجوز ان يكون معنى وشروه واشتروه يعني الرفقة
من اخوته وكانوا فيه من الزاهدين لانهم اعتقدوا انه آبق فخافوا ان يخطروا بمالهم فيه ويروى ان اخوته اتبعوهم
يقولون استوثقوا منه لا يابق وفيه ليس من صلة الزاهدين لان الصلة لا تتقدم على الموصول الا تراك لا تقول وكانوا
زيدا من الضاربين وانما هو بيان كانه قيل في اي شيء زهدوا فقال زهدوا فيه وقال الذي اشتراه
من مصر لامرأته اكرمي مثواه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا وكذلك مكنا ليوسف
ولنعلمه من تأويل الاحاديث والله غالب على امره ولكن اكثر الناس لا يعلمون
الذي اشتراه قيل هو قطفير او اطفير وهو العزيز الذي كان على خزائن مصر والملك يومئذ الريان بن الوليد رجل من العماليق
وقد آمن بيوسف ومات في حيوة يوسف فملك بعده قابوس بن مصعب فدعاه يوسف الى الاسلام فابى واشتراه العزيز
وهو ابن سبع عشرة سنة واقام في منزله ثلث عشرة سنة واستوزره ريان بن الوليد وهو ابن ثلثين سنة وآتاه الله تعالى
الحكمة والعلم وهو ابن ثلث وثلثين سنة وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة وقيل كان الملك في ايامه فرعون موسى عاش
اربعمائة سنة بدليل قوله تعالى ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات وقيل فرعون موسى من اولاد فرعون يوسف وقيل اشتراه
العزيز بعشرين دينارا وزوجي نعل وثوبين ابيضين وقيل ادخلوه السوق يعرضونه فترافعوا في ثمنه حتى بلغ ثمنه
وزنه مسكا وورقا وحريرا فابتاعه قطفير بذلك المبلغ اكرمي مثواه اجعلي منزله ومقامه عندنا كريما اي حسنا مرضيا بدليل قوله
انه ربي احسن مثواي والمراد تفقديه بالاحسان وتعهديه بحسن الملكة حتى تكون نفسه طيبة في صحبتنا ساكنة في كنفنا ويقال
للرجل كيف ابو مثواك وام مثواك لمن ينزل به من رجل او امراة يراد هل تطيب نفسك بثوائك عنده وهل يراعي حق نزولك
به واللام في لامراته متعلقة بقال لا باشتراه عسى ان ينفعنا لعله اذا تدرب وراض الامور وفهم مجاريها نستظهر
على بعض ما نحن بسبيله فينفعنا فيه بكفايته وامانته او نتبناه ونقيمه مقام الولد وكان قطفير عقيما لا يولد له وقد تفرس فيه الرشد
فقال ذلك وقيل افرس الناس ثلثة العزيز حين تفرس في يوسف فقال لامراته اكرمي مثواه عسى ان ينفعنا والمراة التي اتت موسى
وقالت لابيها يا ابت استأجره وابو بكر حين استخلف عمر رضي الله عنهما وروي انه سأله عن نفسه فاخبره بنسبه فعرفه وكذلك الاشارة
الى ما تقدم من انجائه وعطف قلب العزيز عليه والكاف منصوب تقديره ومثل ذلك الانجاء والعطف مكنا له اي كما انجيناه
وعطفنا عليه العزيز كذلك مكنا له اي في ارض مصر وجعلناه ملكا يتصرف فيها بامره ونهيه ولنعلمه من تأويل الاحاديث كان
ذلك الانجاء والتمكين لان غرضنا ليس الا ما تحمد عاقبته من علم وعمل والله غالب على امره اي على امر نفسه لا يمنع عما يشاء ولا ينازع
ما يريد ويقضي او على امر يوسف يدبره ولا يكله الى غيره قد اراد اخوته به ما ارادوا ولم يكن الا ما اراد الله تعالى ودبره ولكن اكثر
الناس لا يعلمون ان الامر كله بيد الله عز وجل ولما بلغ اشده آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي
المحسنين قيل في الاشد ثماني عشرة سنة وعشرون وثلث وثلثون واربعون وقيل اقصاه ثنتان وستون
حكما حكمة وهو العلم بالعمل واجتناب ما يجهل فيه وقيل حكما بين الناس وفقها وكذلك نجزي المحسنين تنبيه على انه كان
محسنا في عمله متقيا في عنفوان امره وان الله تعالى آتاه الحكم والعلم جزاء على احسانه وعن الحسن من احسن عبادة
ربه في شبيبته آتاه الله الحكمة في اكتهاله وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الابواب
وقالت هيت لك قال معاذ الله انه ربي احسن مثواي انه لا يفلح الظالمون
المراودة مفاعلة من راد يرود اذا جاء وذهب كان المعنى خادعته عن نفسه اي فعلت ما يفعل المخادع لصاحبه عن الشيء
الذي لا يريد ان يخرجه من يده يحتال ان يغلبه عليه ويأخذه منه وهي عبارة عن التمحل لمواقعته اياها وغلقت الابواب قيل
كانت سبعة وقرئ هيت بفتح الهاء وكسرها مع فتح التاء وبناؤه كبناء اين وعيط وهيت بكسر الهاء مثل جير وهيت مثل حيث وهئت
بمعنى تهيأت يقال هاء يهيء مثل جاء يجيء اذا تهيأ وهيئت لك واللام من صلة الفعل واما في الاصوات فللبيان كانه قيل
لك اقول هذا كما تقول هلم لك معاذ الله اعوذ بالله معاذا انه ان الشأن والحديث ربي سيدي ومالكي يريد قطفير احسن
مثواي حين قال لك اكرمي مثواه فما جزاؤه ان اخلفه في اهله سوء الخلافة واخونه فيهم انه لا يفلح الظالمون الذين يجازون

الحسن

الحسن بالسيء وقيل اراد الزناة لانهم ظالمون انفسهم وقيل اراد الله تعالى لانه مسبب الاسباب ولقد همت
به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من
عبادنا المخلصين هم بالامر اذا قصده وعزم عليه قال همت ولم افعل وكدت وليتني تركت على عثمان تبكي حلائله
ومنه قولك لا افعل ذلك ولا كيدا ولا هما اي ولا اكاد ان افعله كيدا ولا اهم بفعله هما حكاه سيبويه ومنه الهمام وهو
الذي اذا هم بامر امضاه ولم ينكل عنه وقوله تعالى ولقد همت به وهم بها معناه ولقد همت بمخالطته وهم بمخالطتها
لولا ان رأى برهان ربه جوابه محذوف تقديره لولا ان رأى برهان ربه لخالطها فحذف لان قوله تعالى وهم بها يدل عليه كقولك
هممت بقتله لولا اني خفت الله معناه لولا اني خفت الله لقتلته فان قلت كيف جاز على نبي الله ان يكون منه هم
بالمعصية وقصد اليها قلت المراد ان نفسه مالت الى المخالطة ونازعت اليها عن شهوة الشباب وقرمه ميلا يشبه
الهم به والقصد اليه وكما تقتضيه صورة تلك الحال التي تكاد تذهب بالعقول والعزائم وهو يكسر ما به ويرده بالنظر في برهان الله
المأخوذ على المكلفين من وجوب اجتناب المحارم ولو لم يكن ذلك الميل الشديد المسمى هما لشدته لما كان صاحبه ممدوحا عند الله
بالامتناع لان استعظام الصبر على الابتلاء على حسب عظم الابتلاء وشدته ولو كان همه كهمها عن عزيمة لما مدحه الله تعالى
بانه من عباده المخلصين ويجوز ان يريد بقوله وهم بها وشارف ان يهم بها كما يقول الرجل قتلته لو لم اخف الله يريد مشارفة
القتل ومشارفته كانه شرع فيه فان قلت وهم بها داخل تحت حكم القسم في قوله تعالى ولقد همت به ام هو خارج
قلت الامران جائزان ومن حق القارئ اذا قدر خروجه من حكم القسم وجعله كلاما برأسه ان يقف على قوله
ولقد همت به ويبتدئ قوله وهم بها لولا ان رأى برهان ربه وفيه ايضا اشعار بالفرق بين الهمين فان قلت
لم جعلت جواب لولا محذوفا يدل عليه وهم بها وهلا جعلته هو الجواب مقدما قلت لان لولا لا يتقدم عليها جوابها
من قبل انها في حكم الشرط وللشرط صدر الكلام وهو مع ما في حيزه من الجملتين مثل كلمة واحدة ولا يجوز تقديم بعض الكلمة على بعض
واما حذف بعضها اذا دل الدليل عليه فجائز فان قلت فلم جعلت لولا متعلقة بهم بها وحده ولم تجعلها متعلقة
بجملة قوله ولقد همت به وهم بها لان الهم لا يتعلق بالجواهر ولكن بالمعاني فلا بد من تقدير المخالطة والمخالطة لا تكون الا من اثنين
معا فكانه قيل ولقد هما بالمخالطة لولا ان منع مانع احدهما قلت نعم ما قلت ولكن الله سبحانه قد جاء بالهمين على
سبيل التفصيل حيث قال ولقد همت به وهم بها فكان اغفاله الخاء له توجب ان يكون التقدير ولقد همت بمخالطته
وهم بمخالطتها على ان المراد بالمخالطتين توصلها الى ما هو حظها من قضاء شهوتها منه وتوصله الى ما هو حظه من قضاء
شهوته منها لولا ان رأى برهان ربه فترك التوصل الى حظه من الشهوة فلذلك كانت لولا حقيقة بان تعلق بهم بها
وحده وقد فسر هم يوسف بانه حل الهميان وجلس منها مجلس المجامع وبانه حل تكة سراويله وقعد بين شعبها الاربع
وهي مستلقية على قفاها وفسر البرهان بانه سمع صوتا اياك واياها فلم يكترث له فسمعه ثانيا فلم يعمل به فسمع ثالثا اعرض عنها
فلم ينجع فيه حتى مثل له يعقوب عاضا على انملته وقيل ضرب بيده في صدره فخرجت شهوته من انامله وقيل كل ولد يعقوب
له اثنا عشر ولدا الا يوسف فانه ولد له احد عشر ولدا من اجل ما نقص من شهوته حين هم وقيل صيح به يا يوسف لا تكن كالطائر
كان له ريش فلما زنى قعد لا ريش له وقيل بدت كف فيما بينهما ليس لها عضد ولا معصم مكتوب فيها وان عليكم لحافظين
كراما كاتبين فلم ينصرف ثم رأى فيها ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا فلم ينته ثم رأى فيها واتقوا يوما ترجعون فيه
الى الله فلم ينجع فيه فقال الله تعالى لجبريل ادرك عبدي قبل ان يصيب الخطيئة فانحط جبريل وهو يقول يا يوسف اتعمل عمل السفهاء
وانت مكتوب في ديوان الانبياء وقيل رأى تمثال العزيز وقيل قامت المراة الى صنم فسترته وقالت استحيي ان
يرانا فقال يوسف استحييت ممن لا يسمع ولا يبصر وانا لا استحيي من السميع البصير العليم بذات الصدور وهذا ونحوه مما يورده
اهل الحشو والجبر الذين دينهم بهت الله وانبيائه واهل العدل والتوحيد ليسوا من مقالاتهم ورواياتهم بحمد الله بسبيل ولو
وجدت من يوسف عليه السلام ادنى زلة لنعيت عليه وذكرت توبته واستغفاره كما نعيت على آدم عليه السلام زلته
وعلى داود وعلى نوح وعلى ذي النون وعلى ايوب عليهم السلام وذكرت توبتهم واستغفارهم كيف وقد اثني عليه وسمي
مخلصا فعلم بالقطع انه ثبت في ذلك المقام الدحض وانه جاهد نفسه مجاهدة اولي القوة والعزم ناظرا في دليل التحريم ووجه
القبح حتى استحق من الله تعالى الثناء فيما انزل من كتب الاولين ثم في القرآن الذي هو حجة على سائر كتبه ومصداق لها ولم يقتصر

الا على استيفاء قصته وضرب سورة كاملة عليها ليجعل له لسان صدق في الآخرين كما جعله لجده الخليل ابرهيم عليه السلام
وليقتدي به الصالحون الى آخر الدهر في العفة وطيب الازار والتثبت في مواقف العثار فاخزى الله اولئك في ايرادهم
ما يؤدي الى ان يكون انزال الله تعالى السورة التي هي احسن القصص في القرآن العربي المبين ليقتدي بنبي من انبياء الله
بالقعود بين شعب الزانية وفي حل تكته للوقوع عليها وفي ان ينهاه ربه ثلث كرات ويصاح به من عنده ثلث صيحات بقوارع
القرآن وبالتوبيخ العظيم وبالوعيد الشديد وبالتشبيه بالطائر الذي سقط ريشه حين سفد غير انثاه وهو جاثم في
مربضه لا يتحلحل ولا ينتهي ولا ينتبه حتى يتداركه الله تعالى بجبريل عليه السلام وباجباره ولو ان اوقح الزناة واشطرهم
حدقة واجلحهم وجها لقي بادنى ما لقي به نبي الله مما ذكروا لما بقي له عرق ينبض ولا عضو يتحرك فيا له من مذهب ما افحشه ومن
ضلال ما ابينه ○ كذلك الكاف منصوب المحل اي مثل ذلك التثبيت ثبتناه او مرفوعه اي الامر مثل ذلك لنصرف عنه
السوء من خيانة السيد والفحشاء من الزنا انه من عبادنا المخلصين الذين اخلصوا دينهم لله تعالى وبالفتح الذين
اخلصهم الله تعالى لطاعته بان عصمهم ويجوز ان يريد بالسوء مقدمات الفاحشة من القبلة والنظر بشهوة ونحو ذلك
وقوله تعالى من عبادنا معناه بعض عبادنا اي هو مخلص من جملة المخلصين او هو ناشئ منهم لانه من ذرية ابراهيم الذين قال فيهم
انا اخلصناهم بخالصة ○ **واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر والفيا سيدها لدى الباب**
قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن او عذاب اليم ○ واستبقا الباب
وتسابقا الى الباب على حذف الجار وايصال الفعل كقوله تعالى واختار موسى قومه او على تضمين استبقا معنى ابتدرا
نفر منها يوسف فاسرع يريد الباب ليخرج واسرعت وراءه لتمنعه الخروج **فان قلت** كيف وحد الباب وقد
جمعه في قوله وغلقت الابواب **قلت** اراد الباب البراني الذي هو المخرج من الدار والمخلص فقد روي كعب انه لما
هرب يوسف جعل فراش القفل يتناثر ويسقط حتى خرج من الابواب وقدت قميصه من دبر اجتذبته من خلفه فانقد
اي انشق حين هرب منها الى الباب وتبعته تمنعه والفيا سيدها وصادفا بعلها وهو قطفير تقول المراة لبعلها سيدي
وقيل انما لم تقل سيدهما لان ملك يوسف لم يصح فلم يكن سيدا له على الحقيقة قيل الفياه مقبلا يريد ان يدخل وقيل جالسا
مع ابن عم المراة لما اطلع منها زوجها على تلك الهيئة المريبة وهي مغتاظة على يوسف اذ لم يواتها جاءت بحيلة جمعت
فيها غرضيها وهما تبرئة ساحتها عند زوجها من الريبة والغضب على يوسف وتخويفه طمعا ان يواتيها خيفة منها ومن
مكرها وكرها لما ايست من مواتاته طوعا الا ترى الى قولها ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وما نافية اي ليس جزاؤه
الا السجن ويجوز ان تكون استفهامية بمعنى اي شيء جزاؤه الا السجن كما تقول من في الدار الا زيد **فان قلت**
كيف لم تصرح في قولها بذكر يوسف وانه اراد بها سوءا **قلت** قصدت العموم وان كل من اراد باهلك سوءا
فحقه ان يسجن او يعذب لان ذلك ابلغ فيما قصدت من تخويف يوسف وقيل العذاب الاليم الضرب بالسياط
قال هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد من اهلها ان كان قميصه قد من قبل فصدقت
وهو من الكاذبين ○ **وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين**
ولما اغرت به وعرضته للسجن والعذاب وجب عليه الدفع عن نفسه فقال هي راودتني عن نفسي ولولا ذلك لكتم عليها
وشهد شاهد من اهلها قيل كان ابن عم لها وانما القى الله الشهادة على لسان من هو من اهلها ليكون اوجب للحجة
عليها واوثق لبراءة يوسف وانفى للتهمة عنه وقيل هو الذي كان جالسا مع زوجها لدى الباب وقيل كان حكيما
يرجع اليه الملك ويستشيره ويجوز ان يكون بعض اهلها كان في الدار فبصر بها من حيث لا تشعر فاغضبه الله تعالى ليوسف
بالشهادة له والقيام بالحق وقيل كان ابن خال لها صبيا في المهد وعن النبي صلى الله عليه وسلم تكلم اربعة وهم صغار
ابن ماشطة فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى عليه السلام **فان قلت** لم سمي قوله شهادة
وما هو بلفظ الشهادة **قلت** لما ادى مؤدى الشهادة في ان ثبت به قول يوسف وبطل قولها سمي شهادة
فان قلت الجملة الشرطية كيف جازت حكايتها بعد فعل الشهادة **قلت** لانها قول من القول او على
ارادة القول كانه قيل وشهد شاهد فقال ان كان قميصه **فان قلت** ان دل قد قميصه من دبر على انها كاذبة وانها
هي التي تبعته واجتذبت ثوبه اليها فقدته فمن اين دل قده من قبل على انها صادقة وانه كان تابعها **قلت**

من وجهين احدهما انه اذا كان تابعها وهي دافعة عن نفسها قدت قميصه من قدامه بالدفع والثاني ان يسرع خلفها
ليلحقها فيتعثر في مقادم قميصه فيشقه وقرئ من قبل ومن دبر بالضم على مذهب الغايات والمعنى من قبل القميص
ومن دبره فاما التنكير فمعناه من جهة يقال لها قبل ومن جهة يقال لها دبر وعن ابن ابي اسحق انه قرأ من قبل
ومن دبر بالفتح كانه جعلهما علمين للجهتين فمنعهما الصرف للعلمية والتانيث وقرئا بسكون العين **فان قلت**
كيف جاز الجمع بين ان الذي هو للاستقبال وبين كان **قلت** لان المعنى ان يعلم انه كان قميصه قد ونحوه قولك
ان احسنت الي فقد احسنت اليك من قبل لمن يمتن عليك باحسانه تريد ان تمتن علي امتن عليك
فلما راى قميصه قد من دبر قال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم ○ فلما راى يعني
قطفير وعلم براءة يوسف وصدقه وكذبها قال انه ان قولك ما جزاء من اراد باهلك سوءا او ان هذا الامر
وهو طمعها في يوسف من كيدكن الخطاب لها ولامتها وانما استعظم كيد النساء لانه وان كان في الرجال الا
ان النساء الطف كيدا وانفذ حيلة ولهن في ذلك نيقة ورفق وبذلك يغلبن الرجال ومنه قوله تعالى ومن شر النفاثات
في العقد والقصريات منهن معهن ابليس مع غيرهن من البوائق ○ وعن بعض العلماء انا اخاف من النساء
اكثر مما اخاف من الشيطان لان الله تعالى يقول ان كيد الشيطان كان ضعيفا وقال للنساء ان كيدكن عظيم
يوسف اعرض عن هذا واستغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين
يوسف حذف منه حرف النداء لانه منادى قريب مفاطن للحديث وفيه تقريب له وتلطيف لمحله اعرض عن هذا الامر
واكتمه ولا تحدث به واستغفري انت لذنبك انك كنت من الخاطئين من جملة القوم المتعمدين للذنب يقال خطئ اذا
اذنب متعمدا وانما قال من الخاطئين بلفظ التذكير تغليبا للذكور على الاناث وما كان العزيز الا رجلا حليما وروي انه كان قليل الغيرة
وقال نسوة في المدينة امرات العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا انا
لنراها في ضلال مبين ○ وقال نسوة جماعة من النساء وكن خمسا امراة الساقي وامراة الخباز وامراة
صاحب الدواب وامراة صاحب السجن وامراة الحاجب والنسوة مفرد لجمع المراة وتانيثه غير حقيقي كتانيث اللمة
ولذلك لم يلحق فعله تاء التانيث وفيه لغتان كسر النون وضمها في المدينة في مصر امراة العزيز يردن قطفير العزيز
الملك بلسان العرب فتاها غلامها يقال فتاي وفتاتي اي غلامي وجاريتي شغفها خرق حبه شغاف قلبها حتى وصل الى الفؤاد
والشغاف حجاب القلب وقيل جلدة رقيقة يقال لها لسان القلب قال النابغة ○ وقد حال هم دون ذلك والج
مكان الشغاف تبتغيه الاصابع ○ وقرئ شعفها بالعين من شعف البعير اذا هنأه فاحرقه بالقطران قال
كما شعف المهنوءة الرجل الطالي ○ ونصب حبا على التمييز في ضلال مبين في خطأ وبعد عن طريق الصواب
فلما سمعت بمكرهن ارسلت اليهن واعتدت لهن متكأ وآتت كل واحدة منهن
سكينا وقالت اخرج عليهن فلما رأينه اكبرنه وقطعن ايديهن وقلن حاش لله
ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم ○ بمكرهن باغتيابهن وسوء قالتهن وقولهن امراة العزيز عشقت
عبدها الكنعاني ومقتها وسمي الاغتياب مكرا لانه في خفية وحال غيبة كما يخفي الماكر مكره وقيل كانت استكتمتهن سرها
فافشينه عليها ارسلت اليهن دعتهن قيل دعت اربعين امراة منهن الخمس المذكورات واعتدت لهن متكأ
ما يتكئن عليه من نمارق قصدت بتلك الهيئة وهي قعودهن متكئات والسكاكين في ايديهن ان يدهشن ويبهتن
عند رؤيته ويشغلن عن نفوسهن فتقع ايديهن على ايديهن فيقطعنها لان المتكئ اذا بهت لشيء وقعت يده على يده
ولا يبعد ان تقصد الجمع بين المكر به وبهن فتضع الخناجر في ايديهن ليقطعن ايديهن فيبكتهن بالحجة وتهول
يوسف من مكرها اذا خرج على اربعين نسوة مجتمعات في ايديهن الخناجر توهمه انهن يثبن عليه وقيل متكأ مجلس طعام لانهم
كانوا يتكئون للطعام والشراب والحديث كعادة المترفين ولذلك نهي ان ياكل الرجل متكئا وآتتهن السكاكين ليعالجن
بها ما ياكلن وقيل متكأ طعاما من قولك اتكأنا عند فلان طعمنا على سبيل الكناية لان من دعوته ليطعم عندك اتخذت
له تكأة يتكئ عليها قال جميل ○ فظللنا بنعمة واتكأنا ○ وشربنا الحلال من قلله ○ وعن مجاهد متكأ طعاما يحز حزا
كان المعنى يعتمد بالسكين لان القاطع يتكئ على المقطوع بالسكين وقرئ متكا بغير همز وعن الحسن متكاء بالمد

اراد يعقوب الحضرمي صاحب القراءة وهو ابن عبد الله الحضرمي اعلم اهل البصرة واعقلهم

نيقة فعلة من تنوق في الامر اذا تمهر فيه وحذق

القصريات اي الت كانت في القصور والبوائق جمع بائقة وهي الداهية ... من الحيل ... من بائقة البوائق اي المهلكة ... والبائقة الداهية

اللمة تخفيف اللم الاصحاب من الثلثة الى العشرة

كانه مفتعال وذلك لاشباع فتحة الكاف كقوله بمنتزاح اي منتزح ونحوه ينباع بمعنى ينبع وقرئ متكأ وهو
الاترج والشد فاهدت تبلة تبني ابيها تحت بها العثمة الوقاح وكانت اهدت اترجة على ناقة وكانها
الاترجة التي ذكرها ابو داود في سننه انها شقت بنصفين وحملا كالعدلين على جمل وقيل الزماورد وعن وهب
اترجا وموزا وبطيخا وقيل اعتدت لهن ما يقطعن من متك الشيء بمعنى بتكه اذا قطعه وقرأ الاعرج متكأ مفعلا من
تكا يتكا اذا اتكا اكبرنه اعظمنه وهبن ذلك الحسن الرائع والجمال الفائق قيل كان فضل يوسف على الناس في الحسن
كفضل القمر ليلة البدر على نجوم السماء وعن النبي صلى الله عليه وسلم مررت بيوسف الليلة التي عرج بي الى السماء فقلت
لجبريل من هذا فقال يوسف فقيل يا رسول الله كيف رأيته قال كالقمر ليلة البدر وقيل كان يوسف اذا سار في ازقة مصر
يرى تلالؤ وجهه على الجدران كما يرى نور الشمس من الماء عليها وقيل ما كان احد يستطيع وصف يوسف وقيل كان يشبه آدم
يوم خلقه ربه وقيل ورث الجمال من جدته سارة وقيل اكبرن بمعنى حضن والهاء للسكت يقال اكبرت المرأة
اذا حاضت وحقيقته دخلت في الكبر لانها بالحيض تخرج من حد الصغر الى حد الكبر وكان ابا الطيب اخذ من هذا التفسير
قوله خف الله واستر ذا الجمال ببرقع فان لحت حاضت في الخدور العواتق قطعن ايديهن جرحنها كما تقول كنت
اقطع اللحم فقطعت يدي تريد جرحتها حاش كلمة تفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء تقول اساء القوم حاشى زيد قال
حاشى ابي ثوبان ان به ضنا عن الملحاة والشتم وهي حرف من حروف الجر فوضعت موضع التنزيه والبراءة
فمعنى حاشى الله براءة الله وتنزيه الله وهي قراءة ابن مسعود على اضافة حاشى الى الله اضافة البراءة ومن قرأ حاشى
لله فنحو قولك سقيا لك كانه قال براءة ثم قال لله لبيان من يبرأ وينزه والدليل على تنزيل حاشى منزلة
المصدر قراءة ابي السمال حاشا لله بالتنوين وقراءة ابي عمرو حاش لله بحذف الالف الاخرة وقراءة الاعمش حش لله
بحذف الالف الاولى وقرئ حاش لله بسكون الشين على ان الفتحة اتبعت الالف في الاسقاط وهي ضعيفة لما فيها من
التقاء الساكنين على غير حده وقرئ حاشى الاله **فان قلت** فلم جاز في حاشا لله ان لا ينون بعد
اجرائه مجرى براءة لله **قلت** مراعاة لاصله الذي هو الحرفية الا ترى الى قولهم جلست من عن يمينه كيف تركوا
عن غير معرب على اصله وعلى في قوله غدت من عليه منقلب الالف الى الياء مع الضمير والمعنى تنزيه الله من صفات العجز والتعجب
من قدرته على خلق جميل مثله واما قوله حاش لله ما علمنا عليه من سوء فالتعجب من قدرته على خلق عفيف مثله ما هذا
بشرا نفين عنه البشرية لغرابة جماله ومباعدة حسنه لما عليه محاسن الصور واثبتن له الملكية وبتتن بها الحكم
وذلك لان الله عز وجل ركز في الطباع ان لا احسن من الملك كما ركز فيها ان لا اقبح من الشيطان ولذلك يشبه
كل متناه في القبح والحسن بهما وما ركز ذلك فيها الا لان الحقيقة كذلك كما ركز في الطباع ان لا ادخل في الشر من
الشياطين ولا اجمع للخير من الملائكة الا ما عليه الفئة الخاسئة المجبرة من تفضيل الانسان على الملك وما هو الا من
تعكيسهم للحقائق وجحودهم للعلوم الضرورية ومكابرتهم في كل باب واعمال ما عمل ليس هي اللغة القدمى الحجازية وبها
ورد القرآن ومنها قوله تعالى ما هن امهاتهم ومن قرأ على سليقته من بني تميم قرأ بشر بالرفع وهي قراءة ابن مسعود
وقرئ ما هذا بشرى اي ما هو بعبد مملوك لئيم ان هذا الا ملك كريم تقول هذا بشرى اي حاصل بشرى بمعنى هذا مشترى
وتقول هذا لك بشرى ام بكرى والقراءة هي الاولى لموافقتها المصحف ومطابقة بشر لملك قالت فذلكن الذي
لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا
من الصاغرين قالت فذلكن ولم تقل فهذا وهو حاضر رفعا لمنزلته في الحسن واستحقاق ان يحب ويفتتن
به وربا بحاله واستبعادا لمحله ويجوز ان يكون اشارة الى المعنى بقولهن عشقت عبدها الكنعاني تقول هو ذلك
العبد الكنعاني الذي صورتن في انفسكن ثم لمتنني فيه تعني انكن لم تصورنه بحق صورته ولو صورتنه بما عاينتن لعذرتنني
في الافتتان به الاستعصام بناء مبالغة يدل على الامتناع البليغ والتحفظ الشديد كانه في عصمة وهو يجتهد في
الاستزادة منها ونحوه استمسك واستوسع الفتق واستجمع الرأي واستفحل الخطب وهذا بيان لما كان من يوسف
لا مزيد عليه وبرهان لا شيء انور منه على انه برئ مما اضاف اليه اهل الحشو مما فسروا به الهم والبرهان **فان قلت**
الضمير في آمره راجع الى الموصول ام الى يوسف **قلت** بل الى الموصول والمعنى ما آمر به فحذف الجار كما في قولك

العثمة من النوق الشديدة والذكر عثم والوقاح الناقة الصلبة الخف وقال الجمل الوقاح الحافر الصلب ويشبه الرجل البخيل بها ه

ما ذكره المصنف من تعسفه وعدوله عن الحق الى باطله فان الآية لا تدل على تفضيل الملك على البشر وما ذكره من المقدمات جميعها ممنوع غير بين ولا مدلول عليه ه

ربا بنفسه رفعها

امرتك

امرتك الخير ويجوز ان يجعل ما مصدرية فيرجع الى يوسف ومعناه ولئن لم يفعل امري اياه اي موجب امري ومقتضاه
وقرئ وليكونن بالتشديد والتخفيف والتخفيف اولى لان النون كتبت في المصحف الفا على حكم الوقف وذلك
لا يكون الا في الخفيفة قال رب السجن احب الي مما يدعونني اليه والا تصرف عني
كيدهن اصب اليهن واكن من الجاهلين فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن
انه هو السميع العليم وقرئ السجن بالفتح على المصدر وقال يدعونني على اسناد الدعوة اليهن جميعا
لانهن تنصحن له وزين له مطاوعتها وقلن له اياك والقاء نفسك في السجن والصغار فالتجأ الى ربه عند ذلك
وقال رب نزول السجن احب الي من ركوب المعصية **فان قلت** نزول السجن مشقة على النفس شديدة
وما دعونه اليه لذة عظيمة فكيف كانت المشقة احب اليه من اللذة **قلت** كانت احب اليه وآثر عنده
نظرا الى حسن الصبر على احتمالها لوجه الله تعالى والى قبح المعصية وفي عاقبة كل واحدة منهما لا نظرا الى مشتهى النفس
ومكروهها والا تصرف عني كيدهن فزع منه الى الطاف الله وعصمته كعادة الانبياء والصالحين فيما عزم عليه ووطن
عليه نفسه من الصبر لا ان يطلب منه الاجبار على التعفف والالجاء اليه اصب اليهن اميل اليهن والصبوة الميل
الى الهوى ومنها الصبا لان النفوس تصبو اليها لطيب نسيمها وروحها وقرئ اصب اليهن من الصبابة من
الجاهلين من الذين لا يعملون بما يعلمون لان من لا جدوى لعلمه فهو ومن لا يعلم سواء او من السفهاء لان الحكيم لا يفعل
القبيح وانما ذكر الاستجابة ولم يتقدم الدعاء لان قوله والا تصرف عني فيه معنى طلب الصرف والدعاء باللطف السميع
لدعوات الملتجئين اليه العليم باحوالهم وما يصلحهم ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين
بدا لهم فاعله مضمر لدلالة ما يفسره عليه وهو ليسجننه والمعنى بدا لهم بداء اي ظهر لهم رأي ليسجننه والضمير لهم
للعزيز واهله من بعد ما رأوا الآيات وهي الشواهد على براءته وما كان ذلك الا باستنزال المرأة لزوجها وفتلها منه
في الذروة والغارب وكان مطواعة لها وجميلا ذلولا زمامه في يدها حتى انساه ذلك ما عاين من الآيات وعمل
برأيها في سجنه والحاق الصغار به كما اوعدته به وذلك لما ايست من طاعته لها او لطمعها في ان يذلله السجن ويسخره
لها وفي قراءة الحسن لتسجننه بالتاء على الخطاب خاطب به بعضهم العزيز ومن يليه او العزيز وحده على وجه التعظيم
حتى حين الى زمان كانها اقترحت ان يسجن زمانا حتى تبصر ما يكون منه وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه
عتى حين وهي لغة هذيل وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه سمع رجلا يقرأ عتى حين فقال من اقرأك قال ابن مسعود
فكتب اليه ان الله انزل هذا القرآن فجعله عربيا وانزله بلغة قريش فاقرئ الناس بلغة قريش ولا تقرئهم بلغة
هذيل والسلام ودخل معه السجن فتيان قال احدهما اني اراني اعصر خمرا وقال
الآخر اني اراني احمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه نبئنا بتأويله انا نراك
من المحسنين مع يدل على معنى الصحبة واستحداثها تقول خرجت مع الامير تريد مصاحبا له فيجب ان يكون
دخولهما السجن مصاحبين له فتيان عبدان للملك خبازه وشرابيه رقي اليه انهما يسمانه فامر بهما الى السجن فادخلا
السجن ساعة ادخل يوسف اني اراني يعني في المنام وهي حكاية حال ماضية اعصر خمرا يعني عنبا تسمية للعنب
بما يؤول اليه وقيل الخمر بلغة عمان اسم للعنب وفي قراءة ابن مسعود اعصر عنبا من المحسنين من الذين يحسنون عبارة
الرؤيا اي يجيدونها رأياه يقص عليه بعض اهل السجن رؤياه فيؤولها لهم فقالا له ذلك او من العلماء لانهما سمعاه
يذكر للناس ما علما به انه عالم او من المحسنين الى اهل السجن فاحسن الينا بان تفرج عنا الغمة بتأويل ما رأينا ان كانت
لك يد في تأويل الرؤيا روي انه كان اذا مرض رجل منهم قام عليه واذا ضاق اوسع له واذا احتاج جمع له
وعن قتادة كان في السجن ناس قد انقطع رجاؤهم وطال حزنهم فجعل يقول ابشروا واصبروا تؤجروا ان لهذا لاجرا
فقالوا بارك الله عليك ما احسن وجهك واحسن خلقك لقد بورك لنا في جوارك فمن انت يا فتى قال انا يوسف بن
صفي الله يعقوب بن ذبيح الله اسحق بن خليل الله ابراهيم فقال له عامل السجن لو استطعت خليت سبيلك ولكني
احسن جوارك فكن في اي بيوت السجن شئت وروي ان الفتيين قالا له انا لنحبك من حين رأيناك
فقال انشدكما بالله ان لا تحباني فوالله ما احبني احد قط الا دخل علي من حبه بلاء لقد احبتني عمتي فدخل علي من حبها
بلاء ثم احبني ابي فدخل علي من حبه بلاء ثم احبتني زوجة صاحبي فدخل علي من حبها بلاء فلا تحباني بارك الله فيكما

وعن الشعبي انهما تحالما ليمتحناه فقال الشرابي اراني في بستان فاذا باصل حبلة عليها ثلاثة عناقيد من عنب فقطفتها وعصرتها في كاس الملك وسقيته وقال الخباز اراني وفوق راسي ثلاث سلال فيها انواع الاطعمة واذا سباع الطير تنهس منها **فان قلت** الام يرجع الضمير في قوله نبئنا بتاويله **قلت** الى ما قصا عليه والضمير يجري مجرى اسم الاشارة في كونه كانه قيل نبئنا بتاويل ذلك

قال لا ياتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتاويله قبل ان ياتيكما ذلكما مما علمني ربي اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون واتبعت ملة آبائي ابرهيم واسحق ويعقوب ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون

لما استعبراه ووصفاه بالاحسان افترص ذلك فوصل به وصف نفسه بما هو فوق علم العلماء وهو الاخبار بالغيب وانه ينبئهما بما يحمل اليهما من الطعام في السجن قبل ان ياتيهما ويصفه لهما ويقول اليوم ياتيكما طعام من صفته كيت وكيت فيجدانه كما اخبرهما وجعل ذلك تخلصا الى ان يذكر لهما التوحيد ويعرض عليهما الايمان ويزينه لهما ويقبح اليهما الشرك بالله وهذه طريقة على كل ذي علم ان يسلكها مع الجهال والفسقة اذا استفتاه واحد منهم ان يقدم الهداية والارشاد والموعظة والنصيحة اولا ويدعوه الى ما هو اولى به واوجب عليه مما استفتى فيه ثم يفتيه بعد ذلك وفيه ان العالم اذا جهلت منزلته في العلم فوصف نفسه بما هو بصدده وغرضه ان يقتبس منه وينتفع به في الدين لم يكن من باب التزكية بتاويله ببيان ماهيته وكيفيته لان ذلك يشبه تفسير المشكل والاعراب عن معناه ذلكما اشارة لهما الى التاويل اي ذلك التاويل والاخبار بالمغيبات مما علمني ربي واوحى به الي ولم اقله عن تكهن وتنجم اني تركت يجوز ان يكون كلاما مبتدأ وان يكون تعليلا لما قبله اي علمني ذلك واوحى الي لاني رفضت ملة اولئك واتبعت ملة الانبياء المذكورين وهي الملة الحنيفية واراد باولئك الذين لا يؤمنون اهل مصر ومن كان الفتيان على دينهم وتكريرهم للدلالة على انهم خصوصا كافرون بالآخرة وان غيرهم قوم مؤمنون بها وهم الذين على ملة ابرهيم ولتوكيد كفرهم بالجزاء تنبيها على ما هم عليه من الظلم والكبائر التي لا يرتكبها الا من هو كافر بدار الجزاء ويجوز ان يكون فيه تعريض بما مني به من جهتهم حين اودعوه السجن بعد ما راوا الآيات الشاهدة على براءته وان ذلك مما لا يقدم عليه الا من هو شديد الكفر بالجزاء وذكر آباءه ليريهما انه من بيت النبوة بعد ان عرفهما انه نبي يوحى اليه بما ذكر من اخباره بالغيوب ليقوي رغبتهما في الاستماع اليه واتباع قوله ما كان لنا ما صح لنا معشر الانبياء ان نشرك بالله اي شيء كان من ملك او جني او انسي فضلا ان نشرك به صنما لا يسمع ولا يبصر ثم قال ذلك التوحيد من فضل الله علينا وعلى الناس اي على الرسل وعلى المرسل اليهم لانهم نبهوهم عليه وارشدوهم اليه ولكن اكثر الناس المبعوث اليهم لا يشكرون فضل الله فيشركون ولا ينتبهون وقيل ان ذلك من فضل الله علينا لانه نصب لنا الادلة التي ننظر فيها ونستدل بها وقد نصب مثل تلك الادلة لسائر الناس من غير تفاوت ولكن اكثر الناس لا ينظرون ولا يعتبرون اتباعا لاهوائهم فيبقون كافرين غير شاكرين

يا صاحبي السجن ءارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار

يا صاحبي السجن يريد يا صاحبي في السجن فاضافهما الى السجن كما تقول يا سارق الليلة فكما ان الليلة مسروق فيها غير مسروقة فكذلك السجن مصحوب فيه غير مصحوب وانما المصحوب غيره وهو يوسف عليه السلام ونحوه قولك لصاحبيك يا صاحبي الصدق فتضيفهما الى الصدق ولا تريد انهما صحبا الصدق ولكن كما تقول رجلا صدق وسميتهما صاحبين لانهما صحباك ويجوز ان يريد يا ساكني السجن كقوله تعالى اصحاب النار واصحاب الجنة لكانهما ارباب متفرقون خير يريد التفرق في العدد والتكاثر يقول أان يكون لكما ارباب شتى يستعبدكما هذا ويستعبدكما هذا خير لكما ام ان يكون لكما رب واحد قهار لا يغالب ولا يشارك في الربوبية بل هو القهار الغالب وهذا مثل ضربه لعبادة الله وحده ولعبادة الاصنام

ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان ان الحكم الا لله امر الا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون

ما تعبدون خطاب لهما ولمن على دينهما من اهل مصر الا اسماء يعني انكم سميتم ما لا يستحق الالهية آلهة ثم طفقتم تعبدونها فكانكم لا تعبدون الا اسماء فارغة لا مسميات تحتها ومعنى سميتموها سميتم بها يقال سميته بزيد وسميته زيدا ما انزل الله بها اي بتسميتها من سلطان من حجة ان الحكم في امر العبادة

والدين

والدين الا لله ثم بين ما حكم به فقال امر الا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم الثابت الذي دلت عليه البراهين

يا صاحبي السجن اما احدكما فيسقي ربه خمرا واما الآخر فيصلب فتاكل الطير من راسه قضي الامر الذي فيه تستفتيان

اما احدكما يريد الشرابي فيسقي ربه سيده وقرأ عكرمة فيسقى ربه اي يسقى ما يروى به على البناء للمفعول روي انه قال للاول ما رايت من الكرمة وحسنها هو الملك وحسن حالك عنده واما القضبان الثلاثة فانها ثلاثة ايام تمضي في السجن ثم تخرج وتعود الى ما كنت عليه وقال للثاني ما رايت من السلال ثلاثة ايام ثم تخرج فتقتل قضي الامر قطع وتم ما تستفتيان فيه من امركما وشانكما **فان قلت** ما استفتيا في امر واحد بل في امرين مختلفين فما وجه التوحيد **قلت** المراد بالامر ما اتهما به من سم الملك وما سجنا من اجله فظنا ان ما رأياه في معنى ما نزل بهما فكانهما كانا يستفتيانه في الامر الذي نزل بهما أعاقبته نجاة ام هلاك فقال لهما قضي الامر الذي فيه تستفتيان اي ما يجر اليه من العاقبة وهي هلاك احدهما ونجاة الآخر وقيل جحدا وقالا ما راينا شيئا على ما روي انهما تحالما فاخبرهما ان ذلك كائن صدقتما او كذبتما

وقال للذي ظن انه ناج منهما اذكرني عند ربك فانساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين

ظن انه ناج الظان هو يوسف عليه السلام ان كان تاويله بطريق الاجتهاد وان كان بطريق الوحي فالظان هو الشرابي او يكون الظن بمعنى اليقين اذكرني عند ربك صفني عند الملك بصفتي وقص عليه قصتي لعله يرحمني وينتاشني من هذه الورطة فانساه الشيطان فانسى الشرابي ذكر ربه ان يذكره لربه وقيل فانسى يوسف ذكر الله حين وكل امره الى غيره بضع سنين البضع ما بين الثلاث الى التسع واكثر الاقاويل على انه لبث فيه سبع سنين **فان قلت** كيف يقدر الشيطان على الانساء **قلت** يوسوس الى العبد بما يشغله عن الشيء من اسباب النسيان حتى يذهب عنه ويزل عن قلبه ذكره واما الانساء ابتداء فلا يقدر عليه الا الله تعالى ما ننسخ من آية او ننسها **فان قلت** ما وجه اضافة الذكر الى ربه اذا اريد به الملك وما هي باضافة المصدر الى الفاعل ولا الى المفعول **قلت** قد لابسه في قولك فانساه الشيطان ذكره لربه او عند ربه فجازت اضافته اليه لان الاضافة تكون بادنى ملابسة او على تقدير فانساه الشيطان ذكر اخبار ربه فحذف المضاف الذي هو الاخبار **فان قلت** لم انكر على يوسف عليه السلام الاستعانة بغير الله تعالى في كشف ما كان فيه وقد قال الله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى وقال حكاية عن عيسى عليه السلام من انصاري الى الله وفي الحديث الله في عون العبد ما دام العبد في عون اخيه المسلم من فرج عن مؤمن كربة فرج الله عنه كربة من كرب الآخرة وعن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ياخذه النوم ليلة من الليالي وكان يطلب من يحرسه حتى جاء سعد فسمعت غطيطه وهل ذلك الا مثل التداوي بالادوية والتقوي بالاشربة والاطعمة وان كان ذلك لان الملك كان كافرا فلا خلاف في جواز ان يستعان بالكفار في دفع الظلم والغرق والحرق ونحو ذلك من المضار **قلت** كما اصطفى الله تعالى الانبياء على خليقته فقد اصطفى لهم احسن الامور وافضلها واولاها والاحسن والاولى بالنبي ان لا يكل امره اذا ابتلي ببلاء الا الى ربه ولا يعتضد الا به خصوصا اذا كان المعتضد به كافرا لئلا يشمت به الكفار ويقولوا لو كان هذا على الحق وكان له رب لخيبه لما استغاث بنا وعن الحسن انه كان يبكي اذا قرأها ويقول نحن اذا نزل بنا امر فزعنا الى الناس

وقال الملك اني ارى سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات يا ايها الملأ افتوني في رؤياي ان كنتم للرؤيا تعبرون

لما دنا فرج يوسف رأى ملك مصر الريان بن الوليد رؤيا عجيبة هالته رأى سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات عجاف فابتلعت العجاف السمان ورأى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وسبعا اخر يابسات قد استحصدت وادركت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها فاستعبرها فلم يجد في قومه من يحسن عبارتها سمان جمع سمين وسمينة وكذلك رجال ونسوة كرام **فان قلت** هل من فرق بين ايقاع سمان صفة للمميز وهو بقرات دون المميز وهو سبع وان يقال سبع بقرات سمانا **قلت** اذا اوقعتها صفة لبقرات فقد قصدت الى ان تميز السبع بنوع من البقرات وهي السمان منهن لا بجنسهن ولو وصفت بها السبع لقصدت الى تمييز السبع بجنس البقرات لا بنوع منها ثم رجعت فوصفت المميز بالجنس بالسمن

فان قلت هلا قيل سبع عجاف على الاضافة قلت التمييز موضوع لبيان الجنس والعجاف
وصف لا يقع البيان به وحده فان قلت فقد يقولون ثلثة فرسان وخمسة اصحاب قلت
الفارس والصاحب والراكب ونحوها صفات جرت مجرى الاسماء فاخذت حكمها وجاز فيها ما لم يجز في غيرها الا تراك
لا تقول عندي ثلثة ضخام واربعة غلاظ فان قلت ذاك مما يشكل وما نحن بسبيله لا اشكال فيه
الا ترى انه لم يقل بقرات سبع عجاف لوقوع العلم بان المراد البقرات قلت ترك الاصل لا يجوز مع وقوع
الاستغناء عما ليس باصل وقد وقع الاستغناء بقولك سبع عجاف عما تقترحه من التمييز بالوصف والعجف الهزال الذي
ليس بعده والسبب في وقوع عجاف جمعا لعجفاء وافعل وفعلاء لا يجمعان على فعال حمله على سمان لانه نقيضه ومن دابهم
حمل النظير على النظير والنقيض على النقيض فان قلت هل في الآية دليل على ان السنبلات اليابسة كانت
سبعا كالخضر قلت الكلام مبني على انصبابه الى هذا العدد في البقرات السمان والعجاف والسنابل الخضر فوجب
ان يتناول معنى الاخر السبع ويكون قوله واخر يابسات بمعنى وسبعا اخر فان قلت هل يجوز ان يعطف قوله
واخر يابسات على سنبلات خضر فيكون مجرور المحل قلت يؤدي الى تدافع وهو ان عطفها على سنبلات خضر
يقتضي ان تدخل في حكمها فتكون معها مميزا للسبع المذكورة ولفظ الاخر يقتضي ان يكون غير السبع بيانه انك تقول
عنده سبعة رجال قيام وقعود بالجر فيصح لانك ميزت السبعة برجال موصوفين بالقيام والقعود على ان بعضهم قيام
وبعضهم قعود فلو قلت عنده سبعة رجال قيام وآخرين قعود تدافع ففسد يا ايها الملأ كانه اراد الاعيان من العلماء
والحكماء واللام في قوله للرؤيا اما ان تكون للبيان كقوله تعالى وكانوا فيه من الزاهدين واما ان تدخل لان العامل اذا تقدم
عليه معموله لم يكن في قوته على العمل فيه مثله اذا تاخر عنه فعضد بها كما يعضد بها اسم الفاعل اذا قلت هو عابر للرؤيا لانحطاطه
عن الفعل في القوة ويجوز ان يكون للرؤيا خبر كان كما تقول كان فلان لهذا الامر اذا كان مستقلا به متمكنا منه وتعبرون خبر
آخر او حالا وان يضمن تعبرون معنى فعل يتعدى باللام كانه قيل ان كنتم تنتدبون لعبارة الرؤيا وحقيقة عبرت الرؤيا ذكرت
عاقبتها وآخر امرها كما تقول عبرت النهر اذا قطعته حتى تبلغ آخر عرضه وهو عبره ونحوه اولت الرؤيا اذا ذكرت مالها وهو
مرجعها وعبرت الرؤيا بالتخفيف هو الذي اعتمده الاثبات ورايتهم ينكرون عبرت بالتشديد والتعبير والمعبر وقد عثرت
على بيت انشده المبرد في كتاب الكامل لبعض الاعراب • رايت رؤيا ثم عبرتها • وكنت للاحلام عبارا •
قالوا اضغاث احلام وما نحن بتاويل الاحلام بعالمين • اضغاث احلام تخاليطها واباطيلها
وما يكون منها من حديث نفس او وسوسة شيطان واصل الاضغاث ما جمع من اخلاط النبات وحزم الواحد ضغث
فاستعيرت لذلك والاضافة بمعنى من اي اضغاث من احلام والمعنى هي اضغاث احلام فان قلت ما هو الا حلم واحد
فلم قالوا اضغاث احلام فجمعوا قلت هو كما تقول فلان يركب الخيل ويلبس عمائم الخز لمن لا يركب الا فرسا واحدا وما له
الا عمامة فردة تزيدا في الوصف فهؤلاء ايضا تزيدوا في وصف الحلم بالبطلان فجعلوه اضغاث احلام ويجوز ان يكون
قد قص عليهم مع هذه الرؤيا رؤى غيرها وما نحن بتاويل الاحلام بعالمين اما ان يريدوا بالاحلام المنامات الباطلة خاصة
فيقولوا ليس لها عندنا تاويل فان التاويل انما هو للمنامات الصحيحة الصالحة واما ان يعترفوا بقصور علمهم وانهم ليسوا في تاويل
الاحلام بنحارير • **وقال الذي نجا منهما وادكر بعد امة انا انبئكم بتاويله فارسلون** • وقرئ واذكر
بالذال وهو الفصيح وعن الحسن واذكر بالذال اي تذكر الذي نجا من الفتيين من القتل يوسف وما شاهد منه بعد امة
مدة طويلة وذلك انه حين استفتى الملك في رؤياه واعضل على الملا تاويلها تذكر الناجي يوسف وتاويله رؤياه
ورؤيا صاحبه وطلبه اليه ان يذكره عند الملك وقرأ الاشهب العقيلي بعد امة بكسر الهمزة والامة النعمة قال عدي
ثم بعد الفلاح والملك والامة وارتهم هناك القبور اي بعد ما انعم الله تعالى عليه بالنجاة وقرئ بعد امه اي بعد نسيان
يقال امه يامه امها اذا نسي ومن قرأ بسكون الميم فقد خطئ انا انبئكم بتاويله انا اخبركم به عمن عنده علمه وفي قراءة الحسن
انا آتيكم بتاويله فارسلون فابعثوني اليه لاساله ومروني باستعباره وعن ابن عباس لم يكن السجن في المدينة •
يوسف ايها الصديق افتنا في سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات
خضر واخر يابسات لعلي ارجع الى الناس لعلهم يعلمون • المعنى فارسلوه الى يوسف فاتاه فقال

لس

يوسف ايها الصديق ايها البليغ في الصدق وانما قال له ذلك لانه ذاق احواله وتعرف صدقه في تاويل رؤياه ورؤيا صاحبه
حيث جاء كما اول ولذلك كلمه كلام محترز فقال لعلي ارجع الى الناس لعلهم يعلمون لانه ليس على يقين من الرجوع فربما اخترم دونه ولا من
علمهم فربما لم يعلموا ومعنى لعلهم يعلمون لعلهم يعلمون فضلك ومكانك من العلم فيطلبوك ويخلصوك من محنتك •
قال تزرعون سبع سنين دابا فما حصدتم فذروه في سنبله الا قليلا مما تاكلون
ثم ياتي من بعد ذلك سبع شداد ياكلن ما قدمتم لهن الا قليلا مما تحصنون • **ثم ياتي**
من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون • تزرعون خبر في معنى الامر كقوله تعالى
تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون وانما يخرج الامر في صورة الخبر للمبالغة في ايجاب ايجاد المامور به فيجعل كانه يوجد فهو يخبر
عنه والدليل على كونه في معنى الامر قوله فذروه في سنبله دابا بسكون الهمزة وتحريكها وهما مصدرا داب في العمل وهو حال
من المامورين اي دائبين اما على تدابون دابا واما على ايقاع المصدر حالا بمعنى ذوي داب فذروه في سنبله لئلا يتسوس
ياكلن من الاسناد المجازي جعل اكل اهلهن مسندا اليهن تحصنون تحرزونه وتخبؤونه يغاث الناس من الغوث او من
الغيث يقال غيثت البلاد اذا مطرت ومنه قول الاعرابية غثنا ما شئنا يعصرون بالياء والتاء يعصرون العنب
والزيتون والسمسم وقيل يحلبون الضروع وقرئ يعصرون على البناء للمفعول من عصره اذا انجاه وهو مطابق للاغاثة ويجوز
ان يكون المبني للفاعل بمعنى ينجون كانه قيل فيه يغاث الناس وفيه يغيثون اي يغيثهم الله تعالى ويغيث بعضهم بعضا
وقيل يعصرون يمطرون من اعصرت السحابة وفيه وجهان اما ان يضمن اعصرت معنى مطرت فيعدى تعديته واما ان يقال
الاصل اعصرت عليهم فحذف الجار واوصل الفعل تاول البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخاصيب والعجاف
واليابسات بسنين مجدبة ثم بشرهم بعد الفراغ من تاويل الرؤيا بان العام الثامن يجيء مباركا خصيبا كثير الخير غزير
النعم وذلك من جهة الوحي وعن قتادة زاده الله تعالى علم سنة فان قلت معلوم ان السنين المجدبة
اذا انتهت كان انتهاؤها بالخصب والا لم توصف بالانتهاء فلم قلت ان علم ذلك من جهة الوحي قلت ذلك معلوم
علما مطلقا لا مفصلا وقوله فيه يغاث الناس وفيه يعصرون تفصيل لحال العام وذلك لا يعلم الا بالوحي • **وقال الملك**
ائتوني به فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك فاساله ما بال النسوة اللاتي قطعن
ايديهن ان ربي بكيدهن عليم • انما تانى وتثبت في اجابة الملك وقدم سؤال النسوة ليظهر براءة ساحته
عما قرف به وسجن فيه لئلا يتسلق به الحاسدون الى تقبيح امره عنده ويجعلوه سلما الى حط منزلته لديه ولئلا يقولوا ما خلد
في السجن سبع سنين الا لامر عظيم وجرم كبير حق به ان يسجن ويعذب ويستكف شره وفيه دليل على ان الاجتهاد في نفي
التهم واجب وجوب اتقاء الوقوف في مواقفها قال صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفن مواقف
التهم ومنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمارين به في معتكفه وعنده بعض نسائه هي فلانة اتقاء للتهمة
وعن النبي صلى الله عليه وسلم لقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره والله يغفر له حين سئل عن البقرات العجاف والسمان ولو
كنت مكانه ما اخبرتهم حتى اشترط ان يخرجوني ولقد عجبت منه حين اتاه الرسول فقال ارجع الى ربك ولو كنت مكانه ولبثت
في السجن ما لبث لاسرعت الاجابة وبادرتهم الباب ولما ابتغيت العذر ان كان لحليما ذا اناة وانما قال سل الملك عن
شان النسوة ولم يقل سله ان يفتش عن شانهن لان السؤال مما يهيج الانسان ويحركه للبحث عما سئل عنه فاراد
ان يورد عليه السؤال ليجد في التفتيش عن حقيقة القصة وفص الحديث حتى يتبين له براءته بيانا مكشوفا يتميز فيه
الحق من الباطل وقرئ النسوة بضم النون ومن كرمه وحسن ادبه انه لم يذكر سيدته مع ما صنعت به وتسببت فيه
من السجن والعذاب واقتصر على ذكر المقطعات ايديهن ان ربي ان الله تعالى بكيدهن عليم اراد انه كيد عظيم لا يعلمه الا الله
لبعد غوره او استشهد بعلم الله تعالى على انهن كدنه وانه بريء مما قرف به او اراد الوعيد لهن اي هو عليم بكيدهن
فمجازيهن عليه • **قال ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ما علمنا عليه**
من سوء قالت امرات العزيز الآن حصحص الحق انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين
ما خطبكن ما شانكن اذ راودتن يوسف هل وجدتن منه ميلا اليكن قلن حاش لله تعجبا من عفته وذهابه بنفسه عن
شيء من الريبة ومن نزاهته عنها قالت امراة العزيز الآن حصحص الحق اي ثبت واستقر وقرئ حصحص على البناء للمفعول وهو

قال غيلان بن عقبة تاملت ابنة بني فلان فقالت
ما افصحها انتهى عن الطيبي [illegible]
غثنا ما شئنا
ح

من حصحص البعير اذا القى ثفناته للاناخة قال فحصحص في صم الصفا ثفناته وناء بسلمى نوأة ثم صمما ولا مزيد على شهادتهن له بالبراءة والنزاهة واعترافهن على انفسهن بانه لم يتعلق بشيء مما قرفنه به لانهن خصومه واذا اعترف الخصم بان صاحبه على الحق وهو على الباطل لم يبق لاحد مقال وقالت المجبرة والحشوية نحن قد بقي لنا مقال ولا بد لنا ان ندق في فروة من ثبتت نزاهته

ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب وان الله لا يهدي كيد الخائنين

ذلك ليعلم من كلام يوسف اي ذلك التثبت والتشمر لظهور البراءة ليعلم العزيز اني لم اخنه بظهر الغيب في حرمته ومحل بالغيب الحال من الفاعل او المفعول على معنى وانا غائب عنه خفي عن عينه او وهو غائب عني خفي عن عيني ويجوز ان يكون ظرفا اي بمكان الغيب وهو الخفاء والاستتار وراء الابواب السبعة المغلقة وليعلم ان الله لا يهدي كيد الخائنين لا ينفذه ولا يسدده وكأنه تعريض بامرأته في خيانتها امانة زوجها وبه في خيانته امانة الله حين ساعدها بعد ظهور الآيات على حبسه ويجوز ان يكون تأكيدا لامانته وانه لو كان خائنا لما هدى الله كيده ولا سدده

وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي ان ربي غفور رحيم

ثم اراد ان يتواضع لله ويهضم نفسه لئلا يكون لها مزكيا وبحالها في الامانة معجبا ومفتخرا كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم ولا فخر وليبين ان ما فيه من الامانة ليس به وحده وانما هو بتوفيق الله تعالى ولطفه وعصمته فقال وما ابرئ نفسي من الزلل وما اشهد لها بالبراءة الكلية ولا ازكيها ولا يخلو اما ان يريد في هذه الحادثة لما ذكرنا من الهم الذي هو ميل النفس عن طريق الشهوة البشرية لا عن طريق القصد والعزم واما ان يريد عموم الاحوال ان النفس لامارة بالسوء اراد الجنس اي ان هذا الجنس يأمر بالسوء ويحمل عليه بما فيه من الشهوات الا ما رحم ربي الا البعض الذي رحمه ربي بالعصمة كالملائكة ويجوز ان يكون ما رحم في معنى الزمان اي الا وقت رحمة ربي يعني انها امارة بالسوء في كل وقت واوان الا وقت العصمة ويجوز ان يكون استثناء منقطعا اي ولكن رحمة ربي هي التي تصرف الاساءة كقوله ولا هم ينقذون الا رحمة وقيل معناه ذلك ليعلم الله اني لم اخنه لان المعصية خيانة وقيل هو من كلام امرأة العزيز اي ذلك الذي قلت ليعلم يوسف اني لم اخنه ولم اكذب عليه في حال الغيبة وجئت بالصحيح والصدق فيما سئلت عنه وما ابرئ نفسي مع ذلك من الخيانة فاني قد خنته حين قرفته وقلت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن واودعته السجن تريد الاعتذار مما كان منها ان كل نفس لامارة بالسوء الا نفسا رحمها الله تعالى بالعصمة كنفس يوسف ان ربي غفور رحيم استغفرت ربها واسترحمته مما ارتكبت **فان قلت** كيف صح ان يجعل من كلام يوسف ولا دليل على ذلك **قلت** كفى بالمعنى دليلا قائدا الى ان يجعل من كلامه ونحوه قوله قال الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره ثم قال فماذا تأمرون وهو من كلام فرعون يخاطبهم ويستشيرهم وعن ابن جريج هذا من تقديم القرآن وتأخيره ذهب الى ان ذلك ليعلم متصل بقوله فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن ولقد لفقت المبطلة روايات موضوعة فزعموا ان يوسف حين قال اني لم اخنه بالغيب قال له جبريل ولا حين هممت بها وقالت له امرأة العزيز ولا حين حللت تكة سراويلك يا يوسف وذلك لتهالكهم على بهت الله تعالى ورسله

وقال الملك ائتوني به استخلصه لنفسي فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين امين

يقال استخلصه واستخصه اذا جعله خالصا لنفسه وخاصا به فلما كلمه وشاهد منه ما لم يحتسب قال ايها الصديق انك اليوم لدينا مكين ذو مكانة ومنزلة امين مؤتمن على كل شيء روي ان الرسول جاءه فقال اجب الملك فخرج من السجن ودعا لاهله اللهم اعطف عليهم قلوب الاخيار ولا تعم عليهم الاخبار فهم اعلم الناس بالاخبار في الواقعات وكتب على باب السجن هذه منازل البلوى وقبور الاحياء وشماتة الاعداء وتجربة الاصدقاء ثم اغتسل وتنظف من درن السجن ولبس ثيابا جددا فلما دخل على الملك قال اللهم اني اسألك بخيرك من خيره واعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه ودعا له بالعبرانية فقال ما هذا اللسان فقال لسان آبائي وكان الملك يتكلم بسبعين لسانا فكلمه بها فاجابه بجميعها فتعجب منه فقال ايها الصديق اني احب ان اسمع رؤياي منك قال رأيت بقرات فوصف الوانهن واحوالهن ومكان خروجهن ووصف السنابل وما كان منها على الهيئة التي رآها الملك لا يخرم منها حرفا وقال له من حقك ان تجمع الطعام في الاهراء فيأتيك الخلق من النواحي ويمتارون منك ويجتمع لك من الكنوز ما لم يجتمع لاحد قبلك **قال اجعلني**

على خزائن الارض اني حفيظ عليم

اجعلني على خزائن الارض ولني خزائن ارضك اني حفيظ عليم احفظ ما تستحفظنيه عالم بوجوه التصرف وصف نفسه بالامانة والكفاية اللتين هما طلبة الملوك ممن يولونه وانما قال ذلك ليتوصل الى امضاء احكام الله تعالى واقامة الحق وبسط العدل والتمكن مما لاجله تبعث الانبياء الى العباد ولعلمه ان احدا غيره لا يقوم مقامه في ذلك فطلب التولية ابتغاء وجه الله لا لحب الملك والدنيا وعن النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي يوسف لو لم يقل اجعلني على خزائن الارض لاستعمله من ساعته ولكنه اخر ذلك سنة **فان قلت** كيف جاز ان يتولى عملا من يد كافر ويكون تبعا له وتحت امره وطاعته **قلت** روي عن مجاهد انه قد اسلم وعن قتادة هو دليل على انه يجوز ان يتولى الانسان عملا من يد سلطان جائر وقد كان السلف يتولون القضاء من جهة البغاة ويرونه واذا علم النبي او العالم انه لا سبيل الى الحكم بامر الله ودفع الظلم الا بتمكين الملك الكافر او الفاسق فله ان يستظهر به وقيل كان الملك يصدر عن رأيه ولا يعترض عليه في كل ما رأى فكان في حكم التابع له والمطيع

وكذلك مكنا ليوسف في الارض يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع اجر المحسنين ولاجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون

وكذلك ومثل ذلك التمكين الظاهر مكنا ليوسف في ارض مصر روي انها كانت اربعين فرسخا في اربعين فرسخا يتبوأ منها حيث يشاء وقرئ بالنون والياء اي كل مكان اراد ان يتخذه منزلا ومتبوأ له لم يمنع منه لاستيلائه على جميعها ودخولها تحت ملكته وسلطانه روي ان الملك توجه وختمه بخاتمه ورداه بسيفه ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت وروي انه قال له اما السرير فاشد به ملكك واما الخاتم فادبر به امرك واما التاج فليس من لباسي ولا لباس آبائي فقال قد وضعته اجلالا لك واقرارا بفضلك فجلس على السرير ودانت له الملوك وفوض الملك اليه امره وعزل قطفير ثم مات بعد فزوجه الملك امرأته فلما دخل عليها قال أليس هذا خيرا مما طلبت فوجدها عذراء فولدت له ولدين افرائيم وميشا واقام العدل بمصر واحبته الرجال والنساء واسلم على يديه الملك وكثير من الناس وباع من اهل مصر في سني القحط الطعام بالدراهم والدنانير في السنة الاولى حتى لم يبق معهم شيء منها ثم بالحلي والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا فقالوا والله ما رأينا كاليوم ملكا اجل ولا اعظم منه فقال للملك كيف رأيت صنع الله تعالى بي فيما خولني فما ترى قال الرأي رأيك قال فاني اشهد الله واشهدك اني اعتقت اهل مصر عن آخرهم ورددت عليهم املاكهم وكان لا يبيع من احد من الممتارين اكثر من حمل بعير تقسيطا بين الناس واصاب ارض كنعان وبلاد الشام نحو ما اصاب مصر فارسل يعقوب بنيه ليمتاروا واحتبس بنيامين برحمتنا بعطائنا في الدنيا من الملك والغنى وغيرهما من النعم من نشاء من اقتضت الحكمة ان نشاء له ذلك ولا نضيع اجر المحسنين اي اجرهم في الدنيا ولاجر الآخرة خير لهم قال سفيان بن عيينة المؤمن يثاب على حسناته في الدنيا والآخرة والفاجر يعجل له الخير في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق وتلا هذه الآية

وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون

لم يعرفوه لطول العهد ومفارقته اياهم في سن الحداثة ولاعتقادهم انه قد هلك ولذهابه عن اوهامهم لقلة فكرهم فيه واهتمامهم بشأنه ولبعد حاله التي بلغها من الملك والسلطان عن حاله التي فارقوه عليها طريحا في البئر مشريا بدراهم معدودة حتى لو تخيل لهم انه هو لكذبوا انفسهم وظنونهم ولان الملك مما يبدل الزي ويلبس صاحبه من التهيب والاستعظام ما ينكر له المعروف وقيل رأوه على زي فرعون عليه ثياب الحرير جالسا على سرير في عنقه طوق من ذهب وعلى رأسه تاج فما خطر ببالهم انه هو وقيل ما رأوه الا من بعيد بينهم وبينه مسافة وحجاب وما وقفوا الا حيث يقف طلاب الحوائج وانما عرفهم لانه فارقهم وهم رجال ورأى زيهم قريبا من زيهم اذ ذاك ولان همته كانت معقودة بهم وبمعرفتهم فكان يتأمل ويتفطن وعن الحسن ما عرفهم حتى تعرفوا له

ولما جهزهم بجهازهم قال ائتوني باخ لكم من ابيكم ألا ترون اني اوفي الكيل وانا خير المنزلين

ولما جهزهم بجهازهم اصلحهم بعدتهم وهي عدة السفر من الزاد وما يحتاج اليه المسافرون واوقر ركائبهم بما جاؤوا له من الميرة وقرئ بجهازهم بكسر الجيم قال ائتوني باخ لكم من ابيكم لا بد من مقدمة سبقت له معهم حتى اجتر القول هذه المسألة روي انه لما رآهم وكلموه بالعبرانية قال لهم اخبروني من انتم وما شأنكم فاني انكركم قالوا نحن قوم من اهل الشام رعاة اصابنا الجهد فجئنا نمتار

فقال لعلكم جئتم عيونا تنظرون عورة بلادي قالوا معاذ الله نحن اخوة بنو اب واحد وهو شيخ صديق نبي من الانبياء اسمه
يعقوب قال كم انتم قالوا كنا اثني عشر فهلك منا واحد قال فكم انتم هنا قالوا عشرة قال واين الاخ الحادي عشر قالوا هو عند
ابيه يتسلى به من الهالك قال فمن يشهد لكم انكم لستم بعيون وان الذي تقولون حق قالوا انا ببلاد لا يعرفنا فيها احد
فيشهد لنا قال فدعوا بعضكم عندي رهينة وائتوني باخيكم من ابيكم وهو يحمل رسالة من ابيكم حتى اصدقكم فاقترعوا
بينهم فاصابت القرعة شمعون وكان احسنهم رأيا في يوسف فخلفوه عنده وكان قد احسن انزالهم وضيافتهم

فان لم تاتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون ولا تقربون فيه وجهان احدهما ان يكون
داخلا في حكم الجزاء مجزوما عطفا على محل قوله فلا كيل لكم كانه قيل فان لم تاتوني به تحرموا ولا تقربوا وان يكون بمعنى النهي

قالوا سنراود عنه اباه وانا لفاعلون سنراود عنه اباه سنخادعه عنه ونجتهد ونحتال
حتى ننتزعه من يده وانا لفاعلون لقادرون على ذلك لا نتعايا به او وانا لفاعلون ذلك لا محالة لا نفرط فيه ولا نتوانى

وقال لفتيته اجعلوا بضاعتهم في رحالهم لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا الى اهلهم لعلهم يرجعون
لفتيته وقرئ لفتيانه وهما جمع فتى كاخوة واخوان في اخ وفعلة للقلة وفعلان للكثرة اي لغلمانه الكيالين لعلهم
يعرفونها لعلهم يعرفون حق ردها وحق التكرم باعطاء البدلين اذا انقلبوا الى اهلهم وفرغوا ظروفهم لعلهم يرجعون
لعل معرفتهم بذلك تدعوهم الى الرجوع الينا وكانت بضاعتهم النعال والادم وقيل تخوف ان لا يكون عند ابيه من المتاع
ما يرجعون به وقيل لم ير من الكرم ان ياخذ من ابيه واخوته ثمنا وقيل علم ان ديانتهم تحملهم على رد البضاعة لا يستحلون
امساكها فيرجعون لاجلها وقيل معنى لعلهم يرجعون لعلهم يردونها

فلما رجعوا الى ابيهم قالوا
يا ابانا منع منا الكيل فارسل معنا اخانا نكتل وانا له لحافظون منع منا الكيل يريدون
قول يوسف فان لم تاتوني به فلا كيل لكم عندي لانهم اذا انذروا بمنع الكيل فقد منع الكيل نكتل نرفع المانع من الكيل ونكتل من
الطعام ما نحتاج اليه وقرئ يكتل بالياء بمعنى يكتل اخونا فينضم اكتياله الى اكتيالنا او يكن سببا للاكتيال فان امتناعه بسببه

قال هل امنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من قبل فالله خير حافظا وهو ارحم الراحمين
هل امنكم عليه يريد انكم قلتم في يوسف وانا له لحافظون كما تقولونه في اخيه ثم خنتم بضمانكم فما يؤمنني من مثل ذلك ثم قال
فالله خير حافظا فتوكل على الله فيه ودفعه اليهم وحافظا تمييز كقولك هو خيرهم رجلا ولله دره فارسا ويجوز ان يكون حالا
وقرئ حفظا وقرأ الاعمش فالله خير حافظ وقرأ ابو هريرة خير الحافظين وهو ارحم الراحمين فارجوا ان ينعم علي بحفظه ولا
يجمع علي مصيبتين

ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم قالوا يا ابانا
ما نبغي هذه بضاعتنا ردت الينا ونمير اهلنا ونحفظ اخانا ونزداد كيل بعير ذلك كيل يسير
وقرئ ردت الينا بالكسر على ان كسرة الدال المدغمة نقلت الى الراء كما قيل قيل وبيع وحكى قطرب ضرب زيد
على نقل كسرة الراء فيمن سكنها الى الضاد ما نبغي للنفي اي ما نبغي في القول وما نتزيد فيما وصفنا لك من احسان الملك
واكرامه وكانوا قالوا له انا قدمنا على خير رجل انزلنا واكرمنا كرامة لو كان رجلا من آل يعقوب ما اكرمنا كرامته او ما نبغي
شيئا وراء ما فعل بنا من الاحسان او على الاستفهام يعني اي شيء نطلب وراء هذا وفي قراءة ابن مسعود ما نبغي بالتاء على
مخاطبة يعقوب عليه السلام معناه اي شيء تطلب وراء هذا من الاحسان او من الشاهد على صدقنا وقيل معناه ما نريد
منك بضاعة اخرى وقوله هذه بضاعتنا ردت الينا جملة مستانفة موضحة لقوله ما نبغي والجمل بعدها معطوفة عليها
على معنى ان بضاعتنا ردت الينا فنستظهر بها ونمير اهلنا في رجوعنا الى الملك ونحفظ اخانا فما يصيبه شيء مما تخافه ونزداد
باستصحاب اخينا وسق بعير زائدا على اوساق اباعرنا فاي شيء نبتغي وراء هذا من المباغي التي نستصلح بها احوالنا
ونوسع ذات ايدينا وانما قالوا ونزداد كيل بعير لما ذكرنا انه كان لا يزيد للرجل على حمل بعير للتقسيط فان قلت
هذا اذا فسرت البغي بالطلب فاما اذا فسرته بالكذب والتزيد في القول كانت الجملة الاولى وهي قوله هذه بضاعتنا ردت
الينا بيانا لصدقهم وانتفاء التزيد عن قيلهم فما تصنع بالجمل البواقي قلت اعطفها على قوله ما نبغي على
لا نبغي فيما نقول ونمير اهلنا ونفعل كيت وكيت ويجوز ان يكون كلاما مبتدأ كقولك وينبغي ان نمير اهلنا كما تقول سعيت
في حاجة فلان واجتهدت في تحصيل غرضه ويجب ان اسعى وينبغي لي ان لا اقصر ويجوز ان يراد ما نبغي وما ننطق الا بالصواب

بنيا

ختم ار غور تم بالعهد ار تحت

فيما نشير به عليك من تجهيزنا مع اخينا ثم قالوا هذه بضاعتنا نستظهر بها ونمير اهلنا ونفعل ونصنع بيانا لانهم لا يبغون
في رأيهم وانهم مصيبون فيه وهو وجه حسن واضح ذلك كيل يسير اي ذلك مكيل قليل لا يكفينا يعنون ما يكال لهم
فارادوا ان يزدادوا اليه ما يكال لاخيهم او يكون ذلك اشارة الى كيل بعير اي ذلك الكيل شيء قليل يجيبنا اليه الملك ولا
يضايقنا فيه او سهل عليه متيسر لا يتعاظمه ويجوز ان يكون من كلام يعقوب وان حمل بعير واحد شيء يسير لا يخاطر لمثله بالولد
كقوله ذلك ليعلم

قال لن ارسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله لتاتنني به الا
ان يحاط بكم فلما اتوه موثقهم قال الله على ما نقول وكيل لن ارسله معكم مناف
لحالي وقد رايت منكم ما رايت ارساله معكم حتى تؤتوني موثقا من الله حتى تعطوني ما اتوثق به من عند الله اراد ان يحلفوا
له بالله وانما جعل الحلف بالله موثقا منه لان الحلف به مما تؤكد به العهود وتشدد وقد اذن الله في ذلك فهو اذن منه
لتاتنني به جواب اليمين لان المعنى حتى تحلفوا لتاتنني به الا ان يحاط بكم الا ان تغلبوا فلم تطيقوا الاتيان به او الا ان
تهلكوا فان قلت اخبرني عن حقيقة هذا الاستثناء ففيه اشكال قلت ان يحاط بكم مفعول له والكلام
المثبت الذي هو قوله لتاتنني به في تاويل النفي معناه لا تمتنعون من الاتيان به الا للاحاطة بكم اي لا تمتنعون منه لعلة
من العلل الا لعلة واحدة وهي ان يحاط بكم فهو استثناء من اعم العام في المفعول له والاستثناء من اعم العام لا يكون الا
في النفي وحده فلا بد من تاويله بالنفي ونظيره من الاثبات المتأول بمعنى النفي قولهم اقسمت بالله لما فعلت والا فعلت
تريد ما اطلب منك الا الفعل على ما نقول من طلب الموثق واعطائه وكيل رقيب مطلع

وقال يا بني لا تدخلوا
من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة وما اغني عنكم من الله من شيء ان الحكم
الا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون وانما نهاهم ان يدخلوا من باب واحد لانهم
كانوا ذوي بهاء وشارة حسنة وقد اشتهرهم اهل مصر بالقربة عند الملك والتكرمة الخاصة التي لم تكن لغيرهم فكانوا
مظنة لطموح الابصار اليهم من بين الوفود وان يشار اليهم بالاصابع ويقال هؤلاء اضياف الملك انظروا اليهم
ما احسنهم من فتيان وما احقهم بالاكرام لامر ما اكرمهم الملك وقربهم وفضلهم على الوافدين عليه فخاف لذلك ان يدخلوا
كوكبة واحدة فيعانوا لجمالهم وجلالة امرهم في الصدور فيصيبهم ما يسوءهم ولذلك لم يوصهم بالتفرق في الكرة الاولى
لانهم كانوا مجهولين مغمورين بين الناس فان قلت هل للاصابة بالعين وجه تصح عليه قلت
يجوز ان يحدث الله عز وجل عند النظر الى الشيء والاعجاب به نقصانا فيه وخللا من بعض الوجوه ويكون ذلك ابتلاء من الله
وامتحانا للعباد ليتميز المحققون من اهل الحشو فيقول المحقق هذا فعل الله ويقول الحشوي هو اثر العين كما قال
وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا الآية وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يعوذ الحسن والحسين يقول اعيذكما
بكلمات الله التامة من كل هامة ومن كل عين لامة وما اغني عنكم من الله من شيء يعني ان اراد الله بكم سوءا لم ينفعكم ولم يدفع
عنكم ما اشرت به عليكم من التفرق وهو مصيبكم لا محالة ان الحكم الا لله

ولما دخلوا من حيث امرهم
ابوهم ما كان يغني عنهم من الله من شيء الا حاجة في نفس يعقوب قضاها وانه
لذو علم لما علمناه ولكن اكثر الناس لا يعلمون ثم قال ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم اي متفرقين
ما كان يغني عنهم راي يعقوب ودخولهم متفرقين شيئا قط حيث اصابهم ما ساءهم مع تفرقهم من اضافة السرقة
اليهم وافتضاحهم بذلك واخذ اخيهم بوجدان الصواع في رحله وتضاعف المصيبة على ابيهم الا حاجة استثناء
منقطع على معنى ولكن حاجة في نفس يعقوب قضاها وهي شفقته عليهم واظهارها بما قاله لهم ووصاهم به وانه لذو علم يعني
قوله وما اغني عنكم وعلمه بان القدر لا يغني عنه الحذر

ولما دخلوا على يوسف اوى اليه اخاه قال اني
انا اخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون اوى اليه اخاه ضم اليه بنيامين وروي انهم قالوا له هذا اخونا
قد جئناك به فقال لهم احسنتم واصبتم وستجدون ذلك عندي فانزلهم واكرمهم ثم اضافهم واجلس كل اثنين
منهم على مائدة فبقي بنيامين وحده فبكى وقال لو كان اخي يوسف حيا لاجلسني معه فقال يوسف بقي اخوكم وحيدا
فاجلسه معه على مائدته وجعل يواكله وقال انتم عشرة فلينزل كل اثنين منكم بيتا وهذا لا ثاني له فيكون معي فبات يوسف
يضمه اليه ويشم رائحته حتى اصبح وسأله عن ولده فقال لي عشرة بنين اشتققت اسماءهم من اسم اخ لي هلك

فقال له اتحب ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك قال من يجد اخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف عليه السلام وقام اليه وعانقه وقال له انى انا اخوك يوسف فلا تبتئس فلا تحزن بما كانوا يعملون بنا فيما مضى فان الله قد احسن الينا وجمعنا على خير ولا تعلمهم بما اعلمتك • وعن ابن عباس رضى الله عنهما تعرف اليه • وعن وهب انما قال له انا اخوك بدل اخيك المفقود فلا تبتئس بما كنت تلقى منهم من الحسد والاذى فقد امنتهم • وروى انه قال له فانا لا افارقك قال قد علمت اغتمام والدى بى فاذا حبستك ازداد غمه ولا سبيل الى ذلك الا ان انسبك الى ما لا يجمل قال لا ابالى فافعل ما بدا لك قال فانى ادس صاعى فى رحلك ثم انادى عليك بانك سرقته ليتهيأ لى ردك بعد تسريحك معهم قال افعل • فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية فى رحل اخيه ثم اذن مؤذن ايتها العير انكم لسارقون • السقاية مشربة يسقى بها وهى الصواع قيل كان يسقى بها الملك ثم جعلت صاعا يكال به وقيل كانت الدواب تسقى بها ويكال بها وقيل كانت اناء مستطيلا يشبه المكوك وقيل هى المكوك الفارسى الذى يلتقى طرفاه تشرب به الاعاجم وقيل كانت من فضة مموهة بالذهب وقيل كانت من ذهب وقيل كانت مرصعة بالجواهر ثم اذن مؤذن ثم نادى مناد يقال آذنه اعلمه واذن اكثر الاعلام ومنه المؤذن لكثرة ذلك منه • وروى انهم ارتحلوا وامهلهم يوسف حتى انطلقوا ثم امر بهم فادركوا وحبسوا ثم قيل لهم ذلك والعير الابل التى عليها الاحمال لانها تعير اى تذهب وتجيء وقيل هى قافلة الحمير ثم كثر حتى قيل لكل قافلة عير كانها جمع عير واصلها فعل كسقف وسقف فعل به ما فعل ببيض وعيد والمراد اصحاب العير كقوله يا خيل الله اركبى • وقرأ ابن مسعود وجعل السقاية على حذف جواب لما كانه قيل فلما جهزهم بجهازهم وجعل السقاية فى رحل اخيه امهلهم حتى انطلقوا ثم اذن مؤذن

قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون • قالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير وانا به زعيم • وقرأ ابو عبد الرحمن السلمى تفقدون من افقدته اذا وجدته فقيدا وقرئ صواع وصاع وصوع وصوغ بفتح الصاد وضمها والعين معجمة وغير معجمة • وانا به زعيم يقوله المؤذن يريد وانا بحمل البعير كفيل اؤديه الى من جاء به واراد وسق بعير من طعام جعلا لمن حصله • قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد فى الارض وما كنا سارقين • تالله قسم فيه معنى التعجب مما اضيف اليهم وانما قالوا لقد علمتم فاستشهدوا بعلمهم لما ثبت عندهم من دلائل دينهم وامانتهم فى كرتى مجيئهم ومداخلتهم للملك ولانهم دخلوا وافواه رواحلهم مكعومة لئلا تتناول زرعا او طعاما لاحد من اهل السوق ولانهم ردوا بضاعتهم التى وجدوها فى رحالهم وما كنا سارقين وما كنا نوصف قط بالسرقة وهى منافية لحالنا • قالوا فما جزاؤه ان كنتم كاذبين • قالوا جزاؤه من وجد فى رحله فهو جزاؤه كذلك نجزى الظالمين • فما جزاؤه الضمير للصواع اى فما جزاء سرقته ان كنتم كاذبين فى جحودكم وادعائكم البراءة منه قالوا جزاؤه من وجد فى رحله اى جزاء سرقته اخذ من وجد فى رحله وكان حكم السارق فى آل يعقوب ان يسترق سنة فلذلك استفتوا فى جزائه وقولهم فهو جزاؤه تقرير للحكم اى فاخذه نفسه هو جزاؤه لا غير كقولك حق زيد ان يكسى ويطعم وينعم عليه فذلك حقه او فهو حقه لتقرر ما ذكرته من استحقاقه وتلزمه • ويجوز ان يكون جزاؤه مبتدأ والجملة الشرطية كما هى خبره على اقامة الظاهر فيها مقام المضمر والاصل جزاؤه من وجد فى رحله فهو هو فوضع الجزاء موضع هو كما تقول لصاحبك من اخو زيد فيقول لك اخوه من يقعد الى جنبه فهو هو يرجع الضمير الاول الى من والثانى الى الاخ ثم تقول فهو اخوه مقيما للمظهر مقام المضمر ويحتمل ان يكون جزاؤه خبر مبتدأ محذوف اى المسؤول عنه جزاؤه ثم افتوا بقولهم من وجد فى رحله فهو جزاؤه كما تقول من يستفتى فى جزاء صيد المحرم جزاء صيد المحرم ثم يقول ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم • فبدأ باوعيتهم قبل وعاء اخيه ثم استخرجها من وعاء اخيه كذلك كدنا ليوسف ما كان لياخذ اخاه فى دين الملك الا ان يشاء الله نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذى علم عليم • فبدأ باوعيتهم قيل قال لهم من وكل بهم لا بد من تفتيش اوعيتكم فانصرف بهم الى يوسف فبدأ بتفتيش اوعيتهم قبل وعاء اخيه لنفى التهمة حتى بلغ وعاءه فقال ما اظن هذا اخذ شيئا فقالوا والله لا نتركه حتى تنظر فى رحله فانه اطيب لنفسك وانفسنا فاستخرجوه منه • وقرأ الحسن وعاء اخيه بضم الواو وهى لغة وقرأ سعيد بن جبير اعاء اخيه بقلب الواو همزة

فان قلت لم ذكر ضمير الصواع مرات ثم انثه قلت قالوا رجع بالتأنيث على السقاية او انث الصواع لانه يذكر ويؤنث ولعل يوسف كان يسميه سقاية وعبيده صواعا فقد وقع فيما يتصل به من الكلام سقاية وفيما يتصل بهم منه صواعا • كذلك كدنا مثل ذلك الكيد العظيم كدنا ليوسف يعنى علمناه اياه واوحينا به اليه • ما كان لياخذ اخاه فى دين الملك تفسير للكيد وبيان له لانه كان فى دين ملك مصر وما كان يحكم به فى السارق ان يغرم مثلى ما اخذ لا ان يلزم ويستعبد • الا ان يشاء الله اى ما كان ياخذه الا بمشية الله واذنه • نرفع درجات من نشاء فى العلم كما رفعنا درجة يوسف عليه السلام فيه • وقرئ يرفع بالياء ودرجات بالتنوين • وفوق كل ذى علم عليم ارفع درجة منه فى علمه او وفوق العلماء كلهم عليم هم دونه فى العلم وهو الله عز وعلا • فان قلت ما اذن الله فيه يجب ان يكون حسنا فمن اى وجه حسن الكيد وما هو الا بهتان وتسريق لمن لم يسرق وتكذيب لمن لم يكذب وهو قوله انكم لسارقون فما جزاؤه ان كنتم كاذبين • قلت هو فى صورة البهتان وليس ببهتان فى الحقيقة لان قوله انكم لسارقون تورية عما جرى مجرى السرقة من فعلهم بيوسف عليه السلام وقيل كان ذلك القول من المؤذن لا من يوسف وقوله ان كنتم كاذبين فرض لانتفاء براءتهم وفرض التكذيب لا يكون تكذيبا على انه لو صرح لهم بالتكذيب كما صرح لهم بالتسريق لكان له وجه لانهم كانوا كاذبين فى قولهم وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب • او حكم هذا الكيد حكم الحيل الشرعية التى يتوصل بها الى مصالح ومنافع دينية كقوله تعالى لايوب عليه السلام وخذ بيدك ضغثا ليتخلص من جلدها ولا يحنث وكقول ابرهيم عليه السلام هى اختى لتسلم من يد الكافر • وما الشرائع كلها الا مصالح وطرق الى التخلص من الوقوع فى المفاسد وقد علم الله تعالى فى هذه الحيلة التى لقنها يوسف عليه السلام مصالح عظيمة فجعلها سلما وذريعة اليها فكانت حسنة جميلة وانزاحت عنها وجوه القبح لما ذكر • قالوا ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل فاسرها يوسف فى نفسه ولم يبدها لهم قال انتم شر مكانا والله اعلم بما تصفون • اخ له ارادوا به يوسف عليه السلام • روى انهم لما استخرجوا الصاع من رحل بنيامين نكس اخوته رؤوسهم حياء واقبلوا عليه وقالوا له ما الذى صنعت فضحتنا وسودت وجوهنا يا بنى راحيل ما يزال لنا منكم بلاء حتى اخذت هذا الصاع فقال بنو راحيل الذين لا يزال منكم عليهم البلاء ذهبتم باخى فاهلكتموه ووضع هذا الصواع فى رحلى الذى وضع البضاعة فى رحالكم • واختلف فيما اضافوا الى يوسف عليه السلام من السرقة فقيل كان اخذ فى صباه صنما لجده ابى امه فكسره والقاه بين الجيف فى الطريق • وقيل دخل كنيسة فاخذ تمثالا صغيرا من ذهب كانوا يعبدونه فدفنه • وقيل كانت فى المنزل عناق او دجاجة فاعطاها السائل • وقيل كانت لابراهيم منطقة يتوارثها اكابر ولده فورثها اسحق ثم وقعت الى ابنته وكانت اكبر اولاده فحضنت يوسف وهى عمته بعد وفاة امه وكانت لا تصبر عنه فلما شب اراد يعقوب عليه السلام ان ينتزعه منها فعمدت الى المنطقة فحزمتها على يوسف عليه السلام تحت ثيابه وقالت فقدت منطقة اسحق فانظروا من اخذها فوجدوها محزومة على يوسف فقالت انه لى سلم افعل به ما شئت فخلاه يعقوب عندها حتى ماتت • فاسرها اضمار على شريطة التفسير تفسيره انتم شر مكانا وانما انث لان قوله انتم شر مكانا جملة او كلمة على تسميتهم الطائفة من الكلام كلمة كانه قيل فاسر الجملة او الكلمة التى هى قوله انتم شر مكانا والمعنى قال فى نفسه انتم شر مكانا لان قوله قال انتم شر مكانا بدل من اسرها • وفى قراءة ابن مسعود رضى الله عنه فاسره على التذكير يريد القول او الكلام ومعنى انتم شر مكانا انتم شر منزلة فى السرق لانكم سارقون بالصحة لسرقتكم اخاكم من ابيكم والله اعلم بما تصفون يعلم انه لم يصح لى ولا لاخى سرقة وليس الامر كما تصفون • قالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا فخذ احدنا مكانه انا نراك من المحسنين • استعطفوه باذكارهم اياه حق ابيهم يعقوب وانه شيخ كبير السن او كبير القدر وان بنيامين احب اليه منهم وكانوا قد اخبروه بان ولدا له قد هلك وهو عليه ثكلان وانه مستأنس باخيه • فخذ احدنا مكانه فخذه بدله على وجه الاسترهان او الاستعباد • انا نراك من المحسنين الينا فاتمم احسانك او من عادتك الاحسان فاجر على عادتك ولا تغيرها • قال معاذ الله ان ناخذ الا من وجدنا متاعنا عنده انا اذا لظالمون • معاذ الله هو كلام موجه ظاهره انه وجب على قضية فتواكم اخذ من وجد الصواع فى رحله واستعباده فلو اخذنا غيره كان ذلك ظلما فى مذهبكم فلم تطلبون ما عرفتم انه ظلم وباطنه ان الله امرنى واوحى الى باخذ بنيامين واحتباسه لمصلحة او لمصالح جمة علمها فى ذلك فلو اخذت غير من امرنى باخذه كنت ظالما

او عاملا على خلاف الوحي ومعنى معاذ الله ان ناخذ نعوذ بالله معاذا من ان ناخذ فاضيف المصدر الى المفعول به وحذف
من واذن جواب لهم وجزاء لان المعنى ان اخذنا بدله ظلمنا فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا قال
كبيرهم الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف
فلن ابرح الارض حتى ياذن لي ابي او يحكم الله لي وهو خير الحاكمين استيأسوا يئسوا
وزيادة السين والتاء في المبالغة نحو ما مر في استعصم والنجي على معنيين يكون بمعنى المناجي كالعشير والسمير بمعنى المعاشر
والمسامر ومنه قوله تعالى وقربناه نجيا وبمعنى المصدر الذي هو التناجي كما قيل النجوى بمعناه ومنه قيل قوم نجي كما قيل واذ هم نجوى
تنزيلا للمصدر منزلة الاوصاف ويجوز ان يقال هم نجي كما قيل هم صديق لانه بزنة المصادر وجمع انجية قال اني اذا ما القوم كانوا
انجية ومعنى خلصوا اعتزلوا وانفردوا عن الناس خالصين لا يخالطهم سواهم نجيا ذوي نجوى او فوجا نجيا اي مناجيا
لمناجاة بعضهم بعضا واحسن منه انهم تمحضوا تناجيا لاستجماعهم لذلك وافاضتهم فيه بجد واهتمام كانهم في انفسهم صورة
التناجي وحقيقته وكان تناجيهم في تدبير امرهم على اي صفة يذهبون وماذا يقولون لابيهم في شان اخيهم كقوم تعايوا بما
دهمهم من الخطب فاحتاجوا الى التشاور كبيرهم في السن وهو روبيل وقيل رئيسهم وهو شمعون وقيل كبيرهم في العقل والراي وهو
يهوذا ما فرطتم في يوسف فيه وجوه ان تكون ما صلة اي ومن قبل هذا قصرتم في شان يوسف ولم تحفظوا عهد ابيكم وان
تكون مصدرية على ان محل المصدر الرفع على الابتداء وخبره الظرف وهو من قبل ومعناه ووقع من قبل تفريطكم في يوسف
او النصب عطفا على مفعول الم تعلموا وهو ان اباكم كانه قيل الم تعلموا اخذ ابيكم عليكم موثقا وتفريطكم من قبل في يوسف
وان تكون موصولة بمعنى ومن قبل هذا ما فرطتموه اي قدمتموه في حق يوسف من الجناية العظيمة ومحله الرفع او النصب على الوجهين
فلن ابرح الارض فلن افارق ارض مصر حتى ياذن لي ابي في الانصراف اليه او يحكم الله لي بالخروج منها او بالانتصاف ممن اخذ اخي
او بخلاصه من يده بسبب من الاسباب وهو خير الحاكمين لانه لا يحكم ابدا الا بالعدل والحق ارجعوا الى ابيكم فقولوا
يا ابانا ان ابنك سرق وما شهدنا الا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين وقرئ سرق
اي نسب الى السرقة وما شهدنا عليه بالسرقة الا بما علمنا من سرقته وتيقناه لان الصواع استخرج من وعائه ولا شيء ابين
من هذا وما كنا للغيب حافظين وما علمنا انه سيسرق حين اعطيناك الموثق او ما علمنا انك تصاب به كما اصبت بيوسف
ومن قرا سرق فمعناه وما شهدنا الا بقدر ما علمنا من التسريق وما كنا للغيب للامر الخفي حافظين اسرق بالصحة ام دس
الصاع في رحله ولم يشعر واسال القرية التي كنا فيها والعير التي اقبلنا فيها وانا لصادقون القرية
التي كنا فيها هي مصر اي ارسل الى اهلها فسلهم عن كنه القصة والعير التي اقبلنا فيها واصحاب العير وكانوا قوما من كنعان من جيران
يعقوب وقيل من اهل صنعاء قال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل عسى الله ان ياتيني
بهم جميعا انه هو العليم الحكيم معناه فرجعوا الى ابيهم فقالوا له ما قال لهم اخوهم فقال بل سولت لكم انفسكم امرا
اردتموه والا فما ادرى ذلك الرجل ان السارق يؤخذ بسرقته لولا فتواكم وتعليمكم بهم جميعا بيوسف واخيه وروبيل او غيره
انه هو العليم بحالي في الحزن والاسف الحكيم الذي لم يبتلني بذلك الا لحكمة ومصلحة وتولى عنهم وقال يا اسفى
على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم وتولى عنهم واعرض عنهم كراهة لما جاؤوا به
يا اسفى اضاف الاسف وهو اشد الحزن والحسرة الى نفسه والالف بدل من ياء الاضافة والتجانس بين لفظتي الاسف
ويوسف مما يقع مطبوعا غير مستعمل فيملح ويبدع ونحوه اثاقلتم الى الارض ارضيتم وهم ينهون عنه وينأون عنه يحسبون انهم يحسنون
من سبا بنبا وعن النبي صلى الله عليه وسلم لم تعط امة من الامم انا لله وانا اليه راجعون عند المصيبة الا امة محمد صلى الله
عليه وسلم الا ترى الى يعقوب حين اصابه ما اصابه لم يسترجع وانما قال يا اسفى فان قلت كيف تاسف على يوسف
دون اخيه ودون الثالث والرزء الاحدث اشد على النفس واظهر اثرا قلت هو دليل على تمادي اسفه على يوسف
وانه لم يقع فائت عنده موقعه وان الرزء فيه مع تقادم عهده كان غضا عنده طريا ولم تنسني اوفى المصيبات بعده
ولكن نكء القرح بالقرح اوجع ولان الرزء في يوسف عليه السلام كان قاعدة مصيباته التي ترتبت عليها الرزايا في
ولده فكان الاسف عليه اسفا على من لحق به وابيضت عيناه اذا كثر الاستعبار محقت العبرة سواد العين وقلبته الى
بياض كدر قيل قد عمي بصره وقيل كان يدرك ادراكا ضعيفا قرئ من الحزن ومن الحزن الحزن كان سبب البكاء الذي حدث

وبعده
واضطرب القوم اضطراب الارشية
وشد فوق بعضهم بالاردية
هناك اوصيني ولا توصي بيه

منه البياض فكانه حدث من الحزن قيل ما جفت عينا يعقوب من وقت فراق يوسف الى حين لقائه ثمانين
عاما وما على وجه الارض اكرم على الله من يعقوب عليه السلام وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سال جبريل عليه السلام
ما بلغ من وجد يعقوب على يوسف عليهما السلام فقال وجد سبعين ثكلى قال فما كان له من الاجر قال اجر مائة شهيد وما ساء
ظنه بالله تعالى ساعة قط فان قلت كيف جاز لنبي الله ان يبلغ به الجزع ذلك المبلغ قلت الانسان
مجبول على ان لا يملك نفسه عند الشدائد من الحزن ولذلك حمد صبره وان يضبط نفسه حتى لا يخرج الى ما لا يحسن ولقد بكى رسول الله
صلى الله عليه وسلم على ولده ابراهيم وقال القلب يجزع والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابراهيم لمحزونون
وانما الجزع المذموم ما يقع من الجهلة من الصياح والنياحة ولطم الصدور والوجوه وتمزيق الثياب وعن النبي صلى الله
عليه وسلم انه بكى على ولد بعض بناته وهو يجود بنفسه فقيل يا رسول الله تبكي وقد نهيتنا عن البكاء فقال ما نهيتكم عن
البكاء وانما نهيتكم عن صوتين احمقين صوت عند الفرح وصوت عند الترح وعن الحسن رحمه الله تعالى انه بكى
على ولد او غيره فقيل له في ذلك فقال ما رايت الله جعل الحزن عارا على يعقوب فهو كظيم فهو مملوء من الغيظ على
اولاده ولا يظهر ما يسوؤهم فعيل بمعنى مفعول بدليل قوله وهو مكظوم من كظم السقاء اذا شده على ملئه والكظم
بفتح الظاء مخرج النفس يقال اخذ باكظامه قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون حرضا
او تكون من الهالكين تفتؤ اراد لا تفتؤ فحذف حرف النفي لانه لا يلتبس بالاثبات لانه لو كان اثباتا
لم يكن بد من اللام والنون ونحوه فقلت يمين الله ابرح قاعدا ومعنى لا تفتؤ لا تزال وعن مجاهد لا تفتر عن حبه
كانه جعل الفتوء والفتور اخوين يقال ما فتئ يفعل قال اوس فما فتئت خيل تثوب وتدعي ويلحق منها لاحق وتقطع
حرضا مشفيا على الهلاك مرضا واحرضه المرض ويستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لانه مصدر والصفة حرض
بكسر الراء ونحوهما دنف ودنف وجاءت القراءة بهما جميعا وقرا الحسن حرضا بضمتين ونحوه في الصفات رجل جنب وغرب
قال انما اشكو بثي وحزني الى الله واعلم من الله ما لا تعلمون البث اصعب الهم
الذي لا يصبر عليه صاحبه فيبثه الى الناس اي ينشره ومنه باثه الامر وابثه اياه ومعنى انما اشكو اني لا اشكو الى احد
منكم ومن غيركم انما اشكو الى ربي داعيا له وملتجئا اليه فخلوني وشكايتي وهذا معنى توليه عنهم اي فتولى عنهم الى الله تعالى
والشكاية اليه وقيل دخل على يعقوب جار له فقال يا يعقوب قد تهشمت وفنيت وما بلغت من السن ما بلغ
ابوك فقال هشمني وافناني ما ابتلاني الله به من هم يوسف فاوحى الله تعالى اليه يا يعقوب اتشكوني الى خلقي قال
يا رب خطيئة اخطاتها فاغفر لي فغفر له فكان بعد ذلك اذا سئل قال انما اشكو بثي وحزني الى الله وروي انه اوحي
الى يعقوب انما وجدت عليكم لانكم ذبحتم شاة فقام ببابكم مسكين فلم تطعموه وان احب خلقي الي الانبياء ثم المساكين
فاصنع طعاما وادع عليه المساكين وقيل اشترى جارية مع ولدها فباع ولدها فبكت حتى عميت واعلم من الله ما لا
تعلمون اي اعلم من صنعه ورحمته وحسن ظني به انه ياتيني بالفرج من حيث لا احتسب وروي انه راى ملك الموت
في منامه فساله هل قبضت روح يوسف فقال لا والله هو حي فاطلبه وقرا الحسن وحزني بفتحتين وحزني بضمتين قتادة
يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه ولا تياسوا من روح الله انه
لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون فتحسسوا من يوسف واخيه فتعرفوا منهما
وتطلبوا خبرهما وقرئ بالجيم كما قرئ بهما في الحجرات وهما تفعل من الاحساس وهو المعرفة فلما احس عيسى منهم الكفر
ومن الجس وهو الطلب ومنه قالوا لمشاعر الانسان الحواس والجواس من روح الله من فرجه وتنفيسه وقرا الحسن
وقتادة من روح الله بالضم اي من رحمته التي يحيى بها العباد فلما دخلوا عليه قالوا يا ايها العزيز مسنا
واهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فاوف لنا الكيل وتصدق علينا ان
الله يجزي المتصدقين الضر الهزال من الشدة والجوع مزجاة مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة عنها واحتقارا لها من ازجيته
اذا دفعته والريح تزجي السحاب قيل كانت من متاع الاعراب صوفا وسمنا وقيل الصنوبر وحبة الخضراء وقيل سويق
المقل والاقط وقيل دراهم زيوفا لا تؤخذ الا بوضيعة فاوف لنا الكيل الذي هو حقنا وتصدق علينا وتفضل علينا
بالمسامحة والاغماض عن رداءة البضاعة او زدنا على حقنا فسموا ما هو فضل وزيادة لا تلزمه صدقة لان الصدقات محظورة

تمامه
ولو قطعوا راسي لديك واوصالي

على الانبياء وقيل كانت تحل لغير نبينا صلى الله عليه وسلم وسئل ابن عيينة عن ذلك فقال الم تسمع وتصدق علينا
اراد انها كانت حلالا لهم والظاهر انهم تمسكنوا له وطلبوا اليه ان يتصدق عليهم ومن ثم رق لهم وملكته الرحمة
عليهم فلم يتمالك ان عرفهم نفسه وقوله ان الله يجزي المتصدقين شاهد لذلك لذكر الله وجزائه والصدقة العطية
التي يبتغى بها المثوبة من الله تعالى ومنه قول الحسن لمن سمعه يقول اللهم تصدق علي ان الله لا يتصدق انما يتصدق الذي
يبتغي الثواب قل اللهم اعطني او تفضل علي او ارحمني **قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه
اذ انتم جاهلون** قال هل علمتم اتاهم من جهة الدين وكان حليما موفقا فكلمهم مستفهما عن معرفة وجه القبح
الذي يجب ان يراعيه التائب فقال هل علمتم قبح ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون لا تعلمون قبحه فلذلك اقدمتم عليه
يعني هل علمتم قبحه فتبتم الى الله تعالى منه لان علم القبح يدعو الى الاستقباح والاستقباح يجر الى التوبة فكان كلامه شفقة
عليهم وتنصحا لهم في الدين لا معاتبة وتثريبا ايثارا لحق الله تعالى على حق نفسه في ذلك المقام الذي يتنفس فيه
المكروب وينفث المصدور ويتشفى المغيظ المحنق ويدرك ثاره الموتور فلله اخلاق الانبياء ما اوطأها واسجحها
ولله حصى عقولهم ما ارزنها وارجحها وقيل لم يرد نفي العلم عنهم لانهم كانوا علماء ولكنهم لما لم يفعلوا ما يقتضيه
العلم ولا يقدم عليه الا جاهل سماهم جاهلين وقيل معناه اذ انتم صبيان في حد السفه والطيش قبل ان تبلغوا اوان الحلم
والرزانة وروي انهم لما قالوا مسنا واهلنا الضر وتضرعوا اليه ارفضت عيناه ثم قال آخر القول وقيل
ادوا اليه كتاب يعقوب عليه السلام من يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابرهيم خليل الله الى عزيز
مصر اما بعد فانا اهل بيت موكل بنا البلاء اما جدي فشدت يداه ورجلاه ورمي به في النار ليحرق فنجاه الله
وجعلت النار عليه بردا وسلاما واما ابي فوضع السكين على قفاه ليقتل ففداه الله واما انا فكان لي ابن وكان
احب اولادي الي فذهب به اخوته الى البرية ثم اتوني بقميصه ملطخا بالدم وقالوا قد اكله الذئب فذهبت عيناي
من بكائي عليه ثم كان لي ابن وكان اخاه من امه وكنت اتسلى به فذهبوا به ثم رجعوا وقالوا انه سرق وانك حبسته
لذلك وانا اهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فان رددته علي والا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك والسلام
فلما قرأ يوسف الكتاب لم يتمالك وعيل صبره فقال لهم ذلك وروي انه لما قرأ الكتاب بكى وكتب الجواب اصبر كما
صبروا تظفر كما ظفروا فان قلت ما فعلهم باخيه قلت تعريضهم اياه للغم والثكل بافراده عن اخيه لابيه
وامه وجفاؤهم به حتى كان لا يستطيع ان يكلم احدا منهم الا كلام الذليل للعزيز وايذاؤهم له بانواع الاذى
**قالوا ائنك لانت يوسف قال انا يوسف وهذا اخي قد من الله علينا انه من يتق
ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين** قرئ ائنك على الاستفهام وانك على الايجاب
وفي قراءة ابي ائنك او انت يوسف على معنى ائنك يوسف او انت يوسف فحذف الاول لدلالة الثاني عليه
وهذا الكلام متعجب مستغرب لما يسمع فهو يكرر الاستثبات فان قلت كيف عرفوه قلت رأوا في
روائه وشمائله حين كلمهم بذلك ما شعروا به انه هو مع علمهم بان ما خاطبهم به لا يصدر مثله الا عن حنيف مسلم من سنخ
ابرهيم لا عن بعض اعزاء مصر وقيل تبسم عند ذلك فعرفوه بثناياه وكانت كاللؤلؤ المنظوم وقيل ما عرفوه حتى
رفع التاج عن رأسه فنظروا الى علامة بقرنه كانت ليعقوب واسحق وسارة مثلها تشبه الشامة البيضاء فان قلت
قد سألوه عن نفسه فلم اجابهم عنها وعن اخيه على ان اخاه كان معلوما لهم قلت لانه كان في ذكر اخيه بيان لما
سألوه عنه من يتق من يخف الله وعقابه ويصبر عن المعاصي وعلى الطاعات فان الله لا يضيع اجرهم فوضع المحسنين موضع
الضمير لاشتماله على المتقين والصابرين **قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين**
لقد آثرك الله علينا اي فضلك علينا بالتقوى والصبر وسيرة المحسنين وان شأننا وحالنا انا كنا خاطئين متعمدين
للاثم لم نتق ولم نصبر لا جرم ان الله اعزك بالملك واذلنا بالتمسكن بين يديك **قال لا تثريب
عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين** لا تثريب عليكم لا تأنيب عليكم ولا عتب
واصل التثريب من الثرب وهو الشحم الذي هو غاشية الكرش ومعناه ازالة الثرب كما ان التجليد والتقريع
ازالة الجلد والقرع لانه اذا ذهب كان غاية الهزال والعجف الذي ليس بعده فضرب مثلا للتقريع الذي يمزق الاعراض

السنخ الاصل

ويذهب

ويذهب بماء الوجه فان قلت بم تعلق اليوم قلت بالتثريب او بالمقدر في عليكم من معنى الاستقرار
او بيغفر والمعنى لا اثربكم اليوم وهو اليوم الذي هو مظنة التثريب فما ظنكم بغيره من الايام ثم ابتدأ فقال
يغفر الله لكم فدعا لهم بمغفرة ما فرط منهم يقال غفر الله لك ويغفر الله لك على لفظ الماضي والمضارع جميعا ومنه قول المشمت
يهديكم الله ويصلح بالكم او اليوم يغفر الله لكم بشارة بعاجل غفران الله لما تجدد يومئذ من توبتهم وندمهم على خطيئتهم
وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ بعضادتي باب الكعبة يوم الفتح فقال لقريش ما ترونني فاعلا بكم قالوا نظن
خيرا اخ كريم وابن اخ كريم وقد قدرت فقال اقول ما قال اخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم وروي ان ابا سفيان
لما جاء ليسلم قال له العباس اذا اتيت رسول الله فاتل عليه قال لا تثريب عليكم اليوم ففعل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
غفر الله لك ولمن علمك وروي ان اخوته لما عرفوه ارسلوا اليه انك تدعونا الى طعامك بكرة وعشيا ونحن
نستحيي منك لما فرط منا فيك فقال يوسف ان اهل مصر وان ملكت فيهم فانهم ينظرون الي بالعين الاولى ويقولون
سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت الان بكم وعظمت في العيون حيث علم الناس انكم اخوتي
واني من حفدة ابرهيم عليه السلام **اذهبوا بقميصي هذا فالقوه على وجه ابي يأت بصيرا
وأتوني باهلكم اجمعين** اذهبوا بقميصي قيل هو القميص المتوارث الذي كان في تعويذ يوسف وكان من
الجنة امره جبريل ان يرسله اليه فان فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلى ولا سقيم الا عوفي يأت بصيرا يأت الي وهو بصير
يعني يصر بصيرا ويشهد له فارتد بصيرا او يأت الي وهو بصير وينصره قوله وأتوني باهلكم اي يأتني ابي ويأتني آله جميعا وقيل يهوذا هو
الحامل قال انا احزنته بحمل القميص ملطوخا بالدم اليه فافرحه كما احزنته وقيل حمله وهو حاف حاسر من مصر الى كنعان وبينهما
ثمانون فرسخا **ولما فصلت العير قال ابوهم اني لاجد ريح يوسف لولا ان تفندون**
فصلت العير خرجت من عريش مصر يقال فصل من البلد فصولا اذا انفصل منه وجاوز حيطانه وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما
ولما انفصل العير قال لولد ولده ومن حوله من قومه اني لاجد ريح يوسف اوجده الله تعالى ريح القميص حين اقبل به من مسيرة
ثمان والتفنيد النسبة الى الفند وهو الخرف وانكار العقل من هرم يقال شيخ مفند ولا يقال عجوز مفندة لانها لم تكن
في شبيبتها ذات رأي فتفند في كبرها والمعنى لولا تفنيدكم اياي لصدقتموني **قالوا تالله انك لفي
ضلالك القديم** لفي ذهابك عن الصواب قدما في افراط محبتك ليوسف ولهجك
بذكره ورجائك للقائه وكان عندهم انه قد مات **فلما ان جاء البشير القاه على وجهه فارتد
بصيرا قال الم اقل لكم اني اعلم من الله ما لا تعلمون** القاه طرح البشير القميص على وجه
يعقوب او القاه يعقوب فارتد بصيرا فرجع بصيرا يقال رده فارتد وارتده اذا ارجعه الم اقل لكم يعني قوله اني
لاجد ريح يوسف او قوله ولا تيأسوا من روح الله وقوله اني اعلم كلام مبتدأ لم يقع عليه القول ولك ان توقعه عليه وتريد
قوله انما اشكو بثي وحزني الى الله واعلم من الله ما لا تعلمون وروي انه سأل البشير كيف يوسف فقال هو ملك مصر
فقال ما اصنع بالملك على اي دين تركته قال على دين الاسلام قال الان تمت النعمة **قالوا يا ابانا استغفر
لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين قال سوف استغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم**
سوف استغفر لكم قيل اخر الاستغفار الى وقت السحر وقيل الى ليلة الجمعة ليتعمد به وقت الاجابة وقيل ليتعرف
حالهم في صدق التوبة واخلاصها وقيل اراد الدوام على الاستغفار لهم فقد روي انه كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة في
نيف وعشرين سنة وقيل قام الى الصلوة في وقت السحر فلما فرغ رفع يديه وقال اللهم اغفر لي جزعي على يوسف
وقلة صبري عنه واغفر لولدي ما اتوا الى اخيهم فاوحى الله عز وجل اليه ان الله قد غفر لك ولهم اجمعين وروي انهم قالوا
له وقد غلبتهم الكآبة ما يغني عنا عفوكما ان لم يعف عنا ربنا فان لم يوح اليك بالعفو فلا قرت لنا عين ابدا فاستقبل
الشيخ القبلة قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما اذلة خاشعين عشرين سنة حتى بلغ جهدهم وظنوا
انها الهلكة نزل جبريل عليه السلام فقال ان الله تعالى قد اجاب دعوتك في ولدك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة وقد
اختلف في استنبائهم **فلما دخلوا على يوسف آوى اليه ابويه وقال ادخلوا مصر ان شاء الله
آمنين ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا وقال يا ابت هذا تأويل رؤياي**

من قبل قد جعلها ربي حقا وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي ان ربي لطيف لما يشاء انه هو العليم الحكيم • فلما دخلوا على يوسف قيل وجه يوسف الى ابيه جهازا ومائتي راحلة ليتجهز اليه بمن معه وخرج يوسف والملك في اربعة آلاف من الجند والعظماء واهل مصر باجمعهم فتلقوا يعقوب وهو يمشي متوكئا على يهوذا فنظر الى الخيل والناس فقال يا يهوذا اهذا فرعون مصر قال لا هذا ولدك فلما لقيه قال يعقوب السلام عليك يا مذهب الاحزان وقيل ان يوسف لما التقيا قال يا ابت بكيت علي حتى ذهب بصرك الم تعلم ان القيامة تجمعنا قال بلى ولكن خشيت ان تسلب دينك فيحال بيني وبينك • وقيل ان يعقوب عليه السلام وولده دخلوا مصر وهم اثنان وسبعون ما بين رجل وامراة وخرجوا منها مع موسى عليه السلام ومقاتلتهم ستمائة الف وخمسمائة وبضعة وسبعون رجلا سوى الذرية والهرمى وكانت الذرية الف الف ومائتي الف آوى اليه ابويه ضمهما اليه واعتنقهما قال ابن اسحق كانت امه تحيا وقيل هما ابوه وخالته ماتت امه فتزوجها وجعلها احد الابوين لان الرابة تدعى اما لقيامها مقام الام او لان الخالة ام كما ان العم اب ومنه قوله تعالى واله ابائك ابرهيم واسمعيل واسحق فان قلت ما معنى دخولهم عليه قبل دخولهم مصر قلت كانه حين استقبلهم نزل لهم في مضرب او بيت ثم دخلوا عليه وضم اليه ابويه ثم قال لهم ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين ولما دخل مصر وجلس في مجلسه مستويا على سريره واجتمعوا اليه اكرم ابويه فرفعهما على السرير وخروا له يعني الاخوة الاحد عشر والابوين سجدا ويجوز ان يكون قد خرج في قبة من قباب الملوك التي تحمل على البغال فامر ان يرفع اليه ابواه فدخلا عليه القبة فآواهما اليه بالضم والاعتناق وقربهما منه وقال بعد ذلك ادخلوا مصر فان قلت بم تعلقت المشيئة قلت بالدخول مكيفا بالامن لان القصد الى اتصافهم بالامن في دخولهم فكانه قيل اسلموا وامنوا في دخولكم ان شاء الله ونظيره قولك للغازي ارجع سالما غانما ان شاء الله فلا تعلق المشيئة بالرجوع مطلقا ولكن مقيدا بالسلامة والغنيمة مكيفا بهما والتقدير ادخلوا مصر آمنين ان شاء الله دخلتم آمنين ثم حذف الجزاء لدلالة الكلام ثم اعترض بالجملة الجزائية بين الحال وذي الحال ومن بدع التفاسير ان قوله ان شاء الله من باب التقديم والتاخير وان موضعها ما بعد قوله سوف استغفر لكم ربي في كلام يعقوب وما ادري ما اقول فيه وفي نظائره • فان قلت كيف جاز لهم ان يسجدوا لغير الله تعالى قلت كانت السجدة عندهم جارية مجرى التحية والتكرمة كالقيام والمصافحة وتقبيل اليد ونحوها مما جرت عليه عادة الناس من افعال شهرت في التعظيم والتوقير وقيل ما كانت الا انحناء دون تعفير الجباه وخرورهم سجدا يأباه وقيل معناه وخروا لاجل يوسف سجدا لله شكرا وهذا ايضا فيه نبوة يقال احسن اليه وبه قال • احسن بي اذ اخرجني • من البدو من البادية لانهم كانوا اهل عمد واصحاب مواش يتنقلون في المياه والمناجع نزغ افسد بيننا واغرى واصله من نخس الرائض الدابة وحمله على الجري يقال نزغه ونسغه اذا نخسه • لطيف لما يشاء لطيف التدبير لاجله رفيق حتى يجيء على وجه الحكمة والصواب وروي ان يوسف اخذ بيد يعقوب فطاف به في خزائنه فادخله خزائن الورق والذهب وخزائن الحلي وخزائن الثياب وخزائن السلاح وغير ذلك فلما ادخله خزانة القراطيس قال يا بني ما اعقك عندك هذه القراطيس وما كتبت الي على ثماني مراحل قال امرني جبريل عليه السلام قال او ما تساله قال انت ابسط اليه مني فسله فلما ساله قال جبريل الله تعالى امرني بذلك لقولك واخاف ان ياكله الذئب قال فهلا خفتني • وروي ان يعقوب عليه السلام اقام معه اربعا وعشرين سنة ثم مات واوصى ان يدفنه بالشام الى جنب ابيه اسحق فمضى بنفسه ودفنه ثم عاد الى مصر وعاش بعد ابيه ثلاثا وعشرين سنة فلما تم امره وعلم انه لا يدوم له طلبت نفسه الملك الدائم الخالد فتاقت نفسه اليه فتمنى الموت وقيل ما تمناه نبي قبله ولا بعده فتوفاه الله عز وجل طيبا طاهرا فتخاصم اهل مصر وتشاحوا في دفنه كل يحب ان يدفن في محلتهم حتى هموا بالقتال فراوا من الراي ان عملوا له صندوقا من مرمر وجعلوه فيه ودفنوه في النيل بمكان يمر عليه الماء ثم يصل الى مصر ليكونوا فيه شرعا واحدا وولد له افرايم وميشا وولد لافرايم نون ولنون يوشع فتى موسى عليه السلام • ولقد توارثت الفراعنة من العماليق بعده مصر ولم تزل بنو اسرائيل تحت ايديهم على بقايا دين يوسف وآبائه عليهم السلام الى ان بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم • رب قد آتيتني من الملك وعلمتني

من تاويل الاحاديث فاطر السموات والارض انت وليي في الدنيا والاخرة توفني مسلما والحقني بالصالحين • من الملك من للتبعيض لانه لم يؤت الا بعض ملك الدنيا او بعض ملك مصر وبعض التاويل انت وليي انت الذي تتولاني بالنعمة في الدارين وتوصل الملك الفاني بالملك الباقي توفني مسلما طلب للوفاة على حال الاسلام ولان يختم له بالخير والحسنى كما قال يعقوب لولده ولا تموتن الا وانتم مسلمون ويجوز ان يكون تمنيا للموت على ما قيل والحقني بالصالحين من آبائي او على العموم • وعن عمر بن عبد العزيز ان ميمون بن مهران بات عنده فراه كثير البكاء والمسالة للموت فقال له صنع الله على يديك خيرا كثيرا احييت سننا وامت بدعا وفي حياتك خير وراحة للمسلمين فقال افلا اكون كالعبد الصالح لما اقر الله عينه وجمع له امره قال توفني مسلما والحقني بالصالحين فان قلت علام انتصب فاطر السموات قلت على انه وصف لقوله رب كقولك اخا زيد حسن الوجه او على النداء • ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم وهم يمكرون • ذلك اشارة الى ما سبق من نبا يوسف عليه السلام والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومحله الابتداء من انباء الغيب نوحيه اليك خبران ويجوز ان يكون اسما موصولا بمعنى الذي ومن انباء الغيب صلته ونوحيه الخبر والمعنى ان هذا النبا غيب لم يحصل لك الا من جهة الوحي لانك لم تحضر بني يعقوب حين اجمعوا امرهم وهو القاؤهم يوسف في البئر كقوله واجمعوا ان يجعلوه في غيابة الجب وهذا تهكم بقريش وبمن كذبه لانه لم يخف على احد من المكذبين انه لم يكن من حملة هذا الحديث واشباهه ولا لقي فيها احدا ولا سمع منه ولم يكن من علم قومه فاذا اخبر به وقصه هذا القصص العجيب الذي اعجز حملته ورواته لم تقع شبهة في انه ليس منه وانه من جهة الوحي فاذا انكروه تهكم بهم وقيل لهم قد علمتم بالمكابرة انه لم يكن مشاهدا لمن مضى من القرون الخالية ونحوه وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر وهم يمكرون بيوسف ويبغون له الغوائل • وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين • وما اكثر الناس يريد العموم كقوله ولكن اكثر الناس لا يؤمنون • وعن ابن عباس اراد اهل مكة اي وما هم بمؤمنين ولو حرصت وتهالكت على ايمانهم لتصميمهم على الكفر وعنادهم • وما تسالهم عليه من اجر ان هو الا ذكر للعالمين • وما تسالهم على ما تحدثهم به وتذكرهم به ان ينيلوك منفعة وجدوى كما يعطى حملة الاحاديث والاخبار ان هو الا ذكر عظة من الله للعالمين عامة وحث على طلب النجاة على لسان رسول من رسله • وكاين من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون • من آية من اي علامة ودلالة على الخالق وعلى صفاته وتوحيده يمرون عليها ويشاهدونها وهم معرضون عنها لا يعتبرون بها وقرئ والارض بالرفع على الابتداء ويمرون عليها خبره وقرا السدي والارض بالنصب على ويطؤن الارض يمرون عليها وفي مصحف عبد الله والارض يمشون عليها برفع الارض والمراد ما يرون من آثار الامم الهالكة وغير ذلك من العبر • وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون • وما يؤمن اكثرهم في اقراره بالله تعالى وبانه خلقه وخلق السموات والارض الا وهو مشرك بعبادته الوثن • وعن الحسن هم اهل الكتاب معهم شرك وايمان • وعن ابن عباس هم الذين يشبهون الله بخلقه • افامنوا ان تاتيهم غاشية من عذاب الله او تاتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون • غاشية نقمة تغشاهم وقيل ما يغمرهم من العذاب ويجللهم وقيل الصواعق • قل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني وسبحان الله وما انا من المشركين • هذه سبيلي هذه السبيل التي هي الدعوة الى الايمان والتوحيد سبيلي والسبيل والطريق يذكران ويؤنثان ثم فسر سبيله بقوله ادعو الى الله على بصيرة اي ادعو الى دينه مع حجة واضحة غير عمياء وانا تاكيد للمستتر في ادعو ومن اتبعني عطف عليه يريد ادعو اليها انا ومن اتبعني ويجوز ان يكون انا مبتدا وعلى بصيرة خبرا مقدما ومن اتبعني عطفا على انا اخبارا مبتدأ بانه ومن اتبعه على حجة وبرهان لا على هوى ويجوز ان يكون على بصيرة حالا من ادعو عاملة الرفع في انا ومن اتبعني وسبحان الله وانزهه من الشركاء • وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم من اهل القرى افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الاخرة خير للذين اتقوا افلا تعقلون

الا رجالا لا ملائكة لانهم كانوا يقولون لو شاء ربنا لانزل ملائكة وعن ابن عباس يريد ليس فيهم امرأة وقيل في سجاح المتنبئة ولم تزل انبياء الله ذكرانا وقرئ نوحي اليهم بالنون من اهل القرى لانهم اعلم واحلم واهل البوادي فيهم الجهل والجفاء والقسوة ولدار الآخرة ولدار الساعة او الحال الآخرة خير للذين اتقوا الذين خافوا الله فلم يشركوا به ولم يعصوه وقرئ افلا يعقلون بالياء والتاء

حتى اذا استيأس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين

حتى متعلقة بمحذوف دل عليه الكلام كأنه قيل وما ارسلنا من قبلك الا رجالا فتراخى نصرهم حتى اذا استيأسوا عن النصر وظنوا انهم قد كذبوا اي كذبتهم انفسهم حين حدثتهم بانهم ينصرون او كذبهم القوم برجاء النصر وقيل المعنى ان مدة التكذيب والعداوة من الكفار وانتظار النصر من الله وتأميله قد تطاولت عليهم وتمادت حتى استشعروا القنوط وتوهموا ان لا نصر لهم في الدنيا جاءهم نصرنا فجأة من غير احتساب وعن ابن عباس وظنوا حين ضعفوا وغلبوا انهم قد اخلفوا ما وعدهم الله من النصر وقال كانوا بشرا وتلا قوله وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله فان صح هذا عن ابن عباس فقد اراد بالظن ما يخطر بالبال ويهجس في القلب من شبه الوسوسة وحديث النفس على ما عليه البشرية واما الظن الذي هو ترجيح احد الجائزين على الآخر فغير جائز على رجل من المسلمين فما بال رسل الله الذين هم اعرف الناس بربهم وانه متعال عن خلف الميعاد منزه عن كل قبيح وقيل وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوا اي اخلفوا او وظن المرسل اليهم انهم قد كذبوا من جهة الرسل اي كذبتهم الرسل في انهم ينصرون عليهم ولم يصدقوهم فيه وقرئ كذبوا بالتشديد على وظن الرسل انهم قد كذبهم قومهم فيما وعدوهم من العذاب والنصرة عليهم وقرأ مجاهد كذبوا بالتخفيف على البناء للفاعل على وظن الرسل انهم قد كذبوا فيما حدثوا به قومهم من النصرة عليهم اما على تأويل ابن عباس واما على ان قومهم اذا لم يروا الموعد لهم اثرا قالوا لهم انكم قد كذبتمونا فيكونون كاذبين عند قومهم او وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوا ولو قرئ بهذا مشددا لكان معناه وظن الرسل ان قومهم كذبوهم في موعدهم وقرئ فننجي بالتخفيف والتشديد من انجاه ونجاه وفنجي على لفظ الماضي المبني للمفعول وقرأ ابن محيصن فنجا والمراد بمن نشاء المؤمنون الذين يستاهلون ان يشاء نجاتهم وقد بين ذلك بقوله ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين

لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون

الضمير في قصصهم للرسل وينصره قراءة من قرأ في قصصهم بكسر القاف وقيل هو راجع الى يوسف واخوته فان قلت فالام يرجع الضمير في ما كان حديثا يفترى فيمن قرأ بالكسر قلت الى القرآن اي ما كان القرآن حديثا يفترى ولكن كان تصديق الذي بين يديه اي قبله من الكتب السماوية وتفصيل كل شيء يحتاج اليه في الدين لانه القانون الذي تستند اليه السنة والاجماع والقياس بعد ادلة العقل وانتصاب ما نصب بعد لكن للعطف على خبر كان وقرئ ذلك بالرفع على ولكن هو تصديق الذي بين يديه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم علموا ارقاءكم سورة يوسف فانه ايما مسلم تلاها وعلمها اهله وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت واعطاه القوة ان لا يحسد مسلما

سورة الرعد مختلف فيها

وهي خمس واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم المر تلك آيات الكتاب والذي انزل اليك من ربك الحق ولكن اكثر الناس لا يؤمنون

تلك اشارة الى آيات السورة والمراد بالكتاب السورة اي تلك الآيات آيات السورة الكاملة العجيبة في بابها ثم قال والذي انزل اليك من القرآن كله هو الحق الذي لا مزيد عليه لا هذه السورة وحدها وفي اسلوب هذا الكلام قول الانمارية هم كالحلقة المفرغة لا يدرى اين طرفاها تريد الكملة

الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى يدبر الامر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون

الله مبتدأ والذي خبره بدليل قوله وهو الذي مد الارض ويجوز ان يكون صفة وقوله يدبر الامر يفصل الآيات خبرا

بعد

بعد خبر وينصره ما تقدمه من ذكر الآيات رفع السموات بغير عمد ترونها كلام مستأنف استشهاد برؤيتهم لها كذلك وقيل هي صفة لعمد وتعضده قراءة أبي ترونه وقرئ عمد بضمتين يدبر الامر يدبر امر ملكوته وربوبيته يفصل آياته في كتبه المنزلة لعلكم توقنون بالجزاء وبان هذا المدبر والمفصل لا بد لكم من الرجوع اليه وقرأ الحسن ندبر بالنون

وهو الذي مد الارض وجعل فيها رواسي وانهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشي الليل النهار ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون

جعل فيها زوجين اثنين خلق فيها من جميع انواع الثمرات زوجين زوجين حين مدها ثم تكاثرت بعد ذلك وتنوعت وقيل اراد بالزوجين الاسود والابيض والحلو والحامض والصغير والكبير وما اشبه ذلك من الاصناف المختلفة يغشي الليل النهار يلبسه مكانه فيصير اسود مظلما بعد ما كان ابيض منيرا وقرئ يغشي بالتشديد

وفي الارض قطع متجاورات وجنات من اعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون

قطع متجاورات بقاع مختلفة مع كونها متجاورة متلاصقة طيبة الى سبخة وكريمة الى زهيدة وصلبة الى رخوة وصالحة للزرع لا للشجر الى اخرى على عكسها مع انتظامها جميعا في جنس الارضية وذلك دليل على قادر مريد موقع لافعاله على وجه دون وجه وكذلك الكروم والزروع والنخيل النابتة في هذه القطع مختلفة الاجناس والانواع وهي تسقى بماء واحد وتراها متغايرة الثمر في الاشكال والالوان والطعوم والروائح متفاضلة فيها وفي بعض المصاحف قطعا متجاورات على وجعل وقرئ وجنات بالنصب على العطف على زوجين او بالجر على كل الثمرات وقرئ وزرع ونخيل بالجر عطفا على اعناب او جنات والصنوان جمع صنو وهي النخلة لها راسان واصلهما واحد وقرئ بالضم وهو لغة بني تميم والكسر لغة اهل الحجاز تسقى بالتاء والياء ونفضل بالنون وبالياء على البناء للفاعل والمفعول جميعا في الاكل بضم الكاف وسكونها

وان تعجب فعجب قولهم ءاذا كنا ترابا ءانا لفي خلق جديد

وان تعجب يا محمد من قولهم في انكار البعث فقولهم عجيب حقيق بان يتعجب منه لان من قدر على انشاء ما قص عليك من الفطر العظيمة ولم يعي بخلقهن كانت الاعادة اهون شيء عليه وايسره فكان انكارهم اعجوبة من الاعاجيب ءاذا كنا الى آخر قولهم يجوز ان يكون في محل الرفع بدلا من قولهم وان يكون منصوبا بالقول واذا نصب بما دل عليه قوله ءانا لفي خلق جديد

اولئك الذين كفروا بربهم واولئك الاغلال في اعناقهم واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون

اولئك الذين كفروا بربهم اولئك الكاملون المتمادون في كفرهم واولئك الاغلال في اعناقهم وصف بالاصرار كقوله انا جعلنا في اعناقهم اغلالا ونحوه لهم عن الرشد اغلال وقيود او هو من جملة الوعيد

ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة وقد خلت من قبلهم المثلات وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وان ربك لشديد العقاب

بالسيئة قبل الحسنة بالنقمة قبل العافية والاحسان اليهم بالامهال وذلك انهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يأتيهم بالعذاب استهزاء منهم بانذاره وقد خلت من قبلهم المثلات اي عقوبات امثالهم من المكذبين فما لهم لم يعتبروا بها فلا يستهزؤوا والمثلة العقوبة بوزن السمرة والمثلة لما بين العقاب والمعاقب عليه من المماثلة وجزاء سيئة سيئة مثلها ويقال امثلت الرجل من صاحبه واقصصته منه والمثال القصاص وقرئ المثلات بضمتين لاتباع الفاء العين والمثلات بفتح الميم وسكون الثاء كما يقال السمرة والمثلات بضم الميم وسكون الثاء تخفيف المثلات بضمتين والمثلات جمع مثلة كركبة وركبات لذو مغفرة للناس على ظلمهم اي مع ظلمهم انفسهم بالذنوب ومحله الحال والعامل فيه المغفرة والتقييد به دليل على جواز العفو قبل التوبة فان التائب ليس على ظلمه ومن منع ذلك خص الظلم بالصغائر المكفرة لمجتنب الكبائر او الكبائر بشرط التوبة او يريد بالمغفرة الستر والامهال وروي انها لما نزلت قال النبي صلى الله عليه وسلم لولا عفو الله تعالى وتجاوزه ما هنأ احدا العيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل احد

ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه انما انت منذر ولكل قوم هاد

لولا انزل عليه آية من ربه لم يعتدوا بالآيات المنزلة على رسول الله صلى الله عليه وسلم عنادا فاقترحوا نحو آيات موسى وعيسى عليهما السلام من انقلاب العصا حية واحياء الموتى فقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم انما انت

رجل ارسل منذرا مخوفا لهم من سوء العاقبة وناصحا كغيرك من الرسل وما عليك الا الاتيان بما يصح به انك رسول منذر وصحة ذلك حاصلة باية اية كانت والآيات كلها سواء في حصول صحة الدعوى بها لا تفاوت بينها والذي عنده كل شيء بمقدار يعطي كل نبي آية على حسب ما اقتضاه علمه بالمصالح وتقديره لها ولكل قوم هاد من الانبياء يهديهم الى الدين ويدعوهم الى الله بوجه من الهداية وبآية خص بها ولم يجعل الانبياء شرعا واحدا في آيات مخصوصة ووجه آخر وهو ان يكون المعنى انهم يجحدون كون ما انزل عليك آيات ويعاندون فلا يهمنك ذلك انما انت منذر فما عليك الا ان تنذر لا ان تثبت الايمان في صدورهم ولست بقادر عليه ولكل قوم هاد قادر على هدايتهم بالالجاء وهو الله تعالى ولقد دل بما اردفه من ذكر آيات علمه وتقديره الاشياء على قضايا حكمته ان اعطاءه كل منذر آيات خلاف آيات غيره امر مدبر بالعلم النافذ مقدر بالحكمة الربانية ولو علم في اجابتهم الى مقترحهم خيرا ومصلحة لاجابهم اليه واما على الوجه الثاني فقد دل به على ان من هذه قدرته وهذا علمه هو القادر وحده على هداية العالم باي طريق يهديهم ولا سبيل الى ذلك لغيره **يعلم ما تحمل كل انثى وما تغيض الارحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار** الله يعلم يحتمل ان يكون كلاما مستانفا وان يكون المعنى هو الله تفسيرا لهاد على الوجه الاخير ثم ابتدى فقيل يعلم ما تحمل كل انثى وما في ما تحمل وما تغيض وما تزداد اما موصولة واما مصدرية فان كانت موصولة فالمعنى انه يعلم ما تحمله من الولد على اي حال هو من ذكورة وانوثة وتمام وخداج وحسن وقبح وطول وقصر وغير ذلك من الاحوال الحاضرة المترقبة ويعلم ما تغيضه الارحام اي تنقصه يقال غاض الماء وغضته انا ومنه قوله تعالى وغيض الماء ومن تزداده اي تاخذه زائدا تقول اخذت منه حقي وازددت منه كذا ومنه قوله تعالى وازدادوا تسعا ويقال زدته فزاد بنفسه وازداد وما تنقصه الرحم وتزداده عدد الولد فانها تشتمل على واحد وقد تشتمل على اثنين وثلثة واربعة ويروى ان شريكا كان رابع اربعة في بطن امه ومنه جسد الولد فانه يكون تاما ومخدجا ومنه مدة ولادته فانها تكون اقل من تسعة اشهر وازيد عليها الى سنتين عند ابي حنيفة والى اربع عند الشافعي والى خمس عند مالك وقيل ان الضحاك ولد لسنتين وهرم بن حيان بقي في بطن امه اربع سنين ولذلك سمي هرما ومنه الدم فانه يقل ويكثر وان كانت مصدرية فالمعنى انه يعلم حمل كل انثى ويعلم غيض الارحام وازديادها لا يخفى عليه شيء من ذلك ومن اوقاته واحواله ويجوز ان يراد غيوضها في الارحام وزيادتها فاسند الفعل الى الارحام وهو لما فيها على ان الفعلين غير متعديين ويعضده قول الحسن الغيضوضة ان تضع لثمانية اشهر او اقل من ذلك والازدياد ان تزيد على تسعة اشهر وعنه الغيض الذي يكون سقطا لغير تمام والازدياد ما ولد لتمام بمقدار بقدر وحد لا يجاوزه ولا ينقص عنه كقوله تعالى انا كل شيء خلقناه بقدر **عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال** الكبير العظيم الشان الذي كل شيء دونه المتعال المستعلي على كل شيء بقدرته او الذي كبر عن صفات المخلوقين وتعالى عنها **سواء منكم من اسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار** سارب ذاهب في سربه بالفتح اي في طريقه ووجهه يقال سرب في الارض سروبا والمعنى سواء عنده من استخفى اي طلب الخفاء مختبئا بالليل في ظلمته ومن يضطرب في الطرقات ظاهرا بالنهار يبصره كل احد **فان قلت** كان حق العبارة ان يقال ومن هو مستخف بالليل ومن هو سارب بالنهار حتى يتناول معنى الاستواء المستخفي والسارب والا فقد تناول واحدا هو مستخف وسارب **قلت** فيه وجهان احدهما ان قوله وسارب عطف على من هو مستخف لا على مستخف والثاني انه عطف على مستخف الا ان من في معنى الاثنين كقوله نكن مثل من يا ذئب يصطحبان كانه قيل سواء منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار والضمير في له مردود على من كانه قيل لمن اسر ومن جهر ومن استخفى ومن سرب **له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم واذا اراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال** معقبات جماعات من الملائكة تتعقب في حفظه وكلاءته والاصل معتقبات فادغمت التاء في القاف كقوله وجاء المعذرون بمعنى المعتذرون ويجوز معقبات بكسر العين ولم يقرأ به او هو مفعلات من عقبه اذا جاء على عقبه كما يقال قفاه لان بعضهم يعقب بعضا او لانهم يعقبون ما يتكلم به فيكتبونه يحفظونه من امر الله هما صفتان جميعا وليس من امر الله بصلة للحفظ كانه قيل له معقبات من امر الله او يحفظونه من

اجل امر الله اي من اجل ان الله تعالى امرهم بحفظه والدليل عليه قراءة علي وابن عباس وزيد بن علي وجعفر بن محمد وعكرمة رضي الله عنهم يحفظونه بامر الله او يحفظونه من باس الله ونقمته اذا اذنب بدعائهم له ومسالتهم ربهم ان يمهله رجاء ان يتوب وينيب كقوله قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن وقيل المعقبات الحرس والجلاوزة حول السلطان يحفظونه في توهمه وتقديره من امر الله اي من قضاياه ونوازله او على التهكم به وقرئ له معاقيب جمع معقب او معقبة والياء عوض من حذف احدى القافين في التكسير ان الله لا يغير ما بقوم من العافية والنعمة حتى يغيروا ما بانفسهم من الحال الجميلة بكثرة المعاصي من وال ممن يلي امرهم ويدفع عنهم **هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا وينشئ السحاب الثقال** خوفا وطمعا لا يصح ان يكونا مفعولا لهما لانهما ليسا بفعل فاعل الفعل المعلل الا على تقدير حذف المضاف اي ارادة خوف وطمع او على معنى اخافة واطماعا ويجوز ان يكونا منتصبين على الحال من البرق كانه في نفسه خوف وطمع او على ذا خوف وذا طمع او على المخاطبين اي خائفين وطامعين ومعنى الخوف والطمع ان وقوع الصواعق يخاف عند لمع البرق ويطمع في الغيث قال ابو الطيب فتى كالسحاب الجون يخشى ويرتجى يرجى الحيا منها وتخشى الصواعق وقيل يخاف المطر من له فيه ضرر كالمسافر ومن في جرينه التمر والزبيب ومن له بيت يكف ومن البلاد ما لا ينتفع اهله بالمطر كاهل مصر ويطمع فيه من له فيه نفع ويحيى به السحاب اسم الجنس والواحدة سحابة والثقال جمع ثقيلة لانك تقول سحابة ثقيلة وسحاب ثقال كما تقول امراة كريمة ونساء كرام وهي الثقال بالماء **ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال** ويسبح الرعد بحمده ويسبح سامعو الرعد من العباد الراجين للمطر حامدين له اي يضجون بسبحان الله والحمد لله وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول سبحان من يسبح الرعد بحمده وعن علي رضي الله عنه سبحان من سبحت له وكان اذا اشتد الرعد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان اليهود سالت النبي صلى الله عليه وسلم عن الرعد ما هو فقال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب وعن الحسن خلق من خلق الله تعالى ليس بملك ومن بدع المتصوفة الرعد صعقات الملائكة والبرق زفرات افئدتهم والمطر بكاؤهم والملائكة من خيفته ويسبح الملائكة من هيبته واجلاله ذكر علمه النافذ في كل شيء واستواء الظاهر والخفي عنده وما دل على قدرته الباهرة ووحدانيته ثم قال وهم يعني الذين كفروا وكذبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وانكروا الآيات يجادلون في الله حيث ينكرون على رسوله ما يصفه به من القدرة على البعث واعادة الخلائق بقولهم من يحيي العظام وهي رميم ويردون الوحدانية باتخاذ الشركاء والانداد ويجعلونه بعض الاجسام المتوالدة بقولهم الملائكة بنات الله تعالى فهذا جدالهم بالباطل كقوله تعالى وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق وقيل الواو للحال اي فيصيب بها من يشاء في حال جدالهم وذلك ان اربد اخا لبيد بن ربيعة العامري قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين وفد عليه مع عامر بن الطفيل قاصدين لقتله رمى الله عز وجل عامرا بغدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية وارسل على اربد صاعقة فقتلته اخبرني عن ربنا امن نحاس هو ام من حديد المحال المماحلة وهي شدة المماكرة والمكايدة ومنه تمحل لكذا اذا تكلف استعمال الحيلة واجتهد فيه ومحل بفلان اذا كاده وسعى به الى السلطان ومنه الحديث ولا تجعله علينا ماحلا مصدقا وقال الاعشى فرع نبع يهتز في غصن المجد غزير الندى شديد المحال والمعنى انه شديد المكر والكيد لاعدائه ياتيهم بالهلكة من حيث لا يحتسبون وقرأ الاعرج بفتح الميم على انه مفعل من حال يحول محالا اذا احتال ومنه احول من ذئب اي اشد حيلة ويجوز ان يكون المعنى شديد الفقار ويكون مثلا في القوة والقدرة كما جاء فساعد الله اشد وموساه احد لان الحيوان اذا اشتد محاله كان منعوتا بشدة القوة والاضطلاع بما يعجز عنه غيره الا ترى الى قولهم فقرته الفواقر وذلك ان الفقار عمود الظهر وقوامه **له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين الا في ضلال** دعوة الحق فيه وجهان احدهما ان تضاف الدعوة الى الحق الذي هو نقيض الباطل كما تضاف الكلمة اليه في قولك كلمة الحق للدلالة على ان الدعوة ملابسة للحق مختصة به وانها بمعزل من الباطل والمعنى ان الله سبحانه يدعى فيستجيب الدعوة ويعطي الداعي سؤله ان كان مصلحة له فكانت دعوة ملابسة للحق لكونه حقيقا بان يوجه اليه الدعاء لما في دعوته من الجدوى والنفع بخلاف ما لا ينفع ولا يجدي دعاؤه والثاني ان تضاف

الى الحق الذي هو الله عز وعلا على معنى دعوة المدعو الحق الذي يسمع ويجيب وعن الحسن رحمه الله تعالى الحق هو الله وكل دعاء
اليه دعوة الحق **فان قلت** ما وجه اتصال هذين الوصفين بما قبله **قلت** اما على قصة اربد فظاهر لان
اصابته بالصاعقة محال من الله ومكر من حيث لم يشعر وقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وعلى صاحبه بقوله اللهم
اخسفهما بما شئت فاجيبت فيهما فكانت الدعوة دعوة حق واما على الاول فوعيد للكفرة على مجادلتهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم بحلول محاله بهم واجابة دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ان دعا عليهم فيهم والذين يدعون والآلهة الذين يدعوهم الكفار
من دون الله لا يستجيبون لهم بشيء من طلباتهم الا كباسط كفيه الا استجابة كاستجابة باسط كفيه اي كاستجابة الماء من بسط
كفيه اليه يطلب منه ان يبلغ فاه والماء جماد لا يشعر ببسط كفيه ولا بعطشه وحاجته اليه ولا يقدر ان يجيب دعاءه
ويبلغ فاه وكذلك ما يدعونه جماد لا يحس بدعائهم ولا يستطيع اجابتهم ولا يقدر على نفعهم وقيل شبهوا في قلة جدوى
دعائهم لآلهتهم بمن اراد ان يغرف الماء بيديه ليشربه فبسطهما ناشرا اصابعه فلم تلق كفاه منه شيئا ولم يبلغ طلبته
من شربه وقرئ تدعون بالتاء وكباسط كفيه بالتنوين الا في ضلال الا في ضياع لا منفعة فيه لانهم ان دعوا الله لم يجبهم
وان دعوا الآلهة لم تستطع اجابتهم **ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها**
وظلالهم بالغدو والآصال ولله يسجد اي ينقادون لاحداث ما اراده فيهم من افعاله شاؤا
او ابوا لا يقدرون ان يمتنعوا عليه وتنقاد له ظلالهم ايضا حيث تتصرف على مشيئته في الامتداد والتقلص والفيء
والزوال وقرئ بالغدو والايصال من آصلوا اذا دخلوا في الاصيل **قل من رب السموات والارض**
قل الله قل افاتخذتم من دونه اولياء لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا قل هل يستوي
الاعمى والبصير ام هل تستوي الظلمات والنور قل الله حكاية لاعترافهم وتأكيد له عليهم لانه اذا
قال لهم من رب السموات والارض لم يكن لهم بد من ان يقولوا الله كقوله تعالى قل من رب السموات السبع ورب العرش
العظيم سيقولون الله وهذا كما يقول المناظر لصاحبه اهذا قولك فاذا قال هذا قولي فيحكي اقراره تقريرا له عليه واستيثاقا
منه ثم يقول له فيلزمك على هذا القول كيت وكيت ويجوز ان يكون تلقينا اي ان كعوا عن الجواب فلقنهم فانهم
يتلقونه ولا يقدرون ان ينكروه افاتخذتم من دونه اولياء ابعد ان علمتموه رب السموات والارض اتخذتم من دونه اولياء
فجعلتم ما كان يجب ان يكون سبب التوحيد من علمكم واقراركم سبب الاشراك لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا لا يستطيعون
لانفسهم ان ينفعوها او يدفعوا عنها ضررا فكيف يستطيعونه لغيرهم وقد آثرتموهم على الخالق الرازق المثيب المعاقب
فما ابين ضلالكم **ام جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله**
خالق كل شيء وهو الواحد القهار ام جعلوا بل اجعلوا ومعنى الهمزة الانكار خلقوا كخلقه صفة
لشركاء يعني انهم لم يتخذوا لله شركاء خالقين قد خلقوا مثل خلق الله فتشابه عليهم خلق الله وخلقهم حتى يقولوا
قدر هؤلاء على الخلق كما قدر الله عليه فاستحقوا العبادة فنتخذهم له شركاء ونعبدهم كما يعبد اذ لا فرق بين خالق وخالق
ولكنهم اتخذوا له شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلا ان يقدروا على ما يقدر عليه الخالق قل الله خالق
كل شيء لا خالق غير الله ولا يستقيم ان يكون له شريك في الخلق فلا يكون له شريك في العبادة وهو الواحد المتوحد بالربوبية
القهار لا يغالب وما عداه مربوب مقهور **انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها فاحتمل**
السيل زبدا رابيا ومما توقدون عليه في النار ابتغاء حلية او متاع زبد مثله كذلك
يضرب الله الحق والباطل فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث
في الارض كذلك يضرب الله الامثال هذا مثل ضربه الله تعالى للحق واهله والباطل وحزبه
كما ضرب الاعمى والبصير والظلمات والنور مثلا لهما فمثل الحق واهله بالماء الذي ينزل من السماء فتسيل به اودية
الناس فيحيون به وينفعهم بانواع المنافع وبالفلز الذي ينتفعون به في صوغ الحلي منه واتخاذ الاواني والآلات المختلفة
ولو لم يكن الا الحديد الذي فيه البأس الشديد لكفى به وان ذلك ماكث في الارض باق بقاء ظاهرا يثبت الماء في منافعه وتبقى
آثاره في العيون والبئار والحبوب والثمار التي تنبت به مما يدخر ويكنز وكذلك الجواهر تبقى ازمنة متطاولة وشبه
الباطل في سرعة اضمحلاله ووشك زواله وانسلاخه عن المنفعة بزبد السيل الذي يرمي به وبزبد الفلز الذي يطفو

الفلز ما ينفيه الكير مما يذاب من جواهر الارض
مراد المصنف بالفلز من المعدنيات
التي يتخذ منها الحلي والاواني
والآلات ه

فوقه

فوقه اذا اذيب **فان قلت** لم نكرت الاودية **قلت** لان المطر لا يأتي الا على طريق المناوبة بين البقاع
فيسيل بعض اودية الارض دون بعض **فان قلت** فما معنى قوله بقدرها **قلت** بمقدارها الذي عرف الله
تعالى انه نافع للممطور عليهم غير ضار الا ترى الى قوله تعالى واما ما ينفع الناس لانه ضرب المطر مثلا للحق فوجب ان يكون مطرا
خالصا للنفع خاليا من المضرة ولا يكون كبعض الامطار والسيول الجواحف **فان قلت** فما فائدة قوله ابتغاء
حلية او متاع **قلت** الفائدة فيه كالفائدة في قوله بقدرها لانه جمع الماء والفلز في النفع في قوله واما ما ينفع الناس لان
المعنى واما ما ينفعهم من الماء والفلز فذكر وجه الانتفاع بما يوقد عليه منه ويذاب وهو الحلية والمتاع وقوله ومما توقدون
عليه في النار ابتغاء حلية او متاع عبارة جامعة لانواع الفلز مع اظهار الكبرياء في ذكره على وجه التهاون به كما
هو هجيرى الملوك كما جاء في ذكر الآجر او قد لي يا هامان على الطين ومن لابتداء الغاية اي ومنه ينشأ زبد
مثل زبد الماء او للتبعيض بمعنى وبعضه زبد رابيا منتفخا مرتفعا على وجه السيل جفاء يجفاه السيل اي
يرمي به وجفأت القدر بزبدها واجفأ السيل واجفل وفي قراءة رؤبة بن العجاج جفالا وعن ابي حاتم لا يقرأ بقراءة
رؤبة لانه كان يأكل الفار وقرئ يوقدون بالياء اي يوقد الناس **للذين استجابوا لربهم الحسنى**
والذين لم يستجيبوا له لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به اولئك
لهم سوء الحساب ومأويهم جهنم وبئس المهاد للذين استجابوا اللام متعلقة بيضرب اي كذلك
يضرب الله الامثال للمؤمنين الذين استجابوا وللكافرين الذين لم يستجيبوا اي هما مثلا الفريقين والحسنى صفة لمصدر استجابوا
اي استجابوا الاستجابة الحسنى وقوله لو ان لهم كلام مبتدأ في ذكر ما اعد لغير المستجيبين وقيل قد تم الكلام عند قوله كذلك يضرب
الله الامثال وما بعده كلام مستأنف والحسنى مبتدأ خبره للذين استجابوا والمعنى لهم المثوبة الحسنى وهي الجنة والذين لم
يستجيبوا مبتدأ خبره لو مع ما في حيزه وسوء الحساب المناقشة فيه وعن النخعي ان يحاسب الرجل بذنبه كله لا يغفر منه شيء
افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق كمن هو اعمى انما يتذكر اولوا الالباب
دخلت همزة الانكار على الفاء في قوله افمن يعلم لانكار ان تقع شبهة بعد ما ضرب من المثل في ان حال من علم ان ما انزل
اليك من ربك الحق فاستجاب بمعزل من حال الجاهل الذي لم يستبصر فيستجيب كبعد ما بين الزبد والماء والخبث والابريز
انما يتذكر اولوا الالباب اي الذين عملوا على قضيات عقولهم فنظروا واستبصروا **الذين يوفون بعهد**
الله ولا ينقضون الميثاق الذين يوفون بعهد الله مبتدأ واولئك لهم عقبى الدار خبره كقوله تعالى والذين ينقضون
عهد الله اولئك لهم اللعنة ويجوز ان يكون صفة لاولي الالباب والاول اوجه وعهد الله ما عقدوه على انفسهم من الشهادة
بربوبيته واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى ولا ينقضون الميثاق ولا ينقضون كل ما وثقوه على انفسهم وقبلوه
من الايمان بالله وغيره من المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد تعميم بعد تخصيص **والذين يصلون**
ما امر الله به ان يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب ما امر الله به ان
يوصل من الارحام والقرابات ويدخل فيه وصل قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرابة المؤمنين الثابتة بسبب الايمان
انما المؤمنون اخوة بالاحسان اليهم على حسب الطاقة ونصرتهم والذب عنهم والشفقة عليهم والنصيحة لهم وطرح التفرقة
بين انفسهم وبينهم وافشاء السلام عليهم وعيادة مرضاهم وشهود جنائزهم ومنه مراعاة حق الاصحاب والخدم
والجيران والرفقاء في السفر وكل ما تعلق منهم بسبب حتى الهرة والدجاجة وعن الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى
ان جماعة دخلوا عليه بمكة فقال من اين انتم قالوا من اهل خراسان قال اتقوا الله وكونوا من حيث شئتم واعلموا ان العبد
لو احسن الاحسان كله وكانت له دجاجة فاساء اليها لم يكن من المحسنين ويخشون ربهم يخشون وعيده كله ويخافون
خصوصا سوء الحساب فيحاسبون انفسهم قبل ان يحاسبوا **والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم**
واقاموا الصلوة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرؤن بالحسنة السيئة
اولئك لهم عقبى الدار صبروا مطلق فيما يصبر عليه من المصائب في النفوس والاموال ومشاق التكليف ابتغاء
وجه الله لا ليقال ما اصبره واحمله للنوازل واوقره عند الزلازل ولئلا يعاب بالجزع ولكيلا يشمت به الاعداء كقوله وتجلدي
للشامتين ولانه لا طائل تحت الهلع ولا مرد فيه للفائت كقوله ما ان جزعت ولا هلعت ولا يرد بكاي زندا

هذا اشارة الى ان رؤبة كان علامة بالعربية ولم
يكن على ثقة من الرواية في القراءة
ولا يعتمد بروايته
ح

وكل عمل له وجوه يعمل عليها فعلى المؤمن ان ينوى منها ما به كان حسنا عند الله والا لم يستحق به ثوابا وكان فعلا
كلا فعل مما رزقناهم من الحلال لان الحرام لا يكون رزقا ولا يسند الى الله سرا وعلانية يتناول النوافل لانها
فى السر افضل والفرائض لوجوب المجاهرة بها نفيا للتهمة ويدرؤن بالحسنة السيئة ويدفعونها عن ابن عباس
يدفعون بالحسن من الكلام ما يرد عليهم من سيئ غيرهم وعن الحسن اذا حرموا اعطوا واذا ظلموا عفوا واذا
قطعوا وصلوا وعن ابن كيسان اذا اذنبوا تابوا وقيل اذا رأوا منكرا امروا بتغييره عقبى الدار عاقبة الدنيا
وهى الجنة لانها التى اراد الله تعالى ان تكون عاقبة الدنيا ومرجع اهلها جنات عدن يدخلونها
ومن صلح من ابائهم وازواجهم وذرياتهم والملئكة يدخلون عليهم من كل باب
وجنات عدن بدل من عقبى الدار وقرئ فنعم بفتح النون والاصل نعم فمن كسر النون فلنقل كسرة العين اليها
ومن فتح فقد سكن العين ولم ينقل وقرئ يدخلونها على البناء للمفعول وقرأ ابن ابى عبلة صلح بضم اللام
والفتح افصح اعلم ان الانساب لا تنفع اذا تجردت من الاعمال الصالحة واباؤهم جمع ابوى كل واحد منهم فكانه قيل
من ابائهم وامهاتهم سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار سلام عليكم او مسلمين فان قلت
بم تعلق قوله بما صبرتم قلت بمحذوف تقديره هذا بما صبرتم يعنون هذا الثواب بسبب صبركم او بدل ما احتملتم من
مشاق الصبر ومتاعبه هذه الملاذ والنعم والمعنى لئن تعبتم فى الدنيا لقد استرحتم الساعة كقوله بما قدموا فى
فيها او انسيتنا وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان يأتى قبور الشهداء على رأس كل حول فيقول السلام عليكم
بما صبرتم فنعم عقبى الدار ويجوز ان يتعلق بسلام اى نسلم عليكم ونكرمكم بصبركم والذين ينقضون عهد
الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون فى
الارض اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار من بعد ميثاقه من بعد ما اوثقوه به من الاعتراف
والقبول سوء الدار يحتمل ان يراد سوء عاقبة الدنيا لانه فى مقابلة عقبى الدار ويجوز ان يراد بالدار جهنم وبسوئها عذابها
الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وفرحوا بالحيوة الدنيا وما الحيوة الدنيا فى الاخرة
الا متاع الله يبسط الرزق اى الله وحده هو يبسط الرزق ويقدره دون غيره وهو الذى بسط رزق
اهل مكة ووسعه عليهم فرحوا بما بسط لهم من الدنيا فرح بطر واشر لا فرح سرور بفضل الله تعالى وانعامه عليهم ولم
يقابلوه بالشكر حتى يستوجبوا نعيم الاخرة وخفى عليهم ان نعيم الدنيا فى جنب نعيم الاخرة ليس الا شيئا نزرا يتمتع به
كعجالة الراكب وهى ما يتعجله من تميرات او شربة سويق او نحو ذلك ويقول الذين كفروا لولا انزل
عليه اية من ربه قل ان الله يضل من يشاء ويهدى اليه من اناب فان قلت
كيف طابق قولهم لولا انزل عليه اية من ربه قوله قل ان الله يضل من يشاء قلت هو كلام يجرى مجرى التعجب
من قولهم وذلك ان الايات الباهرة المتكاثرة التى اوتيها رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يؤتها نبى قبله وكفى
بالقران وحده اية وراء كل اية فاذا جحدوا ولم يعتدوا بها وجعلوه كان اية لم تنزل عليه قط كان موضعا للتعجب
والاستنكار فكانه قيل لهم ما اعظم عنادكم وما اشد تصميمكم على كفركم ان الله يضل من يشاء ممن كان على
صفتكم من التصميم وشدة الشكيمة فى الكفر فلا سبيل الى اهتدائكم وان انزلت كل اية ويهدى اليه من كان على
خلاف صفتكم اناب اقبل الى الحق وحقيقته دخل فى نوبة الخير الذين امنوا وتطمئن قلوبهم بذكر
الله الا بذكر الله تطمئن القلوب والذين امنوا بدل من من اناب وتطمئن قلوبهم بذكر الله
بذكر رحمته ومغفرته بعد القلق والاضطراب من خشيته كقوله تعالى ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله او تطمئن
بذكر دلائله الدالة على وحدانيته او تطمئن بالقران لانه معجزة بينة تسكن القلوب وتثبت اليقين فيها
الذين امنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن ماب الذين امنوا مبتدأ وطوبى
لهم خبره ويجوز ان يكون بدلا من القلوب على تقدير حذف المضاف اى تطمئن القلوب قلوب الذين امنوا وطوبى مصدر
من طاب كبشرى وزلفى ومعنى طوبى لك اصبت خيرا وطيبا ومحلها النصب او الرفع كقولك طيبا لك وطيب لك
وسلاما لك وسلام لك والقراءة فى قوله وحسن ماب بالرفع والنصب تدلك على محليها واللام فى لهم للبيان مثلها

سلام عليكم فى موضع الحال اى قائلين صح

ن

فى سقيا لك والواو فى طوبى منقلبة عن ياء لضمة ما قبلها كموقن وموسر وقرأ مكوزة الاعرابى طيبى لهم فكسر
الطاء لتسلم الياء كما قيل بيض ومعيشة كذلك ارسلناك فى امة قد خلت من قبلها امم
لتتلوا عليهم الذى اوحينا اليك وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربى لا اله الا هو
عليه توكلت واليه متاب كذلك ارسلناك مثل ذلك الارسال ارسلناك يعنى ارسلناك
ارسالا له شان وفضل على سائر الارسالات ثم فسر كيف ارسله فقال فى امة قد خلت من قبلها امم اى ارسلناك
فى امة قد تقدمتها امم كثيرة فهى اخر الامم وانت خاتم الانبياء لتتلو عليهم الذى اوحينا اليك لتقرأ عليهم الكتاب
العظيم الذى اوحينا اليك وهم يكفرون وحال هؤلاء انهم يكفرون بالرحمن بالبليغ الرحمة الذى وسعت رحمته كل
شىء وما بهم من نعمة فمنه فكفروا بنعمته فى ارسال مثلك اليهم وانزال هذا القران المعجز المصدق لسائر الكتب عليهم قل هو ربى
الواحد المتعالى عن الشركاء عليه توكلت فى نصرتى عليكم واليه متاب فيثيبنى على مصابرتكم ومجاهدتكم
ولو ان قرانا سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى بل لله الامر جميعا
افلم يايس الذين امنوا ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولا يزال الذين كفروا تصيبهم
بما صنعوا قارعة او تحل قريبا من دارهم حتى ياتى وعد الله ان الله لا يخلف الميعاد
ولو ان قرانا جوابه محذوف كما تقول لغلامك لو انى قمت اليك وتترك الجواب والمعنى ولو ان قرانا سيرت به الجبال عن
مقارها وزعزعت عن مضاجعها او قطعت به الارض حتى تتصدع وتتزايل قطعا او كلم به الموتى فتسمع وتجيب لكان هذا القران
لكونه غاية فى التذكير ونهاية فى الانذار والتخويف كما قال لو انزلنا هذا القران على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله
وهذا تعظيم لما فسرت به قوله تعالى لتتلو عليهم الذى اوحينا اليك من ارادة تعظيم ما اوحى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
من القران وقيل معناه ولو ان قرانا وقع به تسيير الجبال وتقطيع الارض وتكليم الموتى وتنبيههم لما امنوا به ولما تنبهوا عليه
لقوله تعالى ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة الاية وقيل ان ابا جهل بن هشام قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم سير بقرانك
الجبال عن مكة حتى تتسع لنا فنتخذ فيها البساتين والقطائع كما سخرت لداود عليه السلام ان كنت نبيا كما تزعم فلست
باهون على الله تعالى من داود او سخر لنا به الريح لنركبها ونتجر الى الشام ثم نرجع فى يومنا فقد شق علينا قطع المسافة البعيدة
كما سخرت لسليمان او ابعث به رجلين او ثلثة ممن مات من ابائنا منهم قصى بن كلاب فنزلت ومعنى تقطيع الارض
على هذا قطعها بالسير ومجاوزتها وعن الفراء هو متعلق بما قبله والمعنى وهم يكفرون بالرحمن ولو ان قرانا سيرت
به الجبال وما بينهما اعتراض وليس ببعيد من السداد وقيل قطعت به الارض شققت فجعلت انهارا وعيونا بل لله الامر
جميعا على معنيين احدهما بل لله القدرة على كل شىء وهو قادر على الايات التى اقترحوها الا ان علمه بان اظهارها مفسدة
يصرفه والثانى بل لله ان يلجئهم الى الايمان وهو قادر على الالجاء لولا انه بنى امر التكليف على الاختيار ويعضده قوله تعالى
افلم يايس الذين امنوا ان لو يشاء الله يعنى مشيئة الالجاء لهدى الناس جميعا ومعنى افلم ييأس افلم يعلم قيل هى لغة قوم من النخع
وقيل انما استعمل اليأس بمعنى العلم لتضمنه معناه لان اليائس عن الشىء عالم بانه لا يكون كما استعمل الرجاء فى
معنى الخوف والنسيان فى معنى الترك لتضمن ذلك قال سحيم بن وثيل الرياحى اقول لهم بالشعب اذ ييسروننى الم تياسوا
انى ابن فارس زهدم وقيل انما كتبه الكاتب وهو ناعس مستوى السينات وهذا ونحوه مما لا يصدق فى كتاب الله
الذى لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وكيف يخفى مثل هذا حتى يبقى ثابتا بين دفتى الامام وكان متقلبا فى ايدى
اولئك الاعلام المحتاطين فى دين الله المهيمنين عليه لا يغفلون عن جلائله ودقائقه خصوصا عن القانون الذى اليه المرجع
والقاعدة التى عليها البناء وهذه والله فرية ما فيها مرية ويجوز ان يتعلق ان لو يشاء بامنوا على اولم يقنط عن ايمان
هؤلاء الكفرة الذين امنوا بان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولهداهم تصيبهم بما صنعوا من كفرهم وسوء اعمالهم
قارعة داهية تقرعهم بما يحل الله بهم فى كل وقت من صنوف البلايا والمصائب فى نفوسهم واولادهم واموالهم او
تحل القارعة قريبا منهم فيفزعون ويضطربون ويتطاير اليهم شرارها ويتعدى اليهم شرورها حتى ياتى وعد الله وهو
موتهم او القيمة وقيل ولا يزال كفار مكة تصيبهم بما صنعوا برسول الله صلى الله عليه وسلم من العداوة والتكذيب قارعة

لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يزال يبعث السرايا فتغير حول مكة وتختطف منهم وتصيب من مواشيهم او تحل
انت يا محمد قريبا من دارهم بجيشك كما حل بالحديبية حتى ياتي وعد الله وهو فتح مكة وكان الله تعالى قد وعده ذلك

ولقد استهزئ برسل من قبلك فامليت للذين كفروا ثم اخذتهم فكيف كان عقاب

الاملاء الامهال وان يترك ملاوة من الزمان في خفض وامن كالبهيمة يملى لها في المرعى وهذا وعيد لهم وجواب عن
اقتراحهم الآيات على رسول الله صلى الله عليه وسلم استهزاء به وتسلية له

افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وجعلوا لله شركاء قل سموهم ام تنبئونه بما لا يعلم في الارض ام بظاهر من القول بل زين للذين كفروا مكرهم وصدوا عن السبيل ومن يضلل الله فما له من هاد

افمن هو قائم احتجاج عليهم في اشراكهم بالله يعني افالله الذي هو قائم رقيب على كل نفس صالحة او طالحة بما كسبت يعلم خيره
وشره ويعد لكل جزاءه كمن ليس كذلك ويجوز ان يقدر ما يقع خبرا للمبتدأ ويعطف عليه وجعلوا وتمثيله افمن هو بهذه
الصفة لم يوحدوه وجعلوا له وهو الله الذي يستحق العبادة وحده شركاء قل سموهم اي جعلتم له شركاء فسموهم له
من هم ونبئوه باسمائهم ثم قال ام تنبئونه على ام المنقطعة كقولك للرجل قل لي من زيد ام هو اقل من ان يعرف ومعناه
بل اتنبئونه بشركاء لا يعلمهم في الارض وهو العالم بما في السموات والارض واذا لم يعلمهم علم انهم ليسوا بشيء يتعلق به العلم
والمراد نفي ان يكون له شركاء ونحوه قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض ام بظاهر من القول بل اتسمونهم
شركاء بظاهر من القول من غير ان يكون لذلك حقيقة كقوله ذلك قولهم بافواههم ما تعبدون من دونه الا اسماء
سميتموها وهذا الاحتجاج واساليبه العجيبة التي ورد عليها مناد على نفسه بلسان طلق ذلق انه ليس من كلام
البشر لمن عرف وانصف من نفسه فتبارك الله احسن الخالقين وقرئ اتنبئونه بالتخفيف مكرهم كيدهم للاسلام بشركهم
وصدوا وقرئ بالحركات الثلاث وقرا الجحد بتشديد بالتنوين ومن يضلل الله ومن يخذله لعلمه انه لا يهتدي فما له
من هاد فما له من احد يقدر على هدايته

لهم عذاب في الحيوة الدنيا ولعذاب الآخرة اشق وما لهم من الله من واق

لهم عذاب في الحيوة الدنيا وهو ما ينالهم من القتل والاسر وسائر المحن ولا يلحقهم الا عقوبة
لهم على الكفر ولذلك سماه عذابا وما لهم من الله من واق وما لهم من حافظ من عذابه او ما لهم من جهته واق من رحمته

مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الانهار اكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار

مثل الجنة صفتها التي هي في غرابة المثل وارتفاعه بالابتداء
والخبر محذوف على مذهب سيبويه اي فيما نقص عليكم مثل الجنة وقال غيره الخبر تجري من تحتها الانهار كما تقول صفة
زيد اسمر وقال الزجاج معناه مثل الجنة جنة تجري من تحتها الانهار على حذف الموصوف تمثيلا لما غاب عنا بما
نشاهد وقرا علي رضي الله عنه امثال الجنة على الجمع اي صفاتها اكلها دائم كقوله لا مقطوعة ولا ممنوعة وظلها دائم
لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا بالشمس

والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك ومن الاحزاب من ينكر بعضه قل انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به اليه ادعو واليه مآب

والذين آتيناهم الكتاب يريد من اسلم من اليهود كعبد الله بن سلام وكعب واصحابهما ومن اسلم من النصارى وهم ثمانون
رجلا اربعون بنجران واثنان وثلاثون بارض الحبشة وثمانية من الشام هؤلاء يفرحون بما انزل اليك ومن الاحزاب
يعني ومن احزابهم وهم كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعداوة نحو كعب بن الاشرف واصحابه
والسيد والعاقب اسقفي نجران واشياعهما من ينكر بعضه لانهم كانوا لا ينكرون الاقاصيص وبعض الاحكام والمعاني مما
هو ثابت في كتبهم غير محرف وكانوا ينكرون ما هو نعت الاسلام ونعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وغير ذلك مما حرفوه
وبدلوه من الشرائع **فان قلت** كيف اتصل قوله قل انما امرت ان اعبد الله بما قبله **قلت**
هو جواب للمنكرين معناه قل انما امرت فيما انزل الي بان اعبد الله ولا اشرك به فانكاركم له انكار لعبادة الله وتوحيده
فانظروا ماذا تنكرون مع ادعائكم وجوب عبادة الله وان لا يشرك به قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا
وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا وقرا نافع في رواية ابي خليد ولا اشرك به بالرفع على الاستئناف كانه قال
وانا لا اشرك به ويجوز ان يكون في موضع الحال على معنى امرت ان اعبد الله غير مشرك به اليه ادعو خصوصا لا ادعو الى غيره

والیه

والیه لا الى غيره مرجعي وانتم تقولون مثل ذلك فلا معنى لانكاركم

وكذلك انزلناه حكما عربيا ولئن اتبعت اهواءهم بعد ما جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا واق

وكذلك انزلناه ومثل ذلك الانزال انزلناه مامورا فيه بعبادة الله وتوحيده والدعوة اليه والى دينه والانذار بدار
الجزاء حكما عربيا حكمة عربية مترجمة بلسان العرب وانتصابه على الحال كانوا يدعون رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى امور يوافقهم عليها منها ان يصلي الى قبلتهم بعد ما حوله الله عنها فقيل لئن تابعتهم على دين ما هو الا اهواء
وشبه بعد ثبوت العلم عندك بالبراهين والحجج القاطعة خذلك الله فلا ينصرك ناصر واهلكك فلا يقيك منه واق
وهذا من باب الالهاب والتهييج والبعث للسامعين على الثبات في الدين والتصلب فيه وان لا يزل زال عند
الشبهة بعد استمساكه بالحجة والا فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من شدة الشكيمة بمكان

ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية وما كان لرسول ان ياتي باية الا باذن الله لكل اجل كتاب

كانوا يعيبونه بالازواج والاولاد كما كانوا يقولون ما لهذا الرسول ياكل
الطعام وكانوا يقترحون عليه الآيات وينكرون النسخ فقيل كان الرسل قبله بشرا مثله ذوي ازواج وذرية وما
كان لهم ان ياتوا بآيات برايهم ولا ياتون بما يقترح عليهم والشرائع مصالح تختلف باختلاف الاحوال والاوقات
فلكل وقت حكم يكتب على العباد اي يفرض عليهم على ما يقتضيه استصلاحهم

يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب

يمحو الله ما يشاء ينسخ ما يستصوب نسخه ويثبت بدله ما يرى المصلحة
في اثباته او يتركه غير منسوخ وقيل يمحو من ديوان الحفظة ما ليس بحسنة ولا سيئة لانهم مامورون بكتبة كل قول
وفعل ويثبت غيره وقيل يمحو كفر التائبين ومعاصيهم بالتوبة ويثبت ايمانهم وطاعاتهم وقيل يمحو بعض الخلائق و
يثبت بعضا من الاناسي وسائر الحيوان والنبات والاشجار وصفاتها واحوالها والكلام في نحو هذا واسع المجال وعنده
ام الكتاب اصل كل كتاب وهو اللوح المحفوظ لان كل كائن مكتوب فيه وقرئ ويثبت

وإما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب

واما نرينك وكيفما
دارت الحال اريناك مصارعهم وما وعدناهم من انزال العذاب عليهم او توفيناك قبل ذلك فما يجب عليك الا تبليغ
الرسالة فحسب وعلينا لا عليك حسابهم وجزاؤهم على اعمالهم فلا يهمنك اعراضهم ولا تستعجل بعذابهم

اولم يروا انا ناتي الارض ننقصها من اطرافها والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب

اولم يروا انا ناتي الارض ارض الكفر ننقصها من اطرافها بما نفتح على المسلمين من بلادهم
فننقص دار الحرب ونزيد في دار الاسلام وذلك من آيات النصرة والغلبة ونحوه افلا يرون انا ناتي الارض ننقصها من
اطرافها افهم الغالبون سنريهم آياتنا في الآفاق والمعنى عليك بالبلاغ الذي حملته ولا تهتم بما وراء ذلك فنحن نكفيكه
ونتم ما وعدناك من الظفر ولا يضجرك تاخره فان ذلك لما نعلم من المصالح التي لا تعلمها ثم طيب نفسه ونفس عنها
بما ذكر من طلوع تباشير الظفر وقرئ ننقصها بالتشديد لا معقب لحكمه لا راد لحكمه والمعقب الذي يكر على الشيء
فيبطله وحقيقته الذي يعقبه اي يقفيه بالرد والابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يقفي غريمه بالاقتضاء
والطلب قال لبيد طلب المعقب حقه المظلوم والمعنى انه حكم للاسلام بالغلبة والاقبال وعلى الكفر
بالادبار والانتكاس وهو سريع الحساب فعما قليل يحاسبهم في الآخرة بعد عذاب الدنيا **فان قلت**
ما محل قوله لا معقب لحكمه **قلت** هو جملة محلها النصب على الحال كانه قيل والله يحكم نافذا حكمه كما تقول جاءني
زيد لا عمامة على راسه ولا قلنسوة تريد حاسرا

وقد مكر الذين من قبلهم فلله المكر جميعا يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار

وقد مكر الذين من قبلهم
وصفهم بالمكر ثم جعل مكرهم كلا مكر بالاضافة الى مكره فقال فلله المكر جميعا ثم فسر ذلك بقوله يعلم ما تكسب كل نفس
وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار لان من علم ما تكسب كل نفس واعد لها جزاءها فهو المكر كله لانه ياتيهم من حيث لا يعلمون
وهم في غفلة مما يراد بهم وقرئ الكفار والكافرون والذين كفروا والكفر اي اهله والمراد بالكافر الجنس وقرا جناح
ابن حبيش وسيعلم الكافر من اعلمه اي سيخبر

ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل

اوله
حتى تهجر في الرواح وهاجها
بعسف جار او انا تهجر خرج
في الهواجر
ه

كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب كفى بالله شهيدا بما اظهر من الادلة على رسالتي ومن عنده علم الكتاب والذي عنده علم القرآن وما الّف عليه من النظم المعجز الفائت لقوى البشر وقيل ومن هو من علماء اهل الكتاب الذين اسلموا لانهم يشهدون بنعته في كتبهم وقيل هو الله عز وعلا والكتاب اللوح المحفوظ وعن الحسن لا والله ما يعني الا الله والمعنى كفى بالذي يستحق العبادة وبالذي لا يعلم علم ما في اللوح الا هو شهيدا بيني وبينكم وتعضده قراءة من قرأ ومن عنده علم الكتاب على من الجارة اي ومن لدنه علم الكتاب لان علم من علمه من فضله ولطفه وقرئ ومن عنده عُلِمَ الكتاب على من الجارة وعلم على البناء للمفعول وقرئ وبمن عنده علم الكتاب فان قلت بم ارتفع علم الكتاب قلت في القراءة التي وقع فيها عنده صلة يرتفع العلم بالمقدر في الظرف فيكون فاعلا لان الظرف اذا وقع صلة اوغل في شبه الفعل لاعتماده على الموصول فعمل عمل الفعل كقولك مررت بالذي في الدار اخوه فاخوه فاعل كما تقول بالذي استقر في الدار اخوه وفي القراءة التي لم يقع فيها عنده صلة يرتفع العلم بالابتداء. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الرعد اعطي من الاجر عشر حسنات بوزن كل سحاب مضى وكل سحاب يكون الى يوم القيمة وبعث يوم القيمة من الموفين بعهد الله عز وجل ○

سورة ابرهيم عليه السلام مكية

وهي احدى وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الر كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد كتاب هو كتاب يعني السورة وقرئ ليخرج الناس من الظلمات والنور استعارتان للضلال والهدى باذن ربهم بتسهيله وتيسيره مستعار من الاذن الذي هو تسهيل الحجاب وذلك بما يمنحهم من اللطف والتوفيق الى صراط العزيز الحميد بدل من قوله الى النور بتكرير العامل كقوله للذين استضعفوا لمن آمن منهم ويجوز ان يكون على وجه الاستيناف كانه قيل الى اي نور فقيل الى صراط العزيز الحميد

الله الذي له ما في السموات وما في الارض وويل للكافرين من عذاب شديد قوله الله عطف بيان للعزيز الحميد لانه جرى مجرى الاسماء الاعلام لاختصاصه بالمعبود الذي تحق له العبادة كما غلب النجم بالثريا وقرئ بالرفع على هو الله الويل نقيض الوأل وهو النجاة اسم معنى كالهلاك الا انه لا يشتق منه فعل انما يقال ويلا له فينصب نصب المصادر ثم يرفع رفعها لافادة معنى الثبات فيقال ويل له كقولك سلام عليك ولما ذكر الخارجين من ظلمات الكفر الى نور الايمان توعد الكافرين بالويل فان قلت ما وجه اتصال قوله تعالى من عذاب شديد بالويل قلت لان المعنى انهم يولولون من عذاب شديد ويضجون منه ويقولون يا ويلاه كقوله تعالى دعوا هنالك ثبورا

الذين يستحبون الحيوة الدنيا على الآخرة ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا اولئك في ضلال بعيد الذين يستحبون مبتدأ خبره اولئك في ضلال بعيد ويجوز ان يكون مجرورا صفة للكافرين ومنصوبا على الذم او مرفوعا على اعني الذين يستحبون او هم الذين يستحبون والاستحباب الايثار والاختيار وهو استفعال من المحبة لان المؤثر للشيء على غيره كانه يطلب من نفسه ان يكون احب اليها وافضل عندها من الآخر وقرأ الحسن ويُصدون بضم الياء وكسر الصاد يقال صده عن كذا واصده قال اناس اصدوا الناس بالسيف عنهم والهمزة فيه داخلة على صد صدودا لتنقله من غير التعدي الى التعدي واما صده فموضوع على التعدية كمنعه وليست بفصيحة كاوقفه لان الفصحاء استغنوا بصده ووقفه عن تكلف التعدية بالهمزة ويبغونها عوجا ويطلبون لسبيل الله تعالى زيغا واعوجاجا وان يدلوا الناس على انها سبيل ناكبة عن الحق غير مستوية والاصل ويبغون لها فحذف الجار واوصل الفعل في ضلال بعيد اي ضلوا عن طريق الحق ووقفوا دونه بمراحل فان قلت فما معنى وصف الضلال بالبعد قلت هو من الاسناد المجازي والبعد في الحقيقة للضال لانه هو الذي يتباعد عن الطريق فوصف به فعله كما تقول جد جده ويجوز ان يراد في ضلال ذي بعد او فيه بعد لان الضال قد يضل عن الطريق مكانا قريبا وبعيدا

وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم الا بلسان قومه ليبين لهم

اي

تمامه صدوا السوابق عن انوف الحوائم ... انف الجبل ○

اي ليفقهوا عنه ما يدعوهم اليه فلا يكون لهم حجة على الله ولا يقولوا لم نفهم ما خوطبنا به كما قال الله تعالى ولو جعلناه قرآنا اعجميا لقالوا لولا فصلت آياته فان قلت لم يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى العرب وحدهم وانما بعث الى الناس جميعا قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا بل الى الثقلين وهم على السنة مختلفة فان لم يكن للعرب حجة فلغيرهم الحجة فان لم تكن لغيرهم حجة فلو نزل بالعجمية لم تكن للعرب حجة ايضا قلت لا يخلو اما ان ينزل بجميع الالسنة او بواحد منها فلا حاجة الى نزوله بجميع الالسنة لان الترجمة تنوب عن ذلك وتكفي التطويل فبقي ان ينزل بلسان واحد فكان اولى الالسنة لسان قوم الرسول لانهم اقرب اليه فاذا فهموا عنه وتبينوه وتنوقل عنهم وانتشر قامت التراجم ببيانه وتفهيمه كما ترى الحال وتشاهدها من نيابة التراجم في كل امة من امم العجم مع ما في ذلك من اتفاق اهل البلاد المتباعدة والاقطار المتنازحة والامم المختلفة والاجيال المتفاوتة على كتاب واحد واجتهادهم في تعلم لفظه وتفهم معانيه وما يتشعب من ذلك من جلائل الفوائد وما يتكاثر في اتعاب النفوس وكد القرائح فيه من القرب والطاعات المفضية الى جزيل الثواب ولانه ابعد من التحريف والتبديل واسلم من التنازع والاختلاف ولانه لو نزل بالسنة الثقلين كلها مع اختلافها وكثرتها وكان مستقلا بصفة الاعجاز في كل واحد منها وكلم الرسول العربي كل امة بلسانها كما كلم امته التي هو منها يتلوه عليهم معجزا لكان ذلك امرا قريبا من الالجاء ومعنى بلسان قومه بلغة قومه واللسن واللسان كالريش والرياش بمعنى اللغة وقرئ بلسن بضم اللام والسين مضمومة او ساكنة وهو جمع لسان كعماد وعمد على التخفيف وقيل الضمير في قومه لمحمد صلى الله عليه وسلم ورووه عن الضحاك وان الكتب كلها نزلت بالعربية ثم اداها كل نبي بلغة قومه وليس بصحيح لان قوله تعالى ليبين لهم ضمير القوم وهم العرب فيؤدي الى ان الله تعالى انزل التوراة من السماء بالعربية ليبين للعرب وهذا معنى فاسد فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء كقوله تعالى فمنكم كافر ومنكم مؤمن لانه لا يضل الا من يعلم انه لا يؤمن ولا يهدي الا من يعلم انه يؤمن والمراد بالاضلال التخلية ومنع الالطاف وبالهداية التوفيق واللطف فكان ذلك كناية عن الكفر والايمان وهو العزيز فلا يغلب على مشيئته الحكيم فلا يخذل الا اهل الخذلان ولا يلطف الا باهل اللطف

ولقد ارسلنا موسى باياتنا ان اخرج قومك من الظلمات الى النور وذكرهم بايام الله ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور ان اخرج بمعنى اي اخرج لان الارسال فيه معنى القول كانه قيل ارسلناه وقلنا له اخرج ويجوز ان تكون ان الناصبة للفعل وانما صلح ان توصل بفعل الامر لان الغرض وصلها بما يكون معه في تأويل المصدر وهو الفعل والامر وغيره سواء في الفعلية والدليل على جواز ان تكون الناصبة للفعل قولهم اوعز اليه بان افعل فادخلوا عليها حرف الجر وكذلك التقدير بان اخرج قومك وذكرهم بايام الله وانذرهم بوقائعه التي وقعت على الامم قبلهم قوم نوح وعاد وثمود ومنه ايام العرب لحروبها وملاحمها كيوم ذي قار ويوم الفجار ويوم قضة وغيرها وهو الظاهر وعن ابن عباس رضي الله عنهما نعماؤه وبلاؤه فاما نعماؤه فانه ظلل عليهم الغمام وانزل عليهم المن والسلوى وفلق لهم البحر واما بلاؤه فاهلاك القرون لكل صبار شكور يصبر على بلاء الله تعالى ويشكر نعماءه فاذا سمع بما انزل الله تعالى من البلاء على الامم او افاض عليهم من النعم تنبه على ما يجب عليه من الصبر والشكر واعتبر وقيل اراد لكل مؤمن لان الصبر والشكر من سجايا المؤمن تنبيها عليهم

واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم اذ انجاكم ظرف للنعمة بمعنى الانعام اي انعامه عليكم ذلك الوقت فان قلت هل يجوز ان ينتصب بعليكم قلت لا يخلو من ان يكون صلة للنعمة بمعنى الانعام او غير صلة اذا اردت بالنعمة العطية فاذا كان صلة لم تعمل فيه واذا كان غير صلة بمعنى اذكروا نعمة الله مستقرة عليكم عمل فيه ويتبين الفرق بين الوجهين انك اذا قلت نعمة الله عليكم فان جعلته صلة لم يكن كلاما حتى تقول فائضة او نحوها والا كان كلاما ويجوز ان يكون اذ بدلا من نعمة الله اي اذكروا وقت انجائكم وهو من بدل الاشتمال فان قلت في سورة البقرة يذبحون وفي الاعراف يقتلون وههنا ويذبحون مع الواو فما الفرق قلت الفرق ان التذبيح حيث طرح الواو جعل تفسيرا للعذاب وبيانا له وحيث اثبت جعل التذبيح لانه اوفى على جنس العذاب وزاد عليه زيادة ظاهرة كانه جنس آخر فان قلت كيف كان فعل آل فرعون بلاء من ربهم قلت تمكينهم وامهالهم حتى فعلوا ما فعلوا ابتلاء

من الله تعالى ووجه آخر وهو ان ذلك اشارة الى الانجاء وهو بلاء عظيم والبلاء يكون ابتلاء بالنعمة والمحنة جميعا
وقال تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة وقال زهير فأبلاهما خير البلاء الذي يبلو واذ تأذن ربكم لئن شكرتم
لأزيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد واذ تأذن ربكم من جملة ما قال موسى لقومه وانتصابه للعطف
على قوله نعمة الله عليكم كأنه قيل واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم واذكروا حين تأذن ربكم ومعنى تأذن ربكم
اذن ربكم ونظير تأذن واذن توعد واوعد وتفضل وافضل ولا بد في تفعل من زيادة معنى ليس في افعل كأنه قيل
اذن ربكم ايذانا بليغا تنتفي عنده الشكوك وتنزاح الشبه والمعنى واذ تأذن ربكم فقال لئن شكرتم او اجرى
تأذن مجرى قال لانه ضرب من القول وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه واذ قال ربكم لئن شكرتم اي لئن شكرتم
يا بني اسرائيل ما خولتكم من نعمة الانجاء وغيرها من النعم بالايمان الخالص والعمل الصالح لأزيدنكم نعمة الى نعمة ولأضاعفن
لكم ما آتيتكم ولئن كفرتم وغمطتم ما انعمت به عليكم ان عذابي لشديد لمن كفر نعمتي وقال موسى ان تكفروا
انتم ومن في الارض جميعا فان الله لغني حميد وقال موسى ان تكفروا انتم يا بني اسرائيل
والناس كلهم فانما ضررتم انفسكم وحرمتموها الخير الذي لا بد لكم منه وانتم اليه محاويج والله غني عن شكركم حميد مستوجب للحمد
بكثرة انعمه واياديه وان لم يحمده الحامدون ألم يأتكم نبؤا الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود
والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا ايديهم في
افواههم وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به وانا لفي شك مما تدعوننا اليه مريب والذين من
بعدهم لا يعلمهم الا الله جملة من مبتدأ وخبر وقعت اعتراضا او عطف الذين من بعدهم على قوم نوح ولا يعلمهم الا الله اعتراض
والمعنى انهم من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم الا الله وعن ابن عباس بين عدنان واسمعيل ثلثون ابا لا يعرفون وكان
ابن مسعود اذا قرأ هذه الآية قال كذب النسابون يعني انهم يدعون علم الانساب وقد نفى الله تعالى علمها عن العباد
فردوا ايديهم في افواههم فعضوها غيظا وضجرا مما جاءت به الرسل كقوله تعالى عضوا عليكم الانامل من الغيظ او ضحكا
واستهزاء كمن غلبه الضحك فوضع يده على فيه او اشاروا بايديهم الى ألسنتهم وما نطقت به من قولهم انا كفرنا بما ارسلتم
به وهذا قول قوي او وضعوها على افواههم يسكتونهم ولا يذرونهم يتكلمون وقيل الايدي جمع يد وهي النعمة بمعنى الايادي
اي ردوا نعم الانبياء التي هي اجل النعم من مواعظهم ونصائحهم وما اوحي اليهم من الشرائع والآيات في افواههم لانهم اذا
كذبوها ولم يقبلوها فكأنهم ردوها في افواههم ورجعوها الى حيث جاءت منه على طريق المثل مما تدعوننا اليه من الايمان
بالله وقرئ تدعونا بادغام النون مريب موقع في الريبة او ذي ريبة من ارابه واراب الرجل وهي قلق النفس وان لا تطمئن
الى الامر قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السموات والارض يدعوكم ليغفر لكم
من ذنوبكم ويؤخركم الى اجل مسمى قالوا ان انتم الا بشر مثلنا تريدون ان تصدونا عما
كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين أفي الله شك دخلت همزة الانكار على الظرف لان الكلام ليس
في الشك انما هو في المشكوك فيه وانه لا يحتمل الشك لظهور الادلة وشهادتها عليه يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم اي
يدعوكم الى الايمان ليغفر لكم او يدعوكم لاجل المغفرة كقوله دعوته لينصرني ودعوته ليأكل معي وقال دعوت لما نابني مسورا
فلبى فلبي يدي مسور فان قلت ما معنى التبعيض في قوله من ذنوبكم قلت ما علمته جاء هكذا الا في خطاب
الكافرين كقوله واتقوه واطيعون يغفر لكم من ذنوبكم يا قومنا اجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم وقال في
خطاب المؤمنين هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم الى ان قال يغفر لكم ذنوبكم وغير ذلك مما يقفك عليه الاستقراء
وكان ذلك للتفرقة بين الخطابين ولئلا يسوى بين الفريقين في الميعاد وقيل اريد انه يغفر لهم ما بينهم وبين الله
بخلاف ما بينهم وبين العباد من المظالم ونحوها ويؤخركم الى اجل مسمى اي وقت قد سماه وبين مقداره يبلغكموه ان
آمنتم والا عاجلكم بالهلاك قبل ذلك الوقت ان انتم ما انتم الا بشر مثلنا لا فضل بيننا وبينكم ولا فضل لكم علينا فلم
تختصون بالنبوة دوننا ولو ارسل الله الى البشر رسلا لجعلهم من جنس افضل منهم وهم الملائكة بسلطان مبين بحجة
بينة وقد جاءتهم رسلهم بالبينات والحجج وانما ارادوا بالسلطان المبين آية قد اقترحوها تعنتا ولجاجا قالت لهم
رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان

لنا ان نأتيكم بسلطان الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون وما لنا
ألا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله
فليتوكل المتوكلون ان نحن الا بشر مثلكم تسليم لقولهم وانهم بشر مثلهم يعنون انهم مثلهم في
البشرية وحدها فأما ما وراء ذلك فما كانوا مثلهم ولكنهم لم يذكروا فضلهم تواضعا منهم واقتصروا على قولهم ولكن الله
يمن على من يشاء من عباده بالنبوة لانه قد علم انه لا يختصهم بتلك الكرامة الا وهم اهل لاختصاصهم بها لخصائص فيهم
قد استأثروا بها على ابناء جنسهم الا باذن الله ارادوا ان الاتيان بالآية التي قد اقترحتموها ليس الينا ولا في استطاعتنا وما
هو الا امر يتعلق بمشيئة الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون امر منهم للمؤمنين كافة بالتوكل وقصدوا به انفسهم قصدا اوليا
وامروا به كأنهم قالوا ومن حقنا ان نتوكل على الله في الصبر على معاندتكم ومعاداتكم وما يجري علينا منكم الا ترى الى قوله
وما لنا الا نتوكل على الله ومعناه واي عذر لنا في ألا نتوكل عليه وقد هدانا وقد فعل بنا ما يوجب توكلنا عليه وهو التوفيق لهداية
كل واحد منا سبيله الذي يجب عليه سلوكه في الدين فان قلت كيف كرر الامر بالتوكل قلت
الاول لاستحداث التوكل وقوله فليتوكل المتوكلون معناه فليثبت المتوكلون على ما استحدثوا من توكلهم وقصدهم
الى انفسهم على ما تقدم قال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في
ملتنا فأوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين لنخرجنكم او لتعودن ليكونن احد الامرين لا محالة
اما اخراجكم واما عودكم حالفين على ذلك فان قلت كأنهم كانوا على ملتهم حتى يعودوا فيها قلت
معاذ الله ولكن العود بمعنى الصيرورة وهو كثير في كلام العرب كثرة فاشية لا تكاد تسمعهم يستعملون صار ولكن عاد
ما عدت اراه عاد لا يكلمني ما عاد لفلان مال او خاطبوا به كل رسول ومن آمن به فغلبوا في الخطاب الجماعة على الواحد لنهلكن
الظالمين حكاية تقتضي اضمار القول او اجراء الايحاء مجرى القول لانه ضرب منه وقرأ ابو حيوة ليهلكن وليسكننكم
بالياء اعتبارا لاوحى وان لفظه لفظ الغيبة ونحوه قولك اقسم زيد ليخرجن ولاخرجن والمراد بالارض ارض الظالمين
وديارهم ونحوه واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها واورثكم ارضهم وديارهم وعن
النبي صلى الله عليه وسلم من آذى جاره ورثه الله داره ولقد عاينت هذا في مدة قريبة كان لي خال يظلمه عظيم القرية التي
انا منها ويؤذيني فيه فمات ذلك العظيم وملكني الله ضيعته فنظرت يوما الى ابناء خالي يترددون فيها ويدخلون في
دورها ويخرجون ويأمرون وينهون فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدثتهم به وسجدنا شكرا لله تعالى
ولنسكننكم الارض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد
ذلك اشارة الى ما قضى به الله من اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين ديارهم اي ذلك الامر حق لمن خاف مقامي موقفي
وهو موقف الحساب لانه موقف الله الذي يقف فيه عباده يوم القيامة او على اقحام المقام وقيل خاف قيامي عليه وحفظي
لاعماله والمعنى ان ذلك حق للمتقين كقوله تعالى والعاقبة للمتقين واستفتحوا وخاب كل جبار
عنيد واستفتحوا واستنصروا الله على اعدائهم ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح او استحكموا الله تعالى
وسألوه القضاء بينهم من الفتاحة وهي الحكومة كقوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وهو معطوف على اوحى اليهم ربهم
وقرئ واستفتحوا بلفظ الامر وعطفه على لنهلكن اي اوحى اليهم ربهم وقال لهم لنهلكن وقال لهم استفتحوا وخاب كل جبار
عنيد وهم قومهم وقيل واستفتح الكفار على الرسل ظنا منهم بانهم على الحق والرسل على الباطل وخاب كل جبار عنيد
منهم ولم يفلح باستفتاحه من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد من ورائه من
بين يديه قال عسى الكرب الذي امسيت فيه يكون وراءه فرج قريب وهذا وصف حاله في الدنيا لانه مرصد لجهنم فكأنها
بين يديه وهو على شفيرها او وصف حاله في الآخرة حين يبعث ويوقف فان قلت علام عطف ويسقى قلت
على محذوف تقديره من ورائه جهنم يلقى فيها ما يلقى ويسقى من ماء صديد كأنه اشد عذابها فخصص بالذكر مع قوله ويأتيه الموت من
كل مكان وما هو بميت فان قلت ما وجه قوله من ماء صديد قلت صديد عطف بيان لماء قال ويسقى من
ماء فأبهمه ابهاما ثم بينه بقوله صديد وهو ما يسيل من جلود اهل النار يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه
الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ يتجرعه يتكلف جرعه ولا يكاد يسيغه دخل كاد للمبالغة

يعني ولا يقارب أن يسيغه فكيف تكون الإساغة كقوله لم يكد يراها أي لم يقرب من رؤيتها فكيف يراها ويأتيه الموت من كل مكان كأن أسباب الموت وأصنافه كلها قد تألبت عليه وأحاطت به من جميع الجهات تفظيعا لما يصيبه من الآلام وقيل من كل مكان من جسده حتى من إبهام رجله وقيل من أصل كل شعرة ومن ورائه ومن بين يديه عذاب غليظ أي في كل وقت يستقبله يتلقى عذابا أشد مما قبله وأغلظ ● وعن الفضيل هو قطع الأنفاس وحبسها في الأجساد ويحتمل أن يكون أهل مكة قد استفتحوا أي استمطروا والفتح المطر في سني القحط التي أرسلت عليهم بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يسقوا فذكر سبحانه ذلك وأنه خيب رجاء كل جبار عنيد وأنه يسقى في جهنم بدل سقياه ماء آخر وهو صديد أهل النار واستفتحوا على هذا التفسير كلام مستأنف منقطع عن حديث الرسل وأممهم ● **مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد** ● هو مبتدأ محذوف الخبر عند سيبويه تقديره وفيما يقص عليكم مثل الذين كفروا بربهم والمثل مستعار للصفة التي فيها غرابة وقوله تعالى أعمالهم كرماد جملة مستأنفة على تقدير سؤال سائل يقول كيف مثلهم فقيل أعمالهم كرماد ويجوز أن يكون المعنى مثل أعمال الذين كفروا بربهم أو هذه الجملة خبر للمبتدأ أي صفة الذين كفروا أعمالهم كرماد كقولك صفة زيد عرضه مصون وماله مبذول أو يكون أعمالهم بدلا من مثل الذين كفروا على تقدير مثل أعمالهم كرماد والخبر وقرئ الرياح في يوم عاصف جعل العصف لليوم وهو لما فيه وهو الريح أو الرياح كقولك يوم ماطر وليلة ساكرة وإنما السكور لريحها وقرئ في يوم عاصف بالإضافة وأعمال الكفرة المكارم التي كانت لهم من صلة الأرحام وعتق الرقاب وفداء الأسارى وعقر الإبل للأضياف وإغاثة الملهوفين والإجارة وغير ذلك من صنائعهم شبهها في حبوطها وذهابها هباء منثورا لبنائهم إياها على غير أساس من معرفة الله تعالى والإيمان به وكونها لوجهه برماد طيرته الريح العاصف لا يقدرون يوم القيامة مما كسبوا من أعمالهم على شيء أي لا يرون له أثرا من ثواب كما لا يقدر من الرماد المطير في الريح على شيء ذلك هو الضلال البعيد إشارة إلى بعد ضلالهم عن طريق الحق أو عن الثواب ● **ألم تر أن الله خلق السموات والأرض بالحق إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز** ● بالحق بالحكمة والغرض الصحيح والأمر العظيم ولم يخلقها عبثا ولا شهوة وقرئ خالق السموات والأرض إن يشأ يذهبكم أي هو قادر على أن يعدم الناس ويخلق مكانهم خلقا آخر على شكلهم أو على خلاف شكلهم إعلاما منه باقتداره على إعدام الموجود وإيجاد المعدوم يقدر على الشيء وجنس ضده وما ذلك على الله بعزيز بمتعذر بل هو هين عليه يسير لأنه قادر الذات لا اختصاص له بمقدور دون مقدور فإذا خلص له الداعي إلى شيء وانتفى الصارف تكون من غير توقف كتحريك إصبعك إذا دعاك إليه داع ولم يعترض دونه صارف وهذه الآية بيان لإبعادهم في الضلال وعظيم خطائهم في الكفر بالله تعالى لوضوح آياته الشاهدة له الدالة على قدرته الباهرة وحكمته البالغة وأنه هو الحقيق بأن يعبد ويخاف عقابه ويرجى ثوابه في دار الجزاء ● **وبرزوا لله جميعا فقال الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء قالوا لو هدانا الله لهديناكم سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص** ● وبرزوا لله ويبرزون يوم القيامة وإنما جيء بلفظ الماضي لأن ما أخبر به عز وعلا لصدقه كأنه قد كان ووجد ونحوه ونادى أصحاب الجنة ونادى أصحاب النار ونظائر له ومعنى بروزهم لله والله تعالى لا يتوارى عنه شيء حتى يبرز له أنهم كانوا يستترون من العيون عند الفواحش ويظنون أن ذلك خاف على الله تعالى فإذا كان يوم القيامة انكشفوا لله عند أنفسهم وعلموا أن الله لا يخفى عليه خافية أو خرجوا من قبورهم فبرزوا لحساب الله وحكمه **فإن قلت** لم كتب الضعفاء بواو قبل الهمزة **قلت** كتب على لفظ من يفخم الألف قبل الهمزة فيميلها إلى الواو ونظيره علماء بني إسرائيل والضعفاء الأتباع والعوام والذين استكبروا سادتهم وكبراؤهم الذين استتبعوهم واستغووهم وصدوهم عن الاستماع إلى الأنبياء واتباعهم تبعا تابعين جمع تابع على تبع كقولهم خادم وخدم وغائب وغيب أو ذوي تبع والتبع الأتباع يقال تبعه تبعا **فإن قلت** أي فرق بين من في من عذاب الله وبينه في من شيء **قلت** الأولى للتبيين والثانية للتبعيض كأنه قيل هل أنتم مغنون عنا بعض الشيء الذي هو عذاب الله ويجوز أن يكونا للتبعيض معا بمعنى هل أنتم مغنون عنا بعض شيء هو بعض عذاب الله أي بعض بعض عذاب الله

فإن قلت فما معنى قولهم لو هدانا الله لهديناكم **قلت** الذي قال لهم الضعفاء كان توبيخا لهم وعتابا على استتباعهم واستغوائهم وقولهم فهل أنتم مغنون عنا من باب التبكيت لأنهم قد علموا أنهم لا يقدرون على الإغناء عنهم فأجابوهم معتذرين عما كان منهم إليهم بأن الله لو هداهم إلى الإيمان لهدوهم ولم يضلوهم إما موركين الذنب في ضلالهم وإضلالهم على الله تعالى كما حكى الله تعالى عنهم وقالوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء يقولون ذلك في الآخرة كما كانوا يقولونه في الدنيا ويدل عليه قوله تعالى حكاية عن المنافقين يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء ويجوز أن يكون المعنى لو كنا من أهل اللطف فلطف بنا ربنا واهتدينا لهديناكم إلى الإيمان وقيل معناه لو هدانا الله طريق النجاة لهديناكم أي لأغنينا عنكم وسلكنا بكم طريق النجاة كما سلكنا بكم سبيل الهلكة سواء علينا أجزعنا أم صبرنا مستويان علينا الجزع والصبر والهمزة وأم للتسوية ونحوه اصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم وروي أنهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك ثم يقولون سواء علينا **فإن قلت** كيف اتصل قوله سواء علينا بما قبله **قلت** اتصاله به من حيث إن عتابهم لهم كان جزعا مما هم فيه فقالوا لهم سواء علينا أجزعنا أم صبرنا يريدون أنفسهم وإياهم لاجتماعهم في عقاب الضلالة التي كانوا مجتمعين فيها يقولون ما هذا الجزع والتوبيخ ولا فائدة في الجزع كما لا فائدة في الصبر والأمر من ذلك أطم أو لما قالوا لو هدانا الله طريق النجاة لأغنينا عنكم وأنجيناكم أتبعوه الإقناط من النجاة فقالوا ما لنا من محيص أي منجى ومهرب جزعنا أم صبرنا ويجوز أن يكون من كلام الضعفاء والمستكبرين جميعا كأنه قيل قالوا جميعا سواء علينا كقوله تعالى ذلك ليعلم أني لم أخنه والمحيص يكون مصدرا كالمغيب والمشيب ومكانا كالمبيت والمصيف ويقال حاص عنه وجاض بمعنى واحد ● **وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي إني كفرت بما أشركتمون من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم** ● لما قضي الأمر لما قطع الأمر وفرغ منه وهو الحساب وتصادر الفريقين ودخل أحدهما الجنة ودخول الآخر النار ● روي أن الشيطان يقوم عند ذلك خطيبا في الأشقياء من الجن والإنس فيقول ذلك إن الله وعدكم وعد الحق وهو البعث والجزاء على الأعمال فوفى لكم بما وعدكم ووعدتكم خلاف ذلك فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان من تسلط وقهر فأقسركم على الكفر والمعاصي وألجئكم إليها إلا أن دعوتكم إلا دعائي إياكم إلى الضلالة بوسوستي وتزييني وليس الدعاء من جنس السلطان ولكنه كقولك ما تحيتهم إلا الضرب فلا تلوموني ولوموا أنفسكم حيث اغتررتم بي وأطعتموني إذ دعوتكم ولم تطيعوا ربكم إذ دعاكم وهذا دليل على أن الإنسان هو الذي يختار الشقاوة أو السعادة ويحصلها لنفسه وليس من الله إلا التمكين ولا من الشيطان إلا التزيين ولو كان الأمر كما زعم المجبرة لقال فلا تلوموني ولا أنفسكم فإن الله قضى عليكم الكفر وأجبركم عليه **فإن قلت** قول الشيطان باطل لا يصح التعلق به **قلت** لو كان هذا القول منه باطلا لبين الله بطلانه وأظهر إنكاره على أنه لا طائل له في النطق بالباطل في ذلك المقام ألا ترى إلى قوله إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم كيف أتى فيه بالحق والصدق وفي قوله وما كان لي عليكم من سلطان وهو مثل قول الله تعالى إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي لا ينجي بعضنا بعضا من عذاب الله ولا يغيثه والإصراخ الإغاثة وقرئ بمصرخي بكسر الياء وهي ضعيفة واستشهدوا لها ببيت مجهول ● قال لها هل لك يا تا في ● قالت له ما أنت بالمرضي ● وكأنه قدر ياء الإضافة ساكنة وقبلها ياء ساكنة فحركها بالكسر لما عليه أصل التقاء الساكنين ولكنه غير صحيح لأن ياء الإضافة لا تكون إلا مفتوحة حيث قبلها ألف نحو عصاي فما بالها وقبلها ياء **فإن قلت** جرت الياء الأولى مجرى الحرف الصحيح لأجل الإدغام فكأنها ياء وقعت ساكنة بعد حرف صحيح ساكن فحركت بالكسر على الأصل **قلت** هذا قياس حسن ولكن الاستعمال المستفيض الذي هو بمنزلة الخبر المتواتر تتضاءل إليه القياسات ما في بما أشركتمون مصدرية ومن قبل متعلق بأشركتموني يعني كفرت اليوم بإشراككم إياي من قبل هذا اليوم أي في الدنيا كقوله ويوم القيامة يكفرون بشرككم ومعنى كفره بإشراكهم إياه تبرؤه منه واستنكاره له كقوله إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وقيل من قبل يتعلق بكفرت وما موصولة

اى كفرت من قبل حين ابيت السجود لآدم بالذى اشركتمونيه وهو الله عز وجل تقول شركت زيدا فاذا نقلت بالهمزة قلت
اشركنيه فلان اى جعلنى له شريكا ونحو ما هذه ما فى قولهم سبحان ما سخركن لنا ومعنى اشراكهم الشيطان بالله طاعتهم له
فيما كان يزينه لهم من عبادة الاوثان وغيرها وهذا آخر قول ابليس وقوله ان الظالمين قول الله عز وعلا ويحتمل ان يكون
من جملة قول ابليس وانما حكى الله عز وجل ما سيقوله فى ذلك الوقت ليكون لطفا للسامعين فى النظر لعاقبتهم والاستعداد
لما لابد لهم من الوصول اليه وان يتصوروا فى انفسهم ذلك المقام الذى يقول فيه الشيطان ما يقول فيخافوا ويعملوا ما يخلصهم
منه وينجيهم وقرئ فلا يلومونى بالياء على طريق الالتفات كقوله تعالى حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم **وادخل
الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم
تحيتهم فيها سلام** وقرأ الحسن وعمرو بن عبيد رحمة الله ورضوانه عليهما وادخل الذين امنوا على فعل
المتكلم بمعنى وادخل انا وهذا دليل على ان ذين قول الله تعالى لا من قول ابليس باذن ربهم متعلق بادخل اى ادخلتهم
الملائكة الجنة باذن الله وامره **فان قلت** فبم تتعلق فى القراءة الاخرى وقولك وادخلهم انا باذن ربهم كلام
غير ملتئم **قلت** الوجه فى هذه القراءة ان تعلق قوله باذن ربهم بما بعده اى تحيتهم فيها سلام باذن ربهم يعنى
ان الملائكة يحيونهم باذن ربهم **الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة
اصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى اكلها كل حين باذن ربها ويضرب الله
الامثال للناس لعلهم يتذكرون** قرئ الم تر بسكون الراء كما قرئ من يتق وفيه ضعف ضرب الله
مثلا اعتمد مثلا ووضعه وكلمة طيبة نصب بمضمر اى جعل كلمة طيبة كشجرة طيبة وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا
كقولك شرف الامير زيدا كساه حلة وحمله على فرس ويجوز ان ينتصب مثلا وكلمة بضرب اى ضرب كلمة طيبة
مثلا بمعنى جعلها مثلا ثم قال كشجرة طيبة على انها خبر مبتدا محذوف بمعنى هى كشجرة طيبة اصلها ثابت يعنى فى الارض
ضارب بعروقه فيها وفرعها واعلاها ورأسها فى السماء ويجوز ان يريد وفروعها على الاكتفاء بلفظ الجنس وقرأ
انس بن مالك رضى الله عنه كشجرة طيبة ثابت اصلها **فان قلت** اى فرق بين القراءتين **قلت**
قراءة الجماعة اقوى معنى لان فى قراءة انس اجريت الصفة على الشجرة واذا قلت مررت برجل ابوه قايم فهو اقوى
معنى من مررت برجل قايم ابوه لان المخبر عنه انما هو الاب لا رجل والكلمة الطيبة كلمة التوحيد وقيل كل كلمة حسنة
كالتسبيحة والتحميدة والاستغفار والتوبة والدعوة وعن ابن عباس رضى الله عنهما شهادة ان لا اله الا الله واما الشجرة
فكل شجرة مثمرة طيبة الثمار كالنخلة وشجرة التين والعنب والرمان وغير ذلك وعن ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم ان الله ضرب مثل المؤمن شجرة فاخبرونى ما هى فوقع الناس فى شجر البوادى وكنت صبيا
فوقع فى قلبى انها النخلة فهبت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اقولها وانا اصغر القوم وروى فمنعنى مكان عمر واستحييت
فقال لى عمر يا بنى لو قلتها لكانت احب الى من حمر النعم ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انها النخلة وعن ابن
عباس شجرة فى الجنة وقوله تعالى فى السماء معناه فى جهة العلو والصعود ولم يرد المظلة كقولك فى الجبل طويل
فى السماء تريد ارتفاعه وشموخه تؤتى اكلها كل حين تعطى ثمرها كل وقت وقته الله تعالى لاثمارها باذن ربها
بتيسير خالقها وتكوينه لعلهم يتذكرون لان فى ضرب الامثال زيادة افهام وتذكير وتصوير للمعانى **ومثل كلمة
خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار** كشجرة خبيثة كمثل شجرة
خبيثة اى صفتها كصفتها وقرئ ومثل كلمة بالنصب عطفا على كلمة طيبة والكلمة الخبيثة كلمة الشرك وقيل كل كلمة
قبيحة واما الشجرة الخبيثة فكل شجرة لا يطيب ثمرها كشجرة الحنظل والكشوث ونحو ذلك وقوله اجتثت من فوق الارض
فى مقابلة قوله اصلها ثابت ومعنى اجتثت استؤصلت وحقيقة الاجتثاث اخذ الجثة كلها ما لها من قرار اى استقرار
يقال قر الشئ قرارا كقولك ثبت ثباتا شبه بها القول الذى لم يعضد بحجة فهو داحض غير ثابت والذى لا يبقى انما يضمحل
عن قريب لبطلانه من قولهم الباطل لجلج وعن قتادة انه قيل لبعض العلماء ما تقول فى كلمة خبيثة فقال ما اعلم لها فى
الارض مستقرا ولا فى السماء مصعدا الا ان تلزم عنق صاحبها حتى يوافى بها القيمة **يثبت الله
الذين امنوا بالقول الثابت فى الحيوة الدنيا وفى الاخرة ويضل الله الظالمين**

ويفعل

ويفعل الله ما يشاء القول الثابت الذى ثبت بالحجة والبرهان فى قلب صاحبه وتمكن فيه فاعتقده
واطمأنت اليه نفسه وتثبيتهم به فى الدنيا انهم اذا فتنوا فى دينهم لم يزلوا كما ثبت الذين فتنهم اصحاب الاخدود والذين
نشروا بالمناشير ومشطت لحومهم بامشاط الحديد كما ثبت جرجيس وشمسون وغيرهما وتثبيتهم فى الاخرة انهم اذا سئلوا
عند تواقف الاشهاد عن معتقدهم ودينهم لم يتلعثموا ولم يبهتوا ولم تحيرهم اهوال الحشر وقيل معناه الثبات عند سؤال
القبر وعن البراء بن عازب رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر قبض روح المؤمن فقال ثم تعاد روحه فى
جسده فياتيه ملكان فيجلسانه فى قبره ويقولان من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربى الله ودينى الاسلام ونبيى
محمد عليه الصلوة والسلام فينادى مناد من السماء ان صدق عبدى فذلك قوله تعالى يثبت الله الذين امنوا بالقول
الثابت ويضل الله الظالمين الذين لم يتمسكوا بحجة فى دينهم وانما اقتصروا على تقليد كبارهم وشيوخهم كما قلد المشركون
آباءهم فقالوا انا وجدنا آباءنا على امة واضلالهم فى الدنيا انهم لا يثبتون فى مواقف الفتن وتزل اقدامهم اول شئ وهم فى الاخرة
اضل وازل ويفعل الله ما يشاء اى ما توجبه الحكمة لان مشيئة الله تابعة للحكمة من تثبيت المؤمنين وتاييدهم
وعصمتهم عند ثباتهم وعزمهم ومن اضلال الظالمين وخذلانهم والتخلية بينهم وبين شانهم عند زللهم **الم تر الى الذين
بدلوا نعمت الله كفرا واحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار**
بدلوا نعمة الله اى شكر نعمة الله كفرا لان شكرها الذى وجب عليهم وضعوا مكانه كفرا فكانهم غيروا الشكر الى الكفر
وبدلوه تبديلا ونحوه وتجعلون رزقكم انكم تكذبون اى شكر رزقكم حيث وضعتم التكذيب موضعه ووجه آخر وهو انهم
بدلوا نفس النعمة كفرا على انهم لما كفروها سلبوها فبقوا مسلوبى النعمة موصوفين بالكفر حاصلا لهم الكفر بدل النعمة وهم
اهل مكة اسكنهم الله تعالى حرمه وجعلهم قوام بيته واكرمهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فكفروا نعمة الله بدل ما لزمهم من الشكر
العظيم او اصابهم الله بالنعمة فى الرخاء والسعة لايلافهم الرحلتين فكفروا النعمة فضربهم بالقحط سبع سنين فحصل لهم الكفر
بدل النعمة وكذلك حين اسروا وقتلوا يوم بدر قد ذهبت عنهم النعمة وبقى الكفر طوقا فى اعناقهم وعن عمر رضى الله عنه
هم الافجران من قريش بنو المغيرة وبنو امية فاما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر واما بنو امية فمتعوا حتى حين وقيل
هم متنصرة العرب جبلة بن الايهم واصحابه واحلوا قومهم ممن تابعهم على الكفر دار البوار دار الهلاك وعطف جهنم
على دار البوار عطف بيان **وجعلوا لله اندادا ليضلوا عن سبيله قل تمتعوا فان مصيركم
الى النار** قرئ ليضلوا بفتح الياء وضمها **فان قلت** الضلال والاضلال لم يكن غرضهم فى
اتخاذ الانداد فما معنى اللام **قلت** لما كان الضلال او الاضلال نتيجة اتخاذ الانداد كما كان الاكرام فى قولك
جئتك لتكرمنى نتيجة المجئ دخلته اللام وان لم يكن غرضا على طريق التشبيه والتقريب تمتعوا ايذان بانهم لانغماسهم
فى التمتع بالحاضر وانهم لا يعرفون غيره ولا يريدونه مامورون به قد امرهم آمر مطاع لا يسعهم ان يخالفوه ولا يملكون
لانفسهم امرا دونه وهو امر الشهوة والمعنى ان دمتم على ما انتم عليه من الامتثال لامر الشهوة فان مصيركم الى النار
ويجوز ان يراد الخذلان والتخلية ونحوه قل تمتع بكفرك قليلا انك من اصحاب النار **قل لعبادى الذين امنوا
يقيموا الصلوة وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية من قبل ان يأتى يوم لا بيع فيه
ولا خلال** المقول محذوف لان جواب قل يدل عليه وتقديره قل لعبادى الذين امنوا اقيموا الصلوة وانفقوا
يقيموا الصلوة وينفقوا وجوزوا ان يكون يقيموا وينفقوا بمعنى ليقيموا ولينفقوا ويكون هو المقول قالوا وانما
جاز حذف اللام لان الامر الذى هو قل عوض منه ولو قيل يقيموا الصلوة وينفقوا ابتداء بحذف اللام لم يجز
فان قلت علام انتصب سرا وعلانية **قلت** على الحال اى ذوى سر وعلانية بمعنى مسرين ومعلنين
او على الظرف اى وقتى سر وعلانية او على المصدر اى انفاق سر وانفاق علانية والمعنى اخفاء المتطوع به من الصدقات
والاعلان بالواجب والخلال المخالة **فان قلت** كيف طابق الامر بالانفاق وصف اليوم بانه لا بيع فيه ولا خلال
قلت من قبل ان الناس يخرجون اموالهم فى عقود المعاوضات فيعطون بدلا ليأخذوا مثله وفى المكارمات
ومهاداة الاصدقاء ليستجروا بهداياهم امثالها او خيرا منها واما الانفاق لوجه الله تعالى خالصا كقوله وما لاحد عنده
من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى فلا يفعله الا المؤمنون الخلص فبعثوا عليه ليأخذوا بدله فى يوم لا بيع فيه ولا خلال

كل موضع ذكر فيه تمتعوا او تمتع فعلى
طريق التهديد وذلك لما فيه
من معنى التمتع
ه

اي لا انتفاع فيه بمبايعة ولا مخالة ولا بما ينفقون فيه اموالهم من المعاوضات والمكارمات وانما ينتفع فيه بالانفاق لوجه الله
وقرئ لا بيع فيه ولا خلال بالرفع الله الذي خلق السموات والارض وانزل من السماء ماء
فاخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بامره وسخر لكم الانهار
الله مبتدأ والذي خلق خبره ومن الثمرات بيان للرزق اي اخرج به رزقا هو ثمرات ويجوز ان يكون من الثمرات مفعول
اخرج ورزقا حالا من المفعول او نصبا على المصدر من اخرج لانه في معنى رزق بامره بقوله كن وسخر لكم
الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار وآتاكم من كل ما سألتموه وان تعدوا
نعمت الله لا تحصوها ان الانسان لظلوم كفار دائبين يدأبان في سيرهما وانارتهما
ودرئهما الظلمات واصلاحهما ما يصلحان من الارض والابدان والنبات وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان خلفة لمعاشكم
وسباتكم وآتاكم من كل ما سألتموه من للتبعيض اي آتاكم بعض جميع ما سألتموه نظرا في مصالحكم وقرئ من كل بالتنوين وما سألتموه
نفي ومحله النصب على الحال اي آتاكم من جميع ذلك غير سائليه ويجوز ان تكون ما موصولة على وآتاكم من كل ذلك ما احتجتم اليه
ولم تصلح احوالكم ومعايشكم الا به فكأنكم سألتموه او طلبتموه بلسان الحال لا تحصوها لا تحصروها ولا تطيقوا عدها وبلوغ
آخرها هذا اذا ارادوا ان يعدوها على الاجمال واما التفصيل فلا يقدر عليه ولا يعلمه الا الله تعالى لظلوم كفار لظلوم النعمة
باغفال شكرها كفار شديد الكفران لها وقيل ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع والانسان للجنس
فيتناول الاخبار بالظلم والكفران من يوجدان منه واذ قال ابرهيم رب اجعل هذا البلد امنا
واجنبني وبني ان نعبد الاصنام هذا البلد يعني البلد الحرام زاده الله تعالى امنا وكفاه كل باغ
ظالم واجاب فيه دعوة خليله ابرهيم آمنا ذا امن فان قلت اي فرق بين قوله اجعل هذا بلدا آمنا وبين قوله
اجعل هذا البلد آمنا قلت قد سأل في الاول ان يجعله من جملة البلاد التي يأمن اهلها ولا يخافون وفي الثاني ان
يخرجه من صفة كان عليها من الخوف الى ضدها من الامن كأنه قال هو بلد مخوف فاجعله آمنا واجنبني وقرئ واجنبني وفيه
ثلاث لغات جنبه الشر واجنبه وجنبه فاهل الحجاز يقولون جنبني شره بالتشديد واهل نجد جنبني شره واجنبني والمعنى
والمعنى ثبتنا وادمنا على اجتناب عبادتها وبني اراد بنيه من صلبه وسئل ابن عيينة كيف عبدت العرب الاصنام
فقال ما عبد احد من ولد اسمعيل صنما واحتج بقوله واجنبني وبني ان نعبد الاصنام انما كانت انصاب حجارة لكل قوم قالوا البيت
حجر فحيثما نصبنا حجرا فهو بمنزلة البيت فكانوا يدورون بذلك الحجر ويسمونه الدوار فاستحب ان يقال طاف بالبيت ولا يقال
دار بالبيت رب انهن اضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك
غفور رحيم انهن اضللن كثيرا من الناس فاعوذ بك ان تعصمني وبني من ذلك وانما جعلن مضلات لان الناس
ضلوا بسببهن فكأنهن اضللنهم كما تقول فتنتهم الدنيا وغرتهم اي افتتنوا بها واغتروا بسببها فمن تبعني على ملتي وكان حنيفا
مسلما مثلي فانه مني اي هو بعضي لفرط اختصاصه بي وملابسته لي وكذلك قوله من غشنا فليس منا اي ليس بعض المؤمنين على
ان الغش ليس من افعالهم واوصافهم ومن عصاني فانك غفور رحيم تغفر له ما سلف منه من عصياني اذا بدا له فيه واستحدث الطاعة
لي وقيل معناه ومن عصاني فيما دون الشرك ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند
بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلوة فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من
الثمرات لعلهم يشكرون من ذريتي بعض اولادي وهم اسمعيل عليه السلام ومن ولد منه بواد هو وادي
مكة غير ذي زرع لا يكون فيه شيء من زرع قط كقوله تعالى قرآنا عربيا غير ذي عوج بمعنى لا يوجد فيه اعوجاج ما فيه الا الاستقامة
لا غير وقيل للبيت المحرم لان الله تعالى حرم التعرض له والتهاون به وجعل ما حوله حرما لمكانه او لانه لم يزل ممتنعا عزيزا
يهابه كل جبار كالشيء المحرم الذي حقه ان يجتنب او لانه محرم عظيم الحرمة لا يحل انتهاكها او لانه حرم على الطوفان اي منع منه
كما سمي عتيقا لانه اعتق منه ليقيموا الصلوة متعلقة باسكنت اي ما اسكنتهم بهذا الوادي البلقع من كل مرتفق ومرتزق
الا ليقيموا الصلوة عند بيتك المحرم ويعمروه بذكرك وعبادتك وما تعمر به مساجدك ومتعبداتك متبركين بالبقعة التي
شرفتها على البقاع مستسعدين بجوارك الكريم متقربين اليك بالعكوف عند بيتك والطواف به والركوع والسجود حوله
مستنزلين الرحمة التي آثرت بها سكان حرمك افئدة من الناس من افئدة الناس ومن للتبعيض ويدل عليه قول مجاهد

لو

لو قال افئدة الناس لزحمتكم عليه فارس والروم وقيل لو لم يقل من لازدحموا عليه حتى الروم والترك والهند ويجوز ان
يكون من للابتداء كقولك القلب مني سقيم تريد قلبي فكأنه قيل افئدة ناس وانما نكرت المضاف اليه في هذا التمثيل
لتنكير افئدة لانها في الآية نكرة ليتناول بعض الافئدة وقرئ آفدة بوزن عاقدة وفيه وجهان احدهما ان يكون من
القلب كقولهم آدر في ادؤر والثاني ان يكون اسم فاعل من افدت الرحلة اذا عجلت اي جماعة او جماعات يرتحلون
اليهم ويعجلون نحوهم وقرئ افدة وفيه وجهان ان تطرح الهمزة للتخفيف وان كان الوجه ان تخفف باخراجها
بين بين وان تكون من افد تهوي اليهم تسرع اليهم وتطير نحوهم شوقا ونزاعا من قوله يهوي مخارمه هوي الاجدل
وقرئ تهوى اليهم على البناء للمفعول من هوى اليه واهواه غيره وتهوى اليهم من هوي يهوى اذا احب ضمن معنى تنزع
فعدي تعديته وارزقهم من الثمرات مع سكناهم واديا ما فيه شيء منها بان تجلب اليهم من البلاد لعلهم يشكرون النعمة
في ان يرزقوا انواع الثمرات حاضرة في واد يباب ليس فيه نجم ولا شجر ولا ماء لا جرم ان الله عز وجل اجاب دعوته فجعله
حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنه ثم فضله في وجود اصناف الثمار فيه على كل ريف وعلى اخصب البلاد واكثرها
ثمارا وفي اي بلد من بلاد الشرق والغرب ترى الاعجوبة التي يريكها الله تعالى بواد غير ذي زرع وهي اجتماع البواكير والفواكه
المختلفة الازمان من الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد وليس ذلك من آياته بعجيب متعنا الله تعالى بسكنى
حرمه ووفقنا لشكر نعمه وادام لنا التشرف بالدخول تحت دعوة ابرهيم عليه السلام ورزقنا طرفا من ذلك القلب السليم
ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء
النداء المكرر دليل التضرع واللجاء الى الله تعالى انك تعلم ما نخفي وما نعلن تعلم السر كما تعلم العلن علما لا تفاوت فيه لان
غيبا من الغيوب لا يحتجب عنك والمعنى انك اعلم باحوالنا وما يصلحنا وما يفسدنا منا وانت ارحم بنا وانصح لنا منا بانفسنا
ولها فلا حاجة الى الدعاء والطلب وانما ندعوك اظهارا للعبودية لك وتخشعا لعظمتك وتذللا لعزتك وافتقارا الى
ما عندك واستعجالا لنيل اياديك وولها الى رحمتك وكما يتملق العبد بين يدي سيده رغبة في اصابة معروفه مع
توفر السيد على حسن الملكة وعن بعضهم انه رفع حاجته الى كريم فابطأ عليه النجح فاراد ان يذكره فقال مثلك لا يذكر
استقصارا ولا توهما للغفلة عن حوائج السائلين ولكن ذا الحاجة لا تدعه حاجته ان لا يتكلم فيها وقيل ما نخفي من الوجد
لما وقع بيننا من الفرقة وما نعلن من البكاء والدعاء وقيل ما نخفي من كآبة الافتراق وما نعلن يريد ما جرى بينه وبين
هاجر حين قالت له عند الوداع الى من تكلنا قال الى الله تعالى اكلكم قالت آلله امرك بهذا قال نعم قالت اذا لا نخشى
تركتنا الى كاف وما يخفى على الله من شيء من كلام الله تعالى تصديقا لابرهيم كقوله تعالى وكذلك يفعلون او من كلام
ابرهيم يعني وما يخفى على الله الذي هو عالم الغيب من شيء في كل مكان ومن للاستغراق كانه قيل وما يخفى عليه شيء ما
الذي وهب لي على الكبر اسمعيل واسحق ان ربي لسميع الدعاء
على في قوله على الكبر بمعنى مع كقوله اني على ما ترين من كبري اعلم من حيث توكل الكتف وهو في موضع الحال معناه
وهب لي وانا كبير وفي حال الكبر روي ان اسمعيل عليه السلام ولد له وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له اسحق وهو
ابن مائة وثنتي عشرة سنة وقد روي انه ولد له اسمعيل لاربع وستين واسحق لتسعين وعن سعيد بن جبير لم يولد لابرهيم
الا بعد مائة وسبع عشرة سنة وانما ذكر حال الكبر لان المنة بهبة الولد فيها اعظم من حيث انها حال وقوع الياس من
الولادة والظفر بالحاجة على عقب الياس من اجل النعم واحلاها في نفس الظافر ولان الولادة في تلك السن العالية
كانت آية لابرهيم عليه السلام ان ربي لسميع الدعاء كان قد دعا ربه وسأله الولد فقال رب هب لي من الصالحين فشكر لله
ما اكرمه به من اجابته فان قلت الله تعالى يسمع كل دعاء اجابه او لم يجبه قلت هو من قولك
سمع الملك كلام فلان اذا اعتد به وقبله ومنه سمع الله لمن حمده وفي الحديث ما اذن الله لشيء كاذنه لنبي يتغنى
بالقرآن فان قلت ما هذه الاضافة اضافة السميع الى الدعاء قلت اضافة الصفة الى مفعولها
واصله لسميع الدعاء وقد ذكر سيبويه فعيلا في جملة ابنية المبالغة العاملة عمل الفعل كقولك هذا ضروب زيدا
وضراب اخاه ومنحار ابله وحذر امورا ورحيم اباه ويجوز ان يكون من اضافة فعيل الى فاعله ويجعل دعاء الله سميعا
على الاسناد المجازي والمراد سماع الله تعالى رب اجعلني مقيم الصلوة ومن ذريتي ربنا

اوله واذا رميت به الفجاج رايته

وتقبل دعاء ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب

ومن ذريتي وبعض ذريتي عطفا على المنصوب في اجعلني وانما بعض لانه علم باعلام الله تعالى انه يكون في ذريته كفار وذلك قوله لا ينال عهدي الظالمين وتقبل دعاء اي عبادتي واعتزلكم وما تدعون من دون الله وفي قراءة ابي ولابوي وقرا سعيد بن جبير ولوالدي على الافراد يعني اباه وقرا الحسن بن علي ولولدي يعني اسمعيل واسحق وقرئ لولدي بضم الواو والولد بمعنى الولد كالعدم والعدم وقيل جمع ولد كاسد في اسد وفي بعض المصاحف ولذريتي **فان قلت** كيف جاز ان يستغفر لابويه وكانا كافرين **قلت** هو من مجوزات العقل لا يعلم امتناع جوازه الا بالتوقيف وقيل اراد بوالديه آدم وحوا عليهما السلام وقيل بشرط الاسلام ويأباه قوله الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك لانه لو شرط الاسلام لكان استغفارا صحيحا لا مقال فيه فكيف يستثنى الاستغفار الصحيح من جملة ما يؤتسى فيه بابراهيم عليه السلام يوم يقوم الحساب اي يثبت وهو مستعار من قيام القائم على الرجل والدليل عليه قولهم قامت الحرب على ساقها ونحوه قولهم ترجلت الشمس اذا اشرقت وثبت ضوؤها كانها قامت على رجل ويجوز ان يسند الى الحساب قيام اهله اسنادا مجازيا او يكون مثل واسأل القرية وعن مجاهد قد استجاب الله تعالى له فيما سأل فلم يعبد احد من ولده صنما بعد دعوته وجعل البلد آمنا ورزق اهله وجعله اماما وجعل في ذريته من يقيم الصلوة واراه مناسكه وتاب عليه وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال كانت الطائف من ارض فلسطين فلما قال ابرهيم ربنا اني اسكنت الآية رفعها الله فوضعها حيث وضعها رزقا للحرم

ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار

فان قلت يتعالى الله عن السهو والغفلة فكيف يحسبه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو اعلم الناس به غافلا حتى قيل ولا تحسبن الله غافلا **قلت** ان كان خطابا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ففيه وجهان احدهما التثبيت على ما كان عليه من انه لا يحسب الله غافلا كقوله ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها آخر كما جاء في الامر يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والثاني ان المراد بالنهي عن حسبانه غافلا الايذان بانه عالم بما يفعل الظالمون لا يخفى عليه منه شيء وانه معاقبهم على قليله وكثيره على سبيل الوعيد والتهديد كقوله والله بما تعملون عليم يريد الوعيد ويجوز ان يراد ولا تحسبنه يعاملهم معاملة الغافل عما يعملون ولكن معاملة الرقيب عليهم المحاسب على النقير والقطمير وان كان خطابا لغيره ممن يجوز ان يحسبه غافلا لجهله بصفاته فلا سؤال فيه وعن ابن عيينة تسلية للمظلوم وتهديد للظالم فقيل له من قال ذا فغضب وقال انما قاله من علمه وقرئ نؤخرهم بالنون والياء تشخص فيه الابصار اي ابصارهم لا تقر في اماكنها من هول ما ترى

مهطعين مقنعي رؤسهم لا يرتد اليهم طرفهم وافئدتهم هواء

مهطعين مسرعين الى الداعي وقيل الاهطاع ان تقبل ببصرك على المرئي تديم النظر اليه لا تطرف مقنعي رؤسهم رافعيها لا يرتد اليهم طرفهم لا يرجع اليهم ان يطرفوا بعيونهم اي لا يطرفون ولكن عيونهم مفتوحة ممدودة من غير تحريك للاجفان او لا يرجع اليهم نظرهم فينظروا الى انفسهم هواء الهواء الخلاء الذي لم تشغله الاجرام فوصف به فقيل قلب فلان هواء اذا كان جبانا لا قوة في قلبه ولا جراءة ويقال للاحمق ايضا قلبه هواء وقال زهير من الظلمان جؤجؤه هواء لان النعام مثل في الجبن والحمق وقال حسان فانت مجوف نخب هواء وعن ابن جريج افئدتهم هواء صفر من الخير خالية منه وقال ابو عبيدة جوف لا عقول لهم

وانذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا اخرنا الى اجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل اولم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال

يوم يأتيهم العذاب مفعول ثان لانذر وهو يوم القيمة ومعنى اخرنا الى اجل قريب ردنا الى الدنيا وامهلنا الى امد وحد من الزمان قريب نتدارك ما فرطنا فيه من اجابة دعوتك واتباع رسلك او اريد باليوم يوم هلاكهم بالعذاب العاجل او يوم موتهم معذبين بشدة السكرات ولقاء الملائكة بلا بشرى وانهم يسألون يومئذ ان يؤخرهم ربهم الى اجل قريب كقوله لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق اولم تكونوا اقسمتم على ارادة القول وفيه وجهان ان يقولوا ذلك بطرا واشرا ولما استولى عليهم من عادة الجهل والسفه وان يقولوا بلسان الحال حيث بنوا شديدا واملوا بعيدا وما لكم جواب القسم وانما جاء بلفظ الخطاب لقوله اقسمتم ولو حكى لفظ المقسمين لقيل ما لنا من زوال والمعنى اقسمتم انكم باقون في الدنيا لا تزالون بالموت والفناء وقيل لا تنتقلون الى دار اخرى يعني كفرهم بالبعث

كقوله تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت **وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الامثال**

يقال سكن الدار وسكن فيها ومنه قوله تعالى وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم لان السكنى من السكون الذي هو اللبث والاصل تعديه بفي كقولك قر في الدار وغني فيها واقام فيها ولكنه لما نقل الى سكون خاص تصرف فيه فقيل سكن الدار كما قيل تبوأها واوطنها ويجوز ان يكون سكنوا من السكون اي قروا فيها واطمأنوا طيبي النفوس سائرين سيرة من قبلهم في الظلم والفساد لا يحدثونها بما لقي الاولون من ايام الله وكيف كان عاقبة ظلمهم فيعتبروا ويرتدعوا وتبين لكم بالاخبار والمشاهدة كيف اهلكناهم وانتقمنا منهم وقرئ ونبين لكم بالنون وضربنا لكم الامثال اي صفات ما فعلوا وما فعل بهم وهي في الغرابة كالامثال المضروبة لكل ظالم

وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال

وقد مكروا مكرهم اي مكرهم العظيم الذي استفرغوا فيه جهدهم وعند الله مكرهم لا يخلو اما ان يكون مضافا الى الفاعل كالاول على ان المعنى ومكتوب عند الله مكرهم فهو مجازيهم عليه بمكر هو اعظم منه او يكون مضافا الى المفعول على معنى وعند الله مكرهم الذي يمكرهم به وهو عذابهم الذي يستحقونه يأتيهم من حيث لا يشعرون ولا يحتسبون وان كان مكرهم لتزول منه الجبال وان عظم مكرهم وتبالغ في الشدة فضرب زوال الجبال منه مثلا لتفاقمه وشدته اي وان كان مكرهم مسوى لازالة الجبال معدا لذلك وقد جعلت ان نافية واللام مؤكدة لها كقوله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم والمعنى ومحال ان تزول الجبال بمكرهم على ان الجبال مثل لآيات الله وشرائعه لانها بمنزلة الجبال الراسية ثباتا وتمكنا وتنصره قراءة ابن مسعود وما كان مكرهم وقرئ لتزول بلام الابتداء على وان كان مكرهم من الشدة بحيث تزول منه الجبال وتنقلع عن اماكنها وقرأ علي وعمر رضي الله عنهما وان كاد مكرهم

فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله ان الله عزيز ذو انتقام

مخلف وعده رسله يعني قوله تعالى انا لننصر رسلنا كتب الله لاغلبن انا ورسلي **فان قلت** هلا قيل مخلف رسله وعده ولم قدم المفعول الثاني على الاول **قلت** قدم الوعد ليعلم انه لا يخلف الوعد اصلا كقوله ان الله لا يخلف الميعاد ثم قال رسله ليؤذن انه اذا لم يخلف وعده احدا وليس من شأنه اخلاف المواعيد كيف يخلفه رسله الذين هم خيرته وصفوته وقرئ مخلف وعده رسله بجر الرسل ونصب الوعد وهذه في الضعف كمن قرأ قتل اولادهم شركائهم عزيز غالب لا يماكر ذو انتقام لاوليائه من اعدائه

يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار

يوم تبدل الارض انتصابه على البدل من يوم يأتيهم او على الظرف للانتقام والمعنى يوم تبدل هذه الارض التي تعرفونها ارضا اخرى غير هذه المعروفة وكذلك السموات والتبديل التغيير وقد يكون في الذوات كقولك بدلت الدراهم دنانير ومنه بدلناهم جلودا غيرها وبدلناهم بجنتيهم جنتين وفي الاوصاف كقولك بدلت الحلقة خاتما اذا اذبتها وسويتها خاتما فنقلتها من شكل الى شكل ومنه قوله تعالى فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات واختلف في تبديل الارض والسموات فقيل تبدل اوصافها فتسير عن الارض جبالها وتفجر بحارها وتسوى فلا ترى فيها عوج ولا امت وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي تلك الارض وانما تغير وانشد

وما الناس بالناس الذين عهدتهم ... ولا الدار بالدار التي كنت تعلم

وتبدل السماء بانتثار كواكبها وكسوف شمسها وخسوف قمرها وانشقاقها وكونها ابوابا وقيل يخلق بدلها ارض وسموات اخر وعن ابن مسعود وانس يحشر الناس على ارض بيضاء لم يخطئ عليها احد خطيئة وعن علي رضي الله عنه تبدل ارضا من فضة وسموات من ذهب وعن الضحاك ارضا من فضة بيضاء كالصحائف وقرئ يوم نبدل الارض بالنون

وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الاصفاد

مقرنين قرن بعضهم مع بعض او مع الشياطين او قرنت ايديهم الى ارجلهم مغللين وقوله في الاصفاد اما ان يتعلق بمقرنين اي يقرنون في الاصفاد واما ان لا يتعلق به فيكون المعنى مقرنين مصفدين والاصفاد القيود وقيل الاغلال وانشد لسلامة بن جندل

وزيد الخيل قد لاقى صفادا ... يعض بساعد وبعظم ساق

سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار

القطران فيه ثلاث لغات قطران وقطران وقطران بفتح القاف وكسرها مع سكون الطاء وهو ما يتحلب من شجر يسمى الابهل فيطبخ فتهنأ به الابل الجربى فيحرق الجرب بحره وحدته والجلد وقد يبلغ حرارته الجوف ومن شأنه انه يسرع فيه اشتعال النار

وقد يستسرج به وهو اسود اللون منتن الريح فتطلى به جلود اهل النار حتى يعود طلاؤه لهم كالسرابيل وهي القمص لتجتمع عليهم الاربع لذع القطران وحرقته واسراع النار في جلودهم واللون الوحش ونتن الريح على ان التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين وكل ما وعده الله تعالى او وعد به في الآخرة فبينه وبين ما يشاهد من جنسه ما لا يقادر قدره وكانه ما عندنا منه الا الاسامي والمسميات ثمة فبكرمه الواسع نعوذ من سخطه ونسأله التوفيق فيما ينجينا من عذابه وقرئ من قطر آن والقطر النحاس او الصفر المذاب والآني المتناهي حره وتغشى وجوههم النار كقوله افمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم يسحبون في النار على وجوههم لان الوجه اعز موضع في ظاهر البدن واشرفه كالقلب في باطنه ولذلك قال تطلع على الافئدة وقرئ وتغشى وجوههم بمعنى تتغشى اي تفعل بالمجرمين ما تفعل ليجزي الله كل نفس ما كسبت ان الله سريع الحساب هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا انما هو اله واحد وليذكر اولوا الالباب ليجزي كل نفس مجرمة ما كسبت او كل نفس من مجرمة ومطيعة لانه اذا عاقب المجرمين لاجرامهم علم انه يثيب المطيعين لطاعتهم هذا بلاغ للناس كفاية في التذكير والموعظة يعني بهذا ما وصفه من قوله ولا تحسبن الى قوله سريع الحساب ولينذروا معطوف على محذوف اي لينصحوا ولينذروا به بهذا البلاغ وقرئ ولينذروا بفتح الياء من نذر به اذا علمه واستعد له وليعلموا انما هو اله واحد لانهم اذا خافوا ما انذروا به دعتهم المخافة الى النظر حتى يتوصلوا الى التوحيد لان الخشية ام الخير كله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ابرهيم عليه السلام اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل من عبد الاصنام وعدد من لم يعبد

سورة الحجر مكية

وهي تسع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم ما تسبق من امة اجلها وما يستأخرون تلك اشارة الى ما تضمنته السورة من الآيات والكتاب والقرآن المبين السورة وتنكير القرآن للتفخيم والمعنى تلك آيات الكتاب الكامل في كونه كتابا واي قرآن مبين كانه قيل الكتاب الجامع للكمال والغرابة في البيان قرئ ربما وربتما بالتشديد وربما وربما بالضم والفتح مع التخفيف فان قلت لم دخلت ربما على المضارع وقد ابوا دخولها الا على الماضي قلت لان المترقب في اخبار الله عز وجل بمنزلة الماضي المقطوع به في تحققه فكانه قيل ربما ود فان قلت متى تكون ودادتهم قلت عند الموت او يوم القيمة اذا عاينوا حالهم وحال المسلمين وقيل اذا رأوا المسلمين يخرجون من النار وهذا ايضا باب من الودادة فان قلت فما معنى التقليل قلت هو وارد على مذهب العرب في قولهم لعلك ستندم على فعلك وربما ندم الانسان على ما فعل ولا يشكون في تندمه ولا يقصدون تقليله ولكنهم ارادوا لو كان الندم مشكوكا فيه او كان قليلا لحق عليك ان لا تفعل هذا الفعل لان العقلاء يتحرزون من التعرض للغم المظنون كما يتحرزون من المتيقن ومن القليل منه كما من الكثير وكذلك المعنى في الآية لو كانوا يودون الاسلام مرة واحدة فبالحري ان يسارعوا اليه فكيف وهم يودونه في كل ساعة لو كانوا مسلمين حكاية ودادتهم وانما جيء بها على لفظ الغيبة لانهم مخبر عنهم كقولك حلف بالله ليفعلن ولو قيل حلف بالله لافعلن ولو كنا مسلمين لكان حسنا سديدا وقيل تدهشهم اهوال ذلك اليوم فيبقون مبهوتين فان كانت منهم افاقة في بعض الاوقات من سكرتهم تمنوا فلذلك قلل ذرهم يعني اقطع طمعك من ارعوائهم ودعهم عن النهي عما هم عليه والصد عنه بالتذكرة والنصيحة وخلهم يأكلوا ويتمتعوا بدنياهم وتنفيذ شهواتهم ويشغلهم املهم وتوقعهم لطول الاعمار واستقامة الاحوال وان لا يلقوا في العاقبة الا خيرا فسوف يعلمون سوء صنيعهم والغرض الايذان بانهم من اهل الخذلان وانهم لا يجيء منهم الا ما هم فيه وانه لا زاجر لهم ولا واعظ الا معاينة ما ينذرون به حين لا ينفعهم الوعظ ولا سبيل الى اتعاظهم قبل ذلك

فامر رسوله بان يخليهم وشأنهم ولا يشتغل بما لا طائل تحته وان يبالغ في تخليتهم حتى يأمرهم بما لا يزيدهم الا ندما في العاقبة وفيه الزام للحجة ومبالغة في الانذار واعذار فيه وفيه تنبيه على ان ايثار التلذذ والتنعم وما يؤدي اليه طول الامل وهجيرى اكثر الناس ليس من اخلاق المؤمنين وعن بعضهم التمرغ في الدنيا من اخلاق الهالكين ولها كتاب جملة واقعة صفة لقرية والقياس ان لا يتوسط الواو بينهما كما في قوله تعالى وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون وانما توسطت لتاكيد لصوق الصفة بالموصوف كما يقال في الحال جاءني زيد عليه ثوب وجاءني وعليه ثوب كتاب معلوم مكتوب معلوم وهو اجلها الذي كتب في اللوح وبين الا ترى الى قوله تعالى ما تسبق من امة اجلها موضع كتابها وانث الامة اولا ثم ذكرها آخرا حملا على اللفظ والمعنى وقال يستأخرون بحذف عنه لانه معلوم وقالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون لوما تأتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين ما ننزل الملائكة الا بالحق وما كانوا اذا منظرين قرأ الاعمش يا ايها الذي القي عليه الذكر وكان هذا النداء منهم على وجه الاستهزاء كما قال فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون وكيف يقرون بنزول الذكر عليه وينسبونه الى الجنون والتعكيس في كلامهم للاستهزاء والتهكم مذهب واسع وقد جاء في كتاب الله تعالى في مواضع منها فبشرهم بعذاب انك لانت الحليم الرشيد وقد يوجد كثيرا في كلام العجم والمعنى انك لتقول قول المجانين حين تدعي ان الله تعالى نزل عليك الذكر لو ركبت مع لا وما لمعنيين معنى امتناع الشيء لوجود غيره ومعنى التحضيض واما هل فلم تركب الا مع لا وحدها للتحضيض قال ابن مقبل لوما الحياء ولوما الدين عبتكما ببعض ما فيكما اذ عبتما عوري والمعنى هلا تأتينا بالملائكة يشهدون بصدقك ويعضدونك على انذارك كقوله لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا او هلا تأتينا بالملائكة للعقاب على تكذيبنا لك ان كنت صادقا كما كانت تأتي الامم المكذبة برسلها قرئ تنزل بمعنى تتنزل وتنزل على البناء للمفعول من نزل وننزل الملائكة بالنون ونصب الملائكة الا تنزلا ملتبسا بالحكمة والمصلحة ولا حكمة في ان تأتيكم عيانا تشاهدونهم ويشهدون لكم بتصديق النبي صلى الله عليه وسلم لانكم حينئذ مصدقون عن اضطرار ومثله قوله عز وجل وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق وقيل الحق الوحي او العذاب واذن جواب وجزاء لانه جواب لهم وجزاء الشرط مقدر تقديره ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين وما اخر عذابهم انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ولقد ارسلنا من قبلك في شيع الاولين وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزءون انا نحن نزلنا الذكر رد لانكارهم واستهزائهم في قولهم يا ايها الذي نزل عليه الذكر ولذلك قال انا نحن واكد عليهم انه هو المنزل على القطع والبتات وانه هو الذي بعث به جبريل عليه السلام الى محمد صلى الله عليه وسلم ومن بين يديه ومن خلفه رصد حتى نزل وبلغ محفوظا من الشياطين وهو حافظه في كل وقت من كل زيادة ونقصان وتحريف وتبديل بخلاف الكتب المتقدمة فانه لم يتول حفظها وانما استحفظها الربانيين والاحبار فاختلفوا فيما بينهم بغيا فكان التحريف ولم يكل القرآن الى غير حفظه فان قلت فحين كان قوله انا نحن نزلنا الذكر ردا لانكارهم واستهزائهم فكيف اتصل به قوله وانا له لحافظون قلت قد جعل ذلك دليلا على انه منزل من عنده آية لانه لو كان من قول البشر او غير آية لتطرق عليه الزيادة والنقصان كما يتطرق على كل كلام سواه وقيل الضمير في له لرسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى والله يعصمك من الناس في شيع الاولين في فرقهم وطوائفهم والشيعة الفرقة اذا اتفقوا على مذهب وطريقة ومعنى ارسلناه فيهم نبأناه فيهم وجعلناه رسولا فيما بينهم وما يأتيهم حكاية حال ماضية لان ما لا تدخل على مضارع الا وهو في معنى الحال ولا على ماض الا وهو قريب من الحال يقال سلكت الخيط في الابرة واسلكته اذا ادخلته فيها ونظمته كذلك نسلكه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به وقد خلت سنة الاولين ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما سكرت ابصارنا بل نحن قوم مسحورون ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين وحفظناها من كل شيطان رجيم الا من استرق السمع فاتبعه شهاب مبين وقرئ نسلكه والضمير للذكر اي مثل ذلك السلك ونحوه نسلك الذكر في قلوب المجرمين على معنى انه يلقيه في قلوبهم مكذبا مستهزأ به غير مقبول كما لو انزلت بلئيم حاجة فلم يجبك اليها فقلت كذلك انزلها باللئام يعني مثل هذا الانزال انزلها بهم مردودة غير مقضية ومحل قوله لا يؤمنون به النصب على الحال اي غير مؤمن به او هو بيان لقوله كذلك نسلكه وقد خلت سنة الاولين طريقتهم التي

ستنها الله تعالى في اهلاكهم حين كذبوا برسلهم وبالذكر المنزل عليهم وهو وعيد لاهل مكة على تكذيبهم قرئ يعرجون
بالضم والكسر وسكرت حيرت او حبست من الابصار من السكر او السكر وقرئ سكرت بالتخفيف اي حبست
كما يحبس النهر من الجري وقرئ سكرت من السكر اي حارت كما يحار السكران والمعنى ان هولاء المشركين بلغ من غلوهم
في العناد ان لو فتح لهم باب من ابواب السماء ويسر لهم معراج يصعدون فيه اليها ورأوا من العيان ما رأوا لقالوا هو
شيء نتخايله لا حقيقة له ولقالوا قد سحرنا محمد بذلك وقيل الضمير للملائكة اي لو اريناهم الملائكة يصعدون في السماء عيانا
لقالوا ذلك وذكر الظلول ليجعل عروجهم بالنهار ليكونوا مستوضحين لما يرون وقال انما ليدل على انهم يبتون
القول بان ذلك ليس الا تسكيرا للابصار من استرق في محل النصب على الاستثناء وعن ابن عباس رضي الله عنهما
انهم كانوا لا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من
السموات كلها شهاب مبين ظاهر للمبصرين **والارض مددناها والقينا فيها رواسي**
وانبتنا فيها من كل شيء موزون • وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له
برازقين • وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم • موزون وزن
بميزان الحكمة وقدر بمقدار تقتضيه لا تصلح فيه زيادة ولا نقصان او له وزن وقدر في ابواب النعمة والمنفعة وقيل
ما يوزن من نحو الذهب والفضة والنحاس والحديد وغيرها معايش بياء صريحة بخلاف الشمائل والخبائث ونحوهما فان
تصريح الياء فيها خطأ والصواب الهمزة او اخراج الياء بين بين وقد قرئ معائش بالهمز على التشبيه ومن لستم له برازقين
عطف على معايش او على محل لكم كانه قيل وجعلنا لكم فيها معايش وجعلنا لكم من لستم له برازقين او وجعلنا لكم معايش ومن
لستم له برازقين واراد بهم العيال والمماليك والخدم الذين يحسبون انهم يرزقونهم ويخطئون فان الله هو الرزاق يرزقهم
واياهم ويدخل فيه الانعام والدواب وكل ما بتلك المثابة مما الله تعالى رازقه وقد سبق الى ظنهم انهم الرازقون ولا يجوز
ان يكون مجرورا عطفا على الضمير المجرور في لكم لانه لا يعطف على الضمير المجرور وذكر الخزائن تمثيل والمعنى وما من شيء ينتفع به العباد
الا ونحن قادرون على ايجاده وتكوينه والانعام به وما نعطيه الا بمقدار معلوم نعلم انه مصلحة له فضرب الخزائن مثلا لاقتداره على
كل مقدور **• وارسلنا الرياح لواقح فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه وما انتم له**
بخازنين • وانا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون • لواقح فيه قولان احدهما ان الريح لاقح اذا
جاءت بخير من انشاء سحاب ماطر كما قيل للتي لا تاتي بخير ريح عقيم والثاني ان اللواقح بمعنى الملاقح كما قال ومختبط مما تطيح
الطوائح يريد المطاوح جمع مطيحة وقرئ وارسلنا الريح على تاويل الجنس فاسقيناكموه فجعلناه لكم سقيا وما انتم له بخازنين
نفى عنهم ما اثبته لنفسه في قوله تعالى وان من شيء الا عندنا خزائنه كانه قال نحن الخازنون للماء على معنى نحن القادرون على خلقه
في السماء وانزاله منها وما انتم عليه بقادرين دلالة على عظيم قدرته واظهار العجزهم ونحن الوارثون اي الباقون بعد هلاك الخلق كله
وقيل للباقي وارث استعارة من وارث الميت لانه يبقى بعد فنائه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في دعائه واجعله الوارث منا
ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين • وان ربك هو يحشرهم انه حكيم عليم
ولقد علمنا من استقدم ولادة وموتا ومن تاخر من الاولين والآخرين او من خرج من اصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد او من تقدم
في الاسلام وسبق الى الطاعة ومن تاخر به وقيل المستقدمين في صفوف الجماعة والمستاخرين وروي ان امراة حسناء
كانت في المصليات خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان بعض القوم يستقدم لئلا ينظر اليها وبعض القوم يستاخر ليبصرها
فنزلت هو يحشرهم اي هو وحده القادر على حشرهم والعالم بحصرهم مع افراط كثرتهم وتباعد اطراف عددهم انه حكيم عليم
باهر الحكمة واسع العلم يفعل كل ما يفعل على مقتضى الحكمة والصواب وقد احاط علما بكل شيء **• ولقد خلقنا**
الانسان من صلصال من حمأ مسنون • والجان خلقناه من قبل من نار السموم
واذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون • الصلصال الطين
اليابس الذي يصلصل وهو غير مطبوخ واذا طبخ فهو فخار قالوا اذا توهمت في صوته مدا فهو صليل وان توهمت فيه ترجيعا
فهو صلصلة وقيل هو تضعيف صل اذا انتن والحمأ الطين الاسود المتغير والمسنون المصور من سنة الوجه وقيل
المصبوب المفرغ اي افرغ صورة انسان كما تفرغ الصور من الجواهر المذوبة في امثلتها وقيل المنتن من سننت الحجر على الحجر اذا

حككته به فالذي يسيل بينهما سنين ولا يكون الا منتنا من حمأ صفة لصلصال اي خلقه من صلصال كائن من حمأ وحق مسنون
بمعنى مصور ان يكون صفة لصلصال كانه افرغ الحمأ فصور منها تمثال انسان اجوف فيبس حتى اذا نقر صلصل
ثم غيره بعد ذلك الى جوهر آخر والجان للجن كآدم للناس وقيل هو ابليس وقرأ الحسن وعمرو بن عبيد رحمهما الله تعالى
والجأن بالهمز من نار السموم من نار الحر الشديد النافذ في المسام قيل هذه السموم جزء من سبعين جزءا من سموم النار
التي خلق الله تعالى منها الجان واذ قال ربك واذكر وقت قوله **• فاذا سويته ونفخت فيه من روحي**
فقعوا له ساجدين • فسجد الملائكة كلهم اجمعون • الا ابليس ابى ان يكون مع
الساجدين • قال يا ابليس ما لك الا تكون مع الساجدين • قال لم اكن لاسجد
لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون • سويته عدلت خلقته واكملتها وهيأتها
لنفخ الروح فيها ومعنى ونفخت فيه من روحي واحييته وليس ثم نفخ ولا منفوخ وانما هو تمثيل لتحصيل ما يحيى به فيه
واستثنى ابليس من الملائكة لانه كان بينهم مامورا معهم بالسجود فغلب اسم الملائكة ثم استثني بعد التغليب كقولك
رايتهم الا هندا ابى استيناف على تقدير قول قائل يقول هلا سجد فقيل ابى ذلك واستكبر عنه وقيل معناه ولكن ابليس
حرف الجر مع ان محذوف تقديره ما لك في ان لا تكون مع الساجدين يعني اي غرض لك في ابائك السجود واي داع
لك اليه واللام في لاسجد لتاكيد النفي ومعناه لا يصح مني وينافي حالي ويستحيل ان اسجد لبشر **• قال فاخرج منها فانك**
رجيم • وان عليك اللعنة الى يوم الدين • قال رب فانظرني الى يوم يبعثون • قال
فانك من المنظرين • الى يوم الوقت المعلوم • رجيم شيطان من الذين يرجمون بالشهب او مطرود من رحمة الله تعالى
لان من يطرد يرجم بالحجارة ومعناه ملعون لان اللعن هو الطرد من الرحمة والابعاد منها والضمير في منها راجع الى الجنة او الى
السماء او الى جملة الملائكة وضرب يوم الدين حد اللعنة اما لانه ابعد غاية يضربها الناس في كلامهم كقوله تعالى ما دامت السموات
والارض في التابيد واما ان يراد انك مذموم مدعو عليك باللعنة في السموات والارض الى يوم الدين من غير ان تعذب
فاذا جاء ذلك اليوم عذبت بما تنسى اللعن معه ويوم الدين ويوم يبعثون ويوم الوقت المعلوم في معنى واحد ولكن خولفت
بين العبارات سلوكا بالكلام طريق البلاغة وقيل انما سأل الانظار الى اليوم الذي فيه يبعثون لئلا يموت لانه لا يموت
يوم البعث احد فلم يجب الى ذلك وانظر الى آخر ايام التكليف **• قال رب بما اغويتني لازينن لهم**
في الارض ولاغوينهم اجمعين • الا عبادك منهم المخلصين • قال هذا صراط علي
مستقيم • ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين • بما اغويتني
الباء للقسم وما مصدرية وجواب القسم لازينن والمعنى اقسم باغوائك اياي لازينن لهم ومعنى اغوائه اياه تسبيبه لغيه بان
امره بالسجود لآدم فافضى ذلك الى غيه وما الامر بالسجود الا حسن وتعريض للثواب بالتواضع والخضوع لامر الله تعالى ولكن
ابليس اختار الاباء والاستكبار فهلك والله بريء من غيه ومن ارادته والرضا به ونحو قوله بما اغويتني لازينن قوله
فبعزتك لاغوينهم في انه اقسام الا ان احدهما اقسام بصفته والثاني اقسام بفعله وقد فرق الفقهاء بينهما ويجوز ان
لا يكون قسما ونقدر قسم محذوف ويكون المعنى بسبب تسبيبك لاغوائي اقسم لافعلن بهم نحو ما فعلت بي من التسبيب
لاغوائهم بان ازين لهم المعاصي واوسوس اليهم ما يكون سبب هلاكهم في الارض في الدنيا التي هي دار الغرور كقوله تعالى اخلد
الى الارض واتبع هواه او اراد اني اقدر على الاحتيال لآدم عليه السلام وبالتزيين له الاكل من الشجرة وانا في السماء فانا على
التزيين لاولاده في الارض اقدر او اراد لاجعلن مكان التزيين عندهم في الارض ولاوقعن تزييني فيها اي لازينها
في اعينهم ولاحدثنهم بان الزينة في الدنيا وحدها حتى يستحبوها على الآخرة ويطمئنوا اليها دونها ونحوه يجرح في عراقيبها
نصلي استثنى المخلصين لانه علم ان كيده لا يعمل فيهم ولا يقبلون منه اي هذا طريق حق علي ان اراعيه وهو ان
لا يكون لك سلطان على عبادي الا من اختار اتباعك منهم لغوايته وقرئ علي من علو الشرف والفضل
وان جهنم لموعدهم اجمعين • لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم • ان
المتقين في جنات وعيون • ادخلوها بسلام آمنين • لموعدهم الضمير للغاوين وقيل ابواب النار
اطباقها وادراكها فاعلاها للموحدين والثاني لليهود والثالث للنصارى والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس للمشركين

والسابع للمنافقين وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان جهنم لمن ادعى الربوبية ولظى لعبدة النار والحطمة لعبدة الاصنام
وسقر لليهود والسعير للنصارى والجحيم للصابئين والهاوية للموحدين وقرئ جزء بالتخفيف والتثقيل وقرأ الزهري
جزّ بالتشديد كأنه حذف الهمزة والقى حركتها على الزاي كقولك خب في خبء ثم وقف عليه بالتشديد كقولهم الرجلّ
ثم اجرى الوصل مجرى الوقف المتقي على الاطلاق من يتقي ما يجب اتقاؤه مما نهي عنه وعن ابن عباس اتقوا
الكفر والفواحش ولهم ذنوب تكفرها الصلوات وغيرها ادخلوها على ارادة القول وقرأ الحسن ادخلوها بسلام سالمين او مسلما
عليكم يسلم عليكم الملائكة ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين
لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين الغل الحقد الكامن في القلب من انغل في جوفه
وتغلغل اي ان كان لاحدهم في الدنيا غل على آخر نزع الله تعالى ذلك من قلوبهم وطيب نفوسهم وعن علي رضي الله عنه ارجو
ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم وعن الحارث الاعور كنت جالسا عنده اذ جاء ابن طلحة فقال له علي مرحبا بك
يا ابن اخي اما والله اني لارجو ان اكون انا وابوك ممن قال الله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل فقال له قائل كلا الله
اعدل من ان يجمعك وطلحة في مكان واحد فقال فلمن هذه الآية لا ام لك وقيل معناه طهر الله قلوبهم من ان يتحاسدوا
على الدرجات في الجنة ونزع منها كل غل والقى فيها التواد والتحابب واخوانا نصب على الحال وعلى سرر متقابلين كذلك
وعن مجاهد تدور بهم الاسرة حيثما داروا فيكونون في جميع احوالهم متقابلين نبئ عبادي اني انا الغفور
الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم ونبئهم عن ضيف ابرهيم اذ دخلوا عليه
فقالوا سلاما قال انا منكم وجلون قالوا لا توجل انا نبشرك بغلام عليم قال
ابشرتموني على ان مسني الكبر فبم تبشرون قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من
القانطين قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون لما اتم ذكر الوعد والوعيد اتبعه
نبئ عبادي تقريرا لما ذكر وتمكينا له في النفوس وعن ابن عباس غفور لمن تاب وعذابه لمن لم يتب وعطف ونبئهم على
نبئ عبادي ليتخذوا ما احل من العذاب بقوم لوط عبرة يعتبرون بها سخط الله عز وجل وانتقامه من المجرمين ويتحققوا عنده
ان عذابه هو العذاب الاليم سلاما اي نسلم عليك سلاما او سلمت سلاما وجلون خائفون وكان خوفه لامتناعهم
من الاكل وقيل لانهم دخلوا بغير اذن وبغير وقت وقرأ الحسن لا توجل بضم التاء من اوجله يوجله اذا اخافه وقرئ لا تاجل ولا تواجل
من واجله بمعنى اوجله وقرئ نبشرك بفتح النون والتخفيف انا نبشرك استيناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل
اي انك بمثابة الآمن المبشر فلا توجل يعني ابشرتموني مع مس الكبر بان يولد لي اي ان الولادة امر عجيب مستنكر في العادة مع
الكبر فبم تبشرون هي ما الاستفهامية دخلها معنى التعجب كانه قال فبأي اعجوبة تبشروني او اراد انكم تبشرونني بما هو غير
متصور في العادة فبأي شيء تبشرون يعني لا تبشروني بشيء في الحقيقة لان البشارة بمثل هذا بشارة بغير شيء ويجوز ان
لا يكون صلة لبشر ويكون سؤالا عن الوجه والطريقة يعني باي طريقة تبشرونني بالولد والبشارة به لا طريقة لها في العادة
وقوله بشرناك بالحق يحتمل ان تكون الباء فيه صلة اي بشرناك باليقين الذي لا لبس فيه او بشرناك بطريقة هي حق وهو قول الله
ووعده وانه قادر على ان يوجد ولدا من غير ابوين فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر وقرئ تبشرون بفتح النون وبكسرها على
حذف نون الجمع والاصل تبشرونني وتبشروني بادغام نون الجمع في نون العماد وقرئ من القنطين من قنط يقنط وقرئ
ومن يقنط بالحركات الثلاث في النون اراد ومن يقنط من رحمة ربه الا المخطئون طريق الصواب او الا الكافرون كقوله تعالى
لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون يعني لم استنكر ذلك قنوطا من رحمته ولكن استبعادا له في العادة التي اجراها الله تعالى
قال فما خطبكم ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين الا آل لوط انا
لمنجوهم اجمعين الا امرأته قدرنا انها لمن الغابرين فان قلت قوله تعالى
الا آل لوط استثناء متصل ام منقطع قلت لا يخلو من ان يكون استثناء من قوم فيكون منقطعا لان القوم
موصوفون بالاجرام فاختلف لذلك الجنسان وان يكون استثناء من الضمير في مجرمين فيكون متصلا كانه قيل الى قوم قد اجرموا
كلهم الا آل لوط وحدهم كما قال فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين فان قلت فهل يختلف المعنى لاختلاف
الاستثناءين قلت نعم وذلك ان آل لوط مخرجون في المنقطع من حكم الارسال وعلى انهم ارسلوا الى القوم

المجرمين

المجرمين خاصة ولم يرسلوا الى آل لوط اصلا ومعنى ارسالهم الى القوم المجرمين كارسال الحجر او السهم الى المرمي في انه في
معنى التعذيب والاهلاك كانه قيل انا اهلكنا قوما مجرمين ولكن آل لوط انجيناهم واما في المتصل فهم داخلون في حكم
الارسال وعلى ان الملائكة ارسلوا اليهم جميعا ليهلكوا هؤلاء وينجوا هؤلاء فلا يكون الارسال مخلصا بمعنى الاهلاك والتعذيب
كما في الوجه الاول فان قلت فقوله انا لمنجوهم بم يتعلق على الوجهين قلت اذا انقطع الاستثناء
جرى مجرى خبر لكن في الاتصال بآل لوط لان المعنى لكن آل لوط منجون واذا اتصل كان كلاما مستأنفا كان ابرهيم صلوات الله
عليه قال لهم فما حال آل لوط فقالوا انا لمنجوهم فان قلت فقوله الا امرأته مم استثني وهل هو استثناء من
استثناء قلت استثني من الضمير المجرور في قوله لمنجوهم وليس من الاستثناء من الاستثناء في شيء لان
الاستثناء من الاستثناء انما يكون فيما اتحد الحكم فيه وان يقال اهلكناهم الا آل لوط الا امرأته كما اتحد الحكم في قول المطلق انت طالق
ثلاثا الا اثنتين الا واحدة وفي قول المقر لفلان علي عشرة دراهم الا ثلاثة الا درهما فاما في الآية فقد اختلف الحكمان
لان الا آل لوط متعلق بارسلنا او بمجرمين والا امرأته قد تعلق بمنجوهم فانى يكون استثناء من استثناء وقرئ لمنجوهم
بالتخفيف والتثقيل فان قلت لم جاز تعليق فعل التقدير في قوله قدرنا انها لمن الغابرين والتعليق من خصائص
افعال القلوب قلت لتضمن فعل التقدير معنى العلم ولذلك فسر العلماء تقدير الله تعالى اعمال العباد بالعلم
فان قلت فلم اسند الملائكة فعل التقدير وهو لله تعالى وحده الى انفسهم ولم يقولوا قدر الله تعالى
قلت لما لهم من القرب والاختصاص بالله الذي ليس لاحد غيرهم كما تقول خاصة الملك دبرنا كذا وامرنا بكذا والمدبر
والآمر هو الملك لا هم وانما يظهرون بذلك اختصاصهم وانهم لا يتميزون عنه وقرئ قدرنا بالتخفيف فلما جاء آل
لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون
واتيناك بالحق وانا لصادقون فاسر باهلك بقطع من الليل واتبع ادبارهم ولا
يلتفت منكم احد وامضوا حيث تؤمرون وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء
مقطوع مصبحين منكرون اي تنكركم نفسي وتنفر منكم فاخاف ان تطرقوني بشر بدليل قوله بل جئناك بما كانوا فيه
يمترون اي ما جئناك بما تنكرنا لاجله بل جئناك بما فيه فرحك وسرورك وتشفيك من عدوك وهو العذاب الذي كنت تتوعدهم بنزوله
فيمترون فيه ويكذبونك واتيناك باليقين من عذابهم وانا لصادقون في الاخبار بنزوله بهم وقرئ فاسر بقطع الهمزة ووصلها
من اسرى وسرى وروى صاحب الاقليد فسر من السير والقطع في آخر الليل قال افتحي الباب وانظري الى النجوم كم علينا
من قطع ليل بهيم وقيل هو بعد ما يمضي شيء صالح من الليل فان قلت ما معنى امره باتباع ادبارهم ونهيهم عن
الالتفات قلت قد بعث الله تعالى الهلاك على قومه ونجاه واهله اجابة لدعوته عليهم وخرج مهاجرا فلم يكن له بد
من الاجتهاد في شكر الله تعالى وادامة ذكره وتفريغ باله لذلك فامر بان يقدمهم لئلا يشتغل بمن خلفه قلبه وليكون
مطلعا عليهم وعلى احوالهم فلا تفرط منهم التفاتة احتشاما منه ولا غيرها من الهفوات في تلك الحالة المهولة المحذورة
ولئلا يتخلف منهم احد لغرض له فيصيبه العذاب وليكون مسيره مسير الهارب الذي يقدم سربه ويفوت به ونهوا عن
الالتفات لئلا يروا ما ينزل بقومهم من العذاب فيرقوا لهم وليوطنوا نفوسهم على المهاجرة ويطيبوا عن مساكنهم
ويمضوا قدما غير ملتفتين الى ما وراءهم كالذي يتحسر على مفارقة وطنه فلا يزال يلوي اليه اخادعه كما قال تلفت نحو الحي حتى
وجدتني وجعت من الاصغاء ليتا واخدعا او جعل النهي عن الالتفات كناية عن مواصلة السير وترك التواني
والتوقف لان من يلتفت لا بد له في ذلك من ادنى وقفة حيث تؤمرون قيل هو مصر وعدى وامضوا الى حيث تعديته
الى الظرف المبهم لان حيث مبهم في الامكنة وكذلك الضمير في تؤمرون وعدى قضينا بالى لانه ضمن معنى اوحينا كانه
قيل واوحيناه اليه مقضيا مبتوتا وفسر ذلك الامر بقوله ان دابر هؤلاء مقطوع وفي ابهامه وتفسيره تفخيم للامر وتعظيم له
وقرأ الاعمش ان بالكسر على الاستيناف كان قائلا قال اخبرنا عن ذلك الامر فقال ان دابر هؤلاء وفي قراءة ابن مسعود
وقلنا ان دابر هؤلاء ودابرهم آخرهم يعني يستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم احد وجاء اهل المدينة
يستبشرون قال ان هؤلاء بناتي ان كنتم فاعلين لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون
اهل المدينة اهل سدوم التي ضرب بقاضيها المثل في الجور مستبشرين بالملائكة فلا تفضحون بفضيحة ضيفي لان من اسيء الى

قال ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون
واتقوا الله ولا تخزون قالوا اولم
ننهك عن العالمين

فيه اعتزال

الالتفات اسم تعبير

الى ضيفه او جاره فقد اسى اليه كما ان من اكرم من يتصل به فقد اكرم ولا تخزون ولا تذلون باذلال ضيفي من الخزي وهو
الهوان او ولا تشوروا بي من الخزاية وهي الحياء عن العالمين عن ان تجير منهم احدا او تدفع عنهم او تمنع بيننا وبينهم فانهم
كانوا يتعرضون لكل احد وكان يقوم صلى الله عليه وسلم بالنهي عن المنكر والحجز بينهم وبين المتعرض له فاوعدوه وقالوا لئن لم تنته
يا لوط لتكونن من المخرجين وقيل عن ضيافة الناس وانزالهم وكانوا نهوه ان يضيف احدا قط هؤلاء بناتي اشارة
الى النساء لان كل امة اولاد نبيها رجالهم بنوه ونساؤهم بناته فكانه قال هؤلاء بناتي فانكحوهن وخلوا بني فلا تتعرضوا
لهم ان كنتم فاعلين شك في قبولهم لقوله كانه قال ان فعلتم ما اقول لكم وما اظنكم تفعلون وقيل ان كنتم تريدون قضاء الشهوة
فيما احل الله تعالى دون ما حرم لعمرك على ارادة القول اي قالت الملائكة للوط عليه السلام لعمرك انهم لفي سكرتهم اي في غوايتهم
التي اذهبت عقولهم وتمييزهم بين الخطا الذي هم عليه وبين الصواب الذي تشير به عليهم من ترك البنين الى البنات يعمهون
يتحيرون فكيف يقبلون قولك ويصغون الى نصيحتك وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وانه اقسم بحيوته وما اقسم
بحيوة احد قط كرامة له والعمر والعمر واحد الا انهم خصوا القسم بالمفتوح لايثار الاخف فيه وذلك لان الحلف كثير الدور على السنتهم
ولذلك حذفوا الخبر وتقديره لعمرك مما اقسم به كما حذفوا الفعل في تالله وقرئ في سكرهم وفي سكراتهم فاخذتهم
الصيحة مشرقين فجعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليهم حجارة من سجيل ان في ذلك لايات
للمتوسمين وانها لبسبيل مقيم ان في ذلك لاية للمؤمنين الصيحة صيحة جبريل عليه السلام
مشرقين داخلين في الشروق وهو بزوغ الشمس من سجيل قيل من طين عليه كتاب من السجل دليله قوله حجارة من طين مسومة
عند ربك اي معلمة بكتاب للمتوسمين للمتفرسين المتاملين وحقيقة المتوسمين النظار المتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا
حقيقة سمة الشيء يقال توسمت في فلان كذا اي عرفت وسمه فيه والضمير في عاليها سافلها لقرى قوم لوط وانها وان
هذه القرى يعني آثارها لبسبيل مقيم ثابت يسلكه الناس لم يندرس بعد وهم يبصرون تلك الآثار وهو تنبيه لقريش كقوله
تعالى وانكم لتمرون عليهم مصبحين وان كان اصحاب الايكة لظالمين فانتقمنا منهم وانهما لبامام
مبين ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين واتيناهم اياتنا فكانوا عنها معرضين
وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين فاخذتهم الصيحة مصبحين فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون
اصحاب الايكة قوم شعيب وانهما يعني قرى قوم لوط والايكة وقيل الضمير للايكة ومدين لان شعيبا عليه السلام كان مبعوثا اليهما
فلما ذكر الايكة دل ذكرها على مدين فجاء بضميرهما لبامام مبين لبطريق واضح والامام اسم ما يؤتم به فسمي به الطريق ومطمر البناء
واللوح الذي يكتب فيه لانها مما يؤتم به اصحاب الحجر ثمود والحجر واديهم وهو بين المدينة والشام المرسلين يعني بتكذيبهم
صالحا لان من كذب واحدا منهم فكانما كذبهم جميعا او اراد صالحا ومن معه من المؤمنين كما قيل الخبيبون في ابن الزبير واصحابه
وعن جابر رضي الله عنه قال مررنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحجر فقال لنا لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا انفسهم الا
ان تكونوا باكين حذرا ان يصيبكم مثل ما اصاب هؤلاء ثم زجر رسول الله صلى الله عليه وسلم راحلته فاسرع حتى خلفها
آمنين لوثاقة البيوت واستحكامها من ان تتهدم ويتداعى بنيانها ومن نقب اللصوص ومن الاعداء وحوادث الدهر
او آمنين من عذاب الله تعالى يحسبون ان الجبال تحميهم منه ما كانوا يكسبون من بناء البيوت الوثيقة والاموال والعدد
وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق وان الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل
ان ربك هو الخلاق العليم ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم الا بالحق الا
خلقا ملتبسا بالحق والحكمة والصواب لا باطلا وعبثا او بسبب العدل والانصاف يوم الجزاء على الاعمال وان الساعة
لآتية وان الله تعالى ينتقم لك فيها من اعدائك ويجازيك واياهم على حسناتك وسيئاتهم فانه ما خلق السموات
والارض وما بينهما الا لذلك فاصفح فاعرض عنهم واحتمل ما تلقى منهم اعراضا جميلا بحلم واغضاء وقيل هو منسوخ
باية السيف ويجوز ان يراد به المخالقة فلا يكون منسوخا ان ربك هو الخلاق الذي خلقك وخلقهم وهو العليم بحالك
وحالهم فلا يخفى عليه ما يجري بينكم وهو يحكم بينكم او ان ربك هو الذي خلقكم وعلم ما هو الاصلح لكم وقد علم ان الصفح اليوم اصلح
الى ان يكون السيف اصلح وفي مصحف ابي وعثمان ان ربك هو الخالق وهو يصلح للقليل والكثير والخلاق للكثير لا غير
تقول قطع الثياب وقطع الثوب والثياب سبعا سبع آيات وهي الفاتحة او سبع سور وهي الطوال واختلف

في السابعة فقيل الانفال وبراءة لانهما في حكم سورة ولذلك لم يفصل بينهما باية التسمية وقيل سورة يونس وقيل
هي آل حم او سبع صحايف وهي الاسباع والمثاني من التثنية وهي التكرير لان الفاتحة مما تكرر قراءتها في الصلوة وغيرها
او من الثناء لاشتمالها على ما هو ثناء على الله تعالى الواحدة مثناة او مثنية صفة للاية واما السور والاسباع فلما وقع
فيها من تكرير القصص والمواعظ والوعد والوعيد وغير ذلك ولما فيها من الثناء كانها تثني على الله تعالى بافعاله العظمى
وصفاته الحسنى ومن اما للتبعيض اذا اردت بالسبع الفاتحة او الطوال او للبيان اذا اردت الاسباع ويجوز ان يكون
كتب الله كلها مثاني لانها تثني عليه ولما فيها من المواعظ المكررة ويكون القرآن بعضها فان قلت كيف صح
عطف القرآن العظيم على السبع وهل هو الا عطف الشيء على نفسه قلت اذا عني بالسبع الفاتحة او الطوال فما
وراءهن ينطلق عليه اسم القرآن لانه اسم يقع على البعض كما يقع على الكل الا ترى الى قوله بما اوحينا اليك هذا القرآن
يعني سورة يوسف واذا عنيت الاسباع فالمعنى ولقد آتيناك ما يقال له السبع المثاني والقرآن العظيم اي الجامع
لهذين النعتين وهو الثناء او التثنية والعظم لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا
منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين وقل اني انا النذير المبين
اي لا تطمح ببصرك طموح راغب فيه متمن له الى ما متعنا به ازواجا منهم اصنافا من الكفار فان قلت كيف وصل
هذا بما قبله قلت يقول لرسوله صلى الله عليه وسلم قد اوتيت النعمة العظمى التي كل نعمة وان عظمت فهي اليها حقيرة
ضئيلة وهي القرآن العظيم فعليك ان تستغني به ولا تمدن عينيك الى متاع الدنيا ومنه الحديث ليس منا من لم يتغن
بالقرآن وحديث ابي بكر رضي الله عنه من اوتي القرآن فرأى ان احدا اوتي من الدنيا افضل مما اوتي فقد صغر عظيما وعظم
صغيرا وقيل وافت من بصرى واذرعات سبع قوافل ليهود بني قريظة والنضير فيها انواع البز والطيب والجوهر وسائر
الامتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها ولانفقناها في سبيل الله فقال لهم الله عز وجل لقد اعطيتكم سبع
آيات هي خير من هذه القوافل السبع ولا تحزن عليهم حيث لا تتمتع اموالهم ولا تحزن عليهم انهم لم يؤمنوا فيتقوى بمكانهم الاسلام
وينتعش بهم المؤمنون وتواضع لمن معك من فقراء المؤمنين وضعفائهم وطب نفسا عن ايمان الاغنياء والاقوياء
وقل لهم اني انا النذير المبين انذركم ببيان وبرهان ان عذاب الله نازل بكم كما انزلنا على المقتسمين الذين
جعلوا القرآن عضين فان قلت بم تعلق قوله كما انزلنا قلت فيه وجهان احدهما ان
يتعلق بقوله ولقد آتيناك اي انزلنا عليك مثل ما انزلنا على اهل الكتاب وهم المقتسمون الذين جعلوا القرآن عضين حيث
قالوا بعنادهم وعدوانهم بعضه حق موافق للتورية والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما فاقتسموه الى حق وباطل وعضوه
وقيل كانوا يستهزؤن به فيقول بعضهم سورة البقرة لي ويقول الآخر سورة آل عمران لي ويجوز ان يراد بالقرآن ما يقرؤنه
من كتبهم وقد اقتسموه بتحريفهم وبان اليهود اقرت ببعض التورية وكذبت ببعض والنصارى اقرت ببعض الانجيل وكذبت
ببعض وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن صنيع قومه بالقرآن وتكذيبهم وقولهم سحر وشعر واساطير
الاولين بان غيرهم من الكفرة فعلوا بغيره من الكتب نحو فعلهم والثاني ان يتعلق بقوله قل اني انا النذير اي وانذر
قريشا مثل ما انزلنا من العذاب على المقتسمين يعني اليهود وهو ما جرى على قريظة والنضير جعل المتوقع بمنزلة الواقع
وهو من الاعجاز لانه اخبار بما سيكون وقد كان ويجوز ان يكون الذين جعلوا القرآن عضين منصوبا بالنذير اي
انذر المعضين الذين يجزؤن القرآن الى سحر وشعر واساطير مثل ما انزلنا على المقتسمين وهم الاثنا عشر الذين
اقتسموا مداخل مكة في ايام الموسم فقعدوا في كل مدخل متفرقين لينفروا الناس عن الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول بعضهم لا تغتروا بالخارج منا فانه ساحر ويقول الآخر انه كذاب والآخر شاعر فاهلكهم الله تعالى يوم بدر وقبله بآفات
كالوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والاسود بن المطلب وغيرهم او مثل ما انزلنا على الرهط الذين تقاسموا على
ان يبيتوا صالحا عليه السلام والاقتسام بمعنى التقاسم فان قلت اذا علقت قوله كما انزلنا بقوله
ولقد آتيناك فما معنى توسط فلا تمدن الى آخره بينهما قلت لما كان ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
عن تكذيبهم وعداوتهم اعترض بما هو مدد لمعنى التسلية من النهي عن الالتفات الى دنياهم والتاسف على كفرهم ومن الامر
بان يقبل بمجامعه على المؤمنين عضين اجزاء جمع عضة واصلها عضوة فعلة من عضى الشاة اذا جعلها اعضاء

قال رؤبة وليس دين الله بالمعضى وقيل هي فعلة من عضهته اذا بهته وعن عكرمة العضة السحر بلسان
قريش يقولون للساحرة عاضهة ولعن رسول الله صلى الله عليه وسلم العاضهة والمستعضهة نقصانها على الاول
واو وعلى الثاني هاء **فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون فاصدع بما
تؤمر واعرض عن المشركين انا كفيناك المستهزءين الذين يجعلون مع الله
الها آخر فسوف يعلمون ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون فسبح
بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين** لنسألنهم عبارة
عن الوعيد وقيل يسألهم سؤال تقريع وعن ابي العالية يسأل العباد عن خلتين عما كانوا يعبدون وماذا اجابوا
المرسلين فاصدع بما تؤمر فاجهر به واظهره يقال صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا كقولك صرح بها من الصديع وهو
الفجر والصدع في الزجاجة الابانة وقيل فاصدع فافرق بين الحق والباطل بما تؤمر به من الشرائع فحذف الجار
كقوله امرتك الخير فافعل ما امرت به ويجوز ان تكون ما مصدرية اي بامرك مصدر من المبني للمفعول وعن عروة
ابن الزبير في المستهزءين هم خمسة نفر ذوو اسنان وشرف الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والاسود
ابن عبد يغوث والاسود بن المطلب والحرث بن الطلاطلة وعن ابن عباس رضي الله عنهما ماتوا كلهم قبل بدر
وقال جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اكفيكهم فاومى الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه
سهم فلم ينعطف تعظما لاخذه فاصاب عرقا في عقبه فقطعه فمات واومى الى اخمص العاص بن وائل فدخلت فيه
شوكة فقال لدغت لدغت وانتفخت رجله حتى صارت كالرحى ومات واشار الى عيني الاسود بن المطلب فعمي
واشار الى انف الحرث بن قيس فامتخط قيحا فمات والى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد في اصل شجرة فجعل ينطح رأسه
بالشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات بما يقولون من اقاويل الطاعنين فيك وفي القرآن فسبح فافزع فيما
نابك الى الله تعالى والفزع الى الله هو الذكر الدائم وكثرة السجود يكفك ويكشف عنك الغم ودم على عبادة ربك
حتى يأتيك اليقين اي الموت اي مادمت حيا فلا تخل بالعبادة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا حزبه امر فزع الى الصلوة
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحجر كان له من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار والمستهزءين بمحمد صلى الله عليه وسلم

سورة النحل مكية

غير ثلث آيات في آخرها وتسمى سورة النعم وهي مائة وثمان وعشرون آية

**بسم الله الرحمن الرحيم اتى امر الله فلا تستعجلوه
سبحانه وتعالى عما يشركون ينزل الملئكة بالروح من امره على من يشاء من عباده
ان انذروا انه لا اله الا انا فاتقون** كانوا يستعجلون ما وعدوا من قيام الساعة او نزول العذاب
بهم يوم بدر استهزاء وتكذيبا بالوعد فقيل لهم اتى امر الله اي هو بمنزلة الآتي الواقع وان كان منتظرا لقرب وقوعه فلا تستعجلوه
روي انه لما نزلت اقتربت الساعة قال الكفار فيما بينهم ان هذا يزعم ان القيمة قد قربت فامسكوا عن بعض ما تعملون
حتى ننظر ما هو كائن فلما تاخرت قالوا ما نرى شيئا فنزلت اقترب للناس حسابهم فاشفقوا وانتظروا قربها فلما
امتدت الايام قالوا يا محمد ما نرى شيئا مما تخوفنا به فنزلت اتى امر الله فوثب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفع
الناس رؤسهم فنزلت فلا تستعجلوه فاطمانوا وقرئ فلا تستعجلوه بالتاء والياء سبحانه وتعالى عما يشركون
تبرأ وجل عن ان يكون له شريك وان يكون آلهتهم له شركاء او عن اشراكهم على ان ما موصولة او مصدرية فان قلت
كيف اتصل هذا باستعجالهم قلت لان استعجالهم استهزاء وتكذيب وذلك من الشرك وقرئ تشركون بالتاء والياء
ينزل قرئ بالتخفيف والتشديد وقرئ تنزل الملائكة اي تتنزل بالروح من امره بما يحيي القلوب الميتة بالجهل من وحيه او
يقوم في الدين مقام الروح في الجسد ان انذروا بدل من الروح اي ينزلهم بان انذروا اي بان الشأن اقول لكم انذروا
او تكون ان مفسرة لان تنزيل الملائكة بالوحي فيه معنى القول ومعنى انذروا انه لا اله الا انا اعلموا بان الامر ذلك
من نذرت بكذا اذا علمته والمعنى يقول لهم اعلموا الناس قول لا اله الا انا فاتقون **خلق السموات**

والارض

**والارض بالحق تعالى عما يشركون خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم
مبين والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ولكم فيها
جمال حين تريحون وحين تسرحون** ثم دل على وحدانيته وانه لا اله الا هو بما ذكر مما لا يقدر عليه غيره
من خلق السموات والارض وخلق الانسان وما يصلحه وما لابد له منه من خلق البهائم لاكله وركوبه وجر اثقاله وسائر
حاجاته وخلق ما لا يعلمون من اصناف خلائقه ومثله متعال عن ان يشرك به غيره وقرئ يشركون بالياء والتاء فاذا هو خصيم
مبين فيه معنيان احدهما فاذا هو منطيق مجادل عن نفسه مكافح للخصوم مبين للحجة بعد ما كان نطفة من مني جمادا لا حس به
ولا حركة دلالة على قدرته والثاني فاذا هو خصيم لربه منكر على خالقه قائل من يحيي العظام وهي رميم وصفا للانسان بالافراط
في الوقاحة والجهل والتمادي في كفران النعمة وقيل نزلت في ابي بن خلف الجمحي حين جاء بالعظم الرميم رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال يا محمد اترى الله يحيي هذا بعد ما قد رم والانعام الازواج الثمانية واكثر ما تقع على الابل وانتصابها بمضمر يفسره الظاهر
كقوله تعالى والقمر قدرناه ويجوز ان يعطف على الانسان اي خلق الانسان والانعام ثم قال خلقها لكم اي ما خلقها الا لكم
ولمصالحكم يا جنس الانسان والدفء اسم ما يدفأ به كما ان الملء اسم ما يملأ به وهو الدفاء من لباس معمول من
صوف او وبر او شعر وقرئ دف بطرح الهمزة والقاء حركتها على الفاء ومنافع هي نسلها ودرها وغير ذلك
فان قلت تقديم الظرف في قوله ومنها تأكلون مؤذن بالاختصاص وقد يؤكل من غيرها قلت الاكل منها
هو الاصل الذي يعتمده الناس في معايشهم واما الاكل من غيرها من الدجاج والبط وصيد البر والبحر فغير معتد به وكالجاري
مجرى التفكه ويحتمل ان طعمتكم منها لانكم تحرثون بالبقر فالحب والثمار التي تأكلونها منها وتكتسبون باكراء الابل
وتبيعون نتاجها والبانها وجلودها من الله تعالى بالتجمل بها كما من بالانتفاع بها لانه من اغراض اصحاب المواشي
بل هو من معاظمها لان الرعيان اذا روحوها بالعشي وسرحوها بالغداة فزينت باراحتها وتسريحها الافنية وتجاوب فيها
الرغاء والثغاء آنست اهلها وفرحت اربابها واجلتهم في عيون الناظرين اليها وكسبتهم الجاه والحرمة عند الناس
ونحوه لتركبوها وزينة يواري سوآتكم وريشا فان قلت لم قدمت الاراحة على التسريح قلت لان
الجمال في الاراحة اظهر اذا اقبلت ملأى البطون حافلة الضروع ثم اوت الى الحظائر حاضرة لاهلها وقرأ عكرمة حينا
تريحون وحينا تسرحون على ان تريحون وتسرحون وصف للحين والمعنى تريحون فيه وتسرحون فيه كقوله يوما لا تجزي
**وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس ان ربكم لرؤف رحيم
والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون وعلى
قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهديكم اجمعين** وقرئ بشق الانفس بكسر الشين وفتحها
وقيل هما لغتان في معنى المشقة وبينهما فرق وهو ان المفتوح مصدر شق عليه الامر شقا وحقيقته راجعة الى الشق
الذي هو الصدع واما الشق فالنصف كانه يذهب نصف قوته لما يناله من الجهد فان قلت ما معنى قوله
لم تكونوا بالغيه كانهم كانوا زمانا يتحملون المشاق في بلوغه حتى حملت الابل اثقالهم قلت معناه وتحمل اثقالكم الى
بلد لم تكونوا بالغيه في التقدير لو لم تخلق الابل الا بجهد انفسكم لا انهم لم يكونوا بالغيه في الحقيقة فان قلت
كيف طابق قوله لم تكونوا بالغيه قوله وتحمل اثقالكم الى بلد بعيد قد علمتم انكم لا تبلغونه بانفسكم الا بجهد ومشقة فضلا
ان تحملوا على ظهوركم اثقالكم ويجوز ان يكون المعنى لم تكونوا بالغيه بها الا بشق الانفس وقيل اثقالكم اجرامكم
وعن عكرمة البلد مكة لرؤف رحيم حيث رحمكم بخلق هذه الحوامل وتيسير هذه المصالح والخيل والبغال والحمير عطف
على الانعام اي وخلق هؤلاء للركوب والزينة وقد احتج على حرمة اكل لحومهن بان علل خلقها بالركوب والزينة ولم يذكر
الاكل بعد ما ذكره في الانعام فان قلت لم انتصب وزينة قلت لانه مفعول له وهو معطوف على
محل لتركبوها فان قلت فهلا ورد المعطوف والمعطوف عليه على سنن واحد قلت لان الركوب فعل
المخاطبين واما الزينة ففعل الزائن وهو الخالق وقرئ لتركبوها زينة بغير واو اي خلقها زينة لتركبوها او تجعل زينة حالا من ها
اي وخلقها لتركبوها وهي زينة وجمال ويخلق ما لا تعلمون يجوز ان يريد به ما يخلق فينا ولنا مما لا نعلم كنهه وتفاصيله ويمن علينا
بذكره كما من بالاشياء المعلومة مع الدلالة على قدرته ويجوز ان يخبرنا بان له من الخلائق ما لا علم لنا به ليزيدنا دلالة على اقتداره

بالاخبار به لكن وان طوى عنا علمه لحكمة له في طيه وقد جبل على خلق في الجنة والنار مما لم يبلغه وهم احد ولا خطر على قلبه
المراد بالسبيل الجنس ولذلك اضاف اليها القصد وقال ومنها جاير والقصد مصدر بمعنى الفاعل وهو القاصد يقال سبيل
قصد وقاصد اي مستقيم كانه يقصد الوجه الذي يؤمه السالك لا يعدل عنه ومعنى قوله وعلى الله قصد السبيل ان هداية
الطريق الموصل الى الحق واجبة عليه كقوله تعالى ان علينا للهدى **فان قلت** لم غير اسلوب الكلام في قوله تعالى
ومنها جاير **قلت** ليعلم ما يجوز اضافته اليه من السبيلين وما لا يجوز ولو كان الامر كما زعم المجبرة لقيل وعلى الله
قصد السبيل وعليه جايرها او وعليه الجاير وقرا عبد الله ومنكم جاير جاير عن القصد بسوء اختياره والله بريء منه
ولو شاء لهداكم اجمعين قسرا والجاء **هو الذي انزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه**
شجر فيه تسيمون ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل
الثمرات ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون وسخر لكم الليل والنهار والشمس
والقمر والنجوم مسخرات بامره ان في ذلك لايات لقوم يعقلون وما ذرا
لكم في الارض مختلفا الوانه ان في ذلك لاية لقوم يذكرون لكم متعلق بانزل او بشراب خبرا له
والشراب ما يشرب شجر يعني الشجر الذي ترعاه المواشي وفي حديث عكرمة لا تاكلوا ثمن الشجر فانه سحت يعني الكلا تسيمون من
سامت الماشية اذا رعت فهي سائمة واسامها صاحبها وهو من السومة وهي العلامة لانها تؤثر بالرعي علامات في الارض
وقرى ينبت بالياء والنون **فان قلت** لم قيل من كل الثمرات **قلت** لان كل الثمرات لا تكون الا في الجنة
وانما انبت في الارض بعض من كلها للتذكرة يتفكرون ينظرون فيستدلون بها عليه وعلى قدرته وحكمته والاية الدلالة الواضحة
وعن بعضهم ننبت بالتشديد وقرا ابي بن كعب ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب بالرفع قرئت كلها بالنصب
على وجعل النجوم مسخرات او على ان معنى تسخيرها للناس تصييرها نافعة لهم حيث يسكنون بالليل ويبتغون من فضله بالنهار
ويعلمون عدد السنين والحساب بمسير الشمس والقمر ويهتدون بالنجوم فكانه قيل ونفعكم بها في حال كونها مسخرات لما خلقن له
بامره ويجوز ان يكون المعنى انه سخرها انواعا من التسخير جمع مسخر بمعنى تسخير من قولك سخره الله مسخرا كقولك سرحه مسرحا
كانه قيل وسخرها لكم تسخيرات بامره وقرى بنصب الليل والنهار وحدهما ورفع ما بعدهما على الابتداء والخبر وقرى والنجوم مسخرات
بالرفع وما قبله بالنصب وقال ان في ذلك لايات لقوم يعقلون فجمع الاية وذكر العقل لان الاثار العلوية اظهر دلالة على
القدرة الباهرة وابين شهادة للكبرياء والعظمة وما ذرا لكم معطوف على الليل والنهار يعني ما خلق فيها من حيوان وشجر وثمر
وغير ذلك مختلف الهيئات والمناظر **وهو الذي سخر البحر لتاكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية**
تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون والقى في
الارض رواسي ان تميد بكم وانهارا وسبلا لعلكم تهتدون لحما طريا هو السمك ووصفه بالطراوة
لان الفساد يسرع اليه فيسارع الى اكله خيفة الفساد عليه **فان قلت** ما بال الفقهاء قالوا اذا حلف الرجل
لا ياكل لحما فاكل سمكا لم يحنث والله تعالى سماه لحما كما ترى **قلت** مبنى الايمان على العادة وعادة الناس اذا ذكر اللحم
على الاطلاق ان لا يفهم منه السمك فاذا قال الرجل لغلامه اشتر بهذه الدراهم لحما فجاء بالسمك كان حقيقا بالانكار
ومثاله ان الله تعالى سمى الكافر دابة في قوله ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فلو حلف حالف لا يركب دابة فركب كافرا
لم يحنث حلية هي اللؤلؤ والمرجان والمراد بلبسهم لبس نسائهم لانهن من جملتهم ولانهن انما يتزين بها من اجلهم
فكانها زينتهم ولباسهم المخر شق الماء بحيزومها وعن الفراء هو صوت جري الفلك بالرياح وابتغاء الفضل التجارة
ان تميد بكم كراهة ان تميل بكم وتضطرب والمائد الذي يدار به اذا ركب البحر قيل خلق الله تعالى الارض فجعلت تمور
فقالت الملائكة ما هي بمقر احد على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت بالجبال لم تدر الملائكة مم خلقت وانهارا وجعل فيها
انهارا لان القى فيه معنى جعل الا ترى الى قوله الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا **وعلامات وبالنجم هم**
يهتدون افمن يخلق كمن لا يخلق افلا تذكرون وان تعدوا نعمة الله
لا تحصوها ان الله لغفور رحيم والله يعلم ما تسرون وما تعلنون
وعلامات هي معالم الطرق وكل ما يستدل به السابلة من جبل ومنهل وغير ذلك والمراد بالنجم الجنس كقولك كثر الدرهم

اجاب بعض اصحابنا ان المراد على
مذهب الفضل والكرم ان يبين الدين الحق
والمذهب الصحيح فاما ان يبين كيفية
الاغواء والاضلال فغيره واجب
وهذا هو المراد والله اعلم
ح

في ايدي الناس وعن السدي هو الثريا والفرقدان وبنات نعش والجدي وقرا الحسن وبالنجم بضمتين وبضمة
وسكون وهو جمع نجم كرهن ورهن والسكون تخفيفا وقيل حذف الواو من النجوم تخفيفا **فان قلت**
قوله وبالنجم هم يهتدون مخرج عن سنن الخطاب مقدم فيه النجم ومقحم فيه هم كانه قيل وبالنجم خصوصا هولاء خصوصا يهتدون
فمن المراد بهم **قلت** كانه اراد قريشا كان لهم اهتداء بالنجوم في مسايرهم وكان لهم بذلك علم لم يكن مثله لغيرهم
فكان الشكر اوجب عليهم والاعتبار الزم لهم فخصصوا **فان قلت** من لا يخلق اريد به الاصنام فلم جي بمن الذي
هو لاولي العلم **قلت** فيه اوجه احدها انهم سموها الهة وعبدوها فاجروها مجرى اولي العلم الا ترى الى قوله تعالى على
اثره والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون والثاني المشاكلة بينه وبين من يخلق والثالث
ان يكون المعنى ان من يخلق ليس كمن لا يخلق من اولي العلم فكيف بما لا علم عنده كقوله الهم ارجل يمشون بها يعني ان الالهة
حالهم منحطة عن حال من لهم ارجل وايد واذان وقلوب لان هولاء احياء وهم اموات فكيف تصح لهم العبادة لا انها لو صحت
لهذه الاعضاء لصح ان يعبدوا **فان قلت** هو الزام للذين عبدوا الاوثان وسموها الهة تشبيها بالله تعالى
فقد جعلوا غير الخالق مثل الخالق فكان حق الالزام ان يقال لهم افمن لا يخلق كمن يخلق **قلت** حين جعلوا غير الله
مثل الله عز وجل في تسميته باسمه والعبادة له وسووا بينه وبينه فقد جعلوا الله من جنس المخلوقات وشبيها بها فانكر
عليهم ذلك بقوله تعالى افمن يخلق كمن لا يخلق لا تحصوها لا تضبطوا عددها ولا تبلغوا طاقتكم فضلا ان تطيقوا القيام
بحقها من اداء الشكر اتبع ذلك ما عدد من نعمه تنبيها على ان وراءها ما لا ينحصر ولا يعد ان الله لغفور رحيم حيث
يتجاوز عن تقصيركم في اداء شكر النعمة ولا يقطعها عنكم لتفريطكم ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها والله يعلم ما تسرون وما
تعلنون من اعمالكم وهو وعيد **والذين تدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون**
اموات غير احياء وما يشعرون ايان يبعثون الهكم اله واحد فالذين لا يؤمنون
بالاخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون لا جرم ان الله يعلم ما يسرون
وما يعلنون انه لا يحب المستكبرين والذين يدعون والالهة الذين يدعوهم الكفار من دون الله
وقرى بالتاء وقرى يدعون على البناء للمفعول نفى عنهم خصايص الالهية بنفي كونهم خالقين واحياء لا يموتون وعالمين
بوقت البعث واثبت لهم صفات الخلق بانهم مخلوقون وانهم اموات وانهم جاهلون بالغيب ومعنى اموات غير احياء
انهم لو كانوا الهة على الحقيقة لكانوا احياء غير اموات اي غير جايز عليها الموت كالحي الذي لا يموت وامرهم على العكس من ذلك
والضمير في يبعثون للداعين اي لا يشعرون متى تبعث عبدتهم وفيه تهكم بالمشركين وان الهتهم لا يعلمون وقت بعثهم
فكيف يكون لهم وقت جزاء منهم على عبادتهم وفيه دلالة على انه لا بد من البعث وانه من لوازم التكليف ووجه اخر وهو
ان يكون المعنى ان الناس يخلقونهم بالنحت والتصوير وهم لا يقدرون على نحو ذلك فهم اعجز من عبدتهم اموات جمادا
لا حيوة فيها غير احياء يعني ان من الاموات ما يعقب موته حيوة كالنطف التي ينشيها الله تعالى حيوانا واجساد
الحيوان التي تبعث بعد موتها واما الحجارة فاموات لا يعقب موتها حيوة وذلك اعرق في موتها وما يشعرون ايان
يبعثون اي وما يعلم هولاء الالهة متى يبعث الاحياء تهكما بحالها لان شعور الجماد محال فكيف بشعور ما لا يعلمه حي الا
الحي القيوم سبحانه ووجه ثالث وهو ان يراد بالذين يدعون الملايكة وكان ناس منهم يعبدونهم وانهم اموات
اي لا بد لهم من الموت غير احياء غير باقية حياتهم وما يشعرون ولا علم لهم بوقت بعثهم وقرى ايان بكسر الهمزة الهكم اله واحد
يعني انه قد ثبت بما تقدم من ابطال ان تكون الالهية لغيره وانها له وحده لا شريك له فيها فكان من نتيجة ثبات الوحدانية
ووضوح دليلها استمرارهم على شركهم وان قلوبهم منكرة للوحدانية وهم مستكبرون عنها وعن الاقرار بها لا جرم حقا ان الله
يعلم سرهم وعلانيتهم فيجازيهم وهو وعيد انه لا يحب المستكبرين عن التوحيد يعني المشركين ويجوز ان يعم كل مستكبر
ويدخل هولاء تحت عمومه **واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم قالوا اساطير الاولين ليحملوا**
اوزارهم كاملة يوم القيمة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم الا ساء ما يزرون
ماذا منصوب بانزل بمعنى اي شيء انزل ربكم او مرفوع بالابتداء بمعنى اي شيء انزله ربكم فاذا نصبت فمعنى اساطير
الاولين ما يدعون نزوله اساطير الاولين واذا رفعته فالمعنى المنزل اساطير الاولين كقوله تعالى ماذا ينفقون قل العفو

وهو حجة على المعتزلة في خلق
الافعال
ح

فيمن رفع **فان قلت** هو كلام متناقض لانه لايكون منزل ربهم واساطير **قلت** هو على السخرية
كقوله ان رسولكم وهو كلام بعضهم لبعض او قول المسلمين لهم وقيل هو قول المقتسمين الذين اقتسموا مداخل مكة
ينفرون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سالهم وفود الحاج عما انزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا احاديث
الاولين واباطيلهم • ليحملوا اوزارهم اي قالوا ذلك اضلالا للناس وصدا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فحملوا اوزار
اضلالهم كاملة وبعض اوزار من ضل بضلالهم وهو وزر الاضلال لان المضل والضال شريكان هذا يضله وهذا يطاوعه على اضلاله
فيتحاملان الوزر ومعنى اللام التعليل من غير ان يكون غرضا كقولك خرجت من البلد مخافة الشر بغير علم حال من المفعول
اي يضلون من لايعلم انهم ضلال وانما وصف بالضلال واحتمال الوزر من اضلوه وان لم يعلم لانه كان عليه ان يبحث وينظر
بعقله حتى يميز بين المحق والمبطل • قد مكر الذين من قبلهم فاتى الله بنيانهم من القواعد فخر
عليهم السقف من فوقهم واتاهم العذاب من حيث لايشعرون • ثم يوم القيمة يخزيهم
ويقول اين شركاءي الذين كنتم تشاقون فيهم قال الذين اوتوا العلم ان الخزي اليوم والسوء
على الكافرين • القواعد اساطين البناء التي تعمده وقيل الاساس وهذا تمثيل يعني انهم سووا منصوبات
كال قوم بنوا بنيانا وعمدوا بالاساطين فاتى البنيان من الاساطين بان ضعضعت فسقط عليهم السقف وهلكوا
ونحوه من حفر لاخيه جبا وقع فيه منكبا وقيل هو نمرود بن كنعان حين بنى الصرح ببابل طوله خمسة آلاف ذراع
وقيل فرسخان فاهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا ومعنى اتيان الله اتيان امره من القواعد من جهة القواعد
من حيث لايشعرون من حيث لايحتسبون ولايتوقعون وقرئ فاتى الله بيتهم فخر عليهم السقف بضمتين يخزيهم يذلهم
بعذاب الخزي ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته يعني هذا لهم في الدنيا ثم العذاب في الآخرة شركاءي على الاضافة
الى نفسه حكاية لاضافتهم ليوبخهم بها على طريق الاستهزاء بهم تشاقون فيهم تعادون وتخاصمون المؤمنين في شانهم
ومعناهم وقرئ تشاقون بكسر النون بمعنى تشاقونني لان مشاقة المؤمنين كانها مشاقة الله تعالى قال الذين اوتوا العلم
هم الانبياء والعلماء من اممهم الذين كانوا يدعونهم الى الايمان ويعظونهم فلا يلتفتون اليهم ويتكبرون عليهم ويشاقونهم يقولون ذلك
شماتة بهم وحكى الله عز وعلا ذلك من قولهم ليكون لطفا لمن سمعه وقيل هم الملائكة • الذين تتوفيهم الملائكة ظالمي
انفسهم فالقوا السلم ما كنا نعمل من سوء بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون • فادخلوا
ابواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين • وقيل للذين اتقوا ماذا انزل ربكم
قالوا خيرا للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين
جنات عدن يدخلونها تجري من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاؤون كذلك يجزي الله المتقين
قرئ تتوفيهم بالتاء والياء وقرئ الذين توفيهم بادغام التاء في التاء • فالقوا السلم فسالموا واخبتوا وجاؤا بخلاف
ما كانوا عليه في الدنيا من الشقاق والكبر وقالوا ما كنا نعمل من سوء وجحدوا ما وجد منهم من الكفر والعدوان فرد عليهم اولو العلم
ان الله عليم بما كنتم تعملون فهو يجازيكم عليه وهذا ايضا من الشماتة وكذلك فادخلوا ابواب جهنم • خيرا انزل خيرا
فان قلت لم نصب هذا ورفع الاول **قلت** فصلا بين جواب المقر وجواب الجاحد يعني ان هؤلاء لما سئلوا
لم يتلعثموا واطبقوا الجواب على السؤال بينا مكشوفا مفعولا للانزال فقالوا خيرا اي انزل خيرا واولئك عدلوا بالجواب
عن السؤال فقالوا هو اساطير الاولين وليس من الانزال في شيء • وروي ان احياء العرب كانوا يبعثون ايام الموسم من
ياتيهم بخبر النبي صلى الله عليه وسلم فاذا جاء الوافد كفه المقتسمون وامروه بالانصراف وقالوا ان لم تلقه كان خيرا لك
فيقول انا شر وافد ان رجعت الى قومي دون ان استطلع امر محمد واراه فيلقى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيخبرونه بصدقه وانه نبي مبعوث فهم الذين قالوا خيرا وقوله تعالى للذين احسنوا وما بعده بدل من خيرا حكاية لقول
الذين اتقوا اي قالوا هذا القول فقدم عليه تسميته خيرا ثم حكاه ويجوز ان يكون كلاما مبتدا عدة للقائلين ويجعل قولهم
من جملة احسانهم ويحمدوا عليه • حسنة مكافاة في الدنيا باحسانهم ولهم في الآخرة ما هو خير منها كقوله تعالى فاتاهم الله
ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة • ولنعم دار المتقين دار الآخرة فحذف المخصوص بالمدح لتقدم ذكره وجنات عدن
خبر مبتدا محذوف ويجوز ان يكون المخصوص • الذين تتوفيهم الملئكة طيبين يقولون سلام

عليكم

بخطه: المنصوبة الحيلة يقال سوى فلان منصوبة وفي الاصل صفة للشبكة او الحبالة بحرت مجرى الاسماء كالدابة والعجوز

عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون • هل ينظرون الا ان تاتيهم الملئكة
او ياتي امر ربك كذلك فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم
يظلمون • فاصابهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن • وقال الذين
اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا اباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء
كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل الا البلاغ المبين • ولقد بعثنا في كل امة رسولا
ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت
عليه الضلالة فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين • ان تحرص على
هداهم فان الله لا يهدي من يضل وما لهم من ناصرين • طيبين طاهرين من ظلم انفسهم بالكفر
والمعاصي لانه في مقابلة ظالمي انفسهم • يقولون سلام عليكم قيل اذا اشرف العبد المؤمن على الموت جاءه ملك فقال
السلام عليك يا ولي الله الله يقرا عليك السلام وبشره بالجنة • تاتيهم الملائكة قرئ بالتاء والياء يعني ان ياتيهم
لقبض ارواحهم • او امر ربك العذاب المستاصل او القيامة كذلك اي مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب فعل الذين
من قبلهم وما ظلمهم الله بتدميرهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون لانهم فعلوا ما استوجبوا به التدمير • سيئات ما عملوا جزاء
سيئات اعمالهم او هو كقوله جزاء سيئة سيئة مثلها هذا من جملة ما عدد من اصناف كفرهم وعنادهم من شركهم بالله
وانكارهم وحدانيته بعد قيام الحجج وانكار البعث واستعجاله استهزاء به وتكذيبهم الرسول وشقاقهم واستكبارهم
عن قبول الحق يعني انهم اشركوا بالله وحرموا ما احل الله من البحيرة والسائبة وغيرهما ثم نسبوا فعلهم الى الله وقالوا
لو شاء لم نفعل وهذا مذهب المجبرة بعينه • كذلك فعل الذين من قبلهم اي اشركوا وحرموا حلال الله فلما نبهوا على قبح
فعلهم وركوه على ربهم فهل على الرسل الا ان يبلغوا الحق وان الله تعالى لا يشاء الشرك والمعاصي بالبيان والبرهان
ويطلعوا على بطلان الشرك وقبحه وبراءة الله تعالى من افعال العباد وانهم فاعلوها بقصدهم وارادتهم واختيارهم والله تعالى
باعثهم على جميلها وموفقهم له وزاجرهم عن قبيحها وموعدهم عليه ولقد امحض ابطال قدر السوء ومشيئة الشر بانه ما من امة
الا وقد بعث فيهم رسولا يامرهم بالخير الذي هو الايمان وعبادة الله وباجتناب الشر الذي هو طاعة الطاغوت فمنهم من
هدى الله اي لطف به لانه عرفه من اهل اللطف • ومنهم من حقت عليه الضلالة اي ثبت عليه الخذلان والترك من اللطف لانه
عرفه مصمما على الكفر لاياتي منه خير • فسيروا فانظروا ما فعلت بالمكذبين حتى لايبقى لكم شبهة في اني لا اقدر الشر ولا اشاؤه
حيث افعل ما افعل بالاشرار ثم ذكر عناد قريش وحرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على ايمانهم وعرفه انهم من قسم من حقت عليهم
الضلالة وان الله لا يهدي من يضل اي لا يلطف بمن يخذل لانه عبث والله تعالى متعال عن العبث لانه من قبيل القبائح التي لا تجوز عليه
وقرئ لا يهدي اي لا يقدر احد على هدايته وقد خذله الله وقوله وما لهم من ناصرين دليل على ان المراد بالاضلال الخذلان
الذي هو نقيض النصرة ويجوز ان يكون لا يهدي بمعنى لا يهتدي يقال هداه الله فهدى وفي قراءة ابي فان الله لا هادي لمن يضل ولمن
اضل وهي معاضدة لمن قرا لا يهدي على البناء للمفعول وفي قراءة عبد الله يهدي بادغام التاء يهتدي وهي معاضدة للاولى
وقرئ يضل بالفتح وقرا النخعي ان تحرص بفتح الراء وهي لغية • واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله
من يموت بلى وعدا عليه حقا ولكن اكثر الناس لا يعلمون • ليبين لهم الذي يختلفون
فيه وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين • انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون
واقسموا بالله معطوف على وقال الذين اشركوا ايذانا بانهما كفرتان موصوفتان حقيقتان بان تحكيا وتدونا توركهم
ذنوبهم على مشيئة الله وانكارهم البعث مقسمين عليه • بلى اثبات لما بعد النفي اي بلى يبعثهم ووعدا مصدر مؤكد لما دل عليه
بلى لان يبعث موعد من الله وبين ان الوفاء بهذا الموعد حق واجب عليه في الحكمة • ولكن اكثر الناس لا يعلمون انهم يبعثون
او انه وعد واجب على الله تعالى لانهم يقولون لا يجب على الله شيء لا ثواب عامل ولا غيره من مواجب الحكمة • ليبين لهم متعلق
بما دل عليه بلى اي يبعثهم ليبين لهم والضمير لمن يموت وهو عام للمؤمنين والكافرين والذين اختلفوا فيه هو الحق وليعلم الذين
كفروا انهم كذبوا في قولهم لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء وفي قولهم لا يبعث الله من يموت وقيل يجوز ان يتعلق بقوله
ولقد بعثنا في كل امة رسولا اي بعثناه ليبين لهم ما اختلفوا فيه وانهم كانوا على الضلالة قبله مفترين على الله الكذب

وترك فلان ذنبه على غيره قرفه به

بخطه

وقولنا مبتدأ وان نقول خبره وكن فيكون من كان التامة التي بمعنى الحدوث والوجود اي اذا اردنا وجود شيء فليس الا ان نقول له احدث فهو يحدث عقيب ذلك لا يتوقف وهذا مثل لان مرادا لا يتوقف ولا يمتنع عليه وان وجوده عنده غير متوقف كوجود المأمور به عند امر الآمر المطاع اذا ورد على المأمور المطيع الممتثل ولا قول ثم والمعنى ان ايجاد كل مقدور على الله عز وعلا بهذه السهولة فكيف يمتنع عليه البعث الذي هو من بعض المقدورات وقرئ فيكون عطفا على نقول

والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة اكبر لو كانوا يعلمون ۞ الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون ۞ وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون ۞ بالبينات والزبر وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون ۞

والذين هاجروا هم رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه ظلمهم اهل مكة ففروا بدينهم الى الله تعالى منهم من هاجر الى الحبشة ثم الى المدينة فجمع بين الهجرتين ومنهم من هاجر الى المدينة وقيل هم الذين كانوا محبوسين معذبين بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما خرجوا تبعوهم فردوهم منهم بلال وصهيب وخباب وعمار وعن صهيب انه قال لهم انا رجل كبير ان كنت معكم لم انفعكم وان كنت عليكم لم اضركم فافتدى منهم بماله وهاجر فلما رآه ابو بكر رضي الله عنه قال له ربح البيع يا صهيب وقال عمر نعم الرجل صهيب لو لم يخف الله لم يعصه وهو ثناء عظيم يريد لو لم يخلق الله نارا لاطاعه فكيف في الله في حقه ولوجهه حسنة صفة للمصدر اي لنبوئنهم تبوئة حسنة وفي قراءة علي رضي الله عنه لنثوينهم ومعناه اثواءة حسنة وقيل لننزلنهم في الدنيا منزلة حسنة وهي الغلبة على اهل مكة الذين ظلموهم وعلى العرب قاطبة وعلى اهل المشرق والمغرب وعن عمر رضي الله عنه انه كان اذا اعطى رجلا من المهاجرين عطاء قال خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك ربك في الدنيا وما ذخر لك في الآخرة اكثر وقيل لنبوئنهم مباءة حسنة وهي المدينة حيث آواهم اهلها ونصروهم لو كانوا يعلمون الضمير للكفار اي لو علموا ان الله يجمع لهؤلاء المستضعفين في ايديهم الدنيا والآخرة لرغبوا في دينهم ويجوز ان يرجع الضمير الى المهاجرين اي لو كانوا يعلمون ذلك لزادوا في اجتهادهم وصبرهم الذين صبروا اي هم الذين صبروا او اعني الذين صبروا وكلاهما مدح اي صبروا على العذاب وعلى مفارقة الوطن الذي هو حرم الله المحبوب في كل قلب فكيف بقلوب قوم هو مسقط رؤوسهم وعلى المجاهدة وبذل الارواح في سبيل الله قالت قريش الله اعظم من ان يكون رسوله بشرا فقيل وما ارسلنا من قبلك الا رجالا يوحى اليهم على السنة الملائكة فاسألوا اهل الذكر وهم اهل الكتاب ليعلموكم ان الله لم يبعث الى الامم السالفة الا بشرا **فان قلت** بم تعلق قوله بالبينات **قلت** له متعلقات شتى فاما ان يتعلق بما ارسلنا داخلا تحت حكم الاستثناء مع رجالا اي وما ارسلنا الا رجالا بالبينات كقولك ما ضربت الا زيدا بالسوط لان اصله ضربت زيدا بالسوط واما برجالا صفة له اي رجالا ملتبسين بالبينات واما بارسلنا مضمرا كأنما قيل بم ارسلوا فقلت بالبينات فهو على كلامين والاول على كلام واحد واما بيوحى اي يوحى اليهم بالبينات واما بلا تعلمون على ان الشرط في معنى التبكيت والالزام كقول الاجير ان كنت عملت لك فاعطني حقي وقوله تعالى فاسألوا اهل الذكر اعتراض على الوجوه المتقدمة واهل الذكر اهل الكتاب وقيل للكتاب الذكر لانه موعظة وتنبيه للغافلين ما نزل اليهم يعني ما نزل الله اليهم في الذكر مما امروا به ونهوا عنه ووعدوا واوعدوا ولعلهم يتفكرون وارادة ان يصغوا الى تنبيهاته فيتنبهوا ويتأملوا

افأمن الذين مكروا السيئات ان يخسف الله بهم الارض او يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون ۞ او يأخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين ۞ او يأخذهم على تخوف فان ربكم لرؤوف رحيم ۞

مكروا السيئات اي المكرات السيئات وهم اهل مكة وما مكروا به رسول الله صلى الله عليه وسلم في تقلبهم متقلبين في مسايرهم ومتاجرهم واسباب دنياهم على تخوف متخوفين وهو ان يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فيأخذهم بالعذاب وهم متخوفون متوقعون وهو خلاف قوله من حيث لا يشعرون وقيل هو من قولك تخوفته وتخونته اذا تنقصته قال زهير

تخوف الرحل منها تامكا قردا ۞ كما تخوف عود النبعة السفن

اي يأخذهم على ان يتنقصهم شيئا بعد شيء في انفسهم واموالهم حتى يهلكوا وعن عمر رضي الله عنه انه قال على المنبر ما تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف التنقص قال فهل تعرف العرب ذلك في اشعارها قال نعم قال شاعرنا وانشد البيت فقال عمر ايها الناس عليكم بديوانكم لا تضلوا قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم

قوله في البيت تخوف اي تنقص ... اي الناقة وتامك السنام ... والنبعة شجر تتخذ منه القسي والسفن ... القدوم ... الاجذاع

لا تضلوا

فان ربكم لرؤوف رحيم حيث يحلم عنكم ولا يعاجلكم مع استحقاقكم

اولم يروا الى ما خلق الله من شيء يتفيؤا ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون ۞ ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون ۞ يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون ۞

قرئ اولم يروا وتتفيأ بالياء والتاء وما موصولة بخلق الله وهو مبهم بيانه من شيء يتفيأ ظلاله واليمين بمعنى الايمان وسجدا حال من الظلال وهم داخرون حال من الضمير في ظلاله لانه في معنى الجمع وهو ما خلق الله من كل شيء له ظل وجمع بالواو لان الدخور من اوصاف العقلاء او لان في جملة ذلك من يعقل فغلب والمعنى اولم يروا الى ما خلق الله من الاجرام التي لها ظلال متفيئة عن ايمانها وشمائلها اي عن جانبي كل واحد منها وشقيه استعارة من يمين الانسان وشماله لجانبي الشيء اي ترجع الظلال من جانب الى جانب منقادة لله غير ممتنعة عليه فيما سخرها له من التفيؤ والاجرام في انفسها داخرة ايضا صاغرة منقادة لافعال الله فيها لا تمتنع من دابة يجوز ان يكون بيانا لما في السموات وما في الارض جميعا على ان في السموات خلقا لله تعالى يدبون فيها كما يدب الاناسي في الارض وان يكون بيانا لما في الارض وحده ويراد بما في السموات الخلق الذي يقال له الروح وان يكون بيانا لما في الارض ويراد بما في السموات الملائكة وكرر ذكرهم على معنى والملائكة خصوصا من بين الساجدين لانهم اطوع الخلق واعبدهم ويجوز ان يراد بما في السموات ملائكتهن وبقوله والملائكة ملائكة الارض من الحفظة وغيرهم **فان قلت** سجود المكلفين مما انتظمه هذا الكلام خلاف سجود غيرهم فكيف عبر عن النوعين بلفظ واحد **قلت** المراد بسجود المكلفين طاعتهم وعبادتهم وبسجود غيرهم انقياده لارادة الله تعالى وانها غير ممتنعة عليها وكلا السجودين يجمعهما معنى الانقياد فلم يختلفا فلذلك جاز ان يعبر عنهما بلفظ واحد **فان قلت** فهلا جيء بمن دون ما تغليبا للعقلاء من الدواب على غيرهم **قلت** لانه لو جيء بمن لم يكن فيه دليل على التغليب فكان متناولا للعقلاء خاصة فجيء بما هو صالح للعقلاء وغيرهم ارادة العموم يخافون يجوز ان يكون حالا من الضمير في لا يستكبرون اي لا يستكبرون خائفين وان يكون بيانا لنفي الاستكبار وتأكيدا له لان من خاف الله لم يستكبر عن عبادته من فوقهم ان علقته بيخافون فمعناه يخافونه ان يرسل عليهم عذابا من فوقهم وان علقته بربهم حالا منه فمعناه يخافون ربهم عاليا لهم قاهرا كقوله وهو القاهر فوق عباده وانا فوقهم قاهرون وفيه دليل على ان الملائكة مكلفون مدارون على الامر والنهي والوعد والوعيد كسائر المكلفين وانهم بين الخوف والرجاء

وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد فاياي فارهبون ۞ وله ما في السموات والارض وله الدين واصبا افغير الله تتقون ۞ وما بكم من نعمة فمن الله ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون ۞ ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون ۞ ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون ۞

فان قلت انما جمعوا بين العدد والمعدود فيما وراء الواحد والاثنين فقالوا عندي رجال ثلاثة وافراس اربعة لان المعدود عار عن الدلالة على العدد الخاص فاما رجل ورجلان وفرس وفرسان فمعدودان فيهما دلالة على العدد فلا حاجة الى ان يقال رجل واحد ورجلان اثنان فما وجه قوله تعالى الهين اثنين **قلت** الاسم الحامل لمعنى الافراد او التثنية دال على شيئين على الجنسية والعدد المخصوص فاذا اريدت الدلالة على ان المعني به منهما والذي يساق اليه الحديث هو العدد شفع بما يؤكده فدل به على القصد اليه والعناية به الا ترى انك لو قلت انما هو اله ولم تؤكده بواحد لم يحسن وخيل انك تثبت الالهية لا الوحدانية فاياي فارهبون نقل للكلام عن الغيبة الى التكلم وجاز لان الغائب هو المتكلم وهو من طريقة الالتفات وهو ابلغ في الترهيب من قوله واياه فارهبوه ومن ان يجيء ما قبله على لفظ المتكلم الدين الطاعة واصبا حال عمل فيه الظرف والواصب الواجب الثابت لان كل نعمة منه فالطاعة واجبة له على كل منعم عليه ويجوز ان يكون من الوصب اي وله الدين ذا كلفة ومشقة ولذلك سمي تكليفا او وله الجزاء دائما ثابتا سرمدا لا يزول يعني الثواب والعقاب وما بكم من نعمة واي شيء حل بكم او اتصل بكم من نعمة فهو من الله فاليه تجأرون فما تتضرعون الا اليه والجؤار رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة قال الاعشى يصف راهبا

يراوح من صلوات المليك ۞ طورا سجودا وطورا جؤارا

وقرئ تجرون بطرح الهمزة والقاء حركتها على الجيم وقرأ قتادة كاشف الضر على فاعل بمعنى فعل وهو اقوى من كشف لان بناء المغالبة يدل على المبالغة **فان قلت** فما معنى قوله اذا فريق

منكم بربهم يشركون قلت يجوز ان يكون الخطاب في قوله وما بكم من نعمة فمن الله عاما ويريد بالفريق فريق
الكفرة وان يكون الخطاب للمشركين ومنكم للبيان لا للتبعيض كأنه قال فاذا فريق كافر وهم انتم ويجوز ان يكون فيهم من اعتبر
كقوله فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد ليكفروا بما آتيناهم من نعمة الكشف عنهم كأنهم جعلوا غرضهم في الشرك كفران النعمة
فتمتعوا فسوف تعلمون تخلية ووعيد وقرئ فيمتعوا بالياء مبنيا للمفعول عطفا على ليكفروا ويجوز ان يكون ليكفروا فيمتعوا
من الامر الوارد في معنى الخذلان والتخلية واللام لام الامر ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم
تالله لتسألن عما كنتم تفترون ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون
واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء
ما بشر به ايمسكه على هون ام يدسه في التراب الا ساء ما يحكمون للذين لا يؤمنون
بالآخرة مثل السوء ولله المثل الاعلى وهو العزيز الحكيم لما لا يعلمون اي لآلهتهم ومعنى
لا يعلمونها انهم يسمونها آلهة ويعتقدون فيها انها تضر وتنفع وتشفع عند الله تعالى وليس كذلك وحقيقتها انها جماد لا يضر
ولا ينفع فهم اذا جاهلون بها وقيل الضمير في لا يعلمون للآلهة اي لاشياء غير موصوفة بالعلم ولا تشعر اجعلوا لها نصيبا
في انعامهم وزروعهم ام لا وكانوا يجعلون لهم ذلك تقربا اليهم لتسألن وعيد عما كنتم تفترون من الافك في زعمكم
انها آلهة وانها اهل للتقرب اليها كانت خزاعة وكنانة تقول الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه لذاته من
الولد اليه او تعجب من قولهم ولهم ما يشتهون يعني البنين ويجوز في ما يشتهون الرفع على الابتداء والنصب على ان يكون معطوفا
على البنات اي وجعلوا لانفسهم ما يشتهون من الذكور ظل بمعنى صار كما يستعمل بات واصبح وامسى بمعنى الصيرورة ويجوز
ان يجيء ظل لان اكثر الوضع يتفق بالليل فيظل نهاره مغتما مربد الوجه من الكآبة والحياء من الناس وهو كظيم مملوء حنقا على المرأة
يتوارى من القوم يستخفي منهم من اجل سوء المبشر به ومن اجل تعييرهم ويحدث نفسه وينظر ايمسك ما بشر به على هون على ان
وذل ام يدسه في التراب ام يئده وقرئ ايمسكها على هون ام يدسها على التأنيث وقرئ على هوان الا ساء ما يحكمون
حيث يجعلون الولد الذي هذا محله لله تعالى ويجعلون لانفسهم من هو على عكس هذا الوصف مثل السوء صفة السوء
وهي الحاجة الى الاولاد الذكور وكراهة الاناث ووأدهن خشية الاملاق واقرارهم على انفسهم بالشح البالغ ولله
المثل الاعلى وهو الغنى عن العالمين والنزاهة عن صفات المخلوقين وهو الجواد الكريم ولو يؤاخذ الله الناس
بظلمهم ما ترك عليها من دابة ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون
ساعة ولا يستقدمون ويجعلون لله ما يكرهون وتصف ألسنتهم الكذب ان لهم
الحسنى لا جرم ان لهم النار وانهم مفرطون تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك فزين
لهم الشيطان اعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب اليم وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين
لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون والله انزل من السماء ماء
فاحيا به الارض بعد موتها ان في ذلك لآية لقوم يسمعون بظلمهم بكفرهم ومعاصيهم ما ترك
عليها على الارض من دابة قط ولاهلكها كلها بشؤم ظلم الظالمين وعن ابي هريرة رضي الله عنه انه سمع رجلا يقول ان
الظالم لا يضر الا نفسه فقال بلى والله حتى ان الحبارى لتموت في وكرها بظلم الظالم وعن ابن مسعود رضي الله عنه كاد
الجعل يهلك في جحره بذنب ابن آدم ومن دابة ظالمة وعن ابن عباس رضي الله عنهما من دابة من مشرك يدب عليها
وقيل لو اهلك الآباء بكفرهم لم يكن الابناء ويجعلون لله ما يكرهون لانفسهم من البنات ومن شركاء في رياستهم
ومن الاستخفاف برسلهم والتهاون برسالاتهم ويجعلون له اراذل اموالهم ولاصنامهم اكرمها وتصف ألسنتهم مع
ذلك ان لهم الحسنى عند الله كقوله ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وعن بعضهم انه قال لرجل من ذوي اليسار
كيف تكون يوم القيامة اذا قال الله تعالى هاتوا ما دفع الى السلاطين واعوانهم فيؤتى بالدواب والثياب وانواع الاموال
الفاخرة واذا قال هاتوا ما دفع الي فيؤتى بالكسر والخرق وما لا يؤبه له اما تستحيي من ذلك الموقف وقرأ هذه الآية
وعن مجاهد ان لهم الحسنى هو قول قريش لنا البنون وان لهم الحسنى بدل من الكذب وقرئ الكذب جمع كذوب صفة للالسنة
مفرطون قرئ مفتوح الراء ومكسورها مخففا ومشددا فالمفتوح بمعنى مقدمون الى النار معجلون اليها من افرطت فلانا

وفرطته

وفرطته في طلب الماء اذا قدمته وقيل منسيون متروكون من افرطت فلانا خلفي اذا خلفته ونسيته والمكسور
المخفف من الافراط في المعاصي والمشدد من التفريط في الطاعات وما يلزمهم فهو وليهم اليوم حكاية الحال الماضية
التي كان يزين لهم الشيطان اعمالهم فيها او فهو وليهم في الدنيا فجعل اليوم عبارة عن زمان الدنيا ومعنى وليهم قرينهم وبئس
القرين او يجعل فهو وليهم اليوم حكاية للحال الآتية وهي حال كونهم معذبين في النار اي فهو ناصرهم اليوم لا ناصر لهم غيره
نفيا للناصر لهم على ابلغ الوجوه ويجوز ان يرجع الضمير الى مشركي قريش وانه زين للكفار قبلهم اعمالهم فهو ولي هؤلاء لانهم
منهم ويجوز ان يكون على حذف المضاف اي فهو ولي امثالهم اليوم وهدى ورحمة معطوفان على محل لتبين الا انهما انتصبا
على انهما مفعول لهما لانهما فعلا الذي انزل الكتاب ودخل اللام على لتبين لانه فعل المخاطب لا فعل المنزل وانما ينتصب
مفعولا له ما كان فعل فاعل الفعل المعلل والذي اختلفوا فيه البعث لانه كان فيهم من يؤمن به ومنهم عبد المطلب
واشياء من التحريم والتحليل والانكار والاقرار لقوم يسمعون سماع انصاف وتدبر لان من لم يسمع بقلبه فكأنه اصم لا يسمع
وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا
سائغا للشاربين ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا
حسنا ان في ذلك لآية لقوم يعقلون ذكر سيبويه الانعام في باب ما لا ينصرف في الاسماء المفردة
الواردة على افعال كقولهم ثوب اكياش ولذلك رجع الضمير اليه مفردا واما في بطونها في سورة المؤمنين فلان معناه الجمع ويجوز
ان يقال في الانعام وجهان احدهما ان يكون تكسير نعم كاجبال في جبل وان يكون اسما مفردا مقتضيا لمعنى الجمع كنعم فاذا
ذكر فكما يذكر نعم في قوله: في كل عام نعم تحوونه، يلقحه قوم وتنتجونه، واذا انث ففيه وجهان انه تكسير نعم وانه
في معنى الجمع وقرئ نسقيكم بالفتح والضم وهو استيناف كأنه قيل كيف العبرة فقيل نسقيكم من بين فرث ودم
اي يخلق الله تعالى اللبن وسيطا بين الفرث والدم يكتنفانه وبينه وبينهما برزخ من قدرة الله تعالى لا يبغي احدهما عليه بلون
ولا طعم ولا رائحة بل هو خالص من ذلك كله قيل اذا اكلت البهيمة العلف فاستقر في كرشها طبخته فكان اسفله فرثا
واوسطه لبنا واعلاه دما والكبد مسلطة على هذه الاصناف الثلاثة تقسمها فتجري الدم في العروق واللبن في الضروع وتبقى
الفرث في الكرش فسبحان الله ما اعظم قدرته والطف حكمته لمن تفكر وتامل وسئل شقيق عن الاخلاص فقال تمييز العمل
من العيوب كتمييز اللبن من بين فرث ودم سائغا سهل المرور في الحلق ويقال لم يغص احد باللبن قط وقرئ سيغا بالتشديد
وسيغا بالتخفيف كهين ولين فان قلت اي فرق بين من الاولى والثانية قلت الاولى للتبعيض لان اللبن
بعض ما في بطونها كقولك اخذت من مال زيد ثوبا والثانية لابتداء الغاية لان بين الفرث والدم مكان الاسقاء الذي
منه يبتدئ فهو صلة لنسقيكم كقولك سقيته من الحوض ويجوز ان يكون حالا من قوله لبنا مقدما عليه فيتعلق بمحذوف
اي كائنا من بين فرث ودم الا ترى انه لو تاخر فقيل لبنا من بين فرث ودم كان صفة له وانما قدم لانه موضع العبرة فهو
قمن بالتقديم وقد احتج بعض من يرى ان المني طاهر على من جعله نجسا لجريه في مسلك البول بهذه الآية وانه ليس
بمستنكر ان يسلك مسلك البول وهو طاهر كما خرج اللبن من بين فرث ودم طاهرا فان قلت بم تعلق قوله
ومن ثمرات النخيل والاعناب قلت بمحذوف تقديره ونسقيكم من ثمرات النخيل والاعناب اي من عصيرها وحذف لدلالة
نسقيكم قبله عليه وقوله تتخذون منه سكرا بيان وكشف عن كنه الاسقاء او تعلق بتتخذون ومنه من تكرير الظرف
للتوكيد كقولك زيد في الدار فيها ويجوز ان يكون تتخذون صفة موصوف محذوف كقوله: بكفي كان من ارمى البشر
تقديره ومن ثمرات النخيل والاعناب ثمر تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا لانهم ياكلون بعضها ويتخذون من
بعضها السكر فان قلت فالام يرجع الضمير في منه اذا جعلته ظرفا مكررا قلت الى المضاف
المحذوف الذي هو العصير كما رجع في قوله او هم قائلون الى الاهل المحذوف والسكر الخمر سميت بالمصدر من سكر سكرا
وسكرا نحو رشد رشدا ورشدا قال: وجاؤونا بهم سكر علينا، فاجلى اليوم والسكران صاحي، وفيه وجهان
احدهما ان تكون منسوخة وممن قال نسخها الشعبي والنخعي والثاني ان يجمع بين العتاب والمنة وقيل السكر النبيذ وهو
عصير العنب والزبيب والتمر اذا طبخ حتى يذهب ثلثاه ثم يترك حتى يشتد وهو حلال عند ابي حنيفة الى حد السكر ويحتج بهذه الآية
وبقوله صلى الله عليه وسلم الخمر حرام لعينها والسكر من كل شراب وباخبار جمة ولقد صنف شيخنا ابو علي الجبائي

الاكياش ضرب من الثياب وهو الذي نغزل غزله مرتين قال رحمه الله تعالى عليك بالثوب الاكياش فانه من ثياب الاكياس ه

تمامه هيهات هيهات لما ترجونه اربابه نوكى فلا يحمونه ولا يلاقون طعانا دونه ه

قبله مالك عندي غير سهم وحجر وغير كبداء شديدة الوتر جادت بكفي كان من ارمى البشر ه

غير كتاب في تحليل النبيذ فلما شيخ واخذت منه السن العالية قيل له لو شربت منه ما تتقوى به فابى فقيل له قد صنفت في تحليله فقال تناولته الدعارة فسمج في المروة وقيل السكر الطعم وانشد جعلت اعراض الكرام سكرا اي تنقلت باعراضهم وقيل هو من الخمر وانه اذا ابترك في اعراض الناس فكانه تخمر بها والرزق الحسن الخل والرب والتمر والزبيب وغير ذلك ويجوز ان يجعل السكر رزقا حسنا كانه قيل تتخذون منه ما هو سكر ورزق حسن • وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ

إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ • ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ

فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِي

ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ • [وَاللَّهُ] خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا

يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا ۚ إِنَّ [اللَّهَ] عَلِيمٌ قَدِيرٌ • الايحاء الى النحل الهامها والقذف في قلوبها وتعليمها على وجه هو اعلم به لا سبيل لاحد الى الوقوف عليه والا فتنوقها في صنعتها ولطفها في تدبير امرها واصابتها فيما يصلحها دلايل بينة شاهدة على ان الله تعالى اودعها علما بذلك وفطنها كما اولى اولي العقول عقولهم وقرأ يحيى بن وثاب الى النحل بفتحتين وهو مذكر كالنخل وتانيثه على المعنى • أَنِ اتَّخِذِي هي ان المفسرة لان الايحاء فيه معنى القول وقرئ بيوتا بكسر الباء لاجل الياء ويعرشون بكسر الراء وضمها يرفعون من سقوف البيوت وقيل ما يبنون للنحل في الجبال والشجر والبيوت من الاماكن التي تتعسل فيها والضمير في يعرشون للناس **فان قلت** ما معنى من في قوله ان اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون وهلا قيل في الجبال وفي الشجر **قلت** اريد معنى البعضية وان لا تبنى بيوتها في كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش ولا في كل مكان منها • مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ احاطة بالثمرات التي تجرسها النحل وتعتاد اكلها اي ابني البيوت ثم كلي كل ثمرة تشتهينها فاذا اكلتها فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ اي الطرق التي الهمك والهمك في عمل العسل او فاسلكي ما اكلت في سبل ربك اي في مسالكه التي يحيل فيها بقدرته النور المر عسلا من اجوافك ومنافذ ماكلك او اذا اكلت الثمار في المواضع البعيدة من بيوتك فاسلكي الى بيوتك راجعة سبل ربك لا تتوعر عليك ولا تضلين فيها فقد بلغني انها ربما اجدب عليها ما حولها فتسافر الى البلد البعيد في طلب النجعة او اراد بقوله ثم كلي ثم اقصدي اكل الثمرات فاسلكي في طلبها في مظانها سبل ربك • ذُلُلًا جمع ذلول وهي حال من السبل لان الله تعالى ذللها لها ووطاها وسهلها كقوله هو الذي جعل لكم الارض ذلولا او من الضمير في فاسلكي اي وانت ذلل منقادة لما امرت به غير ممتنعة • شَرَابٌ يريد العسل لانه مما يشرب • مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ منه ابيض واصفر واحمر واسود • فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ لانه من جملة الاشفية والادوية المشهورة النافعة وقل معجون من المعاجين لم يذكر الاطباء فيه العسل وليس الغرض انه شفاء لكل مريض كما ان كل دواء كذلك وتنكيره اما لتعظيم الشفاء الذي فيه او لان فيه بعض الشفاء وكلاهما محتمل وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا جاء اليه فقال ان اخي يشتكي بطنه فقال اسقه العسل فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب فاسقه عسلا فقد صدق الله وكذب بطن اخيك فسقاه فشفاه الله فبرأ كانما نشط من عقال وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه العسل شفاء من كل داء والقرآن شفاء لما في الصدور فعليكم بالشفائين القرآن والعسل ومن بدع تاويلات الرافضة ان المراد بالنحل علي رضي الله عنه وقومه وعن بعضهم انه قال عند المهدي انما النحل بنو هاشم يخرج من بطونهم العلم فقال له رجل جعل الله طعامك وشرابك مما يخرج من بطونهم فضحك المهدي وحدث به المنصور فاتخذوه اضحوكة من اضاحيكهم • إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ الى الخس واحقره وهو خمس وسبعون سنة وعن علي رضي الله عنه وتسعون سنة عن قتادة لانه لا عمر اسوء حالا من عمر الهرم • لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا ليصير الى حالة شبيهة بحال الطفولية في النسيان وان يعلم شيئا ثم يسرع في نسيانه فلا يعلمه ان سئل عنه وقيل لئلا يعقل من بعد عقله الاول شيئا وقيل لئلا يعلم زيادة علم على علمه • [وَاللَّهُ] فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ ۚ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ

فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ ۚ أَفَبِنِعْمَةِ [اللَّهِ] يَجْحَدُونَ • وَ[اللَّهُ] جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ

لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ۚ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ [اللَّهِ]

هُمْ يَكْفُرُونَ • اي جعلكم متفاوتين في الرزق فرزقكم افضل مما رزق مماليككم وهم بشر مثلكم واخوانكم فكان ينبغي ان تردوا فضل ما رزقتموه عليهم حتى تتساووا في المطعم والملبس كما يحكى عن ابي ذر رضي الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انما هم اخوانكم فاكسوهم مما تلبسون واطعموهم مما تطعمون فما رؤي عبده بعد ذلك الا ورداؤه رداؤه وازاره ازاره

تنوق في الامر اي تانق فيه والاسم منه النيقة ٥

قوله تجرسها اي تاكلها والجرس الاكل النحل خاصة لانها تصوت عند الاكل وسميت النحل الجوارس ٥

من

من غير تفاوت • أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ فجعل ذلك من جملة جحود النعمة وقيل هو مثل ضربه الله للذين جعلوا له شركاء فقال لهم انتم لا تسوون بينكم وبين عبيدكم فيما انعمت به عليكم ولا تجعلونهم فيه شركاء ولا ترضون ذلك لانفسكم فكيف رضيتم ان تجعلوا عبيدي لي شركاء وقيل المعنى ان الموالي والمماليك انا رازقهم جميعا فهم في رزقي سواء فلا تحسبن الموالي انهم يردون على مماليكهم من عندهم شيئا من الرزق فانما ذلك رزقي اجريه اليهم على ايديهم وقرئ تجحدون بالتاء والياء • مِّنْ أَنفُسِكُمْ من جنسكم وقيل هو خلق حواء من ضلع آدم والحفدة جمع حافد وهو الذي يحفد اي يسرع في الطاعة والخدمة ومنه قول القانت واليك نسعى ونحفد وقال حفد الولائد بينهن واسلمت باكفهن ازمة الاجمال واختلف فيهم فقيل هم الاختان على البنات وقيل اولاد الاولاد وقيل اولاد المراة من الزوج الاول وقيل المعنى وجعل لكم حفدة اي خدما يحفدون في مصالحكم ويعينونكم ويجوز ان يراد بالحفدة البنون انفسهم كقوله تعالى سكرا ورزقا حسنا كانه قيل وجعل لكم منهن اولادا هم بنون وهم حافدون اي جامعون بين الامرين • مِّنَ الطَّيِّبَاتِ يريد بعضها لان كل الطيبات في الجنة وما طيبات الدنيا الا انموذج منها • أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وهو ما يعتقدون من منفعة الاصنام وبركتها وشفاعتها وما هو الا وهم باطل لم يتوصلوا اليه بدليل ولا امارة فليس لهم ايمان الا به كانه شيء معلوم مستيقن ونعمة الله المشاهدة المعاينة التي لا شبهة فيها لذي عقل وتمييز هم كافرون بها منكرون لها كما ينكر المحال الذي لا يتصوره العقول وقيل الباطل ما يسول لهم الشيطان من تحريم البحيرة والسائبة وغيرها ونعمة الله ما احل لهم • وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ [اللَّهِ] مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ • فَلَا تَضْرِبُوا [لِلَّهِ] الْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ [اللَّهَ] يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ

ضَرَبَ [اللَّهُ] مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ

مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُونَ ۚ [الْحَمْدُ لِلَّهِ] ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ • الرزق يكون بمعنى المصدر وبمعنى ما يرزق فان اردت المصدر نصبت به شيئا كقوله او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما على لا يملك ان يرزق شيئا وان اردت المرزوق كان شيئا بدلا منه بمعنى قليلا ويجوز ان يكون تاكيدا للا يملك اي لا يملك شيئا من الملك ومن السموات والارض صلة للرزق ان كان مصدرا بمعنى لا يرزق من السموات مطرا ولا من الارض نباتا او صفة ان كان اسما لما يرزق والضمير في ولا يستطيعون لما لانه في معنى الآلهة بعدما قيل لا يملك على اللفظ ويجوز ان يكون للكفار يعني ولا يستطيع هؤلاء مع انهم احياء متصرفون اولو الالباب من ذلك شيئا فكيف بالجماد الذي لا حس به **فان قلت** ما معنى قوله ولا يستطيعون بعد قوله لا يملك وهل هما الا شيء واحد **قلت** ليس في لا يستطيعون تقدير راجع وانما المعنى لا يملكون ان يرزقوا والاستطاعة منفية عنهم اصلا لانهم موات الا ان يقدر الراجع ويراد بالجمع بين نفي الملك والاستطاعة التوكيد او يراد انهم لا يملكون الرزق ولا يمكنهم ان يملكوه ولا يتأتى ذلك منهم ولا يستقيم • فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ تمثيل للاشراك بالله والتشبيه به لان من يضرب الامثال مشبه حالا بحال وقصة بقصة • إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ كنه ما تفعلون وعظمه وهو معاقبكم عليه بما يوازيه في العظم لان العقاب على مقدار الاثم وانتم لا تعلمون كنهه وكنه عقابه فذلك هو الذي جركم اليه وجرأكم عليه فهو تعليل للنهي عن الشرك ويجوز ان يراد فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم كيف تضرب الامثال وانتم لا تعلمون ثم علمهم كيف تضرب فقال مثلكم في اشراككم بالله الاوثان مثل من سوى بين عبد مملوك عاجز عن التصرف وبين حر مالك قد رزقه الله مالا فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف يشاء **فان قلت** لم قال مملوكا لا يقدر على شيء وكل عبد مملوك وغير قادر على التصرف **قلت** اما ذكر المملوك فليميز من الحر لان اسم العبد يقع عليهما جميعا لانهما من عباد الله واما لا يقدر على شيء فليجعل غير مكاتب ولا ماذون له لانهما يقدران على التصرف واختلفوا في العبد هل يصح له ملك والمذهب الظاهر انه لا يصح له **فان قلت** من في قوله تعالى ومن رزقناه ما هي **قلت** الظاهر انها موصوفة كانه قيل وحرا رزقناه ليطابق عبدا ولا يمتنع ان تكون موصولة **فان قلت** لم قيل يستوون على الجمع **قلت** معناه هل يستوي الاحرار والعبيد • وَضَرَبَ [اللَّهُ] مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ

مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ

[وَلِلَّهِ] غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ [اللَّهَ] عَلَىٰ كُلِّ

شيء قدير ● اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار
والافئدة لعلكم تشكرون ● الم يروا الى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن الا
الله ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون ● الابكم الذي ولد اخرس فلا يفهم ولا يفهم وهو كل على مولاه اي
ثقل وعيال على من يلي امره ويعوله اينما يوجهه حيثما يرسله ويصرفه في مطلب حاجة او كفاية مهم لم ينفع ولم يأت بنجح هل يستوي
هو ومن هو سليم الحواس نفاع ذو كفايات مع رشد وديانة فهو يأمر الناس بالعدل والخير وهو في نفسه على صراط مستقيم على
سيرة صالحة ودين قويم وهذا مثل ثان ضربه الله تعالى لنفسه ولما يفيض على عباده ويشملهم من آثار رحمته والطافه
ونعمه الدينية والدنيوية وللاصنام التي هي اموات لا تضر ولا تنفع وقرئ اينما يوجه بمعنى يتوجه من قولهم انما اوجه
اي حيث توجه وقرأ ابن مسعود اينما يوجه على البناء للمفعول ولله غيب السموات والارض اي يختص به علم ما غاب فيهما
عن العباد وخفي عليهم علمه او اراد بغيب السموات والارض يوم القيمة على ان علمه غائب من اهل السموات والارض لم يطلع
عليه احد منهم الا كلمح البصر او هو اقرب اي هو عند الله وان تراخى كما تقولون انتم في الشيء الذي تستقربونه هو كلمح
البصر او هو اقرب اي هو عند الله تعالى وان تراخى كما تقولون انتم في الشيء الذي تستقربونه هو كلمح البصر او هو اقرب اذا بالغتم
في استقرابه ونحوه قوله ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون وهو عنده
دان وعندكم بعيد وقيل المعنى ان اقامة الساعة واماتة الاحياء واحياء الاموات من الاولين والآخرين يكون في اقرب وقت
واوحاه ان الله على كل شيء قدير فهو يقدر على ان يقيم الساعة ويبعث الخلق لانه بعض المقدورات ثم دل على قدرته بما بعده قرئ
امهاتكم بضم الهمزة وكسرها والهاء مزيدة في امهات كما زيدت في اراق فقيل اهراق وشذت زيادتها في الواحدة قال
امهتي خندف والياس ابي لا تعلمون شيئا في موضع الحال ومعناه غير عالمين شيئا من حق المنعم الذي خلقكم في البطون وسواكم
وصوركم ثم اخرجكم من الضيق الى السعة وقوله وجعل لكم معناه وما ركب فيكم هذه الاشياء الا آلات لازالة الجهل الذي
ولدتم عليه واجتلاب العلم والعمل به من شكر المنعم وعبادته والقيام بحقوقه والترقي الى ما يسعدكم والافئدة في فؤاد كالاغربة
في غراب وهو من جموع القلة التي جرت مجرى جموع الكثرة والقلة اذ لم يرد في السماع غيرها كما جاء شسوع في جمع شسع لا غير
فجرت ذلك المجرى قرئ الم تروا بالتاء والياء مسخرات مذللات للطيران بما خلق لها من الاجنحة والاسباب المواتية
لذلك في جو السماء في الهواء المتباعد من الارض في سمت العلو والسكاك ابعد منه واللوح مثله ما يمسكهن في قبضهن وبسطهن
ووقوفهن الا الله بقدرته ● والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الانعام
بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم ومن اصوافها واوبارها واشعارها اثاثا
ومتاعا الى حين ● والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال اكنانا وجعل لكم
سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون ● فان تولوا
فانما عليك البلاغ المبين ● يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها واكثرهم الكافرون ●
من بيوتكم التي تسكنونها من الحجر والمدر والاخبية وغيرها والسكن فعل بمعنى مفعول وهو ما يسكن اليه وينقطع اليه من بيت
او الف بيوتا هي القباب والابنية من الادم والانطاع تستخفونها ترونها خفيفة المحمل في الضرب والنقض والنقل يوم
ظعنكم ويوم اقامتكم اي يوم ترحلون خف عليكم حملها ونقلها ويوم تنزلون وتقيمون في مكان لم يثقل عليكم ضربها او هي خفيفة
عليكم في اوقات السفر والحضر جميعا على ان اليوم بمعنى الوقت ومتاعا وشيئا ينتفع به الى حين الى ان تقضوا منه اوطاركم
او الى ان يبلى ويفنى او الى ان تموتوا وقرئ يوم ظعنكم بالسكون مما خلق من جميع الشجر وسائر المستظلات اكنانا جمع
كن وهو ما يستكن به من البيوت المنحوتة في الجبال والغيران والكهوف سرابيل هي القمصان والثياب من الصوف والكتان
والقطن وغيرها تقيكم الحر لم يذكر البرد لان الوقاية من الحر اهم عندهم وقل ما يهمهم البرد لكونه يسيرا محتملا وقيل
ما يقي من الحر يقي من البرد فدل ذكر الحر على البرد وسرابيل تقيكم بأسكم يريد الدروع والجواشن والسربال عام يقع على
ما كان من حديد وغيره لعلكم تسلمون اي تنظرون في نعمه الفائضة فتؤمنون به وتنقادون له وقرئ تسلمون من السلامة
اي تشكرون فتسلمون من العذاب وتسلم قلوبكم من الشرك وقيل تسلمون من الجراح بلبس الدروع فان تولوا
فلم يقبلوا منك فقد تمهد عذرك بعد ما اديت ما وجب عليك من التبليغ فذكر سبب العذر وهو البلاغ ليدل على المسبب

يعرفون

يعرفون نعمة الله التي عددناها حيث يعترفون بها وانها من الله تعالى ثم ينكرونها بعبادتهم غير المنعم بها وقولهم هي من الله
ولكنها بشفاعة آلهتنا وقيل انكارهم قولهم ورثناها من آبائنا وقيل قولهم لولا فلان ما اصبت كذا لبعض
نعم الله عز وجل وانما لا يجوز التكلم بنحو هذا اذا لم يعتقد انها من الله وانه اجراها على يد فلان وجعله سببا في نيلها واكثرهم
الكافرون اي الجاحدون غير المعترفين وقيل نعمة الله نبوة محمد صلى الله عليه وسلم كانوا يعرفونها ثم ينكرونها
عنادا واكثرهم الجاحدون المنكرون بقلوبهم فان قلت ما معنى ثم قلت الدلالة على ان انكارهم
امر مستبعد بعد حصول المعرفة لان حق من عرف النعمة ان يعترف لا ان ينكر ● ويوم نبعث من كل امة شهيدا
ثم لا يؤذن للذين كفروا ولا هم يستعتبون ● واذا رأى الذين ظلموا العذاب فلا
يخفف عنهم ولا هم ينظرون ● واذا رأى الذين اشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء
شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون ● والقوا الى الله
يومئذ السلم وضل عنهم ما كانوا يفترون ● شهيدا نبيها يشهد لهم وعليهم بالايمان والتصديق والكفر
والتكذيب ثم لا يؤذن للذين كفروا في الاعتذار والمعنى لا حجة لهم فدل بترك الاذن على ان لا حجة لهم ولا عذر وكذا عن
الحسن ولا هم يستعتبون ولا هم يسترضون اي لا يقال لهم ارضوا ربكم لان الآخرة ليست بدار عمل فان قلت
فما معنى ثم هذه قلت معناه انهم يمنون بعد شهادة الانبياء عليهم السلام بما هو اطم منها وهو انهم يمنعون الكلام
فلا يؤذن لهم في القاء معذرة ولا ادلاء بحجة وانتصاب اليوم بمحذوف تقديره واذكر يوم نبعث او يوم نبعث وقعوا
فيما وقعوا فيه وكذلك اذا رأوا العذاب بغتهم وثقل عليهم فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون كقوله تعالى بل تأتيهم بغتة
فتبهتهم الآية ان ارادوا بالشركاء آلهتهم فمعنى شركاؤنا آلهتنا التي دعوناها شركاء وان ارادوا الشياطين فلانهم
شركاؤهم في الكفر وقرناؤهم في الغي وندعوا بمعنى نعبد فان قلت لم قالوا انكم لكاذبون وكانوا يعبدونهم على
الصحة قلت لما كانوا غير راضين بعبادتهم فكان عبادتهم لم تكن عبادة والدليل عليه قول الملائكة كانوا يعبدون
الجن يعنون ان الجن كانوا راضين بعبادتهم لا نحن فهم المعبودون دوننا او كذبوهم في تسميتهم شركاء وآلهة تنزيها لله
من الشريك وان اريد بالشركاء الشياطين جاز ان يكونوا كاذبين في قولهم انكم لكاذبون كما يقول الشيطان اني
كفرت بما اشركتمون من قبل والقوا يعني الذين ظلموا والقاء السلم الاستسلام لامر الله وحكمه بعد الاباء والاستكبار
في الدنيا وضل عنهم وبطل عنهم ما كانوا يفترون من ان لله شركاء وانهم ينصرونهم ويشفعون لهم حين كذبوهم وتبرؤوا
منهم ● الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا
يفسدون ● ويوم نبعث في كل امة شهيدا عليهم من انفسهم وجئنا بك شهيدا على
هؤلاء ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ● ان الله
يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم
لعلكم تذكرون ● الذين كفروا في انفسهم وحملوا غيرهم على الكفر يضاعف الله عقابهم كما ضاعفوا كفرهم
وقيل في زيادة عذابهم حيات امثال البخت وعقارب امثال البغال تلسع احداهن اللسعة فيجد صاحبها
حمتها اربعين خريفا وقيل يخرجون من النار الى الزمهرير فيبادرون من شدة برده الى النار بما كانوا يفسدون بكونهم
مفسدين الناس بصدهم عن سبيل الله شهيدا عليهم من انفسهم يعني نبيهم لانه كان يبعث انبياء الامم فيهم منهم
وجئنا بك يا محمد على هؤلاء على امتك تبيانا بيانا بليغا ونظير تبيان تلقاء في كسر اوله وقد جوز الزجاج فتحه في غير
القرآن فان قلت كيف كان القرآن تبيانا لكل شيء قلت المعنى انه بين كل شيء من امور الدين حيث كان
نصا على بعضها واحالة على السنة حيث امر فيه باتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وطاعته وقيل وما ينطق عن الهوى
وحثا على الاجماع في قوله ويتبع غير سبيل المؤمنين وقد رضي رسول الله صلى الله عليه وسلم لامته اتباع اصحابه والاقتداء
بآثارهم في قوله اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وقد اجتهدوا وقاسوا ووطؤوا طرق القياس والاجتهاد فكانت السنة
والاجماع والقياس والاجتهاد مستندة الى تبيان الكتاب فمن ثم كان تبيانا لكل شيء العدل هو الواجب لان الله تعالى
عدل فيه على عباده فجعل ما فرضه عليهم واقعا تحت طاقتهم والاحسان الندب وانما علق امره بهما جميعا لان الفرض لا بد

من ان يقع فيه تفريط فيجبره الندب ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن علمه الفرائض فقال والله لا زدت فيها
ولا نقصت افلح ان صدق فعقد الفلاح بشرط الصدق والسلامة من التفريط وقال صلى الله عليه وسلم استقيموا ولن
تحصوا فما ينبغي ان يترك ما يجبر كسر التفريط من النوافل والفواحش ما جاوز حدود الله تعالى والمنكر ما تنكره العقول
والبغي طلب التطاول بالظلم وحين اسقطت من الخطب لعنة الملاعين على امير المؤمنين علي رضي الله عنه اقيمت هذه
الاية مقامها ولعمري انها كانت فاحشة ومنكرا وبغيا ضاعف الله لمن سنها غضبا ونكالا وخزيا اجابة لدعوة نبيه
وعاد من عاداه وكانت سبب اسلام عثمان بن مظعون رضي الله عنه وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم
ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ان الله يعلم ما تفعلون
ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا تتخذون ايمانكم دخلا بينكم ان تكون
امة هي اربى من امة انما يبلوكم الله به وليبينن لكم يوم القيمة ما كنتم فيه تختلفون
عهد الله هي البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ولا تنقضوا الايمان
البيعة بعد توكيدها اي بعد توثيقها باسم الله واكد ووكد لغتان فصيحتان والاصل الواو والهمزة بدل كفيلا شاهدا
ورقيبا لان الكفيل مراع لحال المكفول به مهيمن عليه ولا تكونوا في نقض الايمان كالمراة التي انحت على غزلها بعد ان
احكمته وابرمته فجعلته انكاثا جمع نكث وهو ما ينكث فتله قيل هي ريطة بنت سعد بن تيم وكانت خرقاء اتخذت
مغزلا قدر ذراع وصنارة مثل اصبع وفلكة عظيمة على قدرها فكانت تغزل هي وجواريها من الغداة الى الظهر ثم تامرهن
فينقضن ما غزلن تتخذون حال ودخلا احد مفعولي تتخذ يعني ولا تنقضوا ايمانكم متخذيها دخلا بينكم اي مفسدة
ودغلا ان تكون امة بسبب ان تكون امة يعني جماعة قريش هي اربى من امة هي ازيد عددا واوفر مالا من امة من جماعة
المؤمنين انما يبلوكم الله به الضمير لقوله ان تكون امة لانه في معنى المصدر اي انما يختبركم بكونهم اربى لينظر اتتمسكون بحبل
الوفاء بعهد الله وما عقدتم على انفسكم ووكدتم من ايمان البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ام تغترون بكثرة قريش وثروتهم
وقوتهم وقلة المؤمنين وفقرهم وضعفهم وليبينن لكم انذار وتحذير من مخالفة ملة الاسلام ولو شاء
الله لجعلكم امة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء ولتسألن عما كنتم
تعملون ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم
عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا انما عند الله هو
خير لكم ان كنتم تعلمون ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا اجرهم
باحسن ما كانوا يعملون ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة حنيفة مسلمة على طريق الالجاء والاضطرار وهو قادر
على ذلك ولكن الحكمة اقتضت ان يضل من يشاء وهو ان يخذل من علم انه يختار الكفر ويصمم عليه ويهدي من يشاء
وهو ان يلطف بمن علم انه يختار الايمان يعني انه بنى الامر على الاختيار وعلى ما يستحق به اللطف والخذلان والثواب
والعقاب ولم يبنه على الاجبار الذي لا يستحق به شيء من ذلك وحققه بقوله ولتسألن عما كنتم تعملون ولو كان هو
المضطر الى الضلال والاهتداء لما اثبت لهم عملا يسألون عنه ثم كرر النهي عن اتخاذ الايمان دخلا بينهم تاكيدا عليهم واظهارا
لعظم ما يركب منه فتزل قدم بعد ثبوتها فتزل اقدامكم عن محجة الاسلام بعد ثبوتها عليها وتذوقوا السوء في الدنيا
بصدودكم عن سبيل الله وخروجكم من الدين او بصدكم غيركم لانهم لو نقضوا ايمان البيعة وارتدوا لاتخذوا نقضها سنة
لغيرهم يستنون بها ولكم عذاب عظيم في الاخرة كان قوما ممن اسلم بمكة زين لهم الشيطان لجزعهم ما راوا من غلبة
قريش واستضعافهم المسلمين وايذائهم لهم ولما كانوا يعدونهم ان رجعوا من المواعيد ان ينقضوا ما بايعوا عليه رسول الله
صلى الله عليه وسلم فثبتهم الله تعالى ولا تشتروا ولا تستبدلوا بعهد الله وبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمنا قليلا
عرضا من الدنيا يسيرا وهو ما كانت قريش يعدونهم ويمنونهم ان رجعوا ان ما عند الله من اظهاركم وتغنيمكم ومن
ثواب الاخرة خير لكم ما عندكم من اعراض الدنيا ينفد وما عند الله من خزائن رحمته باق لا ينفد وقرئ لنجزين بالنون والياء
الذين صبروا على اذى المشركين ومشاق الاسلام **فان قلت** لم وحدت القدم ونكرت **قلت** لاستعظام
ان تزل قدم واحدة عن طريق الحق بعد ان ثبتت عليه فكيف باقدام كثيرة من عمل صالحا من ذكر او انثى

قال عند استماعها والله ان فيه لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وما هو بكلام بشر وقال ابو جهل ان الهه ليامر بمكارم الاخلاق

وهو

وهو مؤمن فلنحيينه حيوة طيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون فاذا
قرات القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم انه ليس له سلطان على الذين آمنوا
وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون
فان قلت من متناول في نفسه للذكر والانثى فما معنى تبيينه بهما **قلت** هو مبهم صالح على الاطلاق
للنوعين الا انه اذا ذكر كان الظاهر تناوله للذكور فقيل من ذكر او انثى على التبيين ليعم الموعد النوعين جميعا حيوة طيبة
يعني في الدنيا وهو الظاهر لقوله ولنجزينهم وعده الله ثواب الدنيا والاخرة كقوله فاتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب
الاخرة وذلك ان المؤمن مع العمل الصالح موسرا كان او معسرا يعيش عيشا طيبا ان كان موسرا فلا مقال
فيه وان كان معسرا فمعه ما يطيب عيشه وهو القناعة والرضا بقسمة الله واما الفاجر فامره على العكس ان كان معسرا
فلا اشكال في امره وان كان موسرا فالحرص لا يدعه ان يتهنا بعيشه وعن ابن عباس رضي الله عنهما الحيوة الطيبة الرزق
الحلال وعن الحسن القناعة وعن قتادة يعني في الجنة وقيل يعني هي حلاوة الطاعة والتوفيق في قلبه لما ذكر العمل
الصالح ووعد عليه وصل به قوله فاذا قرات القرآن فاستعذ بالله ايذانا بان الاستعاذة من جملة الاعمال الصالحة التي
يجزل الله تعالى عليها الثواب والمعنى فاذا اردت قراءة القرآن فاستعذ بالله كقوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا
وجوهكم وكقولك اذا اكلت فسم الله **فان قلت** لم عبر عن ارادة الفعل بلفظ الفعل **قلت** لان الفعل يوجد
عند القصد والارادة بغير فاصل وعلى حسبه فكان منه بسبب قوي وملابسة ظاهرة وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
قرات على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت اعوذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم فقال لي يا ابن ام عبد قل اعوذ بالله من الشيطان
الرجيم هكذا اقرانيه جبريل عن القلم عن اللوح المحفوظ ليس له سلطان اي تسلط وولاية على اولياء الله تعالى يعني انهم لا يقبلون
منه ولا يطيعونه فيما يريد منهم من اتباع خطواته انما سلطانه على من يتولاه ويطيعه به مشركون الضمير يرجع الى ربهم ويجوز
ان يرجع الى الشيطان على معنى بسببه واذا بدلنا آية مكان آية والله اعلم بما ينزل قالوا انما
انت مفتر بل اكثرهم لا يعلمون قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا
وهدى وبشرى للمسلمين ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون
اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين تبديل الاية مكان الاية هو النسخ والله تعالى ينسخ الشرائع بالشرائع
لانها مصالح وما كان مصلحة امس يجوز ان يكون مفسدة اليوم وخلافه مصلحة والله عز وجل عالم بالمصالح والمفاسد فيثبت ما يشاء
وينسخ ما يشاء بحكمته وهذا معنى قوله والله اعلم بما ينزل قالوا انما انت مفتر وجدوا مدخلا للطعن فطعنوا وذلك لجهلهم وبعدهم
عن العلم بالناسخ والمنسوخ وكانوا يقولون ان محمدا يسخر من اصحابه يامرهم اليوم بامر وينهاهم عنه غدا فياتيهم بما هو اهون ولقد
افتروا فقد كان ينسخ الاشق بالاهون والاهون بالاشق والاهون بالاهون والاشق بالاشق لان الغرض المصلحة لا الهوان
والمشقة **فان قلت** هل في ذكر تبديل الاية بالاية دليل على ان القرآن انما ينسخ بمثله ولا يصح بغيره من السنة والاجماع
والقياس **قلت** فيه ان قرآنا ينسخ بمثله وليس فيه نفي نسخه بغيره على ان السنة المكشوفة المتواترة مثل القرآن في
ايجاب العلم فنسخه بها كنسخه بمثله واما الاجماع والقياس والسنة غير المقطوع بها فلا يصح نسخ القرآن بها وفي ينزل وننزل
وما فيهما من التنزيل شيئا فشيئا على حسب الحوادث والمصالح اشارة الى ان التبديل من باب المصالح كالتنزيل وان ترك
النسخ بمنزلة انزاله دفعة واحدة في خروجه عن الحكمة وروح القدس جبريل عليه السلام اضيف الى القدس وهو الطهر كما يقال
حاتم الجود وزيد الخير والمراد الروح المقدس والمقدس المطهر من الماثم وقرئ بضم الدال وسكونها بالحق في موضع الحال اي نزله
ملتبسا بالحكمة يعني ان النسخ من جملة الحق ليثبت الذين آمنوا ليبلوهم بالنسخ حتى اذا قالوا فيه هو الحق من ربنا والحكمة
حكم لهم بثبات القدم وصحة اليقين وطمانينة القلوب على ان الله تعالى حكيم فلا يفعل الا ما هو حكمة وصواب وهدى وبشرى
مفعول لهما معطوفان على محل ليثبت والتقدير تثبيتا وارشادا وبشارة وفيه تعريض بحصول اضداد هذه الخصال لغيرهم
وقرئ ليثبت بالتخفيف اراد وا بالبشر غلاما كان لحويطب بن عبد العزى قد اسلم وحسن اسلامه اسمه عايش او يعيش وكان
صاحب كتب وقيل هو جبر غلام رومي كان لعامر بن الحضرمي وقيل عبدان جبر ويسار كانا يصنعان السيوف بمكة
ويقرآن التوراة والانجيل وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مر وقف عليهما يسمع ما يقرآن فقالوا يعلمانه فقيل لاحدهما

فقال بل هو يعلمني وقيل سلمان الفارسي واللسان اللغة ويقال لحد القبر والحده وهو ملحد وملحود اذا امال حفره عن الاستقامة فحفر في شق منه ثم استعير لكل امالة عن استقامة فقالوا الحد فلان في قوله والحد في دينه ومنه الملحد لانه امال مذهبه عن الاديان كلها لم يمله عن دين الى دين والمعنى لسان الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة اليه لسان اعجمي غير بين وهذا القرآن لسان عربي مبين ذو بيان وفصاحة ردا لقولهم وابطالا لطعنهم وقرئ يلحدون بفتح الياء والحاء وفي قراءة الحسن اللسان الذي يلحدون اليه بتعريف اللسان

فان قلت الجملة التي هي قوله لسان الذي يلحدون اليه اعجمي ما محلها قلت لا محل لها لانها مستانفة جواب لقولهم ومثله قوله الله اعلم حيث يجعل رسالاته بعد قوله واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله

ان الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله ولهم عذاب اليم انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله واولئك هم الكاذبون من كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم

ان الذين لا يؤمنون بآيات الله اي يعلم الله تعالى منهم انهم لا يؤمنون لا يهديهم الله لا يلطف بهم لانهم من اهل الخذلان في الدنيا والعذاب في الآخرة لا من اهل اللطف والثواب انما يفترى الكذب رد لقولهم انما انت مفتر يعني انما يليق افتراء الكذب بمن لا يؤمن لانه لا يترقب عقابا عليه واولئك اشارة الى قريش هم الكاذبون اي هم الذين لا يؤمنون فهم الكاذبون او الى الذين لا يؤمنون اي اولئك هم الكاذبون على الحقيقة الكاملون في الكذب لان تكذيب آيات الله تعالى اعظم الكذب او اولئك هم الذين عادتهم الكذب لا يبالون به في كل شيء لا تحجبهم عنه مروءة ولا دين او اولئك هم الكاذبون في قولهم انما انت مفتر من كفر بدل من الذين لا يؤمنون بآيات الله على ان يجعل واولئك هم الكاذبون اعتراضا بين البدل والمبدل منه والمعنى انما يفترى الكذب من كفر بالله من بعد ايمانه واستثنى منهم المكره فلم يدخل تحت حكم الافتراء ثم قال ولكن من شرح بالكفر صدرا اي طاب به نفسا واعتقده فعليهم غضب من الله ويجوز ان يكون بدلا من المبتدا الذي هو اولئك على تقدير من كفر بالله من بعد ايمانه ويجوز ان ينتصب على الذم وقد جوزوا ان يكون من كفر بالله شرطا مبتدأ ويحذف جوابه لان جواب من شرح دال عليه كانه قيل من كفر بالله فعليهم غضب

روي ان ناسا من اهل مكة فتنوا فارتدوا عن الاسلام بعد دخولهم فيه وكان فيهم من اكره فاجرى كلمة الكفر على لسانه وهو معتقد للايمان منهم عمار وابواه ياسر وسمية وصهيب وبلال وخباب وسالم عذبوا فاما سمية فقد ربطت بين بعيرين ووجئ في قبلها بحربة وقالوا انك اسلمت من اجل الرجال فقتلت وقتل ياسر وهما اول قتيلين في الاسلام واما عمار فقد اعطاهم ما ارادوا بلسانه مكرها فقيل يا رسول الله ان عمارا كفر فقال صلى الله عليه وسلم كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه وقال ما لك ان عادوا لك فعد لهم بما قلت ومنهم جبر مولى الحضرمي اكرهه سيده فكفر ثم اسلم مولاه واسلم وحسن اسلامهما وهاجرا

فان قلت اي الفعلين افضل فعل عمار ام فعل ابويه قلت بل فعل ابويه لان في ترك التقية والصبر على القتل اعزازا للاسلام وقد روي ان مسيلمة اخذ رجلين فقال لاحدهما ما تقول في محمد قال رسول الله قال فما تقول في قال انت ايضا فخلاه وقال للآخر ما تقول في محمد قال رسول الله قال فما تقول في قال انا اصم فاعاد عليه ثلاثا فاعاد جوابه فقتله فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اما الاول فقد اخذ برخصة الله واما الثاني فقد صدع بالحق فهنيئا له

ذلك بانهم استحبوا الحيوة الدنيا على الآخرة وان الله لا يهدي القوم الكافرين اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم واولئك هم الغافلون لا جرم انهم في الآخرة هم الخاسرون ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم

ذلك اشارة الى الوعيد وان الغضب والعذاب يلحقانهم بسبب استحبابهم الدنيا على الآخرة واستحقاقهم خذلان الله بكفرهم اولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة الذين لا احد اغفل منهم لان الغفلة عن تدبر العواقب هي غاية الغفلة ومنتهاها ثم ان ربك دلالة على تباعد حال هؤلاء من حال اولئك وهم عمار واصحابه ومعنى ان ربك لهم انه لهم لا عليهم بمعنى انه وليهم وناصرهم لا عدوهم وخاذلهم كما يكون الملك للرجل

لا عليه فيكون محميا منفوعا غير مضرور من بعد ما فتنوا بالعذاب والاكراه على الكفر وقرئ فتنوا على البناء للفاعل اي بعد ما عذبوا المؤمنين كالحضرمي واشباهه من بعدها من بعد هذه الافعال وهي الهجرة والجهاد والصبر

يوم تاتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة ياتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ظالمون

يوم منصوب برحيم او باضمار اذكر فان قلت ما معنى النفس المضافة الى النفس قلت يقال لعين الشيء وذاته نفسه وفي نقيضه غيره والنفس الجملة كما هي فالنفس الاولى هي الجملة والثانية عينها وذاتها فكانه قيل يوم ياتي كل انسان يجادل عن ذاته لا يهمه شان غيره كل يقول نفسي نفسي ومعنى المجادلة عنها الاعتذار عنها كقولهم هؤلاء اضلونا ما كنا مشركين ونحو ذلك وضرب الله مثلا قرية اي جعل القرية التي هذه حالها مثلا لكل قوم انعم الله عليهم فابطرتهم النعمة فكفروا وتولوا فانزل الله تعالى بهم نقمته فيجوز ان تراد قرية مقدرة على هذه الصفة وان يكون في قرى الاولين قرية كانت هذه حالها فضربها الله تعالى مثلا لمكة انذارا لها من مثل عاقبتها مطمئنة لا يزعجها خوف لان الطمانينة مع الامن والانزعاج والقلق مع الخوف رغدا واسعا والانعم جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وادرع او جمع نعم كبؤس وابؤس وفي الحديث نادى منادي النبي صلى الله عليه وسلم بالموسم بمنى انها ايام طعم ونعم فلا تصوموا فان قلت الاذاقة واللباس استعارتان فما وجه صحتهما والاذاقة المستعارة موقعة على اللباس المستعار فما وجه صحة ايقاعها عليه قلت اما الاذاقة فقد جرت عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها في البلايا والشدائد وما يمس الناس منها فيقولون ذاق فلان البؤس والضر واذاقه العذاب شبه ما يدرك من اثر الضرر والالم بما يدرك من طعم المر والبشع واما اللباس فقد شبه به لاشتماله على اللابس ما غشي الانسان والتبس به من بعض الحوادث واما ايقاع الاذاقة على لباس الجوع والخوف فلانه لما وقع عبارة عما يغشى منهما ويلابس فكانه قيل فاذاقهم ما غشيهم من الجوع والخوف ولهم في نحو هذا طريقان لا بد من الاحاطة بهما فان الاستنكار لا يقع الا لمن فقدهما احدهما ان ينظروا فيه الى المستعار له كما نظر اليه ههنا ومنه قول كثير

غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا ... غلقت لضحكته رقاب المال

استعار الرداء للمعروف لانه يصون عرض صاحبه صون الرداء لما يلقى عليه ووصفه بالغمر الذي هو وصف المعروف والنوال لا صفة الرداء نظرا الى المستعار له والثاني ان ينظروا فيه الى المستعار كقوله

ينازعني ردائي عبد عمرو ... رويدك يا اخا عمرو بن بكر
لي الشطر الذي ملكت يميني ... ودونك فاعتجر منه بشطر

اراد بردائه سيفه ثم قال فاعتجر منه بشطر فنظر الى المستعار في لفظ الاعتجار ولو نظر اليه فيما نحن فيه لقيل فكساهم لباس الجوع والخوف ولقال كثير ضافي الرداء اذا تبسم ضاحكا وهم ظالمون في حال التباسهم بالظلم كقوله الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي انفسهم نعوذ بالله تعالى من مفاجاة النقمة والموت على الغفلة وقرئ والخوف عطفا على اللباس او على تقدير حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه اصله ولباس الخوف وقرئ لباس الخوف والجوع

فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمة الله ان كنتم اياه تعبدون انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع قليل ولهم عذاب اليم

لما وعظهم بما ذكر من حال القرية وما اوتيت به من كفرها وسوء صنيعها وصل بذلك الفاء في قوله فكلوا صدهم عن افعال الجاهلية ومذاهبهم الفاسدة التي كانوا عليها بان امرهم باكل ما رزقهم الله من الحلال الطيب وشكر انعامه بذلك وقال ان كنتم اياه تعبدون يعني تطيعون او ان صح زعمكم انكم تعبدون الله بعبادة الآلهة لانها شفعاؤكم عنده ثم عدد عليهم محرمات الله ونهاهم عن تحريمهم وتحليلهم باهوائهم وجهالاتهم دون اتباع ما شرع الله تعالى على لسان انبيائه وانتصاب الكذب بلا تقولوا على ولا تقولوا الكذب لما تصفه السنتكم من البهائم بالحل والحرمة في قولكم ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا من غير استناد ذلك الوصف الى وحي من الله او الى قياس مستند اليه واللام مثلها في قولك ولا تقولوا لما احل الله هو حرام وقوله هذا حلال وهذا حرام بدل من الكذب

ويجوز ان يتعلق تصف على ارادة القول اي ولا تقولوا الكذب لما تصف السنتكم فتقولوا هذا حلال وهذا حرام وان
تنتصب الكذب بتصف وتجعل ما مصدرية وتعلق هذا حلال وهذا حرام بلا تقولوا اي ولا تقولوا هذا حلال وهذا
حرام لوصف السنتكم الكذب اي ولا تحرموا ولا تحللوا لاجل قول تنطق به السنتكم ويجول في افواهكم لا لاجل حجة
وبينة ولكن قول ساذج ودعوى فارغة فان قلت ما معنى وصف السنتهم الكذب قلت هو من فصيح
الكلام وبليغه جعل قولهم كانه عين الكذب ومحضه فاذا نطقت به السنتهم فقد حلت الكذب بحليته وصورته بصورته
كقولهم وجهها يصف الجمال وعينها تصف السحر وقرئ الكذب بالجر صفة لما المصدرية كانه قيل لوصفها الكذب
بمعنى الكاذب كقوله تعالى بدم كذب والمراد بالوصف وصفها البهائم بالحل والحرمة وقرئ الكذب جمع كذوب بالرفع
للالسنة وبالنصب على الشتم او بمعنى الكلم الكواذب او هو جمع الكذاب من قولك كذب كذابا ذكره ابن جني
واللام في لتفتروا من التعليل الذي لا يتضمن معنى الغرض متاع قليل خبر مبتدا محذوف اي منفعتهم فيما هم عليه من افعال
الجاهلية منفعة قليلة وعقابها عظيم ● وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل وما
ظلمناهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون ● ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من
بعد ذلك واصلحوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم ● ان ابراهيم كان امة قانتا
حنيفا ولم يك من المشركين ● شاكرا لانعمه اجتبيه وهديه الى صراط مستقيم
ما قصصنا عليك يعني في سورة الانعام بجهالة في موضع الحال اي عملوا السوء جاهلين غير عارفين بالله وبعقابه
او غير متدبرين للعاقبة لغلبة الشهوة عليهم من بعدها من بعد التوبة كان امة فيه وجهان احدهما انه كان وحده
امة من الامم لكماله في جميع صفات الخير كقوله وليس لله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد وعن مجاهد كان مؤمنا وحده
والناس كلهم كفار والثاني ان يكون امة بمعنى مأموم اي يؤمه الناس لياخذوا منه الخير او بمعنى مؤتم به كالرحلة
والنخبة وما اشبه ذلك مما جاء من فعلة بمعنى مفعول فيكون مثل قوله تعالى قال اني جاعلك للناس اماما وروى الشعبي
عن فروة بن نوفل الاشجعي عن ابن مسعود انه قال ان معاذا كان امة قانتا لله فقلت غلطت انما هو ابرهيم صلى الله
عليه وسلم فقال الامة الذي يعلم الخير والقانت المطيع لله ورسوله وكان معاذ كذلك وعن عمر رضي الله عنه انه قال
حين قيل له الا تستخلف لو كان ابو عبيدة حيا لاستخلفته ولو كان معاذ حيا لاستخلفته ولو كان سالم حيا لاستخلفته
فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ابو عبيدة امين هذه الامة ومعاذ امة قانت لله ليس بينه وبين الله
يوم القيمة الا المرسلون وسالم شديد الحب لله لو كان لا يخاف الله لم يعصه وهو ذلك المعنى اي انه كان اماما في الدين
لان الائمة معلموا الخير والقانت القائم بامر الله تعالى والحنيف المائل الى ملة الاسلام غير الزائل عنه ونفى عنه
الشرك تكذيبا لكفار قريش في زعمهم انهم على ملة ابيهم ابرهيم شاكرا لانعمه روي انه كان لا يتغدى الا مع ضيف فلم يجد
ذات يوم ضيفا فاخر غداه فاذا هو بفوج من الملائكة في صورة البشر فدعاهم الى الطعام فخيلوا له ان بهم جذاما فقال الان
وجبت مواكلتكم شكرا لله على انه عافاني وابتلاكم اجتباه اختصه واصطفاه للنبوة وهداه الى صراط مستقيم الى ملة الاسلام
وآتيناه في الدنيا حسنة وانه في الآخرة لمن الصالحين ● ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابرهيم
حنيفا وما كان من المشركين ● انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه وان ربك ليحكم بينهم
يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون ● حسنة عن قتادة هي تنويه الله بذكره حتى ليس من اهل دين الا وهم يتولونه
وقيل الاموال والاولاد وقيل قول المصلي منا كما صليت على ابرهيم وآل ابرهيم لمن الصالحين لمن اهل الجنة ثم اوحينا اليك في ثم
هذه ما فيها من تعظيم منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم واجلال محله والايذان بان اشرف ما اوتي خليل الله ابرهيم عليه السلام
من الكرامة واجل ما اولي من النعمة اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم ملته من قبل انها دلت على تباعد هذا النعت في المرتبة
من بين سائر النعوت التي اثنى الله تعالى عليه بها ● السبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها والمعنى انما جعل
وبال السبت وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه واختلافهم فيه انهم احلوا الصيد فيه تارة وحرموه تارة وكان الواجب عليهم ان
يتفقوا في تحريمه على كلمة واحدة بعدما حتم الله تعالى عليهم الصبر عن الصيد فيه وتعظيمه والمعنى في ذكر ذلك نحو المعنى في ضرب القرية التي
كفرت بانعم الله مثلا وغيرها ذكر وهو الانذار من سخط الله تعالى على العصاة والمخالفين لاوامره والخالعين ربقة طاعته فان قلت

ما معنى الحكم بينهم اذا كانوا جميعا محلين او محرمين قلت معناه انه يجازيهم جزاء اختلاف فعلهم في كونهم محلين تارة
ومحرمين اخرى ووجه آخر وهو ان موسى عليه السلام امرهم ان يجعلوا يوما في الاسبوع للعبادة وان يكون يوم الجمعة فابوا عليه وقالوا
نريد اليوم الذي فرغ الله فيه من خلق السموات والارض وهو السبت الا شرذمة منهم قد رضوا بالجمعة فهذا اختلافهم في السبت لان بعضهم
اختاره وبعضهم اختار عليه الجمعة فاذن الله تعالى لهم في السبت وابتلاهم بتحريم الصيد فيه فاطاع امر الله الراضون بالجمعة فكانوا
لا يصيدون فيه واعقابهم لم يصبروا عن الصيد فمسخهم الله دون اولئك وهو يحكم بينهم يوم القيمة فيجازي كل واحد من الفريقين
بما يستوجبه ومعنى جعل السبت فرض عليهم تعظيمه وترك الاصطياد فيه وقرئ انما جعل السبت على البناء للفاعل وقرأ عبد الله
انا انزلنا السبت ● ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن
ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين ● وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم
به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ● واصبر وما صبرك الا [بالله] ● ولا تحزن عليهم ولا
تك في ضيق مما يمكرون ● ان [الله] مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ● الى سبيل ربك الى
الاسلام بالحكمة بالمقالة المحكمة الصحيحة وهي الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة والموعظة الحسنة وهي التي لا يخفى عليهم انك
تناصحهم بها وتقصد ما ينفعهم فيها ويجوز ان يريد القرآن اي ادعهم بالكتاب الذي هو حكمة وموعظة حسنة وجادلهم بالتي هي
احسن بالطريقة التي هي احسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غير فظاظة ولا تعنيف ان ربك اعلم بهم فمن كان فيه خير
كفاه الوعظ القليل والنصيحة اليسيرة ومن لا خير فيه عجزت عنه الحيل فكانك تضرب منه في حديد بارد سمى الفعل الاول
باسم الثاني للمزاوجة والمعنى ان صنع بكم صنيع سوء من قتل او نحوه فقابلوه بمثله ولا تزيدوا عليه وقرئ وان عقبتم فعقبوا
اي وان قفيتم بالانتصار فقفوا بالمثل لما فعل بكم ● روي ان المشركين مثلوا بالمسلمين يوم احد بقروا بطونهم وقطعوا
مذاكيرهم ما تركوا احدا غير ممثول به الا حنظلة بن الراهب فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمزة رضي الله عنه وقد مثل به
وروي فرآه مبقور البطن فقال اما والذي احلف به لئن اظفرني الله بهم لامثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه
وكف عما اراده ولا خلاف في تحريم المثلة وقد وردت الاخبار بالنهي عنها حتى بالكلب العقور لهو اما ان يرجع الضمير الى
صبرهم وهو مصدر صبرتم ويراد بالصابرين المخاطبون اي ولئن صبرتم لصبركم خير لكم فوضع الصابرون موضع الضمير ثناء
من الله تعالى عليهم بانهم صابرون على الشدائد او وصفهم بالصفة التي تحصل لهم اذا صبروا عن المعاقبة واما ان يرجع الى
جنس الصبر وقد دل عليه صبرتم ويراد بالصابرين جنسهم كانه قيل وللصبر خير للصابرين ونحوه قوله عز وعلا فمن عفا واصلح فاجره
على الله وان تعفوا اقرب للتقوى ثم قال لرسوله صلى الله عليه وسلم واصبر انت فعزم عليه بالصبر وما صبرك الا بالله اي بتوفيقه
وتثبيته وربطه على قلبه ولا تحزن عليهم اي على الكافرين كقوله تعالى فلا تأس على القوم الكافرين او على المؤمنين وما فعل بهم
الكافرون ولا تك في ضيق وقرئ ولا تكن في ضيق اي ولا يضيقن صدرك من مكرهم والضيق تخفيف الضيق اي
في امر ضيق ويجوز ان يكون الضيق والضيق مصدرين كالقيل والقول ان الله مع الذين اتقوا اي هو ولي الذين
اجتنبوا المعاصي وولي الذين هم محسنون في اعمالهم وعن هرم بن حيان انه قيل له حين احتضر اوص فقال انما الوصية
من المال ولا مال لي واوصيكم بخواتيم سورة النحل ● عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النحل لم يحاسبه الله
عز وجل بما انعم عليه في دار الدنيا وان مات في يوم تلاها او ليلة كان له من الاجر كالذي مات واحسن الوصية ●

سورة بني اسرائيل مكية

وهي مائة وعشر آيات

بسم الله الرحمن الرحيم ● سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد
الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير ●
سبحان علم للتسبيح كعثمان للرجل وانتصابه بفعل مضمر متروك اظهاره تقديره اسبح الله سبحان ثم نزل سبحان منزلة
الفعل فسد مسده ودل على التنزيه البليغ من جميع القبائح التي يضيفها اليه اعداء الله واسرى وسرى لغتان وليلا نصب
على الظرف فان قلت الاسرى لا يكون الا بالليل فما معنى ذكر الليل قلت اراد بقوله ليلا بلفظ التنكير

قوله بحذاء سورة النحل من قوله تعالى ان ابرهيم كان امة قانتا الى آخر السورة

تقليل مدة الاسراء وانه اسرى به في بعض الليل من مكة الى الشام مسيرة اربعين ليلة وذلك ان التنكير فيه
قد دل على معنى البعضية ويشهد لذلك قراءة عبد الله وحذيفة من الليل اي بعض الليل كقوله تعالى ومن الليل فتهجد
به نافلة لك يعني الامر بالقيام في بعض الليل واختلف في المكان الذي اسرى به منه فقيل هو المسجد الحرام بعينه وهو الظاهر
وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا انا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان اذ اتاني جبرئيل
بالبراق وقيل اسرى به من دار ام هانئ بنت ابي طالب والمراد بالمسجد الحرام الحرم لاحاطته بالمسجد والتباسه به
وعن ابن عباس رضي الله عنهما الحرم كله مسجد وروي انه كان نائما في بيت ام هانئ بعد صلاة العشاء فاسرى به ورجع
من ليلته وقص القصة على ام هانئ وقال مثل لي النبيون فصليت بهم وقام ليخرج الى المسجد فتشبثت ام هانئ بثوبه
فقال ما لك فقالت اخشى ان يكذبك قومك ان اخبرتهم قال وان كذبوني فخرج وجلس اليه ابو جهل فاخبره رسول الله
صلى الله عليه وسلم بحديث الاسراء فقال ابو جهل يا معشر بني كعب بن لؤي هلم فحدثهم فمن بين مصفق وواضع يده على
راسه تعجبا وانكارا وارتد ناس ممن كان آمن به وسعى رجال الى ابي بكر رضي الله عنه فقال ان كان قال ذلك لقد صدق
قالوا اتصدقه على ذلك قال اني لاصدقه على ابعد من ذلك فسمي الصديق وفيهم من سافر الى ثم فاستنعتوه المسجد فجلي له
بيت المقدس فطفق ينظر اليه وينعته لهم فقالوا اما النعت فقد اصاب فقالوا اخبرنا عن عيرنا فاخبرهم بعدد جمالها
واحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل اورق فخرجوا يشتدون ذلك اليوم نحو الثنية فقال قائل منهم
هذه والله الشمس قد اشرقت فقال آخر وهذه والله العير قد اقبلت يقدمها جمل اورق كما قال محمد ثم لم يؤمنوا وقالوا
ما هذا الا سحر مبين • وقد عرج به الى السماء في تلك الليلة وكان العروج به من بيت المقدس واخبر قريشا ايضا بما راى
في السماء من العجائب وانه لقي الانبياء وبلغ البيت المعمور وسدرة المنتهى واختلفوا في وقت الاسراء فقيل كان قبل الهجرة
بسنة وعن انس والحسن انه كان قبل البعث واختلف في انه كان في اليقظة ام في المنام فعن عائشة رضي الله عنها انها
قالت والله ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن عرج بروحه • وعن معوية انه انما عرج بروحه وعن الحسن كان في
المنام رؤيا رآها واكثر الاقاويل بخلاف ذلك • والمسجد الاقصى بيت المقدس لانه حينئذ لم يكن وراءه مسجد باركنا حوله
يريد بركات الدين والدنيا لانه متعبد الانبياء من وقت موسى عليه السلام ومهبط الوحي وهو محفوف بالانهار الجارية والاشجار
المثمرة وقرأ الحسن ليريه بالياء ولقد تصرف الكلام على لفظ الغائب والمتكلم فقيل اسرى ثم باركنا ثم ليريه على قراءة
الحسن ثم من آياتنا ثم انه هو وهي طريقة الالتفات التي هي من طرق البلاغة انه هو السميع لاقوال محمد صلى الله عليه وسلم
البصير بافعاله العالم بتهذيبها وخلوصها فيكرمه ويقربه على حسب ذلك • وآتينا موسى الكتاب وجعلناه
هدى لبني اسرائيل الا تتخذوا من دوني وكيلا • ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا
ان لا تتخذوا وقرئ بالياء على لئلا يتخذوا وبالتاء على ان لا تتخذوا كقولك كتبت اليه ان افعل كذا وكيلا ربا تكلون
اليه اموركم ذرية من حملنا نصب على الاختصاص وقيل على النداء فيمن قرأ لا تتخذوا بالتاء على النهي يعني قلنا لهم لا تتخذوا
من دوني وكيلا يا ذرية من حملنا مع نوح وقد يجعل وكيلا وذرية من حملنا مفعولي تتخذوا اي لا تجعلوهم اربابا كقوله ولا
يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا ومن ذرية المحمولين مع نوح عيسى وعزير وقرئ ذرية من حملنا بالرفع بدلا
من واو تتخذوا وقرأ زيد بن ثابت رضي الله عنه ذرية بكسر الذال وروي عنه انه فسرها بولد الولد ذكرهم الله تعالى النعمة
في انجائهم من الغرق انه ان نوحا عليه السلام كان عبدا شكورا قيل كان اذا اكل قال الحمد لله الذي اطعمني ولو
شاء اجاعني واذا شرب قال الحمد لله الذي سقاني ولو شاء اظماني واذا اكتسى قال الحمد لله الذي كساني ولو شاء اعراني
واذا احتذى قال الحمد لله الذي حذاني ولو شاء احفاني واذا قضى حاجته قال الحمد لله الذي اخرج عني اذاه في عافية ولو شاء
حبسه وروي انه كان اذا اراد الافطار عرض طعامه على من آمن به فان وجده محتاجا آثره به فان قلت
قوله كان عبدا شكورا ما وجه ملاءمته لما قبله قلت كانه قيل لا تتخذوا من دوني وكيلا ولا تشركوا بي لان نوحا عليه السلام
كان عبدا شكورا وانتم ذرية من آمن به وحمل معه فاجعلوه اسوتكم كما جعله آباؤكم اسوتهم ويجوز ان يكون تعليلا لاختصاصهم
والثناء عليهم بانهم اولاد المحمولين مع نوح فهم متصلون به فاستاهلوا لذلك الاختصاص ويجوز ان يقال ذلك عند ذكره
على سبيل الاستطراد • وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض مرتين ولتعلن

علوا كبيرا • فاذا جاء وعد اولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا اولي باس شديد فجاسوا
خلال الديار وكان وعدا مفعولا • وقضينا الى بني اسرائيل واوحينا اليهم وحيا مقضيا اي مقطوعا
مبتوتا بانهم يفسدون في الارض لا محالة ويعلون اي يتعظمون ويبغون في الكتاب في التورية ولتفسدن جواب
قسم محذوف ويجوز ان يجري القضاء المبتوت مجرى القسم فيكون لتفسدن جوابا له كانه قال واقسمنا لتفسدن وقرئ
لتفسدن على البناء للمفعول ولتفسدن بفتح التاء من فسد مرتين اولاهما قتل زكريا عليه السلام وحبس ارمياء حين انذرهم
سخط الله والآخرة قتل يحيى بن زكريا عليهما السلام وقصد قتل عيسى بن مريم عبادا لنا وقرئ عبيدا لنا واكثر ما يقال
عباد الله وعبيد الناس وهم سنجاريب وجنوده وقيل بخت نصر وعن ابن عباس رضي الله عنهما جالوت قتلوا علماءهم
واحرقوا التورية وخربوا المسجد وسبوا منهم سبعين الفا فان قلت كيف جاز ان يبعث الله تعالى الكفرة على
ذلك ويسلطهم عليه قلت معناه خلينا بينهم وبين ما فعلوا ولم نمنعهم على ان الله عز وعلا اسند بعث الكفرة عليهم الى نفسه
فهو كقوله تعالى وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون وكقول الداعي وخالف بين كلمهم واسند الجوس
وهو التردد خلال الديار بالفساد اليهم فتخريب المسجد واحراق التورية من جملة الجوس المسند اليهم وقرأ طلحة فحاسوا بالحاء
وقرئ فجوسوا وخلل الديار فان قلت ما معنى وعد اولاهما قلت معناه وعد عقاب اولاهما وكان وعدا
مفعولا يعني وكان وعد العقاب وعدا لا بد ان يفعل • ثم رددنا لكم الكرة عليهم وامددناكم باموال وبنين
وجعلناكم اكثر نفيرا • ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اساتم فلها فاذا جاء وعد
الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه اول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا
عسى ربكم ان يرحمكم وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا • ثم رددنا لكم الكرة
اي الدولة والغلبة على الذين بعثوا عليكم حين تبتم ورجعتم عن الفساد والعلو وقيل هي قتل بخت نصر واستنقاذ بني اسرائيل
اسراهم واموالهم ورجوع الملك اليهم وقيل هي قتل داود جالوت اكثر نفيرا مما كنتم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه
وقيل جمع نفر كالعبيد والمعيز اي الاحسان والاساءة كلاهما مختص بانفسكم لا يتعدى النفع والضر الى غيركم وعن علي
رضي الله عنه ما احسنت الى احد ولا اسات اليه وتلاها فاذا جاء وعد الآخرة اي المرة الآخرة بعثناهم ليسوءوا وجوهكم
حذف لدلالة ذكره اولا عليه ومعنى ليسوءوا وجوهكم ليجعلوها بادية آثار المساءة والكآبة فيها كقوله تعالى سيئت وجوه
الذين كفروا وقرئ ليسوء والضمير لله عز وجل او للوعد او للبعث ولنسوء بالنون وفي قراءة علي رضي الله عنه لنسوءن
ولنسوءن وقرئ لنسوءن بالنون الخفيفة واللام في ليدخلوا على هذا متعلق بمحذوف وهو وبعثناهم ليدخلوا وليسوءن
جواب اذا جاء ما علوا مفعول ليتبروا اي ليهلكوا كل شيء غلبوه واستولوا عليه او بمعنى مدة علوهم عسى ربكم ان يرحمكم
بعد المرة الثانية ان تبتم توبة اخرى وانزجرتم عن المعاصي وان عدتم مرة ثالثة عدنا الى عقوبتكم وقد عادوا فاعاد
اليهم النقمة بتسليط الاكاسرة وضرب الاتاوة عليهم • وعن الحسن عادوا فبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فهم يعطون
الجزية عن يد وهم صاغرون وعن قتادة ثم كان آخر ذلك ان بعث الله تعالى عليهم هذا الحي من العرب فهم منهم في عذاب
الى يوم القيمة • حصيرا محبسا يقال للسجن محصر وحصير وعن الحسن بساطا كما يبسط الحصير المرمول • ان هذا القرآن
يهدي للتي هي اقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا وان الذين
لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا لهم عذابا اليما • ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان
الانسان عجولا • للتي اي اقوم للحالة التي هي اقوم الحالات واسدها او للملة او للطريقة واينما قدرت لم تجد مع الاثبات
ذوق البلاغة التي تجده مع الحذف لما في ابهام الموصوف بحذفه من فخامة تفقد مع ايضاحه وقرئ ويبشر بالتخفيف
فان قلت كيف ذكر المؤمنين الابرار والكفار ولم يذكر الفسقة قلت كان الناس حينئذ اما
مؤمن تقي واما مشرك وانما حدث اصحاب المنزلة بين المنزلتين بعد ذلك فان قلت علام عطف ان الذين
لا يؤمنون قلت على ان لهم اجرا كبيرا على معنى انه بشر المؤمنين ببشارتين اثنتين بثوابهم وبعقاب اعدائهم
ويجوز ان يراد ويخبر بان الذين لا يؤمنون معذبون اي ويدعو الله عند غضبه بالشر على نفسه واهله وماله كما يدعوه
لهم بالخير كقوله ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي اليهم اجلهم وكان الانسان عجولا يتسرع الى طلب

كل ما يقع في قلبه ويخطر بباله لا يتأنى فيه تأني المتبصر وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه دفع الى سودة بنت زمعة
اسيرا فاقبل يئن بالليل فقالت له ما لك تئن فشكا الم القد فارخت من كتافه فلما نامت اخرج يده وهرب
فلما اصبح النبي صلى الله عليه وسلم دعا به فاعلم بشانه فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اقطع يديها فرفعت سودة
يديها تتوقع الاجابة وان يقطع الله يديها فقال النبي صلى الله عليه وسلم اني سالت الله ان يجعل لعنتي ودعائي على من لا يستحق
من اهلي رحمة لاني بشر اغضب كما يغضب البشر فلترد سودة يديها ويجوز ان يريد بالانسان الكافر وانه يدعو بالعذاب
استهزاء ويستعجل به كما يدعو بالخير اذا مسته الشدة وكان الانسان عجولا يعني ان العذاب آتيه لا محالة فما هذا
الاستعجال وعن ابن عباس هو النضر بن الحارث قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الآية فاجيب له فضربت عنقه صبرا

وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا
فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا

فيه وجهان احدهما ان يراد ان الليل والنهار آيتان في انفسهما فتكون الاضافة في آية الليل وآية النهار للتبيين
كاضافة العدد الى المعدود اي فمحونا الآية التي هي الليل وجعلنا الآية التي هي النهار مبصرة والثاني ان يراد وجعلنا نيري
الليل والنهار آيتين يريد الشمس والقمر فمحونا آية الليل اي جعلنا الليل ممحو الضوء مطموسه مظلما لا يستبان فيه شيء
كما لا يستبان ما في اللوح الممحو وجعلنا النهار مبصرا اي تبصر فيه الاشياء وتستبان او فمحونا آية الليل التي هي القمر حيث
لم نخلق له شعاعا كشعاع الشمس فترى به الاشياء رؤية بينة وجعلنا الشمس ذات شعاع يبصر في ضوئها كل شيء لتبتغوا
فضلا من ربكم لتتوصلوا ببياض النهار الى استبانة اعمالكم والتصرف في معايشكم ولتعلموا باختلاف الجديدين عدد السنين
وجنس الحساب وما تحتاجون اليه منه ولولا ذلك لما علم احد حسبان الاوقات ولتعطلت الامور وكل شيء مما تفتقرون
اليه في دينكم ودنياكم فصلناه بيناه بيانا غير ملتبس فازحنا عللكم وما تركنا لكم حجة علينا

وكل انسان الزمناه
طائره في عنقه ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم
عليك حسيبا من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ولا تزر وازرة
وزر اخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا

طائره عمله وقد حققنا القول فيه في سورة النمل وعن
ابن عيينة هو من قولك طار له سهم اذا خرج يعني الزمناه ما طار من عمله المعنى ان عمله لازم له لزوم القلادة او الغل لا يفك
عنه ومنه مثل العرب تقلدها طوق الحمامة وقولهم الموت في الرقاب وهذا ربقة في رقبته وعن الحسن رحمه الله تعالى يا ابن آدم
بسطت لك صحيفة اذا بعثت قلدتها في عنقك وقرئ في عنقه بسكون النون وقرئ ونخرج بالنون ويخرج بالياء والضمير
لله عز وجل ويخرج على البناء للمفعول ويخرج من خرج والضمير للطائر اي يخرج الطائر كتابا وانتصاب كتابا على الحال وقرئ يلقاه
بالتشديد مبنيا للمفعول ويلقاه منشورا صفتان للكتاب او يلقاه صفة ومنشورا حال من يلقاه اقرأ على ارادة القول
وعن قتادة يقرأ ذلك اليوم من لم يكن في الدنيا قارئا وبنفسك فاعل كفى وحسيبا تمييز وهو بمعنى حاسب كضريب القداح بمعنى
ضاربها وصريم بمعنى صارم ذكرهما سيبويه وعلى متعلق به من قولك حسب عليه كذا ويجوز ان يكون بمعنى الكافي ووضع موضع
الشهيد فعدي بعلى لان الشاهد يكفي المدعي ما اهمه فان قلت لم ذكر حسيبا قلت لانه بمنزلة الشهيد
والقاضي والامير لان الغالب ان هذه الامور يتولاها الرجال فكانه قيل كفى بنفسك رجلا حسيبا ويجوز ان يتأول النفس
بالشخص كما يقال ثلاثة انفس وكان الحسن اذا قرأها قال يا ابن آدم انصفك والله من جعلك حسيب نفسك اي كل نفس حاملة
وزرا فانما تحمل وزرها لا وزر نفس اخرى وما كنا معذبين وما صح منا صحة تدعو اليها الحكمة ان نعذب قوما الا بعد ان نبعث
اليهم رسولا فتلزمهم الحجة فان قلت الحجة لازمة لهم قبل بعثة الرسول لان معهم ادلة العقل التي بها يعرف الله
وقد اغفلوا النظر وهم متمكنون منه واستيجابهم العذاب لاغفالهم النظر فيما معهم وكفرهم لذلك لا لاغفالهم الشرائع التي
لا سبيل اليها الا بالتوقيف والعمل بها لا يصح الا بعد الايمان قلت بعثة الرسل من جملة التنبيه على النظر والايقاظ
من رقدة الغفلة لئلا يقولوا كنا غافلين فلولا بعثت الينا رسولا ينبهنا على النظر في ادلة العقل

واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا

واذا اردنا واذا دنا وقت اهلاك قوم ولم يبق من زمان امهالهم الا قليل امرناهم ففسقوا اي امرناهم بالفسق ففعلوا

والامر مجاز لان حقيقة امرهم بالفسق ان يقول لهم افسقوا وهذا لا يكون فبقي ان يكون مجازا ووجه المجاز انه صب
عليهم النعمة صبا فجعلوها ذريعة الى المعاصي واتباع الشهوات فكانهم مامورون بذلك لتسبب ايلاء النعمة فيه وانما
خولهم اياها ليشكروا ويعملوا فيها الخير ويتمكنوا من الاحسان والبر كما خلقهم اصحاء اقوياء واقدرهم على الخير والشر وطلب
منهم ايثار الطاعة على المعصية فآثروا الفسوق فلما فسقوا حق عليهم القول وهو كلمة العذاب فدمرهم فان قلت
هلا زعمت ان معناه امرناهم بالطاعة ففسقوا قلت لان حذف ما لا دليل عليه غير جائز فكيف بحذف ما
الدليل قائم على نقيضه وذلك ان المامور به انما حذف لان ففسقوا يدل عليه وهو كلام مستفيض يقال امرته فقام وامرته
فقرأ لا يفهم منه الا ان المامور به قيام او قراءة ولو ذهبت تقدر غيره فقد رمت من مخاطبك علم الغيب ولا يلزم هذا
قولهم امرته فعصاني او فلم يمتثل امري لان ذلك مناف للامر مناقض له ولا يكون ما يناقض الامر مامورا به فكان محالا
ان يقصد اصلا حتى يجعل دالا على المامور به فكان المامور به في هذا الكلام غير مدلول عليه ولا منوي لان من يتكلم بهذا الكلام
فانه لا ينوي لامره مامورا به فكانه يقول كان مني امر فلم تكن منه طاعة كما ان من يقول فلان يعطي ويمنع ويامر وينهى غير
قاصد الى مفعول فان قلت هلا كان ثبوت العلم بان الله لا يامر بالفحشاء وانما يامر بالقسط والخير دليلا على
ان المراد امرناهم بالخير ففسقوا قلت لا يصح ذلك لان قوله ففسقوا يدافعه فكانك اظهرت شيئا وانت تدعي اضمار
خلافه فكان صرف الامر الى المجاز هو الوجه ونظير امر شاء في ان مفعوله استفاض فيه الحذف لدلالة ما بعده عليه
تقول لو شاء لاحسن اليك ولو شاء لاساء اليك تريد لو شاء الاحسان ولو شاء الاساءة فلو ذهبت تضمر
خلاف ما اظهرت وقلت قد دلت حال من اسندت اليه المشيئة انه من اهل الاحسان او من اهل الاساءة فاترك الظاهر
المنطوق به واضمر ما دلت عليه حال صاحب المشيئة لم تكن على سداد وقد فسر بعضهم امرنا بكثرنا وجعل امرته فامر
من باب فعلته ففعل كثبرته فثبر وفي الحديث خير المال سكة مابورة ومهرة مامورة اي كثيرة النتاج وروي ان
رجلا من المشركين قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني ارى امرك هذا حقيرا فقال صلى الله عليه وسلم انه سيامر اي سيكثر
وسيكبر وقرئ آمرنا من امر وآمره غيره وامرنا بمعنى آمرنا او من امر امارة وامره الله اي جعلناهم امراء وسلطناهم

وكم اهلكنا من القرون من بعد نوح وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا

كم مفعول اهلكنا ومن القرون بيان لكم وتمييز له كما يميز العدد بالجنس يعني عادا وثمودا وقرونا بين ذلك كثيرا
ونبه بقوله وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا على ان الذنوب هي اسباب الهلكة لا غير وانه عالم بها فمعاقب عليها

من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها
مذموما مدحورا

من كانت العاجلة همه ولم يرد غيرها كالكفرة واكثر الفسقة تفضلنا عليه من
منافعها بما نشاء لمن نريد فقيد الامر تقييدين احدهما تقييد المعجل بمشيئته والثاني تقييد المعجل له بارادته
وهكذا الحال ترى كثيرا من هؤلاء يتمنون ما يتمنون ولا يعطون الا بعضا منه وكثيرا منهم يتمنون ذلك البعض وقد
حرموه فاجتمع عليهم فقر الدنيا وفقر الآخرة واما المؤمن التقي فقد اختار مراده وهو غنى الآخرة فما يبالي اوتي حظا من الدنيا
او لم يؤت فان اوتي فيها والا فربما كان الفقر خيرا له واعون على مراده وقوله لمن نريد بدل من له وهو بدل البعض من
الكل لان الضمير يرجع الى من وهو في معنى الكثرة وقرئ يشاء وقيل الضمير لله عز وجل فلا فرق اذا بين القراءتين في المعنى
ويجوز ان يكون للعبد على ان للعبد ما يشاء من الدنيا وان ذلك لواحد من الدهماء يريد به الله تعالى ذلك وقيل هو من يريد
الدنيا بعمل الآخرة كالمنافق والمرائي والمهاجر للدنيا والمجاهد للغنيمة والذكر كما قال صلى الله عليه وسلم فمن كانت هجرته الى
الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها او امراة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه
مدحورا مطرودا من رحمة الله تعالى

ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فاولئك
كان سعيهم مشكورا كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك
محظورا انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا

سعيها حقها من السعي وكفاءها من الاعمال الصالحة اشترط ثلاث شرائط في كون السعي مشكورا ارادة الآخرة بان يعقد
بها همه ويتجافى عن دار الغرور والسعي فيما كلف من الفعل والترك والايمان الصحيح الثابت وعن بعض المتقدمين

من لم يكن معه ثلث لم ينفعه عمله إيمان ثابت ونية صادقة وعمل مصيب وتلا هذه الآية وشكر الله الثواب على الطاعة
كلا كل واحد من الفريقين والتنوين عوض من المضاف إليه نمد هؤلاء وهؤلاء نزيدهم من عطائنا ونجعل الآنف منهم مددا
للسالف لا نقطعه فنرزق المطيع والعاصي جميعا على وجه التفضل وما كان عطاء ربك وفضله محظورا أي ممنوعا
لا يمنعه من عاص لعصيانه انظر بعين الاعتبار كيف جعلناهم متفاوتين في التفضل وفي الآخرة التفاوت أكبر
لأنها ثواب وأعواض وتفضل وكلها متفاوتة وروي أن قوما من الأشراف فمن دونهم اجتمعوا بباب عمر رضي الله عنه
فخرج الإذن لبلال وصهيب فشق على أبي سفيان فقال سهيل بن عمرو إنما أتينا من قبلنا إنهم دعوا ودعينا يعني
إلى الإسلام فأسرعوا وأبطأنا وهذا باب عمر فكيف التفاوت في الآخرة ولئن حسدتموهم على باب عمر لما أعد الله
لهم في الجنة أكثر وقرئ وللآخرة أكبر تفضيلا بالتاء وعن بعضهم أيها المباهي بالرفع منك في مجالس الدنيا أما ترغب في
المباهاة بالرفع في مجالس الآخرة وهي أكبر وأفضل ● لا تجعل مع الله إلها آخر فتقعد مذموما
مخذولا ● وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك
الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما
فتقعد من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت كأنها حربة بمعنى صارت يعني فتصير جامعا على نفسك الذم وما يتبعه من
الهلاك من إلهك والخذلان والعجز عن النصرة ممن جعلته شريكا له ● وقضى ربك وأمر أمرا مقطوعا به أن لا تعبدوا
أن مفسرة ولا تعبدوا نهي أو بأن لا تعبدوا وبالوالدين إحسانا وأحسنوا بالوالدين إحسانا أو بأن تحسنوا بالوالدين
إحسانا وقرئ وأوصى وعن ابن عباس ووصى وعن بعض ولد معاذ بن جبل وقضاء ربك ولا يجوز أن تتعلق
الباء في بالوالدين بالإحسان لأن المصدر لا يتقدم عليه صلته إما هي إن الشرطية زيدت عليها ما تأكيدا لها ولذلك
دخلت النون المؤكدة في الفعل ولو أفردت إن لم يصح دخولها لا تقول إن تكرمن زيدا ولكن إما تكرمنه أحدهما فاعل
يبلغن وهو فيمن قرأ يبلغان بدل من ألف الضمير الراجع إلى الوالدين وكلاهما عطف على أحدهما فاعلا وبدلا
فإن قلت لو قيل إما يبلغان كلاهما كان كلاهما توكيدا لا بدلا فما لك زعمت أنه بدل قلت لأنه
معطوف على ما لا يصح أن يكون توكيدا للاثنين فانتظم في حكمه فوجب أن يكون مثله فإن قلت ما ضرك لو
جعلته توكيدا مع كون المعطوف عليه بدلا وعطفت التوكيد على البدل قلت لو أريد توكيد التثنية لقيل كلاهما
فحسب فلما قيل أحدهما أو كلاهما علم أن التوكيد غير مراد فكان بدلا مثل الأول أف صوت يدل على تضجر وقرئ أف
بالحركات الثلاث منونا وغير منون الكسر على أصل البناء والفتح تخفيف للضمة والتشديد كثم والضم إتباع كمنذ
فإن قلت ما معنى عندك قلت هو أن يكبرا ويعجزا وكانا كلا على ولدهما لا كافل لهما غيره فهما عنده في
بيته وكنفه وذلك أشق عليه وأشد احتمالا وصبرا وربما تولى منهما ما كانا يتوليان منه في حال الطفولة فهو مأمور بأن يستعمل
معهما وطأة الخلق ولين الجانب والاحتمال حتى لا يقول لهما إذا أضجره ما يستقذر منهما أو يستثقل من مؤنهما أف فضلا
عما يزيد عليه ولقد بالغ سبحانه في التوصية بهما حيث افتتحها بأن شفع الإحسان إليهما بتوحيده ونظمهما في سلك القضاء
بهما معا ثم ضيق الأمر في مراعاتهما حتى لم يرخص في أدنى كلمة تنفلت من المتضجر مع موجبات الضجر ومقتضياته ومع أحوال
لا يكاد يدخل صبر الإنسان معها في الاستطاعة ولا تنهرهما ولا تزجرهما عما يتعاطيانه مما لا يعجبك والنهر والنهي والنهم
أخوات وقل لهما بدل التأفيف والنهر قولا كريما جميلا كما يقتضيه حسن الأدب والنزول على المروءة وقيل هو أن يقول
يا أبتاه يا أماه كما قال إبراهيم عليه السلام لأبيه يا أبت مع كفره ولا يدعوهما بأسمائهما فإنه من الجفاء وسوء الأدب وعادة
الدعار قالوا ولا بأس به في غير وجهه كما قالت عائشة رضي الله عنها نحلني أبو بكر كذا ● واخفض لهما جناح
الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا ● ربكم أعلم بما في نفوسكم إن تكونوا صالحين
فإنه كان للأوابين غفورا ● وقرئ جناح الذل والذل بالضم والكسر فإن قلت ما معنى قوله جناح الذل
قلت فيه وجهان أحدهما أن يكون المعنى واخفض لهما جناحك كما قال واخفض جناحك للمؤمنين فأضافه إلى
الذل أو الذل كما أضيف حاتم إلى الجود على معنى واخفض لهما جناحك الذليل أو الذلول والثاني أن تجعل لذله أو لذله لهما
جناحا خفيضا كما جعل لبيد للشمال يدا وللقرة زماما مبالغة في التذلل والتواضع لهما من الرحمة من فرط رحمتك لهما

وعطفك عليهما لكبرهما وافتقارهما اليوم إلى من كان أفقر خلق الله إليهما بالأمس ولا تكتف برحمتك عليهما التي لا بقاء
لها وادع الله بأن يرحمهما رحمته الباقية واجعل ذلك جزاء لرحمتهما عليك في صغرك وتربيتهما لك فإن قلت
الاسترحام لهما إنما يصح إذا كانا مسلمين قلت وإذا كانا كافرين فله أن يسترحم لهما بشرط الإيمان وأن يدعو الله
لهما بالهداية والإرشاد ومن الناس من قال كان الدعاء للكفار جائزا ثم نسخ وسئل ابن عيينة عن الصدقة عن الميت فقال
كل ذلك واصل إليه ولا شيء أنفع له من الاستغفار ولو كان شيء أفضل منه لأمركم به في الأبوين ولقد كرر الله سبحانه في كتابه
الوصية بالوالدين وعن النبي صلى الله عليه وسلم رضا الله في رضا الوالدين وسخطه في سخطهما وروي يفعل البار ما شاء
أن يفعل فلن يدخل النار وليفعل العاق ما شاء أن يفعل فلن يدخل الجنة وروى سعيد بن المسيب أن البار لا يموت
ميتة سوء وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن أبوي بلغا من الكبر أني ألي منهما ما وليا مني في الصغر فهل قضيتهما
قال لا فإنهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وأنت تفعل ذلك وأنت تريد موتهما وشكا رجل إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم أباه وأنه يأخذ ماله فدعا به فإذا شيخ يتوكأ على عصا فسأله فقال إنه كان ضعيفا وأنا قوي وفقيرا وأنا غني
فكنت لا أمنعه شيئا من مالي واليوم أنا ضعيف وهو قوي وأنا فقير وهو غني ويبخل علي بماله فبكى صلى الله عليه وسلم وقال
ما من حجر ولا مدر يسمع هذا إلا بكى ثم قال للولد أنت ومالك لأبيك وشكا إليه آخر سوء خلق أمه فقال لم تكن سيئة الخلق
حين حملتك تسعة أشهر قال إنها سيئة الخلق قال لم تكن كذلك حين أرضعتك حولين قال إنها سيئة الخلق قال لم
تكن كذلك حين أسهرت لك ليلها وأظمأت لك نهارها قال لقد جازيتها قال ما فعلت قال حججت بها على عاتقي قال ما جزيتها
ولو طلقة وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه رأى رجلا في الطواف يحمل أمه ويقول إني لها مطية لا تذعر إذا الركاب
نفرت لا تنفر ما حملت وأرضعتني أكثر الله ربي ذو الجلال الأكبر تظنني جزيتها يا ابن عمر قال لا ولو زفرة واحدة
وعنه صلى الله عليه وسلم إياكم وعقوق الوالدين فإن الجنة توجد ريحها من مسيرة ألف عام ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم ولا شيخ زان
ولا جار إزاره خيلاء إن الكبرياء لله رب العالمين وقال الفقهاء لا يذهب بأبيه إلى البيعة وإذا بعث إليه منها ليحمله
فعل ولا يناوله الخمر ويأخذ الإناء منه إذا شربها وعن أبي يوسف إذا أمره أن يوقد تحت قدره وفيها لحم الخنزير أوقد
وعن حذيفة أنه استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتل أبيه وهو في صف المشركين فقال دعه يليه غيرك وسئل الفضيل
ابن عياض عن بر الوالدين فقال أن لا تقوم إلى خدمتهما عن كسل وسئل بعضهم فقال أن لا ترفع صوتك عليهما
ولا تنظر شزرا إليهما ولا يريا منك مخالفة في ظاهر ولا باطن وأن تترحم عليهما ما عاشا وتدعو لهما إذا ماتا وتقوم بخدمة
أوداء أبيهما من بعدهما فعن النبي صلى الله عليه وسلم إن من أبر البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه بما في نفوسكم بما في ضمائركم
من قصد البر إلى الوالدين واعتقاد ما يجب لهما من التوقير إن تكونوا صالحين قاصدين الصلاح والبر ثم فرطت منكم في حال الغضب
وعند حرج الصدر وما لا يخلو منه البشر أو لحمية الإسلام هنة تؤدي إلى أذاهما ثم أبتم إلى الله تعالى واستغفرتم منها فإن الله
غفور للأوابين للتوابين وعن سعيد بن جبير هي في البادرة تكون من الرجل إلى أبيه لا يريد بذلك إلا الخير وعن سعيد بن
المسيب الأواب الرجل كلما أذنب بادر بالتوبة ويجوز أن يكون هذا عاما لكل من فرطت منه جناية ثم تاب منها ويندرج
تحته الجاني على أبويه التائب من جنايته لوروده على أثره ● وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل
ولا تبذر تبذيرا ● إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا
وآت ذا القربى حقه وصى بغير الوالدين من الأقارب بعد التوصية بهما وأن يؤتوا حقهم وحقهم إذا كانوا محارم كالأبوين
والولد وفقراء عاجزين عن الكسب وكان الرجل موسرا أن ينفق عليهم عند أبي حنيفة رحمه الله تعالى والشافعي رحمه الله
لا يرى إلا على الولد والوالدين فحسب وإن كانوا مياسير أو لم يكونوا محارم كأبناء العم فحقهم صلتهم بالمودة والزيارة
وحسن المعاشرة والمؤالفة على السراء والضراء والمعاضدة ونحو ذلك والمسكين وابن السبيل يعني وآت هؤلاء
حقهم من الزكاة هذا دليل على أن المراد بما يؤتى ذوي القرابة من الحق هو تعهدهم بالمال وقيل أراد بذي القربى أقرباء
رسول الله صلى الله عليه وسلم ● التبذير تفريق المال فيما لا ينبغي وإنفاقه على وجه الإسراف وكانت الجاهلية تنحر
إبلها وتتياسر عليها وتبذر أموالها في الفخر والسمعة وتذكر ذلك في أشعارها فأمر الله تعالى بالنفقة في وجوهها
مما يقرب منه ويزلف وعن عبد الله هو إنفاق المال في غير حقه وعن مجاهد لو أنفق مدا في باطل كان تبذيرا

وقد انفق بعضهم نفقة في خير فاكثر فقال له صاحبه لا خير في السرف فقال لا سرف في الخير وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بسعد وهو يتوضأ فقال ما هذا السرف يا سعد قال او في الوضوء سرف قال نعم وان كنت على نهر جار اخوان الشياطين امثالهم في الشرارة وهي غاية المذمة لانه لا شر من الشياطين او هم اخوانهم واصدقاؤهم لانهم يطيعونهم فيما يامرونهم به من الاسراف او هم قرناؤهم في النار على سبيل الوعيد وكان الشيطان لربه كفورا فما ينبغي ان يطاع فانه لا يدعو الا الى مثل فعله وقرأ الحسن اخوان الشيطان **واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا** وان اعرضت عن ذي القربى والمسكين وابن السبيل حياء من الرد فقل لهم قولا ميسورا ولا تتركهم غير مجابين اذا سألوك وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا سئل شيئا وليس عنده اعرض عن السائل وسكت حياء وقوله ابتغاء رحمة من ربك اما ان يتعلق بجواب الشرط مقدما عليه اي فقل لهم قولا سهلا لينا وعدهم وعدا جميلا رحمة لهم وتطييبا لقلوبهم ابتغاء رحمة من ربك اي ابتغ رحمة الله التي ترجوها برحمتك عليهم واما ان يتعلق بالشرط اي وان اعرضت عنهم لفقد رزق من ربك ترجوان يفتح لك فسمى الرزق رحمة فردهم ردا جميلا فوضع الابتغاء موضع الفقد لان فاقد الرزق مبتغ له فكان الفقد سبب الابتغاء والابتغاء مسببا عنه فوضع المسبب موضع السبب ويجوز ان يكون معنى واما تعرضن عنهم وان لم تنفعهم ولم ترفع خصاصتهم لعدم الاستطاعة ولا يريد الاعراض بالوجه كناية بالاعراض عن ذلك لان من ابى ان يعطي اعرض بوجهه يقال يسر الامر وعسر مثل سعد الرجل ونحس فهو مفعول وقيل معناه فقل لهم رزقنا الله واياكم من فضله على انه دعاء لهم ييسر عليهم فقرهم كان معناه قولا ذا ميسور وهو اليسر اي دعاء فيه يسر هذا تمثيل لمنع الشحيح واعطاء المسرف امر بالاقتصاد الذي هو بين الاسراف والتقتير فتقعد ملوما فتصير ملوما عند الله لان المسرف غير مرضي عنده وعند الناس يقول المحتاج اعطى فلانا وحرمني ويقول المستغني ما يحسن تدبير امر المعيشة وعند نفسك اذا احتجت فندمت على ما فعلت محسورا منقطعا بك لا شيء عندك من حسره السفر اذا بلغ منه وحسره بالمسألة وعن جابر بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس اذ اتاه صبي فقال ان امي تستكسيك درعا فقال من ساعة الى ساعة يظهر فعد الينا فذهب الى امه فقالت له قل له ان امي تستكسيك الدرع الذي عليك فدخل داره ونزع قميصه فاعطاه وقعد عريانا واذن بلال وانتظر فلم يخرج للصلاة وقيل اعطى الاقرع بن حابس مائة من الابل وعيينة بن حصن كذلك فجاء عباس بن مرداس فانشأ يقول

اتجعل نهبي ونهب العبيد ... بين عيينة والاقرع
وما كان حصن ولا حابس ... يفوقان جدي في مجمع
وما كنت دون امرئ منهما ... ومن تضع اليوم لا يرفع

فقال يا ابا بكر اقطع لسانه عني اعطه مائة من الابل فنزلت ثم سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان يرهقه من الاضاقة بان ذلك ليس لهوان منك عليه ولا لبخل به عليك ولكن لان مشيئته في بسط الارزاق وقدرها تابعة للحكمة والمصلحة ويجوز ان يريد ان القبض والبسط انما هما من امر الله الذي الخزائن في يده فاما العبيد فعليهم ان يقتصدوا ويحتمل انه عز وعلا بسط لعباده او قبض فانه يراعي اوسط الحالين لا يبلغ بالمبسوط له غاية مراده ولا بالمقبوض عليه اقصى مكروهه فاستنوا بسنته **ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطا كبيرا ولا تقربوا الزنى انه كان فاحشة وساء سبيلا** قتلهم اولادهم هو وادهم بناتهم كانوا يئدونهن خشية الفاقة وهي الاملاق فنهاهم الله وضمن لهم ارزاقهم وقرئ خشية بكسر الخاء وقرئ خطأ وهو الاثم يقال خطئ خطأ كاثم اثما وخطاء وهو ضد الصواب اسم من اخطأ وقيل هو والخطأ كالحذر والحذر وخطاء بالكسر والمد وخطأ بالفتح والسكون وعن الحسن خطاء بالفتح وحذف الهمزة كالخب وعن ابي رجاء بكسر الخاء غير مهموز فاحشة قبيحة زائدة على حد القبح وساء سبيلا وبئس طريقا طريقه وهو ان تغصب على غيرك امراته او اخته او بنته من غير سبب والسبب ممكن وهو الصهر الذي شرعه الله تعالى **ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل انه كان منصورا** الا بالحق الا باحدى ثلاث الا بان تكفر او تقتل

مومن

مؤمنا عمدا او تزني بعد احصان مظلوما غير راكب واحدة منهن لوليه الذي بينه وبينه قرابة توجب المطالبة بدمه فان لم يكن له ولي فالسلطان وليه سلطانا تسلطا على القاتل في الاقتصاص منه او حجة يثبت بها عليه فلا يسرف الضمير للولي اي فلا يقتل غير القاتل ولا اثنين والقاتل واحد كعادة الجاهلية كانوا اذا قتل منهم واحد قتلوا به جماعة حتى قال مهلهل حين قتل بجير بن الحارث بن عباد بؤ بشسع نعل كليب وقال كل قتيل في كليب غرة حتى ينال القتل آل مرة وكانوا يقتلون غير القاتل اذا لم يكن بواء وقيل الاسراف المثلة وقرأ ابو مسلم صاحب الدولة فلا يسرف بالرفع على انه خبر في معنى الامر وفيه مبالغة ليست في الامر وعن مجاهد ان الضمير للقاتل الاول وقرئ فلا تسرف على خطاب الولي او قاتل المظلوم وفي قراءة ابي فلا تسرفوا ردا على ولا تقتلوا انه كان منصورا الضمير اما للولي يعني حسبه ان الله تعالى قد نصره بان اوجب له القصاص فلا يستزد على ذلك وبان الله قد نصره بمعونة السلطان وباظهار المؤمنين على استيفاء الحق فلا يبغ ما وراء حقه واما للمظلوم لان الله ناصره حيث اوجب القصاص بقتله وينصره في الآخرة بالثواب واما للذي يقتله الولي بغير حق ويسرف في قتله فانه منصور بايجاب القصاص على المسرف **ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن حتى يبلغ اشده واوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤولا** بالتي هي احسن بالخصلة او الطريقة التي هي احسن وهي حفظه عليه وتثميره ان العهد كان مسؤولا اي مطلوبا يطلب من العاهد ان لا يضيعه ويفي به ويجوز ان يكون تخييلا كانه يقال للعهد لم نكثت وهلا وفي بك تبكيتا للناكث كما يقال للموؤدة باي ذنب قتلت ويجوز ان يراد ان صاحب العهد كان مسؤولا **واوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير واحسن تاويلا** وقرئ بالقسطاس بالضم والكسر وهو القرسطون وقيل كل ميزان صغر او كبر من موازين الدراهم وغيرها واحسن تاويلا عاقبة وهو تفعيل من آل اذا رجع وهو ما يؤول اليه **ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولا** ولا تقف ولا تتبع وقرئ ولا تقف يقال قفا اثره وقافه ومنه القافة يعني ولا تكن في اتباعك ما لا علم لك به من قول او فعل كمن يتبع مسلكا لا يدري انه يوصله الى مقصده فهو ضال والمراد النهي عن ان يقول الرجل ما لا يعلم وان يعمل بما لا يعلم ويدخل فيه النهي عن التقليد دخولا ظاهرا لانه اتباع لما لا يعلم صحته من فساده وعن ابن الحنفية شهادة الزور وعن الحسن لا تقف اخاك المسلم اذا مر بك فتقول هذا يفعل كذا ورايته يفعل وسمعته ولم تر ولم تسمع وقيل القفو شبيه بالعضيهة ومنه الحديث من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله في ردغة الخبال حتى ياتي بالمخرج وانشد

ومثل الدمى شم العرانين ساكن ... بهن الحياء لا يشعن التقافيا

اي التقاذف وقال الكميت

ولا ارمي البريء بغير ذنب ... ولا اقفو الحواصن ان قفينا

وقد استدل به مبطل الاجتهاد ولم يصح لان ذلك نوع من العلم فقد اقام الشرع غالب الظن مقام العلم وامر بالعمل به اولئك اشارة الى السمع والبصر والفؤاد كقوله والعيش بعد اولئك الايام وعنه في موضع الرفع بالفاعلية اي كل واحد منها كان مسؤولا عنه فمسؤول مسند الى الجار والمجرور كالمغضوب في قوله تعالى غير المغضوب عليهم يقال للانسان لم سمعت ما لا يحل لك سماعه ولم نظرت الى ما لم يحل لك النظر اليه ولم عزمت على ما لا يحل لك العزم عليه وقرئ والفواد بفتح الفاء والواو قلبت الهمزة واوا بعد الضمة في الفؤاد ثم استصحب القلب مع الفتح **ولا تمش في الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها ذلك مما اوحى اليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله الها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا** مرحا حال اي ذا مرح وقرئ مرحا وفضل الاخفش المصدر على اسم الفاعل لما فيه من التاكيد لن تخرق الارض لن تجعل فيها خرقا بدوسك لها وشدة وطاتك وقرئ لن تخرق بضم الراء ولن تبلغ الجبال طولا بتطاولك وهو تهكم بالمختال وقرئ سيئة وسيئه على اضافة سيء الى ضمير كل وسيئا في بعض المصاحف وسيئات وفي قراءة ابي بكر الصديق رضي الله عنه كان شانه **فان قلت** كيف قيل سيئة مع قوله مكروها **قلت** السيئة في حكم الاسماء بمنزلة الذنب والاثم زال عنه حكم الصفات فلا اعتبار بتانيثه ولا فرق بين من قرا سيئة ومن قرا سيئا الا ترى انك تقول الزنا سيئة كما تقول السرقة سيئة فلا تفرق بين اسنادها الى مذكر ومؤنث **فان قلت** تعدد ما ذكر من الخصال بعضها سيء وبعضها حسن ولذلك قرأ من قرأ سيئه بالاضافة فما وجه من قرأ سيئة **قلت** كل ذلك احاطة بما نهي عنه خاصة لا بجميع الخصال المعدودة ذلك اشارة الى ما تقدم من قوله لا تجعل مع الله

الها آخر الى هذه الغاية وسماه حكمة لانه كلام محكم لا مدخل فيه للفساد بوجه وعن ابن عباس رضي الله عنهما هذه
الثماني عشرة آية كانت في الواح موسى عليه السلام اولها لا تجعل مع الله الها آخر قال الله تعالى وكتبنا له في الالواح
من كل شيء موعظة وهي عشر آيات في التورية ولقد جعل الله عز وعلا فاتحتها وخاتمتها النهي عن الشرك لان التوحيد
هو راس كل حكمة وملاكها ومن عدمه لم تنفعه حكمه وعلومه وان بذ فيها الحكماء وحك بيافوخه السماء وما اغنت
عن الفلاسفة اسفار الحكم وهم عن دين الاسلام اضل من النعم • **أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ
من الملائكة إناثا إنكم لتقولون قولا عظيما** • **ولقد صرفنا في هذا القرآن ليذكروا
وما يزيدهم الا نفورا** • **قل لو كان معه آلهة كما يقولون اذا لابتغوا الى ذي العرش
سبيلا** • **سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا** • أفأصفاكم خطاب للذين قالوا الملائكة بنات الله
والهمزة للانكار يعني أفخصكم ربكم على وجه الخلوص والصفاء بافضل الاولاد وهم البنون لم يجعل فيهم نصيبا لنفسه
واتخذ ادونهم وهي البنات وهذا خلاف الحكمة وما عليه معقولكم وعادتكم فان العبيد لا يؤثرون باجود الاشياء
واصفاها من الشوب ويكون اردؤها وادونها للسادات انكم لتقولون قولا عظيما باضافتكم اليه الاولاد وهي خاصة
بالاجسام ثم بانكم تفضلون عليه انفسكم حيث تجعلون له ما تكرهون ثم بان تجعلوا الملائكة وهي اعلى خلق الله تعالى
واشرفهم ادون خلق الله وهم الاناث • ولقد صرفنا في هذا القرآن يجوز ان يريد بهذا القرآن ابطال اضافتهم الى الله
تعالى البنات لانه مما صرفه وكرر ذكره والمعنى ولقد صرفنا القول في هذا المعنى او اوقعنا التصريف فيه وجعلناه
مكانا للتكرير ويجوز ان يشير بهذا القرآن الى التنزيل ويريد ولقد صرفناه يعني هذا المعنى في مواضع من التنزيل فترك
الضمير لانه معلوم وقرئ صرفنا بالتخفيف وكذلك ليذكروا قرئ مشددا ومخففا اي كررناه ليتعظوا ويعتبروا
ويطمئنوا الى ما يحتج به عليهم • وما يزيدهم الا نفورا عن الحق وقلة طمأنينة اليه • وعن سفيان كان اذا قرأها قال
زادني لك خضوعا ما زاد اعداءك نفورا • كما تقولون بالتاء والياء • واذن دالة على ان ما بعدها وهو لابتغوا
جواب عن مقالة المشركين وجزاء للو ومعنى لابتغوا الى ذي العرش سبيلا لطلبوا الى من له الملك والربوبية سبيلا بالمغالبة
كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض كقوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقيل لتقربوا اليه كقوله اولئك الذين يدعون
يبتغون الى ربهم الوسيلة • علوا في معنى تعاليا والمراد البراءة من ذلك والنزاهة ومعنى وصف العلو بالكبر المبالغة في
البراءة والبعد مما وصفوه به • **تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شيء الا
يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفورا** • **واذا قرأت القرآن
جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا** • المراد انها تسبح له بلسان
الحال حيث تدل على الصانع وعلى قدرته وحكمته فكأنها تنطق بذلك وكأنها تنزه الله تعالى عما لا يجوز عليه من الشركاء
وغيرها **فان قلت** فما تصنع بقوله ولكن لا تفقهون تسبيحهم وهذا التسبيح مفقوه معلوم **قلت** الخطاب
للمشركين وهم وان كانوا اذا سئلوا عن خالق السموات والارض قالوا الله الا انهم لما جعلوا معه آلهة مع اقرارهم فكأنهم
لم ينظروا ولم يقروا لان نتيجة النظر الصحيح والاقرار الثابت خلاف ما كانوا عليه فاذن لم يفقهوا التسبيح ولم يستوضحوا
الدلالة على الخالق **فان قلت** من فيهن يسبحون على الحقيقة وهم الملائكة والثقلان وقد عطفوا على السموات والارض
فما وجهه **قلت** التسبيح المجازي حاصل في الجميع فوجب الحمل عليه والا كانت الكلمة الواحدة في حالة واحدة محمولة على
الحقيقة والمجاز انه كان حليما غفورا حين لا يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وسوء نظركم وجهلكم بالتسبيح وشرككم حجابا مستورا
ذا ستر كقولك سيل مفعم ذو افعام وقيل هو حجاب لا يرى فهو مستور ويجوز ان يراد انه حجاب من دونه حجاب او حجب فهو
مستور بغيره او حجاب يستر ان يبصر فكيف يبصر المحتجب وهذه حكاية لما كانوا يقولونه وقالوا قلوبنا في اكنة مما
تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب كانه قال واذا قرأت القرآن جعلنا على زعمهم • **وجعلنا
على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا واذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا
على ادبارهم نفورا** • ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه او لان قوله وجعلنا على قلوبهم اكنة فيه معنى المنع من
الفقه فكأنه قيل ومنعناهم ان يفقهوه يقال وحد يحد وحدا وحدة نحو وعد يعد وعدا وعدة ووحده من باب

رجع عوده على بدئه وافعله جهدك وطاقتك في انه مصدر ساد مسد الحال اصله يحد وحده بمعنى واحدا وحده ونفورا
مصدر بمعنى التولية او جمع نافر كقاعد وقعود اي يحبون ان تذكر معه آلهتهم لانهم مشركون فاذا سمعوا بالتوحيد نفروا •
**نحن اعلم بما يستمعون به اذ يستمعون اليك واذ هم نجوى اذ يقول الظالمون ان تتبعون
الا رجلا مسحورا** • بما يستمعون به من الهزء بك وبالقرآن ومن اللغو كان يقوم عن يمينه اذا قرأ رجلان من عبد الدار
ورجلان منهم عن يساره فيصفقون ويصفرون ويخلطون عليه بالاشعار وبه في موضع الحال كما يقول يستمعون بالهزء
اي هازئين واذ يستمعون نصب باعلم اي اعلم وقت استماعهم بما به يستمعون واذ هم نجوى وبما يتناجون به اذ هم ذوو نجوى
اذ يقول بدل من اذ هم مسحورا سحر فجن وقيل هو من السحر وهو الرئة اي هو بشر مثلكم • **انظر كيف ضربوا لك
الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا** • **وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا ائنا
لمبعوثون خلقا جديدا** • **قل كونوا حجارة او حديدا او خلقا مما يكبر في صدوركم
فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم اول مرة فسينغضون اليك رؤسهم ويقولون
متى هو قل عسى ان يكون قريبا** • **يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون ان لبثتم الا قليلا** •
ضربوا لك الامثال مثلوك بالشاعر والساحر والمجنون فضلوا في جميع ذلك ضلال من يطلب في التيه طريقا يسلكه
فلا يقدر عليه فهو متحير في امره لا يدري ما يصنع لما قالوا ائذا كنا عظاما قيل لهم كونوا حجارة او حديدا فرد قوله كونوا على
قولهم كنا كانه قيل كونوا حجارة او حديدا ولا تكونوا عظاما فانه يقدر على احيائكم والمعنى انكم تستبعدون ان يجدد الله تعالى
خلقكم ويرده الى حال الحيوة والى رطوبة الحي وغضاضته بعد ما كنتم عظاما يابسة مع ان العظام بعض اجزاء الحي
بل هي عمود خلقه الذي يبنى عليه سائره فليس ببدع ان يردها الله تعالى بقدرته الى حالتها الاولى ولكن لو كنتم ابعد
شيء من الحيوة ورطوبة الحي ومن جنس ما ركب منه البشر وهو ان تكونوا حجارة يابسة او حديدا مع ان طباعها الجساوة
والصلابة لكان قادرا على ان يردكم الى حال الحيوة • او خلقا مما يكبر في صدوركم يعني او خلقا مما يكبر عندكم عن قبول
الحيوة ويعظم في زعمكم على الخالق احياؤه فانه يحييه وقيل ما يكبر في صدورهم الموت وقيل السموات والارض
فسينغضون فسيحركونها نحوك تعجبا واستهزاء • والدعاء والاستجابة كلاهما مجاز والمعنى يوم يبعثكم فتنبعثون مطاوعين
منقادين لا تمتنعون وقوله بحمده حال منهم اي حامدين وهي مبالغة في انقيادهم للبعث كقولك لمن تأمره بركوب ما يشق
عليه فيتأبى ويمتنع ستركبه وانت حامد شاكر يعني انك تحمل عليه وتقسر قسرا حتى انك تلين لين المسمح الراغب فيه الحامد عليه
وعن سعيد بن جبير ينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك • وتظنون وترون الهول فعنده تستقصرون
مدة لبثكم في الدنيا وتحسبونها يوما او بعض يوم • وعن قتادة تحاقرت الدنيا في انفسهم حين عاينوا الآخرة • **وقل لعبادي
يقولوا التي هي احسن ان الشيطان ينزغ بينهم ان الشيطان كان للانسان عدوا
مبينا** • **ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم او ان يشأ يعذبكم وما ارسلناك عليهم وكيلا** •
**وربك اعلم بمن في السموات والارض ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا
داود زبورا** • وقل لعبادي وقل للمؤمنين يقولوا للمشركين الكلمة التي هي احسن والين ولا يخاشنوهم كقوله
تعالى وجادلهم بالتي هي احسن وفسر التي هي احسن بقوله ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم او ان يشأ يعذبكم يعني يقولوا
لهم هذه الكلمة ونحوها ولا تقولوا لهم انكم من اهل النار وانكم معذبون وما اشبه ذلك مما يغيظهم ويهيجهم على الشر وقوله
ان الشيطان ينزغ بينهم اعتراض يعني يلقي بينهم الفساد ويغري بعضهم على بعض ليقع بينهم المشارة والمشاقة
وما ارسلناك عليهم وكيلا اي ربا موكولا اليك امرهم تقسرهم على الاسلام وتجبرهم عليه وانما ارسلناك بشيرا ونذيرا
فدارهم ومر اصحابك بالمداراة والاحتمال وترك المحاقة والمكاشفة وذلك قبل نزول آية السيف وقيل نزلت في عمر
رضي الله عنه شتمه رجل فامره الله تعالى بالعفو وقيل افرط ايذاء المشركين للمسلمين فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنزلت وقيل الكلمة التي هي احسن ان يقولوا يهديكم الله يرحمكم الله وقرأ طلحة ينزغ بالكسر وهما لغتان نحو يعرشون
ويعرشون وهو رد على اهل مكة في انكارهم واستبعادهم ان يكون يتيم ابي طالب نبيا وان يكون العراة الجوع اصحابه
كصهيب وبلال وخباب وغيرهم دون ان يكون ذلك في بعض اكابرهم وصناديدهم يعني وربك اعلم بمن في السموات والارض

وباحوالهم ومقاديرهم وبما يستاهل كل واحد منهم وقوله لقد فضلنا بعض النبيين على بعض اشارة الى تفضيل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله وآتينا داود زبورا دلالة على وجه تفضيله وهو انه خاتم الانبياء وان امته خير الامم لان ذلك مكتوب في زبور داود عليه السلام قال الله تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون وهم محمد وامته **فان قلت** هلا عرف الزبور كما عرف في قوله تعالى ولقد كتبنا في الزبور **قلت** يجوز ان يكون الزبور وزبور كالعباس وعباس والفضل وفضل وان يريد وآتينا داود بعض الزبور وهي الكتب وان يريد ما ذكر فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الزبور فسمي ذلك زبورا لانه بعض الزبور كما سمي بعض القرآن قرآنا • قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا • اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا • هم الملائكة وقيل عيسى ومريم وعزير وقيل نفر من الجن عبدهم ناس من العرب ثم اسلم الجن ولم يشعروا اي ادعوهم فهم لا يستطيعون ان يكشفوا عنكم الضر من مرض او فقر او عذاب ولا ان يحولوه من واحد الى آخر او يبدلوه واولئك مبتدأ والذين يدعون صفته ويبتغون خبر يعني ان آلهتهم اولئك يبتغون الوسيلة وهي القربة الى الله عز وجل وايهم بدل من واو يبتغون واي موصولة اي يبتغي من هو اقرب منهم وازلف الوسيلة الى الله فكيف بغير الاقرب او ضمن يبتغون الوسيلة معنى يحرصون فكانه قيل يحرصون ايهم يكون اقرب الى الله تعالى وذلك بالطاعة وازدياد الخير والصلاح ويرجون ويخافون كما غيرهم من عباد الله فكيف يزعمون انهم آلهتهم ان عذاب ربك كان حقيقا بان يحذره كل احد من ملك مقرب ونبي مرسل فضلا عن غيرهم • وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيمة او معذبوها عذابا شديدا كان ذلك في الكتاب مسطورا • نحن مهلكوها بالموت والاستيصال او معذبوها بالقتل وانواع العذاب وقيل الهلاك للصالحة والعذاب للطالحة وعن مقاتل وجدت في كتب الضحاك ابن مزاحم في تفسيرها اما مكة فتخربها الحبشة وتهلك المدينة بالجوع والبصرة بالغرق والكوفة بالترك والجبال بالصواعق والرواجف واما خراسان فعذابها ضروب ثم ذكرها بلدا بلدا في الكتاب في اللوح المحفوظ • وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون • وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات الا تخويفا • استعير المنع لترك ارسال الآيات من اجل صارف الحكمة وان الاولى منصوبة والثانية مرفوعة تقديره وما منعنا ارسال الآيات الا تكذيب الاولين والمراد الآيات التي اقترحتها قريش من قلب الصفا ذهبا ومن احياء الموتى وغير ذلك وعادة الله تعالى في الامم ان من اقترح منهم آية فاجيب اليها ثم لم يؤمن ان يعاجل بعذاب الاستيصال فالمعنى وما صرفنا عن ارسال ما يقترحونه من الآيات الا ان كذب بها الذين هم امثالهم من المطبوع على قلوبهم كعاد وثمود وانها لو ارسلت لكذبوا بها تكذيب اولئك وقالوا هذا سحر مبين كما يقولون واستوجبوا العذاب المستاصل وقد عزمنا ان نؤخر امر من بعثت اليهم يوم القيمة ثم ذكر من تلك الآيات التي اقترحها الاولون ثم كذبوا بها لما ارسلت فاهلكوا واحدة وهي ناقة صالح لان آثار هلاكهم في بلاد العرب قريبة من حدودهم يبصرها صادرهم وواردهم مبصرة بينة وقرئ مبصرة بفتح الميم فظلموا بها فكفروا بها وما نرسل بالآيات ان اراد بها الآيات المقترحة فالمعنى لا نرسلها الا تخويفا من نزول العذاب العاجل كالطليعة والمقدمة له فان لم يخافوا وقع عليهم وان اراد غيرها فالمعنى وما نرسل ما نرسل من الآيات كآيات القرآن وغيرها الا تخويفا وانذارا بعذاب الآخرة • واذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا • واذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس واذكر اذ اوحينا اليك ان ربك احاط بقريش يعني بشرناك بوقعة بدر وبالنصرة عليهم وذلك قوله سيهزم الجمع ويولون الدبر قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وغير ذلك فجعله كان قد كان ووجد فقال احاط بالناس على عادته في اخباره وحين تزاحف الفريقان يوم بدر ورسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش مع ابي بكر رضي الله عنه كان يدعو ويقول اللهم اني اسالك عهدك ووعدك ثم خرج وعليه الدرع يحرض الناس ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر

وقيل

ولعل الله تعالى اراه مصارعهم في منامه فقد كان يقول حين ورد ماء بدر والله لكاني انظر الى مصارع القوم وهو يومي الى الارض ويقول هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان فتسامعت قريش بما اوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من امر بدر وما اري في منامه من مصارعهم فكانوا يضحكون ويسخرون ويستعجلون بما اشتهر اي وحين سمعوا بقوله ان شجرة الزقوم طعام الاثيم جعلوها سخرية وقالوا ان محمدا يزعم ان الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول تنبت فيها الشجر وما قدروا الله حق قدره من قال ذلك وما انكروا ان يجعل الله الشجرة من جنس لا تاكله النار فهذا وبر السمندل وهي دويبة ببلاد الترك تتخذ منها مناديل اذا اتسخت طرحت في النار فذهب الوسخ وبقي المنديل سالما لا تعمل فيه النار وترى النعامة تبتلع الجمر وقطع الحديد الحمر كالجمر باحمار النار ثم لا يضرها ثم اقرب من ذلك انه خلق في كل شجرة نارا فلا تحرقها فما انكروا ان يخلق في النار شجرة لا تحرقها والمعنى ان الآيات انما نرسل بها تخويفا للعباد وهؤلاء قد خوفوا بعذاب الدنيا وهو القتل يوم بدر فما كان ما اريناك منه في منامك بعد الوحي اليك الا فتنة لهم حيث اتخذوه سخريا وخوفوا بعذاب الآخرة وبشجرة الزقوم فما اثر فيهم ثم قال ونخوفهم اي نخوفهم بمخاوف الدنيا والآخرة فما يزيدهم التخويف الا طغيانا كبيرا فكيف يخاف قوم هذه حالهم بارسال ما يقترحون من الآيات وقيل الرؤيا هي الاسراء وبه تعلق من يقول كان الاسراء في المنام ومن قال كان في اليقظة فسر الرؤيا بالرؤية وقيل انما سماها رؤيا على قول المكذبين حيث قالوا لعلها رؤيا رايتها وخيال خيل اليك استبعادا منهم كما سمى اشياء باساميها عند الكفرة نحو قوله تعالى فراغ الى آلهتهم اين شركائي ذق انك انت العزيز الكريم وقيل رؤياه انه سيدخل مكة وقيل راى في المنام ان ولد الحكم يتداولون منبره كما يتداول الصبيان الكرة **فان قلت** اين لعنت شجرة الزقوم في القرآن **قلت** لعنت حيث لعن طاعموها من الكفرة والظلمة لان الشجرة لا ذنب لها حتى تلعن على الحقيقة وانما وصفت بلعن اصحابها على المجاز وقيل وصفها الله تعالى باللعن لان اللعن الابعاد من الرحمة وهي في اصل الجحيم في ابعد مكان من الرحمة وقيل تقول العرب لكل طعام مكروه ضار ملعون وسالت بعضهم فقال نعم الطعام الملعون القشب الممحوق وعن ابن عباس هو الكشوث الذي يلتوي بالشجر يجعل في الشراب وقيل هي الشيطان وقيل ابو جهل وقرئ والشجرة الملعونة بالرفع على انها مبتدا محذوف الخبر كانه قيل والشجرة الملعونة في القرآن كذلك • واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس قال ءاسجد لمن خلقت طينا • قال ارايتك هذا الذي كرمت علي لئن اخرتن الى يوم القيمة لاحتنكن ذريته الا قليلا • قال اذهب فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا • واستفزز من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الاموال والاولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا • ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا • طينا حال اما من الموصول والعامل فيه اسجد على اسجد له وهو طين اي اصله طين او من الراجع اليه من الصلة على اسجد لمن كان في وقت خلقه طينا ارايتك الكاف للخطاب وهذا مفعول والمعنى اخبرني عن هذا الذي كرمته علي اي فضلته لم كرمته علي وانا خير منه فاختصر الكلام بحذف ذلك ثم ابتدا فقال لئن اخرتني واللام موطئة للقسم المحذوف لاحتنكن ذريته لاستاصلنهم بالاغواء من احتنك الجراد الارض اذا جرد ما عليها اكلا وهو من الحنك ومنه ما ذكر سيبويه من قولهم احنك الشاتين اي آكلهما **فان قلت** من اين علم ان ذلك يتسهل له وهو من الغيب **قلت** اما ان سمعه من الملائكة صلوات الله عليهم وقد اخبرهم الله تعالى به او خرجه من قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها او نظر اليه فتوسم في مخايله انه خلق شهواني وقيل قال ذلك لما عملت وسوسته في آدم والظاهر انه قال ذلك قبل اكل آدم من الشجرة اذهب ليس من الذهاب الذي هو نقيض المجيء وانما معناه امض لشانك الذي اخترته خذلانا وتخلية وعقبه بذكر ما جره سوء اختياره في قوله فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم كما قال موسى صلى الله عليه وسلم للسامري فاذهب فان لك في الحيوة ان تقول لا مساس **فان قلت** اما كان من حق الضمير في الجزاء ان يكون على لفظ الغيبة ليرجع الى من تبعك **قلت** بلى ولكن التقدير فان جهنم جزاؤهم وجزاؤك ثم غلب المخاطب على الغائب فقيل جزاؤكم ويجوز ان يكون للتابعين على طريقة الالتفات وانتصب جزاء موفورا بما في فان جهنم جزاؤكم من معنى تجازون او على الحال لان الجزاء موصوف بالموفور والموفور الموفر يقال فر لصاحبك عرضه فرة استفززه استخفه والفز الخفيف واجلب من الجلبة وهي الصياح والخيل الخيالة ومنه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم يا خيل الله اركبي

والرجل اسم جمع للراجل ونظيره الركب والصحب وقرئ ورجلك على ان فعلا بمعنى فاعل نحو تعب وتاعب ومعناه وجمعك الرجل
وتضم جيمه ايضا فيكون مثل حدث وحدث وندس وندس واخوات لهما يقال رجل رجل وقرئ ورجالك ورجالك
فان قلت ما معنى استفزاز ابليس بصوته واجلابه بخيله ورجله قلت هو كلام ورد مورد التمثيل مثلت حاله
في تسلطه على من يغويه بمغوار اوقع على قوم فصوت بهم صوتا يستفزهم من اماكنهم ويقلقهم عن مراكزهم واجلب عليهم بجنده
من خيالة ورجالة حتى استأصلهم وقيل بصوته بدعائه الى الشر وخيله ورجله كل راكب وماش من اهل العيث وقيل
يجوز ان يكون لابليس خيل ورجال واما المشاركة في الاموال والاولاد فكل معصية يحملهم عليها في بابهما كالربا والمكاسب
المحرمة والبحيرة والسائبة والانفاق في الفسوق والاسراف ومنع الزكوة والتوصل الى الاولاد بالسبب الحرام ودعوى ولد
بغير سبب والتسمية بعبد العزى وعبد الحارث والتهويد والتنصير والحمل على الحرف الذميمة والاعمال المحظورة وغير ذلك
وعدهم المواعيد الكاذبة من شفاعة الآلهة والكرامة على الله تعالى بالانساب الشريفة وتسويف التوبة ومغفرة الذنوب
بدونها والاتكال على الرحمة وشفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم في الكبائر والخروج من النار بعد ان يصيروا حمما وايثار العاجل على
الآجل ان عبادي يريد الصالحين ليس لك عليهم سلطان اي لا تقدر ان تغويهم وكفى بربك وكيلا لهم يتكلون في
الاستعاذة منك ونحوه قوله الا عبادك منهم المخلصين فان قلت كيف جاز ان يأمر الله تعالى ابليس بان يتسلط على
عباده مغويا مضلا داعيا الى الشر صادا عن الخير قلت هو من الاوامر الواردة على سبيل الخذلان والتخلية كما قال تعالى
للعصاة اعملوا ما شئتم **ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله انه كان بكم رحيما**
واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه فلما نجاكم الى البر اعرضتم وكان الانسان
كفورا افامنتم ان يخسف بكم جانب البر او يرسل عليكم حاصبا ثم لا تجدوا لكم وكيلا
ام امنتم ان يعيدكم فيه تارة اخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح فيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا
لكم علينا به تبيعا يزجي يجري ويسير والضر خوف الغرق ضل من تدعون الا اياه ذهب عن اوهامكم
وخواطركم كل من تدعونه في حوادثكم الا اياه وحده فانكم لا تذكرون سواه ولا تدعونه في ذلك الوقت ولا تعقدون برحمته رجاءكم
ولا تخطرون ببالكم ان غيره يقدر على اغاثتكم او لم يهتد لانقاذكم احد غيره من سائر المدعوين ويجوز ان يراد ضل من تدعون
من الآلهة عن اغاثتكم ولكن الله وحده هو الذي ترجونه وحده على الاستثناء المنقطع افامنتم الهمزة للانكار والفاء للعطف على
محذوف تقديره انجوتم فامنتم فحملكم ذلك على الاعراض فان قلت بم انتصب جانب البر قلت بيخسف مفعولا به
كالارض في قوله تعالى فخسفنا به وبداره الارض وبكم حال والمعنى ان يخسف جانب البر اي يقلبه وانتم عليه فان قلت
فما فائدة ذكر الجانب قلت معناه ان الجوانب والجهات كلها في قدرته سواء وله في كل جانب برا كان او بحرا سبب
مرصد من اسباب الهلكة ليس جانب البحر وحده مختصا به بل ان كان الغرق في جانب البحر ففي جانب البر ما هو مثله وهو الخسف
لانه تغييب تحت التراب كما ان الغرق تغييب تحت الماء فالبر والبحر عنده سيان يقدر في البر على نحو ما يقدر عليه في البحر فعلى العاقل
ان يستوي خوفه من الله في جميع الجوانب وحيث كان او يرسل عليكم حاصبا وهي الريح التي تحصب اي ترمي بالحصباء يعني ان لم
يصبكم بالهلاك من تحتكم بالخسف اصابكم به من فوقكم بريح يرسلها عليكم فيها الحصباء يرجمكم بها فيكون اشد عليكم من الغرق
في البحر وكيلا من يتوكل بصرف ذلك عنكم ام امنتم ان يقوي دواعيكم ويوفر حوائجكم الى ان ترجعوا فتركبوا البحر الذي
نجاكم منه فاعرضتم فينتقم منكم بان يرسل عليكم قاصفا وهي الريح التي لها قصيف وهو الصوت الشديد كانها تتقصف
اي تتكسر وقيل التي لا تمر بشيء الا قصفته فيغرقكم وقرئ بالتاء اي الريح وبالنون وكذلك نخسف ونرسل ونعيدكم
بالياء والنون التبيع المطالب من قوله تعالى فاتباع بالمعروف اي مطالبة قال الشماخ كما لاذ الغريم من التبيع
ويقال فلان على فلان تبيع بحقه اي مسيطر عليه مطالب له بحقه والمعنى انا نفعل ما نفعل بهم ثم لا تجد احدا يطالبنا بما فعلنا
انتصارا منا ودركا للثار من جهتنا وهذا نحو قوله تعالى ولا يخاف عقباها بما كفرتم بكفرانكم النعمة باعراضكم حين نجاكم
ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير
ممن خلقنا تفضيلا قيل في تكرمة ابن آدم كرمه الله تعالى بالعقل والنطق والتمييز والخط والصورة الحسنة
والقامة المعتدلة وتدبير امر المعاش والمعاد وقيل بتسليطهم على ما في الارض وتسخيره لهم وقيل كل شيء يأكل بفيه الا ابن آدم

وعن الرشيد انه احضر طعاما فدعا بالملاعق وعنده ابو يوسف فقال له جاء في تفسير جدك ابن عباس قوله تعالى ولقد
كرمنا بني آدم جعلنا لهم اصابع يأكلون بها فاحضرت الملاعق فردها واكل باصابعه على كثير ممن خلقنا هو ما سوى
الملائكة صلوات الله عليهم وحسب بني آدم تفضيلا ان ترفع عليهم الملائكة وهم هم ومنزلتهم عند الله تعالى منزلتهم
والعجب من المجبرة كيف عكسوا في كل شيء وكابروا حتى جسرتهم عادة المكابرة على العظيمة التي هي تفضيل الانسان على الملك
وذلك بعد ما سمعوا تفخيم الله تعالى امرهم وتكثيره مع التعظيم ذكرهم وعلموا اين اسكنهم وانى قربهم وكيف نزلهم من انبيائه
منزلة انبيائه من اممهم ثم جرهم فرط التعصب عليهم الى ان لفقوا اقوالا واخبارا منها قالت الملائكة ربنا انك اعطيت
بني آدم الدنيا يأكلون منها ويتمتعون ولم تعطنا ذلك فاعطناه في الآخرة فقال وعزتي وجلالي لا اجعل ذرية من
خلقت بيدي كمن قلت له كن فكان ورووا عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال المؤمن اكرم على الله تعالى من الملائكة
الذين عنده ومن ارتكابهم انهم فسروا كثيرا بمعنى جميع في هذه الآية وخذلوا حتى سلبوا الذوق فلم يحسوا ببشاعة قولهم
وفضلناهم على جميع ممن خلقنا على ان معنى قولهم على جميع ممن خلقنا اشجى لحلوقهم واقذى لعيونهم ولكنهم لا يشعرون فانظروا
الى تمحلهم وتشبثهم بالتأويلات البعيدة في عداوة الملأ الاعلى حتى كأن جبريل عليه السلام غاظهم حين اهلك مدائن قوم لوط فتلك
السخيمة لا تنحل عن قلوبهم **يوم ندعوا كل اناس بامامهم فمن اوتي كتابه بيمينه فاولئك يقرؤن**
كتابهم ولا يظلمون فتيلا ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى واضل سبيلا
قرئ يدعو بالياء والنون ويدعى كل اناس على البناء للمفعول وقرأ الحسن يدعو كل اناس على قلب الالف واوا على لغة من يقول
افعو والظرف نصب باضمار اذكر ويجوز ان يقال انها علامة الجمع كما في واسروا النجوى الذين ظلموا والرفع مقدر كما في يدعى ولم يؤت
بالنون قلة مبالاة بها لانها غير ضمير ليست الا علامة بامامهم بمن ائتموا به من نبي او مقدم في الدين او كتاب او دين وقرأ
الحسن بكتابهم ومن بدع التفاسير ان الامام جمع ام وان الناس يدعون يوم القيمة بامهاتهم وان الحكمة في الدعاء بالامهات
دون الآباء رعاية حق عيسى واظهار شرف الحسن والحسين وان لا يفتضح اولاد الزنا وليت شعري ايهما ابدع اصحة لفظه
ام بهاء حكمته فمن اوتي من هؤلاء المدعوين كتابه بيمينه فاولئك يقرؤن كتابهم وقيل اولئك لان من اوتي في
معنى الجمع فان قلت لم خص اصحاب اليمين بقراءة كتابهم كأن اصحاب الشمال لا يقرؤن كتابهم قلت
بلى ولكن اذا اطلعوا على ما في كتابهم اخذهم ما يأخذ المطالب بالنداء على جناياته والاعتراف بمساويه امام التنكيل
والانتقام منه من الحياء والخجل والانخزال وحبسة اللسان والتتعتع والعجز عن اقامة حروف الكلام والذهاب عن
تسوية القول فكأن قراءتهم كلا قراءة واما اصحاب اليمين فامرهم على عكس ذلك لا جرم انهم يقرؤن كتابهم احسن قراءة
وابينها ولا يقنعون بقراءتهم وحدهم حتى يقول القارئ لاهل المحشر هاؤم اقرؤا كتابيه ولا يظلمون فتيلا ولا ينقصون من
ثوابهم ادنى شيء كقوله ولا يظلمون شيئا فلا يخاف ظلما ولا هضما ومن كان في الدنيا اعمى فهو في الآخرة اعمى كذلك واضل سبيلا
من الاعمى والاعمى مستعار ممن لا يدرك المبصرات لفساد حاسته لمن لا يهتدي الى طريق النجاة اما في الدنيا فلفقد النظر
واما في الآخرة فلانه لا ينفعه الاهتداء اليه وقد جوزوا ان يكون الثاني بمعنى التفضيل ومن ثم قرأ ابو عمرو الاول ممالا والثاني
مفخما لان افعل التفضيل تمامه بمن فكانت الفه في حكم الواقعة في وسط الكلام كقولك اعمالكم واما الاول فلم يتعلق به شيء
فكانت الفه واقعة في الطرف معرضة للامالة **وان كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك**
لتفتري علينا غيره واذا لاتخذوك خليلا ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم
شيئا قليلا اذا لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا
نصيرا وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها واذا لا يلبثون خلافك
الا قليلا سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا
روي ان ثقيفا قالت للنبي صلى الله عليه وسلم لا ندخل في امرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر
ولا نجبي في صلوتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع عنا وان تمتعنا باللات سنة ولا نكسرها بايدينا عند
راس الحول وان تمنع من قصد وادينا وج فعضد شجره فاذا سألتك العرب لم فعلت ذلك فقل ان الله امرني
وجاؤا بكتابهم فكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله لثقيف لا يعشرون ولا يحشرون فقالوا

على مذهبه

ولا يجبون فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قالوا للكاتب اكتب ولا يجبون والكاتب ينظر الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه فسل سيفه وقال اسعرتم قلب نبينا يا معشر ثقيف اسعر الله
قلوبكم نارا فقالوا لسنا نكلم اياك انما نكلم محمدا فنزلت وروي ان قريشا قالوا اجعل آية رحمة آية عذاب
وآية عذاب آية رحمة حتى نؤمن بك فنزلت وان كادوا ليفتنونك ان مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها
وبين النافية والمعنى ان الشان قاربوا ان يفتنوك فاتنين عن الذي اوحينا اليك عن اوامرنا ونواهينا ووعدنا ووعيدنا
لتفتري علينا لتتقول علينا ما لم نقل يعني ما ارادوه عليه من تبديل الوعد وعيدا والوعيد وعدا وما اقترحته ثقيف من ان
يضيف الى الله تعالى ما لم ينزل عليه واذا لاتخذوك اي ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك خليلا ولكنت لهم وليا ولخرجت من ولايتي
ولولا ان ثبتناك ولولا تثبيتنا لك وعصمتنا لقد كدت تركن اليهم لقاربت ان تميل الى خدعهم ومكرهم وهذا تهييج
من الله تعالى له وفضل تثبيت وفي ذلك لطف للمؤمنين اذا لو قاربت تركن اليهم ادنى ركنة لاذقناك ضعف
الحيوة وضعف الممات اي لاذقناك عذاب الآخرة وعذاب القبر مضاعفين **فان قلت** كيف حقيقة هذا الكلام
قلت اصله لاذقناك عذاب الحيوة وعذاب الممات لان العذاب عذابان عذاب في الممات وهو عذاب القبر وعذاب
في حيوة الآخرة وهو عذاب النار والضعف يوصف به نحو قوله تعالى فآتهم عذابا ضعفا من النار بمعنى مضاعفا فكان اصل
الكلام لاذقناك عذابا ضعفا في الحيوة وعذابا ضعفا في الممات ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه وهو الضعف
ثم اضيفت الصفة اضافة الموصوف فقيل ضعف الحيوة وضعف الممات كما لو قيل لاذقناك اليم الحيوة واليم الممات
ويجوز ان يراد بضعف الحيوة عذاب الحيوة الدنيا وبضعف الممات ما يعقب الموت من عذاب القبر وعذاب النار والمعنى
اذن لضاعفنا لك العذاب المعجل للعصاة في الحيوة الدنيا وما نؤخره لما بعد الموت وفي ذكر الكيدودة وتقليلها مع اتباعها
الوعيد الشديد بالعذاب المضاعف في الدارين دليل بين على ان القبيح يعظم قبحه بمقدار عظم شان فاعله وارتفاع
منزلته ومن ثم استعظم مشايخ العدل والتوحيد نسبة المجبرة القبايح الى الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا وفيه دليل على ان ادنى
مداهنة للغواة مضادة لله وخروج عن ولايته وسبب موجب لغضبه ونكاله فعلى المؤمن اذا تلا هذه الآية ان يجثو عندها
ويتدبرها فهي جديرة بالتدبر وبان يستشعر الناظر فيها الخشية وازدياد التصلب في دين الله وعن النبي صلى الله عليه وسلم
انها لما نزلت كان يقول اللهم لا تكلني الى نفسي طرفة عين وان كادوا وان كاد اهل مكة ليستفزونك ليزعجونك بعداوتهم
ومكرهم من الارض من ارض مكة واذا لا يلبثون لا يبقون بعد اخراجك الا زمانا قليلا فان الله تعالى مهلكهم وكان
كما قال فقد اهلكوا ببدر بعد اخراجه بقليل وقيل معناه ولو اخرجوك لاستؤصلوا عن بكرة ابيهم ولم يخرجوه بل هاجر بامر ربه
وقيل من ارض العرب وقيل من ارض المدينة وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر حسدته اليهود وكرهوا
قربه منهم فاجتمعوا اليه وقالوا يا ابا القاسم ان الانبياء انما بعثوا بالشام وهي بلاد مقدسة وكانت مهاجر ابرهيم
فلو خرجت الى الشام لآمنا بك وقد علمنا انه لا يمنعك من الخروج الا خوف الروم فان كنت رسول الله فالله مانعك
منهم فعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم على اميال من المدينة وقيل بذي الحليفة حتى يجتمع اليه اصحابه ويراه الناس عازما على
الخروج الى الشام لحرصه على دخول الناس في دين الله تعالى فنزلت فرجع وقرئ لا يلبثون وفي قراءة ابي لا يلبثوا على اعمال اذن
فان قلت ما وجه القراءتين **قلت** اما الشايعة فقد عطف فيها الفعل على الفعل وهو مرفوع لوقوعه خبر كاد
والفعل في خبر كاد واقع موقع الاسم واما قراءة ابي ففيها الجملة برأسها التي هي اذن لا يلبثوا عطف على جملة قوله وان كادوا
ليستفزونك وقرئ خلافك قال عفت الديار خلافهم فكانما بسط الشواطب بينهن حصيرا اي بعدهم سنة من قد
ارسلنا يعني ان كل قوم اخرجوا رسولهم من بين ظهرانيهم فسنة الله ان يهلكهم ونصبت نصب المصدر المؤكد اي سن الله ذلك سنة

اقم الصلوة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا ومن
الليل فتهجد به نافلة لك عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا وقل رب ادخلني مدخل
صدق واخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا دلكت الشمس غربت وقيل
زالت وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم اتاني جبريل لدلوك الشمس حين زالت الشمس فصلى بي الظهر واشتقاقه من
الدلك لان الانسان يدلك عينيه عند النظر اليها فان كان الدلوك الزوال فالآية جامعة للصلوات الخمس وان كان الغروب

فقد خرجت منها الظهر والعصر والغسق الظلمة وهو وقت صلوة العشاء وقرآن الفجر صلوة الفجر سميت قرآنا
وهي القراءة لانها ركن كما سميت ركوعا وسجودا وقنوتا وهي حجة على ابن علية والاصم في زعمهما ان القراءة ليست
بركن مشهودا تشهده ملائكة الليل والنهار ينزل هؤلاء ويصعد هؤلاء فهو في آخر ديوان الليل واول ديوان النهار
او يشهده الكثير من المصلين في العادة او من حقه ان يكون مشهودا بالجماعة الكثيرة ويجوز ان يكون وقرآن الفجر
حثا على طول القراءة في صلوة الفجر لكونها مكثورا عليها ليسمع الناس القرآن فيكثر الثواب ولذلك كانت الفجر اطول
الصلوات قراءة ومن الليل وعليك بعض الليل فتهجد به والتهجد ترك الهجود للصلوة ونحوه التأثم والتحرج ويقال
في النوم تهجد نافلة لك عبادة زائدة لك على الصلوات الخمس وضع نافلة موضع تهجدا لان التهجد عبادة زائدة
فكان التهجد والنافلة يجمعهما معنى واحد والمعنى ان التهجد زيد لك على الصلوات المفروضة فريضة عليك خاصة دون
غيرك لانه تطوع لهم مقاما محمودا نصب على الظرف اي عسى ان يبعثك يوم القيمة فيقيمك مقاما محمودا او ضمن يبعثك
معنى يقيمك ويجوز ان يكون حالا بمعنى ان يبعثك ذا مقام محمود ومعنى المقام المحمود المقام الذي يحمده القائم فيه
وكل من رآه وعرفه وهو مطلق في كل ما يجلب الحمد من انواع الكرامات وقيل المراد الشفاعة وهي نوع واحد
مما يتناوله وعن ابن عباس مقاما يحمدك فيه الاولون والآخرون وتشرف فيه على جميع الخلايق تسأل فتعطى وتشفع فتشفع
ليس احد الا تحت لوائك وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم هو المقام الذي اشفع فيه لامتي وعن
حذيفة يجمع الناس في صعيد واحد فلا تتكلم نفس فاول مدعو محمد صلى الله عليه وسلم فيقول لبيك وسعديك والشر ليس
اليك والمهدي من هديت وعبدك بين يديك وبك واليك لا ملجأ ولا منجا منك الا اليك تباركت وتعاليت
سبحانك رب البيت قال فهذا قوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا وقرئ مدخل ومخرج بالضم والفتح بمعنى المصدر
ومعنى الفتح ادخلني فادخل مدخل صدق اي ادخلني القبر مدخل صدق ادخالا مرضيا على طهارة وطيب من السيئات
واخرجني منه عند البعث اخراجا مرضيا ملقى بالكرامة آمنا من السخط يدل عليه ذكره على اثر ذكر البعث وقيل نزلت
حين امر بالهجرة يريد ادخال المدينة والاخراج من مكة وقيل ادخاله مكة ظاهرا عليها بالفتح واخراجه منها آمنا من المشركين
وقيل ادخاله الغار واخراجه منه سالما وقيل ادخاله فيما حمله من عظيم الامر وهو النبوة واخراجه منه مؤديا لما كلف
من غير تفريط وقيل الطاعة وقيل هو عام في كل ما يدخل فيه ويلابسه من امر ومكان سلطانا حجة تنصرني على من خالفني
او ملكا وعزا قويا ناصرا للاسلام على الكفر مظهرا له عليه فاجيبت دعوته بقوله والله يعصمك من الناس الا ان حزب الله
هم الغالبون ليظهره على الدين كله ليستخلفنهم في الارض ووعده لينزعن ملك فارس والروم فيجعله له وعنه صلى الله
عليه وسلم انه استعمل عتاب بن اسيد على اهل مكة وقال انطلق فقد استعملتك على اهل الله وكان شديدا على المريب لينا
على المؤمن وقال لا والله لا اعلم متخلفا يتخلف عن الصلوة في جماعة الا ضربت عنقه فانه لا يتخلف عن الصلوة الا منافق
فقال اهل مكة يا رسول الله لقد استعملت على اهل الله عتاب بن اسيد اعرابيا جافيا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اني رأيت فيما يرى النائم كان عتاب بن اسيد اتى باب الجنة فاخذ بحلقة الباب فقلقلها قلقالا شديدا حتى فتح له
فدخلها فاعز الله به الاسلام لنصرته المسلمين على من يريد ظلمهم فذلك السلطان النصير وقل جاء الحق وزهق
الباطل ان الباطل كان زهوقا ونُنزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا
يزيد الظالمين الا خسارا كان حول البيت ثلثمائة وستون صنما صنم كل قوم بحيالهم وعن ابن عباس
كانت لقبايل العرب يحجون اليها وينحرون لها فشكا البيت الى الله تعالى فقال اي رب حتى متى تعبد هذه الاصنام حولي
دونك فاوحى الله تعالى الى البيت اني ساحدث لك توبة جديدة فاملاك خدودا سجدا يدفون اليك دفيف
النسور ويحنون اليك حنين الطير الى بيضها لهم عجيج حولك بالتلبية ولما نزلت هذه الآية يوم الفتح قال جبريل
لرسول الله صلى الله عليه وسلم خذ مخصرتك ثم القها فجعل ياتي صنما صنما وهو ينكت بالمخصرة في عينه ويقول جاء الحق وزهق
الباطل فينكب الصنم لوجهه حتى القاها جميعا وبقي صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من قوارير صفر فقال يا علي ارم به فحمله
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد فرمى به فكسره فجعل اهل مكة يتعجبون ويقولون ما رأينا رجلا اسحر من محمد ونكاية البيت
والوحي اليه تمثيل وتخييل وزهق الباطل ذهب وهلك من قولهم زهقت نفسه اذا خرجت الحق الاسلام والباطل الشرك

كان فهو كان متضمنا آخر ثابت في كل وقت وننزل قرئ بالتخفيف والتشديد من القرآن من للتبيين كقوله من الأوثان
او للتبعيض اى كل شئ نزل من القرآن فهو شفاء للمؤمنين يزدادون به ايمانا ويستصلحون به دينهم فموقعه موقع الشفاء
وعن النبي صلى الله عليه وسلم من لم يستشف بالقرآن فلا شفاه الله ولا يزداد به الكافرون الا خسارا اى نقصانا
لتكذيبهم وكفرهم كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم **وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه**
وإذا مسه الشر كان يؤسا قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا
وإذا أنعمنا على الانسان بالصحة والسعة اعرض عن ذكر الله كأنه مستغن عنه مستبد بنفسه ونأى بجانبه
تأكيد للاعراض لان الاعراض عن الشئ ان يوليه عرض وجهه والنأي بالجانب ان يلوي عنه عطفه ويوليه ظهره او
اراد الاستكبار لان ذلك من عادة المستكبرين وإذا مسه الشر من فقر او مرض او نازلة من النوازل كان يؤسا
شديد اليأس من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون وقرئ وناء بجانبه بتقديم اللام على العين
كقولهم راء في رأى ويجوز ان يكون من ناء بمعنى نهض قل كل احد يعمل على شاكلته اى على مذهبه وطريقته التي تشاكل
حاله في الهدى والضلالة من قولهم طريق ذو شواكل وهي الطرق التي تتشعب منه والدليل عليه قوله فربكم اعلم بمن هو اهدى
سبيلا اى اسد مذهبا وطريقة **ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من**
العلم إلا قليلا ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك ثم لا تجد لك به علينا
وكيلا إلا رحمة من ربك إن فضله كان عليك كبيرا الاكثر على انه الروح الذي في
الحيوان سألوه عن حقيقته فاخبر انه من امر الله اى مما استأثر بعلمه وعن ابى بردة لقد مضى النبي صلى الله عليه وسلم
وما يعلم الروح وقيل هو خلق عظيم روحاني اعظم من الملك وقيل جبرئيل وقيل القرآن ومن امر ربي اى من وحيه
وكلامه ليس من كلام البشر بعثت اليهود الى قريش ان سلوه عن اصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح
فان اجاب عنها او سكت فليس بنبي وان اجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي فبين لهم القصتين وابهم
الروح وهو مبهم في التوراة فندموا على سؤالهم وما اوتيتم الخطاب عام وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قال
لهم ذلك قالوا نحن مختصون بهذا الخطاب ام انت معنا فيه فقال بل نحن وانتم لم تؤتوا من العلم الا قليلا فقالوا
ما اعجب شأنك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وساعة تقول هذا فنزلت ولو ان ما في الارض من
شجرة اقلام وليس ما قالوه بلازم لان القلة والكثرة تدوران مع الاضافة فيوصف الشئ بالقلة مضافا الى ما فوقه
وبالكثرة مضافا الى ما تحته فالحكمة التي اوتيها العبد خير كثير في نفسها الا انها اذا اضيفت الى علم الله تعالى فهي قليلة
وقيل هو خطاب لليهود خاصة لانهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم قد اوتينا التوراة وفيها الحكمة وقد تلوت ومن
يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا فقيل لهم ان علم التوراة قليل في جنب علم الله تعالى لنذهبن جواب قسم محذوف
مع نيابته عن جزاء الشرط واللام الداخلة على ان موطئة للقسم والمعنى ان شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه عن الصدور
والمصاحف فلم نترك له اثرا وبقيت كما كنت لا تدري ما الكتاب ثم لا تجد لك بعد الذهاب به من يتوكل علينا
باسترداده واعادته محفوظا مسطورا الا رحمة من ربك الا ان يرحمك ربك فيرده عليك كأن رحمته تتوكل
عليه بالرد او يكون على الاستثناء المنقطع بمعنى ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به وهذا امتنان من الله
ببقاء القرآن محفوظا بعد المنة العظيمة في تنزيله وتحفيظه فعلى كل ذي علم ان لا يغفل عن هاتين المنتين والقيام
بشكرهما وهما منة الله عليه بحفظ العلم ورسوخه في صدره ومنته عليه في بقاء المحفوظ وعن ابن مسعود رضي الله عنه
ان اول ما تفقدون من دينكم الامانة وآخر ما تفقدون الصلاة وليصلين قوم ولا دين لهم وان هذا القرآن تصبحون
يوما وما فيكم منه شئ فقال رجل كيف ذلك وقد اثبتناه في قلوبنا واثبتناه في مصاحفنا نعلمه ابناءنا ويعلمه
ابناؤنا ابناءهم فقال يسرى عليه ليلا فيصبح الناس منه فقراء ترفع المصاحف وينزع ما في القلوب **قل لئن اجتمعت**
الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ولقد
صرفنا في هذا القرآن من كل مثل فأبى أكثر الناس إلا كفورا لا يأتون جواب قسم محذوف ولولا
اللام الموطئة لجاز ان يكون جوابا للشرط كقوله يقول لا غائب مالي ولا حرم لان الشرط وقع ماضيا اى لو تظاهروا

على ان يأتوا بمثل القرآن في بلاغته وحسن نظمه وتأليفه وفيهم العرب العاربة ارباب البيان لعجزوا عن الاتيان بمثله والعجب من
النوابت ومن زعمهم ان القرآن قديم مع اعترافهم بانه معجز وانما يكون العجز حيث تكون القدرة فيقال الله قادر على خلق
الاجسام والعباد عاجزون عنه واما المحال الذي لا مجال فيه للقدرة ولا مدخل لها فيه كثاني القديم فلا يقال للفاعل قد عجز عنه
ولا هو معجز ولو قيل ذلك لجاز وصف الله تعالى بالعجز لانه لا يوصف بالقدرة على المحال الا ان يكابروا فيقولوا هو قادر على
المحال فان رأس مالهم المكابرة وقلب الحقائق ولقد صرفنا رددنا وكررنا من كل مثل من كل معنى هو كالمثل في غرابته وحسنه
والكفور الجحود **فان قلت** كيف جاز فأبى اكثر الناس الا كفورا ولم يجز ضربت الا زيدا **قلت** لان أبى
متأول بالنفي كانه قيل فلم يرضوا الا كفورا **وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا أو**
تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا أو تسقط السماء كما زعمت
علينا كسفا أو تأتي بالله والملائكة قبيلا أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في
السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا
لما تبين اعجاز القرآن وانضمت اليه المعجزات الاخر والبينات ولزمتهم الحجة وغلبوا اخذوا يتعللون باقتراح
الآيات فعل المبهوت المحجوج المتعثر في اذيال الحيرة فقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر تفتح وقرئ تفجر بالتخفيف من
الارض يعنون ارض مكة ينبوعا عينا غزيرة من شأنها ان تنبع بالماء لا ينقطع يفعول من نبع الماء كيعبوب من عب
الماء كما زعمت يعنون قول الله تعالى ان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء وقرئ كسفا بسكون
السين جمع كسفة كسدرة وسدر وبفتحها قبيلا كفيلا بما تقول شاهدا بصحته والمعنى او تأتي بالله قبيلا والملائكة
قبيلا كقوله كنت منه ووالدي بريئا واني وقيار بها لغريب او مقابلا كالعشير بمعنى المعاشر ونحوه لولا
انزل علينا الملائكة او نرى ربنا او جماعة حالا من الملائكة من زخرف من ذهب في السماء في معارج السماء فحذف
المضاف يقال رقي في السلم وفي الدرجة ولن نؤمن لرقيك ولن نؤمن لاجل رقيك حتى تنزل علينا كتابا من
السماء فيه تصديقك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال عبد الله بن امية لن نؤمن لك حتى تتخذ الى السماء سلما
ثم ترقى فيه وانا انظر حتى تأتيها ثم تأتي معك بصك منشور معه اربعة من الملائكة يشهدون لك انك كما تقول وما
كانوا يقصدون بهذه الاقتراحات الا العناد واللجاج ولو جاءتهم كل آية لقالوا هذا سحر كما قال عز وعلا ولو نزلنا
عليك كتابا في قرطاس ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون وحين انكروا الآية الباقية التي هي القرآن
وسائر الآيات وليست بدون ما اقترحوه بل هي اعظم لم يكن الى تبصرتهم سبيل قل سبحان ربي وقرئ قال سبحان ربي
اى قال الرسول وسبحان ربي تعجب من اقتراحهم عليه هل كنت الا رسولا كسائر الرسل بشرا مثلهم وكان الرسل لا يأتون
قومهم الا بما يظهره الله عليهم من الآيات فليس امر الآيات الي انما هو الى الله تعالى فما بالكم تتخيرونها علي **وما منع الناس**
أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا قل كفى بالله شهيدا
بيني وبينكم إنه كان بعباده خبيرا بصيرا ان الاولى نصب مفعول ثان لمنع والثانية رفع فاعل له
والهدى الوحي اى وما منعهم الايمان بالقرآن وبنبوة محمد صلى الله عليه وسلم الا شبهة تلجلجت في صدورهم وهي انكارهم ان
يرسل الله تعالى البشر والهمزة في ابعث الله للانكار وما انكروه فخلافه هو المنكر عند الله تعالى لان قضية حكمته ان لا يرسل
ملك الوحي الا الى امثاله او الى الانبياء ثم قرر ذلك بانه لو كان في الارض ملائكة يمشون على اقدامهم كما يمشي الانس لا يطيرون
باجنحتهم الى السماء فيسمعوا من اهلها ويعلموا ما يجب علمه مطمئنين ساكنين في الارض قارين لنزلنا عليهم من السماء
ملكا رسولا يعلمهم الخير ويهديهم الى المراشد فاما الانس فما هم بهذه المثابة انما يرسل الملك الى مختار منهم للنبوة فيقوم
ذلك المختار بدعوتهم وارشادهم **فان قلت** هل يجوز ان يكون بشرا وملكا منصوبين على الحال من رسولا
قلت وجه حسن والمعنى له اجوب شهيدا بيني وبينكم على اني بلغت ما ارسلت به اليكم وانكم كذبتم وعاندتم انه كان
بعباده المنذرين والمنذرين خبيرا عالما باحوالهم فهو مجازيهم وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووعيد للكفرة وشهيدا
تمييز او حال **ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه ونحشرهم**
يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا ذلك

اعتزال

قوله رماني بامر كنت منه ووالدي بريئا ومن اجل الطوي رماني
الطوي البئر المطوية

قوله فمن يك امسى بالمدينة رحله

قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا

جزاؤهم بانهم كفروا باياتنا وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا ائنا لمبعوثون خلقا جديدا
ومن يهد الله ومن يوفقه ويلطف به فهو المهتد لانه لا يلطف الا بمن عرف ان اللطف ينفع فيه ومن يضلل ومن يخذل
فلن تجد لهم اولياء انصارا على وجوههم كقوله يوم يسحبون في النار على وجوههم وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يمشون
على وجوههم قال ان الذي امشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم عميا وبكما وصما كما كانوا في الدنيا لا
يستبصرون ولا ينطقون بالحق ويتصامون عن استماعه فهم في الاخرة كذلك لا يبصرون ما يقر اعينهم ولا يسمعون
ما يلذ مسامعهم ولا ينطقون بما يقبل منهم ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى ويجوز ان يحشروا مؤوفي الحواس
من الموقف الى النار بعد الحساب فقد اخبر عنهم في موضع آخر انهم يقرؤون ويتكلمون كلما خبت كلما اكلت
جلودهم ولحومهم وافنتها فسكن لهبها بدلوا غيرها فرجعت ملتهبة مستعرة كانهم لما كذبوا بالاعادة بعد الافناء
جعل الله جزاءهم ان سلط النار على اجزائهم تاكلها وتفنيها ثم يعيدها لا يزالون على الافناء والاعادة ليزيد ذلك في
تحسيرهم على تكذيبهم البعث ولانه ادخل في الانتقام من الجاحد وقد دل على ذلك بقوله ذلك جزاؤهم الى قوله ائنا لمبعوثون
خلقا جديدا ○ اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض قادر على ان يخلق مثلهم
وجعل لهم اجلا لا ريب فيه فابى الظالمون الا كفورا ○ قل لو انتم تملكون خزائن رحمة
ربي اذا لامسكتم خشية الانفاق وكان الانسان قتورا ○ فان قلت علام عطف قوله
وجعل لهم اجلا قلت على قوله اولم يروا لان المعنى قد علموا بدليل العقل ان من قدر على خلق السموات والارض
فهو قادر على خلق امثالهم من الانس لانهم ليسوا باشد خلقا منهن كما قال ءانتم اشد خلقا ام السماء وجعل لهم اجلا
لا ريب فيه وهو الموت او القيمة فابوا مع وضوح الدليل الا جحودا لو حقها ان تدخل على الافعال دون الاسماء فلا بد من
فعل بعدها في لو انتم تملكون وتقديره لو تملكون تملكون فاضمر تملك اضمارا على شريطة التفسير وابدل من الضمير المتصل الذي
هو الواو ضمير منفصل وهو انتم لسقوط ما يتصل به من اللفظ فانتم فاعل الفعل المضمر وتملكون تفسيره وهذا هو الوجه الذي
يقتضيه علم الاعراب فاما ما يقتضيه علم البيان فهو ان انتم تملكون فيه دلالة على الاختصاص وان الناس هم المختصون
بالشح المتبالغ ونحوه قول حاتم لو ذات سوار لطمتني وقول المتلمس ولو غير اخوالي ارادوا نقيصتي وذلك لان
الفعل الاول لما سقط لاجل المفسر برز الكلام في صورة المبتدا والخبر ورحمة الله رزقه وسائر نعمه على خلقه ولقد بلغ هذا
الوصف بالشح الغاية التي لا يبلغها الوهم وقيل هو لاهل مكة الذين اقترحوا ما اقترحوا من الينبوع والانهار وغيرها وانهم
لو ملكوا خزائن الارزاق لبخلوا بها قتورا ضيقا بخيلا فان قلت هل تقدر لامسكتم مفعول قلت لا لان معناه
بخلتم من قولك للبخيل ممسك ○ ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فاسأل بني اسرائيل اذ جاءهم
فقال له فرعون اني لاظنك يا موسى مسحورا ○ عن ابن عباس رضي الله عنهما هي العصا واليد والجراد
والقمل والضفادع والدم والحجر والبحر والطور الذي نتقه على بني اسرائيل ○ وعن الحسن الطوفان والسنون ونقص الثمرات
مكان الحجر والبحر والطور ○ وعن عمر بن عبد العزيز انه سال محمد بن كعب فذكر اللسان والطمس فقال له عمر كيف يكون الفقيه
الا هكذا اخرج يا غلام ذلك الجراب فاخرجه فنفضه فاذا بيض مكسور نصفين وجوز مكسور وفوم وحمص وعدس كلها حجارة
وعن صفوان بن عسال ان بعض اليهود سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال اوحى الله تعالى الى موسى ان قل لبني اسرائيل
لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تسحروا ولا تاكلوا الربا ولا تمشوا
ببريء الى ذي سلطان ليقتله ولا تقذفوا المحصنة ولا تفروا من الزحف وانتم يا يهود خاصة لا تعدوا في السبت
فسل بني اسرائيل فقلنا له سل بني اسرائيل اي سلهم من فرعون وقل له ارسل معي بني اسرائيل او سلهم عن ايمانهم وعن حال
دينهم او سلهم ان يعاضدوك وتكون قلوبهم وايديهم معك ويدل عليه قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسال بني اسرائيل
على لفظ الماضي بغير همز وهي لغة قريش وقيل فسل يا رسول الله المؤمنين من بني اسرائيل وهم عبد الله بن سلام واصحابه عن الايات
ليزداد يقينا وطمانينة قلب لان الادلة اذا تظاهرت كان ذلك اقوى واثبت كقول ابراهيم بلى ولكن ليطمئن قلبي
فان قلت بم تعلق اذ جاءهم قلت اما على الوجه الاول فبالقول المحذوف اي فقلنا له سلهم حين
جاءهم او بسال في القراءة الثانية واما على الاخير فبآتينا او باضمار اذكر او يخبروك ومعنى اذ جاءهم اذ جاء آباءهم

جعلت لهم فوق العوانس ميسا
وبعده
وكل كنت الاشل قاطع كف
بكف له اخرى عليها تعوذ

سحرت فخولط عقلك ○ قال لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض
بصائر واني لاظنك يا فرعون مثبورا ○ فاراد ان يستفزهم من الارض فاغرقناه
ومن معه جميعا ○ وقلنا من بعده لبني اسرائيل اسكنوا الارض فاذا جاء وعد الاخرة
جئنا بكم لفيفا ○ لقد علمت يا فرعون ما انزل هؤلاء الآيات الا الله عز وجل بصائر بينات مكشوفات
ولكنك معاند مكابر ونحوه وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا وقرئ علمت بالضم على معنى اني لست بمسحور كما
وصفتني بل انا عالم بصحة الامر وان هذه الآيات منزلها رب السموات والارض ثم قارع ظنه بظنه كانه قال ان ظننتني
مسحورا فانا اظنك مثبورا هالكا وظني اصح من ظنك لان له امارة ظاهرة وهي انكارك ما عرفت صحته ومكابرتك
لايات الله بعد وضوحها واما ظنك فكذب بحت لان قولك مع علمك بصحة امري اني لاظنك مسحورا قول كذاب وقال الفراء
مثبورا مصروفا عن الخير مطبوعا على قلبك من قولهم ما ثبرك عن هذا اي ما منعك وصرفك وقرا ابي بن كعب وان اخالك
يا فرعون لمثبورا على ان المخففة واللام الفارقة فاراد فرعون ان يستخف موسى وقومه من ارض مصر ويخرجهم منها او ينفيهم عن
ظهر الارض بالقتل والاستيصال فحاق به مكره بان استفزه الله تعالى باغراقه مع قبطه اسكنوا الارض التي اراد فرعون
ان يستفزكم منها فاذا جاء وعد الاخرة يعني قيام الساعة جئنا بكم لفيفا جميعا مختلطين اياكم واياهم ثم نحكم بينكم
ونميز بين سعدائكم واشقيائكم واللفيف الجماعات من قبائل شتى ○ وبالحق انزلناه وبالحق نزل وما ارسلناك
الا مبشرا ونذيرا ○ وقرآنا فرقناه لتقراه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا ○ وبالحق انزلناه
وبالحق نزل وما انزل القرآن الا بالحكمة المقتضية لانزاله وما نزل الا ملتبسا بالحق والحكمة لاشتماله على الهداية الى كل خير
او ما انزلناه من السماء الا بالحق محفوظا بالرصد من الملائكة وما نزل على الرسول صلى الله عليه وسلم الا محفوظا بهم من تخليط الشياطين
وما ارسلناك الا لتبشرهم بالجنة وتنذرهم من النار ليس اليك وراء ذلك شيء من اكراه على الدين او نحو ذلك ○ وقرآنا منصوب
بفعل يفسره فرقناه وقرا ابي فرقناه بالتشديد اي جعلنا نزوله مفرقا منجما ○ وعن ابن عباس انه قراه مشددا وقال لم ينزل في
يومين او ثلثة بل كان بين اوله وآخره عشرون سنة يعني ان فرق بالتخفيف يدل على فصل متقارب على مكث بالفتح والضم
على مهل وتؤدة وتثبت ونزلناه تنزيلا على حسب الحوادث ○ قل آمنوا به او لا تؤمنوا ان الذين اوتوا
العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا ○ ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد
ربنا لمفعولا ○ ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا ○ قل آمنوا به او لا تؤمنوا امر
بالاعراض عنهم واحتقارهم والازدراء بشانهم وانهم لا يكترث بهم وبايمانهم وبامتناعهم عنه وانهم ان لم يدخلوا في الايمان
ولم يصدقوا بالقرآن وهم اهل جاهلية وشرك فان خيرا منهم وافضل وهم العلماء الذين قرؤوا الكتب وعلموا ما الوحي وما
الشرائع قد آمنوا به وصدقوه وثبت عندهم انه النبي العربي الموعود في كتبهم فاذا تلي عليهم خروا سجدا وسبحوا الله تعظيما لامره
ولانجازه ما وعد في الكتب المنزلة وبشر به من بعثة محمد صلى الله عليه وسلم وانزال القرآن عليه وهو المراد بالوعد في قوله
ان كان وعد ربنا لمفعولا ويزيدهم خشوعا اي يزيدهم القرآن لين قلب ورطوبة عين فان قلت ان الذين اوتوا
العلم من قبله تعليل لماذا قلت يجوز ان يكون تعليلا لقوله آمنوا به او لا تؤمنوا وان يكون تعليلا لقل على سبيل
التسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتطييب نفسه كانه قيل تسل عن ايمان الجهلة بايمان العلماء وعلى الاول ان لم تؤمنوا به لقد
آمن به من هو خير منكم فان قلت ما معنى الخرور للذقن قلت السقوط على الوجه وانما ذكر الذقن وهو مجتمع اللحيين
لان الساجد اول ما يلقى به الارض من وجهه الذقن فان قلت حرف الاستعلاء ظاهر المعنى اذا قلت خر على وجهه وعلى ذقنه فما
معنى اللام في خر لذقنه ولوجهه قال فخر صريعا لليدين وللفم قلت معناه جعل ذقنه ووجهه للخرور واختصه به لان اللام للاختصاص
فان قلت لم كرر يخرون للاذقان قلت لاختلاف الحالين وهما خرورهم في حال كونهم ساجدين وخرورهم في
حال كونهم باكين ○ قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى ولا تجهر
بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا ○ وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا
ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا ○ عن ابن عباس رضي الله عنهما
سمعه ابو جهل يقول يا الله يا رحمن فقال انه ينهانا ان نعبد الهين وهو يدعو الها آخر وقيل ان اهل الكتاب قالوا انك

اوله تناوله بالرمح ثم انثنى له
وقيل اوله
المكنه بالرمح حضنى قميصه

لتغفل ذكر الرحمن وقد اكثر الله في التورية هذا الاسم فنزلت والدعاء بمعنى التسمية لا بمعنى النداء وهو يتعدى الى مفعولين تقول دعوته زيدا ثم يترك احدهما استغناء عنه فيقال دعوت زيدا والله والرحمن المراد بهما الاسم لا المسمى واو للتخيير يعني ادعوا الله او ادعوا الرحمن سموا بهذا الاسم او بهذا واذكروا اما هذا واما هذا والتنوين في ايا عوض من المضاف اليه وما صلة للابهام المؤكد لما في اي اي اي هذين الاسمين سميتم وذكرتم فله الاسماء الحسنى والضمير في فله ليس براجع الى احد الاسمين المذكورين ولكن الى مسماهما وهو ذاته عز وعلا لان التسمية للذات لا للاسم والمعنى اياما تدعو فهو حسن فوضع موضعه قوله فله الاسماء الحسنى لانه اذا حسنت اسماؤه كلها حسن هذان الاسمان لانهما منها ومعنى كونها احسن الاسماء انها مستقلة بمعاني التمجيد والتقديس والتعظيم بصلاتك بقراءة صلاتك على حذف المضاف لانه لا يلبس من قبل ان الجهر والمخافتة صفتان تعتقبان على الصوت لا غير والصلوة افعال واذكار وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفع صوته بقراءته فاذا سمعها المشركون لغوا وسبوا فامر بان يخفض من صوته والمعنى ولا تجهر حتى تسمع المشركين ولا تخافت حتى لا تسمع من خلفك وابتغ بين الجهر والمخافتة سبيلا وسطا وروي ان ابا بكر رضي الله عنه كان يخفي صوته بالقراءة في صلوته ويقول اناجي ربي وقد علم حاجتي وكان عمر رضي الله عنه يرفع صوته ويقول ازجر الشيطان واوقظ الوسنان فامر ابا بكر ان يرفع قليلا وعمر ان يخفض قليلا وقيل معناه ولا تجهر بصلواتك كلها ولا تخافت بها كلها وابتغ بين ذلك سبيلا بان تجهر بصلوة الليل وتخافت بصلوة النهار وقيل بصلاتك بدعائك وذهب قوم الى ان الآية منسوخة بقوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية وابتغاء السبيل مثل لانتحاء الوجه الوسط في القراءة ولي من الذل ناصر من الذل ومانع له منه لاعتزازه به او لم يوال احدا من اجل مذلة به ليدفعها بموالاته فان قلت كيف لاق وصفه بنفي الولد والشريك والذل بكلمة التحميد قلت لان من هذا وصفه هو الذي يقدر على ايلاء كل نعمة فهو الذي يستحق جنس الحمد وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا افصح الغلام من بني عبد المطلب علمه هذه الآية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة بني اسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطار في الجنة والقنطار الف اوقية ومائتا اوقية ○

سورة الكهف مكية

وهي مائة واحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا ● قيما لينذر بأسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا ماكثين فيه ابدا ● وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ● ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من افواههم ان يقولون الا كذبا ● فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا ● انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا ● وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا ●

لقن الله تعالى عباده وفقههم كيف يثنون عليه ويحمدونه على اجزل نعمائه عليهم وهي نعمة الاسلام وما انزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم من الكتاب الذي هو سبب نجاتهم وفوزهم ولم يجعل له عوجا ولم يجعل له شيئا من العوج قط والعوج في المعاني كالعوج في الاعيان والمراد نفي الاختلاف والتناقض عن معانيه وخروج شيء منه من الحكمة والاصابة فيه فان قلت بم انتصب قيما قلت الاحسن ان ينتصب بمضمر ولا يجعل حالا من الكتاب لان قوله ولم يجعل معطوف على انزل فهو داخل في حيز الصلة فجاعله حالا من الكتاب فاصل بين الحال وذي الحال ببعض الصلة وتقديره ولم يجعل له عوجا جعله قيما لانه اذا نفى عنه العوج فقد اثبت له الاستقامة فان قلت ما فائدة الجمع بين نفي العوج واثبات الاستقامة وفي احدهما غنى عن الآخر قلت فائدته التوكيد فرب مستقيم مشهود له بالاستقامة ولا يخلو من ادنى عوج عند السبر والتصفح وقيل قيما على سائر الكتب مصدقا لها شاهدا بصحتها وقيل قيما بمصالح العباد وما لا بد لهم من الشرائع وقرئ قيما انذر متعد الى مفعولين كقوله تعالى انا انذرناكم عذابا قريبا فاقتصر على احدهما واصله لينذر الذين كفروا بأسا شديدا والبأس من قوله بعذاب بئيس وقد بؤس العذاب وبؤس الرجل بأسا وبآسة من لدنه صادرا من عنده وقرئ من لدنه بسكون الدال مع اشمام الضمة وكسر النون ويبشر بالتخفيف والتثقيل فان قلت لم اقتصر على

احد مفعولي انذر قلت قد جعل المنذر به هو الغرض المسوق اليه فوجب الاقتصار عليه والدليل عليه تكرير الانذار في قوله وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا متعلقا بالمنذرين من غير ذكر المنذر به كما ذكر المبشر به في قوله ان لهم اجرا حسنا استغناء بتقدم ذكره فالاجر الحسن الجنة ما لهم به من علم اي بالولد او باتخاذه يعني ان قولهم هذا لم يصدر عن علم ولكن عن جهل مفرط وتقليد للآباء وقد اشتمله آباؤهم من الشيطان وتسويله فان قلت اتخاذ الله ولدا في نفسه محال فكيف قيل ما لهم به من علم قلت معناه ما لهم به من علم لانه ليس مما يعلم لاستحالته وانتفاء العلم بالشيء اما للجهل بالطريق الموصل اليه واما لانه في نفسه محال لا يستقيم تعلق العلم به وقرئ كبرت كلمة وكلمة بالنصب على التمييز والرفع على الفاعلية والنصب اقوى وابلغ وفيه معنى التعجب كانه قيل ما اكبرها كلمة وتخرج من افواههم صفة للكلمة تفيد استعظاما لاجترائهم على النطق بها واخراجها من افواههم فان كثيرا مما يوسوسه الشيطان في قلوب الناس ويحدثون به انفسهم من المنكرات لا يتمالكون ان يتفوهوا به ويطلقوا به السنتهم بل يكظمون عليه تشورا من اظهاره فكيف بمثل هذا المنكر وقرئ كبرت بسكون الباء مع اشمام الضمة فان قلت الام يرجع الضمير في كبرت قلت الى قولهم اتخذ الله ولدا وسميت كلمة كما يسمون القصيدة بها شبهه واياهم حين تولوا عنه ولم يؤمنوا به وما داخله من الوجد والاسف على توليهم برجل فارقه احبته واعزته فهو يتساقط حسرات على آثارهم ويبخع نفسه وجدا عليهم وتلهفا على فراقهم وقرئ باخع نفسك على الاصل وعلى الاضافة اي قاتلها ومهلكها وهو للاستقبال فيمن قرأ ان لم يؤمنوا وللمضي فيمن قرأ أن لم يؤمنوا بمعنى لان لم يؤمنوا بهذا الحديث بالقرآن اسفا مفعول له اي لفرط الحزن ويجوز ان يكون حالا والاسف المبالغة في الحزن والغضب يقال رجل اسف واسيف ما على الارض يعني ما يصلح ان يكون زينة لها ولاهلها من زخارف الدنيا وما يستحسن منها لنبلوهم ايهم احسن عملا وحسن العمل الزهد فيها وترك الاغترار بها ثم زهد في الميل اليها بقوله وانا لجاعلون ما عليها من هذه الزينة صعيدا جرزا يعني مثل ارض بيضاء لا نبات فيها بعد ان كانت خضراء معشبة في ازالة بهجته واماطة حسنه وابطال ما به كان زينة من اماتة الحيوان وتجفيف النبات والاشجار ونحو ذلك ● ام حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا ● اذ اوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من امرنا رشدا ● ذكر من الآيات الكلية تزيين الارض بما خلق فوقها من الاجناس التي لا حصر لها وازالة ذلك كله كان لم يكن ثم قال ام حسبت يعني ان ذلك اعظم من قصة اصحاب الكهف وابقاء حياتهم مدة طويلة والكهف الغار الواسع في الجبل والرقيم اسم كلبهم قال امية بن ابي الصلت • وليس بها الا الرقيم مجاورا • وصيدهم والقوم في الكهف همد • وقيل هو لوح من رصاص رقمت فيه اسماؤهم جعل على باب الكهف وقيل ان الناس رقموا حديثهم نقرا في الجبل وقيل هو الوادي الذي فيه الكهف وقيل الجبل وقيل قريتهم وقيل مكانهم بين غضبان وايلة دون فلسطين كانوا آية عجبا من آياتنا وصفا بالمصدر او على ذات عجب من لدنك رحمة اي رحمة من خزائن رحمتك وهي المغفرة والرزق والامن من الاعداء وهيئ لنا من امرنا الذي نحن عليه من مفارقة الكفار رشدا حتى نكون بسببه راشدين مهتدين او اجعل امرنا رشدا كله كقولك رأيت منك اسدا ● فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا ● ثم بعثناهم لنعلم اي الحزبين احصى لما لبثوا امدا ● فضربنا على آذانهم اي ضربنا عليها حجابا من ان تسمع يعني انمناهم انامة ثقيلة لا تنبههم فيها الاصوات كما ترى المستثقل في نومه يصاح به فلا يسمع ولا يستنبه فحذف المفعول الذي هو الحجاب كما يقال بنى على امرأته يريدون بنى عليها القبة سنين عددا ذوات عدد فيحتمل ان يريد الكثرة وان يريد القلة لان الكثير قليل عنده كقوله تعالى لم يلبثوا الا ساعة من نهار وقال الزجاج اذا قل فهم مقدار عدده فلم يحتج ان يعد واذا كثر احتاج الى ان يعد اي يتضمن معنى الاستفهام فعلق عنه لنعلم فلم يعمل فيه وقرئ ليعلم وهو معلق عنه ايضا لان ارتفاعه بالابتداء لا بالاسناد يعلم اليه وفاعل يعلم مضمون الجملة كانه مفعول نعلم اي الحزبين المختلفين منهم في مدة لبثهم لانهم لما انتبهوا اختلفوا في ذلك وذلك قوله قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم وكان الذين قالوا ربكم اعلم بما لبثتم هم الذين علموا ان لبثهم قد تطاول او اي الحزبين المختلفين من غيرهم واحصى فعل ماض اي ايهم ضبط امدا لاوقات لبثهم فان قلت فما تقول فيمن جعله افعل التفضيل قلت

ليس بالوجه السديد وذلك ان بناءه من غير الثلاثي المجرد ليس بقياس ونحو اعدى من الجرب وافلس من ابن المذلق
شاذ والقياس على الشاذ في غير القرآن ممتنع فكيف به ولان امدا لا يخلو اما ان ينصب بافعل فافعل لا يعمل واما
ان ينصب بلبثوا فلا يسد عليه المعنى فان زعمت اني انصبه باضمار فعل يدل عليه احصى كما اضمر في قوله واضرب
منا بالسيوف القوانسا على نضرب القوانس فقد ابعدت المتناول وهو قريب حيث ابيت ان يكون احصى فعلا ثم رجعت
مضطرا الى تقديره واضماره **فان قلت** كيف جعل الله تعالى العلم باحصائهم المدة غرضا في الضرب على آذانهم
قلت الله عز وعلا لم يزل عالما بذلك وانما اراد ما تعلق به العلم من ظهور الامر لهم ليزدادوا ايمانا واعتبارا ويكون
لطفا لمؤمني زمانهم وآية بينة لكفاره وزدناهم هدى بالتوفيق والتثبيت **نحن نقص عليك نبأهم بالحق**
انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا رب
السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا هؤلاء قومنا اتخذوا من
دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا وربطنا على
قلوبهم وقويناها بالصبر على هجر الاوطان والنعيم والفرار بالدين الى بعض الغيران وجسرناهم على القيام بكلمة الحق والتظاهر
بالاسلام اذ قاموا بين يدي الجبار وهو دقيانوس من غير مبالاة به حين عاتبهم على ترك عبادة الصنم فقالوا ربنا رب
السموات والارض شططا قولا ذا شطط وهو الافراط في الظلم والابعاد فيه من شط اذا بعد ومنه اشط في السوم
جيزة هؤلاء مبتدأ وقومنا عطف بيان واتخذوا خبر وهو اخبار في معنى الانكار لولا يأتون عليهم هلا يأتون على عبادتهم
فحذف المضاف بسلطان بين وهو تبكيت لان الاتيان بالسلطان على عبادة الاوثان محال وهو دليل على فساد
التقليد وانه لا بد في الدين من الحجة حتى يصح ويثبت افترى على الله كذبا بنسبة الشريك اليه **واذ اعتزلتموهم وما**
يعبدون الا الله فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من امركم مرفقا
وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين واذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في
فجوة منه ذلك من آيات الله من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا
مرشدا واذ اعتزلتموهم خطاب من بعضهم لبعض حين صممت عزيمتهم على الفرار بدينهم وما يعبدون نصب عطف على
الضمير يعني واذ اعتزلتموهم واعتزلتم معبوديهم الا الله يجوز ان يكون استثناء متصلا على ما روي انهم كانوا يقرون بالخالق
ويشركون معه كما اهل مكة وان يكون منقطعا وقيل هو كلام معترض اخبار من الله تعالى عن الفتية انهم لم يعبدوا غير الله تعالى مرفقا
قرئ بفتح الميم وكسرها وهو ما يرتفق به اي ينتفع انما قالوا ذلك ثقة بفضل الله وقوة في رجائهم لتوكلهم عليه ونصوع يقينهم
واما ان يخبرهم به نبي في عصرهم واما ان يكون بعضهم نبيا تزاور اصله تتزاور فخفف بادغام التاء في الزاي او حذفها وقد
قرئ بهما وقرئ تزور وتزوار بوزن تحمر وتحمار وكلها من الزور وهو الميل ومنه زاره اذا مال اليه والزور الميل عن الصدق
ذات اليمين جهة اليمين وحقيقتها الجهة المسماة باليمين تقرضهم تقطعهم لا تقربهم من معنى القطيعة والصرم قال ذو الرمة
الى ظعن يقرضن اقواز مشرف شمالا وعن ايمانهن الفوارس وهم في فجوة منه وهم في متسع من الكهف والمعنى انهم
في ظل نهارهم كله لا تصيبهم الشمس في طلوعها ولا غروبها مع انهم في مكان واسع منفتح معرض لاصابة الشمس لولا ان الله يحجبها
عنهم وقيل في متفسح من غارهم ينالهم فيه روح الهواء وبرد النسيم ولا يحسون كرب الغار ذلك من آيات الله اي ما صنعه
الله تعالى بهم من ازورار الشمس وقرضها طالعة وغاربة آية من آياته يعني ان ما كان في ذلك السمت تصيبه الشمس ولا تصيبهم
اختصاصا لهم بالكرامة وقيل باب الكهف شمالي مستقبل لبنات نعش فهم في مقناة ابدا ومعنى ذلك من آيات الله
ان شأنهم وحديثهم من آيات الله من يهد الله فهو المهتد ثناء عليهم بانهم جاهدوا في الله واسلموا له وجوههم فلطف
بهم واعانهم وارشدهم الى نيل تلك الكرامة السنية والاختصاص بالآية العظيمة وان كل من سلك طريقة المهتدين
الراشدين فهو الذي اصاب الفلاح واهتدى الى السعادة ومن تعرض للخذلان فلن تجد من يليه ويرشده بعد خذلان الله عز وجل
وتحسبهم ايقاظا وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه
بالوصيد لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا وتحسبهم بكسر السين وفتحها
خطاب لكل احد والايقاظ جمع يقظ كانكاد في نكد قيل عيونهم مفتحة وهم نيام فيحسبهم الناظر لذلك ايقاظا وقيل لكثرة تقلبهم

وقيل لهم تقلبتان في السنة وقيل تقلبة واحدة في يوم عاشوراء وقرئ ويقلبهم بالياء والضمير لله عز وجل وقرئ
وتقلبهم على المصدر منصوبا بفعل مضمر يدل عليه وتحسبهم ايقاظا كانه قيل وترى وتشاهد تقلبهم وقرأ جعفر الصادق
وكالبهم اي وصاحب كلبهم باسط ذراعيه حكاية حال ماضية لان اسم الفاعل لا يعمل اذا كان في معنى المضي واضافته
اذا اضيف حقيقية معرفة كغلام زيد الا اذا نويت حكاية الحال الماضية والوصيد الفناء وقيل العتبة وقيل الباب
وانشد بارض فضاء لا يسد وصيدها علي ومعروفي بها غير منكر وقرئ لملئت بتشديد اللام للمبالغة وقرئ
بتخفيف الهمزة وقلبها ياء ورعبا بالتخفيف والتثقيل وهو الخوف الذي يرعب الصدر اي يملؤه وذلك لما البسهم الله
من الهيبة وقيل لطول اظفارهم وشعورهم وعظم اجرامهم وقيل لوحشة مكانهم وعن معاوية انه غزا الروم
فمر بالكهف فقال لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم فقال له ابن عباس ليس لك ذلك قد منع الله تعالى منه من هو
خير منك فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فقال معاوية لا انتهي حتى اعلم علمهم فبعث ناسا وقال لهم اذهبوا فانظروا
ففعلوا فلما دخلوا الكهف بعث الله ريحا فاحرقتهم وقرئ لو اطلعت بضم الواو **وكذلك بعثناهم ليتساءلوا**
بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم فابعثوا
احدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر ايها ازكى طعاما فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا
يشعرن بكم احدا وكذلك بعثناهم وكما انمناهم تلك النومة كذلك بعثناهم ادكارا بالقدرة على الاماتة والبعث
جميعا ليسأل بعضهم بعضا ويتعرفوا حالهم وما صنع الله تعالى بهم فيعتبروا ويستدلوا على عظم قدرة الله تعالى ويزدادوا يقينا
ويشكروا ما انعم به عليهم وكرموا به قالوا لبثنا يوما او بعض يوم جواب مبني على غالب الظن وفيه دليل على جواز الاجتهاد
والقول بالظن الغالب وانه لا يكون كذبا وان جاز ان يكون خطأ قالوا ربكم اعلم بما لبثتم انكار عليهم من بعضهم لان الله
اعلم بمدة لبثهم كان هؤلاء قد علموا بالادلة او بالالهام من الله تعالى ان المدة متطاولة وان مقدارها مبهم لا يعلمه الا الله تعالى
وروي انهم دخلوا الكهف غدوة وكان انتباههم بعد الزوال فظنوا انهم في يومهم فلما نظروا الى طول اظفارهم واشعارهم
قالوا ذلك **فان قلت** كيف وصلوا قولهم فابعثوا بتذاكر حديث المدة **قلت** كانهم قالوا ربكم اعلم
بذلك لا طريق لكم الى علمه فخذوا في شيء آخر مما يهمكم والورق الفضة مضروبة كانت او غير مضروبة ومنه الحديث ان
عرفجة اصيب انفه يوم الكلاب فاتخذ انفا من ورق فانتن فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتخذ انفا من ذهب وقرئ بورقكم
بسكون الراء والواو مفتوحة او مكسورة وقرأ ابن كثير بورقكم بكسر الراء وادغام القاف في الكاف وعن ابن محيصن
انه كسر الواو واسكن الراء وادغم وهذا غير جائز لالتقاء الساكنين لا على حده وقيل المدينة طرسوس قالوا وتزودهم
ما كان معهم من الورق عند فرارهم دليل على ان حمل النفقة وما يصلح للمسافر هو رأي المتوكلين على الله تعالى دون
المتكلين على الاتفاقات وعلى ما في اوعية القوم من النفقات ومنه قول عائشة رضي الله عنها لمن سألها عن محرم يشد
عليه هميانه اوثق عليك نفقتك وما حكي عن بعض صعاليك العلماء انه كان شديد الحنين الى ان يرزق حج بيت الله
وتحولهم منه ذلك فكانت مياسير اهل بلده كلما عزم منهم فوج على حج اتوه فبذلوا له ان يحجوا به والحوا عليه فيعتذر اليهم
ويحمد اليهم بذلهم فاذا انفضوا عنه قال لمن عنده ما لهذا السفر الا شيئان شد الهميان والتوكل على الرحمن ايها
اي اهلها فحذف الاهل كما في قوله تعالى واسأل القرية ازكى طعاما احل واطيب او اكثر وارخص وليتلطف وليتكلف
اللطف والنيقة فيما يباشره من امر المبايعة حتى لا يغبن او في امر التخفي حتى لا يعرف ولا يشعرن بكم احدا يعني ولا
يفعلن ما يؤدي من غير قصد منه الى الشعور بنا فسمى ذلك اشعارا منه بهم لانه سبب فيه **انهم ان يظهروا**
عليكم يرجموكم او يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا اذا ابدا وكذلك اعثرنا عليهم
ليعلموا ان وعد الله حق وان الساعة لا ريب فيها اذ يتنازعون بينهم امرهم فقالوا
ابنوا عليهم بنيانا ربهم اعلم بهم قال الذين غلبوا على امرهم لنتخذن عليهم مسجدا
الضمير في انهم راجع الى الاهل المقدر في ايها يرجموكم يقتلوكم اخبث القتلة وهي الرجم وكانت عادتهم او يعيدوكم او
يدخلوكم في ملتهم بالاكراه العنيف ويصيروكم اليها والعود في معنى الصيرورة اكثر في كلامهم يقولون ما عدت افعل كذا
يريدون ابتداء الفعل ولن تفلحوا اذا ابدا ان دخلتم في دينهم وكذلك اعثرنا عليهم وكما انمناهم وبعثناهم لما في ذلك

من الحكمة اطلعنا عليهم ليعلم الذين اطلعناهم على حالهم ان وعد الله حق وهو البعث لان حالهم في نومتهم وانتباههم
بعدها كحال من يموت ثم يبعث اذ يتنازعون متعلق باعثرنا اي اعثرناهم عليهم حين يتنازعون بينهم امر دينهم ويختلفون
في حقيقة البعث فكان بعضهم يقول تبعث الارواح دون الاجساد وبعضهم يقول تبعث الاجساد مع الارواح ليرتفع الخلاف
وليتبين ان الاجساد تبعث حية حساسة فيها ارواحها كما كانت قبل الموت فقالوا حين توفى الله اصحاب الكهف
ابنوا عليهم بنيانا اي على باب كهفهم لئلا يتطرق اليهم الناس ضنا بتربتهم ومحافظة عليها كما حفظت تربة رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالحظيرة قال الذين غلبوا على امرهم من المسلمين لنتخذن على باب الكهف مسجدا يصلي فيه المسلمون ويتبركون
بمكانهم وقيل اذ يتنازعون بينهم امرهم اي يتذاكر الناس بينهم امر اصحاب الكهف ويتكلمون في قصتهم وما اظهر الله تعالى من
الآية فيهم او يتنازعون بينهم تدبير امرهم حين توفوا كيف يخفون مكانهم وكيف يسدون الطريق اليهم فقالوا ابنوا على باب
كهفهم بنيانا روي ان اهل الانجيل عظمت فيهم الخطايا وطغت ملوكهم حتى عبدوا الاصنام واكرهوا على عبادتها
وممن شدد في ذلك دقيانوس فاراد فتية من اشراف قومه على الشرك وتوعدهم بالقتل فابوا الا الثبات على الايمان
والتصلب فيه ثم هربوا الى الكهف ومروا بالكلب فتبعهم فطردوه فانطقه الله تعالى فقال ما تريدون مني اني احب
احباء الله فناموا وانا احرسكم وقيل مروا براع ومعه كلب فتبعهم على دينهم ودخلوا الكهف فكانوا يعبدون الله فيه
ثم ضرب الله تعالى على آذانهم وقبل ان يبعثهم الله ملك مدينتهم رجل صالح مؤمن وقد اختلف اهل مملكته في البعث
معترفين وجاحدين فدخل بيته واغلق بابه ولبس مسحا وجلس على رماد وسال ربه ان يبين لهم الحق فالقى الله تعالى
في نفس رجل من رعيانهم فهدم ما سد به فم الكهف ليتخذه حظيرة لغنمه ولما دخل المدينة من بعثوه لابتياع الطعام
فاخرج الورق وكان من ضرب دقيانوس اتهموه بانه وجد كنزا فذهبوا به الى الملك فقص عليه القصة فانطلق الملك
واهل المدينة معه وابصروهم وحمدوا الله على الآية الدالة على البعث ثم قالت الفتية للملك نستودعك الله تعالى
ونعيذك به من شر الجن والانس ثم رجعوا الى مضاجعهم وتوفى الله انفسهم فالقى الملك عليهم ثيابه وامر فجعل لكل واحد
تابوت من ذهب فرآهم في المنام كارهين للذهب فجعلها من الساج وبنى على باب الكهف مسجدا ربهم اعلم بهم من كلام
المتنازعين كانهم تذاكروا امرهم وتناقلوا الكلام في انسابهم واحوالهم ومدة لبثهم فلما لم يهتدوا الى حقيقة ذلك قالوا
ربهم اعلم بهم او هو من كلام الله عز وجل رد القول الخائضين في حديثهم من اولئك المتنازعين او من الذين تنازعوا فيهم على
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل الكتاب سيقولون ثلثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة
سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي اعلم بعدتهم ما يعلمهم
الا قليل فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم احدا سيقولون الضمير لمن خاض
في قصتهم في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل الكتاب والمؤمنين سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم فاخر الجواب
الى ان يوحى اليه فيهم فنزلت اخبارا بما سيجري بينهم من اختلافهم في عددهم وان المصيب منهم من يقول سبعة وثامنهم كلبهم
قال ابن عباس رضي الله عنهما انا من اولئك القليل وروي ان السيد والعاقب واصحابهما من اهل نجران كانوا عند النبي صلى الله
عليه وسلم فجرى ذكر اصحاب الكهف فقال السيد وكان يعقوبيا كانوا ثلثة رابعهم كلبهم وقال العاقب وكان نسطوريا كانوا
خمسة سادسهم كلبهم وقال المسلمون كانوا سبعة وثامنهم كلبهم فحقق الله قول المسلمين وانما عرفوا ذلك باخبار رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن لسان جبريل وعن علي رضي الله عنه هم سبعة نفر اسماؤهم تمليخا ومكشليينيا ومشليينيا
هؤلاء اصحاب يمين الملك وكان عن يساره مرنوش ودبرنوش وشاذنوش وكان يستشير هؤلاء الستة
في امره والسابع الراعي الذي وافقهم حين هربوا من ملكهم دقيانوس واسم مدينتهم افسوس واسم كلبهم قطمير
فان قلت لم جاء بسين الاستقبال في الاول دون الآخرين قلت فيه وجهان ان تدخل الآخرين في
حكم السين كما تقول قد اكرم وانعم تريد معنى التوقع في الفعلين جميعا وان تريد بيفعل معنى الاستقبال الذي هو
صالح له رجما بالغيب رميا بالخبر الخفي واتيانا به كقوله ويقذفون بالغيب اي ياتون به او وضع الرجم موضع الظن
فكانه قيل ظنا بالغيب لانهم اكثروا ان يقولوا رجم بالظن مكان قولهم ظن حتى لم يبق عندهم فرق بين العبارتين
الا ترى الى قول زهير وما هو عنها بالحديث المرجم اي المظنون وقرئ ثلاث رابعهم بادغام الثاء في التاء

ويملكهم وكانوا اولى بهم وبالبناء عليهم صح

يسمى عبد الرحمن كان على دين عيسى عليه السلام

...الا ما علمتم ...

وثلثة

وثلثة خبر مبتدأ محذوف اي هم ثلثة وكذلك خمسة وسبعة ورابعهم كلبهم جملة من مبتدأ وخبر واقعة صفة لثلثة
وكذلك سادسهم كلبهم وثامنهم كلبهم فان قلت فما هذه الواو الداخلة على الجملة الثالثة ولم دخلت عليها دون
الاوليين قلت هي الواو التي تدخل على الجملة الواقعة صفة للنكرة كما تدخل على الواقعة حالا عن المعرفة في نحو قولك
جاءني رجل ومعه آخر ومررت بزيد وفي يده سيف ومنه قوله عز وعلا وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم وفائدتها
توكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على ان اتصافه بها امر ثابت مستقر وهذه هي الواو التي آذنت بان الذين
قالوا سبعة وثامنهم كلبهم قالوه عن ثبات علم وطمانينة نفس ولم يرجموا بالظن كما غيرهم والدليل عليه ان الله سبحانه وتعالى
اتبع القولين الاولين قوله رجما بالغيب واتبع القول الثالث قوله ما يعلمهم الا قليل وقال ابن عباس رضي الله عنهما
حين وقعت الواو انقطعت العدة اي لم يبق بعدها عدة عاد يلتفت اليها وثبت انهم سبعة وثامنهم كلبهم على القطع
والثبات وقيل الا قليل من اهل الكتاب والضمير في سيقولون على هذا لاهل الكتاب خاصة اي سيقول اهل الكتاب
فيهم كذا وكذا ولا علم بذلك الا في قليل منهم واكثرهم على ظن وتخمين فلا تمار فيهم فلا تجادل اهل الكتاب في شان
اصحاب الكهف الا جدالا ظاهرا غير متعمق فيه وهو ان تقص عليهم ما اوحى الله اليك فحسب ولا تزيد من غير تجهيل لهم
ولا تعنيف بهم في الرد عليهم كما قال وجادلهم بالتي هي احسن ولا تستفت ولا تسال احدا منهم عن قصتهم سؤال
متعنت له حتى يقول شيئا فترده عليه وتزيف ما عنده لان ذلك خلاف ما وصيت به من المداراة والمجاملة ولا سؤال
مسترشد لان الله تعالى قد ارشدك بان اوحى اليك قصتهم ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا
الا ان يشاء الله واذكر ربك اذا نسيت وقل عسى ان يهدين ربي لاقرب من هذا
رشدا ولا تقولن لشيء لاجل شيء تعزم عليه اني فاعل ذلك الشيء غدا اي فيما يستقبل من الزمان ولم يرد الغد خاصة
الا ان يشاء الله متعلق بالنهي لا بقوله اني فاعل لانه لو قال اني فاعل كذا الا ان يشاء الله كان معناه الا ان تعترض مشيئة الله
دون فعله وذلك مما لا مدخل فيه للنهي وتعلقه بالنهي على وجهين احدهما ولا تقولن ذلك القول الا ان يشاء الله ان تقوله
بان ياذن لك فيه والثاني ولا تقولنه الا بان يشاء الله اي الا بمشيئته وهو في موضع الحال يعني الا ملتبسا بمشيئة الله
قائلا ان شاء الله وفيه وجه ثالث وهو ان يكون ان شاء الله في معنى كلمة تابيد كانه قيل ولا تقولنه ابدا ونحوه وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله لان عودهم في ملتهم مما لن يشاءه الله وهذا نهي تاديب
من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح وعن اصحاب الكهف وعن ذي القرنين
فسالوه فقال ائتوني غدا اخبركم ولم يستثن فابطا عليه الوحي حتى شق عليه وكذبته قريش واذكر ربك اي مشيئة ربك
وقل ان شاء الله اذا فرط منك نسيان لذلك والمعنى اذا نسيت كلمة الاستثناء ثم تنبهت عليها فتداركها بالذكر
وعن ابن عباس ولو بعد سنة ما لم تحنث وعن سعيد بن جبير ولو بعد يوم او اسبوع او شهر او سنة وعن طاوس هو على
ثنياه ما دام في مجلسه وعن الحسن نحوه وعن عطاء يستثني على مقدار حلب ناقة غزيرة وعند عامة الفقهاء انه
لا اثر له في الاحكام ما لم يكن موصولا ويحكى انه بلغ المنصور ان ابا حنيفة خالف ابن عباس في الاستثناء المنفصل
فاستحضره لينكر عليه فقال ابو حنيفة هذا يرجع عليك انك تاخذ البيعة بالايمان افترضى ان يخرجوا من عندك
فيستثنوا فيخرجوا عليك فاستحسن كلامه ورضي الله عنه ويجوز ان يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار
اذا نسيت كلمة الاستثناء تشديدا في البعث على الاهتمام بها وقيل واذكر ربك اذا تركت بعض ما امرك به
وقيل واذكره اذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسي وقد حمل على اداء الصلاة المنسية عند ذكرها وهذا اشارة
الى نبا اصحاب الكهف ومعناه لعل الله يؤتيني من البينات والحجج على اني نبي صادق ما هو اعظم في الدلالة واقرب رشدا
من نبا اصحاب الكهف وقد فعل ذلك حيث آتاه من قصص الانبياء والاخبار بالغيوب ما هو اعظم من ذلك وادل والظاهر
ان يكون المعنى اذا نسيت شيئا فاذكر ربك وذكر ربك عند نسيانه ان تقول عسى ربي ان يهديني لشيء آخر بدل هذا
المنسي اقرب منه رشدا وادنى خيرا ومنفعة ولعل النسيان خيرة كقوله او ننسها نات بخير منها ولبثوا في
كهفهم ثلث مائة سنين وازدادوا تسعا قل الله اعلم بما لبثوا له غيب السموات
والارض ابصر به واسمع ما لهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه احدا ولبثوا في كهفهم
ثلث مائة سنين يريد لبثهم فيه احياء مضروبا على آذانهم هذه المدة وهو بيان لما اجمل في قوله فضربنا على آذانهم

في الكهف سنين عددا ومعنى قوله قل الله اعلم بما لبثوا انه اعلم من الذين اختلفوا فيهم بمدة لبثهم والحق ما اخبرك به
وعن قتادة انه حكاية لكلام اهل الكتاب وقل الله اعلم رد عليهم وقال في حرف عبد الله وقالوا لبثوا وسنين عطف
بيان لثلثمائة وقرئ ثلثمائة سنين بالاضافة على وضع الجمع موضع الواحد في التمييز كقوله بالاخسرين اعمالا وفي قراءة
ابي ثلثمائة سنة تسعا تسع سنين لان ما قبله يدل عليه ثم ذكر اختصاصه بما غاب في السموات والارض وخفي فيها من
احوال اهلها ومن غيرها وانه هو وحده العالم به وجاء بما دل على التعجب من ادراكه للمسموعات والمبصرات للدلالة على ان
امره في الادراك خارج عن حد ما عليه ادراك السامعين والمبصرين لانه يدرك الطف الاشياء واصغرها كما يدرك
اكبرها حجما واكثفها جرما ويدرك البواطن كما يدرك الظواهر ما لهم الضمير لاهل السموات والارض من ولي من يتولى امورهم
ولا يشرك في حكمه في قضائه احدا منهم وقرأ الحسن ولا تشرك بالتاء والجزم على النهي واتل ما اوحي اليك
من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحدا كانوا يقولون له ائت بقرآن غير
هذا او بدله فقيل له واتل ما اوحي اليك من القرآن ولا تسمع لما يهذون به من طلب التبديل فلا مبدل لكلمات ربك
اي لا يقدر احد على تبديلها وتغييرها انما يقدر على ذلك هو وحده واذا بدلنا آية مكان آية ولن تجد من دونه ملتحدا ملتجأ
تعدل اليه ان هممت بذلك واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي
يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحيوة الدنيا ولا تطع من اغفلنا قلبه
عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا قال قوم من رؤساء الكفرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم نح هؤلاء
الموالي الذين كأن ريحهم ريح الضأن وهم صهيب وعمار وخباب وغيرهم من فقراء المسلمين حتى نجالسك كما قال
قوم نوح انؤمن لك واتبعك الارذلون فنزلت واصبر نفسك واحبسها معهم وثبتها قال ابو ذؤيب
فصبرت عارفة لذلك حرة ترسو اذا نفس الجبان تطلع بالغداة والعشي دائبين على الدعاء في كل وقت وقيل
المراد صلوة الفجر والعصر وقرئ بالغدوة وبالغداة اجود لان غدوة علم في اكثر الاستعمال وادخال اللام على تأويل التنكير
كما قال والزيد زيد المعارك ونحوه قليل في كلامهم يقال عداه اذا جاوزه ومنه قولهم عدا طوره وجاء القوم عدا زيدا
وانما عدي بعن لتضمين عدا معنى نبا وعلا في قولك نبت عنه عينه وعلت عنه عينه اذا اقتحمته ولم تعلق به
فان قلت اي غرض في هذا التضمين والا قيل ولا تعدهم عيناك او ولا تعل عيناك عنهم قلت
الغرض فيه اعطاء مجموع معنيين وذلك اقوى من اعطاء معنى فذ الا ترى كيف رجع المعنى الى قولك ولا تقتحمهم عيناك
مجاوزتين الى غيرهم ونحوه قوله تعالى ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم اي ولا تضموها اليها آكلين لها وقرئ ولا تعد عينيك
ولا تعد عينيك من اعداه وعداه نقلا بالهمزة وتثقيل الحشو ومنه قوله فعد عما ترى اذ لا ارتجاع له لان معناه
فعد همك عما ترى نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يزدري بفقراء المؤمنين وان تنبو عينه عن رثاثة زيهم
طموحا الى زي الاغنياء وحسن شارتهم تريد زينة الحيوة الدنيا في موضع الحال من اغفلنا قلبه من جعلنا قلبه
غافلا عن الذكر بالخذلان او وجدناه غافلا عنه كقولك اجبنته وافحمته وابخلته اذا وجدته كذلك او من اغفل
ابله اذا تركها بغير سمة اي لم نسمه بالذكر ولم نجعلهم من الذين كتبنا في قلوبهم الايمان وقد ابطل الله توهم المجبرة
بقوله واتبع هواه وقرئ اغفلنا قلبه باسناد الفعل الى القلب على معنى حسبنا قلبه غافلين من اغفلته
اذا وجدته غافلا فرطا متقدما للحق والصواب نابذا له وراء ظهره من قولهم فرس فرط متقدم للخيل
وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر انا اعتدنا للظالمين نارا احاط
بهم سرادقها وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت
مرتفقا الحق من ربكم اي الحق خبر مبتدأ محذوف والمعنى جاء الحق وزاحت العلل فلم يبق الا اختياركم لانفسكم
ما شئتم من الاخذ في طريق النجاة او في طريق الهلاك وجيء بلفظ الامر والتخيير لانه لما مكن من اختيار ايهما شاء فكأنه مخير
مأمور بان يتخير ما شاء من النجدين شبه ما يحيط بهم من النار بالسرادق وهو الحجرة التي تكون حول الفسطاط وبيت مسردق
ذو سرادق وقيل هو دخان يحيط بالكفار قبل دخولهم النار وقيل حائط من نار يطيف بهم يغاثوا بماء كالمهل كقوله
فاعتبوا بالصيلم وفيه تهكم والمهل ما اذيب من جواهر الارض وقيل دردي الزيت يشوي الوجوه اذا قدم ليشرب انشوى

الوجه من حرارته عن النبي صلى الله عليه وسلم هو كعكر الزيت فاذا قرب اليه سقطت فروة وجهه بئس الشراب ذلك وساءت
مرتفقا متكأ من المرفق وهذا لمشاكلة قوله وحسنت مرتفقا والا فلا ارتفاق لاهل النار ولا اتكاء الا ان يكون من قوله
اني ارقت فبت الليل مرتفقا كأن عيني فيها الصاب مذبوح ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات
انا لا نضيع اجر من احسن عملا اولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الانهار
يحلون فيها من اساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس واستبرق متكئين فيها على
الارائك نعم الثواب وحسنت مرتفقا اولئك خبر ان وانا لا نضيع اعتراض ولك ان تجعل انا لا نضيع
واولئك خبرين معا او تجعل اولئك كلاما مستأنفا بيانا للاجر المبهم فان قلت اذا جعلت انا لا نضيع خبرا
فاين الضمير الراجع منه الى المبتدأ قلت من احسن عملا والذين آمنوا وعملوا الصالحات ينتظمهما معنى واحد فقام من
احسن مقام الضمير او اردت من احسن عملا منهم فكان كقولك السمن منوان بدرهم من الاولى للابتداء والثانية للتبيين
وتنكير اساور لابهام امرها في الحسن وجمع بين السندس وهو مارق من الديباج وبين الاستبرق وهو الغليظ منه جمعا
بين النوعين وخص الاتكاء لانه هيئة المنعمين والملوك على اسرتهم واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا
لاحدهما جنتين من اعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا كلتا الجنتين آتت اكلها
ولم تظلم منه شيئا وفجرنا خلالهما نهرا وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره انا اكثر منك مالا
واعز نفرا ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما اظن ان تبيد هذه ابدا وما اظن
الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا واضرب لهم مثلا رجلين اي ومثل
حال الكافرين والمؤمنين بحال رجلين وكانا اخوين في بني اسرائيل احدهما كافر اسمه قطروس والآخر مؤمن اسمه يهوذا
وقيل هما المذكوران في سورة والصافات في قوله تعالى قال قائل منهم اني كان لي قرين ورثا من ابيهما ثمانية آلاف دينار
فتشاطراها فاشترى الكافر ارضا بالف فقال المؤمن اللهم ان اخي اشترى ارضا بالف دينار وانا اشتري منك ارضا
في الجنة بالف فتصدق به ثم بنى اخوه دارا بالف فقال اللهم اني اشتري منك دارا في الجنة فتصدق به ثم تزوج اخوه
امرأة بالف فقال اللهم اني جعلت الفا صداقا للحور ثم اشترى اخوه خدما ومتاعا بالف فقال اللهم اني اشتريت منك
الولدان المخلدين بالف فتصدق به ثم اصابته حاجة فجلس لاخيه على طريقه فمر به في حشمه فتعرض له فطرده ووبخه
على التصدق بماله وقيل هما اخوان من بني مخزوم مؤمن وهو ابو سلمة عبد الله بن عبد الاسد وكان زوج ام سلمة
قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكافر وهو الاسود بن عبد الاسد جنتين من اعناب بستانين من كروم وحففناهما
بنخل وجعلنا النخل محيطا بالجنتين وهذا مما يؤثره الدهاقين في كرومهم ان يجعلوها مؤزرة بالاشجار المثمرة يقال حفوه
اذا طافوا به وحففته بهم اي جعلتهم حافين حوله وهو متعد الى مفعول واحد فتزيده الباء مفعولا ثانيا كقولك غشيته
وغشيته به وجعلنا بينهما زرعا جعلناها ارضا جامعة للاقوات والفواكه ووصف العمارة بانها متواصلة متشابكة
لم يتوسطها ما يقطعها ويفصل بينها مع الشكل الحسن والترتيب الانيق ونعتهما بوفاء الثمار وتمام الاكل من غير نقص
ثم بما هو اصل الخير ومادته من امر الشرب فجعله افضل ما يسقى به وهو السيح بالنهر الجاري فيها والاكل الثمر وقرئ بالضم كل شيء
ولم تظلم ولم تنقص وآتت حمل على اللفظ لان كلتا لفظه لفظ مفرد ولو قيل آتتا على المعنى لجاز وقرئ وفجرنا على التخفيف وقرأ
عبد الله كل الجنتين آتى اكله برد الضمير على كل وكان له ثمر اي انواع من المال من ثمر ماله اذا كثره وعن مجاهد الذهب والفضة
اي كانت له الى الجنتين الموصوفتين الاموال الدثرة من الذهب والفضة وغيرهما فكان وافر اليسار من كل وجه
متمكنا من عمارة الارض كيف شاء واعز نفرا يعني انصارا وحشما وقيل اولادا ذكورا لانهم ينفرون معه دون الاناث
يحاوره يراجعه الكلام من حار يحور اذا رجع وسألته فما احار كلمة يعني قطروس اخذ بيد المسلم يطوف به في الجنتين
ويريه ما فيهما ويعجبه منهما ويفاخره بما ملك من المال دونه فان قلت لم افرد الجنة بعد التثنية قلت
معناه ودخل ما هو جنته ما له جنة غيرها يعني انه لا نصيب له في الجنة التي وعد المؤمنون فما ملكه في الدنيا فهو جنته لا غير
ولم يقصد الجنتين ولا واحدة منهما وهو ظالم لنفسه معجب بما اوتي مفتخر به كافر لنعمة ربه معرض بذلك نفسه لسخط
الله تعالى وهو افحش الظلم اخباره عن نفسه بالشك في بيدودة جنته لطول امله واستيلاء الحرص عليه

وتمادى غفلته واغتراره بالمهلة واطراحه النظر في عواقب امثاله وترى اكثر الاغنياء من المسلمين وان لم يطلقوا
بنحو هذا السنتهم فان السنة احوالهم ناطقة به منادية عليه ولئن رددت الى ربي اقسام منه على انه ان رد
الى ربه على سبيل الفرض والتقدير وكما يزعم صاحبه ليجدن في الآخرة خيرا من جنته في الدنيا تطمعا وتمنيا على
الله وادعاء لكرامته عليه ومكانته عنده وانه ما اولاه الجنتين الا لاستحقاقه واستيهاله وان معه هذا الاستحقاق
اين توجه كقوله ان لي عنده للحسنى لاوتين مالا وولدا وقرئ خيرا منهما ردا على الجنتين منقلبا مرجعا وعاقبة
وانتصابه على التمييز اي منقلب تلك خير من منقلب هذه لانها فانية وتلك باقية ● قال له صاحبه وهو
يحاوره اكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سويك رجلا ● لكنا هو
الله ربي ولا اشرك بربي احدا ● ولولا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة
الا بالله ان ترن انا اقل منك مالا وولدا ● فعسى ربي ان يؤتين خيرا من جنتك
ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا ● او يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع
له طلبا ● واحيط بثمره فاصبح يقلب كفيه على ما انفق فيها وهي خاوية على عروشها ويقول يا ليتني
لم اشرك بربي احدا ● ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا
خلقك من تراب اي خلق اصلك لان خلق اصله سبب في خلقه فكان خلقه خلقا له سويك عدلك وكملك انسانا ذكرا
بالغا مبلغ الرجال جعله كافرا بالله تعالى جاحدا لانعمه لشكه في البعث كما يكون المكذب بالرسول كافرا لكنا هو الله ربي اصله
لكن انا فحذفت الهمزة والقيت حركتها على نون لكن فتلاقت النونان فكان الادغام ونحوه قول القائل وترمينني بالطرف
اي انت مذنب وتقلينني لكن اياك لا اقلي اي لكن انا لا اقليك وهو ضمير الشان والشان الله ربي والجملة خبر
انا والراجع منها اليه ياء الضمير وقراءة ابن عامر باثبات الف انا في الوصل والوقف جميعا وحسن ذلك وقوع الالف
عوضا من حذف الهمزة وغيره لا يثبتها الا في الوقف وعن ابي عمرو انه وقف بالهاء لكنه وقرئ لكن هو الله ربي
بسكون النون وطرح انا وقرا ابي بن كعب لكن انا على الاصل وفي قراءة عبد الله لكن انا لا اله الا هو ربي فان قلت
هو استدراك لماذا قلت لقوله اكفرت قال لاخيه انت كافر بالله لكني مؤمن موحد كما تقول زيد غائب لكن عمرا
حاضر ما شاء الله يجوز ان تكون ما موصولة مرفوعة المحل على انها خبر مبتدا محذوف تقديره الامر ما شاء الله او شرطية
منصوبة الموضع والجزاء محذوف بمعنى اي شيء شاء الله كان ونظيرها في حذف الجواب لو في قوله ولو ان قرآنا سيرت
به الجبال والمعنى هلا قلت عند دخولها والنظر الى ما رزقك الله منها الامر ما شاء الله اعترافا بانها وكل خير فيها انما
حصل بمشية الله وفضله وان امرها بيده ان شاء تركها عامرة وان شاء خربها وقلت لا قوة الا بالله اقرارا
بان ما قويت به على عمارتها وتدبير امرها هو بمعونته وتاييده اذ لا يقوى احد في بدنه ولا في ملك يده الا بالله عز وجل
وعن عروة بن الزبير انه كان يثلم حائطه ايام الرطب فيدخل من شاء وكان اذا دخله ردد هذه الآية حتى يخرج
ومن قرا اقل بالنصب فقد جعل انا فصلا ومن رفع جعله مبتدا واقل خبره والجملة مفعولا ثانيا لترني وفي قوله وولدا
نصرة لمن فسر النفر بالاولاد في قوله واعز نفرا والمعنى ان ترني افقر منك فانا اتوقع من صنع الله ان يقلب ما بي
وما بك من الفقر والغنى فيرزقني لايماني جنة خيرا من جنتك ويسلبك لكفرك نعمته ويخرب بستانك والحسبان
مصدر كالغفران والبطلان بمعنى الحساب اي مقدارا قدره الله تعالى وحسبه وهو الحكم بتخريبها وقال الزجاج
عذاب حسبان وذلك الحسبان حساب ما كسبت يداك وقيل حسبانا مرامي الواحدة حسبانة وهي الصواعق
صعيدا زلقا ارضا بيضاء يزلق عليها لملاستها زلقا وغورا كلاهما وصف بالمصدر واحيط به عبارة عن اهلاكه واصله
من احاط به العدو لانه اذا احاط به فقد ملكه واستولى عليه ثم استعمل في كل اهلاك ومنه قوله تعالى الا ان يحاط بكم ومثله
قولهم اتى عليه اذا اهلكه من اتى عليهم العدو اذا جاءهم مستعليا لهم وتقليب الكفين كناية عن الندم والتحسر لان النادم
يقلب كفيه ظهرا لبطن كما كنى عن ذلك بعض الكف والسقوط في اليد ولانه في معنى الندم عدي تعديته بعلى كانه قيل فاصبح
يندم على ما انفق فيها اي انفق في عمارتها وهي خاوية على عروشها يعني ان كرومها المعرشة سقطت عروشها على
الارض وسقطت فوقها الكروم قيل ارسل الله تعالى عليها نارا فاكلتها يا ليتني تذكر موعظة اخيه فعلم انه اتى

من جهة شركه وطغيانه فتمنى لو لم يكن مشركا حتى لا يهلك الله بستانه ويجوز ان يكون توبة من الشرك وندما على ما كان منه
ودخولا في الايمان وقرئ ولم يكن بالتاء والياء وحمل ينصرونه على المعنى دون اللفظ كقوله تعالى فئة تقاتل في سبيل
الله واخرى كافرة فان قلت ما معنى قوله ينصرونه من دون الله قلت معناه يقدرون على نصرته من دون الله اي
هو وحده القادر على نصرته لا يقدر احد غيره ان ينصره الا انه لم ينصره لصارف وهو استيجابه وما كان منتصرا ممتنعا
بقوته عن انتقام الله تعالى ● هنالك الولاية لله الحق هو خير ثوابا وخير عقبا
الولاية بالفتح النصرة والتولي وبالكسر السلطان والملك وقد قرئ بهما والمعنى هنالك اي في ذلك المقام وتلك
الحال النصرة لله وحده لا يملكها غيره ولا يستطيعها احد سواه تقريرا لقوله ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله
او هنالك السلطان والملك لله لا يغلب ولا يمتنع منه او في مثل تلك الحال الشديدة يتولى الله ويؤمن به كل مضطر
يعني ان قوله يا ليتني لم اشرك بربي احدا كلمة الجئ اليها فقالها جزعا مما دهاه من شؤم كفره ولولا ذلك لم يقلها ويجوز ان
يكون المعنى هنالك الولاية لله ينصر فيها اولياءه المؤمنين على الكفرة وينتقم لهم ويشفي صدورهم من اعدائهم يعني انه
نصر فيما فعل بالكافر اخاه المؤمن وصدق قوله عسى ربي ان يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء
ويعضده قوله هو خير ثوابا وخير عقبا اي لاوليائه وقيل هنالك اشارة الى الآخرة اي في تلك الدار الولاية لله كقوله
لمن الملك اليوم وقرئ الحق بالرفع والجر صفة للولاية ولله وقرا عمرو بن عبيد بالنصب على التاكيد كقولك هذا
عبد الله الحق لا الباطل وهي قراءة حسنة فصيحة وكان عمرو بن عبيد من افصح الناس وانصحهم وقرئ عقبا بضم
القاف وسكونها وعقبى على فعلى وكلها بمعنى العاقبة ● واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه
من السماء فاختلط به نبات الارض فاصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل
شيء مقتدرا ● المال والبنون زينة الحيوة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك
ثوابا وخير املا ● فاختلط به نبات الارض فالتف بسببه وتكاثف حتى خالط بعضه بعضا وقيل نجع في النبات
الماء فاختلط به حتى روي ورف رفيفا وكان حق اللفظ على هذا التفسير فاختلط بنبات الارض ووجه صحته ان
كل مختلطين موصوف كل واحد منهما بصفة صاحبه والهشيم ما تهشم وتحطم الواحدة هشيمة وقرئ تذروه الريح
وعن ابن عباس تذريه الرياح من اذرى شبه حال الدنيا في نضرتها وبهجتها وما يتعقبها من الهلاك والفناء بحال النبات
يكون اخضر وارفا ثم يهيج فتطيره الرياح كان لم يكن وكان الله على كل شيء من الانشاء والافناء مقتدرا الباقيات
الصالحات اعمال الخير التي تبقى ثمرتها للانسان وتفنى عنه كل ما تطمح اليه نفسه من حظوظ الدنيا وقيل هي الصلوات الخمس
وقيل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وعن قتادة كل ما اريد به وجه الله تعالى خير ثوابا اي ما يتعلق
بها من الثواب وما يتعلق بها من الامل لان صاحبها يامل في الدنيا ثواب الله تعالى ويصيبه في الآخرة تسير من سيرت
ونسير من سيرنا وتسير من سارت اي تسير في الجو او يذهب بها بان تجعل هباء منبثا وقرئ وترى الارض
على البناء للمفعول بارزة ليس عليها ما يسترها مما كان عليها وحشرناهم وجمعناهم الى الموقف وقرئ فلم نغادر بالنون
والياء يقال غادره واغدره اذا تركه ومنه الغدر ترك الوفاء والغدير ما غادره السيل وشبهت حالهم بحال الجند المعروضين
على السلطان صفا مصطفين ظاهرين ترى جماعتهم كما يرى كل واحد لا يحجب احد احدا لقد جئتمونا اي قلنا لهم لقد جئتمونا
وهذا المضمر هو عامل النصب في يوم نسير ويجوز ان ينتصب باضمار اذكر والمعنى لقد بعثناكم كما انشاناكم اول مرة وقيل
جئتمونا عراة لا شيء معكم كما خلقناكم اولا كقوله تعالى ولقد جئتمونا فرادى فان قلت لم جيء بحشرناهم ماضيا
بعد نسير وترى قلت للدلالة على ان حشرهم قبل التسيير وقبل البروز ليعاينوا تلك الاهوال العظائم كانه
قيل وحشرناهم قبل ذلك موعدا وقتا لانجاز ما وعدتم على السنة الانبياء من البعث والنشور الكتاب للجنس وهو
صحف الاعمال يا ويلتنا ينادون هلكتهم التي هلكوها خاصة من بين الهلكات صغيرة ولا كبيرة هنة صغيرة ولا
كبيرة وهي عبارة عن الاحاطة يعني لا يترك شيئا من المعاصي الا احصاه اي احصاها كلها كما تقول ما اعطاني قليلا ولا
كثيرا لان الاشياء اما صغار واما كبار ويجوز ان يريد وما كان عندهم صغائر وكبائر وقيل لم يجتنبوا الكبائر فكتب عليهم
الصغائر وهي المناقشة وعن ابن عباس رضي الله عنهما الصغيرة التبسم والكبيرة القهقهة وعن سعيد بن جبير الصغيرة

المسيس والكبيرة الزنا وعن الفضيل كان اذا قرأها قال ضجوا والله من الصغائر قبل الكبائر الا احصاها الا
ضبطها وحصرها ووجدوا ما عملوا حاضرا في الصحف عتيدا او جزاء ما عملوا ولا يظلم ربك احدا فيكتب عليه ما لم
يعمل او يزيد في عقاب المستحق او يعذبه بغير جرم كما زعم من ظلم الله تعالى في تعذيب اطفال المشركين بذنوب آبائهم
واذ قلنا للملئكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه
افتتخذونه وذريته اولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا كان من الجن كلام مستأنف
جار مجرى التعليل بعد استثناء ابليس من الساجدين كأن قائلا قال ما له لم يسجد فقيل كان من الجن ففسق عن امر ربه
والفاء للتسبيب اذ جعل كونه من الجن سببا في فسقه يعني انه لو كان ملكا كسائر من سجد لآدم لم يفسق عن امر الله
لان الملائكة معصومون لا يجوز عليهم ما يجوز على الجن والانس كما قال تعالى لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وهذا الكلام
المعترض تعمده من الله عز وعلا لصيانة الملائكة عن وقوع شبهة في عصمتهم فما ابعد البون بين ما تعمده الله وبين قول
من ضاده وزعم انه كان ملكا رئيسا على الملائكة فعصى فلعن ومسخ شيطانا ثم وركه على ابن عباس ومعنى فسق عن امر ربه
خرج عما امره به ربه من السجود وقال فواسقا عن قصدها جوائرا او صار فاسقا كافرا بسبب امر ربه الذي هو قوله اسجدوا
لآدم افتتخذونه الهمزة للانكار والتعجب كأنه قيل اعقيب ما وجد منه تتخذونه وذريته اولياء من دوني وتستبدلونهم
بئس البدل من الله تعالى ابليس لمن استبدله فاطاعه بدل طاعته ما اشهدتهم خلق السموات والارض
ولا خلق انفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم
فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقا ما اشهدتهم وقرئ ما اشهدناهم يعني انكم
اتخذتموهم شركائي في العبادة وانما كانوا يكونون شركاء فيها لو كانوا شركاء في الالهية فنفي مشاركتهم في الالهية
بقوله ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم اي ولا اشهدت بعضهم خلق بعض كقوله تعالى ولا تقتلوا انفسكم
وما كنت متخذ المضلين عضدا اي وما كنت متخذهم عضدا اي اعوانا فوضع المضلين موضع الضمير ذما لهم بالاضلال
فاذا لم يكونوا عضدا لي في الخلق فما لكم تتخذونهم شركاء لي في العبادة وقرئ وما كنت بالفتح الخطاب لرسول الله
صلى الله عليه وسلم والمعنى وما صح لك الاعتضاد بهم وما ينبغي لك ان تعتز بهم وقرأ علي رضي الله عنه وما كنت
متخذا بالتنوين على الاصل وقرأ الحسن عضدا بسكون الضاد ونقل ضمتها الى العين وقرئ عضدا بالفتح
وسكون العين وعضدا بالضمتين وعضدا بالفتحتين جمع عاضد كخادم وخدم وراصد ورصد من عضده اذا قواه
واعانه يقول بالياء والنون واضافة الشركاء اليه على زعمهم توبيخا لهم واراد الجن والموبق المهلك من وبق يبق
وبوقا ووبق يوبق وبقا اذا هلك واوبقه غيره ويجوز ان يكون مصدرا كالمورد والموعد يعني وجعلنا بينهم واديا
من اودية جهنم هو مكان الهلاك والعذاب الشديد مشتركا يهلكون فيه جميعا وعن الحسن موبقا عداوة والمعنى
عداوة هي في شدتها هلاك كقوله لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا وقال الفراء البين الوصل اي وجعلنا
تواصلهم في الدنيا هلاكا يوم القيمة ويجوز ان يريد الملائكة وعزيرا وعيسى ومريم وبالموبق البرزخ البعيد اي جعلنا
بينهم امدا بعيدا يهلك فيه الاشواط لفرط بعده لانهم في قعر جهنم وهم في اعلى الجنان ورأى المجرمون
النار فظنوا انهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفا ولقد صرفنا في هذا للناس من كل
مثل وكان الانسان اكثر شيء جدلا فظنوا فايقنوا مواقعوها مخالطوها واقعون فيها ومصرفا معدلا
قال ازهير اوعموا شحيحة من مصرف اكثر شيء جدلا اكثر الاشياء التي يتأتى منها الجدل ان فصلتها واحدا بعد
واحد خصومة ومماراة بالباطل وانتصاب جدلا على التمييز يعني ان جدل الانسان اكثر من جدل كل شيء ونحوه فاذا
هو خصيم مبين وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم الا ان
تأتيهم سنة الاولين او يأتيهم العذاب قبلا ان الاولى نصب والثانية رفع وقبلهما مضاف محذوف
تقديره وما منع الناس الايمان والاستغفار الا انتظار ان تأتيهم سنة الاولين وهي الاهلاك او انتظار ان
يأتيهم العذاب يعني عذاب الآخرة قبلا عيانا وقرئ قبلا انواعا جمع قبيل وقبلا بفتحتين مستقبلا وما نرسل
المرسلين الا مبشرين ومنذرين ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق واتخذوا

آياتي وما انذروا هزوا ليدحضوا ليزيلوا او يبطلوا من ادحاض القدم وهو ازلاقها عن موطئها وما
انذروا يجوز ان يكون ما موصولة ويكون الراجع من الصلة محذوفا اي وما انذروه من العقاب او مصدرية بمعنى وانذارهم
وقرئ هزؤا بالسكون اي اتخذوها موضع استهزاء وجدالهم قولهم للرسل ما انتم الا بشر مثلنا ولو شاء الله لانزل
ملائكة وما اشبه ذلك بآيات ربه بالقرآن ولذلك رجع اليها الضمير مذكرا في قوله ان يفقهوه ومن اظلم
ممن ذكر بآيات ربه فاعرض عنها ونسي ما قدمت يداه انا جعلنا على قلوبهم اكنة ان
يفقهوه وفي آذانهم وقرا وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا وربك الغفور
ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا
فاعرض عنها فلم يتذكر حين ذكر ولم يتدبر ونسي عاقبة ما قدمت يداه من الكفر والمعاصي غير متفكر فيها ولا ناظر في
ان المسيء والمحسن لا بد لهما من جزاء ثم علل اعراضهم ونسيانهم بانهم مطبوع على قلوبهم وجمع بعد الافراد حملا على لفظ
من ومعناه فلن يهتدوا فلا يكون منهم اهتداء البتة كأنه محال منهم لشدة تصميمهم ابدا مدة التكليف كلها
واذن جزاء وجواب فدل على انتفاء اهتدائهم لدعوة الرسول بمعنى انهم جعلوا ما يجب ان يكون سبب وجود الاهتداء
سببا في انتفائه وعلى انه جواب للرسول عن تقدير قوله ما لي لا ادعوهم حرصا على اسلامهم فقيل وان تدعهم الى الهدى
فلن يهتدوا الغفور البليغ المغفرة ذو الرحمة الموصوف بالرحمة ثم استشهد على ذلك بترك مؤاخذة اهل
مكة عاجلا من غير امهال مع افراطهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم بل لهم موعد وهو يوم بدر لن يجدوا من دونه
موئلا منجا ولا ملجأ يقال وأل اذا نجا ووأل اليه اذا لجأ اليه وتلك القرى اهلكناهم لما ظلموا وجعلنا
لمهلكهم موعدا وتلك القرى يريد قرى الاولين من ثمود وقوم لوط وغيرهم اشار اليها ليعتبروا وتلك مبتدأ
والقرى صفة لان اسماء الاشارة توصف باسماء الاجناس واهلكناهم خبر ويجوز ان يكون تلك القرى نصبا باضمار اهلكنا على
شريطة التفسير والمعنى وتلك اصحاب القرى اهلكناهم لما ظلموا مثل ظلم اهل مكة وجعلنا لمهلكهم موعدا وضربنا لاهلاكهم وقتا
معلوما لا يستأخرون عنه كما ضربنا لاهل مكة يوم بدر والمهلك الاهلاك ووقته وقرئ لمهلكهم بفتح الميم واللام مفتوحة او مكسورة
اي لهلاكهم او وقت هلاكهم والموعد وقت او مصدر واذ قال موسى لفتاه لا ابرح حتى ابلغ مجمع البحرين
او امضي حقبا فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سربا
لفتاه لعبده وفي الحديث ليقل احدكم فتاي وفتاتي ولا يقل عبدي وامتي وقيل هو يوشع بن نون وانما قيل فتاه لانه
كان يخدمه ويتبعه وقيل كان يأخذ منه العلم فان قلت لا ابرح ان كان بمعنى لا ازول من برح المكان فقد
دل على الاقامة لا على السفر وان كان بمعنى لا ازال فلا بد له من الخبر قلت هو بمعنى لا ازال وقد حذف الخبر لان الحال
والكلام معا يدلان عليه اما الحال فلانها كانت حال سفر واما الكلام فلان قوله حتى ابلغ مجمع البحرين غاية مضروبة تستدعي
ما هي غاية له فلا بد ان يكون المعنى لا ابرح اسير حتى ابلغ مجمع البحرين ووجه آخر وهو ان يكون المعنى لا يبرح مسيري حتى ابلغ
اي حتى ابلغ هو الخبر فلما حذف المضاف اقيم المضاف اليه مقامه وهو ضمير المتكلم فانقلب الفعل عن لفظ الغائب الى لفظ المتكلم
وهو وجه لطيف ويجوز ان يكون المعنى لا ابرح ما انا عليه يعني الزم المسير والطلب ولا اتركه ولا افارقه حتى ابلغ كما تقول لا ابرح المكان
ومجمع البحرين المكان الذي وعد فيه موسى لقاء الخضر عليهما السلام وهو ملتقى بحر فارس والروم مما يلي المشرق وقيل
طنجة وقيل افريقية ومن بدع التفاسير ان البحرين موسى والخضر لانهما كانا بحرين في العلم وقرئ مجمع بكسر الميم وهو في الشذوذ من يفعل
كالمشرق والمطلع او امضي حقبا او اسير زمانا طويلا والحقب ثمانون سنة روي انه لما ظهر موسى على مصر مع بني اسرائيل
واستقروا بها بعد هلاك القبط امره الله تعالى ان يذكر قومه النعمة فقام فيهم خطيبا فذكر نعمة الله عز وعلا وقال ان الله اصطفى نبيكم
وكلمه فقالوا له قد علمنا هذا فاي الناس اعلم قال انا فعتب الله عليه حين لم يرد العلم الى الله فاوحى اليه بل اعلم منك عبد
لي عند مجمع البحرين وهو الخضر وكان الخضر في ايام افريدون قبل موسى وكان على مقدمة ذي القرنين الاكبر وبقي الى ايام موسى
وقيل ان موسى سأل ربه اي عبادك احب اليك قال الذي يذكرني ولا ينساني قال فاي عبادك اقضى قال الذي يقضي
بالحق ولا يتبع الهوى قال فاي عبادك اعلم قال الذي يبتغي علم الناس الى علمه عسى ان يصيب كلمة تدله على هدى او ترده عن
ردى فقال ان كان في عبادك من هو اعلم مني فادللني عليه قال اعلم منك الخضر قال اين اطلبه قال على الساحل عند الصخرة

قال يا رب كيف لي به قال تأخذ حوتا في مكتل فحيث فقدته فهو هناك فقال لفتاه اذا فقدت الحوت فاخبرني فذهبا يمشيان
ورقد موسى فاضطرب الحوت ووقع في البحر فلما جاء وقت الغداء طلب موسى الحوت فاخبره فتاه بوقوعه في البحر فاتيا الصخرة فاذا
رجل مسجى بثوبه فسلم عليه موسى فقال واني بارضنا السلام فعرفه نفسه فقال يا موسى انا على علم علمنيه الله لا تعلمه انت وانت
على علم علمكه الله لا اعلمه انا فلما ركبا السفينة جاء عصفور فوقع على حرفها فنقر في الماء فقال الخضر ما ينقص علمي وعلمك
من علم الله مقدار ما اخذ هذا العصفور من البحر نسيا حوتهما اي نسيا تفقد امره وما يكون منه مما جعل امارة على الظفر
بالطلبة وقيل نسي يوشع ان يقدمه ونسي موسى ان يامره فيه بشيء وقيل كان الحوت سمكة مملوحة وقيل ان يوشع
حمل الحوت والخبز في المكتل فنزلا ليلة على شاطئ عين تسمى عين الحيوة ونام موسى فلما اصاب السمكة روح الماء وبرده
عاشت وروي انهما اكلا منها وقيل توضأ يوشع من تلك العين فانتضح الماء على الحوت فعاش ووقع في الماء
سربا امسك الله جرية الماء على الحوت فصار عليه مثل الطاق وحصل منه في مثل السرب معجزة لموسى او للخضر عليهما السلام

فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قال ارايت اذ اوينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا

فلما جاوزا الوعد وهو الصخرة لنسيان موسى تفقد امر الحوت وما كان منه ونسيان يوشع ان يذكر
لموسى ما راى من حيوته ووقوعه في البحر وقيل سارا بعد مجاوزة الصخرة الليلة والغد الى الظهر والقي على موسى النصب
والجوع حين جاوز الموعد ولم ينصب ولا جاع قبل ذلك فتذكر الحوت وطلبه وقوله من سفرنا هذا اشارة الى
مسيرهما وراء الصخرة **فان قلت** كيف نسي يوشع ذلك ومثله لا ينسى لكونه امارة لهما على الطلبة التي
تناهضا من اجلها ولكونه معجزتين ثنتين وهما حيوة السمكة المملوحة الماكول منها وقيل ما كانت الا شق
سمكة وقيام الماء وانتصابه مثل الطاق ونفوذها في مثل السرب منه ثم كيف استمر به النسيان حتى خلفا
الموعد وسارا مسيرة ليلة الى ظهر الغد وحتى طلب موسى عليه السلام الحوت **قلت** قد شغله الشيطان
بوساوسه فذهب بفكره كل مذهب حتى اعتراه النسيان وانضم الى ذلك انه ضري بمشاهدة امثاله عند
موسى من العجائب واستانس باخوانه فاعان الالف على قلة الاهتمام ارايت بمعنى اخبرني **فان قلت**
ما وجه التيام هذا الكلام فان كل واحد من ارايت واذ اوينا وفاني نسيت الحوت لا متعلق له **قلت** لما طلب موسى
الحوت ذكر يوشع ما راى منه وما اعتراه من نسيانه الى تلك الغاية فدهش فطفق يسال موسى عن سبب ذلك كانه قال ارايت ما دهاني
اذ اوينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت فحذف ذلك وقيل هي الصخرة التي دون نهر الزيت وان اذكره بدل من الهاء في
انسانيه اي وما انساني ذكره الا الشيطان وفي قراءة عبد الله ان اذكركه عجبا ثاني مفعولي اتخذ مثل سربا يعني اتخذ سبيله
عجبا وهو كونه شبيه السرب او قال عجبا في آخر كلامه تعجبا من حاله في رؤية تلك العجيبة ونسيانه لها او مما راى من المعجزتين وقوله
وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وقيل ان عجبا حكاية لتعجب موسى وليس بذاك ذلك
اشارة الى اتخاذه سبيلا اي ذلك الذي كنا نطلب لانه امارة الظفر بالطلبة من لقاء الخضر

قال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما

نبغ بغير ياء في الوصل واثباتها احسن وهي قراءة ابي عمرو واما الوقف فالاكثر فيه طرح الياء اتباعا لخط المصحف
فارتدا فرجعا في آثارهما قصصا يقصان قصصا اي يتبعان آثارهما اتباعا او فارتدا مقتصين رحمة من عندنا هي الوحي
والنبوة من لدنا مما يختص بنا من العلم وهو الاخبار عن الغيوب

قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمن مما علمت رشدا قال انك لن تستطيع معي صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا

رشدا قرئ بفتحتين وبضمة وسكون اي علما ذا رشد ارشد به في ديني **فان قلت** اما دلت حاجته الى التعلم من آخر
في عهده انه كما قيل موسى بن ميشا لا موسى بن عمران لان النبي يجب ان يكون اعلم اهل زمانه وامامهم المرجوع اليه في ابواب
الدين **قلت** لا غضاضة بالنبي في اخذ العلم من نبي مثله وانما يغض منه ان ياخذ ممن هو دونه وعن سعيد بن جبير
انه قال لابن عباس ان نوفا ابن امراة كعب يزعم ان الخضر ليس بصاحب موسى وان موسى هو موسى بن ميشا فقال كذب
عدو الله نفي استطاعة الصبر معه على وجه التاكيد كانها مما لا يصح ولا يستقيم وعلل ذلك بانه يتولى امورا هي في ظاهرها

مناكر

مناكر والرجل الصالح فكيف اذا كان نبيا لا يتمالك ان يشمئز ويمتعض ويجزع اذا راى ذلك وياخذ في الانكار وخبرا
تمييز اي لم يحط به خبرك او لان لم تحط به بمعنى لم تخبره فنصبه نصب المصدر

قال ستجدني ان شاء الله صابرا ولا اعصي لك امرا قال فان اتبعتني فلا تسالني عن شيء حتى احدث لك منه ذكرا

ولا اعصي في محل النصب عطف على صابرا اي ستجدني صابرا وغير عاص او لا في محل عطفا على ستجدني رجا موسى عليه السلام
لحرصه على العلم وازدياده ان يستطيع معه صبرا بعد افصاح الخضر عليه السلام عن حقيقة الامر فوعده الصبر معلقا بمشيئة الله
علما منه بشدة الامر وصعوبته وان الحمية التي تاخذ المصلح عند مشاهدة الفساد شيء لا يطاق هذا مع علمه ان النبي المعصوم
الذي امره الله تعالى بالمسافرة اليه واتباعه واقتباس العلم منه بريء من ان يباشر ما فيه غميزة في الدين وانه لا بد لما
يستسمج ظاهره من باطن حسن جميل فكيف اذا لم يعلم وقرئ فلا تسالنّي بالنون الثقيلة يعني فمن شرط اتباعك
لي انك اذا رايت مني شيئا وقد علمت انه صحيح الا انه خفي عليك وجه صحته فحميت وانكرت في نفسك ان لا تفاتحني بالسؤال
ولا تراجعني فيه حتى اكون انا الفاتح عليك وهذا من ادب المتعلم مع العالم والمتبوع مع التابع

فانطلقا حتى اذا ركبا في السفينة خرقها قال اخرقتها لتغرق اهلها لقد جئت شيئا امرا قال الم اقل انك لن تستطيع معي صبرا قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من امري عسرا

فانطلقا على ساحل البحر يطلبان السفينة فلما ركبا قال اهلها هما من اللصوص وامروهما بالخروج فقال صاحب السفينة ارى وجوه الانبياء
وقيل عرفوا الخضر فحملوهما بغير نول فلما لججوا اخذ الخضر الفاس فخرق السفينة بان قلع لوحين من الواحها مما يلي الماء
فجعل موسى يسد الخرق بثيابه ويقول اخرقتها لتغرق اهلها من غرق واهلها مرفوع جئت شيئا امرا اتيت شيئا
عظيما من امر الامر اذا عظم قال داهية دهياء اداء امرا بما نسيت بالذي نسيته او بشيء نسيته او بنسياني اراد انه نسي
وصيته ولا مؤاخذة على الناسي او اخرج الكلام في معرض النهي عن المؤاخذة بالنسيان يوهمه انه قد نسي ليبسط عذره
في الانكار وهو من معاريض الكلام التي يتقى بها الكذب مع التوصل الى الغرض كقول ابرهيم عليه السلام هذه اختي واني
سقيم او اراد بالنسيان الترك اي لا تؤاخذني بما تركت من وصيتك اول مرة يقال رهقه اذا غشيه وارهقه اياه
اي ولا تغشني عسرا من امري وهو اتباعه اياه يعني ولا تعسر علي متابعتك ويسرها علي بالاغضاء وترك المناقشة وقرئ
عسرا بضمتين

فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما فقتله قال اقتلت نفسا زاكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا قال الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا قال ان سالتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا

فقتله قيل كان قتله فتل عنقه وقيل ضرب راسه بالحائط وعن سعيد
ابن جبير اضجعه ثم ذبحه بالسكين **فان قلت** لم قيل حتى اذا ركبا في السفينة خرقها بغير فاء وحتى اذا لقيا غلاما
فقتله بالفاء **قلت** جعل خرقها جزاء للشرط وجعل قتله من جملة الشرط معطوفا عليه والجزاء قال اقتلت
فان قلت فلم خولف بينهما **قلت** لان خرق السفينة لم يتعقب الركوب وقد تعقب القتل لقاء
الغلام وقرئ زاكية وزكية وهي الطاهرة من الذنوب اما لانها طاهرة عنده لانه لم يرها قد اذنبت واما لانها صغيرة
لم تبلغ الحنث بغير نفس لم تقتل نفسا فيقتص منها وعن ابن عباس ان نجدة الحروري كتب اليه كيف جاز قتله
وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل الولدان فكتب اليه ان علمت من حال الولدان ما علمه عالم موسى فلك ان
تقتل نكرا وقرئ بضمتين وهو المنكر وقيل النكر اقل من الامر لان قتل نفس واحدة اهون من اغراق اهل السفينة وقيل معناه
جئت شيئا انكر من الاول لان ذلك كان خرقا يمكن تداركه بالسد وهذا لا سبيل الى تداركه **فان قلت** ما معنى زيادة
لك **قلت** زيادة المكافحة بالعتاب على رفض الوصية والوسم بقلة الصبر عند الكرة الثانية بعدها بعد هذه
الكرة او المسالة فلا تصاحبني فلا تقارني وان طلبت صحبتك فلا تتابعني على ذلك وقرئ فلا تصحبني فلا تكن صاحبي
وقرئ فلا تصحبني اي فلا تصحبني اياك ولا تجعلني صاحبك من لدني عذرا قد اعذرت وقرئ لدني بتخفيف النون ولدني
بسكون الدال وكسر النون كقولهم في عضد عضد وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي موسى استحيا فقال ذلك
وقال رحمة الله علينا وعلى اخي موسى لو لبث مع صاحبه لابصر اعجب الاعاجيب

فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية استطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض فاقامه قال لو

شئت لتخذت عليه اجرا ۝ قال هذا فراق بيني وبينك سانبئك بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا ۝

اهل قرية هي انطاكية وقيل الابلة وهي ابعد ارض الله تعالى من السماء ان يضيفوهما وقرئ يضيفوهما يقال ضافه اذا كان له ضيفا وحقيقته مال اليه من ضاف السهم عن الغرض ونظيره زاره من الازورار واضافه وضيفه انزله وجعله ضيفه وعن النبي صلى الله عليه وسلم كانوا اهل قرية لئاما وقيل شر القرى التي لا يضاف الضيف فيها ولا يعرف لابن السبيل حقه يريد ان ينقض استعيرت الارادة للمداناة والمشارفة كما استعير الهم والعزم لذلك قال الراعي في مهمه قلقت به هاماتها قلق الفؤوس اذا اردن نصولا وقال يريد الرمح صدر ابي براء ويعدل عن دماء بني عقيل وقال حسان ان دهرا يلف شملي بجمل لزمان يهم بالاحسان وسمعت من يقول عزم السراج ان يطفأ واذا كان القول والنطق والشكاية والصدق والكذب والسكوت والتمرد والاباء والعزة والطواعية وغير ذلك مستعارة للجماد ولما لا يعقل فما بال الارادة قال اذ قالت الانساع للبطن الحق تقول سني للنواة طني لا ينطق اللهو حتى ينطق العود وشكا الي جملي طول السرى ان يك ظني صادقا وهو صادق ولما سكت عن موسى الغضب تمرد مارد وعز الابلق وليعضهم يابى على اجفانه اغفاءه هم اذا انقاد الهموم تمردا ابت الروادف والثدي لقمصها مس البطون وان تمس ظهورا قالتا اتينا طائعين ولقد بلغني ان بعض المحرفين لكلام الله تعالى ممن لا يعلم كان يجعل الضمير للخضر لان ما كان فيه من آفة الجهل وسقم الفهم اراه اعلى الكلام طبقة ادناه منزلة فتمحل ليرده الى ما هو عنده اصح وافصح وعنده ان ما كان ابعد من المجاز كان ادخل في الاعجاز وانقض اذا اسرع سقوطه من انقضاض الطائر وهو انفعل مطاوع قضضته وقيل افعل من النقض كاحمر من الحمرة وقرئ ان ينقض وان ينقاص من انقاصت السن اذا انشقت طولا قال ذو الرمة منقاص ومنكثب بالقاع غير منجح فاقامه قيل اقامه بيده وقيل مسحه بيده فقام واستوى وقيل اقامه بعمود عمده به وقيل نقضه وبناه وقيل كان طول الجدار في السماء مائة ذراع كانت الحال حال اضطرار وافتقار الى المطعم وقد لجاتهما الحاجة الى آخر كسب المرء وهو المسألة فلم يجد مواسيا فلما اقام الجدار لم يتمالك موسى لما راى من الحرمان ومساس الحاجة ان قال لو شئت لاتخذت عليه اجرا وطلبت على عملك جعلا حتى ننتعش ونستدفع به الضرورة وقرئ لتخذت والتاء في تخذ اصل كما في تبع واتخذ افتعل منه كاتبع من تبع وليس من الاخذ في شيء فان قلت هذا اشارة الى ماذا قلت قد تصور فراق بينهما عند حلول ميعاده على ما قال موسى عليه السلام ان سالتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني فاشار اليه وجعله مبتدا واخبر عنه كما تقول هذا اخوك فلا يكون هذا اشارة الى غير الاخ ويجوز ان يكون هذا اشارة الى السؤال الثالث اي هذا الاعتراض سبب الفراق والاصل هذا فراق بيني وبينك وقد قرا به ابن ابي عبلة فاضيف المصدر الى الظرف كما يضاف الى المفعول به ۝

اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فاردت ان اعيبها وكان وراءهم ملك ياخذ كل سفينة غصبا ۝ واما الغلام فكان ابواه مؤمنين فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا ۝ فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه زكوة واقرب رحما ۝

لمساكين قيل كانت لعشرة اخوة خمسة منهم زمنى وخمسة يعملون في البحر وراءهم امامهم كقوله تعالى ومن ورائهم برزخ وقيل خلفهم وكان طريقهم في رجوعهم عليه وما كان عندهم خبره فاعلم الله تعالى به الخضر وهو جلندى فان قلت قوله فاردت ان اعيبها مسبب عن خوف الغصب عليها فكان حقه ان يتاخر عن السبب فلم قدم عليه قلت النية به التاخير وانما قدم للعناية ولان خوف الغصب ليس هو السبب وحده ولكن مع كونها للمساكين فكان بمنزلة قولك زيد ظني مقيم وقيل في قراءة ابي وعبد الله كل سفينة صالحة وقرا الجحدري فكان ابواه مؤمنان على ان كان فيه ضمير الشان فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا فخفنا ان يغشي الوالدين المؤمنين طغيانا عليهما وكفرا لنعمتهما بعقوقه وسوء صنيعه ويلحق بهما شرا وبلاء او يقرن بايمانهما طغيانه وكفره فيجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر او يعديهما بدائه ويضلهما بضلاله فيرتدا بسببه ويطغيا ويكفرا بعد الايمان وانما خشي الخضر منه ذلك لان الله عز وعلا اعلمه بحاله واطلعه على سر امره وامره اياه بقتله كاخترامه لمفسدة عرفها في حياته وفي قراءة ابي فخاف ربك والمعنى فكره ربك كراهة من خاف سوء عاقبة الامر فغيره ويجوز ان يكون قوله فخشينا حكاية لقوله عز وجل بمعنى فكرهنا كقوله تعالى لاهب لك وقرئ يبدلهما بالتشديد والزكوة الطهارة والنقاء من الذنوب والرحم والرحمة العطف وروي انه ولدت لهما جارية تزوجها نبي

ولدت نبيا هدى الله تعالى على يديه امة من الامم وقيل ولدت سبعين نبيا وقيل ابدلهما ابنا مؤمنا مثلهما ۝

واما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان ابوهما صالحا فاراد ربك ان يبلغا اشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن امري ذلك تاويل ما لم تسطع عليه صبرا ۝

قيل اسما الغلامين اصرم وصريم والغلام المقتول اسمه الحيسور واختلف في الكنز فقيل مال مدفون من ذهب وفضة وقيل لوح من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل صحف فيها علم والظاهر لاطلاقه انه مال وعن قتادة احل الكنز لمن قبلنا وحرم علينا وحرمت الغنيمة عليهم واحلت لنا اراد قوله تعالى الذين يكنزون الذهب الآية وكان ابوهما صالحا اعتداد بصلاح ابيهما وحفظ لحقه فيهما وعن جعفر بن محمد رضي الله عنهما كان بين الغلامين وبين الاب الذي حفظا فيه سبعة آباء وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما انه قال لبعض الخوارج في كلام جرى بينهما بم حفظ الله مال الغلامين قال بصلاح ابيهما قال فابي وجدي خير منه فقال قد انبانا الله انكم قوم خصمون رحمة مفعول له او مصدر منصوب باراد ربك لانه في معنى رحمهما وما فعلته وما فعلت ما رايت عن اجتهادي ورايي وانما فعلته بامر الله ۝

ويسئلونك عن ذي القرنين قل سانلوا عليكم منه ذكرا ۝ انا مكنا له في الارض وآتيناه من كل شيء سببا ۝ فاتبع سببا ۝

ذو القرنين هو الاسكندر الذي ملك الدنيا قيل ملكها مؤمنان ذو القرنين وسليمان وكافران نمروذ وبخت نصر وكان بعد نمروذ واختلف فيه فقيل كان عبدا صالحا ملكه الله الارض واعطاه العلم والحكمة والبسه الهيبة وسخر له النور والظلمة فاذا سرى يهديه النور من امامه وتحوطه الظلمة من ورائه وقيل نبيا وقيل ملكا من الملائكة وعن عمر رضي الله عنه انه سمع رجلا يقول يا ذا القرنين فقال اللهم غفرا اما رضيتم ان تسموا باسماء الانبياء حتى تسميتم باسماء الملائكة وعن علي رضي الله عنه سخر له السحاب ومدت له الاسباب وبسط له النور وسئل عنه فقال احب الله فاحبه وساله ابن الكواء ما ذو القرنين املك ام نبي فقال ليس بملك ولا نبي ولكن كان عبدا صالحا ضرب على قرنه الايمن في طاعة الله فمات ثم بعثه الله فضرب على قرنه الايسر فمات فبعثه الله تعالى فسمي ذا القرنين وفيكم مثله قيل كان يدعوهم الى التوحيد فيقتلونه فيحييه الله تعالى وعن النبي صلى الله عليه وسلم سمي ذا القرنين لانه طاف قرني الدنيا يعني جانبيها شرقها وغربها وقيل كان له قرنان اي ضفيرتان وقيل انقرض في وقته قرنان من الناس وعن وهب لانه ملك الروم وفارس وروي الروم والترك وعنه كانت صفحتا راسه من نحاس وقيل كان لتاجه قرنان وقيل كان على راسه ما يشبه القرنين ويجوز ان يلقب بذلك لشجاعته كما يسمى الشجاع كبشا كانه ينطح اقرانه وكان من الروم ولد عجوز ليس لها ولد غيره والسائلون هم اليهود سالوه على جهة الامتحان وقيل سائله ابو جهل واشياعه والخطاب في عليكم لاحد الفريقين من كل شيء اي من اسباب كل شيء اراده من اغراضه ومقاصده في ملكه سببا طريقا موصلا اليه والسبب ما يتوصل به الى المقصود من علم او قدرة او آلة فاراد بلوغ المغرب فاتبع سببا يوصله اليه حتى بلغ وكذلك اراد المشرق فاتبع سببا واراد بلوغ السدين فاتبع سببا وقرئ فاتبع ۝ قرئ حمئة من حمئت البئر اذا صارت فيها الحماة وحامية بمعنى حارة وعن ابي ذر رضي الله عنه كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم على جمل فرای الشمس حين غابت فقال اتدري يا ابا ذر اين تغرب هذه قلت الله ورسوله اعلم فقال انها تغرب في عين حامية وهي قراءة ابن مسعود وطلحة وابن عمر وابي عمرو والحسن وقرا ابن عباس حمئة وكان ابن عباس عند معوية فقرا معوية حامية فقال ابن عباس حمئة فقال معوية لعبد الله بن عمرو كيف تقرا قال كما يقرا امير المؤمنين ثم وجه الى كعب الاحبار كيف تجد الشمس تغرب قال في ماء وطين كذلك نجده في التورية وروي في ذلك ما يوافق قول ابن عباس وكان ثم رجل فانشد قول تبع فراى مغيب الشمس عند مآبها في عين ذي خلب وثاط حرمد اي في عين ماء ذي طين وحماء اسود ولا تنافي بين الحمئة والحامية فجائز ان تكون العين جامعة للوصفين جميعا ۝

قال اما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا ۝ واما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى وسنقول له من امرنا يسرا ۝ ثم اتبع سببا ۝

كان كافرة فخيره الله عز وجل بين ان يعذبهم بالقتل وان يدعوهم الى الاسلام فاختار الدعوة والاجتهاد في استمالتهم فقال

حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ووجد عندها قوما قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب واما ان تتخذ فيهم حسنا

اما من دعوته فابى الا البقاء على الظلم العظيم الذى هو الشرك فذاك هو المعذب فى الدارين واما من آمن وعمل ما يقتضيه
الايمان فله جزاء الحسنى وقيل خيره بين القتل والاسر وسماه احسانا فى مقابلة القتل فله جزاء الحسنى فله ان يجازى
المثوبة الحسنى او فله جزاء الفعلة الحسنى التى هى كلمة الشهادة وقرئ فله جزاء الحسنى اى فله الفعلة الحسنى جزاء
وعن قتادة كان يطبخ من كفر فى القدور وهو العذاب النكر ومن آمن اعطاه وكساه من امرنا يسرا اى لا نامره
بالصعب الشاق ولكن بالسهل المتيسر من الزكوة والخراج وغير ذلك وتقديره ذا يسر كقوله قولا ميسورا وقرئ يسرا
بضمتين حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا
وقرئ مطلع بفتح اللام وهو مصدر والمعنى بلغ مكان مطلع الشمس كقوله كان مجر الرامسات ذيولها يريد كان
آثار مجر الرامسات على قوم قيل هم الزنج والستر الابنية وعن كعب ارضهم لا تمسك الابنية وبها اسراب فاذا
طلعت دخلوها فاذا ارتفع النهار خرجوا الى معايشهم وعن بعضهم خرجت حتى جاوزت الصين فسألت عن هؤلاء
فقيل بينك وبينهم مسيرة يوم وليلة فبلغتهم فاذا احدهم يفرش اذنه ويلبس الاخرى ومعى صاحب يعرف لسانهم فقالوا
له جئتنا تنظر كيف تطلع الشمس قال فبينا نحن كذلك اذ سمعنا كهيئة الصلصلة فغشى على ثم افقت وهم يمسحوننى بالدهن
فلما طلعت الشمس على الماء اذا هى فوق الماء كهيئة الزيت فادخلونا سربا لهم فلما ارتفع النهار خرجوا الى البحر فجعلوا يصطادون
السمك ويطرحونه فى الشمس فينضج لهم وقيل الستر اللباس وعن مجاهد من لا يلبس الثياب من السودان عند مطلع الشمس
اكثر من جميع اهل الارض كذلك وقد احطنا بما لديه خبرا ثم اتبع سببا كذلك اى امر
ذى القرنين كذلك كما وصفناه تعظيما لامره وقد احطنا بما لديه من الجنود والآلات واسباب الملك خبرا تكثيرا
لذلك وقيل لم نجعل لهم من دونها سترا مثل ذلك الستر الذى جعلنا لكم من الجبال والحصون والابنية والاكنان
من كل جنس والثياب من كل صنف وقيل بلغ مطلع الشمس مثل ذلك اى كما بلغ مغربها وقيل تطلع على قوم مثل
ذلك القبيل الذى تغرب عليهم يعنى انهم كفرة مثلهم وحكمهم مثل حكمهم فى تعذيبه لمن بقى منهم على الكفر واحسانه
الى من آمن منهم حتى اذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون
قولا بين السدين بين الجبلين وهما جبلان سد ذو القرنين ما بينهما قرئ بالضم والفتح وقيل ما كان من خلق
الله فهو مضموم وما كان من عمل العباد فهو مفتوح لان السد بالضم فعل بمعنى مفعول اى هو مما فعله الله تعالى وخلقه والسد
بالفتح مصدر حدث يحدثه الناس وانتصب بين على انه مفعول به مبلوغ كما انجر على الاضافة فى قوله هذا فراق بينى وبينك
وكما ارتفع فى قوله تعالى لقد تقطع بينكم لانه من الظروف التى تستعمل اسماء وظروفا وهذا المكان فى منقطع ارض الترك مما
يلى المشرق من دونهما قوما هم الترك لا يكادون يفقهونه الا بجهد ومشقة من اشارة ونحوها كما يفهم البكم وقرئ
يفقهون اى لا يفهمون السامع كلامهم ولا يبينونه لان لغتهم غريبة مجهولة قالوا يا ذا القرنين ان
يأجوج ومأجوج مفسدون فى الارض فهل نجعل لك خرجا على ان تجعل بيننا وبينهم
سدا يأجوج ومأجوج اسمان اعجميان بدليل منع الصرف وقرئا مهموزين وقرأ رؤبة آجوج ومأجوج وهما من ولد
يافث وقيل يأجوج من الترك ومأجوج من الجيل والديلم مفسدون فى الارض قيل كانوا يأكلون الناس وقيل كانوا
يخرجون ايام الربيع فلا يتركون شيأ اخضر الا اكلوه ولا يابسا الا احتملوه وكانوا يلقون منهم قتلا واذى شديدا وعن رسول الله
صلى الله عليه وسلم فى صفتهم لا يموت احد منهم حتى ينظر الى الف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح وقيل هم على صنفين
طوال مفرطوا الطول وقصار مفرطوا القصر قرئ خرجا وخراجا اى جعلا نخرجه من اموالنا ونظيرهما النول والنوال
وقرئ سدا وسدا قال ما مكنى فيه ربى خير فاعينونى بقوة اجعل بينكم وبينهم ردما
ما مكنى فيه ربى خير ما جعلنى فيه مكينا من كثرة المال واليسار خير مما تبذلون لى من الخراج فلا حاجة بى اليه كما قال سليمان
صلوات الله وسلامه عليه فما آتانى الله خير مما آتاكم قرئ بالادغام وبفكه فاعينونى بقوة بفعلة وصناع يحسنون البناء
والعمل وبالآلات ردما حاجزا حصينا موثقا والردم اكبر من السد من قولهم ثوب مردم رقاع فوق رقاع
آتونى زبر الحديد حتى اذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى اذا جعله نارا قال آتونى
افرغ عليه قطرا قيل حفر للاساس حتى بلغ الماء وجعل الاساس من الصخر والنحاس المذاب والبنيان

من زبر الحديد بينها الحطب والفحم حتى سد ما بين الجبلين الى اعلاهما ثم وضع المنافيخ حتى اذا صارت كالنار صب النحاس
المذاب على الحديد المحمى فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار جبلا صلدا وقيل بعد ما بين السدين مائة فرسخ وقرئ سوى
وسوّى وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا اخبره به فقال كيف رأيته قال كالبرد المحبر طريقة سوداء
وطريقة حمراء قال قد رأيته والصدفان بفتحتين جانبا الجبلين لانهما يتصادفان اى يتقابلان وقرئ الصدفين
بضمتين والصدفين بضمة وسكون والصدفين بفتحة وضمة والقطر النحاس المذاب لانه يقطر وقطرا منصوب
بافرغ وتقديره آتونى قطرا افرغ عليه قطرا فحذف الاول لدلالة الثانى عليه وقرئ قال ائتونى اى جيئونى
فما اسطاعوا ان يظهروه وما استطاعوا له نقبا فما اسطاعوا بحذف التاء للخفة
لان التاء قريبة المخرج من الطاء وقرئ فما اصطاعوا بقلب السين صادا واما من قرأ بادغام التاء فى الطاء
فملاق بين ساكنين على غير الحد ان يظهروه ان يعلوه اى لا حيلة لهم فيه من صعود لارتفاعه وانملاسه ولا نقب
لصلابته وثخانته قال هذا رحمة من ربى فاذا جاء وعد ربى جعله دكا وكان وعد
ربى حقا هذا اشارة الى السد اى هذا السد نعمة من الله ورحمة على عباده او هذا الاقدار والتمكين
من تسويته فاذا جاء وعد ربى يعنى فاذا دنا مجيء يوم القيمة وشارف ان يأتى جعل السد دكا اى مدكوكا
مبسوطا مسوى بالارض وكل ما انبسط بعد ارتفاع فقد اندك ومنه الجمل الادك المنبسط السنام وقرئ دكاء
بالمد اى ارضا مستوية وكان وعد ربى حقا آخر حكاية قول ذى القرنين وتركنا بعضهم يومئذ يموج
فى بعض ونفخ فى الصور فجمعناهم جمعا وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا
وتركنا وجعلنا بعضهم بعض الخلق يموج فى بعض اى يضطربون ويختلطون انسهم وجنهم حيارى ويجوز ان يكون
الضمير ليأجوج ومأجوج وانهم يموجون حين يخرجون مما وراء السد مزدحمين فى البلاد وروى يأتون البحر فيشربون
ماءه ويأكلون دوابه ثم يأكلون الشجر ومن ظفروا به ممن لم يتحصن منهم من الناس ولا يقدرون ان يأتوا مكة والمدينة
وبيت المقدس ثم يبعث الله تعالى نغفا فى اقفائهم فيدخل فى آذانهم فيموتون وعرضنا جهنم وبرزناها لهم فرأوها وشاهدوها
الذين كانت اعينهم فى غطاء عن ذكرى وكانوا لا يستطيعون سمعا عن ذكرى عن آياتى
التى ينظر اليها فاذكر بالتعظيم او عن القرآن وتأمل معانيه وتبصرها ونحوه صم بكم عمى وكانوا لا يستطيعون سمعا يعنى
وكانوا صما عنه الا انه ابلغ لان الاصم قد يستطيع السمع اذا صيح به وهؤلاء كأنهم اصمت اسماعهم فلا استطاعة
بهم للسمع افحسب الذين كفروا ان يتخذوا عبادى من دونى اولياء انا اعتدنا
جهنم للكافرين نزلا عبادى من دونى اولياء هم الملائكة يعنى انهم لا يكونون لهم اولياء كما حكى عنهم سبحانك
انت ولينا من دونهم وقرأ ابن مسعود افظن الذين كفروا وقراءة على رضى الله عنه افحسب الذين كفروا اى افكافيهم
ومحسبهم ان يتخذوهم اولياء على الابتداء والخبر او على الفعل والفاعل لان اسم الفاعل اذا اعتمد على الهمزة ساوى
الفعل فى العمل كقولك اقائم الزيدان والمعنى ان ذلك لا يكفيهم ولا ينفعهم عند الله كما حسبوا وهى قراءة محكمة جيدة
النزل ما يقام للنزيل وهو الضيف ونحوه فبشرهم بعذاب اليم قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين
ضل سعيهم فى الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا اولئك الذين كفروا
بآيات ربهم ولقائه فحبطت اعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا ذلك جزاؤهم
جهنم بما كفروا واتخذوا آياتى ورسلى هزوا ضل سعيهم ضاع وبطل وهم الرهبان عن على رضى الله عنه
كقوله عاملة ناصبة وعن مجاهد اهل الكتاب وعن على رضى الله عنه ان ابن الكواء سأله عنهم فقال منهم اهل حروراء
وعن ابى سعيد الخدرى يأتى ناس باعمال يوم القيمة هى عندهم فى العظم كجبال تهامة فاذا وزنوها لم تزن شيأ فلا نقيم
لهم وزنا فنزدرى بهم ولا يكون لهم عندنا وزن ومقدار وقيل لا يقام لهم ميزان لان الميزان انما يوضع لاهل الحسنات
والسيئات من الموحدين وقرئ فلا يقيم بالياء **فان قلت** الذين ضل سعيهم فى اى محل هو **قلت**
الاوجه ان يكون فى محل الرفع على هم الذين ضل سعيهم فى الحيوة الدنيا لانه جواب عن السؤال ويجوز ان يكون نصبا على الذم او
جرا على البدل جهنم عطف بيان لقوله جزاؤهم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت

لهم جنات الفردوس نزلا ● خالدين فيها لا يبغون عنها حولا ● الحول التحول يقال حال من مكانه حولا كقوله عادني حبها عودا يعني لا مزيد عليها حتى تنازعهم انفسهم الى اجمع منها لا غراضهم واما نيهم وهذا غاية الوصف لان الانسان في الدنيا في اي نعيم كان فهو طامح الطرف الى ارفع منه ويجوز ان يراد نفي التحول وتاكيد الخلود ● قل لو

كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا

المداد اسم ما تمد به الدواة من الحبر وما يمد به السراج من السليط ويقال السماد مداد الارض والمعنى لو كتبت كلمات علم الله تعالى وحكمته وكان البحر مدادا لها والمراد بالبحر الجنس لنفد قبل ان تنفد الكلمات ● ولو جئنا بمثله بمثل البحر الموجود لنفد ايضا والكلمات غير نافدة ومددا تمييز كقولك لي مثله رجلا والمدد مثل المداد وهو ما يمد به ● وعن ابن عباس بمثله مدادا ● وقرئ الاعرج مددا بكسر الميم جمع مدة وهي ما يستمده الكاتب فيكتب به ● وقرئ ينفد بالياء ● وقيل قال حيي ابن اخطب في كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ثم تقرؤن وما اوتيتم من العلم الا قليلا فنزلت يعني ان ذلك خير كثير ولكنه قطرة من بحر كلمات الله تعالى ● قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد

فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا ● فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل فمن كان يامل حسن لقاء ربه وان يلقاه لقاء رضى وقبول وقد فسرنا اللقاء او فمن كان يخاف سوء لقائه والمراد بالنهي عن الاشراك بالعبادة ان لا يرائي بعمله وان لا يبتغي به الا وجه ربه خالصا لا يخلط به غيره ● وقيل نزلت في جندب بن زهير قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني اعمل العمل لله فاذا اطلع عليه سرني فقال ان الله لا يقبل ما شورك فيه ● وروي انه قال له لك اجران اجر السر واجر العلانية وذلك اذا قصد ان يقتدى به ● وعنه صلى الله عليه وسلم اتقوا الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال الرياء ● عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكهف من آخرها كانت له نورا من قرنه الى قدمه ومن قرأها كلها كانت له نورا من الارض الى السماء ● وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ عند مضجعه قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي كان له في مضجعه نورا يتلألأ الى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم وان كان مضجعه بمكة كان له نورا يتلألأ من مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ ○

سورة مريم مكية

وهي ثمان او تسع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم ● كهيعص ذكر رحمت ربك عبده

زكريا ● اذ نادى ربه نداء خفيا ● كهيعص بفتح الهاء وكسر الياء حمزة وبكسرهما عاصم وبضمهما الحسن ● وقرأ الحسن ذكر رحمة ربك اي هذا المتلو من القرآن ذكر رحمة ربك ● وقرئ ذكر على الامر ● ولعله اذ نادى ربه نداء خفيا راعى سنة الله في اخفاء دعوته لان الجهر والاخفاء عند الله سيان فكان الاخفاء اولى لانه ابعد من الرياء وادخل في الاخلاص ● وعن الحسن رحمه الله تعالى نداء لا رياء فيه او اخفاه لئلا يلام على طلب الولد في ابان الكبرة والشيخوخة او اسره من مواليه الذين خافهم ● او خفت صوته لضعفه وهرمه كما جاء في صفة الشيخ صوته خفات وسمعه تارات ● واختلف في سن زكريا عليه السلام فقيل ستون وخمس وستون وسبعون وخمس وسبعون وخمس وثمانون

قال رب اني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا ولم اكن بدعائك رب شقيا

قرئ وهن بالحركات الثلاث وانما ذكر العظم لانه عمود البدن وبه قوامه وهو اصل بنائه فاذا وهن تداعى وتساقطت قوته ولانه اشد ما فيه واصلبه فاذا وهن كان ما وراءه اوهن ووحده لان الواحد هو الدال على معنى الجنسية وقصده الى ان هذا الجنس الذي هو العمود والقوام واشد ما تركب منه الجسد قد اصابه الوهن ولو جمع لكان قصدا الى معنى آخر وهو انه لم يهن منه بعض عظامه ولكن كلها ● ادغام السين في الشين عن ابي عمرو شبه الشيب بشواظ النار في بياضه وانارته وانتشاره في الشعر وفشوه فيه واخذه فيه كل مأخذ باشتعال النار ثم اخرجه مخرج الاستعارة ثم اسند الاشتعال الى مكان الشعر ومنبته وهو الرأس واخرج الشيب مميزا ولم يضف الرأس اكتفاء بعلم المخاطب انه رأس زكريا فمن ثم فصحت هذه الجملة وشهد لها بالبلاغة ● توسل الى الله تعالى بما سلف له معه من الاستجابة ●

وعن

وعن بعضهم ان محتاجا سأله وقال انا الذي احسنت الي وقت كذا فقال مرحبا بمن توسل بنا الينا وقضى حاجته

واني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقرا فهب لي من لدنك وليا

يعني مواليه وهم عصبته اخوته وبنو عمه شرار بني اسرائيل فخافهم على الدين ان يغيروه ويبدلوه وان لا يحسنوا الخلافة على امته فطلب عقبا من صلبه صالحا يقتدى به في احياء الدين ويرتسم مراسمه فيه ● من ورائي بعد موتي ● وقرأ ابن كثير من وراي بالقصر وهذا الظرف لا يتعلق بخفت لفساد المعنى ولكن بمحذوف او بمعنى الولاية في الموالي اي خفت فعل الموالي وهو تبديلهم وسوء خلافتهم من ورائي او خفت الذين يلون الامر من ورائي ● وهذا على معنيين احدهما ان يكون وراي بمعنى خلفي وبعدي فيتعلق الظرف بالموالي اي قلوا وعجزوا عن اقامة امر الدين فسأل ربه تقويتهم ومظاهرتهم بولي يرزقه ● والثاني ان يكون بمعنى قدامي فيتعلق بخفت ويريد انهم خفوا قدامه ودرجوا ولم يبق منهم من به تقوّ واعتضاد ● من لدنك تاكيد لكونه وليا مرضيا بكونه مضافا الى الله وصادرا من عنده والا فهب لي وليا يرثني كاف او اراد اخترعه منك بلا سبب لاني وامرأتي لا نصلح للولادة ●

يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا

يرثني ويرث الجزم جواب الدعاء والرفع صفة وكذلك ردءا يصدقني ● وعن ابن عباس والجحدري يرثني وارث آل يعقوب ● وعن الجحدري اويرث على التصغير وارث وقال غليم صغير ● وعن علي رضي الله عنه وجماعة وارث من آل يعقوب اي يرثني به وارث ويسمى التجريد في علم البيان والمراد بالارث ارث الشرع والعلم لان الانبياء لا تورث المال ● وقيل يرثني الحبورة وكان حبرا ويرث من آل يعقوب الملك يقال ورثته وورثت منه لغتان ● وقيل من للتبعيض لا للتعدية لان آل يعقوب لم يكونوا كلهم انبياء ولا علماء ● وكان زكريا عليه السلام من نسل يعقوب بن اسحق ● وقيل هو يعقوب ابن ماثان اخو زكريا عليه السلام ● وقيل يعقوب هذا وعمران ابو مريم من نسل سليمان بن داود عليهم السلام

يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا ● لم يسم احد بيحيى قبله وهذا شاهد على ان الاسامي الشنع جديرة بالاثرة واياها كانت العرب تنتحي في التسمية لكونها انبه وانوه وانزه عن النبز حتى قال القائل في مدح قوم ● شنع الاسامي مسبلي ازر ● حمر تمس الارض بالهدب ● وقال رؤبة للنسابة البكري وقد سأله عن نسبه انا ابن العجاج فقال قصرت وعرفت ● وقيل مثلا وشبيها عن مجاهد كقوله تعالى هل تعلم له سميا ● وانما قيل للمثل سمي لان كل متشاكلين يسمى كل واحد منهما باسم المثل والشبيه والشكل والنظير فكل واحد منهما سمي لصاحبه ● ونحو يحيى في اسمائهم يعمر ويعيش ان كانت التسمية عربية وقد سموا بيموت ايضا وهو يموت بن المزرع ● قالوا لم يكن له مثل في انه لم يعص ولم يهم بمعصية قط وانه ولد بين شيخ فان وعجوز عاقر وانه كان حصورا ● قال رب انى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقرا

وقد بلغت من الكبر عتيا ● اي كانت على صفة العقر حين انا شاب وكهل فما رزقت الولد لاختلال احد السببين افحين اختل السببان جميعا ارزقه ● فان قلت لم طلب اولا وهو وامرأته على صفة العتي والعقر فلما اسعف بطلبته استبعد واستعجب ● قلت ليجاب بما اجيب به فيزداد المؤمنون ايقانا ويرتدع المبطلون والا فمعتقد زكريا اولا وآخرا كان على منهاج واحد في ان الله غني عن الاسباب ● اي بلغت عتيا وهو اليبس والجسادة في المفاصل والعظام كالعود القاحل يقال عتا العود وعسا من اجل الكبر والطعن في السن العالية ● او بلغت من مدارج الكبر ومراتبه ما يسمى عتيا ● وقرأ ابن وثاب وحمزة والكسائي بكسر العين وكذلك صليا ● وابن مسعود بفتحهما ● وقرأ ابي ومجاهد عسيا ● قال كذلك

قال ربك هو علي هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا ● كذلك الكاف رفع اي الامر كذلك تصديق له في كبره وكون امرأته عاقرا ثم ابتدأ قال ربك او نصب بقال وذلك اشارة الى مبهم يفسره هو علي هين ونحوه وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين ● وقرأ الحسن وهو علي هين ولا يخرج هذا الا على الوجه الاول اي الامر كما قلت وهو على ذلك يهون علي ● ووجه آخر وهو ان يشار بذلك الى ما تقدم من وعد الله لا الى قول زكريا ● وقال محذوف في كلتي القراءتين اي قال هو علي هين قال وهو علي هين وان شئت لم تنوه لان الله هو المخاطب والمعنى انه قال ذلك ووعده وقوله الحق شيئا لان المعدوم ليس بشيء او شيئا يعتد به كقولهم عجبت لا من شيء وقوله ● اذا راى غير شيء ظنه رجلا ● وقرأ الاعمش والكسائي وابن وثاب خلقناك ● قال رب اجعل لي آية قال آيتك الا

تكلم الناس ثلاث ليال سويا ● اي اجعل لي آية اعلم بها وقوع ما بشرت به قال آيتك ان تمنع الكلام فلا تطيقه

وأنت سليم الجوارح سوي الخلق ما بك خرس ولا بكم ودل ذكر الليالي هنا والأيام في آل عمران على أن المنع من الكلام استمر به ثلاثة أيام ولياليهن **فخرج على قومه من المحراب فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا** أي أوحى أشار عن مجاهد ويشهد له إلا رمزا وعن ابن عباس رضي الله عنهما كتب لهم على الأرض وسبحوا بكرة صلوا أو على الظاهر وأن هي المفسرة **يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا** أي خذ التوراة بجد واستظهار بالتوفيق والتأييد الحكم الحكمة ومنه واحكم كحكم فتاة الحي يقال حكم حكما كحلم حلما وهو الفهم للتوراة والفقه في الدين عن ابن عباس وقيل دعاه الصبيان إلى اللعب وهو صبي فقال ما للعب خلقنا عن الضحاك وعن معمر العقل وقيل النبوة لأن الله تعالى أحكم عقله في صباه وأوحى إليه **وحنانا من لدنا وزكاة وكان تقيا وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا** وحنانا رحمة لأبويه وغيرهما وتعطفا وشفقة أنشد سيبويه وقالت حنان ما أتى بك هاهنا أذو نسب أم أنت بالحي عارف وقيل حنانا من الله تعالى عليه وحن في معنى ارتاح واشتاق ثم استعمل في العطف والرأفة وقيل لله حنان كما قيل رحيم على سبيل الاستعارة والزكاة الطهارة وقيل الصدقة أي يتعطف على الناس ويتصدق عليهم **وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا** سلم الله تعالى عليه في هذه الأحوال قال ابن عيينة إنها أوحش المواطن **واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا** إذ بدل من مريم بدل الاشتمال لأن الأحيان مشتملة على ما فيها وفيه أن المقصود بذكر مريم ذكر وقتها هذا لوقوع القصة العجيبة فيه والانتباذ الاعتزال والانفراد تخلت للعبادة في مكان مما يلي شرقي بيت المقدس أو من دارها معتزلة عن الناس وقيل قعدت في مشرقة للاغتسال من الحيض محتجبة بحائط أو بشيء يسترها وكان موضعها المسجد فإذا حاضت تحولت إلى بيت خالتها فإذا طهرت عادت إلى المسجد فبينا هي في مغتسلها أتاها الملك في صورة آدمي شاب أمرد وضيء الوجه جعد الشعر **فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا** سويا سوي الخلق لم ينتقص من صورة الآدمية شيئا أو حسن الصورة مستوي الخلق وإنما مثل لها في صورة الإنسان لتستأنس بكلامه ولا تنفر عنه ولو بدا لها في الصورة الملكية لنفرت ولم تقدر على استماع كلامه ودل على عفافها وورعها أنها تعوذت بالله من تلك الصورة الجميلة الفائقة الحسن وكان تمثيله على تلك الصفة ابتلاء لها وسبرا لعفتها وقيل كانت في منزل زوج أختها زكريا وله محراب على حدة تسكنه وكان زكريا إذا خرج أغلق عليها الباب فتمنت أن تجد خلوة في الجبل لتفلي رأسها فانفجر السقف لها فخرجت فجلست في المشرقة وراء الجبل فأتاها الملك وقيل قام بين يديها في صفة ترب لها اسمه يوسف من خدم بيت المقدس وقيل إن النصارى اتخذت المشرق قبلة لانتباذ مريم عليها السلام مكانا شرقيا الروح جبريل لأن الدين يحيا به وبوحيه أو سماه الله تعالى روحه على المجاز محبة له وتقريبا كما تقول لحبيبك أنت روحي وقرأ أبو حيوة روحنا بالفتح لأنه سبب لما فيه روح العباد وإصابة الروح عند الله الذي هو عدة المقربين في قوله تعالى فأما إن كان من المقربين فروح وريحان أو لأنه من المقربين وهم الموعودون بالروح أي مقربنا وذا روحنا **قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا** أرادت إن كان يرجى منك أن تتقي الله وتخشاه وتحفل بالاستعاذة به فإني عائذة به منك كقوله تعالى بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين **قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا** أي أنا رسول من استعذت به لأهب لك لأكون سببا في هبة الغلام بالنفخ في الدرع وفي بعض المصاحف إنما أنا رسول ربك أمرني أن أهب لك أو هي حكاية لقول الله تعالى **قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغيا** جعل المس عبارة عن النكاح الحلال لأنه كناية عنه كقوله عز وجل من قبل أن تمسوهن أو لامستم النساء والزنا ليس كذلك إنما يقال فيه فجر بها وخبث بها وما أشبه ذلك وليس بقمن أن تراعى فيه الكنايات والآداب والبغي الفاجرة التي تبغي الرجال وهي فعول عند المبرد بغوي فأدغمت الواو في الياء وقال ابن جني في كتاب التمام هي فعيل ولو كانت فعولا لقيل بغو كما قيل فلان نهو عن المنكر **قال كذلك قال ربك هو علي هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمرا مقضيا** ولنجعله تعليل معلله محذوف أي ولنجعله آية للناس فعلنا ذلك أو هو معطوف على تعليل مضمر أي لنبين به قدرتنا ولنجعله آية ونحوه وخلق السموات والأرض بالحق ولتجزى كل نفس

بما كسبت وقوله وكذلك مكنا ليوسف في الأرض ولنعلمه مقضيا مقدرا مسطورا في اللوح لا بد لك من جريه عليك أو كان أمرا حقيقا بأن يكون ويقضى لكونه آية ورحمة والمراد بالآية العبرة والبرهان على قدرة الله تعالى وبالرحمة الشرائع والألطاف وما كان سببا في قوة الاعتقاد والتوصل إلى الطاعة والعمل الصالح فهو جدير بالتكوين **فحملته فانتبذت به مكانا قصيا** قال ابن عباس رضي الله عنهما فاطمأنت إلى قوله فدنا منها فنفخ في جيب درعها فوصلت النفخة إلى بطنها فحملت وقيل كانت مدة الحمل ستة أشهر وعن عطاء وأبي العالية والضحاك سبعة أشهر وقيل ثمانية ولم يعش مولود وضع لثمانية أشهر إلا عيسى عليه السلام وقيل ثلاث ساعات وقيل حملته في ساعة وصور في ساعة ووضعته في ساعة حين زالت الشمس من يومها وعن ابن عباس كانت مدة الحمل ساعة واحدة كما حملته نبذته وقيل حملته وهي بنت ثلاث عشرة سنة وقيل بنت عشر وقد كانت حاضت حيضتين قبل أن تحمل قالوا ما من مولود إلا يستهل غيره فانتبذت به أي اعتزلت وهو في بطنها كقوله تدوس بنا الجماجم والتريبا أي تدوس الجماجم ونحن على ظهورها ونحوه قوله تعالى تنبت بالدهن أي تنبت ودهنها فيها الجار والمجرور في موضع الحال قصيا بعيدا من أهلها وراء الجبل وقيل أقصى الدار وقيل كانت لابن عم لها اسمه يوسف فلما قيل حملت من الزنا خاف عليها قتل الملك فهرب بها فلما كان ببعض الطريق حدثته نفسه بأن يقتلها فأتاه جبريل عليه السلام فقال إنه من روح القدس فلا تقتلها فتركها **فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا** أجاء منقول من جاء إلا أن استعماله قد تغير بعد النقل إلى معنى الإلجاء ألا تراك تقول جئت المكان وأجاءنيه زيد كما تقول بلغته وأبلغنيه ونظيره آتى حيث لم يستعمل إلا في الإعطاء ولم تقل أتيت المكان وآتانيه فلان وقرأ ابن كثير في رواية المخاض بالكسر يقال مخضت الحامل مخاضا ومخاضا وهو تمخض الولد في بطنها طلبت الجذع لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة وكان جذع نخلة يابسة في الصحراء ليس لها رأس ولا ثمرة ولا خضرة وكان الوقت شتاء والتعريف لا يخلو إما أن يكون من تعريف الأسماء الغالبة كتعريف النجم وابن الصعق كأن تلك الصحراء كان فيها جذع نخلة متعالم عند الناس فإذا قيل جذع النخلة فهم منه ذلك الجذع دون غيره من جذوع النخل وإما أن يكون تعريف الجنس أي جذع هذه الشجرة خاصة كأن الله تعالى إنما أرشدها إلى النخلة ليطعمها منها الرطب الذي هو خرسة النفساء الموافقة لها ولأن النخلة أقل شيء صبرا على البرد وثمارها إنما هي من جمارها فلموافقتها لها مع جميع الآيات فيها اختارها لها وألجأها إليها قرئ مت بالضم والكسر يقال مات يموت ومات يمات النسي ما من حقه أن يطرح وينسى كخرقة الطامث ونحوها كالذبح اسم ما من شأنه أن يذبح في قوله تعالى وفديناه بذبح عظيم وعن يونس العرب إذا ارتحلوا عن الدار قالوا انظروا أنساءكم أي الشيء اليسير نحو العصا والقدح والشظاظ تمنت لو كانت شيئا تافها لا يؤبه له من شأنه وحقه أن ينسى في العادة وقد نسي وطرح فوجد فيه النسيان الذي هو حقه وذلك لما لحقها من الحياء والتشور من الناس على حكم العادة البشرية لا كراهة لحكم الله أو لشدة التكليف عليها إذ بهتوها وهي عارفة ببراءة الساحة وبضد ما قرفت به من اختصاص الله تعالى إياها بغاية الإجلال والإكرام لأنه مقام دحض قلما تثبت عليه الأقدام أن تعرف اغتباطك بأمر عظيم وفضل باهر تستحق به المدح وتستوجب التعظيم ثم تراه عند الناس لجهلهم به عيبا يعاب به وتعنف بسببه أو لخوفها على الناس أن يعصوا الله تعالى بسببها وقرأ ابن وثاب والأعمش وحمزة نسيا بالفتح قال الفراء هما لغتان كالوتر والوتر والجسر والجسر ويجوز أن يكون مسمى بالمصدر كالحمل وقرأ محمد بن كعب القرظي نسأ بالهمز على الأصل كالمغرة والمنخر **فناداها من تحتها ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا** من تحتها هو جبريل عليه السلام قيل كان يقبل الولد كالقابلة وقيل هو عيسى وهي قراءة عاصم وأبي عمرو وقيل تحتها أسفل من مكانها كقوله تعالى تجري من تحتها الأنهار وقيل كان أسفل منها تحت الأكمة فصاح بها ألا تحزني وقرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص من تحتها وفي ناداها ضمير الملك أو عيسى عليه السلام وعن قتادة الضمير في تحتها للنخلة وقرأ زر وعلقمة فخاطبها من تحتها سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن السري فقال هو الجدول قال لبيد فتوسطا عرض السري فصدعا مسجورة متجاورا قلامها وقيل هو من السرو والمراد عيسى عليه السلام وعن الحسن كان والله عبدا سريا **فإن قلت** ما كان حزنها لفقد الطعام والشراب حتى تسلى بالسري والرطب **قلت** لم تقع التسلية بهما من حيث إنهما طعام وشراب ولكن من

حيث انهما معجزتان تريان الناس انها من اهل العصمة والبعد من الريبة وان مثلها مما قرفوها به بمعزل وان لها امورا الهية خارجة عن العادات خارقة لما الفوا واعتادوا حتى يتبين لهم ان ولادها من غير فحل ليس ببدع من شانها

وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا • تساقط عليك وفيه تسع قراءات بادغام التاء وتتساقط باظهار التاءين وتساقط بطرح الثانية ويساقط بالياء وادغام التاء وتساقط وتسقط ويسقط ويسقط وتسقط التاء للنخلة والياء للجذع ورطبا تمييز او مفعول على حسب القراءة وعن المبرد جواز انتصابه بهزي وليس بذاك والباء في بجذع النخلة صلة للتاكيد كقوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة او على معنى افعلي الهز به كقوله يجرح في عراقيبها نصلي • قالوا التمر للنفساء عادة من ذلك الوقت وكذلك التحنيك وقالوا كان من العجوة وقالوا ما للنفساء خير من الرطب ولا للمريض خير من العسل وقالوا اذا عسر ولادها لم يكن لها خير من الرطب عن طلحة بن سليمان جنيا بكسر الجيم للاتباع اي جمعنا لك في السري والرطب فائدتين احديهما الاكل والشرب والثانية سلوة الصدر لكونهما معجزتين وهو معنى قوله تعالى • فكلي واشربي وقري عينا فاما ترين من البشر

احدا فقولي اني نذرت للرحمن صوما فلن اكلم اليوم انسيا • فكلي واشربي وقري عينا اي وطيبي نفسا ولا تغتمي وارفضي عنك ما احزنك واهمك وقرئ وقري بالكسر لغة نجد ترين بالهمز ابن الرومي عن ابي عمرو وهذا من لغة من يقول لبات بالحج وحلات السويق وذلك لتاخ بين الهمزة وحرف اللين في الابدال صوما صمتا وفي مصحف عبد الله صمتا وعن انس بن مالك مثله وقيل صياما الا انهم كانوا لا يتكلمون في صيامهم وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صوم الصمت لانه نسخ في امته • امرها الله تعالى بان تنذر الصوم لئلا تشرع مع البشر المتهمين لها في كلام لمعنيين احدهما ان عيسى عليه السلام يكفيها الكلام بما يبرئ ساحتها والثاني كراهة مجادلة السفهاء ومناقلتهم وفيه ان السكوت عن السفيه واجب ومن اذل الناس سفيه لم يجد مسافها قيل اخبرتهم بانها نذرت الصوم بالاشارة وقيل سوغ لها ذلك بالنطق انسيا اي اكلم الملائكة دون الانس • فاتت به قومها تحمله قالوا

يا مريم لقد جئت شيئا فريا • يا اخت هرون ما كان ابوك امرا سوء وما كانت

امك بغيا • الفري البديع وهو من فري الجلد هرون كان اخاها من ابيها من امثل بني اسرائيل وقيل هو اخو موسى عليهما السلام • وعن النبي صلى الله عليه وسلم انما عنوا هرون النبي وكانت من اعقابه في طبقة الاخوة وبينهما الف سنة واكثر وعن السدي كانت من اولاده وانما قيل اخت هرون كما يقال يا اخا همدان اي يا واحدا منهم وقيل رجل صالح او طالح في زمانها شبهوها به اي كنت عندنا مثله في الصلاح او شتموها به ولم ترد اخوة النسب ذكر ان هرون الصالح تبع جنازته اربعون الفا كلهم يسمى هرون تبركا به وباسمه فقالوا كنا نشبهك بهرون هذا وقرا عمر بن لجا التيمي ما كان اباك امرا سوء • وقيل احتمل يوسف النجار مريم وابنها الى غار فلبثوا فيه اربعين يوما حتى تعلت من نفاسها ثم جاءت تحمله فكلمها عيسى في الطريق فقال يا اماه ابشري فاني عبد الله ومسيحه فلما دخلت به على قومها وهم اهل بيت صالحون بكوا وقالوا ذلك وقيل هموا برجمها حتى تكلم عيسى فتركوها • فاشارت اليه قالوا كيف نكلم من كان

في المهد صبيا • فاشارت اليه اي هو الذي يجيبكم اذا ناطقتموه وقيل كان المستنطق لعيسى زكريا عليهما السلام وعن السدي لما اشارت اليه غضبوا وقالوا لسخريتها بنا اشد علينا من زناها • وروي انه كان يرضع فلما سمع ذلك ترك الرضاع واقبل عليهم بوجهه واتكا على يساره واشار بسبابته • وقيل كلمهم بذلك ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغا يتكلم فيه الصبيان • كان لايقاع مضمون الجملة في زمان ماض مبهم يصلح لقريبه وبعيده وهو ههنا لقريبه خاصة والدال عليه معنى الكلام وانه مسوق للتعجب • ووجه آخر ان يكون نكلم حكاية حال ماضية اي كيف عهد قبل عيسى ان نكلم الناس صبيا في المهد فيما سلف من الزمان حتى نكلم هذا • قال اني عبد الله اتاني الكتاب وجعلني

نبيا • وجعلني مباركا اينما كنت واوصاني بالصلوة والزكوة ما دمت حيا

وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا • انطقه الله تعالى اولا بانه عبد الله ردا لقول النصارى والكتاب هو الانجيل واختلفوا في نبوته فقيل اعطيها في طفوليته اكمل الله تعالى عقله واستنباه طفلا نظرا في ظاهر الاية وقيل معناه ان ذلك سبق في قضائه او جعل الاتي لا محالة كانه قد وجد مباركا اينما كنت

عن رسول الله

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نفاعا حيث كنت وقيل معلما للخير وقرئ وبرا عن ابي نهيك جعل ذاته برا لفرط بره او نصبه بفعل في معنى اوصاني وهو كلفني لان اوصاني بالصلوة وكلفنيها واحد • والسلام على

يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا • والسلام على قيل ادخل لام التعريف لتعرفه بالذكر قبله كقولك جاءنا رجل فكان من فعل الرجل كذا والمعنى وذلك السلام الموجه الى يحيى في المواطن الثلثة موجه الي • والصحيح ان يكون هذا التعريف تعريضا باللعنة على متهمي مريم واعدائها من اليهود وتحقيقه ان اللام للجنس فاذا قال وجنس السلام علي خاصة فقد عرض بان ضده عليكم ونظيره قوله تعالى والسلام على من اتبع الهدى يعني ان العذاب على من كذب وتولى وكان المقام مقام مناكرة وعناد فهو مئنة لنحو هذا من التعريض • ذلك عيسى ابن مريم

قول الحق الذي فيه يمترون • قرا عاصم وابن عامر قول الحق بالنصب وعن ابن مسعود قال الحق وقال الله وعن الحسن قول الحق بضم القاف وكذلك في الانعام قوله الحق والقول والقال والقول في معنى واحد كالرهب والرهب والرهب وارتفاعه على انه خبر بعد خبر او بدل او خبر مبتدا محذوف واما انتصابه فعلى المدح ان فسر بكلمة الله او على انه مصدر مؤكد لمضمون الجملة ان اريد قول الثبات والصدق كقولك هو عبد الله الحق لا الباطل وانما قيل لعيسى كلمة الله وقول الحق لانه لم يولد الا بكلمة الله وحدها وهي قوله كن من غير واسطة اب تسمية للمسبب باسم السبب كما سمي العشب بالسماء والشحم بالندى ويحتمل اذا اريد بقول الحق عيسى ان يكون الحق اسم الله عز وجل وان يكون بمعنى الثبات والصدق ويعضده قوله تعالى الذي فيه يمترون اي امره حق يقين وهم فيه شاكون يمترون يشكون والمرية الشك او يتمارون يتلاحون قالت اليهود ساحر كذاب وقالت النصارى ابن الله وثالث ثلثة وقرا علي بن ابي طالب رضي الله عنه تمترون على الخطاب • وعن ابي بن كعب قول الحق الذي كان الناس فيه يمترون • ما كان لله ان يتخذ

من ولد سبحانه اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون • كذب النصارى وبكتهم بالدلالة على انتفاء الولد عنه وانه مما لا يتاتى ولا يتصور في المعقول وليس بمقدور عليه اذ من المحال غير المستقيم ان تكون ذاته كذات من ينشا منه الولد ثم بين احالة ذلك بان من اذا اراد شيئا من الاجناس كلها اوجده بكن كان منزها من شبه الحيوان الوالد والقول ههنا مجاز ومعناه ان ارادة الشيء يتبعها كونه لا محالة من غير توقف فشبه ذلك بامر الامر المطاع اذا ورد على المامور الممتثل • وان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم

قرا المدنيون وابو عمرو بفتح ان ومعناه ولانه ربي وربكم فاعبدوه كقوله تعالى وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا والاسنار وابو عبيد بالكسر على الابتداء وفي حرف ابي ان الله بالكسر بغير واو وبان الله اي بسبب ذلك فاعبدوه • فاختلف الاحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم • الاحزاب اليهود والنصارى عن الكلبي وقيل النصارى لتحزبهم ثلث فرق نسطورية ويعقوبية وملكانية وعن الحسن الذين تحزبوا على الانبياء • لما قص الله تعالى عليهم قصة عيسى عليه السلام اختلفوا فيه من بين الناس من مشهد يوم عظيم اي من شهودهم هول الحساب والجزاء في يوم القيمة او من مكان الشهود فيه وهو الموقف او من وقت الشهود او من شهادة ذلك اليوم عليهم وان تشهد عليهم الملائكة والانبياء والسنتهم وايديهم وارجلهم بالكفر وسوء الاعمال او من مكان الشهادة او وقتها وقيل هو ما قالوه وشهدوا به في عيسى وامه • اسمع بهم وابصر يوم ياتوننا لكن الظالمون

اليوم في ضلال مبين • لا يوصف الله تعالى بالتعجب وانما المراد ان اسماعهم وابصارهم يومئذ جدير بان يتعجب منهما بعد ما كانوا صما وعميا في الدنيا وقيل معناه التهديد بما سيسمعون وسيبصرون مما يسوء بصرهم ويصدع قلوبهم اوقع الظاهر اعني الظالمين موقع الضمير اشعارا بان لا ظلم اشد من ظلمهم حيث اغفلوا الاستماع والنظر حين يجدي عليهم ويسعدهم والمراد بالضلال المبين اغفال النظر والاستماع • وانذرهم يوم الحسرة اذ قضي الامر

وهم في غفلة وهم لا يؤمنون • قضي الامر فرغ من الحساب وتصادر الفريقان الى الجنة والنار • وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل عنه فقال حين يذبح الكبش والفريقان ينظران • واذ بدل من يوم الحسرة او منصوب بالحسرة • وهم في غفلة متعلق بقوله في ضلال مبين عن الحسن وانذرهم اعتراض او هو متعلق بانذرهم اي انذرهم على هذه الحال غافلين غير مؤمنين • انا نحن نرث الارض ومن عليها والينا يرجعون • يحتمل انه يميتهم ويخربها

وبارهم وانه يبلي اجسادهم ويغني الارض ويذهب بها • واذكر في الكتاب ابرهيم انه كان صديقا
نبيا • الصديق من ابنية المبالغة ونظيره الضحيك والنطيق والمراد فرط صدقه وكثرة ما صدق به من غيوب
الله تعالى واياته وكتبه ورسله وكان الرجحان والغلبة في هذا التصديق للكتب والرسل اي كان مصدقا لجميع الانبياء
وكتبهم وكان نبيا في نفسه كقوله تعالى بل جاء بالحق وصدق المرسلين او كان بليغا في الصدق لان ملاك امر
النبوة الصدق ومصدق الله تعالى باياته ومعجزاته حري ان يكون كذلك وهذه الجملة وقعت اعتراضا بين المبدل
منه وبدله اعني ابرهيم صلوات الله وسلامه عليه • اذ قال لابيه يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر
ولا يغني عنك شيئا • اذ قال نحو قولك رايت زيدا ونعم الرجل اخاك ويجوز ان يتعلق اذ بكان او
بصديقا نبيا اي كان جامعا لخصائص الصديقين والانبياء حين خاطب اباه تلك المخاطبات والمراد بذكر الرسول اياه
وقصته في الكتاب ان يتلو ذلك على الناس ويبلغه اياهم كقوله تعالى واتل عليهم نبا ابرهيم والا فالله عز وعلا هو ذاكره
ومورده في تنزيله التاء في يا ابت عوض من ياء الاضافة ولا يقال يا ابتي لئلا يجمع بين العوض والمعوض منه وقيل يا ابتا لكون
الالف بدلا من الياء وشبه ذلك سيبويه بأينق وتعويض الياء فيه عن الواو الساقطة • انظر حين اراد ان ينصح
ويعظه فيما كان متورطا فيه من الخطاء العظيم والارتكاب الشنيع الذي عصى فيه امر العقل وانسلخ عن قضية التمييز
ومن الغباوة التي ليس بعدها كيف رتب الكلام معه في احسن اتساق وساقه ارشق مساق مع استعمال المجاملة
واللطف والرفق واللين والادب الجميل والخلق الحسن منتصحا في ذلك بنصيحة ربه جل وعلا حدث ابو هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اوحى الله تعالى الى ابرهيم عليه السلام انك خليلي حسن خلقك ولو مع الكفار
تدخل مداخل الابرار فان كلمتي سبقت لمن حسن خلقه اظله تحت عرشي واسكنه حظيرة القدس وادنيه من جواري
وذلك انه طلب منه اولا العلة في خطائه طلب منبه على تماديه موقظ لافراطه وتناهيه لان المعبود لو كان حيا مميزا
سميعا بصيرا مقتدرا على الثواب والعقاب نافعا ضارا الا انه بعض الخلق لاستخف عقل من اهله للعبادة ووصفه
بالربوبية ولسجل عليه بالغي المبين والظلم العظيم وان كان اشرف الخلق واعلاهم منزلة كالملائكة والنبيين قال الله تعالى
ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا ايامركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون وذلك ان العبادة هي غاية التعظيم فلا
تحق الا لمن له غاية الانعام وهو الخالق الرازق المحيي المميت المثيب المعاقب الذي منه اصول النعم وفروعها فاذا وجهت
الى غيره وتعالى علوا كبيرا ان تكون هذه الصفة لغيره لم تكن الا ظلما وعتوا وغيا وكفرا وجحودا وخروجا عن الصحيح النير الى
الفاسد المظلم فما ظنك بمن وجه عبادته الى جماد ليس به حس ولا شعور فلا يسمع يا عابده ذكرك له وثناءك عليه
ولا يرى هيآت خضوعك وخشوعك له فضلا ان يغني عنك بان تستدفعه بلاء فيدفعه او تسنح لك حاجة فيكفيكها
يا ابت اني قد جاءني من العلم ما لم ياتك فاتبعني اهدك صراطا سويا • ثم ثنى بدعوته
الى الحق مترفقا به متلطفا فلم يسم اباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق ولكنه قال ان معي طائفة من العلم
وشيئا منه ليس معك وذلك علم الدلالة على الطريق السوي فلا تستنكف وهب اني واياك في مسير وعندي
معرفة بالهداية دونك فاتبعني انجك من ان تضل وتتيه • يا ابت لا تعبد الشيطان ان الشيطان
كان للرحمن عصيا • ثم ثلث بتثبيطه ونهيه عما كان عليه بان الشيطان الذي استعصى على ربك الرحمن
الذي جميع ما عندك من النعم من عنده وهو عدوك الذي لا يريد بك الا كل هلاك وخزي ونكال وعدو ابيك ادم
وابناء جنسك كلهم هو الذي ورطك في هذه الضلالة وامرك بها وزينها لك فانت ان حققت النظر
عابد الشيطان الا ان ابرهيم عليه السلام لامعانه في الاخلاص ولارتقاء همته في الربانية لم يذكر من جنايتي
الشيطان الا التي تختص منهما برب العزة من عصيانه واستكباره ولم يلتفت الى ذكر معاداته لادم وذريته
كان النظر في عظم ما ارتكب من ذلك غمر فكره واطبق على ذهنه • يا ابت اني اخاف ان يمسك
عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا • ثم ربع بتخويفه سوء العاقبة وبما يجره ما هو فيه من
التبعة والوبال ولم يخل ذلك من حسن الادب حيث لم يصرح بان العقاب لاحق له وان العذاب لاصق به ولكنه
قال اخاف ان يمسك عذاب فذكر الخوف والمس ونكر العذاب وجعل ولاية الشيطان ودخوله في جملة اشياعه

واوليائه

واوليائه اكبر من العذاب وذلك ان رضوان الله اكبر من الثواب نفسه وسماه الله المشهود له بالفوز العظيم
حيث قال ورضوان من الله اكبر ذلك هو الفوز العظيم فكذلك ولاية الشيطان التي هي معارضة رضوان الله
اكبر من العذاب نفسه واعظم وصدر كل نصيحة من النصائح الاربع بقوله يا ابت توسلا اليه واستعطافا
ما في ما لا يسمع وما لم ياتك يجوز ان تكون موصولة وموصوفة والمفعول في لا يسمع ولا يبصر منسي غير منوي كقولك
ليس به استماع ولا ابصار وشيئا يحتمل وجهين احدهما ان يكون في موضع المصدر اي شيئا من الغناء ويجوز ان يقدر
نحوه مع الفعلين ايضا والثاني ان يكون مفعولا به من قولهم اغن عني وجهك • قد جاءني فيه تجدد العلم عنده
قال اراغب انت عن الهتي يا ابرهيم لئن لم تنته لارجمنك واهجرني مليا
لما اطلعه على سماجة صورة امره وهدم مذهبه بالحجج القاطعة وناصحه المناصحة العجيبة مع تلك الملاطفات اقبل
عليه الشيخ بفظاظة الكفر وغلظة العناد فناداه باسمه ولم يقابل يا ابت بيا بني وقدم الخبر على المبتدا في قوله
اراغب انت عن الهتي لانه كان اهم عنده وهو عنده اعنى وفيه ضرب من التعجب والانكار لرغبته عن الهته وان
الهته ما ينبغي ان يرغب عنها احد وفي هذا سلوان وثلج لصدر رسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان يلقى من مثل
ذلك من كفار قومه لارجمنك لارمينك بلساني يريد الشتم والذم ومنه الرجيم المرمي باللعن او لاقتلنك
من رجم الزاني او لاطردنك رميا بالحجارة واصل الرجم الرمي بالرجام مليا زمانا طويلا من الملاوة او مليا بالذهاب
عني والهجران قبل ان اثخنك بالضرب حتى لا تقدر ان تبرح يقال فلان ملي بكذا اذا كان مطيقا له مضطلعا به
فان قلت علام عطف واهجرني قلت على معطوف عليه محذوف يدل عليه لارجمنك اي فاحذرني
واهجرني لان لارجمنك تهديد وتقريع • قال سلام عليك ساستغفر لك ربي انه كان
بي حفيا • سلام عليك سلام توديع ومتاركة كقوله تعالى لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين
وقوله واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وهذا دليل على جواز متاركة المنصوح والحال هذه ويجوز ان يكون قد دعا
له بالسلامة استمالة له الا ترى انه وعده بالاستغفار فان قلت كيف جاز ان يستغفر للكافر وان يعده ذلك
قلت قالوا اراد اشتراط التوبة عن الكفر كما ترد الاوامر والنواهي الشرعية على الكفار والمراد اشتراط الايمان
وكما يؤمر المحدث والفقير بالصلوة والزكوة ويراد اشتراط الوضوء والنصاب وقالوا انما استغفر له بقوله واغفر
لابي انه كان من الضالين لانه وعده ان يؤمن واستشهدوا بقوله تعالى وما كان استغفار ابرهيم لابيه الا عن موعدة
وعدها اياه ولقائل ان يقول الذي منع من الاستغفار للكافر انما هو السمع فاما القضية العقلية فلا تاباه فيجوز ان
يكون الوعد بالاستغفار والوفاء به قبل ورود السمع بناء على قضية العقل والذي يدل على صحته قوله تعالى الا قول ابرهيم
لابيه لاستغفرن لك فلو كان شارطا للايمان لم يكن مستنكرا ومستثنى عما وجبت فيه الاسوة واما عن موعدة وعدها
اياه فالواعد هو ابرهيم عليه السلام لا ازر اي ما قال واغفر لابي الا عن قوله لاستغفرن لك وتشهد له قراءة حماد
الراوية وعدها اباه والله اعلم والحفي البليغ في البر والالطاف حفي به وتحفى به • واعتزلكم وما
تدعون من دون • وادعو ربي عسى ان لا اكون بدعاء ربي شقيا • فلما
اعتزلهم وما يعبدون من دون • وهبنا له اسحق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا
اراد بالاعتزال المهاجرة الى الشام المراد بالدعاء العبادة لانه منها ومن وسائطها ومنه قوله صلى الله عليه وسلم
الدعاء هو العبادة ويدل عليه قوله تعالى فلما اعتزلهم وما يعبدون ويجوز ان يراد الدعاء الذي حكاه الله تعالى
في سورة الشعراء • عرض بشقاوتهم بدعاء الهتهم في قوله عسى ان لا اكون بدعاء ربي شقيا مع التواضع لله
في كلمة عسى وما فيه من هضم النفس ما خسر على الله احد ترك الكفار الفسقة لوجهه فعوضه اولادا مؤمنين انبياء
ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليا • من رحمتنا هي النبوة عن
الحسن وعن الكلبي المال والولد وتكون عامة في كل خير ديني ودنيوي اوتوه • لسان الصدق الثناء الحسن
وعبر باللسان عما يوجد باللسان كما عبر باليد عما يطلق باليد وهي العطية قال اني اتتني لسان لا اسر بها
يريد الرسالة ولسان العرب لغتهم وكلامهم استجاب الله تعالى دعوته واجعل لي لسان صدق في الاخرين فصيره

قدوة حتى ادعاه اهل الاديان كلهم وقال عز وجل ملة ابيكم ابرهيم وملة ابرهيم حنيفا ثم اوحينا اليك ان اتبع
ملة ابرهيم حنيفا واعطى ذلك ذريته فاعلى ذكرهم واثنى عليهم كما اعلى ذكره واثنى عليه • واذكر في الكتاب
موسى انه كان مخلصا وكان رسولا نبيا • المخلص بالكسر الذي اخلص العبادة عن الشرك والريا
او اخلص نفسه واسلم وجهه لله وبالفتح الذي اخلصه الله تعالى الرسول الذي معه كتاب من الانبياء والنبي الذي
ينبئ عن الله عز وجل وان لم يكن معه كتاب كيوشع • وناديناه من جانب الطور الايمن وقربناه نجيا
الايمن من اليمين اي من ناحيته اليمنى او من اليمن صفة للطور او للجانب شبهه بمن قربه بعض العظماء للمناجاة
حيث كلمه بغير واسطة ملك وعن ابي العالية قربه حتى سمع صريف القلم الذي كتبت به التورية • ووهبنا له
من رحمتنا اخاه هرون نبيا • من رحمتنا من اجل رحمتنا له وترؤفنا عليه وهبنا له هرون او بعض
رحمتنا كما في قوله ووهبنا لهم من رحمتنا واخاه على هذا بدل وهرون عطف بيان كقولك رايت رجلا اخاك زيدا وكان
هرون اكبر من موسى فوقعت الهبة على معاضدته وموازرته كذا عن ابن عباس • واذكر في الكتاب اسمعيل
انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا • وكان يامر اهله بالصلوة والزكوة وكان عند
ربه مرضيا • ذكر اسمعيل عليه السلام بصدق الوعد وان كان موجودا في غيره من الانبياء تشريفا له واكراما كالتلقيب
نحو الحليم والاواه والصديق ولانه المشهور المتواصف من خصاله عن ابن عباس انه وعد صاحبا له ان ينتظره في
مكان فانتظره سنة وناهيك انه وعد من نفسه الصبر على الذبح فوفى حيث قال ستجدني ان شاء الله من الصابرين كان
يبدأ باهله في الامر بالصلاح والعبادة ليجعلهم قدوة لمن وراءهم ولانهم اولى من سائر الناس وانذر عشيرتك الاقربين
وامر اهلك بالصلوة قوا انفسكم واهليكم نارا الا ترى انهم احق بالتصدق عليهم فالاحسان الديني اولى وقيل
اهله امته كلهم من القرابة وغيرهم لان امم النبيين في عداد اهاليهم وفيه ان من حق الصالح ان لا يألو النصح للاجانب
فضلا عن الاقارب والمتصلين به وان يحظيهم بالفوائد الدينية ولا يفرط في ذلك • واذكر في الكتاب
ادريس انه كان صديقا نبيا • ورفعناه مكانا عليا • اولئك الذين انعم الله عليهم
من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية ابرهيم واسرائيل وممن
هدينا واجتبينا اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا • قيل سمي ادريسا لكثرة دراسته
كتاب الله تعالى وكان اسمه اخنوخ وهو غير صحيح لانه لو كان افعيلا من الدرس لم يكن فيه الا سبب واحد وهو العلمية
وكان منصرفا فامتناعه من الصرف دليل العجمة وكذلك ابليس اعجمي وليس من الابلاس كما يزعمون ولا يعقوب من
العقب ولا اسرائيل باسرال كما زعم ابن السكيت ومن لم يحقق ولم يتدرب بالصناعة كثرت منه امثال هذه الهنات
ويجوز ان يكون معنى ادريس في تلك اللغة قريبا من ذلك فحسبه الراوي مشتقا من الدرس المكان العلي شرف النبوة
والزلفى عند الله تعالى وقد انزل الله عليه ثلثين صحيفة وهو اول من خط بالقلم ونظر في علم النجوم والحساب واول
من خاط الثياب ولبسها وكانوا يلبسون الجلود وعن انس بن مالك يرفعه انه رفع الى السماء الرابعة وعن ابن عباس
الى السماء السادسة وعن الحسن الى الجنة لا شيء اعلى من الجنة وعن النابغة الجعدي لما انشد رسول الله صلى الله عليه وسلم
الشعر الذي آخره • بلغنا السماء مجدنا وسناؤنا • وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا • قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى اين يا ابا ليلى قال الى الجنة • اولئك اشارة الى المذكورين في السورة من لدن زكريا الى ادريس ومن في من
النبيين للبيان مثلها في قوله تعالى في آخر سورة الفتح وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة لان جميع
الانبياء منعم عليهم ومن الثانية للتبعيض وكان ادريس من ذرية آدم لقربه منه لانه جد ابي نوح وابرهيم من ذرية من
حمل مع نوح لانه من ولد سام بن نوح واسمعيل من ذرية ابرهيم وموسى وهرون وزكريا ويحيى من ذرية اسرائيل
وكذلك عيسى لان مريم من ذريته • وممن هدينا يحتمل العطف على من الاول والثانية ان جعلت الذين خبرا لاولئك
كان اذا تتلى كلاما مستانفا وان جعلته صفة له كان خبرا وقرأ شبل بن عباد المكي يتلى بالتذكير لان التانيث غير حقيقي
مع وجود الفاصل البكي جمع باك كالسجود والقعود في جمع ساجد وقاعد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اتلوا القرآن
وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا وعن صالح المري قرأت القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي يا صالح

هذه القراءة فاين البكاء وعن ابن عباس اذا قرأتم سجدة سبحان فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا فان لم تبك عين احدكم
فليبك قلبه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان القرآن نزل بحزن فاذا قرأتموه فتحازنوا وقالوا ينبغي ان يدعو في
سجدة التلاوة بما يليق بآيتها فان قرأ آية تنزيل السجدة قال اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك
واعوذ بك من ان اكون من المستكبرين عن امرك وان قرأ سجدة سبحان قال اللهم اجعلني من الباكين اليك الخاشعين
لك وان قرأ هذه قال اللهم اجعلني من عبادك المنعم عليهم المهتدين الساجدين لك الباكين عند تلاوة آياتك •
فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا
خلفه اذا اعقبه ثم قيل في عقب الخير خلف بالفتح وفي عقب الشر خلف بالسكون كما قالوا وعد في ضمان الخير ووعيد
في ضمان الشر عن ابن عباس رضي الله عنهما هم اليهود تركوا الصلوة المفروضة وشربوا الخمر واستحلوا نكاح الاخت
من الاب وعن ابرهيم ومجاهد اضاعوها بالتاخير وينصر الاول قوله تعالى الا من تاب وآمن يعني الكفار وعن علي رضي الله عنه
في قوله تعالى واتبعوا الشهوات من بنى الشديد وركب المنظور ولبس المشهور وعن قتادة هو في هذه الامة وقرأ
ابن مسعود والحسن والضحاك الصلوات بالجمع كل شر عند العرب غي وكل خير رشاد قال فمن يلق خيرا يحمد الناس امره
ومن يغو لا يعدم على الغي لائما وعن الزجاج جزاء غي كقوله تعالى يلق اثاما اي مجازاة اثام او غيا عن طريق الجنة
وقيل غي واد في جهنم تستعيذ منه اوديتها وروي الاخفش يلقون • الا من تاب وآمن وعمل صالحا
فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا • وقرئ يدخلون ويدخلون اي لا ينقصون شيئا من جزاء
اعمالهم ولا يمنعونه بل يضاعف لهم بيانا لان تقدم الكفر لا يضرهم اذا تابوا من قولك ما ظلمك ان تفعل كذا بمعنى ما منعك
او لا يظلمون البتة اي شيئا من الظلم • جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب انه كان وعده
مأتيا • لما كانت الجنة مشتملة على جنات عدن ابدلت منها كقولك ابصرت دارك القاعة والعلالي وعدن
معرفة علم لمعنى العدن وهو الاقامة كما جعلوا فينة وسحر وامس فيمن لم يصرفه اعلاما لمعاني الفينة والسحر والامس
فجرى مجرى العدن لذلك او هو علم لارض الجنة لكونها مكان اقامة ولولا ذلك لما ساغ الابدال لان النكرة لا تبدل
من المعرفة الا موصوفة ولما ساغ وصفها بالتي وقرئ جنات عدن وجنة عدن بالرفع على الابتداء اي وعدها وهي غائبة
عنهم غير حاضرة او هم غائبون عنها لا يشاهدونها او بتصديق الغيب والايمان به قيل في مأتيا مفعول بمعنى فاعل والوجه
ان الوعد هو الجنة وهم يأتونها او هو من قولهم اتى اليه احسانا اي كان وعده مفعولا منجزا • لا يسمعون فيها لغوا الا
سلاما ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا • اللغو فضول الكلام وما لا طائل تحته وفيه تنبيه ظاهر على وجوب تجنب
اللغو واتقائه حيث نزه الله تعالى عنه الدار التي لا تكليف فيها وما احسن قوله تعالى واذا مروا باللغو مروا كراما واذا سمعوا
اللغو اعرضوا عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين نعوذ بالله من اللغو والجهل والخوض فيما لا يعنينا
اي ان كان تسليم بعضهم على بعض او تسليم الملائكة عليهم لغوا فلا يسمعون لغوا الا ذلك فهو من وادي قوله • ولا عيب فيهم
غير ان سيوفهم • بهن فلول من قراع الكتائب • او لا يسمعون فيها الا قولا يسلمون فيه من العيب والنقيصة على الاستثناء
المنقطع او لان معنى السلام هو الدعاء بالسلامة ودار السلام هي دار السلامة واهلها عن الدعاء بالسلامة اغنياء فكان
ظاهره من باب اللغو وفضول الحديث لولا ما فيه من فائدة الاكرام من الناس من ياكل الوجبة ومنهم من ياكل متى وجد وهي عادة
المنهومين ومنهم من يتغدى ويتعشى وهي العادة الوسطى المحمودة ولا يكون ثم ليل ونهار ولكن على التقدير ولان المتنعم عند العرب
من وجد غداء وعشاء وقيل اراد دوام الرزق ودروره كما تقول انا عند فلان صباحا ومساء وبكرة وعشيا تريد الديمومة
ولا تقصد الوقتين المعلومين • تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا • نورث وقرئ نورث
نورث استعارة اي نبقي عليه الجنة كما نبقي على الوارث مال المورث ولان الاتقياء يلقون ربهم يوم القيمة قد انقضت
اعمالهم وثمرتها باقية وهي الجنة فاذا ادخلهم الجنة فقد اورثهم من تقويهم كما يورث الوارث المال من المتوفي وقيل اورثوا
من الجنة المساكن التي كانت لاهل النار لو اطاعوا • وما نتنزل الا بامر ربك له ما بين ايدينا
وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا • وما نتنزل حكاية قول جبريل عليه السلام حين استبطاه
رسول الله صلى الله عليه وسلم روي انه احتبس اربعين يوما وقيل خمسة عشر وذلك حين سئل عن قصة اصحاب الكهف

وذي القرنين والروح فلم يدر كيف يجيب ورجا أن يوحى إليه فيه فشق ذلك عليه مشقة شديدة وقال المشركون
ودعه ربه وقلاه فلما نزل جبريل قال له النبي صلى الله عليه وسلم أبطأت حتى ساء ظني واشتقت إليك قال إني كنت أشوق
ولكني عبد مأمور إذا بعثت نزلت وإذا حبست احتبست وأنزل الله تعالى هذه الآية وسورة الضحى والتنزل
على معنيين معنى النزول على مهل ومعنى النزول على الإطلاق كقوله · فلست لإنسي ولكن لملأك · تنزل من جو السماء
يصوب لأنه مطاوع نزل ونزل يكون بمعنى أنزل وبمعنى التدريج واللائق بهذا الموضع هو النزول على مهل والمراد أن نزولنا
في الأحايين وقتا غب وقت ليس إلا بأمر الله وعلى ما يراه صوابا وحكمة وله ما قدامنا وما خلفنا من الجهات والأماكن
وما نحن فيها فلا نتمالك أن ننتقل من جهة إلى جهة ومكان إلى مكان إلا بأمر المليك ومشيئته وهو الحافظ العالم بكل
حركة وسكون وما يحدث ويتجدد من الأحوال لا يجوز عليه الغفلة والنسيان فأنى لنا أن نتقلب في ملكوته إلا إذا رأى
ذلك مصلحة وحكمة وأطلق لنا الإذن فيه وقيل ما سلف من أمر الدنيا وما يستقبل من أمر الآخرة وما بين ذلك
ما بين النفختين وهو أربعون سنة وقيل ما مضى من أعمارنا وما غبر منها والحال التي نحن فيها وقيل ما قبل وجودنا وما بعد فنائنا
وقيل الأرض التي بين أيدينا إذا نزلنا والسماء التي وراءنا وما بين السماء والأرض والمعنى أنه المحيط بكل شيء لا تخفى
عليه خافية ولا يعزب عنه مثقال ذرة فكيف نقدم على فعل نحدثه إلا صادرا عما توجبه حكمته ويأمرنا به ويأذن لنا فيه
وقيل معنى وما كان ربك نسيا وما كان تاركا لك كقوله ما ودعك ربك وما قلى أي ما كان امتناع النزول إلا لامتناع
الأمر به وأما احتباس الوحي فلم يكن عن ترك الله لك وتوديعه إياك ولكن لتوقفه على المصلحة وقيل هي حكاية قول
المتقين حين يدخلون الجنة أي وما ننزل الجنة إلا بأن من الله تعالى علينا بثواب أعمالنا وأمرنا بدخولها
وهو المالك لرقاب الأمور كلها السالفة والمترقبة والحاضرة اللاطف في أعمال الخير والموفق لها والمجازي عليها
ثم قال الله تعالى تقريرا لقولهم وما كان ربك نسيا لأعمال العاملين غافلا عما يجب أن يثابوا به وكيف يجوز النسيان
والغفلة على ذي ملكوت السماوات والأرض وما بينهما ثم قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرفه على هذه
الصفة فأقبل على العمل واعبده يثبك كما أثاب غيرك من المتقين وقرأ الأعرج وما يتنزل بالياء على الحكاية
عن جبريل والضمير للوحي وعن ابن مسعود إلا بقول ربك يجب أن يكون الخلاف في النسي مثله في البغي

رب السموات والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا

رب السموات والأرض بدل من ربك ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف أي هو رب السموات والأرض فاعبده كقوله
وقائلة خولان فانكح فتاتهم وعلى هذا الوجه يجوز أن يكون وما كان ربك نسيا من كلام المتقين وما بعده من كلام
رب العزة **فإن قلت** هلا عدي اصطبر بعلى التي هي صلته كقوله واصطبر عليها **قلت** لأن العبادة
جعلت بمنزلة القرن في قولك للمحارب اصطبر لقرنك أي اثبت له فيما يورد عليك من شداته أريد أن العبادة
تورد عليك شدائد ومشاق فاثبت لها ولا تهن ولا يضق صدرك عن إلقاء عداتك من أهل الكتاب إليك
الأغاليط وعن احتباس الوحي عليك مدة وشماتة المشركين بك أي لم يسم شيء بالله قط وكانوا يقولون لأصنامهم
آلهة والعزى إله وأما الذي عوض فيه الألف واللام من الهمزة فمخصوص به المعبود الحق غير مشارك فيه وعن ابن عباس
لا يسمى أحد الرحمن غيره ووجه آخر هل تعلم من سمي باسمه على الحق دون الباطل لأن التسمية على الباطل في كونها غير معتد
بها كلا تسمية وقيل مثلا وشبيها أي إذا صح أن لا معبود يوجه إليه العبادة إلا هو وحده لم يكن بد من عبادته
والاصطبار على مشاقها وتكاليفها

ويقول الإنسان أئذا ما مت لسوف أخرج حيا

يجوز أن يراد بالإنسان الجنس بأسره وأن يراد بعض الجنس وهم الكفرة **فإن قلت** لم جازت إرادة
الأناسي كلهم وكلهم غير قائلين ذلك **قلت** لما كانت هذه المقالة موجودة فيمن هو من جنسهم صح إسناده
إلى جميعهم كما يقولون بنو فلان قتلوا فلانا وإنما القاتل رجل منهم قال الفرزدق · فسيف بني عبس وقد ضربوا به
نبا بيدي ورقاء عن رأس خالد · فقد أسند الضرب إلى بني عبس مع قوله نبا بيدي ورقاء وهو ورقاء بن
زهير بن جذيمة العبسي **فإن قلت** بم انتصب إذا وانتصابه بأخرج ممتنع لأجل اللام لا تقول اليوم
لزيد قائم **قلت** بفعل مضمر يدل عليه المذكور **فإن قلت** لام الابتداء الداخلة على المضارع

تعطي

تعطي معنى الحال فكيف جامعت حرف الاستقبال **قلت** لم تجامعها إلا مخلصة للتوكيد كما أخلصت الهمزة
في يا الله للتعويض واضمحل عنها معنى التعريف وما في إذا ما للتوكيد أيضا فكأنهم قالوا أحقا أنا سنخرج أحياء
حين يمكن فينا الموت والهلاك على وجه الاستنكار والاستبعاد والمراد الخروج من الأرض أو من حال الفناء
أو هو من قولهم خرج فلان عالما وخرج شجاعا إذا كان نادرا في ذلك يريد سأخرج حيا نادرا على سبيل الهزء وقرأ
الحسن وأبو حيوة لسوف أخرج وعن طلحة بن مصرف لساخرج كقراءة ابن مسعود ولسيعطيك وتقديم الظرف
وإيلاؤه حرف الإنكار من قبل أن ما بعد الموت هو وقت كون الحياة منكرة ومنه جاء إنكارهم فهو كقولك للمسيء إلى المحسن
أحين تمت عليك نعمة فلان أسأت إليه

أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا

الواو عطفت لا يذكر على يقول ووسطت همزة الإنكار بين المعطوف عليه وحرف العطف يعني أيقول ذلك ولا
يتذكر حال النشأة الأولى حتى لا ينكر الأخرى فإن تلك أعجب وأغرب وأدل على قدرة الخالق حيث أخرج الجواهر والأعراض
من العدم إلى الوجود ثم أوقع التأليف مشحونا بضروب الحكم التي تحار الفطن فيها من غير حذو على مثال واقتداء بمؤلف
ولكن اختراعا وإبداعا من عند قادر جلت قدرته ودقت حكمته وأما الثانية فقد تقدمت نظيرتها وعادت لها
كالمثال المحتذى عليه وليس فيها إلا تأليف الأجزاء الموجودة الباقية وتركيبها وردها إلى ما كانت عليه مجموعة بعد التفكيك
والتفريق وقوله ولم يك شيئا دليل على هذا المعنى وكذلك قوله وهو أهون عليه على أن رب العزة سواء عليه
النشأتان لا يتفاوت في قدرته الصعب والسهل ولا يحتاج إلى احتذاء على مثال ولا استعانة بحكيم ولا نظر في مقياس
ولكن يواجه جاحد البعث بذلك دفعا في نحر معاندته وكشفا عن صفحة جهله القراء كلهم على لا يذكر بالتشديد إلا
نافعا وابن عامر وعاصما فقد خففوا وفي حرف أبي يتذكر من قبل من قبل الحالة التي هو فيها وهي حالة بقائه

فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا

في إقسام الله تعالى باسمه تقدست أسماؤه مضافا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تفخيم لشأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفع منه
كما رفع من شأن السماء والأرض إنه لحق والواو في والشياطين يجوز أن تكون للعطف وبمعنى مع وهي بمعنى مع أوقع
والمعنى أنهم يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين أغووهم يقرن كل كافر مع شيطان في سلسلة **فإن قلت**
هذا إذا أريد بالإنسان الكفرة خاصة فإن أريد الأناسي على العموم فكيف يستقيم حشرهم مع الشياطين **قلت**
إذا حشر جميع الناس حشرا واحدا وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين فقد حشروا مع الشياطين كما حشروا مع الكفرة
فإن قلت هلا عزل السعداء عن الأشقياء في الحشر كما عزلوا عنهم في الجزاء **قلت** لم يفرق بينهم وبينهم
في المحشر وأحضروا حيث تجاثوا حول جهنم وأوردوا معهم النار ليشاهد السعداء الأحوال التي نجاهم الله منها
وخلصهم فيزدادوا لذلك غبطة إلى غبطة وسرورا إلى سرور ويشمتوا بأعداء الله وأعدائهم فتزداد مساءتهم وحسرتهم
وما يغيظهم من سعادة أولياء الله تعالى وشماتتهم بهم **فإن قلت** ما معنى إحضارهم جثيا **قلت**
أما إذا فسر الإنسان بالخصوص فالمعنى أنهم يعتلون من المحشر إلى شاطئ جهنم عتلا على حالهم التي كانوا عليها في الموقف
جثاة على ركبهم غير مشاة على أقدامهم وذلك أن أهل الموقف وصفوا بالجثو قال الله تعالى وترى كل أمة جاثية على
العادة المعهودة في مواقف المقاولات والمناقلات من تجاثي أهلها على الركب لما في ذلك من الاستيفاز والقلق
وإطلاق الحبى خلاف الطمأنينة أو لما يدهمهم من شدة الأمر التي لا يطيقون معها القيام على أرجلهم فيجثون
على ركبهم جثوا وإن فسر بالعموم فالمعنى أنهم يتجاثون عند موافاة شاطئ جهنم على أن جثيا حال مقدرة كما كانوا في
الموقف متجاثين لأنه من توابع التواقف للحساب قبل التوصل إلى الثواب والعقاب

ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا · ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا

المراد بالشيعة وهي فعلة كفرقة وفتية الطائفة التي شاعت أي تبعت غاويا من الغواة قال الله تعالى إن الذين فرقوا دينهم
وكانوا شيعا يريد نمتاز من كل طائفة من طوائف الغي والفساد أعصاهم فأعصاهم وأعتاهم فأعتاهم فإذا
اجتمعوا طرحناهم في النار على الترتيب نقدم أولاهم بالعذاب فأولاهم أو أراد بالذين هم أولى بها صليا المنتزعين
كما هم كأنه قال ثم لنحن أعلم بتصلية هؤلاء وهم أولى بالصلي من بين سائر الصالين ودركاتهم أسفل وعذابهم أشد

ويجوز ان يريد باشدهم عتيا رؤساء الشيع وائمتهم لتضاعف جرمهم بكونهم ضلالا ومضلين قال الله تعالى الذين
كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم
واختلف في اعراب ايهم اشد فعن الخليل انه مرتفع على الحكاية تقديره لننزعن الذين يقال فيهم ايهم اشد
وسيبويه على انه مبني على الضم لسقوط صدر الجملة التي هي صلته حتى لو جيء به لاعرب وقيل ايهم هو اشد ويجوز ان
يكون النزع واقعا على من كل شيعة كقوله ووهبنا لهم من رحمتنا اي لننزعن بعض كل شيعة فكان قائلا قال
من هم فقيل ايهم اشد عتيا وايهم اشد بالنصب عن طلحة بن مصرف وعن معاذ بن مسلم الهراء استاذ الفراء
فان قلت بم يتعلق على والباء فان تعلقهما بالمصدرين لا سبيل اليه **قلت** هما للبيان لا للصلة او
يتعلقان بافعل اي عتوهم اشد على الرحمن وصليهم اولى بالنار كقولهم هو اشد على خصمه وهو اولى بكذا

وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا وان منكم التفات الى الانسان
يعضده قراءة ابن عباس وعكرمة وان منهم او خطاب للناس من غير التفات الى المذكور فان اريد الجنس كله
فمعنى الورود دخولهم فيها وهي جامدة فيعبرها المؤمنون وتنهار بغيرهم عن ابن عباس يردونها كانها اهالة
وروي دواية وعن جابر بن عبد الله انه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال اذا دخل اهل الجنة الجنة
قال بعضهم لبعض اليس قد وعدنا ربنا ان نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهي جامدة وعنه رضي الله عنه انه
سئل عن هذه الآية فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الورود الدخول لا يبقى بر ولا فاجر الا دخلها
فتكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على ابرهيم حتى ان للنار ضجيجا من بردها واما قوله اولئك عنها مبعدون
فالمراد عن عذابها وعن ابن مسعود والحسن وقتادة هو الجواز على الصراط لان الصراط ممدود عليها وعن ابن عباس
قد يرد الشيء الشيء ولم يدخله كقوله تعالى ولما ورد ماء مدين ووردت القافلة البلد وان لم تدخله ولكن قربت منه
وعن مجاهد ورود المؤمن النار هو مس الحمى جسده في الدنيا لقوله عليه الصلوة والسلام الحمى من فيح جهنم وفي الحديث
الحمى حظ كل مؤمن من النار ويجوز ان يراد بالورود جثوهم حولها وان اريد الكفار خاصة فالمعنى بين الحتم مصدر
حتم الامر اذا اوجبه فسمي به الموجب كقولهم خلق الله وضرب الامير اي كان ورودهم واجبا على الله اوجبه على نفسه وقضى
وعزم على ان لا يكون غيره

ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا قرئ ننجي وننجي
وينجى وينجى على ما لم يسم فاعله ان اريد الجنس باسره فهو ظاهر وان اريد الكفرة وحدهم فمعنى ثم ننجي الذين اتقوا
ان المتقين يساقون الى الجنة عقيب ورود الكفار لا انهم يواردونهم ثم يتخلصون وفي قراءة ابن مسعود
وابن عباس والجحدري وابن ابي ليلى ثم ننجي بفتح الثاء اي هناك وقوله تعالى ونذر الظالمين فيها جثيا دليل على ان
المراد بالورود الجثو حواليها وان المؤمنين يفارقون الكفرة الى الجنة بعد تجاثيهم وتبقى الكفرة في مكانهم جاثين

واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا بينات مرتلات الالفاظ ملخصات المعاني مبينات المقاصد اما محكمات
او متشابهات قد تبعها البيان بالمحكمات او بتبيين الرسول قولا او فعلا او ظاهرات الاعجاز تحدي بها
فلم يقدر على معارضتها او حججا وبراهين والوجه ان تكون حالا مؤكدة كقوله تعالى وهو الحق مصدقا لان آيات الله
لا تكون الا واضحة وحججا للذين آمنوا يحتمل انهم يناطقون المؤمنين بذلك ويواجهونهم به وانهم يفوهون
به لاجلهم وفي معناهم كقوله تعالى وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه قرأ ابن كثير مقاما بالضم
وهو موضع الاقامة والمنزل والباقون بالفتح وهو موضع القيام والمراد المكان والموضع والندي المجلس ومجتمع القوم
وحيث ينتدون والمعنى انهم اذا سمعوا الآيات وهم جهلة لا يعلمون الا ظاهرا من الحيوة الدنيا وذلك مبلغهم
من العلم قالوا اي الفريقين من المؤمنين بالآيات والجاحدين لها اوفر حظا من الدنيا حتى يجعل ذلك عيارا على الفضل
والنقص والرفعة والضعة ويروى انهم كانوا يرجلون شعورهم ويتطيبون ويتزينون بالزين الفاخرة ثم يدعون
مفتخرين على فقراء المسلمين انهم اكرم على الله منهم

وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم احسن اثاثا ورئيا كم مفعول اهلكنا ومن تبيين لابهامها اي كثيرا من القرون اهلكنا وكل اهل عصر قرن لمن بعدهم

لانهم يتقدمونهم وهم احسن في محل النصب صفة لكم الا ترى انك لو تركت هم لم يكن لك بد من نصب احسن على الوصفية
الاثاث متاع البيت وقيل هو ما جد من الفرش والخرثي ما لبس منها وانشد الحسن بن علي الطوسي تقادم
العهد من ام الوليد بنا دهرا وصار اثاث البيت خرثيا قرئ على خمسة اوجه رئيا وهو المنظر والهيئة فعل بمعنى مفعول
من رايت ورئيا على القلب كقولهم راء في راى وريا على قلب الهمزة ياء والادغام او من الري الذي هو النعمة والترفه
من قولهم ريان من النعيم وريا على حذف الهمزة راسا ووجهه ان يخفف المقلوب وهو رئيا بحذف همزته والقاء
حركتها على الياء الساكنة قبلها وزيا واشتقاقه من الزي وهو الجمع لان الزي محاسن مجموعة والمعنى احسن من هؤلاء

قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا اي مد له الرحمن يعني امهله واملى له في العمر فاخرج
على لفظ الامر ايذانا بوجوب ذلك وانه مفعول لا محالة كالمامور به الممتثل لتقطع معاذير الضال ويقال له
يوم القيمة او لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر او كقوله تعالى انما نملي لهم ليزدادوا اثما او من كان في الضلالة فمد له
الرحمن في معنى الدعاء بان يمهله الله تعالى وينفس في مدة حيوته

حتى اذا راوا ما يوعدون اما العذاب واما الساعة فسيعلمون من هو شر مكانا واضعف جندا
في هذه الآية وجهان احدهما ان تكون متصلة بالآية التي هي رابعتها والآيتان اعتراض بينهما اي قالوا اي الفريقين
خير مقاما واحسن نديا حتى اذا راوا ما يوعدون اي لا يبرحون يقولون هذا القول ويتولعون به لا يتكافون عنه
الى ان يشاهدوا الموعود رأي عين اما العذاب في الدنيا وهو غلبة المسلمين عليهم وتعذيبهم اياهم قتلا واسرا واظهار
الله دينه على الدين كله على ايديهم واما يوم القيمة وما ينالهم من الخزي والنكال فحينئذ يعلمون عند المعاينة ان الامر على عكس
ما قدروه وانهم شر مكانا واضعف جندا لا خير مقاما واحسن نديا وان المؤمنين على خلاف صفتهم والثاني ان تتصل
بما يليها والمعنى ان الذين في الضلالة ممدود لهم في ضلالتهم والخذلان لاصق بهم لعلم الله تعالى بهم وبان الالطاف لا تنفع
فيهم وليسوا من اهلها والمراد بالضلالة ما دعاهم من جهلهم وغلوهم في كفرهم الى القول الذي قالوه لا
ينفكون عن ضلالتهم الى ان يعاينوا نصرة الله تعالى للمؤمنين او الساعة ومقدماتها **فان قلت**
حتى هذه ما هي **قلت** هي التي تحكى بعدها الجمل الا ترى الجملة الشرطية واقعة بعدها وهي قوله اذا راوا ما يوعدون
فسيعلمون من هو شر مكانا واضعف جندا في مقابلة خير مقاما واحسن نديا لان مقامهم هو مكانهم ومسكنهم والندي
المجلس الجامع لوجوه قومهم واعوانهم وانصارهم والجند هم الانصار والاعوان

ويزيد الله الذين اهتدوا هدى والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير مردا يزيد معطوف
على موضع فليمدد لانه واقع موقع الخبر تقديره من كان في الضلالة مد او يمد له الرحمن ويزيد اي يزيد في ضلال الضال
بخذلانه ويزيد المهتدين هداية بتوفيقه الباقيات الصالحات اعمال الآخرة كلها وقيل الصلوات وقيل سبحان الله والحمد لله
ولا اله الا الله والله اكبر اي هي خير ثوابا من مفاخرات الكفار وخير مردا اي مرجعا وعاقبة او منفعة من قولهم ليس لهذا الامر مرد
وهل يرد بكائي زندا **فان قلت** كيف قيل خير ثوابا كان لمفاخراتهم ثوابا حتى يجعل ثواب الصالحات خيرا منه **قلت**
كانه قيل ثوابهم النار على طريقة قوله فاعتبوا بالصيلم وقوله شجعاء جرتها الذميل تلوكه اصلا اذا راح المطي غراثا
وقوله تحية بينهم ضرب وجيع ثم بني عليه خير ثوابا وفيه ضرب من التهكم الذي هو اغيظ للمتهدد من ان يقال له عقابك النار
فان قلت فما وجه التفضيل في الخير كان لمفاخرهم شركا فيه **قلت** هذا من وجيز كلامهم يقولون الصيف احر من
الشتاء اي ابلغ في حره منه في برده

افرايت الذي كفر باياتنا وقال لاوتين مالا وولدا اطلع الغيب ام اتخذ عند الرحمن عهدا لما كانت مشاهدة الاشياء ورؤيتها طريقا الى الاحاطة بها علما وصحة الخبر
عنها استعملوا ارايت في معنى اخبر والفاء جاءت لافادة معناها الذي هو التعقيب كانه قال اخبر ايضا بقصة هذا
الكافر واذكر حديثه عقيب حديث اولئك اطلع الغيب من قولهم اطلع الجبل اذا ارتقى الى اعلاه وطلع الثنية
قال جرير لاقيت مطلع الجبال وعورا ويقولون مر مطلعا لذلك الامر اي عاليا له مالكا له ولاختيار هذه الكلمة شان
يقول او قد بلغ من عظمة شانه ان ارتقى الى علم الغيب الذي توحد به الواحد القهار والمعنى ان ما ادعى ان يؤتاه
وتألى عليه لا يتوصل اليه الا باحد هذين الطريقين اما علم الغيب واما عهد من عالم الغيب فبايهما توصل الى ذلك قرأ حمزة

والكسائي وُلْدًا وهو جمع وَلَد كأُسْد في أَسَد وبمعنى الولد كالعُرب في العَرَب وعن يحيى بن يعمر وِلْدًا بالكسر وقيل
في العهد كلمة الشهادة وعن قتادة هل له عمل صالح قدّمه فهو يرجو بذلك ما يقول وعن الكلبي هل عهد الله اليه انه
يؤتيه ذلك عن الحسن نزلت في الوليد بن المغيرة والمشهور انها في العاص بن وائل قال خباب بن الارت كان لي
عليه دين فاقتضيته فقال لا والله حتى تكفر بمحمد قلت لا والله لا اكفر بمحمد حيا ولا ميتا ولا حين تبعث قال فاني اذا
مت بعثت قلت نعم قال اذا بعثت جئتني وسيكون لي ثم مال وولد فاعطيك وقيل صاغ له خباب حليا
فاقتضاه الاجر فقال انكم تزعمون انكم تبعثون وان في الجنة ذهبا وفضة وحريرا فانا اقضيك ثم فاني اوتى مالا
وولدا حينئذ • كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا • كلا ردع وتنبيه على الخطأ
اي هو مخطئ فيما يصوره لنفسه ويتمناه فليرتدع عنه فان قلت كيف قيل سنكتب بسين التسويف
وهو كما قاله كتب من غير تأخير قال الله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد قلت فيه وجهان احدهما
سنظهر له ونعلمه انا كتبنا قوله على طريقة قوله • اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة • والثاني ان المتوعد يقول للجاني سوف
انتقم منك يعني انه لا يخل بالانتصار وان تطاول به الزمان واستأخر فجرد هاهنا لمعنى الوعيد ونمد له من العذاب
اي نطول له من العذاب ما يستأهله ونعذبه بالنوع الذي يعذب به الكفار المستهزءون او نزيده من العذاب
ونضاعف له من المدد يقال مده وامده بمعنى وتدل عليه قراءة علي بن ابي طالب رضي الله عنه ونُمِدّ له بالضم
واكد ذلك بالمصدر وذلك من فرط غضب الله نعوذ به من التعرض لما نستوجب به غضبه • ونرثه ما يقول
ويأتينا فردا • واتخذوا من دون • الله آلهة ليكونوا لهم عزا • ونرثه ما يقول اي نزوي
عنه ما زعم انه يناله في الآخرة ونعطيه من يستحقه والمعنى مسمى ما يقول ومعنى ما يقول وهو المال والولد يقول الرجل
انا الملك كذا فيقول له ولي فوق ما تقول ويحتمل انه قد تمنى وطمع ان يؤتيه الله تعالى في الدنيا مالا وولدا وبلغت
به اشعبيته ان تألى على ذلك في قوله لاوتين لانه جواب قسم مضمر ومن يتأل على الله يكذبه فيقول الله عز وعلا
هب انا اعطيناه ما اشتهاه اما نرثه منه في العاقبة • ويأتينا فردا غدا بلا مال ولا ولد كقوله عز وجل ولقد جئتمونا
فرادى الآية فما يجدي عليه تمنيه وتأليه ويحتمل ان هذا القول انما يقوله ما دام حيا فاذا قبضناه حلنا بينه وبين
ان يقوله ويأتينا رافضا له منفردا عنه غير قائل له او لا ننسى قوله هذا ولا نلغيه بل نثبته في صحيفته لنضرب به وجهه في
الموقف ونعيره به ويأتينا على فقره ومسكنته فردا من المال والولد لم نوله سؤله ولم نؤته متمناه فيجتمع عليه الخطبان
تبعة قوله ووباله وفقد المطموع فيه فردا على الوجه الاول حال مقدرة نحو فادخلوها خالدين لانه وغيره سواء في
اتيانه فردا حين يأتي ثم يتفاوتون بعد ذلك • ليتعززوا بآلهتهم حيث يكونون لهم عند الله شفعاء وانصارا ينقذونهم
من العذاب • كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا • كلا ردع لهم وانكار لتعززهم
بالآلهة وقرأ ابن نهيك كلا سيكفرون بعبادتهم اي سيجحدون كلا سيكفرون بعبادتهم كقولك زيدا مررت
بغلامه وفي محتسب ابن جني كلًّا بفتح الكاف والتنوين وزعم ان معناه كل هذا الرأي والاعتقاد كلًّا ولقائل ان
يقول ان صحت هذه الرواية فهي كلا التي هي للردع قلب الواقف عليها الفها نونا كما في قواريرا والضمير في سيكفرون
للآلهة اي سيجحدون عبادتهم وينكرونها ويقولون والله ما عبدتمونا وانتم كاذبون قال الله تعالى واذا رأى الذين
اشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك فألقوا اليهم القول انكم لكاذبون او للمشركين
اي ينكرون لسوء العاقبة ان يكونوا قد عبدوها قال الله تعالى ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين عليهم
ضدا في مقابلة لهم عزا والمراد ضد العز وهو الذل والهوان اي يكونون عليهم ضدا لما قصدوه وارادوه كانه قيل
ويكونون عليهم ذلا لا لهم عزا او يكونون عليهم عونا والضد العون يقال من اضدادكم اي اعوانكم وكان العون سمي ضدا
لانه يضاد عدوك وينافيه باعانته لك عليه فان قلت لم وحد قلت وحد توحيد قوله صلى الله
عليه وسلم وهم يد على من سواهم لاتفاق كلمتهم وانهم كشيء واحد لفرط تضامنهم وتوافقهم ومعنى كون الآلهة
عونا عليهم انهم وقود النار وحصب جهنم ولانهم عذبوا بسبب عبادتها وان رجعت الواو في سيكفرون ويكونون
الى المشركين فان المعنى ويكونون عليهم اي اعداءهم ضدا اي كفرة بهم بعد ان كانوا يعبدونها • الم تر انا

المحتسب كتاب صنفه ابن جني في وجوه شواذ القرآن ه

ارسلنا

ارسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم ازا • فلا تعجل عليهم انما نعد لهم عدا
الأز والهز والاستفزاز اخوات ومعناها التهييج وشدة الازعاج اي تغريهم على المعاصي وتهيجهم لها بالوساوس
والتسويلات والمعنى خلينا بينهم وبينهم ولم نمنعهم ولو شاء لمنعهم قسرا والمراد تعجيب رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعد الآيات التي ذكر فيها العتاة المردة من الكفار واقاويلهم وملاحتهم ومعاندتهم للرسل واستهزائهم بالدين
من تماديهم في الغي وافراطهم في العناد وتصميمهم على الكفر واجماعهم على دفع الحق بعد وضوحه وانتفاء
الشك عنه وانهماكهم لذلك في اتباع الشياطين وما تسول لهم عجلت عليه بكذا اذا استعجلته منه اي لا تعجل
عليهم بان يهلكوا ويبيدوا حتى تستريح انت والمسلمون من شرورهم وتطهر الارض بقطع دابرهم فليس بينك
وبين ما تطلب من هلاكهم الا ايام محصورة وانفاس معدودة كانها في سرعة تقضيها الساعة التي تعد فيها
لو عدت ونحوه قوله ولا تستعجل لهم كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار • وعن ابن عباس رضي الله عنهما
انه كان اذا قرأها بكى وقال آخر العدد خروج نفسك آخر العدد فراق اهلك آخر العدد دخول قبرك وعن ابن
السماك انه كان عند المأمون فقرأها فقال اذا كانت الانفاس بالعدد ولم يكن لها مدد فما اسرع ما تنفد •
يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا • ونسوق المجرمين الى جهنم وردا • نصب يوم بمضمر
اي يوم نحشر ونسوق نفعل بالفريقين ما لا يحيط به الوصف او اذكر يوم نحشر ويجوز ان ينتصب بلا يملكون ذكر
المتقين بلفظ التبجيل وهو انهم يجمعون الى ربهم الذي غمرهم برحمته وخصهم برضوانه وكرامته كما يفد الوفاد على الملوك
منتظرين للكرامة عندهم وعن علي رضي الله عنه ما يحشرون والله على ارجلهم ولكنهم على نوق رحالها ذهب وعلى نجائب
سروجها ياقوت وذكر الكافرين بانهم يساقون الى النار باهانة واستخفاف كانهم نعم عطاش تساق الى الماء
والورد العطاش لان من يرد الماء لا يرده الا لعطش وحقيقة الورد المسير الى الماء قال • ردي ردي ورد قطاة
صما • كدرية اعجبها برد الماء • فسمي به الواردون وقرأ الحسن يحشر المتقون ويساق المجرمون • لا يملكون
الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا • وقالوا اتخذ الرحمن ولدا • لقد جئتم شيئا ادا
الواو في لا يملكون ان جعل ضميرا فهو للعباد ودل عليه ذكر المتقين والمجرمين لانهم على هذه القسمة ويجوز ان تكون علامة
للجمع كالتي في اكلوني البراغيث والفاعل من اتخذ لانه في معنى الجمع ومحل من اتخذ رفع على البدل او على الفاعلية ويجوز ان
ينتصب على تقدير حذف المضاف اي الا شفاعة من اتخذ والمراد لا يملكون ان يشفع لهم واتخاذ العهد الاستظهار بالايمان
والعمل وعن ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه ذات يوم أيعجز احدكم ان يتخذ كل صباح ومساء عند الله
عهدا قالوا وكيف ذلك قال يقول كل صباح ومساء اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة اني اعهد اليك
اني اشهد ان لا اله الا انت وحدك لا شريك لك وان محمدا عبدك ورسولك وانك ان تكلني الى نفسي تقربني من الشر وتباعدني
من الخير واني لا اثق الا برحمتك فاجعل لي عهدا توفينيه يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد فاذا قال ذلك طبع عليها طابع ووضع
تحت العرش فاذا كان يوم القيامة نادى مناد اين الذين لهم عند الرحمن عهد فيدخلون الجنة وقيل كلمة الشهادة او يكون
من عهد الامير الى فلان بكذا اذا امره به اي لا يشفع الا المأمور بالشفاعة المأذون له فيها وتعضده مواضع في
التنزيل وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا الا من بعد ان يأذن الله لمن يشاء ويرضى ولا تنفع الشفاعة
عنده الا لمن اذن له يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا قرئ إدا بالكسر والفتح قال ابن
خالويه الأد والإد العجب وقيل العظيم المنكر والادة الشدة وأدني الامر وآدني اثقلني وعظم علي ادا •
تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا • ان دعوا للرحمن ولدا
تكاد قراءة الكسائي ونافع بالياء وقرئ ينفطرن الانفطار من فطره اذا شقه والتفطر من فطّره اذا شققه وكرر
الفعل فيه وقرأ ابن مسعود ينصدعن اي تهد هدا او مهدودة او مفعول له اي لانها تهد فان قلت
ما معنى انفطار السموات وانشقاق الارض وخرور الجبال ومن اين تؤثر هذه الكلمة في الجمادات قلت
فيه وجهان احدهما ان الله سبحانه وتعالى يقول كدت افعل هذا بالسموات والارض والجبال عند وجود هذه الكلمة غضبا
مني على من تفوه بها لولا حلمي ووقاري واني لا اعجل بالعقوبة كما قال ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن

ذلك ان امسكهما من احد من بعده انه كان حليما غفورا والثاني ان يكون استعظاما للكلمة وتهويلا من فظاعتها وتصويرا لاثرها في الدين وهدمها لاركانه وقواعده وان مثال ذلك الاثر في المحسوسات ان يصيب هذه الاجرام العظيمة التي هي قوام العالم ما تنفطر منه وتنشق وتخر وفي قوله لقد جئتم وما فيه من المخاطبة بعد الغيبة وهو الذي يسمى الالتفات في علم البلاغة زيادة تسجيل عليهم بالجراءة على الله تعالى والتعرض لسخطه وتنبيه على عظم ما قالوا في ان دعوا للرحمن ولدا يحتمل النصب على العلة لتكاد او لهدا على حذف اللام وافضاء الفعل اليه والجر باضمار اللام او بالابدال من الهاء في منه كقوله على حالة لو ان في القوم حاتما على جوده لضن بالماء حاتم والرفع على انه فاعل هدا اي هدها دعاء الولد للرحمن وفي اختصاص الرحمن وتكريره مرات من الفائدة انه هو الرحمن وحده لا يستحق هذا الاسم غيره من قبل ان اصول النعم وفروعها منه خلق العالمين وخلق لهم جميع ما معهم كما قال بعضهم فلينكشف عن بصرك غطاؤه فانت وجميع ما عندك عطاؤه فمن اضاف اليه ولدا فقد جعله كبعض خلقه واخرجه بذلك عن استحقاق اسم الرحمن هو من دعا بمعنى سمى المتعدي الى مفعولين فاقتصر على احدهما الذي هو الثاني طلبا للعموم والاحاطة بكل ما دعي له ولدا او من دعا بمعنى نسب الذي مطاوعه ما في قوله صلى الله عليه وسلم من ادعى الى غير مواليه وقول الشاعر انا بني نهشل لا ندعي لاب اي لا ننتسب اليه ﴿وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ انبغى مطاوع بغى اذا طلب اي ما يتأتى له اتخاذ الولد وما يتطلب لو طلب مثلا لانه محال غير داخل تحت الصحة اما الولادة المعروفة فلا مقال في استحالتها واما التبني فلا يكون الا فيما هو من جنس المتبنى وليس للقديم سبحانه جنس تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾ من موصوفة لانها وقعت بعد كل نكرة وقوعها بعد رب في قوله رب من انضجت غيظا صدره وقرأ ابن مسعود وابو حيوة آت الرحمن على اصله قبل الاضافة ﴿لَّقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا * وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ الاحصاء الحصر والضبط يعني حصرهم بعلمه واحاط بهم وعدهم عدا الذين اعتقدوا في الملائكة وعيسى وعزيرا انهم اولاد الله تعالى كانوا بين كفرين احدهما القول بان الرحمن يصح بان يكون والدا والثاني اشراك الذين زعموهم لله اولادا في عبادته كما يخدم الناس ابناء الملوك خدمتهم لآبائهم فهدم الله الكفر الآخر والمعنى ما من معبود لهم في السموات والارض من الملائكة ومن الناس الا وهو يأتي الرحمن اي يأوي اليه ويلتجئ الى ربوبيته عبدا منقادا مطيعا خاشعا خاشيا راجيا كما يفعل العبيد وكما يجب عليهم لا يدعي لنفسه ما يدعيه له هؤلاء الضلال ونحوه قوله تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه وكلهم متقلبون في ملكوته مقهورون بقهره وهو مهيمن عليهم محيط بهم وبجمل امورهم وتفاصيلها وكيفيتهم وكميتهم لا يفوته شيء من احوالهم وكل واحد منهم يأتيه يوم القيامة منفردا ليس معه من هؤلاء المشركين احد فهم براء منهم ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ قرأ جناح بن حبيش ودا بالكسر والمعنى سيحدث لهم في القلوب مودة ويزرعها لهم فيها من غير تودد ولا تعرض للاسباب التي يكتسب بها الناس مودات القلوب من قرابة او صداقة او اصطناع بمبرة او غير ذلك وانما هو اختراع منه ابتداء اختصاصا منه لاوليائه بكرامة خاصة كما قذف في قلوب اعدائهم الرعب والهيبة اعظاما لهم واجلالا لمكانهم والسين اما لان السورة مكية وكان المؤمنون حينئذ ممقوتين بين الكفرة فوعدهم الله تعالى ذلك اذا دجى الاسلام واما ان يكون ذلك يوم القيمة يحببهم الى خلقه بما يعرض من حسناتهم وينشر من ديوان اعمالهم وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي رضي الله عنه يا علي قل اللهم اجعل لي عندك عهدا واجعل لي في صدور المؤمنين مودة فانزل الله تعالى هذه الآية وعن ابن عباس يعني يحبهم الله ويحببهم الى خلقه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى يا جبريل قد احببت فلانا فاحبه فيحبه جبريل ثم ينادي في اهل السماء ان الله قد احب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء ثم يضع له المحبة في الارض وعن قتادة ما اقبل العبد الى الله الا اقبل الله بقلوب العباد اليه ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا﴾ هذه خاتمة السورة ومقطعها فكانه قال بلغ هذا المنزل او بشر به وانذر فانما انزلناه بلسانك اي بلغتك وهو اللسان العربي المبين وسهلناه وفصلناه لتبشر به وتنذر واللد الشداد الخصومة بالباطل الآخذون

في كل لديد اي في كل شق من المراء والجدال لفرط لجاجهم يريد اهل مكة ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ وقوله وكم اهلكنا تخويف لهم وانذار وقرئ تحس من حسه اذا شعر به ومنه الحواس والمحسوسات وقرأ حنظلة تسمع مضارع اسمعت والركز الصوت الخفي ومنه ركز الرمح اذا غيب طرفه في الارض والركاز المال المدفون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة مريم اعطي عشر حسنات بعدد من كذب زكريا وصدق به ويحيى ومريم وعيسى وابراهيم واسحق ويعقوب وموسى وهرون واسمعيل وادريس وعشر حسنات بعدد من دعا الله في الدنيا وبعدد من لم يدع الله عز وجل

سورة طه مكية

وهي مائة وثلثون واربع آيات

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿طه * مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ * إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾ ابو عمرو فخم الطاء لاستعلائها وامال الهاء وفخمهما ابن كثير وابن عامر على الاصل والباقون امالوهما وعن الحسن طه وفسر بانه امر بالوطء وان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقوم في تهجده على احدى رجليه فامر بان يطأ الارض بقدميه معا وان الاصل طأ فقلبت همزته هاء او قلبت في يطأ الفا كقوله لا هناك المرتع ثم بني عليه الامر والهاء للسكت ويجوز ان يكتفى بشطري الاسمين وهما الدال بلفظهما على المسميين والله اعلم بصحة ما يقال ان طاها في لغة عك في معنى يا رجل ولعل عكا تصرفوا في يا هذا كانهم في لغتهم قالبون الياء طاء فقالوا في يا طا واختصروا هذا فاقتصروا على ها واثر الصنعة ظاهر لا يخفى في البيت المستشهد به ان السفاهة طاها في خلائقكم لا قدس الله اخلاق الملاعين والاقوال الثلاثة في الفواتح اعني التي قدمتها في اول الكاشف عن حقائق التنزيل هي التي يعول عليها الالباء المتقنون ما انزلنا ان جعلت طه تعديدا لاسماء الحروف على الوجه السابق ذكره فهو ابتداء كلام وان جعلتها اسما للسورة احتملت ان تكون خبرا عنها وهي في موضع المبتدا والقرآن ظاهر اوقع موقع المضمر لانها قرآن وان تكون جوابا وهي قسم وقرئ ما نزل عليك القرآن لتشقى بفرط تاسفك عليهم وعلى كفرهم وتحسرك على ان يؤمنوا كقوله لعلك باخع نفسك والشقاء يجيء في معنى التعب ومنه المثل اتعب من رائض مهر واشقى من رائض مهر اي ما عليك الا ان تبلغ وتذكر ولم يكتب عليك ان يؤمنوا لا محالة بعد ان لم تفرط في اداء الرسالة والموعظة الحسنة وقيل ان ابا جهل والنضر بن الحارث قالا له انك شقي لانك تركت دين آبائك فاريد رد ذلك بان دين الاسلام وهذا القرآن هو السلم الى نيل كل فوز والسبب في درك كل سعادة وما فيه الكفرة هو الشقاوة بعينها وروي انه صلى الله عليه وسلم صلى بالليل حتى اسمغدت قدماه فقال له جبريل ابق على نفسك فان لها عليك حقا اي ما انزلناه لتنهك نفسك بالعبادة وتذيقها المشقة الفادحة وما بعثت الا بالحنيفية السمحة وكل واحد من لتشقى وتذكرة علة للفعل الا ان الاول وجب مجيئه باللام لانه ليس لفاعل الفعل المعلل ففاتته شرائط الانتصاب على المفعولية والثاني جاز قطع اللام عنه ونصبه لاستجماعه الشرائط **فان قلت** اما يجوز ان تقول ما انزلنا عليك القرآن ان تشقى كقوله ان تحبط اعمالكم **قلت** بلى ولكنها نصبة طارئة كالنصبة في واختار موسى قومه واما النصبة في تذكرة فهي كالتي في ضربت زيدا لانه احد المفاعيل الخمسة التي هي اصول وقوانين لغيرها **فان قلت** هل يجوز ان يكون تذكرة بدلا من محل لتشقى **قلت** لا لاختلاف الجنسين ولكنها نصب على الاستثناء المنقطع الذي الا فيه بمعنى لكن ويحتمل ان يكون المعنى انا انزلنا اليك القرآن لتحمل متاعب التبليغ ومقاولة العتاة من اعداء الاسلام ومقاتلتهم وغير ذلك من انواع المشاق وتكاليف النبوة وما انزلنا عليك هذا المتعب الشاق الا ليكون تذكرة وعلى هذا الوجه يجوز ان يكون تذكرة حالا ومفعولا له لمن يخشى لمن يؤول امره الى الخشية ولمن يعلم الله منه انه يبدل بالكفر ايمانا وبالقسوة خشية ﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى﴾ في نصب تنزيلا وجوه ان يكون بدلا من تذكرة اذا جعل حالا لا اذا كان مفعولا له لان الشيء لا يعلل بنفسه وان ينصب بنزل مضمرا وان تنصب بانزلنا لان معنى ما انزلناه الا تذكرة انزلناه تذكرة وان ينصب على المدح

والاختصاص وان ينصب بيخشى مفعولا به اي انزله الله تذكرة لمن يخشى تنزيل الله وهو معنى حسن واعراب بين وقرئ تنزيل بالرفع على خبر مبتدأ محذوف ما بعد تنزيلا الى قوله له الاسماء الحسنى تعظيم وتفخيم لشأن المنزل لنسبته الى من هذه افعاله وصفاته ولا يخلو من ان يكون متعلقه اما تنزيلا نفسه فيقع صلة له واما محذوفا فيقع صفة له **فان قلت** ما فائدة النقلة من لفظ المتكلم الى لفظ الغائب **قلت** غير واحدة منها عادة الافتنان في الكلام وما تعطيه من الحسن والروعة ومنها ان هذه الصفات انما تسردت مع لفظ الغيبة ومنها انه قال اولا انزلناه ففخم بالاسناد الى ضمير الواحد المطاع ثم ثنى بالنسبة الى المختص بصفات العظمة والتمجيد فضوعفت الفخامة من طريقين ويجوز ان يكون انزلناه حكاية لكلام جبريل والملائكة النازلين معه وصف السموات بالعلى دلالة على عظم قدرة من يخلق مثلها في علوها وبعد مرتقاها ● **الرحمن على العرش استوى** ● قرئ الرحمن مجرورا صفة لمن خلق والرفع احسن لانه اما ان يكون رفعا على المدح على تقدير هو الرحمن واما ان يكون مبتدأ مشارا بلامه الى من خلق **فان قلت** الجملة التي هي على العرش استوى ما محلها اذا جررت الرحمن او رفعته على المدح **قلت** اذا جررت فهو خبر مبتدأ محذوف لا غير وان رفعت جاز ان يكون كذلك وان يكون مع الرحمن خبرين للمبتدأ لما كان الاستواء على العرش وهو سرير الملك مما يردف الملك جعلوه كناية عن الملك فقالوا استوى فلان على العرش يريدون ملك وان لم يقعد على السرير البتة قالوه ايضا لشهرته في ذلك المعنى ومساواته ملك في مؤداه وان كان اشرح وابسط وادل على صورة الامر ونحوه قولك يد فلان مبسوطة ويد فلان مغلولة بمعنى انه جواد او بخيل لا فرق بين العبارتين الا فيما قلت حتى ان من لم يبسط يده قط بالنوال او لم تكن له يد رأسا قيل فيه يده مبسوطة لمساواته عندهم قولهم جواد ومنه قول الله عز وجل وقالت اليهود يد الله مغلولة اي هو بخيل بل يداه مبسوطتان اي هو جواد من غير تصور يد ولا غل ولا بسط والتفسير بالنعمة والتمحل للتثنية من ضيق العطن والمسافرة عن علم البيان مسيرة اعوام ● **له ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى** ● **وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى** ● ما تحت الثرى ما تحت سبع الارضين عن محمد بن كعب وعن السدي هو الصخرة التي تحت الارض السابعة اي يعلم ما اسررته الى غيرك واخفى من ذلك وهو ما اخطرته ببالك او ما اسررته في نفسك واخفى منه وهو ما ستسره فيها وعن بعضهم ان اخفى فعل يعني انه يعلم اسرار العباد واخفى عنهم ما يعلمه هو كقوله تعالى يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما وليس بذاك **فان قلت** كيف طابق الجزاء الشرط **قلت** معناه ان تجهر بذكر الله من دعاء او غيره فاعلم انه غني عن جهرك فاما ان يكون نهيا عن الجهر كقوله واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول واما تعليما للعباد ان الجهر ليس لاسماع الله تعالى وانما هو لغرض آخر ● **الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى** ● الحسنى تأنيث الاحسن وصفت بها الاسماء لان حكمها حكم المؤنث كقولك الجماعة الحسنى ومثلها مآرب اخرى ومن آياتنا الكبرى والذي فضلت به اسماؤه في الحسن سائر الاسماء دلالتها على معاني التقديس والتمجيد والتعظيم والربوبية والافعال التي هي النهاية في الحسن ● **وهل اتاك حديث موسى اذ رأى نارا فقال لاهله امكثوا اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بقبس او اجد على النار هدى** ● قفاه بقصة موسى عليه السلام ليأتم به في تحمل اعباء النبوة وتكاليف الرسالة والصبر على مقاساة الشدائد حتى ينال عند الله الفوز والمقام المحمود يجوز ان ينتصب اذ ظرفا للحديث لانه حدث او لمضمر اي حين رأى نارا كان كيت وكيت او مفعولا لاذكر استأذن موسى شعيبا عليهما السلام في الخروج الى امه وخرج باهله فولد له في الطريق ابن في ليلة شاتية مظلمة مثلجة وقد ضل الطريق وتفرقت ماشيته ولا ماء عنده وقدح فصلد زنده فرأى النار عند ذلك قيل كانت ليلة جمعة امكثوا اقيموا في مكانكم الايناس الابصار البين الذي لا شبهة فيه ومنه انسان العين لانه يتبين به الشيء والانس لظهورهم كما قيل الجن لاستتارهم وقيل هو ابصار ما يؤنس به لما وجد منه الايناس فكان مقطوعا متيقنا حققه لهم بكلمة ان ليوطن انفسهم ولما كان الاتيان بالقبس ووجود الهدى مترقبين متوقعين بنى الامر فيهما على الرجاء والطمع وقال لعلي ولم يقطع فيقول اني آتيكم لئلا يعد ما ليس بمستيقن الوفاء به القبس النار المقتبسة في رأس عود او فتيلة او غيرهما ومنه قيل المقبسة لما يقتبس فيه من سعفة او نحوها هدى اي قوما يهدونني الطريق او

ينفعونني

ينفعونني بهداهم في ابواب الدين عن مجاهد وقتادة وذلك لان افكار الابرار مغمورة بالهمة الدينية في جميع احوالهم لا يشغلهم عنها شاغل والمعنى ذوي هدى او اذا وجد الهداة فقد وجد الهدى ومعنى الاستعلاء في على النار ان اهل النار يستعلون المكان القريب منها كما قال سيبويه في مررت بزيد انه لصوق بمكان يقرب من زيد او لان المصطلين بها والمستمتعين اذا تكنفوها قياما وقعودا كانوا مشرفين عليها ومنه قول الاعشى ● وبات على النار الندى والمحلق ● قرأ ابو عمرو وابن كثير اني بالفتح اي نودي باني انا ربك وكسر الباقون ● **فلما اتاها نودي يا موسى اني انا ربك فاخلع نعليك انك بالوادي المقدس طوى** ● **وانا اخترتك فاستمع لما يوحى** ● اي نودي فقيل يا موسى او لان النداء ضرب من القول فعومل معاملته تكرير الضمير في اني انا ربك لتوكيد الدلالة وتحقيق المعرفة واماطة الشبهة روي انه لما نودي يا موسى قال من المتكلم فقال الله عز وجل اني انا ربك وان ابليس وسوس اليه لعلك تسمع كلام شيطان فقال انا عرفت انه كلام الله تعالى باني اسمعه من جميع جهاتي الست واسمعه بجميع اعضائي وروي انه حين انتهى رأى شجرة خضراء من اسفلها الى اعلاها كأنها نار بيضاء تتقد وسمع تسبيح الملائكة ورأى نورا عظيما فخاف وبهت فالقيت عليه السكينة ثم نودي وكانت الشجرة عوسجة وروي كلما دنا او بعد لم يختلف ما كان يسمع من الصوت وعن ابن اسحق لما دنا استأخرت عنه فلما رأى ذلك رجع واوجس في نفسه خيفة فلما اراد الرجعة دنت منه ثم كلم قيل امر بخلع النعلين لانهما كانتا من جلد حمار ميت غير مدبوغ عن السدي وقتادة وقيل ليباشر الوادي بقدميه متبركا به وقيل لان الحفوة تواضع لله تعالى ومن ثمة طاف السلف بالكعبة حافين ومنهم من استعظم دخول المسجد بنعليه وكان اذا ندر منه الدخول منتعلا تصدق والقرآن يدل على ان ذلك احترام للبقعة وتعظيم لها وتشريف لقدسها وروي انه خلع نعليه والقاهما من وراء الوادي طوى بالضم والكسر منصرف وغير منصرف بتأويل المكان والبقعة وقيل مرتين نحو ثنى اي نودي نداءين او قدس الوادي كرة بعد كرة اخترتك اصطفيتك للنبوة وقرأ حمزة وانا اخترناك لما يوحى للذي يوحى او للوحي تعلق اللام باستمع او باخترتك ● **انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني واقم الصلاة لذكري** ● لذكري لتذكرني فان ذكري ان اعبد ويصلى لي او لتذكرني فيها لاشتمال الصلوة على الاذكار عن مجاهد او لاني ذكرتها في الكتب وامرت بها او لان اذكرك بالمدح والثناء واجعل لك لسان صدق او لذكري خاصة لا تشوبه بذكر غيري او لاخلاص ذكري وطلب وجهي لا ترائي بها ولا تقصد بها غرضا آخر او لتكون لي ذاكرا غير ناس فعل المخلصين في جعلهم ذكر ربهم على بال منهم وتوكيل هممهم وافكارهم به كما قال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله او لاوقات ذكري وهي مواقيت الصلوة كقوله تعالى ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا واللام مثلها في قولك جئتك لوقت كذا وكان ذلك لست ليال خلون وقوله تعالى يا ليتني قدمت لحياتي وقد حمل على ذكر الصلوة بعد نسيانها من قوله عليه الصلوة والسلام من نام عن صلوة او نسيها فليصلها اذا ذكرها ومن يتمحل له يقول اذا ذكر الصلوة فقد ذكر الله او بتقدير حذف المضاف اي لذكر صلوتي او لان الذكر والنسيان من الله عز وجل في الحقيقة وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم للذكرى ● **ان الساعة آتية اكاد اخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى** ● اي اكاد اخفيها فلا اقول هي آتية لفرط ارادتي اخفاءها ولولا ما في الاخبار باتيانها مع تعمية وقتها من اللطف لما اخبرت به وقيل معناه اكاد اخفيها من نفسي ولا دليل في الكلام على هذا المحذوف ومحذوف لا دليل عليه مطرح والذي غرهم منه ان في مصحف ابي اكاد اخفيها من نفسي وفي بعض المصاحف اكاد اخفيها من نفسي فكيف اظهركم عليها وعن ابي الدرداء وسعيد بن جبير اخفيها بالفتح من خفاه اذا اظهره اي قرب اظهارها كقوله اقتربت الساعة وقد جاء في بعض اللغات اخفاه بمعنى خفاه وبه فسر بيت امرئ القيس ● فان تدفنوا الداء لا نخفه ● وان تبعثوا الحرب لا نقعد ● فاكاد اخفيها محتمل للمعنيين لتجزى متعلق بآتية بما تسعى بسعيها اي لا يصدنك عن تصديقها والضمير للقيامة ويجوز ان يكون للصلوة ● **فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى** ● **فان قلت** العبارة لنهي من لا يؤمن عن صد موسى والمقصود نهي موسى عن التكذيب بالبعث او امره بالتصديق فكيف صلحت هذه العبارة لاداء هذا المقصود **قلت** فيه وجهان احدهما ان صد الكافر عن التصديق بها سبب للتكذيب فذكر السبب ليدل على المسبب والثاني ان صد الكافر مسبب عن رخاوة الرجل في الدين ولين شكيمته فذكر المسبب

ليدل على السبب كقولهم لا أرينك ههنا المراد نهيه عن مشاهدته والكون بحضرته وذلك سبب رؤيته إياه فكان ذكر
المسبب دليلا على السبب كأنه قيل فكن شديد الشكيمة صليب المعجم حتى لا يتلوح منك لمن يكفر بالبعث أنه يطمع في
صدك عما أنت عليه يعني أن من لا يؤمن بالآخرة هم الجم الغفير إذ لا شيء أطم على الكفرة ولا هم أشد له نكيرا من البعث
فلا يهولنك وفور دهمائهم وعظم سوادهم ولا تجعل الكثرة مزلة قدمك واعلم أنهم وإن كثروا تلك الكثرة فقدوتهم
فيما هم فيه هو الهوى واتباعه لا البرهان وتدبره وفي هذا حث عظيم على العمل بالدليل وزجر بليغ عن التقليد وإنذار بأن الهلاك
والردى مع التقليد وأهله • **وما تلك بيمينك يا موسى** • تلك بيمينك كقوله تعالى وهذا بعلي شيخا
في انتصاب الحال بمعنى الإشارة ويجوز أن يكون تلك اسما موصولا صلته بيمينك إنما سأله ليريه عظم ما يخترعه عز وعلا في الخشبة
من قلبها حية نضناضة وليقرر في نفسه المباينة البعيدة بين المقلوب عنه والمقلوب إليه وينبهه على قدرته الباهرة
ونظيره أن يريك الزراد زبرة من حديد ويقول لك ما هي فتقول زبرة حديد ثم يريك بعد أيام لبوسا مسردا فيقول
لك هي تلك الزبرة صيرتها إلى ما ترى من عجيب الصنعة وأنيق السرد قرأ ابن أبي إسحق عصيّ على لغة هذيل ومثله يا بشريّ
أرادوا كسر ما قبل ياء المتكلم فلم يقدروا عليه فقلبوا الألف إلى أخت الكسرة وقرأ الحسن عصايِ بكسر الياء لالتقاء الساكنين
وهو مثل قراءة حمزة بمصرخيّ وعن ابن أبي إسحق سكون الياء • **قال هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها**
على غنمي ولي فيها مآرب أخرى • أتوكأ عليها أعتمد عليها إذا أعييت أو وقفت على رأس القطيع وعند
الطفرة وأهش الورق أخبطه على رؤوس غنمي تأكله وعن لقمان بن عاد أكلت حقا وابن لبون وجذع
وهشة تخب وسيلا دفع والحمد لله من غير شبع سمعته من غير واحد من العرب ونخب واد قريب من الطائف
كثير السدر وفي قراءة النخعي أهش وكلاهما من هش الخبز يهش إذا كان ينكسر لهشاشته وعن عكرمة أهس
بالسين أي أنحي عليها زاجرا لها والهس زجر الغنم ذكر على التفصيل والإجمال المنافع المتعلقة بالعصا كأنه أحس
بما يعقب هذا السؤال من أمر عظيم يحدثه الله تعالى فقال ما هي إلا عصا لا تنفع إلا منافع بنات جنسها وكما تنفع
العيدان ليكون جوابه مطابقا للغرض الذي فهمه من فحوى كلام ربه ويجوز أن يريد عز وجل أن يعدد المرافق
الكثيرة التي علقها بالعصا ويستكثرها ويستعظمها ثم يريه على عقب ذلك الآية العظيمة كأنه يقول له أين أنت
عن هذه المنفعة العظمى والمأربة الكبرى المنسية عندها كل منفعة ومأربة كنت تعتد بها وتحتفل بشأنها وقالوا
إنما سأله ليبسطه ويقلل هيبته وقالوا إنما أجمل موسى ليسأله عن تلك المآرب فيزيد في إكرامه وقالوا انقطع
لسانه بالهيبة فأجمل وقالوا اسم العصا نبعة وقيل في المآرب كانت ذات شعبتين ومحجن فإذا طال الغصن
حناه بالمحجن وإذا طلب كسره لواه بالشعبتين وإذا سار ألقاها على عاتقه فعلق بها أدواته من القوس والكنانة
والحلاب وإذا كان في البرية ركزها وعرض الزندين على شعبتيها وألقى عليها الكساء واستظل وإذا قصر رشاؤه
وصله بها وكان تقاتل بها السباع عن غنمه وقيل كان فيها من المعجزات أنه كان يستقي بها فتطول بطول البئر وتصير
شعبتاها دلوا وتكونان شمعتين بالليل وإذا ظهر عدو حاربت عنه وإذا اشتهى ثمرة ركزها فأورقت وأثمرت وكان
يحمل عليها زاده وسقاءه فجعلت تماشيه ويركزها فينبع الماء فإذا رفعها نضب وكانت تقيه الهوام
قال ألقها يا موسى • **فألقاها فإذا هي حية تسعى** • السعي المشي بسرعة وخفة حركة
فإن قلت كيف ذكرت بألفاظ مختلفة بالحية والجان والثعبان **قلت** أما الحية فاسم جنس
يقع على الذكر والأنثى والصغير والكبير وأما الثعبان والجان فبينهما تناف لأن الثعبان العظيم من الحيات والجان
الدقيق وفي ذلك وجهان أحدهما أنها كانت وقت انقلابها حية تنقلب حية صفراء دقيقة ثم تتورم ويتزايد
جرمها حتى تصير ثعبانا فأريد بالجان أول حالها وبالثعبان مآلها والثاني أنها كانت في شخص الثعبان وسرعة
حركة الجان والدليل عليه قوله تعالى فلما رآها تهتز كأنها جان وقيل كان لها عرف كعرف الفرس وقيل كان بين
لحييها أربعون ذراعا • **قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى** • لما رأى ذلك الأمر
العجيب الهائل ملكه من الفزع والنفار ما يملك البشر عند الأهوال والمخاوف وعن ابن عباس رضي الله عنهما انقلبت
ثعبانا ذكرا يبتلع الصخر والشجر فلما رآه يبتلع كل شيء خاف ونفر وعن بعضهم إنما خافها لأنه عرف ما لقي آدم منها

اراد وبهشة تخب ثار ذلك الوادي وسيلا دفع ما انتصب ودفعات

وقيل

وقيل لما قال له ربه لا تخف بلغ من ذهاب خوفه وطمأنينة نفسه أن أدخل يده في فمها وأخذ بلحييها • السيرة من السير
كالركبة من الركوب يقال سار فلان سيرة حسنة ثم اتسع فيها فنقلت إلى معنى المذهب والطريقة وقيل سير الأولين
فيجوز أن ينتصب على الظرف أي سنعيدها في طريقتها الأولى أي في حال ما كانت عصا وأن يكون أعاد منقولا من عاده
بمعنى عاد إليه ومنه بيت زهير وعادك أن تلاقيها عداء فيتعدى إلى مفعولين ووجه ثالث حسن وهو
أن يكون سنعيدها مستقلا بنفسه غير متعلق بسيرتها بمعنى أنها أنشئت أول ما أنشئت عصا ثم ذهبت
وبطلت بالقلب حية فسنعيدها بعد الذهاب كما أنشأناها أولا ونصب سيرتها بفعل مضمر أي تسير سيرتها الأولى
يعني سنعيدها سائرة سيرتها الأولى حيث كنت تتوكأ عليها ولك فيها المآرب التي عرفتها • **واضمم يدك**
إلى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى • **لنريك من آياتنا الكبرى** • **اذهب**
إلى فرعون إنه طغى • قيل لكل ناحيتين جناحان كجناحي العسكر لمجنبتيه وجناحا الإنسان جنباه
والأصل المستعار منه جناحا الطائر سميا جناحين لأنه يجنحهما عند الطيران والمراد إلى جنبك تحت العضد دل على
ذلك قوله تخرج • السوء الرداءة والقبح في كل شيء فكني به عن البرص كما كني عن العورة بالسوأة وكان جذيمة صاحب
الزباء أبرص فكنوا عنه بالأبرش والبرص أبغض شيء إلى العرب وبهم عنه نفرة عظيمة وأسماعهم لاسمه مجاجة
فكان جديرا بأن يكنى عنه ولا ترى أحسن ولا ألطف ولا أحز للمفاصل من كنايات القرآن وآدابه يروى أنه كان
آدم فأخرج يده من مدرعته بيضاء لها شعاع كشعاع الشمس تغشي البصر بيضاء وآية حالان معا ومن غير سوء
من صلة البيضاء كما تقول ابيضت من غير سوء وفي نصب آية وجه آخر وهو أن يكون بإضمار نحو خذ ودونك وما أشبه ذلك
حذف لدلالة الكلام وقد تعلق بهذا المحذوف لنريك أي خذ هذه الآية أيضا بعد قلب العصا حية لنريك بهاتين الآيتين
بعض آياتنا الكبرى أو لنريك بها الكبرى من آياتنا أو لنريك من آياتنا الكبرى فعلنا ذلك • **قال رب اشرح لي**
صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي • لما أمره بالذهاب إلى فرعون
الطاغي لعنه الله عرف أنه كلف أمرا عظيما وخطبا جسيما يحتاج معه إلى احتمال ما لا يحتمله إلا ذو جأش رابط وصدر فسيح فاستوهب
ربه أن يشرح صدره ويفسح قلبه ويجعله حليما حمولا يستقبل ما عسى يرد عليه من الشدائد التي يذهب معها صبر الصابر
بجميل الصبر وحسن الثبات وأن يسهل عليه في الجملة أمره الذي هو خلافة الله في أرضه وما يصحبها من مزاولة معاظم
الشؤون ومقاساة جلائل الخطوب • **فإن قلت** لي في قوله تعالى اشرح لي صدري ويسر لي أمري ما جدواه والكلام
بدونه مستتب • **قلت** قد أبهم الكلام أولا فقيل اشرح لي ويسر لي فعلم أن ثمة مشروحا وميسرا ثم بين ورفع
الإبهام بذكرهما فكان آكد لطلب الشرح والتيسير لصدره وأمره من أن يقول اشرح صدري ويسر أمري على الإيضاح الساذج
لأنه تكرير للمعنى الواحد من طريقي الإجمال والتفصيل • عن ابن عباس رضي الله عنهما كان في لسانه رتة لما روي من حديث
الجمرة ويروى أن يده احترقت وأن فرعون اجتهد في علاجها فلم تبرأ ولما دعاه قال إلى أي رب تدعوني قال إلى الذي
أبرأ يدي وقد عجزت عنها وعن بعضهم إنما لم تبرأ يده لئلا يدخلها مع فرعون في قصعة واحدة فتنعقد بينهما حرمة المواكلة
واختلف في زوال العقدة بكمالها فقيل بقي بعضها لقوله وأخي هارون هو أفصح مني لسانا وقوله ولا يكاد يبين
وكان في لسان الحسين بن علي رضي الله عنهما رتة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثها من عمه موسى وقيل زالت لقوله
قد أوتيت سؤلك وفي تنكير العقدة وإن لم يقل واحلل عقدة لساني أنه طلب حل بعضها إرادة أن يفهم عنه فهما جيدا
ولم يطلب الفصاحة الكاملة ومن لساني صفة للعقدة كأنه قيل عقدة من عقد لساني • **واجعل لي وزيرا من أهلي**
هارون أخي • الوزير من الوزر لأنه يحمل عن الملك أوزاره ومؤنه أو من الوزر لأن الملك يعتصم برأيه ويلجئ إليه أموره
أو من المؤازرة وهي المعاونة عن الأصمعي قال وكان القياس أزير فقلبت الهمزة واوا ووجه قلبها أن فعيلا جاء في معنى
مفاعل مجيئا صالحا كقولهم عشير وجليس وقعيد وخليل وصديق ونديم فلما قلبت في أخيه قلبت فيه وحمل الشيء على نظيره
ليس بعزيز ونظرا إلى يوازر وأخواته وإلى الموازرة • وزيرا وهرون مفعولا قوله اجعل قدم ثانيهما على أولهما عناية بأمر
الوزارة أو لي وزيرا مفعولاه وهرون عطف بيان للوزير وأخي في الوجهين بدل من هرون وإن جعل عطف بيان آخر جاز
وحسن • **اشدد به أزري** • **وأشركه في أمري** • **كي نسبحك كثيرا** • **ونذكرك كثيرا** • **إنك**

كنت بنا بصيرا • **قال قد اوتيت سؤلك يا موسى** • وقرأ شامي اشدد واشركه على الدعاء
وابن عامر وحده اشدد واشركه على الجواب وفي مصحف ابن مسعود رضي الله عنه اخي واشدد وعن ابي بن كعب
اشركه في امري واشدد به ازري ويجوز فيمن قرأ على لفظ الامر ان يجعل اخي مرفوعا على الابتداء واشدد به خبره ويوقف
على هرون الازر القوة وازره قواه اي اجعله شريكي في الرسالة حتى نتعاون على عبادتك وذكرك فان التعاون
لانه مهيج الرغبات يتزايد به الخير ويتكاثر انك كنت بنا بصيرا اي عالما باحوالنا وبان التعاضد مما يصلحنا وان هرون
نعم المعين وانت وتعضدي بانه اكبر مني سنا وافصح لسانا السؤل الطلبة فعل بمعنى مفعول كقولك خبز بمعنى
مخبوز واكل بمعنى ماكول • **ولقد مننا عليك مرة اخرى** • **اذ اوحينا الى امك ما يوحى**
الوحي الى ام موسى اما ان يكون على لسان نبي في وقتها كقوله تعالى واذ اوحيت الى الحواريين او يبعث اليها ملكا لا على
وجه النبوة كما الى مريم او يريها ذلك في المنام فتتنبه عليه او يلهمها كقوله تعالى واوحى ربك الى النحل اي اوحينا اليها امرا
لا سبيل الى التوصل اليه ولا الى العلم به الا بالوحي وفيه مصلحة دينية فوجب ان يوحى ولا يخل به اي هو مما يوحى لا محالة وهو
امر عظيم مثله يحق بان يوحى • **ان اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم فليلقه اليم بالساحل**
يأخذه عدو لي وعدو له والقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني • ان هي المفسرة
لان الوحي بمعنى القول القذف مستعمل في معنى الالقاء والوضع ومنه قوله تعالى وقذف في قلوبهم الرعب وكذلك الرمي
قال غلام رماه الله بالحسن يافعا اي حصل فيه الحسن ووضعه فيه والضمائر كلها راجعة الى موسى ورجوع بعضها اليه
وبعضها الى التابوت فيه هجنة لما يؤدي اليه من تنافر النظم **فان قلت** المقذوف في البحر هو التابوت وكذلك
الملقى الى الساحل **قلت** ما ضرك لو قلت المقذوف والملقى هو موسى في جوف التابوت حتى لا تفرق الضمائر
فيتنافر عليك النظم الذي هو ام اعجاز القرآن والقانون الذي وقع عليه التحدي ومراعاته اهم ما يجب على المفسر لما كان
مشية الله وارادته ان لا تخطئ جرية ماء اليم الوصول الى الساحل والقاءه اليه سلك في ذلك سبيل المجاز وجعل
اليم كانه ذو تمييز امر بذلك ليطيع الامر ويمتثل رسمه فقيل فليلقه اليم بالساحل • روي انها جعلت في التابوت
قطنا محلوجا فوضعته فيه وجصصته وقيرته ثم القته في اليم وكان يشرع منه الى بستان فرعون نهر كبير فبينا هو
جالس على راس بركة مع آسية اذا بالتابوت فامر به فاخرج ففتح فاذا صبي اصبح الناس وجها فاحبه عدو الله
حبا شديدا لا يتمالك ان يصبر عنه وظاهر اللفظ على ان البحر القاه بساحله وهو شاطئه لان الماء يسحله اي يقشره وقذفه
به ثم يلتقط من الساحل الا ان يكون قد القاه اليم بموضع من الساحل فيه فوهة نهر فرعون ثم اداه النهر الى حيث
البركة • مني لا يخلو اما ان يتعلق بالقيت فيكون المعنى على اني احببتك ومن احبه الله تعالى احبته القلوب واما
ان يتعلق بمحذوف هو صفة لمحبة اي محبة حاصلة او واقعة مني قد ركزتها انا في القلوب وزرعتها فيها فلذلك احبك
فرعون وكل من ابصرك • روي انه كانت على وجهه مسحة جمال وفي عينيه ملاحة لا يكاد يصبر عنه من رآه على عيني لتربى
ويحسن اليك وانا مراعيك وراقبك كما يراعي الرجل الشيء بعينيه اذا اعتنى به وتقول للصانع اصنع هذا على عيني
انظر اليك لئلا تخالف به عن مرادي وبغيتي ولتصنع معطوف على علة مضمرة مثل ليتعطف عليك وترام ونحوه
او حذف معلله اي ولتصنع فعلت ذلك • وقرئ ولتصنع ولتصنع بكسر اللام وسكونها والجزم على انه امر وقرئ ولتصنع
بفتح التاء والنصب اي وليكون عملك وتصرفك على عين مني • **اذ تمشي اختك فتقول هل ادلكم على**
من يكفله فرجعناك الى امك كي تقر عينها ولا تحزن وقتلت نفسا فنجيناك من الغم
وفتناك فتونا • العامل في اذ تمشي القيت او تصنع ويجوز ان يكون بدلا من اذ اوحينا **فان قلت**
كيف يصح البدل والوقتان مختلفان متباعدان **قلت** كما يصح وان اتسع الوقت وتباعد طرفاه ان يقول لك
الرجل لقيت فلانا سنة كذا فتقول وانا لقيته اذ ذاك وربما لقيه هو في اولها وانت في آخرها • يروى ان اخته
واسمها مريم جاءت متعرفة خبره فصادفتهم يطلبون له مرضعة يقبل ثديها وذلك انه كان لا يقبل ثدي امرأة فقالت
هل ادلكم فجاءت بالام فقبل ثديها • ويروى ان آسية استوهبته من فرعون وتبنته وهي التي اشفقت عليه وطلبت
له المراضع • هي نفس القبطي الذي استغاثه عليه الاسرائيلي قتله وهو ابن اثنتي عشرة سنة اغتم بسبب القتل خوفا

من عقاب الله تعالى ومن اقتصاص فرعون فغفر له الله باستغفاره حين قال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي
ونجاه من فرعون ان ينشب فيه اظفاره حين هاجر به الى مدين فتونا يجوز ان يكون مصدرا على فعول في المتعدي
كالثبور والشكور والكفور وجمع فتن او فتنة على ترك الاعتداد بتاء التأنيث كحجوز وبدور في حجزة وبدرة
اي فتناك ضروبا من الفتن • سأل سعيد بن جبير ابن عباس عنه فقال خلصناك من محنة بعد محنة ولد في عام
كان يقتل فيه الولدان فهذه فتنة يا ابن جبير والقته امه في البحر وهم فرعون بقتله وقتل قبطيا وآجر نفسه عشر
سنين وضل الطريق وتفرقت غنمه في ليلة مظلمة وكان يقول عند كل واحدة فهذه فتنة يا ابن جبير والفتنة
المحنة وكل ما يشق على الانسان وكل ما يبتلي الله به عباده فتنة قال ونبلوكم بالشر والخير فتنة • **فلبثت سنين**
في اهل مدين ثم جئت على قدر يا موسى • **واصطنعتك لنفسي اذهب انت واخوك**
بآياتي ولا تنيا في ذكري • **اذهبا الى فرعون انه طغى** • هي على ثمان مراحل من مصر وعن
وهب بن منبه انه لبث عند شعيب ثمانيا وعشرين سنة منها مهر ابنته وقضى اوفى الاجلين اي سبق في قضائي
وقدري ان اكلمك واستنبئك في وقت بعينه قد وقته لذلك فما جئت الا على ذلك القدر غير مستقدم ولا متأخر
وقيل على مقدار من الزمان يوحى فيه الى الانبياء وهو راس اربعين سنة • هذا تمثيل لما خوله من منزلة التقريب
والتكريم والتكليم مثل حاله بحال من يراه بعض الملوك لجوامع خصال فيه وخصائص اهلا لئلا يكون احد اقرب منزلة منه
اليه ولا الطف محلا فيصطنعه بالكرامة والاثرة ويستخلصه لنفسه ولا يبصر ولا يسمع الا بعينه واذنه ولا يأتمن على
مكنون سره الا سواء ضميره الونى الفتور والتقصير وقرئ تنيا بكسر حرف المضارعة للاتباع اي لا تنسياني ولا ازال
منكما على ذكر حيثما تقلبتما واتخذا ذكري جناحا تطيران به مستمدين بذلك العون والتأييد مني معتقدين ان امرا
من الامور لا يتمشى لاحد الا بذكري ويجوز ان يريد بالذكر تبليغ الرسالة فان الذكر يقع على سائر العبادات وتبليغ الرسالة
من اجلها واعظمها فكان جديرا بان يطلق عليه اسم الذكر • **فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى**
روي ان الله تعالى اوحى الى هرون وهو بمصر ان يتلقى موسى وقيل سمع بمقبله وقيل الهم ذلك • وقرئ لينا بالتخفيف
والقول اللين نحو قوله تعالى هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى لان ظاهره الاستفهام والمشورة وعرض
ما فيه الفوز العظيم • وقيل عداه شبابا لا يهرم بعده وملكا لا ينزع منه الا بالموت وان تبقى له لذة المطعم والمشرب
والمنكح الى حين موته • وقيل لا تجبهاه بما يكره والطفا له في القول لما له من حق تربية موسى ولما ثبت له من مثل حق
الابوة • وقيل كنياه وهو من ذوي الكنى الثلاث ابو العباس وابو الوليد وابو مرة • والترجي لهما اي اذهبا على رجائكما
وطمعكما وباشرا الامر مباشرة من يرجو ويطمع ان يثمر عمله ولا يخيب سعيه فهو يجتهد بطوقه ويحتشد باقصى وسعه
وجدوى ارسالهما اليه مع العلم بانه لن يؤمن الزام الحجة وقطع المعذرة • ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا
لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك اي يتذكر ويتأمل فيبذل النصفة من نفسه والاذعان للحق او يخشى ان يكون
الامر كما تصفان فيجره انكاره الى الهلكة • **قالا ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى**
فرط سبق وتقدم ومنه الفارط الذي يتقدم الواردة وفرس فرط يسبق الخيل اي نخاف ان يعجل علينا بالعقوبة
ويبادرنا بها وقرئ يفرط من افرطه غيره اذا حمله على العجلة خافا ان يحمله حامل على المعاجلة بالعقاب من شيطان
او من جبروته واستكباره وادعائه الربوبية او من حب الرياسة او من قومه القبط الذين حكى عنهم رب العزة
قال الملا من قوم وقال الملا من قوم فرعون • وقرئ يفرط من الافراط في الاذية اي نخاف ان يحول بيننا وبين تبليغ
الرسالة بالمعاجلة او يجاوز الحد في معاقبتنا او ان يطغى بالتخطي الى ان يقول فيك ما لا ينبغي لجرأته عليك
وقسوة قلبه وفي المجيء به هكذا على الاطلاق وعلى سبيل الرمز باب من حسن الادب وتحاش عن التفوه بالعظيمة •
قال لا تخافا انني معكما اسمع وارى • معكما اي حافظكما وناصركما اسمع واري ما يجري بينكما وبينه
من قول وفعل فافعل في كل حال ما يوجبه حفظي ونصرتي لكما فجائز ان يقدر اقوالكم وافعالكم وجائز ان لا يقدر شيء وكانه قيل انا حافظ
لكما وناصر سامع مبصر واذا كان الحافظ والناصر كذلك تم الحفظ وصحت النصرة وذهبت المبالاة بالعدو • **فأتياه**
فقولا انا رسولا ربك فارسل معنا بني اسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك بآية من ربك

وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى • إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى
كانت بنو اسرائيل في ملكة فرعون والقبط يعذبونهم بتكليف الاعمال الصعبة من الحفر والبناء ونقل الحجارة
والسخرة في كل شيء مع قتل الولدان واستخدام النساء • قد جئناك بآية من ربك جملة جارية من الجملة الاولى
وهي انا رسولا ربك مجرى البيان والتفسير لان دعوى الرسالة لا تثبت الا ببينتها التي هي المجيء بالآية انما وحد
قوله بآية ولم يثن ومعه آيتان لان المراد في هذا الموضع تثبيت الدعوى ببرهانها فكأنه قال قد جئناك بمعجزة
وبرهان وحجة على ما ادعيناه من الرسالة وكذلك قد جئتكم ببينة من ربكم فأت بها ان كنت من الصادقين
او لو جئتك بشيء مبين • يريد سلام الملائكة الذين هم خزنة الجنة على المهتدين وتوبيخ خزنة النار والعذاب
على المكذبين • قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى • خاطب الاثنين ووجه النداء الى احدهما وهو موسى لانه الاصل في
النبوة وهارون وزيره وتابعه ويحتمل ان يحمله خبثه ودعارته على استدعاء كلام موسى دون كلام اخيه لما عرف من فصاحة
هرون والرتة في لسان موسى ويدل عليه قوله ام انا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين • قَالَ رَبُّنَا
الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى • خلقه اول مفعولي اعطى اي اعطى خليقته كل شيء يحتاجون
اليه ويرتفقون به او ثانيهما اي اعطى كل شيء صورته وشكله الذي يطابق المنفعة المنوطة به كما اعطى العين الهيئة
التي تطابق الابصار والاذن الشكل الذي يوافق الاستماع وكذلك الانف واليد والرجل واللسان كل واحد
منها مطابق لما علق به من المنفعة غير ناب عنه او اعطى كل حيوان نظيره في الخلق والصورة حيث جعل الحصان
والحجر زوجين والبعير والناقة والرجل والمرأة فلم يزاوج منها شيئا غير جنسه وما هو على خلاف خلقه وقرئ خلقه
صفة للمضاف او للمضاف اليه اي كل شيء خلقه الله تعالى لم يخله من عطائه وانعامه ثم هدى اي عرف كيف يرتفق بما
اعطى وكيف يتوصل اليه ولله در هذا الجواب ما اخصره وما اجمعه وما ابينه لمن القى الذهن ونظر بعين الانصاف
وكان طالبا للحق • قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى • قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي
وَلَا يَنْسَى • سأله عن حال من تقدم وخلا من القرون وعن شقاء من شقي منهم وسعادة من سعد فاجابه بان
هذا سؤال عن الغيب وقد استأثر الله به لا يعلمه الا هو وما انا الا عبد مثلك لا اعلم منه الا ما اخبرني به علام الغيوب
وعلم احوال القرون مكتوب عند الله في اللوح المحفوظ لا يجوز على الله تعالى ان يخطئ شيئا او ينساه يقال ضللت الشيء
اذا اخطأته في مكانه فلم تهتد له كقولك ضللت الطريق والمنزل وقرئ لا يضل من اضله اذا ضيعه وعن ابن
عباس لا يترك من كفره حتى ينتقم منه ولا يترك من وفره حتى يجازيه ويجوز ان يكون فرعون قد نازعه في احاطة
الله بكل شيء وتبينه لكل معلوم فتعنت وقال ما تقول في سوالف القرون وتمادي كثرتهم وتباعد اطراف عددهم
كيف احاط بهم وباجزائهم وجواهرهم فاجاب بان كل كائن محيط به علمه وهو مثبت عنده في كتاب ولا يجوز عليه الخطأ
والنسيان كما يجوزان عليك ايها العبد الذليل والبشر الضئيل اي لا يضل كما تضل انت ولا ينسى كما تنسى يا مدعي
الربوبية بالجهل والوقاحة • الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ
مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى • كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي
ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى • الذي جعل مرفوع صفة لربي او خبر مبتدأ محذوف او منصوب على المدح وهذا من مقالة
ومحاوره مهدا قراءة اهل الكوفة اي مهدها مهدا او تتمهدونها فهي لكم كالمهد وهو ما يمهد للصبي وسلك من قوله تعالى
ما سلككم في سقر سلكناه نسلكه في قلوب المجرمين اي حصل لكم فيها سبلا ووسطها بين الجبال والاودية والبراري فاخرجنا
عدل فيه من لفظ الغيبة الى لفظ المتكلم المطاع لما ذكرت من الافتنان والايذان بانه مطاع تنقاد الاشياء
المختلفة لامره وتذعن الاجناس المتفاوتة لمشيئته لا تمتنع شيء على ارادته ومثله قوله تعالى وهو الذي انزل من السماء
ماء فاخرجنا به نبات كل شيء الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها امن خلق السموات
وانزل لكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق وفيه تخصيص ايضا بانا نحن نقدر على مثل هذا ولا يدخل تحت قدرة احد ازواجا
اصنافا سميت بذلك لانها مزدوجة مقترن بعضها مع بعض شتى صفة للازواج جمع شتيت كمريض ومرضى ويجوز
ان يكون صفة للنبات والنبات مصدر سمي به النابت كما سمي بالنبت فاستوى فيه الواحد والجمع يعني انها شتى مختلفة

النفع

النفع والطعم واللون والرائحة والشكل بعضها يصلح للناس وبعضها يصلح للبهائم قالوا من نعمة الله عز وعلا ان
ارزاق العباد انما تحصل بعمل الانعام وقد جعل الله تعالى علفها مما يفضل عن حاجتهم ولا يقدرون على اكله اي قائلين
كلوا وارعوا حال من الضمير في فاخرجنا المعنى اخرجنا اصناف النبات آذنين في الانتفاع بها مبيحين ان تأكلوا
بعضها وتعلفوا بعضها • مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى • اي
اراد بخلقهم من الارض خلق اصلهم وهو آدم عليه السلام منها وقيل ان الملك لينطلق فيأخذ من تربة المكان الذي
يدفن فيه فيبدها على النطفة فيخلق من التراب والنطفة معا واراد باخراجهم منها انه يؤلف اجزاءهم المتفرقة المختلطة
بالتراب ويردهم كما كانوا احياء ويخرجهم الى المحشر يوم تخرجون من الاجداث سراعا عدد الله عليهم ما علق بالارض
من مرافقهم حيث جعلها لهم فراشا ومهادا يتقلبون عليها وسوى لهم فيها مسالك يترددون فيها كيف شاءوا
وانبت فيها اصناف النبات التي منها اقواتهم وعلوفات بهائمهم وهي اصلهم الذي منه تفرعوا وامهم التي منها
ولدوا ثم هي كفاتهم اذا ماتوا ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تمسحوا بالارض فانها بكم برة
وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى • اريناه بصرناه او عرفناه صحتها ويقناه بها وانما كذب
لظلمه كقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا وقوله لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض
بصائر وفي قوله تعالى آياتنا كلها وجهان احدهما ان يحذى بها التعريف للاضافة حذو التعريف باللام لو قيل الآيات
كلها اعني انها كانت لا تعطي الا تعريف العهد والاشارة الى الآيات المعلومة التي هي تسع الآيات المختصة بموسى عليه السلام
العصا واليد وفلق البحر والحجر والجراد والقمل والضفادع والدم ونتق الجبل • والثاني ان يكون موسى قد اراه آياته
وعدد عليه ما اوتيه غيره من الانبياء من آياتهم ومعجزاتهم وهو نبي صادق لا فرق بين ما يخبر عنه وبين ما يشاهد به فكذبها
جميعا وابى ان يقبل شيئا منها وقيل فكذب الآيات وابى قبول الحق • قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا
بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى • يلوح من جيب قوله اجئتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك ان فرائصه كانت ترعد خوفا
مما جاء به موسى لعلمه وايقانه انه على الحق وان المحق لو اراد قود الجبال لانقادت وان مثله لا يخذل ولا يقل ناصره
وانه غالبه على ملكه لا محالة وقوله بسحرك تعلل وتحير والا فكيف يخفى عليه ان ساحرا لا يقدر ان يخرج ملكا مثله من ارضه
ويغلبه على ملكه بالسحر • فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ
وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى • قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى • فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ
فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى • لا يخلو الموعد في قوله اجعل بيننا وبينك موعدا من ان يجعل زمانا او مكانا او مصدرا
فان جعلته زمانا نظرا الى ان قوله موعدكم يوم الزينة مطابق له لزمك شيئان ان تجعل الزمان مخلفا وان يعضل
عليك ناصب مكانا وان جعلته مكانا لقوله مكانا سوى لزمك ايضا ان توقع الاخلاف على المكان وان لا يطابق قوله
موعدكم يوم الزينة وقراءة الحسن غير مطابقة له مكانا وزمانا جميعا لانه قرأ يوم الزينة بالنصب فبقي ان
يجعل مصدرا بمعنى الوعد ويقدر مضاف محذوف اي مكان موعد ويجعل الضمير في نخلفه للموعد ومكانا بدل من المكان
المحذوف فان قلت فكيف طابقه قوله موعدكم يوم الزينة اي مكان بعينه مشتهر باجتماعهم فيه في ذلك اليوم
فبذكر الزمان علم المكان واما قراءة الحسن فالموعد فيها مصدر لا غير والمعنى انجاز وعدكم يوم الزينة وطباق هذا
من طريق المعنى ويجوز ان لا يقدر مضاف محذوف ويكون المعنى اجعل بيننا وبينك وعدا لا نخلفه فان قلت
فبم ينتصب مكانا قلت بالمصدر او بفعل يدل عليه المصدر فان قلت فكيف يطابقه الجواب قلت
اما على قراءة الحسن فظاهر واما على قراءة العامة فعلى تقدير وعدكم وعد يوم الزينة ويجوز على قراءة الحسن ان
يكون موعدكم مبتدأ بمعنى الوقت وضحى خبره على نية التعريف فيه لانه ضحى ذلك اليوم بعينه وقيل في يوم الزينة
يوم عاشوراء او يوم النيروز او يوم عيد كان لهم في كل عام ويوم كانوا يتخذون فيه سوقا ويتزينون ذلك اليوم
وقرئ نخلفه بالرفع على الوصف للموعد وبالجزم على جواب الامر وقرئ سوى وسوى بالكسر والضم منونا وغير منون
ومعناه منصفا بيننا وبينك عن مجاهد وهو من الاستواء لان المسافة من الوسط الى الطرفين مستوية لا تفاوت
فيها ومن لم ينون فوجهه ان يجري الوصل مجرى الوقف وقرئ وان تحشر الناس بالتاء والياء يريد وان تحشر يا فرعون

ولا بد ان تجعله زمانا والسؤال واقع عن المكان لا عن الزمان قلت هو مطابق معنى وان لم يطابق لفظا لانهم لا بد ان يجتمعوا يوم الزينة صح

وان يحشر اليوم ويجوز ان يكون فيه ضمير فرعون ذكره بلفظ الغيبة اما على العادة التي يخاطب بها الملوك او خاطب
القوم بقوله موعدكم وجعل يحشر لفرعون ومحل ان يحشر الرفع او الجر عطفا على اليوم او الزينة وانما واعدهم ذلك اليوم
ليكون علو كلمة الله وظهور دينه وكبت الكافر وزهوق الباطل على رؤس الاشهاد وفي المجمع الغاص لتقوى رغبة من
رغب في اتباع الحق ويكل حد المبطلين واشياعهم ويكثر المحدث بذلك الامر العلم في كل بدو وحضر ويشيع في جميع
اهل الوبر والمدر • قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد
خاب من افترى • فتنازعوا امرهم بينهم واسروا النجوى • لا تفتروا على الله كذبا اي
لا تدعوا آياته ومعجزاته سحرا • قرئ فيسحتكم والسحت لغة اهل الحجاز والاسحات لغة اهل نجد وبني تميم ومنه
قول الفرزدق • الا مسحتا او مجلف • في بيت لا تزال الركب تصطك في تسوية اعرابه • عن ابن عباس رضه
ان نجويهم ان غلبنا موسى اتبعناه وعن قتادة ان كان ساحرا فسنغلبه وان كان من السماء فله امر وعن
وهب لما قال ويلكم الآية قالوا ما هذا بقول ساحر والظاهر انهم تشاوروا في السر وتجاذبوا اهداب القول ثم
قالوا ان هذان لساحران فكانت نجويهم في تلفيق هذا الكلام وتزويره خوفا من غلبتهما وتثبيطا للناس عن اتباعهما
قالوا ان هذين لساحران يريدان ان يخرجاكم من ارضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم
المثلى • قرأ ابو عمرو ان هذين لساحران على الجهة الظاهرة المكشوفة وابن كثير وحفص ان هذان
لساحران على لغة بلحرث بن كعب جعلوا الاسم المثنى نحو الاسماء التي آخرها الف كعصا وسعدى فلم يقلبوها
ياء في الجر والنصب • وقال بعضهم ان بمعنى نعم ولساحران خبر مبتدأ محذوف واللام داخلة على الجملة تقديره
لهما ساحران وقد اعجب به ابو اسحق • سموا مذهبهم الطريقة المثلى والسنة الفضلى وكل حزب بما لديهم فرحون
وقيل ارادوا اهل طريقتهم المثلى وهم بنو اسرائيل وقيل ارادوا اهل طريقتهم وهم بنو اسرائيل لقول موسى ارسل معنا
بني اسرائيل • وقيل الطريقة اسم لوجوه الناس واشرافهم الذين هم قدوة لغيرهم يقال هم طريقة قومهم ويقال للواحد
ايضا هو طريقة قومه • فاجمعوا كيدكم ثم ائتوا صفا وقد افلح اليوم من استعلى • قالوا
يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون اول من القى • قال بل القوا فاذا حبالهم وعصيهم
يخيل اليه من سحرهم انها تسعى • فاجمعوا كيدكم يعضده قوله فجمع كيده وقرئ فاجمعوا كيدكم اي ازمعوه
واجعلوه مجمعا عليه حتى لا تختلفوا ولا يتخلف عنه واحد منكم كالمسألة المجمع عليها امروا بان ياتوا صفا لانه اهيب في صدور
الرائين • وروي انهم كانوا سبعين الفا مع كل واحد منهم حبل وعصا وقد اقبلوا اقبالة واحدة • وعن ابي عبيدة انه
فسر الصف بالمصلى لان الناس يجتمعون فيه لعيدهم وصلواتهم مصطفين ووجه صحته ان يقع علما لمصلى بعينه فامروا بان
ياتوه او يراد ائتوا مصلى من المصليات • وقد افلح اليوم من استعلى اعتراض يعني وقد فاز من غلب • ان مع ما بعده
منصوب بفعل مضمر او مرفوع بانه خبر مبتدأ محذوف معناه اختر احد الامرين او الامر القاؤك او القاؤنا وهذا التخيير
منهم استعمال ادب حسن معه وتواضع له وخفض جناح وتنبيه على اعطائهم النصفة من انفسهم وكان الله عز وعلا الهمهم ذلك
وعلم موسى عليه السلام اختيار القائهم اولا مع ما فيه من مقابلة ادب بادب حتى يبرزوا ما معهم من مكائد السحر ويستنفدوا
اقصى طوقهم ومجهودهم فاذا فعلوا اظهر الله تعالى سلطانه وقذف بالحق على الباطل فدمغه وسلط المعجزة على السحر فمحقته وكانت
آية للناظرين وعبرة بينة للمعتبرين • يقال في اذا هذه اذا المفاجاة والتحقيق فيها انها اذا الكائنة بمعنى الوقت الطالبة
ناصبا لها وجملة تضاف اليها خصت في بعض المواضع بان يكون ناصبها فعلا مخصوصا وهو فعل المفاجاة والجملة ابتدائية
لا غير فتقدير قوله فاذا حبالهم وعصيهم والمعنى على مفاجاة حبالهم وعصيهم مخيلة اليه السعي • وقرئ وعصيهم بالضم
وهو الاصل والكسر اتباع ونحوه دلي ودلي وقسي وقسي • وقرئ تخيل على اسناده الى ضمير الحبال والعصي وابدال قوله
انها تسعى من الضمير بدل الاشتمال كقولك اعجبني زيد كرمه وتخيل على كون الحبال والعصي مخيلة سعيها وتخيل بمعنى تتخيل
وطريقه طريق تخيل ويخيل على ان الله تعالى هو المخيل للمحنة والابتلاء • يروى انهم لطخوها بالزيبق فلما ضربت عليها الشمس
اضطربت واهتزت فخيلت ذلك • فاوجس في نفسه خيفة موسى • قلنا لا تخف انك انت
الاعلى • والق ما في يمينك تلقف ما صنعوا انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر

حيث

حيث اتى • فالقي السحرة سجدا قالوا آمنا برب هرون وموسى • ايجاس الخوف اضمار شيء منه
وكذلك توجس الصوت تسمع نبأة يسيرة منه وكان ذلك لطبع الجبلة البشرية وانه لا يكاد يمكن الخلو من مثله وقيل
خاف ان يخالج الناس شك فلا يتبعوه • انك انت الاعلى فيه تقرير لغلبته وقهره وتوكيد بالاستيناف وبكلمة التشديد
وبتكرير الضمير وبلام التعريف وبلفظ العلو وهو الغلبة الظاهرة وبالتفضيل • وقوله تعالى ما في يمينك ولم يقل عصاك جائز
ان يكون تصغيرا لها اي لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم والق العويد الفرد الصغير الجرم الذي في يمينك فانه بقدرة الله
يتلقفها على وحدته وكثرتها وصغره وعظمها • وجائز ان يكون تعظيما لها اي لا تحتفل بهذه الاجرام الكبيرة الكثيرة فان
في يمينك شيئا اعظم منها كلها وهذه على كثرتها اقل شيء وانزره عنده فالقه يتلقفها باذن الله تعالى ويمحقها • وقرئ
تلقف بالرفع على الاستيناف او على الحال اي القها متلقفة • وقرئ تلقف بالتخفيف • صنعوا ههنا بمعنى زوروا
وافتعلوا كقوله تعالى تلقف ما يافكون • قرئ كيد ساحر بالرفع والنصب فمن رفع فعلى ان ما موصولة ومن نصب فعلى
انها كافة • وقرئ كيد سحر بمعنى ذي سحر او ذوي سحر او هم لتوغلهم في سحرهم كانهم السحر بعينه وبذاته او بين الكيد لانه
يكون سحرا وغير سحر كما تبين المائة بدرهم ونحوه علم فقه وعلم نحو • فان قلت لم وحد ساحر ولم يجمع • قلت
لان القصد في هذا الكلام الى معنى الجنسية لا الى معنى العدد فلو جمع لخيل ان المقصود هو العدد الا ترى الى قوله ولا
يفلح الساحر اي هذا الجنس • فان قلت فلم نكر اولا وعرف ثانيا • قلت انما نكر من اجل تنكير المضاف
لا من اجل تنكيره في نفسه كقول العجاج • في سعي دنيا طالما قد مدت • وفي حديث عمر رضي الله عنه لا في امر دنيا ولا في
امر آخرة • المراد تنكير الامر كانه قيل انما صنعوا كيد سحري وفي سعي دنيوي وامر دنيوي واخروي • حيث اتى كقولهم
حيث سير واية سلك واينما كان • سبحان الله ما اعجب امرهم قد القوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود ثم القوا
رؤسهم بعد ساعة للشكر والسجود فما اعظم الفرق بين الالقائين • وروي انهم لم يرفعوا رؤسهم حتى راوا
الجنة والنار وراوا ثواب اهلها • وعن عكرمة لما خروا سجدا اراهم الله تعالى في سجودهم منازلهم التي يصيرون
اليها في الجنة • قال آمنتم له قبل ان آذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر فلاقطعن ايديكم
وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم في جذوع النخل ولتعلمن اينا اشد عذابا وابقى • قالوا
لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما انت قاض انما تقضي هذه
الحيوة الدنيا • انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما اكرهتنا عليه من السحر والله خير وابقى •
لكبيركم لعظيمكم يريد انه اسحرهم واعلاهم درجة في صناعتهم او لمعلمكم من قول اهل مكة للمعلم امرني كبيري وقال لي كبيري
كذا يريدون معلمهم واستاذهم في القرآن وفي كل شيء • وقرئ فلاقطعن ولاصلبن بالتخفيف • والقطع من خلاف
ان تقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى لان كل واحد من العضوين خالف الآخر بان هذا يد وذاك رجل وهذا يمين وذاك
شمال ومن لابتداء الغاية لان القطع مبتدأ وناشئ من مخالفة العضو العضو لا من وفاقه اياه ومحل الجار
والمجرور النصب على الحال اي لاقطعنها مختلفات لانها اذا خالف بعضها بعضا فقد اتصفت بالاختلاف وشبه
تمكن المصلوب في الجذع بتمكن الشيء الموعى في وعائه فلذلك قيل في جذوع النخل • اينا يريد نفسه لعنه الله وموسى صلوات
الله عليه بدليل قوله آمنتم له واللام مع الايمان في كتاب الله تعالى لغير الله كقوله يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين وفيه
نفاجة باقتداره وقهره وما الفه وضري به من تعذيب الناس بانواع العذاب وتوضيع لموسى عليه السلام واستضعاف
له مع الهزء به لان موسى لم يكن قط من التعذيب في شيء • والذي فطرنا عطف على ما جاءنا او قسم • وقرئ تقضى هذه
الحيوة الدنيا ووجهها ان الحيوة في القراءة المشهورة منتصبة على الظرف فاتسع في الظرف باجرائه مجرى المفعول به
كقولك في صمت يوم الجمعة صيم يوم الجمعة • انه من يات ربه مجرما فان له جهنم لا يموت فيها ولا
يحيى • ومن ياته مؤمنا قد عمل الصالحات فاولئك لهم الدرجات العلى • جنات عدن
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى • روي ان السحرة يعني رؤسهم
كانوا اثنين وسبعين الاثنان من القبط والسائر من بني اسرائيل وكان فرعون اكرههم على تعلم السحر • وروي انهم
قالوا لفرعون ارنا موسى نائما ففعل فوجدوه تحرسه عصاه فقالوا ما هذا بسحر الساحر اذا نام بطل سحره فابى الا ان

[Margin notes:]
اوله: … زمان يا ابن مروان لم يدع من المال الا مسحتا او مجلف ه
الزيبق … بخط المصنف ه
قبله: يوم ترى النفوس ما اعدت في سعي دنيا طالما قد مدت ه

تزكى تطهر من ادناس الذنوب وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال لا اله الا الله قيل في هذه الآيات الثلاث من حكاية قولهم وقيل خبر من الله تعالى لا على وجه الحكاية • ولقد اوحينا الى موسى ان اسر بعبادي فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى • فاتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم واضل فرعون قومه وما هدى • فاضرب لهم طريقا فاجعل لهم من قولهم ضرب له في ماله سهما وضرب اللبن عمله اليبس مصدر وصف به يقال يبس يبسا ويبسا ونحوهما العدم والعدم ومن ثمة وصف به المؤنث فقيل شاتنا يبس وناقتنا يبس اذا جف لبنها وقرئ يبسا ويابسا ولا يخلو اليبس من ان يكون مخففا عن اليبس او وصفا على فعل او جمع يابس كصاحب وصحب وصف به الواحد تأكيدا كقوله ومعا جياعا جعله لفرط جوعه كجماعة جياع لا تخاف حال من الضمير في فاضرب وقرئ لا تخف على الجواب وقرأ ابو حيوة دركا بالسكون والدرك والدرك اسمان من الادراك اي لا يدركك فرعون وجنوده ولا يلحقونك في ولا تخشى اذا قرئ لا تخف ثلاثة اوجه ان يستأنف كأنه قيل وانت لا تخشى اي ومن شأنك انك آمن لا تخشى وان لا تكون الالف المنقلبة عن الياء التي هي لام الفعل ولكن زائدة للاطلاق من اجل الفاصلة كقوله فاضلونا السبيلا وتظنون بالله الظنونا وان يكون مثل قوله كأن لم ترى قبلي اسيرا يمانيا • ما غشيهم من باب الاختصار ومن جوامع الكلم التي تستقل مع قلتها بالمعاني الكثيرة اي غشيهم ما لا يعلم كنهه الا الله تعالى وقرئ فغشاهم من اليم ما غشاهم والتغشية التغطية وفاعل غشاهم اما الله سبحانه وتعالى او ما غشاهم او فرعون لانه هو الذي ورط جنوده وتسبب لهلاكهم وقوله وما هدى تهكم به في قوله وما اهديكم الا سبيل الرشاد • يا بني اسرائيل قد انجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور الايمن ونزلنا عليكم المن والسلوى • يا بني اسرائيل خطاب لهم بعد انجائهم من البحر واهلاك آل فرعون وقيل للذين كانوا منهم في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الله عليهم بما فعل بآبائهم والوجه هو الاول اي قلنا يا بني اسرائيل وحذف القول كثير من القرآن وقرئ انجيتكم الى رزقتكم وعلى لفظ الوعد والمواعدة وقرئ الايمن بالجر على الجوار نحو جحر ضب خرب ذكرهم النعمة في نجاتهم وهلاك عدوهم وفيما واعد موسى عليه السلام من المناجاة بجانب الطور وكتب التوراة في الالواح وانما عدى المواعدة اليهم لانها لابستهم واتصلت بهم حيث كانت لنبيهم ونقبائهم واليهم رجعت منافعها التي قام بها دينهم وشرعهم وفيما افاض عليهم من سائر نعمه وارزاقه • كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى • طغيانهم في النعمة ان يتعدوا حدود الله فيها بان يكفروها ويشغلهم اللهو والتنعم عن القيام بشكرها وان ينفقوها في المعاصي وان يزووا حقوق الفقراء فيها وان يسرفوا في انفاقها وان يبطروا فيها ويأشروا ويتكبروا وقرئ فيحل ومن يحلل المكسور في معنى الوجوب من حل الدين يحل اذا وجب اداؤه ومنه قوله عز وجل حتى يبلغ الهدي محله والمضموم في معنى النزول وغضب الله تعالى عقوباته ولذلك وصف بالنزول هوى هلك واصله ان يسقط من جبل فيهلك قالت هوى من رأس مرقبة ففتت تحتها كبده ويقولون هوت امه اي سقط سقوطا لا نهوض بعده • واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى • وما اعجلك عن قومك يا موسى • قال هم اولاء على اثري وعجلت اليك رب لترضى • الاهتداء هو الاستقامة والثبات على الهدى المذكور وهو التوبة والايمان والعمل الصالح ونحوه قوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا وكلمة التراخي دلت على تباين المنزلتين دلالتها على تباين الوقتين في جاءني زيد ثم عمرو اعني ان منزلة الاستقامة على الخير مباينة لمنزلة الخير نفسه لانها اعلى منها وافضل وما اعجلك اي شيء اعجلك عنهم على سبيل الانكار وكان قد مضى مع النقباء الى الطور على الموعد المضروب ثم تقدمهم شوقا الى كلام ربه وتنجز ما وعد به بناء على اجتهاده وظنه ان ذلك اقرب الى رضى الله تعالى وزل عنه انه عز وجل ما وقت افعاله الا نظرا الى دواعي الحكمة وعلما بالمصالح المتعلقة بكل وقت فالمراد بالقوم النقباء وليس لقول من جوز ان يراد جميع قومه وان يكون قد فارقهم قبل الميعاد وجه صحيح يأباه قوله هم اولاء على اثري وعن ابي عمرو ويعقوب اثري بالكسر وعن عيسى بن عمر اثري بالضم وعنه ايضا اولى بالقصر والاثر افصح من الاثر واما الاثر فمسموع في فرند السيف مدون في الاصول يقال

اثر السيف واثره وهو بمعنى الاثر غريب • فان قلت ما اعجلك سؤال عن سبب العجلة فكان الذي ينطبق عليه من الجواب ان يقال طلب زيادة رضاك او الشوق الى كلامك وتنجز موعدك وقوله هم اولاء على اثري كما ترى غير منطبق عليه • قلت قد تضمن ما واجهه به رب العزة شيئين احدهما انكار العجلة في نفسها والثاني السؤال عن سبب المستنكر والحامل عليه فكان اهم الامرين الى موسى بسط العذر وتمهيد العلة في نفس ما انكر عليه فاعتل بانه لم يوجد مني الا تقدم يسير مثله لا يعتد به في العادة ولا يحتفل به وليس بيني وبين من سبقته الا مسافة قريبة يتقدم بمثلها الوفد رأسهم ومقدمهم ثم عقبه بجواب السؤال عن السبب فقال وعجلت اليك رب لترضى ولقائل ان يقول حار لما ورد عليه من التهيب لعتاب الله تعالى فاذهله ذلك عن الجواب المنطبق المرتب على حدود الكلام • قال فانا قد فتنا قومك من بعدك واضلهم السامري • اراد بالقوم المفتونين الذين خلفهم مع هرون وكانوا ستمائة الف ما نجا من عبادة العجل منهم الا اثنا عشر الفا • فان قلت في القصة انهم اقاموا بعد مفارقته عشرين ليلة وحسبوها اربعين مع ايامها وقالوا قد اكملنا العدة ثم كان امر العجل بعد ذلك فكيف التوفيق بين هذا وبين قوله تعالى لموسى عند مقدمه انا قد فتنا قومك • قلت قد اخبر الله تعالى عن الفتنة المترقبة بلفظ الموجود الكائن على عادته او افترص السامري غيبته فعزم على اضلالهم غب انطلاقه واخذ في تدبير ذلك فكان بدء الفتنة موجودا وقرئ واضلهم السامري اي وهو اشدهم ضلالا لانه ضال مضل وهو منسوب الى قبيلة من بني اسرائيل يقال لها السامرة وقيل السامرة قوم من اليهود يخالفونهم في بعض دينهم وقيل كان من اهل باجرما وقيل كان علجا من كرمان واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا قد اظهر الاسلام وكان من قوم يعبدون البقر • فرجع موسى الى قومه غضبان اسفا قال يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا افطال عليكم العهد ام اردتم ان يحل عليكم غضب من ربكم فاخلفتم موعدي • الاسف الشديد الغضب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في موت الفجاءة رحمة للمؤمنين واخذة اسف للكافر وقيل الحزين • فان قلت متى رجع الى قومه • قلت بعدما استوفى الاربعين ذا القعدة وعشر ذي الحجة وعدهم الله تعالى ان يعطيهم التوراة التي فيها هدى ونور ولا وعد احسن من ذلك واجمل حكي لنا انها كانت الف سورة كل سورة الف آية يحمل اسفارها سبعون جملا العهد الزمان يريد مدة مفارقته لهم يقال طال عهدي بك اي طال زماني بسبب مفارقتك وعدوه ان يقيموا على امره وما تركهم عليه من الايمان فاخلفوا موعده بعبادتهم العجل • قالوا ما اخلفنا موعدك بملكنا ولكنا حملنا اوزارا من زينة القوم فقذفناها فكذلك القى السامري • بملكنا قرئ بالحركات الثلاث اي ما اخلفنا موعدك بان ملكنا امرنا اي لو ملكنا امرنا وخلينا ورأينا لما اخلفناه ولكن غلبنا من جهة السامري وكيده • حملنا احمالا من حلي القبط التي استعرناها منهم او ارادوا بالاوزار انها آثام وتبعات لانهم كانوا معهم في حكم المستأمنين في دار الحرب وليس للمستأمن ان يأخذ مال الحربي على ان الغنائم لم تكن تحل حينئذ فقذفناها في نار السامري التي اوقدها في الحفرة وامرنا ان نطرح فيها الحلي وقرئ حملنا فكذلك القى السامري اراهم انه يلقي حليا في يده مثل ما القوا وانما القى التربة التي اخذها من موطئ حيزوم فرس جبريل عليه السلام اوحى اليه وليه الشيطان انها اذا خالطت مواتا صار حيوانا • فاخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا الهكم واله موسى فنسي • فاخرج لهم السامري من الحفرة عجلا خلقه الله من الحلي التي سبكتها النار يخور كما تخور العجاجيل • فان قلت كيف اثرت تلك التربة في احياء الموات • قلت اما يصح ان يؤثر الله سبحانه وتعالى روح القدس بهذه الكرامة الخاصة كما آثره بغيرها من الكرامات وهي ان يباشر فرسه بحافره تربة اذا لاقت تلك التربة جمادا انشاه الله تعالى ان شاء عند مباشرته حيوانا الا ترى كيف انشأ المسيح من غير اب عند نفخه في الدرع • فان قلت فلم خلق الله العجل من الحلي حتى صار فتنة لبني اسرائيل وضلالا • قلت ليس باول محنة محن الله تعالى بها عباده ليثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ومن عجب من خلق العجل فليكن من خلق ابليس اعجب والمراد بقوله انا قد فتنا قومك هو خلق العجل للامتحان اي امتحناهم بخلق العجل وحملهم السامري على الضلال واوقعهم فيه حين قال لهم

هذا الهكم واله موسى فنسى اى فنسى موسى ان يطلبه هٰهنا وذهب يطلبه عند الطور او فنسى السامرى اى ترك ما كان
عليه من الايمان الظاهر • افلا يرون الا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا • ولقد
قال لهم هرون من قبل يا قوم انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعوني واطيعوا امري
قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى • يرجع من رفعه فعلى ان ان مخففة من
الثقيلة ومن نصب فعلى انها الناصبة للافعال من قبل ان يقول لهم السامرى ما قال كانهم اول ما وقعت عليه ابصارهم
حين طلع من الحفرة افتتنوا به واستحسنوه فقبل ان ينطق السامرى بادرهم هرون عليه السلام بقوله انما فتنتم
به وان ربكم الرحمن • قال يا هرون ما منعك اذ رايتهم ضلوا الا تتبعن افعصيت امري
لا مزيدة والمعنى ما منعك ان تتبعني في الغضب لله وشدة الزجر على الكفر والمعاصي وهلا قاتلت من كفر بمن
آمن وما لك لم تباشر الامر كما كنت اباشره انا لو كنت شاهدا او ما لك لم تلحقني • قال يا ابن ام لا تاخذ
بلحيتي ولا براسي اني خشيت ان تقول فرقت بين بني اسرائيل ولم ترقب قولي • قرئ بلحيتي بفتح
اللام وهي لغة اهل الحجاز كان موسى عليه السلام رجلا حديدا مجبولا على الحدة والخشونة والتصلب في كل شيء شديد
الغضب لله ولدينه فلم يتمالك حين راى قومه يعبدون عجلا من دون الله تعالى بعد ما راوا من الآيات العظام
ان القى الواح التوراة لما غلب ذهنه من الدهشة العظيمة غضبا لله واستنكافا وحمية وعنف باخيه وخليفته
على قومه فاقبل عليه اقبال العدو المكاشف قابضا على شعر راسه وكان افرع وعلى شعر وجهه يجره اليه اي لو
قاتلت بعضهم ببعض لتفرقوا وتفانوا فاستانيتك ان تكون انت المتدارك بنفسك المتلافي برايك
وخشيت عتابك على اطراح ما وصيتني به من ضم النشر وحفظ الدهماء ولم يكن لي بد من رقبة وصيتك
والعمل على موجبها • قال فما خطبك يا سامري • الخطب مصدر خطب الامر اذا طلبه فاذا قيل
لمن يفعل شيئا ما خطبك فمعناه ما طلبك له • قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة
من اثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لي نفسي • قرئ بصرت بما لم تبصروا به بالكسر والمعنى علمت بما لم
تعلموه وفطنت لما لم تفطنوا له وقرا الحسن قبضة بضم القاف وهي اسم المقبوض كالغرفة والمضغة واما القبضة
فالمرة من القبض واطلاقها على المقبوض من تسمية المفعول بالمصدر كضرب الامير وقرا ايضا فقبصت قبصة بالصاد
الضاد بجميع الكف والصاد باطراف الاصابع ونحوهما الخضم والقضم الخاء بجميع الفم والقاف بمقدمه قرا ابن مسعود
من اثر فرس الرسول **فان قلت** لم سماه الرسول دون جبريل وروح القدس **قلت** حين حل ميعاد الذهاب
الى الطور ارسل الله تعالى الى موسى جبريل راكب حيزوم فرس الحيوة ليذهب به فابصره السامري فقال ان لهذا
شانا فقبض قبضة من تربة موطئه فلما ساله موسى عن قصته قال قبضت من اثر فرس المرسل اليك يوم حلول
الميعاد ولعله لم يعرف انه جبريل • قال فاذهب فان لك في الحيوة ان تقول لا مساس وان
لك موعدا لن تخلفه وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا
عوقب في الدنيا بعقوبة لا شيء اطم منها واوحش وذلك انه منع من مخالطة الناس منعا كليا وحرم عليهم ملاقاته ومكالمته
ومبايعته ومواجهته وكل ما يعايش به الناس بعضهم بعضا واذا اتفق ان يماس احدا رجلا او امراة حم الماس والممسوس
فتحامى الناس وتحاموه وكان يصيح لا مساس وعاد في الناس اوحش من القاتل اللاجي الى الحرم ومن الوحشي النافر في
البرية ويقال ان قومه باق فيهم ذلك الى اليوم وقرئ لا مساس بوزن فجار ونحوه قولهم في الظباء ان وردت الماء فلا
عباب وان فقدته فلا اباب وهي اعلام للمسة والعبة والابة وهي المرة من الاب وهو الطلب لن تخلفه اي لن يخلفكه
الله موعده الذي وعدك على الشرك والفساد في الارض ينجزه لك في الآخرة بعد ما عاقبك بذلك في الدنيا فانت
ممن خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين وقرئ لن تخلفه وهذا من اخلفت الموعد اذا وجدته خلفا قال
الاعشى • اثوى وقصر ليله ليزودا • فمضى واخلف من قتيلة موعدا • وعن ابن مسعود نخلفه بالنون اي لن يخلفه الله
كانه حكى قوله عز وجل كما مر في لاهب لك ظلت وظلت وظلت والاصل ظللت فحذفوا اللام الاولى ونقلوا
حركتها الى الظاء ومنهم من لم ينقل لنحرقنه ولنحرقنه ولنحرقنه وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه لنذبحنه ولنحرقنه

قرا ... [illegible] ... لا يبيتق
ولابه حتى ... [illegible]

ولنحرقنه

ولنحرقنه القراءتان من الاحراق وذكر ابو علي الفارسي في لنحرقنه انه يجوز ان يكون حرق مبالغة في حرق اذا برد
بالمبرد وعليه القراءة الثالثة وهي قراءة علي بن ابي طالب رضي الله عنه لننسفنه بكسر السين وضمها وهذه عقوبة
ثالثة وهو ابطال ما افتتن به وفتن واهدار سعيه وهدم مكره ومكر واذكر الله والله خير الماكرين • انما الهكم
الله الذي لا اله الا هو وسع كل شيء علما • قرا طلحة الله الذي لا اله الا هو الرحمن رب العرش
وسع كل شيء علما وعن مجاهد وقتادة وسع وجهه ان وسع متعد الى مفعول واحد وهو كل شيء واما علما فانتصابه
على التمييز وهو في المعنى فاعل فلما اثقل نقل الى التعدية الى مفعولين فنصبهما معا على المفعولية لان المميز فاعل في المعنى
كما تقول في خاف زيد عمرا خوفت زيد عمرا فترد بالنقل ما كان فاعلا مفعولا • كذلك نقص عليك من انباء
ما قد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكرا • الكاف في كذلك منصوب المحل وهذا موعد من الله عز وجل
لرسوله اي مثل ذلك الاقتصاص ونحو ما اقتصصنا عليك قصة موسى وفرعون نقص عليك من سائر اخبار الامم
وقصصهم واحوالهم تكثيرا لبيناتك وزيادة في معجزاتك وليعتبر السامع ويزداد المستبصر في دينه بصيرة وتتاكد الحجة
على من عاند وكابر وان هذا الذكر الذي آتيناك يعني القرآن مشتملا على هذه الاقاصيص والاخبار الحقيقة بالتفكر
والاعتبار لذكر عظيم وقرآن كريم فيه النجاة والسعادة لمن اقبل عليه ومن اعرض عنه فقد هلك وشقي • من اعرض
عنه فانه يحمل يوم القيمة وزرا • خالدين فيه وساء لهم يوم القيمة حملا •
يريد بالوزر العقوبة الثقيلة الباهظة سماها وزرا تشبيها في ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها بالحمل الذي
يفدح الحامل وينقض ظهره ويلقي عليه بهره او لانها جزاء الوزر وهو الاثم وقرئ يحمل جمع خالدين على المعنى
لان من مطلق متناول لغير معرض واحد وتوحيد الضمير في اعرض وما بعده للحمل على اللفظ ونحوه قوله تعالى ومن
يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها فيه اي في ذلك الوزر او في احتماله ساء في حكم بئس والضمير الذي فيه
يجب ان يكون مبهما يفسره حملا والمخصوص بالذم محذوف لدلالة الوزر السابق عليه تقديره ساء حملا وزرهم كما حذف
في قوله تعالى نعم العبد انه اواب اي ايوب الذي هو المخصوص بالمدح ومنه قوله تعالى وساءت مصيرا اي وساءت مصيرا جهنم
فان قلت اللام في لهم ما هي وبم تتعلق **قلت** هي للبيان كما في هيت لك **فان قلت** ما انكرت ان
يكون في ساء ضمير الوزر **قلت** لا يصح ان يكون في ساء وحكمه حكم بئس ضمير شيء بعينه غير مبهم **فان قلت**
فلا يكن ساء الذي حكمه حكم بئس ولكن ساء الذي منه قوله تعالى سيئت وجوه الذين كفروا بمعنى اهم واحزن **قلت**
كفاك صادا عنه ان يؤول كلام الله الى قولك واحزن الوزر لهم يوم القيمة حملا وذلك بعد ان تخرج عن عهدة هذه اللام
وعهدة هذا المنصوب • يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا • اسند النفخ الى
الآمر به فيمن قرا ننفخ بالنون ولان الملائكة المقربين واسرافيل منهم بالمنزلة التي هم بها من رب العزة فصح
لكرامتهم عليه وقربهم منه ان يسند ما يتولونه الى ذاته وقرئ ينفخ بلفظ ما لم يسم فاعله وينفخ ويحشر بالياء المفتوحة
على الغيبة والضمير لله تعالى او لاسرافيل عليه السلام واما يحشر المجرمون فلم يقرا به الا الحسن وقرئ في الصور بفتح الواو
جمع صورة وفي الصور قولان احدهما انه بمعنى الصور وهذه القراءة تدل عليه والثاني انه القرن قيل في الزرق قولان
احدهما ان الزرقة ابغض شيء من الوان العيون الى العرب لان الروم اعداؤهم وهم زرق العيون ولذلك قالوا في صفة
العدو اسود الكبد اصهب السبال ازرق العين والثاني ان المراد العمى لان حدقة من يذهب نور بصره تزراق •
يتخافتون بينهم ان لبثتم الا عشرا • نحن اعلم بما يقولون اذ يقول امثلهم طريقة ان
لبثتم الا يوما • يتخافتون لما يملأ صدورهم من الرعب والهول يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا اما لما يعاينون من
الشدائد التي تذكرهم ايام النعمة والسرور فيتاسفون عليها ويصفونها بالقصر لان ايام السرور قصار واما لانها ذهبت
عنهم وتقضت والذاهب وان طالت مدته قصير بالانتهاء ومنه توقيع عبد الله بن المعتز تحت اطال الله بقاءك
كفى بالانتهاء قصرا واما لاستطالتهم الآخرة وانها ابد سرمد يستقصر اليها عمر الدنيا ويتقال لبث اهلها فيها بالقياس
الى لبثهم في الآخرة وقد استرجح الله تعالى قول من يكون اشد تقالا منهم في قوله تعالى اذ يقول امثلهم طريقة ان لبثتم الا
يوما ونحوه قوله تعالى قال كم لبثتم في الارض عدد سنين قالوا لبثنا يوما او بعض يوم فاسال العادين وقيل المراد لبثهم

في القبور ويقصده قوله عز وجل ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون وقال الذين
أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث ● ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها
ربي نسفا ● فيذرها قاعا صفصفا ● لا ترى فيها عوجا ولا أمتا ● ينسفها يجعلها
كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها كما يذري الطعام فيذرها أي فيذر مقارها ومراكزها أو يجعل الضمير للأرض
وإن لم يجر لها ذكر كقوله تعالى ما ترك على ظهرها من دابة **فإن قلت** قد فرقوا بين العوج والعوج فقالوا
العوج بالكسر في المعاني والعوج بالفتح في الأعيان والأرض عين فكيف صح فيها المكسور العين **قلت**
اختيار هذا اللفظ له موقع حسن بديع في وصف الأرض بالاستواء والملاسة ونفي الاعوجاج عنها على أبلغ ما يكون
وذلك أنك لو عمدت إلى قطعة أرض فسويتها وبالغت في التسوية على عينك وعيون البصراء من الفلاحة واتفقتم
على أنه لم يبق فيها اعوجاج قط ثم استطلعت رأي المهندس فيها وأمرته أن يعرض استواءها على المقاييس الهندسية
لعثر فيها على عوج في غير موضع لا يدرك ذلك بحاسة البصر ولكن بالقياس الهندسي فنفى الله عز وعلا ذلك العوج الذي
دق ولطف عن الإدراك اللهم إلا بالقياس الذي يعرفه صاحب التقدير والهندسة وذلك الاعوجاج لما لم يدرك إلا
بالقياس دون الإحساس لحق بالمعاني فقيل فيه عوج بالكسر الأمت النتو اليسير يقال مد حبله حتى ما فيه أمت
يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا
أضاف اليوم إلى وقت نسف الجبال في قوله يومئذ أي يوم إذ نسفت ويجوز أن يكون بدلا بعد بدل من يوم القيمة
والمراد الداعي إلى المحشر قالوا هو إسرافيل قائما على صخرة بيت المقدس يدعو الناس فيقبلون من كل أوب إلى
صوته لا يعدلون لا عوج له أي لا يعوج له مدعو بل يستوون إليه من غير انحراف متبعين لصوته أي خفضت الأصوات
من شدة الفزع وخفتت فلا تسمع إلا همسا وهو الركز الخفي ومنه الحروف المهموسة وقيل هو من همس الإبل وهو
صوت أخفافها إذا مشت أي لا تسمع إلا خفق الأقدام ونقلها إلى المحشر ● يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا
من أذن له الرحمن ورضي له قولا ● يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما
من يصلح أن يكون مرفوعا ومنصوبا فالرفع على البدل من الشفاعة بتقدير حذف المضاف أي لا تنفع الشفاعة إلا
شفاعة من أذن له الرحمن والنصب على المفعولية ومعنى أذن له ورضي له لأجله أي أذن للشافع ورضي قوله لأجله ونحو
هذه اللام اللام في قوله تعالى وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا إليه أي يعلم ما تقدمهم من الأحوال
وما يستقبلونه ولا يحيطون بمعلوماته علما ● وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلما
المراد بالوجوه وجوه العصاة وأنهم إذا عاينوا يوم القيمة الخيبة والشقوة وسوء الحساب صارت وجوههم عانية أي ذليلة
خاشعة مثل وجوه العناة وهم الأسارى ونحوه قوله تعالى فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا ووجوه يومئذ
باسرة وقوله تعالى وقد خاب وما بعده اعتراض كقولك خابوا وخسروا وكل من ظلم فهو خائب خاسر ● ومن يعمل من
الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما ● الظلم أن يأخذ من صاحبه فوق حقه والهضم أن يكسر
من حق أخيه فلا يوفيه له كصفة المطففين الذين إذا اكتالوا يستوفون ويسترجحون وإذا كالوا يخسرون أي فلا يخاف
جزاء ظلم ولا هضم لأنه لم يظلم ولم يهضم وقرئ فلا يخف على النهي ● وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا وصرفنا
فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا ● فتعالى ● الله الملك الحق
وكذلك عطف على كذلك نقص أي ومثل ذلك الإنزال وكما أنزلنا عليك هؤلاء الآيات المضمنة للوعيد أنزلنا القرآن
كله على هذه الوتيرة مكررين فيه آيات الوعيد ليكونوا بحيث يراد منهم ترك المعاصي أو فعل الخير والطاعة والذكر كما ذكرنا
يطلق على الطاعة والعبادة وقرئ نحدث وتحدث بالنون والتاء أي تحدث أنت وسكن بعضهم الثاء للتخفيف كما في
فاليوم أشرب غير مستحقب ● فتعالى الله الملك الحق استعظام له ولما يصرف عليه عباده من أوامره ونواهيه ووعده
ووعيده والإدارة بين ثوابه وعقابه على حسب أعمالهم وغير ذلك مما يجري عليه أمر ملكوته ● ولا تعجل بالقرآن
من قبل أن يقضى إليك وحيه وقل رب زدني علما ● ولما ذكر القرآن وإنزاله قال على سبيل
الاستطراد وإذا لقنك جبريل ما يوحى إليك من القرآن فتأن عليك ريثما يسمعك ويفهمك ثم أقبل عليه بالتحفظ

بعد ذلك

بعد ذلك ولا تكن قراءتك مساوقة لقراءته ونحوه قوله تعالى لا تحرك به لسانك لتعجل به وقيل معناه لا تبلغ ما كان
مجملا حتى يأتيك البيان وقرئ حتى نقضي إليك وحيه وقوله رب زدني علما متضمن للتواضع لله والشكر له عندما
علم من ترتيب التعلم أي علمتني يا رب لطيفة في باب التعلم وأدبا جميلا ما كان عندي فزدني علما إلى علم فإن لك
في كل شيء حكمة وعلما وقيل ما أمر الله تعالى رسوله بطلب الزيادة في شيء إلا في العلم ● ولقد عهدنا إلى آدم من قبل
فنسي ولم نجد له عزما ● يقال في أوامر الملوك ووصاياهم تقدم الملك إلى فلان وأوعز إليه وعزم عليه وعهد إليه
عطف الله سبحانه قصة آدم على قوله وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون والمعنى وأقسم قسما لقد أمرنا أباهم آدم
ووصيناه أن لا يقرب الشجرة وتوعدناه بالدخول في جملة الظالمين إن قربها وذلك من قبل وجودهم ومن قبل
أن نتوعدهم فخالف إلى ما نهي عنه وتوعد في ارتكابه مخالفتهم ولم يلتفت إلى الوعيد كما لا يلتفتون كأنه يقول إن
أساس أمر بني آدم على ذلك وعرقهم راسخ فيه **فإن قلت** ما المراد بالنسيان **قلت** يجوز أن يراد
النسيان الذي هو نقيض الذكر وأنه لم يعن بالوصية العناية الصادقة ولم يستوثق منها بعقد القلب عليها
وضبط النفس حتى تولد من ذلك النسيان وأن يراد الترك وأنه ترك ما وصي به من الاحتراس عن الشجرة وأكل
ثمرتها وقرئ فنسي أي نساه الشيطان والعزم التصميم والمضي على ترك الأكل وأن يتصلب في ذلك
تصلبا يؤيس الشيطان من التسويل له والوجود يجوز أن يكون بمعنى العلم ومفعولاه له عزما وأن يكون نقيض العدم
كأنه قال وعدمنا له عزما ● وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى
إذ منصوب بمضمر أي واذكر وقت ما جرى عليه من معاداة إبليس ووسوسته إليه وتزيينه له الأكل من الشجرة وطاعته
له بعد ما تقدمت معه النصيحة والموعظة البليغة والتحذير من كيده حتى يتبين لك أنه لم يكن من أولي العزم والثبات
فإن قلت إبليس كان جنيا بدليل قوله تعالى كان من الجن ففسق عن أمر ربه فمن أين تناوله الأمر وهو
للملائكة خاصة **قلت** كان في صحبتهم وكان يعبد الله تعالى عبادتهم فلما أمروا بالسجود لآدم والتواضع لكرامته
كان الجني الذي معهم أجدر بأن يتواضع كما لو قام لمقبل على المجلس علية أهله وسراتهم كان القيام على أحد منهم هو
دونهم في المنزلة أوجب حتى إن لم يقم عنف وقيل له قد قام فلان وفلان فمن أنت حتى تترفع عن القيام
فإن قلت فكيف صح استثناؤه وهو جني عن الملائكة **قلت** عمل على حكم التغليب في إطلاق اسم الملائكة
عليهم وعليه فأخرج الاستثناء على ذلك كقولك خرجوا إلا فلانة لامرأة بين الرجال أبى جملة مستأنفة كأنه جواب
قائل قال لم لم يسجد والوجه أن لا يقدر له مفعول وهو السجود المدلول عليه بقوله فسجدوا وأن يكون معناه أظهر الإباء
وتوقف وتثبط ● فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى
إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى ● وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى ● فلا يخرجنكما فلا يكونن
سببا لإخراجكما وإنما أسند إلى آدم وحده فعل الشقاء دون حواء بعد اشتراكهما في الخروج لأن في ضمن شقاء الرجل
وهو قيم أهله وأميرهم شقاءهم كما أن في ضمن سعادته سعادتهم فاختصر الكلام بإسناده إليه دونها مع المحافظة على
الفاصلة أو أريد بالشقاء التعب في طلب القوت وذلك معصوب برأس الرجل وهو راجع إليه وروي أنه أهبط
إلى آدم ثور أحمر فكان يحرث عليه ويمسح العرق من جبينه قرئ وإنك بالكسر والفتح ووجه الفتح العطف على أن لا تجوع
فإن قلت إن لا تدخل على أن فلا يقال إن أن زيدا منطلق والواو نائبة عن إن وقائمة مقامها فلم أدخلت
عليها **قلت** الواو لم توضع لتكون أبدا نائبة عن إن إنما هي نائبة عن كل عامل فلما لم تكن حرفا موضوعا للتحقيق خاصة
كإن لم يمتنع اجتماعهما كما امتنع اجتماع إن وأن الشبع والري والكسوة والكن هي الأقطاب التي يدور عليها كفاف
الإنسان فذكره استجماعها له في الجنة وأنه مكفي لا يحتاج إلى كفاية كاف ولا إلى كسب كاسب كما يحتاج إلى ذلك
أهل الدنيا وذكرها بلفظ النفي لنقائضها التي هي الجوع والعري والظمأ والضحو ليطرق سمعه بأسامي أصناف الشقوة
التي حذره منها حتى يتحامى السبب الموقع فيها كراهة لها ● فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم
هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ● **فإن قلت** كيف عدى وسوس تارة باللام
في قوله فوسوس لهما الشيطان وأخرى بإلى **قلت** وسوسة الشيطان كولولة الثكلى ووعوعة الذئب

ودقوقة الدجاجة في انها حكايات للاصوات وحكمها حكم صوت واجرس ومنه وسوس المبرسم وهو موسوس بالكسر والفتح لحن وانشد ابن الاعرابي وسوس يدعو مخلصا رب الفلق فاذا قلت وسوس له فمعناه لاجله كقوله اجرس لها يا ابن ابي كباش ومعنى وسوس اليه انهى اليه الوسوسة كقولك حدث اليه واسر اليه اضاف الشجرة الى الخلد وهو الخلود لان من اكل منها خلد بزعمه كما قيل لحيزوم فرس الحياة لان من باشر اثره حيي وملك لا يبلى دليل على قراءة الحسن بن علي وابن عباس رضي الله عنهم الا ان تكونا ملكين بالكسر

فاكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى

طفق يفعل كذا مثل جعل يفعل واخذ وانشأ وحكمها حكم كاد في وقوع الخبر فعلا مضارعا وبينها وبينه مسافة قصيرة هي للشروع في اول الامر وكاد لمشارفته والدنو منه وقرئ يخصفان للتكثير والتكرير من خصف النعل وهو ان يخرز عليها الخصاف اي يلزقان الورق بسوآتهما للتستر وهو ورق التين وقيل كان مدورا فصار على هذا الشكل من تحت اصابعهما وقيل كان لباسهما الظفر فلما اصابا الخطيئة نزع عنهما وتركت هذه البقايا في اطراف الاصابع عن ابن عباس لا شبهة في ان آدم صلوات الله وسلامه عليه لم يمتثل ما رسم الله تعالى له وتخطى فيه ساحة الطاعة وذلك هو العصيان ولما عصى خرج فعله من ان يكون رشدا وخيرا فكان غيا لا محالة لان الغي خلاف الرشد ولكن قوله وعصى آدم ربه فغوى بهذا الاطلاق وبهذا التصريح وحيث لم يقل وزل آدم واخطأ وما اشبه ذلك مما يعبر به عن الزلات والفرطات فيه لطف بالمكلفين ومزجرة بليغة وموعظة كافة فكانه قيل لهم انظروا واعتبروا كيف نعيت على النبي المعصوم حبيب الله تعالى الذي لا يجوز عليه الا اقتراف الصغيرة غير المنفرة زلته بهذه الغلظة وبهذا اللفظ الشنيع فلا تتهاونوا بما يفرط منكم من السيئات والصغائر فضلا ان تجسروا على التورط في الكبائر وعن بعضهم فغوى فبشم من كثرة الاكل وهذا وان صح على لغة من يقلب الياء المكسور ما قبلها الفا فيقول في فني وبقي فنا وبقا وهم بنو طي تفسير خبيث

ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى

فان قلت ما معنى ثم اجتباه ربه قلت ثم قبله بعد التوبة وقربه اليه من جبى الي كذا فاجتبيته نظيره جليت على العروس فاجتليتها ومنه قوله عز وجل واذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها اي هلا جبيت اليك فاجتبيتها واصل الكلمة الجمع ويقولون اجتبت الفرس نفسها اذا اجتمعت نفسها راجعة بعد النفار وهدى اي وفقه لحفظ التوبة وغيره من اسباب العصمة والتقوى

قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فاما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى

لما كان آدم وحوى عليهما السلام اصلي البشر والسببين اللذين منهما نشأوا وتفرعوا جعلا كانهما البشر في انفسهما فخوطبا مخاطبتهم فقيل فاما يأتينكم على لفظ الجماعة ونظيره اسنادهم الفعل الى السبب وهو في الحقيقة للمسبب هدى كتاب وشريعة وعن ابن عباس ضمن الله تعالى لمن اتبع القرآن ان لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة ثم تلا قوله تعالى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى والمعنى ان الشقاء في الآخرة هو عقاب من ضل في الدنيا عن طريق الدين فمن اتبع كتاب الله تعالى وامتثل اوامره وانتهى عن نواهيه نجا من الضلال ومن عقابه

ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيمة اعمى قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا

الضنك مصدر يستوي في الوصف به المذكر والمؤنث وقرئ ضنكى على فعلى ومعنى ذلك ان مع الدين التسليم والقناعة والتوكل على الله تعالى وعلى قسمته فصاحبه ينفق ما رزقه بسماح وسهولة فيعيش عيشا رافغا كما قال عز وجل فلنحيينه حيوة طيبة والمعرض عن الدين مستول عليه الحرص الذي لا يزال يطمح به الى الازدياد من الدنيا مسلط عليه الشح الذي يقبض يده عن الانفاق فعيشه ضنك وحاله مظلمة كما قال بعض المتصوفة لا يعرض احد عن ذكر ربه الا اظلم عليه وقته وتشوش عليه رزقه ومن الكفرة من ضرب الله عليه الذلة والمسكنة لكفره قال الله تعالى وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله وقال ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقال ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض وقال استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا وقال وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم

ماء غدقا وعن الحسن هو الضريع والزقوم في النار وعن ابي سعيد الخدري عذاب القبر وقرئ ونحشره بالجزم عطفا على محل فان له معيشة ضنكا لانه جواب الشرط وقرئ ونحشره بسكون الهاء على لفظ الوقف وهذا مثل قوله ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم عميا وبكما وصما وكما فسر الزرق بالعمى

قال كذلك اتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى

كذلك اي مثل ذلك فعلت انت ثم فسر بان آياتنا اتتك واضحة مستنيرة فلم تنظر اليها بعين المعتبر ولم تتبصر وعميت عنها فكذلك اليوم نتركك على عماك ولا نزيل غطاءه عن عينيك

وكذلك نجزي من اسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة اشد وابقى

لما توعد المعرض عن ذكره بعقوبتين المعيشة الضنك في الدنيا وحشره اعمى في الآخرة ختم آيات الوعيد بقوله ولعذاب الآخرة اشد وابقى كانه قال وللحشر على العمى الذي لا يزول ابدا اشد من ضيق العيش المنقضي او اراد ولتركنا اياه في العمى اشد وابقى من تركه لآياتنا

افلم يهد لهم كم اهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم ان في ذلك لآيات لاولي النهى

فاعل لم يهد الجملة بعده يريد الم يهد لهم هذا بمعناه ومضمونه ونظيره قوله تعالى وتركنا عليه في الآخرين سلام على نوح في العالمين اي تركنا عليه هذا الكلام ويجوز ان يكون فيه ضمير الله تعالى او الرسول ويدل عليه القراءة بالنون وقرئ يمشون يريد ان قريشا يتقلبون في بلاد عاد وثمود ويمشون في مساكنهم ويعاينون آثار هلاكهم

ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما واجل مسمى

الكلمة السابقة هي العدة بتأخير جزائهم الى الآخرة يقول لولا هذه العدة لكان مثل اهلاكنا عادا وثمود لازما لهؤلاء الكفرة واللزام اما مصدر لازم وصف به واما فعال بمعنى مفعل اي ملزم كانه آلة اللزوم لفرط لزومه كما قالوا لزاز خصم واجل مسمى لا يخلو من ان يكون معطوفا على كلمة او على الضمير في كان اي لكان الاخذ العاجل واجل مسمى لازمين له كما كانا لازمين لعاد وثمود ولم ينفرد الاجل المسمى دون الاخذ العاجل

فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح واطراف النهار لعلك ترضى

بحمد ربك في موضع الحال اي وانت حامد لربك على ان وفقك للتسبيح واعانك عليه والمراد بالتسبيح الصلوة او على ظاهره قدم الفعل على الاوقات اولا والاوقات على الفعل آخرا فكانه قال صل لله قبل طلوع الشمس يعني الفجر وقبل غروبها يعني الظهر والعصر لانهما واقعتان في النصف الاخير من النهار بين زوال الشمس وغروبها وتعمد آناء الليل واطراف النهار مختصا لها بصلوتك وذلك ان افضل الذكر ما كان بالليل لاجتماع القلب وهدو الرجل والخلو بالرب وقال الله عز وجل ان ناشئة الليل هي اشد وطأ واقوم قيلا وقال امن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما ولان الليل وقت السكون والراحة فاذا صرف الى العبادة كانت على النفس اشد واشق وللبدن اتعب وانصب فكان ادخل في معنى التكليف وافضل عند الله وقد تناول التسبيح في آناء الليل صلوة العتمة وفي اطراف النهار صلوة المغرب وصلوة الفجر على التكرار ارادة الاختصاص كما اختصت في قوله حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى عند بعض المفسرين فان قلت ما وجه قوله واطراف النهار على الجمع وانما هما طرفان كما قال اقم الصلوة طرفي النهار قلت الوجه امن الالباس وفي التثنية زيادة بيان ونظير مجيء الامرين في الآيتين مجيئهما في قوله ظهراهما مثل ظهور الترسين وقرئ واطراف النهار عطفا على آناء الليل ولعل للمخاطب اي اذكر الله في هذه الاوقات طمعا ورجاء ان تنال عند الله ما به ترضى نفسك ويسر قلبك وقرئ ترضى اي يرضيك ربك

ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحيوة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى

ولا تمدن عينيك اي نظر عينيك ومد النظر تطويله وان لا يكاد يرده استحسانا للمنظور اليه واعجابا به وتمنيا ان يكون له كما فعل نظارة قارون حين قالوا يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون انه لذو حظ عظيم حتى واجههم اولوا العلم والايمان بويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا وفيه ان النظر غير الممدود معفو عنه وذلك مثل نظر من باده الشيء بالنظر ثم غض الطرف ولما كان النظر الى الزخارف كالمركوز في الطباع وان من ابصر منها شيئا احب ان يمد اليه نظره ويملأ منه عينيه قيل ولا تمدن عينيك اي لا تفعل ما انت معتاد له وضار به ولقد شدد العلماء من اهل التقوى في وجوب غض البصر عن ابنية الظلمة

وعدد الفسقة من اللباس والمراكب وغير ذلك لانهم انما اتخذوا هذه الاشياء لعيون النظارة فالناظر اليها محصّل
لغرضهم وكالمغري لهم على اتخاذها ازواجا منهم اصنافا من الكفرة ويجوز ان ينتصب حالا من هاء الضمير والفعل واقع
على منهم كانه قال الى الذي متعنا به وهو اصناف بعضهم وناسا منهم فان قلت علام انتصب زهرة
قلت على احد اربعة اوجه على الذم وهو النصب على الاختصاص وعلى تضمين متعنا معنى اعطينا وخولنا
وكونه مفعولا ثانيا له وعلى ابدال محل الجار والمجرور وعلى ابداله من ازواجا على تقدير ذوي زهرة فان قلت
ما معنى الزهرة فيمن حرك قلت معنى الزهرة بعينه وهو الزينة والبهجة كما جاء في الجهرة الجهرة وقرئ ارنا
الله جهرة وان يكون جمع زاهر وصفا لهم بانهم زاهروا هذه الدنيا لصفاء الوانهم مما يلهون ويتنعمون وتهلل وجوههم
وبهاء زيهم وشارتهم بخلاف ما عليه المؤمنون والصلحاء من شحوب الالوان والتقشف في الثياب لنفتنهم لنبلوهم
حتى يستوجبوا العذاب لوجود الكفران منهم او لنعذبهم في الآخرة بسببه ورزق ربك هو ما ادخر له من ثواب
الآخرة الذي هو خير منه في نفسه وادوم او ما رزقه من نعمة الاسلام والنبوة او لان اموالهم الغالب عليها الغصب
والسرقة والحرمة من بعض الوجوه والحلال خير وابقى لان الله تعالى لا ينسب الى نفسه الا ما حل وطاب دون ما حرم وخبث
والحرام لا يسمى رزقا وعن عبد الله بن قسيط عن رافع قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى يهودي وقال قل له
يقول لك رسول الله اقرضني الى رجب فقال والله لا اقرضته الا برهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لامين في
السماء واني لامين في الارض احمل اليه درعي الحديد فنزلت ولا تمدن عينيك **وأمر أهلك بالصلاة
واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى** وامر اهلك بالصلوة اي
واقبل انت مع اهلك على عبادة الله تعالى والصلوة واستعينوا بها على خصاصتكم ولا تهتم بامر الرزق والمعيشة
فان رزقك مكفي من عندنا ونحن رازقوك ولا نسألك ان ترزق نفسك ولا اهلك ففرغ نفسك لامر الآخرة وفي
معناه قول الناس من كان في عمل الله كان الله في عمله وعن عروة بن الزبير انه كان اذا رأى ما عند السلاطين قرأ
ولا تمدن عينيك الآية ثم ينادي الصلوة الصلوة رحمكم الله وعن بكر بن عبد الله المزني كان اذا اصاب اهله
خصاصة قال قوموا فصلوا بهذا امر الله رسوله ثم يتلو هذه الآية **وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه أولم
تأتهم بينة ما في الصحف الأولى ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا
أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى** اقترحوا على عادتهم في التعنت آية على النبوة
فقيل لهم اولم تأتكم آية هي ام الآيات واعظمها في باب الاعجاز يعني القرآن من قبل ان القرآن برهان ما في سائر الكتب
المنزلة ودليل صحته لانه معجزة وتلك ليست بمعجزات فهي مفتقرة الى شهادة على صحة ما فيها افتقار المحتج عليه الى شهادة
الحجة وقرئ الصحف بالتخفيف ذكر الضمير الراجع الى البينة لانها في معنى البرهان والدليل قبل ان نذل ونخزى على فعل ما لم يسم فاعله
قل كل متربص فتربصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوي ومن اهتدى كل اي
كل واحد منا ومنكم متربص للعاقبة ولما يؤول اليه امرنا وامركم وقرئ السواء بمعنى الوسط والجيد او المستوي والسوء
والسوى والسوي تصغير السوء وقرئ فتمتعوا فسوف تعلمون قال ابو رافع رضي الله عنه حفظته من رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة طه اعطي يوم القيامة ثواب المهاجرين والانصار وقال لا يقرأ اهل الجنة من القرآن الا طه ويس

على مذهب

سورة الانبياء عليهم السلام مكية
وهي مائة واثنتا عشرة آية

**بسم الله الرحمن الرحيم اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة
معرضون** هذه اللام لا تخلو من ان تكون صلة لاقترب او تأكيدا لاضافة الحساب اليهم كقولك ازف للحي رحيلهم
الاصل ازف رحيل الحي ثم ازف للحي الرحيل ثم ازف للحي رحيلهم ونحوه ما اورده سيبويه في باب ما يثنى فيه المستقر توكيدا
عليك زيد حريص عليك وفيك زيد راغب فيك ومنه قولهم لا اباك لان اللام مؤكدة لمعنى الاضافة وهذا
الوجه اعرب من الاول والمراد اقتراب الساعة واذا اقتربت الساعة فقد اقترب ما يكون فيها من الحساب والثواب والعقاب

وغير

وغير ذلك ونحوه واقترب الوعد الحق فان قلت كيف وصف بالاقتراب وقد عدت دون هذا القول
اكثر من خمسمائة عام قلت هو مقترب عند الله تعالى والدليل عليه قوله عز وعلا ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله
وعده وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون ولان كل آت وان طالت اوقات استقباله وترقبه قريب
وانما البعيد هو الذي وجد وانقرض ولان ما بقي من الدنيا اقصر واقل مما سلف منها بدليل انبعاث خاتم النبيين الموعود
مبعثه في آخر الزمان وقال صلى الله عليه وسلم بعثت في نسم الساعة وفي خطبة بعض المتقدمين ولت الدنيا حذاء ولم
يبق الا صبابة كصبابة الاناء واذا كانت بقية الشيء وان كثرت في نفسها قليلة بالاضافة الى معظمه كانت خليقة بان توصف
بالقلة وقصر الذرع وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان المراد بالناس المشركون وهذا من اطلاق اسم الجنس على بعضه للدليل
القائم وهو ما يتلوه من صفات المشركين **ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه
وهم يلعبون لاهية قلوبهم وأسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا إلا بشر
مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون** وصفهم بالغفلة مع الاعراض على معنى انهم غافلون عن حسابهم
ساهون لا يتفكرون في عاقبتهم ولا يتفطنون لما ترجع اليه خاتمة امرهم مع اقتضاء عقولهم انه لا بد من جزاء
المحسن والمسيء واذا قرعت لهم العصا ونبهوا عن سنة الغفلة وفطنوا لذلك بما يتلى عليهم من الآيات والنذر اعرضوا
وسدوا اسماعهم ونفروا وقرر اعراضهم عن تنبيه المنبه وايقاظ الموقظ بان الله تعالى يجدد لهم الذكر وقتا فوقتا ويحدث
لهم الآية بعد الآية والسورة بعد السورة ليكرر على اسماعهم التنبيه والموعظة لعلهم يتعظون فما يزيدهم استماع الآي والسور
وما فيها من فنون المواعظ والبصائر التي هي احق الحق واجد الجد الا لعبا وتلهيا واستسخارا والذكر هو الطائفة
النازلة من القرآن وقرأ ابن ابي عبلة محدث بالرفع صفة على المحل قوله تعالى وهم يلعبون لاهية قلوبهم حالان مترادفتان او متداخلتان
ومن قرأ لاهية بالرفع فالحال واحدة لان لاهية قلوبهم خبر بعد خبر لقوله وهم واللاهية من لهى عنه اذا ذهل وغفل يعني انهم وان
فطنوا فهم في قلة جدوى فطنتهم كانهم لم يفطنوا اصلا وثبتوا على رأس غفلتهم وذهولهم عن التأمل والتبصر بقلوبهم
فان قلت النجوى وهي اسم من التناجي لا تكون الا خفية فما معنى قوله واسروا قلت معناه وبالغوا في اخفائها
او جعلوها بحيث لا يفطن احد لتناجيهم ولا يعلم انهم متناجون ابدل الذين ظلموا من واو واسروا اشعارا بانهم الموسومون
بالظلم الفاحش فيما اسروا به او جاء على لغة من قال اكلوني البراغيث او هو منصوب المحل على الذم او هو مبتدأ خبره واسروا
النجوى قدم عليه والمعنى وهؤلاء اسروا النجوى فوضع المظهر موضع المضمر تسجيلا على فعلهم بانه ظلم هل هذا الا بشر مثلكم افتأتون
السحر وانتم تبصرون هذا الكلام كله في محل النصب بدلا من النجوى اي واسروا هذا الحديث ويجوز ان يتعلق بقالوا مضمرا اعتقدوا
ان رسول الله لا يكون الا ملكا وان كل من ادعى الرسالة من البشر وجاء بالمعجزة فهو ساحر فلذلك قالوا على سبيل الانكار
افتحضرون السحر وانتم تشاهدون وتعاينون انه سحر فان قلت لم اسروا هذا الحديث وبالغوا في اخفائه قلت
كان ذلك شبه التشاور فيما بينهم والتحاور في طلب الطريق الى هدم امره وعمل المنصوبة في التثبيط عنه وعادة المتشاورين
في خطب ان لا يشركوا اعداءهم في شوراهم ويتجاهدوا في طي سرهم عنهم ما امكن واستطيع ومنه قول الناس استعينوا على حوائجكم
بالكتمان ويرفع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويجوز ان يسروا نجواهم بذلك ثم يقولوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين
ان كان ما تدعونه حقا فاخبرونا بما اسررناه **قل ربي يعلم القول في السماء والأرض وهو السميع
العليم** فان قلت هلا قيل يعلم السر لقوله واسروا النجوى قلت القول عام يشمل السر
والجهر فكان في العلم به العلم بالسر وزيادة فكان آكد في بيان الاطلاع على نجواهم من ان يقول يعلم السر كما ان قوله
يعلم السر آكد من ان يقول يعلم سرهم ثم بين ذلك بانه السميع العليم لذاته فكيف تخفى عليه خافية فان قلت
فلم ترك هذا الآكد في سورة الفرقان في قوله تعالى قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض قلت ليس بواجب
ان يجيء بالآكد في كل موضع ولكن يجيء بالوكيد تارة وبالآكد اخرى كما يجيء بالحسن في موضع وبالاحسن في غيره ليفتن
الكلام افتنانا ويجمع الغاية وما دونها على ان اسلوب تلك الآية خلاف اسلوب هذه من قبل انه قدم هاهنا انهم اسروا
النجوى فكانه اراد ان يقول ان ربي يعلم ما اسروه فوضع القول موضع ذلك للمبالغة وثم قصد وصف ذاته بان انزله الذي
يعلم السر في السموات والارض فهو كقوله تعالى علام الغيوب عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة وقرئ قال ربي

حكاية لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم • **بل قالوا اضغاث احلام بل افتريه بل هو شاعر فليأتنا بآية كما ارسل الاولون** • اضربوا عن قولهم هو سحر الى انه تخاليط احلام ثم الى انه كلام مفترى من عنده ثم الى قول شاعر وهكذا الباطل لجلج والمبطل متحير رجاع غير ثابت على قول واحد ويجوز ان يكون تنزيلا من الله تعالى لاقوالهم في درج الفساد وان قولهم الثاني افسد من الاول والثالث افسد من الثاني وكذلك الرابع من الثالث صحة التشبيه في قوله تعالى كما ارسل الاولون من حيث انه في معنى كما اتى الاولون بالآيات لان ارسال الرسل متضمن للاتيان بالآيات الا ترى انه لا فرق بين ان تقول ارسل محمد وبين قولك اتى محمد بالمعجزة • **ما آمنت قبلهم من قرية اهلكناها افهم يؤمنون** • افهم يؤمنون فيه انهم اعتى من الذين اقترحوا على انبيائهم الآيات وعهدوا انهم يؤمنون عندها فلما جاءتهم نكثوا وخالفوا فاهلكهم الله تعالى فلو اعطيناهم ما يقترحون لكانوا انكث وانكث • **وما ارسلنا قبلك الا رجالا يوحى اليهم فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون** • امرهم ان يستعلموا اهل الذكر وهم اهل الكتاب حتى يعلموهم ان رسل الله الموحى اليهم كانوا بشرا ولم يكونوا ملائكة كما اعتقدوا وانما احالهم على اولئك لانهم كانوا يشايعون المشركين في معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا فلا يكاذبونهم فيما هم فيه ردء لرسول الله صلى الله عليه وسلم • **وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين** • لا يأكلون الطعام صفة لجسدا والمعنى وما جعلنا الانبياء قبله ذوي جسد غير طاعمين ووحد الجسد لارادة الجنس كأنه قال ذوي ضرب من الاجساد وهذا رد لقولهم مال هذا الرسول يأكل الطعام **فان قلت** نعم قد رد انكارهم ان يكون الرسول بشرا يأكل ويشرب بما ذكرت فما ورد من قولهم بقوله وما كانوا خالدين **قلت** يحتمل ان يقولوا انه بشر مثلنا يعيش كما نعيش ويموت كما نموت او يقولوا هلا كان ملكا لا يطعم ويخلد اما معتقدين ان الملائكة لا يموتون او مسمين حياتهم المتطاولة وبقاءهم الممتد خلودا • **ثم صدقناهم الوعد فانجيناهم ومن نشاء واهلكنا المسرفين** • صدقناهم الوعد مثل واختار موسى قومه والاصل في الوعد ومن قومه ومنه صدقوهم القتال وصدقني سن بكره ومن نشاء هم المؤمنون ومن في ابقائه مصلحة • **لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم افلا تعقلون** • ذكركم شرفكم وصيتكم كما قال وانه لذكر لك ولقومك او موعظتكم او فيه مكارم الاخلاق التي كنتم تطلبون بها الثناء وحسن الذكر كحسن الجوار والوفاء بالعهد وصدق الحديث واداء الامانة والسخاء وما اشبه ذلك • **وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وانشأنا بعدها قوما آخرين** • وكم قصمنا من قرية واردة عن غضب شديد ومنادية على سخط عظيم لان القصم افظع الكسر وهو الكسر الذي يبين تلاؤم الاجزاء بخلاف الفصم واراد بالقرية اهلها ولذلك وصفها بالظلم وقال قوما آخرين لان المعنى اهلكنا قوما وانشأنا قوما آخرين وعن ابن عباس انها حضور وهي وسحول قريتان باليمن ينسب اليهما الثياب وفي الحديث كفن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثوبين سحوليين وروي انه لما اخذتهم السيوف ونادى مناد من السماء يا لثارات الانبياء ندموا واعترفوا بالخطأ وذلك حين لم ينفعهم الندم وظاهر الآية على الكثرة ولعل ابن عباس ذكر حضور بانها احدى القرى التي ارادها الله تعالى بهذه الآية • **فلما احسوا بأسنا اذا هم منها يركضون لا تركضوا وارجعوا الى ما اترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون** • فلما علموا شدة عذابنا وبطشتنا علم حس ومشاهدة لم يشكوا فيها ركضوا من ديارهم والركض ضرب الدابة بالرجل ومنه قوله تعالى اركض برجلك فيجوز ان يركبوا دوابهم يركضونها هاربين منهزمين من قريتهم لما ادركتهم مقدمة العذاب ويجوز ان يشبهوا في سرعة عدوهم على ارجلهم بالراكبين الراكضين لدوابهم فقيل لهم لا تركضوا والقول محذوف **فان قلت** من القائل **قلت** يحتمل ان يكون بعض الملائكة او من ثم من المؤمنين او يجعلوا خلقاء بان يقال لهم ذلك وان لم يقل او يقوله رب العزة ويسمعه ملائكته لينفعهم في دينهم او يلهمهم ذلك فيحدثوا به نفوسهم وارجعوا الى ما اترفتم فيه من العيش الرافه والحال الناعمة والاتراف ابطار النعمة وهي الترفه لعلكم تسألون تهكم بهم وتوبيخ اي ارجعوا الى نعيمكم ومساكنكم لعلكم تسألون غدا عما جرى عليكم ونزل باموالكم ومساكنكم فتجيبوا السائل عن علم ومشاهدة او ارجعوا واجلسوا كما كنتم في مجالسكم وترتبوا في مراتبكم حتى يسألكم عبيدكم وحشمكم ومن تملكون امره وينفذ فيه امركم ونهيكم ويقولوا

لكم بما تأمرون وماذا ترسمون وكيف نأتي ونذر كعادة المنعمين المخدومين او يسألكم الناس في انديتكم المعاون في نوازل الخطوب ويستشيرونكم في المهمات ويستضيئون بتدابيركم ويستضيئون بآرائكم او يسألكم الوافدون عليكم والطماع ويستمطرون سحاب اكفكم ويمترون اخلاف معروفكم وايديكم اما لانهم كانوا اسخياء ينفقون اموالهم رئاء الناس وطلب الثناء او كانوا بخلاء فقيل لهم ذلك تهكما الى تهكم وتوبيخا الى توبيخ • **قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين فما زالت تلك دعويهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين** • تلك اشارة الى يا ويلنا لانه دعوى كأنه قيل فما زالت تلك الدعوى دعواهم والدعوى بمعنى الدعوة قال الله تعالى وآخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين **فان قلت** لم سميت دعوى **قلت** لان المولول كأنه يدعو الويل فيقول تعالى يا ويل فهذا اوانك وتلك مرفوع او منصوب اسما او خبرا وكذلك دعويهم الحصيد الزرع المحصود اي جعلناهم مثل الحصيد شبههم به في استئصالهم واصطلامهم كما تقول جعلناهم رمادا اي مثل الرماد والضمير المنصوب هو الذي كان مبتدأ والمنصوبان بعده كانا خبرين له فلما دخل عليها جعل نصبها جميعا على المفعولية **فان قلت** كيف ينصب جعل ثلثة مفاعيل **قلت** حكم الاثنين الآخرين حكم الواحد لان معنى قولك جعلته حلوا حامضا جعلته جامعا للطعمين وكذلك معنى ذلك جعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود • **وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين** • اي وما سويناه هذا السقف المرفوع وهذا المهاد الموضوع وما بينهما من اصناف الخلائق مشحونة بضروب البدائع والعجائب كما يسوي الجبابرة سقوفهم وفرشهم وسائر زخارفهم للهو واللعب وانما سويناها للفوائد الدينية والحكم الربانية لتكون مطارح افتكار واعتبار واستدلال ونظر لعبادنا مع ما يتعلق لهم بها من المنافع التي لا تعد والمرافق التي لا تحصى • **لو اردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا ان كنا فاعلين** • ثم بين ان السبب في ترك اتخاذ اللهو واللعب وانتفائه عن افعالي هو ان الحكمة صارفة عنه والا فانا قادر على اتخاذه ان كنت فاعلا لاني على كل شيء قدير وقوله لاتخذناه من لدنا كقوله رزقا من لدنا اي من جهة قدرتنا وقيل اللهو الولد بلغة اليمن وقيل المرأة وقيل من لدنا اي من الملائكة لا من الانس ردا لولادة المسيح وعزير • **بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون** • بل اضراب عن اتخاذ اللهو واللعب وتنزيه منه لذاته كأنه قال سبحاننا ان نتخذ اللهو واللعب بل من عادتنا وموجب حكمتنا واستغنائنا عن القبيح ان نغلب اللعب بالجد وندحض الباطل بالحق واستعار لذلك القذف والدمغ تصويرا لابطاله به واهداره ومحقه فجعله كأنه جرم صلب كالصخرة مثلا قذف به على جرم رخو اجوف فدمغه ثم قال ولكم الويل مما تصفونه به مما لا يجوز عليه وعلى حكمته وقرئ فيدمغه بالنصب وهو في ضعف قوله ساترك منزلي لبني تميم والحق بالحجاز فاستريحا وقرئ فيدمغه • **وله من في السموات والارض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون** • ومن عنده هم الملائكة والمراد انهم مكرمون منزلون لكرامتهم عليه منزلة المقربين عند الملوك على طريق التمثيل والبيان لشرفهم وفضلهم على جميع خلقه **فان قلت** الاستحسار مبالغة في الحسور فكان الابلغ في وصفهم ان ينفى عنهم ادنى الحسور **قلت** في الاستحسار بيان ان ما هم فيه يوجب غاية الحسور واقصاه وانهم احقاء لتلك العبادات الباهظة بان يستحسروا فيما يفعلون اي تسبيحهم متصل دائم في جميع اوقاتهم لا يتخلله فترة بفراغ او بشغل آخر • **ام اتخذوا آلهة من الارض هم ينشرون** • هذه ام المنقطعة الكائنة بمعنى بل والهمزة قد اذنت بالاضراب عما قبلها والانكار لما بعدها والمنكر هو اتخاذهم آلهة من الارض ينشرون الموتى ولعمري ان من اعظم المنكرات ان ينشر الموتى بعض الموات **فان قلت** كيف انكر عليهم اتخاذ آلهة تنشر وما كانوا يدعون ذلك لآلهتهم وكيف وهم ابعد شيء عن هذه الدعوى وذلك انهم كانوا مع اقرارهم لله عز وجل بانه خالق السموات والارض ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وبانه القادر على المقدورات كلها وعلى النشأة الاولى منكرين البعث ويقولون من يحيي العظام وهي رميم وكان عندهم من قبيل المحال الخارج عن قدرة القادر كالثاني القديم فكيف يدعونه للجماد الذي لا يوصف بالقدرة رأسا **قلت** الامر كما ذكرت ولكنهم بادعائهم لها الالهية يلزمهم ان يدعوا لها الانشار لانه لا يستحق هذا الاسم الا القادر على كل مقدور والانشار من جملة المقدورات وفيه باب من التهكم بهم والتوبيخ والتجهيل واشعار بان ما استبعدوه من الله لا يصح استبعاده لان الالهية لما صحت صح معها

الاقتدار على الابدآء والاعادة ونحو قوله من الارض قولك فلان من مكة او من المدينة تريد مكي او مدني ومعنى نسبتها الى الارض الايذان بانها الاصنام التي تعبد في الارض لان الآلهة على ضربين ارضية وسماوية ومن ذلك حديث الامة التي قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم اين ربك فاشارت الى السماء فقال انها مؤمنة لانه فهم منها ان مرادها نفي الآلهة الارضية التي هي الاصنام لا اثبات السماء مكانا لله عز وجل ويجوز ان يراد آلهة من جنس الارض لانها اما ان تنحت من بعض الحجارة او تعمل من بعض جواهر الارض **فان قلت** لا بد من نكتة في قوله هم **قلت** النكتة فيه افادة معنى الخصوصية كانه قيل ام اتخذوا آلهة لا يقدر على الانشار الا هم وحدهم وقرأ الحسن ينشرون وهما لغتان انشر الله تعالى الموتى ونشرها

لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ● وصفت آلهة بالا كما يوصف بغير لو قيل آلهة غير الله **فان قلت** ما منعك من الرفع على البدل **قلت** لان لو بمنزلة ان في ان الكلام معه موجب والبدل لا يسوغ الا في الكلام غير الموجب كقوله تعالى ولا يلتفت منكم احد الا امرأتك وذلك لان اعم العام يصح نفيه ولا يصح ايجابه والمعنى لو كان يتولاهما ويدبر امرهما آلهة شتى غير الواحد الذي هو فاطرهما لفسدتا وفيه دلالة على امرين احدهما وجوب ان لا يكون مدبرهما الا واحدا والثاني ان لا يكون ذلك الواحد الا اياه وحده لقوله الا الله **فان قلت** لم وجب الامران **قلت** لعلمنا ان الرعية تفسد بتدبير الملكين لما يحدث بينهما من التغالب والتناكر والاختلاف وعن عبد الملك بن مروان حين قتل عمرو بن سعيد الاشدق كان والله اعز علي من دم ناظري ولكن لا يجتمع فحلان في شول وهذا ظاهر واما طريقة التمانع فللمتكلمين فيها تجاول وطراد ولان هذه الافعال محتاجة الى تلك الذات المتميزة بتلك الصفات حتى تثبت وتستقر

لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ● اذا كانت عادة الملوك والجبابرة ان لا يسألهم من في مملكتهم عن افعالهم وعما يوردون ويصدرون من تدبير ملكهم تهيبا واجلالا مع جواز الخطأ والزلل وانواع الفساد عليهم كان ملك الملوك ورب الارباب خالقهم ورازقهم اولى بان لا يسأل عن افعاله مع ما علم واستقر في العقول من ان ما يفعله كله مفعول بدواعي الحكمة ولا يجوز عليه الخطأ ولا فعل القبائح وهم يسألون اي هم مملوكون مستعبدون خطاؤون فما اخلقهم بان يقال لهم لم فعلتم في كل شيء فعلوه

أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ ● كرر ام اتخذوا من دونه آلهة استفظاعا لشأنهم واستعظاما لكفرهم اي وصفتم الله تعالى بان له شريكا فهاتوا برهانكم على ذلك اما من جهة العقل او من جهة الوحي فانكم لا تجدون كتابا من كتب الاولين الا وتوحيد الله تعالى وتنزيهه عن الانداد مدعو اليه والاشراك به منهي عنه متوعد عليه اي هذا الوحي الوارد في معنى توحيد الله تعالى ونفي الشركاء عنه كما ورد علي فقد ورد على جميع الانبياء فهو ذكر اي عظة للذين معي يعني امته وذكر للذين قبلي يريد امم الانبياء وقرئ ذكر من معي وذكر من قبلي بالتنوين ومن مفعول منصوب بالذكر كقوله او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما وهو الاصل والاضافة من اضافة المصدر الى المفعول كقوله غلبت الروم وهم من بعد غلبهم سيغلبون وروي من معي ومن قبلي على من الاضافية في هذه القراءة وادخال الجار على مع غريب والعذر فيه انه اسم هو ظرف نحو قبل وبعد وعند ولدن وما اشبه ذلك فدخل عليه من كما يدخل على اخواته وقرئ ذكر معي وذكر قبلي كانه قيل بل عندهم ما هو اصل الشر والفساد كله وهو الجهل وفقد العلم وعدم التمييز بين الحق والباطل فمن ثم جاء هذا الاعراض ومن هناك ورد هذا الانكار وقرئ الحق بالرفع على توسيط التوكيد بين السبب والمسبب والمعنى ان اعراضهم بسبب الجهل هو الحق لا الباطل ويجوز ان يكون المنصوب ايضا على هذا المعنى كما تقول هذا عبد الله الحق لا الباطل

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ● يوحى ونوحي مشهورتان وهذه الآية مقررة لما سبقها من آي التوحيد

وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ● **يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ** ● نزلت في خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله تعالى نزه ذاته عن ذلك ثم اخبر عنهم بانهم عباد والعبودية تنافي الولادة الا انهم مكرمون مقربون عندي مفضلون على سائر العباد لما هم عليه من احوال وصفات ليست لغيرهم فذلك الذي غر منهم من زعم انهم اولادي تعاليت عن ذلك علوا كبيرا

وقرئ مكرمون ولا يسبقونه بالضم من سابقته فسبقته اسبقه والمعنى انهم يتبعون قوله ولا يقولون شيئا حتى يقوله فلا يسبق قولهم قوله والمراد بقولهم فانيب اللام مناب الاضافة اي لا يتقدمون قوله بقولهم كما تقول سبقت بفرسي فرسه وكما ان قولهم تابع لقوله فعملهم ايضا كذلك مبني على امره لا يعملون عملا ما لم يؤمروا به وجميع ما يأتون ويذرون مما قدموا واخروا بعين الله تعالى وهو مجازيهم عليه فلاحاطتهم بذلك يضبطون انفسهم ويراعون احوالهم ويعمرون اوقاتهم ومن تحفظهم انهم لا يجسرون ان يشفعوا الا لمن ارتضاه الله واهله للشفاعة في ازدياد الثواب والتعظيم ثم انهم مع هذا كله من خشية الله مشفقون اي متوقعون من امارة ضعيفة كائنون على حذر ورقبة لا يأمنون مكر الله وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه رأى جبريل ليلة المعراج ساقطا كالحلس من خشية الله تعالى

وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ● وبعد ان وصف كرامتهم عليه وقرب منزلتهم عنده واثنى عليهم واضاف اليهم تلك الافعال السنية والاعمال المرضية فاجأ بالوعيد الشديد وانذر بعذاب جهنم من اشرك منهم ان كان ذلك على سبيل الفرض والتمثيل مع احاطة علمه بانه لا يكون كما قال ولو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون قصد بذلك تفظيع امر الشرك وتعظيم شان التوحيد

أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ● قرئ الم ير بغير واو ورتقا بفتح التاء وكلاهما في معنى المفعول كالخلق والنقض اي كانتا مرتوقتين **فان قلت** الرتق صالح ان يقع موقع مرتوقتين لانه مصدر فما بال الرتق **قلت** هو على تقدير موصوف اي كانتا شيئا رتقا ومعنى ذلك ان السماء كانت لاصقة بالارض لا فضاء بينهما او كانت السموات متلاصقات وكذلك الارضون لا فرج بينها ففتقها الله تعالى وفرج بينها وقيل ففتقناهما بالمطر والنبات بعد ما كانت مصمتة وانما قيل كانتا دون كن لان المراد جماعة السموات وجماعة الارض ونحوه قولهم لقاحان سوداوان اي جماعتان فعل في المضمر نحو ما فعل في المظهر **فان قلت** متى رأوهما رتقا حتى جاء تقريرهم بذلك **قلت** فيه وجهان احدهما انه وارد في القرآن الذي هو معجزة في نفسه فقام مقام المرئي المشاهد والثاني ان تلاصق الارض والسماء وتباينهما كلاهما جائز في العقل فلا بد للتباين دون التلاصق من مخصص وهو القديم سبحانه وجعلنا لا يخلو ان يتعدى الى واحد او اثنين فان تعدى الى واحد فالمعنى خلقنا من الماء كل حيوان كقوله تعالى والله خلق كل دابة من ماء او كانما خلقناه من الماء لفرط احتياجه اليه وحبه له وقلة صبره عنه كقوله خلق الانسان من عجل وان تعدى الى اثنين فالمعنى صيرنا كل شيء حي بسبب من الماء لا بد له منه ومن هذا نحو من قوله صلى الله عليه وسلم ما انا من دد ولا الدد مني وقرئ حيا وهو المفعول الثاني والظرف لغو

وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ● اي كراهة ان تميد بهم وتضطرب او لان لا تميد بهم فحذف لا واللام وانما جاز حذف لا لعدم الالتباس كما تزاد لذلك في نحو قوله لئلا يعلم اهل الكتاب وهذا مذهب الكوفيين الفج الطريق الواسع **فان قلت** في الفجاج معنى الوصف فما لها قدمت على السبل ولم تؤخر كما في قوله تعالى لتسلكوا منها سبلا فجاجا **قلت** لم تقدم وهي صفة ولكن جعلت حالا كقوله لعزة موحشا طلل قديم **فان قلت** ما الفرق بينهما من جهة المعنى **قلت** احدهما اعلام بانه جعل فيها طرقا واسعة والثاني بانه حين خلقها خلقها على تلك الصفة فهو بيان لما ابهم ثمة

وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ● محفوظا حفظه بالامساك بقدرته من ان يقع على الارض ويتزلزل او بالشهب عن تسمع الشياطين على سكانه من الملائكة عن آياتها اي عما وضع الله تعالى فيها من الادلة والعبر بالشمس والقمر وسائر النيرات ومسايرها وطلوعها وغروبها على الحساب القويم والترتيب العجيب الدال على الحكمة البالغة والقدرة الباهرة واي جهل اعظم من جهل من اعرض عنها ولم يذهب به وهمه الى تدبرها والاعتبار بها والاستدلال على عظمة شان من اوجدها عن عدم ودبرها ونصبها هذه النصبة واودعها ما اودعها مما لا يعرف كنهه الا هو عزت قدرته ولطف علمه وقرئ عن آيتها على التوحيد اكتفاء بالواحدة في الدلالة على الجنس اي هم متفطنون لما يرد عليهم من السماء من المنافع الدنيوية كالاستضاءة بقمريها والاهتداء بكواكبها وحياة الارض والحيوان بامطارها وهم عن كونها آية بينة على الخالق معرضون

وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ● كل التنوين فيه عوض من المضاف اليه اي كلهم في

فلك يسبحون والضمير للشمس والقمر والمراد بهما جنس الطوالع كل يوم وليلة جعلوا متكاثرة لتكاثر مطالعها وهو السبب في
جمعها بالشموس والاقمار والا فالشمس واحدة والقمر واحد وانما جعل الضمير واو العقلاء للوصف بفعلهم وهو السباحة
فان قلت الجملة ما محلها **قلت** محلها النصب على الحال من الشمس والقمر **فان قلت** كيف استبد
بهما دون الليل والنهار بنصب الحال عنهما **قلت** كما تقول رايت زيدا وهندا متبرجة ونحو ذلك اذا جئت بصفة
تختص بها بعض ما تعلق به العامل ومنه قوله تعالى في هذه السورة ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة او لا محل لها
لاستينافها **فان قلت** لكل واحد من القمرين فلك على حدة فكيف قيل جميعهم يسبحون في فلك **قلت**
هذا كقولهم كساهم الامير حلة وقلدهم سيفا اي كل واحد منهم او كساهم وقلدهم هذين الجنسين فاكتفى بما يدل على الجنس
اختصارا ولان الغرض الدلالة على الجنس ● وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد افان مت فهم
الخالدون ● كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون ● كانوا
يقدرون انه سيموت فيشمتون بموته فنفى الله تعالى عنه الشماتة بهذا اي قضى الله ان لا يخلد في الدنيا بشرا
فلا انت ولا هم الا عرضة للموت فاذا كان الامر كذلك فان مت انت ايبقى هؤلاء وفي معناه قول القائل فقل للشامتين
بنا افيقوا ● سيلقى الشامتون كما لقينا ● اي نختبركم بما يجب فيه الصبر من البلايا وبما يجب فيه الشكر من النعم والينا مرجعكم
فنجازيكم على حسب ما يوجد منكم من الصبر او الشكر وانما سمي ذلك ابتلاء وهو عالم بما سيكون من اعمال العاملين قبل وجودهم
لانه في صورة الاختبار وفتنة مصدر مؤكد لنبلوكم من غير لفظه ● واذا راك الذين كفروا ان يتخذونك
الا هزوا اهذا الذي يذكر الهتكم وهم بذكر الرحمن هم كافرون ● الذكر يكون بخير
وبخلافه فاذا دلت الحال على احدهما اطلق ولم يقيد كقولك للرجل سمعت فلانا يذكرك فان كان الذاكر صديقا فهو ثناء
وان كان عدوا فذم ومنه قوله تعالى سمعنا فتى يذكرهم وقوله تعالى اهذا الذي يذكر الهتكم والمعنى انهم عاكفون بهممهم
على ذكر الهتهم وما يجب ان يذكروا به من كونهم شفعاء وشهداء ويسوءهم ان يذكرها ذاكر بخلاف ذلك واما ذكر الله
وما يجب ان يذكر به من الوحدانية فهم به كافرون لا يصدقون به اصلا فهم احق بان يتخذوا هزوا منك فانك محق وهم
مبطلون وقيل معنى بذكر الرحمن قولهم ما نعرف الرحمن الا مسيلمة وقولهم وما الرحمن انسجد لما تأمرنا وقيل بذكر الرحمن
انزل عليك من القرآن والجملة في موضع الحال اي يتخذونك هزوا وهم على حال هي اصل الهزؤ والسخرية وهي الكفر بالله تعالى
خلق الانسان من عجل ساريكم اياتي فلا تستعجلون ● ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم
صادقين ● كانوا يستعجلون عذاب الله تعالى واياته الملجئة الى العلم والاقرار ويقولون متى هذا الوعد
فاراد نهيهم عن الاستعجال وزجرهم فقدم اولا ذم الانسان على افراط العجلة وانه مطبوع عليها ثم نهاهم وزجرهم
كانه قال ليس ببدع منكم ان تستعجلوا فانكم مجبولون على ذلك وهو طبعكم وسجيتكم وعن ابن عباس انه اراد بالانسان
ادم وانه حين بلغ الروح صدره ولم يتبالغ فيه اراد ان يقوم وروي لما دخل الروح في عينه نظر الى ثمار الجنة ولما دخل
جوفه اشتهى الطعام وقيل خلقه الله تعالى في اخر النهار يوم الجمعة قبل غروب الشمس فاسرع في خلقه قبل مغيبها وعن
ابن عباس انه النضر بن الحارث والظاهر ان المراد الجنس وقيل العجل الطين بلغة حمير وقال شاعرهم والنخل ينبت
بين الماء والعجل ● والله اعلم بصحته **فان قلت** لم نهاهم عن الاستعجال مع قوله خلق الانسان من عجل وقوله وكان
الانسان عجولا اليس هذا من تكليف ما لا يطاق **قلت** هذا كما ركب فيه الشهوة وامره ان يغلبها لانه اعطاه القدرة
التي يستطيع بها قمع الشهوة وترك العجلة وقرئ خلق الانسان ● لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون
عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون ● جواب لو محذوف وحين مفعول يعلمون
اي لو يعلمون الوقت الذي يستعجلون عنه بقوله متى هذا الوعد وهو وقت صعب شديد تحيط بهم فيه النار من وراء وقدام
فلا يقدرون على دفعها ومنعها من انفسهم ولا يجدون ناصرا ينصرهم لما كانوا بتلك الصفة من الكفر والاستهزاء والاستعجال
ولكن جهلهم به هو الذي هونه عندهم ويجوز ان يكون يعلم متروكا بلا تعدية بمعنى لو كان معهم علم ولم يكونوا جاهلين لما كانوا
مستعجلين وحين منصوب بمضمر اي حين لا يكفون عن وجوههم النار يعلمون انهم كانوا على الباطل وينتفي عنهم هذا الجهل
العظيم اي لا يكفونها ● بل تاتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون

بل تفجاهم فتغلبهم يقال للمغلوب في المحاجة مبهوت ومنه فبهت الذي كفر اي غلب ابراهيم الكافر وقرا الاعمش ياتيهم
فيبهتهم على التذكير والضمير للوعد او للحين **فان قلت** فالام يرجع الضمير المؤنث في هذه القراءة **قلت**
الى النار او الى الوعد لانه في معنى النار وهي التي وعدوها او على تاويل العدة او الموعدة او الى الحين لانه في معنى الساعة
او الى البغتة وقيل في القراءة الاولى الضمير للساعة وقرا الاعمش بغتة بفتح الغين ولا هم ينظرون تذكير بانظاره
اياهم وامهاله وتفسيح وقت التذكر عليهم اي لا يمهلون بعد طول الامهال ● ولقد استهزئ برسل من قبلك
فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون ● قل من يكلؤكم بالليل والنهار من
الرحمن بل هم عن ذكر ربهم معرضون ● ام لهم الهة تمنعهم من دوننا لا يستطيعون نصر
انفسهم ولا هم منا يصحبون ● سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزائهم بان له في الانبياء
عليهم السلام اسوة وان ما يفعلونه به يحيق بهم كما حاق بالمستهزئين بالانبياء ما فعلوا من الرحمن اي من باسه وعذابه
بل هم معرضون عن ذكره لا يخطرونه ببالهم فضلا ان يخافوا باسه حتى اذا رزقوا الكلاءة منه عرفوا من الكالئ وصلحوا للسؤال
عنه والمراد انه امر رسوله بسؤالهم عن الكالئ ثم بين انهم لا يصلحون لذلك لاعراضهم عن ذكر من يكلؤهم ثم اضرب عن ذلك
بما في ام من معنى بل وقال الهم الهة تمنعهم من العذاب تتجاوز منعنا وحفظنا ثم استانف فبين ان ما ليس بقادر على نصر
نفسه ومنعها ولا بمصحوب من الله بالنصر والتاييد كيف يمنع غيره وينصره ● بل متعنا هؤلاء واباءهم حتى
طال عليهم العمر افلا يرون انا ناتي الارض ننقصها من اطرافها افهم الغالبون ●
ثم قال بل ما هم فيه من الحفظ والكلاءة انما هو منا لا من مانع يمنعهم من اهلاكنا وما كلاناهم واباءهم الماضين الا تمتيعا
لهم بالحيوة الدنيا وامهالا كما متعنا غيرهم من الكفار وامهلناهم حتى طال عليهم الامد وامتدت ايام الروح والطمانينة
فحسبوا ان لا يزالوا على ذلك لا يغلبون ولا ينزع عنهم ثوب امنتهم واستمتاعهم وذلك طمع فارغ وامل كاذب افلا يرون
انا ننقص ارض الكفر ودار الحرب ونحذف اطرافها بتسليط المسلمين عليها واظهارهم على اهلها وردها دار الاسلام
فان قلت اي فائدة في قوله ناتي الارض **قلت** الفائدة فيه تصوير ما كان الله يجريه على ايدي المسلمين
وان عساكرهم وسراياهم كانت تغزو ارض المشركين وتاتيها غالبة عليها ناقصة من اطرافها ● قل انما انذركم
بالوحي ولا يسمع الصم الدعاء اذا ما ينذرون ● قرئ ولا تسمع الصم ولا يسمع الصم بالتاء والياء
اي لا تسمع انت او لا يسمع رسول الله ولا يسمع الصم من اسمع **فان قلت** الصم لا يسمعون دعاء المبشر كما
لا يسمعون دعاء المنذر فكيف قيل اذا ما ينذرون **قلت** اللام في الصم اشارة الى هؤلاء المنذرين كاينة للعهد
لا للجنس والاصل ولا يسمعون اذا ما ينذرون فوضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على تصامهم وسدهم اسماعهم اذا انذروا اي
هم على هذه الصفة من الجراءة والجسارة على التصام من ايات الانذار ● ولئن مستهم نفحة من عذاب
ربك ليقولن يا ويلنا انا كنا ظالمين ● ولئن مستهم من هذا الذي ينذرون به ادنى شيء لاذعنوا ولذلوا
واقروا بانهم ظلموا انفسهم حين تصاموا واعرضوا وفي المس والنفحة ثلاث مبالغات لان النفح في معنى القلة والنزارة
يقال نفحته الدابة وهو رمح يسير ونفحه بعطية رضخه وبناء المرة ● ونضع الموازين القسط ليوم القيمة
فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين ● وصفت الموازين
بالقسط وهو العدل مبالغة كانها في انفسها قسط او على حذف المضاف اي ذوات القسط واللام في ليوم القيمة مثلها في قولك
جئته لخمس ليال خلون من الشهر ومنه بيت النابغة ترسمت ايات لها فعرفتها ● لستة اعوام وذا العام سابع
وقيل لاهل يوم القيمة اي لاجلهم **فان قلت** ما المراد بوضع الموازين **قلت** فيه قولان احدهما ارصاد الحساب السوي
والجزاء على حسب الاعمال بالعدل والنصفة من غير ان يظلم عباده مثقال ذرة فمثل ذلك بوضع الموازين لتوزن بها الموزونات
والثاني انه يضع الموازين الحقيقية ويزن بها الاعمال عن الحسن هو ميزان له كفتان ولسان ويروى ان داود عليه السلام
سال ربه ان يريه الميزان فلما راه غشي عليه فلما افاق قال يا الهي من الذي يقدر ان يملأ كفته حسنات فقال يا داود اني
اذا رضيت عن عبدي ملاتها بتمرة **فان قلت** كيف توزن الاعمال وانما هي اعراض **قلت** فيه قولان
احدهما توزن صحائف الاعمال والثاني تجعل في كفة الحسنات جواهر بيض مشرقة وفي كفة السيئات جواهر سود مظلمة

وقرئ مثقال حبة على كان التامة كقوله تعالى وان كان ذو عسرة وقرأ ابن عباس ومجاهد آتينا بها وهي مفاعلة من
الإتيان بمعنى المجازاة والمكافأة لأنهم أتوه بالأعمال وآتاهم بالجزاء وقرأ حميد أثبنا بها من الثواب وفي حرف أبي جئنا
بها وانث ضمير المثقال لإضافته الى الحبة كقولهم ذهبت بعض أصابعه ● ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان
وضياء وذكرا للمتقين ● الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون
وهذا ذكر مبارك أنزلناه أفأنتم له منكرون ● أي آتيناهما الفرقان وهو التورية وآتينا به ضياء
وذكرا للمتقين والمعنى أنه في نفسه ضياء وذكر أو آتيناهما بما فيه من الشرائع والمواعظ ضياء وذكرا وعن ابن
عباس الفرقان الفتح كقوله يوم الفرقان وعن الضحاك فلق البحر وعن محمد بن كعب المخرج من الشبهات وقرأ ابن عباس
ضياء بغير واو وهو حال عن الفرقان والذكر الموعظة أو ذكر ما يحتاجون اليه في دينهم ومصالحهم أو الشرف محل الذين
جر على الوصفية أو نصب على المدح أو رفع عليه ذكر مبارك هو القرآن وبركته كثرة منافعه وغزارة خيره ● ولقد
آتينا ابرهيم رشده من قبل وكنا به عالمين ● اذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي
انتم لها عاكفون ● قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين ● قال لقد كنتم انتم وآباؤكم في ضلال
مبين ● قالوا أجئتنا بالحق أم انت من اللاعبين ● قال بل ربكم رب السموات
والأرض الذي فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين ● الرشد الاهتداء لوجوه الصلاح قال الله تعالى
فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم وقرئ رشده والرشد والرشد كالعدم والعدم ومعنى اضافته اليه أنه رشد
مثله وأنه رشد له شأن من قبل من قبل موسى وهرون ومعنى علمه به أنه علم منه أحوالا بديعة وأسرارا عجيبة وصفات قد رضيها
وأحمدها حتى أهله لمخالته ومخالصته وهذا كقولك في خير من الناس أنا عالم بفلان فكلامك هذا من الاحتواء على محاسن
منزل اذ إما أن يتعلق بآتينا أو برشده أو بمحذوف أي اذكر من أوقات رشده هذا الوقت قوله ما هذه التماثيل تجاهل
لهم وتغاب ليحقر آلهتهم ويصغر شأنها مع علمه بتعظيمهم وإجلالهم لها لم ينو للعاكفين مفعولا وأجراه مجرى ما لا يتعدى كقولك
فاعلون العكوف لها أو واقفون لها فإن قلت هلا قيل عليها عاكفون كقوله يعكفون على أصنام لهم قلت
لو قصد التعدية لعداه بصلته التي هي على ما أقبح التقليد والقول المتقبل بغير برهان وما أعظم كيد الشيطان للمقلدين حين
استدرجهم الى أن قلدوا آباءهم في عبادة التماثيل وعفروا لها جباههم وهم معتقدون أنهم على شيء وجادون في نصرة
مذهبهم ومجادلون لأهل الحق عن باطلهم وكفى أهل التقليد سبة أن عبدة الأصنام منهم أنتم من التأكيد الذي لا يصح الكلام
مع الإخلال به لأن العطف على ضمير هو في حكم بعض الفعل ممتنع ونحوه اسكن انت وزوجك الجنة أراد أن المقلدين والمقلدين
جميعا منخرطون في سلك ضلال لا يخفى على من به أدنى مسكة لاستناد الفريقين الى غير دليل بل الى هوى متبع وشيطان مطاع
● وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين ● فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم
لعلهم اليه يرجعون ● قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين ● قالوا سمعنا
فتى يذكرهم يقال له ابرهيم ● قرأ معاذ بن جبل بالله وقرئ تولوا بمعنى تتولوا ويقويها قوله تعالى فتولوا عنه مدبرين
فإن قلت ما الفرق بين الباء والتاء قلت أن الباء هي الأصل والتاء بدل من الواو المبدلة منها
وأن التاء فيها زيادة معنى وهو التعجب كأنه تعجب من تسهل الكيد على يده وتأتيه لأن ذلك كان أمرا مقنوطا منه
لصعوبته وتعذره ولعمري ان مثله صعب متعذر في كل زمان خصوصا في زمن نمرود مع عتوه واستكباره وقوة سلطانه
وتهالكه على نصرة دينه ولكن إذا الله سنى عقد شيء تيسرا روي أن آزر خرج به في يوم عيد لهم فبدأوا ببيت الأصنام
فدخلوه فسجدوا لها ووضعوا بينها طعاما خرجوا به معهم وقالوا الى أن نرجع بركت الآلهة على طعامنا فذهبوا وبقي ابرهيم فنظر
الى الأصنام وكانت سبعين صنما مصطفة وثم صنم عظيم مستقبل الباب وكان من ذهب وفي عينيه جوهرتان تضيئان
بالليل فكسرها كلها بفأس في يده حتى لم يبق الا الكبير علق الفأس في عنقه عن قتادة قال ذلك سرا من قومه وروي سمعه
رجل واحد جذاذا قطاعا من الجذ وهو القطع وقرئ بالكسر والفتح وقرئ جذذا جمع جذيذ وجذذا جمع جذة وانما
استبقى الكبير لأنه غلب في ظنه أنهم لا يرجعون اليه لما تسامعوه من انكاره لدينهم وسبه لآلهتهم فيبكتهم بما أجاب به من قوله
بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم وعن الكلبي اليه الى كبيرهم ومعنى هذا لعلهم يرجعون اليه كما يرجع الى العالم في حل المشكلات

فيقولون له ما لهؤلاء مكسورة ومالك صحيحا والفأس على عاتقك قال هذا بناء على ظنه بهم لما جرب وذاق من
مكابرتهم لعقولهم واعتقادهم في آلهتهم وتعظيمهم لها أو قاله مع علمه أنهم لا يرجعون اليه استهزاء بهم واستجهالا
وأن قياس حال من يسجد له ويؤهل للعبادة أن يرجع اليه في حل المشكل فإن قلت فإذا رجعوا الى الصنم
بمكابرتهم لعقولهم ورسوخ الإشراك في أعراقهم فأي فائدة دينية في رجوعهم اليه حتى يجعله ابرهيم صلوات الله وسلامه عليه
غرضا قلت اذا رجعوا اليه تبين أنه عاجز لا ينفع ولا يضر وظهر أنهم في عبادته على جهل عظيم أي ان من فعل
هذا الكسر والحطم لشديد الظلم معدود في الظلمة لتجرئه على الآلهة الحقيقة عندهم بالتوقير والإعظام وإما لأنهم
رأوا إفراطا في حطمها وتماديا في الاستهانة بها فإن قلت ما حكم الفعلين بعد سمعنا فتى وأي فرق بينهما
قلت هما صفتان لفتى إلا أن الأول وهو يذكرهم لا بد منه لسمع لأنك لا تقول سمعت زيدا وتسكت حتى تذكر
شيئا مما يسمع وأما الثاني فليس كذلك فإن قلت ابرهيم ما هو قلت قيل هو خبر مبتدأ محذوف
أو منادى والصحيح أنه فاعل يقال لأن المراد الاسم لا المسمى ● قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم
يشهدون ● قالوا ءأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابرهيم ● قال بل فعله كبيرهم
هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون ● على أعين الناس في محل الحال بمعنى معاينا مشاهدا أي بمرأى
منهم ومنظر فإن قلت ما معنى الاستعلاء في على قلت هو وارد على طريق المثل أي يثبت اتيانهم به
في الأعين ويتمكن ثبات الراكب على المركوب وتمكنه منه لعلهم يشهدون عليه بما سمع منه أو بما فعله أو يحضرون عقوبتنا
له روي أن الخبر بلغ نمرود وأشراف قومه فأمروا بإحضاره هذا من معاريض الكلام ولطائف هذا النوع لا يتغلغل
فيها إلا الأذهان الراضة من علماء المعاني والقول فيه أن قصد ابرهيم صلوات الله عليه لم يكن الى أن ينسب الفعل الصادر
عنه الى الصنم وانما قصد تقريره لنفسه واثباته لها على أسلوب تعريضي يبلغ فيه غرضه من إلزامهم الحجة وتبكيتهم
وهذا كما لو قال لك صاحبك وقد كتبت كتابا بخط رشيق وأنت شهير بحسن الخط أأنت كتبت هذا وصاحبك أمي
لا يحسن الخط ولا يقدر إلا على خرمشة فاسدة فقلت له بل كتبته أنت كان قصدك بهذا الجواب تقريره لك مع الاستهزاء
به لا نفيه عنك واثباته للأمي أو المخرمش لأن إثباته والأمر دائر بينكما للعاجز منكما استهزاء به وإثبات للقادر ولقائل
أن يقول غاظته تلك الأصنام حين أبصرها مصطفة مرتبة وكان غيظه من كبيرها أكبر وأشد لما رأى من زيادة تعظيمهم له فأسند
الفعل اليه لأنه هو الذي تسبب لاستهانته بها وحطمه لها والفعل كما يسند الى مباشره يسند الى الحامل عليه ويجوز
أن يكون حكاية لما يقود الى تجويزه مذهبهم كأنه قال لهم ما تنكرون أن يفعله كبيرهم فإن من حق من يعبد ويدعى إلها
أن يقدر على هذا وأشد منه ويحكى أنه قال فعله كبيرهم هذا غضب أن تعبد معه هذه الصغار وهو أكبر منها وقرأ محمد بن السميفع
فعله كبيرهم يعني فلعله أي فلعل الفاعل كبيرهم ● فرجعوا الى أنفسهم فقالوا انكم انتم الظالمون
ثم نكسوا على رؤسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون ● قال أفتعبدون من دون
ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم ● أف لكم ولما تعبدون من دون ● أفلا تعقلون
فلما ألقمهم الحجر وأخذ بمخانقهم رجعوا الى أنفسهم فقالوا انتم الظالمون على الحقيقة لا من ظلمتموه حين قلتم من فعل
هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين نكسته قلبته فجعلت أسفله أعلاه وانتكس انقلب أي استقاموا حين رجعوا الى أنفسهم
وجاءوا بالفكرة الصالحة ثم انتكسوا وانقلبوا عن تلك الحالة فأخذوا في المجادلة بالباطل والمكابرة وأن هؤلاء مع تقاصر
حالها عن حال الحيوان الناطق آلهة معبودة مضارة منهم أو انتكسوا عن كونهم مجادلين لابرهيم مجادلين عنه
حين نفوا عنها القدرة على النطق أو قلبوا على رؤسهم حقيقة لفرط إطراقهم خجلا وانكسارا وانخزالا مما بهتهم به
ابرهيم فما أحاروا جوابا إلا ما هو حجة عليهم وقرئ نكسوا بالتشديد ونكسوا على لفظ ما سمي فاعله أي نكسوا أنفسهم على
رؤسهم قرأ به رضوان بن عبد المعبود أف صوت إذا صوت به علم أن صاحبه متضجر أضجره ما رأى من ثباتهم على عبادتها
بعد انقطاع عذرهم وبعد وضوح الحق وزهوق الباطل فتأفف بهم واللام لبيان المتأفف به أي لكم ولآلهتكم
هذا التأفف ● قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين ● قلنا يا نار كوني بردا
وسلاما على ابرهيم ● وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأخسرين ● أجمعوا رأيهم لما غلبوا بإهلاكه

وهكذا المبطل اذا قرعت شبهته بالحجة وافتضح لم يكن احد ابغض اليه من المحق ولم يبق له مفزع الا مناصبته كما
فعلت قريش برسول الله صلى الله عليه وسلم حين عجزوا عن المعارضة والذي اشار باحراقه نمرود وعن ابن عمر رضي
رجل من اعراب العجم يريد الاكراد وروي انهم حين هموا باحراقه حبسوه ثم بنوا بيتا كالحظيرة بكوثى وجمعوا اشهرا
اصناف الخشب الصلاب حتى ان كانت المراة لتمرض فتقول ان عافاني الله لاجمعن حطبا لابراهيم ثم اشعلوا
نارا عظيمة كادت الطير تحترق في الجو من وهجها ثم وضعوه في المنجنيق مقيدا مغلولا فرموه به فيها فناداها جبريل عليه السلام
يا نار كوني بردا وسلاما ويحكى ما احرقت منه الا وثاقه وقال له جبريل حين رمي به هل لك من حاجة فقال اما اليك فلا
قال فسل ربك قال حسبي من سؤالي علمه بحالي • وعن ابن عباس انما نجي بقوله حسبي الله ونعم الوكيل • واطل عليه
نمرود من الصرح فاذا هو في روضة ومعه جليس له من الملائكة فقال اني مقرب الى الهك فذبح اربعة الاف بقرة
وكف عن ابرهيم وكان ابرهيم اذ ذاك ابن ست عشرة سنة واختاروا المعاقبة بالنار لانها اهول ما يعاقب
به وافظعه ولذلك جاء لا يعذب بالنار الا خالقها ومن ثم قالوا ان كنتم فاعلين اي ان كنتم ناصرين الهتكم نصرا
موزرا فاختاروا اهول المعاقبات وهي الاحراق بالنار والا فرطتم في نصرتها ولهذا اعظموا النار وتكلفوا في تشهير
امرها وتفخيم شانها ولم يالوا جهدا في ذلك جعلت النار لمطاوعتها فعل الله وارادته كمامور امر بشيء فامتثل
والمعنى ذات برد وسلام والمراد ابردي فيسلم منك ابرهيم او ابردي بردا غير ضار وعن ابن عباس لو لم يقل
ذلك لاهلكته بردها **فان قلت** كيف بردت النار وهي نار **قلت** نزع الله تعالى عنها طبعها الذي
طبعها عليه من الحر والاحراق وابقاها على الاضاءة والاشراق والاشتعال كما كانت والله على كل شيء قدير ويجوز ان
يدفع بقدرته عن جسم ابرهيم اذى حرها ويذيقها فيها عكس ذلك كما يفعل بخزنة جهنم ويدل عليه قوله على ابرهيم واردوا
ان يكيدوه ويمكروا به فما كانوا الا مغلوبين مقهورين غالبوه بالجدال فغلبه الله ولقنه المبكت وفزعوا الى القوة والجبروت
فنصره وقواه •

وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ • وَوَهَبْنَا لَهُ
إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ • وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا
وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ •

نجيا من العراق الى الشام وبركاته الواصلة الى العالمين ان اكثر الانبياء بعثوا فيه فانتشرت في العالمين شرائعهم
واثارهم الدينية وهي البركات الحقيقية وقيل بارك الله تعالى فيه بكثرة الماء والشجر والثمر والخصب وطيب عيش
الغني والفقير وعن سفيان انه خرج الى الشام فقيل له الى اين فقال الى بلد يملا فيه الجراب بدرهم وقيل ما من ماء
عذب الا وينبع اصله من تحت الصخرة التي ببيت المقدس وروي انه نزل بفلسطين ولوط بالمؤتفكة وبينهما
مسيرة يوم وليلة النافلة ولد الولد وقيل سال اسحق فاعطيه واعطي يعقوب نافلة اي زيادة وفضلا من غير سؤال
يهدون بامرنا فيه ان من صلح ليكون قدوة في دين الله فالهداية محتومة عليه مامور هو بها من جهة الله تعالى ليس له ان يخل
بها ويتثاقل عنها واول ذلك ان يهتدي بنفسه لان الانتفاع بهداه اعم والنفوس الى الاقتداء بالمهدي اميل فعل
الخيرات اصله ان تفعل الخيرات ثم فعلا الخيرات ثم فعل الخيرات وكذلك اقام الصلوة وايتاء الزكوة •

وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ
فَاسِقِينَ • وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ •

حكما حكمة وهو ما يجب فعله او فصلا
بين الخصوم وقيل هو النبوة والقرية سدوم اي في اهل رحمتنا او في الجنة ومنه الحديث هذه رحمتي ارحم بها من
اشاء •

وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ • وَنَصَرْنَاهُ
مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ •

من قبل من قبل
هؤلاء المذكورين هو نصر الذي مطاوعه انتصر وسمعت هذيليا يدعو على سارق اللهم انصرهم منه اي اجعلهم منتصرين منه
والكرب الطوفان وما كان فيه من تكذيب قومه •

وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ
فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ • فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا
وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ • وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ

من

مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ • وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي
بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ •

اي واذكرهما واذ بدل منهما والنفش الانتشار بالليل وجمع الضمير
لانه ارادهما والمتحاكمين اليهما وقرئ لحكمهما والضمير في فهمناها للحكومة او الفتوى وقرئ فافهمناها حكم داود بالغنم لصاحب
الحرث فقال سليمان وهو ابن احدى عشرة سنة غير هذا ارفق بالفريقين فعزم عليه ليحكمن فقال ارى ان تدفع الغنم الى اهل الحرث
ينتفعون بالبانها واولادها واصوافها والحرث الى ارباب الشاء يقومون عليه حتى يعود كهيئته يوم افسد ثم يترادان فقال
القضاء ما قضيت وامضى الحكم بذلك **فان قلت** احكما بوحي ام باجتهاد **قلت** قيل حكما جميعا
بالوحي الا ان حكومة داود نسخت بحكومة سليمان وقيل اجتهدا جميعا فجاء اجتهاد سليمان اشبه بالصواب
فان قلت ما وجه كل واحدة من الحكومتين **قلت** اما وجه حكومة داود فلان الضرر وقع بالغنم فسلمت
بجنايتها الى المجني عليه كما قال ابو حنيفة رحمه الله تعالى في العبد اذا جنى على النفس يدفعه المولى بذلك او يفديه وعند الشافعي
رحمه الله تعالى يبيعه في ذلك او يفديه ولعل قيمة الغنم كانت على قدر النقصان في الحرث ووجه حكومة سليمان انه
جعل الانتفاع بالغنم بازاء ما فاته من الانتفاع بالحرث من غير ان يزول ملك المالك عن الغنم واوجب على صاحب الغنم
ان يعمل في الحرث حتى يزول الضرر والنقصان مثاله ما قال اصحاب الشافعي فيمن غصب عبدا فابق من يده انه يضمن القيمة
فينتفع بها المغصوب منه بازاء ما فوته الغاصب من منافع العبد فاذا ظهر ترادا **فان قلت** فلو وقعت هذه
الواقعة في شريعتنا ما حكمها **قلت** ابو حنيفة واصحابه رحمهم الله تعالى لا يرون فيه ضمانا بالليل او بالنهار الا ان يكون
مع البهيمة سائق او قائد والشافعي رحمه الله تعالى يوجب الضمان بالليل وفي قوله تعالى ففهمناها سليمان دليل على ان الاصوب
كان مع سليمان وفي قوله وكلا اتينا حكما وعلما دليل على انهما جميعا كانا على الصواب يسبحن حال بمعنى مسبحات او استيناف
كانّ قائلا قال كيف سخرهن فقال يسبحن والطير اما معطوف على الجبال واما مفعول معه **فان قلت** لم قدمت
الجبال على الطير **قلت** لان تسخيرها وتسبيحها اعجب وادل على القدرة وادخل في الاعجاز لانها جماد والطير حيوان ناطق
روي انه كان يمر بالجبال مسبحا وهي تجاوبه وقيل كانت تسير معه حيث سار **فان قلت** كيف تنطق الجبال وتسبح
قلت بان يخلق الله تعالى فيها الكلام كما خلقه في الشجرة حين كلم موسى وجواب اخر وهو ان يسبح من رآها تسير بتسيير الله
فلما حملت على التسبيح وصفت به وكنا فاعلين اي قادرين على ان نفعل هذا وان كان عجبا عندكم وقيل وكنا نفعل مثل
ذلك بالانبياء • اللبوس اللباس قال • البس لكل حالة لبوسها • والمراد الدرع قال قتادة كانت صفائح فاول من
سردها وحلقها داود فجمعت الخفة والتحصين لتحصنكم قرئ بالنون والتاء والياء وتخفيف الصاد وتشديدها فالنون
لله عز وجل والتاء للصنعة او للبوس على تاويل الدرع والياء لداود او للبوس قرئ الريح والرياح بالرفع والنصب فيهما
فالرفع على الابتداء والنصب للعطف على الجبال **فان قلت** وصفت هذه الرياح بالعصف تارة وبالرخاوة اخرى
فما التوفيق بينهما **قلت** كانت في نفسها رخية طيبة كالنسيم فاذا مرت بكرسيه ابعدت به في مدة يسيرة على ما قال
غدوها شهر ورواحها شهر فكان جمعها بين الامرين ان تكون رخاء في نفسها وعاصفة في عملها مع طاعتها لسليمان
وهبوبها على حسب ما يريد اية الى اية ومعجزة مع معجزة وقيل كانت في وقت رخاء وفي وقت عاصفا لهبوبها على
حكم ارادته وقد احاط علمنا بكل شيء فنجري الاشياء كلها على ما يقتضيه علمنا وحكمتنا •

وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ
يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ •

اي يغوصون له في البحار فيستخرجون
الجواهر ويتجاوزون ذلك الى الاعمال والمهن وبناء المداين والقصور واختراع الصنايع العجيبة كما قال يعملون له ما يشاء
من محاريب وتماثيل والله تعالى حافظهم ان يزيغوا عن امره او يبدلوا او يغيروا او يوجد منهم فساد في الجملة فيما هم مسخرون
فيه •

وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ • فَاسْتَجَبْنَا لَهُ
فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ •

اي ناداه باني مسني وقرئ اني بالكسر على اضمار القول او لتضمن النداء معناه والضر بالفتح الضرر في كل شيء وبالضم
الضرر في النفس من مرض وهزال فرق بين البناءين لافتراق المعنيين • الطف في السؤال حيث ذكر نفسه بما يوجب
الرحمة وذكر ربه بغاية الرحمة ولم يصرح بالمطلوب ويحكى ان عجوزا تعرضت لسليمان بن عبد الملك فقالت يا امير المؤمنين

تامه
انا نبيها واتا بوسها

ستشت جزءان يمشي على العصى فقال لها الطف في السؤال لا جرم لا ردنها تتب وثبت لنعود ولا بيتها
جا • كان ايوب عليه السلام روميا من ولد اسحق بن يعقوب وقد استنباه الله تعالى وبسط عليه الدنيا وكثر
اهله وماله كان له سبعة بنين وسبع بنات وله اصناف البهائم وخمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امراة
وولد ونخيل فابتلاه الله تعالى بذهاب ولده انهدم عليهم البيت فهلكوا وبذهاب ماله وبالمرض في بدنه ثماني عشرة سنة وعن قتادة
ثلث عشرة وعن مقاتل سبعا وسبعة اشهر وسبع ساعات • وقالت له امراته يوما لو دعوت الله فقال لها كم
مدة الرخاء قالت ثمانين سنة فقال انا استحي من الله تعالى ان ادعوه وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي فلما كشف الله تعالى
عنه احيا ولده ورزقه مثلهم ونوافل منهم • وروي ان امراته ولدت بعد ستة وعشرين ابنا • اي لرحمتنا العابدين وانا
نذكرهم بالاحسان لا ننساهم او رحمة منا لايوب وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر حتى يثابوا كما اثيب في الدنيا والاخرة

واسمعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين • وادخلناهم في رحمتنا انهم من الصالحين

قيل في ذي الكفل هو الياس وقيل زكريا وقيل يوشع بن نون وكانه سمي بذلك لانه ذو الحظ من الله والمجد وعلى الحقيقة
وقيل كان له ضعف عمل الانبياء في زمانه وضعف ثوابهم • وقيل خمسة من الانبياء ذوو اسمين اسرائيل ويعقوب
الياس وذو الكفل عيسى والمسيح يونس وذو النون محمد واحمد صلى الله عليهم وسلم • **وذا النون اذ ذهب
مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت
من الظالمين • فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين** • النون الحوت فاضيف
اليه برم بقومه لطول ما ذكرهم فلم يذكروا واقاموا على كفرهم فراغمهم وظن ان ذلك يسوغ حيث لم يفعله الا غضبا لله تعالى
وانفة لدينه وبغضا للكفر واهله وكان عليه ان يصابر وينتظر الاذن من الله تعالى في المهاجرة عنهم فابتلي ببطن الحوت ومعنى
مغاضبته لقومه انه اغضبهم بمفارقته لخوفهم حلول العقاب عليهم عندها • وقرا ابو شرف مغضبا قرئ نقدر ونقدر بالنون
مخففا ومثقلا ويقدر بالياء بالتخفيف ويقدر ويقدر على البناء للمفعول مخففا ومثقلا وفسرت بالتضييق عليه وبتقدير
الله عليه عقوبة • وعن ابن عباس انه دخل على معوية فقال لقد ضربتني امواج القرآن البارحة فغرقت فيها فلم اجد لنفسي
خلاصا الا بك قال وما هي يا معوية فقرا هذه الآية وقال او يظن نبي الله ان لا يقدر عليه قال هذا من القدر لا من القدرة والمخفف
يصح ان يفسر بالقدرة على معنى ان لن نعمل فيه قدرتنا وان يكون من باب التمثيل بمعنى فكانت حاله ممثلة بحال من ظن ان لن نقدر عليه
في مراغمته قومه من غير انتظار لامر الله • ويجوز ان يسبق ذلك الى وهمه بوسوسة الشيطان ثم يردعه ويرده بالبرهان كما يفعل
المؤمن المحقق بنزغات الشيطان وما يوسوس اليه في كل وقت ومنه قوله تعالى وتظنون بالله الظنونا والخطاب للمؤمنين
في الظلمات اي الظلمة الشديدة المتكاثفة في بطن الحوت كقوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات وقوله يخرجونهم من النور الى
الظلمات • وقيل ظلمات بطن الحوت والبحر والليل وقيل ابتلع حوته حوت عظيم اكبر منه فحصل في ظلمتي بطني الحوتين وظلمة
البحر اي بانه لا اله الا انت او بمعنى اي • عن النبي صلى الله عليه وسلم ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له • وعن
الحسن ما نجاه والله الا اقراره على نفسه بالظلم ننجي وننجي ونجي النون لا تدغم في الجيم ومن تمحل لصحته فجعله فعل وقال نجي
النجاء المؤمنين فارسل الياء واسنده الى مصدره ونصب المؤمنين بالنجاء فمتعسف بارد التعسف • **وزكريا اذ
نادى ربه رب لا تذرني فردا وانت خير الوارثين • فاستجبنا له ووهبنا له يحيى واصلحنا
له زوجه انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين**
سال ربه ان يرزقه ولدا يرثه ولا يدعه وحيدا بلا وارث ثم رد امره الى الله تعالى مستسلما فقال وانت خير الوارثين
اي ان لم ترزقني من يرثني فلا ابالي فانك خير وارث • اصلاح زوجه ان جعلها صالحة للولادة بعد عقرها • وقيل تحسين خلقها
وكانت سيئة الخلق • الضمير للمذكورين من الانبياء يريد انهم ما استحقوا الاجابة الى طلباتهم الا لمبادرتهم ابواب الخير ومسارعتهم
في تحصيلها كما يفعل الراغبون في الامور الجادون • وقرئ رغبا ورهبا بالاسكان وهو كقوله تعالى يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه
خاشعين قال الحسن ذللا لامر الله تعالى • وعن مجاهد الخشوع الخوف الدائم في القلب • وقيل متواضعين • وسئل الاعمش
فقال اما اني سالت ابرهيم فقال الا تدري قلت افدني قال بينه وبين الله اذا ارخى ستره واغلق بابه فليرى الله منه خيرا
لعلك ترى ان ياكل خشنا ويلبس خشنا ويطاطئ راسه • **والتي احصنت فرجها فنفخنا فيها**

الاساس وراغم اباه فارقه على رغم منه وكراهة طيبي

جشبا بالجيم والباء الموحدة طعام جشب ومجشوب اي غليظ خشن وقيل هو الذي لا ادم معه ص

من

من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين • احصنت فرجها احصانا كليا من الحلال والحرام جميعا كما
قالت ولم يمسسني بشر ولم اك بغيا • فان قلت نفخ الروح في الجسد عبارة عن احيائه قال الله تعالى فاذا
سويته ونفخت فيه من روحي اي احييته واذا ثبت ذلك كان قوله فنفخنا فيها من روحنا ظاهر الاشكال لانه يدل على احياء
مريم قلت معناه نفخنا الروح في عيسى فيها اي احييناه في جوفها ونحو ذلك ان يقول الزمار نفخت في بيت فلان
اي نفخت في المزمار في بيته • ويجوز ان يراد وفعلنا النفخ في مريم من جهة روحنا وهو جبريل عليه السلام لانه نفخ في جيب
درعها فوصل النفخ الى جوفها • فان قلت هلا قيل آيتين كما قال وجعلنا الليل والنهار آيتين • قلت
لان حالهما بمجموعهما آية واحدة وهي ولادتها اياه من غير فحل • **ان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم
فاعبدون • وتقطعوا امرهم بينهم كل الينا راجعون • فمن يعمل من الصالحات
وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وانا له كاتبون** • الامة الملة وهذه اشارة الى ملة الاسلام
اي ان ملة الاسلام هي ملتكم التي يجب ان تكونوا عليها لا تنحرفون عنها يشار اليها ملة واحدة غير مختلفة وانا الهكم اله
واحد فاعبدون • ونصب الحسن امتكم على البدل من هذه ورفع امة خبرا وعنه رفعهما جميعا خبرين لهذه او نوى للثاني
مبتدا والخطاب للناس كافة والاصل وتقطعتم الا ان الكلام حرف الى الغيبة على طريقة الالتفات كانه ينعى عليهم
ما افسدوه الى آخرين ويقبح عندهم فعلهم ويقول لهم الا ترون الى عظيم ما ارتكب هؤلاء في دين الله والمعنى جعلوا امر دينهم
فيما بينهم قطعا كما يتوزع الجماعة الشيء ويتقسمونه فيطير لهذا نصيب ولذاك نصيب تمثيلا لاختلافهم فيه وصيرورتهم فرقا
واحزابا شتى ثم توعدهم بان هؤلاء الفرق المختلفة اليه يرجعون فهو محاسبهم ومجازيهم • الكفران مثل في حرمان الثواب
كما ان الشكر مثل في اعطائه اذا قيل لله شكور وقد نفى نفي الجنس ليكون ابلغ من ان يقول فلا نكفر سعيه • وانا له كاتبون
اي نحن كاتبوا ذلك السعي ومثبتوه في صحيفة عمله وما نحن مثبتوه فهو غير ضائع ومثاب عليه صاحبه • **وحرام على
قرية اهلكناها انهم لا يرجعون • حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج وهم من كل حدب
ينسلون • واقترب الوعد الحق فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا يا ويلنا قد كنا
في غفلة من هذا بل كنا ظالمين** • استعير الحرام للممتنع وجوده ومنه قوله عز وعلا ان الله حرمهما على الكافرين
اي منعهما منهم وابى ان يكونا لهم وقرئ وحرم وحرم وحرم وحرم • ومعنى اهلكناها عزمنا على اهلاكها او قدرنا اهلاكها
ومعنى الرجوع الرجوع من الكفر الى الاسلام والانابة • ومجاز الآية ان قوما عزم الله تعالى على اهلاكهم غير متصور ان يرجعوا
وينيبوا الى ان تقوم الساعة فحينئذ يرجعون ويقولون يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين يعني انهم مطبوع على
قلوبهم فلا يزالون على كفرهم ويموتون عليه حتى يروا العذاب • وقرئ انهم بالكسر وحق هذا ان يتم الكلام قبله فلا بد من تقدير
محذوف كانه قيل وحرام على قرية اهلكناها ذاك وهو المذكور في الآية المتقدمة من العمل الصالح والسعي المشكور غير المكفور
ثم علل فقيل انهم لا يرجعون عن الكفر فكيف لا يمتنع ذلك والقراءة بالفتح يصح حملها على هذا اي لانهم لا يرجعون ولا صلة
على الوجه الاول • فان قلت بم تعلقت حتى واقعة غاية له واية الثلث هي • قلت هي متعلقة بحرام
وهي غاية له لان امتناع رجوعهم لا يزول حتى تقوم القيمة وهي حتى التي يحكى بعدها الكلام والكلام المحكي الجملة من الشرط
والجزاء اعني اذا وما في حيزها حذف المضاف الى ياجوج وماجوج وهو سدهما كما حذف المضاف الى القرية وهو اهلها
فقيل فتحت كما قيل اهلكناها • وقرئ اجوج وهما قبيلتان من جنس الانس يقال الناس عشرة اجزاء تسعة منها ياجوج
وماجوج وهم راجع الى الناس المسوقين الى المحشر وقيل هم ياجوج وماجوج يخرجون حين يفتح السد الحدب النشز
من الارض وقرا ابن عباس من كل جدث وهو القبر الثاء حجازية والباء تميمية وقرئ ينسلون بضم السين ونسل
وعسل اسرع واذا هي اذا المفاجاة وهي تقع في المجازاة سادة مسد الفاء كقوله تعالى اذا هم يقنطون فاذا جاءت
الفاء معها تعاونتا على وصل الجزاء بالشرط فيتاكد ولو قيل اذا هي شاخصة او فهي شاخصة كان سديدا هي ضمير
مبهم توضحه الابصار وتفسره كما فسر الذين ظلموا واسروا • يا ويلنا متعلق بمحذوف تقديره يقولون يا ويلنا وقع
في موضع الحال من الذين كفروا • **انكم وما تعبدون من دون حصب جهنم انتم
لها واردون • لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون • لهم فيها زفير**

وهم فيها لا يسمعون ● ما تعبدون من دون الله يحتمل الاصنام وابليس واعوانه لانهم بطاعتهم لهم واتباعهم
خطواتهم في حكم عبدتهم ويصدقه ما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد وصناديد قريش في الحطيم وحول الكعبة
ثلاثمائة وستون صنما فجلس اليهم فعرض له النضر بن الحارث فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى افحمه ثم تلا انكم وما تعبدون
من دون الله الآية فاقبل عبد الله بن الزبعرى فرآهم يتهامسون فقال فيم خوضكم فاخبره الوليد بن المغيرة بقول رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله اما والله لو وجدته لخصمته فدعوه فقال ابن الزبعرى انت قلت ذلك قال نعم قال قد خصمتك ورب الكعبة
أليس اليهود عبدوا عزيرا والنصارى عبدوا المسيح وبنو مليح عبدوا الملائكة فقال صلى الله عليه وسلم بل هم عبدوا الشياطين التي
امرتهم بذلك فانزل الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الآية يعني عزيرا والمسيح والملائكة **فان قلت** لم قرنوا
بآلهتهم **قلت** لانهم لا يزالون لمقارنتهم في زيادة غم وحسرة حيث اصابهم ما اصابهم بسببهم والنظر الى وجه العدو
باب من العذاب ولانهم قدروا انهم يستشفعون بهم في الآخرة ويستنفعون بشفاعتهم فاذا صادفوا الامر على عكس ما قدروا
لم يكن شيء ابغض اليهم منهم **فان قلت** اذا عنيت بما تعبدون الاصنام فما معنى لهم فيها زفير **قلت** اذا كانوا هم واصنامهم
في قرن واحد جاز ان يقال لهم زفير وان لم يكن الزافرين الا هم دون الاصنام للتغليب ولعدم الالباس والحصب المحصوب
اي يحصب بهم في النار والحصب الرمي وقرئ بسكون الصاد وصفا بالمصدر وقرئ حطب وحضب بالضاد متحركا وساكنا
وعن ابن مسعود يجعلون في توابيت من نار فلا يسمعون ويجوز ان يصمهم الله تعالى كما يعميهم ● ان الذين سبقت
لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون ● لا يسمعون حسيسها وهم في ما اشتهت
انفسهم خالدون ● لا يحزنهم الفزع الاكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون ●
الحسنى الخصلة المفضلة في الحسن تانيث الاحسن اما السعادة واما البشرى بالثواب واما التوفيق للطاعة يروى
ان عليا رضي الله عنه قرأ هذه الآية ثم قال انا منهم وابو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف ثم اقيمت الصلوة
فقام يجر رداءه وهو يقول لا يسمعون حسيسها والحسيس الصوت الذي يحس والشهوة طلب النفس اللذة وقرئ لا يحزنهم
من احزن والفزع الاكبر قيل النفخة الاخيرة لقوله تعالى ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض
وعن الحسن الانصراف الى النار وعن الضحاك حين يطبق على النار وقيل حين يذبح الموت على صورة كبش املح اي
تستقبلهم الملائكة مهنئين على ابواب الجنة ويقولون هذا وقت ثوابكم الذي وعدكم ربكم قد حل ● يوم نطوي السماء
كطي السجل للكتاب كما بدأنا اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين ● العامل في نطوي لا يحزنهم
الفزع او تتلقاهم وقرئ تطوى السماء على البناء للمفعول والسجل بوزن العتل والسجل بوزن الدلو وروي فيه الكسر
وهو الصحيفة اي كما يطوى الطومار للكتابة اي ليكتب فيه او لما يكتب فيه لان الكتاب اصله المصدر كالبناء ثم يوقع على المكتوب
ومن جمع فمعناه للمكتوبات اي لما يكتب فيه من المعاني الكثيرة وقيل السجل ملك يطوي كتب بني آدم اذا رفعت اليه وقيل
كاتب كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم والكتاب على هذا اسم الصحيفة المكتوب فيها اول خلق مفعول نعيد الذي يفسره
نعيده والكاف مكفوفة بما والمعنى نعيد اول الخلق كما بدأناه تشبيها للاعادة بالابداء في تناول القدرة لهما على السواء
فان قلت وما اول الخلق حتى يعيده كما بداه **قلت** اوله ايجاده عن العدم فكما اوجده اولا عن عدم يعيده
ثانيا عن عدم **فان قلت** ما بال خلق منكرا **قلت** هو كقولك هو اول رجل جاءني تريد اول الرجال ولكنك
وحدته ونكرته ارادة تفصيلهم رجلا رجلا فكذلك معنى اول خلق اول الخلق بمعنى اول الخلائق لان الخلق مصدر لا يجمع
ووجه آخر وهو ان ينتصب الكاف بفعل مضمر يفسره نعيده وما موصولة اي نعيد مثل الذي بدأناه نعيده واول
خلق ظرف لبدأنا اي اول ما خلق او حال من ضمير الموصول الساقط من اللفظ الثابت في المعنى وعدا مصدر مؤكد لان
قوله نعيده عدة للاعادة انا كنا فاعلين اي قادرين على ان نفعل ذلك ● ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر
ان الارض يرثها عبادي الصالحون ● ان في ذلك لبلاغا لقوم عابدين ● عن الشعبي زبور
داود والذكر التورية وقيل اسم لجنس ما انزل على الانبياء من الكتب والذكر ام الكتاب يعني اللوح اي يرثها المؤمنون
بعد اجلاء الكفار كقوله تعالى واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها قال موسى لقومه استعينوا
بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي ارض الجنة وقيل

الارض

الارض المقدسة يرثها امة محمد صلى الله عليه وسلم الاشارة الى المذكور في هذه السورة من الاخبار والوعد والوعيد والمواعظ
البالغة والبلاغ الكفاية وما تبلغ به البغية ● وما ارسلناك الا رحمة للعالمين ● قل انما يوحى الي
انما الهكم اله واحد فهل انتم مسلمون ● فان تولوا فقل آذنتكم على سواء وان ادري
اقريب ام بعيد ما توعدون ● ارسل صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين لانه جاء بما يسعدهم ان اتبعوه
ومن خالفه ولم يتبع فانما اتي من عند نفسه حيث ضيع نصيبه منها ومثاله ان يفجر الله عينا غديقة فيسقي ناس
زروعهم ومواشيهم بمائها فيفلحوا ويبقى ناس مفرطون عن السقي فيضيعوا فالعين المفجرة في نفسها نعمة من الله ورحمة
للفريقين ولكن الكسلان محنة على نفسه حيث حرمها ما ينفعها وقيل كونه رحمة للفجار من حيث ان عقوبتهم اخرت بسببه
وامنوا به عذاب الاستيصال انما لقصر الحكم على شيء او لقصر الشيء على حكم كقولك انما زيد قائم وانما يقوم زيد وقد اجتمع
المثالان في هذه الآية لان انما يوحى الي مع فاعله بمنزلة انما يقوم زيد وانما الهكم اله واحد بمنزلة انما زيد قائم وفائدة اجتماعهما
الدلالة على ان الوحي الى رسول الله مقصور على استيثار الله تعالى بالوحدانية وفي قوله فهل انتم مسلمون ان الوحي الوارد
على هذا السنن موجب ان تخلصوا التوحيد لله وان تخلعوا الانداد وفيه ان صفة الوحدانية يصح ان يكون طريقها السمع
ويجوز ان يكون المعنى ان الذي يوحى الي فتكون ما موصولة آذن منقول من اذن اذا علم ولكنه كثر استعماله في الجري مجرى
الانذار ومنه قوله تعالى فأذنوا بحرب من الله ورسوله وقول ابن حلزة ● آذنتنا ببينها اسماء ● والمعنى اني بعد توليكم واعراضكم
عن قبول ما عرض عليكم من وجوب توحيد الله تعالى وتنزيهه عن الانداد والشركاء كرجل بينه وبين اعدائه هدنة فاحس
منهم بغدرة فنبذ اليهم العهد وشهر النبذ واشاعه وآذنهم جميعا بذلك على سواء اي مستوين في الاعلام به لم يطوه عن احد
منهم وكاشف كلهم وقشر العصا عن لحائها وما توعدون من غلبة المسلمين عليكم كائن لا محالة ولا بد من ان يلحقكم بذلك الذل
والصغار وان كنت لا ادري متى يكون ذلك لان الله تعالى لم يعلمني علمه ولم يطلعني عليه ● انه يعلم الجهر من القول
ويعلم ما تكتمون ● وان ادري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين ● قل رب احكم بالحق وربنا
الرحمن المستعان على ما تصفون ● والله تعالى عالم لا يخفى عليه ما تجاهرون به من كلام الطاعنين في
الاسلام وما تكتمونه في صدوركم من الاحن والاحقاد للمسلمين وهو مجازيكم عليه وما ادري لعل تأخير هذا الموعد امتحان لكم
لينظر كيف تعملون او تمتيع لكم الى حين ليكون ذلك حجة عليكم وليقع الموعد في وقت هو فيه حكمة وقرئ قل وقال على حكاية
قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ورب احكم على الاكتفاء بالكسرة ورب احكم على الضم وربي احكم على افعل التفضيل وربي
احكم من الاحكام امر باستعجال العذاب لقومه فعذبوا ببدر ومعنى بالحق لا تحابهم وشدد عليهم كما هو حقهم كما قال اشدد
وطأتك على مضر وقرئ تصفون بالتاء والياء كانوا يصفون الحال على خلاف ما جرت عليه وكانوا يطمعون ان تكون لهم
الشوكة والغلبة فكذب الله تعالى ظنونهم وخيب آمالهم ونصر رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وخذلهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ اقترب للناس حسابهم حاسبه الله حسابا يسيرا وصافحه وسلم عليه كل نبي ذكر اسمه في القرآن ○

سورة الحج مكية

غير ست آيات وهي هذان خصمان الى صراط الحميد وهي ثمان وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم ● يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة
شيء عظيم ● الزلزلة شدة التحريك والازعاج وان يضاعف زليل الاشياء عن مقارها ومراكزها ولا تخلو
الساعة من ان تكون على تقدير الفاعلة لها كانها هي التي تزلزل الاشياء على المجاز الحكمي فتكون الزلزلة مصدرا مضافا
الى فاعله او على تقدير المفعول فيها على طريقة الاتساع في الظرف واجرائه مجرى المفعول به كقوله تعالى بل مكر الليل والنهار
وهي الزلزلة المذكورة في قوله اذا زلزلت الارض زلزالها واختلف في وقتها فعن الحسن انها تكون يوم القيامة وعن
علقمة والشعبي عند طلوع الشمس من مغربها امر بني آدم بالتقوى ثم علل وجوبها عليهم بذكر الساعة ووصفها باهول
صفة لينظروا الى تلك الصفة ببصائرهم ويتصوروها بعقولهم حتى يبقوا انفسهم ويرحموها من شدائد ذلك اليوم بامتثال
ما امرهم به ربهم من التردي بلباس التقوى الذي لا يؤمنهم من تلك الافزاع الا ان يرتدوا به ● يوم ترونها

تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم
بسكارى ولكن عذاب الله شديد • روى ان هاتين الآيتين نزلتا ليلا في غزوة بني المصطلق
فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ير اكثر باكيا من تلك الليلة فلما اصبحوا لم يحطوا السروج عن الدواب ولم يضربوا
الخيام وقت النزول ولم يطبخوا قدرا وكانوا من بين حزين وباك ومفكر يوم ترونها منصوب بتذهل والضمير للزلزلة
وقرئ تذهل كل مرضعة على البناء للمفعول وتذهل كل مرضعة اي تذهلها الزلزلة والذهول الذهاب عن الامر مع
دهشة **فان قلت** لم قيل مرضعة دون مرضع **قلت** المرضعة هي التي في حال الارضاع ملقمة ثديها
الصبي والمرضع التي شانها ان ترضع وان لم تباشر الارضاع في حال وصفها به فقيل مرضعة ليدل على ان ذلك
الهول اذا فوجئت به هذه وقد القمت الرضيع ثديها نزعته عن فيه لما يلحقها من الدهشة عما ارضعت عن ارضاعها
او عن الذي ارضعته وهو الطفل وعن الحسن تذهل المرضعة عن ولدها لغير فطام وتضع الحامل ما في بطنها لغير تمام
وترى وترى بالضم من اريتك قائما او رئيتك قائما والناس منصوب مرفوع والنصب ظاهر ومن رفع جعل الناس اسم ترى
وانثه على تاويل الجماعة وقرئ سكرى وبسكرى وهو نظير جوعى وعطشى في جوعان وعطشان وسكارى وسكارى
نحو كسالى وعجالى وعن الاعمش سكرى وبسكرى بالضم وهو غريب والمعنى وتراهم سكارى على التشبيه وما هم بسكارى على
التحقيق ولكن ما رهقهم من خوف عذاب الله هو الذي اذهب عقولهم وطير تمييزهم وردهم في نحو حال من يذهب السكر بعقله
وتمييزه وقيل وتراهم سكارى من الخوف وما هم بسكارى من الشراب **فان قلت** لم قيل اولا ترون ثم قيل ترى
على الافراد **قلت** لان الرؤية علقت اولا بالزلزلة فجعل الناس جميعا رائين لها وهي معلقة اخرا بكون الناس
على حال السكر فلا بد من ان يجعل كل واحد منهم رائيا لسائرهم • ومن الناس من يجادل في الله
بغير علم ويتبع كل شيطان مريد • كتب عليه انه من تولاه فانه يضله ويهديه الى عذاب السعير
قيل نزلت في النضر بن الحارث وكان جدلا يقول الملائكة بنات الله تعالى والقرآن اساطير الاولين والله غير قادر على
احياء من بلى وصار ترابا وهي عامة في كل من تعاطى الجدال فيما يجوز على الله تعالى وما لا يجوز من الصفات والافعال ولا
يرجع الى علم ولا يعض فيه بضرس قاطع وليس فيه اتباع للبرهان ولا نزول على النصفة فهو يخبط خبط عشواء غير فارق بين
الحق والباطل ويتبع في ذلك خطوات كل شيطان عات علم من حاله وظهر وتبين انه من جعله وليا له لم تثمر له ولايته الا الاضلال
عن طريق الجنة والهداية الى النار وما ارى رؤساء اهل الاهواء والبدع والحشوية المتلقبين بالائمة في دين الله عز وجل
الا داخلين تحت كل هذا وهو اوغل اي بل هم اشد الشياطين اضلالا واقطعهم لطريق الحق حيث دونوا الضلال تدوينا ولقنوه
اشياعهم تلقينا وكانهم ساطوه بلحومهم ودمائهم واياهم عنى من قال • ويا رب مقفو الخطى بين قومه • طريق نجاة عندهم
مستوى نهج • ولو قرؤا في اللوح ما خط فيه من • بيان اعوجاج في طريقته عجوا • اللهم ثبتنا على المعتقد الصحيح الذي
رضيته لملائكتك في سمواتك وانبيائك في ارضك وادخلنا برحمتك في عبادك الصالحين والكتبة عليه مثل اي كانما
كتب اضلال من يتولاه عليه ورقم به لظهور ذلك في حاله وقرئ انه فانه بالفتح والكسر فمن فتح فلان الاول فاعل كتب والثاني
عطف عليه ومن كسر فعلى حكاية المكتوب كما هو كانما كتب عليه هذا الكلام كما تقول كتبت ان الله هو الغني الحميد او على تقدير
قيل او على ان كتب فيه معنى القول • يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب
ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الارحام ما نشاء
الى اجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا اشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى ارذل
العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا • الحسن من البعث بالتحريك ونظيره الجلب والطرد في الجلب والطرد كانه
قيل ان ارتبتم في البعث فمزيل ريبكم ان تنظروا في بدء خلقكم والعلقة قطعة الدم الجامدة والمضغة اللحمة الصغيرة
قدر ما يمضغ والمخلقة المسواة الملساء من النقصان والعيب يقال خلق السواك والعود اذا سواه وملسه من قولهم
صخرة خلقاء اذا كانت ملساء كان الله تعالى يخلق المضغ متفاوتة منها ما هو كامل الخلقة املس من العيوب ومنها ما هو
على عكس ذلك فيتبع ذلك التفاوت تفاوت الناس في خلقهم وصورهم وطولهم وقصرهم وتمامهم ونقصانهم وانما نقلناكم
من حال الى حال ومن خلقة الى خلقة لنبين لكم بهذا التدريج قدرتنا وحكمتنا وان من قدر على خلق البشر من تراب اولا ثم

من

من نطفة ثانيا ولا تناسب بين التراب والماء وقدر على ان يجعل النطفة علقة وبينهما تباين ظاهر ثم يجعل العلقة
مضغة والمضغة عظاما قدر على اعادة ما ابداه بل هذا ادخل في القدرة من تلك واهون في القياس وورود الفعل
غير معدى الى المبين اعلام بان افعاله هذه يتبين بها من قدرته وعلمه ما لا يكتنهه الذكر ولا يحيط به الوصف وقرا ابن ابي عبلة
ليبين لكم ويقر بالياء وقرئ ونقر ونخرجكم بالنون والنصب ويقر ويخرجكم بالنصب والرفع وعن يعقوب نقر بالنون
وضم القاف من قر الماء اذا صبه فالقراءة بالرفع اخبار بانه يقر في الارحام ما يشاء ان يقره من ذلك الى اجل مسمى
وهو وقت الوضع آخر ستة اشهر او تسعة او سنتين او اربع او اكثر او كما شاء وقدر وما لم يشأ اقراره مجته الارحام او
اسقطته والقراءة بالنصب تعليل معطوف على تعليل ومعناه خلقناكم مدرجين هذا التدريج لغرضين احدهما ان
نبين قدرتنا والثاني ان نقر في الارحام من نقر حتى يولدوا وينشؤا ويبلغوا حد التكليف فاكلفهم ويعضد هذه
القراءة قوله تعالى ثم لتبلغوا اشدكم ووحده لان الغرض الدلالة على الجنس ويحتمل نخرج كل واحد منكم طفلا الاشد
كمال القوة والعقل والتمييز وهو من الفاظ الجموع التي لم يستعمل لها واحد كالاسدة والقتود وغير ذلك وكانها شدة
في غير شيء واحد فبنيت لذلك على لفظ الجمع وقرئ ومنكم من يتوفى اي يتوفاه الله تعالى ارذل العمر الهرم والخرف
حتى يعود كهيئته الاولى في اوان طفولته ضعيف البنية سخيف العقل قليل الفهم بين انه كما قدر على ان يرقيه في درجات
الزيادة حتى يبلغه حد التمام فهو قادر على ان يحطه حتى ينتهي به الى الحالة السفلى لكيلا يعلم من بعد علم شيئا اي ليصير نساء
بحيث اذا كسب علما في شيء لم ينشب ان ينساه ويزل عنه علمه حتى يسأل عنه من ساعته يقول لك من هذا فتقول فلان
فما يلبث لحظة الا سألك عنه وقرأ ابو عمرو العمر بسكون الميم • وترى الارض هامدة فاذا انزلنا
عليها الماء اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج • ذلك بان الله هو الحق
وانه يحيي الموتى وانه على كل شيء قدير • وان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث
من في القبور • الهامدة الميتة اليابسة وهذه دلالة ثانية على البعث ولظهورها وكونها مشاهدة معاينة
كررها الله تعالى في كتابه اهتزت وربت تحركت بالنبات وانتفخت وقرئ ربأت اي ارتفعت والبهيج الحسن
السار للناظر اليه اي ذلك الذي ذكرنا من خلق بني آدم واحياء الارض مع ما في تضاعيف ذلك من اصناف
الحكم واللطائف حاصل بهذا وهو السبب في حصوله ولولاه لم يتصور كونه وهو ان الله هو الحق اي الثابت الموجود وانه
قادر على احياء الموتى وعلى كل مقدور وانه حكيم لا يخلف ميعاده وقد وعد الساعة والبعث فلا بد ان يفي بما وعد •
ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير • ثاني عطفه ليضل
عن سبيل الله له في الدنيا خزي ونذيقه يوم القيمة عذاب الحريق • ذلك بما قدمت
يداك وان الله ليس بظلام للعبيد • عن ابن عباس رضي الله عنهما انه ابو جهل بن هشام وقيل كرر كما
كررت سائر الاقاصيص وقيل الاول في المقلدين وهذا في المقلدين والمراد بالعلم العلم الضروري وبالهدى الاستدلال
والنظر لانه يهدي الى المعرفة وبالكتاب المنير الوحي اي يجادل بظن وتخمين لا باحد هذه الثلاثة وثني العطف عبارة عن
الكبر والخيلاء كتصعير الخد ولي الجيد وقيل عن الاعراض عن الذكر وعن الحسن ثاني عطفه بفتح العين اي مانع تعطفه
ليضل تعليل للمجادلة قرئ بضم الياء وفتحها **فان قلت** ما كان غرضه في جداله الضلال عن سبيل الله فكيف علل
به وما كان ايضا مهتديا حتى اذا جادل خرج بالجدال من الهدى الى الضلال **قلت** لما ادى جداله الى الضلال جعل كانه
غرضه ولما كان الهدى معرضا له فتركه واعرض عنه واقبل على الجدال بالباطل جعل كالخارج من الهدى الى الضلال وخزيه
ما اصابه يوم بدر من الصغار والقتل والسبب فيما مني به من خزي الدنيا وعذاب الآخرة هو ما قدمت يداه وعدل الله
في معاقبته الفجار واثابته الصالحين • ومن الناس من يعبد الله على حرف فان اصابه خير اطمان
به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين •
على حرف على طرف من الدين لا في وسطه وقلبه وهذا مثل لكونهم على قلق واضطراب في دينهم لا على سكون وطمانينة كالذي
يكون على طرف من العسكر فان احس بظفر وغنيمة قر واطمان والا فر وطار على وجهه قالوا نزلت في اعاريب قدموا
المدينة وكان احدهم اذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرا سريا وولدت امراته غلاما سويا وكثر ماله وماشيته قال ما اصبت منذ

دخلت في ديني هذا الا خيرا واطمان وان كان بخلافه قال ما اصبت الا شرا وانقلب وعن ابي سعيد الخدري ان
رجلا من اليهود اسلم فاصابته مصايب فتشاءم بالاسلام فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اقلني فقال ان الاسلام لا يقال
فنزلت المصاب بالمحنة بترك التسليم لقضاء الله تعالى والخروج الى ما يسخط الله جامع على نفسه محنتين ذهاب ما اصيب
والثانية ذهاب ثواب الصابرين فهو خسران الدارين وقرئ خاسر الدنيا والاخرة بالنصب والرفع فالنصب على الحال والرفع على
الفاعلية ووضع الظاهر موضع الضمير وهو وجه حسن او على انه خبر مبتدا محذوف يدعو من دون الله ما لا
يضره وما لا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد يدعو لمن ضره اقرب من نفعه لبئس
المولى ولبئس العشير استعير الضلال البعيد من ضلال من ابعد في التيه ضالا فطالت وبعدت مسافة
ضلاله فان قلت الضرر والنفع منفيان عن الاصنام مثبتان لها في الايتين وهذا تناقض قلت
اذا حصل المعنى ذهب هذا الوهم وذلك ان الله تعالى سفه الكافر بانه يعبد جمادا لا يملك ضرا ولا نفعا وهو يعتقد فيه بجهله
وضلاله انه يستنفع به حين يستشفع به ثم قال يوم القيمة يقول هذا الكافر بدعاء وصراخ حين يرى استضراره بالاصنام
ودخوله النار بعبادتها ولا يرى اثر الشفاعة التي ادعاها لها لمن ضره اقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير او كرر يدعو
كانه قال يدعو يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ثم قال لمن ضره بكونه معبودا اقرب من نفعه بكونه شفيعا لبئس المولى
وفي حرف عبد الله من ضره بغير لام المولى الناصر والعشير الصاحب كقوله تعالى فبئس القرين ان الله يدخل
الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار ان الله يفعل ما يريد
من كان يظن ان لن ينصره الله في الدنيا والاخرة فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع
فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ هذا الكلام قد دخله اختصار والمعنى ان الله تعالى ناصر رسوله في الدنيا
والاخرة فمن كان يظن من حاسديه واعاديه ان الله تعالى يفعل خلاف ذلك ويطمع فيه ويغيظه انه لا يظفر بمطلوبه فليستقص
وسعه وليستفرغ مجهوده في ازالة ما يغيظه بان يفعل ما يفعل من بلغ منه الغيظ كل مبلغ حتى مد حبلا الى سماء بيته فاختنق
فلينظر وليصور في نفسه انه ان فعل ذلك هل يذهب نصر الله الذي يغيظه وسمي الاختناق قطعا لان المختنق يقطع نفسه
بحبس مجاريه ومنه قيل للبهر القطع وسمي فعله كيدا لانه وضعه موضع الكيد حيث لم يقدر على غيره او على سبيل الاستهزاء لانه
لم يكد به محسوده وانما كاد به نفسه والمراد ليس في يده الا ما ليس بمذهب لما يغيظ وقيل فليمدد بحبل الى السماء المظلة
وليصعد عليه فليقطع الوحي ان ينزل عليه وقيل كان قوم من المسلمين لشدة غيظهم وحنقهم على المشركين يستبطئون
ما وعد الله رسوله من النصر واخرون من المشركين يريدون اتباعه ويخشون ان لا يثبت امره فنزلت وقد فسر النصر
بالرزق وقيل معناه ان الارزاق بيد الله لا تنال الا بمشيته ولا بد للعبد من الرضا بقسمته فمن ظن ان الله غير
رازقه وليس به صبر واستسلام فليبلغ غاية الجزع وهو الاختناق فان ذلك لا يقلب القسمة ولا يرده مرزوقا
وكذلك انزلناه ايات بينات وان الله يهدي من يريد اي ومثل ذلك الانزال انزلنا
القران كله ايات بينات ولان الله يهدي به الذين يعلم انهم يؤمنون او يثبت الذين امنوا او يزيدهم هدى انزله
كذلك مبينا ان الذين امنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس
والذين اشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيمة ان الله على كل شيء شهيد
الفصل مطلق يحتمل الفصل بينهم في الاحوال والاماكن جميعا فلا يجازيهم جزاء واحدا بغير تفاوت ولا يجمعهم في
موطن واحد وقيل الاديان خمسة اربعة للشيطان وواحد للرحمن جعل الصابئون مع النصارى لانهم نوع منهم
وقيل يفصل بينهم يقضي بينهم اي بين المؤمنين والكافرين وادخلت ان على كل واحد من جزئي الجملة لزيادة التاكيد
ونحوه قول جرير ان الخليفة ان الله سربله سربال ملك به ترجى الخواتيم الم تر ان الله يسجد له
من في السموات ومن في الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب
وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم ان الله
يفعل ما يشاء سميت مطاوعتها له فيما يحدث فيها من افعاله ويجريها عليه من تدبيره وتسخيره لها سجودا
تشبيها لمطاوعتها باذعان افعال المكلف في باب الطاعة والانقياد وهو السجود الذي كل خضوع دونه

فان قلت فما تصنع بقوله وكثير من الناس فان فيه من الاعتراضين احدهما ان السجود على المعنى الذي
فسرته به لا يسجده بعض الناس دون بعض والثاني ان السجود قد اسند على سبيل العموم الى من في الارض من الانس والجن
اولا فاسناده الى كثير منهم اخرا مناقضة قلت لا انظمه في نظم المفردات المتناسقة الداخلة تحت حكم الفعل وانما
ارفعه بفعل مضمر يدل عليه قوله يسجد اي ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة وعبادة ولم اقل افسر يسجد الذي هو ظاهر بمعنى الطاعة والعبادة
في حق هؤلاء لان اللفظ الواحد لا يصح استعماله في حالة واحدة على معنيين مختلفين او ارفعه على الابتداء والخبر محذوف وهو مثاب
لان خبر مقابله يدل عليه وهو قوله تعالى حق عليه العذاب ويجوز ان يجعل من الناس خبرا له اي من الناس الذين هم الناس على الحقيقة
وهم الصالحون والمتقون ويجوز ان يبالغ في تكثير المحقوقين بالعذاب فيعطف كثير على كثير ثم يخبر عنهم بحق عليهم العذاب كانه
قيل وكثير وكثير من الناس حق عليهم العذاب وقرئ حق بالضم وقرئ حقا ومن اهانه الله تعالى بان كتب عليه الشقاوة لما
سبق في علمه من كفره او فسقه فقد بقي مهانا لن يجد له مكرما وقرئ مكرم بفتح الراء بمعنى الاكرام انه يفعل ما يشاء من الاكرام
والاهانة ولا يشاء من ذلك الا ما يقتضيه عمل العاملين واعتقاد المعتقدين هذان خصمان اختصموا
في ربهم فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رءوسهم الحميم يصهر
به ما في بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد الخصم صفة وصف بها الفوج او الفريق فكانه
قيل هذان فوجان او فريقان يختصمان وقوله هذان للفظ واختصموا للمعنى كقوله ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا
ولو قيل هؤلاء خصمان او اختصما جاز يراد المؤمنون والكافرون قال ابن عباس رجع الى اهل الاديان الستة في ربهم اي في
دينه وصفاته وروي ان اهل الكتاب قالوا للمؤمنين نحن احق بالله واقدم منكم كتابا ونبينا وقال المؤمنون نحن احق بالله امنا
بمحمد وامنا بنبيكم وبما انزل الله تعالى من كتاب وانتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم تركتموه وكفرتم به حسدا فهذه خصومتهم في ربهم
فالذين كفروا هو فصل الخصومة المعني بقوله تعالى ان الله يفصل بينهم يوم القيمة وفي رواية عن الكسائي خصمان بالكسر
وقرئ قطعت بالتخفيف كان الله تعالى يقدر لهم نيرانا على مقادير جثثهم تشتمل عليهم كما تقطع الثياب الملبوسة ويجوز ان تظاهر
على كل واحد منهم تلك النيران كالثياب المتظاهرة على اللابس بعضها فوق بعض ونحوه سرابيلهم من قطران الحميم الماء الحار
عن ابن عباس رضي الله عنهما لو سقطت منه نقطة على جبال الدنيا لاذابتها يصهر يذاب وعن الحسن بتشديد الهاء للمبالغة
اي اذا صب على رءوسهم كان تاثيره في الباطن نحو تاثيره في الظاهر فيذيب امعاءهم واحشاءهم كما يذيب جلودهم وهو ابلغ من
قوله وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم والمقامع السياط في الحديث لو وضعت مقمعة منها في الارض فاجتمع عليها الثقلان ما اقلوها
كلما ارادوا ان يخرجوا منها من غم اعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق وقرا الاعمش ردوا
فيها والاعادة والرد لا يكون الا بعد الخروج فالمعنى كلما ارادوا ان يخرجوا منها من غم فخرجوا اعيدوا فيها ومعنى الخروج ما يروى عن الحسن
ان النار تضربهم بلهبها فترفعهم حتى اذا كانوا في اعلاها ضربوا بالمقامع فهووا فيها سبعين خريفا وقيل لهم ذوقوا عذاب الحريق والحريق
الغليظ من النار المنتشر العظيم الاهلاك ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري
من تحتها الانهار يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير يحلون عن ابن عباس
من حليت المراة فهي حال ولؤلؤا بالنصب على ويؤتون لؤلؤا كقوله وحورا عينا ولولوا بقلب الهمزة الثانية واوا ولوليا بقلبهما
واوين ثم بقلب الثانية ياء كادل ولولي كادل فيمن جر ولول ولوليا بقلبهما ياءين وهدوا الى الطيب من القول
وهدوا الى صراط الحميد عن ابن عباس وهداهم الله تعالى والهمهم ان يقولوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وهداهم
الى طريق الجنة ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس
سواء العاكف فيه والبادي ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم يقال فلان يحسن
الى الفقراء وينعش المضطهدين لا يراد حال ولا استقبال وانما يراد استمرار وجود الاحسان منه والنعشة في جميع ازمنته
واوقاته ومنه قوله ويصدون عن سبيل الله اي الصدود منهم مستمر دائم للناس اي للذين يقع عليهم اسم الناس من غير فرق بين حاضر
وباد وتاني وطاري ومكي وافاقي وقد استشهد به اصحاب ابي حنيفة رحمهم الله تعالى قائلين ان المراد بالمسجد الحرام مكة على امتناع
جواز بيع دور مكة واجارتها وعند الشافعي رحمه الله تعالى لا يمتنع ذلك وقد حاور اسحق بن راهويه فاحتج بقوله الذين اخرجوا
من ديارهم فقال انسب الديار الى مالكيها او غير مالكيها واشترى عمر بن الخطاب رضي الله عنه دار السجن من مالكيه او غير مالكيه

سواءً بالنصب قراءة حفص والباقون على الرفع ووجه النصب انه ثاني مفعولي جعلناه اي جعلناه مستويا العاكف فيه
والباد وفي القراءة بالرفع الجملة مفعول ثان الالحاد العدول عن القصد واصله الحاد الحافر وقوله بالحاد بظلم حالان
مترادفان ومفعول يرد متروك ليتناول كل متناول كانه قال ومن يرد فيه مرادا ما عادلا عن القصد ظالما نذقه من عذاب
اليم يعني ان الواجب على من كان فيه ان يضبط نفسه ويسلك طريق السداد والعدول في جميع ما يهم به ويقصده وقيل
الالحاد في الحرم منع الناس عن عمارته وعن سعيد بن جبير الاحتكار وعن عطاء قول الرجل في المبايعة لا والله وبلى والله
وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما انه كان له فسطاطان احدهما في الحل والاخر في الحرم فاذا اراد ان يعاتب اهله عاتبهم
في الحل فقيل له فقال كنا نحدث ان من الالحاد فيه ان يقول الرجل لا والله وبلى والله وقرئ يرد بفتح الياء من الورود
ومعناه من اتى فيه بالحاد ظالما وعن الحسن ومن يرد الحاده بظلم اراد الحادا فيه فاضافه على الاتساع في الظرف كمكر الليل
ومعناه من يرد ان يلحد فيه ظالما وخبر ان محذوف لدلالة جواب الشرط عليه تقديره ان الذين كفروا ويصدون عن المسجد الحرام
نذيقهم من عذاب اليم وكل من ارتكب فيه ذنبا فهو كذلك **وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ
بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ** واذكر حين جعلنا لابراهيم مكان
البيت مباءة اي مرجعا يرجع اليه للعمارة والعبادة رفع البيت الى السماء ايام الطوفان وكان من ياقوتة حمراء فاعلم الله تعالى
ابراهيم مكانه بريح ارسلها يقال لها الخجوج كنست ما حوله فبناه على اسه القديم وان هي المفسرة **فان قلت**
كيف يكون النهي عن الشرك والامر بتطهير البيت تفسيرا للتبوئة **قلت** كانت التبوئة مقصودة من اجل العبادة فكانه
قيل تعبدنا ابرهيم قلنا له لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي من الاصنام والاوثان والاقذار ان تطرح حوله وقرئ يشرك بالياء على الغيبة
وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ وآذن في الناس ناديهم
وقرأ ابن محيصن وآذن والنداء بالحج ان يقول حجوا او عليكم بالحج وروي انه صعد ابا قبيس فقال ايها الناس حجوا بيت ربكم
وعن الحسن انه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم امر ان يفعل ذلك في حجة الوداع رجالا مشاة جمع راجل كقائم وقيام
وقرئ رجالا بضم الراء مخفف الجيم ومثقله ورجالى كعجالى عن ابن عباس وعلى كل ضامر حال معطوفة على حال كانه قيل رجالا وركبانا
يأتين صفة لكل ضامر لانه في معنى الجمع وقرئ يأتون صفة للرجال والركبان والعميق البعيد وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه معيق يقال
بئر بعيدة العمق والمعق **لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ
مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ** نكر المنافع لانه اراد منافع مختصة بهذه العبادة
دينية ودنيوية لا توجد في غيرها من العبادات وعن ابي حنيفة رحمه الله تعالى انه كان يفاضل بين العبادات قبل ان حج
فلما حج فضل الحج على العبادات كلها لما شاهد من تلك الخصائص وكنى عن النحر والذبح بذكر اسم الله لان اهل الاسلام لا ينفكون
عن ذكر اسمه تعالى اذا نحروا او ذبحوا وفيه تنبيه على ان الغرض الاصلي فيما يتقرب به الى الله تعالى ان يذكر اسمه وقد حسن الكلام
تحسينا بينا ان جمع بين قوله ليذكروا اسم الله وقوله على ما رزقهم ولو قيل لينحروا في ايام معلومات بهيمة الانعام لم
تر شيئا من ذلك الحسن والروعة الايام المعلومات ايام العشر عند ابي حنيفة رحمه الله وهو قول الحسن وقتادة وعند صاحبيه
هي ايام النحر البهيمة مبهمة في كل ذات اربع في البر والبحر فبينت بالانعام وهي الابل والبقر والضان والمعز الامر
بالاكل منها امر اباحة لان اهل الجاهلية كانوا لا يأكلون من نسائكهم ويجوز ان يكون ندبا لما فيه من مساواة الفقراء ومواساتهم
ومن استعمال التواضع ومن ثم استحب الفقهاء ان يأكل الموسع من اضحيته مقدار الثلث وعن ابن مسعود انه بعث بهدي
وقال فيه اذا نحرته فكل وتصدق وابعث منها الى عتبة يعني ابنه وفي الحديث كلوا وادخروا وائتجروا البائس الذي اصابه بؤس
اي شدة والفقير الذي اضعفه الاعسار **ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ**
قضاء التفث قص الشارب والاظفار ونتف الابط والاستحداد والتفث الوسخ فالمراد قضاء ازالة التفث وقرئ
وليوفوا بتشديد الفاء نذورهم مواجب حجهم او ما عسى ينذرونه من اعمال البر في حجهم وليطوفوا طواف الافاضة
طواف الزيارة الذي هو من اركان الحج ويقع به تمام التحلل وقيل طواف الصدر وهو طواف الوداع العتيق القديم لانه اول بيت
وضع للناس عن الحسن وعن قتادة اعتق من الجبابرة كم من جبار سار اليه ليهدمه فمنعه الله تعالى وعن مجاهد لم يملك قط وعن
مجاهد اعتق من الغرق وقيل بيت كريم من قولهم عتاق الخيل والطير **فان قلت** قد تسلط عليه الحجاج فلم يمنع **قلت**

انما قصد التسلط عليه وانما تحصن به ابن الزبير فاحتال لاخراجه ثم بناه ولما قصد التسلط عليه ابرهة فعل به ما فعل **ذَٰلِكَ
وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا
الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ** ذلك خبر مبتدأ محذوف اي الامر والشأن ذلك كما يقدم الكاتب
جملة من كتابه في بعض المعاني ثم اذا اراد الخوض في معنى آخر قال هذا وقد كان كذا والحرمة ما لا يحل هتكه وجميع ما كلفه الله عز وجل
بهذه الصفة من مناسك الحج وغيرها فيحتمل ان يكون عاما في جميع تكاليفه ويحتمل ان يكون خاصا فيما يتعلق بالحج وعن زيد بن
اسلم الحرمات خمس الكعبة الحرام والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام والمحرم حتى يحل فهو خير له اي فالتعظيم خير له ومعنى التعظيم
العلم بانها واجبة المراعاة والحفظ والقيام بمراعاتها المتلو لا يستثنى من الانعام ولكن المعنى الا ما يتلى عليكم آية تحريمه وذلك
قوله تعالى في سورة المائدة حرمت عليكم الميتة والمعنى ان الله تعالى قد احل لكم الانعام كلها الا ما استثناه في كتابه فحافظوا
على حدوده واياكم ان تحرموا مما احل شيئا كتحريم عبدة الاوثان البحيرة والسائبة وغير ذلك وان تحلوا مما حرم كاحلالهم
اكل الموقوذة والميتة وغير ذلك لما حث على تعظيم حرماته واحمد من يعظمها اتبعه الامر باجتناب الاوثان وقول الزور لان توحيد
الله ونفي الشركاء عنه وصدق القول اعظم الحرمات واسبقها خطوا وجمع الشرك وقول الزور في قران واحد وذلك ان
الشرك من باب الزور لان المشرك زاعم ان الوثن تحق له العبادة فكانه قال فاجتنبوا عبادة الاوثان التي هي راس الزور
واجتنبوا قول الزور كله لا تقربوا شيئا منه لتماديه في القبح والسماجة وما ظنك بشيء من قبيله عبادة الاوثان وسمى الاوثان
رجسا وكذلك الخمر والميسر والازلام على طريق التشبيه يعني انكم كما تنفرون بطباعكم عن الرجس وتجتنبونه فعليكم ان
تنفروا عن هذه الاشياء مثل تلك النفرة ونبه على هذا المعنى بقوله رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه جعل العلة في
اجتنابه انه رجس والرجس مجتنب من الاوثان بيان للرجس وتمييز له كقولك عندي عشرون من الدراهم لان الرجس مبهم يتناول
غير شيء كانه قيل فاجتنبوا الرجس الذي هو الاوثان والزور من الزور والازورار وهو الانحراف كما ان الافك من افكه اذا صرفه
وقيل قول الزور قولهم هذا حلال وهذا حرام وما اشبه ذلك من افترائهم وقيل شهادة الزور عن النبي صلى الله عليه وسلم انه صلى
الصبح فلما سلم قام قائما فاستقبل الناس بوجهه وقال عدلت شهادة الزور الاشراك بالله عدلت شهادة الزور الاشراك بالله
عدلت شهادة الزور الاشراك بالله وتلا هذه الآية وقيل الكذب والبهتان وقيل قول اهل الجاهلية في تلبيتهم لبيك لا شريك
لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك **حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ
مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ** يجوز في هذا التشبيه ان يكون من المركب
والمفرق فان كان تشبيها مركبا فكانه قال من اشرك بالله فقد اهلك نفسه اهلاكا ليس بعده بان صور حاله بصورة حال من خر
من السماء فاختطفته الطير فتفرق مزعا في حواصلها او عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المطارح البعيدة وان كان مفرقا
فقد شبه الايمان في علوه بالسماء والذي ترك الايمان واشرك بالله بالساقط من السماء والاهواء التي تتوزع افكاره بالطير
المختطفة والشيطان الذي يطوح به في وادي الضلالة بالريح التي تهوي بما عصفت به في بعض المهاوي المتلفة وقرئ فتخطفه
بكسر الخاء والطاء وبكسر التاء مع كسرهما وهي قراءة الحسن واصلها تختطفه وقرئ الرياح **ذَٰلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ
فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ** تعظيم الشعائر وهي الهدايا لانها من معالم الحج ان يختارها عظام الاجرام حسانا
سمانا غالية الاثمان ويترك المكاس في شرائها فقد كانوا يغالون في ثلاث ويكرهون المكاس فيهن الهدي والاضحية والرقبة
وروى ابن عمر عن ابيه رضي الله عنهما انه اهدى نجيبة طلبت منه بثلثمائة دينار فسال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبيعها
ويشتري بثمنها بدنا فنهاه عن ذلك وقال بل اهدها واهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة بدنة فيها جمل لابي جهل في
انفه برة من ذهب وكان ابن عمر يسوق البدن مجللة بالقباطي فيتصدق بلحومها وبجلالها ويعتقد ان طاعة الله تعالى
في التقرب بها واهدائها الى بيته المعظم امر عظيم لا بد ان يقام به ويسارع فيه فانها من تقوى القلوب اي فان تعظيمها من افعال
ذوي تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات ولا يستقيم المعنى الا بتقديرها لانه لا بد من راجع من الجزاء الى من ليرتبط
به وانما ذكرت القلوب لانها مراكز التقوى التي اذا ثبتت فيها وتمكنت ظهر اثرها في سائر الاعضاء **لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ
إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ** الى اجل مسمى الى ان تنحر ويتصدق بلحومها ويؤكل
منها وثم للتراخي في الوقت فاستعيرت للتراخي في الاحوال والمعنى ان لكم في الهدايا منافع كثيرة في دنياكم ودينكم وانما يعتد الله

بالمنافع الدينية قال سبحانه تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة واعظم هذه المنافع وابعدها شوطا في النفع محلها
الى البيت اى وجوب نحرها او وقت وجوب نحرها منتهية الى البيت كقوله تعالى هديا بالغ الكعبة والمراد الحرم الذى
هو فى حكم البيت لان الحرم هو حريم البيت ومثل هذا فى الاتساع قولك بلغنا البلد وانما شارفتموه
واتصل مسيركم بحدوده وقيل المراد بالشعائر المناسك كلها ومحلها الى البيت العتيق يأباه ولكل امة
جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام شرع الله تعالى
لكل امة ان ينسكوا له اى يذبحوا لوجهه على وجه التقرب وجعل العلة فى ذلك ان يذكر اسمه تقدست اسماؤه
على المناسك وقرئ منسكا بفتح السين وكسرها وهو مصدر بمعنى النسك والمكسور يكون بمعنى الموضع فله اسلموا
اى اخلصوا له الذكر خاصة واجعلوه لوجهه سالما اى خالصا لا تشوبوه باشراك فالهكم اله واحد فله
اسلموا وبشر المخبتين الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما
اصابهم والمقيمى الصلوة ومما رزقناهم ينفقون المخبتون المتواضعون الخاشعون
من الخبت وهو المطمئن من الارض وقيل هم الذين لا يظلمون واذا ظلموا لم ينتصروا وقرأ الحسن والمقيمى الصلوة بالنصب
على تقدير النون وقرأ ابن مسعود والمقيمين الصلوة على الاصل والبدن جعلناها لكم من شعائر
الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فاذا وجبت جنوبها فكلوا
منها واطعموا القانع والمعتر البدن جمع بدنة سميت لعظم بدنها وهى الابل خاصة ولان رسول الله
صلى الله عليه وسلم الحق البقر بالابل حين قال البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة فجعل البقر فى حكم الابل صارت البدنة
فى الشريعة متناولة للجنسين عند ابى حنيفة واصحابه رحمهم الله تعالى والا فالبدن هى الابل وعليه تدل الآية وقرأ الحسن
والبدن بضمتين كثمر فى جمع ثمرة وابن ابى اسحق بالضمتين وتشديد النون على لفظ الوقف وقرئ بالنصب والرفع
كقوله تعالى والقمر قدرناه من شعائر الله اى من اعلام الشريعة التى شرعها الله تعالى واضافتها الى اسمه تعظيم لها لكم فيها خير
كقوله تعالى لكم فيها منافع ومن شان الحاج ان يحرص على شىء فيه خير ومنافع بشهادة الله تعالى عن بعض السلف انه لم يملك
الا تسعة دنانير فاشترى بها بدنة فقيل له فى ذلك فقال سمعت ربى يقول لكم فيها خير وعن ابن عباس دنيا واخرة وعن ابراهيم
من احتاج الى ظهرها ركب ومن احتاج الى لبنها شرب وذكر اسم الله ان يقول عند النحر الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر اللهم منك
واليك صواف قائمات قد صففن ايديهن وارجلهن وقرئ صوافن من صفون الفرس وهو ان يقوم على ثلث
وينصب الرابعة على طرف سنبكه لان البدنة تعقل احدى يديها فتقوم على ثلث وقرئ صوافى اى خوالص لوجه الله تعالى وعن
عمرو بن عبيد صوافنا بالتنوين عوضا من حرف الاطلاق عند الوقف وعن بعضهم صواف نحو مثل العرب اعط القوس باريها
بسكون الياء وجوب الجنوب وقوعها على الارض من وجب الحائط وجبة اذا سقط ووجبت الشمس جبة غربت
والمعنى فاذا وجبت جنوبها وسكنت نسائسها حل لكم الاكل منها والاطعام القانع السائل من قنعت اليه وكنعت
اذا خضعت له وسألته قنوعا والمعتر المتعرض بغير سؤال او القانع الراضى بما عنده وبما يعطى من غير سؤال من قنعت
قنعا وقناعة والمعتر المتعرض بالسؤال وقرأ الحسن والمعترى وعره وعراه واعتراه بمعنى وقرأ ابو رجاء القنع وهو الراضى
لا غير يقال قنع فهو قنع وقانع كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون من الله تعالى على عباده
واستحمد اليهم بان سخر لهم البدن مثل التسخير الذى رأوا وعلموا يأخذونها منقادة للآخذ طيعة فيعقلونها ويحبسونها
صافة قوائمها ثم يطعنون فى لباتها ولولا تسخير الله تعالى لم تطق ولم تكن باعجز من بعض الوحوش التى هى اصغر منها
جرما واقل قوة وكفى بما يتابد من الابل شاهدا وعبرة لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله
التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين
اى لن يصيب رضا الله اللحوم المتصدق بها ولا الدماء المهراقة بالنحر والمراد اصحاب اللحوم والدماء والمعنى لن يرضى
المضحون والمتقربون ربهم الا بمراعاة النية والاخلاص والاحتفاظ بشروط التقوى فى حل ما قرب به وغير ذلك من المحافظات
الشرعية واوامر الورع فاذا لم يراعوا ذلك لم تغن عنهم التضحية والتقريب وان كثر ذلك منهم وقرئ لن تنال ولكن
تناله بالتاء والياء وقيل كان اهل الجاهلية اذا نحروا البدن نضحوا الدماء حول البيت ولطخوه بالدم فلما حج المسلمون

الشمس يعني الوقع

قرئ بتاء ابن خش

ارادوا

ارادوا مثل ذلك فنزلت كرر تذكير النعمة بالتسخير ثم قال لتشكروا الله على هدايته اياكم لاعلام دينه ومناسك
حجه بان تكبروا وتهللوا فاختصر الكلام بان ضمن التكبير معنى الشكر وعدى تعديته ان الله يدافع عن
الذين آمنوا ان الله لا يحب كل خوان كفور خص المؤمنين بدفعه عنهم ونصرته لهم كما
قال انا لننصر رسلنا والذين آمنوا وقال انهم لهم المنصورون واخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وجعل العلة فى
ذلك انه لا يحب اضدادهم وهم الخونة الكفرة الذين يخونون الله والرسول ويخونون اماناتهم ويكفرون نعم الله ويغمطونها
ومن قرأ يدافع فمعناه يبالغ فى الدفع عنهم كما يبالغ من يغالب فيه لان فعل المغالب يجئ اقوى وابلغ اذن للذين
يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير اذن ويقاتلون قرئا على لفظ المبنى
للفاعل والمفعول جميعا والمعنى اذن لهم فى القتال فحذف المأذون فيه لدلالة يقاتلون عليه بانهم ظلموا بسبب كونهم
مظلومين وهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مشركو مكة يؤذونهم اذى شديدا وكانوا يأتون رسول الله صلى الله
عليه وسلم من بين مضروب ومشجوج يتظلمون اليه فيقول لهم اصبروا فانى لم اومر بالقتال حتى هاجر فانزلت هذه الآية وهى اول
آية اذن فيها بالقتال بعد ما نهى عنه فى نيف وسبعين آية وقيل نزلت فى قوم خرجوا مهاجرين فاعترضهم مشركو مكة فاذن
لهم فى مقاتلتهم والاخبار بكونه قادرا على نصرهم عدة منه بالنصر واردة على سنن كلام الجبابرة وما مر من دفعه عن الذين آمنوا
مؤذن بمثل هذه العدة ايضا الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا
الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد
يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز
ان يقولوا فى محل الجر على الابدال من حق اى بغير موجب سوى التوحيد الذى ينبغى ان يكون موجب الاقرار والتمكين لا موجب
الاخراج والتسيير ومثله هل تنقمون منا الا ان آمنا بالله دفع الله بعض الناس ببعض اظهاره وتسليطه المسلمين منهم
على الكافرين بالمجاهدة ولولا ذلك لاستولى المشركون على اهل الملل المختلفة فى ازمنتهم وعلى متعبداتهم فهدموها ولم يتركوا
للنصارى بيعا ولا لرهبانهم صوامع ولا لليهود صلوات ولا للمسلمين مساجد ولغلب المشركون فى امة محمد صلى الله عليه وسلم
على المسلمين وعلى اهل الكتاب الذين فى ذمتهم وهدموا متعبدات الفريقين وقرئ دفاع ولهدمت بالتخفيف وسميت الكنيسة صلوة
لانه يصلى فيها وقيل هى كلمة معربة اصلها بالعبرانية صلوثا من ينصره اى ينصر دينه واولياءه الذين ان مكناهم
فى الارض اقاموا الصلوة وآتوا الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله
عاقبة الامور هو اخبار من الله عز وجل بظهر الغيب عما ستكون عليه سيرة المهاجرين رضى الله عنهم ان مكنهم فى
الارض وبسط لهم فى الدنيا وكيف يقومون بامر الدين وعن عثمان رضى الله عنه هذا والله ثناء قبل بلاء يريد ان الله عز وجل
قد اثنى عليهم قبل ان يحدثوا من الخير ما احدثوا وقالوا فيه دليل على صحة امر الخلفاء الراشدين لان الله تعالى لم يعط التمكين
ونفاذ الامر مع السيرة العادلة غيرهم من المهاجرين لا حظ فى ذلك للانصار والطلقاء وعن الحسن هم امة محمد صلى الله عليه وسلم
وقيل الذين منصوب بدل من قوله من ينصره والظاهر انه مجرور تابع للذين اخرجوا ولله عاقبة الامور اى مرجعها الى حكمه وتقديره
وفيه تأكيد لما وعده من اظهار اوليائه واعلاء كلمته وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود
وقوم ابرهيم وقوم لوط واصحاب مدين وكذب موسى فامليت للكافرين ثم اخذتهم فكيف كان نكير
يقول لرسوله صلى الله عليه وسلم تسلية له لست باوحدى فى التكذيب فقد كذب الرسل قبلك اقوامهم وكفاك بهم اسوة
فان قلت لم قيل وكذب موسى ولم يقل وقوم موسى قلت لان موسى ما كذبه قومه بنو اسرائيل وانما كذبه غير قومه
وهم القبط وفيه شىء آخر كانه قيل بعد ما ذكر تكذيب كل قوم رسولهم وكذب موسى ايضا مع وضوح آياته وعظم معجزاته فما ظنك
بغيره النكير بمعنى الانكار والتغيير حيث ابدلهم بالنعمة محنة وبالحيوة هلاكا وبالعمارة خرابا فكأين من قرية اهلكناها
وهى ظالمة فهى خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد كل مرتفع اظلك من سقف بيت
او خيمة او ظلة او كرم فهو عرش والخاوى الساقط من خوى النجم اذا سقط او الخالى من خوى المنزل اذا خلا من اهله وخوى بطن
الحامل وقوله على عروشها لا يخلو من ان يتعلق بخاوية فيكون المعنى انها ساقطة على سقوفها اى خرت سقوفها على الارض ثم
تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف او انها ساقطة او خالية مع بقاء عروشها وسلامتها واما ان يكون خبرا

بعد عمرانها كانه قيل هي خالية وهي على عروشها اى قائمة مطلة على عروشها على معنى ان السقوف سقطت الى الارض فصارت في قرار الحيطان وبقيت الحيطان ماثلة مشرفة على السقوف الساقطة **فان قلت** ما محل الجملتين من الاعراب اعني وهي ظالمة فهي خاوية **قلت** الاولى في محل النصب على الحال والثانية لا محل لها لانها معطوفة على اهلكناها وهذا الفعل ليس له محل وقرا الحسن معطلة من اعطله بمعنى عطله ومعنى المعطلة انها عامرة فيها الماء ومعها آلات الاستقاء الا انها عطلت اى تركت لا يستقى منها لهلاك اهلها والمشيد المجصص او المرفوع البنيان والمعنى كم قرية اهلكنا وكم بئر عطلنا عن سقاتها وقصر مشيد اخليناه عن ساكنيه فترك ذلك لدلالة معطلة عليه وفي هذا دليل على ان على عروشها بمعنى مع اوجه وروي ان هذه بئر نزل عليها صالح مع اربعة آلاف نفر ممن آمن به ونجاهم الله تعالى من العذاب وهي بحضرموت وانما سميت بذلك لان صالحا حين حضرها مات وثم بلدة عند البئر اسمها حاضوراء بناها قوم صالح وامروا عليهم جلهس بن جلاس واقاموا بها زمانا ثم كفروا وعبدوا صنما وارسل الله اليهم حنظلة بن صفوان نبيا فقتلوه فاهلكهم الله تعالى وعطل بئرهم وخرب قصورهم

افلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها او آذان يسمعون بها فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور يحتمل انهم لم يسافروا فحثوا على السفر ليروا مصارع من اهلكهم الله تعالى بكفرهم ويشاهدوا آثارهم فيعتبروا وان يكونوا قد سافروا وراوا ذلك ولكن لم يعتبروا فجعلوا كان لم يسافروا ولم يروا وقرئ فيكون لهم قلوب بالياء اى يعقلون ما يجب ان يعقل من التوحيد ويسمعون ما يجب سماعه من الوحي فانها الضمير ضمير الشان والقصة يجيء مذكرا ومؤنثا وفي قراءة ابن مسعود فانه ويجوز ان يكون ضميرا مبهما يفسره الابصار وفي تعمى راجع اليه والمعنى ان ابصارهم صحيحة سالمة لا عمى بها وانما العمى بقلوبهم او لا يعتد بعمى الابصار فكانه ليس بعمى بالاضافة الى عمى القلوب **فان قلت** اى فائدة في ذكر الصدور **قلت** الذي قد تعورف واعتقد ان العمى على الحقيقة مكانه البصر وهو ان تصاب الحدقة بما يطمس نورها واستعماله في القلب استعارة ومثل فلما اريد اثبات ما هو خلاف المعتقد من نسبة العمى الى القلوب حقيقة ونفيه عن الابصار احتاج هذا التصوير الى زيادة تعيين وفضل تعريف ليتقرر ان مكان العمى هو القلوب لا الابصار كما تقول ليس المضاء للسيف ولكنه للسانك الذي بين فكيك فقولك الذي بين فكيك تقرير لما ادعيته للسانك وتثبيت لان محل المضاء هو هو لا غير وكانك قلت ما نفيت المضاء عن السيف واثبته للسانك فلتة ولا سهوا مني ولكن تعمدت به اياه بعينه تعمدا

ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون انكر استعجالهم بالمتوعد به من العذاب العاجل او الآجل كانه قال ولم تستعجلون به كانهم يجوزون الفوت وانما يجوز ذلك على ميعاد من يجوز عليه الخلف والله عز وعلا لا يخلف الميعاد وما وعده ليصيبنهم ولو بعد حين وهو سبحانه حليم لا يعجل ومن حلمه ووقاره واستقصاره المدد الطوال ان يوما واحدا عنده كالف سنة عندكم وقيل معناه كيف تستعجلون بعذاب من يوم واحد من ايام عذابه في طول الف سنة من سنيكم لان ايام الشدائد مستطالة او كان ذلك اليوم الواحد لشدة عذابه كالف سنة من سني العذاب وقيل ولن يخلف الله وعده في النظرة والامهال وقرئ تعدون بالتاء والياء

وكاين من قرية امليت لها وهي ظالمة ثم اخذتها والي المصير ثم قال وكم من اهل قرية كانوا مثلكم ظالمين قد انظرتهم حينا ثم اخذتهم بالعذاب والمرجع الي والى حكمي **فان قلت** لم كانت الاولى معطوفة بالفاء وهذه بالواو **قلت** الاولى وقعت بدلا عن قوله فكيف كان نكير واما هذه فحكمها حكم ما تقدمها من الجملتين المعطوفتين بالواو اعني قوله ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كالف سنة

قل يا ايها الناس انما انا لكم نذير مبين فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم والذين سعوا في آياتنا معاجزين اولئك اصحاب الجحيم يقال سعيت في امر فلان اذا اصلحه او افسده بسعيه وعاجزه سابقه لان كل واحد منهما في طلب اعجاز الآخر عن اللحاق به فاذا سبقه قيل اعجزه وعجزه والمعنى سعوا في معناها بالفساد من الطعن فيها حيث سموها سحرا وشعرا واساطير ومن تثبيط الناس عنها سابقين او مسابقين في زعمهم وتقديرهم طامعين ان كيدهم للاسلام يتم لهم **فان قلت** كان القياس ان يقال انما انا لكم بشير ونذير لذكر الفريقين بعده **قلت** الحديث مسوق الى المشركين ويا ايها الناس نداء لهم وهم الذين قيل فيهم افلم يسيروا ووصفوا بالاستعجال وانما اقحم المؤمنون وثوابهم ليغاظوا **وما ارسلنا من قبلك**

من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم من رسول ولا نبي دليل بين على تغاير الرسول والنبي وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل عن الانبياء فقال مائة الف واربعة وعشرون الفا قيل فكم الرسل منهم قال ثلاثمائة وثلاثة عشر جما غفيرا والفرق بينهما ان الرسول من الانبياء من جمع الى المعجزة الكتاب المنزل عليه والنبي غير الرسول من لم ينزل عليه كتاب وانما امر ان يدعو الى شريعة من قبله والسبب في نزول هذه الآية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اعرض عنه قومه وشاقوه وخالفه عشيرته ولم يشايعوه على ما جاء به تمنى لفرط ضجره من اعراضهم ولحرصه وتهالكه على اسلامهم ان لا ينزل عليه ما ينفرهم لعله يتخذ ذلك طريقا الى استمالتهم واستنزالهم عن غيهم وعنادهم فاستمر به ما تمناه حتى نزلت عليه سورة والنجم وهو في نادي قومه وذلك التمني في نفسه فاخذ يقرؤها فلما بلغ قوله تعالى ومناة الثالثة الاخرى القى الشيطان في امنيته التي تمناها اى وسوس اليه بما شيعها به فسبق لسانه على سبيل السهو والغلط الى ان قال تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى وروي الغرانقة ولم يفطن له حتى ادركته العصمة فتنبه عليه وقيل نبهه جبريل عليه السلام او تكلم الشيطان بذلك فاسمعه الناس فلما سجد في آخرها سجد معه جميع من في النادي وطابت نفوسهم وكان تمكين الشيطان من ذلك محنة من الله تعالى وابتلاء زاد المنافقون به شكا وظلمة والمؤمنون نورا وايقانا والمعنى ان الرسل من قبلك كانت هجيراهم كذلك اذا تمنوا مثل ما تمنيت مكن الله الشيطان ليلقي في امانيهم مثل ما القى في امنيتك ارادة امتحان من حولهم والله سبحانه وتعالى له ان يمتحن عباده بما شاء من صنوف المحن وانواع الفتن ليضاعف ثواب الثابتين ويزيد في عقاب المذبذبين وقيل تمنى قرا وانشد تمنى كتاب الله اول ليلة تمني داود الزبور على رسل وامنيته قراءته وقيل تلك الغرانيق اشارة الى الملائكة اى هم الشفعاء لا الاصنام فينسخ الله ما يلقي الشيطان اى يذهب به ويبطله ثم يحكم الله آياته اى يثبتها

ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وان الظالمين لفي شقاق بعيد والذين في قلوبهم مرض المنافقون والشاكون والقاسية قلوبهم المشركون المكذبون وان الظالمين يريد وان هؤلاء المنافقين والمشركين واصله وانهم فوضع الظاهر موضع الضمير قضاء عليهم بالظلم

وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وان الله لهادي الذين آمنوا الى صراط مستقيم انه الحق من ربك اى ليعلموا ان تمكين الشيطان من الالقاء هو الحق من ربك والحكمة وان الله لهادي الذين آمنوا الى ان يتاولوا ما يتشابه في الدين بالتاويلات الصحيحة ويطلبوا لما اشكل منه المحمل الذي تقتضيه الاصول المحكمة والقوانين الممهدة حتى لا تلحقهم حيرة ولا تعتريهم شبهة ولا تزل اقدامهم وقرئ لهاد الذين آمنوا بالتنوين

ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تاتيهم الساعة بغتة او ياتيهم عذاب يوم عقيم الملك يومئذ لله يحكم بينهم فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فاولئك لهم عذاب مهين الضمير في مرية منه للقرآن او للرسول اليوم العقيم يوم بدر وانما وصف يوم الحرب بالعقيم لان اولاد النساء يقتلون فيه فيصرن كانهن عقم لم يلدن او لان المقاتلين يقال لهم ابناء الحرب فاذا قتلوا وصف يوم الحرب بالعقيم على سبيل المجاز وقيل هو الذي لا خير فيه يقال ريح عقيم اذا لم تنشئ مطرا ولم تلقح شجرا وقيل لا مثل له في عظم امره لقتال الملائكة فيه وعن الضحاك انه يوم القيامة وان المراد بالساعة مقدماته ويجوز ان يراد بالساعة وبيوم عقيم يوم القيامة وكانه قيل حتى تاتيهم الساعة او ياتيهم عذابها فوضع يوم عقيم موضع الضمير **فان قلت** التنوين في يومئذ عن اى جملة ينوب **قلت** تقديره الملك يوم يؤمنون او يوم تزول مريتهم لقوله تعالى ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تاتيهم الساعة

والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا او ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا وان الله لهو خير الرازقين ليدخلنهم مدخلا يرضونه وان الله لعليم حليم لما جمعتهم المهاجرة في سبيل الله سوى بينهم في الموعد وان يعطي من مات منهم مثل ما يعطي من قتل فضلا منه واحسانا والله عليم بدرجات العاملين ومراتب استحقاقهم حليم عن تفريط المفرط منهم بفضله وكرمه روي ان طوائف من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا نبي الله هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا ما اعطاهم الله تعالى من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا ان متنا معك فانزل الله تعالى هاتين الآيتين

ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغي عليه لينصرنه الله ان الله لعفو غفور تسمية الابتداء بالجزاء لملابسته من حيث

انه سبب وذلك مسبب عنه كما يحملون النظير على النظير والنقيض على النقيض للملابسة **فان قلت** كيف طابق ذكر
العفو الغفور هذا الموضع **قلت** المعاقب مبعوث من جهة الله عز وجل على الاخلال بالعقاب والعفو عن الجاني على طريق التنزه
لا التحريم ومندوب اليه ومستوجب عند الله المدح ان آثر ما ندب اليه وسلك سبيل التنزه فحين لم يؤثر ذلك وانتصر وعاقب
ولم ينظر في قوله تعالى فمن عفا واصلح فاجره على الله وان تعفوا اقرب للتقوى ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور فان الله
لعفو غفور اي لا يلومه على ترك ما بعثه عليه وهو ضامن لنصره في كرته الثانية من اخلاله بالعفو وانتقامه من الباغي عليه ويجوز ان يضمن
له النصر على الباغي ويعرض مع ذلك بما كان اولى به من العفو ويلوح به بذكر هاتين الصفتين او دل بذكر العفو والمغفرة على انه قادر على
العقوبة لانه لا يوصف بالعفو الا القادر على ضده **ذلك بان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في**
الليل وان الله سميع بصير ذلك بان الله هو الحق وان ما يدعون من دونه هو الباطل
وان الله هو العلي الكبير ذلك اي ذلك النصر بسبب انه قادر ومن آيات قدرته البالغة انه يولج الليل في النهار
والنهار في الليل او بسبب انه خالق الليل والنهار ومصرفهما فلا يخفى عليه ما يجري فيهما على ايدي عباده من الخير والشر والبغي والانصاف
وانه سميع لما يقولون بصير بما يفعلون **فان قلت** ما معنى ايلاج احد الملوين في الآخر **قلت** تحصيل ظلمة هذا في مكان
ضياء ذاك بغيبوبة الشمس وضياء ذاك في مكان ظلمة هذا بطلوعها كما يضيء السرب بالسراج ويظلم بفقده وقيل هو زيادته في
احدهما ما ينقص من الآخر من الساعات وقرئ يدعون بالياء والتاء وقرأ اليماني وان ما يدعون بلفظ المبني للمفعول والواو راجع
الى ما لانه في معنى الآلهة اي ذلك الوصف بخلق الليل والنهار والاحاطة بما يجري فيهما وادراك كل قول وفعل بسبب ان الله الحق الثابت
الهيته وان كل ما يدعى الها دونه باطل الدعوة وانه لا شيء اعلا منه شانا واكبر سلطانا **الم تر ان الله انزل من السماء**
ماء فتصبح الارض مخضرة ان الله لطيف خبير له ما في السموات وما في الارض وان الله
لهو الغني الحميد قرئ مخضرة اي ذات خضر على مفعلة كمبقلة ومسبعة **فان قلت** هلا قيل
فاصبحت ولم صرف الى لفظ المضارع **قلت** لنكتة فيه وهي افادة بقاء اثر المطر زمانا بعد زمان كما تقول انعم علي فلان
عام كذا فاروح واغدو شاكرا له ولو قلت فرحت وغدوت لم يقع ذلك الموقع **فان قلت** فما له رفع ولم ينصب جوابا
للاستفهام **قلت** لو نصب لاعطى ما هو عكس الغرض لان معناه اثبات الاخضرار فينقلب بالنصب الى نفي الاخضرار مثاله
ان تقول لصاحبك الم تر اني انعمت عليك فتشكر ان نصبته فانت ناف لشكره شاك تفريطه فيه وان رفعته فانت
مثبت للشكر وهذا وامثاله مما يجب ان يرغب له من اتسم بالعلم في علم الاعراب وتوقير اهله لطيف واصل علمه وفضله الى كل
شيء خبير بمصالح الخلق ومنافعهم **الم تر ان الله سخر لكم ما في الارض والفلك تجري في البحر بامره**
ويمسك السماء ان تقع على الارض الا باذنه ان الله بالناس لرؤف رحيم ما في الارض من البهائم
مذللة للركوب في البر ومن المراكب جارية في البحر وغير ذلك من سائر المسخرات وقرئ والفلك بالرفع على الابتداء ان تقع كراهة ان
تقع الا بمشيته **وهو الذي احياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ان الانسان لكفور** احياكم بعد ان كنتم جمادا
ترابا ونطفة وعلقة ومضغة لكفور لجحود لما افاض عليه من ضروب النعم **لكل امة جعلنا منسكا هم ناسكوه فلا**
ينازعنك في الامر وادع الى ربك انك لعلى هدى مستقيم وان جادلوك فقل الله اعلم
بما تعملون الله يحكم بينكم يوم القيمة فيما كنتم فيه تختلفون الم تعلم ان الله يعلم
ما في السماء والارض ان ذلك في كتاب ان ذلك على الله يسير هو نهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم
اي لا تلتفت الى قولهم ولا تمكنهم من ان ينازعوك او هو زجر لهم عن التعرض لرسول الله بالمنازعة في الدين وهم جهال
لا علم عندهم وهم كفار خزاعة روي ان بديل بن ورقاء وبشر بن سفيان الخزاعيين وغيرهما قالوا للمسلمين
ما لكم تاكلون ما قتلتم ولا تاكلون ما قتله الله يعنون الميتة وقال الزجاج هو نهي له عن منازعتهم كما تقول لا يضاربنك
فلان اي لا تضاربه وهذا جائز في الفعل الذي لا يكون الا بين اثنين في الامر في امر الدين وقيل في امر النسائك وقرئ
فلا ينزعنك اي اثبت في دينك ثباتا لا يطمعون ان يجذبوك ليزيلوك عنه والمراد زيادة التثبيت لرسول الله
صلى الله عليه وسلم بما يهيج حميته ويلهب غضبه لله ولدينه ومنه قوله تعالى ولا يصدنك عن آيات الله ولا تكونن من
المشركين فلا تكونن ظهيرا للكافرين وهيهات ان ترتع همة رسول الله صلى الله عليه وسلم حول ذلك الحمى ولكنه وارد

على ما قلت لكن من ارادة التهييج والالهاب وقال الزجاج هو من نازعته فنزعته انزعه اي غلبته اي لا يغلبنك في
المنازعة **فان قلت** لم جاءت نظيرة هذه الآية معطوفة بالواو وقد نزعت عن هذه **قلت** لان تلك وقعت
مع ما يدانيها ويناسبها من الآي الواردة في امر النسائك فعطفت على اخواتها واما هذه فواقعة مع اباعد عن معناها
فلم تجد معطفا اي وان ابوا للجاجهم الا المجادلة بعد اجتهادك ان لا يكون بينك وبينهم تنازع فادفعهم بان الله اعلم باعمالكم
وبقبحها وبما تستحقون عليها من الجزاء فهو مجازيكم به وهذا وعيد وانذار ولكن برفق ولين الله يحكم بينكم
خطاب من الله تعالى للمؤمنين والكافرين اي يفصل بينكم بالثواب والعقاب ومسلاة لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما كان
يلقى منهم وكيف يخفى عليه ما تعملون ومعلوم عند العلماء بالله تعالى انه يعلم كل ما يحدث في السموات والارض وقد كتبه في اللوح
قبل حدوثه والاحاطة بذلك واثباته وحفظه عليه يسير لان العالم الذات لا يتعذر عليه ولا يمتنع تعلق بمعلوم
ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم وما للظالمين من نصير
ويعبدون ما لم يتمسكوا في صحة عبادته ببرهان سماوي من جهة الوحي والسمع ولا الجاهم اليها علم ضروري ولا حملهم عليها دليل عقلي
وما للذين ارتكبوا مثل هذا الظلم من احد ينصرهم ويصوب مذهبهم **واذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف**
في وجوه الذين كفروا المنكر يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا قل افانبئكم بشر
من ذلكم النار وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير المنكر الفظيع من التجهم والبسور او
الانكار كالمكرم بمعنى الاكرام وقرئ يعرف والمنكر والسطو الوثب والبطش وقرئ النار بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف
كان قائلا قال ما هو فقيل النار اي هو النار وبالنصب على الاختصاص وبالجر على البدل من بشر من ذلكم من غيظكم على التالين
وسطوكم عليهم او مما اصابكم من الكراهة والضجر بسبب ما تلي عليكم وعدها الله استئناف كلام ويحتمل ان يكون النار مبتدا
ووعدها خبرا وان يكون حالا عنها اذا نصبتها او جررتها باضمار قد **يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له**
ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه
منه ضعف الطالب والمطلوب **فان قلت** الذي جاء به ليس بمثل فكيف سماه مثلا **قلت**
قد سميت الصفة او القصة الرائعة المتلقاة بالاستحسان والاستغراب مثلا تشبيها لها ببعض الامثال المسيرة لكونها مستحسنة
مستغربة عندهم وقرئ تدعون بالتاء والياء ويدعون مبنيا للمفعول لن اخت لا في نفي المستقبل الا ان لن تنفيه نفيا مؤكدا
وتاكيده هنا الدلالة على ان خلق الذباب منهم مستحيل مناف لاحوالهم كانه قال محال ان يخلقوا **فان قلت** ما محل ولو
اجتمعوا له **قلت** النصب على الحال كانه قال مستحيل ان يخلقوا الذباب مشروطا عليهم اجتماعهم جميعا لخلقه وتعاونهم عليه
وهذا من ابلغ ما انزله الله تعالى في تجهيل قريش واستركاك عقولهم والشهادة على ان الشيطان قد خزمهم بخزامته حيث وصفوا بالالهية
التي تقتضي الاقتدار على المقدورات كلها والاحاطة بالمعلومات عن آخرها صورا وتماثيل يستحيل منها ان تقدر على
اقل ما خلقه الله تعالى واذله واصغره واحقره ولو اجتمعوا لذلك وتساندوا وادل من ذلك على عجزهم وانتفاء قدرتهم
ان هذا الخلق الاقل الاذل لو اختطف منهم شيئا فاجتمعوا على ان يستخلصوه منه لم يقدروا وقوله تعالى ضعف الطالب
والمطلوب كالتسوية بينهم وبين الذباب في الضعف ولو حققت وجدت الطالب اضعف واضعف لان الذباب حيوان
وهو جماد وهو غالب وذاك مغلوب وعن ابن عباس رضي الله عنهما انهم كانوا يطلونها بالزعفران ورؤوسها بالعسل
ويغلقون عليها الابواب فيدخل الذباب من الكوى فياكله **ما قدروا الله حق قدره ان الله**
لقوي عزيز ما قدروا الله حق قدره اي ما عرفوه حق معرفته حتى لا يسموا باسمه من هو منسلخ عن صفاته باسرها ولا
يؤهلوه للعبادة ولا يتخذوه شريكا له ان الله قادر غالب فكيف يتخذ العاجز المغلوب شبيها به **الله يصطفي**
من الملائكة رسلا ومن الناس ان الله سميع بصير يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم والى
الله ترجع الامور هذا رد لما انكروه من ان يكون الرسول من البشر وبيان ان رسل الله على ضربين ملائكة
وبشر ثم ذكر انه تعالى دراك للمدركات عالم باحوال المكلفين ما مضى منها وما غبر لا يخفى عليه منهم خافية واليه مرجع الامور كلها
والذي هو بهذه الصفات لا يسال عما يفعل وليس لاحد ان يعترض عليه في حكمه وتدابيره واختيار رسله **يا ايها الذين**
آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون للذكر شان ليس لغيره من الطاعات

وفي هذه السورة دلالات على ذلك فرض ثم دعا المؤمنين اولا الى الصلوة التي هي ذكر خالص ثم الى العبادة بغير الصلوة كالصوم والحج والغزو ثم عم بالحث على سائر الخيرات وقيل كان الناس اول ما اسلموا يسجدون بلا ركوع ويركعون بلا سجود فامروا ان تكون صلوتهم بركوع وسجود وقيل معنى واعبدوا ربكم اقصدوا بركوعكم وسجودكم وجه الله تعالى وعن ابن عباس في قوله وافعلوا الخير صلة الارحام ومكارم الاخلاق لعلكم تفلحون اي افعلوا هذا كله وانتم راجون للفلاح طامعين فيه غير مستيقنين ولا تتكلوا على اعمالكم وعن عقبة بن عامر قال قلت يا رسول الله في سورة الحج سجدتان قال نعم ان لم تسجدهما فلا تقرأهما وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فضلت سورة الحج بسجدتين وبذلك احتج الشافعي رحمه الله تعالى فرأى سجدتين في سورة الحج وابو حنيفة واصحابه رحمهم الله تعالى لا يرون فيها الا سجدة واحدة لانهم يقولون قرن الركوع بالسجود فدل ذلك على انها سجدة صلوة لا سجدة تلاوة

وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة ابيكم ابرهيم هو سميكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فاقيموا الصلوة واتوا الزكوة واعتصموا بالله هو موليكم فنعم المولى ونعم النصير

وجاهدوا امر بالغزو وبمجاهدة النفس والهوى وهو الجهاد الاكبر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه رجع من بعض غزواته فقال رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر في الله اي في ذات الله ومن اجله يقال هو حق عالم وجد عالم اي عالم حقا وجدا ومنه حق جهاده **فان قلت** ما وجه هذه الاضافة وكان القياس حق الجهاد فيه او حق جهادكم فيه كما قال وجاهدوا في الله **قلت** الاضافة تكون بادنى ملابسة واختصاص فلما كان الجهاد مختصا بالله من حيث انه مفعول لوجهه ومن اجله صحت اضافته اليه ويجوز ان يتسع في الظرف كقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا اجتباكم اختاركم لدينه ولنصرته وما جعل عليكم في الدين من حرج ضيق بل فتح باب التوبة للمجرمين وفسح بانواع الرخص والكفارات والديات والارش ونحوه قوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وامة محمد صلى الله عليه وسلم هي الامة المرحومة الموسومة بذلك في الكتب المتقدمة نصب الملة بمضمون ما تقدمها كانه قيل وسع دينكم توسعة ملة ابيكم ثم حذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه او على الاختصاص اي اعني بالدين ملة ابيكم كقولك الحمد لله الحميد **فان قلت** لم يكن ابرهيم ابا للامة كلها **قلت** هو ابو رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان ابا لامته لان امة الرسول في حكم اولاده هو يرجع الى الله تعالى وقيل الى ابراهيم عليه السلام ويشهد للقول الاول قراءة ابي بن كعب الله سماكم من قبل من قبل في هذا اي من قبل القرآن في سائر الكتب وفي القرآن اي فضلكم على الامم وسماكم بهذا الاسم الاكرم ليكون الرسول شهيدا عليكم انه قد بلغكم وتكونوا شهداء على الناس بان الرسل قد بلغتهم واذ قد خصكم بهذه الكرامة والاثرة فاعبدوه وثقوا به ولا تطلبوا النصرة والولاية الا منه فهو خير مولى وناصر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحج اعطي من الاجر كحجة حجها وعمرة اعتمرها بعدد من حج واعتمر فيما مضى وفيما بقي

سورة المؤمنين مكية

وهي مائة وتسع عشرة آية وثماني عشرة عند الكوفيين

بسم الله الرحمن الرحيم قد افلح المؤمنون الذين هم في صلوتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكوة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين

قد نقيضة لما هي تثبت المتوقع ولما تنفيه ولا شك ان المؤمنين كانوا متوقعين لمثل هذه البشارة وهي الاخبار بثبات الفلاح لهم فخوطبوا بما دل على ثبات ما توقعوه والفلاح الظفر بالمراد وقيل البقاء في الخير وافلح دخل في الفلاح كابشر دخل في البشارة ويقال افلحه اصاره الى الفلاح وعليه قراءة طلحة بن مصرف افلح على البناء للمفعول وعنه افلحوا على اكلوني البراغيث او على الابهام والتفسير وعنه افلح بضمة بغير واو اجتزاء بها عنها كقوله فلو ان الاطباء كان حولي **فان قلت** ما المؤمن **قلت** هو في اللغة المصدق واما في الشريعة فقد اختلف فيه على قولين احدهما ان كل من نطق بالشهادتين مواطئا قلبه لسانه فهو مؤمن والآخر انه صفة مدح لا يستحقها الا البر التقي دون الفاسق الخشوع في الصلوة خشية

القلب والباد البصر عن قتادة وهو الزامه موضع السجود وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يصلي رافعا بصره الى السماء فلما نزلت هذه الآية رمى ببصره نحو مسجده وكان الرجل من العلماء اذا قام الى الصلوة هاب الرحمن ان يشد بصره الى شيء او يحدث نفسه بشأن من شأن الدنيا وقيل هو جمع الهمة لها والاعراض عما سواها ومن الخشوع ان يستعمل الآداب فيتوقى كف الثوب والعبث بجسده وثيابه والالتفات والتمطي والتثاؤب والتغميض وتغطية الفم والسدل والفرقعة والتشبيك والاختصار وتقليب الحصا روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه ابصر رجلا يعبث بلحيته في الصلوة فقال لو خشع قلبه لخشعت جوارحه ونظر الحسن الى رجل يعبث بالحصا وهو يقول اللهم زوجني الحور العين فقال بئس الخاطب انت تخطب وانت تعبث **فان قلت** لم اضيفت الصلوة اليهم **قلت** لان الصلوة دائرة بين المصلي والمصلى له فالمصلي هو المنتفع بها وحده وهي عدته وذخيرته فهي صلوته فاما المصلى له فهو غني متعال عن الحاجة اليها والانتفاع بها اللغو ما لا يعنيك من قول او فعل كاللعب والهزل وما لا توجب المروة القاؤه واطراحه يعني ان بهم من الجد ما يشغلهم عن الهزل لما وصفهم بالخشوع في الصلوة اتبعه الوصف بالاعراض عن اللغو ليجمع لهم الفعل والترك الشاقين على الانفس اللذين هما قاعدتا بناء التكليف الزكوة اسم مشترك بين عين ومعنى فالعين القدر الذي يخرجه المزكي من النصاب الى الفقير والمعنى فعل المزكي الذي هو التزكية وهو الذي اراده الله تعالى فجعل المزكين فاعلين له ولا يسوغ فيه غيره لانه ما من مصدر الا يعبر عن معناه بالفعل ويقال لمحدثه فاعل تقول للضارب فاعل الضرب وللقاتل فاعل القتل وللمزكي فاعل التزكية وعلى هذا الكلام كله والتحقيق فيه انك تقول في جميع الحوادث من فاعل هذا فيقال لك فاعله الله تعالى او بعض الخلق ولم يمتنع الزكوة الدالة على العين ان يتعلق بها فاعلون لخروجها من صحة ان يتناولها الفاعل ولكن لان الخلق ليسوا بفاعليها وقد انشد لامية بن ابي الصلت المطعمون الطعام في السنة الازمة والفاعلون للزكوات ويجوز ان يراد بالزكوة العين ويقدر مضاف محذوف وهو الاداء وحمل البيت على هذا اصح لانها فيه مجموعة على ازواجهم في موضع الحال اي الا والين على ازواجهم او قوامين عليهن من قولك كان فلان على فلانة فمات عنها فخلف عليها فلان ونظيره كان زياد على البصرة اي واليا عليها ومنه قولهم فلانة تحت فلان ومن ثم سميت المرأة فراشا والمعنى انهم لفروجهم حافظون في كافة الاحوال الا في حال تزوجهم او تسريهم او تعلق على محذوف يدل عليه غير ملومين كانه قيل يلامون الا على ازواجهم اي يلامون على كل مباشر الا على ما اطلق لهم فانهم غير ملومين عليه او تجعله صلة لحافظين من قولك احفظ على عنان فرسي على تضمينه معنى النفي كما ضمن قولهم نشدتك بالله الا فعلت بمعنى ما طلبت منك الا فعلك **فان قلت** هلا قيل من ملكت **قلت** لانه اريد من جنس العقلاء ما يجري مجرى غير العقلاء وهم الاناث حمل المستثنى حد ما وجب الوقوف عنده

فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلواتهم يحافظون اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون

ثم قال فمن احدث ابتغاء وراء هذا الحد مع فسحته واتساعه وهو اباحة اربع من الحرائر ومن الاماء ما شئت فاولئك هم الكاملون في العدوان المتناهون فيه **فان قلت** هل فيه دليل على تحريم المتعة **قلت** لا لان المنكوحة نكاح المتعة من جملة الازواج اذا صح النكاح وقرئ لامانتهم سمي الشيء المؤتمن عليه والمعاهد عليه امانة وعهدا ومنه قوله تعالى ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها وقال تعالى وتخونوا اماناتكم وانما تؤدى العيون لا المعاني ويخان المؤتمن عليه لا الامانة في نفسها والراعي القائم على الشيء بحفظ واصلاح كراعي الغنم وراعي الرعية ويقال من راعي هذا الشيء اي متوليه وصاحبه ويحتمل العموم في كل ما ائتمنوا عليه وعوهدوا من جهة الله عز وجل ومن جهة الخلق والخصوص فيما حملوه من امانات الناس وعهودهم وقرئ على صلوتهم **فان قلت** كيف كرر ذكر الصلوة اولا وآخرا **قلت** هما ذكران مختلفان فليس بتكرير وصفوا اولا بالخشوع في صلوتهم وآخرا بالمحافظة عليها وذلك ان لا يسهوا عنها ويؤدوها في اوقاتها ويقيموا اركانها ويوكلوا نفوسهم بالاهتمام بها وبما ينبغي ان تتم به اوصافها وايضا فقد وحدت اولا ليفاد الخشوع في جنس الصلوة اي صلوة كانت وجمعت آخرا لتفاد المحافظة على اعدادها وهي الصلوات الخمس والوتر والسنن المرتبة مع كل صلوة وصلوة الجمعة والعيدين والجنازة والاستسقاء والكسوف والخسوف وصلوة الضحى والتهجد وصلوة التسبيح وصلوة الحاجة وغيرها من النوافل اي اولئك الجامعون لهذه الاوصاف هم الوارثون الاحقاء بان يسموا وراثا دون من عداهم ثم ترجم الوارثين بقوله الذين يرثون الفردوس فجاء بفخامة وجزالة لارثهم لا يخفى على الناظر ومعنى الارث ما مر في سورة مريم انث الفردوس على تأويل الجنة وهو البستان الواسع الجامع لانواع

الثمر روى ان الله عز وجل بنى جنة الفردوس لبنة من ذهب ولبنة من فضة وجعل خلالها المسك الاذفر وفي رواية
ولبنة من مسك مذرى وغرس فيهما من جيد الفاكهة وجيد الريحان ● **ولقد خلقنا الانسان من
سلالة من طين ● ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ● ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا
العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشاناه خلقا آخر
فتبارك الله احسن الخالقين** ● السلالة الخلاصة لانها تسل من بين الكدر وفعالة بناء للقلة
كالقلامة والقمامة وعن الحسن ماء بين ظهراني الطين **فان قلت** ما الفرق بين من ومن **قلت**
الاول للابتداء والثاني للبيان كقوله من الاوثان **فان قلت** ما معنى جعلنا الانسان نطفة **قلت**
معناه انه خلق جوهر الانسان اولا طينا ثم جعل جوهره بعد ذلك نطفة القرار المستقر والمراد الرحم وصفت بالمكانة
التي هي صفة المستقر فيها كقولك طريق سائر او بمكانتها في نفسها لانها مكنت بحيث هي واحرزت وقرئ عظما فكسونا
العظم وعظاما فكسونا العظام وعظاما فكسونا العظم وضع الواحد مكان الجمع لزوال اللبس لان الانسان ذو عظام كثيرة
خلقا آخر اي خلقا مباينا للخلق الاول مباينة ما ابعدها حيث جعله حيوانا وكان جمادا وناطقا وكان ابكم وسميعا وكان اصم
وبصيرا وكان اكمه واودع باطنه وظاهره بل كل عضو من اعضائه وجزء من اجزائه عجائب فطرة وغرائب حكمة لا تدرك بوصف
الواصف ولا تبلغ بشرح الشارح وقد احتج به ابو حنيفة رحمه الله تعالى فيمن غصب بيضة فافرخت عنده قال يضمن البيضة ولا
يرد الفرخ لانه خلق آخر سوى البيضة فتبارك الله فتعالى امره في قدرته وعلمه احسن الخالقين اي احسن المقدرين تقديرا
فترك ذكر المميز لدلالة الخالقين عليه ونحوه طرح المأذون فيه في قوله تعالى اذن للذين يقاتلون لدلالة الصلة وروي عن عمر
رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغ قوله خلقا آخر قال فتبارك الله احسن الخالقين وروي ان عبد الله بن سعد
ابن ابي سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنطق بذلك قبل املائه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتب هكذا
نزلت فقال عبد الله ان كان محمد نبيا يوحى اليه فانا نبي يوحى الي فلحق بمكة كافرا ثم اسلم يوم الفتح ● **ثم انكم بعد ذلك
لميتون ● ثم انكم يوم القيمة تبعثون** ● قرأ ابن ابي عبلة وابن محيصن لمائتون والفرق بين الميت والمائت
ان الميت كالحي صفة ثابتة واما المائت فيدل على الحدوث تقول زيد مائت الآن ومائت غدا كقولك يموت ونحوهما ضيق
وضائق في قوله تعالى وضائق به صدرك جعل الاماتة التي هي اعدام الحيوة والبعث الذي هو اعادة ما يفنيه ويعدمه دليلين
ايضا على اقتدار عظيم بعد الانشاء والاختراع **فان قلت** فاذن لا حيوة الا حيوة الانشاء وحيوة البعث
قلت ليس في ذكر الحيوتين نفي الثالثة وهي حيوة القبر كما لو ذكرت ثلثة ما عندك وطويت ذكر ثلثة لم يكن دليلا على
ان الثلثة ليس عندك وايضا فالغرض ذكر هذه الاجناس الثلثة الانشاء والاماتة والاعادة والمطوي ذكرها من
جنس الاعادة ● **ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين** ● الطرائق السموات لانها
طورق بعضها فوق بعض كمطارقة النعل وكل شيء فوقه مثله فهو طريقة او لانها طرق الملائكة ومتقلباتهم وقيل الافلاك لانها
طرائق الكواكب فيها مسيرها اراد بالخلق السموات كانه قال خلقناها فوقهم وما كنا عنها غافلين وعن حفظها وامساكها ان
تقع فوقهم بقدرتنا او اراد به الناس وانه انما خلقها فوقهم ليفتح عليهم الارزاق والبركات منها وينفعهم بانواع منافعها وما
كان غافلا عنهم وما يصلحهم ● **وانزلنا من السماء ماء بقدر فاسكناه في الارض وانا على ذهاب به لقادرون**
بقدر بتقدير يسلمون معه من المضرة ويصلون الى المنفعة او بمقدار ما علمنا من حاجاتهم ومصالحهم فاسكناه في الارض
كقوله تعالى فسلكه ينابيع في الارض وقيل جعلناه ثابتا في الارض وقيل انها خمسة انهار سيحون نهر الهند وجيحون نهر
بلخ ودجلة والفرات نهرا العراق والنيل نهر مصر انزلها الله تعالى من عين واحدة من عيون الجنة فاستودعها الجبال واجراها
في الارض وجعل فيها منافع للناس في اصناف معايشهم وكما قدر على انزاله فهو قادر على رفعه وازالته وقوله على ذهاب به من اوقع
النكرات واحزها للمفصل والمعنى على وجه من وجوه الذهاب به وطريق من طرقه وفيه ايذان باقتدار المذهب وانه لا يتعايى
عليه شيء اذا اراده وهو ابلغ في الايعاد من قوله قل ارأيتم ان اصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين فعلى العباد ان يستعظموا النعمة في
الماء ويقيدوها بالشكر الدائم ويخافوا نفارها اذا لم تشكر ● **فانشأنا لكم به جنات من نخيل واعناب
لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تاكلون** ● خص هذه الانواع الثلثة لانها اكرم الشجر وافضلها واجمعها للمنافع ووصف

النخل والعنب بان ثمرهما جامع بين امرين انه فاكهة يتفكه بها وطعام يؤكل رطبا ويابسا رطبا وعنبا وتمرا وزبيبا والزيتون
بان دهنه صالح للاستصباح والاصطباغ جميعا ويجوز ان يكون قوله ومنها تاكلون من قولهم فلان ياكل من حرفة يحترفها
ومن ضيعة يغتلها ومن تجارة يتربح بها يعنون انها طعمته وجهته التي منها يحصل رزقه كانه قال وهذه الجنات وجوه ارزاقكم
ومعايشكم منها ترزقون وتتعيشون ● **وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين**
وشجرة عطف على جنات وقرئت مرفوعة على الابتداء اي ومما انشئ لكم شجرة طور سيناء وطور سينين لا يخلو اما ان يضاف
فيه الطور الى بقعة اسمها سيناء وسينون واما ان يكون اسما للجبل مركبا من مضاف ومضاف اليه كامرئ القيس وكبعلبك
فيمن اضاف فمن كسر سين سيناء فقد منع الصرف للتعريف والعجمة او التانيث لانها بقعة وفعلاء لا يكون الفه للتانيث
كعلباء وحرباء ومن فتح فلم يصرفه لان الالف للتانيث كصحراء وقيل هو جبل فلسطين وقيل بين مصر وايلة ومنه نودي موسى
وقرأ الاعمش سينا على القصر بالدهن في موضع الحال اي تنبت وفيها الدهن وقرئ تنبت وفيه وجهان احدهما ان انبت
بمعنى نبت وانشد لزهير رأيت ذوي الحاجات حول بيوتهم قطينا لهم حتى اذا انبت البقل والثاني ان مفعوله محذوف اي
تنبت زيتونها وفيه الزيت وقرئ تنبت بضم التاء وفتح الباء وحكمه حكم تنبت وقرأ ابن مسعود تخرج الدهن وصبغ الآكلين
وغيره تخرج بالدهن وفي حرف ابي تثمر بالدهن وعن بعضهم تنبت بالدهان وقرأ الاعمش وصبغا وقرئ وصباغ ونحوهما
دبغ ودباغ والصبغ الغمس للائتدام وقيل هي اول شجرة نبتت بعد الطوفان ووصفها الله بالبركة في قوله تعالى توقد
من شجرة مباركة ● **وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها
تاكلون ● وعليها وعلى الفلك تحملون** ● قرئ تسقيكم بتاء مفتوحة اي تسقيكم الانعام ومنها تاكلون
اي تتعلق بها منافع من الركوب والحمل وغير ذلك كما تتعلق بما لا يؤكل لحمه من البغال والحمير والخيل وفيها منفعة زائدة وهي
الاكل الذي هو انتفاع بذواتها والقصد بالانعام الى الابل لانها هي المحمول عليها في العادة وقرنها بالفلك التي هي السفائن لانها
سفائن البر قال ذو الرمة سفينة بر تحت خدي زمامها يريد صيدحه ● **ولقد ارسلنا نوحا الى قومه
فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون** ● غيره بالرفع على المحل وبالجر على اللفظ والجملة
استيناف تجري مجرى التعليل للامر بالعبادة افلا تتقون افلا تخافون ان ترفضوا عبادة الله الذي هو ربكم وخالقكم ورازقكم
وشكر نعمته التي لا تحصونها واجب عليكم ثم تذهبوا فتعبدوا غيره مما ليس من استحقاق العبادة في شيء ● **فقال الملأ الذين
كفروا من قومه ما هذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم ولو شاء الله لانزل ملائكة ما
سمعنا بهذا في آبائنا الاولين** ● ان يتفضل عليكم ان يطلب الفضل عليكم ويترأسكم كقوله تعالى وتكون لكما
الكبرياء في الارض بهذا اشارة الى نوح عليه السلام او الى ما كلمهم به من الحث على عبادة الله تعالى اي ما سمعنا بمثل هذا الكلام
او بمثل هذا الذي يدعي وهو بشر انه رسول الله وما اعجب شان الضلال لم يرضوا للنبوة ببشر وقد رضوا للالهية بحجر
وقولهم ما سمعنا بهذا يدل على انهم وآباءهم كانوا في فترة متطاولة او تكذبوا في ذلك لانهماكهم في الغي وتشمرهم لان يدفعوا
الحق بما امكنهم وبما عن لهم من غير تمييز منهم بين صدق وكذب ● **ان هو الا رجل به جنة فتربصوا به حتى حين**
الا تراهم كيف جننوه وقد علموا انه ارجح الناس عقلا واوزنهم قولا والجنة الجنون او الجن اي به جن يخبلونه حتى حين
اي احتملوه واصبروا عليه الى زمان حتى ينجلي امره عن عاقبة فان افاق من جنونه والا قتلتموه ● **قال رب انصرني
بما كذبون** ● في نصرته اهلاكهم فكانه قال اهلكهم بسبب تكذيبهم اياي او انصرني بدل ما كذبوني كما تقول هذا بذاك اي بدل
ذاك ومكانه والمعنى ابدلني من غم تكذيبهم سلوة النصرة عليهم او انصرني بانجاز ما وعدتهم من العذاب وهو ما كذبوه فيه حين قال
لهم اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم ● **فاوحينا اليه ان اصنع الفلك باعيننا ووحينا فاذا جاء
امرنا وفار التنور** ● باعيننا بحفظنا وكلاءتنا كان معه من الله حفاظا يكلؤونه بعيونهم لئلا يتعرض له ولا يفسد عليه
مفسد عمله ومنه قولهم عليه من الله عين كالئة ووحينا اي نامرك كيف تصنع ونعلمك روي انه اوحي اليه ان يصنعها على مثال جؤجؤ
الطائر روي انه قيل لنوح اذا رأيت الماء يفور من التنور فاركب انت ومن معك السفينة فلما نبع الماء من التنور اخبرته امرأته
فركب وقيل كان تنور آدم وكان من حجارة فصار الى نوح واختلف في مكانه فعن الشعبي في مسجد الكوفة عن يمين الداخل
مما يلي باب كندة وكان نوح عمل السفينة وسط المسجد وقيل بالشام بموضع يقال له عين وردة وقيل بالهند وعن ابن عباس

التنور وجه الارض وعن قتادة اشرف موضع في الارض اي اعلاه وعن علي رضي الله عنه فار التنور طلع الفجر وقيل معناه
ان فوران التنور كان عند تنور الفجر وقيل هو مثل كقولهم حمي الوطيس والقول هو الاول فاسلك فيها من
كل زوجين اثنين واهلك الا من سبق عليه القول منهم ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم
مغرقون يقال سلك فيه دخله وسلك غيره واسلكه قال حتى اذا اسلكوهم في قتائدة من كل زوجين من
كل امتي زوجين وهما امة الذكر وامة الانثى كالجمال والنوق والحصن والرماك اثنين واحدين مزدوجين كالجمل والناقة
والحصان والرمكة روي انه لم يحمل الا ما يلد ويبيض وقرئ من كل بالتنوين اي من كل امة زوجين واثنين تاكيد وزيادة بيان
جيء بعلى مع سبق الضار كما جيء باللام مع سبق النافع قال الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى ولقد سبقت كلمتنا
لعبادنا المرسلين ونحوه قوله تعالى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت وقول عمر رضي الله عنه ليتها كانت كفافا لا علي ولا لي
فان قلت لم نهاه عن الدعاء لهم بالنجاة قلت لما تضمنته الآية من كونهم ظالمين وايجاب
الحكمة ان يغرقوا لا محالة لما عرف من المصلحة في اغراقهم والمفسدة في استبقائهم فاذا استويت انت ومن
معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين وبعد ان املى لهم الدهر المتطاول
فلم يزيدوا الا ضلالا ولزمتهم الحجة البالغة لم يبق الا ان يجعلوا عبرة للمعتبرين ولقد بالغ في ذلك حيث امر النبي عليه السلام
بالحمد على هلاكهم والنجاة منهم كقوله عز وجل فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين وقل رب انزلني منزلا
مباركا وانت خير المنزلين ثم امره ان يدعوه بدعاء هو اهم وانفع له وهو طلب ان ينزله في السفينة او في
الارض عند خروجه منها منزلا يبارك له فيه ويعطيه الزيادة في خير الدارين وان يشفع الدعاء بالثناء عليه المطابق لمسالته
وهو قوله وانت خير المنزلين فان قلت هلا قيل فقولوا لقوله تعالى فاذا استويت انت ومن معك لانه في معنى فاذا
استويتم قلت لانه نبيهم وامامهم فكان قوله قولهم مع ما فيه من الاشعار بفضل النبوة واظهار كبرياء الربوبية
وان رتبة تلك المخاطبة لا يترقى اليها الا ملك او نبي وقرئ منزلا بمعنى انزالا او موضع انزال كقوله ليدخلنهم مدخلا يرضونه
ان في ذلك لآيات وان كنا لمبتلين ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بين النافية وبينها
والمعنى وان الشان والقصة كنا مبتلين اي مصيبين قوم نوح ببلاء عظيم وعقاب شديد او مختبرين بهذه الآيات عبادنا
لننظر من يعتبر ويذكر كقوله ولقد تركناها آية فهل من مدكر ثم انشانا من بعدهم قرنا آخرين هم
عاد قوم هود عن ابن عباس وتشهد له حكاية الله تعالى قول هود واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح ومجيء قصة هود على اثر قصة
نوح في سورة الاعراف وسورة هود والشعراء فارسلنا فيهم رسولا منهم ان اعبدوا الله ما لكم من
اله غيره افلا تتقون فان قلت حق ارسل ان يعدى بالى كاخواته التي هي وجه وانفذ وبعث فما
باله عدي في القرآن بالى تارة وبفي اخرى كقوله تعالى كذلك ارسلناك في امة وما ارسلنا في قرية من نذير فارسلنا فيهم رسولا
اي في عاد وفي موضع آخر والى عاد اخاهم هودا قلت لم يعد بفي كما عدي بالى ولم يجعل صلة مثله ولكن الامة او القرية
جعلت موضعا للارسال كما قال رؤبة ارسلت فيها مصعبا ذا اقحام وقد جاء بعث على ذلك في قوله ولو شئنا لبعثنا في
كل قرية نذيرا ان مفسرة لارسلنا اي قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله وقال الملا من قومه الذين
كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة واترفناهم في الحيوة الدنيا ما هذا الا بشر مثلكم ياكل مما
تاكلون منه ويشرب مما تشربون فان قلت ذكر مقال قوم هود في جوابه في سورة الاعراف
وسورة هود بغير واو قال الملا الذين كفروا من قومه انا لنراك في سفاهة قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وههنا مع الواو
فاي فرق بينهما قلت الذي بغير واو على تقدير سؤال سائل قال فما قال قومه فقيل له قالوا كيت وكيت واما
الذي مع الواو فعطف لما قالوه على ما قاله ومعناه انه اجتمع في الحصول هذا الحق وهذا الباطل وشتان ما هما بلقاء الآخرة
بلقاء ما فيها من الحساب والثواب والعقاب كقولك يا حبذا جوار مكة اي جوار الله في مكة حذف الضمير والمعنى من مشروبكم
او حذف منه لدلالة ما قبله عليه ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون ايعدكم انكم
اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون اذا واقع في جواب الشرط وجواب للذين قاولوهم من قومهم
اي تخسرون عقولكم وتغبنون في آرائكم ثني انكم للتوكيد وحسن ذلك الفصل ما بين الاول والثاني بالظرف ومخرجون خبر عن الاول

او جعل انكم مخرجون مبتدأ واذا متم خبرا على معنى اخراجكم اذا متم ثم اخبر بالجملة عن انكم او رفع انكم مخرجون بفعل مضمر هو جزاء الشرط
كانه قيل اذا متم وقع اخراجكم ثم اوقعت الجملة الشرطية خبرا عن انكم وفي قراءة ابن مسعود ايعدكم اذا متم هيهات
هيهات لما توعدون قرئ هيهات بالفتح والكسر والضم كلها بتنوين وبلا تنوين وبالسكون على لفظ الوقف
فان قلت ما توعدون هو المستبعد ومن حقه ان يرتفع بهيهات كما ارتفع في قوله فهيهات هيهات العقيق
واهله فما هذه اللام قلت قال الزجاج في تفسيره البعد لما توعدون او بعد لما توعدون فيمن نون فنزله
منزلة المصدر وفيه وجه آخر وهو ان يكون اللام لبيان المستبعد ما هو بعد التصويت بكلمة الاستبعاد كما جاءت اللام
في هيت لك لبيان المهيت به ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين
هذا ضمير لا يعلم ما يعني به الا بما يتلوه من بيانه واصله ان الحيوة الا حياتنا الدنيا ثم وضع هي موضع الحيوة لان الخبر يدل
عليها ويبينها ومنه هي النفس تحمل ما حملت وهي العرب تقول ما شاءت والمعنى لا حيوة الا هذه الحيوة لان ان النافية
دخلت على هي التي في معنى الحيوة الدالة على الجنس فنفتها فوازنت لا التي نفت ما بعدها نفي الجنس نموت ونحيا اي يموت
بعض ويولد بعض ينقرض قرن ويأتي قرن آخر ان هو الا رجل افترى على الله كذبا وما نحن
له بمؤمنين قال رب انصرني بما كذبون قال عما قليل ليصبحن نادمين ثم قالوا
ما هو الا مفتر على الله تعالى فيما يدعيه من استنبائه له وفيما يعدنا من البعث وما نحن بمصدقين قليل صفة للزمان
كقديم وحديث في قولك ما رايته قديما ولا حديثا وفي معناه عن قريب وما توكيد معنى قلة المدة وقصرها فاخذتهم
الصيحة بالحق فجعلناهم غثاء فبعدا للقوم الظالمين الصيحة صيحة جبريل صاح عليهم
فدمرهم بالحق بالوجوب لانهم قد استوجبوا الهلاك او بالعدل من الله تعالى من قولك فلان يقضي بالحق اذا كان عادلا
في قضاياه شبههم في دمارهم بالغثاء وهو حميل السيل مما بلي واسود من الورق والعيدان ومنه قوله تعالى فجعله
غثاء احوى وقد جاء مشددا في قول امرئ القيس من السيل والغثاء فلكة مغزل بعدا وسحقا ونحوها مصادر
موضوعة مواضع افعالها وهي من جملة المصادر التي قال سيبويه نصبت بافعال لا يستعمل اظهارها ومعنى بعدا
بعدوا اي هلكوا يقال بعد بعدا وبعدا نحو رشد رشدا ورشدا وللقوم الظالمين بيان لمن دعي عليه بالبعد نحو هيت لك
ولما توعدون ثم انشانا من بعدهم قرونا آخرين ما تسبق من امة اجلها وما يستاخرون
قرونا قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم وعن ابن عباس بني اسرائيل اجلها الوقت الذي حد لهلاكها وكتب
ثم ارسلنا رسلنا تترا كلما جاء امة رسولها كذبوه فاتبعنا بعضهم بعضا وجعلناهم
احاديث فبعدا لقوم لا يؤمنون تترى فعلى للتانيث لان الرسل جماعة وقرئ تترى بالتنوين والتاء بدل
من الواو كما في تولج وتيقور اي متواترين واحدا بعد واحد من الوتر وهو الفرد اضاف الرسل اليه والى امتهم لقد
جاءتهم رسلنا بالبينات ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات لان الاضافة تكون بالملابسة والرسول ملابس المرسل والمرسل
اليه جميعا فاتبعنا الامم والقرون بعضهم بعضا في الاهلاك وجعلناهم اخبارا يسمر بها ويتعجب منها والاحاديث تكون
اسم جمع للحديث ومنه احاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وتكون جمعا للاحدوثة التي هي مثل الاضحوكة والالعوبة والاعجوبة
وهي ما يتحدث به الناس تلهيا وتعجبا وهو المراد ههنا ثم ارسلنا موسى واخاه هرون باياتنا وسلطان
مبين الى فرعون وملائه فاستكبروا وكانوا قوما عالين فان قلت ما المراد
بالسلطان المبين قلت يجوز ان تراد العصا لانها كانت ام آيات موسى واولاها وقد تعلقت بها معجزات شتى من انقلابها
حية وتلقفها ما افكته السحرة وانفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر بضربهما بها وكونها حارسا وشمعة وشجرة خضراء مثمرة ودلوا
ورشاء جعلت كانها ليست بعضها لما استبدت به من الفضل فلذلك عطفت عليها كقوله تعالى وجبريل وميكال ويجوز ان
تراد الآيات انفسها اي هي آيات وحجة بينة عالين متكبرين ان فرعون علا في الارض لا يريدون علوا في الارض
او متطاولين على الناس قاهرين بالبغي والظلم فقالوا انؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون
فكذبوهما فكانوا من المهلكين البشر يكون واحدا وجمعا بشرا سويا لبشرين فاما ترين من البشر احدا ومثل
وغير يوصف بهما الاثنان والجمع والمذكر والمؤنث انكم اذا مثلهم ومن الارض مثلهن ويقال ايضا هما مثلاه وهم امثاله ان

الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم وقومهما يعني بني اسرائيل كانوا لنا عابدون خضوعا وتذللا او لانه كان يدعي الالهية فادعى للناس العبادة وان طاعتهم له عبادة على الحقيقة • ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون
موسى الكتاب اي قوم موسى التورية لعلهم يعملون بشرائعها ومواعظها كما قال على خوف من فرعون وملائهم يريد
آل فرعون كما يقولون هاشم وثقيف وتميم ويراد قومهم ولا يجوز ان يرجع الضمير في لعلهم الى فرعون وملائه
لان التورية انما اوتيها بنو اسرائيل بعد اغراق فرعون وملائه ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما اهلكنا القرون الاولى
وجعلنا ابن مريم وامه آية وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين • فان قلت
لو قيل آيتين هل كان يكون له وجه قلت نعم لان مريم ولدت من غير مسيس وعيسى روح من الله تعالى القي اليها
وقد تكلم في المهد وكان يحيي الموتى مع معجزات اخر فكان آية من غير وجه واللفظ محتمل للتثنية على تقدير وجعلنا ابن مريم
آية وامه آية ثم حذفت الاولى لدلالة الثانية عليها الربوة والرباوة في رائهما الحركات وقرئ ربوة ورباوة بالضم
ورباوة بالكسر وهي الارض المرتفعة قيل هي ايليا ارض بيت المقدس فانها كبد الارض واقرب الارض الى السماء بثمانية عشر
ميلا عن كعب وقيل دمشق وغوطتها وعن الحسن فلسطين والرملة وعن ابي هريرة الزموا هذه الرملة رملة فلسطين
فانها الربوة التي ذكرها الله تعالى وقيل مصر والقرار المستقر من ارض مستوية منبسطة وعن قتادة ذات ثمار وماء
يعني انه لاجل الثمار يستقر فيها ساكنوها والمعين الماء الظاهر الجاري على وجه الارض وقد اختلف في زيادة ميمه واصالته فوجه
من جعله مفعولا انه مدرك بالعين لظهوره من عانه اذا ادركه بعينه نحو ركبه اذا ضربه بركبته ووجه من جعله فعيلا انه نفاع
لظهوره وجريه من الماعون وهو المنفعة • يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا
اني بما تعملون عليم • هذا النداء والخطاب ليسا على ظاهرهما وكيف والرسل انما ارسلوا متفرقين
في ازمنة مختلفة وانما المعنى الاعلام بان كل رسول في زمانه نودي لذلك ووصي به ليعتقد السامع ان امرا نودي له
جميع الرسل ووصوا به حقيق بان يؤخذ به ويعمل عليه والمراد بالطيبات ما حل وطاب وقيل طيبات الرزق حلال وصاف
وقوام فالحلال الذي لا يعصى الله فيه والصافي الذي لا ينسى الله فيه والقوام ما يمسك النفس ويحفظ العقل او اريد ما يستطاب
ويستلذ من المآكل والفواكه ويشهد له مجيئه عقيب قوله تعالى وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين ويجوز ان يقع
هذا الاعلام عند ايواء عيسى ومريم الى الربوة فذكر على سبيل الحكاية اي آويناهما وقلنا لهما هذا اي اعلمناهما ان الرسل كلهم خوطبوا
بهذا فكلا مما رزقناكما واعملا صالحا اقتداء بالرسل • وان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاتقون
فتقطعوا امرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون • قرئ وان بالكسر على الاستئناف وان
بمعنى ولان وان مخففة من الثقيلة وامتكم مرفوعة معها وقرئ زبرا جمع زبور اي كتبا مختلفة يعني جعلوا دينهم اديانا
وزبرا قطعا استعيرت من زبر الفضة والحديد وزبرا مخففة الباء كرسل في رسل اي كل فرقة من فرق هؤلاء المختلفين
المتقطعين دينهم فرح بباطله مطمئن النفس معتقد انه على الحق • فذرهم في غمرتهم حتى حين • الغمرة
الماء الذي يغمر القامة فضربت مثلا لما هم مغمورون فيه من جهلهم وعمايتهم او شبهوا باللاعبين في غمرة الماء لما هم عليه من
الباطل قال كأنني ضارب في غمرة لعب • وعن علي رضي الله عنه في غمراتهم حتى حين الى ان يقتلوا او يموتوا نهي لرسول الله
صلى الله عليه وسلم بذلك ونهي عن الاستعجال بعذابهم والجزع من تأخيره • ايحسبون انما نمدهم به من مال
وبنين • نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون • وقرئ يمدهم ويسارع ويسرع بالياء
والفاعل الله سبحانه ويجوز في يسارع ويسرع ان يتضمن ضمير الممد به ويسارع مبنيا للمفعول والمعنى ان هذا الامداد
ليس الا استدراجا لهم الى المعاصي واستجرارا الى زيادة الاثم وهم يحسبونه مسارعة لهم في الخيرات وفيما لهم فيه نفع
واكرام ومعاجلة بالثواب قبل وقته ويجوز ان يراد في جزاء الخيرات كما يفعل باهل الخير من المسلمين وبل استدراك لقوله
ايحسبون يعني بل هم اشباه البهائم لا فطنة بهم ولا شعور حتى يتأملوا ويتفكروا في ذلك اهو استدراج ام مسارعة
في الخير • فان قلت اين الراجع من خبر ان الى اسمها اذا لم يستكن فيه ضميره قلت هو محذوف تقديره
نسارع به ويسارع الله تعالى به كقوله ان ذلك لمن عزم الامور اي ان ذلك منه وذلك لاستطالة الكلام
مع امن الالباس • ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون • والذين هم بآيات

ربهم يؤمنون • والذين هم بربهم لا يشركون • والذين يؤتون ما آتوا
وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون • يؤتون ما آتوا يعطون ما اعطوا وفي قراءة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعائشة رضي الله عنها يأتون ما اتوا اي يفعلون ما فعلوا وعنها انها قالت قلت يا رسول الله هو
الذي يزني ويسرق ويشرب الخمر وهو على ذلك يخاف الله قال لا يا ابنة الصديق ولكن هو الذي يصلي ويصوم ويتصدق
وهو على ذلك يخاف الله تعالى ان لا يقبل منه • اولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون
يسارعون في الخيرات يحتمل معنيين احدهما ان يراد يرغبون في الطاعات اشد الرغبة فيبادرونها والثاني انهم يتعجلون
في الدنيا المنافع ووجوه الاكرام كما قال فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة وآتيناه اجره في الدنيا وانه في الآخرة لمن
الصالحين لانهم اذا سورع بها لهم فقد سارعوا في نيلها وتعجلوها وهذا الوجه احسن طباقا للآية المتقدمة لان فيها اثبات ما
نفي عن الكفار للمؤمنين وقرئ يسرعون في الخيرات لها سابقون اي فاعلون السبق لاجلها او سابقون الناس لاجلها او
اياها سابقون اي ينالونها قبل الآخرة حيث عجلت لهم في الدنيا ويجوز ان يكون لها سابقون خبرا بعد خبر ومعنى وهم لها
كمعنى قوله انت لها احمد من بين البشر • ولا نكلف نفسا الا وسعها ولدينا كتاب
ينطق بالحق وهم لا يظلمون • يعني ان هذا الذي وصف به الصالحين غير خارج عن حد الوسع
والطاقة وكذلك كل ما كلفه عباده وما عملوه من الاعمال فغير ضائع عنده بل هو مثبت لديه في كتاب يريد اللوح
او صحيفة الاعمال ناطق بالحق لا يقرؤن منه يوم القيمة الا ما هو صدق وعدل لا زيادة فيه ولا نقصان ولا يظلم منهم
احد او اراد ان الله لا يكلف نفسا الا الوسع فان لم يبلغ المكلف ان يكون على صفة هؤلاء السابقين بعد ان يستفرغ
وسعه ويبذل طاقته فلا عليه ولدينا كتاب فيه عمل السابق والمقتصد ولا نظلم احدا من حقه ولا نحطه دون درجته •
بل قلوبهم في غمرة من هذا ولهم اعمال من دون ذلك هم لها عاملون • بل قلوب الكفرة
في غفلة غامرة لها من هذا اي مما عليه هؤلاء الموصوفون من المؤمنين ولهم اعمال متجاوزة متخطية لذلك اي لما وصف به
المؤمنون هم لها معتادون وبها ضارون لا يفطمون عنها • حتى اذا اخذنا مترفيهم بالعذاب
اذا هم يجأرون • لا تجأروا اليوم انكم منا لا تنصرون • حتى ياخذهم الله تعالى بالعذاب
وحتى هذه هي التي يبتدأ بعدها الكلام والكلام الجملة الشرطية والعذاب قتلهم يوم بدر او الجوع حين دعا عليهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فابتلاهم الله تعالى بالقحط
حتى اكلوا الجيف والكلاب والعظام المحترقة والقد والاولاد والجؤار الصراخ باستغاثة قال جأر ساعات النيام لربه
اي يقال لهم حينئذ لا تجأروا فان الجؤار غير نافع لكم منا لا تنصرون لا تغاثون ولا تمنعون منا او من جهتنا لا يلحقكم نصر ومعونة
قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على اعقابكم تنكصون • مستكبرين به سامرا تهجرون
قالوا الضمير في به للبيت العتيق او للحرم كانوا يقولون لا يظهر علينا احد لانا اهل الحرم والذي سوغ هذا الاضمار شهرتهم بالاستكبار
بالبيت وانه لم يكن لهم مفخرة الا انهم ولاته والقائمون به ويجوز ان يرجع الى آياتي الا انه ذكر لانها في معنى كتابي ومعنى استكبارهم
بالقرآن تكذيبهم به استكبارا ضمن مستكبرين معنى مكذبين فعدي تعديته او يحدث لكم استماعه استكبارا وعتوا فانتم مستكبرون
بسببه او يتعلق الباء بسامرا اي تسمرون بذكر القرآن وبالطعن فيه وكانوا يجتمعون حول البيت بالليل يسمرون وكانت عامة
سمرهم ذكر القرآن وتسميته سحرا وشعرا وسب رسول الله صلى الله عليه وسلم او تهجرون والسامر نحو الحاضر في الاطلاق على الجمع
وقرئ سمرا وسمارا وتهجرون وتهجرون من اهجر في منطقه اذا افحش والهجر بالضم الفحش ومن هجر الذي هو مبالغة في هجر
اذا هذى والهجر بالفتح الهذيان • افلم يدبروا القول ام جاءهم ما لم يأت آباءهم الاولين
القول القرآن يقول افلم يدبروه ليعلموا انه الحق المبين فيصدقوا به وبمن جاء به بل اجاءهم ما لم يأت آباءهم فلذلك
انكروه واستبدعوه كقوله تعالى لتنذر قوما ما انذر آباؤهم فهم غافلون او ليخافوا عند تدبر آياته واقاصيصه مثل ما نزل بمن
قبلهم من المكذبين ام جاءهم من الامن ما لم يأت آباءهم حين خافوا الله فآمنوا به وبكتبه ورسله واطاعوه وآباؤهم اسمعيل واعقابه
من عدنان وقحطان وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا مضر ولا ربيعة فانهما كانا مسلمين ولا تسبوا قسا فانه كان
مسلما ولا تسبوا الحرث بن كعب ولا اسد بن خزيمة ولا تميم بن مر فانهم كانوا على الاسلام وما شككتم فيه من شيء فلا تشكوا في

ان تبعا كان مسلما وروي ان ضبة كان مسلما وكان على شرطة سليمان بن داود عليهما السلام **ام لم يعرفوا**
رسولهم فهم له منكرون • ام لم يعرفوا محمدا صلى الله عليه وسلم وصحة نسبه وحلوله في سطة هاشم وامانته وصدقه
وشهامته وعقله واتسامه بانه خير فتيان قريش والخطبة التي خطبها ابو طالب في نكاح خديجة بنت خويلد كفى برغائها
مناديا • **ام يقولون به جنة بل جاءهم بالحق واكثرهم للحق كارهون** • الجنة الجنون وكانوا
يعلمون انه بريء منها وانه ارجحهم عقلا واثقبهم ذهنا ولكنه جاءهم بما خالف شهواتهم واهواءهم ولم يوافق ما نشاوا عليه
وسيط بلحومهم ودمائهم من اتباع الباطل ولم يجدوا له مردا ولا مدفعا لانه الحق الابلج والصراط المستقيم فاخلدوا الى البهت
وعولوا على الكذب من النسبة الى الجنون والسحر والشعر **فان قلت** قوله واكثرهم فيه ان اقلهم كانوا لا يكرهون الحق
قلت كان فيهم من ترك الايمان به انفة واستنكافا من توبيخ قومه وان يقولوا صبا وترك دين آبائه لا كراهة
للحق كما يحكى عن ابي طالب **فان قلت** يزعم بعض الناس ان ابا طالب صح اسلامه **قلت** يا سبحان الله
كان ابو طالب كان اخمل اعمام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يشتهر اسلام حمزة والعباس رضي الله عنهما ويخفى اسلام ابي طالب
ولو اتبع الحق اهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن بل اتيناهم بذكرهم فهم
عن ذكرهم معرضون • دل بهذا على عظم شان الحق وان السموات والارض ما قامت ولا من فيهن الا به
فلو اتبع اهواءهم لانقلب باطلا ولذهب ما يقوم به العالم فلا يبقى له بعد قوام او اراد ان الحق الذي جاء به محمد وهو الاسلام
لو اتبع اهواءهم وانقلب شركا لجاء الله بالقيمة ولاهلك العالم ولم يؤخر وعن قتادة ان الحق هو الله تعالى ومعناه ولو
كان الله الها يتبع اهواءهم ويامر بالشرك والمعاصي لما كان الها ولكان شيطانا
ولما قدر على ان يمسك السموات والارض بذكرهم اي بالكتاب الذي هو ذكرهم اي وعظهم او وصيتهم وفخرهم او بالذكر
الذي كانوا يتمنونه ويقولون لو ان عندنا ذكرا من الاولين لكنا عباد الله المخلصين وقرئ بذكراهم • **ام تسالهم**
خرجا فخراج ربك خير وهو خير الرازقين • وقرئ خراجا فخراج وقرئ خرجا فخرج وخرجا فخراج وهو
ما تخرجه الى الامام من زكاة ارضك والى كل عامل من اجرته وجعله وقيل الخرج ما تبرعت به والخراج ما لزمك اداؤه والوجه
ان الخرج اخص من الخراج كقولك خراج القرية وخرج الكردة زيادة اللفظ لزيادة المعنى ولذلك حسنت قراءة من قرا
خرجا فخراج ربك يعني ام تسالهم على هدايتك لهم قليلا من عطاء الخلق فالكثير من عطاء الخالق خير ○
وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم • قد الزمهم الحجة في هذه الآيات وقطع معاذيرهم وعللهم بان
الذي ارسل اليهم رجل معروف امره وحاله مخبور سره وعلنه خليق بان يجتبى مثله للرسالة من بين ظهرانيهم وانه لم
يعرض له حتى يدعي مثل هذه الدعوى العظيمة بباطل ولم يجعل ذلك سلما الى النيل من دنياهم واستعطاء اموالهم ولم يدعهم
الا الى دين الاسلام الذي هو الصراط المستقيم مع ابراز المكنون من ادوائهم وهو اخلالهم بالتدبر والتامل واستهتارهم
بدين الآباء الضلال من غير برهان وتعللهم بانه مجنون بعد ظهور الحق وثبات التصديق من الله بالمعجزات والآيات النيرة
وكراهتهم للحق واعراضهم عما فيه حظهم من الذكر • **وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون**
يحتمل ان هؤلاء وصفتهم انهم لا يؤمنون بالآخرة لناكبون اي عادلون عن هذا الصراط المذكور وهو قوله الى صراط مستقيم
وان كل من لا يؤمن بالآخرة فهو عن القصد ناكب • **ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في**
طغيانهم يعمهون • لما اسلم ثمامة بن اثال الحنفي ولحق باليمامة ومنع الميرة من اهل مكة واخذهم الله تعالى
بالسنين حتى اكلوا العلهز جاء ابو سفيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له انشدك الله والرحم الست
تزعم انك بعثت رحمة للعالمين قال بلى فقال قتلت الآباء بالسيف والابناء بالجوع والمعنى لو كشف الله تعالى
هذا الضر وهو الهزال والقحط الذي اصابهم برحمته عليهم ووجدوا الخصب لارتدوا الى ما كانوا عليه من الاستكبار وعداوة
رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وافراطهم فيها ولذهب عنهم هذا الابلاس وهذا التملق بين يديه يسترحمونه
ولقد اخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون • **حتى اذا فتحنا**
عليهم بابا ذا عذاب شديد اذا هم فيه مبلسون • واستشهد على ذلك بانا اخذناهم
اولا بالسيوف وبما جرى عليهم يوم بدر من قتل صناديدهم واسرهم فما وجدت منهم بعد ذلك استكانة ولا تضرع

الكرد ... المصنف الكردة وجمعها ... لا تعرفها ... وضع الكرد والعرب ... من الارض المزروعة ولا تعرف ... الحبس ... اللغة في الاصول

... القوافي ... كانوا ... فيها ركبوا من حروف العلل ... القراء ومن حروف القهر وهو الذوق ○

حتى

حتى فتحنا عليهم باب الجوع الذي هو اشد من الاسر والقتل وهو اطم العذاب فابلسوا الساعة وخضعت رقابهم
وجاء اعتاهم واشدهم شكيمة في العناد يستعطفك او محناهم بكل محنة من القتل والجوع فما رؤي فيهم لين مقادة وهم كذلك
حتى اذا عذبوا بنار جهنم فحينئذ يبلسون كقوله ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون والابلاس
الياس من كل خير وقيل السكوت مع التحير **فان قلت** ما وزن استكان **قلت** استفعل من الكون
اي انتقل من كون الى كون كما قيل استحال اذا انتقل من حال الى حال ويجوز ان يكون افتعل من السكون اشبعت
فتحة عينه كما جاء بمنتزاح **فان قلت** هلا قيل وما تضرعوا او فما يستكينون **قلت** لان المعنى محناهم
فما وجدت منهم عقيب المحنة استكانة وما من عادة هؤلاء ان يستكينوا ويتضرعوا حتى يفتح عليهم باب العذاب الشديد
وقرئ فتحنا • **وهو الذي انشا لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون**
انما خص السمع والابصار والافئدة لانه يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية ما لا يتعلق بغيرها ومقدمة منافعها ان
يعملوا ابصارهم واسماعهم في آيات الله وافعاله ثم ينظروا ويستدلوا بقلوبهم ومن لم يعملها فيما خلقت له فهو بمنزلة عادمها
كما قال عز وجل فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شيء اذ كانوا يجحدون بآيات الله ومقدمة شكر النعمة فيها
الاقرار بالمنعم بها وان لا يجعل له ند ولا شريك اي تشكرون شكرا قليلا وما مزيدة للتاكيد بمعنى حقا • **وهو الذي**
ذراكم في الارض واليه تحشرون • **وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار**
افلا تعقلون • ذراكم خلقكم وبثكم بالتناسل واليه تجمعون يوم القيمة بعد تفرقكم وله اختلاف الليل والنهار
اي هو مختص به وهو متوليه ولا يقدر على تصريفهما غيره وقرئ يعقلون بالياء عن ابي عمرو • **بل قالوا مثل ما قال**
الاولون • **قالوا ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون** • **لقد وعدنا نحن**
وآباؤنا هذا من قبل ان هذا الا اساطير الاولين • اي قال اهل مكة كما قال الكفار قبلهم الا
اساطير جمع اسطار جمع سطر قال رؤبة اني واسطار سطرن سطرا وهي الكتب التي سطرها الاولون مما لا حقيقة له وجمع اسطورة اوفق
قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون • **سيقولون لله** • **قل افلا تذكرون**
قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم • **سيقولون لله** • **قل افلا تتقون**
قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون • **سيقولون لله**
قل فانى تسحرون • **بل اتيناهم بالحق وانهم لكاذبون** • اي اجيبوني عما استعلمتكم منه ان كان
عندكم فيه علم وفيه استهانة بهم وتجويز لفرط جهالتهم بالديانات ان يجهلوا مثل هذا الظاهر البين وقرئ تذكرون بحذف
التاء الثانية ومعناه افلا تذكرون فتعلموا ان من فطر الارض ومن فيها اختراعا كان قادرا على اعادة الخلق وكان حقيقا
بان لا يشرك به بعض خلقه في الربوبية قرئ الاول باللام لا غير والاخيران باللام وهو هكذا في مصاحف اهل الحرمين والكوفة
والشام وبغير اللام وهو هكذا في مصاحف اهل البصرة فباللام على المعنى لان قولك من ربه ولمن هو في معنى واحد وبغير اللام
على اللفظ وتجوز قراءة الاول بغير لام ولكنها لم تثبت في الرواية افلا تتقون افلا تخافونه فلا تشركوا به وتعصوا رسله
اجرت فلانا على فلان اذا اغثته منه ومنعته يعني وهو يغيث من يشاء ممن يشاء ولا يغيث احد منه احدا تسحرون
تخدعون عن توحيده وطاعته والخادع هو الشيطان والهوى وقرئ اتيتهم واتيتهم بالفتح والضم بالحق بان نسبة الولد
اليه محال والشرك باطل وانهم لكاذبون حيث يدعون له ولدا ومعه شريكا • **ما اتخذ الله من ولد وما**
كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله
عما يصفون • **عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون** • لذهب كل اله بما خلقه لانفرد
كل واحد من الالهة بخلقه الذي خلقه واستبد به ولرايتم ملك كل واحد منهم متميزا من ملك الآخرين ولغلب بعضهم بعضا
كما ترون حال ملوك الدنيا ممالكهم متمايزة وهم متغالبون وحين لم تروا اثرا لتمايز الممالك وللتغالب فاعلموا انه
اله واحد بيده ملكوت كل شيء **فان قلت** اذن لا تدخل الا على كلام هو جزاء وجواب فكيف وقع قوله
لذهب جزاء وجوابا ولم يتقدمه شرط ولا سؤال سائل **قلت** الشرط محذوف تقديره ولو كان معه آلهة
وانما حذف لدلالة قوله وما كان معه من اله عليه وهو جواب لمن معه المحاجة من المشركين عما يصفون من الانداد والاولاد

... الذي ابلس ... ومن قوله الرجال مستراح ○

عالم الغيب بالجر صفة لله وبالرفع خبر مبتدأ محذوف ● قل رب إما تريني ما يوعدون ● رب فلا تجعلني في القوم الظالمين ● وإنا على أن نريك ما نعدهم لقادرون ● ما والنون مؤكدتان أي إن كان لا بد من أن تريني ما تعدهم من العذاب في الدنيا أو في الآخرة فلا تجعلني قرينا لهم ولا تعذبني بعذابهم عن الحسن أخبره الله أن له في أمته نقمة ولم يخبره أفي حياته أم بعد موته فأمره أن يدعو بهذا الدعاء **فإن قلت** كيف يجوز أن يجعل الله نبيه المعصوم مع الظالمين حتى يطلب أن لا يجعله معهم **قلت** يجوز أن يسأل العبد ربه ما علم أنه يفعله وأن يستعيذ به مما علم أنه لا يفعله إظهارا للعبودية وتواضعا لربه وإخباتا له واستغفاره صلى الله عليه وسلم إذا قام من مجلسه سبعين مرة أو مائة مرة لذلك وما أحسن قول الحسن في قول أبي بكر رضي الله عنه وليتكم ولست بخيركم كان يعلم أنه خيرهم ولكن المؤمن يهضم نفسه وقرئ ترئنهم بالهمز كما قرئ فإما ترين وقوله رب مرتين قبل الشرط وقبل الجزاء حث على فضل تضرع وجؤار كانوا ينكرون الموعد بالعذاب ويضحكون منه واستعجالهم له لذلك فقيل لهم إن الله قادر على إنجاز ما وعد إن تأملتم فما وجه هذا الإنكار ● ادفع بالتي هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون ● هو أبلغ من أن يقال بالحسنة السيئة لما فيه من التفضيل كأنه قال ادفع بالحسنى السيئة والمعنى الصفح عن إساءتهم ومقابلتها بما أمكن من الإحسان حتى إذا اجتمع الصفح والإحسان وبذل الاستطاعة فيه كانت حسنة مضاعفة بإزاء سيئة وهذه قضية قوله بالتي هي أحسن وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي شهادة أن لا إله إلا الله والسيئة الشرك وعن مجاهد السلام يسلم عليه إذا لقيه وعن الحسن الإغضاء والصفح وقيل هي منسوخة بآية السيف وقيل محكمة لأن المداراة محثوث عليها ما لم تؤد إلى ثلم دين وإزراء بمروءة بما يصفون بما يذكرونه من أحوالك بخلاف صفتها أو بوصفهم لك وسوء ذكرهم والله تعالى أعلم بذلك منك وأقدر على جزائهم ● وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين ● وأعوذ بك رب أن يحضرون ● الهمز النخس والهمزات جمع المرة منه ومنه مهماز الرائض والمعنى أن الشياطين يحثون الناس على المعاصي ويغرونهم عليها كما تهمز الراضة الدواب حثا لها على المشي ونحو الهمز الأز في قوله تعالى تؤزهم أزا أمر بالتعوذ من نخساتهم بلفظ المبتهل إلى ربه المكرر لندائه وبالتعوذ من أن يحضروه أصلا ويحوموا حوله وعن ابن عباس عند تلاوة القرآن وعن عكرمة عند النزع ● حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون ● حتى تتعلق بيصفون أي لا يزالون على سوء الذكر إلى هذا الوقت والآية فاصلة بينهما على وجه الاعتراض والتأكيد للإغضاء عنهم مستعينا بالله على الشيطان أن يستزله عن الحلم ويغريه على الانتصار منهم أو على قوله وإنهم لكاذبون ● خطاب الله تعالى بلفظ الجمع للتعظيم كقوله ● فإن شئت حرمت النساء سواكم ● وقوله ● ألا فارحموني يا إله محمد ● إذا أيقن بالموت واطلع على حقيقة الأمر أدركته الحسرة على ما فرط فيه من الإيمان والعمل الصالح فيه فسأل ربه الرجعة وقال لعلي أعمل صالحا في الإيمان الذي تركته والمعنى لعلي آتي بما تركته من الإيمان وأعمل فيه صالحا كما تقول لعلي أبني على أس تريد أؤسس أسا وأبني عليه وقيل فيما تركت من المال وعن النبي صلى الله عليه وسلم إذا عاين المؤمن الملائكة قالوا نرجعك إلى الدنيا فيقول إلى دار الهموم والأحزان بل قدوما إلى الله وأما الكافر فيقول رب ارجعون كلا ردع عن طلب الرجعة وإنكار واستبعاد والمراد بالكلمة الطائفة من الكلام المنتظم بعضها مع بعض وهي قوله لعلي أعمل صالحا فيما تركت هو قائلها لا محالة لا يخليها ولا يسكت عنها لاستيلاء الحسرة عليه وتسلط الندم أو هو قائلها وحده لا يجاب إليها ولا تسمع منه ● ومن ورائهم برزخ والضمير للجماعة أي حائل بينهم وبين الرجعة إلى يوم البعث وليس المعنى أنهم يرجعون يوم البعث وإنما هو إقناط كلي لما علم أنه لا رجعة يوم البعث إلا إلى الآخرة ● فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ● الصور بفتح الواو عن ابن عباس والصور بالكسر والفتح عن أبي رزين وهذا دليل لمن فسر الصور بجمع الصورة ونفي الأنساب يحتمل أن التقاطع يقع بينهم حيث يتفرقون معاقبين ومثابين ولا يكون التواصل بينهم والتآلف إلا بالأعمال فتلغو الأنساب وتبطل وأنه لا يعتد بالأنساب لزوال التعاطف والتراحم بين الأقارب إذ يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه ● وعن ابن مسعود ولا يتساءلون بإدغام التاء في السين **فإن قلت** قد ناقض هذا ونحو قوله ولا يسأل حميم حميما قوله وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون وقوله يتعارفون بينهم فكيف التوفيق بينهما **قلت** فيه جوابان أحدهما أن يوم القيامة

مقداره خمسون ألف سنة ففيه أزمنة وأحوال مختلفة يتساءلون ويتعارفون في بعضها وفي بعضها لا يفطنون لذلك لشدة الهول والفزع والثاني أن التناكر يكون عند النفخة الأولى فإذا كانت الثانية قاموا فتعارفوا وتساءلوا ● فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ● ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون ● تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون ● الموازين جمع موزون وهي الموزونات من الأعمال الصالحات التي لها وزن وقدر عند الله من قوله تعالى فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا في جهنم خالدون بدل من خسروا أنفسهم ولا محل للبدل والمبدل منه لأن الصلة لا محل لها أو خبر بعد خبر لأولئك أو خبر مبتدأ محذوف اللفح والنفح واحد إلا أن اللفح أشد تأثيرا والكلوح أن تتقلص الشفتان وتتشمرا عن الأسنان كما ترى الرؤوس المشوية وعن مالك بن دينار كان سبب توبة عتبة الغلام أنه مر في السوق برأس أخرج من التنور فغشي عليه ثلاثة أيام ولياليهن وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخي شفته السفلى حتى تبلغ سرته وقرئ كلحون ● ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون ● قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ● ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون ● غلبت علينا ملكتنا من قولك غلبني فلان على كذا إذا أخذه منك وامتلكه والشقاوة سوء العاقبة التي علم الله أنهم يستحقونها بسوء أعمالهم وقرئ شقوتنا وشقاوتنا بفتح الشين وكسرها فيهما ● قال اخسؤوا فيها ولا تكلمون ● اخسؤوا فيها ذلوا فيها وانزجروا كما تنزجر الكلاب إذا زجرت يقال خسأ الكلب وخسأ بنفسه ولا تكلمون في رفع العذاب فإنه لا يرفع ولا يخفف قيل هو آخر كلام يتكلمون به ثم لا كلام بعد ذلك إلا الشهيق والزفير والعواء كعواء الكلاب لا يفهمون ولا يفهمون وعن ابن عباس رضي الله عنهما إن لهم ست دعوات إذا دخلوا النار قالوا ألف سنة ربنا أبصرنا وسمعنا فيجابون حق القول مني فينادون ألفا ربنا أمتنا اثنتين فيجابون ذلكم بأنه إذا دعي الله وحده فينادون ألفا يا مالك ليقض علينا ربك فيجابون إنكم ماكثون فينادون ألفا ربنا أخرنا فيجابون أولم تكونوا أقسمتم فينادون ألفا ربنا أخرجنا نعمل صالحا فيجابون أولم نعمركم فينادون ألفا رب ارجعون فيجابون اخسؤوا فيها ● إنه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين ● فاتخذتموهم سخريا حتى أنسوكم ذكري وكنتم منهم تضحكون ● في حرف أبي أنه كان فريق بالفتح بمعنى لأنه السخري بالضم والكسر مصدر سخر كالسخر إلا أن في ياء النسب زيادة قوة في الفعل كما قيل الخصوصية في الخصوص وعن الكسائي والفراء أن المكسور من الهزء والمضموم من السخرة والعبودية أي تسخروهم واستعبدوهم والأول مذهب الخليل وسيبويه قيل هم الصحابة وقيل أهل الصفة خاصة ومعناه اتخذتموهم هزؤا وتشاغلتم بهم ساخرين حتى أنسوكم بتشاغلكم بهم على تلك الصفة ذكري فتركتموه أي تركتم أن تذكروني فتخافوني في أوليائي ● إني جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون ● وقرئ إنهم بالكسر وهو استئناف أي قد فازوا حيث صبروا فجزوا بصبرهم أحسن الجزاء والفتح على أنه مفعول جزيتهم أي جزيتهم فوزهم ● قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين ● قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فاسأل العادين ● قال إن لبثتم إلا قليلا لو أنكم كنتم تعلمون ● قرئ قال وقل على الأمر للملك أو لبعض رؤساء أهل النار استقصروا مدة لبثهم في الدنيا بالإضافة إلى خلودهم ولما هم فيه من عذابها لأن الممتحن يستطيل أيام محنته ويستقصر ما مر عليه من أيام الدعة إليها أو لأنهم كانوا في سرور وأيام السرور قصار أو لأن المنقضي في حكم ما لم يكن وصدقهم الله في مقالهم لسني لبثهم في الدنيا ووبخهم على غفلتهم التي كانوا عليها وقرئ فسل العادين والمعنى لا نعرف من عدد تلك السنين إلا أنا نستقله ونحسبه يوما أو بعض يوم لما نحن فيه من العذاب وما فينا أن نعدها فسل من فيه أن يعد ومن يقدر أن يلقي إليه فكره وقيل فسل الملائكة الذين يعدون أعمار العباد ويحصون أعمالهم وقرئ العادين بالتخفيف أي الظلمة فإنهم يقولون كما نقول وقرئ العاديين أي القدماء المعمرين فإنهم يستقصرونها فكيف بمن دونهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنساهم ما كانوا فيه من العذاب بين النفختين ● أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون ● عبثا حال أي عابثين كقوله لاعبين أو مفعول له أي ما خلقناكم للعبث ولم يدعنا إلى خلقكم إلا حكمة اقتضت ذلك وهي أن نتعبدكم ونكلفكم المشي والتكاليف ثم نرجعكم من دار التكليف إلى دار الجزاء فنثيب المحسن ونعاقب المسيء وأنكم إلينا لا ترجعون معطوف على أنما خلقناكم

ويجوز ان يكون معطوفا على عبثا اي للعبث ولترككم غير مرجوعين وقرئ ترجعون بفتح التاء فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم الحق الذي يحق له الملك لان كل شيء منه واليه او الثابت الذي لا يزول ولا يزول ملكه وصف العرش بالكرم لان الرحمة تنزل منه والخير والبركة او لنسبته الى اكرم الاكرمين كما يقال بيت كريم اذا كان ساكنوه كراما وقرئ الكريم بالرفع ونحوه ذو العرش المجيد ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون وقل رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين لا برهان له به كقوله ما لم ينزل به سلطانا وهي صفة لازمة نحو قوله يطير بجناحيه جيء بها للتوكيد لا ان يكون في الالهة ما يجوز ان يقوم عليه برهان ويجوز ان يكون اعتراضا بين الشرط والجزاء كقولك من احسن الى زيد لا احق بالاحسان منه فالله مثيبه وقرئ انه لا يفلح بفتح الهمزة ومعناه حسابه عدم الفلاح والاصل حسابه انه لا يفلح هو فوضع الكافرون موضع الضمير لان من يدع في معنى الجمع وكذلك حسابه انه لا يفلح في معنى حسابهم انهم لا يفلحون جعل فاتحة السورة قد افلح المؤمنون واورد في خاتمتها انه لا يفلح الكافرون فشتان ما بين الفاتحة والخاتمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المؤمنين بشرته الملائكة بالروح والريحان وما تقر به عينه عند نزول ملك الموت وروي ان اول سورة قد افلح وآخرها من كنوز العرش من عمل بثلاث آيات من اولها واتعظ باربع آيات من آخرها فقد نجا وافلح وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل الوحي عليه يسمع عنده دوي كدوي النحل فمكثنا ساعة فاستقبل القبلة ورفع يديه وقال اللهم زدنا ولا تنقصنا واكرمنا ولا تهنا واعطنا ولا تحرمنا وآثرنا ولا تؤثر علينا وارض عنا وارضنا ثم قال لقد انزلت علي عشر آيات من اقامهن دخل الجنة ثم قرأ قد افلح المؤمنون حتى ختم العشر

سورة النور مدنية

وهي ثنتان وستون آية وقيل اربع وستون

بسم الله الرحمن الرحيم سورة انزلناها وفرضناها وانزلنا فيها آيات بينات لعلكم تذكرون سورة خبر مبتدأ محذوف وانزلناها صفة او هي مبتدأ موصوف والخبر محذوف اي فيما اوحينا اليك سورة انزلناها وقرئ بالنصب على زيدا ضربته ولا محل لانزلناها لانها مفسرة للمضمر فكانت في حكمه او على دونك سورة او اتل سورة وانزلناها صفة ومعنى فرضناها فرضنا احكامها التي فيها واصل الفرض القطع اي جعلناها واجبة مقطوعا بها والتشديد للمبالغة في الايجاب وتوكيده او لان فيها فرائض شتى وانك تقول فرضت الفريضة وفرضت الفرائض او لكثرة المفروض عليهم من السلف ومن بعدهم تذكرون بتشديد الذال وتخفيفها الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر رفعهما على الابتداء والخبر محذوف عند الخليل وسيبويه على معنى فيما فرض عليكم الزانية والزاني اي جلدهما ويجوز ان يكون الخبر فاجلدوا وانما دخلت الفاء لكون الالف واللام بمعنى الذي وتضمينه معنى الشرط تقديره التي زنت والذي زنى فاجلدوهما كما تقول من زنى فاجلدوه وكقوله والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا باربعة شهداء فاجلدوهم وقرئ بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر وهو احسن من سورة انزلناها لاجل الامر وقرئ والزان بلا ياء والجلد ضرب الجلد يقال جلده كقولك ظهره وبطنه ورأسه **فان قلت** اهذا حكم جميع الزناة والزواني ام حكم بعضهم **قلت** بل هو حكم من ليس بمحصن منهم فان المحصن حكمه الرجم وشرائط الاحصان عند ابي حنيفة رحمه الله تعالى ست الاسلام والحرية والعقل والبلوغ والتزوج بنكاح صحيح والدخول بها فاذا عدم واحدة منها فلا احصان وعند الشافعي رحمه الله الاسلام ليس بشرط لما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رجم يهوديين وحجة ابي حنيفة قوله صلى الله عليه وسلم من اشرك بالله فليس بمحصن **فان قلت** اللفظ يقتضي تعليق الحكم بجميع الزناة والزواني لان قوله الزانية والزاني عام في الجميع يتناول المحصن وغير المحصن **قلت** الزانية والزاني يدلان على الجنسين المنافيين لجنسي العفيف والعفيفة دلالة مطلقة والجنسية قائمة في الكل والبعض جميعا فايهما قصد المتكلم فلا عليه كما يفعل بالاسم المشترك وقرئ ولا يأخذكم بالياء ورأفة بفتح الهمزة ورآفة على فعالة والمعنى ان الواجب على المؤمنين ان يتصلبوا في دين الله ويستعملوا الجد والمتانة فيه ولا يأخذهم

اللين والهوادة في استيفاء حدوده وكفى برسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة في ذلك حيث قال لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها وقوله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر من باب التهييج والهاب الغضب لله ولدينه وقيل لا تترحموا عليهما حتى تعطلوا الحدود او حتى لا توجعوهما ضربا وفي الحديث يؤتى بوال نقص من الحد سوطا فيقول رحمة لعبادك فيقال له انت ارحم به مني فيؤمر به الى النار ويؤتى بمن زاد سوطا فيقول لينتهوا عن معاصيك فيؤمر به الى النار وعن ابي هريرة رضي الله عنه اقامة حد بارض خير لاهلها من مطر اربعين ليلة وعلى الامام ان ينصب للحدود رجلا عالما بصيرا يعقل كيف يضرب والرجل يجلد قائما على مجرده ليس عليه الا ازاره ضربا وسطا لا مبرحا ولا هينا مفرقا على الاعضاء كلها الا ثلاثة منها الوجه والرأس والفرج وفي لفظ الجلد اشارة الى انه لا ينبغي ان يتجاوز الالم الى اللحم والمرأة تجلد قاعدة ولا ينزع من ثيابها الا الحشو والفرو وبهذه الآية استشهد ابو حنيفة رحمه الله تعالى على ان الجلد حد غير المحصن بلا تغريب وما احتج به الشافعي رحمه الله تعالى على وجوب التغريب من قوله صلى الله عليه وسلم البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام وما روي عن الصحابة انهم جلدوا ونفوا منسوخ عنده وعند اصحابه بالآية او محمول على وجه التعزير والتأديب من غير وجوب وقول الشافعي في تغريب الحر واحد وله في العبد ثلاثة اقوال يغرب سنة كالحر ويغرب نصف سنة كما يجلد خمسين جلدة ولا يغرب كما قال ابو حنيفة وبهذه الآية نسخ الحبس والاذى في قوله تعالى فامسكوهن في البيوت وقوله فآذوهما وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين قيل تسميته عذابا دليل على انه عقوبة ويجوز ان يسمى عذابا لانه يمنع من المعاودة كما سمي نكالا الطائفة الفرقة التي يمكن ان تكون حلقة واقلها ثلاثة او اربعة وهي صفة غالبة كانها الجماعة الحافة حول الشيء وعن ابن عباس في تفسيرها اربعة الى اربعين رجلا من المصدقين بالله وعن الحسن عشرة وعن قتادة ثلاثة فصاعدا وعن عكرمة رجلان فصاعدا وعن مجاهد الواحد فما فوقه وفضل قول ابن عباس لان الاربعة هي الجماعة التي يثبت بها هذا الحد والصحيح ان هذه الكبيرة من امهات الكبائر ولهذا قرنها الله تعالى بالشرك وقتل النفس في قوله تعالى ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما وقال تعالى ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا وعن النبي صلى الله عليه وسلم يا معشر الناس اتقوا الزنا فان فيه ست خصال ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة فاما اللاتي في الدنيا فيذهب البهاء ويورث الفقر وينقص العمر واما اللاتي في الآخرة فيوجب السخط وسوء الحساب والخلود في النار ولذلك وفى الله تعالى فيه عقد المائة بكماله بخلاف حد القذف وشرب الخمر وشرع فيه القتلة الهولة وهي الرجم ونهى المؤمنين عن الرأفة على المجلود فيه وامر بشهادة الطائفة للتشهير فوجب ان تكون طائفة يحصل بها التشهير والواحد والاثنان ليسوا بتلك المثابة واختصاصهم بالمؤمنين لان ذلك افضح والفاسق بين صلحاء قومه اخجل ويشهد له قول ابن عباس رضي الله عنهما الى اربعين رجلا من المصدقين بالله تعالى الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك وحرم ذلك على المؤمنين الفاسق الخبيث الذي من شأنه الزنا والتقحب لا يرغب في نكاح الصوالح من النساء واللاتي على خلاف صفته وانما يرغب في فاسقة خبيثة من شكله او في مشركة والفاسقة الخبيثة المسافحة كذلك لا يرغب في نكاحها الصلحاء من الرجال وينفرون عنها وانما يرغب فيها من هو من شكلها من الفسقة او المشركين ونكاح المؤمن الممدوح عند الله الزانية ورغبته فيها وانخراطه بذلك في سلك الفسقة المتسمين بالزنا محرم عليه محظور لما فيه من التشبه بالفساق وحضور موقع التهمة والتسبب لسوء المقالة فيه والغيبة وانواع المفاسد ومجالسة الخطائين كم فيها من التعرض لاقتراف الآثام فكيف بمزاوجة الزواني والقحاب وقد نبه على ذلك بقوله تعالى وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم وقيل كان بالمدينة موسرات من بغايا المشركين فرغب فقراء المهاجرين في نكاحهن فاستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وعن عائشة رضي الله عنها ان الرجل اذا زنى بامرأة ليس له ان يتزوجها لهذه الآية واذا باشرها كان زانيا وقد اجازه ابن عباس وشبهه بمن سرق ثمر شجرة ثم اشتراه وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عن ذلك فقال اوله سفاح وآخره نكاح والحرام لا يحرم الحلال وقيل المراد بالنكاح الوطء وليس بقول لامرين احدهما ان هذه الكلمة اينما وردت في القرآن لم ترد الا في معنى العقد والثاني فساد المعنى واداؤه الى قولك الزاني لا يزني الا بزانية والزانية لا يزني بها الا زان وقيل كان نكاح الزانية محرما في اول الاسلام ثم نسخ والناسخ قوله تعالى وانكحوا الايامى منكم وقيل الاجماع وروي ذلك عن سعيد بن المسيب **فان قلت** اي فرق بين معنى الجملة الاولى ومعنى الثانية **قلت** معنى الاولى صفة الزاني بانه غير راغب في العفائف ولكن في الفواجر ومعنى الثانية صفة الزانية بكونها غير مرغوب فيها

للاعفاء ولكن للزناة وهما معنيان مختلفان **فان قلت** كيف قدمت الزانية على الزاني اولا ثم قدم عليها ثانيا **قلت** سيقت تلك الآية لعقوبتهما على ما جنيا والمرأة هي المادة التي منها نشأت الجناية لانها لو لم تطمع الرجل ولم تومض له ولم تمكنه لم يطمع ولم يتمكن فلما كانت اصلا واولا في ذلك بدئ بذكرها واما الثانية فمسوقة لذكر النكاح والرجل اصل فيه لانه هو الراغب والخاطب ومنه يبدأ الطلب وعن عمرو بن عبيد لا ينكح بالجزم على النهي والمرفوع ايضا فيه معنى النهي ولكن ابلغ واكد كما ان رحمك الله ويرحمك ابلغ من ليرحمك ويجوز ان يكون خبرا محضا على معنى ان عادتهم جارية على ذلك وعلى المؤمن ان لا يدخل نفسه تحت هذه العادة ويتصون عنها وقرئ وحرم بفتح الحاء

والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا واولئك هم الفاسقون

القذف يكون بالزنا وبغيره والذي دل على ان المراد قذفهن بالزنا شيئان احدهما ذكر المحصنات عقيب الزواني والثاني اشتراط اربعة شهداء لان القذف بغير الزنا يكفي فيه شاهدان والقذف بالزنا ان يقول الحر العاقل البالغ لمحصنة يا زانية او لمحصن يا زاني يا ابن الزاني يا ابن الزانية يا ولد الزنا لست لابيك لست لرشدة والقذف بغير الزنا ان يقول يا آكل الربوا يا شارب الخمر يا يهودي يا مجوسي يا فاسق يا خبيث يا ماص بظر امه فعليه التعزير ولا يبلغ به ادنى حد العبيد وهو اربعون بل ينقص منه وقال ابو يوسف رح يجوز ان يبلغ به تسعة وسبعون وقال للامام ان يعزر الى المائة وشروط احصان القذف خمسة الحرية والبلوغ والعقل والاسلام والعفة وقرئ باربعة شهداء بالتنوين وشهداء صفة **فان قلت** كيف يشهدون مجتمعين او متفرقين **قلت** الواجب عند ابي حنيفة واصحابه رحمهم الله تعالى ان يحضروا في مجلس واحد وان جاؤا متفرقين كانوا قذفة وعند الشافعي رحمه الله تعالى يجوز ان يحضروا متفرقين **فان قلت** هل يجوز ان يكون زوج المقذوفة واحدا منهم **قلت** يجوز ان يكون عند ابي حنيفة واصحابه خلافا للشافعي **فان قلت** كيف يجلد القاذف **قلت** كما جلد الزاني الا انه لا ينزع عنه من ثيابه الا ما ينزع عن المرأة من الفرو والحشو والقاذفة ايضا كالزانية واشد الضرب ضرب التعزير ثم ضرب الزنا ثم ضرب شرب الخمر ثم ضرب القاذف قالوا لان سبب عقوبته محتمل للصدق والكذب الا انه عوقب صيانة للاعراض وردعا عن هتكها **فان قلت** فاذا لم يكن المقذوف محصنا **قلت** يعزر القاذف ولا يحد الا ان يكون المقذوف معروفا بما قذف به فلا حد ولا تعزير رد شهادة القاذف معلق عند ابي حنيفة رح باستيفاء الحد فاذا شهد قبل الحد او قبل تمام استيفائه قبلت شهادته واذا استوفي لم تقبل شهادته ابدا وان تاب وكان من الابرار الاتقياء وعند الشافعي رح يتعلق رد شهادته بنفس القذف فاذا تاب عن القذف بان رجع عنه عاد مقبول الشهادة وكلاهما متمسك بالآية فابو حنيفة رح جعل جزاء الشرط الذي هو الرمي الجلد ورد الشهادة عقيب الجلد على التابيد فكانوا مردودي الشهادة عنده في ابدهم وهو مدة حيوتهم وجعل قوله واولئك هم الفاسقون كلاما مستانفا غير داخل في حيز جزاء الشرط كانه حكاية حال الرامين عند الله تعالى بعد انقضاء الجملة الشرطية والا الذين تابوا استثناء من الفاسقين ويدل عليه قوله تعالى فان الله غفور رحيم والشافعي رح جعل جزاء الشرط الجملتين ايضا غير انه صرف الابد الى مدة كونه قاذفا وهي تنتهي بالتوبة والرجوع عن القذف وجعل الاستثناء متعلقا بالجملة الثانية وحق المستثنى عنده ان يكون مجرورا بدلا من هم في لهم وحقه عند ابي حنيفة ان يكون منصوبا لانه عن موجب والذي يقتضيه ظاهر الآية ونظمها ان تكون الجمل الثلث بمجموعهن جزاء الشرط كانه قيل ومن قذف المحصنات فاجلدوهم وردوا شهادتهم وفسقوهم اي فاجمعوا لهم الجلد والرد والتفسيق

الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم

الا الذين تابوا عن القذف واصلحوا فان الله يغفر لهم فينقلبون غير مجلودين ولا مردودين ولا مفسقين **فان قلت** الكافر يقذف فيتوب عن الكفر فتقبل شهادته بالاجماع والقاذف من المسلمين يتوب عن القذف فلا تقبل شهادته عند ابي حنيفة رح كأن القذف مع الكفر اهون من القذف مع الاسلام **قلت** المسلمون لا يعبأون بسب الكفار لانهم شهروا بعداوتهم والطعن فيهم بالباطل فلا يلحق المقذوف بقذف الكافر من الشين والشنار ما يلحقه بقذف مسلم مثله فشدد على القاذف من المسلمين ردعا وكفا عن الحاق الشنار **فان قلت** هل للمقذوف او للامام ان يعفو عن حد القاذف **قلت** لهما ذلك قبل ان يشهد الشهود ويثبت الحد والمقذوف مندوب الى ان لا يرافع القاذف

ولا يطالبه بالحد ويحسن من الامام ان يحمل المقذوف على كظم الغيظ ويقول له اعرض عن هذا ودعه لوجه الله تعالى قبل ثبات الحد فاذا ثبت لم يكن لواحد منهما ان يعفو لانه خالص حق الله تعالى ولهذا لم يصح ان يصالح عنه بمال **فان قلت** هل يورث الحد **قلت** عند ابي حنيفة رحمه الله تعالى لا يورث لقوله صلى الله عليه وسلم الحد لا يورث ويورث عند الشافعي رحمه الله تعالى واذا تاب القاذف قبل ان يثبت الحد سقط وقيل نزلت هذه الآية في حسان بن ثابت حين تاب مما قال في عائشة رضي الله عنها

والذين يرمون ازواجهم ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم فشهادة احدهم اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين والخامسة ان لعنت الله عليه ان كان من الكاذبين

قاذف امرأته اذا كان مسلما حرا عاقلا بالغا غير محدود في القذف والمرأة بهذه الصفة مع العفة صح اللعان بينهما اذا قذفها بصريح الزنا وهو ان يقول لها يا زانية او زنيت او رأيتك تزنين واذا كان الزوج عبدا او محدودا في قذف والمرأة محصنة حد كما في قذف الاجنبيات وما لم ترافعه الى الامام لم يجب اللعان واللعان ان يبدأ الرجل فيشهد اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين فيما رماها به من الزنا ويقول في الخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين فيما رماها به من الزنا

ويدرؤا عنها العذاب ان تشهد اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين والخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين

وتقول المرأة اربع مرات اشهد بالله انه لمن الكاذبين فيما رماني به من الزنا ثم تقول في الخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين فيما رماني به من الزنا وعند الشافعي رح يقام الرجل قائما حتى يشهد والمرأة قاعدة وتقام المرأة والرجل قاعد حتى تشهد ويامر الامام من يضع يده على فيه ويقول له اني اخاف ان لم تكن صادقا ان تبوء بلعنة الله وقال اللعان بمكة بين المقام والبيت وبالمدينة عند المنبر وببيت المقدس في مسجده ولعان المشرك في الكنيسة وحيث يعظم واذا لم يكن له دين ففي مسجدنا الا في المسجد الحرام لقوله تعالى انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام ثم يفرق القاضي بينهما ولا تقع الفرقة بينهما الا بتفريقه عند ابي حنيفة واصحابه رح الا عند زفر فان الفرقة تقع باللعان وعن عثمان البتي لا فرقة اصلا وعند الشافعي رح تقع بلعان الزوج وتكون هذه الفرقة في حكم التطليقة البائنة عند ابي حنيفة ومحمد ولا يتابد حكمها فاذا اكذب الرجل نفسه بعد ذلك فحد جاز ان يتزوجها وعند ابي يوسف وزفر والحسن بن زياد والشافعي هي فرقة بغير طلاق توجب تحريما مؤبدا ليس لهما ان يجتمعا بعد ذلك بوجه وروي ان آية القذف لما نزلت قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فقام عاصم بن عدي الانصاري فقال جعلني الله فداك ان وجد رجل مع امرأته رجلا فاخبر جلد ثمانين وردت شهادته ابدا وفسق وان ضربه بالسيف قتل وان سكت سكت على غيظ والى ان يجيء باربعة شهداء فقد قضى الرجل حاجته ومضى اللهم افتح وخرج فاستقبله هلال بن امية او عويمر فقال ما وراءك قال شر وجدت على بطن امرأتي خولة وهي بنت عاصم شريك ابن سحماء فقال هذا والله سؤالي ما اسرع ما ابتليت به فرجعا فاخبر عاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلم خولة فقالت لا ادري الغيرة ادركته ام بخلا على الطعام وكان شريك نزيلهم وقال هلال لقد رأيته على بطنها فنزلت ولاعن بينهما وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند قوله وقولها ان لعنة الله عليه ان غضب الله عليها آمين وقال القوم آمين وقال لها ان كنت الممت بذنب فاعترفي به فالرجم اهون عليك من غضب الله تعالى ان غضبه هو النار وقال تحينوا بها الولادة فان جاءت به اصيهب اثيبج يضرب الى السواد فهو لشريك وان جاءت به اورق جعدا جماليا خدلج الساقين فهو لغير الذي رميت به قال ابن عباس رضي الله عنهما فجاءت باشبه خلق الله تعالى لشريك فقال صلى الله عليه وسلم لولا الايمان لكان لي ولها شأن وقرئ ولم تكن بالتاء لان الشهداء جماعة او لانهم في معنى الانفس التي هي بدل ووجه من قرأ اربع ان ينتصب لانه في حكم المصدر والعامل فيه المصدر الذي هو فشهادة احدهم وهي مبتدأ محذوف الخبر تقديره فواجب شهادة احدهم اربع شهادات وقرئ ان لعنة الله وان غضب الله على تخفيف ان ورفع ما بعدها وقرئ ان غضب الله على فعل الغضب وقرئ بنصب الخامستين على معنى وتشهد الخامسة **فان قلت** لم خصت الملاعنة بان تخمس بغضب الله **قلت** تغليظا عليها لانها هي اصل الفجور ومنبعه بخلابتها واطماعها ولذلك كانت مقدمة في آية الجلد ويشهد لذلك قوله صلى الله عليه وسلم لخولة فالرجم اهون عليك من غضب الله

ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله تواب حكيم الفضل التفضل وجواب لولا متروك وتركه دال على امر عظيم لا يكتنه ورب مسكوت عنه

ابلغ من منطوق به ان الذين جاءوا بالافك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم
لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم الافك ابلغ ما يكون
من الكذب والافتراء وقيل هو البهتان لا تشعر به حتى يفجأك واصله الافك وهو القلب لانه قول مافوك عن وجهه والمراد
بالافك ما افك به على عائشة رضى الله عنها والعصبة الجماعة من العشرة الى الاربعين وكذلك العصابة واعصوصبوا اجتمعوا
وهم عبد الله بن ابى راس النفاق وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم
وقرئ كبره بالضم والكسر وهو عظمه والذى تولاه عبد الله لامعانه فى عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتهازه الفرص
وطلبه سبيلا الى الغيرة اى يصيب كل خائض فى حديث الافك من تلك العصبة نصيبه من الاثم على مقدار خوضه والعذاب
العظيم لعبد الله لان معظم الشر كان منه يحكى ان صفوان مر بهودجها عليه وهو فى ملا من قومه فقال من هذه فقالوا
عائشة فقال والله ما نجت منه ولا نجا منها وقال امراة نبيكم باتت مع رجل حتى اصبحت ثم جاء يقودها والخطاب فى قوله
هو خير لكم لمن ساءه ذلك من المؤمنين وخاصة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعائشة وصفوان بن المعطل رضى الله عنهم
ومعنى كونه خيرا لهم انهم اكتسبوا فيه الثواب العظيم لانه كان بلاء مبينا ومحنة ظاهرة وانه نزلت فيه ثمانى عشرة آية كل واحدة
منها مستقلة بما هو تعظيم لشان رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسلية له وتنزيه لام المؤمنين رضوان الله عليها وتطهير
لاهل البيت وتهويل لمن تكلم فى ذلك او سمع به فلم تمجه اذناه وعدة الطاف للسامعين والتالين الى يوم القيامة وفوائد
دينية واحكام وآداب لا تخفى على متاملها لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم
خيرا وقالوا هذا افك مبين بانفسهم اى بالذين منهم من المؤمنين والمؤمنات كقوله تعالى ولا تلمزوا انفسكم
وذلك كما يروى ان ابا ايوب الانصارى قال لام ايوب الا ترين ما يقال فقالت لو كنت بدل صفوان اكنت تظن بحرمة
رسول الله صلى الله عليه وسلم سوءا قال لا قالت ولو كنت انا بدل عائشة ما خنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعائشة خير منى
وصفوان خير منك **فان قلت** هلا قيل لولا اذ سمعتموه ظننتم بانفسكم خيرا وقلتم ولم عدل عن الخطاب الى الغيبة
وعن الضمير الى الظاهر **قلت** ليبالغ فى التوبيخ بطريقة الالتفات وليصرح بلفظ الايمان دلالة على ان الاشتراك فيه
مقتض ان لا يصدق مؤمن على اخيه ولا مؤمنة على اختها قول عائب ولا طاعن وفيه تنبيه على ان حق المؤمن اذا سمع قالة فى
اخيه ان يبنى الامر فيها على الظن لا على الشك وان يقول بملء فيه بناء على ظنه بالمؤمن الخير هذا افك مبين هكذا بلفظ
المصرح ببراءة ساحته كما يقول المستيقن المطلع على حقيقة الحال وهذا من الادب الحسن الذى قل القائم به وليتك
تجد من يسمع فيسكت ولا يشيع ما سمعه باخوات لولا جاءوا عليه باربعة شهداء فاذ لم ياتوا بالشهداء
فاولئك عند الله هم الكاذبون جعل الله تعالى الفصل بين الرمى الصادق والكاذب ثبوت شهادة
الشهود الاربعة وانتفاءها والذين رموا عائشة رضى الله عنها لم يكن لهم بينة على قولهم فقامت عليهم الحجة وكانوا عند الله
اى فى حكمه وشريعته كاذبين وهذا توبيخ وتعنيف للذين سمعوا الافك فلم يجدوا فى دفعه وانكاره واحتجاج عليهم بما هو ظاهر
مكشوف فى الشرع من وجوب تكذيب القاذف بغير بينة والتنكيل به اذا قذف امراة محصنة من عرض نساء المسلمين فكيف
بام المؤمنين الصديقة بنت الصديق حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحبيبة حبيب الله ولولا فضل الله
عليكم ورحمته فى الدنيا والاخرة لمسكم فيما افضتم فيه عذاب عظيم لولا الاولى للتحضيض وهذه
لامتناع الشىء لوجود غيره والمعنى ولولا انى قضيت ان اتفضل عليكم فى الدنيا بضروب النعم التى من جملتها الامهال
للتوبة وان اترحم عليكم فى الاخرة بالعفو والمغفرة لعاجلتكم بالعقاب على ما خضتم فيه من حديث الافك يقال افاض
فى الحديث واندفع وهضب وخاض اذ تلقونه بالسنتكم وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم
وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم اذ ظرف لمسكم او لافضتم تلقونه ياخذه بعضكم من بعض
يقال تلقى القول وتلقنه وتلقفه ومنه قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات وقرئ على الاصل تتلقونه واتلقونه باداغام
الذال فى التاء وتلقونه من لقيه بمعنى لقفه وتلقونه من القائه بعضهم على بعض وتلقونه وتالقونه من الولق والالق وهو
الكذب وتلقونه محكية عن عائشة رضى الله عنها وعن سفيان سمعت امى تقرا اذ تثقفونه وكان ابوه يقرا بحرف
عبد الله بن مسعود **فان قلت** ما معنى قوله تعالى بافواهكم والقول لا يكون الا بالفم **قلت** معناه ان الشىء المعلوم

يكون

يكون علمه فى القلب فيترجم عنه اللسان وهذا الافك ليس الا قولا يجرى على السنتكم ويدور فى افواهكم من غير ترجمة عن علم
به فى القلب كقوله تعالى يقولون بافواههم ما ليس فى قلوبهم اى تحسبونه صغيرة وهو عند الله كبيرة موجبة وعن بعضهم انه جزع
عند الموت فقيل له فقال اخاف ذنبا لم يكن منى على بال وهو عند الله عظيم وفى كلام بعضهم لا تقولن لشىء من سيئاتك حقير
فلعله عند الله نخلة وهو عندك نقير وصفهم بارتكاب ثلثة آثام وعلق مس العذاب العظيم بها احدها تلقى الافك بالسنتهم وذلك
ان الرجل كان يلقى الرجل فيقول له ما وراءك فيحدثه بحديث الافك حتى شاع وانتشر فلم يبق بيت ولا ناد الا طار فيه
والثانى التكلم بما لا علم لهم به والثالث استصغارهم لذلك وهو عظيمة من العظائم **فان قلت** كيف جاز الفصل
بين لولا وقلتم **قلت** للظروف شان وهو تنزلها من الاشياء منزلة انفسها لوقوعها فيها وانها لا تنفك عنها فلذلك
يتسع فيها ما لا يتسع فى غيرها **فان قلت** فاى فائدة فى تقديم الظرف حتى اوقع فاصلا **قلت** الفائدة فيه بيان انه كان
الواجب عليهم ان يتفادوا اول ما سمعوا بالافك عن التكلم به فلما كان ذكر الوقت اهم وجب التقديم ولولا اذ
سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم **فان قلت**
ما معنى يكون والكلام بدونه متلتئب لو قيل ما لنا ان نتكلم بهذا **قلت** معناه معنى ينبغى ويصح اى ما ينبغى لنا ان نتكلم بهذا
ولا يصح لنا ونحوه ما يكون لى ان اقول ما ليس لى بحق وسبحانك للتعجب من عظم الامر **فان قلت** ما معنى التعجب فى كلمة التسبيح
قلت الاصل فى ذلك ان يسبح الله تعالى عند رؤية العجيب من صنائعه ثم كثر حتى استعمل فى كل متعجب منه او لتنزيه الله
من ان تكون حرمة نبيه فاجرة **فان قلت** كيف جاز ان تكون امراة النبى كافرة كامراة نوح ولوط ولم يجز ان
تكون فاجرة **قلت** لان الانبياء مبعوثون الى الكفار ليدعوهم ويستعطفوهم فيجب ان لا يكون معهم ما ينفرهم عنهم ولم
يكن الكفر عندهم مما ينفر واما الكشخنة فمن اعظم المنفرات يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا ان
كنتم مؤمنين اى كراهة ان تعودوا او فى ان تعودوا من قولك وعظت فلانا فى كذا فتركه وابدا ما داموا احياء
مكلفين وان كنتم مؤمنين فيه تهييج لهم ليتعظوا وتذكير بما يوجب ترك العود وهو اتصافهم بالايمان الصاد عن كل مقبح
ويبين الله لكم الايات والله عليم حكيم ويبين الله لكم الدلالات على علمه وحكمته بما ينزل عليكم من
الشرائع ويعلمكم من الاداب الجميلة ويعظكم به من المواعظ الشافية والله عالم بكل شىء فاعل لما يفعله بدواعى الحكمة
ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب اليم فى الدنيا والاخرة والله
يعلم وانتم لا تعلمون المعنى يشيعون الفاحشة عن قصد الى الاشاعة وارادة ومحبة لها وعذاب
الدنيا الحد ولقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن ابى وحسانا ومسطحا وقعد صفوان لحسان فضربه
ضربة بالسيف وكف بصره وقيل هو المراد بقوله تعالى والذى تولى كبره منهم والله يعلم ما فى القلوب من الاسرار والضمائر
وانتم لا تعلمون يعنى انه قد علم محبة من احب الاشاعة وهو معاقبه عليها ولولا فضل الله عليكم ورحمته
وان الله رءوف رحيم وكرر المنة بترك المعاجلة بالعقاب حاذفا جواب لولا كما حذفه ثمة وفى هذا
التكرير مع حذف الجواب مبالغة عظيمة وكذلك فى التواب والرءوف الرحيم يا ايها الذين آمنوا لا تتبعوا
خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يامر بالفحشاء والمنكر ولولا
فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا ولكن الله يزكى من يشاء والله
سميع عليم الفحشاء والفاحشة ما افرط قبحه قال ابو ذؤيب ضرائر حرمى تفاحش غارها اى افرطت غيرتها
والمنكر ما تنكره النفوس فتنفر عنه ولا ترتضيه وقرئ خطوات بفتح الطاء وسكونها وزكى بالتشديد والضمير لله عز وجل ولولا
ان الله تفضل عليكم بالتوبة الممحصة لما طهر منكم احد آخر الدهر من دنس اثم الافك ولكن الله يطهر التائبين بقبول توبتهم اذا محضوها
وهو سميع لقولهم عليم بضمائرهم واخلاصهم ولا ياتل اولوا الفضل منكم والسعة ان يؤتوا اولى
القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله وليعفوا وليصفحوا الا تحبون ان
يغفر الله لكم والله غفور رحيم هو من ائتلى اذا حلف افتعال من الالية وقيل من قولهم
ما الوت جهدا اذا لم تدخر منه شيئا ويشهد للاول قراءة الحسن ولا يتال والمعنى لا يحلفوا على ان لا يحسنوا الى
المستحقين للاحسان او لا يقصروا فى ان يحسنوا اليهم وان كانت بينهم وبينهم شحناء لجناية اقترفوها فليعودوا

قوله متلتئب اى مستقيم شديد الاستقامة وهذه عبارة سيبويه يقال قياس متلتئب اى مطرد ه

معنى بناء الامر فيها على الظن ان الاصل فى المؤمن ان يكون بريئا عن الاثم فالبراءة مظنونة بحسب الاصل وضده ذلك وهم ه

عليهم العفو والصفح وليفعلوا بهم مثل ما يرجون ان يفعل بهم ربهم مع كثرة خطاياهم وذنوبهم نزلت في شان
مسطح وكان ابن خالة ابي بكر الصديق رضي الله عنه وكان فقيرا من فقراء المهاجرين وكان ينفق عليه فلما فرط منه ما فرط
آلى ان لا ينفق عليه فلما فرط منه ما فرط آلى وكفى به داعيا الى المجاملة وترك الاشتغال بالمكافاة للمسيء ويروى ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قراها على ابي بكر فقال بلى احب ان يغفر الله لي ورجع الى مسطح نفقته فقال والله لا انزعها ابدا
وقرا ابو حيوة وابن قطيب ان تؤتوا بالتاء على الالتفات ويعضده قوله الا تحبون ان يغفر الله لكم ان الذين
يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم
يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون ❁ يومئذ يوفيهم الله
دينهم الحق ويعلمون ان الله هو الحق المبين ❁ الغافلات السليمات الصدور النقيات القلوب
اللاتي ليس فيهن دهاء ولا مكر لانهن لم يجربن الامور ولم يرزن الاحوال فلا يفطن لما تفطن له المجربات العرافات قال
ولقد لهوت بطفلة ميالة ❁ بلهاء تطلعني على اسرارها ❁ وكذلك البله من الرجال في قوله صلى الله عليه وسلم اكثر اهل الجنة البله
وقرئ يشهد بالياء والحق بالنصب صفة للدين وهو الجزاء وبالرفع صفة لله ولو فليت القرآن كله وفتشت عما اوعد
به العصاة لم تر الله عز وجل قد غلظ في شيء تغليظه في افك عائشة رضي الله عنها ولا انزل من الآيات القوارع المشحونة بالوعيد
الشديد والعقاب البليغ والزجر العنيف واستعظام ما ركب من ذلك واستفظاع ما اقدم عليه ما انزل فيه على طرق
مختلفة واساليب مفتنة كل واحد منها كاف في بابه ولو لم ينزل الا هذه الثلاث لكفى بها حيث جعل القذفة ملعونين في
الدارين جميعا وتوعدهم بالعذاب العظيم في الآخرة وبان السنتهم وايديهم وارجلهم تشهد عليهم بما افكوا وبهتوا وانه يوفيهم جزاءهم
الحق الواجب الذي هم اهله حتى يعلموا عند ذلك ان الله هو الحق المبين فاوجز في ذلك واشبع وفصل واجمل واكد وكرر وجاء
بما لم يقع في وعيد المشركين عبدة الاوثان الا ما هو دونه في الفظاعة وما ذاك الا لامر وعن ابن عباس رضي الله عنهما
انه كان بالبصرة يوم عرفة وكان يسال عن تفسير القرآن حتى سئل عن هذه الآيات فقال من اذنب ذنبا ثم تاب منه قبلت توبته
الا من خاض في حديث امر عائشة وهذه منه مبالغة وتعظيم لامر الافك ولقد برا الله تعالى اربعة باربعة برا يوسف
بلسان الشاهد وشهد شاهد من اهلها وبرا موسى من قول اليهود فيه بالحجر الذي ذهب بثوبه وبرا مريم بانطاق ولدها
حين نادى من حجرها اني عبد الله وبرا عائشة بهذه الآيات العظام في كتابه المعجز المتلو على وجه الدهر مثل هذه التبرئة
بهذه المبالغات فانظر كم بينها وبين تبرئة اولئك وما ذاك الا لاظهار علو منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم والتنبيه على
انافة محل سيد ولد آدم وخيرة الاولين والآخرين وحجة الله تعالى على العالمين ومن اراد ان يتحقق عظم شانه وتقدم قدمه
واحرازه لقصب السبق دون كل سابق فليتلق ذلك من آيات الافك وليتامل كيف غضب الله له في حرمته وكيف بالغ في
نفي التهمة عن حجابه **فان قلت** ان كانت عائشة رضي الله عنها هي المرادة فكيف قيل المحصنات **قلت**
فيه وجهان احدهما ان يراد بالمحصنات ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وان يخصصن بان من قذفهن فهذا الوعيد لاحق به
واذا اردن وعائشة كبراهن منزلة وقربة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت المرادة اولا والثاني انها ام المؤمنين
فجمعت ارادة لها ولبناتها من نساء الامة الموصوفات بالاحصان والغفلة والايمان كما قال قدني من نصر الخبيبين قدي
اراد عبد الله بن الزبير واشياعه وكان اعداؤه يكنونه بخبيب ابنه وكان مضعوفا وكنيته المشهورة ابو بكر الا ان هذا في الاسم
وذلك في الصفة **فان قلت** ما معنى قوله هو الحق المبين **قلت** معناه ذو الحق البين اي العادل الظاهر العدل
الذي لا ظلم في حكمه والمحق الذي لا يوصف بباطل ومن هذه صفته لم تسقط عنده اساءة مسيء ولا احسان محسن فحق مثله ان
يتقى ويتجنب محارمه ❁ الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين
والطيبون للطيبات اولئك مبرءون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم ❁
اي الخبيثات من القول تقال او تعد للخبيثين من الرجال والنساء والخبيثون منهم يتعرضون للخبيثات من القول وكذلك
الطيبات والطيبون واولئك اشارة الى الطيبين وانهم مبرءون مما يقول الخبيثون من خبيثات الكلم وهو كلام
جار مجرى المثل لعائشة وما رميت به من قول لا يطابق حالها في النزاهة والطيب ويجوز ان يكون اولئك اشارة الى اهل
البيت وانهم مبرءون مما يقول اهل الافك وان يراد بالخبيثات والطيبات النساء اي الخبائث يتزوجن الخباث والخباث

الخبائث

الخبائث وكذلك اهل الطيب وذكر الرزق الكريم ههنا مثله في قوله واعتدنا لها رزقا كريما وعن عائشة رضي الله عنها
لقد اعطيت تسعا ما اعطيتهن امراة لقد نزل جبريل بصورتي في راحته حين امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتزوجني
ولقد تزوجني بكرا وما تزوج بكرا غيري ولقد توفي وان راسه لفي حجري ولقد قبر في بيتي ولقد حفته الملائكة في بيتي
وان الوحي لينزل عليه في اهله فيتفرقون عنه وان كان لينزل وانا معه في لحافه واني لابنة خليفته وصديقه ولقد نزل عذري
من السماء ولقد خلقت طيبة عند طيب ولقد وعدت مغفرة ورزقا كريما ❁ يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا
بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا وتسلموا على اهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون ❁
تستانسوا فيه وجهان احدهما انه من الاستيناس الظاهر الذي هو خلاف الاستيحاش لان الذي يطرق باب غيره لا يدري
ايؤذن له ام لا فهو كالمستوحش من خفاء الحال عليه فاذا اذن له استانس فالمعنى حتى يؤذن لكم كقوله تعالى لا تدخلوا
بيوت النبي الا ان يؤذن لكم وهذا من باب الكناية والارداف لان هذا النوع من الاستيناس يردف الاذن فوضع موضع الاذن
والثاني ان يكون من الاستيناس الذي هو الاستعلام والاستكشاف استفعال من آنس الشيء اذا ابصره ظاهرا مكشوفا
والمعنى حتى تستعلموا وتستكشفوا الحال هل يراد دخولكم ام لا ومنه قولهم استانس هل ترى احدا واستانست فلم ار احدا
اي تعرفت واستعلمت ومنه قول النابغة ❁ على مستانس وحد ❁ ويجوز ان يكون من الانس وهو ان يتعرف هل ثم انسان
وعن ابي ايوب الانصاري قلنا يا رسول الله ما الاستيناس قال يتكلم الرجل بالتسبيحة والتكبيرة والتحميدة ويتنحنح يؤذن
اهل البيت والتسليم ان يقول السلام عليكم أأدخل ثلاث مرات فان اذن له والا رجع وعن ابي موسى الاشعري انه
اتى باب عمر فقال السلام عليكم أأدخل قالها ثلاثا ثم رجع وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الاستيذان ثلاث واستاذن
رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أألج فقال صلى الله عليه وسلم لامراة يقال لها روضة قومي الى هذا فعلميه فانه لا يحسن
يستاذن قولي له يقول السلام عليكم أأدخل فسمعها الرجل فقالها فقال ادخل وكان اهل الجاهلية يقول الرجل منهم اذا دخل
بيتا غير بيته حييتم صباحا وحييتم مساء ثم يدخل فربما اصاب الرجل مع امراته في لحاف واحد فصد الله تعالى عن ذلك وعلم
الاحسن الاجمل وكم من باب من ابواب الدين هو عند الناس كالشريعة المنسوخة قد تركوا العمل به وباب الاستيذان من ذلك
بينا انت في بيتك اذ رعف عليك الباب بواحد من غير استيذان ولا تحية من تحايا اسلام ولا جاهلية وهو ممن سمع ما انزل الله
فيه وما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن اين الاذن الواعية وفي قراءة عبد الله حتى تسلموا على اهلها وتستاذنوا وعن ابن عباس
وسعيد بن جبير انما هو حتى تستاذنوا فاخطا الكاتب ولا يعول على هذه القراءة وفي قراءة ابي حتى تستاذنوا ذلكم الاستيذان
والتسليم خير لكم من تحية الجاهلية والدمور وهو الدخول بغير اذن واشتقاقه من الدمار وهو الهلاك كان صاحبه دامر لعظم ما ارتكب
وفي الحديث من سبقت عينه استيذانه فقد دمر وروي ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم أأستاذن على امي قال نعم قال
انها ليس لها خادم غيري أأستاذن عليها كلما دخلت قال أتحب ان تراها عريانة قال الرجل لا قال فاستاذن لعلكم تذكرون اي انزل
عليكم او قيل لكم هذا ارادة ان تذكروا وتتعظوا وتعملوا بما امرتم به في باب الاستيذان ❁ فان لم تجدوا فيها احدا فلا
تدخلوها حتى يؤذن لكم وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو ازكى لكم والله بما تعملون عليم ❁
يحتمل فان لم تجدوا فيها احدا من الآذنين فلا تدخلوها واصبروا حتى تجدوا من ياذن لكم ويحتمل فان لم تجدوا فيها احدا من اهلها ولكم فيها
حاجة فلا تدخلوها الا باذن اهلها وذلك ان الاستيذان لم يشرع لئلا يطلع الداخل على عورة ولا تسبق عينه الى ما لا يحل النظر اليه
فقط وانما شرع لئلا يوقف على الاحوال التي يطويها الناس في العادة عن غيرهم ويتحفظون من اطلاع احد عليها ولانه تصرف في
ملك غيرك فلا بد من ان يكون برضاه والا اشبه الغصب والتغلب فارجعوا اي لا تلحوا في اطلاق الاذن ولا تلجوا في تسهيل الحجاب
ولا تقفوا على الابواب منتظرين لان هذا مما يجلب الكراهة ويقدح في قلوب الناس خصوصا اذا كانوا ذوي مروءة ومرتاضين بالآداب
الحسنة فاذا نهي عن ذلك لادائه الى الكراهة وجب الانتهاء عن كل ما يؤدي اليها من قرع الباب بعنف والتصييح بصاحب الدار وغير ذلك
مما يدخل في عادات من لم يتهذب من اكثر الناس وعن ابي عبيد ما قرعت بابا على عالم قط وكفى بقصة بني اسد زاجرة وما نزل
فيهم من قوله تعالى ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون **فان قلت** هل يصح ان يكون المعنى وان لم يؤذن
لكم وامرتم بالرجوع فامتثلوا ولا تدخلوا مع كراهتهم **قلت** بعد ان جزم النهي عن الدخول مع فقد الاذن وحده من اهل
الدار حاضرين وغائبين لم تبق شبهة في كونه منهيا عنه مع انضمام الامر بالرجوع الى فقد الاذن **فان قلت** فاذا عرض امر

اوله
كان رحلي وقد زال النهار بنا
بذي الجليل على مستانس وحد

يعني كاني على حمار ... عدده كشت ... وحد بغير ...

في دار من حريق او هجوم سارق او ظهور منكر يجب انكاره قلت ذاك مستثنى بالدليل اى الرجوع اطيب لكم واطهر لما فيه
من سلامة الصدور والبعد من الريبة او انفع وانمى خيرا ثم اوعد المخاطبين بذلك بانه عالم بما يأتون وما يذرون مما خوطبوا
به فموف جزاءه عليه ● ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم والله يعلم
ما تبدون وما تكتمون ● استثنى من البيوت التي يجب الاستيذان على داخلها ما ليس بمسكون منها وذلك نحو الفنادق
وهي الخانات والربط وحوانيت البياعين والمتاع المنفعة كالاستكنان من الحر والبرد وايواء الرحال والسلع والشرى والبيع
ويروى ان ابا بكر رضي الله عنه قال يا رسول الله ان الله تعالى قد انزل عليك آية في الاستيذان وانا نختلف في تجاراتنا فننزل
هذه الخانات افلا ندخلها الا باذن وقيل الخربات يتبرز فيها والمتاع التبرز والله يعلم ما تبدون وما تكتمون وعيد للذين يدخلون
الخربات والدور الخالية من اهل الريبة ● قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم
ذلك ازكى لهم ان الله خبير بما يصنعون ● من للتبعيض والمراد غض البصر عما يحرم والاقتصار على
ما يحل وجوز الاخفش ان تكون مزيدة واباه سيبويه فان قلت كيف دخلت في غض البصر دون حفظ الفروج
قلت دلالة على ان امر النظر اوسع الا ترى ان المحارم لا باس بالنظر الى شعورهن وصدورهن وثديهن واعضادهن
واسوقهن واقدامهن وكذلك الجوارى المستعرضات والاجنبية ينظر الى وجهها وكفيها وقدميها في احدى الروايتين
واما امر الفرج فمضيق وكفاك فرقا ان ابيح النظر الا ما استثنى منه وحظر الجماع الا ما استثنى منه ويجوز ان يراد مع حفظها عن الافضاء
الى ما لا يحل حفظها عن الابداء وعن ابن زيد كل ما في القرآن من حفظ الفرج فهو عن الزنا الا هذا فانه اراد به الاستتار ثم اخبر انه
خبير باحوالهم وافعالهم وكيف يجيلون ابصارهم وكيف يصنعون بسائر حواسهم وجوارحهم فعليهم اذا عرفوا ذلك ان يكونوا منه على
تقوى وحذر في كل حركة وسكون ● وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن
ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها ● النساء مامورات ايضا بغض الابصار ولا يحل للمرأة ان تنظر من الاجنبي الى
ما تحت سرته الى ركبته وان اشتهت غضت بصرها راسا ولا تنظر من المرأة الا الى مثل ذلك وغضها بصرها من الاجانب اصلا
اولى بها واحسن ومنه حديث ابن ام مكتوم عن ام سلمة قالت كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم وعنده ميمونة فاقبل ابن ام مكتوم
وذلك بعد ان امرنا بالحجاب فدخل علينا فقال احتجبا فقلنا يا رسول الله اليس اعمى لا يبصرنا فقال افعمياوان انتما الستما تبصرانه
فان قلت لم قدم غض الابصار على حفظ الفروج قلت لان النظر بريد الزنا ورائد الفجور والبلوى فيه اشد واكثر
ولا يكاد يقدر على الاحتراس منه ● الزينة ما تزينت به المرأة من حلي او كحل او خضاب فما كان ظاهرا منها كالخاتم والفتخة
والكحل والخضاب فلا باس بابدائه للاجانب وما خفي منها كالسوار والخلخال والدملج والقلادة والاكليل والوشاح والقرط فلا تبديه
الا لهؤلاء المذكورين وذكر الزينة دون مواقعها للمبالغة في الامر بالتصون والتستر لان هذه الزين واقعة على مواضع من الجسد
لا يحل النظر اليها لغير هؤلاء وهي الذراع والساق والعضد والعنق والرأس والصدر والاذن فنهى عن ابداء الزين نفسها ليعلم ان
النظر اذا لم يحل اليها لملابستها تلك المواقع بدليل ان النظر اليها غير ملابسة لها لا مقال في حله كان النظر الى المواقع انفسها
متمكنا في الحظر ثابت القدم في الحرمة شاهدا على ان النساء حقهن ان يحتطن في سترها ويتقين الله في الكشف عنها فان قلت
ما تقول في القراميل هل يحل نظر هؤلاء اليها قلت نعم فان قلت اليس موقعها الظهر ولا يحل النظر الى ظهرها
وبطنها وربما ورد الشعر فوقعت القراميل على ما يحاذي ما تحت السرة قلت الامر كما قلت ولكن امر القراميل خلاف امر
الحلي لانه لا يقع الا فوق اللباس ويجوز النظر الى الثوب الواقع على الظهر والبطن للاجانب فضلا عن هؤلاء الا اذا كان يصف لرقته فلا
يحل النظر اليه فلا يحل النظر الى القراميل واقعة عليه فان قلت ما المراد بموقع الزينة ذلك العضو كله ام المقدار الذي
تلابسه الزينة منه قلت الصحيح انه العضو كله كما فسرت مواقع الزينة الخفية وكذلك مواقع الزينة الظاهرة
الوجه موضع الكحل في عينيه والخضاب بالوسمة في حاجبيه وشاربيه والغمرة في خديه والكف والقدم موقعا الخاتم والفتخة
والخضاب بالحناء فان قلت لم سومح مطلقا في الزينة الظاهرة قلت لان سترها فيه حرج فان المرأة لا تجد بدا
من مزاولة الاشياء بيديها ومن الحاجة الى كشف وجهها خصوصا في الشهادة والمحاكمة والنكاح وتضطر الى المشي في
الطرقات وظهور قدميها وخاصة الفقيرات منهن وهذا معنى قوله تعالى الا ما ظهر منها يعني الا ما جرت العادة والجبلة
على ظهوره والاصل فيه الظهور وانما سومح في الزينة الخفية اولئك المذكورون لما كانوا مختصين به من الحاجة المضطرة الى

مداخلتهم

مداخلتهم ومخالطتهم ولقلة توقع الفتنة من جهاتهم ولما في الطباع من النفرة عن مماسة القرائب وتحتاج المرأة الى صحبتهم في الاسفار
للنزول والركوب وغير ذلك ● وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن
او آبائهن او آباء بعولتهن او ابنائهن او ابناء بعولتهن او اخوانهن او بني اخوانهن او بني
اخواتهن او نسائهن او ما ملكت ايمانهن او التابعين ● كانت جيوبهن واسعة تبدو منها نحورهن وصدورهن
وما حواليها وكن يسدلن الخمر من ورائهن فتبقى مكشوفة فامرن بان يسدلنها من قدامهن حتى يغطينها ويجوز ان يراد بالجيوب الصدور
تسمية بما يليها ويلابسها ومنه قولهم ناصح الجيب وقولك ضربت بخمارها على جيبها كقولك ضربت بيدي على الحائط اذا وضعتها عليه
وعن عائشة رضي الله عنها ما رأيت نساء خيرا من نساء الانصار لما نزلت هذه الآية قامت كل واحدة منهن الى مرطها المرحل
فصدعت منه صدعة فاختمرن فاصبحن على رؤسهن الغربان وقرئ جيوبهن بكسر الجيم لاجل الياء وكذلك بيوتا غير بيوتكم نسائهن
نسائهن هن المؤمنات لانه ليس للمؤمنة ان تتجرد بين يدي مشركة او كتابية عن ابن عباس والظاهر انه عنى بنسائهن وما ملكت
ايمانهن من في صحبتهن وخدمتهن من الحرائر والاماء والنساء كلهن سواء في حل نظر بعضهن الى بعض وقيل ما ملكت ايمانهن
هم الذكور والاناث جميعا وعن عائشة رضي الله عنها انها اباحت النظر اليها لعبدها وقالت لذكوان انك اذا وضعتني في القبر
وخرجت فانت حر وعن سعيد بن المسيب مثله ثم رجع وقال لا تغرنكم آية النور فان المراد بها الاماء وهذا هو الصحيح لان عبد المرأة
بمنزلة الاجنبي منها خصيا كان او فحلا وعن ميسون بنت بحدل الكلابية ان معاوية دخل عليها ومعه خصي فتقنعت منه فقال
هو خصي فقالت يا معاوية اترى ان المثلة به تحلل ما حرم الله وعن ابي حنيفة رحمه الله تعالى لا يحل امساك الخصيان واستخدامهم
وبيعهم وشراؤهم ولم ينقل عن احد من السلف امساكهم فان قلت روي انه اهدي لرسول الله صلى الله عليه وسلم
خصي فقبله قلت لا يقبل فيما تعم به البلوى الا حديث مكشوف وان صح فلعله قبله ليعتقه او لسبب من الاسباب
غير اولي الاربة من الرجال او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ● الاربة الحاجة
قيل هم الذين يتبعونكم ليصيبوا من فضل طعامكم ولا حاجة لهم الى النساء لانهم بله لا يعرفون شيئا من امرهن او شيوخ صلحاء
اذا كانوا معهن غضوا ابصارهم او بهم عنانة وقرئ غير بالنصب على الاستثناء او الحال والجر على الوصفية ووضع الواحد موضع الجمع
لانه يفيد الجنس ويبين ما بعده انه يراد به الجمع ونحوه ثم نخرجكم طفلا لم يظهروا اما من ظهر على الشيء اذا اطلع عليه اي لا يعرفون ما العورة
ولا يميزون بينها وبين غيرها واما من ظهر على فلان اذا قوي عليه وظهر على القرآن اخذه واطاقه اي لم يبلغوا اوان القدرة على الوطء
وقرئ عورات وهي لغة هذيل فان قلت لم لم يذكر الله تعالى الاعمام والاخوال قلت سئل الشعبي عن ذلك فقال
لئلا يصفها العم عند ابنه والخال كذلك ومعناه ان سائر القرابات تشترك الاب والابن في المحرمية الا العم والخال وابناءهما
فاذا رآها الاب فربما وصفها لابنه وليس بمحرم فيداني تصوره لها بالوصف نظره اليها وهذا ايضا من الدلالات البليغة على وجوب
الاحتياط عليهن في التستر ● ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن ● كانت المرأة تضرب
الارض برجلها ليتقعقع خلخالها فيعلم انها ذات خلخال وقيل كانت تضرب باحدى رجليها الاخرى ليعلم انها ذات خلخالين
واذا نهين عن اظهار صوت الحلي بعد ما نهين عن اظهار الحلي علم بذلك ان النهي عن اظهار مواضع الحلي ابلغ وابلغ
وتوبوا الى الله جميعا ايه المؤمنون لعلكم تفلحون ● اوامر الله تعالى ونواهيه في كل باب
لا يكاد العبد الضعيف يقدر على مراعاتها وان ضبط نفسه واجتهد ولا يخلو من تقصير يقع منه فلذلك وصى المؤمنين جميعا
بالتوبة والاستغفار وبتأميل الفلاح اذا تابوا واستغفروا وعن ابن عباس توبوا مما كنتم تفعلونه في الجاهلية لعلكم تسعدون
في الدنيا والآخرة فان قلت قد صحت التوبة بالاسلام والاسلام يجب ما قبله فما معنى هذه التوبة قلت
اراد بها ما يقوله العلماء ان من اذنب ذنبا ثم تاب عنه يلزمه كلما تذكره ان يجدد عنه التوبة لانه يلزمه ان يستمر على ندمه
وعزمه الى ان يلقى ربه وقرئ ايه المؤمنون بضم الهاء ووجهه انها كانت مفتوحة لوقوعها قبل الالف فلما سقطت الالف
لالتقاء الساكنين اتبعت حركتها حركة ما قبلها ● وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم
وامائكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم ● الايامى واليتامى
اصلهما ايائم ويتائم فقلبا والايم للرجل والمرأة وقد آم وآمت وتأيما اذا لم يتزوجا بكرين كانا او ثيبين قال فان تنكحي
انكح وان تتأيمي وان كنت افتى منكم اتأيم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انا نعوذ بك من العيمة والغيمة والايمة

والكرم والقوم والمرأة انكحوا من تأيم منكم من الاحرار والحرائر ومن كان فيه صلاح من غلمانكم وجواريكم وقرئ من عبيدكم وهذا
الامر للندب لما علم من ان النكاح امر مندوب اليه وقد يكون للوجوب في حق الاولياء عند طلب المرأة ذلك وعند اصحاب الظواهر
النكاح واجب ومما يدل على كونه مندوبا اليه قوله صلى الله عليه وسلم من احب فطرتي فليستن بسنتي وهي النكاح وعنه من كان
له ما يتزوج به فلم يتزوج فليس منا وعنه اذا تزوج احدكم عج شيطانه يا ويله عصم ابن آدم مني ثلثي دينه وعنه يا عياض
لا تزوجن عجوزا ولا عاقرا فاني مكاثر والاحاديث فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والآثار كثيرة وربما كان واجب
الترك اذا ادى الى معصية او مفسدة وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا اتى على امتي مائة وثمانون سنة فقد حلت لهم
العزوبة والعزلة والترهب على رؤس الجبال وفي الحديث يأتي على الناس زمان لا تنال المعيشة فيه الا بالمعصية فاذا
كان ذلك الزمان حلت العزوبة **فان قلت** لم خص الصالحين **قلت** ليحصن دينهم ويحفظ عليهم صلاحهم
ولان الصالحين من الارقاء هم الذين مواليهم يشفقون عليهم وينزلونهم منزلة الاولاد في الاثرة والمودة فكانوا مظنة
للتوصية بشأنهم والاهتمام بهم وتقبل الوصية فيهم واما المفسدون منهم فحالهم عند مواليهم على عكس ذلك او اريد
بالصلاح القيام بحقوق النكاح ينبغي ان تكون شريطة الله تعالى غير منسية في هذا الموعد ونظائره وهي مشيئته
ولا يشاء الحكيم الا ما اقتضته الحكمة وما كان مصلحة ونحوه ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وقد
جاءت الشريطة منصوصة في قوله تعالى وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء ان الله عليم حكيم ومن لم ينس
هذه الشريطة لم ينتصب معترضا بعزب كان غنيا فافقره النكاح وبفاسق تاب واتقى الله وكان له شيء ففني واصبح مسكينا
وعن النبي صلى الله عليه وسلم التمسوا الرزق بالنكاح وشكا اليه رجل الحاجة فقال عليك بالباءة وعن عمر رضي الله عنه عجب
لمن لا يطلب الغنى بالباءة ولقد كان عندنا رجل رازح الحال ثم رأيته بعد سنين وقد انتعشت حاله وحسنت فسألته فقال
كنت في اول امري على ما علمت وذلك قبل ان ارزق ولدا فلما رزقت بكر ولدي تراخيت عن الفقر فلما ولد لي الثاني
زدت خيرا فلما تتاموا ثلثة صب الله تعالى علي الخير صبا فاصبحت الى ما ترى والله واسع اي غني ذو سعة لا يرزؤه
اغناء الخلائق ولكنه عليم يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر **وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى
يغنيهم الله من فضله** وليجتهد في العفة وظلف النفس كأن المستعفف طالب من نفسه العفاف وحاملها
عليه لا يجدون نكاحا اي استطاعة تزوج ويجوز ان يراد بالنكاح ما ينكح به من المال حتى يغنيهم ترجية للمستعففين وتقدمة
وعد بالتفضل عليهم بالغنى ليكون انتظار ذلك وتأميله لطفا لهم في استعفافهم وربطا على قلوبهم وليظهر بذلك ان فضله اولى
بالاعفاء وادنى من الصلحاء وما احسن ما رتب هذه الاوامر حيث امر اولا بما يعصم من الفتنة ويبعد من مواقعة المعصية وهو غض
البصر ثم بالنكاح الذي يحصن به الدين ويقع به الاستغناء بالحلال عن الحرام ثم بالحمل على النفس الامارة بالسوء وعزفها عن الطموح
الى الشهوة عند العجز عن النكاح الى ان يرزق القدرة عليه **والذين يبتغون الكتاب مما ملكت ايمانكم
فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا وآتوهم من مال الله الذي آتاكم** والذين يبتغون مرفوع على الابتداء
او منصوب بفعل مضمر يفسره فكاتبوهم كقولك زيدا فاضربه ودخلت الفاء لتضمن معنى الشرط والكتاب والمكاتبة
كالعتاب والمعاتبة وهو ان يقول الرجل لمملوكه كاتبتك على الف درهم فان اداها عتق ومعناه كتبت لك على نفسي ان
تعتق مني اذا وفيت بالمال وكتبت لي على نفسك ان تفي بذلك او كتبت لي عليك الوفاء بالمال وكتبت عليّ العتق
ويجوز عند ابي حنيفة حالا او مؤجلا ومنجما وغير منجم لان الله تعالى لم يذكر التنجيم وقياسا على سائر العقود وعند الشافعي لا يجوز الا
مؤجلا منجما ولا يجوز عنده بنجم واحد لان العبد لا يملك شيئا فعقده حالا منع من حصول الغرض لانه لا يقدر على اداء البدل عاجلا
ويجوز عقده على مال قليل وكثير وعلى خدمة في مدة معلومة وعلى عمل معلوم مؤقت مثل حفر بئر في مكان بعينه معلومة الطول
والعرض وبناء دار قد اراه آجرها وجصها وما يبنى به وان كاتبه على قيمته لم يجز فان اداها عتق وان كاتبه على وصيف
جاز لقلة الجهالة ووجب الوسط وليس له ان يطأ المكاتبة واذا ادى عتق وكان ولاؤه لمولاه لانه جاد عليه بالكسب الذي هو
في الاصل له وهذا الامر للندب عند عامة العلماء وعن الحسن ليس ذلك بعزم ان شاء كاتب وان شاء لم يكاتب وعن
عمر رضي الله عنه هي عزمة من عزمات الله تعالى وعن ابن سيرين مثله وهو مذهب داود خيرا قدرة على اداء ما يفارقون عليه
وقيل امانة وتكسبا وعن سلمان ان مملوكا له ابتغى ان يكاتبه فقال اعندك مال قال لا قال افتأمرني ان آكل غسالة ايدي الناس

تكلف نفسه كفها
عما لا يحل

وآتوهم

وآتوهم امر للمسلمين على وجه الوجوب باعانة المكاتبين واعطائهم سهمهم الذي جعل الله تعالى لهم من بيت المال كقوله
وفي الرقاب عند ابي حنيفة واصحابه رحمهم الله تعالى **فان قلت** هل يحل لمولاه اذا كان غنيا ان يأخذ ما تصدق
به عليه **قلت** نعم وكذلك اذا لم تف الصدقة بجميع البدل وعجز عن اداء الباقي طاب للمولى ما اخذه لانه لم يأخذه
بسبب الصدقة ولكن بسبب عقد المكاتبة كمن اشترى الصدقة من الفقير او ورثها او وهبت له ومنه قوله
صلى الله عليه وسلم في حديث بريرة هو لها صدقة ولنا هدية وعند الشافعي رحمه الله تعالى هو ايجاب وعلى الموالي ان يحطوا
لهم من مال الكتابة وان لم يفعلوا اجبروا وعن علي رضي الله عنه يحط له الربع وعن ابن عباس يرضخ له من كتابته شيئا
وعن عمر رضي الله عنه انه كاتب عبدا يكنى ابا امية وهو اول عبد كوتب في الاسلام فاتاه باول نجم فدفعه اليه عمر وقال استعن
به على مكاتبتك فقال لو اخرته الى آخر نجم فقال اخاف ان لا ادرك ذلك وهذا عند ابي حنيفة رح على وجه الندب وقال انه
عقد معاوضة فلا يجبر على الحطيطة كالبيع وقيل معنى وآتوهم واسلفوهم وقيل انفقوا عليهم بعد ان يؤدوا ويعتقوا
وهذا كله مستحب وروي انه كان لحويطب بن عبد العزى مملوك يقال له الصبيح سأل مولاه ان يكاتبه فابى فنزلت
**ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا لتبتغوا عرض الحيوة الدنيا ومن يكرههن
فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم** كانت اماء اهل الجاهلية يساعين على مواليهن وكان
لعبد الله بن ابي رأس النفاق ست جوار معاذة ومسيكة واميمة وعمرة واروى وقتيلة يكرههن على البغاء وضرب
عليهن ضرائب فشكت ثنتان منهن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت ويكنى بالفتى والفتاة عن العبد والامة
وفي الحديث ليقل احدكم فتاي وفتاتي ولا يقل عبدي وامتي والبغاء مصدر البغي **فان قلت** لم اقحم قوله ان اردن
تحصنا **قلت** لان الاكراه لا يتأتى الا مع ارادة التحصن وآمر الطيعة المواتية للبغاء لا يسمى مكرها ولا امره
اكراها وكلمة ان وايثارها على اذا ايذان بان المساعيات كن يفعلن ذلك برغبة وطواعية منهن وان ما وجد من معاذة
ومسيكة من حيز الشاذ النادر غفور رحيم لهم اولهن او لهم ولهن ان تابوا واصلحوا وفي قراءة ابن عباس لهن غفور
رحيم **فان قلت** لا حاجة الى تعليق المغفرة بهن لان المكرهة على الزنا بخلاف المكره عليه في انها غير آثمة **قلت**
لعل الاكراه كان دون ما اعتبرته الشريعة من اكراه بما يخاف منه التلف او ذهاب العضو من ضرب عنيف او غيره حتى تسلم من الاثم
وربما قصرت عن الحد الذي تعذر فيه فتكون آثمة **ولقد انزلنا اليكم آيات مبينات ومثلا من الذين
خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين** مبينات هي الآيات التي بينت في هذه السورة واوضحت في
معاني الاحكام والحدود ويجوز ان يكون الاصل مبينا فيها فاتسع في الظرف وقرئ بالكسر اي بينت هي الاحكام والحدود
جعل الفعل لها على المجاز او من بين بمعنى تبين ومنه المثل قد بين الصبح لذي عينين ومثلا من امثال من قبلكم اي قصة عجيبة
من قصصهم كقصة يوسف ومريم يعني قصة عائشة رضي الله عنها وموعظة ما وعظ به في الآيات والمثل من نحو قوله
ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله لولا اذ سمعتموه ولولا اذ سمعتموه يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا
**الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكوة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة
كانها كوكب دري توقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية** نظير قوله الله نور السموات
مع قوله مثل نوره ويهدي الله لنوره قولك زيد كرم وجود ثم تقول ينعش الناس بكرمه وجوده والمعنى ذو نور السموات
وصاحب نور السموات ونور السموات والارض الحق شبهه بالنور في ظهوره وبيانه كقوله تعالى الله ولي الذين آمنوا
يخرجهم من الظلمات الى النور اي من الباطل الى الحق واضاف النور الى السموات والارض لاحد معنيين اما للدلالة على سعة
اشراقه وفشو اضاءته حتى تضيء له السموات والارض واما ان يراد اهل السموات والارض وانهم يستضيئون به مثل نوره
اي صفة نوره العجيبة الشان في الاضاءة كمشكوة كصفة مشكوة وهي الكوة في الجدار غير النافذة فيها مصباح سراج
ضخم ثاقب في زجاجة اراد قنديلا من زجاج شامي ازهر شبهه في زهرته باحد الدراري من الكواكب وهي المشاهير كالمشتري والزهرة
والمريخ وسهيل ونحوها توقد هذا المصباح من شجرة اي ابتداء ثقوبه من شجرة الزيتون يعني رويت ذبالته بزيتها مباركة
كثيرة المنافع او لانها نبتت في الارض التي بارك فيها للعالمين وقيل بارك فيها سبعون نبيا منهم ابراهيم عليه الصلوة والسلام
وعن النبي صلى الله عليه وسلم عليكم بهذه الشجرة زيت الزيتون فتداووا به فانه مصحة من الباسور لا شرقية ولا غربية اي منبتها

الشام واجود الزيتون زيتون الشام وقيل لا مضحى ولا مقناة ولكن الشمس والظل يتعاقبان عليها وذلك اجود لحملها
واصفى لدهنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا خير في شجرة في مقناة ولا نبات في مقناة ولا خير فيهما في مضحى وقيل
ليست مما تطلع عليه الشمس في وقت شروقها او غروبها فقط بل تصيبها بالغداة والعشي جميعا فهي شرقية غربية
يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء ويضرب الله
الامثال للناس والله بكل شيء عليم ثم وصف الزيت بالصفاء والوبيص وانه لتلألؤه يكاد
يضيء من غير نار نور على نور اي هذا الذي شبهت به الحق نور متضاعف قد تناصر فيه المشكوة والزجاجة والمصباح والزيت
حتى لم تبق مما يقوي النور ويزيده اشراقا ويمده باضاءة بقية وذلك ان المصباح اذا كان في مكان متضايق كالمشكوة
كان اضوأ له واجمع لنوره بخلاف المكان الواسع فان الضوء ينبث فيه وينتشر والقنديل اعون شيء على زيادة الانارة
وكذلك الزيت وصفاؤه يهدي الله لهذا النور الثاقب من يشاء من عباده اي يوفق لاصابة الحق من نظر وتدبر بعين
عقله والانصاف من نفسه ولم يذهب عن الجادة الموصلة اليه يمينا وشمالا ومن لم يتدبر فهو كالاعمى الذي سواء عليه جنح الليل
الدامس وضحوة النهار الشامس وعن علي رضي الله عنه الله نور السموات والارض اي نشر فيها الحق وبثه فاضاءت بنوره
او نور قلوب اهلها به وعن ابي بن كعب مثل نور من آمن به وقرئ زجاجة الزجاجة بالفتح والكسر ودري منسوب الى الدر
اي ابيض متلألئ ودريء بوزن سكيت يدرأ الظلام بضوئه ودرئ كمريق ودريء كالسكينة عن ابي زيد وتوقد
بمعنى تتوقد والفعل للزجاجة ويوقد وتوقد بالتخفيف ويوقد بالتشديد ويوقد بفتح الياء وحذف التاء لاجتماع حرفين
زائدين وهو غريب ويمسسه بالياء لان التانيث ليس بحقيقي والضمير فاصل في بيوت اذن الله ان ترفع
ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال في بيوت يتعلق بما قبله اي كمشكوة في بعض بيوت
الله تعالى وهي المساجد كانه قيل مثل نوره كما ترى في المسجد نور المشكوة التي من صفتها كيت وكيت او بما بعده وهو يسبح اي
يسبح له رجال في بيوت وفيها تكرير كقولك زيد في الدار جالس فيها او بمحذوف كقوله في تسع آيات اي سبحوا في بيوت
والمراد بالاذن الامر ورفعها بناؤها كقوله تعالى بناها رفع سمكها فسواها واذ يرفع ابراهيم القواعد وعن ابن عباس رضي الله عنهما
هي المساجد امر الله تعالى ان تبنى او تعظيمها والرفع من قدرها وعن الحسن ما امر الله ان ترفع بالبناء ولكن بالتعظيم ويذكر
فيها اسمه اوفق له وهو عام في كل ذكر وعن ابن عباس وان يتلى فيها كتابه وقرئ يسبح على البناء للمفعول ويسند الى احد
الظروف الثلاثة اعني له فيها بالغدو ورجال مرفوع بما دل عليه يسبح وهو يسبح له وتسبح بالتاء وكسر الباء وعن ابي جعفر
بالتاء وفتح الباء ووجهها ان يسند الى اوقات الغدو والآصال على زيادة الباء وتجعل الاوقات مسبحة والمراد ربها
كصيد عليه يومان والمراد وحشهما والآصال جمع اصل وهو العشي والمعنى باوقات الغدو اي بالغدوات وقرئ والايصال
وهو الدخول في الاصيل يقال آصل كاظهر واعتم لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلوة
وايتاء الزكوة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار التجارة صناعة التاجر وهو الذي
يبيع ويشتري للربح فاما ان يريد لا يشغلهم نوع من هذه الصناعة ثم خص البيع لانه في الالهاء ادخل من قبل ان التاجر
اذا اتجهت له بيعة رابحة وهي طلبته الكلية من صناعته الهته ما لا يلهيه شرى شيء يتوقع فيه الربح في الوقت الثاني لان هذا يقين
وذاك مظنون واما ان يسمى الشرى تجارة اطلاقا لاسم الجنس على النوع كما تقول رزق فلان تجارة رابحة اذا اتجه له بيع صالح او
شرى وقيل التجارة لاهل الجلب تجر فلان في كذا اذا جلبه التاء في اقامة عوض من العين الساقطة للاعلال والاصل اقوام
فلما اضيفت اقيمت الاضافة مقام حرف التعويض فاسقطت ونحوه فاخلفوك عد الامر الذي وعدوا وتقلب القلوب والابصار
اما ان تتقلب وتتغير في انفسها وهو ان تضطرب من الهول والفزع وتشخص كقوله تعالى واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب
الحناجر واما ان تتقلب احوالها وتتغير فتفقه القلوب بعد ان كانت مطبوعا عليها لا تفقه وتبصر الابصار بعد ان كانت عميا لا تبصر
ليجزيهم الله احسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب
احسن ما عملوا اي احسن جزاء اعمالهم كقوله تعالى للذين احسنوا الحسنى والمعنى يسبحون ويخافون ليجزيهم ثوابهم مضاعفا
ويزيدهم على الثواب تفضلا وكذلك معنى قوله الحسنى وزيادة المثوبة الحسنى وزيادة عليها من التفضل وعطاء الله اما تفضل
واما ثواب واما عوض والله يرزق ما يتفضل به بغير حساب فاما الثواب فله حساب لكونه على حسب الاستحقاق

[illegible]

والذين

والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده
شيئا ووجد الله عنده فوفيه حسابه والله سريع الحساب السراب ما يرى في الفلاة من
ضوء الشمس وقت الظهيرة يسرب على وجه الارض كانه ماء يجري والقيعة بمعنى القاع او جمع قاع وهو المنبسط المستوي من
الارض كجيرة في جار وقرئ بقيعات بتاء ممطوطة كديمات وقيمات في ديمة وقيمة وقد جعل بعضهم بقيعاة بتاء مدورة
كرجل عزاة شبه ما يعمله من لا يعتقد الايمان ولا يتبع الحق من الاعمال الصالحة التي يحسبها تنفعه عند الله وتنجيه من عذابه
ثم تخيب في العاقبة امله ويلقى خلاف ما قدر بسراب يراه الكافر بالساهرة وقد غلبه عطش يوم القيمة فيحسبه ماء فياتيه فلا يجد
ما رجاه ويجد زبانية الله عنده يأخذونه فيعتلونه الى جهنم فيسقونه الحميم والغساق وهم الذين قال الله تعالى فيهم عاملة
ناصبة ويحسبون انهم يحسنون صنعا وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وقيل نزلت في عتبة بن ربيعة
ابن امية قد كان تعبد ولبس المسوح والتمس الدين في الجاهلية ثم كفر في الاسلام او كظلمات في بحر لجي يغشاه
موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا اخرج يده لم يكد يراها
ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور اللجي العميق الكثير الماء منسوب الى اللج وهو معظم ماء
البحر وفي اخرج ضمير الواقع فيه لم يكد يراها مبالغة في لم يرها اي لم يقرب ان يراها فضلا عن ان يراها ومثله قول ذي الرمة
اذا غير النأي المحبين لم يكد رسيس الهوى من حب مية يبرح اي لم يقرب من البراح فما باله يبرح شبه اعمالهم اولا في فوات
نفعها وحضور ضررها بسراب لم يجده من خدعه من بعيد شيئا ولم يكفه خيبة وكمدا ان لم يجده شيئا كغيره من السراب حتى
وجد عنده الزبانية تعتله الى النار ولا تقتل ظمأه بالماء وشبهها ثانيا في ظلمتها وسوادها لكونها باطلة وفي خلوها عن نور
الحق بظلمات متراكمة من لج البحر والامواج والسحاب ثم قال ومن لم يوله نور توفيقه وعصمته ولطفه فهو في ظلمة الباطل
لا نور له وهذا الكلام مجراه مجرى الكنايات لان الظلمات انما ترادف الايمان والعمل او كونهما مترتبين الا ترى الى قوله
والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقوله تعالى ويضل الله الظالمين وقرئ سحاب ظلمات على الاضافة وسحاب ظلمات
برفع سحاب وتنوينه وجر ظلمات بدلا من ظلمات الاولى الم تر ان الله يسبح له من في السموات
والارض والطير صافات كل قد علم صلوته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون ولله
ملك السموات والارض والى الله المصير صافات يصففن اجنحتهن في الهواء والضمير
في علم لكل او لله وكذلك في صلوته وتسبيحه والصلوة الدعاء ولا يبعد ان يلهم الله الطير دعاءه وتسبيحه كما الهمها
سائر العلوم الدقيقة التي لا يكاد العقلاء يهتدون اليها الم تر ان الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه
ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد
فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالابصار يقلب الله
الليل والنهار ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار يزجي يسوق ومنه البضاعة المزجاة التي يزجيها
كل احد لا يرضاها والسحاب يكون واحدا كالعماء وجمعا كالرباب ومعنى تأليف الواحد ان يكون قزعا فيضم بعضه الى بعض
وجاز بينه وهو واحد لان المعنى بين اجزائه كما قيل بين الدخول فحومل والركام المتراكم بعضه فوق بعض والودق المطر
من خلاله من فتوقه ومخارجه جمع خلل كجبال في جبل وقرئ من خلله وينزل بالتشديد ويكاد سنا على الادغام وبرقه جمع برقة
وهي المقدار من البرق كالغرفة واللقمة وبرقه بضمتين للاتباع كما قيل في جمع فعلة فعلات كظلمات وسناء برقه
على المد المقصور بمعنى الضوء والممدود بمعنى العلو والارتفاع من قولك سني للمرتفع ويذهب بالابصار على زيادة
الباء كقوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة عن ابي جعفر المدني وهذا من تعديد الدلائل على ربوبيته وظهور امره حيث ذكر
تسبيح من في السموات والارض وكل ما يطير بين السماء والارض ودعاءهم له وابتهالهم اليه وانه سخر السحاب التسخير
الذي وصفه وما يحدث فيه من افعاله حتى ينزل المطر منه وانه يقسم رحمته بين خلقه ويقبضها ويبسطها على ما تقتضيه
حكمته ويريهم البرق في السحاب الذي يكاد يخطف ابصارهم ليعتبروا ويحذروا ويعاقب بين الليل والنهار ويخالف بينهما
بالطول والقصر وما هذه الا براهين في غاية الوضوح على وجوده وثباته ودلائل منادية على صفاته لمن نظر وفكر وتبصر
وتدبر فان قلت متى رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسبيح من في السموات ودعاءهم وتسبيح الطير ودعاءه وتنزيل

المطر من جبال برد في السماء حتى قيل له الم تر **قلت** علمه من جهة اخبار الله تعالى بذلك على طريق الوحي

فان قلت ما الفرق بين من الاولى والثانية والثالثة في قوله تعالى من السماء من جبال فيها من برد **قلت** الاولى لابتداء الغاية والثانية للتبعيض والثالثة للبيان او الاوليان للابتداء والآخرة للتبعيض ومعناه انه ينزل البرد من السماء من جبال فيها وعلى الاول مفعول ينزل من جبال **فان قلت** ما معنى من جبال فيها من برد **قلت** فيه معنيان احدهما ان يخلق الله تعالى في السماء جبال برد كما خلق في الارض جبال حجر والثاني ان يريد الكثرة بذكر الجبال كما يقال فلان يملك جبالا من ذهب

خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على اربع يخلق الله ما يشاء ان الله على كل شيء قدير وقرئ خالق كل دابة ولما كان اسم الدابة موقعا على المميز وغير المميز غلب المميز فاعطي ما وراءه حكمه كان الدواب كلهم مميزون فمن ثم قيل فمنهم وقيل من يمشي في الماشي على بطن والماشي على اربع قوائم

فان قلت لم نكر الماء في قوله من ماء **قلت** لان المعنى انه خلق كل دابة من نوع من الماء مختص بتلك الدابة او خلقها من ماء مخصوص وهو النطفة ثم خالف بين المخلوقات من النطفة فمنها هوام ومنها بهائم ومنها ناس ونحوه قوله تعالى تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل **فان قلت** فما باله معرفا في قوله تعالى وجعلنا من الماء كل شيء حي **قلت** قصد ثم معنى آخر وهو ان اجناس الحيوان كلها مخلوقة من هذا الجنس الذي هو جنس الماء وذلك انه هو الاصل وان تخللت بينه وبينها وسائط قالوا خلق الملائكة من ريح خلقها من الماء والجن من نار خلقها منه وآدم من تراب خلقه منه **فان قلت** لم جاءت الاجناس الثلثة على هذا الترتيب **قلت** قدم ما هو اعرق في القدرة وهو الماشي بغير آلة مشي من ارجل او قوائم ثم الماشي على رجلين ثم الماشي على اربع **فان قلت** لم سمي الزحف على البطن مشيا **قلت** على سبيل الاستعارة كما قالوا في الامر المستمر قد مشى هذا الامر ويقال فلان لا يمشي له امر ونحوه استعارة الشفة مكان الجحفلة والمشفر مكان الشفة ونحو ذلك او على طريق المشاكلة لذكر الزاحف مع الماشين

لقد انزلنا آيات مبينات والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم ويقولون آمنا بالله وبالرسول واطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما اولئك بالمؤمنين وما اولئك بالمؤمنين اشارة الى القائلين آمنا واطعنا او الى الفريق المتولي منهم فمعناه على الاول اعلام من الله تعالى بان جميعهم منتف عنهم الايمان لا الفريق المتولي وحده وعلى الثاني اعلام بان الفريق المتولي لم يكن ما سبق لهم من الايمان ايمانا انما كان ادعاء باللسان من غير مواطأة القلب لانه لو كان صادرا عن صحة معتقد وطمانينة نفس لم يتعقبه التولي والاعراض والتعريف في قوله بالمؤمنين دلالة على انهم ليسوا بالمؤمنين الذين عرفت وهم الثابتون المستقيمون على الايمان الموصوفون في قوله تعالى انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا **واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون** معنى الى الله ورسوله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كقولك اعجبني زيد وكرمه تريد كرم زيد ومنه قوله غلسته قبل القطا وفرطه اراد قبل فرط القطا روي انها نزلت في بشر المنافق وخصمه اليهودي حين اختصما في ارض فجعل اليهودي يجره الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمنافق يجره الى كعب بن الاشرف ويقول ان محمدا يحيف علينا وروي ان المغيرة بن وائل كان بينه وبين علي بن ابي طالب رضي الله عنه خصومة في ماء وارض فقال المغيرة اما محمد فلست آتيه ولا احاكم اليه فانه يبغضني وانا اخاف ان يحيف علي **وان يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين** اليه صلة يأتوا لان اتى وجاء قد جاءا معديين بالى او يتصل بمذعنين لانه في معنى مسرعين في الطاعة وهذا احسن لتقدم صلته ودلالته على الاختصاص والمعنى انهم لمعرفتهم انه ليس معك الا الحق المر والعدل البحت يزورون عن المحاكمة اليك اذا ركبهم الحق لئلا تنتزعه من احداقهم بقضائك عليهم لخصومهم وان ثبت لهم حق على خصم اسرعوا اليك ولم يرضوا الا بحكومتك لتأخذ لهم ما ذاب لهم في ذمة الخصم **افي قلوبهم مرض ام ارتابوا ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله بل اولئك هم الظالمون** ثم قسم الامر في صدودهم عن حكومته اذا كان الحق عليهم بين ان يكونوا مرضى القلوب منافقين او مرتابين في امر نبوته او خائفين الحيف في قضائه ثم ابطل خوفهم حيفه بقوله بل اولئك هم الظالمون اي لا يخافون ان يحيف عليهم لمعرفتهم بحاله وانما هم الظالمون يريدون ان يظلموا من له الحق عليهم

ويتم لهم جحوده وذلك شيء لا يستطيعونه في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن ثم يأبون المحاكمة اليه **انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا واولئك هم المفلحون** وعن الحسن قول المؤمنين بالرفع والنصب اقوى لان اولى الاسمين بكونه اسما لكان اوغلهما في التعريف وان يقولوا اوغل لانه لا سبيل عليه للتنكير بخلاف قول المؤمنين وكان هذا من قبيل كان في قوله تعالى ما كان لله ان يتخذ من ولد وما يكون لنا ان نتكلم بهذا وقرئ ليحكم على البناء للمفعول **فان قلت** الى م اسند يحكم ولا بد له من فاعل **قلت** هو مسند الى مصدره لان معناه ليفعل الحكم بينهم ومثله جمع بينهما والف بينهما ومثله لقد تقطع بينكم فيمن قرأ بينكم منصوبا اي وقع التقطع بينكم وهذه القراءة مجاوبة لقوله دعوا **ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فاولئك هم الفائزون** قرئ ويتقه بكسر القاف والهاء مع الوصل وبغير وصل وبسكون الهاء وبسكون القاف وكسر الهاء شبه تقه بكتف فخفف كقوله قالت سليمى اشتر لنا سويقا ولقد جمع الله سبحانه في هذه الآية اسباب الفوز وعن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسيرها ومن يطع الله في فرائضه ورسوله في سننه ويخش الله على ما مضى من ذنوبه ويتقه فيما يستقبل وعن بعض الملوك انه سأل عن آية كافية فتليت له هذه الآية **واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن امرتهم ليخرجن قل لا تقسموا طاعة معروفة ان الله خبير بما تعملون** جهد يمينه مستعار من جهد نفسه اذا بلغ اقصى وسعها وذلك اذا بالغ في اليمين وبلغ غاية شدتها ووكادتها وعن ابن عباس من قال بالله فقد جهد يمينه واصل اقسم جهد اليمين اقسم يجهد اليمين جهدا فحذف الفعل وقدم المصدر فوضع موضعه مضافا الى المفعول كقوله تعالى فضرب الرقاب وحكم هذا المنصوب حكم الحال كانه قال جاهدين ايمانهم وطاعة معروفة خبر مبتدأ محذوف او مبتدأ محذوف الخبر اي امركم والذي يطلب منكم طاعة معروفة معلومة لا يشك فيها ولا يرتاب كطاعة الخلص من المؤمنين الذين طابق باطن امرهم ظاهره لا ايمان تقسمون بها بافواهكم وقلوبكم على خلافها او طاعتكم طاعة معروفة بانها بالقول دون الفعل او طاعة معروفة امثل واولى بكم من هذه الايمان الكاذبة وقرأ اليزيدي طاعة معروفة بالنصب على معنى اطيعوا طاعة ان الله خبير يعلم ما في ضمائركم ولا يخفى عليه شيء من سرائركم وانه فاضحكم لا محالة ومجازيكم على نفاقكم **قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول فان تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وان تطيعوه تهتدوا وما على الرسول الا البلاغ المبين** صرف الكلام عن الغيبة الى الخطاب على طريقة الالتفات وهو ابلغ في تبكيتهم يريد فان تولوا فما ضررتموه وانما ضررتم انفسكم فان الرسول ليس عليه الا ما حمله الله تعالى وكلفه من اداء الرسالة فاذا ادى فقد خرج من عهدة تكليفه واما انتم فعليكم ما كلفتم من التلقي بالقبول والاذعان فان لم تفعلوا وتوليتم فقد عرضتم نفوسكم لسخط الله تعالى وعذابه وان اطعتموه فقد احرزتم نصيبكم من الخروج عن الضلالة الى الهدى فالنفع والضرر عائدان اليكم وما الرسول الا ناصح وهاد وما عليه الا ان يبلغ ما له نفع في قبولكم ولا عليه ضرر في توليكم والبلاغ بمعنى التبليغ كالاداء بمعنى التأدية ومعنى المبين كونه مقرونا بالآيات والمعجزات **وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم** الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولمن معه ومنكم للبيان كالتي في آخر سورة الفتح وعدهم الله تعالى ان ينصر الاسلام على الكفر ويورثهم الارض ويجعلهم فيها خلفاء كما فعل ببني اسرائيل حين اورثهم مصر والشام بعد اهلاك الجبابرة **وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون** وان يمكن الدين المرتضى وهو دين الاسلام وتمكينه تثبيته وتوطيده وان يؤمن سربهم ويزيل عنهم الخوف الذي كانوا عليه وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه مكثوا بمكة عشر سنين خائفين ولما هاجروا كانوا بالمدينة يصبحون في السلاح ويمسون فيه حتى قال رجل ما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح فقال صلى الله عليه وسلم لا تغبرون الا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم في الملأ العظيم محتبيا ليس فيه حديدة فانجز الله وعده واظهرهم على جزيرة العرب وافتتحوا بعد بلاد المشرق والمغرب ومزقوا ملك الاكاسرة وملكوا خزائنهم واستولوا على الدنيا ثم خرج الذين على خلاف سيرتهم فكفروا بتلك الانعم وفسقوا وذلك قوله صلى الله عليه وسلم الخلافة بعدي ثلثون سنة

ثم يملك الله من يشاء فتصير ملكا ثم تصير بزيزى قطع سبيل وسفك دماء واخذ اموال بغير حقها وقرئ كما استخلف على البناء للمفعول وليبدلنهم بالتشديد فان قلت اين القسم المتلقى باللام والنون في ليستخلفنهم قلت هو محذوف تقديره وعدهم الله واقسم ليستخلفنهم او نزل وعد الله في تحققه منزلة القسم فتلقى بما يتلقى به القسم كأنه اقسم الله ليستخلفنهم فان قلت ما محل يعبدونني قلت ان جعلته استينافا لم يكن له محل كأن قائلا قال ما لهم يستخلفون ويؤمنون فقال يعبدونني وان جعلته حالا عن وعدهم اى وعدهم الله ذلك في حال عبادتهم واخلاصهم فمحله النصب ومن كفر يريد كفران النعمة كقوله تعالى فكفرت بانعم الله فاولئك هم الفاسقون اى هم الكاملون في فسقهم حيث كفروا تلك النعمة العظيمة وجسروا على غمطها فان قلت هل في هذه الآية دليل على امر الخلفاء الراشدين قلت اوضح دليل وابينه لان المستخلفين الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم هم ● واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة واطيعوا الرسول لعلكم ترحمون ● واقيموا الصلوة معطوف على اطيعوا الله واطيعوا الرسول وليس ببعيد ان يقع بين المعطوف والمعطوف عليه فاصل وان طال لان حق المعطوف ان يكون غير المعطوف عليه وكررت طاعة الرسول تأكيدا لوجوبها ● لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الارض ومأويهم النار ولبئس المصير ● وقرئ لا يحسبن بالياء وفيه اوجه ان يكون معجزين في الارض هما المفعولان والمعنى لا يحسبن الذين كفروا احدا يعجز الله في الارض حتى يطمعوا هم في مثل ذلك وهذا معنى قوي جيد وان يكون فيه ضمير الرسول لتقدم ذكره في قوله واطيعوا الرسول وان يكون الاصل لا يحسبنهم الذين كفروا معجزين ثم حذف الضمير الذي هو المفعول الاول وكان الذي سوغ ذلك ان الفاعل والمفعولين لما كانت لشيء واحد اقتنع بذكر اثنين عن ذكر الثالث وعطف قوله ومأويهم النار على لا تحسبن الذين كفروا معجزين كأنه قيل الذين كفروا لا يفوتون الله ومأويهم النار والمراد بهم المقسمون جهد ايمانهم ●

يا ايها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلث مرات من قبل صلوة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلوة العشاء ● امر بان يستأذن العبيد وقيل العبيد والاماء والاطفال الذين لم يحتلموا من الاحرار ثلث مرات في اليوم والليلة قبل صلوة الفجر لانه وقت القيام من المضاجع وطرح ما ينام فيه من الثياب ولبس ثياب اليقظة وبالظهيرة لانها وقت وضع الثياب للقائلة وبعد صلوة العشاء لانه وقت التجرد من ثياب اليقظة والالتحاف بثياب النوم وسمى كل واحدة من هذه الاحوال عورة لان الناس يختل تسترهم وتحفظهم فيها والعورة الخلل ومنها اعور الفارس واعور المكان والاعور المختل العين ثم عذرهم في ترك الاستئذان وراء هذه المرات وبين وجه العذر في قوله طوافون عليكم يعني ان بكم وبهم حاجة الى المخالطة والمداخلة يطوفون عليكم للخدمة وتطوفون عليهم للاستخدام فلو جزم الامر بالاستئذان في كل وقت لادى الى الحرج ● وروي ان مدلج بن عمرو وكان غلاما انصاريا ارسله رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت الظهيرة الى عمر رضي الله عنه ليدعوه فدخل عليه وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر لوددت ان الله عز وجل نهى اباءنا وابناءنا وخدمنا ان لا يدخلوا علينا هذه الساعات الا باذن ثم انطلق معه الى النبي صلى الله عليه وسلم فوجده وقد انزلت عليه هذه الآية وهي احدى الآيات المنزلة بسبب عمر وقيل نزلت في اسماء بنت ابي مرثد قالت انا لندخل على الرجل والمرأة ولعلهما يكونان في لحاف واحد وقيل دخل عليها غلام لها كبير في وقت كرهت دخوله فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان خدمنا وغلماننا يدخلون علينا في حال نكرهها وعن ابي عمرو الحلم بالسكون ● ثلث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم ● وقرئ ثلث عورات بالنصب بدلا عن ثلث مرات اي اوقات ثلث عورات وعن الاعمش عورات على لغة هذيل فان قلت ما محل ليس عليكم قلت اذا رفعت ثلث عورات كان ذلك في محل الرفع على الوصف والمعنى هن ثلث عورات مخصوصة بالاستئذان واذا نصبت لم يكن له محل وكان كلاما مقررا للامر بالاستئذان في تلك الاحوال خاصة فان قلت بم ارتفع بعضكم قلت بالابتداء وخبره على بعض على معنى طائف على بعض وحذف لان طوافون يدل عليه ويجوز ان يرتفع بيطوف مضمرا لتلك الدلالة ● واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم ● الاطفال منكم اي من الاحرار دون المماليك الذين من قبلهم يريد الذين بلغوا الحلم من قبلهم وهم الرجال او الذين ذكروا من قبلهم

في قوله

في قوله يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا الآية والمعنى ان الاطفال مأذون لهم في الدخول بغير اذن الا في العورات الثلث فاذا اعتاد الاطفال ذلك ثم خرجوا عن حد الطفولية بان يحتلموا او يبلغوا السن التي يحكم فيها عليهم بالبلوغ وجب ان يفطموا عن تلك العادة ويحملوا على ان يستأذنوا في جميع الاوقات كالرجال الكبار الذين لم يعتادوا الدخول عليكم الا باذن وهذا مما الناس منه في غفلة وهو عندهم كالشريعة المنسوخة وعن ابن عباس آية لا يؤمن بها اكثر الناس آية الاذن واني لآمر جاريتي ان تستأذن علي وسأله عطاء استأذن على اختي قال نعم وان كانت في حجرك تمونها وتلا هذه الآية وعنه ثلاث آيات جحدهن الناس الاذن كله وقوله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقيكم فقال ناس اعظمكم بيتا وقوله واذا حضر القسمة وعن ابن مسعود عليكم ان تستأذنوا على آبائكم وامهاتكم واخواتكم وعن الشعبي ليست منسوخة فقيل له ان الناس لا يعملون بها فقال الله المستعان وعن سعيد بن جبير يقولون هي منسوخة ولا والله ما هي منسوخة ولكن الناس تهاونوا بها فان قلت ما السن التي يحكم فيها بالبلوغ قلت قال ابو حنيفة رحمه الله تعالى ثماني عشرة سنة في الغلام وسبع عشرة في الجارية وعامة العلماء على خمس عشرة فيهما وعن علي رضي الله عنه انه كان يعتبر القامة ويقدره بخمسة اشبار وبه اخذ الفرزدق في قوله ● ما زال مذ عقدت يداه ازاره ● وسما فادرك خمسة الاشبار ● واعتبر غيره الانبات وعن عثمان رضي الله عنه انه سئل عن غلام فقال هل اخضر ازاره ● والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وان يستعففن خير لهن والله سميع عليم ● القاعد التي قعدت عن الحيض والولد لكبرها لا يرجون نكاحا لا يطمعن فيه والمراد بالثياب الثياب الظاهرة كالملحفة والجلباب الذي فوق الخمار غير متبرجات بزينة غير مظهرات زينة يريد الزينة الخفية التي اراد في قوله ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن او غير قاصدات بالوضع التبرج ولكن التخفف اذا احتجن اليه والاستعفاف من الوضع خير لهن لما ذكر الجائز عقبه بالمستحب بعثا منه على اختيار افضل الاعمال واحسنها كقوله تعالى وان تعفوا اقرب للتقوى وان تصدقوا خير لكم فان قلت ما حقيقة التبرج قلت تكلف اظهار ما يجب اخفاؤه من قولهم سفينة بارج لا غطاء عليها والبرج سعة العين يرى بياضها محيطا بسوادها كله لا يغيب منه شيء الا انه اختص بان تتكشف المرأة للرجال بابداء زينتها واظهار محاسنها وبدا وبرز بمعنى ظهر من اخوات تبرج وتبلج كذلك ●

ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على انفسكم ان تأكلوا من بيوتكم او بيوت آبائكم او بيوت امهاتكم او بيوت اخوانكم او بيوت اخواتكم او بيوت اعمامكم او بيوت عماتكم او بيوت اخوالكم او بيوت خالاتكم او ما ملكتم مفاتحه او صديقكم ● كان المؤمنون يذهبون بالضعفاء وذوي العاهات الى بيوت ازواجهم واولادهم والى بيوت قراباتهم واصدقائهم فيطعمونهم فتخالج قلوب المطعمين والمطعمين ريبة في ذلك وخافوا ان يلحقهم فيه حرج وكرهوا ان يكون اكلا بغير حق لقوله تعالى ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل فقيل لهم ليس على الضعفاء ولا على انفسكم يعني عليكم وعلى من في مثل حالكم من المؤمنين حرج في ذلك وعن عكرمة كانت الانصار في انفسها قزازة وكانت لا تأكل من هذه البيوت اذا استغنوا وقيل كان هؤلاء يتوقون مجالسة الناس ومؤاكلتهم لما عسى يؤدي الى الكراهة من قبلهم ولان الاعمى ربما سبقت يده الى ما سبقت عين اكيله اليه وهو لا يشعر والاعرج يتفسح في مجلسه ويأخذ اكثر من موضعه فيضيق على جليسه والمريض لا يخلو من رائحة تؤذي او جرح يبض او انف يذن ونحو ذلك وقيل كانوا يخرجون الى الغزو ويخلفون الضعفاء في بيوتهم ويدفعون اليهم المفاتيح ويأذنون لهم ان يأكلوا من بيوتهم فكانوا يتحرجون حكي عن الحرث بن عمرو انه خرج غازيا وخلف مالك بن زيد في بيته وماله فلما رجع رآه مجهودا فقال ما اصابك قال لم يكن عندي شيء ولم يحل لي ان آكل من مالك فقيل ليس على هؤلاء الضعفاء حرج فيما تحرجوا عنه ولا عليكم ان تأكلوا من هذه البيوت وهذا كلام صحيح وكذلك اذا فسر بان هؤلاء ليس عليهم حرج في القعود عن الغزو ولا عليكم ان تأكلوا من البيوت المذكورة لالتقاء الطائفتين في ان كل واحدة منهما منفي عنها الحرج ومثال هذا ان يستفتيك مسافر عن الافطار في رمضان وحاج مفرد عن تقديم الحلق على النحر فقلت ليس على المسافر حرج في ان يفطر ولا عليك يا حاج ان تقدم الحلق على النحر فان قلت هلا ذكر الاولاد قلت دخل ذكرهم تحت قوله من بيوتكم لان ولد الرجل بعضه وحكمه حكم نفسه وفي الحديث ان اطيب ما يأكل المؤمن من كسبه وان ولده من كسبه ومعنى من بيوتكم

من البيوت التي فيها ازواجكم وعيالكم ولان الولد اقرب ممن عدد من القرابات فاذا كان سبب الرخصة هو
القرابة كان الذي هو اقرب منهم اولى **فان قلت** ما معنى او ما ملكتم مفاتحه **قلت** اموال الرجل اذا كان
له عليها قيم ووكيل يحفظها له ان ياكل من ثمر بستانه ويشرب من لبن ماشيته وملك المفاتيح كونها في يده وحفظه
وقيل بيوت المماليك لان مال العبد لمولاه وقرئ مفتاحه **فان قلت** فما معنى او صديقكم **قلت**
معناه او بيوت اصدقائكم والصديق يكون واحدا وجمعا وكذلك الخليط والقطين والعدو يحكى عن الحسن انه دخل داره
واذا حلقة من اصدقائه وقد استلوا سلالا من تحت سريره فيها الخبيص واطايب الاطعمة وهم مكبون عليها ياكلون فتهللت
اسارير وجهه وضحك وقال هكذا وجدناهم هكذا وجدناهم يريد كبراء الصحابة ومن لقيهم من البدريين وكان الرجل
منهم يدخل دار صديقه وهو غائب فيسال جاريته كيسه فياخذ منه ما شاء فاذا حضر مولاها فاخبرته اعتقها سرورا بذلك
وعن جعفر بن محمد من عظم حرمة الصديق ان جعله الله تعالى من الانس والثقة والانبساط وطرح الحشمة بمنزلة النفس
والاب والاخ والابن وعن ابن عباس الصديق اكبر من الوالدين ان الجهنميين لما استغاثوا لم يستغيثوا بالاباء والامهات
فقالوا فما لنا من شافعين ولا صديق حميم وقالوا اذا دل ظاهر الحال على رضى المالك قام ذلك مقام الاذن الصريح
وربما سمج الاستيذان وثقل كمن قدم اليه طعام فاستاذن صاحبه في الاكل منه **ليس عليكم جناح ان تاكلوا جميعا
او اشتاتا فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة كذلك
يبين الله لكم الايات لعلكم تعقلون** جميعا او اشتاتا اي مجتمعين او متفرقين نزلت في بني ليث
ابن عمرو من كنانة كانوا يتحرجون ان ياكل الرجل وحده فربما قعد منتظرا نهاره الى الليل فان لم يجد من يواكله اكل ضرورة
وقيل في قوم من الانصار اذا نزل بهم ضيف لا ياكلون الا مع ضيفهم وقيل تحرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف
الناس في الاكل وزيادة بعضهم على بعض فاذا دخلتم بيوتا من هذه البيوت لتاكلوا فابدءوا بالسلام على اهلها الذين
هم منكم دينا وقرابة تحية من عند الله اي ثابتة بامره مشروعة من لدنه او لان التسليم والتحية طلب سلامة وحياة للمسلم عليه
والمحيا من عند الله ووصفها بالبركة والطيب لانها دعوة مؤمن لمؤمن يرجى بها من الله تعالى زيادة الخير وطيب الرزق
وعن انس رضي الله عنه قال خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين وروي تسع سنين فما قال لي لشيء فعلته لم فعلته
ولا قال لشيء كسرته لم كسرته وكنت واقفا على راسه اصب الماء على يديه فرفع راسه فقال الا اعلمك ثلث خصال تنتفع بها
قلت بلى بابي وامي يا رسول الله قال متى لقيت من امتي احدا فسلم عليه يطل عمرك واذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير
بيتك وصل صلوة الضحى فانها صلوة الابرار الاوابين وقالوا ان لم يكن في البيت احد فليقل السلام علينا من ربنا السلام
علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على اهل البيت ورحمة الله وعن ابن عباس اذا دخلت المسجد فقل السلام علينا وعلى
عباد الله الصالحين تحية من عند الله وانتصب تحية بسلموا لانها في معنى تسليما كقولك قعدت جلوسا **انما المؤمنون
الذين امنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على امر جامع لم يذهبوا حتى يستاذنوه ان الذين يستاذنونك
اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فاذا استاذنوك لبعض شانهم فاذن لمن شئت منهم
واستغفر لهم الله ان الله غفور رحيم** اراد عز وجل ان يريهم عظم الجناية في ذهاب الذاهب
عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير اذنه اذا كانوا معه على امر جامع فجعل ترك ذهابهم حتى يستاذنوه ثالث الايمان بالله
والايمان برسوله وجعلهما كالتشبيب له والبساط لذكره وذلك مع تصدير الجملة بانما وايقاع المؤمنين مبتدا مخبرا عنه بموصول
احاطت صلته بذكر الايمانين ثم عقبه بما يزيده توكيدا وتشديدا حيث اعاده على اسلوب اخر وهو قوله ان الذين يستاذنونك
اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله وضمنه شيئا اخر وهو انه جعل الاستيذان كالمصداق لصحة الايمانين وعرض بحال المنافقين
وتسللهم لواذا ومعنى قوله لم يذهبوا حتى يستاذنوه لم يذهبوا حتى يستاذنوه ويأذن لهم الا تراه كيف علق الامر بعد وجود استيذانهم بمشيته واذنه
لمن استصوب ان ياذن له والامر الجامع الذي يجمع له الناس فوصف الامر بالجمع على سبيل المجاز وذلك نحو مقاتلة عدو
او تشاور في خطب مهم او تضام لارهاب مخالف او تماسح في حلف وغير ذلك او الامر الذي يعم بضرره او بنفعه وقرئ
امر جميع وفي قوله اذا كانوا معه على امر جامع انه خطب جليل لا بد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيه من ذوي راي وقوة يظاهرونه
عليه ويعاونونه ويستضيء بارائهم ومعارفهم وتجاربهم في كفايته فمفارقة احدهم في مثل تلك الحال مما يشق على قلبه ويشعث

عليه رايه فمن ثم غلظ عليهم وضيق عليهم الامر في الاستيذان مع العذر المبسوط ومساس الحاجة اليه واعتراض ما يهمهم ويعنيهم وذلك
قوله لبعض شانهم وذكر الاستغفار للمستاذنين دليل على ان الافضل ان لا يحدثوا انفسهم بالذهاب ولا يستاذنوا فيه
وقيل نزلت في حفر الخندق وكان قوم يتسللون بغير اذن وقالوا كذلك ينبغي ان يكون الناس مع ائمتهم ومقدميهم
في الدين والعلم يظاهرونهم ولا يخذلونهم في نازلة من النوازل ولا يتفرقون عنهم والامر في الاذن مفوض الى الامام ان شاء اذن وان
شاء لم ياذن على حسب اقتضاء رايه **لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قد يعلم
الذين يتسللون منكم لواذا فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم**
اذا احتاج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اجتماعكم عنده لامر فدعاكم فلا تفرقوا عنه الا باذنه ولا تقيسوا دعاءه اياكم على دعاء
بعضكم بعضا ورجوعكم عن المجمع بغير اذن الداعي او لا تجعلوا تسميته ونداءه بينكم كما يسمي بعضكم بعضا ويناديه باسمه الذي سماه
به ابواه ولا تقولوا يا محمد ولكن يا نبي الله ويا رسول الله مع التوقير والتعظيم والصوت المخفوض والتواضع ويحتمل لا تجعلوا
دعاء الرسول ربه مثل ما يدعو صغيركم كبيركم وفقيركم غنيكم يسأله حاجة فربما اجابه وربما رده فان دعوات رسول الله
صلى الله عليه وسلم مسموعة مستجابة يتسللون ينسلون قليلا قليلا ونظير تسلل تدرج وتدخل واللواذ الملاوذة
وهو ان يلوذ هذا بذاك وذاك بهذا يعني ينسلون عن الجماعة في الخفية على سبيل الملاوذة واستتار بعضهم ببعض ولواذا
حال اي ملاوذين وقيل كان بعضهم يلوذ بالرجل اذا استاذن فياذن له فينطلق الذي لم يؤذن له معه وقرئ لواذا
بالفتح يقال خالفه الى الامر اذا ذهب اليه دونه ومنه قوله تعالى وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه وخالفه عن الامر اذا
صد عنه دونه ومعنى الذين يخالفون عن امره الذين يصدون عن امره دون المؤمنين وهم المنافقون فحذف المفعول لان الغرض ذكر المخالف والمخالف
عنه الضمير في امره لله سبحانه او للرسول صلى الله عليه وسلم والمعنى عن طاعته ودينه فتنة محنة في الدنيا او يصيبهم عذاب اليم
في الاخرة وعن ابن عباس فتنة قتل وعن عطاء زلازل واهوال وعن جعفر بن محمد يسلط عليهم سلطان جائر
**الا ان لله ما في السموات والارض قد يعلم ما انتم عليه ويوم يرجعون اليه فينبئهم بما
عملوا والله بكل شيء عليم** ادخل قد ليؤكد علمه بما هم عليه من المخالفة عن الدين والنفاق ومرجع توكيد العلم
الى توكيد الوعيد وذلك ان قد اذا دخلت على المضارع كانت بمعنى ربما فوافقت ربما في خروجها الى معنى التكثير في نحو قوله فان تمس
مهجور الفناء فربما اقام به بعد الوفود وفود ونحوه قول زهير اخي ثقة لا تهلك الخمر ماله ولكنه قد يهلك المال نائله والمعنى ان جميع
ما في السموات والارض مختصة به خلقا وملكا وعلما فكيف يخفى عليه احوال المنافقين وان كانوا يجتهدون في سترها عن العيون
واخفائها وسينبئهم يوم القيمة بما ابطنوا من سوء اعمالهم وسيجازيهم حق جزائهم والخطاب والغيبة في قوله تعالى قد يعلم
ما انتم عليه ويوم يرجعون اليه يجوز ان يكون جميعا للمنافقين على طريق الالتفات ويجوز ان يكون ما انتم عليه عاما ويرجعون
للمنافقين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النور اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة فيما مضى وفيما بقي

سورة الفرقان مكية

وهي سبع وسبعون آية

**بسم الله الرحمن الرحيم تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون
للعالمين نذيرا** البركة كثرة الخير وزيادته ومنها تبارك الله وفيه معنيان تزايد خيره وتكاثر او تزايد عن كل
شيء وتعالى عنه في صفاته وافعاله والفرقان مصدر فرق بين الشيئين اذا فصل بينهما وسمي به القرآن لفصله بين
الحق والباطل او لانه لم ينزل جملة واحدة ولكن مفروقا مفصولا بين بعضه وبعض في الانزال الا ترى الى قوله تعالى في
سورة الاسرى وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا وقد جاء الفرق بمعناه قال ومشركي
كافر بالفرق وعن ابن الزبير على عباده وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وامته كما قال تعالى لقد انزلنا اليكم وقولوا
آمنا بالله وما انزل الينا والضمير في ليكون لعبده او للفرقان ويعضد رجوعه الى الفرقان قراءة ابن الزبير
للعالمين للجن والانس نذيرا منذرا اي مخوفا او انذارا كالنكير بمعنى الانكار ومنه قوله تعالى فكيف كان عذابي ونذر
الذي له ملك السموات والارض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديرا

الذي له رفع على الابدال من الذي نزل او رفع على المدح او نصب عليه فان قلت كيف جاز الفصل بين البدل والمبدل منه قلت ما فصل بينهما بشيء لان المبدل منه صلته نزل وليكون تعليل له فكان المبدل منه لم يتم الا به فان قلت في الخلق معنى التقدير فما معنى قوله تعالى وخلق كل شيء فقدره تقديرا كانه قال وقدر كل شيء فقدره قلت المعنى انه احدث كل شيء احداثا مراعى فيه التقدير والتسوية فقدره وهيأه لما يصلح له مثاله انه خلق الانسان على هذا الشكل المقدر المسوى الذي تراه فقدره للتكاليف والمصالح المنوطة به في بابي الدين والدنيا وكذلك كل حيوان وجماد جاء به على الجبلة المستوية المقدرة بامثلة الحكمة والتدبير فقدره لامر ما ومصلحة مطابقا لما قدر له غير متجاف عنه او سمى احداث الله تعالى خلقا لانه لا يحدث شيئا لحكمته الا على وجه التقدير من غير تفاوت فاذا قيل خلق الله كذا فهو بمنزلة قولك احدث واوجد من غير نظر الى وجه الاشتقاق فكانه قيل واوجد كل شيء فقدره في ايجاده لم يوجده متفاوتا وقيل فجعل له غاية ومنتهى ومعناه فقدره للبقاء الى امد معلوم • **واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حيوة ولا نشورا** الخلق بمعنى الافتعال كما في قوله تعالى انما تعبدون من دون الله اوثانا وتخلقون افكا والمعنى انهم آثروا على عبادة الله سبحانه عبادة آلهة لا عجز ابين من عجزهم لا يقدرون على شيء من افعال الله تعالى ولا من افعال العباد حيث لا يفتعلون شيئا وهم يفتعلون لان عبدتهم يصنعونهم بالنحت والتصوير ولا يملكون اي لا يستطيعون لانفسهم دفع ضرر عنها او جلب نفع اليها وهم يستطيعون واذا عجزوا عن الافتعال ودفع الضرر وجلب النفع التي يقدر عليها العباد كانوا عن الموت والحيوة والنشور التي لا يقدر عليها الا الله تعالى اعجز • **وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتريه واعانه عليه قوم آخرون فقد جاؤا ظلما وزورا** • قوم آخرون هم اليهود وقيل عداس مولى حويطب بن عبد العزى ويسار مولى العلاء بن الحضرمي وابو فكيهة الرومي قال ذلك النضر بن الحارث بن عبد الدار • جاء واتى يستعملان في معنى فعل فيعديان تعديته وقد يكون على معنى ورد واظلما كما تقول جئت المكان ويجوز ان يحذف الجار ويوصل الفعل وظلمهم ان جعلوا العربي يتلقف من العجمي الرومي كلاما عربيا اعجز بفصاحته جميع فصحاء العرب والزور ان بهتوه بنسبة ما هو بريء منه اليه • **وقالوا اساطير الاولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة واصيلا** • اساطير الاولين ما سطره المتقدمون من نحو احاديث رستم واسفنديار جمع اسطار او اسطورة كاحدوثة اكتتبها كتبها لنفسه واخذها كما تقول استكب الماء واصطبه اذا سكبه وصبه لنفسه واخذه وقرئ اكتتبها على البناء للمفعول والمعنى اكتتبها كاتب له لانه كان اميا لا يكتب بيده وذلك من تمام اعجازه ثم حذفت اللام فافضى الفعل الى الضمير فصار اكتتبها اياه كاتب كقوله تعالى واختار موسى قومه ثم بني الفعل للضمير الذي هو اياه فانقلب مرفوعا مستترا بعد ان كان بارزا منصوبا وبقي ضمير الاساطير على حاله فصار اكتتبها كما ترى فان قلت كيف قيل اكتتبها فهي تملى عليه وانما يقال امليت عليه فهو يكتتبها قلت فيه وجهان احدهما اراد اكتتابها او طلبه فهي تملى عليه او كتبت له وهو امي فهي تملى عليه اي تلقى عليه من كتابه يتحفظها لان صورة الالقاء على الحافظ كصورة الالقاء على الكاتب وعن الحسن انه قول الله سبحانه يكذبهم وانما يستقيم ان لو فتحت الهمزة للاستفهام الذي في معنى الانكار ووجهه ان يكون نحو قوله • افرح ان ارزأ الكرام • وحق الحسن ان يقف على الاولين بكرة واصيلا اي دائما او في الخفية قبل ان ينتشر الناس وحين يأوون الى مساكنهم • **قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض انه كان غفورا رحيما** • اي يعلم كل سر خفي في السموات والارض ومن جملته ما تسرونه انتم من الكيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم مع علمكم ان ما تقولونه باطل وزور وكذلك باطن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبراءته مما تبهتونه به وهو يجازيكم ويجازيه على ما علم منكم وعلم منه فان قلت كيف طابق قوله تعالى انه كان غفورا رحيما هذا المعنى قلت لما كان ما تقدمه في معنى الوعيد عقبه بما يدل على القدرة عليه لانه لا يوصف بالمغفرة والرحمة الا القادر على العقوبة او هو تنبيه على انهم استوجبوا بمكابرتهم هذه ان يصب عليهم العذاب صبا ولكن صرف ذلك عنهم انه غفور رحيم يمهل ولا يعاجل • **وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا • او يلقى اليه كنز او تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا** • وقعت اللام في المصحف مفصولة عن هذا خارجة عن اوضاع الخط العربي

وخط المصحف سنة لا تغير وفي هذا استهانة وتصغير لشأنه وتسميته بالرسول سخرية منهم وطنز كانهم قالوا ما لهذا الزاعم انه رسول ونحوه قول فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون اي ان صح انه رسول الله فما باله حاله مثل حالنا يأكل الطعام كما نأكل ويتردد في الاسواق لطلب المعاش كما نتردد يعنون انه كان يجب ان يكون ملكا مستغنيا عن الاكل والتعيش ثم نزلوا عن اقتراحهم ان يكون ملكا الى اقتراح ان يكون انسانا معه ملك حتى يتساندا في الانذار والتخويف ثم نزلوا ايضا فقالوا ان لم يكن مرفودا بملك فليكن مرفودا بكنز يلقى اليه من السماء يستظهر به ولا يحتاج الى تحصيل المعاش ثم نزلوا فاقتنعوا بان يكون رجلا له بستان يأكل منه ويرتزق كالدهاقين والمياسير او يأكلون هم من ذلك البستان فينتفعون به في دنياهم ومعاشهم واراد بالظالمين اياهم باعيانهم وضع الظاهر موضع المضمر ليسجل عليهم بالظلم فيما قالوا وقرئ فيكون بالرفع او يكون له جنة بالياء ونأكل بالنون فان قلت ما وجه الرفع والنصب في فيكون قلت النصب لانه جواب لولا بمعنى هلا وحكمه حكم الاستفهام والرفع على انه معطوف على انزل ومحله الرفع الا تراك تقول لولا ينزل بالرفع وقد عطف عليه يلقى وتكون مرفوعين ولا يجوز النصب فيهما لانهما في حكم الواقع بعد لولا ولا يكون الا مرفوعا والقائلون هم كفار قريش النضر بن الحارث وعبد الله بن ابي امية ونوفل ابن خويلد ومن ضامهم مسحورا سحر فغلب على عقله او ذا سحر وهو الرئة عنوا انه بشر لا ملك • **انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا** • ضربوا لك الامثال اي قالوا فيك تلك الاقوال واخترعوا لك تلك الصفات والاحوال النادرة من نبوة مشتركة بين انسان وملك والقاء كنز عليك من السماء وغير ذلك فبقوا متحيرين ضلالا لا يجدون قولا يستقرون عليه او فضلوا عن الحق فلا يجدون طريقا اليه • **تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا** • تكاثر خير الذي ان شاء وهب لك في الدنيا خيرا مما قالوا وهو ان يعجل لك مثل ما وعدك في الآخرة من الجنات والقصور وقرئ ويجعل بالرفع عطفا على جعل لان الشرط اذا وقع ماضيا جاز في جزائه الجزم والرفع كقوله • وان اتاه خليل يوم مسألة • يقول لا غائب مالي ولا حرم • ويجوز في يجعل لك اذا ادغمت ان يكون اللام في تقدير الجزم والرفع جميعا وقرئ بالنصب على انه جواب الشرط بالواو • **بل كذبوا بالساعة واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا** • بل كذبوا عطف على ما حكى عنهم يقول بل اتوا باعجب من ذلك كله وهو تكذيبهم بالساعة ويجوز ان يتصل بما يليه كانه قال بل كذبوا بالساعة فكيف يلتفتون الى هذا الجواب وكيف يصدقون بتعجيل مثل ما وعدك في الآخرة وهم لا يؤمنون بالآخرة • السعير النار الشديدة الاستعار وعن الحسن انه اسم من اسماء جهنم • **اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا** • رأتهم من قولهم دورهم تتراءى وتتناظر ومن قوله صلى الله عليه وسلم لا تتراءى ناراهما كان بعضها يرى بعضا على سبيل المجاز والمعنى اذا كانت بمرأى الناظر في البعد سمعوا صوت غليانها وشبه ذلك بصوت المتغيظ والزافر ويجوز ان يراد اذا رأتهم زبانيتها تغيظوا وزفروا غضبا على الكفار وشهوة للانتقام منهم • **واذا القوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا • لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا** • الكرب مع الضيق كما ان الروح مع السعة ولذلك وصف الجنة بان عرضها السموات والارض وجاء في الاحاديث ان لكل مؤمن من القصور والجنان كذا وكذا ولقد جمع الله على اهل النار انواع التضييق والارهاق حيث القاهم في مكان ضيق يتراصون فيه تراصا كما روي عن ابن عباس في تفسيره انه يضيق عليهم كما يضيق الزج في الرمح وهم مع ذلك الضيق مسلسلون مقرنون في السلاسل قرنت ايديهم الى اعناقهم في الجوامع وقيل يقرن مع كل كافر شيطانه في سلسلة وفي ارجلهم الاصفاد والثبور الهلاك ودعاؤه ان يقول واثبوراه اي تعال يا ثبور فهذا حينك وزمانك لا تدعوا اي يقال لهم ذلك او هم احقاء بان يقال لهم وان لم يكن ثم قول ومعنى وادعوا ثبورا كثيرا انكم وقعتم فيما ليس ثبوركم فيه واحدا انما هو ثبور كثير اما لان العذاب انواع والوان كل نوع منها ثبور لشدته وفظاعته او لانهم كلما نضجت جلودهم بدلوا غيرها فلا غاية لهلاكهم • **قل اذلك خير ام جنة الخلد الذي وعد المتقون كانت لهم جزاء ومصيرا** • الراجع الى الموصول محذوف يعني وعدها المتقون وما يشاؤنه وانما قيل كانت لان ما وعده الله تعالى وعده فهو لتحققه كانه قد كان او كان مكتوبا في اللوح قبل ان براهم بازمنة متطاولة ان الجنة جزاؤهم ومصيرهم فان قلت ما معنى قوله كانت لهم جزاء ومصيرا قلت هو كقوله نعم الثواب وحسنت مرتفقا مدح الثواب ومكانه كما قال بئس الشراب وساءت مرتفقا فذم العقاب ومكانه لان النعيم لا يتم للمتنعم الا بطيب المكان وسعته وموافقته للمراد والشهوة والا تنغص وكذلك

والعقاب يتضاعف بغاية الموضع وضيقه وظلمته وجمعه لاسباب الاجتواء والكراهة فلذلك ذكر المصير مع ذكر الجزاء

لهم فيها ما يشاؤن خالدين كان على ربك وعدا مسئولا والضمير في كان لما يشاؤن والوعد الموعود اى كان ذلك موعودا واجبا على ربك انجازه حقيقا ان يسال ويطلب لانه جزاء واجر مستحق وقيل قد سال الناس والملائكة في دعواتهم ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم

ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول أأنتم اضللتم عبادي هؤلاء ام هم ضلوا السبيل يحشرهم فيقول كلاهما بالنون والياء وقرئ يحشرهم بكسر الشين وما يعبدون يريد المعبودين من الملائكة والمسيح وعزير وعن الكلبي الاصنام ينطقها الله تعالى ويجوز ان يكون عاما لهم جميعا **فان قلت** كيف صح استعمال ما في العقلاء **قلت** هو موضوع على العموم للعقلاء وغيرهم بدليل قولك اذا رأيت شبحا من بعيد ما هو فاذا قيل لك انسان قلت حينئذ من هو ويدلك قولهم من لما يعقل او اريد به الوصف كانه قيل ومعبودهم الا تراك تقول اذا اردت السؤال عن صفة زيد ما زيد تعني اطويل ام قصير افقيه ام طبيب **فان قلت** ما فائدة انتم وهم وهلا قيل اضللتم عبادي هؤلاء ام ضلوا السبيل **قلت** ليس السؤال عن الفعل ووجوده لانه لولا وجوده لما توجه هذا العتاب وانما هو عن متوليه فلا بد من ذكره وايلائه حرف الاستفهام حتى يعلم انه المسئول عنه **فان قلت** فالله سبحانه قد سبق علمه بالمسئول عنه فما فائدة هذا السؤال **قلت** فائدته ان يجيبوا بما اجابوا به حتى يبكت عبدتهم بتكذيبهم اياهم فيبهتوا ويخذلوا وتزيد حسرتهم ويكون ذلك نوعا مما يلحقهم من غضب الله وعذابه ويغتبط المؤمنون ويفرحوا بحالهم ونجاتهم من فضيحة اولئك وليكون حكاية ذلك في القرآن لطفا للمكلفين وفيه كسر بين لقول من يزعم ان الله يضل عباده على الحقيقة حيث يقول للمعبودين من دونه أأنتم اضللتموهم ام هم ضلوا بانفسهم فيتبرؤن من اضلالهم ويستعيذون به ان يكونوا مضلين ويقولون بل انت تفضلت من غير سابقة على هؤلاء وآبائهم تفضل جواد كريم فجعلوا النعمة التي حقها ان تكون سبب الشكر سبب الكفر ونسيان الذكر وكان ذلك سبب هلاكهم فاذا برأت الملائكة والرسل انفسهم من نسبة الاضلال الذي هو عمل الشياطين اليهم واستعاذوا منه فهم لربهم الغني العدل اشد تبرئة وتنزيها منه ولقد نزهوه حين اضافوا اليه التفضل بالنعمة والتمتيع بها واسندوا نسيان الذكر والتسبب به للبوار الى الكفرة فشرحوا الاضلال المجازي الذي اسنده الله تعالى الى ذاته في قوله يضل من يشاء ولو كان هو المضل على الحقيقة لكان الجواب العتيد ان يقولوا بل انت اضللتهم والمعنى انت اوقعتهم في الضلال عن طريق الحق ام هم ضلوا عنه بانفسهم وضل مطاوع اضله وكان القياس ضل عن السبيل الا انهم تركوا الجار كما تركوه في هداه الطريق والاصل الى الطريق وللطريق وقولهم اضل من بعير معناه ضالا الا انه ضياعا لما كان اكثر ذلك بتفريط من صاحبه وقلة احتياط في حفظه قيل اضل من سعد كان منه فعل اولم يكن

قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك من اولياء ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا سبحانك تعجب منهم مما قيل لهم لانهم ملائكة وانبياء معصومون فما ابعدهم عن الاضلال الذي هو مختص بابليس وحزبه او نطقوا بسبحانك ليدلوا على انهم المسبحون المقدسون الموسومون بذلك فكيف يليق بحالهم ان يضلوا عباده او قصدوا به تنزيهه عن الانداد وان يكون له ملك او نبي او غيرهما ندا ثم قالوا ما كان يصح لنا ولا يستقيم ونحن معصومون ان نتولى احدا دونك فكيف يصح لنا ان نحمل غيرنا على ان يتولانا دونك او ما كان ينبغي لنا ان نكون امثال الشياطين في توليهم الكفار كما تولاهم الكفار قال الله تعالى فقاتلوا اولياء الشيطان يريد الكفرة وقال والذين اولياؤهم الطاغوت وقرأ ابو جعفر المدني نتخذ على البناء للمفعول وهذا الفعل اعني اتخذ يتعدى الى مفعول واحد كقولك اتخذ وليا والى مفعولين كقولك اتخذ فلانا وليا قال الله تعالى ام اتخذوا آلهة من الارض وقال واتخذ الله ابراهيم خليلا فالقراءة الاولى من المتعدي الى واحد وهو من اولياء فزيدت من لتاكيد معنى النفي والثانية من المتعدي الى مفعولين فالاول ما بني له الفعل والثاني من اولياء ومن للتبعيض اي لا نتخذ بعض اولياء وتنكير اولياء من حيث انهم اولياء مخصوصون وهم الجن والاصنام والذكر ذكر الله والايمان به او القرآن والشرائع والبور الهلاك يوصف به الواحد والجمع ويجوز ان يكون جمع بائر كعائذ وعوذ

فقد كذبوكم بما يقولون فما يستطيعون صرفا ولا نصرا ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا هذه المفاجاة بالاحتجاج والالزام حسنة رائعة وخاصة اذا انضم اليها

الالتفات وحذف القول نحوها قوله عز وعلا يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير وقول القائل قالوا خراسان اقصى ما يراد بنا ثم القفول فقد جئنا خراسانا وقرئ يقولون بالتاء والياء فمعنى من قرأ بالتاء فقد كذبوكم بقولكم انهم آلهة وبقولهم سبحانك ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك من اولياء **فان قلت** هل يختلف حكم الباء مع التاء والياء **قلت** اي والله هي مع التاء كقوله تعالى بل كذبوا بالحق والجار والمجرور بدل من الضمير كانه قيل فقد كذبوا بما تقولون وهي مع الياء كقولك كتبت بالقلم وقرئ يستطيعون بالتاء والياء ايضا يعني فما تستطيعون انتم يا كفار صرف العذاب عنكم وقيل الصرف التوبة وقيل الحيلة من قولهم انه ليتصرف اي يحتال او فما تستطيع آلهتكم ان يصرفوا عنكم العذاب وان يحتالوا لكم على الخطاب على العموم للمكلفين والعذاب الكبير لاحق بكل من ظلم والكافر ظالم لقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم والفاسق ظالم لقوله تعالى ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون وقرئ يذقه بالياء وفيه ضمير الله او ضمير مصدر يظلم

وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام ويمشون في الاسواق وجعلنا بعضكم لبعض فتنة اتصبرون وكان ربك بصيرا الجملة بعد الا صفة لموصوف محذوف والمعنى وما ارسلنا قبلك احدا من المرسلين الا آكلين وماشين وانما حذف اكتفاء بالجار والمجرور اعني من المرسلين ونحوه قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم على معنى وما منا احد وقرئ ويمشون على البناء للمفعول اي تمشيهم حوائجهم او الناس ولو قرئ يمشون لكان اوجه لولا الرواية وقيل هو احتجاج على من قال ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق فتنة اي محنة وابتلاء وهذا تصبير لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ما قالوه واستبعدوه من اكله الطعام ومشيه في الاسواق بعدما احتج عليهم بسائر الرسل يقول وجرت عادتي وموجب حكمتي على ابتلاء بعضكم ايها الناس ببعض والمعنى انه ابتلى المرسلين بالمرسل اليهم وبمناصبتهم لهم العداوة واقاويلهم الخارجة عن حد الانصاف وانواع اذاهم وطلب منهم الصبر الجميل ونحوه ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور وموقع اتصبرون بعد ذكر الفتنة موقع ايكم بعد الابتلاء في قوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا بصيرا عالما بالصواب فيما يبتلي به وغيره فلا يضيقن صدرك ولا يستخفنك اقاويلهم فان صبرك عليها سعادتك وفوزك في الدارين وقيل هو تسلية له عما عيروه به من الفقر حين قالوا او يلقى اليه كنز او يكون له جنة وانه جعل الاغنياء فتنة للفقراء لينظر هل يصبرون وانها حكمته ومشيئته يغني من يشاء ويفقر من يشاء وقيل جعلناك فتنة لهم لانك لو كنت غنيا صاحب كنوز وجنان لكان ميلهم اليك وطاعتهم لك للدنيا او ممزوجة بالدنيا فانما بعثناك فقيرا لتكون طاعة من يطيعك خالصة لوجه الله تعالى من غير طمع دنياوي وقيل كان ابو جهل والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل ومن في طبقتهم يقولون ان اسلمنا وقد اسلم قبلنا عمار وصهيب وبلال وفلان وفلان ترفعوا علينا ادلالا بالسابقة فهو افتتان بعضهم ببعض

وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا لقد استكبروا في انفسهم وعتوا عتوا كبيرا اي لا يأملون لقاءنا بالخير لانهم كفرة او لا يخافون لقاءنا بالشر والرجاء في لغة تهامة الخوف وبه فسر قوله عز وجل لا ترجون لله وقارا جعلت الصيرورة الى دار جزائه بمنزلة لقائه لو كان ملقيا اقترحوا من الآيات ان ينزل الله تعالى عليهم الملائكة فتخبرهم بان محمدا صادق حتى يصدقوه او يروا الله جهرة فيامرهم بتصديقه واتباعه ولا يخلو اما ان يكونوا عالمين بان الله لا يرسل الملائكة الى غير الانبياء وان الله لا يصح ان يرى وانما علقوا ايمانهم بما لا يكون واما ان لا يكونوا عالمين بذلك وانما ارادوا التعنت باقتراح آيات سوى الآيات التي نزلت وقامت بها الحجة عليهم كما فعل قوم موسى حين قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة **فان قلت** ما معنى في انفسهم **قلت** معناه انهم اضمروا الاستكبار عن الحق وهو الكفر والعناد في قلوبهم واعتقدوه كما قال ان في صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه وعتوا وتجاوزوا الحد في الظلم يقال عتا علينا فلان وقد وصف العتو بالكبير فبالغ في افراطه يعني انهم لم يجسروا على هذا القول العظيم الا لانهم بلغوا غاية الاستكبار واقصى العتو واللام جواب قسم محذوف وهذه الجملة في حسن استئنافها غاية وفي اسلوبها قول القائل وجارة جساس ابأنا بنابها كليبا غلت ناب كليب بواؤها وفي فحوى هذا الفعل دليل على التعجب من غير لفظ التعجب الا ترى ان المعنى ما اشد استكبارهم وما اكبر عتوهم وما اغلى نابا بواؤها كليب

يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا يوم يرون منصوب باحد شيئين اما بما دل عليه لا بشرى اي يوم يرون الملائكة يمنعون البشرى او يعدمونها ويومئذ للتكرير واما باضمار اذكر اي اذكر يوم يرون

الملائكة ثم قال لا بشرى يومئذ للمجرمين وقوله تعالى للمجرمين اما ظاهر في موضع ضمير واما لانه عام فقد تناولهم بعمومه حجرا محجورا
ذكره سيبويه في باب المصادر غير المتصرفة المنصوبة بافعال متروك اظهارها نحو معاذ الله وقعدك الله وعمرك الله وهذه كلمة
كانوا يتكلمون بها عند لقاء عدو موتور او هجوم نازلة او نحو ذلك يضعونها موضع الاستعاذة قال سيبويه ويقول الرجل
للرجل اتفعل كذا وكذا فيقول حجرا وهي من حجره اذا منعه لان المستعيذ طالب من الله تعالى ان يمنع المكروه فلا يلحقه فكان المعنى
اسأل الله ان يمنع ذلك منعا ويحجره حجرا ومجيئه على فعل او فعل في قراءة الحسن تصرف فيه لاختصاصه بموضع واحد كما كان
قعدك وعمرك كذلك وانشدت لبعض الرجاز قالت وفيها حيدة وذعر عوذ بربي منكم وحجر فان قلت
فاذ قد ثبت انه من المصادر فما معنى وصفه بمحجورا قلت جاءت هذه الصفة لتأكيد معنى الحجر كما قالوا ذيل ذائل والذيل
الهوان وموت مائت والمعنى في الآية انهم يطلبون نزول الملائكة ويقترحونه وهم اذا رأوهم عند الموت او يوم القيمة كرهوا
لقاءهم وفزعوا منهم لانهم لا يلقونهم الا بما يكرهون وقالوا عند رؤيتهم ما كانوا يقولونه عند لقاء العدو الموتور والشدة النازلة
وقيل هو من قول الملائكة ومعناه حراما محرما عليكم الغفران والجنة او البشرى اي جعل الله ذلك حراما عليكم
وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا ليس هنا قدوم ولا ما يشبه القدوم ولكن
مثلت حال هؤلاء واعمالهم التي عملوها في كفرهم من صلة رحم واغاثة ملهوف وقرى ضيف ومن على اسير وغير ذلك
من مكارمهم ومحاسنهم بحال قوم خالفوا سلطانهم واستعصوا عليه فقدم الى اشيائهم وقصد الى ما تحت ايديهم فافسدها
ومزقها كل ممزق ولم يترك لها اثرا ولا عثيرا والهباء ما يخرج من الكوة مع ضوء الشمس شبيه بالغبار وفي امثالهم اقل من الهباء
منثورا صفة للهباء شبهه بالهباء في قلته وحقارته عنده وانه لا ينتفع به ثم بالمنثور منه لانك تراه منتظما مع الضوء
فاذا حركته الريح رأيته قد تناثر وذهب كل مذهب ونحوه قوله كعصف مأكول لم يكف ان شبههم بالعصف حتى جعله
موؤفا بالاكال ولا ان شبه عملهم بالهباء حتى جعله متناثرا او مفعول ثالث لجعلناه اي فجعلناه جامعا لحقارة الهباء
والتناثر كقوله تعالى كونوا قردة خاسئين اي جامعين للمسخ والخسء ولام الهباء واو بدليل الهبوة اصحاب
الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا المستقر المكان الذي يكونون فيه في اكثر اوقاتهم مستقرين
يتجالسون ويتحادثون والمقيل المكان الذي يأوون اليه للاسترواح الى ازواجهم والتمتع بمغازلتهن وملامستهن كما ان
المترفين في الدنيا يعيشون على ذلك الترتيب وروي انه يفرغ من الحساب في نصف ذلك اليوم فيقيل اهل الجنة في الجنة
واهل النار في النار وفي معناه قوله عز وجل ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون هم وازواجهم في ظلل على الارائك
متكئون قيل في تفسير الشغل افتضاض الابكار ولا نوم في الجنة وانما سمي مكان دعتهم واسترواحهم الى الحور مقيلا على طريق
التشبيه وفي لفظ الاحسن رمز الى ما يتزين به مقيلهم من حسن الوجوه وملاحة الصور الى غير ذلك من التحاسين والزين
ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا وقرئ تشقق والاصل تتشقق فحذف بعضهم
التاء وغيره ادغمها ولما كان انشقاق السماء بسبب طلوع الغمام منها جعل الغمام كانه الذي تشقق به السماء كما تقول
شق السنام بالشفرة وانشق بها ونظيره قوله تعالى السماء منفطر به فان قلت اي فرق بين قولك
انشقت الارض بالنبات وانشقت عن النبات قلت معنى انشقت به ان الله تعالى شقها بطلوعه
فانشقت به ومعنى انشقت عنه ان التربة ارتفعت عنه عند طلوعه والمعنى ان السماء تتفتح بغمام يخرج منها
وفي الغمام الملائكة ينزلون وفي ايديهم صحائف اعمال العباد وروي تنشق سماء سماء وتنزل الملائكة الى الارض وقيل
هو غمام ابيض رقيق مثل الضبابة ولم يكن الا لبني اسرائيل في تيههم وفي معناه قوله تعالى هل ينظرون الا ان يأتيهم الله
في ظلل من الغمام والملائكة وقرئ وننزل الملائكة وننزل ونزل ونزلت الملائكة وانزل الملائكة ونزل الملائكة
ونزل الملائكة على حذف النون الذي هو فاء الفعل من ننزل قراءة اهل مكة الملك يومئذ الحق للرحمن
وكان يوما على الكافرين عسيرا الحق الثابت لان كل ملك يزول يومئذ ويبطل ولا يبقى الا ملكه
ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا عض اليدين
والانامل والسقوط في اليد واكل البنان وحرق الاسنان والارم وقرعها كنايات عن الغيظ والحسرة لانها من
روادفها فتذكر الرادفة ويدل بها على المردوف فيرتفع الكلام به في طبقة الفصاحة ويجد السامع عنده في نفسه

من الروعة والاستحسان ما لا يجده عند لفظ المكنى عنه وقيل نزلت في عقبة بن ابي معيط بن امية بن عبد شمس وكان
يكثر مجالسة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل اتخذ ضيافة فدعا اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فابى ان يأكل
من طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل وكان ابي بن خلف صديقه فعاتبه وقال صبأت يا عقبة قال لا ولكن ابى ان
يأكل من طعامي وهو في بيتي فاستحييت منه فشهدت له والشهادة ليست في نفسي فقال وجهي من وجهك حرام ان لقيت
محمدا فلم تطأ قفاه وتبزق في وجهه وتلطم عينه فوجده ساجدا في دار الندوة ففعل ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا القاك خارجا من مكة الا علوت رأسك بالسيف فقتل يوم بدر امر عليا رضي الله عنه بقتله وقيل قتله عاصم
ابن ثابت بن افلح الانصاري وقال يا محمد الى من الصبية قال الى النار وطعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ابيا باحد
فرجع الى مكة فمات فاللام في الظالم يجوز ان يكون للعهد يراد به عقبة خاصة ويجوز ان يكون للجنس فيتناول عقبة وغيره
تمنى ان لو صحب الرسول وسلك معه طريقا واحدا وهو طريق الحق ولم يتشعب به طرق الضلالة والهوى او اراد
اني كنت ضالا لم يكن لي سبيل قط فليتني حصلت لنفسي في صحبة الرسول سبيلا يا ويلتى ليتني لم اتخذ
فلانا خليلا لقد اضلني عن الذكر بعد اذ جاءني وكان الشيطان للانسان خذولا
وقرئ يا ويلتي بالياء وهو الاصل لان الرجل ينادي ويلته وهي هلكته يقول لها تعالي فهذا اوانك وانما قلبت الياء الفا
كما في صحارى ومدارى فلان كناية عن الاعلام كما ان الهن كناية عن الاجناس فان اريد بالظالم عقبة فالمعنى ليتني لم اتخذ
ابيا خليلا فكنى عن اسمه وان اريد به الجنس فكل من اتخذ من المضلين خليلا كان لخليله اسم علم لا محالة فجعله كناية عنه
عن الذكر عن ذكر الله او القرآن او موعظة الرسول ويجوز ان يريد نطقه بشهادة الحق وعزمه على الاسلام والشيطان اشارة
الى خليله سماه شيطانا لانه اضله كما يضل الشيطان ثم خذله ولم ينفعه في العاقبة او اراد ابليس وانه هو الذي حمله على
مخالة المضل ومخالفة الرسول ثم خذله او اراد الجنس وكل من تشيطن من الجن والانس ويحتمل ان يكون وكان الشيطان
حكاية كلام الظالم وان يكون كلام الله تعالى اتخذت يقرأ على الادغام والاظهار والادغام اكثر وقال الرسول
يا رب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وقومه قريش حكى الله عنه
شكواه قومه اليه وفي هذه الحكاية تعظيم للشكاية وتخويف لقومه لان الانبياء كانوا اذا التجأوا اليه وشكوا اليه قومهم حل بهم
العذاب ولم ينظروا وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين وكفى بربك هاديا ونصيرا
ثم اقبل عليه مسليا ومؤسيا وواعدا النصرة عليهم فقال كذلك كان كل نبي قبلك مبتلى بعداوة قومه وكفاك بي هاديا
الى طريق قهرهم والانتصار منهم وناصرا لك عليهم مهجورا تركوه وصدوا عنه وعن الايمان به وعن النبي صلى الله عليه وسلم
من تعلم القرآن وعلق مصحفه لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيمة متعلقا به يقول يا رب العالمين عبدك هذا
اتخذني مهجورا اقض بيني وبينه وقيل هو من هجر اذا هذى اي جعلوه مهجورا فيه فحذف الجار وهو على وجهين احدهما زعمهم
انه هذيان وباطل واساطير الاولين والثاني انهم كانوا اذا سمعوه هجروا فيه كقوله تعالى لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا
فيه ويجوز ان يكون المهجور بمعنى الهجر كالمجلود والمعقول والمعنى اتخذوه هجرا والعدو يجوز ان يكون واحدا وجمعا كقوله تعالى
فانهم عدو لي وقيل المعنى وقال الرسول يوم القيمة وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن
جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا نزل ههنا بمعنى انزل لا غير كخبر
بمعنى اخبر والا كان متدافعا وهذا ايضا من اعتراضاتهم واقتراحاتهم الدالة على شرادهم عن الحق وتجافيهم عن اتباعه
قالوا هلا انزل عليه دفعة في وقت واحد كما انزلت الكتب الثلثة وماله انزل على التفاريق والقائلون قريش وقيل
اليهود وهذا فضول من القول ومماراة بما لا طائل تحته لان امر الاعجاز والاحتجاج به لا يختلف بنزوله جملة واحدة او مفرقا
وقوله كذلك جواب لهم اي كذلك انزل مفرقا والحكمة فيه ان نقوي بتفريقه فؤادك حتى تعيه وتحفظه لان المتلقن انما
يقوى قلبه على حفظ العلم شيئا بعد شيء وجزءا عقيب جزء ولو القي عليه جملة واحدة لتبعل به وتعيا بحفظه والرسول
فارقت حاله حال موسى وداود وعيسى حيث كان اميا لا يقرأ ولا يكتب وهم كانوا قارئين كاتبين فلم يكن له بد من
التلقن والتحفظ فانزل عليه منجما في عشرين سنة وقيل في ثلث وعشرين وايضا فكان ينزل على حسب الحوادث وجوابات
السائلين ولان بعضه منسوخ وبعضه ناسخ ولا يتأتى ذلك الا فيما انزل مفرقا فان قلت ذلك في كذلك

يجب ان يكون اشارة الى شئ تقدمه والذي تقدم هو انزاله جملة فكيف فسره بذلك انزلناه مفرقا قلت لان قولهم لولا انزل عليه جملة معناه لم انزل مفرقا والدليل على فساد هذا الاعتراض انهم عجزوا عن ان ياتوا بنجم واحد من نجومه وتحدوا بسورة واحدة من اصغر السور فابرزوا صفحة عجزهم وسجلوا به على انفسهم حين لاذوا بالمناصبة وفزعوا الى المحاربة ثم قالوا هلا انزل جملة واحدة كانهم قدروا على تفاريقه حتى يقدروا على جملته ورتلناه معطوف على الفعل الذي تعلق به كذلك كانه قال كذلك فرقناه ورتلناه ومعنى ترتيله ان قدره آية بعد آية ووقفة عقيب وقفة ويجوز ان يكون المعنى وامرنا بترتيل قراءته وذلك قوله ورتل القرآن ترتيلا اى اقراه بترسل وتثبت ومنه حديث عائشة رضي في صفة قراءته لا كسردكم هذا لو اراد السامع ان يعد حروفه لعدها واصل الترتيل في الاسنان وهو تفليجها يقال ثغر رتل ومرتل ويشبه بنور الاقحوان في تفليجه وقيل هو ان نزله مع كونه متفرقا على تمكث وتمهل في مدة متباعدة وهي عشرون سنة ولم يفرقه في مدة متقاربة

ولا ياتونك بمثل الا جئناك بالحق واحسن تفسيرا ولا ياتونك بسؤال عجيب من سؤالاتهم الباطلة كانه مثل في البطلان الا اتيناك بالجواب الحق الذي لا محيد عنه وبما هو احسن معنى ومؤدى من سؤالهم ولما كان التفسير هو التكشيف عما يدل عليه الكلام وضع موضع معناه فقالوا تفسير هذا الكلام كيت وكيت كما قيل معناه كذا وكذا ولا ياتونك بحال وصفة عجيبة يقولون هلا كانت هذه صفتك وحالك نحو ان يقرن بك ملك ينذر معك او يلقى اليك كنز او تكون لك جنة او ينزل عليك القرآن جملة الا اعطيناك نحن من الاحوال ما يحق لك في حكمتنا ومشيتنا ان تعطاه وما هو احسن تكشيفا لما بعثت عليه ودلالة على صحته يعني ان تنزيله مفرقا وتحديهم بان ياتوا ببعض تلك التفاريق كلما نزل شئ منها ادخل في الاعجاز وانور للحجة من ان ينزل كله جملة ويقال لهم جيئوا بمثل هذا الكتاب في فصاحته مع بعد ما بين طرفيه

الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم اولئك شر مكانا واضل سبيلا كانه قيل لهم ان حاملكم على هذه السؤالات انكم تضللون سبيله وتحتقرون مكانه ومنزلته ولو نظرتم بعين الانصاف وانتم من المسحوبين على وجوههم الى جهنم لعلمتم ان مكانكم شر وسبيلكم اضل من سبيله وفي طريقته قوله قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه الآية ويجوز ان يراد بالمكان الشرف والمنزلة وان يراد الدار والمسكن كقوله اى الفريقين خير مقاما واحسن نديا ووصف السبيل بالضلال من الاسناد المجازي وعن النبي صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيمة على ثلثة اثلاث ثلث على الدواب وثلث على وجوههم وثلث على اقدامهم ينسلون نسلا

ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه اخاه هرون وزيرا الوزارة لا تنافي النبوة فقد كان يبعث في الزمن الواحد انبياء ويؤمرون بان يوازر بعضهم بعضا **فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا باياتنا فدمرناهم تدميرا** والمعنى فذهبا اليهم فكذبوهما فدمرناهم كقوله اضرب بعصاك البحر فانفلق اراد اختصار القصة فذكر حاشيتيها اولها وآخرها لانهما المقصود من القصة بطولها اعني الزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم وعن علي رضي الله عنه فدمرتهم وعنه فدمراهم وقرئ فدمرانهم على التاكيد بالنون الثقيلة

وقوم نوح لما كذبوا الرسل اغرقناهم وجعلناهم للناس آية واعتدنا للظالمين عذابا اليما كانهم كذبوا نوحا ومن قبله من الرسل صريحا او كان تكذيبهم لواحد منهم تكذيبا للجميع او لم يروا بعثة الرسل اصلا كالبراهمة وجعلناهم وجعلنا اغراقهم وقصتهم للظالمين اما ان يعني بهم قوم نوح واصله واعتدنا لهم الا انه قصد تظليمهم فاظهر واما ان يتناولهم بعمومه

وعادا وثمود واصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا عطف عادا على هم في جعلناهم او على للظالمين لان المعنى ووعدنا الظالمين وقرئ وثمود على تاويل القبيلة واما المنصرف فعلى تاويل الحي او لانه اسم الاب الاكبر قيل في اصحاب الرس كانوا قوما من عبدة الاصنام اصحاب آبار ومواش فبعث الله اليهم شعيبا فدعاهم الى الاسلام فتمادوا في طغيانهم وفي اذائه فبيناهم حول الرس وهو البئر غير المطوية عن ابي عبيدة انهارت بهم فخسف بهم وبديارهم وقيل الرس قرية بفلج اليمامة قتلوا نبيهم فهلكوا وهم بقية ثمود قوم صالح وقيل هم اصحاب النبي حنظلة ابن صفوان كانوا مبتلين بالعنقاء وهي اعظم ما يكون من الطير سميت لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم الذي يقال له فتخ وهي تنقض على صبيانهم فتخطفهم ان اعوزها الصيد فدعا عليها حنظلة فاصابتها الصاعقة ثم انهم قتلوا حنظلة فاهلكوا

وقيل هم اصحاب الاخدود والرس هو الاخدود وقيل الرس بانطاكية قتلوا فيها حبيبا النجار وقيل كذبوا نبيهم ورسوه في بئر اى دسوه فيها بين ذلك اى بين ذلك المذكور وقد يذكر الذاكر اشياء مختلفة ثم يشير اليها بذلك ويحسب الحاسب اعدادا متكاثرة ثم يقول فذلك كيت وكيت على معنى فذلك المحسوب او المعدود

وكلا ضربنا له الامثال وكلا تبرنا تتبيرا ضربنا له الامثال بينا له القصص العجيبة من قصص الاولين ووصفنا لهم ما اجروا اليه من تكذيب الانبياء وجرى عليهم من عذاب الله وتدميره والتتبير التفتيت والتكسير ومنه التبر وهو كسار الذهب والفضة والزجاج وكلا الاول منصوب بما دل عليه ضربنا له الامثال وهو انذرنا او حذرنا والثاني بتبرنا لانه فارغ له

ولقد اتوا على القرية التي امطرت مطر السوء افلم يكونوا يرونها بل كانوا لا يرجون نشورا اراد بالقرية سدوم من قرى قوم لوط وكانت خمسا اهلك الله تعالى اربعا باهلها وبقيت واحدة ومطر السوء الحجارة يعني ان قريشا مروا مرارا كثيرة في متاجرهم الى الشام على تلك القرية التي اهلكت بالحجارة من السماء افلم يكونوا في مرار مرورهم ينظرون الى آثار عذاب الله ونكاله ويذكرون بل كانوا قوما كفرة بالبعث لا يتوقعون نشورا وعاقبة فوضع الرجاء موضع التوقع لانه انما يتوقع العاقبة من يؤمن به فمن ثم لم ينظروا ولم يذكروا ومروا بها كما مرت ركابهم او لا يامنون نشورا كما يامله المؤمنون لطمعهم في الوصول الى ثواب اعمالهم او لا يخافون على اللغة التهامية

واذا رأوك ان يتخذونك الا هزوا اهذا الذي بعث الله رسولا ان الاولى نافية والثانية مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينهما واتخذوه هزوا في معنى استهزأوا به والاصل اتخذوه موضع هزو او مهزوا به اهذا محكي بعد القول المضمر وهذا استصغار وبعث الله رسولا واخراجه في موضع التسليم والاقرار وهم على غاية الجحود والانكار سخرية واستهزاء ولو لم يستهزئوا لقالوا اهذا الذي زعم او ادعى انه مبعوث من عند الله رسولا وقولهم ان كاد ليضلنا دليل على فرط مجاهدة رسول الله في دعوتهم وبذله قصارى الوسع والطاقة في استعطافهم مع عرض الآيات والمعجزات عليهم حتى شارفوا بزعمهم ان يتركوا دينهم الى دين الاسلام لولا فرط لجاجهم واستمساكهم بعبادة آلهتهم ولولا في مثل هذا الكلام جار من حيث المعنى لا من حيث الصنعة مجرى التقييد للحكم المطلق وسوف يعلمون وعيد ودلالة على انهم لا يفوتونه وان طالت مدة الامهال ولا بد للوعيد ان يلحقهم فلا يغرنهم التاخير وقوله من اضل سبيلا كالجواب عن قولهم ان كاد ليضلنا لانه نسبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم الى الضلال من حيث لا يضل غيره الا من هو ضال في نفسه ويروى انه من قول ابي جهل لعنه الله تعالى

ارايت من اتخذ الهه هواه افانت تكون عليه وكيلا من كان في طاعة الهوى في دينه يتبعه في كل ما ياتي ويذر لا يتبصر دليلا ولا يصغي الى برهان فهو عابد هواه وجاعله آلهه فيقول لرسوله هذا الذي لا يرى معبودا الا هواه كيف تستطيع ان تدعوه الى الهدى افتتوكل عليه وتجبره على الاسلام وتقول لا بد ان تسلم شئت او ابيت ولا اكراه في الدين وهذا كقوله تعالى وما انت عليهم بجبار لست عليهم بمسيطر ويروى ان الرجل منهم كان يعبد الحجر فاذا راى احسن منه رمى به واخذ آخر ومنهم الحرث بن قيس السهمي

ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا ام هذه منقطعة معناه بل اتحسب كان هذه المذمة اشد من التي تقدمتها حتى حقت بالاضراب عنها اليها وهي كونهم مسلوبي الاسماع والعقول لانهم لا يلقون الى استماع الحق اذنا ولا الى تدبره عقلا ومشبهين بالانعام التي هي مثل في الغفلة والضلالة ثم ارجح ضلالة منهم **فان قلت** لم اخر هواه والاصل قولك اتخذ الهوى الها **قلت** ما هو الا تقديم المفعول الثاني على الاول للعناية كما تقول علمت منطلقا زيدا لفضل عنايتك بالمنطلق **فان قلت** ما معنى ذكر الاكثر **قلت** كان فيهم من لم يصده عن الاسلام الا داء واحد وهو حب الرياسة وكفى به داء عضالا **فان قلت** كيف جعلوا اضل من الانعام **قلت** لان الانعام تنقاد لاربابها التي تعلفها وتتعهدها وتعرف من يحسن اليها ممن يسئ اليها وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وتهتدي لمراعيها ومشاربها وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا يعرفون احسانه اليهم من اساءة الشيطان الذي هو عدوهم ولا يطلبون الثواب الذي هو اعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذي هو اشد المضار والمهالك ولا يهتدون للحق الذي هو المشرع الهني والعذب الروي

الم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا الم تر الى ربك الم تنظر الى صنع ربك وقدرته ومعنى مد الظل ان جعله يمتد وينبسط فينتفع به الناس ولو شاء لجعله ساكنا

ان كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا ان صبرنا عليها وسوف يعلمون حين يرون العذاب من اضل سبيلا

أي لاصقا بأصل كل مظل من جبل وبناء وشجر غير منبسط فلم ينتفع به أحد سمى انبساط الظل وامتداده تحركا منه وعدم
ذلك سكونا ومعنى كون الشمس دليلا أن الناس يستدلون بالشمس وبأحوالها في مسيرها على أحوال الظل من كونه ثابتا في مكان
وزائلا ومتسعا ومتقلصا فيبنون حاجتهم إلى الظل واستغناءهم عنه على حسب ذلك وقبضه إليه أي نسخه بضح الشمس يسيرا
على مهل وفي هذا القبض اليسير شيئا بعد شيء من المنافع ما لا يعد ولا يحصر ولو قبض دفعة واحدة لتعطلت أكثر مرافق الناس
بالظل والشمس جميعا **فإن قلت** ثم في هذين الموضعين كيف موقعها **قلت** موقعها لبيان تفاضل الأمور
الثلاثة كأن الثاني أعظم من الأول والثالث أعظم منهما تشبيها لتباعد ما بينهما في الفضل بتباعد ما بين الحوادث في الوقت
ووجه آخر وهو أنه مد الظل حين بنى السماء كالقبة المضروبة ودحا الأرض تحتها فألقت القبة ظلها على الأرض فينانا
ما في أديمه جوب لعدم النير ولو شاء لجعله ساكنا مستقرا على تلك الحالة ثم خلق الشمس وجعلها على ذلك الظل أي سلطها عليه
ونصبها دليلا متبوعا له كما يتبع الدليل في الطريق فهو يزيد بها وينقص ويمتد ويتقلص ثم نسخه بها فقبضه قبضا سهلا يسيرا
غير عسير ويحتمل أن يريد قبضه عند قيام الساعة بقبض أسبابه وهي الأجرام التي تلقي الظل فيكون قد ذكر إعدامه بإعدام أسبابه
كما ذكر إنشاءه بإنشاء أسبابه وقوله قبضناه إلينا يدل عليه وكذلك قوله يسيرا كما قال تعالى ذلك حشر علينا يسير
وهو الذي جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا ● شبه ما يستر من ظلام الليل
باللباس الساتر والسبات الموت والمسبوت الميت لأنه مقطوع الحياة وهذا كقوله وهو الذي يتوفاكم بالليل **فإن قلت**
هلا فسرته بالراحة **قلت** النشور في مقابلته يأباه إباء العيوف الورد وهو مرنق وهذه الآية مع دلالتها على قدرة
الخالق فيها إظهار لنعمته على خلقه لأن الاحتجاب بستر الليل كم فيه لكثير من الناس من فوائد دينية ودنيوية والنوم واليقظة وشبههما
بالموت والحياة أي عبرة فيها لمن اعتبر وعن لقمان أنه قال لابنه يا بني كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشر ● **وهو الذي
أرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته وأنزلنا من السماء ماء طهورا ● لنحيي به بلدة
ميتا ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسي كثيرا** ● قرئ الريح والرياح نشرا إحياء ونشرا جمع نشور وهي المحيية
ونشرا تخفيف نشر وبشرا تخفيف بشر جمع بشور وبشرى وبين يدي رحمته استعارة مليحة أي قدام المطر طهورا بليغا في طهارته
وعن أحمد بن يحيى هو ما كان طاهرا في نفسه مطهرا لغيره فإن كان ما قاله شرحا لبلاغته في الطهارة كان سديدا ويعضده قوله تعالى وينزل
عليكم من السماء ماء ليطهركم به وإلا فليس فعول من التفعيل في شيء والطهور على وجهين في العربية صفة واسم فالصفة قولك
ماء طهور كقولك طاهر والاسم قولك لما يتطهر به طهور كالوضوء والوقود لما يتوضأ به وتوقد به النار وقولهم تطهرت طهورا
حسنا كقولك وضوءا حسنا ذكره سيبويه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لا صلاة إلا بطهور أي بطهارة **فإن قلت**
ما الذي يزيل عن الماء اسم الطهور **قلت** تيقن مخالطة النجاسة أو غلبتها على الظن تغير أحد أوصافه الثلاثة أو لم يتغير
أو استعماله في البدن لأداء عبادة عند أبي حنيفة رحمه الله تعالى وعند مالك بن أنس رحمه الله تعالى ما لم يتغير أحد أوصافه فهو طهور
فإن قلت فما تقول في قوله صلى الله عليه وسلم حين سئل عن بئر بضاعة فقال الماء طهور لا ينجسه شيء إلا ما غير لونه أو
طعمه أو ريحه **قلت** قال الواقدي كان بئر بضاعة طريقا للماء إلى البساتين وإنما قال ميتا لأن البلدة في قوله
نسقناه إلى بلد ميت وأنه غير جار على الفعل كفعول ومفعال ومفعيل وقرئ نسقيه بالفتح وسقى وأسقى لغتان وقيل
أسقاه جعل له سقيا الأناسي جمع إنسي أو إنسان ونحوه ظرابي في ظربان على قلب النون ياء والأصل أناسين وظرابين
وقرئ بالتخفيف بحذف ياء أفاعيل كقولك أناعم في أناعيم **فإن قلت** إنزال الماء موصوفا بالطهارة وتعليله
بالإحياء والسقي يؤذن بأن الطهارة شرط في صحة ذلك كما تقول حملني الأمير على فرس جواد لأصيد عليه الوحش **قلت**
لما كان سقي الأناسي من جملة ما أنزل له الماء وصفه بالطهور إكراما لهم وتتميما للمنة عليهم وبيانا أن من حقهم حين أراد الله تعالى
لهم الطهارة وأرادهم عليها أن يؤثروها في بواطنهم ثم في ظواهرهم وأن يربؤوا بأنفسهم عن مخالطة القاذورات كلها كما ربأ بهم ربهم
فإن قلت لم خص الأنعام من بين ما خلق من الحيوان الشارب **قلت** لأن الطير والوحش تبعد في طلب الماء
فلا يعوزها الشرب بخلاف الأنعام ولأنها قنية الأناسي وعامة منافعهم متعلقة بها فكأن الإنعام عليهم بسقي أنعامهم كالإنعام
بسقيهم **فإن قلت** فما معنى تنكير الأنعام والأناسي ووصفها بالكثرة **قلت** معنى ذلك أن علية الناس
وجلهم منيخون بالقرب من الأودية والأنهار ومنابع الماء ففيهم غنية عن سقي السماء وأعقابهم وهم كثير منهم لا يعيشهم إلا ما ينزل

من رحمته وسقيا سمائه وكذلك قوله تعالى لنحيي به بلدة ميتا يريد بعض بلاد هؤلاء المتبعدين عن مظان الماء **فإن قلت**
فلم قدم إحياء الأرض وسقي الأنعام على سقي الأناسي **قلت** لأن حياة الأناسي بحياة أرضهم وحياة أنعامهم فقدم ما هو
سبب حياتهم وتعيشهم على سقيهم ولأنهم إذا ظفروا بما يكون سقيا أرضهم ومواشيهم لم يعدموا سقياهم ● **ولقد صرفناه
بينهم ليذكروا فأبى أكثر الناس إلا كفورا** ● يريد ولقد صرفنا هذا القول بين الناس في القرآن وفي
سائر الكتب والصحف التي أنزلت على الرسل وهو ذكر إنشاء السحاب وإنزال القطر ليفكروا ويعتبروا ويعرفوا حق
النعمة فيه ويشكروا فأبى أكثرهم إلا كفران النعمة وجحودها وقلة الاكتراث لها وقيل صرفنا المطر بينهم في البلدان المختلفة
والأوقات المتغايرة وعلى الصفات المتفاوتة من وابل وطل وجود ورذاذ وديمة ورهام فأبوا إلا الكفور وأن يقولوا
مطرنا بنوء كذا ولا يذكروا صنع الله تعالى ورحمته وعن ابن عباس ما من عام أقل مطرا من عام ولكن الله تعالى قسم ذلك
بين عباده على ما شاء وتلا هذه الآية وروي أن الملائكة يعرفون عدد المطر ومقداره في كل عام لأنه لا يختلف ولكن
تختلف فيه البلاد وينتزع من ههنا جواب في تنكير البلدة والأنعام والأناسي كأنه قال لنحيي به بعض البلاد الميتة ونسقيه
بعض الأنعام والأناسي وذلك البعض كثير **فإن قلت** هل يكفر من ينسب الأمطار إلى الأنواء **قلت**
إن كان لا يراها إلا من الأنواء ويجحد أن تكون هي والأنواء من خلق الله فهو كافر وإن كان يرى أن الله خالقها وقد نصب الأنواء
دلائل وأمارات عليها لم يكفر ● **ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا ● فلا تطع الكافرين وجاهدهم
به جهادا كبيرا** ● يقول لرسوله صلى الله عليه وسلم ولو شئنا لخففنا عنك أعباء نذارة جميع القرى ولبعثنا في كل
قرية نبيا ينذرها وإنما قصرنا الأمر عليك وعظمناك به وأجللناك وفضلناك على سائر الرسل فقابل ذلك بالتشدد والتصبر
ولا تطع الكافرين فيما يريدونك عليه وإنما أراد بهذا تهييجه وتهييج المؤمنين وتحريكهم والضمير للقرآن أو لترك الطاعة الذي يدل عليه
ولا تطع والمراد أن الكفار يجدون ويجتهدون في توهين أمرك فقابلهم من جدك واجتهادك وعضك على نواجذك بما تغلبهم وتعلوهم
وجعله جهادا كبيرا لما يحتمل فيه من المشاق العظام ويجوز أن يرجع الضمير في به إلى ما دل عليه ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا من كونه
نذير كافة القرى لأنه لو بعث في كل قرية نذيرا لوجبت على كل نذير مجاهدة قريته فاجتمعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المجاهدات
كلها فكبر جهاده من أجل ذلك وعظم فقال له وجاهدهم بسبب كونك نذير كافة القرى جهادا كبيرا جامعا لكل مجاهدة ●
وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا
سمى الماءين الكثيرين الواسعين بحرين والفرات البليغ العذوبة حتى يضرب إلى الحلاوة والأجاج نقيضه ومرجهما خلاهما متجاورين
متلاصقين وهو بقدرته يفصل بينهما ويمنعهما التمازج وهذا من عظيم اقتداره وفي كلام بعضهم وبحران أحدهما مع الآخر ممروج وماء العذب
منهما بالأجاج ممزوج برزخا حائلا من قدرته كقوله تعالى بغير عمد ترونها يريد بغير عمد مرئية وهي قدرته وقرئ ملح على فعل وقيل كأنه
حذف من مالح تخفيفا كما قال وصليانا بردا يريد باردا **فإن قلت** وحجرا محجورا ما معناه **قلت**
هي الكلمة التي يقولها المتعوذ وقد فسرناها وهي ههنا واقعة على سبيل المجاز كأن كل واحد من البحرين يتعوذ من صاحبه ويقول له
حجرا محجورا كما قال لا يبغيان أي لا يبغي أحدهما على صاحبه بالممازجة فانتفاء البغي ثم كالتعوذ ههنا جعل كل واحد منهما في صورة الباغي
على صاحبه فهو يتعوذ منه وهي من أحسن الاستعارات وأشهدها على البلاغة ● **وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله
نسبا وصهرا وكان ربك قديرا** ● أراد فقسم البشر قسمين ذوي نسب أي ذكورا ينسب إليهم فيقال فلان بن فلان
وفلانة بنت فلان وذوات صهر أي إناثا يصاهر بهن ونحوه قوله تعالى فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى وكان ربك قديرا حيث خلق من النطفة
الواحدة بشرا نوعين ذكرا وأنثى ● **ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم وكان الكافر على
ربه ظهيرا** ● الظهير والمظاهر كالعوين والمعاون وفعيل بمعنى مفاعل غير عزيز والمعنى أن الكافر يظاهر الشيطان على ربه بالعداوة
والشرك روي أنها نزلت في أبي جهل ويجوز أن يريد بالظهير الجماعة كقوله تعالى والملائكة بعد ذلك ظهير كما جاء الصديق والخليط
ويريد بالكافر الجنس وأن بعضهم مظاهر لبعض على إطفاء نور دين الله تعالى وقيل معناه وكان الذي يفعل هذا الفعل وهو عبادة
ما لا ينفع ولا يضر على ربه هينا مهينا من قولهم ظهرت به إذا خلفته خلف ظهرك لا تلتفت إليه وهذا نحو قوله أولئك لا خلاق لهم في
الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم ● **وما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا ● قل ما أسألكم عليه من أجر
إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا** ● مثال إلا من شاء والمراد إلا فعل من شاء واستثناؤه عن الأجر قول

ذوي شفقة عليك قد سعى لك في تحصيل مال ما اطلب منك ثوابا على ما سعيت الا ان تحفظ هذا المال ولا تضيعه فليس حفظك
المال لنفسك من جنس الثواب ولكن صوره هو بصورة الثواب وسماه باسمه فافاد فائدتين احديهما قلع شبهة الطمع
في الثواب من اصله كانه يقول لك ان كان حفظك لمالك ثوابا فاني اطلب الثواب والثانية اظهار الشفقة البالغة وانك
ان حفظت مالك اعتد بحفظك ثوابا ورضي به كما يرضي المثاب بالثواب ولعمري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مع المبعوث اليهم
بهذا الصدد وفوقه ومعنى اتخاذهم الى الله سبيلا تقربهم اليه وطلبهم عنده الزلفى بالايمان والطاعة وقيل المراد التقرب بالصدقة
والنفقة في سبيل الله تعالى • وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده
خبيرا • الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش
الرحمن فاسأل به خبيرا • امره بان يثق به ويسند امره اليه في استكفاء شرورهم مع التمسك بقاعدة التوكل
واساس الالتجاء وهو طاعته وعبادته وتنزيهه وتحميده وعرفه ان الحي الذي لا يموت حقيق بان يتوكل عليه وحده ولا يتكل على غيره
من الاحياء الذين يموتون وعن بعض السلف انه قرأها فقال لا يصح لذي عقل ان يثق بعدها بمخلوق ثم اراه ان ليس اليه
من امر عباده شيء آمنوا ام كفروا وانه خبير باحوالهم كاف في جزاء اعمالهم في ستة ايام يعني في مدة مقدارها هذه المدة لانه
لم يكن حينئذ نهار ولا ليل وقيل ستة ايام من ايام الآخرة وكل يوم الف سنة والظاهر انها من ايام الدنيا وعن مجاهد
اولها يوم الاحد وآخرها الجمعة ووجهه ان يسمي الله تعالى لملائكته تلك الايام المقدرة بهذه الاسماء فلما خلق الشمس وادارها
وترتب امر العالم على ما هو عليه جرت التسمية على هذه الايام واما الداعي الى هذا العدد اعني الستة دون سائر الاعداد فلا نشك انه
داعي حكمة لعلمنا انه لا يقدر تقديرا الا بداعي حكمة وان كنا لا نطلع عليه ولا نهتدي الى معرفته ومن ذلك تقدير الملائكة الذين هم اصحاب النار
تسعة عشر وحملة العرش ثمانية والشهور اثنا عشر والسموات سبعا والارض كذلك والصلوات خمسا واعداد النصب والحدود والكفارات
وغير ذلك والاقرار بدواعي الحكمة في جميع افعاله وبان ما قدره حق وصواب هو الايمان وقد نص عليه في قوله وما جعلنا اصحاب النار الا
ملائكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين اوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا ايمانا ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب
والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا اراد الله بهذا مثلا ثم قال وما يعلم جنود ربك الا هو وهو الجواب ايضا في
ان لم يخلقها في لحظة وهو قادر على ذلك وعن سعيد بن جبير انما خلقها في ستة ايام وهو يقدر على ان يخلقها في لحظة تعليما لخلقه
الرفق والتثبت وقيل اجتمع خلقها يوم الجمعة فجعله الله تعالى عيدا للمسلمين الذي خلق مبتدأ والرحمن خبره او هو صفة
للحي والرحمن خبر مبتدأ محذوف او بدل من المستتر في استوى وقرئ الرحمن بالجر صفة للحي وقرئ فاسأل والباء في به صلة سل
كقوله سأل سائل بعذاب واقع كما تكون عن صلته في نحو قوله تعالى ثم لتسألن يومئذ عن النعيم فسأل به كقولك اهتم به واعتنى
به واشتغل به وسأل عنه كقولك بحث عنه وفتش عنه ونقر عنه او صلة خبيرا ويجعل خبيرا مفعول سل يريد فسل عنه رجلا عارفا
يخبرك برحمته او فسل رجلا خبيرا به وبرحمته او فسل بسؤاله خبيرا كقولك رأيت به اسدا اي برؤيته والمعنى ان سألته وجدته
خبيرا او تجعله حالا عن الهاء تريد فسل عنه عالما بكل شيء وقيل الرحمن اسم من اسماء الله تعالى مذكور في الكتب المتقدمة ولم
يكونوا يعرفونه فقيل فسل بهذا الاسم من يخبرك من اهل الكتاب حتى تعرف من ينكره ومن ثم كانوا يقولون ما نعرف الرحمن
الا الذي باليمامة يعنون مسيلمة وكان يقال له رحمن اليمامة • واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا انسجد
لما تأمرنا وزادهم نفورا • وما الرحمن يجوز ان يكون سؤالا عن المسمى به لانهم ما كانوا يعرفونه بهذا الاسم والسؤال
عن المجهول بما ويجوز ان يكون سؤالا عن معناه لانه لم يكن مستعملا في كلامهم كما استعمل الرحيم والرحوم والراحم او لانهم انكروا اطلاقه
على الله تعالى لما تأمرنا يعني تأمرنا بسجوده على قوله امرتك الخير او لامر لنا وقرئ بالياء كان بعضهم قال لبعض انسجد لما يأمرنا محمد
او يأمرنا المسمى بالرحمن ولا نعرف ما هو وفي زادهم ضمير اسجدوا للرحمن لانه هو المقول • تبارك الذي جعل في السماء
بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا • البروج منازل الكواكب السبعة السيارة الحمل والثور والجوزاء
والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت سميت بالبروج التي هي القصور العالية
لانها لهذه الكواكب كالمنازل لسكانها واشتقاق البرج من التبرج لظهوره والسراج الشمس كقوله تعالى وجعل الشمس سراجا
وقرئ سرجا وهي الشمس والكواكب الكبار معها وقرأ الحسن والاعمش وقمرا منيرا وهي جمع ليلة قمراء كانه قيل وذا قمر منيرا
لان الليالي تكون قمرا بالقمر فاضافه اليها ونظيره في بقاء حكم المضاف بعد سقوطه وقيام المضاف اليه مقامه قول حسان

يروّي يصفق بالرحيق السلسل • يريد ماء بردى ولا يبعد ان يكون القمر بمعنى القمر كالرشد والرشد والعرب والعرب
• وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا • الخلفة من خلف
كالركبة من ركب وهي الحالة التي يخلف عليها الليل والنهار كل واحد منهما الآخر والمعنى جعلهما ذوي خلفة اي ذوي عقبة
يعقب هذا ذاك وذاك هذا ويقال الليل والنهار يختلفان كما يقال يعتقبان ومنه قوله واختلاف الليل والنهار ويقال
بفلان خلفة واختلاف اذا اختلف كثيرا الى متبرزه وقرئ يذكر ويذكر وعن ابي بن كعب يتذكر والمعنى لينظر في اختلافهما
الناظر فيعلم ان لا بد لانتقالهما من حال الى حال وتغيرهما من ناقل ومغير ويستدل بذلك على عظم قدرته ويشكر الشاكر
على النعمة فيهما من السكون بالليل والتصرف بالنهار كما قال عز وجل ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا
من فضله وليكونا وقتين للمتذكرين والشاكرين من فاته في احدهما ورده من العبادة قام به في الآخر وعن الحسن رحمه الله تعالى
من فاته عمله من التذكر والشكر بالنهار كان له في الليل مستعتب ومن فاته بالليل كان له في النهار مستعتب
• وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما • وعباد الرحمن
مبتدأ خبره في آخر السورة كانه قيل وعباد الرحمن الذين هذه صفاتهم اولئك يجزون الغرفة ويجوز ان يكون خبره الذين
يمشون واضافهم الى الرحمن تخصيصا وتفضيلا وقرئ وعباد الرحمن وقرئ يمشون هونا حال او صفة للمشي بمعنى
هينين او مشيا هينا الا ان في وضع المصدر موضع الصفة مبالغة والهون الرفق واللين ومنه الحديث احبب حبيبك
هونا ما وقوله المؤمنون هينون لينون والمثل اذا عز اخوك فهن ومعناه اذا عاسر فياسر والمعنى انهم يمشون بسكينة
ووقار وتواضع لا يضربون باقدامهم ولا يخفقون بنعالهم اشرا وبطرا ولذلك كره بعض العلماء الركوب في الاسواق
سلاما تسلما منكم نتاركم ومتاركة لا خير بيننا ولا شر اي نتسلم منكم تسلما فاقيم السلام مقام التسلم وقيل
قالوا سدادا من القول يسلمون فيه من الايذاء والاثم والمراد بالجهل السفه وقلة الادب وسوء الرعة من قوله
الا لا يجهلن احد علينا • فنجهل فوق جهل الجاهلينا • وعن ابي العالية نسختها آية القتال ولا حاجة الى ذلك لان الاغضاء
عن السفهاء وترك المقابلة مستحسن في الادب والمروءة والشريعة واسلم للعرض والورع • والذين يبيتون لربهم
سجدا وقياما • البيتوتة خلاف الظلول وهي ان يدركك الليل نمت او لم تنم وقالوا من قرأ شيئا من القرآن في صلاة
وان قل فقد بات ساجدا وقائما وقيل هما الركعتان بعد المغرب والركعتان بعد العشاء والظاهر انه وصف لهم باحياء الليل
او اكثره يقال فلان يظل صائما ويبيت قائما • والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها
كان غراما • غراما هلاكا وخسرانا ملحا لازما قال • يوم النسار ويوم الجفار • كانا عذابا وكانا غراما • وقال ان يعاقب
يكن غراما وان يعط جزيلا فانه لا يبالي • ومنه الغريم لالحاحه والزامه وصفهم باحياء الليل ساجدين وقائمين ثم عقبه
بذكر دعوتهم هذه ايذانا بانهم مع اجتهادهم خائفون مبتهلون الى الله تعالى في صرف العذاب عنهم كقوله والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة
• انها ساءت مستقرا ومقاما • ساءت في حكم بئست وفيها ضمير مبهم يفسره مستقرا والمخصوص بالذم محذوف
معناه ساءت مستقرا ومقاما هي وهذا الضمير هو الذي ربط الجملة باسم ان وجعلها خبرا لها ويجوز ان يكون ساءت بمعنى
احزنت وفيها ضمير اسم ان ومستقرا حال او تمييز والتعليلان يصح ان يكونا متداخلين ومترادفين وان يكونا من كلام الله تعالى
وحكاية لقولهم • والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما •
يقتروا بكسر التاء وضمها ويقتروا بتخفيف التاء وتشديدها والقتر والاقتار والتقتير التضييق الذي هو نقيض الاسراف
والاسراف مجاوزة الحد في النفقة ووصفهم بالقصد الذي هو بين الغلو والتقصير وبمثله امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وقيل الاسراف انما هو الانفاق في المعاصي فاما القرب فلا اسراف
وسمع رجل رجلا يقول لا خير في الاسراف فقال لا اسراف في الخير وعن عمر بن عبد العزيز انه شكر عبد الملك بن مروان
حين زوجه ابنته واحسن اليه فقال وصلت الرحم وفعلت وصنعت فقال ابن لعبد الملك انما هو كلام اعده لهذا المقام
فسكت عبد الملك فلما كان بعد ايام دخل عليه والابن حاضر فسأله عن نفقته واحواله فقال الحسنة بين السيئتين فعرف
عبد الملك انه اراد ما في هذه الآية فقال لابنه يا بني اهذا ايضا مما اعده وقيل اولئك اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا لا يأكلون
طعاما للتنعم واللذة ولا يلبسون ثوبا للجمال والزينة ولكن كانوا يأكلون ما يسد جوعهم ويعينهم على عبادة ربهم ويلبسون

ما يستر عوراتهم ويكنّهم من الحر والقر وقال عمر رضي الله عنه كفى سرفا ان لا يشتهي رجل شيئا الا اشتراه فاكله والقوام العدل
بين الشيئين لاستقامة الطرفين واعتدالهما ونظير القوام من الاستقامة السواء من الاستواء وقرئ قواما بالكسر وهو ما يقام
الشيء يقال انت قوامنا بمعنى ما يقام به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص والمنصوبان اعني بين ذلك لغو وقواما مستقرا وان
يكون الظرف خبرا وقواما حالا مؤكدة واجاز الفراء ان يكون بين ذلك اسم كان على انه مبني لاضافته الى غير متمكن كقوله
لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت ● وهو من جهة الاعراب لا بأس به ولكن المعنى ليس بقوي لان ما بين الاسراف والتقتير قوام لا محالة
فليس في الخبر الذي هو معتمد الفائدة فائدة ● والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس
التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما ● حرم الله اي حرمها والمعنى حرم
قتلها الا بالحق يتعلق بهذا القتل المحذوف او بلا يقتلون ونفي هذه المقبحات العظام عن الموصوفين بتلك الخلال العظيمة
في الدين للتعريض بما كان عليه اعداء المؤمنين من قريش وغيرهم كأنه قيل والذين براهم الله وطهرهم مما انتم عليه والقتل بغير
حق يدخل فيه الوأد وغيره وعن ابن مسعود رضي الله عنه قلت يا رسول الله اي الذنب اعظم قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك
قلت ثم اي قال ان تقتل ولدك خشية ان يأكل معك قلت ثم اي قال ان تزاني حليلة جارك فانزل الله تصديقه
وقرئ يلق فيه اثاما وقرئ يلقى باثبات الالف وقد مر مثله والاثام جزاء الاثم بوزن الوبال والنكال ومعناهما قال
جزى الله ابن عروة حيث امسى ● عقوقا والعقوق له اثام وقيل هو الاثم ومعناه يلق جزاء اثام وقرأ ابن مسعود
اياما اي شدائد يقال يوم ذو ايام لليوم العصيب ● يضاعف له العذاب يوم القيمة ويخلد فيه مهانا
الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله
غفورا رحيما ● ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا ● يضاعف بدل من يلق لانهما في معنى واحد
كقوله متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا ● تجد حطبا جزلا ونارا تأججا وقرئ يضعف ويضعف له العذاب وقرئ بالرفع على
الاستئناف او على الحال وكذلك يخلد وقرئ ويخلد على البناء للمفعول مخففا ومثقلا من الاخلاد والتخليد وقرئ وتخلد بالتاء
على الالتفات يبدل مخفف ومثقل وكذلك سيئاتهم فان قلت ما معنى مضاعفة العذاب وابدال الحسنات سيئات
قلت اذا ارتكب المشرك معاصي مع الشرك عذب على الشرك وعلى المعاصي جميعا فتضاعف العقوبة لمضاعفة المعاقب عليه
وابدال السيئات حسنات انه يمحوها بالتوبة ويثبت مكانها الحسنات الايمان والطاعة والتقوى وقيل يبدلهم بالشرك ايمانا
وبقتل المسلمين قتل المشركين وبالزنا عفة واحصانا يريد ومن يترك المعاصي ويندم عليها ويدخل في العمل الصالح فانه بذلك
تائب الى الله متابا الذي يعرف حق التائبين ويفعل بهم ما يستوجبون والذي يحب التوابين ويحب المتطهرين وفي كلام
بعض العرب لله افرح بتوبة العبد من المضل الواجد والظمآن الوارد والعقيم الوالد ● والذين لا يشهدون
الزور واذا مروا باللغو مروا كراما ● والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها
صما وعميانا ● والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين واجعلنا
للمتقين اماما ● اولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما خالدين
فيها حسنت مستقرا ومقاما ● قل ما يعبؤا بكم ربي لولا دعاؤكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاما
يحتمل انهم ينفرون عن محاضر الكذابين ومجالس الخطائين فلا يحضرونها ولا يقربونها تنزها عن مخالطة الشر واهله وصيانة
لدينهم عما يثلمه لان مشاهدة الباطل شركة فيه وكذلك قيل في النظارة الى كل ما لم تسوغه الشريعة هم شركاء فاعليه في الاثم لان
حضورهم ونظرهم دليل الرضا به وسبب وجوده والزيادة فيه لان الذي سلط على فعله هو استحسان النظارة ورغبتهم في
النظر اليه وفي مواعظ عيسى بن مريم صلوات الله وسلامه عليه اياكم ومجالس الخطائين ويحتمل انهم لا يشهدون شهادة
الزور فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وعن قتادة مجالس الباطل وعن ابن الحنفية اللهو والغناء وعن مجاهد اعياد
المشركين اللغو كل ما ينبغي ان يلغى ويطرح والمعنى واذا مروا باهل اللغو والمشتغلين به مروا معرضين عنهم مكرمين انفسهم عن التوقف
عليهم والخوض معهم كقوله واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين وعن الحسن
لم تسفههم المعاصي وقيل اذا سمعوا من الكفار الشتم والاذى اعرضوا وصفحوا وقيل اذا ذكروا النكاح كنوا عنه لم يخروا عليها
ليس بنفي للخرور انما هو اثبات له ونفي للصمم والعمى كما تقول لا يلقاني زيد مسلما هو نفي للسلام لا للقاء والمعنى انهم اذا ذكروا بها

او فانه يرجع الى الله والى ثوابه مرجعا حسنا واي مرجع

اكبوا

اكبوا عليها حرصا على استماعها واقبلوا على المذكر بها وهم في اكبابهم عليها سامعون باذان واعية مبصرون بعيون راعية
لا كالذين يذكرون بها فتراهم مكبين عليها مقبلين على من يذكر بها مظهرين الحرص الشديد على استماعها وهم كالصم العميان
حيث لا يعونها ولا يبصرون ما فيها كالمنافقين واشباههم وقرئ ذريتنا وذرياتنا وقرة اعين وقرات اعين سألوا ربهم ان
يرزقهم ازواجا واعقابا عمالا لله يسرون بمكانهم وتقر بهم عيونهم وعن محمد بن كعب ليس شيء اقر لعين المؤمن من ان يرى
زوجته واولاده مطيعين لله وعن ابن عباس هو الولد اذا رآه يكتب الفقه وقيل سألوا ان يلحق الله تعالى بهم ازواجهم
وذرياتهم في الجنة ليتم لهم سرورهم اراد ائمة فاكتفى بالواحد لدلالته على الجنس ولعدم اللبس كقوله تعالى ثم يخرجكم طفلا او اراد
واجعل كل واحد منا اماما او اراد جمع آم كصائم وصيام او ارادوا واجعلنا اماما واحدا لاتحادنا واتفاق كلمتنا وعن بعضهم
في الآية ما يدل على ان الرياسة في الدين يجب ان تطلب ويرغب فيها وقيل نزلت هذه الآيات في العشرة المبشرين بالجنة
فان قلت من في من ازواجنا ما هي قلت يحتمل ان تكون بيانية كانه قيل هب لنا قرة اعين ثم بينت
القرة وفسرت بقوله من ازواجنا وذرياتنا ومعناه ان يجعلهم الله تعالى لهم قرة اعين وهو من قولك رأيت منك
اسدا اي انت اسد وان تكون ابتدائية على معنى هب لنا من جهتهم ما تقر به عيوننا من طاعة وصلاح فان قلت
لم قال قرة اعين فنكر وقلل قلت اما التنكير فلاجل تنكير القرة لان المضاف لا سبيل الى تنكيره الا بتنكير المضاف
اليه كانه قال هب لنا منهم سرورا وفرحا وانما قيل اعين دون عيون لانه اراد اعين المتقين وهي قليلة بالاضافة
الى عيون غيرهم قال الله تعالى وقليل من عبادي الشكور ويجوز ان يقال في تنكير اعين انها اعين خاصة وهي اعين المتقين
المراد يجزون الغرفات وهي العلالي في الجنة فوحد اقتصارا على الواحد الدال على الجنس والدليل على ذلك قوله وهم في الغرفات
آمنون وقراءة من قرأ في الغرفة بما صبروا بصبرهم على الطاعات وعن الشهوات وعلى اذى الكفار ومجاهدتهم وعلى الفقر
وغير ذلك واطلاقه لاجل الشياع في كل مصبور عليه وقرئ يلقون لقوله ولقاهم نضرة ويلقون كقوله تعالى يلق اثاما والتحية
دعاء بالتعمير والسلام دعاء بالسلامة يعني ان الملائكة يحيونهم ويسلمون عليهم او يحيي بعضهم بعضا ويسلم عليه او يعطون التبقية والتخليد
مع السلامة من كل آفة اللهم وفقنا لطاعتك واجعلنا مع اهل رحمتك وارزقنا ما رزقتهم في دار رضوانك لما وصف
عبادة العباد وعدد صالحاتهم وحسناتهم واثنى عليهم من اجلها ووعدهم الرفع من درجاتهم في الجنة اتبع ذلك بيان انه انما اكترث
لاولئك وعبأ بهم واعلى ذكرهم ووعدهم ما وعدهم لاجل عبادتهم فامر ان يصرح للناس ويجزم لهم القول بان الاكتراث لهم عند
ربهم انما هو للعبادة وحدها لا لمعنى آخر ولولا عبادتهم لم يكترث لهم البتة ولم يعتد بهم ولم يكونوا عنده شيئا يبالى به والدعاء العبادة
وما متضمنة لمعنى الاستفهام وهي في محل النصب وهي عبارة عن المصدر كانه قيل واي عبء يعبأ بكم لولا دعاؤكم يعني انكم لا تستأهلون
شيئا من العبء بكم لولا عبادتكم وحقيقة قولهم ما عبأت به ما اعتددت به من فوادح همومي ومما يكون عبأ علي كما يقولون
ما اكترثت له اي ما اعتددت به من كوارثي ومما يهمني وقال الزجاج في تأويل ما يعبأ بكم ربي اي وزن يكون لكم عنده ويجوز ان تكون ما
نافية فقد كذبتم يقول اذا اعلمتكم ان حكمي اني لا اعتد بعبادي الا لعبادتهم فقد خالفتم بتكذيبكم حكمي فسوف يلزمكم اثر تكذيبكم
حتى يكبكم في النار ونظيره في الكلام ان يقول الملك لمن استعصى عليه ان من عادتي ان احسن الى من يطيعني ويتبع امري فقد
عصيت فسوف ترى ما احل بك بسبب عصيانك وقيل معناه ما يصنع بكم ربي لولا دعاؤه اياكم الى الاسلام وقيل ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه
آلهة فان قلت الى من يتوجه هذا الخطاب قلت الى الناس على الاطلاق ومنهم مؤمنون عابدون ومكذبون عاصون
فخوطبوا بما وجد في جنسهم من العبادة والتكذيب وقرئ فقد كذب الكافرون وقيل يكون العذاب لزاما وعن مجاهد هو القتل يوم بدر وانه
لوزم بين القتلى لزاما وقرئ لزاما بالفتح بمعنى اللزوم كالثبات والثبوت والوجه ان ترك اسم كان غير منطوق به بعدما علم
مما توعد به لاجل الابهام وتناول ما لا يكتنهه الوصف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفرقان لقي الله وهو
يوم القيمة وهو مؤمن بان الساعة آتية لا ريب فيها وادخل الجنة بغير نصب ○

سورة الشعراء مكية

الا قوله تعالى والشعراء الى آخر السورة وهي مائتان وسبع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم ● طسم ● تلك آيات الكتاب المبين

طسم بتفخيم الألف وإمالتها وإظهار النون وإدغامها الكتاب المبين الظاهر إعجازه وصحة أنه من عند الله والمراد به السورة أو القرآن والمعنى آيات هذا المؤلف من الحروف المبسوطة تلك آيات الكتاب المبين **لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين ● إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين**

البخع أن تبلغ بالذبح النخاع وهو عرق مستبطن الفقار وذلك أقصى حد الذابح ولعل للإشفاق يعني أشفق على نفسك أن تقتلها حسرة على ما فاتك من إسلام قومك ألا يكونوا مؤمنين لئلا يؤمنوا أو لامتناع إيمانهم أو خيفة أن لا يكونوا وعن قتادة باخع نفسك على الإضافة أراد آية ملجئة إلى الإيمان قاسرة عليه كما نتق الجبل فوق بني إسرائيل فظلت معطوف على الجزاء الذي هو ننزل لأنه لو قيل أنزلنا لكان صحيحا ونظيره فأصدق وأكن كأنه قيل أصدق وقد قرئ لو شئنا لأنزلنا وقرئ فتظل أعناقهم **فإن قلت** كيف صح مجيء خاضعين خبرا عن الأعناق **قلت** أصل الكلام فظلوا لها خاضعين فأقحمت الأعناق لبيان موضع الخضوع وترك الكلام على أصله كقولهم ذهبت أهل اليمامة كأن الأهل غير مذكورين لما وصفت بالخضوع الذي هو للعقلاء قيل خاضعين كقوله لي ساجدين وقيل أعناق الناس رؤساؤهم ومقدموهم شبهوا بالأعناق كما قيل لهم الرؤس والنواصي والصدور قال في محفل من نواصي الناس مشهود وقيل جماعات الناس يقال جاءنا عنق من الناس لفوج منهم وقرئ فظلت أعناقهم لها خاضعة وعن ابن عباس نزلت هذه الآية فينا وفي بني أمية قال ستكون لنا عليهم الدولة فتذل لنا أعناقهم بعد صعوبة ويلحقهم هوان بعد عزة **● وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث إلا كانوا عنه معرضين ● فقد كذبوا فسيأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزءون ● أولم يروا إلى الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم ● إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين ● وإن ربك لهو العزيز الرحيم ●** أي وما يجدد الله تعالى لهم من توجيه موعظة وتذكير إلا جددوا إعراضا عنه وكفرا به **فإن قلت** كيف خولف بين الألفاظ والغرض واحد وهو الإعراض والتكذيب والاستهزاء **قلت** إنما خولف بينها لاختلاف الأغراض كأنه قيل حين أعرضوا عن الذكر فقد كذبوا به وحين كذبوا به فقد خف عندهم قدره وصار عرضة للاستهزاء والسخرية لأن من كان قابلا للحق مقبلا عليه كان مصدقا به لا محالة ولم يظن به التكذيب ومن كان مصدقا به كان موقرا له فسيأتيهم وعيد لهم وإنذار بأنهم سيعلمون إذا مسهم عذاب الله يوم بدر ويوم القيامة ما الشيء الذي كانوا يستهزءون به وهو القرآن وسيأتيهم أنباؤه وأحواله التي كانت خافية عليهم وصف الزوج وهو الصنف من النبات بالكرم والكريم صفة لكل ما يرضى ويحمد في بابه يقال وجه كريم إذا رضي في حسنه وجماله وكتاب كريم مرضي في معانيه وفوائده وقال حتى يشق الصفوف من كرمه أي من كونه مرضيا في شجاعته وبأسه والنبات الكريم المرضي فيما يتعلق به من المنافع إن في إنبات تلك الأصناف لآية على أن منبتها قادر على إحياء الموتى وقد علم الله أن أكثرهم مطبوع على قلوبهم غير مرجو إيمانهم وإن ربك لهو العزيز في انتقامه من الكفرة الرحيم لمن تاب وآمن وعمل صالحا **فإن قلت** ما معنى الجمع بين كم وكل ولو قيل كم أنبتنا فيها من زوج كريم **قلت** قد دل كل على الإحاطة بأزواج النبات على سبيل التفصيل وكم على أن هذا المحيط متكاثر مفرط الكثرة فهذا معنى الجمع بينهما وبه نبه على كمال قدرته **فإن قلت** فما معنى وصف الزوج بالكريم **قلت** يحتمل معنيين أحدهما أن النبات على نوعين نافع وضار فذكر كثرة ما أنبت في الأرض من جميع أصناف النبات النافع وخلى ذكر الضار والثاني أن يعم جميع النبات نافعه وضاره ويصفهما جميعا بالكرم وينبه على أنه ما أنبت شيئا إلا وفيه فائدة لأن الحكيم لا يفعل فعلا إلا لغرض صحيح ولحكمة بالغة وإن غفل عنها الغافلون ولم يتوصل إلى معرفتها العاقلون **فإن قلت** فحين ذكر الأزواج ودل عليها بكلمتي الكثرة والإحاطة وكانت بحيث لا يحصيها إلا عالم الغيب كيف قال إن في ذلك لآية وهلا قال آيات **قلت** فيه وجهان أن يكون ذلك مشارا به إلى مصدر أنبتنا فكأنه قال إن في الإنبات لآية أي آية وأن يراد أن في كل واحد من تلك الأزواج لآية وقد سبق لهذا الوجه نظير **● وإذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين ● قوم فرعون ألا يتقون ● قال رب إني أخاف أن يكذبون ● ويضيق صدري ولا ينطلق لساني فأرسل إلى هارون ● ولهم علي ذنب فأخاف أن يقتلون ●**

سجل عليهم بالظلم بأن قدم القوم الظالمين ثم عطفهم عليهم عطف البيان كأن معنى القوم الظالمين وترجمته قوم فرعون وكأنهما عبارتان تعتقبان على مؤدى واحد إن شاء ذاكرهم عبر عنهم بالقوم الظالمين وإن شاء عبر بقوم فرعون وقد استحقوا هذا الاسم من جهتين من جهة ظلمهم أنفسهم بكفرهم وشرارتهم ومن جهة ظلمهم لبني إسرائيل باستعبادهم لهم قرئ ألا يتقون بكسر النون بمعنى ألا يتقونني فحذفت النون لاجتماع النونين والياء للاكتفاء بالكسرة **فإن قلت** بم تعلق قوله ألا يتقون **قلت** هو كلام مستأنف أتبعه عز وجل إرساله إليهم للإنذار والتسجيل عليهم بالظلم تعجيبا لموسى عليه السلام من حالهم التي شنعت في الظلم والعسف ومن أمنهم العواقب وقلة خوفهم وحذرهم من أيام الله ويحتمل أن يكون ألا يتقون حالا من الضمير في الظالمين أي يظلمون غير متقين الله وعقابه فأدخلت همزة الإنكار على الحال وأما من قرأ ألا تتقون على الخطاب فعلى طريقة الالتفات إليهم وجبههم وضرب وجوههم بالإنكار والغضب عليهم كما ترى من يشكو من ركب جناية إلى بعض أخصائه والجاني حاضر فإذا اندفع في الشكاية وحر مزاجه وحمي غضبه قطع مباثة صاحبه وأقبل على الجاني يوبخه ويعنفه ويقول له ألم تتق الله ألم تستح من الناس **فإن قلت** فما فائدة هذا الالتفات والخطاب مع موسى عليه السلام في وقت المناجاة والملتفت إليهم غيب لا يشعرون **قلت** إجراء ذلك في تكليم المرسل إليهم في معنى إجرائه بحضرتهم وإلقائه إلى مسامعهم لأنه مبلغه ومنهيه وناشره بين الناس وله فيه لطف وحث على زيادة التقوى وكم من آية أنزلت في شأن الكافرين وفيها أوفر نصيب للمؤمنين تدبرا لها واعتبارا بموردها وفي ألا يتقون بالياء وكسر النون وجه آخر وهو أن يكون المعنى ألا يا ناس اتقون كقوله تعالى ألا يا اسجدوا ويضيق وينطلق بالرفع لأنهما معطوفان على خبر إن وبالنصب لعطفهما على صلة أن والفرق بينهما في المعنى أن الرفع يفيد أن فيه ثلاث علل خوف التكذيب وضيق الصدر وامتناع انطلاق اللسان والنصب على أن خوفه متعلق بهذه الثلاثة **فإن قلت** في النصب تعليق الخوف بالأمور الثلاثة وفي جملتها نفي انطلاق اللسان وحقيقة الخوف إنما هي غم يلحق الإنسان لأمر سيقع وذلك كان واقعا فكيف جاز تعليق الخوف به **قلت** قد علق الخوف بتكذيبهم وبما يحصل له بسببه من ضيق الصدر والحبسة في اللسان زائدة على ما كان به على أن تلك الحبسة التي كانت به قد زالت بدعوته وقيل بقيت منها بقية يسيرة **فإن قلت** اعتذارك هذا يرده الرفع لأن المعنى إني خائف ضيق الصدر غير منطلق اللسان **قلت** يجوز أن يكون هذا قبل الدعوة واستجابتها ويجوز أن يريد القدر اليسير الذي بقي به ويجوز أن لا يكون مع حل العقدة من لسانه من الفصحاء المصاقع الذين أوتوا سلاطة الألسنة وبسطة المقال وهرون كان بتلك الصفة فأراد أن يقرن به ويدل عليه قوله عز وجل وأخي هرون هو أفصح مني لسانا ومعنى فأرسل إلى هرون أرسل إليه جبريل واجعله نبيا وأزرني به واشدد به عضدي وهذا الكلام مختصر وقد بسطه في غير هذا الموضع وقد أحسن في الاختصار حيث قال فأرسل إلى هرون فجاء بما يتضمن معنى الاستنباء ومثله في تقصير الطويلة والحسن فقلنا اذهبا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميرا حيث اقتصر على ذكر طرفي القصة أولها وآخرها وهما الإنذار والتدمير ودل بذكرهما على ما هو الغرض من القصة الطويلة كلها وهو أنهم قوم كذبوا بآيات الله فأراد الله إلزام الحجة عليهم فبعث إليهم رسولين فكذبوهما فأهلكهم **فإن قلت** كيف ساغ لموسى أن يأمره الله تعالى بأمر فلا يتقبله بسمع وطاعة من غير توقف وتشبث بعلل وقد علم أن الله من ورائه **قلت** قد امتثل وتقبل ولكنه التمس من ربه أن يعضده بأخيه حتى يتعاونا على تنفيذ أمره وتبليغ رسالته فمهد قبل التماسه عذره فيما التمسه ثم التمس بعد ذلك وتمهيد العذر في التماس المعين على تنفيذ الأمر ليس بتوقف في امتثال الأمر ولا بتعلل فيه وكفى بطلب العون دليلا على التقبل لا على التعلل أراد بالذنب قتله القبطي وقيل كان خباز فرعون واسمه فاتون يعني ولهم علي تبعة ذنب وهي قود ذلك القتل فأخاف أن يقتلوني به فحذف المضاف أو سمى تبعة الذنب ذنبا كما سمى جزاء السيئة سيئة **● قال كلا فاذهبا بآياتنا إنا معكم مستمعون ● فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين ● أن أرسل معنا بني إسرائيل ● قال ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين ● وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين ● قال فعلتها إذا وأنا من الضالين ● ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما وجعلني من المرسلين ●** **فإن قلت** قد أبيت أن تكون تلك الثلاث عللا وجعلتها تمهيدا للعذر فيما التمسه فما قولك في هذه الرابعة **قلت** هذه استدفاع للبلية المتوقعة وفرق من أن يقتل قبل أداء الرسالة فكيف يكون تعللا والدليل عليه ما جاء بعده من كلمة الردع والموعد بالكلاءة والدفع جمع الله تعالى له الاستجابتين معا في قوله كلا فاذهبا لأنه استدفعه بلاءهم فوعده الدفع بردعه عن الخوف والتمس منه المؤازرة بأخيه فأجابه بقوله فاذهبا أي اذهب أنت والذي طلبته وهو هرون **فإن قلت** علام عطف قوله فاذهبا **قلت**

على الفعل الذي يدل عليه كلا كأنه قيل ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب انت وهرون وقوله انا معكم مستمعون من مجاز الكلام
يريد انا لكما ولعدوكما كالناصر المظاهر لكما عليه اذا حضر واستمع ما يجري بينكما وبينه فاظهركما واغلبكما واكسر شوكته عنكما وانكسه
ويجوز ان يكونا خبرين لان او يكون مستمعون مستقرا ومعكم لغوا **فان قلت** لم جعلت مستمعون قرينة معكم في كونه من باب
المجاز والله تعالى يوصف على الحقيقة بانه سميع وسامع **قلت** ولكن لا يوصف بالسمع على الحقيقة لان الاستماع جار
مجرى الاصغاء والاستماع من السمع بمنزلة النظر من الرؤية ومنه قوله تعالى قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا
قرآنا عجبا ويقال استمع الى حديثه اي اصغى اليه واراد كيفية السمع ومنه قوله صلى الله عليه وسلم من استمع الى حديث قوم وهم له
كارهون صب في اذنيه البرم **فان قلت** هلا ثني الرسول كما ثني في قوله انا رسولا ربك **قلت** الرسول
يكون بمعنى المرسل وبمعنى الرسالة فجعله ثم بمعنى المرسل فلم يكن بد من تثنيته وجعله ههنا بمعنى الرسالة فجازت التسوية
فيه اذا وصف به بين الواحد والتثنية والجمع كما يفعل بالصفة بالمصادر نحو صوم وزور قال: الكني اليها وخير الرسول
اعلمهم بنواحي الخبر فجعله للجماعة والشاهد في الرسول بمعنى الرسالة قوله لقد كذب الواشون ما فهت عندهم بسر ولا
ارسلتهم برسول ويجوز ان يوحد لان حكمهما لتساندهما واتفاقهما على شريعة واحدة واتحادهما لذلك وللاخوة كان
حكما واحدا فكانهما رسول واحد او اريد ان كل واحد منا ان ارسل بمعنى اي ارسل لتضمن الرسول معنى الارسال وتقول ارسلت
اليك ان افعل كذا لما في الارسال من معنى القول كما في المناداة والكتابة ونحو ذلك ومعنى هذا الارسال التخلية والاطلاق كقولك
ارسل البازي يريد خلهم يذهبوا معنا الى فلسطين وكانت مسكنهما وروي انهما انطلقا الى باب فرعون فلم يؤذن لهما
حتى قال البواب ههنا انسان يزعم انه رسول رب العالمين فقال ائذن له لعلنا نضحك منه فاديا اليه الرسالة فعرف موسى
فقال الم نربك فحذف فاتيا فرعون فقالا له ذلك لانه معلوم لا يشتبه وهذا النوع من الاختصار كثير في التنزيل الوليد الصبي لقرب
عهده من الولادة وفي رواية عن ابي عمرو من عمرك بسكون الميم سنين قيل مكث عندهم ثلاثين سنة وقيل وكز القبطي وهو
ابن ثنتي عشرة سنة وفر على اثرها والله اعلم بصحيح ذلك وعن الشعبي فعلتك بالكسر وهو قتلة القبطي لانه قتله بالوكز وهو
ضرب من القتل واما الفعلة فلانها كانت وكزة واحدة عدد عليه نعمة من تربيته وتبليغه مبلغ الرجال ووبخه بما جرى على يده
من قتل خبازه وعظم ذلك وفخمه بقوله وفعلت فعلتك التي فعلت وانت من الكافرين يجوز ان يكون حالا اي قتلته وانت لذاك
من الكافرين بنعمتي او انت اذ ذاك ممن تكفرهم الساعة وقد افترى عليه او جهل امره لانه كان يعايشهم بالتقية فان الله عز وعلا
عاصم من يريد ان يستنبئه من كل كبيرة ومن بعض الصغائر فما بال الكفر ومن كانت عادته كفران النعم لم يكن قبل خواص المنعم عليهم
بدعائه او بانه من الكافرين بفرعون والهيته او من الذين كانوا يكفرون في دينهم فقد كانت لهم آلهة يعبدونهم يشهد لذلك قوله تعالى
ويذرك وآلهتك وقرئ والهتك فاجابه موسى صلوات الله عليه بان تلك الفعلة انما فرطت منه وهو من الضالين اي الجاهلين
وقراءة ابن مسعود من الجاهلين مفسرة والمعنى من الفاعلين فعل اولي الجهل والسفه كما قال يوسف لاخوته هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه
اذ انتم جاهلون او المخطئين كمن يقتل خطأ من غير تعمد للقتل او الذاهبين عن الصواب او الناسين من قوله تعالى ان تضل احديهما
فتذكر احديهما الاخرى وكذب فرعون ودفع الوصف بالكفر عن نفسه وبرأ ساحته بان وضع الضالين موضع الكافرين ربا
بمحل من رشح للنبوة عن تلك الصفة ثم كر على امتنانه عليه بالتربية فابطله من اصله واستأصله من سنخه وابى ان يسمي نعمته الا نقمة
حيث بين ان حقيقة انعامه عليه تعبيد بني اسرائيل لان تعبيدهم وقصدهم بذبح ابنائهم هو السبب في حصوله عنده وتربيته فكانه
امتن عليه بتعبيد قومه اذا حققت وتعبيدهم تذليلهم واتخاذهم عبيدا يقال عبدت الرجل واعبدته اذا اتخذته عبدا قال
علام يعبدني قومي وقد كثرت فيهم اباعر ما شاؤوا وعبدان **فان قلت** اذا جواب وجزاء معا والكلام وقع جوابا لفرعون فكيف
وقع جزاء **قلت** قول فرعون وفعلت فعلتك فيه معنى انك جازيت نعمتي بما فعلت فقال له موسى نعم فعلتها مجازيا لك
تسليما لقوله لان نعمته كانت عنده جديرة بان تجازى بنحو ذلك الجزاء **فان قلت** لم جمع الضمير في منكم وخفتكم مع افراده
في تمنها وعبدت **قلت** الخوف والفرار لم يكونا منه وحده ولكن منه ومن ملائه المؤتمرين بقتله بدليل قوله ان الملأ يأتمرون
بك ليقتلوك واما الامتنان فمنه وحده وكذلك التعبيد

وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل
قال فرعون وما رب العالمين قال رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين قال
لمن حوله الا تستمعون قال ربكم ورب آبائكم الاولين قال ان رسولكم الذي ارسل اليكم

لمجنون قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون قال لئن اتخذت الها غيري
لاجعلنك من المسجونين قال اولو جئتك بشيء مبين قال فأت به ان كنت من الصادقين
فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين

فان قلت تلك اشارة الى ماذا وان عبدت ما محلها من الاعراب **قلت** تلك اشارة الى خصلة شنعاء مبهمة لا يدرى ما هي الا بتفسيرها ومحل
ان عبدت الرفع عطف بيان لتلك ونظيره قوله تعالى وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع والمعنى تعبيدك بني اسرائيل
نعمة تمنها علي وقال الزجاج ويجوز ان يكون ان في موضع نصب المعنى انما صارت نعمة علي لان عبدت بني اسرائيل اي لو لم تفعل
ذلك لكفلني اهلي ولم يلقوني في اليم لما قال له بوابان ههنا من يزعم انه رسول رب العالمين قال له عند دخوله وما رب العالمين
يريد اي شيء رب العالمين وهذا السؤال لا يخلو اما ان يريد به اي شيء هو من الاشياء التي شوهدت وعرفت اجناسها فاجاب
بما يستدل به عليه من افعاله الخاصة ليعرفه انه ليس بشيء مما شوهد وعرف من الاجرام والاعراض وانه شيء مخالف لجميع الاشياء
ليس كمثله شيء واما ان يريد به اي شيء هو على الاطلاق تفتيشا عن حقيقته الخاصة ما هي فاجابه بان الذي اليه سبيل وهو
الكافي في معرفته بيانه بصفاته استدلالا بافعاله على ذلك واما التفتيش عن حقيقته الخاصة التي هي فوق فطر العقول
فتفتيش عما لا سبيل اليه والسائل عنه متعنت غير طالب للحق والذي يليق بحال فرعون ويدل عليه الكلام ان يكون سؤاله
هذا انكارا لان يكون رب العالمين سواه لادعائه الالهية فلما اجاب موسى بما اجاب عجب قومه من جوابه حيث نسب الربوبية
الى غيره فلما ثنى بتقرير قوله جننه الى قومه وطنز به حيث سماه رسولهم فلما ثلث بتقرير آخر احتد واحتدم وقال لئن اتخذت
الها غيري وهذا يدل على صحة هذا الوجه الاخير **فان قلت** كيف قيل وما بينهما على التثنية والمرجوع اليه مجموع **قلت**
اريد وما بين الجنسين فعل بالمضمر ما فعل بالظاهر من قال في الهيجا جمالين **فان قلت** ما معنى قوله ان كنتم موقنين
واين عن فرعون وقومه الايقان **قلت** معناه ان كان يرجى منكم الايقان الذي يؤدي اليه النظر الصحيح نفعكم هذا الجواب
والا لم ينفع او ان كنتم موقنين لشيء قط فهذا اولى ما توقنون به لظهوره وانارة دليله **فان قلت** ومن كان حوله
قلت اشراف قومه قيل كانوا خمسمائة رجل عليهم الاساور وكانت للملوك خاصة **فان قلت** ذكر السموات
والارض وما بينهما قد استوعب به الخلائق كلها فما معنى ذكرهم وذكر آبائهم بعد ذلك وذكر المشرق والمغرب **قلت**
قد عمم اولا ثم خصص من العام للبيان انفسهم وآباءهم لان اقرب المنظور فيه من العاقل نفسه ومن ولد منه وما شاهد وعاين
من الدلائل على الصانع والناقل من هيئة الى هيئة وحال الى حال من وقت ميلاده الى وقت وفاته ثم خصص المشرق والمغرب
لان طلوع الشمس من احد الخافقين وغروبها في الآخر على تقدير مستقيم في فصول السنة وحساب مستو من اظهر ما استدل ولظهوره
انتقل الى الاحتجاج به خليل الله عن الاحتجاج بالاحياء والاماتة على نمرود بن كنعان فبهت الذي كفر وقرئ رب المشارق
والمغارب الذي ارسل اليكم بفتح الهمزة **فان قلت** كيف قال اولا ان كنتم موقنين وآخرا ان كنتم تعقلون
قلت لاين اولا فلما رأى منهم شدة الشكيمة في العناد وقلة الاصغاء الى عرض الحجج خاشن وعارض ان رسولكم لمجنون
بقوله ان كنتم تعقلون **فان قلت** الم يكن لاسجننك اخصر من لاجعلنك من المسجونين ومؤديا مؤداه **قلت**
اما اخصر فنعم واما مؤد مؤداه فلا لان معناه لاجعلنك واحدا ممن عرفت حالهم في سجوني وكان من عادته ان يأخذ من يريد سجنه فيطرحه
في هوة ذاهبة في الارض بعيدة العمق فردا لا يبصر فيها ولا يسمع فكان ذلك اشد من القتل واشد الواو في قوله اولو جئتك واو
الحال دخلت عليها همزة الاستفهام معناه اتفعل بي ذلك ولو جئتك بشيء مبين اي جائيا بالمعجزة وفي قوله ان كنت من
الصادقين انه لا يأتي بالمعجزة الا الصادق في دعواه لان المعجزة تصديق من الله تعالى لمدعي النبوة والحكيم لا يصدق الكاذب
ومن العجيب ان مثل فرعون لم يخف عليه هذا وخفي على ناس من اهل القبلة حين جوزوا القبيح على الله تعالى حتى لزمهم تصديق
الكاذبين بالمعجزات وتقديره ان كنت من الصادقين في دعواك اتيت به فحذف الجزاء لان الامر بالاتيان به يدل عليه
ثعبان مبين ظاهر الثعبانية لا شيء يشبه الثعبان كما تكون الاشياء المزورة بالشعوذة والسحر وروي انها انقلبت حية
ارتفعت في السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة الى فرعون وجعلت تقول يا موسى مرني بما شئت ويقول فرعون اسألك بالذي
ارسلك الا اخذتها فاخذها فعادت عصا للناظرين دليل على ان بياضها كان شيئا يجتمع النظارة على النظر اليه لخروجه عن
العادة وكان بياضا نوريا روي ان فرعون لما ابصر الآية الاولى قال فهل غيرها فاخرج يده فقال له ما هذه قال يدك فما فيها

فادخلها في ابطه ثم نزعها فاذا لها شعاع يكاد يغشي الابصار ويسد الافق قال للملأ حوله ان هذا
لساحر عليم يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره فماذا تأمرون قالوا ارجه واخاه
وابعث في المدائن حاشرين يأتوك بكل سحار عليم فجمع السحرة لميقات يوم معلوم
وقيل للناس هل انتم مجتمعون لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين فلما جاء السحرة
قالوا لفرعون أئن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم اذا لمن المقربين قال لهم
موسى القوا ما انتم ملقون فالقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون
فان قلت ما العامل في حوله قلت هو منصوب نصبين نصب في اللفظ ونصب في المحل والعامل في النصب
اللفظي ما يقدر في الظرف والعامل في النصب المحلي هو النصب على الحال قال ولقد تحير فرعون حين ابصر الآيتين وبقي لا يدري اي طرفيه
اطول حتى زل عنه ذكر دعوى الالهية وحط عن منكبيه كبرياء الربوبية وارتعدت فرائصه وانتفخ سحره خوفا وفرقا وبلغت به الاستكانة
لقومه الذين هم بزعمه عبيده وهو الههم ان طفق يؤامرهم ويعترف لهم بما حذره منه وتوقعه واحس به من جهة موسى وغلبته على
ملكه وارضه وقوله ان هذا لساحر عليم قول باهت اذا غلب ومتمحل اذا لزم تأمرون من المؤامرة وهي المشاورة او من
الامر الذي هو ضد النهي جعل العبيد آمرين وربهم مأمورا لما استولى عليه من فرط الدهش والحيرة وماذا منصوب اما لكونه في معنى المصدر
واما لانه مفعول به من قولك امرتك الخير وقرئ ارجئه وارجه بالهمزة والتخفيف وهما لغتان يقال ارجأته وارجيته اذا اخرته
ومنه المرجئة وهم الذين لا يقطعون بوعيد الفساق ويقولون هم مرجون لامر الله والمعنى اخره ومناظرته لوقت اجتماع
السحرة وقيل احبسه حاشرين شرطا يحشرون السحرة وعارضوا قوله ان هذا لساحر بقولهم بكل سحار فجاؤا بكلمة الاحاطة
وصفة المبالغة ليطامنوا من نفسه ويسكنوا بعض قلقه وقرأ الاعمش بكل ساحر اليوم المعلوم يوم الزينة وميقاته وقت
الضحى لانه الوقت الذي وقته لهم موسى عليه السلام من يوم الزينة في قوله موعدكم يوم الزينة وان يحشر الناس ضحى والميقات
ما وقت به اي حدد من زمان او مكان ومنه مواقيت الاحرام هل انتم مجتمعون استبطاء لهم في الاجتماع والمراد منه استعجالهم
واستحثاثهم كما يقول الرجل لغلامه هل انت منطلق اذا اراد ان يحرك منه ويحثه على الانطلاق كانما يخيل له ان الناس انطلقوا وهو واقف
ومنه قول تأبط شرا هل انت باعث دينار لحاجتنا او عبد رب اخا عون بن مخراق يريد ابعثه الينا سريعا ولا تبطئ به لعلنا نتبع
السحرة اي في دينهم ان غلبوا موسى ولا نتبع موسى في دينه وليس غرضهم في اتباع السحرة وانما الغرض الكلي ان لا يتبعوا موسى فساقوا
الكلام مساق الكناية لانهم اذا اتبعوهم لم يكونوا متبعين لموسى وقرئ نعم بالكسر وهما لغتان ولما كان قوله أئن لنا لاجرا في معنى
جزاء الشرط لدلالته عليه وكان قوله وانكم اذا لمن المقربين معطوفا عليه ومدخلا في حكمه دخلت اذا قارة في مكانها الذي تقتضيه من الجواب
والجزاء وعدهم ان يجمع لهم الى الثواب على سحرهم الذي قدروا انهم يغلبون به موسى القربة عنده والزلفى اقسموا بعزة فرعون
وهي من ايمان الجاهلية وهكذا كل حلف بغير الله تعالى ولا يصح في الاسلام الا الحلف بالله معلقا ببعض اسمائه او صفاته كقولك
بالله والرحمن وربي ورب العرش وقدرة الله وعزة الله وجلال الله وعظمة الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحلفوا
بآبائكم ولا بامهاتكم ولا بالطواغيت ولا تحلفوا الا بالله ولا تحلفوا بالله الا وانتم صادقون ولقد استحدث الناس في هذا الباب
في اسلامهم جاهلية نسيت بها الجاهلية الاولى وذلك ان الواحد منهم لو اقسم باسماء الله كلها وصفاته على شيء لم يقبل منه ولم يعتد
بها حتى يقسم برأس سلطانه فاذا اقسم به فتلك عندهم جهد اليمين التي ليس وراءها حلف لحالف فالقى موسى عصاه
فاذا هي تلقف ما يأفكون فالقي السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب
موسى وهارون قال آمنتم له قبل ان آذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون
لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم اجمعين قالوا لا ضير انا الى ربنا منقلبون
انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا اول المؤمنين ما يأفكون ما يقلبونه عن وجهه وحقيقته بسحرهم
وكيدهم ويزورونه فيخيلون في حبالهم وعصيهم انها حيات تسعى بالتمويه على الناظرين او افكهم تسمية لتلك الاشياء افكا مبالغة
روي انهم قالوا ان يك ما جاء به موسى سحرا فلن يغلب وان يك من عند الله فلن يخفى علينا فلما قذف عصاه فتلقفت ما اتوا به
علموا انه من عند الله فآمنوا وعن عكرمة اصبحوا سحرة وامسوا شهداء وانما عبر عن الخرور بالالقاء لانه ذكر مع الالقاءات
فسلك به طريق المشاكلة وفيه ايضا مراعاة المشاكلة انهم حين رأوا ما رأوا لم يتمالكوا ان رموا بانفسهم الى الارض

ساجدين

ساجدين كانهم اخذوا فطرحوا طرحا فان قلت فاعل الالقاء ما هو لو صرح به قلت هو الله عز وجل بما
خولهم من التوفيق او ايمانهم او ما عاينوا من المعجزة الباهرة ولك ان لا تقدر فاعلا لان القوا بمعنى خروا او سقطوا رب موسى
وهارون عطف بيان لرب العالمين لان فرعون لعنه الله كان يدعي الربوبية فارادوا ان يعزلوه ومعنى اضافته اليهما في
ذلك المقام انه الذي يدعو اليه هذان والذي اجرى على ايديهما ما اجرى فلسوف تعلمون اي وبال ما فعلتم الضر والضير
والضور واحد ارادوا لا ضرر علينا في ذلك بل لنا فيه اعظم النفع لما يحصل لنا في الصبر عليه لوجه الله تعالى من تكفير الخطايا
والثواب العظيم مع الاعواض الكثيرة او لا ضير علينا فيما تتوعدنا به من القتل لانه لا بد لنا من الانقلاب الى ربنا انقلاب من
يطمع في مغفرته ويرجو رحمته لما رزقنا من السبق الى الايمان وخبر لا محذوف والمعنى لا ضير في ذلك او علينا ان كنا معناه لان
كنا وكانوا اول جماعة مؤمنين من اهل زمانهم او من رعية فرعون او من اهل المشهد وقرئ ان كنا بالكسر وهو من الشرط الذي
يجيء به المدل بامره المتحقق لصحته وهم كانوا متحققين انهم اول المؤمنين ونظيره قول العامل لمن يؤخر جعله ان كنت عملت
لك فوفني حقي ومنه قوله عز وجل ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي مع علمه انهم لم يخرجوا الا لذلك
واوحينا الى موسى ان اسر بعبادي انكم متبعون فارسل فرعون في المدائن حاشرين
ان هؤلاء لشرذمة قليلون وانهم لنا لغائظون وانا لجميع حاذرون فاخرجناهم
من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم كذلك واورثناها بني اسرائيل فاتبعوهم مشرقين
فلما تراءى الجمعان قال اصحاب موسى انا لمدركون قال كلا ان معي ربي سيهدين فاوحينا
الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وازلفنا ثم
الآخرين وانجينا موسى ومن معه اجمعين ثم اغرقنا الآخرين ان في ذلك لآية وما
كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم قرئ اسر بقطع الهمزة ووصلها واسر انكم متبعون
علل الامر بالاسراء باتباع فرعون وجنوده آثارهم والمعنى اني بنيت تدبير امركم وامرهم على ان تتقدموا ويتبعوكم حتى
يدخلوا مدخلكم ويسلكوا مسلككم من طريق البحر فاطبقه عليهم فاهلكهم وروي انه مات في تلك الليلة في كل بيت من بيوتهم
ولد فاشتغلوا بموتاهم حتى خرج موسى بقومه وروي ان الله تعالى اوحى الى موسى ان اجمع بني اسرائيل كل اربعة ابيات
في بيت ثم اذبحوا الجداء واضربوا بدمائها على ابوابكم فاني سآمر الملائكة ان لا يدخلوا بيتا على بابه دم وسآمرهم بقتل
ابكار القبط واخبزوا خبزا فطيرا فانه اسرع لكم ثم اسر بعبادي حتى تنتهي الى البحر فيأتيك امري فارسل فرعون في اثره
الف الف وخمسمائة الف ملك مسور مع كل ملك الف وخرج فرعون في جمع عظيم وكانت مقدمته سبعمائة الف رجل
كل رجل على حصان وعلى رأسه بيضة وعن ابن عباس رضي الله عنهما خرج فرعون في الف الف حصان سوى الاناث فلذلك
استقل قوم فرعون وكانوا ستمائة الف وسبعين الفا وسماهم شرذمة قليلين ان هؤلاء محكي بعد قول مضمر والشرذمة
الطائفة القليلة ومنها قولهم ثوب شراذم للذي بلي وتقطع قطعا ذكرهم بالاسم الدال على القلة ثم جعلهم قليلا بالوصف
ثم جمع القليل فجعل كل حزب منهم قليلا واختار جمع السلامة الذي هو للقلة وقد يجمع القليل على اقلة وقلل ويجوز ان يريد
بالقلة الذلة والقماءة ولا يريد قلة العدد والمعنى انهم لقلتهم لا يبالي بهم ولا نتوقع غلبتهم وعلوهم ولكنهم يفعلون افعالا
تغيظنا وتضيق صدورنا ونحن قوم من دأبنا التيقظ والحذر واستعمال الحزم في الامور فاذا خرج علينا خارج سارعنا
الى حسم فساده وهذه معاذير اعتذر بها الى اهل المدائن لئلا يظن به ما يكسر من قهره وسلطانه وقرئ حذرون
وحادرون بالدال غير المعجمة فالحذر اليقظ والحاذر الذي يجدد حذره وقيل المؤدي في السلاح وانما يفعل ذلك حذرا
واحتياطا لنفسه والحادر السمين القوي قال احب الصبي السوء من اجل امه وابغضه من بغضها وهو حادر اراد انهم
اقوياء اشداء وقيل مدججون في السلاح قد كسبهم ذلك حدارة في اجسامهم وعن مجاهد سماها كنوزا لانهم لم ينفقوا
منها في طاعة الله تعالى والمقام المكان يريد المنازل الحسنة والمجالس البهية وعن الضحاك المنابر وقيل السرر في الحجال
كذلك يحتمل ثلاثة اوجه النصب على اخرجناهم مثل ذلك الاخراج الذي وصفنا والجر على انه وصف لمقام اي مقام كريم مثل ذلك المقام
الذي كان لهم والرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف اي الامر كذلك فاتبعوهم فلحقوهم وقرئ فاتبعوهم مشرقين داخلين في الشروق
من شرقت الشمس شروقا اذا طلعت سيهدين طريق النجاة من ادراكهم واضرارهم وقرئ فلما تراءت الفئتان انا لمدركون

بتشديد الدال وكسر الراء من ادرك الشيء اذا تتابع ففني ومنه قوله تعالى بل ادرك علمهم في الآخرة قال الحسن جهلوا علم الآخرة وفي معناه بيت الحماسة • ابعد بني امي الذين تتابعوا • ارجي الحيوة ام من الموت اجزع • والمعنى انا متتابعون في الهلاك على ايديهم حتى لا يبقى منا احد • الفرق الجزء المتفرق منه وقرئ كل فلق والمعنى واحد والطود الجبل العظيم المتطاول في السماء • وازلفنا ثم حيث انفلق البحر • الآخرين قوم فرعون اي قربناهم من بني اسرائيل او ادنينا بعضهم من بعض حتى لا ينجو منهم احد وقدمناهم الى البحر وقرئ وازلقنا بالقاف اي ازللنا اقدامهم والمعنى اذهبنا عزهم كقوله • تداركتما عبسا وقد ثل عرشها • وذبيان اذ زلت باقدامها النعل • ويحتمل ان يجعل الله تعالى طريقهم في البحر على خلاف ما جعله لبني اسرائيل يبسا فيزلقهم فيه • عن عطاء بن السائب ان جبريل كان بين بني اسرائيل وبين آل فرعون وكان يقول لبني اسرائيل ليلحق آخركم باولكم ويستقبل القبط فيقول رويدكم ليلحق آخركم اولكم فلما انتهى موسى الى البحر قال مؤمن آل فرعون وكان بين يدي موسى اين امرت فهذا البحر امامك وقد غشيك آل فرعون قال امرت بالبحر ولا يدري موسى ما يصنع فاوحى الله اليه ان اضرب بعصاك البحر فضربه فصار فيه اثنا عشر طريقا لكل سبط طريق • وروي ان يوشع قال يا كليم الله اين امرت فقد غشينا فرعون والبحر امامنا قال موسى ههنا فخاض يوشع الماء وضرب موسى بعصاه البحر فدخلوا • وروي ان موسى قال عند ذلك يا من كان قبل كل شيء والمكون لكل شيء والكائن بعد كل شيء ويقال هذا البحر هو بحر القلزم وقيل هو بحر من وراء مصر يقال له اساف • ان في ذلك لآية اي آية آية لا توصف وقد عاينها الناس وشاع امرها فيهم وما تنبه عليها اكثرهم ولا آمن بالله وبنو اسرائيل الذين كانوا اصحاب موسى المخصوصين بالانجاء قد سألوه بقرة يعبدونها واتخذوا العجل وطلبوا رؤية الله جهرة • وان ربك لهو العزيز الرحيم المنتقم من اعدائه الرحيم باوليائه •

واتل عليهم نبأ ابرهيم • اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون • قالوا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين • قال هل يسمعونكم اذ تدعون • او ينفعونكم او يضرون • قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون • قال افرايتم ما كنتم تعبدون • انتم وآباؤكم الاقدمون • فانهم عدو لي الا رب العالمين • الذي خلقني فهو يهدين • والذي هو يطعمني ويسقين • واذا مرضت فهو يشفين • والذي يميتني ثم يحيين • والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين • رب هب لي حكما والحقني بالصالحين • واجعل لي لسان صدق في الآخرين • واجعلني من ورثة جنة النعيم • واغفر لابي انه كان من الضالين • ولا تخزني يوم يبعثون • يوم لا ينفع مال ولا بنون • الا من اتى الله بقلب سليم • وازلفت الجنة للمتقين • وبرزت الجحيم للغاوين • وقيل لهم اينما كنتم تعبدون من دون الله • هل ينصرونكم او ينتصرون • فكبكبوا فيها هم والغاوون • وجنود ابليس اجمعون • قالوا وهم فيها يختصمون • تالله ان كنا لفي ضلال مبين • اذ نسويكم برب العالمين • وما اضلنا الا المجرمون • فما لنا من شافعين • ولا صديق حميم • فلو ان لنا كرة فنكون من المؤمنين • ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين • وان ربك لهو العزيز الرحيم •

كان ابرهيم صلوات الله وسلامه عليه يعلم انهم عبدة اوثان ولكنه سألهم ليريهم ان ما يعبدونه ليس من استحقاق العبادة في شيء كما تقول للتاجر ما مالك وانت تعلم ان ماله الرقيق ثم تقول الرقيق جمال وليس بمال • فان قلت • ما تعبدون سؤال عن المعبود فحسب فكان القياس ان يقولوا اصناما كقوله تعالى ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو ماذا قال ربكم قالوا الحق ماذا انزل ربكم قالوا خيرا • قلت • هؤلاء قد جاؤوا بقصة امرهم كاملة كالمبتهجين بها والمفتخرين فاشتملت على جواب ابرهيم وعلى ما قصدوه من اظهار ما في نفوسهم من الابتهاج والافتخار الا تراهم كيف عطفوا على قولهم نعبد فنظل لها عاكفين ولم يقتصروا على زيادة نعبد وحده ومثاله ان تقول لبعض الشطار ما تلبس في بلادك فيقول البس البرد الاتحمي فاجر ذيله بين جواري الحي وانما قالوا نظل لانهم كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل • لا بد في يسمعونكم من تقدير مضاف معناه هل يسمعون دعاءكم وقرأ قتادة هل يسمعونكم اي هل يسمعونكم الجواب عن دعائكم وهل يقدرون على ذلك وجاء مضارعا مع ايقاعه في اذ على حكاية الحال الماضية ومعناه استحضروا الاحوال الماضية التي كنتم تدعونها فيها وقولوا هل سمعوا او اسمعوا قط وهذا ابلغ في التبكيت • لما اجابوا بالجواب المقلدين

لآبائهم قال لهم رقوا امر تقليدكم الى اقصى غاياته وهي عبادة الاقدمين من آبائكم فان التقدم والاولية لا يكون برهانا على الصحة والباطل لا ينقلب حقا بالقدم وما عبادة من عبد الاصنام الا عبادة اعداء له ومعنى العداوة كقوله تعالى كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا ولان المغري على عبادتها اعدى اعداء الانسان وهو الشيطان وانما قال عدو لي تصويرا للمسئلة في نفسه على معنى اني فكرت في امري فرأيت عبادتي لها عبادة للعدو فاجتنبتها وآثرت عبادة من الخير كله منه واراهم بذلك انها نصيحة نصح بها نفسه اولا وبنى عليه تدبير امره لينظروا فيقولوا ما نصحنا ابرهيم الا بما نصح به نفسه وما اراد لنا الا ما اراد لروحه ليكون ادعى لهم الى القبول وابعث على الاستماع منه ولو قال فانه عدو لكم لم يكن بتلك المثابة ولانه دخل في باب من التعريض وقد يبلغ التعريض للمنصوح ما لا يبلغه التصريح لانه يتأمل فيه فربما قاده التأمل الى التقبل • ومنه ما يحكى عن الشافعي رحمه الله تعالى ان رجلا واجهه بشيء فقال لو كنت بحيث انت لاحتجت الى ادب • وسمع رجل ناسا يتحدثون في الحجر فقال ما هو بيتي ولا بيتكم • والعدو والصديق يجيئان في معنى الوحدة والجماعة قال • وقوم علي ذوي مرة • اراهم عدوا وكانوا صديقا • ومنه قوله وهم لكم عدو شبههما بالمصادر للموازنة كالقبول والولوع والحنين والصهيل • الا رب العالمين استثناء منقطع كانه قال لكن رب العالمين فهو يهدين يريد انه حين اتم خلقه ونفخ فيه الروح عقب ذلك هدايته المتصلة التي لا تنقطع الى كل ما يصلحه ويعنيه والا فمن هداه الى ان يغتذي بالدم في البطن امتصاصا ومن هداه الى معرفة الثدي عند الولادة والى معرفة مكانه ومن هداه الى كيفية الارتضاع والى غير ذلك من هدايات المعاش والمعاد وانما قال مرضت دون امرضني لان كثيرا من اسباب المرض يحدث بتفريط من الانسان في مطاعمه ومشاربه وغير ذلك ومن ثم قال الحكماء لو قيل لاكثر الموتى ما سبب آجالكم لقالوا التخم • وقرئ خطاياي والمراد ما يندر منه من بعض الصغائر لان الانبياء معصومون مختارون على العالمين وقيل هي قوله اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم وقوله لسارة هي اختي وما هي الا معاريض كلام وتخييلات للكفرة وليست بخطايا يطلب لها الاستغفار • فان قلت • اذا لم يندر منهم الا الصغائر وهي تقع مكفرة فما له اثبت لنفسه خطيئة او خطايا وطمع ان يغفر له • قلت • الجواب ما سبق لي ان استغفار الانبياء تواضع منهم لربهم وهضم لانفسهم ويدل عليه قوله اطمع ولم يجزم القول بالمغفرة وفيه تعليم لاممهم وليكون لطفا لهم في اجتناب المعاصي والحذر منها وطلب المغفرة مما يفرط منهم • فان قلت • لم علق مغفرة الخطيئة بيوم الدين وانما المغفرة في الدنيا • قلت • لان اثرها يتبين يومئذ وهو الآن خفي لا يعلم • الحكم الحكمة او الحكم بين الناس بالحق وقيل النبوة لان النبي ذو حكمة وذو حكم بين عباد الله والالحاق بالصالحين ان يوفقه لعمل ينتظم به في جملتهم او يجمع بينه وبينهم في الجنة ولقد اجابه حيث قال وانه في الآخرة لمن الصالحين • والاخزاء من الخزي وهو الهوان ومن الخزاية وهي الحياء وهذا ايضا من نحو استغفارهم مما علموا انه مغفور • وفي يبعثون ضمير العباد لانه معلوم او ضمير الضالين وان تجعل من جملة الاستغفار لابيه يعني ولا تخزني يوم يبعث الضالون وابي فيهم • الا من اتى الله الا حال من اتى الله بقلب سليم وهو من قولهم • تحية بينهم ضرب وجيع • وما ثوابه الا السيف وبيانه ان يقال لك هل لزيد مال وبنون فتقول ماله وبنوه سلامة قلبه تريد نفي المال والبنين عنه واثبات سلامة القلب له بدلا عن ذلك وان شئت حملت الكلام على المعنى وجعلت المال والبنين في معنى الغنى كانه قيل يوم لا ينفع غنى الا غنى من اتى الله بقلب سليم لان غنى الرجل في دينه بسلامة قلبه كما ان غناه في دنياه بماله وبنيه ولك ان تجعل الاستثناء منقطعا ولا بد لك مع ذلك من تقدير المضاف وهو الحال والمراد بها سلامة القلب وليست من جنس المال والبنين حتى يؤول المعنى الى ان المال والبنين لا ينفعان وانما ينفع سلامة القلب ولو لم يقدر المضاف لم يتحصل للاستثناء معنى وقد جعل من مفعولا لينفع اي لا ينفع مال ولا بنون الا رجلا سلم قلبه مع ماله حيث انفقه في طاعة الله ومع بنيه حيث ارشدهم الى الدين وعلمهم الشرائع ويجوز على هذا الا من اتى الله بقلب سليم من فتنة المال والبنين ومعنى سلامة القلب سلامته من آفات الكفر والمعاصي ومما اكرم الله تعالى به خليله ونبه على جلالة محله في الاخلاص ان حكى استثناءه هذا حكاية راض باصابته فيه ثم جعله صفة له في قوله وان من شيعته لابرهيم اذ جاء ربه بقلب سليم ومن بدع التفاسير تفسير بعضهم السليم باللديغ من خشية الله تعالى وقول آخر هو الذي سلم وسلم واسلم وسالم واستسلم وما احسن ما رتب ابرهيم عليه السلام كلامه مع المشركين حيث سألهم اولا عما يعبدون سؤال مقرر لا مستفهم ثم انحى على آلهتهم فابطل امرها بانها لا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع وعلى تقليدهم آباءهم الاقدمين فكسره واخرجه من ان يكون شبهة فضلا ان يكون حجة ثم صور المسئلة في نفسه دونهم حتى تخلص منها الى ذكر الله عز وجل فعظم شأنه وعدد نعمته من لدن خلقه وانشائه الى حين وفاته مع ما يرجى في الآخرة من رحمته

لآبائهم

ثم اتبع ذلك ان دعاه بدعوات المخلصين وابتهل اليه ابتهال الاوابين ثم وصله بذكر يوم القيمة وثواب الله وعقابه وما يدفع اليه المشركون يومئذ من الندم والحسرة على ما كانوا فيه من الضلال وتمنى الكرة الى الدنيا ليؤمنوا ويطيعوا الجنة تكون قريبة من موقف السعداء ينظرون اليها ويغتبطون بانهم المحشورون اليها والنار تكون بارزة مكشوفة للاشقياء بمرأى منهم يتحسرون على انهم المسوقون اليها قال الله تعالى وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد وقال فلما راوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا يجمع عليهم الغموم والحسرات فتجعل النار بمرأى منهم فيهلكون غما في كل لحظة ويوبخون على اشراكهم فيقال لهم اين آلهتكم هل ينفعونكم بنصرتهم لكم او هل ينفعون انفسهم بانتصارهم لانهم وآلهتهم وقود النار وهو قوله فكبكبوا فيها هم اي الآلهة والغاوون وعبدتهم الذين برزت لهم الجحيم والكبكبة تكرير الكب جعل التكرير في اللفظ دليلا على التكرير في المعنى كانه اذا القي في جهنم ينكب مرة بعد اخرى حتى يستقر في قعرها اللهم اجرنا منها يا خير مستجار وجنود ابليس شياطينه او متبعوه من عصاة الانس والجن يجوز ان ينطق الله تعالى الاصنام حتى يصح التقاول والتخاصم ويجوز ان يجري ذلك بين العصاة والشياطين والمراد بالمجرمين الذين اضلوهم رؤساؤهم وكبراؤهم كقوله تعالى اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا وعن السدي الاولون الذين اقتدينا بهم وعن ابن جريج ابليس وابن آدم القاتل لانه اول من سن القتل وانواع المعاصي فما لنا من شافعين كما نرى المؤمنين لهم شفعاء من الملائكة والنبيين ولا صديق كما نرى لهم اصدقاء لانه لا يتصادق في الآخرة الا المؤمنون واما اهل النار فبينهم التعادي والتباغض قال الله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين او فما لنا من شافعين ولا صديق حميم من الذين كنا نعدهم شفعاء واصدقاء لانهم كانوا يعتقدون في اصنامهم انهم شفعاؤهم عند الله وكان لهم الاصدقاء من شياطين الانس او ارادوا انهم وقعوا في مهلكة علموا ان الشفعاء والاصدقاء لا ينفعونهم ولا يدفعون عنهم فقصدوا بنفيهم نفي ما يتعلق بهم من النفع لان ما لا ينفع حكمه حكم المعدوم والحميم من الاحتمام وهو الاهتمام وهو الذي يهمه ما يهمك او من الحامة بمعنى الخاصة وهو الصديق الخاص

فان قلت لم جمع الشافع ووحد الصديق قلت لكثرة الشفعاء في العادة وقلة الصديق الا ترى ان الرجل اذا امتحن بارهاق ظالم نهضت جماعة وافرة من اهل بلده لشفاعته رحمة له وحسبة وان لم يسبق له باكثرهم معرفة واما الصديق وهو الصادق في وداده الذي يهمه ما اهمك فاعز من بيض الانوق وعن بعض الحكماء انه سئل عن الصديق فقال اسم لا معنى له ويجوز ان يراد بالصديق الجمع الكرة الرجعة الى الدنيا ولو في مثل هذا الموضع في معنى التمني كانه قيل فليت لنا كرة وذلك لما بين معنى لو وليت من التلاقي في التقدير ويجوز ان تكون على اصلها ويحذف الجواب وهو لفعلنا كيت وكيت

كذبت قوم نوح المرسلين ۝ اذ قال لهم اخوهم نوح الا تتقون ۝ اني لكم رسول امين ۝ فاتقوا الله واطيعون ۝ وما اسألكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين ۝ فاتقوا الله واطيعون ۝ قالوا انؤمن لك واتبعك الارذلون ۝ قال وما علمي بما كانوا يعملون ۝ ان حسابهم الا على ربي لو تشعرون ۝ وما انا بطارد المؤمنين ۝ ان انا الا نذير مبين ۝ قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين ۝ قال رب ان قومي كذبون ۝ فافتح بيني وبينهم فتحا ونجني ومن معي من المؤمنين ۝ فانجيناه ومن معه في الفلك المشحون ۝ ثم اغرقنا بعد الباقين ۝ ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين ۝ وان ربك لهو العزيز الرحيم ۝

القوم مؤنثة وتصغيرها قويمة ونظير قوله المرسلين والمراد نوح عليه السلام قولك فلان يلبس البرود ويركب الدواب وما له الا دابة وبرد وقيل اخوهم لانه كان منهم من قول العرب يا اخا بني تميم يريدون يا واحدا منهم ومنه بيت الحماسة لا يسألون اخاهم حين يندبهم في النائبات على ما قال برهانا كان امينا فيهم مشهورا بالامانة كمحمد صلى الله عليه وسلم في قريش واطيعون في نصحي لكم وفيما ادعوكم اليه من الحق عليه على هذا الامر وعلى ما انا فيه يعني دعاءه ونصحه ومعنى فاتقوا الله واطيعون فاتقوا الله في طاعتي وكرره ليؤكده عليهم ويقرره في نفوسهم مع تعليق كل واحد منهما بعلة جعل علة الاول كونه امينا فيما بينهم وفي الثاني حسم طمعه عنهم وقرئ واتباعك جمع تابع كشاهد واشهاد او جمع تبع كبطل وابطال والواو للحال وحقها ان يضمر بعدها قد في واتبعك وقد جمع الارذل على الصحة وعلى التكسير في قوله الذين هم اراذلنا والرذالة والنذالة الخسة والدناءة وانما استرذلوهم لاتضاع نسبهم وقلة نصيبهم من الدنيا وقيل كانوا من اهل الصناعات الدنية كالحياكة والحجامة والصناعة

لا تزري بالديانة وهكذا كانت قريش تقول في اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وما زالت اتباع الانبياء كذلك حتى صارت من سماتهم وامارتهم الا ترى الى هرقل حين سال ابا سفيان عن اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قال ضعفاء الناس واراذلهم قال ما زالت اتباع الانبياء كذلك وعن ابن عباس هم الغاغة وعن عكرمة الحاكة والاساكفة وعن مقاتل السفلة وما علمي واي شيء علمي والمراد انتفاء علمه باخلاص اعمالهم لله تعالى واطلاعه على سر امرهم وباطنه وانما قال هذا لانهم قد طعنوا مع استرذالهم في ايمانهم وانهم لم يؤمنوا عن نظر وبصيرة وانما آمنوا هوى وبديهة كما حكى الله عنهم في قوله الذين هم اراذلنا بادي الرأي ويجوز ان يتغابى لهم نوح عليه السلام فيفسر قولهم الارذلين بما هو الرذالة عنده من سوء الاعمال وفساد العقائد ولا يلتفت الى ما هو الرذالة عندهم ثم يبني جوابه على ذلك فيقول ما علي الا اعتبار الظواهر دون التفتيش عن اسرارهم والشق عن قلوبهم وان كان لهم عمل سيئ فالله محاسبهم ومجازيهم عليه وما انا الا منذر لا محاسب ولا مجاز لو تشعرون ذلك ولكنكم تجهلون فتنساقون مع الجهل حيث سيركم وقصد بذلك رد اعتقادهم وانكار ان يسمى المؤمن رذلا وان كان افقر الناس واوضعهم نسبا فان الغنى غنى الدين والنسب نسب التقوى وما انا بطارد المؤمنين يريد ليس من شأني ان اتبع شهواتكم واطيب نفوسكم بطرد المؤمنين الذين صح ايمانهم طمعا في ايمانكم وما علي الا ان انذركم انذارا بينا بالبرهان الصحيح الذي يتميز به الحق من الباطل ثم انتم اعلم بشأنكم ليس هذا باخبار بالتكذيب لعلمه ان عالم الغيب والشهادة اعلم ولكنه اراد اني لا ادعوك عليهم لما غاظوني واذوني وانما ادعوك لاجلك ولاجل دينك ولانهم كذبوني في وحيك ورسالتك فاحكم بيني وبينهم والفتاحة الحكومة والفتاح الحاكم لانه يفتح المستغلق كما سمي فيصلا لانه يفصل بين الخصومات الفلك السفينة وجمعه فلك قال الله تعالى وترى الفلك فيه مواخر فالواحد بوزن قفل والجمع بوزن اسد كسروا فعلا على فعل كما كسروا فعلا على فعل لانهما اخوان في قولك العرب والعرب والرشد والرشد فقالوا اسد واسد وفلك وفلك ونظيره بعير هجان وابل هجان ودرع دلاص ودروع دلاص فالواحد بوزن كناز والجمع بوزن كرام والمشحون المملوء يقال شحنها عليهم خيلا ورجالا

كذبت عاد المرسلين ۝ اذ قال لهم اخوهم هود الا تتقون ۝ اني لكم رسول امين ۝ فاتقوا الله واطيعون ۝ وما اسألكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين ۝ اتبنون بكل ريع آية تعبثون ۝ وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون ۝ واذا بطشتم بطشتم جبارين ۝ فاتقوا الله واطيعون ۝ واتقوا الذي امدكم بما تعلمون ۝ امدكم بانعام وبنين ۝ وجنات وعيون ۝ اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم ۝ قالوا سواء علينا اوعظت ام لم تكن من الواعظين ۝ ان هذا الا خلق الاولين ۝ وما نحن بمعذبين ۝ فكذبوه فاهلكناهم ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين ۝ وان ربك لهو العزيز الرحيم ۝

قرئ بكل ريع بالكسر والفتح وهو المكان المرتفع قال المسيب بن علس في الآل يرفعها ويخفضها ريع يلوح كانه سحل ومنه قولهم كم ريع ارضك وهو ارتفاعها والآية العلم وكانوا ممن يهتدون بالنجوم في اسفارهم فاتخذوا في طرقهم اعلاما طوالا فعبثوا بذلك لانهم كانوا مستغنين بالنجوم وعن مجاهد بنوا بكل ريع بروج الحمام والمصانع مآخذ الماء وقيل القصور المشيدة والحصون لعلكم تخلدون ترجون الخلود في الدنيا او تشبه حالكم حال من يخلد وفي حرف ابي كانكم وقرئ تخلدون بضم التاء مخففا ومشددا واذا بطشتم بسوط او سيف كان ذلك ظلما وعلوا وقيل الجبار الذي يقتل ويضرب على الغضب وعن الحسن تبادرون تعجيل العذاب لا تتثبتون متفكرين في العواقب بالغ في تنبيههم على نعم الله حيث اجملها ثم فصلها مستشهدا بعلمهم وذلك انه ايقظهم عن سنة غفلتهم عنها حين قال امدكم بما تعلمون ثم عددها عليهم وعرفهم المنعم بتعديد ما يعلمون من نعمته وانه كما قدر ان يتفضل عليكم بهذه النعمة فهو قادر على الثواب والعقاب فاتقوه ونحوه قوله تعالى ويحذركم الله نفسه والله رءوف بالعباد فان قلت كيف قرن البنين بالانعام قلت هم الذين يعينونهم على حفظها والقيام عليها فان قلت اوعظت ام لم تعظ كان اخصر والمعنى واحد قلت ليس المعنى بواحد وبينهما فرق لان المراد سواء علينا افعلت هذا الفعل الذي هو الوعظ ام لم تكن اصلا من اهله ومباشريه فهو ابلغ في قلة اعتدادهم بوعظه من قولك ام لم تعظ من قرأ خلق الاولين بالفتح فمعناه ان ما جئت به اختلاق الاولين وتخرصهم كما قالوا اساطير الاولين او خلقنا هذا الا خلق القرون الخالية نحيا كما حيوا ونموت كما ماتوا ولا بعث ولا حساب

ومن ثم اخلق بمضمرين وبواحدة فمعناه ما هذا الذي نحن عليه من الحيوة والموت الا عادة لم يزل عليها الناس في قديم الدهر او ما هذا الذي جئت به من الكذب الا عادة الاولين كانوا يلفقون مثله ويسطرونه

كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم اخوهم صالح الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا واطيعون وما اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اتتركون فيما ههنا امنين في جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين فاتقوا واطيعون ولا تطيعوا امر المسرفين الذين يفسدون في الارض ولا يصلحون قالوا انما انت من المسحرين ما انت الا بشر مثلنا فات باية ان كنت من الصادقين قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب يوم عظيم فعقروها فاصبحوا نادمين فاخذهم العذاب ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم

اتتركون يجوز ان يكون انكارا لان يتركوا مخلدين في نعيمهم لا يزالون عنه وان يكون تذكيرا بالنعمة في تخلية الله اياهم وما يتنعمون فيه من الجنات وغير ذلك مع الامن والدعة فيما ههنا في الذي استقر في هذا المكان من النعيم ثم فسره بقوله في جنات وعيون وهذا ايضا اجمال ثم تفصيل **فان قلت** لم قال ونخل بعد قوله في جنات والجنة تتناول النخل اول شيء كما يتناول النعم الابل كذلك من بين الازواج حتى انهم ليذكرون الجنة ولا يقصدون الا النخيل كما يذكرون النعم ولا يريدون الا الابل قال زهير تسقي جنة سحقا **قلت** فيه وجهان ان يخص النخل بافراده بعد دخوله في جملة سائر الاشجار تنبيها على انفراده عنها بفضله عليها وان يريد بالجنات غيرها من الشجر لان اللفظ يصلح لذلك ثم يعطف عليها النخل الطلعة هي التي تطلع من النخلة كنصل السيف في جوفه شماريخ القنو والقنو اسم للخارج من الجذع كما هو بعرجونه وشماريخه والهضيم اللطيف الضامر من قولهم كشح هضيم وطلع اناث النخل فيه لطف وفي طلع الفحاحيل جفاء وكذلك طلع البرني الطف من طلع اللون فذكرهم نعمة الله تعالى في ان وهب لهم اجود النخل وانفعه لان الاناث ولادة التمر والبرني اجود التمر واطيبه ويجوز ان يريد ان نخيلهم اصابت جودة المنابت وسعة الماء وسلمت من العاهات فحملت الحمل الكثير واذا كثر الحمل هضم واذا قل جاء فاخرا وقيل الهضيم اللين النضيج كانه قال ونخل قد ارطب ثمره قرأ الحسن وتنحتون بفتح الحاء وقرئ فرهين وفارهين والفراهة الكيس والنشاط ومنه خيل فرهة استعير لامتثال الامر وارتسامه طاعة الامر المطاع او جعل الامر مطاعا على المجاز الحكمي والمراد الامر ومنه قولهم لك علي امرة مطاعة وقوله تعالى واطيعوا امري **فان قلت** ما فائدة قوله ولا يصلحون **قلت** فائدته ان فسادهم فساد مصمت ليس معه شيء من الصلاح كما تكون حال بعض المفسدين مخلوطة ببعض الصلاح المسحر الذي سحر كثيرا حتى غلب على عقله وقيل هو من السحر الرئة وانه بشر الشرب النصيب من الماء نحو السقي والقيت للحظ من السقي والقوت وقرئ بالضم روي انهم قالوا نريد ناقة عشراء تخرج من هذه الصخرة فتلد سقبا فقعد صالح يتفكر فقال له جبريل صل ركعتين وسل ربك الناقة ففعل فخرجت الناقة وبركت بين ايديهم ونتجت سقبا مثلها في العظم وعن ابي موسى رايت مصدرها فاذا هو ستون ذراعا وعن قتادة اذا كان يوم شربها شربت ماءهم كله ولهم شرب يوم معلوم لا تشرب فيه الماء بسوء بضرب او عقر او غير ذلك عظم اليوم لحلول العذاب فيه ووصف اليوم به ابلغ من وصف العذاب لان الوقت اذا عظم بسببه كان موقعه من العظم اشد وروي ان مسطعا الجاها الى مضيق في شعب فرماها بسهم فاصاب رجلها فسقطت ثم ضربها قدار وروي ان عاقرها قال لا اعقرها حتى ترضوا اجمعين فكانوا يدخلون على المراة في خدرها فيقولون اترضين فتقول نعم وكذلك صبيانهم **فان قلت** لم اخذهم العذاب وقد ندموا **قلت** لم يكن ندمهم ندم تائبين ولكن ندم خائفين ان يعاقبوا على العقر عقابا عاجلا كمن يرى في بعض الامور رايا فاسدا ويبني عليه ثم يندم ويتحسر كندامة الكسعي او ندموا ندم التائبين ولكن في غير وقت التوبة وذلك عند معاينة العذاب وقال عز وجل وليست التوبة للذين يعملون السيئات الاية وقيل كانت ندامتهم على ترك الولد وهو بعيد واللام في العذاب اشارة الى عذاب يوم عظيم

كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم

اوله
كان عيني في غربي مقتلة
من النواضح البيت

اخوهم

اخوهم لوط الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا واطيعون وما اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اتاتون الذكران من العالمين وتذرون ما خلق لكم ربكم من ازواجكم بل انتم قوم عادون قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين قال اني لعملكم من القالين رب نجني واهلي مما يعملون فنجيناه واهله اجمعين الا عجوزا في الغابرين ثم دمرنا الاخرين وامطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم

اراد بالعالمين الناس اي اتاتون من بين اولاد آدم على فرط كثرتهم وتفاوت اجناسهم وغلبة اناثهم على ذكورهم في الكثرة ذكرانهم كأن الاناث قد اعوزتكم واتاتون انتم من بين من عداكم من العالمين الذكران يعني انكم يا قوم لوط وحدكم مختصون بهذه الفاحشة والعالمون على هذا القول كل ما ينكح من الحيوان من ازواجكم يصلح ان يكون تبيينا لما خلق وان يكون للتبعيض ويراد بما خلق العضو المباح منهن وفي قراءة ابن مسعود ما اصلح لكم ربكم من ازواجكم وكانهم يفعلون مثل ذلك بنسائهم العادي المتعدي في ظلمه المتجاوز فيه الحد ومعناه اترتكبون هذه المعصية على عظمها بل انتم قوم عادون في جميع المعاصي فهذا من جملة ذاك او بل انتم قوم احقاء بان توصفوا بالعدوان حيث ارتكبتم مثل هذه العظيمة لئن لم تنته عن نهينا وتقبيح امرنا لتكونن من جملة من اخرجناه من بين اظهرنا وطردناه من بلدنا ولعلهم كانوا يخرجون من اخرجوه على اسوء حال من تعنيف به واحتباس لاملاكه وكما تكون حال الظلمة اذا اجلوا بعض من يغضبون عليه وكما كان يفعل اهل مكة بمن يريد المهاجرة ومن القالين ابلغ من ان يقول اني لعملكم قال كما تقول فلان من العلماء فيكون ابلغ من قولك فلان عالم لانك تشهد له بكونه معدودا في زمرتهم ومعروفة مساهمته لهم في العلم ويجوز ان يريد من الكاملين في قلاكم والقلى البغض الشديد كانه بغض يقلي الفؤاد والكبد وفي هذا دليل على عظم المعصية والمراد القلى من حيث الدين والتقوى وقد تقوى همة الدين في دين الله حتى تقرب كراهته للمعاصي من الكراهة الجبلية مما يعملون من عقوبة عملهم وهو الظاهر ويحتمل ان يريد بالتنجية العصمة **فان قلت** فما معنى قوله فنجيناه واهله اجمعين الا عجوزا **قلت** معناه انه عصمه واهله من ذلك الا العجوز فانها كانت غير معصومة منه لكونها راضية به ومعينة عليه ومحرشة والراضي بالمعصية في حكم العاصي **فان قلت** كان اهله مؤمنين ولولا ذلك لما طلب لهم النجاة فكيف استثنيت الكافرة منهم **قلت** الاستثناء انما وقع من الاهل وفي هذا الاسم لها معهم شركة بحق الزواج وان لم تشاركهم في الايمان **فان قلت** في الغابرين صفة لها كانه قيل الا عجوزا غابرة ولم يكن الغبور صفتها وقت تنجيتهم **قلت** معناه الا عجوزا مقدرا غبورها ومعنى الغابرين في العذاب والهلاك غير الناجين قيل انها هلكت مع من خرج من القرية بما امطر عليهم من الحجارة والمراد بتدميرهم الايتفاك بهم واما الامطار فعن قتادة امطر الله على شذاذ القوم حجارة من السماء فاهلكهم وعن ابن زيد لم يرض بالايتفاك حتى اتبعه مطرا من حجارة وفاعل ساء مطر المنذرين ولم يرد بالمنذرين قوما باعيانهم انما هو للجنس والمخصوص بالذم محذوف وهو مطرهم

كذب اصحاب الايكة المرسلين اذ قال لهم شعيب الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا واطيعون وما اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين وزنوا بالقسطاس المستقيم ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين واتقوا الذي خلقكم والجبلة الاولين قالوا انما انت من المسحرين وما انت الا بشر مثلنا وان نظنك لمن الكاذبين فاسقط علينا كسفا من السماء ان كنت من الصادقين قال ربي اعلم بما تعملون فكذبوه فاخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم

قرئ اصحاب الايكة بالهمزة وبتخفيفها وبالجر على الاضافة وهو الوجه ومن قرا بالنصب وزعم ان ليكة بوزن ليلة اسم بلد فتوهم قاد اليه خط المصحف حيث وجدت مكتوبة في هذه السورة وفي سورة ص بغير الف وفي المصحف اشياء كتبت على خلاف قياس الخط المصطلح عليه وانما كتبت في هاتين السورتين على حكم لفظ اللافظ كما يكتب اصحاب النحو لان ولولى على هذه الصورة

لبيان لفظ المخفف وقد كتبت في سائر القرآن على الأصل والقصة واحدة على ان ليكة اسم لا يعرف وروي ان اصحاب
الايكة كانوا اصحاب شجر ملتف وكانت شجرهم الدوم **فان قلت** هلا قيل اخوهم شعيب كما في سائر المواضع
قلت قالوا ان شعيبا لم يكن من اصحاب الايكة وفي الحديث ان شعيبا اخا مدين ارسل اليهم والى اصحاب الايكة
الكيل على ثلثة اضرب واف وطفيف وزايد فامر بالواجب الذي هو الايفاء ونهى عن المحرم الذي هو التطفيف ولم
يذكر الزايد وكان تركه عن الامر والنهي دليل على انه ان فعله فقد احسن وان لم يفعله فلا عليه وقرئ بالقسطاس مضموما
ومكسورا وهو الميزان وقيل القرسطون فان كان من القسط وهو العدل وجعلت العين مكررة فوزنه فعلاس والا فهو
رباعي وقيل هو بالرومية العدل يقال بخسته حقه اذا نقصته اياه ومنه قيل للمكس البخس وهو عام في كل حق
لاحد ان لا يهضم وفي كل ملك ان لا يغصب عليه مالكه ولا يتحيف منه ولا يتصرف فيه الا باذنه تصرفا شرعيا يقال عثى في الارض
وعثي وعاث وذلك نحو قطع الطريق والغارة واهلاك الزروع وكانوا يفعلون ذلك مع توليهم انواع الفساد
فنهوا عن ذلك وقرئ الجبلة بوزن الابلة والجبلة بوزن الخلقة ومعناهن واحد اي ذوي الجبلة وهو كقولك والخلق
الاولين **فان قلت** هل اختلف المعنى بادخال الواو ههنا وتركها في قصة ثمود **قلت** اذا دخلت
الواو فقد قصد معنيان كلاهما مناف للرسالة عندهم التسحير والبشرية وان الرسول لا يجوز ان يكون مسحرا ولا يجوز ان
يكون بشرا واذا تركت الواو فلم يقصد الا معنى واحد وهو كونه مسحرا ثم قرر بكونه بشرا مثلهم **فان قلت** ان المخففة
من الثقيلة ولامها كيف تفرقتا على فعل الظن وثاني مفعوليه **قلت** اصلهما ان يتفرقا على المبتدا والخبر كقولك ان
زيد المنطلق فلما كان البابان اعني باب كان وباب ظننت من جنس باب المبتدا والخبر فعل ذلك في البابين فقيل ان كان
زيد المنطلقا وان ظننته لمنطلقا قرئ كسفا بالسكون والحركة وكلاهما جمع كسفة نحو قطع وسدر وقيل الكسف
والكسفة كالريع والريعة وهي القطعة وكسفه قطعه والسماء السحاب او المظلة وما كان طلبهم ذلك الا لتصميمهم
على الجحود والتكذيب ولو كان فيهم ادنى ميل الى التصديق لما اخطروه ببالهم فضلا ان يطلبوه والمعنى ان كنت صادقا انك
نبي فادع الله ان يسقط علينا كسفا من السماء ربي اعلم بما تعملون يريد ان الله اعلم باعمالكم وبما تستوجبون عليها من العقاب
فان اراد ان يعاقبكم باسقاط كسف من السماء فعل وان اراد عقابا باخر فاليه الحكم والمشية فاخذهم الله تعالى بنحو ما اقترحوا
من عذاب الظلة ان ارادوا بالسماء السحاب وان ارادوا المظلة فقد خالف بهم عن مقترحهم يروى انه حبس عنهم الريح
سبعا وسلط عليهم الومد فاخذ بانفاسهم لا ينفعهم ظل ولا ماء ولا سرب فاضطروا الى ان خرجوا الى البرية فاظلتهم سحابة
وجدوا لها بردا ونسيما فاجتمعوا تحتها فامطرت عليهم نارا فاحترقوا وروي ان شعيبا بعث الى امتين اصحاب مدين
واصحاب الايكة فاهلكت مدين بصيحة جبريل واصحاب الايكة بعذاب يوم الظلة **فان قلت** كيف كرر في
هذه السورة في اول كل قصة واخرها ما كرر **قلت** كل قصة منها كتنزيل برأسه وفيها من الاعتبار مثل ما في غيرها
فكانت كل واحدة منها تدلي بحق في ان يفتتح بما افتتحت به صاحبتها وان تختتم بما اختتمت به ولان في التكرير
تقريرا للمعاني في الانفس وتثبيتا لها في الصدور الا ترى انه لا طريق الى تحفظ العلوم الا ترديد ما يراد تحفظه منها
وكلما زاد ترديده كان امكن له في القلب وارسخ في الفهم واثبت للذكر وابعد من النسيان ولان هذه القصص طرقت بها
اذان وقر عن الانصات للحق وقلوب غلف عن تدبره فكوثرت بالوعظ والتذكير وروجعت بالترديد والتكرير لعل ذلك
يفتح اذنا او يفتق ذهنا او يصقل عقلا طال عهده بالصقل او يجلو فهما قد غطى عليه تراكم الصدا **وانه لتنزيل**
رب العالمين ۞ نزل به الروح الامين ۞ على قلبك لتكون من المنذرين ۞ بلسان عربي
مبين ۞ وانه لفي زبر الاولين ۞ وانه وان هذا التنزيل يعني ما نزل من هذه القصص والايات والمراد بالتنزيل
المنزل والباء في نزل به الروح ونزل به الروح على القراءتين للتعدية ومعنى نزل به الروح جعل الله الروح نازلا به
على قلبك اي حفظكه وفهمك اياه واثبته في قلبك اثبات ما لا ينسى كقوله تعالى سنقرئك فلا تنسى بلسان اما ان
يتعلق بالمنذرين فيكون المعنى لتكون من الذين انذروا بهذا اللسان وهم خمسة هود وصالح وشعيب واسمعيل ومحمد صلى الله
عليهم وسلم واما ان يتعلق بنزل فيكون المعنى نزله باللسان العربي لتنذر به لانه لو نزله باللسان الاعجمي لتجافوا عنه اصلا
ولقالوا ما نصنع بما لا نفهمه فيتعذر الانذار به وفي هذا الوجه ان تنزيله بالعربية التي هي لسانك ولسان قومك تنزيل له

على قلبك لانك تفهمه وتفهمه قومك ولو كان اعجميا لكان نازلا على سمعك دون قلبك لانك تسمع اجراس حروف لا تفهم
معانيها ولا تعيها وقد يكون الرجل عارفا بعدة لغات فاذا كلم بلغته التي لقنها اولا ونشأ عليها وتطبع بها لم يكن
قلبه الا الى معاني الكلام يتلقاها بقلبه ولا يكاد يفطن للالفاظ كيف جرت وان كلم بغير تلك اللغة وان كان ماهرا بمعرفتها
كان نظره اولا في الفاظها ثم في معانيها فهذا تقرير انه نزل على قلبه لنزوله بلسان عربي مبين **وانه** وان القرآن
يعني ذكره مثبت في سائر الكتب السماوية وقيل ان معانيه فيها وبه يحتج لابي حنيفة رح في جواز القراءة بالفارسية
في الصلوة على ان القرآن قرآن اذا ترجم بغير العربية حيث قيل وانه لفي زبر الاولين لكون معانيه فيها وقيل الضمير لرسول الله
صلى الله عليه وسلم وكذلك في ان يعلمه وليس بواضح **اولم يكن لهم اية ان يعلمه علمؤا بني اسرائيل ۞ ولو**
نزلناه على بعض الاعجمين ۞ فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين ۞ قرئ يكن بالتذكير واية
بالنصب على انها خبره وان يعلمه هو الاسم وقرئ تكن بالتانيث وجعلت اية اسما وان يعلمه خبرا وليست كالاولى
لوقوع النكرة اسما والمعرفة خبرا وقد خرج لها وجه اخر ليتخلص من ذلك فقيل في تكن ضمير القصة واية ان يعلمه جملة واقعة
موقع الخبر ويجوز على هذا ان يكون لهم اية هي جملة الشان وان يعلمه بدلا عن اية ويجوز مع نصب الاية تانيث تكن كقوله تعالى
ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا ومنه بيت لبيد فمضى وقدمها وكانت عادة منه اذا هي عردت اقدامها وقرئ تعلمه
بالتاء وعلماء بني اسرائيل عبد الله بن سلام وغيره قال الله تعالى واذا يتلى عليهم قالوا امنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين
فان قلت كيف خط في المصحف علمؤا بواو قبل الالف **قلت** خط على لغة من يميل الالف الى الواو
وعلى هذه اللغة كتبت الصلوة والزكوة والربوا الاعجم الذي لا يفصح وفي لسانه عجمة واستعجام والاعجمي مثله الا ان فيه
لزيادة ياء النسبة زيادة تاكيد وقرأ الحسن الاعجميين ولما كان من يتكلم بلسان غير لسانهم لا يفقهون كلامه قالوا له اعجم
واعجمي شبهوه بمن لا يفصح ولا يبين وقالوا لكل ذي صوت من البهايم والطيور وغيرها اعجم قال حميد ولا عربيا شاقه صوت اعجما
كذلك سلكناه في قلوب المجرمين ۞ لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم ۞ فياتيهم بغتة
وهم لا يشعرون ۞ افبعذابنا يستعجلون ۞ سلكناه ادخلناه ومكناه والمعنى انا انزلنا هذا القرآن
على رجل عربي بلسان عربي فسمعوا به وفهموه وعرفوا فصاحته وانه معجز لا يعارض بكلام مثله وانضم الى ذلك اتفاق
علماء اهل الكتب المنزلة قبله على ان البشارة بانزاله وتحلية المنزل عليه وصفته في كتبهم وقد تضمنت معانيه وقصصه
وصح بذلك انها من عند الله وليست باساطير كما زعموا فلم يؤمنوا به وجحدوه وسموه شعرا تارة وسحرا اخرى وقالوا هو من
تلفيق محمد وافترائه ولو نزلناه على بعض الاعاجم الذي لا يحسن العربية فضلا ان يقدر على نظم مثله فقراه عليهم هكذا فصيحا
معجزا متحدى به لكفروا به كما كفروا ولتمحلوا لجحودهم عذرا ولسموه سحرا ثم قال كذلك سلكناه اي مثل هذا السلك سلكناه
في قلوبهم وهكذا مكناه وقررناه فيها وعلى مثل هذه الحال وهذه الصفة من الكفر به والتكذيب له وضعناه فيها فكيف ما فعل
بهم وصنع وعلى اي وجه دبر امرهم فلا سبيل الى ان يتغيروا عما هم عليه من جحوده وانكاره كما قال تعالى ولو نزلنا عليك
كتابا في قرطاس فلمسوه بايديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين **فان قلت** كيف اسند السلك بصفة
التكذيب الى ذاته **قلت** اراد به الدلالة على تمكنه مكذبا في قلوبهم اشد التمكن واثبته فجعله بمنزلة امر قد جبلوا
عليه وفطروا الا ترى الى قولهم هو مجبول على الشح يريدون تمكن الشح فيه لان الامور الخلقية اثبت من العارضة والدليل عليه
انه انما اسند ترك الايمان به اليهم على عقبه وهو قوله لا يؤمنون به **فان قلت** ما موقع لا يؤمنون به من قوله سلكناه
في قلوب المجرمين **قلت** موقعه منه موقع الموضح والملخص لانه مسوق لثباته مكذبا مجحودا في قلوبهم فاتبع ما يقرر هذا المعنى
من انهم لا يزالون على التكذيب به وجحوده حتى يعاينوا الوعيد ويجوز ان يكون حالا اي سلكناه فيها غير مؤمن به وقرأ
الحسن فتاتيهم بالتاء يعني الساعة وبغتة بالتحريك وفي حرف ابي ويروه بغتة **فان قلت** ما معنى التعقيب في
قوله فياتيهم بغتة فيقولوا **قلت** ليس المعنى ترادف رؤية العذاب ومفاجاته وسؤال النظرة فيه في الوجود وانما
المعنى ترتبها في الشدة كانه قيل لا يؤمنون بالقرآن حتى تكون رؤيتهم للعذاب فما هو اشد منها وهو لحوقه بهم مفاجاة
فما هو اشد منه وهو سؤالهم النظرة ومثال ذلك ان تقول لمن تعظه ان اسات مقتك الصالحون فمقتك الله فانك لا تقصد
بهذا الترتيب ان مقت الله يوجد عقيب مقت الصالحين وانما قصدك الى ترتيب شدة الامر على المسيء وانه يحصل له بسبب

الاساءة مقت الصالحين فما هو اشد من مقتهم وهو مقت الله وترى انهم يقع في هذا الاسلوب فيحل موقعه افبعذابنا يستعجلون تبكيت لهم بانكارهم وتهكم ومعناه كيف يستعجل العذاب من هو معرض لعذاب يسأل فيه من جنس ما هو فيه اليوم من النظرة والامهال طرفة عين فلا يجاب لها ويحتمل ان يكون هذا حكاية توبيخ يوبخون به عند استنظارهم يومئذ ويستعجلون على هذا الوجه حكاية حال ماضية ووجه آخر متصل بما بعده وذلك ان استعجالهم بالعذاب انما كان لاعتقادهم انه غير كائن ولا لاحق بهم وانهم ممتعون باعمار طوال في سلامة وامن فقال عز وعلا افبعذابنا يستعجلون اشرا وبطرا واستهزاء واتكالا على الامل الطويل

افرأيت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون ذكرى وما كنا ظالمين

ثم قال هب ان الامر كما يعتقدون من تمتيعهم وتعميرهم فاذا لحقهم الوعيد بعد ذلك ما ينفعهم حينئذ ما مضى من طول اعمارهم وطيب معايشهم وعن ميمون بن مهران انه لقي الحسن في الطواف وكان يتمنى لقاءه فقال عظني فلم يزده على تلاوة هذه الآية فقال ميمون لقد وعظت فابلغت وقرئ يمتعون بالتخفيف منذرون رسل ينذرونهم ذكرى منصوبة بمعنى تذكرة اما لان انذر وذكر متقاربان فكانه قيل مذكرون تذكرة واما لانها حال من الضمير في منذرون اي ينذرونهم ذوي تذكرة واما لانها مفعول له على معنى انهم ينذرون لاجل الموعظة والتذكرة او مرفوعة على انها خبر مبتدأ محذوف بمعنى هذه ذكرى والجملة اعتراضية او صفة بمعنى منذرون ذوو ذكرى وجعلوا ذكرى لامعانهم في التذكرة واطنابهم فيها ووجه آخر وهو ان يكون ذكرى متعلقة باهلكنا مفعولا له والمعنى وما اهلكنا من اهل قرية ظالمين الا بعدما الزمناهم الحجة بارسال المنذرين اليهم ليكون اهلاكهم تذكرة وعبرة لغيرهم فلا يعصوا مثل عصيانهم وما كنا ظالمين فنهلك قوما غير ظالمين وهذا الوجه عليه المعول فان قلت كيف عزلت الواو عن الجملة بعد الا ولم تعزل عنها في قوله تعالى وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم قلت الاصل عزل الواو لان الجملة صفة لقرية واذا زيدت فلتأكيد وصل الصفة بالموصوف كما في قوله تعالى سبعة وثامنهم كلبهم

وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون انهم عن السمع لمعزولون فلا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين

كانوا يقولون ان محمدا كاهن وما يتنزل عليه من جنس ما يتنزل به الشياطين على الكهنة فكذبوا بان ذلك مما لا يتسهل للشياطين ولا يقدرون عليه لانهم مرجومون بالشهب معزولون عن استماع كلام اهل السماء وقرأ الحسن الشياطون ووجهه انه رأى آخره كآخر يبرين وفلسطين فتخير بين ان يجري الاعراب على النون وبين ان يجريه على ما قبله فيقول الشياطين والشياطون كما تخيرت العرب بين ان يقولوا هذه يبرون ويبرين وفلسطون وفلسطين وحقه ان يشتقه من الشيطوطة وهي الهلاك كما قيل له الباطل وعن الفراء غلط الشيخ في قراءة الشياطون ظن انها النون التي على هجائين فقال النضر بن شميل ان جاز ان يحتج بقول العجاج ورؤبة فهلا جاز ان يحتج بقول الحسن وصاحبه يريد محمد بن السميفع مع انا نعلم انهما لم يقرءا به الا وقد سمعا فيه قد علم ان ذلك لا يكون ولكنه اراد ان يحرك منه لازدياد الاخلاص والتقوى وفيه لطف لسائر المكلفين كما قال تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل فان كنت في شك مما انزلنا اليك

وانذر عشيرتك الاقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين فان عصوك فقل اني بريء مما تعملون وتوكل على العزيز الرحيم الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين انه هو السميع العليم

فيه وجهان احدهما ان يؤمر بانذار الاقرب فالاقرب من قومه ويبدأ في ذلك بمن هو اولى بالبداءة ثم بمن يليه وان يقدم انذارهم على انذار غيرهم كما روي عنه صلى الله عليه وسلم انه لما دخل مكة قال كل ربا في الجاهلية موضوع تحت قدمي هاتين واول ما اضعه ربا العباس والثاني ان يؤمر بان لا يأخذه ما يأخذ القريب للقريب من العطف والرحمة ولا يحابيهم في الانذار والتخويف وروي انه صعد الصفا لما نزلت فنادى الاقرب فالاقرب فخذا فخذا وقال يا بني عبد المطلب يا بني هاشم يا بني عبد مناف يا عباس عم النبي يا صفية عمة رسول الله اني لا املك لكم من الله شيئا سلوني من مالي ما شئتم وروي انه جمع بني عبد المطلب وهم يومئذ اربعون رجلا الرجل منهم يأكل الجذعة ويشرب العس على رجل شاة وقعب من لبن فاكلوا وشربوا حتى صدروا ثم انذرهم فقال يا بني عبد المطلب لو اخبرتكم ان بسفح هذا الجبل خيلا اكنتم مصدقي قالوا نعم قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد وروي انه قال يا بني عبد المطلب يا بني هاشم

يا بني عبد مناف افتدوا انفسكم من النار فاني لا اغني عنكم شيئا ثم قال يا عائشة بنت ابي بكر ويا حفصة بنت عمر ويا فاطمة بنت محمد ويا صفية عمة محمد اشترين انفسكن من النار فاني لا اغني عنكن شيئا الطائر اذا اراد ان ينحط للوقوع كسر جناحه وخفضه واذا اراد ان ينهض للطيران رفع جناحه فجعل خفض جناحه عند الانحطاط مثلا في التواضع ولين الجانب ومنه قول بعضهم

وانت الشهير بخفض الجناح فلا تك في رفعه اجدلا

ينهاه عن التكبر بعد التواضع فان قلت المتبعون للرسول هم المؤمنون والمؤمنون هم المتبعون للرسول فما معنى قوله لمن اتبعك من المؤمنين قلت فيه وجهان ان يسميهم قبل الدخول في الايمان مؤمنين لمشارفتهم ذلك وان يريد بالمؤمنين المصدقين بالسنتهم وهم صنفان صنف صدق واتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما جاء به وصنف ما وجد منه الا التصديق فحسب ثم اما ان يكونوا منافقين او فاسقين والمنافق والفاسق لا يخفض لهما الجناح والمعنى من المؤمنين من عشيرتك وغيرهم يعني انذر قومك فان اتبعوك واطاعوك فاخفض لهم جناحك فان عصوك ولم يتبعوك فتبرأ منهم ومن اعمالهم من الشرك بالله ومن غيره وتوكل على الله يكفك شر من يعصيك منهم ومن غيرهم والتوكل تفويض الرجل امره الى من يملك امره ويقدر على نفعه وضره وقالوا المتوكل من ان دهمه امر لم يحاول دفعه عن نفسه بما هو معصية لله تعالى فعلى هذا اذا وقع الانسان في محنة ثم سأل غيره خلاصه لم يخرج من حد التوكل لانه لم يحاول دفع ما نزل به عن نفسه بمعصية الله تعالى وفي مصاحف اهل المدينة والشام فتوكل وبه قرأ نافع وابن عامر وله محملان في العطف ان يعطف على فقل او فلا تدع على العزيز الرحيم على الذي يقهر اعداءك بعزته وينصرك عليهم برحمته ثم اتبع كونه رحيما على رسوله ما هو من اسباب الرحمة وهو ذكر ما كان يفعله في جوف الليل من قيامه للتهجد وتقلبه في تصفح احوال المتهجدين من اصحابه ليطلع عليهم من حيث لا يشعرون ويستبطن سر امرهم وكيف يعبدون الله تعالى وكيف يعملون لآخرتهم كما يحكى انه حين نسخ فرض قيام الليل طاف تلك الليلة ببيوت اصحابه لينظر ما يصنعون لحرصه عليهم وعلى ما يوجد منهم من فعل الطاعات وتكثير الحسنات فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع منها من دندنتهم بذكر الله تعالى والتلاوة والمراد بالساجدين المصلون وقيل معناه يراك حين تقوم للصلاة بالناس جماعة وتقلبه في الساجدين تصرفه فيما بينهم بقيامه وركوعه وسجوده وقعوده اذا امهم وعن مقاتل انه سأل ابا حنيفة رحمهما الله تعالى هل تجد الصلاة في الجماعة في القرآن فقال لا يحضرني فتلا له هذه الآية ويحتمل انه لا يخفى عليه حالك كلما قمت وتقلبت مع الساجدين في كفاية امور الدين انه هو السميع لما تقوله العليم بما تنويه وتعمله وقيل هو تقلب بصره فيمن يصلي خلفه من قوله صلى الله عليه وسلم اتموا الركوع والسجود فوالله اني لاراكم من خلف ظهري اذا ركعتم وسجدتم وقرئ ويقلبك

هل انبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل افاك اثيم يلقون السمع واكثرهم كاذبون

كل افاك اثيم هم الكهنة والمتنبئة كشق وسطيح ومسيلمة وطليحة يلقون السمع هم الشياطين كانوا قبل ان يحجبوا بالرجم يستمعون الى الملأ الاعلى فيختطفون بعض ما يتكلمون به مما اطلعوا عليه من الغيوب ثم يوحون به الى اوليائهم من اولئك واكثرهم كاذبون فيما يوحون به اليهم لانهم يسمعونهم ما لم يسمعوا وقيل يلقون الى اوليائهم السمع اي المسموع من الملائكة وقيل الافاكون يلقون السمع الى الشياطين فيتلقون وحيهم اليهم او يلقون المسموع من الشياطين الى الناس واكثر الافاكين كاذبون يفترون على الشياطين ما لم يوحوا اليهم وترى اكثر ما يحكمون به باطلا وزورا وفي الحديث الكلمة يخطفها الجني فيقرها في اذن وليه فيزيد فيها اكثر من مائة كذبة والقر الصب فان قلت كيف دخل حرف الجر على من المتضمنة لمعنى الاستفهام والاستفهام له صدر الكلام الا ترى الى قولك أعلى زيد مررت ولا تقول على أزيد مررت قلت ليس معنى التضمين ان الاسم دل على معنيين معا معنى الاسم ومعنى الحرف وانما معناه ان الاصل امن فحذف حرف الاستفهام واستمر الاستعمال على حذفه كما حذف من هل والاصل أهل قال أهل رأونا بسفح القاع ذي الاكم فاذا ادخلت حرف الجر على من فقدر الهمزة قبل حرف الجر في ضميرك كانك تقول أعلى من تنزل الشياطين كقولك أعلى زيد مررت فان قلت يلقون ما محله قلت يجوز ان يكون في محل النصب على الحال اي تنزل ملقين السمع وفي محل الجر صفة لكل افاك لانه في معنى الجمع وان لا يكون له محل بان يستأنف كأن قائلا قال لم تنزل على الافاكين فقيل يفعلون كيت وكيت فان قلت كيف قال واكثرهم كاذبون بعدما قضى عليهم ان كل واحد منهم افاك قلت الافاكون هم الذين يكثرون الافك ولا يدل ذلك على انهم لا ينطقون الا بالافك فاراد ان هؤلاء الافاكين قل من يصدق منهم فيما يحكي عن الجني واكثرهم مفتر عليه

فإن قلت وانه لتنزيل رب العالمين وما تنزلت به الشياطين هل انبئكم على من تنزل الشياطين لم
فرق بينهن وهن اخوات قلت اريد التفريق بينهن بآيات ليست في معناهن ليرجع الى المجيء بهن وتطرية ذكر ما فيهن
كرة بعد كرة فيدل بذلك على ان المعنى الذي نزلن فيه من المعاني التي اشتدت كراهة الله تعالى لخلافها ومثاله ان يحدث الرجل
بحديث وفي صدره اهتمام بشيء منه وفضل عناية فتراه يعيد ذكره ولا ينفك عن الرجوع اليه • والشعراء يتبعهم
الغاوون • الم تر انهم في كل واد يهيمون • وانهم يقولون ما لا يفعلون • الا الذين
امنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين
ظلموا اي منقلب ينقلبون • والشعراء مبتدأ ويتبعهم الغاوون خبره ومعناه انه لا يتبعهم على باطلهم وكذبهم
وفضول قولهم وما هم عليه من الهجاء وتمزيق الاعراض والقدح في الانساب والنسيب بالحرم والغزل والابتهار ومدح من
لا يستحق المدح ولا يستحسن ذلك منهم ولا يطرب على قولهم الا الغاوون والسفهاء والشطار وقيل الغاوون الراوون وقيل الشياطين
وقيل هم شعراء قريش عبد الله بن الزبعرى وهبيرة بن ابي وهب المخزومي ومسافع بن عبد مناف وابو عزة الجمحي ومن ثقيف
امية بن ابي الصلت قالوا نحن نقول مثل قول محمد وكانوا يهجونه ويجتمع اليهم الاعراب من قومهم يستمعون اشعارهم واهاجيهم وقرأ
عيسى بن عمر والشعراء بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر قال ابو عبيد كان الغالب عليه حب النصب قرأ حمالة الحطب
والسارق والسارقة وسورة انزلناها وقرئ يتبعهم على التخفيف ويتبعهم بسكون العين تشبيها لبعه بعضد
ذكر الوادي والهيوم فيه تمثيل لذهابهم في كل شعب من القول واعتسافهم وقلة مبالاتهم بالغلو في المنطق ومجاوزة حد
القصد فيه حتى يفضلوا اجبن الناس على عنترة واشحهم على حاتم وان يبهتوا البريء ويفسقوا التقي • وعن الفرزدق
ان سليمان بن عبد الملك سمع قوله • فبتن بجانبي مصرعات • وبت افض اغلاق الختام • فقال قد وجب عليك الحد فقال
يا امير المؤمنين قد درأ الله عني الحد بقوله وانهم يقولون ما لا يفعلون • استثنى الشعراء المؤمنين الصالحين الذين
يكثرون ذكر الله وتلاوة القرآن وكان ذلك اغلب عليهم من الشعر واذا قالوا شعرا قالوه في توحيد الله والثناء عليه والحكمة
والموعظة والزهد والآداب الحسنة ومدح رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة وصلحاء الامة وما لا بأس به من المعاني التي
لا يتلطخون فيها بذنب ولا يتلبسون بشائنة ولا منقصة وكان هجاؤهم على سبيل الانتصار ممن يهجوهم قال الله تعالى لا يحب الله
الجهر بالسوء من القول الا من ظلم وذلك من غير اعتداء ولا زيادة على ما هو جواب لقوله تعالى فمن اعتدى عليكم • وعن عمرو بن عبيد ان رجلا
من العلوية قال له ان صدري ليجيش بالشعر فقال فما يمنعك منه فيما لا بأس به • والقول فيه ان الشعر باب من الكلام فحسنه كحسن الكلام وقبيحه
كقبيح الكلام وقيل المراد بالمستثنين عبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت والكعبان كعب بن مالك وكعب بن زهير والذين
كانوا ينافحون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكافحون هجاة قريش • وعن كعب بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له
اهجهم فوالذي نفسي بيده لهو اشد عليهم من النبل وكان يقول لحسان قل وروح القدس معك • ختم السورة بآية ناطقة بما
لا شيء اهيب منه واهول ولا انكأ لقلوب المتأملين ولا اصدع لاكباد المتدبرين وذلك قوله وسيعلم وما فيه من الوعيد البليغ وقوله الذين
ظلموا واطلاقه وقوله اي منقلب ينقلبون وابهامه وقد تلاها ابو بكر لعمر رضي الله عنهما حين عهد اليه وكان السلف الصالح يتواعظون بها
ويتناذرون شدتها وتفسير الظلم بالكفر تعليل ولأن تخاف فتبلغ الامن خير من ان تأمن فتبلغ الخوف • وقرأ ابن عباس رضي الله عنه
اي منفلت ينفلتون ومعناه ان الذين ظلموا يطمعون ان ينفلتوا من عذاب الله تعالى وسيعلمون ان ليس لهم وجه من وجوه
الانفلات وهو النجاة • اللهم اجعلنا ممن جعل هذه الآية بين عينيه فلم يغفل عنها وعلم ان من عمل سيئة فهو من الذين ظلموا والله اعلم بالصواب
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الشعراء كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به وهود وشعيب وصالح وابراهيم وبعدد من كذب بعيسى وصدق بمحمد صلى الله عليه وسلم

سورة النمل مكية

وهي ثلاث وتسعون آية وقيل اربع وتسعون

بسم الله الرحمن الرحيم • طس تلك آيات القرآن وكتاب
مبين • هدى وبشرى للمؤمنين • الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم
بالآخرة هم يوقنون • طس قرئ بالتفخيم والامالة وتلك اشارة الى آيات السورة والكتاب المبين اما اللوح

وابانته انه خط فيه ابانة واما السورة واما القرآن وابانتهما انهما يبينان ما اودعاه من العلوم والحكم والشرائع وان اعجازهما
ظاهر مكشوف واضافة الآيات الى القرآن والكتاب المبين على سبيل التفخيم لها والتعظيم لان المضاف الى العظيم يعظم بالاضافة
اليه • فان قلت لم نكر الكتاب المبين قلت ليبهم بالتنكير فيكون افخم له كقوله تعالى في مقعد صدق عند مليك مقتدر
فان قلت ما وجه عطفه على القرآن اذا اريد به القرآن قلت كما تعطف احدى الصفتين على الاخرى في نحو قولك
هذا فعل السخي والجواد الكريم لان القرآن هو المنزل المبارك المصدق لما بين يديه فكان حكمه حكم الصفات المستقلة بالمدح
فكأنه قيل تلك الآيات آيات المنزل المبارك وآيات كتاب مبين • وقرأ ابن ابي عبلة وكتاب مبين بالرفع على تقدير وآيات
كتاب مبين فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه • فان قلت ما الفرق بين هذا وبين قوله الر تلك
آيات الكتاب وقرآن مبين قلت لا فرق بينهما الا ما بين المعطوف والمعطوف عليه من التقدم والتأخر وذلك
على ضربين ضرب جار مجرى التثنية لا يترجح فيه جانب على جانب وضرب فيه ترجح فالاول نحو قوله وقولوا حطة وادخلوا الباب
سجدا ومنه ما نحن بصدده والثاني نحو قوله تعالى شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم • هدى وبشرى في محل النصب
او الرفع فالنصب على الحال اي هادية ومبشرة والعامل فيها ما في تلك من معنى الاشارة والرفع على ثلاثة اوجه على هي هدى
وبشرى وعلى البدل من الآيات وعلى ان يكون خبرا بعد خبر اي جمعت انها آيات وانها هدى وبشرى والمعنى في كونها هدى للمؤمنين
انها زائدة في هداهم قال الله تعالى فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا • فان قلت وهم بالآخرة هم يوقنون كيف يتصل
بما قبله قلت يحتمل ان يكون من جملة صلة الموصول ويحتمل ان تتم الصلة عنده وتكون جملة اعتراضية كأنه قيل
وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات من اقامة الصلوة وايتاء الزكوة هم الموقنون بالآخرة وهو الوجه ويدل عليه
انه عقد جملة ابتدائية وكرر فيها المبتدأ الذي هو هم حتى صار معناها وما يوقن بالآخرة حق الايقان الا هؤلاء الجامعون
بين الايمان والعمل الصالح لان خوف العاقبة يحملهم على تحمل المشاق • ان الذين لا يؤمنون بالآخرة
زينا لهم اعمالهم فهم يعمهون • اولئك الذين لهم سوء العذاب وهم في الآخرة
هم الاخسرون • وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم • فان قلت
كيف اسند تزيين اعمالهم الى ذاته وقد اسنده الى الشيطان في قوله وزين لهم الشيطان اعمالهم قلت
بين الاسنادين فرق وذلك ان اسناده الى الشيطان حقيقة واسناده الى الله تعالى مجاز وله طريقان في علم البيان احدهما
ان يكون من المجاز الذي يسمى الاستعارة والثاني ان يكون من المجاز الحكمي فالطريق الاول انه لما متعهم بطول العمر وسعة
الرزق وجعلوا انعام الله تعالى بذلك عليهم واحسانه اليهم ذريعة الى اتباع شهواتهم وبطرهم وايثارهم الروح والترفه
ونفارهم عما يلزمهم فيه التكاليف الصعبة والمشاق المتعبة فكأنه زين لهم بذلك اعمالهم واليه اشارت الملائكة صلوات الله
عليهم في قولهم ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر • والطريق الثاني ان امهاله الشيطان وتخليته حتى يزين لهم ملابسة
ظاهرة للتزيين فاسند اليه لان المجاز الحكمي يصححه بعض الملابسات • وقيل هي اعمال الخير التي وجب عليهم ان يعملوها زينها الله
لهم فعموا عنها وضلوا ويعزى الى الحسن • والعمه التحير والتردد كما يكون حال الضال عن الطريق • وعن بعض الاعراب انه دخل
السوق وما ابصرها قط فقال رأيت الناس عمهين اراد مترددين في اعمالهم واشغالهم • سوء العذاب القتل والاسر يوم بدر
والاخسرون اشد الناس خسرانا لانهم لو آمنوا لكانوا من الشهداء على جميع الامم فخسروا ذلك مع خسران النجاة وثواب الله
لتلقى القرآن لتؤتاه وتلقنه من عند اي حكيم واي عليم وهذا معنى مجيئهما نكرتين وهذه الآية بساط وتمهيد لما يريد
ان يسوق بعدها من الاقاصيص وما في ذلك من لطائف حكمته ودقائق علمه • اذ قال موسى لاهله اني آنست
نارا سآتيكم منها بخبر او آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون • فلما جاءها نودي
ان بورك من في النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين • اذ منصوب بمضمر وهو
اذكر كأنه قال على اثر ذلك خذ من آثار حكمته وعلمه قصة موسى ويجوز ان ينتصب بعليم • روي انه لم يكن مع موسى عليه السلام
غير امرأته وقد كنى الله تعالى عنها بالاهل فتبع ذلك ورود الخطاب على لفظ الجمع وهو قوله امكثوا • الشهاب الشعلة والقبس
النار المقبوسة واضاف الشهاب الى القبس لانه يكون قبسا وغير قبس ومن قرأ بالتنوين جعل القبس بدلا او صفة لما فيه من
معنى القبس والخبر ما يخبر به عن حال الطريق لانه كان قد ضله • فان قلت سآتيكم بخبر ولعلي آتيكم منها بخبر كالمتدافعين

لان احدهما ترج والآخر تيقن **قلت** قد يقول الراجي اذا قوي رجاؤه سافعل كذا وسيكون كذا مع تجويزه الخيبة
فان قلت كيف جاء بسين التسويف **قلت** عدة لاهله انه يأتيهم به وان ابطأ او كانت المسافة بعيدة
فان قلت فلم جاء باو دون الواو **قلت** بنى الرجاء على انه ان لم يظفر بحاجتيه جميعا لم يعدم واحدة منهما اما هداية الطريق واما اقتباس النار ثقة بعادة الله تعالى انه لا يكاد يجمع بين حرمانين على عبده وما ادراه حين قال ذلك انه ظافر على النار بحاجتيه الكليتين جميعا وهما العزان عز الدنيا وعز الآخرة
ان هي المفسرة لان النداء فيه معنى القول والمعنى قيل له بورك
فان قلت هل يجوز ان تكون المخففة من الثقيلة وتقديره نودي بانه بورك والضمير ضمير الشان **قلت** لا لانه لا بد من قد
فان قلت فعلى اضمارها **قلت** لا يصح لانها علامة لا تحذف ومعنى بورك من في النار ومن حولها بورك من في مكان النار ومن حول مكانها ومكانها البقعة التي حصلت فيها وهي البقعة المباركة المذكورة في قوله تعالى نودي من شاطئ الوادي الايمن في البقعة المباركة وتدل عليه قراءة ابي تباركت الارض ومن حولها وعنه بوركت النار والذي بوركت له البقعة وبورك من فيها وحواليها حدوث امر ديني فيها وهو تكليم الله تعالى موسى واستنباؤه له واظهار المعجزات عليه ورب خير يتجدد في بعض البقاع فينشر الله تعالى بركة ذلك الخير في اقاصيها ويبث آثار يمنه في اباعدها فكيف بمثل ذلك الامر العظيم الذي جرى في تلك البقعة وقيل المراد بالمبارك فيهم موسى والملائكة الحاضرون والظاهر انه عام في كل من كان في تلك الارض وفي ذلك الوادي وحواليهما من ارض الشام ولقد جعل الله تعالى ارض الشام بالبركات موسومة في قوله تعالى ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين وحقت ان تكون كذلك فهي مبعث الانبياء صلوات الله عليهم ومهبط الوحي اليهم وكفاتهم احياء وامواتا

يا موسى انه انا الله العزيز الحكيم

فان قلت فما معنى ابتداء خطابه تعالى موسى بذلك عند خطابه **قلت** هي بشارة له بانه قد قضى امر عظيم تنتشر منه في ارض الشام كلها البركة وسبحان الله رب العالمين تعجيب لموسى من ذلك وايذان بان ذلك الامر مريده ومكونه رب العالمين تنبيها على ان الكائن من جلائل الامور وعظائم الشؤون
الهاء في انه يجوز ان يكون ضمير الشان وانا الله مبتدأ وخبر والعزيز الحكيم صفتان للخبر وان يكون راجعا الى ما دل عليه ما قبله يعني ان مكلمك انا والله بيان لانا والعزيز الحكيم صفتان للمبين وهذا تمهيد لما اراد ان يظهره على يده من المعجزة يريد انا القوي القادر على ما يبعد من الاوهام كقلب العصا حية الفاعل كل ما افعله بحكمة وتدبير

وألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى لا تخف اني لا يخاف لدي المرسلون الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم

فان قلت علام عطف قوله وألق عصاك **قلت** على بورك لان المعنى نودي ان بورك من في النار وان الق عصاك كلاهما تفسير لنودي والمعنى قيل له بورك من في النار وقيل له الق عصاك والدليل على ذلك قوله عز من قائل وان الق عصاك بعد قوله ان يا موسى اني انا الله على تكرير حرف التفسير كما تقول كتبت اليك ان حج وان اعتمر وان شئت ان حج واعتمر
وقرأ الحسن جأن على لغة من يجد في الهرب من التقاء الساكنين فيقول شأبة ودأبة ومنها قراءة عمرو بن عبيد ولا الضألين
ولم يعقب لم يرجع يقال عقب المقاتل اذا كر بعد الفرار قال
فما عقبوا اذ قيل هل من معقب ... ولا نزلوا يوم الكريهة منزلا
وانما رعب لظنه ان ذلك لامر اريد به ويدل عليه اني لا يخاف لدي المرسلون
والا بمعنى لكن لانه لما اطلق نفي الخوف عن الرسل كان ذلك مظنة لطرو الشبهة فاستدرك ذلك والمعنى ولكن من ظلم منهم اي فرطت منه صغيرة مما يجوز على الانبياء كالذي فرط من آدم ويونس وداود وسليمان واخوة يوسف ومن موسى عليه السلام بوكزة القبطي ويوشك ان يقصد بهذا التعريض بما وجد من موسى وهو من التعريضات التي يلطف مأخذها وسماه ظلما كما قال موسى رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي والحسن والسوء حسن التوبة وقبح الذنب وقرئ الا من ظلم بحرف التنبيه وعن ابي عمرو في رواية عصمة حسنا

وادخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء في تسع آيات الى فرعون وقومه انهم كانوا قوما فاسقين فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين

في تسع آيات كلام مستأنف وحرف الجر فيه يتعلق بمحذوف والمعنى اذهب في تسع آيات الى فرعون ونحوه
فقلت الى الطعام فقال منهم ... فريق نحسد الانس الطعاما
ويجوز ان يكون المعنى وألق عصاك وادخل يدك في تسع آيات اي في

جملة تسع آيات وعدادهن ولقائل ان يقول كانت الآيات احدى عشرة ثنتان منها اليد والعصا والتسع الفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمسة والجدب في بواديهم والنقصان في مزارعهم
المبصرة الظاهرة البينة جعل الابصار لها وهو في الحقيقة لمتأمليها لانهم لابسوها وكانوا بسبب منها بنظرهم وتفكرهم فيها ويجوز ان يراد بحقيقة الابصار كل ناظر فيها من كافة اولي العقل وان يراد ابصار فرعون وملائه لقوله واستيقنتها انفسهم او جعلت كأنها تبصر فتهدي لان العمي لا تقدر على الاهتداء فضلا ان تهدي غيرها ومنه قولهم كلمة عيناء وكلمة عوراء لان الكلمة الحسنة ترشد والسيئة تغوي ونحوه قوله تعالى لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر فوصفها بالبصائر كما وصفها بالابصار وقرأ علي بن الحسين وقتادة مبصرة وهي نحو مجبنة ومبخلة ومجفرة اي مكانا يكثر فيه التبصر
الواو في واستيقنتها واو الحال وقد بعدها مضمرة والعلو الكبر والترفع عن الايمان بما جاء به موسى كقوله تعالى فاستكبروا وكانوا قوما عالين فقالوا انؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون وقرئ عليا وعليا بالضم والكسر كما قرئ عتيا وعتيا وفائدة ذكر الانفس انهم جحدوها بالسنتهم واستيقنوها في قلوبهم وضمائرهم والاستيقان ابلغ من الايقان وقد قوبل بين المبصرة والمبين واي ظلم افحش من ظلم من اعتقد واستيقن انها آيات بينة واضحة جاءت من عند الله ثم كابر بتسميتها سحرا بينا مكشوفا لا شبهة فيه

ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين

علما طائفة من العلم او علما سنيا عزيزا
فان قلت أليس هذا موضع الفاء دون الواو كقولك اعطيته فشكر ومنعته فصبر **قلت** بلى ولكن عطفه بالواو اشعار بان ما قالاه بعض ما احدث فيهما ايتاء العلم وشيء من مواجبه فاضمر ذلك ثم عطف عليه التحميد كأنه قال ولقد آتيناهما علما فعملا به وعلماه وعرفا حق النعمة فيه والفضيلة وقالا الحمد لله الذي فضلنا والكثير المفضل عليه من لم يؤت علما او من لم يؤت مثل علمهما وفيه انهما فضلا على كثير وفضل عليهما كثير وفي الآية دليل على شرف العلم وانافة محله وتقدم حملته واهله وان نعمة العلم من اجل النعم واجزل القسم وان من اوتيه فقد اوتي فضلا على كثير من عباد الله كما قال والذين اوتوا العلم درجات وما سماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثة الانبياء الا لمداناتهم لهم في الشرف والمنزلة لانهم القوام بما بعثوا من اجله وفيها انه يلزمهم لهذه النعمة الفاضلة لوازم منها ان يحمدوا الله على ما اوتوه من فضلهم على غيرهم ومنها التذكير بالتواضع وان يعتقد العالم انه ان فضل على كثير فقد فضل عليه مثلهم وما احسن قول عمر رضي الله عنه كل الناس افقه من عمر

وورث سليمان داود وقال يا ايها الناس علمنا منطق الطير واوتينا من كل شيء ان هذا لهو الفضل المبين

ورثه النبوة والملك دون سائر بنيه وكانوا تسعة عشر وكان داود اكثر تعبدا وسليمان اقضى واشكر لنعمة الله تعالى وقال يا ايها الناس تشهيرا لنعمة الله وتنويها بها واعترافا بمكانها ودعاء للناس الى التصديق بذكر المعجزة التي هي علم منطق الطير وغير ذلك مما اوتيه من عظائم الامور والمنطق كل ما يصوت به من المفرد والمؤلف المفيد وغير المفيد وقد ترجم يعقوب كتابه باصلاح المنطق وما اصلح فيه الا مفردات الكلم وقالت العرب نطقت الحمامة وكل صنف من الطير يتفاهم اصواته والذي علمه سليمان من منطق الطير هو ما يفهم بعضه من بعض من معانيه واغراضه
ويحكى انه مر على بلبل في شجرة يحرك رأسه ويميل ذنبه فقال لاصحابه اتدرون ما يقول قالوا الله ونبيه اعلم قال يقول اكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء وصاحت فاختة فاخبر انها تقول ليت ذا الخلق لم يخلقوا وصاح طاووس فقال يقول كما تدين تدان وصاح هدهد فقال يقول استغفروا الله يا مذنبون وصاح طيطوى فقال يقول كل حي ميت وكل جديد بال وصاح خطاف فقال يقول قدموا خيرا تجدوه وصاحت رخمة فقال تقول سبحان ربي الاعلى ملء سمائه وارضه وصاح قمري فاخبر انه يقول سبحان ربي الاعلى وقال الحدأ يقول كل شيء هالك الا الله والقطاة تقول من سكت سلم والببغاء يقول ويل لمن الدنيا همه والديك يقول اذكروا الله يا غافلون والنسر يقول يا ابن آدم عش ما شئت آخرك الموت والعقاب يقول في البعد من الناس انس والضفدع يقول سبحان ربي القدوس
واراد بقوله من كل شيء كثرة ما اوتي كما تقول فلان يقصده كل احد ويعلم كل شيء تريد كثرة قصاده ورجوعه الى غزارة في العلم واستكثار منه ومثله قوله تعالى واوتيت من كل شيء
ان هذا لهو الفضل المبين قول وارد على سبيل الشكر والمحمدة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم ولا فخر اي اقول هذا القول شكرا ولا اقوله فخرا
فان قلت

كيف قال علمنا واوتينا وهو من كلام المتكبرين **قلت** فيه وجهان احدهما ان يريد نفسه واباه والثاني ان هذه النون
يقال لها نون الواحد المطاع وكان ملكا مطاعا فكلم اهل طاعته على صفته وحاله التي كان عليها وليس التكبر من لوازم ذلك
وقد يتعلق بتجمل الملك وتفخمه واظهار آيينه وسياسته مصالح فيعود تكلف ذلك واجبا وقد كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يفعل نحوا من ذلك اذا وفد عليه وفد او احتاج ان يرجح في عين عدو الا ترى كيف امر العباس رض بان يحبس
اباسفيان حتى تمر عليه الكتائب • **وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون**
روي ان معسكره كان مائة فرسخ في مائة خمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للانس وخمسة وعشرون للطير وخمسة وعشرون
للوحش وكان له الف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلاثمائة منكوحة وسبعمائة سرية وقد نسجت له الجن بساطا من ذهب وابريسم
فرسخا في فرسخ وكان يوضع منبره في وسطه وهو من ذهب فيقعد عليه وحوله ستمائة الف كرسي من ذهب وفضة فيقعد الانبياء
على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير باجنحتها حتى لا تقع
عليها الشمس وترفع ريح الصبا البساط فتسير به مسيرة شهر • ويروى انه كان يامر الريح العاصف تحمله ويامر الرخاء
تسيره فاوحى الله تعالى اليه وهو يسير بين السماء والارض اني قد زدت في ملكك لا يتكلم احد بشيء الا القته الريح
في سمعك فيحكى انه مر بحراث فقال لقد اوتي آل داود ملكا عظيما فالقته الريح في اذنه فنزل ومشى الى الحراث وقال
انما مشيت اليك لئلا تتمنى ما لا تقدر عليه ثم قال لتسبيحة واحدة يقبلها الله تعالى خير مما اوتي آل داود • يوزعون
يحبس اولهم على آخرهم اي يوقف سلاف العسكر حتى تلحقهم التوالي فيكونوا مجتمعين لا يتخلف منهم احد وذلك للكثرة العظيمة
حتى اذا اتوا على واد النمل قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم
سليمان وجنوده وهم لا يشعرون • قيل هو واد بالشام كثير النمل **فان قلت**
لم عدي اتوا بعلى **قلت** يتوجه على معنيين احدهما ان اتيانهم كان من فوق فاتى بحرف الاستعلاء كما قال ابو الطيب
ولشد ما قربت عليك الانجم لما كان قربا من فوق والثاني ان يراد قطع الوادي وبلوغ آخره من قولهم اتى على الشيء اذا
انفده وبلغ آخره كانهم ارادوا ان ينزلوا عند منقطع الوادي لانهم ما دامت الريح تحملهم في الهواء لا يخاف حطمهم وقرئ نملة
يا ايها النمل بضم الميم وبضم الميم والنون وكان الاصل النمل بوزن الرجل والنمل الذي عليه الاستعمال تخفيف عنه كقولهم
السبع في السبع قيل كانت تمشي وهي عرجاء تتكاوس فنادت يا ايها النمل الآية فسمع سليمان عليه السلام كلامها
من ثلثة اميال وقيل كان اسمها طاخية وعن قتادة انه دخل الكوفة فالتف عليه الناس فقال سلوا عما شئتم وكان ابو حنيفة
حاضرا وهو غلام حدث فقال سلوه عن نملة سليمان اكانت ذكرا ام انثى فسالوه فافحم فقال ابو حنيفة رحمه الله تعالى كانت انثى
فقيل له من اين عرفت فقال من كتاب الله تعالى وهو قوله قالت نملة ولو كانت ذكرا لقال قال نملة وذلك ان النملة مثل
الحمامة والشاة في وقوعها على الذكر والانثى فيميز بينهما بعلامة نحو قولهم حمامة ذكر وحمامة انثى وهو وهي وقرئ مسكنكم
ولا يحطمنكم بتخفيف النون وقرئ لا يحطمنكم بفتح الحاء وكسرها واصله لا يحتطمنكم ولما جعلها قائلة والنمل مقولا لهم كما يكون
في اولي العقل اجرى خطابهم مجرى خطابهم **فان قلت** لا يحطمنكم ما هو **قلت** يحتمل ان يكون جوابا للامر وان
يكون نهيا بدلا من الامر والذي جوز ان يكون بدلا منه انه في معنى لا تكونوا حيث انتم فيحطمكم على طريقة لا ارينك ههنا اراد
لا يحطمنكم جنود سليمان فجاء بما هو ابلغ ونحوه عجبت من نفسي ومن اشفاقها • **فتبسم ضاحكا من قولها**
وقال رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي وان اعمل صالحا
ترضاه وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين • ومعنى تبسم ضاحكا تبسم شارعا في الضحك
وآخذا فيه يعني انه قد تجاوز حد التبسم الى الضحك وكذلك ضحك الانبياء واما ما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
ضحك حتى بدت نواجذه فالغرض المبالغة في وصف ما وجد منه من الضحك النبوي والا فبدو النواجذ على الحقيقة
انما يكون عند الاستغراب وقرأ ابن السميفع ضحكا **فان قلت** ما اضحكه من قولها **قلت**
شيئان اعجابه بما دل من قولها على ظهور رحمته ورحمة جنوده وشفقتهم وعلى شهرة حاله وحالهم في باب التقوى وذلك
قولها وهم لا يشعرون يعني انهم لو شعروا لم يفعلوا وسروره بما آتاه الله مما لم يؤت احدا من ادراكه بسمعه ما همس
بعض الحكل الذي هو مثل في الصغر والقلة ومن احاطته بمعناه ولذلك اشتمل دعاؤه على استيزاع الله تعالى شكر ما انعم

زر ابينه اي مراتبه وبهايه وقيل الزين بيت على العدو فقال البس من آيين الملوك استراق الطفر

اوله: فلئن شدة ما جاوزت قدرك صاعدا

تكاوس من كاوس العقير اذا مشى على ثلث قوائم

الحكل الذي لا يسمع له صوت من الدواب قال الشاعر لو كنت قد اوتيت علم الحكل علم سليمان كلام النمل

به عليه من ذلك وعلى استيفاقه لزيادة العمل الصالح والتقوى وحقيقة اوزعني اجعلني ازع شكر نعمتك عندي واكفه
وارتبطه لا ينفلت عني حتى لا انفك شاكرا لك وانما ادرج ذكر والديه لان النعمة على الولد نعمة على الوالدين خصوصا النعمة
الراجعة الى الدين فانه اذا كان تقيا نفعهما بدعائه وشفاعته وبدعاء المؤمنين لهما كلما دعوا له وقالوا رضي الله عنك وعن
والديك • وروي ان النملة احست بصوت الجنود ولا تعلم انهم في الهواء فامر سليمان عليه السلام الريح فوقفت لئلا
يذعرن حتى دخلن مساكنهن ثم دعا بالدعوة ومعنى وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين واجعلني من اهل الجنة
وتفقد الطير فقال ما لي لا ارى الهدهد ام كان من الغائبين • لاعذبنه عذابا
شديدا او لاذبحنه او لياتيني بسلطان مبين • فمكث غير بعيد فقال احطت بما لم
تحط به وجئتك من سبا بنبا يقين • ام هي المنقطعة نظر الى مكان الهدهد فلم يبصره فقال
ما لي لا اراه على معنى انه لا يراه وهو حاضر لساتر ستره او غير ذلك ثم لاح له انه غائب فاضرب عن ذلك واخذ يقول اهو غائب
كانه يسال عن صحة ما لاح له ونحوه قولهم انها لابل ام شاء • وذكر من قصة الهدهد ان سليمان حين تم له بناء بيت المقدس
تجهز للحج بحشره فوافى الحرم واقام به ما شاء وكان يقرب كل يوم طول مقامه بخمسة آلاف ناقة وخمسة آلاف بقرة وعشرين
الف شاة ثم عزم على السير الى اليمن فخرج من مكة صباحا يؤم سهيلا فوافى صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى
ارضا حسناء اعجبته خضرتها فنزل ليتغدى ويصلي فلم يجدوا الماء وكان الهدهد قناقنه وكان يرى الماء من تحت الارض كما يرى
الماء في الزجاجة فتجيء الشياطين فيسلخونها كما يسلخ الاهاب ويستخرجون الماء فتفقده لذلك وحين نزل سليمان
حلق الهدهد فرأى هدهدا آخر واقعا فانحط اليه فوصف له ملك سليمان وما سخر له من كل شيء وذكر له صاحبه ملك بلقيس وان
تحت يدها اثني عشر الف قائد تحت يد كل قائد مائة الف وذهب معه لينظر فما رجع الا بعد العصر • وذكر انه وقعت نفحة من الشمس
على راس سليمان فنظر فاذا موضع الهدهد خال فدعا عفريت الطير وهو النسر فساله عنه فلم يجد عنده علمه ثم قال لسيد الطير
وهو العقاب علي به فارتفعت فنظرت فاذا هو مقبل فقصدته فناشدها الله وقال بحق الله الذي قواك واقدرك علي الا
رحمتني فتركته وقالت ثكلتك امك ان نبي الله قد حلف ليعذبنك قال وما استثنى قالت بلى او لياتيني بعذر مبين فلما
قرب من سليمان ارخى ذنبه وجناحيه يجرها على الارض تواضعا له فلما دنا منه اخذ براسه فمده اليه فقال يا نبي الله اذكر وقوفك
بين يدي الله تعالى فارتعد وعفا عنه ثم ساله • تعذيبه ان يؤدب بما يحتمله حاله ليعتبر به ابناء جنسه وقيل كان عذاب سليمان
للطير ان ينتف ريشه ويشمسه وقيل ان يطلى بالقطران ويشمس وقيل ان يلقى للنمل تاكله وقيل ايداعه القفص وقيل التفريق
بينه وبين الفه وقيل لالزمنه صحبة الاضداد وعن بعضهم اضيق السجون معاشرة الاضداد وقيل لالزمنه خدمة اقرانه
فان قلت من اين حل له تعذيب الهدهد **قلت** يجوز ان يبيح الله تعالى له ذلك لما راى فيه من المصلحة
والمنفعة كما اباح ذبح البهائم والطيور للاكل وغيره من المنافع واذا سخر له الطير ولم يتم التسخير الا بالتاديب والسياسة
جاز ان يباح له ما يستصلح به • وقرئ لياتينني وليأتيني والسلطان الحجة والعذر **فان قلت** قد حلف
على احد ثلاثة اشياء فحلفه على فعليه لا مقال فيه ولكن كيف صح حلفه على فعل الهدهد ومن اين درى انه ياتي بسلطان حتى
يقول او لياتيني بسلطان **قلت** لما نظم الثلاثة باو في الحكم الذي هو الحلف آل كلامه الى قولك ليكونن احد
الامور يعني ان كان الاتيان بالسلطان لم يكن تعذيب ولا ذبح وان لم يكن كان احدهما وليس في هذا ادعاء دراية على انه
يجوز ان يتعقب حلفه بالفعلين وحي من الله بانه سياتيه بسلطان مبين فثلث بقوله او لياتيني بسلطان مبين
عن دراية وايقان • فمكث قرئ بفتح الكاف وضمها غير بعيد غير زمان بعيد كقولك عن قريب ووصف مكثه بقصر المدة
للدلالة على اسراعه خوفا من سليمان وليعلم كيف كان الطير مسخرا له ولبيان ما اعطي من المعجزة الدالة على نبوته وعلى قدرة الله تعالى
احطت بادغام الطاء في التاء باطباق وبغير اطباق • الهم الله تعالى الهدهد فكافح سليمان بهذا الكلام على ما اوتي من
فضل النبوة والحكمة والعلوم الجمة والاحاطة بالمعلومات الكثيرة ابتلاء له في علمه وتنبيها على ان في ادنى خلقه واضعفه
من احاط علما بما لم يحط به لتتحاقر اليه نفسه ويتصاغر اليه علمه ويكون لطفا له في ترك الاعجاب الذي هو فتنة العلماء واعظم
بها فتنة والاحاطة بالشيء علما ان يعلم من جميع جهاته لا يخفى منه معلوم قالوا وفيه دليل على بطلان قول الرافضة ان الامام
لا يخفى عليه شيء ولا يكون في زمانه احد اعلم منه • سبا قرئ بالصرف ومنعه وقرئ بسكون الباء وعن ابن كثير

القناقن الذي يعرف مباط الماء والجمع قناقن كالحلاحل في جمع حلاحل والهو سيد

فی روایة سبأ بالالف کقولهم ذهبوا ایدی سبا وهو سبا بن یشجب بن یعرب بن قحطان فمن جعله اسما للقبیلة لم یصرف ومن جعله اسما للحی او الاب الاکبر صرف قال • من سبا الحاضرین مارب اذ • یبنون من دون سیله العرما وقال • الواردون وتیم فی ذری سبا • قد عض اعناقهم جلد الجوامیس • ثم سمیت مدینة مارب بسبا وبینها وبین صنعا مسیرة ثلث کما سمیت معافر بمعافر بن اد ویحتمل ان یراد المدینة والقوم والنبا الخبر الذی له شان وقوله من سبا بنبا من جنس الکلام الذی سماه المحدثون البدیع وهو من محاسن الکلام الذی یتعلق باللفظ بشرط ان یجیء مطبوعا او یصنعه عالم بجوهر الکلام یحفظ معه صحة المعنی وسداده ولقد جاء ههنا زائدا علی الصحة فحسن وبدع لفظا ومعنی الا تری انه لو وضع مکان بنبا بخبر لکان المعنی صحیحا وهو کما جاء اصح لما فی النبا من الزیادة التی یطابقها وصف الحال

انی وجدت امرأة تملکهم واوتیت من کل شیء ولها عرش عظیم • وجدتها وقومها یسجدون للشمس من دون الله وزین لهم الشیطان اعمالهم فصدهم عن السبیل فهم لا یهتدون • الا یسجدوا لله الذی یخرج الخبء فی السموات والارض ویعلم ما تخفون وما تعلنون • الله لا اله الا هو رب العرش العظیم •

المرأة بلقیس بنت شراحیل وکان ابوها ملک ارض الیمن کلها وقد ولده اربعون ملکا ولم یکن له ولد غیرها فغلبت علی الملک وکانت هی وقومها مجوسا یعبدون الشمس والضمیر فی تملکهم لسبا فان ارید به القوم فالامر ظاهر وان ارید المدینة فمعناه تملک اهلها وقیل فی وصف عرشها کان ثمانین ذراعا فی ثمانین وسمکه ثمانین وقیل ثلاثین وکان من ذهب وفضة مکللا بانواع الجواهر وکانت قوائمه من یاقوت احمر واخضر ودر وزمرد وعلیه سبعة ابیات علی کل بیت باب مغلق **فان قلت** کیف استعظم عرشها مع ما کان یری من ملک سلیمان **قلت** یجوز ان یستصغر حالها الی حال سلیمان فاستعظم لها ذلک العرش ویجوز ان لا یکون لسلیمان مثله وان عظمت مملکته فی کل شیء کما یکون لبعض امراء الاطراف شیء لا یکون مثله للملک الذی یملک علیهم امرهم ویستخدمهم ومن نوکی القصاص من یقف علی قوله ولها عرش ثم یبتدی عظیم وجدتها یرید امر عظیم ان وجدتها وقومها یسجدون للشمس فر من استعظام الهدهد عرشها فوقع فی عظیمة وهی مسخ کتاب الله تعالی **فان قلت** کیف قال واوتیت من کل شیء مع قول سلیمان واوتینا من کل شیء کانه سوی بینهما **قلت** بینهما فرق بین لان سلیمان عطف قوله علی ما هو معجزة من الله تعالی وهو تعلیم منطق الطیر فرجع اولا الی ما اوتی من النبوة والحکمة واسباب الدین ثم الی الملک واسباب الدنیا وعطفه الهدهد علی الملک فلم یرد الا ما اوتیت من اسباب الدنیا اللائقة بحالها فبین الکلامین بون بعید **فان قلت** کیف خفی علی سلیمان مکانها وکانت المسافة بین محطه وبین بلدها قریبة وهی مسیرة ثلث بین صنعاء ومارب **قلت** لعل الله عز وجل اخفی عنه ذلک لمصلحة رآها کما اخفی مکان یوسف علی یعقوب **فان قلت** من این للهدهد التهدی الی معرفة الله تعالی ووجوب السجود له وانکار سجودهم للشمس واضافته الی الشیطان وتزیینه **قلت** لا یبعد ان یلهمه الله تعالی ذلک کما الهمه وغیره من الطیور وسائر الحیوان المعارف اللطیفة التی لا یکاد العقلاء الرجاح العقول یهتدون لها ومن اراد استقراء ذلک فعلیه بکتاب الحیوان خصوصا فی زمن نبی سخرت له الطیور وعلم منطقها وجعل ذلک معجزة له من قرأ بالتشدید اراد فصدهم عن السبیل لئلا یسجدوا فحذف الجار مع ان ویجوز ان تکون لا مزیدة ویکون المعنی فهم لا یهتدون الی ان یسجدوا ومن قرأ بالتخفیف فهو الا یا اسجدوا الا للتنبیه ویا حرف نداء ومناداه محذوف کما حذفه من قال • الا یا اسلمی یا دارمی علی البلی • وفی حرف عبد الله وهی قراءة الاعمش هلا وهلا بقلب الهمزتین هاء وعن عبد الله هلا تسجدون بمعنی الا تسجدون علی الخطاب وفی قراءة ابی الا تسجدون لله الذی یخرج الخبء من السماء والارض ویعلم سرکم وما تعلنون وسمی المخبوء بالمصدر وهو النبات والمطر وغیرهما مما خبأه عز وعلا من غیوبه وقری الخب علی تخفیف الهمزة بالحذف والخبا علی تخفیفها بالقلب وهی قراءة ابن مسعود ومالک بن دینار ووجهها ان تخرج علی لغة من یقول فی الوقف هذا الخبو ورایت الخبا ومررت بالخبی ثم اجری الوصل مجری الوقف لا علی لغة من یقول الکماة والحماة لانها ضعیفة مسترذلة وقری یخفون ویعلنون بالیاء والتاء وقیل من احطت الی العظیم هو کلام الهدهد وقیل کلام رب العزة وفی اخراج الخبء امارة علی انه من کلام الهدهد لهندسته ومعرفته الماء تحت الارض وذلک بالهام من یخرج الخبء فی السموات والارض جلت قدرته ولطف علمه ولا یکاد تخفی علی ذی الفراسة النظار بنور الله

تخایل کل مختص بصناعة او فن من العلم فی روائه ومنطقه وشمائله ولهذا ورد ما عمل عبد عملا الا القی الله علیه رداء عمله **فان قلت** اسجدة التلاوة واجبة فی القراءتین جمیعا ام فی احدیهما **قلت** هی واجبة فیهما جمیعا لان مواضع السجدة اما امر بها او مدح لمن اتی بها او ذم لمن ترکها واحدی القراءتین امر بالسجود والاخری ذم للتارک وقد اتفق ابو حنیفة والشافعی رحمهما الله تعالی علی ان سجدات القرآن اربع عشرة وانما اختلفا فی سجدة ص فهی عند ابی حنیفة سجدة تلاوة وعند الشافعی سجدة شکر وفی سجدتی سورة الحج وما ذکره الزجاج من وجوب السجدة مع التخفیف دون التشدید فغیر مرجوع الیه **فان قلت** هل یفرق الواقف بین القراءتین **قلت** نعم اذا خفف وقف علی فهم لا یهتدون ثم ابتدأ الا یا اسجدوا وان شاء وقف علی الا یا ثم ابتدأ اسجدوا واذا شدد لم یقف الا علی العرش العظیم **فان قلت** کیف سوی الهدهد بین عرش بلقیس وعرش الله تعالی فی الوصف بالعظیم **قلت** بین الوصفین بون عظیم لان وصف عرشها بالعظم تعظیم له بالاضافة الی عروش ابناء جنسها من الملوک ووصف عرش الله بالعظم تعظیم له بالنسبة الی ما خلق من السموات والارض وقری العظیم بالرفع • قال سننظر اصدقت ام کنت من الکاذبین • اذهب بکتابی هذا فالقه الیهم ثم تول عنهم فانظر ماذا یرجعون •

سننظر من النظر الذی هو التامل والتصفح واراد اصدقت ام کذبت الا ان کنت من الکاذبین ابلغ لانه اذا کان معروفا بالانخراط فی سلک الکاذبین کان کاذبا لا محالة واذا کان کاذبا اتهم بالکذب فیما اخبر به فلم یوثق به تول عنهم تنح عنهم الی مکان قریب تتواری فیه لیکون ما یقولونه بمسمع منک ویرجعون من قوله تعالی یرجع بعضهم الی بعض القول فیقال دخل علیها من کوة فالقی الکتاب الیها وتواری فی الکوة **فان قلت** لم قال فالقه الیهم علی لفظ الجمع **قلت** لانه قال وجدتها وقومها یسجدون للشمس فقال فالقه الی الذین هذا دینهم اهتماما منه بامر الدین واشتغالا به عن غیره وبنی الخطاب فی الکتاب علی لفظ الجمع لذلک • قالت یا ایها الملأ انی القی الی کتاب کریم • انه من سلیمان وانه بسم الله الرحمن الرحیم • الا تعلوا علی واتونی مسلمین • کریم حسن مضمونه وما فیه او وصفته بالکرم لانه من عند ملک کریم او مختوم قال صلی الله علیه وسلم کرم الکتاب ختمه وکان صلی الله علیه وسلم کتب الی العجم فقیل له انهم لا یقبلون الا کتابا علیه خاتم فاصطنع خاتما • وعن ابن المقفع من کتب الی اخیه کتابا ولم یختمه فقد استخف به وقیل مصدر ببسم الله الرحمن الرحیم هو استیناف وتبیین لما القی الیها کانها لما قالت انی القی الی کتاب کریم قیل لها ممن هو وما هو فقالت انه من سلیمان وانه کیت وکیت وقرأ عبد الله وانه من سلیمان وانه عطفا علی انی وقری انه من سلیمان وانه بالفتح علی انه بدل من کتاب کانه قیل القی الی انه من سلیمان ویجوز ان یرید لانه من سلیمان ولانه کانها عللت کرمه بکونه من سلیمان وتصدیره باسم الله وقرأ ابی ان من سلیمان وان بسم الله علی ان المفسرة وان فی ان لا تعلوا علی مفسرة ایضا لا تعلوا لا تتکبروا کما تفعل الملوک وقرأ ابن عباس بالغین معجمة من الغلو وهو مجاوزة الحد • یروی ان نسخة الکتاب من عبد الله سلیمان بن داود الی بلقیس ملکة سبا السلام علی من اتبع الهدی اما بعد فلا تعلوا علی واتونی مسلمین وکانت کتب الانبیاء جملا لا یطیلون ولا یکثرون وطبع الکتاب بالمسک وختمه بخاتمه فوجدها الهدهد راقدة فی قصرها بمارب وکانت اذا رقدت غلقت الابواب ووضعت المفاتیح تحت راسها فدخل من کوة وطرح الکتاب علی نحرها وهی مستلقیة وقیل نقرها فانتبهت فزعة وقیل اتاها والقادة والجنود حوالیها فرفرف ساعة والناس ینظرون حتی رفعت راسها فالقی الکتاب فی حجرها وکانت قارئة کاتبة عربیة من نسل تبع بن شراحیل الحمیری فلما رات الخاتم ارتعدت وخضعت وقالت لقومها ما قالت مسلمین منقادین او مؤمنین • قالت یا ایها الملأ افتونی فی امری ما کنت قاطعة امرا حتی تشهدون • قالوا نحن اولو قوة واولو باس شدید والامر الیک فانظری ماذا تامرین • قالت ان الملوک اذا دخلوا قریة افسدوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة وکذلک یفعلون • وانی مرسلة الیهم بهدیة فناظرة بم یرجع المرسلون • الفتوی الجواب فی الحادثة اشتقت علی طریق الاستعارة من الفتاء فی السن والمراد بالفتوی ههنا الاشارة علیها بما عندهم فیما حدث لها من الرای والتدبیر وقصدت بالانقطاع الیهم والرجوع الی استشارتهم واستطلاع رایهم استعطافهم وتطییب نفوسهم لیمالئوها ویقوموا معها قاطعة امرا فاصلة وفی قراءة ابن مسعود قاضیة ای لا ابت امرا الا بمحضرکم وقیل کان اهل مشورتها

ثمانية وثلاثة عشر كل واحد على عشرة آلاف أرادوا بالقوة قوة الأجساد وقوة الآلات والعدد وبالبأس النجدة والبلاء في الحرب والأمر إليك أي هو موكول إليك ونحن مطيعون لك فمرينا بأمرك نطعك ولا نخالفك كأنهم أشاروا عليها بالقتال أو أرادوا نحن من أبناء الحرب لا من أبناء الرأي والمشورة وأنت ذات الرأي والتدبير فانظري ماذا ترين نتبع رأيك لما أحست منهم الميل إلى المحاربة رأت من الرأي الميل إلى الصلح والابتداء بما هو أحسن ورتبت الجواب فزيفت أولا ما ذكروه وأرتهم الخطأ فيه بأن الملوك إذا دخلوا قرية عنوة وقهرا أفسدوها أي خربوها ومن ثم قالوا للفساد الخربة وأذلوا أعزتها وأهانوا أشرافها وقتلوا وأسروا فذكرت لهم عاقبة الحرب وسوء مغبتها ثم قالت وكذلك يفعلون أرادت وهذه عادتهم المستمرة الثابتة التي لا تتغير لأنها كانت في بيت الملك القديم فسمعت نحو ذلك ورأت ثم ذكرت بعد ذلك حديث الهدية وما رأت من الرأي السديد وقيل هو تصديق من الله تعالى لقولها وقد يتعلق الساعون في الأرض بالفساد بهذه الآية ويجعلونها حجة لأنفسهم ومن استباح حراما فقد كفر فإذا احتج له بالقرآن على وجه التحريف فقد جمع بين كفرين وإني مرسلة إليهم بهدية أي مرسلة رسلا بهدية أصانعه بها عن ملكي فناظرة ما يكون منه حتى أعمل على حسب ذلك فروي أنها بعثت خمسمائة غلام عليهم ثياب الجواري وحليهن الأساور والأطواق والقرطة راكبي خيل مغشاة بالديباج محلاة اللجم والسروج بالذهب المرصع بالجواهر وخمسمائة جارية على رماك في زي الغلمان وألف لبنة من ذهب وفضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت المرتفع والمسك والعنبر وحقا فيه درة عذراء وجزعة معوجة الثقب وبعثت رجلين من أشراف قومها المنذر بن عمرو وآخر ذا رأي وعقل وقالت إن كان نبيا ميز بين الغلمان والجواري وثقب الدرة ثقبا مستويا وسلك في الخرزة خيطا ثم قالت للمنذر إن نظر إليك نظر غضبان فهو ملك فلا يهولنك وإن رأيته بشا لطيفا فهو نبي فأقبل الهدهد فأخبر سليمان فأمر الجن فضربوا لبن الذهب والفضة وفرشوه في ميدان بين يديه طوله سبعة فراسخ وجعلوا حول الميدان حائطا شرفه من الذهب والفضة وأمر بأحسن الدواب في البر والبحر فربطوها عن يمين الميدان ويساره على اللبن وأمر بأولاد الجن وهم خلق كثير فأقيموا عن اليمين واليسار ثم قعد على سريره والكراسي من جانبيه واصطفت الشياطين صفوفا فراسخ والإنس صفوفا فراسخ والوحش والسباع والطيور والهوام كذلك فلما دنا القوم ونظروا بهتوا ورأوا الدواب تروث على اللبن فتقاصرت إليهم نفوسهم ورموا بما معهم ولما وقفوا بين يديه نظر إليهم بوجه طلق وقال ما وراءكم وقال أين الحق وأخبره جبريل بما فيه فقال لهم إن فيه كذا وكذا ثم أمر بالأرضة فأخذت شعرة ونفذت فيها فجعل رزقها في الشجرة وأخذت دودة بيضاء الخيط بفيها ونفذت فيها فجعل رزقها في الفواكه ودعا بالماء فكانت الجارية تأخذ الماء بيدها فتجعله في الأخرى ثم تضرب به وجهها والغلام كما يأخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية وقال للمنذر ارجع إليهم فقالت هو نبي وما لنا به طاقة فشخصت إليه في اثني عشر ألف قيل تحت كل قيل ألوف

فلما جاء سليمان قال أتمدونن بمال فما آتاني الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون

وفي قراءة ابن مسعود فلما جاءوا أتمدونني وقرئ بحذف الياء والاكتفاء بالكسرة وبالإدغام كقوله تعالى أتحاجوني وبنون واحدة أتمدوني الهدية اسم المهدى كما أن العطية اسم المعطى فتضاف إلى المهدي والمهدى له تقول هذه هدية فلان تريد هي التي أهداها أو أهديت إليه والمضاف إليه ههنا هو المهدى إليه والمعنى إن ما عندي خير مما عندكم وذلك أن الله تعالى آتاني الدين الذي فيه الحظ الأوفر والغنى الأوسع وآتاني من الدنيا ما لا يستزاد عليه فكيف يرضى مثلي بأن يمد بمال ويصانع به بل أنتم قوم لا تعلمون إلا ظاهرا من الحياة الدنيا فلذلك تفرحون بما تزادون ويهدى إليكم لأن ذلك مبلغ همتكم وحالي خلاف حالكم وما أرضى منكم بشيء ولا أفرح به إلا بالإيمان وترك المجوسية **فإن قلت** ما الفرق بين قولك أتمدني بمال وأنا أغنى منك وبين أن تقوله بالفاء **قلت** إذا قلته بالواو فقد جعلت مخاطبي عالما بزيادتي عليه في الغنى واليسار وهو مع ذلك يمدني بالمال وإذا قلته بالفاء فقد جعلته ممن خفيت عليه حالي فأنا أخبره الساعة بما لا أحتاج معه إلى إمداده كأني أقول له أنكر عليك ما فعلت فإني غني عنه وعليه ورد قوله فما آتاني الله **فإن قلت** فما وجه الإضراب **قلت** لما أنكر عليهم الإمداد وعلل إنكاره أضرب عن ذلك إلى بيان السبب الذي حملهم عليه وهو أنهم لا يعرفون سبب رضا ولا فرح إلا أن يهدى إليهم حظ من الدنيا التي لا يعلمون غيرها ويجوز أن تجعل الهدية مضافة

إلى المهدي ويكون المعنى بل أنتم بهديتكم هذه التي أهديتموها تفرحون فرح افتخار على الملوك بأنكم قدرتم على إهداء مثلها ويحتمل أن يكون عبارة عن الرد كأنه قال بل أنتم من حقكم أن تأخذوا هديتكم وتفرحوا بها ارجع خطاب للرسول وقيل للهدهد محملا كتابا آخر لا قبل لا طاقة وحقيقة القبل المقاومة والمقابلة أي لا يقدرون أن يقابلوهم وقرأ ابن مسعود لا قبل لهم بهم والضمير في منها لسبأ والذل أن يذهب عنهم ما كانوا فيه من العز والملك والصغار أن يقعوا في أسر واستعباد ولا يقتصر بهم على أن يرجعوا سوقة بعد أن كانوا ملوكا

قال يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين

يروى أنها أمرت عند خروجها إلى سليمان عليه السلام فجعل عرشها في آخر سبعة أبيات بعضها في بعض في آخر قصر من قصور سبعة لها وغلقت الأبواب ووكلت به حرسا يحفظونه ولعله أوحي إلى سليمان باستيثاقها من عرشها فأراد أن يغرب عليها ويريها بذلك بعض ما خصه الله تعالى به من إجراء العجائب على يده مع اطلاعها على عظيم قدرة الله تعالى وعلى ما يشهد لنبوة سليمان ويصدقها وعن قتادة أراد أن يأخذه قبل أن تسلم لعلمه أنها إذا أسلمت لم يحل له أخذ مالها وقيل أراد أن يؤتى به فينكر ويغير ثم ينظر أتثبته أم تنكره اختبارا لعقلها

قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين

قرئ عفرية والعفر والعفريت والعفرية والعفراة والعفارية من الرجال الخبيث المنكر الذي يعفر أقرانه ومن الشياطين الخبيث المارد وقالوا كان اسمه ذكوان لقوي على حمله أمين آتي به كما هو لا أختزل منه شيئا ولا أبدله

قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم

الذي عنده علم من الكتاب رجل كان عنده اسم الله الأعظم وهو يا حي يا قيوم وقيل يا إلهنا وإله كل شيء إلها واحدا لا إله إلا أنت وقيل يا ذا الجلال والإكرام وعن الحسن الله والرحمن وقيل هو آصف بن برخيا كاتب سليمان وكان صديقا عالما وقيل اسمه أسطوم وقيل هو جبريل وقيل ملك أيد الله به سليمان وقيل هو سليمان نفسه كأنه استبطأ العفريت فقال له أنا أريك ما هو أسرع مما تقول وعن ابن لهيعة بلغني أنه الخضر عليه السلام علم من الكتاب من الكتاب المنزل وهو علم الوحي والشرائع وقيل هو اللوح والذي عنده علم منه جبريل وآتيك في الموضعين يجوز أن يكون فعلا واسم فاعل الطرف تحريكك أجفانك إذا نظرت فوضع موضع النظر ولما كان الناظر موصوفا بإرسال الطرف في نحو قوله وكنت إذا أرسلت طرفك رائدا لقلبك يوما أتعبتك المناظر وصف برد الطرف ووصف بالارتداد ومعنى قوله قبل أن يرتد إليك طرفك أنك ترسل طرفك إلى شيء فقبل أن ترده أبصرت العرش بين يديك ويروى أن آصف قال لسليمان مد عينيك حتى ينتهي طرفك فمد عينيه فنظر نحو اليمن ودعا آصف فغار العرش في مكانه ثم نبع عند مجلس سليمان بالشام بقدرة الله تعالى قبل أن يرتد طرفه ويجوز أن يكون هذا مثلا لاستقصار مدة المجيء به كما تقول لصاحبك افعل ذلك في لحظة وفي ردة طرف والتفت ترني وما أشبه ذلك تريد السرعة يشكر لنفسه لأنه يحط به عنها عبء الواجب ويصونها عن سمة الكفران ويرتبط به النعمة ويستمد المزيد وقيل الشكر قيد للنعمة الموجودة وصيد للنعمة المفقودة وفي كلام بعض المتقدمين إن كفران النعمة بوار وقلما أقشعت نافرة فرجعت في نصابها فاستدع شاردها بالشكر واستدم راهنها بكرم الجوار واعلم أن سبوغ ستر الله تعالى متقلص عما قريب إذا أنت لم ترج لله وقارا غني عن الشكر كريم بالإنعام على من يكفر نعمته والذي قاله سليمان عليه السلام عند رؤية العرش شاكرا لربه جرى على شاكلة أنبياء الله تعالى والمخلصين من عباده يتلقون النعمة القادمة بحسن الشكر كما يشيعون النعمة المودعة بجميل الصبر

قال نكروا لها عرشها ننظر أتهتدي أم تكون من الذين لا يهتدون

نكروا اجعلوه متنكرا متغيرا عن هيئته وشكله كما يتنكر الرجل للناس لئلا يعرفوه قالوا وسعوه وجعلوا مقدمه مؤخره وأعلاه أسفله وقرئ ننظر بالجزم على الجواب وبالرفع على الاستئناف أتهتدي لمعرفته أو للجواب الصواب إذا سئلت عنه أو للدين والإيمان بنبوة سليمان إذا رأت تلك المعجزة البينة من تقدم عرشها وقد خلفته وأغلقت عليه الأبواب ونصبت عليه الحراس

فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين

هكذا ثلاث كلمات حرف التنبيه وكاف التشبيه واسم الإشارة لم يقل أهذا عرشك ولكن أمثل هذا عرشك لئلا يكون تلقينا

اسم الله الاعظم

تحقيقا فقالت كأنه هو ولم تقل هو هو ولا ليس به وذلك من رجاحة عقلها حيث لم تقطع في المحتمل واوتينا العلم من كلام
سليمان وملائه **فان قلت** علام عطف هذا الكلام وبم اتصل **قلت** لما كان المقام الذي سئلت فيه
عن عرشها واجابت بما اجابت به مقاما اجرى فيه سليمان وملاؤه ما يناسب قولهم واوتينا العلم نحو ان يقولوا عند
قولها كأنه هو قد اصابت في جوابها وطبقت المفصل وهي عاقلة لبيبة وقد رزقت الاسلام وعلمت قدرة الله تعالى وصحة
النبوة بالآيات التي تقدمت عند وفدة المنذر وبهذه الآية العجيبة من امر عرشها عطفوا على ذلك قولهم واوتينا
نحن العلم بالله والاسلام قبلها ● **وصدها ما كانت تعبد من دون الله انها كانت من قوم
كافرين** ● وصدها عن التقدم الى الاسلام عبادة الشمس ونشؤها بين ظهراني الكفرة ويجوز ان يكون من
كلام بلقيس موصولا بقولها كأنه هو والمعنى واوتينا العلم بالله وبقدرته وبصحة نبوة سليمان قبل هذه المعجزة او قبل هذه
الحالة تعني ما تبينت من الآيات عند وفدة المنذر ودخلنا في الاسلام ثم قال الله تعالى وصدها قبل ذلك عما دخلت
فيه ضلالها عن سواء السبيل وقيل وصدها الله تعالى او سليمان عما كانت تعبد بتقدير حذف الجار وايصال الفعل
وقرئ انها بالفتح على انه بدل من فاعل صد او بمعنى لانها ● **قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لجة
وكشفت عن ساقيها قال انه صرح ممرد من قوارير قالت رب اني ظلمت نفسي واسلمت
مع سليمان لله رب العالمين** ● الصرح القصر وقيل صحن الدار وقرأ ابن كثير سأقيها بالهمز ووجهه
انه سمع سؤقا فاجرى عليه الواحد الممرد المملس وروي ان سليمان عليه السلام امر قبل قدومها فبني له على طريقها قصر
من زجاج ابيض واجرى من تحته الماء والقى فيه من دواب البحر السمك وغيره ووضع سريره في صدره فجلس عليه
وعكف عليه الطير والجن والانس وانما فعل ذلك ليزيدها استعظاما لامره وتحققا لنبوته وثباتا على الدين وزعموا ان
الجن كرهوا ان يتزوجها فتفضي اليه باسرارهم لانها كانت بنت جنية وقيل خافوا ان يولد له منها ولد تجتمع له فطنة
الجن والانس فيخرجون من ملك سليمان الى ملك هو اشد وافظع فقالوا له ان في عقلها شيئا وهي شعراء الساقين
ورجلها كحافر الحمار فاختبر عقلها بتنكير العرش واتخذ الصرح ليتعرف ساقها ورجلها فكشفت عنهما فاذا هي احسن الناس
ساقا وقدما وقيل هي السبب في اتخاذ النورة امر بها الشياطين فاتخذوها واستنكحها سليمان واحبها واقرها على ملكها
وامر الجن فبنوا لها سلحين وغمدان وكان يزورها في الشهر مرة فيقيم عندها ثلاثة ايام وولدت له وقيل بل زوجها ذا تبع
ملك همدان وسلطه على اليمن وامر زوبعة امير جن اليمن ان يطيعه فبنى له المصانع ولم يزل اميرا حتى مات سليمان ظلمت
نفسي تريد بكفرها فيما تقدم وقيل حسبت ان سليمان يغرقها في اللجة فقالت ظلمت نفسي بسوء ظني بسليمان
ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا ان اعبدوا الله فاذا هم فريقان يختصمون
وقرئ ان اعبدوا بالضم على اتباع النون الباء فريقان فريق مؤمن وفريق كافر وقيل اريد بالفريقين صالح وقومه
قبل ان يؤمن منهم احد يختصمون يقول كل فريق الحق معي ● **قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل
الحسنة لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون** ● السيئة العقوبة والحسنة التوبة
فان قلت ما معنى استعجالهم بالسيئة قبل الحسنة وانما يكون ذلك اذا كانتا متوقعتين احداهما قبل الاخرى **قلت**
كانوا يقولون لجهلهم ان العقوبة التي يعدها صالح ان وقعت على زعمه تبنا حينئذ واستغفرنا مقدرين ان التوبة مقبولة
في ذلك الوقت وان لم تقع فنحن على ما نحن عليه فخاطبهم صالح على حسب قولهم واعتقادهم ثم قال لهم هلا تستغفرون الله قبل نزول
العذاب لعلكم ترحمون تنبيها لهم على الخطأ فيما قالوه وتجهيلا فيما اعتقدوه ● **قالوا اطيرنا بك وبمن معك قال
طائركم عند الله بل انتم قوم تفتنون** ● كان الرجل يخرج مسافرا فيمر بطائر فيزجره فان مر سانحا تيمن وان
مر بارحا تشاءم فلما نسبوا الخير والشر الى الطائر استعير لما كان سببهما من قدر الله تعالى وقسمته او من عمل العبد الذي هو السبب في
الرحمة والنقمة ومنه قالوا طائر الله لا طائرك الذي تشاءم به وتيمن فلما قالوا اطيرنا بكم اي تشاءمنا وكانوا قد قحطوا قال
طائركم عند الله اي سببكم الذي يجيء منه خيركم وشركم عند الله وهو قدره وقسمته ان شاء رزقكم وان شاء حرمكم ويجوز
ان يريد عملكم مكتوب عند الله فمنه نزل بكم ما نزل عقوبة لكم وفتنة ومنه قوله تعالى طائركم معكم وكل انسان الزمناه طائره
في عنقه وقرئ تطيرنا بك على الاصل ومعنى تطير به تشاءم به وتطير منه نفر منه تفتنون تختبرون او تعذبون او يفتنكم

الشيطان

الشيطان بوسوسته اليكم الطيرة ● **وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الارض
ولا يصلحون** ● المدينة الحجر وانما جاز تمييز التسعة بالرهط لانه في معنى الجماعة فكأنه قيل تسعة انفس والفرق
بين الرهط والنفر ان الرهط من الثلاثة الى العشرة او من السبعة الى العشرة والنفر من الثلاثة الى التسعة واسماؤهم
عن وهب الهذيل بن عبد رب غنم بن غنم رياب بن مهرج مصدع بن مهرج عمير بن كردبة عاصم بن مخرمة
سبيط بن صدقة سمعان بن صفي قدار بن سالف وهم الذين سعوا في عقر الناقة وكانوا عتاة قوم صالح وكانوا
من ابناء اشرافهم ولا يصلحون يعني ان شأنهم الافساد البحت الذي لا يخلط بشيء من الصلاح كما ترى بعض المفسدين قد يندر
منه بعض الصلاح ● **قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه واهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا
مهلك اهله وانا لصادقون** ● تقاسموا يحتمل ان يكون امرا وخبرا في محل الحال باضمار قد اي قالوا متقاسمين
وقرئ تقسموا وقرئ لنبيتنه بالتاء والياء والنون فتقاسموا مع النون والتاء يصح فيه الوجهان ومع الياء لا يصح
الا ان يكون خبرا والتقاسم والتقسم كالتظاهر والتظهر التحالف والبيات مباغتة العدو ليلا وعن الاسكندر
انه اشير عليه بالبيات فقال ليس من آيين الملوك استراق الظفر وقرئ مهلك بفتح الميم واللام وكسرها من
هلك ومهلك بضم الميم من اهلك ويحتمل المصدر والمكان والزمان **فان قلت** كيف يكونون صادقين
وقد جحدوا ما فعلوا فأتوا بالخبر على خلاف المخبر عنه **قلت** كأنهم اعتقدوا انهم اذا بيتوا صالحا وبيتوا اهله فجمعوا بين
البياتين ثم قالوا ما شهدنا مهلك اهله فذكروا احدهما كانوا صادقين لانهم فعلوا البياتين جميعا لا احدهما وفي هذا دليل
قاطع على ان الكذب قبيح عند الكفرة الذين لا يعرفون الشرع ونواهيه ولا يخطر ببالهم الا ترى انهم قصدوا قتل نبي الله ولم يرضوا
لانفسهم بان يكونوا كاذبين حتى سووا للصدق في خبرهم حيلة يتفصون بها عن الكذب ● **ومكروا مكرا ومكرنا
مكرا وهم لا يشعرون** ● **فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انا دمرناهم وقومهم اجمعين**
مكرهم ما اخفوه من تدبير الفتك بصالح واهله ومكر الله اهلاكهم من حيث لا يشعرون شبه بمكر الماكرين على سبيل الاستعارة
روي انه كان لصالح مسجد في الحجر في شعب يصلي فيه فقالوا زعم صالح انه يفرغ منا الى ثلاث فنحن نفرغ منه ومن اهله قبل الثلاث
فخرجوا الى الشعب وقالوا اذا جاء يصلي قتلناه ثم رجعنا الى اهله فقتلناهم فبعث الله تعالى صخرة من الهضب حيالهم
فبادروا فطبقت الصخرة عليهم فم الشعب فلم يدر قومهم اين هم ولم يدروا ما فعل بقومهم وعذب الله تعالى كلا منهم في
مكانه ونجى صالحا ومن معه وقيل جاؤوا بالليل شاهري سيوفهم وقد ارسل الله الملائكة ملء دار صالح فدمغوهم
بالحجارة يرون الحجارة ولا يرون راميا انا دمرناهم استئناف ومن قرأ بالفتح رفعه بدلا من العاقبة او خبر مبتدأ محذوف
تقديره هي تدميرهم او نصبه على معنى لانا او على انه خبر كان اي كان عاقبة مكرهم الدمار ● **فتلك بيوتهم خاوية
بما ظلموا ان في ذلك لآية لقوم يعلمون** ● **وانجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون**
خاوية حال عمل فيها ما دل عليه تلك وقرأ عيسى بن عمر خاوية بالرفع على خبر المبتدأ المحذوف ● **ولوطا اذ قال لقومه
أتأتون الفاحشة وانتم تبصرون** ● **أئنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل
انتم قوم تجهلون** ● واذكر لوطا او وارسلنا لوطا لدلالة ولقد ارسلنا عليه واذ بدل على الاول ظرف على
الثاني وانتم تبصرون من بصر القلب اي تعلمون انها فاحشة لم تسبقوا اليها وان الله تعالى انما خلق الانثى للذكر ولم يخلق
الذكر للذكر ولا الانثى للانثى فهي مضادة لله تعالى في حكمته وحكمه وعلمكم بذلك اعظم لذنوبكم وادخل في القبح والسماجة
وفيه دليل على ان القبيح من الله تعالى اقبح منه من عباده لانه اعلم العالمين واحكم الحاكمين او تبصرونها بعضكم من
بعض لانهم كانوا في ناديهم يرتكبونها معالنين بها لا يتستر بعضهم من بعض مجانة وخلاعة وانهماكا في المعصية
وكأن ابا نواس بنى على مذهبهم قوله ● وبح باسم ما تأتي وذرني من الكنى ● فلا خير في اللذات من دونها ستر ● او تبصرون
آثار العصاة قبلكم وما نزل بهم **فان قلت** فسرت تبصرون بالعلم وبعده بل انتم قوم تجهلون فكيف يكونون علماء
جهلاء **قلت** اراد تفعلون فعل الجاهلين بانها فاحشة مع علمكم بذلك او تجهلون العاقبة او اراد بالجهل السفاهة
والمجانة التي كانوا عليها **فان قلت** تجهلون صفة لقوم والموصوف لفظه لفظ الغائب فهلا طابقت الصفة
الموصوف فقرئ بالياء دون التاء وكذلك بل انتم قوم تفتنون **قلت** اجتمعت الغيبة والمخاطبة فغلبت المخاطبة لانها

اي وارجح اصلا من الغيبة ● فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا آل لوط من
قريتكم انهم اناس يتطهرون ● فانجيناه واهله الا امراته قدرناها من
الغابرين وامطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين ● وقرا الاعمش جواب قومه بالرفع والمشهورة
احسن يتطهرون يتنزهون عن القاذورات كلها فينكرون هذا العمل القذر ويغيظنا انكارهم وعن ابن عباس رضي
هو استهزاء قدرناها قدرنا كونها من الغابرين كقوله تعالى قدرنا انها لمن الغابرين فالتقدير واقع على الغبور في المعنى
قل ● وسلام على عباده الذين اصطفى ● الله خير اما يشركون
امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتلو هذه الآيات الناطقة بالبراهين على وحدانيته وقدرته على كل شيء وحكمته وان
يستفتح بتحميده والسلام على انبيائه عليهم الصلوة والسلام من الرحيم الرحمن والمصطفين من عباده وفيه تعليم حسن وتوقيف
على ادب جميل وبعث على التيمن بالذكرين والتبرك بهما والاستظهار بمكانهما على قبول ما يلقى الى السامعين واصغائهم اليه
وانزاله من قلوبهم المنزلة التي يبتغيها المسمع ولقد توارث العلماء والخطباء والوعاظ كابرا عن كابر هذا الادب فحمدوا الله
وصلوا على رسوله امام كل علم مفاد وقبل كل عظة وتذكرة وفي مفتتح كل خطبة وتبعهم المترسلون فاجروا عليه اوائل كتبهم في
الفتوح والتهاني وغير ذلك من الحوادث التي لها شان وقيل هو متصل بما قبله وامر بالتحميد على الهالكين من كفار الامم والصلوة
على الانبياء واشياعهم الناجين وقيل هو خطاب للوط عليه السلام وان يحمد الله تعالى على هلاك كفار قومه ويسلم على من
اصطفاه الله تعالى ونجاه من هلكتهم وعصمه من ذنوبهم معلوم انه لا خير فيما اشركوه اصلا حتى يوازن بينه وبين من هو
خالق كل خير ومالكه وانما هو الزام لهم وتبكيت وتهكم بحالهم وذلك انهم آثروا عبادة الاصنام على عبادة الله ولا يؤثر
عاقل شيئا على شيء الا لداع يدعوه الى ايثاره من زيادة خير ومنفعة فقيل لهم مع العلم بانه لا خير فيما آثروه وانهم لم يؤثروه
لزيادة الخير ولكن هوى وعبثا لينبهوا على الخطا المفرط والجهل المورط واضلالهم التمييز ونبذهم المعقول وليعلموا ان الايثار
يجب ان يكون للخير الزائد ونحوه ما حكاه عن فرعون ام انا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين مع علمه انه ليس لموسى مثل
انهاره التي كانت تجري تحته ثم عدد سبحانه الخيرات والمنافع التي هي آثار رحمته وفضله كما عددها في موضع آخر ثم قال
هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء وقرئ تشركون بالتاء والياء وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا قراها
قال بل الله خير وابقى واجل واكرم ● امن خلق السموات والارض وانزل لكم من السماء ماء
فانبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم ان تنبتوا شجرها ءاله مع ● الله ● بل هم قوم
يعدلون ● فان قلت ما الفرق بين ام وام في اما تشركون وامن خلق قلت تلك متصلة لان المعنى ايهما خير
وهذه منقطعة بمعنى بل والهمزة لما قال الله تعالى آلله خير ام الآلهة قال بل امن خلق السموات والارض خير تقريرا لهم بان من قدر
على خلق العالم خير من جماد لا يقدر على شيء وقرا الاعمش امن بالتخفيف ووجهه ان يجعل بدلا من الله كانه قال امن خلق
السموات والارض خير اما تشركون فان قلت اي نكتة في نقل الاخبار عن الغيبة الى التكلم قلت تاكيد معنى اختصاص
الفعل بذاته والايذان بان انبات الحدائق المختلفة الاصناف والالوان والطعوم والروائح والاشكال مع حسنها وبهجتها
بماء واحد لا يقدر عليه الا هو وحده الا ترى كيف رشح معنى الاختصاص بقوله تعالى ما كان لكم ان تنبتوا شجرها ومعنى الكينونة
الانبغاء اراد ان تأتي ذلك محال من غيره وكذلك قوله بل هم بعد الخطاب ابلغ في تخطئة رايهم والحديقة البستان عليه الحائط
من الاحداق وهو الاحاطة وقيل ذات لان المعنى جماعة حدائق ذات بهجة كما يقال نسوة ذهبت والبهجة الحسن لان الناظر يبتهج
به ءاله مع الله اغيره يقرن به ويجعل شريكا له وقرئ ءالها مع الله بمعنى اتدعون او تشركون ولك ان تحقق الهمزتين وتوسط
بينهما مدة وتخرج الثانية بين بين يعدلون به غيره او يعدلون عن الحق الذي هو التوحيد ● امن جعل
الارض قرارا وجعل خلالها انهارا وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزا
ءاله مع الله ● بل اكثرهم لا يعلمون ● امن جعل وما بعده بدل من امن خلق فكان حكمها حكمه قرارا دحاها
وسواها للاستقرار عليها حاجزا كقوله تعالى برزخا ● امن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف
السوء ويجعلكم خلفاء الارض ءاله مع الله ● قليلا ما تذكرون ● الضرورة الحالة
المحوجة الى اللجا والاضطرار افتعال منها يقال اضطره الى كذا والفاعل والمفعول مضطر والمضطر الذي احوجه مرض

او فقر

او فقر او نازلة من نوازل الدهر الى اللجا والتضرع الى الله تعالى وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو المجهود وعن السدي الذي
لا حول له ولا قوة وقيل المذنب اذا استغفر فان قلت قد عم المضطرين بقوله يجيب المضطر اذا دعاه وكم من
مضطر يدعوه فلا يجاب قلت الاجابة موقوفة على ان يكون المدعو به مصلحة ولهذا لا يحسن دعاء العبد الا شارطا
فيه المصلحة واما المضطر فمتناول للجنس مطلقا يصلح لكله ولبعضه فلا طريق الى الجزم على احدهما الا بدليل وقد قام الدليل
على البعض وهو الذي اجابته مصلحة فبطل التناول على العموم خلفاء الارض خلفاء فيها وذلك توارثهم
سكناها والتصرف فيها قرنا بعد قرن واراد بالخلافة الملك والتسلط وقرئ يذكرون بالياء مع الادغام وبالتاء و
مع الادغام والحذف وما مزيدة اي يذكرون تذكرا قليلا والمعنى نفي التذكر والقلة تستعمل في معنى النفي ●
امن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته ءاله مع
الله ● تعالى الله عما يشركون ● يهديكم بالنجوم في السماء والعلامات في الارض اذا جن الليل
عليكم مسافرين في البر والبحر ● امن يبدؤ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والارض
ءاله مع الله ● قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين ● فان قلت كيف قيل لهم امن
يبدا الخلق ثم يعيده وهم منكرون للاعادة قلت قد ازيحت علتهم بالتمكين من المعرفة والاقرار فلم يبق لهم عذر في
الانكار من السماء الماء ومن الارض النبات ان كنتم صادقين ان مع الله الها فاين دليلكم عليه ● قل لا يعلم
من في السموات والارض الغيب الا الله ● وما يشعرون ايان يبعثون ●
فان قلت لم رفع اسم الله والله تعالى يتعالى عن ان يكون ممن في السموات والارض قلت
جاء على لغة بني تميم حيث يقولون ما في الدار احد الا حمار يريدون ما فيها الا حمار كان احدا لم يذكر ومنه قوله
عشية ما تغني الرماح مكانها ولا النبل الا المشرفي المصمم وقولهم ما اتاني زيد الا عمرو وما اعانه اخوانه الا
اخوانكم فان قلت ما الداعي الى اختيار المذهب التميمي على الحجازي قلت دعت اليه نكتة سرية حيث
اخرج المستثنى مخرج قوله الا اليعافير بعد قوله ليس بها انيس ليؤول المعنى الى قولك ان كان الله تعالى ممن في السموات
والارض فهم يعلمون الغيب يعني ان علمهم الغيب في استحالته كاستحالة ان يكون الله تعالى منهم كما ان معنى ما في البيت ان كانت اليعافير انيسا
ففيها انيس بتا للقول بخلوها عن الانيس فان قلت هلا زعمت ان الله ممن في السموات والارض كما يقول
المتكلمون الله في كل مكان على معنى ان علمه في الاماكن كلها فكان ذاته فيها حتى لا تحمله على مذهب بني تميم قلت يابى ذلك
ان كونه تعالى في السموات والارض مجاز وكونهم فيهن حقيقة وارادة المتكلم بعبارة واحدة حقيقة ومجازا غير صحيحة
على ان قولك من في السموات والارض وجمعك بينه وبينهم في اطلاق اسم واحد فيه ايهام تسوية والايهامات مزالة عنه
وعن صفاته تعالى الا ترى كيف قال صلى الله عليه وسلم لمن قال ومن يعصهما فقد غوى بئس خطيب القوم انت وعن ام المومنين
عائشة رضي الله عنها من زعم انه يعلم ما في غد فقد اعظم على الله الفرية والله تعالى يقول قل لا يعلم من في السموات والارض
الغيب الا الله وعن بعضهم اخفى غيبه عن الخلق ولم يطلع عليه احدا لئلا يامن احد من عبيده مكره وقيل نزلت في المشركين
حين سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت الساعة ايان بمعنى متى ولو سمي به لكان فعالا من آن يئين ولا ينصرف
وقرئ ايان بكسر الهمزة ● بل ادارك علمهم في الآخرة بل هم في شك منها بل هم منها عمون
وقرئ بل ادرك بل ادارك بل تدارك بل ادرك بهمزتين بل آادرك بالف بينهما بل ادرك بالتخفيف والنقل
بل ادرك بفتح اللام وتشديد الدال واصله بل ادرك على الاستفهام بلى ادرك بلى ادرك ام تدارك ام ادرك
فهذه ثنتا عشرة قراءة وادارك اصله تدارك فادغمت التاء في الدال وادرك افتعل ومعنى ادرك علمهم انتهى وتكامل وادارك
تتابع واستحكم وهو على وجهين احدهما ان اسباب استحكام العلم وتكامله بان القيامة كائنة لا ريب فيها قد حصلت لهم ومكنوا
من معرفته وهم شاكون جاهلون وهو قوله تعالى بل هم في شك منها بل هم منها عمون يريد المشركين ممن في السموات والارض
لانهم لما كانوا في جملتهم نسب فعلهم الى الجميع كما يقال بنو فلان فعلوا كذا وانما فعله ناس منهم فان قلت ان الآية سيقت
لاختصاص الله بعلم الغيب وان العباد لا علم لهم بشيء منه وان وقت بعثهم ونشورهم من جملة الغيب وهم لا يشعرون به فكيف لاءم
هذا المعنى وصف المشركين بانكارهم البعث مع استحكام اسباب العلم والتمكن من المعرفة قلت لما ذكر ان العباد

لا يعلمون الغيب ولا يشعرون البعث الكائن ووقته الذي يكون فيه وكان هذا بيانا لعجزهم ووصفا لقصور علمهم وصل به ان عندهم عجزا ابلغ منه وهو انهم يقولون للكائن الذي لا بد ان يكون وهو وقت جزاء اعمالهم لا يكون مع ان عندهم اسباب معرفة كونه واستحكام العلم به • والوجه الثاني ان وصفهم باستحكام العلم وتكامله تهكم بهم كما تقول لاجهل الناس ما اعلمك على سبيل الهزء وذلك حيث شكوا وعموا عن اثباته الذي الطريق الى علمه مسلوك فضلا ان يعرفوا وقت كونه الذي لا طريق الى معرفته • وفي ادارك علمهم وادارك علمهم وجه آخر وهو ان يكون ادارك بمعنى انتهى وفني من قولك ادركت الثمرة لان تلك غايتها التي عندها تعدم وقد فسره الحسن باضمحل علمهم وتدارك من تداركوا بنو فلان اذا تتابعوا في الهلاك **فان قلت** فما وجه قراءة من قرأ بل ادارك على الاستفهام **قلت** هو استفهام على وجه الانكار لادراك علمهم وكذلك من قرأ ام ادرك وام تدارك لانها ام التي بمعنى بل والهمزة **فان قلت** فمن قرأ بل ادرى وبلى ادرك **قلت** لما جاء ببلى بعد قوله وما يشعرون كان معناه بلى يشعرون ثم فسر الشعور بقوله ادرك علمهم في الآخرة على سبيل التهكم الذي معناه المبالغة في نفي العلم فكانه قال شعورهم بوقت الآخرة انهم لا يعلمون كونها فيرجع الى نفي الشعور على ابلغ ما يكون واما من قرأ بلى ادرك على الاستفهام فمعناه بلى يشعرون متى يبعثون ثم انكر علمهم بكونها واذا انكر علمهم بكونها لم يتحصل لهم شعور بوقت كونها لان العلم بوقت الكائن تابع للعلم بكون الكائن في الآخرة في شان الآخرة ومعناها **فان قلت** هذه الاضرابات الثلاث ما معناها **قلت** ما هي الا تنزيل لاحوالهم وصفهم اولا بانهم لا يشعرون وقت البعث ثم بانهم لا يعلمون ان القيامة كائنة ثم بانهم يخبطون في شك ومرية فلا يزيلونه والازالة مستطاعة الا ترى ان من لم يسمع اختلاف المذاهب وتضليل اربابها بعضهم لبعض كان امره اهون ممن سمع بها وهو جاثم لا يتخضخض بطلب التمييز بين الحق والباطل ثم بما هو اسوأ حالا وهو العمى وان يكون مثل البهيمة قد عكف همه على بطنه وفرجه لا يخطر بباله حقا ولا باطلا ولا يفكر في عاقبة وقد جعل الآخرة مبدأ عماهم ومنشأه فلذلك عداه بمن دون عن لان الكفر بالعاقبة والجزاء هو الذي جعلهم كالبهائم لا يتدبرون ولا يتبصرون • وقال الذين كفروا أإذا كنا ترابا وآباؤنا أئنا لمخرجون • لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل ان هذا الا اساطير الاولين • العامل في اذا ما دل عليه ائنا لمخرجون وهو نخرج لان بين يدي عمل اسم الفاعل فيه عقابا وهي همزة الاستفهام وان ولام الابتداء وواحدة منها كافية فكيف اذا اجتمعن والمراد الاخراج من الارض او من حال الفناء الى الحيوة وتكرير حرف الاستفهام بادخاله على اذا وان جميعا انكار على انكار وجحود عقيب جحود ودليل على كفر مؤكد مبالغ فيه والضمير في ائنا لهم ولآبائهم لان كونهم ترابا قد تناولهم وآباءهم **فان قلت** قدم في هذه الآية هذا على نحن وآباؤنا وفي آية اخرى قدم نحن وآباؤنا على هذا **قلت** التقديم دليل على ان المقدم هو الغرض المتعمد بالذكر وان الكلام انما سيق لاجله ففي احدى الآيتين دل على ان اتخاذ البعث هو الذي تعمد بالكلام وفي الاخرى على ان اتخاذ المبعوث بذلك الصدد • قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين • لم تلحق علامة التانيث بفعل العاقبة لان تانيثها غير حقيقي ولان المعنى كيف كان آخر امرهم واراد بالمجرمين الكافرين وانما عبر عن الكفر بلفظ الاجرام ليكون لطفا للمسلمين في ترك الجرائم وتخوف عاقبتها الا ترى الى قوله تعالى فدمدم عليهم ربهم بذنبهم وقوله تعالى مما خطاياهم • ولا تحزن عليهم ولا تكن في ضيق مما يمكرون • ولا تحزن عليهم لانهم لم يتبعوك ولم يسلموا فيسلموا وهم قوم قريش كقوله تعالى فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا في ضيق في حرج صدر من مكرهم وكيدهم لك ولا تبال بذلك فان الله تعالى يعصمك من الناس يقال ضاق الشيء ضيقا وضيقا بالفتح والكسر وقد قرئ بهما والضيق ايضا تخفيف الضيق قال الله تعالى ضيقا حرجا • ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين • قل عسى ان يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون • استعجلوا العذاب الموعود فقيل لهم عسى ان يكون ردفكم بعضه وهو عذاب يوم بدر فزيدت اللام للتاكيد كالباء في ولا تلقوا بايديكم او ضمن معنى فعل يتعدى باللام نحو دنا لكم وازف لكم ومعناه تبعكم ولحقكم وقد عدي بمن قال • فلما ردفنا من عمير وصحبه • تولوا سراعا والمنية تعنق • يعني دنونا من عمير وقرأ الاعرج ردف لكم بوزن ذهب وهما لغتان والكسر افصح وعسى ولعل وسوف في وعد الملوك ووعيدهم يدل على صدق الامر وجده وما لا مجال للشك بعده وانما يعنون بذلك اظهار وقارهم وانهم لا يعجلون بالانتقام لادلالهم بقهرهم

وعلمهم ووثوقهم بان عدوهم لا يفوتهم وان الرمزة الى الاغراض كافية من جهتهم فعلى ذلك جرى وعد الله ووعيده • وان ربك لذو فضل على الناس ولكن اكثرهم لا يشكرون • الفضل والفاضلة الافضال ولفلان فواضل في قومه وفضول ومعناه انه مفضل عليهم بتاخير العقوبة وانه لا يعاجلهم بها واكثرهم لا يعرفون حق النعمة فيه ولا يشكرونه ولكنهم بجهلهم يستعجلون وقوع العذاب وهم قريش • وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون • قرئ تكن يقال كننت الشيء واكننته اذا سترته واخفيته يعني انه يعلم ما يخفون وما يعلنون من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكايدهم وهو معاقبهم على ذلك بما يستوجبونه • وما من غائبة في السماء والارض الا في كتاب مبين • سمي الشيء الذي يغيب ويخفى غائبة وخافية فكانت التاء فيهما بمنزلتها في العاقبة والعافية ونظيرهما النطيحة والرمية والذبيحة في انها اسماء غير صفات ويجوز ان يكونا صفتين وتاؤهما للمبالغة كالراوية في قولهم ويل للشاعر من راوية السوء كانه قال وما من شيء شديد الغيبوبة والخفاء الا وقد علمه واحاط به واثبته في اللوح المبين الظاهر لمن ينظر فيه من الملائكة • ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون • وانه لهدى ورحمة للمؤمنين • قد اختلفوا في المسيح فتحزبوا فيه احزابا ووقع بينهم التناكر في اشياء كثيرة حتى لعن بعضهم بعضا وقد نزل القرآن ببيان ما اختلفوا فيه لو انصفوا واخذوا به واسلموا يريد اليهود والنصارى للمؤمنين لمن انصف منهم وآمن اي من بني اسرائيل او غيرهم • ان ربك يقضي بينهم بحكمه وهو العزيز العليم • بينهم بين من آمن بالقرآن ومن كفر به **فان قلت** ما معنى يقضي بينهم بحكمه ولا يقال زيد يضرب بضربه ويمنع بمنعه **قلت** معناه بما يحكم به وهو عدله لانه لا يقضي الا بالعدل فسمي المحكوم به حكما او اراد بحكمته وتدل عليه قراءة من قرأ بحكمه جمع حكمة وهو العزيز فلا يرد قضاؤه العليم بمن يقضي له وبمن يقضي عليه او العزيز في انتقامه من المبطلين العليم بالفصل بينهم وبين المحقين • فتوكل على الله انك على الحق المبين • امره بالتوكل على الله وقلة المبالاة باعداء الدين وعلل التوكل بانه على الحق الابلج الذي لا يتعلق به الشك والظن وفيه بيان ان صاحب الحق حقيق بالوثوق بصنع الله وبنصرته وان مثله لا يخذل • انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين • وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم ان تسمع الا من يؤمن باياتنا فهم مسلمون • **فان قلت** انك لا تسمع الموتى يشبه ان يكون تعليلا آخر للتوكل فما وجه ذلك **قلت** وجهه ان الامر بالتوكل جعل مسببا عما كان يغيظ رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهة المشركين واهل الكتاب من ترك اتباعه وتشييع ذلك بالعداوة والاذى فلاءم ذلك ان يعلل توكل متوكل مثله بان اتباعهم امر قد يئس منه فلم يبق الا الاستنصار عليهم لعداوتهم واستكفاء شرورهم واذاهم وشبهوا بالموتى وهم احياء صحاح الحواس لانهم اذا سمعوا ما يتلى عليهم من آيات الله فكانوا اقماع القول لا تعيه اذانهم وكان سماعهم كلا سماع كانت حالهم لانتفاء جدوى السماع كحال الموتى الذين فقدوا مصحح السماع وكذلك تشبيههم بالصم الذين ينعق بهم فلا يسمعون وشبهوا بالعمي حيث يضلون الطريق ولا يقدر احد ان ينزع ذلك عنهم ويجعلهم هداة بصراء الا الله عز وجل **فان قلت** ما معنى قوله اذا ولوا مدبرين **قلت** هو تاكيد لحال الاصم لانه اذا تباعد عن الداعي بان يولي عنه مدبرا كان ابعد عن ادراك صوته وقرئ ولا يسمع الصم وما انت بهادي العمي على الاصل وتهدي العمي • وعن ابن مسعود وما ان تهدي العمي وهداه عن الضلال كقولك سقاه عن العيمة اي ابعده عنها بالسقي وابعده عن الضلال بالهدى ان تسمع اي ما يجدي اسماعك الا على الذين علم الله انهم يؤمنون باياته اي يصدقون بها فهم مسلمون اي مخلصون من قوله تعالى بلى من اسلم وجهه لله يعني جعله سالما لله تعالى خالصا له • واذا وقع القول عليهم اخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم ان الناس كانوا باياتنا لا يوقنون • سمى معنى القول ومؤداه بالقول وهو ما وعدوا به من قيام الساعة والعذاب ووقوعه حصوله والمراد مشارفة الساعة وظهور اشراطها وحين لا تنفع التوبة • ودابة الارض الجساسة جاء في الحديث ان طولها ستون ذراعا لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب • وروي لها اربع قوائم وزغب وريش وجناحان • وعن ابن جريج في وصفها راس ثور وعين خنزير واذن فيل وقرن ايل وعنق نعامة وصدر اسد ولون نمر وخاصرة هر وذنب كبش وخف بعير وما بين المفصلين اثنا عشر ذراعا

بذراع آدم عليه السلام وروى لا تخرج الا راسها وراسها يبلغ عنان السماء او يبلغ السحاب وعن ابي هريرة رضي الله عنه
فيها من كل لون وما بين قرنيها فرسخ للراكب وعن الحسن لا يتم خروجها الا بعد ثلثة ايام وعن علي رضي الله عنه انها
تخرج ثلثة ايام والناس ينظرون فلا يخرج الا ثلثها وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل من اين تخرج الدابة فقال
من اعظم المساجد حرمة على الله تعالى يعني المسجد الحرام وروى انها تخرج ثلث خرجات تخرج باقصى اليمن ثم تتكمن
ثم تخرج بالبادية ثم تتكمن دهرا طويلا فبينا الناس في اعظم المساجد حرمة واكرمها على الله تعالى فما يهولهم الا خروجها
من بين الركن حذاء دار بني مخزوم عن يمين الخارج من المسجد فقوم يهربون وقوم يقفون نظارة وقيل تخرج من
الصفا فتكلمهم بالعربية بلسان ذلق فتقول ان الناس كانوا باياتنا لا يوقنون يعني ان الناس كانوا لا يوقنون
بخروجي لان خروجها من الايات وتقول الا لعنة الله على الظالمين وعن السدي تكلمهم ببطلان الاديان كلها
سوى دين الاسلام وعن ابن عمر رضي الله عنهما تستقبل المغرب فتصرخ صرخة تنفذه ثم تستقبل المشرق
ثم الشام ثم اليمن فتفعل مثل ذلك وروى تخرج من اجياد وروى بينا عيسى عليه السلام يطوف بالبيت ومعه
المسلمون اذ تضطرب الارض تحتهم تحرك القنديل وينشق الصفا مما يلي المسعى فتخرج الدابة من الصفا ومعها عصا موسى
وخاتم سليمان فتضرب المؤمن في مسجده او فيما بين عينيه بعصا موسى فتنكت نكتة بيضاء فتفشو تلك النكتة في وجهه
حتى يضيء لها وجهه او فيترك وجهه كانه كوكب دري وتكتب بين عينيه مؤمن وتنكت الكافر بالخاتم في انفه فتفشو النكتة
حتى يسود لها وجهه وتكتب بين عينيه كافر وروى فتجلو وجه المؤمن بالعصا وتخطم انف الكافر بالخاتم ثم تقول لهم
يا فلان انت من اهل الجنة ويا فلان انت من اهل النار وقرئ تكلمهم من الكلم وهو الجرح والمراد به الوسم بالعصا
والخاتم ويجوز ان يكون تكلمهم من الكلم ايضا على معنى التكثير يقال فلان مكلم اي مجرح ويجوز ان يستدل بالتخفيف على
ان المراد بالتكليم التجريح كما فسر لتخرقنه بقراءة علي رضي الله عنه لنخرقنه وان يستدل بقراءة ابي تنبئهم وبقراءة
ابن مسعود تكلمهم بان الناس على انه من الكلام والقراءة بان مكسورة حكاية لقول الدابة اما لان الكلام بمعنى القول
او باضمار القول اي تقول الدابة ذلك او هي حكاية لقول الله تعالى عند ذلك **فان قلت** اذا كانت حكاية
لقول الدابة فكيف تقول باياتنا **قلت** قولها حكاية لقول الله تعالى او على معنى بايات ربنا او لاختصاصها
بالله واثرتها عنده وانها من خواص خلقه اضافت ايات الله الى نفسها كما يقول بعض خاصة الملك خيلنا وبلادنا
وانما هي خيل مولاه وبلاده ومن قرا بالفتح فعلى حذف الجار اي تكلمهم بان **ويوم نحشر من كل امة فوجا
ممن يكذب باياتنا فهم يوزعون** فهم يوزعون يحبس اولهم على آخرهم حتى يجتمعوا فيكبكبوا في النار
وهذه عبارة عن كثرة العدد وتباعد اطرافه كما وصف جنود سليمان بذلك وكذلك قوله فوجا فان الفوج الجماعة الكثيرة
ومنه قوله تعالى يدخلون في دين الله افواجا وعن ابن عباس ابو جهل والوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة يساقون بين
يدي اهل مكة وكذلك يحشر قادة ساير الامم بين ايديهم الى النار **فان قلت** اي فرق بين من الاولى والثانية
قلت الاولى للتبعيض والثانية للتبيين كقوله من الاوثان **حتى اذا جاؤا قال اكذبتم
باياتي ولم تحيطوا بها علما اماذا كنتم تعملون ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون**
الواو للحال كانه قال اكذبتم بها بادي الراي من غير فكر ولا نظر يؤدي الى احاطة العلم بكنهها وانها حقيقة بالتصديق
او بالتكذيب او للعطف اي اجحدتموها ومع جحودكم لم تلقوا اذهانكم لتحقيقها وتبصرها فان المكتوب اليه قد يجحد ان يكون الكتاب
من عند من كتبه ولا يدع مع ذلك ان يقراه ويتفهم مضامينه ويحيط بمعانيه ام ماذا كنتم تعملون بها للتبكيت لا غير
وذلك انهم لم يعملوا الا التكذيب فلا يقدرون ان يكذبوا ويقولوا قد صدقنا بها وليس الا التصديق بها او التكذيب
ومثاله ان تقول لراعيك وقد عرفته رويعي سوء اتاكل نعمي ام ماذا تعمل بها فتجعل ما تبتدي به وتجعله اصل كلامك
واساسه هو الذي صح عندك من اكله وفساده وترمي بقولك ام ماذا تعمل بها مع علمك انه لا يعمل بها الا الاكل لتبهته
وتعلمه لعلمك بانه لا يجي منه الا اكلها وانه لا يقدر ان يدعي الحفظ والاصلاح لما شهر من خلاف ذلك او اراد اما كان
لهم عمل في الدنيا الا الكفر والتكذيب بايات الله تعالى ام ماذا كنتم تعملون من غير ذلك يعني انه لم يكن لهم عمل غيره
كانهم لم يخلقوا الا للكفر والمعصية وانما خلقوا للايمان والطاعة يخاطبون بهذا قبل كبهم في النار ثم يكبون فيها

وذلك

وذلك قوله تعالى ووقع القول عليهم يريد ان العذاب الموعود يغشاهم بسبب ظلمهم وهو التكذيب بايات الله
فيشغلهم عن النطق والاعتذار كقوله تعالى هذا يوم لا ينطقون **الم يروا انا جعلنا الليل
ليسكنوا فيه والنهار مبصرا ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون** جعل الابصار
للنهار وهو لاهله **فان قلت** ما للتقابل لم يراع في قوله ليسكنوا ومبصرا حيث كان احدهما علة
والآخر حالا **قلت** هو مراعى من حيث المعنى وهكذا النظم المطبوع غير المتكلف لان معنى مبصرا ليبصروا فيه
طرق التقلب في المكاسب **ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض
الا من شاء الله وكل اتوه داخرين** **فان قلت** لم قيل ففزع دون فيفزع
قلت لنكتة وهي الاشعار بتحقق الفزع وثبوته وانه كائن لا محالة واقع على اهل السموات والارض لان
الفعل الماضي يدل على وجود الفعل وكونه مقطوعا به والمراد فزعهم عند النفخة الاولى حين يصعقون الا من شاء الله
الا من ثبت الله قلبه من الملائكة قالوا هم جبرائيل وميكائيل واسرافيل وملك الموت وقيل الشهداء وعن الضحاك الحور وخزنة
النار وحملة العرش وعن جابر منهم موسى لانه صعق مرة ومثله قوله تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن
في الارض الا من شاء الله وقرئ اتوه واتاه وداخرين فالجمع على المعنى والتوحيد على اللفظ والداخر والدخر الصاغر
وقيل معنى الاتيان حضورهم الموقف بعد النفخة الثانية ويجوز ان يراد رجوعهم الى امره وانقيادهم له **وترى الجبال
تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي اتقن كل شيء انه خبير بما
يفعلون** جامدة من جمد في مكانه اذا لم يبرح تجمع الجبال فتسير كما تسير الريح السحاب فاذا نظر اليها الناظر
حسبها واقفة ثابتة في مكان واحد وهي تمر مرا حثيثا كما يمر السحاب وهكذا الاجرام العظام المتكاثرة العدد
اذا تحركت لا تكاد تتبين كما قال النابغة في صفة جيش
بارعن مثل الطود تحسب انهم ... وقوف لحاج والركاب تهملج
صنع الله من المصادر المؤكدة كقوله تعالى وعد الله وصبغة الله الا ان مؤكده محذوف وهو الناصب ليوم ينفخ والمعنى
ويوم ينفخ في الصور فكان كيت وكيت اثاب الله المحسنين وعاقب المجرمين ثم قال صنع الله يريد به الاثابة والمعاقبة
وجعل هذا الصنع من جملة الاشياء التي اتقنها واتى بها على الحكمة والصواب حيث قال صنع الله الذي اتقن كل شيء
يعني ان مقابلة الحسنة بالثواب والسيئة بالعقاب من جملة احكامه للاشياء واتقانه لها واجرائه لها على قضايا
الحكمة انه عالم بما يفعل العباد وبما يستوجبون عليه فيكافيهم على حسب ذلك ثم لخص ذلك بقوله من جاء بالحسنة الى آخر
الآيتين فانظر الى بلاغة هذا الكلام وحسن نظمه وترتيبه ومكانة اضماره ورصانة تفسيره واخذ بعضه بحجزة بعض
كانما افرغ افراغا واحدا ولامر ما اعجز واخرس الشقاشق ونحو هذا المصدر اذا جاء عقيب كلام جاء كالشاهد بصحته والمنادي
على سداده وانه ما كان ينبغي ان يكون الا كما قد كان الا ترى الى قوله تعالى صنع الله وصبغة الله ووعد الله وفطرة الله
بعد ما وسمها باضافتها اليه بسمة التعظيم كيف تلاها بقوله الذي اتقن كل شيء ومن احسن من الله صبغة ان الله لا يخلف
الميعاد لا تبديل لخلق الله وقرئ تفعلون على الخطاب **من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع
يومئذ آمنون** فله خير منها يريد الاضعاف وان العمل يتقضى والثواب يدوم وشتان ما بين فعل العبد
وفعل السيد وقيل فله خير منها اي له خير حاصل من جهتها وهو الجنة وعن ابن عباس الحسنة كلمة الشهادة وقرئ يومئذ
مفتوحا مع الاضافة لانه اضيف الى غير متمكن ومنصوبا مع تنوين فزع **فان قلت** ما الفرق بين الفزعين **قلت**
الفزع الاول هو ما لا يخلو منه احد عند الاحساس بشدة تقع وهول يفجا من رعب وهيبة وان كان المحسن يامن لحاق الضرر
كما يدخل الرجل على الملك بصدر هياب وقلب وجاب وان كانت ساعة اعزاز وتكرمة واحسان وتولية واما الثاني
فالخوف من العذاب **فان قلت** فمن قرا من فزع بالتنوين ما معناه **قلت** يحتمل معنيين من فزع واحد
وهو خوف العقاب واما ما يلحق الانسان من التهيب والرعب لما يرى من الاهوال والعظائم فلا يخلون منه لان البشرية
تقتضي ذلك وفي الاخبار والآثار ما يدل عليه ومن فزع شديد مفرط الشدة لا يكتنهه الوصف وهو خوف النار امن يعدى
بالجار وبنفسه كقوله تعالى افامنوا مكر الله **ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار هل تجزون
الا ما كنتم تعملون** وقيل السيئة الاشراك يعبر عن الجملة بالوجه والراس والرقبة فكانه قيل فكبوا في النار كقوله

فكبكبوا فى النار كقوله فكبكبوا فيها ويجوز ان يكون ذكر الوجوه ايذانا بانهم يكبون على وجوههم فيها منكوسين هل تجزون يجوز فيه
الالتفات وحكاية ما يقال لهم عند الكب باضمار القول • انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة الذى
حرمها وله كل شئ وامرت ان اكون من المسلمين • وان اتلوا القرآن فمن اهتدى فانما
يهتدى لنفسه ومن ضل فقل انما انا من المنذرين • امر رسوله بان يقول امرت ان اخص الله
وحده بالعبادة ولا اتخذ له شريكا كما فعلت قريش وان اكون من الحنفاء الثابتين على ملة الاسلام وان اتلو
القرآن من التلاوة او من التلو كقوله واتبع ما يوحى اليك من ربك والبلدة مكة حرسها الله تعالى اختصها من
بين سائر البلاد باضافة اسمه اليها لانها احب بلاده اليه واكرمها عليه واعظمها عنده وهكذا قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم حين خرج فى مهاجره فلما بلغ الحزورة استقبلها بوجهه الكريم فقال انى اعلم انك احب بلاد الله الى الله
ولولا ان اهلك اخرجونى ما خرجت واشار اليها اشارة تعظيم لها وتقريب دالا على انها موطن نبيه ومهبط وحيه ووصف
ذاته بالتحريم الذى هو خاص وصفها واجزل بذلك قسمها فى الشرف والعلو ووصفها بانها محرمة لا ينتهك حرمتها الا
ظالم مضاد لربه ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم لا يختلى خلاها ولا يعضد شجرها ولا ينفر صيدها واللاجئ
اليها آمن وجعل دخول كل شئ تحت ربوبيته وملكوته كالتابع لدخولها تحتهما وفى ذلك اشارة الى ان ملكا ملك مثل
هذه البلدة عظيم الشان قد ملكها وملك اليها كل شئ اللهم بارك لنا فى سكناها وآمنا فيها شر كل ذى شر
ولا تنقلنا من جوار بيتك الا الى دار رحمتك وقرئ التى حرمها واتل عليهم هذا القرآن عن ابى وان اتل
عن ابن مسعود فمن اهتدى باتباعه اياى فيما انا بصدده من توحيد الله ونفى الانداد عنه والدخول فى الملة الحنيفية
واتباع ما انزل على من الوحى فمنفعة اهتدائه راجعة اليه لا الى ومن ضل ولم يتبعنى فلا على وما انا الا رسول منذر
وما على الرسول الا البلاغ • وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون
ثم امره ان يحمد الله على ما خوله من نعمة النبوة التى لا توازيها نعمة وان يهدد اعداءه بما سيريهم الله تعالى من آياته
التى تلجئهم الى المعرفة والاقرار بانها آيات الله وذلك حين لا تنفعهم المعرفة يعنى فى الآخرة • عن الحسن وعن الكلبى الدخان
وانشقاق القمر وما حل بهم من نقمات الله تعالى فى الدنيا وقيل هو كقوله سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم الآية
وكل عمل يعملونه فان الله عالم به غير غافل عنه لان الغفلة والسهو لا يجوزان على عالم الذات وهو من وراء جزاء العاملين
وقرئ يعملون بالتاء والياء • عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ طس سليمان كان له من الاجر عشر
حسنات بعدد من صدق سليمان وكذب به وهود وشعيب وصالح وابراهيم ويخرج من قبره وهو ينادى لا اله الا الله

سورة القصص مكية

وهى ثمان وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم • طسم • تلك آيات الكتاب المبين •
نتلوا عليك من نبإ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون • من نبإ موسى وفرعون
مفعول نتلوا اى نتلوا عليك بعض خبرهما بالحق محقين كقوله تنبت بالدهن لقوم يؤمنون لمن سبق فى علمنا انه يؤمن
لان التلاوة انما تنفع هؤلاء دون غيرهم • ان فرعون علا فى الارض وجعل اهلها شيعا
يستضعف طائفة منهم يذبح ابناءهم ويستحيى نساءهم انه كان من المفسدين •
ان فرعون جملة مستانفة كالتفسير للمجمل كان قائلا قال وكيف كان نبأهما فقال ان فرعون علا فى الارض يعنى ارض
مملكته قد طغى فيها وجاوز الحد فى الظلم والعسف شيعا فرقا يشيعونه على ما يريد ويطيعونه لا يملك احد منهم ان يلوى عنقه
قال الاعشى • وبلدة يرهب الجواب دلجتها • حتى تراه عليها يبتغى الشيعا • او يشيع بعضهم بعضا فى الطاعة او اصنافا
فى استخدامه يسخر صنفا فى بناء وصنفا فى حرث وصنفا فى حفر ومن لم يستعمله ضرب عليه الجزية او فرقا مختلفة قد
اغرى بينهم العداوة وهم بنو اسرائيل والقبط والطائفة المستضعفة بنو اسرائيل وسبب ذبح الابناء ان كاهنا قال له يولد مولود
فى بنى اسرائيل يذهب ملكك على يده وفيه دليل بين على ثخانة حمق فرعون فانه ان صدق الكاهن لم يدفع القتل الكائن وان

وان كذب فما وجه القتل ويستضعف حال من الضمير فى وجعل او صفة لشيعا او كلام مستانف ويذبح بدل
من يستضعف وقوله انه كان من المفسدين بيان ان القتل ما كان الا فعل المفسدين فحسب لانه فعل لا طائل تحته صدق
الكاهن او كذب • ونريد ان نمن على الذين استضعفوا فى الارض ونجعلهم
ائمة ونجعلهم الوارثين • فان قلت علام عطف ونريد ان نمن وعطفه على نتلوا ويستضعف
غير سديد قلت هى جملة معطوفة على قوله ان فرعون علا فى الارض لانها نظيرة تلك فى وقوعها تفسيرا
لنبإ موسى وفرعون واقتصاصا له ونريد حكاية حال ماضية ويجوز ان يكون حالا من يستضعف اى يستضعفهم فرعون
ونحن نريد ان نمن عليهم فان قلت كيف يجتمع استضعافهم وارادة الله تعالى المنة عليهم واذا اراد الله
شيئا كان ولم يتوقف الى وقت آخر قلت لما كانت منة الله تعالى بخلاصهم قريبة الوقوع جعلت ارادة
وقوعها كانها مقارنة لاستضعافهم ائمة مقدمين فى الدين والدنيا يطأ الناس اعقابهم وعن ابن عباس
قادة يقتدى بهم فى الخير وعن مجاهد دعاة الى الخير وعن قتادة ولاة كقوله وجعلكم ملوكا الوارثين يرثون فرعون
وقومه ملكهم وكل ما كان لهم • ونمكن لهم فى الارض ونرى فرعون وهامان وجنودهما
منهم ما كانوا يحذرون • مكن له اذا جعل له مكانا يقعد عليه او يرقد فوطأه ومهده ونظيره ارض
له ومعنى التمكين لهم فى الارض وهى ارض مصر والشام ان يجعلها بحيث لا تنبو بهم ولا تغث عليهم كما كانت فى
ايام الجبابرة وينفذ امرهم ويطلق ايديهم ويسلطهم وقرئ ويرى فرعون وهامان وجنودهما اى يرون منهم ما حذروه
من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود منهم • واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه فاذا خفت
عليه فالقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين •
اليم البحر قيل هو نيل مصر فان قلت ما المراد بالخوفين حتى اوجب احدهما ونهى عن الآخر قلت
اما الاول فالخوف عليه من القتل لانه كان اذا صاح خافت عليه ان يسمع الجيران صوته فينموا عليه واما الثانى فالخوف
من الغرق ومن الضياع ومن الوقوع فى يد بعض العيون المبثوثة من قبل فرعون فى تطلب الولدان وغير ذلك من المخاوف
فان قلت ما الفرق بين الخوف والحزن قلت الخوف غم يلحق الانسان لمتوقع والحزن غم
يلحقه لواقع وهو فراقه والاخطار به فنهيت عنهما جميعا وامنت بالوحى اليها ووعدت ما يسليها ويطامن قلبها
ويملاها غبطة وسرورا وهو رده اليها وجعله من المرسلين • وروى انه ذبح فى طلب موسى تسعون الف وليد
وروى انها حين اقربت ضربها الطلق وكانت بعض القوابل الموكلات بحبالى بنى اسرائيل مصافية لها فقالت لها
لينفعنى حبك اليوم فعالجتها فلما وقع الى الارض هالها نور بين عينيه وارتعش كل مفصل منها ودخل حبه قلبها ثم
قالت ما جئتك الا لاقتل مولودك واخبر فرعون ولكنى وجدت لابنك حبا ما وجدت مثله فاحفظيه فلما خرجت جاء
عيون فرعون فلفته فى خرقة ووضعته فى تنور مسجور لم تعلم ما تصنع لما طاش من عقلها فطلبوا فلم يلقوا شيئا فخرجوا
وهى لا تدرى مكانه فسمعت بكاءه من التنور فانطلقت اليه وقد جعل الله تعالى النار عليه بردا وسلاما فلما الح فرعون فى
طلب الولدان اوحى الله اليها فالقته فى اليم وقد روى انها ارضعته ثلاثة اشهر فى تابوت من بردى مطلى بالقار من داخله
فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا
خاطئين • اللام فى ليكون هى لام كى التى معناها التعليل كقولك جئتك لتكرمنى سواء بسواء ولكن معنى التعليل
فيها وارد على طريق المجاز دون الحقيقة لانه لم يكن داعيهم الى الالتقاط ان يكون عدوا وحزنا ولكن المحبة والتبنى غير
ان ذلك لما كان نتيجة التقاطهم له وثمرته شبه بالداعى الذى يفعل الفاعل الفعل لاجله وهو الاكرام الذى هو
نتيجة المجئ والتادب الذى هو ثمرة الضرب فى قولك ضربته ليتادب وتحريره ان هذه اللام حكمها حكم الاسد حيث
استعيرت لما يشبه التعليل كما يستعار الاسد لمن يشبه الاسد وقرئ وحزنا وهما لغتان كالعدم والعدم كانوا
خاطئين فى كل شئ فليس خطاؤهم فى تربية عدوهم ببدع منهم او كانوا مذنبين مجرمين فعاقبهم الله تعالى بان ربى
عدوهم ومن هو سبب هلاكهم على ايديهم وقرئ خاطين تخفيف خاطئين او خاطين الصواب الى الخطاء •
وقالت امرات فرعون قرت عين لى ولك لا تقتلوه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا وهم لا يشعرون

وروى انهم حين التقطوا التابوت عالجوا فتحه فلم يقدروا عليه فعالجوا كسره فاعياهم فدنت آسية فرأت في جوف
التابوت نورا فعالجته ففتحته فاذا الصبي نوره بين عينيه وهو يمص ابهامه لبنا فاحبوه وكانت لفرعون بنت
برصاء وقالت له الاطباء لا تبرأ الا من قبل البحر يوجد فيه شبه انسان دواؤها ريقه فلطخت البرصاء برصها بريقه
فبرئت وقيل لما نظرت الى وجهه برئت فقالت ان هذه النسمة مباركة فهذا احد ما عطفهم عليه فقال الغواة من قومه
هو الصبي الذي نحذر منه فأذن لنا في قتله فهم بذلك فقالت آسية قرة عين لي ولك فقال فرعون لك لا لي وروى
في حديث لو قال هو قرة عين لي كما هو لك لهداه الله تعالى كما هداها وهذا على سبيل الفرض والتقدير اي لو كان غير مطبوع
على قلبه كآسية لقال مثل قولها ولاسلم كما اسلمت هذا ان صح الحديث تأويله والله اعلم بصحته وروى انها قالت
له لعله من قوم آخرين ليس من بني اسرائيل قرة عين خبر مبتدا محذوف ولا يقوى ان تجعله مبتدا ولا تقتلوه خبرا ولو نصب
لكان اقوى وقراءة ابن مسعود دليل على انه خبر قرأ لا تقتلوه قرة عين لي ولك بتقديم لا تقتلوه عسى ان ينفعنا
فان فيه مخايل اليمن ودلائل النفع لاهله وذلك لما عاينت من النور وارتضاع الابهام وبرء البرصاء ولعلها توسمت
في سيمائه النجابة المؤذنة بكونه نفاعا او نتبناه فانه اهل للتبني ولان يكون ولدا لبعض الملوك **فان قلت**
وهم لا يشعرون حال فما ذو حالها **قلت** ذو حالها آل فرعون وتقدير الكلام فالتقطه آل فرعون ليكون
لهم عدوا وحزنا وقالت امرأة فرعون كذا وهم لا يشعرون انهم على خطاء عظيم في التقاطه ورجاء النفع منه وتبنيه
وقوله ان فرعون الآية جملة اعتراضية واقعة بين المعطوف والمعطوف عليه مؤكدة لمعنى خطائهم وما احسن نظم هذا
الكلام عند المرتاض بعلم محاسن النظم ۞ واصبح فؤاد ام موسى فارغا ان كادت لتبدي به لولا
ان ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين ۞ فارغا صفرا من العقل والمعنى انها حين سمعت بوقوعه
في يد فرعون طار عقلها لما دهمها من فرط الجزع والدهش ونحوه قوله تعالى وافئدتهم هواء اي جوف لا عقول فيها
ومنه بيت حسان: الا ابلغ ابا سفيان عني ۞ فانت مجوف نخب هواء ۞ وذلك ان القلوب مراكز العقول الا ترى
الى قوله فتكون لهم قلوب يعقلون بها ويدل عليه قراءة من قرأ فزعا وقرئ قرعا اي خاليا من قولهم اعوذ بالله من صفر الاناء
وقرع الفناء وفرغا من قولهم دماؤهم بينهم فرغ اي هدر يعني بطل قلبها وذهب وبقيت لا قلب لها من شدة ما ورد عليها
لتبدي به لتصحر به والضمير لموسى والمراد بامره وقصته وانه ولدها لولا ان ربطنا على قلبها بالهام الصبر كما يربط على الشيء المنفلت
(لتصحر به اي لتظهره وهو مجاز ... صحر به اذا اخرجه الى الصحراء)
ليقر ولتطمئن لتكون من المؤمنين من المصدقين بوعد الله وهو قوله انا رادوه اليك ويجوز واصبح فؤادها فارغا من
الهم حين سمعت ان فرعون عطف عليه وتبناه ان كادت لتبدي به انه ولدها لانها لم تملك نفسها فرحا وسرورا بما
سمعت لولا ان ربطنا قلبها وسكنا قلقه الذي حدث به من شدة الفرح والابتهاج لتكون من المؤمنين الواثقين بوعد الله
لا بتبني فرعون وتعطفه وقرئ موسى بالهمز جعلت الضمة في جارة الواو وهي الميم كانها فيها فهمزت كما تهمز واو وجوه
وقالت لاخته قصيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون ۞ قصيه اتبعي اثره وتتبعي خبره
وقرئ فبصرت بالكسر يقال بصرت به عن جنب وعن جنابة بمعنى بعد وقرئ عن جانب وعن جنب والجنب الجانب يقال قعد
الى جنبه والى جانبه اي نظرت اليه مزورة متجانفة مخاتلة وهم لا يحسون بانها اخته وكان اسمها مريم ۞ وحرمنا
عليه المراضع من قبل فقالت هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون
التحريم استعارة للمنع لان من حرم عليه الشيء فقد منعه الا ترى الى قولهم محظور وحجر وذلك لان الله تعالى منعه ان يرضع
ثديا فكان لا يقبل ثدي مرضع قط حتى اهمهم ذلك والمراضع جمع مرضع وهي المرأة التي ترضع او جمع مرضع وهو موضع الرضاع
وهو الثدي او الرضاع من قبل قصصها اثره روي انها لما قالت وهم له ناصحون قال هامان انها لتعرفه وتعرف اهله
فقالت انما اردت وهم للملك ناصحون والنصح اخلاص العمل من شائب الفساد فانطلقت الى امها بامرهم فجاءت بها
والصبي على يد فرعون يعلله شفقة عليه وهو يبكي يطلب الرضاع فحين وجد ريحها استأنس والتقم ثديها فقال لها فرعون
ومن انت منه فقد ابى كل ثدي الا ثديك فقالت اني امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لا اوتى بصبي الا قبلني فدفعه اليها واجرى
عليها وذهبت به الى بيتها وانجز الله وعده في الرد فعندها ثبت واستقر في علمها ان سيكون نبيا وذلك قوله تعالى
ولتعلم ان وعد الله حق يريد وليثبت علمها ويتمكن **فان قلت** كيف حل لها ان تأخذ الاجر على ارضاع ولدها

قلت ما كانت تأخذه على انه اجرة على الرضاع ولكنه مال حربي كانت تأخذه على وجه الاباحة وقوله تعالى ولكن
اكثرهم لا يعلمون داخل تحت علمها المعنى لتعلم ان وعد الله حق ولكن اكثر الناس لا يعلمون انه حق فيرتابون ويشبه
التعريض بما فرط منها حين سمعت بخبر موسى عليه السلام فجزعت واصبح فؤادها فارغا وروي انها حين القت التابوت
في اليم جاءها الشيطان فقال لها يا ام موسى كرهت ان يقتل فرعون ولدك فتوجري ثم ذهبت فتوليت قتله فلما اتاها الخبر
بان فرعون اصابه قالت وقع في يد العدو فنسيت وعد الله ويجوز ان يتعلق ولكن بقوله ولتعلم ومعناه ان الرد انما
كان لهذا الغرض وهو علمها بصدق وعد الله تعالى ولكن الاكثر لا يعلمون بان هذا هو الغرض الاصلي الذي ما سواه
تبع له من قرة العين وذهاب الحزن ۞ ولما بلغ اشده واستوى آتيناه حكما وعلما وكذلك
نجزي المحسنين ۞ واستوى واعتدل وتم استحكامه وبلغ المبلغ الذي لا يزاد عليه كما قال لقيط
واستحملوا امركم لله دركم ۞ شزر المريرة لا قحما ولا ضرعا ۞ وذلك اربعون سنة وروي انه لم يبعث نبي الا على رأس
اربعين سنة العلم التوراة والحكم السنة وحكمة الانبياء سنتهم قال الله تعالى واذكرن ما يتلى في بيوتكن من
آيات الله والحكمة وقيل معناه آتيناه سيرة الحكماء العلماء وسمتهم قبل البعث فكان لا يفعل فعلا يستجهل فيه
ودخل المدينة على حين غفلة من اهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته
وهذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه
قال هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين ۞ قال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له
انه هو الغفور الرحيم ۞ المدينة مصر وقيل مدينة منف من ارض مصر وحين غفلتهم ما بين العشائين وقيل وقت
القائلة وقيل يوم عيد لهم يشتغلون فيه بلهوهم وقيل لما شب وعقل اخذ يتكلم بالحق وينكر عليهم فاخافوه فلا يدخل قرية
الا على تغفل وقرأ سيبويه فاستغاثه الذي من شيعته ممن شايعه على دينه من بني اسرائيل وقيل هو السامري ومن عدوه من
مخالفيه من القبط وهو فاتون وكان يتسخر الاسرائيلي لحمل الحطب الى مطبخ فرعون والوكز الدفع باطراف الاصابع وقيل
بجمع الكف وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه فلكزه باللام فقضى عليه فقتله **فان قلت** لم جعل قتل الكافر من عمل الشيطان وسماه
ظلما لنفسه واستغفر منه **قلت** لانه قتله قبل ان يؤذن له في القتل فكان ذنبا يستغفر منه وعن ابن جريج ليس
لنبي ان يقتل ما لم يؤمر ۞ قال رب بما انعمت علي فلن اكون ظهيرا للمجرمين ۞ بما انعمت علي يجوز
ان يكون قسما محذوف الجواب تقديره اقسم بانعامك علي بالمغفرة لاتوبن فلن اكون ظهيرا للمجرمين وان يكون استعطافا كأنه
قال رب اعصمني بحق ما انعمت علي من المغفرة فلن اكون ان عصمتني ظهيرا للمجرمين واراد بمظاهرة المجرمين اما صحبة
فرعون وانتظامه في جملته وتكثير سواده حيث كان يركب بركوبه كالولد مع الوالد وكان يسمى ابن فرعون واما مظاهرة من ادت
مظاهرته الى الجرم والاثم كمظاهرة الاسرائيلي المؤدية الى القتل الذي لم يحل له وعن ابن عباس رضي الله عنهما لم يستثن
فابتلي مرة اخرى يعني لم يقل فلن اكون ان شاء الله تعالى وهذا نحو قوله تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا وعن عطاء ان
رجلا قال له ان رجلا اخي يضرب بقلمه ولا يعدو رزقه قال فمن الرأس يعني من يكتب له قال خالد بن عبد الله القسري قال
فاين قول موسى وتلا هذه الآية ۞ وفي الحديث ينادي مناد يوم القيامة اين الظلمة واشباه الظلمة واعوان الظلمة حتى
من لاق لهم دواة او برى لهم قلما فيجمعون في تابوت من حديد فيرمى بهم في جهنم وقيل معناه بما انعمت علي من القوة فلن
استعملها الا في مظاهرة اوليائك واهل طاعتك والايمان بك ولا ادع قبطيا يغلب احدا من بني اسرائيل ۞ فاصبح
في المدينة خائفا يترقب فاذا الذي استنصره بالامس يستصرخه قال له موسى انك
لغوي مبين ۞ يترقب المكروه وهو الاستقادة منه او الاجناد وما يقال فيه ووصف الاسرائيلي بالغي لانه كان سبب
قتل رجل وهو يقاتل آخر ۞ فلما ان اراد ان يبطش بالذي هو عدو لهما قال يا موسى اتريد ان
تقتلني كما قتلت نفسا بالامس ان تريد الا ان تكون جبارا في الارض وما تريد
ان تكون من المصلحين ۞ وقرئ يبطش بالضم والذي هو عدو لهما القبطي لانه ليس على دينهما ولان القبط كانوا
اعداء بني اسرائيل والجبار الذي يفعل ما يريد من الضرب والقتل بظلم لا ينظر في العواقب ولا يدفع بالتي هي احسن
وقيل المتعظم الذي لا يتواضع لامر الله ولما قال هذا افشى على موسى فانتشر الحديث في المدينة ورقي الى فرعون وهموا بقتله

وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى قال يا موسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج
اني لك من الناصحين ● قيل الرجل مؤمن آل فرعون وكان ابن عم فرعون ويسعى يجوز ارتفاعه وصفا لرجل
وانتصابه حالا عنه لانه قد تخصص بان وصف بقوله من اقصى المدينة واذا جعل صلة لجاء لم يجز في يسعى الا الوصف والايتمار
التشاور يقال الرجلان يتآمران ويأتمران لان كل واحد منهما يأمر صاحبه بشيء او يشير عليه بامر والمعنى يتشاورون
بسببك لك بيان وليس بصلة الناصحين ● فخرج منها خائفا يترقب قال رب نجني من القوم
الظالمين ● ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل
يترقب التعرض له في الطريق او ان يلحق تلقاء مدين قصدها ونحوها ومدين قرية شعيب عليه السلام سميت بمدين بن ابراهيم
ولم تكن في سلطان فرعون وبينها وبين مصر مسيرة ثمان وكان موسى لا يعرف اليها الطريق قال ابن عباس خرج وليس له
علم بالطريق الا حسن ظنه بربه وسواء السبيل وسطه ومعظم نهجه وقيل خرج حافيا لا يعيش الا بورق الشجر فما وصل حتى
سقط خف قدمه وقيل جاءه ملك على فرس بيده عنزة فانطلق به الى مدين ● ولما ورد ماء مدين وجد
عليه امة من الناس يسقون ● ماء مدين ماؤهم الذي يستقون منه وكان بئرا فيما روي وروده مجيئه
والوصول اليه وجد عليه وجد فوق شفيره ومستقاه امة جماعة كثيفة العدد من الناس من اناس مختلفين ● ووجد
من دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وابونا
شيخ كبير ● من دونهم في مكان اسفل من مكانهم والذود الطرد والدفع وانما كانتا تذودان لان على الماء من
هو اقوى منهما فلا يتمكنان من السقي وقيل كانتا تكرهان المزاحمة وقيل لئلا تختلط اغنامهما باغنامهم وقيل تذودان
عن وجوههما نظر الناظر لتسترهما ما خطبكما ما شأنكما وحقيقته ما مخطوبكما اي مطلوبكما من الذياد فسمي المخطوب خطبا كما سمي المشؤون
شأنا في قولك ما شأنك يقال شأنت شأنه اي قصدت قصده وقرئ لا نسقي ويصدر والرعاء بضم الراء والياء
والرعاء اسم جمع كالرجال والنساء واما الرعاء بالكسر فقياس كصيام وقيام كبير كبير السن ● فسقى لهما ثم
تولى الى الظل فقال رب اني لما انزلت الي من خير فقير ● فسقى لهما فسقى غنمهما لاجلهما
وروي ان الرعاة كانوا يضعون على رأس البئر حجرا لا يقله الا سبعة رجال وقيل عشرة وقيل مائة فاقله وحده وروي
انهم سألوه دلوا من ماء فاعطوه دلوهم وقالوا استق بها وكانت لا ينزعها الا اربعون فاستقى بها وصبها في الحوض
ودعا بالبركة وروي غنمهما واصدرهما وروي انه دفعهم عن الماء حتى سقى لهما وقيل كانت بئرا اخرى عليها الصخرة
وانما فعل رغبة في المعروف واغاثة للملهوف والمعنى انه وصل الى ذلك الماء وقد ازدحمت عليه امة من الناس مختلفة
متكاثفة العدد ورأى الضعيفتين من ورائهم مع غنيمتهما مترقبتين لفراغهم فما اخطأت همته في دين الله تعالى
تلك الفرصة مع ما كان به من النصب وسقوط خف القدم والجوع ولكنه رحمهما فاغاثهما وكفاهما امر السقي في مثل تلك السقية
بقوة قلبه وقوة ساعده وما آتاه الله من الفضل في متانة الفطرة ورصانة الجبلة وفيه مع ارادة اقتصاص امره وما اوتي
من البطش والقوة وما لم يغفل عنه على ما كان به من انتهازه فرصة الاحتساب ترغيب في الخير وانتهاز فرصه وبعث على الاقتداء
في ذلك بالصالحين والاخذ بسيرهم ومذاهبهم فان قلت لم ترك المفعول غير مذكور في قوله تعالى يسقون وتذودان
ولا نسقي قلت لان الغرض هو الفعل لا المفعول الا ترى انه انما رحمهما لانهما كانتا على الذياد وهم على السقي ولم
يرحمهما لان مذودهما غنم ومسقيهم ابل مثلا وكذلك قولهما لا نسقي حتى يصدر الرعاء المقصود فيه السقي لا المسقي
فان قلت كيف طابق جوابهما سؤاله قلت سألهما عن سبب الذود فقالتا السبب في ذلك انا امرأتان
ضعيفتان مستورتان لا نقدر على مساجلة الرجال ومزاحمتهم فلا بد لنا من تأخير السقي الى ان يفرغوا وما لنا رجل
يقوم بذلك وابونا شيخ قد اضعفه الكبر فلا يصلح للقيام به ابلتا اليه عذرهما في توليهما السقي بانفسهما فان قلت
كيف ساغ لنبي الله الذي هو شعيب ان يرضى لابنتيه بسقي الماشية قلت الامر في نفسه ليس بمحظور فالدين لا يأباه
واما المروءة فالناس مختلفون في ذلك والعادات متباينة فيه واحوال العرب فيه خلاف احوال العجم ومذهب اهل
البدو فيه غير مذهب اهل الحضر خصوصا اذا كانت الحالة حالة ضرورة ● اي لاي شيء انزلت الي قليل او كثير غث او سمين
فقير وانما عدي فقير باللام لانه ضمن معنى سائل وطالب قيل ذكر ذلك وان خضرة البقل تتراءى في بطنه من الهزال

اسال

ما سأل الله تعالى الا اكلة ويحتمل ان يريد اني فقير من الدنيا لاجل ما انزلت الي من خير الدين وهو النجاة من الظالمين لانه كان
عند فرعون في ملك وثروة قال ذلك رضى بالبدل السني وفرحا به وشكرا له وكان الظل ظل سمرة ● فجاءته احداهما
تمشي على استحياء قالت ان ابي يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا فلما جاءه وقص عليه
القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين ● على استحياء في موضع الحال اي مستحيية متخفرة
وقيل قد استترت بكم درعها روي انهما لما رجعتا الى ابيهما قبل الناس واغنامهما حفل بطان قال لهما ما اعجلكما قالتا
وجدنا رجلا صالحا رحمنا فسقى لنا فقال لاحداهما اذهبي فادعيه لي فتبعها موسى فالزقت الريح ثوبها بجسدها فوصفته
فقال لها امشي خلفي وانعتي لي الطريق فلما قص عليه قصته قال له لا تخف فلا سلطان لفرعون بارضنا فان قلت
كيف ساغ لموسى ان يعمل بقول امرأة وان يمشي معها وهي اجنبية قلت اما العمل بقول امرأة فكما نعمل بقول
الواحد حرا كان او عبدا ذكرا كان او انثى في الاخبار وما كانت الا مخبرة عن ابيها بانه يدعوه ليجزيه واما مماشاته
امرأة اجنبية فلا بأس بها في نظائر تلك الحال مع ذلك الاحتياط والتورع فان قلت كيف صح له اخذ
الاجر على البر والمعروف قلت يجوز ان يكون قد فعل ذلك لوجه الله تعالى وعلى سبيل البر والمعروف وقبل اطعام
شعيب عليه السلام واحسانه لا على سبيل اخذ الاجر ولكن على سبيل التقبل لمعروف مبتدأ كيف وقد قص عليه قصصه
وعرفه انه من بيت النبوة من اولاد يعقوب عليه السلام ومثله حقيق بان يضيف ويكرم خصوصا في دار نبي من انبياء الله تعالى
وليس بمنكر ان يفعل ذلك لاضطرار الفقر والفاقة طلبا للاجر وقد روي ما يعضد كلا القولين ● روي انها لما قالت ليجزيك
كره ذلك ولما قدم اليه الطعام امتنع وقال انا اهل بيت لا نبيع ديننا بطلاع الارض ذهبا ولا نأخذ على المعروف ثمنا
حتى قال شعيب هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا ● وعن عطاء بن السائب رفع صوته بدعائه ليسمعها فلذلك قيل له ليجزيك
اجر ما سقيت اي جزاء سقيك والقصص مصدر كالعلل سمي به المقصوص ● قالت احداهما يا ابت استأجره
ان خير من استأجرت القوي الامين ● كبراهما كانت تسمى صفراء والصغرى صفيرا وهي التي ذهبت
وطلبت الى ابيها ان يستأجره وهي التي تزوجها وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان شعيبا عليه السلام احفظته الغيرة
فقال وما علمك بقوته وامانته فذكرت اقلال الحجر ونزع الدلو وانه صوب رأسه حتى بلغته رسالته وامرها بالمشي خلفه
وقولها ان خير من استأجرت القوي الامين كلام حكيم جامع لا يزاد عليه لانه اذا اجتمعت هاتان الخصلتان اعني الكفاية والامانة
في القائم بامرك فقد فرغ بالك وتم مرادك وقد استغنت بارسال هذا الكلام الذي سياقه سياق المثل والحكمة ان تقول
استأجره لقوته وامانته فان قلت كيف جعل خير من استأجرت اسما لان والقوي الامين خبرا قلت
هو مثل قوله ● الا ان خير الناس حيا وهالكا ● اسير ثقيف عندهم في السلاسل ● في ان العناية هي سبب التقديم وقد صدقت
حتى جعل لها ما هو احق بان يكون خبرا اسما وورود الفعل بلفظ الماضي للدلالة على انه امر قد جرب وعرف ومنه قولهم اهون
ما اعملت لسان ممخ ● وعن ابن مسعود رضي الله عنه افرس الناس ثلاثة بنت شعيب وصاحب يوسف في قوله عسى ان ينفعنا
وابو بكر في عمر رضي الله عنهما ● قال اني اريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين على ان تأجرني
ثماني حجج فان اتممت عشرا فمن عندك وما اريد ان اشق عليك ستجدني ان شاء الله
من الصالحين ● وروي انه انكحه صفراء وقوله هاتين فيه دليل على انه كانت له غيرهما تأجرني من اجرته اذا كنت له
اجيرا كقولك ابوته اذا كنت له ابا وثماني حجج ظرف او من اجرته كذا اذا اثبته اياه ومنه تعزية رسول الله صلى الله عليه وسلم
آجركم الله ورحمكم وثماني حجج مفعول به ومعناه رعية ثماني حجج فان قلت كيف صح ان ينكحه احدى ابنتيه من
غير تمييز قلت لم يكن ذلك عقد النكاح ولكن مواعدة ومواصفة امر قد عزم عليه ولو كان عقدا لقال قد انكحتك
ولم يقل اني اريد ان انكحك فان قلت كيف صح ان يمهرها اجارة نفسه في رعية الغنم ولا بد من تسليم ما هو مال
الا ترى الى ابي حنيفة رح كيف منع ان يتزوج امرأة بان يخدمها سنة وجوز ان يتزوجها بان يخدمها عبده سنة او يسكنها
داره سنة لانه في الاول مسلم نفسه وليس بمال وفي الثاني هو مسلم مالا وهو العبد او الدار قلت الامر على مذهب
ابي حنيفة رحمه الله تعالى على ما ذكرت واما الشافعي رحمه الله تعالى فقد جوز على التزوج الاجارة لبعض الاعمال والخدمة اذا
كان المستأجر له او المخدوم فيه امرا معلوما ولعل ذلك كان جائزا في تلك الشريعة ويجوز ان يكون المهر شيئا آخر وانما اراد ان

طلاع الارض ملؤه

احفظته اي اغضبته الحفيظة الغضب

يكون راعي غنمه هذه المدة واراد ان ينكحه ابنته فذكر له المرادين وعلق الانكاح بالرعية على معنى اني افعل هذا اذا فعلت ذاك على وجه المعاهدة لا على وجه المعاقدة ويجوز ان يستاجره لرعيه ثماني سنين بمبلغ معلوم ويوفيه اياه ثم ينكحه ابنته به ويجعل قوله على ان تاجرني ثماني حجج عبارة عما جرى بينهما • فان اتممت عشرا فمن عندك فاتمامه من عندك لا من عندي لا الزمكه ولا احتمه عليك ولكنك ان فعلته فهو منك تفضل وتبرع والا فلا عليك وما اريد ان اشق عليك بالزام اتم الاجلين وايجابه • فان قلت ما حقيقة قولهم شققت عليه وشق عليه الامر قلت حقيقته ان الامر اذا تعاظمك فكانه شق عليك ظنك باثنين تقول تارة اطيقه وتارة لا اطيقه او وعده المساهلة والمسامحة من نفسه وانه لا يشق عليه فيما استاجره له من رعي غنمه ولا يفعل نحو ما يفعل المعاسرون من المسترعين من المناقشة في مراعاة الاوقات والمداقة في استيفاء الاعمال وتكليف الرعاة اشغالا خارجة عن حد الشرط وهكذا كان الانبياء عليهم السلام آخذين بالاسمح في معاملات الناس ومنه الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم شريكي فكان خير شريك لا يداري ولا يشاري ولا يماري وقوله ستجدني ان شاء الله من الصالحين يريد بالصلاح حسن المعاملة ووطاءة الخلق ولين الجانب ويجوز ان يريد الصلاح على العموم ويدخل تحته حسن المعاملة والمراد باشتراطه مشيئة الله تعالى فيما وعد من الصلاح الاتكال على توفيقه ومعونته لا انه يستعمل الصلاح ان شاء الله تعالى • قال ذلك بيني وبينك ايما الاجلين قضيت فلا عدوان علي والله على ما نقول وكيل • ذلك مبتدأ وبيني وبينك خبره وهو اشارة الى ما عاهده عليه شعيب عليه السلام يريد ذلك الذي قلته وعاهدتني فيه وشارطتني عليه قائم بيننا جميعا لا نخرج كلانا عنه لا انا عما شرطت ولا انت عما شرطت على نفسك ثم قال اي اجل قضيت من الاجلين اطولهما الذي هو العشر او اقصرهما الذي هو الثمان فلا عدوان علي اي لا تعتدى علي في طلب الزيادة • فان قلت تصور العدوان انما هو في احد الاجلين الذي هو الاقصر وهو المطالبة بتتمة العشر فما معنى تعليق العدوان بهما جميعا قلت معناه كما اني ان طولبت بالزيادة على العشر كان عدوانا لا شك فيه فكذلك ان طولبت بالزيادة على الثمان اراد بذلك تقرير امر الخيار وانه ثابت مستقر وان الاجلين على السواء اما هذا واما هذا من غير تفاوت بينهما في القضاء واما التتمة فموكولة الى رأيي ان شئت اتيت بها والا لم اجبر عليها وقيل معناه فلا اكون متعديا في نفي العدوان عن نفسي كقولك لا اثم علي ولا تبعة علي وفي قراءة ابن مسعود اي الاجلين ما قضيت وقرئ ايما بسكون الياء كقوله • تنظرت نصرا والسماكين ايهما • علي من الغيث استهلت مواطره • وعن ابن قطيب عدوان بالكسر • فان قلت ما الفرق بين موقعي ما المزيدة في القراءتين قلت وقعت في المستفيضة مؤكدة لابهام اي زائدة في شياعها وفي الشاذة تاكيدا للقضاء كانه قال اي الاجلين صممت على قضائه وجردت عزيمتي له • الوكيل الذي وكل اليه الامر ولما استعمل في موضع الشاهد والمهيمن والمقيت عدي بعلى لذلك • روي ان شعيبا كانت عنده عصي الانبياء فقال لموسى عليه السلام بالليل ادخل ذلك البيت فخذ عصا من تلك العصي فاخذ عصا هبط بها آدم عليه السلام من الجنة ولم تزل الانبياء يتوارثونها حتى وقعت الى شعيب عليه السلام فمسها وكان مكفوفا فضن بها فقال خذ غيرها فما وقع في يده الا هي سبع مرات فعلم ان له شانا • وقيل اخذها جبريل بعد موت آدم فكانت معه حتى لقي بها موسى ليلا وقيل اودعها شعيبا ملك في صورة رجل فامر بنته ان تاتيه بعصا فاتته بها فردها سبع مرات فلم يقع في يدها غيرها فدفعها اليه ثم ندم لانها وديعة فتبعه فاختصما فيها ورضيا ان يحكم بينهما اول طالع فاتاهما الملك فقال القياها فمن رفعها فهي له فعالجها الشيخ فلم يطقها ورفعها موسى • وعن الحسن ما كانت الا عصا من الشجر اعترضها اعتراضا • وعن الكلبي الشجرة التي نودي منها العوسج ومنها كانت عصاه • ولما اصبح قال له شعيب اذا بلغت مفرق الطريق فلا تاخذ على يمينك فان الكلأ وان كان بها اكثر الا ان فيها تنينا اخشاه عليك وعلى الغنم فاخذت الغنم ذات اليمين ولم يقدر على كفها فمشى على اثرها فاذا عشب وريف لم ير مثله فنام فاذا بالتنين قد اقبل فحاربته العصا حتى قتلته وعادت الى جنب موسى دامية فلما ابصرها دامية والتنين مقتولا ارتاح لذلك ولما رجع الى شعيب مس الغنم فوجدها ملأى البطون غزيرة اللبن فاخبره موسى ففرح وعلم ان لموسى والعصا شانا وقال له اني وهبت لك من نتاج غنمي هذا العام كل ادرع ودرعاء فاوحي اليه في المنام ان اضرب بعصاك مستقى الغنم ثم سق فما اخطات واحدة الا وضعت ادرع ودرعاء فوفى له بشرطه • سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الاجلين قضى موسى فقال ابعدهما وابطاهما • وروي انه قال قضى اوفاهما وتزوج صغراهما وهذا خلاف الرواية التي سبقت • فلما قضى موسى الاجل وسار باهله

الادرع الذي فيه سواد وبياض

آنس

آنس من جانب الطور نارا قال لاهله امكثوا اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر او جذوة من النار لعلكم تصطلون • الجذوة باللغات الثلاث وقرئ بهن جميعا العود الغليظ كانت في راسه نار او لم تكن قال كثير • باتت حواطب ليلى يلتمسن لها • جزل الجذى غير خوار ولا دعر • وقال • والقى على قبس من النار جذوة • شديدا عليها حرها والتهابها • فلما اتاها نودي من شاطئ الواد الايمن في البقعة المباركة من الشجرة ان يا موسى اني انا الله رب العالمين • وان الق عصاك فلما رآها تهتز كانها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى اقبل ولا تخف انك من الآمنين • اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء • من الاولى والثانية لابتداء الغاية اي اتاه النداء من شاطئ الوادي من قبل الشجرة ومن الشجرة بدل من قوله من شاطئ الوادي بدل الاشتمال لان الشجرة كانت نابتة على الشاطئ كقوله تعالى لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم وقرئ البقعة بالضم والفتح • واضمم اليك جناحك من الرهب فذانك برهانان من ربك الى فرعون وملائه انهم كانوا قوما فاسقين • الرهب بفتحتين وضمتين وفتح وسكون وضم وسكون وهو الخوف • فان قلت ما معنى قوله واضمم اليك جناحك من الرهب قلت فيه معنيان احدهما ان موسى عليه السلام لما قلب الله العصا حية فزع واضطرب فاتقاها بيده كما يفعل الخائف من الشيء فقيل له ان اتقاءك بيدك فيه غضاضة عند الاعداء فاذا القيتها فكما تنقلب حية فادخل يدك تحت عضدك مكان اتقائك بها ثم اخرجها بيضاء ليحصل الامران اجتناب ما هو غضاضة عليك واظهار معجزة اخرى والمراد بالجناح اليد لان يدي الانسان بمنزلة جناحي الطائر واذا ادخل يده اليمنى تحت عضده اليسرى فقد ضم جناحه اليه والثاني ان يراد بضم جناحه اليه تجلده وضبطه نفسه وتشدده عند انقلاب العصا حية حتى لا يضطرب ولا يرهب استعارة من فعل الطائر لانه اذا خاف نشر جناحيه وارخاهما والا فجناحاه مضمومان اليه مشمران • ومنه ما يحكى عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله ان كاتبا له كان يكتب بين يديه فانفلتت منه فلتة ريح فخجل وانكسر فقام وضرب بقلمه الارض فقال له عمر خذ قلمك واضمم اليك جناحك وليفرخ روعك فاني ما سمعتها من احد اكثر مما سمعتها من نفسي • ومعنى قوله من الرهب من اجل الرهب اي اذا اصابك الرهب عند رؤية الحية فاضمم اليك جناحك جعل الرهب الذي كان يصيبه سببا وعلة فيما امر به من ضم جناحه اليه ومعنى فاضمم اليك جناحك وقوله اسلك يدك في جيبك على احد التفسيرين واحد ولكن خولف بين العبارتين وانما كرر المعنى الواحد لاختلاف الغرضين وذلك ان الغرض في احدهما خروج اليد بيضاء وفي الثاني اخفاء الرهب • فان قلت قد جعل الجناح وهو اليد في احد الموضعين مضموما وفي الآخر مضموما اليه وذلك قوله تعالى واضمم اليك جناحك وقوله واضمم يدك الى جناحك فما التوفيق بينهما قلت المراد بالجناح المضموم هو اليد اليمنى وبالمضموم اليه اليد اليسرى وكل واحدة من يمنى اليدين ويسراهما جناح • ومن بدع التفاسير ان الرهب الكم بلغة حمير وانهم يقولون اعطني مما في رهبك وليت شعري كيف صحته في اللغة وهل سمع من الاثبات الثقات الذين ترتضى عربيتهم ثم ليت شعري كيف موقعه في الآية وكيف تطبيقه المفصل كسائر كلمات التنزيل على ان موسى عليه السلام ما كان عليه ليلة المناجاة الا زرمانقة من صوف لا كمي لها • قرئ فذانك مخففا ومشددا فالمخفف مثنى ذاك والمشدد مثنى ذلك برهانان حجتان بينتان نيرتان • فان قلت لم سميت الحجة برهانا قلت لبياضها وانارتها من قولهم للمراة البيضاء برهرهة بتكرير العين واللام معا والدليل على زيادة النون قولهم ابره الرجل اذا جاء بالبرهان ونظيره تسميتهم اياها سلطانا من السليط وهو الزيت لانارتها • قال رب اني قتلت منهم نفسا فاخاف ان يقتلون • واخي هرون هو افصح مني لسانا فارسله معي ردءا يصدقني اني اخاف ان يكذبون • يقال ردأته اعنته والردء اسم ما يعان به فعل بمعنى مفعول به كما ان الدفء اسم لما يتدفأ به قال سلامة بن جندل • وردئي كل ابيض مشرفي • شحيذ الحد عضب ذي فلول • وقرئ ردا على التخفيف كما قرئ الخب ويصدقني بالرفع والجزم صفة وجواب نحو وليا يرثني سواء • فان قلت تصديق اخيه ما الفائدة فيه قلت ليس الغرض بتصديقه ان يقول له صدقت او يقول للناس صدق موسى وانما هو ان يلخص بلسانه الحق ويبسط القول فيه ويجادل به الكفار كما يفعل الرجل المنطيق ذو العارضة فذلك

جار مجرى التصديق المفيد كما يصدق القول بالبرهان ألا ترى إلى قوله وأخي هرون هو أفصح مني لسانا فأرسله معي
وفضل الفصاحة إنما يحتاج إليه لذلك لا لقوله صدقت فإن سحبان وباقلا يستويان فيه أو يصل جناح
كلامه بالبيان حتى يصدقه الذي يخاف تكذيبه فأسند التصديق إلى هرون لأنه السبب فيه إسنادا مجازيا ومعنى
الإسناد المجازي أن التصديق حقيقة في المصدق فإسناده إليه حقيقة وليس في السبب تصديق ولكن استعير له
الإسناد لأنه لابس التصديق بالتسبب كما لابسه الفاعل بالمباشرة والدليل على هذا الوجه قوله إني أخاف أن يكذبون
وقرأه من قرأه يصدقني وفيها تقوية للقراءة بجزم يصدقني • **قال سنشد عضدك بأخيك
ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون إليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون** •
العضد قوام اليد وبشدتها تشتد قال طرفة • أبني لبيني لستم بيد • إلا يدا ليست لها عضد • ويقال في
دعاء الخير شد الله عضدك وفي ضده فت الله في عضدك ومعنى سنشد عضدك بأخيك سنقويك به ونعينك
فإما أن يكون ذلك لأن اليد تشتد لشدة العضد والجملة تقوى بشدة اليد على مزاولة الأمور وإما لأن الرجل شبه باليد في
اشتدادها باشتداد العضد فجعل كأنه يد مشتدة بعضد شديدة سلطانا غلبة وتسلطا أو حجة واضحة بآياتنا تتعلق
بنحو ما تعلق به في تسع آيات أي اذهبا بآياتنا أو بنجعل لكما سلطانا أي نسلطكما بآياتنا أو بلا يصلون أي تمتنعون منهم
بآياتنا أو هو بيان للغالبون لا صلة لامتناع تقدم الصلة على الموصول ولو تأخر لم يكن إلا صلة له ويجوز أن يكون قسما
جوابه لا يصلون مقدما عليه أو من لغو القسم • **فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا ما هذا
إلا سحر مفترى وما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين** • سحر مفترى سحر تعمله أنت ثم تفتريه على الله
أو سحر ظاهر افتراؤه أو موصوف بالافتراء كسائر أنواع السحر وليس بمعجزة من عند الله في آبائنا حال منصوبة عن هذا
أي كائنا في زمانهم وأيامهم يريد ما حدثنا بكونه فيهم ولا يخلو من أن يكونوا كاذبين في ذلك وقد سمعوا وعلموا بنحوه أو يريدوا
أنهم لم يسمعوا بمثله في فظاعته أو ما كان الكهان يخبرون بظهور موسى ومجيئه بما جاء به وهذا دليل أنهم حجوا وبهتوا وما وجدوا
ما يدفعون به ما جاءهم من الآيات إلا قولهم هذا سحر وبدعة لم يسمعوا بمثلها • **وقال موسى ربي أعلم بمن
جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار إنه لا يفلح الظالمون** •
يقول ربي أعلم منكم بحال من أهله الله تعالى للفلاح الأعظم حيث جعله نبيا وبعثه بالهدى ووعده حسن العقبى يعني نفسه ولو كان كما
تزعمون كاذبا ساحرا مفتريا لما أهله لذلك لأنه غني حكيم لا يرسل الكاذبين ولا ينبئ الساحرين ولا يفلح عنده الظالمون
وعاقبة الدار هي العاقبة المحمودة والدليل عليه قوله عز وجل أولئك لهم عقبى الدار جنات عدن وقوله وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار
والمراد بالدار الدنيا وعاقبتها وعقباها أن تختم للعبد بالرحمة والرضوان وتلقي الملائكة بالبشرى عند الموت **فإن قلت**
العاقبة المحمودة والمذمومة كلتاهما يصح أن تسمى عاقبة الدار لأن الدنيا إما أن تكون عاقبتها بخير أو بشر فلم اختصت خاتمتها
بالخير بهذه التسمية دون خاتمتها بالشر **قلت** قد وضع الله سبحانه الدنيا مجازا إلى الآخرة وأراد بعباده أن لا يعملوا
فيها إلا الخير وما خلقهم إلا لأجله ليبلغوا خاتمة الخير وعاقبة الصدق ومن عمل فيها خلاف ما وضعها الله تعالى له فقد حرف فإذن
عاقبتها الأصلية هي عاقبة الخير وأما عاقبة السوء فلا اعتداد بها لأنها من نتائج تحريف الفجار وقرأ ابن كثير قال موسى بغير
واو وهي في مصاحف أهل مكة وهي قراءة حسنة لأن الموضع موضع سؤال وبحث عما أجابهم به موسى عند تسميتهم مثل تلك الآيات
الباهرة سحرا مفترى ووجه الأخرى أنهم قالوا ذلك وقال موسى عليه السلام هذا ليوازن الناظر بين القول والمقول ويتبصر
فساد أحدهما وصحة الآخر وبضدها تتبين الأشياء وقرئ يكون بالتاء والياء • **وقال فرعون يا أيها الملأ
ما علمت لكم من إله غيري فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلي أطلع إلى إله
موسى وإني لأظنه من الكاذبين** • روي أنه لما أمر ببناء الصرح جمع هامان العمال حتى اجتمع خمسون ألف بناء
سوى الأتباع والأجراء وأمر بطبخ الآجر والجص ونجر الخشب وضرب المسامير فشيدوه حتى بلغ ما لم يبلغه بنيان أحد من
الخلق فكان الباني لا يقدر أن يقوم على رأسه يبني فبعث الله تعالى جبريل عليه السلام عند غروب الشمس فضربه بجناحه فقطعه
ثلاث قطع وقعت قطعة على عسكر فرعون فقتلت ألف ألف رجل ووقعت قطعة في البحر وقطعة في المغرب ولم يبق أحد من
عماله إلا قد هلك • ويروى في هذه القصة أن فرعون ارتقى فوقه فرمى بنشابة نحو السماء فأراد الله تعالى أن يفتنهم

اذن

فردت إليه وهي ملطوخة بالدم فقال قد قتلت إله موسى فعندها بعث الله تعالى جبريل لهدمه والله أعلم بصحته قصد بنفي علمه
بإله غيره نفي وجوده معناه ما لكم من إله غيري كما قال الله سبحانه وتعالى قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في
الأرض معناه بما ليس فيهن وذلك لأن العلم تابع للمعلوم لا يتعلق به إلا على ما هو عليه فإذا كان الشيء معدوما لم يتعلق به موجودا
فمن ثم كان انتفاء العلم بوجوده لانتفاء وجوده وعبر عن انتفاء وجوده بانتفاء العلم بوجوده ويجوز أن يكون على
ظاهره وأن إلها غيره غير معلوم عنده ولكنه مظنون بدليل قوله تعالى وإني لأظنه من الكاذبين وإذا ظن موسى كاذبا في
إثباته إلها غيره ولم يعلمه كاذبا فقد ظن أن في الوجود إلها غيره ولو لم يكن المخذول ظانا ظنا كاليقين بل عالما بصحة
قول موسى عليه السلام لقول موسى له لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر لما تكلف ذلك البنيان
العظيم ولما تعب في بنائه ما تعب لعله يطلع بزعمه إلى إله موسى وإن كان جاهلا مفرط الجهل به وبصفاته حيث حسب أنه في
مكان كما كان هو في مكان وأنه يطلع إليه كما كان يطلع إليه إذا قعد في عليته وأنه ملك السماء كما أنه ملك الأرض ولا ترى
بينة أثبت شهادة على إفراط جهله وغباوته وجهل ملائه وغباوتهم من أنهم راموا نيل أسباب السموات بصرح يبنونه
وليت شعري أكان يلبس على أهل بلاده ويضحك من عقولهم حيث صادفهم أغبى الناس وأخلاهم من الفطن وأشبههم
بالبهائم بذلك أم كان في نفسه بتلك الصفة وإن صح ما حكي من رجوع النشابة إليه ملطوخة بالدم فتهكم به بالفعل
كما جاء التهكم بالقول في غير موضع من كتاب الله تعالى بنظرائه من الكفرة ويجوز أن يفسر الظن على القول الأول
باليقين كقوله • فقلت لهم ظنوا بألفي مدجج • ويكون بناء الصرح مناقضة لما ادعاه من العلم واليقين وقد
خفيت على قومه لغباوتهم وبلههم أو لم يخف عليهم ولكن كلا كان يخاف على نفسه سوطه وسيفه وإنما قال أوقد لي يا هامان
على الطين ولم يقل اطبخ لي الآجر واتخذه لأنه أول من عمل الآجر فهو يعلمه الصنعة ولأن هذه العبارة أحسن طباقا
لفصاحة القرآن وعلو طبقته وأشبه بكلام الجبابرة وأمر هامان وهو وزيره ورديفه بالإيقاد على الطين منادى
باسمه بيا في وسط الكلام دليل التعظم والتجبر • وعن عمر رضي الله عنه أنه حين سافر إلى الشام ورأى القصور المشيدة
بالآجر قال ما علمت أن أحدا بنى بالآجر غير فرعون • والطلوع والاطلاع الصعود يقال طلع الجبل واطلع بمعنى •
واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون •
الاستكبار بالحق إنما هو لله عز وجل وهو المتكبر على الحقيقة أي المبالغ في كبرياء الشأن قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم فيما حكى عن ربه الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحدا منهما ألقيته في النار وكل مستكبر سواه فاستكباره
بغير الحق يرجعون بالفتح والضم • **فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة
الظالمين** • فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم من الكلام المفخم الذي دل على عظمة شأنه وكبرياء سلطانه
شبههم استحقارا لهم واستقلالا لعددهم وإن كانوا الجمع الكثير والجم الغفير بحصيات أخذهن آخذ في كفه فطرحهن
في البحر ونحو ذلك قوله تعالى وألقينا فيها رواسي شامخات وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة وما قدروا الله
حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه وما هي إلا تصويرات وتمثيلات لاقتداره وأن
كل مقدور وإن عظم وجل فهو مستصغر إلى جنب قدرته • **وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ويوم
القيمة لا ينصرون** • **وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة هم من المقبوحين** •
فإن قلت ما معنى قوله وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار **قلت** معناه ودعوناهم أئمة دعاة إلى النار
وقلنا إنهم أئمة دعاة إلى النار كما يدعى خلفاء الحق أئمة دعاة إلى الجنة وهو من قولك جعله بخيلا وفاسقا إذا دعاه وقال
إنه بخيل وفاسق ويقول أهل اللغة في تفسير فسقه وبخله جعله بخيلا وفاسقا ومنه قوله عز وعلا وجعلوا الملائكة الذين هم
عباد الرحمن إناثا ومعنى دعوتهم إلى النار دعوتهم إلى موجباتها من الكفر والمعاصي ويوم القيمة لا ينصرون كما تنصر الأئمة
الدعاة إلى الجنة ويجوز خذلناهم حتى كانوا أئمة الكفر ومعنى الخذلان منع الألطاف وإنما يمنعها من علم أنها لا تنفع فيه وهو
المصمم على الكفر الذي لا تغني عنه الآيات والنذر ومجراه مجرى الكناية لأن منع الألطاف يردف التصميم والغرض بذكره التصميم
نفسه فكأنه قيل صمموا على الكفر حتى كانوا أئمة فيه دعاة إليه وإلى سوء عاقبته **فإن قلت** وأي فائدة في ترك المردوف
إلى الرادفة **قلت** ذكر الرادفة يدل على وجود المردوف فيعلم وجود المردوف مع الدليل الشاهد بوجوده فيكون أقوى

لانشاءنا من ذكره الا ترى انك تقول لولا انه مصمم على الكفر مقطوع امره مبتوت حكمه لما منعت منه الالطاف فبذكر منع
الالطاف يحصل العلم بوجود التصميم على الكفر زيادة وهو قيام الحجة على وجوده ويفسر هذا الوجه قوله تعالى ويوم القيمة لا ينصرون
كانه قيل وخذلناهم في الدنيا وهم يوم القيمة مخذولون كما قال واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة اي طردا وابعادا عن الرحمة
ويوم القيمة هم من المقبوحين اي من المطرودين المبعدين ● ولقد اتينا موسى الكتاب من بعد ما اهلكنا
القرون الاولى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون ● بصائر نصب على
الحال والبصيرة نور القلب الذي يستبصر به كما ان البصر نور العين الذي تبصر به يريد اتيناه التورية انوارا للقلوب
لانها كانت عميا لا تستبصر ولا تعرف حقا من باطل وارشادا لانهم كانوا يخبطون في ضلال ورحمة لانهم لو عملوا بها وصلوا
الى نيل الرحمة لعلهم يتذكرون ارادة ان يتذكروا شبهت الارادة بالترجي فاستعير لها ويجوز ان يراد به ترجي موسى لتذكرهم
كقوله تعالى لعله يتذكر ● وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر وما كنت من
الشاهدين ● ولكنا انشانا قرونا فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاويا في اهل
مدين تتلو عليهم اياتنا ولكنا كنا مرسلين ● الغربي المكان الواقع في شق الغرب وهو المكان
الذي وقع فيه ميقات موسى عليه السلام من الطور وكتب الله تعالى له في الالواح والامر المقضي الى موسى الوحي الذي
اوحي اليه والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وما كنت حاضر المكان الذي اوحينا فيه الى موسى ولا كنت من جملة
الشاهدين للوحي اليه او على الوحي اليه وهم نقباؤه الذين اختارهم للميقات حتى تقف من جملة المشاهدة على ما جرى
من امر موسى في ميقاته وكتبة التوراة له في الالواح وغير ذلك **فان قلت** كيف يتصل قوله تعالى ولكنا انشانا
قرونا بهذا الكلام ومن اي وجه يكون استدراكا له **قلت** اتصاله به وكونه استدراكا له من حيث ان معناه ولكنا انشانا
بعد عهد الوحي الى عهدك قرونا كثيرة فتطاول على آخرهم وهو القرن الذي انت فيهم العمر اي امد انقطاع الوحي واندرست
العلوم فوجب ارسالك اليهم فارسلناك وكسبناك العلم بقصص الانبياء عليهم السلام وقصة موسى كانه قال وما كنت شاهدا
لموسى وما جرى عليه ولكنا اوحيناه اليك فذكر سبب الوحي الذي هو اطالة الفترة ودل به على المسبب على عادة الله عز وجل
في اختصاراته فاذن هذا الاستدراك شبيه الاستدراكين بعده وما كنت ثاويا اي مقيما في اهل مدين وهم شعيب عليه السلام
والمؤمنون به تتلو عليهم اياتنا تقرؤها عليهم تعلما منهم يريد الايات التي فيها قصة شعيب وقومه ولكنا ارسلناك واخبرناك
بها وعلمناكها ● وما كنت بجانب الطور اذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما اتاهم
من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون ● اذ نادينا يريد مناداة موسى عليه السلام ليلة المناجاة وتكليمه
ولكن علمناك رحمة وقرئ رحمة بالرفع اي هي رحمة ما اتاهم من نذير في زمان الفترة بينك وبين عيسى وهو خمسمائة وخمسون
سنة ونحوه قوله عز وجل لتنذر قوما ما انذر اباؤهم ● ولولا ان تصيبهم مصيبة بما قدمت ايديهم
فيقولوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك ونكون من المؤمنين ● لولا الاولى امتناعية
وجوابها محذوف والثانية تحضيضية واحدى الفائين للعطف والاخرى جواب لولا لكونها في حكم الامر من قبل ان الامر باعث
على الفعل والباعث والمحضض من واد واحد والمعنى ولولا انهم قائلون اذا عوقبوا بما قدموا من الشرك والمعاصي هلا ارسلت
الينا رسولا محتجين بذلك علينا لما ارسلناك اليهم يعني ان ارسال الرسول اليهم انما هو ليلزموا الحجة ولا يلزموها كقوله
لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك
فان قلت كيف استقام هذا المعنى وقد جعلت العقوبة هي السبب للارسال لا القول لدخول حرف الامتناع
عليها دونه **قلت** القول هو المقصود بان يكون سببا لارسال الرسل ولكن العقوبة لما كانت سببا للارسال
بواسطة القول ادخلت عليها لولا وجيء بالقول معطوفا عليها بالفاء المعطية معنى السببية ويؤول معناه الى
قولك لولا قولهم هذا اذا اصابتهم مصيبة لما ارسلناك ولكن اخترت هذه الطريقة لنكتة وهي انهم لو لم يعاقبوا مثلا على
كفرهم وقد عاينوا ما الجئوا به الى العلم اليقين لم يقولوا لولا ارسلت الينا رسولا وانما السبب في قولهم هذا هو العقاب
لا غير لا التاسف على ما فاتهم من الايمان بخالقهم وفي هذا من الشهادة القوية على استحكام كفرهم ورسوخهم فيه ما لا يخفى كقوله تعالى
ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ولما كانت اكثر الاعمال تزاول بالايدي جعل كل عمل معبرا عنه باجتراح الايدي وان كان من اعمال

القلوب وهذا من الاتساع في الكلام وتصيير الاقل تابعا للاكثر وتغليب الاكثر على الاقل ● فلما جاءهم الحق من عندنا
قالوا لولا اوتي مثل ما اوتي موسى اولم يكفروا بما اوتي موسى من قبل قالوا ساحران تظاهرا
وقالوا انا بكل كافرون ● فلما جاءهم الحق وهو الرسول المصدق بالكتاب المعجز مع سائر المعجزات وقطعت
معاذيرهم وسدت طرق احتجاجهم قالوا لولا اوتي مثل ما اوتي موسى من الكتاب المنزل جملة واحدة ومن قلب العصا حية
وفلق البحر وغيرها من الايات فجاؤا بالاقتراحات المبنية على التعنت والعناد كما قالوا لولا انزل اليه كنز او جاء معه
ملك وما اشبه ذلك اولم يكفروا يعني ابناء جنسهم ومن مذهبهم مذهبهم وعنادهم عنادهم وهم الكفرة في زمن موسى عليه السلام
بما اوتي موسى وعن الحسن رحمه الله تعالى قد كان للعرب اصل في ايام موسى فمعناه على هذا اولم يكفر اباؤهم قالوا في موسى وهرون
ساحران تظاهرا اي تعاونا وقرئ اظاهرا على الادغام وسحران بمعنى ذوا سحر او جعلوهما سحرين مبالغة في وصفهما بالسحر او
ارادوا نوعان من السحر بكل بكل واحد منهما **فان قلت** بم علقت قوله من قبل في هذا التفسير **قلت** باولم
يكفروا ولي ان اعلقه باوتي فينقلب المعنى الى ان اهل مكة الذين قالوا هذه المقالة كما كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن فقد كفروا
بموسى وبالتوراة وقالوا في موسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم ساحران تظاهرا او في الكتابين سحران تظاهرا وذلك حين بعثوا
الرهط الى رؤساء اليهود بالمدينة يسألونهم عن محمد صلى الله عليه وسلم فاخبروهم انه نعته وصفته وانه في كتابهم فرجع الرهط
الى قريش فاخبروهم بقول اليهود فقالوا عند ذلك ساحران تظاهرا ● قل فأتوا بكتاب من عند الله هو
اهدى منهما اتبعه ان كنتم صادقين ● فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون
اهواءهم ومن اضل ممن اتبع هويه بغير هدى من الله ان الله لا يهدي القوم الظالمين
هو اهدى منهما مما انزل الى موسى ومما انزل علي هذا الشرط من نحو ما ذكرت من انه من شرط المدل بالامر المتحقق لصحته لان
امتناع الاتيان بكتاب اهدى من الكتابين امر معلوم متحقق لا مجال فيه للشك ويجوز ان يقصد بحرف الشك التهكم بهم
فان قلت ما الفرق بين فعل الاستجابة في الاية وبينه في قوله فلم يستجبه عند ذاك مجيب حيث عدي بغير
اللام **قلت** هذا الفعل يتعدى الى الدعاء بنفسه والى الداعي باللام ويحذف الدعاء اذا عدي الى الداعي في الغالب
فيقال استجاب الله دعاءه او استجاب له ولا يكاد يقال استجاب له دعاءه واما البيت فمعناه فلم يستجب دعاءه على حذف المضاف
فان قلت الاستجابة تقتضي دعاء ولا دعاء ههنا **قلت** قوله تعالى فأتوا بكتاب امر بالاتيان والامر بعث على
الفعل ودعاء اليه فكانه قال فان لم يستجيبوا دعاءك الى الاتيان بالكتاب الاهدى فاعلم انهم قد الزموا ولم تبق لهم حجة الا اتباع الهوى
ثم قال ومن اضل ممن لا يتبع في دينه الا الهوى بغير هدى اي مطبوعا على قلبه ممنوع الالطاف ان الله لا يهدي اي لا يلطف بالقوم
الثابتين على الظلم الذين اللطف بهم عابث وقوله بغير هدى في موضع الحال يعني مخذولا مخلى بينه وبين هواه ● ولقد
وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون ● الذين اتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون
قرئ وصلنا بالتشديد والتخفيف والمعنى ان القرآن اتاهم متتابعا متواصلا وعدا ووعيدا وقصصا وعبرا ومواعظ ونصائح
ارادة ان يتذكروا فيفلحوا او نزل عليهم نزولا متصلا بعضه في اثر بعض كقوله تعالى وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه
معرضين نزلت في مؤمني اهل الكتاب وعن رفاعة بن قرظة نزلت في عشرة انا احدهم وقيل في اربعين من مسلمي اهل الانجيل اثنان
وثلاثون جاؤا مع جعفر من ارض الحبشة وثمانية من الشام والضمير في من قبله للقرآن ● واذا يتلى عليهم قالوا آمنا
به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين ● **فان قلت** اي فرق بين الاستئنافين انه وانا
قلت الاول تعليل للايمان به لان كونه حقا من الله حقيق بان يؤمن به والثاني بيان لقوله آمنا به لانه يحتمل ان
يكون ايمانا قريب العهد وبعيده فاخبروا ان ايمانهم به متقادم لان آباءهم القدماء قرؤا في الكتب الاول ذكره وابناءهم
من بعدهم من قبله من قبل وجوده ونزوله مسلمين كائنين على دين الاسلام لان الاسلام صفة كل موحد مصدق للوحي
اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤن بالحسنة السيئة ومما رزقناهم
ينفقون ● واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم
لا نبتغي الجاهلين ● بما صبروا بصبرهم على الايمان بالتوراة والايمان بالقرآن قبل نزوله وبعد نزوله او
بصبرهم على اذى المشركين واهل الكتاب ونحوه يؤتكم كفلين من رحمته بالحسنة السيئة بالطاعة المعصية المتقدمة او بالحلم

الاذى سلام عليكم توديع ومتاركة وعن الحسن كلمة حلم من المؤمنين لا نبتغي الجاهلين لا نريد مخالطتهم وصحبتهم **فان قلت** من خاطبوا بقولهم ولكم اعمالكم **قلت** اللاغين الذين دل عليهم قوله تعالى واذا سمعوا اللغو **انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو اعلم بالمهتدين** لا تقدر ان تدخل في الاسلام كل من احببت من قومك وغيرهم لانك عبد لا تعلم المطبوع على قلبه من غيره ولكن الله يدخل في الاسلام من يشاء وهو الذي علم انه غير مطبوع على قلبه وان الالطاف تنفع فيه فيقرن به الطافه حتى يدعوه الى القبول وهو اعلم بالمهتدين بالقابلين من الذين لا يقبلون قال الزجاج اجمع المسلمون انها نزلت في ابي طالب قال عند موته يا معشر بني هاشم اطيعوا محمدا وصدقوه تفلحوا وترشدوا فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا عم تأمرهم بالنصيحة لانفسهم وتدعها لنفسك قال فما تريد يا ابن اخي قال اريد منك كلمة واحدة فانك في آخر يوم من ايام الدنيا ان تقول لا اله الا الله اشهد لك بها عند الله قال يا ابن اخي قد علمت انك لصادق ولكني اكره ان يقال جزع عند الموت ولولا ان يكون عليك وعلى بني ابيك غضاضة ومسبة بعدي لقلتها ولاقررت بها عينك عند الفراق لما ارى من شدة وجدك ونصيحتك ولكني سوف اموت على ملة الاشياخ عبد المطلب وهاشم وعبد مناف **وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا اولم نمكن لهم حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا ولكن اكثرهم لا يعلمون** قالت قريش وقيل ان القائل الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف نحن نعلم انك على الحق ولكنا نخاف ان اتبعناك وخالفنا العرب بذلك وانما نحن اكلة راس اي قليلون ان يتخطفونا من ارضنا فالقمهم الله تعالى الحجر بان مكن لهم في الحرم الذي آمنه بحرمة البيت وآمن قطانه بحرمته وكانت العرب في الجاهلية حولهم يتغاورون ويتناحرون وهم آمنون في حرمهم لا يخافون وبحرمة البيت هم قارون بواد غير ذي زرع والثمرات والارزاق تجبى اليهم من كل اوب فاذا خولهم الله تعالى ما خولهم من الامن والرزق بحرمة البيت وحدها وهم كفرة عبدة اصنام فكيف يستقيم ان يعرضهم للخوف والتخطف ويسلبهم الامن اذا ضموا الى حرمة البيت حرمة الاسلام واسناد الامن الى اهل الحرم حقيقة والى الحرم مجاز يجبى اليه تجلب وتجمع قرئ بالياء والتاء وقرئ تجنى بالنون من الجنى وتعديته بالى كقولك يجنى الى فيه ويجنى الى الخافة وثمرات بضمتين وبضمة وسكون ومعنى الكلية الكثرة كقوله تعالى واوتيت من كل شيء ولكن اكثرهم لا يعلمون متعلق بقوله من لدنا اي قليل منهم يقرون بان ذلك رزق من عند الله واكثرهم جهلة لا يعلمون ذلك ولا يفطنون له ولو علموا انه من عند الله لعلموا ان الخوف والامن من عنده ولما خافوا التخطف اذا آمنوا به وخلعوا انداده **فان قلت** بم انتصب رزقا **قلت** ان جعلته مصدرا جاز ان ينتصب بمعنى ما قبله لان معنى يجبى اليه ثمرات كل شيء ويرزق ثمرات كل شيء واحد وان يكون مفعولا له وان جعلته بمعنى مرزوق كان حالا من الثمرات لتخصصها بالاضافة كما تنتصب عن النكرة المتخصصة بالصفة **وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا وكنا نحن الوارثين** هذا تخويف لاهل مكة من سوء عاقبة قوم كانوا في مثل حالهم من انعام الله عليهم بالرقود في ظلال الامن وخفض العيش فغمطوا النعمة وقابلوها بالاشر والبطر فدمرهم الله وخرب ديارهم وانتصبت معيشتها اما بحذف الجار وايصال الفعل كقوله تعالى واختار موسى قومه واما على الظرف بنفسه كقولك زيد ظني مقيم او بتقدير حذف الزمان المضاف اصله بطرت ايام معيشتها كخفوق النجم ومقدم الحاج واما بتضمين بطرت معنى كفرت وغمطت وقيل البطر سوء احتمال الغنى وهو ان لا يحفظ حق الله تعالى فيه الا قليلا من السكنى قال ابن عباس رضي الله عنهما لم يسكنها الا المسافر ومار الطريق يوما او ساعة ويحتمل ان شؤم معاصي المهلكين بقي اثره في ديارهم فكل من سكنها من اعقابهم لم يبق فيها الا قليلا وكنا نحن الوارثين لتلك المساكن من ساكنيها اي تركناها على حال لا يسكنها احد او خربناها وسويناها بالارض تتخلف الديار عن اصحابها حينا ويدركها الفناء فتبقى **وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في امها رسولا يتلو عليهم آياتنا وما كنا مهلكي القرى الا واهلها ظالمون** وما كانت عادة ربك ان يهلك القرى في كل وقت حتى يبعث في القرية التي هي امها اي اصلها وقصبتها التي هي اعمالها وتوابعها رسولا لالزام الحجة وقطع المعذرة مع علمه انهم لا يؤمنون او وما كان في حكم الله تعالى وسابق قضائه ان يهلك القرى في الارض حتى يبعث في ام القرى يعني مكة رسولا وهو محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء وقرئ امها بضم الهمزة وكسرها لاتباع الجر وهذا بيان لعدله وتقدسه عن الظلم حيث اخبر بانه لا يهلكهم الا اذا استحقوا الاهلاك بظلمهم ولا يهلكهم مع كونهم ظالمين

الا بعد تأكيد الحجة والالزام ببعثة الرسل ولا يجعل علمه باحوالهم حجة عليهم ونزه ذاته ان يهلكهم وهم غير ظالمين كما قال عز وعلا وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون فنص على قوله بظلم انه لو اهلكهم وهم مصلحون لكان ذلك ظلما منه وان حاله في غناه وحكمته منافية للظلم دل على ذلك بحرف النفي مع لامه كما قال تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم **وما اوتيتم من شيء فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وابقى افلا تعقلون** واي شيء اصبتموه من اسباب الدنيا فما هو الا تمتع وزينة اياما قلائل وهي مدة الحيوة المنقضية وما عند الله وهو ثوابه خير في نفسه من ذلك وابقى لان بقاءه دائم سرمد وقرئ يعقلون بالياء وهو ابلغ في الموعظة وعن ابن عباس ان الله تعالى خلق الدنيا وجعل اهلها ثلثة اصناف المؤمن والمنافق والكافر فالمؤمن يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع **افمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا ثم هو يوم القيمة من المحضرين** هذه الآية تقرير وايضاح للتي قبلها والوعد الحسن الثواب لانه منافع دائمة على وجه التعظيم والاستحقاق واي شيء احسن منها ولذلك سمى الله تعالى الجنة بالحسنى ولاقيه كقوله تعالى ولقاهم نضرة وسرورا وعكسه فسوف يلقون غيا من المحضرين من الذين احضروا النار ونحوه لكنت من المحضرين فكذبوه فانهم لمحضرون قيل نزلت في رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي جهل وقيل في علي وحمزة رضي الله عنهما وابي جهل وقيل في عمار بن ياسر رضي الله عنه والوليد بن المغيرة **فان قلت** فسر لي الفاءين وثم واخبرني عن مواقعها **قلت** قد ذكر في الآية التي قبلها متاع الحيوة الدنيا وما عند الله وتفاوتهما ثم عقبه بقوله تعالى افمن وعدناه على معنى ابعد هذا التفاوت الظاهر يسوى بين ابناء الآخرة وابناء الدنيا فهذا معنى الفاء الاولى وبيان موقعها واما الثانية فللتسبيب لان لقاء الموعود مسبب عن الوعد الذي هو الضمان في الخبر واما ثم فلتراخي حال الاحضار عن حال التمتيع لا لتراخي وقته عن وقته وقرئ ثم هو بسكون الهاء كما قيل عضد في عضد تشبيها للمنفصل بالمتصل وسكون الهاء في فهو وهو ولهو احسن لان الحرف الواحد لا ينطق به وحده فهو كالمتصل **ويوم يناديهم فيقول اين شركائي الذين كنتم تزعمون** شركائي مبني على زعمهم وفيه تهكم **فان قلت** زعم يطلب مفعولين كقوله ولم ازعمك عن ذلك معزلا فاين هما **قلت** محذوفان تقديره الذين كنتم تزعمونهم شركائي ويجوز حذف المفعولين في باب ظننت ولا يصح الاقتصار على احدهما **قال الذين حق عليهم القول ربنا هؤلاء الذين اغوينا اغويناهم كما غوينا تبرأنا اليك ما كانوا ايانا يعبدون** الذين حق عليهم القول الشياطين او ائمة الكفر ورؤسه ومعنى حق عليهم القول وجب عليهم مقتضاه وثبت وهو قوله تعالى لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين وهؤلاء مبتدأ والذين اغوينا صفة والراجع الى الموصول محذوف تقديره اغويناهم واغويناهم الخبر والكاف صفة مصدر محذوف تقديره اغويناهم فغووا غيا مثل ما غوينا يعنون انا لم نغو الا باختيارنا لا ان فوقنا مغوين اغوونا بقسر منهم والجاء او دعونا الى الغي وسولوه لنا فهؤلاء كذلك غووا باختيارهم لان اغواءنا لهم لم يكن الا وسوسة وتسويلا لا قسرا والجاء فلا فرق اذن بين غينا وغيهم وان كان تسويلنا داعيا لهم الى الكفر فقد كان في مقابلته دعاء الله لهم الى الايمان بما وضع فيهم من ادلة العقل وبما بعث اليهم من الرسل وانزل عليهم من الكتب المشحونة بالوعد والوعيد والمواعظ والزواجر وناهيك بذلك صارفا عن الكفر وداعيا الى الايمان وهذا معنى ما حكاه الله تعالى عن الشيطان ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا انفسكم والله عز وجل قدم هذا المعنى اول شيء حيث قال ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين تبرأنا اليك منهم ومما اختاروه من الكفر بانفسهم هوى منهم للباطل ومقتا للحق لا بقوة منا على استكراههم ولا سلطان ما كانوا ايانا يعبدون انما كانوا يعبدون اهواءهم ويطيعون شهواتهم واخلاء الجملتين من العاطف لكونهما مقررتين لمعنى الجملة الاولى **وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وراوا العذاب لو انهم كانوا يهتدون** لو انهم كانوا يهتدون لوجه من وجوه الحيل يدفعون به العذاب او لو انهم كانوا مهتدين مؤمنين لما رأوه او تمنوا لو كانوا مهتدين وتحيروا عند رؤيته وسدروا فلا يهتدون طريقا حكي اولا ما يوبخهم به من اتخاذهم الشركاء ثم ما يقوله الشياطين او ائمتهم عند توبيخهم لانهم اذا وبخوا بعبادة الآلهة اعتذروا بان الشياطين هم الذين استغووهم وزينوا لهم عبادتها ثم ما يشبه الشماتة بهم من استغاثتهم آلهتهم وخذلانهم لهم وعجزهم عن نصرتهم ثم ما يبكتون به من الاحتجاج عليهم بارسال الرسل وازاحة العلل **ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين فعميت عليهم**

الانباء يومئذ فهم لا يتساءلون • فعميت عليهم الانباء فصارت الانباء كالعمى عليهم جميعا لا تهتدى اليهم فهم لا يتساءلون لا يسال بعضهم بعضا كما يتساءل الناس في المشكلات لانهم يتساوون جميعا في عمى الانباء عليهم والعجز عن الجواب وقرئ فعميت والمراد بالنبا الخبر عما اجاب به المرسل اليه رسوله واذا كانت الانبياء لهول ذلك اليوم يتتعتعون في الجواب عن مثل هذا السؤال ويفوضون الامر الى علم الله تعالى وذلك قوله سبحانه وتعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا انك انت علام الغيوب فما ظنك بالضلال من اممهم • فاما من تاب وآمن وعمل صالحا فعسى ان يكون من المفلحين • فاما من تاب من المشركين من الشرك وجمع بين الايمان والعمل الصالح فعسى ان يفلح عند الله تعالى وعسى من الكرام تحقيق ويجوز ان يراد ترجي التائب وطمعه كانه قال فليطمع ان يفلح • وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون • الخيرة من التخير كالطيرة من التطير تستعمل بمعنى المصدر وهو التخير وبمعنى المتخير كقولهم محمد صلى الله عليه وسلم خيرة الله من خلقه ما كان لهم الخيرة بيان لقوله ويختار لان معناه ويختار ما يشاء ولهذا لم يدخل العاطف والمعنى ان الخيرة لله تعالى في افعاله وهو اعلم بوجوه الحكمة فيها ليس لاحد من خلقه ان يختار عليه قيل السبب فيه قول الوليد بن المغيرة لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم يعنى لا يبعث الله الرسل باختيار المرسل اليهم وقيل معناه ويختار الذي لهم فيه الخيرة اى يختار للعباد ما هو خير لهم واصلح وهو اعلم بمصالحهم من انفسهم من قولهم في الامرين ليس فيهما خيرة لمختار فان قلت فاين الراجع من الصلة الى الموصول اذا جعلت ما موصولة قلت اصل الكلام ما كان لهم فيه الخيرة فحذف فيه كما حذف منه في قوله تعالى ان ذلك لمن عزم الامور لانه مفهوم سبحان الله اى الله برئ من اشراكهم وما يحملهم عليه من الجراءة على الله واختيارهم عليه ما لا يختار • وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون • ما تكن صدورهم من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحسده وما يعلنون من مطاعنهم فيه وقولهم هلا اختير عليه غيره في النبوة • وهو الله لا اله الا هو له الحمد في الاولى والاخرة وله الحكم واليه ترجعون • وهو الله وهو المستأثر بالالهية المختص بها ولا اله الا هو تقرير لذلك كقولك الكعبة القبلة لا قبلة الا هي فان قلت الحمد في الدنيا ظاهر فما الحمد في الاخرة قلت هو قولهم الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن الحمد لله الذي صدقنا وعده وقيل الحمد لله رب العالمين والتحميد هناك على وجه اللذة لا الكلفة وفي الحديث يلهمون التسبيح والتقديس وله الحكم القضاء بين عباده • قل ارأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيمة من اله غير الله يأتيكم بضياء افلا تسمعون • قل ارأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيمة من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه افلا تبصرون • ارأيتم وقرئ ارايتم بحذف الهمزة وليس بحذف قياسي ومعناه اخبروني من يقدر على هذا والسرمد الدائم المتصل من السرد وهو المتابعة ومنه قولهم في الاشهر الحرم ثلاثة سرد وواحد فرد والميم مزيدة ووزنه فعمل ونظيره دلامص من الدلاص فان قلت هلا قيل بنهار تتصرفون فيه كما قيل بليل تسكنون فيه قلت ذكر الضياء وهو ضوء الشمس لان المنافع التي تتعلق به متكاثرة ليس التصرف في المعاش وحده والظلام ليس بتلك المنزلة ومن ثم قرن بالضياء افلا تسمعون لان السمع يدرك ما لا يدركه البصر من ذكر منافعه ووصف فوائده وقرن بالليل افلا تبصرون لان غيرك يبصر من منفعة الظلام ما تبصره انت من السكون ونحوه • ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون • ومن رحمته زاوج بين الليل والنهار لاغراض ثلثة لتسكنوا في احدهما وهو الليل ولتبتغوا من فضل الله في الاخر وهو النهار ولارادة شكركم وقد سلكت بهذه الآية طريقة اللف • ويوم يناديهم فيقول اين شركائي الذين كنتم تزعمون • تكرير التوبيخ باتخاذ الشركاء ايذان بان لا شئ اجلب لغضب الله تعالى من الاشراك به كما لا شئ ادخل في مرضاته من توحيده اللهم فكما ادخلتنا في اهل توحيدك فادخلنا في الناجين من وعيدك • ونزعنا من كل امة شهيدا فقلنا هاتوا برهانكم فعلموا ان الحق لله وضل عنهم ما كانوا يفترون • ونزعنا واخرجنا من كل امة شهيدا وهو نبيهم لان انبياء الامم شهداء عليهم يشهدون بما كانوا عليه فقلنا لامة امة هاتوا برهانكم فيما كنتم عليه من الشرك ومخالفة الرسول فعلموا حينئذ ان الحق لله ولرسله لا لهم ولشياطينهم وضل عنهم وغاب غيبة الشئ الضائع ما كانوا يفترون من الباطل والكذب • ان قارون كان من قوم موسى

فبغى

فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة اولى القوة اذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين • قارون اسم اعجمي مثل هرون ولم ينصرف للعجمة والتعريف ولو كان فاعولا من قرن لانصرف وقيل معناه كونه من قومه انه آمن به وقيل كان اسرائيليا ابن عم لموسى عليه السلام هو قارون ابن يصهر بن قاهث وقيل كان موسى ابن اخيه وكان يسمى المنور لحسن صورته وكان اقرأ بني اسرائيل للتوراة ولكنه نافق كما نافق السامري وقال اذا كانت النبوة لموسى والمذبح والقربان الى هرون فما لي وروي انه لما جاوز بهم موسى البحر وصارت الرسالة والحبورة لهرون يقرب القربان ويكون رأسا فيهم وكان القربان الى موسى فجعله موسى الى اخيه وجد قارون في نفسه وحسدهما وقال لموسى الامر لكما ولست على شئ الى متى اصبر قال موسى هذا صنع الله قال والله لا اصدقك حتى تأتي بآية فامر رؤساء بني اسرائيل ان يأتي كل واحد بعصاه فحزمها والقاها في القبة التي كان الوحي ينزل عليه فيها وكانوا يحرسون عصيهم بالليل فاصبحوا واذا بعصا هرون تهتز ولها ورق اخضر وكانت من شجر اللوز فقال قارون ما هو باعجب مما تصنع من السحر فبغى عليهم من البغي وهو الظلم قيل ملكه فرعون على بني اسرائيل فظلمهم وقيل من البغي وهو الكبر والبذخ تبذخ عليهم بكثرة ماله وولده وقيل زاد عليهم في الثياب شبرا • المفاتح جمع مفتح بالكسر وهو ما يفتح به وقيل هي الخزائن وقياس واحدها مفتح بالفتح ويقال ناء به الحمل اذا اثقله حتى اماله والعصبة الجماعة الكثيرة والعصابة مثلها واعصوصبوا اجتمعوا وقيل كانت تحمل مفاتيح خزائنه على ستين بغلا لكل خزانة مفتاح ولا يزيد المفتاح على اصبع وكانت من جلود • قال ابو رزين يكفي الكوفة مفتاح وقد بولغ في ذكر ذلك بلفظ الكنوز والمفاتح والنوء والعصبة واولي القوة وقرأ بديل بن ميسرة لينوء بالياء ووجهه ان يفسر المفاتح بالخزائن ويعطيها حكم ما اضيفت اليه للملابسة والاتصال كقولك ذهبت اهل اليمامة ومحل اذ منصوب بتنوء لا تفرح كقوله ولا تفرحوا بما آتاكم وقول القائل • ولست بمفراح اذا الدهر سرني • وذلك انه لا يفرح بالدنيا الا من رضي بها واطمأن واما من قلبه الى الاخرة ويعلم انه مفارق ما فيه عن قريب لم تحدثه نفسه بالفرح وما احسن قول القائل
اشد الغم عندي في سرور • تيقن عنه صاحبه انتقالا
وابتغ فيما آتاك الله الدار الاخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا واحسن كما احسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الارض ان الله لا يحب المفسدين • وابتغ فيما آتاك الله من الغنى والثروة الدار الاخرة بان تفعل فيه افعال الخير من اصناف الواجب والمندوب اليه وتجعله زادك الى الاخرة ولا تنس نصيبك وهو ان تأخذ منه ما يكفيك ويصلحك واحسن الى عباد الله تعالى كما احسن الله اليك او احسن بشكرك وطاعتك لله تعالى كما احسن اليك والفساد في الارض ما كان عليه من الظلم والبغي وقيل ان القائل موسى صلوات الله عليه وقرئ واتبع • قال انما اوتيته على علم عندي اولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون من هو اشد منه قوة واكثر جمعا ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون • على علم اي على استحقاق واستيجاب لما في من العلم الذي فضلت به الناس وذلك انه كان اعلم بني اسرائيل بالتوراة وقيل هو علم الكيمياء عن سعيد بن المسيب كان موسى عليه السلام يعلم علم الكيمياء فافاد يوشع بن نون ثلثه وكالب بن يوفنا ثلثه وقارون ثلثه فخدعهما قارون حتى اضاف علمهما الى علمه فكان يأخذ الرصاص والنحاس فيجعلهما ذهبا وقيل علم الله تعالى موسى علم الكيمياء فعلمه موسى اخته فعلمته اخته قارون وقيل هو بصره بانواع التجارة والدهقنة وسائر المكاسب وقيل عندي معناه في ظني كما تقول الامر عندي كذا كانه قال انما اوتيته على علم كقوله تعالى ثم اذا خولناه نعمة منا قال انما اوتيته على علم ثم زاد عندي اي هو في ظني ورأيي هكذا ويجوز ان يكون اثباتا لعلمه بان الله تعالى قد اهلك من القرون قبله من هو اقوى منه واغنى لانه قد قرأه في التوراة واخبر به موسى وسمعه من حفاظ التواريخ والايام كانه قيل اولم يعلم في جملة ما عنده من العلم هذا حتى لا يغتر بكثرة ماله وقوته ويجوز ان يكون نفيا لعلمه بذلك لانه لما قال انما اوتيته على علم عندي فتنفج بالعلم وتعظم به قيل اعنده مثل ذلك العلم الذي ادعاه ورأى نفسه به مستوجبة لكل نعمة ولم يعلم هذا العلم النافع حتى يقي به نفسه مصارع الهالكين واكثر جمعا للمال او اكثر جماعة وعددا فان قلت ما وجه اتصال قوله ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون بما قبله قلت لما ذكر قارون من اهلك من قبله من القرون الذين كانوا اقوى منه واغنى قال على سبيل التهديد له والله مطلع على ذنوب المجرمين لا يحتاج الى سؤالهم عنها واستعلامهم وهو قادر على ان يعاقبهم عليها كقوله تعالى والله خبير بما يعملون والله بما تعملون عليم وما اشبه ذلك • فخرج على قومه في زينته قال الذين

ولا جازع من صرفه المتقلب

يُريدُونَ الحيوة الدنيا يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون انه لذو حظ عظيم
في زينته قال الحسن في الحمرة والصفرة وقيل خرج على بغلة شهبآء عليه الارجوان وعليها سرج من ذهب ومعه
اربعة الاف على زيه وقيل عليهم وعلى خيولهم الديباج الاحمر وعن يمينه ثلثمائة غلام وعن يساره ثلثمائة
جارية بيض عليهن الحلي والديباج وقيل في تسعين الفا عليهم المعصفرات وهو اول يوم رؤي فيه المعصفر
كان المتمنون قوما مسلمين وانما تمنوه على سبيل الرغبة في اليسار والاستغنآء كما هو عادة البشر وعن
قتادة تمنوه ليتقربوا به الى الله تعالى وينفقوه في سبيل الخير وقيل كانوا قوما كفارا الغابط هو الذي يتمنى مثل
نعمة صاحبه من غير ان تزول عنه والحاسد هو الذي يتمنى ان تكون نعمة صاحبه له دونه فمن الغبطة قوله تعالى يا ليت
لنا مثل ما اوتي قارون ومن الحسد قوله تعالى ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم
هل يضر الغبط قال لا الا كما يضر العضاة الخبط والحظ الجد وهو البخت والدولة وصفوه بانه رجل مجدود
مبخوت يقال فلان ذو حظ وحظيظ ومحظوظ وما الدنيا الا احاظ وجدود ● وقال الذين اوتوا العلم
ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقيها الا الصابرون
ويلك اصله الدعاء بالهلاك ثم استعمل في الزجر والردع والبعث على ترك ما لا يرتضى كما استعمل لا ابا لك
واصله الدعاء على الرجل بالاقراف في الحث على الفعل والراجع في ولا يلقيها للكلمة التي تكلم بها العلماء او للثواب لانه
في معنى المثوبة او الجنة او للسيرة والطريقة وهي الايمان والعمل الصالح الصابرون على الطاعات وعن الشهوات
وعلى ما قسم الله تعالى من القليل عن الكثير ● فخسفنا به وبداره الارض فما كان له من فئة
ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين ● كان قارون يؤذي نبي الله موسى
عليه السلام كل وقت وهو يداريه للقرابة التي بينهما حتى نزلت الزكوة فصالحه عن كل الف دينار على دينار وعن كل
الف درهم على درهم فحسبه فاستكثره فشحت به نفسه فجمع بني اسرائيل وقال لهم ان موسى اراد كم على كل شي وهو يريد ان
ياخذ اموالكم فقالوا انت كبيرنا وسيدنا فمر بما شئت فقال نبرطل فلانة البغي حتى ترميه بنفسها فيرفضه بنو اسرائيل
فجعل لها الف دينار وقيل طستا من ذهب مملوة ذهبا وقيل حكمها فلما كان يوم عيد قام موسى فقال يا بني اسرائيل
من سرق قطعناه ومن زنى جلدناه ومن زنى وهو محصن رجمناه فقال قارون وان كنت انت
قال وان كنت انا قال فان بني اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة فاحضرت فناشدها موسى بالذي فلق البحر وانزل
التورية ان تصدق فتداركها الله تعالى فقالت كذبوا بل جعل لي قارون جعلا على ان اقذفك بنفسي فخر موسى ساجدا
يبكي وقال يا رب ان كنت رسولك فاغضب لي فاوحى الله تعالى اليه ان مر الارض بما شئت فانها مطيعة لك فقال
يا بني اسرائيل ان الله تعالى بعثني الى قارون كما بعثني الى فرعون فمن كان معه فليلزم مكانه ومن كان معي فليعتزل فاعتزلوا
جميعا غير رجلين ثم قال يا ارض خذيهم فاخذتهم الى الركب ثم قال خذيهم فاخذتهم الى الاوساط ثم قال خذيهم فاخذتهم
الى الاعناق وقارون واصحابه يتضرعون الى موسى ويناشدونه بالله والرحم وموسى لا يلتفت اليهم لشدة غضبه ثم قال
خذيهم فانطبقت عليهم واوحى الله تعالى الى موسى ما افظك استغاثوا بك مرارا فلم ترحمهم وعزتي لو اياي دعوا
مرة واحدة لوجدوني قريبا مجيبا فاصبحت بنو اسرائيل يتناجون بينهم انما دعا موسى على قارون ليستبد بداره
وكنوزه فدعا الله تعالى حتى خسف بداره وامواله من المنتقمين من موسى او من المنتصرين من عذاب الله
يقال نصره من عدوه فانتصر اذا منعه منه فامتنع ● واصبح الذين تمنوا مكانه بالامس يقولون
ويكان الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا ان من الله
علينا لخسف بنا ويكانه لا يفلح الكافرون ● قد يذكر الامس ولا يراد به اليوم الذي قبل
يومك ولكن الوقت المستقرب على طريق الاستعارة [illegible] منزلته من الدنيا [illegible] وي كلمة
تنبه على الخطأ وتندم ومعناه ان القوم قد تنبهوا على خطائهم وتندموا ثم قالوا كانه لا يفلح الكافرون اي
[illegible] ان الكافرين لا ينالون الفلاح وهو مذهب الخليل وسيبويه قال [illegible]
[illegible] يعش عيش ضر ● وحكى الفراء ان اعرابية قالت لزوجها اين ابنك فقال ويكانه وراء البيت وعند الكوفيين

ان

ان ذكر بمعنى ويلك ان المخبر الم تعلم انه لا يفلح الكافرون ويجوز ان تكون الكاف كاف الخطاب مضمومة الى
وي كقوله ويك عنتر اقدم وانه بمعنى لانه واللام لبيان المقول لاجله هذا القول او لانه لا يفلح الكافرون كان
ذلك وهو الخسف بقارون ومن الناس من يقف على وي ويبتدئ كانه ومنهم من يقف على ويك وقرأ حفص
لخسف بنا على البناء للفاعل وقرئ لانخسف بنا وتخسف بنا على ان الفعل للمنقطع به ● تلك
الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة
للمتقين ● تلك تعظيم لها وتفخيم لشانها يعني تلك التي سمعت بذكرها وبلغك وصفها لم يعلق الوعد
بترك العلو والفساد ولكن بترك ارادتهما وميل القلوب اليهما كما قال تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا
فعلق الوعيد بالركون وعن علي رضي الله عنه ان الرجل ليعجبه ان يكون شراك نعله اجود من شراك نعل صاحبه
فيدخل تحتها وعن الفضيل انه قرأها ثم قال ذهبت الاماني هاهنا وعن عمر بن عبد العزيز انه كان يرددها حتى قبض
ومن الطماع من يجعل العلو لفرعون والفساد لقارون متعلقا بقوله تعالى ان فرعون علا في الارض وقوله ولا
تبغ الفساد في الارض ويقول من لم يكن مثل فرعون وقارون فله تلك الدار الآخرة ولا يتدبر قوله تعالى والعاقبة
للمتقين كما تدبره علي والفضيل وعمر رضي الله عنهم ● من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء
بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات الا ما كانوا يعملون
معناه فلا يجزون فوضع الذين عملوا السيئات موضع الضمير لان في اسناد عمل السيئات اليهم مكررا فضل تهجين
لحالهم وزيادة تبغيض للسيئة الى قلوب السامعين الا ما كانوا يعملون الا مثل ما كانوا يعملون وهذا من فضله العظيم
وكرمه الواسع ان لا يجزي السيئة الا بمثلها ويجزي الحسنة بعشر امثالها وبسبعمائة ضعف وهو معنى قوله فله خير منها ●
ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد قل ربي اعلم من جاء بالهدى ومن هو في
ضلال مبين ● فرض عليك القرآن اوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه يعني ان الذي حملك صعوبة هذا
التكليف ليثيبك عليها ثوابا لا يحيط به الوصف لرادك بعد الموت الى معاد واي معاد ليس لغيرك من البشر
وتنكير المعاد لذلك وقيل المراد به مكة ووجهه ان يراد رده اليها يوم الفتح ووجه تنكيره انها كانت في ذلك اليوم معاد
له شان ومرجع له اعتداد لغلبة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها وقهره لاهلها ولظهور عز الاسلام واهله وذل
الشرك وحزبه والسورة مكية فكان الله تعالى وعده وهو بمكة في اذى وغلبة من اهلها انه يهاجر به منها ويعيده اليها
ظاهرا ظافرا وقيل نزلت عليه حين بلغ الجحفة في مهاجره وقد اشتاق الى مولده ومولد آبائه وحرم ابراهيم فنزل
جبريل عليه السلام فقال له اتشتاق الى مكة قال نعم فاوحاها اليه ● فان قلت كيف اتصل قوله قل ربي اعلم بما قبله
قلت لما وعد رسوله الرد الى معاد قال قل للمشركين ربي اعلم من جاء بالهدى يعني نفسه وما يستحقه من الثواب
في معاده ومن هو في ضلال مبين يعنيهم وما يستحقونه من العقاب في معادهم ● وما كنت ترجوا
ان يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك فلا تكونن ظهيرا للكافرين
فان قلت قوله الا رحمة من ربك ما وجه الاستثناء فيه قلت هذا كلام محمول على المعنى كانه قيل وما القي
عليك الكتاب الا رحمة من ربك ويجوز ان يكون الا بمعنى لكن للاستدراك اي ولكن لرحمة من ربك القي اليك
● ولا يصدنك عن آيات الله بعد اذ انزلت اليك وادع الى ربك ولا تكونن من المشركين وقرئ يصدنك من اصده
بمعنى صده وهي لغة كلب [illegible]
[illegible]
[illegible]
● ولا تدع مع الله الها آخر لا اله الا هو كل شي هالك الا
وجهه له الحكم واليه ترجعون ● الا وجهه الا اياه والوجه يعبر به عن الذات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ طسم
القصص كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق موسى وكذب به ولم يبق ملك في السموات والارض الا شهد له يوم القيمة انه كان صادقا
ان كل شي هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون

سورة العنكبوت مكية

وهي تسع وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم ● الم ● احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ● الحسبان لا يصح تعليقه بمعاني المفردات ولكن بمضامين الجمل الا ترى انك لو قلت حسبت زيدا وظننت الفرس لم يكن شيئا حتى تقول حسبت زيدا عالما وظننت الفرس جوادا لان قولك زيد عالم او الفرس جواد كلام دال على مضمون فاردت الاخبار عن ذلك المضمون ثابتا عندك على ذلك الوجه من ذكر شطري الجملة مدخلا عليهما فعل الحسبان حتى يتم لك غرضك **فان قلت** فاين الكلام الدال على المضمون الذي يقتضيه الحسبان في الاية **قلت** هو في قوله ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون وذلك ان تقديره احسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا فالترك اول مفعولي حسب ولقولهم آمنا هو الخبر واما غير مفتونين فتتمة الترك لانه من الترك الذي هو بمعنى التصيير كقوله فتركته جزر السباع ينشنه الا ترى انك قبل المجيء بالحسبان تقدر ان تقول تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا على تقدير حاصل ومستقر قبل اللام **فان قلت** ان يقولوا هو علة تركهم غير مفتونين فكيف يصح ان يقع خبر مبتدأ **قلت** كما تقول خروجه لمخافة الشر وضربه للتاديب وقد كان التاديب والمخافة في قولك خرجت مخافة الشر وضربته تاديبا تعليلين وتقول ايضا حسبت خروجه لمخافة الشر وظننت ضربه للتاديب فتجعلهما مفعولين كما جعلتهما مبتدأ وخبرا والفتنة الامتحان بشدائد التكليف من مفارقة الاوطان ومجاهدة الاعداء وسائر الطاعات الشاقة وهجر الشهوات والملاذ وبالفقر والقحط وانواع المصائب في الانفس والاموال وبمصابرة الكفار على اذاهم وكيدهم وضرارهم والمعنى احسب الذين اجروا كلمة الشهادة على السنتهم واظهروا القول بالايمان انهم يتركون غير ممتحنين بل يمحنهم الله تعالى بضروب المحن حتى يبلو صبرهم وثبات اقدامهم وصحة عقائدهم ونصوع نياتهم ليتميز المخلص من غير المخلص والراسخ في الدين من المضطرب والمتمكن من العابد على حرف كما قال لتبلون في اموالكم وانفسكم ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور ● وروي انها نزلت في ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جزعوا من اذى المشركين ● وقيل في عمار بن ياسر وكان يعذب في الله تعالى وقيل في ناس اسلموا بمكة فكتب اليهم المهاجرون لا يقبل منكم اسلامكم حتى تهاجروا فخرجوا فتبعهم المشركون فردوهم فلما نزلت كتبوا بها اليهم فخرجوا فاتبعهم المشركون فقاتلوهم فمنهم من قتل ومنهم من نجا وقيل في مهجع بن عبد الله مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو اول قتيل من المسلمين يوم بدر رماه عامر بن الحضرمي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الشهداء مهجع وهو اول من يدعى الى باب الجنة من هذه الامة فجزع عليه ابواه وامراته ● ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ● ولقد فتنا موصول باحسب وبلا يفتنون كقولك الا يمتحن فلان وقد امتحن من هو خير منه يعني ان اتباع الانبياء قد اصابهم من الفتن والمحن نحو ما اصابهم او ما هو اشد منه فصبروا كما قال وكاين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا الاية ● وعن النبي صلى الله عليه وسلم قد كان من قبلكم يوخذ فيوضع المنشار على راسه فيفرق فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه فليعلمن الله بالامتحان الذين صدقوا في الايمان وليعلمن الكاذبين فيه **فان قلت** كيف وهو عالم بذلك فيما لم يزل **قلت** لم يزل يعلمه معدوما ولا يعلمه موجودا الا اذا وجد والمعنى وليتميزن الصادق منهم من الكاذب ويجوز ان يكون وعدا ووعيدا كانه قيل وليثيبن الذين صدقوا وليعاقبن الكاذبين وقرا علي والزهري وليعلمن من الاعلام اي وليعرفنهم الله الناس من هم او ليسمنهم بعلامة يعرفون بها من بياض الوجوه وسوادها وكحل العيون وزرقتها ● ام حسب الذين يعملون السيئات ان يسبقونا ساء ما يحكمون ● ان يسبقونا ان يفوتونا يعني ان الجزاء يلحقهم لا محالة وهم لم يطمعوا في الفوت ولم يحدثوا به نفوسهم ولكنهم لغفلتهم وقلة فكرهم في العاقبة واصرارهم على المعاصي في صورة من يقدر على ذلك ويطمع فيه ونظيره وما انتم بمعجزين في الارض ولا تحسبن

الذين

البيت لعنترة وتمامه
يقضمن حسن بنانه والمعصم

الذين كفروا سبقوا انهم لا يعجزون **فان قلت** اين مفعولا حسب **قلت** اشتمال صلة ان على مسند ومسند اليه سد مسد المفعولين كقوله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ويجوز ان يضمن حسب معنى قدر وام منقطعة ومعنى الاضراب فيها ان هذا الحسبان ابطل من الحسبان الاول لان ذلك يقدر انه لا يمتحن لايمانه وهذا يظن انه لا يجازي بمساويه ساء ما يحكمون بئس الذي يحكمونه حكمهم هذا او بئس حكما يحكمونه حكمهم هذا فحذف المخصوص بالذم ● من كان يرجو لقاء الله فان اجل الله لات وهو السميع العليم ● ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه ان الله لغني عن العالمين ● لقاء الله مثل للوصول الى العاقبة من تلقي ملك الموت والبعث والحساب والجزاء مثلت تلك الحال بحال عبد قدم على سيده بعد عهد طويل وقد اطلع مولاه على ما كان ياتي ويذر فاما ان يلقاه ببشر وترحيب لما رضي من افعاله او بضد ذلك لما سخط منها فمعنى قوله من كان يرجو لقاء الله من كان يامل تلك الحال وان يلقى فيها الكرامة من الله والبشرى فان اجل الله وهو الموت لات لا محالة فليبادر العمل الصالح الذي يصدق رجاءه ويحقق امله ويكتسب به القربة عند الله تعالى والزلفى وهو السميع العليم الذي لا يخفى عليه شيء مما يقوله عباده ومما يفعلونه فهو حقيق بالتقوى والخشية وقيل يرجو يخاف من قول الهذلي في صفة عسال ● اذا لسعته الدبر لم يرج لسعها **فان قلت** فان اجل الله لات كيف وقع جوابا للشرط **قلت** اذا علم ان لقاء الله عنيت به تلك الحال الممثلة والوقت الذي تقع فيه تلك الحال هو الاجل المضروب للموت فكانه قال من كان يرجو لقاء الله فان لقاء الله لات لان الاجل واقع فيه اللقاء كما تقول من كان يرجو لقاء الملك فان يوم الجمعة قريب اذا علم انه يقعد للناس يوم الجمعة ● ومن جاهد نفسه في منعها ما تامر به وحملها على ما تاباه فانما يجاهد لها لان منفعة ذلك راجعة اليها وانما امر الله تعالى ونهى رحمة لعباده وهو الغني عنهم وعن طاعتهم ● والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم احسن الذي كانوا يعملون ● اما ان يريد قوما مسلمين صالحين قد اساؤوا في بعض اعمالهم وسيئاتهم مغمورة بحسناتهم فهو يكفرها عنهم اي يسقط عقابها بثواب الحسنات ويجزيهم احسن الذي كانوا يعملون اي احسن جزاء اعمالهم ● واما قوما مشركين آمنوا وعملوا الصالحات فالله عز وجل يكفر سيئاتهم بان يسقط عقاب ما تقدم لهم من الكفر والمعاصي ويجزيهم احسن جزاء اعمالهم في الاسلام ● ووصينا الانسان بوالديه حسنا وان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما الي مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون ● وصى حكمه حكم امر في معناه وتصرفه يقال وصيت زيدا بان يفعل خيرا كما تقول امرته بان يفعل ومنه بيت الاصلاح ● وذبيانية وصت بنيها ● بان كذب القراطف والقروف ● كما لو قال امرتهم بان ينهبوها ومنه قوله تعالى ووصى بها ابراهيم بنيه اي وصاهم بكلمة التوحيد وامرهم بها وقولك وصيت زيدا بعمرو معناه وصيته بتعهد عمرو ومراعاته ونحو ذلك وكذلك معنى قوله ووصينا الانسان بوالديه حسنا وصيناه بايتاء والديه حسنا او بايلاء والديه حسنا اي فعلا ذا حسن او ما هو في ذاته حسن لفرط حسنه كقوله تعالى وقولوا للناس حسنا وقرئ حسنا واحسانا ويجوز ان تجعل حسنا من باب قولك زيدا باضمار اضرب اذا رايته متهيئا للضرب فتنصبه باضمار اولهما او افعل بهما لان التوصية بهما دالة عليه وما بعده مطابق له كانه قال قلنا اولهما معروفا ولا تطعهما في الشرك اذا حملاك عليه وعلى هذا التفسير ان وقف على بوالديه وابتدا حسنا حسن الوقف وعلى التفسير الاول لا بد من اضمار القول معناه وقلنا ان جاهداك ايها الانسان ما ليس لك به علم اي لا علم لك بالهيته والمراد بنفي العلم نفي المعلوم كانه قال لتشرك بي شيئا لا يصح ان يكون الها ولا يستقيم وصاه بوالديه وامره بالاحسان اليهما ثم نبهه بنهيه عن طاعتهما اذا ارادا منه على ما ذكر على ان كل حق وان عظم ساقط اذا جاء حق الله تعالى وانه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ثم قال الي مرجع من آمن منكم ومن اشرك فاجازيكم حق جزائكم وفيه شيئان احدهما ان الجزاء الي فلا تحدث نفسك بجفوة والديك وعقوقهما لشركهما ولا تحرمهما برك ومعروفك في الدنيا كما اني لا امنعهما رزقي والثاني التحذير من متابعتهما على الشرك والحث على الثبات والاستقامة في الدين بذكر المرجع والوعيد ● روي ان سعد بن ابي وقاص الزهري حين اسلم قالت امه وهي حمنة بنت ابي سفيان بن امية بن عبد شمس يا سعد بلغني انك قد صبات فوالله لا يظلني سقف بيت من الضح والريح وان الطعام والشراب علي حرام حتى تكفر بمحمد وكان احب ولدها اليها فابى سعد وبقيت ثلاثة ايام كذلك فجاء سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا اليه فنزلت هذه الاية والتي في لقمان والتي في الاحقاف فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يداريها

نامه
في لغة الهذلي ثابت نوب عوامل
والدبر جماعة النحل يريد
نيكه الذي يرجو

وله بان كذب اي ان وجب ذبابه القراطف والقروف
والقراطف القطائف جمع قطيفة وهي ايكح والقروف
جمع قرف بالضم وهو دعا من جلد يدبغ بالقرفة
ويجعل فيه الخلع وهو اللحم الذي
يطبخ ويجعل فيه الابازير

وبرّهما بالإحسان • وروي انها نزلت في عياش بن ابي ربيعة المخزومي وذلك انه هاجر مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه
مترافقين حتى نزلا المدينة فخرج ابو جهل بن هشام والحرث بن هشام اخواه لامه اسماء بنت مخرمة امرأة من بني
تميم من بني حنظلة فنزلا بعياش وقالا له ان من دين محمد صلة الرحم وبر الوالدين وقد تركت امك لا تطعم ولا تشرب
ولا تأوي بيتا حتى تراك وهي اشد حبا لك منا فاخرج معنا وفتلا منه في الذروة والغارب فاستشار عمر فقال
هما يخدعانك ولك علي ان اقسم مالي بيني وبينك فما زالا به حتى اطاعهما وعصى عمر فقال عمر اما اذ عصيتني فخذ ناقتي
فليس في الدنيا بعير يلحقها فان رابك منهم ريب فارجع فلما انتهوا الى البيداء قال ابو جهل ان ناقتي قد كلّت فاحملني معك
قال نعم فنزل ليوطئ لنفسه وله فاخذاه فشداه وثاقا وجلده كل واحد منهما مائة جلدة وذهبا به الى امه فقالت لا تزال في
عذاب حتى ترجع عن دين محمد فنزلت • **والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين**
في الصالحين في جملتهم والصلاح من ابلغ صفات المؤمنين وهو متمنى انبياء الله تعالى قال الله تعالى حكاية عن سليمان
وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين وقال في ابرهيم وانه في الآخرة لمن الصالحين • او في مدخل الصالحين وهي الجنة ونحوه
قوله تعالى ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم الآية • **ومن الناس من يقول آمنا**
بالله فاذا اوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ولئن جاء نصر من ربك
ليقولن انا كنا معكم اوليس الله باعلم بما في صدور العالمين • وليعلمن الله الذين
آمنوا وليعلمن المنافقين • هم ناس كانوا يؤمنون بالسنتهم فاذا مسهم اذى من الكفار وهو المراد
بفتنة الناس كان ذلك صارفا لهم عن الايمان كما ان عذاب الله صارف للمؤمنين عن الكفر او كما يجب ان يكون عذاب
الله صارفا واذا نصر الله المؤمنين وغنمهم اعترضوهم وقالوا انا كنا معكم اي مشايعين لكم في دينكم ثابتين عليه
بثباتكم فاعطونا نصيبا من المغنم ثم اخبر سبحانه انه اعلم بما في صدور العالمين من العالمين بما في صدورهم
ومن ذلك ما تكن صدور هؤلاء من النفاق وهذا اطلاع للمؤمنين على ما ابطنوه ثم وعد المؤمنين واوعد المنافقين وقرئ
ليقولن بفتح اللام • **وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم**
وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء انهم لكاذبون • امروهم باتباع سبيلهم وهي طريقتهم
التي كانوا عليها في دينهم وامروا انفسهم بحمل خطاياهم فعطف الامر على الامر وارادوا ليجتمع هذان الامران في
الحصول ان تتبعوا سبيلنا وان نحمل خطاياكم والمعنى تعليق الحمل بالاتباع وهذا قول صناديد قريش كانوا يقولون
لمن آمن منهم لا نبعث نحن ولا انتم فان عسى كان ذلك فانا نتحمل عنكم الاثم • وترى في المتسمين بالاسلام من يستن
باولئك فيقول لصاحبه اذا اراد ان يشجعه على ارتكاب بعض العظائم افعل هذا واثمه في عنقي وكم من مغرور بمثل هذا الضمان
من ضعفة العامة وجهلتهم ومنه ما يحكى ان ابا جعفر المنصور رفع اليه بعض اهل الحشو حوائجه فلما قضاها قال يا امير المؤمنين
بقيت الحاجة العظمى قال وما هي قال شفاعتك يوم القيمة فقال له عمرو بن عبيد اياك وهؤلاء فانهم قطاع الطريق
في المأمن **فان قلت** كيف سماهم كاذبين وانما ضمنوا شيئا علم الله تعالى انهم لا يقدرون على الوفاء به
وضامن ما لا يعلم اقتداره على الوفاء به لا يسمى كاذبا لا حين ضمن ولا حين عجز لانه في الحالين لا يدخل تحت حد الكاذب
وهو المخبر عن الشيء لا على ما هو عليه **قلت** شبه الله حالهم حيث علم ان ما ضمنوه لا طريق لهم الى ان يفوا به فكان ضمانهم
عنده لا على ما عليه المضمون بالكاذبين الذين خبرهم لا على ما عليه المخبر عنه ويجوز ان يريد انهم كاذبون لانهم قالوا ذلك
وقلوبهم على خلافه كالكاذبين الذين يعدون الشيء وفي قلوبهم نية الخلف • **وليحملن اثقالهم واثقالا**
مع اثقالهم وليسألن يوم القيمة عما كانوا يفترون • وليحملن اثقالهم اي اثقال
انفسهم واثقالا يعني اثقالا اخر غير الخطايا التي ضمنوا للمؤمنين حملها وهي اثقال الذين كانوا سببا في ضلالهم وليسألن
سؤال تقريع عما كانوا يفترون اي يختلقون من الاكاذيب والاباطيل وقرئ من خطيئاتهم • **ولقد ارسلنا**
نوحا الى قومه فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما فاخذهم الطوفان
وهم ظالمون • كان عمر نوح عليه السلام الفا وخمسين سنة بعث على راس اربعين ولبث في قومه تسعمائة
وخمسين وعاش بعد الطوفان ستين • وعن وهب انه عاش الفا واربعمائة سنة **فان قلت**

هلا قيل تسعمائة وخمسين سنة **قلت** ما اورده الله تعالى احكم لانه لو قيل كما قلت لجاز ان يتوهم اطلاق هذا العدد
على اكثره وهذا التوهم زائل مع مجيئه كذلك وكانه قيل تسعمائة وخمسين سنة كاملة وافية العدد الا ان ذلك
اخصر واعذب لفظا واملأ بالفائدة وفيه نكتة اخرى وهي ان القصة مسوقة لذكر ما ابتلي به نوح عليه السلام
من امته وما كابده من طول المصابرة تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتثبيتا له فكان ذكر رأس العدد الذي لا رأس
اكبر منه اوقع واوصل الى الغرض من استطالة السامع مدة صبره **فان قلت** فلم جاء المميز اولا بالسنة وثانيا بالعام
قلت لان تكرير اللفظ الواحد في الكلام الواحد حقيق بالاجتناب في البلاغة الا اذا وقع ذلك لاجل غرض ينتحيه
المتكلم من تفخيم او تهويل او تنويه او نحو ذلك والطوفان ما اطاف واحاط بكثرة وغلبة من سيل او ظلام ليل او نحوهما
قال العجاج • وغم طوفان الظلام الاثابا • **فانجيناه واصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين**
اصحاب السفينة كانوا ثمانية وسبعين نفسا نصفهم ذكور ونصفهم اناث منهم اولاد نوح سام وحام ويافث
ونساؤهم • وعن محمد بن اسحق كانوا عشرة خمسة رجال وخمس نسوة • وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم كانوا ثمانية
نوح واهله وبنوه الثلاثة • والضمير في وجعلناها للسفينة او للحادثة والقصة • **وابرهيم اذ قال لقومه اعبدوا**
الله واتقوه ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون • نصب ابرهيم باضمار اذكر وابدل عنه اذ بدل
الاشتمال لان الاحيان تشتمل على ما فيها او هو معطوف على نوحا او ظرف لارسلنا اي ارسلناه حين بلغ من السن والعلم
مبلغا صلح فيه لان يعظ قومه وينصحهم ويعرض عليهم الحق ويامرهم بالعبادة والتقوى وقرأ ابرهيم النخعي وابو حنيفة رحمهما الله تعالى
وابرهيم بالرفع على معنى ومن المرسلين ابرهيم ان كنتم تعلمون يعني ان كان فيكم علم بما هو خير لكم مما هو شر لكم او ان نظرتم
بعين الدراية المبصرة دون عين الجهل العمياء علمتم انه خير لكم • **انما تعبدون من دون الله**
اوثانا وتخلقون افكا ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا
فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له اليه ترجعون
وقرئ تخلقون من خلق بمعنى التكثير في خلق وتخلقون من تخلق بمعنى تكذب وتخرص وقرئ افكا وفيه وجهان
ان يكون مصدرا نحو كذب ولعب والافك مخفف منه كالكذب واللعب من اصلهما وان يكون صفة على فعل
اي خلقا افكا اي ذا افك وباطل • واختلاقهم الافك تسميتهم الاوثان آلهة وشركاء لله او شفعاء اليه او سمى الاصنام
افكا وعملهم لها ونحتهم خلقا للافك **فان قلت** لم نكر الرزق ثم عرفه **قلت** لانه اراد لا يستطيعون
ان يرزقوكم شيئا من الرزق فابتغوا عند الله الرزق كله فانه هو الرزاق وحده لا يرزق غيره اليه ترجعون وقرئ
بفتح التاء فاستعدوا للقائه بعبادته والشكر له على انعمه • **وان تكذبوا فقد كذب امم من قبلكم وما**
على الرسول الا البلاغ المبين • وان تكذبوني فلا تضروني بتكذيبكم فان الرسل قبلي قد كذبتهم اممهم
وما ضروهم وانما ضروا انفسهم حيث حل بهم ما حل بسبب تكذيب الرسل واما الرسول فقد تم امره حين بلغ البلاغ
المبين الذي زال معه الشك وهو اقترانه بآيات الله ومعجزاته او وان كنت مكذبا فيما بينكم فلي في سائر الانبياء
اسوة وسلوة حيث كذبوا وعلى الرسول ان يبلغ وما عليه ان يصدق ولا يكذب وهذه الآية والآيات التي بعدها
الى قوله تعالى فما كان جواب قومه محتملة ان تكون من جملة قول ابرهيم فالمراد بالامم قبله **فان قلت**
اذا كانت من قول ابرهيم فالمراد بالامم قبله **قلت** قوم شيث وادريس ونوح وغيرهم وكفى بقوم نوح امة
في معنى امم جمة مكذبة ولقد عاش ادريس الف سنة في قومه الى ان رفع الى السماء وآمن به الف انسان منهم على عددهم
واعقابهم على التكذيب **فان قلت** فما تصنع بقوله قل سيروا في الارض **قلت** هي حكاية كلام الله
حكاه ابرهيم عليه السلام لقومه كما يحكي رسولنا عليه السلام كلام الله على هذا المنهاج في اكثر القرآن **فان قلت**
فاذا كانت خطابا لقريش فما وجه توسطها بين طرفي قصة ابرهيم والجملة او الجمل الاعتراضية لا بد لها من اتصال
بما وقعت معترضة فيه الا تراك لا تقول مكة وزيد ابوه قائم خير بلاد الله **قلت** ايراد قصة ابرهيم ليس الا ارادة
للتنفيس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وان تكون مسلاة له ومتفرجا بان اباه ابرهيم خليل الله تعالى كان ممنوا
بنحو ما مني به من شرك قومه وعبادتهم الاوثان فاعترض بقوله تعالى وان تكذبوا على معنى انكم يا معشر قريش ان تكذبوا محمدا

فقد كذب ابرهيم قومه وكل امة نبيها لان قوله تعالى فقد كذب امم من قبلكم لابد من تناوله لامة ابرهيم وهو كما ترى
اعتراض واقع متصل ثم سائر الآيات الواقعة عقيبها من ذيلها وتوابعها لكونها ناطقة بالتوحيد ودلائله وهدم
الشرك وتوهين قواعده وصفة قدرة الله تعالى وسلطانه ووضوح حجته وبرهانه • **اولم يروا كيف يبدئ الله**
الخلق ثم يعيده ان ذلك على الله يسير • وقرئ بالتاء والياء ويبدئ ويبدأ وقوله
تعالى ثم يعيده ليس بمعطوف على يبدئ وليست الرؤية واقعة عليه وانما هو اخبار على حياله بالاعادة بعد الموت
كما وقع في قوله تعالى كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة على البدء دون الانشاء ونحوه قولك ما زلت
اوثر فلانا واستخلفه على من اخلفه **فان قلت** هو معطوف بحرف العطف فلا بد له من معطوف عليه فما هو
قلت هو جملة قوله اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق وكذلك واستخلفه معطوف على جملة قوله ما زلت اوثر
فلانا ذلك يرجع الى ما يرجع اليه هو في قوله تعالى وهو اهون عليه من معنى يعيد • **قل سيروا في الارض**
فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة ان الله على كل شيء قدير
دل بقوله النشأة الآخرة على انهما نشأتان وان كل واحدة منهما انشاء اي ابتداء واختراع واخراج من
العدم الى الوجود لا تفاوت بينهما الا ان الآخرة انشاء بعد انشاء مثله والاولى ليست كذلك وقرئ
النشاءة والنشأة كالرافة والرأفة **فان قلت** ما معنى الافصاح باسمه مع ايقاعه مبتدأ في قوله ثم الله
ينشئ النشأة الآخرة بعد اضماره في قوله تعالى كيف بدأ الخلق وكان القياس ان يقال كيف بدأ الله الخلق ثم ينشئ
النشأة الآخرة **قلت** الكلام معهم كان واقعا في الاعادة وفيها تصطك الركب فلما قررهم في الابداء بانه من الله
احتج عليهم بان الاعادة انشاء مثل الابداء فاذا كان الله الذي لا يعجزه شيء هو الذي لم يعجزه الابداء فهو الذي وجب
ان لا تعجزه الاعادة فكأنه قال ثم ذاك الذي انشأ النشأة الاولى هو الذي ينشئ النشأة الآخرة فللتنبيه
على هذا المعنى ابرز اسمه واوقعه مبتدأ • **يعذب من يشاء ويرحم من يشاء واليه تقلبون**
يعذب من يشاء تعذيبه ويرحم من يشاء رحمته ومتعلق المشيئتين مفسر مبين في مواضع من القرآن وهو
من يستوجبهما من الكافر والفاسق اذا لم يتوبا ومن المعصوم والتائب تقلبون تردون وترجعون • **وما انتم**
بمعجزين في الارض ولا في السماء وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير
وما انتم بمعجزين ربكم اي لا تفوتونه ان هربتم من حكمه وقضائه في الارض الفسيحة ولا في السماء التي هي افسح منها وابسط لو
كنتم فيها كقوله تعالى ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا وقيل ولا من في السماء كما قال حسان
امن يهجو رسول الله منكم • ويمدحه وينصره سواء • ويجوز ان يراد لا تعجزونه كيفما هبطتم في مهاوي الارض واعماقها او
علوتم في البروج والقلاع الذاهبة في السماء كقوله عز وجل ولو كنتم في بروج مشيدة او لا تعجزون امره الجاري في السماء والارض
ان يجري عليكم فيصيبكم ببلاء يظهر من الارض او ينزل من السماء • **والذين كفروا بآيات الله ولقائه**
اولئك يئسوا من رحمتي واولئك لهم عذاب اليم • بآيات الله بدلائله على وحدانيته وكتبه ومعجزاته
ولقائه والبعث يئسوا من رحمتي وعيد اي ييأسون يوم القيمة كقوله تعالى ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون او هو
وصف لحالهم لان المؤمن انما يكون راجيا خاشيا فاما الكافر فلا يخطر بباله خوف ولا رجاء او شبه حالهم في انتفاء الرحمة
عنهم بحال من يئس من الرحمة وعن قتادة ان الله تعالى ذم قوما هانوا عليه فقال اولئك يئسوا من رحمتي وقال انه لا ييأس
من روح الله الا القوم الكافرون فينبغي للمؤمن ان لا ييأس من روح الله ولا من رحمته وان لا يأمن عذابه وعقابه صفة
المؤمن ان يكون راجيا لله خائفا • **فما كان جواب قومه الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه فانجاه الله**
من النار ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون • وقرئ جواب قومه بالنصب والرفع قالوا قال
بعضهم لبعض او قاله واحد منهم وكان الباقون راضين فكانوا جميعا في حكم القائلين وروي انه لم ينتفع في ذلك اليوم
بالنار يعني يوم القي ابرهيم في النار وذلك لذهاب حرها • **وقال انما اتخذتم من دون الله اوثانا**
مودة بينكم في الحيوة الدنيا ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا
ومأويكم النار وما لكم من ناصرين • وقرئ على النصب بالاضافة وبغير اضافة وعلى الرفع كذلك فالنصب

على وجهين على التعليل اي لتتوادوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها واتفاقكم عليها وائتلافكم كما يتفق الناس
على مذهب فيكون ذلك سبب تحابهم وتصادقهم وان يكون مفعولا ثانيا كقوله عز وجل اتخذ الهه هواه اي اتخذتم
الاوثان سبب المودة بينكم على تقدير حذف المضاف او اتخذتموها مودة بينكم بمعنى مودودة بينكم كقوله تعالى
ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله • وفي الرفع وجهان ان يكون خبرا لان على ان ما موصولة وان
يكون خبر مبتدأ محذوف والمعنى ان الاوثان مودة بينكم اي مودودة او سبب مودة وعن عاصم مودة بينكم بفتح
بينكم مع الاضافة كما قرئ لقد تقطع بينكم ففتح وهو فاعل وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه اوثانا انما مودة بينكم في
الحيوة الدنيا اي انما تتوادون عليها او تودونها في الحيوة الدنيا ثم يوم القيمة يقوم بينكم التلاعن والتباغض والتعادي
يتلاعن العبدة ويتلاعن العبدة والاصنام كقوله تعالى ويكونون عليهم ضدا • **فآمن له لوط وقال اني مهاجر**
الى ربي انه هو العزيز الحكيم • كان لوط عليه السلام ابن اخت ابرهيم عليه السلام وهو اول من آمن له
حين رأى النار لم تحرقه وقال يعني ابرهيم اني مهاجر من كوثا وهي من سواد الكوفة الى حران ثم منها الى فلسطين ومن
ثم قالوا لكل نبي هجرة ولابرهيم هجرتان وكان معه في هجرته لوط وامرأته سارة وهاجر وهو ابن خمس وسبعين سنة الى ربي
حيث امرني بالهجرة اليه انه هو العزيز الذي يمنعني من اعدائي الحكيم الذي لا يأمرني الا بما هو مصلحتي • **وهبنا له اسحق**
ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب وآتيناه اجره في الدنيا وانه في
الآخرة لمن الصالحين • اجره الثناء الحسن والصلاة عليه آخر الدهر والذرية الطيبة والنبوة وان
اهل الملل كلهم يتولونه **فان قلت** ما بال اسمعيل عليه السلام لم يذكر وذكر اسحق عليه السلام وعقبه **قلت**
قد دل عليه في قوله تعالى وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب وكفى الدليل لشهرة امره وعلو قدره **فان قلت**
ما المراد بالكتاب **قلت** قصد به جنس الكتاب حتى دخل تحته ما نزل على ذريته من الكتب الاربعة التي هي
التوراة والزبور والانجيل والقرآن • **ولوطا اذ قال لقومه انكم لتأتون الفاحشة**
ما سبقكم بها من احد من العالمين • ائنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل
وتأتون في ناديكم المنكر فما كان جواب قومه الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله
ان كنت من الصادقين • ولوطا معطوف على ابرهيم او على ما عطف عليه والفاحشة الفعلة البالغة
في القبح وما سبقكم بها من احد من العالمين جملة مستأنفة مقررة لفاحشة تلك الفعلة كان قائلا قال لم كانت
فاحشة فقيل له لان احدا قبلهم لم يقدم عليها اشمئزازا منها في طباعهم لافراط قبحها حتى اقدم عليها قوم لوط لخبث طينتهم
وقذر طباعهم قالوا لم ينز ذكر على ذكر قبل قوم لوط قط وقرئ انكم بغير استفهام في الاول دون الثاني قال ابو عبيد
وجدته في الامام بحرف واحد بغير ياء ورأيت الثاني بحرفين الياء والنون وقطع السبيل عمل قطاع الطريق من قتل
الانفس واخذ الاموال وقيل اعتراضهم السابلة بالفاحشة • وعن الحسن رحمه الله تعالى قطع النسل باتيان ما ليس بحرث
والمنكر عن ابن عباس رضي الله عنهما هو الحذف بالحصى والرمي بالبنادق والفرقعة ومضغ العلك والسواك بين الناس
وحل الازار من الاقبية والسباب والفحش في المزاح • وعن عائشة رضي الله عنها كانوا يتحابقون وقيل السخرية بمن مر
بهم وقيل المجاهرة في ناديهم بذلك العمل وكل معصية فاظهارها اقبح من سترها ولذلك جاء من خرق جلباب الحياء فلا غيبة له
ولا يقال للمجلس ناد الا ما دام فيه اهله فاذا قام عنه لم يبق ناديا ان كنت من الصادقين فيما تعدنا من نزول العذاب
قال رب انصرني على القوم المفسدين • كانوا يفسدون الناس بحملهم على ما كانوا عليه من المعاصي
طوعا وكرها ولانهم ابتدعوا الفاحشة وسنوها فيمن بعدهم وقال الله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم
عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون فاراد لوط عليه السلام ان يشتد غضب الله عليهم فذكر لذلك صفة المفسدين في دعائه
ولما جاءت رسلنا ابرهيم بالبشرى قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية ان
اهلها كانوا ظالمين • البشرى هي البشارة بالولد والنافلة وهما اسحق ويعقوب واضافة مهلكوا
اضافة تخفيف لا تعريف والمعنى الاستقبال والقرية سدوم التي قيل فيها اجور من قاضي سدوم كانوا ظالمين معناه ان الظلم قد استمر
منهم ايجاده في الايام السالفة وهم عليه مصرون وظلمهم كفرهم والوان معاصيهم • **قال ان فيها لوطا**

قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين ● ان فيها لوطا ليس اخبار لهم بكونه فيها وانما هو جدال في شانه لانهم لما عللوا اهلاك اهلها بظلمهم اعترض عليهم بان فيها من هو بري من الظلم واراد بالجدال اظهار الشفقة عليه وما يجب للمومن من التحزن لاخيه والتشمر في نصرته وحياطته والخوف من ان يمسه اذى او يلحقه ضرر ● قال قتادة لا يرى المومن ان لا يحوط المومن الا ترى الى جوابهم انهم اعلم بمن فيها نحن اعلم منك واخبر بحال لوط وحال قومه وامتيازه منهم الامتياز البين وانه لا يستاهل ما يستاهلون فخفض على نفسك وهون عليك الخطب وقرئ لننجينه بالتشديد والتخفيف وكذلك منجوك ● ولما أن جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقالوا لا تخف ولا تحزن إنا منجوك وأهلك إلا امرأتك كانت من الغابرين ● ان صلة اكدت وجود الفعلين مترتبا احدهما على الآخر في وقتين متجاورين لا فاصل بينهما كانهما وجدا في جزء واحد من الزمان كانه قيل كما احس بمجيئهم فاجاته المساءة من غير ريث خيفة عليهم من قومه وضاق بهم ذرعا وضاق بشانهم وبتدبير امرهم ذرعه اي طاقته وقد جعلت العرب ضيق الذراع والذرع عبارة عن فقد الطاقة كما قالوا فلان رحب الذراع بكذا اذا كان مطيقا له والاصل فيه ان الرجل اذا طالت ذراعه نال ما لا يناله القصير الذراع فضرب ذلك مثلا في العجز والقدرة ● إنا منزلون على أهل هذه القرية رجزا من السماء بما كانوا يفسقون ● الرجز والرجس العذاب من قولهم ارتجز وارتجس اذا اضطرب لما يلحق المعذب من القلق والاضطراب وقرئ منزلون مخففا ومشددا ● ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون ● منها من القرية آية بينة هي آثار منازلهم الخربة وقيل بقية الحجارة وقيل الماء الاسود على وجه الارض وقيل الخبر عما صنع بهم لقوم متعلق بتركنا او بينة ● وإلى مدين أخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ولا تعثوا في الأرض مفسدين ● وارجوا وافعلوا ما ترجون به العاقبة فاقيم السبب مقام المسبب او امروا بالرجاء والمراد اشتراط ما يسوغه من الايمان كما يومر الكافر بالشرعيات على ارادة الشرط وقيل هو من الرجاء بمعنى الخوف ● فكذبوه فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين ● والرجفة الزلزلة الشديدة وعن الضحاك صيحة جبريل لان القلوب رجفت لها في دارهم في بلدهم وارضهم او في ديارهم فاكتفى بالواحد لانه لا يلبس جاثمين باركين على الركب ميتين ● وعادا وثمودا وقد تبين لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين ● وعادا منصوب باضمار اهلكنا لان قوله فاخذتهم الرجفة يدل عليه لانه في معنى الاهلاك وقد تبين لكم ذلك يعني ما وصفه من اهلاكهم من جهة مساكنهم اذا نظرتم اليها عند مروركم بها وكان اهل مكة يمرون عليها في اسفارهم فيبصرونها وكانوا مستبصرين عقلاء متمكنين من النظر والافتكار ولكنهم لم يفعلوا او كانوا متبينين ان العذاب نازل بهم لان الله تعالى قد بين لهم على السنة الرسل ولكنهم لجوا حتى هلكوا ● وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الأرض وما كانوا سابقين ● فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ● سابقين فائتين ادركهم امر الله تعالى فلم يفوتوه الحاصب لقوم لوط وهي ريح عاصف فيها حصباء وقيل كان ملك يرميهم والصيحة لمدين وثمود والخسف لقارون والغرق لقوم نوح وفرعون ● مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون ● الغرض تشبيه ما اتخذوه متخذا ومتكلا في دينهم وتولوه من دون الله تعالى بما هو مثل عند الناس في الوهن وضعف القوة وهو نسج العنكبوت الا ترى الى مقطع التشبيه وهو قوله تعالى وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت **فإن قلت** ما معنى قوله تعالى لو كانوا يعلمون وكل واحد يعلم وهن بيت العنكبوت **قلت** معناه لو كانوا يعلمون ان هذا مثلهم وان امر دينهم بالغ هذه الغاية من الوهن ووجه آخر وهو انه اذا صح تشبيه ما اعتمدوه في دينهم ببيت العنكبوت وقد صح ان اوهن البيوت بيت العنكبوت فقد تبين

ان

ان دينهم اوهن الاديان لو كانوا يعلمون او اخرج الكلام بعد تصحيح التشبيه مخرج المجاز فكانه قال وان اوهن ما يعتمد عليه في الدين عبادة الاوثان لو كانوا يعلمون ولقائل ان يقول مثل المشرك الذي يعبد الوثن بالقياس الى المومن الذي يعبد الله مثل عنكبوت يتخذ بيتا بالاضافة الى رجل يبني بيتا بآجر وجص او ينحته من صخر وكما ان اوهن البيوت اذا استقريتها بيتا بيتا بيت العنكبوت كذلك اضعف الاديان اذا استقريتها دينا دينا عبادة الاوثان لو كانوا يعلمون ● إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهو العزيز الحكيم ● وقرئ يدعون بالياء والتاء وهذا توكيد للمثل وزيادة عليه حيث لم يجعل ما يدعونه شيئا وهو العزيز الحكيم فيه تجهيل لهم حيث عبدوا ما ليس بشيء لانه جماد ليس معه مصحح العلم والقدرة اصلا وتركوا عبادة القاهر القادر على كل شيء الحكيم الذي لا يفعل شيئا الا بحكمة وتدبير ● وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون ● كان الجهلة والسفهاء من قريش يقولون ان رب محمد يضرب المثل بالذباب والعنكبوت ويضحكون من ذلك فلذلك قال وما يعقلها الا العالمون اي لا يعقل صحتها وحسنها وفائدتها الا هم لان الامثال والتشبيهات الطرق الى المعاني المحتجبة في الاستار حتى تبرزها وتكشف عنها وتصورها للافهام كما صور هذا التشبيه الفرق بين حال المشرك وحال الموحد وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه تلا هذه الآية فقال العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه ● خلق الله السموات والأرض بالحق إن في ذلك لآية للمؤمنين ● بالحق بالغرض الصحيح الذي هو حق لا باطل وهو ان تكونا مساكن عباده وعبرة للمعتبرين منهم ودلائل على عظم قدرته الا ترى الى قوله ان في ذلك لآية للمومنين ونحوه قوله عز وعلا وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ثم قال ذلك ظن الذين كفروا ● اتل ما أوحي إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون ● الصلوة تكون لطفا في ترك المعاصي فكانها ناهية عنها **فإن قلت** كم من مصل يرتكب ولا تنهاه صلوته **قلت** الصلوة التي هي الصلوة عند الله المستحق بها الثواب ان يدخل فيها مقدما للتوبة النصوح متقيا لقوله تعالى انما يتقبل الله من المتقين ويصليها خاشعا بالقلب والجوارح فقد روي عن حاتم كأن رجلي على الصراط والجنة عن يميني والنار عن يساري وملك الموت من فوقي واصلي بين الرجاء والخوف ثم يحوطها بعد ان يصليها فلا يحبطها فهي الصلوة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر ● وعن ابن عباس من لم تامره صلوته بالمعروف وتنهه عن المنكر لم يزدد بصلوته من الله تعالى الا بعدا ● وعن الحسن من لم تنهه صلوته عن المنكر فليست صلوته بصلوة وهي وبال عليه وقيل من كان مراعيا للصلوة جره ذلك الى ان ينتهي عن السيئات يوما فقد روي انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانا يصلي بالنهار ويسرق بالليل فقال ان صلوته لتردعه ● وروي ان فتى من الانصار كان يصلي معه الصلوات ولا يدع شيئا من الفواحش الا ركبه فوصف له فقال ان صلوته ستنهاه فلم يلبث ان تاب ● وعلى كل حال فان المراعي للصلوة لا بد ان يكون ابعد عن الفحشاء والمنكر ممن لا يراعيها وايضا فكم من مصلين تنهاهم الصلوة عن الفحشاء والمنكر واللفظ لا يقتضي ان لا يخرج واحد من المصلين عن قضيتها كما تقول ان زيدا ينهى عن المنكر فليس غرضك انه ينهى عن جميع المناكير وانما تريد ان هذه الخصلة موجودة فيه وحاصلة منه من غير اقتضاء للعموم ● ولذكر الله اكبر وللصلوة اكبر من غيرها من الطاعات وسماها بذكر الله كما قال تعالى فاسعوا الى ذكر الله وانما قال ولذكر الله ليستقل بالتعليل كانه قال وللصلوة اكبر لانها ذكر الله تعالى او ولذكر الله عند الفحشاء والمنكر وذكر نهيه عنهما ووعيده عليهما اكبر فكان اولى بان ينهى من اللطف الذي في الصلوة وعن ابن عباس رضي الله عنهما ولذكر الله اياكم برحمته اكبر من ذكركم اياه بطاعته والله يعلم ما تصنعون من الخير والطاعة فيثيبكم احسن الثواب ● ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون ● بالتي هي احسن بالخصلة التي هي احسن وهي مقابلة الخشونة باللين والغضب بالكظم والسورة بالاناة كما قال الله عز وجل ادفع بالتي هي احسن ● الا الذين ظلموا فافرطوا في الاعتداء والعناد ولم يقبلوا النصح ولم ينفع فيهم الرفق فاستعملوا معهم الغلظة ● وقيل الا الذين آذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ● وقيل الا الذين اثبتوا الولد والشريك وقالوا يد الله مغلولة ● وقيل معناه ولا تجادلوا الداخلين في الذمة المودين للجزية الا بالتي هي احسن الا الذين ظلموا فنبذوا الذمة

وسعوا الجزية فان اوليك مجادلتهم بالسيف وعن قتادة الآية منسوخة بقوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله
ولا باليوم الآخر ولا مجادلة اشد من السيف وقوله وقولوا آمنا بالذي انزل الينا من جنس المجادلة بالتي هي احسن
وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما حدثكم اهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وكتبه ورسله فان كان
باطلا لم تصدقوهم وان كان حقا لم تكذبوهم • وكذلك انزلنا اليك الكتاب فالذين آتيناهم
الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد باياتنا الا الكافرون
ومثل ذلك الانزال انزلنا الكتاب اي انزلناه مصدقا لسائر الكتب السماوية تحقيقا لقوله آمنا بالذي انزل الينا
وانزل اليكم وقيل وكما انزلنا الكتب الى من كان قبلك انزلنا اليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب عبد الله
ابن سلام رضي الله عنه ومن آمن معه ومن هؤلاء من اهل مكة وقيل اراد بالذين اوتوا الكتاب الذين تقدموا عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل الكتاب ومن هؤلاء ممن في عهده منهم وما يجحد باياتنا مع ظهورها وزوال الشبهة
عنها الا المتوغلون في الكفر المصممون عليه وقيل هم كعب بن الاشرف واصحابه • وما كنت تتلوا من قبله
من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون • وانت امي ما عرفك احد قط بتلاوة
كتاب ولا خط اذا لو كان شيء من ذلك اي من التلاوة والخط لارتاب المبطلون من اهل الكتاب وقالوا الذي نجده في
كتبنا امي لا يكتب ولا يقرأ وليس به او لارتاب مشركوا مكة وقالوا لعله تعلمه او كتبه بيده فان قلت لم سماهم
مبطلين ولو لم يكن اميا وقالوا ليس بالذي نجده في كتبنا لكانوا صادقين محقين ولكان اهل مكة ايضا على حق في قولهم
لعله تعلمه او كتبه فانه رجل قارئ كاتب قلت سماهم مبطلين لانهم كفروا به وهو امي بعيد من الريب فكانه
قال هؤلاء المبطلون في كفرهم به لو لم يكن اميا لارتابوا اشد الريب فحين ليس بقارئ كاتب فلا وجه لارتيابهم وشيء
آخر وهو ان سائر الانبياء لم يكونوا اميين ووجب الايمان بهم وبما جاؤوا به لكونهم مصدقين من جهة الحكيم بالمعجزات
فهب انه قارئ كاتب فما لهم لم يؤمنوا به من الوجه الذي آمنوا منه بموسى وعيسى على ان المنزل ليس بمعجز وهذا
المنزل معجز فاذا هم مبطلون حيث لم يؤمنوا به وهو امي ومبطلون لو لم يؤمنوا به وهو غير امي فان قلت ما فائدة
قوله تعالى بيمينك قلت ذكر اليمين وهي الجارحة التي يزاول بها الخط زيادة تصوير لما نفي عنه من كونه كاتبا الا ترى
انك اذا قلت في الاثبات رأيت الامير يخط هذا الكتاب بيمينه كان اشد لاثباتك انه تولى كتبته • بل هو آيات
بينات في صدور الذين اوتوا العلم وما يجحد باياتنا الا الظالمون • بل القرآن آيات
بينات في صدور العلماء وحفاظه وهما من خصائص القرآن كون آياته بينات الاعجاز وكونه محفوظا في الصدور يتلوه
اكثر الامة ظاهرا بخلاف سائر الكتب فانها لم تكن معجزات وما كانت تقرأ الا من المصاحف ومنه ما جاء في صفة
هذه الامة صدورهم اناجيلهم وما يجحد باياته الواضحة الا المتوغلون في الظلم المكابرون • وقالوا لولا
انزلت عليه آية من ربه قل انما الآيات عند الله وانما انا نذير مبين • اولم يكفهم
انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون •
قرئ آية وآيات ارادوا هلا انزل عليه آية مثل ناقة صالح ومائدة عيسى ونحو ذلك انما الآيات عند الله ينزل ايتها شاء
ولو شاء ان ينزل ما يقترحونه لفعل وانما انا نذير مبين كلفت الانذار وابانته بما اعطيت من الآيات وليس لي ان اتخير
على الله آياته فاقول انزل علي آية كذا دون آية كذا مع علمي ان الغرض من الآية ثبوت الدلالة والآيات كلها في حكم آية واحدة
في ذلك ثم قال اولم يكفهم آية مغنية عن سائر الآيات ان كانوا طالبين للحق غير متعنتين هذا القرآن الذي تدوم
تلاوته عليهم في كل مكان وزمان فلا يزال معهم آية ثابتة لا تزول ولا تضمحل كما تزول كل آية بعد كونها وتكون في مكان
دون مكان ان في مثل هذه الآية الموجودة في كل مكان وزمان الى آخر الدهر لرحمة لنعمة عظيمة لا تشكر وتذكرة لقوم
يؤمنون وقيل اولم يكفهم يعني اليهود انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم تحقيق ما في ايديهم من نعتك ونعت دينك وقيل
ان ناسا من المسلمين اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتف قد كتبوا فيها بعض ما يقول اليهود فلما ان نظر اليها القاها
وقال كفى بها حماقة قوم او ضلالة قوم ان يرغبوا عما جاءهم به نبيهم الى ما جاء به غير نبيهم فنزلت والوجه ما ذكرنا
قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا يعلم ما في السموات والارض والذين آمنوا

بالباطل وكفروا بالله اولئك هم الخاسرون • كفى بالله بيني وبينكم شهيدا اني قد بلغت
ما ارسلت به اليكم وانذرتكم وانكم قابلتموني بالجحد والتكذيب يعلم ما في السموات والارض فهو مطلع على امري وامركم
وعالم بحقي وباطلكم والذين آمنوا بالباطل منكم وهو ما تعبدون من دون الله وكفروا بالله وآياته اولئك هم الخاسرون
المغبونون في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان الا ان الكلام ورد مورد الانصاف كقوله تعالى وانا او اياكم
لعلى هدى او في ضلال مبين وكقول حسان • فشركما لخيركما الفداء • وروي ان كعب بن الاشرف واصحابه قالوا يا محمد
من يشهد لك بانك رسول الله فنزلت • ويستعجلونك بالعذاب ولولا اجل مسمى لجاءهم
العذاب وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون • كان استعجال العذاب استهزاء منهم وتكذيبا
والنضر بن الحارث هو الذي قال اللهم امطر علينا حجارة من السماء كما قال اصحاب الايكة فاسقط علينا كسفا من السماء
ولولا اجل قد سماه الله تعالى وبينه في اللوح لعذابهم واوجبت الحكمة تأخيره الى ذلك الاجل المسمى لجاءهم العذاب عاجلا والمراد
بالاجل الآخرة لما روي ان الله عز وجل وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا يعذب قومه ولا يستأصلهم وان يؤخر عذابهم
الى يوم القيامة وقيل يوم بدر وقيل وقت فنائهم بآجالهم • يستعجلونك بالعذاب وان جهنم
لمحيطة بالكافرين • يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت ارجلهم ونقول ذوقوا
ما كنتم تعملون • لمحيطة اي ستحيط بهم يوم يغشاهم العذاب او هي محيطة بهم في الدنيا لان المعاصي التي
توجبها محيطة بهم او لانها مآلهم ومرجعهم لا محالة فكانها الساعة محيطة بهم ويوم يغشاهم على هذا منصوب بمضمر اي يوم
يغشاهم العذاب كان كيت وكيت ومن فوقهم ومن تحت ارجلهم لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ونقول قرئ
بالنون والياء ما كنتم تعملون اي جزاءه • يا عبادي الذين آمنوا ان ارضي واسعة فاياي
فاعبدون • معنى الآية ان المؤمن اذا لم يتسهل له العبادة في بلد هو فيه ولم يتمش له امر دينه كما يحبه
فليهاجر عنه الى بلد يقدر انه فيه اسلم قلبا واصح دينا واكثر عبادة واحسن خشوعا ولعمري ان البقاع تتفاوت
في ذلك التفاوت الكثير ولقد جربنا وجرب اولونا فلم نجد فيما درنا وداروا اعون على قهر النفس وعصيان الشهوة
واجمع للقلب المتلفت واضم للهم المنتشر واحث على القناعة واطرد للشيطان وابعد من كثير من الفتن واضبط
للامر الديني في الجملة من سكنى حرم الله وجوار بيت الله عز وجل فالحمد لله على ما سهل من ذلك وقرب ورزق من الصبر
واوزع من الشكر وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجب
الجنة وكان رفيق ابرهيم ومحمد صلوات الله عليهما وسلامه وقيل هي في المستضعفين بمكة الذين نزلت فيهم
الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها وانما كان ذلك لان امر دينهم ما كان يستتب لهم بين ظهراني الكفرة فاياي
فاعبدون في المتكلم نحو اياه فارهبوا في الغائب واياك نعبد في المخاطب والتقدير فاياي فاعبدوا فاعبدون فان قلت
ما معنى الفاء في فاعبدون وتقديم المفعول قلت الفاء جواب شرط محذوف لان المعنى
ان ارضي واسعة فان لم تخلصوا العبادة لي في ارض فاخلصوها لي في غيرها ثم حذف الشرط وعوض من حذفه تقديم المفعول
مع افادة تقديمه معنى الاختصاص والاخلاص • كل نفس ذائقة الموت ثم الينا ترجعون
لما امر عباده بالحرص على العبادة وصدق الاهتمام بها حتى يطلبوا لها اوفق البلاد وان شحطت اتبعه قوله كل نفس
ذائقة الموت اي واجدة مرارته وكربه كما يجد الذائق طعم المذوق ومعناه انكم ميتون فواصلون الى الجزاء ومن كانت
هذه عاقبته لم يكن له بد من التزود لها والاستعداد بجهده • والذين آمنوا وعملوا الصالحات
لنبوئنهم من الجنة غرفا تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نعم اجر العاملين • الذين
صبروا وعلى ربهم يتوكلون • لنبوئنهم لننزلنهم من الجنة علالي وقرئ لنثوينهم من الثوى وهو النزول
للاقامة يقال ثوى في المنزل واثوى هو واثوى غيره وثوى غير متعد فاذا تعدى بزيادة همزة النقل لم يتجاوز مفعولا
واحدا نحو ذهب واذهبته والوجه في تعديته الى ضمير المؤمنين والى الغرف اما اجراؤه مجرى لننزلنهم ونبوئنهم او حذف الجار
وايصال الفعل او تشبيه الظرف المؤقت بالمبهم وقرأ يحيى بن وثاب فنعم بزيادة الفاء الذين صبروا على مفارقة الاوطان
والهجرة للدين وعلى اذى المشركين وعلى المحن والمصائب وعلى الطاعات وعن المعاصي ولم يتوكلوا في جميع ذلك

اوله
اتبعوه دلت له بيته
٥

الا على الله عز وجل ۝ وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم وهو السميع العليم ۝ ولما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم من اسلم بمكة بالهجرة خافوا الفقر والضيعة فكان الرجل منهم يقول كيف اقدم بلدة ليس لي فيها معيشة فنزلت والدابة كل دابة دبت على وجه الارض عقلت او لم تعقل لا تحمل رزقها لا تطيق ان تحمله لضعفها عن حمله الله يرزقها واياكم اي لا يرزق تلك الدواب الضعاف الا الله ولا يرزقكم ايضا ايها الاقوياء الا هو وان كنتم مطيقين لحمل ارزاقكم وكسبها لانه لو لم يقدركم ويقدر لكم اسباب الكسب لكنتم اعجز من الدواب التي لا تحمل وعن الحسن لا تحمل رزقها لا تدخره انما تصبح فيرزقها الله تعالى وعن ابن عيينة ليس شيء يخبأ الا الانسان والنملة والفارة وعن بعضهم رأيت البلبل يحتكر في حضنيه ويقال للعقعق مخابي الا انه ينساها وهو السميع لقولكم نخشى الفقر والضيعة العليم بما في ضمائركم ۝ ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فانى يؤفكون ۝ الضمير في سألتهم لاهل مكة فانى يؤفكون فكيف يصرفون عن توحيد الله وان لا يشركوا به مع اقرارهم بانه خالق السموات والارض ۝ الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له ان الله بكل شيء عليم ۝ قدر الرزق وقتره اذا ضيقه **فان قلت** الذي رجع اليه الضمير في قوله تعالى ويقدر له هو من يشاء فكان بسط الرزق وقدره جعلا لواحد **قلت** يحتمل الوجهين جميعا ان يريد ويقدر لمن يشاء فوضع الضمير موضع من يشاء لان من يشاء مبهم غير معين فكان الضمير مبهما مثله وان يريد تعاقب الامرين على واحد على حسب المصلحة ان الله بكل شيء عليم يعلم ما يصلح العباد وما يفسدهم ۝ ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فاحيا به الارض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل اكثرهم لا يعقلون ۝ احمد الله على ان جعلك ممن اقر بنحو ما اقروا به ثم نفعه ذلك في توحيد الله ونفي الانداد والشركاء عنه ولم يكن اقرارا عاطلا كاقرار المشركين وعلى انهم اقروا بما هو حجة عليهم حيث نسبوا النعمة الى الله تعالى وقد جعلوا العبادة للصنم ثم قال بل اكثرهم لا يعقلون ما يقولون وما فيه من الدلالة على بطلان الشرك وصحة التوحيد او لا يعقلون ما تريد بقولك الحمد لله ولا يفطنون لم حمدت الله عند مقالتهم ۝ وما هذه الحيوة الدنيا الا لهو ولعب وان الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون ۝ هذه فيه ازدراء للدنيا وتصغير لامرها وكيف لا يصغرها وهي لا تزن عنده جناح بعوضة يريد ما هي لسرعة زوالها عن اهلها وموتهم عنها الا كما يلعب الصبيان ساعة ثم يتفرقون وان الدار الآخرة لهي الحيوان اي ليس فيها الا حياة مستمرة دائمة خالدة لا موت فيها فكأنها في ذاتها حيوة والحيوان مصدر حيي وقياسه حييان فقلبت الياء الثانية واوا كما قالوا حيوة في اسم رجل وبه سمي ما فيه حيوة حيوانا قالوا اشتر من الموتان ولا تشتر من الحيوان وفي بناء الحيوان زيادة معنى ليس في بناء الحيوة وهي ما في بناء فعلان من معنى الحركة والاضطراب كالنزوان والنغضان واللهبان وما اشبه ذلك والحيوة حركة كما ان الموت سكون فمجيئه على بناء دال على معنى الحركة مبالغة في معنى الحيوة ولذلك اختيرت على الحيوة في هذا الموضع المقتضي للمبالغة لو كانوا يعلمون فلم يؤثروا الحيوة الدنيا عليها ۝ فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون ۝ ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا فسوف يعلمون ۝ **فان قلت** بم اتصل قوله فاذا ركبوا **قلت** بمحذوف دل عليه ما وصفهم به وشرح من امرهم معناه هم على ما وصفوا به من الشرك والعناد فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين كائنين في صورة من يخلص الدين لله من المؤمنين حيث لا يذكرون الا الله ولا يدعون معه الها آخر وفي تسميتهم مخلصين ضرب من التهكم فلما نجاهم الى البر وامنوا عادوا الى حال الشرك واللام في ليكفروا محتملة ان تكون لام كي وكذلك في وليتمتعوا فيمن قرأها بالكسر والمعنى انهم يعودون الى شركهم ليكونوا بالعود الى شركهم كافرين بنعمة النجاة قاصدين التمتع بها والتلذذ لا غير على خلاف ما هو عادة المؤمنين المخلصين على الحقيقة اذا انجاهم الله تعالى ان يشكروا نعمة الله في انجائهم ويجعلوا نعمة النجاة ذريعة الى ازدياد الطاعة لا الى التمتع والتلذذ وان تكون لام الامر وقراءة من قرأ وليتمتعوا بالسكون تشهد له ونحوه قوله عز وجل اعملوا ما شئتم انه بما تعملون بصير **فان قلت** كيف جاز ان يأمر الله تعالى بالكفر وبان يعمل العصاة ما شاءوا وهو ناه عن ذلك ومتوعد عليه **قلت** هو مجاز عن الخذلان والتخلية وان ذلك الامر متسخط الى غاية

النغضان [illegible] واللهبان اتقاد النار

ومثاله

ومثاله ان ترى الرجل قد عزم على امر وعندك ان ذلك الامر خطأ وانه يؤدي الى ضرر عظيم فتبالغ في نصحه واستنزاله عن رأيه فاذا لم تر منه الا الاباء والتصميم حردت عليه وقلت انت وشانك وافعل ما شئت فلا تريد بهذا حقيقة الامر وكيف والآمر بالشيء مريد له وانت شديد الكراهة متحسر وانما كأنك تقول له فاذ قد ابيت قبول النصيحة فانت اهل لان يقال لك افعل ما شئت وتبعث عليه ليتبين لك اذا فعلت صحة رأي الناصح وفساد رأيك ۝ اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم افبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون ۝ كانت العرب حول مكة يغزو بعضهم بعضا ويتغاورون ويتناهبون واهل مكة قارون آمنون فيها لا يغزون ولا يغار عليهم مع قلتهم وكثرة العرب فذكرهم الله تعالى هذه النعمة الخاصة عليهم ووبخهم بانهم يؤمنون بالباطل الذي هم عليه ومثل هذه النعمة المكشوفة الظاهرة وغيرها من النعم التي لا يقدر عليها الا الله وحده مكفورة عندهم ۝ ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بالحق لما جاءه اليس في جهنم مثوى للكافرين ۝ افتراؤهم على الله كذبا زعمهم ان لله شريكا وتكذيبهم بما جاءهم من الحق كفرهم بالرسول والكتاب وفي قوله تعالى لما جاءه تسفيه لهم يعني لم يتلعثموا في تكذيبه وقت سمعوه ولم يفعلوا كما يفعل المراجيح العقول المتثبتون في الامور يسمعون الخبر فيستعملون فيه الروية والفكر ويستأنون الى ان يصح لهم صدقه او كذبه اليس تقرير لثوائهم في جهنم كقوله الستم خير من ركب المطايا قال بعضهم ولو كان استفهاما ما اعطاه الخليفة مائة من الابل وحقيقته ان الهمزة همزة الانكار دخلت على النفي فرجع الى معنى التقرير فهما وجهان احدهما الا يثوون في جهنم والا يستوجبون الثواء فيها وقد افتروا مثل هذا الكذب على الله تعالى وكذبوا بالحق هذا التكذيب والثاني الم يصح عندهم ان في جهنم مثوى للكافرين حتى اجترؤا مثل هذه الجرأة ۝ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين ۝ اطلق المجاهدة ولم يقيدها بمفعول ليتناول كل ما يجب مجاهدته من النفس الامارة بالسوء والشيطان واعداء الدين فينا في حقنا ومن اجلنا ولوجهنا خالصا لنهدينهم سبلنا لنزيدنهم هداية الى سبل الخير وتوفيقا كقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى وعن ابي سليمان الداراني والذين جاهدوا فيما علموا لنهدينهم الى ما لم يعلموا ۝ وعن بعضهم من عمل بما يعلم وفق لما لا يعلم وقيل ان الذي نرى من جهلنا بما لا نعلم انما هو من تقصيرنا فيما نعلم لمع المحسنين لناصرهم ومعينهم ۝ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة العنكبوت كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل المؤمنين والمنافقين ۝

سورة الروم مكية الا قوله تعالى فسبحان الله

وهي ستون آية وقيل تسع وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم ۝ الم ۝ غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين ۝ القراءة الكثيرة المشهورة غلبت بضم الغين وسيغلبون بفتح الياء والارض ارض العرب لان الارض المعهودة عند العرب ارضهم والمعنى غلبوا في ادنى ارض العرب منهم وهي اطراف الشام او اراد ارضهم على انابة اللام مناب المضاف اليه اي في ادنى ارضهم الى عدوهم قال مجاهد هي ارض الجزيرة وهي ادنى ارض الروم الى فارس وعن ابن عباس رضي الله عنهما الاردن وفلسطين وقرئ في ادنى الارض والبضع ما بين الثلث الى العشر عن الاصمعي وقيل احتربت الروم وفارس بين اذرعات وبصرى فغلبت فارس الروم فبلغ الخبر مكة فشق على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين لان فارس مجوس لا كتاب لهم والروم اهل الكتاب وفرح المشركون وشمتوا وقالوا انتم والنصارى اهل الكتاب ونحن وفارس اميون وقد ظهر اخواننا على اخوانكم ولنظهرن نحن عليكم فنزلت فقال لهم ابو بكر رضي الله عنه لا يقرر الله اعينكم فوالله لتظهرن الروم على فارس بعد بضع سنين فقال له ابي بن خلف كذبت يا ابا فصيل اجعل بيننا اجلا اناحبك عليه والمناحبة المراهنة فناحبه على عشر قلائص من كل واحد منهما وجعل الاجل ثلث سنين فاخبر ابو بكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال البضع ما بين الثلاث الى التسع فزايده في الخطر ومادّه في الاجل فجعلاها مائة قلوص الى تسع سنين ومات ابي بن خلف من جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية وذلك عند رأس سبع سنين وقيل كان النصر يوم بدر للفريقين فاخذ ابو بكر رضي الله عنه الخطر من ذرية ابي

وجاء به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تصدق به وهذه الآية من الآيات البينة الشاهدة على النبوة وان القرآن
من عند الله لانها انباء عن علم الغيب الذى لا يعلمه الا الله عز وجل وقرئ غلبهم بسكون اللام والغلب والغلب مصدران
كالجلب والجلب والحلب والحلب وقرئ غلبت الروم بالفتح وسيغلبون بالضم ومعناه ان الروم غلبوا على ريف الشام
وسيغلبهم المسلمون فى بضع سنين وعند انقضاء هذه المدة اخذ المسلمون فى جهاد الروم واضافة غلبهم تختلف
باختلاف القراءتين فهى فى احديهما اضافة المصدر الى المفعول وفى الثانية اضافة الى الفاعل ومثالهما من بعد غلبكم
اخراجهم ولن يخلف الله وعده **فان قلت** كيف صحت المناحبة وانما هى قمار **قلت** عن قتادة انه كان
ذلك قبل تحريم القمار ومن مذهب ابى حنيفة ومحمد رحمهما الله تعالى ان العقود الفاسدة من عقود الربوا وغيرها جائزة
فى دار الحرب بين المسلمين والكفار وقد احتجا على صحة ذلك بما عقده ابو بكر رضى الله عنه بينه وبين ابى بن خلف

لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم من قبل ومن بعد اى فى اول الوقتين وفى آخرهما حين غلبوا وحين يغلبون كانه
قيل من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين يعنى ان كونهم مغلوبين
اولا وغالبين آخرا ليس الا بامر الله تعالى وقضائه وتلك الايام نداولها بين الناس وقرئ من قبل ومن بعد على الجر من غير
تقدير مضاف اليه واقتطاعه كانه قيل قبلا وبعدا بمعنى اولا وآخرا ويومئذ ويوم تغلب الروم على فارس ويحل ما وعده الله تعالى
من غلبتهم يفرح المؤمنون بنصر الله وتغليبه من له كتاب على من لا كتاب له وغيظ من شمت بهم من كفار مكة وقيل نصر الله اظهار
صدق المؤمنين فيما اخبروا به المشركين من غلبة الروم وقيل نصر الله انه ولى بعض الظالمين بعضا وفرق بين كلمتهم حتى
تفانوا وتناقصوا وفل هؤلاء شوكة هؤلاء وفى ذلك قوة للاسلام وعن ابى سعيد الخدرى وافق ذلك يوم بدر وفى هذا اليوم
نصر المؤمنون وهو العزيز الرحيم ينصر عليكم تارة وينصركم اخرى **وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن اكثر الناس لا يعلمون** وعد الله مصدر مؤكد كقولك لك على الف درهم عرفا لان معناه اعترف
لك بها اعترافا ووعد الله ذلك وعدا لان ما سبقه فى معنى وعد **يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون** ذمهم الله تعالى بانهم عقلاء فى امور الدنيا بله فى امر الدين وذلك انهم كانوا
اصحاب تجارات ومكاسب وعن الحسن بلغ من حذق احدهم انه يأخذ الدرهم فينقره باصبعه فيعلم اردئ هو ام جيد وقوله تعالى
يعلمون بدل من قوله لا يعلمون وفى هذا الابدال من النكتة انه ابدله منه وجعله بحيث يقوم مقامه ويسد مسده ليعلمك
انه لا فرق بين عدم العلم الذى هو الجهل وبين وجود العلم الذى لا يتجاوز الدنيا وقوله تعالى ظاهرا من الحيوة الدنيا يفيد ان
للدنيا ظاهرا وباطنا فظاهرها ما يعرفه الجهال من التنعم بزخارفها والتنعم بملاذها وباطنها وحقيقتها انها مجاز الى الآخرة
يتزود منها اليها بالطاعة والاعمال الصالحة وفى تنكير الظاهر انهم لا يعلمون الا ظاهرا واحدا من جملة الظواهر وهم الثانية
يجوز ان تكون مبتدأ وغافلون خبره والجملة خبر هم الاولى وان تكون تكريرا للاولى وغافلون خبر الاول واية كانت فذكرها
مناد على انهم معدن الغفلة عن الآخرة ومقرها ومحلها وانها منهم تنبع واليهم ترجع **اولم يتفكروا فى انفسهم ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق واجل مسمى وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون** فى انفسهم يحتمل ان يكون ظرفا كانه قال اولم يحدثوا التفكر فى انفسهم اى
فى قلوبهم الفارغة من الفكر والتفكر لا يكون الا فى القلوب ولكنه زيادة تصوير لحال المتفكرين كقولك اعتقده فى قلبك
واضمره فى نفسك وان يكون صلة للتفكر كقولك تفكر فى الامر واجال فيه فكره وما خلق متعلق بالقول المحذوف معناه
اولم يتفكروا فيقولوا هذا القول وقيل معناه فيعلموا لان فى الكلام دليلا عليه الا بالحق واجل مسمى اى ما خلقها باطلا وعبثا
بغير غرض صحيح وحكمة بالغة ولا لتبقى خالدة وانما خلقها مقرونة بالحق مصحوبة بالحكمة وبتقدير اجل مسمى لا بد لها من ان تنتهى اليه
وهو قيام الساعة ووقت الحساب والثواب والعقاب الا ترى الى قوله تعالى افحسبتم انما خلقناكم عبثا وكيف سمى تركهم غير
الا بالحق مثلها فى قولك دخلت عليه بثياب السفر واشترى الفرس بسرجه ولجامه تريد اشتراه وهو متلبس بالسرج واللجام غير
منفك عنهما وكذلك المعنى ما خلقها الا وهى متلبسة بالحق مقترنة به **فان قلت** اذا جعلت فى انفسهم صلة للتفكر
فما معناه **قلت** معناه اولم يتفكروا فى انفسهم التى هى اقرب اليهم من غيرها من المخلوقات وهم اعلم واخبر باحوالها منهم باحوال

ما عداها فتدبروا ما اودعها الله ظاهرا وباطنا من غرائب الحكم الدالة على التدبير دون الاهمال وانه لا بد لها من انتهاء الى وقت
يجازيها فيه الحكيم الذى دبرها على الاحسان احسانا وعلى الاساءة مثلها حتى يعلموا عند ذلك ان سائر الخلائق كذلك
امرها جار على الحكمة والتدبير وانه لا بد لها من الانتهاء الى ذلك الوقت والمراد بلقاء ربهم الاجل المسمى

اولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اشد منهم قوة واثاروا الارض وعمروها اكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون تقرير لسيرهم فى البلاد ونظرهم الى آثار المدمرين من عاد وثمود وغيرهم
من الامم العاتية ثم اخذ يصف لهم احوالهم وانهم كانوا اشد منهم قوة واثاروا الارض وحرثوها قال الله تعالى لا ذلول تثير الارض
وقيل لبقر الحرث المثيرة وقالوا سمى ثورا لاثارته الارض وبقرة لانها تبقرها اى تشقها وعمروها يعنى اولئك المدمرون اكثر
مما عمروها من عمارة اهل مكة واهل مكة اهل واد غير ذى زرع ما لهم اثارة الزرع اصلا ولا عمارة لها راسا فما هو الا تهكم بهم وتضعيف
حالهم فى دنياهم لان معظم ما يستظهر به اهل الدنيا ويتباهون به امر الدهقنة وهم ايضا ضعاف القوى فقوله
كانوا اشد منهم قوة اى عاد وثمود واضرابهم من هذا القبيل كقوله عز وجل اولم يروا ان الله الذى خلقهم هو اشد منهم قوة
وان كان هذا ابلغ لانه خالق القوى والقدر فما كان تدميره اياهم ظلما لهم لان حاله منافية للظلم ولكنهم ظلموا انفسهم حيث
عملوا ما اوجب تدميرهم **ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوأى ان كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤن** قرئ عاقبة بالرفع والنصب والسوأى تأنيث الاسوء وهو الاقبح كما ان الحسنى تأنيث
الاحسن والمعنى انهم عوقبوا فى الدنيا بالدمار ثم كانت عاقبتهم السوأى الا انه وضع المظهر موضع المضمر اى العقوبة التى هى اسوء
العقوبات فى الآخرة وهى جهنم التى اعدت للكافرين ان كذبوا بمعنى لان كذبوا ويجوز ان يكون بمعنى اى لانه اذا كان تفسير
الاساءة التكذيب والاستهزاء كانت فى معنى القول نحو نادى وكتب وما اشبه ذلك ووجه آخر ان يكون اساؤا
السوأى بمعنى اقترفوا الخطيئة التى هى اسوء الخطايا وان كذبوا عطف بيان لها وخبر كان محذوف كما يحذف جواب لما ولو
ارادة الابهام **الله يبدؤ الخلق ثم يعيده ثم اليه ترجعون ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون** ثم اليه ترجعون اى الى ثوابه وعقابه وقرئ بالياء والتاء الابلاس ان يبقى بائسا ساكتا متحيرا
يقال ناظرته فابلس اذا لم ينبس ويئس من ان يحتج ومنه الناقة المبلاس التى لا ترغو وقرئ يبلس بفتح اللام من ابلسه اذا
اسكته **ولم يكن لهم من شركائهم شفعؤا وكانوا بشركائهم كافرين** من شركائهم من الذين عبدوهم
من دون الله وكانوا بشركائهم كافرين اى يكفرون بالهيتهم ويجحدونها او وكانوا فى الدنيا كافرين بسببهم وكتب شفعؤا
فى المصحف بواو قبل الالف كما كتب علمؤا بنى اسرائيل وكذلك كتبت السوأى بالف قبل الياء اثباتا للهمزة على صورة الحرف
الذى منه حركتها **ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون** الضمير فى يتفرقون للمسلمين والكافرين لدلالة
ما بعده عليه وعن الحسن رحمه الله تعالى هو تفرق المسلمين والكافرين هؤلاء فى عليين وهؤلاء فى اسفل السافلين وعن قتادة
فرقة لا اجتماع بعدها **فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم فى روضة يحبرون**
فى روضة فى بستان وهى الجنة والتنكير لابهام امرها وتفخيمه والروضة عند العرب كل ارض ذات نبات وماء وفى
امثالهم احسن من بيضة فى روضة يريدون بيضة النعامة يحبرون يسرون يقال حبره اذا سره سرورا تهلل له وجهه
وظهر فيه اثره ثم اختلفت فيه الاقاويل لاحتماله وجوه المسار فعن مجاهد يكرمون وعن قتادة ينعمون وعن ابن
كيسان يحلون وعن ابى بكر بن عياش التيجان على رؤسهم وعن وكيع السماع فى الجنة وعن النبى صلى الله عليه وسلم
انه ذكر الجنة وما فيها من النعيم وفى آخر القوم اعرابى فقال يا رسول الله هل فى الجنة سماع قال نعم يا اعرابى ان فى الجنة لنهرا
حافتاه الابكار من كل بيضاء خوصانية يتغنين باصوات لم يسمع الخلائق بمثلها قط فذلك افضل نعيم الجنة قال الراوى
فسألت ابا الدرداء بم يتغنين قال بالتسبيح وروى ان فى الجنة لاشجارا عليها اجراس من فضة فاذا اراد اهل الجنة
السماع بعث الله تعالى ريحا من تحت العرش فتقع فى تلك الاشجار فتحرك تلك الاجراس باصوات لو سمعها اهل الدنيا
لماتوا طربا **واما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فاولئك فى العذاب محضرون** لا يغيبون عنه ولا يخفف عنهم كقوله عز وجل وما هم بخارجين منها لا يفتر عنهم **فسبحان**

حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون

لما ذكر الوعد والوعيد اتبعه ذكر ما يوصل الى الوعد وينجي من الوعيد والمراد بالتسبيح ظاهره الذي هو تنزيه الله من السوء والثناء عليه بالخير في هذه الاوقات لما يتجدد فيها من نعم الله الظاهرة وقيل الصلوة وقيل لابن عباس هل تجد الصلوات الخمس في القرآن قال نعم وتلا هذه الآية تمسون صلاتا المغرب والعشاء وتصبحون صلوة الفجر وعشيا صلوة العصر وتظهرون صلوة الظهر وقوله تعالى وعشيا متصل بقوله حين تمسون وقوله وله الحمد في السموات والارض اعتراض بينهما ومعناه ان على المميزين منهم كلهم من اهل السموات والارض ان يحمدوه **فان قلت** لم ذهب الحسن الى ان هذه الآية مدنية **قلت** لانه كان يقول فرضت الصلوات الخمس بالمدينة وكان الواجب بمكة ركعتين في غير وقت معلوم والقول الاكثر ان الخمس انما فرضت بمكة وعن عائشة رضي الله عنها فرضت الصلوة ركعتين فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة اقرت صلوة السفر وزيد في صلوة الحضر وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره ان يكال له بالقفيز الاوفى فليقل سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الآية وعنه عليه الصلوة والسلام من قال حين يصبح فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الى قوله وكذلك تخرجون ادرك ما فاته في يومه ومن قالها حين يمسي ادرك ما فاته في ليلته وفي قراءة عكرمة حينا تمسون وحينا تصبحون والمعنى تمسون فيه وتصبحون فيه كقوله تعالى يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا بمعنى فيه

يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الارض بعد موتها وكذلك تخرجون

الحي من الميت الطائر من البيضة والميت من الحي البيضة من الطائر واحياء الارض اخراج النبات منها وكذلك تخرجون ومثل ذلك الاخراج تخرجون من القبور وتبعثون والمعنى ان الابداء والاعادة متساويان في قدرة من هو قادر على الطرد والعكس من اخراج الميت من الحي واخراج الحي من الميت واحياء الميت واماتة الحي وقرئ الميت بالتشديد وتخرجون بفتح التاء ومن آياته ان خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون خلقكم من تراب لانه خلق اصلهم منه واذا للمفاجاة وتقديره ثم فاجأتم وقت كونكم بشرا منتشرين في الارض كقوله عز وعلا وبث منهما رجالا كثيرا ونساء

ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون

من انفسكم ازواجا لان حواء خلقت من ضلع آدم عليه السلام والنساء بعدها خلقن من اصلاب الرجال او من شكل انفسكم وجنسها لا من جنس آخر وذلك لما بين الاثنين من جنس واحد من الالف والسكون وما بين الجنسين المختلفين من التنافر وجعل بينكم التواد والتراحم بعصمة الزواج بعد ان لم تكن بينكم سابقة معرفة ولا لقاء ولا سبب يوجب التعاطف من قرابة او رحم وعن الحسن المودة كناية عن الجماع والرحمة عن الولد كما قال عز وجل ورحمة منا وقال ذكر رحمة ربك عبده زكريا ويقال سكن اليه اذا مال اليه كقولهم انقطع اليه واطمأن اليه ومنه السكن وهو الالف المسكون اليه فعل بمعنى مفعول وقيل ان المودة والرحمة من قبل الله وان الفرك من قبل الشيطان

ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم والوانكم ان في ذلك لآيات للعالمين

الالسنة اللغات او اجناس النطق واشكاله خالف عز وعلا بين هذه الاشياء حتى لا تكاد تسمع منطقين متفقين في همس واحد ولا جهارة ولا حدة ولا رخاوة ولا فصاحة ولا لكنة ولا نظم ولا اسلوب ولا غير ذلك من صفات النطق واحواله وكذلك الصور وتخطيطها والالوان وتنويعها ولاختلاف ذلك وقع التعارف والا فلو اتفقت وتشاكلت وكانت ضربا واحدا لوقع التجاهل والالتباس ولتعطلت مصالح كثيرة وربما رأيت توأمين يشتبهان في الحلية فيعرو الخطأ في التمييز بينهما وتعرف حكمة الله عز وجل في المخالفة بين الحلى وفي ذلك آية بينة حيث ولدوا من اب واحد وفرعوا من اصل فذ وهم على الكثرة التي لا يعلمها الا الله متفاوتون وقرئ للعالمين بفتح اللام وكسرها ويشهد للكسر قوله جل وعلا وما يعقلها الا العالمون

ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون

هذا من باب اللف وترتيبه ومن آياته منامكم وابتغاؤكم من فضله بالليل والنهار الا انه فصل بين القرينين الاولين بالقرينين الاخرين لانهما زمانان والزمان والواقع فيه كشيء واحد مع اعانة اللف على الاتحاد ويجوز ان يراد منامكم في الزمانين وابتغاؤكم فيهما والظاهر هو الاول لتكرره في القرآن واسد المعاني ما دل عليه القرآن يسمعونه بالآذان الواعية

ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء فيحيي به الارض بعد موتها

ان

ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون

في يريكم وجهان اضمار ان وانزال الفعل منزلة المصدر وبهما فسر المثل تسمع بالمعيدي خير من ان تراه وقول القائل وقالوا ما تشاء فقلت الهو الى الاصباح آثر ذي اثير خوفا من الصاعقة او من الاخلاف وطمعا في الغيث وقيل خوفا للمسافر وطمعا للحاضر وهما منصوبان على المفعول له **فان قلت** من حق المفعول له ان يكون فعلا لفاعل الفعل المعلل والخوف والطمع ليسا كذلك **قلت** فيه وجهان احدهما ان المفعولين فاعلون في المعنى لانهم راؤن فكانه قيل يجعلكم رائين البرق خوفا وطمعا والثاني ان يكون على تقدير حذف المضاف اي ارادة خوف وارادة طمع فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ويجوز ان يكونا حالين اي خائفين وطامعين وقرئ ينزل بالتشديد ومن آياته ان تقوم السماء والارض بامره ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون وله من في السموات والارض كل له قانتون ومن آياته قيام السموات والارض واستمساكهما بغير عمد بامره اي بقوله كونا قائمتين والمراد باقامته لهما وارادته لكونهما على صفة القيام دون الزوال وقوله تعالى اذا دعاكم بمنزلة قوله تعالى يريكم في ايقاع الجملة موقع المفرد على معنى كانه قال ومن آياته قيام السموات والارض ثم خروج الموتى من القبور اذا دعاهم دعوة واحدة يا اهل القبور اخرجوا والمراد سرعة وجود ذلك من غير توقف ولا تلبث كما يجيب الداعي المطاع مدعوه كما قال القائل دعوت كليبا دعوة فكانما دعوت به ابن الطود او هو اسرع يريد بابن الطود الصدى او الحجر اذا تدهدى وانما عطف هذا على قيام السموات والارض بثم بيانا لعظم ما يكون من ذلك الامر واقتداره على مثله وهو ان يقول يا اهل القبور قوموا فلا تبقى نسمة من الاولين والآخرين الا قامت تنظر كما قال تعالى ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون قولك دعوته من مكان كذا كما يجوز ان يكون مكانك يجوز ان يكون مكان صاحبك تقول دعوت زيدا من اعلى الجبل فنزل علي ودعوته من اسفل الوادي فطلع الي **فان قلت** بم تعلق من الارض ابالفعل ام بالمصدر **قلت** هيهات اذا جاء نهر الله بطل نهر معقل **فان قلت** ما الفرق بين اذا واذا **قلت** الاولى للشرط والثانية للمفاجاة وهي تنوب مناب الفاء في جواب الشرط وقرئ تخرجون بضم التاء وفتحها قانتون منقادون لوجود افعاله فيهم لا يمتنعون عليه وهو الذي يبدؤ الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه وله المثل الاعلى في السموات والارض وهو العزيز الحكيم وهو اهون عليه فيما يجب عندكم وينقاس على اصولكم ويقتضيه معقولكم لان من اعاد منكم صنعة شيء كان اسهل عليه واهون من انشائها وتعتذرون للصانع اذا خطئ في بعض ما ينشئه بقولكم اول الغزو اخرق وتسمون الماهر في صناعته معاودا تعنون انه عاودها كرة بعد اخرى حتى مرن عليها وهانت عليه **فان قلت** لم ذكر الضمير في قوله تعالى وهو اهون والمراد به الاعادة **قلت** معناه وان يعيده اهون عليه **فان قلت** لم اخرت الصلة في قوله تعالى وهو اهون عليه وقدمت في قوله هو علي هين **قلت** هنالك قصد الاختصاص وهو محزه فقيل هو علي هين وان كان مستصعبا عندكم ان يولد بين هم وعاقر واما هنا فلا معنى للاختصاص كيف والامر مبني على ما يعقلون من ان الاعادة اسهل من الابتداء فلو قدمت الصلة لتغير المعنى الاعادة استعظمت في قوله تعالى ثم اذا دعاكم حتى كانها فضلت على قيام السموات والارض بامره ثم هونت بعد ذلك **قلت** الاعادة في نفسها عظيمة ولكنها هونت بالقياس الى الانشاء وقيل الضمير في عليه للخلق ومعناه ان البعث اسهل على الخلق من الانشاء لان تكوينه في حد الاستحكام والتمام اهون عليه واقل تعبا وكبدا من ان ينتقل في احوال ويتدرج فيها الى ان يبلغ ذلك الحد وقيل الاهون بمعنى الهين ووجه آخر وهو ان الانشاء من قبيل التفضل الذي يتخير فيه الفاعل بين ان يفعله وان لا يفعله والاعادة من قبيل الواجب الذي لا بد له من فعله لانها لجزاء الاعمال وجزاؤها واجب والافعال اما محال والمحال ممتنع اصلا خارج عن المقدور واما ما يصرف الحكيم عن فعله صارف وهو القبيح وهو رديف المحال لان الصارف يمنع وجود الفعل كما تمنعه الاحالة واما تفضل والتفضل حالة بين بين للفاعل ان يفعله وان لا يفعله واما واجب لا بد من فعله ولا سبيل الى الاخلال به فكان الواجب ابعد الافعال من الامتناع واقربها من الحصول فلما كانت الاعادة من قبيل الواجب كانت ابعد الافعال من الامتناع واذا كانت ابعدها من الامتناع كانت ادخلها في التاتي واسهلها فكانت اهون منها واذا كانت اهون منها كانت اهون من الانشاء وله المثل الاعلى اي الوصف الاعلى الذي ليس لغيره مثله وقد عرف به ووصف في السموات والارض على السنة الخلائق والسنة الدلائل وهو انه القادر الذي لا يعجز عن شيء من انشاء واعادة

وغيرها من المقدورات ويدل عليه قوله تعالى وهو العزيز الحكيم اى القاهر لكل مقدور الحكيم الذى يجرى كل فعل على قضايا حكمته وعلمه وعن مجاهد المثل الاعلى قول لا اله الا الله ومعناه وله الوصف الاعلى الذى هو الوصف بالوحدانية ويعضده قوله تعالى ضرب لكم مثلا من انفسكم وقال الزجاج وله المثل الاعلى فى السموات والارض اى قوله تعالى وهو اهون عليه قد ضربه لكم مثلا فيما يصعب ويسهل

ضرب الله لكم مثلا من انفسكم هل لكم من ما ملكت ايمانكم من شركاء فيما رزقناكم فانتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم انفسكم كذلك نفصل الايات لقوم يعقلون

فان قلت فاى فرق بين من الاولى والثانية والثالثة فى قوله تعالى من انفسكم من ما ملكت ايمانكم من شركاء قلت الاولى للابتداء كانه قال اخذ مثلا وانتزعه من اقرب شىء منكم وهى انفسكم ولم يبعد والثانية للتبعيض والثالثة مزيدة لتاكيد الاستفهام الجارى مجرى النفى ومعناه هل ترضون لانفسكم وعبيدكم امثالكم بشر كبشر وعبيد كعبيد ان يشارككم بعضهم فيما رزقناكم من الاموال وغيرها تكونون انتم وهم فيه على السواء من غير تفضلة بين حر وعبد تهابون ان تستبدوا بتصرف دونهم وان تفتاتوا بتدبير عليهم كما يهاب بعضكم بعضا من الاحرار فاذا لم ترضوا بذلك لانفسكم فكيف ترضون لرب الارباب ومالك الاحرار والعبيد ان تجعلوا بعض عبيده له شركاء كذلك اى مثل هذا التفصيل نفصل الايات اى نبينها لان التمثيل مما يكشف المعانى ويوضحها لانه بمنزلة التصوير والتشكيل لها الا ترى كيف صور الشرك بالصورة المشوهة

بل اتبع الذين ظلموا اهواءهم بغير علم فمن يهدى من اضل الله وما لهم من ناصرين

الذين ظلموا اى اشركوا كقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم بغير علم اى اتبعوا اهواءهم جاهلين لان العالم اذا ركب هواه ربما ردعه علمه وكفه واما الجاهل فيهيم على وجهه كالبهيمة لا يكفه شىء من اضل الله من خذله ولم يلطف به لعلمه انه ممن لا لطف له فمن يقدر على هداية مثله وقوله تعالى وما لهم من ناصرين دليل على ان المراد بالاضلال الخذلان

فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون منيبين اليه واتقوه واقيموا الصلوة ولا تكونوا من المشركين

فاقم وجهك للدين فقوم وجهك له وعدله غير ملتفت عنه يمينا وشمالا وهو تمثيل لاقباله على الدين واستقامته عليه وثباته واهتمامه باسبابه فان من اهتم بالشىء عقد عليه طرفه وسدد اليه نظره وقوم وجهه مقبلا به عليه وحنيفا حال من المامور او من الدين فطرة الله الزموا فطرة الله او عليكم فطرة الله وانما اضمرته على خطاب الجماعة لقوله منيبين اليه ومنيبين حال من الضمير فى الزموا وقوله تعالى واتقوه واقيموا ولا تكونوا معطوف على هذا المضمر والفطرة الخلقة الا ترى الى قوله لا تبديل لخلق الله والمعنى انه خلقهم قابلين للتوحيد ودين الاسلام غير نائين عنه ولا منكرين له لكونه مجاوبا للعقل مساوقا للنظر الصحيح حتى لو تركوا لما اختاروا عليه دينا آخر ومن غوى منهم فباغواء شياطين الانس والجن ومنه قوله صلى الله عليه وسلم كل عبادى خلقت حنيفا فاجتالتهم الشياطين عن دينهم وامروهم ان يشركوا بى غيرى وقوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون ابواه هما اللذان يهودانه وينصرانه لا تبديل لخلق الله اى ما ينبغى ان تبدل تلك الفطرة او تغير فان قلت لم وحد الخطاب اولا ثم جمع قلت خوطب رسول الله صلى الله عليه وسلم اولا وخطاب الرسول خطاب لامته مع ما فيه من التعظيم للامام ثم جمع بعد ذلك للبيان والتلخيص

من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون

من الذين بدل من المشركين فارقوا دينهم تركوا دين الاسلام وقرى فرقوا دينهم اى جعلوه اديانا مختلفة لاختلاف اهوائهم وكانوا شيعا فرقا كل واحدة تشايع امامها الذى اضلها كل حزب منهم فرح بمذهبه مسرور يحسب باطله حقا ويجوز ان يكون من الذين منقطعا مما قبله ومعناه من المفارقين دينهم كل حزب فرحين بما لديهم ولكنه رفع فرحون على الوصف لكل كقوله وكل خليل غير هاضم نفسه

واذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه ثم اذا اذاقهم منه رحمة اذا فريق منهم بربهم يشركون ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون

الضر الشدة من هزال او مرض او قحط او غير ذلك والرحمة الخلاص من الشدة واللام فى ليكفروا مجاز مثلها فى ليكون لهم عدوا فتمتعوا نظير اعملوا ما شئتم فسوف تعلمون وبال تمتعكم وقرا ابن مسعود رضى الله عنه وليتمتعوا

ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم

بوصل خليل صادم او معارض

بما كانوا به يشركون

السلطان الحجة وتكلمه مجاز كما تقول كتابه ناطق بكذا وهذا مما نطق به القرآن ومعناه الدلالة والشهادة كانه قال فهو يشهد بشركهم وبصحته وما فى بما كانوا مصدرية اى بكونهم بالله يشركون ويجوز ان تكون موصولة ويرجع الضمير اليها ومعناه فهو يتكلم بالامر الذى بسببه يشركون ويحتمل ان يكون المعنى ام انزلنا عليهم ذا سلطان اى ملكا معه برهان فذلك الملك يتكلم بالبرهان الذى بسببه يشركون

واذا اذقنا الناس رحمة فرحوا بها وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم اذا هم يقنطون

واذا اذقناهم رحمة اى نعمة من مطر او سعة او صحة فرحوا بها وان تصبهم سيئة اى بلاء من جدب او ضيق او مرض والسبب فيها شوم معاصيهم قنطوا من الرحمة

اولم يروا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ان فى ذلك لايات لقوم يؤمنون

ثم انكر عليهم بانهم قد علموا انه هو الباسط القابض فما لهم يقنطون من رحمته وما لهم لا يرجعون اليه تائبين من المعاصى التى عوقبوا بالشدة من اجلها حتى يعيد اليهم رحمته

فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ذلك خير للذين يريدون وجه الله واولئك هم المفلحون

حق ذى القربى صلة الرحم وحق المسكين وابن السبيل نصيبهما من الصدقة المسماة لهما وقد احتج ابو حنيفة رحمه الله تعالى بهذه الآية فى وجوب النفقة للمحارم اذا كانوا محتاجين عاجزين عن الكسب وعند الشافعى رحمه الله تعالى لا نفقة بالقرابة الا على الولد والوالدين قاس سائر القرابات على ابن العم لانه لا ولاد بينهم فان قلت كيف تعلق قوله تعالى فآت ذا القربى بما قبله حتى جىء بالفاء قلت لما ذكر ان السيئة اصابتهم بما قدمت ايديهم اتبعه ذكر ما يجب ان يفعل وما يجب ان يترك يريدون وجه الله يحتمل ان يراد بوجهه ذاته او جهته وجانبه اى يقصدون بمعروفهم اياه خالصا وحقه كقوله تعالى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى او يقصدون جهة التقرب الى الله تعالى لا جهة اخرى والمعنيان متقاربان ولكن الطريقة مختلفة

وما آتيتم من ربا ليربو فى اموال الناس فلا يربوا عند الله وما آتيتم من زكوة تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون

هذه الآية فى معنى قوله عز وجل يمحق الله الربوا ويربى الصدقات سواء بسواء يريد وما اعطيتم اكلة الربوا من ربوا ليربو فى اموالهم ليزيد ويزكو فى اموالهم فلا يزكو عند الله ولا يبارك فيه وما آتيتم من زكوة اى من صدقة تبتغون به وجهه خالصا لا تطلبون به مكافاة ولا رياء وسمعة فاولئك هم المضعفون ذوو الاضعاف من الحسنات ونظير المضعف المقوى والموسر لذى القوة واليسار وقرى بفتح العين وقيل نزلت فى ثقيف وكانوا يربون وقيل المراد ان يهب الرجل للرجل او يهدى له ليعوضه اكثر مما وهب او اهدى فليست تلك الزيادة بحرام ولكن المعوض لا يثاب على تلك الزيادة وقالوا الربوا ربوان فالحرام كل قرض يوخذ فيه اكثر منه او يجر منفعة والذى ليس بحرام ان يستدعى بهبته او بهديته اكثر منها وفى الحديث المستغزر يثاب من هبته وقرى وما اتيتم من ربوا بمعنى وما غشيتموه او رهقتموه من اعطاء ربوا وقرى لتربوا اى لتزيدوا فى اموالهم كقوله تعالى ويربى الصدقات اى يزيدها وقوله تعالى فاولئك هم المضعفون التفات حسن كانه تعالى قال للملائكة وخواص خلقه فاولئك الذين يريدون وجه الله تعالى بصدقاتهم هم المضعفون فهو امدح لهم من ان يقول فانتم المضعفون والمعنى المضعفون به لانه لا بد من ضمير يرجع الى ما ووجه آخر وهو ان يكون تقديره فمؤتوه اولئك هم المضعفون والحذف لما فى الكلام من الدليل عليه وهذا اسهل ماخذا والاول املا بالفائدة

الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شىء سبحانه وتعالى عما يشركون

الله مبتدأ وخبره الذى خلقكم اى الله هو فاعل هذه الافعال الخاصة التى لا يقدر على شىء منها احد غيره ثم قال هل من شركائكم الذين اتخذتموهم انداداً له من الاصنام وغيرها من يفعل شيئا من تلك الافعال حتى يصح ما ذهبتم اليه ثم استبعد حالهم حال شركائهم ويجوز ان يكون الذى خلقكم صفة المبتدأ والخبر هل من شركائكم وقوله تعالى من ذلكم هو الذى ربط الجملة بالمبتدأ لان معناه من افعاله ومن الاولى والثانية والثالثة كل واحدة منهن مستقلة بتاكيد لتعجيز شركائهم وتجهيل عبدتهم

ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت ايدى الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون

الفساد فى البر والبحر نحو الجدب والقحط وقلة الريع فى الزراعات والربح فى التجارات ووقوع الموتان فى الناس والدواب وكثرة الحرق والغرق واخفاق الصيادين والغاصة ومحق البركات من كل شىء

وقلة المنافع في الجملة وكثرة المضار وعن ابن عباس رضي الله عنهما اجدبت الارض وانقطعت مادة البحر وقالوا اذا
انقطع القطر عميت دواب البحر وعن الحسن ان المراد بالبحر مدن البحر وقراه التي على شاطيه وعن عكرمة العرب تسمي
الامصار البحار وقرئ في البر والبحور بما كسبت ايدي الناس بسبب معاصيهم وذنوبهم كقوله تعالى وما اصابكم من مصيبة
فبما كسبت ايديكم وعن ابن عباس ظهر الفساد في البر بقتل ابن آدم اخاه وفي البحر بان جلندي كان ياخذ كل سفينة غصبا
وعن قتادة كان ذلك قبل البعث فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم رجع راجعون عن الضلال والظلم ويجوز ان يريد ظهور
الشر والمعاصي بكسب الناس ذلك فان قلت ما معنى قوله تعالى ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون قلت
اما على التفسير الاول فظاهر وهو ان الله تعالى قد افسد اسباب دنياهم ومحقها ليذيقهم وبال اعمالهم في الدنيا قبل ان يعاقبهم
بجميعها في الآخرة لعلهم يرجعون عما هم عليها واما على الثاني فاللام مجاز على معنى ظهور الشرور بسببهم مما استوجبوا به ان
يذيقهم الله تعالى وبال اعمالهم ارادة الرجوع فكانهم انما افسدوا وتسببوا لفشو المعاصي في الارض لاجل ذلك وقرئ لنذيقهم بالنون
قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان اكثرهم مشركين ثم اكد تسبب
المعاصي لغضب الله ونكاله حيث امرهم بان يسيروا فينظروا كيف اهلك الله الامم واذاقهم سوء العاقبة لمعاصيهم ودل
بقوله تعالى كان اكثرهم مشركين على ان الشرك وحده لم يكن سبب تدميرهم وان ما دونه من المعاصي يكون سببا لذلك
فاقم وجهك للدين القيم من قبل ان ياتي يوم لا مرد له من الله يومئذ يصدعون القيم البليغ
الاستقامة التي لا يتاتى فيه عوج من الله اما ان يتعلق بياتي فيكون المعنى من قبل ان ياتي من الله يوم لا يرده احد كقوله تعالى
فلا يستطيعون ردها او بمرد على معنى لا يرده هو بعد ان يجيء به ولا رد له من جهته والمرد مصدر بمعنى الرد يصدعون يتصدعون
اي يتفرقون كقوله تعالى ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون **من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحا
فلانفسهم يمهدون** فعليه كفره كلمة جامعة لما لا غاية له من المضار لان من كان ضاره كفره فقد احاطت
به كل مضرة فلانفسهم يمهدون اي يسوون لانفسهم ما يسويه لنفسه الذي يمهد فراشه ويوطيه لئلا يصيبه في مضجعه ما ينبو عليه
وينغص عليه مرقده من نتوء او قضض او بعض ما يوذي الراقد ويجوز ان يريد فعلى انفسهم يشفقون من قولهم في المشفق
ام فرشت فانامت وتقديم الظرف في الموضعين للدلالة على ان ضرر الكفر لا يعود الا على الكافر لا يتعداه ومنفعة الايمان
والعمل الصالح ترجع الى المومن لا تتجاوزه **ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله انه لا يحب
الكافرين** ليجزي متعلق بيمهدون تعليل له من فضله مما يتفضل عليهم بعد توفية الواجب من الثواب وهذا يشبه الكناية
لان الفضل تبع للثواب فلا يكون الا بعد حصول ما هو تبع له او اراد من عطائه وهو ثوابه لان الفضول والفواضل هي الاعطية عند العرب
وتكرير الذين آمنوا وعملوا الصالحات وترك الضمير الى الصريح لتقرير انه لا يفلح عنده الا المومن الصالح وقوله تعالى انه لا يحب الكافرين
تقرير بعد تقرير على الطرد والعكس **ومن آياته ان يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته
ولتجري الفلك بامره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون** الرياح هي الجنوب والشمال
والصبا فهي رياح الرحمة واما الدبور فريح العذاب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا وقد عدد
الاغراض في ارسالها وانه ارسلها للبشارة بالغيث ولاذاقة الرحمة وهي نزول المطر وحصول الخصب الذي يتبعه
والروح الذي مع هبوب الريح وزكاء الارض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كثرت المؤتفكات زكت الارض وازالة العفونة
من الهواء وتذرية الحبوب وغير ذلك ولتجري الفلك في البحر عند هبوبها وانما زاد بامره لان الريح قد تهب ولا تكون مواتية
فلا بد من ارساء السفن والاحتيال لحبسها وربما عصفت فاغرقتها ولتبتغوا من فضله يريد تجارة البحر ولتشكروا نعمة الله فيها
فان قلت بم تعلق وليذيقكم قلت فيه وجهان ان يكون معطوفا على مبشرات على المعنى كانه قيل
ليبشركم وليذيقكم وان يتعلق بمحذوف تقديره وليذيقكم وليكون كذا وكذا ارسلناها **ولقد ارسلنا رسلا
من قبلك الى قومهم فجاؤوهم بالبينات فانتقمنا من الذين اجرموا وكان حقا علينا نصر
المومنين** اختصر الطريق الى الغرض بان ادرج تحت ذكر الانتقام والنصر ذكر الفريقين وقد اخلى الكلام اولا
عن ذكرهما وقوله تعالى وكان حقا علينا نصر المومنين تعظيم للمومنين ورفع من شانهم وتاهيل لكرامة سنية واظهار لفضل
سابقة ومزية حيث جعلهم مستحقين على الله تعالى ان ينصرهم مستوجبين عليه ان يظهرهم ويظفرهم وقد يوقف على حقا

ومعناه

فرشت امر بجعلها بابا غير موافق
من قولهم نبا المنزل اذا لم يوافق
واذا نبا بك منزل فتحول
قال

مشل

القضض الحصا الصغار والتراب
الذي يعلو الفراش ويقال
اقض اي مضجعه

ومعناه وكان الانتقام منهم حقا ثم يبتدي علينا نصر المومنين وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من امرئ مسلم يرد
عن عرض اخيه الا كان على الله ان يرد عنه نار جهنم يوم القيمة ثم تلا قوله تعالى وكان حقا علينا نصر المومنين
**الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا
فترى الودق يخرج من خلاله فاذا اصاب به من يشاء من عباده اذا هم يستبشرون
وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم من قبله لمبلسين** فيبسطه متصلا تارة ويجعله كسفا اي قطعا
تارة فترى الودق يخرج من خلاله في التارتين جميعا والمراد بالسماء سمت السماء وشقها كقوله تعالى وفرعها في السماء وباصابة
العباد اصابة بلادهم واراضيهم ومن قبله من باب التكرير والتوكيد كقوله تعالى فكان عاقبتهما انهما في النار خالدين فيها
ومعنى التوكيد فيه الدلالة على ان عهدهم بالمطر قد تطاول وبعد فاستحكم ياسهم وتمادى ابلاسهم فكان الاستبشار على قدر اغتمامهم بذلك
**فانظر الى آثار رحمت الله كيف يحيي الارض بعد موتها ان ذلك لمحيي الموتى
وهو على كل شيء قدير** قرئ اثر واثار على الوحدة والجمع وقرا ابو حيوة وغيره كيف تحيي اي الرحمة ان ذلك
يعني ان ذلك القادر الذي يحيي الارض بعد موتها هو الذي يحيي الناس بعد موتهم وهو على كل شيء من المقدورات قادر
وهذا من جملة المقدورات بدليل الانشاء **ولئن ارسلنا ريحا فراوه مصفرا لظلوا من
بعده يكفرون فانك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين
وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم ان تسمع الا من يومن باياتنا فهم مسلمون**
فراوه فراوا اثر رحمة الله لان رحمة الله هي الغيث واثارها النبات ومن قرا بالجمع رجع الضمير الى معناه لان معنى اثار
الرحمة النبات واسم النبات يقع على القليل والكثير لانه مصدر سمي به ما ينبت ولئن هي اللام الموطئة للقسم دخلت على
حرف الشرط ولظلوا جواب القسم سد مسد الجوابين اعني جواب القسم وجواب الشرط ومعناه ليظلن ذمهم الله عز وجل
بانه اذا حبس عنهم القطر قنطوا من رحمته وضربوا اذقانهم على صدورهم مبلسين فاذا اصابهم برحمته ورزقهم المطر استبشروا
وابتهجوا فاذا ارسل ريحا فضرب زروعهم بالصفار ضجوا وكفروا بنعمة الله فهم في جميع هذه الاحوال على الصفة المذمومة كان
عليهم ان يتوكلوا على الله وفضله فقنطوا وان يشكروا نعمته ويحمدوه عليها فلم يزيدوا على الفرح والاستبشار وان يصبروا على
بلائه فكفروا والريح التي اصفر لها النبات يجوز ان تكون حرورا وحرجفا وكلتاهما مما يصوح له النبات ويصبح هشيما وقال مصفرا
لان تلك صفرة حادثة وقيل فراوا السحاب مصفرا لانه اذا كان كذلك لم يمطر **الله الذي خلقكم من ضعف
ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير**
قرئ بفتح الضاد وضمها وهما لغتان والضم اقوى في القراءة لما روى ابن عمر رضي الله عنهما قال قرات على رسول الله صلى الله عليه وسلم
من ضعف فاقراني من ضعف وقوله تعالى خلقكم من ضعف كقوله تعالى خلق الانسان من عجل يعني ان اساس امركم وما عليه جبلتكم
وبنيتكم الضعف وخلق الانسان ضعيفا اي ابتداناكم في اول الامر ضعافا وذلك حال الطفولة والنشو حتى يبلغ وقت الاحتلام
والشبيبة وتلك حالة القوة الى الاكتهال وبلوغ الاشد ثم رددتم الى اصل حالكم وهو الضعف بالشيخوخة والهرم وقيل من ضعف
كقوله تعالى من ماء مهين وهذا الترديد في الاحوال المختلفة والتغيير من هيئة الى هيئة وصفة الى صفة اظهر دليل واعدل
شاهد على الصانع العليم القادر **ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة
كذلك كانوا يوفكون** الساعة القيمة سميت بذلك لانها تقوم في آخر ساعة من ساعات الدنيا او لانها
تقع بغتة وبديهة كما تقول في ساعة لمن تستعجله وجرت علما لها كالنجم للثريا والكوكب للزهرة وارادوا لبثهم في الدنيا او في
القبور او فيما بين فناء الدنيا الى البعث وفي الحديث ما بين فناء الدنيا الى وقت البعث قالوا لا نعلم اهي اربعون سنة
ام اربعون الف سنة وذلك وقت يفنون فيه وينقطع عذابهم وانما يقدرون وقت لبثهم بذلك على وجه استقصارهم له
او ينسون او يكذبون او يخمنون كذلك كانوا يوفكون اي مثل ذلك الصرف كانوا يصرفون عن الصدق والتحقيق في
الدنيا وهكذا كانوا يبنون امرهم على خلاف الحق او مثل ذلك الافك كانوا يوفكون في الاغترار بما تبين لهم الآن انه ما كان الا ساعة
**وقال الذين اوتوا العلم والايمان لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث فهذا يوم البعث
ولكنكم كنتم لا تعلمون** القائلون هم الملائكة والانبياء والمومنون في كتاب الله في اللوح او في علم الله تعالى

وقضائه أو فيما كتبه أي أوجبه بحكمته ردوا ما قالوه وحلفوا عليه وأطلعوهم على الحقيقة ثم وصلوا ذلك بتقريعهم على إنكار البعث بقولهم فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون أنه حق لتفريطكم في طلب الحق واتباعه فإن قلت ما هذه الفاء وما حقيقتها قلت هي التي في قوله فقد جئنا خراسانا وحقيقتها أنها جواب شرط يدل عليه الكلام كأنه قال إن صح ما قلتم من أن خراسان أقصى ما يراد بنا فقد جئنا خراسان وآن لنا أن نخلص وكذلك إن كنتم منكرين البعث فهذا يوم البعث أي فقد تبين بطلان قولكم وقرأ الحسن يوم البعث بالتحريك

فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون لا ينفع قرئ بالياء والتاء يستعتبون من قولك استعتبني فلان فأعتبته أي استرضاني فأرضيته وذلك إذا كنت جانيا عليه وحقيقة أعتبته أزلت عتبه ألا ترى إلى قوله غضبت تميم أن تقتل عامر يوم النسار فأعتبوا بالصيلم كيف جعلهم غضابا ثم قال فأعتبوا أي أزيل غضبهم والغضب في معنى العتب والمعنى لا يقال لهم أرضوا ربكم بتوبة وطاعة ومثله قوله عز وجل لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون فإن قلت كيف جعلوا غير مستعتبين في بعض الآيات وغير معتبين في بعضها في قوله تعالى وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين قلت أما كونهم غير مستعتبين فهذا معناه وأما كونهم غير معتبين فمعناه أنهم غير راضين بما هم فيه فشبهت حالهم بحال قوم جني عليهم فهم عاتبون على الجاني غير راضين منه فإن يستعتبوا الله أي يسألوه إزالة ما هم فيه فما هم من المجابين إلى إزالته

ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ولئن جئتهم بآية ليقولن الذين كفروا إن أنتم إلا مبطلون كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون ولقد وصفنا لهم كل صفة كأنها مثل في غرابتها وقصصنا عليهم كل قصة عجيبة الشأن كصفة المبعوثين يوم القيامة وقصتهم وما يقولون وما يقال لهم وما لا ينفع من اعتذارهم ولا يسمع من استعتابهم ولكنهم لقسوة قلوبهم ومج أسماعهم حديث الآخرة إذا جئتهم بآية من آيات القرآن قالوا جئتنا بزور وباطل ثم قال مثل ذلك الطبع يطبع الله على قلوب الجهلة حتى يسموا المحقين مبطلين وهم أعرق خلق الله تعالى في تلك الصفة

فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون فاصبر على عداوتهم إن وعد الله تعالى بنصرتك وإظهار دينك على الدين كله حق لا بد من إنجازه والوفاء به ولا يحملنك على الخفة والقلق جزعا مما يقولون ويفعلون فإنهم قوم شاكون ضالون لا يستبدع منهم ذلك وقرئ بتخفيف النون وقرأ ابن أبي إسحق ويعقوب ولا يستحقنك أي لا يفتننك فيملكوك ويكونوا أحق بك من المؤمنين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الروم كان له من الأجر عشر حسنات بعدد كل ملك سبح الله بين السماء والأرض وأدرك ما ضيع في يومه وليلته

سورة لقمان مكية

وهي أربع وثلاثون وقيل ثلاث وثلاثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الم تلك آيات الكتاب الحكيم هدى ورحمة للمحسنين الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون الكتاب الحكيم ذي الحكمة أو وصف بصفة الله تعالى على الإسناد المجازي ويجوز أن يكون الأصل الحكيم قائله فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه فبانقلابه مرفوعا بعد الجر استكن في الصفة المشبهة هدى ورحمة بالنصب على الحال عن الآيات والعامل فيها ما في تلك من معنى الإشارة وبالرفع على أنه خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف للمحسنين الذين يعملون الحسنات وهي التي ذكرها من إقامة الصلوة وإيتاء الزكوة والإيقان بالآخرة ونظيره قول أوس الألمعي الذي يظن بك الظن كأن قد رأى وقد سمعا حكي عن الأصمعي أنه سئل عن الألمعي فأنشده ولم يزد أو للذين يعملون جميع الحسن من الأعمال ثم خص منهم القائمين بهذه الصفات الثلاث لفضل اعتدادها

ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين اللهو كل باطل ألهى عن الخير وعما يعني ولهو الحديث نحو السمر بالأساطير والأحاديث التي لا أصل لها والتحدث بالخرافات والمضاحيك وفضول الكلام وما لا ينبغي من كان وكان ونحو الغناء وتعلم الموسيقار وما أشبه ذلك وقيل نزلت في النضر بن الحارث وكان يتجر إلى فارس فيشتري كتب الأعاجم فيحدث بها قريشا ويقول إن كان محمد يحدثكم بحديث عاد وثمود فأنا أحدثكم بحديث رستم وبهرام والأكاسرة وملوك الحيرة فيستملحون حديثه ويتركون استماع القرآن وقيل كان يشتري المغنيات فلا يظفر بأحد يريد الإسلام إلا

ذهب به إلى مغنيته فيقول أطعميه واسقيه وغنيه ويقول هذا خير مما يدعوك إليه محمد من الصلوة والصيام وأن تقاتل بين يديه وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم لا يحل بيع المغنيات ولا شراؤهن ولا التجارة فيهن ولا أثمانهن وعنه صلى الله عليه وسلم ما من رجل يرفع صوته بالغناء إلا بعث الله تعالى عليه شيطانين أحدهما على هذا المنكب والآخر على هذا المنكب فلا يزالان يضربان بأرجلهما حتى يكون هو الذي يسكت وقيل الغناء منفدة للمال مسخطة للرب مفسدة للقلب فإن قلت ما معنى إضافة اللهو إلى الحديث قلت معناها التبيين وهي الإضافة بمعنى من وأن يضاف الشيء إلى ما هو منه كقولك صفة خز وباب ساج والمعنى من يشتري اللهو من الحديث لأن اللهو يكون من الحديث ومن غيره فبين بالحديث والمراد بالحديث الحديث المنكر كما جاء في الحديث الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش ويجوز أن تكون الإضافة بمعنى من التبعيضية كأنه قيل ومن الناس من يشتري بعض الحديث الذي هو اللهو منه وقوله يشتري إما من الشراء على ما روي عن النضر من شراء كتب الأعاجم أو شراء القيان وإما من قوله اشتروا الكفر بالإيمان أي استبدلوه منه واختاروه عليه وعن قتادة اشتراؤه استحبابه يختار حديث الباطل على حديث الحق وقرئ ليضل بضم الياء وفتحها وسبيل الله دين الإسلام أو القرآن فإن قلت القراءة بالضم بينة لأن النضر كان غرضه باشتراء اللهو أن يصد الناس عن الدخول في الإسلام واستماع القرآن ويضلهم عنه فما معنى القراءة بالفتح قلت فيه معنيان أحدهما ليثبت على ضلاله الذي كان عليه ولا يصدف عنه ويزيد فيه ويمده فإن المخذول كان شديد الشكيمة في عداوة الدين وصد الناس عنه والثاني أن يوضع ليضل موضع ليضل من قبل أن من أضل كان ضالا لا محالة فدل بالرديف على المردوف فإن قلت ما معنى قوله بغير علم قلت لما جعله مشتريا لهو الحديث بالقرآن قال يشتري بغير علم بالتجارة وبغير بصيرة بها حيث يستبدل الضلال بالهدى والباطل بالحق ونحوه قوله تعالى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين أي وما كانوا مهتدين للتجارة بصراء بها وقرئ ويتخذها بالنصب والرفع عطفا على يشتري أو ليضل والضمير للسبيل لأنها مؤنثة كقوله تعالى ويصدون عن سبيل الله من آمن به ويبغونها عوجا

وإذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقرا فبشره بعذاب أليم ولى مستكبرا زاما لا يعبأ بها ولا يرفع بها رأسا تشبه حاله في ذلك حال من لم يسمعها وهو سامع كأن في أذنيه وقرا أي ثقلا ولا وقر فيهما وقرئ بسكون الذال فإن قلت ما محل الجملتين المصدرتين بكأن قلت الأولى حال من مستكبرا والثانية من لم يسمعها ويجوز أن يكونا استئنافين والأصل في كأن المخففة كأنه والضمير ضمير الشأن

إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم خالدين فيها وعد الله حقا وهو العزيز الحكيم وعد الله حقا مصدران مؤكدان الأول مؤكد لنفسه والثاني مؤكد لغيره لأن قوله لهم جنات النعيم في معنى وعدهم الله جنات النعيم فأكد معنى الوعد بالوعد وأما حقا فدال على معنى الثبات أكد به معنى الوعد ومؤكدهما جميعا قوله لهم جنات النعيم وهو العزيز الذي لا يغلبه شيء ولا يعجزه يقدر على الشيء وضده فيعطي النعيم من شاء والبؤس من شاء وهو الحكيم لا يشاء إلا ما توجبه الحكمة والعدل

خلق السموات بغير عمد ترونها وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وبث فيها من كل دابة وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم ترونها الضمير فيه للسموات وهو استشهاد برؤيتهم لها غير معمودة على قوله تعالى بغير عمد كما تقول لصاحبك أنا بلا سيف ولا رمح تراني فإن قلت ما محلها من الإعراب قلت لا محل لها لأنها مستأنفة أو هي في محل الجر صفة للعمد أي بغير عمد مرئية يعني أنه عمدها بعمد لا ترى وهي إمساكها بقدرته

هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين هذا إشارة إلى ما ذكر من مخلوقاته والخلق بمعنى المخلوق والذين من دونه آلهتهم بكتهم بأن هذه الأشياء العظيمة مما خلقه الله تعالى وأنشأه فأروني ماذا خلقته آلهتكم حتى استوجبوا عندكم العبادة ثم أضرب عن تبكيتهم إلى التسجيل عليهم بالتورط في ضلال ليس بعده ضلال

ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن الله غني حميد هو لقمان بن باعوراء ابن أخت أيوب أو ابن خالته وقيل كان من أولاد آزر وعاش ألف سنة وأدرك داود وأخذ منه العلم وكان يفتي قبل مبعث داود فلما بعث قطع الفتوى فقيل له فقال ألا أكتفي إذا كفيت وقيل كان قاضيا في بني إسرائيل وأكثر الأقاويل أنه كان حكيما ولم يكن نبيا وعن ابن عباس رضي الله عنهما لقمان لم يكن نبيا ولا ملكا ولكن كان راعيا

اسود فرزقه الله العتق ورضى قوله ووصيته فقص امره فى القرآن ليتمسكوا بوصيته • وقال عكرمة والشعبى كان نبيا وقيل خير بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة • وعن سعيد بن المسيب كان اسود من سودان مصر خياطا • وعن مجاهد كان عبدا اسود غليظ الشفتين متشقق القدمين • وقيل كان نجارا • وقيل كان راعيا • وقيل كان يحتطب لمولاه كل يوم حزمة • وعنه انه قال لرجل ينظر اليه ان كنت ترانى غليظ الشفتين فانه يخرج من بينهما كلام رقيق وان كنت ترانى اسود فقلبى ابيض • وروى ان رجلا وقف عليه فى مجلسه فقال الست الذى كنت ترعى معى فى مكان كذا قال بلى قال فما بلغ بك ما ارى قال صدق الحديث والصمت عما لا يعنينى • وروى انه دخل على داود عليه السلام وهو يسرد الدرع وقد لين الله عز وجل له الحديد كالطين فاراد ان يسأله فادركته الحكمة فسكت فلما اتمها لبسها وقال نعم لبوس الحرب انت فقال الصمت حكم وقليل فاعله فقال له داود بحق ما سميت حكيما • وروى ان مولاه امره بذبح شاة وبان يخرج منها اطيب مضغتين فاخرج اللسان والقلب فسأله عن ذلك فقال هما اطيب ما فيها اذا طابا واخبث ما فيها اذا خبثا • وعن سعيد بن المسيب انه قال لاسود لا تحزن فانه كان من خير الناس ثلثة من السودان بلال ومهجع مولى عمر ولقمان • ان هى المفسرة لان ايتاء الحكمة فى معنى القول وقد نبه الله سبحانه على ان الحكمة الاصلية والعلم الحقيقى هو العمل بهما وعبادة الله والشكر له حيث فسر ايتاء الحكمة بالبعث على الشكر غنى غير محتاج الى الشكر حميد حقيق بان يحمد وان لم يحمده احد • **واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بنى لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم** • قيل كان اسم ابنه انعم وقال الكلبى اشكم وقيل كان ابنه وامرأته كافرين فما زال بهما حتى اسلما لظلم عظيم لان التسوية بين من لا نعمة الا هى منه ومن لا نعمة منه البتة ولا يتصور ان تكون منه ظلم لا يكتنه عظمه • **ووصينا الانسان بوالديه حملته امه وهنا على وهن وفصاله فى عامين ان اشكر لى ولوالديك الى المصير وان جاهداك على ان تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا واتبع سبيل من اناب الى ثم الى مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون** • اى حملته تهن وهنا على وهن كقولك رجع عودا على بدء بمعنى يعود عودا على بدء وهو فى موضع الحال والمعنى انها تضعف ضعفا فوق ضعف اى يتزايد ضعفها ويتضاعف لان الحمل كلما ازداد وعظم ازدادت ثقلا وضعفا وقرئ وهنا على وهن بالتحريك عن ابى عمرو يقال وهن يوهن ووهن يهن • وقرئ وفصله ان اشكر تفسير لوصينا ما ليس لك به علم اراد بنفى العلم به نفيه اى لا تشرك بى ما ليس بشئ يريد الاصنام كقوله ما يدعون من دونه من شئ معروفا صحابا او مصاحبا معروفا حسنا بخلق جميل وحلم واحتمال وبر وصلة وما يقتضيه الكرم والمروءة • واتبع سبيل من اناب الى يريد واتبع سبيل المؤمنين فى دينك ولا تتبع سبيلهما فيه وان كنت مامورا بحسن مصاحبتهما فى الدنيا ثم الى مرجعك ومرجعهما فاجازيك على ايمانك واجازيهما على كفرهما علم بذلك حكم الدنيا وما يجب على الانسان فى صحبتهما ومعاشرتهما من مراعاة حق الابوة وتعظيمه وما لهما من المواجب التى لا يسوغ الاخلال بها ثم بين حكمهما وحالهما فى الآخرة • وروى انها نزلت فى سعد بن ابى وقاص وامه وفى القصة انها مكثت ثلاثا لا تطعم ولا تشرب حتى شجروا فاها بعود • وروى انه قال لو كانت لها سبعون نفسا فخرجت لما ارتددت الى الكفر **فان قلت** هذا الكلام كيف وقع فى اثناء وصية لقمان **قلت** هو كلام اعترض به على سبيل الاستطراد تأكيدا لما فى وصية لقمان من النهى عن الشرك **فان قلت** فقوله تعالى حملته امه وهنا على وهن وفصاله فى عامين كيف اعترض به بين المفسر والمفسر **قلت** لما وصى بالوالدين ذكر ما تكابده الام وتعانيه من المشاق والمتاعب فى حمله وفصاله هذه المدة المتطاولة ايجابا للتوصية بالوالدة خصوصا وتذكيرا بحقها العظيم مفردا ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن قال له من ابر قال امك ثم امك ثم قال بعد ذلك ثم اباك • وعن بعض العرب انه حمل امه الى الحج على ظهره وهو يقول فى حدائه بنفسه احمل امى وهى الحماله ترضعنى الدرة والعلاله • ولا يجازى والد فعاله **فان قلت** ما معنى توقيت الفصال بالعامين **قلت** المعنى فى توقيته بهذه المدة انها الغاية التى لا تتجاوز والامر فيما دون العامين موكول الى اجتهاد الام ان علمت انه يقوى على الطعام فلها ان تفطمه ويدل عليه قوله عز وجل والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة وبه استشهد الشافعى رحمه الله تعالى ان مدة الرضاع سنتان لا تثبت حرمة الرضاع بعد انقضائهما وهو مذهب ابى يوسف ومحمد رحمهما الله واما عند ابى حنيفة رحمه الله تعالى فمدة الرضاع ثلثون شهرا وعن ابى حنيفة ان فطمته قبل العامين فاستغنى بالطعام ثم

لم يكن رضاعا وان اكل اكلا ضعيفا لم يستغن به عن الرضاع ثم ارضعته فهو رضاع محرم • **يا بنى انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة او فى السموات او فى الارض يأت بها الله ان الله لطيف خبير** • قرئ مثقال حبة بالنصب والرفع فمن نصب كان الضمير للهنة من الاساءة او الاحسان اى ان كانت مثلا فى الصغر والقماءة كحبة الخردل فكانت مع صغرها فى اخفى موضع واحرزه كجوف الصخرة او حيث كانت فى العالم العلوى او السفلى يأت بها الله تعالى يوم القيمة فيحاسب بها عاملها ان الله لطيف يتوصل علمه الى كل خفى خبير عالم بكنهه • وعن قتادة لطيف باستخراجها خبير بمستقرها • ومن قرأ بالرفع كان ضمير القصة وانما انث المثقال لاضافته الى الحبة كما قال كما شرقت صدر القناة من الدم • وروى ان ابن لقمان قال له ارأيت الحبة تكون فى مقل البحر اى فى مغاصه يعلمها الله فقال ان الله تعالى يعلم اصغر الاشياء فى اخفى الامكنة لان الحبة فى الصخرة اخفى منها فى الماء وقيل الصخرة هى التى تحت الارض وهى السجين يكتب فيها اعمال الكفار • وقرئ فتكن بكسر الكاف من وكن الطائر يكن اذا استقر فى وكنته وهى مقره ليلا • **يا بنى اقم الصلوة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك ان ذلك من عزم الامور** • واصبر على ما اصابك يجوز ان يكون عاما فى كل ما يصيبه من المحن وان يكون خاصا بما يصيبه فيما امر به من الامر بالمعروف والنهى عن المنكر من اذى من يبعثهم على الخير وينكر عليهم الشر ان ذلك مما عزمه الله تعالى من الامور اى قطعه قطع ايجاب والزام ومنه الحديث لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل اى لم يقطعه بالنية ومنه ان الله يحب ان يؤخذ برخصه كما يحب ان يؤخذ بعزائمه • وقولهم عزمة من عزمات ربنا ومنه عزمات الملوك وذلك ان يقول الملك لبعض من تحت يده عزمت عليك الا فعلت كذا اذا قال ذلك لم يكن للمعزوم عليه بد من فعله ولا مندوحة فى تركه وحقيقته انه من تسمية المفعول بالمصدر واصله من معزومات الامور اى مقطوعاتها ومفروضاتها • ويجوز ان يكون مصدرا فى معنى الفاعل اصله من عازمات الامور من قوله تعالى فاذا عزم الامر من قولك جد الامر وصدق القتال وناهيك بهذه الآية مؤذنة بقدم هذه الطاعات وانها كانت مأمورا بها فى سائر الامم وان الصلوة لم تزل عظيمة الشان سابقة القدم على ما سواها موصى بها فى الاديان كلها • **ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الارض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور** • تصاعر وتصعر بالتشديد والتخفيف يقال اصعر خده وصعره وصاعره كقولك اعلاه وعلاه وعالاه بمعنى والصعر والصيد داء يصيب البعير يلوى منه عنقه والمعنى اقبل على الناس بوجهك تواضعا ولا تولهم شق وجهك وصفحته كما يفعل المتكبرون • اراد ولا تمش تمرح مرحا او اوقع المصدر موقع الحال بمعنى مرحا ويجوز ان يريد لا تمش لاجل المرح والاشر اى لا يكن غرضك فى المشى البطالة والاشر كما يمشى كثير من الناس لذلك لا لكفاية مهم دينى او دنيوى ونحوه قوله تعالى ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس والمختال مقابل للماشى مرحا وكذلك الفخور للمصعر خده كبرا • **واقصد فى مشيك واغضض من صوتك ان انكر الاصوات لصوت الحمير** • واقصد فى مشيك واعدل فيه حتى يكون مشيا بين مشيين لا تدب دبيب المتماوتين ولا تثب وثب الشطار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سرعة المشى تذهب بهاء المؤمن • واما قول عائشة فى عمر رضى الله عنهما كان اذا مشى اسرع فانما ارادت السرعة المرتفعة عن دبيب المتماوت • وقرئ واقصد بقطع الهمزة اى سدد فى مشيك من اقصد الرامى اذا سدد سهمه نحو الرمية واغضض من صوتك وانقص منه واقصر من قولك فلان يغض من فلان اذا قصر به ووضع منه ان انكر الاصوات اوحشها من قولك شئ نكر اذا انكرته النفوس واستوحشت منه ونفرت والحمار مثل فى الذم البليغ والشتيمة وكذلك نهاقه ومن استفحاشهم لذكره مجردا وتفاديهم من اسمه انهم يكنون عنه ويرغبون عن التصريح به فيقولون الطويل الاذنين كما يكنى عن الاشياء المستقذرة وقد عد فى مساوى الآداب ان يجرى ذكر الحمار فى مجلس قوم من اولى المروءة • ومن العرب من لا يركب الحمار استنكافا وان بلغت به الرجلة فتشبيه الرافعين اصواتهم بالحمير وتمثيل اصواتهم بالنهاق ثم اخلاء الكلام من لفظ التشبيه واخراجه مخرج الاستعارة وان جعلوا حميرا وصوتهم نهاقا مبالغة شديدة فى الذم والتهجين وافراط فى التثبيط عن رفع الصوت والترغيب عنه وتنبيه على انه من كراهة الله تعالى بمكان **فان قلت** لم وحد صوت الحمير ولم يجمع **قلت** ليس المراد ان يذكر صوت كل واحد من آحاد هذا الجنس حتى يجمع وانما المراد ان كل جنس من الحيوان الناطق له صوت وانكر اصوات هذه الاجناس صوت هذا الجنس فوجب توحيده • **الم تروا ان الله سخر لكم ما فى السموات وما فى الارض واسبغ**

عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى
ولا كتاب منير • ما في السموات الشمس والقمر والنجوم والسحاب وغير ذلك وما في الارض البحار والانهار والمعادن
والدواب وما لا يحصى واسبغ قرئ بالسين والصاد وهكذا كل سين اجتمع معه الغين والخاء والقاف تقول في
سلخ صلخ وفي سقر صقر وفي سالغ صالغ • وقرئ نعمه ونعمة ونعمته • فان قلت ما النعمة قلت
كل نفع قصد به الاحسان والله عز وعلا خلق العالم كله نعمة لانه اما حيوان واما غير حيوان فما ليس بحيوان نعمة على الحيوان
والحيوان نعمة من حيث ان ايجاده حيا نعمة عليه لانه لولا ايجاده حيا لما صح منه الانتفاع وكل ما ادى الى الانتفاع وصححه فهو نعمة
فان قلت لم كان خلق العالم مقصودا به الاحسان قلت لانه لا يخلقه الا لغرض والا كان عبثا والعبث
لا يجوز عليه ولا يجوز ان يكون لغرض راجع اليه من نفع لانه تعالى غني غير محتاج الى المنافع فلم يبق الا ان يكون لغرض
يرجع الى الحيوان وهو نفعه • فان قلت فما معنى الظاهرة والباطنة قلت الظاهرة كل ما يعلم بالمشاهدة
والباطنة ما لا يعلم الا بدليل او لا يعلم اصلا فكم في بدن الانسان من نعمة لا يعلمها ولا يهتدي الى العلم بها وقد
اكثروا في ذلك فعن مجاهد ظهور الاسلام والنصرة على الاعداء والباطنة الامداد من الملائكة • وعن الحسن الظاهرة
الاسلام والباطنة الستر • وعن الضحاك حسن الصورة وامتداد القامة وتسوية الاعضاء • والباطنة المعرفة وقيل
الظاهرة البصر والسمع واللسان وسائر الجوارح الظاهرة والباطنة القلب والعقل والفهم وما اشبه ذلك
ويروى في دعاء موسى عليه السلام الهي دلني على اخفى نعمتك على عبادك فقال اخفى نعمتي عليهم النفس • ويروى ان
ايسر ما يعذب به اهل النار الاخذ بالانفاس • واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما
وجدنا عليه آباءنا اولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير • معناه ايتبعونهم ولو كان
الشيطان يدعوهم اي في حال دعاء الشيطان اياهم الى العذاب • ومن يسلم وجهه الى الله وهو
محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى والى الله عاقبة الامور • قرأ علي بن ابي طالب رضي الله عنه
ومن يسلّم بالتشديد يقال اسلم امرك وسلم امرك الى الله • فان قلت ما له عدي بالى وقد عدي باللام في قوله
بلى من اسلم وجهه لله • قلت معناه مع اللام انه جعل وجهه وهو ذاته ونفسه سالما لله تعالى اي خالصا له ومعناه مع الى
انه سلم نفسه اليه كما يسلم المتاع الى الرجل اذا دفع اليه والمراد التوكل عليه والتفويض اليه فقد استمسك بالعروة الوثقى من باب
التمثيل مثلت حال المتوكل بحال من اراد ان يتدلى من شاهق فاحتاط لنفسه بان استمسك باوثق عروة من حبل متين
مأمون انقطاعه • والى الله عاقبة الامور اي هي صائرة اليه • ومن كفر فلا يحزنك كفره الينا مرجعهم
فننبئهم بما عملوا ان الله عليم بذات الصدور • نمتعهم قليلا ثم نضطرهم الى عذاب غليظ
قرئ يحزنك ويحزنك من حزن واحزن والذي عليه الاستعمال المستفيض احزنه ويحزنه والمعنى لا يهمنك كفر
من كفر وكيده للاسلام فان الله عز وجل دافع كيده في نحره ومنتقم منه ومعاقبه على عمله ان الله يعلم ما في صدور عباده فيفعل
بهم على حسبه • نمتعهم زمانا قليلا بدنياهم ثم نضطرهم الى عذاب غليظ شبه الزامهم التعذيب وارهاقهم اياه باضطرار
المضطر الى الشيء الذي لا يقدر على الانفكاك منه • والغلظ مستعار من الاجرام الغليظة والمراد الشدة والثقل على المعذب
ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون
لله ما في السموات والارض ان الله هو الغني الحميد • قل الحمد لله الزام لهم على اقرارهم
بان الذي خلق السموات والارض هو الله وحده وانه يجب ان يكون له الحمد والشكر وان لا يعبد معه غيره ثم قال بل اكثرهم
لا يعلمون ان ذلك يلزمهم واذا نبهوا عليه لم ينتبهوا • ان الله هو الغني عن حمد الحامدين المستحق للحمد وان لم يحمدوه
ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله
ان الله عزيز حكيم • قرئ والبحر بالنصب عطفا على اسم ان وبالرفع عطفا على محل ان ومعمولها على ولو
ثبت كون الاشجار اقلاما وثبت البحر ممدودا بسبعة ابحر او على الابتداء والواو للحال على معنى ولو ان الاشجار اقلام
في حال كون البحر ممدودا وفي قراءة ابن مسعود وبحر يمده على التنكير ويجب ان يحمل هذا على الوجه الاول وقرئ تمده ويمده
بالتاء والياء • فان قلت كان مقتضى الكلام ان يقال ولو ان الشجر اقلام والبحر مداد قلت اغنى عن ذكر المداد

قوله يمده لانه من قولك مد الدواة وامدها جعل البحر الاعظم بمنزلة الدواة وجعل الابحر السبعة مملوءة مدادا
فهي تصب فيه مدادها ابدا صبا لا ينقطع والمعنى ولو ان اشجار الارض اقلام والبحر ممدود بسبعة ابحر وكتبت بتلك الاقلام وبذلك
المداد كلمات الله لما نفدت كلماته ونفدت الاقلام والمداد كقوله تعالى قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل
ان تنفد كلمات ربي • فان قلت زعمت ان قوله والبحر يمده حال في احد وجهي الرفع وليس فيه ضمير راجع الى
ذي الحال • قلت هو كقوله • وقد اغتدي والطير في وكناتها • وجئت والجيش مصطف وما اشبه ذلك من الاحوال
التي حكمها حكم الظروف ويجوز ان يكون المعنى وبحرها والضمير للارض • فان قلت لم قيل من شجرة على التوحيد دون
اسم الجنس الذي هو شجر • قلت اريد تفصيل الشجر ولا واحدة الا وقد بريت اقلاما • فان قلت الكلمات
جمع قلة والموضع موضع التكثير لا التقليل فهلا قيل كلم الله • قلت معناه ان كلماته لا تفي بكتبتها البحار فكيف
بكلمه • وعن ابن عباس رضي الله عنهما انها نزلت جوابا لليهود لما قالوا قد اوتينا التوراة فيها كل الحكمة وقيل ان
المشركين قالوا ان هذا يعنون الوحي كلام سينفد فاعلم الله تعالى ان كلامه لا ينفد • وهذه الآية عند بعضهم مدنية
وانها نزلت بعد الهجرة وقيل هي مكية وانما امر اليهود وفد قريش ان يقولوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الست تتلو فيما
انزل اليك انا قد اوتينا التوراة فيها علم كل شيء • ان الله عزيز لا يعجزه شيء حكيم لا يخرج عن علمه وحكمته شيء ومثله لا تنفد
كلماته وحكمه • ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة ان الله سميع بصير • الا كنفس واحدة
الا كخلقها وبعثها اي سواء في قدرته القليل والكثير والواحد والجمع لا يتفاوت وذلك انه انما كان يتفاوت النفس الواحدة
والنفوس الكثيرة العدد ان لو شغله شان عن شان وفعل عن فعل وقد تعالى عن ذلك • ان الله سميع بصير يسمع كل صوت
ويبصر كل مبصر في حالة واحدة لا يشغله ادراك بعضها عن ادراك بعض فكذلك الخلق والبعث • الم تر ان
الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري
الى اجل مسمى وان الله بما تعملون خبير • كل واحد من الشمس والقمر يجري في فلكه ويقطعه
الى وقت معلوم الشمس الى آخر السنة والقمر الى آخر الشهر • وعن الحسن الاجل المسمى يوم القيمة لانه لا ينقطع
جريهما الا حينئذ دل ايضا بالليل والنهار وتعاقبهما وزيادتهما ونقصانهما وجري النيرين في فلكيهما كل ذلك على
تقدير وحساب وباحاطته بجميع اعمال الخلق على عظم قدرته وحكمته • فان قلت يجري لاجل مسمى ويجري
الى اجل مسمى اهو من تعاقب الحرفين • قلت كلا ولا يسلك هذه الطريقة الا بليد الطبع ضيق العطن ولكن المعنيين اعني
الانتهاء والاختصاص كل واحد منهما ملائم لصحة الغرض لان قولك يجري الى اجل مسمى معناه يبلغه وينتهي اليه وقولك يجري لاجل
مسمى تريد يجري لادراك اجل مسمى تجعل الجري مختصا بادراك اجل مسمى الا ترى ان جري الشمس مختص بآخر السنة وجري القمر بآخر
الشهر فكلا المعنيين غير ناب به موضعه • ذلك بان الله هو الحق وان ما يدعون من دونه الباطل
وان الله هو العلي الكبير • ذلك الذي وصف من عجائب قدرته وحكمته التي يعجز عنها الاحياء القادرون
العالمون فكيف بالجماد الذي تدعونه من دون الله انما هو بسبب انه الحق الثابت الالهية وان من دونه باطل الالهية وان الله
هو العلي الشان الكبير السلطان او ذلك الذي اوحي اليك من هذه الآيات بسبب بيان ان الله هو الحق وان الها غيره
باطل وان الله هو العلي الكبير عن ان يشرك به • الم تر ان الفلك تجري في البحر بنعمة الله ليريكم
من آياته ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور • قرئ الفلك بضم اللام وكل فعل يجوز فيه فعل كما يجوز في
كل فعل فعل على مذهب التعويض • وبنعمات الله بسكون العين وعين فعلات يجوز فيها الفتح والكسر والسكون • بنعمة الله
باحسانه ورحمته • صبار على بلائه شكور لنعمائه وهما صفتا المؤمن فكانه قال ان في ذلك لآيات لكل مؤمن
واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر
فمنهم مقتصد وما يجحد بآياتنا الا كل ختار كفور • يرتفع الموج ويتراكب فيعود مثل الظلل
والظلة كل ما اظلك من جبل او سحاب وغيرهما وقرئ كالظلال جمع ظلة كقلة وقلال • فمنهم مقتصد متوسط في الكفر والظلم
خفض من غلوائه وانزجر بعض الانزجار او مقتصد في الاخلاص الذي كان عليه في البحر يعني ان ذلك الاخلاص الحادث عند الخوف
لا يبقى لاحد قط والمقتصد قليل نادر وقيل مؤمن قد ثبت على ما عاهد الله عليه في البحر • والختر اشد الغدر ومنه قولهم انك لا تمد

لناشبر امن غدر الاعد وناكث باعامن جبر قال • وانك لو رايت اباعمير • ملات يديك من غدر وختر

يا ايها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود
هو جاز عن والده شيئا ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا
يغرنكم بالله الغرور • لا يجزي لا يقضي عنه شيئا ومنه قيل المتقاضي المتجازي وفي الحديث في جذعة
ابن نيار تجزي عنك ولا تجزي عن احد بعدك وقرئ لا يجزي لا يغني يقال اجزأت عنك مجزأ فلان والمعنى لا يجزي فيه
فحذف والغرور الشيطان وقيل الدنيا وقيل تمنيكم في المعصية المغفرة • وعن سعيد بن جبير الغرة بالله ان
يتمادى الرجل في المعصية ويتمنى على الله المغفرة وقيل ذكرك وانت تاتيك سيآتك غرة وقرئ بضم الغين وهو مصدر غره
غرورا وجعل الغرور غارا كما قيل جد جده او اريد زينة الدنيا لانها غرور فان قلت قوله تعالى ولا مولود هو
جاز عن والده شيئا وارد على طريق من التوكيد لم يرد عليه ما هو معطوف عليه قلت الامر كذلك لان الجملة الاسمية
اكد من الفعلية وقد انضم الى ذلك قوله هو وقوله مولود والسبب في مجيئه على هذا السنن ان الخطاب للمومنين وعليتهم
قبض اباؤهم على الكفر وعلى الدين الجاهلي فاريد حسم اطماعهم واطماع الناس فيهم ان ينفعوا اباءهم في الاخرة او يشفعوا
لهم وان يغنوا عنهم من الله شيئا فلذلك جيء به على الطريق الاكد ومعنى التوكيد في لفظ المولود ان الواحد منهم لو شفع للاب الادنى
الذي ولد منه لم تقبل شفاعته فضلا ان يشفع لمن فوقه من اجداده لان الولد يقع على الولد وولد الولد بخلاف المولود فانه
لمن ولد منك • ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام
وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس باي ارض تموت ان الله عليم خبير
روي ان رجلا من محارب وهو الحارث بن عمرو بن حارثة اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اخبرني عن الساعة
متى قيامها واني قد القيت حباتي في الارض وقد ابطات عنا السماء فمتى تمطر واخبرني عن امراتي فقد اشتملت على ما في بطنها
اذكر ام انثى واني علمت ما عملت امس فما اعمل غدا وهذا مولدي قد عرفته فاين اموت فنزلت • وعن النبي صلى الله عليه وسلم
مفاتح الغيب خمس وتلا هذه الآية • وعن ابن عباس رضي الله عنهما من ادعى علم هذه الخمسة فقد كذب اياكم والكهانة فان الكهانة
تدعو الى الشرك والشرك واهله في النار • وعن المنصور انه اهمه معرفة مدة عمره فراى في منامه كان خيالا اخرج يده من البحر واشار
اليه بالاصابع الخمس فاستفتى العلماء في ذلك فتاولوها بخمس سنين وبخمسة اشهر وبغير ذلك حتى قال ابو حنيفة رحمه الله تعالى
تاويلها ان مفاتح الغيب خمس لا يعلمها الا الله تعالى وان ما طلبت معرفته لا سبيل لك اليه عنده علم الساعة اي ان مرساها
وينزل الغيث في ابانه من غير تقديم ولا تاخير وفي بلد لا يتجاوزه به ويعلم ما في الارحام اذكر ام انثى اتام ام ناقص وكذلك ما سوى
ذلك من الاحوال وما تدري نفس برة او فاجرة ماذا تكسب غدا من خير او شر وربما كانت عازمة على خير فعملت شرا او عازمة على شر فعملت
خيرا وما تدري نفس اين تموت وربما اقامت بارض وضربت اوتادها وقالت لا ابرحها واقبر فيها فترمي بها مرامي القدر حتى
تموت في مكان لم يخطر ببالها ولا حدثتها به ظنونها • وروي ان ملك الموت مر على سليمان عليهما السلام فجعل ينظر الى رجل من جلسائه
يديم النظر اليه فقال الرجل من هذا فقال ملك الموت فقال كانه يريدني وسال سليمان ان يحمله على الريح ويلقيه ببلاد الهند ففعل
ثم قال ملك الموت لسليمان عليه السلام كان دوام نظري اليه تعجبا منه لاني امرت ان اقبض روحه بالهند وهو عندك • وجعل العلم لله تعالى
والدراية للعبد لما في الدراية من معنى الختل والحيلة والمعنى انها لا تعرف وان اعملت حيلها ما يلصق بها ويختص ولا يتخطاها ولا شيء
اخص بالانسان من كسبه وعاقبته فاذا لم يكن لها طريق الى معرفتهما كان من معرفة ما عداهما ابعد وقرئ باية ارض وشبه سيبويه تانيث اي
بتانيث كل في قولهم كلتهن • قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة لقمان كان له لقمان رفيقا يوم القيمة واعطي من الحسنات عشرا عشرا بعدد من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر

سورة السجدة مكية

وهي ثلثون آية وقيل تسع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم • الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه
من رب العالمين • ام يقولون افتراه بل هو الحق من ربك لتنذر قوما ما اتاهم من
نذير من قبلك لعلهم يهتدون • الم على انها اسم السورة مبتدا خبره تنزيل الكتاب وان جعلتها تعديدا

للحروف ارتفع تنزيل الكتاب بانه خبر مبتدا محذوف او هو مبتدا خبره لا ريب فيه والوجه ان يرتفع بالابتداء وخبره من رب
العالمين ولا ريب فيه اعتراض لا محل له والضمير في فيه راجع الى مضمون الجملة كانه قيل لا ريب في ذلك اي في كونه منزلا من رب العالمين
ويشهد لوجاهته قوله ام يقولون افتراه لان قولهم هذا مفترى انكار لان يكون من رب العالمين وكذلك قوله بل هو الحق من ربك
وما فيه من تقرير انه من الله وهذا اسلوب صحيح محكم اثبت اولا ان تنزيله من رب العالمين وان ذلك ما لا ريب فيه ثم اضرب عن
ذلك الى قوله ام يقولون افتراه لان ام هي المنقطعة الكائنة بمعنى بل والهمزة انكارا لقولهم وتعجيبا منه لظهور امره في
عجز بلغائهم عن مثل ثلث آيات منه ثم اضرب عن الانكار الى اثبات انه الحق من ربك ونظيره ان يعلل العالم في المسئلة بعلة
صحيحة جامعة قد احترز فيها بانواع الاحتراز كقول المتكلمين النظر اول الافعال الواجبة على الاطلاق التي لا يعرى من وجوبها مكلف
ثم يعترض عليه فيها ببعض ما وقع احترازه منه فيرده بتلخيص انه احترز من ذلك ثم يعود الى تقرير كلامه وتمشيته فان قلت
كيف نفى ان يرتاب في انه من الله وقد اثبت ما هو اطم من الريب وهو قولهم افتراه قلت معنى لا ريب فيه ان لا مدخل
للريب في انه تنزيل الله تعالى لان نافي الريب ومميطه معه لا ينفك عنه وهو كونه معجزا للبشر ومثله ابعد شيء عن الريب واما قولهم
افتراه فقول متعنت مع علمه انه من الله عز وجل لظهور الاعجاز له او جاهل يقوله قبل التامل والنظر لانه سمع الناس يقولونه
ما اتاهم من نذير من قبلك كقوله تعالى ما انذر آباؤهم وذلك ان قريشا لم يبعث الله تعالى اليهم رسولا قبل محمد صلى الله عليه وسلم
فان قلت فاذا لم يأتهم نذير لم تقم عليهم حجة قلت اما قيام الحجة بالشرائع التي لا يدرك علمها الا بالرسل
فلا واما قيامها بمعرفة الله تعالى وتوحيده وحكمته فنعم لان ادلة العقل الموصلة الى ذلك معهم في كل زمان لعلهم يهتدون
فيه وجهان ان يكون على الترجي من رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان لعله يتذكر على الترجي من موسى وهرون عليهما السلام
وان يستعار لفظ الترجي للارادة • الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة
ايام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع افلا تتذكرون •
فان قلت ما معنى قوله من دونه من ولي ولا شفيع قلت هو على معنيين احدهما انكم اذا جاوزتم
رضاه لم تجدوا لانفسكم وليا اي ناصرا ينصركم ولا شفيعا يشفع لكم والثاني ان الله تعالى وليكم الذي يتولى مصالحكم
وشفيعكم اي ناصركم على سبيل المجاز لان الشفيع ينصر المشفوع له فهو كقوله وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير فاذا خذلكم
لم يبق لكم ولي ولا نصير • يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه في يوم كان
مقداره الف سنة مما تعدون • الامر المامور به من الطاعات والاعمال الصالحات ينزله مدبرا
من السماء الى الارض ثم لا يعمل به ولا يصعد اليه ذلك المامور به خالصا كما يريده ويرتضيه الا في مدة متطاولة لقلة
عمال الله والخلص من عباده وقلة الاعمال الصاعدة لانه لا يوصف بالصعود الا الخالص ودل عليه قوله على اثره قليلا
ما تشكرون • او يدبر امر الدنيا كلها من السماء الى الارض لكل يوم من ايام الله وهو الف سنة كما قال تعالى وان يوما
عند ربك كالف سنة مما تعدون ثم يعرج اليه اي يصير اليه ويثبت عنده ويكتب في صحف ملائكته كل وقت من اوقات
هذه المدة ما يرتفع من ذلك الامور ويدخل تحت الوجود الى ان تبلغ المدة آخرها ثم يدبر ايضا ليوم آخر وهلم جرا الى ان
تقوم الساعة • وقيل ينزل الوحي مع جبريل عليه السلام من السماء الى الارض ثم يرجع اليه ما كان من قبول الوحي ورده
مع جبريل وذلك في وقت هو في الحقيقة الف سنة لان المسافة مسيرة الف سنة في الهبوط والصعود لان ما بين
السماء والارض مسيرة خمسمائة سنة وهو يوم من ايامكم لسرعة جبريل لانه يقطع مسيرة الف سنة في يوم واحد وقيل
يدبر امر الدنيا من السماء الى الارض الى ان تقوم الساعة ثم يعرج اليه ذلك الامر كله اي يصير اليه ليحكم فيه في يوم كان مقداره الف
سنة وهو يوم القيمة • وقرا ابن ابي عبلة يعرج على البناء للمفعول وقرئ تعدون بالياء والتاء • ذلك عالم
الغيب والشهادة العزيز الرحيم • الذي احسن كل شيء خلقه وبدا خلق الانسان من طين
احسن كل شيء حسنه لانه ما من شيء خلقه الا وهو مرتب على ما اقتضته الحكمة واوجبته المصلحة فجميع المخلوقات حسنة
وان تفاوتت الى حسن واحسن منه كما قال عز وعلا لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم وقيل علم كيف يخلقه من قوله
قيمة المرء ما يحسن وحقيقته يحسن معرفته اي يعرفه معرفة حسنة بتحقيق واتقان وقرئ خلقه على البدل اي احسن خلق كل
شيء وخلقه على الوصف اي كل شيء خلقه فقد احسنه • ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين

اعتزال

ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون
سميت الذرية نسلا لانها تنسل منه اى تنفصل منه وتخرج من صلبه ونحوه قولهم للولد سليل ونجل وسواه قومه كقوله تعالى
فى احسن تقويم ودل باضافة الروح الى ذاته على انه خلق عجيب لا يعلم كنهه الا هو كقوله تعالى ويسئلونك عن الروح الآية كانه
قال ونفخ فيه من الشىء الذى اختص هو به وبمعرفته وقالوا ائذا ضللنا فى الارض ائنا لفى خلق جديد
وقالوا قيل القائل ابى بن خلف ولرضاهم بقوله اسند اليهم جميعا وقرئ اينا وانا على الاستفهام وتركه وضللنا
صرنا ترابا وذهبنا مختلطين بتراب الارض لا نتميز منه كما يضل الماء فى اللبن او غبنا فى الارض بالدفن فيها من قوله
وآب مضلوه بعين جلية وقرأ على وابن عباس رضى الله عنهم ضللنا بكسر اللام يقال ضل يضل وضل يضل وقرأ الحسن
صللنا من صل اللحم واصل اذا انتن وقيل صرنا من جنس الصلة وهى الارض فان قلت بم انتصب الظرف فى
ائذا ضللنا قلت بما يدل عليه قوله تعالى ائنا لفى خلق جديد وهو نبعث او يجدد خلقنا بل هم بلقاء ربهم كافرون
لقاء ربهم هو الوصول الى العاقبة من تلقى ملك الموت وما وراءه فلما ذكر كفرهم بالانشاء اضرب عنه الى ما هو ابلغ فى
الكفر وهو انهم كافرون بجميع ما يكون فى العاقبة لا بالانشاء وحده الا ترى كيف خوطبوا بتوفى ملك الموت وبالرجوع
الى ربهم بعد ذلك مبعوثين للحساب والجزاء وهذا معنى لقاء الله تعالى على ما ذكرنا قل يتوفاكم ملك الموت
الذى وكل بكم ثم الى ربكم ترجعون والتوفى استيفاء النفس وهى الروح قال الله تعالى الله
يتوفى الانفس حين موتها وقال اخرجوا انفسكم وهو ان يقبض كلها لا يترك منها شىء من قولك توفيت حقى من فلان واستوفيته
اذا اخذته وافيا كاملا من غير نقصان والتفعل والاستفعال يلتقيان فى مواضع منها تقضيته واستقضيته وتعجلته واستعجلته
وعن مجاهد حويت لملك الموت الارض وجعلت له مثل الطست يتناول منها حيث يشاء وعن قتادة يتوفاهم ومعه
اعوان من الملائكة وقيل ملك الموت يدعو الارواح فتجيبه ثم يأمر اعوانه بقبضها ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا
رؤسهم عند ربهم ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون ولو ترى يجوز ان
يكون خطابا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه وجهان ان يراد به التمنى كانه قال وليتك ترى كقول النبى صلى الله عليه وسلم
للمغيرة لو نظرت اليها والتمنى لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان الترجى له فى لعلهم يهتدون لانه تجرع منهم الغصص ومن
عداوتهم وضرارهم فجعل الله له تمنى ان يراهم على تلك الصفة الفظيعة من الحياء والخزى والغم ليشمت بهم وان تكون لو
الامتناعية وقد حذف جوابها وهو لرأيت امرا فظيعا او لرأيت اسوأ حال ترى ويجوز ان يخاطب به كل احد كما تقول
فلان لئيم ان اكرمته اهانك وان احسنت اليه اساء اليك فلا تريد به مخاطبا بعينه فكانك قلت ان اكرم وان احسن اليه
ولو واذ كلاهما للمضى وانما جاز ذلك لان المترقب من الله تعالى بمنزلة الموجود المقطوع به فى تحققه ولا يقدر لترى ما يتناوله
كانه قيل ولو تكون منك الرؤية واذ ظرف له يستغيثون بقولهم ربنا ابصرنا وسمعنا فلا يغاثون ربنا ابصرنا صدق وعدك
ووعيدك وسمعنا منك تصديق رسلك او كنا عميا وصما فابصرنا وسمعنا فارجعنا هى الرجعة الى الدنيا ولو شئنا لآتينا
كل نفس هداها ولكن حق القول منى لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين فذوقوا
بما نسيتم لقاء يومكم هذا انا نسيناكم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون لآتينا كل نفس
هداها على طريق الالجاء والقسر ولكنا بنينا الامر على الاختيار دون الاضطرار فاستحبوا العمى على الهدى فحقت كلمة العذاب
على اهل العمى دون البصراء الا ترى الى ما عقبه به من قوله تعالى فذوقوا بما نسيتم فجعل ذوق العذاب نتيجة فعلهم من نسيان العاقبة
وقلة الفكر فيها وترك الاستعداد لها والمراد بالنسيان خلاف التذكر يعنى ان الانهماك فى الشهوات اذهلكم والهاكم عن تذكر
العاقبة وسلط عليكم نسيانها ثم قال انا نسيناكم على المقابلة اى جزيناكم جزاء نسيانكم وقيل هو بمعنى الترك اى تركتم الفكر
فى العاقبة فتركناكم من الرحمة وفى استيناف قوله تعالى انا نسيناكم وبناء الفعل على ان واسمها تشديد فى الانتقام منهم
والمعنى فذوقوا هذا اى ما انتم فيه من نكس الرؤس والخزى والغم بسبب نسيان اللقاء وذوقوا العذاب المخلد فى جهنم
بسبب ما عملتم من المعاصى والكبائر الموبقة انما يؤمن بآياتنا الذين اذا ذكروا بها خروا سجدا
وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون اذا ذكروا بها اى وعظوا سجدوا تواضعا لله وخشوعا وشكرا
على ما رزقهم من الاسلام وسبحوا بحمد ربهم ونزهوا الله من نسبة القبائح اليه واثنوا عليه حامدين له وهم لا يستكبرون كما يفعل

من يصر مستكبرا كان لم يسمعها ومثله قوله تعالى ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا ويقولون
سبحان ربنا تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون
تتجافى ترتفع وتتنحى عن المضاجع عن الفرش ومواضع النوم داعين ربهم عابدين له لاجل خوفهم من سخطه وطمعهم فى رحمته وهم
المتهجدون عن النبى صلى الله عليه وسلم فى تفسيرها قيام العبد من الليل وعن الحسن انه التهجد وعن رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا جمع الله الاولين والآخرين يوم القيمة جاء مناد ينادى بصوت يسمع الخلائق كلهم سيعلم اهل الجمع اليوم
من اولى بالكرم ثم يرجع فينادى ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل ثم يرجع فينادى ليقم
الذين كانوا يحمدون الله فى البأساء والضراء فيقومون وهم قليل فيسرحون جميعا الى الجنة ثم يحاسب سائر الناس
وعن انس بن مالك رضى الله عنه كان اناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلون من صلوة المغرب الى صلوة
العشاء الآخرة فنزلت فيهم وقيل هم الذين يصلون صلوة العتمة لا ينامون عنها فلا تعلم نفس ما اخفى
لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون ما اخفى لهم على البناء للمفعول وهو الله سبحانه وتعالى وما
اخفى لهم وما نخفى لهم وما اخفيت لهم الثلثة للمتكلم وهو الله تعالى وما بمعنى الذى او بمعنى اى وقرئ من قرة اعين وقرات
اعين والمعنى لا تعلم النفوس كلهن ولا نفس واحدة منهن لا ملك مقرب ولا نبى مرسل اى نوع عظيم من الثواب ادخر الله تعالى
لاولئك واخفاه من جميع خلائقه لا يعلمه الا هو مما تقر به عيونهم ولا مزيد على هذه العدة ولا مطمح وراءها ثم قال جزاء
بما كانوا يعملون فحسم اطماع المتمنين وعن النبى صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى اعددت لعبادى الصالحين ما لا عين
رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتهم عليه اقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين
وعن الحسن رحمه الله تعالى اخفى القوم اعمالا فى الدنيا فاخفى الله تعالى لهم ما لا عين رأت ولا اذن سمعت افمن كان
مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون اما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم
جنات المأوى نزلا بما كانوا يعملون واما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما ارادوا
ان يخرجوا منها اعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به تكذبون
كان مؤمنا وكان فاسقا محمولان على لفظ من ولا يستوون محمول على المعنى بدليل قوله جل وعلا اما الذين آمنوا واما الذين
فسقوا ونحوه قوله عز وجل ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك وجنات المأوى نوع من الجنان قال تعالى ولقد رآه
نزلة اخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى سميت بذلك لما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال تأوى اليها ارواح
الشهداء وقيل هى عن يمين العرش وقرئ جنة المأوى على التوحيد نزلا عطاء باعمالهم والنزل عطاء النازل ثم صار
عاما فمأواهم النار اى ملجأهم ومنزلهم ويجوز ان يراد فجنة مأواهم النار اى النار لهم مكان جنة المأوى للمؤمنين كقوله تعالى
فبشرهم بعذاب اليم ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر لعلهم يرجعون
العذاب الادنى عذاب الدنيا من القتل والاسر وما محنوا به من السنة سبع سنين وعن مجاهد عذاب القبر والعذاب الاكبر
عذاب الآخرة اى نذيقهم عذاب الدنيا قبل ان يصلوا الى الآخرة لعلهم يرجعون اى يتوبون عن الكفر او لعلهم يريدون
الرجوع ويطلبونه كقوله تعالى فارجعنا نعمل صالحا وسميت ارادة الرجوع رجوعا كما سميت ارادة القيام قياما فى قوله تعالى
اذا قمتم الى الصلوة ويدل عليه قراءة من قرأ يرجعون على البناء للمفعول فان قلت من اين صح تفسير الرجوع
بالتوبة ولعل من الله تعالى ارادة واذا اراد الله تعالى شيئا كان ولم يمتنع وتوبتهم مما لا يكون الا ترى انها لو كانت مما
يكون لم يكونوا ذائقين العذاب الاكبر قلت ارادة الله تعالى تتعلق بافعاله وافعال عباده فاذا اراد شيئا
من افعاله كان ولم يمتنع للاقتدار وخلوص الداعى واما افعال عباده فاما ان يريدها وهم مختارون لها او مضطرون اليها
بقسره والجائه فان ارادها وقد قسرهم فحكمها حكم افعاله وان ارادها على ان يختاروها وهو عالم انهم لا يختارونها لم يقدح
ذلك فى اقتداره كما لا يقدح فى اقتدارك ارادتك ان يختار عبدك طاعتك وهو لا يختارها لان اختياره لا يتعلق
بقدرتك واذا لم يتعلق بقدرتك لم يكن فقده دالا على عجزك وروى انها نزلت فى على بن ابى طالب
رضى الله عنه والوليد بن عقبة بن ابى معيط يوم بدر كلام فقال له الوليد اسكت فانك صبى انا اشب منك شبابا واجلد
منك جلدا واذرب منك لسانا واحد منك سنانا واشجع منك جنانا واملأ منك حشوا فى الكتيبة فقال له على اسكت

اسكت فانك فاسق فنزلت عامة للمؤمنين والفاسقين فتناولتهما وكل من كان في مثل حالهما وعن الحسن بن علي انه قال للوليد كيف تشتم عليا وقد سماه الله تعالى مؤمنا في عشر آيات وسماك فاسقا ● ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم اعرض عنها انا من المجرمين منتقمون ● ثم في قوله تعالى ثم اعرض للاستبعاد والمعنى ان الاعراض عن مثل آيات الله تعالى في وضوحها وانارتها وارشادها الى سواء السبيل والفوز بالسعادة العظمى بعد التذكير بها مستبعد في العقل والعدل كما تقول لصاحبك وجدت مثل تلك الفرصة ثم لم تنتهزها استبعادا لتركه الانتهاز ومنه ثم في بيت الحماسة ● لا يكشف الغماء الا ابن حرة ● يرى غمرات الموت ثم يزورها ● استبعد ان يزور غمرات الموت بعد ان رآها واستيقنها واطلع على شدتها **فان قلت** هلا قيل انا منه منتقمون **قلت** لما جعله اظلم كل ظالم ثم توعد المجرمين عامة بالانتقام منهم فقد دل على اصابة الاظلم النصيب الاوفر من الانتقام ولو قاله بالضمير لم يفد هذه الفائدة ● ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرية من لقائه وجعلناه هدى لبني اسرائيل ● الكتاب للجنس والضمير في لقائه له ومعناه انا آتينا موسى مثل ما آتيناك من الكتاب ولقيناه مثل ما لقيناك من الوحي فلا تكن في شك من انك لقيت مثله ولقيت نظيره كقوله تعالى فان كنت في شك مما انزلنا اليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك ونحوه قوله تعالى من لقائه قوله وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم وقوله تعالى ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا وجعلنا الكتاب المنزل على موسى هدى لقومه ● وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون ● ان ربك هو يفصل بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون ● وجعلنا منهم ائمة يهدون الناس ويدعونهم الى ما في التوراة من دين الله وشرائعه لصبرهم وايقانهم بالآيات وكذلك لنجعلن الكتاب المنزل اليك هدى ونورا ولنجعلن من امتك ائمة يهدون مثل تلك الهداية لما صبروا عليه من نصرة الدين وثبتوا عليه من اليقين وقيل من لقائك موسى ليلة الاسراء او يوم القيمة وقيل من لقاء موسى الكتاب اي من تلقيه له بالرضاء والقبول وقرئ لما صبروا ولما صبروا اي لصبرهم وعن الحسن صبروا عن الدنيا وقيل انما جعل الله تعالى التوراة هدى لبني اسرائيل خاصة ولم يتعبد بما فيها ولد اسمعيل عليه السلام يفصل منهم يقضي فيميز المحق في دينه من المبطل ● اولم يهد لهم كم اهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم ان في ذلك لآيات افلا يسمعون ● الواو في اولم يهد للعطف على معطوف عليه منوي من جنس المعطوف والضمير في لهم لاهل مكة وقرئ بالنون والفاعل ما دل عليه كم اهلكنا لان كم لا تقع فاعلة لا يقال جاءني كم رجل تقديره اولم يهد كثرة اهلاكنا القرون او هذا الكلام كما هو بمضمونه ومعناه كقولك تعصم لا اله الا الله الدماء والاموال ويجوز ان يكون فيه ضمير الله بدلالة القراءة بالنون والقرون عاد وثمود وقوم لوط يمشون في مساكنهم يعني اهل مكة يمرون في متاجرهم على ديارهم وبلادهم وقرئ يمشون بالتشديد ● اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه انعامهم وانفسهم افلا يبصرون ● الجرز الارض التي جرز نباتها اي قطع اما لعدم الماء واما لانه رعي وازيل ولا يقال للتي لا تنبت كالسباخ جرز ويدل عليه قوله تعالى فنخرج به زرعا ● وعن ابن عباس رضي الله عنهما انها ارض اليمن وعن مجاهد هي ابين به بالماء تأكل من الزرع انعامهم من عصفه وانفسهم من حبه وقرئ يأكل بالياء ● ويقولون متى هذا الفتح ان كنتم صادقين ● الفتح النصر او الفصل بالحكومة من قوله عز وجل ربنا افتح بيننا وكان المسلمون يقولون ان الله سيفتح لنا على المشركين او يفتح بيننا وبينهم فاذا سمع المشركون ذلك قالوا متى هذا الفتح اي في اي وقت يكون ان كنتم صادقين في انه كائن ويوم الفتح يوم القيمة وهو يوم الفصل بين المؤمنين واعدائهم ويوم نصرهم عليهم وقيل هو يوم بدر وعن مجاهد والحسن يوم فتح مكة ● قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون ● **فان قلت** قد سألوا عن وقت الفتح فكيف ينطبق هذا الكلام جوابا على سؤالهم **قلت** كان غرضهم في السؤال عن وقت الفتح استعجالا منهم على وجه التكذيب والاستهزاء فاجيبوا على حسب ما عرف من غرضهم في سؤالهم فقيل لهم لا تستعجلوا به ولا تستهزءوا فكاني بكم وقد حصلتم في ذلك اليوم وآمنتم فلم ينفعكم الايمان واستنظرتم في ادراك العذاب فلم تنظروا **فان قلت** من فسره بيوم الفتح او بيوم بدر كيف يستقيم على تفسيره ان لا ينفعهم الايمان وقد

نفع

نفع الطلقاء يوم فتح مكة وناسا يوم بدر **قلت** المراد ان المقتولين منهم لا ينفعهم ايمانهم في حال القتل كما لم ينفع فرعون ايمانه عند ادراك الغرق ● فاعرض عنهم وانتظر انهم منتظرون ● وانتظر النصرة عليهم وهلاكهم انهم منتظرون الغلبة عليكم وهلاككم كقوله تعالى فتربصوا انا معكم متربصون وقرأ ابن السميفع منتظرون بفتح الظاء ومعناه وانتظر هلاكهم فانهم احقاء بان ينتظر هلاكهم يعني انهم هالكون لا محالة او وانتظر ذلك فان الملائكة في السماء منتظرونه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ الم تنزيل وتبارك الذي بيده الملك اعطي من الاجر كانما احيى ليلة القدر وقال من قرأ الم تنزيل في بيته لم يدخل الشيطان بيته ثلثة ايام ●

سورة الاحزاب مدنية

وهي ثلاث وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم ● يا ايها النبي اتق الله ● ولا تطع الكافرين والمنافقين ان الله كان عليما حكيما ● واتبع ما يوحى اليك من ربك ان الله كان بما تعملون خبيرا ● وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا ● عن زر قال قال لي ابي بن كعب رضي الله عنه كم تعدون سورة الاحزاب قلت ثلاثا وسبعين آية قال فوالذي يحلف به ابي بن كعب ان كانت لتعدل سورة البقرة او اطول ولقد قرأنا منها آية الرجم الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم اراد ابي ان ذلك من جملة ما نسخ من القرآن واما ما يحكى ان تلك الزيادة كانت في صحيفة في بيت عائشة رضي الله عنها فاكلتها الداجن فمن تأليفات الملاحدة والروافض ● جعل نداءه بالنبي والرسول في قوله تعالى يا ايها النبي اتق الله يا ايها النبي لم تحرم يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك وترك نداءه باسمه كما قال يا آدم يا موسى يا عيسى يا داود كرامة له وتشريفا وربأ بمحله وتنويها بفضله **فان قلت** ان لم يوقع اسمه في النداء فقد اوقعه في الاخبار في قوله محمد رسول الله وما محمد الا رسول **قلت** ذاك لتعليم الناس بانه رسول الله وتلقين لهم بان يسموه بذلك ويدعوه به فلا تفاوت بين النداء والاخبار الا ترى الى ما لم يقصد به التعليم والتلقين من الاخبار كيف ذكره بنحو ما ذكر في النداء لقد جاءكم رسول من انفسكم وقال الرسول يا رب لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة والله ورسوله احق ان يرضوه النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم ان الله وملائكته يصلون على النبي ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي اتق الله واظب على ما انت عليه من التقوى واثبت عليه وازدد منه وذلك لان التقوى باب لا يبلغ آخره ● ولا تطع الكافرين والمنافقين لا تساعدهم على شيء ولا تقبل لهم رأيا ولا مشورة وجانبهم واحترس منهم فانهم اعداء الله واعداء المؤمنين لا يريدون الا المضارة والمضادة وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر الى المدينة وكان يحب اسلام اليهود قريظة والنضير وبني قينقاع وقد بايعه ناس منهم على النفاق فكان يلين لهم جانبه ويكرم صغيرهم وكبيرهم واذا اتى منهم قبيح تجاوز عنه وكان يسمع منهم فنزلت وروي ان ابا سفيان بن حرب وعكرمة بن ابي جهل وابا الاعور السلمي قدموا عليه صلى الله عليه وسلم في الموادعة التي كانت بينه وبينهم وقام معهم عبد الله بن ابي ومعتب بن قشير والجد بن قيس فقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ارفض ذكر آلهتنا وقل انها تشفع وتنفع وندعك وربك فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين وهموا بقتلهم فنزلت اي اتق الله في نقض العهد ونبذ الموادعة ولا تطع الكافرين من اهل مكة والمنافقين من اهل المدينة فيما طلبوا اليك وقيل ان اهل مكة دعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يرجع عن دينه ويعطوه شطر اموالهم وان يزوجه شيبة بن ربيعة بنته وخوفه منافقو المدينة انهم يقتلونه ان لم يرجع فنزلت ● ان الله كان عليما بالصواب من الخطأ والمصلحة من المفسدة حكيما لا يفعل شيئا ولا يأمر به الا بداعي الحكمة ● واتبع ما يوحى اليك في ترك طاعة الكافرين والمنافقين وغير ذلك ان الله الذي يوحي اليك خبير بما تعملون فموح اليك ما تصلح به اعمالكم فلا حاجة بكم الى الاستماع من الكفرة وقرئ يعملون بالياء اي بما يعمل المنافقون من كيدهم لكم ومكرهم بكم ● وتوكل على الله واسند امرك اليه وكله الى تدبيره وكفى به حافظا موكولا اليه كل امر

ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وما جعل ازواجكم اللائي تظهرون منهن امهاتكم وما جعل ادعياءكم ابناءكم ذلكم قولكم بافواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

ما جمع الله قلبين في جوف ولا زوجية وامومية في امراة ولا بنوة ودعوة في رجل والمعنى ان الله سبحانه كما لم ير في حكمته
ان يجعل للانسان قلبين لانه لا يخلو اما ان يفعل باحدهما مثل ما يفعل بالآخر من افعال القلوب فاحدهما فضلة غير محتاج اليها
واما ان يفعل بهذا غير ما يفعل بذاك فذلك يؤدي الى اتصاف الجملة بكونه مريدا كارها عالما ظانا موقنا شاكا في حالة
واحدة لم ير ايضا ان تكون المراة الواحدة اما لرجل زوجا له لان الام مخدومة مخفوض لها جناح الذل والزوجة مستخدمة
متصرف فيها بالاستفراش وغيره كالمملوكة وهما حالتان متنافيتان وان يكون الرجل الواحد دعيا لرجل وابنا له لان البنوة
اصالة في النسب وعراقة فيه والدعوة الصاق عارض بالتسمية لا غير ولا يجتمع في الشئ الواحد ان يكون اصيلا غير اصيل
وهذا مثل ضربه الله تعالى في زيد بن حارثة وهو رجل من كلب سبي صغيرا وكانت العرب في جاهليتها يتغاورون ويتسابون
فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة فلما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهبته له وطلبه ابوه وعمه فخير فاختار رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاعتقه وكانوا يقولون زيد بن محمد فانزل الله عز وجل هذه الآية وقوله تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم
وقيل كان ابو معمر رجلا من احفظ العرب وارواهم فقيل له ذو القلبين وقيل هو جميل بن اسد الفهري وكان يقول ان
لي قلبين افهم باحدهما اكثر مما يفهم محمد فروي انه انهزم يوم بدر فمر بابي سفيان وهو معلق احدى نعليه بيده والاخرى في رجله
فقال له ما فعل الناس فقال هم ما بين مقتول وهارب فقال له ما بال احدى نعليك في رجلك والاخرى في يدك فقال ما ظننت الا انهما
في رجلي فاكذب الله تعالى قوله وقولهم وضربه مثلا في الظهار والتبني وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان المنافقون يقولون
لمحمد قلبان فاكذبهم الله تعالى وقيل سها في صلوة فقالت اليهود له قلبان قلب مع اصحابه وقلب معكم وعن الحسن نزلت في
ان الواحد يقول نفس تامرني ونفس تنهاني والتنكير في رجل وادخال من الاستغراقية على قلبين تاكيدان لما قصد من المعنى كانه
قال ما جعل الله لامة الرجال ولا لواحد منهم قلبين البتة في جوفه فان قلت اي فائدة في ذكر الجوف قلت
الفائدة فيه كالفائدة في قوله تعالى القلوب التي في الصدور وذلك ما يحصل للسامع من زيادة التصور والتجلي للمدلول عليه لانه
اذا سمع به صور لنفسه جوفا يشتمل على قلبين فكان اسرع الى الانكار قرئ اللائي بياء وهمزة مكسورتين واللاي بياء ساكنة
بعد الهمزة وتظاهرون من ظاهر وتظاهرون من اظاهر بمعنى تظاهر وتظهرون من اظهر بمعنى تظهر وتظهرون من ظهر بمعنى
ظاهر كعقد بمعنى عاقد وتظهرون من ظهر بلفظ فعل من الظهور ومعنى ظاهر من امراته قال لها انت علي كظهر امي ونحوه في
العبارة عن اللفظ لبى المحرم اذا قال لبيك وافف الرجل اذا قال اف واخوات لهن فان قلت فما وجه تعديته
واخواته بمن قلت كان الظهار طلاقا عند اهل الجاهلية فكانوا يتجنبون المراة المظاهر منها كما يتجنبون المطلقة فكان قولهم
تظاهر منها تباعد منها بجهة الظهار وتظهر منها تحرز منها وظاهر منها حاذر منها وظهر منها وحش منها وظهر منها خلص منها
ونظيره آلى من امراته لما ضمن معنى التباعد منها عدي بمن والا فآلى في اصله الذي هو بمعنى حلف واقسم ليس هذا بحكمه
فان قلت ما معنى قولهم انت علي كظهر امي قلت ارادوا ان يقولوا انت علي حرام كبطن امي فكنوا عن البطن
بالظهر لئلا يذكروا البطن الذي ذكره يقارب ذكر الفرج وانما جعلوا الكناية عن البطن بالظهر لانه عمود البطن ومنه حديث عمر رضي الله عنه
يجئ به احدهم على عمود بطنه اراد على ظهره ووجه آخر وهو ان اتيان المراة وظهرها الى السماء كان محرما عندهم محظورا وكان
اهل المدينة يقولون اذا اتيت المراة ووجهها الى الارض جاء الولد احول فلقصد المطلق منهم الى التغليظ في تحريم امراته عليه
شبهها بالظهر ثم لم يقنع بذلك حتى جعله ظهر امه فلم يترك فان قلت الدعي فعيل بمعنى مفعول وهو الذي يدعى ولدا
فما له جمع على افعلاء وبابه ما كان منه بمعنى فاعل كتقي واتقياء وشقي واشقياء ولا يكون ذلك في نحو رمي وسمي قلت
ان شذوذه عن القياس كشذوذ قتلى واسرى والطريق في مثل ذلك التشبيه اللفظي ذلكم النسب هو قولكم بافواهكم هذا
ابني لا غير من غير ان يواطئه اعتقاد لصحته وكونه حقا والله عز وجل لا يقول الا ما هو حق ظاهره وباطنه ولا يهدي الا سبيل
الحق ثم قال ما هو الحق وهدى الى ما هو سبيل الحق وهو قوله تعالى ادعوهم لآبائهم هو ادخل الامرين في القسط والعدل وفي
فصل هذه الجمل ووصلها من الحسن والفصاحة ما لا يخفى على عالم بطرق النظم وقرأ قتادة وهو الذي يهدي السبيل

ادعوهم لآبائهم هو اقسط عند الله فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم في الدين ومواليكم
وليس عليكم جناح فيما اخطاتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفورا رحيما

قيل كان الرجل في الجاهلية اذا اعجبه جلد الرجل وظرفه ضمه الى نفسه وجعل له مثل نصيب الذكر من اولاده من ميراثه وكان ينسب اليه

فيقال

فيقال له فلان بن فلان فان لم تعلموا لهم آباء تنسبونهم اليهم فهم اخوانكم في الدين ومواليكم واولياؤكم في الدين فقولوا
هذا اخي وهذا مولاي ويا اخي ويا مولاي يريد الاخوة في الدين والولاية فيه ما تعمدت في محل الجر عطفا على ما اخطاتم
ويجوز ان يكون مرتفعا على الابتداء والخبر محذوف تقديره ولكن ما تعمدت قلوبكم فيه الجناح والمعنى لا اثم عليكم فيما فعلتموه
من ذلك مخطئين جاهلين غيركم يا بني على سبيل الخطا وسبق اللسان ولكن اذا قلتموه متعمدين ويجوز ان يراد العفو عن الخطا
دون العمد على طريق العموم كقول النبي صلى الله عليه وسلم ما اخشى عليكم الخطا ولكن اخشى عليكم العمد وقوله صلى الله عليه وسلم
وضع عن امتي الخطا والنسيان وما اكرهوا عليه ثم تناول لعمومه خطا التبني وعمده فان قلت فاذا وجد
التبني فما حكمه قلت اذا كان المتبنى مجهول النسب واصغر سنا من المتبني ثبت نسبه منه وان كان عبدا له
عتق مع ثبوت النسب وان كان لا يولد مثله لمثله لم يثبت النسب ولكنه يعتق عند ابي حنيفة رحمه الله تعالى وعند صاحبيه
لا يعتق واما المعروف نسبه فلا يثبت نسبه بالتبني وان كان عبدا عتق وكان الله غفورا رحيما لعفوه عن الخطا
وعن العمد اذا تاب العامد

النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم وازواجه امهاتهم

النبي اولى بالمؤمنين
في كل شئ من امور الدين والدنيا من انفسهم ولهذا اطلق ولم يقيد فيجب عليهم ان يكون احب اليهم من انفسهم وحكمه انفذ عليهم من
حكمها وحقه آثر لديهم من حقوقها وشفقتهم عليه اقدم من شفقتهم عليها وان يبذلوها دونه ويجعلوها فداءه اذا
اعضل خطب ووقاءه اذا لقحت حرب وان لا يتبعوا ما تدعوهم اليه نفوسهم ولا ما تصرفهم عنه ويتبعوا كل ما دعاهم اليه
رسول الله وصرفهم عنه لان كل ما دعاهم اليه فهو ارشاد لهم الى نيل النجاة والظفر بسعادة الدارين وما صرفهم عنه فاخذ بحجزهم
لئلا يتهافتوا فيما يرمي بهم الى الشقاوة وعذاب النار او هو اولى بهم على معنى انه ارأف بهم واعطف عليهم وانفع لهم
كقوله عز وجل بالمؤمنين رؤف رحيم وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما من مؤمن الا انا اولى به في الدنيا والآخرة اقرؤا ان
شئتم النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم فايما مؤمن هلك وترك مالا فليرثه عصبته من كانوا وان ترك دينا او ضياعا
فالي وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم وهو اب لهم وقال مجاهد كل نبي فهو ابو امته
ولذلك صار المؤمنون اخوة لان النبي صلى الله عليه وسلم ابوهم في الدين وازواجه امهاتهم تشبيه لهن بالامهات في بعض
الاحكام وهو وجوب تعظيمهن واحترامهن وتحريم نكاحهن قال الله عز وجل ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا وهن فيما وراء
ذلك بمنزلة الاجنبيات ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها لسنا امهات النساء تعني انما كن امهات الرجال
لكونهن محرمات عليهم كتحريم امهاتهم والدليل على ذلك ان هذا التحريم لم يتعد الى بناتهن وكذلك لم يثبت لهن سائر احكام
الامهات

واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين

كان المسلمون في صدر الاسلام يتوارثون بالولاية في الدين وبالهجرة لا بالقرابة كما كانت تتالف قلوب قوم باسهام لهم
في الصدقات ثم نسخ ذلك لما دجا الاسلام وعز اهله وجعل التوارث بحق القرابة في كتاب الله في اللوح او فيما
اوحى الله تعالى الى نبيه وهو هذه الآية او في آية المواريث او فيما فرض الله كقوله تعالى كتاب الله عليكم من المؤمنين والمهاجرين
يجوز ان يكون بيانا لاولي الارحام اي الاقرباء من هؤلاء بعضهم اولى بان يرث بعضا من الاجانب ويجوز ان يكون لابتداء
الغاية اي اولوا الارحام بحق القرابة اولى بالميراث من المؤمنين بحق الولاية في الدين ومن المهاجرين بحق الهجرة

الا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا كان ذلك في الكتاب مسطورا

فان قلت مم استثنى ان تفعلوا قلت من اعم العام في معنى النفع والاحسان كما تقول القريب اولى من الاجنبي الا في
الوصية تريد انه احق منه في كل نفع من ميراث وهبة وصدقة وغير ذلك الا في الوصية والمراد بفعل المعروف
التوصية لانه لا وصية لوارث وعدى تفعلوا بالى لانه في معنى تسدوا وتزلوا والمراد بالاولياء المؤمنون والمهاجرون
للولاية في الدين ذلك اشارة الى ما ذكر في الآيتين جميعا وتفسير الكتاب ما مر آنفا والجملة مستانفة كالخاتمة لما ذكر من الاحكام

ازللت اليه نعمة اذا اسديتها ٥

واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم
واخذنا منهم ميثاقا غليظا ليسال الصادقين عن صدقهم واعد للكافرين عذابا اليما

واذكر حين اخذنا من النبيين جميعا ميثاقهم بتبليغ الرسالة والدعاء الى الدين القيم ومنك خصوصا ومن نوح
وابراهيم وموسى وعيسى وانما فعلنا ذلك ليسال الله يوم القيامة عند تواقف الاشهاد المؤمنين الذين صدقوا عهدهم

وهو ابن جبلة من اشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى عن صدقهم عهدهم وشهادتهم فيشهد لهم الانبياء بانهم صدقوا
عهدهم وشهادتهم وكانوا مؤمنين او ليسأل المصدقين للانبياء عن تصديقهم لان من قال للصادق صدقت كان صادقا
في قوله او ليسأل الانبياء ما الذي اجابتهم به اممهم وتاويل مسألة الرسل تبكيت للكافرين بهم كقوله تعالى اانت قلت للناس
اتخذوني وامي الهين **فان قلت** لم قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم على نوح فمن بعده عليهم الصلوة والسلام **قلت**
هذا العطف لبيان فضيلة الانبياء الذين هم مشاهيرهم ودراريهم فلما كان محمد صلى الله عليه وسلم افضل هولاء المفضلين
قدم عليهم لبيان انه افضلهم ولولا ذلك لقدم من قدمه زمانه **فان قلت** فقد قدم عليه نوح في الآية التي هي اخت هذه
الآية وهي قوله تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك ثم قدم على غيره **قلت** مورد هذه الآية
على طريق خلاف طريقة تلك وذلك ان الله عز وجل انما اوردها لوصف دين الاسلام بالاصالة والاستقامة فكانه تعالى
قال شرع لكم من الدين الاصيل الذي ثبت عليه نوح في العهد القديم وبعث عليه من توسط بينهما من الانبياء المشاهير
فان قلت فما اراد بالميثاق الغليظ **قلت** اراد به ذلك الميثاق بعينه معناه واخذنا منهم بذلك
الميثاق ميثاقا غليظا والغلظ استعارة من وصف الاجرام والمراد عظم الميثاق وجلالة شانه في بابه وقيل
الميثاق الغليظ اليمين بالله تعالى على الوفاء بما حملوا **فان قلت** علام عطف قوله تعالى واعد للكافرين
قلت على اخذنا الميثاق من النبيين لان المعنى ان الله تعالى اكد على الانبياء الدعوة الى دينه لاجل اثابة
المؤمنين واعد للكافرين عذابا اليما او على ما دل عليه ليسأل الصادقين كانه قال فاثاب المؤمنين واعد للكافرين

يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فارسلنا
عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا

اذكروا ما انعم الله به
عليكم يوم الاحزاب وهو يوم الخندق اذ جاءتكم جنود وهم الاحزاب فارسل الله تعالى عليهم ريح الصبا قال صلى الله عليه وسلم
نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور وجنودا لم تروها وهم الملائكة وكانوا الفا بعث الله تعالى عليهم صبا باردة في
ليلة شاتية فاخصرتهم وسفت التراب في وجوههم وامر الملائكة فقلعت الاوتاد وقطعت الاطناب واطفأت النيران
واكفأت القدور وماجت الخيل بعضها في بعض وقذف في قلوبهم الرعب وكبرت الملائكة في جوانب عسكرهم فقال طليحة
ابن خويلد الاسدي اما محمد فقد بداكم بالسحر فالنجا فالنجا فانهزموا من غير قتال وحين سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
باقبالهم ضرب الخندق على المدينة اشار عليه بذلك سلمان الفارسي رضي الله عنه ثم خرج في ثلثة الاف من المسلمين
فضرب معسكره والخندق بينه وبين القوم وامر بالذراري والنساء فرفعوا في الآطام واشتد الخوف وظن المؤمنون كل
ظن ونجم النفاق من المنافقين حتى قال معتب بن قشير كان محمد يعدنا كنوز كسرى وقيصر لا نقدر ان نذهب الى الغائط
وكانت قريش قد اقبلت في عشرة الاف من الاحابيش وبني كنانة واهل تهامة وقائدهم ابو سفيان
وخرج غطفان في الف ومن تابعهم من اهل نجد وقائدهم عيينة بن حصن وعامر بن الطفيل في هوازن وضامتهم
اليهود من قريظة والنضير ومضى على الفريقين قريب من شهر لا حرب بينهم الا الترامي بالنبل والحجارة حتى انزل الله
النصر وكان الله بما تعملون من التجائكم اليه ورجائكم من فضله وقرئ بالياء اي بما يعمل الكفار من التحزب والمحاربة بصيرا

اذ جاءوكم من فوقكم ومن اسفل منكم واذ زاغت الابصار
وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلي المؤمنون
وزلزلوا زلزالا شديدا

من فوقكم من اعلى الوادي من قبل المشرق بنو غطفان ومن اسفل منكم من اسفل
الوادي من قبل المغرب قريش تحزبوا وقالوا سنكون جملة واحدة حتى نستأصل محمدا زاغت الابصار مالت عن سننها
ومستوى نظرها حيرة وشخوصا وقيل عدلت عن كل شيء فلم تلتفت الا الى عدوها لشدة الروع الحنجرة رأس الغلصمة وهي
منتهى الحلقوم والحلقوم مدخل الطعام والشراب قالوا اذا انتفخت الرئة من شدة الفزع او الغضب او الغم الشديد
ربت وارتفع القلب بارتفاعها الى رأس الحنجرة ومن ثم قيل للجبان انتفخ سحره ويجوز ان يكون ذلك مثلا في اضطراب القلوب
ووجيبها وان لم تبلغ الحناجر حقيقة وتظنون بالله الظنونا خطاب للذين آمنوا ومنهم الثبت القلوب والاقدام والضعاف
القلوب الذين هم على حرف والمنافقون الذين لم يوجد منهم الايمان الا بالسنتهم فظن الاولون بالله انه يبتليهم ويفتنهم
فخافوا الزلل وضعف الاحتمال واما الآخرون فظنوا بالله ما حكي عنهم وعن الحسن ظنوا ظنونا مختلفة ظن المنافقون

الاحابيش جمع احبوش وهي الجماعة المجتمعة من طوائف شتى

ان المسلمين يستأصلون وظن المؤمنون انهم يبتلون وقرئ الظنون بغير الف في الوصل والوقف وهو القياس وبزيادة
الف في الوقف زادوها في الفاصلة كما زادوها في القافية من قال اقلي اللوم عاذل والعتابا وكذلك الرسولا والسبيلا
وقرئ بزيادتها في الوصل ايضا اجراء له مجرى الوقف قال ابو عبيد وهن كلهن في الامام بالف وعن ابي عمرو اشمام زاي زلزلوا
وقرئ زلزالا بالفتح والمعنى ان الخوف ازعجهم اشد الازعاج

واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم
مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا

قيل قائله معتب بن قشير حين رأى الاحزاب قال يعدنا محمد
فتح فارس والروم واحدنا لا يقدر ان يبرز فرقا ما هذا الا وعد غرور

واذ قالت طائفة منهم يا اهل
يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستاذن فريق منهم النبي يقولون ان بيوتنا عورة وما هي
بعورة ان يريدون الا فرارا

طائفة منهم هم اوس بن قيظي ومن وافقه على رايه وعن السدي عبد الله بن
ابي واصحابه ويثرب اسم المدينة وقيل ارض وقعت المدينة في ناحية منها لا مقام لكم قرئ بضم الميم وفتحها اي لا قرار لكم ههنا ولا
ان تقيموا فيه او تقومون فارجعوا الى المدينة امروهم بالهرب من عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل قالوا لهم ارجعوا كفارا
واسلموا محمدا والا فليست يثرب لكم بمكان قرئ عورة بسكون الواو وكسرها فالعورة الخلل والعورة ذات العورة يقال عور
المكان عورا اذا بدا فيه خلل يخاف منه العدو والسارق ويجوز ان تكون عورة تخفيف عورة اعتذروا ان بيوتهم معرضة
للعدو ممكنة للسراق لانها غير محرزة ولا محصنة فاستاذنوه ليحصنوها ثم يرجعوا اليه فاكذبهم الله تعالى بانهم لا يخافون ذلك وانما
يريدون الفرار

ولو دخلت عليهم من اقطارها ثم سئلوا الفتنة لآتوها وما تلبثوا بها الا
يسيرا

ولو دخلت عليهم المدينة وقيل بيوتهم من قولك دخلت على فلان داره من اقطارها من جوانبها يريد
ولو دخلت هذه العساكر المتحزبة التي يفرون خوفا منها مدينتهم وبيوتهم من نواحيها كلها وانثالت على اهاليهم
واولادهم ناهبين سابين ثم سئلوا عند ذلك الفزع وتلك الرجفة الفتنة اي الردة والرجعة الى الكفر ومقاتلة المسلمين
لآتوها لجاؤها وفعلوها وقرئ لاتوها لاعطوها وما تلبثوا بها وما
الا يسيرا ريثما يكون السؤال والجواب
من غير توقف او وما لبثوا بالمدينة بعد ارتدادهم الا يسيرا فان الله يهلكهم والمعنى انهم يتعللون باعوار بيوتهم ويتمحلون
ليفروا عن نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وعن مصافة الاحزاب الذين ملؤهم هولا ورعبا وهؤلاء الاحزاب
كما هم لو كبسوا عليهم ارضهم وديارهم وعرض عليهم الكفر وقيل لهم كونوا على المسلمين لسارعوا اليه وما تعللوا بشيء وما ذاك الا
لمقتهم الاسلام وشدة بغضهم لاهله وحبهم الكفر وتهالكهم على حزبه

ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل
لا يولون الادبار وكان عهد الله مسئولا

عن ابن عباس رضي الله عنهما عاهدوا رسول الله صلى
الله عليه وسلم ليلة العقبة ان يمنعوه مما يمنعون منه انفسهم وقيل هم قوم غابوا عن بدر فقالوا لئن اشهدنا الله تعالى قتالا
لنقاتلن وعن محمد بن اسحق عاهدوا يوم احد ان لا يفروا بعدما نزل فيهم ما نزل مسئولا مطلوبا مقتضى حتى يوفى به

قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل واذا لا تمتعون الا قليلا

لن ينفعكم الفرار
مما لا بد لكم من نزوله بكم من حتف انف او قتل وان نفعكم الفرار مثلا فمتعتم بالتاخير لم يكن ذلك التمتيع الا زمانا قليلا وعن
بعض المروانية انه مر بحائط مائل فاسرع فتليت له هذه الآية فقال ذلك القليل نطلب

قل من ذا الذي يعصمكم
من الله ان اراد بكم سوءا او اراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا

فان قلت كيف جعلت هذه الرحمة قرينة السوء في العصمة ولا عصمة الا من السوء **قلت** معناه
او يصيبكم بسوء ان اراد بكم رحمة فاختصر الكلام واجري مجرى قوله متقلدا سيفا ورمحا او حمل الثاني على الاول لما في
العصمة من معنى المنع

قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا
ولا ياتون الباس الا قليلا

المعوقين المثبطين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم المنافقون كانوا
يقولون لاخوانهم من ساكني المدينة من انصار رسول الله صلى الله عليه وسلم ما محمد واصحابه الا اكلة راس ولو كانوا لحما لالتهمهم
ابو سفيان واصحابه فخلوهم وهلموا الينا اي قربوا انفسكم الينا وهي لغة اهل الحجاز يسوون فيه بين الواحد والجماعة
واما تميم فيقولون هلم يا رجل وهلموا يا رجال وهو صوت سمي به فعل متعد مثل احضر وقرب قليلا لا يشهدونكم الا قليلا اتيانا قليلا

اشحة عليكم فاذا جاء الخوف رايتهم ينظرون اليك تدور اعينهم كالذي يغشى عليه من الموت

فاذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد اشحة على الخير اولئك لم يؤمنوا فاحبط الله
اعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا ۝ اشحة عليكم في وقت الحرب اضناء بكم يترفرفون عليكم كما يفعل الرجل بالذاب
عنه المناضل دونه عند الخوف ينظرون اليك في تلك الحالة كما ينظر المغشي عليه من معالجة سكرات الموت حذرا وخوفا ولواذا
بك فاذا ذهب الخوف وحيزت الغنائم ووقعت القسمة نقلوا ذلك الشح وتلك الضنة والرفرفة عليكم الى الخير وهو المال والغنيمة
ونسوا تلك الحالة الاولى واجترءوا عليكم وضربوكم بالسنتهم وقالوا وفروا قسمتنا فانا قد شاهدناكم وقاتلنا معكم وبمكاننا غلبتم
عدوكم وبنا نصرتم عليه ونصب اشحة على الحال او على الذم وقرئ اشحة بالرفع وصلقوكم بالصاد فان قلت
هل ثبت للمنافق عمل حتى يرد عليه الاحباط قلت لا ولكنه تعليم لمن عسى يظن ان الايمان باللسان ايمان وان لم يواطئه
القلب وان ما يعمل المنافق من الاعمال يجدي عليه فبين ان ايمانه ليس بايمان وان كل عمل يوجد منه باطل وفيه بعث على اتقان
اساس امره وهو الايمان الصحيح وتنبيه على ان الاعمال الكثيرة من غير تصحيح المعرفة كالبناء على غير اساس وانها مما يذهب
عند الله هباء منثورا فان قلت ما معنى قوله تعالى وكان ذلك على الله يسيرا وكل شئ عليه يسير قلت معناه
ان اعمالهم حقيقة بالاحباط تدعو اليه الدواعي ولا يصرف عنه صارف ۝ يحسبون الاحزاب لم يذهبوا
وان يأت الاحزاب يودوا لو انهم بادون في الاعراب يسألون عن انبائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا
الا قليلا ۝ يحسبون ان الاحزاب لم ينهزموا وقد انهزموا فانصرفوا عن الخندق الى المدينة راجعين لما نزل بهم من الخوف
الشديد ودخلهم من الجبن المفرط وان يأت الاحزاب كرة ثانية تمنوا لخوفهم مما منوا به هذه الكرة انهم خارجون الى البدو وحاصلون
بين الاعراب يسألون كل قادم منهم من جانب المدينة عن اخباركم وعما جرى عليكم ولو كانوا فيكم ولم يرجعوا الى المدينة وكان قتال
لم يقاتلوا الا تعلة رياء وسمعة وقرئ بدى على فعل جمع باد كغاز وغزى وفي رواية صاحب الاقليد بدا بوزن عدى
ويتساءلون اي يتساءلون ومعناه يقول بعضهم لبعض ماذا سمعت ماذا بلغك ويتساءلون الاعراب كما تقول رأيت
الهلال وتراءيناه كان عليكم ان تواسوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بانفسكم فتوازروه وتثبتوا معه كما آساكم بنفسه في
الصبر على الجهاد والثبات في مرحى الحرب حتى كسرت رباعيته يوم احد وشج وجهه ۝ لقد كان لكم في رسول الله
اسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا ۝ فان قلت فما حقيقة
قوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة وقرئ اسوة بالضم قلت فيه وجهان احدهما انه في نفسه اسوة حسنة
اي قدوة وهو المؤتسى اي المقتدى به كما تقول في البيضة عشرون منا حديد اي هي في نفسها هذا المبلغ من الحديد والثاني
ان فيه خصلة من حقها ان يؤتسى بها وتتبع وهي المواساة بنفسه لمن كان يرجو الله بدل من لكم كقوله تعالى للذين استضعفوا
لمن آمن منهم يرجو الله واليوم الآخر من قولك رجوت زيدا وفضله اي فضل زيد او يرجو ايام الله واليوم الآخر خصوصا والرجاء بمعنى الامل والخوف وذكر الله كثيرا وقرن الرجاء بالطاعات الكثيرة والتوفر
على الاعمال الصالحة والمؤتسي برسول الله صلى الله عليه وسلم من كان كذلك ۝ ولما رأى المؤمنون الاحزاب
قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم الا ايمانا وتسليما ۝
وعدهم الله تعالى ان يبتليهم ويستنصروه في قوله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم
فلما جاء الاحزاب وشخص بهم واضطربوا ورعبوا الرعب الشديد قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وايقنوا بالجنة والنصر وعن
ابن عباس رضي الله عنهما قال النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه ان الاحزاب سائرون اليكم تسعا او عشرا اي في آخر تسع ليال
او عشر فلما رأوهم قد اقبلوا للميعاد قالوا ذلك وهذا اشارة الى الخطب او البلاء ايمانا بالله وبمواعيده وتسليما لقضائه وقدره ۝
من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر
وما بدلوا تبديلا ۝ ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين ان شاء
او يتوب عليهم ان الله كان غفورا رحيما ۝ نذر رجال من الصحابة انهم اذا لقوا حربا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا وهم عثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل
وحمزة ومصعب بن عمير رضوان الله عليهم اجمعين وغيرهم فمنهم من قضى نحبه يعني حمزة ومصعبا ومنهم من ينتظر يعني عثمان وطلحة
رضي الله عنهما وفي الحديث من احب ان ينظر الى شهيد يمشي على وجه الارض فلينظر الى طلحة فان قلت ما قضاء النحب
قلت وقع عبارة عن الموت لان كل حي لا بد له من ان يموت فكأنه نذر لازم في رقبته فاذا مات فقد قضى نحبه اي نذره

وقوله

وقوله تعالى فمنهم من قضى نحبه يحتمل موته شهيدا ويحتمل وفاءه بنذره من الثبات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فان قلت
فما حقيقة قوله تعالى صدقوا ما عاهدوا الله عليه قلت يقال صدقني اخوك وكذبني اذا قال لك الصدق والكذب واما
المثل صدقني سن بكره فمعناه صدقني في سن بكره بطرح الجار وايصال الفعل فلا يخلو ما عاهدوا الله عليه اما ان يكون بمنزلة السن في طرح الجار
واما ان يجعل المعاهد عليه مصدوقا على المجاز كأنهم قالوا للمعاهد عليه سنفي بك وهم وافون به فقد صدقوه ولو كانوا ناكثين
لكذبوه ولكان مكذوبا وما بدلوا العهد ولا غيروه لا المستشهد ولا من ينتظر الشهادة ولقد ثبت طلحة مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوم احد حتى اصيبت يده فقال صلى الله عليه وسلم اوجب طلحة وفيه تعريض بمن بدلوا من اهل النفاق
ومرض القلوب جعل المنافقون كأنهم قصدوا عاقبة السوء واراداها بتبديلهم كما قصد الصادقون عاقبة الصدق بوفائهم
لان كلا الفريقين مسوق الى عاقبته من الثواب والعقاب فكأنهما استويا في طلبها والسعي لتحصيلها ويعذبهم ان شاء
اذا لم يتوبوا او يتوب عليهم اذا تابوا ۝ ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى
الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا ۝ ورد الله الذين كفروا والاحزاب بغيظهم مغيظين كقوله تعالى
تنبت بالدهن لم ينالوا خيرا غير ظافرين وهما حالان بتداخل او تعاقب ويجوز ان تكون الثانية بيانا للاولى او استئنافا
وكفى الله المؤمنين القتال بالريح والملائكة ۝ وانزل الذين ظاهروهم من اهل الكتاب من صياصيهم
وقذف في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا ۝ واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم
وارضا لم تطؤها وكان الله على كل شئ قديرا ۝ وانزل الذين ظاهروا الاحزاب من اهل الكتاب
من صياصيهم من حصونهم والصيصية ما تحصن به يقال لقرن الثور والظبي صيصية ولشوكة الديك وهي مخلبه التي في ساقه
لانه يتحصن بها روي ان جبريل عليه السلام اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة الليلة التي انهزم فيها الاحزاب ورجع المسلمون
الى المدينة ووضعوا سلاحهم على فرسه الحيزوم والغبار على وجه الفرس وعلى السرج فقال ما هذا يا جبريل قال من متابعة قريش
فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح الغبار عن وجه الفرس وعن سرجه فقال يا رسول الله ان الملائكة لم تضع السلاح ان الله يأمرك
بالمسير الى بني قريظة وانا عامد اليهم فان الله تعالى داقهم دق البيض على الصفا انهم لكم طعمة فاذن في الناس ان من كان
سميعا مطيعا فلا يصلي العصر الا في بني قريظة فما صلى كثير من الناس العصر الا بعد العشاء الآخرة لقول رسول الله صلى الله
عليه وسلم فحاصرهم خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم تنزلون على حكمي فأبوا فقال
على حكم سعد بن معاذ فرضوا به فقال سعد حكمت فيهم ان تقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم ونساؤهم فكبر النبي صلى الله عليه وسلم
وقال لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة ارقعة ثم استنزلهم وخندق في سوق المدينة خندقا وقدمهم فضرب اعناقهم وهم
من ثمانمائة الى تسعمائة وقيل كانوا ستمائة مقاتل وسبعمائة اسير وقرئ الرعب بسكون العين وضمها وتأسرون بضم
السين وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل عقارهم للمهاجرين دون الانصار فقالت الانصار في ذلك فقال
انكم في منازلكم وقال عمر اما تخمس كما خمست يوم بدر وقال لا انما جعلت هذه لي طعمة دون الناس قال رضينا بما صنع الله
ورسوله وارضا لم تطؤها عن الحسن فارس والروم وعن قتادة كنا نحدث انها مكة وعن مقاتل هي خيبر وعن عكرمة
كل ارض تفتح الى يوم القيامة ومن بدع التفاسير انه اراد نساءهم ۝ يا ايها النبي قل لازواجك ان
كنتن تردن الحيوة الدنيا وزينتها فتعالين امتعكن واسرحكن سراحا جميلا ۝ وان
كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله اعد للمحسنات منكن اجرا عظيما ۝
اردن شيئا من الدنيا من ثياب وزيادة نفقة وتغايرن فغم ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فبدأ بعائشة
وكانت احبهن اليه فخيرها وقرأ عليها القرآن فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة فرئي الفرح في وجه رسول الله
ثم اختارت جميعهن ثم اختارت جميعهن اختيارها فشكر الله لهن ذلك فانزل لا يحل لك النساء من بعد ولا
ان تبدل بهن من ازواج وروي انه قال لعائشة اني ذاكر لك امرا ولا عليك ان لا تعجلي فيه حتى تستأمري ابويك
ثم قرأ القرآن فقالت أفي هذا استأمر ابوي فاني اريد الله ورسوله والدار الآخرة وروي انها قالت لا تخبر ازواجك
اني اخترتك فقال انما بعثني الله مبلغا ولم يبعثني متعنتا فان قلت ما حكم التخيير في الطلاق قلت
اذا قال لها اختاري فقالت اخترت نفسي او قال اختاري نفسك فقالت اخترت لا بد من ذكر النفس في قول المخير او المخيرة

وقعت طلقة بائنة عند ابي حنيفة واصحابه واعتبروا ان يكون ذلك في المجلس قبل القيام او الاشتغال بما يدل على الاعراض واعتبر الشافعي اختيارها على الفور وهي عنده طلقة رجعية وهو مذهب عمر وابن مسعود رضي الله عنهما وعن الحسن وقتادة والزهري امرها بيدها في ذلك المجلس وفي غيره واذا اختارت زوجها لم يقع شيء باجماع فقهاء الامصار وعن عائشة ام المؤمنين رضي الله عنها خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترناه ولم يعده طلاقا وروي افكان طلاقا وعن علي رضي الله عنه اذا اختارت زوجها فواحدة رجعية وان اختارت نفسها فواحدة بائنة وروي عنه ايضا انها ان اختارت فليس بشيء اصل تعال ان يقوله من في المكان المرتفع لمن في المكان المستوطي ثم كثر حتى استوت في استعماله الامكنة ومعنى تعالين اقبلن بارادتكن واختياركن لاحد امرين ولم يرد نهوضهن بانفسهن كما تقول اقبل يخاصمني وذهب يكلمني وقام يهددني امتعكن اعطكن متعة الطلاق **فان قلت** المتعة في الطلاق واجبة ام لا **قلت** المطلقة التي لم يدخل بها ولم يفرض لها في العقد متعتها واجبة عند ابي حنيفة واصحابه واما سائر المطلقات فمتعتهن مستحبة وعن الزهري متعتان احديهما يقضي بها السلطان من طلق قبل ان يفرض ويدخل بها والثانية حق على المتقين من طلق بعد ما يفرض ويدخل وخاصمت امراة الى شريح في المتعة فقال متعها ان كنت من المتقين ولم يجبره وعن سعيد بن جبير المتعة حق مفروض وعن الحسن لكل مطلقة متعة الا المختلعة والملاعنة والمتعة درع وخمار وملحفة على حسب السعة والاقتار الا ان يكون نصف مهرها اقل من ذلك فيجب لها الاقل منهما ولا ينقص من خمسة دراهم لان اقل المهر عشرة دراهم فلا ينقص من نصفها **فان قلت** ما وجه قراءة من قرا امتعكن واسرحكن بالرفع **قلت** وجهه الاستيناف سراحا جميلا من غير ضرار طلاقا بالسنة

يا نساء النبي من يات منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا

من للبيان لا للتبعيض الفاحشة السيئة البليغة في القبح وهي الكبيرة والمبينة الظاهر فحشها والمراد كل ما اقترفن من الكبائر وقيل هي عصيانهن رسول الله صلى الله عليه وسلم ونشوزهن وطلبهن منه ما يشق عليه او ما يضيق به ذرعه ويغتم لاجله وقيل الزنا والله عاصم رسوله من ذلك كما مر في حديث الافك وانما ضوعف عذابهن لان ما قبح من سائر النساء كان اقبح منهن واقبح لان زيادة قبح المعصية تتبع زيادة الفضل والمرتبة وزيادة النعمة على العاصي من المعصي وليس لاحد من النساء مثل فضل نساء النبي ولا على احد منهن مثل ما لله تعالى عليهن من النعمة والجزاء يتبع الفعل وكون الجزاء عقابا يتبع كون الفعل قبيحا فمتى ازداد قبحا ازداد عقابه شدة ولذلك كان ذم العقلاء للعاصي العالم اشد منه للعاصي الجاهل لان المعصية من العالم اقبح ولذلك فضل حد الاحرار على حد العبيد حتى ان ابا حنيفة واصحابه لا يرون الرجم على الكافر وكان ذلك على الله يسيرا ايذان بان كونهن نساء النبي ليس بمغن عنهن شيئا وكيف يغني عنهن وهو سبب مضاعفة العذاب فكان داعيا الى تشديد الامر عليهن غير صارف عنه قرئ يات بالياء والتاء مبينة بفتح الياء وكسرها من بين بمعنى تبين يضاعف ويضعف على البناء للمفعول ويضاعف ويضعف بالياء والنون

ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها اجرها مرتين واعتدنا لها رزقا كريما

وقرئ يقنت ويعمل بالتاء والياء ويؤتها بالياء والنون والقنوت الطاعة وانما ضوعف اجرهن لطلبهن رضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحسن الخلق والقناعة وتوفرهن على عبادة الله تعالى والتقوى

يا نساء النبي لستن كاحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا

احد في الاصل بمعنى وحد وهو الواحد ثم وضع في النفي العام مستويا فيه المذكر والمؤنث والواحد وما وراءه ومعنى قوله تعالى لستن كاحد من النساء لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء اي اذا تقصيت امة النساء جماعة جماعة لم توجد منهن جماعة واحدة تساويكن في الفضل والسابقة ومنه قوله عز وجل والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم يريد بين جماعة واحدة منهم تسوية بين جميعهم في انهم على الحق المبين ان اتقيتن ان اردتن التقوى وان كنتن متقيات فلا تخضعن بالقول فلا تجبن بقولكن خاضعا اي لينا خنثا مثل كلام المريبات والمومسات فيطمع الذي في قلبه مرض اي ريبة وفجور وقرئ بالجزم عطفا على محل فعل النهي على انهن نهين عن الخضوع بالقول ونهي المريض القلب عن الطمع كانه قيل لا تخضعن فلا يطمع وعن ابن محيصن انه قرا بكسر الميم وسبيله

ضم الياء مع كسرها واسناد الفعل الى ضمير القول اي فيطمع القول المريب قولا معروفا بعيدا من طمع المريب بجد وخشونة من غير تخنيث او قولا حسنا مع كونه خشنا

وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى واقمن الصلوة واتين الزكوة واطعن الله ورسوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا

وقرن بكسر القاف من وقر يقر وقارا او من قر يقر حذفت الاولى من راءي اقررن ونقلت كسرتها الى القاف كما تقول ظلن وقرن بفتحها واصله اقررن فحذفت الراء والقيت فتحتها على ما قبلها كقولك ظلن وذكر ابو الفتح الهمداني في كتاب التبيان وجها آخر قال قار يقار اذا اجتمع ومنه القارة لاجتماعها الا ترى الى قول عضل والديش اجتمعوا فكونوا قارة والجاهلية الاولى هي القديمة التي يقال لها الجاهلية الجهلاء وهي الزمن الذي ولد فيه ابرهيم عليه السلام كانت المراة تلبس الدرع من اللؤلؤ فتمشي وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال وقيل ما بين آدم ونوح وقيل بين ادريس ونوح وقيل زمن داود وسليمان صلوات الله تعالى عليهم والجاهلية الاخرى ما بين عيسى ومحمد عليهما الصلوة والسلام ويجوز ان يكون الجاهلية الاولى جاهلية الكفر قبل الاسلام والجاهلية الاخرى جاهلية الفسوق والفجور في الاسلام فكان المعنى ولا تحدثن بالتبرج جاهلية في الاسلام تتشبهن بها باهل جاهلية الكفر ويعضده ما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابي الدرداء ان فيك جاهلية قال جاهلية كفر ام اسلام فقال بل جاهلية كفر امرهن امرا خاصا بالصلاة والزكاة ثم جاء به عاما في جميع الطاعات لان هاتين الطاعتين البدنية والمالية هما اصل سائر الطاعات من اعتنى بهما حق اعتنائه جرتاه الى ما وراءهما ثم بين انه انما نهاهن وامرهن ووعظهن لئلا يقارف اهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم المآثم وليتصونوا عنها بالتقوى واستعار للذنوب الرجس وللتقوى الطهر لان عرض المقترف للمقبحات يتلوث بها ويتدنس كما يتلوث بدنه بالارجاس واما المحسنات فالعرض معها نقي مصون كالثوب الطاهر وفي هذه الاستعارة ما ينفر اولي الالباب عما كرهه الله تعالى لعباده ونهاهم عنه ويرغبهم فيما رضيه لهم وامرهم به واهل البيت نصب على النداء او على المدح وفي هذا دليل بين على ان نساء النبي من اهل بيته

واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة ان الله كان لطيفا خبيرا

ثم ذكرهن ان بيوتهن مهابط الوحي وامرهن ان لا ينسين ما يتلى فيها من الكتاب الجامع بين امرين هو آيات بينات تدل على صدق النبوة لانه معجزة بنظمه وهو حكمة وعلوم وشرائع ان الله كان لطيفا خبيرا حين علم ما ينفعكم ويصلحكم في دينكم فانزله عليكم او علم من يصلح لنبوته ومن يصلح لان يكونوا اهل بيته او حيث جعل الكلام الواحد جامعا بين الغرضين

ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات اعد الله لهم مغفرة واجرا عظيما

يروى ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم قلن يا رسول الله ذكر الله تعالى الرجال بخير في القرآن افما فينا خير نذكر به انا نخاف ان لا يقبل منا طاعة وقيل السائلة ام سلمة رضي الله تعالى عنها وروي انه لما نزل في نساء النبي ما نزل قال نساء المؤمنين فما نزل فينا شيء فنزلت والمسلم الداخل في السلم بعد الحرب المنقاد الذي لا يعاند او المفوض امره الى الله تعالى المتوكل عليه من اسلم وجهه الى الله تعالى والمؤمن المصدق بالله ورسوله وبما يجب ان يصدق به والقانت القائم بالطاعة الدائم عليها والصادق الذي يصدق في نيته وقوله وعمله والصابر الذي يصبر على الطاعات وعن المعاصي والخاشع المتواضع لله بقلبه وجوارحه وقيل الذي اذا صلى لم يعرف من عن يمينه وشماله والمتصدق الذي يزكي ماله ولا يخل بالنوافل وقيل من تصدق في اسبوع بدرهم فهو من المتصدقين ومن صام البيض من كل شهر فهو من الصائمين والذاكر الله كثيرا من لا يكاد يخلو من ذكر الله بقلبه او لسانه او بهما وقراءة القرآن والاشتغال بالعلم من الذكر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من استيقظ من نومه وايقظ امراته فصليا جميعا ركعتين كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات والمعنى والحافظاتها والذاكراته فحذف لان الظاهر يدل عليه **فان قلت** اي فرق بين العطفين اعني عطف الاناث على الذكور وعطف الزوجين على الزوجين **قلت** العطف الاول نحو قوله ثيبات وابكارا في انهما جنسان مختلفان اذا اشتركا في حكم لم يكن بد من توسط العاطف بينهما واما العطف الثاني فمن عطف الصفة على الصفة بحرف الجمع فكان معناه

العصر والليل اسما قبيلتين ٥

ان الجامعين والجامعات لهذه الطاعات اعد الله لهم مغفرة ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان تكون لهم الخيرة من امرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا﴾ خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش بنت عمته اميمة بنت عبد المطلب على مولاه زيد بن حارثة فابت وابى اخوها عبد الله فنزلت فقالا رضينا يا رسول الله فانكحها اياه وساق عنه اليها مهرها ستين درهما وخمارا وملحفة ودرعا وازارا وخمسين مدا من طعام وثلثين صاعا من تمر وقيل هي ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط وهي اول من هاجر من النساء وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم فقال قد قبلت وزوجها زيدا فسخطت هي واخوها وقالا انما اردنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجنا عبده والمعنى وما صح لرجل ولا امراة من المؤمنين اذا قضى الله ورسوله اى رسول الله او لان قضاء رسول الله هو قضاء الله تعالى امرا من الامور ان يختاروا من امرهم ما شاؤا بل من حقهم ان يجعلوا رايهم تبعا لرايه واختيارهم تلوا لاختياره **فان قلت** كان من حق الضمير ان يوحد كما تقول ما جاءنى من رجل ولا امراة الا كان من شانه كذا **قلت** نعم ولكنهما وقعا تحت النفى فعما كل مؤمن ومؤمنة فرجع الضمير على المعنى لا على اللفظ وقرئ يكون بالتاء والياء ﴿واذ تقول للذى انعم الله عليه وانعمت عليه امسك عليك زوجك واتق الله وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكى لا يكون على المؤمنين حرج فى ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا وكان امر الله مفعولا﴾ للذى انعم الله عليه بالاسلام الذى هو اجل النعم وبتوفيقك لعتقه ومحبته واختصاصه وانعمت عليه بما وفقك الله تعالى فيه فهو متقلب فى نعمة الله تعالى ونعمة رسوله صلى الله عليه وسلم وهو زيد بن حارثة امسك عليك زوجك يعنى زينب بنت جحش وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ابصرها بعد ما انكحها اياه فوقعت فى نفسه فقال سبحان الله مقلب القلوب وذلك ان نفسه كانت تجفو عنها قبل ذلك لا تريدها ولو ارادها لاختطبها وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرتها لزيد ففطن والقى الله تعالى فى نفسه كراهة صحبتها والرغبة عنها لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال لرسول الله انى اريد ان افارق صاحبتى فقال ما لك ارابك منها شئ فقال لا والله ما رايت منها الا خيرا ولكنها تتعظم على لشرفها وتؤذينى فقال له امسك عليك زوجك واتق الله ثم طلقها بعد فلما اعتدت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اجد احدا اوثق فى نفسى منك اخطب على زينب قال زيد رضى الله عنه فانطلقت فاذا هى تخمر عجينتها فلما رايتها عظمت فى صدرى حتى ما استطيع ان انظر اليها حين علمت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرها فوليتها ظهرى وقلت يا زينب ابشرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطبك ففرحت وقالت ما انا بصانعة شيئا حتى او امر ربى فقامت الى مسجدها ونزل القرآن زوجناكها فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل بها وما اولم على امراة من نسائه ما اولم عليها ذبح شاة واطعم الناس الخبز واللحم حتى امتد النهار **فان قلت** ما اراد بقوله واتق الله **قلت** اراد واتق الله فلا تطلقها وقصد نهى تنزيه لا تحريم لان الاولى ان لا يطلق وقيل اراد واتق الله فلا تذمها بالنسبة الى الكبر واذى الزوج **فان قلت** ما الذى اخفى فى نفسه **قلت** تعلق قلبه بها وقيل مودة مفارقة زيد اياها وقيل علمه بان زيدا سيطلقها وسينكحها لان الله تعالى قد اعلمه بذلك وعن عائشة رضى الله عنها لو كتم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا مما اوحى اليه لكتم هذه الآية **فان قلت** فماذا اراد الله تعالى منه ان يقوله لزيد حين قال له زيد اريد مفارقتها وكان من الهجنة ان يقول له افعل فانى اريد نكاحها **قلت** كان الذى اراد منه عز وجل ان يصمت عند ذلك او يقول له انت اعلم بشانك حتى لا يخالف سره فى ذلك علانيته لان الله تعالى يريد من الانبياء تساوى الظاهر والباطن والتصلب فى الامور والتجاوب فى الاحوال والاستمرار على طريقة مستتبة كما جاء فى حديث ارادة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قتل عبد الله بن ابى سرح واعتراض عثمان بن عفان رضى الله عنه بشفاعته له ان عمر رضى الله عنه قال له لقد كان عينى الى عينك هل تشير الى فاقتله فقال ان الانبياء لا تومض ظاهرهم وباطنهم واحد **فان قلت** كيف عاتبه الله تعالى فى ستر ما استهجن التصريح به ولا يستهجن النبى التصريح بشئ الا والشئ فى نفسه مستهجن ومقالة الناس لا تتعلق الا بما يستقبح فى العقول والعادات وما له لم يعاتبه فى نفس الامر ولم يامره بقمع الشهوة وكف النفس عن ان تنازع الى زينب وتتبعها ولم يعصم نبيه من تعلق الهجنة به وما يعرضه للقالة **قلت** كم من شئ يتحفظ منه الانسان ويستحيى من اطلاع الناس عليه وهو فى نفسه

مباح متسع وحلال مطلق لا مقال فيه ولا عيب عند الله تعالى وربما كان الدخول فى ذلك المباح سلما الى حصول واجبات يعظم اثرها فى الدين ويجل ثوابها ولو لم يتحفظ منه لاطلق كثير من الناس فيه السنتهم الا من اوتى فضلا وعلما ودينا ونظرا فى حقائق الامور ولبوبها دون قشورها الا ترى انهم كانوا اذا طعموا فى بيوت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بقوا مرتكزين فى مجالسهم لا يريمون مستانسين بالحديث وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤذيه جلوسهم ويضيق صدره حديثهم والحياء يصده ان يامرهم بالانتشار حتى نزلت ان ذلكم كان يؤذى النبى فيستحيى منكم والله لا يستحيى من الحق ولو ابرز رسول الله صلى الله عليه وسلم مكنون ضميره وامرهم ان ينتشروا لشق عليهم ولكان بعض القالة فهذا من ذلك القبيل لان طموح قلب الانسان الى بعض مشتهياته من امراة او غيرها غير موصوف بالقبح فى العقل ولا فى الشرع لانه ليس بفعل الانسان ولا وجوده باختياره وتناول المباح بالطريق الشرعى ليس بقبيح ايضا وهو خطبة زينب ونكاحها من غير استنزال زيد عنها ولا طلب اليه وهو اقرب منه من زر قميصه ان يواسيه بمفارقتها مع قوة العلم بان نفس زيد لم تكن من التعلق بها فى شئ بل كانت تجفو عنها ونفس رسول الله صلى الله عليه وسلم متعلقة بها ولم يكن مستنكرا عندهم ان ينزل الرجل عن امراته لصديقه ولا مستهجنا اذا نزل عنها ان ينكحها الآخر فان المهاجرين حين دخلوا المدينة استهم الانصار بكل شئ حتى ان الرجل منهم اذا كانت له امراتان نزل عن احديهما وانكحها المهاجر واذا كان الامر مباحا من جميع جهاته ولم يكن فيه وجه من وجوه القبح ولا مفسدة ولا مضرة بزيد ولا باحد بل كان مستجرا مصالح ناهيك بواحدة منها ان بنت عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم امنت الايمة والضيعة ونالت الشرف وعادت اما من امهات المؤمنين الى ما ذكر الله عز وجل من المصلحة فى قوله تعالى لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا فبالحرى ان يعاتب الله رسوله حين كتمه وبالغ فى كتمه بقوله امسك عليك زوجك واتق الله وان لا يرضى له الا اتحاد الضمير والظاهر والثبات فى مواطن الحق حتى يقتدى به المؤمنون فلا يستحيوا من المكافحة بالحق وان كان مرا **فان قلت** الواو فى وتخفى فى نفسك وتخشى الناس والله احق ما هى **قلت** واو الحال اى تقول لزيد امسك عليك زوجك مخفيا فى نفسك ارادة ان لا يمسكها وتخفى خاشيا قالة الناس وتخشى الناس حقيقا فى ذلك بان تخشى الله او واو العطف كانه قيل واذ تجمع بين قولك امسك واخفاء خلافه وخشية الناس والله احق ان تخشاه حتى لا تفعل مثل ذلك اذا بلغ البالغ حاجته من شئ له فيه همة قيل قضى منه وطره والمعنى فلما لم يبق لزيد فيها حاجة وتقاصرت عنها همته وطابت عنها نفسه وطلقها وانقضت عدتها زوجناكها وقراءة اهل البيت زوجتكها وقيل لجعفر بن محمد اليس تقرا على غير ذلك فقال لا والذى لا اله الا هو ما قراتها على ابى الا كذلك ولا قراها الحسن بن على على ابيه الا كذلك وكان امر الله الذى يريد ان يكونه مفعولا مكونا لا محالة وهو مثل لما اراد كونه من تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب رضى الله عنها ومن نفى الحرج عن المؤمنين فى اجراء ازواج المتبنين مجرى ازواج البنين فى تحريمهن عليهم بعد انقطاع علائق الازواج بينهم وبينهن ويجوز ان يراد بامر الله المكون لانه مفعول بكن وهو امر الله ﴿ما كان على النبى من حرج فيما فرض الله له سنة الله فى الذين خلوا من قبل وكان امر الله قدرا مقدورا﴾ فرض الله له قسم واوجب من قولهم فرض لفلان فى الديوان كذا ومنه فروض العسكر لرزقاتهم سنة الله اسم موضوع موضع المصدر كقولهم تربا وجندلا مؤكد لقوله تعالى ما كان على النبى من حرج كانه قيل سن الله ذلك سنة فى الانبياء الماضين وهو ان لا حرج عليهم فى الاقدام على ما اباح لهم ووسع عليهم فى باب النكاح وغيره وقد كان تحتهم المهاير والسرارى وكانت لداود عليه السلام مائة امراة وثلثمائة سرية ولسليمان عليه السلام ثلثمائة وسبعمائة فى الذين خلوا فى الانبياء والذين مضوا ﴿الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون احدا الا الله وكفى بالله حسيبا﴾ الذين يبلغون يحتمل وجوه الاعراب الجر على الوصف للانبياء والرفع والنصب على المدح على هم الذين يبلغون او على اعنى الذين يبلغون وقرئ رسالة الله قدرا مقدورا قضاء مقضيا وحكما مبتوتا ووصف الانبياء بانهم لا يخشون الا الله تعريض بعد التصريح فى قوله تعالى وتخشى الناس والله احق ان تخشاه حسيبا كافيا للمخاوف او محاسبا على الصغيرة والكبيرة فيجب ان يكون حق الخشية من مثله ﴿ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شئ عليما﴾ ما كان محمد ابا احد من رجالكم اى لم يكن ابا رجل منكم على الحقيقة حتى يثبت بينه وبينه ما يثبت بين الاب وولده من حرمة الصهر والنكاح ولكن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل رسول ابو امته فيما يرجع الى وجوب التوقير والتعظيم

وعليهم ووجوب الشفقة والنصيحة لهم عليه لا في سائر الاحكام الثابتة بين الآباء والابناء وزيد واحد من رجالكم الذين ليسوا
باولاده حقيقة فكان حكمه حكمهم والادعاء والتبني من باب الاختصاص والتقريب لا غير وكان خاتم النبيين يعني انه
لو كان له ولد بالغ مبلغ الرجال لكان نبيا ولم يكن هو خاتم الانبياء كما يروى انه قال في ابراهيم حين توفي لو عاش لكان نبيا
فان قلت اما كان ابا للطاهر والطيب والقاسم وابراهيم **قلت** قد اخرجوا من حكم النفي بقوله
من رجالكم من وجهين احدهما ان هؤلاء لم يبلغوا مبلغ الرجال والثاني انه قد اضاف الرجال اليهم وهؤلاء رجاله
لا رجالهم **فان قلت** اما كان ابا للحسن والحسين رضي الله عنهما **قلت** بلى ولكنهما لم يكونا رجلين حينئذ وهما
ايضا من رجاله لا من رجالهم وشيء آخر وهو انه انما قصد ولده خاصة لا ولد ولده لقوله تعالى وخاتم النبيين الا ترى ان الحسن والحسين
رضي الله عنهما قد عاشا الى ان نيف احدهما على الاربعين والآخر على الخمسين قرئ ولكن رسول الله بالنصب عطفا على
ابا احد وبالرفع على ولكن هو رسول الله ولكن بالتشديد على حذف الخبر تقديره وبكسرها بمعنى الطابع وفاعل الختم
وتقويه قراءة ابن مسعود ولكن نبيا ختم النبيين **فان قلت** كيف كان آخر الانبياء وعيسى ينزل في آخر
الزمان **قلت** معنى كونه آخر الانبياء انه لا ينبأ احد بعده وعيسى ممن نبئ قبله وحين ينزل ينزل عاملا على شريعة
محمد صلى الله عليه وسلم مصليا الى قبلته كانه بعض امته ● **يا ايها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا ● وسبحوه بكرة واصيلا** ● اذكروا الله اثنوا عليه بضروب الثناء من التقديس والتحميد
والتهليل والتكبير وما هو اهله واكثروا ذلك بكرة واصيلا اي في كافة الاوقات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذكر الله على فم كل مسلم وروي في قلب كل مسلم ● وعن قتادة قولوا سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر
ولا حول ولا قوة الا بالله وعن مجاهد هذه كلمات يقولها الطاهر والجنب والفعلان اعني اذكروا وسبحوا موجهان الى
البكرة والاصيل كقولك صم وصل يوم الجمعة والتسبيح من جملة الذكر وانما اختصه من بين انواعه اختصاص جبريل وميكائيل
عليهما السلام من بين الملائكة ليبين فضله على سائر الاذكار لان معناه تنزيه ذاته عما لا يجوز عليه من الصفات والافعال
وتبرئته من القبائح ومثال فضله على غيره من الاذكار فضل وصف العبد بالنزاهة من ادناس المعاصي والطهر من ارجاس
المآثم على سائر اوصافه من كثرة الصلاة والصيام والتوفر على الطاعات كلها والاشتمال على العلوم والاشتهار بالفضائل
ويجوز ان يريد بالذكر واكثاره تكثير الطاعات والاقبال على العبادات فان كل طاعة وكل خير من جملة الذكر ثم خص
من ذلك التسبيح بكرة واصيلا وهي الصلاة في جميع اوقاتها لفضل الصلاة على غيرها او صلاة الفجر والعشاءين لان
اداءها اشق ومراعاتها اشد ● **هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور وكان بالمؤمنين رحيما** ● لما كان من شان المصلي ان ينعطف في ركوعه وسجوده استعير
لمن ينعطف على غيره حنوا عليه وترؤفا كعائد المريض في انعطافه عليه والمرأة في حنوها على ولدها ثم كثر حتى استعمل
في الرحمة والترؤف ومنه قولهم صلى الله عليك اي ترحم عليك وترأف **فان قلت** قوله تعالى هو الذي يصلي عليكم
ان فسرته بيترحم عليكم ويترأف فما تصنع بقوله تعالى وملائكته وما معنى صلاتهم **قلت** هي قولهم اللهم صل على المؤمنين
جعلوا لكونهم مستجابي الدعوة كانهم فاعلون الرحمة والرأفة ونظيره قولك حياك الله اي احياك وابقاك وحييتك اي دعوت
لك بان يحييك الله لانك لاتكالك على اجابة دعوتك كانك تبقيه على الحقيقة وكذلك عمرك الله وعمرتك وسقاك الله
وسقيتك وعليه قوله عز وجل ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه اي ادعوا الله بان
يصلي عليه والمعنى هو الذي يترحم عليكم ويترأف حيث يدعوكم الى الخير ويأمركم باكثار الذكر والتوفر على الصلاة والطاعة
ليخرجكم من ظلمات المعصية الى نور الطاعة وكان بالمؤمنين رحيما دليل على ان المراد بالصلاة الرحمة وروي انه لما نزل
قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي قال ابو بكر رضي الله عنه ما خصك الله يا رسول الله بشرف الا وقد اشركنا
فيه فنزلت ● **تحيتهم يوم يلقونه سلام واعد لهم اجرا كريما** ● تحيتهم من اضافة المصدر الى
المفعول اي يحيون يوم لقائه بسلام فيجوز ان يعظمهم الله تعالى بالسلام عليهم كما يفعل بهم سائر انواع التعظيم وان يكون
مثلا كاللقاء على ما فسرناه وقيل هو سلام ملك الموت والملائكة معه عليهم وبشارتهم بالجنة وقيل سلام الملائكة
عند الخروج من القبور وقيل عند دخول الجنة كما قال تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم والاجر الكريم الجنة

يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ● وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ● شاهدا على من بعثت اليهم وعلى تكذيبهم وتصديقهم اي مقبولا قولك عند الله لهم
وعليهم كما يقبل قول الشاهد العدل في الحكم **فان قلت** وكيف كان شاهدا وقت الارسال وانما يكون
شاهدا عند تحمل الشهادة او عند ادائها **قلت** هو حال مقدرة كمسألة الكتاب مررت برجل معه صقر
صائدا به غدا اي مقدرا به الصيد غدا **فان قلت** قد فهم من قوله تعالى انا ارسلناك داعيا انه ماذون له
في الدعاء فما فائدة قوله باذنه **قلت** لم يرد به حقيقة الاذن وانما جعل الاذن مستعارا للتسهيل والتيسير لان الدخول
في حق المالك متعذر فاذا صودف الاذن تسهل وتيسر فلما كان الاذن تسهيلا لما تعذر من ذلك وضع موضعه وذلك ان
دعاء اهل الشرك والجاهلية الى التوحيد والشرائع امر في غاية الصعوبة والتعذر فقيل باذنه للايذان بان الامر صعب لا يتأتى
ولا يستطاع الا اذا سهله الله تعالى ويسره ومنه قولهم في الشحيح انه غير ماذون له في الانفاق اي غير مسهل له الانفاق
لكونه شاقا عليه داخلا في حد التعذر جلى الله تعالى به ظلمات الشرك واهتدى به الضالون كما يجلى ظلام الليل
بالسراج المنير ويهتدى به او امد الله بنور نبوته نور البصائر كما يمد بنور السراج نور الابصار ووصفه بالانارة
لان من السرج ما لا يضيء اذا قل سليطه ودقت فتيلته وفي كلام بعضهم ثلاثة تضني رسول بطيء وسراج لا يضيء ومائدة
ينتظر لها من يجيء وسئل بعضهم عن الموحشين فقال ظلام ساتر وسراج فاتر وقيل وذا سراجا منيرا او وتاليا سراجا منيرا
ويجوز على هذا التفسير ان يعطف على كاف ارسلناك ● **وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا** ● الفضل ما يتفضل به عليهم زيادة على الثواب واذا ذكر المتفضل به وكبره فما ظنك
بالثواب ويجوز ان يريد بالفضل الثواب من قولهم للعطايا فضول وفواضل وان يريد ان لهم فضلا كبيرا على سائر الامم
وذلك الفضل من جهة الله تعالى وانه آتاهم ما فضلوهم به ● **ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع اذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا** ● ولا تطع الكافرين معناه الدوام والثبات
على ما كان عليه او التهييج اذاهم يحتمل اضافته الى الفاعل والمفعول يعني ودع ان تؤذيهم بضرر او قتل وخذ بظاهرهم
وحسابهم على الله في باطنهم او ودع ما يؤذونك به ولا تجازهم عليه حتى تؤمر ● وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي منسوخة باية
السيف وتوكل على الله فانه يكفيكهم وكفى به مفوضا اليه ولقائل ان يقول وصفه الله بخمسة اوصاف وقابل كلا
منها بخطاب مناسب له قابل الشاهد بقوله تعالى وبشر المؤمنين لانه يكون شاهدا على امته وهم يكونون شهداء على سائر الامم
وهو الفضل الكبير والمبشر بالاعراض عن الكافرين والمنافقين لانه اذا اعرض عنهم اقبل جميع اقباله على المؤمنين وهو مناسب للبشارة
والنذير بدع اذاهم لانه اذا ترك اذاهم في الحاضر والاذى لا بد له من عقاب عاجل او آجل كانوا منذرين في المستقبل والداعي الى الله
بتيسيره بقوله وتوكل على الله لان من توكل على الله يسر عليه كل عسير والسراج المنير بالاكتفاء به وكيلا لان من اناره الله برهانا على جميع
خلقه كان جديرا بان يكتفى به عن جميع خلقه ● **يا ايها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا** ● النكاح الوطء وتسمية العقد نكاحا لملابسته له من حيث انه طريق اليه ونظيره تسميتهم الخمر اثما لانها سبب في
اقتراف الاثم ونحوه في علم البيان قول الراجز اسنمة الآبال في سحابه سمى الماء باسنمة الآبال لانه سبب سمن المال وارتفاع اسنمته
ولم يرد لفظ النكاح في كتاب الله تعالى الا في معنى العقد لانه في معنى الوطء من باب التصريح به ومن آداب القرآن الكناية عنه
بلفظ الملامسة والمماسة والقربان والتغشي والاتيان **فان قلت** لم خص المؤمنات والحكم الذي نطقت به الآية
تستوي فيه المؤمنات والكتابيات **قلت** في اختصاصهن تنبيه على ان اصل امر المؤمن والاولى به ان يتخير لنطفته وان
لا ينكح الا مؤمنة عفيفة ويتنزه عن مزاوجة الفواسق فما بال الكوافر ويستنكف ان يدخل تحت لحاف واحد عدوة الله ووليه فالتي
في سورة المائدة تعليم ما هو جائز غير محرم من نكاح المحصنات من الذين اوتوا الكتاب وهذه فيها تعليم ما هو الاولى بالمؤمنين من نكاح
المؤمنات **فان قلت** ما فائدة ثم في قوله تعالى ثم طلقتموهن **قلت** فائدته نفي التوهم عمن عسى يتوهم تفاوت
الحكم بين ان يطلقها وهي قريبة العهد من النكاح وبين ان يبعد عهدها بالنكاح وتتراخى بها المدة في حبالة الزوج ثم يطلقها
فان قلت اذا خلا بها خلوة يمكنه معها المساس هل يقوم ذلك مقام المساس **قلت** نعم عند ابي حنيفة واصحابه

حكم الخلوة الصحيحة حكم المساس وقوله تعالى فما لكم عليهن من عدة تعتدونها دليل على ان العدة حق واجب على النساء
للرجال تعتدونها تستوفون عددها من قولك عددت الدراهم فاعتدها كقولك كلته فاكتاله ووزنته فاتزنه وقرئ
تعتدونها مخففا اى تعتدون فيها كقوله ويوم شهدناه والمراد بالاعتداء ما فى قوله تعالى ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا
فان قلت ما هذا التمتيع اواجب ام مندوب اليه **قلت** ان كانت غير مفروض لها كانت المتعة واجبة
ولا تجب المتعة عند ابى حنيفة رحمه الله تعالى الا لها وحدها دون سائر المطلقات وان كانت مفروضا لها فالمتعة مختلف
فيها فبعض على الندب والاستحباب ومنهم ابو حنيفة وبعض على الوجوب سراحا جميلا من غير ضرار ولا منع واجب

يا ايها النبى انا احللنا لك ازواجك اللاتى اتيت اجورهن وما ملكت يمينك مما افاء الله
عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتى هاجرن
معك وامراة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبى ان اراد النبى ان يستنكحها خالصة
لك من دون المؤمنين قد علمنا ما فرضنا عليهم فى ازواجهم وما ملكت ايمانهم
لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفورا رحيما

اجورهن مهورهن لان المهر اجر على
البضع وايتاؤها اما اعطاؤها عاجلا واما فرضها وتسميتها فى العقد **فان قلت** لم قال اللاتى اتيت اجورهن ومما
افاء الله عليك واللاتى هاجرن معك وما فائدة هذه التخصيصات **قلت** قد اختار الله تعالى لرسوله الافضل الاولى
والتنجيه بالاطيب الازكى كما اختصه بغيرها من الخصائص واثره بما سواها من الاثر وذلك ان تسمية المهر فى العقد اولى وافضل
من ترك التسمية وان وقع العقد جائزا وان يماسها وعليه مهر المثل ان دخل بها والمتعة ان لم يدخل بها وسوق المهر اليها
عاجلا افضل من ان يسميه ويوجله وكان التعجيل ديدن السلف وسنتهم وما لا يعرف بينهم غيره وكذلك الجارية اذا
كانت سبية مالكها وخطبة سيفه ورمحه ومما غنمه الله من دار الحرب احل واطيب مما يشترى من شق الجلب والسبى
على ضربين سبى طيبة وسبى خبثة فسبى الطيبة ما سبى من اهل الحرب واما من كان له عهد فالسبى منهم سبى خبثة ويدل عليه قوله تعالى
مما افاء الله عليك لان فىء الله لا يطلق الا على الطيب دون الخبيث كما ان رزق الله تعالى يجب اطلاقه على الحلال دون الحرام وكذلك
اللاتى هاجرن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرابته غير المحارم افضل من غير المهاجرات معه وعن ام هانى بنت ابى طالب رضى
خطبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت اليه فعذرنى ثم انزل الله تعالى هذه الاية فلم احل له لانى لم اهاجر معه كنت من الطلقاء
واحللنا لك من وقع لها ان تهب لك نفسها ولا تطلب مهرا من النساء المؤمنات ان اتفق ذلك ولذلك نكرها
واختلف فى اتفاق ذلك فعن ابن عباس لم تكن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم احد منهن بالهبة وقيل الموهوبات اربع ميمونة
بنت الحارث وزينب بنت خزيمة ام المساكين الانصارية وام شريك بنت جابر وخولة بنت حكيم وقرئ ان وهبت على الشرط
وقرا الحسن ان بالفتح على التعليل بتقدير حذف اللام ويجوز ان يكون مصدرا محذوفا معه الزمان كقولك اجلس ما دام زيد جالسا
بمعنى وقت دوامه جالسا ووقت هبتها نفسها وقرا ابن مسعود رضى الله عنه بغير ان **فان قلت** ما معنى الشرط الثانى
مع الاول **قلت** هو تقييد له شرط فى الاحلال هبتها نفسها وفى الهبة ارادة استنكاح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
كانه قال احللناها لك ان وهبت نفسها وانت تريد ان تستنكحها لان ارادته هى قبول الهبة وما به تتم **فان قلت**
لم عدل عن الخطاب الى الغيبة فى قوله نفسها للنبى ان اراد النبى ثم رجع الى الخطاب **قلت** للايذان بانه مما خص به واوثر
ومجيئه على لفظ النبى للدلالة على ان الاختصاص تكرمة له لاجل النبوة وتكريره تفخيم له وتقرير لاستحقاقه الكرامة لنبوته واستنكاحها
طلب نكاحها والرغبة فيه وقد استشهد به ابو حنيفة رحمه الله تعالى على جواز عقد النكاح بلفظ الهبة لان رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم وامته سواء فى الاحكام الا فيما خصه الدليل وقال الشافعى رحمه الله تعالى لا يصح وقد خص رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بمعنى الهبة
ولفظها جميعا لان اللفظ تابع للمعنى والمدعى للاشتراك فى اللفظ يحتاج الى دليل وقال ابو الحسن الكرخى ان عقد النكاح بلفظ الاجارة جائز
لقوله تعالى اللاتى اتيت اجورهن وقال ابو بكر الرازى لا يصح لان الاجارة عقد موقت وعقد النكاح مؤبد فهما متنافيان خالصة مصدر مؤكد
كوعد الله وصبغة الله اى خلص لك احلالها خالصة بمعنى خلوصا والفاعل والفاعلة فى المصادر غير عزيز كالخارج والقاعد
والعافية والكاذبة والدليل على انها وردت فى اثر الاحلالات الاربع مخصوصة برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على سبيل التوكيد
لها قوله تعالى قد علمنا ما فرضنا عليهم فى ازواجهم وما ملكت ايمانهم بعد قوله تعالى من دون المؤمنين وهى جملة اعتراضية وقوله تعالى لكيلا

اعتزال

يكون

يكون عليك حرج متصل بخالصة لك من دون المؤمنين ومعنى هذه الجملة الاعتراضية ان الله تعالى قد علم ما يجب فرضه على المؤمنين
فى الازواج والاماء على اى حد وصفة يجب ان يفرض عليهم ففرضه وعلم المصلحة فى اختصاص رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
بما اختصه به ففعل ومعنى لكيلا يكون عليك حرج لكيلا يكون عليك ضيق فى دينك حيث اختصصناك بالتنزيه واختيار ما هو
اولى وافضل وفى دنياك حيث احللنا لك اجناس المنكوحات وزدناك الواهبة نفسها وقرئ خالصة بالرفع اى ذلك
خلوص لك وخصوص من دون المؤمنين ومن جعل خالصة نعتا للمراة فعلى مذهبه هذه المراة خالصة لك من دونهم وكان الله غفورا للواقع
فى الحرج اذا تاب رحيما بالتوسعة على عباده

ترجى من تشاء منهن وتؤوى اليك من تشاء ومن
ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك ادنى ان تقر اعينهن ولا يحزن ويرضين
بما اتيتهن كلهن والله يعلم ما فى قلوبكم وكان الله عليما حليما

روى ان امهات
المؤمنين حين تغايرن وابتغين زيادة النفقة وغظن رسول الله صلى الله عليه وسلم هجرهن شهرا ونزل التخيير فاشفقن
ان يطلقهن فقلن يا رسول الله افرض لنا من نفسك ومالك ما شئت وروى ان عائشة رضى الله تعالى عنها قالت انى
ارى ربك يسارع فى هواك ترجى بهمز وغير همز تؤخر وتؤوى تضم يعنى تترك مضاجعة من تشاء منهن وتضاجع من
تشاء او تطلق من تشاء وتمسك من تشاء او لا تقسم لايتهن شئت وتقسم لمن شئت وعن الحسن كان النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم اذا خطب امراة لم يكن لاحد ان يخطبها حتى يدعها وهذه قسمة جامعة لما هو الغرض لانه اما ان يطلق واما ان يمسك
فاذا امسك ضاجع او ترك وقسم او لم يقسم واذا طلق وعزل فاما ان يخلى المعزولة لا يبتغيها او يبتغيها وروى انه ارجا
منهن سودة وجويرية وصفية وميمونة وام حبيبة فكان يقسم لهن ما شاء كما شاء وكانت ممن اوى اليه عائشة وحفصة وام سلمة
وزينب ارجى خمسا واوى اربعا وروى انه كان يسوى مع ما اطلق له وخير فيه الا سودة فانها وهبت ليلتها لعائشة
وقالت لا تطلقنى حتى احشر فى زمرة نسائك ذلك التفويض الى مشيئتك ادنى الى قرة عيونهن وقلة حزنهن ورضاهن جميعا
لانه اذا سوى بينهن فى الايواء والارجاء والعزل والابتغاء وارتفع التفاضل ولم يكن لاحديهن مما تريد ومما لا تريد الا مثل
ما للاخرى وعلمن ان هذا التفويض من عند الله تعالى بوحيه اطمانت نفوسهن وذهب التنافس والتغاير وحصل الرضا وقرت العيون
وسلت القلوب والله يعلم ما فى قلوبكم وعيد لمن لم ترض منهن بما دبر الله تعالى من ذلك وفوض الى مشيئة رسوله وبعث على
تواطئ قلوبهن والتصافى بينهن والتوافق على طلب رضا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وما فيه طيب نفسه وقرئ تقر اعينهن
بضم التاء ونصب الاعين وتقر اعينهن على البناء للمفعول وكان الله عليما بذات الصدور حليما لا يعاجل بالعقاب فهو حقيق
بان يتقى ويحذر كلهن تاكيد لنون يرضين وقرا ابن مسعود ويرضين كلهن بما اتيتهن على التقديم وقرئ كلهن تاكيدا لهن
فى اتيتهن

لا تحل لك النساء من بعد ولا ان تبدل بهن من ازواج ولو اعجبك حسنهن
الا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شىء رقيبا

لا تحل وقرئ بالتذكير لان تانيث الجمع غير حقيقى
واذا جاز بغير فصل فى قوله تعالى وقال نسوة كان مع الفصل اجوز من بعد من بعد التسع لان التسع نصاب رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم من الازواج كما ان الاربع نصاب امته منهن فلا يحل له ان يتجاوز النصاب ولا ان تبدل بهن ولا ان تستبدل بهؤلاء
التسع ازواجا اخر بكلهن او بعضهن اراد الله تعالى لهن كرامة وجزاء على ما اخترن ورضين فقصر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
عليهن وهن التسع اللاتى مات عنهن عائشة بنت ابى بكر حفصة بنت عمر ام حبيبة بنت ابى سفيان سودة بنت زمعة
ام سلمة بنت ابى امية صفية بنت حيى الخيبرية ميمونة بنت الحارث الهلالية زينب بنت جحش الاسدية جويرية بنت الحارث المصطلقية
من فى من ازواج لتاكيد النفى وفائدته استغراق جنس الازواج بالتحريم وقيل معناه لا تحل لك النساء من بعد النساء اللاتى
نص احلالهن لك من الاجناس الاربعة من الاعرابيات والغرائب او من الكتابيات او من الاماء بالنكاح وقيل فى تحريم التبدل
هو من البدل الذى كان فى الجاهلية كان يقول الرجل للرجل بادلنى بامراتك وابادلك بامراتى فينزل كل واحد منهما عن امراته لصاحبه
ويحكى ان عيينة بن حصن دخل على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وعنده عائشة من غير استيذان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا عيينة اين الاستيذان فقال يا رسول الله ما استاذنت على رجل قط من مضر منذ ادركت ثم قال من هذه الجميلة الى جنبك
فقال عليه الصلوة والسلام هذه عائشة ام المؤمنين قال عيينة افلا انزل لك عن احسن الخلق فقال صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله
قد حرم ذلك فلما خرج قالت عائشة رضى الله تعالى عنها من هذا يا رسول الله قال احمق مطاع وانه على ما ترين لسيد قومه

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها ما مات رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى احل له النساء تعني ان الآية قد نسخت ولا يخلو
نسخها اما ان يكون بالسنة واما بقوله تعالى انا احللنا لك ازواجك وترتيب النزول ليس على ترتيب المصحف الا ما ملكت يمينك في
موضع الحال من الفاعل وهو الضمير في تبدل لا من المفعول الذي هو من ازواج لانه موغل في التنكير وتقديره مفروضا اعجابك بهن وقيل
هي اسماء بنت عميس الخثعمية امرأة جعفر بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه والمراد انها ممن اعجبه حسنهن واستثنى ممن حرم عليه
الاماء رقيبا حافظا مهيمنا وهو تحذير عن مجاوزة حدوده وتخطي حلاله الى حرامه يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا
بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا
طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم
والله لا يستحيي من الحق واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم اطهر
لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده
ابدا ان ذلكم كان عند الله عظيما ان يؤذن في موضع الظرف تقديره وقت ان يؤذن لكم وغير ناظرين
حال من لا تدخلوا وقع الاستثناء على الوقت والحال معا كانه قيل لا تدخلوا بيوت النبي الا وقت الاذن ولا تدخلوها الا غير ناظرين وهؤلاء
قوم كانوا يتحينون طعام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيدخلون ويقعدون منتظرين لادراكه ومعناه لا تدخلوا يا هؤلاء
المتحينين للطعام الا ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه والا فلو لم يكن لهؤلاء خصوصا لما جاز لاحد ان يدخل بيوت النبي الا ان
يؤذن له اذنا خاصا وهو الاذن الى الطعام فحسب وعن ابن ابي عبلة انه قرأ غير ناظرين مجرورا صفة لطعام وليس بالوجه
لانه جرى على غير ما هو له فمن حق ضمير ما هو له ان يبرز الى اللفظ فيقال غير ناظرين اناه انتم كقولك هند زيد ضاربته هي واني الطعام
ادراكه يقال اني الطعام اني كقولك قلاه قلى ومنه قوله تعالى بين حميم آن بالغ اناه وقيل اناه وقته اي غير ناظرين وقت الطعام
وساعة اكله وروي ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اولم على زينب بتمر وسويق وشاة وامر انسا ان يدعو بالناس فترادفوا
افواجا يأكل فوج فيخرج ثم يدخل فوج الى ان قال يا رسول الله دعوت حتى ما اجد احدا ادعوه فقال ارفعوا طعامكم وتفرق الناس
وبقي ثلاثة نفر يتحدثون فاطالوا فقام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليخرجوا فانطلق الى حجرة عائشة رضي الله تعالى عنها فقال
السلام عليكم اهل البيت فقالوا وعليك السلام يا رسول الله كيف وجدت اهلك وطاف بالحجرات فسلم عليهن ودعون له ورجع
فاذا الثلاثة جلوس يتحدثون وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شديد الحياء فتولى فلما رأوه متوليا خرجوا فرجع ونزلت
ولا مستأنسين لحديث نهوا عن ان يطيلوا الجلوس يستأنس بعضهم ببعض لاجل حديث يحدثه به او عن ان يستأنسوا حديث
اهل البيت واستيناسه تسمعه وتوجسه وهو مجرور معطوف على غير ناظرين وقيل هو منصوب على ولا تدخلوها مستأنسين لا بد
في قوله تعالى فيستحيي منكم من تقدير المضاف اي من اخراجكم بدليل قوله تعالى والله لا يستحيي من الحق يعني ان اخراجكم حق ما ينبغي ان
يستحيي منه ولما كان الحياء مما يمنع الحيي من بعض الافعال قيل لا يستحيي من الحق بمعنى لا يمتنع منه ولا يتركه ترك الحيي منكم وهذا ادب
ادب الله تعالى به الثقلاء وعن عائشة رضي الله عنها حسبك في الثقلاء ان الله تعالى لم يحتملهم وقال فاذا طعمتم فانتشروا وقرئ
لا يستحيي بياء واحدة الضمير في سألتموهن لنساء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يذكرن لان الحال ناطقة بذكرهن متاعا حاجة يسألونهن
المتاع روي ان عمر رضي الله تعالى عنه كان يحب ضرب الحجاب عليهن محبة شديدة وكان يذكره كثيرا ويود ان ينزل فيه وكان يقول
لو اطاع فيكن ما رأتكن عين وقال يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو امرت امهات المؤمنين بالحجاب فنزلت وروي انه
مر عليهن وهن مع النساء في المسجد فقال لئن احتجبن فان لكن على النساء فضلا كما ان لزوجكن على الرجال الفضل
فقالت زينب يا ابن الخطاب انك لتغار علينا والوحي ينزل في بيوتنا فلم يلبثوا الا يسيرا حتى نزلت وقيل ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان يطعم ومعه بعض الصحابة فاصابت يد رجل منهم يد عائشة رضي الله تعالى عنها فكره النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
ذلك فنزلت آية الحجاب وروي ان بعضهم قال انهى ان نكلم بنات عمنا الا من وراء حجاب لئن مات محمد لاتزوجن عائشة
فاعلم الله تعالى ان ذلك محرم وما كان لكم وما صح لكم ايذاء رسول الله ولا نكاح ازواجه من بعده وسمى نكاحهن بعده عظيما عنده
وهو من اعلام تعظيم الله لرسوله وايجاب حرمته حيا وميتا واعلامه بذلك مما طيب به نفسه وسر قلبه واستغزر شكره فان نحو
هذا مما يحدث به الرجل نفسه ولا يخلي منه فكره ومن الناس من تفرط غيرته على حرمته حتى يتمنى لها الموت لئلا تنكح من بعده وعن بعض الفتيان انه
كانت له جارية لا يرى الدنيا بها شغفا واستهتارا فنظر اليها ذات يوم فتنفس الصعداء وانتحب فعلا نحيبه مما ذهب بفكره

الوجس الصوت الخفي والتوجس التسمع الى الصوت ح

هذا

هذا المذهب فلم يزل به ذلك حتى قتلها تصورا لما عسى يتفق من بقائها بعده وحصولها تحت يد غيره وعن بعض الفقهاء ان
الزوج الثاني في هدم الثلاث مما يجري مجرى العقوبة فصين رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عما يلاحظ ذلك
ان تبدوا شيئا او تخفوه فان الله كان بكل شيء عليما ان تبدوا شيئا من نكاحهن على السنتكم
او تخفوه في صدوركم فان الله تعالى يعلم ذلك فيعاقبكم به وانما جاء به على اثر ذلك عاما لكل باد وخاف ليدخل تحته نكاحهن
وغيره ولانه على هذه الطريقة اهول واجزل لا جناح عليهن في آبائهن ولا ابنائهن ولا اخوانهن
ولا ابناء اخوانهن ولا ابناء اخواتهن ولا نسائهن ولا ما ملكت ايمانهن واتقين
الله ان الله كان على كل شيء شهيدا روي انها لما نزلت آية الحجاب قال الآباء والابناء والاقارب
يا رسول الله او نحن ايضا نكلمهن من وراء الحجاب فنزلت لا جناح عليهن اي لا اثم عليهن في ان لا يحتجبن من هؤلاء ولم يذكر العم
والخال لانهما يجريان مجرى الوالدين وقد جاءت تسمية العم ابا قال الله سبحانه وتعالى واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق واسمعيل
عم يعقوب وقيل كره الاحتجاب عنهما لانهما يصفانها لابنائهما وابناؤهما غير محارم ثم نقل الكلام من الغيبة الى الخطاب
وفي هذا النقل ما يدل على فضل تشديد فقيل واتقين الله فيما امرتن به من الاحتجاب وانزل فيه الوحي من الاستتار واحططن فيه
وفيما استثني منه ما قدرتن واحفظن حدودهما واسلكن طريق التقوى في حفظهما وليكن عملكن في الحجب احسن مما كان وانتن
غير محتجبات ليفضل سركن علنكن ان الله كان على كل شيء من السر والعلن وظاهر الحجاب وباطنه شهيدا لا تتفاوت في علمه الاحوال

ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما

قرئ وملائكته بالرفع عطفا على محل ان واسمها وهو ظاهر على مذهب الكوفيين ووجهه عند
البصريين ان يحذف الخبر لدلالة يصلون عليه صلوا عليه وسلموا اي قولوا الصلوة على رسول الله والسلام ومعناه الدعاء
بان يترحم عليه الله ويسلم **فان قلت** الصلوة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واجبة او مندوب اليها **قلت**
بل واجبة وقد اختلفوا في حال وجوبها فمنهم من اوجبها كلما جرى ذكره صلى الله تعالى عليه وسلم وفي الحديث من ذكرت عنده فلم يصل
علي فدخل النار فابعده الله ويروى انه قيل يا رسول الله ارأيت قول الله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي فقال
صلى الله تعالى عليه وسلم هذا من العلم المكنون ولولا انكم سألتموني عنه ما اخبرتكم ان الله تعالى وكل بي ملكين فلا اذكر عند مسلم
فيصلي علي الا قال ذانك الملكان غفر الله لك وقال الله تعالى وملائكته جوابا لذينك الملكين آمين ومنهم من قال تجب في
كل مجلس مرة وان تكرر ذكره كما قيل في آية السجدة وتشميت العاطس وكذلك في كل دعاء في اوله وآخره ومنهم من اوجبها
في العمر مرة وكذا قال في اظهار الشهادتين والذي يقتضيه الاحتياط الصلوة عليه عند كل ذكر لما ورد من الاخبار
فان قلت فالصلوة عليه في الصلوة اهي شرط في جوازها ام لا **قلت** ابو حنيفة واصحابه رحمهم الله تعالى لا يرونها
شرطا وعن ابراهيم النخعي كانوا يكتفون عن ذلك يعني الصحابة بالتشهد وهو السلام عليك ايها النبي واما الشافعي رحمه الله تعالى فقد جعلها
شرطا **فان قلت** فما تقول في الصلوة على غيره **قلت** القياس جواز الصلوة على كل مؤمن لقوله تعالى هو الذي يصلي
عليكم وملائكته وقوله تعالى وصل عليهم ان صلواتك سكن لهم وقوله صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل ابي اوفى ولكن للعلماء تفصيلا في
ذلك وهو انها ان كانت على سبيل التبع كقولك صلى الله على النبي وآله فلا كلام فيها واما اذا افرد غيره من اهل البيت بالصلوة كما يفرد
هو فمكروه لان ذلك صار شعارا لذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولانه يؤدي الى الاتهام بالرفض وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفن مواقف التهم ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم
الله في الدنيا والآخرة واعد لهم عذابا مهينا يؤذون الله ورسوله فيه وجهان احدهما ان
يعبر بايذائهما عن فعل ما يكرهانه ولا يرضيانه من الكفر والمعاصي وانكار النبوة ومخالفة الشريعة وما كانوا يصيبون به رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم من انواع المكروه على سبيل المجاز وانما جعله مجازا فيهما وحقيقة الايذاء صحيحة في رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
لئلا اجعل العبارة الواحدة معطية معنى المجاز والحقيقة والثاني ان يراد يؤذون رسول الله وقيل في اذى الله تعالى هو قول
اليهود والنصارى والمشركين يد الله مغلولة وثالث ثلاثة والمسيح ابن الله والملائكة بنات الله والاصنام شركاؤه وقيل قول
الذين يلحدون في اسمائه وصفاته وعن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيما حكى عن ربه تبارك وتعالى شتمني ابن آدم ولم ينبغ
له ان يشتمني وآذاني ولم ينبغ له ان يؤذيني فاما شتمه اياي فقوله اني اتخذت ولدا واما اذاه فقوله ان الله لا يعيدني بعد ان بداني

وعن عكرمة فعل ارباب المصاور الذين يرومون فعل خلق مثل خلق الله تعالى وقيل في اذى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قولهم ساحر شاعر كاهن مجنون وقيل كسر رباعيته وشج وجهه يوم احد وقيل طعنهم عليه في نكاح صفية بنت حيي

والذين يوذون المومنين والمومنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا

اطلق ايذاء الله ورسوله وقيد ايذاء المومنين والمومنات لان اذى الله ورسوله لا يكون الا غير حق ابدا واما اذى المومنين والمومنات فمنه ومنه ومعنى بغير ما اكتسبوا بغير جناية واستحقاق للاذى وقيل نزلت في ناس من المنافقين يوذون عليا رضي الله تعالى عنه ويسمعونه وقيل في الذين افكوا على عائشة رضي الله تعالى عنها وقيل في زناة كانوا يتبعون النساء وهن كارهات وعن الفضيل لا يحل لك ان توذي كلبا او خنزيرا بغير حق فكيف وكان ابن عون لا يكري الحوانيت الا من اهل الذمة لما فيه من الروعة عند كر الحول

يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المومنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك ادنى ان يعرفن فلا يوذين وكان الله غفورا رحيما

الجلباب ثوب واسع اوسع من الخمار ودون الرداء تلويه المراة على راسها وتبقي منه ما ترسله على صدرها وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما الرداء الذي يستر من فوق الى اسفل وقيل الملحفة وكل ما يستتر به من كساء او غيره قال ابو زبيد مجلبب من سواد الليل جلبابا ومعنى يدنين عليهن من جلابيبهن يرخينها عليهن ويغطين بها وجوههن واعطافهن يقال اذا زل الثوب عن وجه المراة ادني ثوبك على وجهك وذلك ان النساء كن في اول الاسلام على هجيراهن في الجاهلية متبذلات تبرز المراة في درع وخمار لا فصل بين الحرة والامة وكان الفتيان واهل الشطارة اذا خرجن بالليل الى مقاضي حوائجهن في النخيل والغيطان يتعرضون للاماء وربما تعرضوا للحرة بعلة الامة يقولون حسبناها امة فامرن ان يخالفن بزيهن عن زي الاماء بلبس الاردية والملاحف وستر الرؤوس والوجوه ليحتشمن ويهبن فلا يطمع فيهن طامع وذلك قوله تعالى ذلك ادنى ان يعرفن اي اولى واجدر بان يعرفن فلا يتعرض لهن ولا يلقين ما يكرهن **فان قلت** ما معنى من في من جلابيبهن **قلت** هو للتبعيض الا ان معنى التبعيض محتمل وجهين احدهما ان يتجلببن ببعض ما لهن من الجلابيب والمراد ان لا تكون الحرة متبذلة في درع وخمار كالامة والماهنة ولها جلبابان فصاعدا في بيتها والثاني ان ترخي المراة بعض جلبابها وفضله على وجهها تتقنع حتى تتميز من الامة وعن ابن سيرين سالت عبيدة السلماني عن ذلك فقال ان تضع رداءها فوق الحاجب ثم تديره حتى تضعه على انفها وعن السدي ان تغطي احدى عينيها وجبهتها والشق الاخر الا العين وعن الكسائي يتقنعن بملاحفهن منضمة عليهن اراد بالانضمام معنى الادناء وكان الله غفورا لما سلف منهن من التفريط مع التوبة لان هذا مما يمكن معرفته بالعقل

لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا

الذين في قلوبهم مرض قوم كان فيهم ضعف ايمان وقلة ثبات عليه وقيل هم الزناة واهل الفجور من قوله تعالى فيطمع الذي في قلبه مرض والمرجفون ناس كانوا يرجفون باخبار السوء عن سرايا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيقولون هزموا وقتلوا وجرى عليهم كيت وكيت فيكسرون بذلك قلوب المومنين يقال ارجف بكذا اذا اخبر به على غير حقيقة لكونه خبرا متزلزلا غير ثابت من الرجفة وهي الزلزلة والمعنى لئن لم ينته المنافقون عن عداوتهم وكيدهم والفسقة عن فجورهم والمرجفون عما يولفون من اخبار السوء لنامرنك بان تفعل بهم الافاعيل التي تسوءهم وتنوءهم ثم بان تضطرهم الى طلب الجلاء عن المدينة والى ان لا يساكنوك فيها الا زمانا قليلا ريثما يرتحلون ويلتقطون انفسهم وعيالاتهم فسمى ذلك اغراء وهو التحريش على سبيل المجاز

ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا

ملعونين نصب على الشتم او الحال اي لا يجاورونك الا ملعونين دخل حرف الاستثناء على الظرف والحال معا كما مر في قوله تعالى الا ان يوذن لكم غير ناظرين ولا يصح ان ينتصب عن اخذوا لان ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها وقيل في قليلا هو منصوب على الحال ايضا ومعناه لا يجاورونك الا اقلاء اذلاء ملعونين **فان قلت** ما موقع لا يجاورونك **قلت** لا يجاورونك عطف على لنغرينك بهم فلا يجاورونك لانه يجوز ان يجاب به القسم الا ترى الى صحة قولك لئن لم ينتهوا لا يجاورونك **فان قلت** اما كان من حق لا يجاورونك **قلت** لو جعل الثاني مسببا عن الاول لكان الامر كما قلت ولكنه جعل جوابا اخر للقسم معطوفا على الاول وانما عطف بثم لان الجلاء عن الاوطان كان اعظم عليهم واعظم من جميع ما اصيبوا به فتراخت حاله عن حال المعطوف عليه

سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا

سنة الله في موضع مصدر موكد اي سن الله في الذين ينافقون الانبياء ان يقتلوا حيثما ثقفوا وعن مقاتل يعني كما قتل اهل بدر واسروا

يسالك الناس عن الساعة قل انما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا

كان المشركون يسالون رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن وقت قيام الساعة استعجالا على سبيل الهزء واليهود يسالونه امتحانا لان الله تعالى عمى وقتها في التوراة وفي كل كتاب فامر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان يجيبهم بانه علم قد استاثر الله تعالى به لم يطلع عليه ملكا ولا نبيا ثم بين لرسوله انها قريبة الوقوع تهديدا للمستعجلين واسكاتا للممتحنين قريبا شيئا قريبا او لان الساعة في معنى اليوم او في زمان قريب

ان الله لعن الكافرين واعد لهم سعيرا خالدين فيها ابدا لا يجدون وليا ولا نصيرا يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا

السعير النار المسعورة الشديدة الايقاد وقرئ تقلب على البناء للمفعول وتقلب بمعنى تتقلب ونقلب اي نقلب نحن وتقلب على ان الفعل للسعير ومعنى تقليبها تصريفها في الجهات كما ترى البضعة تدور في القدر اذا غلت فترامى بها الغليان من جهة الى جهة او تغييرها عن احوالها وتحويلها عن هيئاتها او طرحها في النار مقلوبين منكوسين وخصت الوجوه بالذكر لان الوجه اكرم موضع على الانسان من جسده ويجوز ان يكون الوجه عبارة عن الجملة وناصب الظرف يقولون او محذوف وهو اذكر واذا نصب بالمحذوف كان يقولون حالا

وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا

قرئ سادتنا وساداتنا وهم رؤساء الكفر الذين لقنوهم الكفر وزينوه لهم يقال ضل السبيل واضله اياه وزيادة الالف لاطلاق الصوت جعلت فواصل الاي كقوافي الشعر وفائدتها الوقف والدلالة على ان الكلام قد انقطع وان ما بعده مستانف

ربنا اتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا

وقرئ كثيرا تكثيرا لاعداد اللاعنين وكبيرا ليدل على اشد اللعن واعظمه ضعفين ضعفا لضلاله وضعفا لاضلاله يعترفون ويستغيثون ويتمنون ولا ينفعهم شيء من ذلك

يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين اذوا موسى فبراه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها

لا تكونوا كالذين اذوا موسى قيل نزلت في شان زيد وزينب وما سمع فيه من قالة بعض الناس وقيل في اذى موسى هو حديث المومسة التي ارادها قارون على قذفه بنفسها وقيل اتهامهم اياه بقتل هرون وكان قد خرج معه الى الجبل فمات هناك فحملته الملائكة ومروا به عليهم ميتا فابصروه حتى عرفوا انه غير مقتول وقيل احياه الله تعالى فاخبرهم ببراءة موسى وقيل قرفوه بعيب في جسده من برص او ادرة فاطلعهم الله تعالى على انه بريء منها وجيها ذا جاه ومنزلة عنده فلذلك كان يميط عنه التهم ويدفع الاذى ويحافظ عليه لئلا يلحقه وصم ولا يوصف بنقيصة كما يفعل الملك بمن له عنده قربة ووجاهة وقرا ابن مسعود والاعمش وابو حيوة وكان عبدا لله وجيها قال ابن خالويه صليت خلف ابن شنبوذ في شهر رمضان فسمعته يقرؤها وقراءة العامة اوجه لانها مفصحة عن وجاهته عند الله تعالى كقوله تعالى عند ذي العرش مكين وهذه ليست كذلك **فان قلت** قوله تعالى مما قالوا معناه من قولهم او من مقولهم لان ما اما مصدرية او موصولة واياما كان فكيف تصح البراءة منه **قلت** المراد بالقول او المقول مؤداه ومضمونه وهو الامر المعيب الا ترى انهم سموا السبة بالقالة والقالة بمعنى القول

يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم اعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما

قولا سديدا قاصدا الى الحق والسداد القصد الى الحق والقول بالعدل يقال سدد السهم نحو الرمية اذا لم يعدل به عن سمتها كما قالوا سهم قاصد والمراد نهيهم عما خاضوا فيه من حديث زينب من غير قصد وعدل في القول والبعث على ان يسدد قولهم في كل باب لان حفظ اللسان وسداد القول راس الخير كله والمعنى راقبوا الله تعالى في حفظ السنتكم وتسديد قولكم فانكم ان فعلتم ذلك اعطاكم الله تعالى ما هو غاية الطلبة من تقبل حسناتكم والاثابة عليها ومن مغفرة سيئاتكم وتكفيرها وقيل اصلاح الاعمال التوفيق في المجيء بها صالحة مرضية وهذه الاية مقررة للتي قبلها بنيت تلك على النهي عما يوذي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهذه على الامر باتقاء الله تعالى في حفظ اللسان ليترادف عليهم النهي والامر مع اتباع النهي ما يتضمن الوعيد من قصة موسى عليه السلام واتباع الامر الوعد البليغ فيقوى الصارف عن الاذى والداعي الى تركه

انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا

لما قال ومن يطع الله ورسوله وعلق بالطاعة الفوز العظيم اتبعه قوله تعالى انا عرضنا الامانة وهو يريد بالامانة الطاعة فعظم امرها وفخم شانها وفيه وجهان

المتبادر بركة التعاون

[illegible]

احدهما ان هذه الاجرام العظام من السموات والارض والجبال قد انقادت لامر الله عز وجل انقياد مثلها وهو ما يتأتى من الجمادات واطاعت له الطاعة التي يصح منها وتليق بها حيث لم تمتنع على مشيئته وارادته ايجادا وتكوينا وتسوية على هيئات مختلفة واشكال متنوعة كما قال الله تعالى قالتا اتينا طائعين واما الانسان فلم تكن حاله فيما يصح منه من الطاعة ويليق به من الانقياد لاوامر الله تعالى ونواهيه وهو حيوان عاقل صالح للتكليف مثل حال تلك الجمادات فيما يصح منها ويليق بها من الانقياد وعدم الامتناع والمراد بالامانة الطاعة لانها لازمة الوجود كما ان الامانة لازمة الاداء وعرضها على الجمادات واباؤها واشفاقها مجاز واما حمل الامانة فمن قولك فلان حامل للامانة ومحتمل لها تريد انه لا يؤديها الى صاحبها حتى تزول عن ذمته ويخرج عن عهدتها لان الامانة كأنها راكبة للمؤتمن عليها وهو حاملها الا تراهم يقولون ركبته الديون ولي عليه حق فاذا اداها لم تبق راكبة له ولا هو حاملا لها ونحوه قولهم لا يملك مولى لمولى نصرا يريدون انه يبذل له النصرة ويسامحه بها ولا يمسكها كما يمسكها الخاذل ومنه قول القائل

اخوك الذي لا تملك الحس نفسه ❊ وترفض عند المحفظات الكتائف

اي لا تمسك الرقة والعطف امساك المالك الضنين ما في يده بل يبذل ذلك ويسمح به ومنه قولهم ابغض حق اخيك لانه اذا احبه لم يخرجه الى اخيه ولم يؤده واذا ابغضه اخرجه واداه فمعنى فابين ان يحملنها وحملها الانسان فابين الا ان يؤدينها وابى الانسان الا ان يكون محتملا لها لا يؤديها ثم وصفه بالظلم لكونه تاركا لاداء الامانة وبالجهل لاخطائه ما يسعده مع تمكنه منه وهو اداؤها والثاني ان ما كلفه الانسان بلغ من عظمه وثقل محمله انه عرض على اعظم ما خلق الله تعالى من الاجرام واقواه واشده ان يتحمله ويستقل به فابى حمله والاستقلال به واشفق منه وحمله الانسان على ضعفه ورخاوة قوته انه كان ظلوما جهولا حيث حمل الامانة ثم لم يف بها وضمنها ثم خاس بضمانه فيها ونحو هذا من الكلام كثير في لسان العرب وما جاء القرآن الا على طرقهم واساليبهم من ذلك قولهم لو قيل للشحم اين تذهب لقال اسوي العوج وكم لهم من امثال على السنة البهائم والجمادات وتصور مقالة الشحم محال ولكن الغرض ان السمن في الحيوان مما يحسن قبيحه كما ان العجف مما يقبح حسنه فصور اثر السمن فيه تصويرا هو اوقع في نفوس السامعين وهي به آنس وله اقبل وعلى حقيقته اوقف وكذلك تصوير عظم الامانة وصعوبة امرها وثقل محملها والوفاء بها **فان قلت** قد علم وجه التمثيل في قولهم للذي لا يثبت على رأي اراك تقدم رجلا وتؤخر اخرى لانه مثلت حاله في تميله وترجحه بين الرأيين وتركه المضي على احدهما بحال من يتردد في ذهابه فلا يجمع رجليه للمضي في وجهه وكل واحد من الممثل والممثل به شيء مستقيم داخل تحت الصحة وليس كذلك ما في الآية فان عرض الامانة على الجماد واباءه واشفاقه محال في نفسه غير مستقيم داخل تحت الصحة فكيف صح بناء التمثيل على المحال وما مثال هذا الا ان تشبه شيئا والمشبه به غير معقول **قلت** الممثل به في الآية وفي قولهم لو قيل للشحم اين تذهب وفي نظائره مفروض والمفروضات تتخيل في الذهن كما المحققات مثلت حال التكليف في صعوبته وثقل محمله بحاله المفروضة لو عرضت على السموات والارض والجبال لابين ان يحملنها واشفقن منها

ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيما

اللام في ليعذب لام التعليل على طريق المجاز لان التعذيب نتيجة حمل الامانة كما ان التأديب في ضربته للتأديب نتيجة الضرب وقرأ الاعمش ليتوب ليجعل العلة قاصرة على فعل الحامل ويبتدئ ويتوب الله ومعنى قراءة العامة ليعذب الله حامل الامانة ويتوب على غيره ممن لم يحملها لانه اذا تيب على الوافي كان ذلك نوعا من عذاب الغادر والله اعلم وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة الاحزاب وعلمها اهله وما ملكت يمينه اعطي الامان من عذاب القبر

سورة سبأ مكية

وهي اربع وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو الرحيم الغفور

ما في السموات والارض كله نعمة من الله تعالى وهو الحقيق بان يحمد ويثنى عليه من اجله ولما قال الحمد لله ثم وصف ذاته بالانعام بجميع النعم الدنيوية كان معناه انه المحمود على نعم الدنيا كما تقول احمد اخاك الذي كساك وحملك تريد احمده على كسوته وحملانه ولما قال وله الحمد في الآخرة علم انه المحمود على نعم الآخرة وهو الثواب **فان قلت** ما الفرق بين الحمدين **قلت** اما الحمد في الدنيا فواجب لانه على نعمة متفضل بها وهو الطريق الى تحصيل نعمة الآخرة وهي الثواب واما الحمد في الآخرة فليس بواجب لانه على نعمة واجبة الايصال الى مستحقها انما هو تتمة سرور المؤمنين وتكملة اغتباطهم يلتذون به كما يلتذ من به العطاش بالماء البارد وهو الحكيم الذي احكم امور الدارين ودبرها بحكمته الخبير بكل كائن يكون ثم ذكر مما يحيط به علما ما يلج في الارض من الغيث كقوله تعالى فسلكه ينابيع في الارض ومن الكنوز والدفائن والاموات وجميع ما هي له كفات وما يخرج منها من الشجر والنبات وماء العيون والغلة والدواب وغير ذلك وما ينزل من السماء من الامطار والثلوج والبرد والصواعق والارزاق والملائكة وانواع البركات والمقادير كما قال تعالى وفي السماء رزقكم وما توعدون وما يعرج فيها من الملائكة واعمال العباد وهو مع كثرة نعمته وسبوغ فضله الرحيم الغفور للمفرطين في اداء مواجب شكرها وقرأ علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه ننزل بالنون والتشديد

وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم عالم الغيب

قولهم لا تأتينا الساعة نفي للبعث وانكار لمجيء الساعة او استبطاء لما قد وعدوه من قيامها على سبيل الهزء والسخرية كقولهم متى هذا الوعد وبلى على معنى ان ليس الامر الا اتيانها ثم اعيد ايجابه مؤكدا بما هو الغاية في التأكيد والتشديد وهو التوكيد باليمين بالله عز وجل ثم امد التوكيد القسمي امدادا بما اتبع المقسم به من الوصف بما وصف به الى قوله ليجزي لان عظمة حال المقسم به تؤذن بقوة حال المقسم عليه وبشدة ثباته واستقامته لانه بمنزلة الاستشهاد على الامر وكلما كان المستشهد به اعلى كعبا وابين فضلا وارفع منزلة كانت الشهادة اقوى واكد والمستشهد عليه اثبت وارسخ **فان قلت** هل للوصف الذي وصف به المقسم به وجه اختصاص بهذا المعنى **قلت** نعم وذلك ان قيام الساعة من مشاهير الغيوب وادخلها في الخفية واولها مسارعة الى القلب اذا قيل عالم الغيب فحين اقسم على اثبات قيام الساعة وانه كائن لا محالة ثم وصف بما يرجع الى علم الغيب وانه لا يفوت علمه شيء من الخفيات اندرج تحته احاطته بوقت قيام الساعة فجاء ما تطلبه من وجه الاختصاص مجيئا واضحا **فان قلت** الناس قد انكروا اتيان الساعة وجحدوه فهب انه حلف لهم باغلظ الايمان واقسم عليهم جهد القسم فيمين من هو في معتقدهم مفتر على الله تعالى كذبا كيف تكون مصححة لما انكروه **قلت** هذا لو اقتصر على اليمين ولم يتبعها الحجة القاطعة والبينة الساطعة وهي قوله ليجزي فقد وضع الله تعالى في العقول وركب في الغرائز وجوب الجزاء وان المحسن لا بد له من ثواب والمسيء لا بد له من عقاب وقوله ليجزي متصل بقوله لتأتينكم تعليلا له وقرئ لتأتينكم بالتاء والياء ووجه من قرأ بالياء ان يكون ضميره للساعة بمعنى اليوم او يسند الى عالم الغيب اي ليأتينكم امره كما قال الله سبحانه وتعالى او يأتي ربك وقال او يأتي امر ربك وقرئ عالم الغيب وعلام الغيب بالجر صفة لربي وعالم الغيب وعلام الغيوب بالرفع على المدح

لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك لهم مغفرة ورزق كريم

ولا يعزب بالضم والكسر من العزوب وهو البعد يقال روض عزيب بعيد من الناس مثقال ذرة مقدار اصغر نملة وذلك اشارة الى مثقال ذرة وقرئ ولا اصغر من ذلك ولا اكبر بالرفع على اصل الابتداء وبالفتح على نفي الجنس كقولك لا حول ولا قوة الا بالله بالرفع وهو كلام منقطع عما قبله **فان قلت** هل يصح عطف المرفوع على مثقال ذرة كأنه قيل لا يعزب عنه مثقال ذرة واصغر واكبر وزيادة لا لتأكيد النفي وعطف المفتوح على ذرة بانه فتح في موضع الجر لامتناع الصرف كأنه قيل لا يعزب عنه مثقال ذرة ولا مثقال اصغر من ذلك ولا اكبر **قلت** يأبى ذلك حرف الاستثناء الا اذا جعلت الضمير في عنه للغيب وجعلت الغيب اسما للخفيات قبل ان تكتب في اللوح لان اثباتها في اللوح نوع من البروز عن الحجاب على معنى انه لا ينفصل عن الغيب شيء ولا يزل عنه الا مسطورا في اللوح

والذين سعوا في آياتنا معاجزين اولئك لهم عذاب من رجز اليم ويرى الذين اوتوا العلم الذي انزل اليك من ربك هو الحق ويهدي الى صراط العزيز الحميد

وقرئ معجزين واليم بالرفع والجر عن قتادة الرجز سوء العذاب ويرى في موضع الرفع اي ويعلم اولوا العلم يعني اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومن يطأ اعقابهم من امته او علماء اهل الكتاب الذين اسلموا مثل كعب الاحبار وعبد الله بن سلام الذي انزل اليك الحق هما مفعولان ليرى وهو فصل ومن قرأ الحق بالرفع جعله مبتدأ والحق خبرا والجملة في موضع المفعول الثاني وقيل يرى في موضع النصب معطوف على ليجزي اي وليعلم اولوا العلم عند مجيء الساعة انه الحق علما لا يزاد عليه في الايقان ويحتجوا به على الذين كذبوا وتولوا ويجوز ان يريد وليعلم من لم يؤمن

من الاخبار انه هو الحق فيزدادوا حسرة وغما ● وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفي خلق جديد ● الذين كفروا قريش قال بعضهم لبعض هل ندلكم على رجل يعنون محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم يحدثكم باعجوبة من الاعاجيب انكم تبعثون وتنشؤن خلقا جديدا بعد ان تكونوا رفاتا وترابا ويمزق اجسادكم البلى كل ممزق اى يفرقكم ويبدد اجزاءكم كل تبديد ● افترى على الله كذبا ام به جنة بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد ● اهو مفتر على الله كذبا فيما ينسب اليه من ذلك ام به جنون يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه ثم قال ليس محمد من الافتراء والجنون في شئ وهو مبرأ منهما بل هؤلاء القائلون الكافرون بالبعث واقعون في عذاب النار وفيما يؤديهم اليه من الضلال عن الحق وهم غافلون عن ذلك وذلك اجن الجنون واشده اطباقا على عقولهم جعل وقوعهم في العذاب رسيلا لوقوعهم في الضلال كانهما كائنان في وقت واحد لان الضلال لما كان العذاب من لوازمه وموجباته جعلا كانهما في الحقيقة مقترنان وقرأ زيد بن علي رضي الله تعالى عنهما ينبئكم **فان قلت** قد جعلت الممزق مصدرا كقولك كتبت الكتاب وقوله الم تعلم مسرحي القوافي فلا عيا بهن ولا اجتلابا فهل يجوز ان يكون مكانا **قلت** نعم ومعناه ما حصل من الاموات في بطون الطير والسباع وما مرت به السيول فذهبت كل مذهب وما سفته الرياح فطرحته كل مطرح **فان قلت** ما العامل في اذا **قلت** ما دل عليه انكم لفي خلق جديد وقد سبق نظيره **فان قلت** الجديد فعيل بمعنى فاعل ام مفعول **قلت** هو عند البصريين بمعنى فاعل تقول جد فهو جديد كحد فهو حديد وقل فهو قليل وعند الكوفيين بمعنى مفعول من جده اذا قطعه وقالوا هو الذي جده الناسج الساعة في الثوب ثم شاع ويقولون ولهذا قالوا ملحفة جديد وهي عند البصريين كقوله سبحانه وتعالى ان رحمة الله قريب ونحو ذلك **فان قلت** لم اسقطت الهمزة في قوله تعالى افترى دون قوله السحر وكلتاهما همزة وصل **قلت** القياس الطرح ولكن امرا اضطرهم الى ترك اسقاطها في نحو السحر وهو خوف التباس الاستفهام بالخبر لكون همزة الوصل مفتوحة كهمزة الاستفهام **فان قلت** ما معنى وصف الضلال بالبعيد **قلت** هو من الاسناد المجازي لان البعد صفة الضال اذا بعد عن الجادة وكلما ازداد بعدا عنها كان اضل **فان قلت** كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مشهورا علما في قريش وكان انباؤه بالبعث شائعا عندهم فما معنى قوله تعالى هل ندلكم على رجل ينبئكم وعرضوا عليهم الدلالة عليه كما يدل على مجهول في امر مجهول **قلت** كانوا يقصدون بذلك الطنز والسخرية فاخرجوه مخرج التحلي ببعض الاحاجي التي يتحاجى بها للضحك والتلهي متجاهلين به وبامره ● افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض ان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء ان في ذلك لاية لكل عبد منيب ● اعموا فلم ينظروا الى السماء والارض وانهما حيثما كانوا وايتما ساروا امامهم وخلفهم محيطتان بهم لا يقدرون ان ينفذوا من اقطارهما وان يخرجوا عما هم فيه من ملكوت الله تعالى ولم يخافوا ان يخسف الله تعالى بهم او يسقط عليهم لتكذيبهم الآيات وكفرهم بالرسول وبما جاء به كما فعل بقارون واصحاب الايكة ان في ذلك النظر الى السماء والارض والفكر فيهما وما تدلان عليه من قدرة الله تعالى لآية ودلالة لكل عبد منيب وهو الراجع الى ربه المطيع له لان المنيب لا يخلو من النظر في آيات الله تعالى على انه قادر على كل شئ من البعث ومن عقاب من يكفر به وقرئ يشأ ويخسف ويسقط بالياء لقوله تعالى افترى على الله كذبا وبالنون لقوله تعالى ولقد آتينا وكسفا بفتح السين وسكونه وقرأ الكسائي نخسف بهم بالادغام وليست بقوية ● ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال اوبي معه والطير والنا له الحديد ● يا جبال اما ان يكون بدلا من فضلا واما من آتينا بتقدير قولنا يا جبال او قلنا يا جبال وقرئ اوبي واوبي من التأويب والاوب اي رجعي معه التسبيح او ارجعي معه في التسبيح كلما رجع فيه لانه اذا رجعه فقد رجع فيه ومعنى تسبيح الجبال ان الله تعالى يخلق فيها تسبيحا كما خلق الكلام في الشجر فيسمع منها ما يسمع من المسبح معجزة لداود عليه السلام وقيل كان ينوح على ذنبه بترجيع وتحزين وكانت الجبال تسعده على نوحه باصدائها والطير باصواتها وقرئ والطير رفعا ونصبا عطفا على لفظ الجبال ومحلها وجوزوا ان ينتصب مفعولا معه وان يعطف على فضلا بمعنى وسخرنا له الطير **فان قلت** اي فرق بين هذا النظم وبين ان يقال وآتينا داود منا فضلا تأويب الجبال معه والطير **قلت** كم بينهما الا ترى الى ما فيه من الفخامة التي لا تخفى من الدلالة على عزة الربوبية وكبرياء الالهية حيث جعلت الجبال

منزلة العقلاء الذين اذا امرهم اطاعوا واذعنوا واذا دعاهم سمعوا واجابوا اشعارا بانه ما من حيوان وجماد وناطق وصامت الا وهو منقاد لمشيته غير ممتنع على ارادته ● والنا له الحديد وجعلناه له لينا كالطين والعجين والشمع يصرفه بيده كيف يشاء من غير نار ولا ضرب بمطرقة وقيل لان الحديد في يده لما اوتي من شدة القوة ● ان اعمل سابغات وقدر في السرد واعملوا صالحا اني بما تعملون بصير ● وقرئ صابغات وهي الدروع الواسعة الضافية وهو اول من اتخذها وكانت قبل صفائح وقيل كان يبيع الدرع باربعة آلاف فينفق منها على نفسه وعياله ويتصدق على الفقراء وقيل كان يخرج حين ملك بني اسرائيل متنكرا فيسأل الناس عن نفسه ويقول لهم ما تقولون في داود فيثنون عليه فقيض الله تعالى ملكا في صورة آدمي فسأله على عادته فقال نعم الرجل لولا خصلة فيه فريع داود عليه السلام فسأله فقال لولا انه يطعم عياله من بيت المال فسأل عند ذلك ربه ان يسبب له ما يستغني به عن بيت المال فعلمه صنعة الدروع ● وقدر لا تجعل المسامير دقاقا فتقلق ولا غلاظا فتفصم الحلق والسرد نسج الدروع ● واعملوا الضمير لداود عليه السلام واهله ● ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر واسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه ومن يزغ منهم عن امرنا نذقه من عذاب السعير ● وسخرنا لسليمان الريح فيمن نصب ولسليمان الريح مسخرة فيمن رفع وكذلك فيمن قرأ الرياح بالرفع غدوها شهر جريها بالغداة مسيرة شهر وجريها بالعشي كذلك وقرئ غدوتها وروحتها وعن الحسن رحمه الله تعالى كان يغدو فيقيل باصطخر ثم يروح فيكون رواحه بكابل ويحكى ان بعضهم رأى مكتوبا في منزل بناحية دجلة كتبه بعض اصحاب سليمان عليه السلام نحن نزلناه وما بنيناه ومبنيا وجدناه غدونا من اصطخر فقلناه ونحن رائحون منه فبائتون بالشام ان شاء الله تعالى ● القطر النحاس المذاب من القطران **فان قلت** ماذا اراد بعين القطر **قلت** اراد بها معدن النحاس ولكنه اساله كما الان الحديد لداود فنبع كما ينبع الماء من العين فلذلك سماه عين القطر باسم ما آل اليه كما قال اني اراني اعصر خمرا وقيل كان يسيل في الشهر ثلاثة ايام باذن ربه بامره ● ومن يزغ منهم ومن يعدل عن امرنا الذي امرناه به من طاعة سليمان عليه السلام وقرئ يزغ من ازاغه وعذاب السعير عذاب الآخرة عن ابن عباس رضي الله عنهما وعن السدي كان معه ملك بيده سوط من نار كلما استعصى عليه ضربه من حيث لا يراه الجني ● يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادي الشكور ● المحاريب المساكن والمجالس الشريفة المصونة عن الابتذال سميت محاريب لانه يحامى عليها ويذب عنها وقيل هي المساجد والتماثيل صور الملائكة والنبيين كانت تعمل في المساجد من نحاس وصفر وزجاج ورخام ليراها الناس فيعبدوا نحو عبادتهم **فان قلت** كيف استجاز سليمان عمل التصاوير **قلت** هذا مما يجوز ان تختلف فيه الشرائع لانه ليس من مقبحات العقل كالظلم والكذب وعن ابي العالية لم يكن اتخاذ الصور اذ ذاك محرما ويجوز ان يكون غير صور الحيوان كصور الاشجار وغيرها لان التمثال كل ما صور على مثل صورة غيره من حيوان وغير حيوان او بصور محذوفة الرؤس وروي انهم عملوا له اسدين في اسفل كرسيه ونسرين فوقه فاذا اراد ان يصعد بسط الاسدان له ذراعيهما واذا قعد اظله النسران باجنحتهما والجوابي الحياض الكبار قال تروح على آل المحلق جفنة كجابية الشيخ العراقي تفهق لان الماء يجبى فيها اي يجمع جعل الفعل لها مجازا وهي من الصفات الغالبة كالدابة قيل كان يقعد على الجفنة الف رجل وقرئ بحذف الياء اكتفاء بالكسرة كقوله تعالى يوم يدع الداع ● راسيات ثابتات على الاثافي لا تنزل عنها لعظمها ● اعملوا آل داود حكاية ما قيل لآل داود وانتصب شكرا على انه مفعول له اي اعملوا لله واعبدوه على وجه الشكر او على الحال اي شاكرين او على تقدير اشكروا شكرا لان اعملوا فيه معنى اشكروا من حيث ان العمل للمنعم شكر له ويجوز ان ينتصب باعملوا مفعولا به ومعناه انا سخرنا لكم الجن يعملون لكم ما شئتم فاعملوا انتم شكرا على طريق المشاكلة ● والشكور المتوفر على اداء الشكر الباذل وسعه فيه قد شغل به قلبه ولسانه وجوارحه اعتقادا واعترافا وكدحا واكثر اوقاته وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما من يشكر على احواله كلها وعن السدي من يشكر على الشكر وقيل من يرى عجزه عن الشكر وعن داود انه جزأ ساعات الليل والنهار على اهله فلم تكن تأتي ساعة من الساعات الا وانسان من آل داود قائم يصلي وعن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه انه سمع رجلا يقول اللهم اجعلني من القليل فقال عمر ما هذا الدعاء فقال الرجل اني سمعت الله تعالى يقول وقليل من عبادي الشكور فانا ادعو الله تعالى ان يجعلني من ذلك القليل فقال عمر رضي الله عنه كل الناس اعلم من عمر ● فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الارض تأكل منسأته

فلما خر تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين

قرئ فلما قضي عليه الموت ودابة الارض الارضة وهي الدويبة التي يقال لها السرفة والارض فعلها فاضيفت اليه يقال ارضت الخشبة ارضا اذا اكلتها الارضة وقرئ بفتح الراء من ارضت الخشبة ارضا وهو من باب فعلته ففعل كقولك اكلت القوادح الاسنان اكلا فاكلت اكلا والمنسأة العصا لانه ينسأ بها اي يطرد ويؤخر وقرئ بضم الميم وتخفيف الهمزة قلبا وحذفا وكلاهما ليس بقياس ولكن اخراج الهمزة بين بين هو التخفيف القياسي ومنساءة على مفعالة كما يقال في الميضاة ميضاءة ومن سأته اي من طرف عصاه سميت بساة القوس على الاستعارة وفيها لغتان كقولهم قحة وقحة وقرئ اكلت منسأته تبينت الجن من تبين الشيء اذا ظهر وتجلى وان مع صلتها بدل من الجن بدل الاشتمال كقولك تبين زيد جهله والظهور له في المعنى اي ظهر ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب او علم الجن كلهم علما بينا بعد التباس الامر على عامتهم وضعفتهم وتوهمهم ان كبارهم يصدقون في ادعائهم علم الغيب او علم المدعون علم الغيب منهم عجزهم وانهم لا يعلمون الغيب وان كانوا عالمين قبل ذلك بحالهم وانما اريد التهكم بهم كما تتهكم بمدعي الباطل اذا دحضت حجته وظهر ابطاله بقولك هل تبينت انك مبطل وانت تعلم انه لم يزل كذلك متبينا وقرئ تبينت على بني للمفعول يعني تعارفت وتعالمت والضمير في كانوا للجن في قوله تعالى ومن الجن من يعمل بين يديه اي علمت الانس ان لو كان الجن يصدقون فيما يوهمونهم من علمهم الغيب ما لبثوا وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه تبينت الانس ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب روي انه كان من عادة سليمان عليه السلام انه يعتكف في مسجد بيت المقدس المدد الطوال فلما دنا اجله لم يصبح الا رأى في محرابه شجرة نابتة قد انطقها الله تعالى فيسألها لاي شيء انت فتقول لكذا حتى اصبح ذات يوم فرأى الخروبة فسألها فقالت نبت لخراب هذا المسجد فقال ما كان الله تعالى ليخربه وانا حي انت التي على وجهك هلاكي وخراب بيت المقدس فنزعها وغرسها في حائط له وقال اللهم عم على الجن موتي حتى يعلم الناس انهم لا يعلمون الغيب لانهم كانوا يسترقون السمع ويموهون على الانس انهم يعلمون الغيب وقال لملك الموت اذا امرت بي فاعلمني فقال امرت بك وقد بقيت من عمرك ساعة فدعا الشياطين فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب فقام يصلي متكيا على عصاه فقبض روحه وهو متكئ عليها وكانت الشياطين تجتمع حول محرابه اينما صلى فلم يكن شيطان ينظر اليه في صلاته الا احترق فمر به شيطان فلم يسمع صوته ثم رجع فلم يسمع فنظر فاذا سليمان عليه السلام قد خر ميتا ففتحوا عنه فاذا العصا قد اكلتها الارضة فارادوا ان يعرفوا وقت موته فوضعوا الارضة على العصا فاكلت منها في يوم وليلة مقدارا فحسبوا على ذلك النحو فوجدوه قد مات منذ سنة وكانوا يعملون بين يديه ويحسبونه حيا فايقن الناس انهم لو علموا الغيب ما لبثوا في العذاب سنة وروي ان داود عليه السلام اسس بناء بيت المقدس في موضع فسطاط موسى عليه السلام فمات قبل ان يتمه فوصى به سليمان عليه السلام فامر الشياطين باتمامه فلما بقي من عمره سنة سأل ان يعمى عليهم موته حتى يفرغوا منه ولتبطل دعواهم علم الغيب وروي ان افريدون جاء ليصعد كرسيه فلما دنا ضرب الاسدان ساقه فكسراها فلم يجسر احد بعده ان يدنو منه وكان عمر سليمان عليه السلام ثلثا وخمسين سنة ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة فبقي في ملكه اربعين سنة وابتدأ بناء بيت المقدس لاربع مضين من ملكه

لقد كان لسبإ في مساكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور

قرئ لسبأ بالصرف ومنعه وقلب الهمزة الفا ومسكنهم بفتح الكاف وكسرها وهو موضع سكناهم وهو بلدهم وارضهم التي كانوا مقيمين فيها او مسكن كل واحد منهم وقرئ مساكنهم وجنتان بدل من آية او خبر مبتدأ محذوف تقديره الآية جنتان وفي الرفع معنى المدح يدل عليه قراءة من قرأ جنتين بالنصب على المدح **فان قلت** ما معنى كونها آية **قلت** لم يجعل الجنتين في انفسهما آية وانما جعل قصتهما ان اهلهما اعرضوا عن شكر الله تعالى عليهما فخربهما وابدلهم عنهما الخمط والاثل آية وعبرة لهم ليعتبروا ويتعظوا فلا يعودوا الى ما كانوا عليه من الكفر وغمط النعم ويجوز ان تجعلهما آية اي علامة دالة على الله تعالى وعلى قدرته واحسانه ووجوب شكره **فان قلت** كيف عظم الله تعالى جنتي اهل سبإ وجعلهما آية ورب قرية من قريات العراق يحتف بها من الجنان ما شئت **قلت** لم يرد بستانين اثنين فحسب وانما اراد جماعتين من البساتين جماعة عن يمين بلدهم واخرى عن شمالها وكل واحد من الجماعتين في تقاربها وتضامها كانها جنة واحدة كما يكون بلاد الريف العامرة وبساتينها او اراد بستاني كل رجل منهم عن يمين مسكنه وشماله كما قال الله تعالى جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب كلوا من رزق ربكم اما حكاية لما قال لهم انبياء الله تعالى المبعوثون اليهم او لما قال لهم لسان الحال او هم احقاء

بان يقال لهم ذلك ولما قال كلوا من رزق ربكم واشكروا له اتبعه قوله بلدة طيبة ورب غفور يعني هذه البلدة التي فيها رزقكم بلدة طيبة وربكم الذي رزقكم وطلب شكركم رب غفور لمن شكره وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كانت اخصب البلاد واطيبها تخرج المرأة وعلى رأسها المكتل فتعمل بيديها وتسير بين تلك الشجر فيمتلئ المكتل بما يتساقط فيه من الثمر طيبة لم تكن سبخة وقيل لم يكن فيها بعوض ولا ذباب ولا برغوث ولا عقرب ولا حية وقرئ بلدة طيبة وربا غفورا بالنصب على المدح وعن ثعلب معناه اسكن واعبد

فاعرضوا فارسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي اكل خمط واثل وشيء من سدر قليل ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي الا الكفور

العرم الجرذ الذي نقب عليهم السكر ضربت لهم بلقيس الملكة بسد ما بين الجبلين بالصخر والقار فحقنت به ماء العيون والامطار على قدر ما يحتاجون اليه في سقيهم فلما طغوا وقيل بعث الله تعالى لهم ثلاثة عشر نبيا يدعونهم الى الله تعالى ويذكرونهم نعمته عليهم فكذبوهم وقالوا ما نعرف نعمة سلط الله تعالى على سدهم الخلد فنقبه من اسفله فغرقهم وقيل العرم جمع عرمة وهي الحجارة المركومة ويقال للكدس من الطعام عرمة والمراد المسناة التي عقدوها سكرا وقيل العرم اسم الوادي وقيل العرم المطر الشديد وقرئ العرم بسكون الراء وعن الضحاك كانوا في الفترة التي بين عيسى ومحمد صلوات الله تعالى وسلامه عليهما وقرئ اكل بالضم والسكون وبالتنوين والاضافة والاكل الثمر والخمط شجر الاراك وعن ابي عبيدة كل شجر ذي شوك وقال الزجاج كل نبت اخذ طعما من مرارة حتى لا يمكن اكله والاثل شجر يشبه الطرفا اعظم منه واجود عودا ووجه من نون ان اصله ذواتي اكل اكل خمط فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه او وصف الاكل بالخمط كانه قيل ذواتي اكل بشع ومن اضاف وهو ابو عمرو وحده فلان اكل الخمط في معنى البرير كانه قيل ذواتي برير والاثل والسدر معطوفان على اكل لا على خمط لان الاثل لا اكل له وقرئ واثلا وشيئا بالنصب عطفا على جنتين وتسمية البدل جنتين لاجل المشاكلة وفيه ضرب من التهكم وعن الحسن رحمه الله تعالى قلل السدر لانه اكرم ما بدلوا وقرئ وهل يجازى بالنون وهل نجازي والفاعل الله تعالى وحده وهل يجزى والمعنى ان مثل هذا الجزاء لا يستحقه الا الكافر وهو العقاب العاجل وقيل المؤمن تكفر سيئاته بحسناته والكافر يحبط عمله فيجازى بجميع ما عمله من السوء ووجه آخر وهو ان الجزاء عام لكل مكافاة يستعمل تارة في معنى المعاقبة واخرى في معنى الاثابة فلما استعمل في معنى المعاقبة في قوله تعالى جزيناهم بما كفروا بمعنى عاقبناهم بكفرهم قيل وهل نجازي الا الكفور بمعنى وهل نعاقب وهو الوجه الصحيح وليس لقائل ان يقول لم قيل وهل نجازي الا الكفور على اختصاص الكفور بالجزاء والجزاء عام للكافر والمؤمن لانه لم يرد الجزاء العام وانما اراد الخاص وهو العقاب بل لا يجوز ان يراد العموم وليس بموضعه الا ترى انك لو قلت جزيناهم بما كفروا وهل نجازي الا الكافر والمؤمن لم يصح ولم يسد كلاما فتبين ان ما يتخيل من السؤال مضمحل وان الصحيح الذي لا يجوز غيره ما جاء عليه كلام الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه

وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي واياما آمنين

القرى التي باركنا فيها هي قرى الشام قرى ظاهرة متواصلة يرى بعضها من بعض لتقاربها فهي ظاهرة لاعين الناظرين او راكبة متن الطريق ظاهرة للسابلة لم تبعد عن مسالكهم حتى تخفى عليهم وقدرنا فيها السير قيل كان الغادي منهم يقيل في قرية والرائح يبيت في قرية الى ان يبلغ الشام لا يخاف جوعا ولا عطشا ولا عدوا ولا يحتاج الى حمل زاد ولا ماء سيروا فيها وقلنا لهم سيروا فيها ولا قول ثم ولكنهم لما مكنوا من السير وسويت لهم اسبابه فكانهم امروا بذلك واذن لهم فيه **فان قلت** ما معنى قوله تعالى ليالي واياما **قلت** معناه سيروا فيها ان شئتم بالليل وان شئتم بالنهار فان الامن فيها لا يختلف باختلاف الاوقات او سيروا فيها آمنين لا تخافون وان طالت مدة سفركم فيها وامتدت اياما وليالي او سيروا فيها لياليكم واياكم مدة اعماركم فانكم في كل حين وزمان لا تلقون فيها الا الامن

فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا وظلموا انفسهم فجعلناهم احاديث ومزقناهم كل ممزق ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور

قرئ ربنا باعد بين اسفارنا وبعد ويا ربنا على الدعاء بطروا النعمة وبشموا من طيب العيش وملوا العافية فطلبوا الكد والتعب كما طلب بنو اسرائيل البصل والثوم مكان المن والسلوى وقالوا لو كان جنى جناننا ابعد كان اجدر ان نشتهيه وتمنوا ان يجعل الله تعالى بينهم وبين الشام مفاوز ليركبوا الرواحل فيها ويتزودوا الازواد فعجل الله تعالى لهم الاجابة وقرئ ربنا بعد بين اسفارنا وبعد بين اسفارنا على النداء واسناد الفعل الى بين ورفعه كما تقول سير فرسخان وبوعد بين اسفارنا وقرئ ربنا باعد بين اسفارنا وبين سفرنا وبعد برفع ربنا على الابتداء والمعنى خلاف الاول

وهو استبعاد مسايرهم على قصرها ودنوها لفرط تنعمهم وترفههم كأنهم كانوا يتشاجون على ربهم ويتحازنون عليه احاديث
يتحدث الناس بهم ويتعجبون من احوالهم وفرقناهم تفريقا اتخذهم الناس مثلا مضروبا يقولون ذهبوا ايدي سبا وتفرقوا ايادي سبا
قال كثير · ايادي سبا يا عز ما كنت بعدكم · فلم يحل بالعينين بعدك منظر · لحق غسان بالشام وانمار بيثرب وجذام بتهامة
والازد بعمان · صبار عن المعاصي شكور للنعم · **ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقا
من المؤمنين** · قرئ صدق بالتخفيف والتشديد ورفع ابليس ونصب الظن فمن شدد فعلى حقق عليهم ظنه
او وجده صادقا ومن خفف فعلى صدق في ظنه او صدق يظن ظنا نحو فعلته جهدك وبنصب ابليس ورفع الظن فمن شدد
فعلى وجد ظنه صادقا ومن خفف فعلى قال له ظنه الصدق حين خيله اغواءهم يقولون صدقك ظنك وبالتخفيف ورفعهما
على صدق عليهم ظن ابليس ولو قرئ بالتشديد مع رفعهما لكان على المبالغة في صدق كقوله · صدقت فيهم ظنوني · ومعناه
انه حين وجد آدم ضعيف العزم قد اصغى الى وسوسته قال ان ذريته اضعف عزما منه فظن بهم اتباعه وقال لاضلنهم لاغوينهم
وقيل ظن ذلك عند اخبار الله تعالى الملائكة انه يجعل فيها من يفسد فيها والضمير في عليهم واتبعوه اما لاهل سبا او
لبني آدم وقلل المؤمنين بقوله الا فريقا لانهم قليل بالاضافة الى الكفار كما قال تعالى لاحتنكن ذريته الا قليلا ولا تجد اكثرهم شاكرين
**وما كان له عليهم من سلطان الا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك وربك
على كل شيء حفيظ** · وما كان له عليهم من تسلط واستيلاء بالوسوسة والاستغواء الا لغرض صحيح وحكمة بينة وذلك
ان يتميز المؤمن بالآخرة من الشاك فيها وعلل التسليط بالعلم والمراد ما تعلق به العلم وقرئ ليعلم على البناء للمفعول حفيظ محافظ
عليه وفعيل ومفاعل متآخيان · **قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال
ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير** · قل لمشركي
قومك ادعوا الذين عبدتموهم من دون الله من الاصنام والملائكة وسميتموهم باسمه كما تدعون الله تعالى والتجئوا اليهم فيما يعروكم
كما تلتجئون اليه وانتظروا استجابتهم لدعائكم ورحمتهم كما تنتظرون ان يستجيب لكم ويرحمكم ثم اجاب عنهم بقوله تعالى لا يملكون مثقال
ذرة من خير او شر او نفع او ضر في السموات والارض وما لهم في هذين الجنسين من شركة في الخلق ولا في الملك كقوله تعالى ما اشهدتهم
خلق السموات والارض وما له منهم من عوين يعينه على تدبير خلقه يريد انهم على هذه الصفة من العجز والبعد عن احوال الربوبية فكيف يصح
ان يدعوا كما يدعى ويرجوا كما يرجى · **فان قلت** اين مفعولا زعم · **قلت** احدهما الضمير المحذوف الراجع
الى الموصول واما الثاني فلا يخلو اما ان يكون من دون الله او لا يملكون او محذوفا فلا يصح الاول لان قولك هم من دون الله لا يلتئم
كلاما ولا الثاني لانهم كانوا لا يزعمون ذلك وكيف يتكلمون بما هو حجة عليهم وبما لو قالوه قالوا ما هو حق وتوحيد فبقي ان يكون محذوفا
تقديره زعمتموهم آلهة من دون الله تعالى فحذف الراجع الى الموصول كما حذف في قوله جل وعلا اهذا الذي بعث الله رسولا
استخفافا لطول الموصول بصلته وحذف آلهة لانه موصوف صفته من دون الله والموصوف يجوز حذفه واقامة الصفة مقامه
اذا كان مفهوما فاذا مفعولا زعم محذوفان جميعا بسببين مختلفين · **ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن
له حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير** · تقول الشفاعة
لزيد على معنى انه الشافع كما تقول الكرم لزيد وعلى انه المشفوع له كما تقول القيام لزيد فاحتمل قوله ولا تنفع الشفاعة عنده
الا لمن اذن له ان يكون على احد هذين الوجهين اي لا تنفع الشفاعة عنده الا كائنة لمن اذن له من الشافعين ومطلقة له
او لا تنفع الا كائنة لمن اذن له اي لشفيعه او هي اللام الثانية في قولك اذن لزيد لعمرو اي لاجله وكأنه قيل الا لمن وقع الاذن للشفيع
لاجله وهذا وجه لطيف وهو الوجه وهذا تكذيب لقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله تعالى · **فان قلت** بم اتصل قوله تعالى
حتى اذا فزع عن قلوبهم ولاي شيء وقعت غاية · **قلت** بما فهم من هذا الكلام من ان ثم انتظارا للاذن وتوقعا وتمهلا وفزعا من
الراجين للشفاعة والشفعاء هل يؤذن لهم او لا يؤذن وانه لا يطلق الاذن الا بعد ملي من الزمان وطول من التربص ومثل
هذه الحال دل عليه قوله سبحانه وتعالى رب السموات والارض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا يوم يقوم الروح والملائكة صفا
لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا كأنه قيل يتربصون ويتوقفون مليا فزعين وهلين حتى اذا فزع عن قلوبهم اي كشف
الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بكلمة يتكلم بها رب العزة في اطلاق الاذن تباشروا بذلك وسأل بعضهم بعضا ماذا قال
ربكم قالوا قال الحق اي القول الحق وهو الاذن بالشفاعة لمن ارتضى · وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم

فاذا اذن لمن اذن ان يشفع فزعته الشفاعة · وقرئ اذن له اي اذن الله تعالى واذن له على البناء للمفعول وقرأ الحسن
فزع مخففا بمعنى فزع وقرئ فزع على البناء للفاعل وهو الله وحده وفرغ اي نفي الوجل عنها وافني من قولهم فرغ الزاد اذا لم يبق
منه شيء ثم ترك ذكر الوجل واسند الى الجار والمجرور كما تقول دفع الى زيد اذا علم ما المدفوع وقد تخفف واصله فرغ الوجل عنها
اي انتفى عنها وفني ثم حذف الفاعل واسند الى الجار والمجرور وافرنقع عن قلوبهم بمعنى انكشف عنها · وعن ابي علقمة انه هاج به
المرار فالتف عليه الناس فلما افاق قال ما لكم تكاكأتم علي تكاكؤكم على ذي جنة افرنقعوا عني · والكلمة مركبة من حروف المفارقة مع
زيادة العين كما ركب اقمطر من حروف القمط مع زيادة الراء وقرئ الحق بالرفع اي مقوله الحق وهو العلي الكبير ذو العلو والكبرياء
ليس لملك ولا نبي ان يتكلم ذلك اليوم الا باذنه وان يشفع الا لمن ارتضى · **قل من يرزقكم من السماء والارض قل
الله وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين** · امره بان يقررهم بقوله تعالى من يرزقكم ثم امره
بان يتولى الاجابة والاقرار عنهم بقوله يرزقكم الله تعالى وذلك للاشعار بانهم مقرون بقلوبهم الا انهم ربما ابوا ان يتكلموا به لان
الذي تمكن في صدورهم من العناد وحب الشرك قد الجم افواههم عن النطق بالحق مع العلم بصحته ولانهم ان تفوهوا بان الله تعالى
رازقهم لزمهم ان يقال لهم فما لكم لا تعبدون من يرزقكم وتؤثرون عليه من لا يقدر على الرزق الا ترى الى قوله تعالى قل من يرزقكم
من السماء والارض امن يملك السمع والابصار حتى قال فسيقولون الله ثم قال تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال فكأنهم يقرون بألسنتهم
مرة ومرة كانوا يتلعثمون عنادا وضرارا وحذرا من الزام الحجة ونحوه قوله سبحانه وتعالى قل من رب السموات والارض قل الله قل
افاتخذتم من دونه اولياء لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا وامره ان يقول لهم بعد الالزام والالجام الذي ان لم يزد على اقرارهم بألسنتهم
لم يتقاصر عنه وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين ومعناه وان احد الفريقين من الذين يتوحدون بالرزق من
السموات والارض بالعبادة ومن الذين يشركون به الجماد الذي لا يوصف بالقدرة لعلى احد الامرين من الهدى والضلال وهذا من
كلام المنصف الذي كل من سمعه من موال او مناف قال لمن خوطب به قد انصفك صاحبك وفي درجه بعد تقدمة ما قدم من التقرير
البليغ دلالة غير خفية على من هو من الفريقين على الهدى ومن هو في الضلال المبين ولكن التعريض والتورية افضل بالمجادل
الى الغرض واهجم به على الغلبة مع قلة شغب الخصم وفل شوكته بالهوينا ونحوه قول الرجل لصاحبه قد علم الله الصادق مني ومنك
وان احدنا لكاذب ومنه قول حسان رضي الله تعالى عنه · اتهجوه ولست له بكفء · فشركما لخيركما الفداء · **فان قلت**
كيف خولف بين حرفي الجر الداخلين على الحق والضلال · **قلت** لان صاحب الحق كأنه مستعل على فرس جواد يركضه
حيث شاء والضال كأنه منغمس في ظلام مرتبك فيه لا يدري اين يتوجه وفي قراءة ابي وانا او اياكم اما على هدى او في
ضلال مبين · **قل لا تسألون عما اجرمنا ولا نسأل عما تعملون · قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح
بيننا بالحق وهو الفتاح العليم · قل اروني الذين الحقتم به شركاء كلا بل هو
العزيز الحكيم** · هذا ادخل في الانصاف وابلغ فيه من الاول حيث اسند الاجرام الى المخاطبين والعمل الى المخاطبين
وان اراد بالاجرام الصغائر والزلات التي لا يخلو منها مؤمن وبالعمل الكفر والمعاصي العظام وفتح الله تعالى بينهم وهو حكمه
وفصله انه يدخل هؤلاء الجنة واولئك النار · **فان قلت** ما معنى قوله تعالى اروني وكان يراهم ويعرفهم
قلت اراد بذلك ان يريهم الخطأ العظيم في الحاق الشركاء بالله تعالى وان يقايس على اعينهم بينه وبين
اصنامهم ليطلعهم على احالة القياس اليه والاشراك به وكلا ردع لهم عن مذهبهم بعدما كسره بابطال المقايسة كما قال ابراهيم عليه السلام
اف لكم ولما تعبدون من دون الله افلا تعقلون بعدما حجهم وقد نبه على تفاحش غلطهم وانهم لم يقدروا الله تعالى حق قدره بقوله
هو الله العزيز الحكيم كأنه قال اين الذين الحقتم به شركاء من هذه الصفات وهو راجع الى الله وحده او ضمير الشأن كما في قوله قل هو الله احد
وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس لا يعلمون · الا كافة للناس
الا ارسالة عامة لهم محيطة بهم لانها اذا شملتهم فقد كفتهم ان يخرج منها احد منهم وقال الزجاج ارسلناك جامعا للناس في
الانذار والابلاغ فجعله حالا من الكاف وحق التاء على هذا ان تكون للمبالغة كتاء الراوية والعلامة ومن جعله حالا من المجرور متقدما
عليه فقد اخطأ لان تقدم حال المجرور عليه في الاحالة بمنزلة تقدم المجرور على الجار وكم ترى ممن يرتكب هذا الخطأ ثم لا يقنع به حتى يضم
اليه ان يجعل اللام بمعنى الى لانه لا يستوي له الخطأ الاول الا بالخطأ الثاني فلا بد له من ارتكاب الخطأين · **ويقولون
متى هذا الوعد ان كنتم صادقين · قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون**

قرئ ميعاد يوم وميعادٌ يومٌ وميعادٌ يوماً والميعاد ظرف الوعد من مكان او زمان وهو ههنا الزمان والدليل عليه قراءة من قرأ
ميعادٌ يومٌ فابدل منه اليوم فان قلت فما تأويل من اضافه الى يوم او نصب يوما قلت اما الاضافة فاضافة
تبيين كما تقول سحق ثوب وبعير سانية واما نصب اليوم فعلى التعظيم باضمار فعل تقديره لكم ميعاد اعني يوما او اريد يوما من صفته
كيت وكيت ويجوز ان يكون الرفع على هذا اعني التعظيم فان قلت كيف انطبق هذا جوابا على سؤالهم
قلت ما سألوا عن ذلك وهم منكرون له الا تعنتا لا استرشادا فجاء الجواب على طريق التهديد مطابقا لمجيء
السؤال على سبيل الانكار والتعنت وانهم مرصدون ليوم يفاجئهم فلا يستطيعون تأخرا عنه ولا تقدما عليه
وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه · الذي بين يديه ما نزل
قبل القرآن من كتب الله تعالى يروى ان كفار مكة سألوا اهل الكتاب فاخبروهم انهم يجدون صفة رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم في كتبهم فاغضبهم ذلك وقرنوا الى القرآن جميع ما تقدمه من كتب الله تعالى في الكفر فكفروا بها
وقيل الذي بين يديه يوم القيمة والمعنى انهم جحدوا ان يكون القرآن من الله تعالى او ان يكون لما دل عليه من الاعادة للجزاء حقيقة
ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول يقول الذين
استضعفوا للذين استكبروا لولا انتم لكنا مؤمنين · ثم اخبر عن عاقبة امرهم
ومآلهم في الآخرة فقال لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم او للمخاطب ولو ترى في الآخرة موقفهم وهم يتجاذبون اطراف
المحاورة ويتراجعونها بينهم لرأيت العجب فحذف الجواب والمستضعفون هم الاتباع والمستكبرون الرؤس والمقدمون
قال الذين استكبروا للذين استضعفوا انحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل
كنتم مجرمين · اولي الاسم اعني نحن حرف الانكار لان الغرض انكار ان يكونوا هم الصادين لهم عن الايمان واثبات
انهم هم الذين صدوا بانفسهم عنه وانهم اتوا من قبل اختيارهم كأنهم قالوا انحن اجبرناكم وحلنا بينكم وبين كونكم ممكنين مختارين
بعد اذ جاءكم بعد ان صممتم على الدخول في الايمان وصحت نياتكم في اختياره بل انتم منعتم انفسكم حظها واثرتم الضلال على الهدى
واطعتم امر الشهوة دون امر النهى فكنتم مجرمين كافرين لاختياركم لا لقولنا وتسويلنا فان قلت اذ واذا
من الظروف اللازمة للظرفية فلم وقعت اذ مضافا اليها قلت قد اتسع في الزمان ما لم يتسع في غيره فاضيف اليها
الزمان كما اضيف الى الجمل في قولك جئتك بعد اذ جاء زيد وحينئذ ويومئذ وكان ذلك اوان الحجاج امير وحين خرج زيد
وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار اذ تأمروننا ان نكفر
بالله ونجعل له اندادا واسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الاغلال في
اعناق الذين كفروا هل يجزون الا ما كانوا يعملون · لما انكر المستكبرون بقولهم انحن صددناكم
ان يكونوا هم السبب في كفر المستضعفين واثبتوا بقولهم بل كنتم مجرمين ان ذلك بسبب اختيارهم كر عليهم المستضعفون
بقولهم بل مكر الليل والنهار فابطلوا اضرابهم باضرابهم كأنهم قالوا ما كان الاجرام من جهتنا بل من جهة مكركم لنا دائبا ليلا
ونهارا وحملكم ايانا على الشرك واتخاذ الانداد ومعنى مكر الليل والنهار مكركم في الليل والنهار فاتسع في الظرف باجرائه
مجرى المفعول به واضافة المكر اليه او جعل ليلهم ونهارهم ماكرين على الاسناد المجازي وقرئ بل مكرٌ الليلَ والنهارَ بالتنوين
ونصب الظرفين وبل مكرُّ الليل والنهار بالرفع والنصب اي تكرون الاغواء مكرا دائبا لا تفترون عنه فان قلت
ما وجه الرفع والنصب قلت هو مبتدأ او خبر على معنى بل سبب ذلك مكركم او مكركم سبب ذلك والنصب على تكرون الاغواء
مكر الليل والنهار فان قلت لم قيل قال الذين استكبروا بغير عاطف وقيل وقال الذين استضعفوا قلت
لان الذين استضعفوا مر اولا كلامهم فجيء بالجواب محذوف العاطف على طريقة الاستيناف ثم جيء بكلام آخر للمستضعفين
فعطف على كلامهم الاول فان قلت من صاحب الضمير في واسروا قلت الجنس المشتمل على النوعين من
المستكبرين والمستضعفين وهم الظالمون في قوله تعالى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يندم المستكبرون على ضلالهم
واضلالهم والمستضعفون على ضلالهم واتباعهم المضلين في اعناق الذين كفروا اي في اعناقهم فجاء بالصريح للتنويه بذمهم
وللدلالة على ما استحقوا به الاغلال وعن قتادة اسروا الكلام بذلك بينهم وقيل اسروا الندامة اظهروها وهو من الاضداد
وما ارسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها انا بما ارسلتم به كافرون · وقالوا

نحن

نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين · هذه تسلية لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
مما مني به من قومه من التكذيب والكفر بما جاء به والمنافسة بكثرة الاموال والاولاد والمفاخرة بالدنيا وزخارفها والتكبر
بذلك على المؤمنين والاستهانة بهم من اجله وقولهم اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا وانه لم يرسل قط الى اهل قرية من
نذير الا قالوا له مثل ما قال اهل مكة لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكادوه بنحو ما كادوه به وقاسوا امر الآخرة الموهومة او
المفروضة عندهم على امر الدنيا واعتقدوا انهم لو لم يكرموا على الله تعالى لما رزقهم ولولا ان المؤمنين هانوا عليه لما حرمهم فعلى قياسهم
ذلك قالوا وما نحن بمعذبين ارادوا انهم اكرم على الله تعالى من ان يعذبهم نظرا الى احوالهم في الدنيا وقد ابطل الله تعالى حسبانهم
بان الرزق فضل من الله تعالى يقسمه كما يشاء على حسب ما يراه من المصالح فربما وسع على العاصي وضيق على المطيع وربما عكس
وربما وسع عليهما وضيق عليهما فلا ينقاس عليه امر الثواب الذي مبناه على الاستحقاق وقدر الرزق تضييقه قال تعالى ومن قدر
عليه رزقه وقرئ يقدر بالتشديد والتخفيف · قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ولكن
اكثر الناس لا يعلمون · وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى الا من آمن
وعمل صالحا فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون · والذين
يسعون في آياتنا معاجزين اولئك في العذاب محضرون · اراد وما جماعة اموالكم ولا جماعة اولادكم
بالتي تقربكم وذلك ان الجمع المكسر عقلاؤه وغير عقلائه سواء في حكم التأنيث ويجوز ان يكون التي هي التقوى وهي المقربة عند الله
زلفى وحدها اي ليست اموالكم بتلك الموضوعة للتقريب وقرأ الحسن باللاتي تقربكم لانها جماعات وقرئ بالذي يقربكم اي
بالشيء الذي يقربكم والزلفى والزلفة كالقربى والقربة ومحلها النصب اي تقربكم قربة كقوله تعالى انبتكم من الارض نباتا الا من
استثناء من كم في تقربكم والمعنى ان الاموال لا تقرب احدا الا المؤمن الصالح الذي ينفقها في سبيل الله والاولاد لا تقرب احدا الا
من علمهم الخير وفقههم في الدين ورشحهم للصلاح والطاعة جزاء الضعف من اضافة المصدر الى المفعول اصله فاولئك لهم ان يجازوا
الضعف ثم جزاء الضعف ثم جزاء الضعف ومعنى جزاء الضعف ان تضاعف لهم حسناتهم الواحدة عشرا وقرئ جزاء
الضعف على ان يجازوا الضعف وجزاء الضعف مرفوعان الضعف بدل من جزاء وقرئ في الغرفات بضم الراء وفتحها
وسكونها وفي الغرفة · قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما
انفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين · فهو يخلفه فهو يعوضه لا معوض سواه اما عاجلا بالمال
او بالقناعة التي هي كنز لا ينفد واما آجلا بالثواب الذي كل خلف دونه · وعن مجاهد من كان عنده من هذا المال ما يقيمه
فليقتصد فان الرزق مقسوم ولعل ما قسم له قليل وهو ينفق نفقة الموسع عليه فينفق جميع ما في يده ثم يبقى طول عمره في فقر
ولا يتأولن وما انفقتم من شيء فهو يخلفه فان هذا في الآخرة ومعنى الآية وما كان من خلف فهو منه خير الرازقين واعلاهم
رب العزة لان كل من رزق غيره من سلطان يرزق جنده او سيد يرزق عبده او رجل يرزق عياله فهو من رزق الله
تعالى اجراه على ايدي هؤلاء وهو خالق الرزق وخالق الاسباب التي بها ينتفع المرزوق بالرزق وعن بعضهم
الحمد لله الذي اوجدني وجعلني ممن يشتهي فكم من مشته لا يجد وواجد لا يشتهي · ويوم نحشرهم جميعا
ثم نقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون · قالوا سبحانك انت ولينا من
دونهم بل كانوا يعبدون الجن اكثرهم بهم مؤمنون · هذا الكلام خطاب للملائكة وتقريع للكفار
وارد على المثل السائر اياك اعني واسمعي يا جاره ونحوه قوله عز وجل أانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله
وقد علم سبحانه كون الملائكة وعيسى منزهين براء مما وجه عليهم من السؤال الوارد على طريق التقرير والغرض ان يقول ويقولوا
ويسأل ويجيبوا فيكون تقريعهم اشد وتعييرهم ابلغ وخجلهم اعظم وهوانهم الزم ويكون اقتصاص ذلك لطفا لمن سمعه وزاجرا
لمن اقتص عليه والموالاة خلاف المعاداة ومنها اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وهي مفاعلة من الولي وهو القرب
كما ان المعاداة من العدواء وهي البعد والولي يقع على الموالي والموالى جميعا والمعنى انت الذي نواليه من دونهم اذ لا موالاة
بيننا وبينهم فبينوا باثبات موالاة الله تعالى ومعاداة الكفار براءتهم من الرضا بعبادتهم لهم لان من كان على هذه الصفة
كانت حاله منافية لذلك بل كانوا يعبدون الجن يريدون الشياطين حيث اطاعوهم في عبادة غير الله تعالى وقيل صورت الشياطين
لهم صور قوم من الجن وقالوا هذه صور الملائكة فاعبدوها وقيل كانوا يدخلون في اجواف الاصنام اذا عبدت فيعبدون بعبادتها

الضعف على فاولئك لهم الضعف جزاء وجزاء ح

وترى نحشرهم ونقول للذين ظلموا ❊ فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون ❊ الأمر في ذلك اليوم لله وحده لا يملك أحد فيه منفعة ولا مضرة لأحد لأن الدار دار ثواب وعقاب والمثيب والمعاقب هو الله تعالى فكانت حالها خلاف حال الدنيا التي هي دار تكليف والناس فيها مخلى بينهم يتضارون ويتنافعون والمراد أنه لا ضار ولا نافع يومئذ إلا هو ثم ذكر معاقبة الظالمين بقوله تعالى ونقول للذين ظلموا معطوف على لا يملك ❊ وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ما هذا إلا إفك مفترى وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم إن هذا إلا سحر مبين ❊ الإشارة الأولى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والثانية إلى القرآن والثالثة إلى الحق والحق أمر النبوة كله ودين الإسلام كما هو وفي قوله تعالى وقال الذين كفروا وفي أن لم يقل وقالوا وفي قوله للحق لما جاءهم وما في اللامين من الإشارة إلى القائلين والمقول فيه وما في لما من المبادهة بالكفر دليل على صدور الكلام عن إنكار عظيم وغضب شديد وتعجب من أمرهم بليغ كأنه قال وقال أولئك الكفرة المتمردون بجرأتهم على الله ومكابرتهم لمثل ذلك الحق النير قبل أن يذوقوه إن هذا إلا سحر مبين فبتوا القضاء على أنه سحر ثم بتوه على أنه بين ظاهر لكل عاقل تأمله سماه سحرا ❊ وما آتيناهم من كتب يدرسونها وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير ❊ وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما آتيناهم فكذبوا رسلي فكيف كان نكير ❊ وما آتيناهم كتبا يدرسونها فيها برهان على صحة الشرك ولا أرسلنا إليهم نذيرا ينذرهم بالعقاب إن لم يشركوا كما قال الله سبحانه وتعالى أم أنزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون أو وصفهم بأنهم قوم أميون أهل جاهلية لا ملة لهم وليس لهم عهد بإنزال الكتاب ولا بعثة رسول كما قال تعالى أم آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون فليس لتكذيبهم وجه متشبث ولا شبهة متعلق كما يقول أهل الكتاب وإن كانوا مبطلين نحن أهل كتب وشرائع ونستند إلى رسل من رسل الله تعالى ثم توعدهم على تكذيبهم بقوله تعالى وكذب الذين تقدموهم من الأمم والقرون الخالية كما كذبوا وما بلغ هؤلاء بعض ما آتينا أولئك من طول الأعمار وقوة الأجرام وكثرة الأموال فحين كذبوا رسلهم جاءهم إنكاري بالتدمير والاستئصال ولم يغن عنهم استظهارهم بما هم به مستظهرون فما بال هؤلاء وقرئ يدرسونها من التدريس وهو تكرير الدرس أو من درس الكتاب ودرس الكتب ويدرسونها بتشديد الدال يفتعلون من الدرس والمعشار كالمرباع وهما العشر والربع **فإن قلت** ما معنى فكذبوا رسلي وهو مستغنى عنه بقوله تعالى وكذب الذين من قبلهم **قلت** لما كان معنى قوله وكذب الذين من قبلهم وفعل الذين من قبلهم التكذيب وأقدموا عليه جعل تكذيب الرسل مسببا عنه ونظيره أن يقول القائل أقدم فلان على الكفر فكفر بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم ويجوز أن ينعطف على قوله وما بلغوا كقولك ما بلغ زيد معشار فضل عمرو فتفضل عليه فكيف كان نكيري للمكذبين الأولين فليحذروا من مثله ❊ قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد ❊ بواحدة بخصلة واحدة وقد فسرها بقوله تعالى أن تقوموا على أنه عطف بيان لها وأراد بقيامهم إما القيام عن مجلس رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وتفرقهم عن مجتمعهم عنده وإما القيام الذي لا يراد به المثول على القدمين ولكن الانتصاب في الأمر والنهوض فيه بالهمة والمعنى إنما أعظكم بواحدة إن فعلتموها أصبتم الحق وتخلصتم وهي أن تقوموا لوجه الله خالصا متفرقين اثنين اثنين وواحدا واحدا ثم تتفكروا في أمر محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وما جاء به أما الاثنان فيتفكران ويعرض كل واحد منهما محصول فكره على صاحبه وينظران فيه نظر متصادقين متناصفين لا يميل بهما اتباع هوى ولا ينبض لهما عرق عصبية حتى يهجم بهما الفكر الصالح والنظر الصحيح على جادة الحق وسننه وكذلك الفرد يفكر في نفسه بعدل ونصفة من غير أن يكابر ويعرض فكره على عقله وذهنه وما استقر عنده من عادات العقلاء ومجاري أحوالهم والذي أوجب تفرقهم مثنى وفرادى أن الاجتماع مما يشوش الخواطر ويعمي البصائر ويمنع من الروية ويخلط القول ومع ذلك يقل الإنصاف ويكثر الاعتساف ويثور عجاج التعصب ولا يسمع إلا نصرة المذهب وأراهم بقوله تعالى ما بصاحبكم من جنة أن هذا الأمر العظيم الذي تحته ملك الدنيا والآخرة جميعا لا يتصدى لادعاء مثله إلا رجلان إما مجنون لا يبالي بافتضاحه إذا طولب بالبرهان فعجز بل لا يدري ما الافتضاح وما رقبة العواقب وإما عاقل راجح العقل مرشح للنبوة مختار من أهل الدنيا لا يدعيه إلا بعد صحته عنده بحجته وبرهانه وإلا فما يجدي

على العاقل دعوى شيء لا بينة له عليه وقد علمتم أن محمدا ما به من جنة بل علمتموه أرجح قريش عقلا وأرزنهم حلما وأثقبهم ذهنا وآصلهم رأيا وأصدقهم قولا وأزكاهم نفسا وأجمعهم لما يحمد عليه الرجال ويمدحون به فكان مظنة لأن تظنوا به الخير وترجحوا فيه جانب الصدق على الكذب وإذا فعلتم ذلك كفاكم أن تطالبوه بأن يأتيكم بآية فإذا أتى بها تبين أنه نذير مبين **فإن قلت** ما بصاحبكم بم يتعلق **قلت** يجوز أن يكون كلاما مستأنفا تنبيها من الله عز وجل على طريقة النظر في أمر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويجوز أن يكون المعنى ثم تتفكروا فتعلموا ما بصاحبكم من جنة وقد جوز بعضهم أن تكون ما استفهامية بين يدي عذاب شديد كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم بعثت في نسم الساعة ❊ قل ما سألتكم من أجر فهو لكم إن أجري إلا على الله وهو على كل شيء شهيد ❊ قل إن ربي يقذف بالحق علام الغيوب فهو لكم جزاء الشرط الذي هو قوله ما سألتكم تقديره أي شيء سألتكم من أجر كقوله تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة وفيه معنيان أحدهما نفي مسألة الأجر رأسا كما يقول الرجل لصاحبه إن أعطيتني شيئا فخذه وهو يعلم أنه لم يعطه شيئا ولكنه يريد البت لتعليقه الأخذ بما لم يكن والثاني أن يريد بالأجر ما أراد في قوله تعالى قل ما أسألكم عليه من أجر إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا وفي قوله تعالى قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى لأن اتخاذ السبيل إلى الله نصيبهم وما فيه نفعهم وكذلك المودة في القرابة لأن القرابة قد انتظمته وإياهم على كل شيء شهيد حفيظ مهيمن يعلم أني لا أطلب الأجر على نصيحتكم ودعائكم إليه إلا منه ولا أطمع منكم في شيء القذف والرمي توجيه السهم ونحوه بدفع واعتماد ويستعاران من حقيقتهما لمعنى الإلقاء ومنه قوله جل وعلا وقذف في قلوبهم الرعب أن اقذفيه في التابوت ومعنى يقذف بالحق يلقيه وينزله إلى أنبيائه أو يرمي به الباطل فيدمغه ويزهقه علام الغيوب رفع محمول على محل إن واسمها أو على المستكن في يقذف أو هو خبر مبتدأ محذوف وقرئ بالنصب صفة لربي أو على المدح وقرئ الغيوب بالحركات الثلاث كالبيوت والغيوب كالصبور وهو الأمر الذي غاب وخفي جدا ❊ قل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد والحي إما أن يبدئ فعلا أو يعيده فإذا هلك لم يبق له إبداء ولا إعادة فجعلوا قولهم لا يبدئ ولا يعيد مثلا في الهلاك ومنه قول عبيد أقفر من أهله عبيد فاليوم لا يبدي ولا يعيد والمعنى جاء الحق وهلك الباطل كقوله تعالى قل جاء الحق وزهق الباطل وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة وحول الكعبة ثلاثمائة وستون صنما فجعل يطعنها بعود نبعة ويقول جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد والحق القرآن وقيل الإسلام وقيل السيف وقيل الباطل إبليس أي ما ينشئ خلقا ولا يعيده المنشئ والباعث هو الله تعالى وعن الحسن رحمه الله تعالى لا يبدئ لأهله خيرا ولا يعيده أي لا ينفعهم في الدنيا والآخرة وقال الزجاج أي شيء يبدئه إبليس ويعيده فجعله للاستفهام وقيل للشيطان الباطل لأنه صاحب الباطل أو لأنه هالك كما قيل له الشيطان من شاط إذا هلك ❊ قل إن ضللت فإنما أضل على نفسي وإن اهتديت فبما يوحي إلي ربي إنه سميع قريب ❊ قرئ ضللت أضل بفتح العين مع كسرها وضللت أضل مع فتحها وهما لغتان نحو ظللت أظل وظللت أظل وقرئ إضل بكسر الهمزة مع فتح العين **فإن قلت** أين التقابل بين قوله فإنما أضل على نفسي وقوله فبما يوحي إلي ربي وإنما يستقيم أن يقال فإنما أضل على نفسي وإن اهتديت فإنما أهتدي لها كقوله تعالى من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها أو يقال فإنما أضل بنفسي **قلت** هما متقابلان من جهة المعنى لأن النفس كل ما عليها فهو بها أعني كل ما هو وبال عليها وضار لها فهو بها وبسببها لأنها الأمارة بالسوء وما لها مما ينفعها فبهداية ربها وتوفيقه وهذا حكم عام لكل مكلف وإنما أمر رسوله أن يسنده إلى نفسه لأن الرسول إذا دخل تحته مع جلالة محله وسداد طريقته كان غيره أولى به إنه سميع قريب يدرك قول كل ضال ومهتد وفعله لا يخفى عليه منهما شيء ❊ ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب ❊ ولو ترى جوابه محذوف يعني لرأيت أمرا عظيما وحالا هائلة ولو وإذ والأفعال التي هي فزعوا وأخذوا وحيل بينهم كلها للمضي والمراد بها الاستقبال لأن ما الله فاعله في المستقبل بمنزلة ما قد كان ووجد لتحققه ووقت الفزع وقت البعث وقيام الساعة وقيل وقت الموت وقيل يوم بدر وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما نزلت في خسف البيداء وذلك أن ثمانين ألفا يغزون الكعبة ليخربوها فإذا دخلوا البيداء خسف بهم فلا فوت فلا يفوتون الله ولا يسبقونه وقرئ فلا فوت والأخذ من مكان قريب من الموقف إلى النار إذا بعثوا أو من ظهر الأرض إلى بطنها إذا ماتوا أو من صحراء بدر إلى القليب أو من تحت أقدامهم إذا خسف بهم

فان قلت علام عطف قوله واخذوا **قلت** فيه وجهان احدهما العطف على فزعوا اي فزعوا واخذوا فلا فوت لهم او على لا فوت على معنى اذ فزعوا فلم يفوتوا واخذوا وقرئ واخذ وهو معطوف على محل لا فوت ومعناه فلا فوت هنالك وهناك اخذ ● **وقالوا آمنا به وانى لهم التناوش من مكان بعيد** ● آمنا به بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم لمرور ذكره في قوله تعالى ما بصاحبكم من جنة والتناول والتناوش اخوان الا ان التناوش تناول سهل لشيء قريب يقال ناشه ينوشه وتناوشه القوم ويقال تناوشوا في الحرب ناش بعضهم بعضا وهذا تمثيل لطلبهم ما لا يكون وهو ان ينفعهم ايمانهم في ذلك الوقت كما نفع المؤمنين ايمانهم في الدنيا مثلت حالهم بحال من يريد ان يتناول الشيء من غلوة كما يتناوله الآخر من قيس ذراع تناولا سهلا لا تعب فيه وقرئ التناؤش همزت الواو المضمومة كما همزت في اجوه وادور وعن ابي عمرو التناؤش بالهمز التناول من بعد من قولهم نأشت اذا ابطأت وتأخرت ومنه البيت تمنى نئيشا ان يكون اطاعني اي اخيرا ● **وقد كفروا به من قبل ويقذفون بالغيب من مكان بعيد** ● ويقذفون معطوف على قد كفروا على حكاية الحال الماضية يعني وكانوا يتكلمون بالغيب ويأتون به من مكان بعيد وهو قولهم في رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ساحر شاعر كذاب وهذا تكلم بالغيب والامر الخفي لانهم لم يشاهدوا منه سحرا ولا شعرا ولا كذبا وقد اتوا بهذا الغيب من جهة بعيدة من حاله لان ابعد شيء مما جاء به السحر والشعر وابعد شيء من عادته التي عرفت بينهم وجربت الكذب والزور وقرئ ويقذفون بالغيب على البناء للمفعول اي يأتيهم به شياطينهم ويلقنونهم اياه وان شئت فعلقه بقوله وقالوا آمنا به على انه مثلهم في طلبهم تحصيل ما عطلوه من الايمان في الدنيا بقولهم آمنا في الآخرة وذلك مطلب مستبعد بمن يقذف شيئا من مكان بعيد لا مجال للظن في لحوقه حيث يريد ان يقع فيه لكونه غائبا عنه شاحطا والغيب الشيء الغائب ويجوز ان يكون الضمير للعذاب الشديد في قوله تعالى بين يدي عذاب شديد وكانوا يقولون وما نحن بمعذبين ان كان الامر كما تصفون من قيام الساعة والعقاب والثواب ونحن اكرم على الله تعالى من ان يعذبنا قايسين امر الآخرة على امر الدنيا فهذا كان قذفا منهم بالغيب وهو غيب مقذوف به من جهة بعيدة لان دار الجزاء لا تنقاس على دار التكليف ● **وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل باشياعهم من قبل انهم كانوا في شك مريب** ● ما يشتهون من نفع الايمان يومئذ والنجاة به من النار والفوز بالجنة او من الرد الى الدنيا كما حكى عنهم ارجعنا نعمل صالحا باشياعهم باشباههم من كفرة الامم ومن كان مذهبه مذهبهم مريب اما من اراب الرجل اذا صار ذا ريبة ودخل فيها وكلاهما مجاز الا ان بينهما فريقا وهو ان المريب من الاول منقول ممن يصح ان يكون مريبا من الاعيان الى المعنى والمريب من الثاني منقول من صاحب الشك الى الشك كما تقول شعر شاعر عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة سبأ لم يبق رسول ولا نبي الا كان له يوم القيمة رفيقا ومصافحا

سورة الملائكة مكية

وهي خمس واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله فاطر السموات والارض جاعل الملائكة رسلا اولي اجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء ان الله على كل شيء قدير ● فاطر السموات مبتدئها ومبتدعها وعن مجاهد عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ما كنت ادري ما فاطر السموات والارض حتى اختصم الي اعرابيان في بئر فقال احدهما انا فطرتها اي ابتدأتها وقرئ الذي فطر السموات والارض وجعل الملائكة وقرئ جاعل الملائكة بالرفع على المدح رسلا بضم السين وسكونه اولي اجنحة اصحاب اجنحة واولو اسم جمع لذو كما ان اولاء اسم جمع لذا ونظيرهما في المتمكنة المخاض والخلفة ● مثنى وثلاث ورباع صفات لاجنحة وانما لم تنصرف لتكرر العدل فيها وذلك انها عدلت عن الفاظ الاعداد عن صيغ الى صيغ اخرى كما عدل عمر عن عامر وحذام عن حاذمة وعن تكرير الى غير تكرير واما الوصفية فلا يفترق الحال فيها بين المعدولة والمعدول عنها الا تراك تقول مررت بنسوة اربع وبرجال ثلثة فلا يعرج عليها والمعنى ان من الملائكة خلقا اجنحتهم اثنان اثنان اي لكل واحد منهم جناحان وخلقا اجنحتهم ثلثة ثلثة وخلقا اجنحتهم اربعة اربعة يزيد في الخلق ما يشاء اي يزيد في خلق الاجنحة وفي غيره ما تقتضيه مشيئته وحكمته والاصل الجناحان لانهما بمنزلة اليدين ثم الثالث

والرابع زيادة على الاصل وذلك اقوى للطيران واعون عليه **فان قلت** قياس الشفع من الاجنحة ان يكون في كل شق نصفه فما صورة الثلثة **قلت** لعل الثالث يكون في وسط الظهر بين الجناحين يمدهما بقوة او لعله لغير الطيران فقد مر بي في بعض الكتب ان صنفا من الملائكة لهم ستة اجنحة فجناحان يلفون بهما اجسادهم وجناحان يطيرون بهما في الامر من امور الله تعالى وجناحان مرخيان على وجوههم حياء من الله عز وجل ● وعن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه راى جبريل عليه السلام ليلة المعراج وله ستمائة جناح وروي انه سأل جبريل عليه السلام ان يتراءى له في صورته فقال انك لن تطيق ذلك قال اني احب ان تفعل فخرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في ليلة مقمرة فاتاه جبريل في صورته فغشي على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ثم افاق وجبريل مسنده واحدى يديه على صدره والاخرى بين كتفيه فقال سبحان الله ما كنت ارى ان شيئا من الخلق هكذا فقال جبريل فكيف لو رايت اسرافيل له اثنا عشر جناحا جناح منها بالمشرق وجناح بالمغرب وان العرش لعلى كاهله وانه ليتضاءل الاحايين لعظمة الله عز وجل حتى يعود مثل الوصع وهو العصفور الصغير ● وروي عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في قوله تعالى يزيد في الخلق ما يشاء هو الوجه الحسن والصوت الحسن والشعر الحسن وقيل الخط الحسن وعن قتادة الملاحة في العينين والآية مطلقة تتناول كل زيادة في الخلق من طول قامة واعتدال صورة وتمام في الاعضاء وقوة في البطش وحصافة في العقل وجزالة في الراي وجراءة في القلب وسماحة في النفس وذلاقة في اللسان ولباقة في التكلم وحسن تأت في مزاولة الامور وما اشبه ذلك مما لا يحيط به الوصف ● **ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم** ● استعير الفتح للاطلاق والارسال الا ترى الى قوله تعالى فلا مرسل له من بعده مكان لا فاتح له يعني اي شيء يطلق الله من رحمة اي من نعمة رزق او مطر او صحة او امن او غير ذلك من صنوف نعمائه التي لا يحاط بعددها وتنكير الرحمة للاشاعة والابهام كانه قال من اية رحمة كانت سماوية او ارضية فلا احد يقدر على امساكها وحبسها واي شيء يمسك الله تعالى فلا احد يقدر على اطلاقه **فان قلت** لم انث الضمير اولا ثم ذكره وهو راجع في الحالين الى الاسم المتضمن معنى الشرط **قلت** هما لغتان الحمل على المعنى وعلى اللفظ والمتكلم على الخيرة فيهما فانث على معنى الرحمة وذكر على ان لفظ المرجوع اليه لا تانيث فيه ولان الاول فسر بالرحمة فحسن اتباع الضمير التفسير ولم يفسر الثاني فترك على اصل التذكير وقرئ فلا مرسل لها **فان قلت** لا بد للثاني من تفسير فما تفسيره **قلت** يحتمل ان يكون تفسيره مثل تفسير الاول ولكنه ترك لدلالته عليه وان يكون مطلقا في كل ما يمسكه من غضبه ورحمته وانما فسر الاول دون الثاني للدلالة على ان رحمته سبقت غضبه **فان قلت** فما تقول فيمن فسر الرحمة بالتوبة وعزاه الى ابن عباس رضي الله تعالى عنهما **قلت** ان اراد بالتوبة الهداية لها وهو الذي اراد ابن عباس ان قاله فمقبول وان اراد انه ان شاء ان يتوب العاصي تاب وان لم يشأ لم يتب فمردود لان الله تعالى يشاء التوبة ابدا ولا يجوز عليه ان لا يشاءها من بعده من بعد امساكه كقوله تعالى فمن يهديه من بعد الله فباي حديث بعد الله وآياته اي من بعد هدايته وبعد آياته وهو العزيز الغالب القادر على الارسال والامساك الحكيم الذي يرسل ويمسك ما تقتضي الحكمة ارساله وامساكه ● **يا ايها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض لا اله الا هو فانى تؤفكون** ● ليس المراد بذكر النعمة ذكرها باللسان فقط ولكن به وبالقلب وحفظها من الكفران والغمط وشكرها والعمل على موجبها والخطاب عام للجميع لان جميعهم مغمورون في نعمة الله تعالى وعن ابن عباس يريد يا اهل مكة اذكروا نعمة الله عليكم حيث اسكنكم حرمه ومنعكم من جميع العالم والناس يتخطفون من حولكم وعنه نعمة الله تعالى العافية وقرئ غير الله بالحركات الثلث فالجر والرفع على الوصف لفظا ومحلا والنصب على الاستثناء **فان قلت** ما محل يرزقكم **قلت** يحتمل ان يكون له محل اذا اوقعته صفة لخالق وان لا يكون له محل اذا رفعت محل من خالق باضمار يرزقكم واوقعت يرزقكم تفسيرا له او جعلته كلاما مبتدأ بعد قوله تعالى هل من خالق غير الله **فان قلت** هل فيه دليل على ان الخالق لا يطلق على غير الله تعالى **قلت** نعم ان جعلت يرزقكم كلاما مبتدأ وهو الوجه الثالث من الاوجه الثلثة واما على الوجهين الآخرين وهما الوصف والتفسير فقد تقيد فيهما بالرزق من السماء والارض وخرج من الاطلاق فكيف يستشهد به على اختصاصه بالاطلاق والرزق من السماء المطر ومن الارض النبات لا اله الا هو جملة مفصولة لا محل لها مثل يرزقكم في الوجه الثالث ولو وصلتها كما وصلت يرزقكم لم يساعد عليه المعنى لان قولك هل من خالق آخر سوى الله لا اله الا ذلك الخالق غير مستقيم لان قولك هل من خالق سوى الله اثبات لله

فلو ذهبت تقول فلك كنت مناقضا بالنفي بعد الاثبات فانى تؤفكون فمن اى وجه تصرفون عن التوحيد الى الشرك

وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك والى الله ترجع الامور • نعى به على قريش سوء تلقيهم لايات الله تعالى وتكذيبهم بها وسلى رسوله بان له فى الانبياء قبله اسوة حسنة ثم جاء بما يشتمل على الوعد والوعيد من رجوع الامور الى حكمه ومجازاة المكذَّب والمكذِّب بما يستحقانه وقرئ ترجع بضم التاء وفتحها فان قلت ما وجه صحة جزاء الشرط ومن حق الجزاء ان يتعقب الشرط وهذا سابق له قلت معناه وان يكذبوك فتأس بتكذيب الرسل من قبلك فوضع فقد كذبت رسل من قبلك موضع فتأس استغناء بالسبب عن المسبب اعنى بالتكذيب عن التأسى فان قلت ما معنى التنكير فى رسل قلت معناه فقد كذبت رسل اى رسل ذوو عدد كثير واولوا آيات ونذر واهل اعمار طوال واصحاب صبر وعزم وما اشبه ذلك وهذا اسلى له واحث على المصابرة

ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور • وعد الله الجزاء بالثواب والعقاب فلا تغرنكم فلا تخدعنكم الدنيا ولا يذهلنكم التمتع بها والتلذذ بمنافعها عن العمل للآخرة وطلب ما عند الله ولا يغرنكم بالله الغرور لا يقولن لكم اعملوا ما شئتم فان الله غفور يغفر كل كبيرة ويعفو عن كل خطيئة والغرور الشيطان لان ذلك ديدنه وقرئ بالضم وهو مصدر غره كاللزوم والنهوك او جمع غار كقاعد وقعود

ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعوا حزبه ليكونوا من اصحاب السعير • اخبرنا الله عز وجل ان الشيطان لنا عدو مبين واقتص علينا قصته وما فعل بابينا آدم وكيف انتدب لعداوة جنسنا من قبل وجوده وبعده ونحن على ذلك نتولاه ونطيعه فيما يريد منا مما فيه هلاكنا فوعظنا عز وجل بانه كما علمتم عدوكم الذى لا عدو اعدى منه وانتم تعاملونه معاملة من لا علم له بحاله فاتخذوه عدوا فى عقائدكم وافعالكم ولا يوجدن منكم الا ما يدل على معاداته ومناصبته فى سركم وجهركم ثم لخص سر امره وخطأ من اتبعه بان غرضه الذى يؤمه فى دعوة شيعته ومتبعى خطواته هو ان يوردهم مورد الشقوة والهلاك وان يكونوا من اصحاب السعير

الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر كبير • ثم كشف الغطاء وقشر اللحى ليقطع الاطماع الفارغة والامانى الكاذبة فبنى الامر كله على الايمان والعمل وتركهما

افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ان الله عليم بما يصنعون • لما ذكر الفريقين الذين كفروا والذين آمنوا قال لنبيه افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا يعنى افمن زين له سوء عمله من هذين الفريقين كمن لم يزين له فكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا فقال فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ومعنى تزيين العمل والاضلال واحد وهو ان يكون العاصى على صفة لا تجدى عليه المصالح حتى يستوجب بذلك خذلان الله تعالى وتخليته وشانه فعند ذلك يهيم فى الضلال ويطلق امر النهى ويعتسف طاعة الهوى حتى يرى القبيح حسنا والحسن قبيحا كانما غلب على عقله وسلب تمييزه ويقعد تحت قول ابى نواس

اسقنى حتى ترانى • حسنا عندى القبيح

واذا خذل الله تعالى المصممين على الكفر وخلاهم وشانهم فان على الرسول ان لا يهتم بامرهم ولا يلقى بالا الى ذكرهم ولا يحزن ولا يتحسر عليهم اقتداء بسنة الله تعالى فى خذلانهم وتخليتهم وذكر الزجاج ان المعنى افمن زين له سوء عمله ذهبت نفسك عليهم حسرة فحذف الجواب لدلالة فلا تذهب نفسك عليه او افمن زين له سوء عمله كمن هداه الله تعالى فحذف لدلالة فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء حسرات مفعول له يعنى فلا تهلك نفسك للحسرات وعليهم صلة تذهب كما تقول هلك عليه حبا ومات عليه حزنا او هو بيان للمتحسر عليه ولا يجوز ان يتعلق بحسرات لان المصدر لا يتقدم عليه صلته ويجوز ان يكون حالا كان كلها صارت حسرات لفرط التحسر كما قال جرير

مشق الهواجر لحمهن مع السرى • حتى ذهبن كلاكلا وصدورا

اى لم يبق الا كلاكلها وصدورها ومنه قوله

فعلى اثرهم تساقط نفسى • حسرات وذكرهم لى سقام

وقرئ فلا تذهب نفسك ان الله عليم بما يصنعون وعيد لهم بالعقاب على سوء صنيعهم

والله الذى ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت فاحيينا به الارض بعد موتها كذلك النشور • وقرئ ارسل الريح فان قلت لم جاء فتثير على المضارعة دون ما قبله وما بعده قلت ليحكى الحال التى تقع فيها اثارة الرياح السحاب وتستحضر تلك الصورة البديعة الدالة على القدرة الربانية وهكذا يفعلون بفعل فيه نوع تمييز

وخصوصية بحال تستغرب او تهم المخاطب او غير ذلك كما قال تأبط شرا

بانى قد لقيت الغول تهوى • بسهب كالصحيفة صحصحان
فاضربها بلا دهش فخرت • صريعا لليدين وللجران

لانه قصد ان يصور لقومه الحالة التى تشجع فيها بزعمه على ضرب الغول كانه يبصرهم اياها ويطلعهم على كنهها مشاهدة للتعجب من جرأته على كل هول وثباته عند كل شدة وكذلك سوق السحاب الى البلد الميت واحياء الارض بالمطر بعد موتها لما كانا من الدلائل على القدرة الباهرة قيل فسقناه واحيينا معدولا بهما عن لفظ الغيبة الى ما هو ادخل فى الاختصاص وادل عليه والكاف فى كذلك فى محل الرفع اى مثل احياء الموات نشور الاموات وروى انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يحيى الله الموتى وما آية ذلك فى خلقه فقال عليه الصلوة والسلام هل مررت بوادى اهلك محلا ثم مررت به يهتز خضرا قال نعم قال كذلك يحيى الله الموتى وتلك آيته فى خلقه وقيل يحيى الله الموتى بماء يرسله من تحت العرش كمنى الرجال تنبت منه اجساد الخلق

من كان يريد العزة فلله العزة جميعا اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر اولئك هو يبور • كان الكافرون يتعززون بالاصنام كما قال الله سبحانه وتعالى واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا والذين آمنوا بالسنتهم من غير مواطاة قلوبهم كانوا يتعززون بالمشركين كما قال تعالى الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ايبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا فبين ان لا عزة الا لله تعالى ولاوليائه وقال تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين والمعنى فليطلبها عند الله فوضع قوله تعالى فلله العزة موضعه استغناء به عنه لدلالته عليه لان الشئ لا يطلب الا عند صاحبه ومالكه ونظيره قولك من اراد النصيحة فهى عند الابرار تريد فليطلبها عندهم الا انك اقمت ما يدل عليه مقامه ومعنى فلله العزة جميعا ان العزة كلها مختصة بالله عزة الدنيا وعزة الآخرة ثم عرف ان ما تطلب به العزة هو الايمان والعمل الصالح بقوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه والكلم الطيب لا اله الا الله عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما يعنى ان هذا الكلم لا يقبل ولا يصعد الى السماء فيكتب حيث تكتب الاعمال المقبولة كما قال عز وجل ان كتاب الابرار لفى عليين الا اذا اقترن بها العمل الصالح الذى يحققها ويصدقها فرفعها واصعدها وقيل الرافع الكلم والمرفوع العمل لانه لا يقبل عمل الا من موحد وقيل الرافع هو الله تعالى والمرفوع العمل وقيل الكلم الطيب كل ذكر من تكبير وتسبيح وتهليل وقراءة قرآن ودعاء واستغفار وغير ذلك وعن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم هو قول الرجل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر اذا قالها العبد عرج بها الملك الى السماء فحيا بها وجه الرحمن فاذا لم يكن عمل صالح لم يقبل منه • وفى الحديث لا يقبل الله قولا الا بعمل ولا يقبل قولا وعملا الا بنية ولا يقبل قولا وعملا ونية الا باصابة السنة • وعن ابن المقفع قول بلا عمل كثريد بلا دسم وسحاب بلا مطر وقوس بلا وتر وقرئ اليه يصعد الكلم الطيب على البناء للمفعول واليه يصعد الكلام الطيب على تسمية الفاعل من اصعد والمصعد هو الرجل اى يصعد الى الله عز وجل الكلم الطيب واليه يصعد الكلام الطيب وقرئ والعمل الصالح يرفعه بنصب العمل والرافع الكلم او الله عز وجل فان قلت مكر فعل غير متعد لا يقال مكر فلان عمله فبم نصب السيئات قلت هذه صفة للمصدر او لما فى حكمه كقوله تعالى ولا يحيق المكر السيئ الا باهله اصله والذين مكروا المكرات السيئات او اصناف المكر السيئات وعنى بهن مكرات قريش حين اجتمعوا فى دار الندوة وتداوروا الرأى فى احدى ثلث مكرات يمكرونها برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اما اثباته او قتله او اخراجه كما حكى الله سبحانه عنهم واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ومكر اولئك هو يبور يعنى ومكر اولئك الذين مكروا تلك المكرات الثلث هو خاصة يبور اى يكسد ويفسد دون مكر الله تعالى بهم حين اخرجهم من مكة وقتلهم واثبتهم فى قليب بدر فجمع عليهم مكراتهم جميعا وحقق فيهم قوله ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين وقوله ولا يحيق المكر السيئ الا باهله

والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم ازواجا وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا فى كتاب ان ذلك على الله يسير • ازواجا اصنافا او ذكرانا واناثا كقوله تعالى او يزوجهم ذكرانا واناثا وعن قتادة زوج بعضكم بعضا بعلمه فى موضع الحال اى الا معلومة له فان قلت ما معنى قوله وما يعمر من معمر قلت معناه وما يعمر من احد وانما سماه معمرا بما هو صائر اليه فان قلت الانسان اما معمر اى طويل العمر او منقوص العمر اى قصيره فاما ان يتعاقب عليه التعمير وخلافه فمحال فكيف صح قوله وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره قلت هذا الكلام متسامح فيه

وقيل هى متعلق من حيث المعنى بتغرنا على صفة فان كونه على [illegible] الصفة يقتضى ان [illegible] الا ان هذا على مذهب المعتزلة

٥

نقص في تأويله بافهام السامعين واتكالا على تسديدهم معناه بعقولهم وانه لا يلتبس عليهم احالة الطول والقصر في عمر واحد وعليه كلام الناس المستفيض يقولون لا يثيب الله تعالى عبدا ولا يعاقبه الا بحق وما تنعمت بلدا ولا اجتويته الا قل فيه ثوائي وفيه تأويل آخر وهو انه لا يطول عمر انسان ولا يقصر الا في كتاب وصورته ان يكتب في اللوح ان حج فلان او غزا فعمره اربعون سنة وان حج وغزا فعمره ستون سنة فاذا جمع بينهما فبلغ الستين فقد عمر واذا افرد احدهما فلم يتجاوز به الاربعين فقد نقص من عمره الذي هو الغاية وهو الستون واليه اشار رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الصدقة والصلة تعمران الديار وتزيدان في الاعمار وعن كعب انه قال حين طعن عمر رضي الله تعالى عنه لو ان عمر دعا الله تعالى لاخر في اجله فقيل لكعب اليس قد قال الله تعالى فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون قال فقد قال الله تعالى وما يعمر من معمر وقد استفاض على الالسنة اطال الله بقاءك وفسح في مدتك وما اشبهه وعن سعيد بن جبير يكتب في الصحيفة عمره كذا وكذا سنة ثم يكتب في اسفل ذلك ذهب يوم ذهب يومان حتى يأتي على آخره وعن قتادة المعمر من بلغ ستين سنة والمنقوص من عمره من يموت قبل ستين سنة والكتاب اللوح عن ابن عباس ويجوز ان يراد بكتاب الله علم الله عز وعلا او صحيفة الانسان وقرئ ولا ينقص على تسمية الفاعل من عمره بالتخفيف

وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج ومن كل تاكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون

ضرب البحرين العذب والملح مثلين للمؤمن والكافر ثم قال على سبيل الاستطراد في صفة البحرين وما علق بهما من نعمته وعطائه ومن كل اي ومن كل واحد منهما تاكلون لحما طريا وهو السمك وتستخرجون حلية وهي اللؤلؤ والمرجان وترى الفلك فيه في كل مواخر شواق للماء بجريها يقال مخرت السفينة الماء ويقال للسحاب بنات مخر لانها تمخر الهواء والسفن التي اشتقت منه السفينة قريب من المخر لانها تسفن الماء كانها تقشره كما تمخره من فضله من فضل الله ولم يجر له ذكر في الآية ولكن فيما قبلها ولو لم يجر لم يشكل لدلالة المعنى عليه وحرف الرجاء مستعار لمعنى الارادة الا ترى كيف سلك به مسلك لام التعليل كانما قيل لتبتغوا ولتشكروا والفرات الذي يكسر العطش والسائغ المريء السهل الانحدار لعذوبته وقرئ سيغ بوزن سيد وسيغ بالتخفيف وملح على فعل والاجاج الذي يحرق بملوحته ويحتمل غير طريقة الاستطراد وهو ان يشبه الجنسين بالبحرين ثم يفضل البحر الاجاج على الكافر بانه قد شارك العذب في منافع من السمك واللؤلؤ وجري الفلك فيه والكافر خلو من النفع فهو في طريقة قوله تعالى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة ثم قال وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله

يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيمة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير

ذلكم مبتدأ والله ربكم له الملك اخبار مترادفة او الله ربكم خبران وله الملك جملة مبتدأة واقعة في قران قوله والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ويجوز في حكم الاعراب ايقاع اسم الله صفة لاسم الاشارة او عطف بيان وربكم خبرا لولا ان المعنى يأباه والقطمير لفافة النواة وهي القشرة الرقيقة الملتفة عليها ان تدعوا الاوثان لا يسمعوا دعاءكم لانهم جماد ولو سمعوا على سبيل الفرض والتمثيل لما استجابوا لكم لانهم لا يدعون ما تدعون لهم من الالهية ويتبرؤن منها وقيل ما نفعوكم يكفرون بشرككم باشراككم لهم وعبادتكم اياهم يقولون ما كنتم ايانا تعبدون ولا ينبئك مثل خبير ولا يخبرك بالامر مخبر هو مثل خبير عالم به يريد ان الخبير بالامر وحده هو الذي يخبرك بالحقيقة دون سائر المخبرين به والمعنى ان هذا الذي اخبرتكم به من حال الاوثان هو الحق لاني خبير بما اخبرت به وقرئ يدعون بالتاء والياء

يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز

فان قلت لم عرف الفقراء قلت قصد بذلك ان يريهم انهم لشدة افتقارهم اليه هم جنس الفقراء وان كانت الخلائق كلهم مفتقرين اليه من الناس وغيرهم لان الفقر مما يتبع الضعف وكلما كان الفقير اضعف كان افقر وقد شهد الله سبحانه وتعالى على الانسان بالضعف في قوله تعالى وخلق الانسان ضعيفا وقال تعالى الله الذي خلقكم من ضعف ولو نكر لكان المعنى انتم بعض الفقراء فان قلت قد قوبل الفقراء بالغني فما فائدة الحميد قلت

لما اثبت فقرهم اليه وغناه عنهم وليس كل غني نافعا بغناه الا اذا كان الغني جوادا منعما واذا جاد وانعم حمده المنعم عليهم واستحق عليهم الحمد ذكر الحميد ليدل به على انه الغني النافع بغناه خلقه الجواد المنعم عليهم المستحق بانعامه عليهم ان يحمدوه الحميد على السنة مؤمنيهم بعزيز بممتنع وهذا غضب عليهم لاتخاذهم له اندادا وكفرهم بآياته ومعاصيهم كما قال تعالى وان تتولوا يستبدل قوما غيركم وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يخلق بعدكم من يعبده لا يشرك به شيئا

ولا تزر وازرة وزر اخرى وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب واقاموا الصلوة ومن تزكى فانما يتزكى لنفسه والى الله المصير

الوزر والوقر اخوان ووزر الشيء اذا حمله والوازرة صفة للنفس والمعنى ان كل نفس يوم القيمة لا تحمل الا وزرها الذي اقترفته لا تؤخذ نفس بذنب نفس كما تأخذ جبابرة الدنيا الولي بالولي والجار بالجار فان قلت هلا قيل ولا تزر نفس وزر اخرى لم قيل وازرة قلت لان المعنى ان النفوس الوازرات لا ترى منهن واحدة الا حاملة وزرها لا وزر غيرها فان قلت كيف توفق بين هذا وبين قوله تعالى وليحملن اثقالهم قلت تلك الآية في الضالين المضلين وانهم يحملون اثقال اضلال الناس مع اثقال ضلالهم وذلك كله اوزارهم ما فيها شيء من وزر غيرهم الا ترى كيف كذبهم الله تعالى في قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم بقوله تعالى وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء فان قلت ما الفرق بين معنى قوله ولا تزر وازرة وزر اخرى ومعنى وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شيء قلت الاول في الدلالة على عدل الله تعالى في حكمه وانه لا يؤاخذ نفسا بغير ذنبها والثاني في ان لا غياث يومئذ لمن استغاث حتى ان نفسا قد اثقلتها الاوزار وبهظتها لو دعت الى ان يخفف بعض وقرها لم تجب ولم تغث وان كان المدعو بعض قرابتها من اب او ولد او اخ فان قلت الام اسند كان في ولو كان ذا قربى قلت الى المدعو المفهوم من قوله وان تدع مثقلة فان قلت فلم ترك ذكر المدعو قلت ليعم ويشمل كل مدعو فان قلت كيف استقام اضمار العام ولا يصح ان يكون العام ذا قربى للمثقلة قلت هو من العموم الكائن على طريق البدل فان قلت ما تقول فيمن قرأ ولو كان ذو قربى على كان التامة كقوله تعالى وان كان ذو عسرة قلت نظم الكلام احسن ملاءمة للناقصة لان المعنى على ان المثقلة ان دعت احدا الى حملها لا يحمل منه شيء وان كان مدعوها ذا قربى وهو معنى صحيح ملتئم ولو قلت ولو وجد ذو قربى لتفكك وخرج من اتساقه والتئامه على ان ههنا ما ساغ ان يستتر له ضمير في الفعل بخلاف ما اوردته بالغيب حال من الفاعل او المفعول اي يخشون ربهم غائبين عن عذابه او يخشون عذابه غائبا عنهم وقيل بالغيب في السر وهذه صفة الذين كانوا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من اصحابه كانت عادتهم المستمرة ان يخشوا الله تعالى وهم الذين اقاموا الصلوة وتركوها منارا منصوبا وعلما مرفوعا يعني انما تقدر على انذار هؤلاء وتحذيرهم من قومك وعلى تحصيل منفعة الانذار فيهم دون متمرديهم واهل عنادهم ومن تزكى ومن تطهر بفعل الطاعات وترك المعاصي وقرئ ومن ازكى فانما يزكى وهو اعتراض مؤكد لخشيتهم واقامتهم الصلوة لانهما من جملة التزكي والى الله المصير وعد للمتزكين بالثواب فان قلت كيف اتصل قوله انما تنذر بما قبله قلت لما غضب عليهم في قوله تعالى ان يشأ يذهبكم اتبعه الانذار بيوم القيمة وذكر اهوالها ثم قال انما تنذر كأن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اسمعهم ذلك فلم ينفع فنزل انما تنذر او اخبره الله تعالى بعلمه فيهم

وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الاحياء ولا الاموات ان الله يسمع من يشاء وما انت بمسمع من في القبور ان انت الا نذير

الاعمى والبصير مثل للكافر والمؤمن كما ضرب البحرين مثلا لهما او للصنم والله عز وعلا والظلمات والنور والظل والحرور مثلان للحق والباطل وما يؤديان اليه من الثواب والعقاب والاحياء والاموات مثل للذين دخلوا في الاسلام والذين لم يدخلوا فيه واصروا على الكفر والحرور السموم الا ان السموم يكون بالنهار والحرور بالليل والنهار وقيل بالليل فان قلت لا المقرونة بواو العطف ما هي قلت اذا وقعت الواو في النفي قرنت بها لتاكيد معنى النفي فان قلت هل من فرق بين هذه الواوات قلت بعضها ضمت شفعا الى شفع وبعضها وترا الى وتر ان الله يسمع من يشاء يعني انه قد علم من يدخل في الاسلام ممن لا يدخل فيه فيهدي الذي قد علم ان الهداية تنفع فيه ويخذل من علم انها لا تنفع فيه واما انت فخفي عليك امرهم فلذلك تحرص وتتهالك على اسلام قوم من المخذولين ومثلك في ذلك مثل من يريد ان يسمع المقبورين وذلك ما لا سبيل اليه ثم قال ان انت

الا نذيرا اي ما عليك الا ان تبلغ وتنذر فان كان المنذر ممن يسمع الانذار نفع وان كان من المصرين فلا عليك وتحيل ان الله
يسمع من يشاء انه قادر على ان يهدي المطبوع على قلوبهم على وجه القسر والالجاء وغيرهم على وجه الهداية والتوفيق واما انت
فلا حيلة لك في المطبوع على قلوبهم الذين هم بمنزلة الموتى ● انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا وان من
امة الا خلا فيها نذير ● وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم
بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير ● ثم اخذت الذين كفروا فكيف كان نكير ●
بالحق حال من احد الضميرين يعني محقا او محقين او صفة للمصدر اي ارسالا مصحوبا بالحق او صلة لبشيرا ونذيرا على بشيرا بالوعد
الحق ونذيرا بالوعيد الحق والامة الجماعة الكثيرة قال الله تعالى وجد عليه امة من الناس ويقال لاهل كل عصر امة وفي حدود
المتكلمين الامة هم المصدقون بالرسول دون المبعوث اليهم وهم الذين يعتبر اجماعهم والمراد ههنا اهل العصر فان قلت
كم من امة في الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله تعالى عليهما وسلم ولم يخل فيها نذير قلت اذا كانت آثار النذارة باقية لم
تخل من نذير الى ان تندرس وحين اندرست آثار نذارة عيسى بعث الله تعالى محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم فان قلت
كيف اكتفى بذكر النذير عن البشير في آخر الآية بعد ذكرهما قلت لما كانت النذارة مشفوعة بالبشارة لا محالة دل
ذكرها على ذكرها لا سيما وقد اشتملت الآية على ذكرهما بالبينات بالشواهد على صحة النبوة وهي المعجزات وبالزبر بالصحف
وبالكتاب المنير نحو التوراة والانجيل والزبور لما كانت هذه الاشياء في جنسهم اسند المجيء بها اليهم اسنادا مطلقا وان كان
بعضها في جميعهم وهي البينات وبعضها في بعضهم وهي الزبر والكتاب وفيه مسلاة لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها ومن الجبال
جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود ● ومن الناس والدواب والانعام
مختلف الوانه كذلك انما يخشى الله من عباده العلماء ان الله عزيز غفور ●
الوانها اجناسها من الرمان والتفاح والتين والعنب وغيرها مما لا يحصر او هيئاتها من الحمرة والصفرة والخضرة ونحوها
والجدد الخطط والطرائق قال لبيد ● او مذهب جدد على الواحه ● ويقال جدة الحمار للخطة السوداء على ظهره وقد يكون للظبي
جدتان مسكيتان تفصلان بين لوني ظهره وبطنه وغرابيب معطوف على بيض او على جدد كانه قيل ومن الجبال مخطط ذو جدد
ومنها ما هو على لون واحد غرابيب وعن عكرمة هي الجبال الطوال السود فان قلت الغربيب تاكيد للاسود يقال اسود غربيب
واسود حلكوك وهو الذي ابعد في السواد واغرب فيه ومنه الغراب ومن حق التاكيد ان يتبع المؤكد كقولك اصفر فاقع وابيض
يقق وما اشبه ذلك قلت وجهه ان يضمر المؤكد قبله ويكون الذي بعده تفسيرا لما اضمر كقول النابغة ● والمؤمن العائذات الطير ●
وانما يفعل ذلك لزيادة التوكيد حيث يدل على المعنى الواحد من طريقي الاظهار والاضمار جميعا ولا بد من تقدير حذف المضاف
في قوله ومن الجبال جدد بمعنى ومن الجبال ذو جدد بيض وحمر وسود حتى يؤول الى قولك ومن الجبال مختلف الوانه كما قال ثمرات
مختلفا الوانها ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه يعني ومنهم بعض مختلف الوانه وقرئ مختلف الوانها وقرأ الزهري جدد
بالضم جمع جديدة وهي الجدة يقال جديدة وجدد وجدائد كسفينة وسفن وسفائن وقد فسر بها قول ابي ذؤيب ● جون
السراة له جدائد اربع ● وروي عنه جدد بفتحتين وهو الطريق الواضح المسفر وضعه موضع الطرائق والخطوط الواضحة
المنفصل بعضها من بعض وقرئ والدواب مخففا ونظير هذا التخفيف قراءة من قرأ ولا الضالين لان كل واحد منهما فر
من التقاء الساكنين فحرك ذاك اولهما وحذف هذا آخرهما وقوله كذلك اي كاختلاف الثمرات والجبال المراد العلماء
به الذين علموه بصفاته وعدله وتوحيده وما يجوز عليه وما لا يجوز فعظموه وقدروه حق قدره وخشوه حق خشيته ومن ازداد به علما
ازداد منه خوفا ومن كان علمه به اقل كان آمن وفي الحديث اعلمكم بالله اشدكم له خشية وعن مسروق كفى بالمرء علما ان يخشى الله وكفى بالمرء جهلا
ان يعجب بعلمه وقال رجل للشعبي افتني ايها العالم فقال العالم من خشي الله وقيل نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه
وقد ظهرت عليه الخشية حتى عرفت فيه فان قلت هل يختلف المعنى اذا قدم المفعول في هذا الكلام او اخر
قلت لا بد من ذلك فانك اذا قدمت اسم الله تعالى واخرت العلماء كان المعنى ان الذين يخشون الله تعالى من بين عباده
هم العلماء دون غيرهم واذا عكست انقلب المعنى الى انهم لا يخشون الا الله تعالى كقوله تعالى ولا يخشون احدا الا الله
وهما معنيان مختلفان فان قلت ما وجه اتصال هذا الكلام بما قبله قلت لما قال الم تر بمعنى الم تعلم

ان

ان الله انزل من السماء ماء وعدد آيات الله واعلام قدرته وآثار صنعه وما خلق من الفطر المختلفة الاجناس وما يستدل به عليه وعلى
صفاته اتبع ذلك انما يخشى الله من عباده العلماء كانه قال انما يخشاه مثلك ومن على صفتك ممن عرفه حق معرفته
وعلمه كنه علمه وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انا ارجو ان اكون اتقاكم لله تعالى واعلمكم به فان قلت
فما وجه قراءة من قرأ انما يخشى الله من عباده العلماء وهو عمر بن عبد العزيز ويحكى عن ابي حنيفة رحمهما الله تعالى قلت
الخشية في هذه القراءة استعارة والمعنى انما يجلهم ويعظمهم كما يجل المهيب المخشي من الرجال بين الناس ان الله عزيز غفور
تعليل لوجوب الخشية لدلالته على عقوبة العصاة وقهرهم واثابة اهل الطاعة والعفو عنهم والمعاقب المثيب حقه ان يخشى
ان الذين يتلون كتاب الله واقاموا الصلوة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية
يرجون تجارة لن تبور ● ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله انه غفور شكور ●
يتلون كتاب الله يداومون على تلاوته وهي شأنهم وديدنهم وعن مطرف رحمه الله تعالى هي آية القراء وعن الكلبي يأخذون بما فيه
وقيل يعلمون ما فيه ويعملون به وعن السدي هم اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ورضي عنهم وعن عطاء هم المؤمنون
يرجون خبر ان والتجارة طلب الثواب بالطاعة وليوفيهم متعلق بلن تبور اي تجارة ينتفي عنها الكساد وتنفق عند الله تعالى
ليوفيهم بنفاقها عنده اجورهم وهي ما استحقوه من الثواب ويزيدهم من التفضل على المستحق وان شئت جعلت يرجون في موضع
الحال على وانفقوا راجين ليوفيهم اي فعلوا جميع ذلك من التلاوة واقامة الصلوة والانفاق في سبيل الله تعالى لهذا الغرض وخبر ان قوله انه
غفور شكور على معنى غفور لهم شكور لاعمالهم والشكر مجاز عن الاثابة ● والذي اوحينا اليك من الكتاب هو الحق
مصدقا لما بين يديه ان الله بعباده لخبير بصير ● الكتاب القرآن ومن للتبيين او الجنس ومن للتبعيض
مصدقا حال مؤكدة لان الحق لا ينفك عن هذا التصديق لما بين يديه لما تقدمه من الكتب لخبير بصير يعني انه خبرك وابصر احوالك
فرآك اهلا لان يوحي اليك مثل هذا الكتاب المعجز الذي هو عيار على سائر الكتب ● ثم اورثنا الكتاب الذين
اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات
باذن الله ذلك هو الفوز الكبير ● جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من اساور من
ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير ● وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا
لغفور شكور ● الذي احلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب
فان قلت ما معنى قوله تعالى ثم اورثنا الكتاب قلت فيه وجهان احدهما انا اوحينا اليك القرآن ثم
اورثناه من بعدك اي حكمنا بتوريثه او قال اورثناه وهو يريد نورثه لما عليه اخبار الله الذين اصطفينا من عبادنا وهم
من الصحابة والتابعين وتابعيهم ومن بعدهم الى يوم القيمة لان الله تعالى اصطفاهم على سائر الامم وجعلهم امة وسطا ليكونوا
شهداء على الناس واختصهم بكرامة الانتماء الى افضل رسل الله وحمل الكتاب الذي هو افضل كتب الله تعالى ثم قسمهم الى ظالم
لنفسه مجرم وهو المرجأ لامر الله ومقتصد وهو الذي خلط عملا صالحا وآخر سيئا وسابق من السابقين والوجه الثاني انه قدم
ارساله في كل امة رسولا وانهم كذبوا رسلهم وقد جاءوهم بالبينات والزبر والكتاب المنير ثم قال ان الذين يتلون كتاب الله فاثنى على
التالين لكتبه العاملين بشرائعه من بين المكذبين بها من سائر الامم واعترض بقوله والذي اوحينا اليك من الكتاب هو الحق ثم قال
ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا اي من بعد اولئك المذكورين يريد بالمصطفين من عباده اهل الملة الحنيفية
فان قلت فكيف جعلت جنات عدن بدلا من الفضل الكبير الذي هو السبق بالخيرات المشار اليه بذلك
قلت لما كان السبب في نيل الثواب نزل منزلة المسبب كانه هو الثواب فابدلت عنه جنات عدن وفي اختصاص
السابقين بعد التقسيم بذكر ثوابهم والسكوت عن الآخرين ما فيه من وجوب الحذر فليحذر المقتصد وليهلك الظالم لنفسه
حذرا وعليهما بالتوبة النصوح المخلصة من عذاب الله تعالى ولا يغترا بما رواه عمر رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له فان شرط ذلك صحة التوبة لقوله تعالى عسى الله ان يتوب عليهم
وقوله اما يعذبهم واما يتوب عليهم ولقد نطق القرآن بذلك في مواضع من استقراها اطلع على حقيقة الامر ولم يعلل نفسه بالخدع
وقرئ سباق باذن الله بتيسيره وتوفيقه فان قلت لم قدم الظالم ثم المقتصد ثم السابق قلت
للايذان بكثرة الفاسقين منهم وغلبتهم وان المقتصدين قليل بالاضافة اليهم والسابقون اقل من القليل وقرئ جنة عدن

على الاولاد كانها مخففة باب يقين وجنات عدن بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر اى يدخلون جنات عدن يدخلونها
ويدخلونها على البناء للمفعول ويحلون من حليت المراة فهى حالية ولؤلؤا معطوف على محل من اساور ومن داخلة للتبعيض
اى يحلون بعض اساور من ذهب كانه بعض سابق لسائر الابعاض كما سبق المسورون به غيرهم وقيل ان ذلك الذهب
فى صفاء اللؤلؤ ولولوا بتخفيف الهمزة الاولى وقرئ الحزن والمراد حزن المتقين وهو ما اهمهم من خوف سوء العاقبة
كقوله تعالى انا كنا قبل فى اهلنا مشفقين فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم وعن ابن عباس حزن الاعراض والآفات
وعن حزن الموت وعن الضحاك حزن ابليس ووسوسته وقيل هم المعاش وقيل حزن زوال النعم وقد اكثروا حتى قال
بعضهم كراء الدار ومعناه انه يعم كل حزن من احزان الدين والدنيا حتى هذا • وعن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
ليس على اهل لا اله الا الله وحشة فى قبورهم ولا فى محشرهم ولا فى مسيرهم وكانى باهل لا اله الا الله يخرجون من قبورهم
وهم ينفضون التراب عن وجوههم ويقولون الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن وذكر الشكور دليل على ان القوم كثيروا الحسنات
المقامة بمعنى الاقامة يقال اقمت اقامة ومقاما ومقامة من فضله من عطائه وافضاله من قولهم لفلان فضول على قومه وفواضل
وليس من الفضل الذى هو التفضل لان الثواب بمنزلة الاجر المستحق والتفضل كالتبرع وقرئ لغوب بالفتح وهو اسم
ما يلغب منه اى لا نتكلف عملا يلغبنا او مصدر كالقبول والولوع او صفة للمصدر كانه لغوب لغوب كقولك موت مائت
فان قلت ما الفرق بين النصب واللغوب قلت النصب التعب والمشقة التى تصيب المنتصب للامر
المزاول له واما اللغوب فما يلحقه من الفتور بسبب النصب فالنصب نفس المشقة والكلفة واللغوب نتيجته وما يحدث منه
من الكلال والفترة • والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها
كذلك نجزى كل كفور • وهم يصطرخون فيها ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل
اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير • فذوقوا فما للظالمين من نصير
ان الله عالم غيب السموات والارض انه عليم بذات الصدور • فيموتوا جواب النفى ونصبه
باضمار ان وقرئ فيموتون عطفا على يقضى وادخالا له فى حكم النفى اى لا يقضى عليهم الموت فلا يموتون كقوله ولا يؤذن
لهم فيعتذرون كذلك مثل ذلك نجزى وقرئ يجازى ونجزى كل كفور بالنون يصطرخون يتصارخون يفتعلون من الصراخ
وهو الصياح بجهد وشدة قال كصرخة حبلى اسلمتها قبيلها • واستعمل فى الاستغاثة لجهد المستغيث صوته فان قلت
هلا اكتفى بصالحا كما اكتفى به فى قوله فارجعنا نعمل صالحا وما فائدة زيادة غير الذى كنا نعمل على انه يوهم انهم يعملون صالحا آخر غير
الصالح الذى عملوه قلت فائدته زيادة التحسر على ما عملوه من غير الصالح مع الاعتراف به واما الوهم فزائل لظهور حالهم فى الكفر
وركوب المعاصى ولانهم كانوا يحسبون انهم يحسنون على سيرة صالحة كما قال الله تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا فقالوا اخرجنا
نعمل صالحا غير الذى كنا نحسبه صالحا فنعمله اولم نعمركم توبيخ من الله تعالى يعنى فنقول لهم وقرئ ما يذكر فيه من اذكر على الادغام
وهو متناول لكل عمر تمكن فيه المكلف من اصلاح شانه وان قصر الا ان التوبيخ فى المتطاول اعظم وعن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
العمر الذى اعذر الله فيه الى ابن آدم ستون سنة وعن مجاهد ما بين العشرين الى الستين وقيل ثمانى عشرة سنة وسبع عشرة
والنذير الرسول وقيل الشيب وقرئ وجاءتكم النذر فان قلت علام عطف وجاءكم النذير قلت
على معنى اولم نعمركم لان لفظه لفظ استخبار ومعناه معنى اخبار كانه قيل قد عمرناكم وجاءكم النذير انه عليم بذات الصدور كالتعليل
لانه اذا علم ما فى الصدور وهو اخفى ما يكون فقد علم كل غيب فى العالم وذات الصدور مضمراتها وهى تانيث ذو فى نحو قول ابى بكر
رضى الله تعالى عنه ذو بطن خارجة جارية وقوله لتغنى عنى ذا انائك اجمعا والمعنى ما فى بطنها من الحبل وما فى انائك
من الشراب لان الحبل والشراب يصحبان البطن والاناء الا ترى الى قولهم معها حبل وكذلك المضمرات تصحب الصدور وهى معها
وذو موضوع لمعنى الصحبة • هو الذى جعلكم خلائف فى الارض فمن كفر فعليه كفره ولا يزيد
الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا • يقال للمستخلف
خليفة وخليف فالخليفة يجمع على خلائف والخليف خلفاء والمعنى انه جعلكم خلفاءه فى ارضه قد ملككم مقاليد التصرف فيها
وسلطكم على ما فيها واباح لكم منافعها لتشكروه بالتوحيد والطاعة فمن كفر وغمط مثل هذه النعمة السنية فوبال كفره راجع
عليه وهو مقت الله الذى ليس وراءه خزى وصغار وخسار الآخرة الذى ما بعده خسار والمقت اشد البغض ومنه قيل لمن ينكح امراة ابيه

اعوان

مقتيّ

مقتى لكونه ممقوتا فى كل قلب وهو خطاب للناس وقيل هو خطاب لمن بعث اليهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اى جعلكم امة خلفت
من قبلها ورأت وشاهدت فيمن سلف ما ينبغى ان تعتبر به فمن كفر منكم فعليه جزاء كفره من مقت الله وخسار الآخرة كما ان من كفر
من قبلكم • قل ارأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله ارونى ماذا خلقوا من الارض
ام لهم شرك فى السموات ام آتيناهم كتابا فهم على بينة منه بل ان يعد الظالمون بعضهم
بعضا الا غرورا • ارونى بدل من ارأيتم لان معنى ارأيتم اخبرونى كانه قال اخبرونى عن هؤلاء الشركاء وعما استحقوا
به الالهية والشركة ارونى اى جزء من اجزاء الارض استبدوا بخلقه دون الله تعالى ام لهم مع الله عز وجل شركة فى خلق السموات
ام معهم كتاب من عند الله تعالى ينطق بانهم شركاؤه فهم على حجة وبرهان من ذلك الكتاب ويكون الضمير فى آتيناهم للمشركين
كقوله تعالى ام انزلنا عليهم سلطانا ام آتيناهم كتابا من قبله بل ان يعد بعضهم وهم الرؤساء بعضا وهم الاتباع الا غرورا وهو
قولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله وقرئ بينات • ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا
ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده انه كان حليما غفورا • ان تزولا كراهة ان تزولا
او يمنعهما من ان تزولا لان الامساك منع انه كان حليما غفورا غير معاجل بالعقوبة حيث يمسكهما وكانتا جديرتين بان تهدا هدا
لعظم كلمة الشرك كما قال سبحانه تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وقرئ ولو زالتا وان امسكهما جواب القسم فى
ولئن زالتا سد مسد الجوابين ومن الاولى مزيدة لتاكيد النفى والثانية للابتداء من بعده من بعد امساكه وعن ابن عباس رضى الله عنه
انه قال لرجل مقبل من الشام من لقيت به قال كعبا قال وما سمعته يقول قال سمعته يقول ان السموات على منكب ملك قال كذب كعب
اما ترك يهوديته بعد ثم قرا هذه الآية • واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من
احدى الامم فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا • استكبارا فى الارض ومكر السيئ ولا
يحيق المكر السيئ الا باهله فهل ينظرون الا سنة الاولين فلن تجد لسنة الله تبديلا
ولن تجد لسنة الله تحويلا • اولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين
من قبلهم وكانوا اشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شئ فى السموات ولا فى الارض انه
كان عليما قديرا • بلغ قريشا قبل مبعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان اهل الكتاب كذبوا رسلهم فقالوا
لعن الله اليهود والنصارى اتتهم الرسل فكذبوهم فوالله لئن اتانا رسول لنكونن اهدى من احدى الامم فلما بعث رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم كذبوه وفى احدى الامم وجهان احدهما من بعض الامم ومن واحدة من الامم من اليهود والنصارى وغيرهم والثانى من
الامة التى يقال فيها احدى الامم تفضيلا لها على غيرها فى الهدى والاستقامة ما زادهم اسناد مجازى لانه هو السبب فى
ان زادوا انفسهم نفورا عن الحق وابتعادا عنه كقوله تعالى فزادتهم رجسا الى رجسهم استكبارا بدل من نفورا او
مفعول له على معنى فما زادهم الا ان نفروا استكبارا وعلوا فى الارض او حال بمعنى مستكبرين وماكرين برسول الله والمؤمنين
ويجوز ان يكون ومكر السيئ معطوفا على نفورا فان قلت ما وجه قوله ومكر السيئ قلت اصله
وان مكروا السيئ اى المكر السيئ ثم ومكرا السيئ ثم ومكر السيئ والدليل عليه قوله تعالى ولا يحيق المكر السيئ الا باهله
ومعنى يحيق يحيط وينزل وقرئ ولا يحيق المكر السيئ اى ولا يحيق الله تعالى ولقد حاق بهم يوم بدر وعن النبى
صلى الله عليه وسلم لا تمكروا ولا تعينوا ماكرا فان الله تعالى يقول ولا يحيق المكر السيئ الا باهله ولا تبغوا ولا تعينوا باغيا
يقول الله تعالى انما بغيكم على انفسكم وعن كعب انه قال لابن عباس رضى الله تعالى عنهم قرات فى التوراة من حفر مغواة وقع
فيها قال انا وجدت ذلك فى كتاب الله تعالى فقرا الآية وفى امثال العرب من حفر لاخيه جبا وقع فيه منكبا وقرا حمزة
ومكر السيئ باسكان الهمزة وذلك لاستثقاله الحركات مع الياء والهمزة ولعله اختلس فظن سكونا او وقف وقفة
خفيفة ثم ابتدا ولا يحيق وقرا ابن مسعود ومكرا سيئا سنة الاولين انزال العذاب على الذين كذبوا برسلهم من الامم
قبلهم وجعل استقبالهم لذلك انتظارا له منهم وبين ان عادته التى هى الانتقام من مكذبى الرسل عادة لا يبدلها ولا يحولها
اى لا يغيرها وان ذلك مفعول لا محالة واستشهد عليهم بما كانوا يشاهدونه فى مسايرهم ومتاجرهم فى رحلهم الى الشام والعراق
واليمن من آثار الماضين وعلامات هلاكهم ودمارهم ليعجزه ليسبقه ويفوته • ولو يؤاخذ الله الناس بما
كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى فاذا جاء اجلهم فان

كان بعباده بصيرا • بما كسبوا بما اقترفوا من معاصيهم على ظهرها على ظهر الارض من دابة من نسمة تدب عليها يريد بني آدم وقيل ما ترك بني آدم وغيرهم من سائر الدواب بشؤم ذنوبهم وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه كاد الجعل يعذب في جحره بذنب ابن آدم ثم تلا هذه الآية وعن انس رضي الله تعالى عنه ان الضب ليموت هزلا في جحره بذنب ابن آدم وقيل يحبس المطر فيهلك كل شيء الى اجل مسمى الى يوم القيمة كان بعباده بصيرا وعيد بالجزاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الملائكة دعته ثمانية ابواب الجنة ان ادخل من اي باب شئت

سورة يس مكية

وهي ثلاث وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم • يس • والقرآن الحكيم • انك لمن المرسلين • على صراط مستقيم • تنزيل العزيز الرحيم • قرئ ياسين بالفتح كأين وكيف او بالنصب على اتل وبالكسر على الاصل كجير وبالرفع على هذه ياسين او بالضم كحيث وفخمت الالف واميلت وعن ابن عباس رضي الله عنهما معناه يا انسان في لغة طي والله اعلم بصحته وان صح فوجهه ان يا انيسين فكثر النداء به على السنتهم حتى اقتصر على شطره كما قالوا في القسم م الله في ايمن الله الحكيم ذي الحكمة او لانه دليل ناطق بالحكمة كالحي او لانه كلام حكيم فوصف بصفة المتكلم به على صراط مستقيم خبر بعد خبر او صلة للمرسلين فان قلت اي حاجة اليه خبرا كان او صلة وقد علم ان المرسلين لا يكونون الا على صراط مستقيم قلت ليس الغرض بذكره ما ذهبت اليه من تمييز من ارسل على صراط مستقيم عن غيره ممن ليس على صفته وانما الغرض وصفه ووصف ما جاء به من الشريعة فجمع بين الوصفين في نظام واحد كأنه قال انك لمن المرسلين الثابتين على طريق ثابت وايضا فان التنكير فيه دال على انه ارسل من بين الصراط المستقيمة على صراط مستقيم لا يكتنه وصفه وقرئ تنزيل العزيز الرحيم بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وبالنصب على اعني وبالجر على البدل من القرآن • لتنذر قوما ما انذر آباؤهم فهم غافلون • لقد حق القول على اكثرهم فهم لا يؤمنون •

قوما ما انذر آباؤهم قوما غير منذر آباؤهم على الوصف ونحوه قوله تعالى لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير وقد فسر ما انذر آباؤهم على اثبات الانذار ووجه ذلك ان تجعل ما مصدرية لتنذر قوما انذار آبائهم او موصولة منصوبة على المفعول الثاني لتنذر قوما ما انذره آباؤهم من العذاب كقوله تعالى انا انذرناكم عذابا قريبا فان قلت اي فرق بين تعلقي قوله تعالى فهم غافلون على التفسيرين قلت هو على الاول متعلق بالنفي اي لم ينذروا فهم غافلون على ان عدم انذارهم هو سبب غفلتهم وعلى الثاني بقوله انك لمن المرسلين لتنذر كما تقول ارسلتك الى فلان لتنذره فانه غافل او فهو غافل فان قلت فكيف يكونون منذرين غير منذرين لمناقضة هذا ما في الآي الاخر قلت لا مناقضة لان الآي في نفي انذارهم لا في نفي انذار آبائهم وآباؤهم القدماء من ولد اسماعيل وكانت النذارة فيهم فان قلت ففي احد التفسيرين ان آباءهم لم ينذروا وهو الظاهر فما يصنع به قلت اريد آباؤهم الادنون دون الاباعد القول قوله تعالى لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين يعني تعلق بهم هذا القول وثبت عليهم ووجب لانهم ممن علم انهم يموتون على الكفر • انا جعلنا في اعناقهم اغلالا فهي الى الاذقان فهم مقمحون • وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون •

ثم مثل تصميمهم على الكفر وانه لا سبيل الى ارعوائهم بان جعلهم كالمغلولين المقمحين في انهم لا يلتفتون الى الحق ولا يعطفون اعناقهم نحوه ولا يطأطئون رؤوسهم له وكالحاصلين بين سدين لا يبصرون ما قدامهم ولا ما خلفهم في ان لا تأمل لهم ولا تبصر وانهم متعامون عن النظر في آيات الله تعالى فان قلت ما معنى قوله فهي الى الاذقان قلت معناه فالاغلال واصلة الى الاذقان ملزوزة اليها وذلك ان طوق الغل الذي في عنق المغلول يكون في ملتقى طرفيه تحت الذقن حلقة فيها رأس العمود نادرا من الحلقة الى الذقن فلا تخليه يطأطئ رأسه ويوطئ قذاله فلا يزال مقمحا والمقمح الذي يرفع رأسه ويغض بصره يقال قمح البعير فهو قامح اذا روي فرفع رأسه ومنه شهرا قماح لان الابل ترفع رؤوسها عن الماء لبرده فيهما وهما الكانونان ومنه اقتمحت السويق فان قلت فما قولك فيمن جعل الضمير للايدي وزعم ان الغل لما كان جامعا لليد والعنق وبذلك

يسمى جامعة كان ذكر الاعناق دالا على ذكر الايدي قلت الوجه ما ذكرت لك والدليل عليه قوله تعالى مقمحون الا ترى كيف جعل الاقماح نتيجة قوله فهي الى الاذقان ولو كان الضمير للايدي لم يكن معنى التسبب في الاقماح ظاهرا على ان هذا الاضمار فيه ضرب من التعسف وترك الظاهر الذي يدعوه المعنى الى نفسه الى الباطن الذي يجفو عنه ترك للحق الابلج الى الباطل اللجلج فان قلت فقد قرأ ابن عباس في ايديهم وابن مسعود في ايمانهم فهل يجوز على هاتين القراءتين ان يجعل الضمير للايدي او للايمان قلت يأبى ذلك وان ذهب الاضمار المتعسف ظهور كون الضمير للاغلال وسداد المعنى عليه كما ذكرت وقرئ سدا بالفتح والضم وقيل ما كان من عمل الناس فبالفتح وما كان من خلق الله تعالى فبالضم فاغشيناهم فاغشينا ابصارهم اي غطيناها وجعلنا عليها غشاوة عن ان تطمح الى مرئي وعن مجاهد فاغشيناهم فالبسنا ابصارهم غشاوة وقرئ بالعين من العشا وقيل نزلت في بني مخزوم وذلك ان ابا جهل حلف لئن رأى محمدا يصلي ليرضخن رأسه فأتاه وهو يصلي ومعه حجر ليدمغه فلما رفع يده انثنت الى عنقه ولزق الحجر بيده حتى فكوه عنها بجهد فرجع الى قومه فاخبرهم فقال مخزومي آخر انا اقتله بهذا الحجر فذهب فاعمى الله تعالى بصره • وسواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون • انما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة واجر كريم • انا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم وكل شيء احصيناه في امام مبين •

فان قلت قد ذكر ما دل على انتفاء ايمانهم مع ثبوت الانذار ثم قفاه بقوله تعالى انما تنذر وانما كانت تصح هذه التقفية لو كان الانذار منفيا قلت هو كما قلت ولكن لما كان ذلك نفيا للايمان مع وجود الانذار وكان معناه ان البغية المرومة بالانذار غير حاصلة وهي الايمان قفى قوله انما تنذر على معنى انما تحصل البغية بانذارك من غير هؤلاء المنذرين وهم المتبعون للذكر وهو القرآن او الوعظ الخاشون ربهم نحيي الموتى نبعثهم بعد مماتهم وعن الحسن احياؤهم ان يخرجهم من الشرك الى الايمان ونكتب ما اسلفوا من الاعمال الصالحة وغيرها وما هلكوا عنه من اثر حسن كعلم علموه او كتاب صنفوه او حبيس حبسوه او بناء بنوه من مسجد او رباط او قنطرة او نحو ذلك او سيء كوظيفة وظفها بعض الظلام على المسلمين وسكة احدث فيها تخسيرهم وشيء احدث فيه صد عن ذكر الله تعالى من الحان وملاه وكذلك كل سنة حسنة او سيئة يستن بها ونحوه قوله عز وجل ينبأ الانسان يومئذ بما قدم واخر اي قدم من اعماله واخر من آثاره وقيل هي آثار المشائين الى المساجد وعن جابر اردنا النقلة الى المسجد والبقاع حوله خالية فبلغ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاتانا في ديارنا وقال يا بني سلمة بلغني انكم تريدون النقلة الى المسجد فقلنا نعم بعد علينا المسجد والبقاع حوله خالية فقال عليكم دياركم فانما تكتب آثاركم قال فما وددنا بحضرة المسجد لما قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعن عمر بن عبد العزيز لو كان الله تعالى مغفلا شيئا لاغفل هذه الآثار التي تعفيها الرياح والامام اللوح وقرئ ويكتب ما قدموا وآثارهم على البناء للمفعول وكل شيء بالرفع • واضرب لهم مثلا اصحاب القرية اذ جاءها المرسلون • اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا انا اليكم مرسلون • قالوا ما انتم الا بشر مثلنا وما انزل الرحمن من شيء ان انتم الا تكذبون • قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون • وما علينا الا البلاغ المبين •

واضرب لهم مثلا ومثل لهم مثلا من قولهم عندي من هذا الضرب كذا اي من هذا المثال وهذه الاشياء على ضرب واحد اي على مثال واحد والمعنى واضرب لهم مثلا مثل اصحاب القرية اي اذكر لهم قصة عجيبة قصة اصحاب القرية والمثل الثاني بيان للاول وانتصاب اذ بانه بدل من اصحاب القرية والقرية انطاكية والمرسلون رسل عيسى صلوات الله وسلامه عليه الى اهلها بعثهم دعاة الى الحق وكانوا عبدة اوثان ارسل اليهم اثنين فلما قربا من المدينة رأيا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار صاحب يس فسألهما فاخبراه فقال امعكما آية فقالا نشفي المريض ونبرئ الاكمه والابرص وكان له ولد مريض من سنتين فمسحاه فقام فآمن حبيب وفشا الخبر فشفي على ايديهما خلق ورقي حديثهما الى الملك وقال لهما النا اله سوى آلهتنا قالا نعم من اوجدك وآلهتك فقال حتى انظر في امركما فتبعهما الناس وقيل ضربوهما وقيل حبسا ثم بعث عيسى عليه السلام شمعون فدخل متنكرا وعاشر حاشية الملك حتى استأنسوا به ورفعوا خبره الى الملك فانس به فقال له ذات يوم بلغني انك حبست رجلين فهل سمعت ما يقولانه قال لا حال الغضب بيني وبين ذلك فدعاهما

فقال شمعون من ارسلكما قالا الله الذي خلق كل شيء فقال صفاه واوجزا قالا يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال وما آيتكما قالا ما يتمنى الملك فدعا بغلام مطموس العينين فدعوا الله تعالى حتى انشق له بصر واخذا بندقتين فوضعاهما في حدقتيه فكانتا مقلتين ينظر بهما فقال له شمعون ارايت لو سالت الهك حتى يصنع مثل هذا فيكون لك وله الشرف فقال ليس لي عنك سر ان الهنا لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع وكان شمعون يدخل معهم على الصنم فيصلي ويتضرع ويحسبون انه منهم ثم قال ان قدر الهكما على احياء ميت آمنا به فدعوا بغلام مات من سبعة ايام فقام وقال اني دخلت في سبعة اودية من النار وانا احذركم ما انتم فيه فآمنوا وقال فتحت ابواب السماء فرأيت شابا حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة فقال الملك ومن هم قال شمعون وهذان فتعجب الملك فلما رأى شمعون ان قوله قد اثر فيه نصحه فآمن وآمن معه قوم ومن لم يؤمن صاح عليهم جبريل صيحة فهلكوا • فعززنا بثالث فقوينا يقال المطر يعزز الارض اذا لبدها وشدها وتعزز لحم الناقة وقرئ بالتخفيف من عزه يعزه اذا غلبه اي فغلبنا وقهرنا بثالث وهو شمعون **فان قلت** لم ترك ذكر المفعول به **قلت** لان الغرض ذكر المعزز به وهو شمعون وما لطف فيه من التدبير حتى عز الحق وذل الباطل واذا كان الكلام منصبا الى غرض من الاغراض جعل سياقه له وتوجهه اليه كأن ما سواه مرفوض مطرح ونظيره قولك حكم السلطان اليوم بالحق الغرض المسوق اليه قولك بالحق فلذلك رفضت ذكر المحكوم له والمحكوم عليه • انما رفع بشر ونصب في قوله تعالى ما هذا بشرا لان الا تنقض النفي فلا يبقى لما المشبهة بليس شبه فلا يبقى له عمل **فان قلت** لم قيل انا اليكم مرسلون اولا وانا اليكم لمرسلون آخرا **قلت** لان الاول ابتداء اخبار والثاني جواب عن انكار وقوله ربنا يعلم جار مجرى القسم في التوكيد وكذلك قولهم شهد الله وعلم الله وانما حسن منهم هذا الجواب الوارد على طريق التوكيد والتحقيق مع قولهم وما علينا الا البلاغ المبين اي الظاهر المكشوف بالآيات الشاهدة لصحته والا فلو قال المدعي والله اني لصادق فيما ادعي ولم يحضر البينة كان قبيحا

قالوا انا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب اليم • قالوا طائركم معكم أئن ذكرتم بل انتم قوم مسرفون •

تطيرنا بكم تشاءمنا بكم وذلك انهم كرهوا دينهم ونفرت منه نفوسهم وعادة الجهال ان يتيمنوا بكل شيء مالوا اليه واشتهوه وآثروه وقبلته طباعهم ويتشاءموا بما نفروا عنه وكرهوه فان اصابهم نعمة او بلاء قالوا ببركة هذا وبشؤم هذا كما حكى الله تعالى عن القبط وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه وعن مشركي مكة وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك وقيل حبس عنهم القطر فقالوا ذلك وعن قتادة ان اصابنا شيء كان من اجلكم طائركم معكم وقرئ طيركم اي سبب شؤمكم معكم وهو كفرهم او اسباب شؤمكم معكم وهي كفرهم ومعاصيهم وقرأ الحسن اطيركم اي تطيركم وقرئ أئن ذكرتم بهمزة الاستفهام وحرف الشرط وآين ذكرتم بالف بينهما بمعنى أتطيرون ان ذكرتم وقرئ أأن ذكرتم بهمزة الاستفهام وان الناصبة بمعنى أتطيرتم لان ذكرتم وقرئ ان وأن بغير استفهام بمعنى الاخبار اي تطيرتم لان ذكرتم او ان ذكرتم تطيرتم وقرئ أين ذكرتم على التخفيف اي شؤمكم معكم حيث جرى ذكركم واذا شئم المكان بذكرهم كانوا بحلوله فيه اشأم بل انتم قوم مسرفون في العصيان فمن ثم اتاكم الشؤم لا من قبل رسل الله تعالى وتذكيرهم او بل انتم مسرفون في ضلالكم متمادون في غيكم حيث تتشاءمون بمن يجب التبرك به من رسل الله عز وجل

وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين • اتبعوا من لا يسألكم اجرا وهم مهتدون •

رجل يسعى هو حبيب بن اسرائيل النجار وكان ينحت الاصنام وهو ممن آمن برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وبينهما ستمائة سنة كما آمن به تبع الاكبر وورقة بن نوفل وغيرهما ولم يؤمن بنبي احد الا بعد ظهوره وقيل كان في غار يعبد الله تعالى فلما بلغه خبر الرسل اتاهم واظهر دينه وقاول الكفرة فقالوا اوانت تخالف ديننا فوثبوا عليه فقتلوه وقيل توطؤوه بارجلهم حتى خرج قصبه من دبره وقيل رجموه وهو يقول اللهم اهد قومي وقبره في سوق انطاكية فلما قتل غضب الله تعالى عليهم فاهلكوا بصيحة جبريل وعن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سباق الامم ثلاثة لم يكفروا بالله تعالى طرفة عين علي بن ابي طالب وصاحب يس ومؤمن آل فرعون من لا يسألكم اجرا وهم مهتدون كلمة جامعة في الترغيب فيهم اي لا تخسرون معهم شيئا من دنياكم وتربحون صحة دينكم فينتظم لكم خير الدنيا وخير الآخرة

وما لي لا اعبد الذي فطرني واليه ترجعون • ءأتخذ من دونه آلهة ان يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون • اني اذا لفي ضلال مبين • اني آمنت

بربكم فاسمعون • قيل ادخل الجنة قال يا ليت قومي يعلمون • بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين •

ثم ابرز الكلام في معرض المناصحة لنفسه وهو يريد مناصحتهم ليتلطف بهم ويداريهم ولانه ادخل في امحاض النصح حيث لا يريد لهم الا ما يريد لروحه ولقد وضع قوله وما لي لا اعبد الذي فطرني مكان قوله وما لكم لا تعبدون الذي فطركم الا ترى الى قوله واليه ترجعون ولولا انه قصد ذلك لقال الذي فطرني واليه ارجع وقد ساقه ذلك المساق الى ان قال اني آمنت بربكم فاسمعون يريد فاسمعوا قولي واطيعوني فقد نبهتكم على الصحيح الذي لا معدل عنه ان العبادة لا تصح الا لمن منه مبتدأكم واليه مرجعكم وما ادفع العقول وانكرها لان تستحبوا على عبادته عبادة اشياء ان ارادكم هو بضر وشفع لكم هؤلاء لم تنفع شفاعتهم ولم يمكنوا من ان يكونوا شفعاء عنده ولم يقدروا على انقاذكم منه بوجه من الوجوه انكم في هذا الاستحباب لواقعون في ضلال ظاهر بين لا يخفى على ذي عقل وتمييز وقيل لما نصح قومه اخذوا يرجمونه فاسرع نحو الرسل قبل ان يقتل فقال لهم اني آمنت بربكم فاسمعون اي فاسمعوا ايماني تشهدوا لي به وقيل ان يردني الرحمن بضر بمعنى ان يوردني ضرا اي يجعلني موردا للضر قيل ادخل الجنة اي لما قتل قيل له ادخل الجنة وعن قتادة ادخله الله تعالى الجنة وهو فيها حي يرزق اراد قوله تعالى بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين وقيل معناه البشرى بدخول الجنة فانه من اهلها **فان قلت** كيف مخرج هذا القول في علم البيان **قلت** مخرجه مخرج الاستئناف لان هذا من مظان المسألة عن حاله عند لقاء ربه كأن قائلا قال كيف كان لقاء ربه بعد ذلك التصلب في نصرة دينه والتسخي لوجهه بروحه فقيل قيل ادخل الجنة ولم يقل قيل له لانصباب الغرض الى المقول لا الى المقول له مع كونه معلوما وكذلك قال يا ليت قومي يعلمون مرتب على تقدير سؤال سائل عما وجد من قوله عند ذلك الفوز العظيم وانما تمنى علم قومه بحاله ليكون علمهم بها سببا لاكتساب مثلها لانفسهم بالتوبة عن الكفر والدخول في الايمان والعمل الصالح المفضيين باهلهما الى الجنة وفي حديث مرفوع نصح قومه حيا وميتا وفيه تنبيه عظيم على وجوب كظم الغيظ والحلم عن اهل الجهل والترؤف على من ادخل نفسه في غمار الاشرار واهل البغي والتشمر في تخليصه والتلطف في افتدائه والاشتغال بذلك عن الشماتة به والدعاء عليه الا ترى كيف تمنى الخير لقتلته والباغين له الغوائل وهم كفرة عبدة اصنام ويجوز ان يتمنى ذلك ليعلموا انهم كانوا على خطأ عظيم في امره وانه كان على صواب ونصيحة وشفقة وان عداوتهم لم تكسبه الا فوزا ولم تعقبه الا سعادة لان في ذلك زيادة غبطة له وتضاعف لذة وسرور والاول اوجه وقرئ المكرمين **فان قلت** ما في قوله بما غفر لي ربي اي الماءات هي **قلت** المصدرية او الموصولة اي بالذي غفره لي من الذنوب ويحتمل ان تكون استفهامية يعني بأي شيء غفر لي ربي يريد به ما كان منه معهم من المصابرة لاعزاز الدين حتى قتل الا ان قولك بم غفر لي بطرح الالف اجود وان كان اثباتها جائزا يقال قد علمت بما صنعت هذا اي بأي شيء صنعت وبم صنعت

وما انزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين • ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم خامدون •

المعنى ان الله تعالى كفى امرهم بصيحة ملك ولم ينزل لاهلاكهم جندا من جنود السماء كما فعل يوم بدر والخندق **فان قلت** وما معنى قوله تعالى وما كنا منزلين **قلت** معناه وما كان يصح في حكمتنا ان ننزل في اهلاك قوم حبيب جندا من السماء وذلك لان الله عز وجل اجرى هلاك كل قوم على بعض الوجوه دون البعض وما ذلك الا بناء على ما اقتضته الحكمة واوجبته المصلحة الا ترى الى قوله تعالى فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ومنهم من اخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من اغرقنا **فان قلت** فلم انزل الجنود من السماء يوم بدر والخندق قال تعالى فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها بألف من الملائكة مردفين بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بخمسة آلاف من الملائكة مسومين **قلت** انما كان يكفي ملك واحد فقد اهلكت مدائن قوم لوط بريشة من جناح جبريل وبلاد ثمود وقوم صالح بصيحة منه ولكن فضل محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم بكل شيء على كبار الانبياء واولي العزم من الرسل فضلا على حبيب النجار واولاه من اسباب الكرامة والاعزاز ما لم يوله احدا فمن ذلك انه انزل له جنودا من السماء وكأنه اشار بقوله وما انزلنا وما كنا منزلين الى ان انزال الجنود من عظائم الامور التي لا يؤهل لها الا مثلك وما كنا نفعله بغيرك ان كانت الا صيحة واحدة ان كانت الاخذة او العقوبة الا صيحة واحدة وقرأ ابو جعفر المدني بالرفع على كان التامة اي ما وقعت الا صيحة والقياس والاستعمال على تذكير الفعل لان المعنى ما وقع شيء الا صيحة ولكنه نظر الى ظاهر اللفظ وان الصيحة في حكم فاعل الفعل ومثلها قراءة الحسن فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم وبيت ذي الرمة وما بقيت الا الضلوع الجراشع

وقرأ ابن مسعود الا زقية واحدة من زقا الطائر يزقو ويزقي اذا صاح ومنه المثل اثقل من الزواقي خامدون خمدوا كما تخمد النار فتعود رمادا كما قال لبيد ● وما المرء الا كالشهاب وضوئه ● يحور رمادا بعد اذ هو ساطع ● يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزءون ● الم يروا كم اهلكنا قبلهم من القرون انهم اليهم لا يرجعون ● وان كل لما جميع لدينا محضرون ● يا حسرة على العباد نداء للحسرة عليهم كانما قيل لها تعالي يا حسرة فهذه من احوالك التي حقك ان تحضري فيها وهي حال استهزائهم بالرسل والمعنى انهم احقاء بان يتحسر عليهم المتحسرون ويتلهف على حالهم المتلهفون او هم متحسر عليهم من جهة الملائكة والمؤمنين من الثقلين ويجوز ان يكون من الله تعالى على سبيل الاستعارة في معنى تعظيم ما جنوه على انفسهم ومحنوها به وفرط انكاره له وتعجيبه منه وقراءة من قرأ يا حسرتا تعضد هذا الوجه لان المعنى يا حسرتي وقرئ يا حسرة العباد على الاضافة اليهم لاختصاصها بهم من حيث انها موجهة اليهم ويا حسرة على العباد على اجراء الوصل مجرى الوقف الم يروا الم يعلموا وهو معلق عن العمل في كم لان كم لا يعمل فيها عامل قبلها كانت للاستفهام او للخبر لان اصلها الاستفهام الا ان معناه نافذ في الجملة كما نفذ في قولك الم تروا ان زيدا لمنطلق وان لم يعمل في لفظه وانهم اليهم لا يرجعون بدل من كم اهلكنا على المعنى لا على اللفظ تقديره الم يروا كثرة اهلاكنا القرون من قبلهم كونهم غير راجعين اليهم وعن الحسن كسر ان على الاستئناف وفي قراءة ابن مسعود رضي الله تعالى عنه الم يروا من اهلكنا والبدل على هذه القراءة بدل اشتمال وهذا مما يرد قول اهل الرجعة ويحكى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه قيل له ان قوما يزعمون ان عليا مبعوث قبل يوم القيمة فقال بئس القوم نحن اذا نكحنا نساءه وقسمنا ميراثه وقرئ لما بالتخفيف على ان ما صلة للتأكيد وان مخففة من الثقيلة وهي متلقاة باللام لا محالة ولما بالتشديد بمعنى الا كالتي في مسئلة الكتاب نشدتك بالله لما فعلت وان نافية والتنوين في كل هو الذي يقع عوضا من المضاف اليه كقولك مررت بكل قائما والمعنى ان كلهم محشورون مجموعون محضرون للحساب يوم القيمة وقيل محضرون معذبون **فان قلت** كيف اخبر عن كل بجميع ومعناهما واحد **قلت** ليس بواحد لان كلا يفيد معنى الاحاطة وان لا ينفلت منهم احد والجميع معناه الاجتماع وان المحشر يجمعهم والجميع فعيل بمعنى مفعول يقال حي جميع وجاؤا جميعا وآية لهم الارض الميتة احييناها واخرجنا منها حبا فمنه يأكلون ● وجعلنا فيها جنات من نخيل واعناب وفجرنا فيها من العيون ليأكلوا من ثمره وما عملته ايديهم افلا يشكرون ● سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون ● القراءة بالميتة على الخفة اشيع لسلسها على اللسان واحييناها استئناف بيان لكون الارض الميتة آية وكذلك نسلخ ويجوز ان يوصف الارض والليل بالفعل لانه اريد بهما الجنسان مطلقين لا ارض وليل باعيانهما فعوملا معاملة النكرات في وصفها بالافعال ونحوه ● ولقد امر على اللئيم يسبني ● وقوله تعالى فمنه يأكلون بتقديم الظرف للدلالة على ان الحب هو الشيء الذي يتعلق به معظم العيش ويقوم بالارتزاق منه صلاح الانس واذا قل جاء القحط ووقع الضر واذا فقد حضر الهلاك ونزل البلاء وقرئ وفجرنا بالتثقيل والتخفيف والفجر والتفجير كالفتح والتفتيح لفظا ومعنى وقرئ ثمره بفتحتين وضمتين وضمة وسكون والضمير لله تعالى والمعنى ليأكلوا مما خلقه الله تعالى من الثمر ومما عملته ايديهم من الغرس والسقي والآبار وغير ذلك من الاعمال الى ان يبلغ الثمر منتهاه وابان اكله يعني ان الثمر في نفسه فعل الله تعالى وخلقه وفيه آثار من كد بني آدم واصله من ثمرنا كما قال وجعلنا وفجرنا فنقل الكلام من التكلم الى الغيبة على طريقة الالتفات ويجوز ان يرجع الى النخيل وتترك الاعناب غير مرجوع اليها لانه علم انها في حكم النخيل فيما علق به من اكل ثمره ويجوز ان يراد من ثمر المذكور وهو الجنات كما قال رؤبة ● فيها خطوط من سواد وبلق ● كانه في الجلد توليع البهق ● فقيل له فقال اردت كان ذاك ولك ان تجعل ما نافية على ان الثمر خلق الله تعالى ولم تعمله ايدي الناس ولا يقدرون عليه وقرئ على الوجه الاول وما عملت من غير راجع وهي في مصاحف اهل الكوفة كذلك وفي مصاحف اهل الحرمين والبصرة والشام مع الضمير الازواج الاجناس والاصناف ومما لا يعلمون ومن ازواج لم يطلعهم الله تعالى عليها ولا توصلوا الى معرفتها بطريق من طرق العلم ولا يبعد ان يخلق من الخلائق الحيوان والجماد ما لم يجعل للبشر طريقا الى العلم به لانه لا حاجة بهم في دينهم ودنياهم الى ذلك العلم ولو كانت بهم اليه حاجة لاعلمهم بما لا يعلمون كما اعلمهم بوجود ما لا يعلمون وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لم يسمهم في الحديث ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بما اطلعتهم عليه فاعلمنا بوجوده واعداده ولم يعلمنا به ما هو وذكره قوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وفي الاعلام

بكثرة

بكثرة ما خلق مما علموه وما جهلوه ما دل على عظم قدرته واتساع ملكه ● وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون ● والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ● والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ● لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون ● سلخ جلد الشاة اذا كشطه عنها وازاله ومنه سلخ الحية لخرشائها فاستعير لازالة الضوء وكشفه عن مكان الليل وملقى ظله مظلمون داخلون في الظلام يقال اظلمنا كما تقول اعتمنا وادجنا لمستقر لها لحد لها موقت مقدر تنتهي اليه من فلكها في آخر السنة شبه بمستقر المسافر اذا قطع مسيره او لمنتهى لها من المشارق والمغارب لانها تتقصاها مشرقا مشرقا ومغربا مغربا حتى تبلغ اقصاها ثم ترجع فذلك حدها ومستقرها لانها لا تعدوه او لحد لها من مسيرها كل يوم في مرأى عيوننا وهو المغرب وقيل مستقرها اجلها الذي اقر الله تعالى عليه امرها في جريها فاستقرت عليه وهو آخر السنة وقيل الوقت الذي تستقر فيه وينقطع جريها وهو يوم القيمة وقرئ تجري الى مستقر لها وقرأ ابن مسعود لا مستقر لها اي لا تزال تجري لا تستقر وقرئ لا مستقر لها على ان لا بمعنى ليس ذلك الجري على ذلك التقدير والحساب الدقيق الذي تكل الفطن عن استخراجه وتتحير الافهام في استنباطه ما هو الا تقدير الغالب بقدرته على كل مقدور المحيط علما بكل معلوم وقرئ والقمر رفعا على الابتداء او عطفا على الليل يريد ومن آياته القمر ونصبا بفعل يفسره قدرناه ولا بد في قدرناه منازل من تقدير مضاف لانه لا معنى لتقدير نفس القمر منازل والمعنى قدرنا مسيره منازل وهي ثمانية وعشرون منزلا ينزل القمر كل ليلة في واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه على تقدير مستو لا يتفاوت يسير فيها من ليلة المستهل الى الثامنة والعشرين ثم يستتر ليلتين او ليلة اذا نقص الشهر وهذه المنازل هي مواقع النجوم التي نسبت اليها العرب الانواء المستمطرة وهي الشرطان ● البطين ● الثريا ● الدبران ● الهقعة ● الهنعة ● الذراع ● النثرة ● الطرف ● الجبهة ● الزبرة ● الصرفة ● العواء ● السماك ● الغفر ● الزبانا ● الاكليل ● القلب ● الشولة ● النعائم ● البلدة ● سعد الذابح ● سعد بلع ● سعد السعود ● سعد الاخبية ● فرغ الدلو المقدم ● فرغ الدلو المؤخر ● الرشا ● فاذا كان في آخر منازله دق واستقوس وعاد كالعرجون القديم وهو عود العذق ما بين شماريخه الى منبته من النخلة وقال الزجاج هو فعلون من الانعراج وهو الانعطاف وقرئ العرجون بوزن الفرجون وهما لغتان كالبزيون والبزيون والقديم المحول واذا قدم دق وانحنى واصفر فشبه به من ثلثة اوجه وقيل اقل مدة الموصوف بالقدم الحول فلو ان رجلا قال كل مملوك لي قديم فهو حر او كتب ذلك في وصيته عتق منهم من مضى له حول او اكثر وقرئ سابق النهار على الاصل والمعنى ان الله تعالى قسم لكل واحد من الليل والنهار وآيتيهما قسما من الزمان وضرب له حدا معلوما ودبر امرهما على التعاقب فلا ينبغي للشمس اي لا يتسهل لها ولا يصح ولا يستقيم لوقوع التدبير على المعاقبة وان جعل لكل واحد من النيرين سلطان على حياله ان تدرك القمر فتجتمع معه في وقت واحد وتداخله في سلطانه فتطمس نوره ولا يسبق الليل النهار يعني آية الليل آية النهار وهما النيران ولا يزال الامر على هذا الترتيب الى ان يبطل الله تعالى ما دبر من ذلك وينقض ما الف فيجمع بين الشمس والقمر ويطلع الشمس من مغربها **فان قلت** لم جعلت الشمس غير مدركة والقمر غير سابق **قلت** لان الشمس لا تقطع فلكها الا في سنة والقمر يقطع فلكه في شهر فكانت الشمس جديرة بان توصف بالادراك لتباطؤ سيرها عن سير القمر والقمر جدير بان يوصف بالسبق لسرعة سيره وكل التنوين فيه عوض من المضاف اليه والمعنى وكلهم والضمير للشموس والاقمار على ما سبق ذكره ● وآية لهم انا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون ● وخلقنا لهم من مثله ما يركبون ● وان نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم ولا هم ينقذون ● الا رحمة منا ومتاعا الى حين ● واذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون ● وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين ● ذريتهم اولادهم ومن يهمهم حمله وقيل اسم الذرية يقع على النساء لانهن مزارعها وفي الحديث انه نهى عن قتل الذراري يعني النساء من مثله من مثل الفلك ما يركبون من الابل وهي سفائن البر وقيل الفلك المشحون سفينة نوح ومعنى حمل الله تعالى ذرياتهم فيها انه حمل فيها آباءهم الاقدمين وفي اصلابهم هم وذرياتهم وانما ذكر ذرياتهم دونهم لانه ابلغ في الامتنان عليهم وادخل في التعجيب من قدرته في حمل اعقابهم الى يوم القيمة في سفينة نوح عليه السلام ومن مثله من مثل ذلك الفلك ما يركبون من السفن والزوارق لا صريخ لهم لا مغيث او لا اغاثة يقال اتاهم الصريخ ولا هم ينقذون لا ينجون من الموت بالغرق الا رحمة منا وتمتيع بالحيوة الى حين الى اجل يموتون فيه لا بد لهم منه بعد النجاة من موت الغرق ولقد احسن من قال

ولم اسلم لكي ابقى ولكن • سلمت من الحمام الى الحمام • وعن الحسن نخوفهم • اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم كقوله تعالى افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض • وعن مجاهد رضي الله تعالى عنه ما تقدم من ذنوبكم وما تأخر • وعن قتادة رحمه الله ما بين ايديكم من الوقايع التي خلت يعني من مثل الوقايع التي ابتليت بها الامم المكذبة انبياءها وما خلفكم من امر الساعة لعلكم ترحمون لتكونوا على رجاء رحمة الله تعالى وجواب اذا محذوف مدلول عليه بقوله الا كانوا عنها معرضين فكانه قال واذا قيل لهم اتقوا اعرضوا ثم قال ودأبهم الاعراض عند كل آية وموعظة • وإذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا انطعم من لو يشاء الله اطعمه ان انتم الا في ضلال مبين • كانت الزنادقة منهم يسمعون المومنين يعلقون افعال الله تعالى بمشيته فيقولون لو شاء الله لاغنى فلانا ولو شاء لاعزه ولو شاء لكان كذا فاخرجوا هذا الجواب مخرج الاستهزاء بالمومنين وبما كانوا يقولونه من تعليق الامور بمشية الله تعالى ومعناه انطعم المقول فيه هذا القول بينكم وذلك انهم كانوا دافعين ان يكون الغنى والفقر من الله سبحانه وتعالى لانهم معطلة لا يومنون بالصانع • وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان بمكة زنادقة فاذا امروا بالصدقة على المسلمين قالوا لا والله ايفقره الله ونطعمه نحن • وقيل كانوا يوهمون ان الله تعالى لما كان قادرا على اطعامه ولا يشاء اطعامه فنحن احق بذلك نزلت في مشركي قريش حين قال فقراء اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطونا مما زعمتم من اموالكم انها لله يعنون قوله تعالى وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فحرموهم وقالوا لو شاء الله لاطعمكم ان انتم الا في ضلال مبين قول الله تعالى لهم او حكاية قول المومنين لهم او هو من جملة جوابهم للمومنين • ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ما ينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون • فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون • قرئ وهم يخصمون بادغام التاء في الصاد مع فتح الخاء وكسرها واتباع الياء الخاء في الكسر ويختصمون على الاصل ويخصمون من خصمه • والمعنى انها تبغتهم وهم في امنهم وغفلتهم عنها لا يخطرونها ببالهم مشتغلين بخصوماتهم في متاجرهم ومعاملاتهم وسائر ما يتخاصمون فيه ويتشاجرون ومعنى يخصمون يخصم بعضهم بعضا • وقيل تأخذهم وهم عند انفسهم يخصمون في الحجة في انهم لا يبعثون فلا يستطيعون ان يوصوا في شيء من امورهم توصية ولا يقدرون على الرجوع الى منازلهم واهاليهم بل يموتون حيث تفجؤهم الصيحة • ونفخ في الصور فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون • قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون • ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون • فاليوم لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون الا ما كنتم تعملون • قرئ الصور بسكون الواو وهو القرن او جمع صورة وحركها بعضهم • والاجداث القبور وقرئ بالفاء • ينسلون يعدون بكسر السين وضمها وهي النفخة الثانية • وقرئ يا ويلتنا • وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه من اهبنا من هب من نومه اذا انتبه واهبه غيره • وقرئ من اهبنا بمعنى اهبنا وعن بعضهم اراد هب بنا فحذف الجار واوصل الفعل • وقرئ من بعثنا على من الجارة والمصدر • وهذا مبتدأ وما وعد الرحمن خبره وما مصدرية او موصولة • ويجوز ان يكون هذا صفة للمرقد وما وعد خبر مبتدأ محذوف اي هذا وعد الرحمن او مبتدأ محذوف الخبر اي ما وعد الرحمن وصدق المرسلون حق عليكم • وعن مجاهد للكفار هجعة يجدون فيها طعم النوم فاذا صيح باهل القبور قالوا من بعثنا • واما هذا ما وعد الرحمن فكلام الملائكة • وعن ابن عباس وعن الحسن رضي الله تعالى عنهم كلام المتقين • وقيل كلام الكافرين يتذكرون ما سمعوه من الرسل فيجيبون به انفسهم او بعضهم بعضا • فان قلت اذا جعلت ما مصدرية كان المعنى هذا وعد الرحمن وصدق المرسلين على تسمية الموعود والمصدوق فيه بالوعد والصدق فما وجه قوله وصدق المرسلون اذا جعلتها موصولة • قلت تقديره هذا الذي وعده الرحمن والذي صدقه المرسلون بمعنى والذي صدق فيه المرسلون من قولهم صدقوهم الحديث والقتال ومنه صدقني سن بكره • فان قلت من بعثنا من مرقدنا سؤال عن الباعث فكيف طابقه ذلك جوابا • قلت معناه بعثكم الرحمن الذي وعدكم البعث وانبأكم به الرسل الا انه جيء به على طريقة سيئت بها قلوبهم ونعيت اليهم احوالهم وذكروا كفرهم وتكذيبهم واخبروا بوقوع ما انذروا به وكانه قيل لهم ليس بالبعث الذي عرفتموه وهو بعث النائم من مرقده حتى يهمكم السؤال عن الباعث ان هذا هو البعث الاكبر ذو الاهوال والافزاع وهو الذي وعده الله تعالى في كتبه المنزلة على السنة رسله الصادقين • الا صيحة واحدة قرئت منصوبة ومرفوعة • فاليوم لا تظلم نفس شيئا • ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون هم وازواجهم

في ظلال على الارائك متكئون • لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون • سلام قولا من رب رحيم • ان اصحاب الجنة اليوم في شغل حكاية ما يقال لهم في ذلك اليوم وفي مثل هذه الحكاية زيادة تصوير للموعود وتمكين له في النفوس وترغيب في الحرص عليه وعلى ما يثمره • في شغل في اي شغل وفي شغل لا يوصف وما ظنك بشغل من سعد بدخول الجنة التي هي دار المتقين ووصل الى نيل تلك الغبطة وذلك الملك الكبير والنعيم المقيم ووقع في تلك الملاذ التي اعدها الله تعالى للمرتضين من عباده ثوابا لهم على اعمالهم مع كرامة وتعظيم وذلك بعد الوله والصبابة والتفصي من مشاق التكليف ومضايق التقوى والخشية وتخطي الاهوال وتجاوز الاخطار وجواز الصراط ومعاينة ما لقي العصاة من العذاب • وعن ابن عباس في افتضاض الابكار • وعنه في ضرب الاوتار • وعن ابن كيسان في التزاور • وقيل في ضيافة الله عز وجل • وعن الحسن شغلهم عما فيه اهل النار التنعم بما هم فيه • وعن الكلبي في شغل عن اهاليهم من اهل النار لا يهمهم امرهم ولا يذكرونهم لئلا يدخل عليهم تنغيص في نعيمهم • قرئ في شغل بضمتين وضمة وسكون وفتحتين وفتحة وسكون • والفاكه والفكه المتنعم المتلذذ ومنه الفاكهة لانها مما يتلذذ به • وكذلك الفكاهة وهي المزاحة • وقرئ فاكهون وفكهون بكسر الكاف وضمها كقولهم رجل حدث وحدث ونطس ونطس • وقرئ فاكهين وفكهين على انه حال والظرف مستقر • وهم يحتمل ان يكون مبتدأ وان يكون تأكيدا للضمير في في شغل وفي فاكهون على ان ازواجهم يشاركنهم في ذلك الشغل والتفكه والاتكاء على الارائك تحت الظلال • وقرئ في ظلل • والاريكة السرير في الحجلة • وقيل الفراش فيها • وقرأ ابن مسعود رضي الله تعالى عنه متكئين • يدعون يفتعلون من الدعاء اي يدعون به لانفسهم كقولك اشتوى واجتمل اذا شوى وجمل لنفسه قال لبيد • فاشتوى ليلة ريح واجتمل • ويجوز ان يكون بمعنى يتداعونه كقولك ارتموه وتراموه • وقيل يتمنون من قولهم ادع علي ما شئت بمعنى تمنه علي وفلان في خير ما ادعى اي في خير ما تمنى • قال الزجاج وهو من الدعاء اي ما يدعوا به اهل الجنة يأتيهم • وسلام بدل مما يدعون كانه قال لهم سلام يقال لهم قولا من جهة رب رحيم • والمعنى ان الله تعالى يسلم عليهم بواسطة الملائكة او بغير واسطة مبالغة في تعظيمهم وذلك متمناهم ولهم ذلك لا يمنعونه • قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما والملائكة يدخلون عليهم بالتحية من رب العالمين • وقيل ما يدعون مبتدأ وخبره سلام بمعنى ولهم ما يدعون سالم خالص لا شوب فيه • وقولا مصدر مؤكد لقوله ولهم ما يدعون سلام اي عدة من رب رحيم والاوجه ان ينتصب على الاختصاص وهو من مجازه • وقرئ سلم وهو بمعنى السلام في المعنيين • وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه سلاما نصب على الحال اي لهم مرادهم خالصا • وامتازوا اليوم ايها المجرمون • وانفردوا عن المومنين وكونوا على حدة وذلك حين يحشر المومنون ويسار بهم الى الجنة • ونحوه قوله تعالى ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون واما الذين كفروا الآية • يقال مازه فامتاز وامتاز • وعن قتادة اعتزلوا عن كل خير • وعن الضحاك لكل كافر بيت من نار يكون فيه فلا يرى ولا يرى • ومعناه ان بعضهم يمتاز عن بعض • الم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين • وان اعبدوني هذا صراط مستقيم • العهد الوصية وعهد اليه اذا وصاه وعهد الله اليهم ما ركز فيهم من ادلة العقل وانزل عليهم من دلائل السمع • وعبادة الشيطان طاعته فيما يوسوس به اليهم ويزينه لهم • وقرئ اعهد بكسر الهمزة وباب فعل كله يجوز في حروف مضارعته الكسر الا في الياء • واعهد بكسر الهاء • وقد جوز الزجاج ان يكون من باب نعم ينعم وضرب يضرب • واحهد بالحاء واحد وهي لغة تميم ومنه قولهم دحا محا • هذا اشارة الى ما عهد اليهم من معصية الشيطان وطاعة الرحمن اذ لا صراط اقوم منه ونحو التنكير فيه قول كثير • لئن كان يهدى برد انيابها العلى • لافقر مني انني لفقير • اراد انني لفقير بليغ الفقر حقيق بان يوصف به لكمال شرائطه فيّ والا لم يستقم معنى البيت • وكذلك قوله تعالى هذا صراط مستقيم يريد صراط بليغ في بابه بليغ في استقامته جامع لكل شرط يجب ان يكون عليه • ويجوز ان يراد هذا بعض الصراط المستقيمة توبيخا لهم على العدول عنه والتفادي عن سلوكه كما يتفادى الناس عن الطريق المعوج الذي يؤدي الى الضلالة والتهلكة كانه قيل اقل احوال الطريق الذي هو اقوم الطرق ان يعتقد فيه كما يعتقد في الطريق الذي لا يضل السالك كما يقول الرجل لولده وقد نصحه النصح البالغ الذي ليس بعده هذا فيما اظن قول نافع غير ضار توبيخا له على الاعراض عن نصائحه • ولقد اضل منكم جبلا كثيرا افلم تكونوا تعقلون • هذه جهنم التي كنتم توعدون • اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون • قرئ جبلا بضمتين وضمة وسكون وضمتين وتشديدة وكسرتين وكسرة وسكون وكسرتين وتشديدة وهذه لغات في معنى الخلق • وقرئ جبلا جمع جبلة كفطر وخلق

وفي قراءة علي رضي الله تعالى عنه جيلا واحد الاجيال **اليوم نختم على افواههم وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون** يروى انهم يجحدون ويخاصمون فتشهد عليهم جيرانهم واهاليهم وعشايرهم فيحلفون ما كانوا مشركين فحينئذ يختم على افواههم وتكلم ايديهم وارجلهم وفي الحديث يقول العبد يوم القيمة اني لا اجيز علي الا من نفسي فيختم على فيه ويقال لاركانه انطقي فتنطق باعماله ثم يخلي بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت اناضل وقرئ يختم على افواههم وتتكلم ايديهم وقرئ ولتكلمنا ايديهم وتشهد بلام كي والنصب على معنى وكذلك نختم على افواههم وقرئ ولتكلمنا ايديهم ولتشهد بلام الامر والجزم على ان الله تعالى يامر الاعضاء بالكلام والشهادة **ولو نشاء لطمسنا على اعينهم فاستبقوا الصراط فانى يبصرون** الطمس تعفية شق العين حتى تعود ممسوحة فاستبقوا الصراط لا يخلو من ان يكون على حذف الجار وايصال الفعل والاصل فاستبقوا الى الصراط او يضمن معنى ابتدروا او يجعل الصراط مسبوقا اليه او ينتصب على الظرف والمعنى انه لو نشاء لمسح اعينهم فلو راموا ان يستبقوا الى الطريق المهيع الذي اعتادوا سلوكه الى مساكنهم والى مقاصدهم المالوفة التي ترددوا اليها كثيرا كما كانوا يستبقون اليه ساعين في متصرفاتهم موضعين في امور دنياهم لم يقدروا وتعايا عليهم ان يبصروا او يعلموا جهة السلوك فضلا عن غيره ولو شاء لاعماهم فلو ارادوا ان يمشوا مستبقين في الطريق المالوف كما كان ذلك هجيراهم لم يستطيعوا او لو شاء لاعماهم فلو طلبوا ان يخلفوا الصراط الذي اعتادوا المشي فيه لعجزوا ولم يعرفوا طريقا يعني انهم لا يقدرون الا على سلوك الطريق المعتاد دون ما وراءه من سائر الطرق والمسالك كما ترى العميان يهتدون فيما الفوا او ضروا به من المقاصد دون غيرها **ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون** وقرئ على مكاناتهم والمكانة والمكان واحد كالمقامة والمقام اي لمسخناهم مسخا يجمدهم مكانهم لا يقدرون ان يبرحوه باقبال ولا ادبار ولا مضي ولا رجوع واختلف في المسخ فعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لمسخناهم قردة وخنازير وقيل حجارة وعن قتادة لاقعدناهم على ارجلهم وازمناهم وقرئ مضيا بالحركات الثلاث فالمضي والمضي كالعتي والعتي **ومن نعمره ننكسه في الخلق افلا يعقلون** ننكسه في الخلق نقلبه فيه فنخلقه على عكس ما خلقناه من قبل وذلك انا خلقناه على ضعف في جسده وخلو من عقل وعلم ثم جعلناه يتزايد وينتقل من حال الى حال ويرتقي من درجة الى درجة الى ان يبلغ اشده ويستكمل قوته ويعقل ويعلم ما له وما عليه فاذا انتهى نكسناه في الخلق فجعلناه يتناقص حتى يرجع في حال شبيهة بحال الصبي في ضعف جسده وقلة عقله وخلوه من العلم كما ينكس السهم فيجعل اعلاه اسفله قال عز وجل ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا ثم رددناه اسفل سافلين وهذه دلالة على ان من ينقلهم من الشباب الى الهرم ومن القوة الى الضعف ومن رجاحة العقل الى الخرف وقلة التمييز ومن العلم الى الجهل بعدما نعلمهم خلاف هذا النقل وعكسه قادر على ان يطمس اعينهم ويمسخهم على مكانتهم ويفعل بهم ما شاء واراد وقرئ بكسر الكاف وننكسه من التنكيس والانكاس افلا تعقلون بالتاء والياء **وما علمناه الشعر وما ينبغي له ان هو الا ذكر وقرآن مبين** كانوا يقولون لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شاعر وروي ان القائل عقبة بن ابي معيط فقيل وما علمناه الشعر اي وما علمناه بتعليم القرآن الشعر على معنى ان القرآن ليس بشعر وما هو من الشعر في شيء واين هو عن الشعر والشعر انما هو كلام موزون مقفى يدل على معنى فاين الوزن واين التقفية واين المعاني التي ينتحيها الشعراء عن معانيه واين نظم كلامهم عن نظمه واساليبه فاذن لا مناسبة بينه وبين الشعر اذا حققت اللهم الا ان هذا لفظ عربي كما ان ذلك كذلك وما ينبغي له وما يصح له ولا ينطلب لو طلبه اي جعلناه بحيث لو اراد قرض الشعر لم يتات له ولم يتسهل كما جعلناه اميا لا يهتدي للخط ولا يحسنه لتكون الحجة اثبت والشبهة ادحض وعن الخليل كان الشعر احب الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من كثير من الكلام ولكن كان لا يتاتى له **فان قلت** فقوله انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب وقوله هل انت الا اصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت **قلت** ما هو الا كلام من جنس كلامه الذي كان يرمي به على السليقة من غير صنعة فيه ولا تكلف الا انه اتفق ذلك من غير قصد الى ذلك ولا التفات منه اليه ان جاء موزونا كما يتفق في كثير من انشاءات الناس في خطبهم ورسائلهم ومحاوراتهم اشياء موزونة لا يسميها احد شعرا ولا يخطر ببال المتكلم ولا السامع انه شعر واذا فتشت في كل كلام عن نحو ذلك وجدت الواقع في اوزان البحور غير عزيز على ان الخليل ما كان يعد المشطور من الرجز شعرا ولما نفى ان يكون القرآن من جنس الشعر قال ان هو الا ذكر وقرآن مبين يعني ما هو الا

ذكر من الله عز وعلا يوعظ به الانس والجن كما قال تعالى ان هو الا ذكر للعالمين وما هو الا قرآن كتاب سماوي يقرا في المحاريب ويتلى في المتعبدات وينال بتلاوته والعمل بما فيه فوز الدارين فكم بينه وبين الشعر الذي هو من همزات الشياطين **لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين** لينذر القرآن او الرسول وقرئ لتنذر بالتاء وينذر من نذر به اذا علمه من كان حيا اي عاقلا متاملا لان الغافل كالميت او معلوما منه انه يؤمن فيحيا بالايمان ويحق القول وتجب كلمة العذاب على الكافرين الذين لا يتاملون ولا يتوقع منهم الايمان **اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا انعاما فهم لها مالكون** مما عملت ايدينا مما تولينا نحن احداثه ولم يقدر على توليه غيرنا وانما قال ذلك لبدائع الفطرة والحكمة فيها التي لا يصح ان يقدر عليها الا هو وعمل الايدي استعارة من عمل من يعملون بالايدي فهم لها مالكون اي خلقناها لاجلهم فملكناها اياهم فهم متصرفون فيها تصرف الملاك مختصون بالانتفاع فيها لا يزاحمون او فهم لها ضابطون قاهرون من قوله اصبحت لا احمل السلاح ولا املك راس البعير ان نفرا اي لا اضبطه **وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها ياكلون** وهو من جملة النعم الظاهرة والا فمن كان يقدر عليها لولا تذليله وتسخيره كما قال القائل يصرفه الصبي بكل وجه ويحبسه على الخسف الجرير وتضربه الوليدة بالهراوى فلا غير لديه ولا نكير ولهذا الزم الله تعالى الراكب ان يشكر هذه النعمة ويسبح بقوله سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وقرئ ركوبهم وركوبتهم وهما ما يركب كالحلوب والحلوبة وقيل الركوبة جمع وقرئ ركوبهم اي ذو ركوبهم او فمن منافعها ركوبهم **ولهم فيها منافع ومشارب افلا يشكرون** منافع من الجلود والاوبار والاصواف وغير ذلك ومشارب من اللبن ذكرها مجملة وقد فصلها في قوله تعالى وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا الاية والمشارب جمع مشرب وهو موضع الشرب او الشرب **واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون** اتخذوا الآلهة طمعا في ان يتقووا بهم ويعتضدوا بمكانهم والامر على عكس ما قدروا او الامر على عكس ما قدروا حيث هم جند لآلهتهم معدون محضرون يخدمونهم ويذبون عنهم ويغضبون لهم والآلهة لا استطاعة بهم ولا قدرة على النصر او اتخذوهم ليشفعوا لهم عند الله عز وجل ويشفعوا لهم والامر على خلاف ما توهموا حيث هم يوم القيمة جند معدون لهم محضرون لعذابهم لانهم يجعلون وقودا للنار **فلا يحزنك قولهم انا نعلم ما يسرون وما يعلنون** وقرئ فلا يحزنك بفتح الياء وضمها من حزنه واحزنه والمعنى ولا يهمنك تكذيبهم واذاهم وجفاهم فانا عالمون بما يسرون من عداوتهم وما يعلنون وانا مجازوهم عليه فحق مثلك ان يتسلى بهذا الوعيد ويستحضر في نفسه صورة حاله وحالهم في الآخرة حتى ينقشع عنه الهم ولا يرهقه الحزن **فان قلت** ما تقول فيمن يقول ان قرا قارئ انا نعلم بالفتح انتقضت صلوته وان اعتقد ما يعطيه من المعنى كفر **قلت** فيه وجهان احدهما ان يكون على حذف لام التعليل وهو كثير في القرآن وفي الشعر وفي كل كلام وقياس مطرد وهذا معناه ومعنى الكسر سواء وعليه تلبية رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الحمد والنعمة لك كسر ابو حنيفة وفتح الشافعي رضي الله تعالى عنهما وكلاهما تعليل والثاني ان يكون بدلا من قولهم كانه قيل فلا يحزنك انا نعلم ما يسرون وما يعلنون وهذا المعنى قائم مع المكسورة اذا جعلتها مفعولة للقول فقد تبين ان تعلق الحزن بكون الله تعالى عالما وعدم تعلقه لا يدوران على كسر ان وفتحها وانما يدوران على تقديرك فتفصل ان فتحت بان تقدر معنى التعليل ولا تقدر البدل كما انك تفصل بتقدير معنى التعليل اذا كسرت ولا تقدر معنى المفعولية ثم ان قدرته كاسرا او فاتحا على ما عظم فيه الخطب ذلك القائل فما فيه الا نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحزن على كون الله تعالى عالما بسرهم وعلانيتهم وليس النهي عن ذلك مما يوجب شيئا الا ترى الى قوله تعالى فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها آخر **اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم** قبح الله تعالى انكارهم البعث تقبيحا لا ترى اعجب منه وابلغ وادل على تمادي كفر الانسان وافراطه في جحود النعم وعقوق الايادي وتوغله في الخسة وتغلغله في القحة حيث قرره بان عنصره الذي خلقه منه هو اخس شيء وامهنه وهو النطفة المذرة الخارجة من الاحليل الذي هو قناة النجاسة ثم عجب من حاله بان يتصدى مثله على مهانة اصله ودناءة اوله لمخاصمة الجبار ويبرز صفحة لمجادلته ويركب متن الباطل ويلج ويمحك ويقول من يقدر على احياء الميت بعد ما رمت عظامه

ثم يكون خصما في ذلك ارثم وصفه والصقه به وهو كونه منشأ من موات وهي المكابرة التي لا تطمح وراءها وروي ان جماعة
من كفار قريش منهم ابي بن خلف الجمحي وابو جهل والعاص بن وائل والوليد بن المغيرة تكلموا في ذلك فقال لهم ابي الا ترون الى
ما يقول محمد ان الله يبعث الاموات ثم قال واللات والعزى لاصيرن اليه ولاخصمنه واخذ عظما باليا فجعل يفته بيده وهو يقول
يا محمد اترى يحيي الله هذا بعد ما رم قال صلى الله تعالى عليه وسلم نعم ويبعثك ويدخلك جهنم وقيل معنى قوله تعالى فاذا هو خصيم
مبين فاذا هو بعد ما كان ماء مهينا رجل مميز منطيق قادر على الخصام مبين معرب عما في نفسه فصيح كما قال تعالى او من ينشأ
في الحلية وهو في الخصام غير مبين **فان قلت** لم سمى قوله تعالى من يحيي العظام وهي رميم مثلا **قلت** لما دل على
قصة عجيبة شبيهة بالمثل وهي انكاره قدرة الله تعالى على احياء الموتى او لما فيه من التشبيه لان ما انكر من قبيل ما يوصف الله تعالى بالعجز
عليه بدليل النشأة الاولى فاذا قيل من يحيي العظام على طريق الانكار لان يكون ذلك مما يوصف الله تعالى بكونه قادرا عليه كان
تعجيزا لله تعالى وتشبيها له بخلقه في انهم غير موصوفين بالقدرة عليه • والرميم اسم لما بلي من العظام غير صفة كالرمة والرفات
فلا يقال لم لم يؤنث وقد وقع خبرا لمؤنث ولا هو فعيل بمعنى فاعل او مفعول ولقد استشهد بهذه الآية من يثبت الحيوة في العظام
ويقول ان عظام الميتة نجسة لان الموت يؤثر فيها من قبل ان الحياة تحلها واما اصحاب ابي حنيفة رحمهم الله تعالى فهي عندهم
طاهرة وكذلك الشعر والعصب ويزعمون ان الحيوة لا تحلها فلا يؤثر فيها الموت ويقولون المراد باحياء العظام في الآية ردها
الى ما كانت عليه غضة رطبة في بدن حي حساس • **قل يحييها الذي انشأها اول مرة وهو بكل خلق عليم**
وهو بكل خلق عليم يعلم كيف يخلق لا يتعاظمه شيء من خلق المنشآت والمعادات ومن اجناسها وانواعها وجلائلها ودقائقها
الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون • ثم ذكر من بدائع خلقه انقداح النار
من الشجر الاخضر مع مضادة النار الماء وانطفائها به وهي الزناد التي تورى بها الاعراب واكثرها من المرخ والعفار وفي امثالهم
في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار يقطع الرجل منهما غصنين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق
المرخ وهو ذكر على العفار وهي انثى فتنقدح النار باذن الله عز وجل • وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ليس من شجر الا
وفيها النار الا العناب قالوا ولذلك تتخذ منه كذينقات القصارين • الاخضر على اللفظ وقرئ الخضر على المعنى ونحوه قوله
من شجر من زقوم فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم • **اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر
على ان يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم** • من قدر على خلق السموات والارض مع عظم شانهما فهو على خلق
الاناسي اقدر وفي معناه قوله عز وجل لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس وقرئ يقدر وقوله تعالى ان يخلق مثلهم يحتمل معنيين
ان يخلق مثلهم في الصغر والقماءة بالاضافة الى السموات والارض او ان يعيدهم لان المعاد مثل للمبتدأ وليس به وهو الخلاق
الكثير المخلوقات العليم الكثير المعلومات وقرئ وهو الخالق • **انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن
فيكون** • انما امره انما شانه اذا اراد شيئا اذا دعاه داعي حكمة الى تكوينه ولا صارف ان يقول له كن اي يكونه من غير
توقف فيكون فيحدث اي فهو كائن موجود لا محالة **فان قلت** ما حقيقة قوله تعالى ان يقول له كن فيكون **قلت**
هو مجاز من الكلام وتمثيل لانه لا يمتنع عليه شيء من المكونات وانه بمنزلة المأمور المطيع اذا ورد عليه امر الآمر المطاع
فان قلت فما وجه القراءتين في فيكون **قلت** اما الرفع فلانها جملة من مبتدأ وخبر لان تقديرها
فهو يكون معطوفة على مثلها وهي امره ان يقول له كن واما النصب فللعطف على يقول والمعنى انه لا يجوز عليه شيء مما يجوز
على الاجسام اذا فعلت شيئا مما تقدر عليه من المباشرة بمحال القدرة واستعمال الآلات وما يتبع ذلك من المشقة والتعب
واللغوب انما امره وهو القادر العالم لذاته ان يخلص داعيه الى الفعل فيتكون فمثله كيف يعجز عن مقدور حتى يعجز
عن الاعادة • **فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون** • فسبحان تنزيه عما وصفه
به المشركون وتعجيب من ان يقولوا فيه ما قالوا بيده ملكوت كل شيء هو مالك كل شيء والمتصرف فيه بمواجب مشيئته
وقضايا حكمته وقرئ ملكة كل شيء ومملكة كل شيء وملك كل شيء والمعنى واحد ترجعون بضم التاء وفتحها
وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كنت لا اعلم ما روي في فضائل يس وقراءتها كيف خصت بذلك فاذا انه
لهذه الآية • قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان لكل شيء قلبا وان قلب القرآن يس من قرأ يس يريد بها وجه الله
عز وجل غفر الله له واعطي من الاجر كانما قرأ القرآن اثنتين وعشرين مرة وايما مسلم قرئ عنده اذا نزل به ملك الموت

سورة

سورة يس نزل بكل حرف منها عشرة املاك يقومون بين يديه صفوفا يصلون عليه ويستغفرون له ويشهدون غسله ويتبعون
جنازته ويصلون عليه ويشهدون دفنه • وايما مسلم قرأ يس وهو في سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه
رضوان خازن الجنة بشربة من شراب الجنة يشربها وهو على فراشه فيقبض ملك الموت روحه وهو ريان ويمكث في قبره وهو
ريان ولا يحتاج الى حوض من حياض الانبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان • وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان في القرآن سورة تشفع لقاريها وتغفر لمستمعها الا وهي سورة يس

سورة الصافات مكية

وهي مائة واحدى وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم • والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا ان الهكم لواحد • اقسم الله سبحانه وتعالى بطوائف الملائكة او بنفوسهم الصافات اقدامها في الصلوة من قوله
تعالى وانا لنحن الصافون او اجنحتها في الهواء واقفة منتظرة لامر الله تعالى فالزاجرات السحاب سوقا فالتاليات لكلام الله
من الكتب المنزلة وغيرها • وقيل الصافات الطير من قوله تعالى والطير صافات فالزاجرات كل ما زجر عن معاصي الله عز وجل
والتاليات كل من تلا كتاب الله عز وجل ويجوز ان يقسم بنفوس العلماء العمال الصافات اقدامها في التهجد وسائر الصلوات وصفوف
الجماعات فالزاجرات بالمواعظ والنصائح فالتاليات آيات الله تعالى والدارسات شرائعه • او بنفوس قواد الغزاة
في سبيل الله تعالى التي تصف الصفوف وتزجر الخيل للجهاد وتتلو الذكر مع ذلك لا يشغلها عنه تلك الشواغل كما يحكى عن
علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه **فان قلت** ما حكم الفاء اذا جاءت عاطفة في الصفات **قلت**
اما ان تدل على ترتب معانيها في الوجود كقوله • يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب • كانه قيل الذي صبح
فغنم فآب • واما على ترتبها في التفاوت من بعض الوجوه كقولك خذ الافضل فالاكمل واعمل الاحسن فالاجمل واما على
ترتب موصوفاتها في ذلك كقولك رحم الله المحلقين فالمقصرين فعلى هذه القوانين الثلاثة ينساق امر الفاء العاطفة
في الصفات **فان قلت** فعلى اي هذه القوانين هي فيما انت بصدده **قلت** ان وحدت الموصوف كانت
للدلالة على ترتب الصفات في التفاضل وان ثلثته فهي للدلالة على ترتب الموصوفات فيه بيان ذلك انك اذا اجريت
هذه الاوصاف على الملائكة وجعلتهم جامعين لها فعطفها بالفاء يفيد ترتبا لها في الفضل اما ان يكون الفضل للصف
ثم للزجر ثم للتلاوة واما على العكس وكذلك ان اردت العلماء وقواد الغزاة وان اجريت الصفة الاولى على طوائف والثانية
والثالثة على اخر فقد افادت ترتب الموصوفات في الفضل اعني ان الطوائف الصافات ذوات فضل والزاجرات افضل
والتاليات ابهر فضلا او على العكس وكذلك اذا اردت بالصافات الطير وبالزاجرات كل ما يزجر عن معصية وبالتاليات كل
نفس تتلو الذكر فان الموصوفات مختلفة وقرئ بادغام التاء في الصاد والزاي والذال • **رب السموات والارض
وما بينهما ورب المشارق** • رب السموات خبر بعد خبر او خبر مبتدأ محذوف والمشارق ثلثمائة وستون مشرقا
وكذلك المغارب تشرق الشمس كل يوم في مشرق منها وتغرب في مغرب ولا تطلع ولا تغرب في واحد يومين
فان قلت فما اراد بقوله تعالى رب المشرقين ورب المغربين **قلت** اراد مشرقي الصيف والشتاء ومغربيهما
انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظا من كل شيطان مارد • الدنيا القربى منكم والزينة
مصدر كالنسبة واسم لما يزان به الشيء كالليقة اسم لما تلاق به الدواة ويحتملهما قوله تعالى بزينة الكواكب فان اردت
المصدر فعلى اضافته الى الفاعل اي بان زانتها الكواكب واصله بزينة الكواكب او على اضافته الى المفعول اي بان زان الله تعالى
الكواكب وحسنها لانها انما زينت السماء لحسنها في انفسها واصله بزينة الكواكب وهي قراءة ابي بكر والاعمش وابن
وثاب • وان اردت الاسم فللاضافة وجهان ان تقع الكواكب بيانا للزينة لان الزينة مبهمة في الكواكب وغيرها مما زان
به وان يراد ما زينت به الكواكب وجاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما بزينة الكواكب بضوء الكواكب ويجوز ان
يراد اشكالها المختلفة كشكل الثريا وبنات نعش والجوزاء وغير ذلك ومطالعها ومساريها وقرئ على هذا المعنى بزينة الكواكب
على الابدال ويجوز في نصب الكواكب ان يكون بدلا من محل بزينة وحفظا مما حمل على المعنى لان المعنى انا خلقنا الكواكب زينة للسماء
وحفظا من الشياطين كما قال عز وجل ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين ويجوز ان يقدر الفعل المعلل

كأنه قيل حفظا من كل شيطان زيناها بالكواكب وقيل وحفظناها حفظا والمارد الخارج من الطاعة المتملس منها

لا يسمعون إلى الملإ الأعلى ويقذفون من كل جانب دحورا ولهم عذاب واصب إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب

الضمير في لا يسمعون لكل شيطان مارد لأنه في معنى الشياطين وقرئ بالتخفيف والتشديد وأصله يتسمعون والتسمع تطلب السماع يقال تسمع فسمع أو فلم يسمع وعن ابن عباس رضي الله عنهما هم يتسمعون ولا يسمعون وبهذا ينصر التخفيف على التشديد فإن قلت لا يسمعون كيف اتصل بما قبله قلت لا يخلو من أن يتصل بما قبله على أن يكون صفة لكل شيطان أو استئنافا فلا تصح الصفة لأن الحفظ من شياطين لا يسمعون ولا يتسمعون لا معنى له وكذلك الاستئناف لأن سائلا لو سأل لم تحفظ من الشياطين فأجيب بأنهم لا يسمعون لم يستقم فبقي أن يكون كلاما منقطعا مبتدأ اقتصاصا لما عليه حال المسترقة للسمع وأنهم لا يقدرون أن يسمعوا إلى كلام الملائكة أو يتسمعوا وهم مقذوفون بالشهب مدحورون عن ذلك إلا من أمهل حتى خطف خطفة واسترق استراقة فعندها تعاجله الهلكة بإتباع الشهاب الثاقب فإن قلت هل يصح قول من زعم أن أصله لئلا يسمعوا فحذفت اللام كما حذفت في قولك جئتك أن تكرمني فبقي أن لا يسمعوا فحذفت أن وأهدر عملها كما في قول القائل ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى قلت كل واحد من هذين الحذفين غير مردود على انفراده فأما اجتماعهما فمنكر من المنكرات على أن صون القرآن عن مثل هذا التعسف واجب فإن قلت أي فرق بين سمعت فلانا يتحدث وسمعت إليه يتحدث وسمعت حديثه وإلى حديثه قلت المعدى بنفسه يفيد الإدراك والمعدى بإلى يفيد الإصغاء مع الإدراك والملأ الأعلى الملائكة لأنهم يسكنون السموات والإنس والجن هم الملأ الأسفل لأنهم سكان الأرض وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هم الكتبة من الملائكة وعنه أشراف الملائكة من كل جانب من جميع جوانب السماء من أي جهة صعدوا للاستراق دحورا مفعول له أي ويقذفون للدحور وهو الطرد أو مدحورين على الحال أو لأن القذف والطرد متقاربان في المعنى فكأنه قيل يدحرون أو دحورا وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي بفتح الدال على قذفا دحورا طرودا أو على أنه جاء مجيء القبول والولوع والواصب الدائم وصب الأمر وصوبا يعني أنهم في الدنيا مرجومون بالشهب وقد أعد لهم في الآخرة نوع من العذاب دائم غير منقطع من في محل الرفع بدل من الواو في لا يسمعون أي لا يسمع الشياطين إلا الشيطان الذي خطف الخطفة وقرئ خطف بكسر الخاء والطاء وتشديدها وخطف بفتح الخاء وكسر الطاء وتشديدها وأصلهما اختطف وقرئ فاتبعه وفأتبعه

فاستفتهم أهم أشد خلقا أم من خلقنا إنا خلقناهم من طين لازب

الهمزة وإن خرجت إلى معنى التقرير فهي بمعنى الاستفهام في أصلها فلذلك قيل فاستفتهم أي استخبرهم أهم أشد خلقا ولم يقل فقررهم والضمير لمشركي مكة وقيل نزلت في أبي الأشد بن كلدة وكني بذلك لشدة بطشه وقوته أم من خلقنا يريد ما ذكر من خلائقه من الملائكة والسموات والأرض والمشارق والكواكب والشهب الثواقب والشياطين المردة وغلب أولي العقل على غيرهم فقال من خلقنا والدليل عليه قوله تعالى بعد عد هذه الأشياء فاستفتهم أهم أشد خلقا أم من خلقنا بالفاء المعقبة وقوله أم من خلقنا مطلقا من غير تقييد بالبيان اكتفاء بما تقدمه كأنه قال خلقنا كذا وكذا من عجائب الخلق وبدائعه فاستفتهم أهم أشد خلقا أم الذي خلقناه من ذلك ويقطع به قراءة من قرأ أم من عددنا بالتخفيف والتشديد وأشد خلقا يحتمل أقوى خلقا من قولهم شديد الخلق وفي خلقه شدة وأصعب خلقا وأشقه على معنى الرد لإنكارهم البعث والنشأة الأخرى وأن من هان عليه خلق هذه الخلائق العظيمة ولم يصعب عليه اختراعها كان خلق البشر عليه أهون وخلقهم من طين لازب إما شهادة عليهم بالضعف والرخاوة لأن ما يصنع من الطين غير موصوف بالصلابة والقوة أو احتجاج عليهم بأن الطين اللازب الذي خلقوا منه تراب فمن أين استنكروا أن يخلقوا من تراب مثله حيث قالوا أئذا كنا ترابا وهذا المعنى يعضده ما يتلوه من ذكر إنكارهم البعث وقيل من خلقنا من الأمم الماضية وليس هذا القول بملائم وقرئ لازم ولاتب والمعنى واحد والثاقب الشديد الإضاءة

بل عجبت ويسخرون وإذا ذكروا لا يذكرون وإذا رأوا آية يستسخرون وقالوا إن هذا إلا سحر مبين

بل عجبت من قدرة الله تعالى على هذه الخلائق العظيمة وهم يسخرون منك ومن تعجبك ومما تريهم من آثار قدرة الله تعالى أو من إنكارهم البعث وهم يسخرون من أمر البعث وقرئ بضم التاء أي بلغ من عظم آياتي وكثرة خلائقي أني عجبت منها فكيف بعبادي وهؤلاء بجهلهم وعنادهم يسخرون من آياتي أو عجبت من أن ينكروا البعث ممن هذه

أفعاله وهم يسخرون ممن يصف الله تعالى بالقدرة عليه فإن قلت كيف يجوز العجب على الله تعالى وإنما هو روعة تعتري الإنسان عند استعظام الشيء والله تعالى لا يجوز عليه الروعة قلت فيه وجهان أحدهما أن يجرد العجب لمعنى الاستعظام والثاني أن يتخيل العجب ويفرض وقد جاء في الحديث عجب ربكم من ألكم وقنوطكم وسرعة إجابته إياكم وكان شريح يقرأ بالفتح ويقول إن الله تعالى لا يعجب من شيء وإنما يعجب من لا يعلم فقال إبراهيم النخعي إن شريحا كان يعجبه علمه وعبد الله أعلم يريد عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وكان يقرأ بالضم وقيل معناه قل يا محمد بل عجبت وإذا ذكروا ودأبهم أنهم إذا وعظوا بشيء لا يتعظون به وإذا رأوا آية من آيات الله تعالى البينة كانشقاق القمر ونحوه يستسخرون يبالغون في السخرية أو يستدعي بعضهم من بعض أن يسخر منها

أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون أوآباؤنا الأولون قل نعم وأنتم داخرون

وآباؤنا معطوف على محل إن واسمها أو على الضمير في مبعوثون والذي جوز العطف عليه الفصل بهمزة الاستفهام والمعنى أيبعث أيضا آباؤنا على زيادة الاستبعاد يعنون أنهم أقدم فبعثهم أبعد وأبطل وقرئ أوآباؤنا قل نعم وقرئ نعم بكسر العين وهما لغتان وقرئ قال نعم أي الله أو الرسول والمعنى نعم تبعثون وأنتم داخرون صاغرون

فإنما هي زجرة واحدة فإذا هم ينظرون

فإنما جواب شرط مقدر تقديره إذا كان ذلك فما هي إلا زجرة واحدة وهي النفخة الثانية والزجرة الصيحة من قولك زجر الراعي الغنم أو الإبل إذا صاح عليها فريعت لصوته ومنه قوله زجر أبي عروة السباع إذا أشفق أن يختلطن بالغنم يريد تصويته بها فإذا هم أحياء يبصرون أو ينتظرون

وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون

يحتمل أن يكون هذا يوم الدين إلى قوله احشروا من كلام الكفرة بعضهم مع بعض وأن يكون من كلام الملائكة لهم وأن يكون يا ويلنا هذا يوم الدين من كلام الكفرة وهذا يوم الفصل من كلام الملائكة جوابا لهم ويوم الدين اليوم الذي ندان فيه أي نجازى بأعمالنا ويوم الفصل يوم القضاء والفرق بين فرق الهدى والضلال

احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم

احشروا خطاب الله تعالى للملائكة أو خطاب بعضهم مع بعض وأزواجهم وضرباؤهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم نظراؤهم وأشباههم من العصاة أهل الزنا مع أهل الزنا وأهل السرقة مع أهل السرقة وقيل قرناؤهم من الشياطين وقيل نساؤهم اللاتي على دينهم فاهدوهم فعرفوهم طريق النار حتى يسلكوها

وقفوهم إنهم مسئولون ما لكم لا تناصرون بل هم اليوم مستسلمون

هذا تهكم بهم وتوبيخ لهم بالعجز عن التناصر بعدما كانوا على خلاف ذلك في الدنيا متعاضدين متناصرين بل هم اليوم مستسلمون قد أسلم بعضهم بعضا وخذله عن عجز فكلهم مستسلم غير منتصر وقرئ لا تتناصرون ولا تناصرون بالإدغام

وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون قالوا إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين

اليمين لما كانت أشرف العضوين وأمتنهما وكانوا يتيمنون بها فبها يصافحون ويماسحون ويناولون ويتناولون ويزاولون أكثر الأمور ويتشاءمون بالشمال ولذلك سموها الشؤمى كما سموا أختها اليمنى وتيمنوا بالسانح وتطيروا بالبارح وكان الأعسر معيبا عندهم وعضدت الشريعة ذلك فأمرت بمباشرة أفاضل الأمور باليمنى وأراذلها بالشمال وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يحب التيامن في كل شيء وجعلت اليمين لكاتب الحسنات والشمال لكاتب السيئات ووعد المحسن أن يؤتى كتابه بيمينه والمسيء أن يؤتاه بشماله استعيرت لجهة الخير وجانبه فقيل أتاه عن اليمين أي من قبل الخير وناحيته فصده عنه وأضله وجاء في بعض التفاسير من أتاه الشيطان من جهة اليمين أتاه من قبل الدين فلبس عليه الحق ومن أتاه من جهة الشمال أتاه من قبل الشهوات ومن أتاه من بين يديه أتاه من قبل التكذيب بالقيامة وبالثواب والعقاب ومن أتاه من خلفه خوفه الفقر على نفسه وعلى من يخلف بعده فلم يصل رحما ولم يؤد زكاة فإن قلت قولهم من جهة الخير وناحيته مجاز في نفسه فكيف جعلت اليمين مجازا عن المجاز قلت من المجاز ما غلب في الاستعمال حتى لحق بالحقائق وهذا من ذاك ولك أن تجعلها مستعارة للقوة والقهر لأن اليمين موصوفة بالقوة وبها يقع البطش والمعنى أنكم كنتم تأتوننا عن القوة والقهر وتقصدوننا عن السلطان والغلبة حتى تحملونا على الضلال وتقسرونا عليه وهذا من خطاب الأتباع لرؤسائهم والغواة لشياطينهم

قالوا بل لم تكونوا مؤمنين

بل لم تكونوا مؤمنين بل أبيتم أنتم الإيمان وأعرضتم عنه مع تمكنكم منه مختارين له على الكفر غير ملجئين

وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوما طاغين • وما كان لنا عليكم من تسلط نسلبكم
به تمكنكم واختياركم بل كنتم قوما مختارين الطغيان • فحق علينا قول ربنا انا لذائقون • فحق علينا فلزمنا
قول ربنا انا لذائقون يعني وعيد الله بانا ذائقون لعذابه لا محالة لعلمه بحالنا واستحقاقنا بها العقوبة ولو حكى الوعيد كما هو لقال
انكم لذائقون ولكنه عدل به الى لفظ المتكلم لانهم متكلمون بذلك عن انفسهم ونحوه قول القائل • لقد زعمت هوازن قل مالي
ولو حكى قولها لقال قل مالك ومنه قول المحلف للحالف احلف لاخرجن ولتخرجن الهمزة لحكاية لفظ الحالف والتاء
لاقبال المحلف على المحلف • فاغويناكم انا كنا غاوين • فانهم يومئذ في العذاب مشتركون
انا كذلك نفعل بالمجرمين • فاغويناكم فدعوناكم الى الغي دعوة محصلة للبغية لقبولكم لها واستحبابكم الغي على
الرشد انا كنا غاوين فاردنا اغواءكم لتكونوا امثالنا فانهم فان الاتباع والمتبوعين جميعا يومئذ يوم القيمة مشتركون
في العذاب كما كانوا مشتركين في الغواية • انا مثل ذلك الفعل نفعل بكل مجرم يعني ان سبب العقوبة هو الاجرام
انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون • انهم كانوا اذا سمعوا الكلمة التوحيد نفروا
واستكبروا عنها وابوا الا الشرك • ويقولون اينا لتاركوا الهتنا لشاعر مجنون • لشاعر مجنون يعنون
محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم • بل جاء بالحق وصدق المرسلين • انكم لذائقوا العذاب الاليم
بل جاء بالحق رد على المشركين وصدق المرسلين كقوله مصدقا لما بين يديه • وقرئ لذائقوا العذاب بالنصب على تقدير النون
كقوله • ولا ذاكر الله الا قليلا • بتقدير التنوين وقرئ على الاصل لذائقون العذاب • وما تجزون الا ما كنتم
تعملون • الا عباد الله المخلصين • الا ما كنتم تعملون الا مثل ما عملتم جزاء سيئا بعمل سيئ
الا عباد الله ولكن عباد الله على الاستثناء المنقطع • اولئك لهم رزق معلوم • فواكه وهم
مكرمون • في جنات النعيم • فسر الرزق المعلوم بالفواكه وهي كل ما يتلذذ به ولا يتقوت لحفظ الصحة يعني
ان رزقهم كله فواكه لانهم مستغنون عن حفظ الصحة بالاقوات بانهم اجسام محكمة مخلوقة للابد فكل ما ياكلونه ياكلونه
على سبيل التلذذ ويجوز ان يراد رزق معلوم منعوت بخصائص خلق عليها من طيب ورائحة ولذة وحسن منظر وقيل معلوم
الوقت كقوله تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا • وعن قتادة الرزق المعلوم الجنة وقوله تعالى في جنات يأباه
وقوله تعالى وهم مكرمون هو الذي يقوله العلماء في حد الثواب على المدح والتعظيم وهو من اعظم ما يجب ان يتوق اليه نفوس
ذوي الهمم كما ان من اعظم ما يجب ان تنفر عنه نفوسهم هوان اهل النار وصغارهم • على سرر متقابلين • يطاف
عليهم بكاس من معين • التقابل اتم للسرور وآنس وقيل لا ينظر بعضهم الى قفا بعض يقال للزجاجة فيها الخمر
كاس وتسمى الخمر نفسها كاسا قال • وكاس شربت على لذة • وعن الاخفش كل كاس في القرآن فهي الخمر وكذا في تفسير
ابن عباس رضي الله عنهما من معين من شراب معين او نهر معين وهو الجاري على وجه الارض الظاهر للعيون وصف بما يوصف
به الماء لانه يجري في الجنة في انهار كما يجري الماء قال الله عز وجل وانهار من خمر • بيضاء لذة للشاربين •
بيضاء صفة للكاس لذة اما ان توصف بها كانها نفس اللذة وعينها او هي تأنيث اللذ يقال لذ الشيء فهو لذ ولذيذ
ووزنه فعل كقولك رجل طب قال • ولذ كطعم الصرخدي تركته • بارض العدى من خشية الحدثان • يريد النوم
لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون • الغول من غاله يغوله غولا اذا اهلكه وافسده ومنه الغول التي كانت في
تكاذيب العرب وفي امثالهم الغضب غول الحلم وينزفون على البناء للمفعول من نزف الشارب اذا ذهب عقله ويقال للسكران
نزيف ومنزوف ويقال للمطعون نزف فمات اذا خرج دمه كله ونزحت الركية حتى نزفتها اذا لم تترك فيها ماء وفي امثالهم
اجبن من المنزوف ضرطا • وقرئ ينزفون من انزف الشارب اذا ذهب عقله او شرابه قال • لعمري لئن انزفتم او صحوتم • لبئس الندامى
كنتم آل ابجرا • ومعناه صار ذا نزف ونظيره اقشع السحاب وقشعته الريح واكب الرجل وكببته وحقيقتهما دخلا في الكب والقشع
وفي قراءة طلحة بن مصرف ينزفون بضم الزاي من نزف ينزف كقرب يقرب اذا سكر والمعنى لا فيها فساد قط من انواع الفساد
التي تكون في شرب الخمر من مغص او صداع او خمار او عربدة او لغو او تأثيم او غير ذلك ولا يسكرون وهو اعظم مفاسدها
فافرزه وافرده بالذكر • وعندهم قاصرات الطرف عين • كانهن بيض مكنون •
قاصرات الطرف قصرن ابصارهن على ازواجهن لا يمددن طرفا الى غيرهم كقوله عز وجل عربا اترابا • والعين النجل العيون

وشبههن

وشبههن ببيض النعام المكنون في الاداحي وبها تشبه العرب النساء وتسميهن بيضات الخدور • فاقبل بعضهم
على بعض يتساءلون • قال قائل منهم اني كان لي قرين • يقول ائنك لمن المصدقين • ائذا متنا
وكنا ترابا وعظاما ائنا لمدينون • فان قلت علام عطف قوله فاقبل بعضهم على بعض قلت
على يطاف عليهم والمعنى يشربون فيتحادثون على الشراب كعادة الشرب قال • وما بقيت من اللذات الا • احاديث الكرام
على المدام • فيقبل بعضهم على بعض يتساءلون عما جرى لهم وعليهم في الدنيا الا انه جيء به ماضيا على عادة الله تعالى في اخباره
قرئ من المصدقين من التصديق ومن المصدقين بتشديد الصاد من التصدق • وقيل نزلت في رجل تصدق بماله
لوجه الله تعالى فاحتاج فاستجدى بعض اخوانه فقال واين مالك قال تصدقت به ليعوضني الله تعالى في الآخرة خيرا منه فقال ائنك
لمن المصدقين بيوم الدين او من المتصدقين لطلب الثواب والله لا اعطيك شيئا • لمدينون لمجزيون من الدين وهو الجزاء او لمسوسون مربوبون يقال
دانه ساسه ومنه الحديث العاقل من دان نفسه • قال هل انتم مطلعون • فاطلع فرآه في سواء الجحيم
قال يعني ذلك القائل هل انتم مطلعون الى النار لاريكم ذلك القرين قيل ان في الجنة كوى ينظر اهلها منها الى اهل النار
وقيل القائل هو الله عز وجل وقيل بعض الملائكة يقول لاهل الجنة هل تحبون ان تطلعوا فتعلموا اين منزلتكم من منزلة اهل النار
وقرئ مطلعون فاطلع او فاطلع بالتخفيف على لفظ الماضي والمضارع المنصوب يقال طلع علينا فلان واطلع واطلع
بمعنى واحد والمعنى هل انتم مطلعون الى القرين فاطلع انا ايضا او عرض عليهم الاطلاع فاعترضوه فاطلع هو بعد ذلك وان
جعلت الاطلاع من اطلعه غيره فالمعنى انه لما شرط في اطلاعه اطلاعهم وهو من آداب المجالسة ان لا يستبد بشيء دون جلسائه
فكانهم مطلعون وقيل الخطاب على هذا للملائكة وقرئ مطلعون بكسر النون اراد مطلعون اياي فوضع المتصل موضع المنفصل
كقوله • هم الفاعلون الخير والآمرونه • او شبه اسم الفاعل في ذلك بالمضارع لتآخ بينهما كانه قال تطلعون وهو ضعيف لا يقع
الا في الشعر • في سواء الجحيم في وسطها يقال تعبت حتى انقطع سوائي وعن ابي عبيدة قال لي عيسى بن عمر كنت اكتب
يا ابا عبيدة حتى ينقطع سوائي • قال تالله ان كدت لتردين • ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين
ان مخففة من الثقيلة وهي تدخل على كاد كما تدخل على كان ونحوه ان كاد ليضلنا واللام هي الفارقة بينها وبين النافية
والارداء الاهلاك • وفي قراءة عبد الله لتغوين • نعمة ربي هي العصمة والتوفيق في الاستمساك بعروة الاسلام والبراءة من
قرين السوء او انعام الله تعالى بالثواب وكونه من اهل الجنة • من المحضرين من الذين احضروا العذاب كما احضرته انت وامثالك
افما نحن بميتين الا موتتنا الاولى وما نحن بمعذبين • الذي عطفت عليه الفاء محذوف معناه انحن
مخلدون منعمون فما نحن بميتين ولا معذبين وقرئ بمائتين والمعنى ان هذه حال المؤمنين وصفتهم وما قضى الله تعالى
به لهم للعلم بافعالهم ان لا يذوقوا الا الموتة الاولى بخلاف الكفار فانهم فيما يتمنون فيه الموت كل ساعة • وقيل لبعض الحكماء
ما شر من الموت قال الذي يتمنى فيه الموت يقوله المؤمن تحدثا بنعمة الله تعالى واغتباطا بحاله وبمسمع من قرينه ليكون توبيخا له
يزيد به تعذيبا وليحكيه الله فيكون لنا لطفا وزاجرا ويجوز ان يكون قولهم جميعا • ان هذا لهو الفوز العظيم • لمثل
هذا فليعمل العاملون • وكذلك قوله تعالى ان هذا لهو الفوز العظيم اي ان هذا الامر الذي نحن فيه وقيل هو من قول الله تعالى
تقريرا لقولهم وتصديقا له • وقرئ لهو الرزق العظيم وهو ما رزقوه من السعادة • تمت قصة المؤمن وقرينه ثم رجع الى ذكر
الرزق المعلوم فقال • اذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم • انا جعلناها فتنة للظالمين
انها شجرة تخرج في اصل الجحيم • طلعها كانه رؤس الشياطين • اذلك الرزق خير نزلا اي خير
حاصلا ام شجرة الزقوم واصل النزل الفضل والريع في الطعام يقال طعام كثير النزل فاستعير للحاصل من الشيء وحاصل الرزق
المعلوم اللذة والسرور وحاصل شجرة الزقوم الالم والغم وانتصاب نزلا على التمييز ولك ان تجعله حالا كما تقول اثمر النخلة
خير ام طعام رطبا يعني ان الرزق المعلوم نزل اهل الجنة واهل النار نزلهم شجرة الزقوم فايهما خير في كونه نزلا والنزل ما يقام
للنازل بالمكان من الرزق ومنه انزال الجند لارزاقهم كما يقال لما يقام لساكن الدار السكن ومعنى الاول ان للرزق
المعلوم نزلا ولشجرة الزقوم نزلا فايهما خير نزلا ومعلوم انه لا خير في شجرة الزقوم ولكن المؤمنين لما اختاروا ما ادى الى
الرزق المعلوم واختار الكافرون ما ادى الى شجرة الزقوم قيل لهم ذلك توبيخا على سوء اختيارهم • فتنة للظالمين محنة وعذابا
لهم في الآخرة او ابتلاء لهم في الدنيا وذلك انهم قالوا كيف يكون في النار شجرة والنار تحرق الشجر فكذبوا • وقرئ نابتة في اصل

الجحيم قيل منبتها في قعر جهنم واغصانها ترتفع الى دركاتها والطلع للنخلة فاستعير لما طلع من شجرة الزقوم من حملها اما استعارة لفظية او معنوية وشبه برؤس الشياطين دلالة على تناهيه في الكراهة وقبح المنظر لان الشيطان مكروه مستقبح في طباع الناس لاعتقادهم انه شر محض لا يخلطه خير فيقولون في القبيح الصورة كانه وجه شيطان واذا صوره المصورون جاؤا بصورته على اقبح ما يقدر واهوله كما انهم اعتقدوا في الملك انه خير محض لا شر فيه فشبهوا به الصورة الحسنة قال الله تعالى ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم وهذا تشبيه تخييلي وقيل الشيطان حية عرفاء لها صورة قبيحة المنظر هائلة جدا وقيل ان شجرا يقال له الاستن خشنا مرا منكر الصورة يسمى ثمره رؤس الشياطين وما سمت العرب هذا الثمر برؤس الشياطين الا قصدا الى احد التشبيهين ولكنه بعد التسمية بذلك رجع اصلا ثالثا يشبه به

فانهم لآكلون منها فمالئون منها البطون • ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم • ثم ان مرجعهم لالى الجحيم

منها من الشجرة اي من طلعها فمالئون بطونهم لما يغلبهم من الجوع الشديد او يقسرون على اكلها وان كرهوها ليكون بابا من العذاب فاذا شبعوا اغلبهم العطش فيسقون شرابا من غساق او صديد مشوب اي ممزوج من حميم يشوي وجوههم ويقطع امعاءهم كما قال تعالى في صفة شراب اهل الجنة ومزاجه من تسنيم وقرئ لشوبا بالضم وهو اسم ما يشاب به والاول تسمية بالمصدر **فان قلت** ما معنى حرف التراخي في قوله تعالى ثم ان لهم عليها لشوبا وفي قوله تعالى ثم ان مرجعهم **قلت** في الاول وجهان احدهما انهم يملؤن البطون من شجر الزقوم وهو حار يحرق بطونهم ويعطشهم فلا يسقون الا بعد ملي تعذيبا بذلك العطش ثم يسقون ما هو احر وهو الشراب المشوب بالحميم والثاني انه ذكر الطعام بتلك الكراهة والبشاعة ثم ذكر الشراب بما هو اكره وابشع فجاء بثم للدلالة على تراخي حال الشراب عن حال الطعام ومباينة صفته في الزيادة عليه ومعنى الثاني انهم يذهب بهم عن مقارهم ومنازلهم في الجحيم وهي الدركات التي اسكنوها الى شجرة الزقوم فياكلون الى ان يمتلوا ويسقون بعد ذلك ثم يرجعون الى دركاتهم ومعنى التراخي في ذلك بين وقرئ ثم ان منقلبهم ثم ان مصيرهم ثم ان منفذهم الى الجحيم

انهم الفوا اباءهم ضالين • فهم على اثارهم يهرعون

علل استحقاقهم للوقوع في تلك الشدائد كلها بتقليد الاباء في الدين واتباعهم اياهم على الضلال وتركهم اتباع الدليل والاهراع الاسراع الشديد كانهم يحثون حثا وقيل اسراع فيه شبه بالرعدة • ولقد ضل قبلهم اكثر الاولين • ولقد ارسلنا فيهم منذرين • فانظر كيف كان عاقبة المنذرين • الا عباد الله المخلصين

ولقد ضل قبلهم قبل قومك قريش منذرين انبياء حذروهم العواقب المنذرين الذين انذروا وحذروا اي هلكوا جميعا الا عباد الله الذين امنوا منهم واخلصوا دينهم لله تعالى او اخلصهم الله عز وجل لدينه على القراءتين • ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون • ونجيناه واهله من الكرب العظيم • وجعلنا ذريته هم الباقين

لما ذكر ارسال المنذرين في الامم الخالية وسوء عاقبة المنذرين اتبع ذلك ذكر نوح عليه السلام ودعائه اياه حين ايس من قومه واللام الداخلة على نعم جواب قسم محذوف والمخصوص بالمدح محذوف وتقديره فوالله لنعم المجيبون نحن والجمع دليل العظمة والكبرياء والمعنى انا اجبناه احسن الاجابة واوصلناها الى مراده وبغيته من نصرته على اعدائه والانتقام منهم بابلغ ما يكون هم الباقين هم الذين بقوا وحدهم وقد فني غيرهم فقد روي انه مات كل من كان معه في السفينة غير ولده وهم الذين بقوا متناسلين الى يوم القيامة قال قتادة الناس كلهم من ذرية نوح عليه السلام وكان له ثلثة اولاد سام وحام ويافث فسام ابو العرب وفارس والروم وحام ابو السودان من المشرق الى المغرب ويافث ابو الترك وياجوج وماجوج

• وتركنا عليه في الآخرين • سلام على نوح في العالمين • انا كذلك نجزي المحسنين • انه من عبادنا المؤمنين • ثم اغرقنا الآخرين

وتركنا عليه في الآخرين من الامم هذه الكلمة وهي سلام على نوح يعني يسلمون عليه تسليما ويدعون له وهو من الكلام المحكي كقولك قرأت سورة انزلناها **فان قلت** فما معنى قوله تعالى في العالمين **قلت** معناه الدعاء بثبوت هذه التحية فيهم جميعا وان لا يخلو احد منهم منها كانه قيل ثبت الله تعالى التسليم على نوح وادامه في الملائكة والثقلين يسلمون عليه عن آخرهم علل مجازاة نوح عليه السلام بتلك التكرمة السنية من تبقية ذكره وتسليم العالمين عليه الى آخر الدهر بانه كان محسنا ثم علل كونه محسنا بانه كان عبدا مؤمنا ليريك جلالة محل الايمان وانه القصارى من صفات المدح والتعظيم ويرغبك في تحصيله والازدياد منه

وان من شيعته لابراهيم • اذ جاء ربه بقلب سليم

من شيعته ممن شايعه على اصول الدين وان اختلفت شرائعهما او شايعه على التصلب في دين الله تعالى ومصابرة المكذبين ويجوز ان يكون بين شريعتيهما اتفاق في اكثر الاشياء وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما من اهل دينه وعلى سنته وما كان بين نوح وابراهيم عليهما السلام الا نبيان هود وصالح عليهما السلام وكان بين نوح وابراهيم عليهما السلام الفان وستمائة سنة واربعون سنة **فان قلت** بم تعلق الظرف **قلت** بما في الشيعة من معنى المشايعة يعني وان ممن شايعه على دينه وتقواه حين جاء ربه بقلب سليم لابراهيم او بمحذوف وهو اذكر بقلب سليم من جميع آفات القلوب وقيل من الشرك ولا معنى للتخصيص لانه مطلق فليس بعض الآفات اولى من بعض فيتناولها كلها **فان قلت** ما معنى المجيء بقلبه ربه **قلت** معناه انه اخلص لله تعالى قلبه وعرف ذلك منه فضرب المجيء مثلا لذلك

اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون • ائفكا آلهة دون الله تريدون • فما ظنكم برب العالمين

ائفكا مفعول له تقديره اتريدون آلهة من دون الله افكا وانما قدم المفعول على الفعل للعناية وقدم المفعول له على المفعول به لانه كان الاهم عنده ان يكافحهم بانهم على افك وباطل في شركهم ويجوز ان يكون افكا مفعولا به يعني اتريدون افكا ثم فسر الافك بقوله آلهة من دون الله على انها افك في انفسها ويجوز ان يكون حالا بمعنى اتريدون آلهة من دون الله آفكين فما ظنكم بمن هو الحقيق بالعبادة لان من كان ربا للعالمين استحق عليهم ان يعبدوه حتى تركتم عبادته الى عبادة الاصنام والمعنى انه لا يقدر في وهم ولا ظن ما يصد عن عبادته او فما ظنكم به اي شيء هو من الاشياء حتى جعلتم الاصنام له اندادا او فما ظنكم به ماذا يفعل بكم وكيف يعاقبكم وقد عبدتم غيره • فنظر نظرة في النجوم • فقال اني سقيم • فتولوا عنه مدبرين

في النجوم في علم النجوم او في كتابها او في احكامها وعن بعض الملوك انه سئل عن مشتهاه فقال حبيب انظر اليه ومحتاج انظر له وكتاب انظر فيه كان القوم نجامين فاوهمهم انه استدل بامارة في علم النجوم على انه يسقم فقال اني سقيم اي مشارف للسقم وهو الطاعون وكان اغلب الاسقام عليهم وكانوا يخافون العدوى ليتفرقوا عنه فهربوا منه الى عيدهم وتركوه في بيت الاصنام ليس معه احد ففعل بالاصنام ما فعل **فان قلت** كيف جاز له ان يكذب **قلت** قد جوزه بعض الناس في المكيدة في الحرب والتقية وارضاء الزوج والصلح بين المتخاصمين والمتهاجرين والصحيح ان الكذب حرام الا اذا عرض وورى والذي قاله ابراهيم عليه السلام معراض من الكلام ولقد نوى به ان من في عنقه الموت سقيم ومنه المثل كفى بالسلامة داء وقول لبيد • فدعوت ربي بالسلامة جاهدا • ليصحني فاذا السلامة داء • وقد مات رجل فجاءة فالتف عليه الناس وقالوا مات وهو صحيح فقال اعرابي اصحيح من الموت في عنقه وقيل اراد اني سقيم النفس لكفركم • فراغ الى آلهتهم فقال الا تأكلون • ما لكم لا تنطقون • فراغ عليهم ضربا باليمين

فراغ الى آلهتهم فذهب اليها في خفية من روغة الثعلب الى آلهتهم الى اصنامهم التي هي في زعمهم آلهة كقوله تعالى اين شركائي الا تأكلون ما لكم لا تنطقون استهزاء بها وبانحطاطها عن حال عبدتها فراغ عليهم فاقبل عليهم مستخفيا كانه قال فضربهم ضربا لان راغ عليهم بمعنى ضربهم او فراغ عليهم يضربهم ضربا بمعنى ضاربا وقرئ صفقا وسفقا ومعناهما الضرب ومعنى ضربا باليمين ضربا شديدا قويا لان اليمين اقوى الجارحتين واشدهما وقيل بالقوة والمتانة وقيل بسبب الحلف وهو قوله تالله لاكيدن اصنامكم • فاقبلوا اليه يزفون • قال اتعبدون ما تنحتون

يزفون يسرعون من زفيف النعام ويزفون من ازف اذا دخل في الزفيف او من ازفه اذا حمله على الزفيف اي يزف بعضهم بعضا ويزفون على البناء للمفعول اي يحملون على الزفيف ويزفون من وزف يزف اذا اسرع ويزفون من زفاه اذا حداه كان بعضهم يزفون بعضا لتسارعهم اليه **فان قلت** بين هذا وبين قوله تعالى قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم كالتناقض حيث ذكر ههنا انهم ادبروا عنه خيفة العدوى فلما رأوه يكسرهم اقبلوا اليه متبادرين ليكفوه ويوقعوا به وذكر ثم انهم سألوا عن الكاسر حتى قيل لهم سمعنا ابراهيم يذمهم فلعله هو الكاسر ففي احدهما انهم شاهدوه يكسرها وفي الآخر انهم استدلوا بذمه على انه هو الكاسر **قلت** فيه وجهان احدهما ان يكون الذين ابصروه وزفوا اليه نفرا منهم دون جمهورهم وكبرائهم فلما رجع الجمهور والعلية من عيدهم الى بيت الاصنام ليأكلوا الطعام الذي وضعوه عندها لتبرك عليه ورأوها مكسورة اشمأزوا من ذلك وسألوا من فعل هذا ثم لم ينم عليه ذلك النفر نميمة صريحة ولكن على سبيل التورية والتعريض بقولهم سمعنا فتى يذكرهم لبعض الصوارف والثاني ان يكسرها ويذهب ولا يشعر بذلك احد وان يكون اقبالهم اليه يزفون بعد رجوعهم من عيدهم وسؤالهم

عن الكاسر وقولهم قالوا فأتوا به على أعين الناس ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾ يعني خلقكم وخلق ما تعملونه
من الأصنام كقوله عز وجل بل ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهن أي فطر الأصنام **فإن قلت** كيف يكون
الشيء الواحد مخلوقا لله تعالى معمولا لهم حيث أوقع خلقه وعملهم عليها **قلت** هذا كما يقال عمل النجار الباب
والكرسي وعمل الصائغ السوار والخلخال والمراد عمل أشكال هذه الأشياء وصورها دون جواهرها والأصنام جواهر وأشكال
فخالق جواهرها الله تعالى وعاملو أشكالها الذين يشكلونها بنحتهم وحذف بعض أجزائها حتى يستوي التشكيل الذي يريدونه
فإن قلت فما أنكرت أن تكون ما مصدرية لا موصولة ويكون المعنى والله خلقكم وعملكم كما تقول المجبرة
قلت أقرب ما يبطل به هذا السؤال بعد بطلانه بحجج العقل والكتاب أن معنى الآية يأباه إباء جليا وينبو عنه نبوا
ظاهرا وذلك أن الله عز وجل قد احتج عليهم بأن العابد والمعبود جميعا خلق الله تعالى فكيف يعبد المخلوق المخلوق على أن العابد
منهما هو الذي عمل صورة المعبود وشكله ولولاه لما قدر أن يصور نفسه ويشكلها ولو قلت والله خلقكم وخلق عملكم لم يكن محتجا
عليهم ولا كان لكلامك طباق وشيء آخر وهو أن قوله ما تعملون ترجمة عن قوله ما تنحتون وما في ما تنحتون موصولة لا مقال فيها
فلا يعدل بها عن أختها إلا متعسف متعصب لمذهبه من غير نظر في علم البيان ولا تبصر لنظم القرآن **فإن قلت**
اجعلها موصولة حتى لا يلزمني ما ألزمت وأريد وما تعملونه من أعمالكم **قلت** بل الإلزامان في عنقك لا يفكهما إلا
الإذعان للحق وذلك أنك وإن جعلتها موصولة فإنك في إرادتك العمل بها غير محتج على المشركين كحالك وقد جعلتها مصدرية
وأيضا فإنك قاطع بذلك الوصلة بين يعملون وما تنحتون حيث تخالف بين المرادين بهما فتريد بما تنحتون الأعيان التي
هي الأصنام وبما تعملون المعاني التي هي الأعمال وفي ذلك فك النظم وتبتيره كما إذا جعلتها مصدرية ﴿قالوا ابنوا له
بنيانا فألقوه في الجحيم فأرادوا به كيدا فجعلناهم الأسفلين﴾ الجحيم النار الشديدة الوقود وقيل
كل نار على نار وجمر فوق جمر فهي جحيم والمعنى أن الله تعالى غلبه عليهم في المقامين جميعا وأذلهم بين يديه أرادوا أن يغلبوه بالحجة
فلقنه الله تعالى وألهمه ما ألقمهم به الحجر وقهرهم فمالوا إلى المكر فأبطل الله تعالى مكرهم وجعلهم الأذلين الأسفلين لم يقدروا عليه
﴿وقال إني ذاهب إلى ربي سيهدين﴾ أراد بذهابه إلى ربه مهاجرته إلى حيث أمره بالمهاجرة إليه من أرض الشام
كما قال إني مهاجر إلى ربي سيهدين سيرشدني إلى ما فيه صلاحي في ديني ويعصمني ويوفقني كما قال موسى عليه السلام كلا إن معي ربي
سيهدين كأن الله تعالى قد وعده وقال له سأهديك فأجرى كلامه على سنن موعد ربه أو بناه على عادة الله تعالى معه في هدايته
وإرشاده أو أظهر بذلك توكله وتفويضه أمره إلى الله عز وجل ولو قصد الرجاء والطمع لقال كما قال موسى عليه السلام عسى ربي
أن يهديني سواء السبيل ﴿رب هب لي من الصالحين فبشرناه بغلام حليم﴾
هب لي من الصالحين هب لي بعض الصالحين يريد الولد لأن لفظ الهبة غلب في الولد وإن كان قد جاء في الأخ في قوله تعالى
ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيا قال الله عز وجل ووهبنا له إسحق ويعقوب ووهبنا له يحيى وقال علي بن أبي طالب
كرم الله وجهه لابن عباس رضي الله تعالى عنهما حين هنأه بولد علي أبي الأملاك شكرت الواهب وبورك لك في الموهوب
ولذلك وقعت التسمية بهبة الله وبموهوب ووهب وموهب وقد انطوت البشارة على ثلاث على أن الولد
غلام ذكر وأنه يبلغ أوان الحلم وأنه يكون حليما وأي حلم أعظم من حلمه حين عرض عليه أبوه الذبح فقال ستجدني
إن شاء الله من الصابرين ثم استسلم لذلك وقيل ما نعت الله تعالى الأنبياء عليهم السلام بأقل مما نعتهم بالحلم وذلك
لعزة وجوده ولقد نعت الله تعالى به إبراهيم عليه السلام في قوله عز وجل إن إبراهيم لأواه حليم إن إبراهيم لحليم أواه منيب
لأن الحادثة شهدت بحلمهما جميعا ﴿فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك
فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين﴾
فلما بلغ أن يسعى مع أبيه في حوائجه وأشغاله **فإن قلت** معه بم يتعلق **قلت** لا يخلو إما أن يتعلق
ببلغ أو بالسعي أو بمحذوف ولا يصح تعلقه ببلغ لاقتضائه بلوغهما معا حد السعي ولا بالسعي لأن صلة المصدر لا تتقدم عليه فبقي
أن يكون بيانا كأنه لما قال فلما بلغ السعي أي الحد الذي يقدر فيه على السعي قيل مع من قال مع أبيه والمعنى في اختصاص الأب
أنه أرفق الناس به وأعطفهم عليه وغيره ربما عنف به في الاستسعاء فلا يحتمله لأنه لم تستحكم قوته ولم يصلب عوده
وكان إذ ذاك ابن ثلاث عشرة سنة والمراد أنه على غضاضة سنه وتقلبه في حد الطفولة كان فيه من رصانة الحلم

وفسحة الصدر ما جسره على احتمال تلك البلية العظيمة والإجابة بذلك الجواب الحكيم ﴿أني أرى في المنام﴾ قيل له اذبح ابنك ورؤيا
الأنبياء وحي كالوحي في اليقظة فلهذا قال إني أرى في المنام أني أذبحك فذكر تأويل الرؤيا كما يقول الممتحن وقد رأى أنه
راكب في سفينة رأيت في المنام أني ناج من هذه المحنة وقيل رأى ليلة التروية كأن قائلا يقول له إن الله تعالى
يأمرك بذبح ابنك هذا فلما أصبح روى في ذلك من الصباح إلى الرواح أمن الله تعالى هذا الحلم أم من الشيطان فمن ثم
سمي يوم التروية فلما أمسى رأى مثل ذلك فعرف أنه من الله تعالى فمن ثم سمي يوم عرفة ثم رأى مثله في الليلة الثالثة فهم
بنحره فسمي يوم النحر وقيل إن الملائكة حين بشرته بغلام حليم قال هو إذا ذبيح الله فلما ولد وبلغ حد السعي معه
قيل له أوف بنذرك ﴿فانظر ماذا ترى﴾ من الرأي على وجه المشاورة وقرئ ماذا تري أي ماذا تبصر من رأيك وتبديه
وماذا ترى على البناء للمفعول أي ماذا تريك نفسك من الرأي ﴿افعل ما تؤمر﴾ أي ما تؤمر به فحذف الجار كما حذف من
قوله أمرتك الخير فافعل ما أمرت به أو أمرك على إضافة المصدر إلى المفعول وتسمية المأمور به أمرا وقرئ
ما تؤمر به **فإن قلت** لم شاوره في أمر هو حتم من الله تعالى **قلت** لم يشاوره ليرجع إلى رأيه ومشورته
ولكن ليعلم ما عنده فيما نزل به من بلاء الله عز وجل فيثبت قدمه ويصبره إن جزع ويأمن عليه الزلل إن صبر وسلم وليعلمه
حتى يراجع نفسه فيوطنها ويهون عليها ويلقى البلاء وهو كالمستأنس به ويكتسب المثوبة بالانقياد لأمر الله تعالى
قبل نزوله ولأن المغافصة بالذبح مما يستسمج وليكون سنة في المشاورة فقد قيل لو شاور آدم الملائكة في أكله من الشجرة
لما فرط منه ذلك **فإن قلت** لم كان ذلك في المنام دون اليقظة **قلت** كما أري يوسف عليه السلام
سجود أبويه وإخوته له في المنام من غير وحي إلى أبيه وكما وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم دخول المسجد الحرام في المنام
وما سوى ذلك من منامات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وذلك لتقوية الدلالة على كونهم صادقين مصدوقين لأن الحال
إما حال يقظة أو حال نوم فإذا تظاهرت الحالتان على الصدق كان ذلك أقوى للدلالة من انفراد أحدهما
﴿فلما أسلما وتله للجبين وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين﴾
يقال سلم لأمر الله تعالى وأسلم واستسلم بمعنى واحد وقد قرئ بهن جميعا إذا انقاد له وخضع وأصلها من قولك سلم هذا لفلان
إذا خلص له ومعناه سلم من أن ينازع فيه وقولهم سلم لأمر الله تعالى وأسلم له منقولان منه وحقيقة معناهما أخلص نفسه لله
وجعلها سالمة له خالصة وكذلك معنى استسلم استخلص نفسه لله تعالى وعن قتادة في أسلما أسلم هذا ابنه وهذا
نفسه ﴿وتله للجبين﴾ صرعه على شقه فوقع أحد جبينيه على الأرض تواضعا على مباشرة الأمر بصبر وجلد ليرضيا الرحمن ويخزيا
الشيطان وروي أن ذلك المكان عند الصخرة التي بمنى وعن الحسن في الموضع المشرف على مسجد منى وعن الضحاك
في المنحر الذي ينحر فيه اليوم **فإن قلت** أين جواب لما **قلت** هو محذوف تقديره فلما أسلما وتله للجبين وناديناه
أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا كان ما كان مما ينطق به الحال ولا يحيط به الوصف من استبشارهما واغتباطهما وحمدهما لله
وشكرهما على ما أنعم به عليهما من دفع البلاء العظيم بعد حلوله وما اكتسبا في تضاعيفه بتوطين الأنفس عليه من الثواب
والأعواض ورضوان الله تعالى الذي ليس وراءه مطلوب وقوله إنا كذلك نجزي المحسنين تعليل لتخويل ما خولهما من الفرج
بعد الشدة والظفر بالبغية بعد اليأس ﴿إن هذا لهو البلاء المبين﴾ الاختبار البين الذي يتميز فيه المخلصون
من غيرهم أو المحنة البينة الصعوبة التي لا محنة أصعب منها ﴿وفديناه بذبح عظيم وتركنا عليه
في الآخرين﴾ الذبح اسم ما يذبح وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هو الكبش الذي قربه هابيل فتقبل منه وكان يرعى في
الجنة حتى فدي به إسمعيل عليه السلام وعن الحسن فدي بوعل أهبط عليه من ثبير وعن ابن عباس لو تمت تلك الذبيحة
لصارت سنة وذبح الناس أبناءهم عظيم ضخم الجثة سمين وهي السنة في الأضاحي وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم استفرهوا
ضحاياكم فإنها على الصراط مطاياكم وقيل لأنه وقع فداء عن ولد إبراهيم عليه السلام وروي أنه هرب من إبراهيم عند
الجمرة فرماه بسبع حصيات حتى أخذه فبقي سنة في الرمي وروي أنه لما ذبحه قال جبريل الله أكبر الله أكبر فقال الذبيح
لا إله إلا الله والله أكبر فقال إبراهيم الله أكبر ولله الحمد فصار سنة وروي في قصة الذبيح أنه حين أراد أن يذبحه
قال يا بني خذ الحبل والمدية وانطلق بنا إلى الشعب نحتطب فلما توسط شعب ثبير أخبره بما أمر فقال له اشدد رباطي
لا أضطرب واكفف عني ثيابك لا ينتضح عليها شيء من دمي فينقص أجري وتراه أمي فتحزن واشحذ شفرتك وأسرع

مطلب من الذبيح من ولدي سيدنا ابراهيم عليهما السلام

اضرارها على حلقي حتى تجهز علي ليكون اهون فان الموت شديد واقرأ على امي السلام وان رايت ان ترد قميصي على امي
فافعل فانه عسى ان يكون اسهل لها فقال ابراهيم عليه السلام نعم العون انت يا بني على امر الله تعالى ثم اقبل عليه يقبله وقد
ربطه وهما يبكيان ثم وضع السكين على حلقه فلم تعمل لان الله تعالى ضرب صفيحة نحاس على حلقه فقال له كبني على وجهي فانك
اذا نظرت في وجهي رحمتني وادركتك رقة تحول بينك وبين امر الله تعالى ففعل ثم وضع السكين على قفاه فانقلبت السكين ونودي
يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا فنظر فاذا جبريل معه كبش اقرن املح فكبر جبريل عليه السلام والكبش وابراهيم وابنه واتى المنحر
من منى فذبحه وقيل لما وصل موضع السجود منه الى الارض جاء الفرج وقد استشهد ابو حنيفة رحمه الله تعالى بهذه الآية
فيمن نذر ذبح ولده انه يلزمه ذبح شاة **فان قلت** من كان الذبيح من ولديه **قلت** قد اختلف فيه فعن
ابن عباس وابن عمر ومحمد بن كعب القرظي وجماعة من التابعين رضوان الله تعالى عليهم انه اسمعيل عليه السلام والحجة فيه ان رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم قال انا ابن الذبيحين وقال له اعرابي يا ابن الذبيحين فتبسم فسئل عن ذلك فقال ان عبد المطلب لما حفر بئر زمزم
نذر لله تعالى لئن سهل الله تعالى له امرها ليذبحن احد ولده فخرج السهم على عبد الله فمنعه اخواله فقالوا له افد ابنك بمائة من
الابل ففداه بمائة من الابل والثاني اسمعيل وعن محمد بن كعب القرظي قال كان مجتهد بني اسرائيل يقول اذا دعا اللهم اله
ابراهيم واسمعيل واسرائيل فقال موسى عليه السلام يا رب ما لمجتهد بني اسرائيل اذا دعا قال اللهم اله ابراهيم واسمعيل واسرائيل
وانا بين اظهرهم قد اسمعتني كلامك واصطفيتني برسالتك قال يا موسى لم يحبني احد حب ابراهيم قط ولا خير بيني وبين
شيء الا اختارني واما اسمعيل فانه جاد بدم نفسه واما اسرائيل فانه لم ييأس من رحمتي في شدة نزلت به قط ويدل عليه
ان الله تعالى لما اتم قصة الذبيح قال وبشرناه باسحق • وعن محمد بن كعب انه قال لعمر بن عبد العزيز هو اسمعيل فقال عمر
ان هذا شيء ما كنت انظر فيه واني لاراه كما قلت ثم ارسل الى يهودي قد اسلم فسأله فقال ان اليهود لتعلم انه اسمعيل
ولكنهم يحسدونكم يا معشر العرب ويدل عليه ان قرني الكبش كانا منوطين في الكعبة في ايدي بني اسمعيل الى ان احترق البيت
وعن الاصمعي قال سألت ابا عمرو بن العلاء عن الذبيح فقال يا اصمعي اين عزب عنك عقلك ومتى كان اسحق بمكة وانما كان
اسمعيل بمكة وهو الذي بنى البيت مع ابيه والمنحر بمكة ومما يدل عليه ان الله تعالى وصفه بالصبر دون اسحق في قوله عز وجل
واسمعيل واليسع وذا الكفل كل من الصابرين وهو صبره على الذبح ووصفه بصدق الوعد في قوله تعالى انه كان صادق الوعد
لانه وعد اباه من نفسه الصبر على الذبح فوفى به ولان الله تعالى بشره باسحق وولده يعقوب في قوله تعالى فبشرناه باسحق
ومن وراء اسحق يعقوب فلو كان الذبيح اسحق لكان خلفا للموعد في يعقوب عليه السلام • وعن علي بن ابي طالب وابن
مسعود والعباس وعطاء وعكرمة وجماعة من التابعين رضوان الله تعالى عليهم انه اسحق والحجة فيه ان الله تعالى اخبر عن خليله
ابراهيم حين هاجر الى الشام بانه استوهبه ولدا ثم اتبع ذلك البشارة بغلام حليم ثم ذكر رؤياه بذبح ذلك الغلام المبشر
به ويدل عليه كتاب يعقوب الى يوسف صلوات الله تعالى عليهما من يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم
خليل الله **فان قلت** قد اوحي الى ابراهيم في المنام بان يذبح ولده ولم يذبح وقيل له قد صدقت الرؤيا وانما
كان يصدقها لو صح منه الذبح ولم يصح **قلت** قد بذل وسعه وفعل ما يفعل الذابح من بطحه على شقه وامرار الشفرة
على حلقه ولكن الله سبحانه وتعالى جاء بما منع الشفرة ان تمضي فيه وهذا لا يقدح في فعل ابراهيم عليه السلام الا ترى انه لا يسمى
عاصيا ولا مفرطا بل يسمى مطيعا ومجتهدا كما لو مضت فيه الشفرة وفرت الاوداج وانهرت الدم وليس هذا من ورود النسخ
على المامور به قبل الفعل ولا قبل اوان الفعل في شيء كما يسبق الى بعض الاوهام حتى يشتغل بالكلام فيه **فان قلت**
الله تعالى هو المفدي منه لانه الآمر بالذبح فكيف يكون فاديا حتى قال وفديناه **قلت** الفادي هو ابراهيم عليه السلام
والله عز وجل وهب له الكبش ليفدي به وانما قال تعالى وفديناه اسنادا للفداء الى التسبب الذي هو الممكن من الفداء بهبته
فان قلت فاذا كان ما اتى به ابراهيم من البطح وامرار الشفرة في حكم الذبح فما معنى الفداء والفداء انما هو التخليص
من الذبح ببدل **قلت** قد علم بمنع الله تعالى ان حقيقة الذبح لم تحصل من فري الاوداج وانهار الدم فوهب الله تعالى
الكبش ليقيم ذبحه مقام تلك الحقيقة حتى لا تحصل تلك الحقيقة في نفس اسمعيل عليه السلام ولكن في نفس الكبش بدلا منه
فان قلت فاي فائدة في تحصيل تلك الحقيقة وقد استغنى عنها بقيام ما وجد من ابراهيم عليه السلام مقام
الذبح من غير نقصان **قلت** الفائدة في ذلك ان يوجد ما منع منه في بدله حتى يكمل منه الوفاء بالمنذور وايجاد

المامور

المامور به من كل وجه • سلام على ابراهيم • كذلك نجزي المحسنين • انه من
عبادنا المؤمنين **فان قلت** لم قيل هنا كذلك نجزي المحسنين وفي غيرها من القصص انا كذلك
قلت قد سبقه في هذه القصة انا كذلك فكأنما استخف بطرحه اكتفاء بذكره مرة عن ذكره ثانية
وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين • وباركنا عليه وعلى اسحق ومن ذريتهما محسن
وظالم لنفسه مبين • نبيا حال مقدرة كقوله تعالى ادخلوها خالدين **فان قلت** فرق بين هذا
وبين قوله تعالى فادخلوها خالدين وذلك ان المدخول موجود مع وجود الدخول والخلود غير موجود معها فقدرت مقدرين
الخلود فكان مستقيما وليس كذلك المبشر به فانه معدوم وقت وجود البشارة وعدم المبشر به اوجب عدم حاله
لا محالة لان الحال حلية والحلية لا تقوم الا بالمحلى وهذا المبشر به الذي هو اسحق عليه السلام حين وجد لم توجد النبوة ايضا بوجوده
بل تراخت عنه مدة متطاولة فكيف يجعل نبيا حالا مقدرة والحال صفة الفاعل او المفعول عند وجود الفعل منه او به
فالخلود وان لم تكن صفتهم عند دخول الجنة فتقديرها صفتهم لان المعنى مقدرين الخلود وليس كذلك النبوة فانه لا سبيل
الى ان تكون موجودة او مقدرة وقت وجود البشارة باسحق لعدم اسحق **قلت** هذا سؤال دقيق السلك
ضيق المسلك والذي يحل الاشكال انه لا بد من تقدير مضاف محذوف وذلك قوله وبشرناه بوجود اسحق نبيا اي بان
توجد مقدرة نبوته والعامل في الحال الوجود لا فعل البشارة وبذلك يرجع نظير قوله تعالى فادخلوها خالدين من الصالحين
حال ثانية وورودها على سبيل الثناء والتقريظ لان كل نبي لا بد ان يكون من الصالحين • وعن قتادة بشره الله تعالى بنبوة اسحق
بعدما امتحنه وهذا جواب من يقول الذبيح اسحق لصاحبه عن التعلق بقوله وبشرناه باسحق قالوا ولا يجوز ان يبشره الله تعالى
بمولده ونبوته معا لان الامتحان بذبحه لا يصح مع علمه انه سيكون نبيا وباركنا عليه وعلى اسحق وقرئ وبركنا اي افضنا عليهما
بركات الدين والدنيا كقوله تعالى وآتيناه اجره في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين وقيل باركنا على ابراهيم في اولاده وعلى
اسحق بان اخرجنا انبياء بني اسرائيل من صلبه وقوله تعالى وظالم لنفسه نظيره قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين وفيه تنبيه على
ان الخبيث والطيب لا يجري امرهما على العرق والعنصر فقد يلد البر الفاجر والفاجر البر وهذا مما يهدم امر الطبائع والعناصر وعلى ان
الظلم في اعقابهما لم يعد عليهما بعيب ولا نقيصة فان المرء انما يعاب بسوء فعله ويعاتب على ما اجترحت يداه لا على ما وجد من اصله
او فرعه • ولقد مننا على موسى وهرون • ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم • ونصرناهم
فكانوا هم الغالبين • وآتيناهما الكتاب المستبين • وهديناهما الصراط المستقيم
وتركنا عليهما في الآخرين • سلام على موسى وهرون • انا كذلك نجزي المحسنين • انهما من
عبادنا المؤمنين • من الكرب العظيم من الغرق او من سلطان قوم فرعون وغشمهم ونصرناهم الضمير لهما ولقومهما في قوله
تعالى ونجيناهما وقومهما الكتاب المستبين البليغ في بيانه وهو التوراة كما قال عز وجل انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور وقال
جوز ان تكون التوراة عربية ان تشتق من ورى الزند فوعلة منه على ان التاء مبدلة من واو الصراط المستقيم صراط اهل الاسلام
وهي صراط الذين انعم الله عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين • وان الياس لمن المرسلين • اذ قال لقومه الا
تتقون • اتدعون بعلا وتذرون احسن الخالقين • الله ربكم ورب آبائكم الاولين
فكذبوه فانهم لمحضرون • الا عباد الله المخلصين • قرئ الياس بكسر الهمزة والياس على لفظ
الوصل وقيل هو ادريس النبي عليه السلام وقرأ ابن مسعود وان ادريس في موضع الياس وقرئ ادراس وقيل الياس بن
ياسين من ولد هرون اخي موسى عليهما السلام اتدعون بعلا اتعبدون بعلا وهو علم لصنم كان لهم كمناة وهبل وقيل كان من
ذهب وكان طوله عشرين ذراعا وله اربعة اوجه فتنوا به وعظموه حتى اخدموه اربعمائة سادن وجعلوهم انبياءه فكان الشيطان
يدخل في جوف بعل ويتكلم بشريعة الضلالة والسدنة يحفظونها ويعلمونها الناس وهم اهل بعلبك من بلاد الشام وبه سميت
مدينتهم بعلبك وقيل البعل الرب بلغة اليمن يقال من بعل هذه الدار اي من ربها والمعنى اتعبدون بعض البعول وتتركون
عبادة الله عز وجل الله ربكم ورب آبائكم قرئ بالرفع على الابتداء وبالنصب على البدل وكان حمزة اذا وصل نصب واذا وقف رفع
وتركنا عليه في الآخرين • سلام على الياسين • انا كذلك نجزي المحسنين • انه من عبادنا
المؤمنين • وقرئ على الياسين وادراسين وادريسين على انها لغات في الياس وادريس ولعل لزيادة

الياء والنون في الرابعة سعيًا وقرئ على الياسين بالوصف على انه جمع يراد به الياس وقومه كقولهم الخبيبون والمهلبون
فان قلت فهلا حملت الياسين على القطع واخواته **قلت** لو كان جمعا لعرف بالالف واللام واما من
قرأ على آل ياسين فعلى ان ياسين اسم ابي الياس اضيف اليه الآل • وان لوطا لمن المرسلين • اذ نجيناه
واهله اجمعين • الا عجوزا في الغابرين • ثم دمرنا الآخرين • وانكم لتمرون
عليهم مصبحين • وبالليل افلا تعقلون • مصبحين داخلين في الصباح يعني تمرون على منازلهم
في متاجركم الى الشام ليلا ونهارا فما فيكم عقول تعتبرون بها • وان يونس لمن المرسلين • اذ ابق الى
الفلك المشحون • فساهم فكان من المدحضين • فالتقمه الحوت وهو مليم • وقرئ يونس
بضم النون وكسرها وسمي هربه من قومه بغير اذن ربه اباقا على طريقة المجاز والمساهمة المقارعة يقال استهم القوم اذا اقترعوا
والمدحض المغلوب وحقيقته المزلق عن مقام الظفر والغلبة روي انه حين ركب في السفينة وقفت فقالوا هاهنا عبد ابق
من سيده وفيما يزعم البحارون ان السفينة اذا كان فيها آبق لم تجر فاقترعوا فخرجت القرعة على يونس فقال انا الآبق وزج بنفسه في
الماء فالتقمه الحوت وهو مليم داخل في الملامة يقال رب لائم مليم كما جاء مشيب في مشوب مبنيا على شيب ونحوه مدعي بناء على دعي
فلولا انه كان من المسبحين • للبث في بطنه الى يوم يبعثون • من المسبحين من الذاكرين الله
كثيرا بالتسبيح والتقديس وقيل هو قوله لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين وقيل من المصلين وعن ابن
عباس رضي الله تعالى عنهما كل تسبيح في القرآن فهو صلوة وعن قتادة كان كثير الصلوة في الرخاء قال وكان يقال ان العمل الصالح
يرفع صاحبه اذا عثر واذا صرع وجد متكأ وهذا ترغيب من الله عز وجل في اكثار المؤمن من ذكره بما هو اهله واقباله على عبادته
وجمع همه لتقييد نعمته بالشكر في وقت المهلة والفسحة لينفعه ذلك عنده تعالى في المضايق والشدائد فلبث في بطنه
الظاهر لبثه فيه حيا الى يوم البعث عن قتادة لكان بطن الحوت له قبرا الى يوم القيمة وروي انه حين ابتلعه اوحى الله تعالى
الى الحوت اني جعلت بطنك له سجنا ولم اجعله لك طعاما فاختلف في مقدار لبثه فعن الكلبي اربعون يوما وعن الضحاك
عشرون وعن عطاء سبعة وعن بعضهم ثلثة وعن الحسن لم يلبث الا قليلا ثم اخرج من بطنه بعيد الوقت الذي التقمه فيه
وروي ان الحوت سار مع السفينة رافعا راسه يتنفس فيه يونس ويسبح ولم يفارقهم حتى انتهوا الى البر فلفظه سالما
لم يتغير منه شيء فاسلموا وقيل ان الحوت قذفه بساحل قرية من الموصل • فنبذناه بالعراء وهو سقيم
وانبتنا عليه شجرة من يقطين • والعراء المكان الخالي لا شجر فيه ولا شيء يغطيه وهو سقيم اعتل مما حل به وروي
انه عاد بدنه كبدن الصبي حين يولد واليقطين كل ما ينسدح على وجه الارض ولا يقوم على ساق كشجر البطيخ والقثاء
والحنظل وهو يفعيل من قطن بالمكان اذا اقام به وقيل هو الدباء وفائدة الدباء ان الذباب لا يجتمع عنده
وقيل لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انك لتحب القرع قال اجل هي شجرة اخي يونس وقيل هي التين وقيل شجرة
الموز تغطى بورقها واستظل باغصانها وافطر على ثمارها وقيل كان يستظل بالشجرة وكانت وعلة تختلف اليه فيشرب
من لبنها وقيل انه مر زمان على الشجرة فيبست فبكى جزعا فاوحي اليه بكيت على شجرة ولا تبكي على مائة الف في يد الكافر
فان قلت ما معنى وانبتنا عليه شجرة **قلت** انبتناها فوقه مظلة له كما يطنب البيت على الانسان
وارسلناه الى مائة الف او يزيدون • فآمنوا فمتعناهم الى حين • وارسلناه الى مائة الف
والمراد به ما سبق من ارساله الى قومه وهم اهل نينوى وقيل هو ارسال ثان بعد ما جرى عليه الى الاولين او الى غيرهم وقيل
اسلموا فسألوه ان يرجع اليهم فابى لان النبي اذا هاجر عن قومه لم يرجع اليهم مقيما فيهم وقال لهم ان الله تعالى باعث اليكم
نبيا او يزيدون في مرأى الناظر اذا رآها الرائي قال هي مائة الف او اكثر والغرض الوصف بالكثرة الى حين الى اجل مسمى وقرئ
ويزيدون بالواو وحتى حين • فاستفتهم الربك البنات ولهم البنون • ام خلقنا الملائكة
اناثا وهم شاهدون • الا انهم من افكهم ليقولون • ولد الله • وانهم لكاذبون •
اصطفى البنات على البنين • ما لكم كيف تحكمون • افلا تذكرون • فاستفتهم معطوف على مثله في
اول السورة وان تباعدت بينهما المسافة امر رسوله باستفتاء قريش عن وجه انكار البعث اولا ثم ساق الكلام
موصولا بعضه ببعض ثم امر باستفتائهم عن وجه القسمة الضيزى التي قسموها حيث جعلوا لله تعالى الاناث ولهم الذكور في

ولهم

قولهم الملائكة بنات الله تعالى مع كراهتهم الشديدة لهن ووأدهم واستنكافهم من ذكرهن وقد ارتكبوا في ذلك ثلثة
انواع من الكفر احدها التجسيم لان الولادة مختصة بالاجسام والثاني تفضيل انفسهم على ربهم حين اختاروا اوضع الجنسين له
وارفعهما لهم كما قال تعالى واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم او من ينشأ في الحلية وهو في
الخصام غير مبين والثالث انهم استهانوا باكرم خلق الله تعالى عليه واقربهم اليه حيث انثوهم ولو قيل لاقلهم وادناهم فيك
انوثة او شكلك شكل النساء للبس لقائله جلد النمر ولانقلبت حماليقه وذلك في اهاجيهم بين مكشوف فكرر الله
سبحانه وتعالى الانواع كلها في كتابه العزيز مرات ودل على فظاعتها في آيات وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا
ادا تكاد السموات يتفطرن منه وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بديع السموات والارض انى يكون له ولد الا انهم
من افكهم ليقولون ولد الله وجعلوا له من عباده جزءا ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون ام له البنات ولكم
البنون ويجعلون لله ما يكرهون ام اتخذ مما يخلق بنات واصفاكم بالبنين وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا
ام خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون **فان قلت** لم قال وهم شاهدون فخص علم المشاهدة **قلت**
ما هو الا استهزاء بهم وتجهيل وكذلك قوله تعالى اشهدوا خلقهم ونحوه ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم
وذلك انهم كما لم يعلموا ذلك بطريق المشاهدة لم يعلموه بخلق الله تعالى علمه في قلوبهم ولا باخبار صادق ولا بطريق استدلال
ونظر ويجوز ان يكون المعنى انهم يقولون ذلك كالقائل قولا عن ثلج صدر وطمأنينة نفس لافراط جهلهم كانهم قد شاهدوا
خلقهم وقرئ ولد الله اي الملائكة ولده والولد فعل بمعنى مفعول يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث تقول هذه ولدي
وهؤلاء ولدي **فان قلت** اصطفى البنات بفتح الهمزة استفهام على طريق الانكار والاستبعاد فكيف صحت
قراءة ابي جعفر بكسر الهمزة على الاثبات **قلت** جعله من كلام الكفرة بدلا عن قولهم ولد الله وقد قرأ بها حمزة
والاعمش وهذه القراءة وان كان هذا محملها فهي ضعيفة والذي اضعفها ان الانكار قد اكتنف هذه الجملة من جانبيها
وذلك قوله تعالى وانهم لكاذبون ما لكم كيف تحكمون فمن جعلها للاثبات فقد اوقعها دخيلة بين نسيبين وقرئ تذكرون من ذكر
ام لكم سلطان مبين • فاتوا بكتابكم ان كنتم صادقين • وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا
ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون • سبحان الله عما يصفون • الا عباد الله
المخلصين • ام لكم سلطان اي حجة نزلت عليكم من السماء وخبر بان الملائكة بنات الله فاتوا بكتابكم الذي انزل
عليكم في ذلك كقوله تعالى ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون وهذه الآيات صادرة عن سخط عظيم وانكار
فظيع واستبعاد لاقاويلهم شديد وما الاساليب التي وردت عليها الا ناطقة بتسفيه احلام قريش وتجهيل نفوسها
واستركاك عقولها مع استهزاء وتهكم وتعجب من ان يخطر مثل ذلك على بال ويحدث به نفسا فضلا ان تجعله معتقدا
وتتظاهر به مذهبا وجعلوا بينه وبين الجنة واراد الملائكة نسبا وهو زعمهم انهم بناته والمعنى وجعلوا بما قالوا نسبة
بين الله وبينهم واثبتوا له بذلك جنسية جامعة له وللملائكة **فان قلت** لم سمى الملائكة جنة **قلت** قالوا
الجنس واحد ولكن من خبث من الجن ومرد وكان شرا كله فهو شيطان ومن طهر منهم ونسك وكان خيرا كله فهو ملك
فذكرهم في هذا الموضع باسم جنسهم وانما ذكرهم بهذا الاسم وضعا منهم وتقصيرا بهم وان كانوا معظمين في انفسهم ان
يبلغوا منزلة المناسبة التي اضافوها اليهم وفيه اشارة الى ان من صفة الاجتنان والاستتار وهو من صفات الاجرام لا يصلح
ان يناسب من لا يجوز عليه ذلك ومثاله ان يسوى بين الملك وبين بعض خواصه ومقربيه فيقول لك اتسوي بيني وبين
عبدك واذا ذكره في غير هذا المقام وقره وكناه والضمير في انهم لمحضرون للكفرة والمعنى انهم يقولون ما يقولون في الملائكة
وقد علم الملائكة انهم في ذلك كاذبون مفترون وانهم محضرون النار معذبون بما يقولون والمراد المبالغة في التكذيب حيث
اضيف الى علم الذين ادعوا لهم تلك النسبة وقيل قالوا ان الله والشيطان اخوان وعن الحسن اشركوا الجن
في طاعة الله تعالى ويجوز اذا فسر الجنة بالشياطين ان يكون الضمير في انهم لمحضرون لهم والمعنى ان الشياطين عالمون
بان الله تعالى يحضرهم النار ويعذبهم ولو كانوا مناسبين له او شركاء في وجوب الطاعة لما عذبهم الا عباد الله المخلصين
استثناء منقطع من المحضرين معناه ولكن المخلصين ناجون وسبحان الله اعتراض بين الاستثناء وبين ما وقع منه
ويجوز ان يقع الاستثناء من الواو في يصفون اي يصفه هؤلاء بذلك ولكن المخلصون برآء من ان يصفوه به

فانكم وما تعبدون • ما انتم عليه بفاتنين • الا من هو صال الجحيم • وما منا الا له مقام معلوم • وانا لنحن الصافون • وانا لنحن المسبحون • الضمير في عليه لله عز وجل معناه فانكم ومعبوديكم ما انتم وهم جميعا بفاتنين على الله تعالى الا اصحاب النار الذين سبق في علمه انهم لسوء اعمالهم يستوجبون ان يصلوها **فان قلت** كيف يفتنونهم على الله تعالى **قلت** يفسدونهم عليه باغوائهم واستهوائهم من قولك فتن فلان على فلان امرأته كما تقول افسدها عليه وخببها عليه وخبب فلان غلامي اي خدعه ويجوز ان تكون الواو في وما تعبدون بمعنى مع مثلها في قولهم كل رجل وضيعته فكما جاز السكوت على كل رجل وضيعته جاز ان يسكت على قوله فانكم وما تعبدون لان قوله وما تعبدون ساد مسد الخبر لان معناه فانكم مع ما تعبدون والمعنى فانكم مع آلهتكم اي فانكم قرناؤهم واصحابهم لا تبرحون تعبدونها ثم قال ما انتم عليه اي على ما تعبدون بفاتنين بباعثين او حاملين على طريق الفتنة والاضلال الا من هو ضال مثلكم او يكون في اسلوب قوله • فانك والكتاب الى علي • كدابغة وقد حلم الاديم • وقرأ الحسن صال الجحيم بضم اللام وفيه ثلثة اوجه احدها ان يكون جمعا وسقوط واوه لالتقاء الساكنين هي ولام التعريف **فان قلت** كيف استقام الجمع مع قوله من هو **قلت** من موحد اللفظ مجموع المعنى فحمل هو على لفظه والصالون على معناه كما حمل في مواضع من التنزيل على لفظ من ومعناه في آية واحدة والثاني ان يكون اصله صائل على القلب ثم يقال صال في صائل كقولهم شاك في شائك والثالث ان تحذف لام صال تخفيفا ويجرى الاعراب على عينه كما حذف من قولهم ما باليت به بالة واصلها بالية من بالى كعافية من عافى ونظيره قراءة من قرأ وجنى الجنتين دان وله الجوار المنشآت باجراء الاعراب على العين • وما منا احد الا له مقام معلوم فحذف الموصوف واقيم الصفة مقامه كقوله • انا ابن جلا وطلاع الثنايا • وقوله • بكفي كان من ارمى البشر • مقام معلوم مقام في العبادة والانتهاء الى امر الله مقصور عليه لا يتجاوزه كما روي فمنهم راكع لا يقيم صلبه وساجد لا يرفع رأسه لنحن الصافون نصف اقدامنا في الصلوة او اجنحتنا في الهواء منتظرين ما نؤمر وقيل نصف اجنحتنا حول العرش داعين للمؤمنين وقيل ان المسلمين انما اصطفوا في الصلوة منذ نزلت هذه الآية وليس يصطف احد من اهل الملل في صلوتهم غير المسلمين المسبحون المنزهون او المصلون والوجه ان يكون هذا وما قبله من قوله سبحان الله عما يصفون من كلام الملائكة حتى يتصل بذكرهم في قوله تعالى ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون كأنه قيل ولقد علم الملائكة وشهدوا ان المشركين مفترون عليهم في مناسبة رب العزة وقالوا سبحان الله فنزهوه عن ذلك واستثنوا عباد الله المخلصين وبرأوهم منه وقالوا للكفرة فاذا صح ذلك فانكم وآلهتكم لا تقدرون ان تفتنوا على الله احدا من خلقه وتضلوه الا من كان مثلكم ممن علم الله تعالى لكفرهم لا لتقديره وارادته تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا انهم من اهل النار وكيف نكون مناسبين لرب العزة ويجمعنا واياه جنسية واحدة وما نحن الا عبيد اذلاء بين يديه لكل منا مقام من الطاعة لا يستطيع ان يزل عنه ظفرا خشوعا لعظمته وتواضعا لجلاله ونحن الصافون اقدامنا لعبادته او اجنحتنا مذعنين خاضعين مسبحين ممجدين وكما يجب على العباد لربهم وقيل هو من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني وما من المسلمين احد الا له مقام معلوم يوم القيمة على قدر عمله من قوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا ثم ذكر اعمالهم وانهم الذين يصطفون في الصلوة ويسبحون الله وينزهونه عما يضيف اليه من لا يعرفه مما لا يجوز عليه • وان كانوا ليقولون • لو ان عندنا ذكرا من الاولين • لكنا عباد الله المخلصين • فكفروا به فسوف يعلمون • هم مشركوا قريش كانوا يقولون لو ان عندنا ذكرا اي كتابا من كتب الاولين الذين نزل عليهم التوراة والانجيل لاخلصنا العبادة لله تعالى ولما كذبنا كما كذبوا ولما خالفنا كما خالفوا فجاءهم الذكر الذي هو سيد الاذكار والكتاب الذي هو معجز من بين الكتب فكفروا به ونحوه فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا فسوف يعلمون مغبة تكذيبهم وما يحل بهم من الانتقام وان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة وفي ذلك انهم كانوا يقولونه مؤكدين للقول جادين فيه فكم بين اول امرهم وآخره • ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين • انهم لهم المنصورون • وان جندنا لهم الغالبون • الكلمة قوله تعالى انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وانما سماها كلمة وهي كلمات عدة لانها لما انتظمت في معنى واحد كانت في حكم كلمة مفردة وقرئ كلماتنا والمراد الموعد بعلوهم على عدوهم في مقاوم الحجاج وملاحم القتال في الدنيا وعلوهم عليهم

في الآخرة

في الآخرة قال الله سبحانه وتعالى والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة ولا يلزم انهزامهم في بعض المشاهد وما جرى عليهم من القتل فان الغلبة كانت لهم ولمن بعدهم في العاقبة وكفى بمشاهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والخلفاء الراشدين رضوان الله تعالى عليهم مثلا يحتذى عليها وعبرا يعتبر بها وعن الحسن رحمه الله تعالى ما غلب نبي في حرب ولا قتل فيها ولان قاعدة امرهم واساسه والغالب منه الظفر والنصرة وان وقع في تضاعيف ذلك شوب من الابتلاء والمحنة والحكم للغالب وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان لم ينصروا في الدنيا نصروا في الآخرة وفي قراءة ابن مسعود على عبادنا على تضمين سبقت معنى حقت • فتول عنهم حتى حين • وابصرهم فسوف يبصرون • افبعذابنا يستعجلون • فاذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين • فتول عنهم فاعرض عنهم واغض على اذاهم حتى حين الى مدة يسيرة وهي مدة الكف عن القتال وعن السدي الى يوم بدر وقيل الى الموت وقيل الى يوم القيمة وابصرهم وما يقضى عليهم من الاسر والقتل والعذاب في الآخرة فسوف يبصرونك وما يقضى لك من النصرة والتأييد والثواب في العاقبة والمراد بالامر بابصارهم على الحال المنتظرة الموعودة الدلالة على انها كائنة واقعة لا محالة وان كينونتها قريبة كأنها قدام ناظريك وفي ذلك تسلية له صلى الله عليه وسلم وتنفيس عنه وقوله فسوف يبصرون للوعيد كما سلف لا للتبعيد مثل العذاب النازل بهم بعدما انذروه فانكروه بجيش انذر بهجومه قومه بعض نصاحهم فلم يلتفتوا الى انذاره ولا اخذوا اهبتهم ولا دبروا امرهم تدبيرا ينجيهم حتى اناخ بفنائهم بغتة فشن عليهم الغارة وقطع دابرهم وكانت عادة مغاويرهم ان يغيروا صباحا فسميت الغارة صباحا وان وقعت في وقت آخر وما فصحت هذه الآية ولا كانت لها الروعة التي تحس بها ويروقك موردها على نفسك وطبعك الا لمجيئها على طريقة التمثيل وقرأ ابن مسعود رضي الله تعالى عنه فبئس صباح وقرئ نزل بساحتهم على اسناده الى الجار والمجرور كقولك ذهب بزيد ونزل على ونزل العذاب والمعنى فساء صباح المنذرين صباحهم واللام في المنذرين مبهم في جنس من انذروا لان ساء وبئس يقتضيان ذلك وقيل هو نزول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوم الفتح بمكة وعن انس رضي الله تعالى عنه لما اتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خيبر وكانوا خارجين الى مزارعهم ومعهم المساحي قالوا محمد والخميس ورجعوا الى حصنهم فقال صلى الله تعالى عليه وسلم الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين • وتول عنهم حتى حين • وابصر فسوف يبصرون • سبحان ربك رب العزة عما يصفون • وسلام على المرسلين • وانما ثنى وتول عنهم ليكون تسلية على تسلية وتأكيدا لوقوع الميعاد الى تأكيد وفيه فائدة زائدة وهي اطلاق الفعلين معا عن التقييد بالمفعول وانه يبصر وهم يبصرون ما لا يحيط به الذكر من صنوف المسرة وانواع المساءة وقيل اريد باحدهما عذاب الدنيا وبالآخر عذاب الآخرة اضيف الرب الى العزة لاختصاصه بها كأنه قيل ذو العزة كما تقول صاحب صدق لاختصاصه بالصدق ويجوز ان يراد انه ما من عزة لاحد من الملوك وغيرهم الا وهو ربها ومالكها كقوله تعز من تشاء اشتملت السورة على ذكر ما قاله المشركون في الله تعالى ونسبوا اليه مما هو منزه عنه وما عاناه المرسلون من جهتهم وما خولوه في العاقبة من النصرة عليهم فختمها بجوامع ذلك من تنزيه ذاته عما وصفه به المشركون والتسليم على المرسلين والحمد لله رب العالمين على ما قيض لهم من حسن العواقب والغرض تعليم المؤمنين ان يقولوا ذلك ولا يخلوا به ولا يغفلوا عن مضمنات كتابه الكريم ومودعات قرآنه المجيد وعن علي رضي الله تعالى عنه من احب ان يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيمة فليكن آخر كلامه اذا قام عن مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ والصافات اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل جني وشيطان وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك وشهد له حافظاه يوم القيمة انه كان مؤمنا بالمرسلين •

سورة ص مكية

وهي ست وثمانون آية وقيل ثمان وثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم • ص والقرآن ذي الذكر بل الذين كفروا

في عزة وشقاق صاد على الوقف وهي اكثر القراءة وقرئ بالكسر والفتح لالتقاء الساكنين ويجوز ان ينتصب بحذف حرف القسم وايصال فعله كقولهم الله لافعلن بالنصب او باضمار حرف القسم والفتح في موضع الجر وامتناع الصرف للتعريف والتانيث لانها بمعنى السورة وقد صرفها من قرأ صاد بالجر والتنوين على تاويل الكتاب والتنزيل وقيل فيمن كسر هو من المصاداة وهي المعارضة والمعادلة ومنها الصدى وهو ما يعارض الصوت في الاماكن الخالية من الاجسام الصلبة ومعناه عارض القرآن بعملك فاعمل باوامره وانته عن نواهيه فان قلت قوله ص والقرآن ذي الذكر بل الذين كفروا في عزة وشقاق كلام ظاهره غير منتظم فما وجه انتظامه قلت فيه وجهان احدهما ان يكون قد ذكر اسم هذا الحرف من حروف المعجم على سبيل التحدي والتنبيه على الاعجاز كما مر في اول الكتاب ثم اتبعه القسم محذوف الجواب لدلالة التحدي عليه كانه قال والقرآن ذي الذكر انه لكلام معجز والثاني ان يكون ص خبر مبتدأ محذوف على انها اسم للسورة كانه قال هذه ص يعني هذه السورة التي اعجزت العرب والقرآن ذي الذكر كما تقول هذا حاتم والله تريد هذا هو المشهور بالسخاء والله وكذلك اذا اقسم بها كانه قال اقسمت بصاد والقرآن ذي الذكر انه لمعجز ثم قال بل الذين كفروا في عزة واستكبار عن الاذعان لذلك والاعتراف بالحق وشقاق لله ورسوله واذا جعلتها مقسما بها وعطفت عليها والقرآن ذي الذكر جاز لك ان تريد بالقرآن الذكر كله وان تريد السورة بعينها ومعناه اقسم بالسورة الشريفة والقرآن ذي الذكر كما تقول مررت بالرجل الكريم وبالنسمة المباركة ولا تريد بالنسمة غير الرجل والذكر الشرف والشهرة من قولك فلان مذكور وانه لذكر لك ولقومك او الذكرى والموعظة او ذكر ما يحتاج اليه في الدين من الشرائع وغيرها كاقاصيص الانبياء والوعد والوعيد والتنكير في عزة وشقاق للدلالة على شدتهما وتفاقمهما وقرئ في غرة اي في غفلة عما يجب عليهم من النظر واتباع الحق كم اهلكنا قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناص كم اهلكنا وعيد لذوي العزة والشقاق فنادوا فدعوا واستغاثوا وعن الحسن فنادوا بالتوبة ولات هي لا المشبهة بليس زيدت عليها تاء التانيث كما زيدت على رب وثم للتوكيد وتغير بذلك حكمها حيث لم تدخل الا على الاحيان ولم يبرز الا احد مقتضيها اما الاسم واما الخبر وامتنع بروزهما جميعا وهذا مذهب الخليل وسيبويه وعند الاخفش انها لا النافية زيدت عليها التاء وخصت بنفي الاحيان وحين مناص منصوب بها كانك قلت ولا حين مناص لهم وعنه ان ما ينتصب بعده بفعل مضمر اي ولا ارى حين مناص ويرتفع بالابتداء اي ولا حين مناص كائن لهم وعندهما ان النصب على ولات الحين حين مناص اي وليس الحين حين مناص والرفع على ولات حين مناص حاصلا لهم وقرئ حين مناص بالكسر ومثله قول ابي زبيد الطائي • طلبوا صلحنا ولات اوان • فاجبنا ان لات حين بقاء • فان قلت ما وجه الكسر في اوان قلت شبه باذ في قوله • وانت اذ صحيح • في انه زمان قطع منه المضاف اليه وعوض التنوين لان الاصل ولات اوان صلح فان قلت فما تقول في حين مناص والمضاف اليه قايم قلت نزل قطع المضاف اليه من مناص لان اصله حين مناصهم منزلة قطعه من حين لاتحاد المضاف والمضاف اليه وجعل تنوينه عوضا من الضمير المحذوف ثم بني الحين لكونه مضافا الى غير متمكن وقرئ ولات بكسر التاء على البناء كجير فان قلت كيف يوقف على لات قلت يوقف عليها بالتاء كما تقف على الاسماء المؤنثة واما قول ابي عبيدة ان التاء داخلة على حين فلا وجه له واستشهاده بان التاء ملتزقة بحين في الامام لا متشبث به فكم وقعت في المصحف اشياء خارجة عن قياس الخط والمناص المنجى والفوت يقال ناصه ينوصه اذا فاته واستناص طلب المناص قال حارثة بن بدر يصف فرسا • غمر الجراء اذا قصرت عنانه • بيدي استناص ورام جري المسحل • وعجبوا ان جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب • اجعل الالهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب • منذر منهم رسول من انفسهم وقال الكافرون ولم يقل وقالوا اظهارا للغضب عليهم ودلالة على ان هذا القول لا يجسر عليه الا الكافرون المتوغلون في الكفر المنهمكون في الغي الذين قال فيهم اولئك هم الكافرون حقا وهل ترى كفرا اعظم وجهلا ابلغ من ان يسموا من صدقه الله تعالى بوحيه كاذبا ويتعجبوا من التوحيد وهو الحق الذي لا يصح غيره ولا يتعجبوا من الشرك وهو الباطل الذي لا وجه لصحته • روي ان اسلام عمر رضي الله تعالى عنه فرح به المؤمنون فرحا شديدا وشق على قريش وبلغ منهم فاجتمع خمسة وعشرون نفسا من صناديدهم ومشوا الى ابي طالب وقالوا انت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء يريدون الذين دخلوا في الاسلام وجئناك لتقضي بيننا وبين ابن اخيك فاحضر

ابو طالب

ابو طالب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال يا ابن اخي هؤلاء قومك يسألونك السؤال فلا تمل كل الميل على قومك فقال صلى الله تعالى عليه وسلم ماذا يسألونني قالوا ارفضنا وارفض ذكر آلهتنا وندعك والهك فقال عليه الصلوة والسلام ارأيتم ان اعطيتكم ما سألتم اتعطي انتم كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم قالوا نعم وعشرا اي نعطيكها وعشر كلمات معها فقال قولوا لا اله الا الله فقاموا وقالوا اجعل الالهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب اي بليغ في العجب وقرئ عجاب بالتشديد كقوله تعالى مكرا كبارا وهو ابلغ من المخفف ونظيره كريم وكرام وقوله تعالى اجعل الالهة الها واحدا مثل قوله عز وعلا وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا في ان معنى الجعل التصيير في القول على سبيل الدعوى والزعم كانه قال اجعل الجماعة واحدا في قوله لان ذلك في الفعل محال • وانطلق الملا منهم ان امشوا واصبروا على الهتكم ان هذا لشيء يراد • الملا اشراف قريش وانطلقوا عن مجلس ابي طالب بعد ما بكتهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالجواب العتيد قائلين بعضهم لبعض امشوا واصبروا فلا حيلة لكم في دفع امر محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ان هذا الامر لشيء يراد اي يريده الله تعالى ويحكم بامضائه وما اراد الله تعالى كونه فلا مرد له ولا ينفع فيه الا الصبر وان هذا الامر لشيء من نوائب الدهر يراد بنا فلا انفكاك لنا منه او ان دينكم لشيء يراد اي يطلب ليوخذ منكم وتغلبوا عليه وان بمعنى اي لان المنطلقين عن مجلس التقاول لابد لهم من ان يتكلموا ويتفاوضوا فيما جرى لهم فكان انطلاقهم مضمنا معنى القول ويجوز ان يراد بالانطلاق الاندفاع في القول وانهم قالوا امشوا اي اكثروا واجتمعوا من مشت المراة اذا كثرت ولادتها ومنه الماشية للتفاؤل كما قيل لها الفاشية قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ضموا فواشيكم ومعنى واصبروا على الهتكم واصبروا على عبادتها والتمسك بها حتى لا تزالوا عنها وقرئ وانطلق الملا منهم امشوا بغير ان على اضمار القول وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه وانطلق الملا يمشون ان اصبروا • ما سمعنا بهذا في الملة الاخرة ان هذا الا اختلاق • في الملة الاخرة في ملة عيسى عليه السلام التي هي آخر الملل لان النصارى يدعونها وهم مثلثة غير موحدة او في ملة قريش التي ادركنا عليها آباءنا او ما سمعنا بهذا في الملة الاخرة على ان يجعل في الملة الاخرة حالا من هذا ولا تعلقه بما سمعنا كما في الوجهين والمعنى انا لم نسمع من اهل الكتاب ولا الكهان انه يحدث في الملة الاخرة توحيد الله عز وعلا ما هذا الا اختلاق اي افتعال وكذب • انزل عليه الذكر من بيننا بل هم في شك من ذكري بل لما يذوقوا عذاب • انكروا ان يختص بالشرف من بين اشرافهم ورؤسائهم وينزل عليه الكتاب من بينهم كما قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وهذا الانكار ترجمة عما كانت تغلي به صدورهم من الحسد على ما اوتي من شرف النبوة من بينهم بل هم في شك من القرآن يقولون في انفسهم اما واما وقولهم ان هذا الا اختلاق كلام مخالف لاعتقادهم فيه يقولونه على سبيل الحسد بل لما يذوقوا عذابي بعد فاذا ذاقوا زال عنهم ما بهم من الشك والحسد حينئذ يعني انهم لا يصدقون به الا ان يمسهم العذاب مضطرين الى تصديقه • ام عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب • ام عندهم خزائن رحمة ربك يعني ما هم بمالكي خزائن الرحمة حتى يصيبوا بها من شاؤوا ويصرفوها عمن شاؤوا ويتخيروا للنبوة بعض صناديدهم ويترفعوا بها عن محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وانما يملك الرحمة وخزائنها العزيز القاهر على خلقه الوهاب الكثير المواهب المصيب بها مواقعها الذي يقسمها على ما تقتضيه حكمته وعدله كما قال عز من قائل اهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا • ام لهم ملك السموات والارض وما بينهما فليرتقوا في الاسباب • ثم رشح هذا المعنى فقال ام لهم ملك السموات والارض حتى يتكلموا في الامور الربانية والتدابير الالهية التي يختص بها رب العزة والكبرياء ثم تهكم بهم غاية التهكم فقال فان كانوا يصلحون لتدبير الخلائق والتصرف في قسمة الرحمة وكانت عندهم الحكمة التي يميزون بها بين من هو حقيق بايتاء النبوة دون من لا يحق له فليرتقوا في الاسباب فليصعدوا في المعارج والطرق التي يتوصل بها الى العرش حتى يستووا عليه ويدبروا امر العالم وملكوت الله تعالى وينزلوا الوحي الى من يختارون ويستصوبون • جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب • ثم خسأهم خساة عن ذلك بقوله تعالى جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب يريد ما هم الا جند من الكفار المتحزبين على رسل الله مهزوم مكسور عما قريب فلا تبال بما يقولون ولا تكترث لما به يهذون وما مزيدة وفيها معنى الاستعظام كما في قول امرئ القيس • وحديث ما على قصره • الا انه على سبيل الهزؤ وهنالك اشارة الى حيث وضعوا فيه انفسهم من الانتداب لمثل ذلك القول العظيم من قولهم لمن ينتدب لامر

ليس من اهل لست هنالك **كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد وثمود وقوم لوط واصحاب الايكة اولئك الاحزاب ان كل الا كذب الرسل فحق عقاب** ذو الاوتاد اصله من ثبات البيت المطنب باوتاده قال والبيت لا يبتنى الا على عمد ولا عماد اذا لم ترس اوتاد فاستعير لثبات العز والملك واستقامة الامر كما قال الاسود في ظل ملك ثابت الاوتاد وقيل كان يشبح المعذب بين اربع سوار كل طرف من اطرافه الى سارية مضروب فيه وتد من حديد ويتركه حتى يموت وقيل كان يمده بين اربعة اوتاد في الارض ويرسل عليه العقارب والحيات وقيل كانت له اوتاد وحبال يلعب بها بين يديه اولئك الاحزاب قصد بهذه الاشارة الاعلام بان الاحزاب الذين جعل الجند المهزوم منهم هم وانهم الذين وجد منهم التكذيب ولقد ذكر تكذيبهم اولا في الجملة الخبرية على وجه الابهام ثم جاء بالجملة الاستثنائية فاوضحه فيها بان كل واحد من الاحزاب كذب جميع الرسل لانهم اذا كذبوا واحدا منهم فقد كذبوهم جميعا وفي تكرير التكذيب وايضاحه بعد ابهامه والتنويع في تكريره بالجملة الخبرية اولا وبالاستثنائية ثانيا وما في الاستثنائية من الوضع على وجه التوكيد والتخصيص انواع من المبالغة المسجلة عليهم باستحقاق اشد العقاب وابلغه ثم قال فحق عقاب اي فوجب لذلك ان اعاقبهم حق عقابهم **وما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة ما لها من فواق** هؤلاء اهل مكة ويجوز ان يكون اشارة الى جميع الاحزاب لاستحضارهم بالذكر او لانهم كالحضور عند الله تعالى الصيحة النفخة ما لها من فواق وقرئ بالضم ما لها من توقف مقدار فواق وهو ما بين حلبتي الحالب ورضعتي الراضع يعني اذا جاء وقتها لم تستأخر هذا القدر من الزمان كقوله تعالى فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ما لها من رجوع وترداد من افاق المريض اذا رجع الى الصحة وفواق الناقة ساعة يرجع الدر الى ضرعها يريد انها نفخة واحدة فحسب لا تثنى ولا تردد **وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب** القط القسط من الشيء لانه قطعة منه من قطه اذا قطعه ويقال لصحيفة الجائزة قط لانها قطعة من القرطاس وقد فسر بهما قوله تعالى عجل لنا قطنا اي نصيبنا من العذاب الذي وعدته كقوله تعالى ويستعجلونك بالعذاب وقيل ذكر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعد الله تعالى المؤمنين الجنة فقالوا على سبيل الهزء عجل لنا نصيبنا منها او عجل لنا صحيفة اعمالنا ننظر فيها **اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الايد انه اواب** فان قلت كيف تطابق قوله تعالى اصبر على ما يقولون وقوله واذكر عبدنا داود حتى عطف احدهما على صاحبه قلت قال لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم اصبر على ما يقولون وعظم امر معصية الله في اعينهم بذكر قصة داود عليه السلام وهو انه نبي من انبياء الله تعالى قد اولاه الله تعالى ما اولاه من النبوة والملك لكرامته عليه وزلفته لديه ثم زل زلة فبعث اليه الملائكة ووبخه عليها على طريق التمثيل والتعريض حتى فطن لما وقع فيه فاستغفر واناب ووجد منه ما يحكى من بكائه الدائم وغمه الواصب ونقش جنايته في بطن كفه حتى لا يزال يجدد الندم فما الظن بكم مع كفركم ومعاصيكم او قال له صلى الله عليه وسلم اصبر على ما يقولون وصن نفسك وحافظ عليها ان تزل فيما كلفت من مصابرتهم وتحمل اذاهم واذكر اخاك داود وكرامته على الله تعالى كيف زل تلك الزلة اليسيرة فلقي من توبيخ الله تعالى وتظليمه ونسبته الى البغي ما لقي ذا الايد ذا القوة في الدين المضطلع بمشاقه وتكاليفه كان على نهوضه باعباء النبوة والملك يصوم يوما ويفطر يوما وهو اشد الصوم ويقوم نصف الليل يقال فلان ايد وذو ايد وذو آد وايادي كل شيء ما يتقوى به اواب تواب رجاع الى مرضاة الله تعالى فان قلت ما دل على ان الايد القوة في الدين قلت قوله تعالى انه اواب لانه تعليل لذي الايد **انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق والطير محشورة كل له اواب** والاشراق ووقت الاشراق وهو حين تشرق الشمس اي تضيء ويصفو شعاعها وهو وقت الضحى واما شروقها فطلوعها تقول شرقت الشمس ولما تشرق وعن ام هانئ رضي الله تعالى عنها دخل علينا نبي الله صلى الله تعالى عليه وسلم فدعا بوضوء فتوضأ ثم صلى صلوة الضحى فقال يا ام هانئ هذه صلوة الاشراق وعن طاوس عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال هل تجدون ذكر صلوة الضحى في القرآن قالوا لا فقرأ انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق وكان لا يصلي صلوة الضحى ثم صلاها بعد وعن كعب انه قال لابن عباس اني لاجد في كتاب الله صلوة بعد طلوع الشمس فقال انا اوجدك ذلك في كتاب الله تعالى يعني هذه الآية ويحتمل ان يكون من اشرق القوم اذا دخلوا

في الشروق ومنه قوله تعالى فاخذتهم الصيحة مشرقين وقول اهل الجاهلية اشرق ثبير كيما نغير وارادوقت صلوة الفجر لانتهائه بالشروق ويسبحن في معنى مسبحات على الحال فان قلت هل من فرق بين يسبحن ومسبحات قلت نعم وما اختير يسبحن على مسبحات الا لذلك وهو الدلالة على حدوث التسبيح من الجبال شيئا بعد شيء وحالا بعد حال وكان السامع محاضر تلك الحال يسمعها تسبح ومثله قول الاعشى الى ضوء نار في يفاع تحرق ولو قال محرقة لم يكن شيئا وقوله محشورة في مقابلة يسبحن الا انه لما لم يكن في الحشر ما كان في التسبيح من ارادة الدلالة على الحدوث شيئا بعد شيء جيء به اسما لا فعلا وذلك انه لو قيل وسخرنا الطير يحشرن على ان الحشر يوجد من حاشرها شيئا بعد شيء والحاشر هو الله تعالى لكان خلفا لان حشرها جملة واحدة ادل على القدرة وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كان اذا سبح جاوبته الجبال بالتسبيح واجتمعت اليه الطير فسبحت معه فذلك حشرها وقرئ والطير محشورة بالرفع كل له اواب كل واحد من الجبال والطير لاجل داود اي لاجل تسبيحه مسبح لانها كانت تسبح بتسبيحه ووضع الاواب موضع المسبح اما لانها كانت ترجع التسبيح والمرجع رجاع لانه يرجع الى فعله رجوعا بعد رجوع واما لان الاواب وهو التواب الكثير الرجوع الى الله تعالى وطلب مرضاته من عادته ان يكثر ذكر الله تعالى ويديم تسبيحه وتقديسه وقيل الضمير لله تعالى اي كل من داود والجبال والطير لله تعالى اواب اي مسبح مرجع للتسبيح **وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب** وشددنا ملكه قويناه قال تعالى سنشد عضدك وقرئ شددنا على المبالغة قيل كان يبيت حول محرابه اربعون الف مستلئم يحرسونه وقيل الذي شد الله تعالى به ملكه وقذف في قلوب قومه الهيبة ان رجلا ادعى عنده على آخر بقرة وعجز عن اقامة البينة فاوحى اليه في المنام ان اقتل المدعى عليه فقال هذا منام فاعيد الوحي في اليقظة فاعلم الرجل فقال ان الله تعالى لم يأخذني بهذا الذنب ولكن باني قتلت ابا هذا غيلة فقتله فقال الناس ان اذنب احد ذنبا اظهره الله تعالى عليه فقتله فهابوه الحكمة الزبور وعلم الشرائع وقيل كل كلام وافق الحق فهو حكمة الفصل التمييز بين الشيئين وقيل للكلام البين فصل بمعنى المفصول كضرب الامير لانهم قالوا كلام ملتبس وفي كلامه لبس والملتبس المختلط فقيل في نقيضه فصل اي مفصول بعضه من بعض فمعنى فصل الخطاب البين من الكلام الملخص الذي يتبينه من يخاطب به لا يلتبس عليه ومن فصل الخطاب وملخصه ان لا يخطئ صاحبه مظان الفصل والوصل فلا يقف في كلمة الشهادة على المستثنى منه ولا يتلو قوله تعالى فويل للمصلين الا موصولا بما بعده ولا والله يعلم وانتم حتى يصله بقوله لا تعلمون ونحو ذلك وكذلك مظان العطف وتركه والاضمار والاظهار والحذف والتكرار وان شئت كان الفصل بمعنى الفاصل كالصوم والزور واردت بفصل الخطاب الفاصل من الخطاب الذي يفصل بين الصحيح والفاسد والحق والباطل والصواب والخطأ وهو كلامه في القضايا والحكومات وتدابير الملك والمشورات وعن علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه هو قوله البينة على المدعي واليمين على المدعى عليه وهو من الفصل بين الحق والباطل ويدخل فيه قول بعضهم هو قوله اما بعد ويجوز ان يراد الخطاب القصد الذي ليس فيه اختصار مخل ولا اشباع ممل ومنه ما جاء في صفة كلام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فصل لا نزر ولا هذر **وهل اتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب** كان اهل زمان داود يسأل بعضهم بعضا ان ينزل له عن امرأته فيتزوجها اذا اعجبته وكان لهم عادة في المواساة بذلك قد اعتادوها وقد روينا ان الانصار كانوا يواسون المهاجرين بمثل ذلك فاتفق ان عين داود وقعت على امرأة رجل يقال له اوريا فاحبها فسأله النزول عنها فاستحيا ان يرده ففعل فتزوجها وهي ام سليمان عليه السلام فقيل له انك مع عظم منزلتك وارتفاع مرتبتك وكبر شأنك وكثرة نسائك لم يكن ينبغي لك ان تسأل رجلا ليس له الا امرأة واحدة النزول عنها بل كان الواجب عليك مغالبة هواك وقهر نفسك والصبر على ما امتحنت به وقيل خطبها اوريا ثم خطبها داود عليه السلام فآثره اهلها فكان ذنبه ان خطب على خطبة اخيه المؤمن مع كثرة نسائه وانا بما يذكر ان داود تمنى منزلة آبائه ابراهيم واسحق ويعقوب عليهم السلام فقال يا رب ان آبائي قد ذهبوا بالخير كله فاوحى اليه انهم ابتلوا ببلايا فصبروا عليها قد ابتلى ابراهيم بنمرود وذبح ولده واسحق بذبحه وذهاب بصره ويعقوب بالحزن على يوسف فسأل الابتلاء فاوحى اليه انك مبتلى في يوم كذا فاحترس فلما كان ذلك اليوم دخل محرابه واغلق بابه وجعل يصلي ويقرأ الزبور فجاءه الشيطان في صورة حمامة من ذهب فمد يده ليأخذها لابن له صغير فطارت

فاستدبرها فطارت فوقعت في كوة فتبعها فابصر امراة جميلة قد نقضت شعرها فغطى بدنها وهي امراة اوريا
وهو من غزاة البلقا فكتب الى ايوب بن صوريا وهو صاحب بعث البلقا ان ابعث اوريا وقدمه على التابوت
وكان من يتقدم على التابوت لا يحل له ان يرجع حتى يفتح الله تعالى على يده او يستشهد ففتح الله تعالى على يده وسلم
فامر برده مرة اخرى وثالثة حتى قتل واتاه خبر قتله فلم يحزن كما كان يحزن على الشهداء وتزوج امراته فهذا
ونحوه مما يقبح ان يحدث به عن بعض المتسمين بالصلاح من افناء المسلمين فضلا عن بعض اعلام الانبياء
وعن سعيد بن المسيب والحارث الاعور ان علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه قال من حدثكم بحديث داود على
ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين وهو حد الفرية على الانبياء • وروي انه حدث بذلك عمر بن عبد العزيز
وعنده رجل من اهل الحق فكذب المحدث به وقال ان كانت القصة على ما في كتاب الله تعالى فما ينبغي ان يلتمس
خلافها واعظم بان يقال غير ذلك وان كانت على ما ذكرت وكف الله تعالى عنها سترا على نبيه فما ينبغي
اظهارها عليه فقال عمر لسماعي هذا الكلام احب الي مما طلعت عليه الشمس والذي يدل عليه المثل الذي ضربه الله تعالى
لقصته عليه السلام ليس الا طلبه الى زوج المراة ان ينزل له عنها فحسب **فان قلت** لم جاءت على طريقة
التمثيل والتعريض دون التصريح **قلت** لكونها ابلغ في التوبيخ من قبل ان التامل اذا اداه الى الشعور بالمعرض
كان اوقع في نفسه واشد تمكنا من قلبه واعظم اثرا فيه واجلب لاحتشامه وحيائه وادعى الى التنبه على الخطا من ان
يبادره به صريحا مع مراعاة حسن الادب بترك المجاهرة الا ترى الى الحكما كيف اوصوا في سياسة الولد اذا وجدت
منه هنة منكرة بان يعرض له بانكارها عليه ولا يصرح وان يحكى له حكاية ملاحظة لحاله اذا تاملها استسمج حال صاحب
الحكاية فاستسمج حال نفسه وذلك ازجر له لانه ينصب ذلك مثالا لحاله ومقياسا لشانه فيتصور قبح ما وجد
بصورة مكشوفة مع انه اصون لما بين الوالد والولد من حجاب الحشمة **فان قلت** فلم كان ذلك على وجه
التحاكم اليه **قلت** ليحكم بما حكم به من قوله لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه حتى يكون محجوجا بحكمه ومعترفا على نفسه
بظلمه • وهل اتاك نبا الخصم ظاهره الاستفهام ومعناه الدلالة على انه من الانباء العجيبة التي حقها ان تشيع ولا
تخفى على احد والتشويق الى استماعه والخصم الخصماء وهو يقع على الواحد والجمع كالضيف قال الله تعالى حديث ضيف
ابراهيم المكرمين لانه مصدر في اصله تقول خصمه خصما كما تقول ضافه ضيفا **فان قلت** هذا جمع وقوله
خصمان تثنية فكيف استقام ذلك **قلت** معنى خصمان فريقان خصمان والدليل عليه قراءة من قرا خصمان
بغى بعضهم على بعض ونحوه قوله تعالى هذان خصمان اختصموا **فان قلت** فما تصنع بقوله ان هذا اخي وهو دليل
على اثنين **قلت** هذا قول البعض المراد بقوله بعضنا على بعض **فان قلت** فقد جاء في الرواية انه
بعث اليه ملكان **قلت** معناه ان التحاكم كان بين ملكين فلا يمنع ذلك ان يصحبهما اخرون **فان قلت**
فاذا كان التحاكم بين اثنين كيف سماهم جميعا خصما في قوله تعالى نبا الخصم وخصمان **قلت** لما صحب كل واحد من
المتحاكمين في صورة الخصم صحت التسمية به **فان قلت** بم انتصب اذ **قلت** لا يخلو اما ان ينتصب
باتاك او بالنبا او بمحذوف فلا يسوغ انتصابه باتاك لان اتيان النبا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا يقع الا في
عهده لا في عهد داود ولا بالنبا لان النبا الواقع في عهد داود عليه السلام لا يصح اتيانه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وان اردت بالنبا القصة في نفسها لم يكن ناصبا فبقي ان ينتصب بمحذوف وتقديره وهل اتاك نبا تحاكم الخصم
ويجوز ان ينتصب بالخصم لما فيه من معنى الفعل واما اذ الثانية فبدل من الاولى تسوروا المحراب تصعدوا سوره ونزلوا
اليه والسور الحائط المرتفع ونظيره في الابنية تسنمه اذا علا سنامه وتذراه اذا علا ذروته • **اذ دخلوا على
داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا
تشطط واهدنا الى سواء الصراط** • روي ان الله تعالى بعث اليه ملكين في صورة انسانين
فطلبا ان يدخلا عليه فوجداه في يوم عبادته فمنعهما الحرس فتسوروا عليه المحراب فلم يشعر الا وهما بين يديه جالسان
ففزع منهم قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان داود عليه السلام جزا زمانه اربعة اجزاء يوما للعبادة ويوما
للقضاء ويوما للاشتغال بخواص اموره ويوما يجمع بني اسرائيل فيعظهم ويبكيهم فجاؤه في غير يوم القضاء ففزع منهم

ولانهم نزلوا عليه من فوق وفي يوم الاحتجاب والحرس حوله لا يتركون من يدخل عليه • خصمان خبر مبتدا محذوف
اي نحن خصمان ولا تشطط اي ولا تجر وقرئ ولا تشطط اي ولا تبعد عن الحق وقرئ ولا تشطط ولا تشاطط
وكلها من معنى الشطط وهو مجاوزة الحد وتخطي الحق وسواء الصراط وسطه ومحجته ضربه مثلا لعين الحق ومحضه •
ان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال اكفلنيها وعزني في الخطاب
اخي بدل من هذا او خبر لان والمراد اخوة الدين او اخوة الصداقة والالفة او اخوة الشركة والخلطة لقوله تعالى
وان كثيرا من الخلطاء وكل واحدة من هذه الاخوات تدلي بحق مانع من الاعتداء والظلم وقرئ تسع وتسعون نعجة بفتح التاء
ونعجة بكسر النون وهذا من اختلاف اللغات نحو نطع ونطع ولقوة ولقوة اكفلنيها ملكنيها وحقيقته اجعلني
اكفلها كما اكفل ما تحت يدي وعزني وغلبني يقال عزه يعزه قال قطاة عزها شرك فباتت تجاذبه وقد علق الجناح
يريد جاءني بحجاج لم اقدر ان ارد عليه ما اراده به واراد بالخطاب مخاطبة المحاج المجادل او اراد خطبت المراة
وخطبها هو فخاطبني خطابا اي غالبني في الخطبة فغلبني حيث زوجها دوني وقرئ وعازني من المعازة وهي المغالبة
وقرا ابو حيوة وعزني بتخفيف الزاي طلبا للخفة وهو تخفيف غريب وكانه قاسه على نحو ظلت ومست
فان قلت ما معنى ذكر النعاج **قلت** كان تحاكمهم في نفسه تمثيلا وكلامهم تمثيلا لان التمثيل ابلغ
في التوبيخ لما ذكرنا وللتنبيه على انه امر يستحيى من كشفه فيكنى عنه كما يكنى عما يستسمج الافصاح به وللستر على
داود والاحتفاظ بحرمته ووجه التمثيل فيه ان مثلت قصة اوريا مع داود عليه السلام بقصة رجل له نعجة واحدة
ولخليطه تسع وتسعون فاراد صاحبه تتمة المائة فطمع في نعجة خليطه واراده على الخروج من ملكها اليه وحاجه
في ذلك محاجة حريص على بلوغ مراده والدليل عليه قوله وان كثيرا من الخلطاء وانما خص هذه القصة لما فيها من
الرمز الى الغرض بذكر النعجة **فان قلت** انما يستقيم طريقة التمثيل اذا فسرت الخطاب بالجدال فان فسرته
بالمفاعلة من الخطبة لم يستقم **قلت** الوجه مع هذا التفسير ان اجعل النعجة استعارة عن المراة كما استعارها
لها الشاعر في نحو قوله • يا شاة ما قنص لمن حلت له • فرميت غفلة عينه عن شاته • وشبهها بالنعجة من قال
كنعاج الملا تعسفن رملا • لولا ان الخلطا ياباه الا ان يضرب داود الخلطا ابتداء مثلا لهم ولقصتهم
فان قلت الملائكة كيف صح منهم ان يخبروا عما لم يتلبسوا منه بقليل ولا كثير ولا هو من شانهم **قلت**
هو تصوير للمسئلة وفرض لها فصوروها في انفسهم وكانوا في صورة الاناسي كما تقول في تصوير المسائل زيد له اربعون
شاة وعمرو له اربعون وانت تشير اليهما فخلطاها وحال عليها الحول كم يجب فيها وما يجب على زيد وعمرو وسبد ولا لبد
وتقول ايضا في تصويرها لي اربعون شاة ولك اربعون فخلطناها وما لكما من الاربعين اربعة ولا ربعها
فان قلت ما وجه قراءة ابن مسعود رضي الله تعالى عنه ولي نعجة انثى **قلت** يقال امراة انثى
للحسناء الجميلة والمعنى وصفها بالعراقة في لين الانوثة وفتورها وذلك اطلب لها وازيد في تكسرها وتثنيها الا ترى الى وصفهم
لها بالكسول والمكسال وقوله • فتور القيام قطيع الكلام • وقوله • تمشي رويدا تكاد تنغرف • **قال لقد ظلمك
بسؤال نعجتك الى نعاجه وان كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض الا الذين
امنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم وظن داود انما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا
واناب • فغفرنا له ذلك وان له عندنا لزلفى وحسن ماب** • لقد ظلمك جواب قسم محذوف
وفي ذلك استنكار لفعل خليطه وتهجين لطمعه والسؤال مصدر مضاف الى المفعول كقوله تعالى من دعاء الخير وقد ضمن معنى
الاضافة فعدي تعديتها كانه قيل باضافة نعجتك الى نعاجه على وجه السؤال والطلب **فان قلت** كيف سارع الى
تصديق احد الخصمين حتى ظلم الاخر قبل استماع كلامه **قلت** ما قال ذلك الا بعد اعتراف صاحبه ولكنه لم يحك في
القرآن لانه معلوم ويروى انه قال انا اريد ان اخذها منه واكمل نعاجي مائة فقال داود عليه السلام ان رمت ذلك ضربنا منك
هذا وهذا واشار الى طرف الانف والجبهة فقال يا داود انت احق ان يضرب منك هذا وهذا وانت فعلت كيت وكيت ثم
نظر داود فلم ير احدا فعرف ما وقع فيه • والخلطاء الشركاء الذين خلطوا اموالهم الواحد خليط وهي الخلطة وقد غلبت في الماشية
والشافعي رضي الله تعالى عنه يعتبرها فاذا كان الرجلان خليطين في ماشية بينهما غير مقسومة او لكل واحد منهما ماشية على حدة

الا ان مراحها ومسقاها وموضع حلبها والراعي والكلب واحد والفحولة مختلطة فهما يزكيان زكاة الواحد فان كانت
لهما اربعون شاة فعليهما شاة وان كانوا ثلثة ولهم مائة وعشرون لكل واحد اربعون فعليهم واحدة كما لو كانت لواحد وعند
ابي حنيفة رضي الله تعالى عنه لا تعتبر الخلطة والخليط والمنفرد عنده واحد ففي اربعين بين خليطين لا شيء عنده وفي مائة وعشرين
بين ثلثة ثلاث شياه فان قلت فهذه الخلطة ما تقول فيها قلت عليهما شاة واحدة فيجب على ذي النعجة
اداء جزء من مائة جزء من الشاة عند الشافعي وعند ابي حنيفة لا شيء عليه فان قلت ماذا اريد بذكر الخلطاء في
ذلك المقام قلت قصد به الموعظة الحسنة والترغيب في ايثار عادة الخلطاء الصلحاء الذين حكم لهم بالقلة
وان يكره اليهم الظلم والاعتداء الذي عليه اكثرهم مع التاسف على حالهم وان يسلي المظلوم عما جرى عليه من خليطه
وان له في اكثر الخلطاء اسوة وقرئ ليبغي بفتح الياء على تقدير النون الخفيفة وحذفها كقوله اضرب عنك الهموم طارقها
وهو جواب قسم محذوف وليبغ بحذف الياء اكتفاء منها بالكسرة وما في وقليل ما هم للابهام وفيه تعجب من قلتهم
وان اردت ان تتحقق فائدتها وموقعها فاطرحها من قول امرئ القيس وحديث ما على قصره وانظر هل بقي له معنى قط لما كان
الظن الغالب يداني العلم استعير له ومعناه وعلم داود وايقن انما فتناه انما ابتليناه بامراة اوريا هل يثبت ام يزل
وقرئ فتناه بالتشديد للمبالغة وافتناه من قوله لئن افتنتني لهي بالامس افتنت وفتناه وفتناه على
ضمير الملكين وعبر بالراكع عن الساجد لانه ينحني ويخضع كالساجد وبه استشهد ابو حنيفة واصحابه رحمهم الله تعالى في سجدة
التلاوة على ان الركوع يقوم مقام السجود وعن الحسن رحمه الله تعالى لانه لا يكون ساجدا حتى يركع ويجوز ان يكون قد استغفر الله
لذنبه واحرم بركعتي الاستغفار والانابة فيكون المعنى وخر للسجود راكعا اي مصليا لان الركوع يجعل عبارة عن الصلوة واناب
ورجع الى الله تعالى بالتوبة والتنصل وروي انه بقي ساجدا اربعين يوما وليلة لا يرفع راسه الا لصلوة مكتوبة او ما لا بد
منه ولا يرقأ دمعه حتى نبت العشب من دمعه الى راسه ولم يشرب ماء الا وثلثاه دمع وجهد نفسه راغبا الى الله تعالى
في العفو عنه حتى كاد يهلك واشتغل بذلك عن الملك حتى وثب ابن له يقال له ايشا على ملكه ودعا الى نفسه واجتمع اليه
اهل الزيغ من بني اسرائيل فلما غفر له حاربه فهزمه وروي انه نقش خطيئته في كفه حتى لا ينساها وقيل ان الخصمين
كانا من الانس وكانت الخصومة بينهما على الحقيقة كانا خليطين في الغنم وانما كان احدهما موسرا وله نسوان كثيرة من
المهاير والسراري والثاني معسرا ما له الا امراة واحدة فاستنزله عنها وانما فزع لدخولهما عليه في غير وقت الخصومة ان يكونا
مغتالين وما كان ذنب داود عليه السلام الا انه صدق احدهما على الاخر وظلمه قبل مسئلته **يا داود انا
جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك
عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم
الحساب** خليفة في الارض اي استخلفناك على الملك في الارض كمن يستخلفه بعض السلاطين على بعض
البلاد ويملكه عليها ومنه قولهم خلفاء الله في ارضه او جعلناك خليفة ممن كان قبلك من الانبياء القائمين بالحق
وفيه دليل على ان حاله بعد التوبة بقيت على ما كانت عليه لم تتغير فاحكم بين الناس بالحق اي بحكم الله اذ كنت خليفته ولا
تتبع هوى النفس في قضائك وغيره مما تتصرف فيه من اسباب الدين والدنيا فيضلك الهوى فيكون سببا لضلالك
عن سبيل الله عن دلائله التي نصبها في العقول وعن شرائعه التي شرعها واوحى بها ويوم الحساب متعلق بنسوا اي
بنسيانهم يوم الحساب او بقوله لهم اي لهم عذاب يوم القيمة بسبب نسيانهم وهو ضلالهم عن سبيل الله وعن بعض
خلفاء بني مروان انه قال لعمر بن عبد العزيز او للزهري هل سمعت ما بلغنا قال وما هو قال بلغنا ان الخليفة لا يجري عليه
القلم ولا يكتب عليه معصية فقال يا امير المؤمنين الخلفاء افضل ام الانبياء ثم تلا هذه الاية **وما خلقنا
السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار**
باطلا خلقا باطلا لا لغرض صحيح وحكمة بالغة او مبطلين عابثين كقوله تعالى وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين
ما خلقناهما الا بالحق وتقديره ذوي باطل او عبثا فوضع باطلا موضعه كما وضعوا هنيئا موضع المصدر وهو صفة اي ما خلقناهما
وما بينهما للعبث واللعب ولكن للحق المبين وهو انا خلقنا نفوسا اودعناها العقل والتمييز ومنحناها التمكين وازحنا
عللها ثم عرضناها للمنافع العظيمة بالتكليف واعددنا لها عاقبة وجزاء على حسب اعمالهم وذلك اشارة الى خلقها باطلا

والظن

والظن بمعنى المظنون اي خلقها للعبث لا للحكمة هو مظنون الذين كفروا فان قلت اذا كانوا مقرين بان الله
خالق السموات والارض وما بينهما بدليل قوله تعالى ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله فبم جعلوا انهم ظانين
انه خلقها للعبث لا للحكمة قلت لما كان انكارهم للبعث والحساب والثواب والعقاب مؤديا الى ان خلقها عبث
وباطل جعلوا كانهم يظنون ذلك ويقولونه لان الجزاء هو الذي سيقت اليه الحكمة في خلق العالم من راسها فمن جحده فقد
جحد الحكمة من اصلها ومن جحد الحكمة في خلق العالم فقد سفه الخالق وظهر بذلك انه لا يعرفه ولا يقدره حق قدره فكان اقراره
بكونه خالقا كلا اقرار **ام نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض
ام نجعل المتقين كالفجار** ام منقطعة ومعنى الاستفهام فيها الانكار والمراد انه لو بطل الجزاء كما
يقول الكافرون لاستوت عند الله تعالى احوال من اصلح وافسد واتقى وفجر ومن سوى بينهم كان سفيها ولم يكن حكيما
كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر اولوا الالباب وقرئ مباركا
وليتدبروا على الاصل ولتدبروا على الخطاب وتدبر الايات التفكر فيها والتامل الذي يؤدي الى معرفة ما يدبر ظاهرها
من التاويلات الصحيحة والمعاني الحسنة لان من اقتنع بظاهر المتلو لم يحل منه بكثير طائل وكان مثله كمثل من له لقحة درور
لا يحلبها ومهرة نثور لا يستولدها وعن الحسن رحمه الله تعالى قد قرأ هذا القرآن عبيد وصبيان لا علم لهم بتاويله
حفظوا حروفه وضيعوا حدوده حتى ان احدهم ليقول والله لقد قرات القرآن فما اسقطت منه حرفا وقد والله
اسقطه كله ما يرى للقرآن عليه اثر في خلق ولا عمل والله ما هو بحفظ حروفه وتضييع حدوده والله ما هؤلاء بالحكماء ولا
الوزعة لا كثر الله في الناس مثل هؤلاء اللهم اجعلنا من العلماء المتدبرين واعذنا من القراء المتكبرين
ووهبنا لداود سليمان نعم العبد انه اواب وقرئ نعم العبد على الاصل والمخصوص بالمدح
محذوف وعلل كونه ممدوحا بكونه اوابا رجاعا اليه بالتوبة او مسبحا مؤوبا بالتسبيح مرجعا له لان كل مؤوب اواب
اذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد والصافن الذي في قوله الف الصفون فما
يزال كانه مما يقوم على الثلاث كسيرا وقيل الذي يقوم على طرف سنبك يد او رجل وهو المتخيم واما الصافن فالذي
يجمع بين يديه وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من سره ان يقوم الناس له صفونا فليتبوأ مقعده من النار
اي واقفين كما خدم الجبابرة فان قلت ما معنى وصفها بالصفون قلت الصفون لا يكاد يكون
في الهجن وانما هو في العراب الخلص وقيل وصفها بالصفون والجودة ليجمع لها بين الوصفين المحمودين واقفة وجارية
يعني اذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة في مواقفها واذا جرت كانت سراعا خفافا في جريها وروي ان سليمان
عليه السلام غزا اهل دمشق ونصيبين فاصاب الف فرس وقيل ورثها من ابيه واصابها ابوه من العمالقة
وقيل خرجت من البحر لها اجنحة فقعد يوما بعدما صلى الاولى على كرسيه واستعرضها فلم تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس
وغفل عن العصر او عن ورد له من الذكر وقت العشي وتهيبوه فلم يعلموه فاغتم لما فاته فاستردها وعقرها مقربا لله تعالى
وبقي مائة فما في ايدي الناس من الجياد فمن نسلها وقيل لما عقرها ابدله الله تعالى خيرا منها وهي الريح تجري بامره
فقال اني احببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب فان قلت
ما معنى احببت حب الخير عن ذكر ربي قلت احببت مضمن معنى فعل يتعدى بعن كانه قيل انبت حب الخير عن ذكر
ربي او جعلت حب الخير مجزيا او مغنيا عن ذكر ربي وذكر ابو الفتح الهمداني في كتاب التبيان ان احببت بمعنى لزمت
من قوله مثل بعير السوء اذ احبا وليس بذاك والخير المال كقوله تعالى ان ترك خيرا وقوله تعالى انه لحب الخير
لشديد والمال الخيل التي شغلته او سمى الخيل خيرا كانها نفس الخير لتعلق الخير بها قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
الخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيمة وقال في زيد الخيل حين وفد عليه واسلم ما وصف لي رجل فرايته الا
كان دون ما بلغني الا زيد الخيل وسماه زيد الخير وسال رجل بلالا عن قوم يستبقون من السابق فقال رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له الرجل اردت الخيل فقال وانا اردت الخير والتواري بالحجاب مجاز في غروب الشمس عن
تواري الملك او المخباة بحجابها والذي دل على ان الضمير للشمس مرور ذكر العشي ولا بد للمضمر من جري ذكر او دليل
ذكر وقيل الضمير للصافنات اي حتى توارت بحجاب الليل يعني الظلام ومن بدع التفاسير ان الحجاب جبل دون قاف

بيسيرة سنة تغرب الشمس من ورائه ● رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ
فطفق مسحا اي يمسح السيف بسوقها واعناقها يعني يقطعها تقول مسح علاوته اذا ضرب عنقه ومسح المسفر
الكتاب اذا قطع اطرافه بسيفه ● وعن الحسن كسف عراقيبها وضرب اعناقها اراد بالكسف القطع ومنه الكسف
في القاب الزحاف في العروض ومن قاله بالشين المعجمة فمصحف وقيل مسحها بيده استحسانا لها واعجابا بها
فان قلت بم اتصل قوله تعالى ردوها علي قلت بمحذوف تقديره قال ردوها فاضمر واضمر ما هو جواب
له كان قائلا قال فماذا قال سليمان لانه موضع مقتض للسؤال اقتضاء ظاهرا وهو اشتغال نبي من انبياء الله تعالى
بامر الدنيا حتى تفوته الصلوة عن وقتها وقرئ بالسؤوق بهمز الواو لضمتها كما في ادؤر ونظيره الغؤور في مصدر غارت
الشمس واما من قرأ بالسؤق فقد جعل الضمة في السين كانها في الواو للتلاصق كما قيل مؤسى ونظير ساق وسوق
اسد واسد وقرئ بالساق اكتفاء بالواحد عن الجمع لامن الالباس ● وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى
كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ● قيل فتن سليمان عليه السلام بعد ما ملك عشرين سنة وملك بعد الفتنة عشرين سنة
وكان من فتنته انه ولد له ابن فقالت الشياطين ان عاش لم ننفك من السخرة فسبيلنا ان نقتله او نخبله فعلم ذلك
فكان يغذوه في السحاب فما راعه الا ان القي على كرسيه ميتا فتنبه على خطائه في ان لم يتوكل على ربه فاستغفر ربه
وتاب اليه ● وروي عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال سليمان لاطوفن الليلة على سبعين امراة كل واحدة تاتي
بفارس يجاهد في سبيل الله تعالى ولم يقل ان شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل الا امراة واحدة جاءت بشق رجل فذلك
قوله تعالى ولقد فتنا سليمان وهذا ونحوه مما لا باس به ● واما ما يروى من حديث الخاتم والشيطان وعبادة الوثن في
بيت سليمان فالله تعالى اعلم بصحته ● حكوا ان سليمان عليه السلام بلغه خبر صيدون وهي مدينة في بعض الجزائر وان بها
ملكا عظيم الشان لا يقوى عليه لتحصنه بالبحر فخرج اليه تحمله الريح حتى اناخ بها بجنوده من الجن والانس فقتل ملكها واصاب
بنتا له اسمها جرادة من احسن الناس وجها فاصطفاها لنفسه واسلمت واحبها وكان لا يرقا دمعها حزنا على ابيها فامر
الشياطين فمثلوا لها صورة ابيها فكستها مثل كسوته وكانت تغدو اليها وتروح مع ولائدها يسجدن له كعادتهن في
ملكه فاخبر اصف سليمان بذلك فكسر الصنم وعاقب المراة ثم خرج وحده الى فلاة وفرش له الرماد فجلس عليه تائبا الى الله
متضرعا وكانت له ام ولد يقال لها امينة اذا دخل للطهارة او لاصابة امراة وضع خاتمه عندها وكان ملكه في خاتمه
فوضعه عندها يوما واتاها الشيطان صاحب البحر وهو الذي دل سليمان على الماس حين امر ببناء بيت المقدس واسمه
صخر على صورة سليمان فقال يا امينة خاتمي فتختم به وجلس على كرسي سليمان وعكفت عليه الطير والجن والانس وغير سليمان
عن هيئته فاتى امينة لطلب الخاتم فانكرته وطردته فعرف ان الخطيئة قد ادركته فكان يدور على البيوت يتكفف واذا
قال انا سليمان حثوا عليه التراب ثم عمد الى السماكين ينقل لهم السمك فيعطونه كل يوم سمكتين فمكث على ذلك اربعين
صباحا عدد ما عبد الوثن في بيته فانكر اصف وعظماء بني اسرائيل حكم الشيطان وسال اصف نساء سليمان فقلن ما يدع
امراة منا في دمها ولا يغتسل من جنابة وقيل بل نفذ حكمه في كل شيء الا فيهن ثم طار الشيطان وقذف الخاتم في
البحر فابتلعته سمكة ووقعت السمكة في يد سليمان عليه السلام فبقر بطنها فاذا هو بالخاتم فتختم به ووقع ساجدا ورجع
اليه ملكه وجاب صخرة لصخر فجعله فيها وسد عليها باخرى ثم اوثقها بالحديد والرصاص وقذفه في البحر ● وقيل لما افتتن
كان يسقط الخاتم من يده ولا يتماسك فيها فقال له اصف انك لمفتون بذنبك والخاتم لا يقر في يدك فتب الى الله
عز وجل ● ولقد ابى العلماء المتقنون قبوله وقالوا هذا من اباطيل اليهود والشياطين لا يتمكنون من فعل هذه الافاعيل
وتسليط الله تعالى اياهم على عباده حتى يقعوا في تغيير الاحكام وعلى نساء الانبياء حتى يفجروا قبيح واما اتخاذ التماثيل
فيجوز ان تختلف فيه الشرائع الا ترى الى قوله تعالى من محاريب وتماثيل واما السجود للصورة فلا يظن بنبي الله ان ياذن
فيه واذا كان بغير علمه فلا عليه وقوله تعالى والقينا على كرسيه جسدا ناب عن افادة معنى انابة الشياطين منابه
نبوا ظاهرا ● قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ
الْوَهَّابُ ● قدم الاستغفار على استيهاب الملك جريا على عادة الانبياء والصالحين في تقديمهم امر دينهم على
امور دنياهم لا ينبغي لا يتسهل ولا يكون ومعنى من بعدي من دوني فان قلت اما يشبه الحسد والحرص على

الاستبداد

الاستبداد بالنعمة ان يستعطي الله تعالى ما لا يعطيه غيره قلت كان سليمان عليه السلام ناشئا في بيت الملك والنبوة
ووارثا لهما فاراد ان يطلب من ربه معجزة فطلب على حسب الفه ملكا زائدا على الممالك زيادة خارقة للعادة بالغة
حد الاعجاز ليكون ذلك دليلا على نبوته قاهرا للمبعوث اليهم ولن تكون معجزة حتى تخرق العادات فذلك معنى قوله تعالى
لا ينبغي لاحد من بعدي وقيل كان ملكا عظيما فخاف ان يعطى مثله احد فلا يحافظ على حدود الله تعالى فيه كما قالت الملائكة
اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك وقيل ملكا لا اسلبه ولا يقوم غيري فيه مقامي كما سلبته مرة
واقيم فيه مقامي غيري ويجوز ان يقال علم الله تعالى فيما اختصه به من ذلك الملك العظيم مصالح في الدين وعلم انه لا يضطلع
باعبائه غيره واوجبت الحكمة استيهابه فامره ان يستوهبه اياه فاستوهبه بامر من الله تعالى على الصفة التي علم الله
انه لا يضبطه عليها الا هو وحده دون سائر عباده او اراد ان يقول ملكا عظيما فقال لا ينبغي لاحد من بعدي ولم يقصد
بذلك الا عظم الملك وسعته كما تقول لفلان ما ليس لاحد من الفضل والمال وربما كان للناس امثال ذلك ولكنك تريد
تعظيم ما عنده ● وعن الحجاج انه قيل له انك حسود فقال احسد مني من قال وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي وهذا من
جراته على الله تعالى وشيطنته كما حكي عنه طاعتنا اوجب من طاعة الله تعالى لانه شرط في طاعته فقال فاتقوا الله ما استطعتم
واطلق طاعتنا فقال واولي الامر منكم ● فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ
رخاء لينة طيبة لا تزعزع وقيل طيعة له لا تمتنع عليه حيث اصاب حيث قصد واراد حكى الاصمعي
عن العرب اصاب الصواب فاخطأ الجواب ● وعن رؤبة ان رجلين من اهل اللغة قصداه ليسألاه عن هذه الكلمة فخرج اليهما
فقال اين تصيبان فقالا هذه طلبتنا ورجعا ويقال اصاب الله بك خيرا ● وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ وَغَوَّاصٍ وَآخَرِينَ
مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ● هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ● والشياطين عطف
على الريح وكل بناء بدل من الشياطين وآخرين عطف على كل داخل في حكم البدل وهو بدل الكل من الكل كانوا يبنون له
ما شاء من الابنية ويغوصون له فيستخرجون اللؤلؤ وهو اول من استخرج الدر من البحر وكان يقرن مردة الشياطين بعضهم
مع بعض في القيود والسلاسل للتاديب والكف عن الفساد ● وعن السدي كان يجمع ايديهم الى اعناقهم مغللين في الجوامع
والصفد القيد وسمي به العطاء لانه ارتباط للمنعم عليه ومنه قول امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه من برك فقد
اسرك ومن جفاك فقد اطلقك ومنه قول القائل غل يدا مطلقها وارق رقبة معتقها وقال حبيب ان العطاء
اسار ● وتبعه من قال ● ومن وجد الاحسان قيدا تقيدا ● وفرقوا بين الفعلين فقالوا اصفده قيده واصفده
اعطاه كوعده واوعده اي هذا الذي اعطيناك من الملك والمال والبسطة عطاؤنا بغير حساب يعني جما كثيرا لا يقدر على
حسبه وضبطه فامنن من المنة وهي العطاء اي فاعط منه ما شئت او امسك مفوضا اليك التصرف فيه وفي قراءة
ابن مسعود هذا فامنن او امسك عطاؤنا بغير حساب او هذا التسخير عطاؤنا فامنن على من شئت من الشياطين
بالاطلاق وامسك من شئت منهم في الوثاق بغير حساب اي لا حساب عليك في ذلك ● وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ
إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ● ايوب عطف بيان واذ بدل اشتمال منه
اني مسني باني مسني حكاية لكلامه الذي ناداه بسببه ولو لم يحك لقال بانه مسه لانه غائب وقرئ بنصب بضم النون
وفتحها مع سكون الصاد وبفتحهما وضمهما فالنُصْب والنَصْب كالرُشْد والرَشَد والنَصَب على اصل المصدر والنُصُب
بتثقيل نُصْب والمعنى واحد وهو التعب والمشقة والعذاب الالم يريد مرضه وما كان يقاسي فيه من انواع الوصب وقيل
الضر في البدن والعذاب في ذهاب الاهل والمال فان قلت لم نسبه الى الشيطان ولا يجوز ان يسلطه الله تعالى
على انبيائه ليقضي من اتعابهم وتعذيبهم وطره ولو قدر على ذلك لم يدع صالحا الا وقد نكبه واهلكه وقد تكرر في القرآن
انه لا سلطان له الا الوسوسة فحسب قلت لما كانت وسوسته اليه وطاعته له فيما وسوس سببا فيما مسه الله تعالى به
من النصب والعذاب نسبه اليه وقد راعى الادب في ذلك حيث لم ينسبه الى الله تعالى في دعائه مع انه فاعله ولا يقدر عليه الا هو
وقيل اراد ما كان يوسوس به اليه في مرضه من تعظيم ما نزل به من البلاء ويغريه على الكراهة والجزع فالتجأ الى الله تعالى في ان يكفيه ذلك
بكشف البلاء او بالتوفيق في دفعه ورده بالصبر الجميل ● وروي انه كان يعوده ثلاثة من المؤمنين فارتد احدهم فسأل عنه فقيل
القى الشيطان اليه ان الله تعالى لا يبتلي الانبياء والصالحين ● وذكر في سبب بلائه ان رجلا استغاثه على ظالم فلم يغثه

بناء

وقيل كانت مواشيه في ناحية ملك كافر فداهنه وقيل اعجب بكثرة ماله **اركض برجلك هذا مغتسل**
بارد وشراب اركض برجلك حكاية ما اجيب به ايوب اي اضرب برجلك الارض وعن قتادة هي ارض الجابية
فضربها فنبعت عين فقيل هذا مغتسل بارد وشراب اي هذا ماء تغتسل به وتشرب منه فيبرأ باطنك وظاهرك وتنقلب ما بك
عليه وقيل نبعت له عينان فاغتسل من احديهما وشرب من الاخرى فذهب الداء من ظاهره وباطنه باذن الله تعالى
وقيل ضرب برجله اليمنى فنبعت عين حارة فاغتسل منها ثم باليسرى فنبعت باردة فشرب منها **ووهبنا له**
اهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لاولي الالباب رحمة منا وذكرى مفعول لهما والمعنى
ان الهبة كانت للرحمة له ولتذكير اولي الالباب لانهم اذا سمعوا بما انعمنا عليه لصبره رغبهم في الصبر على البلاء وعاقبة
الصابرين وما يفعل بهم **وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث انا وجدناه صابرا**
نعم العبد انه اواب وخذ معطوف على اركض والضغث الحزمة الصغيرة من حشيش او ريحان او غير ذلك
وعن ابن عباس رضي الله عنهما قبضة من الشجر كان حلف في مرضه ليضربن امراته مائة اذا برأ فحلل الله تعالى يمينه باهون
شيء عليه وعليها لحسن خدمتها اياه ورضاه عنها وهذه الرخصة باقية وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه اتي بمخدج قد
خبث بامة فقال خذوا عثكالا فيه مائة شمراخ فاضربوه بها ضربة ويجب ان يصيب المضروب كل واحد من المائة
اما اطرافها قايمة واما اعراضها مبسوطة مع وجود صورة الضرب وكان السبب في يمينه انها ابطأت عليه ذاهبة
في حاجة فحرج صدره وقيل باعت ذوابتيها برغيفين وكانتا متعلق ايوب اذا قام وقيل قال لها الشيطان اسجدي
سجدة واردّ عليكم مالكم واولادكم فهمت بذلك فادركتها العصمة فذكرت ذلك له فحلف وقيل اوهمها الشيطان ان ايوب
اذا شرب الخمر برأ فعرضت له بذلك وقيل سألته ان يقرّب للشيطان بعناق وجدناه صابرا علمناه صابرا
فان قلت كيف وجده صابرا وقد شكا ما به اليه واسترحمه **قلت** الشكوى الى الله عز وجل لا تسمى جزعا ولقد قال
يعقوب عليه السلام انما اشكو بثي وحزني الى الله وكذلك شكوى العليل الى الطبيب وذلك ان اصبر الناس على البلاء لا يخلو
من تمني العافية وطلبها فاذا صح ان يسمى صابرا مع تمني العافية وطلب الشفاء فليسم صابرا مع اللجا الى الله عز وجل والدعاء
بكشف ما به ومع التعالج ومشاورة الاطباء على ان ايوب عليه السلام كان يطلب الشفاء خيفة على قومه من الفتنة حيث كان
الشيطان يوسوس اليهم كما كان يوسوس اليه انه لو كان نبيا لما ابتلي بمثل ما ابتلي به وارادة القوة على الطاعة فقد بلغ امره
الى ان لم يبق منه الا القلب واللسان ويروى انه قال في مناجاته الهي قد علمت انه لم يخالف لساني قلبي ولم يتبع قلبي
بصري ولم يهبني ما ملكت يميني ولم آكل الا ومعي يتيم ولم ابت شبعان ولا كاسيا ومعي جائع او عريان فكشف الله تعالى عنه
واذكر عبادنا ابراهيم واسحاق ويعقوب اولي الايدي والابصار ابراهيم واسحق ويعقوب
عطف بيان لعبادنا ومن قرأ عبدنا جعل ابراهيم وحده عطف بيان له ثم عطف ذريته على عبدنا وهي اسحق ويعقوب
كقراءة ابن عباس رضي الله تعالى عنهما واله ابيك ابراهيم واسمعيل واسحق لما كانت اكثر الاعمال تباشر بالايدي غلبت
فقيل في كل عمل هذا مما عملت ايديهم وان كان عملا لا يتأتى فيه المباشرة بالايدي او كان العمال جذما لا ايدي لهم وعلى ذلك
ورد قوله عز وجل اولي الايدي والابصار يريد اولي الاعمال والفكر كان الذين لا يعملون اعمال الآخرة ولا يجاهدون في الله
ولا يفكرون افكار ذوي الديانات ولا يستبصرون في حكم الزمنى الذين لا يقدرون على اعمال جوارحهم والمسلوبي العقول
الذين لا استبصار لهم وفيه تعريض بكل من لم يكن من عمال الله تعالى ولا من المستبصرين في دين الله تعالى وتوبيخ على تركهم
المجاهدة والتأمل مع كونهم متمكنين منهما وقرئ اولي الايادي على جمع الجمع وفي قراءة ابن مسعود رضي الله تعالى عنه اولي الايد على
طرح الياء والاكتفاء بالكسرة وتفسيره بالايد من التأييد قلق غير متمكن **انا اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار**
اخلصناهم جعلناهم لنا خالصين بخصلة خالصة لا شوب فيها ثم فسرها بذكرى الدار شهادة لذكرى الدار بالخلوص والصفاء
وانتفاء الكدورة عنها وقرئ على الاضافة والمعنى بما خلص من ذكرى الدار على انهم لا يشوبون ذكرى الدار بهم آخر
انما همهم ذكرى الدار لا غير ومعنى ذكرى الدار ذكراهم الآخرة دائبا ونسيانهم اليها ذكرى الدنيا او تذكيرهم بالآخرة
وترغيبهم فيها وتزهيدهم في الدنيا كما هو شأن الانبياء وديدنهم وقيل ذكرى الدار الثناء الجميل في الدنيا ولسان
الصدق الذي ليس لغيرهم **فان قلت** ما معنى اخلصناهم بخالصة **قلت** معناه اخلصناهم بسبب

هذه الخصلة وبانهم من اهلها او اخلصناهم بتوفيقهم لها واللطف بهم في اختيارهم وتعضد الاول قراءة من قرأ بخالصتهم
وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار المصطفين المختارين من بين ابناء جنسهم والاخيار جمع
خير او خير على التخفيف كالاموات في جمع ميت او ميت **واذكر اسمعيل واليسع وذا الكفل وكل من**
الاخيار واليسع كان حرف التعريف دخل على يسع والليسع كان حرف التعريف دخل على ليسع فيعل من اللسع
والتنوين في وكل عوض من المضاف اليه معناه وكلهم من الاخيار **هذا ذكر وان للمتقين لحسن مآب**
هذا ذكر اي هذا نوع من الذكر وهو القرآن لما اجرى ذكر الانبياء واتمه وهو باب من ابواب التنزيل ونوع من انواعه
واراد ان يذكر على عقبه بابا آخر وهو ذكر الجنة واهلها قال هذا ذكر ثم قال وان للمتقين كما يقول الجاحظ في كتابه فهذا
باب ثم يشرع في باب آخر ويقول الكاتب اذا فرغ من فصل من كتابه واراد الشروع في آخر هذا وقد كان كيت وكيت والدليل عليه
انه لما اتم ذكر اهل الجنة واراد ان يعقبه بذكر اهل النار قال هذا وان للطاغين وقيل معناه هذا شرف وذكر جميل
يذكرون به ابدا وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هذا ذكر من مضى من الانبياء **جنات عدن مفتحة**
لهم الابواب جنات عدن معرفة لقوله تعالى جنات عدن التي وعد الرحمن وانتصابها على انها عطف
بيان لحسن مآب ومفتحة حال والعامل فيها ما في للمتقين من معنى الفعل وفي مفتحة ضمير الجنات والابواب بدل من
الضمير تقديره مفتحة هي الابواب كقولك ضرب زيد اليد والرجل وهو من بدل الاشتمال وقرئ جنات عدن مفتحة
بالرفع على ان جنات عدن مبتدأ ومفتحة خبره او كلاهما خبر مبتدأ محذوف اي هو جنات عدن هي مفتحة لهم
متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب وعندهم قاصرات الطرف اتراب
كان اللدات سميت اترابا لان التراب مسهن في وقت واحد وانما جعلن على سن واحدة لان التحاب بين الاقران
اثبت وقيل هن اتراب لازواجهن اسنانهن كاسنانهم **هذا ما توعدون ليوم الحساب**
ان هذا لرزقنا ما له من نفاد هذا وان للطاغين لشر مآب جهنم يصلونها
فبئس المهاد وقرئ يوعدون وتوعدون بالتاء والياء ليوم الحساب اي ليوم تجزى كل نفس ما عملت هذا اي
الامر هذا او هذا كما ذكر فبئس المهاد كقوله تعالى لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش شبه ما تحتهم من النار بالمهاد
الذي يفترشه النائم **هذا فليذوقوه حميم وغساق وآخر من شكله ازواج**
اي هذا حميم فليذوقوه ثم ابتدأ فقال هو حميم وغساق او هذا فليذوقوه بمنزلة واياي فارهبون اي ليذوقوا هذا
فليذوقوه والغساق بالتخفيف والتشديد ما يغسق من صديد اهل النار يقال غسقت العين اذا سال دمعها وقيل
الحميم يحرق بحره والغساق يحرق ببرده وقيل لو قطرت منه قطرة في المشرق لنتنت اهل المغرب ولو قطرت منه قطرة في
المغرب لنتنت اهل المشرق وعن الحسن الغساق عذاب لا يعلمه الا الله ان الناس اخفوا لله تعالى طاعة فاخفى لهم
ثوابا في قوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم واخفوا معصية فاخفى لهم عقوبة وآخر ومذوقات اخر من شكل هذا المذوق
من مثله في الشدة والفظاعة ازواج اجناس وقرئ وأخر اي وعذاب آخر او ومذوق آخر وازواج صفة لآخر لانه
يجوز ان يكون ضروبا او صفة للثلاثة وهي حميم وغساق وآخر من شكله وقرئ من شكله بالكسر وهي لغة واما الغنج فبالكسر
لا غير **هذا فوج مقتحم معكم لا مرحبا بهم انهم صالوا النار** هذا فوج مقتحم معكم هذا جمع
كثيف قد اقتحم معكم النار اي دخل النار في صحبتكم وقرانكم والاقتحام ركوب الشدة والدخول فيها والقحمة الشدة
وهذه حكاية كلام الطاغين بعضهم مع بعض اي يقولون هذا والمراد بالفوج اتباعهم الذين اقتحموا معهم الضلالة فيقتحمون
معهم العذاب لا مرحبا بهم دعاء منهم على اتباعهم تقول لمن تدعو له مرحبا اي اتيت رحبا من البلاد لا ضيقا او رحبت
بلادك رحبا ثم تدخل عليه لا في دعاء السوء وبهم بيان للمدعو عليهم انهم صالوا النار تعليل لاستيجابهم الدعاء عليهم
ونحوه قوله عز وجل كلما دخلت امة لعنت اختها وقيل هذا فوج مقتحم معكم كلام الملائكة الخزنة لرؤساء الكفرة
في اتباعهم ولا مرحبا بهم انهم صالوا النار كلام الرؤساء وقيل هذا كله كلام الخزنة **قالوا بل انتم لا مرحبا**
بكم انتم قدمتموه لنا فبئس القرار قالوا اي الاتباع بل انتم لا مرحبا بكم يريدون الدعاء الذي دعوتم
به علينا انتم احق به وعللوا ذلك بقولهم انتم قدمتموه لنا والضمير للعذاب او لصليهم **فان قلت** ما معنى

تقديمهم العذاب لهم **قلت** المقدم هو عمل السوء قال الله تعالى ذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت ايديكم
ولكن الرؤساء لما كانوا السبب فيه باغوائهم وكان العذاب جزاءهم عليه قيل انتم قدمتموه لنا فجعل الرؤساء هم المقدمين وجعل
الجزاء هو المقدم فجمع بين مجازين لان العاملين هم المقدمون في الحقيقة لا رؤساؤهم والعمل هو المقدم لا جزاؤه
فان قلت فالذي جعل قوله لا مرحبا بهم من كلام الخزنة ما يصنع بقوله بل انتم لا مرحبا بكم والمخاطبون اعني رؤساءهم لم يتكلموا
بما يكون هذا جوابا له **قلت** كانه قيل هذا الذي دعا علينا به الخزنة انتم يا رؤساء احق به منا لاغوائكم ايانا وتسببكم فيما
نحن فيه من العذاب وهذا صحيح كما لو زين قوم لقوم بعض المساوي فارتكبوه فقيل للمزينين اخزى الله هؤلاء ما اسوأ
فعلهم فقال المزين لهم للمزينين بل انتم اولى بالخزي منا فلولا انتم لم نرتكب ذلك • **قالوا ربنا من قدم لنا
هذا فزده عذابا ضعفا في النار** • هم الاتباع ايضا فزده عذابا ضعفا اي مضاعفا ومعناه
ذا ضعف ونحوه قوله عز وجل ربنا هؤلاء اضلونا فآتهم عذابا ضعفا وهو ان يزيد على عذابه مثله فيصير ضعفين كقوله تعالى
ربنا آتهم ضعفين من العذاب وجاء في التفسير عذابا ضعفا حيات وافاعي • **وقالوا ما لنا لا نرى رجالا
كنا نعدهم من الاشرار** • وقالوا الضمير للطاغين رجالا يعنون فقراء المسلمين الذين لا يؤبه لهم من الاشرار
من الاراذل الذين لا خير فيهم ولا جدوى ولانهم كانوا على خلاف دينهم فكانوا عندهم اشرارا • **اتخذناهم
سخريا ام زاغت عنهم الابصار** • قرئ بلفظ الاخبار على انه صفة لرجالا مثل قوله كنا نعدهم
من الاشرار وبهمزة الاستفهام على انه انكار على انفسهم وتانيب لها في الاستسخار منهم وقوله تعالى ام زاغت عنهم الابصار
له وجهان من الاتصال احدهما ان يتصل بقوله ما لنا اي ما لنا لا نراهم في النار كانهم ليسوا فيها بل ازاغت عنهم ابصارنا فلا نراهم
وهم فيها قسموا امرهم بين ان يكونوا من اهل الجنة وبين ان يكونوا من اهل النار الا انه خفي عليهم مكانهم والوجه الثاني ان
يتصل باتخذناهم سخريا اما ان يكون ام متصلة على معنى اي الفعلين فعلنا بهم الاستسخار منهم ام ازدراؤهم وتحقيرهم
وان ابصارنا كانت تعلو عنهم وتقتحمهم على معنى انكار الامرين جميعا على انفسهم وعن الحسن كل ذلك قد فعلوا اتخذوهم
سخريا وزاغت عنهم ابصارهم محقرة لهم واما ان تكون منقطعة بعد مضي اتخذناهم سخريا على الخبر او الاستفهام كقولك انها لابل ام شاء
وازيد عندك ام عندك عمرو ولك ان تقدر همزة الاستفهام محذوفة فيمن قرأ بغير همزة لان ام تدل عليها فلا تفترق القراءتان
اثبات همزة الاستفهام وحذفها وقيل الضمير في وقالوا لصناديد قريش كابي جهل والوليد واضرابهما والرجال عمار وصهيب
وبلال واشباههم وقرئ سخريا بالضم والكسر • **ان ذلك لحق تخاصم اهل النار** • ان ذلك الذي
حكينا عنهم لحق لا بد ان يتكلموا به ثم بين ما هو فقال تخاصم اهل النار وقرئ بالنصب على انه صفة لذلك لان اسماء الاشارة توصف
باسماء الاجناس **فان قلت** لم سمى ذلك تخاصما **قلت** شبه تقاولهم وما يجري بينهم من السؤال والجواب بما
يجري بين المتخاصمين من نحو ذلك ولان قول الرؤساء لا مرحبا بهم وقول اتباعهم بل انتم لا مرحبا بكم من باب الخصومة
فسمي التقاول كله تخاصما لاجل اشتماله على ذلك • **قل انما انا منذر وما من اله الا الله الواحد
القهار • رب السموات والارض وما بينهما العزيز الغفار** • قل يا محمد لمشركي مكة ما انا الا رسول
منذر انذركم عذاب الله عز وجل للمشركين واقول لكم ان دين الحق توحيد الله وان تعتقدوا ان لا اله الا الله الواحد بلا ند
ولا شريك القهار لكل شيء وان الملك والربوبية له في العالم كله وهو العزيز الذي لا يغلب اذا عاقب العصاة وهو مع ذلك
الغفار لذنوب من التجأ اليه او قل لهم ما انا الا منذر لكم ما اعلم وانما انذركم عقوبة من هذه صفته فان مثله حقيق بان
يخاف عقابه كما هو حقيق بان يرجى ثوابه • **قل هو نبأ عظيم انتم عنه معرضون • ما كان لي من علم
بالملإ الاعلى اذ يختصمون • ان يوحى الي الا انما انا نذير مبين** • قل هو نبأ عظيم اي هذا الذي
انبأتكم به من كوني رسولا منذرا وان الله واحد لا شريك له نبأ عظيم لا يعرض عن مثله الا غافل شديد الغفلة ثم احتج لصحة نبوته
بان ما ينبئ به عن الملإ الاعلى واختصامهم امر ما كان له به من علم ثم علمه ولم يسلك الطريق الذي يسلكه الناس في علم
ما لم يعلموا وهو الاخذ من اهل العلم وقراءة الكتب فعلم ان ذلك لم يحصل له الا بالوحي من الله تعالى ان يوحى الي الا انما
انا نذير مبين اي لانما انا نذير ومعناه ما يوحى الي الا للانذار فحذف اللام فانتصب بافضاء الفعل اليه ويجوز ان يرتفع على
معنى ما يوحى الي الا هذا وهو ان انذر وابلغ ولا افرط في ذلك اي ما اومر الا بهذا الامر وحده وليس الي غير ذلك وقرئ انما

بالكسر

بالكسر على الحكاية اي الا هذا القول وهو ان اقول لكم انما انا نذير مبين ولا ادعي شيئا آخر وقيل النبأ العظيم قصص آدم
عليه السلام والانباء به من غير سماع من احد وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما القرآن وعن الحسن يوم القيامة
فان قلت بم يتعلق اذ يختصمون **قلت** بمحذوف لان المعنى ما كان لي من علم بكلام الملإ الاعلى وقت اختصامهم
اذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين • واذ قال بدل من اذ يختصمون **فان قلت**
ما المراد بالملإ الاعلى **قلت** اصحاب القصة الملائكة وآدم وابليس لانهم كانوا في السماء وكان التقاول بينهم
فان قلت ما كان التقاول بينهم انما كان بين الله تعالى وبينهم لان الله سبحانه وتعالى هو الذي قال لهم وقالوا
له فانت بين امرين اما ان تقول الملأ الاعلى هؤلاء وكان التقاول بينهم واما ان تقول التقاول كان بين الله وبينهم
فقد جعلته من الملإ الاعلى **قلت** كانت مقاولة الله سبحانه وتعالى بواسطة ملك فكان المقاول في الحقيقة هو الملك
المتوسط فصح ان التقاول كان بين الملائكة وآدم وابليس وهم الملأ الاعلى والمراد بالاختصام التقاول على ما سبق
فان قلت كيف صح ان يقول لهم اني خالق بشرا وما عرفوا ما البشر ولا عهدوا به قبل **قلت**
وجهه ان يكون قد قال لهم اني خالق خلقا من صفته كيت وكيت ولكنه حين حكاه اقتصر على الاسم • **فاذا سويته
ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين • فسجد الملائكة كلهم اجمعون • الا
ابليس استكبر وكان من الكافرين** • فاذا سويته فاذا اتممت خلقه وعدلته ونفخت فيه من روحي واحييته
وجعلته حساسا متنفسا فقعوا فخروا كل للاحاطة واجمعون للاجتماع فافادا معا انهم سجدوا عن آخرهم ما بقي منهم
ملك الا سجد وانهم سجدوا جميعا في وقت واحد غير متفرقين في اوقات **فان قلت** كيف ساغ السجود لغير الله
قلت الذي لا يسوغ هو السجود لغير الله عز وجل على وجه العبادة فاما على وجه التكرمة والتبجيل فلا يأباه العقل الا
ان يعلم الله تعالى فيه مفسدة فينهى عنه **فان قلت** كيف استثني ابليس من الملائكة وهو من الجن **قلت**
قد امر بالسجود معهم فغلبوا عليه في قوله فسجد الملائكة ثم استثني كما يستثنى الواحد منهم استثناء متصلا فكان من الكافرين اريد
كفره ذلك الوقت وان لم يكن قبله كافرا لان كان مطلق في جنس الاوقات الماضية فهو صالح لايها شئت ويجوز ان يراد
وكان من الكافرين في الازمنة الماضية في علم الله تعالى • **قال يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت
بيدي استكبرت ام كنت من العالين • قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين**
فان قلت ما وجه قوله تعالى خلقت بيدي **قلت** قد سبق لنا ان ذا اليدين يباشر اكثر اعماله بيديه فغلب
العمل باليدين على سائر الاعمال التي تباشر بغيرهما حتى قيل في عمل القلب هو مما عملت يداك وحتى قيل لمن لا يدين له يداك اوكتا
وفوك نفخ وحتى لم يبق فرق بين قولك هذا مما عملته وهذا مما عملته يداك ومنه قوله تعالى مما عملت ايدينا ولما خلقت بيدي
فان قلت فما معنى قوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي **قلت** الوجه الذي استنكر له ابليس
السجود لآدم عليه السلام واستنكف منه انه سجود لمخلوق فذهب بنفسه وتكبر ان يكون سجوده لغير الخالق وانضم الى ذلك ان
آدم عليه السلام مخلوق من طين وهو مخلوق من نار ورأى للنار فضلا على الطين فاستعظم ان يسجد لمخلوق مع فضله عليه في
المنصب وزل عنه ان الله سبحانه وتعالى حين امر به اعز عباده عليه واقربهم منه زلفى وهم الملائكة وهم احق بان يذهبوا بانفسهم
عن التواضع للبشر الضئيل ويستنكفوا من السجود له من غيرهم ثم لم يفعلوا وتبعوا امر الله تعالى وجعلوه قدام اعينهم ولم
يلتفتوا الى التفاوت بين الساجد والمسجود له تعظيما لامر ربهم واجلالا لخطابه كان هو مع انحطاطه عن مراتبهم حري بان
يقتدي بهم ويقتفي اثرهم ويعلم انهم في السجود لمن هو دونهم بامر الله تعالى اوغل في عبادته منهم في السجود له لما فيه
من طرح الكبرياء وخفض الجناح فقيل له ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي اي ما منعك من السجود لشيء هو كما تقول مخلوق
خلقته بيدي لا شك في كونه مخلوقا امتثالا لامري واعظاما لخطابي كما فعلت الملائكة فذكر له ما تركه من السجود
مع ذكر العلة التي تشبث بها في تركه وقيل له لم تركته مع وجود هذه العلة وقد امرك الله تعالى به يعني كان عليك
ان تعتبر امر الله تعالى ولا تعتبر هذه العلة ومثاله ان يأمر الملك وزيره ان يزور بعض سقاط الحشم فيمتنع اعتبارا
لسقوطه فيقول له ما منعك ان تتواضع لمن لا يخفى علي سقوطه يريد هلا اعتبرت امري وخطابي وتركت اعتبار سقوطه وفيه اني
خلقته بيدي وانا اعلم بحاله ومع ذلك امرت الملائكة بان يسجدوا له لداعي حكمة دعاني اليه من انعام عليه بالتكرمة السنية

وابتلاء للملائكة فمن انت حتى يصرفك عن السجود له ما لم يصرفني عن الامر بالسجود له وقيل معنى لما خلقت بيدي لما خلقت بغير
واسطة وقرئ بيدي كما قرئ بمصرخي وبيدي على التوحيد من العالين ممن علوت وفقت فاجاب بانه من العالين حيث قال
انا خير منه وقيل استكبرت الآن ام لم تزل مذ كنت من المستكبرين ومعنى الهمزة التقرير وقرئ استكبرت بحذف حرف الاستفهام
لان ام تدل عليه او بمعنى الاخبار هذا على سبيل الاولى اي لو كان مخلوقا من نار لما سجدت له لانه مخلوق مثلي فكيف اسجد لمن
هو دوني لانه من طين والنار تغلب الطين وتاكله وقد جرت الجملة الثانية من الاولى وهي خلقتني من نار مجرى المعطوف عليه
في البيان والايضاح ● قال فاخرج منها فانك رجيم ● وان عليك لعنتي الى يوم الدين
منها من الجنة وقيل من السموات وقيل من الخلقة التي انت فيها لانه كان يفتخر بخلقته فغير الله تعالى خلقته فاسود
بعد ما كان ابيض وقبح بعد ما كان حسنا واظلم بعد ما كان نورانيا والرجيم المرجوم ومعناه المطرود كما قيل له المدحور والملعون
لان من طرد رمي بالحجارة او لان الشياطين يرجمون بالشهب **فان قلت** قوله تعالى لعنتي الى يوم الدين
كان لعنة ابليس غايتها يوم الدين ثم تنقطع **قلت** كيف تنقطع وقد قال الله عز وجل فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله
على الظالمين ولكن المعنى ان عليه اللعنة في الدنيا فاذا كان يوم الدين اقترن له باللعنة ما ينسى عنده اللعنة فكانها انقطعت
قال رب فانظرني الى يوم يبعثون ● قال فانك من المنظرين ● الى يوم الوقت
المعلوم ● قال فبعزتك لاغوينهم اجمعين ● الا عبادك منهم المخلصين
فان قلت ما الوقت المعلوم الذي اضيف اليه اليوم **قلت** الوقت الذي يقع فيه النفخة الاولى
ويومه الذي وقت النفخة جزء من اجزائه ومعنى المعلوم انه معلوم عند الله تعالى معين لا يستقدم ولا يستأخر فبعزتك
اقسام بعزة الله تعالى وهي قهره وسلطانه ● قال فالحق والحق اقول لاملان جهنم منك وممن
تبعك منهم اجمعين ● وقرئ فالحق والحق منصوبين على ان الاول مقسم به كالله في قوله ان عليك الله
ان تبايعا وجوابه لاملان والحق اقول اعتراض بين المقسم به والمقسم عليه ومعناه ولا اقول الا الحق والمراد بالحق اما
اسمه عز وعلا الذي في قوله تعالى ان الله هو الحق المبين او الحق الذي هو نقيض الباطل عظمه الله تعالى باقسامه به ومرفوعين على
ان الاول مبتدأ محذوف الخبر كقوله تعالى لعمرك اي فالحق قسمي لاملان والحق اقول اي اقوله كقوله كله لم اصنع ومجرورين
على ان الاول مقسم به قد اضمر حرف قسمه كقولك الله لافعلن والحق اقول اي ولا اقول الا الحق على حكاية لفظ المقسم به
ومعناه التوكيد والتشديد وهذا الوجه جائز في المنصوب والمرفوع ايضا وهو وجه دقيق حسن وقرئ برفع الاول وجره مع
نصب الثاني وتخريجه على ما ذكرنا منك من جنسك وهم الشياطين وممن تبعك منهم من ذرية آدم **فان قلت**
اجمعين تاكيد لماذا **قلت** لا يخلو ان يؤكد به الضمير في منهم او الكاف في منك مع من تبعك ومعناه لاملان جهنم
من المتبوعين والتابعين اجمعين لا اترك منهم احدا او لاملانها من الشياطين وممن تبعهم من جميع الناس لا تفاوت
في ذلك بين ناس وناس بعد وجود الاتباع منهم من اولاد الانبياء وغيرهم ● قل ما اسألكم عليه من اجر وما
انا من المتكلفين ● ان هو الا ذكر للعالمين ● ولتعلمن نبأه بعد حين ● عليه من اجر الضمير
للقرآن او للوحي وما انا من المتكلفين الذين يتصنعون ويتحلون بما ليسوا من اهله وما عرفتموني قط متصنعا ولا مدعيا
ما ليس عندي حتى انتحل النبوة واتقول القرآن ان هو الا ذكر من الله تعالى للعالمين للثقلين اوحي الي فانا ابلغه
وعن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم للمتكلف ثلاث علامات ينازع من فوقه ويتعاطى ما لا ينال ويقول ما لا يعلم
ولتعلمن نباه اي ما يأتيكم عند الموت او يوم القيامة او عند ظهور الاسلام وفشوه من صحة خبره وانه الحق والصدق
وفيه تهديد عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة ص كان له بوزن كل جبل سخره الله لداود عشر حسنات وعصمه ان يصر على ذنب صغير او كبير

سورة الزمر مكية

الا قوله تعالى قل يا عبادي الآية وهي خمس وسبعون آية وقيل ثنتان وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم ● تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم
تنزيل الكتاب قرئ بالرفع على انه مبتدأ اخبر عنه بالظرف او خبر مبتدأ محذوف والجار صلة التنزيل كما تقول نزل

من عند الله او غير صلة كقولك هذا الكتاب من فلان الى فلان وهو على هذا خبر بعد خبر او خبر مبتدأ محذوف تقديره هذا
تنزيل الكتاب هذا من الله او حال من التنزيل عمل فيه معنى الاشارة وبالنصب على اضمار فعل نحو اقرأ او الزم
فان قلت ما المراد بالكتاب **قلت** الظاهر على الوجه الاول انه القرآن وعلى الثاني انه السورة
انا انزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين ● مخلصا له ممحضا له الدين
من الشرك والرياء بالتوحيد وتصفية السر وقرئ الدين بالرفع وحق من رفعه ان يقرأ مخلصا بفتح اللام كقوله عز وعلا واخلصوا
دينهم لله حتى يطابق قوله الا لله الدين الخالص والخالص والمخلص واحد الا ان تصف الدين بصفة صاحبه على الاسناد المجازي
كقولهم شعر شاعر واما من جعل مخلصا حالا من العابد وله الدين مبتدأ وخبرا فقد جاء باعراب رجع به الكلام الى
قولك لله الدين الا لله الدين الخالص اي هو الذي وجب اختصاصه بان يخلص له الطاعة من كل شائبة كدر لاطلاعه على الغيوب
والاسرار لانه الحقيق بذلك لخلوص نعمته عن استجرار المنفعة بها وعن قتادة الدين الخالص شهادة ان لا اله الا الله
وعن الحسن الاسلام ● الا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم
الا ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون
والذين اتخذوا يحتمل المتخذين وهم الكفرة والمتخذين وهم الملائكة وعيسى عليه السلام واللات والعزى عن
ابن عباس فالضمير في اتخذوا على الاول راجع الى الذين وعلى الثاني الى المشركين ولم يجر ذكرهم لكونه مفهوما والراجع
الى الذين والمعنى والذين اتخذهم المشركون اولياء والذين اتخذوا في موضع الرفع على الابتداء **فان قلت**
فالخبر ما هو **قلت** هو على الاول اما ان الله يحكم بينهم او ما اضمر من القول قبل قوله تعالى ما نعبدهم وعلى الثاني ان الله
يحكم بينهم **فان قلت** فاذا كان ان الله يحكم بينهم الخبر فما موضع القول المضمر **قلت** يجوز ان يكون في موضع
الحال اي قائلين ذلك ويجوز ان يكون بدلا من الصلة فلا يكون له محل كما ان المبدل منه كذلك وقرأ ابن مسعود
باظهار القول قالوا ما نعبدهم وفي قراءة ابي ما نعبدكم الا لتقربونا على الخطاب حكاية لما خاطبوا به آلهتهم وقرئ نعبدهم
بضم النون اتباعا للعين كما يتبعها الهمزة في الامر والتنوين عند ابن اكفى والضمير في بينهم لهم ولاوليائهم والمعنى ان الله
يحكم بينهم بانه يدخل الملائكة وعيسى الجنة ويدخلهم النار مع الحجارة التي نحتوها وعبدوها من دون الله يعذبهم بها حيث يجعلهم
واياها حصب جهنم واختلافهم ان الذين يعبدون موحدون وهم مشركون واولئك يعادونهم ويلعنونهم وهم يرجون
شفاعتهم وتقربهم الى الله تعالى زلفى وقيل كان المسلمون اذا قالوا لهم من خلق السموات والارض اقروا وقالوا
الله فاذا قالوا لهم ما لكم تعبدون الاصنام قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فالضمير في بينهم عائد اليهم والى المسلمين
والمعنى ان الله تعالى يوم القيامة يحكم بين المتنازعين من الفريقين ● ان الله لا يهدي من هو كاذب
كفار ● لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله
الواحد القهار ● المراد بمنع الهداية منع اللطف تسجيلا عليهم بان لا لطف لهم وانهم في علم الله تعالى من
الهالكين وقرئ كذاب وكذوب وكذبهم قولهم في بعض من اتخذوا من دون الله تعالى اولياء بنات الله ولذلك عقبه
محتجا عليهم بقوله عز وجل لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء يعني لو اراد اتخاذ الولد لامتنع ولم يصح
لكونه محالا ولم يتأت الا ان يصطفي من خلقه بعضهم ويختصهم ويقربهم كما يختص الرجل ولده ويقربه وقد فعل ذلك بالملائكة
فافتتنتم بهم وغركم اختصاصه اياهم فزعمتم انهم اولاده جهلا منكم به وبحقيقة المخالفة لحقائق الاجسام والاعراض
كانه قال لو اراد اتخاذ الولد لم يزد على ما فعل من اصطفاء ما يشاء من خلقه وهم الملائكة الا انكم لجهلكم به حسبتم اصطفاءهم
اتخاذهم اولادا ثم تماديتم في جهلكم وسفهكم فجعلتموهم بنات فكنتم كذابين كفارين متبالغين في الافتراء على الله تعالى والملائكة
غالين في الكفر ثم قال سبحانه فنزه ذاته عن ان يكون له احد ما نسبوا اليه من الاولاد والاولياء ودل على ذلك بما بناه
وهو انه واحد فلا يجوز ان يكون له صاحبة لانه لو كانت له صاحبة لكانت من جنسه ولا جنس له واذا لم يتأت ان يكون له صاحبة
لم يتأت ان يكون له ولد وهو معنى قوله تعالى انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وقهار غلاب لكل شيء ومن الاشياء
آلهتهم فهو يغلبهم فكيف يكونون له اولياء وشركاء ● خلق السموات والارض بالحق يكور الليل على
النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى الا هو الواحد الغفار

ثم دل بخلق السموات والارض وتكوير كل واحد من الملوين على الآخر وتسخير النيرين وجريهما لاجل مسمى وبث الناس على كثرة عددهم من نفس واحدة وخلق الانعام على انه واحد لا يشاركه قهار لا يغالب والتكوير اللف واللي يقال كار العمامة على رأسه وكورها وفيه اوجه منها ان الليل والنهار خلفة يذهب هذا ويغشى مكانه هذا واذا غشي مكانه فكانما البسه ولف عليه كما يلف اللباس على اللابس ومنه قول ذي الرمة في وصف السراب ٭ تلوي الثنايا باحقيها حواشيه ٭ لي الملاء بابواب التفاريج ٭ ومنها ان كل واحد منهما يغيب الآخر اذا طرأ عليه فشبه في تغييبه اياه بشيء ظاهر لف عليه ما غيبه عن مطامح الابصار ومنها ان هذا يكر على هذا كرورا متتابعا فشبه ذلك بتتابع اكوار العمامة بعضها على بعض الا هو العزيز الغفار الغالب القادر على عقاب المصرين الغفار لذنوب التائبين الذي يقدر على ان يعاجلهم بالعقوبة وهو يحلم عنهم ويؤخرهم الى اجل مسمى فسمى الحلم عنهم مغفرة ٭ خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج يخلقكم في بطون امهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك لا اله الا هو فانى تصرفون ٭ فان قلت ما وجه قوله ثم جعل منها زوجها وما يعطيه من معنى التراخي قلت هما آيتان من جملة الآيات التي عددها دالا على وحدانيته وقدرته تشعيب هذا الخلق الفائت للحصر من نفس آدم وخلق حواء من قصيراه الا ان احديهما جعلها الله عز وجل عادة مستمرة والاخرى لم تجر بها العادة ولم تخلق انثى غير حواء من قصيرى رجل فكانت ادخل في كونها آية واجلب لعجب السامع فعطفها بثم على الآية الاولى للدلالة على مباينتها لها فضلا ومزية وتراخيها عنها فيما يرجع الى زيادة كونها آية فهو من التراخي في الحال والمنزلة لا من التراخي في الوجود وقيل ثم متعلق بمعنى واحدة كانه قيل خلقكم من نفس وحدت ثم شفعها الله تعالى بزوج وقيل اخرج ذرية آدم من ظهره كالذر ثم خلق بعد ذلك حواء وانزل لكم وقضى لكم وقسم لان قضاياه وقسمه موصوفة بالنزول من السماء حيث كتب في اللوح كل كائن يكون وقيل لا تعيش الانعام الا بالنبات والنبات لا يقوم الا بالماء وقد انزل الماء فكانه انزلها وقيل خلقها في الجنة ثم انزلها ثمانية ازواج ذكرا وانثى من الابل والبقر والضان والمعز والزوج اسم لواحد معه آخر فاذا انفرد فهو فرد ووتر قال الله تعالى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى خلقا من بعد خلق حيوانا سويا من بعد عظام مكسوة لحما من بعد عظام عارية من بعد مضغ من بعد علق من بعد نطف والظلمات الثلاث البطن والرحم والمشيمة وقيل الصلب والرحم والبطن ذلكم الذي هذه افعاله هو الله ربكم فانى تصرفون فكيف يعدل بكم عن عبادته ٭ ان تكفروا فان الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكم ولا تزر وازرة وزر اخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون ٭ انه عليم بذات الصدور ٭ فان الله غني عنكم اي عن ايمانكم وانكم المحتاجون اليه لاستضراركم بالكفر واستنفاعكم بالايمان ولا يرضى لعباده الكفر رحمة لهم لانه يوقعهم في الهلكة وان تشكروا يرضه لكم اي يرض الشكر لكم لانه سبب فوزكم وفلاحكم فاذن ما كره كفركم ولا رضي شكركم الا لكم ولصلاحكم لا لان منفعة ترجع اليه لانه الغني الذي لا يجوز عليه الحاجة ولقد تمحل بعض الغواة ليثبت لله تعالى ما نفاه عن ذاته من الرضى لعباده الكفر فقال هذا من العام الذي اريد به الخاص وما اراد الا عباده الذين عناهم في قوله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان يريد المعصومين كقوله عز وجل عينا يشرب بها عباد الله تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وقرئ يرضه بضم الهاء بوصل وبغير وصل وبسكونها ٭ واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه ثم اذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعو اليه من قبل وجعل لله اندادا ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلا انك من اصحاب النار ٭ خوله اعطاه قال ابو النجم ٭ اعطى فلم يبخل ولم يبخل ٭ كوم الذرى من خول المخول ٭ وفي حقيقته وجهان احدهما جعله خائل مال من قولهم هو خائل مال وخال مال اذا كان متعهدا له حسن القيام به ومنه ما روي عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه كان يتخول اصحابه بالموعظة والثاني جعله يخول من خال يخول اذا اختال وافتخر وفي معناه قول العرب ٭ ان الغني طويل الذيل مياس ٭ ما كان يدعو اليه اي نسي الضر الذي كان يدعو الله تعالى الى كشفه وقيل نسي ربه الذي كان يتضرع اليه ويبتهل اليه وما بمعنى من كقوله تعالى وما خلق الذكر والانثى وقرئ ليضل بفتح الياء وضمها

يعني

يعني ان نتيجة جعله لله اندادا ضلاله عن سبيل الله او اضلاله والنتيجة قد تكون غرضا في الفعل وقد تكون غير غرض وقوله تعالى تمتع بكفرك من باب الخذلان والتخلية كانه قيل له اذ قد ابيت قبول ما امرت به من الايمان والطاعة فمن حقك ان لا تؤمر به بعد ذلك وتؤمر بتركه مبالغة في خذلانه وتخليته لانه لا مبالغة في الخذلان اشد من ان يبعث على عكس ما امر به ونظيره في المعنى قوله تعالى متاع قليل ثم مأواهم جهنم ٭ امن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر اولوا الالباب ٭ قرئ امن هو قانت بالتخفيف على ادخال همزة الاستفهام على من وبالتشديد على ادخال ام عليه ومن مبتدأ خبره محذوف وتقديره امن هو قانت كغيره وانما حذف لدلالة الكلام عليه وهو جري ذكر الكافر قبله وقوله تعالى بعده قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقيل معناه امن هو قانت افضل ام من هو كافر او اهذا افضل ام من هو قانت على الاستفهام المتصل القانت القائم بما يجب عليه من الطاعة ومنه قوله صلى الله عليه وسلم افضل الصلوة طول القنوت وهو القيام فيها ومنه القنوت في الوتر لانه دعاء المصلي قائما ساجدا حال وقرئ ساجد وقائم على انه خبر بعد خبر والواو للجمع بين الصفتين وقرئ ويحذر عذاب الآخرة واراد بالذين يعلمون العاملين من علماء الديانة كانه جعل من لا يعمل غير عالم وفيه ازدراء عظيم بالذين يقتنون العلوم ثم لا يقنتون ويفتنون ثم يفتنون بالدنيا فهم عند الله جهلة حيث جعل القانتين هم العلماء ويجوز ان يرد على سبيل التشبيه اي كما لا يستوي العالمون والجاهلون كذلك لا يستوي القانتون والعاصون وقيل نزلت في عمار بن ياسر وابي حذيفة بن المغيرة المخزومي وعن الحسن انه سئل عن رجل يتمادى في المعاصي ويرجو فقال هذا تمن وانما الرجاء قوله تعالى وتلا هذه الآية وقرئ انما يذكر بالادغام ٭ قل يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة وارض الله واسعة انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب ٭ في هذه الدنيا متعلق باحسنوا لا بحسنة معناه الذين احسنوا في هذه الدنيا فلهم حسنة في الآخرة وهي دخول الجنة اي حسنة غير مكتنهة بالوصف وقد علقه السدي بحسنة وفسر الحسنة بالصحة والعافية فان قلت اذا علق الظرف باحسنوا فاعرابه ظاهر فما معنى تعليقه بحسنة ولا يصح ان تقع صفة لها لتقدمه قلت هو صفة لها اذا تأخر واذا تقدم كان بيانا لمكانها فلم يخل التقدم بالتعلق وان لم يكن التعلق وصفا ومعنى وارض الله واسعة ان لا عذر للمفرطين في الاحسان البتة حتى ان اعتلوا باوطانهم وبلادهم وانهم لا يتمكنون فيها من التوفر على الاحسان وصرف الهمم اليه قيل لهم فان ارض الله واسعة وبلاده كثيرة فلا تجتمعوا مع العجز وتحولوا الى بلاد اخر واقتدوا بالانبياء والصالحين في مهاجرتهم الى غير بلادهم ليزدادوا احسانا الى احسانهم وطاعة الى طاعتهم وقيل هو للذين كانوا في بلد المشركين فامروا بالمهاجرة عنه كقوله عز وجل الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها وقيل هي ارض الجنة والصابرون الذين صبروا على مفارقة اوطانهم وعشائرهم وعلى غيرها من تجرع الغصص واحتمال البلايا في طاعة الله تعالى وازدياد الخير بغير حساب لا يحاسبون عليه وقيل بغير مكيال وغير ميزان يغرف لهم غرفا وهو تمثيل للتكثير وعن ابن عباس رضي الله عنهما لا يهتدي اليه حساب الحساب ولا يعرف وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ينصب الله تعالى الموازين يوم القيمة فيؤتى باهل الصلوة فيوفون اجورهم بالموازين ويؤتى باهل الصدقة فيوفون اجورهم بالموازين ويؤتى باهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان ويصب عليهم الاجر صبا قال الله عز وجل انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب حتى يتمنى اهل العافية في الدنيا ان اجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به اهل البلاء من الفضل ٭ قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين وامرت لان اكون اول المسلمين ٭ قل اني امرت باخلاص الدين وامرت بذلك لاجل ان اكون اول المسلمين اي مقدمهم وسابقهم في الدنيا والآخرة والمعنى ان الاخلاص له السبقة في الدين فمن اخلص كان سابقا فان قلت كيف عطف امرت على امرت وهما واحد قلت ليسا بواحد لاختلاف جهتيهما وذلك ان الامر بالاخلاص وتكليفه شيء والامر به ليحرز القائم به قصب السبق في الدين شيء واذا اختلف وجها الشيء وصفتاه ينزل بذلك منزلة شيئين مختلفين ولك ان تجعل اللام مزيدة مثلها في اردت لان افعل ولا تزاد الا مع ان خاصة دون الاسم الصريح كانها زيدت عوضا من ترك الاصل الى ما يقوم مقامه كما عوض

فاستطاع عوضا من تركه الاسلام الذي هو الطوع والدليل على هذا الوجه مجيئه بغير لام في قوله تعالى وامرت ان اكون
من المسلمين وامرت ان اكون من المؤمنين وامرت ان اكون اول من اسلم وفي معناه اوجه ان اكون اول من اسلم في زماني
ومن قومي لانه اول من خالف دين آبائه وخلع الاصنام وحطمها وان اكون اول الذين دعوتهم الى الاسلام اسلاما وان اكون
اول من دعا نفسه الى ما دعا اليه غيره لاكون مقتدى بي في قولي وفعلي جميعا ولا تكون صفتي صفة الملوك الذين يامرون
بما لا يفعلون وان افعل ما استحق به الاولية من اعمال السابقين دلالة على السبب بالمسبب يعني ان الله تعالى امرني
ان اخلص له الدين من الشرك والريا وكل شوب بدليلي العقل والوحي • قل اني اخاف ان عصيت ربي
عذاب يوم عظيم • فان عصيت ربي بمخالفة الدليلين استوجبت عذابه فلا اعصيه ولا اتابع امركم
وذلك حين دعوه الى دين آبائه • قل الله اعبد مخلصا له ديني فاعبدوا ما شئتم من
دونه قل ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيمة الا ذلك هو
الخسران المبين • **فان قلت** ما معنى التكرير في قوله تعالى قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين
وقوله تعالى قل الله اعبد مخلصا له ديني **قلت** ليس بتكرير لان الاول للاخبار بانه مامور من جهة الله باحداث العبادة
والاخلاص والثاني اخبار بانه يختص الله وحده دون غيره بعبادته مخلصا له دينه ولدلالته على ذلك قدم المعبود على فعل العبادة
واخره في الاول فالكلام اولا واقع في الفعل نفسه وايجاده وثانيا فيمن يفعل الفعل لاجله ولذلك رتب عليه قوله تعالى
فاعبدوا ما شئتم من دونه والمراد بهذا الامر الوارد على وجه التخيير المبالغة في الخذلان والتخلية على ما حققت فيه القول مرتين
قل ان الكاملين في الخسران الجامعين لوجوهه واسبابه هم الذين خسروا انفسهم لوقوعها في الهلكة لا هلكة بعدها وخسروا
اهليهم لانهم ان كانوا من اهل النار فقد خسروهم كما خسروا انفسهم وان كانوا من اهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابا لا رجوع
بعده اليهم وقيل وخسروهم لانهم لم يدخلوا مدخل المؤمنين الذين لهم اهل في الجنة يعني وخسروا اهليهم الذين كانوا يكونون
لهم لو آمنوا ولقد وصف خسرانهم بغاية الفظاعة في قوله تعالى الا ذلك هو الخسران المبين حيث استانف الجملة وصدرها
بحرف التنبيه ووسط الفصل بين المبتدا والخبر وعرف الخسران ونعته بالمبين • لهم من فوقهم ظلل
من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون •
ومن تحتهم اطباق من النار هي ظلل للآخرين ذلك العذاب هو الذي يتوعد الله به عباده ويخوفهم ليجتنبوا ما يوقعهم فيه
يا عبادي فاتقون ولا تتعرضوا لما يوجب سخطي وهذه عظة من الله تعالى ونصيحة بالغة وقرئ يا عبادي •
والذين اجتنبوا الطاغوت ان يعبدوها وانابوا الى الله لهم البشرى فبشر
عباد الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله
واولئك هم اولوا الالباب • الطاغوت فعلوت من الطغيان كالملكوت والرحموت الا ان فيها
قلبا بتقديم اللام على العين اطلقت على الشيطان او الشياطين لكونها مصدرا وفيها مبالغات وهي التسمية بالمصدر
كان عين الشيطان طغيان وان البناء بناء مبالغة فان الرحموت الرحمة الواسعة والملكوت الملك المبسوط والقلب وهو
للاختصاص اذ لا تطلق على غير الشيطان والمراد بها هاهنا الجمع وقرئ الطواغيت ان يعبدوها بدل من الطاغوت
بدل الاشتمال لهم البشرى هي البشرى بالثواب كقوله تعالى لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الآخرة الله تعالى يبشرهم
بذلك في وحيه على السنة رسله وتتلقاهم الملائكة عند حضور الموت مبشرين وحين يحشرون قال الله تعالى يوم ترى
المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم بشراكم اليوم جنات واراد بعباده الذين يستمعون القول فيتبعون
احسنه الذين اجتنبوا وانابوا لا غيرهم وانما اراد بهم ان يكونوا مع الاجتناب والانابة على هذه الصفة فوضع الظاهر
موضع الضمير واراد ان يكونوا نقادا في الدين يميزون بين الحسن والاحسن والفاضل والافضل فاذا اعترضهم امران
واجب وندب اختاروا الواجب وكذلك المباح والندب حرصا على ما هو اقرب عند الله تعالى واكثر ثوابا ويدخل تحته
المذاهب واختيار اثبتها على السبك واقواها عند السبر وابينها دليلا وامارة وان لا تكون في مذهبك كما قال القائل
ولا تكن مثل عير قيد فانقادا يريد المقلد وقيل يستمعون القرآن وغيره فيتبعون القرآن وقيل يستمعون اوامر الله
فيتبعون احسنها نحو القصاص والعفو والانتصار والاغضاء والابداء والاخفاء لقوله تعالى وان تعفوا اقرب للتقوى

وان

وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنه هو الرجل يجلس مع القوم فيسمع الحديث فيه محاسن
ومساوي فيحدث باحسن ما سمع ويكف عما سواه ومن الوقفة من يقف على فبشر عبادي ويبتدئ الذين يستمعون يرفعه على الابتداء
وخبره اولئك • افمن حق عليه كلمة العذاب افانت تنقذ من في النار • اصل الكلام امن
حق عليه كلمة العذاب افانت تنقذه جملة شرطية دخل عليها همزة الانكار والفاء فاء الجزاء ثم دخلت الفاء التي
في اولها للعطف على محذوف يدل عليه الخطاب تقديره اانت مالك امرهم فمن حق عليه العذاب فانت تنقذه والهمزة الثانية
هي الاولى كررت لتوكيد معنى الانكار والاستبعاد ووضع من في النار موضع الضمير فالآية على هذا جملة واحدة ووجه آخر
وهو ان تكون الآية جملتين افمن حق عليه العذاب فانت تخلصه افانت تنقذ من في النار وانما جاز حذف فانت تخلصه لان افانت
تنقذ يدل عليه نزل استحقاقهم العذاب وهم في الدنيا منزلة دخولهم النار حتى نزل اجتهاد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
وكده نفسه في دعائهم الى الايمان منزلة انقاذهم من النار وقوله تعالى افانت تنقذ يفيد ان الله تعالى هو الذي يقدر
على الانقاذ من النار وحده لا يقدر على ذلك احد غيره فكما لا تقدر انت على ان تنقذ الداخل في النار من النار لا تقدر ان
تخلصه مما هو فيه من استحقاق العذاب بتحصيل الايمان فيه • لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية
تجري من تحتها الانهار وعد الله لا يخلف الله الميعاد • غرف من فوقها غرف علالي بعضها فوق
بعض **فان قلت** ما معنى قوله تعالى مبنية **قلت** معناه والله اعلم انها بنيت بناء المنازل التي على الارض
وسويت تسويتها تجري من تحتها الانهار كما تجري من تحت المنازل من غير تفاوت بين العلو والسفل وعد الله مصدر مؤكد
لان قوله تعالى لهم غرف في معنى وعدهم الله تعالى ذلك • الم تر ان الله انزل من السماء ماء فسلكه
ينابيع في الارض ثم يخرج به زرعا مختلفا الوانه ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يجعله
حطاما ان في ذلك لذكرى لاولي الالباب • انزل من السماء ماء هو المطر وقيل كل ماء في الارض فهو
من السماء ينزل منها الى الصخرة ثم يقسمه الله فسلكه فادخله ونظمه ينابيع في الارض عيونا ومسالك ومجاري كالعروق
في الاجساد مختلفا الوانه هيأته من خضرة وحمرة وصفرة وبياض وغير ذلك او اصنافه من بر وشعير وسمسم وغيرها يهيج يتم جفافه
عن الاصمعي لانه اذا تم جفافه حان له ان ينور عن منابته ويذهب حطاما فتاتا ودرينا ان في ذلك لذكرى لتذكيرا وتنبيها على انه لا بد من
صانع حكيم وان ذلك كائن عن تقدير وتدبير لا عن تعطيل واهمال ويجوز ان يكون مثلا للدنيا كقوله تعالى انما مثل الحيوة الدنيا واضرب
لهم مثل الحيوة الدنيا وقرئ مصفارا • افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه فويل
للقاسية قلوبهم من ذكر الله اولئك في ضلال مبين • افمن عرف الله تعالى انه من اهل اللطف فلطف به
حتى انشرح صدره للاسلام ورغب فيه وقبله كمن لا لطف له فهو حرج الصدر قاسي القلب ونور الله تعالى هو لطفه وقرا رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم هذه الآية فقيل له يا رسول الله كيف انشراح الصدر قال اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح فقيل يا رسول الله فما
علامة ذلك قال الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والتاهب للموت قبل نزول الموت وهو نظير قوله تعالى امن هو قانت في
حذف الخبر من ذكر الله من اجل ذكره اي اذا ذكر الله تعالى عندهم او آياته اشمازوا وازدادت قلوبهم قساوة كقوله تعالى فزادتهم
رجسا الى رجسهم وقرئ عن ذكر الله **فان قلت** ما الفرق بين من وعن في هذا **قلت** اذا قسا قلبه من ذكر الله
فالمعنى ما ذكرت من ان القسوة من اجل الذكر وبسببه واذا قلت عن ذكر الله فالمعنى غلظ عن قبول الذكر وجفا عنه ونظيره
سقاه من العيمة اي من اجل عطشه وسقاه عن العيمة اذا ارواه حتى ابعده عن العطش عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه
ان اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ملوا ملة فقالوا له حدثنا فنزلت • الله نزل احسن الحديث كتابا
متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى
ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد
وايقاع اسم الله مبتدا وبناء نزل عليه فيه تفخيم لاحسن الحديث ورفع منه واستشهاد على حسنه وتاكيد لاستناده الى الله تعالى
وانه من عنده وان مثله لا يجوز ان يصدر الا عنه وتنبيه على انه وحي معجز مباين لسائر الاحاديث وكتابا بدل من احسن الحديث
ويحتمل ان يكون حالا منه ومتشابها مطلق في مشابهة بعضه بعضا فكان متناولا لتشابه معانيه في الصحة والاحكام
والبناء على الحق والصدق ومنفعة الخلق وتناسب الفاظه وتناصفها في التخير والاصابة وتجاوب نظمه وتاليفه في الاعجاز

والتبكيت ويجوز ان يكون مثاني بيانا لكونه متشابها لان القصص المكررة لا تكون الا متشابهة والمثاني جمع مثنى بمعنى مردد ومكرر لما ثني من قصصه وانبائه واحكامه واوامره ونواهيه ووعده ووعيده ومواعظه وقيل لانه يثنى في التلاوة فلا يمل كما جاء في وصفه لا يتفه ولا يتشان ولا يخلق على كثرة الرد ويجوز ان يكون جمع مثنى مفعل من التثنية بمعنى التكرير والاعادة كما كان في قوله تعالى ثم ارجع البصر كرتين بمعنى كرة بعد كرة وكذلك لبيك وسعديك وحنانيك **فان قلت** كيف وصف الواحد بالجمع **قلت** انما صح ذلك لان الكتاب جملة ذات تفاصيل وتفاصيل الشيء هي جملته لا غير الا تراك تقول القرآن اسباع واخماس وسور وآيات وكذلك تقول اقاصيص واحكام ومواعظ مكررات ونظيره قولك الانسان عظام وعروق واعصاب الا انك تركت الموصوف الى الصفة واصله كتابا متشابها فصولا مثاني ويجوز ان يكون كقولك برمة اعشار وثوب اخلاق ويجوز ان لا يكون مثاني صفة ويكون منتصبا على التمييز من متشابها كما تقول رأيت رجلا حسنا شمائل والمعنى متشابهة مثانيه **فان قلت** ما فائدة التثنية والتكرير **قلت** النفوس انفر شيء عن الوعظ والنصيحة فما لم يكرر عليها عودا عن بدء لم يرسخ فيها ولم يعمل عمله ومن ثم كانت عادة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان يكرر عليهم ما كان يعظ به وينصح ثلث مرات وسبعا ليركزه في قلوبهم ويغرسه في صدورهم اقشعر الجلد اذا تقبض تقبضا شديدا وتركيبه من حروف القشع وهو الاديم اليابس مضموما اليها حرف رابع وهو الراء ليكون رباعيا ودالا على معنى زائد يقال اقشعر جلده من الخوف وقف شعره وهو مثل في شدة الخوف فيجوز ان يريد به الله سبحانه التمثيل تصويرا لافراط خشيتهم وان يريد التحقيق والمعنى انهم اذا سمعوا بالقرآن وبآيات وعيده اصابتهم خشية تقشعر منها جلودهم ثم اذا ذكروا الله تعالى ورحمته وجوده بالمغفرة لانت قلوبهم وجلودهم وزال عنها ما كان بها من الخشية والقشعريرة **فان قلت** ما وجه تعديته لان بالى **قلت** ضمن معنى فعل متعد بالى كانه قيل سكنت واطمأنت الى ذكر الله تعالى لينة غير منقبضة راجية غير خاشية **فان قلت** لم اقتصر على ذكر الله تعالى من غير ذكر الرحمة **قلت** لان اصل امره الرحمة والرأفة ورحمته هي سابقة غضبه فلاصالة رحمته اذا ذكر لم يخطر بالبال قبل كل شيء من صفاته الا كونه رؤفا رحيما **فان قلت** لم ذكرت الجلود وحدها اولا ثم قرنت بها القلوب ثانيا **قلت** اذا ذكرت الخشية التي محلها القلوب فقد ذكرت القلوب فكانه قيل تقشعر جلودهم من آيات الوعيد وتخشى قلوبهم في اول وهلة فاذا ذكروا الله عز وجل ومبنى امره على الرأفة والرحمة استبدلوا بالخشية رجاء في قلوبهم وبالقشعريرة لينا في جلودهم ذلك اشارة الى الكتاب وهو هدى الله يهدي به يوفق به من يشاء يعني عباده المتقين حتى يخشوا تلك الخشية ويرجوا ذلك الرجاء كما قال هدى للمتقين ومن يضلل الله ومن يخذله من الفساق والفجرة فما له من هاد او ذلك الكائن من الخشية والرجاء هدى الله اي اثر هداه وهو لطفه فسماه هدى لانه حاصل بالهدى يهدي به بهذا الاثر من يشاء من عباده يعني من صحب اولياءك ورآهم خاشين فكان ذلك مرغبا لهم في الاقتداء بسيرتهم وسلوك طريقتهم ومن يضلل الله ومن لم يؤثر فيه الطافه لقسوة قلبه واصراره على فجوره فما له من هاد من مؤثر فيه بشيء قط

افمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيمة وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون

يقال اتقاه بدرقته استقبله بها فوقى بها نفسه اياه واتقاه بيده وتقديره افمن يتقي بوجهه سوء العذاب كمن امن العذاب فحذف الخبر كما حذف في نظائره وسوء العذاب شدته ومعناه ان الانسان اذا لقي مخوفا من المخاوف استقبله بيده وطلب ان يقي بها وجهه لانه اعز اعضائه عليه والذي يلقى في النار يلقى مغلولة يداه الى عنقه فلا يتهيأ له ان يتقي النار الا بوجهه الذي كان يتقي المخاوف بغيره وقاية له ومحاماة عليه وقيل المراد بالوجه الجملة وقيل نزلت في ابي جهل وقال لهم خزنة النار ذوقوا وبال ما كنتم تكسبون

كذب الذين من قبلهم فاتاهم العذاب من حيث لا يشعرون فاذاقهم الله الخزي في الحيوة الدنيا ولعذاب الآخرة اكبر لو كانوا يعلمون من حيث لا يشعرون من الجهة التي لا يحتسبون ولا يخطر ببالهم ان الشر يأتيهم منها بيناهم آمنون رافهون اذ فوجئوا من مأمنهم الخزي الذل والصغار كالمسخ والخسف والقتل والجلاء وما اشبه ذلك من نكال الله تعالى

ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون قرآنا عربيا غير ذي عوج لعلهم يتقون قرآنا عربيا حال مؤكدة كما تقول جاءني زيد رجلا صالحا وانسانا عاقلا ويجوز ان ينتصب على المدح غير ذي عوج مستقيما بريا من التناقض والاختلاف **فان قلت** هلا قيل مستقيما او غير معوج **قلت** فيه فائدتان احديهما نفي ان يكون فيه عوج قط كما قال ولم يجعل له عوجا والثاني ان لفظ العوج مختص بالمعاني دون الاعيان وقيل المراد بالعوج الشك واللبس وانشد وقد اتاك يقين غير ذي عوج من الاله وقول غير مكذوب

ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون واضرب لقومك مثلا وقل لهم ما تقولون في رجل من المماليك قد اشترك فيه شركاء بينهم اختلاف وتنازع كل واحد يدعي انه عبده فهم يتجاذبونه ويتعاورونه في مهن شتى ومشادة واذا عنت له حاجة تدافعوه فهو متحير في امره سادر قد تشعبت الهموم قلبه وتوزعت افكاره لا يدري ايهم يرضي بخدمته وعلى ايهم يعتمد في حاجاته وفي آخر قد سلم لمالك واحد وخلص له فهو معتنق لما لزمه من خدمته معتمد عليه فيما يصلحه فهمه واحد وقلبه مجتمع اي هذين العبدين احسن حالا واحمد شأنا والمراد تمثيل حال من يثبت آلهة شتى وما يلزمه على قضية مذهبه من ان يدعي كل واحد منهم عبوديته ويتشاكسوا في ذلك ويتغالبوا كما قال الله تعالى ولعلا بعضهم على بعض ويبقى هو متحيرا ضائعا لا يدري ايهم يعبد وعلى ربوبية ايهم يعتمد وممن يطلب رزقه وممن يلتمس رفقه فهمه شعاع وقلبه اوزاع وحال من لم يثبت الا الها واحدا فهو قائم بما كلفه عارف بما ارضاه وما اسخطه متفضل عليه في عاجله مؤمل للثواب في آجله وفيه صلة شركاء كما تقول اشتركوا فيه والتشاكس والتشاخس الاختلاف تقول تشاكست احواله وتشاخست اسنانه سالما لرجل خالصا له وقرئ سلما بفتح الفاء والعين وفتح الفاء وكسرها مع سكون العين وهي مصادر سلم والمعنى ذا سلامة لرجل اي ذا خلوص له من الشركة من قولهم سلمت له الضيعة وقرئ بالرفع على الابتداء اي وهناك رجل سالم لرجل وانما جعله رجلا ليكون افطن لما شقي به او سعد فان المرأة والصبي قد يغفلان عن ذلك هل يستويان مثلا هل يستويان صفة على التمييز والمعنى هل يستويان صفتهما وحالاهما وانما اقتصر في التمييز على الواحد لبيان الجنس وقرئ مثلين كقوله عز وجل واكثر اموالا واولادا مع قوله تعالى اشد منهم قوة ويجوز فيمن قرأ مثلين ان يكون الضمير في يستويان للمثلين لان التقدير مثل رجل ومثل رجل والمعنى هل يستويان فيما يرجع الى الوصفية كما تقول كفى بهما رجلين الحمد لله الذي لا شريك له دون كل معبود سواه اي يجب ان يكون الحمد متوجها اليه وحده والعبادة فقد ثبت انه لا اله الا هو بل اكثرهم لا يعلمون فيشركون به غيره

انك ميت وانهم ميتون ثم انكم يوم القيمة عند ربكم تختصمون كانوا يتربصون برسول الله صلى الله عليه وسلم موته فاخبر ان الموت يعمهم فلا معنى للتربص وشماتة الباقي بالفاني وعن قتادة نعى الى نبيه نفسه ونعى اليكم انفسكم وقرئ مائت ومائتون والفرق بين الميت والمائت ان الميت صفة لازمة كالسيد واما المائت فصفة حادثة تقول زيد مائت غدا كما تقول سائد غدا اي سيموت وسيسود واذا قلت زيد ميت فكما تقول حي في نقيضه فيما يرجع الى اللزوم والثبوت والمعنى في قوله تعالى انك ميت وانهم ميتون انك وايام وان كنتم احياء فانتم في عداد الموتى لان ما هو كائن فكان قد كان ثم انكم ثم انك واياهم فغلب ضمير المخاطب على ضمير الغيب تختصمون فتحتج انت عليهم بانك بلغت فكذبوا فاجتهدت في الدعوة فلجوا في العناد ويعتذرون بالاباطيل تقول الاتباع اطعنا سادتنا وكبراءنا وتقول السادات اغوتنا الشياطين وآباؤنا الاقدمون وقد حمل على اختصام الجميع وان الكفار يخاصم بعضهم بعضا حتى يقال لهم لا تختصموا لدي والمؤمنون الكافرين يبكتونهم بالحجج واهل القبلة يكون بينهم الخصام قال عبد الله ابن عمر رضي الله تعالى عنهما لقد عشنا برهة من دهرنا ونحن نرى ان هذه الآية انزلت فينا وفي اهل الكتابين قلنا كيف نختصم ونبينا واحد وكتابنا واحد حتى رأيت بعضنا يضرب وجوه بعض بالسيف فعرفت انها نزلت فينا وقال ابو سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه كنا نقول ربنا واحد ونبينا واحد وديننا واحد وكتابنا واحد فما هذه الخصومة فلما كان يوم صفين وشد بعضنا على بعض بالسيوف قلنا نعم هو هذا وعن ابراهيم النخعي قالت الصحابة ما خصومتنا ونحن اخوان فلما قتل عثمان رضي الله تعالى عنه قالوا هذه خصومتنا وعن ابي العالية نزلت في اهل القبلة والوجه الذي يدل عليه كلام الله هو ما قدمت اولا الا ترى الى قوله تعالى فمن اظلم ممن كذب على الله وقوله عز وجل والذي جاء بالصدق وصدق به وما هو الا بيان وتفسير للذين يكون بينهم الخصومة

فمن اظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق اذ جاءه اليس في جهنم مثوى للكافرين كذب على الله افترى عليه باضافة الولد والشريك اليه وكذب بالصدق بالامر الذي هو الصدق بعينه وهو ما جاء به محمد صلى الله تعالى عليه وسلم اذ جاءه فاجأه بالتكذيب لما سمع به من غير وقفة لاعمال روية واهتمام بتمييز بين حق وباطل كما يفعل اهل النصفة فيما يسمعون مثوى للكافرين اي لهؤلاء الذين كذبوا على الله وكذبوا بالصدق واللام في للكافرين اشارة اليهم

والذي جاء بالصدق وصدق به اولئك هم المتقون لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك جزاء المحسنين والذي جاء بالصدق وصدق به هو رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جاء بالحق

وآمن به وأراد به إياه ومن تبعه كما أراد بموسى عليه السلام وقومه في قوله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم فلذلك قال
أولئك هم المتقون الآن هذا في الصفة وذاك في الاسم ويجوز أن يريد والفوج أو الفريق الذي جاء بالصدق وصدق
به وهم الرسول الذي جاء بالصدق وصحابته الذين صدقوا به وفي قراءة ابن مسعود والذين جاءوا بالصدق وصدقوا به
وقرئ وصدق به بالتخفيف أي صدق به الناس ولم يكذبهم به يعني أداه إليهم كما نزل عليه من غير تحريف وقيل صار صادقا
أي به بأن القرآن معجزة والمعجزة تصديق من الحكيم الذي لا يفعل القبيح لمن يجريها على يده ولا يجوز أن يصدق إلا الصادق
فيصير لذلك صادقا بالمعجزة وقرئ وصدّق به **ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا ويجزيهم أجرهم
بأحسن الذي كانوا يعملون** فإن قلت ما معنى إضافة الأسوأ والأحسن إلى الذي عملوا وما معنى التفضيل فيهما
قلت أما الإضافة فما هي من إضافة أفعل إلى الجملة التي يفضل عليها ولكن من إضافة الشيء إلى ما هو بعضه من غير تفضيل
كقولك الأشج أعدل بني مروان وأما التفضيل فإيذان بأن الشيء الذي يفرط منهم من الصغائر والزلات المكفرة هو عندهم
الأسوأ لاستعظامهم المعصية والحسن الذي يعملونه هو عند الله تعالى الأحسن لحسن إخلاصهم فيه فلذلك ذكر سيئهم بالأسوأ
وحسنهم بالأحسن وقرئ أسواء الذي عملوا جمع سوء **أليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه
ومن يضلل الله فما له من هاد ومن يهد الله فما له من مضل أليس الله بعزيز ذي انتقام**
أليس الله بكاف عبده أدخلت همزة الإنكار على كلمة النفي فأفيد معنى إثبات الكفاية وتقريرها وقرئ بكاف عبده وهو رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم وبكاف عباده وهم الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم وذلك أن قريشا قالت لرسول الله صلى الله
عليه وسلم إنا نخاف أن تخبلك آلهتنا وإنا نخشى عليك معرتها لعيبك إياها وروي أنه بعث خالدا إلى العزى ليكسرها فقال له
سادنها أحذركها يا خالد إن لها شدة لا يقوم لها شيء فعمد خالد إليها فهشم أنفها فقال الله عز وجل أليس الله بكاف
نبيه أن يعصمه من كل سوء ويدفع عنه كل بلاء في مواطن الخوف وفي هذا تهكم بهم لأنهم خوفوه ما لا يقدر على نفع ولا ضر أو أليس بكاف
أنبياءه ولقد قالت أممهم نحو ذلك فكفاهم الله تعالى وذلك قول قوم هود إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء
ويجوز أن يريد العبد والعباد على الإطلاق لأنه كافيهم في الشدائد وكافل مصالحهم وقرئ بكافي عبده على الإضافة ويكافي
عباده ويكافي يحتمل أن يكون غير مهموز مفاعلة من الكفاية كقولك يجازي في يجزي وهو أبلغ من كفى لبنائه على لفظ المغالبة
والمباراة ويحتمل أن يكون مهموزا من المكافأة وهي المجازاة لما تقدم من قوله تعالى ويجزيهم أجرهم بالذين من دونه أراد
الأوثان التي اتخذوها آلهة من دونه بعزيز بغالب منيع ذي انتقام ينتقم من أعدائه وفيه وعيد لقريش ووعد للمؤمنين
بأنه ينتقم لهم منهم **ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله قل أفرأيتم ما تدعون
من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل
هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون** وقرئ كاشفات ضره
ورحمته بالتنوين على الأصل وبالإضافة للتخفيف فإن قلت لم فرض المسألة في نفسه دونهم قلت
لأنهم خوفوه معرة الأوثان وتخبيلها فأمر بأن يقررهم أولا بأن خالق العالم هو الله وحده ثم يقول لهم بعد التقرير
فإن أرادني خالق العالم الذي أقررتم به بضر من مرض أو فقر أو غير ذلك من النوازل أو برحمة من صحة أو غنى أو نحوهما هل
هؤلاء اللاتي خوفتموني إياهن كاشفات عني ضره أو ممسكات رحمته حتى إذا ألقمهم الحجر وقطعهم حتى لا يحيروا ببنت شفة
قال حسبي الله كافيا لمعرة أوثانكم عليه يتوكل المتوكلون وفيه تهكم ويروى أن النبي صلى الله عليه وسلم سألهم فسكتوا فنزل قل
حسبي الله فإن قلت لم قيل كاشفات وممسكات على التأنيث بعد قوله تعالى ويخوفونك بالذين من دونه قلت
أنثهن وكن إناثا وهن اللات والعزى ومناة قال الله تعالى أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ألكم الذكر
وله الأنثى ليضعفها ويعجزها زيادة تضعيف وتعجيز عما طالبهم به من كشف الضر وإمساك الرحمة لأن الأنوثة من باب اللين
والرخاوة كما أن الذكورة من باب الشدة والصلابة كأنه قال الإناث اللاتي هن اللات والعزى ومناة أضعف مما تدعون
لهن وأعجز وفيه تهكم أيضا **قل يا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه
ويحل عليه عذاب مقيم** على مكانتكم على حالكم التي أنتم عليها وجهتكم من العداوة التي تمكنتم منها والمكانة بمعنى
المكان فاستعيرت عن العين للمعنى كما يستعار هنا وحيث للزمان وهما للمكان فإن قلت حق الكلام فإني عامل على

مكانتي فلم حذف قلت للاختصار ولما فيه من زيادة الوعيد والإيذان بأن حاله لا تقف وتزداد كل يوم قوة وشدة
لأن الله تعالى ناصره ومعينه ومظهره على الدين كله ألا ترى إلى قوله فسوف تعلمون كيف توعدهم بكونه منصورا عليهم غالبا عليهم
في الدنيا والآخرة لأنهم إذا أتاهم الخزي والعذاب فذلك عزه وغلبته من حيث إن الغلبة تتم له بعز عزيز من أوليائه وبذل
ذليل من أعدائه يخزيه مثل مقيم في وقوعه صفة للعذاب أي عذاب مخز له وهو يوم بدر وعذاب دائم وهو عذاب النار وقرئ
مكاناتكم **إنا أنزلنا عليك الكتاب للناس بالحق فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها
وما أنت عليهم بوكيل** للناس لأجلهم ولأجل حاجتهم إليه ليبشروا وينذروا فتقوى دواعيهم إلى اختيار الطاعة على
المعصية ولا حاجة بي إلى ذلك فأنا الغني فمن اختار الهدى فقد نفع نفسه ومن اختار الضلالة فقد ضرها وما وكلت عليهم لتجبرهم على
الهدى فإن التكليف مبني على الاختيار دون الإجبار **الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها
فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون**
الأنفس الجمل كما هي وتوفيها إماتتها وهي أن تسلب ما هي به حية حساسة دراكة من صحة أجزائها وسلامتها لأنها عند سلب الصحة كأن
ذاتها قد سلبت والتي لم تمت في منامها يريد ويتوفى الأنفس التي لم تمت في منامها أي يتوفاها حين تنام تشبيها للنائمين بالموتى
ومنه قوله عز وجل وهو الذي يتوفاكم بالليل حيث لا يميزون ولا يتصرفون كما أن الموتى كذلك فيمسك الأنفس التي قضى عليها
الموت الحقيقي أي لا يردها في وقتها حية ويرسل الأخرى النائمة إلى أجل مسمى إلى وقت ضربه لموتها وقيل يتوفى الأنفس يستوفيها
ويقبضها وهي الأنفس التي تكون معها الحياة والحركة ويتوفى الأنفس التي لم تمت في منامها وهي أنفس التمييز لأن نفس الحياة إذا
زال معها النفس والنائم يتنفس وروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في ابن آدم نفس وروح بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس التي
بها العقل والتمييز والروح التي بها النفس والتحرك فإذا نام العبد قبض الله تعالى نفسه ولم يقبض روحه والصحيح ما ذكرت أولا لأن الله
عز وجل علق التوفي والموت والمنام جميعا بالأنفس وما عنوا بنفس الحياة والحركة ونفس العقل والتمييز غير متصف بالموت والنوم
وإنما الجملة هي التي تموت وهي التي تنام إن في ذلك إن في توفي الأنفس مائتة ونائمة وإمساكها وإرسالها إلى أجل لآيات على قدرة
الله تعالى وعلمه لقوم يجيلون فيها أفكارهم ويعتبرون وقرئ قضي عليها الموت على البناء للمفعول **أم اتخذوا من دون
الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون** أم اتخذوا بل اتخذ قريش والهمزة للإنكار
من دون الله من دون إذنه شفعاء حين قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله ولا يشفع عنده أحد إلا بإذنه ألا ترى إلى قوله عز وجل
قل لله الشفاعة جميعا أي هو مالكها فلا يستطيع أحد شفاعة إلا بشرطين أن يكون المشفوع له مرتضى وأن يكون الشفيع مأذونا له وههنا
الشرطان مفقودان جميعا أولو كانوا معناه أيشفعون ولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون أي ولو كانوا على هذه الصفة لا يملكون شيئا
قط حتى يملكوا الشفاعة ولا عقل لهم **قل لله الشفاعة جميعا له ملك السماوات والأرض ثم إليه ترجعون**
له ملك السماوات والأرض تقرير لقوله تعالى لله الشفاعة جميعا لأنه إذا كان له الملك كله والشفاعة من الملك كان مالكا لها
فإن قلت بم يتصل قوله تعالى ثم إليه ترجعون قلت بما يليه معناه له ملك السماوات والأرض اليوم ثم إليه ترجعون
يوم القيامة فلا يكون الملك في ذلك اليوم إلا له فله ملك الدنيا والآخرة **وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب
الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون** مدار المعنى على قوله تعالى
وحده أي إذا أفرد الله تعالى بالذكر ولم تذكر معه آلهتهم اشمأزوا أي نفروا وانقبضوا وإذا ذكر الذين من دونه وهم آلهتهم
ذكر الله تعالى معهم أو لم يذكر استبشروا لافتتانهم بها ونسيانهم حق الله تعالى إلى هواهم فيها وقيل إذا قيل لا إله إلا الله
وحده لا شريك له نفروا لأن فيه نفيا لآلهتهم وقيل أراد استبشارهم بما سبق إليه لسان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
من ذكر آلهتهم حين قرأ والنجم عند باب الكعبة فسجدوا معه لفرحهم ولقد تقابل الاستبشار والاشمئزاز إذ كل واحد منهما غاية في
بابه لأن الاستبشار أن يمتلئ قلبه سرورا حتى ينبسط له بشرة وجهه ويتهلل والاشمئزاز أن يمتلئ غما وغيظا حتى يظهر الانقباض في أديم
وجهه فإن قلت ما العامل في إذا ذكر قلت العامل في إذا المفاجأة تقديره وقت ذكر الذين من دونه فاجؤوا
وقت الاستبشار **قل اللهم فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم
بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون** بعل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بهم وبشدة شكيمتهم في الكفر
والعناد فقيل له ادع الله تعالى بأسمائه العظمى وقل أنت وحدك تقدر على الحكم بيني وبينهم ولا حيلة لغيري فيهم وفيه وصف لحالهم

واعذار لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وتسلية له ووعيد لهم وعن الربيع بن خثيم وكان قليل الكلام انه اخبر بقتل الحسين
رضي الله تعالى عنه وسخط على قاتله قالوا الآن يتكلم فما زاد على ان قال آه اوقد فعلوا وقرأ هذه الآية وروي انه قال على اثره
قتل من كان صلى الله عليه وسلم يجلسه في حجره ويضع فاه على فيه • ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا
ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيمة وبدا لهم من الله ما لم يكونوا
يحتسبون • وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وعيد لهم لا كنه لفظاعته وشدته وهو نظير قوله في الوعد فلا
تعلم نفس ما اخفي لهم والمعنى وظهر لهم من سخط الله تعالى وعذابه ما لم يكن قط في حسابهم ولم يحدثوا به انفسهم وقيل عملوا
اعمالا حسبوها حسنات فاذا هي سيئات وعن سفيان الثوري رحمه الله تعالى انه قرأها فقال ويل لاهل الريا
ويل لاهل الريا وجزع محمد بن المنكدر عند موته فقيل له فقال اخشى آية من كتاب الله تعالى وتلاها فانا اخشى ان يبدو لي
من الله ما لم احتسبه • وبدا لهم سيئات ما كسبوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون
وبدا لهم سيئات ما كسبوا اي سيئات اعمالهم التي كسبوها او سيئات كسبهم حين تعرض صحائفهم وكانت خافية عليهم كقوله عز وجل
احصاه الله ونسوه او اراد بالسيئات انواع العذاب التي يجازون بها على ما كسبوا فسماها سيئات كما قال تعالى وجزاء سيئة
سيئة مثلها وحاق بهم ونزل بهم واحاط جزاء هزئهم • فاذا مس الانسان ضر دعانا ثم اذا خولناه نعمة منا
قال انما اوتيته على علم بل هي فتنة ولكن اكثرهم لا يعلمون • التخويل مختص بالتفضل يقال خولني
اذا اعطاك على غير جزاء على علم مني اي ساعطاه لما في من فضل واستحقاق او على علم من الله تعالى بي وباستحقاقي او
على علم مني بوجوه الكسب كما قال قارون على علم عندي فان قلت لم ذكر الضمير في اوتيته وهو للنعمة قلت
وقسما منها ويحتمل ان يكون ما في انما موصولة لا كافة فيرجع اليها الضمير على معنى ان الذي اوتيته على علم بل هي فتنة انكار
لقوله كانه قال ما خولناك من النعمة لما تقول بل هي فتنة اي ابتلاء وامتحان لك اتشكر ام تكفر فان قلت
كيف ذكر الضمير ثم انثه قلت حملا على المعنى اولا وعلى اللفظ آخرا ولان الخبر لما كان مؤنثا اعني فتنة ساغ تانيث المبتدا
لاجله لانه في معناه كقولهم ما جاءت حاجتك وقرئ بل هو فتنة على وفق انما اوتيته فان قلت ما السبب في عطف
هذه الآية بالفاء وعطف مثلها في اول السورة بالواو قلت السبب في ذلك ان هذه وقعت مسببة عن قوله
واذا ذكر الله وحده اشمأزت على معنى انهم يشمئزون عن ذكر الله تعالى ويستبشرون بذكر الآلهة فاذا مس احدهم ضر دعا
من اشمأز من ذكره دون من استبشر بذكره وما بينهما من الآي اعتراض فان قلت حق الاعتراض ان يؤكد المعترض
بينه وبينه قلت ما في الاعتراض من دعاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ربه بامر منه وقوله انت تحكم ثم ما عقبه من
الوعيد العظيم تاكيد لانكار اشمئزازهم واستبشارهم ورجوعهم الى الله عز وجل في الشدائد دون آلهتهم كانه قيل قل
يا رب لا يحكم بيني وبين هؤلاء الذين يجترءون عليك مثل هذه الجراءة ويرتكبون مثل هذا المنكر الا انت وقوله تعالى
ولو ان للذين ظلموا متناول لهم ولكل ظالم ان جعل مطلقا او اياهم خاصة ان عنيتهم به كانه قيل ولو ان لهؤلاء الظالمين
ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به حين احكم عليهم بسوء العذاب وهذه الاسرار والنكت لا يبرزها الا علم النظم والا
بقيت محتجبة في اكمامها واما الآية الاولى فلم تقع مسببة وما هي الا جملة ناسبت جملة قبلها فعطفت عليها بالواو كقولك
قام زيد وقعد عمرو فان قلت من اي وجه وقعت مسببة والاشمئزاز عن ذكر الله تعالى ليس بمقتض لالتجائهم الى الله بل
هو مقتض لصدودهم عنه قلت في هذا التسبب لطف وبيانه انك تقول زيد مؤمن بالله تعالى فاذا مسه ضر التجا
اليه فهذا تسبب ظاهر لا لبس فيه ثم تقول زيد كافر بالله تعالى فاذا مسه ضر التجا اليه فتجيء بالفاء مجيئك به ثمة كان الكافر حين
التجا الى الله تعالى التجاء المؤمن اليه مقيم كفره مقام الايمان ومجريه مجراه في جعله سببا في الالتجاء فانت تحكي ما عكس فيه الكافر
الا ترى انك تقصد بهذا الكلام الانكار والتعجب من فعله • قد قالها الذين من قبلهم فما اغنى عنهم ما
كانوا يكسبون • الضمير في قالها راجع الى قوله تعالى انما اوتيته على علم لانها كلمة او جملة من القول وقرئ قد قاله على
معنى القول والكلام وذلك والذين من قبلهم هم قارون وقومه حيث قال انما اوتيته على علم عندي وقومه راضون بها فكانهم
قالوها ويجوز ان يكون في الامم الخالية آخرون قائلون مثلها فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من متاع الدنيا ويجمعون منه
فاصابهم سيئات ما كسبوا والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا وما هم

بمعجزين • اولم يعلموا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ان في ذلك لآيات
لقوم يؤمنون • من هؤلاء من مشركي قومك سيصيبهم مثل ما اصاب اولئك فقتل صناديدهم ببدر وحبس
عنهم الرزق فقحطوا سبع سنين ثم بسط لهم فمطروا سبع سنين فقيل لهم اولم يعلموا انه لا قابض ولا باسط الا الله عز وجل
قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر
الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم • اسرفوا على انفسهم جنوا عليها بالاسراف في المعاصي والغلو
فيها لا تقنطوا قرئ بفتح النون وكسرها ان الله يغفر الذنوب جميعا يعني بشرط التوبة وقد تكرر ذكر هذا الشرط في
القرآن فكان ذكره فيما ذكر فيه ذكرا له فيما لم يذكر فيه لان القرآن في حكم كلام واحد ولا يجوز فيه التناقض وفي قراءة ابن عباس
وابن مسعود رضي الله تعالى عنهم يغفر الذنوب جميعا لمن يشاء والمراد بمن يشاء من تاب لان مشيئة الله تعالى تابعة لحكمته
وعدله لا لملكه وجبروته وقيل في قراءة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وفاطمة رضي الله تعالى عنها يغفر الذنوب جميعا ولا
يبالي ونظير نفي المبالاة نفي الخوف في قوله تعالى ولا يخاف عقباها • وقيل قال اهل مكة يزعم محمد ان من عبد الاوثان
وقتل النفس التي حرم الله لم يغفر له فكيف ولم نهاجر وقد عبدنا الاوثان وقتلنا النفس التي حرم الله فنزلت وروي
انه اسلم عياش بن ابي ربيعة والوليد بن الوليد ونفر معهما ثم فتنوا وعذبوا فافتتنوا فكنا نقول لا يقبل الله تعالى لهم صرفا
ولا عدلا فنزلت فكتب بها عمر رضي الله تعالى عنه اليهم فاسلموا وهاجروا وقيل نزلت في وحشي قاتل حمزة رضي الله عنه
وعن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما احب ان لي الدنيا وما فيها بهذه الآية فقال رجل يا رسول الله ومن اشرك فسكت
ساعة ثم قال الا ومن اشرك ثلث مرات • وانيبوا الى ربكم واسلموا له من قبل ان ياتيكم العذاب
ثم لا تنصرون • وانيبوا الى ربكم وتوبوا اليه واسلموا له واخلصوا له العمل وانما ذكر الانابة على اثر المغفرة لئلا يطمع
طامع في حصولها بغير توبة وللدلالة على انها شرط فيها لازم لا تحصل بدونه • واتبعوا احسن ما انزل اليكم من
ربكم من قبل ان ياتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون • واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم مثل قوله تعالى
الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه وانتم لا تشعرون اي يفجؤكم وانتم غافلون كانكم لا تخشون شيئا لفرط غفلتكم
ان تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله وان كنت لمن الساخرين
ان تقول نفس كراهة ان تقول نفس فان قلت لم نكرت قلت لان المراد بها بعض الانفس وهي نفس الكافر
ويجوز ان يراد نفس متميزة من الانفس اما بلجاج في الكفر شديد او بعذاب عظيم ويجوز ان يراد التكثير كما قال الاعشى • ورب بقيع لو
هتفت بجوه • اتاني كريم ينفض الراس مغضبا • وهو يريد افواجا من الكرام ينصرونه لا كريما واحدا ونظيره رب بلد
قطعت ورب بطل قارعت وقد اختلس الطعنة ولا يقصد الا التكثير وقرئ يا حسرتي على الاصل ويا حسرتاي على الجمع بين
العوض والمعوض منه والجنب الجانب يقال انا في جنب فلان وجانبه وناحيته وفلان لين الجنب والجانب ثم قالوا فرط في جنبه
وفي جانبه يريدون في حقه قال سابق البربري • اما تتقين الله في جنب وامق • له كبد حرى عليك تقطع • وهذا من باب الكناية
لانك اذا اثبت الامر في مكان الرجل وحيزه فقد اثبته فيه الا ترى الى قوله • ان السماحة والمروءة والندى • في قبة ضربت على
ابن الحشرج • ومنه قول الناس لمكانك فعلت كذا يريدون لاجلك وفي الحديث من الشرك الخفي ان يصلي الرجل لمكان
الرجل وكذلك فعلت هذا من جهتك فمن حيث لم يبق فرق فيما يرجع الى اداء الغرض بين ذكر المكان وتركه قيل
فرطت في جنب الله على فرطت في ذات الله فان قلت فمرجع كلامك الى ان ذكر الجنب كلا ذكر سوى ما يعطي من
حسن الكناية وبلاغتها فكانه قيل فرطت في الله فما معنى فرطت في الله قلت لا بد من تقدير مضاف محذوف سواء
ذكر الجنب او لم يذكر والمعنى فرطت في طاعة الله وعبادة الله وما اشبه ذلك وفي حرف عبد الله وحفصة في ذكر الله
وما في فرطت مصدرية مثلها في بما رحبت وان كنت لمن الساخرين قال قتادة لم يكفه ان ضيع طاعة الله حتى سخر من
اهلها ومحل وان كنت النصب على الحال كانه قال فرطت وانا ساخر اي فرطت في حال سخريتي وروي انه كان في بني اسرائيل
عالم ترك علمه وفسق اتاه ابليس وقال له تمتع من الدنيا ثم تب فاطاعه وكان له مال فانفقه في الفجور فاتاه ملك الموت في الذ ما كان فقال
يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله ذهب عمري في طاعة الشيطان واسخطت ربي فندم حين لم ينفعه الندم فانزل الله تعالى
خبره في القرآن • او تقول لو ان الله هداني لكنت من المتقين • او تقول حين ترى العذاب

لو ان لي كرة فاكون من المحسنين • بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت
من الكافرين • لو ان الله هداني لا يخلو اما ان يريد به الهداية بالالجاء او بالالطاف او بالوحي فالالجاء خارج عن
الحكمة ولم يكن من اهل الالطاف فيلطف به واما الوحي فقد كان ولكنه اعرض ولم يتبعه حتى يهتدي وانما يقول هذا تحيرا
في امره وتعللا بما لا يجدي عليه كما حكى عنهم التعلل باغواء الرؤساء والشياطين ونحو ذلك ونحوه لو هدانا الله لهديناكم وقوله
تعالى بلى قد جاءتك آياتي رد من الله تعالى عليه معناه بلى قد هديت بالوحي فكذبت به واستكبرت عن قبوله وآثرت الكفر
على الايمان والضلالة على الهدى وقرئ بكسر التاء على مخاطبة النفس **فان قلت** هلا قرن الجواب بما هو جواب له
وهو قوله تعالى لو ان الله هداني ولم يفصل بينهما بآية **قلت** لانه لا يخلو اما ان يقدم على اخرى القرائن الثلاث
فيفرق بينهن واما ان تؤخر القرينة الوسطى فلم يحسن الاول لما فيه من تبتير النظم بالجمع بين القرائن واما الثاني فلما فيه من
نقض الترتيب وهو التحسر على التفريط في الطاعة ثم التعلل بفقد الهداية ثم تمني الرجعة فكان الصواب ما جاء عليه وهو انه حكى اقوال
النفس على ترتيبها ونظمها ثم اجاب من بينها عما اقتضى الجواب **فان قلت** كيف صح ان يقع بلى جوابا لغير
منفي **قلت** لو ان الله هداني فيه معنى ما هديت • ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم
مسودة اليس في جهنم مثوى للمتكبرين • كذبوا على الله وصفوه بما لا يجوز عليه تعالى وهو متعال عنه فاضافوا
اليه الولد والشريك وقالوا هؤلاء شفعاؤنا وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم وقالوا والله امرنا بها ولا يبعد عنهم قوم
يسفهونه بفعل القبائح وتجويز ان يخلق خلقا لا لغرض ويؤلم لا لعوض ويظلمونه بتكليف ما لا يطاق ويجسمونه بكونه مرئيا معاينا
مدركا بالحاسة ويثبتون له يدا وقدما وجنبا مستترين بالبلكفة ويجعلون له اندادا باثباتهم معه قدماء وجوههم
مسودة جملة في موضع الحال ان كان ترى من رؤية البصر ومفعول ثان ان كان من رؤية القلب • وينجي
الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون • وقرئ ينجي وينجي بمفازتهم بفلاحهم يقال فاز بكذا
اذا افلح به وظفر بمراده منه وتفسير المفازة قوله تعالى لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون كانه قيل وما مفازتهم فقيل لا يمسهم السوء
اي ينجيهم بنفي السوء والحزن عنهم او بسبب منجاتهم من قوله تعالى فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب اي بمنجاة منه لان النجاة من اعظم الفلاح
وسبب منجاتهم العمل الصالح ولهذا فسر ابن عباس المفازة بالاعمال الحسنة ويجوز بسبب فلاحهم لان العمل الصالح سبب
الفلاح وهو دخول الجنة ويجوز ان يسمى العمل الصالح في نفسه مفازة لانه سببها وقرئ بمفازاتهم على ان لكل متق مفازة
فان قلت لا يمسهم السوء ما محله من الاعراب على التفسيرين **قلت** اما على التفسير الاول فلا محل له لانه كلام مستانف
واما على الثاني فمحله النصب على الحال • الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل • له مقاليد
السموات والارض والذين كفروا بآيات الله اولئك هم الخاسرون • له مقاليد السموات والارض
اي هو مالك امرها وحافظها وهو من باب الكناية لان حافظ الخزائن ومدبر امرها هو الذي يملك مقاليدها ومنه قولهم فلان القيت
اليه مقاليد الملك وهي المفاتيح ولا واحد لها من لفظها وقيل مقليد ويقال اقليد واقاليد والكلمة اصلها فارسية **فان قلت**
ما للكتاب العربي المبين وللفارسية **قلت** التعريب احالها عربية كما اخرج الاستعمال المهمل من كونه مهملا **فان قلت**
بم اتصل قوله والذين كفروا **قلت** بقوله تعالى وينجي الله الذين اتقوا اي ينجي الله المتقين بمفازتهم والذين كفروا هم الخاسرون واعترض بينهما بانه خالق
الاشياء كلها وهو مهيمن عليها فلا يخفى عليه شيء من اعمال المكلفين فيها وما يستحقون عليها من الجزاء وقد جعل متصلا بما يليه على ان
كل شيء في السموات والارض فالله خالقه وفاتح بابه والذين كفروا وجحدوا ان يكون الامر كذلك اولئك هم الخاسرون
وقيل سال عثمان رضي الله تعالى عنه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن تفسير قوله تعالى له مقاليد السموات والارض فقال يا عثمان
ما سالني عنها احد قبلك تفسيرها لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله وبحمده واستغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله
هو الاول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير وتأويله على هذا ان لله تعالى هذه الكلمات
يوحد بها ويمجد وهي مفاتيح خير السموات والارض من تكلم بها من المتقين اصابه والذين كفروا بآيات الله وكلمات توحيده وتمجيده
اولئك هم الخاسرون • قل افغير الله تأمروني اعبد ايها الجاهلون • افغير الله منصوب
باعبد وتأمروني اعتراض ومعناه افغير الله اعبد بامركم وذلك حين قال له المشركون استلم بعض آلهتنا ونؤمن بك او
بنصب بما يدل عليه جملة قوله تأمروني اعبد لانه في معنى تعبدونني وتقولون لي اعبد والاصل تأمرونني ان اعبد فحذف ان ورفع الفعل

كان قوله • الا ايهذا الزاجري احضر الوغى • الا تراك تقول افغير الله تقولون لي اعبده وافغير الله تأمرونني ان اعبد
والدليل على صحة هذا الوجه قراءة من قرأ اعبد بالنصب وقرئ تأمرونني على الاصل وتأمروني على ادغام النون او حذفها
ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين •
قرئ ليحبطن وليحبطن على البناء للمفعول ولنحبطن بالنون والياء اي ليحبطن الله تعالى او الشرك **فان قلت**
الموحى اليهم جماعة فكيف قال لئن اشركت على التوحيد **قلت** معناه اوحي اليك لئن اشركت ليحبطن عملك والى الذين
من قبلك مثله او اوحي اليك والى كل واحد منهم لئن اشركت كما تقول كسانا حلة اي كل واحد منا **فان قلت**
ما الفرق بين اللامين **قلت** الاولى موطئة للقسم المحذوف والثانية لام الجواب وهذا الجواب ساد مسد الجوابين
اعني جوابي القسم والشرط **فان قلت** كيف صح هذا الكلام مع علم الله تعالى ان رسله لا يشركون ولا تحبط اعمالهم
قلت على سبيل الفرض والمحالات يصح فرضها لاغراض فكيف بما ليس بمحال الا ترى الى قوله تعالى ولو شاء ربك لآمن من
في الارض كلهم جميعا يعني على سبيل الالجاء ولن يكون ذلك لامتناع الداعي اليه ووجود الصارف عنه **فان قلت**
ما معنى قوله ولتكونن من الخاسرين **قلت** يحتمل ولتكونن من الخاسرين بسبب حبوط العمل ويحتمل ولتكونن في الآخرة من
جملة الخاسرين الذين خسروا انفسهم ان مت على الردة ويجوز ان يكون غضب الله تعالى على الرسول اشد فلا مهلة بعد الردة
الا ترى الى قوله تعالى اذا لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات • بل الله فاعبد وكن من الشاكرين •
بل الله فاعبد رد لما امروه به من استلام بعض آلهتهم كانه قال لا تعبد ما امروك بعبادته بل ان كنت عاقلا فاعبد الله فحذف الشرط
وجعل تقديم المفعول عوضا منه وكن من الشاكرين على ما انعم به عليك من ان جعلك سيد ولد آدم وجوز الفراء نصبه بفعل مضمر هذا
معطوف عليه تقديره بل الله اعبد فاعبد • وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم
القيمة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون • لما كان العظيم من الاشياء اذا
عرفه الانسان حق معرفته وقدره في نفسه حق تقديره عظمه حق تعظيمه قيل وما قدروا الله حق قدره وقرئ بالتشديد على معنى وما
عظموه كنه تعظيمه ثم نبههم على عظمته وجلالة شانه على طريقة التخييل فقال والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات
بيمينه والغرض من هذا الكلام اذا اخذته كما هو بجملته ومجموعه تصوير عظمته والتوقيف على كنه جلاله لا غير من غير ذهاب بالقبضة ولا
باليمين الى جهة حقيقة او جهة مجاز وكذلك حكم ما يروى ان جبريل عليه السلام جاء الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا ابا القاسم
ان الله تعالى يمسك السموات يوم القيمة على اصبع والارضين على اصبع والجبال على اصبع والشجر على اصبع والثرى على اصبع وسائر
الخلق على اصبع ثم يهزهن فيقول انا الملك فضحك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مما قال ثم قرا تصديقا له وما قدروا الله حق قدره الآية
وانما ضحك افصح العرب وتعجب لانه لم يفهم منه الا ما يفهمه علماء البيان من غير تصور امساك ولا اصبع ولا هز ولا شيء من ذلك ولكن
فهمه وقع اول شيء وآخره على الزبدة والخلاصة التي هي الدلالة على القدرة الباهرة وان الافعال العظام التي تتحير فيها الافهام والاذهان
ولا تكتنهها الاوهام هينة عليه هوانا لا يوصل السامع الى الوقوف عليه الا اجراء العبارة في مثل هذه الطريقة من التخييل ولا
ترى بابا في علم البيان ادق ولا ارق ولا الطف من هذا الباب ولا انفع واعون على تعاطي تأويل المشتبهات من كلام الله تعالى في القرآن وسائر
الكتب السماوية وكلام الانبياء فان اكثره وعليته تخييلات قد زلت فيها الاقدام قديما وما اتي الزالون الا من قلة عنايتهم
بالبحث والتنقير حتى يعلموا ان في عداد العلوم الدقيقة علما لو قدروه حق قدره لما خفي عليهم ان العلوم كلها مفتقرة اليه وعيال عليه
اذ لا يحل عقدها المورّبة ولا يفك قيودها المكربة الا هو وكم من آية من آيات التنزيل وحديث من حديث الرسول عليه الصلوة والسلام
قد ضيم وسيم الخسف بالتأويلات الغثة والوجوه الرثة لان من تأول ليس من هذا العلم في عير ولا نفير ولا يعرف قبيلا من
دبير والمراد بالارض الارضون السبع يشهد لذلك شاهدان قوله تعالى جميعا وقوله والسموات ولان الموضع موضع تعظيم وتفخيم
فهو مقتض للمبالغة ومع القصد الى الجمع وتاكيده بالجمع اتبع الجميع مؤكده قبل مجيء الخبر ليعلم اول الامر ان الخبر الذي يرد
لا يقع عن ارض واحدة ولكن عن الاراضي كلهن والقبضة المرة من القبض والقبضة بالضم المقدار المقبوض بالكف ويقال ايضا اعطني قبضة من كذا تريد
معنى القبضة تسمية بالمصدر كما روي انه نهى عن خطفة السبع وكلا المعنيين محتمل والمعنى والارضون جميعا قبضته اي
ذوات قبضته يقبضهن قبضة واحدة يعني ان الارضين مع عظمهن وبسطتهن لا يبلغن الا قبضة واحدة من قبضاته كانه
يقبضها قبضة بكف واحدة كما تقول الجزور اكلة لقمان والقلة جرعته اي ذات اكلة وذات جرعة تريد انهما لا يفيان الا

باكلة فذة من الكلاة وجرعة فذة من جرعاته واذا اريد معنى القبضة فظاهر لان المعنى ان الارضين بجملتها مقدار ما يقبضه بكف
واحد فان قلت ما وجه قراءة من قرأ قبضته بالنصب قلت جعلها ظرفا مشبها للموقت بالمبهم مطويات
من الطي الذي هو ضد النشر كما قال تعالى يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب وعادة طاوي السجل ان يطويه بيمينه وقيل قبضته
ملكه بلا مدافع ولا منازع وبيمينه بقدرته وقيل مطويات مفنيات بقسمه لانه اقسم ان يفنيها ومن اشتم رائحة من علمنا
هذا فليعرض عليه هذا التاويل ليتلهى بالتعجب منه ومن قائله ثم يبكي حمية لكلام الله تعالى المعجز بفصاحته وما مني به من امثاله واثقل
منه على الروح واصدع للكبد تدوين العلماء قولهم واستحسانهم له وحكايته منه على فروع المنابر واستجلاب الاهتزاز به من السامعين
وقرئ مطويات على نظم السموات في حكم الارض ودخولها تحت القبضة ونصب مطويات على الحال سبحانه وتعالى ما ابعد من هذه
قدرته وعظمته وما اعلاه عما يضاف اليه من الشركاء ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض
الا من شاء الله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون فان قلت اخرى ما محلها من الاعراب
قلت يحتمل الرفع والنصب اما الرفع فعلى قوله تعالى فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة واما النصب فعلى قراءة من قرأ نفخة واحدة
والمعنى ونفخ في الصور نفخة واحدة واما النصب فعلى قراءة من قرأ نفخة واحدة والمعنى ونفخ في الصور نفخة واحدة ثم نفخ فيه اخرى
وانما حذفت لدلالة اخرى عليها ولكونها معلومة بذكرها في غير مكان وقرئ قياما ينظرون يقلبون ابصارهم في الجهات نظر
المبهوت اذا فاجأه خطب وقيل ينظرون ماذا يفعل بهم ويجوز ان يكون القيام بمعنى الوقوف والجمود في مكان لتحيرهم
واشرقت الارض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق
وهم لا يظلمون ووفيت كل نفس ما عملت وهو اعلم بما يفعلون قد استعار الله عز وجل
النور للحق والقرآن والبرهان في مواضع من التنزيل وهذا من ذاك والمعنى واشرقت الارض بما يقيمه فيها من الحق والعدل وبسط
من القسط في الحساب ووزن الحسنات والسيئات وينادي عليه بانه مستعار اضافته الى اسمه لانه هو الحق العدل واضافة
اسمه الى الارض لانه يزينها حيث ينشر فيها عدله وينصب فيها موازين قسطه ويحكم بالحق بين اهلها ولا ترى ازين للبقاع من العدل ولا اعمر
لها منه وفي هذه الاضافة ان ربها وخالقها هو الذي يعدل فيها وانما يجور فيها غير ربها ثم ما عطف على اشراق الارض من وضع الكتاب
والمجيء بالنبيين والشهداء والقضاء بالحق وهو النور المذكور وترى الناس يقولون للملك العادل اشرقت الآفاق بعدلك واضاءت
الدنيا بقسطك كما يقولون اظلمت البلاد بجور فلان وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الظلم ظلمات يوم القيمة وكما فتح الآية باثبات
العدل ختمها بنفي الظلم وقرئ واشرقت على البناء للمفعول من شرقت بالضوء تشرق اذا امتلأت به واغتصت واشرقها الله
كما تقول ملأ الارض عدلا وطبقها عدلا والكتاب صحائف الاعمال ولكنه اكتفى باسم الجنس وقيل اللوح المحفوظ والشهداء الذين
يشهدون للامم وعليهم من الحفظة والاخيار وقيل المستشهدون في سبيل الله تعالى وسيق الذين كفروا الى جهنم
زمرا حتى اذا جاؤها فتحت ابوابها وقال لهم خزنتها الم ياتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم
وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين الزمر الافواج المتفرقة
بعضها في اثر بعض وقد تزمروا قال حتى احزألت زمر بعد زمر وقيل في زمر الذين اتقوا هي الطبقات المختلفة الشهداء والزهاد
والعلماء والقراء وغيرهم وقرئ نذر منكم فان قلت لم اضيف اليهم اليوم قلت ارادوا لقاء وقتكم هذا وهو
وقت دخولهم النار لا يوم القيمة وقد جاء استعمال اليوم والايام مستفيضا في اوقات الشدة قالوا بلى اتونا وتلوا علينا ولكن وجبت
علينا كلمة الله تعالى لاملأن كما قالوا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين فذكروا عملهم الموجب لكلمة العذاب وهو الكفر والضلال
قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين اللام في المتكبرين للجنس لان مثوى المتكبرين
فاعل بئس وبئس فاعلها اسم معرف بلام الجنس او مضاف الى مثله والمخصوص بالذم محذوف تقديره فبئس مثوى المتكبرين جهنم
وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها سلام
عليكم طبتم فادخلوها خالدين حتى هي التي تحكى بعدها الجمل والجملة المحكية بعدها هي الشرطية الا ان جزاءها محذوف
وانما حذف لانه في صفة ثواب اهل الجنة فدل بحذفه على انه شيء لا يحيط به الوصف وحق موقعه ما بعد خالدين وقيل حتى اذا
جاؤها جاؤها وفتحت ابوابها اي مع فتح ابوابها وقيل ابواب جهنم لا تفتح الا عند دخول اهلها فيها واما ابواب الجنة فمتقدم
فتحها بدليل قوله تعالى جنات عدن مفتحة لهم الابواب فلذلك جيء بالواو كانه قيل حتى اذا جاؤها وقد فتحت ابوابها فان قلت

كيف

كيف عبر عن الذهاب بالفريقين جميعا بلفظ السوق قلت المراد بسوق اهل النار طردهم اليها بالهوان والعنف كما
يفعل بالاسارى والخارجين على السلطان اذا سيقوا الى حبس او قتل والمراد بسوق اهل الجنة سوق مراكبهم لانه لا يذهب بهم
الا راكبين وحثها اسراعا بهم الى دار الكرامة والرضوان كما يفعل بمن يشرف ويكرم من الوافدين على بعض الملوك فشتان
ما بين السوقين طبتم من دنس المعاصي وطهرتم من خبث الخطايا فادخلوها جعل دخول الجنة مسببا عن الطيب والطهارة فما
هي الا دار الطيبين ومثوى الطاهرين لانها دار طهرها الله تعالى من كل دنس وطيبها من كل قذر فلا يدخلها الا مناسب لها موصوف
بصفتها فما ابعد احوالنا من تلك المناسبة وما اضعف سعينا في اكتساب تلك الصفة الا ان يهب لنا الوهاب
الكريم توبة نصوحا تنقي انفسنا من درن الذنوب وتميط وضر هذه القلوب خالدين مقدرين الخلود
وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء
فنعم اجر العاملين الارض عبارة عن المكان الذي اقاموا فيه واتخذوه مقرا ومتبوأ وقد اورثوها اي
ملكوها وجعلوا ملوكها واطلق تصرفهم فيها كما يشاؤن تشبيها بحال الوارث وتصرفه فيما يرثه واتساعه فيه وذهابه في انفاقه
طولا وعرضا فان قلت ما معنى قوله تعالى حيث نشاء وهل يتبوأ احدهم مكان غيره قلت يكون لكل واحد
منهم جنة لا توصف سعة وزيادة على الحاجة فيتبوأ من جنته حيث يشاء ولا يحتاج الى جنة غيره وترى الملائكة
حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله
رب العالمين حافين محدقين من حوله يسبحون بحمد ربهم يقولون سبحان الله والحمد لله متلذذين لا متعبدين
فان قلت الام يرجع الضمير في قوله بينهم قلت يجوز ان يرجع الى العباد كلهم وان ادخال بعضهم النار وبعضهم
الجنة لا يكون الا قضاء بينهم بالحق والعدل وان يرجع الى الملائكة على ان ثوابهم وان كانوا معصومين جميعا لا يكون على
سنن واحد ولكن يفاضل بين مراتبهم على حسب تفاضلهم في اعمالهم وهو القضاء بينهم بالحق فان قلت قوله تعالى
وقيل الحمد لله من القائل ذلك قلت المقضي بينهم اما جميع العباد واما الملائكة كانه قيل وقضي بينهم بالحق وقالوا
الحمد لله على قضائه بيننا بالحق وانزال كل منا منزلته التي هي حقه عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة الزمر لم يقطع
الله رجاءه يوم القيمة واعطاه ثواب الخائفين الذين خافوا وعن عائشة رضي الله تعالى عنها عن النبي عليه الصلوة والسلام انه كان يقرأ كل ليلة
بني اسرائيل والزمر

سورة المؤمن مكية

وقيل في الحواميم كلها انها مكيات وهي خمس وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله
العزيز العليم قرئ بامالة حا وتفخيمها وبتسكين الميم وفتحها ووجه الفتح التحريك لالتقاء الساكنين وايثار اخف
الحركات نحو اين وكيف او النصب باضمار اقرأ ومنع الصرف للتانيث والتعريف او انها على زنة اعجمي نحو قابيل وهابيل
غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا اله الا هو اليه المصير
التوب والثوب والاوب اخوات في معنى الرجوع والطول الفضل والزيادة يقال لفلان على فلان طول والافضال يقال طال عليه
وتطول اذا تفضل فان قلت كيف اختلفت هذه الصفات تعريفا وتنكيرا والموصوف معرفة يقتضي ان يكون مثله
معارف قلت اما غافر الذنب وقابل التوب فمعرفتان لانه لم يرد بهما حدوث الفعلين وانه يغفر الذنب ويقبل التوب
الآن او غدا حتى يكونا في تقدير الانفصال فتكون اضافتهما غير حقيقية وانما اريد ثبوت ذلك ودوامه فكان حكمهما حكم اله الخلق
ورب العرش واما شديد العقاب فامره مشكل لانه في تقدير شديد عقابه لا ينفك من هذا التقدير وقد جعله الزجاج
بدلا وفي كونه بدلا وحده بين الصفات نبو ظاهر والوجه ان يقال لما صودف بين هؤلاء المعارف هذه النكرة الواحدة
فقد آذنت بان كلها ابدال غير اوصاف ومثال ذلك قصيدة جاءت تفاعيلها كلها على مستفعلن وهي محكوم عليها
بانها من بحر الرجز فان وقع فيها جزء واحد على متفاعلن كانت من الكامل ولقائل ان يقول هي صفات وانما حذف
الالف واللام من شديد العقاب ليزاوج ما قبله وما بعده لفظا فقد غيروا كثيرا من كلامهم عن قوانينه لاجل الازدواج
حتى قالوا ما يعرف سحادليه من عنادليه فثنوا ما هو وتر لاجل ما هو شفع على ان الخليل قال في قولهم ما يحسن بالرجل

شكك ان يفعل ذلك وما يحسن بالرجل خير منك ان يفعل ذلك انه على نية الالف واللام كما ان الجما الغفير على نية طرح الالف واللام وما سهل ذلك الامن من اللبس وجهالة الموصوف ويجوز ان يقال قد تعمد تنكيره وابهامه للدلالة على فرط الشدة وعلى ما لا شيء ادهى منه وامر لزيادة الانذار ويجوز ان يقال هذه النكتة هي الداعية الى اختيار البدل على الوصف اذا سلكت طريق الابدال **فان قلت** ما بال الواو في قوله تعالى وقابل التوب **قلت** فيها نكتة جليلة وهي افادة الجمع للمذنب التائب بين رحمتين بين ان يقبل توبته فيكتبها له طاعة من الطاعات وان يجعلها محاءة للذنوب كان لم يذنب كانه قال جامع المغفرة والقبول وروي ان عمر رضي الله تعالى عنه افتقد رجلا ذا باس شديد من اهل الشام فقيل له تتابع في هذا الشراب فقال عمر رضي الله تعالى عنه لكاتبه اكتب من عمر الى فلان سلام عليك وانا احمد اليك الله الذي لا اله الا هو بسم الله الرحمن الرحيم حم الى قوله تعالى المصير وختم الكتاب وقال لرسوله لا تدفعه اليه حتى تجده صاحيا ثم امر من عنده بالدعاء له بالتوبة فلما اتته الصحيفة جعل يقرؤها ويقول قد وعدني الله تعالى ان يغفر لي وحذرني عقابه فلم يبرح يرددها حتى بكى ثم نزع فاحسن النزوع وحسنت توبته فلما بلغ عمر امره قال هكذا فاصنعوا اذا رايتم اخاكم قد زل زلة فسددوه ووفقوه وادعوا الله ان يتوب ولا تكونوا اعوان الشياطين عليه

ما يجادل في آيات الله الا الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم في البلاد سجل على المجادلين في آيات الله تعالى بالكفر والمراد الجدال بالباطل من الطعن فيها والقصد الى ادحاض الحق واطفاء نور الله تعالى وقد دل على ذلك في قوله تعالى وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فاما الجدال فيها لايضاح ملتبسها وحل مشكلها ومقادحة اهل العلم في استنباط معانيها ورد اهل الزيغ بها وعنها فاعظم جهاد في سبيل الله تعالى وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم ان جدالا في القرآن كفر واراده منكرا وان لم يقل ان الجدال تمييز بين جدال وجدال **فان قلت** من اين تسبب لقوله فلا يغررك ما قبله **قلت** من حيث انهم لما كانوا مشهودا عليهم من قبل الله تعالى بالكفر والكافر لا احد اشقى منه عند الله تعالى وجب على من تحقق ذلك ان لا ترجح احوالهم في عينه ولا يغره اقبالهم في دنياهم وتقلبهم في البلاد بالتجارات النافقة والمكاسب المربحة وكانت قريش كذلك يتقلبون في بلاد الشام واليمن ولهم الاموال يتجرون فيها ويتربحون فان مصير ذلك وعاقبته الى الزوال ووراءه شقاوة الابد ثم ضرب لتكذيبهم وعداوتهم للرسل وجدالهم بالباطل وما ادخر لهم من سوء العاقبة مثلا ما كان من نحو ذلك في الامم وما اخذهم به من عقابه وما احل بساحتهم من انتقامه وقرئ لا يغرك

كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم وهمت كل امة برسولهم لياخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فاخذتهم فكيف كان عقاب الاحزاب الذين تحزبوا على الرسل وناصبوهم وهم عاد وثمود وفرعون وغيرهم وهمت كل امة من هذه الامم التي هي قوم نوح والاحزاب برسولهم وقرئ برسولها لياخذوه ليتمكنوا منه ومن الايقاع به واصابته بما ارادوه من تعذيب وقتل ويقال للاسير اخيذ فاخذتهم يعني انهم قصدوا اخذه فجعلت جزاءهم على ارادة اخذه ان اخذتهم فكيف كان عقاب فانكم تمرون على بلادهم ومساكنهم فتعاينون اثر ذلك وهذا تقرير فيه معنى التعجب

وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا انهم اصحاب النار انهم اصحاب النار في محل الرفع بدل من كلمة ربك اي مثل ذلك الوجوب وجب على الذين كفروا كونهم من اصحاب النار ومعناه كما وجب اهلاكهم في الدنيا بالعذاب المستاصل كذلك وجب اهلاكهم بعذاب النار في الآخرة او في محل النصب بحذف لام التعليل وايصال الفعل والذين كفروا قريش ومعناه كما وجب اهلاك اولئك الامم كذلك وجب اهلاك هؤلاء لان علة واحدة تجمعهم انهم من اصحاب النار وقرئ كلمات

الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم انك انت العزيز الحكيم وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم روي ان حملة العرش ارجلهم في الارض السفلى ورؤوسهم قد خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تتفكروا في عظم ربكم ولكن تفكروا فيما خلق من الملائكة فان خلقا من الملائكة يقال له اسرافيل زاوية من زوايا العرش على كاهله وقدماه في الارض السفلى وقد مرق راسه من سبع سموات وانه ليتضاءل

من

من عظمة الله تعالى حتى يصير كانه الوصع وفي الحديث ان الله تعالى امر جميع الملائكة ان يغدوا ويروحوا بالسلام على حملة العرش تفضيلا لهم على سائر الملائكة وقيل خلق الله تعالى العرش من جوهرة خضراء وبين القائمتين من قوائمه خفقان الطير المسرع ثمانين الف عام وقيل حول العرش سبعون الف صف من الملائكة يطوفون به مهللين مكبرين ومن ورائهم سبعون الف صف قيام قد وضعوا ايديهم على عواتقهم رافعين اصواتهم بالتهليل والتكبير ومن ورائهم مائة الف صف قد وضعوا الايمان على الشمائل ما منهم احد الا وهو يسبح بما لا يسبح الآخر وقرا ابن عباس العرش بضم العين **فان قلت** ما فائدة قوله تعالى ويؤمنون به ولا يخفى على احد ان حملة العرش ومن حوله من الملائكة الذين يسبحون بحمده مؤمنون **قلت** فائدته اظهار شرف الايمان وفضله والترغيب فيه كما وصف الانبياء في غير موضع من كتابه بالصلاح لذلك وكما عقب اعمال الخير بقوله تعالى ثم كان من الذين آمنوا فابان بذلك فضل الايمان وفائدة اخرى وهي التنبيه على ان الامر لو كان كما تقول المجسمة لكان حملة العرش ومن حوله شاهدين معاينين ولما وصفوا بالايمان لانه انما يوصف بالايمان الغائب فلما وصفوا به على سبيل الثناء عليهم علم ان ايمانهم وايمان من في الارض وكل من غاب عن ذلك المقام سواء في ان ايمان الجميع بطريق النظر والاستدلال لا غير وانه لا طريق الى معرفته الا هذا وانه منزه عن صفات الاجرام وقد روعي التناسب في قوله تعالى ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا كانه قيل ويؤمنون ويستغفرون لمن في مثل حالهم وصفتهم وفيه تنبيه على ان الاشتراك في الايمان يجب ان يكون ادعى شيء الى النصيحة وابعثه على امحاض الشفقة وان تفاوتت الاجناس وتباعدت الاماكن فانه لا تجانس بين ملك وانسان ولا بين سماوي وارضي قط ثم لما جاء جامع الايمان جاء معه التجانس الكلي والتناسب الحقيقي حتى استغفر من حول العرش لمن فوق الارض قال الله تعالى ويستغفرون لمن في الارض اي يقولون ربنا وهذا المضمر يحتمل ان يكون بيانا ليستغفرون مرفوع المحل مثله وان يكون حالا **فان قلت** تعالى الله عن المكان فكيف صح ان يقال وسع كل شيء **قلت** الرحمة والعلم هما اللذان وسعا كل شيء في المعنى والاصل وسع كل شيء رحمتك وعلمك ولكن ازيل الكلام عن اصله بان اسند الفعل الى صاحب الرحمة والعلم واخرجا منصوبين على التمييز للاغراق في وصفه بالرحمة والعلم كان ذاته رحمة وعلم واسعان كل شيء **فان قلت** قد ذكر الرحمة والعلم فوجب ان يكون ما بعد الفاء مشتملا على حديثهما جميعا وما ذكر الا الغفران وحده **قلت** معناه فاغفر للذين علمت منهم التوبة واتباع سبيلك وسبيل الله سبيل الحق التي نهجها لعباده ودعا اليها انك انت العزيز الحكيم اي الملك الذي لا يغلب وانت مع ملكك وعزتك لا تفعل الا داعي الحكمة وموجب حكمتك ان تفي بوعدك وقهم السيئات اي العقوبات او جزاء السيئات فحذف المضاف على ان السيئات هي الصغائر او الكبائر المتوب عنها والوقاية منها التكفير او قبول التوبة **فان قلت** ما الفائدة في استغفارهم لهم وهم تائبون صالحون موعودون المغفرة والله لا يخلف الميعاد **قلت** هذا بمنزلة الشفاعة وفائدته زيادة الكرامة والثواب وقرئ جنة عدن وصلح بضم اللام والفتح افصح يقال صلح فهو صالح وصلح فهو صليح وذريتهم

ان الذين كفروا ينادون لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم اذ تدعون الى الايمان فتكفرون اي ينادون يوم القيمة فيقال لهم لمقت الله اكبر والتقدير لمقت الله انفسكم اكبر من مقتكم انفسكم فاستغني بذكرها مرة واذ تدعون منصوب بالمقت الاول والمعنى انه يقال لهم يوم القيمة كان الله تعالى يمقت انفسكم الامارة بالسوء والكفر حين كان الانبياء عليهم السلام يدعونكم الى الايمان فتابون قبوله وتختارون عليه الكفر اشد مما تمقتونهن اليوم وانتم في النار اذ اوقعتكم فيها باتباعكم هواهن وعن الحسن لما راوا اعمالهم الخبيثة مقتوا انفسهم فنودوا لمقت الله اياكم الآن اكبر من مقت بعضكم لبعض كقوله عز وجل يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا واذ تدعون تعليل والمقت اشد البغض فوضع في موضع ابلغ الانكار واشده

قالوا ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير اثنتين اماتتين واحياءتين او موتتين وحياتين واراد بالاماتتين خلقهم امواتا اولا واماتتهم عند انقضاء آجالهم وبالاحياءتين الاحياءة الاولى واحياءة البعث وناهيك تفسيرا لذلك قول الله تعالى وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم **فان قلت** كيف صح ان يسمى خلقهم امواتا

اماتة قلت كما صح ان تقول سبحان من صغر جسم البعوضة وكبر جسم الفيل وقولك للحفار ضيق فم الركية ووسع اسفلها
وليس ثم نقل من كبر الى صغر ولا من صغر الى كبر ولا من ضيق الى سعة ولا من سعة الى ضيق وانما اردت الانشاء على تلك الصفات
والسبب في صحته ان الصغر والكبر جائزان معا على المصنوع الواحد من غير ترجح لاحدهما وكذلك الضيق والسعة فاذا اختار
الصانع احد الجائزين وهو متمكن منهما على السواء فقد صرف المصنوع عن الجائز الآخر فجعل صرفه عنه كنقله منه ومن جعل الاماتتين
التي بعد حيوة الدنيا والتي بعد القبر لزمه اثبات ثلاث احياآت وهو خلاف ما في القرآن الا ان يتمحل فيجعل احديهما غير معتد بها او
يزعم ان الله تعالى يحييهم في القبور وتستمر بهم تلك الحيوة فلا يموتون بعدها ويعدهم في المستثنين من الصعقة في قوله
تعالى الا من شاء الله فان قلت كيف تسبب هذا القول لقوله تعالى فاعترفنا بذنوبنا قلت قد انكروا البعث فكفروا
وتبع ذلك من الذنوب ما لا يحصى لان من لم يخش العاقبة تخرق في المعاصي فلما راوا الاماتة والاحياء قد تكرر عليهم علموا
بان الله تعالى قادر على الاعادة قدرته على الانشاء فاعترفوا بذنوبهم التي اقترفوها من انكار البعث وما تبعه من
معاصيهم فهل الى خروج اي الى نوع من الخروج سريع او بطيء من سبيل قط او الياس واقع دون ذلك فلا خروج ولا سبيل
اليه وهذا كلام من غلب عليه الياس والقنوط وانما يقولون ذلك تعللا وتحيرا ولهذا جاء الجواب على حسب ذلك وهو قوله
ذلكم اي ذلكم الذي انتم فيه وان لا سبيل لكم الى خروج قط بسبب كفركم بتوحيد الله تعالى وايمانكم بالاشراك به فالحكم لله حيث
حكم عليكم بالعذاب السرمد وقوله تعالى العلي الكبير دلالة على الكبرياء والعظمة وعلى ان عقاب مثله لا يكون الا كذلك وهو
الذي يطابق كبرياءه ويناسب جبروته وقيل كان الحرورية اخذوا قولهم لا حكم الا لله من هذا

هو الذي يريكم اياته وينزل لكم من السماء رزقا وما يتذكر الا من ينيب فادعوا
مخلصين له الدين ولو كره الكافرون يريكم اياته من الريح والسحاب والرعد والبرق والصواعق ونحوها
والرزق المطر لانه سببه وما يتذكر الا من ينيب وما يتعظ وما يعتبر بايات الله تعالى الا من يتوب من الشرك ويرجع الى الله
فان المعاند لا سبيل الى تذكره واتعاظه ثم قال للمنيبين فادعوا الله مخلصين له الدين من الشرك وان غاظ ذلك اعداءكم
ممن ليس على دينكم **رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح من امره على من يشاء من عباده**
لينذر يوم التلاق يوم هم بارزون رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح ثلاثة اخبار لقوله هو مرتبة
على قوله الذي يريكم او اخبار مبتدا محذوف وهي مختلفة تعريفا وتنكيرا وقرئ رفيع الدرجات بالنصب على المدح ورفيع
الدرجات كقوله تعالى ذي المعارج وهي مصاعد الملائكة الى ان يبلغ العرش وهي دليل على عزته وملكوته وعن ابن جبير
سماء فوق سماء والعرش فوقهن ويجوز ان يكون عبارة عن رفعة شانه وعلو سلطانه كما ان ذا العرش عبارة عن ملكه
وقيل هي درجات ثوابه التي ينزلها اولياءه في الجنة الروح من امره الذي هو سبب الحيوة من امره يريد الوحي الذي
هو امر بالخير وبعث عليه فاستعار له الروح قال الله تعالى اومن كان ميتا فاحييناه لينذر الله تعالى او الملقى عليه وهو
الرسول او الروح وقرئ لتنذر اي لتنذر الروح لانها تؤنث او على خطاب الرسول وقرئ لينذر يوم التلاق على البناء للمفعول
ويوم التلاق يوم القيمة لان الخلائق تلتقي فيه وقيل يلتقي فيه اهل السماء واهل الارض وقيل المعبود والعابد يوم هم بارزون
ظاهرون لا يسترهم شيء من جبل او اكمة او بناء لان الارض بارزة قاع صفصف ولا عليهم ثياب انما هم عراة مكشوفون كما جاء
في الحديث يحشرون حفاة عراة غرلا **لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم لله الواحد القهار**
لا يخفى على الله منهم شيء اي من اعمالهم واحوالهم وعن ابن مسعود رضي الله عنه لا يخفى عليه منهم شيء فان قلت قوله تعالى
لا يخفى على الله منهم شيء بيان وتقرير لبروزهم والله تعالى لا يخفى عليه منهم شيء برزوا او لم يبرزوا فما معناه قلت معناه
انهم كانوا يتوهمون في الدنيا اذا استتروا بالحيطان والحجب ان الله تعالى لا يراهم ويخفى عليه اعمالهم فهم اليوم صائرون من
البروز والانكشاف الى حال لا يتوهمون فيها مثل ما كانوا يتوهمونه قال الله تعالى ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون وقال تعالى
يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وذلك لعلمهم ان الناس يبصرونهم وظنهم ان الله لا يبصرهم وهو معنى قوله تعالى
وبرزوا لله الواحد القهار لمن الملك اليوم لله الواحد القهار حكاية لما يسال عنه في ذلك اليوم ولما يجاب به ومعناه انه ينادي
مناد فيقول لمن الملك فيجيبه اهل المحشر لله الواحد القهار وقيل يجمع الله تعالى الخلائق يوم القيمة في صعيد واحد بارض بيضاء
كانها سبيكة فضة لم يعص الله تعالى فيها قط فاول ما يتكلم به ان ينادي مناد لمن الملك اليوم لله الواحد القهار اليوم تجزى كل

نفس الآية فهذا يقتضي ان يكون المنادي هو المجيب لما قرر ان الملك لله وحده في ذلك اليوم **اليوم تجزى**
كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم ان الله سريع الحساب عدد نتائج ذلك وهي ان كل نفس تجزى بما
كسبت وان الظلم مامون لان الله ليس بظلام للعبيد وان الحساب لا يبطئ لان الله تعالى لا يشغله حساب عن حساب
فيحاسب الخلق كلهم في وقت واحد وهو اسرع الحاسبين وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما اذا اخذ في حسابهم لم يقل
اهل الجنة الا فيها ولا اهل النار الا فيها **وانذرهم يوم الازفة اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين**
ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع الازفة القيامة سميت لازوفها اي لقربها ويجوز ان يريد
بيوم الازفة وقت الخطة الازفة وهي مشارفتهم دخول النار فعند ذلك ترتفع قلوبهم عن مقارها فتلتصق بحناجرهم
فلا هي تخرج فيموتوا ولا ترجع الى مواضعها فيتنفسوا ويتروحوا ولكنها معترضة كالشجا كما قال تعالى فلما راوه زلفة
سيئت وجوه الذين كفروا فان قلت كاظمين بم انتصب قلت هو حال عن اصحاب القلوب على
المعنى لان المعنى اذ قلوبهم لدى حناجرهم كاظمين عليها ويجوز ان يكون حالا عن القلوب وان القلوب كاظمة على غم وكرب
فيها مع بلوغها الحناجر وانما جمع الكاظم جمع السلامة لانه وصفها بالكظم الذي هو من افعال العقلاء كما قال تعالى
رايتهم لي ساجدين وقال تعالى فظلت اعناقهم لها خاضعين ويعضده قراءة من قرا كاظمون ويجوز ان يكون
حالا عن قوله تعالى وانذرهم اي وانذرهم مقدرين او مشارفين الكظم كقوله تعالى فادخلوها خالدين الحميم المحب المشفق
والمطاع مجاز في المشفع لان حقيقة الطاعة نحو حقيقة الامر في انها لا تكون الا لمن فوقك فان قلت
ما معنى قوله تعالى ولا شفيع يطاع قلت يحتمل ان يتناول النفي الشفاعة والطاعة معا وان يتناول الطاعة دون
الشفاعة كما تقول ما عندي كتاب يباع فهو محتمل نفي البيع وحده وان عندك كتابا الا انك لا تبيعه ونفيهما جميعا
وان لا كتاب عندك ولا كونه مبيعا ونحوه ولا ترى الضب بها ينجحر يريد نفي الضب وانجحاره فان قلت
فعلى اي الاحتمالين يجب حمله قلت على نفي الامرين جميعا من قبل ان الشفعاء هم اولياء الله تعالى واولياء الله
لا يحبون ولا يرضون الا من احبه الله تعالى ورضيه وان الله لا يحب الظالمين فلا يحبونهم واذا لم يحبوهم لم ينصروهم ولم
يشفعوا لهم قال الله عز وجل وما للظالمين من انصار وقال ولا يشفعون الا لمن ارتضى ولان الشفاعة لا تكون الا في زيادة
التفضل واهل التفضل وزيادته انما هم اهل الثواب بدليل قوله تعالى ويزيدهم من فضله وعن الحسن والله ما يكون لهم
شفيع البتة فان قلت الغرض حاصل بذكر الشفيع ونفيه فما الفائدة في ذكر هذه الصفة ونفيها قلت
في ذكرها فائدة جليلة وهي انها ضمت اليه ليقوم انتفاء الموصوف مقام الشاهد على انتفاء الصفة لان الصفة لا تتاتى
بدون موصوفها فيكون ذلك ازالة لتوهم وجود الموصوف بيانه انك اذا عوتبت على القعود عن الغزو فقلت ما لي فرس اركبه ولا
معي سلاح احارب به فقد جعلت عدم الفرس وفقد السلاح علة مانعة من الركوب والمحاربة كانك تقول كيف يتاتى مني الركوب والمحاربة
ولا فرس لي ولا سلاح معي فكذلك قوله تعالى ولا شفيع يطاع معناه كيف يتاتى التشفيع ولا شفيع فكان ذكر التشفيع والاستشهاد على
عدم تاتيه بعدم الشفيع وضعا لانتفاء الشفيع موضع الامر المعروف غير المنكر الذي لا ينبغي ان يتوهم خلافه **يعلم خائنة الاعين**
وما تخفي الصدور الخائنة صفة للنظرة او مصدر بمعنى الخيانة كالعافية بمعنى المعافاة والمراد استراق النظر الى
ما لا يحل كما يفعل اهل الريب ولا يحسن ان يراد الخائنة من الاعين لان قوله تعالى وما تخفي الصدور لا يساعد عليه فان قلت
بم اتصل قوله تعالى يعلم خائنة الاعين قلت هو خبر من اخبار هو في قوله تعالى هو الذي يريكم مثل يلقي الروح ولكن يلقي الروح قد
علل بقوله تعالى لينذر يوم التلاق ثم استطرد ذكر احوال يوم التلاق الى قوله ولا شفيع يطاع فبعد لذلك عن اخواته **والله**
يقضي بالحق والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء ان الله هو السميع البصير والله يقضي بالحق
يعني والذي هذه صفاته واحواله لا يقضي الا بالحق والعدل لاستغنائه عن الظلم وآلهتكم لا يقضون بشيء وهذا تهكم بهم لان ما لا يوصف
بالقدرة لا يقال فيه يقضي او لا يقضي ان الله هو السميع البصير تقرير لقوله تعالى يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور ووعيد لهم بانه يسمع ما يقولون
ويبصر ما يعملون وانه يعاقبهم عليه وتعريض بما يدعون من دون الله وانها لا تسمع ولا تبصر وقرئ يدعون بالتاء والياء **اولم يسيروا**
في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم اشد منهم قوة وآثارا في الارض
فاخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق ذلك بانهم كانت تاتيهم رسلهم

بالبينات فكفروا فأخذهم الله إنه قوي شديد العقاب • هم في كانوا هم أشد منهم فصل فإن قلت
من حق الفصل أن لا يقع إلا بين معرفتين فما باله واقعاً بين معرفة وغير معرفة وهو أشد منهم قلت قد ضارع المعرفة في أنه لا يدخله
الألف واللام فأجري مجراه وقرئ منكم وهي في مصاحف أهل الشام وآثاراً يريد حصونهم وقصورهم وما يوصف بالشدة من آثارهم أو أراد
أكثر آثاراً كقوله متقلداً سيفاً ورمحاً • ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين • إلى فرعون و
هامان وقارون فقالوا ساحر كذاب • وسلطان مبين وحجة ظاهرة وهي المعجزات فقالوا هو ساحر كذاب
فسموا السلطان المبين سحراً وكذباً • فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه
واستحيوا نساءهم وما كيد الكافرين إلا في ضلال • فلما جاءهم بالحق بالنبوة فإن قلت
أما كان قتل الأبناء واستحياء النساء من قبل خيفة أن يولد المولود الذي أنذرته الكهنة بظهوره وزوال ملكه على يده قلت
قد كان ذلك القتل حينئذ وهذا قتل آخر وعن ابن عباس في قوله تعالى قالوا اقتلوا أعيدوا عليهم القتل كالذي كان أولاً يريد أن
هذا قتل غير القتل الأول في ضلال في ضياع وذهاب باطلاً لم يجد عليهم يعني أنهم باشروا قتلهم أولاً فما أغنى عنهم ونفذ قضاء الله
بإظهار من خافوه فما يغني عنهم هذا القتل الثاني وكان فرعون قد كف عن قتل الولدان فلما بعث موسى عليه السلام وأحس بأنه
قد وقع أعاده عليهم غيظاً وحنقاً وظناً منه أنه يصدهم بذلك عن مظاهرة موسى عليه السلام وما علم أن كيده ضائع في الكرتين جميعاً
وقال فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربه إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد
ذروني أقتل موسى كانوا إذا هم بقتله كفوه بقولهم ليس بالذي تخافه وهو أقل من ذلك وأضعف وما هو إلا بعض السحرة ومثله لا يقاوم
إلا ساحراً مثله ويقولون إذا قتلته أدخلت الشبهة على الناس واعتقدوا أنك عجزت عن معارضته بالحجة والظاهر أن
فرعون كان قد استيقن أنه نبي وأن ما جاء به آيات وما هو بسحر ولكن الرجل كان فيه خب وجربزة وكان قتالاً سفاكاً
للدماء في أهون شيء فكيف لا يقتل من أحس منه بأنه هو الذي يثل عرشه ويهدم ملكه ولكنه كان يخاف إن هم بقتله أن يعاجل
بالهلاك وقوله تعالى وليدع ربه شاهد صدق على فرط خوفه منه ومن دعوته ربه وكان قوله ذروني أقتل موسى تمويهاً على قومه وإيهاماً
أنهم هم الذين يكفونه وما كان يكفه إلا ما في نفسه من هول الفزع أن يبدل دينكم أن يغير ما أنتم عليه وكانوا يعبدونه ويعبدون
الأصنام بدليل قوله تعالى ويذرك وآلهتك والفساد في الأرض التغابن والتهارج أي يذهب معه الأمن وتتعطل معه المزارع
والمكاسب والمعايش ويهلك الناس قتلاً وضياعاً كأنه قال إني أخاف أن يفسد عليكم دينكم بدعوتكم إلى دينه أو يفسد عليكم
دنياكم بما يظهر من الفتن بسببه وفي مصاحف أهل الحجاز وأن يظهر بالواو ومعناه إني أخاف فساد دينكم ودنياكم معاً وقرئ
يظهر من أظهر والفساد منصوب أي يظهر موسى الفساد وقرئ يظهر بتشديد الظاء والهاء من تظهر بمعنى تظاهر أي تتابع وتعاون
وقال موسى إني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب • لما سمع موسى عليه السلام بما أجراه
فرعون من حديث قتله قال لقومه إني عذت بالله الذي هو ربي وربكم وقوله وربكم فيه بعث لهم على أن يقتدوا به فيعوذوا بالله عياذه
ويعتصموا بالتوكل عليه اعتصامه وقال من كل متكبر لتشمل استعاذته فرعون وغيره من الجبابرة وليكون على طريقة التعريض فيكون أبلغ
وأراد بالتكبر الاستكبار عن الإذعان للحق وهو أقبح استكبار وأدله على دناءة صاحبه ومهانة نفسه وعلى فرط ظلمه وعسفه وقال
لا يؤمن بيوم الحساب لأنه إذا اجتمع في الرجل التجبر والتكذيب بالجزاء وقلة المبالاة بالعاقبة فقد استكمل أسباب القسوة والجرأة
على الله تعالى وعباده ولم يترك عظيمة إلا ارتكبها وعذت ولذت أخوان وقرئ عت بالإدغام • وقال رجل مؤمن من
آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وإن يك
كاذباً فعليه كذبه وإن يك صادقاً يصبكم بعض الذي يعدكم إن الله لا يهدي من هو
مسرف كذاب • رجل مؤمن وقيل رجل بسكون الجيم كما يقال عضد في عضد وكان قبطياً ابن عم لفرعون آمن بموسى
سراً وقيل كان إسرائيلياً ومن آل فرعون صفة لرجل أو صلة ليكتم أي يكتم إيمانه من آل فرعون فإن المؤمنين من بني إسرائيل لم يقلوا ولم
يعزوا والدليل على قوله آل فرعون الذين آمنوا معه وقول المؤمن فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا دليل ظاهر على أنه يتنصح لقومه أن يقول
لأن يقول وهذا إنكار منه عظيم وتبكيت شديد كأنه قال أترتكبون الفعلة الشنعاء التي هي قتل نفس محرمة وما لكم علة قط في ارتكابها
إلا كلمة الحق التي نطق بها وهي قوله ربي الله مع أنه لم يحضر لتصحيح قوله بينة واحدة ولكن بينات عدة من عند من نسب إليه الربوبية
وهو ربكم لا ربه وحده وهو استدراج لهم إلى الاعتراف به وليلين بذلك جماحهم ويكسر من سورتهم ولك أن تقدر مضافاً محذوفاً

واسمه سمعان أو حبيب وقيل جبريل أو حزبيل والأظهر أنه كان من آل فرعون

أي وقت

أي وقت أن يقول والمعنى أتقتلونه ساعة سمعتم منه هذا القول من غير روية ولا فكر في أمره وقوله تعالى بالبينات يريد بالبينات
العظيمة التي عهدتموها وشهدتموها ثم أخذهم بالاحتجاج على طريقة التقسيم فقال لا يخلو من أن يكون كاذباً أو صادقاً فإن يك كاذباً
فعليه كذبه أي يعود عليه كذبه ولا يتخطاه ضرره وإن يك صادقاً يصبكم بعض ما يعدكم إن تعرضتم له فإن قلت لم قال بعض
الذي يعدكم وهو نبي صادق لا بد لما يعدهم أن يصيبهم كله لا بعضه قلت لأنه احتاج في مقاولة خصوم موسى عليه السلام
ومناكريه إلى أن يلاوصهم ويداريهم ويسلك معهم طريق الإنصاف في القول ويأتيهم من جهة المناصحة فجاء بما علم أنه أقرب إلى
تسليمهم لقوله وأدخل في تصديقهم له وقبولهم منه فقال وإن يك صادقاً يصبكم بعض الذي يعدكم وهو كلام المنصف في كلامه غير المشتط
فيه ليسمعوا منه ولا يردوا عليه وذلك أنه حين فرضه صادقاً فقد أثبت أنه صادق في جميع ما يعد ولكنه أردفه يصبكم بعض
الذي يعدكم ليهضمه بعض حقه في ظاهر الكلام فيريهم أنه ليس كلام من أعطاه حقه وافياً فضلاً أن يتعصب له أو يرمي بالحصى من ورائه وتقديم
الكاذب على الصادق أيضاً من هذا القبيل وكذلك قوله تعالى إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب فإن قلت فعن أبي عبيدة
أنه فسر البعض بالكل وأنشد بيت لبيد تراك أمكنة إذا لم أرضها • أو يرتبط بعض النفوس حمامها قلت إن صحت الرواية
عنه فقد حق فيه قول المازني في مسألة العلقى كان أجفى من أن يفقه ما أقول له وإن الله لا يهدي من هو مسرف يحتمل أنه لو كان
مسرفاً كذاباً لما خذله الله تعالى وأهلكه ولم يستقم له أمر فتتخلصون منه وأنه لو كان مسرفاً كذاباً لما هداه الله تعالى للنبوة ولما عضده
بالبينات وقيل ما تولى أبو بكر رضي الله تعالى عنه من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان أشد من ذلك طاف بالبيت فلقوه حين فرغ
فأخذوا بمجامع ردائه فقالوا له أنت الذي تنهانا عما كان يعبد آباؤنا فقال أنا ذاك فقام أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه فالتزمه
من ورائه وقال أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم رافعاً صوته وعيناه تسفحان حتى أرسلوه
وعن جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه أن مؤمن آل فرعون قال ذلك سراً وأبو بكر قاله ظاهراً • يا قوم لكم الملك اليوم
اليوم ظاهرين في الأرض فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا قال فرعون
ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد • ظاهرين في الأرض في أرض مصر عالين
فيها على بني إسرائيل يعني أن لكم ملك مصر وقد علوتم الناس وقهرتموهم فلا تفسدوا أمركم على أنفسكم ولا تتعرضوا لبأس الله
وعذابه فإنه لا قبل لكم به إن جاءكم ولا يمنعكم منه أحد وقال ينصرنا وجاءنا لأنه منهم في القرابة وليعلمهم أن الذي ينصحهم به هو مساهم
لهم فيه ما أريكم إلا ما أرى أي ما أشير عليكم برأي إلا بما أرى من قتله يعني لا أستصوب إلا قتله وهذا الذي تقولونه غير صواب وما أهديكم
بهذا الرأي إلا سبيل الرشاد يريد سبيل الصواب والصلاح أو ما أعلمكم إلا ما أعلم من الصواب ولا أدخر منه شيئاً ولا أسر عنكم خلاف ما أظهر
يعني أن لسانه وقلبه متواطئان على ما يقول وقد كذب فقد كان مستشعراً للخوف الشديد من جهة موسى عليه السلام ولكنه كان يتجلد
ولولا استشعاره لم يستشر أحداً ولم يقف الأمر على الإشارة وقرئ الرشاد فعال من رشد بالكسر كعلام أو من رشد بالفتح كعباد
وقيل هو من أرشد كجبار من أجبر وليس بذاك لأن فعالاً من أفعل لم يجئ إلا في عدة أحرف نحو دراك وسآر وقصار وجبار ولا يصح
القياس على القليل ويجوز أن يكون نسبة إلى الرشد كعواج وبتات غير منظور فيه إلى فعل • وقال الذي آمن يا قوم إني
أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب • مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم وما الله
يريد ظلماً للعباد • مثل يوم الأحزاب مثل أيامهم لأنه لما أضافه إلى الأحزاب وفسرهم بقوم نوح وعاد وثمود ولم يلبس أن كل
حزب منهم كان له يوم دمار اقتصر على الواحد من الجمع لأن المضاف إليه أغنى عن ذلك كقوله كلوا في بعض بطنكم تعفوا وقال الزجاج
مثل يوم حزب حزب ودأب هؤلاء دؤوبهم في عملهم من الكفر والتكذيب وسائر المعاصي وكون ذلك دائباً دائماً منهم لا يفترون عنه ولا بد
من حذف مضاف يريد مثل جزاء دأبهم فإن قلت بم انتصب مثل الثاني قلت بأنه عطف بيان لمثل الأول لأن
آخر ما تناولته الإضافة قوم نوح ولو قلت أهلك الله الأحزاب قوم نوح وعاد وثمود لم يكن إلا عطف بيان لإضافة قوم إلى أعلام فسرى
ذلك الحكم إلى أول ما تناولته الإضافة وما الله يريد ظلماً للعباد يعني أن تدميرهم كان عدلاً وقسطاً لأنهم استوجبوه بأعمالهم وهو أبلغ من
قوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد حيث جعل المنفي إرادة الظلم لأن من كان عن إرادة الظلم بعيداً كان عن الظلم أبعد وحيث نكر
الظلم كأنه نفى أن يريد ظلماً ما لعباده ويجوز أن يكون معناه كمعنى قوله تعالى ولا يرضى لعباده الكفر أي لا يريد لهم أن يظلموا يعني أنه
دمرهم لأنهم كانوا ظالمين • ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد • يوم تولون مدبرين ما لكم من
الله من عاصم ومن يضلل الله فما له من هاد • التنادي ما حكى الله تعالى في سورة الأعراف من قوله تعالى

ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ويجوز ان يكون تصايحهم بالويل والثبور وقرئ
بالتشديد وهو ان يند بعضهم من بعض كقوله تعالى يوم يفر المرء من اخيه وعن الضحاك اذا سمعوا زفير النار ندّوا هربا
فلا يأتون قطرا من الاقطار الا وجدوا الملائكة صفوفا فبينا هم يموج بعضهم في بعض اذ سمعوا مناديا اقبلوا الى الحساب
تولون مدبرين عن قتادة منصرفين عن موقف الحساب الى النار وعن مجاهد فارين عن النار غير معجزين **ولقد
جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله
من بعده رسولا كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب** هو يوسف بن يعقوب وقيل هو يوسف
بن افرائيم بن يوسف بن يعقوب عليهم السلام اقام فيهم نبيا عشرين سنة وقيل ان فرعون موسى هو فرعون يوسف
عمّر الى زمنه وقيل هو فرعون آخر وبخهم بان يوسف اتاكم بالمعجزات فشككتم فيها ولم تزالوا شاكين كافرين حتى اذا قبض
قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا حكما من عند انفسكم من غير برهان وتقدمة عزم منكم على تكذيب الرسل فاذا جاءكم رسول
جحدتم وكذبتم بناء على حكم الباطل الذي اسستموه وليس قولهم لن يبعث الله من بعده رسولا بتصديق لرسالة يوسف وكيف وقد
شكوا فيها وكفروا بها وانما هو تكذيب لرسالة من بعده مضموم الى تكذيب رسالته وقرئ الن يبعث الله على ادخال همزة الاستفهام
على حرف النفي كأن بعضهم يقرر بعضا بنفي البعث ثم قال كذلك يضل الله اي مثل هذا الخذلان المبين يخذل الله كل مسرف في
عصيانه مرتاب في دينه **الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان اتاهم كبر مقتا عند الله
وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار** الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان
اتاهم بدل من هو مسرف **فان قلت** كيف جاز ابداله منه وهو جمع وذاك موحد **قلت** لانه لا يريد مسرفا
واحدا فكأنه قال كل مسرف **فان قلت** اما قلت هو جمع ولهذا ابدلت منه الذين يجادلون **قلت** بلى هو جمع في
المعنى واما اللفظ فموحد فحمل البدل على معناه والضمير الراجع اليه على لفظه وليس ببدع ان يحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى
اخرى وله نظائر ويجوز ان يرفع الذين يجادلون على الابتداء ولا بد في هذا الوجه من حذف مضاف يرجع اليه الضمير في كبر
تقديره جدال الذين يجادلون كبر مقتا ويحتمل ان يكون الذين يجادلون مبتدأ وبغير سلطان اتاهم خبرا وفاعل كبر قوله كذلك
اي كبر مقتا مثل ذلك الجدال ويطبع الله كلام مستأنف ومن قال كبر مقتا عند الله جدالهم فقد حذف الفاعل والفاعل
لا يصح حذفه وفي كبر مقتا ضرب من التعجب والاستعظام لجدالهم والشهادة على خروجه من حد اشكاله من الكبائر وقرئ سلطان
بضم اللام وقرئ قلب بالتنوين ووصف القلب بالتكبر والتجبر لانه مركزهما ومنبعهما كما تقول رأت العين وسمعت الاذن ونحوه قوله تعالى
فانه آثم قلبه وان كان الآثم هو الجملة ويجوز ان يكون على حذف المضاف اي على كل ذي قلب متكبر تجعل الصفة لصاحب القلب
**وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع
الى اله موسى واني لاظنه كاذبا وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل وما
كيد فرعون الا في تباب** قيل الصرح البناء الظاهر الذي لا يخفى على الناظر وان بعد اشتقوه من صرح الشيء
اذا ظهر واسباب السموات طرقها وابوابها وما يؤدي اليها وكل ما اداك الى شيء فهو سبب اليه كالرشاء ونحوه **فان قلت**
ما فائدة هذا التكرير ولو قيل لعلي ابلغ اسباب السموات لاجزأ **قلت** اذا ابهم الشيء ثم اوضح كان تفخيما لشأنه فلما
اراد تفخيم ما امل بلوغه من اسباب السموات ابهمها ثم اوضحها ولانه لما كان بلوغها امرا عجيبا اراد ان يورده على نفس
متشوقة اليه ليعطيه السامع حقه من التعجب فابهمه ليشوف اليه نفس هامان ثم اوضحه وقرئ فاطلع بالنصب على جواب الترجي تشبيها
للترجي بالتمني ومثل ذلك التزيين وذلك الصد زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل والمزين اما الشيطان
بوسوسته كقوله عز وجل وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل او الله تعالى على وجه التسبيب لانه مكن الشيطان
وامهله ومثله زينا لهم اعمالهم فهم يعمهون وقرئ وزين له سوء عمله على البناء للفاعل والفعل لله عز وجل دل عليه قوله
الى اله موسى وصد بفتح الصاد وضمها وكسرها على نقل حركة العين الى الفاء كما قيل قيل والتباب الخسران والهلاك وصد
مصدر معطوف على سوء عمله وصد هو وقومه **وقال الذي آمن يا قوم اتبعون اهدكم سبيل الرشاد
يا قوم انما هذه الحيوة الدنيا متاع وان الآخرة هي دار القرار** قال اهدكم سبيل الرشاد فاجمل لهم ثم فسر
فافتتح بذم الدنيا وتصغير شأنها لان الاخلاد اليها هو اصل الشر كله ومنه يتشعب جميع ما يؤدي الى سخط الله تعالى ويجلب

الشقاوة

الشقاوة في العاقبة وثنى بتعظيم الآخرة والاطلاع على حقيقتها وانها هي الوطن والمستقر وذكر الاعمال سيئها وحسنها
وعاقبة كل منها ليثبط عما يتلف وينشط لما يزلف ثم وازن بين الدعوتين دعوته الى دين الله تعالى الذي ثمرته النجاة ودعوتهم
الى اتخاذ الانداد الذي عاقبته النار وحذر وانذر واجتهد في ذلك واحتشد لا جرم ان الله تعالى استثناه من آل فرعون
وجعله حجة عليهم وعبرة للمعتبرين وهو قوله تعالى فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب
وفي هذا ايضا دليل بين على ان الرجل كان من آل فرعون والرشاد نقيض الغي وفيه تعريض شبيه بالتصريح ان ما عليه فرعون
وقومه هو سبيل الغي **من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر او انثى وهو
مؤمن فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب** فلا يجزى الا مثلها لان الزيادة على مقدار
جزاء السيئة قبيحة لانها ظلم واما الزيادة على مقدار جزاء الحسنة فحسنة لانه فضل وقرئ يدخلون ويدخلون بغير حساب
واقع الا في مقابلة مثلها يعني ان جزاء السيئة له حساب وتقدير لئلا يزيد على الاستحقاق فاما جزاء العمل الصالح فبغير
تقدير وحساب بل ما شئت من الزيادة على الحق والكثرة على السعة **ويا قوم ما لي ادعوكم الى النجاة
وتدعونني الى النار** **فان قلت** لم كرر نداء قومه ولم جاء بالواو في النداء الثالث دون الثاني **قلت**
اما تكرير النداء ففيه زيادة تنبيه لهم وايقاظ عن سنة الغفلة وفيه انهم قومه وعشيرته وهم فيما يوبقهم وهو يعلم وجه خلاصهم
ونصيحتهم عليه واجبة فهو يتحزن لهم ويتلطف بهم ويستدعي بذلك ان لا يتهموه فان سرورهم سروره وغمهم غمه وينزلوا على
تنصيحه لهم كما كرر ابراهيم عليه السلام في نصيحة ابيه يا ابت واما المجيء بالواو العاطفة فلان الثاني داخل على كلام هو بيان
للمجمل وتفسير له فاعطي الداخل عليه حكمه في امتناع دخول الواو واما الثالث فداخل على كلام ليس بتلك المثابة
تدعونني لاكفر بالله واشرك به ما ليس لي به علم وانا ادعوكم الى العزيز الغفار يقال دعاه الى
كذا ودعاه له كما يقال هداه الى الطريق وهداه له به علم اي بربوبيته والمراد بنفي العلم نفي المعلوم كأنه قال واشرك به ما ليس
باله وما ليس باله كيف يصح ان يعلم الها **لا جرم انما تدعونني اليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في
الآخرة وان مردنا الى الله وان المسرفين هم اصحاب النار** لا جرم سياقه على مذهب
البصريين ان يجعل لا ردا لما دعاه اليه قومه وجرم فعل بمعنى حق وان مع ما في حيزه فاعله اي حق ووجب بطلان دعوته
او بمعنى كسب من قوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم اي كسب ذلك الدعاء اليه بطلان دعوته على انه ما حصل من ذلك الا ظهور بطلان
دعوته ويجوز ان يقال ان لا جرم نظير لا بد فعل من الجرم وهو القطع كما ان بدا فعل من التبديد وهو التفريق فكما ان معنى لا بد
انك تفعل كذا بمعنى لا بعد لك من فعله فكذلك لا جرم ان لهم النار اي لا قطع لذلك بمعنى انهم ابدا يستحقون النار لا انقطاع
لاستحقاقهم ولا قطع لبطلان دعوة الاصنام اي لا تزال باطلة لا ينقطع ذلك فينقلب حقا وروي عن العرب لا جرم انه يفعل
بضم الجيم وسكون الراء بزنة بد وفعل وفعل اخوان كرشد ورشد وعدم وعدم ليس له دعوة معناه ان ما تدعونني اليه
ليس له دعوة الى نفسه قط اي من حق المعبود بالحق ان يدعو العباد الى طاعته ثم يدعو العباد اليها اظهارا لدعوة ربهم وما
تدعون اليه والى عبادته لا يدعو هو الى ذلك ولا يدعي الربوبية ولو كان حيوانا ناطقا لضج من دعائكم وقوله في الدنيا ولا
في الآخرة انه في الدنيا جماد لا يستطيع شيئا من دعاء غيره وفي الآخرة اذا انشأه الله تعالى حيوانا تبرأ من الدعاة اليه ومن عبدته
وقيل معناه ليس له استجابة دعوة تنفع في الدنيا وفي الآخرة او دعوة مستجابة جعلت الدعوة التي لا استجابة لها ولا منفعة
كلا دعوة او سميت الاستجابة باسم الدعوة كما سمي الفعل المجازى عليه باسم الجزاء في قولهم كما تدين تدان قال الله تعالى له دعوة
الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء المسرفين عن قتادة المشركين وعن مجاهد السفاكين للدماء بغير
حلها وقيل الذين غلب شرهم خيرهم **فستذكرون ما اقول لكم وافوض امري الى الله ان الله
بصير بالعباد** وقرئ فستذكرون اي فسيذكر بعضكم بعضا وافوض امري الى الله لانهم توعدوه
**فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب النار يعرضون عليها
غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب** فوقاه الله سيئات
ما مكروا شدائد مكرهم وما هموا به من الحاق انواع العذاب بمن خالفهم وقيل نجا مع موسى وحاق بآل فرعون ما هموا به من
تعذيب المسلمين ورجع عليهم كيدهم النار بدل من سوء العذاب او خبر مبتدأ محذوف كأن قائلا قال ما سوء العذاب فقيل هو النار

او مبتدأ خبره يعرضون عليها وفي هذا الوجه تعظيم للنار وتهويل من عذابها وعرضهم عليها احراقهم بها يقال عرض الامام
الاسارى على السيف اذا قتلهم به وقرئ النار بالنصب وهي تعضد الوجه الاخير وتقديره يدخلون النار يعرضون عليها
ويجوز ان ينتصب على الاختصاص غدوا وعشيا في هذين الوقتين يعذبون بالنار وفيما بين ذلك الله اعلم بحالهم فاما ان
يعذبوا بجنس آخر من العذاب او ينفس عنهم ويجوز ان يكون غدوا وعشيا عبارة عن الدوام هذا ما دامت السموات فاذا قامت
الساعة قيل لهم ادخلوا يا آل فرعون اشد العذاب عذاب جهنم وقرئ ادخلوا آل فرعون اي يقال لخزنة جهنم ادخلوهم
فان قلت قوله تعالى وحاق بآل فرعون سوء العذاب معناه انه رجع عليهم ما هموا به من المكر بالمسلمين كقول العرب
من حفر لاخيه جبا وقع فيه منكبا فاذا فسر سوء العذاب بنار جهنم لم يكن مكرهم راجعا عليهم لانهم لم يعذبوا بجهنم قلت
يجوز ان يهم الانسان بان يغرق قوما فيحرق بالنار ويسمى ذلك حيقا لانهم اتوا فاصابهم ما يقع عليه اسم السوء ولا يشترط في
الحيق ان يكون الحائق ذلك السوء بعينه ويجوز ان يهم فرعون لما سمع انذار المسلمين بالنار وقول المؤمن وان المسرفين هم
اصحاب النار فيفعل نحو ما فعل نمرود ويعذبهم بالنار فحاق به مثلما اضمره وهم بفعله ويستدل بهذه الآية على اثبات عذاب القبر
واذ يتحاجون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل انتم مغنون
عنا نصيبا من النار • واذكر وقت يتحاجون تبعا تباعا كخدم في جمع خادم او ذوي تبع اي اتباع او وصفا بالمصدر
قال الذين استكبروا انا كل فيها ان الله قد حكم بين العباد • وقرئ كلا على التاكيد لاسم ان وهو
معرفة والتنوين عوض من المضاف اليه يريد انا كلنا او كلنا فيها فان قلت هل يجوز ان يكون كلا حالا قد عمل فيها فيها
قلت لا لان الظرف لا يعمل في الحال متقدمة كما يعمل في الظرف متقدما تقول كل يوم لك ثوب ولا تقول قائما في الدار زيد
قد حكم بين العباد قضى بينهم وفصل بان ادخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار • وقال الذين في النار لخزنة جهنم
ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب • لخزنة جهنم للقوام بتعذيب اهلها فان قلت هلا قيل
الذين في النار لخزنتها قلت لان في ذكر جهنم تهويلا وتفظيعا ويحتمل ان جهنم هي ابعد النار قعرا من قولهم بئر جهنام بعيدة
القعر وقولهم في النابغة جهنام تسمية بها لزعمهم انه يلقي الشعر على لسان المنتسب اليه فهو بعيد الغور في علمه بالشعر كما قال
ابو نواس في خلف الاحمر قليذم من العيالم الخسف • وفيها اعتى الكفار واطغاهم فلعل الملائكة الموكلين بعذاب اولئك
اجوب دعوة لزيادة قربهم من الله تعالى فلهذا تعمدهم اهل النار بطلب الدعوة منهم • قالوا اولم تك تاتيكم رسلكم
بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين الا في ضلال • اولم تك تاتيكم الزام للحجة وتوبيخ
وانهم خلفوا وراءهم اوقات الدعاء والتضرع وعطلوا الاسباب التي يستجيب الله تعالى لها الدعوات قالوا فادعوا انتم فانا لا نجترئ
على ذلك ولا نشفع الا بشرطين كون المشفوع له غير ظالم والاذن في الشفاعة مع مراعاة وقتها وذلك قبل الحكم الفاصل بين
الفريقين وليس قولهم فادعوا لرجاء المنفعة ولكن للدلالة على الخيبة فان الملك المقرب اذا لم يسمع دعاؤه فكيف يسمع دعاء الكافر
انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحيوة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد • يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم
ولهم اللعنة ولهم سوء الدار • ويوم يقوم الاشهاد اي في الدنيا والآخرة يعني انه يغلبهم في الدارين جميعا بالحجة
والظفر على مخالفيهم وان غلبوا في الدنيا في بعض الاحايين امتحانا من الله تعالى فالعاقبة لهم ويتيح الله من يقتص من اعدائهم
ولو بعد حين والاشهاد جمع شاهد كصاحب واصحاب يريد الحفظة من الملائكة والانبياء والمؤمنين من امة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
ليكونوا شهداء على الناس واليوم الثاني بدل من الاول يحتمل ان يعتذروا بمعذرة ولكنها لا تنفع لانها باطلة وانهم
لو جاؤا بمعذرة لم تكن مقبولة لقوله تعالى ولا يؤذن لهم فيعتذرون ولهم اللعنة البعد من رحمة الله تعالى ولهم سوء الدار
اي سوء دار الآخرة وهو عذابها وقرئ يوم يقوم ولا ينفع بالتاء والياء • ولقد آتينا موسى الهدى واورثنا
بني اسرائيل الكتاب هدى وذكرى لاولي الالباب • يريد بالهدى جميع ما آتاه في ابواب الدين من المعجزات
والتوراة والشرائع واورثنا وتركنا على بني اسرائيل من بعده الكتاب اي التوراة هدى وذكرى ارشادا وتذكرة وانتصابهما
على المفعول له او على الحال واولو الالباب المؤمنون به العاملون بما فيه • فاصبر ان وعد الله حق
واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار • فاصبر ان وعد الله يعني ان نصرة الرسل في
ضمان الله تعالى وضمان الله لا يخلف واستشهد بموسى وما آتاه من اسباب الهدى والنصرة على فرعون وجنوده وابقاء آثاره

هداه في بني اسرائيل والله تعالى ناصرك كما نصرهم ومظهرك على الدين كله ومبلغ ملك امتك مشارق الارض ومغاربها
فاصبر على ما يجرعك قومك من الغصص فان العاقبة لك وما سبق به وعدي من نصرتك واعلاء كلمتك حق واقبل على التقوى
واستدراك الفرطات بالاستغفار ودم على عبادة ربك والثناء عليه بالعشي والابكار وقيل هما صلاتا الفجر والعصر
ان الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان اتاهم ان في صدورهم الا كبر ما هم
ببالغيه فاستعذ بالله انه هو السميع البصير • ان في صدورهم الا كبر الا تكبر وتعظم وهو ارادة
التقدم والرياسة وان لا يكون احد فوقهم ولذلك عادوك ودفعوا آياتك خوفا ان تتقدمهم ويكونوا تحت يدك وامرك
ونهيك لان النبوة تحتها كل ملك ورياسة او ارادة ان تكون لهم النبوة دونك حسدا وبغيا ويدل عليه قوله تعالى لو كان
خيرا ما سبقونا اليه او ارادة دفع الآيات بالجدال ما هم ببالغيه اي ببالغي موجب الكبر ومقتضاه وهو متعلق ارادتهم من الرياسة
او النبوة او دفع الآيات وقيل المجادلون هم اليهود وكانوا يقولون يخرج صاحبنا المسيح بن داود يريدون الدجال
ويبلغ سلطانه البر والبحر وتسير معه الانهار وهو آية من آيات الله تعالى فيرجع الينا الملك فسمى الله تعالى تمنيهم ذلك كبرا ونفى
ان يبلغوا متمناهم فاستعذ بالله فالتجئ اليه من كيد من يحسدك ويبغي عليك انه هو السميع لما تقول ويقولون البصير بما تعمل ويعملون
فهو ناصرك عليهم وعاصمك من شرهم • لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس ولكن اكثر الناس
لا يعلمون • فان قلت كيف اتصل قوله لخلق السموات والارض بما قبله قلت ان مجادلتهم في آيات الله
كانت مشتملة على انكار البعث وهو اصل المجادلة ومدارها فحجوا بخلق السموات والارض لانهم كانوا مقرين بان الله تعالى
خالقها بانها خلق عظيم لا يقادر قدره وخلق الناس بالقياس اليه شيء قليل مهين فمن قدر على خلقها مع عظمها كان على خلق الانسان
مع مهانته اقدر وهو ابلغ من الاستشهاد بخلق مثله لا يعلمون لانهم لا ينظرون ولا يتاملون لغلبة الغفلة عليهم واتباعهم اهواءهم
وما يستوي الاعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء قليلا ما تتذكرون
ضرب الاعمى والبصير مثلا للمحسن والمسيء وقرئ تتذكرون بالتاء والياء والتاء اعم • ان الساعة لآتية لا ريب
فيها ولكن اكثر الناس لا يؤمنون • لا ريب فيها لا بد من مجيئها ولا محالة وليس بمرتاب فيها لانه لا بد من جزاء
لا يؤمنون لا يصدقون بها • وقال ربكم ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي
سيدخلون جهنم داخرين • ادعوني اعبدوني والدعاء بمعنى العبادة كثير في القرآن ويدل عليه قوله تعالى
ان الذين يستكبرون عن عبادتي والاستجابة الاثابة وفي تفسير مجاهد اعبدوني اثبكم وعن الحسن وقد سئل عنها اعملوا
وابشروا فانه حق على الله تعالى ان يستجيب للذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله وعن الثوري انه قيل له ادع الله
فقال ان ترك الذنوب هو الدعاء • وفي الحديث اذا شغل عبدي طاعتي عن الدعاء اعطيته افضل ما اعطي السائلين
وروى النعمان بن بشير رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الدعاء هو العبادة وقرأ هذه الآية ويجوز ان
يريد الدعاء والاستجابة على ظاهرهما ويريد بعبادتي دعائي لان الدعاء باب من العبادة ومن افضل ابوابها يصدقه قول ابن عباس
افضل العبادة الدعاء • وعن كعب اعطى الله تعالى هذه الامة ثلاث خلال لم يعطهن الا نبيا مرسلا كان يقول لكل نبي انت
شاهدي على خلقي وقال لهذه الامة لتكونوا شهداء على الناس وكان يقول ما عليك من حرج وقال لنا ما يريد الله ليجعل عليكم في
الدين من حرج وكان يقول ادعني استجب لك وقال لنا ادعوني استجب لكم وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وحدوني
اغفر لكم وهذا تفسير للدعاء بالعبادة ثم للعبادة بالتوحيد داخرين صاغرين • الذي جعل لكم الليل
لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون
مبصرا من الاسناد المجازي لان الابصار في الحقيقة لاهل النهار فان قلت لم قرن الليل بالمفعول له والنهار بالحال
وهلا كانا حالين او مفعولا لهما فيراعى حق المقابلة قلت هما متقابلان من حيث المعنى لان كل واحد منهما يؤدي
مؤدى الآخر ولانه لو قيل لتبصروا فيه فاتت الفصاحة التي في الاسناد المجازي ولو قيل ساكنا والليل يجوز ان يوصف بالسكون
على الحقيقة الا ترى الى قولهم ليل ساج وساكن لا ريح فيه لم يتميز الحقيقة من المجاز فان قلت هلا قيل لمفضل
او متفضل قلت لان الغرض تنكير الفضل وان يجعل فضلا لا يوازيه فضل وذلك انما يستوي بالاضافة فان قلت
فلو قيل ولكن اكثرهم فلا يتكرر ذكر الناس قلت في هذا التكرير تخصيص لكفران النعمة بهم وانهم هم الذين يكفرون

فضل الله تعالى ولا يشكرونه كقوله تعالى ان الانسان لكفور ان الانسان لربه لكنود ان الانسان لظلوم كفار
ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو فانى تؤفكون كذلك يؤفك
الذين كانوا بآيات الله يجحدون ذلكم المعلوم المتميز بالافعال الخاصة التي لا يشاركه فيها احد هو الله
ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو اخبار مترادفة اي هو الجامع لهذه الاوصاف من الالهية والربوبية وخلق كل شيء وانشائه لا يمتنع عليه شيء
والوحدانية لا ثاني له فانى تؤفكون فكيف ومن اي وجه تصرفون عن عبادته الى عبادة الاوثان ثم ذكر ان كل من جحد بآيات الله
ولم يتأملها ولم يكن فيه همة طلب الحق وخشية العاقبة افك كما افكوا وقرئ خالق كل شيء نصبا على الاختصاص ويؤفكون بالياء
الله الذي جعل لكم الارض قرارا والسماء بناء وصوركم فاحسن صوركم ورزقكم من الطيبات
ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين هذه ايضا دلالة اخرى على تميزه بافعال خاصة وهي انه
جعل الارض مستقرا والسماء بناء اي قبة ومنه ابنية العرب لمضاربهم لان السماء في منظر العين كقبة مضروبة على وجه الارض
فاحسن صوركم وقرئ بكسر الصاد والمعنى واحد قيل لم يخلق حيوانا احسن صورة من الانسان وقيل لم يخلقهم منكوسين كالبهائم
كقوله تعالى في احسن تقويم هو الحي لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين
فادعوه فاعبدوه مخلصين له الدين اي الطاعة من الشرك والرياء قائلين الحمد لله رب العالمين وعن ابن عباس رضي الله عنهما
من قال لا اله الا الله فليقل على اثرها الحمد لله رب العالمين قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله
لما جاءني البينات من ربي وامرت ان اسلم لرب العالمين فان قلت اما نهي رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم عن عبادة الاوثان بادلة العقل حتى جاءته البينات من ربه قلت بلى ولكن البينات لما كانت مقوية لادلة
العقل ومؤكدة لها ومضمنة ذكرها نحو قوله تعالى اتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون واشباه ذلك من التنبيه على ادلة
العقل والسمع جميعا وانما ذكر ما يدل على الامرين جميعا لان ذكر تناصر الادلة ادلة العقل وادلة السمع اقوى في ابطال مذهبهم
وان كانت ادلة العقل وحدها كافية هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم
طفلا ثم لتبلغوا اشدكم ثم لتكونوا شيوخا ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا اجلا مسمى
ولعلكم تعقلون لتبلغوا اشدكم متعلق بفعل محذوف تقديره ثم يبقيكم لتبلغوا وكذلك لتكونوا واما ولتبلغوا
اجلا مسمى فمعناه ونفعل ذلك لتبلغوا اجلا مسمى وهو وقت الموت وقيل يوم القيمة وقرئ شيوخا بكسر الشين وشيخا
على التوحيد كقوله طفلا والمعنى كل واحد منكم او اقتصر على الواحد لان الغرض بيان الجنس من قبل من قبل الشيخوخة او من قبل
هذه الاحوال اذا خرج سقطا ولعلكم تعقلون ما في ذلك من العبر والحجج هو الذي يحيي ويميت فاذا قضى
امرا فانما يقول له كن فيكون فاذا قضى امرا فانما يكونه من غير كلفة ولا معاناة جعل هذا نتيجة من قدرته على الاحياء
والاماتة وسائر ما ذكر من افعاله الدالة على ان مقدورا لا يمتنع عليه كانه قال فلذلك من الاقتدار اذا قضى امرا كان اهون شيء واسرعه
الم تر الى الذين يجادلون في آيات الله انى يصرفون الذين كذبوا بالكتاب وبما
ارسلنا به رسلنا فسوف يعلمون اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل يسحبون في
الحميم ثم في النار يسجرون بالكتاب بالقرآن وبما ارسلنا به رسلنا من الكتب فان قلت
وهل قوله تعالى فسوف يعلمون اذ الاغلال في اعناقهم الا مثل قولك سوف اصوم امس قلت المعنى على اذا الا ان الامور المستقبلة
لما كانت في اخبار الله تعالى متيقنة مقطوعا بها عبر عنها بلفظ ما كان ووجد والمعنى على الاستقبال وعن ابن عباس رضي الله عنهما
والسلاسل يسحبون بالنصب وفتح الياء على عطف الجملة الفعلية على الاسمية وعنه والسلاسل يسحبون بجر السلاسل ووجهه
انه لو قيل اذ اعناقهم في الاغلال مكان قوله تعالى اذ الاغلال في اعناقهم لكان صحيحا مستقيما فلما كانتا عبارتين معتقبتين حمل قوله
والسلاسل على العبارة الاخرى ونظيره مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب كانه قيل بمصلحين وقرئ وبالسلاسل
يسحبون في النار يسجرون من سجر التنور اذا ملأه بالوقود ومنه السجير كانه سجر بالحب اي ملئ ومعناه انهم في النار فهي محيطة بهم
وهم مسجورون بالنار مملوءة بها اجوافهم ومنه قوله تعالى نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة اللهم اجرنا من نارك
فانا عائذون بجوارك ثم قيل لهم اينما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا بل لم
نكن ندعوا من قبل شيئا كذلك يضل الله الكافرين ضلوا عنا غابوا عن عيوننا فلا نراهم ولا

ننتفع

ننتفع بهم فان قلت اما ذكرت في تفسير قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انهم مقرونون بآلهتهم
فكيف يكونون معهم وقد ضلوا عنهم قلت يجوز ان يضلوا عنهم اذ وبخوا وقيل لهم اينما كنتم تشركون من دون الله فيغيثوكم
ويشفعوا لكم وان يكونوا معهم في سائر الاوقات وان يكونوا معهم في جميع اوقاتهم الا انهم لما لم ينفعوهم فكانهم ضالون عنهم
بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا اي تبين لنا انهم لم يكونوا شيئا وما كنا نعبد بعبادتهم شيئا كما تقول حسبت ان فلانا شيء فاذا هو ليس
بشيء اذا خبرته فلم تر عنده خيرا كذلك يضل الله الكافرين مثل ضلال آلهتهم عنهم يضلهم عن آلهتهم حتى لو طلبوا الآلهة او طلبتهم الآلهة
لم يتصادفوا ذلكم بما كنتم تفرحون في الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون ذلكم الاضلال بسبب
ما كان لكم من الفرح والمرح بغير الحق وهو الشرك وعبادة الاوثان ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها
فبئس مثوى المتكبرين ادخلوا ابواب جهنم السبعة المقسومة لكم قال الله سبحانه وتعالى لها سبعة ابواب لكل باب
منهم جزء مقسوم خالدين مقدرين الخلود فبئس مثوى المتكبرين عن الحق المستخفين به مثواكم اي جهنم فان قلت
اليس قياس النظم ان يقال فبئس مدخل المتكبرين كما تقول زر بيت الله فنعم المزار وصل في المسجد الحرام فنعم المصلى قلت
الدخول المؤقت بالخلود في معنى الثواء فاصبر ان وعد الله حق فاما نرينك بعض الذي نعدهم
او نتوفينك فالينا يرجعون فاما نرينك اصله فان نرك وما مزيدة لتأكيد الشرط ولذلك الحقت النون بالفعل
الا تراك لا تقول ان تكرمني اكرمك ولكن اما تكرمني اكرمك فان قلت لا يخلو اما ان تعطف او نتوفينك على نرينك وتشركهما
في جزاء واحد وهو قوله تعالى فالينا يرجعون غير صحيح وان جعلت فالينا يرجعون مختصا بالمعطوف الذي هو نتوفينك بقي المعطوف عليه
بغير جزاء قلت فالينا يرجعون متعلق بنتوفينك وجزاء نرينك محذوف تقديره فاما نرينك بعض الذي نعدهم من العذاب وهو
القتل والاسر يوم بدر فذاك او ان نتوفينك قبل يوم بدر فالينا يرجعون يوم القيمة فننتقم منهم اشد الانتقام ونحوه قوله تعالى فاما
نذهبن بك فانا منهم منتقمون او نرينك الذي وعدناهم فانا عليهم مقتدرون ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من
قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك وما كان لرسول ان يأتي بآية الا باذن الله
فاذا جاء امر الله قضي بالحق وخسر هنالك المبطلون ومنهم من لم نقصص عليك قيل بعث الله تعالى
ثمانية آلاف نبي اربعة آلاف من بني اسرائيل واربعة آلاف من سائر الناس وعن علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه ان الله تعالى
بعث نبيا اسود فهو ممن لم نقصص عليه وهذا في اقتراحهم الآيات على رسول الله صلى الله عليه وسلم عنادا والمعنى انا قد ارسلنا
كثيرا من الرسل وما كان لواحد منهم ان يأتي بآية الا باذن الله تعالى فمن لي بان آتي بآية مما تقترحونه الا ان يشاء الله تعالى ويأذن لي
في الاتيان بها فاذا جاء امر الله وعيد ورد عقيب اقتراح الآيات وامر الله القيمة المبطلون المعاندون الذين اقترحوا الآيات
وقد اتتهم الآيات فانكروها وسموها سحرا الله الذي جعل لكم الانعام لتركبوا منها ومنها تأكلون
ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون الانعام الابل خاصة
فان قلت لم قال لتركبوا منها ولتبلغوا عليها ولم يقل لتأكلوا منها ولتصلوا الى منافع او هلا قال منها تركبون ومنها تأكلون
وتبلغون عليها حاجة في صدوركم قلت في الركوب الركوب في الحج والغزو وفي بلوغ الحاجة الهجرة من بلد الى بلد لاقامة دين
او طلب علم وهذه اغراض دينية اما واجبة او مندوب اليها مما يتعلق به ارادة الحكيم واما الاكل واصابة المنافع فمن جنس المباح الذي لا يتعلق
به ارادته ومعنى قوله تعالى وعليها وعلى الفلك تحملون وعلى الانعام وحدها لا تحملون ولكن عليها وعلى الفلك في البر والبحر فان قلت
هلا قيل وفي الفلك كما قال تعالى قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين قلت معنى الايعاء ومعنى الاستعلاء كلاهما مستقيم لان
الفلك وعاء لمن يكون فيها حمولة يستعليها فلما صح المعنيان صحت العبارتان وايضا فليطابق قوله تعالى عليها ويزاوجه
ويريكم آياته فاي آيات الله تنكرون فاي آيات الله جاءت على اللغة المستفيضة وقولك فاية آيات الله
قليل لان التفرقة بين المذكر والمؤنث في الاسماء غير الصفات نحو حمار وحمارة غريب وهي في اي اغرب لابهامه افلم يسيروا
في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اكثر منهم واشد قوة وآثارا في الارض
فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون وآثارا قصورهم ومصانعهم وقيل مشيهم بارجلهم لعظم اجرامهم فما اغنى ما نافية
او مضمنة معنى الاستفهام ومحلها النصب والثانية موصولة او مصدرية ومحلها الرفع يعني اي شيء اغنى عنهم مكسوبهم او كسبهم
فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون

فرحوا بما عندهم من العلم فيه وجوه منها ان يراد العلم الوارد على طريق التهكم في قوله تعالى بل ادارك علمهم في الآخرة وعلمهم في
الآخرة انهم كانوا يقولون لا نبعث ولا نعذب وما اظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وما اظن الساعة
قائمة ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا وكانوا يفرحون بذلك ويدفعون به البينات وعلم الانبياء كما قال عز وجل
كل حزب بما لديهم فرحون • ومنها ان يريد علم الفلاسفة والدهريين من بني يونان وكانوا اذا سمعوا بوحي الله دفعوه
وصغروا علم الانبياء الى علمهم وعن سقراط انه سمع بموسى عليه السلام وقيل لو هاجرت اليه فقال نحن قوم مهذبون فلا حاجة
الى من يهذبنا • ومنها ان يوضع قوله تعالى فرحوا بما عندهم ولا علم عندهم البتة موضع قوله لم يفرحوا بما جاءهم من العلم
مبالغة في نفي فرحهم بالوحي الموجب لاقصى الفرح والمسرة مع تهكم بفرط جهلهم وخلوهم من العلم • ومنها ان يراد فرحوا
بما عند الرسل من العلم فرح ضحك منه واستهزاء به كانه قال استهزؤا بالبينات وبما جاؤا به من علم الوحي فرحين مرحين ويدل عليه
قوله تعالى وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن • ومنها ان يجعل الفرح للرسل ومعناه ان الرسل لما راوا جهلهم المتمادي واستهزاءهم
بالحق وعلموا سوء عاقبتهم وما يلحقهم من العقوبة على جهلهم واستهزائهم فرحوا بما اوتوا من العلم وشكروا الله تعالى عليه وحاق بالكافرين
جزاء جهلهم واستهزائهم ويجوز ان يريد بما فرحوا به من العلم علمهم بامور الدنيا ومعرفتهم بتدبيرها كما قال تعالى يعلمون ظاهرا من الحيوة
الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ذلك مبلغهم من العلم فلما جاءهم الرسل بعلوم الديانات وهي ابعد شيء من علمهم لبعثها على رفض
الدنيا والظلف عن الملاذ والشهوات لم يلتفتوا اليها وصغروها واستهزؤا بها واعتقدوا انه لا علم انفع واجلب للفوائد من
علمهم ففرحوا به • فلما راوا باسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين • فلم يك ينفعهم
ايمانهم لما راوا باسنا سنت الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون
الباس شدة العذاب ومنه قوله تعالى بعذاب بئيس فان قلت اي فرق بين قوله فلم يك ينفعهم ايمانهم وبينه لو
قيل فلم ينفعهم ايمانهم قلت هو من كان في نحو قوله تعالى ما كان لله ان يتخذ من ولد والمعنى فلم يصح ولم يستقم ان ينفعهم ايمانهم
فان قلت كيف ترادفت هذه الفاآت قلت اما قوله فما اغنى عنهم فهو نتيجة قوله تعالى كانوا اكثر منهم
واما قوله تعالى فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فجار مجرى البيان والتفسير لقوله تعالى فما اغنى عنهم كقولك رزق زيد المال
فمنع المعروف فلم يحسن الى الفقراء وقوله تعالى فلما راوا باسنا تابع لقوله تعالى فلما جاءتهم كانه قال فكفروا فلما راوا
باسنا آمنوا وكذلك فلم يك ينفعهم تابع لايمانهم لما راوا باس الله سنت الله بمنزلة وعد الله وما اشبهه من المصادر المؤكدة
وهنالك مكان مستعار للزمان اي وخسروا وقت رؤية الباس وكذلك قوله تعالى وخسر هنالك المبطلون بعد قوله تعالى فاذا
جاء امر الله قضي بالحق اي وخسروا وقت مجيء امر الله او وقت القضاء بالحق • عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
من قرأ سورة المؤمن لم يبق روح نبي ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن الا صلى عليه واستغفر له

سورة حم السجدة مكية
وهي اربع وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم حم • تنزيل من الرحمن الرحيم • ان جعلت
حم اسما للسورة كانت في موضع المبتدا وتنزيل خبره وان جعلتها تعديدا للحروف كان تنزيل خبر المبتدا محذوف
كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون • وكتاب بدل من تنزيل او خبر بعد خبر او خبر مبتدا
محذوف وجوز الزجاج ان يكون تنزيل مبتدا وكتاب خبره ووجهه ان تنزيلا تخصص بالصفة فساغ وقوعه مبتدا فصلت آياته
ميزت وجعلت تفاصيل في معان مختلفة من احكام وامثال ومواعظ ووعد ووعيد وغير ذلك وقرئ فصلت اي فرقت بين
الحق والباطل او فصل بعضها من بعض باختلاف معانيها من قولك فصل من البلد قرآنا عربيا نصب على الاختصاص والمدح
اي اريد بهذا الكتاب المفصل قرآنا من صفته كيت وكيت وقيل هو نصب على الحال اي فصلت آياته في حال كونه قرآنا عربيا لقوم
يعلمون اي لقوم عرب يعلمون ما نزل عليهم من الآيات المفصلة المبينة بلسانهم العربي المبين لا يلتبس عليهم شيء منه
فان قلت بم يتعلق قوله تعالى لقوم يعلمون قلت يجوز ان يتعلق بتنزيل او بفصلت اي تنزيل من الله تعالى
لاجلهم او فصلت آياته لهم والاجود ان يكون صفة مثل ما قبله وما بعده اي قرآنا عربيا كائنا لقوم عرب لئلا يفرق بين

الصلات والصفات • بشيرا ونذيرا فاعرض اكثرهم فهم لا يسمعون • وقرئ بشير ونذير صفة
للكتاب او خبر مبتدا محذوف فهم لا يسمعون لا يقبلون ولا يطيعون من قولك تشفعت الى فلان فلم يسمع قولي ولقد سمعه ولكنه
لم يقبله ولم يعمل بمقتضاه فكانه لم يسمعه • وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن
بيننا وبينك حجاب فاعمل اننا عاملون • والاكنة جمع كنان وهو الغطاء والوقر بالفتح الثقل وقرئ
بالكسر وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم عن تقبل الحق واعتقاده كانها في غلف واغطية تمنع من نفوذه فيها كقوله تعالى وقالوا
قلوبنا غلف ومج اسماعهم له كان بها صمما عنه ولتباعد المذهبين والدينين كان بينهم وما هم عليه وبين رسول الله صلى الله
عليه وسلم وما هو عليه حجابا ساترا وحاجزا منيعا من جبل او نحوه فلا تلاقي ولا ترائي فاعمل على دينك اننا عاملون على ديننا
او فاعمل في ابطال امرنا اننا عاملون في ابطال امرك وقرئ انا عاملون فان قلت هل لزيادة من في قوله تعالى ومن بيننا وبينك
حجاب فائدة قلت نعم لانه لو قيل وبيننا وبينك حجاب لكان المعنى ان حجابا حاصل وسط الجهتين واما بزيادة من فالمعنى
ان الحجاب ابتدا منا وابتدا منك فالمسافة المتوسطة لجهتنا وجهتك مستوعبة بالحجاب لا فراغ فيها فان قلت
هلا قيل على قلوبنا اكنة كما قيل وفي آذاننا وقر ليكون الكلام على نمط واحد قلت هو على نمط واحد لانه لا فرق في المعنى بين قولك قلوبنا
في اكنة وعلى قلوبنا اكنة والدليل عليه قوله تعالى انا جعلنا على قلوبهم اكنة ولو قيل انا جعلنا قلوبهم في اكنة لم يختلف المعنى وترى المطابيع
منهم لا يراعون الطباق والملاحظة الا في المعاني • قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد
فاستقيموا اليه واستغفروه وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم
كافرون • فان قلت من اين كان قوله تعالى انما انا بشر مثلكم يوحى الي جوابا لقولهم قلوبنا في اكنة قلت
من حيث انه قال لهم اني لست بملك وانما انا بشر مثلكم وقد اوحي الي ان الهكم اله واحد فاستقيموا اليه فاستووا اليه بالتوحيد
واخلاص العبادة غير ذاهبين يمينا وشمالا ولا ملتفتين الى ما يسول لكم الشيطان من اتخاذ الاولياء والشفعاء وتوبوا اليه
مما سبق لكم من الشرك واستغفروه وقرئ انما انا بشر فان قلت لم خص من بين اوصاف المشركين منع الزكوة مقرونا
بالكفر بالآخرة قلت لان احب شيء الى الانسان ماله وهو شقيق روحه فاذا بذله في سبيل الله فذلك اقوى دليل على
ثباته واستقامته وصدق نيته ونصوع طويته الا ترى الى قوله عز وجل ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من
انفسهم اي يثبتون انفسهم ويدلون على ثباتها بانفاق الاموال وما خدع المؤلفة قلوبهم الا بلمظة من الدنيا فقرت عصبيتهم ولانت
شكيمتهم واهل الردة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تظاهروا الا بمنع الزكوة فنصبت لهم الحرب وجوهدوا وفيه بعث للمؤمنين على
اداء الزكوة وتخويف شديد من منعها حيث جعل المنع من اوصاف المشركين وقرن بالكفر بالآخرة وقيل كانت قريش
يطعمون الحاج ويحرمون من آمن منهم برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل لا يفعلون ما يكونون به ازكياء وهو الايمان
ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون • الممنون المقطوع وقيل لا يمن عليهم لانه
انما يمن التفضل فاما الاجر فحق اداؤه وقيل نزلت في المرضى والزمنى والهرمى اذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الاجر كاصح
ما كانوا يعملون • قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له اندادا ذلك
رب العالمين • ائنكم بهمزتين الثانية بين بين وآئنكم بالف بين همزتين ذلك الذي قدر على خلق الارض في
يومين هو رب العالمين • وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها
في اربعة ايام سواء للسائلين • رواسي جبالا ثوابت فان قلت ما معنى قوله تعالى من فوقها
وهلا اقتصر على قوله تعالى وجعل فيها رواسي كقوله تعالى وجعلنا فيها رواسي شامخات وجعلنا في الارض رواسي وجعل لها رواسي
قلت لو كان تحتها كالاساطين لها تستقر عليها او مركوزة فيها كالمسامير لمنعت من الميدان وانما اختار ارساءها
فوق الارض لتكون المنافع في الجبال معرضة لطالبيها حاضرة لمحصليها وليبصر ان الارض والجبال اثقال على اثقال كلها مفتقرة
الى ممسك لا بد لها منه وهو ممسكها عز وعلا بقدرته وبارك فيها واكثر خيرها وانماه وقدر فيها اقواتها ارزاق اهلها
ومعايشهم وما يصلحهم وفي قراءة ابن مسعود رضي الله تعالى عنه وقسم فيها اقواتها في اربعة ايام سواء فذلكة لمدة خلق الله
الارض وما فيها كانه قال كل ذلك في اربعة ايام كاملة مستوية بلا زيادة ولا نقصان قيل خلق الارض في
يوم الاحد ويوم الاثنين وما فيها يوم الثلاثاء ويوم الاربعاء • وقال الزجاج في تتمة اربعة ايام يريد بالتتمة

هذا على مذهب المعتزلة واما مذهب اهل السنة والجماعة فجميع ما يعطي الله تعالى عباده في الآخرة تفضل منه فضلا وكرما

اليومين وقرى سواء بالحركات الثلاث الجر على الوصف والنصب على استوت سواء والرفع على هي سواء
بم تعلق قوله تعالى للسائلين **قلت** بمحذوف كانه قيل هذا الحصر لاجل من سأل في كم خلقت الارض وما فيها او بقدر
اي قدر فيها الاقوات لاجل الطالبين لها المحتاجين اليها من المقتاتين وهذا الوجه الاخير لا يستقيم الا على تفسير الزجاج
فان قلت هلا قيل في يومين واي فائدة في هذه الفذلكة **قلت** اذا قيل في اربعة ايام وقد ذكر ان الارض
خلقت في يومين علم ان ما فيها خلق في يومين فبقيت المخايرة بين ان تقول في يومين وان تقول في اربعة ايام سواء فكانت
في اربعة ايام سواء فائدة ليست في يومين وهي الدلالة على انها كانت اياما كاملة بغير زيادة ولا نقصان ولو قال في يومين
وقد يطلق اليومان على اكثرهما لكان يجوز ان يريد باليومين الاولين والاخيرين اكثرهما

ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين

ثم استوى الى السماء من قولك استوى الى مكان كذا اذا توجه اليه توجها لا يلوي على شيء وهو من الاستواء الذي هو ضد الاعوجاج
ونحوه قولهم استقام اليه وامتد اليه ومنه قوله تعالى فاستقيموا اليه والمعنى ثم دعاه داعي الحكمة الى خلق السماء بعد خلق الارض
وما فيها من غير صارف يصرفه عن ذلك قيل كان عرشه قبل خلق السموات والارض على الماء فاخرج من الماء دخانا فارتفع فوق
الماء وعلا عليه فايبس الماء فجعله ارضا واحدة ثم فتقها فجعلها ارضين ثم خلق السماء من الدخان المرتفع ومعنى امر السماء
والارض بالاتيان وامتثالهما انه اراد تكوينهما فلم يمتنعا عليه ووجدتا كما ارادهما وكانتا في ذلك كالمامور المطيع اذا ورد عليه
فعل الآمر المطاع وهو من المجاز الذي يسمى التمثيل ويجوز ان يكون تخييلا ويبنى الامر فيه على ان الله تعالى كلم السماء والارض وقال لهما
ائتيا شئتما ذلك او ابيتما فقالتا اتينا على الطوع لا على الكره والغرض تصوير اثر قدرته في المقدورات لا غير من غير ان
يحقق شيء من الخطاب والجواب ونحوه قول القائل قال الجدار للوتد لم تشقني قال الوتد اسال من يدقني فلم يتركني ورائي الحجر الذي
ورائي **فان قلت** لم ذكر الارض مع السماء وانتظمها في الامر بالاتيان والارض مخلوقة قبل السماء بيومين **قلت**
قد خلق جرم الارض اولا غير مدحوة ثم دحاها بعد خلق السماء كما قال تعالى والارض بعد ذلك دحاها فالمعنى ائتيا على ما ينبغي ان
تاتيا عليه من الشكل والوصف ائتي يا ارض مدحوة قرارا ومهادا لاهلك وائتي يا سماء مقببة سقفا لهم ومعنى الاتيان الحصول
والوقوع كما تقول اتى عمله مرضيا وجاء مقبولا ويجوز ان يكون المعنى لتات كل واحدة منكما صاحبتها الاتيان الذي اريده
وتقتضيه الحكمة والتدبير من كون الارض قرارا للسماء وكون السماء سقفا للارض وتنصره قراءة من قرأ آتيا وآتينا من المواتاة
وهي الموافقة اي لتوات كل واحدة اختها ولتوافقها قالتا وافقنا وساعدنا ويحتمل وافقا امري ومشيتي ولا تمتنعا
فان قلت ما معنى طوعا او كرها **قلت** هو مثل للزوم تاثير قدرته فيهما وان امتناعهما من تاثير قدرته محال كما
يقول الجبار لمن تحت يده لتفعلن هذا شئت او ابيت ولتفعلنه طوعا او كرها وانتصابهما على الحال بمعنى طائعتين او مكرهتين
فان قلت هلا قيل طائعتين على اللفظ او طائعات على المعنى لانها سموات وارضون **قلت** لما جعلن
مخاطبات ومجيبات ووصفن بالطوع والكره قيل طائعين في موضع طائعات كقوله تعالى ساجدين

فقضاهن سبع سموات في يومين واوحى في كل سماء امرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم

فقضاهن يجوز ان يرجع الضمير فيه الى السماء على المعنى كما قال طائعين ونحوه اعجاز
نخل خاوية ويجوز ان يكون ضميرا مبهما مفسرا بسبع سموات والفرق بين النصبين ان احدهما على الحال والثاني على التمييز
قيل خلق السموات وما فيها في يومين في يوم الخميس والجمعة وفرغ في آخر ساعة من يوم الجمعة فخلق فيها آدم وهي الساعة التي
تقوم فيها القيمة وفي هذا دليل على ما ذكرت من انه لو قيل في يومين في اربعة ايام سواء لم يعلم انهما يومان كاملان ام ناقصان
فان قلت فلو قيل خلق الارض في يومين كاملين وقدر فيها اقواتها في يومين كاملين او قيل بعد ذكر اليومين تلك اربعة سواء
قلت الذي اورده سبحانه اخصر وافصح واحسن طباقا لما عليه التنزيل من مغاصات القرائح ومصاك الركب ليتميز
الفاضل من الناقص والمتقدم من الناكص وترتفع الدرجات ويتضاعف الثواب امرها ما امر به فيها ودبره من خلق الملائكة
والنيرات وغير ذلك او شانها وما يصلحها وحفظا وحفظناها حفظا يعني من المسترقة بالثواقب ويجوز ان يكون مفعولا له
على المعنى كانه قال وخلقنا المصابيح زينة وحفظا

فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود اذ جاءتهم الرسل من بين ايديهم ومن خلفهم الا تعبدوا

الا الله قالوا لو شاء ربنا لانزل ملائكة فانا بما ارسلتم به كافرون

فان اعرضوا من بعد ما تتلو عليهم من هذه الحجج على وحدانيته وقدرته فحذرهم ان تصيبهم صاعقة اي عذاب شديد الوقع
كانه صاعقة وقرئ صعقة مثل صعقة عاد وثمود وهي المرة من الصعق او الصعق يقال صعقته الصاعقة صعقا
فصعق صعقا وهو من باب فعلته ففعل من بين ايديهم ومن خلفهم اي اتوهم من كل جانب واجتهدوا بهم واعملوا فيهم
كل حيلة فلم يروا منهم الا العتو والاعراض كما حكى الله تعالى عن الشيطان لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم يعني لآتينهم من
كل جهة ولاعملن فيهم كل حيلة تقول استدرت بفلان من كل جانب فلم تكن لي فيه حيلة وعن الحسن رحمه الله تعالى انذروهم
من وقائع الله تعالى فيمن قبلهم من الامم وعذاب الآخرة لانهم اذا حذروهم ذلك فقد جاؤهم بالوعظ من جهة الزمن الماضي
وما جرى فيه على الكفار ومن جهة المستقبل وما سيجري عليهم وقيل معناه اذ جاءتهم الرسل من قبلهم ومن بعدهم
فان قلت الرسل الذين من قبلهم ومن بعدهم كيف يوصفون بانهم جاؤهم وكيف يخاطبونهم بقولهم انا بما
ارسلتم به كافرون **قلت** قد جاءهم هود وصالح داعيين الى الايمان بهما وبجميع الرسل ممن جاء من بين ايديهم
اي من قبلهم وممن يجيء من خلفهم اي من بعدهم فكان الرسل جميعا قد جاؤهم وقولهم انا بما ارسلتم به كافرون خطاب منهم لهود
وصالح عليهما السلام ولسائر الانبياء صلوات الله عليهم الذين دعوا الى الايمان بهم ان في ان لا تعبدوا بمعنى اي او مخففة من
الثقيلة اصله بانه لا تعبدوا اي بان الشان والحديث قولنا لكم لا تعبدوا ومفعول شاء محذوف اي لو شاء ربنا ارسال الرسل لانزل ملائكة
فانا بما ارسلتم به كافرون معناه فاذ انتم بشر ولستم بملائكة فانا لا نؤمن بكم وبما جئتم به وقوله ارسلتم به ليس باقرار بالارسال وانما هو على كلام
الرسل وفيه تهكم كما قال فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون روي ان ابا جهل قال في ملا من قريش قد التبس علينا امر محمد فلو
التمستم لنا رجلا عالما بالشعر والكهانة والسحر فكلمه ثم اتانا ببيان عن امره فقال عتبة بن ربيعة والله لقد سمعت الشعر والكهانة
والسحر وعلمت من ذلك علما وما يخفى علي فاتاه فقال انت يا محمد خير ام هاشم انت خير ام عبد المطلب فبم تشتم الهتنا
وتضللنا فان كنت تريد الرياسة عقدنا لك اللواء فكنت رئيسنا وان تكن بك الباءة زوجناك عشر نسوة تختارهن من اي
بنات قريش شئت وان كان بك المال جمعنا لك ما تستغني به ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ساكت فلما فرغ قال
بسم الله الرحمن الرحيم حم الى قوله تعالى صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسك عتبة على فيه وناشده بالرحم ورجع الى اهله ولم
يخرج الى قريش فلما احتبس عنهم قالوا ما نرى عتبة الا قد صبا فانطلقوا اليه وقالوا يا عتبة ما حبسك عنا الا انك قد صبأت فغضب
واقسم لا يكلم محمدا ابدا ثم قال والله لقد كلمته فاجابني بشيء والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر ولما بلغ صاعقة عاد وثمود امسكت بفيه
وناشدته بالرحم ان يكف وقد علمتم ان محمدا اذا قال شيئا لم يكذب فخفت ان ينزل بكم العذاب

فاما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق وقالوا من اشد منا قوة اولم يروا ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة وكانوا باياتنا يجحدون

فاستكبروا في الارض اي تعظموا فيها على اهلها بما لا يستحقون به التعظيم
وهو القوة وعظم الاجرام او استعلوا في الارض واستولوا على اهلها بغير استحقاق للولاية من اشد منا قوة كانوا ذوي اجسام
طوال وخلق عظيم وبلغ من قوتهم ان الرجل كان ينزع الصخرة من الجبل فيقتلعها بيده **فان قلت** القوة هي الشدة
والصلابة في البنية وهي نقيضة الضعف واما القدرة فما لاجله يصح الفعل من تمييز بذات او بصحة بنية وهي نقيضة العجز
والله سبحانه وتعالى لا يوصف بالقوة الا على معنى القدرة فكيف صح قوله تعالى هو اشد منهم قوة وانما يصح اذا اريد بالقوة
في الموضعين شيء واحد **قلت** القدرة في الانسان هي صحة البنية والاعتدال والقوة هي الشدة والصلابة
في البنية وحقيقتها زيادة القدرة فكما صح ان يقال الله اقدر منهم جاز ان يقال اقوى منهم على معنى انه يقدر لذاته على ما لا يقدرون
عليه بازدياد قدرهم يجحدون كانوا يعرفون انها حق ولكنهم جحدوها كما يجحد المودع الوديعة وهو معطوف على فاستكبروا اي كانوا كفرة فسقة

فارسلنا عليهم ريحا صرصرا في ايام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا ولعذاب الآخرة اخزى وهم لا ينصرون

الصرصر العاصفة التي تصرصر اي تصوت في هبوبها
وقيل الباردة التي تحرق بشدة بردها تكرير لبناء الصر وهو البرد الذي يصر اي يجمع ويقبض نحسات قرئ بكسر الحاء وسكونها
ونحس نحسا نقيض سعد سعدا وهو نحس واما نحس فاما مخفف نحس او صفة على فعل او وصف بمصدر وقرئ لنذيقهم على
ان الاذاقة للريح او للايام النحسات واضاف العذاب الى الخزي وهو الذل والاستكانة على انه وصف للعذاب كانه قال عذاب خزي كما

قوله من تمييز بذات بناء على ما ذهب اليه المعتزلة
الصفة عين الذات وقوله او بصحة
بنية وهي نقيضة العجز والقوة
نقيضة الضعف
والعجز يقابل القدرة

منه اصلحه الله تعالى
قابس

تقول فعل السوء تريد الفعل السيء والدليل عليه قوله تعالى ولعذاب الآخرة أخزى وهو من الإسناد المجازي ووصف
العذاب بالخزي أبلغ من وصفهم به ألا ترى إلى البون بين قوليك هو شاعر وله شعر شاعر ● وأما ثمود
فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا
يكسبون ● ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون ● وقرئ ثمود بالرفع والنصب منونا وغير منون
والرفع أفصح لوقوعه بعد حرف الابتداء وقرئ بضم الثاء فهديناهم فدللناهم على طريقي الضلالة والرشد كقوله تعالى
وهديناه النجدين فاستحبوا العمى على الهدى فاختاروا الدخول في الضلالة على الدخول في الرشد فإن قلت
أليس معنى هديته حصلت فيه الهدى والدليل عليه قولك هديته فاهتدى بمعنى تحصيل البغية وحصولها كما تقول ردعته
فارتدع فكيف استعمل في الدلالة المجردة قلت للدلالة على أنه مكنهم وأزاح عللهم ولم يبق لهم عذرا ولا علة فكأنه
حصل البغية فيهم بتحصيل ما يوجبها ويقتضيها صاعقة العذاب داهية العذاب وقارعة العذاب والهون الهوان وصف
العذاب مبالغة أو أبدله منه ولو لم يكن في القرآن حجة على القدرية الذين هم مجوس هذه الأمة بشهادة نبيها صلى الله
عليه وسلم وكفى شاهدا إلا هذه الآية لكفى بها حجة ● ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون
قرئ يحشر على البناء للمفعول ونحشر بالنون وضم الشين وكسرها ويحشر على البناء للفاعل أي يحشر الله عز وجل أعداء الله الكفار
من الأولين والآخرين يوزعون يحبس أولهم على آخرهم أي يستوقف سوابقهم حتى يلحق بهم تواليهم وهي عبارة عن كثرة أهل
النار نسأل الله تعالى أن يجيرنا منها بسعة رحمته ● حتى إذا ما جاؤها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم
وجلودهم بما كانوا يعملون ● وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله
الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون ● فإن قلت ما في قوله تعالى حتى
إذا ما جاؤها ما هي قلت مزيدة للتأكيد ومعنى التأكيد فيها أن وقت مجيئهم النار لا محالة أن يكون وقت الشهادة عليهم ولا
وجه لأن يخلو منها ومثله قوله تعالى أثم إذا ما وقع آمنتم به أي لا بد لوقت وقوعه من أن يكون وقت إيمانهم به شهادة الجلود بالملامسة
الحرام وما أشبه ذلك مما يفضي إليها من المحرمات فإن قلت كيف تشهد عليهم أعضاؤهم وكيف تنطق قلت
الله عز وجل ينطقها كما أنطق الشجرة بأن يخلق فيها كلاما وقيل المراد بالجلود الجوارح وقيل هي كناية عن الفروج أراد بكل شيء
كل شيء من الحيوان كما أراد به في قوله تعالى والله على كل شيء قدير كل شيء من المقدورات والمعنى أن نطقنا ليس بعجب من قدرة الله
الذي قدر على إنطاق كل حيوان وعلى خلقكم وإنشائكم أول مرة وعلى إعادتكم ورجعكم إلى جزائه وإنما قالوا لهم لم شهدتم علينا لما تعاظمهم
من شهادتها وكبر عليهم من الافتضاح على ألسنة جوارحهم ● وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم
سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون ●
المعنى أنكم كنتم تستترون بالحيطان والحجب عند ارتكاب الفواحش وما كان استتاركم ذلك خيفة أن تشهد عليكم جوارحكم
لأنكم كنتم غير عالمين بشهادتها عليكم بل كنتم جاحدين بالبعث والجزاء أصلا ولكنكم إنما استترتم لظنكم أن الله لا يعلم كثيرا مما
تعملون وهو الخفيات من أعمالكم ● وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين
وذلك الظن هو الذي أهلككم وفي ذلك تنبيه على أن من حق المؤمن أن لا يذهب عنه ولا يزل عن ذهنه أن عليه من الله تعالى
عينا كالئة ورقيبا مهيمنا حتى يكون في أوقات خلواته من ربه أهيب وأحسن احتشاما وأوفر تحفظا وتصونا
منه مع الملأ ولا يتبسط في سره مراقبة من التشبه بهؤلاء الظانين وقرئ ولكن زعمتم وذلكم رفع بالابتداء وظنكم
وأرداكم خبران ويجوز أن يكون ظنكم بدلا من ذلكم وأرداكم الخبر ● فإن يصبروا فالنار مثوى لهم وإن
يستعتبوا فما هم من المعتبين ● فإن يصبروا لم ينفعهم الصبر ولم ينفكوا به من الثواء في النار وإن يستعتبوا
وإن يسألوا العتبى وهي الرجوع إلى ما يحبون جزعا مما هم فيه لم يعتبوا لم يعطوا العتبى ولم يجابوا إليها ونحوه قوله أجزعنا
أم صبرنا ما لنا من محيص وقرئ وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين أي إن سئلوا أن يرضوا ربهم فما هم فاعلين أي لا سبيل
لهم إلى ذلك ● وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم وحق عليهم
القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين ● وقيضنا وقدرنا
[illegible] يقال هذان ثوبان قيضان إذا كانا متكافئين والمقايضة المعارضة قرناء أخدانا من الشياطين

جمع

جمع قرين كقوله عز وجل ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين فإن قلت كيف جاز أن يقيض لهم
القرناء من الشياطين وهو ينهاهم عن اتباع خطواتهم قلت معناه أنه خذلهم ومنعهم التوفيق لتصميمهم على الكفر فلم
يبق لهم قرناء سوى الشياطين والدليل عليه ومن يعش نقيض ● ما بين أيديهم وما خلفهم ما تقدم من أعمالهم وما هم عازمون
أو ما بين أيديهم من أمر الدنيا واتباع الشهوات وما خلفهم من أمر العاقبة وأن لا بعث ولا حساب وحق عليهم القول
يعني كلمة العذاب في أمم في جملة أمم ومثل في هذه ما في قوله ● إن تك عن أحسن الصنيعة مأفوكا ففي آخرين قد أفكوا
يريد فأنت في جملة آخرين وأنت في عداد آخرين لست في ذلك بأوحد فإن قلت في أمم ما محله قلت
النصب على الحال من الضمير في عليهم أي حق عليهم القول كائنين في جملة أمم إنهم كانوا خاسرين تعليل لاستحقاقهم العذاب والضمير
لهم وللأمم ● وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون
قرئ والغوا فيه بفتح الغين وضمها يقال لغي يلغى ولغا يلغو واللغو الساقط من الكلام الذي لا طائل تحته قال
● من اللغا ورفث التكلم ● والمعنى لا تسمعوا له إذا قرئ وتشاغلوا عند قراءته برفع الأصوات بالخرافات والهذيان
والزمل وما أشبه ذلك حتى تخلطوا على القارئ وتشوشوا عليه وتغلبوه على قراءته كانت قريش يوصي بذلك بعضهم بعضا
فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا ولنجزينهم أسوأ الذي كانوا يعملون ●
فلنذيقن الذين كفروا يجوز أن يريد بالذين كفروا هؤلاء اللاغين والآمرين لهم باللغو خاصة وأن يذكر الذين كفروا
عامة لينطووا تحت ذكرهم وقد ذكرنا إضافة أسوأ بما أغنى عن إعادته وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عذابا شديدا
يوم بدر وأسوأ الذي كانوا يعملون في الآخرة ● ذلك جزاء أعداء الله النار لهم فيها دار الخلد
جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون ● ذلك إشارة إلى الأسوأ ويجوز أن يكون التقدير الأسوأ جزاء الذي
كانوا يعملون حتى تستقيم هذه الإشارة والنار عطف بيان للجزاء أو خبر مبتدأ محذوف فإن قلت
ما معنى قوله تعالى لهم فيها دار الخلد قلت معناه أن النار في نفسها دار الخلد كقوله عز وجل لقد كان لكم في رسول الله
أسوة حسنة والمعنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة وتقول لك في هذه الدار دار السرور وأنت تعني
الدار بعينها ● جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون أي جزاء بما كانوا يلغون فيها فذكر الجحود الذي هو سبب اللغو
وقال الذين كفروا ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والإنس نجعلهما تحت أقدامنا
ليكونا من الأسفلين ● اللذين أضلانا أي الشيطانين اللذين أضلانا من الجن والإنس لأن الشيطان على
ضربين جني وإنسي قال الله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن وقال الذي يوسوس في صدور
الناس من الجنة والناس وقيل هما إبليس وقابيل لأنهما سنا الكفر والقتل بغير حق وقرئ أرنا بسكون الراء
لثقل الكسرة كما قالوا في فخذ فخذ وقيل معناه أعطنا اللذين أضلانا وحكوا عن الخليل أنك إذا قلت أرني بكسر الراء فالمعنى بصرني
وإذا قلته بالسكون فهو استعطاء معناه أعطني ثوبك ونظيره اشتهار الإيتاء في معنى الإعطاء وأصله الإحضار
إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا
وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون ● ثم لتراخي الاستقامة عن الإقرار في المرتبة وفضلها عليه
لأن الاستقامة لها الشأن كله ونحوه قوله تعالى إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا والمعنى
ثم ثبتوا على الإقرار ومقتضياته وعن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه استقاموا فعلا كما استقاموا قولا وعنه
أنه تلاها ثم قال ما تقولون فيها قالوا لم يذنبوا قال حملتم الأمر على أشده قالوا فما تقول قال لم يرجعوا إلى عبادة الأوثان
وعن عمر رضي الله تعالى عنه استقاموا على الطريقة لم يروغوا روغان الثعالب وعن عثمان رضي الله تعالى عنه أخلصوا العمل
وعن علي رضي الله تعالى عنه أدوا الفرائض ● وقال سفيان بن عبد الله الثقفي قلت يا رسول الله أخبرني بأمر أعتصم به
قال قل ربي الله ثم استقم قال قلت ما أخوف ما تخاف علي فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بلسان نفسه فقال هذا
تتنزل عليهم الملائكة عند الموت بالبشرى ● وقيل البشرى في ثلاثة مواطن عند الموت وفي القبر وإذا قاموا من
قبورهم أن لا تخافوا أن بمعنى أي أو مخففة من الثقيلة وأصله بأنه لا تخافوا وأن بمعنى أي أو مخففة من الثقيلة وأصله
بأنه لا تخافوا والهاء ضمير الشأن وفي قراءة ابن مسعود رضي الله تعالى عنه لا تخافوا أي يقولون لا تخافوا والخوف غم يلحق

التوقع المكروه والحزن غم يلحق لوقوع من فوات نافع او حصول ضار والمعنى ان الله تعالى كتب لكم الامن من كل غم فلن تذوقوه
ابدا وقيل لا تخافوا ما تقدمون عليه ولا تحزنوا على ما خلفتم **نحن اولياؤكم فى الحيوة الدنيا وفى الاخرة**
ولكم فيها ما تشتهى انفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم
كما ان الشياطين قرناء العصاة واخوانهم فكذلك اولياء المتقين واحباؤهم فى الدارين تدعون تتمنون والنزل
رزق النزيل وهو الضيف وانتصابه على الحال **ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا**
وقال اننى من المسلمين ممن دعا الى الله عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما هو رسول الله صلى الله عليه وسلم
دعا الى الاسلام وعمل صالحا فيما بينه وبين ربه وجعل الاسلام نحلة له وعنه انهم اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
وعن عائشة رضى الله تعالى عنها ما كنا نشك ان هذه الآية نزلت فى المؤذنين وهى عامة فى كل من جمع بين هذه الثلاث
ان يكون موحدا معتقدا لدين الاسلام عاملا بالخير داعيا اليه وما هم الا طبقة العالمين العاملين من اهل العدل والتوحيد
الدعاة الى دين الله تعالى وقوله عز وجل وقال اننى من المسلمين ليس الغرض انه تكلم بهذا الكلام ولكن جعل دين الاسلام
مذهبه ومعتقده كما تقول هذا قول ابى حنيفة رحمه الله تعالى تريد مذهبه **ولا تستوى الحسنة ولا السيئة**
ادفع بالتى هى احسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كانه ولى حميم وما يلقاها
الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم يعنى ان الحسنة والسيئة متفاوتتان فى انفسهما فخذ بالحسنة
التى هى احسن من اختها اذا اعترضتك حسنتان فادفع بها السيئة التى ترد عليك من بعض اعدائك
ومثال ذلك رجل اساء اليك اساءة فالحسنة ان تعفو عنه والتى هى احسن ان تحسن اليه مكان اساءته اليك
مثل ان يذمك فتمدحه ويقتل ولدك فتفتدى ولده من يد عدوه فانك اذا فعلت ذلك انقلب عدوك المشاق مثل
الولى الحميم مصافاة لك ثم قال تعالى وما يلقى هذه الخليقة التى هى مقابلة الاساءة بالاحسان الا اهل الصبر والا رجل
خير وفق لحظ عظيم من الخير **فان قلت** فهلا قيل فادفع بالتى هى احسن **قلت** هو على تقدير قول قائل قال
فكيف اصنع فقيل ادفع بالتى هى احسن وقيل لا مزيدة والمعنى ولا تستوى الحسنة والسيئة **فان قلت**
فكان القياس على هذا التفسير ان يقال ادفع بالتى هى حسنة **قلت** اجل ولكن وضع التى هى احسن موضع الحسنة
ليكون ابلغ فى الدفع بالحسنة لان من دفع بالحسنى هان عليه الدفع بما هو دونها وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما بالتى
هى احسن الصبر عند الغضب والحلم عند الجهل والعفو عند الاساءة وفسر الحظ بالثواب وعن الحسن رحمه الله تعالى والله
ما عظم حظ دون الجنة وقيل نزلت فى ابى سفيان بن حرب وكان عدوا مؤذيا لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
فصار وليا مصافيا **واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع**
العليم النزغ والنسغ بمعنى وهو النخس والشيطان ينزغ الانسان كانه ينخسه ببعثه على ما لا ينبغى وجعل النزغ
نازغا كما قيل جد جده او اريد واما ينزغنك نازغ وصفا للشيطان بالمصدر او لتسويله والمعنى وان صرفك الشيطان عما
وصيت به من الدفع بالتى هى احسن فاستعذ بالله من شره وامض على شانك ولا تطعه **ومن اياته الليل والنهار**
والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذى خلقهن ان كنتم اياه تعبدون
الضمير فى خلقهن لليل والنهار والشمس والقمر لان حكم جماعة ما لا يعقل حكم الانثى او الاناث يقال الاقلام بريتها وبريتهن
او لما قال ومن اياته كن فى معنى الاناث فقيل خلقهن **فان قلت** اين موضع السجدة **قلت**
عند الشافعى رحمه الله تعبدون وهى رواية مسروق عن عبد الله لذكر لفظ السجدة قبلها وعند ابى حنيفة رحمه الله يسامون
لانها تمام المعنى وعن ابن عباس وابن عمر وسعيد بن المسيب رضوان الله تعالى عليهم اجمعين لعل ناسا منهم كانوا يسجدون
للشمس والقمر كالصابئين فى عبادتهم الكواكب ويزعمون انهم يقصدون بالسجود لهما السجود لله تعالى فنهوا عن هذه
الواسطة وامروا ان لا يقصدوا بسجودهم الا الله تعالى خالصا ان كانوا اياه يعبدون وكانوا موحدين غير مشركين
فان استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسامون
فان استكبروا ولم يمتثلوا ما امروا به وابوا الا الواسطة فدعهم وشانهم فان الله سبحانه وتعالى لا يعدم عابدا ولا ساجدا
بالاخلاص له وهم الملائكة المقربون الذين ينزهونه بالليل والنهار عن الانداد وقوله تعالى عند ربك عبارة عن الزلفى

بالمكانة

والمكانة والكرامة وقرئ لا يسامون بكسر الياء **ومن اياته انك ترى الارض خاشعة فاذا انزلنا**
عليها الماء اهتزت وربت ان الذى احياها لمحيى الموتى انه على كل شئ قدير
الخشوع التذلل والتقاصر فاستعير لحال الارض اذا كانت قحطة لا نبات فيها كما وصفها بالهمود فى قوله تعالى وترى الارض
هامدة وهو خلاف وصفها بالاهتزاز والربو وهو الانتفاخ اذا اخصبت وتزخرفت بالنبات كانها بمنزلة المختال فى
زيه وهى قبل ذلك كالذليل الكاسف البال فى الاطمار الرثة وقرئ وربات اى ارتفعت لان النبت اذا هم ان يظهر
ارتفعت له الارض **ان الذين يلحدون فى اياتنا لا يخفون علينا افمن يلقى فى النار خير**
امن ياتى امنا يوم القيمة اعملوا ما شئتم انه بما تعملون بصير يقال الحد الحافر ولحد اذا مال
عن الاستقامة فحفر فى شق فاستعير للانحراف فى تاويل ايات القرآن عن جهة الصحة والاستقامة وقرئ يلحدون ويلحدون
على اللغتين وقوله تعالى لا يخفون علينا وعيد لهم على التحريف **ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وانه**
لكتاب عزيز **فان قلت** بم اتصل قوله تعالى ان الذين كفروا بالذكر **قلت** هو بدل من قوله ان الذين
يلحدون فى اياتنا والذكر القرآن لانهم لكفرهم به طعنوا فيه وحرفوا تاويله وانه لكتاب عزيز اى منيع محمى بحماية الله تعالى
لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا
من خلفه مثل كان الباطل لا يتطرق اليه ولا يجد اليه سبيلا من جهة من الجهات حتى يصل اليه ويتعلق به **فان قلت**
اما طعن فيه الطاعنون وتاوله المبطلون **قلت** بلى ولكن الله قد تقدم فى حمايته عن تعلق الباطل به بان قيض قوما
عارضوهم بابطال تاويلهم وافساد اقاويلهم فلم يخلوا طعن طاعن الا ممحوقا ولا قول مبطل الا مضمحلا ونحوه قوله تعالى
انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون **ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك ان ربك لذو**
مغفرة وذو عقاب اليم ما يقال لك اى ما يقول لك كفار قومك الا مثل ما قال للرسل كفار قومهم من الكلمات
المؤذية والمطاعن فى الكتب المنزلة ان ربك لذو مغفرة ورحمة لانبيائه وذو عقاب اليم لاعدائهم ويجوز ان يكون المقول
لك ان الله الا مثل ما قال للرسل من قبلك والمقول هو قوله تعالى ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب اليم فمن حقه ان
يرجوه اهل الطاعة ويخافه اهل المعصية والغرض تخويف العصاة **ولو جعلناه قرانا اعجميا لقالوا**
لولا فصلت اياته ءاعجمى وعربى قل هو للذين امنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون
فى اذانهم وقر وهو عليهم عمى اولئك ينادون من مكان بعيد كانوا لتعنتهم يقولون هلا نزل
القرآن بلغة العجم فقيل لو كان كما يقترحون لم يتركوا الاعتراض والتعنت وقالوا لولا فصلت اياته اى بينت ولخصت
بلسان نفقهه ءاعجمى وعربى الهمزة همزة الانكار يعنى لانكروا وقالوا اقرآن اعجمى ورسول عربى او مرسل اليه عربى
وقرئ اعجمى والاعجمى الذى لا يفصح ولا يفهم كلامه من اى جنس كان والعجمى منسوب الى امة العجم وفى قراءة الحسن
اعجمى بغير همزة الاستفهام على الاخبار بان القرآن اعجمى والمرسل او المرسل اليه عربى والمعنى ان ايات الله تعالى
على اى طريقة جاءتهم وجدوا فيها متعنتا لان القوم غير طالبين للحق وانما يتبعون اهواءهم ويجوز فى قراءة الحسن هلا فصلت
اياته تفصيلا فجعل بعضها بيانا للعجم وبعضها بيانا للعرب **فان قلت** كيف يصح ان يراد بالعربى المرسل
اليهم وهم امة العرب **قلت** هو كما يجب ان يقع فى انكار المنكر لو راى كتابا اعجميا كتب الى قوم من العرب يقول
الكتاب اعجمى ومكتوب اليه عربى وذلك لان مبنى الانكار على تنافر حالتى الكتاب والمكتوب اليه لا على ان المكتوب اليه واحد
او جماعة فوجب ان يجرد لما سيق له من الغرض ولا يوصل به ما يخيل غرضا آخر الا تراك تقول وقد رايت لباسا طويلا
على امراة قصيرة اللباس طويل واللابس قصير ولو قلت واللابسة قصيرة جئت بما هو لكنة وفضول قول لان الكلام
لم يقع فى ذكورة اللابس وانوثته وانما وقع فى غرض آخر وراءهما هو اى القرآن هدى وشفاء ارشاد الى الحق وشفاء
لما فى الصدور من الظن والشك **فان قلت** والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر منقطع عن ذكر القرآن
فما وجه اتصاله **قلت** لا يخلو اما ان يكون الذين لا يؤمنون فى موضع الجر معطوفا على قوله تعالى للذين امنوا هدى
وشفاء وهو للذين لا يؤمنون هو فى اذانهم وقر الا ان فيه عطفا على عاملين وان كان الاخفش يجيزه واما ان يكون
مرفوعا على تقدير والذين لا يؤمنون هو فى اذانهم وقر على حذف المبتدا او فى اذانهم منه وقر وقرئ وهو عليهم عم

كقوله تعالى فعميت عليكم ينادون من مكان بعيد يعني انهم لا يقبلونه ولا يرعونه اسماعهم فمثلهم في ذلك مثل من يصيح
من مسافة شاسعة لا يسمع من مثلها الصوت فلا يسمع لنداء ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه
ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم وانهم لفي شك منه مريب فاختلف فيه فقال
بعضهم هو حق وقال بعضهم هو باطل والكلمة السابقة هي العدة بالقيامة وان الخصومات تفصل في ذلك اليوم
ولولا ذلك لقضي بينهم في الدنيا قال الله تعالى بل الساعة موعدهم ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى من عمل صالحا
فلنفسه ومن اساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد فلنفسه نفعه نفع نفعها فنفسه
وما ربك بظلام فيعذب غير المسيء اليه يرد علم الساعة وما تخرج من ثمرات من اكمامها
وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه ويوم يناديهم اين شركائي قالوا آذناك
ما منا من شهيد وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل وظنوا ما لهم من محيص
اليه يرد علم الساعة اي اذا سئل عنها قيل الله يعلم او لا يعلمها الا الله وقرئ من ثمرات من اكمامهن والكم بكسر الكاف
وعاء الثمرة كجف الطلعة اي وما يحدث شيء من خروج ثمرة ولا حمل حامل ولا وضع واضع الا وهو عالم به يعلم عدد ايام
الحمل وساعاته واحواله من الخداج والتمام والذكورة والانوثة والحسن والقبح وغير ذلك اين شركائي اضافهم اليه على زعمهم
وبيانه في قوله تعالى اين شركائي الذين كنتم تزعمون وفيه تهكم وتقريع آذناك اعلمناك ما منا من شهيد اي ما منا احد اليوم
وقد ابصرنا وسمعنا يشهد بانهم شركاؤك اي ما منا الا من هو موحد لك او ما منا احد يشاهدهم لانهم ضلوا عنهم وضلت عنهم
آلهتهم لا يبصرونها في ساعة التوبيخ وقيل هو كلام الشركاء اي ما منا من شهيد يشهد بما اضافوا الينا من الشركة ومعنى
ضلالهم عنهم على هذا التفسير انهم لا ينفعونهم فكانهم ضلوا عنهم وظنوا وايقنوا والمحيص المهرب **فان قلت**
آذناك اخبار بايذان كان منهم فاذا قد آذنوا فلم سئلوا **قلت** يجوز ان يعاد عليهم اين شركائي اعادة للتوبيخ
واعادته في القرآن على سبيل الحكاية دليل على اعادة المحكي ويجوز ان يكون المعنى انك علمت من قلوبنا وعقايدنا الآن
انا لا نشهد تلك الشهادة الباطلة لانه اذا علمه من نفوسهم فكانهم اعلموه ويجوز ان يكون انشاء للايذان لا يكون
اخبارا بايذان قد كان كما تقول اعلم الملك انه كان من الامر كيت وكيت لا يسأم الانسان من دعاء
الخير وان مسه الشر فيؤس قنوط من دعاء الخير من طلب السعة في المال والنعمة وقرأ ابن
مسعود من دعاء بالخير وان مسه الشر اي الضيقة والفقر فيؤس قنوط بولغ فيه من طريقين من طريق بناء فعول
ومن طريق التكرير والقنوط ان يظهر عليه اثر اليأس فيتضاءل وينكسر اي يقطع الرجاء من فضل الله تعالى وروحه وهذه
صفة الكافر بدليل قوله تعالى انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ولئن اذقناه رحمة منا من بعد
ضراء مسته ليقولن هذا لي وما اظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربي
ان لي عنده للحسنى واذا فرجنا عنه بصحة بعد مرض او سعة بعد ضيق قال هذا لي اي هذا حقي وصل
الي لاني استوجبته بما عندي من خير وفضل واعمال بر او هذا لي لا يزول عني ونحوه قوله تعالى فاذا جاءتهم الحسنة قالوا
لنا هذه ونحوه قوله تعالى وما اظن الساعة قائمة ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين يريد وما اظنها تكون
فان كانت على طريق التوهم ان لي عنده الحالة الحسنى من الكرامة والنعمة قياسا لامر الآخرة على امر الدنيا
وعن بعضهم للكافر امنيتان يقول في الدنيا ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى ويقول في الآخرة يا ليتني كنت ترابا
وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة فلننبئن الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من
عذاب غليظ فلنخبرنهم بحقيقة ما عملوا من الاعمال الموجبة للعذاب ولنبصرنهم عكس ما اعتقدوا فيها
انهم يستوجبون عليها كرامة وقربة عند الله وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وذلك انهم كانوا
ينفقون اموالهم رئاء الناس وطلبا للفخر والاستكبار لا غير وكانوا يحسبون ان ما هم عليه سبب الغنى والصحة وانهم
محقوقون بذلك واذا انعمنا على الانسان اعرض ونأى بجانبه واذا مسه
الشر فذو دعاء عريض هذا ايضا ضرب آخر من طغيان الانسان اذا اصابه الله بنعمة ابطرته
النعمة وكانه لم يلق بؤسا قط فنسي المنعم واعرض عن شكره ونأى بجانبه اي ذهب بنفسه وتكبر وتعظم وان مسه الضر والفقر

اقبل على دوام الدعاء واخذ في الابتهال والتضرع وقد استعير العرض لكثرة الدعاء ودوامه وهو من صفة الاجرام ويستعار له
الطول ايضا كما استعير الغلظ لشدة العذاب وقرئ ونأى بجانبه بامالة الالف وكسر النون للاتباع وناء على القلب كما قالوا في
رأى راء **فان قلت** حقق لي معنى قوله تعالى ونأى بجانبه **قلت** فيه وجهان ان يوضع جانبه موضع نفسه كما
ذكرنا في قوله تعالى على ما فرطت في جنب الله ان مكان الشيء وجهته ينزل منزلة الشيء نفسه ومنه قوله ونفيت عنه مقام الذئب
يريد ونفيت عنه الذئب ومنه ولمن خاف مقام ربه ومنه قول الكتاب حضرة فلان ومجلسه وكتبت الى جهته والى جانبه
العزيز يريدون نفسه وذاته فكانه قال ونأى بنفسه كقولهم في المتكبر ذهب بنفسه وذهبت به الخيلاء كل مذهب وعصفت به
الخيلاء وان يراد بجانبه عطفه ويكون عبارة عن الانحراف والازورار كما قالوا ثنى عطفه وتولى بركنه قل ارأيتم
ان كان من عند الله ثم كفرتم به من اضل ممن هو في شقاق بعيد ارأيتم اخبروني
ان كان الكتاب من عند الله يعني ان ما انتم عليه من انكار القرآن وتكذيبه ليس بامر صادر عن حجة قاطعة حصلتم منها على اليقين
وثلج الصدور وانما هو قبل النظر واتباع الدليل امر محتمل يجوز ان يكون من عند الله وان لا يكون من عند الله وانتم لم تنظروا
ولم تفحصوا فما انكرتم ان يكون حقا وقد كفرتم به فاخبروني من اضل منكم وانتم ابعدتم الشوط في مشاقته ومناصبته ولعله حق
فاهلكتم انفسكم وقوله تعالى من هو في شقاق بعيد موضوع موضع منكم بيانا لحالهم وصفتهم سنريهم آياتنا في
الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد
سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم يعني ما يسر الله عز وجل لرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم وللخلفاء من بعده وانصار دينه
في آفاق الدنيا وبلاد المشرق والمغرب عموما وفي باحة العرب خصوصا من الفتوح التي لم يتيسر امثالها لاحد من خلفاء
الارض قبلهم ومن اظهارهم على الجبابرة والاكاسرة وتغليب قليلهم على كثيرهم وتسليط ضعافهم على اقويائهم واجرائه على ايديهم
امورا خارجة من المعهود خارقة للعادات ونشر دعوة الاسلام في المعمورة وبسط دولته في اقاصيها والاستقراء يطلعك
في التواريخ والكتب المدونة في مشاهد اهله وايامهم على عجائب لا ترى وقعة من وقائعهم الا علما من اعلام الله وآية من
آياته يقوى معها اليقين ويزداد بها الايمان ويتبين ان دين الاسلام هو دين الحق الذي لا يحيد عنه الا مكابر حسه مغالط نفسه
وما الثبات والاستقامة الا صفة الحق والصدق كما ان الاضطراب والتزلزل صفة الفرية والزور وان للباطل ريحا تخفق
ثم تسكن ودولة تظهر ثم تضمحل بربك في موضع الرفع على انه فاعل كفى وانه على كل شيء شهيد بدل منه تقديره اولم يكفهم
ان ربك على كل شيء شهيد ومعناه ان هذا الموعود من اظهار آيات الله تعالى في الآفاق وفي انفسهم سيرونه ويشاهدونه
فيتبينونه عنده ذلك ان القرآن تنزيل عالم الغيب الذي هو على كل شيء شهيد اي مطلع مهيمن يستوي عنده غيبه وشهادته فيكفيهم
ذلك دليلا على انه حق وانه من عنده ولو لم يكن كذلك لما قوي هذه القوة ولما نصر حاملوه هذه النصرة الا انهم
في مرية من لقاء ربهم الا انه بكل شيء محيط وقرئ في مرية بالضم وهو الشك محيط عالم بجمل الاشياء
وتفاصيلها وظواهرها وبواطنها فلا يخفى عليه خافية منهم وهو مجازيهم على كفرهم ومريتهم في لقاء ربهم
عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة السجدة اعطاه الله تعالى بكل حرف عشر حسنات ۝

سورة الشورى مكية

وهي ثلاث وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم حم عسق كذلك يوحي اليك
والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم قرأ ابن عباس وابن مسعود رضي الله تعالى عنهم حم سق كذلك يوحي
اليك اي مثل ذلك الوحي او مثل ذلك الكتاب يوحي اليك والى الرسل من قبلك الله يعني ان ما تضمنته هذه السورة من المعاني
قد اوحى الله اليك مثله في غيرها من السور واوحاه من قبلك الى رسله على معنى ان الله تعالى كرر هذه المعاني في القرآن وفي جميع
الكتب السماوية لما فيها من التنبيه البليغ واللطف العظيم لعباده من الاولين والآخرين ولم يقل اوحى اليك ولكن على لفظ المضارع
ليدل على ان ايحاء مثله عادته وقرئ يوحى اليك على البناء للمفعول **فان قلت** فما رافع اسم الله تعالى على هذه القراءة
قلت ما دل عليه يوحى كان قائلا قال من الموحي فقيل الله كقراءة السلمي وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم شركاؤهم

على البناء للمفعول ورفع شركاؤهم معنى زينه لهم شركاؤهم **فان قلت** فما رافعه فيمن قرأ نوحى بالنون **قلت**
يرتفع بالابتداء والعزيز وما بعده اخبار او العزيز الحكيم صفتان والظرف خبر له **له ما فى السموات وما فى
الارض وهو العلى العظيم • تكاد السموات يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون
بحمد ربهم ويستغفرون لمن فى الارض الا ان الله هو الغفور الرحيم •** قرئ يكاد
بالتاء والياء وينفطرن ويتفطرن وروى يونس عن ابى عمرو قراءة غريبة تتفطرن بتاءين مع النون ونظيرها حرف
نادر روى فى نوادر ابن الاعرابى الابل تتشمسن ومعناه يكدن ينفطرن من علو شان الله تعالى وعظمته يدل عليه مجيئه بعد العلى العظيم
وقيل من دعائهم له ولدا كقوله تعالى تكاد السموات يتفطرن منه **فان قلت** لم قال من فوقهن **قلت** لان اعظم
الآيات وادلها على الجلال والعظمة فوق السموات وهى العرش والكرسى وصفوف الملائكة المرتجة بالتسبيح والتقديس حول العرش
وما لا يعلم كنهه الا الله تعالى من آثار ملكوته العظمى فلذلك قال يتفطرن من فوقهن اى يبتدئ الانفطار من جهتهن الفوقانية او
لان كلمة الكفر جاءت من الذين تحت السموات فكان القياس ان يقال ينفطرن من تحتهن من الجهة التى جاءت الكلمة منها
ولكنه بولغ فى ذلك فجعلت مؤثرة فى جهة الفوق كانه قيل يكدن ينفطرن من الجهة التى فوقهن دع الجهة التى تحتهن
ونظيره فى المبالغة قوله سبحانه وتعالى يصب من فوق رؤسهم الحميم يصهر به ما فى بطونهم فجعل الحميم مؤثرا فى اجزائهم الباطنة
وقيل من فوقهن من فوق الارضين **فان قلت** كيف صح ان يستغفروا لمن فى الارض وفيهم الكفار اعداء الله تعالى
وقد قال الله تعالى اولئك عليهم لعنة الله والملائكة فكيف يكونون لاعنين مستغفرين **قلت** قوله لمن فى الارض يدل على
جنس اهل الارض وهذه الجنسية قائمة فى كلهم وفى بعضهم فيجوز ان يراد به هذا وهذا وقد دل الدليل على ان الملائكة لا يستغفرون
الا لاولياء الله تعالى وهم المؤمنون فما اراد الله تعالى الا اياهم الا ترى الى قوله تعالى فى سورة المؤمن ويستغفرون للذين آمنوا
وحكايته عنهم فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك كيف وصفوا المستغفر لهم بما يوجب الاستغفار فما تركوا للذين لم يتوبوا
من المصدقين طمعا فى استغفارهم فكيف للكفرة ويحتمل ان يقصدوا بالاستغفار طلب الحلم والغفران فى قوله تعالى
ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا الى ان قال انه كان حليما غفورا وقوله تعالى ان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم
والمراد الحلم عنهم وان لا يعاجلهم بالانتقام فيكون عاما **فان قلت** قد فسرت قوله تعالى تكاد السموات يتفطرن بتفسيرين
فما وجه طباق ما بعده لهما **قلت** اما على احدهما فكانه قيل تكاد السموات ينفطرن هيبة من جلاله واحتشاما من
كبريائه والملائكة الذين هم ملء السبع الطباق وحافون حول العرش صفوفا بعد صفوف يداومون خضوعا لعظمته على عبادته
وتسبيحه وتحميده ويستغفرون لمن فى الارض خوفا عليهم من سطواته واما على الثانى فكانه قيل يكدن ينفطرن من اقدام اهل
الشرك على تلك الكلمة الشنعاء والملائكة يوحدون الله وينزهونه عما لا يجوز عليه من الصفات التى يضيفها اليه الجاهلون
به حامدون له على ما اولاهم من الطاقة التى علم انهم عندها يستعصمون مختارين غير ملجئين ويستغفرون لمؤمنى اهل الارض
الذين تبرؤا من تلك الكلمة ومن اهلها او يطلبوا الى ربهم ان يحلم عن اهل الارض ولا يعاجلهم بالعقاب مع وجود ذلك فيهم لما
عرفوا فى ذلك من المصالح وحرصا على نجاة الخلق وطمعا فى توبة الكفار والفساق منهم **والذين اتخذوا من
دونه اولياء الله حفيظ عليهم وما انت عليهم بوكيل •** والذين اتخذوا من دونه اولياء جعلوا
له شركاء وانداد الله حفيظ عليهم رقيب على احوالهم واعمالهم لا يفوته منها شئ وهو محاسبهم عليها ومعاقبهم لا رقيب عليهم الا هو وحده
وما انت يا محمد بموكل بهم ولا مفوض اليك امرهم ولا قسرهم على الايمان انما انت منذر فحسب **وكذلك اوحينا اليك
قرآنا عربيا لتنذر ام القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق فى الجنة
وفريق فى السعير •** ومثل ذلك اوحينا اليك وذلك اشارة الى معنى الآية قبلها من ان الله هو الرقيب عليهم
وما انت برقيب عليهم ولكن نذير لهم لان هذا المعنى كرره الله تعالى فى كتابه فى مواضع جمة والكاف مفعول به لاوحينا وقرآنا
عربيا حال من المفعول اى اوحيناه اليك وهو قرآن عربى بين لا لبس فيه عليك لتفهم ما يقال لك ولا تتجاوز حد الانذار ويجوز
ان يكون ذلك اشارة الى مصدر اوحينا اى ومثل ذلك الايحاء البين المفهم اوحينا اليك قرآنا عربيا بلسانك لتنذر يقال انذرته
كذا وانذرته بكذا وقد عدى الاول اعنى لتنذر ام القرى الى المفعول الاول والثانى وهو قوله تعالى وتنذر يوم الجمع الى المفعول الثانى
ام القرى اهل ام القرى كقوله عز وجل واسأل القرية ومن حولها من العرب وقرئ لينذر بالياء والفعل للقرآن يوم الجمع يوم

القيمة لان الخلائق تجمع فيه قال الله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع وقيل يجمع بين الارواح والاجساد وقيل يجمع بين كل عامل وعمله
لا ريب فيه اعتراض لا محل له وقرئ فريق وفريقا بالرفع والنصب فالرفع على منهم فريق ومنهم فريق والضمير للمجموعين
لان المعنى يوم جمع الخلائق والنصب على الحال منهم اى متفرقين كقوله تعالى ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون **فان قلت**
كيف يكونون مجموعين متفرقين **قلت** هم مجموعون فى ذلك اليوم مع افتراقهم فى دارى البؤس والنعيم كما يجتمع الناس
يوم الجمعة متفرقين فى مسجدين وان اريد بالجمع جمعهم فى الموقف فالتفرق على معنى مشارفتهم للتفرق **ولو شاء
الله لجعلهم امة واحدة ولكن يدخل من يشاء فى رحمته والظالمون ما لهم من ولى ولا نصير**
لجعلهم امة واحدة اى مؤمنين كلهم على القسر والالجاء كقوله تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها وقوله عز وجل ولو شاء ربك
لآمن من فى الارض كلهم جميعا والدليل على ان المعنى هو الالجاء الى الايمان قوله تعالى افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين
وقوله افانت تكره بادخال همزة الانكار على المكره دون فعله دليل على ان الله تعالى وحده هو القادر على هذا الاكراه دون
غيره والمعنى ولو شاء ربك مشيئة قدرة لقسرهم جميعا على الايمان ولكنه شاء مشيئة حكمة فكلفهم وبنى امرهم على
ما يختارون ليدخل المؤمنين فى رحمته وهم المرادون بمن يشاء الا ترى الى وضعهم فى مقابلة الظالمين ويترك الظالمين
بغير ولى ولا نصير فى عذابه **ام اتخذوا من دونه اولياء فالله هو الولى وهو يحيى الموتى
وهو على كل شئ قدير •** معنى الهمزة فى ام للانكار فالله هو الولى هو الذى يجب ان يتولى وحده ويعتقد
انه المولى والسيد والفاء فى قوله تعالى فالله هو الولى جواب شرط مقدر كانه قيل بعد انكار كل ولى سواه ان ارادوا اولياء
بحق فالله هو الولى بالحق ولا ولى سواه وهو يحيى اى ومن شان هذا الولى انه يحيى الموتى وانه على كل شئ قدير فهو الحقيق
بان يتخذ وليا دون من لا يقدر على شئ • **وما اختلفتم فيه من شئ فحكمه الى الله ذلكم
الله ربى عليه توكلت واليه انيب •** وما اختلفتم فيه من شئ حكاية قول رسول الله صلى الله عليه وسلم للمؤمنين اى
ما خالفكم فيه الكفار من اهل الكتاب والمشركين فاختلفتم انتم وهم فيه من امر من امور الدين فحكم ذلك المختلف فيه مفوض
الى الله تعالى وهو اثابة المحقين فيه من المؤمنين ومعاقبة المبطلين ذلكم الحاكم بينكم هو الله ربى عليه توكلت فى رد كيد
اعداء الدين واليه ارجع فى كفاية شرهم وقيل وما اختلفتم فيه وتنازعتم فى شئ من الخصومات فتحاكموا فيه الى رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم ولا تؤثروا على حكومته حكومة غيره كقوله عز وجل فان تنازعتم فى شئ فردوه الى الله والرسول وقيل
وما اختلفتم فيه من تأويل آية واشتبه عليكم فارجعوا فى بيانه الى المحكم من كتاب الله تعالى والظاهر من سنة رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل وما وقع بينكم الخلاف فيه من العلوم التى لا تتصل بتكليفكم ولا طريق لكم الى علمه فقولوا الله
اعلم كمعرفة الروح قال الله تعالى ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربى **فان قلت** هل يجوز حمله على اختلاف
المجتهدين فى احكام الشريعة **قلت** لا لان الاجتهاد لا يجوز بحضرة الرسول **فاطر السموات والارض
جعل لكم من انفسكم ازواجا ومن الانعام ازواجا يذرؤكم فيه ليس كمثله شئ وهو
السميع البصير • له مقاليد السموات والارض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه بكل
شئ عليم •** فاطر السموات قرئ بالرفع والجر فالرفع على انه احد اخبار ذلكم او خبر مبتدا محذوف والجر على فحكمه الى
الله فاطر السموات وذلكم الى انيب اعتراض بين الصفة والموصوف جعل لكم خلق لكم من انفسكم من جنسكم من الناس
ازواجا ومن الانعام ازواجا اى وخلق من الانعام ازواجا ومعناه وخلق للانعام ايضا من انفسها ازواجا يذرؤكم
يكثركم يقال ذرأ الله الخلق بثهم وكثرهم والذر والذرو والذرء اخوات فيه فى هذا التدبير وهو ان جعل للناس والانعام
ازواجا حتى كان بين ذكورهم واناثهم التوالد والتناسل والضمير فى يذرؤكم يرجع الى المخاطبين والانعام مغلبا فيه
المخاطبون العقلاء على الغيب مما لا يعقل وهى من الاحكام ذات العلتين **فان قلت** ما معنى يذرؤكم فى هذا
التدبير وهلا قيل يذرؤكم به **قلت** جعل هذا التدبير كالمنبع والمعدن للبث والتكثير الا تراك تقول للحيوان فى خلق
الازواج تكثير كما قال تعالى ولكم فى القصاص حياة قالوا مثلك لا يبخل فنفوا البخل عن مثله وهم يريدون نفيه عن ذاته قصدوا
المبالغة فى ذلك فسلكوا به طريق الكناية لانهم اذا نفوه عمن يسد مسده وعمن هو على اخص اوصافه فقد نفوه عنه ونظيره
قولك للعربى العرب لا تخفر الذمم كان ابلغ من قولك انت لا تخفر ومنه قولهم قد ايفعت لداته وبلغت اترابه يريدون ايفاعه

وبلوغه وفي حديث رقيقة بنت صيفي في سقيا عبد المطلب الا وفيهم الطيب الطاهر لذاته والقصد الى طهارته وطيبه
فاذا علم انه من باب الكناية لم يقع فرق بين قوله ليس كالله شيء وبين قوله ليس كمثله شيء الا ما تعطيه الكناية من فايدتها
وكانهما عبارتان معتقبتان على معنى واحد وهو نفي المماثلة عن ذاته تعالى ونحوه قوله عز وجل بل يداه مبسوطتان فان
معناه بل هو جواد من غير تصور يد ولا بسط لها لانها وقعت عبارة عن الجود لا يقصدون شيئا اخر حتى انهم استعملوها
فيمن لا يد له فكذلك استعمل هذا فيمن له مثل ومن لا مثل له ولك ان تزعم ان كلمة التشبيه كررت للتاكيد كما كررها
من قال وصاليات ككما يؤثفين ومن قال فاصبحت مثل كعصف ماكول وقرئ ويقدر انه بكل شيء عليم
فاذا علم ان الغنى خير للعبد اغناه والا افقره شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا

اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه

كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب

شرع لكم من الدين دين نوح ومحمد ومن بينهما من الانبياء صلوات الله تعالى وسلامه عليهم اجمعين ثم فسر المشروع الذي
اشترك هولاء الاعلام من رسله فيه بقوله تعالى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه والمراد اقامة دين الاسلام الذي هو
توحيد الله تعالى وطاعته والايمان برسله وكتبه وبيوم الجزاء وسائر ما يكون الرجل باقامته مسلما ولم يرد الشرائع التي
هي مصالح الامم على حسب احوالها فانها مختلفة متفاوتة قال الله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ومحل
ان اقيموا اما نصب بدل من مفعول شرع والمعطوفين عليه واما رفع على الاستيناف كانه قيل وما ذلك المشروع فقيل
هو اقامة الدين ونحوه قوله تعالى ان هذه امتكم امة واحدة كبر على المشركين عظم عليهم وشق عليهم ما تدعوهم اليه من اقامة دين الله
والتوحيد يجتبي اليه يجتلب اليه ويجمع والضمير للدين بالتوفيق والتسديد من يشاء ممن ينفع فيهم توفيقه ويجري
عليهم لطفه وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ولولا كلمة سبقت من

ربك الى اجل مسمى لقضي بينهم وان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب

وما تفرقوا يعني اهل الكتاب يعني بعد انبيائهم الا من بعد ان علموا ان الفرقة ضلال وفساد وامر متوعد عليه على السنة الانبياء
صلوات الله تعالى عليهم وسلامه ولولا كلمة سبقت من ربك وهي عدة التاخير الى يوم القيمة لقضي بينهم حين افترقوا
لعظم ما اقترفوا وان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم وهم اهل الكتاب الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
لفي شك من كتابهم لا يؤمنون به حق الايمان وقيل كان الناس امة واحدة مؤمنين بعد ان اهلك الله تعالى اهل
الارض اجمعين بالطوفان فلما مات الاباء اختلف الابناء فيما بينهم وذلك حين بعث الله تعالى اليهم النبيين مبشرين
ومنذرين وجاءهم العلم وانما اختلفوا للبغي بينهم وقيل وما تفرق اهل الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بمبعث رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم كقوله تعالى وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة وان الذين اورثوا
الكتاب من بعدهم هم المشركون اورثوا القرآن من بعد ما اورث اهل الكتاب التوراة والانجيل وقرئ ورثوا وورثوا

فلذلك فادع واستقم كما امرت ولا تتبع اهواءهم وقل آمنت بما انزل

الله من كتاب وامرت لاعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا اعمالنا ولكم اعمالكم

لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا واليه المصير فلذلك فلاجل ذلك التفرق ولما حدث
بسببه من تشعب الكفر شعبا فادع الى الاتفاق والايتلاف على الملة الحنيفية القديمة واستقم عليها والى الدعوة اليها
كما امرك الله ولا تتبع اهواءهم المختلفة الباطلة بما انزل الله من كتاب باي كتاب صح ان الله تعالى انزله يعني الايمان
بجميع الكتب المنزلة لان المتفرقين امنوا ببعض وكفروا ببعض كقوله تعالى ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض الى قوله اولئك
هم الكافرون حقا لاعدل بينكم في الحكم اذا تخاصمتم فتحاكمتم الي لا حجة بيننا وبينكم اي لا خصومة لان الحق قد ظهر وصرتم
محجوجين به فلا حاجة الى المحاجة ومعناه لا ايراد حجة بيننا لان المتحاجين يورد هذا حجته وهذا حجته الله يجمع بيننا يوم
القيمة فيفصل بيننا وينتقم لنا منكم وهذه محاجزة ومتاركة بعد ظهور الحق وقيام الحجة والالزام فان قلت
كيف حوجزوا وقد فعل بهم بعد ذلك ما فعل من القتل وتخريب البيوت وقطع النخيل والاجلاء قلت المراد محاجزتهم
في مواقف المقاولة لا المقاتلة والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له حجتهم

داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد يحاجون في الله يخاصمون في دينه
من بعد ما استجاب له الناس ودخلوا في الاسلام ليردوهم الى دين الجاهلية كقوله تعالى ود كثير من اهل الكتاب
لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا كان اليهود والنصارى يقولون للمؤمنين كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم ونحن خير
منكم واولى بالحق وقيل من بعد ما استجاب الله تعالى لرسوله ونصره يوم بدر واظهر دين الاسلام داحضة باطلة زالقة

الله الذي انزل الكتاب بالحق والميزان وما يدريك لعل الساعة قريب انزل الكتاب
اي جنس الكتاب والميزان والعدل والتسوية ومعنى انزال العدل انه انزله في كتبه المنزلة وقيل الذي يوزن به
بالحق ملتبسا بالحق مقترنا به بعيدا من الباطل او بالغرض الصحيح كما اقتضته الحكمة او بالواجب من التحليل والتحريم
وغير ذلك الساعة في تاويل البعث فلذلك قيل قريب او لعل مجيء الساعة قريب فان قلت كيف يوفق
ذكر اقتراب الساعة مع انزال الكتاب والميزان قلت لان الساعة يوم الحساب ووضع الموازين للقسط
فكانه قيل امركم الله تعالى بالعدل والتسوية والعمل بالشرائع قبل ان يفاجئكم اليوم الذي يحاسبكم فيه ويزن اعمالكم
ويوفي لمن اوفى ويطفف لمن طفف يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين امنوا

مشفقون منها ويعلمون انها الحق الا ان الذين يمارون في الساعة لفي ضلال بعيد

المماراة الملاحة لان كل واحد منهما يمري ما عند صاحبه لفي ضلال بعيد من الحق لان قيام الساعة غير مستبعد من قدرة الله تعالى
ولدلالة الكتاب المعجز على انها اتية لا ريب فيها ولشهادة العقول على انه لا بد من دار الجزاء الله لطيف

بعباده يرزق من يشاء وهو القوي العزيز لطيف بعباده بر بليغ البر بهم قد توصل
بره الى جميعهم وتوصل من كل واحد منهم الى حيث لا يبلغه وهم احد من كلياته وجزئياته فان قلت فما معنى قوله
يرزق من يشاء بعد توصل بره الى جميعهم قلت كلهم مبرورون لا يخلو احد من بره الا ان البر اصناف وله
اوصاف والقسمة بين العباد تتفاوت على حسب تفاوت قضايا الحكمة والتدبير فيطير لبعض العباد صنف من البر لم يطر
مثله لاخر ويصيب هذا حظ له وصف ليس ذلك الوصف لحظ صاحبه فمن قسم له منهما لا يقسم للاخر فقد رزقه وهو
الذي اراد بقوله يرزق من يشاء كما يرزق احد الاخوين ولدا دون الاخر على انه اصابه بنعمة اخرى لم يرزقها صاحب
الولد وهو القوي الباهر القدرة الغالب على كل شيء العزيز المنيع الذي لا يغلب من كان يريد حرث

الاخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الاخرة من نصيب

سمى ما يعمله العامل مما يبتغي به الفايدة والزكاء حرثا على المجاز وفرق بين عمل العاملين بان من عمل للاخرة وفق في عمله
وضوعفت حسناته ومن كان عمله للدنيا اعطي شيئا منها لا ما يريده ويبتغيه وهو رزقه الذي قسم له وفرغ منه وما له نصيب
قط في الاخرة ولم يذكر في معنى عامل الاخرة وله في الدنيا نصيب على ان رزقه له واصل اليه لا محالة للاستهانة بذلك الى
جنب ما هو بصدده من زكاء عمله وفوزه في الماب ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم ياذن

به الله ولولا كلمة الفصل لقضي بينهم وان الظالمين لهم عذاب اليم

معنى الهمزة في ام التقرير والتقريع وشركاؤهم شياطينهم الذين زينوا لهم الشرك وانكار البعث والعمل للدنيا لانهم
لا يعلمون غيرها وهو الدين الذي شرعت لهم الشياطين وتعالى الله عن الاذن فيه والامر به وقيل شركاؤهم اوثانهم
وانما اضيفت اليهم لانهم متخذوها شركاء لله فتارة تضاف اليهم لهذه الملابسة وتارة الى الله تعالى ولما كانت سببا
لضلالتهم وافتتانهم جعلت شارعة لدين الكفر كما قال ابراهيم عليه السلام انهن اضللن كثيرا ولولا كلمة الفصل اي القضاء
السابق بتاجيل الجزاء او ولولا العدة بان الفصل يكون يوم القيمة لقضي بينهم اي بين الكافرين والمؤمنين او بين
المشركين وشركائهم وقرا مسلم بن جندب وان الظالمين بالفتح عطفا على كلمة الفصل يعني ولولا كلمة الفصل
وتقدير تعذيب الظالمين في الاخرة لقضي بينهم في الدنيا ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو

واقع بهم والذين امنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاؤن

عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير ترى الظالمين في الاخرة مشفقين خائفين خوفا شديدا ارق قلوبهم
مما كسبوا من السيئات وهو واقع بهم يريد وباله واقع بهم وواصل اليهم لا بد لهم منه اشفقوا او لم يشفقوا

كانه روضة جنة المؤمن اطيب بقعة فيها وانزهها عند ربهم منصوب بالظرف لا بيشاؤن ذلك الذي
يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات قل لا اسألكم عليه اجرا الا
المودة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا ان الله غفور شكور
قرئ يبشر من بشره ويبشر من ابشره ويبشر من بشره والاصل ذلك الثواب الذي يبشر الله تعالى به عباده فحذف
الجار كقوله عز وجل واختار موسى قومه ثم حذف الراجع الى الموصول كقوله تعالى اهذا الذي بعث الله رسولا او ذلك
التبشير الذي يبشره الله عباده وروي انه اجتمع المشركون في مجمع لهم فقال بعضهم لبعض اترى محمدا يسأل على ما يتعاطاه
اجرا فنزلت الآية الا المودة في القربى يجوز ان يكون استثناء متصلا اي لا اسألكم اجرا الا هذا وهو ان تودوا اهل
قرابتي ولم يكن هذا اجرا في الحقيقة لان قرابته قرابتهم فكانت صلتهم لازمة لهم في المروة ويجوز ان يكون منقطعا اي لا اسألكم
اجرا قط ولكني اسألكم ان تودوا اقرباي الذين هم قرابتكم ولا تؤذوهم **فان قلت** هلا قيل الا مودة القربى او الا
المودة للقربى وما معنى قوله تعالى الا المودة في القربى **قلت** جعلوا مكانا للمودة ومقرا لها كقولك لي في آل فلان
مودة ولي فيهم هوى وحب شديد تريد احبهم وهم مكان حبي ومحله وليست في بصلة للمودة كاللام اذا قلت الا المودة للقربى
انما هي متعلقة بمحذوف تعلق الظرف به في قولك المال في الكيس وتقديره الا المودة ثابتة في القربى ومتمكنة فيها والقربى
مصدر كالزلفى والبشرى بمعنى القرابة والمراد في اهل القربى وروي انها لما نزلت قيل يا رسول الله من قرابتك هؤلاء
الذين وجبت علينا مودتهم قال علي وفاطمة وابناهما ويدل عليه ما روي عن علي رضي الله تعالى عنه شكوت الى رسول
صلى الله تعالى عليه وسلم حسد الناس لي فقال اما ترضى ان تكون رابع اربعة اول من يدخل الجنة انا وانت والحسن والحسين
وازواجنا عن ايماننا وشمائلنا وذريتنا خلف ازواجنا وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حرمت الجنة على من ظلم اهل بيتي
وآذاني في عترتي ومن اصطنع صنيعة الى احد من ولد عبد المطلب ولم يجازه عليها فانا اجازيه عليها غدا اذا لقيني يوم القيمة
وروي ان الانصار قالوا فعلنا وفعلنا كانهم افتخروا فقال عباس او ابن عباس لنا الفضل عليكم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم فاتاهم في مجالسهم فقال يا معشر الانصار الم تكونوا اذلة فاعزكم الله بي قالوا بلى يا رسول الله قال الم تكونوا ضلالا فهداكم
الله بي قالوا بلى يا رسول الله قال افلا تجيبوني قالوا ما نقول يا رسول الله قال الا تقولون الم يخرجك قومك فآويناك او لم يكذبوك
فصدقناك او لم يخذلوك فنصرناك قال فما زال يقول حتى جثوا على الركب وقالوا اموالنا وما في ايدينا لله ولرسوله فنزلت الآية
وقال صلى الله تعالى عليه وسلم من مات على حب آل محمد مات شهيدا الا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمنا مستكمل الايمان الا ومن
مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة ثم منكر ونكير الا ومن مات على حب آل محمد جعل الله تعالى قبره مزار ملائكة الرحمة الا
ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة الا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيمة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله
الا ومن مات على بغض آل محمد مات كافرا الا ومن مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة وقيل لم يكن بطن من بطون قريش
الا وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهم قربى فلما كذبوه وابوا ان يبايعوه نزلت والمعنى الا ان تودوني في القربى اي في حق
القربى ومن اجلها كما تقول الحب في الله والبغض في الله بمعنى في حقه ومن اجله يعني انكم قومي واحق من اجابني واطاعني فاذ قد ابيتم
ذلك فاحفظوا على حق القربى ولا تؤذوني ولا تهيجوا علي وقيل اتت الانصار رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
بمال قد جمعوه وقالوا يا رسول الله قد هدانا الله تعالى بك وانت ابن اختنا وتعروك نوائب وحقوق وما لك سعة فاستعن
بهذا على ما ينوبك فنزلت ورده وقيل القربى التقرب الى الله تعالى اي الا ان تحبوا الله ورسوله في تقربكم اليه بالطاعة
والعمل الصالح وقرئ الا مودة في القربى ومن يقترف حسنة عن السدي انها المودة في آل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ومودته فيهم والظاهر العموم في اي حسنة كانت الا انها لما ذكرت عقيب ذكر
المودة في القربى دل ذلك على انها تناولت المودة تناولا اوليا كان سائر الحسنات لها توابع وقرئ يزد اي يزد الله
وزيادة حسنها من جهة الله تعالى مضاعفتها كقوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة
وقرئ حسنى وهي مصدر كالبشرى الشكور في صفة الله تعالى مجاز للاعتداد بالطاعة وتوفية ثوابها والتفضل على المثاب
ام يقولون افترى على الله كذبا فان يشأ الله يختم على قلبك ويمح الله الباطل ويحق
الحق بكلماته انه عليم بذات الصدور ام منقطعة ومعنى الهمزة فيه التوبيخ كانه قيل اتتمالكون ان ينسبوا

مثله الى الافتراء على الله تعالى الذي هو اعظم الفرى وافحشها فان يشأ الله يختم على قلبك كان يشأ الله يجعلك من المختوم على قلوبهم
حتى تفتري على الله الكذب فانه لا يجتري على افتراء الكذب على الله تعالى الا من كان في مثل حالهم وهذا الاسلوب مؤداه استبعاد
الافتراء من مثله وانه في البعد مثل الشرك بالله تعالى والدخول في جملة المختوم على قلوبهم ومثال هذا ان يخون بعض الامناء فيقول
لعل الله خذلني لعل الله تعالى اعمى قلبي وهو لا يريد اثبات الخذلان وعمى القلب وانما يريد استبعاد ان يخون مثله والتنبيه على
انه ركب من تخوينه امر عظيم ثم قال ومن عادة الله تعالى ان يمحو الباطل ويثبت الحق بكلماته بوحيه او بقضائه كقوله تعالى بل نقذف
بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه يعني لو كان مفتريا كما تزعمون لكشف الله تعالى افتراءه ومحقه وقذف بالحق على باطله فدمغه ويجوز ان
يكون عدة لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بانه يمحو الباطل الذي هم عليه بالقرآن وبقضائه الذي لا مرد له من نصرته عليهم ان الله
عليم بما في صدرك وصدورهم فيجري الامر على حسب ذلك وعن قتادة يختم على قلبك ينسك القرآن ويقطع عنك الوحي يعني
لو افترى على الله الكذب لفعل به ذلك وقيل يختم على قلبك يربط عليه بالصبر حتى لا يشق عليك اذاهم **فان قلت**
ان كان قوله تعالى ويمح الله الباطل كلاما مبتدأ غير معطوف على يختم فما بال الواو ساقطة في الخط **قلت** كما سقطت في
قوله تعالى ويدع الانسان بالشر وقوله تعالى سندع الزبانية على انها مثبتة في بعض المصاحف وهو الذي يقبل
التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون يقال قبلت منه الشيء وقبلته عنه فمعنى قبلته
منه اخذته منه وجعلته مبدأ قبولي ومنشأه ومعنى قبلته عنه عزلته عنه وابنته عنه والتوبة ان يرجع عن القبيح والاخلال بالواجب
بالندم عليهما والعزم ان لا يعاود لان المرجوع عنه قبيح واخلال بالواجب وان كان فيه لعبد حق لم يكن بد من التفصي على طريقه
وروي جابر ان اعرابيا دخل مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال اللهم اني استغفرك واتوب اليك وكبر فلما فرغ من صلوته
قال له علي رضي الله تعالى عنه يا هذا ان سرعة اللسان بالاستغفار توبة الكذابين وتوبتك تحتاج الى التوبة فقال يا امير المؤمنين
وما التوبة قال اسم يقع على ستة معان على الماضي من الذنوب الندامة ولتضييع الفرائض الاعادة ورد المظالم واذابة النفس
في الطاعة كما ربيتها في المعصية واذاقة النفس مرارة الطاعة كما اذقتها حلاوة المعصية والبكاء بدل كل ضحك ضحكته ويعفو عن
السيئات عن الكبائر اذا تيب عنها وعن الصغائر اذا اجتنب الكبائر ويعلم ما يفعلون وقرئ بالتاء والياء فيثيب على حسناته
ويعاقب على سيئاته ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله والكافرون
لهم عذاب شديد ويستجيب الذين آمنوا ويستجيب لهم فحذف اللام كما حذف في قوله تعالى واذا كالوهم اي يثيبهم على طاعتهم
ويزيدهم على الثواب تفضلا واذا دعوه استجاب دعاءهم واعطاهم ما طلبوا وزادهم على مطلوبهم وقيل الاستجابة فعلهم اي
يستجيبون له بالطاعة اذا دعاهم اليها ويزيدهم هو من فضله على ثوابهم وعن سعيد بن جبير رضي الله تعالى عنه هذا من فعلهم
يجيبونه اذا دعاهم وعن ابراهيم بن ادهم رحمه الله تعالى انه قيل له ما بالنا ندعو فلا نجاب قال لانه دعاكم فلم تجيبوه ثم قرأ
والله يدعو الى دار السلام ويستجيب الذين آمنوا ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض
ولكن ينزل بقدر ما يشاء انه بعباده خبير بصير لبغوا من البغي وهو الظلم اي لبغى هذا على ذاك وذاك
على هذا لان الغنى مبطرة مأشرة وكفى بحال قارون عبرة ومنه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم ان اخوف ما اخاف على امتي زهرة
الدنيا وكثرتها ولبعض العرب وقد جعل الوسمي ينبت بيننا وبين بني رومان نبعا وشوحطا يعني انهم احيوا فحدثوا
انفسهم بالبغي والتفاتن او من البغي وهو البذخ والكبر اي لتكبروا في الارض وفعلوا ما يتبع الكبر من العلو فيها والفساد
وقيل نزلت في قوم من اهل الصفة تمنوا سعة الرزق والغنى قال خباب بن الارت فينا نزلت وذلك انا نظرنا الى
اموال بني قريظة والنضير وبني قينقاع فتمنيناها بقدر بقدر يقال قدره قدرا وقدرا خبير بصير يعرف ما يؤول اليه احوالهم فيقدر
لهم ما هو اصلح واقرب الى جمع شملهم فيفقر ويغني ويمنع ويعطي ويقبض ويبسط كما توجبه الحكمة الربانية ولو اغناهم جميعا لبغوا
ولو افقرهم لهلكوا **فان قلت** قد نرى الناس يبغي بعضهم على بعض ومنهم مبسوط لهم ومنهم مقبوض عنهم فان كان
المبسوط لهم يبغون فلم بسط لهم وان كان المقبوض عنهم يبغون فقد يكون البغي بدون البسط فلم شرطه **قلت**
لا شبهة في ان البغي مع الفقر اقل ومع البسط اكثر واغلب وكلاهما سبب ظاهر للاقدام على البغي والاحجام عنه فلو عم البسط
لغلب البغي حتى ينقلب الامر الى عكس ما عليه الآن وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر
رحمته وهو الولي الحميد قنطوا بفتح النون وكسرها وينشر رحمته اي بركات الغيث ومنافعه وما

يحصل من الخصب وعن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه انه قيل له اشتد القحط وقنط الناس فقال مطروا اذن اراد هذه الآية ويجوز ان يريد رحمته في كل شيء كانه قال ينزل الرحمة التي هي الغيث وينشر غيرها من رحمته الواسعة الولي الذي يتولى عباده باحسانه الحميد المحمود على ذلك يحمده اهل طاعته **ومن آياته خلق السموات والارض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم اذا يشاء قدير** وما بث يجوز ان يكون مجرورا او مرفوعا يحمل على المضاف اليه او المضاف **فان قلت** لم جاز فيهما من دابة والدواب في الارض وحدها **قلت** يجوز ان ينسب الشيء الى جميع المذكور وان كان ملتبسا ببعضه كما يقال بنو تميم فيهم شاعر مجيد او شجاع بطل وانما هو في فخذ من افخاذهم او فصيلة من فصائلهم وبنو فلان فعلوا كذا وانما فعله نويس منهم ومنه قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من الملح ويجوز ان يكون للملائكة مشي مع الطيران فيوصفوا بالدبيب كما يوصف به الاناسي ولا يبعد ان يخلق في السموات حيوانا يمشون فيها مشي الاناسي على الارض سبحان من خلق ما نعلم وما لا نعلم من اصناف الخلق اذا تدخل على المضارع كما تدخل على الماضي قال الله تعالى والليل اذا يغشى ومنه اذا ما قال الشاعر واذا ما اشاء ابعث منها آخر الليل ناشطا مذعورا **وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير** في مصاحف اهل العراق فبما باثبات الفاء على تضمين ما معنى الشرط وفي مصاحف اهل المدينة بما كسبت بغير فاء على ان ما مبتدأة وبما كسبت خبرها من غير تضمين معنى الشرط والآية مخصوصة بالمجرمين ولا يمتنع ان يستوفي الله تعالى بعض عقاب المجرم ويعفو عن بعض فاما من لا جرم له كالانبياء والاطفال والمجانين فهؤلاء اذا اصابهم شيء من الم او غيره فللعوض الموفي والمصلحة وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ما من اختلاج عرق ولا خدش عود ولا نكبة حجر الا بذنب ولما يعفو الله تعالى عنه اكثر وعن بعضهم من لم يعلم ان ما وصل اليه من الفتن بالاكتساب وان ما عفا عنه مولاه اكثر كان قليل النظر في احسان ربه اليه وعن آخر العبد ملازم للجنايات في كل اوان وجناياته في طاعته اكثر من جناياته في معاصيه لان جناية المعصية من وجه وجناية الطاعة من وجوه وعن علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه وقد رفعه من عفي عنه في الدنيا عفي عنه في الآخرة ومن عوقب في الدنيا لم تثن عليه العقوبة في الآخرة وعنه كرم الله تعالى وجهه هذه ارجى آية للمؤمنين في القرآن **وما انتم بمعجزين في الارض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير** بمعجزين بفائتين ما قضى عليكم من المصائب من ولي من متولي الرحمة **ومن آياته الجوار في البحر كالاعلام ان يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور** الجواري السفن وقرئ الجوار كالاعلام كالجبال قالت الخنساء كانه علم في رأسه نار وقرئ الرياح فيظللن بفتح اللام وكسرها من ظل يظل ويظل نحو ضل يضل ويضل رواكد ثوابت لا تجري على ظهره على ظهر البحر لكل صبار على بلاء الله تعالى شكور لنعمائه وهما صفتا المؤمن المخلص فجعلهما كناية عنه وهو الذي وكل همته بالنظر في آيات الله تعالى فهو يستملي منها العبر **او يوبقهن بما كسبوا ويعف عن كثير** يوبقهن يهلكهن والمعنى انه ان يشأ يبتل المسافرين في البحر باحدى بليتين اما ان يسكن الريح فيركد الجواري على متن البحر ويمنعهن من الجري او يرسل الريح عاصفة فيهلكهن اغراقا بسبب ما كسبوا من الذنوب ويعف عن كثير منها **فان قلت** علام عطف يوبقهن **قلت** على يسكن لان المعنى ان يشأ يسكن فيركدن الجواري على متن البحر ويمنعهن من الجري او يرسل الريح عاصفة فيهلكهن او يعصفها فيغرقن بعصفها **فان قلت** فما معنى ادخال العفو في حكم الايباق حيث جزم جزمه **قلت** معناه او ان يشأ يهلك ناسا وينج ناسا على طريق العفو عنهم **فان قلت** فمن قرأ ويعفو **قلت** قد استأنف الكلام **ويعلم الذين يجادلون في آياتنا ما لهم من محيص** **فان قلت** فما وجوه القراآت الثلاث في ويعلم **قلت** اما الجزم فعلى ظاهر العطف واما الرفع فعلى الاستئناف واما النصب فللعطف على تعليل محذوف تقديره لينتقم منهم ويعلم الذين يجادلون ونحوه في العطف على التعليل المحذوف غير عزيز في القرآن ومنه قوله تعالى ولنجعله آية للناس وقوله سبحانه خلق الله السموات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت واما قول الزجاج النصب على اضمار ان لان قبلها جزاء تقول ما تصنع اصنع مثله واكرمك وان شئت واكرمك على وانا اكرمك وان شئت واكرمك جزما ففيه نظر لما اورده سيبويه في كتابه قال واعلم ان النصب

بالفاء والواو في قوله ان تأتني آتك واعطيك ضعيف وهو نحو من قوله والحق بالحجاز فاستريحا فهذا يجوز وليس بحد الكلام ولا وجهه الا انه في الجزاء صار اقوى قليلا لانه ليس بواجب انه يفعل الا ان يكون من الاول فعل فلما ضارع الذي لا يوجبه كالاستفهام ونحوه اجازوا فيه هذا على ضعفه ولا يجوز ان تحمل القراءة المستفيضة على وجه ضعيف ليس بحد الكلام ولا وجهه ولو كانت من هذا الباب لما اخلى سيبويه منها كتابه وقد ذكر نظائرها من الآيات المشكلة **فان قلت** كيف يصح المعنى على جزم ويعلم **قلت** كانه قال او ان يشأ يجمع بين ثلاثة امور هلاك قوم ونجاة قوم وتحذير آخرين من محيص من محيد عن عقابه **فما اوتيتم من شيء فمتاع الحيوة الدنيا وما عند الله خير وابقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون** ما الاولى ضمنت معنى الشرط فجاءت الفاء في جوابها بخلاف الثانية عن علي بن ابي طالب اجتمع لابي بكر رضي الله تعالى عنهما مال فتصدق به كله في سبيل الله تعالى والخير فلامه المسلمون وخطأه الكافرون فنزلت **والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون** والذين يجتنبون عطف على للذين آمنوا وكذلك ما بعده ومعنى كبائر الاثم من هذا الجنس وقرئ كبير الاثم وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كبير الاثم هو الشرك هم يغفرون اي هم الاخصاء بالغفران في حال الغضب لا يغول الغضب احلامهم كما يغول حلوم الناس والمجيء بهم وايقاعه مبتدأ واسناد يغفرون اليه لهذه الفائدة ومثله هم ينتصرون **والذين استجابوا لربهم واقاموا الصلوة وامرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون** والذين استجابوا لربهم نزلت في الانصار دعاهم الله تعالى للايمان وطاعته فاستجابوا له بان آمنوا به واطاعوه واقاموا الصلوة واتموا الصلوات الخمس وكانوا قبل الاسلام وقبل مقدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المدينة اذا كان بينهم امر اجتمعوا وتشاوروا فاثنى الله تعالى عليهم اي لا ينفردون برأي حتى يجتمعوا عليه وعن الحسن ما تشاور قوم الا هدوا لارشد امرهم والشورى مصدر كالفتيا بمعنى التشاور ومعنى قوله تعالى وامرهم شورى بينهم اي ذو شورى وكذلك قولهم ترك رسول الله عليه الصلوة والسلام وعمر بن الخطاب رضي الله عنه الخلافة شورى هو ان يقتصروا في الانتصار على ما جعله الله تعالى لهم ولا يعتدوا وعن النخعي انه كان اذا قرأها قال كانوا يكرهون ان يذلوا انفسهم فيجترئ عليهم الفساق **فان قلت** اهم محمودون على الانتصار **قلت** نعم لان من اخذ حقه غير متعد حد الله وما امر به فلم يسرف في القتل ان كان ولي دم او رد على سفيه محاماة عن عرضه او ردعا له فهو مطيع وكل مطيع محمود **وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا واصلح فاجره على الله انه لا يحب الظالمين** كلتا الفعلتين الاولى وجزاؤها سيئة لانها تسوء من تنزل به قال الله تعالى وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك يريد ما يسوءهم من المصائب والبلايا والمعنى انه يجب اذا قوبلت الاساءة ان تقابل بمثلها من غير زيادة فاذا قال اخزاك الله قال اخزاك الله فمن عفا واصلح بينه وبين خصمه بالعفو والاغضاء كما قال الله تعالى فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم فاجره على الله عدة مبهمة لا يقاس امرها في العظم وقوله تعالى انه لا يحب الظالمين دلالة على ان الانتصار لا يكاد يؤمن فيه تجاوز السيئة والاعتداء خصوصا في حال الحرد والتهاب الحمية فربما كان المجازي من الظالمين وهو لا يشعر وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذا كان يوم القيمة نادى مناد من كان له على الله تعالى اجر فليقم قال فيقوم خلق فيقال لهم ما اجركم على الله تعالى فيقولون نحن الذين عفونا عمن ظلمنا فيقال لهم ادخلوا الجنة باذن الله تعالى **ولمن انتصر بعد ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل** بعد ظلمه من اضافة المصدر الى المفعول وتفسره قراءة من قرأ بعد ما ظلم فاولئك اشارة الى معنى من دون لفظه ما عليهم من سبيل للمعاقب ولا للعاتب والعائب **انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض بغير الحق اولئك لهم عذاب اليم** انما السبيل على الذين يظلمون الناس يبتدؤنهم بالظلم ويبغون في الارض يتكبرون فيها ويعلون ويفسدون **ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور** ولمن صبر على الظلم والاذى وغفر ولم ينتصر وفوض امره الى الله ان ذلك منه لمن عزم الامور وحذف الراجع لانه مفهوم كما حذف من قولهم السمن منوان بدرهم ويحكى ان رجلا سب رجلا في مجلس الحسن رحمه الله تعالى فكان المسبوب يكظم ويعرق فيمسح العرق ثم قام فتلا هذه الآية فقال الحسن عقلها والله وفهمها اذ ضيعها الجاهلون وقالوا العفو مندوب اليه ثم قد ينعكس الامر في بعض الاحوال فيرجع ترك العفو مندوبا اليه وذلك

اذا احتيج الى كف زيادة البغي وقطع مادة الاذى وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ما يدل عليه وهو ان زينب
اسمعت عائشة بحضرته وكان ينهاها فلا تنتهي فقال عليه الصلوة والسلام لعائشة رضي الله تعالى عنها دونك فانتصري
ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده وترى الظالمين لما راوا العذاب يقولون هل
الى مرد من سبيل ومن يضلل الله ومن يخذل الله فما له من ولي من بعده فليس له من ناصر يتولاه من بعد خذلانه
وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي وقال الذين آمنوا ان
الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيمة الا ان الظالمين في عذاب مقيم
خاشعين متضائلين متقاصرين مما يلحقهم من الذل وقد يعلق من الذل بينظرون ويوقف على خاشعين من طرف خفي
اي يبتدئ نظرهم من تحريك لاجفانهم ضعيف خفي بمسارقة كما ترى المصبور ينظر الى السيف وهكذا نظر الناظر الى
المكاره لا يقدر ان يفتح اجفانه عليها ويملأ عينيه منها كما يفعل في نظره الى المحاب وقيل يحشرون عميا فلا ينظرون
الا بقلوبهم وذلك نظر من طرف خفي وفيه تعسف يوم القيمة اما ان يتعلق بخسروا ويكون قول المؤمنين في الدنيا
واما ان يتعلق بقال اي يقولون يوم القيمة اذا راوهم على تلك الصفة وما كان لهم من اولياء
ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل استجيبوا لربكم
من قبل ان ياتي يوم لا مرد له من الله ما لكم من ملجا يومئذ وما لكم من نكير
من الله من صلة لا مرد اي لا يرده الله بعد ما حكم به او من صلة ياتي اي من قبل ان ياتي من الله يوم لا يقدر احد على رده
والنكير الانكار اي ما لكم من مخلص من العذاب ولا تقدرون ان تنكروا شيئا مما اقترفتموه ودون في صحائف اعمالكم
فان اعرضوا فما ارسلناك عليهم حفيظا ان عليك الا البلاغ وانا اذا اذقنا الانسان
منا رحمة فرح بها وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم فان الانسان كفور اراد بالانسان الجمع
لا الواحد لقوله تعالى وان تصبهم سيئة ولم يرد الا المجرمين لان اصابة السيئة بما قدمت ايديهم انما تستقيم فيهم والرحمة
النعمة من الصحة والغنى والامن والسيئة البلاء من المرض والفقر والمخاوف والكفور البليغ الكفران ولم يقل
فانه كفور ليسجل على ان هذا الجنس موسوم بكفران النعم كما قال تعالى ان الانسان لظلوم كفار ان الانسان لربه لكنود
والمعنى انه يذكر البلاء وينسى النعم ويغمطها لله ملك السموات والارض يخلق ما يشاء يهب
لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور او يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما
انه عليم قدير لما ذكر اذاقة الانسان الرحمة واصابته بضدها اتبع ذلك ان له الملك وانه يقسم النعمة والبلاء
كيف اراد ويهب لعباده من الاولاد ما تقتضيه مشيئته فيخص بعضا بالاناث وبعضا بالذكور وبعضا بالصنفين جميعا
ويعقم آخرين فلا يهب لهم ولدا قط فان قلت لم قدم الاناث اولا على الذكور مع تقدمهم عليهن ثم رجع فقدمهم
ولم عرف الذكور بعد ما نكر الاناث قلت لانه ذكر البلاء في آخر الآية الاولى وكفران الانسان بنسيانه
الرحمة السابقة عنده ثم عقبه بذكر ملكه ومشيئته وذكر قسمة الاولاد فقدم الاناث لان سياق الكلام انه فاعل ما
يشاؤه لا ما يشاؤه الانسان فكان ذكر الاناث اللاتي من جملة ما لا يشاؤه اهم والاهم واجب التقديم وليلي
الجنس الذي كانت العرب تعده بلاء ذكر البلاء واخر الذكور فلما اخرهم لذلك تدارك تاخيرهم وهم احقاء بالتقديم
بتعريفهم لان التعريف تنويه وتشهير كانه قال ويهب لمن يشاء الفرسان الاعلام المذكورين الذين لا يخفون عليكم ثم اعطى
بعد ذلك كلا الجنسين حقه من التقديم والتاخير وعرف ان تقديمهن لم يكن لتقدمهن ولكن لمقتض آخر فقال ذكرانا
واناثا كما قال تعالى انا خلقناكم من ذكر وانثى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى وقيل نزلت في الانبياء عليهم الصلوة والسلام
حيث وهب لشعيب ولوط اناثا ولابراهيم ذكورا ولمحمد صلى الله تعالى عليه وعليهم وسلم ذكورا واناثا وجعل يحيى وعيسى عليهما السلام
عقيمين انه عليم بمصالح العباد قدير على تكوين ما يصلحهم وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا
او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء انه علي حكيم وما كان لبشر وما صح
لاحد من البشر ان يكلمه الله تعالى الا على ثلثة اوجه اما على طريق الوحي وهو الالهام والقذف في القلب او المنام كما اوحى الى
ام موسى والى ابراهيم في ذبح ولده وعن مجاهد اوحى الله تعالى الزبور الى داود عليه السلام في صدره قال عبيد بن الابرص

داوحي

واوحى الي الله ان قد تامروا بابل اي اوفي نعمت على رجلي اي الهمني وقذف في قلبي واما على ان يسمعه كلامه الذي يخلقه
في بعض الاجرام من غير ان يبصر السامع من يكلمه لانه في ذاته غير مرئي وقوله تعالى من وراء حجاب مثل اي كما يكلم الملك
المحتجب بعض خواصه وهو من وراء الحجاب فيسمع صوته ولا يرى شخصه وذلك كما كلم موسى ويكلم الملائكة واما على ان يرسل اليه
رسولا من الملائكة فيوحي الملك اليه كما كلم الانبياء غير موسى وقيل وحيا كما اوحى الى الرسل بواسطة الملائكة او يرسل رسولا
اي نبيا كما كلم امم الانبياء على السنتهم ووحيا وان يرسل مصدران واقعان موقع الحال لان ان يرسل في معنى
ارسالا ومن وراء حجاب ظرف واقع موقع الحال ايضا كقوله تعالى وعلى جنوبهم والتقدير وما صح ان يكلم احدا الا موحيا
او مسمعا من وراء حجاب او مرسلا ويجوز ان يكون وحيا موضوعا موضع كلاما لان الوحي كلام خفي في سرعة كما تقول الا كلمته
الا جهرا والا خفاتا لان الجهر والخفات ضربان من الكلام وكذلك ارسالا جعل الكلام على لسان الرسول بمنزلة الكلام
بغير واسطة تقول قلت لفلان كذا وانما قاله وكيلك او رسولك وقوله او من وراء حجاب معناه او اسماعا من
وراء حجاب ومن جعل وحيا في معنى ان يوحي وعطف يرسل عليه على معنى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا بان يوحي او
بان يرسل فعليه ان يقدر قوله او من وراء حجاب تقديرا يطابقهما عليه نحو ان يسمع من وراء حجاب وقرئ او يرسل
رسولا فيوحي بالرفع على او هو يرسل او بمعنى مرسلا عطفا على وحيا في معنى موحيا وروي ان اليهود قالت للنبي صلى الله تعالى
عليه وسلم الا تكلم الله وتنظر اليه ان كنت نبيا كما كلمه موسى ونظر اليه فانا لن نؤمن لك حتى تفعل ذلك فقال لم ينظر موسى
الى الله تعالى فنزلت وعن ام المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها من زعم ان محمدا راى ربه فقد اعظم على الله تعالى الفرية
ثم قالت اولم تسمعوا ربكم يقول فتلت هذه الآية انه علي عن صفات المخلوقين حكيم يجري افعاله على موجب الحكمة فيكلم تارة
بواسطة واخرى بغير واسطة اما الهاما واما خطابا وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت
تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا
وانك لتهدي الى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض
الا الى الله تصير الامور روحا من امرنا يريد ما اوحى اليه لان الخلق يحيون به في دينهم كما يحيى الجسد
بالروح فان قلت قد علم ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما كان يدري ما القرآن قبل نزوله عليه فما معنى قوله
ولا الايمان والانبياء لا يجوز عليهم اذا عقلوا وتمكنوا من النظر والاستدلال ان يخطئهم الايمان بالله وتوحيده ويجب
ان يكونوا معصومين من ارتكاب الكبائر ومن الصغائر التي فيها تنفير قبل المبعث وبعده فكيف لا يعصمون من الكفر قلت
الايمان اسم يتناول اشياء بعضها الطريق اليه العقل وبعضها الطريق اليه السمع دون العقل وذلك ما كان له فيه علم حتى
كسبه بالوحي الا ترى انه قد فسر الايمان في قوله سبحانه وتعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم بالصلوة لانها بعض ما يتناوله
الايمان من نشاء من عبادنا من له لطف ومن لا لطف له فلا هداية تجدي عليه صراط الله بدل وقرئ لتهدي اي يهديك الله وقرئ
لتدعو عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قرا حم عسق كان ممن يصلي عليه الملائكة ويستغفرون له ويترحمون له

سورة الزخرف مكية

وقال مقاتل الا قوله تعالى واسئل من ارسلنا من قبلك من رسلنا وهي تسع وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم حم والكتاب المبين اقسم بالكتاب المبين وهو
القرآن وجعل قوله تعالى انا جعلناه قرآنا عربيا جوابا للقسم وهو من الايمان الحسنة البديعة لتناسب القسم والمقسم عليه
وكونهما من واد واحد ونظيره قول ابي تمام وثناياك انها اغريض المبين البين للذين انزل عليهم لانه بلغتهم واساليبهم وقيل
الواضح للمتدبرين وقيل المبين الذي ابان طرق الهدى من طرق الضلالة انا جعلناه قرآنا عربيا
لعلكم تعقلون جعلناه بمعنى صيرناه معدى الى مفعولين او بمعنى خلقناه معدى الى واحد كقوله عز وجل
وجعل الظلمات والنور وقرآنا عربيا حال ولعل مستعار لمعنى الارادة لتلاحظ معناها ومعنى الترجي اي خلقناه عربيا غير عجمي
ارادة ان تعقله العرب ولئلا يقولوا لولا فصلت آياته وانه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم وقرئ ام
الكتاب بالكسر وهي اللوح كقوله تعالى بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ سمي بام الكتاب لانه الاصل الذي اثبتت فيه الكتب منه تنقل

وتستنسخ على رفيع الشأن في الكتب لكونه معجزا من بينها حكيم ذو حكمة بالغة اي منزلته عندنا منزلة كتاب هما صفتان
وهو مثبت في ام الكتاب هذا • **افنضرب عنكم الذكر صفحا ان كنتم قوما مسرفين** • افنضرب عنكم الذكر
صفحا بمعنى افننحي عنكم الذكر ونذوده عنكم على سبيل المجاز من قولهم ضرب الغرائب عن الحوض ومنه قول الحجاج ولاضربنكم ضرب
غرائب الابل وقال طرفة • اضرب عنك الهموم طارقها • ضربك بالسيف قونس الفرس • والفاء للعطف على محذوف تقديره
انهملكم فنضرب عنكم الذكر انكارا لان يكون الامر على خلاف ما قدم من انزاله الكتاب وخلقه قرآنا عربيا ليعقلوه ويعملوا بمواجبه وصفحا
على وجهين اما مصدر من صفح عنه اذا اعرض منتصب على انه مفعول له على معنى افنعزل عنكم انزال القرآن والزام الحجة
اعراضا عنكم واما بمعنى الجانب من قولهم نظر اليه بصفح وجهه وصفح وجهه على معنى افننحيه عنكم جانبا فينتصب على الظرف كما
تقول ضعه جانبا وامش جانبا وتعضده قراءة من قرأ صفحا بالضم وفي هذه القراءة وجه آخر وهو ان يكون تخفيف صفح جمع صفوح
وينتصب على الحال اي صافحين معرضين ان كنتم اي لان كنتم وقرئ ان كنتم واذ كنتم **فان قلت** كيف استقام معنى
ان الشرطية وقد كانوا مسرفين على البت **قلت** هو من الشرط الذي ذكرت انه يصدر عن المدل بصحة الامر المتحقق لثبوته
كما يقول الاجير ان كنت عملت لك فوفني حقي وهو عالم بذلك ولكنه يخيل في كلامه ان تفريطك في الخروج عن الحق فعل من له شك
في الاستحقاق مع وضوحه استجهالا له • **وكم ارسلنا من نبي في الاولين • وما ياتيهم من نبي الا
كانوا به يستهزءون** • وما يأتيهم حكاية حال ماضية مستمرة اي كانوا على ذلك وهذه تسلية لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
عن استهزاء قومه • **فاهلكنا اشد منهم بطشا ومضى مثل الاولين** • الضمير في اشد منهم للقوم
المسرفين لانه صرف الخطاب عنهم الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يخبره عنهم ومضى مثل الاولين اي سلف في القرآن في غير
موضع منه ذكر قصتهم وحالهم العجيبة التي حقها ان تسير مسير المثل وهذا وعد لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ووعيد لهم
**ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم • الذي جعل لكم الارض
مهدا وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون • والذي نزل من السماء ماء بقدر فانشرنا به بلدة
ميتا كذلك تخرجون** • **فان قلت** قوله ليقولن خلقهن العزيز العليم وما سرد من الاوصاف عقيبه ان كان
من قولهم فما تصنع بقوله تعالى فانشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون وان كان من قول الله تعالى فما وجهه **قلت** هو من قول
الله لا من قولهم ومعنى قوله ليقولن خلقهن العزيز العليم الذي من صفته كيت وكيت لينسبن خلقها الى الذي هذه اوصافه وليسندنه
اليه بقدر بمقدار يسلم معه البلاد والعباد ولم يكن طوفانا • **والذي خلق الازواج كلها وجعل لكم من الفلك
والانعام ما تركبون • لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه وتقولوا
سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين • وانا الى ربنا لمنقلبون** • والازواج الاصناف
ما تركبون اي تركبونه **فان قلت** يقال ركبوا الانعام وركبوا في الفلك وقد ذكر الجنسين فكيف قال تركبونه **قلت**
غلب المتعدي بغير واسطة لقوته على المتعدي بواسطة فقيل تركبونه على ظهوره على ظهور ما تركبون وهو الفلك والانعام ومعنى
ذكر نعمة الله عليهم ان يذكروها في قلوبهم معترفين بها مستعظمين لها ثم يحمدوا عليها بالسنتهم وهو ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه كان اذا وضع رجله في الركاب قال بسم الله فاذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذي سخر لنا هذا الى قوله لمنقلبون
وكبر ثلاثا وهلل ثلاثا وقالوا اذا ركب في السفينة قال بسم الله مجراها ومرساها ان ربي لغفور رحيم وعن الحسين بن علي رضي الله
تعالى عنهما انه رأى رجلا ركب دابة فقال سبحان الذي سخر لنا هذا فقال ابهذا امرتم فقال وبم امرنا فقال ان تذكروا نعمة ربكم كان
قد اغفل التحميد فنبهه عليه وهذا من حسن مراعاتهم لآداب الله تعالى ومحافظتهم على دقيقها وجليلها جعلنا الله تعالى من المقتدين
بهم والسائرين بسيرتهم فما احسن بالعاقل النظر في لطائف الصناعات فكيف بالنظر في لطائف الديانات مقرنين مطيقين
يقال اقرن الشيء اذا اطاقه قال ابن هرمة • واقرنت ما حملتني ولقلما • يطاق احتمال الصد يا دعد والهجر • وحقيقة اقرنه
وجده قرينته وما يقرن به لان الصعب لا يكون قرينة للضعيف الا ترى الى قولهم في الضعيف لا يقرن به الصعبة وقرئ مقرنين
والمعنى واحد **فان قلت** كيف اتصل بذلك قوله تعالى وانا الى ربنا لمنقلبون **قلت** كم من راكب دابة عثرت
به او شمست او تقحمت او طاح من ظهرها فهلك وكم من راكبين في سفينة انكسرت بهم فغرقوا فلما كان الركوب مباشرة امر مخطر
واتصالا بسبب من اسباب التلف كان من حق الراكب وقد اتصل بسبب من اسباب التلف ان لا ينسى عند اتصاله به يومه وانه

لا محالة

لا محالة فمنقلب الى الله تعالى غير منفلت من قضائه ولا يدع ذكر ذلك بقلبه ولسانه حتى يكون مستعدا للقاء الله تعالى باخلاصه
من نفسه والحذر من ان يكون ركوبه ذلك من اسباب موته في علم الله تعالى وهو غافل عنه ويستعيذ بالله تعالى من مقام من يقول لقرنائه
تعالوا نتنزه على الخيل او في بعض الزوارق فيركبون حاملين مع انفسهم اواني الخمر والمعازف فلا يزالون يسقون حتى تميل طلاهم
وهم على ظهور الدواب او في بطون السفن وهي تجري بهم لا يذكرون الا الشيطان ولا يمتثلون الا اوامره وقد بلغني ان بعض
السلاطين ركب وهو يشرب من بلد الى بلد بينهما مسيرة شهر فلم يصح الا بعد ما اطمأنت به الدار فلم يشعر بمسيره ولا احس به فكم بين
فعل اولئك الراكبين وبين ما امر الله تعالى به في هذه الآية وقيل يذكرون عند الركوب ركوب الجنازة • **وجعلوا له
من عباده جزءا ان الانسان لكفور مبين** • وجعلوا له من عباده جزءا متصل بقوله تعالى ولئن سالتهم
اي ولئن سالتهم عن خالق السموات والارض ليعترفن به وقد جعلوا له مع الاعتراف جزءا من عباده فوصفوه بصفات المخلوقين
ومعنى من عباده جزءا ان قالوا الملائكة بنات الله تعالى فجعلوهم جزءا له وبعضا منه كما يكون الولد بضعة من والده وجزءا منه
ومن بدع التفاسير تفسير الجزء بالاناث وادعاء ان الجزء في لغة العرب اسم للاناث وما هو الا كذب على العرب ووضع مستحدث
منحول ولم يقنعهم ذلك حتى اشتقوا منه اجزأت المرأة ثم صنعوا بيتا وبيتا • ان اجزأت حرة يوما فلا عجب • زوجتها من بنات
الاوس مجزئة • وقرئ جزؤا بضمتين لكفور مبين لجحود للنعمة ظاهر جحوده لان نسبة الولد اليه كفر والكفر اصل الكفران كله
ام اتخذ مما يخلق بنات واصفاكم بالبنين • ام اتخذ بل اتخذ والهمزة للانكار تجهيلا لهم وتعجيبا من شانهم
حيث لم يرضوا بان جعلوا لله من عباده جزءا حتى جعلوا ذلك الجزء شر الجزئين وهو الاناث دون الذكور على انهم انفر خلق الله
عن الاناث وامقتهم لهن ولقد بلغ بهم المقت الى ان وأدوهن كانه قيل هبوا ان اضافة الولد اليه جائزة فرضا وتمثيلا اما
تستحيون من الشطط في القسمة ومن ادعائكم انه آثركم على نفسه بخير الجزئين واعلاهما وترك له شرهما وادناهما وتنكير بنات
وتعريف البنين وتقديمهن في الذكر عليهم لما ذكرت في قوله تعالى يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور
**واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم • اومن ينشأ في
الحلية وهو في الخصام غير مبين** • بما ضرب للرحمن مثلا بالجنس الذي جعله له مثلا اي شبها لانه اذا جعل الملائكة
جزءا لله وبعضا منه فقد جعله من جنسه ومماثلا له لان الولد لا يكون الا من جنس الوالد يعني انهم نسبوا اليه هذا الجنس ومن
حالهم ان احدهم اذا قيل له قد ولدت لك بنت اغتم واربد وجهه غيظا وتاسفا وهو مملوء من الكرب وعن بعض العرب ان
امرأته وضعت انثى فهجر البيت الذي فيه المرأة فقالت • ما لابي حمزة لا ياتينا • يظل في البيت الذي يلينا • غضبان ان لا
نلد البنينا • ليس لنا من امرنا ما شينا • وانما ناخذ ما اعطينا • والظلول بمعنى الصيرورة كما تستعمل الافعال الناقصة
بمعانيها وقرئ مسود ومسواد على ان في ظل ضمير المبشر ووجهه مسود جملة واقعة موقع الخبر ثم قال او يجعل للرحمن من الولد
من هذه الصفة المذمومة صفته وهو انه ينشأ اي يتربى في الزينة والنعمة وهو اذا احتاج الى مجاثاة الخصوم ومجاراة
الرجال كان غير مبين ليس عنده بيان ولا ياتي ببرهان يحتج به على من يخاصمه وذلك لضعف عقول النساء ونقصانهن عن فطرة
الرجال يقال قلما تكلمت امرأة فارادت ان تتكلم بحجتها الا تكلمت بالحجة التي عليها وفيه انه جعل النشء في الزينة والنعومة
من المعايب والمذام وانه من صفة ربات الحجال فعلى الرجل ان يجتنب ذلك ويأنف منه ويربأ بنفسه عنه كما قال عمر رضي الله تعالى عنه
اخشوشنوا واخشوشبوا وتمعددوا وان اراد ان يزين نفسه زينها من باطن بلباس التقوى وقرئ ينشأ وينشأ ويناشأ
ونظير المناشأة بمعنى الانشاء المغالاة بمعنى الاغلاء • **وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا
اشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون** • قد جمعوا في كفرة ثلاث كفرات وذلك انهم نسبوا
الى الله تعالى الولد ونسبوا اليه اخس النوعين وجعلوه من الملائكة الذين هم اكرم عباد الله تعالى على الله فاستخفوا بهم
واحتقروهم وقرئ عباد الرحمن وعبيد الرحمن وعبد الرحمن وهو مثل لزلفاهم واختصاصهم واناثا وانثا جمع الجمع ومعنى
جعلوا سموا وقالوا انهم اناث وقرئ اشهدوا واأشهدوا بهمزتين مفتوحة ومضمومة وآأشهدوا بالف بينهما وهذا
تهكم بهم بمعنى انهم يقولون ذلك من غير ان يستند قولهم الى علم فان الله تعالى لم يضطرهم الى علم ذلك ولا تطرقوا
اليه باستدلال ولا احاطوا به عن خبر يوجب العلم فلم يبق الا ان يشاهدوا خلقهم فاخبروا عن المشاهدة ستكتب شهادتهم
اي التي شهدوا بها على الملائكة من انوثتهم ويسألون وهذا وعيد وقرئ سيكتب وسنكتب بالياء والنون وشهاداتهم

وشهادتهم ويسألون على تفاعلون ● وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون ● وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم هما كفرتان ايضا مضمومتان الى الكفرات الثلاث وهما عبادتهم الملائكة من دون الله تعالى وزعمهم ان عبادتهم بمشيئة الله تعالى كما يقول اخوانهم المجبرة **فان قلت** فما انكرت على من يقول قالوا ذلك على وجه الاستهزاء ولو قالوه جادين لكانوا مؤمنين **قلت** لا دليل على انهم قالوه مستهزئين وادعاء ما لا دليل عليه باطل على ان الله تعالى قد حكى عنهم على سبيل الذم والشهادة بالكفر انهم جعلوا له من عباده جزءا وانه اتخذ بنات واصفاهم بالبنين وانهم جعلوا الملائكة المكرمين اناثا وانهم عبدوهم وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم فلو كانوا ناطقين بها على طريق الهزء لكان النطق بالمحكيات قبل هذا المحكي الذي هو ايمان عنده لو جدوا في النطق به مدخلا لهم من قبل انها كلمات كفر نطقوا بها على طريق الهزء فبقي ان يكونوا جادين وتشترك كلها في انها كلمات كفر فان قالوا نجعل هذا الاخير وحده مقولا على وجه الهزء دون ما قبله فما بهم الا تعويج كتاب الله الباطل من بين يديه ولا من خلفه لتسوية مذهبهم الباطل ولو كانت هذه كلمة حق نطقوا بها هزءا لم يكن لقوله تعالى ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون معنى لان من قال لا اله الا الله على طريق الهزء كان الواجب ان ينكر عليه استهزاؤه ولا يكذب لانه لا يجوز تكذيب الناطق بالحق جادا كان او هازئا **فان قلت** ما قولك فيمن يفسر ما لهم بقولهم ان الملائكة بنات الله من علم ان هم الا يخرصون في ذلك القول لا في تعليق عبادتهم بمشيئة الله تعالى **قلت** تمحل مبطل وتحريف مكابر ونحوه قوله تعالى سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم ● ام آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون ● بل قالوا انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مهتدون ● وكذلك ما ارسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون ● الضمير في من قبله للقرآن او الرسول والمعنى انهم الصقوا عبادة غير الله بمشيئة الله تعالى قولا قالوه غير مستند الى علم ثم قال ام آتيناهم كتابا قبل هذا الكتاب نسبنا فيه الكفر والقبائح الينا فحصل لهم علم بذلك من الكتاب واحتجوا به بل لا حجة لهم يستمسكون بها الا قولهم انا وجدنا آباءنا على امة على دين وقرئ على امة بالكسر وكلتاهما من الام وهو القصد فالامة الطريقة التي تؤم اي تقصد كالرحلة للمرحول اليه والامة الحالة التي يكون عليها الآم وهو القاصد وقيل على نعمة وحالة حسنة على آثارهم مهتدون خبران او الظرف صلة لمهتدون مترفوها الذين اترفتهم النعمة اي ابطرتهم فلا يحبون الا الشهوات والملاهي ويعافون مشاق الدين وتكاليفه ● قل اولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا انا بما ارسلتم به كافرون ● فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين ● قرئ قل وقال وجئتكم وجئناكم يعني اتتبعون آباءكم ولو جئتكم بدين اهدى من دين آبائكم قالوا انا ثابتون على دين آبائنا لا ننفك عنه وان جئتنا بما هو اهدى واهدى ● واذ قال ابراهيم لابيه وقومه انني براء مما تعبدون ● الا الذي فطرني فانه سيهدين ● قرئ براء بفتح الباء وضمها وبرئ فبرئ وبراء نحو كريم وكرام وبراء مصدر كظما ولذلك استوى فيه الواحد والاثنان والجماعة والمذكر والمؤنث يقال نحن البراء منك والخلاء منك الذي فطرني فيه غير وجه ان يكون منصوبا على انه استثناء منقطع كانه قال لكن الذي فطرني فانه سيهدين وان يكون مجرورا بدلا من المجرور بمن كانه قال انني براء مما تعبدون الا من الذي فطرني **فان قلت** كيف تجعله بدلا وليس من جنس ما يعبدون من وجهين احدهما ان ذات الله مخالفة لجميع الذوات فكانت مخالفة لذوات ما يعبدون والثاني ان الله تعالى غير معبود بينهم والاوثان معبودة **قلت** كانوا يعبدون الله تعالى مع اوثانهم وان تكون الا صفة بمعنى غير على ان ما في ما تعبدون موصوفة تقديره انني براء من آلهة تعبدونها غير الذي فطرني فهو نظير قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا **فان قلت** ما معنى قوله تعالى سيهدين على التسويف **قلت** قال مرة فهو يهدين ومرة فانه سيهدين فاجمع بينهما وقدر فكانه قال فهو يهدين وسيهدين فيدلان على استمرار الهداية في الحال والاستقبال ● وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون ● وجعلها وجعل ابراهيم عليه السلام كلمة التوحيد التي تكلم بها وهي قوله انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني كلمة باقية في عقبه في ذريته فلا يزال فيهم من يوحد الله تعالى ويدعو الى توحيده لعل من اشرك

هذا اعتزال

منهم

منهم يرجع بدعاء من وحد منهم ونحوه ووصى بها ابراهيم بنيه وقيل وجعلها الله وقرئ كلمة على التخفيف وفي عقبه كذلك وفي عاقبه اي في من عقبه اي خلفه ● بل متعت هؤلاء وآباءهم حتى جاءهم الحق ورسول مبين ● بل متعت هؤلاء يعني اهل مكة وهم من عقب ابراهيم بالمد في العمر والنعمة فاغتروا بالمهلة وشغلوا بالتنعم واتباع الشهوات وطاعة الشيطان عن كلمة التوحيد حتى جاءهم الحق وهو القرآن ورسول مبين الرسالة واضحها بما معه من الآيات البينة فكذبوا به وسموه ساحرا وما جاء به سحرا ولم يوجد منهم ما رجاه ابراهيم عليه السلام وقرئ بل متعنا **فان قلت** فما وجه قراءة من قرأ متعت بفتح التاء **قلت** كان الله تعالى اعترض على ذاته المقدسة في قوله تعالى وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون فقال بل متعتهم بما متعتهم به من طول العمر والسعة في الرزق حتى شغلهم ذلك عن كلمة التوحيد واراد بذلك الاطناب في تعييرهم لانه اذا متعهم بزيادة النعم وجب ان يجعلوا ذلك سببا في زيادة الشكر والثبات على التوحيد والايمان لا ان يشركوا به ويجعلوا له اندادا فمثاله ان يشكو الرجل اساءة من احسن اليه ثم يقبل على نفسه فيقول انت السبب في ذلك بمعروفك واحسانك وغرضه بهذا الكلام توبيخ المسيء لا تقبيح فعله **فان قلت** قد جعل مجيء الحق والرسول غاية التمتيع ثم اردفه قوله تعالى ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر فما طريقة هذا النظم ومؤداه **قلت** المراد بالتمتيع ما هو سبب له وهو اشتغالهم بالاستمتاع عن التوحيد ومقتضياته فقال عز وعلا بل اشتغلوا عن التوحيد حتى جاءهم الحق ورسول مبين فخيل بهذه الغاية انهم تنبهوا عندها عن غفلتهم لاقتضائها التنبيه ● ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وانا به كافرون ● وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ● ثم ابتدأ قصتهم عند مجيء الحق فقال ولما جاءهم الحق جاؤوا بما هو شر من غفلتهم التي كانوا عليها وهو ان ضموا الى شركهم معاندة الحق ومكابرة الرسول ومعاداته والاستخفاف بكتاب الله تعالى وشرائعه والاصرار على افعال الكفرة والاحتكام على حكمة الله تعالى في تخير محمد من اهل زمانه بقولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وهي الغاية في تشويه صورة امرهم وقرئ على رجل بسكون الجيم من القريتين من احدى القريتين كقوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ اي من احدهما والقريتان مكة والطائف وقيل من رجلي القريتين وهما الوليد بن المغيرة المخزومي وحبيب بن عمرو بن عمير الثقفي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وعن مجاهد عتبة بن ربيعة وكنانة بن عبد ياليل وعن قتادة الوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفي وكان الوليد يقول لو كان حقا ما يقول محمد لنزل هذا القرآن علي او على ابي مسعود الثقفي وابو مسعود كنية عروة بن مسعود وما زالوا ينكرون ان يبعث الله بشرا رسولا فلما علموا بتكرير الحجج ان الرسل لم يكونوا الا رجالا لا من اهل القرى جاؤوا بالانكار من وجه آخر وهو تحكمهم ان يكون الرسول احد هذين وقولهم هذا القرآن ذكر له على وجه الاستهانة واراد بعظم الرجل رياسته وتقدمه في الدنيا وعزب عن عقولهم ان العظيم من كان عند الله عظيما ● اهم يقسمون رحمت ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمت ربك خير مما يجمعون ● اهم يقسمون رحمة ربك هذه الهمزة للانكار المستقل بالتجهيل والتعجيب من اعتراضهم وتحكمهم وان يكونوا هم المدبرين لامر النبوة والتخير لها من يصلح لها ويقوم بها والمتولين لقسمة رحمة الله تعالى التي لا يتولاها الا هو بباهر قدرته وبالغ حكمته ثم ضرب مثالا فاعلم انهم عاجزون عن تدبير خويصة امرهم وما يصلحهم في دنياهم وان الله عز وجل هو الذي قسم بينهم معيشتهم وقدرها ودبر احوالهم تدبير العالم بها فلم يسو بينهم ولكن فاوت بينهم في اسباب العيش وغاير بين منازلهم فجعل منهم الاقوياء والضعفاء والاغنياء والمحاويج والموالي والخدم ليصرف بعضهم بعضا في حوائجهم ويستخدموهم في مهنهم ويتسخروهم في اشغالهم حتى يتعايشوا ويترافدوا ويصلوا الى منافعهم ويحصلوا على مرافقهم ولو وكلهم الى انفسهم وولاهم تدبير امرهم لضاعوا وهلكوا واذا كانوا في تدبير امر المعيشة الدنية في الحيوة الدنيا على هذه الصفة فما ظنك بهم في تدبير امر الدين الذي هو رحمة الله الكبرى ورافته العظمى وهو الطريق الى حيازة حظوظ الآخرة والسلم الى حلول دار السلام ثم قال ورحمة ربك يريد وهذه الرحمة وهي دين الله تعالى وما يتبعه من الفوز في المآب خير مما يجمع هؤلاء من حطام الدنيا **فان قلت** معيشتهم ما يعيشون به من المنافع ومنهم من يعيش بالحلال ومنهم من يعيش بالحرام فاذن قد قسم الله تعالى الحرام كما قسم الحلال **قلت** الله تعالى قد قسم لكل عبد معيشته وهي مطاعمه ومشاربه وما يصلحه من المنافع واذن له في تناولها ولكن شرط عليه وكلفه ان يسلك في تناولها الطريق التي شرعها فاذا سلكها فقد تناول قسمته من المعيشة حلالا وسماها رزق الله واذا لم يسلكها تناولها حراما وليس له

ان يسمها رزق الله تعالى فالله تعالى قاسم المعايش والمنافع ولكن العباد هم الذين يكسبونها صفة الحرمة بتناولهم وهو عدولهم فيها عما شرعه الله تعالى الى ما لم يشرعه • ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون • ولبيوتهم ابوابا وسررا عليها يتكئون • وزخرفا وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا والاخرة عند ربك للمتقين • لبيوتهم بدل اشتمال من قوله لمن يكفر ويجوز ان يكونا بمنزلة اللامين في قولك وهبت له ثوبا لقميصه وقرئ سقفا بفتح السين وسكون القاف وبضمها جمع سقف كرهن ورهن وعن الفراء جمع سقيفة وسقفا بفتحتين كانه لغة في سقف وسقوفا ومعارج ومعاريج والمعارج جمع معرج او اسم جمع لمعراج وهي المصاعد الى العلالي عليها يظهرون اي على المعارج يظهرون السطوح يعلونها فما اسطاعوا ان يظهروه وسررا بفتح الراء لاستثقال الضمتين مع حرفي التضعيف لما متاع الحيوة الدنيا هي الفارقة بين ان المخففة والنافية وقرئ بكسر اللام اي للذي هو متاع الحيوة الدنيا كقوله تعالى مثلا ما بعوضة ولما بالتشديد بمعنى الا وان نافية وقرئ الا وقرئ وما كل ذلك الا لما قال خير ما يجمعون فقلل امر الدنيا وصغره اراد فهو ما يورد قلة الدنيا عنده من قوله تعالى ولولا ان يكون الناس امة واحدة اي ولولا كراهة ان يجتمعوا على الكفر ويطبقوا عليه لجعلنا لحقارة زهرة الدنيا عندنا للكفار سقوفا ومصاعد وابوابا وسررا كلها من فضة وجعلنا لهم زخرفا اي زينة من كل شيء والزخرف الزينة والذهب ويجوز ان يكون الاصل سقفا من فضة وزخرف يعني بعضها من فضة وبعضها من ذهب فنصب عطفا على محل من فضة وفي معناه قول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لو وزنت عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء **فان قلت** فحين لم يوسع على الكافرين للفتنة التي كان يؤدي اليها التوسعة عليهم من اطباق الناس على الكفر لحبهم الدنيا وتهالكهم عليها فهلا وسع على المسلمين ليطبق الناس على الاسلام **قلت** التوسعة عليهم مفسدة ايضا لما تؤدي اليه من الدخول في الاسلام لاجل الدنيا والدخول في الدين لاجل الدنيا من دين المنافقين فكانت الحكمة فيما دبر حيث جعل في الفريقين اغنياء وفقراء وغلب الفقر على الغنى • ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين • قرئ ومن يعش بضم الشين وفتحها والفرق بينهما انه اذا حصلت الآفة في بصره قيل عشي واذا نظر نظر العشي ولا آفة به قيل عشا ونظيره عرج لمن به الآفة وعرج لمن مشى مشية العرجان من غير عرج قال الحطيئة • متى تاته تعشو الى ضوء ناره • اي تنظر اليها نظر العشي لما يضعف بصرك من عظم الوقود واتساع الضوء وهو بين في قول حاتم • اعشو اذا ما جارتي برزت • حتى يواري جارتي الخدر • وقرئ يعشو على ان من موصولة غير مضمنة معنى الشرط وحق هذا القارئ ان يرفع نقيض ومعنى القراءة بالفتح ومن يعم عن ذكر الرحمن وهو القرآن كقوله عز وجل صم بكم عمي واما القراءة بالضم فمعناها ومن يتعام عن ذكره اي يعرف انه الحق وهو يتجاهل ويتعامى كقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم نقيض له شيطانا نخذله ونخل بينه وبين الشياطين كقوله تعالى وقيضنا لهم قرناء الم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين وقرئ يقيض اي يقيض له الرحمن ويقيض له الشيطان • وانهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون انهم مهتدون • **فان قلت** لم جمع ضمير من وضمير الشيطان في قوله تعالى ليصدونهم **قلت** لان من مبهم في جنس العاشي وقد قيض له شيطان مبهم في جنسه فلما جاز ان يتناولا لابهامهما غير واحدين جاز ان يرجع الضمير اليهما مجموعا • حتى اذا جاءنا قال يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين • حتى اذا جاءنا العاشي وقرئ جاءانا على ان الفعل له ولشيطانه قال لشيطانه يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين يريد المشرق والمغرب فغلب كما قيل العمران والقمران **فان قلت** فما بعد المشرقين **قلت** تباعدهما والاصل بعد المشرق من المغرب والمغرب من المشرق فلما غلب وجمع المفترقين بالتثنية اضاف البعد اليهما • ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم انكم في العذاب مشتركون • انكم في محل الرفع على الفاعلية يعني ولن ينفعكم كونكم مشتركين في العذاب كما ينفع الواقعين في الامر الصعب اشتراكهم فيه لتعاونهم في تحمل اعبائه وتقسمهم لشدته وعنائه وذلك ان كل واحد منكم به من العذاب ما لا تبلغه طاقته • ولك ان تجعل الفعل للتمني في قوله تعالى يا ليت بيني وبينك على معنى ولن ينفعكم اليوم ما انتم فيه من تمني مباعدة القرين وقوله تعالى انكم في العذاب مشتركون تعليل اي لن ينفعكم تمنيكم لان حقكم ان تشتركوا انتم وقرناؤكم في العذاب كما كنتم مشتركين في سببه وهو الكفر وتقويه قراءة من

قرا انكم بالكسر وقيل اذا رأى الممنو بشدة من مني بمثلها روحه ذلك ونفس بعض كربه وهو التأسي الذي ذكرته الخنساء • اعزي النفس عنه بالتأسي • فهؤلاء لا يؤسيهم ولا يروحهم لعظم ما هم فيه **فان قلت** ما معنى قوله تعالى اذ ظلمتم **قلت** معناه اذ صح ظلمكم وتبين ولم يبق لكم ولا لاحد شبهة في انكم كنتم ظالمين وذلك يوم القيمة واذ بدل من اليوم ونظيره • اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة • اي تبين اني ولد كريمة • افانت تسمع الصم او تهدي العمي ومن كان في ضلال مبين • كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يجد ويجتهد ويكد روحه في دعاء قومه وهم لا يزيدون على دعائه الا تصميما على الكفر وتماديا في الغي فانكر عليه بقوله تعالى افانت تسمع الصم انكار تعجيب من ان يكون هو الذي يقدر على هدايتهم واراد انه لا يقدر على ذلك منهم الا هو وحده على سبيل الالجاء والقسر كقوله تعالى ان الله يسمع من يشاء وما انت بمسمع من في القبور • فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون • او نرينك الذي وعدناهم فانا عليهم مقتدرون • فاستمسك بالذي اوحي اليك انك على صراط مستقيم • ما في قوله فاما نذهبن بمنزلة لام القسم في انها اذا دخلت دخلت معها النون المؤكدة والمعنى فان قبضناك قبل ان ننصرك عليهم ونشفي صدور المؤمنين منهم فانا منهم منتقمون اشد الانتقام في الآخرة كقوله تعالى او نتوفينك فالينا يرجعون وان اردنا ان ننجز في حيوتك ما وعدناهم من العذاب النازل بهم وهو يوم بدر فهم تحت ملكتنا وقدرتنا لا يفوتوننا وصفهم بشدة الشكيمة في الكفر والضلال ثم اتبعه شدة الوعيد بعذاب الدنيا والآخرة وقرئ نرينك بالنون الخفيفة وقرئ بالذي اوحى اليك على البناء للفاعل وهو الله عز وجل والمعنى سواء عجلنا لك الظفر والغلبة او اخرنا الى اليوم الآخر فكن مستمسكا بما اوحينا اليك وبالعمل به فانه الصراط المستقيم الذي لا يحيد عنه الا ضال شقي وزد كل يوم صلابة في المحاماة على دين الله تعالى ولا يخرجك الضجر بامرهم الى شيء من اللين والرخاوة في امرك ولكن كالفحل الثابت الذي لا ينشطه تعجيل ظفر ولا يثبطه تأخيره • وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون • وانه وان الذي اوحي اليك لذكر لشرف لك ولقومك ولسوف تسألون عنه يوم القيمة وعن قيامكم بحقه وعن تعظيمكم له وشكركم على ان رزقتموه وخصصتم به من بين العالمين • واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون • ليس المراد بسؤال الرسل حقيقة السؤال لاحالته ولكنه مجاز عن النظر في اديانهم والفحص عن مللهم هل جاءت عبادة الاوثان قط في ملة من ملل الانبياء وكفاه نظرا وفحصا نظره في كتاب الله تعالى المعجز المصدق لما بين يديه واخبار الله تعالى فيه انهم يعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وهذه الآية في نفسها كافية لا حاجة الى غيرها والسؤال الواقع مجازا عن النظر حيث لا يصح السؤال على الحقيقة كثير منه مسألة الشعراء الديار والرسوم والاطلال وقال من قال سل الارض من شق انهارك وغرس اشجارك وجنى ثمارك فانها ان لم تجبك حوارا اجابتك اعتبارا وقيل ان النبي عليه الصلوة والسلام جمع له الانبياء ليلة الاسراء فامهم وقيل له سلهم فلم يشكك ولم يسأل وقيل معناه سل امم من ارسلنا وهم اهل الكتابين التورية والانجيل وعن الفراء هم انما يخبرونه عن كتب الرسل فاذا سألهم فكانه سأل الانبياء • ولقد ارسلنا موسى باياتنا الى فرعون وملائه فقال اني رسول رب العالمين • فلما جاءهم باياتنا اذا هم منها يضحكون • ما اجابوه به عند قوله اني رسول رب العالمين محذوف دل عليه قوله فلما جاءهم باياتنا وهو مطالبتهم اياه باحضار البينة على دعواه وابراز الآية اذا هم منها يضحكون اي يسخرون منها ويهزؤن بها ويسمونها سحرا واذا للمفاجأة **فان قلت** كيف جاز ان يجاب لما باذا المفاجأة **قلت** لان فعل المفاجأة معها مقدر وهو عامل النصب في محلها كانه قيل فلما جاءهم باياتنا فاجؤا وقت ضحكهم • وما نريهم من آية الا هي اكبر من اختها واخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون • **فان قلت** اذا جاءتهم آية واحدة من جملة التسع فما اختها التي فضلت عليها في الكبر من بقية الآيات **قلت** اختها التي هي آية مثلها وهذه صفة كل واحدة فكان المعنى على انها اكبر من بقية الآيات على سبيل التفصيل والاستقراء واحدة بعد واحدة كما تقول هو افضل رجل رأيته تريد تفضيله على امة الرجال الذين رأيتهم اذا قرتهم رجلا رجلا •

فان قلت هو كلام متناقض لان معناه ما من آية من التسع الا وهي اكبر من كل واحدة منها فتكون كل واحدة منها فاضلة ومفضولة في حالة واحدة قلت الغرض بهذا الكلام انهن موصوفات بالكبر لا يكدن يتفاوتن فيه وكذلك العادة في الاشياء التي تتلاقى في الفضل وتتفاوت منازلها فيه التفاوت اليسير ان تختلف آراء الناس في تفضيلها فيفضل بعضهم هذا وبعضهم ذاك فعلى ذلك بنى الناس كلامهم فقالوا رايت رجالا بعضهم افضل من بعض وربما اختلف آراء الرجل الواحد فيها فتارة يفضل هذا وتارة يفضل ذاك ومنه بيت الحماسة

من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم • مثل النجوم التي يسري بها الساري

وقد فاضلت الانمارية بين الكملة من بنيها ثم قالت لما ابصرت مراتبهم متدانية قليلة التفاوت ثكلتهم ان كنت اعلم ايهم افضل هم كالحلقة المفرغة لا يدرى اين طرفاها لعلهم يرجعون اراد ان يرجعوا عن الكفر الى الايمان فان قلت لو اراد رجوعهم لكان قلت ارادته فعل غيره ليس الا ان يامره به ويطلب منه ايجاده فان كان ذلك على سبيل القسر وجد والا دار بين ان يوجد وبين ان لا يوجد على حسب اختيار المكلف وانما لم يكن الرجوع لان الارادة لم تكن قسرا ولم يختاروه والمراد بالعذاب السنون والطوفان والجراد وغير ذلك • **وقالوا يا ايها الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك اننا لمهتدون • فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون** قرئ يا ايه الساحر بضم الهاء وقد سبق وجهه فان قلت كيف سموه بالساحر مع قولهم اننا لمهتدون قلت قولهم اننا لمهتدون وعد منوي اخلافه وعهد معزوم على نكثه معلق بشرط ان يدعو لهم وينكشف عنهم العذاب الا ترى الى قوله فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون فما كانت تسميتهم اياه بالساحر بمنافية لقولهم انا لمهتدون وقيل كانوا يقولون للعالم الماهر انما هو ساحر لاستعظامهم علم السحر بما عهد عندك بعهده عندك من ان دعوتك مستجابة او بعهده عندك وهو النبوة او بما عهد عندك فوفيت به وهو الايمان والطاعة او بما عهد عندك من كشف العذاب عمن اهتدى • **ونادى فرعون في قومه قال يا قوم اليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي افلا تبصرون** • ونادى فرعون في قومه جعلهم محلا لندائه وموقعا له والمعنى انه امر بالنداء في مجامعهم واماكنهم من نادى فيها بذلك فاسند النداء اليه كقولك قطع الامير اللص اذا امر بقطعه ويجوز ان يكون عنده عظماء القبط فرفع صوته بذلك فيما بينهم ثم ينشر ذلك عنه في جموع القبط فكانه نودي به بينهم فقال اليس لي ملك مصر وهذه الانهار يعني انهار النيل ومعظمها اربعة نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنيس قيل كانت تجري تحت قصره وقيل تحت سريره لارتفاعه وقيل بين يدي في جناني وبساتيني ويجوز ان تكون الواو عاطفة للانهار على ملك مصر وتجري نصب على الحال منها وان تكون الواو للحال واسم الاشارة مبتدا والانهار صفة لاسم الاشارة وتجري خبر للمبتدا وليت شعري كيف ارتقت الى الربوبية همة من تعظم بملك مصر وعجب الناس من مدى عظمته وامر فنودي بها في اسواق مصر وازقتها لئلا تخفى تلك الابهة والجلالة على صغير ولا كبير وحتى يتربع في صدور الدهماء مقدار عزته وملكوته وعن الرشيد انه لما قراها قال لاولينها اخس عبيدي فولاها الخصيب وكان على وضوئه وعن عبد الله بن طاهر انه وليها فلما شارفها ووقع عليها بصره قال اهي القرية التي افتخر بها فرعون حتى قال اليس لي ملك مصر والله لهي اقل عندي من ان ادخلها فثنى عنانه • **ام انا خير من هذا الذي هو مهين • ولا يكاد يبين • فلولا القي عليه اسورة من ذهب او جاء معه الملائكة مقترنين** • ام انا خير ام هذه متصلة لان المعنى افلا تبصرون ام تبصرون الا انه وضع قوله انا خير موضع تبصرون لانهم اذا قالوا له انت خير فهم عنده بصراء وهذا من انزال السبب منزلة المسبب ويجوز ان تكون منقطعة على بل انا والهمزة للتقرير وذلك انه قدم تعديد اسباب الفضل والتقدم عليهم من ملك مصر وجري الانهار تحته ونادى بذلك وملا به مسامعهم ثم قال انا خير كانه يقول اثبت عندكم واستقر اني انا خير وهذه حالي من هذا الذي هو مهين اي ضعيف حقير وقرئ اما انا خير ولا يكاد يبين الكلام لما به من الرتة يريد انه ليس معه من العدد والات الملك والسياسة ما يعتضد به وهو في نفسه مخل بما ينعت به الرجال من اللسن والفصاحة وكانت الانبياء كلهم ابيناء بلغاء واراد بالقاء الاسورة عليه القاء مقاليد الملك اليه لانهم كانوا اذا ارادوا تسويد الرجل سوروه بسوار وطوقوه بطوق من ذهب

مقترنين

مقترنين اما مقترنين به من قولك قرنته به فاقترن به واما من اقترنوا بمعنى تقارنوا لما وصف نفسه بالملك والعزة ووازن بينه وبين موسى عليه السلام فوصفه بالضعف وقلة الاعضاد اعترض فقال هلا ان كان صادقا ملكه ربه وسوده وسوره وجعل الملائكة اعضاده وانصاره وقرئ اساور جمع اسورة واساوير جمع اسوار وهو السوار واساورة على تعويض التاء من ياء اساوير وقرئ لولا القي عليه اسورة واساورة على البناء للفاعل وهو الله سبحانه وتعالى وتعظم • **فاستخف قومه فاطاعوه انهم كانوا قوما فاسقين** • فاستخف قومه فاستفزهم وحقيقته حملهم على ان يخفوا له ولما اراد منهم وكذلك استفزه من قولهم للخفيف فز • **فلما آسفونا انتقمنا منهم فاغرقناهم اجمعين** آسفونا منقول من اسف اسفا اذا اشتد غضبه ومنه الحديث في موت الفجاءة رحمة للمؤمن واخذة اسف للكافر ومعناه انهم افرطوا في المعاصي وعدوا اطوارهم فاستوجبوا ان نعجل لهم عذابنا وانتقامنا وان لا نحلم عنهم • **فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين** • وقرئ سلفا جمع سالف كخادم وخدم وسلفا بضمتين جمع سليف اي فريق قد سلف وسلفا جمع سلفة اي ثلة قد سلفت ومعناه فجعلناهم قدوة للآخرين من الكفار يقتدون بهم في استحقاق مثل عقابهم ونزوله بهم لاتيانهم بمثل افعالهم وحديثا عجيب الشان سائرا مسير المثل يحدثون به ويقال لهم مثلكم مثل قوم فرعون • **ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون** لما قرا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على قريش انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم امتعضوا من ذلك امتعاضا شديدا فقال عبد الله بن الزبعرى يا محمد اخاصة لنا ولالهتنا ام لجميع الامم فقال صلى الله تعالى عليه وسلم هو لكم ولالهتكم ولجميع الامم فقال خصمتك ورب الكعبة الست تزعم ان عيسى بن مريم نبي وتثني عليه خيرا وعلى امه وقد علمت ان النصارى يعبدونهما وعزير يعبد والملائكة يعبدون فان كان هؤلاء في النار فقد رضينا ان نكون نحن والهتنا معهم ففرحوا وضحكوا وسكت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فانزل الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى ونزلت هذه الآية والمعنى ولما ضرب عبد الله بن الزبعرى عيسى بن مريم مثلا وجادل رسول الله عليه الصلوة والسلام بعبادة النصارى اياه اذا قومك قريش منه من هذا المثل يصدون ترتفع لهم جلبة وضجيج فرحا وجذلا وضحكا بما سمعوا منه من اسكات رسول الله صلى الله عليه وسلم بجدله كما يرتفع لغط القوم ولجبهم اذا تعيوا بحجة ثم فتحت عليهم واما من قرا يصدون بالضم فمن الصدود اي من اجل هذا المثل يصدون عن الحق ويعرضون عنه وقيل من الصديد وهو الجلبة وانهما لغتان نحو يعكف ويعكف ونظائرهما • **وقالوا آلهتنا خير ام هو ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون • ان هو الا عبد انعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني اسرائيل • ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الارض يخلفون** • وقالوا آلهتنا خير ام هو يعنون ان آلهتنا عندك ليست بخير من عيسى واذا كان عيسى من حصب النار كان امر آلهتنا هينا ما ضربوه اي ما ضربوا هذا المثل لك الا جدلا الا لاجل الجدل والغلبة في القول لا لطلب المميز بين الحق والباطل بل هم قوم خصمون لد شداد الخصومة دابهم اللجاج كقوله تعالى قوما لدا وذلك ان قوله تعالى انكم وما تعبدون ما اريد به الا الاصنام وكذلك قوله عليه الصلوة والسلام هو لكم ولالهتكم ولجميع الامم انما قصد به الاصنام ومحال ان يقصد به الانبياء والملائكة الا ان ابن الزبعرى بخبثه وخداعه وخبث دخلته لما راى كلام الله ورسوله محتملا لفظه وجه العموم مع علمه بان المراد به اصنامهم لا غير وجد للحيلة مساغا فصرف معناه الى الشمول والاحاطة بكل معبود غير الله تعالى على طريقة المحك والجدال وحب المغالبة والمكابرة وتوقح في ذلك فتوقر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى اجاب عنه ربه ان الذين سبقت لهم منا الحسنى فدل به على ان الآية خاصة في الاصنام على ان ظاهر قوله تعالى وما تعبدون لغير العقلاء وقيل لما سمعوا قوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم قالوا نحن اهدى من النصارى لانهم عبدوا آدميا ونحن نعبد الملائكة فنزلت وقوله آلهتنا خير ام هو على هذا القول تفضيل لآلهتهم على عيسى لان المراد بهم الملائكة وما ضربوه لك الا جدلا معناه وما قالوا هذا القول يعني آلهتنا خير ام هو الا للجدل وقرئ آلهتنا خير باثبات همزة الاستفهام وباسقاطها لدلالة ام العديلة عليها وفي حرف ابن مسعود رضي الله تعالى عنه خير ام هذا ويجوز ان يكون جدلا حالا اي جدلين وقيل لما نزلت ان مثل عيسى عند الله قالوا ما يريد محمد بهذا الا ان نعبده وانه يستاهل ان يعبد وان كان بشرا كما عبدت النصارى المسيح وهو بشر ومعنى يصدون يضجون ويضجرون والضمير في ام هو لمحمد صلى الله عليه وسلم وغرضهم بالموازنة بينه وبين آلهتهم السخرية والاستهزاء ويجوز ان يقولوا لما انكروا عليهم قولهم الملائكة بنات الله

وعبدوهم ما قلنا بدعا من القول ولا فعلنا نكرا من الفعل فان النصارى جعلوا المسيح ابن الله وعبدوه ونحن اشف منهم قولا وفعلا فانا نسبنا اليه الملائكة وهم نسبوا اليه الاناسي فقيل مذهب النصارى شرك بالله تعالى ومذهبكم شرك مثله وما تنصلكم مما انتم عليه بما اوردتموه الا قياس باطل بباطل وما عيسى الا عبد كسائر العبيد انعمنا عليه حيث جعلناه آية بان خلقناه من غير سبب كما خلقنا آدم وشرفناه بالنبوة وصيرناه عبرة عجيبة كالمثل السائر لبني اسرائيل ولو نشاء لقدرتنا على عجائب الامور وبدائع الفطر لجعلنا منكم لولدنا منكم يا رجال ملائكة يخلفونكم في الارض كما يخلفكم اولادكم كما ولدنا عيسى من انثى من غير فحل لتعرفوا تميزنا بالقدرة الباهرة ولتعلموا ان الملائكة اجسام لا تتولد الا من اجسام وذات القديم متعال عن ذلك **وانه لعلم للساعة فلا تمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم ولا يصدنكم الشيطان انه لكم عدو مبين** وانه وان عيسى عليه السلام لعلم للساعة اي شرط من اشراطها تعلم به فسمي الشرط علما لحصول العلم به وقرأ ابن عباس لعَلَم وهو العلامة وقرئ للعَلَم وقرأ أبي لذكر على تسمية ما يذكر به ذكرا كما سمي ما يعلم به علما وفي الحديث ان عيسى عليه السلام ينزل على ثنية بالارض المقدسة يقال لها افيق وعليه ممصرتان وشعر راسه دهين وبيده حربة وبها يقتل الدجال فياتي بيت المقدس والناس في صلوة الصبح والامام يؤم بهم فيتاخر الامام فيقدمه عيسى ويصلي خلفه على شريعة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنائس ويقتل النصارى الا من آمن به وعن الحسن رحمه الله تعالى ان الضمير للقرآن وان القرآن به تعلم الساعة لان فيه الاعلام فلا تمترن بها من المرية وهي الشك واتبعون اي واتبعوا هداي وشرعي او رسولي وقيل امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقوله هذا صراط مستقيم اي هذا الذي ادعوكم اليه او هذا القرآن ان جعل الضمير في وانه للقرآن عدو مبين قد ابانت عداوته لكم اذ اخرج اباكم من الجنة ونزع عنه لباس النور **ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ولابين لكم بعض الذي تختلفون فيه فاتقوا الله واطيعون ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم** بالبينات بالمعجزات او بآيات الانجيل والشرائع البينات الواضحات بالحكمة يعني الانجيل والشرائع **فان قلت** هلا بين لهم كل الذي يختلفون فيه ولكن بعضه **قلت** كانوا يختلفون في الديانات وما يتعلق بالتكليف وفيما سوى ذلك مما لم يتعبدوا بمعرفته والسؤال عنه وانما بعث ليبين لهم ما اختلفوا فيه مما يعنيهم من امر دينهم **فاختلف الاحزاب من بينهم فويل للذين ظلموا من عذاب يوم اليم** الاحزاب الفرق المتحزبة بعد عيسى عليه السلام وقيل اليهود والنصارى فويل للذين ظلموا وعيد للاحزاب **فان قلت** من بينهم الى من يرجع الضمير فيه **قلت** الى الذين خاطبهم عيسى عليه السلام في قوله قد جئتكم بالحكمة وهم قومه المبعوث اليهم **هل ينظرون الا الساعة ان تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون** ان تأتيهم بدل من الساعة والمعنى هل ينتظرون الا اتيان الساعة **فان قلت** اما ادى قوله بغتة مؤدى قوله تعالى وهم لا يشعرون فيستغنى عنه **قلت** لا لان معنى قوله تعالى وهم لا يشعرون وهم غافلون لاشتغالهم بامور دنياهم كقوله تعالى تأخذهم وهم يخصمون ويجوز ان تأتيهم بغتة وهم فطنون **الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون** يومئذ منصوب بعدو اي تنقطع في ذلك اليوم كل خلة بين المتخالين في غير ذات الله وتنقلب عداوة ومقتا الا خلة المتصادقين في الله تعالى فانها الخلة الباقية المزدادة قوة اذا راوا ثواب التحاب في الله تعالى والتباغض في الله وقيل الا المتقين الا المجتنبين اخلاء السوء وقيل نزلت في ابي بن خلف وعقبة بن ابي معيط يا عباد حكاية لما ينادي به المتقون المتحابون في الله تعالى يومئذ **الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين** الذين آمنوا منصوب المحل صفة لعبادي لانه منادى مضاف اي الذين صدقوا بآياتنا وكانوا مسلمين مخلصين وجوههم لنا جاعلين انفسهم سالمة لطاعتنا وقيل اذا بعث الله تعالى الناس فزع كل احد فينادي مناد يا عبادي فيرجوها الناس كلهم ثم يتبعها الذين آمنوا فييأس الناس منها غير المسلمين وقرئ يا عباد **ادخلوا الجنة انتم وازواجكم تحبرون** تحبرون تسرون سرورا يظهر حباره اي اثره على وجوهكم كقوله تعالى تعرف في وجوههم نضرة النعيم وقال الزجاج تكرمون اكراما يبالغ فيه والحبرة المبالغة فيما وصف بجميل **يطاف عليهم**

بصحاف

بصحاف من ذهب واكواب وفيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين وانتم فيها خالدون والكوب الكوز لا عروة له وفيها الضمير للجنة وقرئ تشتهي وتشتهيه وهذا حصر لانواع النعم لانها اما مشتهاة في القلوب واما مستلذة في العيون **وتلك الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون** وتلك اشارة الى الجنة المذكورة التي هي مبتدأ والجنة خبر والتي اورثتموها صفة الجنة او الجنة صفة للمبتدأ الذي هو اسم الاشارة والتي اورثتموها خبر المبتدأ او التي اورثتموها صفة وبما كنتم تعملون الخبر والباء تتعلق بمحذوف كما في الظروف التي تقع اخبارا وفي الوجه الاول تتعلق باورثتموها وشبهت في بقائها على اهلها بالميراث الباقي على الورثة وقرئ ورثتموها **لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون** منها تأكلون من للتبعيض اي لا تأكلون الا بعضها واعقابها باقية في شجرها فهي مزينة بالثمار ابدا موقرة بها لا ترى شجرة عريانة من ثمرها كما في الدنيا وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لا ينزع رجل في الجنة من ثمرها الا نبت مكانها مثلاها **ان المجرمين في عذاب جهنم خالدون لا يفتر عنهم العذاب وهم فيه مبلسون وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين** لا يفتر عنهم لا يخفف ولا ينقص من قولهم فترت عنه الحمى اذا سكنت عنه قليلا ونقص حرها والمبلس اليائس الساكت سكوت يائس من فرج وعن الضحاك يجعل المجرم في تابوت من نار ثم يردم عليه فيبقى فيه خالدا لا يرى ولا يرى هم فصل عند البصريين عماد عند الكوفيين وقرئ وهم فيها اي في النار **ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال انكم ماكثون** وقرأ علي وابن مسعود رضي الله تعالى عنهما ونادوا يا مال بحذف الكاف للترخيم كقول القائل والحق يا مال غير ما تصف وقيل لابن عباس ان ابن مسعود قرأ يا مال فقال ما اشغل اهل النار عن الترخيم وعن بعضهم حسن الترخيم انهم يقتطعون بعض الاسم لضعفهم وعظم ما هم فيه وقرأ ابو السرار الغنوي يا مال بالرفع كما يقال يا حار ليقض علينا من قضى عليه اذا اماته فوكزه موسى فقضى عليه والمعنى سل ربك ان يقضي علينا **فان قلت** كيف قال ونادوا يا مالك بعد ما وصفهم بالابلاس **قلت** تلك ازمنة متطاولة واحقاب ممتدة فتختلف بهم الاحوال فيسكتون اوقاتا لغلبة الياس عليهم وعلمهم انه لا فرج ويغوثون اوقاتا لشدة ما بهم ماكثون لابثون وفيه استهزاء والمراد خالدون عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انما يجيبهم بعد الف سنة وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يلقى على اهل النار الجوع حتى يعدل ما هم فيه من العذاب فيقولون ادعوا مالكا فيدعون يا مالك ليقض علينا ربك **لقد جئناكم بالحق ولكن اكثركم للحق كارهون** لقد جئناكم بالحق كلام الله عز وجل بدليل قراءة من قرأ لقد جئتكم ويجب ان يكون في قال ضمير الله عز وجل لما سألوا مالكا ان يسأل الله تعالى القضاء عليهم اجابهم الله جل وعلا بذلك كارهون لا تقبلونه وتنفرون منه وتشمئزون منه لان مع الباطل الدعة ومع الحق التعب **ام ابرموا امرا فانا مبرمون** ام ابرم مشركو مكة امرا من كيدهم ومكرهم برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فانا مبرمون كيدنا كما ابرموا كيدهم كقوله تعالى ام يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون وكانوا يتنادون فيتناجون في امر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم **ام يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون** **فان قلت** ما المراد بالسر والنجوى **قلت** السر ما حدث الرجل به نفسه او غيره في مكان خال والنجوى ما تكلموا به فيما بينهم بلى نسمعهما ونطلع عليهما ورسلنا يريد الحفظة عندهم يكتبون ذلك وعن يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله تعالى من ستر من الناس ذنوبه وابداها للذي لا يخفى عليه شيء في السموات فقد جعله اهون الناظرين اليه وهو من علامات النفاق **قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين** ان كان للرحمن ولد وصح ذلك وثبت ببرهان صحيح توردونه وحجة واضحة تدلون بها فانا اول من يعظم ذلك الولد واسبقكم الى طاعته والانقياد له كما يعظم الرجل ولد الملك لتعظيم ابيه وهذا كلام وارد على سبيل الفرض والتمثيل لغرض وهو المبالغة في نفي الولد والاطناب فيه وان لا يترك الناطق به شبهة الا مضمحلة مع الترجمة عن نفسه بثبات القدم في باب التوحيد وذلك انه علق العبادة بكينونة الولد وهي محال في نفسها فكان المعلق بها محالا مثلها فهو في صورة اثبات الكينونة والعبادة وفي معنى نفيهما على ابلغ الوجوه واقواها ونظيره ان يقول العدلي للمجبر ان كان الله تعالى خالقا للكفر في القلوب ومعذبا عليه عذابا سرمدا فانا اول من يقول هو شيطان وليس باله فمعنى هذا الكلام وما وضع له اسلوبه ونظمه نفي ان يكون الله تعالى خالقا للكفر وتنزيهه عن ذلك وتقديسه ولكن على طريق المبالغة فيه من الوجه الذي ذكرنا مع الدلالة على سماجة المذهب وضلالة الذاهب اليه والشهادة القاطعة باحالته والافصاح عن نفسه بالبراءة منه وغاية النفار والاشمئزاز من ركوبه وبهذه الطريقة قول سعيد بن جبير حين قال له الحجاج والله لابدلنك بالدنيا نارا تلظى لو عرفت ان ذلك اليك ما عبدت الها غيرك

انظر الى هذا الرجل كيف جعل تعصبه البارد على التقوية بهذه الغلطة

وقد تمحّل الناس بما اخرجوه به من هذا الاسلوب الشريف المليء بالنكت والفوائد المستقل باثبات التوحيد على ابلغ وجوهه فقيل
ان كان للرحمن ولد في زعمكم فانا اول العابدين الموحدين لله المكذبين قولكم باضافة الولد اليه وقيل ان كان للرحمن ولد في زعمكم
فانا اول الآنفين من ان يكون له ولد من عبد يعبد اذا اشتد انفه فهو عبد وعابد وقرأ بعضهم العبدين وقيل هي ان النافية
اي ما كان للرحمن ولد فانا اول من قال بذلك وعبد ووحد وروي ان النضر بن عبد الدار بن قصي قال ان الملائكة بنات الله
تعالى فنزلت فقال النضر الا ترون انه قد صدقني فقال له الوليد بن المغيرة ما صدقك ولكن قال ما كان للرحمن ولد فانا اول
الموحدين من اهل مكة ان لا ولد له وقرئ وُلد بضم الواو **سبحان رب السموات والارض رب العرش عما
يصفون فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون** نزه ذاته موصوفة
بربوبية السموات والارض والعرش عن اتخاذ الولد ليدل على انه من صفة الاجسام ولو كان جسما لم يقدر على خلق هذا
العالم وتدبير امره فذرهم يخوضوا في باطلهم ويلعبوا في دنياهم حتى يلاقوا يومهم وهذا دليل على ان ما يقولونه من باب الجهل
والخوض واللعب واعلام لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انهم من المطبوع على قلوبهم الذين لا يرجعون البتة وان ركب في
دعوتهم كل صعب وذلول وخذلان وتخلية كقوله عز وجل اعملوا ما شئتم وايعاد بالشقاء في العاقبة **وهو الذي في
السماء اله وفي الارض اله وهو الحكيم العليم** ضمن اسمه تعالى معنى وصف فلذلك علق به الظرف في قوله
في السماء وفي الارض كما تقول هو حاتم في طي هو حاتم في تغلب على تضمين معنى الجواد الذي شهر به كانك قلت هو جواد في طي جواد
في تغلب وقرئ وهو الذي في السماء الله وفي الارض الله ومثله قوله عز وجل وهو الله في السموات وفي الارض كانه ضمن
معنى المعبود او المالك او نحو ذلك والراجع الى الموصول محذوف لطول الكلام كقولهم ما انا بالذي قائل لك شيئا وزاده طولا
ان المعطوف داخل في حيز الصلة ويحتمل ان يكون في السماء صلة الذي واله خبر مبتدا محذوف على ان الجملة بيان للصلة وان
كونه في السماء على سبيل الالهية والربوبية لا على معنى الاستقرار وفيه نفي الالهة التي كانت تعبد في الارض
وتبارك الذي له ملك السموات والارض وما بينهما وعنده علم الساعة واليه ترجعون
ترجعون قرئ بضم التاء وفتحها ويرجعون بياء مضمومة وقرئ تحشرون بالتاء **ولا يملك الذين يدعون
من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق وهم يعلمون** ولا يملك آلهتهم الذين يدعون من دون الله
الشفاعة كما زعموا انهم شفعاؤهم عند الله ولكن من شهد بالحق وهو توحيد الله وهو يعلم ما يشهد به عن بصيرة وايقان واخلاص
هو الذي يملك الشفاعة وهو استثناء منقطع ويجوز ان يكون متصلا لان في جملة الذين يدعون من دون الله الملائكة
وقرئ تدعون بالتاء وتدّعون بالتاء وتشديد الدال **ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله
فانى يؤفكون وقيله يا رب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون فاصفح عنهم وقل سلام فسوف
يعلمون** وقيله قرئ بالحركات الثلث وذكر في النصب عن الاخفش انه حمله على ام يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجواهم
وقيله وعنه وقال قيله وعطفه الزجاج على محل الساعة كما تقول عجبت من ضرب زيد وعمرا وحمل الجر على لفظ الساعة والرفع على
الابتداء والخبر ما بعده وجوز عطفه على علم الساعة على تقدير حذف المضاف معناه وعنده علم الساعة وعلم قيله والذي قالوه
ليس بقوي في المعنى مع وقوع الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بما لا يحسن اعتراضا ومع تنافر النظم واقوى من ذلك واوجه
ان يكون الجر والنصب على اضمار حرف القسم وحذفه والرفع على قولهم ايمن الله وامانة الله ويمين الله ولعمرك ويكون قوله تعالى ان هؤلاء قوم
لا يؤمنون جواب القسم كانه قيل واقسم بقيله يا رب او وقيله يا رب قسمي ان هؤلاء قوم لا يؤمنون فاصفح عنهم فاعرض عن
دعوتهم يائسا عن ايمانهم وودعهم وتاركهم وقل سلام اي تسلم منكم ومتاركة فسوف يعلمون وعيد من الله وتسلية لرسوله
والضمير في وقيله لرسول الله واقسام الله بقيله رفع منه وتعظيم لدعائه والتجائه اليه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
من قرأ سورة الزخرف كان ممن يقال له يوم القيمة يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون ادخلوا الجنة بغير حساب

سورة الدخان مكية

الا قوله تعالى انا كاشفو العذاب الاية وهي سبع وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم حم والكتاب المبين انا انزلناه في ليلة

مباركة

مباركة انا كنا منذرين فيها يفرق كل امر حكيم الواو في والكتاب واو القسم ان جعلت حم
تعديدا للحروف او اسما للسورة مرفوعا على خبر الابتداء المحذوف وواو العطف ان كانت حم مقسما بها وقوله تعالى
انا انزلناه جواب القسم والكتاب المبين القرآن والليلة المباركة ليلة القدر وقيل ليلة النصف من شعبان ولها اربعة
اسماء الليلة المباركة وليلة البراءة وليلة الصك وليلة الرحمة وقيل بينها وبين ليلة القدر اربعون ليلة وقيل
في تسميتها ليلة البراءة والصك ان البندار اذا استوفى الخراج من اهله كتب لهم البراءة كذلك الله عز وجل يكتب لعباده
المؤمنين البراءة في هذه الليلة وقيل هي مختصة بخمس خصال تفريق كل امر حكيم وفضيلة العبادة فيها قال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم من صلى في هذه الليلة مائة ركعة ارسل الله تعالى اليه مائة ملك ثلثون يبشرونه بالجنة وثلثون
يؤمنونه من عذاب النار وثلثون يدفعون عنه آفات الدنيا وعشرة يدفعون عنه مكايد الشيطان ونزول الرحمة قال صلى الله
عليه وسلم ان الله تعالى يرحم امتي في هذه الليلة بعدد شعر اغنام بني كلب وحصول المغفرة قال رسول الله عليه الصلوة والسلام
ان الله تعالى يغفر لجميع المسلمين في تلك الليلة الا لكاهن او ساحر او مشاحن او مدمن خمر او عاق للوالدين او مصر على الزنا
وما اعطي فيها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من تمام الشفاعة وذلك انه سال ليلة الثالث عشر من شعبان في امته فاعطي
الثلث منها ثم سال ليلة الرابع عشر فاعطي الثلثين ثم سال ليلة الخامس عشر فاعطي الجميع الا من شرد على الله تعالى شراد البعير
ومن عادة الله تعالى في هذه الليلة ان يزيد فيها ماء زمزم زيادة ظاهرة والقول الاكثر ان المراد بالليلة المباركة ليلة القدر
لقوله تعالى انا انزلناه في ليلة القدر ولمطابقة قوله تعالى فيها يفرق كل امر حكيم لقوله عز وعلا تنزل الملائكة والروح فيها باذن
ربهم من كل امر وقوله تعالى شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن وليلة القدر في اكثر الاقاويل في شهر رمضان فان قلت
ما معنى انزال القرآن في هذه الليلة قلت قالوا انزل جملة واحدة من السماء السابعة الى سماء الدنيا وامر السفرة
الكرام بانتساخه في ليلة القدر وكان جبريل عليه السلام ينزله على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نجوما نجوما فان قلت
انا كنا منذرين فيها يفرق كل امر حكيم ما موقع هاتين الجملتين قلت هما جملتان مستأنفتان ملفوفتان فسر بهما جواب
القسم الذي هو قوله انا انزلناه في ليلة مباركة كانه قيل انزلناه لان من شاننا الانذار والتحذير من العقاب وكان انزالنا
اياه في هذه الليلة خصوصا لان انزال القرآن من الامور الحكيمة وهذه الليلة مفرق كل امر حكيم والمباركة الكثيرة الخير
لما يتيح الله تعالى فيها من الامور التي يتعلق بها منافع العباد في دينهم ودنياهم ولو لم يوجد فيها الا انزال القرآن وحده
لكفى به بركة ومعنى يفرق يفصل ويكتب كل امر حكيم من ارزاق العباد وآجالهم وجميع امورهم منها الى الاخرى القابلة
وقيل يبدأ في استنساخ ذلك من اللوح المحفوظ في ليلة البراءة ويقع الفراغ في ليلة القدر فتدفع نسخة الارزاق
الى ميكائيل عليه السلام ونسخة الحروب الى جبريل عليه السلام وكذلك الصواعق والزلازل والخسف ونسخة الاعمال الى اسمعيل عليه السلام
صاحب سماء الدنيا وهو ملك عظيم ونسخة المصائب الى ملك الموت عليه السلام وعن بعضهم يعطى كل عامل بركات اعماله
فيلقى على السنة الخلق مدحه وهيبته وقرئ يفرق بالتشديد ويفرق كل على بنائه للفاعل ونصب كل والفارق الله تعالى
وقرأ زيد بن علي رضي الله تعالى عنهما نفرق بالنون كل امر حكيم كل شان ذي حكمة اي مفعول على ما تقتضيه الحكمة وهو من الاسناد
المجازي لان الحكيم صفة صاحب الامر على الحقيقة ووصف الامر به مجازا **امرا من عندنا انا كنا مرسلين
رحمة من ربك انه هو السميع العليم رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين
لا اله الا هو ربكم ورب آبائكم الاولين بل هم في شك يلعبون** امرا من عندنا نصب على
الاختصاص جعل كل امر جزلا فخما بان وصفه بالحكيم ثم زاده جزالة وكسبه فخامة بان قال اعني بهذا الامر امرا حاصلا
من عندنا كائنا من لدنا كما اقتضاه علمنا وتدبيرنا ويجوز ان يراد به الامر الذي هو ضد النهي ثم اما ان يوضع موضع فرقانا
الذي هو مصدر يفرق لان معنى الامر والفرقان واحد من حيث انه اذا حكم بالشيء وكتبه فقد امر به واوجبه او يكون حالا
من احد الضميرين في انزلناه اما من ضمير الفاعل اي انزلناه آمرين امرا او من ضمير المفعول اي انزلناه في حال كونه امرا
من عندنا بما يجب ان يفعل فان قلت انا كنا مرسلين رحمة من ربك بم يتعلق قلت يجوز ان يكون بدلا
من قوله تعالى انا كنا منذرين ورحمة من ربك مفعولا له على معنى انا انزلنا القرآن لان من شاننا ارسال الرسل بالكتب الى
عبادنا لاجل الرحمة عليهم وان يكون تعليلا ليفرق او لقوله امرا من عندنا ورحمة مفعولا به وقد وصف الرحمة بالارسال

كما وصفناه فى قوله تعالى وما يمسك فلا مرسل له من بعده اى يفصل فى هذه الليلة كل امر او تصدر الاوامر من عندنا
لان من عادتنا ان نرسل رحمتنا وفصل كل امر من قسمة الارزاق وغيرها من باب الرحمة الاوامر الصادرة من جهته
عز وعلا لان الغرض فى تكليف العباد تعريضهم للمنافع والاصل انا كنا مرسلين رحمة منا فوضع الظاهر موضع الضمير ايذانا
بان الربوبية تقتضى الرحمة على المربوبين وفى قراءة زيد بن على رضى الله تعالى عنهما امر من عندنا على هو امر وهى تنصر
انتصابه على الاختصاص وقرا الحسن رحمه الله تعالى رحمة من ربك على تلك رحمة من ربك وهى تنصر انتصابها بانها
مفعول له انه هو السميع العليم وما بعده تحقيق لربوبيته وانها لا تحق الا لمن هذه اوصافه وقرئ رب السموات ربكم ورب اباءكم
بالجر بدلا من ربك **فان قلت** ما معنى الشرط الذى هو قوله ان كنتم موقنين **قلت** كانوا يقرون بان
للسموات والارض ربا وخالقا فقيل لهم ان ارسال الرسل وانزال الكتب رحمة من الرب ثم قيل ان هذا الرب هو السميع
العليم الذى انتم مقرون به ومعترفون بانه رب السموات والارض وما بينهما ان كان اقراركم عن علم وايقان كما تقول ان هذا انعام
زيد الذى تسامع الناس بكرمه واشتهر واسخاؤه ان بلغك حديثه وحدثت بقصته ثم رد ان يكونوا موقنين بقوله تعالى
بل هم فى شك يلعبون وان اقرارهم غير صادر عن علم وتيقن ولا عن جد وحقيقة بل قول مخلوط بهزء ولعب

فارتقب يوم تاتى السماء بدخان مبين يوم تاتى السماء مفعول به ارتقب يقال رقبته وارتقبته نحو نظرته
وانتظرته واختلف فى الدخان فعن على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه وبه اخذ الحسن انه دخان ياتى من السماء قبل
يوم القيمة يدخل فى اسماع الكفرة حتى يكون راس الواحد كالراس الحنيذ ويعترى المؤمن منه كهيئة الزكام وتكون الارض
كلها كبيت اوقد فيه ليس فيه خصاص وعن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اول الآيات الدخان ونزول عيسى بن مريم
ونار تخرج من قعر عدن ابين تسوق الناس الى المحشر قال حذيفة يا رسول الله وما الدخان فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم
الآية وقال يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث اربعين يوما وليلة اما المؤمن فيصيبه كهيئة الزكمة واما الكافر فهو كالسكران
يخرج من منخريه واذنيه ودبره وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه خمس قد مضت الروم والدخان واللزام والقمر والبطشة
ويروى انه قيل لابن مسعود ان قاصا عند ابواب كندة يقول انه دخان ياتى يوم القيمة فياخذ بانفاس الخلق فقال
من علم علما فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله اعلم فان من علم الرجل ان يقول لشئ لا يعلمه الله اعلم ثم قال الا وسأحدثكم ان
قريشا لما استعصت على رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين
كسنى يوسف فاصابهم الجهد حتى اكلوا الجيف والعلهز وكان الرجل يرى بين السماء والارض الدخان وكان يحدث
الرجل فيسمع كلامه ولا يراه من الدخان فمشى اليه ابو سفيان ونفر معه وناشده الله والرحم وواعدوه ان دعا لهم وكشف
عنهم ان يؤمنوا فلما كشف عنهم رجعوا الى شركهم بدخان مبين ظاهر حاله لا يشك احد فى انه دخان **يغشى الناس**
هذا عذاب اليم ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون يغشى الناس يشملهم ويلبسهم وهو فى محل الجر
صفة لدخان وهذا عذاب الى قوله مؤمنون منصوب المحل بفعل مضمر وهو يقولون ويقولون منصوب على الحال اى قائلين
انا مؤمنون موعدة بالايمان ان كشف عنهم العذاب **انى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين ثم**
تولوا عنه وقالوا معلم مجنون انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون انى لهم الذكرى كيف
يذكرون ويتعظون ويفون بما وعدوه من الايمان عند كشف العذاب وقد جاءهم ما هو اعظم وادخل فى وجوب الادكار
من كشف الدخان وهو ما ظهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الآيات والبينات من الكتاب المعجز وغيره من المعجزات
فلم يذكروا وتولوا عنه وبهتوه بان عداسا غلاما اعجميا لبعض ثقيف هو الذى علمه ونسبوه الى الجنون ثم قال انا كاشفوا
العذاب قليلا انكم عائدون اى ريثما نكشف عنكم العذاب تعودون الى شرككم لا تلبثون غب الكشف على ما انتم عليه من التضرع
والابتهال **فان قلت** كيف يستقيم على قول من جعل الدخان قبل يوم القيمة قوله تعالى انا كاشفوا العذاب قليلا
قلت اذا اتت السماء بالدخان تضرر المعذبون به من الكفار والمنافقين وغوثوا وقالوا ربنا اكشف عنا العذاب
انا مؤمنون منيبون فيكشفه الله تعالى عنهم بعد اربعين يوما فريثما يكشفه عنهم يرتدون لا يتمهلون **يوم نبطش**
البطشة الكبرى انا منتقمون ثم قال يوم نبطش البطشة الكبرى يريد يوم القيمة كقوله تعالى فاذا
جاءت الطامة الكبرى انا منتقمون اى ننتقم منهم فى ذلك اليوم **فان قلت** بم انتصب يوم نبطش **قلت**

بما دل عليه انا منتقمون وهو ننتقم ولا يصح ان ينتصب بمنتقمون لان ان تحجب عن ذلك وقرئ نبطش بضم الطاء وقرأ
الحسن نبطش بضم النون وكسر الطاء كانه تعالى يحمل الملائكة على ان يبطشوا بهم البطشة الكبرى او يجعل البطشة
الكبرى باطشة بهم وقيل البطشة الكبرى يوم بدر **ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول**
كريم ان ادوا الى عباد الله انى لكم رسول امين وقرئ ولقد فتنا بالتشديد للتاكيد او لوقوعه
على القوم ومعنى الفتنة انه امهلهم ووسع عليهم فى الرزق فكان ذلك سببا فى ارتكابهم المعاصى واقترافهم الآثام
او ابتلاهم بارسال موسى اليهم ليؤمنوا فاختاروا الكفر على الايمان او سلبهم ملكهم واغرقهم كريم على الله تعالى وعلى عباده
المؤمنين او كريم فى نفسه لان الله تعالى لم يبعث نبيا الا من سراة قومه وكرامهم ان ادوا هى ان المفسرة لان مجئ
الرسول من بعث اليهم متضمن لمعنى القول لانه لا يجيئهم الا مبشرا ونذيرا وداعيا الى الله تعالى او المخففة من الثقيلة ومعناه
وجاءهم بان الشان والحديث ان ادوا الى عباد الله مفعول به وهم بنو اسرائيل يقول ادوهم الى وارسلوهم معى كقوله تعالى
فارسل معنا بنى اسرائيل ولا تعذبهم ويجوز ان يكون نداء لهم على ادوا الى يا عباد الله ما هو واجب لى عليكم من الايمان لى
وقبول دعوتى واتباع سبيلى وعلل ذلك بانه رسول امين غير ظنين قد ائتمنه الله تعالى على وحيه ورسالته **وان لا تعلوا**
على الله انى اتيكم بسلطان مبين وانى عذت بربى وربكم ان ترجمون وان لم تؤمنوا
لى فاعتزلون فدعا ربه ان هؤلاء قوم مجرمون وان لا تعلوا ان هذه مثل الاولى فى وجهيها اى
لا تستكبروا على الله تعالى بالاستهانة برسوله ووحيه او لا تستكبروا على نبى الله بسلطان مبين بحجة واضحة ان ترجمون
ان تقتلون وقرئ عت بالادغام ومعناه انه عائذ بربه متكل على انه يعصمه منهم ومن كيدهم فهو غير مبال بما كانوا يتوعدونه
به من الرجم والقتل فاعتزلون يريد ان لم تؤمنوا لى فلا موالاة بينى وبين من لا يؤمن فتنحوا عنى واقطعوا اسباب الوصلة
عنى او فخلونى كفافا لالى ولا على ولا تتعرضوا الى بشركم واذاكم فليس جزاء من دعاكم الى ما فيه فلاحكم ذلك ان هؤلاء بان
هؤلاء اى دعا ربه بذلك قيل كان دعاؤه اللهم عجل لهم ما يستحقونه باجرامهم وقيل هو قوله ربنا لا تجعلنا
فتنة للقوم الظالمين وانما ذكر الله تعالى السبب الذى استوجبوا به الهلاك وهو كونهم مجرمين وقرئ ان هؤلاء
بالكسر على اضمار القول اى فدعا ربه فقال ان هؤلاء **فاسر بعبادى ليلا انكم متبعون واترك**
البحر رهوا انهم جند مغرقون كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم
ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك واورثناها قوما آخرين قرئ بقطع الهمزة من اسرى
ووصلها من سرى وفيه وجهان اضمار القول بعد الفاء فقال اسر بعبادى وان يكون جواب شرط محذوف كانه قيل
ان كان الامر كما تقول فاسر بعبادى يعنى فاسر ببنى اسرائيل فقد دبر الله تعالى ان تتقدموا فيتبعكم فرعون وجنوده
فينجى المتقدمين ويغرق التابعين الرهو فيه وجهان احدهما انه الساكن قال الاعشى يمشين رهوا فلا الاعجاز
خاذلة ولا الصدور على الاعجاز تتكل اى مشيا ساكنا على هينة اراد موسى عليه السلام لما جاوز البحر ان يضربه
بعصاه فينطبق كما ضربه فانفلق فامر ان يتركه ساكنا على هيئته قارا على حاله من انتصاب الماء وكون الطريق يبسا لا يضربه
بعصاه ولا يغير منه شيئا ليدخله القبط فاذا حصلوا فيه اطبقه الله تعالى عليهم والثانى ان الرهو الفجوة الواسعة وعن
بعض العرب انه راى جملا فالجا فقال سبحان الله رهو بين سنامين اى اتركه مفتوحا على حاله منفرجا انهم جند وقرئ
بالفتح بمعنى لانهم والمقام الكريم ما كان لهم من المجالس والمنازل الحسنة والمنابر وقيل النعمة بالفتح من التنعم و
بالكسر من الانعام وقرئ فاكهين وفكهين كذلك الكاف منصوبة على معنى مثل ذلك الاخراج اخرجناهم منها واورثناها
او فى موضع الرفع على الامر كذلك قوما آخرين ليسوا منها فى شئ من قرابة ولا دين ولا ولاء وهم بنو اسرائيل كانوا مستعبدين
فى ايديهم فاهلكهم الله تعالى على ايديهم واورثهم ملكهم وديارهم **فما بكت عليهم السماء والارض وما**
كانوا منظرين اذا مات رجل قالت العرب فى تعظيم مهلكه بكت عليه السماء والارض وبكته الريح واظلمت له الشمس
وفى حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما من مؤمن مات فى غربة غابت فيها بواكيه الا بكت عليه السماء والارض
وقال جرير تبكى عليك نجوم الليل والقمرا وقالت الخارجية ايا شجر الخابور ما لك مورقا كانك لم تجزع على ابن طريف
وذلك على طريق التمثيل والتخييل مبالغة فى وجوب الجزع والبكاء عليه وكذلك ما يروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما

الفالج الجمل الضخم ذو السنامين
يحمل من السند للفحلة
ه

من بكاء مصلى المؤمن وآثاره في الارض ومصعد عمله ومهابط رزقه في السماء له تمثيل ونفى ذلك عنهم في قوله تعالى
فما بكت عليهم السماء والارض فيه تهكم بهم وبحالهم المنافية لحال من يعظم فقده فيقال فيه بكت عليه السماء والارض
وعن الحسن رحمه الله تعالى فما بكى عليهم الملائكة والمؤمنون بل كانوا بهلاكهم مسرورين يعني فما بكى عليهم اهل السماء والارض
وما كانوا منظرين لما جاء وقت هلاكهم لم ينظروا الى وقت آخر ولم يمهلوا الى الآخرة بل عجل لهم في الدنيا • ولقد نجينا

بني اسرائيل من العذاب المهين • من فرعون انه كان عاليا من المسرفين • من فرعون بدل من
العذاب المهين كانه كان في نفسه عذابا مهينا لافراطه في تعذيبهم واهانتهم ويجوز ان يكون المعنى من العذاب
المهين واقعا من جهة فرعون وقرئ من عذاب المهين ووجهه ان يكون تقدير قوله من فرعون من عذاب فرعون
حتى يكون المهين هو فرعون وفي قراءة ابن عباس من فرعون لما وصف عذاب فرعون بالشدة والفظاعة
قال من فرعون على معنى هل تعرفونه من هو في عتوه وشيطنته ثم عرف حاله في ذلك بقوله تعالى انه كان عاليا من المسرفين
اي كبيرا رفيع الطبقة من بينهم فائقا لهم بليغا في اسرافه او عاليا متكبرا كقوله تعالى ان فرعون علا في الارض ومن
المسرفين خبر ثان كانه قيل انه كان متكبرا مسرفا • ولقد اخترناهم على علم على العالمين • وآتيناهم

من الآيات ما فيه بلاء مبين • الضمير في اخترناهم لبني اسرائيل وعلى علم في موضع الحال اي عالمين بمكان الخيرة
وانهم احقاء بان يختاروا ويجوز ان يكون المعنى مع علم منا بانهم يزيغون ويفرط منهم الفرطات في بعض الاحوال
على العالمين على عالمي زمانهم وقيل على الناس جميعا لكثرة الانبياء منهم من الآيات من نحو فلق البحر وتظليل الغمام
وانزال المن والسلوى وغير ذلك من الآيات العظام التي لم يظهر الله تعالى في غيرهم مثلها بلاء مبين نعمة ظاهرة
لان الله تعالى يبلو بالنعمة كما يبلو بالمصيبة او اختبار ظاهر لننظر كيف تعملون كقوله تعالى وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم
ان هؤلاء ليقولون • ان هي الا موتتنا الاولى وما نحن بمنشرين • فاتوا بآبائنا ان
كنتم صادقين • هؤلاء اشارة الى كفار قريش فان قلت كان الكلام واقعا في الحياة الثانية لا في
الموت فهلا قيل ان هي الا حياتنا الاولى وما نحن بمنشرين كما قيل ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين وما معنى قوله
ان هي الا موتتنا الاولى وما معنى ذكر الاولى كانهم وعدوا موتة اخرى حتى نفوها وجحدوها واثبتوا الاولى قلت
معناه والله الموفق للصواب انه قيل لهم انكم تموتون موتة تعقبها حياة كما تقدمتكم موتة تعقبتها حياة وذلك قوله
عز وجل وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم فقالوا ان هي الا موتتنا الاولى يريدون ما الموتة التي من شانها
ان تعقبها حياة الا الموتة الاولى دون الموتة الثانية وما هذه الصفة التي تصفون بها الموتة من تعقب الحياة
لها الا للموتة الاولى خاصة فلا فرق بين هذا وبين قوله ان هي الا حياتنا الدنيا في المعنى يقال انشر الله تعالى الموتى
ونشرهم اذا بعثهم فاتوا بآبائنا خطاب للذين كانوا يعدونهم النشور من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والمؤمنين اي
ان صدقتم فيما تقولون فعجلوا لنا احياء من مات من آبائنا بسؤالكم ربكم ذلك حتى يكون دليلا على ان ما تعدونه من قيام
الساعة وبعث الموتى حق وقيل كانوا يطلبون اليهم ان يدعوا الله فينشر لهم قصي بن كلاب ليشاوروه فانه
كان كبيرهم ومشاورهم في النوازل ومعاظم الشؤون • اهم خير ام قوم تبع والذين من قبلهم
اهلكناهم انهم كانوا مجرمين • وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين •
ما خلقناهما الا بالحق ولكن اكثرهم لا يعلمون • هو تبع الحميري كان مؤمنا وقومه كافرين ولذلك
ذم الله تعالى قومه ولم يذمه وهو الذي سار بالجيوش وحير الحيرة وبنى سمرقند وقيل هدمها وكان اذا كتب قال
بسم الله الذي ملك برا وبحرا وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لا تسبوا تبعا فانه كان قد اسلم وعنه صلى الله عليه وسلم
ما ادري اكان تبع نبيا او غير نبي وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كان نبيا وقيل نظر الى قبرين بناحية حمير قال
هذا قبر رضوى وقبر حبي بنتي تبع لا تشركان بالله شيئا وقيل هو الذي كسا البيت وقيل لملوك اليمن التبابعة لانهم
يتبعون كما قيل الاقيال لانهم يتقيلون وسمي الظل تبعا لانه يتبع الشمس فان قلت ما معنى قوله تعالى اهم
خير ولا خير في الفريقين قلت معناه اهم خير في القوة والمنعة كقوله تعالى اكفاركم خير من اولئكم بعد ذكر
آل فرعون وفي تفسير ابن عباس اهم اشد ام قوم تبع وما بينهما وما بين الجنسين وقرأ عبيد بن عمير وما بينهن

ان يوم الفصل ميقاتهم اجمعين • يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا ولا هم ينصرون • الا
من رحم الله انه هو العزيز الرحيم • وقرئ ميقاتهم بالنصب على انه اسم ان ويوم الفصل خبرها اي ان
ميعاد حسابهم وجزائهم في يوم الفصل لا يغني مولى اي مولى كان من قرابة او غيرها عن مولى عنه اي مولى كان شيئا من
اغناء اي قليلا منه ولا هم ينصرون الضمير للموالي لانهم في المعنى كثير لتناول اللفظ على الابهام والشياع كل مولى من رحم الله
في محل الرفع على البدل من الواو في ينصرون اي لا يمنع من العذاب الا من رحمه الله ويجوز ان ينتصب على الاستثناء انه هو
العزيز لا ينصر منه من عصاه الرحيم لمن اطاعه • ان شجرت الزقوم • طعام الاثيم • كالمهل يغلي في البطون •
كغلي الحميم • خذوه فاعتلوه الى سواء الجحيم • وقرئ ان شجرة الزقوم بكسر الشين وفيها ثلاث لغات
شجرة بكسر الشين وفتحها وشيرة بالياء وروي انه لما نزل اذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم قال ابن الزبعرى ان اهل اليمن
يدعون اكل الزبد والتمر التزقم فدعا ابو جهل بتمر وزبد وقال تزقموا فان هذا هو الذي يخوفكم به محمد فنزل ان شجرة الزقوم طعام
الاثيم وهو الفاجر الكثير الآثام وعن ابي الدرداء رضي الله تعالى عنه انه كان يقرئ رجلا فكان يقول طعام اليتيم فقال قل طعام
الفاجر يا هذا وبهذا يستدل على ان ابدال كلمة مكان كلمة جائز اذا كانت مؤدية معناها ومنها اجاز ابو حنيفة رحمه الله
القراءة بالفارسية على شريطة وهي ان يؤدي القارئ المعاني على كمالها من غير ان يخرم منها شيئا قالوا وهذه الشريطة
تشهد انها اجازة كلا اجازة لان في كلام العرب خصوصا في القرآن الذي هو معجز بفصاحته وغرابة نظمه
واساليبه من لطائف المعاني والاغراض ما لا يستقل باداءه لسان من فارسية وغيرها وما كان ابو حنيفة يحسن الفارسية
وروى علي بن الجعد عن ابي يوسف عن ابي حنيفة مثل قول صاحبيه في انكار القراءة بالفارسية كالمهل قرئ بضم الميم
وفتحها وهو دردي الزيت ويدل عليه قوله تعالى يوم تكون السماء كالمهل مع قوله فكانت وردة كالدهان وقيل هو ذائب الفضة
والنحاس والكاف رفع خبر بعد خبر وكذلك تغلي وقرئ بالتاء للشجرة وبالياء للطعام والحميم الماء الحار الذي انتهى غليانه
يقال للزبانية خذوه فاعتلوه فقودوه بعنف وغلظة وهو ان يؤخذ بتلبيب الرجل فيجر الى حبس او قتل ومنه العتل وهو
الغليظ الجافي وقرئ بكسر التاء وضمها الى سواء الجحيم الى وسطها ومعظمها • ثم صبوا فوق راسه من عذاب الحميم •
ذق انك انت العزيز الكريم • ان هذا ما كنتم به تمترون • فان قلت هلا قيل صبوا فوق راسه
من الحميم كقوله تعالى يصب من فوق رؤسهم الحميم لان الحميم هو المصبوب لا عذابه قلت اذا صب عليه الحميم فقد صب عليه
عذابه وشدته الا ان صب العذاب طريقة الاستعارة كقوله صبت عليه صروف الدهر من صبب وكقوله تعالى افرغ
علينا صبرا فذكر العذاب معلقا به الصب مستعارا له ليكون اهول واهيب يقال ذق انك انت العزيز الكريم على سبيل
الهزء والتهكم بمن كان يتعزز ويتكرم على قومه وروي ان ابا جهل قال لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما بين جبليها اعز
ولا اكرم مني فوالله ما تستطيع انت ولا ربك ان تفعلا بي شيئا وقرئ انك بمعنى لانك وعن الحسن بن علي رضي الله تعالى
عنهما انه قراه على المنبر ان هذا العذاب او ان هذا الامر هو ما كنتم به تمترون اي تشكون او تتمارون وتتلاجون
ان المتقين في مقام امين • في جنات وعيون • يلبسون من سندس واستبرق متقابلين •
وقرئ في مقام بالفتح وهو موضع القيام والمراد المكان وهو من الخاص الذي استعمل في معنى العموم وبالضم وهو موضع
الاقامة والامين من قولك امن الرجل امانة فهو امين وهو ضد الخائن فوصف به المكان استعارة لان المكان المخيف
كانما يخون صاحبه بما يلقى فيه من المكاره قيل السندس ما رق من الديباج والاستبرق ما غلظ منه وهو تعريب استبره
فان قلت كيف ساغ ان يقع في القرآن العربي المبين لفظ اعجمي قلت اذا عرب خرج من ان يكون
اعجميا لان معنى التعريب ان يجعل عربيا بالتصرف فيه وتغييره عن منهاجه واجرائه على اوجه الاعراب • كذلك
وزوجناهم بحور عين • يدعون فيها بكل فاكهة آمنين • لا يذوقون فيها الموت الا الموتة
الاولى ووقاهم عذاب الجحيم • كذلك الكاف مرفوعة على الامر كذلك او منصوب على مثل ذلك اثبناهم وزوجناهم
وقرأ عكرمة بحور عين على الاضافة والمعنى بالحور من العين لان العين اما ان تكون حورا او غير حور فهؤلاء من الحور العين لا من
شهلهن مثلا وفي قراءة عبد الله بعيس عين والعيساء البيضاء يعلوها حمرة وقرأ عبيد بن عمير لا يذاقون فيها الموت
وقرأ عبد الله لا يذوقون فيها طعم الموت فان قلت كيف استثنيت الموتة الاولى المذوقة قبل دخول الجنة

من الموت المنعي ذوقه فيها قلت اريد ان يقال لا يذوقون فيها الموت البتة فوضع قوله الا الموتة الاولى
موضع ذلك لان الموتة الماضية محال ذوقها في المستقبل فهو من باب التعليق بالمحال كانه قيل ان كانت الموتة
الاولى يستقيم ذوقها في المستقبل فانهم يذوقونها وقرئ ووقاهم بالتشديد فضلا من ربك ذلك هو
الفوز العظيم فضلا من ربك عطاء من ربك وثوابا يعني كل ما اعطى المتقين من نعيم الجنة والنجاة من النار
وقرئ فضل اي ذلك فضل فانما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون فارتقب انهم مرتقبون
فانما يسرناه بلسانك فذلكة للسورة ومعناها ذكرهم بالكتاب المبين فانما يسرناه اي سهلناه حيث انزلناه عربيا
بلسانك بلغتك ارادة ان يفهمه قومك فيتذكروا فارتقب فانتظر ما يحل بهم انهم مرتقبون ما يحل بك متربصون
بك الدوائر عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ حم الدخان في ليلة اصبح يستغفر له سبعون الف
ملك وعنه عليه الصلوة والسلام من قرأ حم التي يذكر فيها الدخان في ليلة جمعة اصبح مغفورا له

سورة الجاثية مكية

وهي ست وقيل سبع وثلثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم
ان في السموات والارض لآيات للمؤمنين وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات
لقوم يوقنون واختلاف الليل والنهار وما انزل الله من السماء من رزق فاحيا
به الارض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون حم ان جعلتها اسما مبتدأ مخبرا عنه
بتنزيل الكتاب لم يكن بد من حذف المضاف تقديره تنزيل حم تنزيل الكتاب ومن الله صلة للتنزيل وان جعلتها تعديدا
للحروف كان تنزيل الكتاب مبتدأ والظرف خبرا ان في السموات والارض يجوز ان يكون على ظاهره وان يكون المعنى ان في خلق
السموات لقوله تعالى وفي خلقكم فان قلت علام عطف وما يبث اعلى الخلق المضاف ام على الضمير المضاف اليه قلت
بل على المضاف لان المضاف اليه ضمير متصل مجرور يقبح العطف عليه استقبحوا ان يقال مررت بك وزيد وهذا ابوك وعمرو وكذلك
ان اكدوه كرهوا ان يقولوا مررت بك انت وزيد قرئ آيات لقوم يوقنون بالنصب والرفع على قولك ان زيدا في الدار وعمرا في
السوق واما قوله آيات لقوم يعقلون فمن العطف على عاملين سواء نصبت او رفعت فالعاملان اذا نصبت هما ان وفي
اقيمت الواو مقامهما فعملت الجر في اختلاف الليل والنهار والنصب في آيات واذا رفعت فالعاملان الابتداء وفي عملت الرفع
في آيات والجر في واختلاف وقرأ ابن مسعود رضي الله تعالى عنه وفي اختلاف الليل والنهار فان قلت العطف على
عاملين على مذهب الاخفش سديد لا مقال فيه وقد اباه سيبويه فما وجه تخريج الآية عنده قلت فيه وجهان احدهما ان يكون
على اضمار في والذي حسنه تقدم ذكره في الآيتين قبلها ويعضده قراءة ابن مسعود رضي الله تعالى عنه والثاني ان ينتصب آيات
على الاختصاص بعد انقضاء المجرور معطوفا على ما قبله او على التكرير ورفعها باضمار هي وقرئ واختلاف الليل والنهار بالرفع
وقرئ آية وكذلك وما يبث من دابة آية وقرئ وتصريف الريح والمعنى ان المنصفين من العباد اذا نظروا في السموات والارض
النظر الصحيح علموا انها مصنوعة وانها لا بد لها من صانع فآمنوا بالله تعالى واقروا فاذا نظروا في خلق انفسهم وتنقلها من حال الى
حال وهيئة الى هيئة وفي خلق ما على ظهر الارض من صنوف الحيوان ازدادوا ايمانا وايقنوا وانتفى عنهم اللبس فاذا نظروا في سائر الحوادث
التي تتجدد في كل وقت كاختلاف الليل والنهار ونزول الامطار وحيوة الارض بعد موتها وتصريف الرياح جنوبا وشمالا وقبولا ودبورا
عقلوا واستحكم علمهم وخلص يقينهم وسمى المطر رزقا لانه سبب الرزق تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق
فباي حديث بعد الله وآياته يؤمنون ويل لكل افاك اثيم يسمع آيات الله تتلى عليه
ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها فبشره بعذاب اليم واذا علم من آياتنا شيئا اتخذها هزوا
اولئك لهم عذاب مهين تلك اشارة الى الآيات المتقدمة اي تلك الآيات آيات الله ونتلوها في محل الحال اي
متلوة عليك بالحق والعامل ما دل عليه تلك من معنى الاشارة ونحوه هذا بعلي شيخا وقرئ يتلوها بالياء بعد الله وآياته اي
بعد آيات الله كقولهم اعجبني زيد وكرمه يريدون اعجبني كرم زيد ويجوز ان يراد بعد حديث الله وهو كتابه وقرآنه كقوله الله نزل

احسن

احسن الحديث كتابا وقرئ يؤمنون بالياء والتاء والافاك الكذاب والاثيم المتبالغ في اقتراف الآثام يصر يقبل على كفره
ويقيم عليه واصله من اصرار الحمار على العانة وهو ان ينحي عليها صارا اذنيه مستكبرا عن الايمان بالآيات والاذعان لما تنطق
به من الحق مزدريا لها معجبا بما عنده قيل نزلت في النضر بن الحارث وما كان يشتري من احاديث الاعاجم ويشغل بها
الناس عن استماع القرآن والآية عامة في كل من كان مضارا لدين الله تعالى فان قلت ما معنى ثم في قوله
ثم يصر مستكبرا قلت كمعناه في قول القائل يرى غمرات الموت ثم يزورها وذلك ان غمرات الموت حقيقة بان
ينجو رائيها بنفسه ويطلب الفرار عنها واما زيارتها والاقدام على مزاولتها فامر مستبعد فمعنى ثم الايذان بان فعل المقدم
عليها بعد ما رآها وعاينها شيء يستبعد في العادات والطباع وكذلك آيات الله تعالى الواضحة الناطقة بالحق من تليت
عليه وسمعها كان مستبعدا في العقول اصراره على الضلالة عندها واستكباره عن الايمان بها كأن مخففة والاصل كانه لم
يسمعها والضمير ضمير الشأن كما في قوله كأن ظبية تعطو الى ناضر السلم ومحل الجملة النصب على الحال اي يصر مثل غير السامع
واذا بلغه شيء من آياتنا وعلم انه منها اتخذها اي اتخذ الآيات هزوا ولم يقل اتخذه للاشعار بانه اذا احس بشيء من الكلام
انه من جملة الآيات التي انزلها الله تعالى على محمد صلى الله تعالى عليه وسلم خاض في الاستهزاء بجميع الآيات ولم يقتصر على الاستهزاء
بما بلغه ويحتمل واذا علم من آياتنا شيئا يمكن ان يتشبث به المعاند ويجد له محملا يتسلق به على الطعن والغميزة افترصه واتخذ
آيات الله هزوا وذلك نحو افتراص ابن الزبعرى قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم ومغالطته رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم وقوله خصمتك ويجوز ان يرجع الضمير الى شيء لانه في معنى الآية كقول ابي العتاهية نفسي بشيء من الدنيا
معلقة الله والقائم المهدي يكفيها حيث اراد عتبة وقرئ علم اولئك اشارة الى كل افاك اثيم لشموله الافاكين
من ورائهم جهنم ولا يغني عنهم ما كسبوا شيئا ولا ما اتخذوا من دون الله اولياء ولهم
عذاب عظيم هذا هدى والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز اليم والوراء اسم للجهة
التي يواريها الشخص من خلف او قدام قال اليس ورائي ان تراخت منيتي ادب مع الولدان ازحف كالنسر ومنه قوله تعالى
من ورائهم اي من قدامهم وما كسبوا من الاموال في رحلهم ومتاجرهم ولا ما اتخذوا من دون الله من الاوثان هذا اشارة الى
القرآن يدل عليه قوله تعالى والذين كفروا بآيات ربهم لان آيات ربهم هي القرآن اي هذا القرآن كامل في الهداية كما
تقول زيد رجل تريد كامل في الرجولية وايما رجل والرجز اشد العذاب الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك
فيه بامره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ولتبتغوا من فضله بالتجارة او بالغوص على اللؤلؤ والمرجان
واستخراج اللحم الطري وغير ذلك من منافع البحر وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه ان في ذلك
لآيات لقوم يتفكرون فان قلت ما معنى منه في قوله تعالى جميعا منه وما موقعها من الاعراب قلت
هي واقعة موقع الحال والمعنى انه سخر هذه الاشياء كائنة منه وحاصلة من عنده يعني انه مكونها وموجدها بقدرته وحكمته ثم مسخرها
لخلقه ويجوز ان يكون خبر مبتدأ محذوف تقديره هي جميعا منه وان يكون وسخر لكم تأكيدا لقوله سخر لكم ثم ابتدئ قوله ما في السموات
وما في الارض جميعا منه وان يكون وما في الارض مبتدأ ومنه خبره وقرأ ابن عباس رضي الله تعالى عنهما منة وقرأ سلمة بن محارب
منه على ان يكون منه فاعل سخر على الاسناد المجازي او على انه خبر مبتدأ محذوف اي ذلك او هو منه قل للذين آمنوا يغفروا
للذين لا يرجون ايام الله ليجزي قوما بما كانوا يكسبون من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء
فعليها ثم الى ربكم ترجعون حذف المقول لان الجواب دال عليه والمعنى قل لهم اغفروا يغفروا لا يرجون ايام الله
لا يتوقعون وقائع الله تعالى باعدائه من قولهم لوقائع العرب ايام العرب وقيل لا يأملون الاوقات التي وقتها الله تعالى لثواب
المؤمنين ووعدهم الفوز فيها قيل نزلت قبل آية القتال ثم نسخ حكمها وقيل نزلت في عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه
وقد شتمه رجل من غفار فهم ان يبطش به وعن سعيد بن المسيب رضي الله تعالى عنه كنا بين يدي عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه
فقرأ قارئ هذه الآية فقال عمر ليجزي عمر بما صنع ليجزي تعليل للامر بالمغفرة اي انما امروا بان يغفروا لما اراده الله تعالى
من توفيتهم جزاء مغفرتهم يوم القيمة فان قلت قوله قوما ما وجه تنكيره وانما اراد الذين آمنوا وهم معارف
قلت هو مدح لهم وثناء عليهم كانه قيل ليجزي ايما قوم وقوما مخصوصين لصبرهم واغضائهم على اذى اعدائهم من
الكفار وعلى ما كانوا يجرعونهم من الغصص بما كانوا يكسبون من الثواب العظيم بكظم الغيظ واحتمال المكروه ومعنى قول عمر رض

ليجزي عمر بما صنع ليجزي بصبره واحتماله وقوله لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عند نزول الآية والذي بعثك بالحق لا ترى الغضب
في وجهي وقرئ لنجزي قوما اي الله عز وجل وليجزى قوم وليجزى قوما على معنى وليجزى الجزاء قوما ● ولقد آتينا
بني اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين
الكتاب التوراة والحكم الحكمة والفقه او فصل الخصومات بين الناس لان الملك كان فيهم والنبوة من الطيبات مما
احل الله تعالى لهم واطاب من الارزاق وفضلناهم على العالمين حيث لم نؤت غيرهم ما آتيناهم ● وآتيناهم بينات
من الامر فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ان ربك يقضي بينهم يوم
القيمة فيما كانوا فيه يختلفون ● ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع اهواء
الذين لا يعلمون ● انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وان الظالمين بعضهم اولياء
بعض والله ولي المتقين ● بينات آيات ومعجزات من الامر من امر الدين فما وقع بينهم الخلاف في
الدين الا من بعد ما جاءهم ما هو موجب لزوال الخلاف وهو العلم وانما اختلفوا للبغي حدث بينهم اي للعداوة والحسد
على شريعة على طريقة ومنهاج من الامر من امر الدين فاتبع شريعتك الثابتة بالدلائل والحجج ولا تتبع ما لا حجة عليه
اهواء الجهال ودينهم المبني على هوى وبدعة وهم رؤساء قريش حين قالوا ارجع الى دين آبائك ولا توالهم
انما يوالي الظالمين من هو ظالم مثلهم واما المتقون فوليهم الله تعالى وهم موالوه وما ابين الفضل بين الولايتين
هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون ● هذا القرآن بصائر للناس جعل ما فيه من
معالم الدين والشرائع بمنزلة البصائر في القلوب كما جعل روحا وحيوة وهو هدى من الضلالة ورحمة من العذاب
لمن آمن وايقن وقرئ هذه بصائر اي هذه الآيات ● ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان
نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون
ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها انكار الحسبان والاجتراح الاكتساب ومنه الجوارح وفلان جارحة اهله
اي كاسبهم ان نجعلهم اي نصيرهم وهو من جعل المتعدي الى مفعولين فاولهما الضمير والثاني الكاف والجملة التي
هي سواء محياهم ومماتهم بدل من الكاف لان الجملة تقع مفعولا ثانيا فكانت في حكم المفرد الا تراك لو قلت ان
نجعلهم سواء محياهم ومماتهم كان سديدا كما تقول ظننت زيدا ابوه منطلق ومن قرأ سواء بالنصب اجرى سواء
مجرى مستويا وارتفع محياهم ومماتهم على الفاعلية وكان مفردا غير جملة ومن قرأ ومماتهم بالنصب جعل محياهم ومماتهم
ظرفين كمقدم الحاج وخفوق النجم اي سواء في محياهم وفي مماتهم والمعنى انكار ان يستوي المسيئون والمحسنون محيا
وان يستووا مماتا لافتراق احوالهم احياء حيث عاش هؤلاء على القيام بالطاعات واولئك على ركوب المعاصي
ومماتا حيث مات هؤلاء على البشرى بالرحمة والوصول الى ثواب الله تعالى ورضوانه واولئك على اليأس من رحمة الله تعالى
والوصول الى هول ما اعد لهم وقيل معناه انكار ان يستووا في الممات كما استووا في الحيوة لان المسيئين والمحسنين
مستو محياهم في الرزق والصحة وانما يفترقون في الممات وقيل سواء محياهم ومماتهم كلام مستانف على معنى ان محيا
المسيئين ومماتهم سواء وكذلك محيا المحسنين وعن الفضيل انه بلغها فجعل يرددها ويبكي ويقول ليت شعري من
اي الفريقين انت ● وخلق الله السموات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت
وهم لا يظلمون ● ولتجزى معطوف على بالحق لان فيه معنى التعليل او على معلل محذوف تقديره خلق السموات والارض
ليدل بها على قدرته ولتجزى كل نفس ● افرأيت من اتخذ الهه هواه واضله الله على علم وختم على
سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله افلا تذكرون
اي هو مطواع لهوى النفس يتبع ما يدعوه اليه فكانه يعبده كما يعبد الرجل الهه وقرئ آلهة هواه لانه كان يستحسن الحجر فيعبده فاذا
رأى ما هو احسن رفضه اليه فكانه اتخذ هواه آلهة شتى يعبد كل وقت واحدا منها واضله الله على علم وتركه عن الهداية واللطف
وخذله على علم عالما بان ذلك لا يجدي عليه وانه ممن لا لطف له او مع علمه بوجوه الهداية واحاطته بانواع الالطاف المحصلة والمقربة
فمن يهديه من بعد اضلال الله وقرئ غشوة بالحركات الثلاث وغشوة بالكسر والفتح وقرئ تتذكرون ● وقالوا ما هي
الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون

نموت ونحيا نموت نحن ونحيي اولادنا او يموت بعض ويحيى بعض او نكون مواتا نطفا في الاصلاب ونحيا بعد ذلك او يصيبنا الامران
الموت والحيوة يريدون الحيوة في الدنيا والموت بعدها وليس وراء ذلك حيوة وقرئ نحيا بضم النون وقرئ الا دهر يمر وما
يقولون ذلك عن علم ولكن عن ظن وتخمين كانوا يزعمون ان مرور الايام والليالي هو المؤثر في هلاك الانفس وينكرون ملك
الموت وقبضه الارواح بامر الله تعالى وكانوا يضيفون كل حادثة تحدث الى الدهر والزمان وترى اشعارهم ناطقة بشكوى
الزمان ومنه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر اي فان الله تعالى هو الآتي بالحوادث لا الدهر ●
واذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم الا ان قالوا ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين
وقرئ حجتهم بالنصب والرفع على تقديم خبر كان وتاخيره فان قلت لم سمى قولهم حجة وليس بحجة قلت
لانهم ادلوا به كما يدلي المحتج بحجته وساقوه مساقها فسميت حجة على سبيل التهكم او لانه في حسبانهم وتقديرهم حجة او لانه في
اسلوب قولهم تحية بينهم ضرب وجيع كانه قيل ما كان حجتهم الا ما ليس بحجة البتة ● قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم
يجمعكم الى يوم القيمة لا ريب فيه ولكن اكثر الناس لا يعلمون ● فان قلت كيف وقع قوله تعالى
قل الله يحييكم جوابا لقولهم ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين قلت لما انكروا البعث وكذبوا الرسل وحسبوا ان ما قالوه قول
مبكت الزموا ما هم مقرون به من ان الله عز وجل هو الذي يحييهم ثم يميتهم وضم الى الزام ذلك الزام ما هو واجب الاقرار
به ان انصفوا واصغوا الى داعي الحق وهو جمعهم الى يوم القيمة ومن كان قادرا على ذلك كان قادرا على الاتيان بآبائهم وكان
اهون شيء عليه ● ولله ملك السموات والارض ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون
وترى كل امة جاثية كل امة تدعى الى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون ● عامل النصب
في يوم تقوم يخسر ويومئذ بدل من يوم تقوم جاثية باركة مستوفزة وقرئ جاذية والجذو اشد استيفازا من الجثو لان
الجاذي هو الذي يجلس على اطراف اصابعه وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما جاثية مجتمعة وعن قتادة جماعات
من الجثوة وهي الجماعة وجمعها جثى وفي الحديث من جثى جهنم وقرئ كل امة على الابتداء وكل امة على الابدال من كل امة
الى كتابها الى صحائف اعمالها فاكتفى باسم الجنس كقوله تعالى ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه اليوم تجزون محمول
على القول فان قلت كيف اضيف الكتاب اليهم والى الله عز وجل قلت الاضافة تكون للملابسة وقد لابسهم
ولابسه تعالى اما ملابسته اياهم فلان اعمالهم مثبتة فيه واما ملابسته اياه فلانه مالكه والآمر ملائكته ان يكتبوا فيه اعمال عباده
هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون ● فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات
فيدخلهم ربهم في رحمته ذلك هو الفوز المبين ● ينطق عليكم يشهد عليكم بما عملتم بالحق من غير زيادة ولا
نقصان انا كنا نستنسخ الملائكة ما كنتم تعملون اي نستكتبهم اعمالكم في رحمته في جنته ● واما الذين كفروا
افلم تكن آياتي تتلى عليكم فاستكبرتم وكنتم قوما مجرمين ● وجواب اما محذوف واما الذين كفروا
فيقال لهم افلم تكن آياتي تتلى عليكم فحذف المعطوف عليه ● واذا قيل ان وعد الله حق والساعة
لا ريب فيها قلتم ما ندري ما الساعة ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين ● وقرئ والساعة
بالنصب عطفا على الوعد وبالرفع على محل ان واسمها ما الساعة اي شيء الساعة فان قلت ما معنى
ان نظن الا ظنا قلت اصله نظن ظنا ومعناه اثبات الظن فحسب فادخل حرفا النفي والاستثناء
ليفاد اثبات الظن مع نفي ما سواه وزيد نفي ما سوى الظن تاكيدا بقوله تعالى وما نحن بمستيقنين ●
وبدا لهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤون ● سيئات ما عملوا اي
قبائح اعمالهم او عقوبات اعمالهم السيئات كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها ● وقيل اليوم
ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا وماواكم النار وما لكم من ناصرين ● ذلكم بانكم
اتخذتم آيات الله هزوا وغرتكم الحيوة الدنيا فاليوم لا يخرجون منها ولا هم
يستعتبون ● ننساكم نترككم في العذاب كما تركتم عدة لقاء يومكم هذا وهي الطاعة او نجعلكم بمنزلة الشيء المنسي
غير المبالى به كما لم تبالوا انتم بلقاء يومكم ولم تخطروه ببال كالشيء الذي يطرح نسيا منسيا فان قلت
ما معنى اضافة اللقاء الى اليوم قلت كمعنى اضافة المكر في قوله تعالى بل مكر الليل والنهار اي نسيتم لقاء الله تعالى في

يوبكم هذا ولقاء جزائه وقرئ لا يخرجون بفتح الياء ولا هم يستعتبون ولا يطلب منهم ان يعتبوا ربهم اى يرضوه
فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين ● وله الكبرياء فى السموات
والارض وهو العزيز الحكيم ● فلله الحمد فاحمدوا الله تعالى الذى هو ربكم ورب كل شئ من السموات
والارض والعالمين فان مثل هذه الربوبية العامة توجب الحمد والثناء على كل مربوب وكبروه فقد ظهرت آثار
كبريائه وعظمته فى السموات والارض وحق مثله ان يكبر ويعظم عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
من قرأ حم الجاثية ستر الله تعالى عورته وسكن روعته يوم الحساب ○

سورة الاحقاف مكية

وهى اربع وقيل خمس وثلثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم ● حم تنزيل الكتاب من الله العزيز
الحكيم ● ما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق واجل مسمى والذين
كفروا عما انذروا معرضون ● الا بالحق الا خلقا ملتبسا بالحكمة والغرض الصحيح وبتقدير اجل مسمى
ينتهى اليه وهو يوم القيمة والذين كفروا عما انذروه من هول ذلك اليوم الذى لا بد لكل خلق من انتهائه اليه معرضون
لا يؤمنون به ولا يهتمون بالاستعداد له ويجوز ان تكون ما مصدرية اى عن انذارهم ذلك اليوم ● قل ارايتم
ما تدعون من دون الله ارونى ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك فى السموات
ائتونى بكتاب من قبل هذا او اثارة من علم ان كنتم صادقين ● بكتاب من قبل هذا اى من
قبل هذا الكتاب وهو القرآن يعنى ان هذا الكتاب ناطق بالتوحيد وابطال الشرك وما من كتاب نزل من قبله من
كتب الله الا وهو ناطق بمثل ذلك فاتوا بكتاب واحد منزل من قبله شاهد بصحة ما انتم عليه من عبادة غير الله
تعالى او اثارة من علم او بقية من علم بقيت عليكم من علوم الاولين من قولهم سمنت الناقة على اثارة من شحم
اى على بقية شحم كانت بها من شحم ذاهب وقرئ على اثرة اى من شئ اوثرتم به وخصصتم من علم لا احاطة لم به
لغيركم وقرئ اثرة بالحركات الثلاث فى الهمزة مع سكون الثاء فالاثرة بالكسر بمعنى الاثرة واما الاثرة فالمرة
من مصدر اثر الحديث اذا رواه واما الاثرة بالضم فاسم ما يؤثر كالخطبة اسم ما يخطب ● ومن اضل ممن
يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيمة وهم عن دعائهم غافلون
ومن اضل معنى الاستفهام فيه انكار ان يكون فى الضلال كلهم ابلغ ضلالا من عبدة الاصنام حيث يتركون دعاء
السميع المجيب القادر على تحصيل كل بغية ومرام ويدعون من دونه جمادا لا يستجيب لهم ولا قدرة به على استجابة احد
ما دامت الدنيا والى ان تقوم القيامة واذا قامت القيامة وحشر الناس كانوا لهم اعداء وكانوا عليهم ضدا فليسوا
فى الدارين الا على نكد ومضرة لا تتولاهم فى الدنيا بالاستجابة وفى الآخرة تعاديهم وتجحد عبادتهم وانما قيل من وهم لانهم
اسند اليهم ما يسند الى اولى العلم من الاستجابة والغفلة ولانهم كانوا يصفونهم بالتمييز جهلا وغباوة ويجوز ان يريد كل
معبود من دون الله تعالى من الجن والانس والاوثان فغلب غير الاوثان عليها وقرئ ما لا يستجيب وقرئ يدعو غير الله من لا
يستجيب ووصفهم بترك الاستجابة والغفلة طريقه طريق التهكم بها وبعبدتها ونحوه قوله تعالى ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا
ما استجابوا لكم ويوم القيمة يكفرون بشرككم ● واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للحق
لما جاءهم هذا سحر مبين ● بينات جمع بينة وهى الحجة والشاهد او واضحات مبينات واللام فى للحق
مثلها فى قوله تعالى للذين آمنوا لو كان خيرا اى لاجل الحق ولاجل الذين آمنوا والمراد بالحق الآيات وبالذين كفروا المتلو
عليهم فوضع الظاهران موضع الضميرين للتسجيل عليهم بالكفر وللمتلو بالحق لما جاءهم اى بادهوه بالجحود ساعة اتاهم واول
ما سمعوه من غير اجالة فكر ولا اعادة نظر من عنادهم وظلمهم انه سحر لما سحرا ظاهرا امره فى البطلان لا شبهة فيه
ام يقولون افتراه قل ان افتريته فلا تملكون لى من الله شيئا هو اعلم بما تفيضون
فيه كفى به شهيدا بينى وبينكم وهو الغفور الرحيم ● ام يقولون افتراه اضراب عن ذكر تسميتهم

الآيات سحرا الى ذكر قولهم ان محمدا افتراه ومعنى الهمزة فى ام الانكار والتعجب كانه قيل دع هذا واسمع قولهم المستنكر
المقضى منه العجب وذلك ان محمدا كان لا يقدر عليه حتى يقوله ويفتريه على الله تعالى ولو قدر عليه دون امة العرب لكانت قدرته
عليه معجزة لخرقها العادة واذا كانت معجزة كانت تصديقا من الله تعالى له والحكيم لا يصدق الكاذب فلا يكون مفتريا والضمير للحق
والمراد به الآيات ● قل ان افتريته على سبيل الفرض عاجلنى الله تعالى لا محالة بعقوبة الافتراء عليه فلا تقدرون على كفه
عن معاجلتى ولا تطيقون دفع شئ من عقابه عنى فكيف افتريه واتعرض لعقابه يقال فلان لا يملك اذا غضب ولا يملك عنانه
اذا صمم ومثله فمن يملك من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا
ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لا املك لكم من الله شيئا ثم قال هو اعلم بما تفيضون اى تندفعون فيه من القدح فى وحى الله تعالى
والطعن فى آياته وتسميته سحرا تارة وفرية اخرى وكفى به شهيدا بينى وبينكم يشهد لى بالصدق والبلاغ ويشهد عليكم
بالكذب والجحود ومعنى ذكر العلم والشهادة وعيد بجزاء افاضتهم وهو الغفور الرحيم موعدة بالغفران والرحمة ان رجعوا
عن الكفر وتابوا وآمنوا واشعار بحلم الله تعالى عنهم مع عظم ما ارتكبوا ● فان قلت فما معنى اسناد الفعل اليهم فى قوله
تعالى فلا تملكون لى ● قلت كان فيما اتاهم به النصيحة لهم والاشفاق عليهم من سوء العاقبة وارادة الخير بهم فكانه
قال لهم ان افتريته وانا اريد بذلك التنصح لكم وصدكم عن عبادة الآلهة الى عبادة الله تعالى فما تغنون عنى ايها المنصوحون
ان اخذنى الله تعالى بعقوبة الافتراء عليه ● قل ما كنت بدعا من الرسل وما ادرى ما يفعل بى
ولا بكم ان اتبع الا ما يوحى الى وما انا الا نذير مبين ● البدع بمعنى البديع كالخف بمعنى الخفيف
وقرئ بدعا بفتح الدال اى ذا بدع ويجوز ان يكون صفة على فعل كقولهم دين قيم ولحم زيم كانوا يقترحون عليه الآيات
ويسئلونه عما لم يوح به اليه من الغيوب فقيل له قل ما كنت بدعا من الرسل فآتيكم بكل ما تقترحونه واخبركم بكل
ما تسئلون عنه من المغيبات فان الرسل لم يكونوا يأتون الا بما آتاهم الله تعالى من آياته ولا يخبرون الا بما اوحى الله
اليهم ولقد اجاب موسى عليه السلام عن قول فرعون فما بال القرون الاولى بقوله علمها عند ربى ● وما ادرى لانه لا علم لى
بالغيب ما يفعل الله تعالى بى وبكم فيما يستقبل من الزمان من افعاله ويقدر لى من قضاياه ان اتبع الا ما يوحى الى وعن الحسن
وما ادرى ما يصير اليه امرى وامركم فى الدنيا ومن الغالب منا والمغلوب ● وعن الكلبى قال له اصحابه وقد ضجروا من اذى
المشركين حتى متى نكون على هذا فقال ما ادرى ما يفعل بى ولا بكم أأترك بمكة ام اومر بالخروج الى ارض قد رفعت لى ورأيتها
يعنى فى منامه ذات نخيل وشجر ● وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ما يفعل بى ولا بكم فى الآخرة وقال هى منسوخة بقوله
تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويجوز ان يكون نفيا للدراية المفصلة وقرئ ما يفعل بفتح الياء اى يفعل الله
عز وجل ● فان قلت ان يفعل مثبت غير منفى فكان وجه الكلام ما يفعل بى وبكم ● قلت اجل ولكن النفى فى ما ادرى
لما كان مشتملا عليه لتناوله ما وما فى حيزه صح ذلك وحسن الا ترى الى قوله تعالى اولم يروا ان الله الذى خلق السموات والارض
ولم يعى بخلقهن بقادر كيف دخلت الباء فى خبر ان وذلك لتناول النفى اياها مع ما فى حيزها وما فى ما يفعل يجوز ان تكون
موصولة منصوبة وان تكون استفهامية مرفوعة وقرئ يوحى اى الله عز وجل ● قل ارايتم ان كان من عند الله
وكفرتم به وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم ان الله لا يهدى
القوم الظالمين ● جواب الشرط محذوف تقديره ان كان القرآن من عند الله وكفرتم به الستم ظالمين ويدل على المحذوف
قوله تعالى ان الله لا يهدى القوم الظالمين والشاهد من بنى اسرائيل عبد الله بن سلام رضى الله تعالى عنه لما قدم رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم المدينة نظر الى وجهه فعلم انه ليس بوجه كذاب وتأمله فتحقق انه هو النبى المنتظر وقال له انى سائلك عن ثلاث لا يعلمهن
الا نبى ما اول اشراط الساعة وما اول طعام يأكله اهل الجنة وما بال الولد ينزع الى ابيه او الى امه فقال صلى الله تعالى عليه وسلم
اما اول اشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق الى المغرب واما اول طعام يأكله اهل الجنة فزيادة كبد حوت واما الولد
فاذا سبق ماء الرجل نزعه وان سبق ماء المرأة نزعته فقال اشهد انك رسول الله حقا ثم قال يا رسول الله ان اليهود قوم بهت
وان علموا باسلامى قبل ان تسألهم عنى بهتونى عندك فجاءت اليهود فقال لهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اى رجل عبد الله فيكم
فقالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا واعلمنا وابن اعلمنا قال ارايتم ان اسلم قالوا اعاذه الله من ذلك فخرج اليهم
عبد الله فقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا وانتقصوه فقال هذا ما كنت اخاف

يا رسول الله واحذر • وقال سعد بن ابي وقاص رضي الله تعالى عنه ما سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول لاحد يمشي
على وجه الارض انه من اهل الجنة الا لعبد الله بن سلام رضي الله تعالى عنه وفيه نزل وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله الضمير للقرآن
اي على مثله في المعنى وهو ما في التوراة من المعاني المطابقة لمعاني القرآن من التوحيد والوعد والوعيد وغير ذلك ويدل عليه وانه
لفي زبر الاولين ان هذا لفي الصحف الاولى كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك ويجوز ان يكون المعنى ان كان من عند الله
وكفرتم به وشهد شاهد على نحو ذلك يعني كونه من عند الله **فان قلت** اخبرني عن نظم هذا الكلام لاقف على معناه من جهة النظم
قلت الواو الاولى عاطفة لكفرتم على فعل الشرط كما عطفته ثم في قوله تعالى ارأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به وكذلك
الواو الآخرة عاطفة لاستكبرتم على شهد شاهد واما الواو في وشهد شاهد فقد عطفت جملة قوله تعالى وشهد شاهد من بني اسرائيل
على مثله فآمن واستكبرتم على جملة قوله كان من عند الله وكفرتم به ونظيره قولك ان احسنت اليك واسأت واقبلت عليك
واعرضت لم نتفق في انك اخذت ضميمين فعطفتهما على مثليهما والمعنى قل اخبروني ان اجتمع كون القرآن من عند الله
مع كفركم به واجتمع شهادة اعلم بني اسرائيل على نزول مثله وايمانه به مع استكباركم عنه وعن الايمان به الستم اضل الناس
واظلمهم وقد جعل الايمان في قوله تعالى فآمن مسببا عن الشهادة على مثله لانه لما علم ان مثله انزل على موسى عليه السلام وانه
من جنس الوحي وليس من كلام البشر وانصف من نفسه فشهد عليه واعترف كان الايمان نتيجة ذلك • وقال الذين كفروا
للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم
للذين آمنوا لاجلهم وهو كلام كفار مكة قالوا عامة من يتبع محمدا السقاط يعنون الفقراء مثل عمار وصهيب وابن مسعود
رضوان الله تعالى عليهم فلو كان ما جاء به خيرا ما سبقونا اليه هؤلاء • وقيل لما اسلمت جهينة ومزينة واسلم وغفار
قالت بنو عامر وغطفان واسد واشجع لو كان خيرا ما سبقونا اليه رعاء البهم • وقيل ان امة لعمر اسلمت وكان
يضربها حتى يفتر ثم يقول لولا اني فترت لزدتك ضربا وكان كفار قريش يقولون لو كان ما يدعو اليه محمد حقا ما سبقتنا اليه
فلانة • وقيل كان اليهود يقولونه عند اسلام عبد الله بن سلام واصحابه **فان قلت** لا بد من عامل في الظرف
في قوله تعالى واذ لم يهتدوا به ومن متعلق بقوله فسيقولون وغير مستقيم ان يكون فسيقولون هو العامل في الظرف لتدافع
دلالتي المضي والاستقبال فما وجه هذا الكلام **قلت** العامل في اذ محذوف لدلالة الكلام عليه كما حذف من قوله تعالى
فلما ذهبوا به وقولهم حينئذ الآن وتقديره واذ لم يهتدوا به ظهر عنادهم فسيقولون هذا افك قديم فهذا المضمر صح به الكلام
حيث انتصب به الظرف وكان قوله تعالى فسيقولون مسببا عنه كما صح باضمار ان قوله حتى يقول الرسول لمصادفة حتى
مجرورها والمضارع ناصبه وقولهم افك قديم كقولهم اساطير الاولين • ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة
وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين • ان الذين
قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون • اولئك اصحاب الجنة
خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون • كتاب موسى مبتدأ ومن قبله ظرف واقع خبرا مقدما عليه وهو ناصب اماما
على الحال كقولك في الدار زيد قائما وقرئ ومن قبله كتاب موسى على وآتينا الذين قبله التوراة ومعنى اماما قدوة يؤتم
به في دين الله تعالى وشرائعه كما يؤتم بالامام ورحمة لمن آمن به وعمل بما فيه وهذا القرآن كتاب مصدق لكتاب موسى
او لما بين يديه وتقدمه من جميع الكتب وقرئ مصدق لما بين يديه ولسانا عربيا حال من ضمير الكتاب في مصدق
والعامل فيه مصدق ويجوز ان ينتصب عن كتاب لتخصصه بالصفة ويعمل فيه معنى الاشارة ويجوز ان يكون مفعولا
لمصدق اي يصدق ذا لسان عربي وهو الرسول وقرئ لينذر بالياء والتاء ولينذر من نذر ينذر اذا حذر وبشرى في
محل النصب معطوفا على محل لينذر لانه مفعول له • ووصينا الانسان بوالديه احسانا حملته امه كرها
ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة
قال رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي وان اعمل صالحا ترضاه
واصلح لي في ذريتي اني تبت اليك واني من المسلمين • قرئ حسنا بضم الحاء وسكون السين وبضمهما
وبفتحهما واحسانا وكرها بالفتح والضم وهما لغتان في معنى المشقة كالفقر والفقر وانتصابه على الحال اي ذات كره
او على انه صفة للمصدر اي حملا ذا كره وحمله وفصاله ومدة حمله وفصاله ثلاثون شهرا وهذا دليل على ان اقل الحمل ستة اشهر

لان مدة الرضاع اذا كانت حولين لقوله تعالى حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة بقيت للحمل ستة اشهر وقرئ وفصله والفصل
والفصال كالفطم والفطام بناء ومعنى **فان قلت** المراد بيان مدة الرضاع لا الفطام فكيف عبر عنه بالفصال
قلت لما كان الرضاع يليه الفصال ويلابسه لانه ينتهي به ويتم سمي فصالا كما سمي المدة بالامد من قال كل حي مستكمل
مدة العمر ومود اذا انتهى امده • وفيه فائدة وهي الدلالة على الرضاع التام المنتهي بالفصال ووقته وقرئ حتى اذا استوى
وبلغ اشده وبلوغ الاشد ان يكتهل ويستوفي السن التي تستحكم فيها قوته وعقله وتمييزه وذلك اذا اناف على الثلاثين وناطح
الاربعين وعن قتادة ثلاث وثلاثون سنة ووجهه ان يكون ذلك اول الاشد وغايته الاربعين • وقيل لم يبعث نبي
قط الا بعد اربعين سنة والمراد بالنعمة التي استوزع الشكر عليها نعمة التوحيد والاسلام وجمع بين شكري النعمة عليه
وعلى والديه لان النعمة عليهما نعمة عليه • وقيل في العمل المرضي هو الصلوات الخمس **فان قلت** ما معنى في
قوله تعالى واصلح لي في ذريتي **قلت** معناه ان يجعل ذريته موقعا للصلاح ومظنة له كانه قال هب لي الصلاح في ذريتي واوقعه
فيهم ونحوه يجرح في عراقيبها نصلي من المسلمين من المخلصين • اولئك الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا
ونتجاوز عن سيئاتهم في اصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون • وقرئ يتقبل
ويتجاوز بفتح الياء والضمير فيهما لله عز وجل **فان قلت** ما معنى قوله تعالى في اصحاب الجنة **قلت** هو نحو قولك
اكرمني الامير في ناس من اصحابه تريد اكرمني في جملة من اكرم منهم ونظمني في عدادهم ومحله النصب على الحال على معنى كائنين في اصحاب
الجنة ومعدودين فيهم وعد الصدق مصدر مؤكد لان قوله تعالى نتقبل ونتجاوز وعد من الله تعالى لهم بالتقبل والتجاوز • وقيل
نزلت في ابي بكر رضي الله تعالى عنه وفي ابيه ابي قحافة وامه ام الخير وفي اولاده واستجابة دعائه فيهم • وقيل لم يكن احد من الصحابة
من المهاجرين منهم والانصار رضوان الله عليهم اسلم هو ووالداه وبنوه وبناته غير ابي بكر رضي الله تعالى عنه وعنهم اجمعين
والذي قال لوالديه اف لكما اتعدانني ان اخرج وقد خلت القرون من قبلي وهما يستغيثان
الله ويلك آمن ان وعد الله حق فيقول ما هذا الا اساطير الاولين • اولئك الذين
حق عليهم القول في امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين • والذي قال لوالديه
مبتدأ خبره اولئك الذين حق عليهم القول والمراد بالذي قال الجنس القائل ذلك القول ولذلك وقع الخبر مجموعا وعن الحسن هو في الكافر
العاق لوالديه المكذب بالبعث وعن قتادة هو نعت عبد سوء عاق لوالديه فاجر لربه • وقيل نزلت في عبد الرحمن بن ابي بكر
قبل اسلامه وقد دعاه ابو بكر وامه ام رومان الى الاسلام فافف بهما وقال ابعثوا الي جدعان بن عمرو وعثمان بن عمرو وهما
من اجداده حتى اسألهما عما يقول محمد ويشهد لبطلانه ان المراد بالذي قال جنس القائلين ذلك وان قوله تعالى الذين حق عليهم القول
هم اصحاب النار وعبد الرحمن رضي الله تعالى عنه كان من افاضل المسلمين وسرواتهم • وعن ام المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها انكار
نزولها فيه وحين كتب معوية الى مروان بان يبايع الناس ليزيد قال عبد الرحمن لقد جئتم بها هرقلية اتبايعون لابنائكم فقال
مروان يا ايها الناس هو الذي قال الله تعالى فيه والذي قال لوالديه اف لكما فسمعت عائشة رضي الله تعالى عنها فغضبت وقالت
والله ما هو به ولو شئت ان اسميه لسميته ولكن الله تعالى لعن اباك وانت في صلبه فانت فضض من لعنة الله تعالى وقرئ
اف بالكسر والفتح بغير تنوين وبالحركات الثلاث مع التنوين وهو صوت اذا صوت به الانسان علم انه متضجر كما اذا قال
حس علم انه متوجع واللام للبيان معناه هذا التأفيف لكما خاصة ولاجلكما دون غيركما وقرئ اتعدانني بفتح النون كانه استثقل
اجتماع النونين والكسرتين والياء ففتح الاولى تحريا للتخفيف كما تحراه من ادغم ومن اطرح احدهما ان اخرج ان ابعث واخرج من الارض
وقرئ اخرج وقد خلت القرون من قبلي يعني ولم يبعث منهم احد يستغيثان الله يقولان الغياث بالله تعالى منك ومن قولك
وهو استعظام لقوله ويلك دعاء عليه بالثبور والمراد به الحث والتحريض على الايمان لا حقيقة الهلاك في امم نحو قوله تعالى
في اصحاب الجنة وقرئ ان بالفتح على آمن بان وعد الله حق • ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم اعمالهم
وهم لا يظلمون • ويوم يعرض الذين كفروا على النار اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا
واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق
وبما كنتم تفسقون • ولكل من الجنسين المذكورين درجات مما عملوا اي منازل ومراتب من جزاء ما عملوا من الخير والشر
او من اجل ما عملوا منهما **فان قلت** كيف قيل درجات والنار دركات **قلت** يجوز ان يقال ذلك

الفضض ما انفض من نطفة الرجل وتردد في صلبه

على وجه التغليب لاشتمال كل على الفريقين وليوفيهم وقرئ بالنون تعليل معلله محذوف لدلالة الكلام عليه كانه قيل وليوفيهم اعمالهم ولا يظلمهم حقوقهم قدر جزاءهم على مقادير اعمالهم فجعل الثواب درجات والعقاب دركات ناصب الظرف هو القول المضمر قبل اذهبتم وعرضهم على النار تعذيبهم بها من قولهم عرض بنو فلان على السيف اذا قتلوا به ومنه قوله عز وجل النار يعرضون عليها ويجوز ان يراد عرض النار عليهم من قولهم عرضت الناقة على الحوض يريدون عرض الحوض عليها فقلبوا ويدل عليه تفسير ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يجاء بهم اليها فيكشف لهم عنها اذهبتم طيباتكم اي ما كتب لكم حظ من الطيبات الا ما قد اصبتموه في دنياكم وقد ذهبتم به واخذتموه فلم يبق لكم بعد استيفاء حظكم شيء منها وعن عمر رضي الله تعالى عنه لو شئت لدعوت بصلائق وصناب وكراكر واسنمة ولكني رأيت الله تعالى نعى على قوم طيباتهم فقال اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا وعنه لو شئت لكنت اطيبكم طعاما واحسنكم لباسا ولكني استبقي طيباتي وعن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه دخل على اهل الصفة وهم يرقعون ثيابهم بالادم ما يجدون لها رقاعا فقال انتم اليوم خير ام يوم يغدو احدكم في حلة ويروح في اخرى ويغدى عليه بجفنة ويراح عليه باخرى ويستر بيته كما تستر الكعبة قالوا نحن يومئذ خير قال بل انتم اليوم خير وقرئ اذهبتم بهمزة الاستفهام وااذهبتم بالف بين همزتين الهون الهوان وقرئ عذاب الهوان وقرئ تفسقون بضم السين وكسرها

واذكر اخا عاد اذ انذر قومه بالاحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه الا تعبدوا الا الله اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم الاحقاف جمع حقف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء من احقوقف الشيء اذا اعوج وكانت عاد اصحاب عمد يسكنون بين رمال مشرفين على البحر بارض يقال لها الشحر من بلاد اليمن وقيل بين عمان ومهرة والنذر جمع نذير بمعنى المنذر والانذار من بين يديه من قبله ومن خلفه ومن بعده وقرئ من بين يديه ومن بعده والمعنى ان هودا عليه السلام قد انذرهم فقال لهم لا تعبدوا الا الله اني اخاف عليكم العذاب واعلمهم ان الرسل الذين بعثوا قبله والذين سيبعثون بعده كلهم منذرون نحو انذاره وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يعني الرسل الذين بعثوا قبله والذين بعثوا في زمانه ومعنى ومن خلفه على هذا التفسير ومن بعد انذاره هذا اذا علقت وقد خلت النذر بقوله تعالى انذر قومه ولك ان تجعل قوله تعالى وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه اعتراضا بين قوله انذر قومه وبين ان لا تعبدوا ويكون المعنى واذكر انذار هود قومه عاقبة الشرك والعذاب العظيم وقد انذر من تقدمه من الرسل ومن تأخر عنه مثل ذلك فاذكرهم قالوا اجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين قال انما العلم عند الله وابلغكم ما ارسلت به ولكني اراكم قوما تجهلون الافك الصرف يقال افكه عن رأيه عن آلهتنا عن عبادتها بما تعدنا من معاجلة العذاب على الشرك ان كنت صادقا في وعدك فان قلت من اين طابق قوله تعالى انما العلم عند الله جوابا لقولهم فأتنا بما تعدنا قلت من حيث ان قولهم هذا استعجال منهم بالعذاب الا ترى الى قوله بل هو ما استعجلتم به فقال لهم لا علم عندي بالوقت الذي يكون فيه تعذيبكم حكمة وصوابا انما علم ذلك عند الله فكيف ادعوه بان يأتيكم بعذابه في وقت عاجل تقترحونه انتم ومعنى وابلغكم ما ارسلت به وقرئ بالتخفيف ان الذي هو شاني وشرطي ان ابلغكم ما ارسلت به من الانذار والتخويف والصرف عما يعرضكم لسخط الله بجهدي ولكنكم جاهلون لا تعلمون ان الرسل لم يبعثوا الا منذرين لا مقترحين ولا سائلين غير ما اذن لهم فيه فلما رأوه عارضا مستقبل اوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب اليم فلما رأوه في الضمير وجهان ان يرجع الى ما تعدنا وان يكون مبهما قد وضح امره بقوله عارضا اما تمييزا واما حالا وهذا الوجه اعرب وافصح والعارض السحاب الذي يعرض في افق السماء ومثله الحبي والعنان من حبى وعن اذا عرض واضافة مستقبل وممطر مجازية غير معرفة بدليل وقوعهما وهما مضافان الى معرفتين وصفا للنكرة بل هو القول قبله مضمر والقائل هود عليه السلام والدليل عليه قراءة من قرأ قال هود بل هو وقرئ قل بل ما استعجلتم به هي ريح اي قال الله تعالى قل تدمر كل شيء بامر ربها فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم كذلك نجزي القوم المجرمين تدمر كل شيء تهلك من نفوس عاد واموالهم الجم الكثير فعبر عن الكثرة بالكلية وقرئ يدمر كل شيء من دمر دمارا اذا هلك لا ترى الخطاب للرائي من كان وقرئ لا يرى على البناء للمفعول بالياء والتاء وتاويل القراءة بالتاء وهي عن الحسن لا ترى بقايا ولا اشياء الا مساكنهم ومنه بيت ذي الرمة وما بقيت الا الضلوع الجراشع وليست بالقوية وقرئ لا ترى الا مساكنهم ولا يرى الا مساكنهم

الصلائق الخبز الرقاق والصناب الصباغ يتخذ من الخردل والزبيب والكراكر جمع كركرة زور البعير سيعني لو شئت لدعوت ليؤتى لي بالاطعمة الشهية والمراكب البهية ولكني الى آخره

وروي ان الريح كانت تحمل الفسطاط والظعينة فترفعها في الجو حتى ترى كانها جرادة وقيل اول من ابصر العذاب امرأة منهم قالت رأيت ريحا فيها كشهب النار وروي انهم اول ما عرفوا به انه عذاب انهم رأوا ما كان في الصحراء من رجالهم ومواشيهم تطير بهم الريح بين السماء والارض فدخلوا بيوتهم وغلقوا ابوابهم فقلعت الريح الابواب وصرعتهم وامال الله تعالى عليهم الاحقاف فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية ايام لهم انين ثم كشفت الريح عنهم فاحتملتهم فطرحتهم في البحر وروي ان هودا عليه السلام لما احس بالريح خط على نفسه وعلى المؤمنين خطا الى جنب عين تنبع وعن ابن عباس اعتزل هود ومن معه في حظيرة ما يصيبهم من الريح الا ما يلين على الجلود وتلذه الانفس وانها لتمر من عاد بالظعن بين السماء والارض وتدمغهم بالحجارة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا رأى الريح فزع وقال اللهم اني اسألك خيرها وخير ما ارسلت به واعوذ بك من شرها وشر ما ارسلت به واذا رأى مخيلة قام وقعد وجاء وذهب وتغير لونه فيقال له يا رسول الله ما تخاف فيقول اني اخاف ان يكون مثل قوم عاد حيث قالوا هذا عارض ممطرنا فان قلت ما فائدة اضافة الرب الى الريح قلت الدلالة على ان الريح وتصريف اعنتها مما يشهد بعظم قدرته لانها من اعاجيب خلقه واكابر جنوده وذكر الامر وكونها مأمورة من جهته عز وعلا يعضد ذلك ويقويه ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافئدة فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شيء اذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن ان نافية اي فيما ما مكناكم فيه الا ان ان احسن في اللفظ لما في مجامعة ما مثلها من التكرير المستبشع ومثله مجتنب الا ترى ان الاصل في مهما ماما فلبشاعة التكرير قلبوا الالف هاء ولقد اغث ابو الطيب في قوله لعمرك ما ما بان منك لضارب وما ضره لو اقتدى بعذوبة لفظ التنزيل فقال لعمرك ما ان بان منك لضارب وقد جعلت ان صلة مثلها فيما انشده الاخفش يرجي المرء ما ان لا يراه ويعرض دون ادناه الخطوب وتؤول بانا مكناهم في مثل ما مكناكم فيه والوجه هو الاول ولقد جاء عليه غير آية من القرآن هم احسن اثاثا ورئيا كانوا اكثر منهم قوة وآثارا وهو ابلغ في التوبيخ وادخل في الحث على الاعتبار من شيء اي من شيء من الاغناء وهو القليل منه فان قلت بم انتصب اذ كانوا يجحدون قلت بقوله فما اغنى فان قلت لم جرى مجرى التعليل قلت لاستواء مؤدى التعليل والظرف في قولك ضربته لاساءته وضربته اذ اساء لانك اذا ضربته في وقت اساءته فانما ضربته فيه لوجود اساءته فيه الا ان اذ وحيث غلبتا دون سائر الظروف في ذلك ولقد اهلكنا ما حولكم من القرى وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون ما حولكم يا اهل مكة من القرى من نحو حجر ثمود وقرى سدوم وغيرها والمراد اهل القرى ولذلك قال لعلهم يرجعون فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة بل ضلوا عنهم وذلك افكهم وما كانوا يفترون القربان ما تقرب به الى الله تعالى اي اتخذوهم شفعاء متقربا بهم الى الله تعالى حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله واحد مفعولي اتخذ الراجع الى الذين المحذوف والثاني آلهة وقربانا حال ولا يصح ان يكون قربانا مفعولا ثانيا وآلهة بدلا منه لفساد المعنى وقرئ قربانا بضم الراء والمعنى فهلا منعهم من الهلاك آلهتهم بل ضلوا عنهم اي غابوا عن نصرتهم وذلك اشارة الى امتناع نصرة آلهتهم وضلالهم عنهم اي وذلك اثر افكهم الذي هو اتخاذهم اياها آلهة وثمرة شركهم وافترائهم على الله الكذب من كونه ذا شركاء وقرئ افكهم والافك والافك كالحذر والحذر وقرئ وذلك افكهم اي وذلك الاتخاذ الذي هذا اثره وثمرته صرفهم عن الحق وقرئ افكهم على التشديد للمبالغة وآفكهم اي جعلهم آفكين وآفكهم اي قولهم الافك ذو الافك كما تقول قول كاذب وذلك افك مما كانوا يفترون من الافك واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا انصتوا فلما قضي ولوا الى قومهم منذرين صرفناهم اليك اي املناهم اليك واقبلنا بهم نحوك وقرئ صرفنا بالتشديد لانهم جماعة والنفر دون العشرة ويجمع انفارا وفي حديث ابي ذر رضي الله تعالى عنه لو كان ههنا احد من انفارنا فلما حضروه الضمير للقرآن اي فلما كان بمسمع منهم او لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويعضده قراءة من قرأ فلما قضى اي اتم قراءته وفرغ منها قالوا قال بعضهم لبعض انصتوا اسكتوا مستمعين يقال انصت لكذا واستنصت له قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي الى الحق والى طريق مستقيم

روي ان الجن كانت تسترق السمع فلما حرست السماء ورجموا بالشهب قالوا ما هذا الا لنبأ حدث فنهض سبعة نفر
او تسعة من اشراف جن نصيبين او نينوى منهم زوبعة فضربوا حتى بلغوا تهامة ثم اندفعوا الى وادي نخلة فوافقوا
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو قائم في جوف الليل يصلي او في صلوة الصبح فاستمعوا القرآءة وذلك عند منصرفه من الطائف
حين خرج اليهم يستنصرهم فلم يجيبوه الى طلبته واغروا به سفهاء ثقيف وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه ما قرأ رسول الله
صلى الله عليه وسلم على الجن ولا رآهم وانما كان يتلو في صلوته فمروا به فوقفوا مستمعين وهو لا يشعر فانبأه الله عز وجل
باستماعهم وقيل بل امر الله تعالى رسوله ان ينذر الجن ويقرأ عليهم فصرف اليه نفرا منهم جمعهم له فقال اني امرت
ان اقرأ على الجن الليلة فمن يتبعني قالها ثلاثا فاطرقوا الا عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال لم يحضره ليلة الجن
احد غيري فانطلقنا حتى اذا كنا باعلى مكة في شعب الحجون فخط لي خطا وقال لي لا تخرج منه حتى اعود اليك ثم
افتتح القرآن وسمعت لغطا شديدا حتى خفت على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وغشيته اسودة كثيرة حالت
بيني وبينه حتى ما اسمع صوته ثم انقطعوا كقطع السحاب فقال لي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هل رأيت شيئا قلت
نعم رجالا سودا مستثفري ثياب بيض فقال اولئك جن نصيبين وكانوا اثني عشر الفا والسورة التي قرأها عليهم
اقرأ باسم ربك **فان قلت** كيف قالوا من بعد موسى **قلت** عن عطاء انهم كانوا على اليهودية
وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان الجن لم تكن سمعت بامر عيسى فلذلك قالت من بعد موسى **يا قومنا اجيبوا
داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب اليم ومن لا يجب داعي الله
فليس بمعجز في الارض وليس له من دونه اولياء اولئك في ضلال مبين**
فان قلت لم بعض في قوله تعالى من ذنوبكم **قلت** لان من الذنوب ما لا يغفر بالايمان كذنوب المظالم
ونحوها ونحوه قوله تعالى ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون يغفر لكم من ذنوبكم **فان قلت** هل للجن ثواب كالانس
قلت اختلف فيه فقيل لا ثواب لهم الا النجاة من النار لقوله تعالى ويجركم من عذاب اليم واليه كان يذهب ابو حنيفة
رحمه الله تعالى والصحيح انهم في حكم بني آدم لانهم مكلفون مثلهم فليس بمعجز في الارض اي لا ينجي منه مهرب ولا يسبق قضاءه
سابق ونحوه قوله تعالى وانا ظننا ان لن نعجز الله في الارض ولن نعجزه هربا **اولم يروا ان الله الذي خلق
السموات والارض ولم يعي بخلقهن بقادر على ان يحيي الموتى بلى انه على كل شيء قدير**
بقادر محله الرفع لانه خبر ان يدل عليه قرآءة عبد الله قادر وانما دخلت الباء لاشتمال النفي في اول الآية على ان وما في
حيزها قال الزجاج لو قلت ما ظننت ان زيدا بقائم جاز كانه قيل أليس الله بقادر الا ترى الى وقوع بلى مقررة للقدرة على كل
شيء من البعث وغيره لا لرؤيتهم وقرئ يقدر ويقال عييت بالامر اذا لم تعرف وجهه ومنه افعيينا بالخلق الاول
**ويوم يعرض الذين كفروا على النار أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب
بما كنتم تكفرون** أليس هذا بالحق محكي بعد قول مضمر وهذا المضمر هو ناصب الظرف وهذا اشارة الى العذاب بدليل
قوله تعالى فذوقوا العذاب والمعنى التهكم بهم والتوبيخ لهم على استهزائهم بوعد الله تعالى ووعيده وقولهم وما نحن بمعذبين
**فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم كانهم يوم يرون ما يوعدون لم
يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك الا القوم الفاسقون** اولوا العزم اولوا
الجد والثبات والصبر ومن يجوز ان تكون للتبعيض ويراد باولي العزم بعض الانبياء قيل هم نوح صبر على اذى قومه كانوا
يضربونه حتى يغشى عليه وابراهيم على النار وذبح ولده واسحق على الذبح ويعقوب على فقد ولده وذهاب بصره ويوسف على
الجب والسجن وايوب على الضر وموسى قال له قومه انا لمدركون قال كلا ان معي ربي سيهدين وداود بكى على خطيئته اربعين سنة
وعيسى لم يضع لبنة على لبنة صلوات الله تعالى وسلامه عليهم وقال انها معبرة فاعبروها ولا تعمروها قال الله تعالى في
آدم عليه السلام ولم نجد له عزما وفي يونس ولا تكن كصاحب الحوت ويجوز ان تكون للبيان فيكون اولوا العزم صفة الرسل
كلهم ولا تستعجل لكفار قريش بالعذاب اي لا تدع لهم بتعجيله فانه نازل بهم لا محالة وان تأخر وانهم يستقصرون حينئذ
مدة لبثهم في الدنيا حتى يحسبونها ساعة من نهار بلاغ اي هذا بلاغ اي هذا الذي وعظتم به كفاية في الموعظة او هذا تبليغ من
الرسول فهل يهلك الا الخارجون عن الاتعاظ به والعمل بموجبه ويدل على معنى التبليغ قرآءة من قرأ بلغ فهل يهلك وقرئ

استثفر الرجل بثوبه اذا رد طرفه بين رجليه الى حجزته ح

بلاغا

بلاغا اي بلغوا بلاغا وقرئ يهلك بفتح الياء وكسر اللام وفتحها من هلك وهلك ونهلك بالنون الا القوم الفاسقين
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الاحقاف كتب الله تعالى له عشر حسنات بعدد كل رملة في الدنيا

سورة محمد صلى الله عليه وسلم

مدنية عند مجاهد وقال الضحاك وسعيد بن جبير مكية وهي سورة
القتال وهي تسع وقيل ثمان وثلثون آية

**بسم الله الرحمن الرحيم الذين كفروا وصدوا عن
سبيل الله اضل اعمالهم** وصدوا واعرضوا وامتنعوا عن الدخول في الاسلام او صدوا غيرهم عنه
قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هم المطعمون يوم بدر وعن مقاتل كانوا اثني عشر رجلا من اهل الشرك يصدون الناس
عن الاسلام ويأمرونهم بالكفر وقيل هم اهل الكتاب الذين كفروا وصدوا من اراد منهم ومن غيرهم ان يدخل في الاسلام
وقيل هو عام في كل من كفر وصد اضل اعمالهم ابطلها واحبطها وحقيقته جعلها ضالة ضائعة ليس لها من
يتقبلها ويثيب عليها كالضالة من الابل التي بمضيعة لا رب لها يحفظها ويعتني بامرها او جعلها ضالة في كفرهم ومعاصيهم
مغلوبة بها كما يضل الماء في اللبن واعمالهم ما عملوه في كفرهم مما كانوا يسمونه مكارم من صلة الارحام وفك الاسارى
وقرى الاضياف وحفظ الجوار وقيل ابطل ما عملوه من الكيد لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والصد عن سبيل الله
بان نصره عليهم واظهر دينه على الدين كله **والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل
على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم واصلح بالهم** والذين آمنوا قال مقاتل
هم ناس من قريش وقيل من الانصار وقيل هم مؤمنوا اهل الكتاب وقيل هو عام وقوله تعالى وآمنوا بما نزل على محمد اختصاص
للايمان بالمنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين ما يجب الايمان به تعظيما لشأنه وتعليما لانه لا يصح الايمان ولا يتم الا
به وأكد ذلك بالجملة الاعتراضية التي هي قوله وهو الحق من ربهم وقيل معناها ان دين محمد عليه الصلوة والسلام هو الحق اذ لا يرد
عليه النسخ وهو ناسخ لغيره وقرئ نزل وانزل على البناء للمفعول ونزل على البناء للفاعل ونزل بالتخفيف كفر عنهم سيئاتهم
ستر باياتهم وعملهم الصالح ما كان منهم من الكفر والمعاصي لرجوعهم عنها وتوبتهم واصلح بالهم اي حالهم وشأنهم بالتوفيق في امور الدين
وبالتسليط على الدنيا بما اعطاهم من النصرة والتأييد **ذلك بان الذين كفروا اتبعوا الباطل وان الذين
آمنوا اتبعوا الحق من ربهم كذلك يضرب الله للناس امثالهم** ذلك مبتدأ وما بعده خبره اي ذلك الامر
وهو اضلال اعمال احد الفريقين وتكفير سيئات الثاني كائن بسبب اتباع هؤلاء الباطل وهؤلاء الحق ويجوز ان يكون ذلك خبر
مبتدأ محذوف اي الامر كما ذكر بهذا السبب فيكون محل الجار والمجرور منصوبا على هذا ومرفوعا على الاول والباطل ما لا ينتفع به
وعن مجاهد الباطل الشيطان وهذا الكلام يسميه علماء البيان التفسير كذلك مثل ذلك الضرب يضرب الله للناس امثالهم
والضمير راجع الى الناس او الى المذكورين من الفريقين على معنى انه يضرب امثالهم لاجل الناس ليعتبروا بهم **فان قلت**
اين ضرب الامثال **قلت** في ان جعل اتباع الباطل مثلا لعمل الكفار واتباع الحق مثلا لعمل المؤمنين او في ان جعل الاضلال
مثلا لخيبة الكفار وتكفير السيئات مثلا لفوز المؤمنين **فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى
اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق** لقيتم من اللقاء وهو الحرب فضرب الرقاب اصله فاضربوا الرقاب ضربا فحذف
الفعل وقدم المصدر فانيب منابه مضافا الى المفعول وفيه اختصار مع اعطاء معنى التوكيد لانك تذكر المصدر وتدل على الفعل
بالنصبة التي فيه وضرب الرقاب عبارة عن القتل لان الواجب ان تضرب الرقاب خاصة دون غيرها من الاعضاء وذلك انهم
كانوا يقولون ضرب الامير رقبة فلان وضرب عنقه وعلاوته وضرب ما فيه عيناه اذا قتله وذلك ان قتل الانسان اكثر ما يكون
بضرب رقبته فوقع عبارة عن القتل وان ضرب غير رقبته من المقاتل كما ذكرنا في قوله تعالى بما كسبت ايديكم على ان في هذه العبارة
من الغلظة والشدة ما ليس في لفظ القتل لما فيه من تصوير القتل باشنع صورة وهو حز العنق واطارة العضو الذي
هو رأس البدن وعلوه واوجه اعضائه ولقد زاد في هذه الغلظة في قوله تعالى فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم
كل بنان اثخنتموهم اكثرتم قتلهم واغلظتموه من الشيء الثخين وهو الغليظ او اثقلتموهم بالقتل والجراح حتى اذهبتم عنهم

[illegible] فشدوا الوثاق فاسروهم والوثاق بالفتح والكسر اسم ما يوثق به • فاما منا بعد واما فداء حتى
تضع الحرب اوزارها ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض
منا وفداء منصوبان بفعليهما مضمرين اى فاما تمنون منا واما تفدون فداء والمعنى التخيير بعد الاسر بين ان يمنوا
عليهم فيطلقوهم وبين ان يفادوهم فان قلت كيف حكم الاسارى المشركين قلت اما عند ابى حنيفة واصحابه
فاحد امرين اما قتلهم واما استرقاقهم ايهما رأى الامام ويقولون فى المن والفداء المذكورين فى الآية نزل ذلك فى يوم
بدر ثم نسخ وعن مجاهد ليس اليوم من ولا فداء وانما هو الاسلام او ضرب العنق ويجوز ان يراد بالمن ان يمن عليهم
بترك القتل ويسترقوا او يمن عليهم فيخلوا لقبولهم الجزية وكونهم من اهل الذمة وبالفداء ان يفادى باساراهم اسارى
المشركين فقد رواه الطحاوى مذهبا عن ابى حنيفة رحمه الله تعالى والمشهور انه لا يرى فداءهم لا بمال ولا بغيره خيفة ان يعودوا
حربا للمسلمين واما الشافعى رضى الله تعالى عنه فيقول للامام ان يختار احد اربعة اشياء على حسب ما اقتضاه نظره للمسلمين
وهو القتل والاسترقاق والفداء باسارى المسلمين والمن ويحتج بان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من على ابى عزة
الجمحى وعلى ابى اثال الحنفى وفادى رجلا برجلين من المشركين وهذا كله منسوخ عند اصحاب الرأى وقرئ فدى بالقصر
مع فتح الفاء اوزار الحرب آلاتها واثقالها التى لا تقوم الا بها كالسلاح والكراع قال الاعشى واعددت للحرب اوزارها
رماحا طوالا وخيلا ذكورا وسميت اوزارها لانها لما لم يكن لها بد من جرها فكانها تحملها وتستقل بها فاذا انقضت
فكانها وضعتها وقيل اوزارها آثامها يعنى حتى يترك اهل الحرب وهم المشركون شركهم ومعاصيهم بان يسلموا فان قلت
حتى بم تعلقت قلت لا تخلو من ان تتعلق بالضرب والشد او بالمن والفداء والمعنى على كلا المتعلقين عند الشافعى
انهم لا يزالون على ذلك ابدا الى ان لا يكون حرب مع المشركين وذلك اذا لم يبق لهم شوكة وقيل اذا نزل عيسى عليه السلام وعند
ابى حنيفة رحمه الله تعالى اذا علق بالضرب والشد فالمعنى انهم يقتلون ويؤسرون حتى يضع جنس الحرب الاوزار وذلك
حين لا تبقى شوكة للمشركين واذا علق بالمن والفداء فالمعنى انه يمن عليهم ويفادون حتى تضع حرب بدر اوزارها الا ان
يتأول المن والفداء بما ذكرنا من التأويل ذلك اى الامر ذلك او افعلوا ذلك لانتصر منهم لانتقم منهم ببعض اسباب الهلاك من خسف
او رجفة او حاصب او غرق او موت جارف ولكن امركم بالقتال ليبلو المؤمنين بالكافرين بان يجاهدوا ويصبروا حتى يستوجبوا
الثواب العظيم والكافرين بالمؤمنين بان يعاجلهم على ايديهم ببعض ما وجب لهم من العذاب • والذين قتلوا فى
سبيل الله فلن يضل اعمالهم سيهديهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم
وقرئ قتلوا بالتخفيف والتشديد وقتلوا وقاتلوا وقرئ فلن يضل اعمالهم ويضل اعمالهم على البناء للمفعول ويضل اعمالهم
من ضل وعن قتادة انها نزلت فى يوم احد عرفها لهم اعلمها لهم وبينها بما يعلم به كل احد منزله ودرجته من الجنة قال
مجاهد يهتدى اهل الجنة الى مساكنهم منها لا يخطئون كانهم كانوا سكانها منذ خلقوا لا يستدلون عليها وعن مقاتل ان
الملك الذى وكل بحفظ عمله فى الدنيا يمشى بين يديه فيعرفه كل شىء اعطاه الله تعالى او طيبها لهم من العرف وهو طيب الرائحة
وفى كلام بعضهم عزف كنوح القمارى وعرف كفوح القمارى او حددها لهم فجنة كل احد محدودة مفرزة عن غيرها من عرف الدار
وارفها والعرف والارف الحدود • يا ايها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم
والذين كفروا فتعسا لهم واضل اعمالهم • ان تنصروا دين الله ورسوله ينصركم على عدوكم ويفتح لكم ويثبت
اقدامكم فى مواطن الحرب او على محجة الاسلام والذين كفروا يحتمل الرفع على الابتداء والنصب بما يفسره فتعسا لهم كانه قيل اتعس
الذين كفروا فان قلت علام عطف قوله تعالى واضل اعمالهم قلت على الفعل الذى نصب تعسا لان المعنى
فقال تعسا لهم او فقضى تعسا لهم وتعسا له نقيض لعا له قال الاعشى فالتعس اولى لها من ان اقول لعا يريد فالعثور والانحطاط اقرب لها من
الانتعاش والثبوت وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما يريد فى الدنيا القتل وفى الآخرة التردى فى النار • ذلك بانهم
كرهوا ما انزل الله فاحبط اعمالهم • كرهوا القرآن وما انزل الله تعالى فيه من التكاليف والاحكام لانهم
قد الفوا الاهمال واطلاق العنان فى الشهوات والملاذ فشق عليهم ذلك وتعاظمهم • افلم يسيروا فى
الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم وللكافرين
امثالها • دمره الله اهلكه ودمر عليه اهلك عليه ما يختص به والمعنى دمر الله تعالى عليهم ما اختص بهم من انفسهم

واولادهم واموالهم وكلما كان لهم وللكافرين امثالها الضمير للعاقبة المذكورة او للهلكة لان التدمير يدل عليها او للسنة
لقوله تعالى سنة الله التى قد خلت • ذلك بان الله مولى الذين آمنوا وان الكافرين لا مولى لهم
ولى الذين آمنوا وليهم وناصرهم وفى قراءة ابن مسعود رضى الله تعالى عنه ولى الذين آمنوا ويروى ان رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم كان فى الشعب يوم احد وقد فشت فيه الجراحات وفيه نزلت فنادى المشركون اعل هبل فنادى المسلمون
الله اعلى واجل فنادى المشركون يوم بيوم والحرب سجال ان لنا عزى ولا عزى لكم فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
قولوا الله مولانا ولا مولى لكم ان القتلى مختلفة اما قتلانا فاحياء يرزقون واما قتلاكم ففى النار يعذبون
فان قلت قوله تعالى وردوا الى الله مولاهم الحق مناقض لهذه الآية قلت لا تناقض بينهما لان الله تعالى
مولى عباده جميعا على انه ربهم ومالك امرهم واما على معنى الناصر فهو مولى المؤمنين خاصة • ان الله يدخل
الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار والذين كفروا
يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام والنار مثوى لهم • يتمتعون ينتفعون بمتاع الحيوة الدنيا
اياما قلائل ويأكلون غافلين غير متفكرين فى العاقبة كما تأكل الانعام فى مسارحها ومعالفها غافلة عما هى بصدده
من النحر والذبح مثوى لهم منزل ومقام • وكاين من قرية هى اشد قوة من قريتك التى اخرجتك
اهلكناهم فلا ناصر لهم • افمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا
اهواءهم • وقرئ وكاين بوزن كاعن واراد بالقرية اهلها ولذلك قال اهلكناهم كانه قال وكم من قوم هم
اشد قوة من قومك الذين اخرجوك اهلكناهم ومعنى اخرجوك كانوا سبب خروجك فان قلت كيف قال
فلا ناصر لهم وانما هو امر قد مضى قلت مجراه مجرى الحال المحكية كقولك اهلكناهم فهم لا ينصرون من زين
له هم اهل مكة الذين زين لهم الشيطان شركهم وعداوتهم لله ورسوله ومن كان على بينة من ربه اى على حجة من عنده
وبرهان وهو القرآن المعجز وسائر المعجزات هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ امن كان على بينة من ربه وقال تعالى سوء
عمله واتبعوا للحمل على لفظ من ومعناه • مثل الجنة التى وعد المتقون • فيها انهار من ماء غير
آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل
مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم كمن هو خالد فى النار وسقوا
ماء حميما فقطع امعاءهم • فان قلت ما معنى قوله تعالى مثل الجنة التى وعد المتقون
فيها انهار كمن هو خالد فى النار قلت هو كلام فى صورة الاثبات ومعنى النفى والانكار لانطوائه تحت
حكم كلام مصدر بحرف الانكار ودخوله فى حيزه وانخراطه فى سلكه وهو قوله تعالى افمن كان على بينة من ربه كمن زين له
سوء عمله كانه قيل امثل الجنة كمن هو خالد فى النار اى كمثل جزاء من هو خالد فى النار فان قلت فلم عرى
من حرف الانكار وما فائدة التعرية قلت تعريته من حرف الانكار فيها زيادة تصوير لمكابرة من يسوى بين المتمسك
بالبينة والتابع لهواه وانه بمنزلة من يثبت التسوية بين الجنة التى تجرى فيها تلك الانهار وبين النار التى يسقى اهلها
الحميم ونظيره • افرح ان ارزأ الكرام وان • اورث ذودا شصائصا نبلا • هو كلام منكر للفرح برزية الكرام ووراثة
الذود مع تعريه من حرف الانكار لانطوائه تحت حكم قول من قال له اتفرح بموت اخيك وبوراثة ابله والذى طرح لاجله
حرف الانكار ارادة ان يصور قبح ما ارزأ به فكانه قال نعم يفرح مثلى برزية الكرام وبان يستبدل منهم ذودا يقل طائله
وهو من التسليم الذى تحته كل انكار ومثل الجنة صفة الجنة العجيبة الشان وهو مبتدأ وخبره كمن هو خالد وقوله
فيها انهار داخل فى حكم الصلة كالتكرير لها الا ترى الى صحة قولك التى فيها انهار ويجوز ان يكون خبر مبتدأ محذوف
هى فيها انهار وكان قائلا قال وما مثلها فقيل فيها انهار وان يكون فى موضع الحال اى مستقرة فيها انهار وفى قراءة
على رضى الله تعالى عنه امثال الجنة اى ما صفاتها كصفات النار وقرئ اسن يقال اسن الماء واجن اذا تغير طعمه
وريحه وانشد ليزيد بن معوية • لقد سقتنى رضابا غير ذى اسن • كالمسك فت على ماء العناقيد • من لبن لم
يتغير طعمه كما تتغير البان الدنيا فلا يعود قارصا ولا حازرا ولا ما يكره من الطعوم لذة تأنيث لذ وهو اللذيذ او وصف
بمصدر وقرئ بالحركات الثلاث فالجر على صفة الخمر والرفع على صفة الانهار والنصب على العلة اى لاجل لذة للشاربين

والمعنى ما هو الا التلذذ الخالص ليس معه ذهاب عقل ولا خمار ولا صداع ولا آفة من آفات الخمر مصفى لم يخرج من بطون النحل فيخالطه
الشمع وغيره ماء حميما قيل اذا دنا منهم شوى وجوههم وانمازت فروة رؤسهم فاذا شربوه قطع امعاءهم ومنهم من
يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين اوتوا العلم ماذا قال آنفا اولئك
الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا اهواءهم هم المنافقون كانوا يحضرون مجلس رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم فيسمعون كلامه ولا يعونه ولا يلقون له بالا تهاونا منهم فاذا خرجوا قالوا لاولي العلم من الصحابة ماذا قال الساعة على جهة الاستهزاء
وقيل كان يخطب فاذا عاب المنافقين خرجوا فقالوا ذلك للعلماء وقيل قالوه لعبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه وعن
ابن عباس رضي الله عنهما انا منهم وقد سميت فيمن سئل آنفا وقرئ انفا على فعل نصب على الظرف قال الزجاج هو من استأنفت
الشيء اذا ابتدأته والمعنى ماذا قال في اول وقت يقرب منا والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم
زادهم الله تعالى هدى بالتوفيق وآتاهم تقواهم اعانهم عليها او آتاهم جزاء تقواهم وعن السدي بين لهم ما يتقون
وقرئ واعطاهم وقيل الضمير في زادهم لقول الرسول او لاستهزاء المنافقين فهل ينظرون الا الساعة
ان تأتيهم بغتة فقد جاء اشراطها فانى لهم اذا جاءتهم ذكراهم ان تأتيهم بدل اشتمال من الساعة
نحو ان تطؤهم من قوله تعالى رجال مؤمنون ونساء مؤمنات وقرئ ان تأتهم بالوقف على الساعة واستيناف الشرط وهي
في مصاحف اهل مكة كذلك فان قلت فما جزاء الشرط قلت قوله فانى لهم ومعناه ان تأتهم الساعة
فكيف لهم ذكراهم اي تذكرهم واتعاظهم اذا جاءتهم الساعة يعني لا تنفعهم الذكرى حينئذ كقوله تعالى يومئذ يتذكر الانسان وانى
له الذكرى فان قلت بم يتصل قوله فقد جاء اشراطها على القراءتين قلت باتيان الساعة اتصال العلة بالمعلول
كقولك ان اكرمني زيد فانا حقيق بالاكرام اكرمه والاشراط العلامات قال ابو الاسود • فان كنت قد ازمعت بالصرم بيننا • فقد جعلت
اشراط اوله تبدو • وقيل مبعث محمد خاتم الانبياء صلى الله تعالى عليه وسلم وعليهم اجمعين منها وانشقاق القمر والدخان
وعن الكلبي كثرة المال والتجارة وشهادة الزور وقطع الارحام وقلة الكرام وكثرة اللئام وقرئ بغتة بوزن جربة وهي غريبة
لم ترد في المصادر اختها وهي مروية عن ابي عمرو وما اخوفني ان تكون غلطة من الراوي على ابي عمرو وان يكون الصواب بغتة بفتح الغين
من غير تشديد كقراءة الحسن فيما تقدم فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر
لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثواكم لما ذكر حال المؤمنين وحال
الكافرين قال اذا علمت ان الامر كما ذكر من سعادة هؤلاء وشقاوة هؤلاء فاثبت على ما انت عليه من العلم بوحدانية الله تعالى
وعلى التواضع وعلى هضم النفس باستغفار ذنبك وذنوب من على دينك والله يعلم احوالكم ومتصرفاتكم ومتقلبكم في معايشكم
ومتاجركم ويعلم حيث تستقرون من منازلكم او متقلبكم في حياتكم ومثواكم في القبور او متقلبكم في اعمالكم ومثواكم من
الجنة والنار ومثله حقيق بان يخشى ويتقى وان يستغفر ويسترحم وعن ابن عيينة انه سئل عن فضل العلم فقال الم تسمع قوله
حين بدأ به فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك فامر بالعمل بعد العلم وقال اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو الى قوله
سابقوا الى مغفرة من ربكم وقال تعالى واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة ثم قال بعد فاحذروهم وقال واعلموا انما غنمتم
من شيء فان لله خمسه ثم امر بالعمل بعد ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة فاذا انزلت سورة
محكمة وذكر فيها القتال رايت الذين في قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر المغشي عليه
من الموت فاولى لهم طاعة وقول معروف كانوا يدعون الحرص على الجهاد ويتمنونه بالسنتهم ويقولون لولا
انزلت سورة في معنى الجهاد فاذا انزلت وامروا فيها بما تمنوا وحرصوا عليه كاعوا وشق عليهم وسقطوا في ايديهم كقوله تعالى
فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس محكمة مبينة غير متشابهة لا تحتمل وجها الا وجوب القتال وعن قتادة
كل سورة فيها ذكر القتال فهي محكمة وهي اشد القرآن على المنافقين وقيل لها محكمة لان النسخ لا يرد عليها من قبل
ان القتال نسخ ما كان من الصفح والمهادنة وهو غير منسوخ الى يوم القيامة وقيل هي المحدثة لانها حين يحدث نزولها
لا يتناولها النسخ ثم تنسخ بعد ذلك او تبقى غير منسوخة وفي قراءة عبد الله سورة محدثة وقرئ فاذا نزلت سورة وذكر فيها
القتال على البناء للفاعل ونصب القتال الذين في قلوبهم مرض هم الذين كانوا على حرف غير ثابتي الاقدام نظر المغشي عليه من
الموت اي تشخص ابصارهم جبنا وهلعا كما ينظر من اصابته الغشية عند الموت فاولى لهم وعيد بمعنى فويل لهم وهو افعل من

الولي

الولي وهو القرب ومعناه الدعاء عليهم بان يليهم المكروه طاعة وقول معروف كلام مستأنف اي طاعة وقول معروف خير لهم
وقيل هي حكاية قولهم اي قالوا طاعة وقول معروف بمعنى امرنا طاعة وقول معروف ويشهد له قراءة ابي رضي الله تعالى عنه
يقولون طاعة وقول معروف فاذا عزم الامر فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم فهل عسيتم
ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم اولئك الذين لعنهم الله
فاصمهم واعمى ابصارهم فاذا عزم الامر اي جد والعزم والجد لاصحاب الامر وانما يسندان الى الامر
اسنادا مجازيا ومنه قوله تعالى ان ذلك لمن عزم الامور فلو صدقوا الله فيما زعموا من الحرص على الجهاد او فلو صدقوا في
ايمانهم وواطأت قلوبهم فيه السنتهم عسيت وعسيتم لغة اهل الحجاز واما بنو تميم فيقولون عسى ان تفعل وعسى ان تفعلوا
ولا يلحقون الضمائر وقرأ نافع بكسر السين وهو غريب وقد نقل الكلام من الغيبة الى الخطاب على طريقة الالتفات ليكون
ابلغ في التوبيخ فان قلت ما معنى فهل عسيتم ان تفسدوا في الارض قلت معناه هل يتوقع منكم الفساد
فان قلت فكيف يصح هذا في كلام الله عز وجل وهو عالم بما كان وبما يكون قلت معناه انكم لما عهد منكم
احقاء بان يقول لكم كل من ذاقكم وعرف تمريضكم ورخاوة عقدكم في الايمان يا هؤلاء ما ترون هل يتوقع منكم ان توليتم امور
الناس وتأمرتم عليهم لما تبين منكم من الشواهد ولاح من المخايل ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم تناحرا على الملك
وتهالكا على الدنيا وقيل ان اعرضتم وتوليتم عن دين رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته ان ترجعوا الى ما كنتم عليه في الجاهلية
من الافساد في الارض بالتغاور والتناهب وقطع الارحام بمقاتلة بعض الاقارب بعضا ووأد البنات وقرئ وليتم وفي قراءة
علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه توليتم اي تولاكم ولاة غشمة خرجتم معهم ومشيتم تحت لوائهم وافسدتم بافسادهم وقرئ
وتقطعوا وتقطعوا من التقطيع والتقطع اولئك اشارة الى المذكورين لعنهم الله لافسادهم وقطعهم الارحام فمنعهم
الطافه وخذلهم حتى صموا عن استماع الموعظة وعموا عن ابصار طريق الهدى ويجوز ان يريد بالذين آمنوا المؤمنين الخلص الثابتين
وانهم يتشوفون الى الوحي اذا ابطأ عليهم فاذا انزلت سورة في معنى الجهاد رايت المنافقين فيما بينهم يضجرون منها
افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها افلا يتدبرون القرآن ويتصفحونه وما فيه من المواعظ والزواجر
ووعيد العصاة حتى لا يجسروا على المعاصي ثم قال ام على قلوب اقفالها وام بمعنى بل وهمزة التقرير للتسجيل عليهم بان قلوبهم
مقفلة لا يتوصل اليها ذكر وعن قتادة اذن والله يجدوا في القرآن زاجرا عن معصية الله لو تدبروه ولكنهم اخذوا بالمتشابه
فهلكوا فان قلت لم نكرت القلوب واضيفت الاقفال اليها قلت اما التنكير ففيه وجهان ان يراد على قلوب
قاسية مبهم امرها في ذلك او يراد على بعض القلوب وهي قلوب المنافقين واما اضافة الاقفال فلانه يريد الاقفال المختصة
بها وهي اقفال الكفر التي استغلقت فلا تنفتح ان الذين ارتدوا على ادبارهم من بعد ما تبين لهم
الهدى الشيطان سول لهم واملى لهم الشيطان سول لهم جملة من مبتدأ وخبر وقعت خبرا لان كقولك
ان زيدا عمرو مر به سول لهم سهل لهم ركوب العظائم من السول وهو الاسترخاء وقد اشتقه من السؤل من لا علم له بالتصريف
والاشتقاق جميعا واملى لهم ومد لهم في الآمال والاماني وقرئ واملي لهم يعني ان الشيطان يغويهم وانا انظرهم كقوله تعالى انما
نملي لهم وقرئ واملي لهم على البناء للمفعول اي امهلوا ومد في عمرهم وقرئ سول لهم ومعناه كيد الشيطان زين لهم على تقدير حذف
المضاف فان قلت من هؤلاء قلت اليهود كفروا بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم من بعد ما تبين لهم الهدى وهو
نعته في التوراة وقيل هم المنافقون ذلك بانهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم
في بعض الامر والله يعلم اسرارهم الذين قالوا القائلون هم اليهود والذين كرهوا ما نزل الله المنافقون
وقيل عكسه وانه قول المنافقين لقريظة والنضير لئن اخرجتم لنخرجن معكم وقيل بعض الامر التكذيب برسول الله صلى الله
عليه وسلم او بلا اله الا الله او ترك القتال معه وقيل هو قول احد الفريقين للمشركين سنطيعكم في التظافر على عداوة
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والقعود عن الجهاد معه ومعنى في بعض الامر في بعض ما تامرون به او في بعض الامر الذي يهمكم والله
يعلم اسرارهم وقرئ اسرارهم على المصدر قالوا ذلك سرا فيما بينهم فافشاه الله تعالى عليهم فكيف اذا توفتهم الملائكة يضربون
وجوههم وادبارهم ذلك بانهم اتبعوا ما اسخط الله وكرهوا رضوانه فاحبط
اعمالهم فكيف يعملون وما حيلتهم حينئذ وقرئ توفاهم ويحتمل ان يكون ماضيا ومضارعا قد حذفت احدى تاءيه

كقوله تعالى ان الذين توفاهم الملائكة وعن ابن عباس رضي الله عنهما لا يتوفى احد على معصية الله الا يضرب من الملائكة في وجهه ودبره وذلك اشارة الى التوفي الموصوف ما اسخط الله من كتمان نعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ورضوانه الايمان برسوله **أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم** اضغانهم احقادهم واخراجها ابرازها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين واظهارهم على نفاقهم وعداوتهم لهم وكانت صدورهم تغلي حنقا عليهم **ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول والله يعلم أعمالكم** لاريناكهم لعرفناكهم ودللناك عليهم حتى تعرفهم باعيانهم لا يخفون عليك بسيماهم بعلامتهم وهو ان يسمهم الله تعالى بعلامة يعلمون بها وعن انس بن مالك رضي الله تعالى عنه ما خفي على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعد هذه الآية شيء من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم ولقد كنا في بعض الغزوات وفيها تسعة المنافقين يشكوهم الناس فناموا ذات ليلة فاصبحوا على جبهة كل واحد منهم مكتوب هذا منافق **فان قلت** اي فرق بين اللامين في فلعرفتهم ولتعرفنهم **قلت** الاولى هي التي ادخلت في جواب لو كالتي في لاريناكهم كررت في المعطوف واما اللام في ولتعرفنهم فواقعة مع النون في جواب قسم محذوف في لحن القول نحوه واسلوبه وعن ابن عباس رضي هو قولهم ما لنا ان اطعنا من الثواب ولا يقولون ما علينا ان عصينا من العقاب وقيل اللحن ان تلحن بكلامك اي تميله الى نحو من الانحاء ليفطن له صاحبك كالتعريض والتورية قال ولقد لحنت لكم لكيما تفقهوا واللحن يعرفه ذوو الالباب وقيل للمخطئ لاحن لانه يعدل بالكلام عن الصواب **ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم** اخباركم ما يحكى عنكم وما يخبر عن اعمالكم ليعلم حسنها من قبيحها لان الخبر على حسب المخبر عنه ان حسنا فحسن وان قبيحا فقبيح وقرأ يعقوب ونبلو بسكون الواو على معنى ونحن نبلو اخباركم وقرئ وليبلونكم ويعلم ويبلو بالياء وعن الفضيل انه كان اذا قرأها بكى وقال اللهم لا تبتلنا فانك ان بلوتنا فضحتنا وهتكت استارنا وعذبتنا **إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى لن يضروا الله شيئا وسيحبط أعمالهم** وسيحبط اعمالهم التي عملوها في دينهم يرجون بها الثواب لانها مع كفرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم باطلة وهم قريظة والنضير او سيحبط اعمالهم التي عملوها والمكايد التي نصبوها في مشاقة الرسول اي سيبطلها فلا يصلون منها الى اغراضهم بل يستضرون بها ولا تثمر لهم الا القتل والجلاء عن اوطانهم وقيل رؤساء قريش والمطعمون يوم بدر **يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم** ولا تبطلوا اعمالكم اي لا تحبطوا الطاعات بالكبائر كقوله عز وجل لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الى ان قال ان تحبط اعمالكم وعن ابي العالية كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرون انه لا يضر مع الايمان ذنب كما لا ينفع مع الشرك عمل حتى نزلت ولا تبطلوا اعمالكم وكانوا يخافون الكبائر على اعمالهم وعن حذيفة فخافوا ان تحبط الكبائر اعمالهم وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما كنا نرى انه ليس شيء من حسناتنا الا مقبولا حتى نزل ولا تبطلوا اعمالكم فقلنا ما هذا الذي يبطل اعمالنا فقلنا الكبائر الموجبات والفواحش حتى نزل ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فكففنا عن القول في ذلك فكنا نخاف على من اصاب الكبائر ونرجو لمن لم يصبها وعن قتادة رحم الله عبدا لم يحبط عمله الصالح بعمله السيئ وقيل لا تبطلوها بمعصيتهما وعن ابن عباس رضي الله عنهما لا تبطلوها بالرياء والسمعة وعنه بالشك والنفاق وقيل بالعجب فان العجب يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وقيل لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى **إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم** ماتوا وهم كفار قيل هم اصحاب القليب والظاهر العموم فلا تهنوا فلا تضعفوا ولا تذلوا للعدو ولا تدعوا الى السلم وقرئ السلم وهما المسالمة وانتم الاعلون اي الاغلبون الاقهرون والله معكم اي ناصركم وعن قتادة لا تكونوا اول الطائفتين ضرعت الى صاحبتها بالموادعة وقرئ ولا تدعوا من ادعى القوم وتداعوا اذا دعوا نحو قولك ارتموا الصيد وتراموه وتدعوا مجزوم لدخوله في حكم النهي او منصوب لاضمار ان وقوله وانتم الاعلون وقوله تعالى انك انت الاعلى ولن يتركم من وترت الرجل

اذا قتلت له قتيلا من ولد او اخ او حميم او حربته وحقيقته افردته من قريبه او ماله من الوتر وهو الفرد فشبه اضاعة عمل العامل وتعطيل ثوابه بوتر الواتر وهو من فصيح الكلام ومنه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم من فاتته صلوة العصر فكأنما وتر اهله وماله اي افرد عنهما قتلا ونهبا **إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وإن تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم ولا يسألكم أموالكم إن يسألكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج أضغانكم** يؤتكم اجوركم ثواب ايمانكم وتقواكم ولا يسألكم اموالكم اي ولا يسألكم جميعها انما يقتصر منكم على ربع العشر ثم قال تعالى ان يسألكموها فيحفكم اي يجهدكم ويطلبه كله والاحفاء المبالغة وبلوغ الغاية في كل شيء يقال احفاه في المسألة اذا لم يترك شيئا من الالحاح واحفى شاربه اذا استأصله تبخلوا ويخرج اضغانكم اي تضطغنون على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وتضيق صدوركم لذلك واظهرتم كراهتكم ومقتكم لدين يذهب باموالكم والضمير في يخرج لله عز وجل اي يضغنكم بطلب اموالكم او للبخل لانه سبب الاضطغان وقرئ نخرج بالنون ويخرج بالياء والتاء مع فتحها ورفع اضغانكم **ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه والله الغني وأنتم الفقراء** هؤلاء موصول بمعنى الذين وصلته تدعون اي انتم الذين تدعون او انتم يا مخاطبون هؤلاء الموصوفون ثم استأنف وصفهم كأنهم قالوا وما وصفنا فقيل تدعون لتنفقوا في سبيل الله قيل هي النفقة في الغزو وقيل الزكاة كأنه قيل الدليل على انه لو احفاكم لبخلتم وكرهتم العطاء واضطغنتم انكم تدعون الى اداء ربع العشر فمنكم ناس يبخلون به ثم قال ومن يبخل بالصدقة واداء الفريضة فلا يتعداه ضرر بخله وانما يبخل على نفسه يقال بخلت عليه وعنه وكذلك ضننت عليه وعنه ثم اخبر انه لا يأمر بذلك ولا يدعو اليه لحاجة اليه فهو الغني الذي تستحيل عليه الحاجات ولكن لحاجتكم وفقركم الى الثواب **وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم** وان تتولوا معطوف على وان تؤمنوا وتتقوا يستبدل قوما غيركم يخلق قوما سواكم على خلاف صفتكم راغبين في الايمان والتقوى غير متولين عنهما كقوله عز وجل ويأت بخلق جديد وقيل هم الملائكة وقيل الانصار وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كندة والنخع وعن الحسن العجم وعن عكرمة فارس والروم وسئل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن القوم وكان سلمان رضي الله تعالى عنه الى جنبه فضرب على فخذه وقال هذا وقومه والذي نفسي بيده لو كان الايمان منوطا بالثريا لتناوله رجال من فارس عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة محمد كان حقا على الله تعالى ان يسقيه من انهار الجنة

سورة الفتح مدنية

وهي تسع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما وينصرك الله نصرا عزيزا هو فتح مكة وقد نزلت مرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مكة عام الحديبية عدة له بالفتح وجيء به على لفظ الماضي على عادة رب العزة سبحانه وتعالى في اخباره لانها في تحققها وتيقنها بمنزلة الكائنة الموجودة وفي ذلك من الفخامة والدلالة على علو شأن المخبر ما لا يخفى **فان قلت** كيف جعل فتح مكة علة للمغفرة **قلت** لم يجعل علة للمغفرة ولكن لاجتماع ما عدد من الامور الاربعة وهي المغفرة واتمام النعمة وهداية الصراط المستقيم والنصر العزيز كأنه قيل يسرنا لك فتح مكة ونصرناك على عدوك لنجمع لك بين عز الدارين واغراض العاجل والآجل ويجوز ان يكون فتح مكة من حيث انه جهاد للعدو سببا للغفران والثواب والفتح الظفر بالبلد عنوة او صلحا بحرب او بغير حرب لانه منغلق ما لم يظفر به فاذا ظفر به وحصل في اليد فقد فتح وقيل هو فتح الحديبية ولم يكن فيه قتال شديد ولكن ترام بين القوم بسهام وحجارة وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما رموا المشركين حتى ادخلوهم ديارهم وعن الكلبي ظهروا عليهم حتى سألوا الصلح **فان قلت** كيف يكون فتحا وقد احصروا فنحروا وحلقوا بالحديبية **قلت** كان ذلك قبل الهدنة فلما طلبوها وتمت كان فتحا مبينا وعن موسى بن عقبة رضي الله تعالى عنه اقبل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الحديبية راجعا فقال رجل من اصحابه ما هذا بفتح لقد صددنا عن البيت وصد هدينا فبلغ النبي عليه الصلوة والسلام فقال بئس الكلام بل هذا اعظم الفتوح وقد رضي المشركون ان يدفعوكم عن بلادهم بالراح ويسألوكم القضية ويرغبوا اليكم في الامان وقد رأوا

شكم ما كرهوا عن الشعبي نزلت بالحديبية واصاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في تلك الغزوة ما لم يصب في غزوة
اصاب ان بويع بيعة الرضوان وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وظهرت الروم على فارس وبلغ الهدى محله واطعموا نخل
خيبر وكان في فتح الحديبية آية عظيمة وذلك انه نزح ماؤها حتى لم يبق فيها قطرة فتمضمض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
ثم مجه فيها فدرت بالماء حتى شرب جميع من كان معه وقيل فجاش الماء حتى امتلأت ولم ينفد ماؤها بعد وقيل هو فتح
خيبر وقيل فتح الروم وقيل فتح الله تعالى له بالاسلام والنبوة والدعوة بالحجة والسيف ولا فتح ابين منه واعظم وهو
رأس الفتوح كلها اذ لا فتح من فتوح الاسلام الا وهو تحته ومتشعب منه وقيل معناه قضينا لك قضاء بينا
على اهل مكة ان تدخلها انت واصحابك من قابل لتطوفوا بالبيت من الفتاحة وهي الحكومة وكذا عن قتادة ما تقدم
من ذنبك وما تأخر يريد جميع ما فرط منك وعن مقاتل ما تقدم في الجاهلية وما بعدها وقيل ما تقدم من حديث مارية وما
تأخر من امرأة زيد نصرا عزيزا فيه عز ومنعة او وصف بصفة المنصور اسنادا مجازيا او عزيزا صاحبه

هو الذي انزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ولله جنود
السموات والارض وكان الله عليما حكيما ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم وكان ذلك عند الله فوزا
عظيما ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله
ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم وساءت
مصيرا ولله جنود السموات والارض وكان الله عزيزا حكيما السكينة السكون
الطمأنينة للبهتان اي انزل الله تعالى في قلوبهم السكون والطمأنينة بسبب الصلح والامن ليعرفوا فضل الله تعالى عليهم
بتيسير الامن بعد الخوف والهدنة غب القتال فيزدادوا يقينا الى يقينهم او انزل فيها السكون الى ما جاء به محمد صلى الله
تعالى عليه وسلم من الشرائع ليزدادوا ايمانا بالشرائع مقرونا الى ايمانهم وهو التوحيد عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان اول
ما اتاهم به النبي التوحيد فلما آمنوا بالله وحده انزل الصلوة والزكوة ثم الحج ثم الجهاد فازدادوا ايمانا الى ايمانهم او انزل فيها
الوقار والعظمة لله عز وجل ولرسوله ليزدادوا باعتقاد ذلك ايمانا الى ايمانهم وقيل انزل فيها الرحمة ليتراحموا
فيزداد ايمانهم ولله جنود السموات والارض يسلط بعضها على بعض كما يقتضيه علمه وحكمته ومن قضيته ان سكن قلوب المؤمنين
بصلح الحديبية ووعدهم ان يفتح وانما قضى ذلك ليعرف المؤمنون نعمة الله فيه ويشكروها فيستحقوا الثواب فيثيبهم ويعذب
الكافرين والمنافقين لما غاظهم من ذلك وكرهوه وقع السوء عبارة عن رداءة الشيء وفساده والصدق عن جودته وصلاحه
فقيل في المرضي الصالح من الافعال فعل صدق وفي المسخوط الفاسد منها فعل سوء ومعنى ظن السوء ظنهم ان الله تعالى لا ينصر
الرسول والمؤمنين ولا يرجعهم الى مكة ظافرين فاتحيها عنوة وقهرا عليهم دائرة السوء اي ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين فهو
حائق بهم ودائر عليهم والسوء الهلاك والدمار وقرئ دائرة السوء بالفتح اي الدائرة التي يذمونها ويسخطونها فهي عندهم دائرة
سوء وعند المؤمنين دائرة صدق فان قلت هل من فرق بين السوء والسوء قلت هما كالكره والكره والضعف
والضعف من ساء الا ان المفتوح غلب في ان يضاف اليه ما يراد ذمه من كل شيء واما السوء فجار مجرى الشر الذي هو نقيض الخير
يقال اراد به السوء واراد به الخير ولذلك اضيف الظن الى المفتوح لكونه مذموما وكانت الدائرة محمودة فكان حقها ان لا تضاف
اليه الا على التأويل الذي ذكرنا واما دائرة السوء بالضم فلان الذي اصابهم مكروه وشدة فصح ان يقع عليه اسم السوء كقوله تعالى
ان اراد بكم سوءا او اراد بكم رحمة انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله
وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة واصيلا شاهدا تشهد على امتك كقوله تعالى ويكون الرسول
عليكم شهيدا لتؤمنوا الضمير للناس وتعزروه وتقووه بالنصر وتوقروه وتعظموه وتسبحوه من التسبيح او من السبحة والضمائر
لله عز وجل والمراد بتعزير الله تعالى تعزير دينه ورسوله ومن فرق الضمائر فقد ابعد وقرئ لتؤمنوا وتعزروه وتوقروه
بالتاء والخطاب لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولامته وقرئ وتعزروه بضم الزاي وكسرها وتعزروه بضم التاء والتخفيف
وتعزروه بالزائين وتوقروه من اوقره بمعنى وقره وتسبحوا الله بكرة واصيلا عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما صلوة
الفجر وصلوة الظهر وصلوة العصر ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم

فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن اوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجرا عظيما
لما قال انما يبايعون الله اكده تأكيدا على طريقة التخييل فقال يد الله فوق ايديهم يريد ان يد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم التي
تعلو ايدي المبايعين هي يد الله والله تعالى منزه عن الجوارح وعن صفات الاجسام وانما المعنى تقرير ان عقد الميثاق مع
الرسول كعقده مع الله من غير تفاوت بينهما كقوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله والمراد بيعة الرضوان فانما ينكث على نفسه
فلا يعود ضرر نكثه الا عليه قال جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه بايعنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تحت الشجرة على الموت
وعلى ان لا نفر فما نكث منا البيعة الا جد بن قيس وكان منافقا اختبأ تحت ابط بعيره ولم يسر مع القوم وقرئ
يبايعون لله اي لاجل الله تعالى ولوجهه وقرئ ينكث بضم الكاف وكسرها وبما عاهد وعهد فسنؤتيه بالنون والياء
يقال وفيت بالعهد واوفيت به وهي لغة تهامة ومنها قوله تعالى اوفوا بالعقود والموفون بعهدهم سيقول
لك المخلفون من الاعراب شغلتنا اموالنا واهلونا فاستغفر لنا يقولون بالسنتهم
ما ليس في قلوبهم هم الذين خلفوا عن الحديبية وهم اعراب غفار ومزينة وجهينة واشجع واسلم والديل وذلك
انه صلى الله عليه وسلم حين اراد المسير الى مكة عام الحديبية معتمرا استنفر من حول المدينة من الاعراب واهل البوادي ليخرجوا
معه حذرا من قريش ان يعرضوا له بحرب او يصدوه عن البيت واحرم هو صلى الله تعالى عليه وسلم وساق معه الهدي ليعلم انه لا
يريد حربا فتثاقل كثير من الاعراب وقالوا نذهب الى قوم قد غزوه في عقر داره بالمدينة وقتلوا اصحابه فنقاتلهم وظنوا انه يهلك
فلا ينقلب الى المدينة فاعتلوا بالشغل باهاليهم واموالهم وانه ليس لهم من يقوم باشغالهم وقرئ شغلتنا بالتشديد يقولون
بالسنتهم ما ليس في قلوبهم تكذيب لهم في اعتذارهم وان الذي خلفهم ليس بما يقولون وانما هو الشك في الله تعالى والنفاق
وطلبهم للاستغفار ايضا ليس بصادر عن حقيقة قل فمن يملك لكم من الله شيئا ان اراد بكم ضرا
او اراد بكم نفعا بل كان الله بما تعملون خبيرا فمن يملك لكم فمن يمنعكم من مشيئة الله تعالى وقضائه
ان اراد بكم ما يضركم من قتل او هزيمة او اراد بكم نفعا من ظفر او غنيمة وقرئ ضرا بالفتح والضم بل ظننتم ان لن
ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا وزين ذلك في قلوبكم وظننتم ظن السوء
وكنتم قوما بورا الاهلون جمع اهل ويقال اهلات على تقدير تاء التأنيث كارض وارضات وقد جاء اهلة واما اهال
فاسم جمع كليال وقرئ الى اهلهم وزين على البناء للفاعل وهو الشيطان او الله عز وجل وكلاهما في القرآن وزين لهم الشيطان
اعمالهم وزينا لهم اعمالهم والبور من بار كالهالك من هلك بناء ومعنى ولذلك وصف به الواحد والجمع والمذكر والمؤنث
ويجوز ان يكون جمع بائر كعائذ وعوذ والمعنى وكنتم قوما فاسدين في انفسكم وقلوبكم ونياتكم لا خير فيكم او هالكين عند الله
مستوجبين لسخط الله تعالى وعقابه ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا
للكافرين مقام ضميرهم للايذان بان من لم يجمع بين الايمانين الايمان بالله وبرسوله فهو كافر ونكر سعيرا لانها نار مخصوصة
كما نكر نارا تلظى ولله ملك السموات والارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء
وكان الله غفورا رحيما ولله ملك السموات والارض يدبره تدبير قادر حكيم فيغفر ويعذب بمشيئته
ومشيئته تابعة لحكمته وحكمته المغفرة للتائب وتعذيب المصر وكان الله غفورا رحيما رحمته سابقة لغضبه حيث يكفر السيئات
باجتناب الكبائر ويغفر الكبائر بالتوبة سيقول المخلفون اذا انطلقتم الى مغانم لتأخذوها
ذرونا نتبعكم يريدون ان يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل
فسيقولون بل تحسدوننا بل كانوا لا يفقهون الا قليلا سيقول المخلفون الذين تخلفوا
عن الحديبية اذا انطلقتم الى مغانم الى غنائم خيبر ان يبدلوا كلام الله وقرئ كلم الله ان يغيروا موعد الله تعالى لاهل
الحديبية وذلك انه وعدهم ان يعوضهم من مغانم مكة مغانم خيبر اذا قفلوا موادعين لا يصيبون منهم شيئا وقيل هو قوله تعالى لن تخرجوا معي
ابدا تحسدوننا ان نصيب معكم من الغنائم وقرئ بضم السين وكسرها لا يفقهون لا يفهمون الا فهما قليلا وهو فطنتهم لامور
الدنيا دون امور الدين كقوله تعالى يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا فان قلت ما الفرق بين حرفي الاضراب
قلت الاول اضراب معناه رد ان يكون حكم الله تعالى ان لا يتبعوهم واثبات الحسد والثاني اضراب عن وصفهم باضافة
الحسد الى المؤمنين الى وصفهم بما هو اطم منه وهو الجهل وقلة الفقه قل للمخلفين من الاعراب ستدعون

الى قوم اولى باس شديد تقاتلونهم او يسلمون فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا قل للمخلفين هم الذين تخلفوا عن الحديبية الى قوم اولى باس شديد يعني بني حنيفة قوم مسيلمة واهل الردة الذين حاربهم ابو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه لان مشركي العرب والمرتدين هم الذين لا يقبل منهم الا الاسلام او السيف عند ابي حنيفة رحمه الله تعالى ومن عداهم من مشركي العجم واهل الكتاب والمجوس يقبل منهم الجزية وعند الشافعي رحمه الله تعالى لا يقبل الجزية الا من اهل الكتاب والمجوس دون مشركي العجم وهذا دليل على امامة ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه فانهم لم يدعوا الى حرب في ايام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولكن بعد وفاته وكيف يدعوهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قوله تعالى فقل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا وقيل فارس والروم ومعنى يسلمون ينقادون لان الروم نصارى وفارس مجوس يقبل منهم اعطاء الجزية **فان قلت** عن قتادة انهم ثقيف وهوازن وكان ذلك في ايام رسول الله عليه الصلوة والسلام **قلت** ان صح ذلك فالمعنى لن تخرجوا معي ابدا ما دمتم على ما انتم عليه من مرض القلوب والاضطراب في الدين او على قول مجاهد كان الموعد انهم لا يتبعون رسول الله صلى الله عليه وسلم الا متطوعين لا نصيب لهم في المغنم **وان تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذابا اليما** كما توليتم من قبل يريد غزوة الحديبية او يسلمون معطوف على تقاتلونهم اي يكون احد الامرين اما المقاتلة او الاسلام لا ثالث لهما وفي قراءة ابي رضي الله تعالى عنه او يسلموا بمعنى الى ان يسلموا **ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار ومن يتول يعذبه عذابا اليما** نفى الحرج عن هؤلاء من ذوي العاهات في التخلف عن الغزو وقرئ ندخله ونعذبه بالنون **لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فانزل السكينة عليهم واثابهم فتحا قريبا** هي بيعة الرضوان سميت بهذه الآية وقصتها ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حين نزل بالحديبية بعث جواس بن امية الخزاعي رسولا الى اهل مكة فهموا به فمنعه الاحابيش فلما رجع دعا بعمر رضي الله تعالى عنه ليبعثه فقال اني اخافهم على نفسي لما عرف من عداوتي اياهم وما بمكة عدوي يمنعني ولكني ادلك على رجل هو اعز بها مني واحب اليهم عثمان بن عفان فبعثه فخبرهم انه لم يأت لحرب وانما جاء زائرا لهذا البيت معظما لحرمته فوقروه وقالوا ان شئت ان تطوف بالبيت فافعل فقال ما كنت لاطوف قبل ان يطوف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واحتبس عندهم فارجف بانهم قتلوه فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا نبرح حتى نناجز القوم ودعا الناس الى البيعة فبايعوه تحت الشجرة وكانت سمرة قال جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه لو كنت ابصر لاريتكم مكانها وقيل كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جالسا في اصل الشجرة وعلى ظهره غصن من اغصانها قال عبد الله بن المغفل رضي الله تعالى عنه وكنت قائما على راسه اذب عنه فرفعت الغصن عن ظهره فبايعوه على الموت دونه وعلى ان لا يفروا فقال لهم النبي عليه الصلوة والسلام انتم اليوم خير اهل الارض وكان عدد المبايعين الفا وخمسمائة وخمسة وعشرين وقيل الفا واربعمائة وقيل الفا وثلاثمائة فعلم ما في قلوبهم من الاخلاص وصدق الضمائر فيما بايعوا عليه فانزل السكينة اي الطمأنينة والامن بسبب الصلح على قلوبهم واثابهم فتحا قريبا وقرئ واتاهم وهو فتح خيبر غب انصرافهم من مكة وعن الحسن فتح هجر وهو اجل فتح اتسعوا بثمرها زمانا **ومغانم كثيرة ياخذونها وكان الله عزيزا حكيما** ومغانم كثيرة ياخذونها هي مغانم خيبر وكانت ارضا ذات عقار واموال فقسمها عليهم ثم اتاه عثمان رضي الله تعالى عنه بالصلح فصالحهم وانصرف بعد ان نحر بالحديبية وحلق **وعدكم الله مغانم كثيرة تاخذونها فعجل لكم هذه وكف ايدي الناس عنكم ولتكون آية للمؤمنين ويهديكم صراطا مستقيما** وعدكم الله مغانم كثيرة وهي ما يفيء على المؤمنين الى يوم القيمة فعجل لكم هذه المغانم يعني مغانم خيبر وكف ايدي الناس عنكم يعني ايدي اهل خيبر وحلفائهم من اسد وغطفان حين جاؤوا لنصرتهم فقذف الله تعالى في قلوبهم الرعب فنكصوا وقيل ايدي اهل مكة بالصلح ولتكون هذه الكفة آية للمؤمنين وعبرة يعرفون بها انهم من الله تعالى بمكان وانه ضامن نصرهم والفتح عليهم وقيل رأى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فتح مكة في منامه ورؤيا الانبياء وحي فتاخر ذلك الى السنة القابلة فجعل فتح خيبر علامة وعنوانا لفتح مكة ويهديكم صراطا مستقيما ويزيدكم بصيرة ويقينا وثقة بفضل الله تعالى **واخرى لم تقدروا عليها قد احاط الله بها وكان الله على كل شيء قديرا** واخرى معطوفة على هذه اي فعجل لكم هذه المغانم ومغانم اخرى لم تقدروا عليها وهي مغانم هوازن في غزوة حنين وقال لم تقدروا عليها لما كان فيها من الجولة قد احاط الله بها اي قدر عليها واستولى عليها واظهركم عليها وغنمكموها ويجوز في اخرى النصب بفعل مضمر يفسره قد احاط الله بها تقديره وقضى الله اخرى قد احاط الله بها واما لم تقدروا عليها فصفة لاخرى والرفع على الابتداء لكونها موصوفة بلم تقدروا وقد احاط بها خبر المبتدا والجر باضمار رب **فان قلت** قوله تعالى ولتكون آية للمؤمنين كيف موقعه **قلت** هو كلام معترض ومعناه ولتكون الكفة آية للمؤمنين فعل ذلك ويجوز ان يكون المعنى وعدكم المغانم فعجل هذه الغنيمة وكف الاعداء لينفعكم بها ولتكون آية للمؤمنين اذا وجدوا وعد الله تعالى بها صادقا لان صدق الاخبار عن الغيوب معجزة وآية ويزيدكم بذلك هداية وايقانا **ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الادبار ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا** ولو قاتلكم الذين كفروا من اهل مكة ولم يصالحوا وقيل من حلفاء اهل خيبر لغلبوا وانهزموا سنة الله في موضع المصدر المؤكد اي سن الله تعالى غلبة انبيائه سنة وهو قوله تعالى لاغلبن انا ورسلي **وهو الذي كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة من بعد ان اظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيرا** ايديهم اي اهل مكة اي قضى بينهم وبينكم المكافة والمحاجزة بعد ما خولكم الظفر عليهم والغلبة وذلك يوم الفتح وبه استشهد ابو حنيفة رحمه الله تعالى على ان مكة فتحت عنوة لا صلحا وقيل كان ذلك في غزوة الحديبية لما روي ان عكرمة بن ابي جهل خرج في خمسمائة فبعث النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من هزمه وادخلهم حيطان مكة وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما اظهر الله تعالى المسلمين عليهم بالحجارة حتى ادخلوهم البيوت وقرئ يعملون بالياء والتاء **هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي معكوفا ان يبلغ محله** وقرئ والهدي والهدي بتخفيف الياء وتشديدها وهو ما يهدى الى الكعبة بالنصب عطفا على الضمير المنصوب في صدوكم اي صدوكم وصدوا الهدي وبالجر عطفا على المسجد الحرام بمعنى وصدوكم عن نحر الهدي معكوفا ان يبلغ محله محبوسا عن ان يبلغ وبالرفع على وصد الهدي ومحله مكانه الذي يحل فيه نحره اي يجب وهذا دليل لابي حنيفة رضي الله تعالى عنه على ان المحصر محل هديه الحرم **فان قلت** كيف حل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومن معه وانما نحرت هديهم بالحديبية **قلت** بعض الحديبية من الحرم وروي ان مضارب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كانت في الحل ومصلاه في الحرم **فان قلت** فاذن قد نحر في الحرم فلم قيل معكوفا ان يبلغ محله **قلت** المراد المحل المعهود وهو منى **ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم ان تطؤوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا اليما** لم تعلموهم صفة للرجال والنساء جميعا وان تطؤوهم بدل اشتمال منهم او من الضمير المنصوب في تعلموهم والمعرة مفعلة من عره بمعنى عراه اذا دهاه ما يكرهه ويشق عليه وبغير علم متعلق بان تطؤوهم يعني ان تطؤوهم غير عالمين بهم والوطء والدوس عبارة عن الايقاع والابادة قال ووطئتنا وطئا على حنق وطء المقيد نابت الهرم وقال صلى الله تعالى عليه وسلم وان آخر وطأة وطئها الله تعالى بوج والمعنى انه كان بمكة قوم من المسلمين مختلطون بالمشركين غير متميزين منهم ولا معروفي الاماكن فقيل ولولا كراهة ان تهلكوا اناسا مؤمنين بين ظهراني المشركين وانتم غير عارفين بهم فيصيبكم باهلاكهم مكروه ومشقة لما كف ايديكم عنهم وحذف جواب لولا لدلالة الكلام عليه ويجوز ان يكون لو تزيلوا كالتكرير للولا رجال مؤمنون لمرجعهما الى معنى واحد ويكون لعذبنا هو الجواب **فان قلت** اي معرة تصيبهم اذا قتلوهم وهم لا يعلمون **قلت** يصيبهم وجوب الدية والكفارة وسوء قالة المشركين انهم فعلوا باهل دينهم مثل ما فعلوا بنا من غير تمييز والمأثم اذا جرى منهم بعض التقصير **فان قلت** قوله تعالى ليدخل الله في رحمته من يشاء تعليل لماذا **قلت** لما دلت عليه الآية وسيقت له من كف الايدي عن اهل مكة والمنع عن قتلهم صونا لمن بين اظهرهم من المؤمنين كانه قال كان الكف ومنع التعذيب ليدخل الله في رحمته اي في توفيقه لزيادة الخير والطاعة مؤمنيهم او ليدخل في الاسلام من رغب فيه من مشركيهم لو تزيلوا لو تفرقوا وتميز بعضهم من بعض من زاله يزيله وقرئ لو تزايلوا **اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين والزمهم كلمة التقوى وكانوا احق بها واهلها وكان الله بكل شيء عليما** اذ يجوز ان يعمل فيه ما قبله اي لعذبناهم او صدوهم عن المسجد الحرام في ذلك الوقت وان ينتصب باضمار اذكر والمراد بحمية الذين كفروا وسكينة المؤمنين والحمية الانفة والسكينة الوقار بما يروى ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما نزل بالحديبية بعث قريش سهيل بن عمرو القرشي وحويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص بن الاحنف على ان يعرضوا على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان يرجع من عامه ذلك على ان تخلي له

قريش مكة من العام القابل ثلاثة أيام ففعل ذلك وكتبوا بينهم كتابا فقال صلى الله تعالى عليه وسلم لعلي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه
اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل وأصحابه ما نعرف هذا ولكن اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ما صالح رسول الله
أهل مكة فقالوا لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله
أهل مكة فقال صلى الله تعالى عليه وسلم اكتب ما يريدون فأنا أشهد أني رسول الله وأنا محمد بن عبد الله فهم المسلمون أن يأبوا
ذلك ويشمئزوا منه فأنزل الله تعالى على رسوله السكينة فتوقروا وحلموا وكلمة التقوى بسم الله الرحمن الرحيم
ومحمد رسول الله قد اختارها الله عز وجل لنبيه وللذين معه أهل الخير ومستحقيه ومن هو أولى بالهداية من غيرهم وقيل هي كلمة
الشهادة وعن الحسن كلمة التقوى هي الوفاء بالعهد ومعنى إضافتها إلى التقوى أنها سبب التقوى وأساسها وقيل كلمة
أهل التقوى وفي مصحف الحارث بن سويد صاحب عبد الله وكانوا أهلها وأحق بها وهو الذي دفن مصحفه أيام الحجاج

لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا

رأى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قبل خروجه إلى الحديبية كأنه وأصحابه قد دخلوا مكة آمنين وقد
حلقوا وقصروا فقص الرؤيا على أصحابه ففرحوا واستبشروا وحسبوا أنهم داخلوها في عامهم وقالوا إن رؤيا رسول الله
صلى الله عليه وسلم حق فلما تأخر ذلك قال عبد الله بن أبي وعبد الله بن نفيل ورفاعة بن الحارث والله ما حلقنا ولا قصرنا
ولا رأينا المسجد الحرام فنزلت ومعنى صدق الله رسوله الرؤيا صدقه في رؤياه ولم يكذبه تعالى الله سبحانه عن الكذب
وعن كل قبيح علوا كبيرا فحذف الجار وأوصل الفعل كقوله تعالى صدقوا ما عاهدوا الله عليه **فإن قلت** بم تعلق بالحق
قلت إما بصدق أي صدقه فيما رأى وفي كونه وحصوله صدقا ملتبسا بالحق أي بالغرض الصحيح والحكمة البالغة وذلك
ما فيه من الابتلاء والتمييز بين المؤمن الخالص وبين من في قلبه مرض ويجوز أن يتعلق بالرؤيا حالا منها أي صدقه الرؤيا
ملتبسة بالحق على معنى أنها لم تكن من أضغاث الأحلام ويجوز أن يكون بالحق قسما إما بالحق الذي هو نقيض الباطل
أو بالحق الذي هو من أسمائه ولتدخلن جوابه وعلى الأول هو جواب قسم محذوف **فإن قلت** ما وجه دخول إن شاء الله
في إخبار الله عز وجل **قلت** فيه وجوه أن يعلق عدته بالمشيئة تعليما لعباده أن يقولوا في عداتهم مثل ذلك
متأدبين بأدب الله تعالى ومقتدين بسنته وأن يريد لتدخلن جميعا إن شاء الله ولم يمت منكم أحد أو كان ذلك على
لسان ملك فأدخل الملك إن شاء الله أو هي حكاية ما قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لأصحابه وقص عليهم وقيل
هي متعلق بآمنين فعلم ما لم تعلموا من الحكمة والصواب في تأخير فتح مكة فتحا قريبا وهو فتح خيبر لتستروح إليه قلوب المؤمنين
إلى أن يتيسر الفتح الموعود

هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا محمد رسول الله

بالهدى ودين الحق بدين الإسلام ليظهره ليعليه على الدين
كله على جنس الدين كله يريد الأديان المختلفة من أديان المشركين والجاحدين وأهل الكتاب ولقد حقق ذلك سبحانه
وتعالى فإنك لا ترى دينا قط إلا وللإسلام دونه العزة والغلبة وقيل هو عند نزول عيسى عليه السلام حين لا يبقى على وجه الأرض
كافر وقيل هو إظهاره بالحجج والآيات وفي هذه الآية تأكيد لما وعد من الفتح وتوطين لنفوس المؤمنين على أن الله تعالى
سيفتح لهم من البلاد ويقيض لهم من الغلبة على الأقاليم ما يستقلون إليه فتح مكة وكفى بالله شهيدا على أن ما وعده كائن
وعن الحسن شهد على نفسه أنه سيظهر دينك محمد إما خبر مبتدأ أي هو محمد لتقدم قوله تعالى هو الذي أرسل رسوله وإما مبتدأ
ورسول الله عطف بيان وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قرأ رسول الله بالنصب على المدح

والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا

والذين معه أصحابه أشداء على الكفار رحماء بينهم جمع شديد ورحيم ونحوه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين واغلظ عليهم بالمؤمنين رؤوف
رحيم وعن الحسن بلغ من تشددهم على الكفار أنهم كانوا يتحرزون من ثيابهم أن تلزق بثيابهم ومن أبدانهم أن تمس أبدانهم
وبلغ من ترحمهم فيما بينهم أنه كان لا يرى مؤمن مؤمنا إلا صافحه وعانقه والمصافحة لم يختلف فيها الفقهاء وأما المعانقة فقد
كرهها أبو حنيفة رحمه الله تعالى وكذلك التقبيل قال لا أحب أن يقبل الرجل من الرجل وجهه ولا يده ولا شيئا من جسده
وقد رخص أبو يوسف في المعانقة ومن حق المسلمين في كل زمان أن يراعوا هذا التشدد وهذا التعطف فيتشددوا

على من ليس على ملتهم ودينهم ويتحاموه ويعاشروا إخوتهم في الإسلام متعطفين بالبر والصلة وكف الأذى والمعونة
والاحتمال والأخلاق السجيحة ووجه من قرأ أشداء ورحماء بالنصب أن ينصبهما على المدح أو على الحال المقدر في معه
ويجعل تراهم الخبر

سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه

سيماهم علامتهم وقرئ سيماؤهم وفيها ثلاث لغات هاتان والسيمياء والمراد
بها السمة التي تحدث في جبهة الساجد من كثرة السجود وكان كل من العليين علي بن الحسين زين العابدين وعلي بن عبد الله
بن عباس أبي الأملاك رضوان الله تعالى عليهم يقال له ذو الثفنات لأن كثرة سجودهما أحدث في مواقعه منهما أشباه ثفنات
البعير وقرئ من أثر السجود ومن آثار السجود وكذا عن سعيد بن جبير هي السمة في الوجه **فإن قلت** فقد جاء عن النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم لا تعلبوا صوركم وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أنه رأى رجلا قد أثر في وجهه السجود فقال إن صورة وجهك
أنفك فلا تعلب وجهك ولا تشن صورتك **قلت** ذلك إذا اعتمد بجبهته على الأرض لتحدث فيه تلك السمة وذلك
رياء ونفاق يستعاذ بالله تعالى منه ونحن فيما حدث بجبهة الساجد الذي لا يسجد إلا خالصا لوجه الله تعالى وعن بعض المتقدمين
كنا نصلي فلا يرى بين أعيننا شيء ونرى أحدنا الآن يصلي فيرى بين عينيه ركبة البعير فلا ندري أثقلت الأرؤس أم خشنت
الأرض وإنما أراد بذلك من تعمد ذلك للنفاق وقيل هو صفرة الوجه من خشية الله عز وجل وعن الضحاك ليس بالندب
في الوجه ولكنه صفرة وعن سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى ندى الطهور وتراب الأرض وعن عطاء استنارت وجوههم
من طول ما صلوا بالليل كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار ذلك الوصف مثلهم
أي وصفهم العجيب الشأن في الكتابين جميعا ثم ابتدأ فقال كزرع وقيل تم الكلام عند قوله تعالى ذلك مثلهم في التوراة
ثم ابتدئ الكلام ومثلهم في الإنجيل كزرع ويجوز أن يكون ذلك إشارة مبهمة أوضحت بقوله تعالى كزرع أخرج شطأه
كقوله تعالى وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين وقرئ الإنجيل بفتح الهمزة شطأه فراخه يقال
أشطأ الزرع إذا فرخ وقرئ شطاه بتخفيف الهمزة وشطاءه بالمد وشطه بحذف الهمزة ونقل
حركتها إلى ما قبلها وشطوه بقلبها واوا

فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما

فآزره من المؤازرة وهي المعاونة وعن الأخفش أنه أفعل وقرئ فأزره بالتخفيف والتشديد أي فشد أزره وقواه
ومن جعل آزر أفعل فهو في معنى القراءتين فاستغلظ فصار من الدقة إلى الغلظ فاستوى على سوقه فاستقام على قصبه
جمع ساق وقيل مكتوب في الإنجيل سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وعن
عكرمة أخرج شطأه بأبي بكر فآزره بعمر فاستغلظ بعثمان فاستوى على سوقه بعلي رضوان الله تعالى عليهم أجمعين وهذا مثل
ضربه الله تعالى لبدء أمر الإسلام وترقيه في الزيادة إلى أن قوي واستحكم لأن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قام وحده ثم قواه الله
تعالى بمن آمن معه كما يقوي الطاقة الأولى من الزرع ما يحتف بها مما يتولد منها حتى يعجب الزراع **فإن قلت**
قوله تعالى ليغيظ بهم الكفار تعليل لماذا **قلت** لما دل عليه تشبيههم بالزرع من نمائهم وترقيهم في الزيادة والقوة
ويجوز أن يعلل به وعد الله الذين آمنوا لأن الكفار إذا سمعوا بما أعد لهم في الآخرة مع ما يعزهم به في الدنيا غاظهم ذلك
ومعنى منهم للبيان كقوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الأوثان عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفتح فكأنما كان ممن شهد مع محمد فتح مكة

سورة الحجرات مدنية

وهي ثماني عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم

قدمه وأقدمه منقولان بتثقيل الحشو
والهمزة من قدمه إذا تقدمه في قوله تعالى يقدم قومه ونظيرهما معنى ونقلا سلفه وأسلفه وفي قوله تعالى لا تقدموا من
غير ذكر مفعول وجهان أحدهما أن يحذف ليتناول كل ما يقع في النفس مما يقدم والثاني أن لا يقصد مفعول ولا حذف وه
يتوجه بالنهي إلى نفس التقدمة كأنه قيل لا تقدموا على التلبس بهذا الفعل ولا تجعلوه منكم بسبيل كقوله تعالى هو الذي يحيي ويميت

السجيحة اللينة

العلب واصل العلوب وهي الآثار تقول منه علبته أعلبه بالضم إذا وسمته أو خدشته وأثرت فيه

ويجوز ان يكون من قدّم بمعنى تقدّم كوجّه وبيّن ومنه مقدمة الجيش خلاف ساقته وهي الجماعة المتقدمة منه وتعضده قراءة
من قرأ لا تقدّموا بحذف احدى تائي تتقدموا الا ان الاول املأ بالحسن واوجه واشد ملاءمة لبلاغة القرآن والعلماء
له اقبل وقرئ لا تقدموا من القدوم اي لا تقدموا الى امر من الامور قبل قدومهما ولا تعجلوا عليهما وحقيقة قولهم جلست بين
يدي فلان ان يجلس بين الجهتين المسامتتين ليمينه وشماله قريبا منه فسميت الجهتان يدين لكونهما على سمت اليدين
مع القرب منهما توسعا كما يسمى الشيء باسم غيره اذا جاوره وداناه في غير موضع وقد جرت هذه العبارة ههنا على سنن
ضرب من المجاز وهو الذي يسميه اهل البيان تمثيلا ولجريها هكذا فائدة جليلة ليست في كلام العريان وهي تصوير
الهجنة والشناعة فيما نهوا عنه من الاقدام على امر من الامور دون الاحتذاء على امثلة الكتاب والسنة والمعنى ان لا تقطعوا
امرا الا بعد ما يحكمان به ويأذنان فيه فتكونوا اما عاملين بالوحي المنزل واما مقتدين برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعليه
يدور تفسير ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وعن مجاهد لا تفتاتوا على الله تعالى شيئا حتى يقصه على لسان رسوله عليه الصلوة
والسلام ويجوز ان يجري مجرى قولك سرني زيد وحسن حاله واعجبت بعمرو وكرمه وفائدة هذا الاسلوب الدلالة
على قوة الاختصاص ولما كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الله تعالى بالمكان الذي لا يخفى سلك به ذلك المسلك وفي هذا
تمهيد وتوطئة لما نقم منهم فيما يتلوه من رفع اصواتهم فوق صوته لان من احظاه الله تعالى بهذه الاثرة واختصه هذا الاختصاص
القوي كان ادنى ما يجب له من التهيب والاجلال ان يخفض بين يديه الصوت ويخافت لديه بالكلام وقيل بعث رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم الى تهامة سرية سبعة وعشرين رجلا عليهم المنذر بن عمرو الساعدي فقتلهم بنو عامر وعليهم عامر بن
الطفيل الا ثلاثة نفر نجوا فلقوا رجلين من بني سليم قرب المدينة فقتلوهما وسلبوهما ثم اتوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
فقال بئسما صنعتم كانا من سليم والسلب مما كسوتهما فوداهما رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فنزلت اي لا تعملوا شيئا من ذات
انفسكم حتى تستأمروا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعن مسروق دخلت على ام المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها
في اليوم الذي يشك فيه فقالت للجارية اسقيه عسلا فقلت اني صائم فقالت قد نهى الله تعالى عن صوم هذا اليوم وفيه
نزلت وعن الحسن رحمه الله تعالى ان اناسا ذبحوا يوم الاضحى قبل الصلوة فنزلت وامرهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
ان يعيدوا ذبحا آخر وهو مذهب ابي حنيفة رحمه الله تعالى الا ان تزول الشمس وعند الشافعي رحمه الله تعالى يجوز الذبح اذا مضى
من الوقت مقدار الصلوة وعن الحسن ايضا لما استقر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالمدينة اتته الوفود من الآفاق
فاكثروا عليه بالمسائل فنهوا ان يبتدؤه بالمسألة حتى يكون هو المبتدئ وعن قتادة ذكر لنا ان ناسا يقولون لو انزل في كذا
لكان كذا فكره الله تعالى ذلك منهم وانزلها وقيل هي عامة في كل قول وفعل ويدخل فيه انه اذا جرت مسألة في مجلس رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم لم يسبقوه بالجواب وان لا يمشي بين يديه الا للحاجة وان يستأني في الافتتاح بالطعام
واتقوا الله فانكم ان اتقيتموه عاقتكم التقوى عن التقدمة المنهي عنها وعن جميع ما يقتضي مراقبة الله عز وجل تجنبه فان المتقي
حذر لا يشاد امرا الا عن ارتفاع الريب وانجلاء الشك في ان لا تبعة عليه فيه وهذا كما تقول لمن يقارف بعض الرذائل لا تفعل
هذا وتحفظ مما يلصق بك العار فتنهاه اولا عن عين ما قارفه ثم تعم وتشيع وتأمره بما لو امتثل فيه امرك لم يرتكب تلك الفعلة
وكلما يضرب في طريقها ويتعلق بسببها ان الله سميع لما تقولون عليم بما تعملون ومن هذا حقه ان يتقى ويراقب يا ايها الذين
آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط
اعمالكم وانتم لا تشعرون اعادة النداء عليهم استدعاء منهم لتجديد الاستبصار عند كل خطاب وارد وتطرية
الانصات لكل حكم نازل وتحريك منهم لئلا يفتروا ويغفلوا عن تأملهم وما اخذوا به عند حضور مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم
من الادب الذي المحافظة عليه تعود عليهم بعظيم الجدوى في دينهم وذلك لان في اعظام صاحب الشرع اعظام ما ورد به ومستعظم
الحق لا يدعه استعظامه ان يألوا عملا بما يحذوه عليه وارتداعا عما يصده عنه وانتهاء الى كل خير والمراد بقوله تعالى لا ترفعوا
اصواتكم فوق صوت النبي انه اذا نطق ونطقتم فعليكم ان لا تبلغوا باصواتكم وراء الحد الذي يبلغه صوته وان تغضوا منها
بحيث يكون كلامه عاليا لكلامكم وجهره باهرا لجهركم حتى تكون مزيته عليكم لائحة وسابقته واضحة وامتيازه عن جمهوركم
كشية الابلق غير خاف لا ان تغمروا صوته بلغطكم وتبهروا منطقه بصخبكم وقوله ولا تجهروا له بالقول انكم اذا كلمتموه وهو
صامت فاياكم والعدول عما نهيتم عنه من رفع الصوت بل عليكم ان لا تبلغوا به الجهر الدائر بينكم وان تتعمدوا في مخاطبته القول

اللين المقرب من الهمس الذي يضاد الجهر كما يكون مخاطبة المهيب المعظم عاملين بقوله عز وجل وتعزروه وتوقروه وقيل معنى ولا تجهروا
له بالقول كجهر بعضكم لبعض ولا تقولوا له يا محمد يا احمد وخاطبوه بالنبوة قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لما نزلت
هذه الآية قال ابو بكر رضي الله تعالى عنه يا رسول الله والله لا اكلمك الا السرار او اخا السرار حتى القى الله تعالى
وعن عمر رضي الله تعالى عنه انه كان يكلم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كاخي السرار لا يسمعه حتى يستفهمه وكان ابو بكر رضي الله تعالى عنه
اذا قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد ارسل اليهم من يعلمهم كيف يسلمون ويأمرهم بالسكينة عند رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم وليس الغرض برفع الصوت ولا الجهر ما يقصد به الاستخفاف والاستهانة لان ذلك كفر والمخاطبون
مؤمنون وانما الغرض صوت هو في نفسه والمسموع من جرسه غير مناسب لما يهاب به العظماء ويوقر الكبراء فيتكلف الغض
منه ورده الى حد يميل به الى ما يستبين فيه المأمور به من التعزير والتوقير ولم يتناول النهي ايضا رفع الصوت الذي لا يتأذى
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو ما كان منهم في حرب او مجادلة معاند او ارهاب عدو او ما اشبه ذلك ففي الحديث انه قال
صلى الله تعالى عليه وسلم للعباس رضي الله تعالى عنه لما انهزم الناس يوم حنين اصرخ بالناس وكان العباس اجهر الناس صوتا يروى
ان غارة اتتهم يوما فصاح العباس يا صباحاه فاسقطت الحوامل لشدة صوته وفيه يقول نابغة بني جعدة زجر ابي عروة السباع
اذا اشفق ان يختلطن بالغنم زعمت الرواة انه كان يزجر السباع عن الغنم فيفتق مرارة السبع في جوفه وفي قراءة
ابن مسعود رضي الله تعالى عنه لا ترفعوا باصواتكم والباء مزيدة محذوة بها حذو التشديد في قول الاعلم الهذلي رفعت عيني بالحجاز
الى اناس بالمناقب وليس المعنى في هذه القراءة انهم نهوا عن الرفع الشديد تخيلا ان يكون ما دون الشديد مسوغا لهم
ولكن المعنى نهيهم عما كانوا عليه من الجلبة واستجفاؤهم فيما كانوا يفعلون وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما نزلت في
ثابت بن قيس بن شماس رضي الله تعالى عنه وكان في اذنه وقر وكان جهوري الصوت وكان اذا تكلم رفع صوته وربما كان
يكلم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيتأذى بصوته وعن انس رضي الله تعالى عنه ان هذه الآية لما نزلت فقد ثابت فتفقده
رسول الله عليه الصلوة والسلام فاخبر بشأنه فدعاه فسأله فقال يا رسول الله لقد انزلت اليك هذه الآية واني رجل
جهير الصوت فاخاف ان يكون عملي قد حبط فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لست هناك انك تعيش بخير وتموت بخير وانك
من اهل الجنة واما ما روي عن الحسن انها نزلت فيمن كان يرفع صوته من المنافقين فوق صوت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
فمحمله والخطاب للمؤمنين على ان ينهى المؤمنون ليندرج المنافقون تحت النهي ليكون الامر اغلظ عليهم واشق وقيل كان المنافقون
يرفعون اصواتهم ليظهروا قلة مبالاتهم به فيقتدي بهم ضعفة المسلمين وكاف التشبيه في محل النصب اي لا تجهروا له جهرا
مثل جهر بعضكم لبعض وفي هذا انهم لم ينهوا عن الجهر مطلقا حتى لا يسوغ لهم الا ان يكلموه بالهمس والمخافتة وانما نهوا عن
جهر مخصوص مقيد بصفة اعني الجهر المنعوت بمماثلة ما قد اعتادوه منه فيما بينهم وهو الخلو من مراعاة ابهة النبوة وجلالة مقدارها
وانحطاط سائر الرتب وان جلت عن رتبتها ان تحبط اعمالكم منصوب الموضع على انه مفعول له وفي متعلقه وجهان
احدهما ان يتعلق بمعنى النهي فيكون المعنى انتهوا عما نهيتم عنه لحبوط اعمالكم اي لخشية حبوطها على تقدير حذف المضاف كقوله تعالى
يبين الله لكم ان تضلوا والثاني ان يتعلق بنفس الفعل ويكون المعنى انهم نهوا عن الفعل الذي فعلوه لاجل الحبوط لانه لما
كان بصدد الاداء الى الحبوط جعل كأنه فعل لاجله وكأنه العلة والسبب في ايجاده على سبيل التمثيل كقوله تعالى ليكون لهم عدوا وحزنا
فان قلت لخص الفرق بين الوجهين قلت تلخيصه ان يقدر الفعل في الثاني مضموما اليه المفعول له كأنهما شيء واحد
ثم يصب النهي عليهما جميعا صبا وفي الاول يقدر النهي موجها على الفعل على حياله ثم يعلل له منهيا عنه فان قلت
باي النهيين تعلق المفعول له قلت بالثاني عند البصريين مقدرا اضماره عند الاول كقوله تعالى آتوني افرغ
عليه قطرا او بالعكس عند الكوفيين وايهما كان فمرجع المعنى الى ان الرفع والجهر كلاهما منصوص اداؤه الى حبوط العمل وقراءة ابن مسعود
فتحبط اعمالكم اظهر نصا بذلك لان ما بعد الفاء لا يكون الا مسببا عما قبله فيتنزل الحبوط من الجهر منزلة الحلول من الطغيان
في قوله تعالى ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي والحبوط من حبطت الابل اذا اكلت الخضر فنفخ بطونها وربما هلكت ومنه
قوله عليه الصلوة والسلام وان مما ينبت الربيع لما يقتل حبطا او يلم ومن اخواته حبجت الابل اذا اكلت العرفج فاصابها ذلك
واحبض عمله مثل احبطه وحبط الجرح وحبر اذا غفر وهو نكسه وتراميه الى الفساد جعل العمل السيئ في اضراره بالعمل الصالح
كالداء والحرض لمن يصاب به اعاذنا الله تعالى من حبط الاعمال وخيبة الآمال وقد دلت الآية على امرين هائلين احدهما

ان فيما يرتكب من يؤمن من الآثام ما يحبط عمله والثاني ان في آثامه ما لا يدرى انه محبط ولعله عند الله كذلك فعلى المؤمن ان يكون
في تقواه كالماشي في طريق شائك لا يزال يحترز ويتوقى ويتحفظ ● **ان الذين يغضون اصواتهم عند**
رسول الله اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة واجر عظيم
امتحن الله قلوبهم للتقوى من قولك امتحن فلان لامر كذا وجرب له ودرب للنهوض به فهو مضطلع به غير وان عنه
والمعنى انهم صبر على التقوى اقوياء على احتمال مشاقها او وضع الامتحان موضع المعرفة لان تحقق الشيء باختباره كما
يوضع الخبر موضعها فكانه قيل عرف الله قلوبهم للتقوى وتكون اللام متعلقة بمحذوف واللام هي التي في قولك انت لهذا
الامر اي كائن له ومختص به قال ● انت لها احمد من بين البشر ● اعداء من لليعملات على الوجى ● وهي مع معمولها منصوبة
على الحال او ضرب الله قلوبهم بانواع المحن والتكاليف الصعبة لاجل التقوى اي لتثبت وتظهر تقواها ويعلم انهم متقون
لان حقيقة التقوى لا تعلم الا عند المحن والشدائد والاصطبار عليها وقيل اخلصها للتقوى من قولهم امتحن الذهب وفتنه
اذا اذابه فخلص ابريزه من خبثه ونقاه وعن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه اذهب الشهوات عنها والامتحان افتعال
من محنه وهو اختبار بليغ او بلاء جهيد قال ابو عمرو كل شيء جهدته فقد محنته وانشد ● اتت رذايا باديا كلالها ● قد محنت
واضطربت اطلالها ● قيل انزلت في الشيخين رضي الله عنهما لما كان منهما من غض الصوت والبلوغ به اخا السرار وهذه الآية بنظمها
الذي رتبت عليه من ايقاع الغاضين اصواتهم اسما لان المؤكدة وتصيير خبرها جملة من مبتدا وخبر معرفتين معا والمبتدا اسم الاشارة
واستيناف الجملة المستودعة ما هو جزاؤهم على عملهم وايراد الجزاء نكرة مبهما امره ناظرة في الدلالة على غاية الاعتداد
والارتضاء لما فعل الذين وقروا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من خفض اصواتهم وفي الاعلام بمبلغ عزة رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم وقدر شرف منزلته وفيها تعريض بعظيم ما ارتكب الرافعون اصواتهم واستيجابهم ضد ما استوجب هؤلاء
● **ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون** الوراء الجهة التي يواريها
عنك الشخص بظله من خلف او قدام ومن لابتداء الغاية وان المناداة نشأت من ذلك المكان **فان قلت**
افرق بين الكلامين بين ما تثبت فيه وما تسقط عنه **قلت** الفرق بينهما ان المنادي والمنادى في احدهما يجوز
ان يجمعهما الوراء وفي الثاني لا يجوز لان الوراء تصير بدخول من مبتدا الغاية ولا يجتمع على الجهة الواحدة ان تكون مبتدا ومنتهى
لفعل واحد والذي يقول ناداني فلان من وراء الدار لا يريد وجه الدار ولا دبرها ولكن اي قطر من اقطارها الظاهرة كان
مطلقا بغير تعيين واختصاص والانكار لم يتوجه عليهم من قبل ان النداء وقع منهم في ادبار الحجرات او في وجوهها وانما
انكر عليهم انهم نادوه من البر والخارج مناداة الاجلاف بعضهم لبعض من غير قصد الى جهة دون جهة والحجرة الرقعة
من الارض المحجورة بحائط يحوط عليها وحظيرة الابل تسمى الحجرة وهي فعلة بمعنى مفعولة كالغرفة والقبضة وجمعها
الحجرات بضمتين والحجرات بفتح الجيم والحجرات بتسكينها وقرئ بهن جميعا والمراد حجرات نساء رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم وكانت لكل منهن حجرة ومناداتهم من ورائها يحتمل انهم قد تفرقوا على الحجرات متطلبين له فناداه
بعض من وراء هذه وبعض من وراء تلك وانهم اتوها حجرة حجرة فنادوه من ورائها وانهم نادوه من وراء الحجرة التي
كان فيها ولكنها جمعت اجلالا لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولمكان حرمته والفعل وان كان مسندا الى جميعهم فانه يجوز
ان يتولاه بعضهم وكان الباقون راضين فكانهم تولوه جميعا فقد ذكر الاصم ان الذي ناداه عيينة بن حصن والاقرع
بن حابس والاخبار عن اكثرهم بانهم لا يعقلون يحتمل ان يكون فيهم من قصد بالمحاشاة ويحتمل ان يكون الحكم بقلة العقلاء
فيهم قصدا الى نفي ان يكون فيهم من يعقل فان القلة تقع موقع النفي في كلامهم وروي ان وفد بني تميم اتوا رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم وقت الظهيرة وهو راقد فجعلوا ينادونه يا محمد اخرج الينا فاستيقظ فخرج فنزلت وسئل رسول الله
عليه الصلوة والسلام عنهم فقال هم جفاة بني تميم لولا انهم من اشد الناس قتالا للاعور الدجال لدعوت الله عليهم ان يهلكهم
وورود الآية على النمط الذي وردت عليه فيه ما لا يخفى على الناظر من بينات اكبار محل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
واجلاله منها مجيئها على النظم المسجل على الصائحين به بالسفه والجهل لما اقدموا عليه ومنها لفظ الحجرات وايقاعها كناية عن موضع
خلوته ومقيله مع بعض نسائه ومنها المرور على لفظها بالاقتصار على القدر الذي تبين به ما استنكر عليهم ومنها
التعريف باللام دون الاضافة ومنها ان شفع ذمهم باستجفائهم واسترككة عقولهم وقلة ضبطهم لمواضع التمييز في

المخاطبات

المخاطبات تهوينا للخطب على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وتسلية له واماطة لما تداخله من ايحاش تعجرفهم وسوء
ادبهم وهلم جرا من اول السورة الى آخر هذه الآية فتامل كيف ابتدئ بايجاب ان تكون الامور التي تنتمي الى الله ورسوله متقدمة
على الامور كلها من غير حصر ولا تقييد ثم اردف ذلك النهي عما هو من جنس التقديم من رفع الصوت والجهر كان الاول بساط للثاني ووطاء
لذكره ثم ذكر ما هو ثناء على الذين تحاموا ذلك فغضوا اصواتهم دلالة على عظيم موقعه عند الله تعالى ثم جيء على عقب ذلك بما هو اطم
وهجنته اتم من الصياح برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في حال خلوته ببعض حرماته من وراء الجدر كما يصاح باهون الناس قدرا
لينبه على فظاعة ما جسروا عليه لان من رفع الله تعالى قدره عن ان يجهر له بالقول حتى خاطبه جلة المهاجرين والانصار
باخي السرار كان صنيع هؤلاء من المنكر الذي بلغ في التفاحش مبلغا ومن هذا وامثاله تقتطف ثمر الالباب وتقتبس محاسن
الآداب كما يحكى عن ابي عبيد ومكانه من العلم والزهد وثقة الرواية ما لا يخفى انه قال ما دققت بابا على عالم قط حتى يخرج في
وقت خروجه ● **ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم**
انهم صبروا في موضع الرفع على الفاعلية لان المعنى ولو ثبت صبرهم والصبر حبس النفس عن ان تنازع الى هواها قال الله تعالى واصبر
نفسك مع الذين يدعون ربهم وقولهم صبر عن كذا محذوف منه المفعول وهو النفس وهو حبس فيه شدة ومشقة على المحبوس فلهذا قيل
للحبس على اليمين او القتل صبر وفي كلام بعضهم الصبر مر لا يتجرعه الا حر **فان قلت** هل من فرق بين حتى تخرج والى ان تخرج
قلت ان حتى مختصة بالغاية المضروبة تقول اكلت السمكة حتى رأسها ولو قلت حتى نصفها او صدرها لم يجز والى عامة في كل
غاية فقد افادت حتى بوضعها ان خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم غاية قد ضربت لصبرهم فما كان لهم ان يقطعوا امرا دون الانتهاء اليها
فان قلت فاي فائدة في قوله تعالى اليهم **قلت** فيه انه لو خرج ولم يكن خروجه اليهم ولاجلهم للزمهم ان يصبروا
الى ان يعلموا ان خروجه اليهم لكان خيرا لهم في كان اما ضمير فاعل الفعل المضمر بعد لو واما ضمير مصدر صبروا كقولهم من كذب كان شرا له
والله غفور رحيم بليغ الغفران والرحمة واسعهما فلن يضيق غفرانه ورحمته عن هؤلاء ان تابوا واتابوا ● **يا ايها الذين آمنوا**
ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين
بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الوليد بن عقبة اخا عثمان لامه وهو الذي ولاه عثمان رضي الله تعالى عنه الكوفة بعد سعد بن ابي وقاص
رضي الله تعالى عنه فصلى بالناس وهو سكران صلوة الفجر اربعا ثم قال هل ازيدكم فعزله عثمان عنهم مصدقا الى بني المصطلق وكانت
بينه وبينهم احنة فلما شارف ديارهم ركبوا مستقبلين له فحسبهم مقاتليه فرجع وقال لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قد ارتدوا
ومنعوا الزكوة فوردوا وقالوا نعوذ بالله تعالى من غضبه وغضب رسوله فاتهمهم وقال لتنتهن او لابعثن اليكم رجلا هو عندي
كنفسي يقتل مقاتلتكم ويسبي ذراريكم ثم ضرب بيده على كتف علي رضي الله تعالى عنه وقيل بعث اليهم خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه
فوجدهم منادين بالصلوات متهجدين فسلموا اليه الصدقات فرجع وفي تنكير الفاسق والنبأ شياع في الفساق والانباء كانه
قال اي فاسق جاءكم باي نبأ فتوقفوا فيه وتطلبوا بيان الامر وانكشاف الحقيقة ولا تعتمدوا قول الفاسق لان من لا يتحامى جنس الفسوق
لا يتحامى الكذب الذي هو نوع منه والفسوق الخروج من الشيء والانسلاخ منه يقال فسقت الرطبة عن قشرها ومن مقلوبه فقست البيضة
اذا كسرتها واخرجت ما فيها ومن مقلوبه ايضا قفست الشيء اذا اخرجته من يد مالكه مغتصبا له عليه ثم استعمل في الخروج عن القصد
والانسلاخ من الحق قال رؤبة ● فواسقا عن قصدها جوائرا ● وقرأ ابن مسعود رضي الله تعالى عنه فتثبتوا والتثبت والتبين متقاربان
وهما طلب الثبات والبيان والتعرف ولما كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والذين معه بالمنزلة التي لا يجسر احد ان يخبرهم
بكذب وما كان يقع مثل ما فرط من الوليد الا في الندرة قيل ان جاءكم بحرف الشك وفيه ان على المؤمنين ان يكونوا على هذه الصفة
لئلا يطمع فاسق في مخاطبتهم بكلمة زور ان تصيبوا مفعول له اي كراهة اصابتكم قوما بجهالة كقوله تعالى ورد الله الذين كفروا بغيظهم
يعني جاهلين بحقيقة الامر وكنه القصة والاصباح بمعنى الصيرورة والندم ضرب من الغم وهو ان تغتم على ما وقع منك تتمنى انه لم
يقع وهو غم يصحب الانسان صحبة لها دوام ولزام لانه كلما تذكر المتندم عليه راجعه من الندام وهو لزام الشريب ودوام صحبته
ومن مقلوباته ادمن الامر ادامه ومدن بالمكان اقام به ومنه المدينة وقد تراهم يجعلون الهم صاحبا ونجيا وسميرا وضجيعا وموصوفا
بانه لا يفارق صاحبه ● **واعلموا ان فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم ولكن الله**
حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان اولئك هم الراشدون
الجملة المصدرة بلو لا تكون كلاما مستانفا لاداءه الى تنافر النظم ولكن متصلا بما قبله حالا من احد الضميرين في فيكم المستتر المرفوع او البارز

اوله يهوين في نجد وغورا غائرا

المجد وكلاهما مذهب سديد والمعنى ان فيكم رسول الله على حالة يجب عليكم تغييرها او انتم على حالة يجب عليكم تغييرها وهو انكم
تحاولون منه ان يعمل فى الحوادث على مقتضى ما يعن لكم من رأى واستصواب فعل المطواع لغيره التابع له فيما يرتئيه المحتذى
على امثلته ولو فعل ذلك لعنتم اى لوقعتم فى الجهد والهلاك يقال فلان يتعنت فلانا اى يطلب ما يؤديه الى الهلاك وقد
اعنت العظم اذا هيض بعد الجبر وهذا يدل على ان بعض المؤمنين زينوا لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الايقاع ببنى المصطلق
وتصديق قول الوليد وان نظائر ذلك من الهنات كانت تفرط منهم وان بعضهم كانوا يتصوّنون ويزعهم جدهم
فى التقوى عن الجسارة على ذلك وهم الذين استثناهم بقوله تعالى ولكن الله حبب اليكم الايمان اى الى بعضكم ولكنه
اغنت عن ذكر البعض صفتهم المفارقة لصفة غيرهم وهذا من ايجازات القرآن ولمحاته اللطيفة التى لا يفطن
لها الا الخواص وعن بعض المفسرين هم الذين امتحن الله تعالى قلوبهم للتقوى وقوله تعالى اولئك هم الراشدون
والخطاب لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اى اولئك المستثنون هم الراشدون مصدق ما قلته **فان قلت**
ما فائدة تقديم خبر ان على اسمها **قلت** القصد الى توبيخ بعض المؤمنين على ما استهجن منهم من استتباع رأى رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم لآرائهم فوجب تقديمه لانصباب الغرض اليه **فان قلت** فلم قيل يطيعكم دون اطاعكم
قلت للدلالة على انه كان فى ارادتهم استمرار عمله على ما يستصوبونه وانه كلما عنّ لهم رأى فى امر كان معمولا عليه
بدليل قوله فى كثير من الامر كقولك فلان يقرى الضيف ويحمى الحريم تريد انه مما اعتاده ووجد منه مستمرا **فان قلت**
كيف موقع لكن وشريطتها مفقودة من مخالفة ما بعدها لما قبلها نفيا واثباتا **قلت** هى مفقودة من حيث اللفظ
حاصلة من حيث المعنى لان الذين حبب اليهم الايمان قد غايرت صفتهم صفة المتقدم ذكرهم فوقعت لكن فى حاق موقعها
من الاستدراك ومعنى تحبيب الله تعالى وتكريهه اللطف والامداد بالتوفيق وسبيله الكناية كما سبق وكل ذى لب وراجع الى
بصيرة وذهن لا يغبى عليه ان الرجل لا يمدح بغير فعله وحمل الآية على ظاهرها يؤدى الى ان يثنى عليهم بفعل الله عز وجل وقد نفى الله
هذا على الذين احبوا ان يحمدوا بما لم يفعلوا **فان قلت** فان العرب تمدح بالجمال وحسن الوجوه وذلك
فعل الله تعالى وهو مدح مقبول عند الناس غير مردود **قلت** الذى سوغ ذلك لهم انهم رأوا حسن الرواء
ووسامة المنظر فى الغالب يسفر عن مخبر مرضى واخلاق محمودة ومن ثم قالوا احسن ما فى الدميم وجهه فلم يجعلوه من صفات
المدح لذاته ولكن لدلالته على غيره على ان من محققة النقاد وعلماء المعانى من دفع صحة ذلك وخطأ المادح به وقصر
المدح على النعت بامهات الخير وهى الفصاحة والشجاعة والعدل والعفة وما يتشعب منها ويرجع اليها وجعل الوصف بالجمال
والثروة وكثرة الحفدة والاعضاد وغير ذلك مما ليس للانسان فيه عمل غلطا ومخالفة عن المعقول والكفر تغطية نعم الله تعالى
وغمطها بالجحود والفسوق الخروج عن قصد الايمان ومحجته بركوب الكبائر والعصيان ترك الانقياد والمضى لما امر به الشارع
والعرق العاصى العاند واعتصت النواة اشتدت والرشد الاستقامة على طريق الحق مع تصلب فيه من الرشادة وهى
الصخرة قال ابو الوازع كل صخرة رشادة والشد * وغير مقلد وموشمات * صلين الضوء من صيم الرشاد *
فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم فضلا مفعول له او مصدر من غير فعله **فان قلت**
من اين جاز وقوعه مفعولا له والرشد فعل القوم والفضل فعل الله تعالى والشرط ان يتحد الفاعل **قلت** لما وقع الرشد
عبارة عن التحبيب والتزيين والتكريه مسندة الى اسمه تقدست اسماؤه صار الرشد كانه فعله فجاز ان ينتصب عنه او لا ينتصب
عن الراشدون ولكن عن الفعل المسند الى اسم الله تعالى والجملة التى هى اولئك هم الراشدون اعتراض او عن فعل مقدر كانه
قيل جرى ذلك او كان ذلك فضلا من الله واما كونه مصدرا من غير فعله فان يوضع موضع رشدا لان رشدهم فضل من الله عز وجل
لكونهم موفقين فيه والفضل والنعمة بمعنى الافضال والانعام والله عليم باحوال المؤمنين وما بينهم من التمايز والتفاضل حكيم حين
يفضل وينعم بالتوفيق على افاضلهم وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت
احديهما على الاخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفيء الى امر الله فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل
عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال وقف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على مجلس بعض الانصار وهو على حمار فبال الحمار فامسك
عبد الله بن ابى بانفه وقال خل سبيل حمارك فقد آذانا نتنه فقال عبد الله بن رواحة رضى الله تعالى عنه والله ان بول حماره لاطيب
من مسكك ومضى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وطال الخوض بينهما حتى استبا وتجالدا وجاء قوماهما وهما الاوس والخزرج فتجالدوا بالعصى

وقيل

وقيل بالايدى والنعال والسعف فرجع اليهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واصلح بينهم ونزلت وعن مقاتل قرأها عليهم
فاصطلحوا والبغى الاستطالة والظلم واباء الصلح والفيء الرجوع وقد سمى به الظل والغنيمة لان الظل يرجع بعد نسخ الشمس والغنيمة
ما يرجع من اموال الكفار الى المسلمين وعن ابى عمرو حتى تفى بغير همز ووجهه ان ابا عمرو خفف الاولى من الهمزتين
الملتقيتين فلطفت على الراوى تلك الخلسة فظنه قد طرحها **فان قلت** فما وجه قوله اقتتلوا والقياس اقتتلتا
كما قرأ ابن ابى عبلة او اقتتلا كما قرأ عبيد بن عمير على تأويل الرهطين او النفرين **قلت** هو مما حمل على المعنى دون اللفظ
لان الطائفتين فى معنى القوم والناس وفى قراءة عبد الله حتى تفيئوا الى امر الله فان فاؤا فخذوا بينهم بالقسط وحكم الفئة
الباغية وجوب قتالها ما قاتلت وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما ما وجدت فى نفسى من شيء ما وجدت من امر هذه الآية ان لم
اقاتل هذه الفئة الباغية كما امرنى الله عز وجل قاله بعد ان اعتزل فاذا كفت وقبضت عن الحرب ايديها تركت واذا تولت
عمل بما روى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال يا ابن ام عبد هل تدرى كيف حكم الله عز وجل فيمن بغى من هذه الامة قال الله ورسوله
اعلم قال لا يجهز على جريحها ولا يقتل اسيرها ولا يطلب هاربها ولا يقسم فيئها ولا تخلو الفئتان من المسلمين فى اقتتالهما
اما ان يقتتلا على سبيل البغى منهما جميعا فالواجب فى ذلك ان يمشى بينهما بما يصلح ذات البين ويثمر المكافة والموادعة فان لم
تتحاجزا ولم تصطلحا واقامتا على البغى صير الى مقاتلتهما واما ان يلتحم بينهما القتال لشبهة دخلت عليهما وكلتاهما عند
انفسهما محقة فالواجب ازالة الشبهة بالحجج النيرة والبراهين القاطعة واطلاعهما على مراشد الحق فان ركبتا متن اللجاج
ولم تعملا على شاكلة ما هديتا اليه ونصحتا به من اتباع الحق بعد وضوحه لهما فقد لحقتا بالفئتين الباغيتين
واما ان تكون احداهما الباغية على الاخرى فالواجب ان تقاتل فئة البغى الى ان تكف او تتوب فان فعلت اصلح بينها
وبين المبغى عليها بالقسط والعدل وفى ذلك تفاصيل ان كانت الباغية من قلة العدد بحيث لا منعة لها ضمنت بعد الفيئة
ما جنت وان كانت كثيرة ذات منعة وشوكة لم تضمن الا عند محمد بن الحسن فانه كان يفتى بان الضمان يلزمها اذا فاءت
واما قبل التجمع والتجند او حين تتفرق عند وضع الحرب اوزارها فما جنته ضمنته عند الجميع فمحمل الاصلاح بالعدل فى قوله تعالى
فاصلحوا بينهما بالعدل على مذهب محمد واضح منطبق على لفظ التنزيل وعلى قول غيره وجهه ان يحمل على كون الفئة قليلة
العدد والذى ذكروا ان الغرض اماتة الضغائن وسل الاحقاد دون ضمان الجنايات ليس بحسن الطباق للمأمور به من
اعمال العدل ومراعاة القسط **فان قلت** فلم قرن بالاصلاح الثانى العدل دون الاول **قلت**
لان المراد بالاقتتال فى اول الآية ان تقتتلا باغيتين معا او راكبتى شبهة وايتهما كانت فالذى يجب على المسلمين ان
يأخذوا به فى شأنهما اصلاح ذات البين وتسكين الدهماء بارادة الحق والمواعظ الشافية ونفى الشبهة الا اذا
اصرتا فحينئذ تجب المقاتلة واما الضمان فلا يتجه وليس كذا اذا بغت احديهما فان الضمان متجه على الوجهين المذكورين
واقسطوا ان الله يحب المقسطين واقسطوا امر باستعمال القسط على طريق العموم بعدما
امر به فى اصلاح ذات البين والقول فيه مثله فى الامر باتقاء الله عز وجل على عقب النهى عن التقديم بين يديه
والقسط بالفتح الجور من القسط وهو اعوجاج فى الرجلين وعود قاسط يابس واقسطته الرياح واما القسط
بمعنى العدل فالفعل منه اقسط وهمزته للسلب اى ازال القسط وهو الجور انما المؤمنون اخوة فاصلحوا
بين اخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون هذا تقرير لما الزمه من تولى الاصلاح بين من وقعت بينهم
من المؤمنين وبيان ان الايمان قد عقد بين اهله من السبب القريب والنسب اللاصق ما ان لم يفضل الاخوة ولم
يبرز عليها لم ينقص منها ولم يتقاصر عن غايتها ثم قد جرت عادة الناس على انه اذا نشب مثل ذلك بين اثنين من اخوة
الولاد لزم السائر ان يتناهضوا فى رفعه وازاحته ويركبوا الصعب والذلول مشيا بالصلح وبثا للسفراء بينهما
الى ان يصادف ما وهى من الوفاق من يرقعه وما استشن من الوصال من يبله فالاخوة فى الدين احق بذلك وباشد
منه وعن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يعيبه ولا يتطاول عليه فى البنيان فيستر عنه
الريح الا باذنه ولا يؤذيه بقتار قدره ثم قال احفظوا ولا يحفظ منكم الا قليل **فان قلت** فلم خص الاثنان بالذكر
دون الجمع **قلت** لان اقل من يقع بينهم الشقاق اثنان فاذا لزمت المصالحة بين الاقل كانت بين الاكثر
الزم لان الفساد فى شقاق الجمع اكثر منه فى شقاق الاثنين وقيل المراد بالاخوين الاوس والخزرج

وقرئ بين اخوتكم واخوانكم والمعنى ليس المؤمنون الا اخوة وانهم خلص لذلك متمحضون قد ازيحت عنهم شبهات
الاجنبية وابى لطف حالهم في التمازج والاتحاد ان يقدموا على ما يتولد منه التقاطع فبادروا قطع ما يقع من ذلك
ان وقع واحسموه واتقوا الله فانكم ان فعلتم لم تحملكم التقوى الا على التواصل والائتلاف والمسارعة الى اماطة ما يفرط
منه وكان عند فعلكم ذلك وصول رحمة الله تعالى اليكم واشتمال رافته عليكم حقيقا بان تعقدوا به رجاءكم

يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن

القوم الرجال خاصة لانهم القوام بامور النساء قال الله تعالى الرجال قوامون
على النساء وقال صلوات الله تعالى وسلامه عليه النساء لحم على وضم الا ما ذب عنه والذابون هم الرجال وهو
في الاصل جمع قائم كصوم وزور في جمع صائم وزائر او تسمية بالمصدر عن بعض العرب اذا اكلت طعاما احببت
نوما وابغضت قوما اي قياما واختصاص القوم بالرجال صريح في الاية وفي قول زهير اقوم آل حصن ام نساء
واما قولهم في قوم فرعون وقوم عاد هم الذكور والاناث فليس لفظ القوم بمتعاط للفريقين ولكن قصد ذكر الذكور
وترك ذكر الاناث لانهن توابع لرجالهن وتنكير القوم والنساء يحتمل معنيين ان يراد لا يسخر بعض المؤمنين والمؤمنات
من بعض وان يقصد افادة الشياع وان يصير كل جماعة منهم منهية عن السخرية وانما لم يقل رجل من رجل ولا امراة من
امراة على التوحيد اعلاما باقدام غير واحد من رجالهم وغير واحدة من نسائهم على السخرية واستفظاعا للشان الذي
كانوا عليه ولان مشهد الساخر لا يكاد يخلو ممن يتلهى ويستضحك على قوله ولا ياتي ما عليه من النهي والانكار فيكون شريك
الساخر وتلوه في تحمل الوزر وكذلك كل من يطرق سمعه فيستطيبه ويضحك به فيؤدي ذلك وان اوجده واحد الى
تكثر السخرة وانقلاب الواحد جماعة وقوما وقوله تعالى عسى ان يكونوا خيرا منهم كلام مستانف وقد ورد مورد جواب المستخبر
عن العلة الموجبة لما جاء النهي عنه والا فقد كان حقه ان يوصل بما قبله بالفاء والمعنى وجوب ان يعتقد كل احد ان المسخور
منه ربما يكون عند الله عز وجل خيرا من الساخر لان الناس لا يطلعون الا على ظواهر الاحوال ولا علم لهم بالخفيات وانما الذي
يزن عند الله عز وجل خلوص الضمائر وتقوى القلوب وعلمهم من ذلك بمعزل فينبغي ان لا يجترئ احد على الاستهزاء بمن تقتحمه عينه
اذا راه رث الحال او ذا عاهة في بدنه او غير لبيق في محادثته فلعله اخلص ضميرا واتقى قلبا ممن هو على ضد صفته فيظلم
نفسه بتحقير من وقره الله تعالى والاستهانة بمن عظمه الله تعالى ولقد بلغ بالسلف افراط توقيهم وتصونهم من ذلك ان قال عمرو
بن شرحبيل لو رايت رجلا يرضع عنزا فضحكت منه خشيت ان اصنع مثل الذي صنعه وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
البلاء موكل بالقول لو سخرت من كلب لخشيت ان احول كلبا وفي قراءة عبد الله عسوا ان يكونوا وعسين ان يكن فعسى
على هذه القراءة ذات الخبر كالتي في قوله جل وعلا فهل عسيتم وعلى الاولى لا خبر فيها كقوله جل وعلا وعسى ان تكرهوا شيئا

ولا تلمزوا انفسكم ولا تنابزوا بالالقاب

واللمز الطعن والضرب باللسان وقرئ ولا تلمزوا
بالضم والمعنى وخصوا انفسكم ايها المؤمنون بالانتهاء عن عيبها والطعن فيها ولا عليكم ان تعيبوا غيركم ممن لا يدين بدينكم ولا
يسير بسيرتكم ففي الحديث عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذكروا الفاجر بما فيه كي يحذره الناس وعن الحسن رحمه الله تعالى
في ذكر الحجاج اخرج الي بنانا قصيرة قلما عرقت فيها الاعنة في سبيل الله تعالى ثم جعل يطبطب شعيرات له ويقول يا ابا سعيد
يا ابا سعيد وقال لما مات اللهم انت امته فاقطع سنته فانه اتانا اخيفش اعيمش يخطر في مشيته ويصعد المنبر
حتى تفوته الصلوة لا من الله يتقي ولا من الناس يستحي فوقه الله تعالى وتحته مائة الف او يزيدون لا يقول له قائل الصلوة
ايها الرجل الصلوة ايها الرجل هيهات دون ذلك السيف والسوط وقيل معناه لا يعب بعضكم بعضا لان المؤمنين
كنفس واحدة فمتى عاب المؤمن المؤمن فكانما عاب نفسه وقيل معناه لا تفعلوا ما تلمزون به لان من فعل ما استحق به اللمز
فقد لمز نفسه حقيقة والتنابز بالالقاب التداعي بها تفاعل من نبزه وبنو فلان يتنابزون ويتنازبون ويقال النبز
والنزب لقب السوء والتلقيب المنهي عنه وهو ما يتداخل المدعو به كراهة لكونه تقصيرا به وذما له وشينا فاما ما يحبه مما
يزينه وينوه به فلا باس روي عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال من حق المؤمن على اخيه ان يسميه باحب اسمائه
اليه ولهذا كانت التكنية من السنة والادب الحسن قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه اشيعوا الكنى فانها منبهة
ولقد لقب ابو بكر رضي الله تعالى عنه بالعتيق والصديق وعمر رضي الله تعالى عنه بالفاروق وحمزة رضي الله تعالى عنه باسد الله

وخالد رضي الله تعالى عنه بسيف الله وقل من المشاهير في الجاهلية والاسلام من ليس له لقب ولم تزل هذه الالقاب
الحسنة في الامم كلها من العرب والعجم تجري في مخاطباتهم ومكاتباتهم من غير نكير وروي عن الضحاك ان قوما من بني تميم استهزؤا
ببلال وخباب وعمار وصهيب وابي ذر وسالم مولى حذيفة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين فنزلت وعن ام المؤمنين عائشة
رضي الله تعالى عنها انها كانت تسخر من زينب بنت خزيمة الهلالية رضي الله تعالى عنها وكانت قصيرة وعن ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما ان ام سلمة ربطت حقويها بسبيبة وسدلت طرفيها خلفها وكانت تجره فقالت عائشة لحفصة
انظري ما تجر خلفها كانه لسان كلب وعن انس بن مالك رضي الله تعالى عنه عيرت نساء رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم ام سلمة بالقصر وعن عكرمة عن ابن عباس ان صفية بنت حيي اتت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقالت
ان النساء يعيرنني ويقلن يا يهودية بنت يهوديين فقال لها رسول الله عليه الصلوة والسلام هلا قلت ان ابي هرون
وعمي موسى وان زوجي محمد وروي انها نزلت في ثابت بن قيس رضي الله تعالى عنه وكان به وقر وكانوا يوسعون له في مجلس
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ليسمع فاتى يوما وهو يقول تفسحوا لي حتى انتهى الى رسول الله فقال لرجل تنح فلم يفعل فقال من
هذا فقال الرجل انا فلان فقال بل انت ابن فلانة يريد اما كان يعير بها في الجاهلية فخجل الرجل فنزلت فقال ثابت لا افخر
على احد في الحسب بعدها ابدا

بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون

الاسم ههنا بمعنى الذكر من قولهم طار اسمه في الناس بالكرم او باللوم كما يقال طار ثناؤه وصيته وحقيقته ما سما من
ذكره وارتفع بين الناس الا ترى الى قولهم اشاد بذكره كانه قيل بئس الذكر المرتفع للمؤمنين بسبب ارتكاب هذه الجرائر
ان يذكروا بالفسق وفي قوله تعالى بعد الايمان ثلثة اوجه احدها استقباح الجمع بين الايمان وبين الفسق الذي يأباه الايمان
ويحظره كما تقول بئس الشان بعد الكبرة الصبوة والثاني انه كان في شتائمهم لمن اسلم من اليهود يا يهودي يا فاسق فنهوا عنه
وقيل لهم بئس الذكر ان تذكروا الرجل بالفسق واليهودية بعد ايمانه والجملة على هذا التفسير متعلقة بالنهي عن التنابز والثالث
ان يجعل من فسق غير مؤمن كما تقول للمتحول عن التجارة الى الفلاحة بئست الحرفة الفلاحة بعد التجارة

يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم

يقال جنبه الشر اذا ابعده عنه وحقيقته جعله في
جانب فيعدى الى مفعولين قال الله تعالى واجنبني وبني ان نعبد الاصنام ثم يقال في مطاوعه اجتنب الشر فتنقص المطاوعة مفعولا
والمامور باجتنابه هو بعض الظن وذلك البعض موصوف بالكثرة الا ترى الى قوله تعالى ان بعض الظن اثم **فان قلت**
بين الفصل بين كثير حيث جاء نكرة وبينه لو جاء معرفة **قلت** مجيئه نكرة يفيد معنى البعضية وان في الظنون ما يجب ان
يجتنب من غير تبيين لذلك ولا تعيين لئلا يجترئ احد على ظن الا بعد نظر وتامل وتمييز بين حقه وباطله بامارة بينة مع
استشعار للتقوى والحذر ولو عرف لكان الامر باجتناب الظن منوطا بما يكثر منه دون ما يقل ووجب ان يكون كل
ظن متصف بالكثرة مجتنبا وما اتصف منه بالقلة مرخصا في تظنيه والذي يميز الظنون التي يجب اجتنابها عما سواها ان كل
ما لم تعرف له امارة صحيحة وسبب ظاهر كان حراما واجب الاجتناب وذلك اذا كان المظنون به ممن شوهد منه الستر والصلاح واونست
منه الامانة في الظاهر فظن الفساد والخيانة به محرم بخلاف من اشتهره الناس بتعاطي الريب والمجاهرة بالخبائث عن النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم ان الله حرم من المسلم دمه وعرضه وان يظن به ظن السوء وعن الحسن كنا في زمان الظن بالناس حرام
وانت اليوم في زمان اعمل واسكت وظن بالناس ما شئت وعنه لا حرمة لفاجر وعنه ان الفاسق اذا اظهر فسقه وهتك ستره
هتكه الله تعالى واذا استتر لم يظهر الله عليه لعله ان يتوب وقد روي من القى جلباب الحياء فلا غيبة له والاثم الذنب الذي
يستحق صاحبه العقاب ومنه قيل لعقوبته الاثام فعال منه كالنكال والعذاب والوبال قال لقد فعلت هذي النوى بي فعلة
اصاب النوى قبل الممات اثامها والهمزة فيه عوض من الواو كانه يثم الاعمال اي يكسرها باحباطه

ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا

وقرئ ولا تحسسوا بالحاء والمعنيان متقاربان يقال تجسس الامر اذا تطلبه وبحث عنه تفعل
من الجس كما ان التلمس بمعنى التطلب من اللمس لما في اللمس من الطلب وقد جاء بمعنى الطلب في قوله تعالى وانا لمسنا
السماء والتحسس التعرف من الحس ولتقاربهما قيل لمشاعر الانسان الحواس بالحاء والجيم والمراد النهي عن تتبع عورات
المسلمين ومعايبهم والاستكشاف عما ستروه وعن مجاهد خذوا ما ظهر ودعوا ما ستره الله وعن النبي صلى الله عليه وسلم
انه خطب فرفع صوته حتى اسمع العواتق في خدورهن قال يا معشر من امن بلسانه ولم يخلص الايمان الى قلبه لا تتبعوا عورات المسلمين

فان من تتبع عورات المسلمين تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو كان في جوف بيته • وعن زيد بن وهب رضي الله تعالى عنه
قلنا لابن مسعود رضي الله تعالى عنه هل لك في الوليد بن عقبة بن ابي معيط تقطر لحيته خمرا فقال ابن مسعود انا نهينا عن التجسس
فان ظهر لنا شيء اخذنا به • غابه واغتابه كغاله واغتاله والغيبة من الاغتياب كالغيلة من الاغتيال وهي ذكر السوء في الغيبة
وسئل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن الغيبة فقال ان تذكر اخاك بما يكره فان كان فيه فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته
وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما الغيبة ادام كلاب الناس • ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه
واتقوا الله ان الله تواب رحيم • ايحب احدكم تمثيل وتصوير لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على افظع وجه وافحشه
وفيه مبالغات شتى منها الاستفهام الذي معناه التقرير ومنها جعل ما هو في الغاية من الكراهة موصولا بالمحبة ومنها اسناد الفعل
الى احدكم والاشعار بان احدا من الاحدين لا يحب ذلك ومنها ان لم يقتصر على تمثيل الاغتياب باكل لحم الانسان حتى جعل الانسان
اخا ومنها ان لم يقتصر على اكل لحم الاخ حتى جعل ميتا • وعن قتادة كما تكره ان وجدت جيفة مدودة ان تاكل منها كذلك فاكره
لحم اخيك وهو حي وانتصب ميتا على الحال من اللحم ويجوز ان ينتصب عن الاخ وقرئ ميتا • ولما قررهم عز وجل بان احدا منهم لا يحب اكل
جيفة اخيه عقب ذلك بقوله تعالى فكرهتموه معناه فقد كرهتموه واستقر ذلك وفيه معنى الشرط اي ان صح هذا فقد كرهتموه وهي
الفاء الفصيحة اي فتحققت بوجوب الاقرار عليكم وانكم لا تقدرون على دفعه وانكاره لاباء البشرية عليكم ان تجحدوه كراهتكم له
وتقذركم منه فليتحقق ايضا ان تكرهوا ما هو نظيره من الغيبة والطعن في اعراض المسلمين وقرئ فكرهتموه اي جبلتم على كراهته
فان قلت هلا عدي بالى كما عدي في قوله تعالى وكره اليكم الكفر وايهما القياس قلت القياس تعديه بنفسه
لانه ذو مفعول واحد قبل تثقيل حشوه تقول كرهت الشيء فاذا ثقل استدعى زيادة مفعول واما تعديته بالى فتأول واجراء كره مجرى
بغض لان بغض منقول من بغض اليه الشيء فهو بغيض اليه كقولك حب اليه الشيء فهو حبيب اليه والمبالغة في التواب للدلالة على كثرة
من يتوب عليه من عباده او لانه ما من ذنب يقترفه المقترف الا كان معفوا عنه بالتوبة او لانه بليغ في قبول التوبة منزل صاحبها
منزلة من لم يذنب قط لسعة كرمه والمعنى واتقوا الله بترك ما امرتم باجتنابه والندم على ما وجد منكم منه فانكم ان اتقيتم تقبل الله
توبتكم وانعم عليكم بثواب المتقين التائبين • وعن ابن عباس ان سلمان كان يخدم رجلين من الصحابة ويسوي لهما طعامهما فنام
عن شانه يوما فبعثاه الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يبغي لهما اداما وكان اسامة على طعام رسول الله عليه الصلوة والسلام فقال
ما عندي شيء فاخبرهما سلمان بذلك فعند ذلك قالا لو بعثناه الى بئر سميحة لغار ماؤها فلما راحا الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لهما
مالي ارى خضرة اللحم في افواهكما فقالا ما تناولنا لحما فقال انكما قد اغتبتما فنزلت • يا ايها الناس انا خلقناكم من
ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا • من ذكر وانثى من آدم وحواء وقيل خلقنا كل واحد منكم من اب
وام فما منكم من احد الا وهو يدلي بمثل ما يدلي به الآخر سواء بسواء فلا وجه للتفاخر في النسب والشعب الطبقة الاولى من الطبقات
الست التي عليها العرب وهي الشعب والقبيلة والعمارة والبطن والفخذ والفصيلة فالشعب يجمع القبائل والقبيلة تجمع
العمائر والعمارة تجمع البطون والبطن يجمع الافخاذ والفخذ يجمع الفصائل خزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصي
بطن وهاشم فخذ والعباس فصيلة وسميت الشعوب لان القبائل تتشعب منها وقرئ لتتعارفوا ولتعارفوا بالادغام ولتعرفوا
اي لتعلموا كيف تتناسبون ولتتعرفوا والمعنى ان الحكمة التي من اجلها رتبكم على شعوب وقبائل هي ان يعرف بعضكم نسب بعض فلا يعتزي
الى غير آبائه لا ان تتفاخروا بالآباء والاجداد وتدعوا التفاضل والتفاوت في الانساب • ان اكرمكم عند الله
اتقاكم ان الله عليم خبير • ثم بين الخصلة التي يفضل الانسان بها غيره ويكتسب الشرف والكرم عند الله تعالى
فقال ان اكرمكم عند الله اتقاكم وقرئ ان بالفتح كانه قيل لم لا نتفاخر بالانساب فقيل لان اكرمكم عند الله اتقاكم لا انسبكم
وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه طاف يوم فتح مكة فحمد الله تعالى واثنى عليه ثم قال الحمد لله الذي اذهب عنكم عبية الجاهلية وتكبرها
يا ايها الناس انما الناس رجلان مؤمن تقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله ثم قرأ الآية • وعنه عليه الصلوة والسلام
كرم الدنيا الغنى وكرم الآخرة التقوى • وعن يزيد بن شجرة مر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في سوق المدينة فرأى غلاما
اسود يقول من اشتراني فعلى شرط لا يمنعني عن الصلوات الخمس خلف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاشتراه رجل وكان رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم يراه عند كل صلوة ففقده يوما فسأل عنه صاحبه فقال محموم فعاده ثم سأل عنه بعد ثلثة ايام فقال هو
لما به فجاءه وهو في ذمائه فتولى غسله ودفنه فدخل على المهاجرين والانصار امر عظيم فنزلت • قالت الاعراب امنا

قل

قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم • الايمان هو التصديق بالله
مع الثقة وطمانينة النفس والاسلام الدخول في السلم والخروج من ان يكون حربا للمؤمنين باظهار الشهادتين الا ترى الى قوله
تعالى ولما يدخل الايمان في قلوبكم فاعلم ان ما يكون من الاقرار باللسان من غير مواطاة القلب فهو اسلام وما واطأ فيه
القلب اللسان فهو ايمان فان قلت ما وجه قوله تعالى قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا والذي يقتضيه نظم
الكلام ان يقال قل لا تقولوا آمنا ولكن قولوا اسلمنا او قل لم تؤمنوا ولكن اسلمتم قلت افاد هذا النظم تكذيب
دعواهم اولا ودفع ما انتحلوه فقيل قل لم تؤمنوا وروعي في هذا النوع من التكذيب ادب حسن حيث لم يصرح بلفظه فلم
يقل كذبتم ووضع لم تؤمنوا الذي هو نفي ما ادعوا اثباته موضعه ثم نبه على ما فعل من وضعه موضع كذبتم في قوله في صفة المخلصين
اولئك هم الصادقون تعريضا بان هؤلاء هم الكاذبون ورب تعريض لا يقاومه التصريح واستغنى بالجملة التي هي لم تؤمنوا
عن ان يقال لا تقولوا آمنا لاستهجان ان يخاطبوا بلفظ مؤداه النهي عن القول بالايمان ثم وصلت بها الجملة المصدرة
بكلمة الاستدراك محمولة على المعنى ولم يقل ولكن اسلمتم ليكون خارجا مخرج الزعم والدعوى كما كان قولهم آمنا كذلك ولو قيل
ولكن اسلمتم لكان خروجه في معرض التسليم لهم والاعتداد بقولهم وهو غير معتد به فان قلت قوله تعالى ولما
يدخل الايمان في قلوبكم بعد قوله تعالى قل لم تؤمنوا يشبه التكرير من غير استقلال بفائدة متجددة قلت
ليس كذلك فان فائدة قوله تعالى لم تؤمنوا تكذيب دعواهم وقوله تعالى ولما يدخل الايمان في قلوبكم توقيت لما امروا به ان يقولوه
كانه قيل لهم ولكن قولوا اسلمنا حين لم تثبت مواطاة قلوبكم لالسنتكم لانه كلام واقع موقع الحال من الضمير في قولوا وما
في لما من معنى التوقع دال على ان هؤلاء قد آمنوا فيما بعد • وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من
اعمالكم شيئا ان الله غفور رحيم • لا يلتكم لا ينقصكم ولا يظلمكم يقال الته السلطان حقه
اشد الالت وهي لغة غطفان ولغة اسد واهل الحجاز لاته ليتا وحكى الاصمعي عن ام هشام السلولية انها قالت
الحمد لله الذي لا يفات ولا يلات ولا تصمه الاصوات وقرئ بالهمز لا يالتكم ولا يألتكم ونحوه في المعنى فلا تظلم نفس
شيئا ومعنى طاعة الله ورسوله ان يتوبوا عما كانوا عليه من النفاق ويعقدوا قلوبهم على الايمان ويعملوا بمقتضياته
فان فعلوا ذلك تقبل الله تعالى توبتهم ووهب لهم مغفرته وانعم عليهم بجزيل ثوابه • وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
ان نفرا من بني اسد قدموا المدينة في سنة جدبة فاظهروا الشهادة وافسدوا طرق المدينة بالعذرات واغلوا
اسعارها وهم يغدون ويروحون على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويقولون اتتك العرب بانفسها على ظهور رواحلها
وجئناك بالاثقال والذراري يريدون الصدقة ويمنون عليه فنزلت • انما المؤمنون الذين آمنوا
بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك
هم الصادقون • ارتاب مطاوع رابه اذا اوقعه في الشك مع التهمة والمعنى انهم آمنوا ثم لم يقع في
نفوسهم شك فيما آمنوا به ولا اتهام لمن صدقوه واعترفوا ان الحق معه فان قلت ما معنى ثم ههنا وهي للتراخي
وعدم الارتياب يجب ان يكون مقارنا للايمان لانه وصف فيه لما يثبت من افادة الايمان معنى الثقة والطمانينة التي حقيقتها
التيقن وانتفاء الريب قلت الجواب على طريقين احدهما ان من وجد منه الايمان ربما اعترضه الشيطان او بعض
المضلين بعد ثلج الصدر فشككه وقذف في قلبه ما يثلم يقينه او نظر هو نظرا غير سديد يسقط به على الشك ثم يستمر
على ذلك راكبا راسه لا يطلب له مخرجا فوصف المؤمنون بالبعد عن هذه الموبقات ونظيره قوله تعالى ثم استقاموا والثاني
ان الايقان وزوال الريب لما كان ملاك الايمان افرد بالذكر بعد تقدم الايمان تنبيها على مكانه وعطف على الايمان بكلمة
التراخي اشعارا باستقراره في الازمنة المتراخية المتطاولة غضا جديدا • وجاهدوا يجوز ان يكون المجاهد منويا وهو
العدو المحارب او الشيطان او الهوى وان يكون جاهد مبالغة في جهد ويجوز ان يراد بالمجاهدة بالنفس الغزو وان يتناول
العبادات باسرها وبالمجاهدة بالمال نحو ما صنع عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه في جيش العسرة وان يتناول
الزكوات وكل ما يتعلق بالمال من اعمال البر التي يتحامل فيها الرجل على ماله لوجه الله تعالى اولئك هم الصادقون الذين
صدقوا في قولهم آمنا ولم يكذبوا كما كذب اعراب بني اسد وهم الذين ايمانهم ايمان صدق وايمان حق وجد وثبات
قل اتعلمون الله بدينكم والله يعلم ما في السموات وما في الارض والله بكل شيء عليم

يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا على اسلامكم ۞ يقال امتن عليه بيد ومنّ اي اعتدّ بها ولا
احطت به ومنه قوله تعالى قل اتعلمون الله بدينكم وفيه تجهيل لهم يقال منّ عليه بيد اسداها اليه كقولك انعم عليه وافضل
عليه والمنة النعمة التي لا يستثيب مسديها من يزلها اليه واشتقاقها من المن الذي هو القطع لانه انما يسديها اليه ليقطع
بها حاجته لا غير من غير ان يعمد لطلب مثوبة ثم يقال منّ عليه صنعه اذا اعتده عليه منة وانعاما وسياق هذه الآية فيه
ورشاقة وذلك ان الكائن من الاعاريب قد سماه الله اسلاما ونفى ان يكون كما زعموا ايمانا فلما منوا على رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم ما كان منهم قال الله سبحانه وتعالى لرسوله عليه الصلوة والسلام ان هؤلاء يعتدون عليك بما ليس جديرا بالاعتداد
من حدثهم الذي حق تسميته ان يقال له اسلام فقل لا تعتدوا على اسلامكم اي حدثكم المسمى اسلاما عندي لا ايمانا
بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين ۞ ثم قال بل الله يعتد عليكم ان امدكم بتوفيقه
حيث هداكم للايمان على ما زعمتم وادعيتم انكم ارشدتم اليه ووفقتم له ان صح زعمكم وصدق دعواكم الا انكم تزعمون وتدعون
ما الله عليم بخلافه وفي اضافة الاسلام اليهم وايراد الايمان غير مضاف ما لا يخفى على المتأمل وجواب الشرط محذوف لدلالة
ما قبله عليه تقديره ان كنتم صادقين في ادعائكم الايمان فلله المنة عليكم وقرئ ان هداكم بكسر الهمزة وفي قراءة ابن مسعود اذ هداكم
ان الله يعلم غيب السموات والارض ۞ والله بصير بما تعملون ۞ قرئ بالتاء والياء
وهذا بيان لكونهم غير صادقين في دعواهم يعني انه عز وجل يعلم كل مستتر في العالم ويبصر كل عمل تعملونه في سركم وعلانيتكم
لا يخفى عليه منه شيء فكيف يخفى عليه ما في ضمائركم ولا يظهر على صدقكم وكذبكم وذلك ان حاله مع كل معلوم واحدة لا تختلف
عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة الحجرات اعطي من الاجر بعدد من اطاع الله تعالى ومن عصاه ۞

سورة ق مكية

وهي خمس واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم ۞ ق والقرآن المجيد ۞ بل عجبوا ان جاءهم
منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب ۞ ائذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد
الكلام في ق والقرآن المجيد بل عجبوا نحوه في ص والقرآن ذي الذكر بل الذين كفروا سواء بسواء لالتقائهما في اسلوب
واحد والمجيد ذو المجد والشرف على غيره من الكتب ومن احاط بمعانيه وعمل بما فيه مجد عند الله تعالى وعند الناس
وهو بسبب من الله المجيد فجاز اتصافه بصفته قوله تعالى بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم انكار لتعجبهم مما ليس بعجب وهو ان
ينذرهم بالخوف رجل منهم قد عرفوا وساطته فيهم وعدالته وامانته ومن كان على صفته لم يكن الا ناصحا لقومه مترفقا عليهم
خائفا ان ينالهم سوء ويحل بهم مكروه واذا علم ان مخوفا اظلهم لزمه ان ينذرهم ويحذرهم فكيف بما هو غاية المخاوف ونهاية
المحاذير وانكار لتعجبهم مما انذرهم به من البعث مع علمهم بقدرة الله عز وجل على خلق السموات والارض وما بينهما وعلى اختراع كل
واحد واقرارهم بالنشأة الاولى ومع شهادة العقل بانه لا بد من الجزاء ثم عول على احد الانكارين بقوله تعالى فقال
الكافرون هذا شيء عجيب اذا اشارة دلالة على ان تعجبهم من البعث ادخل في الاستبعاد واحق بالانكار ووضع الكافرون
موضع الضمير للشهادة على انهم في قولهم هذا مقدمون على الكفر العظيم وهذا اشارة الى الرجع واذا منصوب بمضمر معناه
انموت ونبلى نرجع ذلك رجع بعيد مستبعد مستنكر كقولك هذا قول بعيد وقد ابعد فلان في قوله ومعناه بعيد من الوهم والعادة
ويجوز ان يكون الرجع بمعنى المرجوع وهو الجواب ويكون من كلام الله تعالى استبعادا لانكارهم ما انذروا به من البعث والوقف
قبله على هذا التفسير حسن وقرئ اذا متنا على لفظ الخبر ومعناه اذا متنا بعد ان نرجع والدال عليه ذلك رجع بعيد
فان قلت فما ناصب الظرف اذا كان الرجع بمعنى المرجوع قلت ما دل عليه المنذر من المنذر به وهو البعث
قد علمنا ما تنقص الارض منهم وعندنا كتاب حفيظ ۞ قد علمنا رد لاستبعادهم الرجع لان
من لطف علمه حتى تغلغل الى ما تنقص الارض من اجساد الموتى وتأكله من لحومهم وعظامهم كان قادرا على رجعهم احياء كما
كانوا عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كل ابن آدم يبلى الا عجب الذنب ۞ وعن السدي ما تنقص الارض منهم ما يموت فيدفن
في الارض منهم كتاب حفيظ محفوظ من الشياطين ومن التغير وهو اللوح المحفوظ او حافظ لما اودعه وكتب فيه ۞ بل كذبوا

بالحق لما جاءهم فهم في امر مريج ۞ بل كذبوا اضراب اتبع الاضراب الاول للدلالة على انهم جاؤا بما هو
افظع من تعجبهم وهو التكذيب بالحق الذي هو النبوة الثابتة بالمعجزات في اول وهلة من غير تفكر ولا تدبر فهم في امر مريج
مضطرب يقال مرج الخاتم في اصبعه وجرج فيقولون تارة شاعر وتارة ساحر وتارة كاهن لا يثبتون على شيء واحد
وقرئ لما جاءهم بكسر اللام وما المصدرية واللام هي التي في قولهم لخمس خلون اي عند مجيئه اياهم وقيل الحق القرآن وقيل الاخبار بالغيب
افلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج ۞
افلم ينظروا حين كفروا بالبعث الى آثار قدرة الله عز وجل في خلق العالم بنيناها رفعناها بغير عمد من فروج من فتوق
يعني انها ملساء سليمة من العيوب لا فتق فيها ولا صدع ولا خلل كقوله تعالى هل ترى من فطور ۞ والارض مددناها
والقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل زوج بهيج ۞ تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ۞
مددناها دحوناها رواسي جبالا ثوابت لولا هي لتكفأت من كل زوج من كل صنف بهيج يبتهج به لحسنه تبصرة وذكرى
اي لنبصر به ونذكر كل عبد منيب راجع الى ربه مفكر في بدائع خلقه وقرئ تبصرة وذكرى بالرفع اي خلقها تبصرة
ونزلنا من السماء ماء مباركا فانبتنا به جنات وحب الحصيد ۞ والنخل باسقات
لها طلع نضيد ۞ رزقا للعباد واحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج ۞ ماء مباركا كثير المنافع
وحب الحصيد وحب الزرع الذي من شأنه ان يحصد وهو ما يقتات به من نحو الحنطة والشعير وغيرهما باسقات طوالا
في السماء وفي قراءة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم باصقات بابدال السين صادا لاجل القاف نضيد منضود بعضه فوق
بعض اما ان يراد كثرة الطلع وتراكمه او كثرة ما فيه من الثمر رزقا على انبتناها رزقا لان الانبات في معنى الرزق او على انه مفعول
له اي انبتناها لرزقهم كذلك الخروج كما حييت هذه الارض الميتة كذلك تخرجون احياء بعد موتكم والكاف في محل الرفع
على الابتداء ۞ كذبت قبلهم قوم نوح واصحاب الرس وثمود ۞ وعاد وفرعون واخوان لوط ۞
واصحاب الايكة وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد ۞ اراد بفرعون قومه كقوله تعالى من فرعون
وملائهم لان المعطوف عليه قوم نوح والمعطوفات جماعات يجوز ان يراد به كل واحد منهم وان يراد جميعهم الا انه وحد الضمير
الراجع اليه على اللفظ دون المعنى فحق وعيد فوجب وحل وعيدي وهو كلمة العذاب وفيه تسلية لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
وتهديد لهم ۞ افعيينا بالخلق الاول بل هم في لبس من خلق جديد ۞ عيي بالامر اذا لم يهتد لوجه عمله والهمزة
للانكار والمعنى انا لم نعجز كما علموا عن الخلق الاول حتى نعجز عن الثاني ثم قال هم لا ينكرون قدرتنا على الخلق الاول واعترافهم
بذلك في طيه الاعتراف بالقدرة على الاعادة بل هم في لبس اي في خلط وشبهة قد لبس عليهم الشيطان وحيرهم ومنه قول
علي رضي الله تعالى عنه يا حار انه لملبوس عليك اعرف الحق تعرف اهله ولبس الشيطان عليهم تسويله اليهم ان احياء الموتى خارج
عن العادة فتركوا لذلك القياس الصحيح ان من قدر على الانشاء كان على الاعادة اقدر فان قلت لم نكر الخلق
الجديد وهلا عرف كما عرف الخلق الاول قلت قصد في تنكيره الى خلق جديد له شأن عظيم وحال شديدة حق من سمع
ان يهتم به ويخاف ويبحث عنه ولا يقعد على لبس في مثله ۞ ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه
ونحن اقرب اليه من حبل الوريد ۞ الوسوسة الصوت الخفي ومنها وسواس الحلي ووسوسة النفس ما يخطر
ببال الانسان ويهجس في ضميره من حديث النفس والباء مثلها في قولك صوت بكذا وهمس به ويجوز ان يكون للتعدية
والضمير للانسان اي ما تجعله موسوسا وما مصدرية لانهم يقولون حدث نفسه بكذا كما يقولون حدثته به نفسه قال واكذب
النفس اذا حدثتها ۞ ونحن اقرب اليه مجاز والمراد قرب علمه منه وانه يتعلق بمعلومه منه ومن احواله تعلقا لا يخفى عليه شيء من
خفياته فكأن ذاته قريبة منه كما يقال الله تعالى في كل مكان وقد جل عن الامكنة وحبل الوريد مثل في فرط القرب كقولهم
هو مني مقعد القابلة ومعقد الازار قال ذو الرمة ۞ والموت ادنى لي من الوريد ۞ والحبل العرق شبه بواحد الحبال الا ترى
الى قوله ۞ كأن وريده رشاء خلب ۞ والوريدان عرقان مكتنفان لصفحتي العنق في مقدمها متصلان بالوتين
يردان من الرأس اليه وقيل سمي وريدا لان الروح ترده فان قلت ما وجه اضافة الحبل الى الوريد والشيء لا يضاف
الى نفسه قلت فيه وجهان احدهما ان تكون الاضافة للبيان كقولهم بعير سانية والثاني ان يراد حبل العاتق فيضاف
الى الوريد كما يضاف الى العاتق لاجتماعهما في عضو واحد كما يقال حبل العلباء مثلا ۞ اذ يتلقى المتلقيان

عن اليمين وعن الشمال قعيد اذ منصوب باقرب وساغ ذلك لان المعاني تعمل في الظرف متقدمة
ومتاخرة والمعنى انه لطيف يتوصل علمه الى خطرات النفس وما لا شيء اخفى منه وهو اقرب من الانسان من كل قريب
حين يتلقى الحفيظان ما يتلفظ به ايذانا بان استحفاظ الملكين امر هو غني عنه وكيف لا يستغني عنه وهو مطلع على
اخفى الخفيات وانما ذلك لحكمة اقتضت ذلك وهي ما في كتبة الملكين وحفظهما وعرض صحائف العمل يوم يقوم الاشهاد
وعلم العبد بذلك مع علمه باحاطة الله عز وجل بعمله من زيادة لطف له في الانتهاء عن السيئات والرغبة في الحسنات
وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان مقعد ملكيك على ثنيتيك ولسانك قلمهما وريقك مدادهما وانت تجري فيما لا
يعنيك لا تستحي من الله تعالى ولا منهما ويجوز ان يكون تلقي الملكين بيانا للقرب يعني ونحن قريبون منه مطلعون على احواله
مهيمنون عليه اذ حفظتنا وكتبتنا موكلون به والتلقي التلقن بالحفظ والكتبة والقعيد المقاعد كالجليس بمعنى المجالس
وتقديره عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد من المتلقيين فترك احدهما لدلالة الثاني عليه كقوله • كنت منه ووالدي بريا •
ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد رقيب ملك يرقب عمله عتيد حاضر واختلف فيما يكتب الملكان فقيل
يكتبان كل شيء حتى انينه في مرضه وقيل لا يكتبان الا ما يوجر عليه او يوزر به ويدل عليه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم كاتب الحسنات
على يمين الرجل وكاتب السيئات على يسار الرجل وكاتب الحسنات امين على كاتب السيئات فاذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين
عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله ان يسبح او يستغفر وقيل ان الملائكة يجتنبون الانسان
عند غائطه وعند جماعه وقرئ ما يلفظ على البناء للمفعول **وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت**
منه تحيد لما ذكر انكارهم البعث واحتج عليهم بوصف قدرته وعلمه اعلمهم ان ما انكروه وجحدوه هم لاقوه عن قريب عند
موتهم وعند قيام الساعة ونبه على اقتراب ذلك بان عبر عنه بلفظ الماضي وهو قوله تعالى وجاءت سكرة الموت ونفخ
في الصور وسكرة الموت شدته الذاهبة بالعقل والباء في بالحق للتعدية يعني واحضرت سكرة الموت حقيقة الامر الذي
انطق الله تعالى به كتبه وبعث به رسله او حقيقة الامر وجلية الحال من سعادة الميت وشقاوته وقيل الحق الذي خلق له
الانسان من ان كل نفس ذائقة الموت ويجوز ان تكون الباء مثلها في قوله تعالى تنبت بالدهن اي جاءت ملتبسة
بالحق اي بحقيقة الامر او بالحكمة والغرض الصحيح كقوله تعالى خلق السموات والارض وقرأ ابو بكر وابن مسعود رضي الله تعالى عنهما
سكرة الحق بالموت على اضافة السكرة الى الحق والدلالة على انها السكرة التي كتبت على الانسان واوجبت له انها حكمة
والباء للتعدية على انها سبب زهوق الروح لشدتها او لان الموت يعقبها فكانها جاءت به ويجوز ان يكون المعنى
جاءت ومعها الموت وقيل سكرة الحق سكرة الله تعالى اضيفت اليه تفظيعا لشانها وتهويلا وقرئ سكرات الموت ذلك
اشارة الى الموت والخطاب للانسان في قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان على طريقة الالتفات او الى الحق والخطاب
للفاجر تحيد تنفر وتهرب وعن بعضهم انه سال زيد بن اسلم عن ذلك فقال الخطاب لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فحكاه
لصالح بن كيسان فقال والله ما سن عالية ولا لسان فصيح ولا معرفة بكلام العرب هو للكافر ثم حكاهما للحسين بن عبد الله
ابن عبيد الله بن عباس فقال اخالفهما جميعا هو للبر والفاجر **ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد وجاءت**
كل نفس معها سائق وشهيد ذلك يوم الوعيد على تقدير حذف المضاف اي وقت ذلك يوم الوعيد والاشارة الى
مصدر نفخ سائق وشهيد ملكان احدهما يسوقه الى المحشر والآخر يشهد عليه بعمله او ملك واحد جامع بين الامرين كانه
قيل معها ملك يسوقه ويشهد عليه ومحل معها سائق النصب على الحال من كل لتعرفه بالاضافة الى ما هو في حكم المعرفة
لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد وقرئ لقد كنت
عنه غطاءك فبصرك بالكسر على خطاب النفس اي يقال لها لقد كنت جعلت الغفلة كانها غطاء غطي به جسده كله
او غشاوة غطي بها عينيه فهو لا يبصر شيئا فاذا كان يوم القيامة تيقظ وزالت عنه الغفلة وغطاؤها فيبصر ما لم يبصره من الحق
ورجع بصره الكليل عن الابصار لغفلته حديدا **وقال قرينه هذا ما لدي عتيد القيا في جهنم كل كفار**
عنيد مناع للخير معتد مريب وقال قرينه هو الشيطان الذي قيض له في قوله تعالى نقيض له شيطانا فهو له قرين
يشهد له قوله تعالى قال قرينه ربنا ما اطغيته هذا ما لدي عتيد هذا شيء لدي وفي ملكي عتيد لجهنم والمعنى ان ملكا يسوقه وآخر يشهد عليه
وشيطانا مقرونا به يقول قد اعتدته لجهنم وهياته لها باغوائي واضلالي فان قلت كيف اعراب هذا الكلام قلت

ان جعلت ما موصوفة فعتيد صفة لها وان جعلتها موصولة فهو بدل او خبر بعد خبر او خبر مبتدا محذوف القيا خطاب من الله
للملكين السائق والشهيد ويجوز ان يكون خطابا للواحد على وجهين احدهما قول المبرد ان تثنية الفاعل نزلت منزلة تثنية
الفعل لاتحادهما كانه قيل الق الق للتاكيد والثاني ان العرب اكثر ما يرافق الرجل اثنين فكثر على ألسنتهم ان يقولوا خليلي
وصاحبي وقفا واسعدا حتى خاطبوا الواحد خطاب الاثنين عن الحجاج انه كان يقول يا حرسي اضربا عنقه وقرأ الحسن القين
بالنون الخفيفة ويجوز ان تكون الالف في القيا بدلا من النون اجراء للوصل مجرى الوقف عنيد معاند مجانب للحق معاد
لاهله مناع للخير كثير المنع للمال عن حقوقه جعل ذلك عادة له لا يبذل منه شيئا قط او مناع لجنس الخير ان يصل الى اهله يحول
بينه وبينهم قيل نزلت في الوليد بن المغيرة كان يمنع بني اخيه من الاسلام وكان يقول من دخل منكم فيه لم انفعه بخير ما عشت
معتد ظالم متخط للحق مريب شاك في الله تعالى وفي دينه **الذي جعل مع الله الها آخر فالقياه**
في العذاب الشديد الذي جعل مبتدأ متضمن معنى الشرط ولذلك اجيب بالفاء ويجوز ان يكون الذي
جعل منصوبا بدلا من كل كفار ويكون فالقياه تكريرا للتاكيد **قال قرينه ربنا ما اطغيته ولكن كان في**
ضلال بعيد فان قلت لم اخليت هذه الجملة من الواو وادخلت على الاولى قلت لانها استؤنفت
كما تستانف الجمل الواقعة في حكاية التقاول كما رايت في حكاية المقاولة بين موسى وفرعون فان قلت فاين التقاول
ههنا قلت لما قال قرينه هذا ما لدي عتيد وتبعه قوله قال قرينه ربنا ما اطغيته وتلاه لا تختصموا لدي علم ان ثم مقاولة
من الكافر لكنها طرحت لما يدل عليها كانه قال رب هو اطغاني فقال قرينه ربنا ما اطغيته واما الجملة الاولى فواجب عطفها للدلالة
على الجمع بين معناها ومعنى ما قبلها في الحصول اعني مجيء كل نفس مع الملكين وقول قرينه ما قال له ما اطغيته ما جعلته طاغيا
وما اوقعته في الطغيان ولكنه طغى واختار الضلالة على الهدى كقوله تعالى وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي
قال لا تختصموا لدي وقد قدمت اليكم بالوعيد ما يبدل القول لدي وما انا بظلام للعبيد
قال لا تختصموا استئناف مثل قوله قال قرينه كانه قيل فماذا قال الله تعالى فقيل قال لا تختصموا والمعنى لا تختصموا في دار الجزاء
وموقف الحساب فلا فائدة في اختصامكم ولا طائل تحته وقد اوعدتكم بعذابي على الطغيان في كتبي وعلى السنة رسلي فما تركت لكم
حجة علي ثم قال لا تطمعوا ان ابدل قولي ووعيدي فاعفيكم عما اوعدتكم به وما انا بظلام للعبيد فاعذب من ليس بمستوجب للعذاب
والباء في بالوعيد مزيدة مثلها في ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة او معدية على ان قدم مطاوع بمعنى تقدم ويجوز ان يقع الفعل
على جملة قوله تعالى ما يبدل القول لدي وما انا بظلام للعبيد ويكون بالوعيد حالا اي قدمت اليكم هذا ملتبسا بالوعيد مقترنا به
او قدمته اليكم موعدا لكم به فان قلت ان قوله وقد قدمت واقع موقع الحال من لا تختصموا والتقديم بالوعيد
في الدنيا والخصومة في الآخرة واجتماعهما في زمان واحد واجب قلت معناه لا تختصموا وقد صح عندكم اني قدمت اليكم
بالوعيد وصحة ذلك عندهم في الآخرة فان قلت كيف قال بظلام على لفظ المبالغة قلت فيه وجهان ان
يكون من قولك هو ظالم لعبده وظلام لعبيده وان يراد لو عذبت من لا يستحق العذاب لكنت ظلاما مفرط الظلم فنفى ذلك
يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد قرئ نقول بالنون والياء وعن سعيد بن جبير
رضي الله تعالى عنه يوم يقول الله تعالى لجهنم وعن ابن مسعود والحسن رضي الله تعالى عنهما يقال وانتصاب اليوم بظلام
او بمضمر نحو اذكر وانذر ويجوز ان ينتصب بنفخ كانه قيل ونفخ في الصور يوم نقول لجهنم وعلى هذا يشار بذلك الى يوم
نقول ولا يقدر حذف المضاف وسؤال جهنم وجوابها من باب التخييل الذي يقصد به تصوير المعنى في القلب وتثبيته وفيه
معنيان احدهما انها تمتلئ مع اتساعها وتباعد اطرافها حتى لا يسعها شيء ولا يزاد على امتلائها كقوله تعالى لاملان
جهنم والثاني انها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها موضع للمزيد ويجوز ان يكون هل من مزيد استكثارا للداخلين
فيها واستبعادا للزيادة عليهم لفرط كثرتهم او طلبا للزيادة غيظا على العصاة والمزيد اما مصدر كالمجيد والمحيد واما اسم مفعول
كالمبيع **وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد هذا ما توعدون لكل اواب حفيظ** غير بعيد
نصب على الظرف اي مكانا غير بعيد او على الحال وتذكيره لانه على زنة المصدر كالزئير والصليل والمصادر يستوي في الوصف
بها المذكر والمؤنث او على حذف الموصوف اي شيئا غير بعيد ومعناه التوكيد كما تقول هو قريب غير بعيد وعزيز غير ذليل وقرئ
توعدون بالتاء والياء وهي جملة اعتراضية ولكل اواب بدل من قوله للمتقين بتكرير الجار كقوله تعالى للذين استضعفوا

لمن آمن منهم وهذا اشارة الى الثواب او الى مصدر ازلفت والاواب الرجاع الى ذكر الله عز وجل والحفيظ الحافظ لحدوده

من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود ومن خشي بدل بعد بدل تابع لكل ويجوز ان يكون بدلا عن موصوف اواب وحفيظ ولا يجوز ان يكون في حكم اواب وحفيظ لان من لا يوصف ولا يوصف به من بين الموصولات الا بالذي وحده ويجوز ان يكون مبتدا خبره يقال لهم ادخلوها بسلام لان من في معنى الجمع ويجوز ان يكون منادى كقولهم من لا يزال محسنا احسن الي وحذف حرف النداء للتقريب بالغيب حال من المفعول اي خشيه وهو غائب لم يعرفه وكونه معاقبا الا بطريق الاستدلال او صفة لمصدر خشي اي خشيه خشية ملتبسة بالغيب حيث خشي عقابه وهو غائب او خشيه بسبب الغيب الذي اوعده به من عذابه وقيل في الخلوة حيث لا يراه احد **فان قلت** كيف قرن بالخشية اسمه الدال على سعة الرحمة **قلت** للثناء البليغ على الخاشي وهو خشيته مع علمه انه الواسع الرحمة كما اثنى عليه بانه خاشي مع ان المخشي عنه غائب كقوله والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة فوصفهم بالوجل مع كثرة الطاعات ووصف القلب بالانابة وهي الرجوع الى الله تعالى لان الاعتبار بما ثبت منها في القلب يقال لهم ادخلوها بسلام اي سالمين من العذاب وزوال النعم او مسلما عليكم يسلم عليكم الله وملائكته يوم الخلود اي يوم تقدير الخلود كقوله تعالى ادخلوها خالدين اي مقدرين الخلود

لهم ما يشاؤن فيها ولدينا مزيد ولدينا مزيد وهو ما لم يخطر ببالهم ولم تبلغه امانيهم حتى يشاؤه وقيل ان السحاب تمر باهل الجنة فتمطرهم الحور فتقول نحن المزيد الذي قال الله تعالى ولدينا مزيد وكم اهلكنا قبلهم

من قرن هم اشد منهم بطشا فنقبوا في البلاد هل من محيص فنقبوا وقرئ بالتخفيف فخرقوا في البلاد ودوخوا والتنقيب التنقير عن الامور والبحث والطلب قال الحارث بن حلزة • نقبوا في البلاد من حذر الموت وجالوا في الارض كل مجال • ودخلت الفاء للتسبيب عن قوله هم اشد منهم بطشا اي شدة بطشهم اقدرتهم على التنقيب وقوتهم عليه ويجوز ان يراد فنقب اهل مكة في اسفارهم ومسايرهم في بلاد القرون فهل راوا لهم محيصا حتى يؤملوا مثله لانفسهم والدليل على صحة قراءة من قرا فنقبوا على الامر كقوله تعالى فسيحوا في الارض وقرئ بكسر القاف مخففة من النقب وهو ان ينتقب خف البعير قال • ما مسها من نقب ولا دبر • والمعنى فنقبت اخفاف ابلهم او حفيت اقدامهم ونقبت كما تنقب اخفاف الابل لكثرة طوفهم في البلاد هل من محيص من الله تعالى او من الموت ان في ذلك لذكرى

لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد لمن كان له قلب اي قلب واع لان من لا يعي قلبه فكانه لا قلب له والقى السمع اصغى وهو شهيد اي حاضر بفطنته لان من لا يحضر ذهنه فكانه غائب وقد ملح الامام عبد القاهر رحمه الله تعالى في قول بعض من يأخذ عنه • ما شئت من زهزهة والفتى • بمصقلاباذ لسقي الزرع • او هو مؤمن شاهد على صحته وانه وحي من الله تعالى او وهو بعض الشهداء في قوله جل شانه لتكونوا شهداء على الناس وعن قتادة وهو شاهد على صدقه من اهل الكتاب لوجود نعته عنده وقرأ السدي وجماعة القي السمع على البناء للمفعول ومعناه لمن القى غيره السمع وفتح له اذنه فحسب ولم يحضر ذهنه وهو حاضر الذهن متفطن وقيل معه او السمع ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما

في ستة ايام وما مسنا من لغوب اللغوب الاعياء وقرئ بالفتح بزنة القبول والولوع قيل نزلت في اليهود تكذيبا لقولهم خلق الله تعالى السموات والارض في ستة ايام اولها الاحد وآخرها الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على العرش وقالوا ان الذي وقع من التشبيه في هذه الامة انما وقع من اليهود فاصبر على ما يقولون

وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسبحه وادبار السجود فاصبر على ما يقول اليهود ويأتون به من الكفر والتشبيه وقيل فاصبر على ما يقول المشركون من انكارهم البعث فان من قدر على خلق العالم قدر على بعثهم والانتقام منهم وهي منسوخة باية السيف وقيل الصبر مأمور به في كل حال بحمد ربك حامدا ربك والتسبيح محمول على ظاهره او على الصلاة فالصلاة قبل طلوع الشمس الفجر وقبل الغروب الظهر والعصر ومن الليل العشاءان وقيل التهجد وادبار السجود التسبيح في آثار الصلوات والسجود والركوع يعبر بهما عن الصلاة وقيل النوافل بعد المكتوبات وعن علي رضي الله تعالى عنه الركعتان بعد المغرب وروي عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من صلى بعد المغرب قبل ان يتكلم كتبت صلاته في عليين وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما الوتر بعد العشاء والادبار جمع دبر وقرئ وادبار من ادبرت الصلوة اذا انقضت وتمت ومعناه وقت انقضاء السجود كقولهم آتيك خفوق النجم واستمع يوم يناد

المناد من مكان قريب يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج انا نحن نحيي ونميت والينا المصير واستمع يعني واستمع لما اخبرك به من حال يوم القيمة وفي ذلك تهويل وتعظيم لشان المخبر به والمحدث عنه كما يروى عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال سبعة ايام لمعاذ بن جبل يا معاذ اسمع ما اقول لك ثم حدثه بعد ذلك **فان قلت** بم انتصب اليوم **قلت** بما دل عليه ذلك يوم الخروج اي يوم ينادي المنادي يخرجون من القبور ويوم يسمعون بدل منه يوم ينادي والمنادي اسرافيل ينفخ في الصور وينادي ايتها العظام البالية والاوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله تعالى يامركن ان تجتمعن لفصل القضاء وقيل اسرافيل ينفخ وجبرائيل ينادي بالحشر من مكان قريب من صخرة بيت المقدس وهي اقرب الارض من السماء باثني عشر ميلا وهي وسط الارض وقيل من تحت اقدامهم وقيل من منابت شعورهم يسمع من كل شعرة ايتها العظام البالية والصيحة النفخة الثانية بالحق متعلق بالصيحة والمراد به البعث والحشر للجزاء يوم تشقق الارض عنهم سراعا ذلك حشر

علينا يسير نحن اعلم بما يقولون وما انت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد وقرئ تشقق وتشقق بادغام التاء في الشين وتشقق على البناء للمفعول وتنشق سراعا حال من المجرور حشر علينا يسير تقديم الظرف يدل على الاختصاص يعني لا يتيسر مثل ذلك الامر العظيم الا على القادر الذات الذي لا يشغله شان عن شان كما قال تعالى ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة نحن اعلم بما يقولون تهديد لهم وتسلية لرسول الله عليه الصلوة والسلام بجبار كقوله تعالى بمسيطر حتى تقسرهم على الايمان انما انت داع وباعث وقيل اريد التحلم عنهم وترك الغلظة عليهم ويجوز ان يكون من جبره على الامر بمعنى اجبره اي ما انت بوال عليهم تجبرهم على الايمان وعلى بمنزلته في قولك هو عليهم اذا كان واليهم ومالك امرهم من يخاف وعيد كقوله انما انت منذر من يخشاها لانه لا ينتفع الا به دون المصر على الكفر عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة ق هون الله تعالى عليه تارات الموت وسكراته

سورة الذاريات مكية وهي ستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم والذاريات ذروا فالحاملات وقرا فالجاريات يسرا فالمقسمات امرا انما توعدون لصادق وان الدين لواقع الذاريات الرياح لانها تذرو التراب وغيره قال الله تعالى تذروه الرياح وقرئ بادغام التاء في الذال والحاملات وقرا السحاب لانها تحمل المطر وقرئ وقرا بفتح الواو على تسمية المحمول بالمصدر او على ايقاعه موقع حملا والجاريات يسرا الفلك ومعنى يسرا جريا ذا يسر اي ذا سهولة والمقسمات امرا الملائكة لانها تقسم الامور من الامطار والارزاق وغيرها او تفعل التقسيم مأمورة بذلك وعن مجاهد تتولى تقسيم امر العباد جبريل للغلظة وميكائيل للرحمة وملك الموت لقبض الارواح واسرافيل للنفخ وعن علي رضي الله تعالى عنه انه قال وهو على المنبر سلوني قبل ان لا تسألوني ولن تسألوا بعدي مثلي فقام ابن الكواء فقال ما الذاريات قال الرياح قال فالحاملات وقرا قال السحاب قال فالجاريات يسرا قال الفلك قال فالمقسمات امرا قال الملائكة وكذا عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وعن الحسن المقسمات السحاب يقسم الله تعالى بها ارزاق العباد وقد حملت على الكواكب السبعة ويجوز ان يراد الرياح لا غير لانها تنشئ السحاب وتقله وتصرفه وتجري في الجو جريا سهلا وتقسم الامطار بتصريف السحاب **فان قلت** ما معنى الفاء على التفسيرين **قلت** اما على الاول فمعنى التعقيب فيها انه اقسم بالرياح فبالسحاب التي تسوقه فبالفلك التي تجريها بهبوبها فبالملائكة التي تقسم الارزاق من الامطار وتجارات البحر ومنافعها واما على الثاني فلانها تبتدئ بالهبوب فتذروا التراب والحصباء فتقل السحاب فتجري في الجو باسطة له فتقسم المطر ان ما توعدون جواب القسم وما موصولة او مصدرية والموعود البعث ووعد صادق كعيشة راضية والدين الجزاء والواقع الحاصل

والسماء ذات الحبك انكم لفي قول مختلف يؤفك عنه من افك الحبك الطرائق مثل حبك الرمل والماء اذا ضربته الريح وكذلك حبك الشعر آثار تثنيه وتكسره قال زهير • مكلل باصول النجم تنسجه • ريح خريق لضاحي مائه حبك • والدرع محبوكة لان حلقها مطرق طرائق ويقال ان خلقة السماء كذلك وعن الحسن حبكها نجومها والمعنى انها تزينها كما يزين الموشي طرائق الوشي وقيل حبكها صفاقتها واحكامها من قولهم فرس محبوك المعاقم اي محكمها واذا اجاد

الحبك الحباك قالوا اما احسن حبكه وهو جمع حباك كمثال ومثل وحبيكة كطريقة وطرق وقرئ الحبك بوزن القفل والحبك
بوزن السلك والحبك بوزن الجبل والحبك بوزن البرق والحبك بوزن النعم والحبك بوزن الابل لفي قول مختلف
قولهم في الرسول شاعر وساحر ومجنون وفي القرآن سحر وشعر واساطير الاولين وعن الضحاك قول الكفرة لا يكون مستويا
انما هو متناقض مختلف وعن قتادة منكم مصدق ومكذب ومنكر ومقر يؤفك عنه الضمير للقرآن او الرسول اي
يصرف عنه من صرف الصرف الذي لا صرف اشد منه كقوله لا يهلك على الله الا هالك وقيل يصرف عنه من صرف في سابق
علم الله تعالى اي علم فيما لم يزل انه مأفوك عن الحق لا يرعوي ويجوز ان يكون الضمير لما توعدون او للدين اقسم بالذاريات
على ان وقوع امر القيامة حق ثم اقسم بالسماء على انهم في قول مختلف في وقوعه فمنهم شاك ومنهم جاحد ثم قال يؤفك عن الاقرار
بامر القيامة من هو المأفوك ووجه آخر وهو ان يرجع الضمير الى قول مختلف وعن مثله في قوله ينهون عن اكل وعن شرب
اي يتناهون في السمن بسبب الاكل والشرب وحقيقته يصدر تناهيهم في السمن عنهما وكذلك يصدر افكهم عن القول المختلف
وقرا سعيد بن جبير يؤفك عنه من افك على البناء للفاعل اي من افك الناس وهم قريش وذلك ان الحي كانوا يبعثون
الرجل ذا العقل والرأي ليسأل عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيقولون له احذره فيرجع فيخبرهم وعن زيد بن علي
رضي الله تعالى عنهما يأفك عنه من أفك اي يصرف الناس عنه من هو افاك كذاب وقرئ يؤفن عنه من افن اي يحرم من حرم
من افن الضرع اذا انهكه حلبا • قتل الخراصون • الذين هم في غمرة ساهون • يسألون ايان
يوم الدين • يوم هم على النار يفتنون • قتل الخراصون دعاء عليهم كقوله تعالى قتل الانسان ما اكفره واصله
الدعاء بالقتل والهلاك ثم جرى مجرى لعن وقبح والخراصون المقدرون ما لا يصح وهم اصحاب القول المختلف واللام اشارة اليهم كأنه
قيل قتل هؤلاء الخراصون وقرئ قتل الخراصين اي قتل الله تعالى في غمرة في جهل يغمرهم ساهون غافلون عما امروا به يسألون فيقولون
ايان يوم الدين اي متى يوم الجزاء وقرئ بكسر الهمزة وهي لغة فان قلت كيف وقع ايان ظرفا لليوم وانما تقع الاحيان ظروفا
للحدثان قلت معناه ايان وقوع الدين فان قلت فبم انتصب اليوم الواقع في الجواب قلت بفعل مضمر دل عليه السؤال
اي يقع يوم هم على النار يفتنون ويجوز ان يكون مفتوحا لاضافته الى غير متمكن وهو الجملة فان قلت فما محله مفتوحا قلت
يجوز ان يكون محله نصبا بالمضمر الذي هو يقع ورفعا على هو يوم هم على النار يفتنون وقراءة ابن ابي عبلة بالرفع يفتنون يحرقون ويعذبون
ومنه الفتين وهو الحرة لان حجارتها كلها محرقة • ذوقوا فتنتكم هذا الذي كنتم به تستعجلون
ذوقوا فتنتكم في محل الحال اي مقولا لهم هذا القول هذا مبتدا والذي خبره اي هذا العذاب هو الذي كنتم به تستعجلون ويجوز ان يكون هذا
بدلا من فتنتكم اي ذوقوا هذا العذاب • ان المتقين في جنات وعيون • آخذين ما آتاهم ربهم
انهم كانوا قبل ذلك محسنين • آخذين ما آتاهم ربهم اي قابلين لكل ما اعطاهم راضين به يعني انه ليس فيما آتاهم
الا ما هو متلقى بالقبول مرضي غير مسخوط لان جميعه حسن طيب ومنه قوله تعالى ويأخذ الصدقات اي يقبلها ويرضاها محسنين
قد احسنوا اعمالهم وتفسير احسانهم ما بعده • كانوا قليلا من الليل ما يهجعون • وبالاسحار هم يستغفرون
وفي اموالهم حق للسائل والمحروم • ما مزيدة والمعنى كانوا يهجعون في طائفة قليلة من الليل ان جعلت قليلا ظرفا
ولك ان تجعله صفة للمصدر اي كانوا يهجعون هجوعا قليلا من الليل هجوعهم او ما يهجعون فيه وارتفاعه بقليلا على الفاعلية وفيه مبالغات
لفظ الهجوع وهو الغرار من النوم قال • قد حصت البيضة راسي فما • اطعم نوما غير تهجاع • وقوله قليلا ومن الليل لان الليل وقت
السبات والراحة وزيادة ما المؤكدة لذلك وصفهم بانهم يحيون الليل متهجدين فاذا اسحروا اخذوا في الاستغفار كأنهم اسلفوا
في ليلهم الجرائم وقوله وهم يستغفرون فيه انهم هم المستغفرون الاحقاء بالاستغفار دون المصرين فكأنهم المختصون به لاستدامتهم
له واطنابهم فيه فان قلت هل يجوز ان تكون ما نافية كما قال بعضهم وان يكون المعنى انهم لا يهجعون من الليل الا قليلا ويحيونه
كله قلت لا لان ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها تقول زيدا لم اضرب ولا تقول زيدا ما ضربت السائل الذي يستجدي والمحروم
الذي يحسب غنيا فيحرم الصدقة لتعففه وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ليس المسكين الذي ترده الاكلة والاكلتان والتمرة والتمرتان
قالوا فما هو قال الذي لا يجد ولا يتصدق عليه وقيل الذي لا ينمى له مال وقيل المحارف الذي لا يكاد يكسب • وفي الارض آيات
للموقنين • وفي الارض آيات تدل على الصانع وقدرته وحكمته وتدبيره حيث هي مدحوة كالبساط لما فوقها كما قال
الذي جعل لكم الارض مهادا وفيها المسالك والفجاج للمتقلبين فيها والماشين في مناكبها وهي مجزاة فمن سهل وجبل وبر وبحر

وقطع متجاورات من صلبة ورخوة وعذاة وسبخة وهي كالطروقة تلقح بانواع النبات وانواع الاشجار بالثمار المختلفة الالوان
والطعوم والروائح تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل وكلها موافقة لحوائج ساكنيها ومنافعهم ومصالحهم في صحتهم
واعتلالهم وما فيها من العيون المتفجرة والمعادن المفتنة والدواب المنبثة في برها وبحرها المختلفة الصور والاشكال والافعال
من الوحشي والانسي والهوام وغير ذلك للموقنين الموحدين الذين سلكوا الطريق السوي البرهاني الموصل الى المعرفة فهم نظارون
بعيون باصرة وافهام نافذة كلما رأوا آية عرفوا وجه تأملها فازدادوا ايمانا مع ايمانهم وايقانا الى ايقانهم • وفي انفسكم
افلا تبصرون • وفي انفسكم في حال ابتدائها وتنقلها من حال الى حال وفي بواطنها وظواهرها من عجائب الفطر وبدائع الخلق
ما تتحير فيه الاذهان وحسبك بالقلوب وما ركز فيها من العقول وخصت به من اصناف المعاني وبالالسن والنطق ومخارج الحروف
وما في تركيبها وترتيبها ولطائفها من الآيات الساطعة والبينات القاطعة على حكمة المدبر دع الاسماع والابصار والاطراف
وسائر الجوارح وتأتيها لما خلقت له وما سوى في الاعضاء من المفاصل للانعطاف والتثني فانه اذا جسأ شيء منها جاء
العجز واذا استرخى اناخ الذل فتبارك الله احسن الخالقين • وفي السماء رزقكم وما توعدون
رزقكم هو المطر لانه سبب الاقوات وعن سعيد بن جبير رضي الله تعالى عنه هو الثلج وكل عين دائمة منه وعن الحسن انه كان اذا
رأى السحاب قال لاصحابه فيه والله رزقكم ولكنكم تحرمونه بخطاياكم وما توعدون الجنة هي على ظهر السماء السابعة تحت العرش
او اراد ان ما ترزقونه في الدنيا وما توعدون به في العقبى كله مقدر مكتوب في السماء • فورب السماء والارض انه لحق
مثل ما انكم تنطقون • قرئ مثل بالرفع صفة للحق اي حق مثل نطقكم وبالنصب على انه لحق حقا مثل نطقكم ويجوز ان
يكون فتحا لاضافته الى غير متمكن وما مزيدة بنص الخليل وهذا كقول الناس ان هذا لحق كما انك ترى وتسمع ومثل ما انك ههنا
وهذا الضمير اشارة الى ما ذكر من امر الآيات والرزق وامر النبي عليه الصلوة والسلام او الى ما توعدون وعن الاصمعي اقبلت
من جامع البصرة فطلع اعرابي على قعود فقال ممن الرجل فقلت من بني اصمع قال من اين اقبلت قلت من موضع يتلى فيه كلام
الرحمن فقال اتل علي فتلوت والذاريات فلما بلغت قوله تعالى وفي السماء رزقكم قال حسبك فقام الى ناقته فنحرها ووزعها
على من اقبل وادبر وعمد الى سيفه وقوسه فكسرهما وولى فلما حججت مع الرشيد طفقت اطوف فاذا انا بمن يهتف بي بصوت دقيق
فالتفت فاذا انا بالاعرابي قد نحل واصفر فسلم علي واستقرأ السورة فلما بلغت الآية صاح وقال قد وجدنا ما وعدنا
ربنا حقا ثم قال وهل غير هذا فقرأت فورب السماء والارض انه لحق فصاح وقال يا سبحان الله من ذا الذي اغضب الجليل حتى
حلف لم يصدقوه بقوله حتى الجأوه الى اليمين قالها ثلاثا وخرجت معها روحه • هل اتاك حديث ضيف ابراهيم
المكرمين • اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون • هل اتاك تفخيم للحديث وتنبيه
على انه ليس من علم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وانما عرفه بالوحي والضيف للواحد والجماعة كالزور والصوم لانه في
الاصل مصدر ضافه وكانوا اثني عشر ملكا وقيل تسعة عاشرهم جبريل عليه السلام وقيل ثلاثة جبريل وميكائيل عليهما السلام وملك معهما
وجعلهم ضيفا لانهم كانوا في صورة الضيف حيث اضافهم الى ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه او لانهم كانوا في حسبانه كذلك
واكرامهم ان ابراهيم عليه السلام خدمهم بنفسه واخدمهم امرأته وعجل لهم القرى او انهم في انفسهم مكرمون قال الله تعالى بل عباد
مكرمون اذ دخلوا نصب بالمكرمين اذا فسر باكرام ابراهيم عليه السلام قال الله تعالى بل عباد مكرمون اذ دخلوا نصب بالمكرمين
اذا فسر باكرام ابراهيم عليه السلام والا فبما في ضيف من معنى الفعل او باضمار اذكر سلاما مصدر ساد مسد الفعل مستغنى به عنه واصله
نسلم عليكم سلاما واما سلام فمعدول به الى الرفع على الابتداء وخبره محذوف معناه عليكم سلام للدلالة على ثبات السلام كأنه قصد
ان يحييهم باحسن مما حيوه به اخذا بأدب الله عز وجل وهذا ايضا من اكرامه لهم وقرئا مرفوعين وقرئ سلاما قال سلم والسلم السلام
وقرئ سلاما قال سلم قوم منكرون انكرهم ابراهيم للسلام الذي هو علم الاسلام او اراد انهم ليسوا ممن عرفه او من جنس الذين
عهدهم كما لو ابصر العرب قوما من الخزر او رأى لهم حالا وشكلا خلاف حال الناس وشكلهم او كان هذا سؤالا لهم كأنه قال انتم قوم
منكرون فعرفوني من انتم • فراغ الى اهله فجاء بعجل سمين • فقربه اليهم قال الا تأكلون
فراغ الى اهله فذهب اليهم في خفية من ضيوفه ومن ادب المضيف ان يخفي امره وان يبادره بالقرى من غير ان يشعر به الضيف
حذرا من ان يكفه ويعذره قال قتادة كان عامة مال نبي الله ابراهيم عليه السلام البقر فجاء بعجل سمين والهمزة في
الا تأكلون للانكار انكر عليهم ترك الاكل او حثهم عليه • فاوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه

حكاية وعظة

بغلام عليم • فاوجس اضمر وانما خافهم لانهم لم يتحرموا بطعامه فظن انهم يريدون به سوءا وعن ابن عباس رضي
وقع في نفسه انهم ملائكة ارسلوا للعذاب وعن عون بن شداد مسح جبريل عليه السلام العجل بجناحه فقام يدرج حتى لحق
بغلام عليم اي يبلغ ويعلم وعن الحسن عليم نبي والمبشر به اسحق عليه السلام وهو اكثر الاقاويل واصحها لان الصفة صفة
سارة لا هاجر وهي امراة ابراهيم عليه السلام وهو بعلها وعن مجاهد هو اسمعيل عليه السلام • فاقبلت امراته في صرة
فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم • في صرة في صيحة من صر الجندب وصر القلم والباب ومحله النصب على الحال
اي فجاءت صارة قال الحسن اقبلت الى بيتها وكانت في زاوية تنظر اليهم لانها وجدت حرارة الدم فلطمت وجهها من الحياء
وقيل فاخذت في صرة كما تقول اقبل يشتمني وقيل صرتها قولها اوه وقيل يا ويلتي وعن عكرمة رنتها فصكت فلطمت
ببسط يديها وقيل فضربت باطراف اصابعها جبهتها فعل المتعجب عجوز انا عجوز فكيف الد • قالوا كذلك قال
ربك انه هو الحكيم العليم • كذلك مثل ذلك الذي قلنا واخبرنا به قال ربك اي انما نخبرك عن الله عز وجل
والله تعالى قادر على ما تستبعدين وروي ان جبريل عليه السلام قال لها انظري الى سقف بيتك فنظرت فاذا جذوعه
مورقة مثمرة • قال فما خطبكم ايها المرسلون • قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين • لنرسل
عليهم حجارة من طين • مسومة عند ربك للمسرفين • لما علم انهم ملائكة وانهم لا ينزلون الا
باذن الله عز وجل رسلا في بعض الامور قال فما خطبكم اي فما شانكم وما طلبكم الى قوم مجرمين الى قوم لوط حجارة من
طين يريد السجيل وهي طين طبخ كما يطبخ الآجر حتى صار في صلابة الحجارة مسومة معلمة من السومة وهي العلامة على كل
واحد منها اسم من يهلك به وقيل اعلمت بانها من حجارة العذاب وقيل بعلامة تدل انها ليست من حجارة الدنيا
سماهم مسرفين كما سماهم عادين لاسرافهم وعدوانهم في عملهم حيث لم يقتنعوا بما ابيح لهم • فاخرجنا من كان فيها
من المؤمنين • فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين • وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الاليم
الضمير في فيها للقرية ولم يجر لها ذكر لكونها معلومة وفيه دليل على ان الايمان والاسلام واحد وانهما صفتا مدح قيل هم
لوط عليه السلام وابنتاه وقيل كان لوط واهل بيته الذين نجوا ثلثة عشر وعن قتادة لو كان فيها اكثر من ذلك لانجاهم ليعلموا
ان الايمان محفوظ لا ضيعة على اهله عند الله تعالى آية علامة يعتبر بها الخائفون دون القاسية قلوبهم قال ابن جريج هي صخرة
منضود فيها وقيل ماء اسود منتن • وفي موسى اذ ارسلناه الى فرعون بسلطان مبين • فتولى
بركنه وقال ساحر او مجنون • وفي موسى عطف على وفي الارض آيات او على قوله تعالى وتركنا فيها آية على معنى وجعلنا
في موسى آية كقوله علفتها تبنا وماء باردا • فتولى بركنه فازور واعرض كقوله تعالى ونأى بجانبه وقيل فتولى بما كان يتقوى
به من جنوده وملكه وقيل بركنه بضم الكاف وقال ساحر اي هو ساحر • فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم
وهو مليم • مليم آت بما يلام عليه من كفره وعناده والجملة مع الواو حال من الضمير في فاخذناه فان قلت
كيف وصف نبي الله يونس عليه السلام بما وصف به فرعون في قوله تعالى فالتقمه الحوت وهو مليم قلت موجبات اللوم
تختلف وعلى حسب اختلافها تختلف مقادير اللوم فراكب الكبيرة ملوم على مقدارها وكذلك مقترف الصغيرة الا ترى الى قوله تعالى
وعصوا رسله وعصى آدم ربه لان الكبيرة يجمعهما اسم العصيان كما يجمعهما اسم القبيح والسيئة • وفي عاد اذ ارسلنا
عليهم الريح العقيم • ما تذر من شيء اتت عليه الا جعلته كالرميم • العقيم التي لا خير فيها من انشاء
مطر او القاح شجر وهي ريح الهلاك واختلف فيها فعن علي رضي الله تعالى عنه النكباء وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما الدبور وعن
ابن المسيب الجنوب الرميم كل ما رم اي بلي وتفتت من عظم او نبات او غير ذلك • وفي ثمود اذ قيل لهم تمتعوا
حتى حين • فعتوا عن امر ربهم فاخذتهم الصاعقة وهم ينظرون • فما استطاعوا من قيام
وما كانوا منتصرين • حتى حين تفسيره قوله تعالى تمتعوا في داركم ثلثة ايام فعتوا عن امر ربهم فاستكبروا عن امتثاله
وقرئ الصعقة وهي المرة من مصدر صعقتهم الصاعقة والصاعقة النازلة نفسها وهم ينظرون كانت نهارا يعاينونها
وروي ان العمالقة كانوا معهم في الوادي ينظرون اليهم وما ضرتهم فما استطاعوا من قيام كقوله تعالى فاصبحوا في دارهم جاثمين
وقيل هو من قولهم ما يقوم به اذا عجز عن دفعه منتصرين ممتنعين من العذاب • وقوم نوح من قبل انهم كانوا
قوما فاسقين • وقوم قرئ بالجر على معنى وفي قوم نوح وتقويه قراءة عبد الله وفي قوم نوح وبالنصب على معنى واهلكنا قوم

نوح

نوح لان ما قبله يدل عليه او واذكر قوم نوح • والسماء بنيناها بايد وانا لموسعون • والارض
فرشناها فنعم الماهدون • ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون • بايد بقوة والايد
والآد القوة وقد آد يئيد وهو أيد وانا لموسعون لقادرون من الوسع وهو الطاقة والموسع القوي على الانفاق وعن
الحسن لموسعون الرزق بالمطر وقيل جعلنا بينها وبين الارض سعة • فنعم الماهدون فنعم الماهدون نحن
ومن كل شيء اي من كل شيء من الحيوان خلقنا زوجين ذكرا وانثى وعن الحسن رحمه الله تعالى السماء والارض والليل
والنهار والشمس والقمر والبر والبحر والموت والحيوة فعدد اشياء وقال كل اثنين منها زوج والله تعالى فرد لا مثل له لعلكم
تذكرون اي فعلنا ذلك كله من بناء السماء وفرش الارض وخلق الازواج ارادة ان تتذكروا فتعرفوا الخالق وتعبدوه
ففروا الى الله اني لكم منه نذير مبين • ولا تجعلوا مع الله الها آخر اني لكم منه نذير
مبين • ففروا الى الله الى طاعته وثوابه من معصيته وعقابه ووحدوه ولا تشركوا به وكرر قوله اني لكم منه نذير مبين
عند الامر بالطاعة والنهي عن الشرك ليعلم ان الايمان لا ينفع الا مع العمل كما ان العمل لا ينفع الا مع الايمان وانه لا يفوز
عند الله تعالى الا الجامع بينهما الا ترى الى قوله تعالى لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا
والمعنى قل يا محمد ففروا الى الله • كذلك ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون
اتواصوا به بل هم قوم طاغون • كذلك الامر مثل ذلك وذلك اشارة الى تكذيبهم الرسول وتسميته ساحرا
او مجنونا ثم فسر ما اجمل بقوله تعالى ما اتى ولا يصح ان تكون الكاف منصوبة باتى لان ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها
ولو قيل لم يات لكان صحيحا على معنى مثل ذلك الاتيان لم يات من قبلهم رسول الا قالوا اتواصوا به الضمير للقول يعني
اتواصى الاولون والآخرون بهذا القول حتى قالوه جميعا متفقين عليه بل هم قوم طاغون اي لم يتواصوا به لانهم لم
يتلاقوا في زمان واحد بل جمعتهم العلة الواحدة وهي الطغيان والطغيان هو الحامل عليه • فتول عنهم فما انت
بملوم • وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين • فتول عنهم فاعرض عن الذين كررت عليهم الدعوة
فلم يجيبوا وعرفت منهم العناد واللجاج فلا لوم عليك في اعراضك بعد ما بلغت الرسالة وبذلت مجهودك في
البلاغ والدعوة ولا تدع التذكير والموعظة بايام الله تعالى فان الذكرى تنفع المؤمنين اي تؤثر في الذين عرف الله تعالى
منهم انهم يدخلون في الايمان او يزيد الداخلين فيه ايمانا وروي انه لما نزلت فتول عنهم حزن رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم واشتد ذلك على اصحابه ورأوا ان الوحي قد انقطع وان العذاب قد حضر فانزل الله عز وجل فذكر
وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون • اي وما خلقت الجن والانس الا لاجل العبادة
ولم ارد من جميعهم الا اياها فان قلت لو كان مريدا للعبادة منهم لكانوا كلهم عبادا قلت انما اراد
منهم ان يعبدوه مختارين للعبادة لا مضطرين اليها لانه خلقهم ممكنين فاختار بعضهم ترك العبادة مع كونه تعالى
مريدا لها ولو ارادها على القسر والالجاء لوجدت من جميعهم • ما اريد منهم من رزق وما اريد ان
يطعمون • يريد ان شاني مع عبادي ليس كشان السادة مع عبيدهم فان ملاك العبيد انما يملكونهم ليستعينوا
بهم في تحصيل معايشهم وارزاقهم فاما مجهز في تجارة ليفيء ربحا او مرتب في فلاحة ليغتل ارضا او مسلم في حرفة لينتفع
باجرته او محتطب او محتش او طابخ او خابز وما اشبه ذلك من الاعمال والمهن التي هي تصرف في اسباب المعيشة
وابواب الرزق • ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين • فاما مالك ملك العبيد وقال لهم
اشتغلوا بما يسعدكم في انفسكم ولا اريد ان اصرفكم في تحصيل رزقي ولا رزقكم وانا غني عنكم وعن مرافقكم
ومتفضل عليكم برزقكم وبما يصلحكم ويعيشكم من عندي فما هو الا انا وحدي المتين الشديد القوة وقرئ بالرفع صفة
لذو وبالجر صفة للقوة على تأويل الاقتدار والمعنى في وصفه بالقوة والمتانة انه القادر البليغ الاقتدار على كل شيء
وقرئ الرازق وفي قراءة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اني انا الرزاق • فان للذين ظلموا ذنوبا
مثل ذنوب اصحابهم فلا يستعجلون • الذنوب الدلو العظيمة وهذا تمثيل اصله في السقاة يتقسمون
الماء فيكون لهذا ذنوب ولهذا ذنوب قال • لنا ذنوب ولكم ذنوب • فان ابيتم فلنا القليب • ولما قال عمرو بن شاس
وفي كل حي قد خبطت بنعمة • فحق لشاس من نداك ذنوب • قال الملك نعم واذنبه والمعنى فان للذين ظلموا رسول الله

صلى الله تعالى عليه وسلم

بالتكذيب من اهل مكة لهم نصيب من عذاب الله تعالى مثل نصيب اصحابهم ونظرائهم من القرون وعن قتادة سجلا من عذاب الله مثل سجل اصحابهم ﴿فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون﴾ من يومهم من يوم القيمة وقيل من يوم بدر عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قرا سورة والذاريات اعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد كل ريح هبت وجرت في الدنيا

سورة الطور مكية

وهي تسع واربعون آية وقيل ثمان واربعون

﴿بسم الله الرحمن الرحيم • والطور • وكتاب مسطور • في رق منشور • والبيت المعمور • والسقف المرفوع • والبحر المسجور • ان عذاب ربك لواقع • ماله من دافع﴾ الطور الجبل الذي كلم الله تعالى عليه موسى عليه السلام وهو بمدين الكتاب المسطور في الرق المنشور والرق الصحيفة وقيل الجلد الذي يكتب فيه الكتاب وقيل الذي يكتب فيه الاعمال كقوله تعالى ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا وقيل هو ما كتبه الله عز وجل لموسى عليه السلام وهو يسمع صرير القلم وقيل اللوح المحفوظ وقيل القرآن ونكره لانه كتاب مخصوص من بين جنس الكتب كقوله تعالى ونفس وما سواها والبيت المعمور الضراح في السماء الرابعة وعمرانه كثرة غاشيته من الملائكة وقيل الكعبة لكونها معمورة بالحجاج والعمار والمجاورين والسقف المرفوع السماء والبحر المسجور المملو وقيل الموقد من قوله تعالى واذا البحار سجرت وروي ان الله تعالى يجعل يوم القيمة البحار كلها نارا تسجر بها نار جهنم وعن علي رضي الله تعالى عنه انه سال يهوديا اين موضع النار في كتابكم قال في البحر قال علي ما اراه الا صادقا لقوله تعالى والبحر المسجور لواقع لنازل قال جبير بن مطعم رضي الله تعالى عنه اتيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اكلمه في الاسارى فالفيته في صلوة الفجر يقرا سورة الطور فلما بلغ ان عذاب ربك لواقع اسلمت خوفا من ان ينزل العذاب ﴿يوم تمور السماء مورا • وتسير الجبال سيرا • فويل يومئذ للمكذبين • الذين هم في خوض يلعبون﴾ تمور تضطرب وتجيء وتذهب وقيل المور تحرك في تموج وهو الشيء يتردد في عرض كالداغصة في الركبة غلب الخوض في الاندفاع في الباطل والكذب ومنه قوله تعالى وكنا نخوض مع الخائضين وخضتم كالذي خاضوا ﴿يوم يدعون الى نار جهنم دعا • هذه النار التي كنتم بها تكذبون﴾ الدع الدفع العنيف وذلك ان خزنة جهنم يغلون ايديهم الى اعناقهم ويجمعون نواصيهم الى اقدامهم ويدفعونهم الى النار دفعا على وجوههم وزخا في اقفيتهم وقرا زيد بن علي رضي الله تعالى عنهما يدعون من الدعاء اي يقال لهم هلموا الى النار وادخلوا النار دعا مدعوعين يقال لهم هذه النار ﴿افسحر هذا ام انتم لا تبصرون • اصلوها فاصبروا او لا تصبروا﴾ افسحر هذا يعني كنتم تقولون للوحي هذا سحر افسحر هذا يريد اهذا المصداق ايضا سحر ودخلت الفاء لهذا المعنى ام انتم لا تبصرون كما كنتم لا تبصرون في الدنيا يعني ام انتم عمي عن المخبر عنه كما كنتم عميا عن الخبر وهذا تقريع وتهكم ﴿سواء عليكم انما تجزون ما كنتم تعملون﴾ سواء مبتدا خبره محذوف اي سواء عليكم الامران الصبر وعدمه **فان قلت** لم علل استواء الصبر وعدمه بقوله انما تجزون ما كنتم تعملون **قلت** لان الصبر انما يكون له مزية على الجزع لنفعه في العاقبة بان يجازى عليه الصابر جزاء الخير فاما الصبر على العذاب الذي هو الجزاء ولا عاقبة له ولا منفعة فلا مزية له على الجزع ﴿ان المتقين في جنات ونعيم • فاكهين بما آتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم﴾ في جنات ونعيم في اية جنات واي نعيم بمعنى الكمال في الصفة او في جنات ونعيم مخصوصة بالمتقين خلقت لهم خاصة وقرئ فاكهين وفكهين وفاكهون من نصبه حالا جعل الظرف مستقرا ومن رفعه خبرا جعل الظرف لغوا اي متلذذين بما آتاهم ربهم **فان قلت** علام عطف قوله تعالى ووقاهم ربهم **قلت** على قوله في جنات او على آتاهم ربهم على ان تجعل ما مصدرية والمعنى فاكهين باتيانهم ربهم ووقايتهم عذاب الجحيم ويجوز ان تكون الواو للحال وقد بعدها مضمرة ﴿كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون • متكئين على سرر مصفوفة وزوجناهم بحور عين﴾ يقال لهم كلوا واشربوا اكلا وشربا هنيئا او طعاما وشرابا هنيئا وهو الذي لا تنغيص فيه ويجوز ان يكون مثله في قوله • هنيئا مريئا غير داء مخامر • لعزة من اعراضنا ما استحلت • اعني صفة استعملت استعمال

المصدر

المصدر القائم مقام الفعل مرتفعا به ما استحلت كما يرتفع بالفعل كانه قيل هنا لعزة المستحل من اعراضنا وكذلك معنى هنيئا هاهنا هناكم الاكل والشرب او هناكم ما كنتم تعملون اي جزاء ما كنتم تعملون والباء مزيدة كما في كفى بالله والباء متعلقة بكلوا واشربوا اذا جعلت الفاعل الاكل والشرب وقرئ بعيس عين ﴿والذين امنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذريتهم وما التناهم من عملهم من شيء كل امرئ بما كسب رهين﴾ والذين امنوا معطوف على حور عين اي قرناهم بالحور العين وبالذين امنوا اي بالرفقاء والجلساء منهم كقوله تعالى اخوانا على سرر متقابلين فيتمتعون تارة بملاعبة الحور وتارة بمؤانسة الاخوان المؤمنين واتبعناهم ذرياتهم قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله تعالى يرفع ذرية المؤمن في درجته وان كانوا دونه لتقر بهم عينه ثم تلا هذه الاية فيجمع الله تعالى لهم انواع السرور بسعادتهم في انفسهم وبمزاوجة الحور العين وبمؤانسة الاخوان المؤمنين وباجتماع اولادهم ونسلهم بهم ثم قال بايمان الحقنا بهم ذرياتهم اي بسبب ايمان عظيم رفيع المحل وهو ايمان الاباء الحقنا بدرجاتهم ذريتهم وان كانوا لا يستاهلونها تفضلا عليهم وعلى ابائهم ليتم سرورهم ويكمل نعيمهم **فان قلت** ما معنى تنكير الايمان **قلت** معناه الدلالة على انه ايمان خاص عظيم المنزلة ويجوز ان يراد ايمان الذرية الداني المحل كانه قال بشيء من الايمان لا يؤهلهم لدرجة الاباء الحقناهم بهم وقرئ واتبعتهم ذريتهم وذرياتهم وقرئ ذرياتهم بكسر الذال ووجه اخر وهو ان يكون والذين امنوا مبتدا خبره بايمان الحقنا بهم ذرياتهم وما بينهما اعتراض وما التناهم وما نقصناهم يعني وفرنا عليهم جميع ما ذكرنا من الثواب والتفضل وما نقصناهم من ثواب عملهم من شيء وقيل معناه وما نقصناهم من ثوابهم شيئا بعطية الابناء حتى يلحقوا بهم انما الحقناهم بهم على سبيل التفضل قرئ التناهم وهو من بابين من الت يالت ومن لات يليت وولتناهم من ولت يلت ومعناهن واحد كل امرئ بما كسب رهين اي مرهون كان نفس العبد رهن عند الله بالعمل الصالح الذي هو مطالب به كما يرهن الرجل عبده بدين عليه فان عمل صالحا فكها وخلصها والا اوبقها ﴿وامددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون • يتنازعون فيها كاسا لا لغو فيها ولا تاثيم﴾ وامددناهم وزدناهم في وقت بعد وقت يتنازعون يتعاطون ويتجاذبون هم وجلساؤهم من اقربائهم واخوانهم كاسا خمرا لا لغو فيها في شربها ولا تاثيم اي لا يتكلمون في اثناء الشرب بسقط الحديث وما لا طائل تحته كفعل المتنادمين في الدنيا على الشراب في سفههم وعربدتهم ولا يفعلون ما يؤثم به فاعله اي ينسب الى الاثم لو فعله في دار التكليف من الكذب والشتم والفواحش وانما يتكلمون بالحكم والكلام الحسن متلذذين بذلك لان عقولهم ثابتة غير زائلة وهم حكماء علماء وقرئ لا لغو فيها ولا تاثيم ﴿ويطوف عليهم غلمان لهم كانهم لؤلؤ مكنون • واقبل بعضهم على بعض يتساءلون﴾ غلمان لهم اي مملوكون لهم مخصوصون بهم مكنون في الصدف لانه رطبا احسن واصفى او مخزون لانه لا يخزن الا الثمين الغالي القيمة وقيل لقتادة هذا الخادم فكيف المخدوم فقال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والذي نفسي بيده ان فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وعنه عليه الصلوة والسلام ان ادنى اهل الجنة منزلة من ينادي الخادم من خدامه فيجيبه الف ببابه لبيك لبيك يتساءلون يتحادثون ويسال بعضهم بعضا عن احواله واعماله وما استوجب به نيل ما عند الله تعالى ﴿قالوا انا كنا قبل في اهلنا مشفقين • فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم • انا كنا من قبل ندعوه انه هو البر الرحيم﴾ مشفقين ارقاء القلوب من خشية الله تعالى وقرئ ووقانا بالتشديد عذاب السموم عذاب النار ووهجها ولفحها والسموم الريح الحارة تدخل المسام فسميت بها نار جهنم لانها بهذه الصفة من قبل من قبل لقاء الله تعالى والمصير اليه يعنون في الدنيا ندعوه نعبده ونساله الوقاية انه هو البر المحسن الرحيم العظيم الرحمة الذي اذا عبد اثاب واذا سئل اجاب وقرئ بالفتح بمعنى لانه ﴿فذكر فما انت بنعمت ربك بكاهن ولا مجنون • ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون • قل تربصوا فاني معكم من المتربصين﴾ فذكر فاثبت على تذكير الناس وموعظتهم ولا يثبطك قولهم كاهن او مجنون ولا تبال به فانه قول باطل متناقض لان الكاهن يحتاج في كهانته الى فطنة ودقة نظر والمجنون مغطى على عقله وما انت بحمد الله تعالى وانعامه عليك بصدق النبوة ورجاحة العقل احد هذين الامرين وقرئ يتربص به ريب المنون على البناء للمفعول وريب المنون ما يقلق النفوس ويشخص بها من حوادث الدهر

قال امن المنون وربما توج وقيل المنون الموت وهو فى الاصل فعول من منه اذا قطعه لان الموت قطوع ولذلك سميت شعوب قالوا ننتظر نوايب الزمان فيهلك كما هلك من قبله من الشعرآء زهير والنابغة من المتربصين اتربص هلاككم كما تتربصون هلاكى

ام تامرهم احلامهم بهذا ام هم قوم طاغون • ام يقولون تقوله بل لا يؤمنون • فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين •

احلامهم عقولهم والبابهم ومنه قولهم احلام عاد والمعنى اتامرهم احلامهم بهذا التناقض فى القول هو قولهم كاهن وشاعر مع قولهم مجنون وكانت قريش يدعون اهل الاحلام والنهى ام هم قوم طاغون مجاوزون الحد فى العناد مع ظهور الحق لهم **فان قلت** ما معنى كون الاحلام آمرة **قلت** هو مجاز لادائها الى ذلك كقوله تعالى اصلوتك تامرك ان نترك ما يعبد آباؤنا وقرئ بل هم قوم طاغون تقوله اختلقه من تلقاء نفسه بل لا يؤمنون فلكفرهم وعنادهم يرمون بهذه المطاعن مع علمهم ببطلان قولهم وانه ليس بمتقول لعجز العرب عنه وما محمد الا واحد من العرب وقرئ بحديث مثله على الاضافة والضمير لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومعناه ان مثل محمد فى فصاحته ليس بمعوز فى العرب فان قدر محمد على نظمه كان مثله قادرا عليه فليأتوا بحديث ذلك المثل

ام خلقوا من غير شىء ام هم الخالقون • ام خلقوا السموات والارض بل لا يوقنون •

ام خلقوا ام احدثوا وقدروا التقدير الذى عليه فطرتهم من غير شىء من غير مقدر ام هم الذين خلقوا انفسهم حيث لا يعبدون الخالق بل لا يوقنون اى اذا سئلوا من خلقكم وخلق السموات والارض قالوا الله وهم شاكون فيما يقولون لا يوقنون وقيل اخلقوا من اجل لا شىء من جزآء ولا حساب وقيل اخلقوا من غير اب وام

ام عندهم خزآئن ربك ام هم المسيطرون • ام لهم سلم يستمعون فيه فليأت مستمعهم بسلطان مبين • ام له البنات ولكم البنون •

ام عندهم خزآئن الرزق حتى يرزقوا النبوة من شاؤا او عندهم خزآئن علمه حتى يختاروا لها من اختياره حكمة ومصلحة ام هم المسيطرون الارباب الغالبون حتى يدبروا امر الربوبية ويبنوا الامور على ارادتهم ومشيتهم وقرئ المصيطرون بالصاد ام لهم سلم منصوب الى السماء يستمعون صاعدين فيه الى كلام الملائكة وما يوحى اليهم من علم الغيب حتى يعلموا ما هو كائن من تقدم هلاكه على هلاكهم وظفرهم فى العاقبة دونه كما يزعمون بسلطان مبين بحجة واضحة تصدق استماع مستمعهم

ام تسألهم اجرا فهم من مغرم مثقلون • ام عندهم الغيب فهم يكتبون • ام يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون •

المغرم ان يلتزم الانسان ما ليس عليه اى لزمهم مغرم ثقيل فدحهم فزهدهم ذلك فى اتباعك ام عندهم الغيب اى اللوح المحفوظ فهم يكتبون ما فيه حتى يقولوا لا نبعث وان بعثنا لم نعذب ام يريدون كيدا وهو كيدهم فى دار الندوة برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وبالمؤمنين فالذين كفروا اشارة اليهم او اريد بهم كل من كفر بالله تعالى هم المكيدون هم الذين يعود عليهم وبال كيدهم ويحيق بهم مكرهم وذلك انهم قتلوا يوم بدر او المغلوبون فى الكيد من كايدته

ام لهم اله غير الله سبحان الله عما يشركون • وان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم • فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذى فيه يصعقون • يوم لا يغنى عنهم كيدهم شيئا ولا هم ينصرون •

الكسف القطعة وهو جواب قولهم او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا يريد انهم لشدة طغيانهم وعنادهم لو اسقطناه عليهم لقالوا هذا سحاب مركوم بعضه فوق بعض يمطرنا ولم يصدقوا انه كسف ساقط للعذاب وقرئ حتى يلقوا ويلقوا يصعقون يموتون وقرئ يصعقون يقال صعقه فصعق وذلك عند النفخة الاولى نفخة الصعق

وان للذين ظلموا عذابا دون ذلك ولكن اكثرهم لا يعلمون •

وان للذين ظلموا وان لهؤلاء الظلمة عذابا دون ذلك دون يوم القيمة وهو القتل ببدر والقحط سبع سنين وعذاب القبر وفى مصحف عبد الله دون ذلك قريبا

واصبر لحكم ربك فانك باعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم • ومن الليل فسبحه وادبار النجوم •

لحكم ربك بامهالهم وبما يلحقك فيه من المشقة والكلفة فانك باعيننا مثل اى بحيث نراك ونكلؤك وجمع العين لان الضمير بلفظ ضمير الجماعة الا ترى الى قوله تعالى ولتصنع على عينى وقرئ باعينا بالادغام حين تقوم من اى مقام قمت وقيل من منامك وادبار النجوم واذا ادبرت النجوم من آخر الليل وقرئ وادبار بالفتح يعنى فى اعقاب النجوم وآثارها اذا غربت والمراد الامر بقوله سبحان الله وبحمده فى هذه الاوقات وقيل التسبيح الصلوة اذا قام من نومه ومن الليل صلوة العشاءين وادبار النجوم صلوة الفجر عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة الطور كان حقا على الله تعالى ان يؤمنه من عذابه وان ينعمه فى جنته

سورة النجم مكية

وهى احدى وستون وقيل ثنتان وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم • والنجم اذا هوى • ما ضل صاحبكم وما غوى • وما ينطق عن الهوى • ان هو الا وحى يوحى •

النجم الثريا وهو اسم غالب لها قال • اذا طلع النجم عشاء ابتغى الراعى كساء • او جنس النجوم قال • فباتت تعد النجم فى مستحيرة • يريد النجوم اذا هوى اذا غرب او انتثر يوم القيمة او النجم الذى يرجم به اذا هوى اذا انقض او النجم من نجوم القرآن وقد نزل منجما فى عشرين سنة اذا هوى اذا نزل او النبات اذا هوى اذا سقط على الارض وعن عروة بن الزبير ان عتبة بن ابى لهب كانت تحته بنت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اراد الخروج الى الشام فقال لآتين محمدا فلاوذينه فاتاه فقال يا محمد هو كافر بالنجم اذا هوى وبالذى دنا فتدلى ثم تفل فى وجه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ورد عليه ابنته وطلقها فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم سلط عليه كلبا من كلابك وكان ابو طالب حاضرا فوجم لها وقال ما كان اغناك يا ابن اخى عن هذه الدعوة فرجع عتبة الى ابيه فاخبره ثم خرجوا الى الشام فنزلوا منزلا فاشرف عليهم راهب من الدير فقال لهم ان هذه ارض مسبعة فقال ابو لهب لاصحابه اغيثونا يا معشر قريش هذه الليلة فانى اخاف على ابنى دعوة محمد فجمعوا جمالهم واناخوها حولهم واحدقوا بعتبة فجاء الاسد يتشمم وجوههم حتى ضرب عتبة فقتله وقال حسان رضى الله تعالى عنه • من يرجع العام الى اهله • فما اكيل السبع بالراجع • ما ضل صاحبكم يعنى محمدا عليه الصلوة والسلام والخطاب لقريش وهو جواب القسم والضلال نقيض الهدى والغى نقيض الرشد اى هو مهتد راشد وليس كما تزعمون من نسبتكم اياه الى الضلالة والغى وما اتاكم به من القرآن ليس بمنطق يصدر عن هواه ورأيه وانما هو وحى من عند الله تعالى يوحى اليه ويحتج بهذه الآية من لا يرى الاجتهاد للانبياء عليهم السلام ويجاب بان الله تعالى اذا سوغ لهم الاجتهاد كان الاجتهاد وما يستند اليه كله وحيا لا نطقا عن الهوى

علمه شديد القوى • ذو مرة فاستوى • وهو بالافق الاعلى • ثم دنا فتدلى • فكان قاب قوسين او ادنى •

شديد القوى ملك شديد قواه والاضافة غير حقيقية لانها اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها وهو جبريل عليه السلام ومن قوته انه اقتلع قرى قوم لوط عليه السلام من الماء الاسود وحملها على جناحه ورفعها الى السماء ثم قلبها وصاح صيحة بثمود فاصبحوا جاثمين وكان هبوطه على الانبياء صلوات الله تعالى عليهم وصعوده فى اوحى من رجعة الطرف وراى ابليس يكلم موسى عليه السلام على بعض عقاب الارض المقدسة فنفحه بجناحه نفحة فالقاه فى اقصى جبل بالهند ذو مرة ذو حصافة فى عقله ورأيه ومتانة فى دينه فاستوى فاستقام على صورة نفسه الحقيقية دون الصورة التى كان يتمثل بها كلما هبط بالوحى وكان ينزل فى صورة دحية وذلك ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم احب ان يراه فى صورته التى جبل عليها فاستوى له فى الافق الاعلى وهو افق الشمس فملأ الافق وقيل ما رآه احد من الانبياء عليهم السلام فى صورته الحقيقية غير محمد صلى الله تعالى عليه وسلم مرتين مرة فى الارض ومرة فى السماء ثم دنا من رسول الله عليه الصلوة والسلام فتدلى فتعلق عليه فى الهوآء ومنه تدلت الثمرة ودلى رجليه من السرير والدوالى الثمر المعلق قال • تدلى عليها بين سب وخيطة • ويقال هو مثل القرلى ان راى خيرا تدلى وان لم يره تولى قاب قوسين مقدار قوسين عربيتين والقاب والقيب والقاد والقيد والقيس المقدار وقرأ زيد بن على رضى الله تعالى عنهما قاد وقرئ قيد وقدر وقد جاء التقدير بالقوس والرمح والسوط والذراع والباع والخطوة والشبر والفتر والاصبع ومنه لا صلوة الى ان ترتفع الشمس مقدار رمحين وفى الحديث لقاب قوس احدكم من الجنة وموضع قده خير من الدنيا وما فيها والقد السوط ويقال بينهما خطوات يسيرة وقال • وقد جعلتنى من حزيمة اصبعا • **فان قلت** كيف تقدير قوله تعالى فكان قاب قوسين **قلت** تقديره فكان مقدار مسافة قربه مثل قاب قوسين فحذفت هذه المضافات كما قال ابو على فى قوله • وقد جعلتنى من حزيمة اصبعا • اى ذا مقدار مسافة اصبع او ادنى على تقديركم كقوله تعالى او يزيدون

فاوحى الى عبده ما اوحى •

الى عبده الى عبد الله وان لم يجر لاسمه عز وعلا ذكر لانه لا يلبس كقوله تعالى على ظهرها ما اوحى تفخيم للوحى الذى اوحى اليه قيل اوحى اليه ان الجنة محرمة على الانبياء حتى تدخلها وعلى الامم حتى تدخلها امتك

ما كذب الفؤاد ما رأى ما كذب فؤاد محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ما رآه ببصره من صورة جبريل عليه السلام
اي ما قال فؤاده لما رآه لم اعرفك ولو قال ذلك لكان كاذبا لانه عرفه يعني انه رآه بعينه وعرفه بقلبه ولم يشك في ان
ما رآه حق وقرئ ما كذب اي صدقه ولم يشك انه جبريل بصورته افتمارونه على ما يرى افتمارونه من المراء
وهو الملاحاة والمجادلة واشتقاقه من مرى الناقة كان كل واحد من المتجادلين يمري ما عند صاحبه وقرئ افتمرونه افتغلبونه
في المراء من ماريته فمريته ولما فيه من معنى الغلبة عدي بعلى كما تقول غلبته على كذا وقيل افتمرونه افتجحدونه وانشدوا
لئن هجرت اخا صدق ومكرمة • لقد مريت اخا ما كان يمريكا • وقالوا يقال مريته حقه اذا جحدته وتعديته بعلى لا يصح الا على
مذهب التضمين ولقد رآه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى رآه نزلة اخرى مرة اخرى من النزول
نصبت النزلة نصب الظرف الذي هو مرة لان الفعلة اسم للمرة من الفعل فكانت في حكمها اي نزل عليه جبريل عليه السلام
نزلة اخرى في صورة نفسه فرآه عليها وذلك ليلة المعراج قيل في سدرة المنتهى هي شجرة نبق في السماء السابعة عن
يمين العرش ثمرها كقلال هجر وورقها كآذان الفيول تنبع من اصلها الانهار التي ذكرها الله تعالى في كتابه يسير الراكب في
ظلها سبعين عاما لا يقطعها والمنتهى بمعنى موضع الانتهاء او الانتهاء كانها في منتهى الجنة وآخرها وقيل لم يجاوزها احد واليها
ينتهي علم الملائكة وغيرهم ولا يعلم احد ما وراءها وقيل ينتهي اليها ارواح الشهداء وقرأ علي وابن الزبير رضي الله تعالى عنهما
وجماعة جنه المأوى اي ستره بظلاله ودخل فيه وعن عائشة رضي الله تعالى عنها انها انكرته وقالت من قرأ به فاجنه الله
اذ يغشى السدرة ما يغشى ما يغشى تعظيم وتكثير لما يغشاها وقد علم بهذه العبارة ان ما يغشاها من
الخلائق الدالة على عظمة الله تعالى وجلاله اشياء لا يكتنهها النعت ولا يحيط بها الوصف وقد قيل يغشاها الجم الغفير
من الملائكة يعبدون الله عز وجل وعن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على كل ورقة من ورقها ملكا قائما يسبح الله تعالى
وعنه عليه الصلاة والسلام يغشاها رفرف من طير خضر وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه وغيره يغشاها فراش من ذهب
ما زاغ البصر وما طغى ما زاغ بصر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وما طغى اي اثبت ما رآه اثباتا مستيقنا
صحيحا من غير ان يزيغ بصره عنه او يتجاوزه او ما عدل عن رؤية العجائب التي امر برؤيتها ومكن منها وما طغى وما جاوز ما امر برؤيته
لقد رأى من آيات ربه الكبرى لقد رأى والله لقد رأى من آيات ربه الآيات التي هي كبراها
وعظماها يعني حين رقي به الى السماء فأري عجائب الملكوت افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة
الاخرى اللات والعزى ومناة اصنام كانت لهم وهي مؤنثات فاللات كانت لثقيف بالطائف وقيل
كانت بنخلة تعبدها قريش وهي فعلة من لوى لانهم كانوا يلوون عليها ويعكفون للعبادة او يلتوون عليها اي يطوفون
وقرئ اللات بالتشديد وزعموا انه سمي برجل كان يلت عنده السمن بالزيت ويطعمه الحاج وعن مجاهد كان رجل
يلت السويق بالطائف وكانوا يعكفون على قبره فجعلوه وثنا والعزى كانت لغطفان وهي سمرة واصلها تأنيث
الاعز وبعث اليها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه فقطعها فخرجت منها شيطانة ناشرة
شعرها ناعية ويلها واضعة يدها على رأسها فجعل يضربها بالسيف حتى قتلها وهو يقول يا عز كفرانك لا سبحانك
اني رأيت الله قد اهانك ورجع فاخبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال تلك العزى ولن تعبد ابدا ومناة صخرة كانت لهذيل
وخزاعة وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لثقيف وقرئ ومناءة مفعلة من النوء كانهم كانوا يستمطرون عندها الانواء
تبركا بها والاخرى ذم وهي المتأخرة الوضيعة المقدار كقوله عز وجل وقالت اخراهم لاولاهم اي وضعاؤهم لرؤسائهم واشرافهم ويجوز
ان يكون الاولية والتقدم عندهم للات والعزى كانوا يقولون ان الملائكة وهذه الاصنام بنات الله وكانوا يعبدونهم ويزعمون
انهم شفعاؤهم عند الله مع وأدهم البنات فقيل لهم الكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى
ذكوران يرادان اللات والعزى ومناة اناث وقد جعلتموهن لله تعالى ومن شانكم ان تحتقروا الاناث وتستنكفوا
من ان يولدن لكم وينسبن اليكم فكيف تجعلون هذه الاناث اندادا لله تعالى وتسمونهن آلهة قسمة ضيزى جائرة من ضازه
يضيزه اذا ضامه والاصل ضوزى ففعل بها ما فعل ببيض لتسلم الياء وقرئ ضئزى من ضأزه بالهمز وضيزى بفتح الضاد
ان هي الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان ان يتبعون
الا الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى هي ضمير الاصنام اي ما هي الا

وكانها سميت مناة لان دماء النسائك كانت تمنى عندها اي تراق ح

اسماء ليس تحتها في الحقيقة مسميات لانكم تدعون الالهية لما هو ابعد شيء منها واشده منافاة لها ونحوه قوله تعالى ما تعبدون من
دونه الا اسماء سميتموها او ضمير الاسماء وهي قولهم اللات والعزى ومناة وهم يقصدون بهذه الاسماء الالهة يعني
ما هذه الاسماء الا اسماء سميتموها بهواكم وشهوتكم ليس لكم من الله تعالى على صحة تسميتها برهان تتعلقون به ومعنى سميتموها
سميتم بها يقال سميته زيدا وسميته بزيد ان يتبعون وقرئ بالتاء الا الظن الا توهم ان ما هم عليه حق وان آلهتهم
شفعاؤهم وما تشتهيه انفسهم ويتركون ما جاءهم من الهدى والدليل على ان دينهم باطل ام للانسان ما تمنى
هي ام المنقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار اي ليس للانسان ما تمنى والمراد طمعهم في شفاعة الالهة وهو تمن على التعيين
في غاية البعد وقيل هو قولهم ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وقيل هو قول الوليد بن المغيرة لاوتين
مالا وولدا وقيل هو تمني بعضهم ان يكون هو النبي فلله الاخرة والاولى وكم من ملك في
السموات لا تغني شفاعتهم شيئا الا من بعد ان يأذن الله لمن يشاء ويرضى
فلله الاخرة والاولى اي هو مالكهما فهو يعطي منهما من يشاء ويمنع من يشاء وليس لاحد ان يتحكم عليه في شيء منهما يعني ان
امر الشفاعة ضيق وذلك ان الملائكة مع قربهم وزلفاهم وكثرتهم واغتصاص السموات بجموعهم لو شفعوا باجمعهم
لاحد لم تغن شفاعتهم عنه شيئا قط ولم تنفع الا اذا شفعوا من بعد ان يأذن الله تعالى لهم في الشفاعة لمن يشاء الشفاعة
له ويرضاه ويراه اهلا لان يشفع له فكيف تشفع الاصنام اليه لعبدتها ان الذين لا يؤمنون بالاخرة
ليسمون الملائكة تسمية الانثى وما لهم به من علم ان يتبعون الا الظن وان
الظن لا يغني من الحق شيئا ليسمون الملائكة اي كل واحد منهم تسمية الانثى لانهم اذا قالوا الملائكة
بنات الله فقد سموا كل واحد منهم بنتا وهي تسمية الانثى به من علم اي بذلك وبما يقولون وفي قراءة ابي رضي الله تعالى عنه
بها اي بالملائكة او التسمية لا يغني من الحق شيئا يعني انما يدرك الحق الذي هو حقيقة الشيء وما هو عليه بالعلم والتيقن لا بالظن
والتوهم فاعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا ذلك مبلغهم
من العلم ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى فاعرض عن دعوة من
رأيته معرضا عن ذكر الله تعالى وعن الاخرة ولم يرد الا الدنيا ولا تتهالك على اسلامه ثم قال ان ربك هو اعلم اي
انما يعلم الله تعالى من يجيب ممن لا يجيب وانت لا تعلم فخفض على نفسك ولا تتعبها فانك لا تهدي من احببت وما عليك
الا البلاغ وقوله تعالى ذلك مبلغهم من العلم اعتراض او فاعرض عنه ولا تقابله ولله ما في السموات وما
في الارض ليجزي الذين اساؤا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى
ان ربك هو اعلم بالضال والمهتدي وهو مجازيهما بما يستحقان من الجزاء اي ليجزي وليجزي بالياء والنون فيهما ومعناه
ان الله عز وجل انما خلق العالم وسوى هذا الملكوت لهذا الغرض وهو ان يجازي المحسن من المكلفين والمسيء منهم ويجوز ان
يتعلق بقوله هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى لان نتيجة العلم بالضال والمهتدي جزاؤهما بما عملوا
بعقاب ما عملوا من السوء وبالحسنى بالمثوبة الحسنى اي الجنة او بسبب ما عملوا من السوء وبسبب الاعمال الحسنى الذين يجتنبون
كبائر الاثم والفواحش الا اللمم كبائر الاثم الكبائر من الاثم لان الاثم جنس يشتمل على كبائر وصغائر
والكبائر الذنوب التي لا يسقط عقابها الا بالتوبة وقيل التي يكبر عقابها بالاضافة الى ثواب صاحبها والفواحش
ما فحش من الكبائر كانه قال والفواحش منها خاصة وقرئ كبير الاثم اي النوع الكبير منه وقيل هو الشرك بالله واللمم
ما قل وصغر ومنه اللمم المس من الجنون واللوثة منه والم بالمكان اذا قل لبثه فيه والم بالطعام قل منه اكله ومنه
لقاء اخلاء الصفاء لمام والمراد الصغائر من الذنوب ولا يخلو قوله تعالى الا اللمم من ان يكون استثناء منقطعا
او صفة كقوله عز وجل لو كان فيهما آلهة الا الله كانه قيل كبائر الاثم غير اللمم وآلهة غير الله وعن ابي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه
اللمم هي النظرة والغمزة والقبلة وعن السدي الخطرة من الذنب وعن الكلبي كل ذنب لم يذكر الله تعالى عليه حدا ولا
عذابا وعن عطاء عادة النفس الحين بعد الحين ان ربك واسع المغفرة هو اعلم بكم اذ
انشأكم من الارض واذ انتم اجنة في بطون امهاتكم فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى
ان ربك واسع المغفرة حيث يكفر الصغائر باجتناب الكبائر والكبائر بالتوبة فلا تزكوا انفسكم فلا تنسبوها الى

زكاء العمل وزيادة الخير والطاعات او الى الزكاء والطهارة من المعاصي ولا تثنوا عليها واهضموها فقد علم الله تعالى الزكي
منكم والتقي اولا واخرا قبل ان يخرجكم من صلب آدم عليه السلام وقبل ان تخرجوا من بطون امهاتكم وقيل كان ناس
يعملون اعمالا حسنة ثم يقولون صلوتنا وصيامنا وحجنا فنزلت وهذا اذا كان على سبيل الاعجاب او الريا
فاما من اعتقد ان ما عمله من العمل الصالح من الله تعالى وبتوفيقه وتأييده ولم يقصد به التمدح لم يكن من المزكين انفسهم
لان المسرة بالطاعة طاعة وذكرها شكر ● افرايت الذي تولى ● واعطى قليلا واكدى ● اعنده
علم الغيب فهو يرى ● اكدى قطع عطيته وامسك واصله اكداء الحافر وهو ان تلقاه كدية وهي صلابة كالصخرة
فيمسك عن الحفر ونحوه اجبل الحافر ثم استعير فقيل اجبل الشاعر اذا افحم ● روي ان عثمان رضي الله تعالى عنه كان
يعطي ماله في الخير فقال له عبد الله بن ابي سرح وهو اخوه من الرضاعة يوشك ان لا يبقى لك شيء فقال عثمان ان لي ذنوبا
وخطايا واني اطلب بما اصنع رضى الله تعالى وارجو عفوه فقال عبد الله اعطني ناقتك برحلها وانا اتحمل عنك ذنوبك
فاعطاه واشهد عليه وامسك عن العطاء فنزلت ● ومعنى تولى ترك المركز يوم احد فعاد عثمان رضي الله تعالى عنه الى
احسن من ذلك واجمل فهو يرى يعلم ان ما قال له اخوه من احتمال الاوزار حق ● ام لم ينبأ بما في صحف
موسى ● وابراهيم الذي وفى ● الا تزر وازرة وزر اخرى ● وفى وقري مخففا وشددا
والتشديد مبالغة في الوفاء او بمعنى وفر واتم كقوله تعالى فاتمهن واطلاقه ليتناول كل وفاء وتوفية من ذلك
تبليغه الرسالة واستقلاله باعباء النبوة والصبر على ذبح ولده وعلى نار نمرود وقيامه باضيافه وخدمته اياهم
بنفسه وانه كان يخرج كل يوم فيمشي فرسخا يرتاد ضيفا فان وافقه اكرمه والا نوى الصوم ● وعن الحسن رحمه الله
ما امره الله تعالى بشيء الا وفى به ● وعن الهذيل بن شرحبيل كان بين نوح وابراهيم يؤخذ الرجل بجريرة غيره ويقتل
بابيه وابنه وعمه وخاله والزوج بامراته والعبد بسيده فاول من خالفهم ابراهيم عليه السلام ● وعن عطاء بن السائب
عهد ان لا يسأل مخلوقا فلما قذف في النار قال له جبريل وميكائيل عليهما السلام الك حاجة قال اما اليكما فلا
وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وفى عمله كل يوم باربع ركعات في صدر النهار وهي صلوة الضحى ● وروي الا اخبركم لم
سمى الله خليله الذي وفى كان يقول اذا اصبح وامسى فسبحان الله حين تمسون الى تظهرون ● وقيل وفى سهام الاسلام
وهي ثلثون عشرة في التوبة التائبون ● وعشرة في الاحزاب ان المسلمين ● وعشرة في المؤمنين قد افلح المؤمنون
وقري في صحف بالتخفيف ● الا تزر ان مخففة من الثقيلة والمعنى انه لا تزر والضمير ضمير الشان ومحل ان وما بعدها الجر
بدلا من ما في صحف موسى او الرفع على هو ان لا تزر كأن قائلا قال وما في صحف موسى وابراهيم فقال ان لا تزر
وان ليس للانسان الا ما سعى ● وان سعيه سوف يرى ● ثم يجزاه الجزاء الاوفى ●
الا ما سعى الا سعيه ● فان قلت اما صح في الاخبار الصدقة عن الميت والحج عنه وله الاضعاف ● قلت
فيه جوابان احدهما ان سعي غيره لما لم ينفعه الا مبنيا على سعي نفسه وهو ان يكون مؤمنا صالحا وكذلك الاضعاف كان
سعي غيره كانه سعي نفسه لكونه تابعا له وقائما بقيامه ● والثاني ان سعي غيره لا ينفعه اذا عمله لنفسه ولكن اذا نواه به فهو بحكم الشرع
كالنائب عنه والوكيل القائم مقامه ● ثم يجزاه ثم يجزى العبد سعيه يقال جزاه الله عمله وجزاه على عمله بحذف الجار وايصال
الفعل ويجوز ان يكون الضمير للجزاء ثم فسره بقوله تعالى الجزاء الاوفى او ابدله عنه كقوله عز وجل واسروا النجوى الذين ظلموا
وان الى ربك المنتهى ● وانه هو اضحك وابكى ● وانه هو امات واحيى ● وانه خلق
الزوجين الذكر والانثى ● من نطفة اذا تمنى ● وان الى ربك المنتهى قري بالفتح على معنى ان الكل في الصحف
وبالكسر على الابتداء وكذلك ما بعده ● والمنتهى مصدر بمعنى الانتهاء اي ينتهي اليه الخلق ويرجعون اليه كقوله تعالى واليه المصير
اضحك وابكى خلق قوتي الضحك والبكاء ● اذا تمنى اذا تدفق في الرحم يقال منى وامنى ● وعن الاخفش تخلق من منى الماني اي قدر المقدر
وان عليه النشأة الاخرى ● قري النشاءة والنشاءة بالمد وقال عليه لانها واجبة عليه في الحكمة ليجازي على
الاحسان والاساءة ● وانه هو اغنى واقنى ● وانه هو رب الشعرى ● وانه اهلك عادا
الاولى ● وثمودا فما ابقى ● واقنى واعطى القنية وهو المال الذي تأثلته وعزمت ان لا تخرجه من يدك ● الشعرى هو مرزم
الجوزاء وهي التي تطلع وراءها وتسمى كلب الجبار وهما شعريان الغميصاء والعبور واراد العبور وكانت خزاعة تعبدها سن لهم

ذلك ابو كبشة رجل من اشرافهم وكانت قريش تقول لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ابو كبشة تشبيها له به لمخالفته
اياهم في دينهم يريد انه رب معبودهم هذا ● عادا الاولى قوم هود عليه السلام وعاد الاخرى ارم وقيل الاولى
لانهم اولى الامم هلاكا بعد قوم نوح او المتقدمون في الدنيا الاشراف وقري عادا لولى وعاد لولى بادغام التنوين في اللام
وطرح همزة اولى ونقل ضمتها الى لام التعريف ● وثمودا وقري وثمود ● وقوم نوح من قبل انهم كانوا هم
اظلم واطغى ● والمؤتفكة اهوى ● فغشيها ما غشى ● فباي الاء ربك تتمارى ●
هذا نذير من النذر الاولى ● اظلم واطغى لانهم كانوا يؤذونه ويضربونه حتى لا يكون به حراك وينفرون
عنه حتى كانوا يحذرون صبيانهم ان يسمعوا منه وما اثر فيهم دعاؤه قريبا من الف سنة ● والمؤتفكة والقرى التي
ائتفكت باهلها اي انقلبت وهم قوم لوط عليه السلام ثم اهوى اهوى الارض اي اسقطها ● ما غشى تهويل وتعظيم
لما صب عليها من العذاب وامطر عليها من الصخر المنضود ● فباي الاء ربك تتمارى تتشكك والخطاب لرسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم او للانسان على الاطلاق وقد عدد نعما ونقما وسماها كلها الاء من قبل ما في نقمه من المزاجر
والمواعظ للمعتبرين ● هذا القرآن نذير من النذر الاولى التي انذر بها من قبلكم او هذا الرسول منذر من المنذرين الاولين
وقال الاولى على تأويل الجماعة ● ازفت الآزفة ● ليس لها من دون ● كاشفة ● افمن هذا
الحديث تعجبون ● وتضحكون ولا تبكون ● وانتم سامدون ● فاسجدوا ● واعبدوا
ازفت الآزفة قربت الموصوفة بالقرب في قوله تعالى اقتربت الساعة ● ليس لها نفس كاشفة اي مبينة متى تقوم
كقوله تعالى لا يجليها لوقتها الا هو او ليس لها نفس كاشفة اي قادرة على كشفها اذا وقعت الا الله تعالى غير انه لا يكشفها
او ليس لها الان نفس كاشفة بالتأخير وقيل الكاشفة مصدر بمعنى الكشف كالعافية وقرأ ظلمة ليس لها مما يدعون
من دون الله كاشفة وهي على الظالمين ساءت الغاشية ● افمن هذا الحديث وهو القرآن تعجبون انكارا ● وتضحكون استهزاء
ولا تبكون والبكاء والخشوع حق عليكم ● وعن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه لم ير ضاحكا بعد نزولها وقري تعجبون
تضحكون بغير واو ● وانتم سامدون شامخون مبرطمون وقيل لاهون لاعبون ● وقال بعضهم لجارية اسمدي لنا اي غني
فاسجدوا لله واعبدوا ولا تعبدوا الالهة ● عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال من قرأ سورة والنجم
اعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وجحد به بمكة

سورة القمر مكية وهي خمس وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم ● اقتربت الساعة وانشق القمر
وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر ● انشقاق القمر من آيات رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومعجزاته النيرة ● عن انس بن مالك رضي الله تعالى عنه ان الكفار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم آية فانشق
القمر مرتين وكذا عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله تعالى عنهم قال ابن عباس انفلق فلقتين فلقة ذهبت وفلقة
بقيت وقال ابن مسعود رأيت حراء بين فلقتي القمر ● وعن بعض الناس ان معناه ينشق يوم القيامة ويؤيده
وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر فانه رده وكفى به رادا ● وفي قراءة حذيفة رضي الله تعالى عنه وقد انشق القمر
اي اقتربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها ان القمر انشق كما تقول اقبل الامير وقد جاء المبشر بقدومه ● وعن
حذيفة انه خطب بالمدائن ثم قال الا ان الساعة قد اقتربت وان القمر قد انشق على عهد نبيكم ● مستمر دائم مطرد
وكل شيء قد انقادت طريقته ودامت حاله قيل فيه قد استمر لما رأوا تتابع المعجزات وترادف الآيات قالوا هذا
سحر مستمر ● وقيل مستمر قوي محكم من قولهم استمر مريره ● وقيل هو من استمر الشيء اذا اشتد مرارته اي مستبشع عندنا مر
على لهواتنا لا نقدر ان نسيغه كما لا يساغ المر الممقر ● وقيل مستمر مار ذاهب يزول ولا يبقى تمنية لانفسهم وتعليلا
وقري وان يروا ● وكذبوا واتبعوا اهواءهم ● واتبعوا اهواءهم وما زين لهم الشيطان من دفع الحق
بعد ظهوره ● وكل امر مستقر اي كل امر لا بد ان يصير الى غاية يتبين عندها انه حق او باطل وسيظهر لهم عاقبته او وكل امر
من امرهم وامره مستقر اي سيثبت ويستقر على حالة خذلان او نصرة في الدنيا او شقاوة او سعادة في الاخرى

وقرئ بفتح القاف يعني كل امر ذو مستقر اي ذو استقرار او ذو موضع استقرار او زمان استقرار وعن ابي جعفر
مستقر بكسر القاف والجر عطفا على الساعة اي اقتربت الساعة واقترب كل امر مستقر يستقر ويتبين حاله
ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر حكمة بالغة فما تغن النذر من الانباء من القرآن
المودع انباء القرون الخالية او انباء الآخرة وما وصف من عذاب الكفار مزدجر ازدجار او موضع ازدجار والمعنى هو في نفسه
موضع ازدجار ومظنة له كقوله تعالى لكم في رسول الله اسوة حسنة اي هو اسوة وقرئ مزجر بقلب تاء الافتعال زايا وادغام
الزاي فيها حكمة بالغة بدل من ما او على هو حكمة بالغة وقرئ بالنصب حالا من ما فان قلت ان كانت ما موصولة ساغ لك
ان تنصب حكمة حالا فكيف تعمل ان كانت موصوفة وهو الظاهر قلت تخصيصها بالصفة فيحسن نصب الحال عنها فما تغني النذر
نفي او انكار وما منصوبة اي فاي غناء تغني النذر فتول عنهم يوم يدع الداع الى شيء نكر
فتول عنهم لعلمك ان الانذار لا يغني فيهم نصب يوم بيخرجون او باضمار اذكر وقرئ باسقاط الياء اكتفاء بالكسرة
عنها والداعي اسرافيل او جبرائيل عليهما السلام كقوله تعالى يوم ينادي المنادي الى شيء نكر منكر فظيع تنكره النفوس لانها لم
تعهد مثله وهو هول يوم القيمة وقرئ نكر بالتخفيف ونكر بمعنى انكر خاشعا ابصارهم يخرجون من الاجداث
كانهم جراد منتشر خاشعا ابصارهم حال من الخارجين فعل للابصار وذكر كما تقول يخشع ابصارهم وقرئ خاشعة
على تخشع ابصارهم وخشعا على يخشعن ابصارهم وهي لغة من يقول اكلوني البراغيث وهم طيء ويجوز ان يكون في خشعا ضميرهم
ويقع ابصارهم بدلا عنه وقرئ خشع ابصارهم على الابتداء والخبر ومحل الجملة النصب على الحال كقوله • وجدته حاضراه
الجود والكرم • وخشوع الابصار كناية عن الذلة والانخزال لان ذلة الذليل وعزة العزيز تظهران في عيونهما وقرئ
يخرجون من الاجداث من القبور كانهم جراد منتشر الجراد مثل في الكثرة والتموج يقال في الجيش الكثير المائج بعضه في بعض
جاؤا كالجراد وكالدبا منتشر في كل مكان لكثرته مهطعين الى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر
مهطعين الى الداعي مسرعين مادي اعناقهم اليه وقيل ناظرين اليه لا يقلعون بابصارهم قال • تعبدني نمر بن سعد
وقد ارى • ونمر بن سعد لي مطيع ومهطع كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر
فدعا ربه اني مغلوب فانتصر قبلهم قبل اهل مكة فكذبوا عبدنا يعني نوحا عليه السلام فان قلت
ما معنى قوله تعالى فكذبوا بعد قوله كذبت قلت معناه كذبوا فكذبوا عبدنا اي كذبوه تكذيبا على عقب تكذيب كلما
مضى منهم قرن مكذب تبعه قرن مكذب او كذبت قوم نوح الرسل فكذبوا عبدنا اي لما كانوا مكذبين بالرسل جاحدين للنبوة
راسا كذبوا نوحا لانه من جملة الرسل مجنون هو مجنون وازدجر وازدجروه بالشتم والضرب والوعيد بالرجم في قولهم
لتكونن من المرجومين وقيل هو من جملة قيلهم اي قالوا هو مجنون وقد ازدجرته الجن وتخبطته وذهبت بلبه وطارت
بقلبه وقرئ اني بمعنى فدعا باني واني على ارادة القول فدعا فقال اني مغلوب غلبني قومي فلم يسمعوا مني واستحكم اليأس من اجابتهم
لي فانتصر فانتقم منهم بعذاب تبعثه عليهم وانما دعا عليهم بذلك بعدما طم عليه الامر وبلغ السيل الزبى فقد روي ان
الواحد من امته كان يلقاه فيخنقه حتى يخر مغشيا عليه فيفيق وهو يقول اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون ففتحنا
ابواب السماء بماء منهمر وفجرنا الارض عيونا فالتقى الماء على امر قد قدر وقرئ ففتحنا مخففا
ومشددا وكذلك فجرنا منهمر منصب في كثرة وتتابع لم ينقطع اربعين يوما وفجرنا الارض عيونا وجعلنا الارض كلها
كانها عيون تتفجر وهو ابلغ من قولك وفجرنا عيون الارض ونظيره في النظم واشتعل الرأس شيبا فالتقى الماء يعني
مياه السماء والارض وقرئ الماءان اي النوعان من الماء السماوي والارضي ونحوه قولك عندي تمران تريد ضربان من التمر
برني ومعقلي قال • لنا ابلان فيهما ما علمتم • وقرأ الحسن الماوان بقلب الهمزة واوا كقولهم علباوان على امر قد قدر على
حال قدرها الله تعالى كيف شاء وقيل على حال جاءت مقدرة مستوية وهي ان قدر ما انزل من السماء كقدر ما اخرج
من الارض سواء بسواء وقيل على امر قد قدر في اللوح انه يكون وهو هلاك قوم نوح بالطوفان وحملناه على
ذات الواح ودسر تجري باعيننا جزاء لمن كان كفر على ذات الواح ودسر اراد السفينة
وهي من الصفات التي تقوم مقام الموصوفات فتنوب منابها وتؤدي مؤداها بحيث لا يفصل بينها وبينها ونحوه • ولكن
قميصي مسرودة من حديد • اراد ولكن قميصي درع وكذلك • ولو في عيون النازيات باكرع • اراد ولو في عيون الجراد

الا ترى انك لو جمعت بين السفينة وبين هذه الصفة او بين الدرع والجراد وهاتين الصفتين لم يصح وهذا من
فصيح الكلام وبديعه والدسر جمع دسار وهو المسمار فعال من دسره اذا دفعه لانه يدسر به منفذه جزاء مفعول له لما قدم
من فتح ابواب السماء وما بعده اي فعلنا ذلك جزاء لمن كان كفر وهو نوح عليه السلام وجعله مكفورا لان النبي نعمة
من الله تعالى ورحمة قال الله سبحانه وتعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فكان نوح عليه السلام نعمة مكفورة
ومن هذا المعنى ما يحكى ان رجلا قال للرشيد رحمه الله تعالى الحمد لله عليك فقال ما معنى هذا الكلام قال انت نعمة حمدت
الله تعالى عليها ويجوز ان يكون على تقدير حذف الجار وايصال الفعل وقرأ قتادة كفر اي جزاء للكافرين وقرأ الحسن
جزاء بالكسر اي مجازاة ولقد تركناها اية فهل من مدكر فكيف كان عذابي ونذر الضمير في
تركناها للسفينة او للفعلة اي جعلناها اية يعتبر بها وعن قتادة ابقاها الله تعالى بارض الجزيرة وقيل على الجودي
دهرا طويلا حتى نظر اليها اوائل هذه الامة والمدكر المعتبر وقرئ مذتكر على الاصل ومذكر بقلب التاء ذالا وادغام
الذال فيها والنذر جمع نذير وهو الانذار ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من
مدكر ولقد يسرنا القرآن للذكر سهلناه للادكار والاتعاظ بان شحناه بالمواعظ الشافية وصرفنا فيه من الوعد
والوعيد فهل من متعظ وقيل ولقد سهلناه للحفظ واعنا عليه من اراد حفظه فهل من طالب لحفظه ليعان عليه ويجوز ان
يكون المعنى ولقد هيأناه للذكر من يسر ناقته للسفر اذا رحلها ويسر فرسه للغزو اذا اسرجه والجمه قال
• وقمت اليه باللجام ميسرا • هنالك يجزيني الذي كنت اصنع • ويروى ان كتب اهل الاديان نحو التوراة والانجيل والزبور
لا يتلوها اهلها الا نظرا ولا يحفظونها ظاهرا كالقرآن كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر
انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر تنزع الناس كانهم اعجاز نخل منقعر
فكيف كان عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ونذر وانذاراتي لهم بالعذاب
قبل نزوله او انذاراتي في تعذيبهم لمن بعدهم في يوم نحس في يوم شؤم وقرئ في يوم نحس كقوله تعالى في ايام نحسات
مستمر قد استمر عليهم ودام حتى اهلكهم او استمر عليهم جميعا كبيرهم وصغيرهم حتى لم يبق منهم نسمة وكان في اربعاء
في آخر الشهر لا يدور ويجوز ان يريد بالمستمر الشديد المرارة والبشاعة تنزع الناس تقلعهم عن اماكنهم وكانوا يصطفون
آخذين بعضهم بايدي بعض ويتداخلون في الشعاب ويحفرون الحفر فيندسون فيها فتنزعهم وتكبهم وتدق رقابهم
كانهم اعجاز نخل منقعر يعني انهم كانوا يتساقطون على الارض امواتا وهم جثث طوال عظام كانهم اعجاز نخل وهي اصولها
بلا فروع منقعر منقلع عن مغارسه وقيل شبهوا باعجاز النخل لان الريح كانت تقطع رؤسهم فتبقى اجسادا بلا رؤس
وذكر صفة النخل على اللفظ ولو حملها على المعنى لانث كما قال تعالى اعجاز نخل خاوية كذبت ثمود بالنذر فقالوا
أبشرا منا واحدا نتبعه انا اذا لفي ضلال وسعر ءالقي الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب اشر
ابشرا منا واحدا نصب بفعل يفسره نتبعه وقرئ ابشر منا واحد على الابتداء ونتبعه خبره والاول اوجه للاستفهام
كان يقول ان لم تتبعوني كنتم في ضلال عن الحق وسعر ونيران جمع سعير فعكسوا عليه فقالوا ان اتبعناك كنا اذن
كما تقول وقيل الضلال الخطأ والبعد عن الصواب والسعر الجنون يقال ناقة مسعورة قال • كأن بها سعرا اذا العيس هزها •
ذميل وارخاء من السير متعب • فان قلت كيف انكروا ان يتبعوا بشرا منهم واحدا قلت قالوا ابشرا
انكارا لان يتبعوا مثلهم في الجنسية وطلبوا ان يكون من جنس اعلى من جنس البشر وهم الملائكة وقالوا منا
لانه اذا كان منهم كانت المماثلة اقوى وقالوا واحدا انكارا لان تتبع الامة رجلا واحدا او ارادوا واحدا من
افنائهم ليس باشرفهم وافضلهم ويدل عليه قولهم ءالقي الذكر عليه من بيننا اي انزل عليه الوحي من بيننا وفينا من هو احق
منه بالاختيار للنبوة اشر بطر متكبر حمله بطره وشطارته وطلبه التعظم علينا على ادعاء ذلك سيعلمون
غدا من الكذاب الاشر انا مرسلوا الناقة فتنة لهم فارتقبهم واصطبر
سيعلمون غدا عند نزول العذاب بهم او يوم القيمة من الكذاب الاشر اصالح ام من كذبه وقرئ ستعلمون بالتاء على حكاية
ما قال لهم صالح عليه السلام مجيبا لهم او هو كلام الله تعالى على طريق الالتفات وقرئ الاشر بضم الشين كقولهم حذر
وحدث وحذر وحدث واخوات لها وقرئ الاشر وهو الابلغ في الشرارة والاخير والاشر اصل قولهم هو خير منه

وشر منه وهو اصل مرفوض وقد حكى ابن الانباري تقول العرب هو اخير واشر وما اخيره وما اشره انا مرسلو الناقة
باعثوها ومخرجوها من الهضبة كما سألوا فتنة لهم امتحانا لهم وابتلاء فارتقبهم فانتظرهم وتبصر ما هم صانعون واصطبر على
اذاهم ولا تعجل حتى يأتيك امري ونبئهم ان الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر فنادوا
صاحبهم فتعاطى فعقر فكيف كان عذابي ونذر قسمة بينهم مقسوم بينهم لها شرب يوم ولكم
شرب يوم وانما قال بينهم تغليبا للعقلاء محتضر محضور لهم او للناقة وقيل يحضرون الماء في نوبتهم واللبن في
نوبتها صاحبهم قدار بن سالف احيمر ثمود فتعاطى فاجترأ على تعاطي الامر العظيم غير مكترث له فاحدث العقر بالناقة
وقيل فتعاطى الناقة فعقرها او فتعاطى السيف انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا
كهشيم المحتظر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر صيحة واحدة صيحة جبريل عليه السلام
والهشيم الشجر اليابس المتهشم والمحتظر الذي يعمل الحظيرة وما يحتظر به ييبس بطول الزمان وتتوطاه البهائم
فيتحطم ويتهشم وقرأ الحسن بفتح الظاء وهو موضع الاحتظار اي الحظيرة كذبت قوم لوط بالنذر
انا ارسلنا عليهم حاصبا الا آل لوط نجيناهم بسحر نعمة من عندنا كذلك نجزي
من شكر حاصبا ريحا تحصبهم بالحجارة اي ترميهم بسحر بقطع من الليل وهو السدس الآخر منه وقيل هما سحران
فالسحر الاعلى قبل انصداع الفجر والآخر عند انصداعه وانشد مرت باعلى السحرين تذأل وصرف لانه نكرة
ويقال لقيته سحرا اذا لقيته في سحر يومه نعمة انعاما منا من شكر نعمة الله بايمانه وطاعته ولقد
انذرهم بطشتنا فتماروا بالنذر ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا اعينهم
فذوقوا عذابي ونذر ولقد انذرهم لوط عليه السلام بطشتنا اخذتنا بالعذاب فتماروا فكذبوا بالنذر
متشاكين فطمسنا اعينهم فمسحناها وجعلناها كسائر الوجه لا يرى لها شق روي انهم لما عالجوا باب لوط عليه السلام
ليدخلوا قالت الملائكة خلهم يدخلوا انا رسل ربك لن يصلوا اليك فصفقهم جبريل عليه السلام بجناحه صفقة فتركهم
يترددون لا يهتدون الى الباب حتى اخرجهم لوط عليه السلام فذوقوا فقلت لهم ذوقوا على السنة الملائكة
ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر فذوقوا عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن
للذكر فهل من مدكر بكرة اول النهار وباكره كقوله تعالى مشرقين ومصبحين وقرأ زيد بن علي رضي الله عنهما
بكرة غير مصروفة تقول اتيته بكرة وغدوة بالتنوين اذا اردت التنكير وغدوة وبكرة اذا عرفت وقصدت بكرة نهارك
وغدوته عذاب مستقر ثابت قد استقر عليهم الى ان يفضي بهم الى عذاب الآخرة فان قلت ما فائدة تكرير قوله
فذوقوا عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر قلت فائدته ان يجددوا عند استماع كل نبأ من
انباء الاولين ادكارا واتعاظا وان يستأنفوا تنبها واستيقاظا اذا سمعوا الحث على ذلك والبعث عليه وان يقرع
لهم العصا مرات ويقعقع لهم الشن تارات لئلا يغلبهم السهو ولا يستولي عليهم الغفلة وهذا حكم التكرير كقوله تعالى فبأي
آلاء ربكما تكذبان عند كل نعمة عدها في سورة الرحمن وقوله تعالى ويل يومئذ للمكذبين عند كل آية اوردها في سورة والمرسلات
وكذلك تكرير الانباء والقصص في انفسها لتكون تلك العبر حاضرة للقلوب مصورة للاذهان مذكورة غير منسية في كل اوان
ولقد جاء آل فرعون النذر كذبوا بآياتنا كلها فاخذناهم اخذ عزيز مقتدر
النذر موسى وهرون عليهما السلام وغيرهما من الانبياء صلوات الله تعالى عليهم ما انذر به المرسلون او جمع نذير وهو الانذار
بآياتنا كلها بالآيات التسع اخذ عزيز لا يغالب مقتدر لا يعجزه شيء اكفاركم خير من اولئكم ام لكم براءة
في الزبر ام يقولون نحن جميع منتصر سيهزم الجمع ويولون الدبر اكفاركم يا اهل مكة خير
من اولئكم الكفار المعدودين قوم نوح وهود وصالح ولوط عليهم السلام وآل فرعون اي اهم خير قوة وآلة ومكانة في الدنيا او
اقل كفرا وعنادا يعني ان كفاركم مثل اولئك بل شر منهم ام انزلت عليكم يا اهل مكة براءة في الكتب المتقدمة ان من
كفر منكم وكذب الرسل كان آمنا من عذاب الله تعالى فامنتم بتلك البراءة نحن جميع جماعة امرنا مجتمع منتصر ممتنع لا نرام او
نضام وعن ابي جهل لعنه الله تعالى انه ضرب فرسه يوم بدر فتقدم في الصف وقال نحن ننتصر اليوم من محمد واصحابه فنزلت
سيهزم الجمع وعن عكرمة لما نزلت هذه الآية قال عمر رضي الله تعالى عنه اي جمع يهزم فلما رأى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يثب في الدرع

ويقول

ويقول سيهزم الجمع عرفت تأويلها ويولون الدبر اي الادبار كما قال كلوا في بعض بطنكم تعفوا وقرئ الادبار بل الساعة
موعدهم والساعة ادهى وامر ان المجرمين في ضلال وسعر ادهى اشد وافظع والداهية
الامر المنكر الذي لا يهتدي لدوائه وامر من الهزيمة والقتل والاسر وقرئ سيهزم الجمع في ضلال وسعر في هلاك ونيران
او في ضلال عن الحق في الدنيا ونيران في الآخرة يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس
سقر انا كل شيء خلقناه بقدر وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر مس سقر كقولك
وجد مس الحمى وذاق طعم الضرب لان النار اذا اصابتهم بحرها ولحقتهم بايلامها فكانها تمسهم مسا بذلك كما يمس
الحيوان ويباشر بما يؤذي ويؤلم وذوقوا على ارادة القول وسقر علم لجهنم من سقرته النار وصقرته اذا لوحته قال ذو الرمة
اذا ذابت الشمس اتقى صقراتها بافنان مربوع الصريمة معبل وعدم صرفها للتعريف والتأنيث كل شيء منصوب
بفعل مضمر يفسره الظاهر وقرئ كل شيء بالرفع والقدر والقدر التقدير وقرئ بهما اي خلقنا كل شيء مقدرا محكما مرتبا
على حسب ما اقتضته الحكمة او مقدرا مكتوبا في اللوح معلوما قبل كونه قد علمنا حاله وزمانه وما امرنا الا واحدة الا كلمة واحدة
سريع التكوين كلمح بالبصر اراد قوله كن يعني اذا اردنا تكوين شيء لم يلبث كونه ولقد اهلكنا اشياعكم فهل
من مدكر وكل شيء فعلوه في الزبر وكل صغير وكبير مستطر ان المتقين في جنات
ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر اشياعكم اشباهكم في الكفر من الامم في الزبر في دواوين
الحفظة وكل صغير وكبير من الاعمال ومن كل ما هو كائن مستطر مسطور في اللوح ونهر وانهار اكتفى باسم الجنس وقيل هو
السعة والضياء من النهار وقرئ بسكون الهاء ونهر جمع نهر كاسد واسد في مقعد صدق في مكان مرضي وقرئ في
مقاعد صدق عند مليك مقتدر مقربين عند مليك مبهم امره في الملك والاقتدار فلا شيء الا وهو تحت ملكه وقدرته فاي منزلة
اكرم من تلك المنزلة واجمع للغبطة كلها والسعادة باسرها عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة
القمر في كل غب بعثه الله تعالى يوم القيمة ووجهه مثل القمر ليلة البدر

سورة الرحمن جل وعلا

مكية وقيل مدنية وقيل فيها مكي ومدني وهي ست وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الرحمن علم القرآن خلق الانسان
علمه البيان عدد الله عز وجل آلاءه فاراد ان يقدم اول شيء ما هو اسبق قدما من ضروب آلائه واصناف نعمائه
وهي نعمة الدين فقدم من نعمة الدين ما هو في اعلى مراتبها واقصى مراقيها وهو انعامه بالقرآن وتنزيله وتعليمه لانه اعظم وحي الله
رتبة واعلاه منزلة واحسنه في ابواب الدين اثرا وهو سنام الكتب السماوية ومصداقها والعيار عليها واخر ذكر خلق الانسان
عن ذكره ثم اتبعه اياه ليعلم انه انما خلقه للدين وليحيط علما بوحيه وكتبه وما خلق الانسان من اجله وكان الغرض في انشائه
كان مقدما عليه وسابقا له ثم ذكر ما تميز به من سائر الحيوان من البيان وهو المنطق الفصيح المعرب عما في الضمير والرحمن مبتدأ
وهذه الافعال مع ضمائرها اخبار مترادفة واخلاؤها عن العاطف لمجيئها على نمط التعديد كما تقول زيد اغناك بعد فقر
اعزك بعد ذل كثرك بعد قلة فعل بك ما لم يفعل احد باحد فما تنكر من احسانه الشمس والقمر بحسبان والنجم
والشجر يسجدان بحسبان بحساب معلوم وتقدير سوي يجريان في بروجهما ومنازلهما وفي ذلك منافع
للناس عظيمة منها علم السنين والحساب والنجم النبات الذي ينجم من الارض لا ساق له كالبقول والشجر الذي له ساق
وسجودهما انقيادهما لله عز وجل فيما خلقا له وانهما لا يمتنعان تشبيها بالساجدين من المكلفين في انقيادهم فان قلت
كيف اتصلت هاتان الجملتان بالرحمن قلت استغنى فيهما عن الوصل اللفظي بالوصل المعنوي لما علم ان الحسبان حسبانه
والسجود له لا لغيره كانه قيل الشمس والقمر بحسبانه والنجم والشجر يسجدان له فان قلت كيف اخل بالعاطف في الجمل الاول
ثم جيء به بعد قلت بكت بتلك الجمل الواردة على سنن التعديد ليكون كل واحدة من الجمل مستقلة في تقريع الذين انكروا
الرحمن وآلاءه كما يبكت منكر ايادي المنعم عليه من الناس بتعديدها عليه في المثال الذي قدمته ثم رد الكلام الى منهاجه بعد التبكيت في
وصل ما يجب وصله للتناسب والتقارب بالعاطف فان قلت اي تناسب بين هاتين الجملتين حتى وسط بينهما العاطف

قلت ان الشمس والقمر سماويان والنجم والشجر ارضيان فبين القبيلين تناسب من حيث التقابل وان السماء والارض لا تزالان تذكران قرينتين وان جري الشمس والقمر بحسبان من جنس الانقياد لامر الله تعالى فهو مناسب لسجود النجم والشجر
وقيل علم القران جعله علامة وآية وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما الانسان آدم عليه السلام وعنه محمد صلى الله عليه وسلم وعن مجاهد النجم نجوم السماء

والسماء رفعها ووضع الميزان الا تطغوا في الميزان

والسماء رفعها خلقها مرفوعة مسموكة حيث جعلها منشأ احكامه ومصدر قضاياه ومتنزل اوامره ونواهيه ومسكن ملائكته الذين يهبطون بالوحي على انبيائه ونبه بذلك على كبرياء شانه وملكه وسلطانه ووضع الميزان وفي قراءة عبد الله وخفض الميزان والمراد به كل ما يوزن به الاشياء ويعرف مقاديرها من ميزان وقسطاس ومكيال ومقياس اي خلقه موضوعا مخفوضا على الارض حيث علق به احكام عباده وقضاياهم وما تعبدهم به من التسوية والتعديل في اخذهم واعطائهم الا تطغوا لئلا تطغوا او هي ان المفسرة وقرأ عبد الله لا تطغوا بغير ان على ارادة القول

واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان

واقيموا الوزن بالقسط وقوموا وزنكم بالعدل ولا تخسروا الميزان ولا تنقصوه امر بالتسوية ونهى عن الطغيان الذي هو اعتداء وزيادة وعن الخسران الذي هو تطفيف ونقصان وكرر لفظ الميزان تشديدا للتوصية به وتقوية للامر باستعماله والحث عليه وقرئ والسماء بالرفع ولا تخسروا بفتح التاء وضم السين وكسرها وفتحها يقال خسر الميزان يخسره ويخسره واما الفتح فعلى ان الاصل ولا تخسروا في الميزان فحذف الجار واوصل الفعل

والارض وضعها للانام فيها فاكهة والنخل ذات الاكمام والحب ذو العصف والريحان فباي آلاء ربكما تكذبان

ووضعها خفضها مدحوة على الماء للانام للخلق وهو كل ما على ظهر الارض من دابة وعن الحسن الانس والجن فهي كالمهاد لهم يتصرفون فوقها فاكهة ضروب مما يتفكه به والاكمام كل ما يكم اي يغطي من ليفه وسعفه وكفراه وكله منتفع به كما ينتفع بالمكموم من ثمره وجماره وجذوعه وقيل الاكمام اوعية الثمر الواحد كم بكسر الكاف والعصف ورق الزرع وقيل التبن والريحان الرزق وهو اللب اراد فيها ما يتلذذ به من الفواكه والجامع بين التلذذ والتغذي وهو ثمر النخل وما يتغذى به وهو الحب وقرئ والريحان بالكسر ومعناه والحب ذو العصف الذي هو علف الانعام والريحان الذي هو مطعم الناس وبالضم على وذو الريحان فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وقيل معناه وفيها الريحان الذي يشم وفي مصاحف اهل الشام والحب ذا العصف والريحان اي وخلق الحب والريحان او واخص الحب والريحان ويجوز ان يراد وذا الريحان فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه والخطاب في ربكما للثقلين بدلالة الانام عليهما وقوله تعالى سنفرغ لكم ايه الثقلان

خلق الانسان من صلصال كالفخار وخلق الجان من مارج من نار فباي آلاء ربكما تكذبان

الصلصال الطين اليابس له صلصلة والفخار الطين المطبوخ بالنار وهو الخزف **فان قلت** قد اختلف التنزيل في هذا وهو قوله عز وجل من حمإ مسنون من طين لازب من تراب **قلت** هو متفق في المعنى ومفيد انه خلقه من تراب جعله طينا ثم حمأ مسنونا ثم صلصالا والجان ابو الجن وقيل هو ابليس والمارج اللهب الصافي الذي لا دخان فيه وقيل المختلط بسواد النار من مرج الشيء اذا اضطرب واختلط **فان قلت** فما معنى قوله تعالى من نار **قلت** هو بيان لمارج كانه قيل من صاف من نار او مختلط من نار او اراد من نار مخصوصة كقوله تعالى فانذرتكم نارا تلظى

رب المشرقين ورب المغربين فباي آلاء ربكما تكذبان

وقرئ رب المشرقين ورب المغربين بالجر بدلا من ربكما اراد مشرقي الصيف والشتاء ومغربيهما

مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان فباي آلاء ربكما تكذبان

مرج البحرين ارسل البحر الملح والبحر العذب متجاورين متلاقيين لا فصل بين الماءين في مرأى العين بينهما برزخ حاجز من قدرة الله تعالى لا يبغيان لا يتجاوزان حديهما ولا يبغي احدهما على الآخر بالممازجة

يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان فباي آلاء ربكما تكذبان

وقرئ يخرج ويخرج من اخرج وخرج ويخرج اي الله عز وجل اللؤلؤ والمرجان بالنصب ونخرج بالنون واللؤلؤ الدر والمرجان هذا الخرز الاحمر وهو البسذ وقيل اللؤلؤ كبار الدر والمرجان صغاره **فان قلت** لم قال منهما وانما يخرجان من الملح **قلت** لما التقيا وصارا كالشيء الواحد جاز ان يقال يخرجان منهما كما يقال يخرجان من البحر ولا يخرجان من جميع البحر ولكن من بعضه وتقول خرجت من البلد وانما خرجت من محلة من محاله بل من دار واحدة من دوره وقيل لا يخرجان الا من ملتقى الملح والعذب

وله الجوار المنشآت في البحر كالاعلام فباي آلاء ربكما تكذبان

الجواري السفن وقرئ الجوار بحذف الياء
ورفع الراء ونحوه لها ثنايا اربع حسان واربع فكلها ثمان والمنشآت المرفوعات الشرع وقرئ بكسر الشين وهي الرافعات الشرع او اللاتي ينشئن الامواج بجريهن والاعلام جمع علم وهو الجبل الطويل

كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام فباي آلاء ربكما تكذبان

عليها على الارض وجه ربك ذاته والوجه يعبر به عن الجملة والذات ومساكين مكة يقولون اين وجه عربي كريم ينقذني من الهوان وذو الجلال والاكرام صفة الوجه وقرأ عبد الله ذي على صفة ربك ومعناه الذي يجله الموحدون عن التشبيه بخلقه وعن افعالهم او الذي يقال له ما اجلك واكرمك او من عنده الجلال والاكرام للمخلصين من عباده وهذه الصفة من عظيم صفات الله تعالى ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الظوا بيا ذا الجلال والاكرام وعنه عليه الصلوة والسلام انه مر برجل وهو يصلي ويقول يا ذا الجلال والاكرام فقال قد استجيب لك **فان قلت** ما النعمة في ذلك **قلت** اعظم النعمة وهو مجيء وقت الجزاء عقيب ذلك

يسأله من في السموات والارض كل يوم هو في شان فباي آلاء ربكما تكذبان

كل من اهل السموات والارض مفتقرون اليه فيسأله اهل السموات ما يتعلق بدينهم واهل الارض ما يتعلق بدينهم ودنياهم كل يوم هو في شان اي كل وقت وحين يحدث امورا ويجدد احوالا كما روي عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه تلاها فقيل له وما ذلك الشان فقال من شانه ان يغفر ذنبا ويكشف كربا ويرفع قوما ويضع آخرين وعن ابن عيينة رحمه الله تعالى الدهر عنده يومان احدهما اليوم الذي هو مدة الدنيا فشانه فيه الامر والنهي والاماتة والاحياء والاعطاء والمنع والآخر يوم القيمة فشانه فيه الجزاء والحساب وقيل نزلت في اليهود لعنهم الله تعالى حين قالوا ان الله تعالى لا يقضي يوم السبت شيئا وسأل بعض الملوك وزيره عنها فاستمهله الى الغد وذهب كئيبا يفكر فيها فقال غلام له اسود يا مولاي اخبرني ما اصابك لعل الله تعالى يسهل لك على يدي فاخبره فقال انا افسرها للملك فدعاه فقال ايها الملك شان الله تعالى انه يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل ويخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويشفي سقيما ويسقم سليما ويبتلي معافى ويعافي مبتلى ويعز ذليلا ويذل عزيزا ويفقر غنيا ويغني فقيرا فقال الامير احسنت وامر الوزير ان يخلع عليه ثياب الوزارة فقال يا مولاي هذا من شان الله عز وجل وعن عبد الله بن طاهر انه دعا الحسين بن الفضل وقال له اشكلت علي ثلاث آيات دعوتك لتكشفها لي قوله تعالى فاصبح من النادمين وقد صح ان الندم توبة وقوله تعالى كل يوم هو في شان وقد صح ان القلم جف بما هو كائن الى يوم القيمة وقوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى فما بال الاضعاف فقال الحسين يجوز ان لا يكون الندم توبة في تلك الامة ويكون توبة في هذه الامة لان الله عز وجل خص هذه الامة بخصائص لم تشاركهم فيها الامم وقيل ان ندم قابيل لم يكن على قتل هابيل عليه السلام ولكن على حمله واما قوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى فمعناه ليس له الا ما سعى عدلا ولي ان اجزيه بواحدة الفا فضلا واما قوله تعالى كل يوم هو في شان فانها شؤون يبديها لا شؤون يبتديها فقام عبد الله وقبل راسه وسوغ خراجه

سنفرغ لكم ايه الثقلان فباي آلاء ربكما تكذبان

سنفرغ لكم مستعار من قول الرجل لمن يتهدده سافرغ لك يريد سأتجرد للايقاع بك من كل ما يشغلني عنه حتى لا يكون لي شغل سواه والمراد التوفر على النكاية فيه والانتقام منه ويجوز ان يراد ستنتهي الدنيا وتبلغ آخرها وتنتهي عند ذلك شؤون الخلق التي ارادها بقوله تعالى كل يوم هو في شان فلا يبقى الا شان واحد وهو جزاؤكم فجعل ذلك فراغا لهم على طريق المثل وقرئ سيفرغ لكم اي الله تعالى وسأفرغ وسنفرغ بالنون مفتوحا ومكسورا وبفتح الراء وسيفرغ بالياء مفتوحا ومضموما مع فتح الراء وفي قراءة ابي رضي الله تعالى عنه سنفرغ اليكم بمعنى سنقصد اليكم والثقلان الانس والجن سميا بذلك لانهما ثقلا الارض

يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان فباي آلاء ربكما تكذبان

يا معشر الجن والانس كالترجمة لقوله تعالى ايه الثقلان ان استطعتم ان تهربوا من قضائي وتخرجوا من ملكوتي ومن سمائي وارضي فافعلوا ثم قال لا تقدرون على النفوذ الا بسلطان يعني بقوة وقهر وغلبة وانى لكم ذلك ونحوه وما انتم بمعجزين في الارض ولا في السماء وروي ان الملائكة تنزل فتحيط بجميع الخلائق فاذا رآهم الجن والانس هربوا فلا ياتون وجها الا وجدوا الملائكة احاطت بهم

يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران فباي آلاء ربكما تكذبان

شواظ ونحاس كلاهما بالضم والكسر والشواظ اللهب الخالص والنحاس الدخان وانشد

تغشى كضوء السراج السليط لم يجعل الله فيه دخانا وقيل الصفر المذاب يصب على رؤسهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما اذا خرجوا من قبورهم ساقهم شواظ الى المحشر وقرئ ونحس جمع نحاس وهو الدخان نحو لحاف ولحف وقرئ ونحس اي ونعذب بالعذاب وقرئ نرسل عليكما شواظا من نار ونحاسا فلا تنتصران فلا تمتنعان **فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان فباي آلاء ربكما تكذبان** وردة حمراء كالدهان كدهن الزيت كما قال كالمهل وهو دردي الزيت وهو جمع دهن او اسم ما يدهن به كالحزام والادام قال الشاعر كانهما مزادتا متعجل فريان لما تدهنا بدهان وقيل الدهان الاديم الاحمر وقرأ عمرو بن عبيد وردة بالرفع بمعنى فحصلت سماء وردة وهو من الكلام الذي يسمى التجريد كقوله فلئن بقيت لارحلن بغزوة نحو الغنائم او يموت كريم **فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان فباي آلاء ربكما تكذبان** انس بعض من الانس ولا جان اريد به ولا جن اي ولا بعض من الجن فوضع الجان الذي هو ابو الجن موضع الجن كما يقال هاشم ويراد ولده وانما وحد ضمير الانس في قوله تعالى عن ذنبه لكونه في معنى البعض ولا يعرفون لانهم يعرفون بسيما المجرمين وهي سواد الوجوه وزرقة العيون **فان قلت** هذا خلاف قوله تعالى فوربك لنسألنهم اجمعين وقوله وقفوهم انهم مسؤلون **قلت** ذلك يوم طويل فيه مواطن فيسألون في موطن ولا يسألون في آخر قال قتادة قد كانت مسئلة ثم ختم على افواه القوم وتكلمت ايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون وقيل لا يسأل عن ذنبه ليعلم من جهته ولكن يسأل سؤال توبيخ وقرأ الحسن وعمرو بن عبيد ولا جأن فرارا عن التقاء الساكنين وان كان على حده **يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والاقدام فباي آلاء ربكما تكذبان** فيؤخذ بالنواصي والاقدام عن الضحاك يجمع بين ناصيته وقدمه في سلسلة من وراء ظهره وقيل تسحبهم الملائكة تارة تأخذ بالنواصي وتارة تأخذ بالاقدام **هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن فباي آلاء ربكما تكذبان** حميم آن حار قد انتهى حره ونضجه اي يعاقب عليهم بين التصلية بالنار وبين شرب الحميم وقيل اذا استغاثوا من النار جعل غياثهم الحميم وقيل ان واديا من اودية جهنم يجتمع فيه صديد اهل النار فينطلق بهم في الاغلال فيغمسون فيه حتى تنخلع اوصالهم ثم يخرجون منها وقد احدث الله لهم خلقا جديدا وقرئ يطوّفون من التطويف ويطوفون اي يتطوفون ويطافون وفي قراءة عبد الله هذه جهنم التي كنتما بها تكذبان تصليان لا تموتان فيها ولا تحييان يطوفون بينها ونعمة الله تعالى فيما ذكره من هول العذاب وفي نجاة الناجي منه برحمته وفضله وما في الانذار به من اللطف **ولمن خاف مقام ربه جنتان فباي آلاء ربكما تكذبان** مقام ربه موقفه الذي يقف فيه العباد للحساب يوم القيمة يوم يقوم الناس لرب العالمين ونحوه ولمن خاف مقامي ويجوز ان يراد بمقام ربه ان الله قائم عليه اي حافظ مهيمن من قوله تعالى افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت فهو يراقب ذلك فلا يجسر على معصيته وقيل هو مقحم كما تقول اخاف جانب فلان وفعلت هذا لمكانك وانشد ذعرت به القطا ونفيت عنه مقام الذئب كالرجل اللعين يريد ونفيت عنه الذئب **فان قلت** لم قال جنتان **قلت** الخطاب للثقلين فكانه قيل لكل خائفين منكما جنتان جنة للخائف الانسي وجنة للخائف الجني ويجوز ان يقال جنة لفعل الطاعات وجنة لترك المعاصي لان التكليف دائر عليهما وان يقال جنة يثاب بها واخرى تضم اليها على وجه التفضل كقوله تعالى وزيادة **ذواتا افنان فباي آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان تجريان فباي آلاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان فباي آلاء ربكما تكذبان** خص الافنان بالذكر وهي الغصنة التي تتشعب من فروع الشجرة لانها هي التي تورق وتثمر فمنها تمتد الظلال ومنها تجتنى الثمار وقيل الافنان الوان النعم ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين قال ومن كل افنان اللذاذة والصبا لهوت به والعيش اخضر ناضر عينان تجريان حيث شاؤا في الاعالي والاسافل وقيل تجريان من جبل من مسك وعن الحسن تجريان بالماء الزلال احداهما التسنيم والاخرى السلسبيل زوجان صنفان وقيل صنف معروف وصنف غريب **متكئين على فرش بطائنها من استبرق وجنا الجنتين دان فباي آلاء ربكما تكذبان فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان فباي آلاء ربكما تكذبان كانهن الياقوت والمرجان فباي آلاء ربكما تكذبان** متكئين نصب على المدح للخائفين او حال منهم لان من خاف في معنى الجمع بطائنها من استبرق من ديباج ثخين واذا كانت البطائن

من الاستبرق فما ظنكم بالظهائر وقيل ظهائرها من سندس وقيل من نور دان قريب يناله القائم والقاعد والنائم وقرئ وجنى بكسر الجيم فيهن في هذه الآلاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش والجنى او في الجنتين لاشتمالهما على اماكن وقصور ومجالس قاصرات الطرف نساء قصرن ابصارهن على ازواجهن لا ينظرن الى غيرهم لم يطمث الانسيات منهن احد من الانس ولا الجنيات احد من الجن وهذا دليل على ان الجن يطمثون كما يطمث الانس وقرئ لم يطمثهن بضم الميم قيل هن في صفاء الياقوت وبياض المرجان وصغار اللؤلؤ انصع بياضا قيل ان الحوراء تلبس سبعين حلة فيرى مخ ساقها من ورائها كما يرى الشراب الاحمر في الزجاجة البيضاء **هل جزاء الاحسان الا الاحسان فباي آلاء ربكما تكذبان ومن دونهما جنتان فباي آلاء ربكما تكذبان مدهامتان فباي آلاء ربكما تكذبان** هل جزاء الاحسان في العمل الا الاحسان في الثواب وعن محمد بن الحنفية رضي الله تعالى عنه هي مسجلة للبر والفاجر اي مرسلة يعني ان كل من احسن احسن اليه وكل من اساء اسيء اليه ومن دونهما ومن دون تينك الجنتين الموعودتين للمقربين جنتان لمن دونهم من اصحاب اليمين مدهامتان قد ادهامتا من شدة الخضرة **فيهما عينان نضاختان فباي آلاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان فباي آلاء ربكما تكذبان فيهن خيرات حسان فباي آلاء ربكما تكذبان** نضاختان فوارتان بالماء والنضخ اكثر من النضح غير معجمة مثل الرش **فان قلت** لم عطف النخل والرمان على الفاكهة وهما منها **قلت** اختصاصا لهما وبيانا لفضلهما كانهما لما لهما من المزية جنسان آخران كقوله تعالى جبريل وميكال او لان النخل ثمره فاكهة وطعام والرمان فاكهة ودواء فلم يخلصا للتفكه ومنه قال ابو حنيفة رحمه الله تعالى اذا حلف لا يأكل فاكهة فاكل رمانا او رطبا لم يحنث وخالفه صاحباه خيرات خيرات فخففت كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم هينون لينون واما خير الذي هو بمعنى اخير فلا يقال فيه خيرون ولا خيرات وقرئ خيرات على الاصل والمعنى فاضلات الاخلاق حسان الخلق **حور مقصورات في الخيام فباي آلاء ربكما تكذبان لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان فباي آلاء ربكما تكذبان** مقصورات قصرن في خدورهن يقال امرأة قصيرة وقصورة ومقصورة مخدرة وقيل ان الخيمة من درة مجوفة قبل اصحاب الجنتين دل عليهم ذكر الجنتين **متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان فباي آلاء ربكما تكذبان تبارك اسم ربك ذو الجلال والاكرام** متكئين نصب على الاختصاص والرفرف ضرب من البسط وقيل البسط وقيل الوسائد وقيل كل ثوب عريض رفرف وقيل لاطراف البسط وفضول الفسطاط رفارف ورفرف السحاب هيدبه والعبقري منسوب الى عبقر تزعم العرب انه بلد الجن فينسبون اليه كل شيء عجيب وقرئ رفارف خضر بضمتين وعباقري كمدايني نسبة الى عباقر في اسم البلد وروى ابو حاتم عباقري بفتح القاف ومنع الصرف وهذا لا وجه لصحته **فان قلت** كيف تقاصرت صفات هاتين الجنتين عن الاوليين حتى قيل ومن دونهما **قلت** مدهامتان دون ذواتا افنان ونضاختان دون تجريان وفاكهة دون كل فاكهة وكذلك صفة الحور والمتكأ وقرئ ذو الجلال صفة للاسم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الرحمن ادى شكر ما انعم الله تعالى عليه

سورة الواقعة مكية

وهي سبع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم اذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة خافضة رافعة وقعت الواقعة كقولك كانت الكائنة وحدثت الحادثة والمراد القيامة وصفت بالوقوع لانها تقع لا محالة فكانه قيل اذا وقعت التي لا بد من وقوعها ووقوع الامر نزوله يقال وقع ما كنت اتوقعه اي نزل ما كنت اترقب نزوله **فان قلت** بم انتصب اذا **قلت** بليس كقولك يوم الجمعة ليس لي شغل او بمحذوف يعني اذا وقعت كان كيت وكيت او باضمار اذكر كاذبة نفس كاذبة اي لا تكون حين تقع نفس تكذب على الله تعالى وتكذب في تكذيب الغيب لان كل نفس حينئذ مؤمنة صادقة مصدقة واكثر النفوس اليوم كواذب مكذبات كقوله عز وجل فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده لا يؤمنون حتى يروا العذاب الاليم ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة واللام مثلها في قوله تعالى يا ليتني قدمت لحياتي

او ليس لها نفس تكذبها وتقول لها لم تكوني كما لها اليوم نفوس كثيرة يكذبنها يقلن لها لن تكوني او هي من قولهم كذبت

فلانا نفسه في الخطب العظيم اذا شجعته على مباشرته وقالت له انك تطيقه وما فوقه فتعرض له ولا تبال على معنى انها وقعة

لا تطاق شدة وفظاعة وان لا نفس حينئذ تحدث صاحبها بما تحدثه به عند عظائم الامور وتزين له احتمالها واطاقتها

لانهم يومئذ اضعف من ذلك واذل الا ترى الى قوله تعالى كالفراش المبثوث والفراش مثل في الضعف وقيل كاذبة مصدر

كالعاقبة بمعنى التكذيب من قولك حمل على قرنه فما كذب اي فما جبن وحقيقته فما كذب نفسه فيما حدثته به من اطاقته له

واقدامه عليه قال زهير • اذا ما الليث كذب عن اقرانه صدقا • اي اذا وقعت لم يكن لها رجعة ولا ارتداد خافضة رافعة

ترفع اقواما وتضع آخرين اما وصفا لها بالشدة لان الواقعات العظام كذلك يرتفع فيها ناس الى مراتب ويتضع ناس عن مراتبهم

واما لان الاشقياء يحطون الى الدركات والسعداء يرفعون الى الدرجات واما انها تزلزل الاشياء وتزيلها عن

مقارها فتخفض بعضا وترفع بعضا حيث تسقط السماء كسفا وتنتثر الكواكب وتنكدر وتسير الجبال فتمر في الجو مر السحاب وقرئ

خافضة رافعة بالنصب على الحال **اذا رجت الارض رجا وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا وكنتم ازواجا ثلاثة** رجت حركت تحريكا شديدا حتى ينهدم كل شيء فوقها من جبل وبناء

وبست الجبال وفتتت حتى تعود كالسويق او سيقت من بس الغنم اذا ساقها كقوله تعالى وسيرت الجبال منبثا

متفرقا وقرئ بالتاء اي منقطعا وقرئ رجت وبست اي ارتجت وذهبت وفي كلام بنت الخس عينها هاج وصلاها

راج وهي تمشي وتفاج **فان قلت** بم انتصب اذا رجت **قلت** هو بدل من اذا وقعت ويجوز ان

ينتصب بخافضة رافعة اي تخفض وترفع وقت رج الارض وبس الجبال لان عند ذلك ينخفض ما هو مرتفع ويرتفع ما هو

منخفض ازواجا اصنافا يقال للاصناف التي بعضها مع بعض ازواج **فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة

واصحاب المشامة ما اصحاب المشامة** فاصحاب الميمنة الذين يؤتون صحائفهم بايمانهم واصحاب المشامة الذين

يؤتونها بشمائلهم او اصحاب المنزلة السنية واصحاب المنزلة الدنية من قولك فلان مني باليمين وفلان مني بالشمال اذا

وصفتهما بالرفعة عندك والضعة وذلك لتيمنهم بالميامن وتشاؤمهم بالشمائل ولتفاؤلهم بالسانح وتطيرهم

من البارح ولذلك اشتقوا لليمين الاسم من اليمن وسموا الشمال الشؤمى وقيل اصحاب الميمنة واصحاب المشامة اصحاب

اليمن والشؤم لان السعداء ميامين على انفسهم بطاعتهم والاشقياء مشائيم عليها بمعصيتهم وقيل يؤخذ باهل الجنة ذات اليمين

وباهل النار ذات الشمال **والسابقون السابقون اولئك المقربون في جنات النعيم ثلة

من الاولين وقليل من الآخرين** والسابقون المخلصون الذين سبقوا الى ما دعاهم الله تعالى اليه وشقوا

الغبار في طلب مرضاة الله تعالى وقيل الناس ثلاثة فرجل ابتكر الخير في حداثة سنه ثم داوم عليه حتى خرج من الدنيا

فهذا السابق المقرب ورجل ابتكر عمره بالذنب وطول الغفلة ثم تراجع بتوبة فهذا صاحب اليمين ورجل ابتكر الشر

في حداثة سنه ثم لم يزل عليه حتى خرج من الدنيا فهذا صاحب الشمال ما اصحاب الميمنة وما اصحاب المشامة تعجيب من

حال الفريقين في السعادة والشقاوة والمعنى اي شيء هم والسابقون السابقون يريد والسابقون من عرفت

حالهم وبلغك وصفهم كقوله وعبد الله عبد الله وقول ابي النجم وشعري شعري كانه قال وشعري ما انتهى اليك وسمعت بفصاحته

وبراعته وقد جعل السابقون تاكيدا واولئك المقربون خبرا وليس بذاك ووقف بعضهم على والسابقون وابتدا

السابقون اولئك المقربون والصواب ان يوقف على الثاني لانه تمام الجملة وهو في مقابلة ما اصحاب الميمنة وما اصحاب المشامة

المقربون في جنات النعيم الذين قربت درجاتهم في الجنة من العرش واعليت مراتبهم وقرئ في جنة النعيم الثلة الامة من

الناس الكثيرة قال • وجاءت اليه ثلة خندفية • بجيش كتيار من السيل مزبد • وقوله تعالى وقليل من الآخرين كفى به

دليلا على الكثرة وهي من الثل وهو الكسر كما ان الامة من الام وهو الشج كانها جماعة كسرت من الناس وقطعت منهم والمعنى ان

السابقين كثير من الاولين وهم الامم من لدن آدم الى محمد صلى الله تعالى عليهما وسلم وقليل من الآخرين وهي امة محمد عليه

الصلوة والسلام وقيل من الاولين من متقدمي هذه الامة ومن الآخرين من متاخريها وعن النبي صلى الله عليه وسلم

الثلتان جميعا من امتي **فان قلت** كيف قال وقليل من الآخرين ثم قال وثلة من الآخرين **قلت** هذا في

السابقين وذاك في اصحاب اليمين وانهم يتكاثرون من الاولين والآخرين جميعا **فان قلت** فقد روي انها لما

٤٦٧

نزلت شق ذلك على المسلمين فما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يراجع ربه عز وجل حتى نزلت ثلة من الاولين وثلة من

الآخرين **قلت** هذا لا يصح لامرين احدهما ان هذه الآية واردة في السابقين ورودا ظاهرا وكذلك الثانية في

اصحاب اليمين الا ترى كيف عطف اصحاب اليمين ووعدهم على السابقين ووعدهم والثاني ان النسخ في الاخبار غير جائز

وعن الحسن سابقو الامم اكثر من سابقي امتنا وتابعو الامم مثل تابعي هذه الامة وثلة خبر مبتدا محذوف اي هم ثلة

على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين موضونة مرمولة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت قد

دوخل بعضها في بعض كما توضن حلق الدرع قال الاعشى • ومن نسج داود موضونة • وقيل متواصلة ادني بعضها من بعض

متكئين حال من الضمير في على وهو العامل فيها اي استقروا عليها متكئين متقابلين لا ينظر بعضهم في اقفاء بعض وصفوا بحسن

العشرة وتهذيب الاخلاق والآداب **يطوف عليهم ولدان مخلدون باكواب واباريق وكاس من

معين لا يصدعون عنها ولا ينزفون** مخلدون مبقون ابدا على شكل الولدان وحد الوصافة لا يتحولون عنه

وقيل مقرطون والخلدة القرط وقيل هم اولاد اهل الدنيا لم يكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيئات فيعاقبوا عليها

روي عن علي رضي الله تعالى عنه وعن الحسن وفي الحديث اولاد الكفار خدام اهل الجنة الاكواب اوان بلا عرى وخراطيم والاباريق

ذوات الخراطيم لا يصدعون عنها اي بسببها وحقيقته لا يصدر صداعهم عنها او لا يفرقون عنها وقرأ مجاهد لا يصدعون بمعنى

لا يتصدعون لا يتفرقون كقوله عز وجل يومئذ يصدعون ويصدعون اي لا يصدع بعضهم بعضا لا يفرقونهم **وفاكهة مما

يتخيرون ولحم طير مما يشتهون وحور عين كامثال اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا يعملون**

يتخيرون ياخذون خيره وافضله يشتهون يتمنون وقرئ ولحوم طير وقرئ وحور عين بالرفع على وفيها حور عين كبيت الكتاب الا

رواكد جمرهن هباء ومشجج او للعطف على ولدان وبالجر عطفا على جنات النعيم كانه قال هم في جنات وفاكهة ولحم وحور او على

اكواب لان معنى يطوف عليهم ولدان مخلدون باكواب ينعمون باكواب وبالنصب على ويؤتون حورا جزاء مفعول له اي يفعل بهم

ذلك كله جزاء باعمالهم **لا يسمعون فيها لغوا ولا تاثيما الا قيلا سلاما سلاما** سلاما سلاما اما بدل

من قيلا بدليل قوله تعالى لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما واما مفعول له لقيلا بمعنى لا يسمعون فيها الا ان يقولوا سلاما سلاما

والمعنى انهم يفشون السلام بينهم فيسلمون سلاما بعد سلام وقرئ سلام سلام على الحكاية **واصحاب اليمين

ما اصحاب اليمين في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب**

السدر شجر النبق والمخضود الذي لا شوك له كانما خضد شوكه وعن مجاهد الموقر الذي تثني اغصانه كثرة حمله من خضد الغصن اذا

ثناه وهو رطب والطلح شجر الموز وقيل هو شجر ام غيلان وله نوار كثير طيب الرائحة وعن السدي شجر يشبه طلح الدنيا

ولكن له ثمر احلى من العسل وعن علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه انه قرا وطلع وما شان الطلح وقرا قوله لها طلع نضيد

فقيل له او نحولها فقال آي القرآن لا تهاج اليوم ولا تحول وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما نحوه والمنضود الذي نضد

بالحمل من اسفله الى اعلاه فليست له ساق بارزة وظل ممدود ممتد منبسط لا يتقلص كظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس مسكوب

يسكب لهم اين شاؤا وكيف شاؤا لا يتعنون فيه وقيل دائم الجرية لا ينقطع وقيل مصبوب يجري على الارض في غير اخدود

وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة لا مقطوعة هي دائمة لا تنقطع في بعض الاوقات كفواكه الدنيا ولا

ممنوعة لا تمتنع عن متناولها بوجه ولا يحظر عليها كما يحظر على بساتين الدنيا وقرئ وفاكهة كثيرة بالرفع على وهناك فاكهة

كقوله تعالى وحور عين **وفرش مرفوعة انا انشاناهن انشاء فجعلناهن ابكارا عربا اترابا

لاصحاب اليمين ثلة من الاولين وثلة من الآخرين** وفرش جمع فراش وقرئ وفرش بالتخفيف مرفوعة

نضدت حتى ارتفعت او مرفوعة على الاسرة وقيل هي النساء لان المراة يكنى عنها بالفراش مرفوعة على الارائك

قال الله تعالى هم وازواجهم في ظلال على الارائك متكئون ويدل عليه قوله تعالى انا انشاناهن انشاء ابتدانا خلقهن

ابتداء جديدا من غير ولادة فاما ان يراد اللاتي ابتدي انشاؤهن او اللاتي اعيد انشاؤهن وعن

رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ام سلمة رضي الله تعالى عنها سالته عن قول الله عز وجل انا انشاناهن فقال يا ام سلمة

هن اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز شمطا رمصا جعلهن الله تعالى بعد الكبر اترابا على ميلاد واحد في الاستواء

كلما اتاهن ازواجهن وجدوهن ابكارا فلما سمعت ام المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها ذلك قالت واوجعاه

فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليس هناك وجع وقالت عجوز لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ادع الله
ان يدخلني الجنة فقال ان الجنة لا يدخلها العجائز فولت وهي تبكي فقال عليه الصلوة والسلام اخبروها انها ليست يومئذ
بعجوز وقرأ الآية عُرُبًا وعُرْبًا بالتخفيف جمع عروب وهي المتحببة الى زوجها الحسنة التبعل أترابًا مستويات في السن
بنات ثلاث وثلاثين وازواجهن ايضا كذلك وعن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يدخل اهل الجنة الجنة جردا مردا بيضا
جعادا مكحلين ابناء ثلاث وثلاثين واللام في لاصحاب اليمين من صلة انشأنا وجعلنا **وأصحاب الشمال ما أصحاب**
الشمال في سموم وحميم وظل من يحموم لا بارد ولا كريم انهم كانوا قبل ذلك مترفين
وكانوا يصرون على الحنث العظيم في سموم في حر نار تنفذ في المسام وحميم وماء حار متناه في الحرارة
وظل من يحموم من دخان اسود بهيم لا بارد ولا كريم نفى لصفتي الظل عنه يريد انه ظل ولكن لا كسائر الظلال سماه ظلا ثم
نفى عنه برد الظل وروحه ونفعه لمن يأوي اليه من اذى الحر وذلك كرمه ليمحق ما في مدلول الظل من الاسترواح اليه والمعنى انه ظل
حار ضار الا ان للنفي في نحو هذا شأنا ليس للاثبات وفيه تهكم باصحاب المشأمة وانهم لا يستأهلون الظل البارد الكريم
الذي هو لاضدادهم في الجنة وقرئ لا بارد ولا كريم بالرفع اي لا هو كذلك والحنث الذنب العظيم ومنه قولهم بلغ الغلام
الحنث اي الحلم ووقت المؤاخذة بالمآثم ومنه حنث في يمينه خلاف بر فيها ويقال تحنث اذا تأثم وتحرج
وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون أوآباؤنا الأولون
قل إن الأولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم اوآباؤنا دخلت همزة الاستفهام
على حرف العطف فان قلت كيف حسن العطف على المضمر في لمبعوثون من غير تأكيد بنحن قلت
حسن للفاصل الذي هو الهمزة كما حسن في قوله تعالى ما اشركنا ولا آباؤنا لفصل لا المؤكدة للنفي وقرئ اوآباؤنا وقرئ
لمجموعون الى ميقات يوم معلوم والاضافة بمعنى من كخاتم فضة والميقات ما وقت به الشيء اي حد ومنه مواقيت الاحرام
وهي الحدود التي لا يتجاوزها من يريد دخول مكة الا محرما **ثم انكم أيها الضالون المكذبون لآكلون من شجر**
من زقوم فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم
ايها الضالون عن الهدى المكذبون بالبعث وهم اهل مكة ومن في مثل حالهم من شجر من زقوم من الاولى لابتداء الغاية
والثانية لبيان الشجر وتفسيره وانث ضمير الشجر على المعنى وذكره على اللفظ في قوله تعالى منها وعليه ومن قرأ من شجرة
من زقوم فقد جعل الضميرين للشجرة وانما ذكر الثاني على تأويل الزقوم لانه تفسيرها وهي في معناه شرب الهيم قرئ بالحركات
الثلاث فالفتح والضم مصدران وعن جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه ايام اكل وشرب بفتح الشين واما المكسور فبمعنى
المشروب اي ما يشربه الهيم وهي الابل التي بها الهيام وهو داء تشرب منه فلا تروى جمع اهيم وهيماء قال ذو الرمة فاصبحت
كالهيماء لا الماء مبرد • صداها ولا يقضي عليها هيامها • وقيل الهيم الرمال ووجهه ان يكون جمع الهيام بفتح الهاء وهو
الرمل الذي لا يتماسك جمع على فعل كسحاب وسحب ثم خفف وفعل به ما فعل بجمع ابيض والمعنى انه يسلط عليهم من الجوع ما يضطرهم
الى اكل الزقوم الذي هو كالمهل فاذا ملأوا منه البطون يسلط عليهم من العطش ما يضطرهم الى شرب الحميم الذي يقطع
امعاءهم فيشربونه شرب الهيم فان قلت كيف صح عطف الشاربين على الشاربين وهما لذوات متفقة وصفتان
متفقتان فكان عطفا للشيء على نفسه قلت ليستا بمتفقتين من حيث ان كونهم شاربين للحميم على ما هو عليه
من تناهي الحرارة وقطع الامعاء امر عجيب وشربهم له على ذلك كما تشرب الهيم الماء امر عجيب ايضا فكانتا صفتين مختلفتين
هذا نزلهم يوم الدين نحن خلقناكم فلولا تصدقون النزل الرزق الذي يعد للنازل تكرمة له
وفيه تهكم كما في قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم وكقول ابي الشعر الضبي • وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا • جعلنا القنا
والمرهفات له نزلا • وقرئ نزلهم بالتخفيف فلولا تصدقون تحضيض على التصديق اما بالخلق لانهم وان كانوا مصدقين
الا انهم لما كان مذهبهم خلاف ما يقتضيه التصديق فكأنهم مكذبون به واما بالبعث لان من خلق اولا لم يمتنع عليه ان يخلق ثانيا
أفرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه ام نحن الخالقون نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن
بمسبوقين على ان نبدل امثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون ولقد علمتم النشأة الاولى
فلولا تذكرون ما تمنون ما تمنونه اي تقذفونه في الارحام من النطف وقرأ ابو السمال بفتح التاء يقال امنى النطفة ومناها

قال الله تعالى من نطفة اذا تمنى تخلقونه تقدرونه وتصورونه قدرنا بينكم الموت تقديرا وقسمناه عليكم قسمة الرزق
على اختلاف وتفاوت كما تقتضيه مشيئتنا فاختلفت اعماركم من قصير وطويل ومتوسط وقرئ قدرنا بالتخفيف سبقته
على الشيء اذا اعجزته عنه وغلبته عليه ولم تمكنه منه فمعنى قوله تعالى وما نحن بمسبوقين على ان نبدل امثالكم انا قادرون على ذلك
لا تغلبوننا عليه وامثالكم جمع مثل اي على ان نبدل منكم ومكانكم اشباهكم من الخلق وعلى ان ننشئكم في خلق لا تعلمونها وما عهدتم
بمثلها يعني انا نقدر على الامرين جميعا على خلق ما يماثلكم وما لا يماثلكم فكيف نعجز عن اعادتكم ويجوز ان يكون امثالكم جمع مثل
اي على ان نبدل ونغير صفاتكم التي انتم عليها في خلقكم واخلاقكم وننشئكم في صفات لا تعلمونها وقرئ النشأة والنشاءة
وفي هذا دليل على صحة القياس حيث جهلهم في ترك قياس النشأة الاخرى على الاولى **أفرأيتم ما تحرثون أأنتم**
تزرعونه ام نحن الزارعون لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون افرأيتم ما تحرثون
من الطعام اي تبذرون حبه وتعملون في ارضه انتم تزرعونه تنبتونه وتردونه نباتا يرف وينمي الى ان يبلغ الغاية
وعن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا يقولن احدكم زرعت وليقل حرثت قال ابو هريرة رضي الله تعالى عنه ارأيتم
الى قوله تعالى افرأيتم الآية والحطام من حطم كالفتات والجذاذ من فت وجذ وهو ما صار هشيما وتحطم فظلتم وقرئ بالكسر
فظللتم على الاصل تفكهون تعجبون وعن الحسن تندمون على تعبكم فيه وانفاقكم عليه او على ما اقترفتم من المعاصي التي اصبتم
بذلك من اجلها وقرئ تفكنون ومنه الحديث مثل العالم كمثل الحمة يأتيها البعداء ويتركها القرباء فبيناهم اذ غار ماؤها
فانتفع بها قوم وبقي قوم يتفكنون اي يتندمون انا لمغرمون لملزمون غرامة ما انفقنا او مهلكون لهلاك
رزقنا من الغرام وهو الهلاك بل نحن محرومون محارفون محدودون لا حظ لنا ولا بخت ولو كنا مجدودين لما جرى علينا
هذا وقرئ ائنا **أفرأيتم الماء الذي تشربون أأنتم انزلتموه من المزن ام نحن المنزلون**
لو نشاء جعلناه اجاجا فلولا تشكرون الماء الذي تشربون يريد العذب الشروب المزن السحاب
الواحدة مزنة وقيل هو السحاب الابيض خاصة وهو اعذب ماء اجاجا ملحا زعاقا لا يقدر على شربه فان قلت
لم ادخل اللام على جواب لو في قوله تعالى لجعلناه حطاما ونزعت منه ههنا قلت ان لو لما كانت داخلة على جملتين
معلقة ثانيتهما بالاولى تعلق الجزاء بالشرط ولم تكن مخلصة للشرط كان ولا عاملة مثلها وانما سرى فيها معنى الشرط
اتفاقا من حيث افادتها في مضموني جملتيها ان الثاني امتنع لامتناع الاول افتقرت في جوابها الى ما ينصب علما على هذا
التعلق فزيدت هذه اللام لتكون علما على ذلك فاذا حذفت بعد ما صارت علما مشهورا مكانه فلان الشيء اذا علم
وشهر موقعه وصار مألوفا ومأنوسا به لم يبال باسقاطه عن اللفظ استغناء بمعرفة السامع الا ترى الى ما يحكى عن رؤبة
انه كان يقول خير لمن قال له كيف اصبحت فحذف الجار لعلم كل احد بمكانه وتساوي حال حذفه واثباته لشهرة امره
وناهيك بقول اوس • حتى اذا الكلاب قال لها • كاليوم مطلوبا ولا طلبا • وحذفه لم ارفاذن حذفها اختصار لفظي
وهي ثابتة في المعنى فاستوى الموضعان لا فرق بينهما على ان تقدم ذكرها والمسافة قصيرة مغن عن ذكرها ثانية ونائب
عنه ويجوز ان يقال ان هذه اللام مفيدة معنى التوكيد لا محالة فادخلت في آية المطعوم دون آية المشروب للدلالة على
ان امر المطعوم مقدم على امر المشروب وان الوعيد بفقده اشد واصعب من قبل ان المشروب انما يحتاج اليه تبعا للمطعوم
الا ترى انك انما تسقي ضيفك بعد ان تطعمه ولو عكست قعدت تحت قول ابي العلاء • اذا سقيت ضيوف الناس محضا •
سقوا اضيافهم شبما زلالا • وسقي بعض العرب فقال انا لا اشرب الا على ثميلة ولهذا قدمت آية المطعوم على آية المشروب
أفرأيتم النار التي تورون أأنتم انشأتم شجرتها ام نحن المنشئون نحن جعلناها
تذكرة ومتاعا للمقوين فسبح باسم ربك العظيم تورون تقدحونها وتستخرجونها من الزناد والعرب
تقدح بعودين تحك احدهما على الآخر ويسمون الاعلى الزند والاسفل الزندة شبهوهما بالفحل والطروقة شجرتها التي
منها الزناد تذكرة تذكيرا لنار جهنم حيث علقنا بها اسباب المعايش كلها وعممنا بالحاجة اليها البلوى لتكون حاضرة للناس
ينظرون اليها ويذكرون ما اوعدوا به او جعلناها تذكرة وانموذجا من جهنم لما روي عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
ناركم هذه التي يوقد بنو آدم جزء من سبعين جزءا من حر جهنم ومتاعا ومنفعة للمقوين الذين ينزلون القواء وهي القفر
او للذين خلت بطونهم او مزاودهم من الطعام يقال اقويت من ايام اي لم آكل شيئا فسبح باسم ربك فاحدث التسبيح

الحنث العين الحارة الماء يستشفى بها المرضى والاعلاء ه

اي على بقية طعام يكون في معدتي والثميلة البقية تبقى من العلف والشراب في بطن البعير وغيره وكل بقية ثميلة ه

بذكر اسم ربك او اراد بالاسم الذكر اي بذكر ربك والعظيم صفة للمضاف او المضاف اليه والمعنى انه لما ذكر ما دل على
قدرته وانعامه على عباده قال فاحدث التسبيح وهو ان يقول سبحان الله اما تنزيها له عما يقول الظالمون الذين يجحدون
ويكفرون نعمته واما تعجبا من امرهم في غمط الآية وايادية الظاهرة واما شكرا لله تعالى على النعم التي عدها ونبه عليها

فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم • فلا اقسم معناه فاقسم ولا مزيدة مؤكدة
مثلها في قوله عز وجل لئلا يعلم اهل الكتاب وقرأ الحسن رحمه الله تعالى فلاقسم ومعناه فلانا اقسم اللام لام الابتداء دخلت على
جملة من مبتدا وخبر هي انا اقسم كقولك لزيد منطلق ثم حذف المبتدا ولا يصح ان تكون اللام لام القسم لامرين احدهما ان حقها ان
يقرن بها النون المؤكدة والاخلال بها ضعيف قبيح والثاني ان لافعل في جواب القسم للاستقبال وفعل القسم يجب ان يكون
للحال بمواقع النجوم بمساقطها ومغاربها ولعل لله تعالى في آخر الليل اذا انحطت النجوم الى المغرب افعالا مخصوصة عظيمة
او للملائكة عبادات موصوفة او لانه وقت قيام المتهجدين والمبتهلين اليه من عباده الصالحين ونزول الرحمة والرضوان
عليهم فلذلك اقسم بمواقعها واستعظم ذلك بقوله تعالى وانه لقسم لو تعلمون عظيم او اراد بمواقعها منازلها ومسايرها
وله تعالى في ذلك من الدليل على عظيم القدرة والحكمة ما لا يحيط به الوصف وقوله تعالى وانه لقسم لو تعلمون عظيم اعتراض
في اعتراض لانه اعترض به بين المقسم والمقسم عليه وهو قوله تعالى انه لقرآن كريم واعترض بلو تعلمون بين الموصوف وصفته وقيل
بمواقع النجوم اوقات وقوع نجوم القرآن اي اوقات نزولها • **انه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه
الا المطهرون تنزيل من رب العالمين** • كريم حسن مرضي في جنسه من الكتب او نفاع جم المنافع او كريم
على الله عز وجل في كتاب مكنون مصون من غير المقربين من الملائكة لا يطلع عليه سواهم وهم المطهرون من جميع الادناس
الذنوب وما سواها ان جعلت الجملة صفة لكتاب مكنون وهو اللوح وان جعلتها صفة للقرآن فالمعنى لا ينبغي ان يمسه الا من هو على
الطهارة من الناس يعني مس المكتوب منه ومن الناس من حمله على القراءة ايضا وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما احب الي
ان لا يقرأ الا وهو طاهر وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في رواية انه كان يبيح القراءة للجنب ونحوه قول رسول الله صلى الله
عليه وسلم المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه اي لا ينبغي له ان يظلمه او يسلمه وقرئ المتطهرون والمطهرون بالادغام
والمطهرون من اطهره بمعنى طهره والمطهرون بمعنى يطهرون انفسهم او غيرهم بالاستغفار لهم والوحي الذي ينزلونه تنزيل
صفة رابعة للقرآن اي منزل من رب العالمين او وصف بالمصدر لانه نزل نجوما من بين سائر كتب الله تعالى فكانه في نفسه تنزيل
ولذلك جرى مجرى بعض اسمائه فقيل جاء في التنزيل كذا ونطق به التنزيل او هو تنزيل على حذف المبتدا وقرئ تنزيلا على
نزل تنزيلا • **افبهذا الحديث انتم مدهنون وتجعلون رزقكم انكم تكذبون** • افبهذا الحديث
يعني القرآن انتم مدهنون اي متهاونون به كمن يدهن في الامر اي يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاونا به وتجعلون رزقكم
التكذيب اي وضعتم التكذيب موضع الشكر وقرأ علي رضي الله تعالى عنه وتجعلون شكركم انكم تكذبون وقيل هي قراءة رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم والمعنى وتجعلون شكركم لنعمة القرآن انكم تكذبون به وقيل نزلت في الانواء ونسبتهم السقيا اليها
والرزق المطر يعني وتجعلون شكر ما رزقكم الله تعالى من الغيث انكم تكذبون بكونه من الله تعالى حيث تنسبونه الى النجوم وقرئ تكذبون
وهو قولهم في القرآن سحر وشعر وافتراء وفي المطر هو من الانواء ولان كل مكذب بالحق كاذب • **فلولا اذا بلغت
الحلقوم وانتم حينئذ تنظرون ونحن اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون فلولا ان كنتم
غير مدينين ترجعونها ان كنتم صادقين** • ترتيب الآية فلولا ترجعونها اذا بلغت الحلقوم ان كنتم غير مدينين وفلولا الثانية
مكررة للتوكيد والضمير في ترجعونها للنفس وهي الروح وفي اقرب اليه للمحتضر غير مدينين غير مربوبين من دان السلطان
الرعية اذا ساسهم ونحن اقرب اليه منكم يا اهل الميت بقدرتنا وعلمنا او بملائكة الموت والمعنى انكم في جحودكم افعال الله تعالى وآياته
في كل شيء ان انزل عليكم كتابا معجزا قلتم سحر وافتراء وان ارسل اليكم رسولا قلتم ساحر كذاب وان رزقكم مطرا يحييكم به قلتم
صدق نوء كذا على مذهب يؤدي الى الاهمال والتعطيل فما لكم لا ترجعون الروح الى البدن بعد بلوغه الحلقوم ان لم يكن ثم قابض وكنتم
صادقين في تعطيلكم وكفركم بالمحيي المميت المبدئ المعيد • **فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة
نعيم واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين** • فاما ان كان المتوفى من المقربين
من السابقين من الازواج الثلاثة المذكورة في اول السورة فروح فله استراحة وروت عائشة رضي الله تعالى عنها عن النبي

صلى الله تعالى عليه وسلم فروح بالضم وقرأ به الحسن رحمه الله وقال الروح الرحمة لانها كالحياة للمرحوم وقيل البقاء اي فهذان
له معا وهو الخلود مع الرزق والنعيم والريحان الرزق فسلام لك من اصحاب اليمين اي فسلام لك يا صاحب اليمين
من اخوانك اصحاب اليمين اي يسلمون عليك كقوله تعالى الا قيلا سلاما سلاما • **واما ان كان من المكذبين
الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم ان هذا لهو حق اليقين فسبح باسم ربك العظيم**
فنزل من حميم كقوله تعالى هذا نزلهم يوم الدين وقرئ بالتخفيف وتصلية جحيم وقرئ بالرفع والجر عطفا على نزل وحميم ان هذا الذي انزل في
هذه السورة لهو حق اليقين اي الحق الثابت من اليقين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الواقعة في كل ليلة لم تصبه فاقة ابدا

سورة الحديد مكية

وهي تسع وعشرون آية

**بسم الله الرحمن الرحيم سبح • ما في السموات والارض
وهو العزيز الحكيم • له ملك السموات والارض يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير**
جاء في بعض الفواتح سبح على لفظ الماضي وفي بعضها على لفظ المضارع وكل واحد منهما معناه ان من شأن من اسند اليه
التسبيح ان يسبحه وذلك هجيراه وديدنه وقد عدي هذا الفعل باللام تارة وبنفسه اخرى في قوله تعالى وتسبحوه واصله
التعدي بنفسه لان معنى سبحته بعدته من السوء منقول من سبح اذا ذهب وبعد فاللام لا تخلو اما ان تكون مثل اللام
في نصحته ونصحت له واما ان يراد بسبح لله احدث التسبيح لاجل الله ولوجهه خالصا ما في السموات والارض ما يتأتى منه
التسبيح **فان قلت** ما محل يحيي **قلت** يجوز ان لا يكون له محل وتكون جملة برأسها كقوله تعالى له ملك السموات
وان يكون مرفوعا على هو يحيي ويميت ومنصوبا حالا من المجرور في له والجار عاملا فيها ومعناه يحيي النطف والبيض والموتى
يوم القيامة ويميت الاحياء • **هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم**
هو الاول القديم الذي كان قبل كل شيء والآخر الذي يبقى بعد هلاك كل شيء والظاهر بالادلة الدالة عليه والباطن لكونه غير
مدرك بالحواس **فان قلت** فما معنى الواو **قلت** الواو الاولى معناها الدلالة على انه الجامع بين الصفتين الاولية
والآخرية والثالثة على انه الجامع بين الظهور والخفاء واما الوسطى فعلى انه الجامع بين مجموع الصفتين الاوليين ومجموع الصفتين
الاخريين فهو المستمر الوجود في جميع الاوقات الماضية والآتية وهو في جميعها ظاهر وباطن جامع للظهور بالادلة والخفاء
فلا يدرك بالحواس وفي هذا حجة على من جوز ادراكه في الآخرة بالحاسة وقيل الظاهر العالي على كل شيء الغالب له من ظهر عليه
اذا علاه وغلبه والباطن الذي بطن كل شيء اي علم باطنه وليس بذاك مع العدول عن الظاهر المفهوم • **هو الذي
خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها
وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم اين ما كنتم • بما تعملون بصير • له ملك
السموات والارض والى • ترجع الامور • يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل
وهو عليم بذات الصدور • امنوا • ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين
آمنوا منكم وانفقوا لهم اجر كبير** • مستخلفين فيه يعني ان الاموال التي في ايديكم انما هي اموال الله تعالى بخلقه
وانشائه لها وانما مولكم اياها وخولكم الاستمتاع بها وجعلكم خلفاء في التصرف فيها فليست هي باموالكم في الحقيقة وما
انتم فيها الا بمنزلة الوكلاء والنواب فانفقوا منها في حقوق الله عز وجل وليهن عليكم الانفاق منها كما يهون على الرجل النفقة
من مال غيره اذا اذن له فيه او جعلكم مستخلفين ممن كان قبلكم فيما في ايديكم بتوريثه اياكم فاعتبروا بحالهم حيث انتقل
منهم اليكم وسينتقل منكم الى من بعدكم فلا تبخلوا به وانفعوا بالانفاق منها انفسكم • **وما لكم لا تؤمنون •
والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد اخذ ميثاقكم ان كنتم مؤمنين** • لا تؤمنون حال من معنى
الفعل في ما لكم كما تقول ما لك قائما بمعنى ما تصنع قائما اي وما لكم كافرين بالله والواو في والرسول يدعوكم واو الحال فهما
حالان متداخلتان وقرئ وما لكم لا تؤمنون بالله ورسوله والرسول يدعوكم والمعنى واي عذر لكم في ترك الايمان والرسول
يدعوكم اليه وينبهكم عليه ويتلو عليكم الكتاب الناطق بالبراهين والحجج وقبل ذلك قد اخذ الله تعالى ميثاقكم بالايمان

حيث ركب فيكم العقول ونصب لكم الادلة ومكنكم من النظر وازاح عللكم فاذلم تبق لكم علة بعد ادلة العقول وتنبيه الرسول فما لكم لا تؤمنون ان كنتم مؤمنين لموجب ما فان هذا الموجب لا مزيد عليه وقرئ اخذ ميثاقكم على البناء للفاعل وهو الله

هو الذي ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات الى النور وان الله بكم لرؤف رحيم ليخرجكم الله تعالى بآياته من ظلمات الكفر الى نور الايمان او ليخرجكم الرسول بدعوته لرؤف وقرئ رؤف

وما لكم الا تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السموات والارض

لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير ان لا تنفقوا اي ان لا تنفقوا وله ميراث السموات والارض يرث كل شيء فيهما لا يبقى منه باق لاحد من مال وغيره يعني واي غرض لكم في ترك الانفاق في سبيل الله والجهاد مع رسوله والله مهلككم فوارث اموالكم وهو من ابلغ البعث على الانفاق في سبيل الله ثم بين التفاوت بين المنفقين منهم فقال لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح قبل فتح مكة قبل عز الاسلام وقوة اهله ودخول الناس في دينه افواجا وقلة الحاجة الى القتال والنفقة فيه ومن انفق من بعد الفتح فحذف لوضوح الدلالة اولئك الذين انفقوا قبل الفتح وهم السابقون الاولون من المهاجرين والانصار رضوان الله تعالى عليهم اجمعين الذين قال فيهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه اعظم درجة وقرئ قبل الفتح وكلا وكل واحد من الفريقين وعد الله الحسنى اي المثوبة الحسنى وهي الجنة مع تفاوت الدرجات وقرئ بالرفع على وكل وعده الحسنى وقيل نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه لانه اول من اسلم واول من انفق في سبيل الله

من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له وله اجر كريم القرض الحسن الانفاق في سبيل الله شبه ذلك بالقرض على سبيل المجاز لانه اذا اعطى ماله لوجهه فكانه اقرضه اياه فيضاعفه له اي يعطيه اجره على انفاقه مضاعفا اضعافا من فضله وله اجر كريم يعني وذلك الاجر المضموم اليه الاضعاف كريم في نفسه وقرئ فيضعفه وقرئا منصوبين على جواب الاستفهام والرفع عطف على يقرض او على فيضاعفه

يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم يوم ترى ظرف لقوله تعالى وله اجر كريم او منصوب باضمار اذكر تعظيما لذلك اليوم وانما قال بين ايديهم وبايمانهم لان السعداء يؤتون صحائف اعمالهم من هاتين الجهتين كما ان الاشقياء يؤتونها من شمائلهم ومن وراء ظهورهم فجعل النور في الجهتين شعارا لهم وآية لانهم هم الذين بحسناتهم سعدوا وبصحائفهم البيض افلحوا فاذا ذهب بهم الى الجنة ومروا على الصراط يسعون يسعى بسعيهم ذلك النور جنيبا ومتقدما ويقول لهم الذين يتلقونهم من الملائكة بشراكم اليوم وقرئ ذلك الفوز

يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا يوم يقول بدل من يوم ترى انظرونا انتظرونا لانهم يسرع بهم الى الجنة كالبرق الخاطف على ركاب تزف بهم وهؤلاء مشاة او انظروا الينا لانهم اذا نظروا اليهم استقبلوهم بوجوههم والنور بين ايديهم فيستضيئون به وقرئ انظرونا من النظرة وهي الامهال جعل اتئادهم في المضي الى ان يلحقوا بهم انظارا لهم نقتبس من نوركم نصب منه وذلك ان يلحقوا بهم فيستنيروا به قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا طرد لهم وتهكم بهم اي ارجعوا الى الموقف حيث اعطينا هذا النور فالتمسوه هنالك فمن ثم يقتبس او ارجعوا الى الدنيا فالتمسوا نورا بتحصيل سببه وهو الايمان او ارجعوا خائبين وتنحوا عنا فالتمسوا نورا آخر فلا سبيل لكم الى هذا النور وقد علموا ان لا نور وراءهم وانما هو تخييب واقناط لهم

فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب فضرب بينهم بسور بين المؤمنين والمنافقين بحائط حائل بين شق الجنة وشق النار قيل هو الاعراف لذلك السور باب لاهل الجنة يدخلون منه باطنه باطن السور او الباب وهو الشق الذي يلي الجنة وظاهره ما ظهر لاهل النار من قبله العذاب من عنده ومن جهته العذاب وهو الظلمة والنار وقرأ زيد بن علي رضي الله تعالى عنهما فضرب بينهم على البناء للفاعل

ينادونهم الم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم انفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الاماني حتى جاء امر الله وغركم بالله الغرور الم نكن معكم يريدون موافقتهم في الظاهر

فتنتم انفسكم محنتموها بالنفاق واهلكتموها وتربصتم بالمؤمنين الدوائر وغرتكم الاماني طول الآمال والطمع في امتداد الاعمار حتى جاء امر الله وهو الموت وغركم بالله الغرور وغركم الشيطان بان الله عفو غفور كريم لا يعذبكم وقرئ الغرور بالضم

فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا مأواكم النار هي مولاكم وبئس المصير فدية هي ما يفتدى به هي مولاكم قيل هي اولى بكم وانشد قول لبيد فغدت كلا الفرجين تحسب انه مولى المخافة خلفها وامامها وحقيقته مولاكم محراكم ومقمنكم اي مكانكم الذي يقال فيه انه اولى بكم كما يقال هو مئنة للكرم اي مكان لقول القائل انه لكريم ويجوز ان يراد هي ناصركم اي لا ناصر لكم غيرها والمراد نفي الناصر على البتات ونحوه قولهم اصيب فلان بكذا فاستنصر الجزع ومنه قوله عز وجل يغاثوا بماء كالمهل وقيل تتولاكم كما توليتم في الدنيا اعمال اهل النار

الم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق الم يأن من انى الامر يأني اذا جاء اناه اي وقته وقرئ الم يئن من آن يئين بمعنى انى يأني ولما يأن قيل كانوا مجدبين بمكة فلما هاجروا اصابوا الرزق والنعمة ففتروا عما كانوا عليه فنزلت وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه ما كان بين اسلامنا وبين ان عوتبنا بهذه الآية الا اربع سنين وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان الله استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن وعن الحسن اما والله لقد استبطأهم وهم يقرؤن من القرآن اقل مما تقرؤن فانظروا في طول ما قرأتم منه وما ظهر فيكم من الفسق وعن ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ان هذه الآية قرئت بين يديه وعنده قوم من اهل اليمامة فبكوا بكاء شديدا فنظر اليهم فقال هكذا كنا حتى قست القلوب وقرئ نزل وانزل

ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون ولا يكونوا عطف على تخشع وقرئ بالتاء على الالتفات ويجوز ان يكون نهيا لهم عن مماثلة اهل الكتاب في قسوة القلوب بعد ان وبخوا وذلك ان بني اسرائيل كان الحق يحول بينهم وبين شهواتهم واذا سمعوا التوراة والانجيل خشعوا لله تعالى ورقت قلوبهم فلما طال عليهم الزمان غلبهم الجفاء والقسوة واختلفوا واحدثوا ما احدثوا من التحريف وغيره **فان قلت** ما معنى لذكر الله وما نزل من الحق **قلت** يجوز ان يراد بالذكر وبما نزل من الحق القرآن لانه جامع للامرين للذكر والموعظة وانه حق نازل من السماء وان يراد خشوعها اذا ذكر الله تعالى واذا تلي القرآن كقوله تعالى اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا اراد بالامد الاجل كقوله اذا انتهى امده وقرئ الامد اي الوقت الاطول وكثير منهم فاسقون خارجون عن دينهم رافضون لما في الكتابين

اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها قيل هذا تمثيل لاثر الذكر في القلوب وانه يحييها كما يحيي الغيث الارض

ان المصدقين والمصدقات واقرضوا الله قرضا حسنا يضاعف لهم ولهم اجر كريم المصدقين المتصدقين وقرئ على الاصل والمصدقين من صدق وهم الذين صدقوا الله ورسوله يعني المؤمنين **فان قلت** علام عطف قوله تعالى واقرضوا **قلت** على معنى الفعل في المصدقين لان اللام بمعنى الذين واسم الفاعل بمعنى اصدقوا كانه قيل ان الذين اصدقوا واقرضوا والقرض الحسن ان يتصدق من الطيب عن طيبة النفس وصحة النية على المستحق للصدقة وقرئ يضعف ويضاعف بكسر العين اي يضاعف الله تعالى

والذين آمنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم اجرهم ونورهم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم يريد ان المؤمنين بالله ورسله هم عند الله بمنزلة الصديقين والشهداء وهم الذين سبقوا الى التصديق واستشهدوا في سبيل الله لهم اجرهم ونورهم اي مثل اجر الصديقين والشهداء ومثل نورهم **فان قلت** كيف يسوى بينهم في الاجر ولا بد من التفاوت **قلت** المعنى ان الله تعالى يعطي المؤمنين اجرهم ويضاعفه لهم بفضله حتى يساوي اجرهم مع اضعافه اجر اولئك ويجوز ان يكون والشهداء مبتدأ ولهم اجرهم خبره

اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور اراد ان الدنيا ليست الا محقرات من الامور وهي اللعب واللهو والزينة والتفاخر والتكاثر واما الآخرة فما هي الا امور عظام وهي العذاب الشديد والمغفرة والرضوان من الله

وشبه حال الدنيا وسرعة تقضيها مع قلة جدواها بنبات انبته الغيث فاستوى واكتهل واعجب به الكفار الجاحدون لنعمة الله
فيما رزقهم من الغيث والنبات فبعث عليه العاهة فهاج واصفر وصار حطاما عقوبة لهم على جحودهم كما فعل باصحاب الجنة وصاحب
الجنتين وقيل الكفار الزراع وترى مصفرا • سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء
والارض اعدت للذين امنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يوتيه من يشاء والله ذو الفضل
العظيم • سابقوا اسارعوا مسارعة المسابقين لاقرانهم في المضمار الى جنة عرضها كعرض السماء والارض قال السدي
كعرض سبع سموات وسبع الارضين وذكر العرض دون الطول لان كل ماله عرض وطول فان عرضه اقل من طوله فاذا وصف عرضه بالبسطة
عرف ان طوله ابسط وامد ويجوز ان يراد بالعرض البسطة كقوله تعالى فذو دعاء عريض لما حقر الدنيا وصغر امرها وعظم
امر الاخرة بعث عباده على المسارعة الى نيل ما وعد من ذلك وهي المغفرة المنجية من العذاب الشديد والفوز بدخول الجنة
ذلك الموعود من المغفرة والجنة فضل الله عطاوه يوتيه من يشاء وهم المومنون • ما اصاب من مصيبة في الارض
ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبراها ان ذلك على الله يسير • لكيلا تاسوا على
ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم والله لا يحب كل مختال فخور • المصيبة في الارض نحو الجدب وافات الزرع
والثمار وفي الانفس نحو الادواء والموت في كتاب في اللوح من قبل ان نبراها يعني الانفس او المصائب ان ذلك تقدير ذلك
واثباته في كتاب على الله يسير وان كان عسيرا على العباد ثم علل ذلك وبين وجه الحكمة فيه فقال لكيلا تاسوا ولا تفرحوا
يعني انكم اذا علمتم ان كل شيء مقدر مكتوب عند الله تعالى قل اساكم على الفائت وفرحكم على الاتي لان من علم ان ما عنده مفقود
لا محالة لم يتفاقم جزعه عند فقده لانه وطن نفسه على ذلك وكذلك من علم ان بعض الخير واصل اليه وان وصوله لا يفوته بحال
لم يعظم فرحه عند نيله والله لا يحب كل مختال فخور لان من فرح بحظ من الدنيا وعظم في نفسه اختال وافتخر به وتكبر على الناس
وقرئ بما اتاكم واتاكم من الايتاء والاتيان وفي قراءة ابن مسعود رضي الله تعالى عنه بما اوتيتم فان قلت فلا احد يملك
نفسه عند مضرة تنزل ولا عند منفعة ينالها ان لا يحزن ولا يفرح قلت المراد الحزن المخرج الى ما يذهل صاحبه عن الصبر
والتسليم لامر الله ورجاء ثواب الصابرين والفرح المطغي الملهي عن الشكر فاما الحزن الذي لا يكاد الانسان يخلو منه مع
الاستسلام والسرور بنعمة الله تعالى والاعتداد بها مع الشكر فلا باس بهما • الذين يبخلون ويامرون الناس
بالبخل ومن يتول فان الله هو الغني الحميد • الذين يبخلون بدل من قوله تعالى كل مختال فخور كانه
قال لا يحب الذين يبخلون يريد الذين يفرحون الفرح المطغي اذا رزقوا مالا وحظا من الدنيا فلحبهم له وعزته عندهم وعظمه
في عيونهم يزوونه عن حقوق الله تعالى ويبخلون به ولا يكفيهم انهم بخلوا حتى يحملوا الناس على البخل ويرغبوهم في الامساك
ويزينوه لهم وذلك كله نتيجة فرحهم به وبطرهم عند اصابته ومن يتول عن اوامر الله تعالى ونواهيه ولم ينته عما نهي عنه من
الاسى على الفائت والفرح بالاتي فان الله غني عنه وقرئ بالبخل وقرا نافع فان الله الغني وهو في مصاحف اهل المدينة والشام كذلك
لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط
وانزلنا الحديد فيه باس شديد ومنافع للناس • لقد ارسلنا رسلنا يعني الملائكة الى الانبياء
عليهم السلام بالبينات بالحجج والمعجزات وانزلنا معهم الكتاب اي الوحي والميزان روي ان جبريل عليه السلام نزل بالميزان
فدفعه الى نوح عليه السلام وقال مر قومك يزنوا به وانزلنا الحديد قيل نزل ادم عليه السلام من الجنة ومعه خمسة اشياء
من حديد السندان والكلبتان والميقعة والمطرقة والابرة وروي ومعه المر والمسحاة وعن النبي صلى الله عليه وسلم
ان الله تعالى انزل من السماء الى الارض الحديد والنار والماء والملح وعن الحسن وانزلنا الحديد خلقناه كقوله تعالى وانزل
من الانعام وذلك ان اوامره تنزل من السماء وقضاياه واحكامه فيه باس شديد وهو القتال به ومنافع للناس في مصالحهم
ومعايشهم وصنائعهم فما من صناعة الا والحديد الة فيها او ما يعمل بالحديد • وليعلم الله من ينصره ورسله
بالغيب ان الله قوي عزيز • وليعلم الله من ينصره ورسله باستعمال السيوف والرماح وسائر السلاح
في مجاهدة اعداء الدين بالغيب غائبا عنهم قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ينصرونه ولا يبصرونه ان الله قوي عزيز غني بقدرته
وعزته في اهلاك من يريد اهلاكه عنهم وانما كلفهم الجهاد لينتفعوا به ويصلوا باستعمال الامر فيه الى الثواب • ولقد
ارسلنا نوحا وابراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون

والكتاب والوحي وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما الخط بالقلم يقال كتب كتابا وكتابة فمنهم من الذرية او من المرسل
اليهم وقد دل عليه ذكر الارسال والمرسلين وهذا تفصيل لحالهم اي فمنهم مهتد ومنهم فاسق والغلبة للفساق
ثم قفينا على اثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم واتيناه الانجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه
رافة ورحمة ورهبانية ابتدعوها • قرا الحسن الانجيل بفتح الهمزة وامره اهون من امر البرطيل والسكينة
فيمن رواهما بفتح الفاء لان الكلمة اعجمية ولا يلزم فيها حفظ ابنية العرب وقرئ رافة على فعالة اي وفقناهم للتراحم
والتعاطف بينهم ونحوه في صفة اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رحماء بينهم والرهبانية ترهبهم في الجبال
فارين من الفتنة في الدين مخلصين انفسهم للعبادة وذلك ان الجبابرة ظهروا على المومنين بعد موت عيسى عليه السلام
فقاتلوهم ثلاث مرات فقتلوا حتى لم يبق منهم الا القليل فخافوا ان يفتتنوا في دينهم فاختاروا الرهبانية ومعناها
الفعلة المنسوبة الى الرهبان وهو الخائف فعلان من رهب كخشيان من خشي وقرئ ورهبانية بالضم كانها نسبة
الى الرهبان وهو جمع راهب كراكب وركبان وانتصابها بفعل مضمر يفسره الظاهر تقديره وابتدعوا رهبانية ابتدعوها
يعني واحدثوها من عند انفسهم ونذروها • ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها
حق رعايتها فاتينا الذين امنوا منهم اجرهم وكثير منهم فاسقون • ما كتبناها عليهم
لم نفرضها نحن عليهم الا ابتغاء رضوان الله استثناء منقطع اي ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها كما يجب
على الناذر رعاية نذره لانه عهد مع الله تعالى لا يحل نكثه فاتينا الذين امنوا منهم يريد اهل الرافة والرحمة الذين اتبعوا
عيسى عليه السلام وكثير منهم فاسقون الذين لم يحافظوا على نذرهم ويجوز ان تكون الرهبانية معطوفة على ما قبلها وابتدعوها
صفة لها في محل النصب اي وجعلنا في قلوبهم رافة ورحمة ورهبانية مبتدعة من عندهم بمعنى وفقناهم للتراحم بينهم ولابتداع
الرهبانية واستحداثها ما كتبناها عليهم الا ليبتغوا بها رضوان الله ويستحقوا بها الثواب على انه كتبها عليهم والزمها اياهم
ليتخلصوا من الفتن ويبتغوا بذلك رضى الله تعالى وثوابه فما رعوها جميعا حق رعايتها ولكن بعضهم فاتينا المومنين
المراعين منهم للرهبانية اجرهم وكثير منهم فاسقون وهم الذين لم يرعوها • يا ايها الذين امنوا اتقوا الله
وامنوا برسوله يوتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم
يا ايها الذين امنوا يجوز ان يكون خطابا للذين امنوا من اهل الكتاب والذين امنوا من غيرهم فان كان خطابا لمومني اهل
الكتاب فالمعنى يا ايها الذين امنوا بموسى وعيسى عليهما السلام امنوا بمحمد يوتكم كفلين اي نصيبين من رحمته لايمانكم بمحمد
وايمانكم بمن قبله ويجعل لكم يوم القيامة نورا تمشون به وهو النور المذكور في قوله تعالى يسعى نورهم ويغفر لكم ما اسلفتم من الكفر
والمعاصي • لئلا يعلم اهل الكتاب الا يقدرون على شيء من فضل الله وان الفضل
بيد الله يوتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم • لئلا يعلم ليعلم اهل الكتاب الذين لم يسلموا
ولا مزيدة ان لا يقدرون ان مخففة من الثقيلة اصله انه لا يقدرون على شيء يعني ان الشان لا يقدرون على شيء من فضل الله
اي لا ينالون شيئا مما ذكر من فضله من الكفلين والنور والمغفرة لانهم لم يومنوا برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلم ينفعهم ايمانهم
من قبله ولم يكسبهم فضلا قط وان كان خطابا لغيرهم فالمعنى اتقوا الله واثبتوا على ايمانكم برسول الله يوتكم ما وعد من امن
من اهل الكتاب من الكفلين في قوله تعالى اولئك يوتون اجرهم مرتين ولا ينقصكم من مثل اجرهم لانكم مثلهم في الايمانين
لا تفرقون بين احد من رسله روي ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعث جعفرا رضي الله تعالى عنه في سبعين راكبا
الى النجاشي يدعوه فقدم جعفر عليه فدعاه فاستجاب له فقال ناس ممن امن من اهل مملكته وهم اربعون رجلا ائذن لنا في
الوفادة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذن لهم فقدموا مع جعفر وقد تهيا لوقعة احد فلما راوا ما بالمسلمين من خصاصة
استاذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجعوا وقدموا باموال لهم فاسوا بها المسلمين فانزل الله تعالى الذين اتيناهم الكتاب
الى قوله تعالى ومما رزقناهم ينفقون فلما سمع من لم يومن من اهل الكتاب قوله تعالى يوتون اجرهم مرتين فخروا على المسلمين
وقالوا اما من امن منا بكتابكم وكتابنا فله اجره مرتين واما من لم يومن بكتابكم فله اجر كاجركم فما فضلكم علينا فنزلت وروي
ان مومني اهل الكتاب افتخروا على غيرهم من المومنين بانهم يوتون اجرهم مرتين وادعوا الفضل عليهم فنزلت وقرئ
لكي يعلم وليعلم ولئن لا يعلم بادغام النون في الياء ولسعلم بقلب الهمزة ياء وادغام النون في الياء وعن الحسن رحمه الله

لئلا يعلم بفتح اللام وسكون الياء ورواه قطرب بكسر اللام وقيل في وجهها حذفت همزة ان وادغمت نونها في لام لا فصار للا ثم ابدلت من اللام المدغمة ياء كقولهم ديوان وقيراط ومن فتح اللام فعلى ان اصل لام الجر الفتح كما انشد اريد لانسى ذكرها والمعنى لان لا يقدروا بيد الله في ملكه ولقرنه واليد مثل يؤتيه من يشاء ولا يشاء الا ايتاء من يستحقه عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة الحديد كتب من الذين آمنوا بالله ورسله

سورة المجادلة مدنية

وهي ثنتان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم • قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله والله يسمع تحاوركما ان الله سميع بصير •

قد سمع الله قالت ام المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها الحمد لله الذي وسع سمعه الاصوات لقد كلمت المجادلة رسول الله صلى الله عليه وسلم في جانب البيت وانا عنده لا اسمع وقد سمع لها وعن عمر رضي الله تعالى عنه انه كان اذا دخلت عليه اكرمها وقال قد سمع الله لها وقرئ تحاورك اي تراجعك الكلام وتحاورك اي تسائلك وهي خولة بنت ثعلبة امرأة اوس بن الصامت اخي عبادة رآها وهي تصلي وكانت حسنة الجسم فلما سلمت راودها فابت فغضب وكان به خفة ولمم فظاهر منها فاتت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقالت ان اوسا تزوجني وانا شابة مرغوب في فلما خلا سني ونثرت بطني اي كثر ولدي جعلني عليه كامه وروي انها قالت ان لي صبية صغارا ان ضممتهم اليه ضاعوا وان ضممتهم الي جاعوا فقال ما عندي في امرك شيء وروي انه قال لها حرمت عليه فقالت يا رسول الله ما ذكر طلاقا وانما هو ابو ولدي واحب الناس الي فقال حرمت عليه فقالت اشكو الى الله فاقتي ووجدي كلما قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حرمت عليه هتفت وشكت الى الله فنزلت في زوجها في شأنه ومعناه ان الله سميع بصير يصح ان يسمع كل مسموع ويبصر كل مبصر **فان قلت** ما معنى قد في قوله تعالى قد سمع الله **قلت** معناه التوقع لان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والمجادلة كانا يتوقعان ان يسمع الله عز وجل مجادلتها وشكواها وينزل في ذلك ما يفرج عنها •

الذين يظاهرون منكم من نسائهم ما هن امهاتهم ان امهاتهم الا اللائي ولدنهم وانهم ليقولون منكرا من القول وزورا وان الله لعفو غفور •

الذين يظاهرون منكم في منكم توبيخ للعرب وتهجين لعادتهم في الظهار لانه كان من ايمان اهل جاهليتهم خاصة دون سائر الامم ما هن امهاتهم وقرئ بالرفع على اللغتين الحجازية والتميمية وفي قراءة ابن مسعود رضي الله تعالى عنه بامهاتهم وزيادة الباء في لغة من ينصب والمعنى ان من يقول لامرأته انت علي كظهر امي ملحق في كلامه هذا الزوج بالام وجاعلها مثلها وهذا تشبيه باطل لتباين الحالين ان امهاتهم الا اللائي ولدنهم يريد ان الامهات على الحقيقة انما هن الوالدات وغيرهن ملحقات بهن لدخولهن في حكمهن فالمرضعات امهات لانهن لما ارضعن دخلن بالرضاع في حكم الامهات وكذلك ازواج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم امهات المؤمنين لان الله تعالى حرم نكاحهن على الامة فدخلن بذلك في حكم الامهات واما الزوجات فابعد شيء من الامومة لانهن لسن بامهات على الحقيقة ولا بداخلات في حكم الامهات فكان قول المظاهر منكرا من القول تنكره الحقيقة وتنكره الاحكام الشرعية وزورا وكذبا باطلا منحرفا عن الحق وان الله لعفو غفور لما سلف منه اذا تيب عنه ولم يعد اليه •

والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير • فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل ان يتماسا فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وتلك حدود الله وللكافرين عذاب اليم •

ثم قال والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا يعني والذين كانت عادتهم ان يقولوا هذا القول المنكر فقطعوه بالاسلام ثم يعودون لمثله فكفارة من عاد ان يحرر رقبة ثم يماس المظاهر منها لا يحل له مماستها الا بعد تقديم الكفارة ووجه آخر ثم يعودون لما قالوا ثم يتداركونه على ان المتدارك للامر عائد اليه ومنه المثل عاد غيث على ما افسد اي تداركه بالاصلاح والمعنى ان تدارك هذا القول وتلافيه بان يكفر حتى ترجع حالهما كما كانت قبل الظهار ووجه ثالث وهو ان

يراد بما قالوا ما حرموه على انفسهم بلفظ الظهار تنزيلا للقول منزلة المقول فيه نحو ما ذكرنا في قوله سبحانه وتعالى ونرثه ما يقول ويكون المعنى ثم يريدون العود للتماس والمماسة الاستمتاع بها من جماع او لمس بشهوة او نظر الى فرجها بشهوة ذلكم الحكم توعظون به لان الحكم بالكفارة دليل على ارتكاب الجناية فيجب ان تتعظوا بهذا الحكم حتى لا تعودوا الى الظهار وتخافوا عقاب الله تعالى عليه **فان قلت** هل يصح الظهار بغير هذا اللفظ **قلت** نعم اذا وضع مكان انت عضوا منها يعبر به عن الجملة كالرأس والوجه والرقبة والفرج او مكان الظهر عضوا آخر يحرم النظر اليه من الام كالفخذ والبطن او مكان الام ذات رحم محرم منه من نسب او رضاع او صهر او جماع نحو ان يقول انت علي كظهر اختي من الرضاع او عمتي من النسب او امرأة ابني او ابي او ام امرأتي او بنتها فهو مظاهر وهو مذهب ابي حنيفة واصحابه وعن الحسن والنخعي والزهري والاوزاعي والثوري وغيرهم نحوه وقال الشافعي لا يكون الظهار الا بالام وحدها وهو قول قتادة والشعبي وعن الشعبي ان لم ينس الله عز وجل ان يذكر البنات والاخوات والعمات والخالات اذ اخبر ان الظهار انما يكون بالامهات الوالدات دون المرضعات وعن بعضهم لا بد من ذكر الظهر حتى يكون ظهارا **فان قلت** فاذا امتنع المظاهر من الكفارة هل للمرأة ان ترافعه **قلت** لها ذلك وعلى القاضي ان يجبره على ان يكفر وان يحبسه ولا شيء من الكفارات يجبر عليه ويحبس الا كفارة الظهار وحدها لانه يضر بها في ترك التكفير والامتناع من الاستمتاع فيلزم ايفاء حقها **فان قلت** فان مس قبل ان يكفر **قلت** عليه ان يستغفر ولا يعود حتى يكفر لما روي ان سلمة بن صخر البياضي قال لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ظاهرت من امرأتي ثم ابصرت خلخالها في ليلة قمراء فواقعتها فقال عليه الصلوة والسلام استغفر ربك ولا تعد حتى تكفر **فان قلت** اي رقبة تجزئ في كفارة الظهار **قلت** المسلمة والكافرة جميعا لانها في الآية مطلقة وعند الشافعي لا تجزئ الا المؤمنة لقوله تعالى في كفارة القتل فتحرير رقبة مؤمنة ولا تجزئ ام الولد والمدبر والمكاتب الذي ادى شيئا فان لم يؤد شيئا جاز وعند الشافعي لا يجوز **فان قلت** فان اعتق بعض الرقبة او صام بعض الصيام ثم مس **قلت** يجب عليه ان يستأنف نهارا مس او ليلا ناسيا او عامدا عند ابي حنيفة رحمه الله تعالى وعند ابي يوسف ومحمد عتق بعض الرقبة عتق كلها فيجزئه وان كان المس يفسد الصوم استقبل والا بنى **فان قلت** كم يعطى المسكين في الاطعام **قلت** نصف صاع من بر او صاعا من غيره عند ابي حنيفة رحمه الله تعالى وعند الشافعي رحمه الله تعالى مدا من طعام بلده الذي يقتات فيه **فان قلت** ما بال التماس لم يذكر عند الكفارة بالاطعام كما ذكر عند الكفارتين **قلت** اختلف في ذلك فعند ابي حنيفة انه لا فرق بين الكفارات الثلاث في وجوب تقديمها على المساس وانما ترك ذكره عند الاطعام دلالة على انه اذا وجد في خلال الاطعام لم يستأنف كما يستأنف الصوم اذا وقع في خلاله وعند غيره لم يذكر للدلالة على ان التكفير قبله وبعده سواء **فان قلت** الضمير في ان يتماسا الام يرجع **قلت** الى ما دل عليه الكلام من المظاهر والمظاهر منها ذلك البيان والتعليم للاحكام والتنبيه عليها لتصدقوا بالله ورسوله في العمل بشرائعه التي شرعها من الظهار وغيره ورفض ما كنتم عليه في جاهليتكم وتلك حدود الله التي لا يجوز تعديها وللكافرين الذين لا يتبعونها ولا يعملون عليها عذاب اليم •

الذين يحادون الله ورسوله كبتوا كما كبت الذين من قبلهم وقد انزلنا آيات بينات وللكافرين عذاب مهين

يحادون يعادون ويشاقون كبتوا اخزوا واهلكوا كما كبت من قبلهم من اعداء الرسل قيل اريد كبتهم يوم الخندق وقد انزلنا آيات بينات تدل على صدق الرسول وصحة ما جاء به وللكافرين بهذه الآيات عذاب مهين يذهب بعزهم وكبرهم

يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا احصاه الله ونسوه والله على كل شيء شهيد •

يوم يبعثهم منصوب بلهم او بمهين او باضمار اذكر تعظيما لليوم جميعا كلهم لا يترك منهم احد غير مبعوث او مجتمعين في حال واحدة كما تقول حي جميع فينبئهم بما عملوا تخجيلا لهم وتوبيخا وتشهيرا بحالهم يتمنون عنده المسارعة بهم الى النار لما يلحقهم من الخزي على رؤوس الاشهاد احصاه الله احاط به عددا لم يفته منه شيء ونسوه لانهم تهاونوا به حين ارتكبوه لم يبالوا به لضراوتهم بالمعاصي وانما تحفظ معظمات الامور

الم تر ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض ما يكون من نجوى ثلثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم اينما كانوا

ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيمة ان الله بكل شيء عليم ما يكون من كان التامة وقرئ بالياء والتاء والياء على ان النجوى تانيثها غير حقيقي ومن فاصلة او على ان المعنى ما يكون شيء من النجوى والنجوى التناجي فلا تخلو اما ان يكون مضافة الى ثلثة اي من نجوى ثلثة نفر او موصوفة بها اي من اهل نجوى ثلثة فحذف الاهل او جعلوا نجوى في انفسهم مبالغة كقوله تعالى خلصوا نجيا وقرأ ابن ابي عبلة ثلثة وخمسة بالنصب على الحال باضمار يتناجون لان نجوى يدل عليه او على تاويل نجوى بمتناجين ونصبها من المستكن فيه **فان قلت** ما الداعي الى تخصيص الثلثة والخمسة **قلت** فيه وجهان احدهما ان قوما من المنافقين تحلقوا للتناجي مغايظة للمؤمنين على هذين العددين ثلثة وخمسة فقيل ما يتناجى منهم ثلثة ولا خمسة كما ترونهم يتناجون كذلك ولا ادنى من ذلك عدديهم ولا اكثر الا والله معهم يسمع ما يقولون فقد روى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انها نزلت في ربيعة وحبيب ابني عمرو وصفوان ابن امية كانوا يتحدثون فقال احدهم اترى ان الله يعلم ما نقول فقال الآخر يعلم بعضا ولا يعلم بعضا وقال الثالث ان كان يعلم بعضا فهو يعلم كله وصدق لان من علم بعض الاشياء بغير سبب فقد علمها كلها لان كونه عالما بغير سبب ثابت له مع كل معلوم والثاني انه قصد ان يذكر ما جرت عليه العادة من اعداد اهل النجوى والمتخالين للشورى والمندوبون لذلك ليسوا بكل احد وانما هم طائفة مجتباة من اولي النهى والاحلام ورهط من اهل الرأي والتجارب واول عددهم الاثنان فصاعدا الى خمسة الى ستة الى ما اقتضته الحال وحكم به الاستصواب الا ترى الى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه كيف ترك الامر شورى بين ستة ولم يتجاوز بها الى سابع فذكر عز وجل الثلثة والخمسة وقال ولا ادنى من ذلك فدل على الاثنين والاربعة وقال ولا اكثر فدل على ما يلي هذا العدد ويقاربه وفي مصحف عبد الله الا الله رابعهم ولا اربعة الا الله خامسهم ولا خمسة الا الله سادسهم ولا اقل من ذلك ولا اكثر الا الله معهم اذا انتجوا وقرئ ولا ادنى من ذلك ولا اكثر بالنصب على ان لا لنفي الجنس ويجوز ان يكون ولا اكثر بالرفع معطوفا على محل لا مع ادنى كقولك لا حول ولا قوة الا بالله وان يكون ارتفاعهما عطفا على محل من نجوى كانه قيل ما يكون ادنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم وقرئ ولا اكبر بالباء ومعنى كونه معهم انه يعلم ما يتناجون به ولا يخفى عليه ما هم فيه فكانه مشاهدهم ومحاضرهم وقد تعالى عن المكان والمشاهدة وقرئ ثم ينبئهم على التخفيف **الم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير** كانت اليهود والمنافقون يتناجون فيما بينهم ويتغامزون باعينهم اذا رأوا المؤمنين يريدون ان يغيظوهم فنهاهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فعادوا لمثل فعلهم وكان تناجيهم بما هو اثم وعدوان للمؤمنين وتواص بمعصية الرسول ومخالفته وقرئ وينتجون بالاثم والعدوان بكسر العين ومعصيات الرسول حيوك بما لم يحيك به الله يعني انهم يقولون في تحيتك السام عليك يا محمد والسام الموت والله تعالى يقول وسلام على عباده الذين اصطفى ويا ايها الرسول ويا ايها النبي لولا يعذبنا الله بما نقول كانوا يقولون ما له ان كان نبيا لا يدعو علينا حتى يعذبنا الله بما نقول فقال الله تعالى حسبهم جهنم عذابا **يا ايها الذين امنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول وتناجوا بالبر والتقوى واتقوا الله الذي اليه تحشرون** يا ايها الذين امنوا خطاب للمنافقين الذين امنوا بالسنتهم ويجوز ان يكون للمؤمنين اذا تناجيتم فلا تشبهوا باولئك في تناجيهم بالشر وتناجوا بالبر والتقوى وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا كنتم ثلثة فلا يتناجى اثنان دون صاحبهما فان ذلك يحزنه وروى دون الثالث وقرئ فلا تنتجوا وعن ابن مسعود اذا انتجيتم فلا تنتجوا **انما النجوى من الشيطان ليحزن الذين امنوا وليس بضارهم شيئا الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون** انما النجوى اللام اشارة الى النجوى بالاثم والعدوان بدليل قوله ليحزن الذين امنوا والمعنى ان الشيطان يزينها لهم فكانها منه ليغيظ الذين امنوا ويحزنهم وليس الشيطان او الحزن بضارهم شيئا الا باذن الله **فان قلت** كيف لا يضرهم الشيطان او الحزن الا باذن الله **قلت** كانوا يوهمون المؤمنين في نجواهم وتغامزهم ان غزاتهم غلبوا وان اقاربهم قتلوا فقال لا يضرهم الشيطان او الحزن بذلك الموهم الا باذن الله اي بمشيئته وهو ان يقضي الموت على اقاربهم او الغلبة على الغزاة وقرئ ليحزن وليحزن

يا ايها

يا ايها الذين امنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم واذا قيل انشزوا فانشزوا يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير تفسحوا في المجلس توسعوا فيه وليفسح بعضكم عن بعض من قولهم افسح عني اي تنح ولا تتضاموا وقرئ تفاسحوا والمراد مجلس رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكانوا يتضامون فيه تنافسا على القرب منه وحرصا على استماع كلامه وقيل هو المجلس من مجالس القتال وهي مراكز الغزاة كقوله تعالى مقاعد للقتال وقرئ في المجالس قيل كان الرجل يأتي الصف فيقول تفسحوا فيأبون لحرصهم على الشهادة وقرئ في المجلس بفتح اللام وهو الجلوس اي توسعوا في جلوسكم ولا تتضايقوا فيه يفسح الله لكم مطلق في كل ما يبتغي الناس الفسحة فيه من المكان والرزق والصدر والقبر وغير ذلك انشزوا انهضوا للتوسعة على المقبلين وانهضوا عن مجلس رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا امرتم بالنهوض ولا تملوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالارتكاز فيه او انهضوا الى الصلوة والجهاد واعمال الخير اذا استنهضتم ولا تثبطوا ولا تفرطوا يرفع الله المؤمنين بامتثال اوامره واوامر رسوله والعالمين منهم خاصة درجات بما تعملون قرئ بالتاء والياء وعن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه انه كان اذا قرأها قال يا ايها الناس افهموا هذه الآية ولترغبكم في العلم وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بين العالم والعابد مائة درجة بين كل درجتين حضر الجواد المضمر سبعين سنة وعنه عليه الصلوة والسلام فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وعنه ايضا صلى الله تعالى عليه وسلم يشفع يوم القيمة ثلثة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء فاعظم بمرتبة هي واسطة بين النبوة والشهادة بشهادة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما خير رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بين العلم والمال والملك فاختار العلم فاعطى المال والملك معه وقال صلى الله تعالى عليه وسلم اوحى الله تعالى الى ابراهيم عليه السلام يا ابراهيم اني عليم احب كل عليم وعن بعض الحكماء ليت شعري اي شيء ادرك من فاته العلم واي شيء فات من ادرك العلم وعن الاحنف كاد العلماء يكونون اربابا وكل عز لم يوطده علم فالى ذل ما يصير وعن الزهري العلم ذكر فلا يحبه الا ذكورة الرجال **يا ايها الذين امنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ذلك خير لكم واطهر فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم** بين يدي نجواكم استعارة ممن له يدان والمعنى قبل نجواكم كقول عمر رضي الله تعالى عنه من افضل ما اوتيت العرب الشعر يقدمه الرجل امام حاجته فيستمطر به الكريم ويستنزل به اللئيم يريد قبل حاجته ذلك التقديم خير لكم في دينكم واطهر لان الصدقة طهرة وروى ان الناس اكثروا مناجاة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بما يريدون حتى املوه وابرموه فاريد ان يكفوا عن ذلك فامروا بان من اراد ان يناجيه قدم قبل مناجاته صدقة قال علي ابن ابي طالب رضي الله تعالى عنه لما نزلت دعاني رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ما تقول في دينار قلت لا يطيقونه قال كم قلت حبة او شعيرة قال انك لزهيد فلما رأوا ذلك اشتد عليهم فارتدعوا وكفوا اما الفقير فلعسرته واما الغني فلشحه وقيل كان ذلك عشر ليال ثم نسخ وقيل ما كان الا ساعة من نهار وعن امير المؤمنين علي رضي الله تعالى عنه ان في كتاب الله لآية ما عمل بها احد قبلي ولا يعمل بها احد بعدي كان لي دينار فصرفته فكنت اذا ناجيته تصدقت بدرهم وقال الكلبي تصدق به في عشر كلمات سألهن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما كان لعلي رضي الله تعالى عنه ثلاث لو كانت لي واحدة منهن كانت احب الي من حمر النعم تزويجه فاطمة رضي الله تعالى عنها واعطاؤه الراية يوم خيبر وآية النجوى قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هي منسوخة بالآية التي بعدها وقيل هي منسوخة بالزكوة **ءاشفقتم ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فاقيموا الصلوة واتوا الزكوة واطيعوا الله ورسوله والله خبير بما تعملون** ءاشفقتم اخفتم تقديم الصدقات لما فيه من الانفاق الذي تكرهونه وان الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء فاذ لم تفعلوا ما امرتم به وشق عليكم وتاب الله عليكم وعذركم ورخص لكم في ان لا تفعلوه فلا تفرطوا في الصلوة والزكوة وسائر الطاعات بما تعملون قرئ بالياء والتاء **الم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم ويحلفون على الكذب وهم يعلمون اعد الله لهم عذابا شديدا انهم ساء ما كانوا يعملون** كان المنافقون يتولون اليهود لعنهم الله تعالى وهم الذين غضب الله عليهم في قوله عز وجل من لعنه الله وغضب عليه وينا صحونهم

وينقلون اليهم اسرار المسلمين ما هم منكم يا مسلمون ولا من اليهود كقوله تعالى مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ويحلفون
على الكذب اى يقولون والله انا لمسلمون فيحلفون على الكذب الذى هو ادعاء الاسلام وهم يعلمون ان المحلوف عليه كذب بحت
فان قلت فما فائدة قوله تعالى وهم يعلمون **قلت** الكذب ان يكون الخبر لا على وفاق المخبر عنه سواء علم
او لم يعلم فالمعنى انهم الذين يخبرون وخبرهم خلاف ما يخبرون عنه وهم عالمون بذلك متعمدون له كمن يحلف بالغموس وقيل كان
عبد الله بن نبتل المنافق عليه اللعنة يجالس رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم يرفع حديثه الى اليهود عليهم اللعنة فبينا
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى حجرة من حجره اذ قال لاصحابه الآن يدخل عليكم رجل قلبه قلب جبار وينظر بعين
شيطان فدخل ابن نبتل وكان ازرق فقال له النبى عليه الصلوة والسلام علام تشتمنى انت واصحابك فحلف
ما فعل فقال صلى الله تعالى عليه وسلم فعلت فانطلق فجاء باصحابه فحلفوا بالله ما سبوه فنزلت **عذابا شديدا** نوعا من
العذاب متفاقما **انهم ساء ما كانوا يعملون** يعنى انهم كانوا فى الزمان الماضى مصرين على سوء العمل او
حكاية ما يقال لهم فى الآخرة **اتخذوا ايمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله فلهم عذاب**
مهين لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا اولئك اصحاب النار هم فيها
خالدون وقرئ ايمانهم بالكسر اى اتخذوا ايمانهم التى حلفوا بها او ايمانهم الذى اظهروه جنة اى سترة يستترون بها من
المؤمنين ومن قتلهم فصدوا الناس فى خلال امنهم وسلامتهم عن سبيل الله وكانوا يثبطون من لقوا عن الدخول فى الاسلام ويضعفون
امر المسلمين عندهم واعد لهم الله تعالى العذاب المهين المخزى لكفرهم وصدهم كقوله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله
زدناهم عذابا فوق العذاب من الله من عذاب الله شيئا قليلا من الاغناء روى ان رجلا منهم قال لننصرن يوم القيمة بانفسنا
واموالنا واولادنا **يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون انهم على**
شىء الا انهم هم الكاذبون فيحلفون لله تعالى انهم مسلمون فى الآخرة كما يحلفون لكم فى الدنيا على ذلك
ويحسبون انهم على شىء من النفع ليس العجب من حلفهم لكم فانكم بشر تخفى عليكم السرائر وان لهم نفعا فى ذلك دفعا عن ارواحهم واستجرار
فوائد دنيوية وانهم يفعلونه فى دار لا يضطرون فيها الى علم ما يوعدون ولكن العجب من حلفهم لله تعالى عالم الغيب والشهادة
مع عدم النفع والاضطرار الى علم ما انذرتهم الرسل والمراد وصفهم بالتوغل فى نفاقهم ومرودهم عليه وان ذلك بعد موتهم وبعثهم
باق فيهم لا يضمحل كما قال تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وقد اختلف العلماء فى كذبهم فى الآخرة والقرآن ناطق بثباته
نطقا مكشوفا كما ترى فى هذه الآية وفى قوله عز وجل والله ربنا ما كنا مشركين انظر كيف كذبوا على انفسهم وضل عنهم ما كانوا
يفترون ونحو حسبانهم انهم على شىء من النفع اذا حلفوا استنظارهم المؤمنين ليقتبسوا من نورهم لحسبانهم ان الايمان
الظاهر مما ينفعهم وقيل عند ذلك يختم على افواههم الا انهم هم الكاذبون يعنى انهم الغاية التى لا مطمح وراءها فى قول
الكذب حيث استوت حالهم فيه فى الدنيا والآخرة **استحوذ عليهم الشيطان فانساهم ذكر الله اولئك**
حزب الشيطان الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون ان الذين يحادون الله ورسوله
اولئك فى الاذلين كتب الله لاغلبن انا ورسلى ان الله قوى عزيز
استحوذ عليهم استولى من حاذ الحمار العانة اذا جمعها وساقها غالبا لها ومنه كان احوذيا نسيج وحده وهو احد ما جاء على
الاصل نحو استصوب واستنوق اى ملكهم الشيطان لطاعتهم له فى كل ما يريده منهم حتى جعلهم رعيته وحزبه فانساهم ان
يذكروا الله اصلا لا بقلوبهم ولا بالسنتهم قال ابو عبيدة حزب الشيطان جنده فى الاذلين فى جملة من هو اذل خلق الله
لا ترى احدا اذل منهم كتب الله فى اللوح لاغلبن انا ورسلى بالحجة والسيف او باحدهما **لا تجد قوما يؤمنون**
بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم او ابناءهم
او اخوانهم او عشيرتهم لا تجد قوما من باب التخييل خيل ان من الممتنع المحال ان تجد قوما يوادون المشركين
والغرض به انه لا ينبغى ان يكون ذلك وحقه ان يمتنع ولا يوجد بحال مبالغة فى النهى عنه والزجر عن ملابسته والتوصية
بالتصلب فى مجانبة اعداء الله تعالى ومباعدتهم والاحتراس عن مخالطتهم ومعاشرتهم وزاد ذلك تأكيدا وتشديدا
بقوله تعالى ولو كانوا آباءهم وبقوله اولئك كتب فى قلوبهم الايمان وبمقابلة قوله تعالى اولئك حزب الشيطان بقوله اولئك
حزب الله فلا تجد شيئا ادخل فى الاخلاص من موالاة اولياء الله تعالى ومعاداة اعدائه بل هو الاخلاص بعينه **اولئك كتب**

فى قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها
رضى الله عنهم ورضوا عنه اولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون
كتب فى قلوبهم الايمان اثبته فيها بما وفقهم فيه وشرح له صدورهم وايدهم بروح منه بلطف من عنده حييت به قلوبهم ويجوز ان
يكون الضمير للايمان اى بروح من الايمان على انه فى نفسه روح لحيوة القلوب وعن الثورى انه قال كانوا يرون انها نزلت
فيمن يصحب السلطان وعن عبد العزيز بن ابى رواد انه لقى المنصور فى الطواف فلما عرفه هرب منه وتلاها وعن النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم انه كان يقول اللهم لا تجعل لفاجر ولا لفاسق عندى نعمة فانى وجدت فيما اوحيت لا تجد قوما وروى
انها نزلت فى ابى بكر رضى الله عنه وذلك ان ابا قحافة سب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فصكه صكة سقط منها
فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم او فعلته قال نعم قال لا تعد قال والله لو كان السيف قريبا منى لقتلته
وقيل فى ابى عبيدة بن الجراح رضى الله تعالى عنه قتل اباه عبد الله الجراح يوم احد وفى ابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه
دعا ابنه يوم بدر الى البراز وقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم دعنى اكن فى الرعلة الاولى قال متعنا بنفسك يا ابا بكر
اما تعلم انك عندى بمنزلة سمعى وبصرى وفى مصعب بن عمير رضى الله تعالى عنه قتل اخاه عبيد بن عمير يوم احد وفى عمر بن
الخطاب رضى الله تعالى عنه قتل خاله العاص بن هشام يوم بدر وفى على وحمزة وعبيدة بن الحارث رضى الله تعالى عنهم
قتلوا عتبة وشيبة ابنى ربيعة والوليد بن عتبة عليهم اللعنة يوم بدر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المجادلة كتب من حزب الله يوم القيمة

سورة الحشر مدنية

وهى اربع عشرين آية

بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما فى السموات وما فى الارض
وهو العزيز الحكيم هو الذى اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول
الحشر ما ظننتم ان يخرجوا وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله صالح بنو النضير
رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان لا يكونوا عليه ولا له فلما ظهر يوم بدر قالوا هو النبى الذى نعته فى التوراة لا ترد له راية
فلما هزم المسلمون يوم احد ارتابوا ونكثوا فخرج كعب بن الاشرف فى اربعين راكبا الى اهل مكة فحالفوا عليه قريشا
عند الكعبة فامر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم محمد بن مسلمة الانصارى فقتل كعبا غيلة وكان اخاه من الرضاعة ثم
صبحهم بالكتائب وهو على حمار مخطوم بليف فقال لهم اخرجوا من المدينة فقالوا الموت احب الينا من ذلك فتنادوا بالحرب
وقيل استمهلوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عشرة ايام ليتجهزوا للخروج فدس عبد الله بن ابى المنافق واصحابه اليهم
لا تخرجوا من الحصن فان قاتلوكم فنحن معكم لا نخذلكم ولئن خرجتم لنخرجن معكم فدربوا على الازقة وحصنوها فحاصرهم احدى وعشرين ليلة
فلما قذف الله تعالى الرعب فى قلوبهم وايسوا من نصر المنافقين طلبوا الصلح فابى عليهم الا الجلاء على ان يحمل كل ثلثة ابيات على
بعير ما شاؤا من متاعهم فجلوا الى الشام الى اريحا واذرعات الا اهل بيتين منهم آل ابى الحقيق وآل حيى بن اخطب فانهم لحقوا
بخيبر ولحقت طائفة بالحيرة اللام فى لاول الحشر تتعلق باخرج وهى اللام فى قوله عز وجل يا ليتنى قدمت لحيوتى وقولك
جئت لوقت كذا والمعنى اخرج الذين كفروا عند اول الحشر ومعنى اول الحشر ان هذا اول حشرهم الى الشام وكانوا من سبط
لم يصبهم جلاء قط وهم اول من اخرج من اهل الكتاب من جزيرة العرب الى الشام وهذا اول حشرهم وآخر حشرهم اجلاء
عمر رضى الله تعالى عنه اياهم من خيبر الى الشام وقيل آخر حشرهم حشر يوم القيمة لان المحشر يكون بالشام وعن عكرمة
من شك ان المحشر ههنا يعنى الشام فليقرأ هذه الآية وقيل معناه اخرجهم من ديارهم لاول ما حشر لقتالهم
لانه اول قتال قاتلهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما ظننتم ان يخرجوا لشدة باسهم ومنعتهم ووثاقة
حصونهم وكثرة عددهم وعدتهم وظنوا ان حصونهم تمنعهم من باس الله تعالى **فاتاهم الله من حيث**
لم يحتسبوا وقذف فى قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بايديهم وايدى المؤمنين فاعتبروا
يا اولى الابصار فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا من حيث لم يظنوا ولم يخطر ببالهم وهو قتل رئيسهم كعب بن الاشرف
غرة على يد اخيه وذلك مما اضعف قوتهم وفل من شوكتهم وسلب قلوبهم الامن والطمأنينة بما قذف فيها من الرعب والهم

ان يوافقوا المؤمنين في تخريب بيوتهم ويعينوا على انفسهم وثبّط المنافقين الذين كانوا يتولونهم عن مظاهرتهم دبّر كل
لم يكن في حسبانهم ومنه اتاهم الهلاك **فان قلت** اي فرق بين قولك وظنوا ان حصونهم تمنعهم او مانعتهم
وبين النظم الذي جاء عليه **قلت** في تقديم الخبر على المبتدا دليل على فرط وثوقهم بحصانتها ومنعها اياهم وفي تصيير
ضميرهم اسما لان واسناد الجملة اليه دليل على اعتقادهم في انفسهم انهم في عزة ومنعة لا يبالي معها باحد يتعرض لهم او يطمع
في معازتهم وليس ذلك في قولك وظنوا ان حصونهم تمنعهم وقرئ فآتاهم الله اي فآتاهم الهلاك والرعب الخوف الذي
يرعب الصدر اي يملأه وقذفه اثباته وركزه ومنه قالوا في صفة الاسد مقذف كأنما قذف باللحم قذفا لاكتنازه
وتداخل اجزائه وقرئ يخرّبون ويخربون مثقلا ومخففا والتخريب والاخراب الافساد بالنقض والهدم والخربة
الفساد كانوا يخربون بواطنها والمسلمون ظواهرها لما اراد الله عز وجل من استيصال شأفتهم وان لا يبقى لهم بالمدينة
دار ولا منهم ديار والذي دعاهم الى التخريب حاجتهم الى الخشب والحجارة ليسدوا بها افواه الازقة وان لا يتحسروا
بعد جلائهم على بقائها مساكن للمسلمين وان ينقلوا معهم ما كان في ابنيتهم من جيد الخشب والساج المليح واما
المؤمنون فداعيهم ازالة متحصنهم ومتمنعهم وان يتسع لهم مجال الحرب **فان قلت** ما معنى تخريبهم لها
بايدي المؤمنين **قلت** لما عرضوهم لذلك وكانوا السبب فيه فكأنهم امروهم به وكلفوهم اياه فاعتبروا اي
تدبروا الله تعالى وليتم من اخراجهم وتسليط المسلمين عليهم من غير قتال وقيل وعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
المسلمين ان يورثهم الله تعالى ارضهم واموالهم بغير قتال فكان كما قال يعني ان الله عز وجل قد عزم على تطهير ارض
المدينة منهم وازاحة المسلمين من جوارهم وتوريثهم اموالهم **ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء**
لعذبهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب النار ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله
ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب فلولا انه تعالى كتب عليهم الجلاء واقتضته الحكمة
ودعاه الى اختياره انه اشق عليهم من الموت لعذبهم في الدنيا بالقتل كما فعل باخوانهم بني قريظة ولهم سواء اجلوا
او قتلوا عذاب النار يعني ان نجوا من عذاب الدنيا لم ينجوا من عذاب الآخرة **ما قطعتم من لينة او تركتموها**
قائمة على اصولها فباذن الله وليخزي الفاسقين من لينة بيان لما قطعتم ومحل ما نصب بقطعتم
وانث الضمير الراجع الى ما في قوله تعالى او تركتموها لانه في معنى اللينة واللينة النخلة من الالوان وهي ضروب النخل
ما خلا العجوة والبرنية وهما اجود النخل وياؤها عن واو قلبت لكسرة ما قبلها كالديمة وقيل اللينة النخلة الكريمة كأنهم
اشتقوها من اللين قال ذو الرمة • كأن قتودي فوقها عش طائر • على لينة سوقاء تهفو جنوبها • وجمعها ليان وقرئ
قوما على اصلها وفيه وجهان انه جمع اصل كرهن ورهن او اكتفي فيه بالضمة عن الواو وقرئ قائما على اصوله ذهابا الى
لفظ ما فباذن الله فقطعها باذن الله وامره وليخزي الفاسقين وليذل اليهود ويغيظهم اذن في قطعها وذلك ان
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حين امر ان يقطع نخلهم ويحرق قالوا يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد فما بال قطع النخل وتحريقها
فكان في انفس المؤمنين من ذلك شيء فنزلت يعني ان الله عز وجل اذن لهم في قطعها ليزيدكم غيظا ويضاعف لكم حسرة اذا
رأيتموهم يتحكمون في اموالكم كيف احبوا ويتصرفون فيها ما شاؤوا واتفق العلماء على ان حصون الكفرة وديارهم لا بأس بان تهدم
وتحرق وتغرق وترمى بالمجانيق وكذلك اشجارهم لا بأس بقلعها مثمرة كانت او غير مثمرة وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه
قطعوا منها ما كان موضعا للقتال **فان قلت** لم خصت اللينة بالقطع **قلت** ان كانت من الالوان فليستبقوا
لانفسهم العجوة والبرنية وان كانت من كرام النخل فليكون غيظ اليهود اشد واشق وروي ان رجلين كانا يقطعان احدهما
العجوة والآخر اللون فسألهما رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال هذا تركتها لرسول الله وقال هذا قطعتها غيظا للكفار وقد
استدل به على جواز الاجتهاد وعلى جوازه بحضرة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لانهما باجتهادهما فعلا ذلك واحتج به من يقول
كل مجتهد مصيب **وما افاء الله على رسوله منهم فما اوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله**
يسلط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير افاء الله على رسوله جعله له فيئا خاصة والايجاف
من الوجيف وهو السير السريع ومنه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم في الافاضة من عرفات ليس البر بايجاف الخيل ولا ايضاع
الابل على هينتكم ومعنى فما اوجفتم عليه فما اوجفتم على تحصيله وتغنمه خيلا ولا ركابا ولا تعبتم في القتال عليه وانما مشيتم اليه

على ارجلكم والمعنى ان ما خول الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم من اموال بني النضير شيء لم تحصلوه بالقتال ولكن سلطه الله
تعالى عليهم وعلى ما في ايديهم كما كان يسلط رسله على اعدائهم فلا حق لكم فيه مفوض اليه يضعه حيث يشاء يعني انه لا يقسم
قسمة الغنائم التي قوتل عليها واخذت عنوة وقهرا وذلك انهم طلبوا القسمة فنزلت **ما افاء الله على رسوله**
من اهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى وابن السبيل كيلا يكون
دولة بين الاغنياء منكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله
ان الله شديد العقاب لم يدخل العاطف على هذه الجملة لانها بيان للاولى فهي منها غير اجنبية عنها
بين لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما يصنع بما افاء الله تعالى عليه وامره ان يضعه حيث يضع الخمس من الغنائم مقسوما
على الاقسام الخمسة والدولة والدولة بالفتح والضم وقد قرئ بهما ما يدول للانسان اي يدور من الجد يقال دالت
له الدولة واديل لفلان ومعنى قوله تعالى كيلا يكون دولة بين الاغنياء منكم كيلا يكون الفيء الذي حقه ان يعطى الفقراء
ليكون لهم بلغة يعيشون بها جدا بين الاغنياء يتكاثرون به او لئلا يكون دولة جاهلية بينهم ومعنى الدولة الجاهلية
ان الرؤساء منهم كانوا يستأثرون بالغنيمة لانهم اهل الرياسة والدولة والغلبة وكانوا يقولون من عز بز والمعنى كيلا
يكون اخذه غلبة واثرة جاهلية ومنه قول الحسن رحمه الله تعالى اتخذوا عباد الله خولا ومال الله دولا يريد من غلب
منهم اخذه واستأثر به وقيل الدولة ما يتداول كالغرفة اسم ما يغترف يعني كيلا يكون الفيء شيئا يتداوله
الاغنياء بينهم ويتعاورونه فلا يصيب الفقراء والدولة بفتح الدال بمعنى التداول اي كيلا يكون ذا تداول بينهم او كيلا يكون
امساكه تداولا بينهم لا يخرجونه الى الفقراء وقرئ دولة بالرفع على كان التامة كقوله تعالى وان كان ذو عسرة يعني كيلا
يقع دولة جاهلية ولينقطع اثرها او كيلا يكون تداول له بينهم او كيلا يكون شيء متعاور بينهم غير مخرج الى الفقراء وما آتاكم
الرسول من قسمة غنيمة او فيء فخذوه وما نهاكم عن اخذه فانتهوا ولا تتبعه انفسكم واتقوا الله ان تخالفوه وتتهاونوا
باوامره ونواهيه ان الله شديد العقاب لمن خالف رسوله والاجود ان يكون عاما في كل ما اتى رسول الله ونهى عنه
وامر الفيء داخل في عمومه وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه انه لقي رجلا محرما وعليه ثيابه فقال له انزع عنك هذا فقال
الرجل اقرأ علي في هذا آية من كتاب الله تعالى قال نعم فقرأها عليه **للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم**
واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله اولئك
هم الصادقون والذين تبوؤوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم
للفقراء بدل من قوله تعالى لذي القربى والمعطوف عليه والذي منع الابدال من لله وللرسول والمعطوف عليهما وان كان المعنى
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله عز وجل اخرج رسوله من الفقراء في قوله تعالى وينصرون الله ورسوله وانه تعالى
يترفع برسول الله عن التسمية بالفقير وان الابدال على ظاهر اللفظ من خلاف الواجب في تعظيم الله تعالى اولئك هم الصادقون
في ايمانهم وجهادهم والذين تبوؤوا معطوف على المهاجرين والانصار **فان قلت** ما معنى عطف الايمان على الدار ولا
يقال تبوؤوا الايمان **قلت** معناه تبوؤوا الدار واخلصوا الايمان كقوله • علفتها تبنا وماء باردا • او جعلوا الايمان
مستقرا ومتوطنا لهم لتمكنهم منه واستقامتهم عليه كما جعلوا المدينة كذلك او اراد دار الهجرة ودار الايمان فاقام
لام التعريف في الدار مقام المضاف اليه وحذف المضاف من دار الايمان ووضع المضاف اليه مقامه او سمى المدينة لانها دار الهجرة ومكان ظهور الايمان
بالايمان من قبلهم من قبل المهاجرين لانهم سبقوهم في تبوء دار الهجرة والايمان وقيل من قبل هجرتهم **ولا يجدون**
في صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ولا يجدون ولا يعلمون
في انفسهم حاجة مما اوتوا اي طلب محتاج اليه مما اوتي المهاجرون من الفيء وغيره والمحتاج اليه يسمى حاجة يقال خذ منه حاجتك
واعطاه من ماله حاجته يعني ان نفوسهم لم تتبع ما اعطوا ولم تطمح الى شيء منه تحتاج اليه ولو كان بهم خصاصة اي خلة واصلها
خصاص البيت وهي فروجه والجملة في موضع الحال اي مفروضة خصاصتهم وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قسم اموال
بني النضير على المهاجرين ولم يعط الانصار الا ثلاثة نفر محتاجين ابا دجانة سماك بن خرشة وسهل بن حنيف والحارث بن الصمة
وقال لهم ان شئتم قسمتم للمهاجرين من اموالكم ودياركم وشاركتموهم في هذه الغنيمة وان شئتم كانت لكم دياركم واموالكم ولم يقسم لكم شيء
من الغنيمة فقالت الانصار بل نقسم لهم من اموالنا وديارنا ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فنزلت **ومن يوق شح نفسه**

فاولئك هم المفلحون • والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا
ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين امنوا ربنا انك رؤف رحيم
الشح بالضم والكسر وقد قرئ بهما اللؤم وان يكون نفس الرجل كزة حريصة على المنع كما قال • يمارس نفسا بين جنبيه كزة اذا هم
بالمعروف قالت له مهلا • وقد اضيف الى النفس لانه غريزة فيها واما البخل فهو المنع نفسه ومنه قوله عز وعلا واحضرت
الانفس الشح ومن يوق شح نفسه ومن غلب ما امرته به نفسه وخالف هواها بمعونة الله تعالى وتوفيقه فاولئك هم المفلحون
الظافرون بما ارادوا وقرئ ومن يوق • والذين جاؤوا من بعدهم عطف ايضا على المهاجرين وهم الذين هاجروا من
بعد وقيل التابعون باحسان غلا وقرئ غمرا وهما الحقد • الم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم
الذين كفروا من اهل الكتاب لئن اخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم احدا ابدا
وان قوتلتم لننصرنكم • والله يشهد انهم لكاذبون • لاخوانهم الذين بينهم وبينهم اخوة الكفر
ولانهم كانوا يوالونهم ويواخونهم وكانوا معهم على المؤمنين في السر ولا نطيع فيكم في قتالكم احدا من رسول الله والمسلمين
ان حملنا عليه او في خذلانكم واخلاف ما وعدناكم من النصرة لكاذبون اي في مواعيدهم لليهود عليهم اللعنة وفيه دليل على صحة
النبوة لانه اخبار بالغيب • لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم
ولئن نصروهم ليولن الادبار ثم لا ينصرون • فان قلت كيف قيل ولئن نصروهم
بعد الاخبار بانهم لا ينصرونهم قلت معناه ولئن نصروهم على الفرض والتقدير كقوله تعالى لئن اشركت ليحبطن
عملك وكما يعلم ما يكون فهو يعلم ما لا يكون لو كان كيف يكون والمعنى ولئن نصر المنافقون اليهود لينهزمن المنافقون ثم
لا ينصرون بعد ذلك اي يهلكهم الله ولا ينفعهم نفاقهم لظهور كفرهم او لينهزمن اليهود ثم لا ينفعهم نصرة المنافقين
لانتم اشد رهبة في صدورهم من الله • ذلك بانهم قوم لا يفقهون • رهبة مصدر رهب المبني
للمفعول كانه قيل اشد مرهوبية وقوله تعالى في صدورهم دلالة على نفاقهم يعني انهم يظهرون لكم في العلانية خوف الله
وانتم اهيب في صدورهم من الله • فان قلت كانهم كانوا يرهبون من الله حتى تكون رهبتهم منهم اشد
قلت معناه ان رهبتهم في السر منكم اشد من رهبتهم من الله التي يظهرونها لكم وكانوا يظهرون لهم رهبة شديدة من الله
ويجوز ان يريد ان اليهود عليهم اللعنة يخافونكم في صدورهم اشد من خوفهم من الله تعالى لانهم كانوا قوما اولي باس ونجدة فكانوا يتخوفون
لهم مع اضمار الخيفة في صدورهم لا يفقهون لا يعلمون الله وعظمته حتى يخشوه حق خشيته • لا يقاتلونكم جميعا الا في
قرى محصنة او من وراء جدر باسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك
بانهم قوم لا يعقلون • لا يقاتلونكم لا يقدرون على مقاتلتكم جميعا مجتمعين متساندين يعني اليهود والمنافقين
الا كائنين في قرى محصنة بالخنادق والدروب او من وراء جدر دون ان يصحروا لكم ويبارزوكم لقذف الله تعالى
الرعب في قلوبهم وان تاييد الله ونصرته معكم وقرئ جدر بالتخفيف وجدار وجدر وجدر وهما الجدار باسهم بينهم شديد
يعني ان الباس الشديد الذي يوصفون به انما هو بينهم اذا اقتتلوا ولو قاتلوكم لم يبق لهم ذلك الباس والشدة لان الشجاع
يجبن والعز يذل عند محاربة الله تعالى ورسوله تحسبهم جميعا مجتمعين ذوي الفة واتحاد وقلوبهم شتى متفرقة لا الفة بينها
يعني ان بينهم احنا وعداوات فلا يتعاضدون حق التعاضد ولا يرمون عن قوس واحدة وهذا تجسير للمؤمنين وتشجيع لقلوبهم
على قتالهم قوم لا يعقلون ان تشتت القلوب مما يوهن قواهم ويعين على ارواحهم • كمثل الذين من قبلهم
قريبا ذاقوا وبال امرهم ولهم عذاب اليم • كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما
كفر قال اني بريء منك اني اخاف الله رب العالمين • كمثل الذين من قبلهم اي مثلهم كمثل اليهود من قبلهم
في زمان قريب فان قلت بم انتصب قريبا قلت بمثل على كوجود مثل اهل بدر قريبا وبال امرهم سوء عاقبة
كفرهم وعداوتهم لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قولهم كلأ وبيل وخيم سيء العاقبة يعني ذاقوا عذاب القتل في الدنيا
ولهم في الاخرة عذاب النار مثل المنافقين في اغرائهم اليهود عليهم اللعنة على القتال ووعدهم اياهم النصر ثم متاركتهم لهم
واخلافهم كمثل الشيطان اذا استغوى الانسان بكيده ثم تبرأ منه في العاقبة والمراد استغواؤه قريشا يوم بدر وقوله
لهم لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم الى قوله تعالى اني بريء منكم • فكان عاقبتهما انهما في النار خالدين

فيها

فيها وذلك جزاء الظالمين • يا ايها الذين امنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت
لغد واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون • وقرأ ابن مسعود رضي الله تعالى عنه خالدان فيها على
انه خبر ان وفي النار لغو وعلى القراءة المشهورة الظرف مستقر وخالدين فيها حال وقرئ انا بريء وعاقبتهما بالرفع
كرر الامر بالتقوى تاكيدا واتقوا الله في اداء الواجبات لانه قرن بما هو عمل واتقوا الله في ترك المعاصي لانه قرن بما
يجري مجرى الوعيد والغد يوم القيمة سماه باليوم الذي يلي يومك تقريبا له وعن الحسن لم يزل يقربه حتى جعله كالغد
ونحوه قوله تعالى كان لم تغن بالامس يريد تقريب الزمان الماضي وقيل عبر عن الاخرة بالغد كان الدنيا والاخرة
نهاران يوم وغد فان قلت ما معنى تنكير النفس والغد قلت اما تنكير النفس فاستقلال للانفس
النواظر فيما قدمن للاخرة كانه قال فلتنظر نفس واحدة في ذلك واما تنكير الغد فلتعظيمه وابهام امره كانه قيل لغد لا يعرف
كنهه لعظمه وعن مالك بن دينار مكتوب على باب الجنة وجدنا ما عملنا ربحنا ما قدمنا وخسرنا ما خلفنا
ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون • نسوا الله
نسوا حقه فجعلهم ناسين حق انفسهم بالخذلان حتى لم يسعوا لها بما ينفعها عنده او فاراهم يوم القيمة من الاهوال ما نسوا
فيه انفسهم كقوله تعالى لا يرتد اليهم طرفهم • لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة اصحاب الجنة
هم الفائزون • هذا تنبيه للناس وايذان لهم بانهم لفرط غفلتهم وقلة فكرهم في العاقبة وتهالكهم على ايثار العاجلة
واتباع الشهوات كانهم لا يعرفون الفرق بين الجنة والنار والبون العظيم بين اصحابهما وان الفوز مع اصحاب الجنة فمن
حقهم ان يعلموا ذلك وينبهوا عليه كما تقول لمن يعق اباه هو ابوك تجعله بمنزلة من لا يعرفه فتنبهه بذلك على حق الابوة
الذي يقتضي البر والتعطف وقد استدل اصحاب الشافعي رحمهم الله تعالى بهذه الاية على ان المسلم لا يقتل بالكافر
وان الكفار لا يملكون اموال المسلمين بالقهر • لو انزلنا هذا القران على جبل لرايته خاشعا
متصدعا من خشية الله • وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون •
هذا تمثيل وتخييل كما مر في قوله جل وعلا انا عرضنا الامانة وقد دل عليه قوله تعالى وتلك الامثال نضربها للناس والغرض
توبيخ الانسان على قسوة قلبه وقلة تخشعه عند تلاوة القران وتدبر قوارعه وزواجره وقرئ مصدعا على الادغام
وتلك الامثال اشارة الى هذا المثل والى امثاله في مواضع من التنزيل • هو الله الذي لا اله الا هو
عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم • الغيب المعدوم والشهادة الموجود المدرك كانه يشاهده
وقيل ما غاب عن العباد وما شاهدوه وقيل السر والعلانية وقيل الدنيا والاخرة • هو الله الذي
لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما
يشركون • القدوس بالضم والفتح وقد قرئ بهما البليغ في النزاهة عما يستقبح ونظيره السبوح وفي تسبيح الملائكة سبوح
قدوس رب الملائكة والروح والسلام بمعنى السلامة ومنه دار السلام وسلام عليكم وصف به مبالغة في وصف كونه سليما من النقائص
او في اعطائه السلامة والمؤمن واهب الامن وقرئ بفتح الميم بمعنى المؤمن به على حذف الجار كما تقول في قوم موسى من قوله تعالى واختار
موسى قومه المختارون بلفظ صفة السبعين والمهيمن الرقيب على كل شيء الحافظ له مفيعل من الامن الا ان همزته قلبت هاء والجبار
القاهر الذي جبر خلقه على ما اراد اي اجبره والمتكبر البليغ الكبرياء والعظمة وقيل المتكبر عن ظلم عباده • هو الله الخالق
البارئ المصور له الاسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم
الخالق المقدر لما يوجده البارئ المميز بعضه من بعض بالاشكال المختلفة والمصور الممثل وعن حاطب بن ابي بلتعة انه قرأ
البارئ المصور بفتح الواو ونصب الراء اي الذي يبرأ المصور اي يميز ما يصوره بتفاوت الهيئات وقرأ ابن مسعود وما في
الارض عن ابي هريرة سالت حبيبي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن اسم الله الاعظم فقال عليك باخر سورة الحشر فاكثر قراءته
فاعدت عليه فاعاد علي فاعدت عليه فاعاد علي • عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الحشر غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تاخر

سورة الممتحنة مدنية وهي ثلث عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم • يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي

وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول واياكم ان تومنوا بالله ربكم ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون اليهم بالمودة وانا اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل

روي ان مولاة لابي عمرو بن صيفي بن هاشم يقال لها سارة اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهو يتجهز للفتح فقال لها امسلمة جئت قالت لا قال امهاجرة جئت قالت لا قال فما جاء بك قالت كنتم الاهل والموالي والعشيرة وقد ذهبت الموالي تعني قتلوا يوم بدر فاحتجت حاجة شديدة فحث عليها بني عبد المطلب فكسوها وحملوها وزودوها فاتاها حاطب بن ابي بلتعة واعطاها عشرة دنانير وكساها بردا واستحملها كتابا الى اهل مكة نسخته من حاطب بن ابي بلتعة الى اهل مكة اعلموا ان رسول الله يريدكم فخذوا حذركم وخرجت ونزل جبريل عليه السلام بالخبر فبعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عليا وعمارا وعمر وطلحة والزبير والمقداد وابا مرثد رضوان الله تعالى عليهم وكانوا فرسانا وقال انطلقوا حتى تاتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب من حاطب الى اهل مكة فخذوه منها وخلوها فان ابت فاضربوا عنقها فادركوها فجحدت وحلفت فهموا بالرجوع فقال علي رضي الله تعالى عنه والله ما كذبنا ولا كذب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وسل سيفه وقال اخرجي الكتاب او تضعي راسك فاخرجته من عقاص شعرها وروي ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم امن جميع الناس يوم الفتح الا اربعة هي احدهم فاستحضر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حاطبا فقال ما حملك عليه فقال يا رسول الله ما كفرت منذ اسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولا احببتهم منذ فارقتهم ولكني كنت امرا ملصقا في قريش وروي عزيزا فيهم اي غريبا ولم اكن من انفسها وكل من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون اهاليهم واموالهم غيري فخشيت على اهلي فاردت ان اتخذ عندهم يدا وقد علمت ان الله تعالى ينزل عليهم باسه وان كتابي لا يغني عنهم شيا فصدقه وقبل عذره فقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه دعني يا رسول الله اضرب عنق هذا المنافق فقال وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على اهل بدر فقال لهم اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ففاضت عينا عمر رضي الله تعالى عنه فقال الله ورسوله اعلم فنزلت عدى اتخذ الى مفعوليه وهما عدوي واولياء والعدو فعول من عدا كعفو من عفا ولكونه على صفة المصدر اوقع على الجمع ايقاعه على الواحد **فان قلت** تلقون بم يتعلق **قلت** يجوز ان يتعلق بلا تتخذوا حالا من ضميره وباولياء صفة له ويجوز ان يكون استينافا **فان قلت** اذا جعلته صفة لاولياء وقد جرى على غير من هو له فاين الضمير البارز وهو قولك تلقون اليهم انتم بالمودة **قلت** ذلك انما اشترطوه في الاسماء دون الافعال لو قيل اولياء ملقين اليهم بالمودة على الوصف لما كان بد من الضمير البارز والالقاء عبارة عن ايصال المودة والافضاء بها اليهم يقال القى اليه خراشي صدره وافضى اليه بشقوره والباء في بالمودة اما زايدة موكدة للتعدي مثلها في ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة واما ثابتة على ان مفعول تلقون محذوف معناه تلقون اليهم اخبار رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بسبب المودة التي بينكم وبينهم وكذلك قوله تعالى تسرون اليهم بالمودة اي تفضون اليهم بمودتكم سرا او تسرون اليهم اسرار رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بسبب المودة **فان قلت** وقد كفروا حال مماذا **قلت** اما من لا تتخذوا واما من تلقون اي لا تتولوهم او توادونهم وهذه حالهم ويخرجون استيناف كالتفسير لكفرهم وعتوهم او حال من كفروا ان تومنوا تعليل ليخرجون اي يخرجونكم لايمانكم ان كنتم خرجتم متعلق بلا تتخذوا يعني لا تتولوا اعداي ان كنتم اوليائي وقول النحويين في مثله هو شرط جوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه تسرون استيناف ومعناه اي طايل لكم في اسراركم وقد علمتم ان الاخفاء والاعلان سيان في علمي لا تفاوت بينهما وانا مطلع رسولي على ما تسرون ومن يفعله ومن يفعل هذا الاسرار فقد اخطا طريق الحق والصواب وقرا الجحدري لما جاءكم اي كفروا لاجل ما كان يجب ان يكون سبب ايمانهم جعلوه سببا لكفرهم

ان يثقفوكم يكونوا لكم اعداء ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون

ان يثقفوكم ان يظفروا بكم ويتمكنوا منكم يكونوا لكم اعداء خالصي العداوة ولا يكونوا لكم اولياء كما انتم ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء بالقتال والشتم وتمنوا لو ترتدون عن دينكم فاذن موادة امثالهم ومناصحتهم خطا عظيم منكم ومغالطة لانفسكم ونحوه قوله تعالى لا يالونكم خبالا **فان قلت** كيف اورد جواب الشرط مضارعا مثله ثم قال وودوا بلفظ الماضي **قلت** الماضي وان كان يجري في باب الشرط مجرى المضارع في علم الاعراب فان فيه نكتة كانه قيل وودوا قبل كل شي كفركم وارتدادكم

يعني

يعني انهم يريدون ان يلحقوا بكم مضار الدنيا والدين جميعا من قتل الانفس وتمزيق الاعراض وردكم كفارا وهو اسبق المضار عندهم واولها لعلمهم ان الدين اعز عليكم من ارواحكم لانكم بذالون لها دونه والعدو اهم شي عنده ان يقصد اعز شي عند صاحبه

لن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم يوم القيمة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير

لن تنفعكم ارحامكم اي قراباتكم ولا اولادكم الذين توالون الكفار من اجلهم وتتقربون اليهم محاماة عليهم ثم قال يوم القيمة يفصل بينكم وبين اقاربكم واولادكم يوم يفر المرء من اخيه الاية فما لكم ترفضون حق الله تعالى مراعاة لحق من يفر منكم غدا خطا رايهم في موالاة الكفار بما يرجع الى حال من والوه اولا ثم بما يرجع الى حال من اقتضى تلك الموالاة ثانيا ليريهم ان ما اقدموا عليه من اي جهة نظرت فيه وجدته باطلا قرى يفصل ويفصل على البناء للمفعول ويفصل ويفصل على البناء للفاعل وهو الله عز وجل ونفصل ونفصل بالنون

قد كانت لكم اسوة حسنة في ابرهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا براء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تومنوا بالله وحده الا قول ابرهيم لابيه لاستغفرن لك وما املك لك من الله من شي ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا انك انت العزيز الحكيم

قرى اسوة واسوة وهو اسم المؤتسى به اي كان فيهم مذهب حسن مرضي بان يؤتسى به ويتبع اثره وهو قولهم لكفار قومهم ما قالوا حيث كاشفوهم بالعداوة وقشروا لهم العصا واظهروا لهم البغضاء والمقت وصرحوا بان سبب عداوتهم وبغضائهم ليس الا كفرهم بالله وما دام هذا السبب قايما كانت العداوة قايمة حتى ان ازالوه وامنوا بالله وحده انقلبت العداوة موالاة والبغضاء محبة والمقت مقة فافصحوا عن محض الاخلاص ومعنى كفرنا بكم وبما تعبدون من دون الله انا لا نعتد بشانكم ولا بشان الهتكم وما انتم عندنا على شي **فان قلت** مم استثنى قوله الا قول ابراهيم **قلت** من قوله اسوة حسنة لانه اراد بالاسوة الحسنة قولهم الذي حق عليهم ان ياتسوا به ويتخذوه سنة يستنون بها **فان قلت** فان كان قوله لاستغفرن لك مستثنى من القول الذي هو اسوة حسنة فما بال قوله وما املك لك من الله من شي وهو غير حقيق بالاستثناء الا ترى الى قوله قل فمن يملك لكم من الله شيا **قلت** اراد استثناء جملة قوله لابيه والقصد الى موعد الاستغفار له وما بعده مبني عليه وتابع له كانه قال انا استغفر لك وما في طاقتي الا الاستغفار **فان قلت** بم اتصل قوله ربنا عليك توكلنا **قلت** بما قبل الاستثناء وهو من جملة الاسوة الحسنة ويجوز ان يكون المعنى قولوا ربنا امرا من الله تعالى للمومنين بان يقولوه وتعليما منه لهم تتميما لما وصاهم به من قطع العلايق بينهم وبين الكفار والايتساء بابراهيم وقومه في البراءة منهم وتنبيها على الانابة الى الله تعالى والاستعاذة به من فتنة اهل الكفر والاستغفار مما فرط منهم وقرى براء كالشركاء وبراء كظراف وبراء على ابدال الضم من الكسر كرخال ورباب وبراء على الوصف بالمصدر والبراء والبراءة كالظماء والظماءة

لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الاخر ومن يتول فان الله هو الغني الحميد

ثم كرر الحث على الايتساء بابراهيم عليه السلام وقومه تقريرا وتاكيدا عليهم ولذلك جاء به مصدرا بالقسم لانه الغاية في التاكيد وابدل عن قوله لكم قوله تعالى لمن كان يرجوا الله واليوم الاخر وعقبه بقوله ومن يتول فان الله هو الغني الحميد فلم يترك نوعا من التاكيد الا جاء به ولما نزلت هذه الايات تشدد المومنون في عداوة ابايهم وابنايهم وجميع اقربايهم من المشركين ومقاطعتهم

عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم

فلما راى الله تعالى منهم الجد والصبر على الوجد الشديد وطول التمني للسبب الذي يبيح لهم الموالاة والمواصلة رحمهم فوعدهم تيسير ما تمنوه فلما يسر فتح مكة اظفرهم بامنيتهم فاسلم قومهم وتم بينهم من التحاب والتصافي ما تم وقيل تزوج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ام حبيبة رضي الله عنها فلانت عند ذلك عريكة ابي سفيان واسترخت شكيمته في العداوة وكانت ام حبيبة قد اسلمت وهاجرت مع زوجها عبيد الله ابن جحش الى الحبشة فتنصر وارادها على النصرانية فابت وصبرت على دينها ومات زوجها فبعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى النجاشي فخطبها عليه وساق عنه اليها اربعماية دينار وبلغ ذلك ابا سفيان فقال ذلك الفحل لا يقدع انفه وعسى وعد من الله تعالى

على عادات الملوك حيث يقولون في بعض الحوائج عسى او لعل فلا تبقى للمحتاج شبهة في تمام ذلك او قصد به اطماع المؤمنين
والله قدير على تقليب القلوب وتغيير الاحوال وتسهيل اسباب المودة والله غفور لمن اسلم من المشركين **لا ينهاكم**
الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم
ان الله يحب المقسطين انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم
من دياركم وظاهروا على اخراجكم ان تولوهم ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون
ان تبروهم بدل من الذين لم يقاتلوكم وكذلك ان تولوهم بدل من الذين قاتلوكم والمعنى لا ينهاكم عن مبرة هؤلاء وانما ينهاكم
عن تولي هؤلاء وهذا ايضا رحمة لهم لتشددهم وجدهم في العداوة متقدمة لرحمته بتيسير اسلام قومهم حيث رخص لهم
في صلة من لم يجاهرهم بقتال المؤمنين واخراجهم من ديارهم وقيل اراد بهم خزاعة وكانوا صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
على ان لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه وعن مجاهد هم الذين آمنوا بمكة ولم يهاجروا وقيل النساء والصبيان وقيل قدمت
على اسماء بنت ابي بكر امها قتيلة بنت عبد العزى وهي مشركة بهدايا فلم تقبلها ولم تأذن لها بالدخول فنزلت فامرها
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان تدخلها وتقبل منها وتكرمها وتحسن اليها وعن قتادة نسختها آية القتال
وتقسطوا اليهم وتقضوا اليهم بالقسط ولا تظلموهم وناهيك بتوصية الله تعالى المؤمنين ان يستعملوا القسط
مع المشركين به ويتحاموا ظلمهم مترجمة عن حال مسلم يجترئ على ظلم اخيه المسلم **يا ايها الذين آمنوا اذا**
جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله اعلم بايمانهن فان علمتموهن مؤمنات
فلا ترجعوهن الى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن وآتوهم ما انفقوا
اذا جاءكم المؤمنات سماهن مؤمنات لتصديقهن بألسنتهن ونطقهن بكلمة الشهادة ولم يظهر منهن ما ينافي ذلك
او لانهن مشارفات لثبات ايمانهن بالامتحان فامتحنوهن فابتلوهن بالحلف والنظر في الامارات ليغلب على
ظنونكم صدق ايمانهن وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول للممتحنة بالله الذي لا اله الا هو ما خرجت من
بغض زوج بالله ما خرجت رغبة عن ارض الى ارض بالله ما خرجت التماس الدنيا بالله ما خرجت الا حبا لله ولرسوله
الله اعلم بايمانهن منكم لانكم لا تكسبون فيه علما تطمئن معه نفوسكم وان استحلفتموهن ورزتم احوالهن وعند الله
حقيقة العلم به فان علمتموهن مؤمنات العلم الذي تبلغه طاقتكم وهو الظن الغالب بالحلف وظهور الامارات
فلا ترجعوهن الى الكفار فلا تردوهن الى ازواجهن المشركين لانه لا حل بين المؤمنة والمشرك وآتوهم ما انفقوا
واعطوا ازواجهن مثل ما دفعوا اليهن من المهور وذلك ان صلح الحديبية كان على ان من اتاكم من اهل مكة
رد اليهم ومن اتى منكم لم يرد اليكم وكتبوا بذلك كتابا وختموه فجاءت سبيعة بنت الحارث الاسلمية مسلمة
والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالحديبية فاقبل زوجها مسافر المخزومي وقيل صيفي بن الراهب فقال يا محمد اردد علي امرأتي
فانك قد شرطت لنا ان ترد علينا من اتاك منا وهذه طينة الكتاب لم تجف فنزلت بيانا لان الشرط انما كان
في الرجال دون النساء وعن الضحاك كان بين رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وبين المشركين عهد ان لا يأتيك
منا امرأة ليست على دينك الا رددتها الينا فان دخلت في دينك ولها زوج ان ترد على زوجها الذي انفق عليها
وللنبي عليه الصلوة والسلام من الشرط مثل ذلك وعن قتادة ثم نسخ هذا الحكم وهذا العهد براءة فاستحلفها
رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلفت فاعطى زوجها ما انفق وتزوجها عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه **فان قلت**
كيف سمى الظن علما في قوله تعالى فان علمتموهن **قلت** ايذانا بان الظن الغالب وما يفضي اليه الاجتهاد
والقياس جار مجرى العلم وان صاحبه غير داخل في قوله تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم **فان قلت** فما فائدة
قوله تعالى الله اعلم بايمانهن وذلك معلوم لا شبهة فيه **قلت** فائدته بيان ان لا سبيل لكم الى تطمين النفس
وثلج الصدر من الاحاطة بحقيقة ايمانهن فان ذلك مما استأثر به علام الغيوب وان ما يؤدي اليه الامتحان من العلم
كاف في ذلك وان تكليفكم لا يعدوه **ولا جناح عليكم ان تنكحوهن اذا آتيتموهن اجورهن**
ولا تمسكوا بعصم الكوافر واسألوا ما انفقتم وليسألوا ما انفقوا ذلكم حكم الله
يحكم بينكم والله عليم حكيم ثم نفى عنهم الجناح في تزوج هؤلاء المهاجرات اذا آتوهن اجورهن

اي

اي مهورهن لان المهر اجر البضع ولا يخلو اما ان يراد بها ما كان يدفع اليهن ليدفعنه الى ازواجهن فيشترط في اباحة تزوجهن
تقديم ادائه واما ان يراد ان ذلك اذا دفع اليهن على سبيل القرض ثم تزوجن على ذلك لم يكن به بأس واما ان يبين لهم
ان ما اعطى ازواجهن لا يقوم مقام المهر وانه لا بد من اصداق وبه احتج ابو حنيفة رحمه الله تعالى على ان احد الزوجين اذا
خرج من دار الحرب مسلما او بذمة وبقي الآخر حربيا وقعت الفرقة ولا يرى العدة على المهاجرة ويبيح نكاحها الا ان
تكون حاملا ولا تمسكوا بعصم الكوافر والعصمة ما يعتصم به من عقد وسبب يعني اياكم واياهن ولا تكن بينكم وبينهن عصمة ولا
علقة زوجية قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما من كانت له امرأة كافرة بمكة فلا يعتدن بها من نسائه لان اختلاف الدارين
قطع عصمتها وعن النخعي هي المسلمة تلحق بدار الحرب فتكفر وعن مجاهد امرهم بطلاق الباقيات مع الكفار ومفارقتهن
واسألوا ما انفقتم من مهور ازواجكم اللاحقات بالكفار وليسألوا ما انفقوا من مهور نسائهم المهاجرات وقرئ
ولا تمسكوا بالتخفيف ولا تمسكوا بالتثقيل ولا تمسكوا اي ولا تتمسكوا ذلكم حكم الله يعني جميع ما ذكر في هذه الآية
يحكم بينكم كلام مستأنف او حال من حكم الله على حذف الضمير اي يحكمه الله او جعل الحكم حاكما على المبالغة روي انه لما نزلت
الآية ادى المؤمنون ما امروا به من اداء المهور للمهاجرات الى ازواجهن وابى المشركون ان يؤدوا شيئا من مهور الكوافر
الى ازواجهن فنزل قوله تعالى **وان فاتكم شيء من ازواجكم الى الكفار فعاقبتم فآتوا الذين ذهبت**
ازواجهم مثل ما انفقوا واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون وان فاتكم وان سبقكم وانفلت
منكم شيء من ازواجكم احد منهن الى الكفار وهو في قراءة ابن مسعود احد **فان قلت** هل لايقاع شيء في هذا
الموضع فائدة **قلت** نعم الفائدة فيه ان لا يغادر شيء من هذا الجنس وان قل وحقر غير معوض عنه تغليظا في
هذا الحكم وتشديدا فيه فعاقبتم من العقبة وهي النوبة شبه ما حكم به على المسلمين والكافرين من اداء هؤلاء مهور
نساء اولئك تارة واولئك مهور نساء هؤلاء اخرى بامر يتعاقبون فيه كما يتعاقب في الركوب وغيره ومعناه فجاءت
عقبتكم من اداء المهر فآتوا من فاتته امرأته الى الكفار مثل مهرها من مهر المهاجرة ولا تؤتوه زوجها الكافر وهكذا عن
الزهري يعطى من صداق من لحق بهم وقرئ فاعقبتم فعقبتم بالتشديد فعقبتم بالتخفيف بفتح القاف وكسرها فمعنى اعقبتم
دخلتم في العقبة وعقبتم من عقبه اذا قفاه لان كل واحد من المتعاقبين يقفي صاحبه وكذلك عقبتم يقال عقبه يعقبه
وعقبتم نحو تبعتم وقال الزجاج فعاقبتم فاصبتموهم في القتال بعقوبة حتى غنمتم والذي ذهبت كان يعطى من الغنيمة المهر
وفسر غيرها من القرآن فكانت العقبى لكم اي كانت الغلبة حتى غنمتم وقيل جميع من لحق بالمشركين من نساء
المؤمنين المهاجرين راجعة عن الاسلام ست نسوة ام الحكم بنت ابي سفيان كانت تحت عياض بن شداد الفهري
وفاطمة بنت امية كانت تحت عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وهي اخت ام سلمة وبروع بنت عقبة كانت تحت شماس بن
عثمان وعبدة بنت عبد العزى بن نضلة وزوجها عمرو بن عبد ود وهند بنت ابي جهل كانت تحت هشام بن العاص
وكلثوم بنت جرول كانت تحت عمر رضي الله تعالى عنه واعطاهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مهور نسائهم من الغنيمة
يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ان لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن
ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن ولا
يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم ولا يقتلن
اولادهن وقرئ يقتلن بالتشديد يريد وأد البنات ولا يأتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن كانت المرأة
تلتقط المولود فتقول لزوجها هو ولدي منك كنى بالبهتان المفترى بين يديها ورجليها عن الولد الذي تلصقه بزوجها
كذبا لان بطنها الذي تحمله فيه بين اليدين وفرجها الذي تلد به بين الرجلين ولا يعصينك في معروف فيما تأمرهن
به من المحسنات وتنهاهن عنه من المقبحات وقيل كل ما وافق طاعة الله عز وجل فهو معروف **فان قلت**
لو اقتصر على قوله ولا يعصينك فقد علم ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا يأمر الا بالمعروف **قلت** نبه على ان
طاعة المخلوق في معصية الخالق جديرة بغاية التوقي والاجتناب وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فرغ
يوم فتح مكة من بيعة الرجال اخذ في بيعة النساء وهو على الصفا وعمر رضي الله تعالى عنه اسفل منه يبايعهن بامره ويبلغهن
عنه وهند بنت عتبة امرأة ابي سفيان متقنعة متنكرة خوفا من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان يعرفها فقال عليه السلام

ابايعكن على ان لا تشركن بالله شيئا فرفعت هند راسها وقالت والله لقد عبدنا الاصنام وانك لتاخذ علينا امرا ما رايناك اخذته على الرجال تبايع الرجال على الاسلام والجهاد فقال عليه الصلوة والسلام ولا تسرقن فقالت ان ابا سفيان رجل شحيح واني اصبت من ماله هنات فما ادري ايحل لي ام لا فقال ابو سفيان ما اصبت من شيء فيما مضى وفيما غبر فهو لك حلال فضحك النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعرفها فقال لها وانك لهند بنت عتبة قالت نعم فاعف عما سلف يا نبي الله عفا الله عنك فقال ولا تزنين فقالت او تزني الحرة وفي رواية ما زنت منهن امرأة قط فقال عليه الصلوة والسلام ولا تقتلن اولادهن فقالت ربيناهم صغارا وقتلتهم كبارا فانتم وهم اعلم وكان ابنها حنظلة بن ابي سفيان قتل يوم بدر فضحك عمر حتى استلقى وتبسم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال عمر رضي الله عنه ولا ياتين ببهتان فقالت والله ان البهتان لامر قبيح وما تامرنا الا بالرشد ومكارم الاخلاق فقال ولا يعصينك في معروف فقالت والله ما جلسنا مجلسنا هذا وفي انفسنا ان نعصيك في شيء وقيل في كيفية المبايعة دعا بقدح من ماء ثم غمس فيه يده ثم غمسن ايديهن وقيل صافحهن وكان على يده ثوب قطري وقيل كان عمر رضي الله تعالى عنه يصافحهن عنه يا ايها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من اصحاب القبور روي ان بعض فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم فقيل لهم لا تتولوا قوما مغضوبا عليهم قد يئسوا من ان يكون لهم حظ في الآخرة لعنادهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهم يعلمون انه الرسول المنعوت في التوراة كما يئس الكفار من موتاهم ان يبعثوا او يرجعوا احياء وقيل من اصحاب القبور بيان للكفار اي كما يئس الكفار الذين قبروا من خير الآخرة لانهم تبينوا قبح حالهم وسوء منقلبهم عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة الممتحنة كان له المؤمنون والمؤمنات شفعاء يوم القيمة

سورة الصف مكية

وهي اربع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم يا ايها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون لم هي لام الاضافة داخلة على ما الاستفهامية كما دخل عليها غيرها من حروف الجر في قولك بم وفيم ومم وعم والام وعلام وحتام وانما حذفت الالف لان ما والحرف كشيء واحد ووقع استعمالهما كثيرا في كلام المستفهم وقد جاء استعمال الاصل قليلا والوقف على زيادة هاء السكت او الاسكان ومن اسكن في الوصل فلاجرائه مجرى الوقف كما سمع ثلاثة اربعة بالهاء والقاء حركة الهمزة عليها محذوفة وهذا الكلام يتناول الكذب واخلاف الموعد وروي ان المؤمنين قالوا قبل ان يؤمروا بالقتال لو نعلم احب الاعمال الى الله تعالى لعملناه ولبذلنا فيه اموالنا وانفسنا فدلهم الله تعالى على الجهاد في سبيله فولوا يوم احد فعيرهم وقيل لما اخبر الله تعالى بثواب شهداء بدر قالوا لئن لقينا قتالا لنفرغن فيه وسعنا ففروا يوم احد ولم يفوا وقيل كان الرجل يقول قتلت ولم يقتل وطعنت ولم يطعن وضربت ولم يضرب وصبرت ولم يصبر وقيل اذى المسلمين رجل ونكى فيهم فقتله صهيب وانتحل قتله آخر فقال عمر لصهيب رضي الله تعالى عنهما اخبر النبي عليه الصلوة والسلام انك قتلته فقال انما قتلته لله ولرسوله فقال عمر يا رسول الله قتله صهيب قال كذلك يا ابا يحيى قال نعم فنزلت في المنتحل وعن الحسن رحمه الله تعالى نزلت في المنافقين ونداؤهم بالايمان تهكم بهم وبايمانهم هذا من ابلغ الكلام وافصحه في معناه قصد في كبر التعجب من غير لفظه كقوله كبرت كلمة ومعنى التعجب تعظيم الامر في قلوب السامعين لان التعجب لا يكون الا من شيء خارج عن نظائره واشكاله واسند الى ان تقولوا ونصب مقتا على تفسيره دلالة على ان قولهم ما لا يفعلون مقت خالص لا شوب فيه لفرط تمكن المقت منه واختير لفظ المقت لانه اشد البغض وابلغه ومنه قيل نكاح المقت ولم يقتصر على ان جعل البغض كبيرا حتى جعل اشده وافحشه وعند الله ابلغ من ذلك لانه اذا ثبت كبر مقته عند الله تعالى فقد تم كبره وشدته وانزاحت عنه الشكوك وعن بعض السلف انه قيل له حدثنا فسكت ثم قيل له حدثنا فقال اتامرونني ان اقول ما لا افعل فاستعجل مقت الله عز وجل ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص قوله تعالى ان الله

يحب

٤٧٩

يحب الذين يقاتلون في سبيله عقب ذكر المقت دليل على ان المقت قد تعلق بقول الذين وعدوا الثبات في قتال الكفار فلم يفوا وقرأ زيد بن علي رضي الله تعالى عنهما يقاتلون بفتح التاء وقرئ يقتلون صفا صافين انفسهم او مصفوفين كانهم في تراصهم من غير فرجة ولا خلل بنيان رص بعضه الى بعض ورصف وقيل يجوز ان يريد استواء نياتهم في الثبات حتى يكونوا في اجتماع الكلمة كالبنيان المرصوص وعن بعضهم فيه دليل على فضل القتال راجلا لان الفرسان لا يصطفون على هذه الصفة وقوله تعالى صفا كانهم بنيان حالان متداخلتان واذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني وقد تعلمون اني رسول الله اليكم اذ منصوب باضمار اذكر او وحين قال لهم ما قال كان كذا وكذا تؤذونني كانوا يؤذونه بانواع الاذى من انتقاصه وعيبه في نفسه وجحود آياته وعصيانه فيما يعود اليهم منافعه وعبادتهم البقر وطلبهم رؤية الله تعالى جهرة والتكذيب الذي هو تضييع حق الله تعالى وحقه وقد تعلمون في موضع الحال اي تؤذونني عالمين علما يقينا اني رسول الله اليكم وقضية علمكم بذلك وموجبه تعظيمي وتوقيري لا ان تؤذوني وتستهينوا بي لان من عرف الله تعالى وعظمته عظم رسوله علما بان تعظيمه في تعظيم رسوله ولان من آذاه كان وعيد الله تعالى لاحقا به فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفاسقين فلما زاغوا عن الحق ازاغ الله قلوبهم بان منع الالطاف عنهم والله لا يهدي القوم الفاسقين لا يلطف بهم لانهم ليسوا من اهل اللطف فان قلت ما معنى قد في قوله تعالى وقد تعلمون قلت معناه التوكيد كانه قال وتعلمون علما يقينا لا شبهة لكم فيه واذ قال عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين قيل انما قال يا بني اسرائيل ولم يقل يا قوم كما قال موسى لانه لا نسب له فيهم فيكونوا قومه والمعنى ارسلت اليكم في حال تصديقي ما تقدمني من التوراة وفي حال تبشيري برسول ياتي من بعدي اسمه احمد يعني ان ديني التصديق بكتب الله تعالى وانبيائه جميعا ممن تقدم وتاخر وقرئ من بعدي بسكون الياء وفتحها والخليل وسيبويه يختاران الفتح وعن كعب ان الحواريين قالوا لعيسى عليه السلام يا روح الله هل بعدنا من امة قال نعم امة احمد حكماء علماء ابرار اتقياء كانهم من الفقه انبياء يرضون من الله تعالى باليسير من الرزق ويرضى الله تعالى منهم باليسير من العمل فان قلت بم انتصب مصدقا ومبشرا ابما في الرسول من معنى الارسال ام باليكم قلت بل بمعنى الارسال لان اليكم صلة للرسول فلا يجوز ان يعمل شيئا لان حروف الجر لا تعمل بانفسها ولكن بما فيها من معنى الفعل فاذا وقعت صلات لم تتضمن معنى فعل فمن اين تعمل وقرئ هذا ساحر مبين ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام والله لا يهدي القوم الظالمين واي الناس اشد ظلما ممن يدعوه ربه على لسان نبيه الى الاسلام الذي له فيه سعادة الدارين فيجعل مكان اجابته افتراء الكذب على الله بقوله لكلامه الذي هو دعاء عباده الى الحق هذا سحر لان السحر كذب وتمويه وقرأ طلحة بن مصرف وهو يدعي بمعنى يدعي دعاه وادعاه كلمسه والتمسه وعنه يدعى بمعنى يدعو وهو الله عز وجل يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون اصله يريدون ان يطفئوا كما جاء في سورة براءة وكان هذه اللام زيدت مع فعل الارادة تاكيدا له لما فيها من معنى الارادة في قولك جئتك لاكرمك كما زيدت اللام في لا اباك تاكيدا لمعنى الاضافة في اباك واطفاء نور الله بافواههم تهكم بهم في ارادتهم ابطال الاسلام بقولهم في القرآن هذا سحر مثلت حالهم بحال من ينفخ في نور الشمس بفيه ليطفئه والله متم نوره اي متم الحق ومبلغه غايته وقرئ بالاضافة هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ودين الحق الملة الحنيفية ليظهره ليعليه على الدين كله على جميع الاديان المخالفة له ولعمري لقد فعل فما بقي دين من الاديان الا وهو مغلوب مقهور بدين الاسلام وعن مجاهد اذا نزل عيسى عليه السلام لم يكن في الارض الا دين الاسلام وقرئ ارسل نبيه يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم تنجيكم قرئ مخففا ومثقلا وتؤمنون استيناف كانهم قالوا كيف نعمل فقال تؤمنون وهو خبر في معنى الامر ولهذا اجيب بقوله تعالى يغفر لكم ويدل عليه قراءة ابن مسعود رضي الله تعالى عنه آمنوا بالله

ورسوله وتجاهدوا **فان قلت** لم جيء به على لفظ الخبر **قلت** للايذان بوجوب الامتثال وكانه امتثل فهو
يخبر عن ايمان وجهاد موجودين ونظيره قول الداعي غفر الله لك ويغفر الله لك جعلت المغفرة لقوة الرجا كانها كانت ووجدت
فان قلت هل لقول الفراء انه جواب هل ادلكم وجه **قلت** وجهه ان متعلق الدلالة هو التجارة والتجارة مفسرة بالايمان والجهاد
فكانه قيل هل تتجرون بالايمان والجهاد يغفر لكم **فان قلت** فما وجه قراءة زيد بن علي رضي الله تعالى عنهما تؤمنوا وتجاهدوا
قلت وجهها ان يكون على اضمار لام الامر كقوله محمد تفد نفسك كل نفس اذا ما خفت من امر تبالا وعن ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما انهم قالوا لو نعلم احب الاعمال الى الله تعالى لعملناه فنزلت هذه الآية فمكثوا ما شاء الله يقولون ليتنا
نعلم ما هي فدلهم الله تعالى عليها بقوله تؤمنون وهذا دليل على ان تؤمنون كلام مستانف وعلى ان الامر الوارد على النفوس
بعد تشوف وتطلع منها اليه اوقع فيها واقرب من قبولها له مما فوجئت به ذلكم يعني ما ذكر من الايمان والجهاد خير لكم من اموالكم
وانفسكم **فان قلت** ما معنى قوله تعالى ان كنتم تعلمون **قلت** معناه ان تعلمون انه خير لكم كان خيرا لكم حينئذ
لانكم اذا علمتم ذلك واعتقدتموه احببتم الايمان والجهاد فوق ما تحبون انفسكم واموالكم فتخلصون وتفلحون **واخرى تحبونها**
نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين واخرى تحبونها ولكم الى هذه النعمة المذكورة من المغفرة والثواب
في الآجلة نعمة اخرى عاجلة محبوبة اليكم ثم فسرها بقوله تعالى نصر من الله وفتح قريب اي عاجل وهو فتح مكة وقال الحسن رح فتح فارس والروم
وفي تحبونها شيء من التوبيخ على محبة العاجل **فان قلت** علام عطف قوله تعالى وبشر المؤمنين **قلت** على تؤمنون لانه
في معنى الامر كانه قيل آمنوا وجاهدوا يثبكم الله تعالى وينصركم وبشر يا رسول الله المؤمنين بذلك **فان قلت** لم نصب
من قرا نصرا من الله وفتحا قريبا **قلت** يجوز ان ينتصب على الاختصاص او على تنصرون نصرا ويفتح لكم فتحا او على
يغفر لكم ويدخلكم جنات ويؤتكم اخرى نصرا وفتحا **يا ايها الذين آمنوا كونوا انصار الله كما قال عيسى ابن مريم**
للحواريين من انصاري الى الله قال الحواريون نحن انصار الله قرئ كونوا انصارا لله وانصار
الله وقرا ابن مسعود رضي الله تعالى عنه كونوا انتم انصار الله وفيه زيادة حث للنصرة عليهم **فان قلت** ما وجه صحة التشبيه
وظاهره تشبيه كونهم انصارا بقول عيسى عليه السلام من انصاري الى الله **قلت** التشبيه محمول على المعنى وعليه يصح والمراد
كونوا انصار الله كما كان الحواريون انصار عيسى حين قال لهم من انصاري الى الله **فان قلت** ما معنى قوله من انصاري
الى الله **قلت** يجب ان يكون معناه مطابقا لجواب الحواريين نحن انصار الله والذي يطابقه ان يكون المعنى من جندي متوجها
الى نصرة الله واضافة انصاري خلاف اضافة انصار الله فان معنى نحن انصار الله نحن الذين ينصرون الله ومعنى من انصاري
من الانصار الذين يختصون بي ويكونون معي في نصرة الله ولا يصح ان يكون معناه من ينصرني مع الله لانه لا يطابق الجواب والدليل
عليه قراءة من قرا انصار الله والحواريون اصفياؤه وهم اول من آمن به وكانوا اثني عشر رجلا وحواري الرجل صفيه وخلصانه
من الحور وهو البياض الخالص والحواري الدرمك ومنه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم الزبير ابن عمتي وحواريي من امتي وقيل
كانوا قصارين يحورون الثياب يبيضونها ونظير الحواري في زنته الحوالي الكثير الحيل **فآمنت طائفة من**
بني اسرائيل وكفرت طائفة فايدنا الذين آمنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين
فآمنت طائفة منهم بعيسى عليه السلام وكفرت به طائفة فايدنا مؤمنيهم على كفارهم فظهروا عليهم وعن زيد بن علي
رضي الله تعالى عنهما كان ظهورهم بالحجة عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قرا سورة الصف كان عيسى مصليا عليه مستغفرا له ما دام في الدنيا وهو يوم القيامة رفيقه

ابن ارض والهداوة تجال ليلعم الله وابتلعهم لا فناهم وابتلا يكبت وابتلاه انتقض وافسح ح

الدرمك الدقيق الحواري ح

سورة الجمعة مدنية

وهي احدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم يسبح لله ما في السموات وما في الارض
الملك القدوس العزيز الحكيم هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته
ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين قرئت صفات الله
بالرفع على المدح كانه قيل هو الملك القدوس ولو قرئت منصوبة لكان وجها كقول العرب الحمد لله اهل الحمد الامي منسوب
الى امة العرب لانهم كانوا لا يكتبون ولا يقرؤون من بين الامم وقيل بدئت الكتابة بالطائف اخذوها من اهل الحيرة

واهل الحيرة من اهل الانبار ومعنى بعث في الاميين رسولا منهم بعث رجلا اميا في قوم اميين كما جاء في حديث شعيا
اني ابعث اعمى في عميان واميا في اميين وقيل منهم كقوله تعالى من انفسكم تعلمون نسبه واحواله وقرئ في
الامين بحذف ياء النسب يتلو عليهم آياته يقروها عليهم مع كونه اميا مثلهم لم يعهد منه قراءة ولم يعرف بتعلم وقراءة
امي بغير تعلم آية بينة ويزكيهم ويطهرهم من الشرك وخبائث الجاهلية ويعلمهم الكتاب والحكمة القرآن والسنة وان
في وان كانوا هي المخففة من الثقيلة واللام دليل عليها اي كانوا في ضلال لا ترى ضلالا اعظم منه **وآخرين منهم**
لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم وآخرين مجرور عطف على الاميين يعني انه بعثه في الاميين الذين على
عهده وفي آخرين من الاميين لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون بهم وهم الذين بعد الصحابة رضي الله تعالى عنهم وقيل لما نزلت
قيل من هم يا رسول الله فوضع يده على سلمان رضي الله تعالى عنه ثم قال لو كان الايمان عند الثريا لناله رجال من هؤلاء
وقيل هم الذين ياتون من بعدهم الى يوم القيامة ويجوز ان ينتصب عطفا على المنصوب في ويعلمهم اي يعلمهم ويعلم آخرين لان
التعليم اذا تناسق الى آخر الزمان كان كله مستندا الى اوله فكانه هو الذي تولى كل ما وجد منه وهو العزيز الحكيم في
تمكينه رجلا اميا من ذلك الامر العظيم وتاييده عليه واختياره اياه من بين كافة البشر **ذلك فضل الله**
يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ذلك الفضل الذي اعطاه محمدا صلى الله تعالى
عليه وسلم وهو ان يكون نبي ابناء عصره ونبي ابناء العصور الغوابر هو فضل الله يؤتيه من يشاء اعطاءه وتقتضيه حكمته
مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا بئس مثل القوم الذين
كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين شبه اليهود عليهم اللعنة في انهم
حملة التوراة وقراؤها وحفاظ ما فيها ثم انهم غير عاملين بها ولا منتفعين بآياتها وذلك ان فيها نعت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
والبشارة به ولم يؤمنوا به بالحمار حمل اسفارا اي كتبا كبارا من كتب العلم فهو يمشي بها ولا يدري منها الا ما يمر بجنبيه وظهره من الكد والتعب
وكل من علم ولم يعمل بعلمه فهذا مثله وبئس المثل بئس مثلا القوم الذين كذبوا بآيات الله الدالة على صحة نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
ومعنى حملوا التوراة كلفوا علمها والعمل بها ثم لم يحملوها ثم لم يعملوا بها فكانهم لم يحملوها في الحقيقة لفقد العمل وقرئ يحمل الاسفار
فان قلت يحمل ما محله **قلت** النصب على الحال او الجر على الوصف لان الحمار كاللئيم في قوله ولقد امر
على اللئيم يسبني **قل يا ايها الذين هادوا ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس**
فتمنوا الموت ان كنتم صادقين هادوا تهودوا اولياء الله كانوا يقولون نحن ابناء الله واحباؤه اي
ان كان قولكم حقا وكنتم على ثقة فتمنوا على الله ان يميتكم وينقلكم سريعا الى دار كرامته التي اعدها لاوليائه ثم قال
ولا يتمنونه ابدا بسبب ما قدموا من الكفر وقد قال لهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يقولها احد منكم الا
غص بريقه فلولا انهم كانوا موقنين بصدق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لتمنوا ولكنهم علموا انهم لو تمنوا لماتوا من ساعتهم
ولحقهم الوعيد فما ملك احد منهم ان يتمنى وهي احدى المعجزات وقرئ فتمنوا الموت بكسر الواو تشبيها بلو استطعنا **ولا يتمنونه**
ابدا بما قدمت ايديهم والله عليم بالظالمين ولا فرق بين لا ولن في ان كل واحدة منهما نفي
للمستقبل الا ان في لن تاكيدا وتشديدا ليس في لا فاتى مرة بلفظ التاكيد ولن يتمنوه ومرة بغير لفظه ولا يتمنونه
قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم
بما كنتم تعملون ثم قيل لهم ان الموت الذي تفرون منه ولا تجسرون ان تتمنوه خيفة ان تؤخذوا بوبال
كفركم لا تفوتونه وهو ملاقيكم لا محالة ثم تردون الى الله تعالى فيجازيكم بما انتم اهله من العقاب وقرا زيد بن علي
رضي الله تعالى عنهما انه ملاقيكم وفي قراءة ابن مسعود رضي الله تعالى عنه تفرون منه ملاقيكم وهي ظاهرة واما التي بالفاء فلتضمن
الذي معنى الشرط وقد جعل ان الموت الذي تفرون منه كلاما براسه في قراءة زيد اي ان الموت هو الشيء الذي تفرون منه
ثم استونف انه ملاقيكم **يا ايها الذين آمنوا اذا نودي للصلوة من يوم الجمعة فاسعوا**
الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون يوم الجمعة يوم الفوج المجموع كقولهم ضحكة
للمضحوك منه ويوم الجمعة بفتح الميم يوم الوقت الجامع كقولهم ضحكة ولعنة ولعبة ويوم الجمعة تثقيل للجمعة كما قيل
عشرة في عشرة وقرئ بهن جميعا **فان قلت** من في قوله تعالى من يوم الجمعة ما هي **قلت** هي بيان لاذا

وتفسير له والنداء الاذان وقالوا المراد به الاذان عند قعود الامام على المنبر وقد كان لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مؤذن واحد فكان اذا جلس على المنبر اذن على باب المسجد فاذا نزل اقام للصلوة ثم كان ابو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما على ذلك حتى اذا كان عثمان رضي الله تعالى عنه وكثر الناس وتباعدت المنازل زاد مؤذنا آخر فامر بالتأذين الاول على داره التي تسمى زوراء فاذا جلس على المبنر اذن المؤذن الثاني فاذا نزل اقام للصلوة فلم يعب ذلك عليه وقيل اول من سماها جمعة كعب بن لوي وكان يقال لها العروبة وقيل ان الانصار قالوا لليهود عليهم اللعنة يوم يجمعون فيه كل سبعة ايام وللنصارى مثل ذلك فهلموا نجعل لنا يوما نجتمع فيه فنذكر الله تعالى فيه ونصلي فقالوا يوم السبت لليهود ويوم الاحد للنصارى فاجعلوه يوم العروبة فاجتمعوا الى سعد بن زرارة فصلى بهم يومئذ ركعتين وذكرهم فسموه يوم الجمعة لاجتماعهم فيه فانزل الله تعالى آية الجمعة فهي اول جمعة كانت في الاسلام واما اول جمعة جمعها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فهي انه لما قدم المدينة مهاجرا نزل قباء على بني عمرو بن عوف واقام بها يوم الاثنين والثلثاء والاربعاء والخميس واسس مسجدهم ثم خرج يوم الجمعة عامدا المدينة فادركته صلوة الجمعة في بني سالم بن عوف في بطن واد لهم فخطب وصلى الجمعة وعن بعضهم قد ابطل الله عز وجل قول اليهود في ثلاث افتخروا بانهم اولياء الله واحباؤه في قوله تعالى فتمنوا الموت ان كنتم صادقين وبانهم اهل الكتاب والعرب لا كتاب لهم فشبههم بالحمار يحمل اسفارا وبالسبت وانه ليس للمسلمين مثله فشرع الله تعالى لهم الجمعة وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه ادخل الجنة وفيه اهبط الى الارض وفيه تقوم الساعة وهو عند الله يوم المزيد وعنه صلى الله تعالى عليه وسلم ان لله تعالى في كل جمعة ستمائة الف عتيق من النار وعن النبي عليه الصلوة والسلام اتاني جبريل وفي كفه مرآة بيضاء وقال هذه يوم الجمعة يعرضها عليك ربك ليكون لك عيدا ولامتك من بعدك وهو سيد الايام عندنا ونحن ندعوه الى الآخرة يوم المزيد وعن كعب ان الله تعالى فضل من البلدان مكة ومن الشهور رمضان ومن الايام الجمعة وقال صلى الله تعالى عليه وسلم من مات يوم الجمعة كتب الله تعالى له اجر شهيد ووقي فتنة القبر وفي الحديث اذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة على ابواب المسجد بايديهم صحف من فضة واقلام من ذهب يكتبون الاول فالاول على مراتبهم وكانت الطرقات في ايام السلف وقت السحر وبعد الفجر مغتصة بالمبكرين الى الجمعة يمشون بالسرج وقيل اول بدعة احدثت في الاسلام ترك البكور الى الجمعة وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه انه بكر فرأى ثلثة نفر سبقوه فاغتم واخذ يعاتب نفسه يقول اراك رابع اربعة وما رابع اربعة بسعيد ولا تقام الجمعة عند ابي حنيفة رحمه الله تعالى الا في مصر جامع لقوله عليه الصلوة والسلام لا جمعة ولا تشريق ولا فطر ولا اضحى الا في مصر جامع والمصر الجامع ما اقيمت فيه الحدود ونفذت فيه الاحكام ومن شروطها الامام او من يقوم مقامه لقوله عليه الصلوة والسلام فمن تركها وله امام عادل او جائر الحديث ولقوله صلى الله تعالى عليه وسلم اربع الى الولاة الفيء والصدقات والحدود والجمعات فان ام رجل بغير اذن الامام او من ولاه من قاض او صاحب شرط لم يجز فان لم يمكن الاستيذان فاجتمعوا على واحد فصلى بهم جاز ولا جمعة على المسافرين والعبيد والنساء والمرضى والزمنى ولا على الاعمى عند ابي حنيفة رحمه الله تعالى ولا على الشيخ الذي لا يمشي الا بقائد وقرأ عمر وابن عباس وابن مسعود رضي الله تعالى عنهم وغيرهم فامضوا وعن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه انه سمع رجلا يقرأ فاسعوا فقال من اقرأك هذا فقال ابي بن كعب قال لا يزال يقرأ بالمنسوخ لو كانت فاسعوا لسعيت حتى يسقط ردائي وقيل المراد بالسعي القصد دون العدو والسعي التصرف في كل عمل ومنه قوله تعالى فلما بلغ معه السعي وان ليس للانسان الا ما سعى وعن الحسن رحمه الله تعالى ليس السعي على الاقدام ولكنه على النيات والقلوب وذكر محمد بن الحسن في موطائه ان ابن عمر رضي الله تعالى عنهما سمع الاقامة وهو بالبقيع فاسرع المشي قال محمد وهذا لا بأس به ما لم يجهد نفسه الى ذكر الله الى الخطبة والصلوة ولتسمية الله تعالى الخطبة ذكرا له قال ابو حنيفة رحمه الله تعالى ان اقتصر الخطيب على مقدار يسمى ذكر الله كقوله الحمد لله سبحان الله جاز وعن عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه انه صعد المنبر فقال الحمد لله وارتج عليه فقال ان ابا بكر وعمر كانا يعدان لهذا المقام مقالا وانكم الى امام فعال احوج منكم الى امام قوال وستأتيكم الخطب ثم نزل وكان ذلك بحضرة الصحابة رضي الله تعالى عنهم ولم ينكر عليه احد وعن صاحبيه والشافعي رحمهم الله تعالى لا بد من كلام يسمى خطبة **فان قلت** كيف يفسر ذكر الله بالخطبة وفيها ذكر غير الله تعالى **قلت** ما كان من ذكر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والثناء عليه وعلى خلفائه الراشدين واتقياء المؤمنين رضوان الله تعالى عليهم والموعظة والتذكير فهو في حكم ذكر الله تعالى واما ما عدا ذلك من ذكر الظلمة والقابهم والثناء عليهم والدعاء لهم وهم احقاء بعكس ذلك فمن ذكر الشيطان وهو من ذكر الله تعالى على مراحل واذا قال المنصت لصاحبه صه فقد لغى افلا يكون الخطيب الغالي في ذلك لاغيا نعوذ

من غربة الاسلام وذكر الايام اراد الامر بترك ما يذهل عن ذكر الله تعالى من شواغل الدنيا وانما خص البيع من بينها لان يوم الجمعة يوم يهبط الناس فيه من قراهم وبواديهم وينصبون الى المصر من كل اوب ووقت هبوطهم واجتماعهم واغتصاص الاسواق بهم اذا انتفخ النهار وتعالى الضحى ودنا وقت الظهيرة وحينئذ تحر التجارة ويتكاثر البيع والشراء فلما كان ذلك الوقت مظنة الذهول بالبيع عن ذكر الله تعالى والمضي الى المسجد قيل لهم بادروا تجارة الآخرة واتركوا تجارة الدنيا واسعوا الى ذكر الله الذي لا شيء انفع منه واربح وذروا البيع الذي نفعه يسير وربحه متقارب **فان قلت** فاذا كان البيع في هذا الوقت مأمورا بتركه محرما فهل هو فاسد **قلت** عامة العلماء على ان ذلك لا يوجب فساد البيع قالوا لان البيع لم يحرم لعينه ولكن لما فيه من الذهول عن الواجب فهو كالصلوة في الارض المغصوبة والثوب المغصوب والوضوء بماء مغصوب وعن بعض الناس انه فاسد

فاذا قضيت الصلوة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون

ثم اطلق لهم ما حظر عليهم بعد قضاء الصلوة من الانتشار وابتغاء الربح مع التوصية باكثار ذكر الله تعالى وان لا يلهيهم شيء من تجارة ولا غيرها عنه وان يكون همتهم في جميع احوالهم واوقاتهم موكلة به لا ينفضون عنه لان فلاحهم فيه وفوزهم منوط به وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لم يؤمروا بطلب شيء من الدنيا انما هو عيادة المرضى وحضور الجنائز وزيارة اخ في الله تعالى وعن الحسن وسعيد بن المسيب رضي الله تعالى عنهما طلب العلم وقيل صلوة التطوع وعن بعض السلف انه كان يشغل نفسه بعد الجمعة بشيء من امور الدنيا نظرا في هذه الآية **واذا رأوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين** روي ان اهل المدينة اصابهم جوع وغلاء شديد فقدم دحية بن خليفة بتجارة من زيت الشام والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم يخطب يوم الجمعة فقاموا اليه خشية ان يسبقوا اليه فما بقي معه الا يسير قيل ثمانية واحد عشر واثنا عشر واربعون فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والذي نفس محمد بيده لو خرجوا جميعا لاضرم الله تعالى عليهم الوادي نارا وكانوا اذا اقبلت العير استقبلوها بالطبل فهو المراد باللهو وعن قتادة فعلوا ذلك ثلث مرات في كل مقدم عير **فان قلت** فان اتفق تفرق الناس عن الامام في صلوة الجمعة كيف يصنع **قلت** ان بقي وحده او معه اقل من ثلثة فعند ابي حنيفة رحمه الله تعالى يستأنف الظهر اذا نفروا عنه قبل الركوع وعند صاحبيه اذا كبر وهم معه مضى فيها وعند زفر اذا نفروا قبل التشهد بطلت **فان قلت** كيف قال اليها وقد ذكر شيئين **قلت** تقديره اذا رأوا تجارة انفضوا اليها او لهوا انفضوا اليه فحذف احدهما لدلالة المذكور عليه وكذلك قراءة من قرأ انفضوا اليه وقراءة من قرأ لهوا او تجارة انفضوا اليها وقرئ اليهما عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة الجمعة اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من اتى الجمعة وبعدد من لم يأتها في امصار المسلمين

سورة المنافقين مدنية

وهي احدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون

ارادوا بقولهم نشهد انك لرسول الله شهادة واطأت فيها قلوبهم السنتهم فقال الله عز وعلا قالوا ذلك والله يعلم ان الامر كما يدل عليه قولهم انك لرسول الله والله يشهد انهم لكاذبون في قولهم نشهد وادعائهم فيه المواطأة وانهم لكاذبون فيه لانه اذا خلا عن المواطأة لم يكن شهادة في الحقيقة فهم كاذبون في تسميته شهادة او اراد والله يشهد انهم لكاذبون عند انفسهم لانهم كانوا يعتقدون ان قولهم انك لرسول الله كذب وخبر على خلاف ما عليه حال المخبر عنه **فان قلت** اي فائدة في قوله تعالى والله يعلم انك لرسوله **قلت** لو قال قالوا نشهد انك لرسول الله والله يشهد انهم لكاذبون لكان يوهم ان قولهم هذا كذب فوسط بينهما قوله والله يعلم انك لرسوله ليميط هذا الايهام **اتخذوا ايمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله انهم ساء ما كانوا يعملون ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون** اتخذوا ايمانهم جنة يجوز ان يراد ان قولهم نشهد انك لرسول الله يمين من ايمانهم الكاذبة لان الشهادة تجري مجرى الحلف فيما يراد به من التوكيد يقول الرجل اشهد واشهد بالله

والعزم واعزم بالله في موضع اقسم واولى وبه استشهد ابو حنيفة رحمه الله تعالى ان اشهد يمين ويجوز ان يكون وصفا
للمنافقين في استجنانهم بالايمان وقرا الحسن ايمانهم اي ما اظهروه من الايمان بالسنتهم ويعضده قوله تعالى ذلك بانهم
آمنوا انه ساء ما كانوا يعملون من نفاقهم وصدهم الناس عن سبيل الله من نفاقهم وفي ساء معنى التعجب الذي هو تعظيم امرهم
عند السامعين ذلك اشارة الى قوله تعالى ساء ما كانوا يعملون اي ذلك القول الشاهد عليهم بانهم اسوأ الناس اعمالا
بسبب انهم آمنوا ثم كفروا او الى ما وصف من حالهم في النفاق والكذب والاستجنان بالايمان اي ذلك كله بسبب انهم
آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فجسروا على كل عظيمة **فان قلت** المنافقون لم يكونوا الا على الكفر الثابت الدائم
فما معنى قوله آمنوا ثم كفروا **قلت** فيه ثلاثة اوجه احدها آمنوا اي نطقوا بكلمة الشهادة وفعلوا كما يفعل من يدخل في الاسلام
ثم كفروا ثم ظهر كفرهم بعد ذلك وتبين بما اطلع عليه من قولهم ان كان ما يقوله محمد حقا فنحن حمير وقولهم في غزوة تبوك ايطمع
هذا الرجل ان تفتح له قصور كسرى وقيصر هيهات ونحوه قوله تعالى يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد
اسلامهم اي وظهر كفرهم بعد ان اسلموا ونحوه قوله تعالى لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم والثاني آمنوا اي نطقوا بالايمان
عند المؤمنين ثم نطقوا بالكفر عند شياطينهم استهزاء بالاسلام كقوله تعالى واذا لقوا الذين آمنوا الى قوله تعالى انما نحن
مستهزؤن والثالث ان يراد اهل الردة منهم وقرئ فطبع على قلوبهم وقرا زيد بن علي رضي الله تعالى عنهما فطبع الله

وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ

كان عبد الله بن ابي رجلا
جسيما صبيحا فصيحا ذلق اللسان وقوم من المنافقين في مثل صفته وهم رؤساء المدينة وكانوا يحضرون مجلس
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيستندون فيه ولهم جهارة المناظر وفصاحة الالسن فكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
ومن حضر يعجبون بهياكلهم ويسمعون الى كلامهم **فان قلت** ما معنى قوله تعالى خشب مسندة **قلت**
شبهوا في استنادهم وما هم الا اجرام خالية عن الايمان والخير بالخشب المسندة الى الحائط ولان الخشب اذا انتفع به
كان في سقف او جدار او غيرهما من مظان الانتفاع وما دام متروكا فارغا غير منتفع به اسند الى الحائط فشبهوا به
في عدم الانتفاع ويجوز ان يراد بالخشب المسندة الاصنام المنحوتة من الخشب المسندة الى الحيطان شبهوا بها في حسن
صورهم وقلة جدواهم والخطاب في رأيتهم تعجبك لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم او لكل من يخاطب وقرئ يسمع على
البناء للمفعول وموضع كانهم خشب رفع على هم كانهم خشب او هو كلام مستانف لا محل له وقرئ خشب جمع خشبة
كبدنة وبدن وخشب كثمرة وثمر وخشب كمدرة ومدر وهي في قراءة ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وعن اليزيدي
انه قال في خشب جمع خشباء والخشباء الخشبة التي دعر جوفها شبهوا بها في نفاقهم وفساد بواطنهم عليهم يحسبون
يحسبون اي يحسبون كل صيحة واقعة عليهم وضارة لهم لجبنهم وهلعهم وما في قلوبهم من الرعب اذا نادى مناد في
العسكر او انفلتت دابة او انشدت ضالة ظنوا ايقاعا بهم وقيل كانوا على وجل من ان ينزل الله تعالى
فيهم ما يهتك استارهم ويبيح دماءهم واموالهم ومنه اخذ الاخطل ما زلت تحسب كل شيء بعدهم خيلا تكر عليهم ورجالا
يوقف على عليهم ويبتدأ هم العدو اي هم الكاملون في العداوة لان اعدى الاعداء العدو المداجي الذي يكاشرك وتحت
ضلوعه الداء الدوي فاحذرهم ولا تغترر بظاهرهم ويجوز ان يكون هم العدو المفعول الثاني كما لو طرح الضمير **فان قلت**
فحقه ان يقال هي العدو **قلت** منظور فيه الى الخبر كما ذكر في هذا ربي وان يقدر مضاف محذوف على يحسبون
كل اهل صيحة قاتلهم الله دعاء عليهم وطلب من ذاته ان يلعنهم ويخزيهم او تعليم للمؤمنين ان يدعوا عليهم بذلك
انى يؤفكون كيف يعدلون عن الحق تعجبا من جهلهم وضلالتهم

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ

لووا رؤسهم عطفوها
واما لوها اعراضا عن ذلك واستكبارا وقرئ بالتخفيف والتشديد للتكثير روي ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
حين لقي بني المصطلق على المريسيع وهو ماء لهم وهزمهم وقتل منهم ازدحم على الماء جهجاه بن سعيد اجير لعمر رضي الله تعالى عنه
يقود فرسه وسنان الجهني حليف لعبد الله بن ابي واقتتلا فصرخ جهجاه يا للمهاجرين وسنان يا للانصار فاعان جهجاها
جعال من فقراء المهاجرين ولطم سنانا فقال عبد الله لجعال وانت هناك وقال ما صحبنا محمدا الا لنلطم والله ما مثلنا

ومثلهم الا كما قيل سمن كلبك ياكلك اما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل عنى بالاعز نفسه
وبالاذل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومجد وعظم وكرم ثم قال لقومه ماذا فعلتم بانفسكم احللتموهم بلادكم وقاسمتموهم
اموالكم اما والله لو امسكتم عن جعال وذويه فضل الطعام لم يركبوا رقابكم ولاوشكوا ان يتحولوا عنكم فلا تنفقوا
عليهم حتى ينفضوا من حول محمد فسمع بذلك زيد بن ارقم رضي الله تعالى عنه وهو حدث فقال انت والله الذليل القليل
المبغض في قومك ومحمد في عز من الرحمن وقوة من المسلمين فقال عبد الله اسكت فانما كنت العب فاخبر زيد رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال عمر دعني اضرب عنق هذا المنافق يا رسول الله فقال اذن ترعد انف كثيرة بيثرب قال فان كرهت ان يقتله
مهاجري فأمر به انصاريا فقال فكيف اذا تحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه وقال صلى الله عليه وسلم لعبد الله انت صاحب
الكلام الذي بلغني قال والله الذي انزل عليك الكتاب ما قلت شيئا من ذلك وان زيدا لكاذب فهو قوله عز وجل اتخذوا
ايمانهم جنة فقال الحاضرون يا رسول الله شيخنا وكبيرنا لا تصدق عليه كلام غلام عسى ان يكون قد وهم وروي ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال له لعلك غضبت عليه قال لا قال فلعله اخطأ سمعك قال لا قال فلعله شبه عليك قال لا فلما نزلت
لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدا من خلفه فعرك اذنه وقال وفت اذنك يا غلام ان الله تعالى قد صدقك وكذب
المنافقين ولما اراد عبد الله ان يدخل المدينة اعترضه ابنه حباب وهو عبد الله بن عبد الله غير رسول الله صلى الله عليه وسلم
اسمه وقال ان حبابا اسم شيطان وكان مخلصا وقال وراءك والله لا تدخلها حتى تقول رسول الله الاعز وانا الاذل فلم
يزل حبيسا في يده حتى امره رسول الله صلى الله عليه وسلم بتخليته وروي انه قال له لئن لم تقر لله ورسوله بالعز لاضربن
عنقك فقال ويحك افاعل انت قال نعم فلما راى منه الجد قال اشهد ان العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فقال عليه الصلاة والسلام لابنه
جزاك الله عن رسوله خيرا فلما بان كذب عبد الله قيل له قد نزلت فيك آي شداد فاذهب الى رسول الله يستغفر لك
فلوى راسه ثم قال امرتموني ان اومن فامنت وامرتموني ان ازكي مالي فزكيت فما بقي الا ان اسجد لمحمد فنزلت واذا قيل
لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله ولم يلبث الا اياما قلائل حتى اشتكى ومات

سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ

سواء عليهم
الاستغفار وعدمه لانهم لا يلتفتون اليه ولا يعتدون به لكفرهم او لان الله لا يغفر لهم وقرئ استغفرت على حذف حرف الاستفهام
لان ام المعادلة تدل عليه وقرا ابو جعفر آستغفرت اشباعا لهمزة الاستفهام للاظهار والبيان لا قلبا لهمزة الوصل الفا

هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ

ينفضوا يتفرقوا وقرئ ينفضوا من انفض القوم اذا فني زادهم
وحقيقته حان لهم ان ينفضوا مزاودهم ولله خزائن السموات والارض وبيده الارزاق والقسم فهو رازقهم وان ابى
اهل المدينة ان ينفقوا عليهم ولكن عبد الله واضرابه جاهلون لا يفقهون ذلك فيهذون بما يزين لهم الشيطان

يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ

وقرئ ليخرجن الاعز منها الاذل بفتح الياء وليخرجن على البناء للمفعول
وقرا الحسن وابن ابي عبلة لنخرجن بالنون ونصب الاعز والاذل ومعناه خروج الاذل او اخراج الاذل او مثل الاذل ولله العزة
الغلبة والقوة ولمن اعزه الله تعالى وايده من رسوله ومن المؤمنين وهم الاخصاء بذلك كما ان المذلة والهوان
للشيطان وذويه من الكافرين والمنافقين وعن بعض الصالحات رحمها الله تعالى كانت في هيئة رثة الست
على الاسلام وهو العز الذي لا ذل معه والغنى الذي لا فقر معه وعن الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما ان رجلا قال له ان
الناس يزعمون ان فيك تيها فقال ليس بتيه ولكنه عزة وتلا هذه الآية

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ

لا تشغلكم اموالكم والتصرف فيها والسعي في تدبير امرها والتهالك على طلب النماء فيها بالتجارة والاغتلال وابتغاء
النتاج والتلذذ بها والاستمتاع بمنافعها ولا اولادكم وسروركم بهم وشفقتكم عليهم والقيام بمؤنهم وتسوية ما
يصلحهم من معايشهم في حياتكم وبعد مماتكم وقد عرفتم قدر منفعة الاموال والاولاد وانه اهون شيء وادونه في جنب ما عند الله
عن ذكر الله وايثاره عليها ومن يفعل ذلك يريد الشغل بالدنيا عن الدين فاولئك هم الخاسرون في تجارتهم حيث باعوا

العظيم الباقي بالحقير الفاني وقيل ذكر الله الصلوات الخمس وعن الحسن جميع الفرائض كأنه قال عن طاعة الله وقيل
القرآن وعن الكلبي الجهاد مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وانفقوا مما رزقناكم من قبل ان يأتي احدكم
الموت فيقول رب لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين من في مما رزقناكم
للتبعيض والمراد الانفاق الواجب من قبل ان يأتي احدكم الموت من قبل ان يرى دلائل الموت ويعاين ما ييأس معه من الامهال
ويضيق به الخناق ويتعذر عليه الانفاق ويفوت وقت القبول فيتحسر على المنع ويعض انامله على فقد ما كان متمكنا منه وعن ابن
عباس رضي الله عنهما تصدقوا قبل ان ينزل عليكم سلطان الموت فلا يقبل توبة ولا ينفع عمل وعنه ما يمنع احدكم اذا كان له مال ان
يزكي واذا اطاق الحج ان يحج من قبل ان يأتيه الموت فيسأل ربه الكرة فلا يعطاها وعنه رضي الله عنه انها نزلت في مانعي الزكوة
ووالله لو رأى خيرا ما سأل الرجعة فقيل له اما تتقي الله يسأل المؤمنون الكرة قال نعم انا اقرأ عليكم به قرآنا يعني انها نزلت في
المؤمنين وانهم المخاطبون بها وكذا عن الحسن ما من احد لم يزك ولم يصم ولم يحج الا سأل الرجعة وعن عكرمة انها نزلت
في اهل القبلة وقرئ لولا اخرتني وقرئ اخرتن يريد هلا اخرت موتي الى اجل قريب الى زمان قليل فاصدق وقرأ أبي فأتصدق
على الاصل وقرئ واكن عطفا على محل فاصدق كأنه قيل ان اخرتني اصدق واكن ومن قرأ واكون على النصب فعلى اللفظ وقرأ
عبيد بن عمير واكون على وانا اكون عدة منه بالصلاح ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء اجلها والله خبير بما تعملون
ولن يؤخر الله نفي للتأخير على وجه التأكيد الذي معناه منافاة المنفي للحكمة والمعنى انكم اذا علمتم ان تأخير الموت مما لا سبيل اليه وانه
هاجم لا محالة وان الله عليم باعمالكم فمجاز عليها من منع واجب وغيره لم يبق الا المسارعة الى الخروج عن عهدة الواجب والاستعداد
للقاء الله تعالى وقرئ يعملون بالتاء والياء عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة المنافقين برئ من النفاق

سورة التغابن

مختلف فيها وهي ثماني عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم يسبح لله ما في السموات وما في الارض
له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن والله بما تعملون
بصير قدم الظرفان ليدل بتقديمهما على معنى اختصاص الملك والحمد بالله عز وجل وذلك ان الملك على الحقيقة له لانه مبدئ كل شيء
ومبدعه والقائم به والمهيمن عليه وكذلك الحمد لان اصول النعم وفروعها منه واما ملك غيره فتسليط منه واسترعاء وحمده اعتداد بان
نعمة الله تعالى جرت على يده هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن يعني فمنكم آت بالكفر وفاعل له كقوله تعالى وجعلنا في ذريتهما النبوة
والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون والدليل عليه قوله تعالى والله بما تعملون بصير اي عالم بكفركم وايمانكم اللذين هما من عملكم والمعنى
هو الذي تفضل عليكم باصل النعم الذي هو الخلق والايجاد من العدم فكان يجب ان تنظروا النظر الصحيح وتكونوا بأجمعكم عبادا شاكرين
فما فعلتم مع تمكنكم بل تشعبتم شعبا وتفرقتم امما فمنكم كافر ومنكم مؤمن وقدم الكفر لانه الاغلب عليهم والاكثر فيهم وقيل هو الذي
خلقكم فمنكم كافر بالخلق وهم الدهرية ومنكم مؤمن به فان قلت نعم ان العباد هم الفاعلون للكفر ولكن قد سبق في
علم الحكيم انه اذا خلقهم لم يفعلوا الا الكفر ولم يختاروا غيره فما دعاه الى خلقهم مع علمه بما يكون منهم وهل خلق القبيح وخلق فاعل القبيح
الا واحد وهل مثله الا مثل من وهب سيفا باترا لمن شهر بقطع السبيل وقتل النفس المحرمة فقتل به مؤمنا اما يطبق العقلاء
على ذم الواهب وتعنيفه والدق في فروة رأسه كما يذمون القاتل بل انحاؤهم باللوائم على الواهب اشد قلت قد علمنا
ان الله عز وجل حكيم عالم بقبح القبيح عالم بغناه عنه فقد علمنا ان افعاله كلها حسنة وخلق فاعل القبيح فعله فوجب ان يكون حسنا
وان يكون له وجه حسن وخفاء وجه الحسن علينا لا يقدح في حسنه كما لا يقدح في حسن اكثر مخلوقاته جهلنا بداعي الحكمة الى خلقها
خلق السموات والارض بالحق وصوركم فاحسن صوركم واليه المصير يعلم ما في السموات
والارض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور بالحق بالغرض الصحيح
والحكمة البالغة وهو ان جعلها مقار المكلفين ليعملوا فيجازيهم وصوركم فاحسن صوركم وقرئ صوركم بالكسر لتشكروا واليه
مصيركم فجازيكم على الشكر وتركه فان قلت كيف احسن صورهم قلت جعلهم احسن الحيوان كله وابهاه بدليل
ان الانسان لا يتمنى ان تكون صورته على خلاف ما يرى من سائر الصور ومن حسن صورته انه خلق منتصبا غير منكب كما قال عز وعلا في

باحسن

في احسن تقويم فان قلت فكم من دميم مشوه الصورة سمج الخلقة تقتحمه العيون قلت لا سماجة ثم ولكن الحسن
كغيره من المعاني على طبقات ومراتب فلانحطاط بعض الصور عن مراتب ما فوقها انحطاطا بينا واضافتها الى الموفي عليها لا تستملح
والا فهي داخلة في حيز الحسن غير خارجة عن حده الا ترى انك قد تعجب بصورة وتستملحها ولا ترى الدنيا بها ثم ترى اكمل واعلى
في مراتب الحسن فينبو عن الاولى طرفك وتستثقل النظر اليها بعد افتتانك بها وتهالكك عليها وقالت الحكماء شيئان
لا غاية لهما الجمال والبيان نبه بعلمه ما في السموات والارض ثم بعلمه ما يسره العباد ويعلنونه ثم بعلمه ذوات الصدور ان
شيئا من الكليات والجزئيات غير خاف عليه ولا عازب عنه فحقه ان يتقى ويحذر ولا يجترأ على شيء مما يخالف رضاه
وتكرير العلم في معنى تكرير الوعيد وكل ما ذكره بعد قوله تعالى فمنكم كافر ومنكم مؤمن كما ترى في معنى الوعيد على الكفر وانكار
ان يعصى الخالق ولا تشكر نعمته فما اجهل من يمزج الكفر بالخلق ويجعله من جملته والخلق اعظم نعمة من الله تعالى والكفر
اعظم كفران من العباد لربهم الم يأتكم نبأ الذين كفروا من قبل فذاقوا وبال امرهم ولهم عذاب
اليم ذلك بانه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا ابشر يهدوننا فكفروا
وتولوا واستغنى الله والله غني حميد الم يأتكم الخطاب لكفار مكة وذلك اشارة الى ما ذكر
من الوبال الذي ذاقوه في الدنيا وما اعد لهم من العذاب في الآخرة بانه بان الشأن والحديث كانت تأتيهم رسلهم ابشر يهدوننا
انكروا ان يكون الرسل بشرا ولم ينكروا ان يكون الله حجرا واستغنى الله اطلق ليتناول كل شيء ومن جملته ايمانهم وطاعتهم
فان قلت قوله تعالى وتولوا واستغنى الله يوهم وجود التولي والاستغناء معا والله تعالى لم يزل غنيا قلت
معناه وظهر استغناء الله تعالى حيث لم يلجئهم الى الايمان ولم يضطرهم اليه مع قدرته على ذلك زعم الذين كفروا ان لن
يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير فآمنوا بالله
ورسوله والنور الذي انزلنا والله بما تعملون خبير الزعم ادعاء العلم ومنه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم
زعموا مطية الكذب وعن شريح لكل شيء كنية وكنية الكذب زعموا ويتعدى الى المفعولين تعدي العلم قال ولم ازعمك
عن ذاك معزلا وان مع ما في حيزه قائم مقامهما والذين كفروا اهل مكة وبلى اثبات لما بعد لن وهو البعث وذلك على
الله يسير اي لا يصرفه عنه صارف وعنى برسوله والنور محمدا صلى الله عليه وسلم والقرآن يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك
يوم التغابن ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجري من
تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا
اولئك اصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير قوله تعالى يجمعكم ونكفر وندخله بالياء والنون
فان قلت بم انتصب الظرف قلت بقوله لتنبؤن او بخبير لما فيه من معنى الوعيد كأنه قيل والله
معاقبكم يوم يجمعكم او باضمار اذكر ليوم الجمع ليوم يجمع فيه الاولون والآخرون التغابن مستعار من تغابن القوم في التجارة
وهو ان يغبن بعضهم بعضا لنزول السعداء منازل الاشقياء التي كانوا ينزلونها لو كانوا سعداء ونزول الاشقياء منازل
السعداء التي كانوا ينزلونها لو كانوا اشقياء وفيه تهكم بالاشقياء لان نزولهم ليس بغبن وفي حديث رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما من عبد يدخل الجنة الا اري مقعده من النار لو اساء ليزداد شكرا وما من عبد يدخل النار الا اري مقعده من الجنة
لو احسن ليزداد حسرة ومعنى ذلك يوم التغابن وقد يتغابن الناس في غير ذلك اليوم استعظام له وان تغابنه هو التغابن في
الحقيقة لا التغابن في امور الدنيا وان جلت وعظمت صالحا صفة للمصدر اي عملا صالحا ما اصاب من مصيبة
الا باذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم واطيعوا الله
واطيعوا الرسول فان توليتم فانما على رسولنا البلاغ المبين الا باذن الله الا بتقديره
ومشيئته كأنه اذن للمصيبة ان تصيبه يهد قلبه يلطف به ويشرحه للازدياد من الطاعة والخير وقيل هو الاسترجاع عند المصيبة
وعن الضحاك يهد قلبه حتى يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطئه وما اخطأه لم يكن ليصيبه وعن مجاهد ان ابتلي صبر وان اعطي
شكر وان ظلم غفر وقرئ يهد قلبه على البناء للمفعول والقلب مرفوع او منصوب ووجه النصب ان يكون مثل سفه نفسه
اي يهد في قلبه ويجوز ان يكون المعنى ان الكافر ضال عن قلبه بعيد منه والمؤمن واجد له مهتد اليه كقوله تعالى لمن كان له قلب
وقرئ نهد قلبه بالنون ويهد ويهدأ بمعنى يهتد ويهدأ قلبه يطمئن ويهد ويهدا على التخفيف والله بكل شيء عليم يعلم ما يؤثر

فيه اللطف من القلوب ما لا يؤثر فيه فيسمعه وليمنعه فان توليتم فلا عليه ان توليتم لانه لم يكتب عليه طاعتكم انما كتب عليه ان يبلغ

فحسب الله لا اله الا هو وعلى الله فليتوكل المتوكلون وعلى الله فليتوكل المؤمنون بعث

لرسول الله صلى الله عليه وسلم على التوكل عليه والتقوي به في امره حتى ينصره على من كذبه وتولى عنه يا ايها الذين آمنوا

ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا

فان الله غفور رحيم ان من الازواج ازواجا يعادين بعولتهن ويخاصمنهم ويجلبن عليهم ومن الاولاد اولادا

يعادون آباءهم ويعقونهم ويجرعونهم الغصص والاذى فاحذروهم الضمير للعدو او للازواج والاولاد جميعا اي لما علمتم ان

هؤلاء لا يخلون من عدو فكونوا منهم على حذر ولا تأمنوا غوائلهم وان تعفوا عنهم اذا اطلعتم منهم على عداوة ولم تقابلوهم بمثلها

فان الله يغفر لكم ذنوبكم ويكفر عنكم سيآتكم وقيل ان ناسا ارادوا الهجرة عن مكة فثبطهم ازواجهم واولادهم وقالوا

تنطلقون وتضيعوننا فرقوا لهم ووقفوا فلما هاجروا بعد ذلك ورأوا الذين سبقوهم قد فقهوا في الدين ارادوا ان يعاقبوا

ازواجهم واولادهم فزين لهم العفو وقيل قالوا لهم اين تذهبون وتدعون بلدكم وعشيرتكم واموالكم فغضبوا عليهم وقالوا لئن

جمعنا الله تعالى في دار الهجرة لم نصبكم بخير فلما هاجروا منعوهم الخير فحثوا ان يعفوا عنهم ويردوا اليهم البر والصلة وقيل كان

عوف بن مالك الاشجعي ذا اهل وولد فاذا اراد ان يغزو تعلقوا به وبكوا اليه ورققوه فكانه هم باذاهم فنزلت انما اموالكم

واولادكم فتنة والله عنده اجر عظيم فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا واطيعوا

وانفقوا خيرا لانفسكم ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون فتنة بلاء ومحنة لانهم يوقعون

في الاثم والعقوبة ولا بلاء اعظم منها الا ترى الى قوله تعالى والله عنده اجر عظيم وفي الحديث يؤتى برجل يوم القيمة فيقال اكل

عياله حسناته وعن بعض السلف العيال سوس الطاعات وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه كان يخطب فجاء الحسن والحسين رضي الله عنهما

وعليهما قميصان احمران يعثران ويقومان فنزل اليهما فاخذهما ووضعهما في حجره على المنبر فقال صدق الله انما اموالكم واولادكم فتنة

رايت هذين الصبيين فلم اصبر عنهما ثم اخذ في خطبته وقيل اذا امكنكم الجهاد والهجرة فلا تفتننكم الاموال والاولاد عنهما

ما استطعتم جهدكم ووسعكم اي ابذلوا فيها استطاعتكم واسمعوا ما توعظون به واطيعوا فيما تؤمرون به وتنهون عنه وانفقوا

في الوجوه التي وجبت عليكم النفقة فيها خيرا لانفسكم نصب بمحذوف تقديره ائتوا خيرا لانفسكم وافعلوا ما هو خير لها وانفع وهذا

تاكيد للحث على امتثال هذه الاوامر وبيان لان هذه الامور خير لانفسكم من الاموال والاولاد وما انتم عاكفون عليه من حب الشهوات

وزخارف الدنيا ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم

عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم وذكر القرض تلطف في الاستدعاء يضاعفه لكم يكتب بالواحدة

عشرة وسبعمائة الى ما شاء من الزيادة وقرئ يضعفه شكور اي مجاز اي يفعل بكم ما يفعل المبالغ في الشكر من عظيم الثواب

وكذلك حليم يفعل بكم ما يفعل من يحلم عن المسيء فلا يعاجلكم بالعقاب مع كثرة ذنوبكم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التغابن رفع عنه موت الفجاءة

سورة الطلاق

مدنية وهي احدى عشرة او اثنتا عشرة او ثلاث عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبي اذا طلقتم النساء

فطلقوهن لعدتهن واحصوا العدة واتقوا الله ربكم خص النبي صلى الله تعالى عليه وسلم

بالنداء وعم بالخطاب لان النبي امام امته وقدوتهم كما يقال لرئيس القوم وكبيرهم يا فلان افعلوا كيت وكيت اظهارا لتقدمه واعتبارا

لترؤسه وانه مدره قومه ولسانهم والذي يصدرون عن رايه ولا يستبدون دونه فكان هو وحده في حكم كلهم وسادا مسد

جميعهم ومعنى اذا طلقتم النساء اذا اردتم تطليقهن وهممتم به على تنزيل المقبل على الامر المشارف له منزلة الشارع فيه

كقوله صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلا فله سلبه ومنه كان الماشي الى الصلوة والمنتظر لها في حكم المصلي فطلقوهن لعدتهن فطلقوهن

مستقبلات لعدتهن كقولك اتيته لليلة بقيت من المحرم اي مستقبلا لها وفي قراءة النبي صلى الله عليه وسلم في قبل عدتهن

واذا طلقت المراة في الطهر المتقدم للقرء الاول من اقرائها فقد طلقت مستقبلة لعدتها والمراد ان يطلقن في طهر لم

يجامعن فيه ثم يخلين حتى تنقضي عدتهن وهذا احسن الطلاق وادخله في السنة وابعده من الندم ويدل عليه ما روي عن

ابراهيم النخعي ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يستحبون ان لا يطلقوا ازواجهم للسنة الا واحدة ثم لا يطلقوا

غير ذلك حتى تنقضي العدة وكان احسن عندهم من ان يطلق الرجل ثلاثا في ثلاثة اطهار وقال مالك بن انس رضي الله تعالى عنه

لا اعرف طلاق السنة الا واحدة وكان يكره الثلاث مجموعة كانت او متفرقة واما ابو حنيفة واصحابه رضي الله تعالى عنهم فانما

كرهوا ما زاد على الواحدة في طهر واحد فاما مفرقا في الاطهار فلا لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لابن عمر رضي الله تعالى عنهما

حين طلق امراته وهي حائض ما هكذا امرك الله انما السنة ان تستقبل الطهر استقبالا وتطلقها لكل قرء تطليقة وروي انه قال

لعمر رضي الله تعالى عنه مر ابنك فليراجعها ثم ليدعها حتى تحيض ثم تطهر ثم ليطلقها ان شاء فتلك العدة التي امر الله

ان تطلق لها النساء وعند الشافعي رضي الله تعالى عنه لا باس بارسال الثلاث وقال لا اعرف في عدد الطلاق سنة ولا بدعة

وهو مباح فمالك يراعي في طلاق السنة الوحدة والوقت وابو حنيفة يراعي التفريق والوقت والشافعي يراعي الوقت وحده

فان قلت هل يقع الطلاق المخالف للسنة قلت نعم وهو آثم لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم

ان رجلا طلق امراته ثلاثا بين يديه فقال اتلعبون بكتاب الله وانا بين اظهركم وفي حديث ابن عمر رضي الله تعالى عنهما انه قال

يا رسول الله ارايت لو طلقتها ثلاثا فقال اذن عصيت وبانت منك امراتك وعن عمر رضي الله تعالى عنه انه كان

لا يؤتى برجل طلق امراته ثلاثا الا اوجعه ضربا واجاز ذلك عليه وعن سعيد بن المسيب وجماعة من التابعين ان من خالف

السنة في الطلاق فاوقعه في حيض او ثلث لم يقع وشبهوه بمن وكل غيره بطلاق السنة فخالف فان قلت

فكيف تطلق للسنة التي لا تحيض لصغر او كبر او حمل وغير المدخول بها قلت الصغيرة والآيسة والحامل كلهن عند

ابي حنيفة وابي يوسف رحمهما الله تعالى يفرق عليهن الثلاث في الاشهر وخالفهما محمد وزفر في الحامل فقالا لا تطلق للسنة

الا واحدة واما غير المدخول بها فلا تطلق للسنة الا واحدة ولا تراعى الوقت فان قلت هل يكره ان تطلق المدخول بها

واحدة بائنة قلت اختلفت الرواية فيه عن اصحابنا والظاهر الكراهة فان قلت اذا طلقتم النساء عام

يتناول المدخول بهن وغير المدخول بهن من ذوات الاقراء والآيسات والصغائر والحوامل فكيف صح تخصيصه بذوات الاقراء

المدخول بهن قلت لا عموم ثم ولا خصوص ولكن النساء اسم جنس للاناث من الانس وهذه الجنسية معنى قائم في كلهن وفي

بعضهن فجاز ان يراد بالنساء هذا وذاك فلما قيل فطلقوهن لعدتهن علم انه اطلق على بعضهن وهو المدخول بهن من المعتدات

بالحيض واحصوا العدة واضبطوها بالحفظ واكملوها ثلاثة اقراء مستقبلات كوامل لا نقصان فيهن لا تخرجوهن

من بيوتهن ولا يخرجن الا ان ياتين بفاحشة مبينة وتلك حدود الله ومن

يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه ولا تخرجوهن حتى تنقضي عدتهن من بيوتهن من مساكنهن التي يسكنها

قبل العدة وهي بيوت الازواج واضيفت اليهن لاختصاصها بهن من حيث السكنى فان قلت ما معنى الجمع

بين اخراجهم وخروجهن قلت معنى الاخراج ان لا يخرجهن البعولة غضبا عليهن وكراهة لمساكنتهن او لحاجة

لهم الى المساكن وان لا ياذنوا لهن في الخروج اذا طلبن ذلك ايذانا بان اذنهم لا اثر له في رفع الحظر ولا يخرجن بانفسهن

ان اردن ذلك الا ان ياتين بفاحشة مبينة قرئ بفتح الياء وكسرها قيل هي الزنا يعني الا ان يزنين فيخرجن لاقامة الحد

عليهن وقيل الا ان يطلقن على النشوز والنشوز يسقط حقها في السكنى وقيل الا ان يبذون فيحل اخراجهن لبذائهن

وتؤكده قراءة ابي رضي الله تعالى عنه الا ان يفحشن عليكم وقيل خروجها قبل انقضاء العدة فاحشة في نفسه لا تدري

لعل الله يحدث بعد ذلك امرا الامر الذي يحدثه الله تعالى ان يقلب قلبه من بغضها الى محبتها ومن الرغبة

عنها الى الرغبة فيها ومن عزيمة الطلاق الى الندم عليها فيراجعها والمعنى فطلقوهن لعدتهن واحصوا العدة لعلكم ترغبون

وتندمون فتراجعون فاذا بلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف او فارقوهن بمعروف واشهدوا

ذوي عدل منكم واقيموا الشهادة لله ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم

الآخر فاذا بلغن اجلهن وهو آخر العدة وشارفنه فانتم بالخيار ان شئتم فالرجعة والامساك بالمعروف

والاحسان وان شئتم فترك الرجعة والمفارقة واتقاء الضرار وهو ان يراجعها في آخر عدتها ثم يطلقها تطويلا للعدة

عليها وتعذيبا لها واشهدوا يعني عند الرجعة والفرقة جميعا وهذا الاشهاد مندوب اليه عند ابي حنيفة كقوله عز وجل

واشهدوا اذا تبايعتم وعند الشافعي هو واجب في الرجعة مندوب اليه في الفرقة وقيل فائدة الاشهاد ان لا يقع بينهما التجاحد

وان لا يتهم في امساكها ولئلا يموت احدهما فيدعي الباقي ثبوت الزوجية ليرث ثم قال الحسن من المسلمين وعن قتادة من
احراركم لله لوجهه خالصا وذلك ان تقيموها لا للمشهود له ولا للمشهود عليه ولا لغرض من الاغراض سوى اقامة الحق ودفع
الظلم كقوله عز وجل كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم اي ذلكم الحث على اقامة الشهادة لوجه الله
ولاجل القيام بالقسط يوعظ به **ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث**
لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ امره قد جعل الله
لكل شيء قدرا ومن يتق الله يجوز ان يكون جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق من اجراء امر الطلاق على السنة
وطريقه الاحسن والابعد من الندم ويكون المعنى ومن يتق الله فطلق للسنة ولم يضار المعتدة ولم يخرجها من مسكنها
واحتاط فاشهد يجعل الله له مخرجا مما في شان الازواج من الغموم والوقوع في المضايق ويفرج عنه وينفس ويعطه الخلاص
ويرزقه من وجه لا يخطر بباله ولا يحتسبه ان اوفى المهر وادى الحقوق والنفقات وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل
عمن طلق ثلثا او الفا هل له من مخرج فتلاها وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه سئل عن ذلك فقال لم يتق الله فلم
يجعل له مخرجا بانت منك بثلاث والزيادة اثم في عنقك ويجوز ان يجاء بها على سبيل الاستطراد عند ذكر قوله تعالى
ذلكم يوعظ به يعني ومن يتق الله يجعل له مخرجا ومخلصا من غموم الدنيا والاخرة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قراها
فقال مخرجا من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدائد يوم القيمة وقال صلى الله عليه وسلم اني لاعلم اية لو اخذ
الناس بها لكفتهم ومن يتق الله فما زال يقرؤها ويعيدها وروي ان عوف بن مالك الاشجعي رحمه الله تعالى اسر المشركون
ابنا له يسمى سالما فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اسر ابني وشكى اليه الفاقة فقال ما امسى عند ال محمد الا مد فاتق الله
واصبر واكثر من لا حول ولا قوة الا بالله ففعل فبينا هو في بيته اذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الابل تغفل عنها العدو فاستاقها
فنزلت هذه الاية بالغ امره اي يبلغ ما يريد لا يفوته مراد ولا يعجزه مطلوب وقرئ بالغ امره بالاضافة وبالغ امره
بالرفع اي نافذ امره وقرا المفضل بالغا امره على ان قوله تعالى قد جعل الله خبر ان وبالغا حال قدرا تقديرا وتوقيتا وهذا
بيان لوجوب التوكل على الله وتفويض الامر اليه لانه اذا علم ان كل شيء من الرزق ونحوه لا يكون الا بتقديره وتوقيته لم يبق الا التسليم
للقدر والتوكل **واللائي يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلثة اشهر**
واللائي لم يحضن واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن روي ان ناسا قالوا قد عرفنا
عدة ذوات الاقراء فما عدة اللائي لم يحضن فنزلت ومعنى ان ارتبتم ان اشكل عليكم حكمهن وجهلتم كيف يعتددن فهذا حكمهن
وقيل ان ارتبتم في دم البالغات مبلغ الياس وقد قدروه بستين سنة وبخمس وخمسين اهو دم حيض او استحاضة فعدتهن
ثلثة اشهر واذا كانت هذه عدة المرتاب بها فغير المرتاب بها اولى بذلك واللائي لم يحضن هن الصغائر والمعنى فعدتهن
ثلثة اشهر فحذف لدلالة المذكور عليه اللفظ مطلق في اولات الاحمال فاشتمل على المطلقات والمتوفى عنهن وكان ابن مسعود
وابي وابو هريرة رضوان الله تعالى عليهم وغيرهم لا يفرقون وعن علي وابن عباس رضي الله تعالى عنهم عدة الحامل المتوفى عنها
ابعد الاجلين وعن عبد الله من شاء لاعنته ان سورة النساء القصرى نزلت بعد الاية التي في البقرة يعني ان هذا اللفظ
مطلق في الحوامل وروت ام سلمة رضي الله تعالى عنها ان سبيعة الاسلمية ولدت بعد وفاة زوجها بليال فذكرت ذلك
لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال لها قد حللت فانكحي **ومن يتق الله يجعل له من امره يسرا**
ذلك امر الله انزله اليكم ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له اجرا يجعل له من
امره يسرا ييسر له من امره ويحلل له من عقده بسبب التقوى ذلك امر الله يريد ما علم من حكم هؤلاء المعتدات والمعنى
ومن يتق الله في العمل بما انزل الله تعالى من هذه الاحكام وحافظ على الحقوق الواجبة عليه مما ذكر من الاسكان وترك
الضرار والنفقة على الحوامل وايتاء اجر المرضعات وغير ذلك استوجب تكفير السيئات والاجر العظيم
اسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن وان كن اولات
حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن اسكنوهن وما بعده بيان لما شرط من التقوى في قوله تعالى
ومن يتق الله فكانه قيل اسكنوهن **فان قلت** من في من حيث سكنتم ما هي **قلت** هي من التبعيضية مبعضها
محذوف معناه اسكنوهن مكانا من حيث سكنتم اي بعض مكان سكناكم كقوله تعالى يغضوا من ابصارهم اي بعض ابصارهم قال

قتادة ان لم يكن الا بيت واحد فاسكنها في بعض جوانبه **فان قلت** فقوله تعالى من وجدكم **قلت**
هو عطف بيان لقوله تعالى من حيث سكنتم وتفسير له كانه قيل اسكنوهن مكانا من مسكنكم مما تطيقونه والوجد الوسع
والطاقة وقرئ بالحركات الثلاث والسكنى والنفقة واجبتان لكل مطلقة وعند مالك والشافعي رحمهما الله تعالى
ليس للمبتوتة الا السكنى ولا نفقة لها وعن الحسن وحماد لا نفقة لها ولا سكنى لحديث فاطمة بنت قيس رضي الله تعالى عنها
ان زوجها ابت طلاقها فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم لا سكنى لك ولا نفقة وعن عمر رضي الله تعالى عنه لا ندع كتاب
ربنا وسنة نبينا لقول امراة لعلها نسيت او شبه لها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لها السكنى والنفقة ولا
تضاروهن ولا تستعملوا معهن الضرار لتضيقوا عليهن في المسكن ببعض الاسباب من انزال من لا يوافقهن او يشغل
مكانهن او غير ذلك حتى تضطروهن الى الخروج وقيل هو ان يلجئها الى ان تفتدي منه **فان قلت**
فاذا كانت كل مطلقة عندكم يجب لها النفقة فما فائدة الشرط في قوله تعالى وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن
قلت فائدته ان مدة الحمل ربما طالت فظن ظان ان النفقة تسقط اذا مضى مقدار عدة الحائل فنفى
ذلك الوهم **فان قلت** فما تقول في الحامل المتوفى عنها **قلت** هي مختلف فيها فاكثرهم على انه لا نفقة
لها لوقوع الاجماع على ان من اجبر الرجل على النفقة عليه من امراة او ولد صغير لا يجب ان ينفق عليه من ماله بعد موته فكذلك
الحامل وعن علي وعبد الله وجماعة رضي الله تعالى عنهم انهم اوجبوا نفقتها **فان ارضعن لكم فاتوهن**
اجورهن واتمروا بينكم بمعروف وان تعاسرتم فسترضع له اخرى فان ارضعن لكم
يعني هؤلاء المطلقات ان ارضعن لكم ولدا من غيرهن او منهن بعد انقطاع عصمة الزوجية فاتوهن اجورهن حكمهن
في ذلك حكم الاظآر ولا يجوز عند ابي حنيفة واصحابه الاستيجار اذا كان الولد منهن ما لم يبن ويجوز عند الشافعي الايتمار
بمعنى التامر كالاشتوار بمعنى التشاور يقال ائتمر القوم وتامروا اذا امر بعضهم بعضا والمعنى وليامر بعضكم بعضا
والخطاب للاباء والامهات بمعروف بجميل وهو المسامحة وان لا يماكس الاب ولا تعاسر الام لانه ولدهما معا وهما شريكان
فيه وفي وجوب الاشفاق عليه وان تعاسرتم فسترضع له اخرى فستوجد ولا تعوز مرضعة غير الام ترضعه وفيه طرف من
معاتبة الام على المعاسرة كما تقول لمن تستقضيه حاجة فيتوانى سيقضيها غيرك تريد لن تبقى غير مقضية وانت ملوم
وقوله له اي للاب اي سيجد الاب غير معاسرة ترضع له ولده ان عاسرته امه **لينفق ذو سعة من سعته**
ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما اتاه الله لا يكلف الله نفسا الا ما اتاها
سيجعل الله بعد عسر يسرا لينفق كل واحد من الموسر والمعسر ما بلغه وسعه يريد ما امر به من الانفاق
على المطلقات والمرضعات كما قال الله تعالى ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره وقرئ لينفق بالنصب اي
شرعنا ذلك لينفق وقرا ابن ابي عبلة قدر سيجعل الله موعد لفقراء ذلك الوقت بفتح ابواب الرزق عليهم او لفقراء الازواج
ان انفقوا ما قدروا عليه ولم يقصروا **وكاين من قرية عتت عن امر ربها ورسله فحاسبناها حسابا**
شديدا وعذبناها عذابا نكرا فذاقت وبال امرها وكان عاقبة امرها خسرا اعد الله
لهم عذابا شديدا عتت عن امر ربها اعرضت عنه على وجه العتو والعناد حسابا شديدا بالاستقصاء والمناقشة
عذابا نكرا وقرئ نكرا منكرا عظيما والمراد حساب الاخرة وعذابها وما يذوقون فيها من الوبال ويلقون من الخسر وجيء به على
لفظ الماضي كقوله تعالى ونادى اصحاب الجنة ونادى اصحاب النار ونحو ذلك لان المنتظر من وعد الله تعالى ووعيده ملقى في الحقيقة
وما هو كائن فكان قد وقوله تعالى اعد الله لهم عذابا شديدا تكرير للوعيد وبيان لكونه مترقبا كانه قال اعد الله لهم هذا
العذاب فليكن لكم ذلك يا اولي الالباب لطفا في تقوى الله تعالى وحذر عقابه ويجوز ان يراد احصاء السيئات واستقصاؤها
عليهم في الدنيا واثباتها في صحائف الحفظة وما اصيبوا به من العذاب في العاجل وان يكون عتت وما عطف عليه صفة للقرية
واعد الله لهم جوابا لكاين **فاتقوا الله يا اولي الالباب الذين امنوا قد انزل الله**
اليكم ذكرا رسولا يتلو عليكم ايات الله مبينات ليخرج الذين امنوا وعملوا الصالحات
من الظلمات الى النور ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها ابدا قد احسن الله له رزقا رسولا هو جبريل عليه السلام ابدل من ذكرا لانه

وصف بتلاوة آيات الله تعالى فكان انزاله في معنى انزال الذكر فصح ابداله منه او اريد بالذكر الشرف من قوله وانه لذكر لك ولقومك فابدل منه كانه في نفسه شرف اما لانه شرف للمنزل عليه واما لانه ذو مجد وشرف عند الله كقوله عند ذي العرش مكين او جعل لكثرة ذكره لله تعالى وعبادته كانه ذكر او اريد ذا ذكر اي ملكا مذكورا في السموات وفي الامم كلها او دل قوله انزل الله اليكم ذكرا على ارسل فكانه قيل ارسل رسولا او اعمل ذكرا في رسولا اعمال المصدر في المفاعيل اي انزل الله ان ذكر رسولا او ذكره رسولا وقرئ رسول على هو رسول انزله ليخرج الذين آمنوا بعد انزاله اي ليحصل لهم ما هم عليه الساعة من الايمان والعمل الصالح لانهم كانوا وقت انزاله غير مؤمنين وانما آمنوا بعد الانزال والتبليغ او ليخرج الذين عرف منهم انهم يؤمنون قرئ يدخله بالياء والنون قد احسن الله له رزقا فيه معنى التعجب والتعظيم لما رزق المؤمن من الثواب ●

الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما ●

الله الذي خلق مبتدا وخبر وقرئ مثلهن بالنصب عطفا على سبع سموات وبالرفع على الابتداء وخبره من الارض قيل ما في القرآن آية تدل على ان الارضين سبع الا هذه وقيل بين كل سماءين مسيرة خمسمائة عام وغلظ كل سماء كذلك والارضون مثل السموات يتنزل الامر بينهن اي يجري امر الله تعالى وحكمه بينهن وملكه ينفذ فيهن وعن قتادة في كل سماء وفي كل ارض خلق من خلقه وامر من امره وقضاء من قضائه وقيل هو ما يدبر فيهن من عجائب تدبيره وقرئ ينزل الامر وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان نافع ابن الازرق سأله هل تحت الارضين خلق قال نعم قال فما الخلق قال اما ملائكة او جن لتعلموا قرئ بالياء والتاء عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة الطلاق مات على سنة رسول الله ●

سورة التحريم

مدنية وهي ثنتا عشرة آية وتسمى سورة النبي صلى الله عليه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك تبتغي مرضات ازواجك والله غفور رحيم ●

روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خلا بمارية في يوم عائشة رضي الله عنها وعلمت بذلك حفصة فقال لها اكتمي علي وقد حرمت مارية على نفسي وابشرك ان ابا بكر وعمر يملكان بعدي امر امتي فاخبرت به عائشة وكانتا متصادقتين وقيل خلا بها في يوم حفصة فارضاها بذلك واستكتمها فلم تكتم فطلقها واعتزل نساءه ومكث تسعا وعشرين ليلة في بيت مارية وروي ان عمر رضي الله تعالى عنه قال لها لو كان في آل الخطاب خير لما طلقك فنزل جبريل عليه السلام وقال راجعها فانها صوامة قوامة وانها لمن نسائك في الجنة وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم شرب عسلا في بيت زينب بنت جحش فتواطأت عائشة وحفصة فقالتا له انا نشم منك ريح المغافير وكان يكره رسول الله صلى الله عليه وسلم التفل فحرم العسل فمعناه لم تحرم ما احل الله لك من ملك اليمين او من العسل وتبتغي اما تفسير لتحرم او حال او استئناف وكان هذا زلة منه لانه ليس لاحد ان يحرم ما احل الله لان الله عز وجل انما احل ما احل لحكمة ومصلحة عرفها في احلاله فاذا حرم كان ذلك قلب المصلحة مفسدة والله غفور قد غفر لك ما زللت فيه رحيم قد رحمك فلم يؤاخذك به ●

قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم والله مولاكم وهو العليم الحكيم ●

قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم فيه معنيان احدهما قد شرع الله تعالى لكم الاستثناء في ايمانكم من قولك حلل فلان في يمينه اذا استثنى فيها ومنه حلا ابيت اللعن بمعنى استثن في يمينك اذا اطلقها وذلك ان يقول ان شاء الله عقيبها حتى لا يحنث والثاني شرع لكم تحليلها بالكفارة ومنه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لا يموت لرجل ثلاثة اولاد فتمسه النار الا تحلة القسم وقول ذي الرمة قليلا كتحليل الالي **فان قلت** ما حكم تحريم الحلال **قلت** قد اختلف فيه فابو حنيفة رحمه الله تعالى يراه يمينا في كل شيء ويعتبر الانتفاع المقصود فيما يحرمه فاذا حرم طعاما فقد حلف على اكله او امة فعلى وطئها او زوجة فعلى الايلاء منها اذا لم يكن له نية وان نوى الظهار فظهار وان نوى الطلاق فطلاق بائن وكذلك ان نوى ثنتين وان نوى ثلاثا فكما نوى وان قال نويت الكذب دين فيما بينه وبين الله تعالى ولا يدين في القضاء بابطال الايلاء وان قال كل حلال عليه حرام فعلى الطعام والشراب اذا لم ينو والا فعلى ما نوى ولا يراه الشافعي رحمه الله تعالى يمينا ولكن سببا في الكفارة في النساء

وحدهن وان نوى الطلاق فهو رجعي عنده وعن ابي بكر وعمر وابن عباس وابن مسعود وزيد رضوان الله تعالى عليهم ان الحرام يمين وعن عمر رضي الله عنه اذا نوى الطلاق فرجعي وعن علي رضي الله تعالى عنه ثلاث وعن زيد رضي الله عنه واحدة بائنة وعن عثمان رضي الله تعالى عنه ظهار وكان مسروق لا يراه شيئا ويقول ما ابالي احرمتها ام قصعة من ثريد وعن الشعبي ليس بشيء محتجا بقوله تعالى ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام وقوله تعالى لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم وما لم يحرمه الله تعالى فليس لاحد ان يحرمه ولا ان يصير بتحريمه حراما ولم يثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لما احله الله تعالى هو حرام علي وانما امتنع من مارية ليمين تقدمت منه وهو قوله صلى الله عليه وسلم والله لا اقربها بعد اليوم فقيل له لم تحرم ما احل الله لك اي لم تمتنع منه بسبب اليمين يعني اقدم على ما حلفت عليه وكفر عن يمينك ونحوه قوله تعالى وحرمنا عليه المراضع من قبل اي منعناه منها وظاهر قوله تعالى قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم انه كانت منه يمين **فان قلت** هل كفر رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك **قلت** عن الحسن انه لم يكفر لانه كان مغفورا له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وانما هو تعليم للمؤمنين وعن مقاتل ان النبي صلى الله عليه وسلم اعتق رقبة في تحريم مارية والله مولاكم سيدكم ومتولي اموركم وهو العليم بما يصلحكم فيشرعه لكم الحكيم فلا يامركم ولا ينهاكم الا بما توجبه الحكمة وقيل مولاكم اولى بكم من انفسكم فكانت نصيحته انفع لكم من نصائحكم لانفسكم ●

واذ اسر النبي الى بعض ازواجه حديثا فلما نبأت به واظهره الله عليه عرف بعضه واعرض عن بعض فلما نبأها به قالت من انبأك هذا قال نبأني العليم الخبير ●

بعض ازواجه حفصة والحديث الذي اسر اليها حديث مارية وامامة الشيخين نبأت به افشته الى عائشة وقرئ انبأت به واظهره واطلع النبي صلى الله عليه وسلم عليه على الحديث اي على افشائه على لسان جبريل عليه السلام وقيل اظهر الله تعالى الحديث على النبي من الظهور عرف بعضه اعلم ببعض الحديث واعرض عن بعض تكرما قال سفيان ما زال التغافل من فعل الكرام وقرئ عرف بعضه اي جازى عليه من قولك للمسيء لاعرفن لك ذلك وقد عرفت ما صنعت ومنه اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم وهو كثير في القرآن وكان جزاؤه تطليقه اياها وقيل المعرف حديث الامامة والمعرض عنه حديث مارية وروي انه قال لها الم اقل لك اكتمي علي قالت والذي بعثك بالحق ما ملكت نفسي فرحا بالكرامة التي خص الله تعالى بها اباها **فان قلت** هلا قيل فلما نبأت به بعضهن وعرفها بعضه **قلت** ليس الغرض بيان من المذاع اليه وبيان المعرف وانما هو ذكر جناية حفصة في وجود الانباء به وافشائه من قبلها وان رسول الله صلى الله عليه وسلم بكرمه وحلمه لم يوجد منه الا الاعلام ببعضه وهو حديث الامامة الا ترى انه لما كان المقصود في قوله تعالى فلما نبأها به قالت من انبأك هذا ذكر المنبأ كيف اتى بضميره ●

ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير ●

ان تتوبا خطاب لحفصة وعائشة رضي الله تعالى عنهما على طريقة الالتفات ليكون ابلغ في معاتبتهما وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لم ازل حريصا على ان اسال عمر رضي الله تعالى عنه حتى حج وحججت معه فلما كان ببعض الطريق عدل وعدلت معه بالاداوة فسكبت الماء على يده فتوضأ فقلت من هما فقال عجبا يا ابن عباس كانه كره ما سالته عنه ثم قال هما حفصة وعائشة فقد صغت قلوبكما فقد وجد منكما ما يوجب التوبة وهو ميل قلوبكما عن الواجب في مخالصة النبي صلى الله عليه وسلم من حب ما يحبه وكراهة ما يكرهه وقرأ ابن مسعود رضي الله تعالى عنه فقد زاغت وان تظاهرا وان تعاونا عليه بما يسوءه من الافراط في الغيرة وافشاء سره فلن يعدم هو من يظاهره وكيف يعدم المظاهر من الله مولاه اي وليه وناصره وزيادة هو ايذان بان نصرته عزيمة من عزائمه وانه يتولى ذلك بذاته وجبريل راس الكروبيين وقرن ذكره بذكره مفردا له من الملائكة تعظيما واظهارا لمكانته عنده وصالح المؤمنين ومن صلح من المؤمنين يعني كل من آمن وعمل صالحا وعن سعيد بن جبير من برئ منهم من النفاق وقيل الانبياء عليهم السلام وقيل الصحابة وقيل الخلفاء منهم **فان قلت** صالح المؤمنين واحد ام جمع **قلت** هو واحد اريد به الجمع كقولك لا يفعل هذا الصالح من الناس تريد الجنس كقولك لا يفعله من صلح منهم ومثله قولك كنت في السامر والحاضر ويجوز ان يكون اصله صالحو المؤمنين بالواو فكتب بغير واو على اللفظ لان لفظ الواحد والجمع واحد فيه كما جاءت اشياء في المصحف متبوع فيها حكم اللفظ دون وضع الخط والملائكة على تكاثر عددهم وامتلاء السموات من جموعهم بعد ذلك بعد نصرة

وناموسه وصالحي المؤمنين ظهير فوج مظاهر له كانهم يد واحدة على من يعاديه فما يبلغ تظاهر امرأتين على من هؤلاء ظهراؤه
فان قلت قوله بعد ذلك تعظيم للملائكة ومظاهرتهم وقد تقدمت نصرة الله تعالى وجبريل وصالح المؤمنين
ونصرة الله اعظم واعظم قلت مظاهرة الملائكة من جملة نصرة الله تعالى فكانه فضل نصرته بهم وبمظاهرتهم
على غيرها من وجوه نصرته لفضلهم على جميع خلقه وقرئ تظاهرا وتتظاهرا وتظهرا ● عسى ربه ان طلقكن
ان يبدله ازواجا خيرا منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وابكارا
يبدله بالتخفيف والتشديد للكثرة مسلمات مؤمنات مقرات مخلصات سائحات صائمات وقرئ سيحات
وهي ابلغ وقيل للصائم سائح لان السائح لا زاد معه فلا يزال ممسكا الى ان يجد ما يطعمه فشبه به الصائم في امساكه الى
ان يجيء وقت افطاره وقيل سائحات مهاجرات وعن زيد بن اسلم لم تكن في هذه الامة سياحة الا الهجرة
فان قلت كيف تكون المبدلات خيرا منهن ولم يكن على وجه الارض نساء خيرا من امهات المؤمنين
قلت اذا طلقهن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعصيانهن له وايذائهن اياه لم يبقين على تلك الصفة
وكان غيرهن من الموصوفات بهذه الاوصاف مع الطاعة لرسول الله والنزول على هواه ورضاه خيرا منهن وقد عرض بذلك
في قوله تعالى قانتات لان القنوت هو القيام بطاعة الله تعالى وطاعة الله في طاعة رسوله فان قلت
لم اخليت الصفات كلها عن العاطف ووسط بين الثيبات والابكار قلت لانهما صفتان متنافيتان
لا يجتمعان فيهما اجتماعهن في سائر الصفات فلم يكن بد من الواو ● يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم
واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون
الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون ● قوا انفسكم بترك المعاصي وفعل الطاعات واهليكم بان تأخذوهم
بما تأخذون به انفسكم وفي الحديث رحم الله رجلا قال يا اهلاه صلاتكم صيامكم زكاتكم مسكينكم يتيمكم جيرانكم لعل الله
يجمعكم معهم في الجنة وقيل ان اشد الناس عذابا يوم القيامة من جهل اهله وقرئ واهلوكم عطفا على واو قوا
وحسن العطف للفاصل فان قلت اليس التقدير قوا انفسكم وليق اهلوكم انفسهم قلت
لا ولكن المعطوف مقارن في التقدير للواو وانفسكم واقع بعده فكانه قيل قوا انتم واهلوكم انفسكم لما جمعت
مع المخاطب الغائب غلبته عليه فجعلت ضميرهما معا على لفظ المخاطب نارا وقودها الناس والحجارة كما يتقد غيرها من النيران بالحطب
وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هي حجارة الكبريت وهي اشد الاشياء حرا اذا اوقد عليها وقرئ وقودها بالضم اي
ذو وقودها عليها يلي امرها وتعذيب اهلها ملائكة يعني الزبانية التسعة عشر واعوانهم غلاظ شداد في اجرامهم غلظة
وشدة اي جفاء وقوة او في افعالهم جفاء وخشونة لا تأخذهم رأفة في تنفيذ اوامر الله تعالى والغضب له والانتقام
من اعدائه ما امرهم في محل النصب على البدل اي لا يعصون ما امر الله تعالى اي امره كقوله تعالى افعصيت امري او لا يعصونه
فيما امرهم فان قلت اليست الجملتان في معنى واحد قلت لا فان معنى الاولى انهم يتقبلون
اوامره ويلتزمونها ولا يأبونها ولا ينكرونها ومعنى الثانية انهم يؤدون ما يؤمرون به لا يتثاقلون عنه ولا يتوانون فيه
فان قلت قد خاطب الله تعالى المشركين المكذبين بالوحي بهذا بعينه في قوله تعالى فان لم تفعلوا ولن تفعلوا
فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة وقال اعدت للكافرين فجعلها معدة للكافرين فما معنى مخاطبته به المؤمنين
قلت الفساق وان كانت دركاتهم فوق دركات الكفار فانهم مساكنون الكفار في دار واحدة فقيل
للذين امنوا قوا انفسكم باجتناب الفسوق مساكنة الذين اعدت لهم هذه النار الموصوفة ويجوز ان يأمرهم
بالتوقي من الارتداد والندم على الدخول في الاسلام وان يكون خطابا للذين امنوا بالسنتهم وهم المنافقون ويعضد
ذلك قوله على اثره يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم انما تجزون ما كنتم تعملون اي يقال لهم ذلك عند دخولهم
النار لا تعتذروا لانه لا عذر لكم او لانه لا ينفعكم الاعتذار ● يا ايها الذين امنوا توبوا الى
الله توبة نصوحا عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها
الانهار ● توبة نصوحا وصفت التوبة بالنصح على الاسناد المجازي والنصح صفة التائبين وهو ان ينصحوا
بالتوبة انفسهم ويأتوا بها على طريقها متداركة للفرطات ماحية للسيئات وذلك ان يتوبوا عن القبائح لقبحها نادمين عليها

مغتمين اشد الاغتمام لارتكابها عازمين على انهم لا يعودون في قبيح من القبائح الى ان يعود اللبن في الضرع موطنين
انفسهم على ذلك وعن علي رضي الله تعالى عنه انه سمع اعرابيا يقول اللهم اني استغفرك واتوب اليك فقال يا هذا
ان سرعة اللسان بالتوبة توبة الكذابين قال وما التوبة قال يجمعها ستة اشياء على الماضي من الذنوب الندامة وللفرائض
الاعادة ورد المظالم واستحلال الخصوم وان تعزم على ان لا تعود وان تذيب نفسك في طاعة الله كما ربيتها في المعصية
وان تذيقها مرارة الطاعات كما اذقتها حلاوة المعاصي وعن حذيفة رضي الله عنه بحسب الرجل من الشر ان يتوب
على الذنب ثم يعود فيه وعن شهر بن حوشب ان لا يعود ولو حز بالسيف واحرق بالنار وعن ابن السماك ان تنصب
الذنب الذي اقللت فيه الحياء من الله تعالى امام عينك وتستعد لمنتظرك وقيل توبة لا يتاب منها وعن السدي لا تصح
التوبة الا بنصيحة النفس والمؤمنين لان من صحت توبته احب ان يكون الناس مثله وقيل نصوحا من نصاحة الثوب اي توبة
ترفو خروقك في دينك وترم خللك وقيل خالصة من قولهم عسل ناصح اذا خلص من الشمع ويجوز ان يراد توبة تنصح
الناس اي تدعوهم الى مثلها لظهور اثرها في صاحبها واستعماله الجد والعزيمة في العمل على مقتضياتها وقرأ زيد بن علي
رضي الله عنهما توبا نصوحا وقرئ نصوحا بالضم وهو مصدر نصح والنصح والنصوح كالشكر والشكور والكفر والكفور
اي ذات نصوح او تنصح نصوحا او توبوا نصح انفسكم على انه مفعول له عسى ربكم اطماع من الله تعالى لعباده وفيه وجهان
احدهما ان يكون على ما جرت عليه عادة الجبابرة من الاجابة بعسى ولعل ووقوع ذلك منهم موقع القطع والبت والثاني
ان يجيء به تعليما للعباد وجوب الترجح بين الخوف والرجاء والذي يدل على المعنى الاول وانه في معنى البت قراءة ابن ابي عبلة
ويدخلكم بالجزم عطفا على محل عسى ان يكفر كانه قيل توبوا يوجب تكفير سيئاتكم ويدخلكم يوم لا يخزي
الله النبي والذين امنوا معه نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا
واغفر لنا انك على كل شيء قدير ● يوم لا يخزي الله نصب بيدخلكم ولا يخزي تعريض بمن اخزاهم الله
من اهل الكفر والفسوق واستحماد الى المؤمنين على انه عصمهم من مثل حالهم يسعى نورهم على الصراط اتمم لنا نورنا قال
ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يقولون ذلك اذا طفئ نور المنافقين اشفاقا وعن الحسن رحمه الله تعالى متممه لهم ولكنهم يدعون
تقربا الى الله تعالى كقوله تعالى واستغفر لذنبك وهو مغفور له وقيل يقوله ادناهم منزلة لانهم يعطون من النور قدر
ما يبصرون به مواطئ اقدامهم لان النور على قدر الاعمال فيسألون اتمامه تفضلا وقيل السابقون الى الجنة يمرون
مثل البرق على الصراط وبعضهم حبوا وزحفا واولئك يقولون ربنا اتمم لنا نورنا فان قلت كيف يشفقون
والمؤمنون آمنون ام من يأتي آمنا يوم القيامة لا خوف عليهم لا يحزنهم الفزع الاكبر او كيف يتقربون وليست الدار
دار التقرب قلت اما الاشفاق فيجوز ان يكون على عادة البشرية وان كانوا معتقدين للامن واما التقرب
فلما كانت حالهم كحال المتقربين حيث يطلبون ما هو حاصل لهم من الرحمة ● يا ايها النبي جاهد الكفار
والمنافقين واغلظ عليهم وماواهم جهنم وبئس المصير ● جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالاحتجاج
واستعمل الغلظة والخشونة على الفريقين فيما تجاهدهما به من القتال والمحاجة وعن قتادة مجاهدة المنافقين باقامة
الحدود عليهم وعن مجاهد بالوعيد وقيل بافشاء اسرارهم ● ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأت
نوح وامرأت لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما
من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين ● مثل الله عز وجل حال الكفار في انهم يعاقبون على
كفرهم وعداوتهم للمؤمنين معاقبة مثلهم من غير ابقاء ولا محاباة ولا ينفعهم مع عداوتهم لهم ما كان بينهم وبينهم من لحمة
نسب او وصلة صهر لان عداوتهم لهم وكفرهم بالله ورسوله قطع العلائق وبت الوصل وجعلهم ابعد من الاجانب
وابعد وان كان المؤمن الذي يتصل به الكافر نبيا من انبياء الله تعالى بحال امراة نوح وامراة لوط لما نافقتا وخانتا
الرسولين لم يغن الرسولان عنهما بحق ما بينهما وبينهما من وصلة الزواج اغناء ما من عذاب الله تعالى وقيل لهما عند موتهما
او يوم القيمة ادخلا النار مع سائر الداخلين الذين لا وصلة بينهم وبين الانبياء عليهم السلام في الدنيا او مع داخليها
من اخوانكما من قوم نوح وقوم لوط عليهما السلام ومثل حال المؤمنين في ان وصلة الكافرين لا تضرهم ولا تنقص شيئا
من ثوابهم وزلفاهم عند الله تعالى بحال امراة فرعون ومنزلتها عند الله تعالى مع كونها زوجة اعدى اعداء الله عز وجل

الناطق بالكلمة العظمى ومريم ابنة عمران وما أوتيت من كرامة الدنيا والآخرة والاصطفاء على نساء العالمين
مع أن قومها كانوا كفارا وفي طي هذين التمثيلين تعريض بأمي المؤمنين المذكورتين في أول السورة
وما فرط منهما من التظاهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم بما كرهه وتحذير لهما على أغلظ وجه وأشده لما في التمثيل من ذكر الكفر
ونحوه في التغليظ كقوله تعالى ومن كفر فإن الله غني عن العالمين وإشارة إلى أن من حقهما أن تكونا في الإخلاص والكمال فيه
كمثل هاتين المؤمنتين وأن لا تتكلا على أنهما زوجا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأن ذلك الفضل لا ينفعهما إلا
مع كونهما مخلصتين والتعريض بحفصة أرجح لأن امرأة لوط أفشت عليه كما أفشت حفصة على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأسرار التنزيل ورموزه في كل باب بالغة من اللطف والخفاء حدا يدق عن تفطن العالم ويزل عن تبصره **فإن قلت**
ما فائدة قوله تعالى من عبادنا **قلت** لما كان مبنى التمثيل على وجود الصلاح في الإنسان كائنا من كان وأنه
وحده هو الذي يبلغ به الفوز وينال ما عند الله تعالى قال عبدين من عبادنا صالحين فذكر النبيين المشهورين العلمين
بأنهما عبدان لم يكونا إلا كسائر عبادنا من غير تفاوت بينهما وبينهم إلا بالصلاح وحده إظهارا وإبانة لأن عبدا
من العباد لا يرجح عنده إلا بالصلاح لا غير وأن ما سواه مما يرجح به الناس عند الناس ليس بسبب للرجحان عنده
فإن قلت ما كانت خيانتهما **قلت** نفاقهما وإبطانهما الكفر وتظاهرهما على الرسول فامرأة نوح
عليه السلام قالت لقومه إنه مجنون وامرأة لوط عليه السلام دلت على ضيفانه ولا يجوز أن يراد بالخيانة الفجور لأنه
سمج في الطباع نقيصة عند كل أحد بخلاف الكفر فإن الكفار لا يستسمجونه بل يستحسنونه ويسمونه حقا وعن ابن عباس
ما بغت امرأة نبي قط

وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأت فرعون إذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين

وامرأة فرعون آسية رضي الله تعالى عنها بنت مزاحم وقيل هي عمة موسى عليه السلام آمنت حين سمعت بتلقف عصى
موسى الإفك فعذبها فرعون عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن فرعون وتد امرأته بأربعة أوتاد واستقبل بها
الشمس وأضجعها على ظهرها ووضع رحى على صدرها وقيل أمر بأن تلقى عليها صخرة عظيمة فدعت الله تعالى فرقي بروحها
فألقيت الصخرة على جسد لا روح فيه وعن الحسن رحمه الله تعالى أنجاها الله تعالى أكرم نجاة فرفعها إلى الجنة فهي تأكل وتشرب وتنعم
فيها وقيل لما قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة أريت بيتها في الجنة يبنى وقيل إنه من درة وقيل كانت تعذب
في الشمس فتظلها الملائكة **فإن قلت** ما معنى الجمع بين عندك وفي الجنة **قلت** طلبت القرب من رحمة الله
والبعد من عذاب أعدائه ثم بينت مكان القرب بقولها في الجنة أو أرادت ارتفاع الدرجة في الجنة وأن تكون جنتها
من الجنان التي هي أقرب إلى العرش بقولها عندك من فرعون وعمله من عمل فرعون أو من نفس فرعون الخبيثة وسلطانه
الغشوم وخصوصا من عمله وهو الكفر وعبادة الأصنام والظلم والتعذيب بغير جرم ونجني من القوم الظالمين من القبط
كلهم وفيه دليل على أن الاستعاذة بالله والالتجاء إليه ومسألة الخلاص منه عند المحن والنوازل من سير الصالحين وسنن الأنبياء
والمرسلين عليهم السلام فافتح بيني وبينهم فتحا ونجني ومن معي من المؤمنين ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين

ومريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين

فيه في الفرج وقرأ ابن مسعود فيها كما قرئ في سورة الأنبياء
والضمير للجملة وقد مر لي في هذا ألطاف كلام ومن بدع التفاسير أن الفرج هو جيب الدرع ومعنى أحصنته منعته جبريل
وأنه جمع في التمثيل بين التي لها زوج وبين التي لا زوج لها تسلية للأرامل وتطييبا لأنفسهن وصدقت قرئ بالتشديد والتخفيف
على أنها جعلت الكلمات والكتب صادقة يعني وصفتها بالصدق وهو معنى التصديق بعينه **فإن قلت** فما كلمات الله
وكتبه **قلت** يجوز أن يراد بكلماته صحفه التي أنزلها على إدريس عليه السلام وغيره سماها كلمات لقصرها وبكتبه الكتب
الأربعة وأن يراد جميع ما كلم الله تعالى به ملائكته وغيرهم وجميع ما كتبه في اللوح وغيره وقرئ بكلمة الله وكتابه أي بعيسى عليه السلام وبالكتاب
المنزل عليه وهو الإنجيل **فإن قلت** لم قيل من القانتين على التذكير **قلت** لأن القنوت صفة تشمل من قنت
من القبيلين فغلب ذكوره على إناثه ومن للتبعيض ويجوز أن يكون لابتداء الغاية على أنها ولدت من القانتين لأنها من
أعقاب هرون أخي موسى عليهما السلام عن النبي صلى الله عليه وسلم كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا أربع آسية بنت مزاحم

امرأة

امرأة فرعون ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام
وأما ما روي عن أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها سألت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كيف سمى الله المسلمة ولم يسم
الكافرة فقال بغضا لها قالت فما اسمها قال اسم امرأة نوح واعلة واسم امرأة لوط واهلة فحديث أثر الصنعة عليه ظاهر
بين ولقد سمى الله عز وجل جماعة من الكفار بأسمائهم وكناهم ولو كانت التسمية للحب وتركها للبغض لسمى آسية وقد قرن
بينها وبين مريم عليهما السلام في التمثيل للمؤمنين وأبى الله تعالى إلا أن يجعل للمصنوع أمارة تنم عليه وكلام النبي عليه الصلاة
والسلام أحكم وأسلم من ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التحريم آتاه الله توبة نصوحا

سورة الملك مكية

وهي ثلثون آية وتسمى الواقية والمنجية لأنها تقي وتنجي قارئها من عذاب القبر

بسم الله الرحمن الرحيم تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير الذي خلق الموت والحيوة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور

تبارك تعالى وتعاظم عن صفات المخلوقين الذي بيده الملك على كل موجود وهو على كل ما لم يوجد مما يدخل تحت القدرة
قدير وذكر اليد مجاز عن الإحاطة بالملك والاستيلاء عليه والحيوة ما يصح بوجوده الإحساس وقيل ما يوجب كون الشيء حيا
وهو الذي يصح منه أن يعلم ويقدر والموت عدم ذلك فيه ومعنى خلق الموت والحيوة إيجاد ذلك المصحح وإعدامه والمعنى خلق
موتكم وحياتكم أيها المكلفون ليبلوكم وسمى علم الواقع منهم باختبارهم بلوى وهي الخبرة استعارة من فعل المختبر **فإن قلت**
من أين تعلق قوله أيكم أحسن عملا بفعل البلوى **قلت** من حيث إنه تضمن معنى العلم فكأنه قيل ليعلمكم أيكم أحسن عملا وإذا قلت
علمته أزيد أحسن عملا أم هو كانت هذه الجملة واقعة موقع الثاني من مفعوليه كما تقول علمته هو أحسن عملا **فإن قلت**
أتسمي هذا تعليقا **قلت** لا إنما التعليق أن توقع بعده ما يسد مسد المفعولين جميعا كقولك علمت أيهما عمرو
وعلمت أزيد منطلق ألا ترى أنه لا فصل بعد سبق أحد المفعولين بين أن يقع ما بعده مصدرا بحرف الاستفهام وغير مصدر
ولو كان تعليقا لافترقت الحالتان كما افترقتا في قولك علمت أزيد منطلق وعلمت زيدا منطلقا أحسن عملا قيل أصوبه وأخلصه
لأنه إذا كان خالصا غير صواب لم يقبل وكذلك إذا كان صوابا غير خالص فالخالص أن يكون لوجه الله تعالى والصواب أن يكون على السنة
وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه تلاها فلما بلغ قوله تعالى أيكم أحسن عملا قال أيكم أحسن عقلا وأورع عن محارم الله تعالى وأسرع في طاعة الله تعالى
يعني أيكم أتم عقلا عن الله تعالى وفهما لأغراضه والمراد أنه أعطاكم الحيوة التي تقدرون بها على العمل وتستمكنون منه وسلط
عليكم الموت الذي هو داعيكم إلى اختيار العمل الحسن على القبيح لأن وراءه البعث والجزاء الذي لا بد منه وقدم الموت على الحيوة
لأن أقوى الناس داعيا إلى العمل من نصب موته بين عينيه فقدم لأنه فيما يرجع إلى الغرض المسوق له الآية أهم وهو العزيز
الغالب الذي لا يعجزه من أساء العمل الغفور لمن تاب من أهل الإساءة

الذي خلق سبع سموات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت

طباقا مطابقة بعضها فوق بعض من طابق النعل إذا خصفها طبقا
على طبق وهذا وصف بالمصدر أو على ذات طباق أو على طوبقت طباقا من تفاوت وقرئ من تفوت ومعنى البناءين واحد
كقولهم تظاهروا من نسائهم وتظهروا وتعاهدته وتعهدته أي من اختلاف واضطراب في الخلقة ولا تناقض إنما هي مستوية
مستقيمة وحقيقة التفاوت عدم التناسب كأن بعض الشيء يفوت بعضا ولا يلائمه ومنه قولهم خلق متفاوت وفي
نقيضه متناصف **فإن قلت** كيف موقع هذه الجملة مما قبلها **قلت** هي صفة مشايعة لقوله طباقا
وأصلها ما ترى فيهن من تفاوت فوضع مكان الضمير قوله خلق الرحمن تعظيما لخلقهن وتنبيها على سبب سلامتهن من التفاوت
وهو أنه خلق الرحمن وأنه بباهر قدرته هو الذي يخلق مثل ذلك الخلق المتناسب والخطاب في ما ترى للنبي صلى الله عليه وسلم
أو لكل مخاطب وقوله تعالى فارجع البصر متعلق به على معنى التسبيب أخبره بأنه لا تفاوت في خلقهن

فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير

ثم قال فارجع البصر حتى يصح عندك ما أخبرت به بالمعاينة ولا تبقى معك شبهة فيه هل ترى من فطور من صدوع وشقوق جمع فطر
وهو الشق يقال فطره فانفطر ومنه فطر ناب البعير كما يقال شق وبزل ومعناه شق اللحم فطلع وأمره بتكرير البصر فيهن

متصفحا ومتتبعا يلتمس عيبا وخللا ينقلب اليك البصر اى ان رجعت البصر وكررت النظر لم يرجع اليك بصرك بما التمسه
من رؤية الخلل وادراك العيب بل يرجع اليك بالخسوء والحسور اى بالبعد عن اصابة الملتمس كانه يطرد عن ذلك طردا بالصغار
والقمأة والاعياء والكلال لطول الاجالة والترديد فان قلت كيف ينقلب البصر خاسئا حسيرا برجعه كرتين اثنتين
قلت معنى التثنية التكرير بكثرة كقولهم لبيك وسعديك يريد اجابات كثيرة بعضها فى اثر بعض وقولهم فى المثل
دهدرين سعد القين من ذلك اى باطلا بعد باطل فان قلت فما معنى ثم ارجع قلت امره برجع البصر ثم
امره بان لا يقنع بالرجعة الاولى او بالنظرة الحمقاء وان يتوقف بعدها ويجم بصره ثم يعاوده ويعاوده الى ان يحسر بصره من طول
المعاودة فانه لا يعثر على شئ من فطور ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما
للشياطين واعتدنا لهم عذاب السعير الدنيا القربى لانها اقرب السموات الى الناس ومعناه السماء الدنيا منكم والمصابيح السرج سميت بها الكواكب والناس يزينون مساجدهم ودورهم باثقاب المصابيح فقيل ولقد زينا
سقف الدار التى اجتمعتم فيها بمصابيح اى باى مصابيح لا توازيها مصابيحكم اضاءة وضممنا الى ذلك منافع اخر انا جعلناها
رجوما لاعدائكم الشياطين الذين يخرجونكم من النور الى الظلمات وتهتدون بها فى ظلمات البر والبحر قال قتادة خلق الله تعالى
النجوم لثلاث زينة للسماء ورجوما للشياطين وعلامات يهتدون بها فمن تأول فيها غير ذلك فقد تكلف ما لا علم له به
وعن محمد بن كعب والله ما لاحد من اهل الارض فى السماء نجم ولكنهم يتبعون الكهانة ويتخذون النجوم علة والرجوم جمع رجم
وهو مصدر سمى به ما يرجم به ومعنى كونها مراجم للشياطين ان الشهب التى تنقض لرمى المسترقة منهم منفصلة من نار الكواكب لا انهم
يرجمون بالكواكب انفسها لانها قارة فى الفلك على حالها وما ذاك الا كقبس يؤخذ من نار والنار ثابتة كاملة لا تنقص وقيل من
الشياطين المرجومة من يقتله الشهاب ومنهم من يخبله وقيل معناه وجعلناها ظنونا ورجوما بالغيب لشياطين الانس وهم المنجمون
واعتدنا لهم عذاب السعير فى الآخرة بعد عذاب الاحراق بالشهب فى الدنيا وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم
وبئس المصير اذا القوا فيها سمعوا لها شهيقا وهى تفور وللذين كفروا بربهم اى ولكل من كفر بالله من
الشياطين وغيرهم عذاب جهنم ليس الشياطين المرجومون مخصوصين بذلك وقرئ عذاب جهنم بالنصب عطفا على عذاب السعير
اذا القوا فيها اى طرحوا كما يطرح الحطب فى النار العظيمة ويرمى به ومثله قوله عز وجل حصب جهنم سمعوا لها شهيقا اما لاهلها ممن
تقدم طرحهم فيها او من انفسهم كقوله تعالى لهم فيها زفير وشهيق واما للنار تشبيها لحسيسها بالمنكر الفظيع بالشهيق
تفور تغلى بهم غليان المرجل بما فيه تكاد تميز من الغيظ كلما القى فيها فوج سألهم خزنتها الم يأتكم نذير
وجعلت كالمغتاظة عليهم لشدة غليانها بهم ويقولون فلان يتميز غيظا ويتقصف غضبا وغضب فطارت منه شقة
فى الارض وشقة فى السماء اذا وصفوه بالافراط فيه ويجوز ان يراد غيظ الزبانية الم يأتكم نذير توبيخ يزدادون به
عذابا الى عذابهم وحسرة الى حسرتهم وخزنتها مالك واعوانه من الزبانية قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا
وقلنا ما نزل الله من شئ ان انتم الا فى ضلال كبير قالوا بلى اعتراف منهم بعدل الله تعالى
واقرار بان الله تعالى قد ازاح عللهم ببعثة الرسل وانذارهم ما وقعوا فيه وانهم لم يؤتوا من قدرة كما تقول المجبرة وانما
اتوا من قبل انفسهم واختيارهم خلاف ما اختار الله تعالى وامر به واوعد على ضده فان قلت ان انتم الا
فى ضلال كبير من المخاطبون به قلت هو من جملة قول الكفار وخطابهم للمنذرين على ان النذير بمعنى الانذار
والمعنى الم يأتكم اهل نذير او وصف منذروهم لغلوهم فى الانذار كانهم ليسوا الا انذارا وكذلك قد جاءنا نذير ونظيره
قوله عز وجل انا رسول رب العالمين اى حاملا رسالة ويجوز ان يكون من كلام الخزنة للكفار على ارادة القول ارادوا
حكاية ما كانوا عليه من ضلالهم فى الدنيا او ارادوا بالضلال الهلاك او سموا عقاب الضلال باسمه او من كلام الرسل لهم حكوه
للخزنة اى قالوا لنا هذا فلم نقبله وقالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا فى اصحاب السعير فاعترفوا
بذنبهم فسحقا لاصحاب السعير ان الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة واجر كبير
لو كنا نسمع الانذار سماع طالبين للحق او نعقله عقل متأملين وقيل انما جمع بين السمع والعقل لان مدار التكليف على ادلة
السمع والعقل ومن بدع التفاسير ان المراد لو كنا على مذهب اصحاب الحديث او على مذهب اصحاب الرأى كأن هذه الآية
نزلت بعد ظهور هذين المذهبين وكأن سائر اصحاب المذاهب والمجتهدين قد انزل الله تعالى وعيدهم وكأن من كان من هؤلاء

فما الذى ذكره المصنف ترويج لمذهبه الباطل
لا دليل عليه القرآن ولم يأت به بيان
وكل شئ بقدر

فهو من الناجين لا محالة وعدة المبشرين بالجنة عشرة لم يضم اليهم حادى عشر وكان من يجوز على الصراط اكثرهم لم يسمعوا
باسم هذين الفريقين بذنبهم بكفرهم فى تكذيبهم الرسل فسحقا قرئ بالتخفيف والتثقيل فسحقا لهم اعترفوا او جحدوا فان
ذلك لا ينفعهم واسروا قولكم او اجهروا به انه عليم بذات الصدور الا يعلم من خلق
وهو اللطيف الخبير ظاهره الامر باحد الامرين الاسرار والاجهار ومعناه ليستو عندكم اسراركم واجهاركم فى علم
الله تعالى بهما ثم علله بانه عليم بذات الصدور اى بضمائرها قبل ان تترجم الالسن عنها فكيف لا يعلم ما تكلم به ثم انكر ان لا يحيط
علما بالمضمر والمسر والمجهر من خلق الاشياء وحاله انه اللطيف الخبير المتوصل علمه الى ما ظهر من خلقه وما بطن ويجوز ان يكون من
خلق منصوبا بمعنى الا يعلم مخلوقه وهذه حاله وروى ان المشركين كانوا يتكلمون فيما بينهم باشياء فيظهر الله تعالى رسوله عليها
فيقولون اسروا قولكم لئلا يسمعه اله محمد فنبه الله تعالى على جهلهم فان قلت قدرت فى الا يعلم مفعولا على معنى الا يعلم
ذلك المذكور مما اضمر فى القلب واظهر باللسان من خلق فهلا جعلته مثل قولهم هو يعطى ويمنع وهلا كان المعنى الا يكون عالما من هو
خالق لان الخلق لا يصح الا مع العلم قلت ابت ذلك الحال التى هى قوله تعالى وهو اللطيف الخبير لم يكن معنى صحيحا لان الا يعلم
معتمد على الحال والشئ لا يوقت بنفسه فلا يقال الا يعلم وهو عالم ولكن الا يعلم كذا وهو عالم بكل شئ هو الذى جعل لكم
الارض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور المشى فى مناكبها مثل لفرط التذليل
ومجاوزته الغاية لان المنكبين وملتقاهما من الغارب ارق شئ من البعير وانباه عن ان يطأه الراكب بقدمه ويعتمد عليه فاذا جعلها
فى الذل بحيث يمشى فى مناكبها لم يترك وقيل مناكبها جبالها قال الزجاج معناه سهل لكم السلوك فيها فاذا امكنكم السلوك
فى جبالها فهو ابلغ التذليل وقيل جوانبها والمعنى واليه نشوركم فهو سائلكم عن شكر ما انعم به عليكم ءامنتم من
فى السماء ان يخسف بكم الارض فاذا هى تمور ام امنتم من فى السماء ان يرسل عليكم حاصبا
فستعلمون كيف نذير ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير من فى السماء فيه وجهان
احدهما من ملكوته فى السماء لانها مسكن ملائكته وثم عرشه وكرسيه واللوح المحفوظ ومنها تنزل قضاياه وكتبه واوامره
ونواهيه والثانى انهم كانوا يعتقدون التشبيه وانه فى السماء وان الرحمة والعذاب ينزلان منه وكانوا يدعونه من جهتها
فقيل لهم على حسب اعتقادهم ءامنتم من تزعمون انه فى السماء وهو متعال عن المكان ان يعذبكم بخسف او بحاصب كما تقول لبعض
المشبهة اما تخاف من فوق العرش ان يعاقبك بما تفعل اذا رايته يركب بعض المعاصى فستعلمون قرئ بالتاء والياء كيف
نذير اى اذا رايتم المنذر به علمتم كيف انذارى حين لا ينفعكم العلم اولم يروا الى الطير فوقهم صافات
ويقبضن ما يمسكهن الا الرحمن انه بكل شئ بصير امن هذا الذى هو جند لكم ينصركم
من دون الرحمن ان الكافرون الا فى غرور صافات باسطات اجنحتهن فى الجو عند طيرانها لانهن
اذا بسطنها صففن قوادمها صفا ويقبضن ويضممنها اذا ضربن بها جنوبهن فان قلت لم قيل ويقبضن
ولم يقل وقابضات قلت لان اصل الطيران هو صف الاجنحة لان الطيران فى الهواء كالسباحة فى الماء والاصل فى السباحة
مد الاطراف وبسطها واما القبض فطارئ على البسط للاستظهار به على التحرك فجئ بما هو طارئ غير اصيل بلفظ الفعل على معنى
انهن صافات ويكون منهن القبض تارة بعد تارة كما يكون من السابح ما يمسكهن الا الرحمن بقدرته وبما دبر لهن من القوادم
والخوافى وبنى الاجسام على شكل وخصائص قد تأتى منها الجرى فى الجو انه بكل شئ بصير يعلم كيف يخلق وكيف يدبر العجائب
امن هذا الذى يرزقكم ان امسك رزقه بل لجوا فى عتو ونفور امن يشار اليه من الجموع ويقال
هذا الذى هو جند لكم ينصركم من دون الله تعالى ان ارسل عليكم عذابه ام من يشار اليه ويقال هذا الذى يرزقكم ان امسك رزقه
وهذا على التقدير ويجوز ان يكون اشارة الى جميع الاوثان لاعتقادهم انهم يحفظون من النوائب ويرزقون ببركة آلهتهم فكانهم
الجند الناصر والرازق ونحوه قوله تعالى ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا بل لجوا فى عتو ونفور بل تمادوا فى عناد وشراد عن الحق لثقله
عليهم فلم يتبعوه افمن يمشى مكبا على وجهه اهدى امن يمشى سويا على صراط مستقيم قل
هو الذى انشاكم وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون قل هو
الذى ذرأكم فى الارض واليه تحشرون يجعل اكب مطاوع كبه ويقال كببته فاكب من الغرائب والشواذ
ونحوه قشعت الريح السحاب فاقشع وما هو كذلك ولا شئ من بناء افعل مطاوعا ولا يتقن مثل هذا الا حملة كتاب سيبويه

وانما اكبّ من باب نفض والام ومعناه دخل في الكب وصار ذا كب وكذلك اقشع السحاب دخل في القشع ومطاوع
كب وقشع انكب وانقشع **فان قلت** ما معنى يمشي مكبا على وجهه وكيف قابل يمشي سويا على صراط مستقيم
قلت معناه يمشي معتسفا في مكان متعاد غير مستو فيه انخفاض وارتفاع فيعثر كل ساعة فيخر على وجهه منكبا
فحاله نقيض حال من يمشي سويا اي قائما سالما من العثور والخرور او مستوي الجهة قليل الانحراف خلاف المتعسف الذي
ينحرف هكذا وهكذا على طريق مستو ويجوز ان يريد الاعمى الذي لا يهتدي الى الطريق فيعتسف فلا يزال ينكب على وجهه
وعن الكلبي عنى ابو جهل بن هشام وبالسوي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل حمزة بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنه

ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل انما العلم عند الله وانما انا نذير مبين فلما راوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا وقيل هذا الذي كنتم به تدعون

فلما راوه الضمير للوعد والزلفة القرب وانتصابها على الحال او الظرف اي راوه ذا زلفة او مكانا ذا زلفة سيئت وجوه
الذين كفروا اي ساءت رؤية الوعد وجوههم بان علتها الكآبة وغشيها الكسوف والقترة وكلحوا وكما يكون وجه من يقاد
الى القتل او يعرض على بعض العذاب وقيل القائلون الزبانية تدعون تفتعلون من الدعاء اي تطلبون وتستعجلون به
وقيل هو من الدعوى اي كنتم بسببه تدعون [illegible] وعن بعض الزهاد انه تلاها في اول الليل في صلوته فبقي يكررها ويبكي الى ان نودي
لصلوة الفجر ولعمري انها لوقادة لمن تصور تلك الحالة وتاملها

قل ارايتم ان اهلكني الله ومن معي او رحمنا فمن يجير الكافرين من عذاب اليم

كان كفار مكة يدعون على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
وعلى المؤمنين بالهلاك فامر ان يقول لهم نحن مؤمنون متربصون لاحدى الحسنيين اما ان نهلك كما تتمنون فننقلب الى الجنة
او نرحم بالنصرة والادالة للاسلام كما نرجو فانتم ما تصنعون من يجيركم وانتم كافرون من عذاب النار لابد لكم منه يعني انكم
تطلبون لنا الهلاك الذي هو استعجال للفوز والسعادة وانتم في امر هو الهلاك الذي لا هلاك بعده وانتم غافلون لا تطلبون
منه الخلاص او ان اهلكنا الله تعالى بالموت فمن يجيركم بعد موت هداتكم والآخذين بحجزكم من النار وان رحمنا بالامهال
والغلبة عليكم وقتلكم فمن يجيركم فان المقتول على ايدينا هالك او ان اهلكنا الله تعالى في الآخرة بذنوبنا ونحن مسلمون
فمن يجير الكافرين وهم اولى بالهلاك بكفرهم وان رحمنا بالايمان فمن يجير من لا ايمان له

قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا فستعلمون من هو في ضلال مبين

فان قلت لم اخر مفعول آمنا وقدم مفعول توكلنا **قلت** لوقوع آمنا تعريضا بالكافرين حين ورد عقيب ذكرهم كانه قيل آمنا ولم نكفر كما كفرتم
ثم قال وعليه توكلنا خصوصا لم نتكل على ما انتم متكلون عليه من رجالكم واموالكم

قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا فمن ياتيكم بماء معين

غورا غائرا ذاهبا في الارض وعن الكلبي لا تناله الدلاء وهو وصف بالمصدر
كعدل ورضى وعن بعض الشطار انها تليت عنده فقال تجيء به الفؤوس والمعاول فذهب ماء عينه نعوذ بالله تعالى
من الجراءة على الله عز وعلا وعلى آياته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الملك فكانما احيى ليلة القدر

سورة ن مكية
وهي ثنتان وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم ن والقلم وما يسطرون ما انت بنعمة ربك بمجنون وان لك لاجرا غير ممنون وانك لعلى خلق عظيم

قرئ ن والقلم بالبيان والادغام وبسكون النون وفتحها وكسرها كما في صاد والمراد هذا الحرف من حروف المعجم واما قولهم
الدواة فما ادري اهو وضع لغوي ام شرعي ولا يخلو اذا كان اسما للدواة من ان يكون جنسا او علما فان كان جنسا فاين
الاعراب والتنوين وان كان علما فاين الاعراب وايهما كان فلا بد له من موقع في تاليف الكلام **فان قلت**
هو مقسم به **قلت** وجب ان كان جنسا ان تجره وتنونه ويكون القسم بدواة منكرة مجهولة كانه قيل ودواة
والقلم وان كان علما ان تصرفه وتجره او لا تصرفه وتفتحه للعلمية والتانيث وكذلك التفسير بالحوت اما ان يراد به نون
من النينان او يجعل علما للبهموت الذي يزعمون والتفسير باللوح من نور او ذهب والنهر في الجنة نحو ذلك واقسم بالقلم

تعظيما لما في خلقه وتسويته من الدلالة على الحكمة العظيمة ولما فيه من الفوائد والمنافع التي لا يحيط بها الوصف وما يسطرون
وما يكتب من كتب وقيل ما يسطره الحفظة وما موصولة او مصدرية ويجوز ان يراد بالقلم اصحابه فيكون الضمير في يسطرون لهم
كانه قيل واصحاب القلم ومسطوراتهم او وسطرهم ويراد بهم كل من يسطر او الحفظة **فان قلت** بم يتعلق الباء في بنعمة
وما محله **قلت** يتعلق بمجنون منفيا كما يتعلق بعاقل مثبتا في قولك انت بنعمة الله عاقل مستويا في ذلك الاثبات
والنفي استواءهما في قولك ضرب زيد عمرا وما ضرب زيد عمرا تعمل الفعل مثبتا ومنفيا اعمالا واحدا ومحله النصب على الحال كانه قال
ما انت بمجنون منعما عليك بذلك ولم تمنع الباء ان يعمل مجنون فيما قبله لانها زائدة لتاكيد النفي والمعنى استبعاد ما كان ينسبه
اليه كفار مكة لعنهم الله تعالى عداوة وحسدا وانه من انعام الله تعالى عليه بحصافة العقل والشهامة التي يقتضيها التاهيل للنبوة
بمنزل وان لك على احتمال ذلك واساغة الغصة فيه والصبر عليه لاجرا لثوابا غير ممنون غير مقطوع كقوله تعالى عطاء غير مجذوذ
او غير ممنون عليك لانه ثواب تستوجبه على عملك وليس بتفضل ابتداء وانما تمن الفواضل لا الاجور على الاعمال
استعظم خلقه لفرط احتماله الممضات من قومه وحسن مخالقته ومداراته لهم وقيل هو الخلق الذي امره الله تعالى به
في قوله تعالى خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين وعن عائشة رضي الله تعالى عنها ان سعيد بن هشام سالها
عن خلق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن الست تقرأ قد افلح المؤمنون

فستبصر ويبصرون بايكم المفتون ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين

والمفتون المجنون لانه فتن اي محن بالجنون او لان العرب يزعمون انه من تخبيل الجن وهم الفتان للفتاك منهم والباء مزيدة
او المفتون مصدر كالمعقول والمجلود اي بايكم الجنون او باي الفريقين منكم الجنون ابفريق المؤمنين ام بفريق الكافرين اي في ايهما
يوجد من يستحق هذا الاسم وهو تعريض بابي جهل بن هشام والوليد بن المغيرة واضرابهما عليهم اللعنة وهذا كقوله تعالى سيعلمون غدا من
الكذاب الاشر ان ربك هو اعلم بالمجانين على الحقيقة وهم الذين ضلوا عن سبيله وهو اعلم بالعقلاء وهم المهتدون او يكون وعيدا
ووعدا وانه اعلم بجزاء الفريقين

فلا تطع المكذبين ودوا لو تدهن فيدهنون ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد اثيم عتل بعد ذلك زنيم

فلا تطع المكذبين تهييج والهاب للتصميم على معاصاتهم وكانوا قد ارادوه على ان يعبد الله تعالى مدة وآلهتهم مدة ويكفوا
عنه غوائلهم لو تدهن لو تلين وتصانع فيدهنون **فان قلت** لم رفع فيدهنون ولم ينصب باضمار ان وهو جواب التمني
قلت قد عدل به الى طريق آخر وهو ان جعل خبر مبتدأ محذوف اي فهم يدهنون كقوله تعالى فمن يؤمن بربه فلا يخاف
على معنى ودوا لو تدهن فهم يدهنون حينئذ او ودوا ادهانك فهم الآن يدهنون لطمعهم في ادهانك قال سيبويه وزعم
هارون انها في بعض المصاحف ودوا لو تدهن فيدهنوا حلاف كثير الحلف في الحق والباطل وكفى به مزجرة لمن اعتاد الحلف
ومثله قوله تعالى ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم مهين من المهانة وهي القلة والحقارة يريد القلة في الراي والتمييز
او اراد الكذاب لانه حقير عند الناس هماز عياب طعان وعن الحسن يلوي شدقيه في اقفية الناس مشاء بنميم مضرب
نقال للحديث من قوم الى قوم على وجه السعاية والافساد بينهم والنميم والنميمة السعاية وانشد في بعض [illegible]
تشبي تشبب النميمة تمشي بها زهرا الى تميمه مناع للخير بخيل والخير المال او مناع اهله الخير وهو الاسلام فذكر الممنوع
منه دون الممنوع كانه قيل مناع من الخير وقيل هو الوليد بن المغيرة المخزومي وكان موسرا وكان له عشرة من البنين فكان
يقول لهم وللحمة من اسلم منكم منعته رفدي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وعنه انه ابو جهل وعن مجاهد الاسود بن يغوث
وعن السدي الاخنس بن شريق اصله في ثقيف وعداده في زهرة ولذلك قيل زنيم معتد مجاوز في الظلم حده اثيم كثير الآثام
عتل غليظ جاف من عتله اذا قاده بعنف وغلظة بعد ذلك بعدما عد له من المثالب والنقائص زنيم دعي قال حسان رض
وانت زنيم نيط في آل هاشم كما نيط خلف الراكب القدح الفرد وكان الوليد دعيا في قريش ليس من سنخهم ادعاه ابوه
بعد ثماني عشرة سنة من مولده وقيل بغت امه ولم يعرف حتى نزلت هذه الآية جعل جفاءه ودعوته اشد معايبه لانه
اذا جفا وغلظ طبعه قسا قلبه واجترأ على كل معصية ولان الغالب ان النطفة اذا خبثت خبث الناشئ منها ومن ثم
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة ولد الزنا ولا ولده ولا ولد ولده وبعد ذلك نظير ثم في قوله تعالى ثم كان
من الذين آمنوا وقرأ الحسن عتل رفعا على الذم وهذه القراءة تقوية لما يدل عليه بعد ذلك والزنيم من الزنمة وهي الهنة

من جلد الماعزة تقطع فتخلى معلقة في حلقها لا زيادة معلقة بغير اهله • ان كان ذا مال وبنين اذا
تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين • ان كان ذا مال متعلق بقوله ولا تطع يعني ولا تطع مع هذه المثالب
لان كان ذا مال اي ليساره وحظه من الدنيا ويجوز ان يتعلق بما بعده على معنى لكونه متمولا مستظهرا بالبنين كذب آياتنا
ولا يعمل فيه قال الذي هو جواب اذا لان ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله ولكن ما دلت عليه الجملة من معنى التكذيب وقرئ أأن كان
على الاستفهام على ألأن كان ذا مال كذب او اتطيعه لان كان ذا مال وروى الزبيري عن نافع ان كان بالكسر والشرط
للمخاطب اي لا تطع كل حلاف شارطا يساره لانه اذا اطاع الكافر لغناه فكانه اشترط في الطاعة الغنى ونحو صرف الشرط
الى المخاطب صرف الترجي اليه في قوله تعالى لعله يتذكر • سنسمه على الخرطوم • الوجه اكرم موضع في الجسد والانف اكرم
موضع من الوجه لتقدمه له ولذلك جعلوه مكان العز والحمية واشتقوا منه الانفة وقالوا الانف في الانف وحمي انفه
وفلان شامخ العرنين وقالوا في الذليل جدع انفه ورغم انفه فعبر بالوسم على الخرطوم عن غاية الاذلال والاهانة لان
السمة على الوجه شين واذالة فكيف بها على اكرم موضع منه ولقد وسم العباس رضي الله تعالى عنه اباعره في وجوهها
فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اكرموا الوجوه فوسمها في جواعرها وفي لفظ الخرطوم استخفاف به واستهانة
وقيل معناه سنعلمه يوم القيمة بعلامة مشوهة يبين بها عن سائر الكفرة كما عادى رسول الله صلى الله عليه وسلم عداوة بان
بها عنهم وقيل خطم يوم بدر بالسيف فبقيت سمة على خرطومه وقيل سنشهره بهذه الشتيمة في الدارين جميعا فلا
تخفى كما لا تخفى السمة على الخرطوم وعن النضر بن شميل ان الخرطوم الخمر وان معناه سنحده على شربها وهو تعسف وقيل
للخمر الخرطوم كما قيل لها السلافة وهي ما سلف من عصير العنب او لانها تطير في الخياشيم • انا بلوناهم كما بلونا
اصحاب الجنة اذ اقسموا ليصرمنها مصبحين ولا يستثنون فطاف عليها طائف من
ربك وهم نائمون • انا بلونا اهل مكة بالقحط والجوع بدعوة رسول الله عليهم كما بلونا اصحاب الجنة وهم قوم من
اهل الصلوة كانت لابيهم هذه الجنة دون صنعاء بفرسخين فكان يأخذ منها قوت سنة ويتصدق بالباقي وكان يترك
للمساكين ما اخطأه المنجل وما في اسفل الاكداس وما اخطأه القطاف من العنب وما بقي من البساط الذي يبسط تحت
النخلة اذا صرمت فكان يجتمع لهم شيء كثير فلما مات قال بنوه ان فعلنا ما كان يفعل ابونا ضاق علينا الامر ونحن اولو عيال
فحلفوا ليصرمنها مصبحين في السدف خفية عن المساكين ولم يستثنوا في يمينهم فاحرق الله عز وجل جنتهم وقيل كانوا من
بني اسرائيل مصبحين داخلين في الصبح مبكرين ولا يقولون ان شاء الله • فان قلت لم سمي استثناء وانما هو شرط قلت
لانه يؤدي مؤدى الاستثناء من حيث ان معنى قولك لاخرجن ان شاء الله ولا اخرج الا ان يشاء الله واحد فطاف عليها
بلاء او هلاك طائف كقوله تعالى واحيط بثمره وقرئ طيف • فاصبحت كالصريم فتنادوا مصبحين
ان اغدوا على حرثكم ان كنتم صارمين • فاصبحت كالصريم كالمصرومة لهلاك ثمرها وقيل الصريم الليل
اي احترقت فاسودت وقيل النهار اي يبست وذهبت خضرتها او لم يبق فيها شيء من قولهم بيض الاناء اذا فرغه
وقيل الصريم الرمال صارمين حاصدين • فان قلت هلا قيل اغدوا الى حرثكم وما معنى على قلت
لما كان الغدو اليه ليصرموه ويقطعوه كان غدوا عليه كما تقول غدا عليهم العدو ويجوز ان يضمن الغدو معنى الاقبال
كقولهم يغدى عليه بالجفنة ويراح اي فاقبلوا على حرثكم باكرين • فانطلقوا وهم يتخافتون ان لا يدخلنها
اليوم عليكم مسكين • وغدوا على حرد قادرين • يتخافتون يتسارون فيما بينهم وخفي وخفت
وخفد ثلاثتها في معنى الكتم ومنه الخفدود للخفاش ان لا يدخلنها ان مفسرة وقرأ ابن مسعود رضي الله تعالى عنه
بطرحها باضمار القول اي يتخافتون يقولون لا يدخلنها والنهي عن الدخول للمسكين نهي لهم عن تمكينه منه اي لا تمكنوه
من الدخول حتى يدخل كقولك لا ارينك ههنا الحرد من حاردت السنة اذا منعت خيرها وحاردت الابل اذا منعت
درها والمعنى وغدوا قادرين على نكد لا غير عاجزين عن النفع يعني انهم عزموا ان يتنكدوا على المساكين ويحرموهم وهم
قادرون على نفعهم فغدوا بحال فقر وذهاب مال لا يقدرون فيها الا على النكد والحرمان وذلك انهم طلبوا حرمان المساكين
فتعجلوا الحرمان والمسكنة او وغدوا على محاردة جنتهم وذهاب خيرها قادرين بدل كونهم قادرين على اصابة خيرها
ومنافعها اي غدوا حاصلين على الحرمان مكان الانتفاع او لما قالوا اغدوا على حرثكم وقد خبثت نيتهم عاقبهم الله عز وجل

بان حاردت جنتهم وحرموا خيرها فلم يغدوا على حرث وانما غدوا على حرد وقادرين من عكس الكلام للتهكم اي قادرين
على ما عزموا عليه من الصرام وحرمان المساكين وعلى حرد ليس بصلة قادرين وقيل الحرد بمعنى الحرد وقرئ على حرد
اي لم يقدروا الا على حنق وغضب بعضهم على بعض كقوله تعالى يتلاومون وقيل الحرد القصد والسرعة يقال
حردت حردك وقال • اقبل سيل جاء من امر الله • يحرد حرد الجنة المغلة • وقطا حراد سراع يعني وغدوا
قاصدين الى جنتهم بسرعة ونشاط قادرين عند انفسهم يقولون نحن نقدر على صرامها وزي منفعتها عن المساكين
وقيل حرد علم للجنة اي غدوا على تلك الجنة قادرين على صرامها عند انفسهم او مقدرين ان يتم لهم مرادهم من الصرام والحرمان
فلما رأوها قالوا انا لضالون • بل نحن محرومون • قالوا في بديهة وصولهم انا لضالون اي ضللنا جنتنا
وما هي بها لما رأوا من هلاكها فلما تأملوا وعرفوا انها هي قالوا بل نحن محرومون حرمنا خيرها لجنايتنا على انفسنا • قال اوسطهم
الم اقل لكم لولا تسبحون • اوسطهم اعدلهم وخيرهم من قولهم هو من سطة قومه واعطني من سطات مالك ومنه
قوله عز وجل امة وسطا لولا تسبحون لولا تذكرون الله تعالى وتتوبون اليه من خبث نيتكم كان اوسطهم قال لهم حين عزموا
على ذلك اذكروا الله تعالى وانتقامه من المجرمين وتوبوا عن هذه العزيمة الخبيثة من فوركم وسارعوا الى حسم شرها قبل حلول
النقمة فعصوه فعيرهم والدليل عليه قولهم سبحان ربنا انا كنا ظالمين فتكلموا بما كان يدعوهم الى التكلم به على اثر مقارفة الخطيئة
ولكن بعد خراب البصرة وقيل المراد بالتسبيح الاستثناء لالتقائهما في معنى التعظيم لله تعالى لان الاستثناء تفويض اليه
والتسبيح تنزيه له وكل واحد من التفويض والتنزيه تعظيم وعن الحسن هو الصلوة كانهم كانوا يتوانون في الصلوة والا
لنهتهم عن الفحشاء والمنكر ولكانت لهم لطفا في ان يستثنوا ولا يحرموا • قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين
سبحان ربنا سبحوا الله تعالى ونزهوه عن الظلم وعن كل قبيح ثم اعترفوا بظلمهم في منع المعروف وترك الاستثناء • فاقبل
بعضهم على بعض يتلاومون • قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين • يتلاومون يلوم بعضهم بعضا لان منهم من زين
ومنهم من قبل ومنهم من امر بالكف وعذر ومنهم من عصى الامر ومنهم من سكت وهو راض • عسى ربنا ان يبدلنا خيرا
منها انا الى ربنا راغبون • كذلك العذاب ولعذاب الآخرة اكبر لو كانوا يعلمون • ان يبدلنا خيرا قرئ
بالتخفيف والتشديد انا الى ربنا راغبون طالبون منه الخير راجون لعفوه كذلك العذاب مثل ذلك العذاب الذي بلونا به اهل
مكة واصحاب الجنة عذاب الدنيا ولعذاب الآخرة اشد واعظم منه وسئل قتادة عن اصحاب الجنة اهم من اهل الجنة ام من اهل النار
فقال لقد كلفتني تعبا وعن مجاهد تابوا فابدلوا خيرا منها وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه بلغني انهم اخلصوا وعرف الله
منهم الصدق فابدلهم بها جنة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل منه عنقودا • ان للمتقين عند ربهم جنات
النعيم • افنجعل المسلمين كالمجرمين • ما لكم كيف تحكمون • ام لكم كتاب فيه تدرسون
ان لكم فيه لما تخيرون • عند ربهم اي في الآخرة جنات النعيم جنات ليس فيها الا التنعم الخالص لا يشوبه ما ينغصه
كما يشوب جنات الدنيا كان صناديد قريش يرون وفور حظهم من الدنيا وقلة حظوظ المسلمين منها فاذا سمعوا الحديث عن الله تعالى
وما وعد المسلمين قالوا ان صح انا نبعث كما يزعم محمد ومن معه لم تكن حالهم وحالنا الا مثل ما هي في الدنيا والا لم يزيدوا
علينا ولم يفضلونا واقصى امرهم ان يساوونا فقيل انحيف في الحكم فنجعل المسلمين كالكافرين ثم اقبل عليهم على طريقة الالتفات
ما لكم كيف تحكمون هذا الحكم الاعوج كان امر الجزاء مفوض اليكم حتى تحكموا فيه بما شئتم ام لكم كتاب من السماء تدرسون في ذلك
الكتاب ان ما تختارونه وتشتهونه لكم كقوله تعالى ام لكم سلطان مبين فأتوا بكتابكم والاصل تدرسون ان لكم ما تخيرون
بفتح ان لانه مدروس فلما جاءت اللام كسرت ويجوز ان يكون حكاية للمدروس كما هو كقوله عز وجل وتركنا عليه في الآخرين
سلام على نوح وتخير الشيء واختاره اخذ خيره ونحوه تنخله وانتخله اذا اخذ منخوله • ام لكم ايمان علينا بالغة
الى يوم القيمة ان لكم لما تحكمون • سلهم ايهم بذلك زعيم • ام لهم شركاء فليأتوا
بشركائهم ان كانوا صادقين • لفلان علي يمين بكذا اذا ضمنته منه وحلفت له على الوفاء به يعني ام ضمنا منكم
واقسمنا لكم بايمان مغلظة متناهية في التوكيد • فان قلت بم يتعلق الى يوم القيمة قلت بالمقدر
في الظرف اي هي ثابتة لكم علينا الى يوم القيمة لا نخرج عن عهدتها الا يومئذ اذا حكمناكم واعطيناكم ما تحكمون ويجوز ان يتعلق
ببالغة على انها تبلغ ذلك اليوم وتنتهي اليه وافرة لم تبطل منها يمين الى ان يحصل المقسم عليه من التحكيم وقرأ الحسن بالغة بالنصب

على الحال من الضمير في الظرف. إن لكم لما تحكمون جواب القسم لأن المعنى أم لكم أيمان علينا أم أقسمنا لكم. أيهم بذلك الحكم زعيم أي قائم به وبالاحتجاج لصحته كما يقوم الزعيم المتكلم عن القوم المتكفل بأمورهم. أم لهم شركاء أي ناس يشاركونهم في هذا القول ويوافقونهم عليه ويذهبون مذهبهم فيه فليأتوا بهم إن كانوا صادقين في دعواهم يعني أن أحدا لا يسلم لهم هذا ولا يساعدهم عليه كما أنه لا كتاب لهم ينطقون به ولا عهد لهم به عند الله تعالى ولا زعيم لهم يقوم به.

يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون

الكشف عن الساق والإبداء عن الخدام مثل في شدة الأمر وصعوبة الخطب وأصله في الروع والهزيمة وتشمير المخدرات عن سوقهن في الهرب وإبداء خدامهن عند ذلك قال حاتم: أخو الحرب إن عضت به الحرب عضها ... وإن شمرت عن ساقها الحرب شمرا. وقال ابن الرقيات: تذهل الشيخ عن بنيه وتبدي ... عن خدام العقيلة العذراء. فمعنى يوم يكشف عن ساق في معنى يوم يشتد الأمر ويتفاقم ولا كشف ثم ولا ساق كما تقول للأقطع الشحيح يده مغلولة ولا يد ثم ولا غل وإنما هو مثل في البخل وأما من شبه فلضيق عطنه وقلة نظره في علم البيان والذي غره منه حديث ابن مسعود رضي الله تعالى عنه يكشف الرحمن عن ساقه فأما المؤمنون فيخرون سجدا وأما المنافقون فتكون ظهورهم طبقا طبقا كأن فيها السفافيد ومعناه يشتد أمر الرحمن ويتفاقم هوله وهو الفزع الأكبر يوم القيامة ثم كان من حق الساق أن تعرف على ما ذهب إليه المشبه لأنها ساق مخصوصة معهودة عنده وهي ساق الرحمن. فإن قلت فلم جاءت منكرة في التمثيل قلت للدلالة على أنه أمر مبهم في الشدة خارج منكر عن المألوف كقوله تعالى يوم يدع الداع إلى شيء نكر كأنه قيل يوم يقع أمر فظيع هائل. وحكي هذا التشبيه عن مقاتل ابن سليمان. وعن أبي عبيدة خرج من خراسان رجلان أحدهما شبه حتى مثل وهو مقاتل بن سليمان والآخر نفى حتى عطل وهو جهم بن صفوان ومن أحس بعظم مضار فقد هذا العلم علم مقدار عظم منافعه. وقرئ يوم نكشف بالنون وتكشف بالتاء على البناء للفاعل والمفعول جميعا والفعل للساعة أو للحال أي يوم تشتد الحال أو الساعة كما تقول كشفت الحرب عن ساقها على المجاز. وقرئ تكشف بالتاء المضمومة وكسر الشين من أكشف إذا دخل في الكشف ومنه أكشف الرجل فهو مكشف إذا انقلبت شفته العليا وناصب الظرف فليأتوا أو إضمار اذكر أو يوم يكشف عن ساق كان كيت وكيت فحذف للتهويل البليغ وأن ثم من الكوائن ما لا يوصف لعظمه. عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه تعقم أصلابهم أي ترد عظاما بلا مفاصل لا تنثني عند الرفع والخفض وفي الحديث وتبقى أصلابهم طبقا واحدا أي فقارة واحدة.

فإن قلت لم يدعون إلى السجود ولا تكليف قلت لا يدعون إليه تعبدا وتكليفا ولكن توبيخا على تركهم السجود في الدنيا مع إعقام أصلابهم والحيلولة بينهم وبين الاستطاعة تحسيرا لهم وتنديما على ما فرطوا فيه حين دعوا إلى السجود وهم سالمو الأصلاب والمفاصل ممكنون مزاحو العلل فيما تعبدوا به.

فذرني ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا يعلمون

يقال ذرني وإياه يريدون كله إلي فإني أكفيكه كأنه يقول حسبك إيقاعا به أن تكل أمره إلي وتخلي بيني وبينه فإني عالم بما يجب أن يفعل به مطيق له والمراد حسبي مجازيا لمن يكذب بالقرآن فلا تشغل قلبك بشأنه وتوكل علي في الانتقام منه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديدا للمكذبين. استدرجه إلى كذا إذا استنزله إليه درجة فدرجة حتى يورطه فيه واستدراج الله تعالى للعصاة أن يرزقهم الله تعالى الصحة والنعمة فيجعلوا رزق الله تعالى ذريعة ومتسلقا إلى ازدياد الكفر والمعاصي من حيث لا يعلمون أي من الجهة التي لا يشعرون أنه استدراج وهو الإنعام عليهم لأنهم يحسبونه إيثارا لهم وتفضيلا على المؤمنين وهو سبب لهلاكهم.

وأملي لهم إن كيدي متين أم تسألهم أجرا فهم من مغرم مثقلون

وأملي لهم وأمهلهم كقوله تعالى إنما نملي لهم ليزدادوا إثما والصحة والرزق والمد في العمر إحسان من الله تعالى وإفضال يوجب عليهم الشكر والطاعة ولكنهم يجعلونه سببا في الكفر باختيارهم فلما تدرجوا به إلى الهلاك وصف المنعم بالاستدراج. وقيل كم من مستدرج بالإحسان إليه وكم من مفتون بالثناء عليه وكم من مغرور بالستر. وسمى إحسانه وتمكينه كيدا كما سماه استدراجا لكونه في صورة الكيد حيث كان سببا للتورط في الهلكة ووصفه بالمتانة لقوة أثر إحسانه في التسبب للهلاك. المغرم الغرامة أي لم تطلب منهم على الهداية والتعليم أجرا فيثقل عليهم حمل الغرامات في أموالهم فيثبطهم ذلك عن الإيمان.

أم عندهم الغيب فهم يكتبون فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم

أم عندهم الغيب أي اللوح فهم يكتبون منه ما يحكمون به. لحكم ربك وهو إمهالهم وتأخير نصرتك عليهم. ولا تكن كصاحب الحوت يعني يونس عليه السلام إذ نادى في بطن الحوت وهو مكظوم مملوء غيظا من كظم السقاء إذا ملأه. والمعنى لا يوجد منك ما وجد منه من الضجر والمغاضبة فتبتلى ببلائه.

لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم

حسن تذكير الفعل لفصل الضمير في تداركه

وقرأ ابن عباس وابن مسعود رضي الله تعالى عنهم تداركته وقرأ الحسن تداركه أي تتداركه على حكاية الحال الماضية بمعنى لولا أن كان يقال فيه تتداركه كما يقال كان زيد سيقوم فمنعه فلان أي كان يقال فيه سيقوم والمعنى كان متوقعا منه القيام ونعمة ربه أن أنعم عليه بالتوفيق للتوبة وتاب عليه وقد اعتمد في جواب لولا على الحال أعني قوله وهو مذموم يعني أن حاله كانت على خلاف الذم حين نبذ بالعراء ولولا توبته لكانت حاله على الذم. روي أنها نزلت بأحد حين حل برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما حل فأراد أن يدعو على الذين انهزموا وقيل حين أراد أن يدعو على ثقيف. وقرئ رحمة من ربه.

فاجتباه ربه فجعله من الصالحين

فاجتباه ربه فجمعه إليه وقربه بالتوبة عليه كما قال تعالى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى. فجعله من الصالحين أي من الأنبياء عليهم الصلوة والسلام. وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما رد الله تعالى إليه الوحي وشفعه في نفسه وقومه.

وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون إنه لمجنون وما هو إلا ذكر للعالمين

إن مخففة من الثقيلة واللام علمها. وقرئ ليزلقونك بضم الياء وفتحها. زلقه وأزلقه بمعنى ويقال زلق الرأس وأزلقه حلقه. وقرئ ليزهقونك من زهقت نفسه وأزهقها يعني أنهم من شدة تحديقهم ونظرهم إليك شزرا بعيون العداوة والبغضاء يكادون يزلون قدمك أو يهلكونك من قولهم نظر إلي نظرا يكاد يصرعني ويكاد يأكلني أي لو أمكنه بنظره الصرع أو الأكل لفعله قال: يتقارضون إذا التقوا في موطن ... نظرا يزل مواطئ الأقدام. وقيل كانت العين في بني أسد فكان الرجل منهم يتجوع ثلاثة أيام فلا يمر به شيء فيقول فيه لم أر كاليوم مثله إلا عانه فأريد بعض العيانين على أن يقول في رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ذلك فقال لم أر كاليوم رجلا فعصمه الله تعالى. وعن الحسن دواء الإصابة بالعين أن يقرأ هذه الآية. لما سمعوا الذكر أي القرآن لم يملكوا أنفسهم حسدا على ما أوتيت من النبوة ويقولون إنه لمجنون حيرة في أمره وتنفيرا عنه وإلا فقد علموا أنه أعقلهم. والمعنى أنهم جننوه لأجل القرآن وما هو إلا ذكر وموعظة للعالمين فكيف يجنن من جاء بمثله. روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القلم أعطاه الله تعالى ثواب الذين حسن الله تعالى أخلاقهم

سورة الحاقة مكية

وهي إحدى وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الحاقة ما الحاقة وما أدراك ما الحاقة كذبت ثمود وعاد بالقارعة فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية

الحاقة الساعة الواجبة الوقوع الثابتة المجيء التي هي آتية لا ريب فيها أو التي فيها حواق الأمور من الحساب والثواب والعقاب أو التي تحق فيها الأمور أي تعرف على الحقيقة من قولك لا أحق هذا أي لا أعرف حقيقته جعل الفعل لها وهو لأهلها وارتفاعها على الابتداء وخبرها ما الحاقة والأصل الحاقة ما هي أي أي شيء هي تفخيما لشأنها وتعظيما لهولها فوضع الظاهر موضع المضمر لأنه أهول لها. وما أدراك وأي شيء أعلمك ما الحاقة يعني أنك لا علم لك بكنهها ومدى عظمها على أنه من العظم والشدة بحيث لا يبلغه دراية أحد ولا وهمه وكيفما قدرت حالها فهي أعظم من ذلك. وما في موضع الرفع على الابتداء وأدراك معلق عنه لتضمنه معنى الاستفهام. القارعة التي تقرع الناس بالأفزاع والأهوال والسماء بالانشقاق والانفطار والأرض والجبال بالدك والنسف والنجوم بالطمس والانكدار. ووضعت موضع الضمير لتدل على معنى القرع في الحاقة زيادة في وصف شدتها. ولما ذكرها وفخمها أتبع ذكر ذلك ذكر من كذب بها وما حل بهم بسبب التكذيب تذكيرا لأهل مكة وتخويفا لهم من عاقبة تكذيبهم. بالطاغية بالواقعة المجاوزة للحد في الشدة. واختلف فيها فقيل الرجفة. وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما الصاعقة. وعن قتادة بعث الله تعالى عليهم صيحة فأهمدتهم. وقيل الطاغية مصدر كالعافية أي بطغيانهم وليس بذاك لعدم الطباق بينها وبين قوله تعالى بريح صرصر.

وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية فهل ترى لهم من باقية

الصرصر الشديدة الصوت لها صرصرة. وقيل الباردة من الصر كأنها التي كرر فيها البرد وكثر فهي تحرق لشدة بردها. عاتية شديدة العصف والعتو استعارة أو عتت على عاد فما قدروا على ردها بحيلة من استتار ببناء أو لياذ بجبل أو اختفاء في حفرة فإنها كانت تنزعهم من مكامنهم وتهلكهم. وقيل عتت على خزانها فخرجت بلا كيل ولا وزن. وروي عن رسول الله

صلى الله تعالى عليه وسلم

ما ارسل الله سفينة من ريح الا بمكيال ولا قطرة من مطر الا بمكيال الا يوم عاد ويوم نوح فان الماء يوم نوح طغى على الخزان
فلم يكن فيها سبيل ثم قرأ انا لما طغى الماء حملناكم في الجارية وان الريح يوم عاد عتت على الخزان فلم يكن عليها سبيل ثم قرأ
بريح صرصر عاتية ولعلها عبارة عن الشدة والافراط فيها الحسوم لا يخلو من ان يكون جمع حاسم كشهود وقعود او مصدرا
كالشكور والكفور فان كان جمعا فمعنى قوله حسوما نحسات حسمت كل خير واستاصلت كل بركة او متتابعة هبوب الرياح
ما خفتت ساعة حتى اتت عليهم تمثيلا لتتابعها بتتابع فعل الحاسم في اعادة الكي على الداء كرة بعد اخرى حتى ينحسم وان
كان مصدرا فاما ان ينتصب بفعله مضمرا اي تحسم حسوما بمعنى تستاصل استيصالا او يكون صفة كقولك ذات حسوم
او يكون مفعولا له اي سخرها عليهم للاستيصال وقال عبد العزيز بن زرارة الكلابي ففرق بين بينهم زمان تتابع فيه
اعوام حسوم وقرأ السدي حسوما بالفتح حالا من الريح اي سخرها عليهم مستاصلة وقيل هي ايام العجوز وذلك ان عجوزا من
عاد توارت في سرب فانتزعتها الريح في اليوم الثامن فاهلكتها وقيل هي ايام العجز وهي آخر الشتاء واسماؤها
الصن والصنبر والوبر والامر والمؤتمر والمعلل ومطفئ الجمر وقيل مكفئ الظعن ومعنى سخرها عليهم سلطها عليهم كما شاء
في مهابها او في الليالي او الايام وقرئ اعجاز نخيل من باقية من بقية او من نفس باقية او من بقاء كالطاغية بمعنى الطغيان

وجاء فرعون ومن قبله والمؤتفكات بالخاطئة فعصوا رسول ربهم فاخذهم اخذة رابية

ومن قبله يريد ومن عنده من اتباعه وقرئ ومن قبله اي ومن تقدمه وتعضد الاولى قراءة عبد الله وابي ومن معه وقراءة ابي موسى
ومن تلقاءه والمؤتفكات قرى قوم لوط عليه السلام بالخاطئة بالخطأ او بالفعلة او الافعال ذات الخطأ العظيم رابية شديدة
زائدة في الشدة كما زادت قبائحهم في القبح يقال ربا الشيء يربو اذا زاد ليربو في اموال الناس **انا لما طغى الماء**
حملناكم في الجارية لنجعلها لكم تذكرة وتعيها اذن واعية حملناكم حملنا اباءكم في الجارية في سفينة نوح
عليه السلام لانهم اذا كانوا من نسل المحمولين الناجين كان حمل آبائهم منة عليهم وكانهم هم المحمولون لان نجاتهم سبب ولادتهم لنجعلها
الضمير للفعلة وهي نجاة المؤمنين واغراق الكفرة تذكرة عظة وعبرة اذن واعية من شانها ان تعي وتحفظ ما سمعت ولا تضيعه
بترك العمل وكلما حفظته في نفسك فقد وعيته وما حفظته في غير نفسك فقد اوعيته كقولك اوعيت الشيء في الظرف وعن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال لعلي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه عند نزول هذه الآية سألت الله تعالى ان يجعلها اذنك يا علي قال
علي رضي الله تعالى عنه فما نسيت شيئا بعد وما كان لي ان انسى **فان قلت** لم قيل اذن واعية على التوحيد والتنكير **قلت**
للايذان بان الوعاة فيهم قلة ولتوبيخ الناس بقلة من يعي منهم وللدلالة على ان الاذن الواحدة اذا وعت وعقلت عن الله
فهي السواد الاعظم عند الله وان ما سواها لا يبالى بهم بالة وان ملؤا ما بين الخافقين وقرئ وتعيها بسكون العين للتخفيف شبه
تعي بكبد **فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة** اسند الفعل الى المصدر وحسن تذكيره للفصل وقرأ ابو السمال
نفخة واحدة بالنصب مسندا للفعل الى الجار والمجرور **فان قلت** هما نفختان فلم قيل نفخة واحدة **قلت** معناه
انها لا تثنى في وقتها **فان قلت** فاي النفختين هي **قلت** الاولى لان عندها فساد العالم وهكذا الرواية عن ابن عباس
وروي عنه انها الثانية **فان قلت** اما قال يومئذ تعرضون والعرض انما هو عند النفخة الثانية **قلت** جعل اليوم
اسما للحين الواسع الذي يقع فيه النفختان والصعقة والنشور والوقوف والحساب فلذلك قيل يومئذ تعرضون كما تقول جئته
عام كذا وانما كان مجيئك في وقت واحد من اوقاته **وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة**
وحملت ورفعت من جهاتها بريح بلغت من قوة عصفها انها تحمل الارض والجبال او بخلق من الملائكة او بقدرة الله تعالى
من غير سبب وقرئ وحملت بحذف المحمول وهو احد الثلاثة فدكتا فدكت الجملتان جملة الارضين وجملة الجبال فضرب بعضها
ببعض حتى تندق وترجع كثيبا مهيلا وهباء منبثا والدك ابلغ من الدق وقيل فبسطتا بسطة واحدة فصارتا ارضا لا ترى
فيها عوجا ولا امتا من قولك اندك السنام اذا انفرش وبعير ادك وناقة دكاء ومنه الدكان **فيومئذ وقعت**
الواقعة وانشقت السماء فهي يومئذ واهية والملك على ارجائها فيومئذ وقعت الواقعة
نزلت النازلة وهي القيامة واهية مسترخية ساقطة القوة جدا بعد ما كانت محكمة مستمسكة يريد والخلق الذي يقال
له الملك ورد اليه الضمير مجموعا في قوله فوقهم على المعنى **فان قلت** ما الفرق بين قوله والملك وبين ان يقال والملائكة
قلت الملك اعم من الملائكة الا ترى ان قولك ما من ملك الا وهو شاهد اعم من قولك ما من ملائكة على ارجائها على جوانبها

الواحد جمع مقصور يعني انها تنشق وهي مسكن الملائكة فينضوون الى اطرافها وما حولها من حافاتها **ويحمل عرش**
ربك فوقهم يومئذ ثمانية يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية اي ثمانية منهم وعن رسول الله
صلى الله عليه وسلم هم اليوم اربعة فاذا كان يوم القيمة ايدهم الله تعالى باربعة آخرين فيكونون ثمانية وروي ثمانية املاك
ارجلهم في تخوم الارض السابعة والعرش فوق رؤسهم وهم مطرقون مسبحون وقيل بعضهم على صورة الانسان وبعضهم
على صورة الاسد وبعضهم على صورة الثور وبعضهم على صورة النسر وروي ويحمل عرش ربك ثمانية املاك في خلق الاوعال
ما بين اظلافها الى ركبها مسيرة سبعين عاما وعن شهر بن حوشب اربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك
بعد قدرتك واربعة يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك وعن الحسن الله اعلم كم هم ثمانية
ام ثمانية الاف وعن الضحاك ثمانية صفوف لا يعلم عددهم الا الله ويجوز ان يكون الثمانية من الروح او من خلق آخر فهو
القادر على كل خلق سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون العرض عبارة عن المحاسبة
والمسائلة شبه ذلك بعرض السلطان العسكر لتعرف احواله وروي ان في القيمة ثلاث عرضات فاما عرضتان فاعتذار
واحتجاج وتوبيخ واما الثالثة ففيها تنشر الكتب فياخذ الفائز كتابه بيمينه والهالك كتابه بشماله خافية سريرة وحال كانت
تخفى في الدنيا بستر الله تعالى عليكم **فاما من اوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤا كتابيه**
اني ظننت اني ملاق حسابيه فهو في عيشة راضية في جنة عالية قطوفها دانية
فاما تفصيل للعرض ها صوت يصوت به فيفهم منه معنى خذ كاف وحس وما اشبه ذلك وكتابيه منصوب بهاؤم عند الكوفيين
وعند البصريين باقرؤا لانه اقرب العاملين واصله هاؤم كتابي اقرؤا كتابي فحذف الاول لدلالة الثاني عليه ونظيره آتوني افرغ عليه
قطرا قالوا ولو كان العامل الاول لقيل اقرؤه وافرغه والهاء للسكت في كتابيه وكذلك في حسابيه وماليه وسلطانيه
وحق هذه الهاءات ان تثبت في الوقف وتسقط في الوصل وقد استحب ايثار الوقف ايثارا لثباتها في المصحف وقيل لا باس بالوصل
والاسقاط وعن ابن محيصن انه قرأ باسكان الياء بغير هاء وقرأ جماعة باثبات الهاء في الوصل والوقف جميعا لاتباع المصحف
ظننت علمت وانما اجرى الظن مجرى العلم لان الظن الغالب يقام مقام العلم في العادات يقال اظن ظنا كاليقين ان الامر
كيت وكيت راضية منسوبة الى الرضا كالدارع والنابل والنسبة نسبتان نسبة بالحرف ونسبة بالصيغة او جعل الفعل لها
مجازا وهو لصاحبها عالية مرتفعة المكان في السماء او رفيعة الدرجات او رفيعة المباني والقصور والاشجار دانية ينالها القاعد والقائم
كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية يقال لهم كلوا واشربوا اكلا وشربا هنيئا او هنيتم هنيئا على المصدر
بما اسلفتم بما قدمتم من الاعمال الصالحة في الايام الخالية الماضية من ايام الدنيا وعن مجاهد ايام الصيام اي كلوا واشربوا بدل ما امسكتم
عن الاكل والشرب لوجه الله تعالى وروي يقول الله تعالى يا اوليائي طالما نظرت اليكم في الدنيا وقد قلصت شفاهكم عن الاشربة
وغارت اعينكم وخمصت بطونكم فكونوا اليوم في نعيمكم كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية **واما من اوتي**
كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم اوت كتابيه ولم ادر ما حسابيه يا ليتها كانت القاضية
ما اغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه الضمير في يا ليتها للموتة يقول يا ليت الموتة التي متها كانت القاضية اي
القاطعة لامري فلم ابعث بعدها ولم الق ما القى او للحالة اي ليت هذه الحالة كانت الموتة التي قضت علي لانه رأى تلك الحالة
ابشع وامر مما ذاقه من مرارة الموت وشدته فتمناه عندها ما اغنى نفي او استفهام على وجه الانكار اي اي شيء اغنى عني ما كان من
اليسار هلك عني سلطاني ملكي وتسلطي على الناس وبقيت فقيرا ذليلا وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انها نزلت في الاسود
ابن عبد الاسد وعن فناخسرو الملقب بالعضد انه لما قال عضد الدولة وابن ركنها ملك الاملاك غلاب القدر لم يفلح بعده
وجن فكان لا ينطق لسانه الا بهذه الآية وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ضلت عني حجتي التي كنت احتج بها في الدنيا
خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه انه كان
لا يؤمن بالله العظيم ولا يحض على طعام المسكين فليس له اليوم ههنا حميم ولا طعام
الا من غسلين لا ياكله الا الخاطئون ثم الجحيم صلوه ثم لا تصلوه الا الجحيم وهي النار العظمى لانه كان سلطانا يتعظم
على الناس يقال صلي النار وصلاه النار سلكه في السلسلة ان تلوى على جسده حتى تلتف عليه اثناؤها وهو فيما بينها مرهق
مضيق عليه لا يقدر على حركة وجعلها سبعين ذراعا ارادة الوصف بالطول كما قال ان تستغفر لهم سبعين مرة

يريد مرات كثيرة لانها اذا طالت كان الارهاق اشد والمعنى في تقديم السلسلة على السلك مثله في تقديم الجحيم على التصلية اي لا تسلكوه الا في هذه السلسلة كانها افظع من سائر مواضع الارهاق في الجحيم ومعنى ثم الدلالة على تفاوت ما بين الغل والتصلية بالجحيم وما بينها وبين السلك في السلسلة لا على تراخي المدة انه تعليل على طريق الاستيناف وهو ابلغ كانه قيل ما له يعذب هذا العذاب الشديد فاجيب بذلك وفي قوله تعالى ولا يحض على طعام المسكين دليلان قويان على عظم الجرم في حرمان المسكين احدهما عطفه على الكفر وجعله قرينة له والثاني ذكر الحض دون الفعل ليعلم ان تارك الحض بهذه المنزلة فكيف تارك الفعل وما احسن قول القائل اذا نزل الاضياف كان عذورا على الحي حتى تستقل مراجله يريد حثهم على القرى واستعجلهم وتشاكس عليهم وعن ابي الدرداء رضي الله تعالى عنه انه كان يحض امراته على تكثير المرق لاجل المساكين وكان يقول خلعنا نصف السلسلة بالايمان افلا نخلع نصفها الآخر وقيل هو منع الكفار وقولهم انطعم من لو يشاء الله اطعمه والمعنى على بذل طعام المسكين حميم قريب يدفع عنه ويحزن عليه لانهم يتحامونه ويفرون منه كقوله تعالى ولا يسال حميم حميما والغسلين غسالة اهل النار وما يسيل من ابدانهم من الصديد والدم فعلين من الغسل الخاطئون الآثمون اصحاب الخطايا وخطئ الرجل اذا تعمد الذنب هم المشركون وعن ابن عباس الخاطون كلنا نخطو وروى عنه ابو الاسود الدؤلي ما الخاطون انما هو الخاطئون ما الصابون انما هو الصابئون ويجوز ان يراد الذين يتخطون الحق الى الباطل ويتعدون حدود الله تعالى

فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون تنزيل من رب العالمين هو اقسام بالاشياء كلها على وجه الشمول والاحاطة لانها لا تخرج من قسمين مبصر وغير مبصر وقيل الدنيا والآخرة والاجسام والارواح والانس والجن والخلق والخالق والنعم الظاهرة والباطنة ان هذا القرآن لقول رسول كريم اي يقوله ويتكلم به على وجه الرسالة من عند الله عز وجل وما هو بقول شاعر ولا كاهن كما تدعون والقلة في معنى العدم اي لا تؤمنون ولا تذكرون البتة والمعنى ما اكفركم وما اغفلكم تنزيل هو تنزيل بيانا لانه قول رسول نزل عليه من رب العالمين وقرأ ابو السمال تنزيلا اي نزل تنزيلا والرسول الكريم جبريل عليه السلام وقوله تعالى وما هو بقول شاعر دليل على انه محمد صلى الله عليه وسلم لان المعنى على اثبات انه رسول لا شاعر ولا كاهن **ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من احد عنه حاجزين وانه لتذكرة للمتقين وانا لنعلم ان منكم مكذبين** التقول افتعال القول لان فيه تكلفا من المفتعل وسمى الاقوال المتقولة اقاويل تصغيرا بها وتحقيرا كقولك الاعاجيب والاضاحيك كانها جمع افعولة من القول والمعنى ولو ادعى علينا شيئا لم نقله لقتلناه صبرا كما يفعل الملوك بمن يتكذب عليهم معاجلة بالسخط والانتقام فصور قتل الصبر بصورة ليكون اهول وهو ان يوخذ بيده وتضرب رقبته وخص اليمين عن اليسار لان القتال اذا اراد ان يوقع الضرب في قفاه اخذ بيساره واذا اراد ان يوقعه في جيده وان يكفحه بالسيف وهو اشد على المصبور لنظره الى السيف اخذ بيمينه ومعنى لاخذنا منه باليمين لاخذنا بيمينه كما ان قوله عز وجل لقطعنا منه الوتين لقطعنا وتينه وهذا بين والوتين نياط القلب وهو حبل الوريد اذا قطع مات صاحبه وقرئ ولو تقول علينا على البناء للمفعول حاجزين في وصف احد لانه في معنى الجماعة وهو اسم يقع في النفي العام مستويا فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ومنه قوله تعالى لا نفرق بين احد من رسله لستن كاحد من النساء والضمير في عنه للقتل اي لا يقدر احد منكم ان يحجزه عن ذلك ويدفعه عنه او لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اي لا تقدرون ان تحجزوا عنه القاتل وتحولوا بينه وبينه والخطاب للناس وكذلك في قوله وانا لنعلم ان منكم مكذبين وهو ايعاد على التكذيب وقيل الخطاب للمسلمين والمعنى ان منهم ناسا سيكفرون بالقرآن **وانه لحسرة على الكافرين وانه لحق اليقين فسبح باسم ربك العظيم** وانه الضمير للقرآن لحسرة على الكافرين به المكذبين له اذا راوا ثواب المصدقين به او للتكذيب وان القرآن لليقين حق اليقين كقولك هو العالم حق العالم وجد العالم والمعنى لعين اليقين ومحض اليقين فسبح بذكر اسم ربك العظيم وهو قوله سبحان الله واعبده شكرا على ما اهلك لمن اهلية ايليك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الحاقة حاسبه الله حسابا يسيرا

سورة المعارج مكية وهي اربع واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم **سال سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع من الله ذي المعارج تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة فاصبر صبرا جميلا** ضمن سال معنى دعا فعدي تعديته كانه قيل دعا داع بعذاب من قولك دعا بكذا اذا استدعاه وطلبه ومنه قوله تعالى يدعون فيها بكل فاكهة وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو النضر بن الحارث قال ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم وقيل هو رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم استعجل بعذاب الكافرين وقرئ سال سائل وهو على وجهين اما ان يكون من السؤال وهي لغة قريش يقولون سلت تسال وهما يتسايلان وان يكون من السيلان ويؤيده قراءة ابن عباس رضي الله تعالى عنهما سال سيل والسيل مصدر في معنى السائل كالغور في معنى الغائر والمعنى اندفع عليهم وادي عذاب فذهب بهم واهلكهم وعن قتادة سال سائل عن عذاب الله تعالى على من ينزل وبمن يقع فنزلت وسال على هذا الوجه مضمن معنى عنى واهتم **فان قلت** بم يتصل قوله تعالى للكافرين **قلت** على القول الاول متصل بعذاب صفة له اي بعذاب واقع كائن للكافرين او بالفعل اي دعا للكافرين بعذاب واقع او بواقع اي بعذاب نازل لاجلهم وعلى الثاني هو كلام مبتدا جواب للسائل اي هو للكافرين **فان قلت** فقوله تعالى من الله بم يتصل **قلت** يتصل بواقع اي واقع من عنده او بدافع بمعنى ليس له دافع من جهته اذا جاء وقته واوجبت الحكمة وقوعه ذي المعارج ذي المصاعد جمع معرج ثم وصف المصاعد وبعد مداها في العلو والارتفاع فقال تعرج الملائكة والروح اليه الى عرشه وحيث تهبط منه اوامره في يوم كان مقداره كمقدار مدة خمسين الف سنة مما يعد الناس والروح جبريل عليه السلام افرد لتميزه بفضله وقيل الروح خلق هم حفظة على الملائكة كما ان الملائكة حفظة على الناس **فان قلت** بم يتعلق قوله تعالى فاصبر **قلت** بسال سائل لان استعجال النضر بالعذاب انما كان على وجه الاستهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم والتكذيب بالوحي وكان ذلك مما يضجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر بالصبر عليه وكذلك من سال عن العذاب لمن هو فانما سال على طريق التعنت وكان من كفار مكة ومن قرا سال سائل او سيل فمعناه جاء العذاب لقرب وقوعه فقد شارفت الانتقام وقد جعل في يوم من صلة واقع اي يقع في يوم طويل مقداره خمسون الف سنة من سنيكم وهو يوم القيمة اما ان يكون استطالة له لشدته على الكفار واما لانه على الحقيقة كذلك قيل فيه خمسون موطنا كل موطن الف سنة وما قدر ذلك على المؤمن الا كما بين الظهر والعصر **انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا يوم تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن ولا يسال حميم حميما يبصرونهم** الضمير في يرونه للعذاب الواقع او ليوم القيمة فيمن علق في يوم بواقع اي يستبعدونه على جهة الاحالة ونحن نراه قريبا هينا في قدرتنا غير بعيد علينا ولا متعذر فالمراد بالبعيد البعيد من الامكان وبالقريب القريب منه نصب يوم تكون بقريبا اي يمكن ولا يتعذر في ذلك اليوم او باضمار يقع لدلالة واقع عليه او يوم تكون السماء كالمهل كان كيت وكيت او هو بدل عن في يوم فيمن علقه بواقع كالمهل كدردي الزيت وعن ابن مسعود كالفضة المذابة في تلونها كالعهن كالصوف المصبوغ الوانا لان الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود فاذا بست وطيرت في الجو اشبهت العهن المنفوش اذا طيرته الريح ولا يسال حميم حميما اي لا يسال كيف حالك ولا يكلمه لان بكل احد ما يشغله عن المسئلة يبصرونهم اي يبصر الاحماء الاحماء فلا يخفون عليهم فما يمنعهم من المسئلة ان بعضهم لا يبصر بعضا وانما يمنعهم التشاغل وقرئ يبصرونهم وقرئ ولا يسال على البناء للمفعول اي لا يقال لحميم اين حميمك ولا يطلب منه لانهم يبصرونهم فلا يحتاجون الى السؤال والطلب **فان قلت** ما موقع يبصرونهم **قلت** هو كلام مستانف كانه لما قال لا يسال حميم حميما قيل لعله لا يبصره فقيل يبصرونهم ولكنهم لتشاغلهم لم يتمكنوا من تساؤلهم **فان قلت** لم جمع الضمير في يبصرونهم وهما للحميمين **قلت** المعنى على العموم لكل حميمين لا لحميمين اثنين ويجوز ان يكون يبصرونهم صفة اي حميما مبصرين معرفين اياهم **يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته واخيه وفصيلته التي تؤويه ومن في الارض جميعا ثم ينجيه** قرئ يومئذ بالجر والفتح على البناء للاضافة الى غير متمكن ومن عذاب يومئذ بتنوين عذاب ونصب يومئذ وانتصابه بعذاب لانه في معنى تعذيب وفصيلته عشيرته الادنون الذين فصل عنهم تؤويه تضمه انتماء اليها او لياذا بها في النوائب ينجيه عطف على يفتدي اي يود ان يفتدي ثم لو ينجيه الافتداء او من في الارض وثم لاستبعاد الانجاء يعني يتمنى لو كان هؤلاء جميعا تحت يده وبذلهم في فداء نفسه ثم ينجيه ذلك وهيهات ان ينجيه

العذور السيئ الخلق القليل الصبر فيما يطلبه ويهم به والمراجل جمع المرجل وهي القدر العظيمة

عن ابن عباس رضي الله عنهما وقرئ الخاطيون بابدال الهمزة ياء والخاطون بطرحها صح

كلا انها لظى نزاعة للشوى تدعوا من ادبر وتولى وجمع فاوعى كلا ردع للمجرم عن
الوداده وتنبيه على انه لا ينفعه الافتداء ولا ينجيه من العذاب ثم قال انها والضمير للنار ولم يجر لها ذكر لان ذكر العذاب دل
عليها ويجوز ان يكون ضميرا مبهما ترجم عنه الخبر او ضمير القصة ولظى علم للنار منقول من اللظى بمعنى اللهب ويجوز ان يراد
اللهب ونزاعة خبر بعد خبر لان او خبر للظى ان كانت الهاء ضمير القصة او صفة له ان اردت اللهب والتانيث
لانه في معنى النار او رفع على التهويل اى هى نزاعة وقرئ نزاعة بالنصب على الحال المؤكدة او على انها متلظية
او على الاختصاص للتهويل والشوى الاطراف او جمع شواة وهى جلدة الراس تنزعها فتبتكها ثم تعاد وتدعو مجاز
عن احضارهم كانها تدعوهم فتحضرهم ونحوه قول ذى الرمة • تدعو انفه الريب • وقوله • ليالى اللهو يطبينى فاتبعه • وقول
ابى النجم • تقول للرائد اعشبت انزل • وقيل تقول لهم الى الى يا كافر يا منافق وقيل تدعو الكافرين والمنافقين
بلسان فصيح ثم تلتقطهم التقاط الحب فيجوز ان يخلق الله تعالى فيها كلاما كما يخلقه في جلودهم وايديهم وارجلهم
وكما خلقه في الشجرة ويجوز ان يكون دعاء الزبانية وقيل تدعو تهلك من قول العرب دعاك الله اى اهلكك
قال • دعاك الله من رجل بافعى • من ادبر عن الحق وتولى عنه وجمع المال فجعله في وعاء وكنزه ولم يؤد الزكوة والحقوق
الواجبة فيه وتشاغل به عن الدين وزهى باقتنائه وتكبر ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه
الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا الا المصلين الذين هم على صلوتهم دائمون
والذين في اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم والذين يصدقون بيوم الدين والذين هم
من عذاب ربهم مشفقون ان عذاب ربهم غير مامون والذين هم لفروجهم حافظون
الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم
العادون والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم بشهاداتهم قائمون والذين هم
على صلوتهم يحافظون اولئك في جنات مكرمون اريد بالانسان الناس فلذلك استثنى منه
الا المصلين والهلع سرعة الجزع عند مس المكروه وسرعة المنع عند مس الخير من قولهم ناقة هلواع سريعة السير وعن احمد بن يحيى
قال لى محمد بن عبد الله بن طاهر ما الهلع قلت قد فسره الله تعالى ولا يكون تفسير ابين من تفسيره وهو الذى اذا ناله شر اظهر
شدة الجزع واذا ناله خير بخل به ومنعه الناس والخير المال والغنى والشر الفقر او الصحة والمرض اذا صح الغنى منع المعروف
وشح بماله واذا مرض جزع واخذ يوصى والمعنى ان الانسان لايثاره الجزع والمنع وتمكنهما منه ورسوخهما فيه كانه مجبول عليهما
مطبوع وكانه امر خلقى وضرورى غير اختيارى كقوله تعالى خلق الانسان من عجل والدليل عليه انه حين كان في البطن والمهد
لم يكن به هلع ولانه ذم والله تعالى لا يذم فعله والدليل عليه استثناء المؤمنين الذين جاهدوا انفسهم وحملوها على المكاره وظلفوها
عن الشهوات حتى لم يكونوا جازعين ولا مانعين وعن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم شر ما اعطى ابن آدم شح هالع وجبن خالع
فان قلت كيف قال على صلوتهم دائمون ثم قال على صلوتهم يحافظون قلت معنى دوامهم عليها ان يواظبوا على ادائها
لا يخلون بها ولا يشتغلون عنها بشىء من الشواغل كما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم افضل العمل ادومه وان قل وقول عائشة
رضى الله تعالى عنها كان عمله ديمة ومحافظتهم عليها ان يراعوا اسباغ الوضوء لها ومواقيتها ويقيموا اركانها ويكملوها بسننها
وآدابها ويحفظوها من الاحباط باقتراف المآثم فالدوام يرجع الى نفس الصلوات والمحافظة الى احوالها حق معلوم هو الزكوة
لانها مقدرة معلومة او صدقة يوظفها الرجل على نفسه يؤديها في اوقات معلومة السائل الذى يسأله والمحروم الذى يتعفف عن
السؤال فيحسب غنيا فيحرم يصدقون بيوم الدين تصديقا باعمالهم واستعدادهم له ويشفقون من عذاب ربهم واعترض
بقوله ان عذاب ربهم غير مامون اى لا ينبغى لاحد وان بالغ في الطاعة والاجتهاد ان يامنه وينبغى ان يكون مترجحا بين الخوف
والرجاء وقرئ بشهاداتهم وبشهادتهم والشهادة من جملة الشهادات وخصها من بينها ابانة لفضلها لان في اقامتها
احياء الحقوق وتصحيحها وفي زيها تضييعها وابطالها فمال الذين كفروا قبلك مهطعين عن اليمين
وعن الشمال عزين ايطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم كان المشركون يحتفون
برسول الله صلى الله عليه وسلم حلقا حلقا وفرقا فرقا يستمعون ويستهزؤن بكلامه ويقولون ان دخل هؤلاء الجنة
كما يقول محمد فلندخلنها قبلهم فنزلت مهطعين مسرعين نحوك مادى اعناقهم اليك مقبلين بابصارهم عليك

عزين

عزين فرقا شتى جمع عزة واصلها عزوة لان كل فرقة تعتزى الى غير من تعتزى اليه الاخرى فهم مفترقون قال الكميت
ونحن وجندل باغ تركنا • كتائب جندل شتى عزينا • وقيل كان المستهزؤن خمسة ارهط كلا انا خلقناهم مما
يعلمون فلا اقسم برب المشارق والمغارب انا لقادرون على ان نبدل خيرا منهم وما
نحن بمسبوقين فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون كلا ردع لهم
عن طمعهم في دخولهم الجنة ثم علل ذلك بقوله تعالى انا خلقناهم مما يعلمون الى آخر السورة وهو كلام دال على انكارهم البعث
فكانه قال كلا انهم منكرون للبعث والجزاء فمن اين يطمعون في دخول الجنة فان قلت من اى وجه دل هذا الكلام
على انكار البعث قلت من حيث انه احتجاج عليهم بالنشأة الاولى كالاحتجاج عليهم في مواضع من التنزيل وذلك قوله
تعالى خلقناهم مما يعلمون اى من النطف وبالقدرة على ان يهلكهم ويبدل ناسا خيرا منهم وانه ليس بمسبوق على ما يريد تكوينه
لا يعجزه شىء والغرض ان من قدر على ذلك لم تعجزه الاعادة ويجوز ان يراد انا خلقناهم مما يعلمون اى من النطفة المذرة
وهى منصبهم الذى لا منصب اوضع منه ولذلك ابهم واخفى اشعارا بانه منصب يستحيى من ذكره فمن اين يتشرفون ويدعون
التقدم ويقولون لندخلن الجنة قبلهم وقيل معناه انا خلقناهم من نطفة كما خلقنا بنى آدم كلهم ومن حكمنا ان لا يدخل
احد منهم الجنة الا بالايمان والعمل الصالح فلم يطمع ان يدخلها من ليس له ايمان وعمل وقرئ برب المشرق والمغرب
يوم يخرجون من الاجداث سراعا كانهم الى نصب يوفضون خاشعة ابصارهم ترهقهم
ذلة ذلك اليوم الذى كانوا يوعدون يخرجون ويخرجون من الاجداث سراعا بالاظهار والادغام
ونصب ونصب وهو كل ما نصب فعبد من دون الله تعالى يوفضون يسرعون الى الداعى مستبقين كما كانوا يستبقون الى انصابهم
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة سأل سائل اعطاه ثواب الذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون

سورة نوح عليه السلام

مكية وهى ثمان او تسع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر قومك
من قبل ان ياتيهم عذاب اليم قال يا قوم انى لكم نذير مبين ان اعبدوا الله واتقوه
واطيعون يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى اجل مسمى ان اجل الله اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون
ان انذر اصله بان انذر فحذف الجار واوصل الفعل وهى ان الناصبة للفعل والمعنى ارسلناه بان قلنا له انذر اى ارسلناه
بالامر بالانذار ويجوز ان تكون مفسرة لان الارسال فيه معنى القول وقرأ ابن مسعود رضى الله عنه انذر بغير ان على ارادة القول وان
اعبدوا نحو ان انذر في الوجهين فان قلت كيف قال ويؤخركم مع اخباره بامتناع تاخير الاجل وهل هذا الا تناقض قلت
قضى الله مثلا ان قوم نوح عليه السلام ان آمنوا عمرهم الف سنة وان بقوا على كفرهم اهلكهم على راس تسعمائة فقيل لهم آمنوا يؤخركم الى
اجل مسمى اى الى وقت سماه الله تعالى وضربه امدا تنتهون اليه لا تتجاوزونه وهو الوقت الاطول تمام الالف ثم اخبر انه اذا جاء ذلك
الاجل الامد لا يؤخر كما يؤخر هذا الوقت ولم يكن لكم حيلة فبادروا في اوقات الامهال والتاخير قال رب انى دعوت قومى
ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائى الا فرارا وانى كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا اصابعهم في آذانهم
واستغشوا ثيابهم واصروا واستكبروا استكبارا ثم انى دعوتهم جهارا ثم انى اعلنت
لهم واسررت لهم اسرارا ليلا ونهارا دائبا من غير فتور مستغرقا به الاوقات كلها فلم يزدهم دعائى جعل الدعاء
فاعل زيادة الفرار والمعنى على انهم ازدادوا عنده فرارا لانه سبب الزيادة ونحوه فزادتهم رجسا الى رجسهم فزادتهم ايمانا
لتغفر لهم ليتوبوا عن كفرهم فتغفر لهم فذكر المسبب الذى هو حظهم خالصا ليكون اقبح لاعراضهم عنه سدوا مسامعهم عن
استماع الدعوة واستغشوا ثيابهم وتغطوا بها كانهم طلبوا ان تغشاهم ثيابهم لئلا يبصروا كراهة النظر الى وجه
من ينصحهم في دين الله تعالى وقيل لئلا يعرفهم ويعضده قوله تعالى الا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه الا حين يستغشون
ثيابهم الاصرار من اصر الحمار على العانة اذا صر اذنيه واقبل عليها يكدمها ويطردها استعير للاقبال على المعاصى والاكباب
عليها واستكبروا واخذتهم العزة من اتباع نوح عليه السلام وذكر المصدر تاكيد ودلالة على فرط استكبارهم دعوتهم

فان قلت قد ذكر انه دعاهم ليلا ونهارا ثم دعاهم جهارا ثم دعاهم في السر والعلن فيجب ان يكون ثلاث دعوات مختلفات حتى يصح العطف **قلت** قد فعل عليه السلام كما يفعل الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر في الابتداء بالاهون والترقي في الاشد فالاشد فافتتح بالمناصحة في السر فلما لم يقبلوا ثنى بالمجاهرة فلما لم تؤثر ثلث بالجمع بين الاسرار والاعلان ومعنى ثم الدلالة على تباعد الاحوال لان الجهار اغلظ من الاسرار والجمع بين الامرين اغلظ من افراد احدهما وجهارا منصوب بدعوتهم نصب المصدر لان الدعاء احد نوعيه الجهار فنصب به نصب القرفصاء بقعد لكونها احد انواع القعود او لانه اراد بدعوتهم جاهرتهم ويجوز ان يكون صفة لمصدر دعا بمعنى دعاء جهارا اي مجاهرا به او مصدرا في موضع الحال اي مجاهرا

فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا ما لكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم اطوارا

امرهم بالاستغفار الذي هو التوبة عن الكفر والمعاصي وقدم اليهم الموعد بما هو اوقع في نفوسهم واحب اليهم من المنافع الحاضرة والفوائد العاجلة ترغيبا في الايمان وبركاته والطاعة ونتائجها من خير الدارين كما قال الله تعالى واخرى تحبونها نصر من الله ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم وقيل لما كذبوه بعد تكرير الدعوة حبس الله عنهم القطر واعقم ارحام نسائهم اربعين سنة وقيل سبعين فوعدهم انهم ان امنوا رزقهم الله الخصب ودفع عنهم ما كانوا فيه وعن عمر رضي الله تعالى عنه انه خرج يستسقي فما زاد على الاستغفار فقيل له ما رايناك استسقيت فقال لقد استسقيت بمجاديح السماء التي يستنزل بها المطر شبه الاستغفار بالانواء الصادقة التي لا تخطئ وعن الحسن ان رجلا شكى اليه الجدب فقال استغفر الله وشكى اخر اليه الفقر واخر قلة النسل واخر قلة ريع ارضه فامرهم كلهم بالاستغفار فقال له الربيع بن صبيح اتاك رجال يشكون ابوابا ويسألون انواعا فامرتهم كلهم بالاستغفار فتلا له هذه الاية والسماء المظلة لان المطر منها ينزل الى السحاب ويجوز ان يراد السحاب والمطر من قوله اذا نزل السماء بارض قوم والمدرار الكثير الدرور ومفعال مما يستوي فيه المذكر والمؤنث كقولهم رجل او امراة معطار ومتفال جنات بساتين لا ترجون لله وقارا لا تاملون له توقيرا اي تعظيما والمعنى ما لكم لا تكونون على حال تاملون فيها تعظيم الله اياكم في دار الثواب ولله بيان للموقر ولو تاخر لكان صلة للوقار وقوله تعالى وقد خلقكم اطوارا في موضع الحال كانه قال ما لكم لا تؤمنون بالله والحال هذه وهي حال موجبة للايمان به لانه خلقكم اطوارا اي تارات خلقكم اولا ترابا ثم خلقكم نطفا ثم خلقكم علقا ثم خلقكم مضغا ثم خلقكم عظاما ولحما ثم انشاكم خلقا اخر او لا تخافون لله حلما وترك معاجلة بالعقاب فتؤمنوا وقيل ما لكم لا تخافون لله عظمة وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لا تخافون لله عاقبة لان العاقبة حال استقرار الامور وثبات الثواب والعقاب من وقر اذا ثبت واستقر

الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا

نبههم على النظر في انفسهم اولا لانها اقرب منظور فيه منهم ثم على النظر في العالم وما سوي فيه من العجائب الشاهدة على الصانع الباهر قدرته وعلمه من السموات والارض والشمس والقمر فيهن في السموات وهو في السماء الدنيا لان بين السموات ملابسة من حيث انها طباق فجاز ان يقال فيهن كذا وان لم يكن في جميعهن كما يقال في المدينة كذا وهو في بعض نواحيها وعن ابن عباس وابن عمر رضي الله تعالى عنهم ان الشمس والقمر وجوههما مما يلي السماء وظهورهما مما يلي الارض وجعل الشمس سراجا يبصر اهل الدنيا في ضوئها كما يبصر اهل البيت في ضوء السراج ما يحتاجون الى ابصاره والقمر ليس كذلك انما هو نور لم يبلغ قوة ضياء الشمس ومثله قوله عز وجل هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا والضياء اقوى من النور

والله انبتكم من الارض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا والله جعل لكم الارض بساطا لتسلكوا منها سبلا فجاجا

استعير الانبات للانشاء كما يقال زرعك الله للخير وكانت هذه الاستعارة ادل على الحدوث لانهم اذا كانوا نباتا كانوا محدثين لا محالة حدوث النبات ومنه قيل للحشوية النابتة والنوابت لحدوث مذهبهم في الاسلام من غير اولية لهم فيه ومنه قولهم نجم فلان لبعض المارقة والمعنى انبتكم فنبتم نباتا او نصب بانبتكم لتضمنه معنى نبتم ثم يعيدكم فيها مقبورين ثم يخرجكم يوم القيامة واكده بالمصدر كانه قال يخرجكم حقا ولا محالة جعلها بساطا مبسوطة تتقلبون عليها كما يتقلب الرجل على بساطه فجاجا واسعة منفجة **قال نوح رب**

المجاديح جمع المجدح وهو كوكب كان يمطر عند طلوعه اكثر ما يمطر عند طلوع سائر الكواكب
ح

اتهم

انهم عصوني واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا ومكروا مكرا كبارا

واتبعوا رؤساءهم المقدمين اصحاب الاموال والاولاد وارتسموا ما رسموا لهم من التمسك بعبادة الاصنام وجعل اموالهم واولادهم التي لم تزدهم الا وجاهة ومنفعة في الدنيا زائدة خسارا في الاخرة واجرى ذلك مجرى صفة لازمة لهم وسمة يعرفون بها تحقيقا له وتثبيتا وابطالا لما سواه وقرئ وولده بضم الواو وكسرها ومكروا معطوف على لم يزده وجمع الضمير وهو راجع الى من لانه في معنى الجمع والماكرون هم الرؤساء ومكرهم احتيالهم في الدين وكيدهم لنوح عليه السلام وتحريش الناس على اذاه وصدهم عن الميل اليه والاستماع منه وقولهم لهم لا تذرن الهتكم الى عبادة رب نوح مكرا كبارا قرئ بالتخفيف والتثقيل والكبار اكبر من الكبير والكبار اكبر من الكبار ونحوه طوال وطوال **وقالوا لا تذرن الهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد اضلوا كثيرا ولا تزد الظالمين الا ضلالا**

ولا تذرن ودا كان هذه المسميات كانت اكبر اصنامهم واعظمها عندهم فخصوها بعد قولهم لا تذرن الهتكم وقد انتقلت هذه الاصنام عن قوم نوح عليه السلام الى العرب فكان ود لكلب وسواع لهمدان ويغوث لمذحج ويعوق لمراد ونسر لحمير ولذلك سمت العرب بعبد ود وعبد يغوث وقيل هي اسماء رجال صالحين وقيل كانوا من اولاد ادم عليه السلام ماتوا فقال ابليس لمن بعدهم لو صورتم صورهم وكنتم تنظرون اليهم ففعلوا فلما مات اولئك قال لمن بعدهم انهم كانوا يعبدونهم فعبدوهم وقيل كان ود على صورة رجل وسواع على صورة امراة ويغوث على صورة اسد ويعوق على صورة فرس ونسر على صورة نسر وقرئ ودا بضم الواو وقرا الاعمش ولا يغوثا ويعوقا بالصرف وهذه قراءة مشكلة لانهما عربيان او عجميان ففيهما سببا منع الصرف اما التعريف ووزن الفعل واما التعريف والعجمة ولعله قصد الازدواج فصرفهما لمصادفته اخواتهما منصرفات ودا وسواعا ونسرا كما قرئ وضحيها بالامالة لوقوعه مع الممالات للازدواج وقد اضلوا الضمير للرؤساء ومعناه وقد اضلوا كثيرا قبل هؤلاء الموصين بان يتمسكوا بعبادة الاصنام ليسوا باول من اضلوهم وقد اضلوا باضلالهم كثيرا يعني ان هؤلاء المضلين فيهم كثرة ويجوز ان يكون للاصنام كقوله تعالى انهن اضللن كثيرا من الناس **فان قلت** علام عطف قوله تعالى ولا تزد الظالمين **قلت** على قوله تعالى رب انهم عصوني على حكاية كلام نوح عليه السلام بعد قال وبعد الواو النائبة عنه ومعناه قال رب انهم عصوني وقال ولا تزد الظالمين الا ضلالا اي قال هذين القولين وهما في محل النصب لانهما مفعولا قال كقولك قال زيد نودي للصلاة وصل في المسجد تحكي قوليه معطوفا احدهما على صاحبه **فان قلت** كيف جاز ان يريد لهم الضلال ويدعو الله تعالى بزيادته **قلت** المراد بالضلال ان يخذلوا ويمنعوا الالطاف لتصميمهم على الكفر ووقوع الياس من ايمانهم وذلك حسن جميل يجوز الدعاء به بل لا يحسن الدعاء بخلافه ويجوز ان يريد بالضلال الضياع والهلاك كقوله تعالى ولا تزد الظالمين الا تبارا **مما خطيئاتهم اغرقوا فادخلوا نارا فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا**

تقديم مما خطاياهم لبيان ان لم يكن اغراقهم بالطوفان فادخالهم النار الا من اجل خطيئاتهم واكد هذا المعنى بزيادة ما وفي قراءة ابن مسعود من خطيئاتهم ما اغرقوا بتاخير الصلة وكفى بها مزجرة لمرتكب الخطايا فان كفر قوم نوح كان واحدة من خطيئاتهم وان كانت كبراهن وقد نعيت عليهم سائر خطيئاتهم كما نعي عليهم كفرهم ولم يفرق بينه وبينهن في استيجاب العذاب لئلا يتكل المسلم الخاطئ على اسلامه ويعلم ان معه ما يستوجب به العذاب وان خلا من الخطيئة الكبرى وقرئ خطيئاتهم بالهمزة وخطياتهم بقلبها ياء وادغامها وخطاياهم وخطيئتهم بالتوحيد على ارادة الجنس ويجوز ان يراد الكفر فادخلوا نارا جعل دخولهم النار في الاخرة كانه متعقب لاغراقهم لاقترابه ولانه كائن لا محالة فكانه قد كان او اريد عذاب القبر ومن مات في ماء فهو في نار او اكلته السباع والطير اصابه ما يصيب المقبور من العذاب وعن الضحاك كانوا يغرقون من جانب ويحرقون من جانب وتنكير النار اما لتعظيمها او لان الله عز وجل اعد لهم على حسب خطيئاتهم نوعا من النار فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا تعريض باتخاذهم الهة من دون الله تعالى وانها غير قادرة على نصرهم وتهكم بهم كانه قال فلم يجدوا لهم من دون الله الهة ينصرونهم ويمنعونهم من عذاب الله تعالى كقوله عز وجل ام لهم الهة تمنعهم من دوننا **وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا**

ديارا من الاسماء المستعملة في النفي العام يقال ما بالدار ديار وديور كقيام وقيوم وهو فيعال من الدور او من الدار اصله ديوار ففعل به ما فعل باصل سيد وميت ولو كان فعالا لكان دوارا **فان قلت** بم علم ان اولادهم يكفرون وكيف وصفهم بالكفر عند الولادة

قلت لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً فذاقهم وأكلهم وعرف طباعهم وأحوالهم وكان الرجل منهم ينطلق بابنه إليه ويقول له احذر هذا فإنه كذاب وإن أبي حذرنيه فيموت الكبير وينشأ الصغير على ذلك وقد أخبر الله عز وجل أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن ومعنى لا يلدوا إلا فاجراً كفاراً إلا من سيفجر ويكفر فوصفهم بما يصيرون إليه كقوله صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلاً فله سلبه • رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمناً وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين إلا تباراً • ولوالدي أبوه لمك بن متوشلخ وأمه شمخا بنت أنوش كانا مؤمنين وقيل هما آدم وحواء عليهما السلام وقرأ أمير المؤمنين الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهما ولولدي يريد ساماً وحاماً • بيتي منزلي وقيل مسجدي وقيل سفينتي خص أولاً من يتصل به لأنهم أولى وأحق بدعائه ثم عم المؤمنين والمؤمنات تباراً هلاكاً • فإن قلت ما فعل صبيانهم حين أغرقوا • قلت أغرقوا معهم لا على وجه العقاب ولكن كما يموتون بالأنواع من أسباب الهلاك وكم منهم من يموت بالغرق والحرق وكان ذلك زيادة في عذاب الآباء والأمهات إذا أبصروا أطفالهم يغرقون ومنه قوله صلى الله عليه وسلم يهلكون مهلكاً واحداً ويصدرون مصادر شتى • وعن الحسن أنه سئل عن ذلك فقال علم الله تعالى براءتهم فأهلكهم بغير عذاب • وقيل أعقم الله تعالى أرحام نسائهم وأيبس أصلاب رجالهم قبل الطوفان بأربعين وسبعين سنة فلم يكن معهم صبي حين أغرقوا • عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة نوح عليه السلام كان من المؤمنين الذين تدركهم دعوة نوح عليه السلام ۵

سورة الجن

مكية وهي ثمان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم • قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجباً • يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً • وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولداً • قرئ أحي وأصله وحي يقال أوحى إليه ووحى إليه فقلبت الواو همزة كما يقال أعد وأزن وإذا الرسل أقتت وهو من القلب المطلق جوازه في كل واو مضمومة وقد أطلقه المازني في المكسورة أيضاً كإشاح وإسادة وإعاء أخيه • وقرأ ابن أبي عبلة وحى على الأصل • أنه استمع بالفتح لأنه فاعل أوحي • وإنا سمعنا بالكسر لأنه مبتدأ محكي بعد القول ثم تحمل عليهما البواقي فما كان من الوحي فتح وما كان من قول الجن كسر وكلهن من قولهم إلا الثنتين الأخريين وأن المساجد وأنه لما قام ومن فتح كلهن فعطفاً على محل الجار والمجرور في آمنا به كأنه قيل صدقناه وصدقنا أنه تعالى جد ربنا وأنه كان يقول سفيهنا وكذلك البواقي • نفر من الجن جماعة منهم ما بين الثلاثة إلى العشرة • وقيل كانوا من الشيصبان وهم أكثر الجن عدداً وعامة جنود إبليس منهم • قالوا إنا سمعنا أي قالوا لقومهم حين رجعوا إليهم كقوله تعالى فلما قضي ولوا إلى قومهم منذرين قالوا إنا سمعنا قرآناً كتاباً عجباً بديعاً مبايناً لسائر الكتب في حسن نظمه وصحة معانيه قائمة فيه دلائل الإعجاز • وعجب مصدر يوضع موضع العجيب وفيه مبالغة وهو ما خرج عن حد أشكاله ونظائره • يهدي إلى الرشد يدعو إلى الصواب وقيل إلى التوحيد والإيمان • والضمير في به للقرآن ولما كان الإيمان به إيماناً بالله عز وجل وبوحدانيته وبراءة من الشرك قالوا ولن نشرك بربنا أحداً أي ولن نعود إلى ما كنا عليه من الإشراك به في طاعة الشيطان • ويجوز أن يكون الضمير لله عز وجل لأن قوله تعالى بربنا يفسره • جد ربنا عظمته من قولك جد فلان في عيني أي عظم • وفي حديث عمر رضي الله تعالى عنه كان الرجل منا إذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا • وروي في أعيننا • أو ملكه وسلطانه أو غناه استعارة من الجد الذي هو الدولة والبخت لأن الملوك والأغنياء هم المجدودون • والمعنى وصفه بالتعالي عن الصاحبة والولد لعظمته أو لسلطانه وملكوته أو لغناه • وقوله ما اتخذ صاحبة ولا ولداً بيان لذلك • وقرئ جداً ربنا على التمييز وجد بالكسر أي صدق ربوبيته وحق إلهيته عن اتخاذ الصاحبة والولد • وذلك أنهم لما سمعوا القرآن ووفقوا للتوحيد والإيمان تنبهوا على الخطأ فيما اعتقده كفرة الجن من تشبيه الله تعالى بخلقه واتخاذه صاحبة وولداً فاستعظموه ونزهوه • وأنه كان يقول سفيهنا على الله شططاً • وأنا ظننا أن لن تقول الإنس والجن على الله كذباً • وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً • سفيههم إبليس عليه اللعنة أو غيره من مردة الجن • والشطط مجاوزة الحد في الظلم وغيره ومنه أشط في السوم

إذا أبعد فيه أي يقول قولاً هو في نفسه شطط لفرط ما أشط فيه وهو نسبة الصاحبة والولد إلى الله تعالى وكان في ظننا أن أحداً من الثقلين لن يكذب على الله تعالى ولن يفتري عليه ما ليس بحق فكنا نصدقهم فيما أضافوا إليه من ذلك حتى تبين لنا بالقرآن كذبهم وافتراؤهم • كذباً قولاً كذباً أي مكذوباً فيه أو نصب نصب المصدر لأن الكذب نوع من القول • ومن قرأ أن لن تقول وضع كذباً موضع تقولاً ولم يجعله صفة لأن التقول لا يكون إلا كذباً • الرهق غشيان المحارم والمعنى أن الإنس باستعاذتهم بهم زادوهم كبراً وكفراً • وذلك أن الرجل من العرب كان إذا أمسى بواد قفر في بعض مسايره قال أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه يريد الجن وكبيرهم فإذا سمعوا بذلك استكبروا وقالوا سدنا الجن والإنس فذلك رهقهم أو فزاد الإنس الجن رهقاً بإغوائهم وإضلالهم لاستعاذتهم بهم • وأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحداً • وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً • وأنهم وإن الإنس ظنوا كما ظننتم وهو من كلام الجن يقوله بعضهم لبعض • وقيل الآيتان من جملة الوحي والضمير في أنهم ظنوا للجن والخطاب في ظننتم لكفار قريش • اللمس المس فاستعير للطلب لأن الماس طالب متعرف • قال • مسسنا من الآباء شيئاً وكلنا • إلى نسب في قومه غير واضح • يقال لمسه والتمسه وتلمسه كطلبه وأطلبه وتطلبه ونحوه الجس وقولهم جسوه بأعينهم وتجسسوه • والمعنى طلبنا بلوغ السماء واستماع كلام أهلها • والحرس اسم مفرد في معنى الحراس كالخدم في معنى الخدام ولذلك وصف بشديد ولو ذهب إلى معناه لقيل شداداً ونحوه • أخشى رجيلاً أو ركيباً غادياً • لأن الرجل والركب مفردان في معنى الرجال والركاب • وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً • وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشداً • والرصد مثل الحرس اسم جمع للراصد على معنى ذوي شهاب راصدين بالرجم وهم الملائكة الذين يرجمونهم بالشهب ويمنعونهم من الاستماع • ويجوز أن يكون صفة للشهاب بمعنى الراصد أو كقوله • ومعى جياعاً • يعني يجد شهاباً راصداً له ولأجله • فإن قلت كأن الرجم لم يكن في الجاهلية وقد قال الله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين فذكر فائدتين في خلق الكواكب التزيين ورجم الشياطين • قلت قال بعضهم حدث بعد مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو إحدى آياته والصحيح أنه كان قبل المبعث وقد جاء ذكره في شعر أهل الجاهلية • قال بشر بن أبي حازم • والعير يرهقها الغبار وجحشها • ينقض خلفهما انقضاض الكوكب • وقال أوس بن حجر • فانقض كالدري يتبعه • نقع يثور تخاله طنباً • وقال عوف بن الخرع • يرد علينا العير من دون إلفه • أو الثور كالدري يتبعه الدم • ولكن الشياطين كانت تسترق في بعض الأحوال فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كثر الرجم وزاد زيادة ظاهرة حتى تنبه لها الإنس والجن ومنع الاستراق أصلاً • وعن معمر قلت للزهري أكان يرمى بالنجوم في الجاهلية قال نعم قلت أرأيت قوله تعالى وأنا كنا نقعد فقال غلظت وشدد أمرها حين بعث النبي صلى الله عليه وسلم • وروى الزهري عن علي بن الحسين عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهم بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في نفر من الأنصار إذ رمي بنجم فاستنار فقال ما كنتم تقولون في مثل هذا في الجاهلية فقالوا كنا نقول يموت عظيم أو يولد عظيم • وفي قوله تعالى ملئت دليل على أن الحادث هو الملء والكثرة • وكذلك قوله تعالى نقعد منها مقاعد أي كنا نجد فيها بعض المقاعد خالية من الحرس والشهب والآن ملئت المقاعد كلها • وهذا ذكر ما حملهم على الضرب في البلاد حتى عثروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم واستمعوا قراءته يقولون لما حدث هذا الحادث من كثرة الرجم ومنع الاستراق قلنا ما هذا إلا لأمر أراده الله تعالى بأهل الأرض ولا يخلو من أن يكون شراً أو رشداً أي خيراً من عذاب أو رحمة أو من خذلان أو توفيق • وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قدداً • وأنا ظننا أن لن نعجز الله في الأرض ولن نعجزه هرباً • منا الصالحون الأبرار المتقون ومنا دون ذلك ومنا قوم دون ذلك فحذف الموصوف كقوله تعالى وما منا إلا له مقام معلوم • وهم المقتصدون في الصلاح غير الكاملين فيه أو أراد الطالحين • كنا طرائق قدداً بيان للقسمة المذكورة أي كنا ذوي مذاهب متفرقة مختلفة أو كنا في اختلاف أحوالنا مثل الطرائق المختلفة أو كنا في طرائق مختلفة كقوله • كما عسل الطريق الثعلب • أو كانت طرائقنا طرائق قدداً على حذف المضاف الذي هو الطرائق وإقامة المضاف إليه مقامه • والقدة من قد كالقطعة من قطع ووصفت الطرائق بالقدد لدلالتها على معنى التقطع والتفرق • في الأرض وهرباً حالان أي لن نعجزه كائنين في الأرض أينما كنا فيها ولن نعجزه هاربين منها إلى السماء • وقيل لن نعجزه في الأرض إن أراد بنا أمراً ولن نعجزه هرباً إن طلبنا • والظن بمعنى اليقين وهذه صفة أحوال الجن وما هم عليه من أحوالهم وعقائدهم منهم أخيار وأشرار ومقتصدون وأنهم يعتقدون أن الله تعالى عزيز غالب لا يفوته

كان جرواد على حين غفلت حوالبه غزراً ومجاجيا عا ۵

فيه كما عسل الطريق الثعلب ۵

يطلب ولا ينجي عنه هرب **وأنا لما سمعنا الهدى آمنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا**
رهقا لما سمعنا الهدى هو سماعهم القرآن وإيمانهم به فلا يخاف فهو لا يخاف أي فهو غير خائف ولأن الكلام في تقدير
مبتدأ وخبر دخلت الفاء ولولا ذلك لقيل لا يخف **فإن قلت** أي فائدة في رفع الفعل وتقدير مبتدأ قبله حتى يقع
خبرا له ووجب إدخال الفاء وكان ذلك كله مستغنى عنه بأن يقال لا يخف **قلت** الفائدة فيه أنه إذا فعل ذلك فكأنه
قيل فهو لا يخاف فكان دالا على تحقيق أن المؤمن ناج لا محالة وأنه هو المختص بذلك دون غيره وقرأ الأعمش فلا يخف على النهي
بخسا ولا رهقا أي جزاء بخس ولا رهق لأنه لم يبخس أحدا حقا ولا رهق ظلم أحد فلا يخاف جزاءهما وفيه دلالة على أن من حق من
آمن بالله أن يجتنب المظالم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم المؤمن من أمنه الناس على أنفسهم ودمائهم وأموالهم ويجوز أن
يراد فلا يخاف أن يبخس بل يجزى الجزاء الأوفى ولا أن يرهقه ذلة من قوله سبحانه وتعالى **وترهقهم ذلة** **وأنا منا المسلمون**
ومنا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا
القاسطون الكافرون الجائرون عن طريق الحق وعن سعيد بن جبير رضي الله تعالى عنه أن الحجاج قال له حين أراد قتله ما تقول في قال قاسط
عادل فقال القوم ما أحسن ما قال حسبوا أنه يصفه بالقسط والعدل فقال الحجاج يا جهلة إنه سماني ظالما مشركا وتلا لهم قوله تعالى
وأما القاسطون وقوله تعالى ثم الذين كفروا بربهم يعدلون وقد زعم من لا يرى للجن ثوابا أن الله تعالى أوعد قاسطيهم
وما وعد مسلميهم وكفى به وعدا أن قال فأولئك تحروا رشدا فذكر سبب الثواب وموجبه والله أعدل من أن يعاقب القاسط
ولا يثيب الراشد **وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا لنفتنهم فيه ومن**
يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا وأن لو استقاموا أن مخففة من الثقيلة وهو من جملة الموحى والمعنى
وأوحي إلي أن الشأن والحديث لو استقام الجن على الطريقة المثلى أي لو ثبت أبوهم الجان على ما كان عليه من عبادة الله
والطاعة ولم يستكبر عن السجود لآدم عليه السلام ولم يكفر وتبعه ولده على الإسلام لأنعمنا عليهم ولوسعنا رزقهم وذكر
الماء الغدق وهو الكثير بفتح الدال وكسرها وقرئ بهما لأنه أصل المعاش وسعة الرزق لنفتنهم فيه لنختبرهم فيه كيف
يشكرون ما خولوا فيه ويجوز أن يكون معناه وأن لو استقام الجن الذين استمعوا على طريقتهم التي كانوا عليها قبل الاستماع
ولم ينتقلوا عنها إلى الإسلام لوسعنا عليهم الرزق مستدرجين لهم لنفتنهم فيه لتكون النعمة سببا في اتباعهم شهواتهم
ووقوعهم في الفتنة وازديادهم إثما أو لنعذبهم في كفران النعمة عن ذكر ربه عن عبادته أو عن موعظته أو عن وحيه
يسلكه وقرئ بالنون مفتوحة ومضمومة أي ندخله عذابا والأصل يسلكه في عذاب كقوله تعالى ما سلككم في سقر فعدي إلى
مفعولين إما بحذف الجار وإيصال الفعل كقوله تعالى واختار موسى قومه وإما بتضمينه معنى ندخله يقال سلكه وأسلكه
قال حتى إذا أسلكوهم في قتائدة والصعد مصدر صعد يقال صعد صعدا وصعودا فوصف به العذاب لأنه يتصعد المعذب
أي يعلوه ويغلبه فلا يطيقه ومنه قول عمر رضي الله تعالى عنه ما تصعدني شيء ما تصعدتني خطبة النكاح يريد ما شق علي ولا غلبني
وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا وأن المساجد من جملة الوحي وقيل معناه ولأن
المساجد لله فلا تدعوا على أن اللام متعلقة بلا تدعوا أي فلا تدعوا مع الله أحدا في المساجد لأنها لله تعالى خاصة
ولعبادته وعن الحسن يعني الأرض كلها لأنها جعلت للنبي صلى الله عليه وسلم مسجدا وقيل المراد بها المسجد الحرام لأنه قبلة
المساجد ومنه قوله عز وجل ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وعن قتادة كان اليهود والنصارى
إذا دخلوا بيعهم وكنائسهم أشركوا بالله تعالى فأمرنا أن نخلص لله الدعوة إذا دخلنا المساجد وقيل المساجد أعضاء السجود
السبعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أسجد على سبعة آراب وهي الجبهة والأنف واليدان والركبتان والقدمان
وقيل هي جمع مسجد وهو السجود **وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا**
عبد الله النبي صلى الله تعالى عليه وسلم **فإن قلت** هلا قيل رسول الله أو النبي **قلت** لأن تقديره وأوحي إلي
أنه لما قام عبد الله فلما كان واقعا في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم جيء به على ما يقتضيه التواضع والتذلل أو لأن المعنى
أن عبادة عبد الله لله ليست بأمر مستبعد عن العقل ولا مستنكر حتى يكونوا عليه لبدا ومعنى قام يدعوه قام يعبده يريد قيامه
لصلاة الفجر بنخلة حين أتاه الجن فاستمعوا القراءة كادوا يكونون عليه لبدا أي يزدحمون عليه متراكمين تعجبا مما رأوا من عبادته
واقتداء أصحابه به قائما وراكعا وساجدا وإعجابا بما تلا من القرآن لأنهم رأوا ما لم يروا مثله وسمعوا ما لم يسمعوا بنظيره

وقيل معناه لما قام رسولا يعبد الله وحده مخالفا للمشركين في عبادتهم الآلهة من دونه كاد المشركون لتظاهرهم عليه وتعاونهم
على عداوته يزدحمون عليه متراكمين لبدا جمع لبدة وهي ما تلبد بعضه على بعض ومنها لبدة الأسد وقرئ لبدا واللبدة
في معنى اللبدة ولبدا جمع لابد كساجد وسجد ولبدا بضمتين جمع لبود كصبور وصبر وعن قتادة تلبدت الإنس
والجن على هذا الأمر ليطفئوه فأبى الله تعالى إلا أن ينصره ويظهره على من ناواه ومن قرأ وإنه بالكسر جعله من كلام الجن
قالوه لقومهم حين رجعوا إليهم حاكين ما رأوا من صلاته وازدحام أصحابه عليه في ائتمامهم به **قال إنما أدعو ربي**
ولا أشرك به أحدا قل إني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا قال للمتظاهرين عليه إنما أدعو ربي يريد ما أتيتكم
بأمر منكر إنما أعبد ربي وحده ولا أشرك به أحدا وليس ذلك مما يوجب إطباقكم على مقتي وعداوتي أو قال الجن عند ازدحامهم
متعجبين ليس ما ترون من عبادتي الله تعالى ورفضي الإشراك به بأمر يتعجب منه إنما يتعجب ممن يدعو غير الله ويجعل له شريكا
أو قال الجن لقومهم ذلك حكاية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا رشدا ولا نفعا أراد بالضر الغي ويدل عليه قراءة أبي
غيا ولا رشدا والمعنى لا أستطيع أن أضركم وأن أنفعكم وإنما الضار والنافع الله تعالى أو لا أستطيع أن أقسركم على الغي
والرشد إنما القادر على ذلك الله عز وجل إلا بلاغا استثناء منه أي لا أملك إلا بلاغا من الله تعالى **قل إني لن**
يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا إلا بلاغا من الله ورسالاته
ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا وقل إني لن يجيرني جملة معترضة
اعترض بها لتأكيد نفي الاستطاعة عن نفسه وبيان عجزه على أن الله تعالى إن أراد به سوءا من مرض أو موت أو غيرهما لم يصح
أن يجيره منه أحد أو يجد من دونه ملاذا يأوي إليه والملتحد الملتجأ وأصله المفتعل من اللحد وقيل محيصا ومعدلا وقرئ قال
لا أملك أي قال عبد الله للمشركين أو للجن ويجوز أن يكون من حكاية الجن لقومهم وقيل بلاغا بدل من ملتحدا أي لن أجد من
دونه ملجأ إلا أن أبلغ عنه ما أرسلني به وقيل إلا هي إن لا ومعناه إن لا أبلغ بلاغا كقولك إن لا قياما فقعودا ورسالاته عطف
على بلاغا كأنه قيل لا أملك لكم إلا التبليغ والرسالات والمعنى إلا أن أبلغ عن الله فأقول قال الله كذا ناسبا القول إليه
وأن أبلغ رسالاته التي أرسلني بها من غير زيادة ولا نقصان **فإن قلت** ألا يقال بلغ عنه ومنه قوله
صلى الله عليه وسلم بلغوا عني بلغوا عني **قلت** من ليست بصلة للتبليغ إنما هي بمنزلة من في قوله تعالى براءة من الله
بمعنى بلاغا كائنا من الله وقرئ فإن له نار جهنم على فأن له نار جهنم كقوله تعالى فأن لله خمسه وقال خالدين حملا على
معنى الجمع في من **حتى إذا رأوا ما يوعدون فسيعلمون من أضعف ناصرا وأقل عددا**
فإن قلت بم تعلق حتى وجعل ما بعده غاية له **قلت** بقوله يكونون عليه لبدا على أنهم يتظاهرون
عليه بالعداوة ويستضعفون أنصاره ويستقلون عدده حتى إذا رأوا ما يوعدون من يوم بدر وإظهار الله
له عليهم أو من يوم القيامة فسيعلمون حينئذ أنهم أضعف ناصرا وأقل عددا ويجوز أن يتعلق بمحذوف دلت عليه الحال
من استضعاف الكفار له واستقلالهم لعدده كأنه قال لا يزالون على ما هم عليه حتى إذا رأوا ما يوعدون
قل إن أدري أقريب ما توعدون أم يجعل له ربي أمدا عالم الغيب فلا يظهر على
غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول قال المشركون متى يكون هذا الموعود إنكارا له فقيل
إنه كائن لا ريب فيه فلا تنكروه فإن الله تعالى وعد ذلك وهو لا يخلف الميعاد وأما وقته فلا أدري متى يكون لأن الله
عز وجل لم يبينه لما رأى في إخفاء وقته من المصلحة **فإن قلت** ما معنى قوله تعالى أم يجعل له ربي أمدا والأمد يكون قريبا
وبعيدا ألا ترى إلى قوله عز وعلا تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا **قلت** كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستقرب
الموعد فكأنه قال ما أدري أهو حال متوقع في كل ساعة أم مؤجل ضربت له غاية أي هو عالم الغيب فلا يطلع فلا يظهر من رسول
تبيين لمن ارتضى يعني أنه لا يطلع على الغيب إلا المرتضى الذي هو مصطفى للنبوة خاصة لا كل مرتضى وفي هذا إبطال الكرامات
لأن الذين تضاف إليهم وإن كانوا أولياء مرتضين فليسوا برسل وقد خص الله تعالى الرسل من بين المرتضين بالاطلاع
على الغيب وإبطال الكهانة والتنجيم لأن أصحابهما أبعد شيء من الارتضاء وأدخله في السخط **فإنه يسلك من بين يديه**
ومن خلفه رصدا ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى
كل شيء عددا فإنه يسلك من بين يدي من ارتضى للرسالة ومن خلفه رصدا حفظة من الملائكة يحفظونه من الشياطين

ليس فيه دليل على بطلان الكرامات لأن الكلام مسوق فيما يتعلق بالنبوة والرسالة من الوحي والإخبار عن أمور غائبة تتعلق بالنبوة والرسالة ٥

يطردونهم عنه ويعصمونه من وساوسهم وتخاليطهم حتى يبلغ ما اوحي به اليه • وعن الضحاك ما بعث نبي الا ومعه ملائكة يحرسونه
من الشياطين ان يتشبهوا بصورة الملك ليعلم الله ان قد ابلغوا رسالات ربهم يعني الانبياء عليهم السلام وحد ولا على اللفظ
في قوله تعالى من بين يديه ومن خلفه ثم جمع على المعنى في قوله تعالى فان له نار جهنم خالدين والمعنى ليبلغوا رسالات ربهم كما هي
محروسة من الزيادة والنقصان وذكر العلم كذكره في قوله تعالى حتى نعلم المجاهدين منكم وقرئ ليعلم على البناء للمفعول واحاط
بما لديهم بما عند الرسل من الحكم والشرائع لا يفوته منها شيء ولا ينسى منها حرفا فهو مهيمن عليها حافظ لها واحصى كل شيء عددا
من القطر والرمل وورق الاشجار وزبد البحار فكيف لا يحيط بما عند الرسل من وحيه وكلامه وعددا حال اي وضبط كل شيء معدودا
محصورا او مصدر في معنى احصاء • عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الجن كان له بعدد كل جني صدق محمدا او كذب به عتق رقبة

سورة المزمل

مكية وهي تسع عشرة او عشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها المزمل قم الليل الا قليلا • نصفه
او انقص منه قليلا • او زد عليه ورتل القرآن ترتيلا • المزمل المتزمل هو الذي تزمل في ثيابه اي تلفف
بها بادغام التاء في الزاي ونحوه المدثر في المتدثر وقرئ المتزمل على الاصل والمزمل بتخفيف الزاي وفتح الميم وكسرها على انه اسم
فاعل او مفعول من زمله وهو الذي زمله غيره او زمل نفسه • وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم نائما بالليل متزملا في قطيفة فنبه ونودي
بما يهجن اليه الحالة التي كان عليها من التزمل في قطيفته واستعداده للاستثقال في النوم كما يفعل من لا يهمه امر ولا يعنيه شأن
الا ترى الى قول ذي الرمة • وكائن تخطت ناقتي من مفازة • ومن نائم عن ليلها متزمل • يريد الكسلان المتقاعس الذي لا ينهض
في معاظم الامور وكفايات الخطوب ولا يحمل نفسه المشاق والمتاعب ونحوه • سهدا اذا ما نام ليل الهوجل • وفي امثالهم اوردها
سعد وسعد مشتمل • ما هكذا توردها يا سعد الابل • فذمه بالاشتمال بكسائه وجعل ذلك خلاف الجلد والكيس وامر بان يختار على الهجود التهجد
وعلى التزمل التشمر والتخفف للعبادة والمجاهدة في الله تعالى لا جرم ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تشمر لذلك مع اصحابه
حق التشمر واقبلوا على احياء لياليهم ورفضوا له الرقاد والدعة وتجاهدوا فيه حتى انتفخت اقدامهم واصفرت الوانهم وظهرت
السيمى في وجوههم وترامى امرهم الى حد رحمهم له ربهم فخفف عنهم • وقيل كان متزملا في مرط لعائشة رضي الله تعالى عنها يصلي فهو على
هذا ليس بتهجين بل هو ثناء عليه وتحسين لحاله التي كان عليها وامر بان يدوم على ذلك ويواظب عليه • وعن عائشة رضي الله تعالى عنها
انها سئلت ما كان تزميله قالت كان مرطا طوله اربع عشرة ذراعا نصفه علي وانا نائمة ونصفه عليه وهو يصلي فسئلت ما كان
قالت والله ما كان خزا ولا قزا ولا مرعزي ولا ابريسما ولا صوفا كان سداه شعرا ولحمته وبرا • وقيل دخل على خديجة رضي الله
تعالى عنها وقد جئث فرقا اول ما اتاه جبريل عليه السلام وبوادره ترعد فقال زملوني زملوني وحسب انه عرض له فبينا هو على
ذلك اذ ناداه جبريل عليه السلام فقال يا ايها المزمل • وعن عكرمة معناه يا ايها الذي زمل امرا عظيما اي حمله والزمل الحمل وازدمله
احتمله وقرئ قم الليل بضم الميم وفتحها قال عثمان بن جني الغرض بهذه الحركة التبلغ بها هربا من التقاء الساكنين فباي حركة
تحرك فقد وقع الغرض • نصفه بدل من الليل والا قليلا استثناء من النصف كانه قيل قم اقل من نصف الليل والضمير في منه وعليه
للنصف والمعنى التخيير بين امرين بين ان يقوم اقل من نصف الليل على البت وبين ان يختار احد الامرين وهما النقصان
من النصف والزيادة عليه وان شئت جعلت نصفه بدلا من قليلا وكان تخييرا بين ثلاث بين قيام النصف بتمامه وبين قيام
الناقص منه وبين قيام الزائد عليه وانما وصف النصف بالقلة بالنسبة الى الكل • وان شئت قلت لما كان معنى قم الليل الا قليلا
نصفه اذا ابدلت النصف من الليل قم اقل من نصف الليل رجع الضمير في منه وعليه الى الاقل من النصف فكانه قيل قم اقل من نصف الليل
او قم انقص من ذلك الاقل او ازيد منه قليلا فيكون التخيير فيما وراء النصف بينه وبين الثلث ويجوز اذا ابدلت نصفه من قليلا
وفسرته به ان تجعل قليلا الثاني بمعنى نصف النصف وهو الربع كانه قيل او انقص منه قليلا نصفه وتجعل المزيد على
هذا القليل اعني الربع كانه قيل او زد عليه قليلا نصفه • ويجوز ان تجعل الزيادة لكونها مطلقة تتمة الثلث فيكون تخييرا بين
النصف والثلث والربع • فان قلت أكان القيام فرضا او نفلا قلت عن عائشة رضي الله تعالى عنها ان الله
تعالى جعله تطوعا بعد ان كان فريضة • وقيل كان فرضا قبل ان تفرض الصلوات الخمس ثم نسخ بهن الا ما تطوعوا به

فاتت به حوش الفؤاد مبطنا

وعن الحسن رحمه الله تعالى كان قيام ثلث الليل فريضة وكانوا على ذلك سنة • وقيل كان واجبا وانما وقع التخيير
في المقدار ثم نسخ بعد عشر سنين • وعن الكلبي كان يقوم الرجل حتى يصبح مخافة ان لا يحفظ بين النصف والثلث والثلثين
ومنهم من قال كان نفلا بدليل التخيير في المقدار ولقوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك • ترتيل القرآن قراءته على ترسل
وتؤدة بتبيين الحروف واشباع الحركات حتى يجيء المتلو منه شبيها بالثغر المرتل وهو المفلج المشبه بنور الاقحوان وان لا يهذه
هذا ولا يسرده سردا كما قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه شر السير الحقحقة وشر القراءة الهذرمة حتى يشبه المتلو في تتابعه
الثغر الالص • وسئلت عائشة رضي الله تعالى عنها عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا كسردكم هذا لو اراد السامع
ان يعد حروفه لعدها • ترتيلا تاكيد في ايجاب الامر به وانه ما لا بد منه للقارئ • انا سنلقي عليك قولا ثقيلا •
هذه الآية اعتراض ويعني بالقول الثقيل القرآن وما فيه من الاوامر والنواهي التي هي تكاليف شاقة ثقيلة على المكلفين
خاصة على رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه متحملها بنفسه ومحملها امته فهي اثقل عليه وابهظ له واراد بهذا الاعتراض انما
كلفه من قيام الليل من جملة التكاليف الثقيلة الصعبة التي ورد بها القرآن لان الليل وقت السبات والراحة والهدوء
فلا بد لمن احياه من مضادة لطبعه ومجاهدة لنفسه • وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كان اذا نزل عليه الوحي ثقل عليه
وتربد له جلده • وعن عائشة رضي الله تعالى عنها رايته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليرفض عرقا •
وعن الحسن رحمه الله تعالى ثقيل في الميزان • وقيل ثقيل على المنافقين • وقيل كلام له وزن ورجحان ليس بالسفساف
ان ناشئة الليل هي اشد وطأ واقوم قيلا • ناشئة الليل النفس الناشئة بالليل التي تنشأ من
مضجعها الى العبادة اي تنهض وترتفع من نشأت السحابة اذا ارتفعت ونشأ من مكانه ونشز اذا نهض قال
نشأنا الى خوص برى نيها السرى • والصق منها مشرفات القماحد • او قيام الليل على ان الناشئة مصدر من نشأ اذا
قام ونهض على فاعلة كالعافية • ويدل عليه ما روي عن عبيد بن عمير قلت لعائشة رضي الله تعالى عنها رجل قام من اول الليل
اتقولين له قام ناشئة قالت لا انما الناشئة القيام بعد النوم ففسرت الناشئة بالقيام عن المضجع او العبادة التي
تنشأ بالليل اي تحدث وترتفع وقيل الساعات الاول منه • وعن علي بن الحسين رضي الله تعالى عنهما انه كان يصلي بين المغرب
والعشاء ويقول اما سمعتم قول الله تعالى ان ناشئة الليل هي اشد وطأ هي خاصة دون ناشئة النهار اشد مواطأة
يواطئ قلبها لسانها ان اردت النفس او يواطئ فيها قلب القائم لسانه ان اردت القيام او العبادة او الساعات او اشد
موافقة لما يراد من الخشوع والاخلاص • وعن الحسن رحمه الله تعالى اشد موافقة بين السر والعلانية لانقطاع رؤية الخلائق
وقرئ اشد وطأ بالكسر والفتح اشد ثبات قدم وابعد من الزلل او اثقل واغلظ على المصلي من صلوة النهار من قوله صلى الله
عليه وسلم اللهم اشدد وطأتك على مضر • واقوم قيلا واشد مقالا واثبت قراءة لهدو الاصوات • وعن انس رضي الله تعالى عنه
انه قرأ واصوب قيلا فقيل له يا ابا حمزة انما هي واقوم قيلا فقال ان اقوم واصوب واهيأ واحد • وروى ابو زيد الانصاري
عن ابي سرار الغنوي انه كان يقرأ فحاسوا بالحاء غير معجمة فقيل له انما هو جاسوا بالجيم فقال جاسوا وحاسوا واحد
ان لك في النهار سبحا طويلا • سبحا تصرفا وتقلبا في مهماتك وشواغلك ولا تفرغ الا بالليل فعليك بمناجاة الله
التي تقتضي فراغ البال وانتفاء الشواغل فاما القراءة بالخاء فاستعارة من سبخ الصوف وهو نفشه ونشر اجزائه
لانتشار الهم وتفرق القلب بالشواغل كلفه قيام الليل ثم ذكر الحكمة فيما كلفه منه وهو ان الليل اعون على المواطأة واشد
للقراءة لهدو الرجل وخفوت الصوت وانه اجمع للقلب واضم لنشر الهم من النهار لانه وقت تفرق الهموم وتوزع الخواطر
والتقلب في حوائج المعاش والمعاد • وقيل فراغا وسعة لنومك وتصرفك في حوائجك • وقيل ان فاتك من الليل شيء
فلك في النهار فراغ تقدر على تداركه فيه • واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا • ودم على ذكر ربك
في ليلك ونهارك واحرص عليه وذكر الله تعالى يتناول كل ما كان من ذكر طيب تسبيح وتهليل وتكبير وتمجيد وتوحيد وصلوة وقراءة
قرآن ودراسة علم وغير ذلك مما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغرق به ساعات ليله ونهاره وتبتل اليه وانقطع اليه
فان قلت كيف قيل تبتيلا مكان تبتلا قلت لان معنى تبتل بتل نفسه فجيء به على معناه مراعاة لحق الفواصل
رب المشرق والمغرب لا اله الا هو فاتخذه وكيلا • واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا
جميلا • رب المشرق والمغرب قرئ مرفوعا على المدح ومجرورا على البدل من ربك • وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما على القسم

بإضمار حرف القسم كقولك الله لأفعلن وجوابه لا إله إلا هو كما تقول والله لا أحد في الدار إلا زيد وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما
رب المشارق والمغارب فاتخذه وكيلا مسبب عن التهليلة لأنه هو وحده هو الذي يجب لتوحده بالربوبية أن توكل إليه الأمور
وقيل وكيلا كفيلا بما وعدك من النصر والإظهار الهجر الجميل أن يجانبهم بقلبه وهواه ويخالفهم مع حسن المخالقة والمداراة والإغضاء
والمكافأة وعن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه إنا لنكشر في وجوه قوم ونضحك إليهم وإن قلوبنا لتقليهم وقيل هو منسوخ بآية السيف

وذرني والمكذبين أولي النعمة ومهلهم قليلا • إن لدينا أنكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا أليما •

إذا عرف الرجل من صاحبه أنه مستهم بخطب يريد أن يكفاه أو بعدو يشتهي أن ينتقم له منه
وهو مضطلع بذلك مقتدر عليه قال ذرني وإياه أي لا تحتاج إلى الظفر بمرادك ومشتهاك إلا أن تخلي بيني وبينه بأن تكل أمره
إلي وتستكفينيه فإن في ما يفرغ بالك ويجلي همك وليس ثم منع حتى يطلب إليه أن يذره وإياه إلا ترك الاستكفاء
والتفويض كأنه إذا لم يكل إليه أمره فكأنه منعه منه فإذا وكله إليه فقد أزال المنع وتركه وإياه وفيه دليل على الوثوق بأنه
يتمكن من الوفاء بأقصى ما تدور حوله أمنية المخاطب وبما يزيد عليه النعمة بالفتح التنعم وبالكسر الإنعام وبالضم المسرة يقال نعم ونعمة
عين وهم صناديد قريش وكانوا أهل تنعم وترفه إن لدينا ما يضاد تنعمهم من أنكال وهي القيود الثقال عن الشعبي إذا
ارتفعوا استفلت بهم الواحد نكل ونكل ومن جحيم وهي النار الشديدة الحر والاتقاد ومن طعام ذي غصة وهو الذي ينشب في
الحلوق فلا يساغ يعني الضريع وشجر الزقوم ومن عذاب أليم من سائر العذاب فلا ترى موكولا إليه أمرهم موذورا بينه وبينهم ينتقم
منهم بمثل ذلك الانتقام وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية فصعق وعن الحسن أنه أمسى صائما فأتي بطعام فعرضت
هذه الآية فقال ارفعه ووضع عنده الليلة الثانية فعرضت له فقال ارفعه وكذلك الثالثة فأخبر ثابت البناني ويزيد الضبي
ويحيى البكاء فجاءوا إليه فلم يزالوا به حتى شرب شربة من سويق

يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيبا مهيلا • إنا أرسلنا إليكم رسولا شاهدا عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذا وبيلا •

يوم ترجف منصوب بما في لدينا والرجفة الزلزلة والزعزعة الشديدة والكثيب الرمل
المجتمع من كثب الشيء إذا جمعه كأنه فعيل بمعنى مفعول في أصله ومنه الكثبة من اللبن قال الصاعدي * أجحفالا واحلب
كثبا عجالا * أي كانت مثل رمل مجتمع هيل هيلا أي نثر وأسيل الخطاب لأهل مكة شاهدا عليكم يشهد عليكم يوم القيامة بكفركم
وتكذيبكم **فإن قلت** لم نكر الرسول ثم عرف **قلت** لأنه أراد أرسلنا إلى فرعون بعض الرسل فلما أعاده وهو
معهود بالذكر أدخل لام التعريف إشارة إلى المذكور بعينه وبيلا ثقيلا غليظا من قولهم كلأ وبيل وخيم لا يستمرأ لثقله والوبيل العصا
الضخمة ومنه الوابل للمطر العظيم

فكيف تتقون إن كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا • السماء منفطر به كان وعده مفعولا •

يوما مفعول به أي فكيف تتقون أنفسكم يوم القيامة وهوله إن بقيتم على الكفر
ولم تؤمنوا وتعملوا صالحا ويجوز أن يكون ظرفا أي فكيف لكم بالتقوى في يوم القيامة إن كفرتم في الدنيا ويجوز أن ينتصب بكفرتم
على تأويل جحدتم أي فكيف تتقون الله وتخشونه إن جحدتم يوم القيامة والجزاء لأن تقوى الله تعالى خوف عقابه ويجعل من
شيبا مثل في الشدة يقال في اليوم الشديد يوم يشيب نواصي الأطفال والأصل فيه أن الهموم والأحزان إذا تفاقمت على الإنسان
أسرع فيه الشيب قال أبو الطيب * والهم يخترم الجسيم نحافة * ويشيب ناصية الصبي ويهرم * وقد مر بي في بعض الكتب أن رجلا أمسى
فاحم الشعر كحنك الغراب فأصبح وهو أبيض الرأس واللحية كالثغامة فقال أريت القيامة والجنة والنار في المنام ورأيت الناس يقادون
في السلاسل إلى النار فمن هول ذلك أصبحت كما ترون ويجوز أن يوصف اليوم بالطول وأن الأطفال يبلغون فيه أوان الشيخوخة والشيب
السماء منفطر به وصف لليوم بالشدة أيضا وأن السماء على عظمها وإحكامها تنفطر فيه فما ظنك بغيرها من الخلائق وقرئ منفطر ومتفطر
والمعنى ذات انفطار أو على تأويل السماء بالسقف أو السماء شيء منفطر والباء في به مثلها في قولك فطرت العود بالقدوم فانفطر به
يعني أنها تنفطر بشدة ذلك اليوم وهوله كما ينفطر الشيء بما يفطر به ويجوز أن يراد السماء مثقلة به إثقالا يؤدي إلى انفطارها لعظمه
عليها وخشيتها من وقوعه كقوله تعالى ثقلت في السماوات والأرض وعده من إضافة المصدر إلى المفعول والضمير لليوم ويجوز أن يكون
مضافا إلى الفاعل وهو الله تعالى ولم يجر له ذكر لكونه معلوما

إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا • إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك

إن هذه الآيات الناطقة بالوعيد الشديد تذكرة موعظة فمن شاء اتعظ بها واتخذ سبيلا إلى الله عز وجل بالتقوى والخشية ومعنى اتخاذ

السبيل

السبيل إليه التقرب والتوسل بالطاعة أدنى من ثلثي الليل أقل منهما وإنما استعير الأدنى وهو الأقرب للأقل لأن المسافة
بين الشيئين إذا دنت قل ما بينهما من الأحياز وإذا بعدت كثر ذلك وقرئ ونصفه وثلثه بالنصب على أنك تقوم أقل من
الثلثين وتقوم النصف والثلث وهو مطابق لما مر في أول السورة من التخيير بين قيام النصف بتمامه وبين قيام الناقص منه
وبين قيام الثلث وهو الزائد عليه وهو الأدنى من الثلثين وقرئ ونصفه وثلثه بالجر أي تقوم أقل من الثلثين وأقل من النصف والثلث
وهو مطابق للتخيير بين النصف وهو أدنى من الثلثين والثلث وهو أدنى من النصف والربع وهو أدنى من الثلث وهو الوجه الأخير
وطائفة من الذين معك ويقوم ذلك جماعة من أصحابك

والله يقدر الليل والنهار علم أن لن تحصوه فتاب عليكم فاقرءوا ما تيسر من القرآن علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله فاقرءوا ما تيسر منه

والله يقدر الليل والنهار ولا يقدر على تقدير الليل والنهار ومعرفة مقادير ساعاتهما إلا الله وحده وتقدم اسمه عز وجل مبتدأ
مبنيا عليه يقدر هو الدال على معنى الاختصاص بالتقدير والمعنى أنكم لا تقدرون عليه والضمير في لن تحصوه لمصدر يقدر أي علم
أنه لا يصح منكم ضبط الأوقات ولا يتأتى حسابها بالتعديل والتسوية إلا أن تأخذوا بالأوسع للاحتياط وذلك شاق عليكم بالغ
منكم فتاب عليكم عبارة عن الترخيص في ترك القيام المقدر كقوله تعالى فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن والمعنى
أنه رفع التبعة في تركه عنكم كما رفع التبعة عن التائب وعبر عن الصلاة بالقراءة لأنها بعض أركانها كما عبر عنها بالقيام والركوع
والسجود يريد فصلوا ما تيسر عليكم ولم يتعذر من صلاة الليل وهذا ناسخ للأول ثم نسخا جميعا بالصلوات الخمس وقيل هي قراءة
القرآن بعينها قيل يقرأ مائة آية ومن قرأ مائة آية في ليلة لم يحاجه القرآن وقيل من قرأ مائة آية كتب من القانتين
وقيل خمسين آية وقد بين الحكمة في النسخ وهي تعذر القيام على المرضى والضاربين في الأرض للتجارة والمجاهدين في سبيل الله
وقيل سوى الله عز وجل بين المجاهدين والمسافرين لكسب الحلال وعن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه أيما رجل
جلب شيئا إلى مدينة من مدائن المسلمين صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه كان عند الله تعالى من الشهداء وعن عبد الله
ابن عمر رضي الله تعالى عنهما ما خلق الله تعالى موتة أموتها بعد القتل في سبيل الله أحب إلي من أن أموت بين شعبتي رحل
أضرب في الأرض أبتغي من فضل الله تعالى وعلم استئناف على تقدير السؤال عن وجه النسخ

وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأقرضوا الله قرضا حسنا وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا واستغفروا الله إن الله غفور رحيم

وأقيموا الصلاة يعني المفروضة والزكاة الواجبة وقيل زكاة الفطر لأنه لم يكن بمكة زكاة وإنما وجبت بعد ذلك
ومن فسرها بالزكاة الواجبة جعل آخر السورة مدنيا وأقرضوا الله قرضا حسنا يجوز أن يريد سائر الصدقات
وأن يريد الزكاة على أحسن وجه من إخراج أطيب المال وأعوده على الفقراء ومراعاة النية وابتغاء وجه الله تعالى
والصرف إلى المستحق وأن يريد كل شيء يفعل من الخير مما يتعلق بالنفس والمال هو خيرا ثاني مفعولي وجد وهو فصل وجاز
وإن لم يقع بين معرفتين لأن أفعل من أشبه في امتناعه من حرف التعريف المعرفة وقرأ أبو السمال هو خير وأعظم أجرا
بالرفع على الابتداء والخبر عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة المزمل دفع الله عنه العسر في الدنيا والآخرة

سورة المدثر مكية

وهي ست وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم • يا أيها المدثر قم فأنذر • وربك فكبر • وثيابك فطهر • والرجز فاهجر • ولا تمنن تستكثر • ولربك فاصبر •

المدثر لابس الدثار وهو ما فوق الشعار وهو الثوب الذي يلي الجسد ومنه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم الأنصار
شعار والناس دثار وقيل هي أول سورة نزلت روى جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال كنت على جبل حراء فنوديت يا محمد إنك رسول الله فنظرت عن يميني ويساري فلم أر شيئا فنظرت فوقي
فرأيت شيئا وفي رواية عائشة رضي الله تعالى عنها فنظرت فوقي فإذا به قاعد على عرش بين السماء والأرض يعني الملك

الذي ناداه فرعبت فرجعت الى خديجة فقلت دثروني دثروني فنزل جبريل عليه السلام وقال يا ايها المدثر
وعن الزهري اول ما نزل سورة اقرأ باسم ربك الى قوله تعالى ما لم يعلم فحزن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فجعل يعلو
شواهق الجبال فاتاه جبريل فقال انك نبي الله فرجع الى خديجة رضي الله تعالى عنها فقال دثروني وصبوا علي ماء باردا فنزل
يا ايها المدثر وقيل سمع من قريش ما كرهه فاغتم فتغطى بثوبه متفكرا كما يفعل المغموم فامر ان لا يدع انذارهم
وان اسمعوه وآذوه وعن عكرمة انه قرأ على لفظ المفعول من دثره وقال دثرت هذا الامر وعصب بك كما قال
في المزمل قم من مضجعك او قم قيام عزم وتصميم فانذر فحذر قومك من عذاب الله ان لم يؤمنوا والصحيح ان المعنى فافعل
الانذار من غير تخصيص له باحد وربك فكبر واختص ربك بالتكبير وهو الوصف بالكبرياء وان يقال الله اكبر
ويروى انه لما نزل قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الله اكبر فكبرت خديجة وفرحت وايقنت انه الوحي وقد يحمل على
تكبير الصلوة ودخلت الفاء لمعنى الشرط كانه قيل وما كان فلا تدع تكبيره وثيابك فطهر امر بان تكون ثيابه طاهرة
من النجاسات لان طهارة الثياب شرط في الصلوة لا تصح الا بها وهي الاولى والاحب في غير الصلوة وقبيح بالمؤمن
الطيب ان يحمل خبثا وقيل هو امر بتقصيرها ومخالفة العرب في تطويلهم الثياب وجرهم الذيول وذلك مما لا يؤمن
معه اصابة النجاسة وقيل هو امر بتطهير النفس مما يستقذر من الافعال ويستهجن من العادات يقال فلان طاهر الثياب
وطاهر الجيب والذيل والاردان اذا وصفوه بالنقاء من المعايب ومدانس الاخلاق وفلان دنس الثياب للغادر وذلك لان
الثوب يلابس الانسان ويشتمل عليه فكني به عنه الا ترى الى قولهم اعجبني زيد ثوبه كما يقولون اعجبني زيد عقله وخلقه ويقولون
المجد في ثوبه والكرم تحت حلته ولان الغالب ان من طهر باطنه ونقاه عني بتطهير الظاهر وتنقيته وابى الا اجتناب الخبث وايثار
الطهر في كل شيء والرجز قرئ بالكسر والضم وهو العذاب ومعناه اهجر ما يؤدي اليه من عبادة الاوثان وغيرها من المآثم والمعنى
الثبات على هجره لانه عليه الصلوة والسلام كان بريئا منه قرأ الحسن ولا تمنن وتستكثر مرفوع منصوب المحل على الحال اي ولا
تعط مستكثرا رائيا لما تعطيه كثيرا او طالبا للكثير نهي عن الاستغزار وهو ان يهب شيئا وهو يطمع ان يتعوض من الموهوب له
اكثر من الموهوب وهذا جائز ومنه الحديث المستغزر يثاب من هبته وفيه وجهان احدهما ان يكون نهيا خاصا برسول الله
صلى الله عليه وسلم لان الله عز وجل اختار له اشرف الآداب واحسن الاخلاق والثاني ان يكون نهي تنزيه لا تحريم له ولامته
وقرأ الحسن تستكثر بالسكون وفيه ثلثة اوجه الابدال من تمنن كانه قيل ولا تمنن لا تستكثر على انه من المن في قوله عز وجل ثم
لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى لان من شان المنان بما يعطي ان يستكثره اي يراه كثيرا ويعتد به وان يشبه ثرو بعضد
فيسكن تخفيفا وان يعتبر حال الوقف وقرأ الاعمش بالنصب باضمار ان كقوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى
ويؤيده قراءة ابن مسعود ولا تمنن ان تستكثر ويجوز في الرفع ان تحذف ويبطل عملها كما روي احضر الوغى بالرفع ولربك فاصبر
ولوجه الله تعالى فاستعمل الصبر وقيل على اذى المشركين وقيل على اداء الفرائض وعن النخعي على عطيتك كانه وصله
بما قبله وجعله صبرا على العطاء من غير استكثار ويجوز ان يكون امرا بنفس الفعل وان يتناول على العموم كل مصبور عليه ومصبور عنه
ويراد الصبر على اذى الكفار لانه احد ما يتناوله العام **فاذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين**
غير يسير والفاء في قوله تعالى فاذا نقر للتسبيب كانه قال اصبر على اذاهم فبين ايديهم يوم عسير يلقون فيه عاقبة
اذاهم وتلقى عاقبة صبرك عليه والفاء في فذلك للجزاء **فان قلت** بم انتصب اذا وكيف صح ان يقع يومئذ ظرفا
ليوم عسير **قلت** انتصب اذا بما دل عليه الجزاء لان المعنى فاذا نقر في الناقور عسر الامر على الكافرين والذي اجاز وقوع يومئذ
ليوم عسير ان المعنى فذلك وقت النقر وقوع يوم عسير لان يوم القيمة يأتي ويقع حين ينقر في الناقور واختلف في انها
النقرة الاولى ام الثانية ويجوز ان يكون يومئذ مبنيا مرفوع المحل بدلا من ذلك ويوم عسير خبر كانه قيل فيوم النقر يوم
عسير **فان قلت** فما فائدة قوله تعالى غير يسير وعسير مغن عنه **قلت** لما قال على الكافرين فقصر
العسر عليهم قال غير يسير ليؤذن بانه لا يكون عليهم كما يكون على المؤمنين يسيرا هينا ليجمع بين وعيد الكافرين وزيادة
غيظهم وبشارة المؤمنين وتسليتهم ويجوز ان يراد انه عسير لا يرجى ان يرجع يسيرا كما يرجى تيسير العسير من امور الدنيا
ذرني ومن خلقت وحيدا وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا وحيدا حال من الله عز وجل
على معنيين احدهما ذرني وحدي معه فانا اجزيك في الانتقام منه عن كل منتقم والثاني خلقته وحدي لم يشركني في خلقه احد وحال

من المخلوق على معنى خلقته وهو وحيد فريد لا مال له ولا ولد كقوله عز وعلا ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة وقيل نزلت في
الوليد بن المغيرة المخزومي وكان يلقب في قومه بالوحيد ولعله لقب بذلك بعد نزول الآية فان كان ملقبا به قبل فهو تهكم به وبلقبه
وتغيير له عن الغرض الذي كانوا يؤمونه من مدحه والثناء عليه بانه وحيد قومه لرياسته ويساره وتقدمه في الدنيا الى وجه الذم
والعيب وهو انه خلق وحيدا لا مال له ولا ولد فآتاه الله تعالى ذلك فكفر بنعمة الله تعالى واشرك به واستهزأ بدينه ممدودا مبسوطا
كثيرا او ممدودا بالنماء من مد النهر ومده نهر آخر قيل كان له الزرع والضرع والتجارة وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
هو ما كان له بين مكة والطائف من صنوف الاموال وقيل كان له بستان بالطائف لا ينقطع ثماره صيفا وشتاء وقيل
كان له الف مثقال وقيل اربعة آلاف وقيل تسعة آلاف وقيل الف الف وعن ابن جريج غلة شهر بشهر وبنين شهودا
حضورا معه بمكة لا يفارقونه للتصرف في عمل او تجارة لانهم مكفيون لوفور نعمة ابيهم واستغنائهم عن التكسب وطلب المعاش
بانفسهم فهو مستأنس بهم لا يشتغل قلبه بغيبتهم وخوف معاطب السفر عليهم ولا يحزن لفراقهم والاشتياق اليهم ويجوز ان يكون
معناه انهم رجال يشهدون معه المجامع والمحافل او تسمع شهادتهم فيما يتحاكم فيه وعن مجاهد كان له عشرة بنين وقيل
ثلثة عشر وقيل سبعة كلهم رجال الوليد بن الوليد وخالد وعمارة وهشام والعاص وقيس وعبد شمس اسلم
منهم ثلثة خالد وهشام وعمارة **ومهدت له تمهيدا ثم يطمع ان ازيد كلا انه كان**
لآياتنا عنيدا سأرهقه صعودا ومهدت له تمهيدا وبسطت له الجاه العريض والرياسة
في قومه فاتممت عليه نعمتي الجاه والمال واجتماعهما هو الكمال عند اهل الدنيا ومنه قول الناس ادام الله تأييدك
وتمهيدك يريدون زيادة الجاه والحشمة وكان الوليد من وجهاء قريش وصناديدهم ولذلك لقب الوحيد وريحانة
قريش ثم يطمع استبعاد واستنكار لطمعه وحرصه يعني انه لا مزيد على ما اوتي سعة وكثرة وقيل انه كان يقول ان
كان محمد صادقا فما خلقت الجنة الا لي كلا ردع له وقطع لرجائه وطمعه انه كان لآياتنا عنيدا تعليل للردع على وجه
الاستيناف كان قائلا قال لم لا يزاد فقيل انه جحد آيات المنعم وكفر بذلك نعمته والكافر لا يستحق المزيد ويروى انه
ما زال بعد نزول هذه الآية في نقصان من ماله حتى هلك سأرهقه صعودا سأغشيه عقبة شاقة المصعد وهو مثل لما
يلقى من العذاب الصعب الذي لا يطاق وعن النبي صلى الله عليه وسلم يكلف ان يصعد عقبة في النار كلما وضع يده عليها ذابت
فاذا رفعها عادت واذا وضع رجله ذابت فاذا رفعها عادت وعنه صلى الله عليه وسلم الصعود جبل من نار يصعد فيه
سبعين خريفا ثم يهوي فيه كذلك ابدا **انه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر**
ثم نظر ثم عبس وبسر ثم ادبر واستكبر انه فكر تعليل للوعيد كان الله تعالى عاجله بالفقر بعد الغنى
والذل بعد العز في الدنيا لعناده ويعاقبه في الآخرة باشد العذاب وافظعه لبلوغه بالعناد غايته واقصاه في تفكيره
وتسميته القرآن سحرا ويجوز ان تكون كلمة الردع متبوعة بقوله سأرهقه صعودا ردا لزعمه ان الجنة لم تخلق الا له واخبارا
بانه من اشد اهل النار عذابا ويعلل ذلك بعناده ويكون قوله تعالى انه فكر بدلا من قوله انه كان لآياتنا عنيدا بيانا لكنه
عناده ومعناه فكر ماذا يقول في القرآن وقدر في نفسه ما يقوله وهيأه فقتل كيف قدر تعجب من تقديره واصابته
فيه المحز ورميه الغرض الذي كان تنتحيه قريش او ثناء عليه على طريقة الاستهزاء به او هي حكاية لما كرروه من قولهم قتل
كيف قدر تهكما بهم وباعجابهم بتقديره واستعظامهم لقوله ومعنى قول القائل قتله الله ما اشجعه واخزاه الله ما اشعره
الاشعار بانه بلغ المبلغ الذي هو حقيق بان يحسد ويدعو عليه حاسده بذلك روي ان الوليد قال لبني مخزوم والله لقد
سمعت من محمد آنفا كلاما ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله
لمغدق وانه يعلو وما يعلى فقالت قريش صبأ والله الوليد والله ليصبأن قريش كلهم فقال ابو جهل انا اكفيكموه فقعد اليه حزينا
وكلمه بما احماه فقام فاتاهم فقال تزعمون ان محمدا مجنون فهل رأيتموه يخنق وتقولون انه كاهن فهل رأيتموه قط يتكهن
وتزعمون انه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعرا قط وتزعمون انه كذاب فهل جربتم عليه شيئا من الكذب فقالوا في كل ذلك اللهم لا
ثم قالوا فما هو ففكر **فقال ان هذا الا سحر يؤثر ان هذا الا قول البشر** فقال ما هو الا ساحر
اما رأيتموه يفرق بين الرجل واهله وولده ومواليه وما الذي يقوله الا سحر يأثره عن مسيلمة وعن اهل بابل فارتج النادي فرحا
وتفرقوا متعجبين بقوله متعجبين منه ثم نظر في وجوه الناس ثم قطب وجهه ثم زحف مدبرا وتشاوس مستكبرا لما خطرت بباله

الكلمة الشنعاء وهم ان يرمى بها وصف اشكاله التي تشكل بها حتى استنبط ما استنبط استهزاء به وقيل قدر ما يقوله ثم نظر
فيه ثم عبس لما ضاقت عليه الحيل ولم يدر ما يقول وقيل قطب في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ادبر عن الحق واستكبر
عنه فقال ما قال وثم نظر عطف على فكر وقدر والدعاء اعتراض بينهما فان قلت ما معنى ثم الداخلة في تكرير
الدعاء قلت الدلالة على ان الكرة الثانية ابلغ من الاولى ونحوه قوله • الا يا اسلمي ثم اسلمي ثمت اسلمي فان قلت
فما معنى المتوسط بين الافعال التي بعدها قلت الدلالة على انه قد تأنى في التأمل وتمهل وكان بين الافعال المتناسقة تراخ
وتباعد فان قلت فلم قيل فقال ان هذا بالفاء بعد عطف ما قبله بثم قلت لان الكلمة لما خطرت بباله بعد التطلب
لم يتمالك ان نطق بها من غير تلبث فان قلت فلم لم يوسط حرف العطف بين الجملتين قلت لان الاولى
جرت من الاولى مجرى التوكيد من المؤكد • ساصليه سقر • وما ادراك ما سقر • لا تبقي ولا
تذر • لواحة للبشر • عليها تسعة عشر • ساصليه سقر بدل من سارهقه صعودا لا تبقي
شيئا يلقى فيها الا اهلكته واذا هلك لم تذره هالكا حتى يعاد ولا تبقي على شيء ولا تدعه من الهلاك بل كلما طرح فيها اهلكته
لا محالة لواحة من لوح الهجير قال • تقول ما لاحك يا مسافر • يا ابنة عمي لاحني الهواجر • قيل تلفح الجلد لفحة فتدعه
اشد سوادا من الليل والبشر اعلى الجلود وعن الحسن رحمه الله تعالى تلوح للناس كقوله عز وجل ثم لترونها عين اليقين وقرئ
لواحة نصبا على الاختصاص للتهويل عليها تسعة عشر اي يلي امرها ويتسلط على اهلها تسعة عشر ملكا وقيل صنفا من
الملائكة وقيل صفا وقيل نقيبا وقرئ تسعة عشر بسكون العين لتوالي الحركات فيما هو في حكم اسم واحد وقرئ تسعة أعشر
جمع عشير مثل يمين وايمن جعلهم ملائكة لانهم خلاف جنس المعذبين من الجن والانس فلا يأخذهم ما يأخذ المجانس من الرقة
والرأفة ولا يستروحون اليهم ولانهم اقوم خلق الله تعالى بحق الله وبالغضب له فتؤمن هوادتهم ولانهم اشد الخلق بأسا واقواهم
بطشا عن عمرو بن دينار واحد منهم يدفع بالدفعة الواحدة في جهنم اكثر من ربيعة ومضر وعن النبي صلى الله عليه وسلم كأن اعينهم
البرق وكأن افواههم الصياصي يجرون اشعارهم لاحدهم مثل قوة الثقلين يسوق احدهم الامة وعلى رقبته جبل فيرمي بهم في النار
ويرمي بالجبل عليهم وروي انها لما نزلت عليها تسعة عشر قال ابو جهل لعنه الله لقريش ثكلتكم امهاتكم اسمع ابن ابي كبشة يخبركم ان خزنة
النار تسعة عشر وانتم الدهم البهم أيعجز كل عشرة منكم ان يبطشوا برجل منهم فقال ابو الاشد بن اسيد بن كلدة الجمحي انا اكفيكم
سبعة عشر فاكفوني انتم اثنين • وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة وما جعلنا عدتهم
الا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين اوتوا الكتاب ويزداد الذين امنوا ايمانا ولا
يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون • وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة اي ما جعلناهم رجالا
من جنسكم يطاقون فان قلت قد جعل افتتان الكافرين بعدة الزبانية سببا لاستيقان اهل الكتاب
وزيادة ايمان المؤمنين واستهزاء الكافرين والمنافقين فما وجه صحة ذلك قلت ما جعل افتتانهم بالعدة سببا
لذلك وذلك ان المراد بقوله تعالى وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا وما جعلنا عدتهم الا تسعة عشر فوضع فتنة
للذين كفروا موضع تسعة عشر لان حال هذه العدة الناقصة واحدا من عقد العشرين ان يفتتن بها من لا يؤمن بالله
وبحكمته ويعترض ويستهزئ ولا يذعن اذعان المؤمن وان خفي عليه وجه الحكمة كأنه قيل ولقد جعلنا عدتهم عدة من شأنها
ان يفتتن بها لاجل استيقان المؤمنين وحيرة الكافرين واستيقان اهل الكتاب لان عدتهم تسعة عشر في الكتابين
فاذا سمعوا بمثلها في القرآن ايقنوا انه منزل من الله تعالى وازدياد المؤمنين ايمانا لتصديقهم بذلك كما صدقوا سائر ما انزل
ولما رأوا من تسليم اهل الكتاب وتصديقهم انه كذلك فان قلت لم قال تعالى ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون
والاستيقان وازدياد الايمان دالا على انتفاء الارتياب قلت لانه اذا جمع لهم اثبات اليقين ونفي الشك
كان ابلغ وآكد لوصفهم بسكون النفس وثلج الصدر ولان فيه تعريضا بحال من عداهم كأنه قال ولتخالف حالهم حال الشاكين
المرتابين من اهل النفاق والكفر • وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا اراد
الله بهذا مثلا • فان قلت الذين في قلوبهم مرض هم المنافقون والسورة مكية ولم يكن بمكة نفاق
وانما نجم بالمدينة قلت معناه وليقول المنافقون الذين ينجمون في مستقبل الزمان بالمدينة بعد الهجرة والكافرون
بمكة ماذا اراد الله بهذا مثلا وليس في ذلك الا اخبار بما سيكون كسائر الاخبارات بالغيوب وذلك لا يخالف كون

السورة

السورة مكية ويجوز ان يراد بالمرض الشك والارتياب لان اهل مكة كان اكثرهم شاكين وبعضهم قاطعين بالكذب فان قلت
قد جعل جعلهم تسعة عشر سببا للاستيقان وانتفاء الارتياب وقول المنافقين والكافرين ما قالوا فهب ان الاستيقان وانتفاء
الارتياب يصح ان يكونا غرضين فكيف صح ان يكون قول المنافقين والكافرين غرضا قلت افادت اللام معنى العلة
والسبب ولا يجب في العلة ان تكون غرضا الا ترى الى قولك خرجت من البلد مخافة الشر فقد جعلت المخافة علة لخروجك وما
هي بغرضك مثلا تمييز لهذا او حال منه كقوله تعالى هذه ناقة الله لكم آية فان قلت لم سموه مثلا قلت
هو استعارة من المثل المضروب لانه مما غرب من الكلام وبدع استغرابا منهم لهذا العدد والعجيب اي غرض قصد في ان جعل
الملائكة تسعة عشر لا عشرين سواء ومرادهم انكاره من اصله وانه ليس من عند الله وانه لو كان من عند الله لما جاء بهذا العدد الناقص
كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وما يعلم جنود ربك الا هو وما هي
الا ذكرى للبشر • الكاف في كذلك نصب وذلك اشارة الى ما قبله من معنى الاضلال والهدى اي مثل ذلك المذكور
من الاضلال والهدى يضل الكافرين ويهدي المؤمنين يعني يفعل فعلا حسنا مبنيا على الحكمة والصواب فيراه المؤمنون حكمة
ويذعنون له لاعتقادهم ان افعال الله عز وجل كلها حسنة وحكمة فيزيدهم ايمانا وينكره الكافرون ويشكون فيه فيزيدهم
كفرا وضلالا • وما يعلم جنود ربك وما عليه كل جند من العدد الخاص من كون بعضها على عقد كامل وبعضها على عدد ناقص
وما في اختصاص كل جند بعدده من الحكمة الا هو ولا سبيل لاحد الى معرفة ذلك كما لا يعرف الحكمة في اعداد السموات والارضين
وايام السنة والشهور والبروج والكواكب واعداد النصب والحدود والكفارات والصلوات في الشريعة او وما يعلم جنود
ربك لفرط كثرتها الا هو فلا يعز عليه تتميم الخزنة عشرين ولكن له في هذا العدد الخاص حكمة لا تعلمونها وهو يعلمها وقيل
هو جواب لقول ابي جهل لعنه الله تعالى اما لرب محمد اعوان الا تسعة عشر وما جعلنا اصحاب النار الى قوله تعالى الا هو
اعتراض وقوله تعالى وما هي الا ذكرى متصل بوصف سقر وهي ضميرها اي وما سقر وصفتها الا تذكرة للبشر او ضمير الآيات
التي ذكرت فيها • كلا والقمر • والليل اذ ادبر • والصبح اذا اسفر • انها لاحدى الكبر
نذيرا للبشر • كلا انكار بعد ان جعلها ذكرى ان يكون لهم ذكرى لانهم لا يتذكرون او ردع لمن ينكر ان يكون
احدى الكبر نذيرا ودبر بمعنى ادبر كقبل بمعنى اقبل ومنه صاروا كامس الدابر وقيل هو من دبر الليل النهار اذا خلفه وقرئ
اذا ادبر انها لاحدى الكبر جواب القسم او تعليل لكلا والقسم معترض للتوكيد والكبر جمع الكبرى جعلت الف التأنيث كتائها فكما جمعت
فعلة على فعل جمعت فعلى عليها ونظير ذلك السوافي في جمع السافياء والقواصع في جمع القاصعاء كانها جمع فاعلة اي لاحدى
البلايا او الدواهي الكبر ومعنى كونها احداهن انها من بينهن واحدة في العظم لا نظيرة لها كما تقول هو احد الرجال وهي احدى النساء
ونذيرا تمييز من احدى على معنى انها لاحدى الدواهي انذارا كما تقول هي احدى النساء عفافا وقيل هي حال وقيل هو متصل
باول السورة يعني قم نذيرا وهو من بدع التفاسير وفي قراءة ابي نذير بالرفع خبر بعد خبر لان او بحذف المبتدا
لمن شاء منكم ان يتقدم او يتأخر • كل نفس بما كسبت رهينة • الا اصحاب اليمين
ان يتقدم في موضع الرفع بالابتداء ولمن شاء خبر مقدم عليه كقولك لمن توضأ ان يصلي ومعناه مطلق لمن شاء
التقدم او التأخر ان يتقدم او يتأخر والمراد بالتقدم والتأخر السبق الى الخير والتخلف عنه وهو كقوله تعالى فمن شاء
فليؤمن ومن شاء فليكفر ويجوز ان يكون لمن شاء بدلا من للبشر على انها منذرة للمكلفين الممكنين الذين ان شاؤوا تقدموا
ففازوا وان شاؤوا تأخروا فهلكوا • رهينة ليست بتأنيث رهين في قوله تعالى كل امرئ بما كسب رهين لتأنيث
النفس لانه لو قصدت الصفة لقيل رهين لان فعيلا بمعنى مفعول يستوي فيه المذكر والمؤنث وانما هي اسم بمعنى الرهن
كالشتيمة بمعنى الشتم كانه قيل كل نفس بما كسبت رهن ومنه بيت الحماسة • ابعد الذي بالنعف نعف كويكب • رهينة رمس
ذي تراب وجندل • كانه قال رهن رمس والمعنى كل نفس رهن بكسبها عند الله تعالى غير مفكوك الا اصحاب اليمين فانهم
فكوا عنه رقابهم بما اطابوه من كسبهم كما يخلص الراهن رهنه باداء الحق وعن علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه انه فسر
اصحاب اليمين بالاطفال لانهم لا اعمال لهم يرتهنون بها وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هم الملائكة • في جنات
يتساءلون عن المجرمين • ما سلككم في سقر • قالوا لم نك من المصلين • ولم نك
نطعم المسكين • وكنا نخوض مع الخائضين • وكنا نكذب بيوم الدين • حتى اتانا اليقين

في جنات النعيم اي هم في جنات لا يكتنه وصفها يتساءلون عن المجرمين يسأل بعضهم بعضا عنهم او يتساءلون غيرهم عنهم
كقولك دعوته وتداعيناه فان قلت كيف طابق قوله تعالى ما سلككم وهو سؤال للمجرمين قوله يتساءلون عن المجرمين وهو
سؤال عنهم وانما كان يتطابق ذلك لو قيل يتساءلون المجرمين ما سلككم قلت ما سلككم ليس ببيان للتساؤل عنهم وانما هو
حكاية قول المسؤلين عنهم لان المسؤلين يلقون الى السائلين ما جرى بينهم وبين المجرمين فيقولون قلنا لهم ما سلككم في سقر
قالوا لم نك من المصلين الا ان الكلام جيء به على الحذف والاختصار كما هو نهج التنزيل في غرابة نظمه الخوض الشروع في الباطل وما لا ينبغي
فان قلت لم يسألونهم وهم عالمون بذلك قلت توبيخا لهم وتحسيرا وليكون حكاية الله تعالى ذلك في كتابه تذكرة
للسامعين وقد عضد بعضهم تفسير اصحاب اليمين بالاطفال انهم انما سألوهم لانهم ولدان لا يعرفون موجب دخول النار
فان قلت اريد ان كل واحد منهم بمجموع هذه الاربع دخل النار ام دخلها بعضهم بهذه وبعضهم بهذه قلت
يحتمل الامرين جميعا فان قلت لم اخر التكذيب وهو اعظمها قلت اراد انهم بعد ذلك كله كانوا مكذبين
بيوم الدين تعظيما للتكذيب كقوله تعالى ثم كان من الذين آمنوا واليقين الموت ومقدماته فما تنفعهم شفاعة
الشافعين فما لهم عن التذكرة معرضين كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة
اي لو شفع لهم الشافعون جميعا من الملائكة والنبيين وغيرهم لم تنفعهم شفاعتهم لان الشفاعة لمن ارتضاه الله عز وجل وهم مسخوط
عليهم وفيه دليل على ان الشفاعة تنفع يومئذ لانها تزيد في درجات المرتضين عن التذكرة عن التذكير وهو العظة
يريد القرآن وغيره من المواعظ ومعرضين نصب على الحال كقولك ما لك قائما والمستنفرة الشديدة النفار كأنها تطلب النفار
من نفوسها في جمعها له وحملها عليه وقرئ بالفتح وهي المنفرة المحمولة على النفار والقسورة جماعة الرماة الذين يتصيدونها
وقيل الاسد يقال ليوث قساور وهي فعولة من القسر وهو القهر والغلبة وفي وزنه الحيدرة من اسماء الاسد وعن ابن عباس ركز
الناس واصواتهم وعن عكرمة ظلمة الليل شبههم في اعراضهم عن القرآن واستماع الذكر والموعظة وشرادهم عنه بحمر جدت في
نفارها مما افزعها وفي تشبيههم بالحمر مذمة ظاهرة وتهجين لحالهم كما في قوله تعالى كمثل الحمار يحمل اسفارا وشهادة عليهم بالبله وقلة العقل
ولا ترى مثل نفار حمير الوحش واطرادها في العدو اذا رابها رائب ولذلك كان اكثر تشبيهات العرب في وصف الابل وشدة سيرها
بالحمر وعدوها اذا وردت ماء فاحست عليه بقانص بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة كلا بل
لا يخافون الآخرة كلا انه تذكرة صحفا منشرة قراطيس تنشر وتقرأ كالكتب التي يتكاتب بها او كتبا كتبت في السماء
ونزلت بها الملائكة ساعة كتبت منشرة على ايديها غضة رطبة لم تطو بعد وذلك انهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لن نتبعك
حتى تأتي كل واحد منا بكتب من السماء عنوانها من رب العالمين الى فلان بن فلان نؤمر فيها باتباعك ونحوه قوله تعالى لن نؤمن لرقيك حتى
تنزل علينا كتابا نقرؤه وقال تعالى ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بايديهم الآية وقيل قالوا ان كان محمد صادقا
فليصبح عند رأس كل رجل منا صحيفة فيها براءته وامنه من النار وقيل كانوا يقولون بلغنا ان الرجل من بني اسرائيل كان يصبح مكتوبا على رأسه
ذنبه وكفارته فأتنا بمثل ذلك وهذا من الصحف المنشرة بمعزل الا ان يراد بالصحف المنشرة الكتابات المكشوفة الظاهرة وقرأ سعيد بن جبير
صحفا منشرة بتخفيفهما على ان انشر الصحف ونشرها واحد كانزله ونزله ردعهم بقوله كلا عن تلك الارادة وزجرهم عن اقتراح الآيات
ثم قال بل لا يخافون الآخرة فلذلك اعرضوا عن التذكرة لا لامتناع ايتاء الصحف ثم ردعهم عن اعراضهم عن التذكرة وقال انه تذكرة يعني
تذكرة بليغة كافية مبهم امرها في الكفاية فمن شاء ذكره وما يذكرون الا ان يشاء الله هو اهل التقوى
واهل المغفرة فمن شاء ان يذكره ولا ينساه ويجعله نصب عينيه فعل فان نفع ذلك راجع اليه والضمير في انه وذكره
للتذكرة في قوله تعالى فما لهم عن التذكرة معرضين وانما ذكر لانها في معنى الذكر او القرآن وما يذكرون الا ان يشاء الله الا ان يقسرهم
على الذكر ويلجئهم اليه لانهم مطبوع على قلوبهم معلوم انهم لا يؤمنون اختيارا هو اهل التقوى واهل المغفرة هو حقيق بان يتقيه عباده
ويخافوا عقابه فيؤمنوا ويطيعوا وحقيق بان يغفر لهم اذا آمنوا واطاعوا وروى انس رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم هو اهل
ان يتقى واهل ان يغفر لمن اتقاه وقرئ تذكرون بالتاء والياء مخففا ومشددا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المدثر اعطاه الله عشر حسنات
بعدد من صدق بمحمد وكذب به بمكة

سورة القيمة مكية وهي تسع وثلثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم لا اقسم بيوم القيمة ولا اقسم
بالنفس اللوامة ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه بلى قادرين على ان نسوي بنانه
ادخال لا النافية على فعل القسم مستفيض في كلامهم واشعارهم قال امرؤ القيس لا وابيك ابنة العامري لا يدعي القوم اني افر
وقال غوية بن سلمى الا نادت امامة باحتمال ليحزنني فلا بك ما ابالي وفائدتها توكيد القسم وقالوا انها صلة مثلها في لئلا
يعلم اهل الكتاب وفي قوله في بير لا حور سرى وما شعر واعترضوا عليه بانها انما تزاد في وسط الكلام لا في اوله واجابوا بان
القرآن في حكم سورة واحدة متصل بعضه ببعض والاعتراض صحيح لانها لم تقع مزيدة الا في وسط الكلام ولكن الجواب غير سديد
الا ترى الى امرئ القيس كيف زادها في مستهل قصيدته والوجه ان يقال هي للنفي والمعنى في ذلك انه لا يقسم بالشيء الا
اعظاما له يدلك عليه قوله تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم فكأنه بادخال حرف النفي يقول ان اعظامي
له باقسامي به كلا اعظام يعني انه يستاهل فوق ذلك وقيل ان لا نفي لكلام ورد قبل القسم كأنهم انكروا البعث فقيل لا
اي ليس الامر على ما ذكرتم ثم قيل اقسم بيوم القيمة فان قلت قوله تعالى فلا وربك لا يؤمنون والابيات التي انشدتها
المقسم عليه فيها منفي فهلا زعمت ان لا التي قبل القسم زيدت موطئة للنفي بعده ومؤكدة له وقدرت المقسم عليه المحذوف
ههنا منفيا كقولك لا اقسم بيوم القيمة لا تتركون سدى قلت لو قصر الامر على النفي دون الاثبات لكان لهذا القول
مساغ ولكنه لم يقصر الا ترى انه كيف لقي لا اقسم بهذا البلد بقوله تعالى لقد خلقنا الانسان في كبد وكذلك قوله فلا اقسم
بمواقع النجوم بقوله تعالى انه لقرآن كريم وقرئ لاقسم على ان اللام للابتداء واقسم خبر مبتدأ محذوف معناه لانا اقسم قالوا
ويعضده انه في الامام بغير الف بالنفس اللوامة بالنفس المتقية التي تلوم النفوس فيه اي في يوم القيمة على تقصيرهن في التقوى
او بالتي لا تزال تلوم نفسها وان اجتهدت في الاحسان وعن الحسن ان المؤمن لا تراه الا لائما نفسه وان الكافر يمضي
قدما لا يعاتب نفسه وقيل هي التي تتلوم يومئذ على ترك الازدياد ان كانت محسنة وعلى التفريط ان كانت مسيئة وقيل
هي نفس آدم عليه السلام لم تزل تتلوم على فعلها التي خرجت به من الجنة وجواب القسم ما دل عليه قوله تعالى
ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه وهو لتبعثن وقرأ قتادة ان لن يجمع عظامه على البناء للمفعول والمعنى نجمعها بعد تفرقها
ورجوعها رميما ورفاتا مختلطا بالتراب وبعد ما سفتها الرياح وطيرتها في اباعد الارض وقيل ان عدي بن ابي ربيعة ختن
الاخنس بن شريق وهما اللذان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيهما اللهم اكفني جاري السوء قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
يا محمد حدثني عن يوم القيمة متى يكون وكيف يكون امره فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو عاينت ذلك اليوم لم اصدقك
يا محمد ولم اومن به او يجمع الله العظام فنزلت بلى اوجبت ما بعد النفي وهو الجمع فكأنه قيل بلى نجمعها قادرين حال من الضمير في
نجمع اي نجمع العظام قادرين على تأليف جميعها واعادتها الى التركيب الاول الى ان نسوي بنانه اي اصابعه التي هي اطرافه وآخر
ما يتم به خلقه او على ان نسوي بنانه ونضم سلامياته على صغرها ولطافتها بعضها الى بعض كما كانت اولا من غير نقصان ولا
تفاوت فكيف بكبار العظام وقيل معناه بل نجمعها ونحن قادرون على ان نسوي اصابع يديه ورجليه اي نجعلها مستوية شيئا واحدا
كخف البعير وحافر الحمار لا تفرق بينها فلا يمكنه ان يعمل بها شيئا مما يعمل باصابعه المتفرقة ذات المفاصل والانامل من فنون
الاعمال والبسط والقبض والتأتي لما يريد من الحوائج وقرئ قادرون اي نحن قادرون بل يريد الانسان ليفجر
امامه يسأل ايان يوم القيمة فاذا برق البصر وخسف القمر وجمع الشمس والقمر
يقول الانسان يومئذ اين المفر بل يريد عطف على ايحسب فيجوز ان يكون مثله استفهاما وان
يكون ايجابا على ان يضرب عن مستفهم عنه الى آخر او يضرب عن مستفهم عنه الى موجب ليفجر امامه ليدوم على فجوره فيما
بين يديه من الاوقات وفيما يستقبله من الزمان لا ينزع عنه وعن سعيد بن جبير يقدم الذنب ويؤخر التوبة يقول سوف
اتوب حتى يأتيه الموت على شر احواله واسوأ اعماله يسأل سؤال متعنت مستبعد لقيام الساعة في قوله تعالى ايان يوم القيمة ونحوه
ويقولون متى هذا الوعد برق البصر تحير فزعا واصله من برق الرجل اذا نظر الى البرق فدهش بصره وقرئ برق من البريق اي لمع
من شدة شخوصه وقرأ ابو السمال بلق اذا انفتح وانفرج يقال بلق الباب وابلقته وبلقته فتحته وخسف القمر وذهب ضوءه او ذهب
بنفسه وقرئ وخسف على البناء للمفعول وجمع الشمس والقمر حيث يطلعهما الله تعالى من المغرب وقيل وجمعا في ذهاب الضوء وقيل
يجمعان اسودين مكورين كأنهما ثوران عقيران في النار وقيل يجمعان ثم يقذفان في البحر فيكون نار الله الكبرى المفر بالفتح المصدر

وبالكسر المكان ويجوز ان يكون مصدرا كالمرجع وزيد بها كلا لا وزر الى ربك يومئذ المستقر ينبؤ
الانسان يومئذ بما قدم واخر كلا ردع عن طلب المفر لا وزر لا ملجأ وكلما التجأت اليه من جبل او غيره وتخلصت
به فهو وزرك الى ربك خاصة يومئذ مستقر العباد اي استقرارهم يعني انهم لا يقدرون ان يستقروا الى غيره وينصبوا اليه
او الى حكمه ترجع امور العباد لا يحكم فيها غيره كقوله تعالى لمن الملك اليوم او الى ربك مستقرهم اي موضع قرارهم من جنة او نار
او مفوض ذلك الى مشيته من شاء ادخله الجنة ومن شاء ادخله النار بما قدم من عمل عمله وبما اخر منه لم يعمله او بما قدم من ماله
فتصدق به وبما اخره فخلفه او بما قدم من عمل الخير والشر وبما اخر من سنة حسنة او سيئة فعمل بها بعده وعن مجاهد باول عمله
وآخره ونحوه فينبئهم بما عملوا احصاه الله ونسوه بل الانسان على نفسه بصيرة ولو القى معاذيره
لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه بصيرة حجة بينة وصفت بالبصارة
على المجاز كما وصفت الآيات بالابصار في قوله تعالى فلما جاءتهم آياتنا مبصرة او عين بصيرة والمعنى انه ينبأ باعماله وان لم
ينبأ ففيه ما يجزي عن الانباء لانه شاهد عليها بما عملت لان جوارحه تنطق بذلك يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم
بما كانوا يعملون ولو القى معاذيره ولو جاء بكل معذرة يعتذر بها عن نفسه ويجادل عنها وعن الضحاك ولو ارخى ستوره
وقال المعاذير الستور واحدها معذار فان صح فلانه يمنع رؤية المحتجب كما تمنع المعذرة عقوبة الذنب فان قلت
اليس قياس المعذرة ان تجمع معاذر لا معاذير قلت المعاذير ليس بجمع معذرة انما هو اسم جمع لها ونحوه المناكير في المنكر
الضمير في به للقرآن وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا لقن الوحي نازع جبريل عليه السلام القراءة ولم يصبر الى ان يتمها مسارعة
الى الحفظ وخوفا من ان يتفلت منه فامر بان يستنصت له ملقيا اليه قلبه وسمعه حتى يقضى اليه وحيه ثم يقفيه بالدراسة الى ان
يرسخ فيه والمعنى لا تحرك لسانك بقراءة الوحي ما دام جبريل عليه السلام يقرأ لتعجل به لتأخذه على عجلة ولئلا يتفلت منك
ثم علل النهي عن العجلة بقوله ان علينا جمعه في صدرك واثبات قراءته في لسانك فاذا قرأناه فاتبع قرآنه
ثم ان علينا بيانه فاذا قرأناه جعل قراءة جبريل عليه السلام قراءته والقرآن قراءته فاتبع قراءته ولا تكن مقفيا له فيه
ولا تراسله واسكن نفسك انه لا يبقى غير محفوظ فنحن في ضمان تحفيظه ثم ان علينا بيانه اذا اشكل عليك شيء من معانيه كأنه كان يعجل
في الحفظ والسؤال عن المعنى جميعا كما ترى بعض الحراص على العلم ونحوه ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه كلا بل تحبون
العاجلة وتذرون الآخرة كلا ردع لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن عادة العجلة وانكار لها عليه وحث على الاناة والتؤدة
وقد بالغ في ذلك باتباعه قوله بل تحبون العاجلة كانه قال بل انتم يا بني آدم لانكم خلقتم من عجل وطبعتم عليه تعجلون في كل شيء ومن ثم تحبون العاجلة
وتذرون الآخرة وقرئ بالياء وهو ابلغ فان قلت كيف اتصل قوله تعالى لا تحرك به لسانك الى آخره بذكر القيمة
قلت اتصاله به من جهة هذا التخلص منه الى التوبيخ بحب العاجلة وترك الاهتمام بالآخرة وجوه يومئذ ناضرة
الى ربها ناظرة ووجوه يومئذ باسرة تظن ان يفعل بها فاقرة الوجه عبارة عن الجملة والناضرة من
نضرة النعيم الى ربها ناظرة تنظر الى ربها خاصة لا تنظر الى غيره وهذا معنى تقديم المفعول الا ترى الى قوله تعالى الى ربك يومئذ المستقر
الى ربك يومئذ المساق الى الله تصير الامور والى الله ترجعون والى الله المصير عليه توكلت واليه انيب كيف دل فيها التقديم على معنى الاختصاص
ومعلوم انهم ينظرون الى اشياء لا يحيط بها الحصر ولا تدخل تحت العدد في محشر يجتمع فيه الخلائق كلهم فان المؤمنين نظارة ذلك اليوم
لانهم الآمنون الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فاختصاصه بنظرهم اليه لو كان منظورا اليه محال فوجب حمله على معنى يصح معه الاختصاص
والذي يصح معه ان يكون من قول الناس انا الى فلان ناظر ما يصنع بي تريد معنى التوقع والرجاء ومنه قول القائل واذا نظرت اليك
من ملك والبحر دونك زدتني نعما وسمعت سروية مستجدية بمكة وقت الظهر حين يغلق الناس ابوابهم ويأوون الى مقائلهم تقول
عيينتي نويظرة الى الله واليكم والمعنى انهم لا يتوقعون النعمة والكرامة الا من ربهم كما كانوا في الدنيا لا يخشون ولا يرجون الا اياه
والباسر الشديد العبوس والباسل اشد منه ولكنه غلب في الشجاع اذا اشتد كلوحه تظن تتوقع ان يفعل بها فعل هو
في شدته وفظاعته فاقرة داهية تقصم فقار الظهر كما توقعت الوجوه الناضرة ان يفعل بها كل خير كلا اذا بلغت
التراقي وقيل من راق وظن انه الفراق والتفت الساق بالساق الى ربك يومئذ المساق
كلا ردع عن ايثار الدنيا على الآخرة كانه قيل ارتدعوا عن ذلك وتنبهوا على ما بين ايديكم من الموت الذي عنده تنقطع العاجلة
عنكم وتنتقلون الى الآجلة التي تبقون فيها مخلدين والضمير في بلغت للنفس وان لم يجر لها ذكر لان الكلام الذي وقعت فيه يدل عليها

كما قال

كما قال حاتم اماوي ما يغني الثراء عن الفتى اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر وتقول العرب ارسلت
يريدون جاء المطر ولا تكاد تسمعهم يذكرون السماء التراقي العظام المكتنفة لثغرة النحر عن يمين وشمال ذكرهم
صعوبة الموت الذي هو اول مراحل الآخرة حين تبلغ الروح التراقي ودنا زهوقها وقال حاضروا صاحبها وهو المحتضر
بعضهم لبعض من راق ايكم يرقيه مما به وقيل هو من كلام ملائكة الموت ايكم يرقى بروحه ملائكة الرحمة ام ملائكة العذاب
وظن المحتضر انه الفراق ان هذا الذي نزل به هو فراق الدنيا المحبوبة والتفت ساقه بساقه والتوت عليها عند علز الموت
وعن قتادة ماتت رجلاه فلا تحملانه وقد كان عليهما جوالا وقيل شدة فراق الدنيا بشدة اقبال الآخرة على ان
الساق مثل في الشدة وعن سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى هما ساقاه حين تلفان في اكفانه المساق اي يساق الى الله
والى حكمه فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى ثم ذهب الى اهله يتمطى اولى لك
فاولى ثم اولى لك فاولى فلا صدق ولا صلى يعني الانسان في قوله تعالى ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه الا ترى
الى قوله تعالى ايحسب الانسان ان يترك سدى وهو معطوف على قوله تعالى يسأل ايان يوم القيمة اي لا يؤمن بالبعث فلا صدق
بالرسول والقرآن ولا صلى ويجوز ان يراد فلا صدق ماله بمعنى فلا زكاه وقيل نزلت في ابي جهل يتمطى يتبختر واصله يتمطط
اي يتمدد لان المتبختر يمد خطاه وقيل هو من المطا وهو الظهر لانه يلويه وفي الحديث اذا مشت امتي المطيطاء وخدمتهم
فارس والروم فقد جعل بأسهم بينهم يعني كذب برسول الله صلى الله عليه وسلم وتولى عنه واعرض ثم ذهب الى قومه يتبختر افتخارا
بذلك اولى لك بمعنى ويل لك وهو دعاء عليه بان يليه ما يكره ايحسب الانسان ان يترك سدى
الم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى فجعل منه الزوجين
الذكر والانثى اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى فخلق فقدر فسوى فجعل منه من الانسان
الزوجين الصنفين اليس ذلك الذي انشأ هذا الانشاء بقادر على الاعادة وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأها
قال سبحانك بلى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القيمة شهدت له انا وجبريل يوم القيمة انه كان مؤمنا بيوم القيمة

سورة الانسان

مكية وهي احدى وثلثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا
مذكورا انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا انا
هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا هل بمعنى قد في الاستفهام خاصة والاصل اهل بدليل قوله
اهل رأونا بسفح القاع ذي الاكم فالمعنى اهل اي على التقرير والتقريب جميعا اي اتى على الانسان قبل زمان قريب حين من الدهر
لم يكن فيه شيئا مذكورا اي كان شيئا منسيا غير مذكور نطفة في الاصلاب والمراد بالانسان جنس بني آدم بدليل قوله تعالى انا خلقنا
الانسان من نطفة حين من الدهر طائفة من الزمان الطويل الممتد فان قلت ما محل لم يكن شيئا مذكورا قلت محله النصب
على الحال من الانسان كانه قيل هل اتى عليه حين من الدهر غير مذكور او الرفع على الوصف لحين كقوله تعالى يوما لا يجزي والد عن
ولده وعن بعضهم انها تليت عنده فقال ليتها تمت اراد ليت تلك الحالة تمت وهي كونه شيئا غير مذكور ولم يخلق ولم يكلف
نطفة امشاج كبرمة اعشار وبرد اكياش وهي الفاظ مفردة غير جموع ولذلك وقعت صفات للافراد ويقال ايضا نطفة
مشج قال الشماخ طوت احشاء مرتجة لوقت على مشج سلالته مهين ولا يصح امشاج ان يكون تكسيرا له بل هما مثلان
في الافراد لوصف المفرد بهما ومشجه ومزجه بمعنى والمعنى من نطفة قد امتزج فيها الماءان وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه
هي عروق النطفة وعن قتادة امشاج الوان واطوار يريد انها تكون نطفة ثم علقة نبتليه في موضع الحال اي خلقناه مبتلين له
بمعنى مريدين ابتلاءه كقولك مررت برجل معه صقر صائدا به غدا تريد قاصدا به الصيد غدا ويجوز ان يراد ناقلين له من حال
الى حال فسمى ذلك ابتلاء على طريق الاستعارة وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما نصرفه في بطن امه نطفة ثم علقة وقيل
هو في تقدير التأخير يعني فجعلناه سميعا بصيرا لنبتليه وهو من التعسف شاكرا وكفورا حالان من الهاء في هديناه اي مكناه
واقدرناه في حالتيه جميعا او دعوناه الى الاسلام بادلة العقل والسمع كان معلوما منه انه يؤمن او يكفر لالزام الحجة

ويجوز ان يكونا حالين من السبيل اي عرفناه السبيل اما سبيلا شاكرا واما سبيلا كفورا كقوله تعالى وهديناه النجدين ووصف السبيل بالشكر والكفر مجاز وقرا ابو السمال بفتح الهمزة في اما وهي قراءة حسنة والمعنى اما شاكرا فبتوفيقنا واما كفورا فبسوء اختياره

انا اعتدنا للكافرين سلاسل واغلالا وسعيرا ● ان الابرار يشربون من كاس كان مزاجها كافورا ● عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا ●

ولما ذكر الفريقين اتبعهما الوعيد والوعد وقرئ سلاسل غير منون وسلاسلا بالتنوين وفيه وجهان احدهما ان تكون هذه النون بدلا من حرف الاطلاق ويجري الوصل مجرى الوقف والثاني ان يكون صاحب القراءة به ممن ضري برواية الشعر ومرن لسانه على صرف غير المنصرف الابرار جمع بر او بار كرب وارباب وشاهد واشهاد وعن الحسن رحمه الله تعالى هم الذين لا يؤذون الذر والكاس الزجاجة اذا كانت فيها خمر مزاجها ما تمزج به كافورا ماء كافور وهو اسم عين في الجنة ماؤها في بياض الكافور ورائحته وبرده وعينا بدل منه وعن قتادة تمزج لهم بالكافور وتختم لهم بالمسك وقيل تخلق فيها رائحة الكافور وبياضه وبرده فكانها مزجت بالكافور وعينا على هذين القولين بدل من محل من كاس على تقدير حذف مضاف كانه قيل يشربون خمرا خمر عين او نصب على الاختصاص **فان قلت** لم وصل فعل الشرب بحرف الابتداء اولا وبحرف الالصاق آخرا **قلت** لان الكاس مبدأ شربهم واول غايته واما العين فبها يمزجون شرابهم فكان المعنى يشرب عباد الله بها الخمر كما تقول شربت الماء بالعسل يفجرونها يجرونها حيث شاؤا من منازلهم تفجيرا سهلا لا يمتنع عليهم

يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا ● ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا ●

يوفون جواب من عسى يقول ما لهم يرزقون ذلك والوفاء بالنذر مبالغة في وصفهم بالتوفر على اداء الواجبات لان من وفى بما اوجبه هو على نفسه لوجه الله تعالى كان بما اوجبه الله تعالى عليه اوفى مستطيرا فاشيا منتشرا بالغا اقصى المبالغ من استطار الحريق واستطار الفجر وهو من طار بمنزلة استنفر من نفر ● على حبه الضمير للطعام اي مع اشتهائه والحاجة اليه ونحوه ويؤتي المال على حبه لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ● وعن الفضيل بن عياض على حب الله عز وجل واسيرا عن الحسن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالاسير فيدفعه الى بعض المسلمين فيقول احسن اليه فيكون عنده اليومين والثلثة فيؤثره على نفسه وعند عامة العلماء يجوز الاحسان الى الكفار في دار الاسلام ولا يصرف اليهم الواجبات وعن قتادة كان اسيرهم يومئذ المشرك واخوك المسلم احق ان تطعمه ● وعن سعيد بن جبير وعطاء هو الاسير من اهل القبلة ● وعن ابي سعيد الخدري هو المملوك والمسجون وسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم الغريم اسيرا فقال غريمك اسيرك فاحسن الى اسيرك ●

انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا ●

انما نطعمكم على ارادة القول ويجوز ان يكون قولا باللسان منعا لهم عن المجازاة بمثله او بالشكر لان احسانهم مفعول لوجه الله عز وجل فلا معنى لمكافأة الخلق وان يكون قولهم لهم لطفا وتفقيها وتنبيها على ما ينبغي ان يكون عليه من اخلص لله تعالى وعن عائشة رضي الله تعالى عنها انها كانت تبعث بالصدقة الى اهل بيت ثم تسأل الرسول ما قالوا فاذا ذكر دعاء دعت لهم بمثله ليبقى ثواب الصدقة لها خالصا عند الله تعالى ويجوز ان يكون ذلك بيانا وكشفا عن اعتقادهم وصحة نيتهم وان لم يقولوا شيئا وعن مجاهد اما انهم ما تكلموا به ولكن علمه الله تعالى منهم فاثنى عليهم والشكور والكفور مصدران كالشكر والكفر ●

انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا ● فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا ●

انا نخاف يحتمل احساننا اليكم للخوف من شدة ذلك اليوم لا لارادة مكافأتكم وانا لا نريد منكم المكافأة لخوف عقاب الله تعالى على طلب المكافأة بالصدقة ووصف اليوم بالعبوس مجاز على طريقين ان يوصف بصفة اهله من الاشقياء كقولهم نهارك صائم ● روي ان الكافر يعبس يومئذ حتى يسيل من عينيه عرق مثل القطران وان يشبه في شدته وضرره بالاسد العبوس او بالشجاع الباسل والقمطرير الشديد العبوس الذي يجمع ما بين عينيه قال الزجاج يقال اقمطرت الناقة اذا رفعت ذنبها وجمعت قطريها وزمت بانفها فاشتقه من القطر وجعل الميم مزيدة قال اسد بن ناعصة ● واصطليت الحروب في كل يوم ● باسل الشر قمطرير الصباح ● ولقاهم نضرة وسرورا اي اعطاهم بدل عبوس الفجار نضرة في الوجوه وسرورا في القلوب وهذا يدل على ان اليوم موصوف بعبوس اهله ●

وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا ●

بما صبروا بصبرهم على الايثار وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان الحسن والحسين مرضا فعادهما النبي صلى الله عليه وسلم في ناس معه فقالوا يا ابا الحسن لو نذرت على ولدك فنذر علي وفاطمة رضي الله تعالى عنهما وفضة جارية لهما ان برئا مما بهما ان يصوموا ثلثة ايام فشفيا وما معهم شيء فاستقرض علي رضي الله تعالى عنه من شمعون اليهودي الخيبري ثلثة اصوع من شعير فطحنت فاطمة رضي الله تعالى عنها صاعا واختبزت خمسة اقراص

على عددهم فوضعوها بين ايديهم ليفطروا فوقف عليهم سائل فقال السلام عليكم يا اهل بيت محمد مسكين من مساكين المسلمين اطعموني اطعمكم الله تعالى من موائد الجنة فآثروه وباتوا لم يذوقوا الا الماء واصبحوا صياما فلما امسوا ووضعوا الطعام بين ايديهم وقف عليهم يتيم فآثروه ووقف عليهم اسير في الثالثة ففعلوا مثل ذلك فلما اصبحوا اخذ علي بيد الحسن والحسين رضوان الله تعالى عليهم واقبلوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما ابصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع قال ما اشد ما يسوءني ما ارى بكم وقام فانطلق معهم فرأى فاطمة رضي الله تعالى عنها في محرابها قد التصق ظهرها ببطنها وغارت عيناها فساءه ذلك فنزل جبريل عليه السلام وقال خذها يا محمد هناك الله في اهل بيتك فاقرأه السورة **فان قلت** ما معنى ذكر الحرير مع الجنة **قلت** المعنى وجزاهم بصبرهم على الايثار وما يؤدي اليه من الجوع والعري بستانا فيه مأكل هنيء وحريرا فيه ملبس بهي

متكئين فيها على الارائك لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا ●

يعني ان هواءها معتدل لا حر شمس يحمي ولا شدة برد تؤذي وفي الحديث هواء الجنة سجسج لا حر ولا قر وقيل الزمهرير القمر وعن ثعلب انه في لغة طيء وانشد ● وليلة ظلامها قد اعتكر ● قطعتها والزمهرير ما زهر ● والمعنى ان الجنة ضياء فلا يحتاج فيها الى شمس وقمر ●

ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا

فان قلت ودانية عليهم ظلالها علام عطفت **قلت** على الجملة التي قبلها لانها في موضع الحال من المجزيين وهذه حال مثلها عنهم لرجوع الضمير منها اليهم في عليهم الا انها اسم مفرد وتلك جملة في حكم مفرد تقديره غير رائين فيها شمسا ولا زمهريرا ودانية عليهم ظلالها ودخلت الواو للدلالة على ان الامرين مجتمعان لهم كانه قيل وجزاهم جنة جامعين فيها بين البعد عن الحر والقر ودنو الظلال عليهم وقرئ ودانية بالرفع على ان ظلالها مبتدأ ودانية خبر والجملة في موضع الحال والمعنى لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا والحال ان ظلالها دانية عليهم ويجوز ان تجعل متكئين ولا يرون ودانية كلها صفات لجنة ويجوز ان يكون ودانية معطوفة على جنة اي وجنة اخرى دانية عليهم ظلالها على انهم وعدوا جنتين كقوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان لانهم وصفوا بالخوف انا نخاف من ربنا **فان قلت** علام عطف وذللت **قلت** هي اذا رفعت ودانية جملة فعلية معطوفة على جملة ابتدائية واذا نصبتها على الحال فهي حال من دانية اي تدنو ظلالها عليهم في حال تذليل قطوفها لهم او معطوفة على ودانية ظلالها ومذللة قطوفها واذا نصبت ودانية على الوصف فهي صفة مثلها الا ترى انك لو قلت جنة ذللت قطوفها كان صحيحا وتذليل القطوف ان تجعل ذللا لا تمتنع على قطافها كيف شاؤا او تجعل خاضعة متقاصرة من قولهم حائط ذليل اذا كان قصيرا ●

ويطاف عليهم بآنية من فضة واكواب كانت قواريرا ● قواريرا من فضة قدروها تقديرا ●

قوارير قوارير قرئا غير منونين وبتنوين الاول وبتنوينهما وهذا التنوين بدل من الف الاطلاق لانه فاصلة وفي الثاني لاتباعه الاول ومعنى قوارير من فضة انها مخلوقة من فضة وهي مع بياض الفضة وحسنها في صفاء القوارير وشفيفها **فان قلت** ما معنى كانت **قلت** هو من يكون في قوله كن فيكون اي تكونت قوارير بتكوين الله تعالى تفخيما لتلك الخلقة العجيبة الشأن الجامعة بين صفتي الجوهرين المتباينين ومنه كان في قوله تعالى كان مزاجها كافورا وقرئ قوارير من فضة بالرفع على هي قوارير قدروها صفة لقوارير من فضة ومعنى تقديرهم لها انهم قدروها في انفسهم ان تكون على مقادير واشكال على حسب شهواتهم فجاءت كما قدروا وقيل الضمير للطائفين بها دل عليه قوله تعالى ويطاف عليهم على انهم قدروا شرابها على قدر الري وهو الذ للشارب لكونه على مقدار حاجته لا يفضل عنها ولا يعجز وعن مجاهد لا تفيض ولا تغيض وقرئ قدروها على البناء للمفعول ووجهه ان يكون من قدر منقولا من قدر تقول قدرت الشيء وقدرنيه فلان اذا جعلك قادرا له ومعناه جعلوا قادرين لها كما شاؤا واطلق لهم ان يقدروا على حسب ما اشتهوا ●

ويسقون فيها كاسا كان مزاجها زنجبيلا ● عينا فيها تسمى سلسبيلا ●

سميت العين زنجبيلا لطعم الزنجبيل فيها والعرب تستلذه وتستطيبه قال الاعشى ● كان القرنفل والزنجبيل ● باتا بفيها وأريا مشورا ● وقال المسيب بن علس ● وكان طعم الزنجبيل به ● اذ ذقته وسلافة الخمر ● وسلسبيلا لسلاسة انحدارها في الحلق وسهولة مساغها يعني انها في طعم الزنجبيل وليس فيها لذعه ولكن نقيض اللذع وهو السلاسة يقال شراب سلسل وسلسال وسلسبيل وقد زيدت الباء في التركيب حتى صارت الكلمة خماسية ودلت على غاية السلاسة قال الزجاج السلسبيل في اللغة صفة لما كان في غاية السلاسة وقرئ سلسبيل على منع الصرف لاجتماع العلمية والتأنيث وقد عزوا الى علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه ان معناه سل سبيلا اليها وهذا غير مستقيم على ظاهره الا ان يراد ان جملة قول القائل سل سبيلا جعلت علما للعين كما قيل تأبط شرا وذرى حبا وسميت بذلك لانه لا يشرب منها

الا من سأل اليها سبيلا بالعمل الصالح وهو مع استقامته في العربية تكلف وابتداع وعزوه الى علي رضي الله عنه تصحيف
بعض المحدثين سل سبيلا فيها الى راحة النفس براح كأنها سلسبيل وعينا بدل من زنجبيلا وقيل تمزج كأسهم بالزنجبيل
[illegible] وعينا على هذا القول بدل من كأسا كأنه قيل ويسقون فيها كأسا كأس عين او منصوبة على الاختصاص
ويطوف عليهم ولدان مخلدون اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا شبهوا في حسنهم وصفاء
الوانهم وانبثاثهم في مجالسهم ومنازلهم باللؤلؤ المنثور وعن المأمون رحمه الله تعالى انه ليلة زفت اليه بوران بنت الحسن
وهو على بساط منسوج من ذهب وقد نثرت عليه نساء دار الخلافة اللؤلؤ فنظر اليه منثورا على ذلك البساط
فاستحسن المنظر وقال لله در ابي نواس كأنه ابصر هذا حيث يقول كأن صغرى وكبرى من فواقعها حصباء در على ارض من الذهب
وقد شبهوا باللؤلؤ الرطب اذا نثر من صدفه لانه احسن واكثر ماء واذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا
ليس له مفعول ظاهر ولا مقدر ليشيع ويعم كأنه قيل واذا اوجدت الرؤية ثم ومعناه ان بصر الرائي اينما وقع
[illegible] الا بنعيم كثير وملك كبير وثم في موضع النصب على الظرف يعني في الجنة ومن قال معناه ما ثم فقد اخطأ لان ثم صلة لما ولا
يجوز اسقاط الموصول وترك الصلة كبيرا واسعا وهنيا وروي ان ادنى اهل الجنة منزلة ينظر في ملكه مسيرة الف عام
يرى اقصاه كما يرى ادناه وقيل لا زوال له وقيل اذا ارادوا شيئا كان وقيل يسلم عليهم الملائكة ويستأذنون عليهم عاليهم
ثياب سندس خضر واستبرق وحلوا اساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا
وقرئ عاليهم بالسكون على انه مبتدأ خبره ثياب سندس اي ما يعلوهم من لباسهم ثياب سندس وعاليهم بالنصب على انه حال من الضمير
في يطوف عليهم او في حسبتهم اي يطوف عليهم ولدان عاليا للمطوف عليهم ثياب او حسبتهم لؤلؤا عاليا لهم ثياب ويجوز ان يراد ان
اهل نعيم وملك عاليهم ثياب وعاليتهم بالرفع حملا على الثياب وبالجر على السندس وقرئ واستبرق نصبا في موضع الجر على منع الصرف
لانه اعجمي وهو غلط لانه نكرة يدخله حرف التعريف تقول الاستبرق الا ان يزعم ابن محيصن انه قد يجعل علما لهذا الضرب
من الثياب وقرئ واستبرق بوصل الهمزة والفتح على انه مسمى باستفعل من البريق وليس بصحيح ايضا لانه معرب مشهور تعريبه
وان اصله استبره وحلوا عطف على ويطوف عليهم فان قلت ذكر ههنا ان اساورهم من فضة وفي موضع
آخر انها من ذهب قلت هب انه قيل وحلوا اساور من ذهب ومن فضة وهذا صحيح لا اشكال فيه على انهم يسورون
بالجنسين اما على المعاقبة واما على الجمع كما تزاوج نساء الدنيا بين انواع الحلي وتجمع بينها وما احسن بالمعصم ان يكون فيه
سواران من ذهب وفضة شرابا طهورا ليس برجس كخمر الدنيا لانه لم يعصر [illegible]
[illegible] الدار دار تكليف [illegible]
[illegible] ان هذا كان لكم جزاء وكان
سعيكم مشكورا على اضمار القول [illegible]
[illegible] انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا تكرير الضمير
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم آثما او كفورا
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] فان قلت [illegible] قلت
[illegible]
[illegible]
[illegible] فان قلت [illegible]
[illegible] قلت [illegible]

لا تطع احدهما علم ان الناهي عن طاعة احدهما عن طاعتهما جميعا انهى كما اذا نهى ان يقول لابويه اف علم انه منهي عن ضربهما على طريق الاولى واذكر اسم ربك بكرة واصيلا ومن الليل فاسجد له وسبحه
ليلا طويلا ان هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا
نحن خلقناهم وشددنا اسرهم واذا شئنا بدلنا امثالهم تبديلا واذكر اسم ربك
بكرة واصيلا ودم على صلوة الفجر والعصر ومن الليل فاسجد له وبعض الليل فصل له يعني صلوة المغرب والعشاء وادخل من على
الظرف للتبعيض كما دخل على المفعول في قوله عز وجل يغفر لكم من ذنوبكم وسبحه ليلا طويلا وتهجد له هزيعا طويلا من الليل
ثلثيه او نصفه او ثلثه ان هؤلاء الكفرة يحبون العاجلة يؤثرونها على الآخرة كقوله تعالى بل تؤثرون الحيوة الدنيا ويذرون وراءهم
قدامهم او خلف ظهورهم لا يعبؤن به يوما ثقيلا استعير الثقل لشدته وهوله من الشيء الثقيل الباهظ لحامله ونحوه
ثقلت في السموات والارض الاسر الربط والتوثيق ومنه اسر الرجل اذا اوثق بالقد وهو الاسار وفرس مأسور الخلق
وترس مأسور بالعقب والمعنى شددنا توصيل عظامهم بعضها ببعض وتوثيق مفاصلهم بالاعصاب ومثله قولهم جارية معصوبة
الخلق ومجدولته واذا شئنا اهلكناهم و[illegible]
غيرهم ممن يطيع وحقه ان يجيء باذا [illegible]
ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا وما تشاؤون الا ان يشاء الله
ان الله كان عليما حكيما هذه اشارة الى السورة او الى الآيات القريبة [illegible]
[illegible]
[illegible]
الا ان يشاء الله بقسرهم عليها ان الله كان عليما بأحوالهم وما يكون منهم حكيما حيث خلقهم مع علمه بهم وقرئ يشاؤون بالياء
فان قلت ما محل ان يشاء الله قلت النصب على الظرف واصله الا وقت مشيئة الله وكذلك
قراءة ابن مسعود الا ما يشاء الله لان ما مع الفعل كان معه يدخل من يشاء في رحمته والظالمين
اعد لهم عذابا اليما يدخل من يشاء هم المؤمنون ونصب الظالمين بفعل يفسره اعد لهم نحو اوعد وكافأ وما اشبه ذلك
وقرأ ابن مسعود وللظالمين على واعد للظالمين وقرأ ابن الزبير والظالمون على الابتداء وغيرها اولى لذهاب الطباق
بين الجملة المعطوفة والمعطوف عليها فيها مع مخالفتها المصحف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هل اتى كان جزاؤه على الله جنة وحريرا

سورة المرسلات

مكية وهي خمسون آية بالاتفاق

بسم الله الرحمن الرحيم والمرسلات عرفا فالعاصفات
عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا عذرا او نذرا
انما توعدون لواقع اقسم سبحانه وتعالى بطوائف من الملائكة ارسلهن باوامره فعصفن في مضيهن كما
تعصف الرياح تخففا في امتثال امره وبطوائف منهم نشرن اجنحتهن في الجو عند انحطاطهن بالوحي او نشرن الشرائع
في الارض او نشرن النفوس الموتى بالكفر والجهل بما اوحين ففرقن بين الحق والباطل فالقين ذكرا الى الانبياء عذرا للمحقين
او نذرا للمبطلين او اقسم برياح عذاب ارسلهن فعصفن وبرياح رحمة نشرن السحاب في الجو ففرقن بينه
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] فان قلت [illegible] فان قلت [illegible] قلت
[illegible]
[illegible]
فان قلت [illegible] قلت [illegible]

فهو معروف للانبياء والمؤمنين الذين انعم الله تعالى عليهم فان قلت ما العذر والنذر وبما انتصبا
قلت هما مصدران من عذر اذا محا الاساءة ومن انذر اذا خوف على فعل كالكفر والشكر ويجوز ان يكون
جمع عذير بمعنى المعذرة وجمع نذير بمعنى الانذار او بمعنى العاذر والمنذر واما انتصابهما فعلى البدل من ذكرا على الوجهين
الاولين او على المفعول له واما على الوجه الثالث فعلى الحال بمعنى عاذرين او منذرين وقرئا مخففين ومثقلين ان الذي
توعدونه من مجيء يوم القيمة لكائن نازل لا ريب فيه وهو جواب القسم وعن بعضهم ان المعنى ورب المرسلات

فاذا النجوم طمست واذا السماء فرجت واذا الجبال نسفت واذا الرسل اقتت لاي يوم اجلت ليوم الفصل وما ادراك ما يوم الفصل ويل يومئذ للمكذبين

طمست محيت ومحقت وقيل ذهب بنورها ومحق ذواتها موافق لقوله تعالى انتثرت وانكدرت ويجوز ان يمحق نورها ثم
تنتثر ممحوقة النور فرجت فتحت فكانت ابوابا قال الفارجي باب الامير المبهم نسفت كالحب اذا نسف بالمنسف ونحوه
وبست الجبال بسا وكانت الجبال كثيبا مهيلا وقيل اخذت بسرعة من اماكنها من انتسفت الشيء اذا اختطفته وقرئت
طمست وفرجت ونسفت مشددة وقرئ اقتت ووقتت بالتشديد والتخفيف فيهما والاصل الواو ومعنى توقيت الرسل
تبيين وقتها الذي يحضرون فيه للشهادة على اممهم والتاجيل من الاجل كالتوقيت من الوقت لاي يوم اجلت تعظيم لليوم وتعجيب من هوله
ليوم الفصل بيان ليوم التاجيل وهو اليوم الذي يفصل فيه بين الخلائق والوجه ان يكون معنى وقتت بلغت ميقاتها الذي كانت
تنتظره وهو يوم القيمة واجلت اخرت فان قلت كيف وقع النكرة مبتدأ في قوله تعالى ويل يومئذ للمكذبين قلت
هو في اصله مصدر منصوب ساد مسد فعله ولكنه عدل به الى الرفع للدلالة على معنى ثبات الهلاك ودوامه للمدعو عليه ونحوه سلام عليكم
ويجوز ويلا بالنصب ولكن لم يقرأ به يقال ويلا له وويلا كيلا **الم نهلك الاولين ثم نتبعهم الاخرين كذلك نفعل بالمجرمين ويل يومئذ للمكذبين** وقرأ قتادة نهلك بفتح النون من هلكه بمعنى اهلكه قال العجاج
ومهمه هالك من تعرجا ثم نتبعهم بالرفع على الاستيناف وهو وعيد لاهل مكة يريد ثم نفعل بامثالهم من الاخرين مثل ما فعلنا
بالاولين ونسلك بهم سبيلهم لانهم كذبوا مثل تكذيبهم ويقويها قراءة ابن مسعود ثم سنتبعهم وقرئ بالجزم للعطف على
نهلك ومعناه انه اهلك الاولين من قوم نوح وعاد وثمود ثم اتبعهم الاخرين من قوم شعيب ولوط وموسى عليهم السلام كذلك
مثل ذلك الفعل الشنيع نفعل بكل من اجرم انذارا وتحذيرا من عاقبة الجرم وسوء اثره **الم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه في قرار مكين الى قدر معلوم فقدرنا فنعم القادرون ويل يومئذ للمكذبين**

الى قدر معلوم الى مقدار من الوقت معلوم قد علمه الله تعالى وحكم به وهو تسعة الاشهر او ما دونها او ما فوقها فقدرنا فقدرنا
ذلك تقديرا فنعم القادرون فنعم المقدرون له نحن او فقدرنا على ذلك فنعم القادرون عليه نحن والاول اولى لقراءة من قرأ
فقدرنا بالتشديد ولقوله تعالى من نطفة خلقه فقدره **الم نجعل الارض كفاتا احياء وامواتا وجعلنا فيها رواسي شامخات واسقيناكم ماء فراتا ويل يومئذ للمكذبين** الكفات
من كفت الشيء اذا ضمه وجمعه وهو اسم ما يكفت كقولهم الضمام والجماع لما يضم ويجمع يقال هذا الباب جماع الابواب وبه انتصب احياء
وامواتا كانه قيل كافتة احياء وامواتا او بفعل مضمر يدل عليه وهو تكفت والمعنى تكفت احياء على ظهرها وامواتا في بطنها وقد
استدل بعض اصحاب الشافعي رحمه الله تعالى على قطع النباش بان الله تعالى جعل الارض كفاتا للاموات فكان بطنها حرزا لهم
فالنباش سارق من الحرز فان قلت لم قيل احياء وامواتا على التنكير وهي كفات الاحياء والاموات جميعا قلت
هو من تنكير التفخيم كانه قيل تكفت احياء لا يعدون وامواتا لا يحصرون على ان احياء الانس وامواتهم ليس بجميع الاحياء والاموات
ويجوز ان يكون المعنى تكفتكم احياء وامواتا فينتصبا على الحال من الضمير لانه قد علم انها كفات الانس فان قلت فالتنكير في
رواسي شامخات وماء فراتا قلت يحتمل افادة التبعيض لان في السماء جبالا قال الله تعالى من جبال فيها من برد وفيها ماء
فرات ايضا بل هي معدنه ومصبه وان يكون للتفخيم **انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون انطلقوا الى ظل ذي ثلث شعب لا ظليل ولا يغني من اللهب انها ترمي بشرر كالقصر كانه جمالات صفر ويل يومئذ للمكذبين** اي يقال لهم انطلقوا الى ما كذبتم به من العذاب وانطلقوا الثاني تكرير وقرئ انطلقوا
على لفظ الماضي اخبارا بعد الامر عن عملهم بموجبه لانهم مضطرون اليه لا يستطيعون امتناعا منه الى ظل يعني دخان جهنم كقوله تعالى

وظل

وظل من يحموم ذي ثلاث شعب يتشعب لعظمه ثلاث شعب وهكذا الدخان العظيم تراه يتفرق ذوائب وقيل يخرج لسان
من النار فيحيط بالكفار كالسرادق ويتشعب من دخانها ثلاث شعب فيظلهم حتى يفرغ من حسابهم والمؤمنون في ظل العرش
لا ظليل تهكم بهم وتعريض بان ظلهم غير ظل المؤمنين ولا يغني في محل الجر اي وغير مغن عنهم من حر اللهب شيئا بشرر وقرئ بشرار
كالقصر اي كل شررة كالقصر من القصور في عظمها وقيل هو الغليظ من الشجر الواحدة قصرة نحو جمرة وجمر وقرئ كالقصر
بفتحتين وهي اعناق الابل او اعناق النخل نحو شجرة وشجر وقرأ ابن مسعود رضي الله تعالى عنه كالقصر بمعنى القصور كرهن ورهن وقرأ
سعيد بن جبير كالقصر في جمع قصرة كحاجة وحوج جمالات جمع جمال او جمالة جمع جمل شبهت بالقصور ثم بالجمال لبيان التشبيه الا تراهم
يشبهون الابل بالافدان والمجادل وقرئ جمالات بالضم وهي قلوس الجسور وقيل قلوس سفن البحر الواحدة جمالة وقرئ جمالة بالكسر
بمعنى جمال وجمالة بالضم وهي القلس وقيل صفر لارادة الجنس وقيل صفر سود تضرب الى الصفرة وفي شعر عمران بن حطان الخارجي
دعتهم باعلى صوتها ورمتهم ✽ بمثل الجمال الصفر نزاعة الشوى ✽ وقال ابو العلاء ✽ حمراء ساطعة الذوائب في الدجى ✽ ترمي بكل
شرارة كطراف ✽ فشبهها بالطراف وهو بيت الادم في العظم والحمرة وكانه قصد بخبثه ان يزيد على تشبيه القران ولتبجحه بما سول
له من توهم الزيادة جاء في صدر بيته بقوله حمراء توطئة لها ومناداة عليها وتنبيها للسامعين على مكانها ولقد عمي جمع الله له
عمى الدارين عن قوله تعالى كانه جمالات صفر فانه بمنزلة قوله كبيت احمر وعلى ان في التشبيه بالقصر وهو الحصن تشبيها من
جهتين من جهة العظم ومن جهة الطول في الهواء وفي التشبيه بالجمالات وهي القلوس تشبيه من ثلاث جهات من جهة
العظم والطول والصفرة فابعد الله اغرابه في طرافه وما نفخ شدقيه من استطرافه **هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم الفصل جمعناكم والاولين فان كان لكم كيد فكيدون ويل يومئذ للمكذبين** وقرئ بنصب اليوم ونصبه
الاعمش اي هذا الذي قص عليكم واقع يومئذ ويوم القيمة طويل ذو مواطن ومواقيت ينطقون في وقت ولا ينطقون في
وقت ولذلك ورد الامران في القرآن او جعل نطقهم كلا نطق لانه لا ينفع ولا يسمع فيعتذرون عطف على لا يؤذن منخرط في سلك
النفي والمعنى ولا يكون لهم اذن واعتذار متعقب له من غير ان يجعل الاعتذار مسببا عن الاذن ولو نصب لكان مسببا عنه لا محالة جمعناكم
والاولين كلام موضح لقوله تعالى هذا يوم الفصل لانه اذا كان يوم الفصل بين السعداء والاشقياء وبين الانبياء واممهم فلا بد من
جمع الاولين والآخرين حتى يقع ذلك الفصل بينهم فان كان لكم كيد فكيدون تقريع لهم على كيدهم لدين الله عز وجل وذويه وتسجيل عليهم بالعجز
والاستكانة **ان المتقين في ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون انا كذلك نجزي المحسنين ويل يومئذ للمكذبين كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون ويل يومئذ للمكذبين** كلوا واشربوا في موضع الحال من ضمير المتقين في الظرف الذي هو في ظلال اي هم مستقرون في ظلال مقولا لهم ذلك وكلوا
وتمتعوا حال من المكذبين اي الويل ثابت لهم في حال ما يقال لهم كلوا وتمتعوا فان قلت كيف يصح ان يقال لهم ذلك
في الآخرة قلت يقال لهم في الآخرة ايذانا بانهم كانوا في الدنيا احقاء بان يقال لهم وكانوا من اهله تذكيرا بحالهم السمجة وبما
جنوا على انفسهم من ايثار المتاع القليل على النعيم والملك الخالد وفي طريقته قوله ✽ اخوتي لا تبعدوا ابدا ✽ وبلى والله قد بعدوا
يريد كنتم احقاء في حياتكم بان يدعى لكم بذلك وعلل ذلك بكونهم مجرمين دلالة على ان كل مجرم ماله الا الاكل والتمتع اياما قلائل ثم البقاء
في الهلاك ابدا ويجوز ان يكون كلوا وتمتعوا كلاما مستانفا خطابا للمكذبين في الدنيا **واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون ويل يومئذ للمكذبين فباي حديث بعده يؤمنون** اركعوا اخشعوا لله وتواضعوا اليه بقبول وحيه
واتباع دينه واطرحوا هذا الاستكبار والنخوة لا يخشعون ولا يقبلون ذلك ويصرون على استكبارهم وقيل ما كان على العرب اشد من الركوع والسجود
وقيل نزلت في ثقيف حين امرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلوة فقالوا لا نجبي فانها مسبة علينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا خير
في دين ليس فيه ركوع ولا سجود بعده بعد القرآن يعني ان القرآن من بين الكتب المنزلة آية مبصرة ومعجزة باهرة فحين لم يؤمنوا به فباي كتاب بعده يؤمنون
وقرئ تؤمنون بالتاء عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة والمرسلات كتب له انه ليس من المشركين ○

سورة عم يتساءلون

وتسمى سورة النبأ وهي اربعون او احدى واربعون آية

التجبية تكون في حالين احدهما ان يقوم الانسان قيام الراكع وهو ان يضع يديه على ركبتيه والثاني ان ينكب على وجهه باركا وهو السجود ○

بسم الله الرحمن الرحيم • عم يتساءلون عن النبإ العظيم
الذي هم فيه مختلفون • كلا سيعلمون • ثم كلا سيعلمون • عم اصله عما على انه حرف
جر دخل على ما الاستفهامية وهي في قراءة عكرمة وعيسى بن عمر قال حسان على ما قام يشتمني لئيم كخنزير تمرغ في رماد
والاستعمال الكثير على الحذف والاصل قليل ومعنى هذا الاستفهام تفخيم الشان كانه قال عن اي شيء يتساءلون ونحوه ما في قولك زيد ما زيد
جعلته لانقطاع قرينه وعدم نظيره كانه شيء خفي عليك جنسه فانت تسال عن جنسه وتفحص عن جوهره كما تقول ما الغول وما العنقاء
تريد اي شيء هو من الاشياء هذا اصله ثم جرد للعبارة عن التفخيم حتى وقع في كلام من لا تخفى عليه خافية يتساءلون يسال بعضهم بعضا او
يتساءلون غيرهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين نحو يتداعونهم ويتراءونهم والضمير لاهل مكة كانوا يتساءلون فيما بينهم عن البعث
ويتساءلون غيرهم عنه على طريق الاستهزاء عن النبإ العظيم بيان للشان المفخم وعن ابن كثير انه قرأ عمه بهاء السكت
ولا يخلو اما ان يجري الوصل مجرى الوقف واما ان يقف ويبتدئ يتساءلون عن النبإ العظيم على ان يضمر يتساءلون لان
ما بعده يفسره فان قلت قد زعمت ان الضمير في يتساءلون للكفار فما تصنع بقوله هم فيه مختلفون قلت
كان فيهم من يقطع القول بانكار البعث ومنهم من يشك وقيل الضمير للمسلمين والكافرين جميعا وكانوا جميعا يسالون عنه
اما المسلم فليزداد خشية واستعدادا واما الكافر فليزداد استهزاء وقيل المتساءل عنه القرآن وقيل نبوة
محمد صلى الله عليه وسلم وقرئ يساءلون بالادغام وستعلمون بالتاء وكلا ردع للمتسائلين هزؤا وسيعلمون وعيد لهم بانهم
سوف يعلمون ان ما يتساءلون عنه ويضحكون منه حق لانه واقع لا ريب فيه وتكرير الردع مع الوعيد تشديد في ذلك ومعنى ثم الاشعار
بان الوعيد الثاني ابلغ من الاول واشد • الم نجعل الارض مهادا • والجبال اوتادا • وخلقناكم ازواجا •
وجعلنا نومكم سباتا • وجعلنا الليل لباسا • وجعلنا النهار معاشا • وبنينا فوقكم سبعا
شدادا • وجعلنا سراجا وهاجا • فان قلت كيف اتصل به قوله الم نجعل الارض مهادا قلت
لما انكروا البعث قيل لهم الم يخلق من يضاف اليه البعث هذه الخلائق العجيبة الدالة على كمال القدرة فما وجه انكار قدرته على
البعث وما هو الا اختراع كهذه الاختراعات او قيل لهم الم يفعل هذه الافعال المتكاثرة والحكيم لا يفعل فعلا عبثا وما تنكرونه
من البعث والجزاء مؤد الى انه عابث في كل ما فعل مهادا فراشا وقرئ مهدا ومعناه انها لهم كالمهد للصبي وهو ما يمهد له
فينوم عليه تسمية للممهود بالمصدر كضرب الامير او وصفت بالمصدر او بمعنى ذات مهد اي ارسينا بالجبال كما يرسى البيت بالاوتاد
سباتا موتا والمسبوت الميت من السبت وهو القطع لانه مقطوع عن الحركة والنوم احد التوفيين وهو على بناء الادواء
ولما جعل النوم موتا جعل اليقظة معاشا اي حياة في قوله تعالى وجعلنا النهار معاشا اي وقت معاش تستيقظون فيه
وتتقلبون في حوائجكم ومكاسبكم وقيل السبات الراحة لباسا يستركم عن العيون اذا اردتم هربا من عدو او بياتا
له او اخفاء ما لا تحبون الاطلاع عليه من كثير من الامور • وكم لظلام الليل عندي من يد • تخبر ان المانوية تكذب
سبعا سبع سموات شدادا جمع شديدة يعني محكمة قوية الخلق لا يؤثر فيها مرور الازمان وهاجا متلالئا وقادا يعني الشمس
والوهج النار اذا اشتعلت فهو يجمع بين النور والحرارة • وانزلنا من المعصرات ماء ثجاجا لنخرج به
حبا ونباتا وجنات الفافا • المعصرات السحائب اذا اعصرت اي شارفت ان تعصرها الرياح فتمطر كقولك
اجز الزرع اذا آن له ان يجز ومنه اعصرت الجارية اذا دنت ان تحيض وقرأ عكرمة بالمعصرات وفيه وجهان
احدهما ان يراد الرياح التي حان لها ان تعصر السحاب وان يراد السحاب لانه اذا كان الانزال منها فهو بها كما تقول
اعطى من يده درهما واعطى بيده وعن مجاهد ان المعصرات الرياح ذوات الاعاصير وعن الحسن وقتادة هي السموات
وتاويله ان الماء ينزل من السماء الى السحاب فكان السموات يعصرن اي يحملن على العصر ويمكن منه فان قلت فما وجه من قرأ
من المعصرات وفسرها بالرياح ذوات الاعاصير والمطر لا ينزل من الرياح قلت الرياح هي التي تنشئ السحاب وتدر اخلافه
فصح ان تجعل مبدا للانزال وقد جاء ان الله تعالى يبعث الرياح فتحمل الماء من السماء الى السحاب فان صح ذلك فالانزال منها
ظاهر فان قلت ذكر ابن كيسان انه جعل المعصرات بمعنى المغيثات والعاصر هو المغيث لا المعصر يقال عصره فاعتصر
قلت وجهه ان يريد اللاتي اعصرن اي حان لها ان تعصر اي تغيث ثجاجا منصبا بكثرة يقال ثجه وثج بنفسه
وفي الحديث افضل الحج العج والثج اي رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدي وكان ابن عباس رضي الله عنهما مثجا يسيل

غربا يعني يثج الكلام ثجا في خطبته وقرأ الاعرج ثجاحا ومثاجح الماء مصابه والماء ينثجح في الوادي حبا ونباتا يريد ما يتقوت
به من نحو الحنطة والشعير وما يعتلف من التبن والحشيش كما قال تعالى كلوا وارعوا انعامكم والحب ذو العصف والريحان الفافا
ملتفة ولا واحد له كالاوزاع والاخياف وقيل الواحد لف وقال صاحب الاقليد انشد الحسن بن علي الطوسي • جنة لف
وعيش مغدق • وندامى كلهم بيض زهر • وزعم ابن قتيبة انه لفاء ولف ثم الفاف وما اظنه واجدا له نظيرا من نحو
خضر واخضار وحمر واحمار ولو قيل هو جمع ملتفة بتقدير حذف الزوائد لكان قولا وجيها • ان يوم الفصل كان
ميقاتا • يوم ينفخ في الصور فتاتون افواجا • وفتحت السماء فكانت ابوابا • وسيرت
الجبال فكانت سرابا • كان ميقاتا كان في تقدير الله تعالى وحكمه حدا توقت به الدنيا وتنتهي عنده او حدا
للخلائق ينتهون اليه يوم ينفخ بدل من يوم الفصل او عطف بيان فتاتون افواجا من القبور الى الموقف امما كل امة مع امامها
وقيل جماعات مختلفة وعن معاذ رضي الله تعالى عنه انه سال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا معاذ سالت
عن امر عظيم من الامور ثم ارسل عينيه وقال تحشر عشرة اصناف من امتي بعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم
منكسون ارجلهم فوق وجوههم يسحبون عليها وبعضهم عميا وبعضهم صما بكما وبعضهم يمضغون السنتهم فهي مدلاة على صدورهم
يسيل القيح من افواههم يتقذرهم اهل الجمع وبعضهم مقطعة ايديهم وارجلهم وبعضهم مصلبون على جذوع من نار وبعضهم اشد
نتنا من الجيف وبعضهم ملبسون جبابا سابغة من قطران لازقة بجلودهم فاما الذين على صورة القردة فالقتاتون من الناس
واما الذين على صورة الخنازير فاهل السحت واما المنكسون على وجوههم فاكلة الربوا واما العمي فالذين يجورون في الحكم
واما الصم والبكم فالمعجبون باعمالهم واما الذين يمضغون السنتهم فالعلماء والقصاص الذين خالف قولهم اعمالهم واما الذين
قطعت ايديهم وارجلهم فالذين يؤذون الجيران واما المصلبون على جذوع من نار فالسعاة بالناس الى السلطان واما الذين
هم اشد نتنا من الجيف فالذين يتبعون الشهوات واللذات ومنعوا حق الله تعالى في اموالهم واما الذين يلبسون الجباب
فاهل الكبر والفخر والخيلاء وقرئ وفتحت بالتشديد والتخفيف والمعنى كثرت ابوابها المفتحة لنزول الملائكة كانها ليست الا
ابوابا مفتحة كقوله تعالى وفجرنا الارض عيونا كان الارض كلها عيون تتفجر وقيل الابواب الطرق والمسالك اي تكشط
فينفتح مكانها وتصير طرقا لا يسدها شيء فكانت سرابا كقوله تعالى فكانت هباء منبثا يعني انها تصير شيئا كلا شيء لتفرق
اجزائها وانبثاث جواهرها • ان جهنم كانت مرصادا • للطاغين مآبا • لابثين فيها احقابا •
لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا • الا حميما وغساقا • جزاء وفاقا • المرصاد الحد الذي يكون فيه
الرصد والمعنى ان جهنم هي حد الطاغين الذي يرصدون فيه للعذاب وهي مآبهم او هي مرصاد لاهل الجنة ترصدهم الملائكة الذين يستقبلونهم
عنده لان مجازهم عليها وهي مآب للطاغين وعن الحسن وقتادة رحمهما الله نحوه قالا طريقا وممرا لاهل الجنة وقرأ ابن يعمر ان
جهنم بفتح الهمزة على تعليل قيام الساعة بان جهنم كانت مرصادا للطاغين كانه قيل كان ذلك لاقامة الجزاء قرئ لابثين
ولبثين واللبث اقوى لان اللابث من وجد منه اللبث ولا يقال لبث الا لمن شانه اللبث كالذي يجثم بالمكان لا يكاد ينفك منه
احقابا حقبا بعد حقب كلما مضى حقب تبعه آخر الى غير نهاية ولا يكاد يستعمل الحقب والحقبة الا حيث يراد تتابع الازمنة وتواليها
والاشتقاق يشهد لذلك الا ترى الى حقيبة الراكب والحقب الذي وراء التصدير وقيل الحقب ثمانون سنة ويجوز
ان يراد لابثين فيها احقابا غير ذائقين بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا ثم يبدلون بعد الاحقاب غير الحميم والغساق
من جنس آخر من العذاب وفيه وجه آخر وهو ان يكون من حقب عامنا اذا قل مطره وخيره وحقب فلان اذا اخطاه الرزق
فهو حقب وجمعه احقاب فينتصب حالا عنهم يعني لابثين فيها حقبين جحدين وقوله تعالى لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا
تفسير له والاستثناء منقطع يعني لا يذوقون فيها بردا وروحا ينفس عنهم حر النار ولا شرابا يسكن من عطشهم ولكن
يذوقون فيها حميما وغساقا وقيل البرد النوم وانشد • فلو شئت حرمت النساء سواكم • وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا •
وعن بعض العرب منع البرد البرد وقرئ غساقا بالتخفيف والتشديد وهو ما يغسق اي يسيل من صديدهم وفاقا وصف بالمصدر
او ذا وفاق وقرأ ابو حيوة وفاقا فعال من وفقه كذا • انهم كانوا لا يرجون حسابا • وكذبوا باياتنا
كذابا • وكل شيء احصيناه كتابا • فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا • كذابا تكذيبا
وفعال في باب فعل كله فاش في كلام فصحاء من العرب لا يقولون غيره وسمعني بعضهم افسر آية فقال لقد فسرتها فسارا ما

باسم مثله وقرئ بالتخفيف وهو مصدر كذب بدليل قوله فصدقتها وكذبتها والمرء ينفعه كذابه وهو مثل قوله انبتكم من الارض نباتا يعني وكذبوا باياتنا فكذبوا كذابا او تنصبه بكذبوا لانه يتضمن معنى كذبوا لان كل مكذب بالحق كاذب وان جعلته بمعنى المكاذبة فمعناه وكذبوا باياتنا فكاذبوا مكاذبة او كذبوا بها مكاذبين لانهم اذا كانوا عند المسلمين كاذبين وكان المسلمون عندهم كاذبين فبينهم مكاذبة او لانهم يتكلمون بما هو افراط في الكذب فعل من يغالب في امر فيبلغ فيه اقصى جهده وقرئ كذابا وهو جمع كاذب اي كذبوا باياتنا كاذبين وقد يكون الكذاب بمعنى الواحد البليغ في الكذب يقال رجل كذاب كقولك حسان وبخال فيجعل صفة لمصدر كذبوا اي تكذيبا كذابا مفرطا كذبه وقرأ ابو السمال وكل شيء احصيناه بالرفع على الابتداء كتابا مصدر في موضع احصاء او احصينا في معنى كتبنا لالتقاء الاحصاء والكتبة في معنى الضبط والتحصيل او يكون حالا في معنى مكتوبا في اللوح وفي صحف الحفظة والمعنى احصاء معاصيهم كقوله عز وجل احصاه الله ونسوه وهو اعتراض وقوله تعالى فذوقوا مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات وهي آية في غاية الشدة وناهيك بلن نزيدكم وبدلالته على ان ترك الزيادة كالمحال الذي لا يدخل تحت الصحة وبمجيئها على طريقة الالتفات شاهدا على ان الغضب قد تبالغ وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم هذه الآية اشد ما في القرآن على اهل النار ● ان للمتقين مفازا ● حدائق واعنابا ● وكواعب اترابا ● وكاسا دهاقا ● مفازا فوزا وظفرا بالبغية او موضع فوز وقيل نجاة مما فيه اولئك او موضع نجاة وفسر المفاز بما بعده والحدائق البساتين فيها انواع الشجر المثمر والاعناب الكروم والكواعب اللاتي فلكت ثديهن والاتراب اللدات والدهاق المترعة واترع الحوض ملأه حتى قال قطني ● لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا ● جزاء من ربك عطاء حسابا ● وقرئ ولا كذابا بالتشديد والتخفيف اي لا يكذب بعضهم بعضا او لا يكذبه ولا يكاذبه وعن علي رضي الله تعالى عنه انه قرأ بتخفيف الاثنين جزاء مصدر مؤكد منصوب بمعنى قوله تعالى ان للمتقين مفازا كانه قال جازى المتقين بمفاز وعطاء نصب بجزاء نصب المفعول به اي جزاهم عطاء وحسابا صفة بمعنى كافيا من احسبه الشيء اذا كفاه حتى قال حسبي وقيل على حسب اعمالهم وقرأ ابن قطيب حسابا بالتشديد على ان الحساب بمعنى المحسب كالدراك بمعنى المدرك ● رب السموات والارض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا ● وقرئ رب السموات والرحمن بالرفع على هو رب السموات الرحمن او رب السموات مبتدأ والرحمن صفة ولا يملكون خبر او هما خبران وبالجر على البدل من ربك وبجر الاول ورفع الثاني على انه مبتدأ خبره لا يملكون او هو الرحمن لا يملكون والضمير في لا يملكون لاهل السموات والارض اي ليس في ايديهم مما يخاطب الله عز وجل ويأمر به في امر الثواب والعقاب خطاب واحد يتصرفون فيه تصرف الملاك فيزيدون فيه او ينقصون منه او لا يملكون ان يخاطبوه بشيء من نقص العذاب وزيادة في الثواب الا ان يهب لهم ذلك ويأذن لهم ● يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا ● ذلك اليوم الحق فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا ● ويوم يقوم متعلق بلا يملكون او بلا يتكلمون والمعنى ان الذين هم افضل الخلائق واشرفهم واكثرهم طاعة واقربهم منه وهم الروح والملائكة لا يملكون التكلم بين يديه فما ظنك بمن عداهم من اهل السموات والارض والروح اعظم خلقا من الملائكة واشرف منهم واقرب من رب العالمين وقيل هو ملك عظيم ما خلق الله تعالى بعد العرش خلقا اعظم منه وقيل ليسوا بالملائكة وهم يأكلون وقيل جبريل عليه السلام هما شريطتان ان يكون المتكلم منهم مأذونا له في الكلام وان يتكلم بالصواب فلا يشفع لغير مرتضى كقوله تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى ● انا انذرناكم عذابا قريبا يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا ● المرء هو الكافر لقوله تعالى انا انذرناكم عذابا قريبا والكافر ظاهر وضع موضع الضمير لزيادة الذم ومعنى ما قدمت يداه من الشر كقوله تعالى وذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت ايديكم ونذيقه يوم القيمة عذاب الحريق ذلك بما قدمت يداك بما قدمت ايديهم والله عليم بالظالمين ويجوز ان تكون استفهامية منصوبة بقدمت اي ينظر اي شيء قدمت او موصولة منصوبة بينظر يقال نظرته بمعنى نظرت اليه والراجع من الصلة محذوف وقيل المرء عام وخصص منه الكافر وعن قتادة هو المؤمن يا ليتني كنت ترابا في الدنيا فلم اخلق ولم اكلف او يا ليتني كنت ترابا في هذا اليوم فلم ابعث وقيل يحشر الله تعالى الحيوان غير المكلف حتى يقتص للجماء من القرناء ثم يرده ترابا فيود الكافر حاله وقيل الكافر ابليس يرى آدم عليه السلام وولده وثوابهم فيتمنى ان يكون الشيء الذي احتقره حين قال

خلقتني من نار وخلقته من طين ● عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة عم يتساءلون سقاه الله تعالى برد الشراب يوم القيمة

سورة النازعات

مكية وهي خمس او ست واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم ● والنازعات غرقا ● والناشطات نشطا ● والسابحات سبحا ● فالسابقات سبقا ● فالمدبرات امرا ● اقسم سبحانه وتعالى بطوائف الملائكة التي تنزع الارواح من الاجساد وبالطوائف التي تنشطها اي تخرجها من نشط الدلو من البئر اذا اخرجها وبالطوائف التي تسبح في مضيها اي تسرع فتسبق الى ما امروا به فتدبر امرا من امور العباد مما يصلحهم في دينهم او دنياهم كما رسم لهم غرقا اغراقا في النزع اي تنزعها من اقاصي الاجساد من اناملها واظفارها او اقسم بخيل الغزاة التي تنزع في اعنتها نزعا تغرق فيه الاعنة لطول اعناقها لانها عراب والتي تخرج من دار الاسلام الى دار الحرب من قولك ثور ناشط اذا خرج من بلد الى بلد والتي تسبح في جريها فتسبق الى الغاية فتدبر امر الغلبة والظفر واسناد التدبير اليها لانها من اسبابه او اقسم بالنجوم التي تنزع من المشرق الى المغرب واغراقها في النزع ان تقطع الفلك كله حتى تنحط في اقصى الغرب والتي تخرج من برج الى برج والتي تسبح في الفلك من السيارة فتسبق فتدبر امرا من علم الحساب وقيل النازعات ايدي الغزاة او انفسهم تنزع القسي باغراق السهام والتي تنشط الاوهاق والمقسم عليه محذوف وهو لتبعثن لدلالة ما بعده عليه من ذكر القيمة ● يوم ترجف الراجفة ● تتبعها الرادفة ● قلوب يومئذ واجفة ● ابصارها خاشعة ● ويوم ترجف منصوب بهذا المضمر والراجفة الواقعة التي ترجف عندها الارض والجبال وهي النفخة الاولى وصفت بما يحدث بحدوثها تتبعها الرادفة اي الواقعة التي تردف الاولى وهي النفخة الثانية ويجوز ان تكون الرادفة من قوله جل وعلا عسى ان يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون اي القيمة التي تستعجلها الكفرة استبعادا لها وهي رادفة لهم لاقترابها وقيل الراجفة الارض والجبال من قوله تعالى يوم ترجف الارض والجبال والرادفة السماء والكواكب لانها تنشق وتنتثر كواكبها على اثر ذلك ما محل تتبعها قلت الحال اي ترجف تابعتها الرادفة ● فان قلت ● كيف جعلت يوم ترجف ظرفا للمضمر الذي هو لتبعثن ولا يبعثون عند النفخة الاولى ● قلت ● المعنى لتبعثن في الوقت الواسع الذي تقع فيه النفختان وهم يبعثون في بعض ذلك الوقت الواسع وهو وقت النفخة الاخرى ودل على ذلك ان قوله تعالى تتبعها الرادفة جعل حالا عن الراجفة ويجوز ان ينتصب يوم ترجف بما دل عليه قلوب يومئذ واجفة اي يوم ترجف وجفت القلوب واجفة شديدة الاضطراب والوجيب والوجيف اخوان خاشعة ذليلة ● فان قلت ● كيف جاز الابتداء بالنكرة ● قلت ● قلوب مرفوعة بالابتداء وواجفة صفتها وابصارها خاشعة خبرها فهو كقوله تعالى ولعبد مؤمن خير من مشرك ● فان قلت ● كيف صح اضافة الابصار الى القلوب ● قلت ● معناه ابصار اصحابها بدليل قوله يقولون ● يقولون أئنا لمردودون في الحافرة ● أئذا كنا عظاما نخرة ● في الحافرة في الحالة الاولى يعنون الحيوة بعد الموت ● فان قلت ● ما حقيقة هذه الكلمة ● قلت ● يقال رجع فلان في حافرته اي في طريقته التي جاء فيها فحفرها اي اثر فيها بمشيه فيها جعل اثر قدميه حفرا كما قيل حفرت اسنانه حفرا اذا اثر الاكال في اسناخها والخط المحفور في الصخر وقيل حافرة كما قيل عيشة راضية اي منسوبة الى الحفر والرضى او كقولهم نهارك صائم ثم قيل لمن كان في امر فخرج منه ثم عاد اليه رجع الى حافرته اي الى طريقته وحالته الاولى قال ● احافرة على صلع وشيب ● معاذ الله من سفه وعار ● يريد ارجوعا الى حافرة وقيل النقد عند الحافرة يريدون عند الحالة الاولى وهي الصفقة وقرأ ابو حيوة في الحفرة والحفرة بمعنى المحفورة يقال نخر العظم فهو نخر وناخر كقولك طمع فهو طامع وفعل ابلغ من فاعل وقد قرئ بهما وهو البالي الاجوف الذي تمر فيه الريح فيسمع له نخير ● قالوا تلك اذا كرة خاسرة ● فانما هي زجرة واحدة ● فاذا هم بالساهرة ● واذا منصوب بمحذوف تقديره أئذا كنا عظاما نرد ونبعث كرة خاسرة منسوبة الى الخسران او خاسر اصحابها والمعنى انها ان صحت فنحن اذن خاسرون لتكذيبنا بها وهذا استهزاء منهم ● فان قلت ● بم تعلق قوله تعالى فانما هي زجرة واحدة ● قلت ● بمحذوف معناه لا تستصعبوها فانما هي زجرة واحدة يعني لا تحسبوا

تلك الكرة صعبة على الله تعالى فانها سهلة هينة في قدرته تعالى وهي الا صيحة واحدة يريد النفخة الثانية فاذا
هم احياء على وجه الارض بعد ما كانوا امواتا في جوفها من قولهم زجر البعير اذا صاح عليه والساهرة الارض البيضاء
المستوية سميت بذلك لان السراب يجري فيها من قولهم عين ساهرة جارية الماء وفي ضدها نائمة قال الاشعث بن قيس
وساهرة يضحي السراب مجللا لاقطارها قد جبتها متلثما ولان سالكها لا ينام خوف الهلكة وعن قتادة فاذا هم في جهنم

هل اتاك حديث موسى اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى اذهب الى فرعون انه طغى
فقل هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى اذهب على ارادة القول وفي قراءة عبد الله
ان اذهب لان في النداء معنى القول هل لك في كذا وهل لك الى كذا كما تقول هل ترغب فيه وهل ترغب اليه الى ان تزكى الى
ان تتطهر من الشرك وقرأ اهل المدينة تزكى بالادغام واهديك الى ربك وارشدك الى معرفة الله تعالى وانبهك عليه
فتعرفه فتخشى لان الخشية لا تكون الا بالمعرفة قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء اي العلماء به وذكر الخشية
لانها ملاك الامر لان من خشي الله تعالى اتى منه كل خير ومن امن اجترأ على كل شر ومنه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم من خاف ادلج
ومن ادلج بلغ المنزل بدأ مخاطبته بالاستفهام الذي معناه العرض كما يقول الرجل لضيفه هل لك ان تنزل بنا واردفه الكلام الرقيق
ليستدعيه بالتلطف في القول ويستنزله بالمداراة من عتوه كما امر بذلك في قوله تعالى فقولا له قولا لينا

فاراه الاية الكبرى فكذب وعصى ثم ادبر يسعى فحشر فنادى فقال انا ربكم
الاعلى الاية الكبرى قلب العصا حية لانها كانت المقدمة والاصل والاخرى كالتبع لها لانه كان يتقيها بيده فقيل
له ادخل يدك في جيبك او ارادهما جميعا الا انه جعلهما واحدة لان الثانية كانت من جملة الاولى لكونها تابعة لها فكذب
بموسى عليه السلام والاية الكبرى وسماهما ساحرا وسحرا وعصى الله تعالى بعد ما علم صحة الامر وان الطاعة قد وجبت عليه
ثم ادبر يسعى اي لما راى الثعبان ادبر مرعوبا يسعى يسرع في مشيته قال الحسن رحمه الله تعالى كان رجلا طياشا خفيفا
او تولى عن موسى يسعى ويجتهد في مكايدته او اريد ثم اقبل يسعى كما تقول اقبل فلان يفعل كذا بمعنى انشأ يفعل فوضع ادبر
موضع اقبل لئلا يوصف بالاقبال فحشر فجمع السحرة كقوله تعالى فارسل فرعون في المدائن حاشرين فنادى في المقام الذي اجتمعوا
فيه معه او امر مناديا فنادى في الناس بذلك وقيل قام فيهم خطيبا فقال تلك العظيمة وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
كلمته الاولى ما علمت لكم من اله غيري والاخرة انا ربكم الاعلى **فاخذه الله نكال الاخرة والاولى ان**
في ذلك لعبرة لمن يخشى هو مصدر مؤكد كوعد الله وصبغة الله كانه قيل نكل الله به نكال الاخرة والاولى
والنكال بمعنى التنكيل كالسلام بمعنى التسليم يعني الاغراق في الدنيا والاحراق في الاخرة وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
نكال كلمته الاخرة وهي قوله انا ربكم الاعلى والاولى وهي قوله ما علمت لكم من اله غيري وقيل كان بين الكلمتين اربعون سنة وقيل عشرون

ءانتم اشد خلقا ام السماء بناها رفع سمكها فسواها واغطش ليلها واخرج ضحاها
الخطاب لمنكري البعث يعني اانتم اصعب خلقا وانشاء ام السماء ثم بين كيف خلقها فقال بناها ثم بين البناء فقال
رفع سمكها اي جعل مقدار ذهابها في سمت العلو مديدا رفيعا مسيرة خمسمائة عام فسواها فعدلها مستوية ملساء ليس فيها
تفاوت ولا فطور او فتممها بما علم انها تتم به واصلحها من قولك سوى فلان امر فلان اغطش الليل واغطشه الله تعالى
كقولك ظلم واظلمه ويقال ايضا اغطش الليل كما يقال اظلم واخرج ضحاها وابرز ضوء شمسها يدل عليه قوله عز وجل والشمس وضحاها
يريد وضوءها وقولهم وقت الضحى للوقت الذي تشرق فيه الشمس ويقوم سلطانها واضيف الليل والشمس الى السماء لان
الليل ظلها والشمس هي السراج المثبت في جوها **والارض بعد ذلك دحاها اخرج منها ماءها**
ومرعاها والجبال ارساها ماءها عيونها المتفجرة بالماء ومرعاها رعيها وهو في الاصل موضع الرعي
ونصب الارض والجبال باضمار دحا وارسى وهو الاضمار على شريطة التفسير وقرأهما الحسن مرفوعين على الابتداء **فان قلت**
هلا ادخل حرف العطف على اخرج **قلت** فيه وجهان احدهما ان يكون معنى دحاها بسطها ومهدها للسكنى ثم فسر
التمهيد بما لا بد منه في تأتي سكناها من تسوية امر المأكل والمشرب وامكان القرار عليها والسكون باخراج الماء والمرعى
وارساء الجبال واثباتها اوتادا لها حتى تستقر ويستقر عليها والثاني ان يكون اخرج حالا باضمار قد كقوله عز وعلا
او جاؤكم حصرت صدورهم واراد بمرعاها ما يأكل الناس والانعام واستعير الرعي للانسان كما استعير الرتع في قوله تعالى

نرتع ونلعب وقرئ نرتع من الرعي ولهذا قيل دل الله سبحانه وتعالى بذكر الماء والمرعى على عامة ما يرتفق به ويتمتع مما يخرج
من الارض حتى الملح لانه من الماء **متاعا لكم ولانعامكم** متاعا لكم فعل ذلك تمتيعا لكم ولانعامكم لان منفعة ذلك
التمهيد واصلة اليهم والى انعامهم **فاذا جاءت الطامة الكبرى يوم يتذكر الانسان ما سعى**
وبرزت الجحيم لمن يرى الطامة الداهية التي تطم على الدواهي اي تعلو وتغلب وفي امثالهم جرى
الوادي فطم على القرى هي القيمة لطمها على كل هائلة وقيل هي النفخة الثانية وقيل الساعة التي يساق فيها
اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار يوم يتذكر بدل من اذا جاءت يعني اذا رأى اعماله مدونة في كتابه تذكرها وكان
قد نسيها كقوله تعالى احصاه الله ونسوه وما في ما سعى موصولة او مصدرية وبرزت واظهرت وقرأ ابو نهيك وبرزت
لمن يرى للرائين جميعا اي لكل احد يعني انها تظهر اظهارا بينا مكشوفا يراها اهل الساحة كلهم كقولهم قد بين الصبح لذي
عينين يريدون لكل من له بصر وهو مثل في الامر المنكشف الذي لا يخفى على احد وقرأ ابن مسعود لمن رأى وقرأ
عكرمة لمن ترى والضمير للجحيم كقوله تعالى اذا رأتهم من مكان بعيد وقيل لمن ترى يا محمد **فاما من طغى واثر**
الحيوة الدنيا فان الجحيم هي الماوى واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن
الهوى فان الجنة هي الماوى فاما جواب فاذا اي فاذا جاءت الطامة فان الامر كذلك والمعنى
فان الجحيم مأواه كما تقول للرجل غض الطرف تريد طرفك وليس الالف واللام بدلا من الاضافة ولكن لما علم ان الطاغي
هو صاحب الماوى وانه لا يغض الرجل طرف غيره تركت الاضافة ودخول حرف التعريف في الماوى والطرف للتعريف
لانهما معروفان وهي فصل او مبتدأ ونهى النفس الامارة بالسوء عن الهوى المردي وهو اتباع الشهوات وزجرها وضبطها
بالصبر والتوطين على ايثار الخير وقيل الايتان نزلتا في ابي عزيز بن عمير ومصعب بن عمير وقد قتل مصعب اخاه ابا عزيز
يوم احد ووقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه حتى نفذت المشاقص في جوفه **يسألونك عن الساعة**
ايان مرسها فيم انت من ذكرها الى ربك منتهاها ايان مرساها متى ارساؤها اي اقامتها
ارادوا متى يقيمها الله تعالى ويثبتها ويكونها وقيل ايان منتهاها ومستقرها كما ان مرسى السفينة مستقرها حيث تنتهي
اليه فيم انت في اي شيء انت من ان تذكر وقتها لهم وتعلمهم به يعني ما انت من ذكرها لهم وتبيين وقتها في شيء وعن عائشة
رضي الله تعالى عنها لم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الساعة ويسأل عنها حتى نزلت فهو على هذا تعجب من كثرة
ذكره لها كانه قيل في اي شغل واهتمام انت من ذكرها والسؤال عنها والمعنى انهم يسألونك عنها فلحرصك على
جوابهم لا تزال تذكرها وتسأل عنها ثم قال الى ربك منتهاها اي منتهى علمها لم يؤت علمها احدا من خلقه وقيل فيم انكار
لسؤالهم اي فيم هذا السؤال ثم قيل انت من ذكراها اي ارسالك وانت خاتم النبيين واخر الرسل المبعوث في نسيم
الساعة ذكر من ذكراها وعلامة من علاماتها فكفاهم بذلك دليلا على دنوها ومشارفتها ووجوب الاستعداد لها ولا معنى
لسؤالهم عنها **انما انت منذر من يخشاها كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها**
انما انت منذر من يخشاها اي لم تبعث لتعلمهم بوقت الساعة الذي لا فائدة لهم في علمه وانما بعثت لتنذر من اهوالها من يكون
من انذارك لطفا له في الخشية منها وقرئ منذر بالتنوين وهو الاصل والاضافة تخفيف وكلاهما يصلح للحال والاستقبال فاذا اريد الماضي
فليس الا الاضافة كقولك هو منذر زيد امس كانهم لم يلبثوا في الدنيا وقيل في القبور الا عشية او ضحاها **فان قلت** كيف صحت
اضافة الضحى الى العشية **قلت** لما بينهما من الملابسة لاجتماعهما في نهار واحد **فان قلت** فهلا قيل الا عشية او ضحى
وما فائدة الاضافة **قلت** الدلالة على ان مدة لبثهم كانها لم تبلغ يوما كاملا ولكن ساعة منه عشيته او ضحاه فلما ترك اليوم
اضافه الى عشيته فهو كقوله تعالى لم يلبثوا الا ساعة من نهار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النازعات كان
ممن حبسه الله تعالى في القبر والقيامة حتى يدخل الجنة قدر صلوة مكتوبة

سورة عبس مكية وهي احدى او اثنتان واربعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم عبس وتولى ان جاءه الاعمى وما يدريك
لعله يزكى او يذكر فتنفعه الذكرى اتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ابن ام مكتوم وام مكتوم ام ابيه

واسمه عبد الله بن شريح بن مالك بن ربيعة الفهري رضي الله تعالى عنه من بني عامر بن لؤي وعنده صناديد قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة وابو جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وامية بن خلف والوليد بن المغيرة يدعوهم الى الاسلام رجاء ان يسلم باسلامهم غيرهم فقال يا رسول الله اقرئني وعلمني مما علمك الله تعالى وكرر ذلك وهو لا يعلم تشاغله بالقوم فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعه لكلامه وعبس واعرض عنه فنزلت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرمه ويقول اذا راه مرحبا بمن عاتبني فيه ربي ويقول هل لك من حاجة واستخلفه على المدينة مرتين وقال انس رضي الله تعالى عنه رايته يوم القادسية وعليه درع وله راية سوداء وقرئ عبّس بالتشديد للمبالغة ونحوه كلّح في كلح ان جاءه منصوب بتولى او بعبس على اختلاف المذهبين ومعناه عبس لان جاءه الاعمى وفعل ذلك انكارا عليه وروي انه ما عبس بعدها في وجه فقير قط ولا تصدى لغني وفي الاخبار عما فرط منه ثم الاقبال عليه بالخطاب دليل على زيادة الانكار كمن يشكو الى الناس جانيا جنى عليه ثم يقبل على الجاني اذا حمي في الشكاية مواجها بالتوبيخ والزام الحجة وفي ذكر الاعمى نحو من ذلك كانه يقول قد استحق عنده العبوس والاعراض لانه اعمى وكان يجب ان يزيده لعماه تعطفا وترؤفا وتقريبا وترحيبا ولقد تادب الناس بادب الله تعالى في هذا تادبا حسنا فقد روي عن سفيان الثوري رحمه الله تعالى ان الفقراء كانوا في مجلسه امراء وما يدريك واي شيء يجعلك داريا بهذا الاعمى لعله يزكى اي يتطهر بما يتلقن من الشرائع من بعض اوضار الاثم او يذكر او يتعظ فتنفعه ذكراك اي موعظتك وتكون له لطفا في بعض الطاعات والمعنى انك لا تدري ما هو مترقب منه من تزك او تذكر ولو دريت لما فرط ذلك منك وقيل الضمير في لعله للكافر يعني طمعت في ان يتزكى بالاسلام او يذكر فتقربه الذكرى الى قبول الحق وما يدريك ان ما طمعت فيه كائن وقرئ فتنفعَه بالنصب جوابا للعل كقوله تعالى فاطلع الى اله موسى

اما من استغنى فانت له تصدى وما عليك الا يزكى واما من جاءك يسعى وهو يخشى فانت عنه تلهى كلا انها تذكرة

تصدى تتعرض بالاقبال عليه والمصاداة المعارضة وقرئ تصّدى بالتشديد بادغام التاء في الصاد وقرا ابو جعفر تُصدى بضم التاء اي تعرض ومعناه يدعوك داع الى التصدي له من الحرص والتهالك على اسلامه وليس عليك باس في ان لا يتزكى بالاسلام ان عليك الا البلاغ يسعى يسرع في طلب الخير وهو يخشى الله او يخشى الكفار واذاهم في اتيانك وقيل جاء وليس معه قائد فهو يخشى الكبوة تلهى تتشاغل من لهي عنه والتهى وتلهى وقرا طلحة بن مصرف تتلهى وقرا ابو جعفر تُلهى اي يلهيك شان الصناديد فان قلت قوله تعالى فانت له تصدى فانت عنه تلهى كان فيه اختصاصا قلت نعم ومعناه انكار التصدي والتلهي عليه اي مثلك خصوصا لا ينبغي ان يتصدى للغني ويتلهى عن الفقير كلا ردع عن المعاتب عليه وعن معاودة مثله انها تذكرة اي موعظة يجب الاتعاظ بها والعمل بموجبها

فمن شاء ذكره في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بايدي سفرة كرام بررة

فمن شاء ذكره اي كان حافظا له غير ناس عنه وذكر الضمير لان التذكرة في معنى الذكر والوعظ في صحف صفة لتذكرة يعني انها مثبتة في صحف منتسخة من اللوح مكرمة عند الله عز وجل مرفوعة في السماء او مرفوعة المقدار مطهرة منزهة عن ايدي الشياطين لا يمسها الا ايدي ملائكة مطهرين سفرة كتبة ينتسخون الكتب من اللوح بررة اتقياء وقيل هي صحف الانبياء عليهم السلام كقوله تعالى ان هذا لفي الصحف الاولى وقيل السفرة القراء وقيل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

قتل الانسان ما اكفره من اي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره

قتل الانسان دعاء عليه وهي من اشنع دعواتهم لان القتل قصارى شدائد الدنيا وفظائعها وما اكفره تعجب من افراطه في كفران نعمة الله تعالى ولا ترى اسلوبا اغلظ منه ولا اخشن مسا ولا ادل على سخط ولا ابعد شوطا في المذمة مع تقارب طرفيه ولا اجمع للائمة على قصر متنه ثم اخذ في وصف حاله من ابتداء حدوثه الى ان انتهى وما هو مغمور فيه من اصول النعم وفروعها وما هو غارز فيه راسه من الكفران والغمط وقلة الالتفات الى ما يتقلب فيه والى ما يجب عليه من القيام بالشكر من اي شيء خلقه من اي شيء حقير مهين خلقه ثم بين ذلك الشيء بقوله تعالى من نطفة خلقه فقدره فهيأه لما يصلح له ويختص به ونحوه وخلق كل شيء فقدره تقديرا

ثم السبيل يسره ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره كلا لما يقض ما امره

نصب السبيل باضمار يسر وفسره بيسره والمعنى ثم سهل سبيله وهو مخرجه من بطن امه او السبيل الذي يختار سلوكه من طريقي الخير والشر فاقبره فجعله ذا قبر يوارى فيه تكرمة له ولم يجعله مطروحا على وجه الارض جزرا للسباع والطير كسائر الحيوان يقال قبر الميت اذا دفنه واقبره الميت اذا امره ان يقبره ومكنه منه ومنه قول من قال للحجاج اقبرنا صالحا انشره انشاه النشاة الاخرى وقرئ نشره كلا ردع للانسان عما هو عليه لما يقض لم يقض بعد مع تطاول الزمان وامتداده من لدن ادم عليه السلام

الى هذه الغاية ما امره الله تعالى حتى يخرج عن جميع اوامره يعني ان انسانا لم يخل من تقصير قط

فلينظر الانسان الى طعامه انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا فانبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وابا متاعا لكم ولانعامكم

ولما عدد النعم في نفسه اتبعه ذكر النعم فيما يحتاج اليه فقال فلينظر الانسان الى مطعمه الذي يعيش به كيف دبرنا امره انا صببنا الماء يعني الغيث قرئ بالكسر على الاستئناف وبالفتح على البدل من الطعام وقرا الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهما انّى صببنا بالامالة على معنى فلينظر الانسان كيف صببنا الماء شققنا من شق الارض بالنبات ويجوز ان يكون من شقها بالكراب على البقر واسند الشق الى نفسه اسناد الفعل الى السبب والحب كل ما حصد من نحو الحنطة والشعير وغيرهما والقضب الرطبة والمقاضب ارضه سمي بمصدر قضبه اذا قطعه لانه يقضب مرة بعد مرة وحدائق غلبا يحتمل ان يجعل كل حديقة غلباء فيريد تكاثفها وكثرة اشجارها وعظمها كما تقول حديقة ضخمة وان يجعل شجرها غلبا اي عظاما غلاظا والاصل في الوصف بالغلب الرقاب فاستعير قال عمرو بن معدي كرب

يمشي بها غلب الرقاب كانهم • بزل كسين من الكحيل جلالا

والاب المرعى لانه يؤب اي يؤم وينتجع والاب والام اخوان قال

جذمنا قيس ونجد دارنا • ولنا الاب به والمكرع

وعن ابي بكر رضي الله تعالى عنه انه سئل عن الاب فقال اي سماء تظلني واي ارض تقلني اذا قلت في كتاب الله تعالى ما لا علم لي به وعن عمر رضي الله تعالى عنه انه قرا هذه الاية فقال كل هذا قد عرفنا فما الاب ثم رفض عصا كانت بيده وقال هذا لعمر الله التكلف وما عليك يا ابن ام عمر ان لا تدري ما الاب ثم قال اتبعوا ما تبين لكم من هذا الكتاب وما لا فدعوه فان قلت فهذا يشبه النهي عن تتبع معاني القران والبحث عن مشكلاته قلت لم يذهب الى ذلك ولكن القوم كانت اكبر همتهم عاكفة على العمل وكان التشاغل بشيء من العلم لا يعمل به تكلفا عندهم فاراد ان الاية مسوقة في الامتنان على الانسان بمطعمه واستدعاء شكره وقد علم من فحوى الاية ان الاب بعض ما انبته الله تعالى للانسان متاعا له او لانعامه فعليك بما هو اهم من النهوض بالشكر لله عز وجل على ما تبين لك ولم يشكل مما عدد من نعمه ولا تتشاغل عنه بطلب معنى الاب ومعرفة النبات الخاص الذي هو اسم له واكتف بالمعرفة الجلية الى ان يتبين لك في غير هذا الوقت ثم وصى الناس بان يجروا على هذا السنن فيما اشبه ذلك من مشكلات القران

فاذا جاءت الصاخة يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه

يقال صخ لحديثه مثل اصاخ له فوصفت النفخة بالصاخة مجازا لان الناس يصخون لها يفر منهم لاشتغاله بما هو مدفوع اليه ولعلمه انهم لا يغنون عنه شيئا وبدا بالاخ ثم بالابوين لانهما اقرب منه ثم بالصاحبة والبنين لانهم اقرب واحب كانه قيل يفر من اخيه بل من ابويه بل من صاحبته وبنيه وقيل يفر منهم حذرا من مطالبتهم بالتبعات يقول الاخ لم تواسني بمالك والابوان قصرت في برنا والصاحبة اطعمتني الحرام وفعلت وصنعت والبنون لم تعلمنا ولم ترشدنا وقيل اول من يفر من اخيه هابيل ومن ابويه ابراهيم ومن صاحبته نوح ولوط ومن ابنه نوح عليهم الصلوة والسلام يغنيه يكفيه في الاهتمام به وقرئ يعنيه اي يهمه

وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة اولئك هم الكفرة الفجرة

مسفرة مضيئة متهللة من اسفر الصبح اذا اضاء وعن ابن عباس من قيام الليل لما روي في الحديث من كثر صلوته بالليل حسن وجهه بالنهار وعن الضحاك من اثار الوضوء وقيل من طول ما اغبرت في سبيل الله تعالى غبرة غبار يعلوها قترة سواد كالدخان ولا ترى اوحش من اجتماع الغبرة والسواد في الوجه كما ترى من وجوه الزنوج اذا اغبرت وكان الله عز وجل يجمع الى سواد وجوههم الغبرة كما جمعوا الفجور الى الكفر عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قرا سورة عبس وتولى جاء يوم القيمة ووجهه ضاحك مستبشر

سورة التكوير مكية

وهي تسع وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت واذا الجبال سيرت واذا العشار عطلت واذا الوحوش حشرت

في التكوير وجهان ان يكون من كورت العمامة اذا لففتها اي يلف ضوؤها لفا فيذهب انبساطه وانتشاره في الآفاق وهي عبارة
عن ازالتها والذهاب بها لانها ما دامت باقية كان ضوؤها منبسطا غير ملفوف او يكون لفها عبارة عن رفعها وسترها لان الثوب
اذا اريد رفعه لف وطوي ونحوه قوله تعالى يوم نطوي السماء وان يكون من طعنه فجوره وكوره اذا القاه اي تلقى وتطرح عن
فلكها كما وصفت النجوم بالانكدار فان قلت ارتفاع الشمس على الابتداء او على الفاعلية قلت بل على الفاعلية
رافعها فعل مضمر يفسره كورت لان اذا تطلب الفعل لما فيه من معنى الشرط انكدرت انقضت قال ابصر خربان فضاء فانكدر
ويروى في الشمس والنجوم انها تطرح في جهنم ليراها من عبدها كما قال انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم سيرت اي عن
الارض او سيرت في الجو تسيير السحاب كقوله تعالى وهي تمر مر السحاب والعشار في جمع عشراء كالنفاس في جمع نفساء وهي
التي اتى على حملها عشرة اشهر ثم هو اسمها الى ان تضع لتمام السنة وهي انفس ما يكون عند اهلها واعزها عليهم عطلت تركت مسيبة
مهملة وقيل عطلها اهلها عن الحلب والصر لاشتغالهم بانفسهم وقرئ عطلت بالتخفيف حشرت جمعت من كل ناحية
قال قتادة يحشر كل شيء حتى الذباب للقصاص وقيل اذا قضي بينها ردت ترابا فلا يبقى الا ما فيه سرور لبني آدم واعجاب بصورته
كالطاوس ونحوه وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما حشرها موتها يقال اذا اجحفت السنة بالناس حشرتهم السنة وقرئ حشرت
بالتشديد وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ
ذَنْبٍ قُتِلَتْ سجرت بالتخفيف والتشديد من سجر التنور اذا ملأه بالحطب اي ملئت وفجر بعضها الى بعض حتى
تعود بحرا واحدا وقيل ملئت نيرانا تضطرم لتعذيب اهل النار وقال الحسن رحمه الله تعالى يذهب ماؤها فلا يبقى قطرة زوجت
قرنت كل نفس بشكلها وقيل قرنت الارواح بالاجساد وقيل بكتبها واعمالها وعن الحسن هو كقوله سبحانه وتعالى
وكنتم ازواجا ثلاثة وقيل نفوس المؤمنين بالحور ونفوس الكافرين بالشياطين وأد يئد مقلوب من آد يؤود اذا اثقل
قال الله تعالى ولا يؤده حفظهما لانه اثقال بالتراب كان الرجل اذا ولدت له بنت واراد ان يستحييها البسها جبة من صوف او شعر
ترعى له الابل والغنم في البادية واذا اراد قتلها تركها حتى اذا كانت سداسية فيقول لامها طيبيها وزينيها حتى اذهب
بها الى احمائها وقد حفر لها بئرا في الصحراء فيبلغ بها البئر فيقول لها انظري فيها ثم يدفعها من خلفها ويهيل عليها التراب حتى يستوي
البئر بالارض وقيل كانت الحامل اذا اقربت حفرت حفرة فتمخضت على رأس الحفرة فاذا ولدت بنتا رمت بها في
الحفرة وان ولدت ابنا حبسته فان قلت ما حملهم على وأد البنات قلت الخوف من لحوق العار بهم من اجلهن
او الخوف من الاملاق كما قال الله تعالى ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق وكانوا يقولون ان الملائكة بنات الله تعالى فالحقوا
البنات به فهو احق بهن وصعصعة بن ناجية ممن منع الوأد فبه افتخر الفرزدق في قوله ومنا الذي منع الوائدات فاحيا الوئيد
فلم توأد فان قلت فما معنى سؤال الموءودة عن ذنبها الذي قتلت به وهلا سئل الوائد عن موجب قتله لها قلت
سؤالها وجوابها تبكيت لقاتلها نحو التبكيت في قوله تعالى لعيسى عليه السلام أأنت قلت للناس الى قوله تعالى سبحانك
ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق وقرئ سألت اي خاصمت عن نفسها وسألت الله عز وجل او قاتلها وانما قيل قتلت بناء
على ان الكلام اخبار عنها ولو حكي ما خوطبت به حين سئلت لقيل قتلت او كلامها حين سألت لقيل قتلت وقرأ ابن عباس
قتلت على الحكاية وقرئ قتلت بالتشديد وفيه دليل بين على ان اطفال المشركين لا يعذبون وعلى ان التعذيب لا يستحق الا بالذنب
واذا بكت الله الكافر ببراءة الموءودة من الذنب فما اقبح به وهو الذي لا يظلم مثقال ذرة ان يكر عليها بعد هذا
التبكيت فيفعل بها ما تنسى عنده فعل المبكت من العذاب الشديد وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه سئل عن ذلك فاحتج
بهذه الآية وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ
وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ نشرت قرئ بالتخفيف والتشديد يريد صحف الاعمال تطوى
صحيفة الانسان عند موته ثم تنشر اذا حوسب وعن قتادة صحيفتك يا ابن آدم تطوى على عملك ثم تنشر يوم القيامة فلينظر
رجل ما يملي في صحيفته وعن عمر رضي الله تعالى عنه انه كان اذا قرأها قال اليك يساق الامر يا ابن آدم وعن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال يحشر الناس عراة حفاة فقالت ام سلمة رضي الله تعالى عنها كيف بالنساء فقال شغل الناس يا ام سلمة قالت وما شغلهم قال
نشر الصحف فيها مثاقيل الذر ومثاقيل الخردل ويجوز ان يراد نشرت بين اصحابها اي فرقت بينهم وعن مرثد بن وداعة اذا
كان يوم القيامة تطايرت الصحف من تحت العرش فتقع صحيفة المؤمن في يده في جنة عالية وتقع صحيفة الكافر في يده في سموم وحميم

اي مكتوب

اي مكتوب فيها ذلك وهي صحف غير صحف الاعمال كشطت كشفت وازيلت كما يكشط الاهاب عن الذبيحة والغطاء عن الشيء
وقرأ ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قشطت واعتقاب الكاف والقاف كثير يقال لبكت الثريد ولبقته والكافور والقافور
سعرت اوقدت ايقادا شديدا وقرئ سعرت بالتشديد للمبالغة قيل سعرها غضب الله تعالى وخطايا بني آدم ازلفت ادنيت
من المتقين كقوله عز وجل وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد قيل هذه اثنتا عشرة خصلة ست منها في الدنيا وست في الآخرة
وعلمت هو عامل النصب في اذا الشمس كورت وفيما عطف عليه فان قلت كل نفس تعلم ما احضرت كقوله تعالى يوم تجد كل نفس
ما عملت من خير محضرا لا نفس واحدة فما معنى قوله علمت نفس قلت هو من عكس كلامهم الذي يقصدون به الافراط
فيما يعكس عنه ومنه قوله عز وجل ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ومعناه معنى كم وابلغ منه قول القائل قد اترك
القرن مصفرا انامله وتقول لبعض قواد العساكر كم عندك من الفرسان فيقول رب فارس عندي ولا تعدم عندي فارسا وعنده المقانب وقصده بذلك التمادي في تكثير فرسانه ولكنه اراد اظهار براءته من التزيد
وانه ممن يقلل كثير ما عنده فضلا ان يتزيد فجاء بلفظ القليل ففهم منه معنى الكثرة على الصحة واليقين وعن ابن مسعود رضي الله عنه
ان قارئا قرأها عنده فلما بلغ علمت نفس ما احضرت قال وا انقطاع ظهرياه فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ
وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ الخنس الرواجع بينا ترى النجم في آخر البرج اذ كر راجعا الى
اوله والجواري السيارة والكنس الغيب من كنس الوحشي اذا دخل كناسه قيل هي الدراري الخمسة بهرام وزحل وعطارد
والزهرة والمشتري تجري مع الشمس والقمر وترجع حتى تخفى تحت ضوء الشمس فخنوسها رجوعها وكنوسها اختفاؤها تحت
ضوء الشمس وقيل هي جميع الكواكب تخنس بالنهار فتغيب عن العيون وتكنس بالليل اي تطلع في اماكنها كالوحش في
كنسها عسعس الليل وسعسع اذا ادبر قال العجاج حتى اذا الصبح لها تنفسا وانجاب عنها ليلها وعسعسا وقيل عسعس
اذا اقبل ظلامه فان قلت ما معنى تنفس الصبح قلت اذا اقبل الصبح اقبل باقباله روح ونسيم فجعل ذلك
نفسا له على المجاز وقيل تنفس الصبح إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ مُطَاعٍ
ثَمَّ أَمِينٍ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ انه الضمير للقرآن رسول كريم هو جبريل عليه السلام ذي قوة هو كقوله تعالى
شديد القوى ذو مرة لما كانت حال المكانة على حسب حال الممكن قال عند ذي العرش ليدل على عظم منزلته ومكانته ثم اشارة الى
الظرف المذكور اعني عند ذي العرش على انه عند الله عز وجل مطاع في ملائكته المقربين يصدرون عن امره ويرجعون الى رأيه وقرئ ثم
تعظيما للامانة وبيانا لانها افضل صفاته المعدودة وما صاحبكم يعني محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم بمجنون كما تبهته الكفرة وناهيك بهذا
دليلا على جلالة مكان جبريل عليه السلام وفضله على الملائكة ومباينة منزلته لمنزلة افضل الانس محمد صلوات الله تعالى وسلامه عليه
اذا وازنت بين الذكرين حين قرن بينهما وقايست بين قوله تعالى انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم
امين وبين قوله تعالى وما صاحبكم بمجنون وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ
وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ولقد رآه ولقد رأى
رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام بالافق المبين بمطلع الشمس الاعلى وما هو وما محمد صلى الله عليه وسلم على ما يخبر به
من الغيب من رؤية جبريل عليه السلام والوحي وغير ذلك بظنين بمتهم من الظنة وهي التهمة وقرئ بضنين من الضن وهو
البخل اي لا يبخل بالوحي فيزوي بعضه غير مبلغه او يسأل تعليمه فلا يعلمه وهو في مصحف عبد الله بالظاء وفي مصحف ابي بالضاد
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بهما واتقان الفصل بين الضاد والظاء واجب ومعرفة مخرجيهما مما لا بد منه للقارئ
فان اكثر العجم لا يفرقون بين الحرفين وان فرقوا ففرقا غير صواب وبينهما بون بعيد فان مخرج الضاد من اصل حافة اللسان
وما يليها من الاضراس من يمين اللسان او يساره وكان عمر رضي الله تعالى عنه اضبط يعمل بكلتي يديه وكان يخرج الضاد
من جانبي لسانه وهو احد الاحرف الشجرية اخت الجيم والشين واما الظاء فمخرجها من طرف اللسان واصول الثنايا
العليا وهي احدى الاحرف الذولقية اخت الذال والثاء ولو استوى الحرفان لما ثبتت في هذه الكلمة قراءتان اثنتان
واختلاف بين جبلين من جبال العلم ولما اختلف المعنى والاشتقاق والتركيب فان قلت فان وضع المصلي
احد الحرفين مكان صاحبه قلت هو كواضع الذال موضع الجيم والثاء مكان الشين لان التفاوت بين الظاء
والضاد كالتفاوت بين اخواتهما وما هو وما القرآن بقول شيطان رجيم اي بقول بعض المسترقة للسمع وبوحيهم الى
اوليائهم من الكهنة فاين تذهبون استضلال لهم كما يقال لتارك الجادة اعتسافا او ذهابا في بنيات الطريق اين تذهب

اولا تقدم عندي فارسا وعنده المقانب وقصده بذلك التمادي في تكثير فرسانه

مثلت حالهم كحاله في تركهم الحق وعدولهم عنه الى الباطل • لمن شاء منكم ان يستقيم • وما تشاؤن الا ان يشاء الله رب العالمين • لمن شاء منكم بدل من العالمين وانما ابدلوا منهم لان الذين شاؤا الاستقامة بالدخول في الاسلام هم المنتفعون بالذكر فكانه لم يوعظ به غيرهم وان كانوا موعظين جميعا وما تشاؤن الاستقامة يا من يشاؤها الا بتوفيق الله عز وجل او وما تشاؤنها انتم يا من لا تشاؤها الا بقسر الله تعالى والجائه • عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة كورت اعاذه الله تعالى ان يفضحه حين تنشر صحيفته

سورة انفطرت

مكية وهي تسع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم • اذا السماء انفطرت • واذا الكواكب انتثرت • واذا البحار فجرت • واذا القبور بعثرت • علمت نفس ما قدمت واخرت • انفطرت انشقت فجرت فتح بعضها الى بعض فاختلط العذب بالمالح وزال البرزخ الذي بينهما وصارت البحار بحرا واحدا وروي ان الارض تنشف الماء بعد امتلاء البحار فتصير مستوية وهو معنى التسجير عند الحسن وقرئ فجرت بالتخفيف وقرئ فجرت على البناء للفاعل والتخفيف بمعنى بغت لزوال البرزخ نظرا الى قوله تعالى لا يبغيان لان البغي والفجور اخوان بعثرت بحثر وبعثر بمعنى وهما مركبان من البعث والبحث مع راء مضمومة اليهما والمعنى بحثت واخرج موتاها وقيل لبراءة المبعثرة لانها بعثرت اسرار المنافقين • يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك في اي صورة ما شاء ركبك • **فان قلت** ما معنى قوله تعالى ما غرك بربك الكريم وكيف طابق الوصف بالكرم انكار الاغترار به وانما يغتر بالكريم كما يروى عن علي رضي الله عنه انه صاح بغلام له كرات فلم يلبه فنظر فاذا هو بالباب فقال له ما لك لم تجبني قال لثقتي بحلمك وأمني من عقوبتك فاستحسن جوابه واعتقه وقالوا من كرم الرجل سوء ادب غلمانه **قلت** معناه ان حق الانسان ان لا يغتر بتكرم الله تعالى عليه حيث خلقه حيا لينفعه وبتفضله عليه بذلك حتى يطمع بعد ما مكنه وكلفه فعصى وكفر النعمة المتفضل بها ان يتفضل عليه بالثواب وترك العقاب اغترارا بالتفضل الاول فانه منكر خارج من حد الحكمة ولهذا قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما تلاها غره جهله وقال عمر رضي الله تعالى عنه غره حمقه وجهله وقال الحسن غره والله شيطانه الخبيث اي زين له المعاصي وقال له افعل ما شئت فربك الكريم الذي تفضل عليك بما تفضل به اولا وهو متفضل عليك آخرا حتى ورطه وقيل للفضيل بن عياض رحمه الله تعالى ان اقامك الله تعالى يوم القيمة وقال لك ما غرك بربك الكريم ماذا تقول قال اقول غرتني ستورك المرخاة وهذا على سبيل الاعتراف بالخطأ في الاغترار بالستر وليس باعتذار كما يظنه الطماع ويظن به قصاص الحشوية ويروون عن ائمتهم انما قال بربك الكريم دون سائر صفاته ليلقن عبده الجواب حتى يقول غرني كرم الكريم وقرأ سعيد بن جبير رضي الله تعالى عنه ما اغرك اما على التعجب واما على الاستفهام من قولك غر الرجل فهو غار اذا غفل من قولك بيتهم العدو وهم غارون واغره غيره جعله غارا فسواك فجعلك سويا سالم الاعضاء فعدلك فصيرك معتدلا متناسب الخلق من غير تفاوت فيه فلم يجعل احدى اليدين اطول ولا احدى العينين اوسع ولا بعض الاعضاء ابيض وبعضها اسود ولا بعض الشعر فاحما وبعضه اشقر او جعلك معتدل الخلق تمشي قائما لا كالبهائم وقرئ فعدلك بالتخفيف وفيه وجهان احدهما ان يكون بمعنى المشدد اي عدل بعض اعضائك ببعض والثاني فعدلك فصرفك يقال عدله عن الطريق يعني فعدلك عن خلقة غيرك وخلقك خلقة حسنة مفارقة لسائر الخلق او فعدلك الى بعض الاشكال والهيئات وما في ما شاء مزيدة اي ركبك في اي صورة اقتضتها مشيئته وحكمته من الصور المختلفة في الحسن والقبح والطول والقصر والذكورة والانوثة والشبه ببعض الاقارب وخلاف الشبه **فان قلت** هلا عطفت هذه الجملة كما عطف ما قبلها **قلت** لانها بيان لعدلك **فان قلت** بم يتعلق الجار **قلت** يجوز ان يتعلق بركبك على معنى وضعك في بعض الصور ومكنك فيه وبمحذوف اي ركبك حاصلا في بعض الصور ومحله النصب على الحال ان علق بالمحذوف ويجوز ان يتعلق بعدلك ويكون في اي معنى التعجب اي فعدلك في صورة عجيبة ثم قال ما شاء ركبك اي ركبك ما شاء من التراكيب يعني تركيبا حسنا • كلا بل تكذبون بالدين • وان عليكم لحافظين • كراما كاتبين • يعلمون ما تفعلون

ان الابرار لفي نعيم • وان الفجار لفي جحيم • يصلونها يوم الدين • وما هم عنها بغائبين • كلا ارتدعوا عن الاغترار بكرم الله تعالى والتسلق به وهو موجب الشكر والطاعة الى عكسهما الذي هو الكفر والمعصية ثم قال بل تكذبون بالدين اصلا وهو الجزاء او دين الاسلام فلا تصدقون ثوابا ولا عقابا وهو شر من الطمع المنكر وان عليكم لحافظين تحقيق لما يكذبون به من الجزاء يعني انكم تكذبون بالجزاء والكاتبون يكتبون عليكم اعمالكم لتجازوا بها وفي تعظيم الكتبة بالثناء عليهم تعظيم لامر الجزاء وانه عند الله تعالى من جلائل الامور ولولا ذلك لما وكل بضبط ما يحاسب به ويجازى به الملائكة الكرام الحفظة الكتبة وفيه انذار وتهويل وتشوير للعصاة ولطف للمؤمنين • وعن الفضيل انه كان اذا قرأها قال ما اشدها من آية على الغافلين وما هم عنها بغائبين كقوله وما هم بخارجين منها ويجوز ان يراد يصلون النار يوم الدين وما يغيبون عنها قبل ذلك يعني في قبورهم وقيل اخبر الله تعالى في هذه السورة ان لابن آدم ثلاث حالات حال الحيوة التي يحفظ فيها عمله وحال الآخرة التي يجازى فيها وحال البرزخ وهو قوله تعالى وما هم عنها بغائبين • وما ادراك ما يوم الدين • ثم ما ادراك ما يوم الدين • يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله • يعني ان امر يوم الدين بحيث لا يدرك دراية دار كنهه في الهول والشدة وكيف ما تصورته فهو فوق ذلك وعلى اضعافه والتكرير لزيادة التهويل ثم اجمل القول في وصفه فقال يوم لا تملك نفس لنفس شيئا اي لا تستطيع دفعا عنها ولا نفعا لها بوجه ولا امر الا لله وحده ومن رفع يوم فعلى البدل من يوم الدين او على هو يوم لا تملك ومن نصب فباضمار يدانون لان الدين يدل عليه او باضمار اذكر ويجوز ان يفتح لاضافته الى غير متمكن وهو في محل الرفع • عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ اذا السماء انفطرت كتب الله له بعدد كل قطرة من السماء حسنة وبعدد كل قبر حسنة

سورة المطففين

مختلف فيها وهي ست وثلثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم • ويل للمطففين • الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون • واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون • التطفيف البخس في الكيل والوزن لان ما يبخس شيء طفيف حقير • وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وكانوا من اخبث الناس كيلا فنزلت فاحسنوا الكيل وقيل قدمها وبها رجل يعرف بابي جهينة ومعه صاعان يكيل باحدهما ويكتال بالآخر وقيل كان اهل المدينة تجارا يطففون وكانت بياعاتهم المنابذة والملامسة والمخاطرة فنزلت فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأها عليهم وقال خمس بخمس قيل يا رسول الله وما خمس بخمس قال ما نقض قوم العهد الا سلط الله تعالى عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما انزل الله فيهم الا فشا فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت ولا طففوا الكيل الا منعوا النبات واخذوا بالسنين ولا منعوا الزكوة الا حبس عنهم القطر • وعن علي رضي الله تعالى عنه انه مر برجل يزن الزعفران وقد ارجح فقال له اقم الوزن بالقسط ثم ارجح بعد ذلك ما شئت كانه امره بالتسوية اولا ليعتادها ويفصل الواجب من النفل • وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انكم معشر الاعاجم وليتم امرين بهما هلك من كان قبلكم المكيال والميزان وخص الاعاجم لانهم يجمعون الكيل والوزن جميعا وكانا مفرقين في الحرمين كان اهل مكة يزنون واهل المدينة يكيلون وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما انه كان يمر بالبائع فيقول اتق الله واوف الكيل فان المطففين يوقفون يوم القيمة لعظمة الرحمن حتى ان العرق ليلجمهم وعن عكرمة اشهد ان كل كيال ووزان في النار فقيل له ان ابنك كيال او وزان فقال اشهد انه في النار • وعن ابي رضي الله تعالى عنه لا تلتمس الحوائج ممن رزقه في رؤس المكاييل والسن الموازين ولما كان اكتيالهم من الناس اكتيالا يضرهم ويتحامل فيه عليهم ابدل على مكان من للدلالة على ذلك ويجوز ان يتعلق على بيستوفون ويقدم المفعول على الفعل لافادة الخصوصية اي يستوفون على الناس خاصة فاما انفسهم فيستوفون لها وقال الفراء من وعلى يعتقبان في هذا الموضع لانه حق عليه فاذا قال اكتلت عليك فكانه قال اخذت ما عليك واذا قال اكتلت منك فكقوله استوفيت منك والضمير في كالوهم او وزنوهم ضمير منصوب راجع الى الناس وفيه وجهان

ان يراد كالوا لهم او وزنوا لهم فحذف الجار واوصل الفعل كما قال • ولقد جنيتك اكموا وعساقلا • ولقد نهيتك عن
بنات الاوبر • والحريص يصيدك لا الجواد بمعنى جنيت لك ويصيد لك • وان يكون على حذف المضاف واقامة المضاف اليه
مقامه والمضاف هو المكيل او الموزون ولا يصح ان يكون ضميرا مرفوعا للمطففين لان الكلام يخرج به الى نظم فاسد وذلك
ان المعنى اذا اخذوا من الناس استوفوا واذا اعطوهم اخسروا وان جعلت الضمير للمطففين انقلب الى قولك اذا اخذوا من
الناس استوفوا واذا تولوا الكيل او الوزن هم على الخصوص اخسروا وهو كلام متنافر لان الحديث واقع في الفعل لا في المباشر
والتعلق في ابطاله بخط المصحف وان الالف التي تكتب بعد واو الجمع غير ثابتة فيه ركيك لان خط المصحف لم يراع
كثير منه حد المصطلح عليه في علم الخط على اني رأيت في الكتب المخطوطة بايدي ائمة المتقنين هذه الالف مرفوضة لكونها غير ثابتة
في اللفظ والمعنى جميعا لان اللام وحدها معطية معنى الجمع وانما كتبت هذه الالف تفرقة بين واو الجمع وغيرها في نحو قولك
هم لم يدعوا وهو يدعو فمن لم يثبتها قال المعنى كاف في التفرقة بينهما • وعن عيسى بن عمر وحمزة انهما كانا يرتكبان
ذلك اي يجعلان الضميرين للمطففين ويقفان عند الواوين وقيفة يبينان بها ما ارادا **فان قلت** هلا قيل او
اتزنوا كما قيل او وزنوهم **قلت** كان المطففين كانوا لا يأخذون ما يكال ويوزن الا بالمكاييل دون الموازين لتمكنهم
بالاكتيال من الاستيفاء والسرقة لانهم يدعدعون ويحتالون في الملء واذا اعطوا كالوا او وزنوا لتمكنهم من البخس في
النوعين جميعا يخسرون ينقصون يقال خسر الميزان واخسره • **الا يظن اولئك انهم مبعوثون**
ليوم عظيم • يوم يقوم الناس لرب العلمين • الا يظن انكار وتعجيب عظيم من حالهم في الاجتراء على التطفيف
كانهم لا يخطرون ببالهم ولا يخمنون تخمينا انهم مبعوثون ومحاسبون على مقدار الذرة والخردلة • وعن قتادة اوف يا ابن ادم
كما تحب ان يوفى لك واعدل كما تحب ان يعدل لك • وعن الفضيل بخس الميزان سواد الوجه يوم القيمة • وعن عبد الملك
ابن مروان ان اعرابيا قال له لقد سمعت ما قال الله تعالى في المطففين اراد بذلك ان المطفف قد توجه عليه الوعيد العظيم
الذي سمعت به فما ظنك بنفسك وانت تأخذ اموال المسلمين بلا كيل ولا وزن وفي هذا الانكار والتعجيب وكلمة الظن
ووصف اليوم بالعظم وقيام الناس فيه لله عز وجل خاضعين ووصفه ذاته برب العالمين بيان بليغ لعظم الذنب
وتفاقم الاثم في التطفيف وفيما كان في مثل حاله من الحيف وترك القيام بالقسط والعمل على السوية والعدل في كل اخذ
واعطاء بل في كل قول وعمل وقيل الظن بمعنى اليقين والوجه ما ذكر ونصب يوم بمبعوثون وقرئ بالجر بدلا من يوم عظيم
وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما انه قرأ هذه السورة فلما بلغ قوله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين بكى نحيبا وامتنع عن قراءة
ما بعده • **كلا ان كتب الفجار لفي سجين • وما ادراك ما سجين • كتب مرقوم • ويل
يومئذ للمكذبين • الذين يكذبون بيوم الدين • وما يكذب به الا كل معتد اثيم •
اذا تتلى عليه ايتنا قال اسطير الاولين** • كلا ردع عما كانوا عليه من التطفيف والغفلة عن ذكر البعث
والحساب ونبههم على انه مما يجب ان يتاب عنه ويندم عليه ثم اتبعه وعيد الفجار على العموم وكتاب الفجار ما يكتب من اعمالهم
فان قلت قد اخبر الله عز وجل عن كتاب الفجار بانه في سجين وفسر سجينا بكتاب مرقوم فكانه قيل ان كتابهم في كتاب
مرقوم فما معناه **قلت** سجين كتاب جامع هو ديوان الشر دون الله عز وجل فيه اعمال الشياطين واعمال الكفرة
والفسقة من الجن والانس وهو كتاب مرقوم مسطور بين الكتابة او معلم يعلم من رآه انه لا خير فيه فالمعنى انه لا خير فيه
فالمعنى ان ما كتب من اعمال الفجار مثبت في ذلك الديوان وسمي سجينا فعيلا من السجن وهو الحبس والتضييق لانه سبب الحبس والتضييق
في جهنم او لانه مطروح كما روي تحت الارض السابعة في مكان وحش مظلم وهو مسكن ابليس وذريته استهانة به واذالة
وليشهده الشياطين المدحورون كما يشهد ديوان الخير الملائكة المقربون **فان قلت** فما سجين
اصفة هو ام اسم **قلت** بل هو اسم علم منقول من وصف كحاتم وهو منصرف لانه ليس فيه الا سبب واحد وهو
التعريف • الذين يكذبون مما وصف به للذم لا للبيان كقولك فعل ذلك فلان الفاسق الخبيث • **كلا
بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون** • كلا ردع للمعتدي الاثيم عن قوله ران على قلوبهم
ركبها كما يركب الصدأ وغلب عليها وهو ان يصر على الكبائر ويسوف التوبة حتى يطبع على قلبه فلا يقبل الخير ولا يميل اليه وعن
الحسن الذنب بعد الذنب حتى يسود القلب يقال ران عليه الذنب وغان عليه رينا وغينا والغين الغيم ويقال ران

فيه النوم رسخ فيه ورانت به الخمر ذهبت به • وقرئ بادغام اللام في الراء وبالاظهار والادغام اجود وامليت الالف وفخمت
**كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون • ثم انهم لصالوا الجحيم • ثم يقال
هذا الذي كنتم به تكذبون** • كلا ردع عن الكسب الرائن على قلوبهم وكونهم محجوبين عنه تمثيل للاستخفاف
بهم واهانتهم لانه لا يؤذن على الملوك الا للوجهاء المكرمين لديهم ولا يحجب عنهم الا الادنياء المهانون عندهم قال
اذا اعتروا باب ذي عبية رجبوا • والناس من بين مرجوب ومحجوب • وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وقتادة وابن ابي مليكة
محجوبين عن رحمته وعن ابن كيسان عن كرامته • **كلا ان كتب الابرار لفي عليين • وما ادراك
ما عليون • كتب مرقوم • يشهده المقربون** • كلا ردع عن التكذيب وكتاب الابرار ما كتب من اعمالهم
وعليون علم لديوان الخير الذي دون فيه كل ما عملته الملائكة وصلحاء الثقلين منقول من جمع علي فعيل من العلو كسجين من
السجن سمي بذلك اما لانه سبب الارتفاع الى اعالي الدرجات في الجنة واما لانه مرفوع في السماء السابعة حيث يسكن
الكروبيون تكريما له وتعظيما • وروي ان الملائكة لتصعد بعمل العبد فيستقلونه فاذا انتهوا به الى ما شاء الله تعالى
من سلطانه اوحى اليهم انتم الحفظة على عبدي وانا الرقيب على ما في قلبه وانه اخلص عمله فاجعلوه في عليين فقد غفرت له
وانها لتصعد بعمل العبد فيزكونه فاذا انتهوا به الى ما شاء الله تعالى اوحى اليهم انتم الحفظة على عبدي وانا الرقيب على قلبه
وانه لم يخلص لي عمله فاجعلوه في سجين • **ان الابرار لفي نعيم • على الارائك ينظرون • تعرف في
وجوههم نضرة النعيم** • الارائك الاسرة في الحجال ينظرون الى ما شاءوا مد اعينهم اليه من مناظر الجنة والى ما
اولاهم الله تعالى من النعمة والكرامة والى اعدائهم يعذبون في النار وما تحجب الحجال ابصارهم عن الادراك نضرة النعيم بهجة
التنعم وماؤه ورونقه كما ترى في وجوه الاغنياء واهل الترفه • وقرئ تعرف على البناء للمفعول ونضرة النعيم بالرفع
**يسقون من رحيق مختوم • ختمه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون •
ومزاجه من تسنيم • عينا يشرب بها المقربون** • الرحيق الشراب الخالص الذي لا غش فيه مختوم
تختم اوانيه من الاكواب والاباريق بمسك مكان الطينة • وقيل ختامه مسك مقطعه رائحة مسك اذا شرب
وقيل يمزج بالكافور ويختم مزاجه بالمسك • وقرئ خاتمه بفتح التاء وكسرها اي ما يختم به ويقطع فليتنافس المتنافسون
فليرتغب المرتغبون • تسنيم علم لعين بعينها سميت بالتسنيم الذي هو مصدر سنمه اذا رفعه اما لانها ارفع شراب في
الجنة واما لانها تأتيهم من فوق على ما روي انها تجري في الهواء متسنمة فتنصب في اوانيهم • وعينا نصب على المدح وقال الزجاج
نصب على الحال • وقيل هي للمقربين يشربونها صرفا وتمزج لسائر اهل الجنة • **ان الذين اجرموا كانوا من
الذين امنوا يضحكون • واذا مروا بهم يتغامزون • واذا انقلبوا الى اهلهم
انقلبوا فكهين • واذا راوهم قالوا ان هؤلاء لضالون • وما ارسلوا عليهم
حفظين** • هم مشركو مكة ابو جهل والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل واشياعهم كانوا يضحكون من عمار وصهيب
وخباب وبلال وغيرهم من فقراء المؤمنين ويستهزءون بهم • وقيل جاء علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه في نفر من
المسلمين فسخر منهم المنافقون وضحكوا وتغامزوا ثم رجعوا الى اصحابهم فقالوا رأينا اليوم الاصلع فضحكوا منه فنزلت
قبل ان يصل علي رضي الله تعالى عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم • يتغامزون يغمز بعضهم بعضا ويشيرون باعينهم
فكهين ملتذين بذكرهم والسخرية منهم اي ينسبون المسلمين الى الضلال وما ارسل الكفار على المسلمين حافظين موكلين بهم يحفظون
عليهم احوالهم ويهيمنون على اعمالهم ويشهدون برشدهم وضلالهم وهذا تهكم بهم او هو من جملة قول الكفار وانهم
اذا راوا المسلمين قالوا ان هؤلاء لضالون وانهم لم يرسلوا عليهم حافظين انكارا لصدهم اياهم عن الشرك ودعائهم
الى الاسلام وجدهم في ذلك • **فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون • على الارائك ينظرون •
هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون** • على الارائك ينظرون حال من يضحكون اي يضحكون منهم ناظرين اليهم
والى ما هم فيه من الهوان والصغار بعد العزة والكبر ومن الوان العذاب بعد النعيم والترفه وهم على الارائك امنون • وقيل
يفتح للكفار باب الى الجنة فيقال لهم اخرجوا اليها فاذا وصلوا اليها اغلق دونهم يفعل ذلك بهم مرارا فيضحك المؤمنون منهم
ثوب واثابه بمعنى اذا جازاه قال اوس • ساجزيك او يجزيك عني مثوب • وحسبك ان يثنى عليك وتحمدي • وقرئ بادغام

رحيق خمر عتيقة كريمة
درجة بالمراهبة
وعظمه

اللام في الثاني ❊ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المطففين سقاه الله تعالى من الرحيق المختوم يوم القيمة

سورة الانشقاق

مكية وهي خمس وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم ❊ اذا السماء انشقت ❊ واذنت لربها وحقت

حذف جواب اذا ليذهب المقدر كل مذهب او اكتفاء بما علم في مثلها من سورتي التكوير والانفطار وقيل جوابها ما دل عليه فملاقيه اي اذا السماء انشقت لاقى الانسان كدحه ومعناه اذا انشقت بالغمام كقوله تعالى يوم تشقق السماء بالغمام وعن علي رضي الله تعالى عنه تنشق من المجرة اذنت استمعت ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ما اذن الله لشيء كاذنه لنبي يتغنى بالقرآن وقول جحاف بن حكيم اذنت لكم لما سمعت هريركم ❊ والمعنى انها فعلت في انقيادها لله عز وجل حين اراد انشقاقها فعل المطواع الذي اذا ورد عليه الامر من جهة المطاع انصت له واذعن ولم يأب ولم يمتنع كقوله اتينا طائعين وحقت من قولك هو محقوق بكذا او حقيق به يعني وهي حقيقة بان تنقاد ولا تمتنع ومعناه الايذان بان القادر الذات يجب ان يتأتى له كل مقدور ويحق ذلك ❊ واذا الارض مدت ❊ والقت ما فيها وتخلت ❊ واذنت لربها وحقت ❊ مدت من مد الشيء فامتد وهو ان تزال جبالها واكامها وكل امت فيها حتى تمتد وتنبسط ويستوي ظهرها كما قال الله تعالى قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما مدت مد الاديم العكاظي لان الاديم اذا مد زال كل انثناء فيه وامت واستوى او من مده بمعنى امده اي زيدت سعة وبسطة والقت ما فيها ورمت بما في جوفها مما دفن فيها من الموتى والكنوز وتخلت وخلت غاية الخلو حتى لم يبق شيء في باطنها كانها تكلفت اقصى جهدها في الخلو كما يقال تكرم الكريم وترحم الرحيم اذا بلغا جهدهما في الكرم والرحمة وتكلفا فوق ما في طبعهما واذنت لربها في القائها ما في بطنها وتخليها ❊ يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه ❊ فاما من اوتي كتابه بيمينه ❊ فسوف يحاسب حسابا يسيرا ❊ وينقلب الى اهله مسرورا ❊ الكدح جهد النفس في العمل والكد فيه حتى يؤثر فيها من كدح جلده اذا خدشه ومعنى كادح الى ربك جاهد الى لقاء ربك وهو الموت وما بعده من الحال الممثلة بالملاقاة فملاقيه فملاق له لا محالة لا مفر لك منه وقيل الضمير في ملاقيه للكدح يسيرا سهلا هينا لا يناقش فيه ولا يعترض بما يسوءه ويشق عليه كما يناقش اصحاب الشمال وعن عائشة رضي الله عنها هو ان يعرف ذنوبه ثم يتجاوز عنه ❊ وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من يحاسب يعذب فقيل يا رسول الله فسوف يحاسب حسابا يسيرا قال ذلكم العرض من نوقش في الحساب عذب الى اهله الى عشيرته ان كانوا مؤمنين او الى فريق المؤمنين او الى اهله في الجنة من الحور العين ❊ واما من اوتي كتابه وراء ظهره ❊ فسوف يدعو ثبورا ❊ ويصلى سعيرا ❊ انه كان في اهله مسرورا ❊ انه ظن ان لن يحور ❊ بلى ان ربه كان به بصيرا ❊ وراء ظهره قيل تغل يمناه الى عنقه وتجعل شماله وراء ظهره فيؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره وقيل تخلع يده اليسرى من وراء ظهره فيؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره يدعو ثبورا يقول يا ثبوراه والثبور الهلاك ويصلى سعيرا كقوله تعالى وتصلية جحيم ويصلى بضم الياء والتخفيف كقوله تعالى ونصله جهنم في اهله فيما بين ظهرانيهم او معهم على انهم كانوا جميعا مسرورين يعني انه كان في الدنيا مترفا بطرا مستبشرا كعادة الفجار الذين لا يهمهم امر الآخرة ولا يفكرون في العواقب لم يكن كئيبا حزينا متفكرا كعادة الصلحاء والمتقين وحكاية الله عز وجل عنهم انا كنا قبل في اهلنا مشفقين ظن ان لن يحور لن يرجع الى الله تعالى تكذيبا بالمعاد يقال لا يحور ولا يحول اي لا يرجع ولا يتغير قال لبيد يحور رمادا بعد اذ هو ساطع ❊ وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ما كنت ادري ما معنى يحور حتى سمعت اعرابية تقول لبنية لها حوري اي ارجعي بلى ايجاب لما بعد النفي في لن يحور اي بلى ليحورن ان ربه كان به بصيرا وبأعماله لا ينساها ولا تخفى عليه فلا بد ان يرجعه ويجازيه عليها وقيل نزلت الآيتان في ابي سلمة بن عبد الاسد واخيه الاسود بن عبد الاسد ❊ فلا اقسم بالشفق ❊ والليل وما وسق ❊ والقمر اذا اتسق ❊ لتركبن طبقا عن طبق ❊ فما لهم لا يؤمنون ❊ الشفق الحمرة التي ترى في المغرب بعد سقوط الشمس وبسقوطه يخرج وقت المغرب ويدخل وقت العتمة عند عامة العلماء الا ما يروى عن ابي حنيفة رحمه الله تعالى في احدى الروايتين انه البياض وروي اسد بن عمرو

انه رجع عنه سمي لرقته ومنه الشفقة على الانسان رقة القلب عليه وما وسق وما جمع وضم يقال وسقه فاتسق واستوسق قال مستوسقات لو يجدن سائقا ❊ ونظيره في وقوع افتعل واستفعل مطاوعين اتسع واستوسع ومعناه وما جمعه وستره وآوى اليه من الدواب وغيرها اذا اتسق اذا اجتمع واستوى ليلة اربع عشرة قرئ لتركبن على خطاب الانسان في يا ايها الانسان ولتركبن بالضم على خطاب الجنس لان النداء للجنس ولتركبن بالكسر على خطاب النفس وليركبن بالياء على ليركبن الانسان والطبق ما طابق غيره يقال ما هذا بطبق له اي لا يطابقه ومنه قيل للغطاء الطبق واطباق الثرى ما تطابق منه ثم قيل للحال المطابقة لغيرها طبق ومنه قوله عز وجل طبقا عن طبق اي حالا بعد حال كل واحدة مطابقة لاختها في الشدة والهول ويجوز ان يكون جمع طبقة وهي المرتبة من قولهم هو على طبقات ومنه طبق الظهر لفقاره الواحدة طبقة على معنى لتركبن احوالا بعد احوال هي طبقات في الشدة بعضها ارفع من بعض وهي الموت وما بعده من مواطن القيامة واهوالها **فان قلت** ما محل عن طبق **قلت** النصب على انه صفة لطبقا اي طبقا مجاوزا لطبق او حال من الضمير في لتركبن اي لتركبن طبقا مجاوزين لطبق او مجاوزا او مجاوزة على حسب القراءة ❊ وعن مكحول كل عشرين عاما تجدون امرا لم تكونوا عليه ❊ واذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون ❊ بل الذين كفروا يكذبون ❊ والله اعلم بما يوعون ❊ فبشرهم بعذاب اليم ❊ الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون ❊ لا يسجدون لا يستكينون ولا يخضعون وقيل قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم واسجد واقترب فسجد هو ومن معه من المؤمنين وقريش تصفق فوق رؤسهم وتصفر فنزلت وبه احتج ابو حنيفة رحمه الله تعالى على وجوب السجدة وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ليس في المفصل سجدة ❊ وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه انه سجد فيها وقال والله ما سجدت فيها الا بعد ان رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسجد فيها وعن انس بن مالك رضي الله تعالى عنه صليت خلف ابي بكر وعمر وعثمان رضي الله تعالى عنهم فسجدوا وعن الحسن هي غير واجبة ❊ الذين كفروا اشارة الى المذكورين بما يوعون بما يجمعون في صدورهم ويضمرون من الكفر والحسد والبغي والبغضاء او بما يجمعون في صحفهم من اعمال السوء ويدخرون لانفسهم من انواع العذاب الا الذين آمنوا استثناء منقطع ❊ عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة اذا السماء انشقت اعاذه الله ان يعطيه كتابه وراء ظهره

سورة البروج

مكية وهي اثنتان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم ❊ والسماء ذات البروج ❊ واليوم الموعود ❊ وشاهد ومشهود ❊ قتل اصحاب الاخدود ❊ النار ذات الوقود ❊ اذ هم عليها قعود ❊ وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود ❊ هي البروج الاثنا عشر وهي قصور السماء على التشبيه وقيل البروج النجوم التي هي منازل القمر وقيل عظام الكواكب سميت بروجا لظهورها وقيل ابواب السماء واليوم الموعود يوم القيمة وشاهد ومشهود يعني وشاهد في ذلك اليوم ومشهود فيه والمراد بالشاهد من يشهد فيه من الخلائق كلهم وبالمشهود ما في ذلك اليوم من عجائبه وطريق تنكيرهما ما ذكرته في قوله تعالى علمت نفس ما احضرت كانه قيل وما افرطت كثرته من شاهد ومشهود وما الا بلغ في الوصف كانه قيل شاهد ومشهود لا يكتنه وصفهما وقد اضطربت اقاويل المفسرين فيهما فقيل الشاهد والمشهود محمد صلى الله عليه وسلم ويوم القيمة وقيل عيسى عليه السلام وامته كقوله عز وجل وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم وقيل امة محمد صلى الله عليه وسلم وسائر الامم وقيل يوم التروية ويوم عرفة ويوم الجمعة وقيل الحجر الاسود والحجيج وقيل الايام والليالي وبنو آدم وعن الحسن ما من يوم الا وينادي اني يوم جديد واني على ما يعمل في شهيد فاغتنمني فلو غابت شمسي لم تدركني الى يوم القيمة وقيل الحفظة وبنو آدم وقيل الانبياء ومحمد صلوات الله تعالى عليهم اجمعين **فان قلت** اين جواب القسم **قلت** محذوف يدل عليه قوله قتل اصحاب الاخدود وذلك ان السورة وردت في تثبيت المؤمنين وتصبيرهم على اذى اهل مكة وتذكيرهم بما جرى على من تقدمهم من التعذيب على الايمان والحاق انواع الاذى وصبرهم وثباتهم حتى يتأسوا بهم ويصبروا على ما كانوا يلقون من قومهم ويعلموا ان كفارهم عند الله تعالى بمنزلة اولئك المعذبين المحرقين بالنار ملعونون احقاء بان يقال فيهم قتلت قريش كما قيل قتل اصحاب الاخدود وقيل دعاء عليهم كقوله تعالى قتل الانسان ما اكفره وقرئ قتل بالتشديد والاخدود الخد في الارض وهو الشق

وكونهما بناء معنى الحق والاخدود ومنه تساخت قوائمه في اخاقيق جرذان • روي عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه كان لبعض الملوك ساحر فلما كبر ضم اليه غلاما ليعلمه السحر وكان في طريق الغلام راهب فسمع منه ورأى
في طريقه ذات يوم دابة قد حبست الناس فاخذ حجرا فقال اللهم ان كان هذا الراهب احب اليك من الساحر
فاقتلها فقتلها فكان الغلام بعد ذلك يبرئ الاكمه والابرص ويشفي من الادواء وعمي جليس للملك فابراه فابصره
الملك فسأله من رد عليك بصرك فقال ربي فغضب فعذبه فدل على الغلام فعذبه فدل على الراهب فلم يرجع الراهب
عن دينه فقد بالمنشار واتي بالغلام فذهب به الى جبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف بالقوم فطاحوا ونجا فذهب
به الى قرقور فلججوا به ليغرقوه فدعا فانكفأت بهم السفينة فغرقوا ونجا فقال لست بقاتلي حتى تجمع الناس
في صعيد وتصلبني على جذع وتاخذ سهما من كنانتي وتقول بسم الله رب الغلام ثم ترميني به فرماه فوقع في صدغه
فوضع يده عليه ومات فقال الناس آمنا برب الغلام فقيل للملك نزل بك ما كنت تحذر فامر باخاديد في افواه
السكك واوقدت فيها النيران فمن لم يرجع منهم طرحه فيها حتى جاءت امرأة معها صبي فتقاعست ان تقع فيها
فقال الصبي يا اماه اصبري فانك على الحق فاقتحمت وقيل قال لها قعي ولا تنافقي وقيل قال لها ما هي الا غميضة • وعن
علي رضي الله تعالى عنه انهم حين اختلفوا في امر المجوس قال هم اهل كتاب وكانوا متمسكين بكتابهم وكانت الخمر قد
احلت لهم فتناولها بعض ملوكهم فسكر فوقع على اخته فلما صحا ندم وطلب المخرج فقالت له المخرج ان تخطب الناس
فتقول يا ايها الناس ان الله تعالى قد احل نكاح الاخوات ثم تخطبهم بعد ذلك ان الله حرمه فخطب فلم يقبلوا منه فقالت
ابسط فيهم السوط فلم يقبلوا فقالت ابسط فيهم السيف فلم يقبلوا فامرته بالاخاديد وايقاد النيران وطرح من ابى
فيها فهم الذين ارادهم الله تعالى بقوله قتل اصحاب الاخدود • وقيل وقع الى نجران رجل ممن كان على دين عيسى عليه السلام
فدعاهم فاجابوه فسار اليهم ذو نواس اليهودي بجنود من حمير فخيرهم بين النار واليهودية فابوا فاحرق منهم اثني عشر الفا
في الاخاديد وقيل سبعين الفا وذكر ان طول الاخدود اربعون ذراعا وعرضه اثنا عشر ذراعا • وعن النبي صلى الله عليه وسلم
انه كان اذا ذكر اصحاب الاخدود تعوذ من جهد البلاء • النار بدل اشتمال من الاخدود وذات الوقود وصف لها بانها نار عظيمة
لها ما يرتفع به لهبها من الحطب الكثير وابدان الناس وقرئ الوقود بالضم • اذ ظرف لقتل اي لعنوا حين احدقوا بالاخدود وقعدوا
حولها ومعنى عليها ما يدنو منها من حافات الاخدود كقوله • وبات على النار الندى والمحلق • وكما تقول مررت عليه
تريد مستعليا لمكان يدنو منه • ومعنى شهادتهم على احراق المؤمنين انهم وكلوا بذلك وجعلوا شهودا يشهد
بعضهم لبعض عند الملك ان احدا منهم لم يفرط فيما امر به وفوض اليه من التعذيب • ويجوز ان يراد انهم شهود
على ما يفعلون بالمؤمنين يؤدون شهادتهم يوم القيمة يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون

**وما نقموا منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد الذي له ملك السموات
والارض والله على كل شيء شهيد**

• وما نقموا منهم وما عابوا وما انكروا الا الايمان كقوله
ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم • وكما قال ابن الرقيات • ما نقموا من بني امية الا انهم يحلمون ان غضبوا • وقرأ ابو حيوة
نقموا بالكسر والفصيح هو الفتح وذكر الاوصاف التي يستحق بها ان يؤمن به ويعبد وهو كونه عزيزا غالبا قادرا
يخشى عقابه حميدا منعما يجب الحمد على نعمته ويرجى ثوابه له ملك السموات والارض فكل من فيهما تحق عليه عبادته والخشوع
له تقريرا لان ما نقموا منهم هو الحق الذي لا ينقمه الا مبطل منهمك في الغي وان الناقمين اهل لانتقام الله تعالى منهم بعذاب
لا يعدله عذاب • والله على كل شيء شهيد وعيد لهم يعني انه علم ما فعلوا وهو مجازيهم عليه •

ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق

• يجوز ان يريد بالذين فتنوا اصحاب
الاخدود خاصة وبالذين آمنوا المطروحين في الاخدود ومعنى فتنوهم عذبوهم بالنار واحرقوهم فلهم في الآخرة
عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق وهي نار اخرى عظيمة تتسع كما يتسع الحريق باحراق المؤمنين او لهم عذاب جهنم في الآخرة ولهم
عذاب الحريق في الدنيا لما روي ان النار انقلبت عليهم فاحرقتهم • ويجوز ان يريد الذين فتنوا المؤمنين اي بلوهم بالاذى
على العموم والمؤمنين المفتونين وان للفاتنين عذابين في الآخرة لكفرهم ولفتنتهم •

ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الانهار ذلك الفوز الكبير

**ان بطش ربك لشديد انه هو يبدئ ويعيد وهو الغفور الودود ذو العرش
المجيد فعال لما يريد**

• البطش الاخذ بالعنف فاذا وصف بالشدة فقد تضاعف وتفاقم وهو بطشه
بالجبابرة والظلمة واخذهم بالعذاب والانتقام • انه هو يبدئ ويعيد اي يبدئ البطش ويعيده يعني يبطش بهم في الدنيا وفي
الآخرة او دل باقتداره على الابداء والاعادة على شدة بطشه او اوعد الكفرة بانه يعيدهم كما ابدأهم ليبطش بهم اذ لم يشكروا
نعمة الابداء وكذبوا بالاعادة وقرئ يبدأ • الودود الفاعل باهل طاعته ما يفعله الودود من اعطائهم ما ارادوا وقرئ ذي العرش
صفة لربك وقرئ المجيد بالجر صفة للعرش ومجد الله تعالى عظمته ومجد العرش علوه وعظمه • فعال خبر مبتدأ محذوف وانما قيل
فعال لان ما يريد ويفعل في غاية الكثرة •

**هل اتاك حديث الجنود فرعون وثمود بل الذين
كفروا في تكذيب والله من ورائهم محيط بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ**

فرعون وثمود بدل من الجنود واراد بفرعون اياه وآله كما في قوله تعالى من فرعون وملائهم والمعنى قد عرفت تكذيب تلك الجنود
للرسل وما نزل بهم لتكذيبهم • بل الذين كفروا من قومك في تكذيب اي تكذيب واستيجاب للعذاب والله عالم باحوالهم وقادر
عليهم وهم لا يعجزونه والاحاطة بهم من ورائهم مثل لانهم لا يفوتونه كما لا يفوت فائت الشيء المحيط به • ومعنى الاضراب ان امرهم
اعجب من اولئك لانهم سمعوا بقصصهم وبما جرى عليهم ورأوا آثار هلاكهم ولم يعتبروا وكذبوا اشد من تكذيبهم • بل هو اي بل هذا
الذي كذبوا به قرآن مجيد شريف عالي الطبقة في الكتب وفي نظمه واعجازه وقرئ قرآن مجيد بالاضافة اي قرآن رب
مجيد وقرأ يحيى بن يعمر في لوح واللوح الهواء يعني اللوح فوق السماء السابعة الذي فيه اللوح محفوظ من وصول الشياطين
اليه وقرئ محفوظ بالرفع صفة للقرآن • عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة البروج اعطاه الله تعالى
بعدد كل يوم جمعة ويوم عرفة يكون في الدنيا عشر حسنات ۞

سورة الطارق مكية وهي سبع عشرة آية

**بسم الله الرحمن الرحيم والسماء والطارق وما ادراك ما الطارق
النجم الثاقب ان كل نفس لما عليها حافظ**

• النجم الثاقب المضيء كانه يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه
كما قيل درّي لانه يدرؤه اي يدفعه ووصف بالطارق لانه يبدو بالليل كما يقال للآتي ليلا طارق او لانه يطرق الجني اي يصكه
والمراد جنس النجوم او جنس الشهب التي يرجم بها • فان قلت ما يشبه قوله وما ادراك ما الطارق النجم الثاقب الا ترجمة
كلمة اخرى فبين لي اي فائدة تحته • قلت اراد الله عز وجل ان يقسم بالنجم الثاقب تعظيما له لما عرف فيه من عجيب القدرة
ولطيف الحكمة وان ينبه على ذلك فجاء بما هو صفة مشتركة بينه وبين غيره وهو الطارق ثم قال وما ادراك ما الطارق
ثم فسره بقوله تعالى النجم الثاقب كل هذا اظهار لفخامة شأنه كما قال تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم
وروي ان ابا طالب كان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فانحط نجم فامتلأ ما ثم نورا ففزع ابو طالب وقال اي شيء هذا فقال عليه الصلاة
والسلام هذا نجم رمي به وهو آية من آيات الله تعالى فنزلت • فان قلت فما جواب القسم • قلت ان كل
نفس لما عليها حافظ لان ان لا تخلو فيمن قرأ لما مشددة بمعنى الا ان تكون نافية وفيمن قرأ مخففة على ان ما صلة ان تكون مخففة
من الثقيلة وايتهما كانت فهي مما يتلقى به القسم • حافظ مهيمن عليها رقيب وهو الله عز وجل وكان الله على كل شيء رقيبا وكان الله
على كل شيء مقيتا • وقيل ملك يحفظ عملها ويحصي عليها ما تكسب من خير وشر • وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم وكل بالمؤمن
مائة وستون ملكا يذبون عنه كما يذب عن قصعة العسل الذباب ولو وكل العبد الى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين

فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب

• فان قلت
ما وجه اتصال قوله فلينظر بما قبله • قلت وجه اتصاله به انه لما ذكر ان على كل نفس حافظا اتبعه توصية الانسان بالنظر
في اول امره ونشأته الاولى حتى يعلم ان من انشأه قادر على اعادته وجزائه فيعمل ليوم الاعادة والجزاء ولا يملي على حافظه
الا ما يسره في عاقبته • ومم خلق استفهام جوابه خلق من ماء دافق والدفق صب فيه دفع ومعنى دافق النسبة الى الدفق
الذي هو مصدر دفق كاللابن والتامر او الاسناد المجازي والدفق في الحقيقة لصاحبه ولم يقل ماءين لامتزاجهما في الرحم
واتحادهما حين ابتدئ في خلقه • من بين الصلب والترائب من بين صلب الرجل وترائب المرأة وهي عظام الصدر حيث تكون القلادة

وقرئ الصَّلَب بفتحتين والصُّلُب بضمتين وفيه اربع لغات صُلْب وصُلُب وصالب وصَلَب قال العجاج في صلب مثل العنان المؤدم • وقيل العظم والعصب من الرجل واللحم والدم من المرأة **انه على رجعه لقادر** الضمير للخالق لدلالة خلق عليه ومعناه ان ذلك الذي خلق الانسان ابتداء من نطفة على رجعه على اعادته خصوصا لقادر لبين القدرة لا يلتفت عليه ولا يعجز عنه كقوله انني لفقير **يوم تبلى السرائر** منصوب برجعه ومن جعل الضمير في رجعه للماء وفسره برجعه الى مخرجه من الصلب والترائب او الاحليل او الى الحالة الاولى نصبه بالظرف بمضمر • السرائر ما اسر في القلوب من العقائد والنيات وغيرها وما اخفي من الاعمال وبلاؤها تعرفها وتصفحها والتمييز بين ما طاب منها وما خبث • وعن الحسن انه سمع رجلا ينشد • ستبقى لها في مضمر القلب والحشا سريرة ود يوم تبلى السرائر • فقال ما اغفله عما في السماء والطارق **فما له** فما للانسان **من قوة** من منعة في نفسه يمتنع بها **ولا ناصر** ولا مانع يمنعه **والسماء ذات الرجع والارض ذات الصدع** سمي المطر رجعا كما سمي اوبا قال • ربآء شمآء لا ياوي لقلتها • الا السحاب والا الاوب والسبل • تسمية بمصدر رجع وآب وذلك ان العرب كانوا يزعمون ان السحاب يحمل الماء من بحار الارض ثم يرجعه الى الارض او اراد و التفؤل فسموه رجعا واوبا ليرجع ويؤب • وقيل لان الله عز وجل يرجعه وقتا فوقتا قالت الخنساء • كالرجع في المدجنة السارية • والصدع ما تتصدع عنه الارض من النبات **انه لقول فصل وما هو بالهزل** انه الضمير للقرآن فصل فاصل بين الحق والباطل كما قيل له فرقان وما هو بالهزل يعني انه جد كله لا هوادة فيه ومن حقه وقد وصفه الله تعالى بذلك ان يكون مهيبا في الصدور معظما في القلوب يترفع به قاريه وسامعه ان يلم بهزل او يتفكه بمزاح وان يلقي ذهنه بان جبار السموات يخاطبه فيامره وينهاه ويعده ويوعده حتى ان لم يستفزه الخوف ولم تبالغ فيه الخشية فادنى امره ان يكون جادا غير هازل فقد نعى الله تعالى على المشركين ذلك في قوله تعالى وتضحكون ولا تبكون وانتم سامدون والغرافية **انهم يكيدون كيدا واكيد كيدا فمهل الكافرين امهلهم رويدا** انهم يعني اهل مكة يعملون المكائد في ابطال امر الله تعالى واطفاء نور الحق واني اقابلهم بكيدي من استدراجي لهم وانتظاري بهم الميقات الذي وقته للانتصار منهم فمهل الكافرين يعني لا تدع بهلاكهم ولا تستعجل به امهلهم رويدا اي امهالا يسيرا وكرر وخالف بين اللفظين لزيادة التسكين منه والتصبير • عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الطارق اعطاه الله بعدد كل نجم في السماء عشر حسنات

سورة الاعلى عز وجل مكية وهي تسع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم سبح اسم ربك الاعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى والذي اخرج المرعى فجعله غثاء احوى سبح اسم ربك نزه اسمه عز وعلا عما لا يصح فيه من المعاني التي هي الحادي في اسمائه كالجبر والتشبيه ونحو ذلك مثل ان يفسر الاعلى بمعنى العلو الذي هو القهر والاقتدار لا بمعنى العلو في المكان والاستواء على العرش حقيقة وان يصان عن الابتذال والذكر لا على وجه الخشوع والتعظيم ويجوز ان يكون الاعلى صفة للرب والاسم • وقرا علي رضي الله عنه سبحان ربي الاعلى • وفي الحديث لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوها في ركوعكم فلما نزل سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها في سجودكم وكانوا يقولون في الركوع اللهم لك ركعت وفي السجود اللهم لك سجدت • خلق فسوى اي خلق كل شيء فسوى خلقه تسوية ولم يات به متفاوتا غير ملتئم ولكن على احكام واتساق ودلالة على انه صادر عن حكيم عالم وانه صنعة حكيم • قدر فهدى قدر لكل حيوان ما يصلحه فهداه اليه وعرفه وجه الانتفاع به • يحكى ان الافعي اذا اتت عليها الف سنة عميت وقد الهمها الله تعالى ان مسح العين بورق الرازيانج الغض يرد اليها بصرها فربما كانت في برية بينها وبين الريف مسيرة ايام فتطوي تلك المسافة على طولها وعلى عماها حتى تهجم في بعض البساتين على شجرة الرازيانج لا تخطيها فتحك بها عينيها وترجع باصرة باذن الله تعالى • وهدايات الله تعالى للانسان الى ما لا يحد من مصالحه وما لا يحصر من حوائجه في اغذيته وادويته وفي ابواب دنياه ودينه • والهامات البهائم والطيور وهوام الارض باب واسع وشوط بطين لا يحيط به وصف الواصف فسبحان ربي الاعلى • وقرئ قدر بالتخفيف • احوى صفة لغثاء اي

اخرج

احوى المرعى انبته فجعله بعد خضرته ورفيفه غثاء احوى درينا اسود • ويجوز ان يكون احوى حالا من المرعى اي اخرجه احوى اسود من شدة الخضرة والري فجعله غثاء بعد حوته **سنقرئك فلا تنسى الا ما شاء الله انه يعلم الجهر وما يخفى** بشره الله تعالى باعطاء آية بينة وهي ان يقرأ عليه جبريل عليه السلام ما يقرأ عليه من الوحي وهو امي لا يكتب ولا يقرأ فيحفظه ولا ينساه الا ما شاء الله تعالى فيذهب به عن حفظه برفع حكمه وتلاوته كقوله تعالى او ننسها • وقيل كان يعجل بالقراءة اذا لقنه جبريل عليه السلام فقيل لا تعجل فان جبريل مأمور بان يقرأه عليك قراءة مكررة الى ان تحفظه ثم لا تنساه الا ما شاء الله ثم تذكره بعد النسيان • او قال الا ما شاء الله يعني القلة والندرة كما روي انه اسقط في قراءته آية في الصلوة فحسب ابي انها نسخت فسأله فقال نسيتها • او قال الا ما شاء الله والغرض نفي النسيان راسا كما يقول الرجل لصاحبه انت سهيمي فيما املك الا فيما شاء الله ولا يقصد استثناء شيء وهو من استعمال القلة في معنى النفي • وقيل قوله تعالى فلا تنسى على النهي والالف مزيدة للفاصلة كقوله تعالى السبيلا يعني فلا تغفل قراءته وتكريره فتنساه الا ما شاء الله ان ينسيكه برفع تلاوته للمصلحة • انه يعلم الجهر يعني انك تجهر بالقراءة مع قراءة جبريل مخافة التفلت والله يعلم جهرك معه وما في نفسك مما يدعوك الى الجهر فلا تفعل فانا نكفيك ما تخافه او يعلم اسراركم وما اعلنتم من اقوالكم وافعالكم وما ظهر وما بطن من احوالكم وما هو مصلحة لكم في دينكم ومفسدة فيه فينسي من الوحي ما يشاء ويترك ما يشاء **ونيسرك لليسرى فذكر ان نفعت الذكرى سيذكر من يخشى** ونيسرك معطوف على سنقرئك وقوله تعالى انه يعلم الجهر وما يخفى اعتراض ومعناه ونوفقك للطريقة التي هي ايسر واسهل يعني حفظ الوحي • وقيل للشريعة السمحة التي هي ايسر الشرائع واسهلها ماخذا • وقيل نوفقك لعمل الجنة • **فان قلت** كان الرسول صلى الله عليه وسلم مأمورا بالذكرى نفعت او لم تنفع فما معنى اشتراط النفع **قلت** هو على وجهين احدهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استفرغ مجهوده في تذكيرهم وما كانوا يزيدون على زيادة الذكرى الا عتوا وطغيانا وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتلظى حسرة وتلهفا ويزداد جدا في تذكيرهم وحرصا عليه فقيل له وما انت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد واعرض عنهم وقل سلام وذكر ان نفعت الذكرى وذلك بعد الزام الحجة بتكرير التذكير • والثاني ان يكون ظاهره شرطا ومعناه ذما للمذكرين واخبارا عن حالهم واستبعادا لتأثير الذكرى فيهم وتسجيلا عليهم بالطبع على قلوبهم كما تقول للواعظ عظ المكاسين ان سمعوا منك قاصدا بهذا الشرط استبعاد ذلك وانه لن يكون • سيذكر سيقبل التذكرة وينتفع بها من يخشى الله تعالى وسوء العاقبة فينظر ويتفكر حتى يقوده النظر الى اتباع الحق فاما هؤلاء فغير خاشين ولا ناظرين فلا تأمل ان يقبلوا منك **ويتجنبها الاشقى الذي يصلى النار الكبرى ثم لا يموت فيها ولا يحيى قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى** ويتجنبها ويتجنب الذكرى ويتحاماها الاشقى الكافر لانه اشقى من الفاسق او الذي هو اشقى الكفرة لتوغله في عداوة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم • وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة • النار الكبرى السفلى من اطباق النار • وقيل الكبرى نار جهنم والصغرى نار الدنيا • وقيل ثم لان الترجح بين الحيوة والموت افظع من الصلي فهو متراخ عنه في مراتب الشدة والمعنى لا يموت فيستريح ولا يحيى حياة تنفعه • تزكى تطهر من الشرك والمعاصي او تطهر للصلوة او تكثر من التقوى من الزكوة وهي النماء او تفعل من الزكوة كتصدق من الصدقة • فصلى الصلوات الخمس نحو قوله تعالى واقام الصلوة وآتى الزكوة • وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه رحم الله امرأ تصدق وصلى • وعن علي رضي الله تعالى عنه انه التصدق بصدقة الفطر وقال لا ابالي ان لا اجد في كتابي غيرها لقوله تعالى قد افلح من تزكى اي اعطى زكوة الفطر فتوجه الى المصلى فصلى صلوة العيد وذكر اسم ربه فكبر تكبيرة الافتتاح وبه يحتج على وجوب تكبيرة الافتتاح وعلى انها ليست من الصلوة لان الصلوة معطوفة عليها وعلى ان الافتتاح جائز بكل اسم من اسمائه جل ذكره • وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ذكر معاده وموقفه بين يدي ربه فصلى له • وعن الضحاك وذكر اسم ربه في طريق المصلى فصلى صلوة العيد **بل تؤثرون الحيوة الدنيا والآخرة خير وابقى** بل تؤثرون الحيوة الدنيا فلا تفعلون ما تفلحون به • وقرئ يؤثرون على الغيبة ويعضد الاولى قراءة ابن مسعود رضي الله تعالى عنه بل انتم تؤثرون • خير وابقى افضل في نفسها وانعم وادوم • وعن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ما الدنيا في الآخرة الا كنفحة ارنب **ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى** هذا اشارة الى قوله تعالى قد افلح الى ابقى يعني ان معنى هذا الكلام وارد في تلك الصحف • وقيل

الى آخر السورة كلها • وعن ابي ذر رضي الله تعالى عنه انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم كم انزل الله تعالى من كتاب فقال مائة واربعة كتب منها على آدم عليه السلام عشر صحائف وعلى شيث عليه السلام خمسون صحيفة وعلى اخنوخ وهو ادريس عليه السلام ثلثون صحيفة وعلى ابراهيم عليه السلام عشر صحائف والتوراة والانجيل والزبور والفرقان • وقيل ان في صحف ابراهيم عليه السلام ينبغي للعاقل ان يكون حافظا للسانه عارفا بزمانه مقبلا على شانه • عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الاعلى اعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد كل حرف انزله الله تعالى على ابراهيم وموسى ومحمد عليهم الصلوة والسلام وكان اذا قرأها قال سبحان ربي الاعلى وكان علي وابن عباس رضي الله تعالى عنهما يقولان ذلك وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحبها وقال اول من قال سبحان ربي الاعلى ميكائيل عليه السلام •

سورة الغاشية

مكية وهي ست وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم • هل اتاك حديث الغاشية • وجوه يومئذ خاشعة • عاملة ناصبة • تصلى نارا حامية • تسقى من عين آنية • الغاشية الداهية التي تغشى الناس بشدائدها وتلبسهم اهوالها يعني القيامة من قوله سبحانه وتعالى يوم يغشاهم العذاب من فوقهم وقيل النار من قوله تعالى وتغشى وجوههم النار • ومن فوقهم غواش • يومئذ اذ غشيت خاشعة ذليلة عاملة ناصبة تعمل في النار عملا تتعب فيه وهو جرها السلاسل والاغلال وخوضها في النار كما تخوض الابل في الوحل وارتقاؤها دائبة في صعود من نار وهبوطها في حدور منها وقيل عملت في الدنيا اعمال السوء والتذت بها وتنعمت فهي في نصب منها في الآخرة وقيل عملت ونصبت في اعمال لا تجدي عليها في الآخرة من قوله جل وعلا وقدمنا الى ما عملوا من عمل وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا اولئك الذين حبطت اعمالهم وقيل هم اصحاب الصوامع ومعناه انها خشعت لله تعالى وعملت ونصبت في اعمالها من الصوم الدائب والتهجد الواصب وقرئ عاملة ناصبة على الشتم وقرئ تصلى بفتح التاء وتصلى بضمها وتصلى بالتشديد وقيل المصلى عند العرب ان يحفروا حفيرا فيجمعوا فيه جمرا كثيرا ثم يعمدوا الى شاة فيدسوها وسطه فاما ما يشوى فوق الجمر او على المقلى او في التنور فلا يسمى مصليا آنية متناهية في الحر كقوله تعالى من حميم آن • ليس لهم طعام الا من ضريع • لا يسمن ولا يغني من جوع • الضريع يبيس الشبرق وهو جنس من الشوك ترعاه الابل ما دام رطبا فاذا يبس تحامته وهو سم قال ابو ذؤيب • رعى الشبرق الريان حتى اذا ذوى • وعاد ضريعا بان عنه النحائص • وقال • وحبسن في هزم الضريع فكلها • حدباء دامية اليدين حرود • فان قلت كيف قال ليس لهم طعام الا من ضريع وفي الحاقة ولا طعام الا من غسلين قلت العذاب الوان والمعذبون طبقات فمنهم اكلة الزقوم ومنهم اكلة الغسلين ومنهم اكلة الضريع لكل باب منهم جزء مقسوم • لا يسمن مرفوع المحل او مجروره على وصف طعام او ضريع يعني ان طعامهم من شيء ليس من مطاعم الانس وانما هو شوك والشوك مما ترعاه الابل وتتولع به وهذا نوع منه تنفر عنه ولا تقربه ومنفعتا الغذاء منتفيتان عنه وهما اماطة الجوع وافادة القوة والسمن في البدن او اريد ان لا طعام لهم اصلا لان الضريع ليس بطعام للبهائم فضلا عن الانس لان الطعام ما اشبع او اسمن وهو منهما بمعزل كما تقول ليس لفلان ظل الا الشمس تريد نفي الظل على التوكيد وقيل قالت كفار قريش ان الضريع لتسمن عليه ابلنا فنزلت لا يسمن فلا يخلو اما ان يتكذبوا ويتعنتوا بذلك وهو الظاهر فيرد قولهم بنفي السمن والشبع واما ان يصدقوا فيكون المعنى ان طعامهم من ضريع ليس من جنس ضريعكم انما هو من ضريع غير مسمن ولا مغن من جوع • وجوه يومئذ ناعمة • لسعيها راضية • في جنة عالية • لا تسمع فيها لاغية • فيها عين جارية • فيها سرر مرفوعة • واكواب موضوعة • ونمارق مصفوفة • وزرابي مبثوثة • ناعمة ذات بهجة وحسن كقوله تعالى تعرف في وجوههم نضرة النعيم او متنعمة لسعيها راضية رضيت بعملها لما رأت ما اداهم اليه من الكرامة والثواب عالية من علو المكان او المقدار لا تسمع يا مخاطب او الوجوه لاغية اي لغوا او كلمة ذات لغو او نفسا تلغو لا يتكلم اهل الجنة الا بالحكمة وحمد الله تعالى على ما رزقهم من النعيم الدائم وقرئ لا يسمع على البناء للمفعول بالتاء والياء • فيها عين جارية يريد عيونا

النحائص جمع نحوص وهي الاتان الحائل ۵

الهزم ما يبس وتكسر من الضريع والحرود قليلة اللبن والحدب [illegible] الظهر ۵

في غاية الكثرة كقوله تعالى علمت نفس • مرفوعة من رفعة المقدار او السمك ليرى المؤمن بجلوسه عليه جميع ما خوله ربه من الملك والنعيم وقيل مخبوءة لهم من رفع الشيء اذا خبأه • موضوعة كلما ارادوها وجدوها موضوعة بين ايديهم عتيدة حاضرة لا يحتاجون الى ان يدعوا بها او موضوعة على حافات العيون معدة للشرب ويجوز ان يراد موضوعة عن حد الكبار اوساط بين الصغر والكبر كقوله تعالى قدروها تقديرا • مصفوفة بعضها الى جنب بعض مساند ومطارح اينما اراد ان يجلس جلس على مسورة واستند الى اخرى • وزرابي وبسط عراض فاخرة وقيل هي الطنافس التي لها خمل رقيق جمع زربية • مبثوثة مبسوطة او مفرقة • افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت • والى السماء كيف رفعت • والى الجبال كيف نصبت • والى الارض كيف سطحت • فذكر انما انت مذكر • لست عليهم بمسيطر • الا من تولى وكفر • فيعذبه الله العذاب الاكبر • ان الينا ايابهم • ثم ان علينا حسابهم • افلا ينظرون الى الابل نظر اعتبار كيف خلقت خلقا عجيبا دالا على تقدير مقدر شاهدا بتدبير حيث خلقها للنهوض بالاثقال وجرها الى البلاد الشاحطة فجعلها تبرك حتى تحمل عن قرب ويسر ثم تنهض بما حملت وسخرها منقادة لكل من اقتادها بازمتها لا تعاز ضعيفا ولا تمانع صغيرا وبرأها طوال الاعناق لتنوء بالاوقار • وعن بعض الحكماء انه حدث عن البعير وبديع خلقه وقد نشأ في بلاد لا ابل بها ففكر ثم قال يوشك ان تكون طوال الاعناق • وحين اراد ان تكون سفائن البر صبرها على احتمال العطش حتى ان اظماءها لترتفع الى العشر فصاعدا وجعلها ترعى كل شيء نابت في البراري والمفاوز مما لا ترعاه سائر البهائم • وعن سعيد بن جبير قال لقيت شريحا القاضي فقلت اين تريد قال اريد الكناسة قلت وما تصنع بها قال انظر الى الابل كيف خلقت • فان قلت كيف حسن ذكر الابل مع السماء والارض والجبال ولا مناسبة • قلت قد انتظم هذه الاشياء نظر العرب في اوديتهم وبواديهم فانتظمها الذكر على حسب ما انتظمها نظرهم ولم يدع من زعم ان الابل السحاب الى قوله الا طلب المناسبة ولعله لم يرد ان الابل من اسماء السحاب كالغمام والمزن والرباب والغيم والغين وغير ذلك وانما رأى السحاب مشبها بالابل كثيرا في اشعارهم فجوز ان يراد بها السحاب على طريق التشبيه والمجاز كيف رفعت رفعا بعيد المدى بلا امساك وبغير عمد وكيف نصبت نصبا ثابتا فهي راسخة لا تميل ولا تزول وكيف سطحت سطحا بتمهيد وتوطئة فهي مهاد للمتقلب عليها • وقرأ علي رضي الله عنه خلقت ورفعت ونصبت وسطحت على البناء للفاعل وتاء الضمير والتقدير فعلتها فحذف المفعول • وعن هرون الرشيد انه قرأ سطحت بالتشديد والمعنى افلا ينظرون الى هذه المخلوقات الشاهدة على قدرة الخالق حتى لا ينكروا اقتداره على البعث فيسمعوا انذار الرسول ويؤمنوا به ويستعدوا للقائه اي لا ينظرون فذكرهم ولا تلح عليهم ولا يهمنك انهم لا ينظرون ولا يذكرون انما انت مذكر كقوله تعالى ان عليك الا البلاغ لست عليهم بمسيطر بمتسلط كقوله تعالى وما انت عليهم بجبار وقيل هو في لغة تميم مفتوح الطاء على ان سيطر متعد عندهم وقولهم تسيطر يدل عليه • الا من تولى استثناء منقطع اي لست بمستول عليهم ولكن من تولى منهم فان لله الولاية والقهر فهو يعذبه العذاب الاكبر الذي هو عذاب جهنم وقيل هو استثناء من قوله فذكر اي فذكر الا من انقطع طمعك من ايمانه وتولى فاستحق العذاب الاكبر وما بينهما اعتراض وقرئ الا من تولى على التنبيه • وفي قراءة ابن مسعود رضي الله تعالى عنه فانه يعذبه • وقرأ ابو جعفر المدني ايابهم بالتشديد ووجهه ان يكون فيعالا مصدر ايب فيعل من الاياب او ان يكون اصله اوابا فعالا من اوب ثم قيل ايوابا كديوان في دوان ثم فعل به ما فعل باصل سيد • فان قلت ما معنى تقديم الظرف • قلت معناه التشديد في الوعيد وان ايابهم ليس الا الى الجبار المقتدر على الانتقام وان حسابهم ليس بواجب عليه وهو الذي يحاسب على النقير والقطمير ومعنى الوجوب الوجوب في الحكمة • عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الغاشية حاسبه الله حسابا يسيرا

سورة الفجر

وهي تسع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم • والفجر • وليال عشر • والشفع والوتر • والليل اذا يسر • هل في ذلك قسم لذي حجر • اقسم بالفجر كما اقسم بالصبح في قوله تعالى والصبح اذا اسفر والصبح اذا تنفس وقيل بصلاة الفجر واراد بالليالي العشر عشر ذي الحجة • فان قلت فما بالها منكرة من بين ما اقسم به • قلت لانها ليال مخصوصة من بين جنس الليالي العشر بعض منها او مخصوصة بفضيلة ليست لغيرها • فان قلت

الكناسة موضع قريب من الكوفة قتل بها زيد بن علي رضي الله تعالى عنهما ۵

فهلا عرفت بلام العهد لانها ليال معلومة معدودة **قلت** لو فعل ذلك لم يستقل بمعنى الفضيلة التي
في التنكير ولان الاحسن ان تكون اللامات متجانسة ليكون الكلام ابعد من الالغاز والتعمية وبالشفع والوتر اما
الاشياء كلها شفعها ووترها واما شفع هذه الليالي ووترها ويجوز ان يكون شفعها يوم النحر ووترها يوم عرفة لانه
تاسع ايامها وذلك عاشرها وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه فسرهما بذلك وقد اكثروا في الشفع والوتر
حتى كادوا يستوعبون اجناس ما يقعان فيه وذلك قليل الطائل جدير بالتلهي عنه وبعدما اقسم بالليالي المخصوصة
اقسم بالليل على العموم اذا يسر اذا يمضي كقوله تعالى والليل اذ ادبر والليل اذا عسعس وقرئ والوتر بفتح
الواو وهما لغتان كالحبر والحبر في العدد وفي الترة الكسر وحده وقرئ والوتر بفتح الواو وكسر التاء رواها يونس
عن ابي عمرو وقرئ والفجر والوتر ويسر بالتنوين وهو التنوين الذي يقع بدلا من حرف الاطلاق وعن ابن عباس
وليال عشر بالاضافة يريد وليال ايام عشر وياء يسري تحذف في الدرج اكتفاء عنها بالكسرة واما الوقف فتحذف
مع الكسرة وقيل معنى يسري يسرى فيه هل في ذلك اي فيما اقسمت به من هذه الاشياء قسم اي مقسم به لذي حجر
يريد هل يحق عنده ان تعظم بالاقسام بها او هل في اقسامي بها اقسام لذي حجر اي هل هو قسم عظيم يؤكد بمثله
المقسم عليه والحجر العقل لانه يحجر عن التهافت فيما لا ينبغي كما سمي عقلا ونهية لانه يعقل وينهى وحصاة من الاحصاء
وهو الضبط وقال الفراء يقال انه لذو حجر اذا كان قاهرا لنفسه ضابطا لها والمقسم عليه محذوف وهو ليعذبن يدل عليه قوله
تعالى الم تر الى قوله فصب عليهم ربك سوط عذاب • الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد التي
لم يخلق مثلها في البلاد • قيل لعقب عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام عاد كما يقال لبني هاشم
هاشم ثم قيل للاولين منهم عاد الاولى وارم تسمية لهم باسم جدهم ولمن بعدهم عاد الاخيرة قال ابن الرقيات • مجدا تليدا بناه
اوله • ادرك عادا وقبلها ارما • فارم في قوله تعالى ارم عطف بيان لعاد وايذان بانهم عاد الاولى القديمة وقيل ارم
بلدتهم وارضهم التي كانوا فيها ويدل عليه قراءة ابن الزبير رضي الله تعالى عنه بعاد ارم على الاضافة وتقديره بعاد اهل ارم
كقوله تعالى واسئل القرية ولم تنصرف قبيلة كانت او ارضا للتعريف والتانيث وقرأ الحسن رحمه الله تعالى بعاد ارم مفتوحتين
وقرئ بعاد ارم بسكون الراء على التخفيف كما قرئ بورقكم وقرئ بعاد ارم ذات العماد باضافة ارم الى ذات العماد
والارم العلم يعني بعاد اهل الاعلام ذات العماد وذات العماد اسم المدينة وقرئ بعاد ارم ذات العماد اي جعل الله تعالى
ذات العماد رميما بدلا من فعل ربك وذات العماد اذا كانت صفة للقبيلة فالمعنى انهم كانوا بدويين اهل عمد او طوال
الاجسام على تشبيه قدودهم بالاعمدة ومن قولهم رجل معمد وعمدان اذا كان طويلا وقيل ذات البناء الرفيع
وان كانت صفة للبلدة فانها ذات اساطين وروي انه كان لعاد ابنان شداد وشديد فملكا وقهرا ثم مات شديد
وخلص الامر لشداد فملك الدنيا ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فقال ابني مثلها فبنى ارم في بعض صحاري عدن
في ثلثمائة سنة وكان عمره تسعمائة سنة وهي مدينة عظيمة قصورها من الذهب والفضة واساطينها من الزبرجد
والياقوت وفيها اصناف الاشجار والانهار المطردة ولما تم بناؤها سار اليها باهل مملكته فلما كان منها على مسيرة يوم
وليلة بعث الله تعالى عليهم صيحة من السماء فهلكوا وعن عبد الله بن ابي قلابة انه خرج في طلب ابل له فوقع عليها فحمل
ما قدر عليه مما ثم وبلغ خبره معوية فاستحضره فقص عليه فبعث الى كعب فسأله فقال هي ارم ذات العماد وسيدخلها
رجل من المسلمين في زمانك احمر اشقر قصير على حاجبه خال وعلى عقبه خال يخرج في طلب ابل له ثم التفت فابصر
ابن قلابة فقال هذا والله ذلك الرجل لم يخلق مثلها مثل عاد في البلاد عظم اجرام وقوة كان طول الرجل منهم اربعمائة ذراع
وكان يأتي الصخرة العظيمة فيحملها فيلقيها على الحي فيهلكهم او لم يخلق مثل مدينة شداد في جميع بلاد الدنيا وقرأ ابن
الزبير رضي الله تعالى عنهما لم يخلق مثلها اي لم يخلق الله مثلها • وثمود الذين جابوا الصخر بالواد وفرعون
ذي الاوتاد • الذين طغوا في البلاد • فاكثروا فيها الفساد • فصب عليهم ربك
سوط عذاب • ان ربك لبالمرصاد • جابوا الصخر قطعوا صخر الجبال واتخذوا فيها بيوتا كقوله عز وجل
وتنحتون من الجبال بيوتا قيل اول من نحت الجبال والصخر ثمود وبنوا الفا وسبعمائة مدينة قيل له ذو الاوتاد لكثرة
جنوده ومضاربهم التي كانوا يضربونها اذا نزلوا او لتعذيبه بالاوتاد كما فعل بماشطة بنته وبآسية رضي الله تعالى عنهما

الذين طغوا احسن الوجوه فيه ان يكون في محل النصب على الذم ويجوز ان يكون مرفوعا على هم الذين طغوا او مجرورا على وصف
المذكورين عاد وثمود وفرعون يقال صب عليه السوط وغشاه وقنعه وذكر السوط اشارة الى ان ما احله بهم في الدنيا
من العذاب العظيم بالقياس الى ما اعده لهم في الآخرة كالسوط اذا قيس الى سائر ما يعذب به وعن عمرو بن عبيد كان الحسن
اذا اتى على هذه الآية قال ان عند الله تعالى اسواطا كثيرة فاخذهم بسوط منها المرصاد المكان الذي يترقب فيه الرصد
مفعال من رصده كالميقات من وقته وهذا مثل لارصاده العصاة بالعقاب وانهم لا يفوتونه وعن بعض العرب
انه قيل له اين ربك فقال بالمرصاد وعن عمرو بن عبيد انه قرأ هذه السورة عند المنصور حتى بلغ هذه الآية فقال
ان ربك لبالمرصاد يا ابا جعفر عرض له في هذا النداء بانه بعض من توعد بذلك من الجبابرة فلله دره اي اسد
فراس كان بين ثوبيه يدق الظلمة بانكاره ويقطع اهل الاهواء والبدع باحتجاجه • فاما الانسان
اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه ونعمه فيقول ربي اكرمن • واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه
رزقه فيقول ربي اهانن • **فان قلت** بم اتصل قوله تعالى فاما الانسان **قلت** بقوله تعالى
ان ربك لبالمرصاد كانه قيل ان الله تعالى لا يريد من الانسان الا الطاعة والسعي للعاقبة وهو مرصد بالعقوبة للعاصي
فاما الانسان فلا يريد ذلك ولا يهمه الا العاجلة وما يلذه وينعمه فيها **فان قلت** كيف توازن قوله فاما الانسان
اذا ما ابتلاه ربه وقوله تعالى واما اذا ما ابتلاه ربه وحق التوازن ان يتقابل الواقعان بعد اما واما تقول اما الانسان
فكفور واما الملك فشكور اما اذا احسنت الى زيد فهو محسن اليك واما اذا اسأت اليه فهو مسيء اليك **قلت**
هما متوازنان من حيث ان التقدير واما هو اذا ما ابتلاه ربه وذلك ان قوله تعالى فيقول ربي اكرمن خبر المبتدأ الذي هو الانسان
ودخول الفاء لما في اما من معنى الشرط والظرف المتوسط بين المبتدأ والخبر في تقدير التأخير كانه قيل فاما الانسان فقائل ربي
اكرمني وقت الابتلاء فوجب ان يكون فيقول الثاني خبر المبتدأ واجب تقديره **فان قلت** كيف سمى كلا الامرين من
بسط الرزق وتقديره ابتلاء **قلت** لان كل واحد منهما اختبار للعبد فاذا بسط له فقد اختبر حاله أيشكر ام يكفر
واذا قدر عليه فقد اختبر حاله ايصبر ام يجزع فالحكمة فيهما واحدة ونحوه قوله تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة **فان قلت**
هلا قال فاهانه وقدر عليه رزقه كما قال فاكرمه ونعمه **قلت** لان البسط اكرام من الله تعالى لعبده بانعامه عليه متفضلا من
غير سابقة واما التقدير فليس باهانة له لان الاخلال بالتفضل لا يكون اهانة ولكن تركا للكرامة وقد يكون المولى مكرما لعبده ومهينا
وغير مكرم ولا مهين واذا اهدى لك زيد هدية قلت اكرمني بالهدية ولا تقول اهانني ولا اكرمني اذا لم يهد لك **فان قلت**
فقد قال اكرمه فصحح اكرامه واثبته ثم انكر قوله ربي اكرمن وذمه عليه كما انكر قوله اهانن وذمه عليه **قلت** فيه جوابان احدهما
انه انما انكر قوله ربي اكرمن وذمه عليه لانه قاله على قصد خلاف ما صححه الله تعالى عليه واثبته وهو قصده الى ان الله تعالى
اعطاه ما اعطاه اكراما له مستحقا مستوجبا على عادة افتخارهم وجلالة اقدارهم عندهم كقوله تعالى انما اوتيته على علم عندي
وانما اعطاه الله تعالى على وجه التفضل من غير استيجاب منه ولا سابقة مما لا يعتد الله تعالى الا به وهو التقوى دون
الاحساب والانساب التي كانوا يفتخرون بها ويرون استحقاق الكرامة من اجلها والثاني ان ينساق الانكار والذم الى
قوله ربي اهانن يعني اذا تفضل عليه بالخير واكرم به اعترف بتفضل الله تعالى واكرامه واذا لم يتفضل عليه سمى ترك التفضل
هوانا وليس بهوان ويعضد هذا الوجه ذكر الاكرام في قوله تعالى فاكرمه وقرئ فقدر بالتخفيف والتشديد واكرمن واهانن
بسكون النون في الوقف فيمن ترك الياء في الدرج مكتفيا منها بالكسرة • كلا بل لا يكرمون اليتيم
ولا يحضون على طعام المسكين • ويأكلون التراث اكلا لما • ويحبون المال حبا جما
كلا ردع للانسان عن قوله ثم قال بل هناك شر من هذا القول وهو ان الله تعالى يكرمهم بكثرة المال فلا يؤدون ما يلزمهم
فيه من اكرام اليتيم بالتفقد والمبرة وحض اهله على طعام المسكين ويأكلونه اكل الانعام ويحبونه فيشحون به وقرئ
يكرمون وما بعده بالياء والتاء وقرئ تحاضون اي يحض بعضكم بعضا وفي قراءة ابن مسعود رضي الله تعالى عنه
ولا تحاضون بضم التاء من المحاضة اكلا لما ذا لم وهو الجمع بين الحلال والحرام قال الحطيئة • اذا كان لما يتبع الذم ربه
فلا قدس الرحمن تلك الطواحنا • يعني انهم يجمعون في اكلهم بين نصيبهم من الميراث ونصيب غيرهم وقيل كانوا لا يورثون
النساء ولا الصبيان ويأكلون تراثهم مع تراثهم وقيل يأكلون ما جمعه الميت من الظلمة وهو عالم بذلك فيلم في الاكل

بين حلاله وحرامه ويجوز ان يذم الوارث الذي ظفر بالمال سهلا مهلا من غير ان يعرق فيه جبينه فيسرف في انفاقه ويأكله اكلا واسعا جامعا بين الوان المشتهيات من الاطعمة والاشربة والفواكه كما يفعل الورثات البطالون حبا جما كثيرا شديدا مع الحرص والشره ومنع الحقوق **كلا اذا دكت الارض دكا دكا وجاء ربك والملك صفا صفا** كلا ردع لهم عن ذلك وانكار لفعلهم ثم اتى بالوعيد وذكر تحسرهم على ما فرطوا فيه حين لا تنفع الحسرة **وجيء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الانسان وانى له الذكرى** يومئذ بدل من اذا دكت الارض وعامل النصب فيهما يتذكر دكا دكا اي دكا بعد دكة كقولك حسبته بابا بابا اي كرر عليها الدك حتى عادت هباء منبثا **فان قلت** ما معنى اسناد المجيء الى الله تعالى والحركة والانتقال انما تجوز على من كان في جهة **قلت** هو تمثيل لظهور آيات اقتداره وتبين آثار قهره وسلطانه مثلت حاله في ذلك بحال الملك اذا حضر بنفسه ظهر بحضوره من آثار الهيبة والسياسة ما لا يظهر بحضور عساكره كلها ووزرائه وخواصه عن بكرة ابيهم صفا صفا تنزل ملائكة كل سماء فيصطفون صفا بعد صف محدقين بالجن والانس وجيء يومئذ بجهنم كقوله تعالى وبرزت الجحيم وروي انها لما نزلت تغير وجه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعرف في وجهه حتى اشتد على اصحابه فاخبروا عليا رضي الله تعالى عنه فجاء فاحتضنه من خلفه وقبل ما بين عاتقيه ثم قال يا نبي الله بابي انت وامي ما الذي حدث اليوم وما الذي غيرك

[illegible]

يقول يا ليتني قدمت لحياتي فيومئذ لا يعذب عذابه احد ولا يوثق وثاقه احد

[illegible]

يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي

[illegible]

او على عبدك وقيل نزلت في حمزة بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنه وقيل في خبيب بن عدي رضي الله تعالى عنه الذي صلبه اهل مكة وجعلوا وجهه الى المدينة فقال اللهم ان كان لي عندك خير فحول وجهي نحو قبلتك فحول الله تعالى وجهه نحوها فلم يستطع احد ان يحولها والظاهر العموم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفجر في الليالي العشر غفر له ومن قرأها في سائر الايام كانت له نورا يوم القيمة

سورة البلد مكية وهي عشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد ووالد وما ولد لقد خلقنا الانسان في كبد ايحسب ان لن يقدر عليه احد يقول اهلكت مالا لبدا ايحسب ان لم يره احد اقسم سبحانه وتعالى بالبلد الحرام وبما بعده على ان الانسان

خلق

[illegible]

الم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين فلا اقتحم العقبة وما ادراك ما العقبة فك رقبة او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة او مسكينا ذا متربة

[illegible]

العقبة ولا اقتحم والاقتحام الدخول والمجاوزة بشدة ومشقة والقحمة الشدة وجعل الصالحة عقبة وعملها اقتحاما لها لما في ذلك من معاناة المشقة ومجاهدة النفس وعن الحسن عقبة والله شديدة مجاهدة الانسان نفسه وهواه وعدوه الشيطان فك رقبة تخليصها من رق او غيره وفي الحديث ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم دلني على عمل يدخلني الجنة فقال تعتق النسمة وتفك الرقبة قال اوليستا سواء قال لا اعتاقها ان تنفرد بعتقها وفكها ان تعين في تخليصها من قود او غرم والعتق والصدقة من افضل الاعمال وعن ابي حنيفة رحمه الله تعالى ان العتق افضل من الصدقة وعند صاحبيه الصدقة افضل والآية ادل على قول ابي حنيفة لتقديم العتق على الصدقة وعن الشعبي في رجل عنده فضل نفقة أيضعه في ذي قرابة او يعتق رقبة قال الرقبة افضل لان النبي صلى الله عليه وسلم قال من فك رقبة فك الله بكل عضو منها عضوا منه من النار وقرئ فك رقبة او اطعام على هي فك رقبة او اطعام وقرئ فك رقبة او اطعم على الابدال من اقتحم العقبة وقوله عز وجل وما ادراك ما العقبة اعتراض ومعناه انك لم تدر كنه صعوبتها على النفس وكنه ثوابها عند الله تعالى والمسغبة والمقربة والمتربة مفعلات من سغب اذا جاع وقرب في النسب يقال فلان ذو قرابتي وذو مقربتي وترب اذا افتقر ومعناه لصق بالتراب واما اترب فاستغنى اي صار ذا مال كالتراب في الكثرة كما قيل اثرى وعن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى ذا متربة الذي مأواه المزابل ووصف اليوم بذي مسغبة نحو ما يقول النحويون في قولهم هم ناصب ذو نصب وقرأ الحسن رحمه الله تعالى ذا مسغبة ونصبه باطعام ومعناه او اطعام في يوم من الايام ذا مسغبة **ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة اولئك اصحاب الميمنة والذين كفروا بآياتنا هم اصحاب المشأمة عليهم نار موصدة**

ثم كان من الذين آمنوا جاء بثم لتراخي الايمان وتباعده في الرتبة والفضيلة عن العتق والصدقة لا في الوقت لان الايمان هو السابق المتقدم على غيره ولا يثبت عمل صالح الا به والمرحمة الرحمة اي اوصى بعضهم بعضا بالصبر على الايمان والثبات عليه او بالصبر عن المعاصي وعلى الطاعات والمحن التي يبتلى بها المؤمن وبان يكونوا متراحمين متعاطفين او بما يؤدي الى رحمة الله تعالى الميمنة والمشأمة اليمين والشمال او اليمين والشؤم اي الميامين على انفسهم والمشائيم عليهن وقرئ موصدة بالواو والهمزة من اوصدت الباب وآصدته اي اطبقته واغلقته وعن ابي بكر بن عياش لنا امام يهمز مؤصدة فاشتهي ان اسد اذني اذا سمعته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لا اقسم بهذا البلد اعطاه الله الامان من غضبه يوم القيمة

سورة الشمس مكية وهي خمس عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم والشمس وضحاها والقمر اذا تلاها والنهار اذا جلاها والليل اذا يغشاها والسماء وما بناها والارض وما طحاها

ضحاها ضوءها اذا اشرقت وقام سلطانها ولذلك قيل وقت الضحى وكان وجهه شمس الضحى وقيل الضحوة ارتفاع النهار والضحى فوق ذلك والضحاء بالفتح والمد اذا امتد النهار وكرب ان ينتصف اذا تلاها طالعا عند غروبها آخذا من نورها وذلك في النصف الاول من الشهر وقيل اذا استدار فتلاها في الضياء والنور اذا جلاها عند انتفاخ النهار وانبساطه لان الشمس تنجلي في ذلك الوقت تمام الانجلاء وقيل الضمير للظلمة او للدنيا او للارض وان لم يجر لها ذكر كقولهم اصبحت باردة يريدون الغداة وارسلت يريدون السماء اذا يغشاها فتغيب وتظلم الآفاق فان قلت الامر في نصب اذا معضل لانك لا تخلو اما ان تجعل الواوات عاطفة فتنصب بها وتجر فتقع في العطف على عاملين في نحو قولك مررت امس بزيد واليوم عمرو واما ان تجعلهن للقسم فتقع فيما اتفق الخليل وسيبويه على استكراهه قلت الجواب فيه ان واو القسم مطرح معها ابراز الفعل اطراحا كليا فكان لها شأن خلاف شأن الباء حيث ابرز معها الفعل واضمر فكانت الواو قائمة مقام الفعل والباء سادة مسدهما معا والواوات العواطف نوائب عن هذه الواو فحققن ان يكن عوامل على الفعل والجار جميعا كما تقول ضرب زيد عمرا وبكر خالدا فترفع بالواو وتنصب لقيامها مقام ضرب الذي هو عاملهما جعلت ما مصدرية في قوله تعالى وما بناها وما طحاها وما سواها وليس بالوجه لقوله فالهمها وما يؤدي اليه من فساد النظم والوجه ان تكون موصولة وانما اوثرت على من لارادة معنى الوصفية كأنه قيل والسماء والقادر العظيم الذي بناها **ونفس وما سواها**

ونفس والحكيم الباهر الحكمة الذي سواها وفي كلامهم سبحان ما سخركن لنا فان قلت لم نكرت النفس قلت فيه وجهان احدهما ان يريد نفسا خاصة من بين النفوس وهي نفس آدم عليه السلام كأنه قيل وواحدة من النفوس والثاني ان يريد كل نفس وينكر للتكثير على الطريقة المذكورة في قوله تعالى علمت نفس **فالهمها فجورها وتقواها قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها** ومعنى الهام الفجور والتقوى افهامهما واعقالهما وان احدهما حسن والآخر قبيح وتمكينه من اختيار ما شاء منهما بدليل قوله تعالى قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها فجعله فاعل التزكية والتدسية ومتوليهما والتزكية الانماء والاعلاء بالتقوى والتدسية النقص والاخفاء بالفجور واصل دسى دسس كما قيل في تقضض تقضى وسئل ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عنه فقال اتقرأ قد افلح من زكاها وقد خاب من حملها ظلما واما قول من زعم ان الضمير في زكى ودسى لله تعالى وان تأنيث الراجع الى من لانه في معنى النفس فمن تعكيس القدرية الذين يوركون على الله تعالى قدرا هو بريء منه ومتعال عنه ويحيون لياليهم في تمحل فاحشة ينسبونها اليه فان قلت فاين جواب القسم قلت هو محذوف تقديره ليدمدمن الله عليهم اي على اهل مكة لتكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما دمدم على ثمود لانهم كذبوا صالحا عليه السلام واما قد افلح من زكاها فكلام تابع لقوله تعالى فالهمها فجورها وتقواها على سبيل الاستطراد وليس من جواب القسم **كذبت ثمود بطغواها اذ انبعث اشقاها**

الباء في بطغواها مثلها في كتبت بالقلم والطغوى من الطغيان فصلوا بين الاسم والصفة في فعلى من بنات الياء بان قلبوا الياء واوا في الاسم وتركوا القلب في الصفة فقالوا امرأة خزيا وصديا يعني فعلت التكذيب بطغيانها كما تقول ظلمني بجرأته على الله تعالى وقيل كذبت بما اوعدت به من عذابها ذي الطغوى كقوله تعالى فاهلكوا بالطاغية وقرأ الحسن بطغواها بضم الطاء كالحسنى والرجعى في المصادر اذ انبعث منصوب بكذبت او بالطغوى واشقاها قدار بن سالف ويجوز ان يكونوا جماعة والتوحيد لتسويتك في افعل التفضيل اذا اضفته بين الواحد والجمع والمذكر والمؤنث وكان يجوز ان يقال اشقوها كما تقول افاضلهم **فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها فكذبوه فعقروها**

والضمير في لهم يجوز ان يكون للاشقين والتفضيل في الشقاوة لان من تولى العقر وباشره كانت شقاوته اظهر وابلغ وناقة الله نصب على التحذير كقولك الاسد الاسد والصبي الصبي باضمار ذروا او احذروا عقرها وسقياها فلا تزووا عنها ولا تستأثروا بها عليها فكذبوه فيما حذرهم منه من نزول العذاب ان فعلوا **فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها ولا يخاف عقباها**

فدمدم عليهم فاطبق عليهم العذاب وهو من تكرير قولهم ناقة مدمومة اذا ألبسها الشحم بذنبهم بسبب ذنبهم وفيه انذار عظيم بعاقبة الذنب فعلى كل مذنب ان يعتبر ويحذر فسواها الضمير للدمدمة اي فسواها بينهم لم يفلت منهم كبير ولا صغير ولا يخاف عقباها اي عاقبتها وتبعتها كما يخاف كل معاقب من الملوك فيبقي بعض الابقاء ويجوز ان يكون الضمير لثمود على معنى فسواها بالارض او في الهلاك ولا يخاف عقبى هلاكها وفي مصاحف اهل المدينة والشام فلا يخاف وفي قراءة النبي صلى الله عليه وسلم ولم يخف عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة الشمس فكأنما تصدق بكل شيء طلعت عليه الشمس والقمر

سورة الليل مكية وهي احدى وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى وما خلق الذكر والانثى ان سعيكم لشتى

المغشي اما الشمس من قوله تعالى والليل اذا يغشاها واما النهار من قوله تعالى يغشي الليل النهار واما كل شيء يواريه بظلامه من قوله تعالى اذا وقب تجلى ظهر بزوال ظلمة الليل او تبين وتكشف بطلوع الشمس وما خلق والقادر العظيم القدرة الذي قدر على خلق الذكر والانثى من ماء واحد وقيل هما آدم وحواء وفي قراءة النبي صلى الله عليه وسلم والذكر والانثى وقرأ ابن مسعود رضي الله تعالى عنه والذي خلق الذكر والانثى وعن الكسائي وما خلق الذكر والانثى بالجر على انه بدل من محل ما خلق بمعنى وما خلقه الله اي ومخلوق الله الذكر والانثى وجاز اضمار اسم الله تعالى لانه معلوم لانفراده بالخلق اذ لا خالق سواه وقيل ان الله تعالى لم يخلق خلقا من ذوي الارواح ليس بذكر ولا انثى والخنثى وان اشكل امره عندنا فهو عند الله تعالى غير مشكل معلوم بالذكورة او الانوثة فلو حلف بالطلاق انه لم يلق

يوم ذكراً ولا انثى ولقد لقي خنثى مشكلاً كان حانثاً لانه في الحقيقة اما ذكر او انثى وان كان مشكلاً عندنا شتى جمع شتيت
ان مساعيكم اشتات مختلفة وبيان اختلافها فيما فصل على اثره فاما من اعطى واتقى وصدق
بالحسنى فسنيسره لليسرى اعطى يعني حقوق ماله واتقى الله فلم يعصه وصدق بالحسنى بالخصلة الحسنى
وهي الايمان او بالملة الحسنى وهي ملة الاسلام او بالمثوبة الحسنى وهي الجنة فسنيسره لليسرى فسنهيئه لها من يسر
الفرس للركوب اذا اسرجها والجمها ومنه قوله صلى الله عليه وسلم كل ميسر لما خلق له والمعنى فسنلطف به ونوفقه
حتى تكون الطاعة ايسر الامور عليه واهونها من قوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام واما من
بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى واستغنى وزهد فيما عند الله تعالى كانه
مستغن عنه فلم يتقه او استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الجنة لانه في مقابلة واتقى فسنيسره للعسرى فسنخذله
ونمنعه الالطاف حتى تكون الطاعة اعسر شيء عليه واشده من قوله تعالى يجعل صدره ضيقاً حرجاً كانما يصعد في السماء او
سمى طريقة الخير باليسرى لان عاقبتها اليسر وطريقة الشر بالعسرى لان عاقبتها العسر او اراد بهما طريقي الجنة والنار
اي فسنهديهما في الآخرة للطريقين وقيل نزلتا في ابي بكر رضي الله تعالى عنه وفي ابي سفيان بن حرب وما يغني
عنه ماله اذا تردى وما يغني استفهام في معنى الانكار او نفي وتردى تفعل من الردى وهو الهلاك
يريد الموت او تردى في الحفرة اذا قبر او تردى في قعر جهنم ان علينا للهدى وان لنا
للآخرة والاولى ان علينا للهدى ان الارشاد الى الحق واجب علينا بنصب الدلائل وبيان الشرائع وان لنا
للآخرة والاولى اي ثواب الدارين للمهتدي كقوله تعالى وآتيناه اجره في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين فانذرتكم
ناراً تلظى لا يصلاها الا الاشقى الذي كذب وتولى وسيجنبها الاتقى الذي
يؤتي ماله يتزكى وقرأ ابو الزبير تتلظى فان قلت كيف قال لا يصلاها الا الاشقى وسيجنبها الاتقى
وقد علم ان كل شقي يصلاها وكل تقي يجنبها لا يختص بالصلي اشقى الاشقياء ولا بالنجاة اتقى الاتقياء وان زعمت انه
نكر النار فاراد ناراً بعينها مخصوصة بالاشقى فما تصنع بقوله تعالى وسيجنبها الاتقى فقد علم ان افسق المسلمين يجنب تلك النار
المخصوصة لا الاتقى منهم خاصة قلت الآية واردة في الموازنة بين حالتي عظيم من المشركين وعظيم من المؤمنين فاريد
ان يبالغ في صفتيهما المتناقضتين فقيل الاشقى وجعل مختصاً بالصلي كأن النار لم تخلق الا له وقيل الاتقى وجعل
مختصاً بالنجاة كأن الجنة لم تخلق الا له وقيل هما ابو جهل او امية بن خلف وابو بكر رضي الله تعالى عنه يتزكى من الزكاء
اي يطلب ان يكون عند الله تعالى زاكياً لا يريد به رياء ولا سمعة او يتفعل من الزكاة فان قلت ما محل يتزكى
قلت هو على وجهين ان جعلته بدلاً من يؤتي فلا محل له لانه داخل في حكم الصلة والصلات لا محل لها وان جعلته
حالاً من الضمير في يؤتي فمحله النصب وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه
الاعلى ولسوف يرضى ابتغاء وجه ربه مستثنى من غير جنسه وهو النعمة اي ما لاحد عنده نعمة الا ابتغاء وجه
ربه كقولك ما في الدار احد الا حماراً وقرأ يحيى بن وثاب الا ابتغاء وجه ربه بالرفع على لغة من يقول ما في الدار احد الا
حمار وانشد في اللغتين قول بشر بن ابي خازم اضحت خلاء قفاراً لا انيس بها الا الجآذر والظلمان تختلف
وقول القائل وبلدة ليس بها انيس الا اليعافير والا العيس ويجوز ان يكون ابتغاء وجه ربه مفعولاً له على
المعنى لان معنى الكلام لا يؤتي ماله الا ابتغاء وجه ربه لا لمكافأة نعمة ولسوف يرضى موعد بالثواب الذي يرضيه ويقر عينه
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الليل اعطاه الله حتى يرضى وعافاه من العسر ويسر له اليسر

سورة الضحى مكية وهي احدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم والضحى والليل اذا سجى ما ودعك
ربك وما قلى وللآخرة خير لك من الاولى ولسوف يعطيك ربك فترضى
المراد بالضحى وقت الضحى وهو صدر النهار حين ترتفع الشمس وتلقي شعاعها وانما خص وقت الضحى بالقسم لانها الساعة
التي كلم الله تعالى فيها موسى عليه السلام والقى السحرة فيها سجداً لقوله تعالى وان يحشر الناس ضحى وقيل اراد بالضحى النهار

بيانه

بيانه قوله تعالى ان يأتيهم بأسنا ضحى في مقابلة بياتاً سجى سكن وركد ظلامه وقيل ليلة ساجية ساكنة الريح وقيل معناه سكون
الناس والاصوات فيه وسجا البحر سكنت امواجه وطرف ساج فاتر ساكن ما ودعك جواب القسم ومعناه ما قطعك قطع المودع
وقرئ بالتخفيف يعني ما تركك قال وثم ودعنا آل عمرو وعامر فرائس اطراف المثقفة السمر والتوديع مبالغة في الودع لان
من ودعك مفارقاً فقد بالغ في تركك روي ان الوحي قد تأخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اياماً فقال المشركون
ان محمداً ودعه ربه وقلاه وقيل ان ام جميل امرأة ابي لهب قالت له يا محمد ما ارى شيطانك الا قد تركك فنزلت حذف
الضمير من قلى كحذفه من الذاكرات في قوله تعالى والذاكرين الله كثيراً والذاكرات يريد والذاكراته ونحوه فآوى فهدى فاغنى
وهو اختصار لفظي لظهور المحذوف فان قلت كيف اتصل قوله تعالى وللآخرة خير لك من الاولى بما قبله
قلت لما كان في ضمن نفي التوديع والقلى ان الله تعالى مواصلك بالوحي اليك وانك حبيب الله تعالى ولا ترى كرامة اعظم
من ذلك ولا نعمة اجل منه اخبره ان حاله في الآخرة اعظم من ذلك واجل وهو السبق والتقدم على جميع انبياء الله تعالى
ورسله وشهادة امته على سائر الامم ورفع درجات المؤمنين واعلاء مراتبهم بشفاعته وغير ذلك من الكرامات السنية ولسوف
يعطيك ربك فترضى موعد شامل لما اعطاه في الدنيا من الفلج والظفر باعدائه يوم بدر ويوم فتح مكة ودخول الناس في الدين
افواجاً والغلبة على قريظة والنضير واجلائهم وبث عساكره وسراياه في بلاد العرب وما فتح على خلفائه الراشدين في اقطار
الارض من المدائن وهدم بايديهم من ممالك الجبابرة وانهبهم من كنوز الاكاسرة وما قذف في قلوب اهل الشرق والغرب من
الرعب وتهيب الاسلام وفشو الدعوة واستيلاء المسلمين ولما ادخر له من الثواب الذي لا يعلم كنهه الا الله تعالى
قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما له في الجنة الف قصر من لؤلؤ ابيض ترابه المسك فان قلت ما هذه اللام الداخلة
على سوف قلت هي لام الابتداء المؤكدة لمضمون الجملة والمبتدأ محذوف تقديره ولانت سوف يعطيك كما ذكرنا في لا اقسم
ان المعنى لانا اقسم وذلك انها لا تخلو من ان تكون لام قسم او ابتداء فلام القسم لا تدخل الا على الجملة من المبتدأ او الخبر فلا بد من تقدير
مبتدأ وخبر وان يكون تقديره ولانت سوف يعطيك فان قلت ما معنى الجمع بين حرفي التوكيد والتأخير قلت
معناه ان العطاء كائن لا محالة وان تأخر لما في التأخير من المصلحة وعد عليه نعمه واياديه وانه لم يخله منها من اول تربيته وابتداء نشئه ترشيحاً
لما اراد به ليقيس المترقب من فضل الله تعالى على ما سلف كيلا يتوقع الا الحسنى وزيادة الخير والكرامة ولا يضيق صدره ولا يقل صبره
الم يجدك يتيماً فآوى ووجدك ضالاً فهدى ووجدك عائلاً فاغنى الم يجدك من الوجود الذي
بمعنى العلم والمنصوبان مفعولا وجد والمعنى الم تكن يتيماً وذلك ان اباه مات وهو جنين قد اتت عليه ستة اشهر وماتت امه وهو
ابن ثمان سنين فكفله عمه ابو طالب وعطفه الله تعالى عليه فاحسن تربيته ومن بدع التفاسير انه من قولهم درة يتيمة وان
المعنى الم يجدك واحداً في قريش عديم النظير فآواك وقرئ فأوى وهو على معنيين اما من اواه بمعنى آواه سمع بعض الرعاة
يقول اين اوي هذه الموقسة واما من اوى له اذا رحمه ضالاً معناه الضلال عن علم الشرائع وما طريقه السمع كقوله تعالى ما كنت
تدري ما الكتاب ولا الايمان وقيل ضل في صباه في بعض شعاب مكة فرده ابو جهل الى عبد المطلب وقيل اضلته حليمة
عند باب مكة حين فطمته وجاءت به لترده الى عبد المطلب وقيل ضل في طريق الشام حين خرج به ابو طالب فهداك
فعرفك القرآن والشرائع او فازال ضلالك عن عمك وجدك ومن قال كان على امر قومه اربعين سنة فان اراد انه كان على
خلوهم من العلوم السمعية فنعم وان اراد انه كان على دينهم وكفرهم فمعاذ الله والانبياء يجب ان يكونوا معصومين
قبل النبوة وبعدها من الكبائر والصغائر الشائنة فما بال الكفر والجهل بالصانع ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء
وكفى بالنبي نقيصة عند الكفار ان يسبق له كفر عائلاً فقيراً وقرئ عيلاً كما قرئ سيحات وعديماً فاغنى فاغناك
بمال خديجة رضي الله تعالى عنها او بما افاء عليك من الغنائم قال صلى الله عليه وسلم جعل رزقي تحت ظل رمحي وقيل قنعك واغنى
قلبك فاما اليتيم فلا تقهر واما السائل فلا تنهر واما بنعمة ربك فحدث
فلا تقهر فلا تغلبه على ماله وحقه لضعفه وفي قراءة ابن مسعود رضي الله تعالى عنه فلا تكهر وهو ان يعبس في وجهه وفلان ذو
كهرورة عابس الوجه ومنه الحديث فبابي وامي هو ما كهرني فلا تنهر فلا تزجره فالنهر والنهم الزجر وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا رد
السائل ثلاثاً فلم يرجع فلا عليك ان تزبره وقيل اما انه ليس بالسائل المستجدي ولكن طالب العلم اذا جاءك فلا تنهره
التحديث بنعمة الله تعالى شكرها واشاعتها يريد ما ذكره من نعمة الايواء والهداية والاغناء وما عدا ذلك وعن مجاهد

بالقرآن فحدث اقراؤه وتبلغ ما ارسلت به وعن عبد الله بن غالب انه كان اذا اصبح يقول رزقني الله تعالى البارحة خيرا قرأت كذا وصليت كذا فاذا قيل له يا ابا فراس مثلك يقول هذا قال يقول الله تعالى واما بنعمة ربك فحدث وانتم تقولون لا تحدث بنعمة الله تعالى وانما يجوز مثل هذا اذا قصد به اللطف وان يقتدي به غيره وامن على نفسه الفتنة والستر افضل ولو لم يكن فيه الا التشبه باهل الريا والسمعة لكفى به وفي قراءة علي رضي الله تعالى عنه فخبر والمعنى انك كنت يتيما وضالا وعائلا فآواك الله تعالى وهداك واغناك فمهما يكن من شيء وعلى ما خيلت فلا تنس نعمة الله تعالى عليك في هذه الثلاث واقتد بالله تعالى فتعطف على اليتيم وآوه فقد ذقت اليتم وهوانه ورأيت كيف فعل الله تعالى بك وترحم على السائل وتفقده بمعروفك ولا تزجره عن بابك كما رحمك فاغناك بعد الفقر وحدث بنعمة الله تعالى كلها ويدخل تحته هدايته الضلال وتعليمه الشرائع والقرآن مقتديا بالله تعالى في ان هداه من الضلال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والضحى جعله الله تعالى فيمن يرضى لمحمد صلى الله عليه وسلم ان يشفع له وعشر حسنات يكتبها الله تعالى له بعدد كل يتيم وسائل

سورة الم نشرح مكية وهي ثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم الم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك استفهم عن انتفاء الشرح على وجه الانكار فافاد اثبات الشرح وايجابه فكانه قيل شرحنا لك صدرك ولذلك عطف عليه ووضعنا اعتبارا للمعنى ومعنى شرحنا صدرك فسحناه حتى وسع هموم النبوة ودعوة الثقلين جميعا او حتى احتمل المكاره التي يتعرض لك بها كفار قومك وغيرهم او فسحناه بما اودعناه من العلوم والحكم وازلنا عنه الضيق والحرج الذي يكون مع العمى والجهل وعن الحسن رحمه الله تعالى ملئ حكمة وعلما وعن ابي جعفر المنصور انه قرأ الم نشرح بفتح الحاء وقالوا لعله بين الحاء واشبعها في مخرجها فظن السامع انه فتحها والوزر الذي انقض ظهره اي حمله على النقيض وهو صوت الانتقاض والانفكاك لثقله مثل لما كان يثقل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويغمه من فرطاته قبل النبوة او من جهله بالاحكام والشرائع او من تهالكه على اسلام اولي العناد من قومه وتلهفه ووضعه عنه ان غفر له او علم الشرائع او مهد عذره بعد ما بلغ وبالغ وقرأ انس وحللنا وحططنا وقرأ ابن مسعود رضي الله تعالى عنه وحللنا عنك وقرك ورفع ذكره ان قرن بذكر الله تعالى في كلمة الشهادة والاذان والاقامة والتشهد والخطب وفي غير موضع من القرآن والله ورسوله احق ان يرضوه ومن يطع الله ورسوله واطيعوا الله واطيعوا الرسول وفي تسميته رسول الله ونبي الله ومنه ذكره في كتب الاولين والاخذ على الانبياء واممهم ان يؤمنوا به **فان قلت** اي فائدة في زيادة لك والمعنى مستقل بدونه **قلت** في زيادة لك ما في طريقة الابهام والايضاح كانه قيل الم نشرح لك ففهم ان ثم مشروحا ثم قيل صدرك فاوضح ما علم مبهما وكذلك لك ذكرك وعنك وزرك فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا فاذا فرغت فانصب والى ربك فارغب **فان قلت** كيف تعلق قوله فان مع العسر يسرا بما قبله **قلت** كان المشركون يعيرون رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالفقر والضيقة حتى سبق الى وهمه انهم رغبوا عن الاسلام لافتقار اهله واحتقارهم فذكره بما انعم عليه من جلائل النعم ثم قال فان مع العسر يسرا كانه قال خولناك ما خولناك فلا تيأس من فضل الله تعالى فان مع العسر الذي انتم فيه يسرا **فان قلت** ان مع للصحبة فما معنى اصطحاب العسر واليسر **قلت** اراد ان الله تعالى يصيبهم بيسر بعد العسر الذي كانوا فيه بزمان قريب فقرب اليسر المترقب حتى جعله كالمقارن للعسر زيادة في التسلية وتقوية للقلوب **فان قلت** ما معنى قول ابن عباس وابن مسعود رضي الله تعالى عنهم لن يغلب عسر يسرين وقد روي مرفوعا انه خرج ذات يوم وهو يضحك وهو يقول لن يغلب عسر يسرين **قلت** هذا عمل على الظاهر وبناء على قوة الرجاء وان موعد الله تعالى لا يحمل الا على اوفى ما يحتمله اللفظ وابلغه والقول فيه انه يحتمل ان تكون الجملة الثانية تكريرا للاولى كما كرر قوله تعالى ويل يومئذ للمكذبين لتقرير معناها في النفوس وتمكينها في القلوب وكما يكرر المفرد في قولك جاءني زيد زيد وان تكون الاولى عدة بان العسر مردوف بيسر لا محالة والثانية عدة مستأنفة بان العسر متبوع بيسر فهما يسران على تقدير الاستئناف وانما كان العسر واحدا لانه لا يخلو اما ان يكون تعريفه للعهد وهو العسر الذي كانوا فيه فهو هو لان حكمه حكم زيد في قولك ان مع زيد مالا ان مع زيد مالا واما ان يكون للجنس الذي يعلمه كل احد فهو هو ايضا واما اليسر فمنكر متناول لبعض الجنس

ورفعنا لك ذكرك

فاذا كان الكلام الثاني مستأنفا غير مكرر فقد تناول بعضا غير البعض الاول بغير اشكال **فان قلت** فما المراد باليسرين **قلت** يجوز ان يراد بهما ما تيسر لهم من الفتوح في ايام رسول الله صلى الله عليه وسلم وما تيسر لهم في ايام الخلفاء رضوان الله تعالى عليهم وان يراد يسر الدنيا ويسر الآخرة كقوله تعالى قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين وهما حسنى الظفر وحسنى الثواب **فان قلت** فما معنى هذا التنكير **قلت** التفخيم كانه قيل ان مع العسر يسرا عظيما واي يسر وهو في مصحف ابن مسعود رضي الله تعالى عنه مرة واحدة **فان قلت** فاذا ثبت في قراءته غير مكرر فلم قال والذي نفسي بيده لو كان العسر في حجر لطلبه اليسر حتى يدخل عليه انه لن يغلب عسر يسرين **قلت** كانه قصد باليسرين ما في قوله تعالى يسرا من معنى التفخيم فتأوله بيسر الدارين وذلك يسران في الحقيقة **فان قلت** فكيف تعلق قوله فاذا فرغت فانصب بما قبله **قلت** لما عدد عليه نعمه السالفة ووعده الآنفة بعثه على الشكر والاجتهاد في العبادة والنصب فيها وان يواصل بين بعضها وبعض ويتابع ويحرص على ان لا يخلي وقتا من اوقاته منها فاذا فرغ من عبادة ذنبها باخرى وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فاذا فرغت من صلوتك فاجتهد في الدعاء وعن الحسن رحمه الله تعالى فاذا فرغت من الغزو فاجتهد في العبادة وعن مجاهد فاذا فرغت من دنياك فانصب في صلوتك وعن الشعبي انه رأى رجلا يشيل حجرا فقال ليس بهذا امر الفارغ وقعود الرجل فارغا من غير شغل او اشتغاله بما لا يعنيه في دينه او دنياه من سفه الرأي وسخافة العقل واستيلاء الغفلة ولقد قال عمر رضي الله تعالى عنه اني اكره ان ارى احدكم فارغا سبهللا لا في عمل دنيا ولا في عمل آخرة وقرأ ابو السمال فرغت بكسر الراء وليست بفصيحة ومن البدع ما روي عن بعض الرافضة انه قرأ فانصب بكسر الصاد اي فانصب عليا رضي الله تعالى عنه للامامة ولو صح هذا للرافضي لصح للناصبي ان يقرأ هكذا ويجعله امرا بالنصب الذي هو بغض علي وعداوته والى ربك فارغب واجعل رغبتك اليه خصوصا ولا تسأل الا فضله متوكلا عليه وقرئ فرغب اي رغب الناس الى طلب ما عنده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ الم نشرح فكانما جاءني وانا مغتم ففرج عني

سورة والتين مكية وهي ثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الامين اقسم بهما لانهما عجيبان من بين اصناف الاشجار المثمرة روي انه اهدي لرسول الله صلى الله عليه وسلم طبق من تين فاكل منه وقال لاصحابه كلوا فلو قلت ان فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه لان فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فانها تقطع البواسير وتنفع من النقرس ومر معاذ بن جبل بشجرة الزيتون فاخذ منها قضيبا واستاك به وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نعم السواك الزيتون من الشجرة المباركة يطيب الفم ويذهب بالحفرة وسمعته يقول هي سواكي وسواك الانبياء قبلي وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هو تينكم هذا وزيتونكم وقيل جبلان من الارض المقدسة يقال لهما بالسريانية طور تينا وطور زيتا لانهما منبتا التين والزيتون وقيل التين جبال ما بين حلوان وهمذان والزيتون جبال الشام لانهما منابتهما كانه قيل ومنابت التين والزيتون واضيف الطور وهو الجبل الى سينين وهي البقعة ونحو سينون يبرون في جواز الاعراب بالواو والياء والاقرار على الياء وتحريك النون بحركات الاعراب والبلد مكة حماها الله تعالى والامين من امن الرجل امانة فهو امين وقيل امان كما قيل كرام في كريم وامانته ان يحفظ من دخله كما يحفظ الامين ما يؤتمن عليه ويجوز ان يكون فعيلا بمعنى مفعول من امنه لانه مأمون الغوائل كما وصف بالامن في قوله تعالى حرما آمنا بمعنى ذي امن ومعنى القسم بهذه الاشياء الابانة عن شرف البقاع المباركة وما ظهر فيها من الخير والبركة بسكنى الانبياء والصالحين فمنبت التين والزيتون مهاجر ابراهيم ومولد عيسى عليهما السلام ومنشأه والطور المكان الذي نودي منه موسى عليه السلام ومكة مكان البيت الذي هو هدى للعالمين ومولد رسول الله صلوات الله تعالى وسلامه عليه ومبعثه لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم اجر غير ممنون في احسن تقويم في احسن تعديل لشكله وصورته

وتسوية لاعضائه ثم كان عاقبة امره حيث لم يشكر نعمة تلك الخلقة الحسنة القويمة السوية ان رددناه اسفل من سفل خلقا وتركيبا يعني اقبح من قبح صورة واشوهه خلقة وهم اصحاب النار او اسفل من سفل من اهل الدركات او ثم رددناه بعد ذلك التقويم والتحسين اسفل من سفل في حسن الصورة والشكل حيث نكسناه في خلقه فقوس ظهره بعد اعتداله وابيض شعره بعد سواده وتشنن جلده وكان بضا وكل سمعه وبصره وكانا حديدين وتغير كل شيء منه فمشيه دليف وصوته خفات وقوته ضعف وشهامته خرف وقراءة عبد الله اسفل السافلين **فان قلت** فكيف الاستثناء على المذهبين **قلت** هو على الاول متصل ظاهر الاتصال وعلى الثاني منقطع يعني ولكن الذين كانوا صالحين من الهرم فلهم ثواب دائم غير منقطع على طاعتهم وصبرهم على ابتلاء الله تعالى بالشيخوخة والهرم وعلى مقاساة المشاق والقيام بالعبادة على تحاذل نهوضهم

فما يكذبك بعد بالدين • اليس الله باحكم الحاكمين **فان قلت** فما يكذبك من المخاطب به **قلت** هو خطاب للانسان على طريقة الالتفات اي فما يجعلك كاذبا بسبب الدين وانكاره بعد هذا الدليل يعني انك تكذب اذا كذبت بالجزاء لان كل مكذب بالحق فهو كاذب فاي شيء يضطرك الى ان تكون كاذبا بسبب تكذيب الجزاء والباء مثلها في قوله تعالى الذين يتولونه والذين هم به مشركون والمعنى ان خلق الانسان من نطفة وتقويمه بشرا سويا وتدريجه في مراتب الزيادة الى ان يكمل ويستوي ثم تنكيسه الى ان يبلغ ارذل العمر لا ترى دليلا اوضح منه على قدرة الخالق وان من قدر من الانسان على هذا كله لم يعجز عن اعادته فما سبب تكذيبك ايها الانسان بالجزاء بعد هذا الدليل القاطع وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم اليس الله باحكم الحاكمين وعيد للكفار وانه يحكم عليهم بما هم اهله وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا قراها قال بلى وانا على ذلك من الشاهدين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة والتين اعطاه الله خصلتين العافية واليقين ما دام في دار الدنيا واذا مات اعطاه الله من الاجر بعدد من قراها هذه السورة

سورة العلق مكية وهي تسع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم • اقرأ باسم ربك الذي خلق • خلق الانسان من علق • اقرأ وربك الاكرم • الذي علم بالقلم • علم الانسان ما لم يعلم • عن ابن عباس ومجاهد هي اول سورة نزلت واكثر المفسرين على ان الفاتحة اول ما نزل ثم سورة القلم محل باسم ربك النصب على الحال اي اقرأ مفتتحا باسم ربك قل باسم الله ثم اقرأ **فان قلت** كيف قال خلق فلم يذكر له مفعولا ثم قال خلق الانسان **قلت** هو على وجهين اما ان لا يقدر له مفعول وان يراد به الذي حصل منه الخلق واستاثر به لا خالق سواه واما ان يقدر ويراد خلق كل شيء فيتناول كل مخلوق لانه مطلق فليس بعض المخلوقات اولى بتقديره من بعض وقوله تعالى خلق الانسان تخصيص للانسان بالذكر من بين ما يتناوله الخلق لان التنزيل اليه وهو اشرف ما على الارض ويجوز ان يراد الذي خلق الانسان كما قال عز وجل الرحمن علم القرآن خلق الانسان فقيل الذي خلق مبهما ثم فسره بقوله خلق الانسان تفخيما لخلق الانسان ودلالة على عجيب فطرته **فان قلت** لم قال من علق على الجمع وانما خلق من علقة كقوله تعالى من نطفة ثم من علقة **قلت** لان الانسان في معنى الجمع كقوله تعالى ان الانسان لفي خسر الاكرم الذي له الكمال في زيادة كرمه على كل كريم ينعم على عباده النعم التي لا تحصى ويحلم عنهم فلا يعاجلهم بالعقوبة مع كفرهم وجحودهم لنعمه وركوبهم المناهي واطراحهم الاوامر ويقبل توبتهم ويتجاوز عنهم بعد اقتراف العظائم فما لكرمه غاية ولا امد وكانه ليس وراء التكرم بافادة الفوائد العلمية تكرم حيث قال الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم فدل على كمال كرمه بانه علم عباده ما لم يعلموا ونقلهم من ظلمة الجهل الى نور العلم ونبه على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة التي لا يحيط بها الا هو وما دونت العلوم ولا قيدت الحكم ولا ضبطت اخبار الاولين ومقالاتهم ولا كتب الله تعالى المنزلة الا بالكتابة ولولا هي لما استقامت امور الدين والدنيا ولو لم يكن على دقيق حكمة الله تعالى ولطيف تدبيره دليل الا امر القلم والخط لكفى به ولبعضهم في صفة القلم • ورواقم رقش كمثل اراقم • قطف الخطى نيالة اقصى المدى • سود القوائم ما يجد مسيرها • الا اذا لعبت بها بيض المدى • وقرأ ابن الزبير علم الخط بالقلم

كلا ان الانسان ليطغى • ان رآه استغنى • ان الى ربك الرجعى • ارايت الذي ينهى • عبدا اذا صلى • ارايت ان كان على الهدى • او امر بالتقوى

ارايت ان كذب وتولى • الم يعلم بان الله يرى • كلا ردع لمن كفر بنعمة الله تعالى عليه بطغيانه وان لم يذكر لدلالة الكلام عليه ان رآه ان راى نفسه يقال في افعال القلوب رايتني وعلمتني وذلك بعض خصائصها ومعنى الرؤية العلم ولو كانت بمعنى الابصار لامتنع في فعلها الجمع بين الضميرين واستغنى هو المفعول الثاني ان الى ربك الرجعى واقع على طريقة الالتفات الى الانسان تهديدا له وتحذيرا من عاقبة الطغيان والرجعى مصدر كالبشرى بمعنى الرجوع وقيل نزلت في ابي جهل وكذلك ارايت الذي ينهى وروي انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اتزعم ان من استغنى طغى فاجعل لنا جبال مكة ذهبا وفضة لعلنا ناخذ منها فنطغى فندع ديننا ونتبع دينك فنزل جبريل عليه السلام فقال ان شئت فعلنا ذلك ثم ان لم يؤمنوا فعلنا بهم ما فعلنا باصحاب المائدة فكف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدعاء ابقاء عليهم وروي عنه لعنه الله تعالى انه قال هل يعفر محمد وجهه بين اظهركم قالوا نعم قال فوالذي يحلف به لئن رايته توطات عنقه فجاءه ثم نكص على عقبيه فقيل له ما لك يا ابا الحكم قال ان بيني وبينه لخندقا من نار وهولا واجنحة فنزلت ارايت الذي ينهى ومعناه اخبرني عمن ينهى بعض عباد الله عن صلاته ان كان ذلك الناهي على طريقة سديدة فيما ينهى عنه من عبادة الله تعالى او كان آمرا بالمعروف والتقوى فيما يامر به من عبادة الاوثان كما يعتقد وكذا ان كان على التكذيب للحق والتولي عن الدين الصحيح كما نقول نحن الم يعلم بان الله يرى ويطلع على احواله من هداه وضلاله فيجازيه على حسب ذلك وهذا وعيد **فان قلت** ما متعلق ارايت **قلت** الذي ينهى مع الجملة الشرطية وهما في موضع المفعولين **فان قلت** فاين جواب الشرط **قلت** هو محذوف تقديره ان كان على الهدى او امر بالتقوى الم يعلم بان الله يرى وانما حذف لدلالة ذكره في جواب الشرط الثاني **فان قلت** فكيف صح ان يكون الم يعلم جوابا للشرط **قلت** كما صح في قولك ان اكرمتك اتكرمني وان احسن اليك زيد هل تحسن اليه **فان قلت** فما فائدة معنى ارايت الثانية وتوسطها بين مفعولي ارايت **قلت** هي زائدة مكررة للتوكيد وعن الحسن رحمه الله تعالى انه امية بن خلف كان ينهى سلمان عن الصلاة

كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية • ناصية كاذبة خاطئة • كلا ردع لابي جهل وخسوء له عن نهيه عن عبادة الله تعالى وامره بعبادة اللات والعزى ثم قال لئن لم ينته عما هو فيه لنسفعا بالناصية لناخذن بناصيته ولنسحبنه بها الى النار والسفع القبض على الشيء وجذبه بشدة قال عمرو بن معدي كرب • قوم اذا نقع الصريخ رايتهم • من بين ملجم مهره او سافع • وقرئ لنسفعن بالنون المشددة وقرا ابن مسعود رضي الله تعالى عنه لاسفعن وكتبتها في المصحف بالالف على حكم الوقف ولما علم انها ناصية المذكور اكتفى بلام العهد عن الاضافة ناصية بدل من الناصية وجاز بدلها عن المعرفة وهي نكرة لانها وصفت فاستقلت بفائدة وقرئ ناصية على هي ناصية وناصية بالنصب وكلاهما على الشتم ووصفها بالكذب والخطا على الاسناد المجازي وهما في الحقيقة لصاحبها وفيه من الحسن والجزالة ما ليس في قولك ناصية خاطئ كاذب

فليدع ناديه • سندع الزبانية • كلا لا تطعه واسجد واقترب • والنادي المجلس الذي ينتدي فيه القوم اي يجتمعون والمراد اهل النادي قال جرير • لهم مجلس صهب السبال اذلة • وقال زهير • وفيهم مقامات حسان وجوههم • والمقامة المجلس روي ان ابا جهل مر برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فقال الم انهك فاغلظ له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اتهددني وانا اكثر اهل الوادي ناديا فنزلت وقرا ابن ابي عبلة سيدعى الزبانية على البناء للمفعول والزبانية في كلام العرب الشرط الواحد زبنية كعفرية من الزبن وهو الدفع وقيل زبني وكانه نسب الى الزبن ثم غير للنسب كقولهم امسي واصله زباني فقيل زبانية على التعويض والمراد ملائكة العذاب وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو دعا ناديه لاخذته الزبانية عيانا كلا ردع لابي جهل لا تطعه اي اثبت على ما انت عليه من عصيانه كقوله تعالى فلا تطع المكذبين واسجد ودم على سجودك واقترب وتقرب الى ربك وفي الحديث اقرب ما يكون العبد الى ربه اذا سجد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة العلق اعطي من الاجر كانما قرا المفصل كله

سورة القدر مختلف فيها وهي خمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم • انا انزلناه في ليلة القدر • وما ادراك ما ليلة القدر • ليلة القدر خير من الف شهر • عظم القرآن من ثلاثة اوجه احدها ان اسند

انزاله اليه وجعله مختصا به دون غيره والثاني انه جاء بضميره دون اسمه الظاهر شهادة له بالنباهة والاستغناء عن التنبيه عليه والثالث الرفع من مقدار الوقت الذي انزل فيه • روي انه انزل جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا واملاه جبريل عليه السلام على السفرة ثم كان ينزله على رسول الله صلى الله عليه وسلم نجوما في ثلث وعشرين سنة وعن الشعبي المعنى انا ابتدأنا انزاله في ليلة القدر واختلفوا في وقتها فاكثرهم على انها في شهر رمضان في العشر الاواخر في اوتارها واكثر القول انها السابعة منها ولعل الداعي الى اخفائها ان يحيي من يريدها الليالي الكثيرة طلبا لموافقتها فتكثر عبادته ويتضاعف ثوابه وان لا يتكل الناس عند اظهارها على اصابة الفضل فيها فيفرطوا في غيرها ومعنى ليلة القدر ليلة تقدير الامور وقضائها من قوله تعالى فيها يفرق كل امر حكيم وقيل سميت بذلك لخطرها وشرفها على سائر الليالي وما ادراك ما ليلة القدر يعني ولم تبلغ درايتك غاية فضلها ومنتهى علو قدرها • تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر سلام هي حتى مطلع الفجر • ثم بين له ذلك بانها خير من الف شهر وسبب ارتقاء فضلها الى هذه الغاية ما يوجد فيها من المصالح الدينية التي ذكرها الله تعالى من تنزل الملائكة والروح وفصل كل امر حكيم • وذكر في تخصيص هذه المدة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر رجلا من بني اسرائيل لبس السلاح في سبيل الله تعالى الف شهر فعجب المؤمنون من ذلك وتقاصرت اليهم اعمالهم فاعطوا ليلة هي خير من مدة ذلك الغازي وقيل ان الرجل فيما مضى ما كان يقال له عابد حتى يعبد الله تعالى الف شهر فاعطوا ليلة ان احيوها كانوا احق بان يسموا عابدين من اولئك العباد تنزل الى السماء الدنيا وقيل الى الارض والروح جبريل عليه السلام وقيل خلق من الملائكة لا يراهم الملائكة الا تلك الليلة من كل امر اي تتنزل من اجل كل امر قضاه لتلك السنة الى قابل وقرئ من كل امرئ اي من اجل كل انسان قيل لا يلقون مؤمنا ولا مؤمنة الا سلموا عليه في تلك الليلة سلام هي ما هي الا سلامة اي لا يقدر الله تعالى فيها الا السلامة والخير ويقضي في غيرها بلاء وسلامة او ما هي الا سلام لكثرة ما يسلمون على المؤمنين وقرئ مطلع بفتح اللام وكسرها • عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القدر اعطي من الاجر كمن صام واحيى ليلة القدر ۝

سورة البينة مكية وقيل مدنية وهي ثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم • لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة • رسول من الله يتلو صحفا مطهرة فيها كتب قيمة • كان الكفار من الفريقين اهل الكتاب وعبدة الاصنام يقولون قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم لا ننفك عما نحن عليه من ديننا ولا نتركه حتى يبعث النبي الموعود الذي هو مكتوب في التوراة والانجيل وهو محمد صلى الله عليه وسلم فحكى الله تعالى ما كانوا يقولونه ثم قال وما تفرق الذين اوتوا الكتاب يعني انهم كانوا يعدون اجتماع الكلمة والاتفاق على الحق اذا جاءهم الرسول ثم ما فرقهم عن الحق ولا اقرهم على الكفر الا مجيء الرسول ونظيره في الكلام ان يقول الفقير الفاسق لمن يعظه لست بمنفك مما انا فيه حتى يرزقني الله تعالى الغنى فيرزقه الله تعالى الغنى فيزداد فسقا فيقول واعظه لم تكن منفكا عن الفسق حتى توسر وما غمست رأسك في الفسق الا بعد اليسار يذكره ما كان يقوله توبيخا والزاما وانفكاك الشيء من الشيء ان يزايله بعد التحامه به كالعظم اذا انفك من مفصله والمعنى انهم متشبثون بدينهم لا يتركونه الا عند مجيء البينة والبينة الحجة الواضحة ورسول بدل من البينة وفي قراءة عبد الله رسولا حال من البينة صحفا قراطيس مطهرة من الباطل فيها كتب مكتوبات مستقيمة ناطقة بالحق والعدل • وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة وذلك دين القيمة • والمراد بتفرقهم تفرقهم عن الحق وانقشاعهم عنه او تفرقهم فرقا فمنهم من آمن ومنهم من انكر وقال ليس به ومنهم من عرف وعاند **فان قلت** لم جمع بين اهل الكتاب والمشركين اولا ثم افرد اهل الكتاب في قوله تعالى وما تفرق الذين اوتوا الكتاب **قلت** لانهم كانوا على علم به لوجوده في كتبهم فاذا وصفوا بالتفرق عنه كان من لا كتاب له ادخل في هذا الوصف وما امروا يعني في التوراة والانجيل الا بالدين الحنيفي ولكنهم حرفوا وبدلوا وذلك دين القيمة اي دين الملة القيمة وقرئ وذلك الدين القيمة على تأويل الدين بالملة ۝

ويجوز ان يراد بالبينة القرآن او لم تأتهم ... الصحف الاولى ورسول من الله جبريل وهو التالي للصحف المطهرة المنتسخة من اللوح التي ذكرت في سورة عبس ... من بعد ذلك ... **فان** ... ويجوز ان يراد به النبي صلى الله عليه وسلم ... كيف نسبت تلاوة الصحف المطهرة اليه وهو امي **قلت** اذا تلا مثل المسطور فيها كان تاليا لها ...

فان قلت ما وجه قوله تعالى وما امروا **قلت** معناه وما امروا في الكتابين الا لاجل ان يعبدوا الله على هذه الصفة وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه الا ان يعبدوا بمعنى بان يعبدوا • ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها اولئك هم شر البرية • ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية • جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه • قرأ نافع البريئة بالهمز والقراء على التخفيف والنبي والبرية مما استمر الاستعمال على تخفيفه ورفض الاصل وقرئ خيار البرية جمع خير كجياد وطياب في جيد وطيب • عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ لم يكن كان يوم القيمة مع خير البرية مساء ومقيلا ۝

سورة الزلزلة اختلف فيها وهي تسع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم • اذا زلزلت الارض زلزالها • واخرجت الارض اثقالها • وقال الانسان ما لها • يومئذ تحدث اخبارها • بان ربك اوحى لها • زلزالها قرئ بكسر الزاي وفتحها فالمكسور مصدر والمفتوح اسم وليس في الابنية فعلال بالفتح الا في المضاعف **فان قلت** ما معنى زلزالها بالاضافة **قلت** معناه زلزالها الذي تستوجبه في الحكمة ومشيئة الله تعالى وهو الزلزال الشديد الذي ليس بعده ونحوه قولك اكرم التقي اكرامه واهن الفاسق اهانته تريد ما يستوجبانه من الاكرام والاهانة او زلزالها كله وجميع ما هو ممكن منه • الاثقال جمع ثقل وهو متاع البيت وتحمل اثقالكم جعل ما في جوفها من الدفائن اثقالا لها وقال الانسان ما لها زلزلت هذه الزلزلة الشديدة ولفظت ما في بطنها وذلك عند النفخة الثانية حين تزلزل وتلفظ امواتها احياء فيقولون ذلك لما يبهرهم من الامر الفظيع كما يقولون من بعثنا من مرقدنا وقيل هذا قول الكافر لانه كان لا يؤمن بالبعث فاما المؤمن فيقول هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون **فان قلت** ما معنى تحديث الارض والايحاء لها **قلت** هو مجاز عن احداث الله تعالى فيها من الاحوال ما يقوم مقام التحديث باللسان حتى ينظر من يقول ما لها الى تلك الاحوال فيعلم لم زلزلت ولم لفظت الاموات وان هذا ما كانت الانبياء ينذرونه ويحذرون منه وقيل ينطقها الله تعالى على الحقيقة وتخبر بما عمل عليها من خير وشر وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم **فان قلت** اذا ويومئذ ما ناصبهما **قلت** يومئذ بدل من اذا وناصبهما تحدث ويجوز ان ينتصب اذا بمضمر ويومئذ بتحدث **فان قلت** اين مفعولا تحدث **قلت** قد حذف اولهما والثاني اخبارها واصله تحدث الخلق اخبارها الا ان المقصود ذكر تحديثها الاخبار لا ذكر الخلق تعظيما لليوم **فان قلت** بم تعلقت الباء في قوله بان ربك **قلت** بتحدث معناه تحدث اخبارها بسبب ايحاء ربك لها وامره اياها بالتحديث ويجوز ان يكون المعنى يومئذ تحدث بتحديث ان ربك اوحى لها اخبارها على ان تحديثها بان ربك اوحى لها تحديث باخبارها كما تقول نصحتني كل نصيحة بان نصحتني في الدين ويجوز ان يكون بان ربك بدلا من اخبارها كانه قيل يومئذ تحدث باخبارها بان ربك اوحى لها لانك تقول حدثته كذا وحدثته بكذا واوحى لها بمعنى اوحى اليها وهو مجاز كقوله تعالى ان نقول له كن فيكون قال اوحى لها القرار فاستقرت • وقرأ ابن مسعود رضي الله تعالى عنه تنبئ اخبارها وسعيد بن جبير تنبئ بالتخفيف • يومئذ يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم • فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره • ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره • يصدرون عن مخارجهم من القبور الى الموقف اشتاتا بيض الوجوه آمنين وسود الوجوه فزعين او يصدرون عن الموقف اشتاتا يتفرق بهم طريقا الجنة والنار ليروا جزاء اعمالهم وفي قراءة النبي صلى الله عليه وسلم ليروا بالفتح وقرأ ابن عباس وزيد بن علي رضي الله تعالى عنهم يره بالضم ويحكى ان اعرابيا اخر خيرا يره فقيل له قدمت واخرت فقال خذا بطن هرشى او قفاها فانه • كلا جانبي هرشى لهن طريق • والذرة النملة الصغيرة وقيل الذر ما يرى في شعاع الشمس من الهباء **فان قلت** حسنات الكافر محبطة بالكفر وسيئات المؤمن معفوة باجتناب الكبائر فما معنى الجزاء بمثاقيل الذر من الخير والشر **قلت** المعنى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا من فريق

السعداء من يعمل مثقال ذرة شرا من فريق الأشقياء لأنه جاء بعد قوله ليصدر الناس أشتاتا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ إذا زلزلت أربع مرات كان كمن قرأ القرآن كله

سورة العاديات مختلف فيها وهي إحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم • والعاديات ضبحا • فالموريات قدحا • فالمغيرات صبحا • فأثرن به نقعا • فوسطن به جمعا • إن الإنسان لربه لكنود • وإنه على ذلك لشهيد • وإنه لحب الخير لشديد •

أقسم بخيل الغزاة تعدو فتضبح والضبح صوت أنفاسها إذا عدون وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه حكاه فقال أح أح قال عنترة • والخيل تكدح حين تضبح في حياض الموت ضبحا • وانتصاب ضبحا على يضبحن ضبحا أو بالعاديات كأنه قيل والضابحات لأن الضبح يكون مع العدو أو على الحال أي ضابحات فالموريات فالتي توري النار والإيراء إخراج النار تقول قدح الزند فأورى وقدح فصلد وانتصب قدحا بما انتصب به ضبحا فالمغيرات تغير على العدو صبحا في وقت الصبح فأثرن به نقعا فهيجن بذلك الوقت غبارا فوسطن به فتوسطن بذلك الوقت أو بالنقع أي ملتبسات به جمعا من جموع الأعداء ووسطه بمعنى توسطه وقيل الضمير لمكان الغارة وقيل للعدو الذي دل عليه والعاديات ويجوز أن يراد بالنقع الصياح من قوله صلى الله عليه وسلم ما لم يكن نقع ولا لقلقة أي فهيجن في المغار عليهم صياحا وجلبة وقرأ أبو حيوة فأثرن بالتشديد بمعنى فأظهرن به غبارا لأن التأثير فيه معنى الإظهار أو قلب ثورن إلى وثرن وقلب الواو همزة وقرئ فوسطن بالتشديد للتعدية والباء مزيدة للتوكيد كقوله تعالى وأتوا به أو هي مبالغة في وسطن وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كنت جالسا في الحجر فجاء رجل فسألني عن العاديات ضبحا ففسرتها بالخيل فذهب إلى علي رضي الله تعالى عنه وهو تحت سقاية زمزم فسأله وذكر له ما قلت فدعاني فلما وقفت على رأسه قال تفتي الناس بما لا علم لك به والله إن كانت لأول غزوة في الإسلام بدر وما كان معنا إلا فرسان فرس للزبير وفرس للمقداد والعاديات ضبحا الإبل من عرفة إلى المزدلفة ومن المزدلفة إلى منى فإن صحت الرواية فقد استعير الضبح للإبل كما استعير المشافر والحافر للإنسان والشفتان للمهر والثفر للثور وقيل الضبح لا يكون إلا للفرس والكلب والثعلب وقيل الضبح بمعنى الضبع يقال ضبحت الإبل وضبعت إذا مدت أضباعها في السير وليس بثبت وجمع هو المزدلفة **فإن قلت** علام عطف فأثرن **قلت** على الفعل الذي وضع اسم الفاعل موضعه لأن المعنى واللاتي عدون فأورين فأغرن فأثرن الكنود الكفور وكند النعمة كنودا ومنه كنده إذا قطعه كأنه يقطع ما يلزمه من أداء حقه وعن الكلبي الكنود بلسان كندة العاصي وبلسان بني مالك البخيل وبلسان مضر وربيعة الكفور يعني أنه لنعمة ربه خصوصا لشديد الكفران لأن تفريطه في شكر نعمة غير الله تعالى تفريط قريب لمقاربة النعمة لأن أجل ما أنعم به على الإنسان من مثل نعمة أبويه ثم إن عظماها في جنب نعمة الله تعالى قليلة ضئيلة وإنه وإن الإنسان على ذلك على كنوده لشهيد يشهد على نفسه ولا يقدر أن يجحده لظهور أمره وقيل وإن الله تعالى على كنوده لشاهد على سبيل الوعيد الخير المال من قوله تعالى إن ترك خيرا والشديد البخيل الممسك يقال فلان شديد ومتشدد قال • أرى الموت يعتام الكرام ويصطفي • عقيلة مال الفاحش المتشدد • يعني وإنه لأجل حب المال وأن إنفاقه يثقل عليه لبخيل ممسك أو أراد بالشديد القوي وإنه لحب المال وإيثار الدنيا وطلبها قوي مطيق وهو لحب عبادة الله تعالى وشكر نعمته ضعيف متقاعس تقول هو شديد لهذا الأمر وقوي له إذا كان مطيقا له ضابطا أو أراد وإنه لحب الخيرات غير هش منبسط ولكنه شديد منقبض

أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور • وحصل ما في الصدور • إن ربهم بهم يومئذ لخبير •

بعثر بعث وقرئ بحثر وبحث وبعثر وحصل على بنائهما للفاعل وحصل بالتخفيف ومعنى حصل جمع في الصحف أي أظهر محصلا مجموعا وقيل ميز بين خيره وشره ومنه قيل للمنخل المحصل ومعنى علمه بهم يوم القيامة مجازاته لهم على ذلك أي خبره بهم وقرأ أبو السمال ربهم بهم يومئذ خبير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والعاديات أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من بات بالمزدلفة وشهد جمعا

عامه بكسره ذات جرس وجلجل

سورة القارعة مكية وهي عشر آيات

بسم الله الرحمن الرحيم • القارعة • ما القارعة • وما أدراك ما القارعة • يوم يكون الناس كالفراش المبثوث • وتكون الجبال كالعهن المنفوش • فأما من ثقلت موازينه • فهو في عيشة راضية •

الظرف نصب بمضمر دلت عليه القارعة أي تقرع يوم يكون الناس كالفراش المبثوث شبههم بالفراش في الكثرة والانتشار والضعف والذلة والتطاير إلى الداعي من كل جانب كما يتطاير الفراش إلى النار قال جرير • إن الفرزدق ما علمت وقومه • مثل الفراش غشين نار المصطلي • وفي أمثالهم أضعف من فراشة وأذل وأجهل وسمي فراشا لتفرشه وانتشاره وشبه الجبال بالعهن وهو الصوف المصبغ ألوانا لأنها ألوان وبالمنفوش منه لتفرق أجزائها وقرأ ابن مسعود كالصوف الموازين جمع موزون وهو العمل الذي له وزن وخطر عند الله تعالى أو جمع ميزان وثقلها رجحانها ومنه حديث أبي بكر رضي الله تعالى عنه لعمر رضي الله تعالى عنه في وصيته له وإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينهم يوم القيامة باتباعهم الحق وثقله في الدنيا وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الحسنات أن يثقل وإنما خفت موازين من خفت موازينه باتباع الباطل وخفته في الدنيا وحق لميزان لا يوضع فيه إلا السيئات أن يخف

وأما من خفت موازينه • فأمه هاوية • وما أدراك ما هيه • نار حامية •

فأمه هاوية من قولهم إذا دعوا على الرجل بالهلكة هوت أمه لأنه إذا هوى أي سقط وهلك فقد هوت أمه ثكلا وحزنا قال • هوت أمه ما يبعث الصبح غاديا • وماذا يرد الليل حين يؤوب • فكأنه قيل وأما من خفت موازينه فقد هلك وقيل الهاوية من أسماء النار وكأنها النار العميقة يهوي أهل النار فيها مهوى بعيدا كما روي يهوي فيها سبعين خريفا أي فمأواه النار وقيل للمأوى أم على التشبيه لأن الأم مأوى الولد ومفزعه وعن قتادة فأمه أي فأم رأسه هاوية في قعر جهنم لأنه يطرح فيها منكوسا هيه ضمير الداهية التي دل عليها قوله تعالى فأمه هاوية في التفسير الأول أو ضمير هاوية والهاء للسكت وإذا وصل القارئ حذفها وقيل حقه أن لا يدرج لئلا يسقطها الإدراج لأنها ثابتة في المصحف وقد أجيز إثباتها مع الوصل عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة القارعة ثقل الله تعالى بها ميزانه يوم القيمة

سورة التكاثر مكية وهي ثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم • ألهاكم التكاثر • حتى زرتم المقابر • كلا سوف تعلمون • ثم كلا سوف تعلمون • كلا لو تعلمون علم اليقين • لترون الجحيم • ثم لترونها عين اليقين • ثم لتسألن يومئذ عن النعيم •

ألهاه عن كذا وأقهاه إذا شغله والتكاثر التباري في الكثرة والتباهي بها وأن يقول هؤلاء نحن أكثر وهؤلاء نحن أكثر روي أن بني عبد مناف وبني سهم تفاخروا أيهم أكثر عددا فكثرهم بنو عبد مناف فقالت بنو سهم إن البغي أهلكنا في الجاهلية فعادونا بالأحياء والأموات فكثرتهم بنو سهم والمعنى أنكم تكاثرتم بالأحياء حتى إذا استوعبتم عددهم صرتم إلى المقابر فتكاثرتم بالأموات عبر عن بلوغهم ذكر الموتى بزيارة المقابر تهكما بهم وقيل كانوا يزورون المقابر فيقولون هذا قبر فلان وهذا قبر فلان عند تفاخرهم والمعنى ألهاكم ذلك وهو مما لا يعنيكم ولا يجدي عليكم في دنياكم وآخرتكم عما يعنيكم من أمر الدين الذي هو أهم وأعنى من كل مهم أو أراد ألهاكم التكاثر بالأموال والأولاد إلى أن متم وقبرتم منفقين أعماركم في طلب الدنيا والاستباق إليها والتهالك عليها إلى أن أتاكم الموت لا هم لكم غيرها عما هو أولى بكم من السعي لعاقبتكم والعمل لآخرتكم وزيارة القبور عبارة عن الموت قال • لن يخلص العام خليل عشرا • ذات الضماد أو يزور القبرا • وقال جرير • زار القبور أبو مالك • فأصبح ألأم زوارها • وقرأ ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أألهاكم على الاستفهام الذي معناه التقرير كلا ردع وتنبيه على أنه لا ينبغي للناظر لنفسه أن تكون الدنيا جميع همه ولا يهتم بدينه سوف تعلمون إنذار ليخافوا فينتبهوا عن غفلتهم والتكرير تأكيد للردع والإنذار عليهم وثم دلالة على أن الإنذار الثاني أبلغ من الأول وأشد كما تقول للمنصوح أقول لك ثم أقول لك لا تفعل والمعنى سوف تعلمون الخطأ فيما أنتم عليه إذا عاينتم ما قدامكم من هول لقاء الله تعالى وإن هذا التنبيه نصيحة لكم

ورحمة عليكم ثم كرر التنبيه ايضا وقال لو ما بين ايديكم علم الامر اليقين اى كعلمكم ما تستيقنونه من الامور التى وكلتم
بعلمها هممكم لفعلتم ما لا يوصف ولا يكتنه ولكنكم ضلال جهلة ثم قال لترون الجحيم فبين لهم ما انذرهم منه واوعدهم به وقد
مر ما فى ايضاح الشىء بعد ابهامه من تفخيمه وتعظيمه وهو جواب قسم محذوف والقسم لتوكيد الوعيد وان ما اوعدوا
به ما لا مدخل فيه للريب وكرره معطوفا بثم تغليظا فى التهديد وزيادة فى التهويل وقرئ لترؤن بالهمز وهى مستكرهة
فان قلت لم استكرهت والواو المضمومة قبلها همزة قياس مطرد **قلت** ذاك فى الواو التى ضمتها لازمة
وهى عارضة لالتقاء الساكنين وقرئ لترون ولترونها على البناء للمفعول عين اليقين اى الرؤية التى هى نفس اليقين
وخالصته ويجوز ان يراد بالرؤية العلم والابصار عن النعيم عن اللهو والتنعم الذى شغلكم للالتذاذ به عن الدين وتكاليفه
فان قلت ما النعيم الذى يسأل عنه الانسان ويعاتب عليه فما من احد الا وله نعيم **قلت** هو نعيم من عكف
همته على استيفاء اللذات ولم يعش الا ليأكل الطيب ويلبس اللين ويقطع اوقاته باللهو والطرب لا يعبأ بالعلم والعمل
ولا يحمل نفسه مشاقهما فاما من تمتع بنعمة الله تعالى وارزاقه التى لم يخلقها الا لعباده ويقوى بها على دراسة العلم والقيام بالعمل
وكان ناهضا بالشكر فهو من ذلك بمعزل واليه اشار رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يروى انه اكل هو واصحابه تمرا وشربوا عليه
ماء فقال الحمد لله الذى اطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ الهاكم التكاثر لم يحاسبه الله
بالنعيم الذى انعم به عليه فى دار الدنيا واعطى من الاجر كانما قرأ الف آية

سورة العصر مكية وهى ثلاث آيات

بسم الله الرحمن الرحيم والعصر ان الانسان لفى خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر
اقسم بصلوة العصر لفضلها بدليل قوله تعالى والصلوة الوسطى صلوة العصر فى مصحف حفصة رضى الله تعالى عنها وقوله صلى الله عليه وسلم
من فاتته صلوة العصر فكانما وتر اهله وماله ولان التكليف فى ادائها اشق لتهافت الناس فى تجاراتهم ومكاسبهم آخر النهار
واشتغالهم بمعايشهم او اقسم بالعشى كما اقسم بالضحى لما فيهما جميعا من دلائل القدرة او اقسم بالزمان لما فى مروره من
اصناف العجائب والانسان للجنس والخسر الخسران كما قيل الكفر فى الكفران والمعنى ان الناس فى خسران من تجاراتهم الا
الصالحين وحدهم لانهم اشتروا الآخرة بالدنيا فربحوا وسعدوا ومن عداهم تجروا خلاف تجارتهم فوقعوا فى الخسارة والشقاوة
وتواصوا بالحق بالامر الثابت الذى لا يسوغ انكاره وهو الخير كله من توحيد الله تعالى وطاعته واتباع كتبه ورسله والزهد فى
الدنيا والرغبة فى الآخرة وتواصوا بالصبر عن المعاصى وعلى الطاعات وعلى ما يبلو الله عز وجل به عباده عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والعصر غفر الله تعالى له وكان ممن تواصى بالحق وتواصى بالصبر

سورة الهمزة مكية وهى تسع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم ويل لكل همزة لمزة الذى جمع مالا وعدده
يحسب ان ماله اخلده الهمز الكسر كالهزم واللمز الطعن يقال لمزه ولهزه طعنه والمراد الكسر من اعراض الناس
والغض منهم واغتيابهم والطعن فيهم وبناء فعلة يدل على ان ذلك عادة منه قد ضرى بها ونحوه اللعنة والضحكة قال
وان اغيب فانت الهامز اللمزه وقرئ ويل للهمزة اللمزة وقرئ ويل لكل همزة لمزة بسكون الميم وهو المسخرة الذى
يأتى بالاوابد والاضاحيك فيضحك منه ويشتم وقيل نزلت فى الاخنس بن شريق وكانت عادته الغيبة
والوقيعة وقيل فى امية بن خلف وقيل فى الوليد بن المغيرة واغتيابه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وغضه منه
ويجوز ان يكون السبب خاصا والوعيد عاما ليتناول كل من باشر ذلك القبيح وليكون جاريا مجرى التعريض بالوارد فيه
فان ذلك ازجر له وانكى فيه الذى بدل من كل او نصب على الذم وقرئ جمع بالتشديد وهو مطابق لعدده وقيل عدده
جعله عدة لحوادث الدهر وقرئ وعدده اى جمع المال وضبط عدده واحصاه او جمع ماله وقومه الذين ينصرونه
من قولك فلان ذو عدد وعدد اذا كان له عدد وافر من الانصار وما يصلحهم وقيل وعدده معناه وعده

على فك الادغام نحو ضننوا اخلده وخلده بمعنى اى طول المال امله ومناه الامانى البعيدة حتى اصبح لفرط
غفلته وطول امله يحسب ان المال تركه خالدا فى الدنيا لا يموت او يعمل من تشييد البنيان الموثق بالصخر والآجر
وغرس الاشجار وعمارة الارض عمل من يظن ان ماله ابقاه حيا او هو تعريض بالعمل الصالح وانه هو الذى اخلد صاحبه فى النعيم
فاما المال فما اخلد احدا فيه وروى انه كان للاخنس اربعة آلاف دينار وقيل عشرة آلاف وعن الحسن انه عاد موسرا فقال
ما تقول فى الوف لم افتد بها من لئيم ولا تفضلت على كريم قال ولكن لماذا قال لنبوة الزمان وجفوة السلطان ونوائب
الدهر ومخافة الفقر قال اذا تدعه لمن لا يحمدك وترد على من لا يعذرك كلا لينبذن فى الحطمة وما ادراك
ما الحطمة نار الله الموقدة التى تطلع على الافئدة انها عليهم موصدة فى عمد ممددة
كلا ردع له عن حسبانه وقرئ لينبذان اى هو وماله ولينبذن اى هو وانصاره ولينبذنه فى الحطمة فى النار التى
من شأنها ان تحطم كل ما يلقى فيها ويقال للرجل الاكول انه لحطمة يعنى انها تدخل فى اجوافهم حتى تصل الى صدورهم وتطلع على
افئدتهم وهى اوساط القلوب ولا شىء فى بدن الانسان الطف من الفؤاد ولا اشد تألما منه بادنى اذى يمسه فكيف اذا
اطلعت عليه نار جهنم واستولت عليه ويجوز ان يخص الافئدة لانها مواطن الكفر والعقائد الفاسدة والنيات الخبيثة
ومعنى اطلاع النار عليها انها تعلوها وتغلبها وتشتمل عليها او تطالع على سبيل المجاز معادن موجبها موصدة مطبقة
قال تحن الى اجبال مكة ناقتى ومن دونها ابواب صنعاء موصده وقرئ فى عمد بضمتين وعمد بسكون الميم وعمد
بفتحتين والمعنى تأكيد يأسهم من الخروج وتيقنهم بحبس الابد فتوصد عليهم الابواب وتمدد على الابواب العمد استيثاقا
فى استيثاق ويجوز ان يكون المعنى انها عليهم موصدة موثقين فى عمد ممددة مثل المقاطر التى تقطر فيها اللصوص
اللهم اجرنا يا خير مستجار عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الهمزة اعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد من استهزأ بمحمد واصحابه

سورة الفيل مكية وهى خمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل
الم يجعل كيدهم فى تضليل وارسل عليهم طيرا ابابيل ترميهم بحجارة من سجيل
فجعلهم كعصف مأكول روى ان ابرهة بن الصباح الاشرم ملك اليمن من قبل اصحمة النجاشى بنى كنيسة
بصنعاء وسماها القليس واراد ان يصرف اليها الحاج فخرج رجل من كنانة فتغوط فيها فاغضبه ذلك وقيل اججت
رفقة من العرب نارا فحملتها الريح فاحرقتها فحلف ليهدمن الكعبة فخرج بالحبشة ومعه فيل له اسمه محمود وكان قويا عظيما
واثنا عشر فيلا غيره وقيل ثمانية وقيل كان معه الف فيل وقيل كان وحده فلما بلغ المغمس خرج اليه عبد المطلب وعرض
عليه ثلث اموال تهامة ليرجع فابى وعبى جيشه وقدم الفيل فكانوا كلما وجهوه الى الحرم برك ولم يبرح واذا وجهوه الى
اليمن او الى غيره من الجهات هرول فارسل الله عز وجل طيرا سودا وقيل خضرا وقيل بيضا مع كل طائر حجر فى منقاره
وحجران فى رجليه اكبر من العدسة واصغر من الحمصة وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه رأى منها عند
ام هانى نحو قفيز مخططة بحمرة كالجزع الظفارى فكان الحجر يقع على رأس الرجل فيخرج من دبره وعلى كل حجر اسم من
يقع عليه ففروا فهلكوا فى كل طريق ومنهل ودوى ابرهة فتساقطت انامله وآرابه وما مات حتى انصدع صدره
عن قلبه وانفلت وزيره ابو يكسوم وطائر يحلق فوقه حتى بلغ النجاشى فقص عليه القصة فلما اتمها وقع عليه الحجر
فخر ميتا بين يديه وقيل كان ابرهة جد النجاشى الذى كان فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم باربعين سنة وقيل
بثلث وعشرين سنة وعن عائشة رضى الله تعالى عنها رأيت قائد الفيل وسائسه اعميين مقعدين يستطعمان وفيه ان ابرهة
اخذ لعبد المطلب مائتى بعير فخرج اليه فيها وكان رجلا جسيما وسيما وقيل هذا سيد قريش وصاحب عير مكة الذى يطعم الناس
فى السهل والوحوش فى رؤس الجبال فلما ذكر حاجته قال سقطت من عينى جئت لاهدم البيت الذى هو دينك ودين
عصمتكم وشرفكم فى قديم الدهر فالهاك عنه ذود اخذ لك فقال انا رب الابل وللبيت رب سيمنعه ثم رجع واتى باب البيت
فاخذ بحلقته وهو يقول لاهم ان المرء يمنع رحله فامنع حلالك لا يغلبن صليبهم ومحالهم عدوا محالك ان كنت
تاركهم وكعبتنا فامر ما بدا لك يا رب لا ارجو لهم سواكا يا رب فامنع منهم حماكا فالتفت وهو يدعو فاذا بالطير من نحو اليمن

فعال واسم اتها الطير غريبة ما هي بنجدية ولا تهامية ● وقيل ان اهل مكة قد احتووا على اموالهم وجمع عبد المطلب من جواهرهم وذهبهم الجور وكان سبب يساره ● وعن ابي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه انه سئل عن الطير فقال حمام مكة منها ● وقيل جاءت عشية ثم صبحتهم ● وعن عكرمة من اصابته جدرته وهو اول جدري ظهر ● قرئ الم تر بسكون الراء للجد في اظهار اثر الجازم والمعنى انك رايت آثار فعل الله تعالى بالحبشة وسمعت الاخبار به متواترة فقامت لك مقام المشاهدة ● وكيف في موضع نصب بفعل ربك لا بالم تر لما في كيف من معنى الاستفهام في تضليل في تضييع وابطال كيد يقال ضلل كيده اذا جعله ضائعا ونحوه قوله عز وجل وما كيد الكافرين الا في ضلال وقيل لامرء القيس الملك الضليل لانه ضلل ملك ابيه اي ضيعه يعني انهم كادوا البيت اولا ببناء القليس وارادوا ان ينسخوا امره بصرف وجوه الحاج اليه فضلل كيدهم بايقاع الحريق فيه وكادوه ثانيا بارادة هدمه فضلل بارسال الطير عليهم ● ابابيل حزائق الواحدة ابالة وفي امثالهم ضغث على ابالة وهي الحزمة الكبيرة شبهت الحزقة من الطير في تضامها بالابالة ● وقيل ابابيل مثل عباديد وشماطيط لا واحد لها وقرأ ابو حنيفة رحمه الله تعالى يرميهم اي الله عز وجل او الطير لانها اسم جمع مذكر وانما يؤنث على المعنى ● وسجيل كانه علم للديوان الذي كتب فيه عذاب الكفار كما ان سجينا علم لديوان اعمالهم كانه قيل بحجارة من جملة العذاب المكتوب المدون واشتقاقه من الاسجال وهو الارسال لان العذاب موصوف بذلك وارسل عليهم طيرا فارسلنا عليهم الطوفان ● وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما من طين مطبوخ كما يطبخ الآجر وقيل هو معرب من سنك كل وقيل من شديد عذابه ورووا بيت ابن مقبل ضربا تواصت به الابطال سجيلا وانما هو سجينا والقصيدة نونية مشهورة في ديوانه ● وشبهوا بورق الزرع اذا اكل اي وقع فيه الاكال وهو ان ياكله الدود او بتبن اكلته الدواب وراثته ولكنه جاء على ما عليه آداب القرآن كقوله عز وجل كانا ياكلان الطعام او اريد اكل حبه فبقي صفرا منه ● عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفيل اعفاه الله ايام حيوته من الخسف والمسخ

سورة قريش مكية وهي اربع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم لايلاف قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذي اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ● لايلاف قريش متعلق بقوله تعالى فليعبدوا امرهم ان يعبدوه لاجل ايلافهم الرحلتين **فان قلت** فلم دخلت الفاء **قلت** لما في الكلام من معنى الشرط لان المعنى اما لا فليعبدوه لايلافهم على معنى ان نعم الله تعالى عليهم لا تحصى فان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لهذه الواحدة التي هي نعمة ظاهرة ● وقيل المعنى اعجبوا لايلاف قريش وقيل هو متعلق بما قبله اي فجعلهم كعصف ماكول لايلاف وهذا بمنزلة التضمين في الشعر وهو ان يتعلق معنى البيت بالذي قبله تعلقا لا يصح الا به ● وهما في مصحف ابي رضي الله تعالى عنه سورة واحدة بلا فصل ● وعن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه انه قرأهما في الثانية من صلوة المغرب وقرأ في الاولى والتين ● والمعنى انه اهلك الحبشة الذين قصدوهم ليتسامع الناس بذلك فيتهيبوهم زيادة تهيب ويحترموهم فضل احترام حتى ينتظم الامر في رحلتيهم فلا يجترئ احد عليهم وكانت لقريش رحلتان يرحلون في الشتاء الى اليمن وفي الصيف الى الشام فيمتارون ويتجرون وكانوا في رحلتيهم آمنين لانهم اهل حرم الله تعالى وولاة بيته فلا يتعرض لهم والناس غيرهم يتخطفون ويغار عليهم والايلاف من قولهم آلفت المكان اولفه ايلافا اذا الفته فانا مؤلف قال ● من المؤلفات الرمل غير الاوارك ● وقرئ لالاف قريش اي لمؤالفة قريش وقد جمعهما من قال ● زعمتم ان اخوتكم قريش ● لهم الف وليس لكم الاف ● وقرأ عكرمة ليألف قريش الفهم رحلة الشتاء والصيف ● وقريش ولد النضر بن كنانة سموا بتصغير القرش وهو دابة عظيمة في البحر تعبث بالسفن ولا تطاق الا بالنار ● وعن معوية انه سال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما بم سميت قريش قال بدابة في البحر تاكل ولا توكل وتعلو ولا تعلى وانشد ● وقريش هي التي تسكن البحر بها سميت

عنت جوزه اذا كان عزيزا كعز المطر ه

قريش

قريش قريش ● والتصغير للتعظيم وقيل من القرش وهو الكسب لانهم كسابين بتجاراتهم وضربهم في البلاد اطلق الايلاف ثم ابدل عنه المقيد بالرحلتين تفخيما لامر الايلاف وتذكيرا لعظيم النعمة فيه ونصب الرحلة بايلافهم مفعولا به كما نصب يتيما باطعام واراد رحلتي الشتاء والصيف فافرد لامن الالباس كقوله ● كلوا في بعض بطنكم تعفوا ● وقرئ رحلة بالضم وهي الجهة التي يرحل اليها ● والتنكير في جوع وخوف لشدتهما يعني اطعمهم بالرحلتين من جوع شديد كانوا فيه قبلهما وآمنهم من خوف عظيم وهو خوف اصحاب الفيل او خوف التخطف في بلدهم ومسايرهم وقيل كانوا قد اصابتهم شدة حتى اكلوا الجيف والعظام المحرقة ● وآمنهم من خوف الجذام فلا يصيبهم ببلدهم وقيل ذلك كله بدعاء ابراهيم عليه السلام ● ومن بدع التفاسير وآمنهم من خوف من ان تكون الخلافة في غيرهم وقرئ من خوف باخفاء النون ● عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة قريش اعطاه الله عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها

سورة ارأيت مكية وقيل مدنية وهي سبع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم ارأيت الذي يكذب بالدين فذلك الذي يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين فويل للمصلين الذين هم عن صلوتهم ساهون الذين هم يراؤن ويمنعون الماعون ● قرئ اريت بحذف الهمزة وليس بالاختيار لان حذفها مختص بالمضارع ولم يصح عن العرب ريت ولكن الذي سهل من امرها وقوع حرف الاستفهام في اول الكلام ونحوه ● صاح هل ريت او سمعت براع ● رد في الضرع ما قرى في العلاب ● وقرأ ابن مسعود رضي الله تعالى عنه ارأيتك بزيادة حرف الخطاب كقوله تعالى ارأيتك هذا الذي كرمت علي ● والمعنى هل عرفت الذي يكذب بالجزاء من هو ان لم تعرفه فذلك الذي يكذب بالجزاء فذلك الذي يدع اليتيم اي يدفعه دفعا عنيفا بجفوة واذى ويرده ردا قبيحا بزجر وخشونة وقرئ يدع اي يتركه ويجفوه ● ولا يحض ولا يبعث اهله على بذل طعام المسكين جعل علم التكذيب بالجزاء منع المعروف والاقدام على ايذاء الضعيف يعني انه لو آمن بالجزاء وايقن بالوعيد لخشي الله تعالى وعقابه ولم يقدم على ذلك فحين اقدم عليه علم انه مكذب فما اشده من كلام وما اخوفه من مقام وما ابلغه في التحذير من المعصية وانها جديرة بان يستدل بها على ضعف الايمان ورخاوة عقد اليقين ● ثم وصل به قوله تعالى فويل للمصلين كانه قال فاذا كان الامر كذلك فويل للمصلين الذين يسهون عن الصلوة قلة مبالاة بها حتى تفوتهم ويخرج وقتها او لا يصلونها كما صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم والسلف ولكن ينقرونها نقرا من غير خشوع واخبات ولا اجتناب لما يكره فيها من العبث باللحية والثياب وكثرة التثاؤب والالتفات لا يدري الواحد منهم عن كم انصرف ولا ما قرأ من السور ● وكما ترى صلوة اكثر من ترى الذين عادتهم الرياء بأعمالهم ومنع حقوق اموالهم ● والمعنى ان هؤلاء احق بان يكون سهوهم عن الصلوة التي هي عماد الدين والفارق بين الايمان والكفر والرياء الذي هو شعبة من الشرك ومنع الزكوة التي هي شقيقة الصلوة وقنطرة الاسلام علما على انهم مكذبون بالدين وكم ترى من المتسمين بالاسلام بل من العلماء منهم من هو على هذه الصفة فيا مصيبتاه ● وطريقة اخرى ان يكون فذلك عطفا على الذي يكذب اما عطف ذات على ذات او صفة على صفة ويكون جواب ارأيت محذوفا لدلالة ما بعده عليه كانه قيل اخبرني وما تقول فيمن يكذب بالجزاء وفيمن يؤذي اليتيم ولا يطعم المسكين انعم ما يصنع ثم قال فويل للمصلين اي اذا علم انه مسيء فويل للمصلين على معنى فويل لهم الا انه وضع صفتهم موضع ضميرهم لانهم كانوا مع التكذيب وما اضيف اليهم ساهين عن الصلوة مرائين غير مزكين اموالهم **فان قلت** كيف جعلت المصلين قائما مقام ضمير الذي يكذب وهو واحد **قلت** معناه الجمع لان المراد به الجنس **فان قلت** اي فرق بين قوله تعالى عن صلوتهم وبين قولك في صلوتهم **قلت** معنى عن انهم ساهون عنها سهو ترك لها وقلة التفات اليها وذلك فعل المنافقين او الفسقة الشطار من المسلمين ومعنى في ان السهو يعتريهم فيها بوسوسة شيطان او حديث نفس وذلك لا يكاد يخلو منه مسلم ● وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقع له السهو في صلوته فضلا عن غيره ومن ثم اثبت الفقهاء باب سجود السهو في كتبهم ● وعن انس بن مالك رضي الله تعالى عنه الحمد لله على ان لم يقل في صلوتهم وقرأ ابن مسعود رضي الله تعالى عنه لاهون **فان قلت** ما معنى المراآة **قلت** هي مفاعلة من الاراءة

لان المرائي يرى الناس عمله وهم يرونه الثناء عليه والاعجاب به ولا يكون الرجل مرائيا باظهار العمل الصالح ان
كان فريضة فمن حق الفرائض الاعلان بها وتشهيرها لقوله صلى الله عليه وسلم ولا غمة في فرائض الله تعالى لانها
اعلام الاسلام وشعائر الدين ولان تاركها يستحق الذم والمقت فوجب اماطة التهمة والاظهار وان كان
تطوعا فحقه ان يخفى لانه مما لا يلام بتركه ولا تهمة فيه فان اظهره قاصدا للاقتداء به كان جميلا وانما الرياء ان
يقصد بالاظهار ان تراه الاعين فتثني عليه بالصلاح وعن بعضهم انه رأى رجلا في المسجد قد سجد سجدة الشكر فاطالها
فقال ما احسن هذا لو كان في بيتك وانما قال هذا لانه توسم فيه الرياء والسمعة على ان اجتناب الرياء صعب
الا على المرتاضين بالاخلاص ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرياء اخفى من دبيب النملة السوداء في الليلة
المظلمة على المسح الاسود الماعون الزكوة قال الراعي قوم على الاسلام لما يمنعوا ماعونهم ولما يضيعوا التهليلا
وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه ما يتعاور في العادة من الفاس والقدر والدلو والمقدحة ونحوها وعن عائشة ام المؤمنين
رضي الله تعالى عنها الماء والملح والنار وقد يكون منع هذه الاشياء محظورا في الشريعة اذا استعيرت عن اضطرار
وقبيحا في المروة في غير حال الضرورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ارأيت غفر الله له ان كان للزكوة مؤديا

سورة الكوثر مكية وهي ثلث آيات

بسم الله الرحمن الرحيم • انا اعطيناك الكوثر • فصل لربك وانحر •
ان شانئك هو الابتر • في قراءة النبي صلى الله عليه وسلم انا انطيناك الكوثر بالنون وفي حديثه
صلى الله عليه وسلم انطوا الثبجة والكوثر فوعل من الكثرة وهو المفرط الكثرة قيل لاعرابية رجع ابنها من السفر
بم آب ابنك قالت آب بكوثر وقال • وانت كثير يا ابن مروان طيب • وكان ابوك ابن العقائل كوثرا • وقيل
الكوثر نهر في الجنة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قرأها حين انزلت عليه فقال اتدرون ما الكوثر انه نهر في الجنة وعدنيه
ربي فيه خير كثير وروي في صفته احلى من العسل واشد بياضا من اللبن وابرد من الثلج والين من الزبد حافتاه من
الزبرجد واوانيه من فضة عدد نجوم السماء وروي لا يظمأ من شرب منه ابدا اول وارديه فقراء المهاجرين الدنسو الثياب
الشعث الرؤس الذين لا يزوجون المنعمات ولا يفتح لهم ابواب السدد يموت احدهم وحاجته تتلجلج في صدره لو
اقسم على الله لابره وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه فسر الكوثر بالخير الكثير فقال له سعيد بن جبير رضي الله تعالى عنه
ان ناسا يقولون هو نهر في الجنة فقال هو من الخير الكثير والنحر نحر البدن وعن عطية هي صلوة الفجر بجمع والنحر
وقيل هي صلوة العيد والتضحية وقيل هي جنس الصلوة والنحر وضع اليمين على الشمال والمعنى اعطيت ما لا غاية
لكثرته من خير الدارين الذي لم يعطه احد غيرك ومعطي ذلك كله انا اله العالمين فاجتمعت لك الغبطتان السنيتان اصابة
اشرف عطاء واوفره من اكرم معط واعظم منعم فاعبد ربك الذي اعزك باعطائه وشرفك وصانك من منن الخلق مراغما لقومك
الذين يعبدون غير الله تعالى وانحر لوجهه وباسمه اذا نحرت مخالفا لهم في النحر للاوثان ان من ابغضك من قومك لمخالفتك
لهم هو الابتر لا انت لان كل من يولد الى يوم القيمة من المؤمنين فهم اولادك واعقابك وذكرك مرفوع على المنابر والمنار
وعلى لسان كل عالم وذاكر الى آخر الدهر يبدأ بذكر الله تعالى ويثنى بذكرك ولك في الآخرة ما لا يدخل تحت الوصف فمثلك
لا يقال له الابتر انما الابتر هو شانئك المنسي في الدنيا والآخرة وان ذكر ذكر باللعن وكانوا يقولون ان محمدا صنبور
اذا مات مات ذكره وقد نزلت في العاص بن وائل وقد سماه الابتر والابتر الذي لا عقب له ومنه الحمار الابتر الذي
لا ذنب له عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة الكوثر سقاه الله تعالى من كل نهر في الجنة ويكتب
له عشر حسنات بعدد كل قربان قربه العباد في يوم النحر او يقربونه

الصنبور الرجل الفرد لا ولد له ولا اخ وهو في الاصل النخلة التي تنبت منفردة

سورة الكافرون مكية

وهي ست آيات ويقال لها ولسورة الاخلاص المقشقشتان اي المبرئتان من النفاق

بسم الله الرحمن الرحيم • قل يا ايها الكافرون • لا اعبد ما تعبدون

ولا انتم عابدون ما اعبد • ولا انا عابد ما عبدتم • ولا انتم عابدون ما اعبد • لكم دينكم
ولي دين • المخاطبون كفرة مخصوصون قد علم الله تعالى منهم انهم لا يؤمنون • روي ان رهطا من قريش قالوا يا محمد
هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك تعبد آلهتنا سنة ونعبد الهك سنة فقال معاذ الله ان اشرك به غيره قالوا فاستلم بعض آلهتنا
نصدقك ونعبد الهك فنزلت فغدا الى المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش فقام على رؤسهم فقرأها عليهم فأيسوا لا اعبد اريد
به العبادة فيما يستقبل لان لا لا تدخل الا على مضارع في معنى الاستقبال كما ان ما لا تدخل الا على مضارع في معنى الحال الا ترى ان
لن تأكيد فيما ينفيه لا وقال الخليل في لن ان اصله لا ان والمعنى لا افعل في المستقبل ما تطلبونه مني من عبادة آلهتكم ولا انتم فاعلون
فيه ما اطلب منكم من عبادة الهي ولا انا عابد ما عبدتم اي وما كنت قط عابدا فيما سلف ما عبدتم فيه يعني لم تعهد مني عبادة صنم
في الجاهلية فكيف ترجى مني في الاسلام ولا انتم عابدون ما اعبد اي وما عبدتم في وقت ما انا على عبادته فان قلت
فهلا قيل ما عبدت كما قيل ما عبدتم قلت لانهم كانوا يعبدون الاصنام وهو لم يكن يعبد الله تعالى في ذلك الوقت فان قلت
فلم جاء على ما دون من قلت لان المراد الصفة كانه قال لا اعبد الباطل ولا تعبدون الحق وقيل ان ما مصدرية
اي لا اعبد عبادتكم ولا تعبدون عبادتي لكم دينكم ولي دين لكم شرككم ولي توحيدي والمعنى اني نبي مبعوث اليكم لادعوكم
الى الحق والنجاة فاذا لم تقبلوا مني ولم تتبعوني فدعوني كفافا ولا تدعوني الى الشرك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة الكافرين فكانما قرأ ربع القرآن وتباعدت منه مردة الشياطين وبرئ من الشرك ويعافى من الفزع الاكبر

سورة النصر مدنية وهي ثلاث آيات

بسم الله الرحمن الرحيم • اذا جاء نصر الله والفتح • ورأيت الناس
يدخلون في دين الله افواجا • اذا منصوب بسبح وهو لما يستقبل والاعلام بذلك قبل كونه من اعلام النبوة
وروي انها نزلت في ايام التشريق بمنى في حجة الوداع فان قلت ما الفرق بين النصر والفتح حتى عطف عليه
النصر الاعانة والاظهار على العدو ومنه نصر الله تعالى الارض غاثها والفتح فتح البلاد والمعنى نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم
على العرب او على قريش وفتح مكة وقيل جنس نصر الله تعالى للمؤمنين وفتح بلاد الشرك عليهم وكان فتح مكة لعشر مضين من شهر رمضان
سنة ثمان ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة آلاف من المهاجرين والانصار وطوائف العرب واقام بها خمس عشرة ليلة
ثم خرج الى هوازن وحين دخلها وقف على باب الكعبة ثم قال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم
الاحزاب وحده ثم قال يا اهل مكة ما ترون اني فاعل بكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم ثم قال اذهبوا فانتم الطلقاء ثم
بايعوه على الاسلام في دين الله تعالى في ملة الاسلام التي لا دين له يضاف اليه غيرها ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه
افواجا جماعات كثيفة كانت تدخل فيه القبيلة باسرها بعد ما كانوا يدخلون فيه واحدا واحدا واثنين اثنين وعن جابر بن
عبد الله انه بكى ذات يوم فقيل له فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول دخل الناس في دين الله افواجا وسيخرجون منه
افواجا وقيل اراد بالناس اهل اليمن قال ابو هريرة لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله اكبر جاء نصر الله والفتح وجاء
اهل اليمن قوم رقيقة قلوبهم الايمان يمان والفقه يمان والحكمة يمانية وقال اجد نفس ربكم من قبل اليمن وعن الحسن لما فتح
رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة اقبلت العرب بعضها على بعض فقالوا اما اذ ظفر باهل الحرم فليس به يدان وقد كان اجارهم الله
من اصحاب الفيل ومن كل من ارادهم فكانوا يدخلون في الاسلام افواجا من غير قتال وقرأ ابن عباس فتح الله والنصر وقرئ
يدخلون على البناء للمفعول فان قلت ما محل يدخلون قلت النصب اما على الحال على ان رأيت بمعنى ابصرت
او عرفت او هو مفعول ثان على انه بمعنى علمت • فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا
فسبح بحمد ربك فقل سبحان الله حامدا له اي فتعجب لتيسير الله تعالى ما لم يخطر ببالك وبال احد من ان يغلب احد على اهل الحرم
واحمده على صنعه او فاذكره مسبحا حامدا زيادة في عبادته والثناء عليه لزيادة انعامه عليك او فصل له روت ام هاني رضي الله عنها
انه لما فتح باب الكعبة صلى صلوة الضحى ثماني ركعات وعن عائشة رضي الله عنها كان يكثر قبل موته ان يقول سبحانك اللهم وبحمدك استغفرك
واتوب اليك والامر بالاستغفار مع التسبيح تكميل للامر بما هو قوام امر الدين من الجمع بين الطاعة والاحتراس من المعصية
وليكون امره بذلك مع عصمته لطفا لامته ولان الاستغفار من التواضع لله تعالى وهضم النفس فهو عبادة في نفسه وعن النبي

صلى الله عليه وسلم

اني لاستغفر الله في اليوم والليلة مائة مرة. وروي انه لما قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم على اصحابه استبشروا وبكى العباس
فقال ما يبكيك يا عم قال نعيت اليك نفسك قال انها لكما تقول فعاش صلى الله عليه وسلم بعدها سنتين لم ير فيها ضاحكا
مستبشرا. وقيل ان ابن عباس هو الذي قال ذلك فقال صلى الله عليه وسلم لقد اوتي هذا الغلام علما كثيرا. وروي انها لما نزلت
خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان عبدا خيره الله تعالى بين الدنيا وبين لقائه فاختار لقاء الله تعالى فعلم ابو بكر رضي الله عنه
فقال فديناك بانفسنا واموالنا وآبائنا واولادنا. وعن ابن عباس ان عمر رضي الله عنه كان يدنيه ويأذن له مع اهل بدر
فقال عبد الرحمن اتأذن لهذا الفتى ومن ابنائنا من هو مثله فقال انه ممن علمتم قال ابن عباس فاذن لهم ذات يوم واذن لي معهم فسألهم عن
قول الله تعالى اذا جاء نصر الله ولا اراه سألهم الا من اجلي فقال بعضهم امر الله تعالى نبيه اذا فتح عليه ان يستغفره ويتوب اليه فقلت ليس كذلك
ولكن نعيت اليه نفسه فقال عمر ما اعلم منها الا مثل ما تعلم ثم قال كيف تلومونني عليه بعد ما ترون. وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه دعا فاطمة
رضي الله تعالى عنها فقال يا ابنتاه انه نعيت الي نفسي فبكت فقال لا تبكي فانك اول اهلي لحوقا بي. وعن ابن مسعود ان هذه السورة تسمى سورة
التوديع. كان توابا اي كان في الازمنة الماضية منذ خلق المكلفين توابا عليهم اذا استغفروا فعلى كل مستغفر ان يتوقع مثل ذلك
عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة النصر اعطي من الاجر كمن شهد مع محمد عليه الصلاة والسلام فتح مكة

سورة تبت مكية وهي خمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم تبت يدا ابي لهب وتب ما اغنى عنه ماله وما كسب
التباب الهلاك ومنه قولهم اشابة ام تابة اي هالكة من الهرم والتعجيز والمعنى هلكت يداه لانه فيما يروى اخذ حجرا
ليرمي به رسول الله صلى الله عليه وسلم وتب وهلك كله او جعلت يداه هالكتين والمراد هلاك جملته كقوله تعالى بما قدمت يداك ومعنى
وتب وكان ذلك وحصل كقوله: جزاني جزاه الله شر جزائه * جزاء الكلاب العاويات وقد فعل * ويدل عليه قراءة ابن مسعود وقد تب
وروي انه لما نزل وانذر عشيرتك الاقربين رقي الصفا وقال يا صباحاه فاستجمع اليه الناس من كل اوب فقال يا بني عبد المطلب يا بني
فهر ان اخبرتكم ان بسفح هذا الجبل خيلا اكنتم مصدقي قالوا نعم قال فاني نذير لكم بين يدي الساعة فقال ابو لهب تبا لك الهذا دعوتنا
فان قلت لم كناه والكنية تكرمة قلت فيه ثلاثة اوجه احدها ان يكون مشتهرا بالكنية دون الاسم فقد يكون الرجل معروفا
باحدهما ولذلك تجري الكنية على الاسم او الاسم على الكنية عطف بيان فلما اريد تشهيره بدعوة السوء وان تبقى سمة له ذكر الاشهر
من علميه ويؤيد ذلك قراءة من قرأ يدا ابو لهب كما قيل علي بن ابو طالب ومعوية بن ابو سفيان لئلا يغير منه شيء فيشكل على
السامع ولفليتة بن قاسم امير مكة ابنان احدهما عبد الله بالجر والآخر عبد الله بالنصب والثاني انه كان اسمه عبد العزى
فعدل عنه الى كنيته والثالث انه لما كان من اهل النار ومآله الى نار ذات لهب وافقت حاله كنيته فكان جديرا بان يذكر بها
ويقال ابو لهب كما يقال ابو الشر للشرير وابو الخير للخير وكما كنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا المهلب ابا صفرة بصفرة في وجهه
وقيل كني بذلك لتلهب وجنتيه واشراقهما ويجوز ان يذكر بذلك تهكما به وبافتخاره بذلك وقرئ ابي لهب بالسكون وهو من
تغيير الاعلام كقولهم شمس بن مالك بالضم ما اغنى استفهام في معنى الانكار ومحله النصب او نفي وما كسب مرفوع وما موصولة او
مصدرية بمعنى ومكسوبه او وكسبه والمعنى لم ينفعه ماله وما كسب بماله يعني رأس المال والارباح او ماشيته وما كسب من نسلها
ومنافعها وكان ذا سابياء وماله الذي ورثه من ابيه والذي كسبه بنفسه او ماله التالد والطارف وعن ابن عباس ما كسب ولده وحكي ان بني ابي لهب
احتكموا اليه فاقتتلوا فقام يحجز بينهم فدفعه بعضهم فوقع فغضب فقال اخرجوا عني الكسب الخبيث ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ان اطيب ما يأكل الرجل من
كسبه وان ولده من كسبه وعن الضحاك ما ينفعه ماله وعمله الخبيث يعني كيده في عداوة رسول الله وعن قتادة عمله الذي ظن انه منه على شيء
كقوله وقدمنا الى ما عملوا من عمل وروي انه كان يقول ان كان ما يقول ابن اخي حقا فانا افتدي منه نفسي بمالي وولدي سيصلى نارا
ذات لهب وامرأته حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد سيصلى قرئ بفتح الياء وبضمها مخففا ومشددا
والسين للوعيد اي هو كائن لا محالة وان تراخى وقته وامرأته هي ام جميل بنت حرب اخت ابي سفيان وكانت تحمل حزمة من الشوك والحسك والسعدان
فتنثرها بالليل في طريق رسول الله وقيل كانت تمشي بالنميمة ويقال للمشاء بالنمائم المفسد بين الناس يحمل الحطب بينهم اي يوقد بينهم النائرة
ويورث الشر قال: من البيض لم تصطد على ظهر لأمة * ولم تمش بين الحي بالحطب الرطب * جعله رطبا ليدل على التدخين الذي هو زيادة في
الشر ورفعت عطفا على الضمير في سيصلى اي سيصلى هو وامرأته وفي جيدها في موضع الحال او على الابتداء وفي جيدها الخبر وقرئ حمالة الحطب

بالنصب على الشتم وانا استحب هذه القراءة وقد توسل الى رسول الله بجميل من احب شتم ام جميل وقرئ حمالة للحطب وحمالة الحطب بالتنوين والرفع
والنصب وقرئ ومريئته بالتصغير المسد الذي فتل من الحبال فتلا شديدا من ليف كان او جلد او غيرهما قال ومسد امر من ايانق ورجل ممسود
الخلق مجدوله والمعنى في جيدها حبل مما مسد من الحبال وانها تحمل تلك الحزمة من الشوك وتربطها في جيدها كما يفعل الحطابون تخسيسا لحالها وتحقيرا
لها وتصويرا لها بصورة بعض الحطابات من المواهن لتمتعض من ذلك ويمتعض بعلها وهما في بيت العز والشرف وفي منصب الثروة والجدة
ولقد عير بعض الناس الفضل بن العباس بن عتبة بن ابي لهب بحمالة الحطب فقال: ماذا اردت الى شتمي ومنقصتي * ام ما تعير من حمالة الحطب
غراء شادخة في المجد غرتها * كانت سليلة شيخ ثاقب الحسب. ويحتمل ان يكون المعنى ان حالها تكون في نار جهنم على الصورة التي كانت عليها
حين كانت تحمل حزمة الشوك فلا تزال على ظهرها حزمة من حطب النار من شجرة الزقوم او من الضريع وفي جيدها حبل مما مسد من سلاسل النار كما
يعذب كل مجرم بما يجانس حاله في جرمه. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة تبت رجوت ان لا يجمع الله بينه وبين ابي لهب في دار واحدة

سورة الاخلاص مكية وقيل مدنية وهي اربع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد
هو ضمير الشأن والله احد هو الشأن كقولك هو زيد منطلق كأنه قيل الشأن هذا وهو ان الله واحد لا ثاني له فان قلت ما محل هو
قلت الرفع على الابتداء والخبر الجملة فان قلت فالجملة الواقعة خبرا لا بد فيها من راجع الى المبتدأ فاين الراجع قلت حكم
هذه الجملة حكم المفرد في قولك زيد غلامك في انه هو المبتدأ في المعنى وذلك ان قوله الله احد هو الشأن الذي هو عبارة عنه وليس كذلك زيد ابوه منطلق
فان زيدا والجملة يدلان على معنيين مختلفين فلا بد مما يصل بينهما. وعن ابن عباس قالت قريش يا محمد صف لنا ربك الذي تدعونا اليه فنزلت يعني
الذي سألتموني هو الله واحد بدل من قوله الله او على هو احد وهو بمعنى واحد واصله وحد وقرأ عبد الله وابي هو الله احد بغير قل وفي قراءة النبي
صلى الله عليه وسلم الله احد بغير قل هو وقال من قرأ الله احد كان بعدل القرآن وقرأ الاعمش قل هو الله الواحد وقرئ احد الله بغير تنوين اسقط لملاقاته
لام التعريف ونحوه: ولا ذاكر الله الا قليلا. والجيد هو التنوين وكسره لالتقاء الساكنين والصمد فعل بمعنى مفعول من صمد اليه اذا قصده وهو السيد
المصمود اليه في الحوائج والمعنى هو الله الذي تعرفونه وتقرون بانه خالق السموات والارض وخالقكم وهو واحد متوحد بالالهية لا يشارك فيها وهو الذي يصمد اليه
كل مخلوق لا يستغنون عنه وهو الغني عنهم لم يلد لانه لا يجانس حتى يكون له من جنسه صاحبة فيتوالدا وقد دل على هذا المعنى بقوله انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة
ولم يولد لان كل مولود محدث وجسم وهو قديم لا اول لوجوده وليس بجسم ولم يكافئه احد اي لم يماثله ولم يشاكله ويجوز ان يكون من الكفاءة في النكاح
نفيا للصاحبة سألوه ان يصفه لهم فاوحى اليه ما يحتوي على صفاته فقوله هو الله اشارة لهم الى من هو خالق الاشياء وفاطرها وفي طي ذلك وصفه
بانه قادر عالم لان الخلق يستدعي القدرة والعلم لكونه واقعا على غاية احكام واتساق وانتظام وفي ذلك وصفه بانه حي سميع بصير وقوله
احد وصف بالوحدانية ونفي الشركاء وقوله تعالى الصمد وصف بانه ليس الا محتاجا اليه واذا لم يكن الا محتاجا اليه فهو غني وفي كونه غنيا مع كونه عالما
انه عدل غير فاعل للقبائح لعلمه بقبح القبيح وعلمه بغناه عنه وقوله تعالى لم يولد وصف بالقدم والاولية وقوله لم يلد نفي للشبه والمجانسة
وقوله تعالى ولم يكن له كفوا احد تقرير لذلك وبت للحكم به فان قلت الكلام العربي الفصيح ان يؤخر الظرف الذي هو لغو غير مستقر
ولا يقدم وقد نص سيبويه على ذلك في كتابه فما باله مقدما في افصح كلام واعربه قلت هذا الكلام انما سيق لنفي المكافأة عن ذات
الباري سبحانه وهذا المعنى مصبه ومركزه هو هذا الظرف فكان لذلك اهم شيء واعناه واحقه بالتقديم واحراه وقرئ كفؤا بضم الكاف والفاء
وبضم الكاف وكسرها مع سكون الفاء فان قلت لم كانت هذه السورة عدل القرآن كله على قصر متنها وتقارب طرفيها قلت
لامر ما يسود من يسود وما ذاك الا لاحتوائها على صفات الله تعالى وعدله وتوحيده وكفى دليلا من اعترف بفضلها وصدق بقول رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيها ان علم التوحيد من الله تعالى بمكان وكيف لا يكون كذلك والعلم تابع للمعلوم يشرف بشرفه ويتضع بضعته ومعلوم هذا العلم هو الله تعالى
وصفاته وما يجوز عليه وما لا يجوز فما ظنك بشرف منزلته وجلالة محله وانافته على كل علم واستيلائه على قصب السبق دونه ومن ازدراه فلضعف علمه
بمعلومه وقلة تعظيمه له وخلوه من خشيته وبعده من النظر لعاقبته اللهم احشرنا في زمرة العالمين بك العاملين لك القائلين بعدلك وتوحيدك
الخائفين من وعيدك. وتسمى سورة الاساس لاشتمالها على اصول الدين. وروى ابي وانس عن النبي صلى الله عليه وسلم اسست السموات السبع والارضون السبع
على قل هو الله احد يعني ما خلقت الا لتكون دلائل على توحيد الله تعالى ومعرفة صفاته التي نطقت بها هذه السورة. عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سمع رجلا يقرأ قل هو الله احد
فقال وجبت قيل يا رسول الله وما وجبت قال وجبت له الجنة

سورة الفلق مختلف فيها وهي خمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم قل اعوذ برب الفلق من شر ما خلق ومن شر غاسق اذا وقب ومن شر النفاثات في العقد ومن شر حاسد اذا حسد

الفلق والفرق الصبح لان الليل يفلق ويفرق فعل بمعنى مفعول يقال في المثل هو ابين من فلق الصبح ومن فرق الصبح ومنه قولهم سطع الفرقان اذا طلع الفجر وقيل هو كل ما يفلقه الله تعالى كالارض عن النبات والجبال عن العيون والسحاب عن المطر والارحام عن الاولاد والحب والنوى وغير ذلك وقيل هو واد في جهنم او جب فيها من قولهم لما اطمان من الارض الفلق والجمع فلقان وعن بعض الصحابة انه قدم الشام فراى دور اهل الذمة وما هم فيه من خفض العيش وما وسع عليهم من دنياهم فقال لا ابالي اليس من ورائهم الفلق فقيل وما الفلق قال بيت في جهنم اذا فتح صاح جميع اهل النار من شدة حره من شر ما خلق من شر خلقه وشرهم ما يفعله المكلفون من الحيوان من المعاصي والمآثم ومضارة بعضهم بعضا من ظلم وبغي وقتل وضرب وشتم وغير ذلك وما يفعله غير المكلفين منه من الاكل والنهش واللدغ والعض كالسباع والحشرات وما وضعه الله في الموات من انواع الضرر كالاحراق في النار والقتل في السم والغاسق الليل اذا اعتكر ظلامه من قوله تعالى الى غسق الليل ومنه غسقت العين امتلات دمعا وغسقت الجراحة امتلات دما ووقوبه دخول ظلامه في كل شيء ويقال وقبت الشمس اذا غابت وفي الحديث لما راى الشمس قد وقبت قال هذا حين حلها يعني صلوة المغرب وقيل هو القمر اذا امتلا وعن عائشة اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فاشار الى القمر فقال تعوذي بالله من شر هذا فانه الغاسق اذا وقب ووقوبه دخوله في الكسوف واسوداده ويجوز ان يراد بالغاسق الاسود من الحيات ووقبه ضربه ونقبه والوقب النقب ومنه وقبة الثريد والتعوذ من شر الليل لان انبثاث الشر فيه اكثر والتحرز منه اصعب ومنه قولهم الليل اخفى للويل وقولهم اغدر الليل لانه اذا اظلم كثر فيه الغدر واسند الشر اليه لملابسته له من حدوثه فيه النفاثات النساء او النفوس او الجماعات السواحر اللاتي يعقدن عقدا في خيوط وينفثن عليها ويرقين والنفث النفخ مع ريق ولا تاثير لذلك اللهم الا اذا كان ثم اطعام شيء ضار او سقيه او اشمامه او مباشرة المسحور به على بعض الوجوه ولكن الله تعالى قد يفعل عند ذلك فعلا على سبيل الامتحان الذي يتميز به الثبت على الحق من الحشوية والجهلة من العوام فينسبه الحشو والرعاع اليهن والى نفثهن والثابتون بالقول الثابت لا يلتفتون الى ذلك ولا يعبؤن به فان قلت فما معنى الاستعاذة من شرهن قلت فيها ثلثة اوجه احدها ان يستعاذ من عملهن الذي هو صنعة السحر ومن اثمهن في ذلك والثاني ان يستعاذ من فتنتهن الناس بسحرهن وما يخدعنهم به من باطلهن والثالث ان يستعاذ مما يصيب الله به من الشر عند نفثهن ويجوز ان يراد بهن النساء الكيادات من قوله تعالى ان كيدكن عظيم تشبيها لكيدهن بالسحر والنفث في العقد او اللاتي يفتن الرجال بتعرضهن لهم وعرضهن محاسنهن كانهن يسحرنهم بذلك اذا حسد اذا اظهر حسده وعمل بمقتضاه من بغي الغوائل للمحسود لانه اذا لم يظهر اثر ما اضمره فلا ضرر يعود منه على من حسده بل هو الضار لنفسه لاغتمامه بسرور غيره وعن عمر بن عبد العزيز رحمه الله لم ار ظالما اشبه بمظلوم من حاسد ويجوز ان يراد بشر الحاسد اثمه وسماجة حاله في وقت حسده واظهاره اثره فان قلت قوله تعالى من شر ما خلق تعميم في كل ما يستعاذ منه فما معنى الاستعاذة بعده من الغاسق والنفاثات والحاسد قلت قد خص شر هؤلاء من كل شر لخفاء امره وانه يلحق الانسان من حيث لا يعلم كانما يغتال به وقالوا شر العداة المداجي الذي يكيدك من حيث لا تشعر فان قلت فلم عرف بعض المستعاذ منه ونكر بعضه قلت عرفت النفاثات لان كل نفاثة شريرة ونكر غاسق لان كل غاسق لا يكون فيه الشر انما يكون في بعض دون بعض وكذلك كل حاسد لا يضر ورب حسد محمود وهو الحسد في الخيرات ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لا حسد الا في اثنين وقال ابو تمام وما حاسد في المكرمات بحاسد وقال ان العلا حسن في مثلها الحسد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا المعوذتين فكانما قرا الكتب التي انزلها الله تعالى كلها

سورة الناس مختلف فيها وهي ست آيات

بسم الله الرحمن الرحيم قل اعوذ برب الناس ملك الناس اله الناس من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس

وقرئ قل عوذ بحذف الهمزة ونقل حركتها الى اللام ونحوه فخذ اربعة من الطير فان قلت لم قيل برب الناس مضافا اليهم خاصة قلت لان الاستعاذة وقعت من شر الموسوس في صدور الناس فكانه قيل اعوذ من شر الموسوس الى الناس بربهم الذي يملك عليهم امورهم وهو الههم ومعبودهم كما يستغيث بعض الموالي اذا اعتراهم خطب بسيدهم ومخدومهم ووالي امرهم فان قلت ملك الناس اله الناس ما هما من رب الناس قلت هما عطف بيان كقولك سيرة ابي حفص عمر الفاروق رضي الله عنه بين بملك الناس ثم زيد بيانا باله الناس لانه قد يقال لغيره رب الناس كقوله اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله وقد يقال ملك الناس واما اله الناس فخاص لا شركة فيه فجعل غاية للبيان فان قلت فهلا اكتفى باظهار المضاف اليه الذي هو الناس مرة واحدة قلت لان عطف البيان للبيان فكان مظنة للاظهار دون الاضمار الوسواس اسم بمعنى الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة واما المصدر فوسواس بالكسر كزلزال والمراد به الشيطان سمي بالمصدر كانه وسوسة في نفسه لانها صنعته وشغله الذي هو عاكف عليه او اريد ذو الوسواس والوسوسة الصوت الخفي ومنه وسواس الحلي والخناس الذي عادته ان يخنس منسوب الى الخنس وهو التاخر كالعواج والبتات لما روي عن سعيد بن جبير اذا ذكر الانسان ربه خنس الشيطان وولى واذا غفل وسوس اليه الذي يوسوس يجوز في محله الحركات الثلث فالجر على الصفة والرفع والنصب على الشتم ويحسن ان يقف القارئ على الخناس ويبتدئ الذي يوسوس على احد هذين الوجهين من الجنة والناس بيان للذي يوسوس على ان الشيطان ضربان انسي وجني كما قال تعالى شياطين الانس والجن وعن ابي ذر انه قال لرجل هل تعوذت بالله من شياطين الانس ويجوز ان يكون من متعلقا بيوسوس ومعناه ابتداء الغاية اي يوسوس في صدورهم من جهة الجن ومن جهة الناس وقيل من الجنة والناس بيان للناس وان اسم الناس ينطلق على الجنة واستدلوا بنفر ورجال في سورة الجن وما احقه لان الجن سموا جنا لاجتنانهم والناس ناسا لظهورهم من الايناس وهو الابصار كما سموا بشرا ولو كان يقع الناس على القبيلين وصح ذلك ووجب لم يكن مناسبا لفصاحة القرآن وبعده من التصنع واجود منه ان يراد بالناس الناسي كقوله يوم يدع الداع وكما قرئ من حيث افاض الناس ثم بين بالجنة والناس لان الثقلين هما النوعان الموصوفان بنسيان حق الله تعالى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد انزلت علي سورتان ما انزل مثلهما وانك لن تقرا سورتين احب ولا ارضى عند الله منهما

قال جار الله العلامة وانا اعوذ بهما وبجميع كلمات الله الكاملة التامة واعوذ بكنف رحمته الشاملة العامة من كل ما يكلم الدين ويثلم اليقين او يعود في العاقبة بالندم او يقدح في الايمان المسوط باللحم والدم واساله بخضوع العنق وخشوع البصر ووضع الخد لجلاله الاعظم الاكبر مستشفعا اليه بنوره الذي هو الشيبة في الاسلام متوسلا بالتوبة الممحصة للآثام وبما عنيت به من مهاجرتي اليه ومجاورتي ومرابطتي بمكة ومصابرتي على التوكل من القوى وتخاذل من الخطا ثم اساله بحق صراط المستقيم وقرآنه المجيد الكريم وبما لقيت من كدح اليمين وعرق الجبين في عمل الكشاف عن حقائقه المخلص عن مضايقه المطلع على غوامضه المثبت في مداحضه الملخص لنكته ولطائف نظمه المنقر عن فقره وجواهر علمه المكثر بالفوائد المفتنة التي لا توجد الا فيه المحيط بما لا يكتنه من بدع الفاظه ومعانيه مع الايجاز الحاذف للفضول وتجنب المستكره المملول ولو لم يكن في مضمونه الا ايراد كل شيء على قانونه لكفى به ضالة ينشدها محققة الاخبار وجوهرة يتمنى العثور عليها غاصة البحار وبما شرفني به وحباني واختصني بكرامته وتوحدني من اتفاقه على يدي في مهبط اشاراته ونذره ومتنزل آياته وسوره من البلد الامين بين ظهراني الحرم وبين يدي البيت المحرم حتى وقع التاويل حيث وقع التنزيل ان يهب لي خاتمة الخير ويقيني مصارع السوء ويتجاوز عني يوم التناد ولا يفضحني بها على رؤوس الاشهاد ويحلني دار المقامة من فضله بواسع طوله وسابغ نوله انه هو الجواد الكريم الرؤوف الرحيم

وتمت كتابة هذه النسخة المباركة بقلم الحقير احمد بن علي الصالحي غفرت ذنوبهما في منتصف ذي القعدة الحرام سنة اربع وخمسين بعد الالف من الهجرة